13 me Année No. 600

Lundi - 1 - 1 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٠٠ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٧ محرم سنة ١٣٦٤ — الموافق أول يناير سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الفهـــرس

الرسالة

فى عامها الثالث عشر

لاحت فى جوانب العام المنصرم تباشير السلم كما تلوح فى هوادى الليل تباشير الفجر الكاذب [1] ؛ فانبعثت رواقد الأمانى هنا ، وتحلبت أشداق المطامع هناك ؛ وابتهل العالم العربى إلى الله أن يوقِّيه ويلات السلم كما وقَّاه ويلات الحرب ، فأُوحىَ إليه أن يتحد — ومن طباع العالم العربى الذى يؤمن بانقطاع الوحى ، ألا يعمل إلا بوحى — فوفد إلى القاهرة وفود الدول العربيــة خفافاً وثقالاً ، وأخذوا ينظرون فى الصورة التى تكون عليها الوحدة ، وفى الألوان التى تتألف منها الصورة . ولا يزال أقطاب « الجامعة العربية » يديرون الرأى فيما بينهم استعداداً لجمع « المؤتمر » وعقد « الميثاق »

ذلك وحى الضرورة نزل على قلوب الساسة فصدعوا به وعملوا له . وهنالك وحى الطبيعة أوحته القرابة الواشجة ، واللغة الواحدة ، والوطن المشاع ، والتاريخ المشترك ، فتجلى فى المجمع اللغوى ، وفى التعاون الثقافى ، وفى مؤتمر الأطباء ، ومؤتمر المحامين ، وفى مهرجان أبى العلاء ، وفى مؤتمر النساء ، وفى بعوث الأقطار العربية فى معاهد مصر العلمية ، وفى الدعوات

(١) الفجر الكاذب ضوء داكن يبدو قبيل الفجر الصادق مستطيلا معترضاً ويقال له ذنب السرحان

والرحلات ، وفى الكتب والمجلات ، وفى الأصوات المتجاوبة تزأر بالدفاع عن فلسطين المهددة ، وفي الجماعات المتزاورة تتساقى المودة حيناً على النيل وحيناً على بَرَدى وحيناً على دجلة

تلك وحدة الروح والهوى ، لا خلاف فيها على زعامة ، لأن زعيمها الخالد بالإجماع محمد . ولا خوف منها على استقلال ، لأنها كدين الله لا تعرف الحدود ولا تقبل الحصر . ولا مثار بها لعصبية ، لأنها كمروءة الإسلام لا تفرق بين أحد من الناس لدين أو جنس . والرسالة تحمد الله وتشكره على أن وفقها فى سِنِيها الثلاث عشرة لتكون جندياً صادق البأس خالص العقيدة من جنود هذه الوحدة . وكان الرجاء أن تَصدق نبوءة المتنبئين بانطفاء هذه الحرب فى عامنا الذاهب ، لتستعيد الأرض قرارها المطمئن ، وتستأنف الحياة سيرها الآمن ، وتستقبل الرسالة عامها الجديد وهى على حال من القوة والفتوة والجِدَّة توافق هذا الجهاد وتطابق هذه السن . ولكن الشياطين ما برحوا يحتلون مختبرات العلماء ومكاتب الزعماء ورءوس القادة . ورأس الشيطان كنفس الإنسان لا يُسبَر غورها ولا يحد مداها ؛ فإذا خبت نار ذكت نار ، وإذا سكن إعصار ثار إعصار ، وكلما انكشف سر تلاحقت أسرار . فالخطة تنسخ الخطة ، والعُدَّة ترفد العُدة ، والاختراع يتبع الاختراع . وليس يعرف لهذه القوى الجبارة أمداً تخور عنده إلا الخبير القدير الذى شاء أن يطامن من كبرياء الإنسان ويكسر من غروره ، فسلط هواه العارم على عقله القاصر ، ثم وكله إلى نفسه ، فاعتل إدراكه ، واختل توازنه ، وانطلق فى ضراوة الوحش ، ورعونة العاصفة ، يدمر ما عمَّر ، وينقض ما أبرم ، ويقتل ما ولد !

***

ليست هذه الحرب مقصورة على جهاتها المادية بين الجيوش المتحاربة فى أوربا وآسيا ؛ إنما هى زلزلة اجتماعية عامة هزت كل وطن ، وبلبلت كل نفس ، وزعزعت كل نظام ، وغيرت كل معنى . فمن لم يجدها فى جيشه أو على أرضه وجدها فى نفسه وفكره وعقيدته وأحزابه وتقاليده ونظمه . والأسلحة والوسائل تختلف باختلاف البواعث النفسية فى كل محارب ؛ فقد تكون ، إذا تحركت فى الجماعة حوافز السمو ونوازع الكمال ، ثورةً على قيد يعوق نهضتها ، أو على نظام يهين إنسانيتها ، أو على مذهب يستعبد عقليتها ، أو على حكم يلغي إرادتها

وقد تكون ، إذا اضطربت فى قرارة هذه الجماعة كدورة الطين وشهوات البهيم ، اعتداء على حُرَم الناس بالدس والسباب ، أو بالسرقة والاغتصاب ، أو بالغدر والحيلة ؛ أو تمرداً على الأوضاع الطبيعية ، فيرغب الفقير الكسول فى ثروة الغنى المجد ، ويتشوف العاجز الكَل إلى منصب القادر الكفء ، وتطلب المرأة الخرقاء مساواة الرجل فى الحق دون الواجب .

ستنطفئ نائرة هذه الحرب فى وقت ما ؛ وستأتى نتائجها بالطبع منطقية مع أسبابها التى بعثتها على صورة من هذه الصور . فأما الذين أنفقوا فيها من أنفسهم وأموالهم ، فى سبيل أمجادهم وآمالهم ، فسيجدون الكمال فى هذا النقص ، والحياة فى هذا الموت ، كالشَّعر يغزر ويقوى بالقص ، وكالشجر يغلظ ويرف بالتقليم . وعقبى مثل هذه الحرب على الغالب والمغلوب وثبة إلى الرقي الإنسانى والعمرانى يُفتتح بها عصر ويبدأ تاريخ

وأما الذين أنفقوا من فضائلهم وأخلاقهم ، فى سبيل مناصبهم وأرزاقهم ، فقد خسروا كل شىء : خسروا ما لا كفاء له ولا عوض منه ، وربحوا ما لا بقاء له ولا فضل فيه . وهل تغنى المادة إذا ذهبت الروح ، أو تحيا الأمة إذا مات الخلق ؟

لقد نجا العالم العربى من حرب الإنسان التى تهدم لتجدد ، وتقلم لتثقف ، وتبيد لتزيد ؛ فهل نجا من حرب الحيوان التى تقتل لتأكل ، وتغلب لتَلَذّ ، وتغصب لتحتكر ؟ إنك يا سيدى أبصر من أن تُبَصَّر . والنتن ينم على وجوده ، والشر يدل على نفسه . ومن لا ير يسمع . ومن لا يسمع يشم . ومن أعوزه الدليل فى نفسه وجده فى غيره . فليت شعرى ماذا أعد سادتنا وزعماؤنا للسلم التى تعقب هذه الحرب ؟ إن أقطاب العالم الثلاثة قد استعدوا من اليوم لتعمير ما اندثر من المدن ، وتجديد ما رث من النُظم ، فهل يستطيع أقطابنا الثلاثون أن يستعدوا لتعمير ما خرب من الضمائر ، وتجديد ما رث من الأخلاق ، وتوثيق ما وهى من العقود؟

احمد حسن الزيات

فى عيـــد المعرى

للدكتور عبد الوهاب عزام

هذا قطار فلسطين ، يحمل ذكرى البلاد التى نحبها ، ويُيمّم بنا مهوى أفئدتنا ، ومثار أشواقنا من بلدان وجماعات طالما حننّا إليها ، وسعدنا برؤيتها ، وردّدنا الفكر بين ماضيها وحاضرها ، ووجّهنا العزائم والآمال إلى مستقبلها . وإن حزَّ فى نفوسنا الألم لها فإنه الألم الذى يحفز الهمم ، ويُعطى العزائم ، ويُمدّ المُدد ، ويجمع الكلمة ، ويؤلف القلوب ، ويؤكد الآمال

وهذه قناة السويس تسيل مع مائها العبر ، ويجرى التاريخ ، ويزخر الحاضر بما عبرها من الجنود والخطوب . وليس هنا مجال الحديث عنها . ليس بها من جديد إلا الجسر من حديد جمع عِبريها ليمبر القطار بركابه لا ينتقلون من قطار إلى آخر ، ولا يشق عليهم العبور بأمتعتهم ليلاً على مُعدّيات القناة . ووقف القطار على القنطرة الشرقية وقفته لجوازات السفر وما يتصل بها . ثم سار حين كاد ينتصف الليل فضرب فى بيدائه ، وعبرناها مضطجعين ، تجيش بنا هموم لا تنام ولا تُنيم . ولاحت فلسطين مع الضحى ، والعين تتقرّى ما يسر وما يسوء ، والفكر يضرب فى الماضى والحاضر ، ثم يرى مستقبلاً تكفله القلوب المجتمعة والعزائم الموحدة

وبلغ القطار حيفا ظهراً متأخراً عن موعده ساعتين أو ثلاثاً . ولم نتلبث بها إلا ريثما أعددنا لاستئناف السفر . وهذه سيارتنا تغور وتنجد ، وتتوقّل الجبال وتنحدر على السفوح ، وتقطع الأودية ، وتقف عند حدود لم يخلقها الله ، ولم يعرفها التاريخ ، ولم يقرّها الحق ولم تقبلها الأوطان ولا أهل الأوطان ... فلنطو المسافات ، ونقتحم العقبات ، مسرعين إلى دمشق الجميلة الجليلة

أدركنا الليل ونحن نُغِذّ السير على مقربة من دار الأمويين فطمحت الأبصار ، وهفت القلوب ، وغشى الأنفس ما غشيها من جلال الذكر ، ومن الاغتباط والابتهاج بالعود إلى المدينة التى ما دخلتها ولا خرجت منها ولا غبت عنها إلا محبًّا لها مشتاقاً إليها معجباً بها مفكراً فيها آملاً لها كل خير ، داعياً لها بما هى أهله من الأمن والرخاء والمجد والعظمة . المدينة التى ما دخلتها ولا أقمت بها إلا منشرح الصدر ، قرير العين ، على رغم الخطوب والكروب ، والتى قلت فيها وقد عاودت الشعر بعد طول العهد ، من أجلها :

أحيت دمشقُ رميم الشعر فى خَلَدى
لا غرو أن تبعث الأشعارَ أشعار

أقصر أيها القلم فإني متهم بالعصبية لدمشق ، والمغالاة فيها . وما حملتك بنانى الآن لتكتب عن دمشق ، ولكن عن عيد أبى العلاء المعرى

بلغنا دمشق بعد الغروب بساعة ونزلنا عند فندق أميّة . وقد تعودت أن أنزل به وذكرته فى بعض رحلاتى ، فلم نجد به مكاناً فنزلنا بفندق دمشق — وكنا نزلنا به فى بعض أسفارنا مع طلاب الجامعة المصرية ونزل رفقاء لنا فى غيره . ففخر فريقنا عليهم بأن تسمّوا بالدمشقيين

ولم يستقر بنا المقام فى الفندق حتى جاء بعض إخواننا المشرفين على مهرجان أبى العلاء ، فرأينا وجوهاً معروفة محبَّبة إلينا . ولا أذكر أسماء خوفاً من التطويل إن ذكرتها كلها والعتاب إن ذكرت بعضها . وأصبحنا فى دمشق يوم الجمعة خامس شوال سنة ١٣٦٣ وقد بقى للمهرجان ثلاثة أيام ، واجتمعنا هذا اليوم نحن وجماعة من علماء الشام وأدبائها أعضاء المجمع العلمى العربى فى دار المجمع ، وهى المدرسة الأشرفية التى بناها الملك الأشرف الأيوبى .

وكان العمل يُسرع فى صحنها لتشارك فى حفلات أبى العلاء ، ولكن وافى المهرجان ولمّا يفرغ منها الترميم . وجلسنا مع رئيس المجمع وبعض أعضائه حيناً . وقدم إلينا من مطبوعات المجمع :

كتاب التبصر بالتجارة لأبى عثمان الجاحظ . صححه وعلق عليه السيد حسن حسنى عبد الوهاب التونسى

تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة لأبى منصور الجواليقى . صححه وعلق عليه الأستاذ عز الدين التنوخى

ديوان الوليد بن يزيد جمعه المستشرق الإيطالى جبريالى وكتب مقدمته الأستاذ خليل مردم بك

بحر العوام فيما أصاب فيه العوام لمحمد بن ابراهيم المعروف بابن الحنبلى نشره الأستاذ عز الدين التنوخى

الجزء الثامن من جامع التواريخ للتنوخى

وعدنا إلى دار المجمع مرة أخرى بعد أيام ، فزرت ضريح الملك الأشرف ، وقد اتخذت حجرة الضريح خزانة كتب . ثم خرجنا إلى البناء المقابل وهو المدرسة الظاهرية التى بناها الملك الظاهر بيبرس ، وزرنا القبة التى فيها قبره ، ورأينا بدائع النقش والفسيفساء فيها . وقد جعلت هى وحجرة متصلة بها خزانتان لبعض كتب المكتبة الظاهرية . ورأينا حول قبر الظاهر طائفة من الكتب المكتوبة بأيدى علماء معروفين فرأينا سلسلة من خطوط كبار علمائنا فى عصور متطاولة . منها :

مسائل أحمد بن حنبل بخط الذهبى

كتاب بخط سبط ابن الجوزى

إنباء الغمر لابن حجة بخطه

كتاب بخط ابن تيمية

كتاب بخط ابن الفوطى

كتاب بخط ابن عبد الهادى

كتاب بخط ابن عساكر

كتاب بخط المزى

كما رأينا كتبا أخرى قديمة نفيسة

وأمضينا سحابة يوم السبت فى الربوة دعانا إليها اثنان من كرام تلاميذنا : الدكتور أسعد طلس والأستاذ شكرى فيصل ، فاجتمع هناك الأساتذة طه الراوى ممثل العراق فى مهرجان المعرى ، والأساتذة أحمد أمين ، وعبد الحميد العبادى ، واحمد الشايب ممثلو جامعة فؤاد ، وجامعة فاروق ، والمجمع اللغوى

والربوة مكان جميل نزه يحار فيه الطرف والفكر بين ماء يسقط من قمة الجبل حيث يجرى نهر يزيد وماء يجرى على السفح ، وآخر فى بطن الوادى وآخر فى العدوة الأخرى وآخر فوقه . هناك تجرى شعب سبع من هذا النهر المبارك العجيب نهر بردى ، فى القمم والسفوح وبطن الوادى وأصلها واحد

والماء هناك تتجلى به الحياة قوة وبهجة وزينة ولعباً ، يسقط من السماء على السفح شلالاً ، ويجرى على السفوح وفى الوادى أنهاراً ، ويستتر تحت الشجر والعشب ، يومض بينها أحياناً ويختفى ، ويفجؤك منبجسا من صخر أو صاعداً من نافورة ، أو سائلاً من جدار ، وتسمع خريره أحياناً ووسوسته حيث لا تراه . فما تزال بين الفكر والنظر والسرور والتعجب والمرح والوجوم . ولا تدعك هذه المرائى الجميلة العجيبة تفلت من بهجتها إلى التفكير فيما يحزنك من هموم العيش ، ولا يخليك الجمال والجلال من نظر ساحر ، وخيال حائر ، ووجوم سار ولذة يشوبها حزن . ولا يمكنك هذا الجريان الذى هو أشبه بالزمان أن تحس مضى الوقت . ولا ينبهك طول الزمن من التمادى مع هذا الجريان .

وما أحسبنى جلست على هذه الربوة فقدرت الجلوس بالطول والقصر ، والساعات والدقائق ، ولكنها أفكار متوالية ، ونظرات متمادية ، وصور متتابعة ، لا يدرى الإنسان بينها أهو فى فراغ أم فى شغل ، وفى تفكير أم فى غفلة ، وفى جد أم فى لهو ، حتى يدعوه صحبه إلى الكلام أو القيام فيتكلم مشغولاً بها ، ويقوم وملء عينيه التفت إليها ، وفى جوانحه الحنين إلى معاودتها ...

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

دراسة اللغة العربية وآدابها

للدكتور محمد مندور

لا أستطيع أن أصور للقارئ مبلغ دهشتي عند ما وصلت إلى باريس وسألت فى السربون عن ليسانس الأدب الفرنسي فأخبرت أن هذا شيء لا وجود له . وأنت لا تستطيع أن تحصل من الجامعات الفرنسية على ليسانس فى آدابهم وإنما هناك شيء اسمه الليسانس الكلاسيكي ، وهو يتكون من أربع شهادات عليا كل منها منفصلة عن الأخرى تمام الانفصال . ولك أن تبدأ بالتقدم لأيها شئت وفى أى سنة تريد بعد تمضيتك للسنة الأولى بالجامعة . وهذه الشهادات هي : شهادة اللغة اليونانية القديمة وآدابها، وشهادة اللغة اللاتينية وآدابها، وشهادة اللغة الفرنسية وآدابها ، وأخيراً شهادة فقه هذه اللغات النحوى . وإذن فلا يستطيع أن ينال الليسانس ، أى إجازة التدريس فى الأدب إلا من يعرف اللغتين اليونانية واللاتينية وفقههما اللغوى، وذلك إلى جوار اللغة الفرنسية وأدبها وفقهها . وفى الجامعة تلق الدروس والمحاضرات التى تُعد لكل من هذه الشهادات ، ولك أن تحضر منها ما تريد ، وتتقدم إلى الامتحان عند ما تحس أنك قد وصلت إلى المستوى المطلوب وهو مستوى رفيع جداً لا نصل إليه هونا؛ حتى إن قليلاً جداً من الأجانب من يستطيع أن يجازف فينافس الفرنسيين فى هذا الميدان الوبص . وذلك لأن الفرنسيين لا يتقدمون إليه إلا بعد إعداد طويل بمدارسهم الثانوية حيث يدرسون تلك اللغات جميعاً دراسة متينة مفصلة . وكاتب هذا المقال يستطيع أن يتحدث عن يقين عن جدية هذه الدراسات وقد تقلمت فيها أظفاره . ولقد يدهش القارئ عند ما نخبره أن الامتحان فى شهادة الآداب الفرنسية شيء بالغ البساطة فى صورته بالغ المشقة فى جوهره . فالامتحان التحريرى عبارة عن سؤال واحد تعالجه فى أربع ساعات ، فإذا نجحت تقدمت إلى الامتحان الشفوى أمام ثلاث لجان : اثنتان منها لقراءة وشرح نصين أحدهما قديم والآخر حديث ، وأمام اللجنة الثالثة تُسأل فى مسألة من نظريات الأدب أو مدارسه أو كتابه . وهم لا يتطلبون منك فى التحريرى أن تدل على تحصيل فحسب ، بل لا بد أن تثبت إلى جانب ذلك مقدرة حقيقية على النقد الشخصي والفهم العميق ثم لا بد فوق كل شيء من أن تملك هبة الأسلوب وجماله ، وذلك لإيمانهم أنه لا بد أن تكون إلى حد ما أديباً لتصلح مدرساً للأدب ، وعندهم أن الأدب من المجالات التي لا يغنى فيها شيء عن مواهب النفس

غادرت مصر بعد أن درَست الأدب العربي بجامعتها وعدت إلى مصر فدرَّست الأدب العربي بجامعتها ، ولقد كنت منذ عودتي شديد التبرم بمناهجنا وطرق فهمنا لآدابنا القومية . ولقد جاهدت فى سبيل إصلاحها ما استطعت حتى تركت الجامعة ، ولكن تركي لها لن يمنعني أن أواصل الجهاد فى خارجها . وذلك لإيماني بأن دراسة الأدب هى المدرسة التى يتخرج منها قادة الرأى فى البلاد . فهي مدرسة الثقافة العامة ومدرسة فن الكتابة

وما أريد أن تعترض سبيلنا نزعات مغرضة فنُحارب بتعصب لمناهج الغرب التى تكونا بين أحضانها . ولى أمل كبير فى أن يوليني القارئ الثقة حيث أنني قد بلوت مناهجنا ومناهجهم فى نفسي وأطلت فيها التفكير بعد أن استطعت أن أستقل بالحكم؛ ومن واجبنا أن نأخذ الخير حيث نجده

وفى دراستنا للغة العربية وآدابها عيبان كبيران ، يشق على من لم يُدرس اللغات والآداب الأخرى أن يدركهما أو يجد لهما علاجاً . ولا بد إذا أريد القضاء عليهما من إعداد جيل جديد من الذين تثقفوا بأوروبا للنهوض بتلك المهمة الشاقة ، مهمة تدريس اللغة العربية وآدابها ، وبغير ذلك لن تكون أية محاولة غير ضجة عقيمة ، وهذا رأى يؤمن به من كبار أساتذتنا المصريين من استطاع منهم لرجاحة عقله وتخلصه من الهوى الشخصي أن يدرك الحقائق فى شجاعة ونبل

أما العيب الأول فهو فهم معنى الأدب : فالأدب مقصور عندنا على الشعر والنثر الفني عند العرب . ومن الملاحظ أن الشعر

قد غلبت عليه ابتداء من القرن الثالث الهجرى روح المحاكاة حتى إن التجديد فيه لم يعد إلا بمقدار . وأما النثر فإنك إذا قصرته على الفنى منه لم تخرج إلا بمحصول ضئيل : خطب ورسائل ومقامات وتوقيعات وأمثال . ولقد كان ظهور النثر متأخراً ، وكان عمر الجيد منه وهو النثر المرسل الخالى من الصنعة المتكلفة قصيراً إذ لم يلبث أن طغى البديع ابتداء من القرن الرابع فجرد الكتابة من صدق الإحساس وجوهر الفكر . والإحساس والفكر هما المادة التى إذا خلت منها كتابة فقدت الكثير من قيمتها . ويا ليت الأمر قد وقف عند هذا الحد ، فمعنى الأدب حتى على النحو الضيق الذى ذكرنا قد تغير فى عصرنا الحاضر ؛ وذلك لأن العرب لم يعرفوا فى الحقيقة غير الشعر الغنائى والنثر القصير الباع ، وأما الأدب المسرحى وأدب القصة فذلك ما لا نستطيع أن نقول على نحو جدى إنهم قد عرفوه . فالبون شاسع بين أنواع الحوار التى خلفوها من أمثال حوار وفود العرب عند كسرى وغيرها وبين المسرحية بالمعنى الحديث . وكذلك الأمر فى البون بين أيام العرب وما شابهها من قصص وبين القصة بالمعنى المعروف اليوم . وها نحن منذ اتصالنا بالغرب أخذنا نكتب القصص والمسرحيات ، وهذا يضعنا فى موضع فريد بين الأمم ، فالجامعات فى أوروبا لا تتناول عادة بالدراسة الأحياء من الكتاب . وفى فرنسا كلها لا يدرس الأدب المعاصر فيما أعلم ، ولا تعطى عن دراسته درجة علمية إلا فى جامعة واحدة هى جامعة استراسبورج ، وأما السربون فتقف مناهجها عند أواخر القرن التاسع عشر . ولو أننا فى مصر حذونا حذوهم كما نفعل الآن لكان موقفنا عجيباً . فيخرج الطالب وهو لا يعرف عن أدب القصة وأدب المسرحية ، وأصولها ونقدها شيئاً . ومعنى ذلك هو أن الجامعة لن تساعد على خلق بيئة أدبية ورأى عام أدبى ، ينمو فيهما أدبنا الحديث ، ويتجه وجهة جدية تساير تيارات الأدب العالمى ، وتدخلنا فى تناياه . وأمعن من ذلك فى الدلالة ما نلاحظه من أن الشعر الغنائى ، بل وكافة أنواع الشعر حتى المسرحى منه ، آخذ فى التقهقر أمام النثر فى كافة بقاع العالم حتى لأذكر أنه لم يعد فى فرنسا كلها غير مجلة واحدة متخصصة بالشعر هى مجلة « اجدرازيل Yggdrasill » وهى مجلة شهرية . وعلى العكس من ذلك النثر ، فقد احتل موضع الصدارة . ومن بين فنون النثر كلها أصبح للقصة بأنواعها المكان الأول . ومع ذلك فجامعتنا لا تزال عنايتها بالشعر فوق عنايتها بالنثر ، وهذا أمر يفسره ما ذكرنا من قصرها لمعنى النثر على الفنى منه . وباستطاعة القارئ أن يتناول أى كتاب فى تاريخ أى أدب أجنبى كالأدب الفرنسى أو الإنجليزى أو الألمانى ، وأن يقلب فهرسه ليجد فصولاً ممتعة عن التاريخ والمؤرخين والفلسفة والفلاسفة ، وعن كتاب الأخلاق والاجتماع والباحثين فى فلسفة العلوم . ونحن لدينا أمثال هؤلاء : لدينا المؤرخون والفلاسفة والمتصوفة وعلماء الكلام ، وفقهاء التشريع ، ورجال الأخلاق والاجتماع . فلماذا لا نوسع من معنى الأدب كما يفعل الغربيون فندخل دراسة هؤلاء الكتاب جميعاً فى مناهجنا وندرسهم بروح العلم الحديثة ، وننقد مواضع الضعف عندهم وسبل الكمال على ضوء ما وصل إليه الغرب ، وبذلك يخرج طالبنا بمادة فكرية لها قيمتها بدلاً من قصره على الدراسات اللفظية التى نأخذه بها اليوم؟

ولكننا إذا أردنا أن نفهم الأدب بهذا المعنى الواسع ، وإذا أردنا أن ندخل فيه أدبنا المعاصر الذى تأخذ ألوانه عن الآداب الغربية ، تبين عندئذ صدق ما قلناه من قبل من أنه لن يستطيع عندئذ الاستقلال بتدريسه إلا من تثقف ثقافة غربية وتشبع بمناهج الغرب على نحو واسع متين

والعيب الثانى قائم فى منهج الدراسة فهو لا يزال المنهج التقريرى كما عرفته القرون الوسطى مع أن مناهج الدراسة فى كافة الجامعات اليوم قد أصبحت المناهج التاريخية ، ومن واجبنا أن نسلك مسلكهم فنوفر على أنفسنا قروناً من الزمان ، ولو أننا فعلنا لتغيرت دراساتنا كلها رأساً على عقب ، فالنحو عندئذ لن ندرسه على أساس أنه معايير للصحة والخطأ ، فتلك دراسة مكانها فى المدارس الثانوية وإنما نتناوله كتطور تاريخى للغة منذ أصولها السامية إلى أن انتهت اليوم باللهجات العامية ، وهذه

دراسة لا تعرف الخطأ والصواب وإنما تعرف التحول الطبيعي الخاضع لاعتبارات عضوية واجتماعية ونفسية . والبلاغة علم سنحذفه أصلا من برامجنا كما حذفته جميع الجامعات ونحل محلها دراسة الأساليب وتاريخ تكوينها والتمييز بين اتجاهات الكتاب المختلفين وتحديد خصائصهم الروحية باعتبار أن الأسلوب صورة لملكات الرجل لا وسيلة من وسائل الأداء اللفظي فحسب ... وسوف نفطن عندئذ إلى شيء لم نسمع بوجوده بعد في جامعتنا وهو تاريخ اللغة ، ففي كل الجامعات تجد كراسي لأساتذة كبار يضطلعون بهذه المهمة الشاقة ولقد أتيح لي أن أتابع سنوات دراسة الأستاذ فرديناد برينو لتاريخ اللغة الفرنسية بالسربون . وكم كان يشجيني أن أستمع إلى هذا الشيخ الجليل وهو يقص تاريخ لغته ، فإذا به يكشف لنا بهذا التاريخ عن العقلية الفرنسية كلها وقد رسبت على طول القرون في مفردات اللغة وتراكيبها ولقد كان يخيل إلي عندئذ أن هـذا الرجل لا يلقي إلينا بعلم ، وإنما يقص ذكريات حياته الخاصة ، وذلك لطول معاشرته لتلك اللغة وإلفه لها ولقد أودع الرجل — رحمه الله — محصول عمره فيما يقرب من عشرين مجلداً في كل مجلد ما يقرب من ألف صفحة من القطع الكبير، وأجمع الفرنسيون على أن هذا الشيخ الوقور قد أقام لفرنسا بكتابه هـذا عن « تاريخ اللغة الفرنسية » تمثال مجـد لن يفنى أبد السنين . وكم كان رائعاً يوم وفاته أن تحمل جثته إلى ساحة السربون ويأتي الوزراء ورجال الدولة ومعهم فصائل من الجيش وموسيقاه ليحيوا رفاته الطاهرة في مشهد وطني رسمي كان من أكبر ما أثر في نفسي إذ كشف عن عظمة هذه الشعوب التي تعرف كيف تقدس الفكر البشري .

والمنهج التاريخي كما سيجدد تدريسنا للغة ، سيجدد أيضاً تدريسنا للأدب ، فالأدب كما نريد أن نفهمه هو مستودع الحضارة، وما أظن أننا نستطيع أن نفهم الحضارة العربية فهماً صحيحاً ما لم نكشف عن أصولها ومصادرها ، ولك أن تقلب الرأي كيفما شئت فستنتهي إلى نتيجة حتمية هي أن الثقافة العربية مزيج من عناصر ثلاثة : العنصر العبري ، والعنصر الفارسي ، والعنصر اليوناني . ففي القرآن وفي الإسلام ما لا يحصى من مبادىء التوراة وقصص التوراة وأصول التوراة التشريعية ، وفي الحضارة العباسية الكثير من وسائل الحياة الفارسية ببذخها ومظاهرها المادية ، بل وتياراتها الأخلاقية والفكرية في بعض الأحايين ، وأما اليونان فأظن أن تأثيرهم في الفلسفة الإسلامية والمنطق الإسلامي وعلم الكلام بل وفي العلوم اللغوية كالنحو والبلاغة وغيرها أوضح من أن يذكر .

والآن لو وسعنا من معنى الأدب وزدنا من عنايتنا بالنثر وأدخلنا في دراستنا إلى جوار الأدب القديم الأدب المعاصر ، ولو أصلحنا مناهجنا فجعلناها تاريخية كيف تظن أننا نستطيع عملياً أن ننظم تلك الدراسة . أليس من الخير لنا أن نأخذ بالنظام الفرنسي فلا نقيد دراسة الأدب العربي بسنين بل نجعله شهادات يحضر الطلبة ما يريدون منه ، حتى إذا أحسوا بنضوجهم تقدموا إلى الامتحان ؟ ونوع هـذه الشهادات أمرها واضح فهي لا يمكن أن تكون إلا : ١ — شهادة اللغة العبرية وآدابها . ٢ — شهادة اللغة الفارسية وآدابها . ٣ — شهادة اللغة اليونانية وآدابها . ٤ — شهادة اللغة العربية وآدابها . وبذلك يخرج الطالب مثقفاً ثقافة حقيقية تمكنه من أن يفهم التراث العربي فهماً صحيحاً وأن يستطيع مقارنته بغيره من الآداب ..

ومن البين أنه يجب أن يصلح نظام التعليم في المدارس الثانوية بحيث توجد به فروع تمد إعداداً صحيحاً لهذا النوع من الدراسة الجامعية بحيث يخرج الطالب ولديه العناصر الأساسية لمواصلة دراسته .

ولست أجهل ما في مثل هذه الدراسة من مشقة ، ولكن الأوروبيين يعالجون مثلها في دراسة أصول آدابهم اللاتينية واليونانية ، ولقد تغلبوا على تلك الصعوبات ، فلماذا يقعد بنا نحن الكسل عن مواجهة الطرق الجديدة والسير في السبل الصحيحة ؟

محمد مندور
المحامي

الحياة صادقة!

العــــدل الالهى !

مقدمات للادراك واليقين به

[مهداة إلى النقاد الكبير بمناسبة مقاله « تبارك رزاق البرايا »]

للأستاذ عبد المنعم خلاف

١ — لا شك أن « العقل » هو المميز والخصوصية الأولى للإنسان ، فواجبه أن يثق به ويقيم حياته جميعها عليه ، وهو محاسب عليه أشد الحساب . لأنه ميزان الحساب في كل شيء

وهو الذي وطد الحياة الاجتماعية التي يحياها الإنسان الآن ، وإليه يرجع كثير مما في الحياة الإنسانية من آثار الرفاهة والسعادة والخدمة المشتركة بين الناس ، فلماذا لا يعصم الإنسان على ألا يحيد عنه حتى يرتاح دائماً ؟

ولماذا لا يعرف أن عقله روح من العقل الأعلى الذي يدير الكون بالتدبير والدقة والاطراد وعدم الإخلال بشيء ؟

إن الغرائز يجب أن تكون ملجمة بحدوده حتى يتأتى تقدم الإنسان دائماً وعدم ارتداده وانتكاسه

وعقلنا هو نتيجة تلاقي المؤثرات المختلفة التي في الطبيعة على كياننا ، فيجب أن يكون تلاقي هذه المؤثرات موزوناً بنسب معينة تقريباً من جميع الجهات ، حتى يخرج العقل منسوقاً موزوناً ... فإذا صار لشيء من الطبيعة زيادة تأثير على ناحية من كياننا ، كان في هذا اختلال لمركز التجمع الفكري العام .

ومهمة التربية والتنشئة أن توازن بين تسلط هذه المؤثرات الطبيعية جميعها على الإنسان ، فلا تجعل مؤثراً أو عدداً من المؤثرات يطغى أو يستأثر بالتسلط عليه ، بينما المؤثرات الأخرى تكون معطلة

فإنسان الصحراء وحدها قد خضع لمؤثراتها وحدها ، فله عقل معين ؛ وإنسان المزارع وحدها متأثر بها وحدها ، فله عقل آخر . وإنسان المدن الصناعية له عقل ثالث . وهلم جرا

وإنسان الفن وحده له عقل معين ، وإنسان العلم وحده له عقل آخر ، وإنسان الأعمال التجارية له عقل ثالث وهلم جرا .

فلكي نتحاشى أن تكون الفروق بين العقول فروقاً فاحشة بحيث لا يمكن تلاقيها ، يجب أن يحمل الفرد تتقلب عليه شتى المؤثرات وتتداول فكره ، حتى تكون آثارها فيه بنسب موزونة تعطيه سعة النظر إلى الحياة وتقدير آفاقها جميعاً

وإني لأعجب للدولة الواحدة التي تترك أفرادها ، وبينهم من التفاوت في النشأة العلمية والاقتصادية والخلقية ما لا يمكن أن يتصور معه لقاء منهم على شيء !

فكيف يتصور هؤلاء الأفراد الأوزاعُ المشتتون الذين لا رابطة تجمعهم معاني العدالة الإلهية أو العدالة الإنسانية ؟ !

لا شك أنهم معذورون إذا لم يستطيعوا أن يتصوروا تلك المعاني السكاية الجامعة التي تحتاج إلى إعداد وتهذيب وتمرين خاص لإدراكها

٢ — وأول نظرة يدركها العقل الذي يتعرف وجهات الحياة والاعتراف بجميع الأمم والشعوب ، المتحرر من التأثر بالمخلفات ومواريث التاريخ ، توحي أن الإنسانية أسرة واحدة ، وأن الأرض وطن واحد لهذه الأسرة

وثاني نظرة توحي أن الله وضع الإنسان في الأرض موضعاً عظيماً هو موضع السيد المتصرف ، على الأقل في الظاهر

وثالث نظرة توحي أن الله أطلق للإنسان قدرة وأعطاه اختياراً لتكييف حياته كما يشاء . .

ورابع نظرة توحي أنه يكاد لا يكون في الطبيعة فساد ولا آلام تجعل وجه الحياة كريهاً مشوهاً ، لا يباشر إلا على غضاضة ومضاضة إلا بفعل الإنسان الذي نسبة الشرور التي يرسلها هو على الحياة وعلى بني جنسه أعظم بكثير من الشرور التي تأتي من الطبيعة مباشرة كالبراكين والزلازل والطوفان والصواعق ... الخ ، وخصوصاً في هذا العصر الراهن ... ومن الشاهد المعروف أن الإنسان لا يضيق صدره بقضاء الله وقدره المباشر ، ولا يثور غضبه وحقده ، ويتحول إلى عامل دمار وخسار إلا في مقاومة الاعتداء والشر الإنساني الذي يأتيه من الناس ، لأنه يجد نفسه في قدرة على دفاعهم والانتقام منهم ، فيقدم على ذلك ليرضي حزازات نفسه . أما شرور الطبيعة ، فيتألم منها ، ولكن لا يثور عليها ، لأنه لا يملك أن يثور عليها ، فهو يجد أن أحسن وسيلة للقائها هو الصبر والاحتمال ومحاولة مقاومتها بإدراك أسباب الوقاية أو المعالجة

فإذا أردت أن « تحاكم » الله ، وتعرف واجبه الذي فرضه على نفسه ، فلا تنظر نظرة ضيقة متأثرة بالأنانية الشخصية

أو القومية ... لا تنظر إليه من مكانك أنت فى أمتك ولا من مكان أمتك فى الأمم ، بل انظر إليه وأنت تمثل الإنسانية الواحدة الهائلة ...

ثم إذا أردت أن تنظر إلى الإنسانية فى الأرض ، فانظر إليها من السماء نظرة الله ... إنك حينئذ تراها هكذا : أسرة واحدة منوعة أفراداً وجماعات وأمماً .. كل جماعة استأثرت بمكان ومنعت غيرها عنه . وكان اقتسام الأمكنة غير عادل فأخذت أمة السهول الممرعة ونالت أخرى الأجادب ، فزاغت عيون المحرومين وجاعوا إلى الضروريات فلم يلب لهم رجاء ، ولم يخف المترفون الأغنياء لنجدتهم ، فهاجموا وقاتلوا واستولوا وأذلوا وصار بعضهم يموج فى بعض . .

وحقيقة الحقائق الاقتصادية التى يجب أن تقوم عليها فلسفة الحياة المادية ، أن ما فى الأرض من خيراتها ومناجمها وموارد الأرزاق كاف لجميع سكانها . . ذلك أمر تولى الله تقديره وتدبيره « وبارك فيها وقدر فيها أقواتها » .

كان الواجب العقلي المجرد من الغرائز أن يسرع المتخوم بإسعاف المحروم ، وأن يقتسم معه ما زاد عن كمالياته ، وأن تقوم حكومة عادلة تتولى ذلك . . فإن الأرض كلها ميراث للانسانية كلها كما يرى الله وكما قدر ودبر ...

٣ — وعقيدتى أن كل ظلم واقع على المستضعفين فمسئوليته أمام الله واقعة على كاهل الأمم القوية ، وكل أمة جاهلة مسئولية جهلها واقعة على الأمم العالمة . . وكل أمة فقيرة مسئولية فقرها واقعة على الأمم الغنية . فالله تعالى ترك القاصرين منا للراشدين ، كما يترك الأب أولاده الصغار لرعاية الكبار . . ذلك قياس العقل الإنسانى وذلك منطقه فى الأسرة الواحدة . فلم لا يكون قياسنا فى الأمة الواحدة ، ثم فى الأمم المتعددة ؟ !

ولذلك كانت النفس العربية فى أول نهضتها برسالتها تحس ذلك الإحساس المتمثل فى قول رسول الله : « كلكم راع وكلكم مسئول » .

وقول أبى بكر : « لو أن عقال بعير ضاع بالعراق لحسبت أنى مسئول عنه أمام الله » .

وقول عمر حينما رأى شيخاً قبطياً يسأل الناس على باب مسجد « لقد أضعناك صغيراً ولم نكفك كبيراً » وأجرى عليه رزقاً يكفيه . .

وقد قام العرب أول الأمر بمقتضيات هذا . فكانوا يعتقدون أنهم مسئولون عن إصلاح الناس جميعاً ، ورعاة لهم جميعاً . . فتنقلوا كالسحب لا يبحثون عن الأمكنة الخصبة للاستعمار ، بل يبحثون عن عباد الله للارشاد والإنقاذ والتعليم ، فكان أحدهم يخرج من جنات الشام والعراق ومصر إلى صحارى الشرق والغرب يبحث عن النفوس الضالة والعقول الشاردة . . فلما ركنوا إلى المكث فى الرياض وتركوا الهجرة لمثلهم الأعلى وفقدوا التبشير به قل دخول الناس فى دينهم إذ وجدوهم مثلهم . . تجار دنيا . .

٤ — إن العقل إذا أهمل ضلت الإنسانية وتحولت أسباب حسناتها إلى سيئات . . والمسئول عن ذلك ليس الله ، بل الإنسان فى مجموعه ، ولم يخل عصر من العصور التاريخية من امبراطورية عظيمة كانت تسيطر على أغلب مقدرات الأمم ، وتستطيع أن تقيم العدالة بينها لو أرادت ، ولكن الأنانية والجهل وعدم الانتباه إلى مسئولية الخلافة فى الأرض هى التى ملأت الأرض بالظلم والفساد . .

والدليل على ذلك أن الانجليز مثلا أو الجرمان أو الروس البلاشفة أو الأمريكان حين أقاموا دولهم فى بلادهم على الشعور بالوصاية العامة وتوزيع العدالة بالتساوى ارتفعت نفوس الأفراد وصحت لأجسام وسمت عقائد الحياة وتقدم العلم وكفيت حاجات النفوس إلى حد ما . مع أن كل أمة من هؤلاء مكونة من عدد كبير . . بينما أمة صغيرة من الهمج وأشباههم لا يزيد عددها على بضعة آلاف ولا تزيد مساحة بلادها على بضعة أميال ، تعيش فى فوضى واضطراب وفساد وجهالة . وذلك لعدم الاحساس بالمعنى الإنسانى فى كل فرد ، وعدم الاحساس بالوصاية وعدم تدبير الأمر بينهم .

وإن حياة السوء التى تحياها الأمم المتأخرة هى التى تبلبل عقائد المفكرين منا والجهال . وتجعلهم يحملون الله مسئولية ما يقترفون هم . . . . إنهم يعترفون بالأقدار ويحملونها متاعبهم ومسئولياتهم حين يكونون متأخرين متقاعسين ، ولا ينظرون إليها ويعترفون بها حينما يكونون قادرين .

وإنك لو فكرت وقدرت لوجدت أن جرائم القادرين والأغنياء هى التى سببت ملء الأرض بجرائم الفقراء كالسرقة والقتل وحمل أسباب الأمراض وآثار الفقر المدمر . .

(للكلام صلة) **عبد المنعم خلاف**

على هامش النقد :

ملـــيم الأكبر

بحث وقصة ... عادل كامل
للأستاذ سيد قطب

أيها القارئ !

هذا كتاب يجب أن تقرأه . لا لأنك ستوافق على كل ما جاء فيه ؛ ولا لأنك ستنبذ كل ما جاء فيه . ولكن لأنه سيثير انفعالاتك بالرضى مرة وبالسخط مرة ؛ ولأنه سيدعوك إلى التأمل والتفكير في كثير من القضايا المسلم بها في الأدب والفن والأخلاق والنظم الاجتماعية والاقتصادية ، لتنبذها وتحطمها ، أو لتذود عنها وتتمسك بها ...

وأيما كتاب استطاع أن يستجيش انفعالاتك على هذا النحو ، فهو كتاب قد وهبت له الحياة ، ولو قذفت به في النهاية إلى الجحيم !

وقد كان الكتاب في أول أمره « قصة » تقدم بها الأستاذ « عادل كامل » إلى « المجمع اللغوي » لتنال جائزة معينة ، فرأت لجنة المجمع الأدبية لاعتبارات خاصة ألا تمنحها الجائزة ... ومن هنا نشأ « البحث » الذي يرد به المؤلف على هذه الاعتبارات ، فيتناول فيه نواحي في اللغة والأدب والفن والأخلاق ، لا تقل في قيمتها ، ولا فيما تثيره من انفعالات السخط والرضى عن القصة ذاتها

ونحن نؤثر أن نسير في مناقشة هذين الكتابين ، حسب وجودهما في عالم الحياة فهذا هو الترتيب الطبيعي للأشياء

* * *

قصة « مليم الأكبر » هي قصة الصراع بين الطبقات ، مصبوبة في قالب فني . فهي على هذا الوضع من أدب « الوعي الاجتماعي » الذي يدعو إليه جمهور من المفكرين في جميع أنحاء العالم ، وتدعو إليه الاشتراكية والشيوعية بشكل خاص !

ولهذا النوع من الأدب قيمته – وبخاصة في هذه الفترة من حياة العالم – ولكن الذي يثير الانتقاد هو غلو الداعين إليه ومبالغتهم في فرضه على جميع الفنانين ؛ بوصفه ضريبة إنسانية على كل فنان ... هذا الغلو غير مفهوم من الوجهة الفنية – بل من الوجهة الإنسانية – فالإنسانية ليست هي هذا الجيل وليست هي بضعة الأجيال المقبلة ... إنما هي الأجيال الماضية منذ الأزل ، والأجيال المقبلة طول الأبد . وهذه وتلك لا تنكمش في هذا الحيز الضيق ، حيز جيل من الأجيال . ثم إن هنالك مطالب الإنسانية التي لا تنحصر في ضرورات الطعام والشراب ؛ ولا في حيز الضرورات على الإطلاق ؛ إنما تتطلع إلى آفاق أرفع وأرحب ؛ وتهفو حتى في أشد حالات الضرورة إلى ألوان من الفن المطلق الرفيع

وإذا صح أن أدب الوعي الاجتماعي ضريبة على كل فنان ، فلتكن نسبته هي نسبة الضرائب إلى مجموعة الإيراد ! بل ليكن فرض كفاية على الفريق المهيأ له من بين جموع الفنانين ؛ فالتجنيد قد يصلح في كل بيئة إلا بيئة الفنانين !

* * *

ثم أبادر إلى تصحيح وهم ربما يكون قد سبق إلى ذهن القارئ حين وصفت هذه القصة بأنها من « أدب الوعي الاجتماعي » ... إن انحصار القصة في هذا الحيز لم يسلبها السمة الفنية الأصيلة . وإن المؤلف ليبدو في قصته هذه صاحب موهبة فنية لا سبيل إلى الشك فيها . موهبة العرض والتنسيق ورسم الملامح والشخصيات ، وإدارة الحوادث والمفاجآت ... فهي من هذه الناحية تستوفي صفات القصة الجيدة على وجه العموم .

ثم هي تحمل طابع مؤلفها بوضوح في نواحي النقص فيها ونواحي الكمال . فالمؤلف صاحب طريقة مطبوعة وأسلوب مرسوم . وهذا يقرر وجوده الفني في عالم القصة بلا جدال

يعمل المؤلف في جو متماوج متخلخل ، جو « الضباب والرماد [1] » فتمر الحوادث والشخصيات والملامح والانفعالات مراً متأرجحاً متماوجاً . وتبدو للعين كما تبدو المناظر وراء الضباب ... ليست هناك مواقف حاسمة ، ولا انفعالات صارمة ، ولا حركات عنيفة ، ولا ضجات توقظ الإحساس . وحينما تنتهي القصة تحس أنك في حاجة لأن تقرأها من جديد لتتثبت من ملامحها التي مرت من قبل مر السحاب ! وربما خطر لك أن تسأل ، ماذا يريد ؟ ثم تتوارى الشخصيات والحوادث لتجد في نفسك انفعالات غامضة متماوجة تثير القلق والتأرجح والاضطراب

(١) عنوان أقصوصة للمؤلف !

... يخيل إليّ أن هذا هو كل غرض المؤلف من عمله الفني - إن كان له غرض - : أن يثير القلق الغامض والتأرجح المضطرب ، وأن يغمز اليقين الهادئ ويطلق في النفس الإنسانية عنصر الاضطراب ويسلبها الثقة والاطمئنان لأي شيء في الحياة ! وما الحوادث والشخصيات إلا أدوات فقط للوصول عن طريقها إلى هذا الهدف الأخير

إنه - من وجهة نظر المذاهب الاجتماعية التي يدعو إليها - يعد ناجحاً إذا هو قد هز في النفس الإنسانية عنصر الاستقرار ! فهو إذن من خيرة من يصلحون لهذه الدعوة ، لا بما يلقيه هنا وهناك من توجيهات ظاهرة ، ولا بما يغمز به النظام الاجتماعي والاقتصادي من غمزات موحية . ولكن — قبل ذلك كله — بما يطلقه في النفس الإنسانية من التأرجح المضطرب الذي لا يقر على قرار !

***

« قال مليم

— بلا جدال ...

ثم حمل عدته وانطلق في الطريق دون التفات ، وهو يضرب الأرض في عزم وإصرار كأنه مقدم على فتح عكاء . أما رفيقه فقد وقف يشيعه بابتسامة ساخرة ؛ فلما أن صار منه على مرمى حجر ، صاح في إثره قائلاً :

— سنرى ...

وقهقه ضاحكاً ثم انكفأ إلى طريق غير الطريق »

***

« بلغ النقاش أقصاه بين خالد وأبيه كعادتهما كلما دار بينهما حديث - أي حديث - . ومهما يكن الموضوع تافهاً ، فإنه يتطور على الدوام إلى اصطدام عنيف بين الأب وابنه . أما الأب فداهية مراوغ ، يلذ له شعور القوة الذي يدفع بالقط إلى العبث بفريسته قبل التهامها ، فهو يطيل من النقاش ويدير دفته إلى وجوه من الرأي يعرف أن ابنه يضيق بها ذرعاً ، ثم يرقب في سعادة أثيمة ما يختلج في صدره من ثورة ، وما يلوح على وجهه من اضطراب وضيق

« وقد كان . فما لبث أن اربد محيا الفتى ، فانفجر يرد على تساؤل أبيه قائلاً :

— بلا جدال ...

ثم انثنى إلى حجرة المكتب ، وأغلق من خلفه الباب ، ولو انتظر لرأى بسمة السعادة الأثيمة ترتسم على شفتي أحمد باشا خورشيد ، ولسمعه يتمتم قائلاً :

— سنرى »

***

هكذا يبدأ المؤلف قصته فيرسم - منذ الصفحة الأولى - الخطوط الأولى في ملامح هذه الشخصيات الثلاثة التي هي محور القصة جميعاً : مليم ، خالد ، أحمد باشا خورشيد ؛ ويرسم لهذه الشخصيات الثلاثة طريقها كذلك - لا طابعها وحده - فمليم « ينطلق في طريقه دون التفات وهو يضرب الأرض في عزم وإصرار » تلك طريقته أيضاً في جميع أدوار القصة ! وخالد « يربد محياه ثم ينفجر وهو يرد على أبيه ، ثم ينثني إلى حجرة المكتب ويغلق من خلفه الباب » تلك أيضاً طريقته في مستقبل الحياة : انفعال وانفجار ثم انزواء واعتزال ، واضطراب دائم بين هاتين الخطتين حتى ينتهي الصراع » . وخورشيد باشا « داهية مراوغ يلذ له شعور القوة الذي يدفع بالقط إلى العبث بفريسته قبل التهامها .. وهو يرقب في سعادة أثيمة ما يختلج في صدر ولده من ثورة وما يلوح على وجهه من اضطراب وضيق » تلك طبيعته وهذه طريقته في القصة وفي الحياة !

هو استهلال بارع - كما ترى - وهي ريشة ملهمة تضع الخطوط الأولى فتشير إلى الخطوط الأخيرة ... وقد يبدو أن القصة لم تسر في جميع مراحلها بهذه القوة وبهذا الوضوح ... فيجب أن نلتفت إلى أن القوة والوضوح ليسا من أهداف المؤلف ... وأن التموج والاضطراب هما قوام طبيعته وقوام طريقته . وقوام أهدافه المقصودة أو غير المقصودة ولكنها هي التي تتحقق على كل حال !

***

جعل المؤلف « مليم » هو بطل القصة وبه سماها . أما نحن فنرى أن « خالد » هو الشخصية الأولى فيها . فخالد شاب نشأ في طبقة الأثرياء - ابن خورشيد باشا - ولكنه سافر إلى انجلترا وطاف بالبلاد الأوربية حيث كانت المذاهب الاجتماعية الحديثة ، تصطرع مع الأوضاع التقليدية القديمة . ثم عاد فوجد نفسه غريباً بين أهله ، غريباً كذلك في مجتمعه . إن رأسه محشو بالنظريات الحديثة وإنه لمتحمس لها كل الحماسة . ولكنه لم يكن

ذا طبيعة عملية ، تنفذ فى عالم الواقع ما يجيش فى نفسه من نزعات .
كان خليطاً عجيباً من رجل الواقع ورجل الخيال . كانت تصطرع فى نفسه وراثات مختلفة وتيارات متعارضة . كان سوفياً وشهوانا . كانت نفسه حلبة صراع بين شتى الاتجاهات . « ولو أتيح لأحد أن يكشف عن رأسه لوجد فيها حجرتين إحداهما يتربع فيها القرن العشرون بآلاته ومعادلاته . والثانية يمرح فيها القرن الثامن عشر وسط غابة يخترقها جدول » كما يقول مؤلفه

تصطدم هذه الشخصية المخلخلة المضطربة الثائرة الحائرة بشخصية خورشيد باشا القاسية الجانية الماكرة الاثيمة . ذلك الرجل الذى يجد طعم اللذة الأثيمة وهو يحاور ابنه الطيب القليل الحيلة ويداوره حتى يشعره بالألم والضيق . والذى يتهمه المؤلف بأنه قاتل أبيه ليرثه . وبأنه يشعر بسعادة أثيمة وهو يؤذى فلاحيه ويطلق عليهم كلابه ليعقرهم ... الخ، إنه نموذج لتلك الطبقة الأنانية الجشعة « التى تسرق أموال الفقراء ! » والتى أفلح المؤلف فى أن نمقتها كل المقت وتزدريها كل الازدراء

يصطدم خالد بأبيه انتصاراً لمليم (صبى النجار) المتهم من الباشا بالسرقة جزاء أمانته ، وهنا نجد جميع القوى مجندة فى صف المـال . وما إجراءات العدالة إلا مظاهر جوفاء كمراسيم التضحية بالفريسة فى مجتمع متوحش . ويسلم مليم للسجن جزاء أمانته ! ! !

أما مليم فمهمته الحقيقية فى القصة أنه محورها الفنى .. لقد فهمنا أن المؤلف يريد أن يرمز به إلى « رجل الشارع » ذى الفضائل الفطرية والطبيعة المستقيمة والعزيمة العملية ... ولكننا فوجئنا وهو ينحرف به فى منتصف القصة فيكلفه القيام بعمل لا يقوم به « الرجل الشريف » ثم يجعله فى نهايتها أحد أغنياء الحرب المعروفين !

ترى أفلت الزمام من يد المؤلف ؟ أم هى طبيعته طبيعة الضباب والرماد ؟ ! هنا تستوى الغلطة والاصابة فى الدلالة على طبيعة المؤلف وطريقته !

* * *

وفى القصة غير هذه الشخصيات الرئيسية الثلاثة شخصيات أصيلة هى الأخرى . أطلق عليها اسم « جماعة القلمة » أولئك جماعة من الحالمين المنحلين . يصنعون كل شىء فى أحلامهم الممتزجة بدخان النرجيلة ! إنهم ينشئون مجتمعاً جديداً مطلقاً من جميع القيود والتقاليد ، ولكن « فى المنام » ! هذه الجماعة تمثل حيرة فريق من شباب الجيل فى مفرق الطريق !

وهنا يجتمع خالد ومليم ، فيقوم مليم بعمله الذى لا يقوم به « الرجل الشريف ! » يحتال على الرجال باسم « هانيا » الفتاة إحدى شخصيات جماعة القلمة !

ويقوم خالد بدور من أدواره كذلك . حتى إذا انتهت القصة وجدنا هذه الجماعة المنحلة الحالمة وقد تفرق شملها ولم تصنع شيئاً . ووجدنا « خالد » يعود إلى طبقته ، مجتمعه وقد انحلت نفسه وفرغت طاقتها وسقط صريعاً فى حومة الصراع الذى دار فى داخل شخصيته أعواماً . ووجدنا « مليم » وقد أصبح من أغنياء الحرب ... ثم وجدنا الحوادث والشخصيات كلها تتوارى ليسأل كل منا نفسه : ماذا أراد ؟ وماذا كان يريد ؟ وقبل أن يسأل الجواب على سؤاله يجد نفسه تتأجج وتتماوج فى هذا الضباب الذى أطلقه المؤلف ، وكأنما يطلقه بغير تدبير !!!

* * *

فى أحلام « جماعة القلمة » ، وفى تصرفات خالد ومليم . وفى حوادث القصة نزوات وفلتات خلقية وجنسية ، أخشى أن تكون جميعها وحى مزاج منحرف شاذ !

مقياس الجماعة لصلاحية الفرد للجيل الجديد ، ألا يجد غضاضة فى معاشرة أخته معاشرة الأزواج ! ذلك هو الدليل الذى لا يخطىء على أنه طليق من جميع التقاليد !

أحد أفراد الجماعة ينظر إلى مليم بإعجاب ويقول : إنه « زَوْجْنا » جميعاً !

خالد يتحسر — بعد وفاة أمه — على أنه لم يوقظها بقبلاته كل صباح كأنها « زوج » له !

مليم يعثر على لفافة فى بيت خورشيد باشا وهو يصلح النافذة ، فيعطيها لخالد . فيتوقع خالد أن تكون غرامية تخص والدته الحاجة . ويبتهج لهذا الخاطر ويستريح !

بنت عمة خالد أنثى تتهالك عليه فى أوضاع مخجلة عارمة البهيمية . لهذا ولأمثاله دلالته . ولعل هذه الدلالة كانت أهم الاعتبارات التى منعت لجنة المجمع من منح الجائزة للقصة . واللجنة محقة — لا من الوجهة الفنية — ولكن من وجهة أن مثل هذه الاتجاهات مما يجب أن يأتى به صاحبه رأساً إلى الجو الأدبى الطليق فيرى فيه رأيه بحرية . لا مما تحتمل اللجان الرسمية تبعة تقديمه إلى القراء .

أما الكلام فى المقدمة فموعدنا به قريب .

سيد قطب

القضايا الكبرى فى الاسلام

١١ – قضية المؤامرة على المهاجرين

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

خرج النبى صلى الله عليه وسلم إلى غزوة بنى المُصْطَلق سنة ست من الهجرة ، فلقيهم على ماء لهم يقال له المُرَيسيع من ناحية قُدَيْدٍ إلى الساحل ، وحاربهم حتى هزمهم وقتل من قتل منهم ، وبينا هو على ذلك الماء وردت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غِفَار ، يقال له جَهْجاه ابن مسعود يقود فرسه ، فازدحم جهجاه ، وسنان بن وَبَر الجُهَنِيّ حليف بنى عوف ابن الخزرج على الماء ، فاقتتلا ، فصرخ الجهنى يا معشر الأنصار ، وصرخ جهجاه يا معشر المهاجرين . فسمع ذاك النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ما بال دعوى الجاهلية ؟ قالوا : يا رسول الله ، كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار . فقال : دعوها فإنها منتنة

وقد وقف الخصام بين الرجلين عند هذا الحد ، ولكن عبد الله بن أبيّ بن سلول أراد أن يتذرع بذلك إلى إحداث فتنة بين الجيش ، وتأليب الأنصار على المهاجرين بعد أن ألف الإسلام بينهم ، وجعل منهم أمة واحدة لا أثر فيها لعصبية من عصبيات القبائل العربية ، فجمع عبد الله رهطاً من قومه ، وكان فيهم غلام حدَث يقال له زيد بن أرقم ، فقال لهم : أوَقدْ فعلوها ؟ قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا ، والله ما أعُدُّنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال الأول : سَمِّنْ كلبك يأكلك . أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . ثم أقبل على من حضره من قومه فقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم

فذهب زيد بن أرقم إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بهذه المؤامرة ، فقال له : لعلك أخطأ سمعك ، لعلك شبه عليك . فأصر على شهادته ولم يرجع عنها ، وما أظن إلا أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعرض له بالرجوع عن شهادته ، حتى لا يمضى فى تحقيق هذه القضية الشائكة ، لما كان لعبد الله من المنزلة بين قومه ، وقد كان الإغضاء عنه وعن غيره من المنافقين مما يقضى به حسن السياسة فى أول الإسلام ، لأنه كان ضعيفاً لا يحتمل الفتن ، فكان من حسن السياسة أن يسالم أولئك المنافقين الذين يسالمونه فى الظاهر ، وأن يتحمل مثل ذلك منهم ، إرضاء لمن حسن إسلامه من قومهم ، واحتقاراً لأمر أولئك المنافقين ، لأنهم كانوا يقولون ما لا يفعلون ، وقد قال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم حين سمع ذلك من زيد بن أرقم : دعنى يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه

ثم أرسل إلى عبد الله وأصحابه ليسألهم عن تلك المؤامرة التى أخبره بها زيد بن أرقم ، لأنه لم يجد بعد إصراره على شهادته إلا أن يمضى فى تحقيق ما نسبه إليهم ، حتى تأخذ قضيته حظها من التحقيق ، ولا يهمل أمرها ، فيطمعهم ذلك فى المضى فى مؤامراتهم

فلما حضروا إلى النبى صلى الله عليه وسلم أخذهم ضعف النفاق ، فأنكروا ما نسبه إليهم زيد بن أرقم ، وحلفوا ما قالوا شيئاً مما نسبه إليهم ، فصدقهم النبى صلى الله عليه وسلم وهو يعلم حقيقة أمرهم ، وكذب زيد بن أرقم وهو يعلم صدقه وإخلاصه ، ولكن المصلحة العامة قضت بأن يكتفى منهم بذلك ، فأهملت قضيتهم خوفاً من إحداث الفرقة بين المسلمين . وما كان للنبى أن يؤثر أمراً من الأمور على أمر الوحدة بينهم ، وقد كان عبد الله فى قومه شريفاً عظيما ، فلما حلف بالله ما قال شيئاً مما نسبه إليه زيد بن أرقم ، قال من كان بالمجلس من الأنصار : يا رسول الله ، عسى أن يكون الغلام قد أوهم فى حديثه ، ولم يحفظ ما قال الرجل . فأظهروا بذلك حدَباً على عبد الله ، وعطفاً عليه ودفعاً عنه ، وإهمال هذه القضية بهذا الشكل هو ما يسمى حفظ القضية فى القضاء الحديث .

ثم بادر النبى صلى الله عليه وسلم فأذَّنَ بالرحيل فى ساعة لم يكن يرتحل فيها ، فلما ارتحل لقيه أسيد بن حُضَيْر فحياه

فرقة التمثيل

للأستاذ زكى طليمات

المدير الفني للفرقة المصرية سابقاً

يسرنى أن يتجه الجدل بينى وبين الأستاذ حبيب الزحلاوى إلى ما يفيد منه القارىء ويعلى جانب الحق.

فى مقاله الأخير، تحت هذا العنوان، يزعم السيد الزحلاوى أنه مثالى فى نظرته إلى أعمال الفرقة المصرية، ولهذا كتب ما سبق أن كتب. وهذا الزعم إنما هو بادرة شعورية من جانبه لحاجة لاشعورية فى خبيئته الباطنة، أقامها عقله الواعى تبريراً لما حاوله من تجريح أراده بى فلم يفلح.

بيد أن المثالية الحقة العادلة فى مهمة فرقة للتمثيل إنما تستمد عناصرها مما هو عليه المزاج السائد والمستوى الثقافى العام فى البلد الذى تعمل فيه هذه الفرقة. فما هو مثالى فى مهمة فرقة تعمل فى لندن وباريس لا يمكن أن يكون كذلك من جانب فرقة تعمل بين القاهرة وجرجا وكفر الشيخ. أقرر هذا باعتبار أن دور التمثيل للجمهور أولاً وأخيراً. فإن لم يقبل عليها فلا فائدة من قيامها، وأن فن التمثيل ثقافة اختيارية لا إجبارية، وأن السواد الأكبر من المسرحيات التى تقدم يجب أن تكون فى متناول فهم واستساغة السواد الأعظم من الجمهور.

ولا أتدخل فى هذا الصدد فى (المثالية المطلقة) لأن تحقيقها فيما نحن فيه يقف جامداً عند حد القولة الفرنسية (Vouloir n'est pas pouvoir) ومفادها شتان ما الازماع والإنجاز!

فمثالية المسرح المصرى فى الوقت الحاضر — والأسف لا يحده سواى — لا يمكن أن يكون أكثر من الأخذ بالتوسط والاعتدال بين ما يجب أن يقدم وما يمكن أن يقدم من المسرحيات بحيث يكفل ما يقدم فى مجموعه إقبال الجمهور على دور التمثيل، هذا الإقبال الذى يبرر وحده قيام هذه الدور وفتح أبوابها.

عرفنا هذه المثالية على ضوء التجاريب، وليس على هدى النظر، وأخذنا بها على أحسن وجه، وأشرنا إليها فى البيان الذى تصدرت به برامج مسرحيات الفرقة فى كل عام، فقد جاء فيها بالحرف الواحد «ورسالة الفرقة وهى أدبية وفنية تهدف

بتحية النبوة وسلم عليه، ثم قال: يا نبى الله، والله لقد رحت فى ساعة مبكرة ما كنت تروح فى مثلها، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم: أوَما بلغك ما قال صاحبكم؟ قال: وأى صاحب يا رسول الله؟ قال: عبد الله بن أبى. قال: وما قال؟ قال: زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل. قال: فأنت يا رسول الله والله تخرجه منها إن شئت، هو والله الذليل وأنت العزيز. ثم قال: يا رسول الله، أرفق به، فوالله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوّجوه، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكاً

وإن فى هذا لدليلاً على أن النبى صلى الله عليه وسلم قد أهمل هذه القضية وهو يعلم صحة تلك المؤامرة، ولكن زيد بن أرقم أصابه من ذلك هم لم يصب مثله قط، فجلس فى بيته لا يظهر لأحد، ومكث مختفياً عن الناس حتى أنزل الله فى شأنه — إذا جاءك المنافقون — الآيات إلى قوله (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون، يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون)

فأرسل النبى صلى الله عليه وسلم إلى زيد بن أرقم فقرأها عليه، ثم قال له: إن الله قد صدقك. ولكن النبى صلى الله عليه وسلم لم يشأ بعد هذا أن يثير تلك القضية، وآثر أن يمضى فى إهمالها. وقد قالوا إن فى هذه القصة من الفوائد ترك مؤاخذة كبراء القوم بالهفوات لئلا ينفر أتباعهم، والاقتصار على معاتبتهم وقبول أعذارهم وتصديق أيمانهم وإن كانت القرائن ترشد إلى خلاف ذلك، لما فى ذلك من التأنيس والتأليف

وإنى أرى أن ما حصل من أولئك المنافقين لا عقاب عليه فى الدنيا، لأنهم تآمروا على شىء وبلغ عنهم قبل أن يشرعوا فيه، ولا مؤاخذة على مثل هذا فى كثير من الشرائع القديمة والحديثة، وإنما تؤاخذ الشرائع بعد المضى فى الفعل، واقتراف الجرم، رأفة بالناس ورحمة بهم، وجمعا بين الشدة واللين، والعقاب والعفو، لأن أمر الناس لا يصلح بالشدة الخالصة، كما لا يصلح باللين الخالص، وفى أخذهم بالعزم على الجرم قبل اقترافه قسوة يأباها العقل، وقد عفا الله عن الهم بالسيئة، وجعل لمن هم بها ولم يفعلها حسنة.

عبد المتعال الصعيدى

إلى المستوى الرفيع فى الأدب ولـكن من غير تعال على مايستسيغه الخاصة من الجمهور ، ومن غير إسفاف إلى مجاراة العامة ، وهى رسالة سامية بأغراضها متواضعة بوسائل تحقيقها » .

وإخراجنا (شهر زاد) و (يوم القيامة) ، كل واحدة فى بداية كل عام فحسب ، يحقق القسم الثانى من رسالة الفرقة وهى الموسيقى باعتبار أنها « الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى » فلا لوم ولا تثريب علينا .

وفوق هذا فليس فى هاتين المسرحيتين الغنائيتين ما يخرج على شرعة النوع الذى ينتميان إليه وهو « الأوبريت » وإن كنت آسف على شىء فى إخراجهما على المسرح فلأنه لم يتيسر لى عناصر الرقص الاجتماعى Ballet الذى هو ركن رئيسى فى هذا النوع من المسرحيات .

ومن التعسف والحيف أن نطالب هـذا النوع بمعالجة مشكلات المجتمع ، والـكشف عن حنايا النفس البشرية بالتحليل النفسى الدقيق ، وأن تنبسط أطرافه إلى الفلسفة والأخلاقيات واللاهوت .

ومسرحيات « كلنا كده » و « سلك مقطوع » و « قطر الندى » و « شارع البهلوان » ليس فى تقديمها ضير ولا إفساد ولا انحراف عما يجب أن تكون عليه المسرحية الباسمة ، لأنها كلها فكاهيات ظاهرها هزل وباطنها جد ، تخفى كل واحدة منها وراء مظاهرها المفرحة موضـــوعاً له أثره فى التبصير والتقويم الخلقى . فمسرحية « كلنا كده » توحى بأن الحياة للخطأ والتوبة . والثانية تلوح بأن التمادى فى توخى القصاص من جانب المرأة للرجل فيه مدعاة إلى تعقيد الأمور والتردى فى أخطاء أخرى . والثالثة تقرر أن الجريمة إلى قصاص وأن الشر لا يكون طريقاً إلى خير . والرابعة ، على إغراقها فى الهزل ، إنمـا هى سخرية من الغيرة العمياء . مسرحيات باسمة تثير الضحك فى وقت عز فيه الابتسام بفعل ضائقة الحرب

وكلها للردع وللايحاء بما يجب أن تـكون عليه جوانب من الحياة ليسعد الناس ويستريح القاضى . فأين فى هذه المسرحيات ما يشين ؟ ومن أين جاء للسيد الزحلاوى أننى اعترفت بأنها مشينة ومقالى السابق بين يدى القراء[1] ؟ ؟

(١) الرسـالة ٥٩٨ ص ٢٠٠٨ السطر ٢٠ بالعمود الثانى ، وهذا نص ما أوردته وصفاً لجانب هـذه المسرحيات (ذلك الجانب الذى لا يؤاخذ عليه إلا صاحب التجنى والهوى) .

أما مثالية الأستاذ الزحلاوى ، ومفادها « أن تكون الفرقة مائة فى المائة للمسرحيات الرفيعة ، ولا يهم أن يحضرها الجمهور أو لا يحضر » فأقول عنها إنها ضرب من الاجتلاب شف عما وراءه ، ولون من التعالم النظرى ، ومحاولة للسطوع واللمعان من ضوء غيره .

وأعجب مما تقدم أن يبرر الأستاذ مطالبته بهذه المثالية بزعم أن الفرقة المصرية « حكومية بكل معانى الحـكومية » ! وكأن الحـكومية فى روعه مدعاة إلى أن تغير الأشياء من طبائعها وتبدل من عناصرها وتتردى فى مهاوى الفشل والخيبة لخروجها على محاور ذاتيتها ، فتكون الفرقة هيئة لا يحبها إلا القعمدون ولا يأبه لها إلا الخاملون ، تعيش على هامش الحياة كالتكايا وملاجئ العميان ...

« وحكومية » الفرقة ، وهم من أوهام الأستاذ الزحلاوى ؛ لأنه من أولى مستلزمات هذه « الحـكومية » أن تدفع الحكومة أجور الممثلين وكافة مصاريف الفرقة ، وهـذا غير ما هو واقع فى الفرقة ، وقد سبق أن قررت أن الفرقة هيئة تشملها رعاية الحـكومة كما تشمل هيئات أخرى تمدها بالإعانة ، وأن الإعانة التى تدفعها لا تفى بأجور الممثلين فحسب .

لندع الأوهام ولنواجه الحقائق . . إن مسرحنا المصرى كائن كما يستحق كل مصرى أن يكون ، وكما نكون نحن يكون مسرحنا . ونحن نستطيع أن نقدم مسرحيات لشكسبير وموليير ودعاس الابن وأوسكار وايلد وإدلى برونتى إلى جانب فكاهيات ومحاولات من وضع أقلام مصرية لم يصل إلينا خير منها ، نقدمها على مضض لتغرى الجمهور على غشيان مسرحنا وتذوق مسرحيات من ذكرت من صفوة المؤلفين للعالميين ، ونحن فيما نفعل نرقص على إيقاع الزمان ونصدر عن مثالية المسرح فى بلد لا أود أن أذكر النسبة المئوية فى متعلميه . فإذا كانت هذه الحال تمض السيد الزحلاوى حقاً فليجرد قلمـه على الجمهور يوجهه ويستحثه على مشاهدة النفيس من المسرحيات ، فهذا أجدى به ، وبنا أبر وأكرم . أما أن يوبس الثرى بيننا وبينه مسوقاً بنطحات عاطفيـة وشطحات شخصية لا ترتكز على الروية والاعتبار فأمر أرجو أن يعاود النظر فيه .

زكى طليمات

أيتها الابتسامة !

للأستاذ محمود الخفيف

أنوقَاكِ ما رأيتُكِ جُهْدِى وأعافُ الوَضِىءَ مِنْ لَمحَاتِكْ
مِثلُ لمحِ السَّرابِ لَمحُكِ عِندِى
لَيسَ غيرَ السَّرابِ أصْلُ صِفاتِكْ

أنوقَاكِ ، لا أُسِيغُكِ . . . إنى
مَنْ سَقاهُ العَذابَ لمحُ السَّرابِ
أبدًا فيكِ لَيسَ يُخطِئُ ظَنِّى
بَلْ يَزيدُ اليَقينَ فيكِ ارْتِيابِى

أنوقَاكِ ! كَمْ سَحَرْتِ خيالى
بأفانينَ مِنْ بُرُوقِ الخِداع
يَوْمَ كانَ الفُؤادُ غِرَّ الليالى لَمْ تُذِقْهُ الحياةُ لُؤْمَ الطباعِ

أىُّ مَعنًى لِلخَيرِ أطمَعُ فيهِ مِنْ معانيكِ فى وجوهِ الرِّجال ؟
أىُّ طَيْفٍ لِلسِّحْرِ لا أتَّقِيهِ فى وُجُوهٍ تُزْهى بِسِحْرِ الجمال ؟

صُوَرٌ أنتِ من ضلالِ الحياةِ وطيوفٌ بَغيضَةٌ أتَّقِيها
عِفْتُ حتَّى ما حارَ من بَسَماتى بَينَ سُحْبٍ من الأسى تحتويها

أنوقاكِ ... كَمْ لَمَحْتِ طِلاءً يَحْجُبُ الإفْكَ فى حَنايا الضُّلوع
يَحمِلُ الحِقدَ ما يريدُ انطِفاءً والعَداواتِ مالَها مِنْ هُجُوع

أنوقاكِ صـــورَةٌ لِلتَّشَفِّى سَوْأةٌ مَيَّزَتْ سَليلَ التُّرابِ
أىُّ وَصفٍ لهذه أىُّ طَيْفٍ غيرَ ظُفْرٍ تحتَ الطِّلاءِ ونابِ ؟!

أنوقِى مَرْآكِ فى وَجهِ حُرٍّ باسِمٍ وَهْوَ لا يُطيقُ ابتِساما
وَجْهِ غِرٍّ ما كان يَوْمًا بِغِرٍّ غيرَ أن الرَّشادَ أن يَتعامى !

أنوقَاكِ فى مُحَيَّا دَعِىٍّ فى ابتِساماتِهِ أرى الخُيَلاءَ
يَتَبَدَّى يا وَيحَهُ من غَبِىٍّ فى عُبُوسٍ وفى ابتِسامٍ سواءً

وَكَرِيهٌ مرآكِ بَسْمَةَ ذُلٍّ فى وُجُوهٍ ذَليلَةِ القَسَماتِ
تَتَّقى عَصْفَ كلِّ عاتٍ مُدِلٍّ بكلامٍ من ضارِعِ البَسَماتِ !

وَشَجِىٌّ للنفوسِ مَرْآكِ مَعنًى من مَعانى مُغالِبٍ لِهَوانِ
حَطَّهُ الدَّهْرُ ما ارتدى بكِ لَوْنًا من تأسٍ يَشِفُّ عمَّا يُعانى

أنوقَاكِ آيَةٌ لِلوَفاءِ رُكِّبَتْ من تَمَلُّقٍ وَدِهانِ
يا لَزُلْفَى فى صُورَةٍ نَكراءَ ذَكَّرَتْنى ضَآلَةَ الإنسانِ

جَمْرَةٌ فى الحشا ورَشْقَةُ سَهمٍ فى صميمِ الفُؤادِ مَرْآكِ حينا
إذ يَرَى العاشِقونَ فى غَيْرِ وَهْمٍ أنَّ هَجْسَ الظنونِ أمسى يَقينا

إذ يَرَوْنَ الخِداعَ أبْغَضَ وَمْضا
من شُعاعاتِ خِنجَرٍ مشهُورِ
هُوَ مِنْ حَـــدِّهِ أحَرُّ وَأمضى
إنَّ أنْـكى الجِراحِ جُرْحُ الشُّعُورِ

أنوقَاكِ ما لَمَحْتِ لِعَيـــنى
لَمْحَةَ الـكأسِ ضَوَّأتْ بالسُّلافِ
رُبَّ كأسٍ يَغلو إليها التَّمَنِّى مُزِجَتْ خَمْرُها بِسُمٍّ زُعافِ

أنوقاكِ ! ... شدَّ ما أتَوَقَّى صُوَرًا مِنْكِ عَنَّ عنها بيانى
إن يَكُنْ عافَها حَياءً ورِفقا رُبَّ صَمتٍ حَوَى بَليغَ المعانى

أيْنَ ياقَلْبُ ؟ أينَ تُبصِرُ عَينى بَسْمَةً لا يكون مِنها عَنائى
وَيْكَ ياقَلْبُ قد سَئِمْتُ التمنى وأرانى كَرِهْتُ فَقْدَ الرَّجاءِ !

قَدْ أُحِبُّ ابتسامَةَ الطِّفْلِ لولا خاطِرٌ ساءَ وقعُهُ فى خيالى
لَنْ تراهُ الغداةَ عينايَ طِفلا إن فيه الغداةَ لُؤمَ الرِّجال

وأُسيغُ ابتسامَةَ الزَّهْرِ لولا سوءُ مرآهُ ذابِلًا فى المساء
وَيحَ نفسى كم يملأُ النفسَ هَوْلًا كلُّ حُسْنٍ تطويهِ كفُّ الفناء

في سبيل العرب

ســـيف العروبة

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

سَيْف العروبة في كَفَّيْكَ مُنصلتٌ
فاضربْ به في رقاب الحادثِ الجَلَل

فأين منه سيوفُ الهندِ ماضيةً ؟ فللعروبة سيفٌ غيرُ منخذل

وشَتْه أيدي القُيون الصِّيدِ من مُضَرٍ
وجلَّته يَدُ الأبطال بالحلل

نَمَتْه للبيضِ من عدْنانَ آصرةٌ وأنبتته مع الخطية الذُّبل

سلِ الوقائع عما كان من أجل في صفحتيه وعمَّا كان من عل

تُديره كفُّ غلابين عزُهُمو
في ضربة السيف أوفى طعنة الأَسَل

لا يسكُتون على ضيمٍ يرادُ بهمْ ولا يَقرُّ لهم قلبٌ على دَخَل

يجيب كل فتى منهم مُسائله بالسيف لا بعبارات ولا جُمل

من كل حُرٍّ عزيزِ النفس مُمتنعٍ
كالشمس ممنوعةً إلا على المُقل

سيف من الجبل العالي بذُروته المستطيلِ على القِمّات والقُلل

يُهدَى إلى السهل من مصرٍ ولا عجبٌ
ما قيمة السهل إلا في ذُرا الجبل ؟

لبنان لم يُلقِ هذا السيفَ عن وهَنٍ
من الضرابِ ولا خوفٍ ولا وجل

لـكنَّ لبنانَ أهداهُ إلى بَطلٍ[1]
(لا يعمل السيف إلا في يدي بطل)

يا سيفَ عدنانَ لا يُرجى لطائفة
شأنٌ بغير حديدِ النَّصلِ معتدل

ما قيمةُ الحق إن لم يَحْمِ جانبه
صوتُ الأسنَّة لا صوتٌ من الجدل

قل للضعيف بلا سـيف يؤيده
أمَا سمعتَ حديثَ الذئب والحَمَل ؟

يا أمةَ العُربِ هبُّوا من مراقدكم
ولا تكونوا عن الأحداث في شُغُل

ضموا الصفوف بقلب غير منقسم
على الزمان وحبلٍ غيرِ منفصـل

ولا يكن وُدُّكم يوماً على خَبَثٍ ولا يكن حبكم يوماً على دَخَل

قد وحَّدت بينكم دنيا موزَّعة من الجراحاتِ والآلام والعِلل

يا قوم إن سبيل الخُلد واحدةٌ
فيم الخلافُ على الغايات والسبل ؟

لا يؤكل الشرقُ إلا وهو مُنعزلٌ
وليس يُرهَبُ إلا غـيرَ منعزلِ

محمد عبد الغني حسن

أبهجتْني ابتسامةُ الأُم طِفلاً وهْيَ أُنسي وبهجتي في شبابي

آه ! مَنْ لي الغداةَ يا قلبُ ألاَّ يملأ القلبَ ذِكرُها بالعذاب ؟

لَيسَ غَيرَ ابتسامةِ الفَجْرِ فارْقُبْ
طَلْعةَ الفجْرِ إذ يَشُقُّ الظَّلاما

ومِنَ اللَّيلِ رَوْعةَ البَدْرِ فاطلبْ
وجْهَهُ إذ يزيحُ عنـــهُ اللِّثاما

مِنْ بني آدم اشمأزَّ فؤادي وابتساماتهمْ عَذابٌ لنفسي

كلَّ يومٍ كُرْهي لهم في ازدِيادِ
ليْتَ لي في غدٍ سَذاجةَ أمسي

الخفيف

(١) جلالة الملك فاروق الأول



الكشف الأثرى فى منطقة حلوان

زار صاحب الجلالة الملك منذ سنتين المنطقة الصحراوية الواقعة جنوبى حلوان ، فأدرك قيمتها الأثرية وتوقع جلالته أن يعثر الباحثون فيها على آثار ذات شأن ، فأصدر أمره الكريم بمزاولة الحفر فيها على نفقته الخاصة ، وتفضل فعهد بذلك إلى الأستاذ زكى يوسف سعد كبير مفتشى الآثار فى منطقتى القاهرة والجيزة ، فبدأ العمل فى يوليو سنة ١٩٤٢ ولم يكد ينتهى موسم الحفر فى تلك السنة حتى كشف عن ٧٣٥ مقبرة يرجع عهدها إلى الأسرة الأولى (٣٢٠٠ قبل الميلاد) وفى عام ١٩٤٣ كشف عن ١٢٦٦ مقبرة ، ولا يزال يتابع الحفر والكشف ، والمأمول أن يصل إلى نتائج عظيمة . وقد دل المكشوف منها على حقائق تاريخية هامة أشار اليها أحد أساتذة الآثار البريطانيين فى جريدة الصنداى تيمس قال : « إن لهذا الكشف مزية خاصة لمن يريد دراسة تاريخ العصور الأولى في مصر ؛ وذلك لما له من أهمية تاريخية لا تتوفر دائماً فى الآثار العظيمة الأخرى كالتى وجدت فى مقبرة توت عنخ آمون ، لأن هذه المقبرة لم تلق أى ضوء على أمر جديد ، بل أيدت ما كان معلوماً من قبل عن طريق الاستنتاج ، كما أنها أمدت المتحف بقطع ثمينة ، فى حين أن هذا الكشف الجديد يرجع بنا إلى عصر من أقدم العصور ، وقد يجلو للعلماء الذين لم تتوفر لديهم البيانات ما يعينهم على الوصول إلى ما يبتغونه من النتائج .

وثمة أمر آخر وهو أن فى هذا الكشف ما يثبت قيام أسرة ملكية قبل عهد الأسرة الأولى .

إنا لنعلم أنه كان هناك ملوك حكموا مصر قبل عهد الأسرة الأولى ، وأن الحفائر التى قام بها العلامة امرى مدة عشر سنوات قبل عام ١٩٣٩ قد برهنت على أن الأدوات المصنوعة من الأحجار والتى ترجع إلى عهد الأسرة الأولى هى أبعد فى القدم مما كنا نظن ؛ ولكن هذه الآثار الحديثة التى كشف عنها الأستاذ زكى يوسف ، قد أظهرت حقائق جديدة مدهشة عن عصور أشد قدماً . على أنه ينبغى أن ننتظر ما ينشر عن هذه الاستكشافات ، قبل أن نبدى فيها رأيا » .

وقال الدكتور دريتون مدير مصلحة الآثار المصرية :

« إن هذا الكشف ذو أهمية كبيرة من الناحية التاريخية فضلاً عن أنه عنصر جديد لتاريخ المصاطب القديمة التى يرجع تاريخها الى عهد الأسرتين الأولى والثانية ؛ وهذا ما يدعو إلى إعادة بحث تاريخ المصاطب الأثرية من جديد » .

عرب ومسلمون

حضرت المهرجان الذى أقامته مراقبة النشاط المدرسى ، وأشهد أنه دل على تقدم عظيم فى حياتنا المدرسية في النواحي الفنية والرياضية والإجتماعية ، ولهذا تفصيل ستتحدث عنه الجرائد فى الغد ، فأنا أكتب هذه الكلمة بعد الإنصراف من المهرجان .

أنا أدوّن ملاحظة لن تدونها الجرائد ، ملاحظة تلخصها السطور الآتية :

مثّل طلبة المدرسة الإبراهيمية رواية عمرو بن العاص ، وفى الرواية أن قسيساً قبطياً عرض على اثنين من قواد الروم أن يجتمعوا بالدير القبطى إذا دهمهم العرب الفاتحون ، وأن القائدين قالا : وماذا نصنع إذا أخذنا العرب من الدير ؟ فقال القسيس : العرب يحترمون المعابد .

والخطأ هنا فى كلمة « عرب » ، والصواب أن يضع المؤلف كلمة « مسلمين » ، فهى الكلمة التى يعرفها تاريخ ذلك العهد ، فمصر فُتِحت باسم الإسلام لا باسم العرب .

وفى الرواية أن فلاحاً مصرياً أحضر الضريبة للروم وفيها خمر ، ثم كان من حظه أن يلقى عمرو بن العاص ، فقال له عمرو : نحن العربَ لا نشرب الخمر .

والخطأ فى كلمة « عرب » ، فالعرب كانوا يشربون الخمر ، والصواب أن يقول المؤلف « نحن المسلمين لا نشرب الخمر » ، لأن الذى حرّم الخمر هو الاسلام .

وأذّن المؤذن فاذا هو يصيح :

« الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، حيّ على الصلاة ، حي على الصلاة » .

وأنا أتذكر جيداً أن الأذان فيه « أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله » .

فأين ذهبت هذه الشهادة ؟ أين ذهبت ؟

إن الرواية تاريخية ، فيجب حتماً أن يراعى فيها الصدق في رواية التاريخ .

أنا عاتب على المؤلف وعلى المخرج وعلى المراقب ، فما يجوز بَتْرَ الأذان بهذه الصورة ، ولا يجوز أن نضع كلمة عرب في مكان كلمة مسلمين ، لأن في هذا تزييفاً للحق والتاريخ .

لم يبق إلا الثناء على الممثلين ، وهم طلبة نجباء سيكون لهم بإذن الله مستقبل مرموق .

زكي مبارك

الجبال الجرداء وكيف نعشب

جاء في كتاب « في منزل الوحي » صحيفة ٢٩٨ لصاحب المعالي الدكتور محمد حسين هيكل باشا ما يلي :

« وعجيب أن تظل هذه الجبال جرداء على رغم ما ينحط عليها من سيول وأمطار فلا تنبت الاشجار في قننها وعلى سفوحها . أيرجع السر في ذلك إلى أنه لم يعن أحد باستنبات هذه القنن والسفوح فظلت جرداء إذ لم تبذر فيها بذور ولم يغرس بها شجر . ما أظن ، ففي صحارى تهامة وأوديتها ألوان من الشجر تنبت بذاتها منها السلم والعشر والطلح ، ولعل هذه الالوان لا ترق إلى سفوح الجبال وقننها ، ولذلك ظلت جبال اليمانية جرداء رغم المياه التي تنحدر عنها » .

والحقيقة أن لا عجب هناك ، فالحيوانات التي ترعى وخصوصاً الماعز منها هي السبب في هذا كله ، فاذا دامت الحيوانات في هذا الرعي سنين عديدة فأنها لا تلبث أن تقضم كل طلق من النبات يظهر على وجه الأرض . والنبات من شأنه أن يحفظ التربة من أن تُجرف إلى الوادي بسبب تهاطل الأمطار فلا تلبث أن تتكشف الصور وأن يُنقل التراب الذي يغطيها إلى الوادي ولا يعود بعد ذلك بالأمكان أن ينبت الشجر لا في القنن ولا في السفوح . وعندنا في فلسطين مثل هذه الجبال الجرداء ، والسبب واحد وانجراف التربة Soil Erosion معضلة من أكبر المعضلات في الزراعة ، والحكومات تُعنى بهذا كثيراً وطرق العلاج عديدة منها « الدورة في الرعي » كأن تقسم المراعي إلى أقسام عديدة يسمح للحيوانات أن ترعى في قسم منها في السنة الأولى ثم تنقل إلى القسم الثاني في السنة الثانية وهكذا فا ترجع الحيوانات للرعي في القسم الاول بعد خمس أو ست سنين إلا ويكون القسم الاول قد أينع نباته وغلظ وتعاظم .

وقد زرت في هذه السنة هذه الجبال الواقعة بين السيل الكبير والزيمه ، وأرى أن أحسن علاج لها هي الدورة في الرعي ، فاذا اتبعت هذه الطريقة في تلك المساحات الشاسعة وحوفظ عليها من الحيوانات فلا تلبث البذور أن تنتشر وأن تتكاثر من نفسها . ولا بأس من استعجال ذلك بأن تنثر البذور باليد في المساحات التي لم يبق فيها من الاشجار ما تستطيع أن تنثر بذورها .

لواء غزة — فلسطين

صبحي الشرابي
كبير مفتشي الزراعة

أساطير الحب والجمال عند الاغريق

عزيزي الأستاذ دريني خشبة

أخرجت للناس باكورة كتبك فكنت راوياً لروايات إغريقية عاشت عصوراً وهي أملوحة الآداب ، ومَجْلبة الإطراب ، وألهية الفكر ، فقراؤك نظارة ، وصفحاتك مشاهد ، وفي آخر كل قصة من قصصك يُسدل الستار .

وشئتَ أن تطرف ببراعة استهلال ، فقدمتَ بين أيدي القراء أروع هاتيك القصص عن بسيشيه وإله الحب ، فاذا بك تعرض فينوس أم هـذا الإله الطفل في معارض الحسد الذي ما سلمت منه امرأة ، وفي دواهي الكيد وهو ألصق الصفات بالنساء .

ففينوس تنصب شباكها لبسيشيه ، فهي تغار منها وتحسدها على عرش الجمال ، فترسل إليها ابنها بقوسه ونُشّابه ليرميها في جحيم الهوى ، وبسيشيه فتاة لعوب غريرة الدلال ، أصدق حليتها السذاجة والتصديق . فؤادها ما شُق شغافه ولا خفقت بالهوى سويداؤه . فهي تخاف من الحب ، والخوف منه هو الوقوع فيه .

أما كوبيدون هذا الرب الصغير ، فقد جار الإغريق من قبلك عليه ، فحمّلوه الشطط وركبوا به على غوارب الظلم وهو طفل ما شب عن الطوق ، ولا انشق له ناب ، ولا ترك التسلي والألعاب . فأنى له الحب وعذابه ، والغرام ولظاه . وقد أبه لهذا الخطل فى الفن مصورو القرون الأخيرة فكان دولا كروا أسبقهم إلى الصواب فصور كوبيدون فى صورة شاب مراهق وهو يقبل بسيشيه من على الجبين . وإنى لأعجب ، كيف جاز فى الشجون أن يهوى بسيشيه كوبيدون . فهل يحب نفسه الحب كما يجن الجنون .

وخلبتنى بأسطورة نرجس وقد عشق جماله وهام على وجهه فى حب محاسنه ، فكان يطل على صفحة الينبوع وهو ظامئ ، فيشغله الغرام عن الأوام فيهوى بفمه على فمه . ولكن يتكسر الماء دون الارتواء . ولما مات طلعت مكانه على ضفاف الغدير زهرة النرجس فهى تطل أبداً على صفحة الماء ، تتمرى عليه ، وتهفو إليه .

وتقلنى النرجس من هيامه بحاله ، إلى هيام بجماليون بتمثاله . فيا لله إبداعك وأنت تصف بجماليون الحيران فى مصنع تماثيله ينقش بمنقاشه تمثال غالاتيا ، فيسكب عليه كل مفاتن ڤينوس . وكان قلمك كمنقاشه لجمعت كل حلاوات المرأة ، ثم وزعتها واحدة فواحدة على جوارح غالاتيا وقسماتها الحسان .

وشغف تمثالُ الرخام حباً بجماليون فمر بيديه اللامستين على مرمره البارد المسنون ، وما راعه إلا حرارة الحياة تدب فيه ، فإذا هو من لحم ودم وإذا غالاتيا تناجيه فيه بصوت ڤينوس .

وقد أولع رواة الأساطير بهذه القصة فافتنّوا فى سردها الفنون حتى كان يراعك فسلك هذا المهيع الجميل .

ولا آتى على أساطيرك كلها ، فهى زهرات مغريات تكفى واحدة منها أن تملأ شمّي بعطورها القبرصية حيناً من الدهر ألقى فيه عن كتفى عبء الهموم . والأساطير ياصديقى منحة أدب غالٍ . قد ابتكرتها الأمم القديمة لترفع الإنسان الفانى من حمأة الأرض إلى ملكوت السماء . ولم يك الأولمب عند الإغريق إلا سُلَّماً عُلويّاً لأولئك الآلهة الذين أحبوا وأبغضوا ، وناحوا وضحكوا ، وسلاهم عن كآبة الفناء أن كتب لهم الخلود ، فذاقوا الحب الذى هو أقوى من الموت كما تقول التوراة . ولكنهم مادنسوه بالمفاسد بل كان محور حياتهم : انزعْ الحب منهم تفرغْ الأساطير من الجمال ، وتصبحْ صحراءَ سبسباً فى لوافح الهجير . ونحن على الارض مُنحنا حباً ولكن ما عرفنا حلاوته ، ولا وعينا نبالته ، ولقد دنسناه ثم دسناه .

كذلك رفعتنى أساطيرك من هذا العالم حين قرأتها . ولا تعجبْ لأمرى ، فقد تمنيت لو كنت أحدها ، لا إلهاً فأسموت إلى مقام الأرباب وعروشها ، ولكنْ إنساناً أعيش فى أكناف الأولمب كسادن فى هيكل الفنون . وما رواية حياتنا يا صديقى بعد ألف عام إلا أسطورة كهذه الأساطير .

ثم هات حديث الأدب عنها ، فقد أفادت فنون الغربيين فزجوها فى شعرهم ونثرهم ، وحكمتهم وعظاتهم . فكانت ڤينوس ريحانة الشعور ، ومينرڤا لسان الحكمة . وصوّرها المصورون ، فألواحهم الخالدة من ألوانها غميسة . وترنّم بها القيان وأصحاب اللحون ، ورقص فى إهابها الراقصات ؛ فواتن لَفَتات .

فعلى شعر هوغو بَلَّ نداها ، وفى ليالى موسّيه أنفاسها وشذاها . وانظر إلى الشاعر أندره شينيه ، فقد كان حبيساً ينتظر ضرب العنق على مِقصلة روبسبيير ، فنظم فى السجن ديوان (المراثى) شكوى مزامير بأنغام الأساطير .

ولم يُفِد منها أدبنا القديم ، كما تقول فى مقدمتك ، تعلّةَ الرِّمّيتين وقد آن يُفيد على يديك وبدى أندادك من رواة هذا القصص الإغريقى البديع .

بعد هذا بقى علىّ حسابك ، فكيف أجزت لنفسك أن تجعل من أسطورة السطرين صفحتين . والأسطورة يا أديبى نصٌّ تاريخى عتيق ، تفاوت فى ادعائه سبع مدن . وأنا أعذرك فى التزّيد عند الاوصاف والبدائع ، دون الصفات والوقائع . وهذه منك سابقة إبداع فى العربية فى أن تجرى على غرار من كتب السيرة بأسلوب الأدب وطريقة الفن ، لا بتحقيق التاريخ ونقد الحوادث . فخرجتَ بالأساطير من تماثيل عتيقة إلى أفواف جديدة عربية ، بأسلوب حر الكلام ، مبين المعانى . وإن شئتَ فى الختام وصفاً لروعات إنشائك فى هذا القصص الجديد ؛ قلت لك إنى لأراه أسطورةً أحلى من الأساطير .

(القاهرة) **زكى المحاسنى**

13 me Année No. 601

Lundi - 8 - 1 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٣٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٠١ «القاهرة في يوم الإثنين ٢٤ محرم سنة ١٣٦٤ — الموافق ٨ يناير سنة ١٩٤٥» السنة الثالثة عشرة

الفهـــرس

صفحة

اذكروا يا زعماء العرب!



اذكروا وأنتم اليوم بسبيل التشاور في تجديد وحدة العرب أن الركن الأول من أركان دينكم هو التوحيد، وأن العمل الأول من أعمال نبيكم كان المؤاخاة.

اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً؛ واذكروا إحسان النبي إليكم إذ كنتم أشتاتاً فجمع شتيت شملكم فأقام على وحدته مُلكاً وسلطاناً.

اذكروا لماذا نذكر صاحب الهجرة في كل أذان وفي كل صلاة من كل يوم. هل نذكر اسمه مع اسم الله تعبداً به؟

معاذ الله فما يكون الشرك غير هذا ؛ إنما نذكر الله ونذكر بعده محمداً كما نُذكر القاعدة ومعها المثَل ، أو النظرية وبعدها العمل . لأن الله يوحى والرسول يبلغ ، ويأمر وهو ينفذ ، ويَشرع وهو يطبق . فذِكر الله استحضار لأوامره ونواهيه وتلك هى القدرة ؛ وذِكر الرسول استحضار لأفعاله وأقواله وتلك هى القدوة .

اذكروا أن الوحدة هى التى أمكنت العرب فى الأمس البعيد من تراث كسرى قيصر ، وهى وحدها التى تستطيع فى الغد القريب أن تنقذهم من ورّاث (موسو) و (هتلر)

قولوا للمعوقين منكم والمخلّفين عنكم : إن العصبية التى توسوس فى بعض الصدور بالرياسة والسيادة والعزة إنما كانت فى تاريخنا الحافل بالأحداث والعبر علة العلل فى انشقاق العصا ، وانقسام الرأى ، وانحلال العقدة ، وانتشار الأمر ، وتعدد الدول . هى النُّعَرة(١) التى قالت يوم السقيفة : منا أمير ومنكم أمير . وهى الهامة(٢) التى خرجت من قبر عثمان وظلت تصيح على دار الخلافة : نحن هاشميون وأمويون ! نحن قيسيون ويمنيون ! نحن علويون وعباسيون ! نحن عرب وشعوبيون ! نحن اثنتان وسبعون فرقة تتقاطع فى الدين ، وتتمادى فى الدنيا ، وتزعم كل فرقة منها أنها هى الناجية ! نحن ثلاثة خلفاء فى وقت واحد : عباسى على عرش بغداد ، وأموى على عرش قرطبة ، وفاطمى على عرش القاهرة ، ولكل خليفة منهم شأن يغنيه ، وعُدوان مع الباغين على أخيه !

اذكروا كل أولئك يا زعماء العرب واستاروا بسيرة نبيكم فى السياسة ، واستنوا بسنته فى الحكم ، فإن محمد بن عبد الله الذى آثر أن يكون نبياً عبداً على أن يكون نبياً ملِكاً قد ساس الناس فى عهده سياسة دينية لا تفرق بين على وبلال ، ولا بين قريش وباهلة . لم يسسهم عليه السلام سياسة وطنية ، لأن الوطن محدود والدين لاحد له . ولم يسسهم سياسة قومية ، لأن القوم جماعة متميزة لا تعرف العموم ، والدين إنسانية شاملة لا تعرف الخصوص . ومن كان مدينا بزعامته لربه لا لحزبه كان خليقاً لأن يساوى بين الناس جميعاً فى عدله وفضله . أما وقد استشرت العصبية ففرقت شعبنا فرقا لكل فرقة طرز ورسوم ، ومزقت وطننا مِزَقاً تفصل بينها مكوس وتخوم ، فإنا أحرياء بأن نصلح الأمر بما صلح عليه أوله : نخفت فى نفوسنا صوت الأثرة ، ونسكّن فى رءوسنا عصف الهوى ، ونجدد فى أذهاننا ما طمس من معانى الإيثار والإخاء والفداء والمروءة ، ونحدد فى أفهامنا ما انبهم من هذه المبادىء الإسلامية الصريحة : « إنما المؤمنون اخوة » ، « وأمرهم شورى بينهم » ، « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » ، المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، الناس سواسية كأسنان المشط .

وتلك هى المثُل العليا للسلام والنظام والحكم تطلبها الشعوب المكروبة المسحَّرة بالثورة بعد الثورة ، وبالحرب عقب الحرب ، فيحول بينها وبينها تصادم القوى وتعارض المنافع .

***

لا نطمع فى أن نجمل من الوطن العربى الذى قطَّعه الناصبون الآكلون دويلات أو لقيمات يسهل ازدرادها ، وحدة كاملة . ذلك فوق الطاقة الآن ، لأنه عمل لم يقو عليه من قبل غير محمد ، ولن يقوى عليه من بعد غير رجل من رجال محمد . هو الرجل الذى ينتظره العرب انتظارهم رجعة الربيع ؛ ثم لا ينفكون يحدقون النظر العبران(١) فى الأفق القاتم يرجون أن تنشق الحجب عن ظهوره . وبحسبنا اليوم أن نمهد أمامه الطريق ونهيىء له النفوس بهذه (الجامعة العربية) التى تتوافدون إلى عقد ميثاقها فى القاهرة . فإذا أقمتموها يا زعماء العرب على الإيمان الصادق والنية الخالصة كانت إرهاصا لظهور ذلك الزعيم العظيم الذى يجمع الله لكم فيه الراعى الذى يطرد الذئب ، والنظام(٢) الذى يجمع الحب ، والدليل الذى يحمل المصباح ، والقائد الذى يرفع العَلم ، والأستاذ الذى يعلمكم أن تصنعوا الابرة والمدفع ، وتشقوا النجم والحقل ، وتوفقوا بين الدين والدنيا ، وتلائموا بين المنفعة الخاصة والمنفعة العامة ؛ ويومئذ تعودون إلى منزلتكم من صدر الحياة ومكانتكم من قيادة الناس .

احمد حسن الزيات

(١) النعرة ذبابة زرقاء طنانة تدخل فى أنف الحمير والخيل فتضطرب وتهيج ، وتستعمل فى الخيلاء والكبر .

(٢) الهامة فى أساطير العرب الأولين طائر يخلق من رأس المقتول ولا يزال يصيح فى رأسه يقول : اسقونى ، اسقونى ، حتى يقتل قاتله

(١) العبران : الباكى الحزين .

(٢) النظام : الخيط الذى ينظم به اللؤلؤ ونحوه .

وحي الهجرة في سياسة الأمم والشعوب

لصاحب الدولة الدكتور أحمد ماهر باشا

قال صاحب الدولة الدكتور أحمد ماهر باشا وهو الرجل الذى ندبه العون الإلهى ليكون الوزير الأول لمصر فى تلك الحقبة من تاريخ يموج بالهول، وتفور أرضه بالحمم، وتمطر سماؤه بالصواعق — ومصر — قلب العربية، وأمل شعوبها، تضطلع بأعبائها وأعباء جيرتها، وقد أخذتها الأحداث، وأحاطت بها التبعات، وتقاذفتها الأهواء، فإذا « بالفاروق » أعزه الله يجعله على شؤون البلاد، يقيم الميل ويرد على الوطن هيبته، ويسير فى المعترك العالمي على بصيرة من الأمر، وعلى هدى من الحق

قال هذا الرجل، وهو يتحدث عما (توحيه الهجرة) فى وجدان الرجل السياسى :

« يوحى يوم الهجرة أنه لا حياة للأمم ولا للشعوب، إلا بالجهاد الدائم، والكدح والدأب المتواصل. وليس الجهاد قاصراً على مكافحة الأعداء، بل أشد الجهاد، وأعنف الجهاد، مكافحة الشهوات والأهواء

فلقد رجع محمد رسول الله من بعض غزواته المظفرة فقال : رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ـ جهاد النفس والهوى ـ

تذكرنا يوم الهجرة بأن الإنسان لا يحمى إنسانيته ـ بل عقيدته ـ إن هو أقام على الهوان راضياً، وإنما حق إنسانيته وواجب عقيدته أن يكافح الطغيان، وأن يصرخ فى وجه الظلم، فإذا أعجزه أن يحمى عقيدته وإنسانيته فليهاجر بهما حتى يبلغ مأمنه، ثم يستأنف جهاده ونضاله

وإن الله لن يرضى أبداً عن الذليل المستضعف فى الأرض، وهذا كتاب الله يحقّر المستضعفين ويؤنب الأذلاء

يقول تعالى : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم. قالوا : فيم كنتم ؟ قالوا : كنا مستضعفين فى الأرض، قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها. فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا »

يوحى يوم الهجرة، بصور لأولئك الذين أنجبهم الإسلام، وهذبتهم فضائله، فأحسنوا القيام على أممهم وشعوبهم، وقدروا الأمانة التى ائتمنهم عليها حق قدرها، فلم يقربوا إلا لوجه الحق، ولم يبعدوا إلا فى سبيل الحق

وهذا عمرَ الفاروق يقول لولاته : اجعلوا الناس فى الحق سواء، قريبهم كبعيدهم، وبعيدهم كقريبهم

إياكم والرُّشا ـ فإنها السحت ـ وإياكم والحكم بالهوى، وأن تأخذوا الناس عند الغضب »

***

وإنى إذا ما روّيت فى الأمر، وفكرت لم كان اختيار الهجرة بدءاً للتاريخ الإسلامى ؟ لا ألبث أن أقتنع ـ على بينة من الأمر ـ أنه يراد أن يكون المسلمون دائماً على ذكر من الحقيقة الخالدة، وهى أن سبيل الرفعة وطريق العزة ـ الجهاد الجهاد للحق الخالد والعدل السرمدى

وإنه لمن يمن الطالع أن يكون على عرش مصر الملك المفدى، « فاروق الأول » ؛ فهو الأسوة الحسنة لشعبه وللشعوب الإسلامية. أعز الله ملكه، ونضر عهده، وحقق فى أيامه مجد الإسلام وعزة المسلمين.

(م)

طوالع الإسلام

للأستاذ عباس محمود العقاد



اسم كتاب ألفه الدكتور لورنس براون أستاذ مقارنة الأديان بجامعة مانشستر ، ونشره فى أوائل السنة الماضية ١٩٤٤ وعرض فيه لحركات التجديد والإصلاح التى ظهرت منذ القرن الماضى فى أنحاء العالم الإسلامى من الهند إلى إيران ومصر ، وما يليها من الأقطار الأسيوية والإفريقية

وقد خرج من هذا العرض بخلاصة يسهل على الباحث من غير المسلمين أن يقبلها ، ولكن لا يسهل قبولها على المسلم الذى يؤمن بدينه ويعرف ما فيه من قوة على بعث العزائم وإحياء الأمل ومزج الحديث بالقديم أو التقريب بين العقيدة والمعرفة وبين الأصول الدينية والأصول العلمية . فإن الخلاصة التى خرج بها الدكتور براون من عرضه أن الأمل فى نهوض دعوة إنسانية تنفع البشر كافة من أعماق الروح الإسلامية ضعيف ، وإنه لا يُرى فى العصر الحاضر زعيم من الزعماء الروحانيين فى الأقطار المحمدية خليق أن يحمل أعلام النهضة المرجوة ، أو يقود بنى الإنسان فى طريق الصلاح والتهذيب ، ليحل لهم المشكلات الروحية والاجتماعية التى تواجههم عند كل خطوة يخطونها فى حياتهم العصرية

وتعليل هذا اليأس من مستقبل الإسلام عند الدكتور براون – أو من طوالعه كما سماها – أن الإسلام يعزل الدنيا عن الروح الإلهية ، ويجعل الوحى الذى يقود الأنبياء والملهمين عملاً خارجاً عن الإنسان يهبط عليه من السماء بين حين وحين وقد انقطع هبوطه على البشر بعد خاتم المرسلين . ويزعم الدكتور براون أن شأن الإسلام فى ذلك غير شأن المسيحية والموسوية ، لأن روح الله تمتزج بالإنسان فى العقيدة المسيحية ، ولأن الموسوية أخرجت كثيراً من الأنبياء ونصت بعض آيات كتابها على تمنى النبوة لجميع بنى إسرائيل ليستمعوا من داخل سرائرهم إلى صوت الله . ويقول الدكتور براون إن الشعائر المادية فى الموسوية والمسيحية إن هى إلا كناية عن المعانى الإلهية أو الروحانية التى ترمز إليها ، وليست هى كذلك فى الإسلام كما يقول

والذى فات الدكتور أن المسلم الذى يعتقد أن الله خلق آدم على صورته لا يمكن أن تعوزه الروح الربانية ولا أن يجرد الإنسان من هذه الروح ، وأن الآيات التى وردت فى القرآن عن روح الله والروح عامة أكثر من نظائرها فى الكتب الأخرى التى قلما تعرض لكلمة الروح بالمعنى الذى يستفاد من نصوص القرآن

وقد فات الدكتور براون شيء أهم من ذلك كان ينبغى ألا يفوته لأن الدليل عليه قائم من أطوار الحركات الإسلامية التى أشار إليها فى كتابه ، وذلك الشيء المهم الذى فاته هو أن الإيمان بنصيب الإنسان من الربانية أو بحلول المعانى الإلهية فى الإنسان لم يكن قط مسألة نصوص مكتوبة وشعائر ملموسة ، وإنما هو مسألة فطرة تمتاز بها الأمم كما تمتاز بها الأفراد ، وقد نشأت عقائد الروحانية أو الإلهية فى المسيحية من تفسير الفلاسفة والأحبار الذين آمنوا بالدين ولم تنشأ من الكلمات التى يقرأها كل إنسان فى هذا الكتاب أو ذاك

وإن الدين الواحد لتؤمن به أمتان هذه غالية فى الوقوف عند المحسوسات ، وتلك غالية فى المزج بين عالم الحس وعالم الغيب ، أو فى المزج بين الجسد والروح . وإن الكتاب الواحد ليقرأه الرجلان فى مدينة واحدة – بل فى بيت واحد – فيفهمه أحدهما

على طريقة المتصوفة أو القائلين بوحدة الوجود ويفهمه زميله كما تفهم الأوامر العسكرية كلمة كلمة وحرفاً حرفاً بغير تعليق ولا تأويل

ولو شاء الدكتور براون لفطن لهذه الحقيقة الواضحة من التفرقة بين الحركات التي أجمل الكلام عليها في الهند وإيران ومصر والحجاز ، وهي حركات القاديانية والبهائية ودعوة الإمام محمد عبده والإمام عبد الوهاب. فكل هذه حركات تجديد أو إصلاح نشأت في الإسلام وبين المسلمين واعتمدت على الكتاب الذي يدين به كل مسلم وهو القرآن الكريم ، ولكن الفرق بينها في الواقع هو الفرق بين فطرة الهند وفطرة الفرس وفطرة المصريين وفطرة العرب ، أو بين الأمزجة والعادات الذهنية التي تعودتها هذه الشعوب من موروثاتها القديمة وبيئاتها الفكرية والإقليمية

ففي الهند ظهر غلام احمد القادياني فبشر بمذهبه الجديد وزعم أنه هو عيسى بن مريم وهو المهدي وهو الإمام المنتظر في مذهب الشيعيين ، وادعى فيما ادعى أنه تلبس بروح مريم العذراء ثم تلبس بروح المسيح على نحو لا تدركه العقول ، وصدق نفسه وصدقه أناس من مريديه حين خيل إليه أنه روح الله حلت في جثمان إنسان لإنقاذ المسلمين والمسيحيين على السواء من الضلال

ومن اليسير جداً أن يلمس المرء في هذه الحركة بقية من بقايا البيئة الهندية التي نشأت فيها عقيدة تقمص الأرواح وتجدد الروح في جثمان بعد جثمان ، تارة جثمان ذكر وتارة جثمان أنثى ، ومرة رسم حيوان ومرة رسم إنسان

وفي البلاد الإيرانية ظهر مرزا علي محمد الشيرازي ، وزعم أنه الإمام المنتظر ، ثم انتحل عقيدة الاسماعيلية فيما يشبه القول بوحدة الوجود ووثب من ذلك إلى القول ببطلان الشريعة الظاهرة والأخذ بالحقيقة الباطنة التي تبيح أصحاب الحلول – حلول الإله في الإنسان – أن يتصرفوا في الأحكام والقواعد الدينية تصرف الوحي الجديد لأنهم يستوحون مشيئة الله فيما يقولون ويعملون ، ثم جهر بالغاء بعض الشعائر المقدسة التي اتفق عليها المسلمون سنيين وشيعيين حيثما صرحت بها نصوص القرآن

ومن اليسير جداً أن يلمس المرء في هذه الحركة نزعة البيئة التي نشأت فيها طلائع الباطنية والاسماعيلية ، بل نزعة البيئة التي نشأ فيها الإيمان بحلول أورمزد في جسد « مترا » رسوله الأمين في حربه الأبدية لإله الشر أهرمان

وفي الجزيرة العربية ظهرت الدعوة الوهابية التي تنكر الترف في الكساء والبناء ، وتبطل معاني الرموز والإشارات والتوسل بشيء من الأشياء يقع عليه الحس من جماد أو ذي حياة

ومن اليسير جداً على المرء أن يلمس فطرة الصحراء في هذه الصرامة الخلقية وهذا الفصل الحاسم بين عالم الحس وعالم الغيب ، خلافاً لتلك الأقاليم الهندية أو الفارسية التي امتزج فيها الحس بالتخيل واتصل فيها عالم الأرض وعالم السماء

وفي مصر ظهرت دعوة الإصلاح على يدي الأستاذ الإمام محمد عبده رحمه الله فكانت تعليماً جديداً في مدرسة قديمة ، أو كانت تفسيراً للقوانين الإلهية لا يخرج بها عن نصوصها ولكنه يحفظها في تلك النصوص ويقتبس منها المعنى الذي يوافق معارف العصر الحديث

ومن اليسير جداً على المرء أن يلمس في هذه الدعوة روح مصر التي عرفت نظام الحكم منذ ألوف السنين ، وتعودت أن تدين بنصوص الأمر والنهي من ملك بعد ملك وأسرة بعد أسرة ، فليس فيما تعمله أو تدين به إلا ما هو نص محفوظ أو مستمد من تفسير النص المحفوظ بالمعنى الذي لا يخرج عليه ، أو هي روح مصر التي عرفتها منذ قام فيها بالنبوءة فرعونها أخناتون ، وهي الأمة الوحيدة التي تلقت نبوتها من عرش وصولجان

فالحركات التي تتمثل فيها روح التجديد أو الإصلاح بين المسلمين حركات أقوام وطبائع تختلف بينها في العقائد الروحانية والربانية على حسب الفطرة التي طبعت عليها ، ولا تعوقها النصوص والكلمات عن اقتباس المعاني التي تتهيأ لها بفطرتها

وقد وقع خلاف كهذا الخلاف بين المسيحيين والموسويين يرجع إلى أسباب كهذه الأسباب من أثر البيئة الإقليمية أو البيئة الثقافية أو البيئة السياسية

فليس في الإسلام إذن ما يمنع نشوء الحركات الروحانية أو يمنع الاتصال بين روح الإنسان وروح الله ، وإن كان المسلمون يأبون أن تلغى نصوص كتابهم كما يأبى الكتابيون من المسيحيين والموسويين أن تلغى نصوص التوراة والإنجيل

وإنما أصاب الدكتور براون في رأي واحد وهو كلامه عن حاجة النهضة الروحانية إلى زعيم قدير ينفخ في الأمم الإسلامية

سر الخلود في الشريعة الإسلامية

للأستاذ محمود شلتوت



إنما شرعت الأديان لتصفية الأرواح ، وتخليص العقول من شوائب العقائد الفاسدة ، لتؤمن بالله خالق الكون ومدبره ، وتذعن لعظمته ، وتعترف بوحدانيته ، وتسلم من الخضوع والعبودية لكل ما سواه ، وتتبع هداه وتسلك صراطه السوى فلا تضل ولا تشقى .

هذا هو الجوهر الذى قامت عليه سائر الأديان منذ عرفت الأرض هداية السماء ، وهذا هو « الإسلام » الذى دعا إليه جميع الأنبياء ، وهذا هو الوحى الذى أوحى به إلى محمد صلى الله عليه وسلم كما أوحى به إلى نوح والنبيين من بعده ، وهذه هى الوصية التى « وصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب : يابنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » .

تختلف الشرائع وراء هذا الجوهر فى التفاصيل : فصور العبادات ليست واحدة ، وأنواع التكاليف متعددة ، ودرجات التثقيل أو التخفيف متفاوتة ، كل ذلك باختلاف الأمم والأحوال والأزمان « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم » .

وقد قضت حكمة الله أن يظل هذا التدرج بالناس عصراً بعد عصر ، ورسالة بعد رسالة ، حتى تصل البشرية إلى مرتبة من النضوج الفكرى والسمو العقلى ، تتهيأ معه لاستقبال شريعة كاملة باقية ، لا تنسخ بغيرها ؛ ولا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، فكان ذلك فى عصر محمد صلى الله عليه وسلم : اصطفاه الله لهذه الرسالة الكبرى بعد أن دعاه ورباه وصنعه على عينه ، ثم انتزعه من بيئة الشرك والوثنية والكبر والعنجهية والثبات على الباطل الموروث إلى بيئة أخرى فيها صلاحية ولها استعداد لقبول دعوة الحق ، فهاجر إليها مع صفوة من أهل الإيمان الراسخ ، والولاء الثابت ، يحبون الله ورسوله حباً لا تشوبه شائبة من أغراض هذه الدنيا ، ويتسابقون إلى السمع والطاعة مخلصين راضين .

فى هذا الجو الملائم ، وبين الأنصار والمهاجرين ، أخذ الوحى ينزل على محمد صلى الله عليه وسلم بتفاصيل هذه الشريعة فى العبادات والمعاملات والأخلاق ، وأخذت جماعة المسلمين تتركز ويتكون قانونها العام ، واستمر ذلك بالتدرج مدى عشرة أعوام هى حياة النبى صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة ، حتى أصبح العالم أمام دولة ناشئة قوية لها أحكامها الشاملة ، ومبادئها القوية فى كل شأن من شئون الحياة من بيع وشراء ، ونكاح وطلاق ، وميراث وهبة ووصية ، وزكاة وصدقة ، وقضاء وعقوبات وحرب وسلم وغير ذلك .

يومئذ أعلن القرآن فى وضوح أن هذا الدين قد كمل كمالاً مطلقاً ، وأن نعمة الله به قد تمت ، وأنه قد ارتضاه لعباده فلا

وغير الإسلامية من روحه القوية فينفعها وينفع البشر كافة من طريق نفعها

وقد شوهد أثر هذا الزعيم حين وجد ، فإذا هو أثر عظيم قلما يشبهه أثر الزعماء المصلحين فى الأمم الحديثة ، فكان جمال الدين الأفغانى باعثاً لنهضات الإصلاح فى الهند وإيران ومصر وتركيا وسائر الأقطار الإسلامية ، وقد يخلفه زعيم مثله فيقترب الأمل الذى استبعده الدكتور براون لأنه لم ينظر إليه بعين المعلم الذى يستمد العزيمة من هذه الآمال

ومما لا شك فيه أن الإسلام اليوم قوة مانعة لكثير من الشرور التى تهب على الناس كافة من قبل المذاهب الهدامة التى تبنى على أساس المادية العمياء ، وفى وسع هذه القوة المانعة أن تنطلق فى سبيل الإصلاح قوة روحانية دافعة إلى الخير العميم ، إذا قيض لها الزعيم العظيم

عباس محمود العقاد

يقبل منهم سواه « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى، ورضيت لكم الإسلام دينا » ؛ « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

بهذا تقرر، وأصبح من العقائد الإسلامية ، أن هذا الدين خالد ، وأنه بعقيدته وشريعته طريق الصلاح والنجاة للناس فى دنياهم وأخراهم ، وأن العالم مهما طال به الزمن وامتدت به الحياة لايحتاج فى صلاحه إلى شىء وراء الاستظلال بظل هذا الدين ، والعمل بمبادئه ، ومن هنا استقر فى الأذهان أن شريعة الإسلام صالحة لكل زمان ومكان .

ولكن ما سر هذه الصلاحية التى استحقت بها شريعة الإسلام أن تكون هى الشريعة الخالدة ؟ وهل فى استطاعة الباحث أن يثبت ذلك فى صورة علمية واضحة يستوى فى النظر إليها جميع الناظرين ؟

ذلك ما نريد فى هذا المقال :

***

ليس على الباحث أن يستقصى جميع الأحكام التى جاءت بها الشريعة المحمدية حكما حكما ، ويتتبع ذلك فى كل جزئية من الجزئيات ، ليختبر مبدأ الصلاحية ويعرف مداه ، فإن هذا شىء يطول ولا يكاد يقف عند حد .

ولكن حسبه أن ينظر إلى مبدأ واحد هو المحور الذى تدور عليه سائر الأحكام مهما تعددت وتنوعت ، وبيان ذلك : أن من يتأمل حالة العالم فى عصوره المتعاقبة وأطواره المتتابعة يعرف حق المعرفة أنه كان يتردد بين طرفين من إفراط وتفريط ، وكان ذلك شأنه فى كل شىء : فى العقائد ، فى الأخلاق ، فى صلة الإنسان بالحياة ، فى علاقة الفرد بالمجتمع ، فى علاقة الأمم بعضها ببعض ، فى طريقة التشريع ، إلى غير ذلك من سائر الشئون ، وقد جاء الإسلام فأدرك أن العالم لا يصلح بواحدة من هاتين الخطتين ، وأنهما منافيتان للفطرة الإنسانية والطبيعة البشرية ، منافيتان لسنن الاجتماع التى تقضى بالوقوف عند الحد الوسط فى كل شىء لضمان البقاء والصلاح ، وعدم التعرض للانحلال والفساد . أدرك الإسلام ذلك فجاءت شريعته وسطا لا إفراط فيها ولا تفريط ، ووقعت أحكامها ومبادئها مهما تنوعت وتشعبت فى هذه الدائرة التى رسمها كتاب الله عز وجل « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » ، « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » :

هى فى العقيدة وسط بين الذين ينكرون الإله ، ويزعمون أن هذه الحياة الدنيا ليست إلا وليدة المصادفات والتفاعلات المادية « إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر » وبين الذين يقولون بالتعدد ، ويتخذون مع الله أنداداً : تقرر فى صراحة وجلاء أن الله إله واحد ، وأنه المعبود الذى لا يعبد سواه « قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » ، « وقال الله : لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فأياى فارهبون » ، « قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » .

وهى فى الأخلاق وسط بين الذين يتحللون من كل الفضائل وبين الذين يشتطون فى تصور الفضيلة والتزام طرف التشديد فيها : تقرر أن الفضيلة وسط بين رذيلتين : لا جبن ولا تهور ، لا بخل ولا تبـــذير ، لا استكبار ولا استخذاء ، لا جزع ولا استكانة . وأساس ذلك كله قوله تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً » « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » .

وهى فى صلة الانسان بالحياة وسط بين المادية البحت ، التى لا تعرف شيئاً وراء ما يقع عليه الحس من طعام وشراب ولذات وشهوات وغلبة وبطش وجمع للأموال وتكاثر وتفاخر ، وبين الروحية البحت التى تزهد فى الحياة وتعرض عنها إعراضاً تاماً ، فلا زواج ولا سعى ولا عمل ، ولكن تبتل مطلق وإهمال للأسباب ! يقرر الاسلام فى ذلك الوسط أيضا فيقول « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » ، « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » ، « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » .

وهى فى طريقة التشريع ووضع قوانين الحياة وسط : لم تدع الناس يشرعون لأنفسهم فى كل شىء ، ولم تقيدهم بتشريع من عندها فى كل شىء . بل نصت وفوضت : نصت فيما لا تستقل العقول بادراكه ، كالعبادات زمانا ومكانا وكيفية ونحو ذلك ، وفيما لا تختلف المصلحة فيه باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص ، كالمواريث وأصول المعاملات من بيع وشراء وتحريم لأكل أموال الناس بالباطل ونحو ذلك ، وفوضت فيما يدرك

العقل الخبير فيه وتختلف المصلحة فيه بتغير الأزمنة والأمكنة والأشخاص ، ومن هنا وجد الاجتهاد وكان ركنا من أركان الشريعة الاسلامية حفظ الله به للعقل الانسانى كرامته .

وهى فى تحديد علاقة الفرد بالجماعة وسط أيضا : لم يترك الفرد طليقا يفعل ما يشاء ويترك ما يشاء ولم تدعه كالوحش فى الفلاة يجرى ويمرح ويعبث ويفترس ما يقدر عليه ، ويتحكم فيه الأقوى منه ، ولم تلغ شخصه ، وتنس استقلاله ، وتضيعه فى غمار الجماعة لا يعمل إلا لها ، ولا يفكر إلا فيها ، ولا يعرف لنفسه وجوداً غير وجودها ، كأنه جزء من آلة يتحرك بحركتها ويسكن بسكونها ، ولكنها اعتبرته ذا شخصية مستقلة ، وفى الوقت نفسه اعتبرته لبنة فى بناء المجتمع ، فأثبتت له ، بالاعتبار الأول ، حق الملكية لماله ودمه والهيمنة على نفسه وولده ، ومنحته فى هذه الدائرة حق التصرف بما يراه خيراً له وسبيلا لسعادته فى حياته ، وأوجبت عليه بالاعتبار الثانى ، حقاقى نفسه بالخروج للغزو والجهاد فى سبيل رد العدوان عن الوطن ، وحقا فى ماله بالبذل والانفاق فى سبيل الله ، وأوجبت عليه إرشاد الأمة وأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر ، وأوجبت عليه أن يعمل لإنجاب النسل الصالح وتكثير سواد الأمة به فيختار الولود ذات الدين والخلق ، لتقوى بذلك الأمة ويعلو شأنها

وفى مقابل هذه الحقوق التى قررتها الشريعة على الفرد للجماعة ، أوجبت على الجماعة للفرد حقوقا لاسعادة إلا بها : كفلت له حفظ دمه وماله وعرضه ، وشرعت لحمايته حق القصاص وحق الحد والتعزير ، وجعلت له حقا فى أن تعينه بمالها إذا افتقر ، وبذلك تبادل الفرد مع المجتمع الحقوق والواجبات ، وجعلت سعادة الحياة منوطة بالتعادل بين الجانبين ، وعدم طغيان أحدهما على الآخر : فلو ضن الفرد بنفسه أو ماله أو لسانه على المجتمع ساءت حالته وأدركه الضعف والانحلال ، ولو ضن المجتمع بقوته على الفرد فلم يكفل له سعادته ، ولم يحفظه فى ماله ونفسه وعرضه ، ولم يعنه فى حال فقره أضعفه وعرضه للهلاك ، وبهذا وذاك تصبح الحياة عبثا ثقيلا لا يحتمل ، بل جحيما لا يطاق !

وكذلك كان شأن الشريعة الإسلامية فى تحديد علاقة الأمة بغيرها من الأمم : لم ترض للمسلمين بحياة الضعف والذلة وأن يكونوا عزلا من القوة ينتظرون حتفهم ، ويترقبون مصيرهم ، وما تقرره الأمم الأخرى فى شأنهم ، ولم ترض لهم كذلك بحياة الظلم والاستبداد والفتك بالضعفاء والاعتداء على الآمنين فى أوطانهم وأموالهم ، ولكنها أمرت المسلمين بالاستعداد والتقوّى بالعدد والعدة « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » وأمرتهم أن يدعوا إلى الله بالحجة والبرهان لا بالألجاء والقهر « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين »

ونظرت الى الحرب وأسبابها الداعية اليها والمفضية إلى شب نيرانها نظرة تتفق وغايتها من الصلاح العام والمساواة بين الناس والسير فيهم على سنن العدل والرحمة ، فحصرت أسبابها فى دائرة معقولة تتناسب مع كونها ضرورة من الضرورات : دفع الظلم والعدوان ، وإقرار حرية التدين ، والدفاع عن الأوطان ، وإن القرآن الكريم ليرشد إلى ذلك فى عدة مواضع إذ يقول :

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين » « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله »

وأساس الدستور العام فى ذلك هو قوله تعالى « إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون »

وقد أباحت الشريعة الإسلامية أن ينشئوا ماشاءوا من العلاقات بينهم وبين الذين لم يعتدوا عليهم فى الدين أو الوطن من كل ما يرونه عونا لهم على حياتهم فى شئون التجارة والصناعة والعلم والسياسة والثقافة ، ينظمون ذلك كله على الوجه الذى يتبين صلاحه ، والذى تقضى به سنن الاجتماع والفطرة ، والذى لايتعارض مع دستورهم الخاص ، وقد أجازت الشريعة أن تصل هذه العلاقات إلى حد البر بهم والإحسان اليهم

وأساس الدستور العام فى ذلك هو قوله تعالى « لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم أن

تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين »

***

هذا هو الصراط المستقيم ، والمبدأ الوسط ، الذى تسير عليه الشريعة الإسلامية فى جميع أحكامها ، والذى صلحت به لكل زمان ومكان ، واستحقت به الخلود إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين

محمود شلتوت

وديعة مدينة سالم

للدكتور عبد الوهاب عزام



— ١ —

محمد بن أبى عامر شابٌّ عربىٌّ آباؤه من مُعافِر، وخؤولته فى تميم. دخل جدُّه عبد الملك بن عامر الأندلس فى جند طارق بن زياد . وارتقت بأسرته الأمور حتى عُدتْ فى أسمى الوزارات فى الأندلس .

نشأ محمد نجيبا طموحا هُماما تبشّر مخايله بنباهة شأنه ، وتَعِد همّته بعظيم مستقبله ، بل تكفل آماله سؤدده ، وبضمن عزْمه مجده . سهر ليله وهو طالب علم يفكر فيمن يوليه القضاء إذا آل إليه أمر الأندلس . والمرء حيث يضع نفسه .

صار من أعوان قاضى قرطبة محمد بن السليم ، ثم وكيلا لولى العهد هشام بن الحكم المستنصر ، وتداولت كفايته وحزمه المناصب إلى أن ولى شرطة قرطبة سنة إحدى وستين وثلثمائة فضبط الأمور وقمع الأشرار ثم دعاه الغزو فلبىّ ، فاجتمعت له الشرطة وقيادة الجيش .

فأما حزمه فى الشرطة فقد قال صاحب البيان المغرب :

« فضبط محمد المدينة ضبطا أنسى أهلَ الحضرة من سلف من الكُفاة وأولى السياسة . ولقد كانوا قبله فى بلاء عظيم يتحارسون الليل كله . ويكابدون من رَوعات طُرّاقه مالا يكابد أهل الثغور من العدوّ . فكشَف الله عنهم بمحمد بن أبى عامر وكفايته وتنزهه . فسدّ باب الشفاعات ، وقمع أهل الفسق والدعارات ؛ حتى ارتفع الباس ، وأمن الناس . وأمِنت عادية المتجرّمين من حاشية السلطان حتى لقد عثر على ابن له فاستحضره فى مجلس الشرطة وجلده جلدا مبرحا كان فيه حمامه ، فانقطع الشر فى أيامه جملة » .

وأما الغزو فكان قائده المظفر ، وبطله المحبَّب . وسيأتى حديثه .

ما زال ابن أبى عامر يرقى منصبا إلى منصب ، ويعلو مجدا إلى مجد كالنسر يعلو مرقبا إلى مرقب حتى يوفى على القنة . فلما توفى الحكم المستنصر وآل الأمر إلى طفله هشام اجتمع له الأمر كله وظفر بأعلى مناصب الدولة ، حجابة الخليفة . ثم وكله إلى ابنه عبد الملك وجعل له القيادة العليا وسائر مناصبه وجعل ابنه عبد الرحمن وزيرا . وسما هو إلى السلطان الأعلى . وتسمى المنصور . وأمر أن يكتب عنه « من المنصور ابن أبى عامر وفقه الله » ثم كتب إليه باسم (الملك الكريم) .

— ٢ —

ملك ابن أبى عامر الأندلس ستة وعشرين عاما ، يدبر شؤونها بعدله وعزمه ويعمرها ببرّه ، ويجمّلها بأبنيته ، ويضرب أحسن الأمثال فى البأس الذى لا يخالطه جور ، والعدل الذى لا تشوبه هوادة ، والانصاف الذى لا يُميز قريبا من بعيد ، والحكم الذى لا يعرف إلا النصفة والمساواة والنفاذ على كل الناس فى كل الأحوال .

ولم تكن سياسته العادلة الحازمة ، أعظم من قيادته المظفرة . حتى لقد جاوزت غزواته أقصى غزوات الناصر ، وحارب حيث لم يحارب قبله أمير من أمراء الأندلس .

غزا خمسين غزوة كانت الثامنة والأربعون منها إلى شنت ياقوب على البحر فى أقصى الجزيرة إلى الشمال والغرب ، ولم يحاولها

دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال له لبيك !

وكان يكره التكلف ، وينهى عن التشدد والتزمت « ويأخذ العفو ويأمر بالعرف ويخفض جناحه للمؤمنين ، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويجادل الناس بالتي هي أحسن ، ويميل إلى اليسر والسهولة في كل شيء : ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما ، وما سئل شيئاً عنده إلا أعطاه ، وما انتقم لنفسه قط ، وما نهر خادما ولا مملوكا » .

وكان سهلا إذا أخذ ، وسهلا إذا أعطى ، متلطفا في ضروب الإحسان : يقترض فيرد أكثر مما اقترض ، ويشترى فيعطى أكثر من الثمن ، ويقبل الهدية ويكافىء عليها بأضعافها ، وكان عطاؤه عطاء من لا يخاف الفقر ، وكانت الصدقة أحب شيء إليه ، وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الآخذ بما يأخذه . وكان إذا عرض له محتاج آثره على نفسه تارة بطعامه ، وتارة بلباسه ، وكان من خالطه وصحبه ورأى هديه لا يملك نفسه من السماحة والندى .

ولقد ظهرت آثار هذه الصفات الشريفة في سائر أحواله وتصرفاته صلى الله عليه وسلم ؛ وظهرت في سياسته الحكيمة التي ساس بها قومه ، وجعلها نهجا للحكام والرؤساء من بعده . وظهرت في تطبيقه لكتاب الله ، وتنفيذه لأحكامه . وظهرت فيما أوصى به أمته مما يتصل بالعبادات أو المعاملات أو الأخلاق :

سامه أعداؤه سوء العذاب ، واضطهدوه في نفسه وفي أصحابه ، ورموه بكل منكر من القول وزور ، وكانوا يضعون في طريقه الأشواك والأقذار ، ويطرحون عليه وهو يصلي جلود الأبل والبقر ؛ ويمنعونه وأصحابه أن يبيعوا لأحد شيئاً أو يبتاعوا ، بل كانوا يتآمرون عليهم ، ويدبرون المكائد لهم ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلقى ذلك كله منهم صابراً محتسباً نقي الصدر من الحفيظة ، سليم القلب من الموجدة ؛ بل كان يلقاه بالدعاء لهم فيقول (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون !)

ولقد خضبوا وجهه بدمه ، وكسروا رباعيته ، وهو مع ذلك لا يدعو عليهم ، ولا يسأل الله تعذيبهم . ويقول : « أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبده ولا يشرك به شيئاً » .

ولقد أخرجوه من مكة وطنه الحبيب إلى قلبه ؛ وأخرجوا معه كل من اعتنق دينه ، فلما أظفره الله بهم وفتح له مكة حطم أصنامها ، وأزال أوثانها ثم خطب أهلها فقال : « يا أهل مكة ما ترون أني فاعل بكم ؟ » قالوا : خيراً . أخ كريم وابن أخ كريم . قال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

ولقد كان الرجل من العرب الجفاة الغلاظ يدخل عليه غير مستأذن ، ويناديه باسمه مجرداً يسأله عن شيء أو يقتضيه حقاً ، فيحلم عليه ويجيبه متلطفا في خطابه ، قاضيا حقه ، فإذا غضب له أحد من أصحابه رده عن غضبه ، وهدأ من ثورته . وقد أفضت هذه السياسة الرشيدة بكثير من أهل الكفر إلى الإسلام ، وأصبحوا بها من خيار المؤمنين !

وكان صلى الله عليه وسلم نعم المعلم لأصحابه : يردهم إذا أخطأوا في رفق وأناة ، ولا يعنف عليهم ، ولا يؤنبهم ، بل يبتسم لهم ، ويبش في وجوههم . حدث معاوية بن الحكم السلمي قال : كنت أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعطس رجل من القوم ، ولم أكن أعرف أن الكلام يفسد الصلاة ، فقلت له : يرحمك الله ! فرماني القوم بأبصارهم يتعجبون مما فعلت ، فقلت : واثكل أماه ! ما شأنكم تنظرون إلىّ ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم وينظرون إلىّ متعجبين ، فلما رأيتهم كذلك سكتُّ حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته ، فبأبي هو وأمي ! ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه ! فوالله ما نهرني ولا ضربني ولا شتمني ولكن قال : إن هذه الصلاةَ لا يصلح فيها شيء من كلام الناس . إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفق حتى على أهل الكبائر من أمته ، وقد أقام الحد على رجل فمات فلعنه الناس وسبوه ، فقال لهم : لا تلعنوه ولكن قولوا : اللهم اغفر له . اللهم ارحمه ! وكان رجل يؤتى به إليه كثيراً وهو سكران بعد تحريم الخمر فلعنه الناس مرة فقال : لا تلعنوه فإنه يحب الله ورسوله . فكشف لهم عما يعرفه من حقيقة نفسه ودخيلة قلبه لما رفضوه لظاهر فعله ، وإنما ينظر الله إلى القلوب !

وجاءه مرة رجل وهو يصلي ، فلما انتهى من صلاته قال له : يا رسول الله . إني أصبت حداً فأقمه علىّ ، فسكت عنه ، ثم عاوده

الرجل بعد حين فقال له مثل ما قال فسكت عنه ، ثم عاد إليه بعد صلاة الغداة فقال له : يارسول له إني أصبت حداً فأقه عليّ . فقال له : أصليت معنا هذه الصلاة ؟ قال : نعم . قال : فاذهب فإن الله غفر لك حدك !

وليس ذلك تهاونا من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحدود، وحاشاه ، وهو القائل فى حادثة المخزومية التى سرقت وشفع لها أسامة : « والذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها ! » وإنما ذلك رجل قد تاب قبل أن يعلم به أحد ، أو يقدر عليه أحد ، ومن تاب تاب الله عليه « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رفيقا بأهله ، سهلا فى معاشرتهم : روى أنه كان يُسرب إلى عائشة بعض بنات الأنصار يلعبن معها . ومر يوما جماعة من أهل الحبشة يلعبون ، فقال : ياعائشة تعالىْ فانظرى ! فقامت فوضعت لحييها على منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت تنظر إليهم في سرور واهتمام ، ثم قال لها : أما شبعتِ ؟ أما شبعتِ ؟ وهى تقول له : لا ، انتظر.. انتظر ! . .

ومن آثار صفائه النفسى ووفائه صلى الله عليه وسلم ، فهو لا يعرف الغدر ولا النكث ولا التنكر مع الزمان ، لأنه لا يتقلب مع المنفعة ، ولا تبطره النعمة :

كان بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين المشركين عهد ، فأرسلوا إليه رجلا منهم يفاوضه فى أمر من الأمور ، وهو أبو رافع ، فلما رآه وحدثه أخذته عظمته وراعه حديثه ، وألقى الله فى قلبه الميل إلى الإسلام ، وحينئذ نسى الرجل أنه سفير لقومه ، وأنه جاء للمفاوضة عنهم ، فتوجه إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال له فى لهجة ضارعة : يا رسول الله ! لا أحب أن أرجع إليهم فأبقني عندك ! فماذا فعل الرسول ؟ هل نسى عهده الذى بينه وبين المشركين ؟ كلا . ولكنه قال : لا . لا . إنى لا أخيس بالعهد ولا أحبس البُرُد ، ولكن ارجع إليهم فإن كان فى نفسك الذى فى نفسك الآن فارجع إلينا . قال أبو رافع : فذهبت ثم أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فأسلمت .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم صادقا صدوقا لم يُعرف عنه أنه كذب مرة واحدة فى حياته لا قبل مبعثه ولا بعد مبعثه ، ولذلك كانوا يلقبونه بالصادق الأمين ويرضون حكمه ، وينزلون على قضائه .

إن الكذب علامة من علامات النفاق ، والنفاق لا يكون من أخلاق العظماء ، ولا يخالط نفوس الأباة الشرفاء ، ولذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وحج واعتمر وقال إنى مسلم : إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف ، وإذا أوتمن خان » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن يشدد على أمته ويسأل الله دائما التخفيف عنهم ، وكان يوصي أصحابه بألا يكثروا من سؤاله لئلا يشددوا على أنفسهم ، ويقول « أعظم الناس جرما من سأل عن شيء لم يكن حراما فحرم على الناس» ويقول «دعونى ما تركتكم . إنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم . فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » .

وكان صلى الله عليه وسلم لا يقصد إلى تعذيب نفسه وحرمانها من طيبات الحياة كما يفعل المتشددون الذين يتكلفون الزهد والورع قصداً إلى الشهرة بالصلاح ، وإنما كان يأكل الطيِّب إذا وجده ، وكان يحب الحلواء والعسل ، ويعجبه لحم الذراع ، ويستعذب له الماء .

وكان يأمر بالتبشير ، ويكره التنفير . وقد بعث معاذا وابنه إلى اليمن فقال لهما : « بشرا ولا تنفرا ، ويسرا ولا تعسرا » .

وكان يكره المبالغة فى العبادة بما يشق على النفس ، وقد دخل المسجد مرة فوجد حبلاً ممدوداً بين ساريتين فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذا حبل لزينب : تصلى فإذا كَسِلت أو فترت أمسكت به ! فقال : لا . حلوه ، ليصل أحدكم نشاطه ، فإذا كسل أو فتر قعد .

وقال لأحد أصحابه « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، ولا تبغض إليك دين الله . فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى » .

وقد نزه الله رسوله الكريم حتى قبل بعثته عن كل ما كان يأتيه أهل الجاهلية من المباذل والمفاسد ، وفى ذلك يقول صلوات الله وسلامه عليه : « ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون به إلا مرتين . كل ذلك يحول الله بيني وبين

ما أريد ، ثم ما هممت بسوء حتى أكرمنى الله برسالته : قلت ليلة لغلام كان يرعى معى : لو أبصرتَ لى غنمي حتى أدخل مكة فأسمُر كما يسمر الشباب . فخرجت لذلك حتى جئت أول دار من مكة فسمعت عزفاً بالدفوف والمزامير فجلستُ أنظر وأسمع ، ولكن النوم غلبنى فما أيقظنى إلا مس الشمس فرجعت ولم أقض شيئاً ، ثم عرانى مرة أخرى مثل ذلك ، ثم لم أهم بعدها بسوء ! » .

لهذه الخلال وأمثالها فطنت خديجة رضى الله عنها ، فلما جاءه الملك لأول مرة بالوحى ، وذهب إلى بيتها يقص عليها ما رأى ، ويذكر لها ما يساوره من خوف على نفسه ، قالت له : « كلا ، والله لا يخزيك الله أبداً . إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق » عرفت من شريف صفاته ما اتخذته دليلا على نجاحه فى مستقبل حياته .

***

هذه دروس وعبر وآيات بينات تشرق واضحة فى سيرة محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وتدل على خلاله الكريمة التى وافقت بها طبيعته طبيعة دعوته ، فيها ما يفيد الناس جميعاً على اختلاف مراتبهم ، وفيها ما يفيد العظماء والمصلحين بوجه خاص . إنها تقول بلسان فصيح :

يادعاة الإصلاح : ليس الإصلاح أقوالا تقال ، ولا مذكرات تكتب ، ولا مبادىء ترسم ، لتَخطفَ بها الأبصار ، وتُؤلفَ القلوب ، وتُقضَى على حساب ذلك اللُبانات . إنما الإصلاح أعمال تتحقق بها الأقوال . إنما هو تنفيذ حازم لما رسم من الخطط ووضع من البرامج . إنما هو مُثُل تضرب للناس يبدو فيها الإخلاص لله ، والإيمان بالدعوة ، والغيرة على الفكرة ، والفناء فى سبيل المبدأ .

« يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ؟ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون »

أسأل الله أن يعمر قلوبنا بالإخلاص ، وأن يشرح صدورنا للحق ، وأن يفتح لهَدْى الرسول أبصارنا ، وينير به بصائرنا . إنه على ما يشاء قدير .

محمد محمد المدنى

اعترافات مؤمن

للدكتور محمد مندور



لا يستطيع مثلي أن يتنكر لجلال الفكر البشري، وهو منبع شقائنا وعزائنا على السواء، ولكنني أحسب أن هناك أنواعاً من ذلك الفكر، فالمرء قد يفكر بعقله وقد يفكر بخياله وقد يفكر بقلبه. والتفكير بالعقل هو ما ينفر منه طبعي وذلك لأنه ما لم يحلق الفكر إلى عالم الصور الجميلة بخيال قوي أو يرسب إلى أعماق القلب بحرارة حية لم تهتز له نفس ولا اطمأن إيمان، وإن كنت لسوء الحظ مضطراً كغيري من البشر أن أكسر في بعض الأحايين جناح الخيال وأن أطفىء حرارة القلب حين لا يكون بد من أن تتناول الأمور ببرودة العقل اللصيق بالأرض.

منذ أزمة الإيمان التي صادفتني في اليفاعة كما أحسبها صادفت غيري وأنا دائم التفكير في حقيقة ذلك الإيمان. ولقد مرت بي عقب تلك الأزمة مباشرة أعوام كنت أناقش فيها كل من ألقي عن المشاكل التي يثيرها العقل عن وجود الله وكيف كان ذلك الوجود وعن علاقته بهذا العالم وما فيه من خير وشر. ولا شك أنني كنت أبحث عندئذ على غير وعي مني عن يقين أطمئن اليه، ولكنني أعترف في بساطة أنني ما قرأت ولا سمعت ما يوجب ذلك اليقين، حتى أصابني ما يشبه الملل فلم أعد أطيق الحديث في هذه الأمور، وأصبحت كلما سألني عنها سائل أو تحدث بها متحدث رميته بالتفاهة وذلك بوعي مني أو غير وعي، ولكنها تفاهة لا يمكن أن أعفيه منها مهما بلغ سؤاله أو حديثه من عمق أو أصالة. ولقد حاولت غير مرة أن أتبين السر في موقفي هذا فوجدته، أو خيل إلي أني قد وجدته، في أمرين: أولهما أن العقل نفسه نشاطه الأكبر موجه إلى تقويض ذاته، فهو لا يزال يبحث عن حدود قدرته ويتناول بالشك ما يصل اليه من آراء ونظريات يعاود فيها البحث فيقوضها حتى أصبح نقده لنفسه خليقاً بأن يهدم ثقتي فيه. وثانيهما أنني كنت أحس دائماً في غموض أن تطاول العقل إلى ما لا يستطيعه دليل ضعف فيه لا قوة، ولهذا كم كانت فرحتي يوم سمعت عميداً لكلية الطب بباريس يقول: «إن من أمارات الضعف العقلي أن نبحث بعقولنا عما لا نستطيع أن ننفذ إليه، والعقل القوي هو الذي يعرف حدود قدرته». لقد خيل إلي عندئذ أن هذه الألفاظ قد أضاءت مظاماً في نفسي، فرأيت بوضوح ما كنت أحسه غامضاً. ومنذ ذلك الحين آمنت بتفاهة من يناقشني في الإيمان بعقله فهذا رجل ضعيف العقل مبدد لنشاطه هدراً

أنا إذن لا أحب الحديث عن الإيمان ولا أومن بالدعوة إليه، ولكنني مع ذلك مؤمن إيماناً راسخاً، وليست لي في الحياة قوة غير هذا الإيمان، فقد تهب أعاصيرها ومن الممكن أن تتنكر لي يوماً عناصرها ذاتها، ولكن ذلك لا أظنه ينال مني شيئاً، وذلك لا اعتزازاً مني بعروض حياة أو مواهب نفس، ولكن لأنني مؤمن بالله عادل اطمأنت إليه نفسي بحيث لا أذكر أنني قد اتجهت إليه يوماً فلم أجد تأييده، وعند ما أدعوه يسكت في نفسي طنين الفكر فلا أحس غير الصمت الساكن ولا أفكر حتى في وسائل القوة التي أبغيها؛ وإنما أساق بعد ذلك في غير وعي إلى تلك الوسائل كالآلة المسيرة وهي تعرض لخاطري في لمحات خاطفة فأسير إليها دون أن أتبين حتى مواقع أقدامي، وإنما أكتفي بما أستشعر من ثقة من أنني ما دمت قد تركت السكون إلى الحركة فإنني في سواء السبيل. ومهما تكن بعد ذلك من صعوبات، فلا يمكن أن يساورني شك في أنها ستذلل ولو في اللحظة الأخيرة وذلك هو الإيمان الهادي

من أين لي بهذا الإيمان وقد لقيت ضروباً من الناس وقرأت ألواناً من الكتب، ودرست أنواعاً من اللغات والثقافات، بل وخبرت الحياة هزلها وجدها في كافة الأجواء وتحت مختلف السموات. أستطيع اليوم بعد أن نضجت ملكاتي أن أقول إنني لم يقنعني أحد به، ولا اكتشفته في بطون كتب، ولا تلقيته من أفواه بشر،

بل ولا غرسته بمواصلة القيام بشمائره كما نغرس فى النفس مختلف العادات بدوام مزاولتها، وإنما هو إحساس قديم مكنت له فى نفسى حوادث صغيرة كانت بينى وبين أبى

ولا أرى ضيراً من أن أقص طرفاً منها على القراء فتلك تجارب بشرية قد تكون أجدى فى إلقاء بعض الضوء على مشكلة خطيرة هى مشكلة الإيمان من كثير من موسوعات علوم التوحيد والكلام ، ولها على الأقل ميزة الصدق النابض بالحياة ، وهى صادرة عن نفس فيها من القوة ما لا يصرفها عن أن ترد كبار الأمور إلى صغائر الأشياء عند ما تؤمن أن تلك الحوادث الصغيرة هى الأسباب الحقيقية التى تتضاءل إلى جوارها كبرياء العقل ومغالطات الإحساس

عند ما أخذت أدرك علمت أن والدي قد بنى بأحد حقوله « خلوة » لا منفذ لهـا غير الباب وأنه قد هجر زوجته وأبناءه أربعين يوماً ليقيم فى تلك « الخلوة » يعبد الله فيها آناء الليل وأطراف النهار لا يرى أحداً ولا يراه أحد ، وإنما يحمل له الطعام من خصاص الباب . ولقد أثار هذا الخبر خيالى فكنت ألاحق أبى بالسؤال عنه ولكنه رجل كتوم لسره فلم أحظ منه بجواب غير أن دافعه كان عبادة الله وكفى . ثم علمت أن الشباب كان قد ساقه فى مهاويه فلم يجد عصمة خيراً من معاهدة أحد علماء الدين على التوبة إلى الله . وكان هذا العالم نقشبندى المذهب وكان رجلاً خيراً ، فلم يعد تأثيره على والدى حد توجيهه نحو تجنب الإثم ، وعبادة الله ، والإحسان إلى الناس ، وقراءة كتب الدين . ولكم من مرة حاولت أن أعرف شيئاً عن هذه الطريقة فكان أبى يرفض الإدلاء بشىء ، مكتفياً بأن يخبرنى بأن تلك أسرار لا يجوز أن تباح ، ومن غريب الأمر أننى علمت منذ ثلاثة أشهر فقط أن لفظة نقشبند معناها النقش على القلب . واستنتجت من ذلك أن سر هذه العبادة هو أن يستشعر الفرد دائماً أن اسم الله منقوش على قلبه . ولقد لاقيت والدى منذ أيام فأخبرته فرحاً مسروراً أنى قد عرفت معنى اللفظة دون بحث عنه ، ولكن بتوفيق من الله ساقه إلىّ سوقاً . فدهش الرجل وقال : « هو هذا وهو سر العبادة » وإذن فقد خلا أبى لعبادة الله أربعين يوماً، وتحرك خيالى لتلك الخلوة ، ولكننى لم يكشف لى عن سرها ، واقتنعت بأنه لا يجوز لى أن أتطاول إلى معرفة هذا السر ، ولقد آمن أبى سنين طويلة بأنه قد نقش اسم الله على قلبه واتخذ من هذا النقش سبيلاً إلى حده منفياً وسالباً ، وسمعت بذلك ، ولكنى أيضاً لم أكتشف سر هذا الحد ، وآمنت أنه لا يجوز لى أن أتطاول إلى كشفه ، وهكذا تهيأت نفسى إلى الإيمان بالمجهول والاطمئنان إليه والثقة به ، وأكبر ظنى أن الخير ما أراد الله . فلو أن أبى بصرنى بما أردت لخلت نفسى من الأسرار ولأصابها العقم . واتفق أن أبى لم يستطع أن يتم حجه فى بعض المرات إذ أصيب بنقرس شديد فى السويس وأنا عندئذ فى السادسة من عمرى ، وألزمه المرض الفراش عامين كاملين قاسى فيهما من الألم ألواناً حتى لا أزال حتى اليوم كلما ذكرت أنينه اقشعر جلدى . ولست أدرى لأى سبب ارتبط هذا المرض فى نفسى بالإيمان حتى لأحسبه ثمن ما أفاض الله على والدى منه ، ولا زلت منذ ذلك أومن بأنه لا بد أن يبتلى الله المؤمن ليختبر إيمانه وأن المرء لا بد ناج ما سلم الإيمان فى قلبه

وعندما اختارتنى الجامعة لبعثتها حدث حادثان صغيران كان لهما فى نفسى أبلـــغ الأثر : أولهما أننى قبل سفرى رتبت كتبى فى صندوق كبير وبغير وعى منى وضعت « المصحف » على قمة الكتب ، ورأى والدى ذلك عرضا فسر سروراً لم أقصد إليه ، ولم أجاءه بتوفيق من الله . وحدث إخوتى عما رأى قائلا « إن إخاكم فلان سيكون الله دائما معه وسيوفق فى كل ما يعمل » فسألوه « ولم ذلك » فأجاب « لأننى لاحظت أنه وضع كتاب الله فوق كل كتاب » ثم إننى فى يوم السفر فوجئت بهدية من والدى أوصانى أن أحتفظ بها مدة غيبتى وأن أعود بها إليه ، وكانت تلك الهدية عبارة عن منديل للشيخ العالم النقشبندى الذى عاهده والدى على الهدى . ولقد أخذت المنديل واحتفظت به تسعة الأعوام التى مكثتها بأوروبا وعدت وهو لا يزال إلى اليوم بين ملابسى . ولا أستطيع أن أزعم أننى قد علقت به إيماناً خاصا أو قوة معينة بل ولا فكرت فى ذلك ، ولكنه نوع من الاطمئنان السلبي المريح . وقد اختلطت فى نفسى قيمة الهدية بمحبتى لمهديها وإيمانى به ، وكان لهذين الحادثين فضل دائم فى ردى إلى الإيمان كلما تجهمت لى الحياة .

ولقد اتخذ الإيمان فى نفسى وجهة الإحسان إلى الغير، حتى لأحسب أننى عاجز عجزا أصيلا عن بغض أحد ، فقد يقسو قلبى وقد يلذع لسانى ، ولكننى ما عدت إلى نفسى إلا أحسست بفيض من التسامح لا أستطيع دفعه . وأكبر ظنى أن هذا الاتجاه كان أيضا لإشعاع من والدى ، وليسمح لى القراء أن أقص حادثا عائليا كان له فى هذا الاتجاه أكبر الأثر

من مذكرات عمر بن أبي ربيعة

صديق إبليس

للأستاذ محمود محمد شاكر



« قال عمر بن أبي ربيعة » :

« لم أزل أرى كلثم (هي بنت سعد المخزومية زوجة عمر) أجزلَ النساء رأياً، وأصلبهن مَكْسِراً، وأقواهُنّ على غيرة قلبها سلطاناً، حتى إذا كان مُنذ أيام رأيتُ امرأة قد استعلن ضعفها، وتهتّك عنها جَلَدُها، وعادتْ أنثى العقلِ يُغْويها الذي يغريها.

« وإن أنسَ لا أنسَ يوم احتلتُ عليها حتى دخلت إليها، وقد تهيأت لي أجملَ هيئة وزينت نفسها ومجلسها، وجلست من وراء الستر، فلما سلمتُ وجلستُ، تركتني حتى سكنت، ثم رفعت الستر عن جمال وجه يخطفُ الأبصارَ، ثم رمت في وجهي تقول: أخبرني عنك أيها الفاسق! ألستَ القائل كذا وكذا؟ تعني أبياتاً لي، فما زلتُ أفتِلُ في الذِّرْوَةِ والغاربِ، وهي تَنِدُّ عليّ وأنا مقيم عندها شهراً لا يدري أهلي أين أنا، ولا أدري ما فعل الله بهم. ولا والله ما مرّ عليّ يوم إلا حسبتها امرأة قد خلقتْ بغير قلب، لما ألقاه من عنادها وامتناعها، وإني لآتيها بالسحر بعد السحر من حديث تحنُّ عليه العوانس المتعبات في مَرَاقِي الزمن، وأنا يومئذ شاب تتفجر الصَّبْوة من لساني، ويتلألأ الغزلُ في عينيّ، وهي يومئذ غادة غريرة لو نازعها النسيم، فيما أُرى، لاستقادتْ له من دَلّها ولينها وغضارة العيش. ولبثت شهراً أقول وأحتال وأستنزلُ عُصْمها برُقى السحر، حتى إذا قلت قد دانتْ، انفلتت مصمِّمَةً قد تركتني شاخصاً أنظر إلى صيد قد طار، ثم أطرق ناظراً إلى سحر قد بطل. فلما اشتد ذلك عليّ استأذنتها في الخروج إلى أهلي، وقد يئست منها ومن هواها، فما سمعت حتى قالت: « يمينَ الله أيها الفاسق! بعد أن فضحتني؟ لا والله لا تخرج أبداً حتى تتزوجني! » فتزوجتها وهي أحبُّ النساء إلى أن أتزوّج، وما زلتُ معها وأنا لا أنكرُ منها شيئاً، وأقول الشعر تأخذه الألسن لتشيعه

كان لوالدي تسعة إخوة وكان يحبهم جميعا حبا قلبيا صادقا حتى لقد كان يذهلني عندما يموت أحدهم أن أراه وهو الشيخ الكتوم لسره يبكي بدمع حار، وكان أصغر إخوته رجلا كريما متلافا، وكان والدي يهتز في دخيلة نفسه لكرمه وإن أحزنه إتلافه لماله، ولقد هدد هذا الإتلاف ثروته حتى أوشكت أن تضيع، وكان والدي يحرص على أن يستنقذ من تلك الثروة ما يستطيع؛ وحدث ذات يوم أن ألح الدائنون بالمطالبة وكان الوالد يستطيع عندئذ أن يسكتهم ببعض ماله الخاص ولقد فعل، وكنت عندئذ في السابعة عشرة من عمري وكانت والدتي كافة الأمهات تحرص على أن يستبقي الوالد أمواله لأبنائه، وكان أخي الأكبر يناصرها في الرأي فانتحى بي والدي في الليل ناحية وأسر لي بنيته طالبا إلي أن أخفي الأمر عن والدتي وأخي. ولقد رأيت في هذه الحركة ثقة بي برغم حداثة سني أثرت في نفسي أبلغ الأثر، فتحمست منذ ذلك اليوم لعمل الخير وآمنت أنه جزء من الإيمان حتى استقر بي الرأي إلى أن عون الملهوف وإسداء المعروف إلى الناس لا بد أن يخلفه الله بالخير على صاحبه، ولا زلت حتى اليوم أعتقد أن بركة الله قد حلت بمال والدي منذ ذلك الحين. وذلك لأنه مال لم يطهره بالزكاة فحسب، بل زكاه بالإحسان.

هذه هي عناصر الإيمان في نفسي، اطمئنان إلى المجهول، وعدم تطاول بالعقل إلا ما لا يستطيعه، وربط للأخلاق بالإيمان، وتسامح مع الناس، وعمل للمعروف حيث نستطيعه. وأما منابع ذلك الإيمان فهي كما ترى لم تكن محاجة عقلية ولا إثارة عاطفية، ولكنها حوادث صغيرة كانت أبلغ في غرسه بالنفس من كبار الموضوعات وطوال الخطب

محمد مندور

المحامي

إلى الآذان ، وأدخل بيتى فألقاها فلا أسمعُ منها قلتَ وقلتَ ! فيكر بنى إغفالها لما يبلغها من الشعر ، فألحُّ على النسيب ، وأذهب كل مذهب فى التشبيب ، وأتبعُ النساء بعينىْ وقلبى ، وأقولُ ، فلا والله ما نبَضَ لها قلب ولا تحركت لها جارحة ، ولقد أدخل عليها فإذا هى تلقانى ضاحكة لاهية ، حتى أقول : لعلها لم تسمعْ ! فأنادى مولاى وأملى عليه ، وهى بحيث تسمع ما أملى ، وأتخال الإملاء بالشكوى والحنين وأرفع بهما صوتى ، ثم أنهض ألقاها فما أرى وجهها ربدُّ أو يتمعّر ، فكان ذلك غيظى وشقوتى ، لا تزيدها الأيام إلا اتقاداً . وبلمّه كيداً بغير ثمن ! كم ذا أغيرها فلا تغارُ !

وأقبلتُ ذلك اليوم ، بعد مرجعى من الكوفة بشهر أو أكثر ، فاستقبلنى جُوان (هو ولد عمر من كلثم) فقال : « يا أبهْ . أمى ، ما فعلت بها ؟ » . قلت : « أمك ! بخير يا بُنىّ وعداها السوء » . قال : « كلاّ يا أبهْ » ، وما أدرى ما بها ، غير أنى ظللت أياماً أستخبرها ، وهى خالية ، عما يريبها أو يؤذيها ، فلا أسمعُ منها إلا ما تنشده من شعرك

كنّا كمثل الخمر كان مزاجها
بالماء ، لا رَنَقٌ ولا تكديرُ
فإذا وذلك كان ظِلَّ سحابة
نفحتْ به فى المُعصرات دَبورُ

« ثم تنظر إلىّ وتقول : يا جُوان ، امضِ لشأنك ، ولا تَدَعنى فى صلاتك ، فورب هذه البنيّة ، لقد حملتُك ووضعتُك وأنا أدعو الله أن يجنّبنى الشيطانَ ، وأن يجنّب الشيطانَ ما رزقنى ، فكنتَ أنتَ يا بُنىّ دعوتى ، فادعُ ربَّك يا جوان لأمك التى حملتك وهناً على وهن .

فابْك ما شئتَ على ما انقضى كل وصْل منقضٍ ذاهبُ
لو يردُّ الدمعُ شيئاً ، لقد ردّ شيئاً دمعُك الساكبُ

فأقول : « يا أماه لقد أفزعتِنى ! » فتقول : « اذهبْ يا بُنى « لو تُرِكَ القطا ليلاً لنام » » . ثم تشيح وتنصرف ، ولا والله ما قدرتُ منها على أكثر من أن أسألها فتجيبنى بمثل ما أخبرتك . فبالله ، يا أبهْ ، لا تدع أمى تموتُ بحسرة تتساقط عليها نفسُها ! ارحمها يرحمك الله .

ويذهبُ جُوان ويدعُنى لما بى ، ويأخذنى ما حدثَ وما قدُم ، وكيف ولم أنكر منك يا كلثمُ شيئاً منذ رجعت من غيبتى بالكوفة ؟ وإنى لأدخلُ عليها فتداعبنى وتضحكُ لى وتذهب بى فى لهوها مذاهبَ ، ولا والله إن وقعت منها على مساءة تضمرها أو همّ تكتمه ، وكأن الحياة قد منعتْ دونها غِيَرَ النفس فهى لا تتغير . وهذا جُوان يقول ، فلئن صدق لقد كذبتنى عيناى وكذبَ علىّ قلبى ، وإن كلثم لتلهو بى وتتلعّبُ وأنا فى فى غفلة عن كُبرْ شأنِها وأساها ! وأذهب من ساعتى أدورُ فى الدار أنظر ، فإذا كل شىء أراهُ قد لبس من همّ نفسى غلالة سوداء نشأت بينى وبينه ، وإذا أيامنا المواضى قد بُعثتْ فى أسمال هلاهيل تطوف متضائلة فى جنباتِ البيت وهى تنظرُ إلىّ نظرة الذليل المطرَّد المنبوذ ، وإذا كلثم قد خرجت إلىّ كاللبؤة المُجْرِبة رِيعتْ أشبالُها ، وإذا أنا أسمعُ همهمة كأنين الجريح تنفذ فى أذنىّ من حيثما أصغيتُ ، وما هو إلا أن أرانى فى فراشى قد توكأتُ على مرفق ، والغشيةُ التى أخذتنى تتقشعُ عنى شيئاً بعد شىء . وبعد لأىٍ ما ذكرت ما كان من حديث جُوان كما كان ، فنهضت من مكانى أطلب كلثم فى غرفتِها حيث هى من البيت .

وقصدت مقصورتها فإذا هى قد أجافت الباب ، فذهبتُ أفتحه وإنّ يدى لتأبى علىّ أن تمتد خشية أن أطلع منها على ما يسوءنى ، وهى أحبُّ إلىّ من أن أراها مغمومة أو مكروبة ، على غير ما عودتنى وعودتها . فاستأذنها من ورائه فقالت : « مهلاً يا أبا الخطاب ، وبخير ما جئت » . فقلت لنفسى : « كذب والله جوان وما كان كاذباً » . فلما فتحتْ لى الباب رأيتُ سُنّة وجه كالسيف الصقيل يبرق شباباً ورضى ، وقالت : « مرحباً بك يا عمر ، لو رأيت الساعة جاريتى وهى تدخلُ علىّ ساعية تجرى تقول : سيدتى أدركى مولاى فقد سمعت الناس يتناشدون من شعر قاله اليوم ، وإذا فيه

ليس حُبٌّ فوق ما أحببتُها غير أن أقتل نفسى أو أُجنّْ

فاحفظيه يا سيدتى من روعة المصيبتين . فقلت لها : لقد وقى مولاك السوء أن ليس بينه وبين الناس إلا لسانه ! ولا يقتل مولاك نفسه أو يجنّ حتى يقتل الحمام نفسه على هديله أو يجنّ » .

لم أدر ما أقول ، فقد كانت كلمات جُوان قد تشبَّحت لعينى ودوّت فى أذنى ، فما أطقتُ صبراً أن أسألها : «مايقول جُوان؟ زعم أنك لا تزالين مهمومة لأمر يستخبرك عنه فلا تخبرينه ، ولقد مضت السنون بينى وبينك ، ولا والله ما علمتُ إلا خيراً ولارأيت إلاخيراً ، وماقال إلاما يحملنى آسَى على ما كان منى إليك مما ساءك أو رابك » . وما كدت أتمّ حتى رأيتها تنتفض كالرشأ المذعور أفزعته النبأة ، وبَرَقت فتخاذلت وغرِق صوتها فما تنطقُ ، فخاصرتها ومشيت بها إلى مجلس فى البيت وجلست أتحـفّى بها حتى تهدأ . وبعد قليل ما قالت : « أما إذا كان هذا يا أبا الخطاب فوالله إنْ كتمتُـك شيئاً » .

ثم أطرقت ساعة ، وأنا أنفذ ها ببصرى أطلب غيب ضميرها . ثم رفعت إلىّ بصرها ونظرت نظرة المرتاب ثم قالت « إني محدِّثتُك يا أبا الخطاب عما كان كيف كان . هذه جاريتى ظمياء تدخل علىّ كالمجنونة منـذ أيام تقول : « سيدتى ، يعين الله أن تكتمى علىّ ما أقول » فأقول : « أمنتِ يا ظمياء ! ماروعك ؟ » فتقول : « لا والله ما يروعنى إلا أن أدع مولاتى توصم بين نساء قريش وبنى مخزوم ، ويتحدث أهل مكة أن أم جوان قد لقيت من البلاء كذا وكذا » . فأقول : « ويحك يا ظمياء ! انظرى ماتقولين ! » . فتقول : « لا والله إنْ هو إلا الحقّ ، أرأيت إلى تلك البيضاء الصهباء ذات العينين التى ما زالت تجيئنى منذ أيام ، لقد قالت لى فى عُرض حديثها : يا ظمياء لقد جئت مكة من بلادٍ بعيدة ، وإنى لأسمع الناس على الطريق يذكرونها ويذكرون بيت الله الحرام ، فما ازددت إلا شوقاً أن أرى بيت الله الحرام ، وأن أرى الناس يجاورون هذا البيت العتيق ، وما وقع فى قلبى إلا أن أرى دنيا لم أرها ، وقوماً كتب الله لهم أن يكونوا أطهر وأتقى الناس لله . ولقد خرجتُ من بلادى وهى أبغضُ إلىّ لما أرى من فجور أهلها وانغماسهم فى كل إثم وباطل ، وكنت أرى أشد أهلنا فجوراً ولجاجاً أولئك الشعراء . ثم دخلت بلاد كم وطوّفت فيها ما طوّفت حتى إذا انتهيت إلى أرضكم هذه ، لم أزل أعرف الشعراء فيكم أفجَـرَ وأفسق وأضلّ » .

« فما أطقت أن أصبر يامولاتى حتى قلت : « مَهْ ياصهباء ، وكذبتِ . وأين بنو الأصفر من بنى يعرب ؟ فإن شاعر العرب ليقول ، وإن قلبه لأطهر من أن يدنسه ما يدنس به شعراؤكم أنفسهم يا بنى الأصفر . وهذا مولاى وهو أغزل العرب لساناً ، وما علم أحد عليه سوءاً . قالت صهباء : ما أحسن ما رباك أهلك يا ظمياء ! وأحسنى ما شئت ظنك فى مولاك قلت : تبّـاً لك . وإنك لتر يفين إلى مولاى منـذ اليوم ، فلا والله لقد كذبتِ وخسئت أيتها الصهباء الطارئة التى لا مولى لها . فقالت صهباء : كذبتُ وخسئتُ ! ما أصدق ما قال مواليك « من دخل ظفار حمَّرَ » ! وإنك لغريرة ياظمياء ، وأنا الصهباء الطارئة من بنات الأصـفر لأخبر منك بغيب مولاك عمر . قلت : كيف قلتِ ؟ قالت : إنه الحق ، وإن لمولاك غيباً عميت عنه عينـــاك وعين مولاتك ، وهو أحرص عليه من أن يطلع على خَبْئه أحد قلت وأنّى لك أيتها الغريبة ؟ قالت : دعى عنك ، فهو الذى أحدثك .

« ثم دنت منى كالتى تسرّ إلىّ وقالت : ما كذبتك أيتها الحُلوَة الغريرة ، فهذا مولاكِ قد ذهب إلى الكوفة منذ زمن ، ألم يكن ذلك ؟ وهذا مولاكِ قد نزل بأفسق خلق الله وأخبثهم عبد الله بن هلال الحيرى الذى يزعُم أنه صديق إبليس وخَتَنه وصاحب سرّه ، وإذا هذا الفاجر يخرج إليه قينتين من أجمل خلق الله وأحسنه يغنيانه بشعره حتى ذهب عقـله ، وإذا هو يدير مولاك يوما بعد يوم على أن يُفتَتَن بهما ، حتى إذا بلغ منه ماأراد ضمن له أن تكونا بالطائف بحيث لا تراهما عين بشر . لاتنظرى إلى كالمرتابة ، فهذا الخبيث ابن هلالٍ قد أتى الطاعة إلى إبليس حتى عظُم أمره عنده فهو يُخادِمه ويناطقه ، وحتى لقد ترك له صلاة العصر تقربا إليه ، وحتى أباحه إبليس أن يأمر الشياطين تتلعَّب ببنى آدم ، ومن شرطه عليه أن لايزال أبداً يجمعُ بين الرجال والنساء فى الحرام . وهو رجل كما يقول مولاى ... » قالت ظمياء : وإن لك لمولى ياصهباء ؟ قالت صهباء : دَعِيـــنى حتى أتمّ يا ظمياء .. هو رُجل قد أوتى من القُـوةِ على السِّحر والقدرةِ على تلبيس أنظار الناس ما لم يجتمع لأحد من شياطين السَّحرة قبله ، فلو هومسَّ وجه امرئ بمنديله الأزرق ذى الوشىِ لم تأخُذه عينُ بشر . وهكذا هو يفعل بمولاك وصاحبتيه حتى لايراهم الناس . قالت ظمياء : وإنّ هذا يكونُ ؟ ! قالت صهباء : نعم ! وليس فى الأرضِ أحدٌ يطيق أن يَدْرأ شرّ هـذا الشيطان الخبيث إلا مولاى . فقالت لها ظمياء : ولـكن أنى لمولاك يا صهباء أن يـكونَ عرَف الذى خبرتنى به إن كان ما تقولين من

نظام الشورى في الإسلام

بين الكثرة والقلة

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى



كم فى السيرة النبوية من أسرار تشريعية لو رجعنا إليها لأغنتنا عن الاستعانة بغيرها من التشريعات المنحرفة ، فى عصر ضلت فيه السياسة ضلالاً بعيداً ، وطغت فيه التعصبات الحزبية حتى أعمت الأمم عن النظر فى مصالحها العامة ، وآثرت عليه النظر فى مصالحها الحزبية ، وحتى ثارت فى كل أمة خصومات وخلافات خطيرة تفرق كلمتها ، وتقضى على الأخضر واليابس فيها ، لأن الحكومة تقوم فيها على أساس الحزبية ، فكل حزب يعمل كل مايوصله إلى الحكم ، ويرى مصلحته فى هذا فوق غيرها من المصالح

وقد أخذنا نظمنا الحديثة فى الشورى عن تلك الأمم ، وقلدناها فى تلك السياسة الحزبية العمياء ، فضللنا وجه الصواب كما ضلت ، وأخذنا نتخبط فى حكمنا مثلها تخبطا معيبا ، حتى اضطربت أمور الحكم فينا ، وحرمنا من الاستقرار الذى نتفرغ فيه لمصالحنا

ولو رجعنا إلى السيرة النبوية لوجدناها قد سنت نظام الشورى على وجه يسود فيه التسامح ، ولا يغلو فيه التعصب للرأى إلى ذلك الحد المعيب ، فسارت سياسة الحكم فى هدوء ، واستقر الأمر استقراراً ظهر فيه الحق بوضوح ، فلم يعمه عن أعين الناس تعصب للرأى ، ولم يصرف الأمة عن مصلحتها العامة مثل ذلك التغالى فى الخلاف

مولاى مما سمعته منه ؟ قالت ظمياء : فدنت منى ونظرت فى عينىّ بعينين مذعورتين يخفق فيهما مثل شقائق البرق ، ثم قالت : مامن شىء يفعله هذا الخبيث ابن هلال حيث كان إلا كان عند سيدى خبره . فقالت لها ظمياء : وَيْبِى ! أحقًّا قلت ياصهباء ؟ قالت : وَىْ ، أو كنتُ كاذبةً عليك وما أنا وأنت إلا من هذه الجوارى الغريبات المستضعفات ؟ ومالك تكذبيني وإنّ عندى من برهانِ ذلك مالا قِبلَ لك بردّه . قالت ظمياء : بالله ! قالت : بالله ، فاذهبى إلى صِوَان سيدك فى هذه الغرفة التى إلى جوارنا ، وأخرجى من بين المِطرف السابع والثامن من ثياب مولاكِ ماتجدين !

[قالت كلثم امرأة ابن أبى ربيعة] :

« فهبّت ظمياء فدخلت إلى صِوانك (تعنى عمر) فأخرجت شيئاً رجعت به إلى صهباء . ثم إذا هى تدخلُ علىّ وتقص قِصّة ماكان ، فأمرتها أن تأتينى بصهباء لأسمع ماتقول ، فروت لى كل ما حدثتك به يا أبا الخطّاب .

(قال عمر بن أبى ربيعة) :

« فما عالكت أن قلت لكلثم : ماتقولين ؟ وأى شىء هذا الذى كان بين مطرفى السابع والثامن ؟ فقالت كلثم رُويدَك ياعمر ، إما أن تدعنى أتمّ وإلاّ والله لاسمعتَ منى شيئاً حتى يقطَع الموت بينى وبينك . قلت : ويحك ، فأتمى :

قالت كلثم . « ثم إنى سألت صهباء عن سيدها ومولاها ، فقالت إنه رجل صالح يسيح فى الأرض ، وإنه قد جاء فحج حِجّتَه وهو على سَفَره بعد قليل يضرب فى البادية حيث يشاء الله . قلت لها : أو يعلم مولاك من أمر ماتحدثيني عنه أكثر مما قلتِ ؟ قالت : لاأدرى يامولاتى ، فإنه ربما دعانى ويجمل يحدثنى ويحدثنى حتى أقول لن يَسْكُت ، وما هو إلا كخاطفة البرق حتى يقطع فلا يتكلم . فربما عدت فسألته فلا والله مايزيد على أن ينظر إلى ويبتسم . قلتُ لها . أو تستطيعين ياصهباء أن تأتينى بمولاك ، ولك عندى مائة دينار ؟ كلا لا نلت من مال مولاتى شيئاً ، ولكنى سأديره حتى يأتيك لما أرى فى وَجهك من الخير والسَّعْد

(البقية فى العدد القادم)

محمود محمد شاكر

وقد تم ذلك فى غزوة أحد من غزوات النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانت فى السنة الثالثة من الهجرة ، فقد وقع فيها خلاف بين المسلمين انقسموا فيه إلى فريقين : أحدهما يمثل الكثرة ، وثانيهما يمثل القلة ، فحُلَّ الخلاف بينهما على وجه لا أثر فيه للتعصب ، ولا يمكن أن يكون هناك أتم منه فى وجوه الشورى

وكان ذلك الخلاف أن رجالا من المسلمين أسفوا على مافاتهم من مشهد بدر ، لما كانوا يسمعونه من إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بفضل من شهدها ، وعظيم ثوابه ، فكانوا يودون غزوة ينالون فيها مثل مانا له أهل بدر وإن استشهدوا ، فلما سار المشركون فى غزوة أحد إلى المدينة رأوا أن يخرجوا منها لقتالهم ، وعرضوا رأيهم هذا على النبى صلى الله عليه وسلم

فنام صلى الله عليه وسلم ليلته فرأى رؤيا ، فلما أصبح قال : والله إنى قد رأيت خيرا : رأيت بقرا تذبح ، ورأيت فى ذباب سيفى ثَلْماً ، ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة . فأما البقر فناس من أصحابى يقتلون ، وأما الثلم الذى رأيت فى سيفى فهو رجل من أهل بيتى يقتل ، وإنى رأيت أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم ينزلون حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن دخلوا علينا قاتلناهم ورُمُوا من فوق البيوت

وكانوا قد شبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية ، وجعلوا فيها الآطام والحصون ، فكانت حصنا قويا لأهلها ، وكان الرأى أن يقيموا فيها ، كما فعلوا بعد ذلك فى غزوة الأحزاب ، فلم يقو المشركون على اقتحامها على المسلمين ، وكانت جموعهم فيها أكثر من جموعهم فى غزوة أحد

فقال أولئك القوم الذين أسفوا على مافاتهم من مشهد بدر ، وغالبهم أحداث لم يمكنهم أن يشهد تلك الغزوة الكبرى ، فأحبوا لقاء العدو وطلبوا الشهادة فأكرمهم الله تعالى بها : يارسول الله ، إنا كنا نتمنى هذا اليوم ، أخرج بنا إلى أعدائنا لايرون أنا جَبُنَّا عنهم وضعفنا

وقد رأى عبد الله بن أُبَىّ رئيس المنافقين تلك الرغبة الصادقة فى القتال من أولئك الشبان ، فساءه ذلك منهم ، وقال للنبى صلى الله عليه وسلم : أقم بالمدينة لاتخرج اليهم ، فوالله ماخرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا ، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه ، فدعهم يارسول الله ، فإن أقاموا أقاموا بشر مجلس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا

ومثل هذا لايحمد من عبد الله بن أبى وإن وافق فيه النبى صلى الله عليه وسلم ، لأن الحق ليس فى كلمة تقال ، ولا فى فعل يظهر بين الناس ، بل لابد مع هذا من صدق النية ، وحسن القصد ، وقد عول الإسلام على النية فى الأقوال والأفعال أكثر من التعويل على الأقوال والأفعال فى ذاتها ، حتى أثر فيه ذلك القول المشهور : نية المرء خير من عمله

فلما سمع أولئك الشبان ذلك القول من عبد الله بن أبى لم يأبهوا له ، واجتهدوا فى حمل النبى صلى الله عليه وسلم على رأيهم ، وقال حمزة وسعد بن عبادة والنعمان بن مالك وطائفة من الأنصار : إنا نخشى يارسول الله أن يظن أعداؤنا أنا كرهنا الخروج جبنا عن لقائهم ، فيكون هذا جراءة منهم علينا . وزاد حمزة : والذى أنزل عليك الكتاب ، لا أطعم اليوم طعاما حتى أجالدهم بسيفى خارج المدينة . وقال النعمان : يارسول الله ، لاتحرمنا الجنة ، فوالذى نفسى بيده لأدخلنها . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : لِمَهْ . فقال : لأنى أحب الله ورسوله ولا أفر يوم الزحف . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : صدقت . وقد استشهد رضى الله عنه فى هذه الموقعة

وقد نظر النبى صلى الله عليه وسلم فوجد أن الذين يرون من أصحابه رأى أولئك الشبان أكثر من الذين يرون رأيه ، فنزل طائعا على رأى ذلك الفريق الذى كان أكثر عدداً ، وترك رأيه إلى رأيهم ، وهو الرئيس الأعلى ، والرسول المبعوث إلى الناس كافة ، لأنه رأى أن من يوافقه فى الرأى أقل عددا من الفريق الأول ، فلم ينظر إلى شخصه فى ذلك الخلاف ، وإنما نظر إلى التشريع الذى يجب أن يُسَنّ فى تلك الحادثة من الشورى التى شرعها فى الإسلام ، ليستقيم للمسلمين أمرهم فيها ، ولايقعوا فى ذلك التعصب الأعمى للرأى ، فتنقلب نعمة الشورى نقمة ، ويضل الناس بها سبيل الحكم الصالح ، وبهذا علم المسلمون أنه يجب عند اختلاف الرأى فى الشورى أن ينزل الفريق الأقل عددا على رأى الفريق الأكثر عددا ، وإن كان يرى أن رأيه هو الأرجح ، لأن مخالفة الكثرة أشد ضررا ، وكما يجب تقديم النافع على الضار ، يجب تقديم الأخف ضررا على الأشد ضررا

ولما نزل النبي صلى الله على رأى تلك الكثرة صلى بالناس الجمعة، ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد في التأهب للقتال، وأخبرهم بأن لهم النصر ماصبروا، ففرح الناس لذلك فرحا شديدا، ثم صلى بهم العصر وقد حشدوا، وحضر أهل العوالى وهى القرى التى حول المدينة من جهة نجد، فدخل حجرته ولبس عُدَّتَه، وتقلد السيف، وألقى التُرْسَ وراء ظهره

وقد اصطف الناس مابين حجرته إلى منبره ينتظرون خروجه، فقال لهم سعد بن معاذ وأُسَيد بن حُضَير: استكرهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج، وقلتم له ماقلتم والوحى ينزل عليه من السماء، فردوا اليه الأمر

ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد لبس لَأْمَتَه، وتقلد سيفه، فندموا جميعا على ماصنعوا، وقالوا: ما كان لنا أن نخالفك، فاصنع ماشئت، وفى رواية — مابدا لك — وفى أخرى — فإن شئت فاقعد

وإنه لإيثار جميل من تلك الكثرة، ولم يحملهم عليه إلا بدء النبي صلى الله عليه وسلم قبلهم بإيثار رأيهم على رأيه، حفظا للوحدة، وحذرا من الفرقة، وإذا كانت فضيلة الإيثار جميلة فيما يملك الإنسان من مال، فكم يكون جمالها فيما يمتز به من رأى، والرأى عند الإنسان أشرف من المال، وكم ضحي بالمال فى سبيل الرأى، ولكن فضيلة الإيثار كانت ظاهرة ذلك العهد النبيل، فلا غرو أن تبادل تلك الكثرة النبى صلى الله عليه وسلم إيثارا بإيثار، وأن تترك رأيها إلى رأيه طائعة مختارة، بعد أن جاهدت فى تأييده ماجاهدت، وناضلت فى الدفاع عنه ماناضلت

ولكن النبى صلى عليه وسلم رأى أن رأيه كان هو الارجح قبل أن يؤثر رأيهم على رأيه، وقبل أن يلبس لأمته ويتقلد سيفه، فأما بعد ذلك فقد اتفق رأيهم جميعاً على الخروج، فاذا رجعوا عنه لم ير الأعداء إلا أنهم جبنوا عن قتالهم، فيحملهم ذلك على الطمع فيهم، ويعطيهم قوة معنوية يكون لها أثرها فى قتالهم

فقال لأولئك الذين تركوا رأيهم إلى رأيه فى القعود بالمدينة: ماينبغى لنبى إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه. وفى رواية — لاينبغى لنبى إذا أخذ لأمة الحرب، وأذَّنَ في الناس بالخروج إلى العدو، أن يرجع حتى يقاتل. فياله من عهد كريم بلغ فيه حكم الشورى غاية الكمال، ولم تتفرق فيه الأمة إلى أحزاب متخاصمة على الحكم، بل ظهرت فيه كتلة واحدة، إذا اتفق أفرادها فرائدهم المصلحة العامة، لامصلحة حزب من الاحزاب، وإذا اختلف أفرادها فرائدهم تلك المصلحة أيضا، لأنهم لاينقسمون إلى أحزاب ينافس بعضها بعضا، ويحملهم التعصب لها على نسيان مصلحة الأمة فى نبذ التفرق، وإيثار الوفاق على الخلاف

وإذا فخر فى عصرنا قوم بنظام الشورى عندهم، فهذا نظام الشورى عندنا قد بلغ غاية الكمال، وخلا من العيوب التى يرمى بها حكم الشورى فى عصرنا، ويجمل بعض الناس يفضل عليه الحكم الاستبدادى، وأين تشريع البشر من تشريع الله تعالى؟ فلا تشريع أكمل من تشريعه، ولا حكم أعدل من حكمه، فتبارك الله أعدل الحاكمين، وأحسن الخالقين

عبد المتعال الصعيدى

التصوير الفني في القرآن

للأستاذ سيد قطب



التصوير هو الطريقة المفضلة فى تعبير القرآن فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهنى، والحالة النفسية ، وعن النموذج الانسانى والطبيعة البشرية ، وعن الحادث والمشهد المنظور ، كما سواء فى طريقة التعبير المحسوس . وإنه ليرتقى بالصورة التى يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة ، فإذا المعنى الذهنى هيئة أو حركة ، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد ، وإذا النموذج الإنسانى شاخص حى ، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية . فأما الحوادث والمشاهد والقصص ، فيردها شاخصة حاضرة ، فيها الحياة ، وفيها الحركة ، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل . فما يكاد يبدأ العرض حتى يحيل المستمعين نظارة ، وحتى ينقلهم نقلا إلى مسرح الحوادث الأول ، الذى وقعت فيه أو ستقع ، حيث تتوالى المناظر وتتجدد الحركات ، وينسى المستمع أن هذا كلام يتلى ومثل يضرب ، ويتخيل أنه منظر يعرض ، وحادث يقع ، وأمر يكون :

فهذه شخوص تروح على المسرح وتغدو ، وهذه سمات الانفعال بشتى الوجدانات المنبعثة من الوقف ، المتساوقة مع الحوادث ؛ وهذه كلمات تتحرك بها الألسنة ، فتنم عن الأحاسيس المضمرة . . .

إنها الحياةُ هنا . وليست حكايةَ الحياة

فإذا ذكرنا أن الأداة التى تصور المعنى الذهنى والحالة النفسية، وتشخص النموذج الإنسانى أو الحادث المروى ؛ إنما هى ألفاظ جامدة ، لا ألوان تصور ، ولا شخوص تعبر . . . أدركنا سر الإعجاز فى تعبير القرآن .

والأمثلة على هذا الذى نقول هو القرآن كله ، حيثما تعرض لغرض من الأغراض التى ذكرناها : حيثما شاء أن يعبر عن معنى مجرد أو حالة نفسية أو صفة معنوية أو نموذج إنسانى ، أو قصة ماضية ، أو مشهد من مشاهد القيامة ، أو حالة من حالات النعيم والعذاب ؛ أو حيثما أراد أن يضرب مثلاً فى جدل ، بل حيثما أراد هذا الجدل إطلاقا ، واعتمد فيه على الواقع المحسوس ، أو المتخيل المنظور .

وهذا هو الذى عنيناه حيثما قلنا : « إن التصوير هو الطريقة المفضلة فى تعبير القرآن » . فليس هو حلية أسلوب ، ولا فلتة تقع حيثما اتفق . إنما هو مذهب مقرر ، وخطة موحدة ، وخاصية شاملة . يَفْـتَنّ فى استخدامها على طرائق شتى ، وفى أوضاع مختلفة . ولكنها ترجع فى النهاية إلى هذه القاعدة الكبيرة . قاعدة التصوير .

ويجب أن نتوسع فى معنى التصوير حتى ندرك آفاق التصوير فى القرآن . فهو تصوير باللون ، وتصوير بالحركة — عن طريق التخييل — كما أنه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون فى التمثيل. وكثيراً مايشترك الوصف ، والحوار ، وجرس الكلمات ، وإيقاع الجمل ، وموسيقى السياق ، فى إبراز صورة من الصور ، تتملاها العين والأذن ، والحس والخيال ، والفكر والوجدان . وهو تصوير حى منتزع من عالم الأحياء ، لا ألوان مجردة وخطوط جامدة تقاس الأبعاد فيه والمسافات بالمشاعر والوجدانات . فالمعانى ترسم وهى تتفاعل فى نفوس آدمية حية ، أو فى مشاهد طبيعية تخلع عليها الحياة . . . والآن نأخذ فى ضرب الأمثال

١ — يريد أن يعبر عن معنى : إن الذين كفروا لن ينالوا القبول عند الله ولن يدخلوا الجنة إطلاقا » ، وأن دخولهم فيها مستحيل . وهذه هى الطريقة الذهنية للتعبير عن هذه المعانى المجردة ؛ ولكن أسلوب التصوير يعرضها فى الصورة الآتية :

« إن الذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها ، لا تُفتّح لهم أبوابُ السماء ، ولا يدخلون الجنة حتى يلجَ الجملُ فى سمّ الخياط »

ويدعك ترسم بخيالك مشهداً لتفتّح أبواب السماء، ومشهداً آخر لولوج الحبل الغليظ فى ثقب الإبرة الصغير . « ويختار من أسماء الحبل الغليظ اسم «الجمل» خاصة فى هذا المقام ! » . ويدع للحس أن يتأثر عن طريق الخيال بالمشهدين ما شاء له التأثر ، ليستقر معنى «القبول» ومعنى «الاستحالة» فى أعماق النفس ، وقد وردا إليها من طريق العين والحس — تخييلا — وعبرا إليها من منافذ شتى ، لا من منفذ الذهن وحده ، فى سرعة الذهن التجريدية .

٢ — ويريد أن يوضح حالة نفسية لتزعزع العقيدة ، حيث لا يستقر الإنسان على يقين ، ولا يحتمل كل ما يصادفه من الشدائد فى سبيل عقيدته القوية ، مبتعداً بها عن ملابسات الحياة اليومية ، مرتفعاً بها عن مقاييس الربح والخسارة . فإذا هو يرسم لها هذه الصورة المحسوسة .

« ومن الناس من يعبد الله على حرف ، فإن أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه . خسر الدنيا والآخرة . ذلك هو الخسران المبين »

إن الخيال ليكاد يجسم هذا « الحرف » الذى يعبد الله عليه هذا « النموذج » من الناس . إنه يتخيل الاضطراب المادى لهم وهم يتأرجحون بين الثبات والانقلاب ، وإن هذه الصورة لترسم حالة التزعزع النفسى ، بأوضح مما يؤديه وصف التزعزع لأنها تنطبع فى الحس ، وتتصل منه بالنفس

وإنى لأذكر الآن تلك الصورة التى ارتسمت فى خيالى وأنا طفل صغير ، أقرأ القرآن فى المدرسة الأولية ، حينما وصلت إلى هذه الآية . لقد خيل لى رجل على مكان مرتفع ذى حرف ؛ وهو قائم يصلى ، ورجلاه لا تثبتان على حرف المكان ، فهو يتأرجح فى كل حركة ، وهو معرض للسقوط فى أى لحظة !

ترى يبعد تصورى الآن كثيراً عن هذه الصورة الساذجة ؟ ما أظن . فالاختلاف الذى طرأ ، هو مجرد علمى اليوم ، بأن هذا مثل يضرب لا حقيقة تشهد .

وذلك هو إعجاز التعبير ، الذى تتقارب فى إدراكه شتى المدارك ، ويصل كل منها إلى صورة حية مع اختلاف الأفهام !

٣ — ويريد أن يرسم نموذجاً إنسانياً للمكابر المعاند فى كل زمان ومكان . فإذا هو يرسمه فى يسر وسرعة ودقة على هذا المنوال :

« ولو فتحنا عليهم باباً من السماء ، فظلوا فيه يعرجون . لقالوا : إنما سُكِّرت أبصارنا ، بل نحن قوم مسحورون » !

أو :

« ولو نزّلنا عليك كتاباً فى قرطاس ، فلمسوه بأيديهم . لقال الذين كفروا : إنْ هذا إلا سحر مبين » !

فيبرز من خلال هاتين الصورتين ، نموذج إنسانى معهود . لهؤلاء الذين يلجون فى المكابرة على الرغم من كل برهان . ولكن القرآن لا يقول كهذا الذى تقول : يلجون فى المكابرة على الرغم من كل برهان — إنه ليرسم لهم صورة شاخصة أوضح من كل تعبير ، لأنها تلمس الحس والضمير .

٤ — ثم ها هو ذا يصور حادثاً وقع : مشهداً من مشاهد الهزيمة . فيرسم المشهد كاملاً تبرز فيه الحركات الظاهرة ، والانفعالات المضمرة ، وتلتقى فيه الصورة الحسية بالصورة النفسية ، كأنما يُمثّل الحادث من جديد ، ويقع مرة أخرى كما وقع فى المرة الأولى ، دون أن يُغفل منه قليل ولا كثير :

« يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ، إذ جاءتكم جنود ، فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها ، وكان الله بما تعملون بصيراً . إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، وإذ زاغت الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتُلِى المؤمنون وزُلزلوا زلزالا شديداً . وإذ يقول المنافقون ، والذين فى قلوبهم مرض : ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً . وإذ قالت طائفة منهم : يا أهل يثرب لا مُقام لكم ، فارجعوا . ويستأذن فريق منهم النبىَّ يقولون : إن بيوتنا عورة — وما هى بعورة — إن يريدون إلا فراراً » .

فأية حركة نفسية أو حسية من حركات الهزيمة ؛ وأية سمة من سمات الموقف الكثيرة ، لم يسجلها هذا الشريط الدقيق المتحرك المساوق لحركة الموقف الأصيل ؟

٥ — وهذا مشهد واحد من مشاهد القصص الكثيرة ، مشهد فى قصة الطوفان :

« وهى تجرى بهم فى موج كالجبال » وفى هذه اللحظة تتنبه فى نوح عاطفة الأبوة . فإن هنالك ابنا له لم يؤمن ، وإنه ليعلم أنه مغرق مع المغرقين . ولكن ها هو ذا الموج يطغى ، فيتغلب « الانسان » فى نفس نوح على « النبى » ويروح فى لهفة وضراعة ينادى ابنه :

« ونادى نوح ابنه ـ وكان فى معزل ـ يا بنى اركب معنا ، ولا تكن مع الكافرين » .

ولكن البُنوَّة العاقة لا تحفل هذه العاطفة ، والفتوة المغرورة تعتمد على القوة الشخصية .

(قال : سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء . قال : لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) .

وفى لحظة تتغير صفحة المشهد فى تعبير خاطف ، يصور الموجة العاتية تطغى على كل شيء : (وحال بينهما الموج . فكان من المغرقين) .

إن السامع ليمسك أنفاسه فى هذه اللحظات القصار : «وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ؛ ونوح الوالد الملهوف، يبعث بالنداء تلو النداء ، وابنه الفتى المغرور، يأبى اجابة الدعاء، والموجة العاتية تحسم الموقف فى لحظة ؛ فكان من المغرقين » .

وإن الهول هنا ليقاس بمداه فى النفس الحية — بين الوالد والمولود كما يقاس بمداه فى الطبيعة ، حيث يطغى الطوفان ، على الذرى والوديان وإنهما لمقياسان متكافئان !

٦ — والآن فإلى مشهد من مشاهد القيامة :

« يوم يدع الداع إلى شيء نُكُر . خُشَّعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر . مُهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر » .

فهذا مشهد من مشاهد الحشر مختصر سريع ، ولكنه شاخص متحرك ، مكتمل السمات والحركات : هذه جموع خارجة من الأجداث فى لحظة واحدة كأنها جراد منتشر — ومشهد الجراد المعهود يساعد على تصور هذا المشهد العجيب — وهذه الجموع ، تسرع فى سيرها نحو الداعى ، دون أن تعرف لمَ يدعوها ، فهو يدعوها إلى « شيء نكر » لا تدريه « خشعاً أبصارهم » وهذا يكمل الصورة ويعطيها السمة الأخيرة . وفى وسط هذا التجمع والإسراع والخشوع « يقول الكافرون : هذا يوم عسر » .

فماذا بقى من المشهد لم يشخص بعد هذه العبارات القصار ؟

٧ — فإذا طرق القرآن موضوع الجدل حول إحياء الموتى مثلا ، صاغه فى قالب التصوير المؤثر ، ولمس به الحس والوجدان ، فيما ترى العين وفيما يستشعر الضمير :

« الله الذى يرسل الرياح ، فتثير سحابا ، فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كِسَفاً ، فترى الودق يخرج من خلاله ؛ فإذا أصاب به من يشاء من عباده ، إذا هم يستبشرون . وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لَمُبْلِسين . فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها . إن ذلك لمحيى الموتى ، وهو على كل شيء قدير » .

هكذا مشهد بعد مشهد: إرسال الرياح . إثارة السحاب . بسطه فى السماء . جعله متراكما . خروج المطر من خلاله. نزول المطر ، استبشار من يصيبهم بعد يأسهم . إحياء الأرض بعد موتها ... لينتقل من هذه المشاهد المتتابعة بعد استعراضها للعين والخيال ، وبعد تركها تؤثر فى النفس على مهل إلى : « إن ذلك لمحيى الموتى وهو على كل شيء قدير » فى أنسب اللحظات النفسية بهذا التقرير

* * *

هذه نماذج قليلة لطريقة القرآن العامة فى التعبير عن جميع الأغراض ، سواء كان الغرض تبشيراً أو تحذيراً . قصة وقعت أو حادثاً سيقع . منطقاً للاقناع . أو دعوة للايمان . وصفاً للحياة الدنيا أو للحياة الأخرى . تمثيلا لمحسوس أو ملموس . إبرازاً لظاهر أو لمضمر . بيانا لخاطر فى الضمير أو لمشهد منظور .

هذه الطريقة الموحدة . هذه القاعدة الكبيرة . هى : « التصوير » فى أرقى آفاق التصوير .

سيد قطب

شهيد كربلاء

للأستاذ محمود الخفيف



خفضت اليراع لذكرى الشهيد … وأشفقت من ذلك المطلب
وحيّر شعرى هذا الجلال … فهل من سبيل إلى مأربى ؟
لذكرى الحسين خفضت اليراع … وأكبرت ذكراه من ملعبى
لذكرى الأبيّ النجيد الفتيّ
الكريم الزكيّ ابن بنت النبي

هلالة المحرم ، لون السماء … على جانبيك خيال الدم
ترقرق فى الأفق هذا النجيع … وألقى الخضاب على الأنجم
وجرّ عليه السواد الدجى … فبات به الأفق فى مأتم
طيوف تردد فى خاطرى … لكل معانى الأسى تنتمى

خيال يؤرقنى فى الدجى … وأمحو الغداة على ذكره
تفيض له أدمعى الغاليات … ويذهل قلبى عن صبره
وإنى تجلد أهل الخطوب … بعزم تخاذل عن قهره
وأحبس دمعى فكم داهمتنى … صروف الزمان فلم أجره

فتى هاشم يا غليلى له … جرى دمه أنهرا وانتثر
وقطّع كالشاة سبط الرسول … وبشّر قاتله وافتخر
وهامته مثل رأس الجزور … على كف جازره تنتهر
على فمه قبلات النبيّ … وفى محجريه الرضا بالقدر

على الدهر رزء لعمرى جديد … وإن قدم العهد بالواقعة
غليلى له وقدة فى حشاى … وعيناى كالمزنة الهامعة
قليل له ما تريق الجفون … وما تحمل الأنفس الجازعة
دعوت القريض فحار القريض … وحارت يراعتى الخاشعة

تأسّ وهات حديث الشهيد … حبيس الدموع كظيم الألم
فما فى البطولات يحلو البكاء … ولكن معانى الفدا والشمم
ستطوى العصور وذكرى الحسين
على الدهر تخفق خفق العلم
إمام الهدى زينة المتقين … منار الحجاز العليّ الشيم

مناط الخلافة من هاشم … دعا باسمه نفر بالعراق
أبوا أن يطيعوا يزيد وقالوا … أمية فى الناس أصل الشقاق
ألم يدع فى الشام جهرا أبوه … إلى فتنة بعد سوء اختلاق ؟
وما نال ما ناله من عليّ … بغير الأذى والخنى والنفاق !

ولما قضى نحبه غيلة … عليّ وطاح الردى بالحسن
وساس معاوية المسلمين … تكشّف من أمره ما بطن
فأنكر فى الحكم شورى الأمور
ودلّ بسلطانه وافتتن
ومهّد من بعده لابنه … فنال العهود بكل ثمن

وبات على الضغن أهل الحجاز … يسرّون سخطا على الظالم
فللموت أيسر من طاعة … لسيف معاوية الغاشم
أباة فما عرفوا ذلة … ولا رهبوا سطوة الحاكم
يرون الخلافة شورى فلا … أمية بالرأى أو هاشم

دعاه إلى الكوفة الثائرون … يقولون إنا عصينا يزيدا

نَرَى فى تَرَدِّيه بُرْدَ النبيِّ ... عَلَى المسلمِينَ بَلاءً جَدِيدا

مِنَ العُصْبَةِ الباطشِينَ الغِلاظِ ... إلى الجَوْرِ يَحْمِلُ قَلباً حَدِيدا

إمامٌ لنا ؟ ساء هذا إماماً ... يرى النَّاسَ إلاَّ ذوِيهِ عبيدا

إمامٌ لنا فى مَكانِ الحُسَيْنِ ... يقومُ على الأمرِ دُنيا ودِينا ؟

فأيْنَ من النَّجْمِ بَعْضُ الحصى ... وما كانَ إلاَّ التُّرابَ المهينا

وهَلْ كابْنِ فاطِمةَ فى الرجالِ ... إذا قُلِّبَ الطَّرْفُ فى المسلمينا ؟

أشَدُّ الرجالِ يَدًا فى الجهادِ ... وأضْوَأُهُمْ فى المُصَلَّى جَبِينا

إلينا ... إلينا ؟ ، فتَى هاشِمٍ ... إلينا فلَيْسَ سِواكَ الهُدَى

نَهُزُّ إن جِئتنا بالخطوبِ ... ونَضْرِبُ حتَّى يخافَ الرَّدى

ويَفْدِيكَ آلافنا الدَّارِعونَ ... وهَلْ ثَمَّ غيرُكَ من يُفتدى ؟

ويَفْزَعُ خَصْمُكَ يابنَ الإمامِ ... ويطْرحُ الخوْفَ مَنْ أيِّدا

وَلَبَّى الحُسَيْنُ وما مِثْلُهُ ... إذا هَمَّ بالعَوْنِ مَنْ يَسْتَرِيبُ

لَهُ هِمَّةٌ إن تَداعَى الرجالُ ... وسَبْقٌ إلى المَكْرُماتِ عَجِيبُ

إذا استَصْرَخَ الحَقُّ يوْماً بهِ ... فكلُّ عَناءٍ إليْهِ حبيبُ

وما كانَ عَنْ نَزَقٍ إذْ أجابَ ... ولكنَّهُ الشَّهْمُ المُستَجيبُ

وكائِنْ بمكةَ مِنْ ناصِحٍ ... يُعذِّبهُ أنَّهُ راحِــلُ

يظُنُّونَ شَرًّا بأهْلِ العِراقِ ... فكلٌّ هُناكَ لَهُ خاذِلُ

وكمْ ذا احتواهُ فأوْحى لَهُ ... ليَصْرِفَهُ مَجْلِسٌ حافِلُ

يُرَدِّدُ نُصْحَهُمُ الناصِحونَ ... ولِلْقَدَرِ الحاكِمُ الفاصِلُ.

تَخَيَّرَ مِن أهْلِهِ (مُسْلِماً)[1] ... إليهِمْ يجُوبُ ويَسْتَطلِعُ

قلوبُ العِراقِ حُسَيْنِيَّةٌ ... فلَيْتَ سيوفَهُمُ تَتْبَعُ

يَزِيدِيَّةٌ تتَــوقَّى يزيدَ ... فهُنَّ لِسُلْطانِهِ أطْوَعُ

إذا حَمَلَ الإمَّعاتُ السُّيوفَ ... فمِنْ حَطَبٍ هُنَّ أو أضْيَعُ

قَضَى نحبَهُ ابنُ عَقِيلٍ فما ... تَسامَعَ أهْلُ الحجازِ بهِ

تَبَرَّأ مِنْهُ الذينَ دَعَوْا ... ومَنْ عاهَدُوا اللهَ مِن حِزْبِهِ

وأسْلَمَهُ للناسُ لابنِ زيادٍ ... رَسُولِ يزيدَ إلى حَرْبِهِ

فَسارَ الرجالُ بهِ مُوثَقاً ... ومِنْ قِمَّةِ القَصْرِ ألْقَوا بِهِ

(١) مسلم بن عقيل بن أبى طالب

مَضى الرَّكْبُ يطلُبُ أرْضَ العِراقِ ... فيا حادِيَ الرَّكْبِ أبْطِئْ بهِ

تمَهَّلْ بِرَكْبِكَ إنَّ الزَّمانَ ... عَجُولٌ بما ساقَ مِنْ خَطْبِهِ

رُوَيْدَكَ ياحادِيَ الرَّكْبِ قِفْ ... ومِلْ بالسَّوابِقِ مِنْ نَجْبِهِ

أدِرْ وجْهَهُ أيُّهذا الدَّليلُ ... وعُدْ بالحُسَيْنِ ... ألا عُدْ بِهِ

سُكَيْنَةُ فى الرَّكْبِ تُخْفِى الدُّمُوعَ ... وتُخْفِي هَواجِسَها زَيْنَبُ

تَقُولُ لَئِنْ أسْلَمَتْنا الرجالُ ... فأينَ مِنَ الفاتِكِ المَهْرَبُ ؟

يَزيدُ من الصَّخْرِ قَلْبٌ لَهُ ... وأكْبادُ أصحابِهِ أصْلَبُ

فوا حَرَبَا إن هذا المَسِيرَ ... إلى غَيْهَبٍ خَلْفَهُ غَيْهَبُ

أنَبْرُزُ فى قِلَّةٍ للرجالِ ... ونبغى بهِ ثَمَّ أمراً جليلا ؟

فمَنْ لِلبنينَ غدًا والبناتِ ... إذا خَرَّ فينا الحُسَيْنُ قتيلا

وَمَنْ لِلإمامَةِ مِنْ هاشِمٍ ... إذا قتلوهُمْ هُناكَ قبيلا

عذابٌ لنفسِى هذا الرحِيلُ ... ألا ساء هذا لعَمْرِي رَحيلا

مَضَى الرَّكْبُ عَجْلانَ صَوْبَ الفُرَاتِ ... فهَلاَّ انثَنَى الرَّكْبُ عَنْ وِرْدِهِ ؟.

مَضى بالحُسَيْنِ وآلِ الحُسَيْنِ ... وَشِمْ ثمانينَ مِنْ جُنْدِهِ

ثمانينَ باعوا لَدَيهِ الحياةَ ... سَماحاً وساروا على عَهْدِهِ

إلى حَيْثُ لا يَسْتَقِرُّ امْرُؤٌ ... ولا يَقْرُبُ السَّيْفُ مِنْ غِمْدِهِ

عَلَى فرْسَخَينِ تَراءى الفُرَاتُ ... وأوْمأ للكوفَةِ السَّالِكونا

تَلَفَّتَ لِلنَّهْرِ مُستَوْحِشاً ... حُسَيْنُ وراحَ يظن الظُّنونا

فأيْنَ الدُّعاةُ وأيْنَ الحُماةُ ... وأيْنَ الكُماةُ بها الدَّارِعونا

رأى القلبُ ما لا تراهُ العيُونُ ... وبَاحَ القضاء بما يُضْمِرُونا

تَصَدَّى له (الحُرُّ[1]) فى عَسْكَرٍ ... فسَدَّ عَلَيهِ مجازَ الطريقِ

فمالَ عَنِ الكوفَةِ ابنُ الإمامِ ... وفى النفس ضيقٌ بها أيُّ ضِيقِ

تَغَشَّتْ مُحَيَّاهُ سُحْبُ انقِباضٍ ... وفى القلبِ وَسواسُ حُزْنٍ عَميقِ

نُكُولٌ ولُؤْمٌ ومَكْرٌ وغَدْرٌ ... وخُلْفٌ عَلَى إثْرِ وعْدٍ وثيقِ

(١) الحر بن يزيد أرسله عبيد الله بن زياد والى البصرة والكوفة .

يُسايرُهُ (الحُرّ) فى جيشه ... ورَكْبُ الحسين يجوبُ الفلا
غفا غفوةً فرأى أنهُ ... يسيرُ إلى حتفه مُعْجلا
تَسايرَ فى سيره جاهدًا ... فحطَّ به الجَهْدُ فى كربلا
هنالكَ حيثُ أحاط به ... غِلاظٌ يُسِرُّون أن يُقتلا

وكاثرَهُ وهو فى قِلّةٍ ... على الشط من حوله عسكرُ
وسَدّوا إلى النهرِ عنه الطريقَ ... فتدمع عيناهُ إذ ينظرُ
نفى مَخْدَعٍ بين تلك الخدورِ ... صغارٌ عن الماء لا تصبرُ
وفى خَيمةٍ حَجبتْها السُّتورُ ... جفونٌ مقرّحةٌ تُمطِرُ

ألا كم تطاولَ هذا العذابُ ... وكم لمحتْ نُذُرُ الغاشيهْ
وكم أرمضَ الحُرُّ من مُهجةٍ ... وقرَّحَ مِنْ كَبِدٍ صاديهْ
سعيرٌ يُحرِّقُ أحشاءهم ... إذا أبصروا حولهم آنيهْ
وما شرِبوا غيرَ ماءٍ سَخينٍ ... تَظَلُّ الجفونُ بهِ هاميهْ

بنفسى صبيٌّ ذَوَى عودُهُ ... كريحانةٍ غضّةٍ تذبُلُ
تظلُّ تُعلِّلُهُ أمُّـــهُ ... وفى قلبها وَاغِلٌ يأكلُ
فلو طلبوا ناظريها معًا ... لِيَشربَ خفّتْ بما تَبذُلُ
بمُهْجَتِها تشترى جُرْعةً ... وماءُ الفراتِ لهم سَلْسَلُ!

تقدَّمَ مُحتبيًا بالحسامِ ... حُسَيْنٌ وقال إليَّ: اسمعوا!
دَعانى لِنُصرتِهِمْ قومُكم ... وإنى إلى الحقِّ مَنْ يُسرِعُ
فإمّا ألاقى بِنُصْحى يزيدَ ... هُنالكَ بالشامِ أو أرجِعُ
فإنْ تكرَهوا تَبِنْكُ الخَصلتَيْنِ
إلى التُّرْكِ أفتحُ أو أُصرَعُ

أبوْها عليهِ فما عِندَهُمْ ... سِوَى أن يُبايِعَ مُستَسلِمَا
أصرّوا على لُؤمِهمْ مُوعِدينَ ... وقد عرفوا شيخَهُمْ ألأما
وكم صارخٍ فيهمُ بالعَداءِ ... جَبانٍ تَعَوّدَ أنْ يُحجِما
سُيوفُهمو حَوْلَهُ تُنْتَضى ... كفاهُ الأسى والضنى والظَّما!

ولكنهُ عائفٌ ذِلّةً ... وريحُ الرَّدى حوله تَعصِفُ
صَبورٌ عن الماء فى مَوْقِفٍ ... تُرَى الأرضُ مِن هَوْلِهِ تَرْجُفُ
ولَو كانَ فى نِصفِ تلكَ الجموعِ ... لما كانَ عن بطشه مَصرِفُ

ولولا عقائلُ بين الخدورِ ... تَصَدّى لهم وحدَهُ يَزحَفُ

تَدَبّرَ حِينَ احتواهُ الظلامُ ... فزَيّنَ للتابعِينَ النَّجاءَ
خذوا البيدَ مُنجاتَكم واجعلوا
ـــواد الدجى فى سُراكُمْ غِطاء
فما طلبوا اليومَ إلاّ دَمى ... فإنْ تَسلموا لَسْتُ أخشى الفِداء
وليس عليكم لعَمْرِى عارٌ ... ولكن على طالبيكمْ ظِماء

تتابَعَ أصحابُهُ يُقسِمون ... لَيَلْقَوْنَ بين يديهِ الرَّدى
إذا بذل النفسَ منّا غدًا ... شَهيدٌ ففى الحق ما استُشهِدا
وقال بنو عَمِّهِ: مَنْ يخوضُ ... سوانا فِداكَ الحُتوفَ غدا؟
قليلٌ إذا ما لفظنا النفوسَ ... سَماحًا لَعَمْرُ أبيك الفدا

ورَدّدَ فى الدهرِ أُرجُوزةً ... وكيف يَسومُ الكِرامَ الهوانا
بكتْ أختُهُ وأتتْ بابَهُ ... تَشُقُّ الثياب عليـه حَنانا
فهدْهدَها ونهاها الحُسَيْنُ ... وقال: رَضِيتُ بهذا امتحانا
فيا أُخْتُ لا تأثمى إنْ قُتِلْتُ ... وإلاّ امتَهنْتِ مَقامى امتهانا

وباتت خيولُ العدا حولَهم ... تدورُ فتقرُبُ أو تبعدُ
لدَى كلِّ رُكْنٍ حَديدٌ يرِنُّ ... وفى كل زاوية مرصدُ
وجَمْعٌ يروحُ وجَمْعٌ يجيءُ ... ويسخر ذاكَ وذا يوعِدُ
ومن خلف أستارِهِ فى الخِباءِ ... حُسَيْنٌ لخالقه يَسجدُ

(البقية فى العدد القادم)

الخفيف

ثورة الإسلام

للأستاذ حسن جواد الجشي



كان الإسلام ثورة هائلة من ثورات الطبيعة الكبرى على جمود العقل البشرى وتحجره ، فأطلقه بعد أن كان موثقاً فى قيود الأوهام والخرافات ، وأشعره بقيمته بعد أن كان فانياً فى تفاهات الحياة وصغائرها ؛ وقلب أوضاع تلك الحياة رأساً على عقب وأبدلها بأوضاع أجدر بشرف الإنسان وكرامته . وتلك هى وظيفة الثورة الإصلاحية فى كل زمان .

وإذا كانت الثورة كما يعرفها أحد كتاب الغرب (هى سقوط وتهدم يحدثان فى فترة صغيرة لجميع ما كان يعد إلى ذلك الوقت أصلاً للحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية فى الأمة) فما أحرانا ونحن بصدد التحدث عن مبادئ الثورة الإسلامية أو عن ثورة الإسلام أن نلقى نظرة خاطفة على بعض النظم التى جاء الإسلام لمحاربتها والقضاء عليها لا بين العرب فحسب ، وإنما فى غيرهم من سائر الأمم أيضاً ، لأن الأثر الذى تركه الإسلام لم يقتصر على العرب ، وإنما شمل أمماً غيرهم ولو فى الشكل دون الجوهر .

يقول الكاتب الانجليزى (H. G. Wells) هـ ج . ولز فى كتابه « موجز تاريخ العالم » عند تحدثه عن تلك الحقبة من تاريخ البشر ما ترجمته : « لو أن متنبئاً من هواة التاريخ استعرض العالم فى مستهل القرن السابع لكان من المحتمل أن ينتهى إلى الحكم بأنه لن تمضى إلا بضعة قرون حتى تصبح قارتا أوربا وآسيا خاضعتين للحكم المغولى القائم فى الصين ؛ إذ لم يكن هناك ما يدل على وجود أى نظام أو اتحاد فى أوربا الغربية ؛ أما الامبراطوريتان الرومانية والفارسية فقد كانت كل منهما منطوية على هدم الأخرى وتحطيمها ؛ وإذا التفت إلى الهند فإنه يجدها منقسمة على نفسها خاوية ... » ثم يقول : « والخطأ الذى كان من المحتمل جداً أن يرتكبه متنبؤنا هذا فى استعراضه هو تجاهله للقوى الأصيلة الكامنة فى الصحراء العربية » .

وفى هذا القول دلالة واضحة على أن العالم كان حينذاك يتخبط فى غياهب الفوضى ودياجير الانحلال ، وأنه إذا كان ثمة بصيص أمل لإنقاذه فآفاق الصحراء العربية هى التى كان يتخايل على حواشيها هذا البصيص ؛ لا لأن سكانها كانوا فى يقظة عقلية تؤهلهم للقيام بدور المنقذ ، كلا بل لأن أرواحهم كانت نقية لم تدنسها شوائب المدنية أو يدب إليها وهن النعيم . فما هو إلا أن تستثيرها وتوجهها الوجهة الصالحة حتى تأتى بالعجائب فى ميادين الثقافة والتقدم .

وعلى خلاف ذلك كانت بيزنطه وفارس ، فقد كانتا فى حروب متواصلة تنتصر هذه مرة وتفوز تلك أخرى ؛ وبرغم ذلك لم تكن الحالة السياسية الداخلية فى كلتا الامبراطوريتين لتعرف الهدوء والاستقرار . أما الأخلاق فقد بلغت منتهى التدهور والانحطاط حتى عادت النفوس ولا مهماز لها يدفعها ويثير فعاليتها غير الشهوة الجنسية ، وإلا فما معنى ذيوع مذهب مزدك فى ذلك العصر — وهو مذهب إباحى هدام — لو لم تكن النفوس مستعدة لقبوله ؟ !

وإلى جانب ذلك كان يقوم فى أكثر أنحاء العالم تقريباً نظام من الاسترقاق الفظيع الذى لا يعرف غير العنف والقوة فى معاملة الأرقاء والمستعبدين ، فكان مباحاً للسادة أن يتصرفوا فى حيوات أرقائهم كما يتصرفون فى سائر أمتعتهم ، فإن شاءوا أبقوا وإن شاءوا أبادوا دون أن يسألوا أمام قانون أو عرف . وإذا عاقبوهم فبالكى على الجباه والجلد بالسياط إلى آخر ما هنالك من ضروب القسوة .

وقد يخطر لأحد القراء أن يسأل : وأين إذن تعاليم المسيحية

لتكفكف من غرب هـذه الشهوات وتحدّ من جوحها وتعيد النفوس إلى نقاوة الفطرة وطهارة الإيمان . . والجواب على ذلك أتركه المؤرخ الانجليزى « جيبون » إذ هو خير من توفر على دراسة هذا العصر . . قال جيبون : « إن النصرانية فى القرن السابع للميلاد قد استحالت وثنية ، فقد أصبحت الوجوه تولى شطر الأصنام والأنصاب التى حلت محل الهياكل والمعابد وأخذ مكان عرش الله وعظمته القديسون والشهداء ، وحارت الأفهام فى معنى التثليث والاتحاد والحلول وعموا عن التوحيد » .

أما فى مكة والطائف فلم يكن الوضع أحسن منه فى بيزنطه وفارس ؛ فقد فشا فيهما الانحلال الخلقى وسفلت مكانة المرأة حتى وأد الآباء بناتهم ، وجاس المرابون خلال الشعب يمتصون دمه مستغلين فقره وحاجته ، حتى أكره بعض المحتاجين بناتهم على البغاء ليستطيعوا وفاء ما ركبهم من ديون ؛ فلما جاء القرآن نهاهم عن ذلك « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا » .

***

شرور تتلوها شرور ! وظلمات فوقها ظلمات ! فلابد من النور ! لابد من النور ! وإلا تاه القطيع وتردى فى هاوية الفناء !

وشع النور ! وتلألأ واستفاض ! وإذا بصوت محمد يتعالى فى شعاب مكة وبطاحها منادياً : « قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتنجحوا » .

وكانت تلك الدعوة شرارة الثورة الكبرى ، الثورة التى قلبت الأوضاع الجائرة ، ومحت النظم البائرة ، ونقلت العالم من حال إلى حال ، والإنسانية من ضعة إلى جلال .

لقد استهل الاسلام ثورته بالدعوة لتوحيد الله وقرن النجاح بهذا التوحيد ، فما معنى ذلك ؟ معناه أن الاسلام يعتبر وحى الروح أصلاً لوعى العقل ؛ معناه أن الأمم مهما وفر حظها من ثقافة العقل ، فان هذه الثقافة لابد لها من عقيدة روحية تسندها وتنير لها المسالك وتأخذ بيدها نحو صالحها وصالح الحياة الانسانية ، وإلا هدمت ما شيدت واقتلعت ما زرعت وتابست طبائع الهر فأكلت ما أنجبت ؛ ولهذا وجه محمد أول ما وجه من جهود نحو غرس هذه العقيدة الروحية ، فعمل على تطهير الأرواح مما علق بها من أدران الشرك واستبطها من عقابيل الوثنية ، ونادى أول ما نادى أن لا إله إلا الله ، فلا الشهوات بعد اليوم ولا القوة ولا المال ولا الأصنام هى التى تمنولها الحياة ، وإنما تمنولها الله الأحد الصمد خالق الخلق ومدبر كل ما فى الكون . وبهذا مهد السبيل للنفس الإنسانية لتفلت من قيودها الثقيلة المرهقة وتتصل حرة ببارئها تستلهم منه العون والهداية على مواصلة الكفاح وسلوك أقوم السبل دون لجوء لوساطة كاهن أو شفاعة ولىّ « وإذا سألك عبادى عنى فأنى قريب ، أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » .

هذا التسامى بالنفس الإنسانية والتعالى بها عن ضلالات العقول وزيغ البصائر هو الذى يفتقده الباحث فى كثير من تاريخ الثورات البشرية ، فالفرنسيون مثلاً بعد أن ثاروا ثورتهم الكبرى وحطموا معاقل الظلم وزلزلوا معالم الاستبداد وأعلنوا حقوق الإنسان الطبيعية التى تستند إلى مركزه فى الحياة ، ساق الثائرون أنفسهم أكثر من ألفين من خيرة رجال الثورة إلى المشانق ثم عمدوا إلى أجمل فتاة فى باريس ووضعوها فى إحدى الكنائس وأخذوا يقدمون لها فروض العبادة ومراسيم الخشوع باسم « ربة العقل » ، ناسين ما أعلنوه قبل ذلك من حرية البشر وتساويهم ؛ وما كانوا ليقعوا فى مثل هـذا الهوس والتطرف ، لو أن ثورتهم استندت إلى وعى روحى شامل كثورة الإسلام .

والحقيقة أن هـذا الوعى الروحى الذى يقدّر الشخصية الانسانية ويحدد صلة هـذه الشخصية بالروح السارية فى هذا الكون ثم صلتها بسائر الأحياء والكائنات ، نعم هـذا الوعى هو الذى صقل النفوس المسلمة وهيأها لسائر الانقلابات الاجتماعية والعقلية لأنه وجهها وجهة واحدة وقضى على شعور الخضوع الرائن عليها فنتج عن ذلك إحساس قوى بكفايتها وقدرتها على الفهم والتدبر .

ومن هنا كان ذلك الانقلاب العظيم الذى أحدثه الاسلام فى تقدير العقل واحترام أحكامه باعتباره هادى البشر — بعد الروح — فى جهادهم نحو الكمال . فلقد كان الناس قبل ذلك أسرى موروثاتهم وتقاليدهم لا يصدقون إلا ما كان عليه آباؤهم ، وما كان عليه آباؤهم هو الجهل والجمود ، فدعاهم الاسلام إلى التفكير

والتأمل وشبه الذين لا يعقلون منهم بالأنعام بل أحط منزلة « أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل أضل سبيلا » ؛ ولذلك كان سلاح الاسلام الوحيد لغزو النفوس هو الحجة العقلية والبرهان الاقناعي ... ويوم سأل الكفار الرسول أن يأتيهم بما عددوا من المعجزات أجابهم دهشاً : « سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولا ! » .

أليس في ذلك إيذان بأن البشرية قد بلغت طوراً لا يليق بها فيه ان تقنع بغير ما عليه العقل، وأن الأسلام يتمشى مع هذا العقل ؟ ثم ما قولنا في دين يجعل تفكر ساعة خيراً من عبادة ستين سنة ؟ إنه - وربي - لدين يجدر بالبشرية أن تحوطه برعايتها وتجدّ في تفهم أغراضه ومراميه ، لأنه كان فاصلاً بين عصرين مختلفين من عصورها : عصر السحر والخرافات وعصر العقل والعلم ، وبذلك نقلها نقلة وسّعت آفاق وعيها وألهبتها شوقاً للمعرفة والاطلاع ، فكان ذلك ارهاصاً لكل التطورات الثقافية والعلمية التي نعم بها العالم بعد ذلك .

وعلى أساس هذا الوعي الروحي والعقلي نقل الأسلام مبدأ التوحيد من منطقة العقيدة إلى مجال الاجتماع فثار على جميع الفواصل المصطنعة بين الأفراد والأمم ، وحارب كل فكرة من شأنها أن تجر الى التنابذ والتنافر، وقرر أن البشر وحدة لا تتجزأ كلهم من آدم وآدم من تراب ، وأن أكرمهم عند الله أتقاهم ، واتقاهم أبرهم عملاً وأخلصهم سعياً ، لا أكثرهم تهجداً وأطولهم عبادة ، وإذا كان الناس قد خلقوا شعوباً وقبائل مختلفة فلكي يتعارفوا ويتعاونوا لتستفيد كل أمة من مواهب الأمم الأخرى وخصائصها لا أن يتخذوا هذا الاختلاف ذريعة للتناحر والتباغض (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) . والأمم والأفراد يختلفون طبعاً في استعدادهم للتقوى وللتعاون مع الغير باختلاف بيئاتهم وظروف حياتهم .

وتطبيقاً لهذا المبدأ من المساواة والتوحيد الاجتماعي أخذ الاسلام بيد المرأة ورفعها من مراغة المهانة والاستعباد إلى ذروة الشرف والكرامة مقرراً حقها الطبيعي في الحياة : (ولهن مثل الذي عليهن) .

وإذا التفتنا بعد هذا الى الثورة التي احدثها الإسلام في حياة البشر الاقتصادية وجدنا عجباً من العجب، وجدنا نظاماً اقتصادياً لو أخذ به البشر وتمسكوا بأهدابه لكفوا كثيراً من ويلاتهم الاجتماعية والخلقية لأنه يكفيهم الفقر ، والفقر منبع أكثر الشرور والمصائب .

لقد كان النظام الطبقي بالغاً اشده قبل الأسلام فكان الاغنياء والأشراف يستغلون جهود الشعب ويبتزون ثمرات اتعابه - كما يفعلون اليوم - ويثقلون كاهله بمختلف الأتاوات والضرائب بدون أن يستطيع دفع ذلك أو مناهضته . والى جانب هؤلاء كان المرابون الجشعون يعتصرون ما تبقى من هذه الجهود غير راحمين ولا مشفقين . فلما جاء الاسلام قلب هذه الأوضاع واعاد الحق الى نصابه فحرم الربا وجعل في أموال هؤلاء الأغنياء حقاً معلوماً للمحرومين ملزمين شرعاً وقسراً بادائه لهم ، بعد أن كان هؤلاء المحرومون ملزمين بتقديم ثمرات اتعابهم للاغنياء دون مقابل . . وبهذا التشريع أقام الاسلام الدعامة الثالثة التي هي التوازن الاقتصادي ؛ وهو كالتوحيد الاجتماعي عامل ضروري في هناء البشر وتقدمهم كما أنه نتيجة حتمية لمبدأ التوحيد .

هذه أقباس من تلك الشعلة العظيمة التي تفتح عنها قلب الغيب فتلقتها القلوب العربية المسلمة ، وسهرت عليها تغذيها وتلهب ضرامها ، حتى إذا تم لها ذلك انداحت بها في أطراف الدنيا تزرع جذواتها في كل نفس تتصل بها فتذيب أرجاسها ، وتنفث فيها الإيمان والقوة . . فيا ليت شعري ما الذي حل بالمسلمين اليوم - وهم أحفاد أولئك المناوير - حتى خمدت هذه الشعلة في نفوسهم وعادوا غرضاً لكل طامع وهدفاً لكل مربد ! ؟

إن في الأمر لسرا ، على أن السر اجلى من أن نجدّ في الكشف عنه . . السر أن المسلمين (وقد طال عليهم العهد وتنكروا لبيئتهم الصحراوية الأولى) . نسوا مبادىء دينهم وتمسكوا بالأعراض والقشور ، وانقسموا بينهم شيعاً واحزاباً يتنابذون ويتهاترون .

فيا قلب الغيب شعلة كتلك الشعلة ! عساها تحرك هذه النفوس الهوامد عساها !

(القاهرة)

محمد جواد الجشي
عضو البعثة البحرانية

مؤامرة تخيب

للأستاذ محمد عبد الغني حسن



الأشخاص : أبو جهل . أبو سفيان . الشيطان . أمية بن خلف . جماعة من قريش

المكان : متربص قرب دار النبي عليه السلام

الزمان : ليلة مظلمة من ليالي المحرم ...

أبو جهل :

هذا الفتى ضلَّ عن دُنيا أُبوته ... وراح ينشر في آبائه دِينا

إني لأخشى عليكم من تخبُّطه ... مسًّا ويحسبه هَذْياً وتبيينا

قالوا أمين ، فقلنا ما أمانته ؟ ... ما كان حتى على الأصنام مأمونا

لا كان مِن هاشم فينا حكومته ... إن صار هذا الفتى مستحكما فينا

أبو سفيان :

أيا بني هاشم لم تكف إمرتكم ... ولا سدانتكم للبيت والغلَبُ

حتى يجيء نبيٌّ بين أظهُرِكم ... دَعوى ولكنها يا هاشم كذبُ

رجل من بني أمية :

إن السدانة فيكم عادتْ فصارت نبُوَّهْ

بئس البنوّة ممن لم يَرْعَ حق الأبوَّهْ

أبو جهل :

لا كنتُ يوماً من بني مَخزومِ ... السائدين الناسَ بالحلومِ

والبالغين المجدَ في الصميمِ ... إن لم يكن محمدٌ غريمي

الشيطان يهمس :

هذا مجالُ الدسِّ والتفريقِ ... بين الصديقِ الحرِّ والصديقِ

لا كنتُ من نارٍ ومن حريقِ ... إن لم أسِرْ فيهم على طريقي

ثم يجهر فيهم :

هذا الفتى يَهذي بكل وساوسٍ ... ويُذيعها ما بينكم قرآنا

أن كان ربُّكمو يَخُصُّ بفضله ... لِمَ لَمْ يخُصَّ بفضله عدنانا ؟

أبو سفيان :

دعُوا عدنان والماضــين فالميْتُ لا يحيـا

أما في النفرِ الأحيا ءِ مَنْ يستقبلُ الوحْيا ؟

أبو جهل مخاطباً أبا سفيان :

لعلك أولى به من فتى ... أقامَ على الفقر يرعى الغنمْ !

الشيطان مقهقهاً :

وَمِنْ عجبٍ أنه مُدَّعٍ ... بإعداده كيف يرعى الأمم

أبو سفيان :

نحن لسنا في حاجة لرعايه ... من هذا الفتى يزيدُ غوايهْ

قد دعوناهُ للهداية لكن ... ليس في مثله تصحُّ الهدايهْ

إذا سئمتم من فتى ... فأسلموه للردى ! !

كيف يَبيتُ قائماً ... في حَيكمُ وما اهتدى ؟

الشيطان :

إني أرى صحابةً ... مِنْ حوله وعَددا

فإن تركتم أمره اليومَ فقد يَعلو غدا

ناشدتكم أصنامكمْ ... أن تُعمِلوا فيه المُدى !

وأن تُريحوا العصرَ منه والمدى والأبدا ...

أبو جهل :

ما كنتَ يا شيطان إلا رَجْعَ نفسي والصدى

لم تعْدُ ما في من الرغبة وُقِّيتَ الهدى ... ! !

قصدتُ بالأمس الفتى ... وكان يغشى المسجدا

أردت فضخ رأسه ... بحجر ... فما بدا ...

أمية :

لعله قد سحر العينين منك واليدا !

عجيبةٌ تُخطِئه كفّـ ـاك الفتى محمدا
وليس أقوى منك كفّـ ـا أو أشدَّ عضُدا

أبو جهل :

أنا في الضرب لا أخيب ولكن خانني ساعدي غداة قصدتُهُ
عجباً فاتني بِفَحل من النّو ق ولو كان لهذَماً ما فُتُّهُ
حجرٌ في يدي تيبّس لما كدتُ أهوي عليه حتى قذفتُهُ
إن يكن أمس قد تولى فهذي لحظات الرّدى وذلك وقتُهُ

أبو سفيان :

فلنتربصْ للفتى وهو على وِسادهِ
حيث الظلامُ في رُبى الحـ ـيِّ وفي وِهادهِ
فلا يرانا أحد يا قوم من آحاده
فنستريحَ من محمدٍ به ومِنْ جهاده

أمية :

الليل أرخى على الدنيا ذوائبه وفيه للبطش أوطارٌ وآراب
لعل جبريلَ يحميه إذا هبطت عليه منا بجنح الليل أسرابُ!
هَبْنا أتيناه في محراب مُستوياً فهل يكفُّ أذانا عنه محرابُ ؟

أبو سفيان ينظر من ثقب إلى مخدع النبي :

أراه في البُردة الخضراء مضطجعاً
وسوف نَصْبُغها بالدمّ حمراء
إذا الصباح تجلّى عن تآمُرِنا فسوف يحمل أخباراً وأنباء !

أبو جهل :

أقضٌ هذا الفتى بالأمس مَضْجعَنا
فليس نذهَبُ فيه اليومَ آراء
ألم يخُنْ لنا دُنيا مورّثةً وأُمةً وديانات وآباء ...
إني لأعجبُ مِن أحوال صاحبكم
أجاء يهدمُنا أم جاء بنّاء ؟ !

قرشي لزميله :

انظر إلى رأسي تجدْ تُرابا ! !

زميله :

أواهماً أراك أم مُرْتابا ؟ !

زميل آخر :

أرى أمامَ ناظري ضَبابا يعقدُ دون رؤيتي حجابا !

زميل رابع :

ليس ضباباً ما أرى ... وإنما كأنما أُصيبُ لحْظي بالعمى
فلا أرى للمضيء إلا مُظلما ...

أبو سفيان :

أواهمون كلكمْ ؟ لعل جنّاً مسّكمْ
ما الرأي يا أبا الحكمْ ؟ فأنتَ خيرُ محتكَمْ ...

أبو جهل متطلعاً إلى مخدع النبي :

محمدُ لمّا يزَل هاهنا قرير الوسادة في مَضْجَعِهْ
ينام ولم يدر أن قُريشاً تهيئُ للبتّ في مصرعِهْ ...

واحد منهم يقول :

محمدُ قد فرّ من بيننا وما كان لحظي بالكاذبِ
محمدُ أفلت من كفّنا فياحسرة الأمل الذاهب!

آخر يقول :

وما كان في مَضْجع الهاربِ نزيلٌ سوى ابن أبي طالب ...

محمد عبد الغني حسن

العقل في القرآن والحديث

للأستاذ قدري حافظ طوقان



العقل أساس الدين ومنبع العلم ومطلعه ، وهل تقدم علم أو ازدهر فن إلا على أساس العقل؟ وهل يستقيم دين بلا عقل؟ وهل يعرف إنسان ما أمر الله به وما نهى عنه إلا بالعقل؟

وعلى أساس العقل شرعت الشرائع وسنت القوانين وقامت الحضارات وامتدت المدنيات . لهذا لا عجب إذا ورد ذكره في كتاب الله وعلى لسان نبيه الكريم . فقد شرف الله العقل وأعلى مكانته ، وعظم الرسول العقل وقدس حرمته . ومجده الفلاسفة والحكماء والعلماء فصرفوا جهودهم إلى إعلاء شأنه بالبحث فيه والرجوع اليه

لقد أحل القرآن العقل منزلاً سامياً وجعله نوراً يهدي به الناس وطالبهم باستعماله والتحاكم اليه وسماه نوراً في قوله تعالى : « الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة ... » وسمى العلم المستفاد منه روحاً ووحياً فقال تعالى : « وأوحينا إليك روحاً من أمرنا ... » وقال : « أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس ... » .

وحين يجادل القرآن الماديين والدهريين وأرباب الملل والنحل إنما يجادلهم بالبرهان ويدعوهم إلى إنعام النظر والفكر، يتجلى ذلك في قوله تعالى : « لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام بل هم أضل . أولئك هم الغافلون . » وقد حمل القرآن على المقلدين الذين يعطلون عقولهم ولا يستعملونها ، فقال في موضع « إن شر الدواب عند الله الصم البكم العمي الذين لا يعقلون » وقال في موضع آخر . « أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون » وكثيراً ما وردت آيات تنتهي بهذه الجوامع « بل أكثرهم لا يعقلون » «قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ، أفلا تسمعون؟ إنما يتذكر أولو الألباب ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون . . » ولم يقف القرآن عند هذه الحدود ، بل أمر بإحسان استعمال السمع والبصر والعقل حتى يهتدي الإنسان عن طريقها الى الحق والحقيقة ، ويكون الحق واضحاً عنده والحقيقة ثابتة لديه : قال تعالى « ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد ، كل أولئك كان عنه مسؤولا ... »

وفي هذه الآية الجامعة الكريمة أصول رئيسية هي المتبعة في أصول النظر العلمي ، فلقد أمر بالمشاهدة الصحيحة والتفكير الصحيح ، وأن على الإنسان أن يتمسك بما يصل اليه من حق أو حقيقة عن هذين الطريقين ، المشاهدة والتفكير

ولسنا بحاجة إلى القول بأن الإسلام أكبر العقل إكباراً دونه أي إكبار، ودعا إلى تعظيمه وإجلاله والرجوع إليه دائماً قال تعالى : « وآتيناه حكما وعلماً » أي فقهاً وعلماً . وقال : « ولقد آتينا لقمان الحكمة » أي آتيناه الفقه والعقل وإصابة القول في غير نبوة . وقال : « فاتقون يا أولي الألباب . إن في ذلك لعبرة لأولي الألباب» وقال : « وأشهدوا ذوي عدل منكم » أي ذوي عقل . « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب » أي عقل ، « لينذر من كان حياً ... » أي عاقلا ، « ولقد بينا الآيات لقوم يعقلون ، فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون »

وهناك آيات جامعات تدعو الإنسان إلى النظر في الكون والبحث في روائعه ، وإلى جعل العقل أساساً للتحكيم والتفكير في الطبيعة على جلالها وعظمتها كما تستحثه على إطلاق تفكيره في السموات والأرض والوجود وما على الأرض ومن عليها . ولفت نظره إلى السماء كيف رفعها، وإلى الأرض كيف سطحها، والجبال كيف نصبها، وإلى الإنسان كيف خلقه ، والأنعام كيف

أوجدها ، وإلى النباتات كيف أنبتها فقال تعالى : « وهو الذى مدّ الأرض وجعل فيها رواسى وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين . إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون . وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل . إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » وقال جل وعلا « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت، وإلى الأرض كيف سطحت» وقال : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » وقال « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » . وقال « ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً وخلقناكم أزواجاً وجعلنا نومكم سباتاً وجعلنا النهار معاشاً وبنينا فوقكم سبعاً شداداً وجعلنا سراجاً وهاجاً وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً لنخرج به حباً ونباتاً وجنات ألفافاً . » وقال « فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صباً ، ثم شققنا الأرض شقاً، فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلا وحدائق غلباً، وفاكهة وأباً، متاعاً لكم ولأنعامكم ... » وقال « أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى » وقال « وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون » .

ولا شك أن هذا النمط من الآيات الجامعات والأقوال البيّنات مما يرشد الناس إلى التفكير فى الكون وخبايا الأرض وأسرار الحياة والتطلع إلى خفايا الوجود . وبهذا ينطلق العقل البشرى باحثاً منقباً منتظماً مما يؤدى إلى الوصول إلى دقائق الحقائق فى الوقوف على نظام هذا الكون وموجوداته على تعددها وتباينها وتعقدها .

كذلك كان الرسول ينظر إلى العقل نظرة كلها تعظيم وإجلال، فقد رأى فيه أنه أصل الدين وأساسه ، وأن لا دين لمن لا عقل له قال عليه السلام حين سأله علىّ عن سنته : «. . . والعقل أصل دينى » وأمر بالتواصى بالعقل والرجوع إليه ففيه النجاة وفيه الأمان . قال عليه السلام : « اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما أمرتم به وما نهيتم عنه . واعلموا أنه ينجدكم عند ربكم » وبيّن أن الله يأخذ بالعقل ويعطى بالعقل ويثيب به ويعاقب على أساسه ، وما تم دين أحد إلا بالعقل ، وما عبد الله بشىء أحب إليه من العقل وبمثل العقل .

روى لقمان بن أبى عامر عن أبى الدرداء أن رسول الله قال : « يا عويمر ازدد عقلاً تزدد من ربك قرباً ، قلت : بأبى أنت وأمى ومن لى بالعقل ؟ قال اجتنب محارم الله وأدّ فرائض الله تكن عاقلاً ، ثم تنفل بصالحات الأعمال تزدد فى الدنيا عقلا وتزدد من ربك قرباً وبه عزاً ... » وروى أنس ابن مالك رضى الله عنه قال : « أثنى على رجل عند رسول الله بخير فقال كيف عقله ؟ قالوا يارسول الله إن من عبادته ... إن من خلقه ... إن من فضله ... إن من أدبه .. فقال كيف عقله ؟ قالوا يارسول الله نثنى عليه بالعبادة وتسألنا عن عقله ، فقال رسول الله : « إن الأحمق العابد يصيب بجهله أعظم من فجور الفاجر ، وإنما يقرب الناس من ربهم بالزلف على قدر عقولهم » ويرى الرسول أن الحياء من مستلزمات العقل فلا يكونان إلا مع العقل ولا يسيران إلا فى كنفه .

والعقل نور جعله الله للدين أصلا وللدنيا عماداً به يميز الحق من الباطل وتعرف حقائق الأمور ويفصل بين الحسنات والسيئات وعليه يقوم النجاح ويكون الفلاح . قال عليه السلام « العقل نور فى القلب يفرق به بين الحق والباطل» وقال « أفلح من رزق لباً » أى عقلا .

قدرى حافظ طوقان

13 me Année No. 602

Lundi - 15 - 1 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٦٠٢ « القاهرة في يوم الإثنين ١ صفر سنة ١٣٦٤ — الموافق ١٥ يناير سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الفهـــرس

الدين في معترك الشكوك

للأستاذ محمد فريد وجدي بك

حفظ الدين وجوده في العصور الأولى للانسانية بالغريزة الطبيعية ، فلم يجد العلماء في تاريخها كله جماعة مجردة من الدين حتى فيما نقبوا عليه من عهودها الأولى قبل تدوين التاريخ

ولما أجال الإنسان فكره في الوجود المحيط به ، ونشأت فيه خاصة النظر والاستدلال ، أيد الإنسان دينه بالعقل

ولما استبحر علم الكون ، وافتتن العقل بالبحوث المادية تحت تأثير سحر المكتشفات الطبيعية في عالم القوى والنواميس ، ووضع الدستور العلمي وظهرت آثاره في ترقي المعارف ، وتجنب الأخطاء التي كان دليلها مجرد النظر العقلي ، لم يعد للمنطق سلطان على الإنسان ، وأصبح الدين لا يستطيع البقاء ، إلا إذا كان له دليل من الوجود المحسوس . وصرح علماء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بأن عهد الدين قد انقضى ، وأن بقاءه على الأرض مرتبط ببقاء السذاجة العامية ؛ فاذا نشر العلم على العامة رواقه زال الدين كما يزول كل ما ليس له أصل ثابت يقوم عليه

على هذا كان الإجماع منعقدا في العالم العلمي إلى زمان ليس ببعيد . فهل العقل لا يبكي لا يجاد الإيمان في العهد الذي نحن فيه ؟

يكفي إذا كان يستمد مسلماته من العلم الكوني المحسوس، أما والعقل الذي يعتمد عليه الاعتقاديون يقوم على مسلمات لاتزال في نظر العلم مسائل تعوزها الحلول ، كنشوء الكون والمادة ، وكوجود روح من عالم علوي في الانسان تبقى بعد انحلال جثمانه في عالم وراء هذا العالم الخ الخ ؛ فما يقرره الاعتقاديون اعتمادا على أمثال هذه المسلمات لايراه العلم جديرا بالاعتبار

ومعنى هذا أن الاعتقاديين في هذا العصر قد أصبحوا عزلا من الأسلحة التي تصلح للكفاح في هذا المعترك . فاذا لم يستكملوا هذا النقص فلا يرجى للموضوع الذي هم بسبيله بقاء

وقد بين ذلك الاستاذ « و . ميرس » مدرس علم النفس بجامعة كمبردج في كتابه « الشخصية الإنسانية » فقال .

« كنت مقتنعا بانه لو أمكنت معرفة شيء عن العالم الروحي على أسلوب يستطيع العلم أن يقبله ، ولن يكون ذلك بالتنقيب في الأساطير القديمة ، ولا بالتأمل في علم مابعد الطبيعة ، ولكن بواسطة التجربة والمشاهدة ، وبتطبيقنا على الظواهر التي تشاهد أساليب المباحث المضبوطة ، تلك الأساليب التي نحن مدينون لها بمعارفنا عن العالم المرئي المحسوس . هذه المباحث لايجوز أن تبنى على التأكيدات التي صدرت عن هذا الوحي أو ذاك ، بل يجب أن تؤسس ككل بحث علمي بمعناه الصحيح ، على تجارب يمكننا تكرارها اليوم ؛ مؤملين أن نزيد عليها غدا ، ويكون الدافع اليها هذه القضية وهي : « إذا كان يوجد عالم روحاني ظهر للناس في أي عهد كان ، فيجب أن يكون كذلك قابلا للظهور في أيامنا هذه » اهـ

ونحن نقول : هذا شرط العلم في قبول الأصول الاعتقادية ، وهو شرط لايجوز الاستخفاف به ولا إغفاله ، لأن العلم آخذ في الانتشار بخطوات واسعة ؛ وأساليبه المحررة ، وآثاره الفاتنة ، أثرت في العقول أبلغ تأثير ، وانتشرت بمعها شبهات لم تدع محلا للعقيدة في العقول ، وضعفت حجة الاعتقاديين أمام هذا التحدي ضعفا ظهرت نتائجه في الجماعات ، وخاصة في البلاد الشرقية ، حيث ينتشر العلم ، ويقصر حفظة الدين على التغاضي عما يستتبعه هذا الانتشار من شيوع ما يلابسه من الشبهات . وقد ظهرت لذلك آثار خلقية وأدبية لا يحسن السكوت عليها .

ولم هذا التعرض لكل هذه المخاطر؟ فاذا كنا ننتظر خلاصا منها باعتمادنا على أساليبنا القديمة ، فقد دلت دلالة قاطعة على أنها منيت بالعجز عن وقف هذا التدهور السريع ، فاذا كنا نتشبه بالغربيين في جميع أوضاعهم واتجاهاتهم ، فلم نقصر في تقليدهم في وقف تيار هذا الانقلاب الخطير ؟

إن العلم الأوروبي يشتغل من نحو مائة سنة بمسألة الحياة الإنسانية على أسلوبه من التجربة والتمحيص ، وقد اهتدى إلى نتائج كانت غير منتظرة أثارت دهش العالم ، كانت مثاراً لحركة لم تحدث لاكتشاف قبلها ، فاجتمعت لها مجامع علمية للدرس والتحقيق ، وتألفت من أجلها مؤتمرات عامة في أوروبا وأمريكا اجتمع فيها ألوف من الباحثين ، وثارت بسببها مناقشات صحفية لم تثر لغيرها من المسائل العلمية ، حتى وصل قادتها إلى نتائج فاقت كل ما كان يتخيله كبار العقول قبل هذا العهد القريب ، إذ ثبت للباحثين فيها ثبوتا علميا قاطعا لايتطرق إليه ريب لابتنائه على التجارب العلمية ، أن للانسان روحا مستقلة عن جسده استقلالا تاما ، مما حمل العلماء المجربين أن يقولوا كما قال أحدهم وهو العلامة الفلكي المشهور « كاميل فلامريون » في كتابه « المجهول والمسائل النفسية » :

« إن لدينا اليوم من الادلة على وجود عالم الروح مثل مالدينا منها على وجود العالم المادي المحسوس » .

اكتشاف خطير في عالم البحوث العلمية يدهش منه حتى الذين يعتقدون بوجود الروح ، وهو غير اكتشافات أخرى يثبت مجموعها وجود عالم روحاني وراء هذا العالم لايمكن التماري فيه وقد بذل أقطاب العلم في جميع أقطار العالم المتمدن ردحا طويلا من الزمن في تمحيصها وتحليلها ، وانفق أثرياؤهم أموالا وفيرة لإقامة معاهد تجريبية لها ، منها المجمع العلمي لما وراء علم النفس وقد شيد بناءه الثري الفرنسي السيو « ميبه » ووقف عليه اربعة ملايين فرنك ذهبا تنفق في كل عام ، وكان ذلك سنة ١٩٢٠ وشرط ألا ينخرط في جماعته إلا العلماء .

وفي الولايات المتحدة وألمانيا وايطاليا والنمسا وغيرها أمثال لهذا المجمع ؛ ومنها جمعية البحوث النفسية في لندن ، وقد تألفت في سنة « ١٨٨٢ » ولا تزال قائمة للآن ، يزاول العمل فيها علماء

من الطبقة العليا ، وقد جمعت مما تقرر من تجاربها نحو ستين مجلدا ولا تزال قائمة إلى اليوم .

ذكر هذه الجمعية الأستاذ الكبير وليم جيمس الأمريكي في كتابه « إرادة الاعتقاد » La volonté da cro:re في صفحة ٣١٣ فقال :

« إن جمعية المباحث النفسية التي يمتد عملها في انجلترا وأمريكا قد سمحت بأن يلتقي العالمان العلمي والروحي، فاذا صدقنا الجرائد وأوهام الصالونات ، خيل إلينا أن الضعف العقلي وسرعة التصديق هما الرباط المعنوي الجامع بين أعضاء هذه الجمعية ، وأن حب العجائب هو الأصل المحرك لها ، ومع ذلك فيكفي أن نلقي نظرة واحدة على أعضائها لدحض هذه التهمة . فان رئيس هذه الجمعية وهو الأستاذ (سيد جويك) معروف بأنه أشد الناس شكيمة في النقد ، وأعضاؤها قيادا في الشك بجميع البلاد الانجليزية ، ووكيلها الأستاذين « أرثربلفور » و« ج.ب. لنجلي » ويمكن التنويه من أعضائها العاملين بالأستاذ « شارل ريشيه » الفيزيولوجي الفرنسي الخطير ، وتشمل قائمة أعضائها رجالا كثيرين آخرين كفايتهم العلمية أشهر من نار على علم . فاذا طلب إليّ أن أعين مجموعة علمية تكون مصادر أخطائها ممحصة بأدق الأساليب ، فاني أنوه بمحاضر جمعية المباحث النفسية ، فان الفصول الفيزيولوجية التي تنشرها المجلات الخاصة بهذا العلم لا تبلغ في دقة النقد مبلغ دقة المحاضر التي نحن بسبيلها » اهـ

فهذه المجامع العلمية التي تألفت من أكبر رجال العلم في أرقى البلاد المتمدنة ، واجتمعت بسببها مؤتمرات عالية في أكبر عواصم العالم احتشد فيها ألوف من الباحثين المستقلين ، ووضع فيها مئات من العلماء كتبا مستفيضة ، قد أثرت في العالم الغربي أكبر تأثير كان من أثره تغيير وجهة الفلسفة في القرن العشرين حتى نوهت مجلة المقتطف بذلك في عدد شهر ديسمبر من سنة ١٩١٨ فقالت :

« من يطلع على ما يكتب وما ينشر من المقالات الفلسفية يجد أن أصحابها مالوا عن الطريقة العلمية إلى الطريقة الروحية .. إلى أن قالت : « ومما يدعو إلى الأسف أن أكثر اهتمام الناس كان موجها في السنوات الأخيرة إلى هذا القسم من الفلسفة كما يظهر مما نشرناه من أقوال السير « أوليفر » وأضرابه من المعتقدين بمناجاة الأرواح والتلباثي وما أشبه » .

نقول والأمر الذي جعل هذه البحوث جديرة بالنظر والتمحيص أن الجمعية الجدلية في لندن كلفت ثلاثة وثلاثين عالما من أجل أعضائها ببحثها ووضع تقرير عنها ، فقامت بما عهد إليها وكان ذلك في سنة ١٨٦٩ ، ولبثت تعمل ثمانية عشر شهراً باذلة أقصى ما يتيحه لها العلم من طرق التمحيص والتحقيق ، ثم وضعت عنها تقريراً وقع في خمسمائة صفحة ، اعترفت فيه إجماعا بصحتها . فكان ذلك مغريا للعلماء في كل بلد ببذل الوسع في دراستها ؛ وانتهى الأمر بهم جميعاً إلى القول بأنها حقيقة لا مرية فيها .

ولما آنست الكنيسة الانجليزية شدة اهتمام الناس بها ألفت مؤتمراً دينياً لابداء رأي الكنيسة فيها . وقد نشرت خلاصة رأيها المجلات المشهورة ، فكان مما قالته عنها المجلة العالمية بقلم مديرها الفيلسوف الكبير « جان فينو » فقال :

« في مؤتمر الأساقفة الانجليكانية الذي عقد في قصر (لامبيت) من ٥ يوليو إلى ٧ اغسطس من سنة ١٩٣٠ ، اجتمع مائتان واثنان وخمسون من رؤساء الكنيسة ، منهم مطارنة كنتربوري ويورك وسدني وكبتاون والهند الغربية وميلبورن وإمارة بلاد الفال الخ ، هؤلاء عدا أكثر من مائة أسقف من أكبر الأساقفة ، وتقرر النظر في أمر الاسبرتسم والعلم المسيحي والتيوزوفية ، فاعترف المؤتمرون بقيمة هذه الميول الروحانية التي تكافح المادية بنجاح عظيم » .

***

هذه خلاصة ما حدث حول هذه المسألة في البلاد المتمدنة وقد سماها مدير المجلة العالمية بالفيض الألهي ، وقد تسرب إلى الجامعات الكبيرة ، فأسست له جامعة كبردج في سنة ١٩٤٠ دراسة خاصة ، واتخذت جامعة اكسفورد لأمهات مؤلفاته محلاً خاصا بها ، وعينت لمحاضراته عالما خبيرا به ، وأدخلته إلى حظيرتها العلمية جامعات أخرى في أمريكا ، فهل ننفض نحن الطرف عنه ولا يستفيد منه حفظة العقائد ليصدوا به تيار المادية التي تتسرب إلى عقول النابتة ، وتقذف بهم من الاباحة إلى مكان سحيق ؟ لقد أدخلنا الفلسفة في معاهدنا العلمية الدنية والدينية

من مذكرات عمر بن أبي ربيعة

صـــــديق إبليس . . .

للأستاذ محمود محمد شاكر

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

« وذهبت صهباء وبقيت أترقّبها ثلاثة أيام ولياليها وهى لاتجىء ، حتى إذا كانت ليلةُ خرجتَ أنت إلى الطائف آخر خَرْجَة ، جاءتنى صهباء فى جِنْح العَتَمَة ودخلت هى وظمياء فقالت : لقد أطاع مولاى فى مرضاتِك ، فإن أذنتِ جئتُ به الساعة . قلت لها : لبِّثى حتى يأوىَ جوان . فلما كان بعد هدأة الليل وفقدنا الصوت ، ذهبت صهباء ساعة ثم جاءت . ودَخل علىَّ رَجُل أسمر طُوالٌ نحيل البدن مَعْروق الوَجْه أبيض اللحية أشعثُ أغبر ، كأن عينيه جمرتان تَـقِدان فى وقـْبَين غائرين كأنهما كهفان فى حِضْن جبل ونظرفى عينى فوالله لتمنيتُ أن الأرض ساخَتْ بى ولم أنظر فى عينيه ، ثم هو إلاّ أن سـلَّم حتى سمعت نغمةَ صوتٍ شجىٍ كحنين الوالهـة ، فو الله لتمنيت أن يتكلم ما بقيتُ . ولم أدر ما أقول ودَهِشْـت وهلك صوتى ، فنظرت فإذا هو يبتسم إلىّ ثم يقول :

« ياأم جوان ! لقد سعيت إلى بيتك وما سعيت من قبـل إلى بيت إلا إلى هذه البَـنِيَّـة » يعنى الكعبة » . وقد جاءتنى فتاتى صهباء تحدثنى عما كان منها إليك ، وقبيحٌ بامرىء أفزع قلباً ساكناً أن يدعه أو يطمئن ، ولو كنتُ أعلم أنها مفتوقة اللسان ، ماحدَّثتها بشىء أبداً » . قالت كلثم : فكأن الله جعل لى قوة سيلٍ جارف فقلت له : كذبت يارجل وكذبت بنت الأصفر ، ووالله لئن لم تأتنى ببرهان ما تقول ، لتركت شيبتك هذه أباديدَ فى أكفّ صبيان مكة . ووالله لو صدقت لأسترنك ولأكفينَّك ماعشتُ . فقال : « جزاك الله خيراً يا أم جوان ! أما إذ كذبتنى فآيتى أن تذهبى فتستخرجى من جوف حقيبة عمر الحمراء بين جلدها ومفرشها كتابَ عبدالله بن هلال الفاسق بخط يده ، قد جمله تميمة لزوجك أن لا يراه أحدٌ إذا خرج إلى مأوى الفتاتين بالطائف ، ومعه منديلُ ابن هلال الأزرق ذو الوشى ، يمسح به وجْـهه قبل أن يرحل » . فما كذَّبتُ أن طِرْتُ إلى مازعم ، فوالله لقد صدَق وبَرَّ »

« قال عمر » ، قلت : ما تقولين ؟ قالت : صه ياعمر فوالله لقد صدق وبرّ ، وقلت له : أيها الشيخ ! أفأنت تعلَمُ أين نجد هاتين الخبيثتين ؟ قال : لا . قلت : فما تزعمُ فتاتكُ من أن لاشىء يفعله الخبيث ابن هلالٍ إلا كان عندك خبره ؟ قال : صدقتْ . قلت : فـكيف لاتعلم ؟ قال : إنه أخبث وألأم وأضلّ وأدهى وأقرب إلى إبليس وبنته بَيْذخ ذات العرش من أن أطيق معرفة ما انقطع بينى وبينه . قلت : وما بيذخ ذات العرش ؟ قال : إنها ابنة إبليس التى اتخذت عرشها على الماء ، حولها سودٌ غلاظ يشبهون الزُّطّ ، حفاة مشققو الأعقاب ، ولا يصل إليها إلاّ من قدَّم لها القرابين من حيوان ناطق وغير ناطق ، وترك لها من الصلاة والصوم ، وقدم إليها من الذهب والفضة واللآلىء حتى ترضى ، فإذا فعل ما تريد وصل إليهـا فسجد تحت عرشها ، فتَستخدمه من يريد وتقضى حوائجه . قلت : وما علمـك بهذا أيها الشيخ ؟ قال : ذاك شىء قد كان والله هو التواب الرحيم . قلتُ : قد كان ! قال : نعم أما اليوم فلا ، وما يأتينى بأخبار اللعين الزنديق ابن هلال إلا صاحبٌ

مصبوغة صبغة مادية على ما كانت تعرض بها فى القرن التاسع عشر فى أوروبا ، ولم تتبعها بالآراء التى تنازعها السلطان ، ولا بالمكتشفات العلمية التى تحد من غلوائها !

نعم قد نشرت بحوث عن العالم الروحى فى هذه البلاد ولكنها قوبلت بردود دلت على أن أصحابها لا يدرون عنها شيئاً ، وكان أهون ما قالوه ضدها إنها لا تزال رهن البحث ، ولم يبت فى أمرها بعد ، ونحن لا ندرى متى تنضج هذه البحوث بعد ما مر عليها قرن برمته ، وصدرت فى إثبات صحتها الوف من المؤلفات ، وأعلن اقتناعه بها الوف من العلماء والفلاسفة؟ وهل بعد دخولها أشهر الجامعات يراد دليـل على أن البحث فيها قد استوفى حقه استيفاء يؤهلها لأن تأخذ مكانتها الرفيعة بين سائر المعارف المحققة ، وتؤدى للمجتمع المهام الأدبية التى لا يمكن أن يقوم بها غيرها ؟

محمد فريد وجدى

من الجن قد آمن بإيماني ، ولكنه محجوب عن الأسرار . قلت : أفلا تكرمني أيها الشيخ فتسأل صاحبك أن يحتال ليعرف ؟ قال : لا أدري ! ولكن ائتيني بطست أناطق صاحبي .

« فأتيته بطست فكبَّه ، وأخرج من كُمه غلالة سوداء فنشرها عليه ، وأمر بالفتائل فأطفئت ، وطلب جمرات في طبق . فلما تم ذلك أخرج عوداً من المندل فطيَّر دخانه ، وجلس واختبى ، وإن عينيه لتبيصان في الظلماء ، وجعل يتمتم ويدندن ويهمهم حتى كدت أنشق ، ثم قال : يا زوبعة ! فإذا صوت يأتي كأنما يخرج من جوف بئر شطون يقول : لبيك أبا الحسن ! قال : أتدري أين أنا ؟ قال : بلى دريت ! قال : إنه قد حضرني من الأمر ما تعلم ، أفأنت مُدركي بمأوى الخبيثتين قينتي ابن هلال ؟ قال : لقد علمت مالي بينذخ طاقة بعد إيماني بالله ورسوله ! قال : أفلا تحتال ؟ قال : تباً لك من شيخ سوء ! أتروموني أن أرتد إلى الكفر بعد الإيمان ؟ قال : مهلاً زوبعة ! أمالك من صديق تزفق به حتى تستل منه السر ؟ قال زوبعة : هذا فراق بيني وبينك أيها الخبيث . ووالله ما تركت السحر إلا وفي قلبك رجعة إليه . خسئت أيها الفاجر ! » وإذا الطست يتحرك فينقلب فأرى كمثل شرارة النار تنطلق مصعدة ثم تخفي . قال الشيخ : يا أم جوان ، لقد رأيت ، ومالي من حيلة . قلت : احتل لي وقاك الله السوء ، ولا والله لا تخرج من هذه الدار حتى تعطيني المواثيق بأن تفعل ما أريد . قال : يا أم جوان ، وكيف بعذاب الله ؟

« قالت كلثم : فوالله ما إن سمعت مقالته حتى خانتني قدماي فوقعت أبكي ويرفض دمعي كالجذع الجذر ، ورأيت الدنيا قد أطبقت علي ، وما هو إلا أن أنشج بالبكاء . فدنا الشيخ وأسر إلي أن : أبشري أم جوان ، فلا والله ما أدعك أبداً حتى يطمئن قلبك ، واصبري غداً تأتيك الصهباء . وما أفقت حتى رأيتني كالمأخوذة وظمياء تنضح وجهي بالماء . وبقيت الليل كله أطويه ساعة بعد ساعة حتى أصبح الناس ، وقلبي يرجف ، ودمعي يهمل ، وكأن في سمعي دوي النحل ، حتى إذا قام قائم الظهيرة جاءت صهباء فقالت : يقول لك مولاي إنه يبغي دفرفين من الديباج ، وعشرة أثواب من الإبريسم ، وبردين كذاين من الخز ، وخمسين لؤلؤة لم تثقب . فما كذبت أن أعطيتها ما طلبت . وغابت يومين ثم جاءتني مع المسي وقالت : يقول لك مولاي : لو أطاق أن لا يكلفك لفعل ، ولكن الأمر قد استعصى عليه بعد توبته ، وإن بينذخ (بنت إبليس) لتتقاضاه كفاء ما عصاها في طاعة الله . وإنها قد طلبت أن يذبح لها من الذبائح ما يسيل على جنبات الغور (مسكن الجن) حتى ترضى . قلت : كم يريد مولاك ؟ قالت : بين المئتين والثلاثمئة . فوالله ما كذبت أن أعطيتها . فما غابت إلا يوماً أو بعضه حتى جاءت تطلب المنديل الذي أعصب به رأسي ، فما كذبت أن أعطيتها . ثم جاءتني من الغد عند الأصيل ، فقالت : يقول لك مولاي لا تصلي العشاء الآخرة الليلة حتى يؤذنك . فوالله لقد كبر علي ولكني أطعته ، وإذا أنا أسمع في سدفة الفجر صوتاً كالمتحدر ما بين جبلين يقول : قومي إلى صلاتك . فقمت فصليت وما كدت حتى أذن الفجر . فلما كان بعد أيام جاءتني صهباء تقول : أبشري ! سيأتي مولاي الليلة . قلت : مرحباً به من ضيف . فلما دخل الليل وسكن الناس ، جاء الشيخ لميعاده فسلم وسكت ثم قال : انظري إلي يا أم جوان . فنظرت في عينين كالنار المشعلة في الليلة الدامسة ، وجعل يمر يده بين عيني وعينيه ، فكلما احتجبتا عني أظلمت الدنيا في عيني ، وإذا وقعت عيني في عينه أضاء ما بيني وبينه كالسراج المتوهج ، فوالله ما شعرت إلا وظمياء تنضحني بالماء حتى أفيق . قلت : يا ظمياء ! أين الشيخ ؟ قالت : لقد أذنت له أن ينصرف بعد أن أعطيته من المال ما طلب . قلت : تباً لي أين كان عقلي ! وكم أعطيته ؟ قالت : ألف دينار ذهباً ، وواعدك أن يأتيك بعد سبعة أيام بمأوى الخبيثتين .

« قال كلثم : وهذا اليوم ميعاده ، ووالله لئن صدقتني يا عمر لقد حفظتك ما عشت في قلبي » .

« قال عمر بن ربيعة » : « فوالله ما كنت أدري ما أقول ، إلا أني قلت لها : أصدقك ؟ لقد ضللت إذن أيتها الحمقاء » . قالت : « أنا حمقاء أيها الفاجر الفاسق ! ثم قامت إلى صوانها فاستخرجت منه شيئاً ونشرته لعيني ، فإذا سرقة من حرير أبيض عليها صورتان ، فما تأملتها إلا كانتا والله قينتي ابن

هلال حيث رأيتهما وسمعتهما بالكوفة ، ولقد كانتا فى السَّرَقة أجمل وأفتن وأحبُّ إلىَّ مما كانتا . قلت : إنهما والله يا كانم قينتا ابن هلال ! قالت : وصدق الشيخ أيها الفاجر ! أتَـدع حرائر بنى مخزوم إلى الخبيثات الدنيئات من بقايا الكوفة ، تخالف إليهن تحت الليل والسِّحر والكفر وعبث الشيطان بك وبعقلك .

[قال عمر] : وإذا جوانُ بالباب ينظر إلى الصورتين ، ثم يتقدم ويقول : ما بك يا أمّـاه ! فتقول : هذا الخبيث الفاجر يدع الحرائر من بنى مخزوم ملطَّمات ويختلف إلى زوانى الكوفة يقتادُهن إليه الخبيث ابن هلال بالسحر والطلاسم . وهذا منديله يمسح به غبارَ وجهه لا يراه الناس ساعياً إلى فجوره .

[قال عمر] : وجعلت تقص على جوان قصة ما كان ، وهى تنظر إلىّ كاللبؤة المُـجرية ريعت أشبالها ، فما كادت تفرغ حتى جاءت ظمياء مُـعْجِـلةً تقول : مولاتى ، صهباء بالباب . قالت كانم : إيذنى لها . فما كدت أراها حتى فزعت قائماً إليها وأخذتُها بغدائرها : « وإنك لأنتِ أنتِ أيتها الشيطانة ؟ » فانقضَّت علىَّ كانم تذودنى عنها وتقول : دعها أيها الفاجر ! قلت : إنها فِـتَن جارية الخبيث الفاجر عبد الله بن هلال ، ولطالما خدمتنى بالكوفة ! أليس كذلك يافتن ؟ قالت : ارحمنى ياسيدى فما أنا إلا جارية بائسة مسكينة يركبنى هذا الشيطان بخبثه وخبائثه . قلت : وأين ابن هلال صديق إبليس وصاحبه قالت : ما تدركه يا مولاى ! فقد ارتحل الليلة وتركنى أتبعه والثَّـقَـل . قلت : وماجئت تبغين ؟ قالت : أرسلنى أطلب بعض المال من مولاتى .

قالت كانم : دعها يا عمر الآن ، لقد ضللتُ إذن وبئس ما فعلتُ ، ووالله لقد خدعنى الشيطان ابن هلال . أين كان عقلى !

فقال جوان : والله يا أمّه ! لقد كان فجور أبى بامرأتين خبيثتين من بقايا الكوفة ، أحبُّ إلىَّ من شِركك بالله وكفرك ! قومى يرحمك الله فتوبى إلى الله مما كان من ضلالك وكفرك .... »

محمود محمد شاكر

الحياة صارخة!

٢ ـ العـــدل الالهى !

مقدمات للإدراك واليقين

[مهداة إلى الفقاد الكبير بمناسبة
مقاله « تبارك رزاق البرايا »]

للأستاذ عبد المنعم خلاف

٦ — لقد وجدت من حسن حظ الإنسانية فى هذا العصر نظم صالحة تسمح لدعوات الحق والصلاح أن تتخذ طريقها وتزاحم فى أسواق الحياة بدون عوائق غير طبيعية ، بعد أن قدست حرية الفكر والقول وسمح لكل فرد أن يقول ما عنده بدون سباب أو أذى .

لقد تيقظت الإنسانية لحياتها وقيمتها ، وعرفت قيمة الفرد فيها ، فأفسحت الأمم الراقية له المجال ليخدمها بالقول والعمل مهما كان مايدعو إليه جديداً غريباً ؛ ومتى أخذ الناس أنفسهم أن يسمعوا لكل قائل ثم يحاكموه إلى العقل فهم فى تقدم . فعلى كل مظلوم أن يصرخ ! وعلى كل داع أن يتكلم ، وعلى الجماعة أن تسمع لهذا وهذا .

والظلم السياسى أو الاقتصادى من القوى أو الغنى للضعيف المحروم هو الذى يجعل الإنسان يكفر أو يشك فى العدل الألهى . . وطبيعي أن الله لا يتدخل فى كل شيء بين الناس تدخلا ظاهراً . . وهو قد أقام قوانين الطبيعة حدوداً يتحاكم الناس إليها . . فالنار تحرق من يضع يده فيها سواء أكان صديقا أم عدواً . . والتردى من شاهق يهلك ، والتعرض للمرض يمرض ، والماء يغرق . وهكذا كل عمل له نتائجه الحتمية لأنها قوانين طبيعية لا تبديل لها ولا تحويل . . والله يترك لقوانين الطبيعة العقاب الطبيعى على كل مخالفة يرتكبها الفرد أو الأمة نحو تلك القوانين . ذلك ظاهر واضح فى مجال الطبيعة .

وأما فى مجال الإنسان فالاختيار أفسد عنده كثيراً مما كان يجب أن يسير عليه سيراً طبيعياً ، إذ قد ملأ حياته بالتهاون .

فالظالم يظلم وعلى المظلوم أن يثأر لنفسه ، ولو كلفه ذلك حياته . ذلك حكم الطبيعة وردها الإيجابى كما ردت بالاحراق على من دس يده فى النار . . ولكن المظلوم كثيراً ما يغفل ويهمل الإصرار على أخذ حقه ، وكثيراً ما تبطئ الجماعة أو تهمل فى رد حقه عليه .

وما دمنا نعيش فى جماعة فلا بد أن تتولى هى الأخذ بثأر المظلوم من ظالمه حتى لا ينفرط العقد الاجتماعى . . فإذا فرط المظلوم فى حقه ، وإذا فرطت الجماعة فى الانتصاف له كان هنا حينئذ قانون طبيعى اجتماعى اعتدى عليه وخولف ولم يكن له من الإنسان تصحيح ورد لقيمته . وكان وراء ذلك حتما ثلمة فى الجماعة يتطرق منها الفساد . فليس الذنب هنا ذنب العدل الألهى ولكن ذنب الجماعة التى برهنت حين أهملت الاقتصاص من ظالمها أو ظالم أحد أفرادها ، مع أنها أقوى من ذلك الظالم ، على أنها لا تستحق الحياة الرشيدة لأنها لا تعرف قوانين المقاومة ، وعلى أنها غثاء وقش يستحق أن تضغطه قوة أخرى أصلح منه للسيطرة على الحياة .

إن الله يقاوم النفس بالنفس كما يقاوم أى قوة طبيعية بقوة مضادة لها ليضمن التناسق والصلاح ودوام كل شيء كما وضعه وجعله يسير فى دوراته الأبدية .

وإن حجته الناهضة على عدله أنه لم يجعل لأحد سيطرة على فكر أحد وشعوره القلبى . فلن تستطيع أية قوة أرضية أن تتحكم فى فكرك وشعورك ، فإذا أحسست بظلم ، فأمام نفسك قوة حرة تستعين بها : هى حرية الحركة الفكرية والغضبية لرد الظلم عنك ، فلا تغفل حقك فى الحياة ، ولا ترضى بها غير كاملة الحقوق ، ولا ترض بحياة الضعف مهما كلفك السعى للقوة ، واستمع لهذا الصوت المتفجر من ضمير الكون يصيح بك :

« إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم . قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين فى الأرض . قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ ! فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً » .

٧ — وأول واجبات الجماعة أن تبحث عن أصلح رجالها لتوليه حكمها . أى أن توسد الأمر إلى أهله ، وأن تقيم حدود حياتها ولا تتهاون أو تستثنى فيها ، ثم تترك لحاكمها أن يحكمها بالعدالة والقوة القاهرة الرادعة

ذلك هو أسلوب الله فى حكم العالم : قوة وإحاطة ، وقهر ويقظة ، وعدالة ومجازاة .

وإن الجماعة هى المسئولة عن كل ظلم أو فساد يتطرق إليها .

وإن الله لا يتدخل بتغيير شيء فى حياتها إلا إذا أرادت وغيرت ما بنفوسها ، إنه جعلها فى الأرض صاحبة سلطان يكاد يكون مطلقا فى شئون حياتها الاجتماعية وعلى هذا فهو غير مسئول عن توزيع الثروات توزيعاً ظالما ولا عن شيوع الجهالة والآثام .

من قال إن لكل إنسان الحق فى أن يملك جزءاً كبيراً من ثروة وطنه التى جمعها له كثيرون من العمال والفقراء ، ثم لا يؤدى حق الفقير والمحروم ، ويترك أبناءهم يبحثون عن اللقمة والخرقة فى المزابل كما نرى ! بينما هو يكاد رأسه يتحطم بعمليات حساب أمواله المكدسة ! ؟

من الذى أباح للانسان أن يملك أكثر من حاجات نفسه وكمالياتها فى متوسط عمر الانسان ؟ فإذا كفل أن يملأ مطبخه كل يوم بألوان مختلفة كثيرة ، وداره بالفرش والرياش الفاخرة ، واصطبله بالخيول المطهمة والسيارات الفخمة ، وفناء داره بالأزهار وهكذا . . فما باله يشح على أمته فيما وراء ذلك ؟ !

فإذا تمتع كما يحلوله وأفرط فى ذلك حتى مرض فما باله ينسب ذلك المرض إلى الله ويسخط عليه ؟ !

من قال للانسان الغنى ، أو الفقير : احشد على مائدتك كل مادة مغلظة . . أو كل لحم المريض من البهائم ، أو كل ما لا تطيقه أحشاؤك . . أو كل طعام الصيف فى الشتاء وطعام الشتاء فى الصيف ، أو أفرط فى السهر وعربد وأطلق لأهوائك وشهواتك العنان وسوف لا يكون من وراء ذلك شقاء ولا هم يحزنون ؟ !

ومن قال لك : كن قوادا لفلان . . أو ماسح حذاء فلان ، أو نماماله لترقى أو تنال درجة أو وظيفة ؟

ومن قال لك : بع حريتك واجعل خدك مداسا وقل للكلاب : يا سادتى . . فى سبيل الخبز القذر المعجون بدموع الذلة !

ومن قال لك : اترك ابنك قذر الجسم والثوب عليه التراب والذباب لأن العمر بيد الله ؟ !

ومن قال لك : لا تحافظ على الطفولة « منطقة نمو الإنسانية » وأخرجها ضعيفة جاهلة ؟ !

ومن قال : إن الحياة آلام ومشقات ؟

من قال ؟ ومن قال ؟ ومن قال ؟ آلله قال هذا ! أم الجماعة الفاسدة هى قالت ذلك ونسبته إلى الله ، جعلتك تتهجم على العدل الألهى الذى أقام الناموس الطبيعى بموازين لا تخطىء ولا تحابى ؟ !

اسمع ما يقول القرآن : « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ؛ ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون » . « وما كان ربك مهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » . « يا عبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة فإياى فاتقون » والتقوى كلمة جامعة ينبغى أن يكون لها مدلولها الأول : وهو العمل الوقائى للخير ولدفع الشر . « الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى انفسهم » إلى آخر الآية التى مر ذكرها .

٨ — قم إلى جسمك وقوه بالرياضة وحافظ عليه من عوامل الفساد ، ولا تأكل إلا ما يسمح لك به الطب ، ولا تسرف فى الأكل والشرب ، ونق جسمك من الأخلاط والفضلات الضارة . . ثم انظر هل يبقى به من سقم أو كلال إلا ما تستتبعه الحياة العادية فى الأرض ؟ !

وقم إلى منزلك ومتعه بهبات الله من الشمس والضياء والهواء والبعد عن العفونات والرطوبات ثم انظر هل تجد فيه غير بهجة الحياة ؟

وقم إلى فكرك وعلمه وهذبه وسلحه بأدوات العصر وقلبه فى أعاجيب الكون ، ثم انظر هل تجد بعد ذلك سخطا فى نفسك وتشاؤما ؟ ! وقم إلى حواسك ومتعها بالجمال المباح ولا تحرمها من زينة الله التى أخرج لعباده ، وأذهب عنها الملل والسأم وعنت الجد والعمل ببعض اللهو واللعب المشروع ، وغن فى غير فحش إن كنت حسن الصوت ، واسمع الغناء والألحان فى غير إسراف ، وارقص رقص الرجال ، رقص الفتوة وطفور القوة الذى لا تخنث فيه ولا شهوة ولا مخاصرة ، لتنفض عن كتفيك أعباء الهموم فى بعض ساعات حياتك . . واضحك من قلبك كطفل ، وافرح بالشمس والقمر ، وأسلم جسمك للنسمات . ولكن احذر أن تحول الاحساس بالراحة من عنت الأعمال الجدية إلى شهوة تتملكك وتسلبك التحكم فى إرادتك وتمنعك من أداء واجباتك . فإن هذه الملاهى والراحات ما حرمت عند بعض المتزمتين إلا لأنها تطغى على النفس وتمنعها عن الواجبات . وكما أن الماء يحرم إذا أورث شاربه

أذى كذلك تحرم هذه .

وقم إلى طفلك واحذر أن تلقى بذرة إنسانية مسمومة بالخمر أو الأمراض الخبيثة حتى ينبت وهو صحيح فى ظلمة الرحم ثم حافظ عليه وهو حمل جنين فلا تحمل مؤثراً عنيفاً يؤثر فيه حتى يخرج الطفل بريئاً من عوامل الالتواء والاعوجاج فتعهده وتيقظ لتنمية حواسه وجسمه وافتح روحه وثقفه ، وكله وهذبه .

وقم إلى روحك فاعتقد لها العقيدة الصالحة الصحيحة وتعبد بمقتضاها حتى توقظ فيك حياة الاتصال ببارىء الكون وتجعلك تحيل عليه جميع أمورك وهمومك وآمالك ، وتقدم إلى وجهه جهادك وصبرك . ثم قم إلى الجماعة التى تعيش فيها وأقمها على المنطق والمصلحة العامة واحمل الناس على الانصاف فإنك حينئذ ترى الفردوس المنشود .

٩ — كل هذا قد لا يملكه الفرد لنفسه وذريته وحياته ، ولكن تملكه الأمة لأفرادها إن أرادت ! وإرادتها حينئذ تكون من إرادة القدر الألهى . . بل إرادة النفس هى بدء إرادة القدر الذى فى حدود قوانين الحياة . أما القدر الذى يأتى من وراء الحدود فذلك أمره إلى الله وحده . وهو قليل ونادر جداً .

إن محمداً رسول الله هزم هو وجيشه فى يوم « أحد » ويوم « حنين » لأن فئة من جيشه لم تأخذ بما أمرها به العقل فتركت فى أحد أماكنها فى الصفوف لشهوة صغيرة ، وأعجبتها كثرتها فى حنين فلم يُحابِ قدر الله الجميع ولو كانوا أصحاب محمد لأن القدر لا يحابى من يخالف قوانين الحياة . وفى ذلك إرشاد بالغ للمسلم حتى يعتمد على فكره وإرادته بعد أن يطلب التوفيق من الله .

إننى أتصور فى بعض الأحيان أننى ألقيت بنفسى فى النيل ، أو لم أنحرف عن طريق ترام مقبل أو سيارة شبراً واحداً ، فاذا بحياتى تضيع لأنى أنكرت قوة من قوى الطبيعة لم أحسب حسابها أو استهزأت بها . وهى ذات بأس الحديد أو صمق النار أو غمر الماء .

إن الذى يقرأ القرآن مليون مرة فى مواجهة عدو مسلح لا يجديه ذلك شيئاً كما يجديه أن ينفذ آية واحدة منه وهى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة . . الخ » ! ذلك لأن اللص لا يجديه شيئاً أن يحفظ أو يتلو قانون العقوبات ، لأن هذا القانون لم يوضع للتلاوة والاستظهار بل للتنفيذ .

فالأوامر القرآنية منزلة لتنفيذها وإقامة الحياة بها لا لحفظها وإهمال تطبيقها . وتلك حقيقة أخطأ كثير من المسلمين فهمها مع الأسف .

وطبعاً ليس فى هذا وعد بالجنة فى الأرض بناء على تنفيذ هذه الوصايا . . ولكن فى هذا زحزحة عن النار . . عن جحيم السخط والألم والنكران والجحود والشك فى قيمة الإنسان وفى العدل الألهى وعن النظر إلى حياة التدين كحياة كآبة وضعف وحزن وضنى وألم وسخط وندم .

وبعد « فلنحاسب » الله « ولنحاكم » عدله الآلهى بعقل سام وفكر كبير كفكره تعالى فى الطبيعة كلها . . وهذا لا يكون إلا إذا نظرنا إليه تعالى نظرة تتمثل فيها الإنسانية كلها لا نظرة أمة أو جماعة يزعمون أنهم شعبه المختار ، فهم لذلك يعتقدون أنهم أحق بكل ثروات الأرض وقوة الأرض وجنة السماء ! أو نظرة جماعة ذليلة مستعبدة فقيرة علىكون أن يموتوا أحراراً ولكنهم لم يفعلوا ورضوا بعذلات الحياة .

فمن سوء الإصرار وقلة الانصاف أن نظل نحاسب عدل الله بعقول أطفال قصار النظر يريدون أن يستأثروا بحبه تعالى لهم وحدهم ويحاربوا من عداهم من عياله .

ومن المضحك أن كل شعب يزعم أنه الشعب المختار . . أفراده أبناء الله وأحباؤه ! ومن المؤسف أن كل فرد فى كل شعب غير مهذب يريد ثروة الحياة كلها لنفسه وحدها !

إننا نستطيع أن نقيم العدل الألهى فى الأرض وأن نحصل على السعادة إذا تحررنا من تاريخ طفولة البشرية الذى لا يزال يصاحبنا ويتمثل فى غرائز الإنسانية تمثلا فظيعاً يحيل حياة كل أمة إلى شقاء ، ويجعلنا كلنا نخسر التمتع اللائق بهذه الرحلة السعيدة التى دعانا الله إليها على هذه الأرض ، ويؤخر تقدمنا العلمي الذى يفتح علينا بركات من السماء والأرض تطعمنا من جوع وتؤامننا من خوف وتزودنا من طمأنينة اليقين بعدل الله والرضا عن الحياة .

عبد المنعم خلاف

على هامش النقد

٢ – مليم الأكبر

بحث وقصة . . . عادل كامل

للأستاذ سيد قطب

تقدم الأستاذ عادل كامل إذن بقصته هذه التي تحدثنا عنها — على قدر الإمكان في مقال سابق الى المجمع اللغوي، فلم تمنحها اللجنة الأدبية جائزة القصة المقررة . وقد وافقنا نحن اللجنة في قرارها على أساس أن مثل هذا الاتجاه ما يحتمل الكاتب تبعته وحده أمام القراء مباشرة، بلا وسيط من الهيئات المسئولة .

وعندئذ كتب المؤلف تلك المقدمة الطويلة التي بلغت مائة وثمانيا وعشرين صفحة ! وكان في ذلك الخير . فقد أصبحت هذه المقدمة بحثا مطولا في اللغة والأدب والفن والأخلاق وصارت هي الأخرى عملا أدبيا مستقلا بذاته ، قابلا للنقد والجدال !

ولقد تشعبت نواحي هذا البحث ، فلابد من الاختصار في مناقشتها . وتيسيرا للأمر سنسلك نفس الطريق الذي سلكه في إيرادها .

***

فهم الأستاذ عادل أنه كان هناك اعتراض على « مستوى » أسلوب القصة ، فأخذ في بيان ما يفهمه عن الأساليب الجيدة والأساليب الرديئة فنفى أولا بأن هناك فكرة وتعبيرا كلاهما مستقل عن الآخر ، وأن هناك فكرة جيدة تعرض في أسلوب رديء .

« هذا رأي النظرة العجلى » فالفكرة لا تخطر للكاتب مجردة ، بل تأتيه في صورة ألفاظ ، هذه الصورة اللفظية هي أسلوبه الذي تتحكم فيه الفكرة تحكما تاما . لهذا فأنت لا تستطيع أن تعبر عن الخاطر عينه بطريقتين مختلفتين . ختم أن يتغير المعنى ان اختلفت طريقة الصياغة . لأن المعنى الذي يوحي به اليك كاتب ما هو خليط غير منفصل من الفكرة واللفظ

« فمن يفهم الأدب فهما صحيحا لا يقر بإمكان وجود موضوع جيد مكتوب بأسلوب رديء ، لأنك وإن أعجبت بالموضوع ، فأسلوب الكاتب وألفاظه هما اللذان أوحيا اليك بالإعجاب ، فهما الصلة الوحيدة بينه وبينك .

« ثمة فكرة جميلة سرت الى نفسك ، وأنت تطالع كتابا كيف تم هذا ! عن طريق لفظ وفي صورة لفظ . ختم إذن أن يكون الجمال في اللفظ . إذ لو كان الأسلوب رديئا لما وصلتك الفكرة الجميلة »

وهذا كلام جيد . ونحن نوافق عليه بنصه وفصه . لا بل أنا قد كتبته منذ أشهر في فصل من فصول كتابي « التصوير الفني في القرآن » الذي يطبع الآن ...

ولكن من الحق أن نرجع الفضل الى أهله . فلست أنا ولا الاستاذ عادل ، ولا النقاد الحديثون في أوربا هم أول من خطرت لهم الفكرة على هذا النحو كما يقرر هنالك رجالٌ ممن كتبوا عن « البلاغة » منذ مئات الأعوام قد اهتدى الى هذه الحقيقة ؛ ولقد عبرت عن هذه الحقيقة في كتابي على النحو التالي

« إنا لنحسب أن « عبد القاهر » قد وصل في مشكلة اللفظ والمعنى الى رأي حاسم حين انتهى في « دلائل الإعجاز » الى أن اللفظ وحده لا يتصور عاقل أن يدور حوله بحث من حيث هو لفظ ، انما من حيث دلالته على معنى . وأن المعنى لا يتناوله البحث من حيث هو خاطر في الذهن ، ولكن من حيث أنه ممثل في نظم . وأن المعنى مقيد في وجوده بالنظم الذي يؤدى به ، فلا يمكن أن يختلف النظمان ثم يتحد المعنى تمام الاتحاد .

« لم يصغ عبد القاهر القضية هذه الصياغة فنحن نترجم عنه باختصار ، وإلا فقد استغرق فيها كتابا كاملا لا نستطيع نقله هنا ، ولا نقل فقرات منه بذلك الأسلوب المعقد الذي لا ينسق مع كتاب عن « التصوير الفني في القرآن » !

« ولكن « عبد القاهر » له فضله العظيم في تقرير هذه القضية . ولو خطا خطوة واحدة في التعبير الحاسم عنها لبلغ الذروة في النقد الفني . فنقول نحن عنه : إن طريقة الأداء حاسمة في تصوير المعنى . وإنه حيثما اختلفت طريقة التعبير عن المعنى الواحد اختلفت صورة هذا المعنى في النفس والذهن . وبذلك تربط المعاني وطرق الأداء ربطا لا يجوز الحديث بعده

عن المعاني والالفاظ كل على انفراد . فلن يبرز المعنى الواحد الا في صورة واحدة ، فاذا اختلفت الصورة اختلف المعنى بقدر اختلافها . وقد لا يتأثر المعنى العام في ذاته ، ولكن صورته في النفس والذهن تختلف ، وهي المعول عليها في الفن ، اذ التعبير للتأثير ، فاذا اختلف الاثر الناشيء عنه ، فالمعنى المنقول مختلف بلا مراء ! »

هذا ما كتبته يومذاك . وفيه اقرار بالفضل للمفكر الاول ، مهما يكن في عرضه للرأى من تقصير ، ذلك أنه لا يطالب بالكمال في ذلك الزمن البعيد

ثم يستطرد المؤلف إلى أن اللفظ قد استبد بالأدب العربي وأن آداب اللغة العربية جميعها آداب لفظية ، وشيء كثير من هذا صحيح . هو صحيح بالقياس الى النثر العربي بلا جدال . أما بالقياس الى الشعر فالأمر قد يختلف . ذلك أن هذا الشعر على ما فيه من عيوب تعرضت لها في مقالين قريبين بالرسالة واقتبس منهما الأستاذ عادل في الاستشهاد على هذا الرأى بعض الفقرات — أقول على الرغم من ذلك فانه لم يخل من القليل الجيد الحي المعبر عن الحالات النفسية والخلجات الطبيعية ، التي تبرز فيه من وراء الألفاظ حتى لتتوارى هذه الألفاظ ، والمجال لا يتسع هنا لضرب الأمثال ، فأنا معجل عنها إلى قضية أخرى تعرض لها الأستاذ عادل تعرضا لم يرض الكثيرين وذلك حين يقول :

« ولعل مما يلقى بعض الضوء على سر استبداد اللفظ بأدباء العرب ماقاله «موم» بصدد الأسلوب الأدبي في أمريكا . ففي رأيه أن هذا الأسلوب الذي تستمد معظم مقوماته من لغة الجمهور الحية يعتبر — في نماذجه الجيدة — أكثر أصالة وحيوية من أسلوب الكتاب الانجليز . وهو يرجع علة ذلك إلى أن الكتاب الامريكيين نجوا من استعباد الترجمة الانجليزية للتوراة التي وضعت في عصر الملك جيمس » كما أنهم كانوا أقل تأثراً « بالاساتذة » الانجليز القدماء . والحق إن تحكم كتاب بعينه في أدب شعب من الشعوب — ومثله تقديس كاتب أو نخبة من الكتاب — معناه منع هذا الأدب من النمو والتطور ، الوقوف به عند حد معين لا يتعداه إلا بالثورة . والثورة تصلح ولكنها تحطم وتفسد في نفس الوقت . ومع ذلك فقد تصبح في بعض الاحيان شرا لا بد منه »

فهم بعض إخواننا من هذه الفقرات أنه يشير الى أسلوب « القرآن » وتحكمه في نمو الأدب العربي ، وغضبوا لهذا الفهم جدا ...

وأنا أحب أن أعرض المسألة على هذا الوجه ، وأن أحكم الحس الديني في مسألة أدبية

إن هذه الواقعة غير صحيحة في ذاتها ومن أساسها بالقياس الى الأدب العربي وعكسها هو الصحيح . والأمر الذي اهتديت اليه في كتابي الذي مر ذكره ، قد يبدو عجيبا لأول وهلة .

إنني أزعم أن الادب العربي لم يستفد بعد من أسلوب القرآن طوال هذه الاربعة عشر قرنا من الزمان ! بله تحكم هذا الاسلوب في نموه ! لقد بقي القرآن مجهولا — من ناحية الفنية — طوال هذه القرون من العرب وغير العرب على السواء . في الوقت الذى نضج البحث فيه عن النواحي التشريعية والاجتماعية والتاريخية واللغوية ...

ان سر التعبير القرآني قد بقي مغلقا ، فلم يتأثر به الادب العربي في صميمه مجرد تأثر . هناك اقتباسات ومحاكاة لفظية ، ولكن الطريقة والاتجاه قد بقيا سرا مغلقا الى الآن ، ولو قدر للأدب أن يستقي من هذا المعين لكان اليوم غير ما كان ...

إن عيب الادب العربي الاول — كما قلت في مقالي بالرسالة — أنه ضئيل الحظ من الصور والظلال ، وأن الذى يغلب عليه هو المعاني الذهنية والحسية ، والتعبيرات المباشرة التي لا تلقى ظلا ولا تشع حياة . وهو في هذا نقيض الاسلوب القرآني الذي يجعل الصور والظلال قاعدة في التعبير ، والذي يحيل المعاني المجردة والحالات النفسية صورا ومشاهد وظلالا . كما يحيل كل جامد في الطبيعة شخوصا حية وكل مشهد من مشاهدها جديد كأنما تراه العين أول مرة والذي يصور المعاني الذهنية كما تبدو من خلال نفس حية ... وهذا ما ينقص الادب العربي ليبلغ مداه .

ولن أستطيع هنا ضرب الامثلة ، ولا مرد بحث قد استغرق مني أكثر من مائتي صفحة . ولكنني أستطيع أن أجزم بعد الاستقراء الممكن للشعر العربي أنه لم يستق من معين القرآن . فقد تحكمت فيه — مع الاسف — تقاليد الشعر

الجاهلي فترة طويلة بعد وجود القرآن ، ثم تحكمت فيه المباحث الفلسفية والذهنية منذ القرن الثالث بل قبل ذلك ، فصار في معظمه أدبا حسيا ثم أدبا ذهنيا ، وقلت فيه الصور والظلال ، لإنه أبعد عن معين الصور والظلال . فاذا آن له اليوم أن يرجع إلى هذا المعين ، فسيجد فيه الزاد الكثير ! ... إذا كان تحكم كتاب بعينه في الأدب الأنجليزي قد عوق نموه فاننا كنا نتمنى تحكم كتاب بعينه في الأدب العربي ليدفع به الى الأمام .

* * *

وعلى كثرة ما أجاد الأستاذ عادل وهو يتحدث عن عيوب الأساليب العربية في النثر ، وعن الحسية والذهنية في الشعر ، وعن القصور المعيب في قواعد النقد ، فقد كان اندفاعه العنيف في هذا المجال سبباً في تجاوز القصد ، ومجانبة الصواب في بعض الأحيان . إننا نتفق معه في وجوب أن نملك نحن اللغة ولا ندعها تملكنا بأساليبها التقليدية ، وكل ما ذكره في هذا الصدد بالغ غاية الجودة ، ولكنه حين يتجاوز هذه المنطقة يأخذ في الغلو .

يقول مرة : « موضوعات الشعر العربي – فيما عدا الغزل – هي الحكم والفلسفة ، ثم النقد في صورة هجاء والوعظ في صورة مديح . فإذا تركنا الغزل جانبا وجدنا أن هذه الأغراض جميعا أجنبية عن الشعر ، لا بوصفه نظما ، ولكن بوصفه أداة تعتمد على إثارة الخيال . . »

وفي هذا الكلام غلطة أساسية . فليس هناك موضوع للشعر وموضوع للنثر . إنما العبرة بطريقة تناول الموضوع . ففي بعض حكم المتنبي مثلا شعر أصيل ينبعث من نفس حية ويوحي بشتى الانفعالات ، وفي هجاء ابن الرومي صور فنية بارعة مليئة بالحياة ، وفي بعض الوصف للبحتري إيحاءات وظلال شاعرية . . وهكذا .

فمن الخير أن ننظر في الفن دائماً إلى طريقة تناول الموضوع لا إلى ذات الموضوع . فكل موضوع قابل للفن وقابل للعلم وقابل للفلسفة على نحو من الانحاء .

ورأى آخر في الشعر الغنائي .. فانني أرى بيننا فتنة لا تنتهي بالشعر القصصي والشعر الروائي . وأنا أزعم أن الأصل في الشعر هو الغناء . الغناء الذاتي الفردي . وأنه حين يتجاوز هذه المنطقة يكاد يتعدى خير مجالاته . وأنه إذا كان الشعر القصصي أو الروائي قد راج في حقب من الزمان ، فانه الآن غير قابل للحياة إلا بمعجزة ، وأنه آن للشعر أن يرتد غناء ، وغناء فحسب !

إن الشعر العربي لم يتخلف لأنه غناء ، ولكن لأنه لم يكن غناء حقا ! فلم يعرف كيف يغني فينطلق من قيود الحس والذهن إلا في القليل منه ، وهذا هو أخلد قسم فيه .

ونحن لا نوافق رأى أرسطو الذي يستشهد به الأستاذ عادل : « إن على الشاعر أن يتحدث عن نفسه أقل حديث ممكن وإلا فهو ليس بالمصور والمحاكي لأعمال الرجال كما يفترض فيه »

فلأرسطو أن يقول في هذا ما يشاء . فنقول له : كلا ! إن على الشاعر أن يتحدث عن نفسه أكثر حديث ممكن ، وله ألا يلتفت مرة واحدة إلى سواه !

* * *

ولدينا مباحث كثيرة قد أثارها الأستاذ عادل عن طبيعة اللغة العربية وعيوبها الذاتية كلغة ، والخلاف بيننا وبينه طويل في هذه المباحث ، وإن وافقناه في الكثير منها ، فنحن لا نرى النقص في صميم اللغة ، ولكن في أساليبها ، والأسلوب من صنع الأدباء وعليهم وحدهم أن يطوعوه . وعلى كل حال فنحن لا نجد الفراغ الكافي للجدل حول هذه المباحث ، لأننا نريد أن نعرض لنقطة أخيرة .

تلك هي مسألة الأخلاق ، ومسألة الكتابة عن العظماء ، وبينهما نوع من الارتباط ، ولا نحب أن نطيل القول في هذا المجال ، فلنرجع به إلى قاعدة محدودة .

أمن الخير للانسانية أن تنطلق مع غرائزها وشهواتها – بلا ضابط ولا قيود – أم من الخير للانسانية أن تكون هناك كوابح وزواجر في صورة من الصور ؟

وبتعبير آخر : أمن الخير للانسانية أن تظل خاضعة للغرائز خاضعة للشهوات . أم من الخير للانسانية أن تتحرر من هذه الضرورات – ولو بالتسامي والتصعيد إذا كانت لم تبلغ حتى اليوم درجة التحرر التام ؟

أما نحن فلا نتردد في اختيار الوضع الأخير . وأما الأستاذ عادل فيجمل (جماعة القلعة) في قصته يرون الخير كله في إباحة كل محرم ، وفي الانطلاق من جميع القيود الأخلاقية ، للوقوع في جميع القيود الغريزية !

وهذا هو مفرق الطريق !

ثم إنه ينكر على بعض كبار الأدباء عندنا ، ويستشهد في

أثر الرسالة فى الأدب المعاصر

بمناسبة دخولها فى السنة الثالثة عشرة

للدكتور سيد حنفى

راودت خاطرى طويلاً فكرة الكتابة فى أثر الرسالة فى الأدب المعاصر. ولم يكن يمنعنى عن المضى فيها غير انتظار المناسبة، فأنا رجل بطبيعة مهنتى لا أقبل على عمل إلا بميعاد معلوم، ولا اقيم له كيانا إلا بميزان محدود. ثم كانت مناسبة دخول الرسالة فى عامها الثالث عشر فتجسمت الفكرة يقينا فعملا، وأسرعت إلى الكتابة يدفعنى عاملان مهمان: الأول مايضطرب فى نفسى من رغبة الإنصاف، والثانى ما يغمرنى غمراً من أطايب الرسالة وكتابها وشعرائها شيبا وشبانا.

ليس من شك فى أن الكتابة عن أثر الرسالة فى الأدب المعاصر تسدى خدمة كبيرة لمحبي الأدب والتاريخ الأدبى خاصة، فليس من الميسور على القارىء فى المستقبل أن يلم بأطراف نهضتها الأدبية العظيمة فى مجلدات ضخمة قد يتيسر له الإطلاع عليها وقد لا يتيسر. ومن ثم فان الكتابة المركزة التى ترسم حدود المدارس الأدبية الكبيرة التى نشأت فى ظلال الرسالة وكان قادتها من كتابها وشعرائها، إن هذه الكتابة تيسر الأمر الذى يصعب فى الحالة الأولى، وتوفر الجهد لمن يريد الإطلاع والمعرفة وإقرار الحقوق لأصحابها.

ولا يهمنى هنا أن أرسم الخطوط والظلال كاملة لقادة هذه المدارس، ولهذه المدارس نفسها، فهذا لا يتسع له مقال، وإنما يحتاج إلى كتاب. وحبذا لو نهض بهذا العمل الجليل أديب فاضل من أدباء الرسالة، والذى أريد أن أكشف عنه وأقدمه إلى القراء هو تقسيم أدباء الرسالة وشعرائها إلى مدارس متميزة متباينة لكل منها خصائص واضحة.

وقبل كل ذلك سنقدم أسماء كبار كتابها وباحثيها من شيوخها، وأسماء كبار كتابها وشعرائها ومفكريها من شبابها، وسنضطر إلى وضع اسم واحد فى قسمين من تقسيماتنا لجمع صاحبه بين النثر والشعر مثلا. وسيرى القارىء أيضاً أننا سنذكر أسماء لا تكتب فى الرسالة اليوم، ولكن الحق والغيرة الأدبية يقتضيان أن نذكر فضل الرسالة عليهم وفضلهم عليها ليتم فضلهما معا على الأدب عامة. فمن شيوخها الأفاضل: الأساتذة الأجلاء: الزيات، وطه حسين، وأحمد أمين، والعقاد، وعزام، والرافعى، ومظهر، ومحمد عوض، وزكى مبارك، ومحمود البشبيشى، والغمراوى، والنشاشيبى، والرصافى، وأحمد زكى، وعبدالمتعال الصعيدى، وتوحيد السلحدار، وتوفيق الحكيم، والأب أنستاس الكرملى، وعلى محمود طه، وابراهيم ناجى، والنشار، وجميل صدقي الزهاوى، وإيليا أبو ماضى، ومحمود غنيم، وخليل بك مطران، وقدرى طوقان، ورامى. ومن شبابها المبقريين: الأساتذة الكرماء: على الطنطاوى، وعبد المنعم خلاف، وسيد قطب، وصلاح المنجد، ومحمود الخفيف، ومحمد مندور، ودرينى خشبة، ومحمود إسماعيل، وحسين البشبيشى، وأمجد الطرابلسى، وسعيد العريان، وصالح جودت، ومختار الوكيل، ونجيب محفوظ، ومحمود السيد شعبان، وزكريا ابراهيم، وفهمى عبد اللطيف، وعبد الرحمن الخميسى، والعوضى الوكيل، والعجمى، والصيرفى، والدكتور عزيز فهمى، وفتحي مرسى، والجبلاوى، والزحلاوى، وعتيق. ولن أستطيع نسيان السيدة الزهرة، والآنسة فدوى طوقان.

هذه أسماء لامعة فى تاريخ الأدب، والفضل فى ظهورها فى الأفق الأدبى يرجع إلى الرسالة قدمناها بغير ترتيب لنمهد للقارىء السبيل إلى تقسيمها إلى مدارس تجمعها الرسالة.

رأينا أن بعض هذه الشخصيات قد انفردت باستقلال فى شخصيتها، بل إن قوة هذه الشخصية المنفردة قد أثرت فى غيرها

إنكاره هذا برأى للدكتور مندور! أن يكتبوا عن محمد وأبى بكر وعمر وعلى. لماذا؟ لأنهم عظماء! وكان الواجب أن يكتبوا عن (رجل الشارع)!

لكأن العظمة جريمة يعاقب عليها أصحابها بالإهمال!

إن رجل الشارع ليستحق الحديث، نعم، ولكن العظام يستحقه - على الأقل كرجل الشارع - والأدب مكلف أن يتحدث عمن يحسن الحديث عنهم، من هؤلاء أو من هؤلاء، وكل تحكم فى اتجاهه إنما هو مجاوزة للحق ومجانبة للصواب.

***

وبعد فليس ما ناقشته هنا إلا جانبا ضئيلا مما طرقه المؤلف من مباحث، وحسبه أن يثيرنا للرد أو للموافقة، فهذا أو ذلك نجاح ولا شك للكتاب.

سيد قطب

فتكونت مدارس سنعرض لها . ومن هذه الشخصيات الأساتذة: الزيات والرافعي والعقاد ، وهؤلاء كان لهم حقا مدارس ملموسة الأثر في الرسالة . أما طه حسين وزكي مبارك فمع حيويتهما الفائقة فإن أثرهما وإن عظم في الأدب عامة ، لا نستطيع أن نجد له خطوطا بارزة في مدارس الرسالة الأدبية . وسنتكلم عن هذه المدارس .

مدرسة الزيات

ليس من شك في أن للأستاذ الزيات طريقة فذة واضحة التقاسيم ، قوية السبك ، ولعل أبلغ بيان لها وأقوى دفاع عنها هو ما كتبه في سلسلة مقالاته عن « دفاع عن البلاغة » ولسنا هنا بصدد توضيح معالمها ، وإنما علينا أن نشير إلى تلامذتها وحملة مشعلها . وسنجد أن الأستاذ الزيات وإن كان كاتبا فحسب قد أثر في شعراء كثيرين .

فمن كتاب هذه المدرسة مع تفاوت في القوى والقرب أو البعد عن الأصل : الأساتذة الأفاضل : صلاح الدين المنجد ، وشكري فيصل ، ودريني خشبة ، ومحمد فهمي عبد اللطيف ، ومحمد محمد المدني ، وعبد الرحمن عيسى ، ومحمود عزت عرفة .

أما الشعراء الذين نلمح أثر الزيات فيهم فيمتاز كل منهم بأنه ملك القدرة على الكتابة نثراً رصينا وشعراً قوى السبك حلو الرنين ، وفي مقدمتهم الأساتذة : على محمود طه وعبد الغنى حسن ومحمود الخفيف وحسين محمود البشبيشي وأنور العطار ومحمود السيد شعبان . وكل منهم يحتل مكانا عاليا في الخلود الأدبي مع اختلاف في المزاج والاتجاه سنعرض له أخيراً عند الكلام عن مدارس الرسالة الشعرية .

مدرسة الرافعي

كون الرافعي رحمه الله مدرسة كبيرة ، ولكنها في الحقيقة لم تنجح كل النجاح في تقليده تقليداً كاملاً ، وإن كانت قد أحبت نهجه ودافعت عنه وألف بعضهم فيه كتابا قيما . ولعل صعوبة التقليد للرافعي ناشئة عن خياله الخارق للعادة ودرايته العجيبة بكل شاردة أو واردة في اللغة والأدب . ومن تلامذة هذه المدرسة من لم يتأثر إلا بها ، ومنهم الأساتذة الأجلاء سعيد العريان ، وعلى الطنطاوي ، ومحمود محمد شاكر . ولعل أقرب الشعراء إلى هذه المدرسة هو محمود حسن اسماعيل ، ولكنا قد نلمح للرافعي أثراً في بعض الشعراء ، وسنعرض لذلك بعد الكلام عن مدرسة العقاد

مدرسة العقاد

أما العقاد فله مدرسته وله شخصيته ، وهي الآن أشد أثرا ، ولم ينجح كل تلاميذه في تقليده وإن نهجوا نهجه في طريق البحث والتفكير ووسائل التقسيم والتفسير . ولقد برز منهم أساتذة أفاضل في مقدمتهم الأساتذة : سيد قطب ، وعلى أدهم ، والزحلاوي ، والجبلاوي . وممن تأثروا به في الشعر غير سيد قطب والجبلاوي مخيمر والحلاوي والعوضي الوكيل وخاصة في بدء نشأتهم

وهناك مدرسة شعرية بين المدارس الثلاث : وهم شعراء جمعوا بين قوة الديباجة ورقة الموسيقى من الأستاذ الزيات . وقوة الخيال الشعرى من المرحوم الرافعي . وملكوا العمق التأملي في الخفايا الوجدانية من الأستاذ العقاد ، وأغلب هذه المدرسة من الشباب وفي مقدمتهم الأستاذ محمود اسماعيل والأستاذ سيد قطب والاستاذ حسين البشبيشي والأستاذ عبد الرحمن الخميسي ، وفي هؤلاء صوفية حبيبة وروح فني وضاء

أما الأساتذة : الوكيل والعجمي وشعبان وعبدالغنى حسن وزكي مبارك ففي شعرهم قوة ديباجة وموسيقية ولكنهم يلونون المعاني بهوادة .

مدرسة الأعلام الثقاة

ولعلها كلها من شيوخ الرسالة الأمجاد . وإن كل عالم منها لأشهر من أن يعرف في الأقطار العربية ، بل إن آراءهم وأقوالهم وتحقيقاتهم الأدبية واللغوية لتحمل القول الفصل ، وهم الأساتذة الأجلاء العلماء اسعاف النشاشيبي والأب أنستاس وأحمد العوامري ومحمود البشبيشي والزيات والمبارك ، وهؤلاء ينظر إليهم كقادة يحافظون على اللغة فوق قيادتهم للأدب .

وبعد فهذه كلمة موجزة تحتاج الى تفصيل .

دكتور

سيد حنفي

شهيد كربلاء !

[بقية المنشور في العدد الماضي]

للأستاذ محمود الخفيف

ويوم من الدم إصباحه ... على الأفق ذائبه الأحمر
به صور الهول قبل الوقوع ... كأن السماء بها تنذر
كأن الردى شبح ماثل ... إليه قلوبهم تنظر
من الحر تشوى الوجوه ضحى ... كأن الجحيم به تزفر

بميمنة الصف قام زهير (١) ... وقام حبيب (٢) على الميسرة
تغلغل في كل نفس يقين ... تلاقى به الموت مستبشره
وكم من كمي ترى وجهه ... فتبصر في وجهه قسوره
من الجد تعبس تلك الوجوه ... ومما ارتضته ترى مسفره

وهذا الحسين فتى هاشم ... بقبضته سيفه منتضى
تلألأ في الصف وجه الحسين ... كصارمه العضب إذ أومضا
تخايل في وجهه من أبيه ... علي إمام الهدى المرتضى
يسوى الكماة ويدعو الرماة ... ويخضع لله فيما قضى

به غلة والفرات الدفوق ... على قاب قوسين أو أقرب
تلألئ شمس الضحى ماءه ... فلألاؤه للحشا ملهب
وقد أضرم الحر أنفاسه ... ونار الوغى حوله تصخب
يظل على قرن شيطانها ... نذير بأهوالها ينعب

أبوه على الحوض يسقي العطاش ... إذا الحشر عج بهم واضطرم
فيا ويحهم يمنعون الحسين ... من الماء وهو لديهم عمم
وكم بل غلة ذي غلة ... حسين وكم كان عين الكرم
حيا في الجدوب سنى في القطوب ... حمى في الخطوب غنى في العدم

يعالج كل فتى سيفه ... وقد شهد الأكثرين نفارا
تنادوا وقد أحدقوا بالظماء ... إذا التفتوا يمنة أو يسارا
وكم ظامئ بين تلك الخيام ... إلى الروع هز الحسام اضطرارا
لهيف إلى الماء وهو الذي ... بكل وغى من يطيق اصطبارا!

على فرس زافر باللهيب ... دعاهم وفي يده مصحف
أصيخوا فإني لكم منذر ... ألم يأن يا قوم أن تنصفوا
لئن كان سفك دمي همكم ... فأعفوا العطاش هنا وارأفوا
أمامكم الظمأ المستحر ... ضحى الحشر إذ يعظم الموقف

أنت ابن فاطمة ويحكم ... أجيبوا أنت ابن بنت النبي؟
أفيقوا أتنسون أن أبي ... علي وحمزة عم أبي ؟
وجعفر (١) من كان يدعى بذي الجـ ... ـناحين عمي فتى يعرب ؟
حذار لكم أن تريقوا دمي ... فساء لكم ذاك من مطلب

وشق الفضاء صراخ النساء ... فطن لقرب المصاب الجلل
لقد أحدقت قارعات الخطوب ... فما مسه وهن أو وجل
تعاظمه أمر هذا الصراخ ... فماد من الحزن ذاك الجبل
تخاذل عزم له صارم ... وخار... فوارحمتا للبطل!

وعاد الحسين ينادي العدو ... أثار دعاكم لهذا العداء ؟
كرهت لكم أن تشدوا علينا ... جموعاً ، وأن تبطشوا بالنساء
لئن كان بيني وبين امرئ ... دم فليجب بعد هذا النداء
عجبت ! ألم يدعني قومكم ... إليهم فقيم أسأتم لقائي ؟

وقال له قائل منهم ... إذا رمت أمناً فبايع يزيدا
مقالة مستهزئ شامت ... يمني بوعد ويخفي وعيدا
ورد الحسين : أبات الكرام ... بنو هاشم صاغرين عبيدا ؟
دعوت ولكن أراكم ضللتم ... بما تطلبون ضلالاً بعيدا

تداعوا إلى الطعن لكنما ... تخلف عن جمعهم باسل

---

(١) زهير بن القين . (٢) حبيب بن المطهر

(١) جعفر بن أبي طالب قطعت ذراعاه في غزوة مؤتة فبشره الرسول بأن سيبدله الله بهما جناحين في الجنة

مَشى فى ثلاثينَ مِنْ جُندِهِ   أماثِلُ ما فيهمُو ناكِلُ
فوارسُ خبّتْ بهم خيلهمْ   وفيهم أخو الرُّمحِ والنابِلُ
أصاخوا لقولِ الحسين كما   يُفيقُ مِنَ الغفلةِ الغافِلُ

هُوَ الحُرُّ ثارتْ به نخوةٌ   فهزَّ بها بعض فرسانهِ
فأقبل مُعتذراً للحسين   ومِنْ حولهِ خيرُ أقرانهِ
يقولُ بَرِيءٌ أنا من يزيدَ   وآل يزيدَ وأعوانهِ
تجبّرَ شيطانُهُ ابن زيادِ   فسُحقاً له ولشيطانهِ

وصاح: ألا يا خُصومَ الحسينِ   لأُمِّكمُو يا لِئامُ الهَبَلْ
أهذا الفراتُ حرامٌ عليهِ   حلالٌ لِكلِّ ضيفٍ نَزَلْ؟
تَعُبُّ الخنازيرُ منه وما   يُرَى نابِحٌ غلَّ إلاّ نَهَلْ
وتنهلُ منه سِباعُ الفلا   ويصرعُ آلَ الحسينِ الغَلَلْ؟

لك الويلُ يابن زيادٍ ويا سوء ما أنتَ ماضٍ له يا عُمَرْ.(1)
غدًا يابن ذى الجوشن أصلَ الجحيمَ
فأنتَ وقودٌ لها يا شِمرْ.(2)

حلفتُ لأقتحمَنَّ الحتوفَ   وما كنتُ فيها امرَءًا ذا خَوَرْ
فإنْ أنا مِتُّ فداء الحسينِ   ففى جنةٍ مقعدى ونَهَرْ

وغيظ العدوُّ فشدّوا صفوفاً   ففى زحفهمْ غِلظةٌ واحتدامُ
فوا عجباً زلزلتْ جمعَهمْ   مِنَ القلةِ الظامئينَ سِهامُ
وشاءوا مُبارزةً فانبرى   لهم مِنْ فريق الحسين عِصامُ
فجندلَ مِنْ جمعهم فارسَيْنِ   وفى السيفِ والقلبِ مِنهم ضِرامُ

وطالتْ مبارزةٌ بينهمْ   فكرّاتُهمْ كلها خاسِرَهْ
فما التقتِ الخيلُ إلاّ جرتْ   بفرسانها خيلهم نافِرَهْ
كأنَّ الحسينَ وأصحابهُ   ضراغِمُ مُهتاجةٌ زائِرَهْ
كِرامٌ على قِلةٍ صابرونَ   بدُنياهمُو اشتروا الآخِرهْ

وخافَ المبارزةَ الأكثرونَ   فشدّوا على الظامئينَ صُفوفاً
فكمْ كرّةٍ ردّها صفُّهمْ   وما وهنوا حينَ خاضوا الحتوفا
وظلَّ الحسينُ لهمْ داعياً   عطوفاً على المنهكينَ رؤوفا
وحسبهمو ما بهمْ مِن أوامٍ   فكيفَ وهمْ يدفعونَ الألوفا

فواجِعُ تغشى صميمَ الفؤادِ   وللدمِ رائحةٌ تُنتشقُ
وأوّلُ ما خرَّ منهمْ شهيدٌ   وجمعُ العدوِّ بهمْ مُحدِقُ
دعا للحُسينِ وأوصى بهِ   وجفنيهِ كفُّ الردى تُطبِقُ
وبشّرهُ صحبُهُ بالنعيمِ   فهشَّ لهمْ وجهُهُ المُشرِقُ

بميسرةِ الجيشِ شدَّ الدعيُّ ابـ   ـنُ ذى الجوشن المستطيلُ الأثيمُ
دنتْ خيلُهُ مِنْ مكانِ الحُسينِ   فآذاهُ لولا كِفاحٌ عظيمُ
وزُحزِحَ بعدَ اقتتالٍ مَريرٍ   ودونَ الحسينِ جِهادٌ صريمُ
نكاثلَ مِنْ حولِهِ الذائدونَ   فخيلٌ تشدُّ وخيلٌ تحومُ

طغَى وتمادى ابن ذى الجوشنِ   فكلُّ حِمًى عندهُ مُستباحُ
تصدّى ليحرِقَ تلكَ الخِيامَ   وكمْ ملأَ السمعَ مِنها نُواحُ
فكمْ قدَّ بالرُّمح من خيمةٍ   ومِنْ حولِهِ مُشرعاتٌ رِماحُ
ولولا فتًى عيّرَ ابنَ الدعيِّ   لما عفَّ وهو السفيهُ الوقاحُ

دعا بالرُّماةِ فخفّتْ إليهِ   مِئاتٌ غِلاظٌ تشدُّ القسِيّا
بها عقروا خيلَ صحبِ الحُسينِ   فلمْ يذروا دانياً أو قصيّا
هوى الحرُّ مُرتجزاً هاتِفاً   أنا الحرُّ ما كنتُ إلا الأبيّا
فإنْ تعقروا فرسى لن أذلَّ   سأُقتلُ دونَ الحسينِ رضيّا

وشدَّ زُهيرٌ وجُنَّ القتالُ   وزُلزِلتِ الأرضُ زِلزالَها
وأومضتِ البيضُ تحتَ الغُبارِ   وردّدتِ الخيلُ تَصهالَها
تهزّأَ كلُّ فتًى بالحتوفِ   فخاضَ هُنالِكَ أهوالَها
وردَّ الأثيمُ على رغمِهِ   وقدْ هاجتِ الحربُ أبطالَها

وكرَّ حبيبُ على الأكثرينَ   وكرَّ أباةٌ شِدادٌ معَهْ
فقاتلَ فيهمْ إلى أنْ رماهُ   عدوٌّ بسهمٍ لهُ أوقعَهْ
فهبَّ فعاجلَهُ آخرٌ   بسيفٍ فأوردهُ مَصرعَهْ
وكمْ هدَّ هذا المصابَ الحُسينَ   وأسبلَ مِنْ حزنٍ أدمُعَهْ

يقولُ: لقدْ جلَّ فيهِ المصابُ   فنفسِى مِنْ ساعتى أحتسِبْ
وشقَّ على الحُرِّ قولُ الحُسينِ   وهيّجهُ دمعُهُ المنسكِبْ
فأقبلَ مُرتجزاً مُنشِداً   سألقى الرّدى عنكَ إذْ يقترِبْ
وأضربُ دونكَ لا أستطارُ   ولا أستكينُ ولا أنقلِبْ

---

(1) عمر بن سعد بن أبى وقاص أرسله ابن زياد على رأس الجيش.
(2) شمر بن ذى الجوشن كان على ميسرة العد شديد الخصومة للحسين

وَمَا لَبِثَ الحُرُّ إلا قليلا ... يخوض الحتوفَ وَيَسْتَقْتِلُ
فَخَيْـلٌ تُحَمْحِمُ مُرْتَدَّةً ... وأُخرى تَصَدَّى له تَصْهَلُ
وَقَدْ شَدَّ جَمْعٌ كَبِيرٌ عَلَيْه ... ودارَ بِهِ وَهْـوَ مُسْتَبْسِلُ
هَوَى جسداً لا حراكَ بِهِ ... يُعَمِّمُهُ الدمُ والقَسْطَلُ

وَجَاهَدَ فِيهِمْ زُهَيْرٌ وَشَدَّ ... فكانَ القَوِيَّ الجليدَ الفَتِيّا
يقول: فَدَيْتُكَ أَقْدِمْ حُسَيْنُ ... غَـداً تَلْقَ جَدَّكَ طَهَ النبيّا
وتلقَ أباكَ الإمامَ الوَصِيَّ الـ ... ـتَّقِيَّ النَّقِيَّ النَّجِيدَ عَلِيّا
وَسِبْطَ الرَّسُولِ أخاكَ وذا الـ ... ـجناحَيْنِ زَيْنَ الشَّبابِ الكَمِيّا

فما زال يَضْرِبُ دونَ الحُسَيْنِ ... وَمُذْ خاضَ هَوْلَ الوغى ما استراحا
تحدى الحتوفَ وَقَدَّ الصفوفَ ... وردَّ السيوفَ وَصَدَّ الرِّماحا
أحاط بِهِ مُثْخَناً فارسانِ ... فما كانَ إلاَّ أشدَّ كِفاحا
وما مات حتى بدا عاجزاً ... مِنَ النَّزْفِ عَنْ أنْ يَهُزَّ السِّلاحا

تفانَى الرِّجالُ وَقَلَّ النَّصِيرُ ... فما لِلْمُكاثِرِ لَمْ يَرْجِعِ ؟
وليسوا وإنْ خَرَّ مِنْهُمْ كثيرٌ ... يُحِسُّونَ بالنَّقْصِ في مَوْضِعِ
ويَشْعُرُ بالنقصِ جُنْدُ الحُسَيْنِ ... إذا ما شَهِيدٌ إليـهِ نُعِي
ألا كَمْ تَهاوَوا لديه تِباعاً ... وفي الجوِّ وَقْدٌ وفي الأضْلُعِ

بَقِيَّتُهُمْ حَـوْلَه يَدْفَعونَ ... مُشاةً فما فيهمو فارسُ
وماتوا لديهِ فُرادى ومَثْنى ... وَكُلٌّ لِفُسْطاطِهِ حارِسُ
تكاثرَ صَوْبَ الحُسَيْنِ العَدُوُّ ... إلى أنْ تَصَدَّى لَهُمْ عابِسُ (١)
فذاقَ الرَّدى زاحِفاً وَحْدَهُ ... وكلٌّ فتًى باسْمِـهِ هامِسُ

يَدُ الموتِ لم تُبْقِ مِنْ صَحْبِهِ ... كَمِيّاً، وهَوْلُ الوغى فاجِعُ
تَقَدَّمَ إخْوَتُهُ يَدْفَعونَ ... وما للقضـا منهمو دافعُ
وأبنـاءُ أعمامِهِ حُوَّمٌ ... يذودون وَهْوَ لهم دامِعُ
يلاقون بين يديه المنون ... أُباةً فما فيهمو جازِعُ

فواحسرتا كم رمى الباطشون ... من الأفْرُعِ الشُّمِّ من هاشمِ
وَوَالَهْفَتا إذ ينادي عليٌّ ... أبي! وهو بين يدي غاشمِ
فيسعى إليه أبوه الحُسَيْنُ ... وليس من الموتِ من عاصمِ

وَتَصْرُخُ زَيْنَبُ: يابْنَ أخي ... وتحنو على البَطَلِ النائِمِ
بكيتَ لأمْرَدَ جَرَّ الحُسامَ ... وَجِيداً يُكافِحُ عن عَمِّهِ
غُلامٌ كما اعتدلَ السَّمْهَرِيُّ ... وَعَزْمُ المُهَنَّدِ مِنْ عَزْمِهِ
فتًى دِرْعُهُ البأسُ لم يَدَّرِعْ ... بِغَيْرِ الإزارِ على جِسْمِهِ
هو القاسِمُ ابنُ أخيهِ الإمامِ ... بَقِيَّةُ مَنْ خَرَّ مِنْ قَوْمِهِ

فيا هَوْلَ مَصْرَعِهِ إذ أحاطتْ ... بِهِ الخيلُ وَهْوَ لها صامِدُ
فيهتفُ: عمّاه! مُسْتَصْرِخاً ... ويهوي وقد شَجَّهُ ماردُ
برِجْلَيهِ يَفْحَصُ مِمّا بِهِ ... وبينَ العِدا عَمُّهُ جاهدُ
على صدره احتمل ابن أخيه ... ولكنَّهُ جَسَدٌ هامِدُ

وأعيا على باب فُسْطاطِهِ ... يَضُمُّ صبيّاً إلى صدرِهِ
فبينا يَشَمُّ الحُسَيْنُ ابنَهُ ... ويوصي بِهِ وهو في حِجْرِهِ
بسَهْمٍ تَصَيَّدَهُ قانِصٌ ... ففار بِهِ الدمُ من نحرِهِ
تلقى دم الطفلِ مُسْتَسْلِماً ... لما قدّرَ اللهُ من أمرِهِ

وجاءتْ له امرأةٌ خِلْسةً ... بماءٍ وَهُمْ حولهُ حُوَّمُ
فما كادَ يَشْرَبُ حتى رَماه ... بسهمٍ أخو خِسَّةٍ مُجْرِمُ
أصابَ بِهِ الوغدُ شِدْقَ الحسين ... ففار على الماءِ مِنْهُ الدمُ
دعا رَبَّهُ: رَبِّ خُذْ ظالِمِي ... فأنتَ بما ظَلَمُوا أعْلَمُ

ألحَّ على البطل النائبات ... فمن توحيدٍ ذوى... مَنْ له ؟
تَوَقَّدَ مِنْ ظَمَأٍ جَوْفُهُ ... وأصحابُهُ رِمَمٌ حَوْلَهُ
وجَمْعُ العَدُوِّ محيطٌ بِهِ ... وإنْ خافَ كُلُّ امرئٍ قَتْلَهُ
تَهَيَّبَ أنْ يَقْتُلوا ابنَ النبيِّ ... شياطينُ كم بطشوا قَبْلَهُ

وظلَّ يُحَرِّضُ أصحابَه ... أضلُّ العِدا شِمْرُ الفاجرُ
وهوَّنَ قَتْلَ الحسين فشدّوا ... عليه وليس لهم زاجرُ
فَهَبَّ وصمصامُه مُصْلَتٌ ... كما وثبَ الضيغمُ الثائرُ
فكم كَرَّةٍ هدَّها بأسُهُ ... وزلزلها عَزْمُهُ الصابرُ

ألحّوا على البطل المستميت ... فشدّوا شمالاً وشدّوا يميناً
يقوم ويكبو وهم يضربون ... وتأبى عريكتُهُ أن تلينا
إلى أن هوى مثخناً بالجراح ... على وجهه سِمَةُ الصابرينا

الخفيف

---

(١) عابس بن شبيب وكان أشجع الناس



نون النسوة

[قالوا إن النساء قررن في مؤتمرهن الذي انعقد في القاهرة منذ قليل المطالبة بحذف نون النسوة من اللغة تحقيقاً لمساواتهن بالرجال ، فنظم الدكتور عزيز فهمي هذه الأبيات في ذلك] :

هلاّ أتاكَ حديثُهُنَّه ؟ النونُ ليستْ نونَهُنَّه

هــذا القرارُ وثيقةٌ أفصحْ وذكِّرْ جمعَهُنَّه

النونُ تخدشُ سمعَهــ ـنَّ . وما أرقَّ شعورَهُنَّه !

ظلم الرجالُ نساءهم ما للرجالِ وما لَهُنَّه ؟

النونُ فرضُ كفايةٍ يكفي النساءَ فروضُهُنَّه

والميمُ أحسمُ للخلا فِ فلا تثيروا كيدَهُنَّه

بَرِيء النساءُ منَ الأنو ثةِ مُذْ ملكنَ قيادَهُنَّه

عِفْنَ الخباءَ وما الحيا ةُ إذا لزمْنَ خدورَهُنَّه ؟

عِبْءُ الأمومةِ فادحٌ حَسْبُ العقائلِ حَمْلُهُنَّه

حَسْبُ العقائلِ ما احتملْـــ ـنَ وما حملنَ منَ الأجِنَّه

ما للغواني والرَّضا عةِ ؟ إنَّ هذا الفرضَ سُنَّه

فإذا صدفْنَ فلا جُنا حَ وإن عطفْنَ فتلكَ مِنَّه

رُفِعَ النقابُ فلا نقا بَ لهُنَّ غيرَ حيائِهِنَّه

أَسَرَ الرجالُ نساءهم حتى استحالَ إسارُهُنَّه

وطَوى الحليلُ على الحلا ئلِ واستباحَ حريمَهُنَّه

عَقَدَ الوثاقَ فما شكيْـــ ـنَ ولا برِمْنَ بحالِهِنَّه

ومكرْنَ مكرَ خديعةٍ وجذبْنَ مِنْ يدهِ الأعِنَّه

الطيرُ راشَ جناحَهُ قَدَرٌ يُثيرُ لهُ الدُّجُنَّه

وتمرَّدَ الحَمَلُ الوديـــ ـعُ على الذئابِ المطمئنَّه !

عزيز فهمي

الرصافي وأبو حنيفة

كتب الأديب راشد سليمان تحت هذا العنوان في عدد ٥٩٨ من الرسالة ينكر على الرصافي قوله إن أبا حنيفة يجيز قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة ، ويطلب منه نصاً يؤيد ما قاله وأنا أتطوع بذكر هذا النص فأقول : في كتاب التلويح والتوضيح لصدر الشريعة ، بعد كلام طويل في باب تقسيم اللفظ بالنسبة للمعنى « وقد روى عن أبي حنيفة أنه لم يجعل النظم لازماً في جواز الصلاة خاصة ، بل اعتبر المعنى فقط حتى لو قرأ بغير العربية في الصلاة من غير عذر جازت الصلاة عنده ، وإنما قال خاصة لأنه جعله لازماً في غير جواز الصلاة لقراءة الجنب والحائض حتى لو قرأ آية بالفارسية يجوز لأنه ليس بقرآن لعدم النظم » .

وفي بحث في ترجمة القرآن للامام المراغي شيخ الجامع الأزهر : « قال الصدر الشهير في شرح الجامع الصغير : وهذا تنصيص على أن من يقرأ القرآن بالفارسية لا تفسد صلاته بالاجماع » . وقال شارح الهداية : « والخلاف في الاعتداد ولا خلاف في أنه لا فساد » . وقال الزيلعي في شرح الكنز : « ولا خلاف في الفساد حتى إذا قرأ معه بالعربية قدر ما تجوز به الصلاة جازت صلاته » . وقال أبو اليسر : « والجواز عند العجز بالفارسية نص على أن القرآن بها لا تفسد الصلاة إنما الشأن في جواز الصلاة بها « كذا في جامع قاضيخان » .

وقد تبين من هذا أن أبا حنيفة يجوز قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة ولو بغير عذر . وأما الصاحبان فلا يجوزانها إلا إذا عجز عن العربية لأن القرآن اسم لمنظوم عربي لقوله تعالى : « إنا جعلناه قرآناً عربياً » والمراد نظمه . ودليل أبي حنيفة قوله تعالى : « وإنه لفي زبر الأولين » ولم يكن فيها بهذه اللغة ، وقوله تعالى : « إن هذا لفي الصحف الأولى ، صحف ابراهيم وموسى » وصحف ابراهيم كانت بالسريانية ، وصحف موسى بالعبرانية فدل على كون ذلك قرآناً .

عبد الفضيل يوسف رجب

الأستاذ النشاشيبي

عاد إلى مجلسه فى (الكنتنتال) أديب العربية وخاتمة أدبائها المحققين الأستاذ إسعاف النشاشيبي . ومجلسه حيث كان متعة للعقل والقلب واللسان : فيه سلافة النديم ، وريحان اللبيب ، ونقل الأديب ، ونوادر اللغوى ، وطرف المؤرخ . وقد زار الأستاذ النشاشيبي دمشق فى مهرجان المعرى ونزل بأربان بالاس فنزل معه الفضل والعلم وما يصحبهما من كل أولئك . وحضر مجلسه فيه الأستاذ صلاح الدين المنجد فقال يصفه :

« هذا الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي ! إنه نسيج وحده فى كل شيء : فى أسلوبه المتين ، وفى حديثه المبين ، وفى إلقائه النادر ، وفى سعة علمه ، وكثيرة محفوظه . فلا يشابهه أحد ، ولا يجاريه أحد

كانت حلقته فى الأربان بالاس مهوى نفوس الذين يتذوقون الفصاحة ، ويرغبون فى سماع محاسن العربية . ينفض أناس ، ويقبل أناس ، وهو لا يمل ، يسمعهم من طريف أدبه ، ويروى ظمأهم من روائع علمه ، ويأسرهم بتهذيبه وتواضعه

قابلته بعد عودته ، أسأله عن صحته ، آملاً ألا تكون هذه الرحلة الطويلة المتعبة المستعجلة قد أضرت به ، فأجابنى فرحاً :

— لقد كشفت سراً ... فى معرة النعمان !

— سر ؟

— نعم ، سر عظيم ... ما كنا نفطن إليه لولا أن رأينا بلدة أبى العلاء

— وما هذا السر ؟

— كان أبو العلاء منقطعاً عن أكل اللحم ، وكان يمن علينا بذلك ، فلما رأيت أن فى المعرة التين ، التين الحلو ، المشوب بالعسل المصفى ، الكبير الحجم ، وإن فيها العدس المندى ، اللذيذ المفيد ، قلت : ما اللحم أمام تين المعرة وعدسها ؟ أما لو كان لى معدة قوية كمعدة أبى العلاء ، وكنت فى المعرة ، آكل من تينها وأطعم من عدسها ، إذن لآليت ألا أذوق ما حييت لحماً ... !

فلا يمن علينا أبو العلاء ... فقد كشفنا السر ... !

ثم أطرق وقال :

الحق أن أبا العلاء شيء عظيم . لقد أحب الحياة ، وود لو عاش ألفاً من السنين . وكان متفائلاً كأعظم المتفائلين . وكان يكره الموت إلا موت الأبطال الخالدين . وكان مجنوناً ... جن بالقرآن وجن باللغة العربية ، فعرف من شواردها ، وفصيحها ، وصرفها ، ونحوها ، وشعرها ، ما لم يعرفه أحد . ورأت هى حبه ، فأطاعته وانقادت له ، فملكها وأكثر من ترداد محاسنها ، لأنه يحبها ... »

« جماعة نشر الثقافة الإسلامية » بكلية الآداب

تكونت بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول « جماعة نشر الثقافة الإسلامية » تحت رئاسة شرف الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام . وغرض الجماعة تبيين ملامح الحضارة الإسلامية على أسس علمية وإظهار نواحيها الأدبية والعلمية والفنية ودراسة التاريخ الإسلامى على أسس منهجية تحليلية جديدة ، والعمل على صوغ التراث العلمى الإسلامى فى قالب جديد يتمشى مع العلم الحديث ومقتضيات النهضة المعاصرة .

وقد وضعت الجماعة منهاجاً يحقق لها هذه الخطوات ، وذلك بأن نظمت سلسلة من المحاضرات يلقيها بالكلية كبار المشتغلين بالفكرة الإسلامية . وستقوم لجان من أعضاء الجماعة وممن يريدون أن يشاركوها فى هذا العمل بإنشاء بحوث إسلامية تنشرها باللغة العربية وباللغات الأوربية الحية ؛ وتقوم كذلك بتعريب البحوث التى كتبت عن الإسلام بلغات غير عربية حتى يتكون لدينا من هذا كله فكرة صحيحة عن الإسلام وحتى ترتسم صورته أمامنا غير مشوهة .

وستقوم الجماعة إن شاء الله بإذاعة محاضراتها وبحوثها فى نشرات خاصة تتعدد بتعدد نواحى الحضارة الإسلامية فسيكون ثمة مثلا نشرة علمية وأخرى أدبية ... وهكذا .

وتبدأ الجماعة نشاطها بإذن الله خلال النصف الثانى من محرم سنة ١٣٦٤ راجية من الله التوفيق والتأييد .

عن الجماعة

محمد على الليثى

إلى الدكتور زكي مبارك

هل يتفضل أستاذنا الفاضل الدكتور زكي مبارك ويشرح لنا ما يريد أن يقول في قصيدته « غرام يوم الثلاثاء » المنشورة بالعدد الأسبق من الرسالة ؟ وإذا أحسن الدكتور بذلك فليكن شرحه في غير الرسالة ؛ لأني أضن بحيزها الضيق عن أن يتسع لشرح المراد من مثل قوله :

عهد الهوى البكر هل تنساه يا هاجر

عهد الهوى البكر هل تنساه يا غادر

عهد الهوى البكر هل تنساه يا قاهر

عهد الهوى البكر هل تنساه يا كافر

يا هاجر ، يا غادر ، يا قاهر ، يا كافر

إسكندرية

محمد محمد يوسف

(الرسالة) : تلقينا تسع رسائل عن (غرام يوم الثلاثاء) أخصرها وأخفها هذه الرسالة . وقد قسا حضرات الكاتبين في النقد واشتدوا في الخطاب حتى رمونا بالإساءة إلى الرسالة وإلى الدكتور بنشر هذه القصيدة . ولا أدري كيف نسوا أن الدكتور المبارك من مؤرخي الأدب ، ومن رجال النقد ، ومن كهنة القريض ؛ فلم لا يكون ذوقه توجيهاً للأذواق ، وشعره تجديداً في الشعر ؟ وهو بعد ذلك عاشق معمود ، فمن حقه أن يئن كيف يشاء .

أساطير شرقية

يعجبني الأدب الذي يطبعه أصحابه بطوابع بلادهم ، ويلبسونه حللاً من نسج أرضهم أو يتسقطون أخباره ، فما كان منها لصيقاً بهم عطفوا فنونهم عليه ، وحنوا بآثارهم إليه . كذلك سرني أن أقرأ الأساطير الشرقية التي ألفها ورواها الأستاذ كرم البستاني وأخرجتها دار المكشوف في بيروت . وللأستاذ كرم ولع قديم بهذه الطرف يحسن عرضها ويجلي في سردها ، ويعدها للقراء مثل طنفسة ثمينة طرزتها يد صناع ، وكنت وأنا أقرأ هذه الأساطير أحس بشرقيتي ويتملكني العجب للأمم التي تعاورت على الشرق في قديم عهوده وكانت هذه الأساطير سفرها وأدبها .

تمتاز أساطير الأستاذ كرم بهذه الشرقية الصافية التي ألقت قدميها على شواطئ لبنان أيام الفينيقيين مثل حسناء بحرية ، وداعب شعرها نسيم لبنان العليل ، وشاقها الغرب بملاحته وسحره فأحبت بلاد اليونان ودعتها السياحة والمغامرة إلى زيارتها والبقاء فيها .

فعلى أساطير البستاني جمال الشرق وملاحة الغرب كأسطورة قدموس وأخته أوربا ؛ فأم هذين الشقيقين حورية الماء (صور) ، وصور مدينة شرقية عتيقة ما تزال إلى اليوم عليها غلائل الأساطير الفينيقية . ثم انظر كيف تمر هذه الأسطورة من مصنع الشرق إلى سوق الغرب متخذة فن راويها كبساط الريح . فإن جمال أوربا أخت قدموس قد استلب لب جوبيتر الشيق الذي يلوب على جمال بنات الأرض فيهبط عليهن يفترفهن مثل نسر كاسر ينقض على عصفور . فيرى في حقول صور أوربا ترعى الثيران فيرسل إليها أحد بنيه يختطفها إليه ليسبيها فيهب أخوها يبحث عنها في الأمصار حتى يصل إلى اليونان وتجري له ثمة حوادث تنسيه أخته وتذهله عن نفسه .

وهذه الأساطير جرى كاتبها فيها على طريقة علمية أكثر مما يجري على طريقة فن وأدب ، فقد تحرى فيها المصادر ، ودرس آثار الكاتبين عنها قبله في الآداب القديمة والحديثة ، وألزمته هذه الطريقة أن يشرح ألفاظاً ويحقق تواريخ تتعلق بالميثولوجيا . والعجب لحوادث أوردها بعضها محقق في الوجود وبعض ورد ذكره وحوادثه في الكتب المقدسة فرواها الأستاذ البستاني على أنها أساطير في أساطير .

وليس في وسع التحقيق الأدبي وإن شاء الإطراف أن يميل إلى هذا التسامح .

زكي المحاسني

13 me Année No. 603

Lundi - 22 - 1 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
م
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٦٠٣ « القاهرة في يوم الإثنين ٨ صفر سنة ١٣٦٤ — الموافق ٢٢ يناير سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الفهـــرس

رومان رولان

للأستاذ عباس محمود العقاد

في هذا الشهر رحل عن هذه الدنيا قائد الحملة الكبرى على عقائد البغضاء والعصبية النكراء.

وفي هذا الشهر ولد قبل تسع وسبعين سنة ، قضى أيامها العاملة في حرب دائمة ونضال واصب ؛ حرب للحرب في سبيل المطامع والأباطيل ، ونضال للنضال على الغنائم والأسلاب

وكان أكبر الرجاء عنده أن تبطل الحروب في العالم بأسره. فقضى الله أن يشهد الحرب العظمى قبل ثلاثين سنة ، وألا يفارق الدنيا حتى يشهد حرباً عالمية أخرى أكبر وأهول من الأولى ، ويذهب من دنياه وهي قائمة والرجاء في عقباها مبهم مجهول

كتب في مذكراته بعد نشوب الحرب الماضية : « أحس أنني في نهاية مواردي . ليتني قضيت نحبي . فظيع أن يعيش الإنسان والناس قد ضيعوا الصواب وانطلقوا مجانين . فظيع أن نشهد الحضارة تنهار . إن هذه الحرب الأوربية أكبر الكوارث البشرية في مدى قرون عديدة . إنها تعصف بأغلى الآمال في الأخوة الإنسانية »

وكتب بعد أيام : « ألمي جسيم لأنه يتجمع من آلام شتى ويوشك أن يخنق أنفاسي ... تخريب فرنسا ومصير إخواني بين المصارع والجراح ، والحزن على جميع هذه المصائب ، ولواعج

الفزع التي تمزق القلوب تمتلج بها صدور الملايين من المبتلين .

يساورني ذلك كله كأنما أنا في سكرات موت أدبي كما نظرت إلى هذه الإنسانية المجنونة تبذل أغلى ذخائرها ... تبذل جهودها وعبقريتها وحماستها وبطولتها قرباناً لأرباب الحرب النبية السفاحة ... إنني كسير القلب إذ أنظر فلا أرى علامة من العلامات تشير إلى أية رسالة ربانية ... أية روح سماوية ... أية زعامة خلقية يناط بها الرجاء في إقامة مدنية الله بعد نهاية المذبحة ... لقد بلغ يأسي من كل حياتي غاية مداه . فليتني أرقد اليوم رقدة لا يقظة بعدها »

وعلى هذا اليأس البالغ في قرارة نفسه لم يلق سلاحه ولم يتخل عن موقفه في ميدانه : ميدان الحملة على البغضاء ، وعلى شياطين القتال

فطفق من صومعته يرسل الصيحة بعد الصيحة مدوية في آفاق الضمائر العالية التي لا تحول جلبة النيران دون بلوغها . وجمل شعاره تلك الكلمة التي سارت بعد ذلك سير الأمثال بعد أن جعلها صيحة الحرب في سبيل السلام ، وهي : « فوق المعركة » مهيباً فيها بعقول المفكرين والمصلحين أن يرتفعوا بضمائرهم فوق هذه الوغى المصمة للآذان . فحسب البغضاء البهيمية أنها تصم السمع فلا ترتفع صعداً حيث لا ينبغي لها أن ترتفع فتصم الضمير

ولم يزل يكتب إلى كل أديب ينساق في دفعة الحرب سواء من صفوف قومه أو من صفوف الألمان : يكتب إليه ليذكره برسالة الأدب وواجب الكرامة البشرية في أمثال تلك الأوقات العصيبات ، فيقبل منه من يقبل ويعرض عنه من يعرض . وهو مع يأسه الذي وصفه لنفسه في مذكراته لا يكف بينه وبين الناس عن الجهاد

ذلك هو رومان رولان

ذلك هو الكاتب الإنساني الكبير الذي يغني وصفه اليسير عن تسميته أو الإفاضة في وصفه ، لأنه تفرد بغير شبيه من قومه أو أعداء قومه في هذه الشمائل الروحية ، وهذه السمات النوادر بين أدباء هذا الزمان

كانت دعوته الفنية قبل دعوته الروحية دعوة رسول إنساني في عصر الفتن والزعازع والخصومات

فكتب عن بتهوفن وهو ألماني ، وكتب عن ميكالنجلو وهو إيطالي ، وكتب عن تولستوي وهو روسي ، وكتب سفره العظيم الذي سماه جان كريستوف ليسرد فيه قصة فنان يحب الجمال الموسيقي حيث رآه ويعمل للانسان حيث كان

وقد رأينا أنه كان يناجي نفسه في مذكراته وهو يتلهف على علامة واحدة تبشر بمدنية الله وتؤذن أن تقام في يوم من الأيام بعد رجعة السلام . فما هو إلا أن سمع باسم المهاتما الهندي غاندي وعلم بحربه للحرب وكراهته للكراهة ووصيته الأقربين والغرباء أن يقابلوا العدوان بالإحسان حتى تفاءل واستبشر وبادر إلى اللحاق بهذا الأمل المقبل من بعيد ، فكتب سيرة غاندي وكتب سيراً أخرى لأنبياء الهند وحكمائها ، وكان في عطفه على غاندي وقومه لا ينم على نزعة واحدة من نوازع البغضاء لمن يضطهدونه ويسيئون إليه

من أين للأديب الفرنسي هذه الروح السلمية الإنسانية العامة وقد حضر في حياته ثلاث حروب أصيبت بلاده في كل منها بأفدح الخسائر وأهول النكبات ؟

فتح عينيه للدنيا في الرابعة من عمره على حرب السبعين التي منيت فيها بلاده بالهزيمة الجائحة ، ثم شهد الحرب العالمية الماضية ، وشهد الحرب العالمية الحاضرة في أصعب أدوارها وأخطرها على الأمة الفرنسية

ومن دأب هذه الحوادث أن تذكي في نفوس من يشهدونها عصبية عنيفة للوطن أو تعودهم السخر بكل شيء وقلة الاكتراث لأمر من الأمور ، يأساً من الأحلام الجميلة واعترافاً بالوقائع الأليمة التي تبلبل الخواطر وتشتت الأذهان

وقد ظهر في الأمة الفرنسية فعلاً كتاب متعصبون متحمسون كما ظهر فيها كتاب ساخرون متهكمون . فلماذا خالفهم رومان رولان في هذه الروح ونزع في حياته وفي كتابته منزعاً آخر غير منزع العصبية ومنزع السخرية بالأحلام الكبار ؟

جواب ذلك في الوراثة والنشأة الفنية ، وله جواب غير هذا الجواب في أفق التفكير الإنساني كله ، سواء منه ما اتجه ذات اليمين وما اتجه ذات اليسار

فالكاتب العظيم قد ورث الحماسة الروحية من أبيه وأمه ومن بيئة أهله بأجمعها

كان أبوه من دعاة حقوق الإنسان فى إبان الثورة الفرنسية ، وكانت أمه من أتباع جانسن الذين عرفوا بحرارة الإيمان وخلوص العقيدة

فلم يكن للطفل المولود في هذه البيئة غنى عن عقيدة تلتهب بها حماسته الروحية وتتعلق بها آماله الكبرى فى حياته وحياة الناس كافة

ووافق ذلك أنه نشأ محباً للفن الجميل ولا سيما الموسيقى والمسرحية الخالدة . وشغفه فى صباه اثنان من كبار أهل الفن الخالدين فى هذين المجالين المقدسين ، وهما بيتهوفن وشكسبير

ثم شغف مع بيتهوفن بالموسيقى الألمانية كلها لأنها كانت فى صباه غالبة على الأذواق الموسيقية فى معظم القارة الأوربية ، فلم يستطع أن يبغض الألمان — أعداء وطنه — ومنهم صفوة الأرباب الفنية المحببة إلى فؤاده وضميره ، وتمثل فيه من هذا الجانب ما تمثل قبله فى « جيتى » الشاعر الألمانى الكبير ، فإنه كان يقول كما لامه أبناء وطنه على إعجابه بالأمة الفرنسية : كيف أبغضها وأنا أعيش مع أبنائها فى عالم الفن والجمال ؟

أما شكسبير فهو شاعر الإنسان فى كل زمان : من عرف أبطاله عرفهم أناسيّ لم تحجبهم صبغة الوطن والعصر ، ولم تقيدهم شكول الزمان والمكان ، وقد كان من أبطاله دنمركيون وإيطاليون ومغاربة ويونان ، وكان الإنجليز منهم آدميين تراهم « أولاً » آدميين ثم تراهم بعد ذلك أصحاب صناعة أو أبناء طبقة أو أتباع دين

وكذلك تحولت برومان رولان وراثته ونشأته معاً إلى الوجهة الإنسانية التى تتجاوز حدود الأوطان والمداوات العصبية . ثم دعته حماسته الروحية الموروثة إلى العمل فلم يجد كفؤاً لها فى العصبية المحدودة ولا فى المطالب الموقوتة ، وفتح له أفق التفكير الإنسانى أبوابه فمضى فيه قدماً بكل ما وسعته نفسه من شوق وإيمان

فقد كانت الزوبعة الوطنية قد بلغت مداها الأقصى بعد ثورة الطليان وثورة اليونان ، وتحرر الأمم من سلطان الكنيسة ذهاباً مع الحرية الوطنية التى كانت ضرورية لها للتمرد على تلك السيطرة الأجنبية ، وكانت حروب نابليون قد أعقبت بعدها حنيناً إلى السلم والمؤاخاة ، وكانت الحركة الصناعية نفسها قد أنشأت مذاهب الاشتراكيين الذين يدينون بالطبقة أو بالعالم قبل أن يدينوا بالوطن أو التراث العنصرى القديم

فتعاقبت الدعوات إلى التحكيم وخلق المحاكم التى تدعى بمحاكم السلام ، وسمع الغرب والشرق رسالة تولستوى التى تنكر السطوة وتبشر بالمحبة والأخاء ، وشهدت أوربا سلسلة من المؤتمرات السياسية قوامها النفور من الحرب والاجتهاد فى حل المشكلات بالمشاورة والمساومة والتوفيق

وكانت هذه الدعوة العالمية أشبه الدعوات بمزاج رومان رولان الذى ورثه من أبويه ونشأ فى تربيته الباكرة عليه ، فاستهوته حين استهوت غيره دعوة العصبية والبغضاء ، واهتم بها حين بطل الاهتمام بالأحلام فى النفوس التى افتقرت إلى حماسة الروح ، وكان أشجع من دعاة الحرب ومن نافخى النار فى الذحول الوطنية والترات السياسية ، لأن الداعى إلى اجتناب الحرب كثيراً ما يحتاج إلى شجاعة لا تقاس إليها شجاعة المقبلين عليها أو المسوقين إليها ، حين تغلى الدماء ويثور الضجيج وتخرس الألسنة وتعمى العقول

وعاش الرجل فى أفق أعلى من الأفق الذى يرين عليه دخان المعارك ، وتوجه إلى قبلة أبعد من القبلة التى يممها اللاصقون بالغبراء ، وجمع رسالته كلها فى كلمة موجزة هى أصدق الكلمات التى تقال فى هذا الزمان وفى كل زمان ، فعلم وقال وعمل بما قال : « إن الإيمان — وليس النجاح — هو غاية الحياة »

سلام على جندى السلام يوم استراح من الكفاح .

عباس محمود العقاد

الرأى العام

للدكتور محمد مندور

لا يستطيع الناظر فى حياتنا العامة أن يطمئن إلى وجود رأى عام بالمعنى المفهوم فى بلاد الغرب ، وتلك ظاهرة ترجع فيما يبدو إلى عاملين كبيرين : أولهما اقتصادى ، وثانيهما ثقافى .

ولسنا فى حاجة إلى التدليل من جديد على فساد توزيع الثروة فى مصر ، وتلك آفة قديمة ستلقى هذه الأمة فى علاجها مشقات كبيرة ، ولكنها ستعالج يوما ما . وإنما نكتفى بإيضاح نتائجها فيما نحن بصدده من وجود رأى عام أو عدم وجوده . وأمتنا تنقسم فى جملتها إلى طبقتين : أغنياء وفقراء ، وأما الطبقة الوسطى فلا تزال فى بدء تكوينها . وكبار الأغنياء بطبيعتهم قوم مترفون أنانيون يسخرون من الاهتمام بالمسائل العامة التى لا تعنيهم إلا فيما يمس مصالحهم المباشرة . وأفراد الشعب تشغلهم مهام العيش ومشقاته حتى لا تترك لهم فراغا للتفكير الجدى فى الأمور العامة ؛ والفقر ينال من قوة نفوسهم فلا يستطيعون أن يتحرروا من إرادة الأغنياء . وعندما يكون المرء فى قبضة غيره ، والحاجة إلى الكفاف من العيش تلاحقه ، كيف تريد أن يكون حر الرأى . والملاحظ فى الأمم الغربية أن الطبقات الوسطى هى التى تكون الرأى العام وتقوده ، وذلك لأنها الطبقة الطموح ، ثم لأنها قريبة من الطبقة الدنيا التى تكون جمهرة الأمة ، وهي بحكم هذا القرب تعرف آلام الشعب وآماله كما تفهم عقليته . وهى طبقة جادة لا تعرف الاستهتار ، تتمتع بقسط من الاستقلال المادى يعطيها القدرة على الصلابة فى الرأى ومواصلة الكفاح من أجله . ثم إنها طبقة مستنيرة تستطيع بما لها من ثقافة ألا تقف عند الرضا أو السخط ، بل تستنبط الوسائل الكفيلة بتحقيق الخير لعامة الناس . وليس من شك فى أن نهاية هذه الحرب ستشهد صراعا قويا بين تيارين من التفكير : التيار الاقتصادى ، والتيار الاجتماعى . ونحن على تمام الثقة من أن سفسطة الاقتصاديين لن تقف عند حد ، فسيحاولون إيهام الشعب أن علاج الفقر الصحيح هو زيادة الانتاج بتنمية الصناعة وحمايتها من المنافسة الأجنبية . والاجتماعيون لا ريب يسرهم أن يزيد الدخل العام للأمة ، وهم ليسوا من خصوم الصناعة ، ولكنهم سيحرصون على أن تكون وسائل الانتاج ملكا للأمة جميعا ولو بطريق التساهم ، لا لفرد من الأفراد . وذلك لأنهم لن يستطيعوا صبراً على التفاوت القائم اليوم ، ولابد أنهم سيمنعونه من أن يستفحل بظهور أثرياء الصناعة إلى جوار أثرياء العقار . وإذا كتب للاجتماعيين الغلبة فلن يتركوا مشكلة توزيع الثروة تغيب عن الأذهان تحت ضباب مريب من الحرص على تنمية الثروة القومية وتعزيز استقلال اقتصادى موهوم ، لو حدث ذلك لتحررت عندئذ أرواح ملايين من البشر ، وارتفع مستواهم النفسى ، فكان لهم صوت فى تكوين الرأى العام .

والعامل الثقافى يطالعك فى دور العلم وفى فنون الصحافة . والذى لا شك فيه أنه لا مدارسنا العامة ولا صحافتنا بقادرة فى وضعها الحاضر على أن تكون رأيا عاما . والمدرسة العامة روحها الدرس ، وباستطاعتك أن تقلب البصر فيمن تلقى من مدرسين، فما أظنك واجدا الكثيرين بينهم ممن لهم فلسفة خاصة فى الحياة . ولسنا نقصد بالفلسفة الخاصة آراء بعينها فى الاقتصاد أو الاجتماع أو الأدب ، بل نرمى إلى حالة من النضوج الفكرى والعاطفى تمكن صاحبها من أن يتخذ له موقفا محدداً من الناس والأشياء ، فيعتقد مثلا أن المادة هى عصب الحياة ، أو أن الروح هى محركها الخفى ، ويكون من المؤمنين باطراد التقدم فى الانسانية أو القائلين بتراوحها بين المد والجزر . وقد يعالج مشاكل الحياة بالجد الحار أو بالسخرية الباسمة ، وقد يتناولها بالثقة المتفائلة أو الحذر المتشائم، ونحو ذلك من أنواع الفلسفات الشخصية التى لا بد أن تتصف بإحداها كل نفس ناضجة . وهذه الفلسفة الشخصية هي التى تمكن المدرس من التأثير فى تلاميذه تأثيراً باقيا ، وذلك لأنه يستطيع عندئذ أن يعطيهم ضوءا هاديا فى الحياة ، وبفضل هذا الضوء يستطيعون بدورهم أن يحكموا على مختلف الأمور . ومن البين أن الرأى العام يتكون من تفاعل مجموعة الأحكام الفردية . وإذن فما دام معلمنا لا فلسفة له ، وما دام كبار مفكرينا وأساتذتنا

لا يعرفون كيف يزودون هذا المعلم بتلك الفلسفة ، فما أظننا مستطيعين أن نجعل من مدارسنا بؤرات لتكوين الرأى العام . وأهول ما أخشاه ألا نجد من بين أساتذتنا وكبار مفكرينا أنفسهم نفراً كافياً يصدرون عما نتحدث عنه من فلسفة شخصية ، وما على القارىء إلا أن يستعرض الأسماء المعروفة ليحاول أن يحدد فلسفة كل منهم . ولقد يجد لأغلبهم مجموعة من الكتب أو طائفة من الأبحاث ، ولقد يكون فى تلك الكتب وتلك الأبحاث جمال ومتعة ، ولكنه سيجد مشقة فى أن يستخلص منها روحا عامة وفلسفة جامعة . وعند ما يخرج التلاميذ من المدارس ، وليس لكل منهم اتجاه روحى معلوم ، لن نجد غرابة فى أن يعجزوا عن حمل الصحافة على تقديم غذاء صالح للشعب .

والصحافة كما هو معلوم صحافة إخبارية أو صحافة رأى . والأولى وإن لم تخل من أثر على الرأى العام بحكم تخيرها لنوع الأخبار التى تنشرها وتلوينها لتلك الأخبار ، إلا أنه في نهاية الأمر أثر محدود . وعلى العكس من ذلك صحافة الرأى التى تتكون فى بلادنا من بعض الصحف اليومية ثم معظم المجلات الأسبوعية . وما دامت الصحف ملكا لأفراد أو شركات وكان هدفها الأول هو الربح المادى ، فما أظن أننا نستطيع أن نرجو من ورائها خيراً كثيراً فى تكوين رأى عام سليم ، وذلك لأن حرصها على الانتشار يدفعها إلى اللعب على غرائز القراء ، فلا تجد فيها إلا فتنا سياسية تدور حول كبار الشخصيات ، ولا ترضى فى القارىء غير حب استطلاع خبيث ، أو تهريجا ديماجوجيا يولول لآلام الشعب ويلوح له بآمال خادعة دون أن يدرس مشاكله دراسة جدية ، ويقترح لعلاجها الوسائل المجدية . وأخيراً ترى إثارة الغرائز الجنسية اعتماداً على ما تنزله حياتنا الاجتماعية بنفوس الشبان من كبت . وإنه وإن يكن من الثابت أن أكثر الصحف انتشاراً فى مصر ، ليس أكثرها تأثيراً فى الرأى العام بحكم أنه كلما ازداد جمهور الصحيفة كان جمهور تسلية وتزجية فراغ ، إلا أنه مما لا شك فيه أن أمثال هذه الصحف تقوم بعملية هدم كبيرة ، فهى تقوض الجدية فى النفوس ، كما تحل الأخلاق وتعود العقول الكسل . وأنت إذا وجدت إلى جوار أمثال تلك الصحف ، صحفا أخرى قليلة الانتشار ولكنها جدية مؤثرة باعتبار أن قراءها ممن يلتمسون غذاء لأرواحهم ، إلا أنك ـ لسوء الحظ ـ قلما تجد لاحداها قيادة عامة واتجاها روحيا واضحا ، وإنما هى طائفة من الأقلام والمعلومات لا يجمع بينها غير غلاف الصحيفة ؛ ولهذا قلما تكون صحيفة منها مدرسة خاصة فى الحياة . وإذا كنا لم نصل بعد حتى فى مجال السياسة إلى خلق صحافة تعبر عن مذاهب الحكم المختلفة وتناضل دونها ، مع أن السياسة أمر يهم الملايين من البشر ، فإنه لا ريب يكون من تعجل الأمور تعجلا مسرفا أن نتطلع إلى صحافة ثقافية موحدة الاتجاه ، مع أن الثقافة بطبيعتها ميدان الخواص ، ولكننى مع ذلك لا أفهم لماذا لا تكون لدينا مجلات تتحمس لتيارات التفكير المختلفة ، وتحاول أن تجمع حولها النفوس . ولكم من مرة يسألك أحد الغربيين عن الاتجاه الذى تتميز به هذه المجلة عن تلك ؟ فلا تستطيع جوابا . ونحن لا نقصد بذلك إلى المجلات الخاصة ، بل نصب القول على المجلات العامة ، فهذه هى التى نزعم أن من الممكن بل من الواجب أن تكون لها روح عامة برغم تنوع موضوعاتها وعندما تتعدد أمثال تلك المجلات وتتفاعل تياراتها المختلفة سيبدأ الرأى العام فى أن يتكون .

الرأى العام وليد لفلسفات فردية تشع فى المجتمع . والمجتمع بدوره لا يستطيع أن يتمثلها إلا إذا تركت له الحياة الاقتصادية من الراحة والفراغ ما يمكنه من تأملها . وتلك الفلسفات لن تنمو إلا عن طريق المعلم أو الصحافة ، وإصلاح الأخيرين لا يمكن أن يتم بقرار من قرارات الدولة ، بل ولا قانون من قوانينها ، وإنما لا بد لتحقيقه من سنين طويلة تتضافر فيها جهود الأفراد والحكومات . ولا بد لنا من أن ننتظر ، مع استمرارنا فيما نحن بسبيله اليوم من فتح المدارس والجامعات ومناقشة مناهج الدراسة والتعليم ، وحسن القيام على دور التمثيل والسينما ومحطات الإذاعة وما شابهها من وسائل نشر الثقافة بين الشعب . وإن يكن هناك ما نستطيعه لساعتنا فهو تعويد الجمهور أن يتجرع ما ينفعه والصمود له عندما تدفعه غرائزه الدنيا إلى التماس اللذات الرخيصة .

الرأى العام لم ينضج بعد فى بلادنا ، ولكن لا محل لليأس فنحن سائرون إلى الأمام ، وما علينا إلا أن نواصل السير فى ثقة وشجاعة .

محمد مندور

للضحك أسرار ...!

للأستاذ صلاح الدين المنجد

أدولف فيليت ، فنان بارع ، ومصور مجيد ، أوتى من القدرة على الهزل فى تصويره ، وعلى تبيان المعايب فى شخوصه ، ماجعله سيد هذا الفن ، المتفوق المبرز ، فانعطفت عليه الصحف الكاريكاتورية فى باريس ، لمدها من حين إلى حين بصور فيها إبداع وأصالة .

وصوره ذات طابع خاص بها ، وصفة لانفارقها . فهى تبدو ، فى النظرة الأولى ، صوراً ضاحكة مضحكة ،يفور ظاهرها بالسرور ، تثير فى نفسك الإعجاب والتقدير . فاذا أنعمت النظر ودققت فى تلك الصور ، بدا لك أن ما فيها يدفع إلى التأمل والتفكر ، وأن فى أعماقها كآبة تدفع إلى الحزن وعبرة تبعث الألم .

سألته يوماً فتاة باريسية جميلة عن سر ذلك . فأجابها « نعم . إن فى كل شىء ، مهما كان ، قليلاً من الأسى . ويجب أن نزينه بالضحك ليخفى ، لئلا يؤذى أحداً ، أو يؤلم أحداً ! » .

وجواب الفنان جدير بالتأمل . فالحزن فى الحقيقة ، لايفارق الانسان . لأن هذه الدنيا لاتريح . ربما أوتى أحدنا المال ، ولازمته الأمراض ؛ أو أوتى العافية ، وسلب المال ؛ أو قعد به الحظ المنكود عن الترقي ، وفى نفسه آمال ؛ أو نال بسطة من العلم فأهمله ذوو الشأن ؛ أو حسده الأصدقاء والأقران ؛ أو اشتهى ولداً يوهب له ، على سعة من غنى ، وعلو فى الجاه ، فلم يوهب له الولد ، فتبقى فى نفسه حسرة على ما أمله ، وحزن على مافاته . لكن ماذا يفيد إذا أظهر حزنه ؟ ومانفع التحسر والوجوم ؟ إن الحزن والشكوى والبكاء ، أشياء تثير الشفقة علينا ، وتدل على ضعفنا ، وفي الشفقة علينا حطة لنا ، ثم هى قد تدفع الناس للابتعاد عنا ، لأنها تؤذيهم ، وتؤلمهم ، أو تذكرهم بآلامهم . فالحزن يبعث الحزن ، ويذكر بالشجى . والدمع يستدر الدمع ، ويجلب الأسى . والناس تكفيهم أحزانهم ، وربما نسوها لحظة أو ساعة ، فاذا ذكرناهم بها تألموا . والدنيا ، وما فيها ، أقصر من أن تقضيها بالحزن . . ولا بد من التجلد فاذا حزنت فاجمل حزنك فى قرارة نفسك . وأظهر الفرح . بل اضحك .. اضحك دائما ، فلا تؤذى الناس .

بل إن هذا الضحك يؤدى ، ولو كان يخفى وراءه الحزن ، إلى إعجاب الناس بك ، وإلى اكتساء رداء من الجمال ، واكتساب مناعة ، لا تؤثر فيها ، على الأيام ، المصائب والآلام . ولولاهذا لما كانت العرب تمدح من كان ضحوك السن ، بسّام العشيات ، طليق الوجه . ولولاهذا ، أيضاً ، ماكانت تذم من كان عبوساً أو قطوباً ، أو حامض الوجه ، كأنما وجهه منضوح بالخل

وقد تيقنت ، أن الضحك ، ولو كان يخفى الحزن ، يكسب الجسم مناعة ، لا يؤثر فيه معها المصائب بعد حادثة شاهدتها بنفسي

في عودتى من القاهرة فى يناير الخالى ، لقيت فى القطار سيدة فرنسية تحدر نحو الخمسين ، وما تزال ناضرة الوجه ، ريانة الجسم ، كأنها احتبست الشباب في جسمها ، ولم تفلته . وكان يزيد فى جمالها حديث رقيق يغرى ، ولطف شديد يغوى . فعجبت منها ، وتساءلت فى نفسى عن سر احتفاظها بالشباب والجمال ؟

وكان بجانبها فتاة لم تتخط العشرين من عمرها . علمت أنها ابنتها ، كانت ذات وجه ساهم ، ونفس مكروبة . تلمح الحزن فى نظراتها ، ولفتاتها ، وآهاتها . قلت فى نفسى : ربما تكون مريضة ... أو أن داء العشق قد لحقها .... فلما بدأنا الحديث ، شدهنى من الأم فرحها وضحكها ، ومن البنت صمتها وعبوسها . كانت الأم تضحك لكل كلمة ... فيزهر وجهها ويزيد سحرها . وكانت الفتاة تعبس ، فيظلم وجهها ، ويمحص جمالها . وكانت الأم ، تلفظ الكلمة ، ترفقها بالإشارة ، وتردفها بالضحكة ؛ ضحكة رقيقة تهيج فرحك وسرورك . والبنت ترسل النادرة ، إذا تندرت ، بلفظ خشن وجفاء ظاهر . فعجبت ، ومازلت حتى سألت الأم :

— إنى لأراها حزينة .. أتشكو ألماً ؟ ...

قالت : أوه ! كلا .. إن هذا الجيل لا يعرف كيف يحيا . إن فى الحياة سراً ، لا يهنأ بها ، إلا من عرفه . دعها ، إنها لا تسمع منى . الحياة عابسة ولا تغلب إلا بالضحك . قلت لها

ذلك فلم تعقل . هـذا ما كنا نسمعه من عجائزنا اللواتى عشن سعيدات . أما اليوم ، فالحياة تعبس وهم يعبسون . عبوس يجر الحزن ، وحزن يدفع إلى الموت البطىء . أليس الأمر كذلك يا سيدى ... ؟

ثم أطرقت ... وعادت تقول :

« يا أسفا على ذلك الزمان ، أيام كانت أمى توصينى أن أضحك دائماً . لقد ضحكت كثيراً ، فهنئت . كنت أضحك لأنه سبب ، وفى قرارة نفسى حزن جاثم شديد . أوه ! ماذا أحدثك ؟ لقد جعلتنى ضحكاتى أجمل فتاة بين صواحبى . ثم وجدت فيها ما يخفف من آلامى ، ثم صرت إذا أصابتنى مصيبة تعمدت أن أضحك ، لأنسى همومى . أتدرى أننى رزئت فى ابنى وبنيتى ؟ لقد ابتلع البحر ابنى وهو فى العشرين من عمره ، وماتت ابنتى الصغيرة فى الألب ، وأصابتنى فى هذه الحرب كوارث تحطم ، وكنت أحزن وأبكى ، ثم أعود إلى الضحك ... وأصبر ، فيذهب الحزن ! .

قلت لها : إنها وصاة جديرة أن تتبع يا سيدتى . لو عرف الناس هذه الأسرار ، لضحكوا...

قالت : أؤكد لك أنهم لو عرفوها لما تركوا الضحك أبداً .

كانت أمى تقول : إن فى الضحك أسراراً ليست فى شىء غيره . ضحكة بل بسمة تُرضى زوجك إذا كان مُغْضَباً . وضحكة رقيقة تأسر عقل زائرك ولو كان جافياً . اضحكى ، استعينى على قضاء حاجاتك بالضحكات والبسمات . اضحكى ، وأنتِ فى نزعك . . فإن ذلك يثير شفقة الناس ، ويزيد فى دعائهم لك ، وحبهم إياك . اضحكى وأنتِ حانقة مغيظة ، فإن الضحك يهدىء ويُرضى . بل اضحكى إذا أُهنتِ يوماً ، ولم تستطيعى أن تنتقمى ، فإن ضحكك يزيد فى غيظ خصمك . فإذا واتتك الفرصة بعد ذلك فانتقمى منه .

لقد أثر حديثها فى نفسى . وأنستُ به . وأدركت هـذه النضارة التى تسيل فى جسمها وترفّ على خديها ، وهـذا النور الذى يتألق فى عينيها .

إن الناس جميعاً لا يستطيعون أن يفعلوا كل هذا . ولكن ألا يمكن أن يفعلوه إذا اعتادوه ؟

ثم إنه يظهر بعد هـذا ، أن فى الضحك ، ولو كان يخفى الحزن ، سراً .

وأن هـذا السر يقاوم الأمراض ، أو يدفع الجراثيم . إن علماء النفس يشيرون إلى النشاط الذى يتدفق فى الجسم ابان الفرح . وكأن هذا النور الذى يفيض فى الابتسام والضحك ، ينشط ويقوى ، وكأن مادة كهربية تريح الأعصاب ، وتزيد فى العافية ، بل كأن فيه ما يشفي فعلاً من بعض الأمراض .

فقد ذكرت أن « برغسون » الفيلسوف الفرنسى الشهير ، أجهده التفكير والعمل ، وقبل موته بعشر سنين ، ضعفت أعصابه ، وبدت عليه أمارات النورستانيا ، فلجأ إلى الأطباء ، فلم ينجح بعقاقيرهم مما هو فيه . حتى أشار عليه واحد منهم بأن يضحك . فعجب الفيلسوف ، وألح الطبيب :

« إن دواءك الفرد هو أن تضحك يا سيدى . فاضحك كل يوم ساعة ، أو ساعتين . . . » .

وانطلق الفيلسوف إلى داره يضحك من نفسه ، ومن الطبيب . ولكن كيف يضحك ساعة أو ساعتين ؟ وتعمد الضحك وتكلفه ، ثم لجأ إلى الملاهى ، يشهد كوميديات موليير التى تثير الضحك . فكان يضحك ، فى أعماق قلبه . ولم تمض غير شهور قلائل حتى شعر أنه شُفى . وعندئذ تساءل عن السر الذى يُشفى ، ووضع دراسته المسماة « Le Rire »

فالشفاء هنا ، أتى من موافقة الضحك الجسم ومداواته المرض وإراحته الأعصاب .

ورأيت من قبل أن بالضحك حفظت السيدة الفرنسية شبابها وبنت لحمها . وأعتقد أن الجاحظ العظيم قد فطن لذلك ، فقال :

« وما ظنك بالضحك الذى لا يزال صاحبه فى غاية السرور إلى أن ينقطع عنه سببه . وكيف لا يكون موقعه من سرور النفس عظيما ، ومن مصلحة الطباع كبيراً ، وهو شىء فى أصل الطباع ، وفي أساس التركيب . لأن الضحك أول خير يظهر من الصبى ، وقد تطيب نفسه ، وعليه ينبت شحمه ، ويكثر دمه الذى هو علة سروره ، ومادة قوته . . . »

***

فاضحكوا . . فإن ضحكة واحدة تخرج من أعماق قلبى ، فيستريح بها عقلى ، ويشفي جسمى ، وتبعث فىّ القوة والنشاط ، لهى خير مما يجمعون .

دمشق صموع الدين المنجد

على هامش النقد :

في الوظيفــــة ...

صور انتقادية . . . عبد الحميد جودة السحار

للأستاذ سيد قطب

حينما ينظر الإنسان إلى « دواوين الحكومة » بعين أخرى غير عين « الموظفين » ويقيسها بمقياس آخر غير عين المناصب والمراكز والألقاب . . . لاتقع عينه إلا على أمساخ ومهازيل ، ومخلوقات آدمية بائسة ، محدودة الآفاق ، صغيرة المطامع ، حقيرة البواعث . ولا يشهد إلا رواية تهريجية هازلة تنقصها كل أصول الفن وكل مقوّمات الإخراج ، ولا يبقى لها من سمات الرواية إلا عنصر « التمثيل » !

بهذه العين الإنسانية نظر الأستاذ « عبدالحميد جودة السحار » إلى « الموظفين » وبهذه النظرة الآدمية رأى « الدواوين » وما في الدواوين ، فكانت مجموعة « الصور الانتقادية » التي أخرجها بعنوان « في الوظيفة » .

* * *

وليست تسميتها باسم « صور انتقادية » مجرد عنوان فهي « صور » في حقيقتها : صور سريعة على طريقة التصوير باللمسات الخاطفة . . . لمسة من هنا ولمسة من هناك ، فإذا ملامح معينة وسحن محددة ووجوه معروفة . ولا عليه بعد هذا ألا يعنى بالدقائق والجزئيات : هذه سحنة منافق ، وتلك سحنة جبان ، هذه ملامح دساس ، وتلك ملامح لص ؛ هذا وجه مُراء ، وذلك وجه مدلس . . . أما سعة العين وشكل الأنف ، وحجم الفم ، فتلك تفصيلات لا تزيد شيئاً في دلالة السمات . .

ومن ناحية أنها « صور » كانت قيمتها الفنية وقيمتها الإنسانية . وإلا فكل ما جاء فيها عن الدواوين وعما يجرى داخل الدواوين ، معروف مشهور ، تلهج به الألسنة في كل مكان ويتندر به كل إنسان ، ويشكو منه كل إنسان .

وإنك لتستطيع أن تقول ألف مرة : إن في الدواوين رشوة وسرقة ، ودسائس ووشايات ؛ وإن الأعمال تسير فيها سير الأجهزة البطيئة والآلات الصماء ؛ وإن الذي لا يجارى التيار فيها يجرفه ويحطمه ، وإن كثيراً من الموظفين يدخل الديوان « إنساناً » فما يلبث أن يصبح « موظفاً » . . . الخ .

ولكنك تكون واثقاً أن هذه الكلمات ستبقى كلمات ، فلا تأخذ طريقها إلى النفس ، ولا تثير الانفعال ضدها والاشمئزاز منها إلا بمقدار . . . ألفاظ تنسى بعد حين كما ينسى كل ضخم من الكلمات .

أما حين تترجم هذه الكلمات إلى حوادث واقعية وصور آدمية كما صنع المؤلف . فعندئذ فقط تلبس ثوب الحياة ، وتتخذ لها جسماً ملموساً ، يوقظ الحس ، ويثير الانفعال . وعندئذ نرجو لها حياة فنية لا شك فيها ، ونرجو لها موقفاً اجتماعياً ، ربما كان ! !

* * *

ولحسن الحظ أن صاحب هذه الصور الانتقادية موهوب في فن التصوير السريع ؛ ومهما أخذت عليه من عيوب في عمله الفني فإنك لن تخطىء الملامح التي يريدها ، والسحنة التي يبغيها . وهذا وحده يكفي . .

إنه ذو عين لماحة تسجل الحركة الحسية ، كما تسجل الحركة النفسية . ثم تغلف اللمحة الموسومة بروح السخرية ، وتمزجها بعنصر الفكاهة . حتى ليخيل إليك أنه ينظر إلى الدنيا كما ينظر إلى ملهاة كبيرة . تأخذ عينه فيها لمحات التناقض ، وتأخذ حسه فيها مواضعُ السخرية ، وتأخذ نفسه فيها مواطن الدعابة !

ولعله أن يكون قد بالغ في إبراز مواضع السخرية ، ومواطن التشويه المضحك في هذه الصور ، ولعله أن يكون في الدواوين وجوه أخرى لم يلتفت إليها لأنها تغذى في نفسه هذه الحاسة .

ولكن الذي لا مراء فيه أنه وفق في تصوير « جو » الدواوين ، وفي تشخيص « روح » الوظيفة . فهذا الجو هو جو الغش والخداع والتهافت والتهالك والرياء والجبن والنفاق والوقيعة . وهذه الروح هي روح البطء والتهاون والإهمال والتواكل والجمود والروتين والسأم والملالة . . . فإذا وجد على هامشه بقايا من الإنسانية السليمة ، فهي محاربة منه ، مكروهة من أهله ، متهمة « بالفنزحة » لا تختلط به ولا تندمج فيه .

* * *

من « لمحات » هذه العين الخاطفة صورة محسوسة يراها سكان العاصمة الآن في كل آن . صورة الكتل البشرية التي تتزاحم على الترام . وهي على بساطتها صادقة كاملة فيها عنصرا الفكاهة وروح الدعابة : وهي جزء من صورة يسجل فيه ذهاب العمال إلى الورشة :

[« تكدست أكوام البشر في داخل الترام وعلى جانبيه ، ومن خلفه ومن قدامه ؛ واختلطت الأذرع والسيقان ، حتى أصبح من المستحيل أن تقع العين على هيئة إنسان . فهذه ذراع ، وهذا رأس ، وهذا خصر . أما لمن هذا الرأس ، ولمن هذه الذراع ، وأين صاحب هذا الخصر أو هذه الساق ، فهذا ما لا يفطن إليه إنسان . وكثيراً ما يخيل للناظر إلى الكتل البشرية المتراصة على سلم الترام ، أن للجسم الواحد رأسين ، أو للرأس الواحد جسمين ، وأن أغلب الواقفين على سلم الترام ينافسون « البهلوان » . فهذا واضع طرف قدمه على حافة السلم ، وقابض على قائم الترام بأصبع ، وهذا متعلق في عنق آخر متعلق بسروال ثالث . وهكذا » .

ولمحة أخرى تبدأ حسية وتنتهي نفسية ، ويتداخل فيها اللونان تداخل الأضواء والظلال ، وهي تلي مباشرة صورة الترام :

« وبلغ الترام في أمان مصلحة حكومية ، فتساقط الركاب عنه كما تتساقط الأوراق عن الشجر في يوم اشتد ريحه . وكانوا جميعاً من العمال ، فساروا يتحدثون ، فيحدثون صوتاً كدوي النحل . وراحوا يسيرون في نفس الطريق الذي قطعوه آلاف المرات قبل يومهم هذا . وكانوا يدبون كسلحفاة لا ينظرون أمامهم ، ولا يلتفتون حولهم ، بل ينطلقون كما تنطلق الدواب التي عرفت طريقها من كثرة ما دبت فيه . انطلقوا وما فكروا قط في يومهم . ولم يفكرون ؟ فأيامهم جميعاً متشابهة : في الثامنة صباحاً يدخلون ، وفي الحادية عشرة يفطرون ، وفي الثالثة ينصرفون . وكان الأمل الوحيد الذي يداعبهم في أثناء عملهم أن تتكرم عقارب الساعة الكبيرة المثبتة في الفناء الواسع المواجه للورش بالدوران السريع حتى تبلغ الثالثة لينصرفوا شاكرين . ولتستريح بعد ذلك ما شاءت لها الراحة ، فما أصبح دورانها يعنيهم بعد انفلاتهم من سجنهم ، فقد كانوا ينظرون إلى ورشتهم نظرتهم إلى سجن بغيض .

وهكذا لا تخطئ سمة من سمات الصورة الحسية الفكهة في الأولى ؛ ولا سمة من سمات الصورة النفسية في الثانية ... وإنك لتلمح الآن هذه الجموع تنطلق في طريقها كالدواب . تلمح هذا القطيع يدب ، لا يحدوه أمل ، ولا تدفعه رغبة . ولكنها لقمة العيش تربطه إلى سجنه ، وتكرار الطريق يقوده إلى مربضه ، في سأم بالغ وملال كئيب

ثم يريد المصور أن يرسم بلمسة سريعة صورة من السرقة أو الاستغلال الذي يناله الرؤساء لأنفسهم بواسطة العمال ، فيبرزها كاملة في هذه الفقرات :

« ولمح أحدهم صديقه فناداه وسلم عليه ، وقال له وهو يحاوره :

« — لم جئت اليوم ؟ هل انتهيت من العمل في بيت المهندس ؟

« — لا لم أنته بعد . ولكن جئت لآخذ غراء ومسامير !

« — هل انتهت نجارة غرفة النوم ؟

« — لا . ولمَ ؟

« — لأنه أمرني أن أطليها له !

« — هنيئاً لك ؟

« — ولمَ ؟

« — ستحتسب لك أيام الجمع !

« — أتحسدني على شيء سبقتني في الحصول عليه ؟

« — لا أحسدك ولا تحسدني . وهل يدفع لنا شيئاً من جيبه ؟ بارك الله في الحكومة ! »

فيبلغ بهذا الحوار القصير أن يرسم صورة كاملة لاستغلال مال الحكومة ووقتها ، وأدواتها . وليس هذا فحسب . بل يرسم معه صورة للفساد النفسي والخلق الذي يبثه هذا الاستغلال في نفوس المرءوسين من العمال وغير العمال

حتى إذا شاء أن يسخر من طريقة العمل في الدواوين ، ومن طريقة الإشراف والتفتيش ، ومن الرؤساء والمفتشين ... كل ذلك في آن واحد . اختار هذه الصورة السريعة الجامعة لكل ما يريد . والتي هي نموذج لسائر ما يجري في بقية الأعمال وبقية الدواوين إن لم يكن بنصه فبروحه ، وإن لم يكن بصورته فبنوعه :

« وخلع العمال ملابسهم النظيفة ، ولبسوا ملابس العمل الزرقاء ، واتجهوا إلى أماكن عملهم ، ووقفوا يتحدثون ولا يعملون ، وراح الرقيب يقوم بمهمة الاستطلاع . والرقيب عامل من العمال يجدد انتخابه كل يوم ، ويوكل إليه مراقبة الطرق والمنافذ ، فإن لمح المهندس أو المدير مقبلاً ، أعطى إشارة الخطر ، فتدب في الورشة الحياة

« وفي حوالي العاشرة لمح الرقيب المهندس مقبلاً يتهادى في حلته الحريرية البيضاء ، وقد ثبتت وردة حمراء في صدره ، وكان يرفع يده بين الفينة والفينة ليسوي رباط رقبته الجميل ، أو ليرفع أطراف المنديل المتدلي من صدره ... فصفر صفير الإنذار – وهو صفير طويل ممدود – فهمس من في الورشة : « ميمي ... ميمي » – وهو ما اصطلحوا على إطلاقه على المهندس الأنيق – فأسرع كل إلى عمله ، وأسرع أحدهم إلى الأزرار الكهربائية وضغطها ، فدارت الآلات وارتفع ضجيجها ، وراحت المبارد ترتفع وتنخفض على قطع الحديد المثبتة في « المناجل » والمناشير تتحرك في توافق كأنما هي فرقة موسيقية تعزف لحناً . ودخل المهندس بقامته الفارعة . وملابسه الحريرية النظيفة يتبختر كغادة مدلة معجبة ؛ وكان يتحاشى الاقتراب من الآلات أو العمال ، حتى لا تتلوث ملابسه . فما تقول خطيبته التي سيقابلها عقب انتهاء العمل إن رأت بقعة زيت تشين لباسه الذي تفنن في إعداده ؟ . وأجال بصره فيما حوله ، فرأى حركة دائبة ، فقرت عينه واطمأن إلى أن العمل يسير على ما يروم . فانصرف إلى مكتبه ليمضي به بقية يومه بين شرب القهوة ، والمحادثات التليفونية ، ومقابلة الأصحاب والأحباب

« ترك المهندس الورشة ، فأسرع عامل إلى الأزرار الكهربائية وضغطها ، فخرست تلك الآلات التي صدعتهم بصوتها بعض الوقت ، واستأنف العمال سمرهم ، وراح بعضهم يبحثون عن مكان هادئ ، يستسلمون فيه لنعيم لرقاد »

وهكذا ترتسم تلك الصورة الحقيقية الهازلة لجو العمل في المصالح الحكومية الذي يشترك في خلقه الصغير من الموظفين والكبير ! !

* * *

عشرات من هذه الصور الخاطفة تأخذها العين اللماحة ، وتصورها الريشة السريعة . ولست أزعم أنها جميعاً في هذا المستوى البارع الذي ضربت منه الأمثال . فالمؤلف يظل موفقاً ما ظل يستخدم موهبته الأصيلة : موهبة التصوير السريع باللمسات الخاطفة ؛ وما ظل يدع الحادثة توحي بالمعنى ، والحركة تدل على الانفعال . ولكنه يهبط ويجانبه التوفيق ، حين يستخدم الوصف المجرد للتحليل النفسي ؛ فليس هو موهوباً في التحليل . ولهذا تستحيل تلك الأداة في يده أداة معطلة لا تصور ملامح ، ولا ترسم هيئات ، ولا تبلغ في تشخيص النفسيات إلا أن تصفها وصفاً لا حياة فيه (ويضيق الفراغ هنا عن الاستشهاد)

ولحسن الحظ أنه لم يجنح إلى التحليل بالوصف إلا في قليل من هذه الصور . أما أغلبها فجنح فيه إلى التشخيص بالحادثة والتعبير بالحركة على النحو الذي ضربنا منه الأمثال

* * *

نتلفت إلى ما بين أيدينا في المكتبة العربية من مؤلفات ، لنقرن إليها هذا المؤلف الجديد ، فلا نجد إلا « يوميات نائب في الأرياف » لتوفيق الحكيم

ولكنهما لا يلتقيان إلا في المادة التي يتناولانها للتصوير : مادة الشخصيات الآدمية في العمل الحكومي ، والجو الرسمي ، وإلا في جانب من الروح التي يتناولان بها الموضوع : جانب الفكاهة الساخرة على وجه العموم

ثم يختلفان بعد ذلك في طريقة التناول ، وفي نوع الإخراج ، وفي مستوى التفكير :

ففي « يوميات نائب » تبدو سمة العمل الفني الموحد الكبير الذي تضطرب في مجاله الشخصيات كلها وترتبط برباط واحد من الحبكة الفنية ومحور واحد من التنسيق . و « في الوظيفة » تبدو اللمحات السريعة واللمسات الخاطفة ، وتتفرق الشخصيات في الصور المتعددة فلا يربطها إلا عنصر التصوير

وفي « يوميات نائب » إشعاعات فكرية ، ولمحات فلسفية ، وومضات شاعرية لا يحاولها مؤلف « في الوظيفة » لأنه موكل بالتصوير الخاطف لا بالتأمل العميق وباللمحة الحاضرة لا بالغايات البعيدة

ولكن كليهما جدير بأن يوجد في كل مكتبة ، وأن يقرأه كل محب للاصلاح الاجتماعي أو للعمل الفني على اختلاف في المنهج والمستوى والطريق .

سيد قطب

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٦١٠ — هذا حسن ، هذا مستوفى

فى « الإمتاع والمؤانسة » لأبى حيان التوحيدى :

جرى ذكر حديث الذكور والأناث ، فقال الوزير : قد شرّف الله الأناث بتقديم ذكرهن فى قوله عز وجل : « يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور » فقلت : فى هذا نظر ؛ فقال : ما هو ؟ قلت : قدّم الأناث — كما قلتَ — ولكن نكّر ، وأخر الذكور ولكن عرّف ، والتعريف بالتأخير أشرف من النكرة بالتقديم . قال : هذا حسن . قلت : ولم يترك هذا أيضا حتى قال : « أو يزوجهم ذكرانا وإناثا » فجمع الجنسين بالتنكير مع تقديم الذكران ، فقال : هذا مستوفى .

٦١١ — وإلا فغير ذلك الاسم واشرب

فى « إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب » لياقوت :

قال أبو الفضل جابر بن زهير : كنت عند أبى محمد القاسم ابن الحريرى البصرى بالمشان أقرأ عليه المقامات ، فبلغه أن صاحبه أبا زيد المطهر بن سلام البصرى قد شرب مسكراً ، فكتب إليه :

أبا زيد اعلم أن من شرب الطلا تدنس فافهم سر قولى المهذب
ومن قبل سميت (المطهر) والفتى يصدق بالأفعال تسمية الأب
فلا تحسها كيما تكون مطهرا وإلا فغيّر ذلك الاسم واشرب

فلما بلغته هذه الأبيات أقبل حافيا إلى الشيخ أبي محمد ، وبيده مصحف ، فأقسم به ألا يعود إلى شرب مسكر . فقال له الشيخ : ولا تحاضر من يشرب .

٦١٢ — فما تم إلا والغمام قد انفضا . . .

قال المحسن بن على التنوخى فى معنى طريف لم يسبق إليه :

خرجنا لنستسقى بيمن دعائه وقد كاد هُدْب الغيم أن يبلغ الأرضا
فلما ابتدا يدعو تقشعت السما فما تم إلا والغمام قد انفضا

٦١٣ — حاجة الأديب إلى كل علم

فى « وفيات الأعيان » : حكى أبو محمد إسماعيل بن موهوب الجواليقى « الأديب اللغوى » وكان أنجب أولاده قال : كنت فى حلقة والدى يوم الجمعة بعد الصلاة بجامع القصر والناس يقرءون عليه ، فوقف عليه شاب وقال : يا سيدى قد سمعت بيتين من الشعر ولم أفهم معناهما وأريد أن تسمعهما منى وتعرفنى معناهما ، فقال : قل ، فأنشده :

وَصْلُ الحبيب جنانُ الخلد أسكنها وهجره النار ، يصلينى به النارا
فالشمس بالقوس أمست وهى نازلة إن لم يزرنى وبالجوزاء إن زارا

قال إسماعيل : فلما سمعهما والدى ، قال : يا بنى ، هذا شىء من معرفة علم النجوم وسيرها لا من صنعة أهل الأدب . فانصرف الشاب من غير حصول فائدة ، واستحيا والدى من أن يسأل عن شىء ليس عنده منه علم ، وقام وآلى على نفسه ألا يجلس فى حلقته حتى ينظر فى علم النجوم ويعرف تسيير الشمس والقمر فنظر فى ذلك وحصّل معرفته ثم جلس .

ومعنى البيت المسئول عنه أن الشمس إذا كانت فى آخر القوس كان الليل فى آخر الطول لأنه يكون آخر فصل الخريف ؛ وإذا كانت فى آخر الجوزاء كان الليل فى غاية القصر لأنه آخر فصل الربيع . فكأنه يقول : إذا لم يزرنى فالليل عندى فى غاية الطول ، وإن زارنى كان الليل عندى فى غاية القصر .

٦١٤ — الأشراف والعقلاء تعجبهم الملح

فى كتاب « التطفيل » للخطيب البغدادى أنشد محمد بن عمران قاضى المدينة ، وكان من أعقل من رُئى من القرشيين :

يا أيها السائل عن منزلى نزلت فى الخان على نفسى
يغدو على الخبز من خابز لا يقبل الرهنَ ولا ينسى

آكل من كيسى ومن كسرتى حتى لقد أوجعنى ضرسى

فقال لمنشدها : أكتبنى هذه الأبيات ، فقال له : أصلحك الله ، إن هذه لا تشبهك . فقال له : ويحك ! إن الأشراف والعقلاء تعجبهم المُلَح .

٦١٥ — اسمع يا شيخ

قال ابن الباقرجى : بت ليلة متفكراً فى قلة حظى من الدنيا فرأيت مغنيا يغنى فالتفت إلى وقال لى اسمع يا شيخ .

أقسمت بالبيت العتيق وركنه والطائفين ومُنزل القرآن

ما العيش فى المال الكثير وجمعه

بل فى الكفاف وصحة الأبدان

٦١٦ — ما قطعت شيئا قط

فى « تاريخ بغداد » للخطيب : قال أحمد بن أبى طاهر : كنت يوماً عند على بن عبيدة الريحانى فورد عليه كتاب : « أم محمد ابنة المأمون » فكتب جواب الكتاب ، ثم أعطانى القرطاس فقال : اقطعه

فقلت : ومالك لا تقطعه أنت ؟ !

فقال : ما قطعت شيئاً قط .

٦١٧ — توجه إلى ثيابك ...

قال رجل لبعض الفقهاء : إذا نزعت ثيابى ودخلت النهر أغتسل ، أتوجه إلى القبلة أم إلى غيرها ؟

قال : توجّه إلى ثيابك التى نزعتَها لئلا تسرق ...

٦١٨ — غرى بذا من ليس ينتقد

قال يحيى بن حكم الملقب بالغزالى :

قالت : أحبكَ ؛ قلت : كاذبة غرّى بذا من ليس ينتقد

هذا كلام لست أقبله الشيخ ليس يحبه أحد

سيان قولك ذا وقولك م ان الريح نعقدها فتنعقد

أو أن تقولى : النار باردة أو أن تقولى : الماء يتقد

٦١٩ — ... وشربهم

فى « إعلام الموقعين عن رب العالمين » لابن قيم الجوزية : سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية « قدس الله روحه ونور ضريحه » يقول : مررت أنا وبعض أصحابى فى زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر ، فأنكر عليهم من كان معى ، فأنكرت عليه وقلت له : إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبى الذرية وأخذ الأموال فدعهم[1] . . . . . .

٦٢٠ — ولع النساء بخطوط العظماء

فى « ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب » سأل أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على حفصة بنت الحاج الركونى[2] يوما أن تنشده ، فقالت ارتجالا :

يا سيد الناس يامن يؤمل الناس رفده

أمنن على بطرس يكون للدهر عُدّه

تخط يمناك فيه : الحمد لله وحده

أشارت بذلك إلى العلامة السلطانية فان السلطان كان يكتب بيده فى رأس المنشور بخط غليظ « الحمد لله وحده » فمن عليها وكتب لها بيده ماطلبت

٦٢١ — كرويه وتكرويه

فى « شرح النهج » لابن أبى الحديد : كان سلمان من شيعة على « عليه السلام » وخاصته ، وتزعم الإمامية أنه أحد

---

(١) فى (إعلام الموقعين) : إنكار المنكر أربع درجات : الأولى أن يزول ويخلفه ضده ، الثانية أن يقل وإن لم يزل بجملته ، الثالثة أن يخلفه ما هو مثله ، الرابعة أن يخلفه ما هو شر منه ؛ فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد ، والرابعة محرمة . ثم وضح الامام هذه الدرجات . (الجزء ٣ ص ٢) .

(٢) قال ياقوت : شاعرة أديبة من أهل غرناطة ، مشهورة بالحسب والأدب والجمال والمال ، جيدة البديهة ، رقيقة الشعر ، أستاذة وليت تعليم النساء فى دار المنصور أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على

الأربعة الذين حلقوا رؤوسهم وأتوه متقلدي سيوفهم فى خبر يطول وليس هنا موضع ذكره . وأصحابنا لايخالفونهم فى أن سلمان كان من الشيعة وانما يخالفونهم فى أمر أزيد من ذلك . ومايذكره المحدثون من قوله للمسلمين يوم السقيفة : « كرديد ونكرديد » — محمول عند أصحابنا على أن المراد صنعتم شيئاً وماصنعتم: أى استخلفتم خليفة ونعم مافعلتم ؛ إلا أنكم عدلتم عن أهل البيت ، فلو كان الخليفة منهم كان أولى. والامامية تقول : أسلمتم وما أسلمتم ، واللفظة المذكورة فى الفارسية لاتعطى هذا المعنى وانما تدل على الفعل والعمل لاغير [1] . ويدل على صحة قول أصحابنا أن سلمان عمل لعمر على المدائن فلو كان ماتنسبه الامامية إليه حقا لم يعمل

٦٣٢ — وإنه أبغضها أنصفها

قال رجل للحسن (البصرى) إن لى بنية فمن ترى أن أزوجها ؟

قال : زوجها ممن يتقى الله فإن أحبها أكرمها ، وإن أبغضها لم يظلمها .

وقال بعضهم ، وهو يشبه قول الحسن — لا تزوج كريمتك إلا من عاقل ، فإن أحبها أكرمها وإن أبغضها أنصفها .

٦٢٣ — ما خطر العدل على بالكم

يحيى السرقسطى :

نسبتم الظلم لعمالكم ... ونمتم عن قبح أعمالكم
والله لو حكمتم ساعة ... ما خطر العدل على بالكم

(١) لحن ابن هشام فى (المغنى) من يقول لاغير والصواب عنده ليس غير ، وفى التاج بحث فى هذا القول مفيد . وقد أورد صاحبه هذا البيت :

جوابا به تنجو اعتمد فوربنا ... لعن عمل أسلفت لاغير تسأل

وجاءت (لاغير) فى المخصص ج ٣ ص ١٥٠ وفى (إصلاح المنطق) ج ١ ص ١٨١ وفى (فصيح ثعلب) ٣١ و ٨١ وفى (رسالة الملائكة) ص ٧٠ وفى (الفائق) ج ١ ص ١٢٦ وفى (اللسان) ج ٤ ص ٣٤٦ فقل : ليس غير وقل لا غير .

هذا العالم المتغير!

للأستاذ فوزى الشتوى

يجتاز العالم الآن ثورة تنبىء بقلب نظم الصناعة والزراعة والطب وكل ماله صلة بالحياة الانسانية ، فان الحرب الحالية قفزت بالعلم خطوات واسعة فذللت كثيراً من العقبات التى طالما وقف أمامها الانسان حائراً

وعندما يعود السلام وتعلن أسرار الاكتشافات العلمية سيجد الناس أنفسهم فى عالم غير الذى عرفوه . وفى هذا الباب سنقدم إلى القارىء العربى بعض أنباء هذه المكتشفات الحديثة

قاتل المكروبات

أى حياة نعيشها إذا تخلصنا من المكروبات والحشرات التى تفتك بنا وبمتاعنا ؟ إنك إذا تركت كوبا من اللبن ساعات تراه تجبن وأصبح غير صالح للاستعمال . وإذا تركت اناء طعام مدة من الزمن تجد الفساد يدب فيه ، وعلة هذا الفساد تلك الأحياء الصغيرة التى نسميها مكروبات أو جراثيم تهاجمنا فى عملنا وفى نومنا فتصبغ حياتنا بلون خاص من التحفظ . فنحرص ألا نشرب من كوب شرب منه غيرنا ، ونغلى طعامنا لنقتل ما يحتوى من جراثيم نحرص ألا تتسرب اليه مع الهواء

اننا نظن أننا عرفنا كيف نتقى الجراثيم ، فينكر علينا الواقع حسن ظننا : فالحقيقة اننا تعودنا الاستسلام لفتك الأمراض المختلفة باجسامنا ، فان أصبنا بالتيفود أو التيفوس أو الملاريا أو غيرها من الأمراض أدركنا أن اللص وجد منفذا إلى أجسامنا فهل من سبيل إلى الخلاص من هذا العدو الذى لا يهدأ ؟

كان هذا حلماً ، فاصبح الآن حقيقة . وأمدنا العلم باسلحة تقضى على المكروب الذى يسبح فى الهواء ، ويندس بين طيات ملابسنا ، ويلتصق بفراش نومنا . فقد وصل الى اكتشاف مركب كيميائى نغمر فيه ملابسنا وفراشنا ونذهن به حوائط منازلنا وأرضياتها فيقتل كل مكروب يتصل بها . وتحتفظ هذه الأشياء بقدرتها على قتل المكروبات سنة أو أكثر مع الغسل المتواصل

فان أضيف هذا المركب إلى أدوات البناء ، وشبعت به سجف منازلنا وآثاثها ضمنا خلو منازلنا ومكاتب أعمالنا من الميكروبات ، ووفرنا أيضاً متاعنا فلا تستطيع الحشرات إتلافه

تمت أركان هذا الحلم فى أحد معسكرات الجيش الأميركى منذ أسابيع قليلة بعد تجارب طويلة استمرت سنوات . فكر أطباؤه أول الأمر فى إيجاد طبقة رقيقة تنشر على الأثاث والفراش والأرض ، فاذا مر بها ميكروب أمسكته إلى أن يموت . فلا يتطاير فى الهواء كلما نظفت الغرف أو أثارت غبار أرضها مكنسة أو قدم .

واختير لهذه التجربة معسكران يعيش فيهما ١٦ الف جندى قسموا إلى جزءين متساويين . فعاش ثمانية آلاف منهم فى معسكرات عولجت بمادة زيتية تقبض على الجراثيم ، وعاش الآخرون الحياة العادية . فكانت النتيجة أن قلت المكروبات المتطايرة ٩٧ فى المائة فى المعسكر الأول ، وقلت إصابات الجهاز التنفسى بمقدار الثلث عن زميلتها . ولم يرض الأطباء عن هذه النتيجة ؛ فان الجنود لا تعيش داخل معسكراتها الا فترة قليلة من الزمن . فليس المطلوب هو اصطياد الميكروب بل قتله

وأقبلت هذه الحرب فأوجبت ميادينها في الشرق الأقصى بين الغابات والمستنقعات حل هذا المعضل بكل سرعة . ولم يكن العلماء مجردين من كل الأسلحة بل كانوا يحتفظون بمركب من القار والنحاس ولكنه كان كريه الرائحة مهيجا للجلد يستحيل غمر الملابس به حتى لا تؤذى الجلد . فكان من الضرورى الحصول على مركب عديم اللون والرائحة لا يؤثر احتكاكه

بالجلد وتبقى خواصه فى الأنسجة سنوات برغم غسلها وتنظيفها

وعهد بالفكرة إلى فريقين : أولهما كيميائي باجيكى اسمه ليورامبل ويساعده ابنه جاى ؛ وثانيهما علماء معمل الكيمياء التابع لشركة جالهور . وقدمت التجارب الأولى إلى الفريقين لتهذيبها أو استنباط ماهو أفضل منها . فاستمرت التجارب عدة شهور توصلوا فى نهايتها إلى مركب أساسه الزئبق . وتقدر قابليته للفتك بالمكروبات بخمسة عشر ضعفا لحامض الفنيك ومع ذلك لايهيج الجلد ولا يتلف الملابس

واختبر المركب الجديد فجاز اختبارا دقيقا أثبت به أنه خير قاتل للميكروبات . فهو لايستطيع أن يقتل فأراً صغيراً ، فان غمست فيه قطعة قماش ونشفتها ثم وضعتها فى إناء به ميكروبات التيفوس مثلا ثم سحبتها منه وحفظت الإناء فى مكان مظلم وعدت اليه بعد أيام لتختبره تجد أن الميكروبات لم تتكاثر ، وأن البقعة التى هبطت فيها قطعة القماش ظلت منطقة حرام خالية من الميكروبات . ولولا هذا المركب لتكاثرت ميكروبات التيفوس وغيرت لون سائل الإناء

وغمرت قطع النسيج فى المركب القاتل للميكروبات ثم غسلت مرات وعرضت للهواء ولأشعة الشمس فوجد أن المنسوجات الصوفية احتفظت بقتلها لكل ميكروب يقترب منها بعد عشرين غسلة . وغمرت فرشة أسنان فى المركب فاحتفظت بخواصه بعد ٧٠٠ غسلة .

وأراد الكيميائى رامبل أن يجرب تأثير مركبه على الجروح ، ولكن المستشفيات رفضت أن تجعل من مرضاها حقل تجارب ؛ فلم يجد مفرا من جعل نفسه هذا الحقل . فاحدث فى كل من ذراعيه جرحا . وربط إحداهما بمنديله المشبع بمركبه . وعالج الثانية بالقماش المعقم والقطن بالطرق الطبية ، فشفيت الأولى بسرعة ، وظلت الأخرى مدة طويلة التهبت فيها مرات لأن المكروبات هاجمتها .

وليعرف رامبل تأثير مركبه على المنسوجات غمر نصف قميصه الأيمن فى المركب الزئبقى . وبعد مدة طويلة من الاستعمال المتواصل خفت أنسجة الجزء الأيسر الذى لم يغمر فى المركب وتمزق ، بينما احتفظ الجزء الأيمن بشكله ومتانته . فان المكروبات والبكتريا التى تحب العرق الانسانى كانت تهاجم الجزء الأيسر وترعاه ، ولكنها لا تقرب من الأيمن فلم تستطع التأثير فى أنسجته

فان عولجت كل الحاجات التى يتناولها الانسان أو يستعملها بهذا المركب فأنه يأمن شر المكروب والبكتريا . فلا يكون وسيلة لنقل الأمراض فى مناديله وملابسه وأحذيته أو فى فراشه ، بل يوفر على نفسه كثيراً من النفقات بحماية تلك الحاجيات من البكتريا فلا يتعفن طعامه ان هو أهمله يوما أو بعض يوم . فمن تجارب رامبل أنه عمد إلى برتقالتين غطى إحداهما بمركبه الزئبق ، وترك الأخرى للطبيعة ، وتركهما ستة أسابيع فوجد الأولى كما تركها ولكن مقوسة لتبخر مائها ، أما الثانية فوجدها خرابا تفوح منها رائحة العفن .

فوزى الشتوى

حولى عينيك ...

للشاعر عبد الرحمن الخميسى

حوّلى عينيكِ، إنى لا أُطيق   ما تصُبّان بنفسى من حريقْ

حوّلى عنى سُطوعاً فيهما   قد أرانى الجُرحَ فى غورى السحيقْ

حوّلى عنى سماءً فيهما   طيرُها قلبى، ونجواها خفوقْ!

حوّلى عنى لهيباً فيهما   لفحُهُ يوغلُ فى مسرى العروقْ

إنما ترسُبُ عيناكِ إلى   قاعِ روحى... كالرّدى المُنعقِدِ

إنما تحترقُ النفس بما   فيهما من لهبٍ مُتّقِدِ!!

إنما تثقُبُ ما أنسجُهُ   مِنْ غِشاءِ الكِبْرِ فى مُنفردى

إنما تجذبنى... مُنطرحاً   تحتَ أقدامِكِ، مغلولَ اليدِ!!

حوّلى عينيكِ يا قاتلتى   أنا لا أقوى على ما فيهما

ليتَ لى القوّةَ، أستنزفُها   فى مُعاناةِ المنايا منهما!!

ليتَ لى القوّةَ، لكنْ ما نجا   فى احتمالى رمقٌ أو سَلِما

ما نجا لى رمقٌ يُسعدُنى   أنْ أُنحّيهِ ذبيحاً لهما

حوّلى عينيكِ يا قاهرتى   واسمعى القصةَ تندَى بالدماءْ

قد نبشتُ القبرَ، فاصحُ الآنَ يا   ماضىَ الحبِّ، قتيلَ البُرَحاءْ!

واغتفِرْ لى أننى قد هتكتْ   قبضتى الحُرمةَ فى وادى الفناءْ

أيُّها الماضى... أفِقْ واخطُرْ كما   شئتَ بالأكفانِ فى هذا الفضاءْ

أيُّها الماضى... أفِقْ واقذفْ بما   فيكَ من هَولٍ إلى مرأى العيونْ

كلُّ يومٍ فيكَ كأسٌ مِلؤها   دمُ قلبٍ، ونُفاثاتُ طعينْ!!

وثوانيكَ شجونٌ رزحتْ   تحتَها مُهجةُ غِرّيدٍ أمينْ

سَقرٌ أنتَ وقد كابدتُها   فى نعيمِ الحبِّ فيّاضَ الشئونْ

أيُّها الماضى أفِقْ واجهشْ بما   فيكَ من رعدِ البلايا والعذابْ

كى تريها ما بأيامِكَ من   حُرُقاتٍ ودموعٍ وسرابْ...

جُثةٌ أنتَ... وقد مزّقها   سوطُ حِرمانِ شبابٍ من شبابْ

إسلخِ الأيامَ من طلّتها   تتساقطْ حولها فوق الترابْ!

أنتَ يا ماضىّ... أطلِقْ نحوها   كلَّ أوقاتِكَ من قيدِ الزمنْ

تتنزّى فى خُطىً تلقفُها   عثراتٌ وشكوكٌ ومحنْ...

وانشُرِ الآنَ لياليّ التى   تنزفُ السهدَ وتستبقى الشجنْ

لترى ظالمىَ السهدَ الذى   طالما سارَ بى فوق الدِّمَنْ!!

ابعثِ الآنَ دفينَ الذِّكَرِ   لتريها كيف ولّى عُمُرى

فى هلاكِ اليأسِ قد طاردنى   خوفُ قلبٍ باللظى مُدّثِرِ

خوفُ حرمانٍ تردّيتُ به   وارتوى من نابعاتِ الفِكَرِ

وتلوّى فى ضلوعى نَهِماً   يغتذى بى فى شقاءِ السهرِ

كم حنينٍ قصَّ وجدانى وما   كفَّ حتى صبغتْ ليلى الدماءْ

وعذابٍ طحنَ النفسَ فلم   يُبقِ منها ما يُذرّيهِ الهواءْ

وبكاءٍ كنتُ أستجدى به   فى خيالى رحمةً لى أو عزاءْ

وأحرُّ الدمعِ ما تبذلُه   عينُ مظلومٍ شديدِ الكبرياءْ

هذه الغيلانُ عبّتْ من دمى   فانتشتْ تقصفُ فى هولِ الظلامْ

نهشتْ لحمى فدوّتْ من فمى   صرخاتُ الذعرِ والناسُ نيامْ

وأنا وحدى دكّتْ أعظمى   رهبةُ المُشفى على مهوى الحِمامْ

هذه الغيلانُ غيلانُ الأسى   أكلتْ راحةَ قلبى المستهامْ

هذه الغيلانُ لم تُبقِ سوى   هيكلٍ من جسدى مرتعدِ

وعظامٍ زلزلتها فى الدُّجى   سطوةُ الحُمّى التى لم تهمدِ

طللٌ أمسى وزادى لم يعدْ   غيرَ أشواقٍ أضاءتْ معبدى

طللٌ أمسى وفى أركانه   روحُ آمالى التى لم تُلحَدِ

طللٌ مُنتفضٌ يمشى وقد   قصمتْ أضلاعَهُ فأسُ القضاءْ

خَرِبُ الأنحاءِ يستوطنُه   من معدّاتِ المنايا ألفُ داءْ

شاحبُ الجلدِ كأنى ميّتٌ   طردَ اللحدُ رُفاتى فى الخلاءْ

إنْ تجدْه العينُ لا تُنكرْه   إنما تُمطرُهُ سَيْلَ بكاءْ!!

يفتقد الأحياء في قبضته — رحمة ، لو يستدرّ الرحماء

إنما يعنيه قلب واحد — هو في صدرك يا نيل الرجاء

انظري كيف استحالت نضرتي — صفرة ينكرها حتى الفناء

غائر العينين ، معروقهما — أطفأت سحرهما ريح الشقاء

أيها الماضي ألا تعرفني ؟ — شدّ ما ألفاك قد أنكرتني!

أنت مني قطعة كفنتها — بسنيني وطواها زمني !

أنت بنيان أقمنا فوقه — حاضراً... يا ليته لم يكن !

حاضراً يمتص أعصابي ولا — ينثني بالويل يستنزفني

أنت سيل عارم منحدر — من حياتي في مصب الأزل

هل لأمواهك أن ترتد في — نهر عمري، مرجعات أولي؟

ثم هل للريح أن تقتادني — في اتجاه غير ما قدّر لي ؟

كي أوقيك الذي حملته — من ركام النوب المتصل !

أين تمضي أيها الماضي وفي — أي كهف تختفي بالعمر ؟

بعد موتي هل ستلقاني وهل — سوف ألقاك كميل الحشر؟

أم ستنساني وأنساك وما — عدت نحيا نابضاً في ذكرى

شدّ ما أرهب لقياك إذا — حان حيني وانتهى بي سفري

أنت رجع للأغاريد التي — كنت أستودعها قلب الزمان

عد إلى ساحرتي واقطر بما — فيك من شجو لديها وهوان

واختفر لي مسلكاً في قلبها — يحتويني مرة منه الحنان

أيها الماضي وطهر كعبة — حولها تعبد فيها وتصان

كم نهار فيك أستوقفه — في هوى الزمن المنصرم

قبل أن يلتحف الليل على — مهد ذاك الأفق المضطرم

كنت أستوقفه مستنزحاً — أن يعيد الكرى حول الأنجم

عالماً في أوقاته لي موعداً — تائهاً يشري بروحي ودمي

كم غروب كنت أستمهله — في اجتياح الهادر المنعسف

فزعاً أجأر في تياره — بضمير راعد مرتجف :

أيها التيار لا تطرح لقى — خلف أنوارك نهب السدف

إنني أخشى الدجى ، يا سمه — لفؤاد الصب من مقترف !

كم مساء كنت أشتاق به — زفرتي كالخنجر المنغرس

صغت أنفاسي به أنشودة — للهوى رفافة كالقبس

كم تماثيل بأحضانك قد — شدتها بالأمل المندرس

شدتها للحب تستعبدني — وهي من ضنوى سواد الناس

كم ظلام فيك قد مزقته — عن صباح مكفهر الجبهة

باعثاً طير فؤادي نحوها — ضارعاً بالشوق يفري مهجتي

آمــلاً تمنحه رحمتها — فيغني فرحاً في أيكتي !

وإذا الأيقاظ ركب هائل — وصف يسخر من أمنيتي

كم نسيم فيك قد حرزته — من نطاق الخيز المختلج

شربته أذني واستعرضت — ما به من همسات المهج

عابها تضفر في طياته — بصدى من صوتها المنبلج

بصدى يبرق في روحي كما — تبرق الأنوار فوق الثبج

كم ربيع فيك قد رويت من — روضه بالدمع زهر الأمل

وخريف عاطفي غال ما — أنبت الساقي بماء المقل

كم ربيع فيك قد داهمني — بشتاء في ضميري موغل

برده يصطك منه قفصي — ورداه زاحف في أجلي

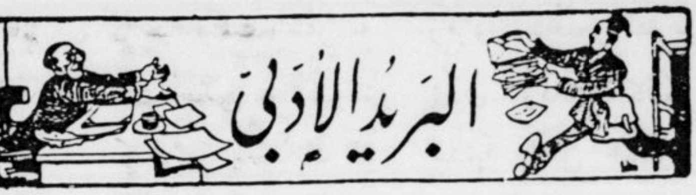
هكذا ولت حياتي فانظري — أي موت جرعتنيه الحياة

أنقذي قلبي ففي دقاته — هتفات لك يا كل مناه !

هتفات شقت الصدر لها — من سنان الصدق حد لا أراه

فاسمعيها وارحمي مرسلها — فهو يهواك ولو كنت رداه !

(القاهرة) عبد الرحمن الخميسي



إلى معالي الدكتور عبد الرزاق السنهوري بك

يا وزير الحقِّ والعـدل ويا منهلا يَغرف منه كل غارف
لك في العـلم مكانٌ سابقٌ وتليدٌ في القوانين وطارف
كنت كالصخرة لا تَعْيَا على صَخَبات الموج والتيَّار جارف
العصامية فيـك انكشفت عن صنيع وقدير في المواقف
هـذه «دجلة» قد روَّيتها فهْي ظِلٌّ مِن جَنَى علمك وارف
فاجعل العـلم بمصرٍ قِبلَةً يلتقى في كعبتيها كلُّ طائف
قد شَدَدْتَ العدل في دارته فأقِمْهُ اليومَ في دار المعارف

م . ع . ع

نشيد العرب

[اختار إمام العربية الأستاذ إسعاف النشاشيبي هـذه الأبيات من قصيدة للشريف الرضى ، ثم نشرها بهذا العنوان في كتابه (البـ ـدن) واقترح بعض الأدباء في مجلسه أن يلحنها أحد الملحنين لتكون النشيد العام لـ (جامعة الدول العربية) وكان الأستاذ ـى ـشو حضراً فأخذ على نفسه أن يلحنها وتلك هي الأبيات] :

أما كنتَ مَعَ الحيِّ صباحاً حينَ ولَّيْنا(١)
وقد صاحَ بنا المجدُ إلى أينَ إلى أينا ؟
لنا كلُّ غلامٍ همُّـه أن يرِدَ الحَينا(٢)
لنا السَّبْق بأقدامٍ إلى المجدِ تساعينا(٣)
تَرى زَمجَـرَةَ الآسا دِ همْساً بين غابَيْنا(٤)

(١) (ولينا) ذهبنا والذهاب هنا إلى الحرب
(٢) (همه) مطلبه ، مراده (الحين) الهلاك
(٣) (تساعين) تسابقن
(٤) (الزمجرة) ترديد الزئير (الغاب) جمع الغابة : (بين غابينا) بين الجيشين : جيشنا وجيش العدو

مَلَكْنا مَقطَعَ الرِّزق فأفقَرْنا وأغنَيْنا(١)
وحُزنا طاعةَ الدهرِ فأغضَبْنا وأرضَيْنا
إذا ما ثوَّبَ الدّاعى إلى الموتِ تَداعَيْنا(٢)

تصويب

وقعت أخطاء مطبعية كثيرة في مقالي الثاني عن مليم الأكبر بالعدد الماضي من (الرسالة) . وكثيراً ما وقع مثلها في مقالاتي فلم أنبه إليه اعتماداً على ذكاء القارئ ، وتوفيراً للوقت والورق !

ولكن يعنيني اليوم تصحيح خطأ يقلب قضية كاملة ، فقد سقطت كلمة «لا» من جملة ، فأحالت المعنى إلى نقيضه في موضع شديد الحساسية !

قلت عن مؤلف «مليم» بعد اقتباس فقرات من كتابه :

«فهم بعض إخواننا من هذه الفقرات أنه يشير إلى أسلوب «القرآن» وتحكمه في نمو الأدب العربي ، وغضبوا لهذا الفهم جداً ... »

ثم قلت :

«وأنا لا أحب أن أعرض للمسألة على هذا الوجه ، ولا أن أحكم الحس الديني في مسألة أدبية »

وهذا هو الصحيح بنفي الجملة ، وهذا ما اتبعته في كتابي «التصوير الفني في القرآن» الذي أشرت إلى منهاج البحث فيه على هـذا الأساس في نفس المقال . فقد أردت أن تكون نظرتي للقرآن نظرة فنية بحتة مجردة عن كل تأثر ديني في دراستي لطريقته التصويرية المبدعة .

سيد قطب

تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية

أصدرت لجنة التأليف هـذا الكتاب بقلم معالي مصطفى عبد الرازق باشا ، وهو يقع في ٣٥٩ صفحة من الحجم الكبير ،

(١) (مقطع الرزق) مأخذ الرزق مخرجه
(٢) (ثوب) دعا ، وأصله أن الرجل إذا جاء مستصرخاً لوح بثوبه ليرى ويشتهر (تداعينا) دعا بعضنا بعضاً حتى نجتمع وتنصره

والكتاب قسمان وضميمة : القسم الأول مقالات الغربيين والإسلاميين فى الفلسفة الإسلامية وتحته فصول : الأول فى مقالات المؤلفين الغربيين ، والثانى فى مقالات المؤلفين الإسلاميين ، والثالث فى تعريف الفلسفة وتقسيمها عند الإسلاميين ، والرابع فى الصلة بين الدين والفلسفة عند الإسلاميين . وعنوان القسم الثانى « منهجنا في درس تاريخ الفلسفة الإسلامية » ، وتحته ثلاثة فصول : الأول فى بداية التفكير الفلسفى الإسلامى ، والثانى فى النظريات المختلفة فى الفقه الإسلامى وتاريخه ، والثالث فى الرأى وأطواره . وخاتمة الكتاب ضميمة فى علم الكلام وتاريخه

هذا الكتاب هو أهم وأعظم المؤلفات خطراً من الناحية الثقافية فى العصر الحاضر ، ولا ترجع أهمية الكتاب إلى أن صاحبه وزير من وزراء الدولة ، بل لأن المؤلف كان أستاذ الفلسفة الإسلاميه بالجامعة ، وأنه صاحب مدرسة لها شأنها فى مصر والشرق . وليست هذه المدرسة داراً ذات جدران يختلف إليها المدرسون والطلاب في أوقات معلومة ، بل هى مدرسة روحية تعتمد على الطريقة والمذهب ، والأسلوب والفكرة . وهى مدرسة قديمة زعيمها جمال الدين ، ثم تلميذه محمد عبده ، ثم تلميذه مصطفى عبد الرازق .

منهج المدرسة الحرية فى البحث ، والتثبت والتحقيق ، والاعتماد على الثقافة الإسلامية الصحيحة ، ومذهبها النهضة والاصلاح فى العلم والدين .

والحرية أهم ما يميز منهج هذه المدرسة . ومن آيات ذلك أن زعماءها لم يجدوا حرجاً فى الاطلاع على آثار الغربيين والمستشرقين ، والأخذ بما فى آرائهم من صواب ، ونبذ ما جاء على لسانهم من أخطاء . ولا شك أننا استفدنا من طرائق الغرب فى البحث ، كما أننا نأخذ عنهم إلى جانب العلوم الحديثة كالطبيعة والكيمياء وعلم الحياة ، التاريخ الاسلامى وعلوم الدين . ذلك أن المؤلفات الاسلامية فى التاريخ والدين التى كتبت فى عصور قديمة لا تلائم روح العصر الجديد ولا يتذوقها المحدثون الذين درجوا فى دراساتهم على مناهج الغربيين الحديثة . ومن الخطر الشديد أن نستقى تاريخنا وديننا عن الغرب ، ولا حيلة للشباب إلا الرجوع إلى هذه المؤلفات الأجنبية ، لأن طبيعة نشأتهم فى الدراسة تدفعهم إلى ذلك . وقد كان مصطفى باشا رفيقاً فى خطاب هؤلاء المستشرقين فقال : « أما بعد ، فان الناظر فيما بذل الغربيون من جهود فى دراسة الفلسفة الاسلامية وتاريخها لا يسعه إلا الاعجاب بصبرهم ونشاطهم وسعة اطلاعهم وحسن طريقتهم . وإذا كنا قد ألمعنا إلى نزوات فى الضعف الانسانى تشوب أحياناً جهودهم فى خدمة العلم ، فانا نرجو أن يكون فى تيقظ عواطف الخير فى البشر ، وانسياقها إلى دعوة السلم العام ، والنزاهة الخالصة والانصاف والتسامح ، مدعاة للتعاون بين الناس جميعاً على خدمة العلم باعتباره نوراً لا ينبغى أن يخالط صفاءه كدر »[1]

فأنت ترى أن المؤلف اطلع على مقالات المستشرقين ، ثم ناقشها ، ثم عاد إلى الأصول التى استقى منها الشرقيون نتائج أبحاثهم وهى الكتب والمخطوطات الاسلامية ، ودرسها بنفسه وذوقه واستمداده وروحه أو روح المدرسة التى وصلت زعامتها إليه ، ينشد الحق والخير ، ويبغى النهضة والاصلاح .

وفى الكتاب ظواهر كثيرة جديرة بالتسجيل والالتفات أولاها أن المنهج الذى جرى عليه المؤلف منهج حديث سليم ، يتذوقه أولئك الذين درسوا على مناهج الغربيين

والظاهرة الثانية هى الدقة فى تحرى الحقائق فى مظانها ، ورد الأقاويل إلى مصادرها ، مع الاحاطة بأغلب المصادر من مطبوع ومخطوط .

والثالثة الوضوح التام ، والتمييز بين المعانى المختلفة والآراء المتباينة ، وإيراد الحجج لأنصار الرأى ومخالفيه ، والخروج بعد ذلك بالنتيجة الصحيحة .

وعنوان الكتاب « تمهيد لدراسة الفلسفة الاسلامية » ،

(١) ص ٢٧

يشير إلى الغرض الذى يرمى إليه صاحب الكتاب ، وهو دعوة المفكرين والطلاب إلى السير فى هذا الطريق ، واستيفاء البحوث التى أثارها وفتح أبوابها فكانت موضع النظر والتفكير الطويل وأبرز الآراء وأكثرها خطراً القول بأن الفلسفة الاسلامية الصحيحة ينبغى التماسها فى الفقه الاسلامى

هذه القضية تناقض تمام التناقض ما يقول به المستشرقون بأن المسلمين عارون عن الفلسفة ، وأن الفلسفة التى دخلت إلى ثقافتهم يونانية .

ومنهم من يعتبر أن علم الكلام هو أصل الفلسفة الاسلامية وأن علم الكلام عند المسلمين مستمد من الفلسفة اليونانية متأثر بها .

ومنهم من يرد بعض الفلسفة الإسلامية إلى الفرس والهند أما أن الفقه هو أصل الفلسفة الاسلامية ، فنظرية جديدة لا شك أنها ستفتح باباً جديداً للبحث والجدل والمناقشة .

ويرى مصطفى باشا بعد الاستشهاد بأقاويل المؤرخين الاسلاميين أن الشافعى هو « أول من وضع مصنفاً فى العلوم الدينية على منهج علمى » ؛ ومصنف الشافعى هو « الرسالة » .

ونحب أن ننقل إليك بعض ما كتبه مصطفى باشا عن « مظاهر التفكير الفلسفى فى الرسالة » بعد أن حللها تحليلاً وافياً :

« ورسالة الشافعى كما رأينا تسلك فى سرد مباحثها وترتيب أبوابها نسقاً مقرراً فى ذهن مؤلفها ، قد يختل اطراده أحياناً ويخفى وجه التتابع فيه ، ويعرض له الاستطراد ويلحقه التكرار والغموض ، ولكنه على ذلك كله بداية قوية للتأليف العلمى المنظم فى فن يجمع الشافعى لأول مرة عناصره الأولى .

وإذا كنا نلمح فى الرسالة نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام من ناحية العناية بضبط الفروع والجزئيات بقواعد كلية ... فانا نلمح للتفكير الفلسفى فى الرسالة مظاهر أخرى .

منها هذا الاتجاه المنطقى إلى وضع الحدود والتعاريف أولاً ، ثم الأخذ فى التقسيم مع التمثيل والاستشهاد لكل قسم .

ومنها أسلوبه فى الحوار الجدلى المشبع بصور المنطق ومعانيه حتى لتكاد تحسبه لما فيه من دقة البحث حواراً فلسفياً على رغم اعتماده على النقل أولاً .

ومنها الايماء إلى مباحث من علم الأصول تكاد تهجم على الالهيات ، أو علم الكلام ، كالبحث فى العلم ... » [١]

هذه هى جملة ما ذكره المؤلف خاصاً بمظاهر التفكير الفلسفى عند الشافعى صاحب الرسالة . ولم يستطع أن يجزم بأنها فلسفة بمعنى الكلمة ، فاستعمل ألفاظ الترجيح كقوله « نلمح للتفكير الفلسفى مظاهر أخرى » ، وكقوله : « حتى لتكاد تحسبه » .

ومهما يكن من شىء ، فهذا الكتاب يفتح آفاقاً جديدة ، وبحثاً لا يزال بكراً ، سيدفع المفكرين إلى الاتجاه إلى الثقافة الاسلامية اتجاهاً جديداً ، يلتمسون فيه الخصوبة الأصيلة للاسلام ، والقوة العقلية التى سادت فى مدنيتها قروناً طويلة من الزمان .

دكتور
أحمد فؤاد الاهوانى

---

(١) ص ٢٤٤ و ٢٤٥

13 me Année No. 604 — Lundi - 29 - 1 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٠٤ « القاهرة في يوم الإثنين ١٥ صفر سنة ١٣٦٤ — الموافق ٢٩ يناير سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الفهـــرس

صفحة

ابو العـــلاء المعرى (*)

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ١ —

كان النبي محمد ، وكان هذا القرآن ، هذا الكتاب المعجز ، فكانت تلك الدنيا المجيبة العربية ، وكان مع الهدى والخير ذلك العلم وذلك الأدب وتلك الفنون ، وكان أولئك الأئمة وأولئك النابغون وأولئك العبقريون ، وكانت تلك المؤلفات الفائقات المحققات ، وكان أولئك المؤلفون الراسخون في العلم المستبحرون. وكان هذا العبقري أبو العلاء المعري (احمد بن عبد الله بن سليمان) رب هذا المهرجان .

كانت الحضارة العربية ، وكانت هذه المدنية الغربية ، ولن يقدر أن يكفر إفضال المفضلين كافرون . فحمد والقرآن هما شائدا هذا المجد ، وهما القائدان ، وهما الهاديان ، وهما الشمسان الباهرتان ، ذواتا الضياء السرمدي في العالمين . .

« كما أرسلنا فيكم رسولا يتلو عليكم آياتنا ، ويزكيكم ، ويعلمكم الكتاب والحكمة ، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون — فاذكروني أذكركم ، واشكروا لي ولا تكفرون » .

***

(*) الخطبة التي ألقاها الأستاذ في مهرجان أبي العلاء الذي أقيم بدمشق في شهر سبتمبر الماضي .

« دمشق عروس الشام الموموقة ، وواسطة عقدها المرموقة » .

فى دمشق هذه التى قلت فيها — يا أبا العلاء — قولك هذا فى رسالتك إلى (أبى منصور محمد) قد مهرج العربيون لك اليوم هذا المهرجان بعد ألف سنة من سعادتك بكونك وسعادة العربية بك . وإن أمة أقامت من بعدك هذا الدهر الأطول تصارع الكروب والخطوب ، وتقارع تلك الهمجيات الشرقية والوحشيات الغربية ثم لم تَبِد بل لم تهن ولم تستكن ، إن أمة وقاها كتابها ووقت لغتها ولسان كتابها ، وعرفت قدرها فى الأقدار ، وفضلها من قبل ، ومسماها اليوم ، وأرادت ألا تزول وأن تكون فكانت ، إن هذه الأمة لقوية وعزيزة وسائدة وخالدة فى الخالدين .

***

بلاد الشام جلها ، ولا أقول كلها ، و « إن مع اليوم غدا يا مُسعِدة[(١)] » لا تردد كثيراً فى الوقت قول الشيخ :

ألفنا بلاد الشام إلف ولادة نلاقى بها سود الخطوب وحمرها
فطورا نداری من سبيعة ليثها وحينا نصادى من ربيعة نمرها

فالحال اليوم — يا أبا العلاء — متهادن ، والدهر مهادن . وفى الدار من قبيلك صالحون وصادقون ومخلصون و « ما الخلاص إلا فى الاخلاص » كما يقول ابو منصور الثعالبي[(٢)] ورئيس القوم[(٣)] ملآن من الفضائل الاسلامية ومن العربية والوطنية ، وهو كما أردت وكما أحببت وكما قلت :

إذا ما تبينا الأمور تكشفت لنا وأمير القوم للقوم خادم

لا يتركن قليل الخير يفعله
من نال فى الأرض تأييداً وتمكينا

وقد أتى بكثير الخير وأكثره . ومهرجانك هذا هو حسنة من حسناته .

***

(١) من أمثالهم ، قال الميدانى : يضرب مثلا فى تنقل الدول على مر الأيام وكرها

(٢) فى كتابه (المبهج) ورواه فى كتابه (الايجاز والاعجاز)

(٣) صاحب الفخامة السيد شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية

كونت العربية فى اللغات تكوين الألماس[(١)] والراديوم فى المدنيات .

« صنع الله الذى أتقن كل شىء »

ولله أن يفضل لسانا على لسان ، وأن يحظى إنسانا على إنسان[(٢)]

« ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات »

والشيخ يقول فى « الفصول والغايات » : « وربك خص بالفضيلة من اختار » وإذا قال العبقرى ابن جنى : « إننى إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة وجدت فيها من الحكمة والدقة والإرهاف والرقة ما يملك علىّ جانب الفكر ، حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر » فما غالى بما قال ولا بالغ بل كان من المقتصدين . وهذا شيخ العربانيين العلامة الكبير (نَلّينو) الذى حذق لغات متقدمين ومتأخرين من الغربيين والشرقيين يعالن فى خطبة غير متسمح فى الكلام ولا مُصاد بأن « العربية تفوق سائر اللغات رونقا وغنى ، ويعجز اللسان عن وصف محاسنها »

« ولو أبصروا ليلى أقروا بحسنها
وقالوا بأنى فى الثناء مقصر »

فـ « لغة العرب أفصح اللغات ، وبلاغتها أتم البلاغات[(٣)] » ولو تمثلت لغة غادة لأنشد المنشدون :

فدقت وجلت واسبكرت وأكملت
فلو جُن إنسان من الحسن جنت[(٤)]

***

فتنت هذه العربية « أبا العلاء » فتونا ، وسحرته فنونها ، فأقبل رجلا مسحورا . شُغف بكتابها « قرآنها » ذاك الشغف ، وكلف بقريضها أى كلف ، وهام بألفاظها هيامه بأقوالها .

(١) هو الالماس ، والهمزة واللام فيه أصليتان ، ولم يصب المجد فى قوله : « ولا تقل ألماس فانه من لحن العامة » وقد وجدت الالماس فى (الفائق) ج ١ ص ٢٣٤ وفى (النهاية)

(٢) أحظيت فلانا على فلان من الحظوة والتفضيل (المخصص)

(٣) الزمخشرى .

(٤) الشنفرى الأزدى فى مفضليته (اسبكرت) طالت وامتدت والمعنى — كما يقول الانبارى شارح المفضليات — : دقت فى حينها ، وجلت فى خلقها .

« إن هذا الكتاب الذى جاء به محمد كتاب بهر بالاعجاز . ما حُذى على مثال ، ولا أشبه غريب الأمثال . . جاء كالشمس اللائحة . . لو فهمه الهضب الراكد لتصدع[1] [وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون] وإن الآية منه أو بعض الآية ليعترض أفصح كلام يقدر عليه المخلوقون فيكون فيه كالشهاب المتلألىء فى جنح غسق [فتبارك الله أحسن الخالقين[2]] » .

« أجدنى ركيكا فى الدين ركاكة أشعار المولدين[3] » .

---

(١) الكتاب يقول : لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله . .

(٢) ابو العلاء فى (رسالة الغفران) .

(٣) أبو العلاء فى (الفصول والغايات) .

سئل أبو عمرو بن العلاء — كما روى ابن رشيق فى العمدة — عن للولدين فقال : ما كان من حسن فقد سبقوا اليه ، وما كان من قبيح فهو من عندهم . ليس النمط واحدا ، ترى قطعة ديباج وقطعة مسح (ثوب من الشعر غليظ) وقطعة نطع (بساط من الاديم : الجلد)

وروى غير صاحب العمدة لابن الأعرابى هذا القول :

إنما أشعار هؤلاء المحدثين مثل الريحان يشم يوما و يذوى فيرمى به ، وأشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته ازداد طيبا

وللقاضى الجرجانى فى الوساطة بين المتنبى وخصومه ولابن الاثير فى (المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر) قولان أرويهما وان خالفا مقالة الشيخ

قال الأول : ان الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ، ثم تكون الدربة مادة له وقوة لكل واحد من أسبابه ، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز ، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الاحسان ، ولست أفضل فى هذه القضية بين القديم والمحدث والجاهلى والمخضرم والاعرابى والمولد ، إلا أننى أرى حاجة المحدث إلى الرواية أمس وأجده إلى كثرة الحفظ أفقر

وقال الثانى :

لقد وقفت من الشعر على كل ديوان ومجموع ، وانفدت شطرا من العمر فى المحفوظ منه والمسموع ، فألفيته بحراً لايوقف على ساحله ، وكيف ينتهى الي إحصاء قول لم تحص أسماء قائليه . فعند ذلك اقتصرت منه على ماتكثر فوائده ، وتتشعب مقاصده . ولم اكن ممن أخذ بالتقليد والتسليم فى اتباع من قصر نظره على الشعر القديم إذ المراد من الشعر انما هو ايداع المعنى الشريف فى اللفظ الجزل واللطيف ، فمتى وجد ذلك (فكل مكان خيمت فيه — بابل)

(قلت) : قوله (فكل مكان الخ) هو عجز بيت للأبيوردى فى مقطوعة رواها ياقوت فى أثناء خبر من أخبار الشام ولا يتضح ما اقتبسه ابن الاثير الا بإيراد المقطوعة بتمامها وهى :

أبابل ، لاواديك بالخير مفعم	لراج ، ولا ناديك بالرفد آهل
إذا ضقت عنى فالبلاد فسيحة	وحسبك عارا أننى عنك راحل
وإن كنت بالسحر الحرام مدلة	فعندى من السحر الحلال دلائل
قواف تعير الأعين النجل سحرها	وكل مكان خيمت فيه — بابل

ومن علق بأقوال العرب الأقدمين من الجاهليين أو المخضرمين أو الاسلاميين استنزل كلام المحدثين ، وقضى قضاء أبى العلاء . وللكلام العربى القديم سلطان قاهر إذا استمكن من نفس خليطه سحره عما سواه ، فلا يتقبل إلا إياه . ولولا أن عبقرية أبي تمام وعبقرية المتنبي جهرتا الشيخ وبهرتاه ما كان فخّم حبيبا فى « رسالة الغفران » ذاك التفخيم مشيراً إلى مُقصَّدات له فائقات ثم قال : « إنى لأضن بتلك الأوصال ، أن يظل جسدها وهو بالموقدة صال ؛ لأنه كان صاحب طريقة مبتدعة ، ومعان كاللؤلؤ متتبعة ، يستخرجها من غامض بحار ، ويفض عنها المستغلق من المحار[1] » وما كان افتتن بأبي الطيب تلك الفتنة[2] . وسبك حبيب ـ وإن كان محدثا ـ عجيب . ولغته قد ضارعت أو قاربت فى القوة قديمة مطبوعة .

* * *

ذكر صاحب (الغيث المسجم فى شرح لامية العجم) جماعة من « الذين رزقوا السعادة فى أشياء لم يأت بعدهم من نالها »

---

(١) المحار جمع المحارة : الصدفة .

(٢) في مقالتى (أخبار أبى تمام للصولى) فى الرسالة ٢٢٥ السنة ٦ وفى مقالتي (ابو تمام والمقتطف) الرسالة ٢٣٥ السنة (٦) بينت شيئا من فضل أبي تمام فى الشعر ، ورويت أقوالا لأئمة فيه ، ومما لم أورده فى تينك المقالتين هذه الأقوال :

كان يقال : أربعة لم يسبقوا ولم يلحقوا : أبوحنيفة فى فقهه ، والخليل فى نحوه ، والجاحظ فى تأليفه ، وأبو تمام فى شعره

فى (الموشح) :

نظر يعقوب الكندى فى شعر أبى تمام فقال : هذا رجل يموت قبل حينه لانه حمل على كيانه بالفكر ، ويقال : إن أبا تمام مات لنيف وثلاثين سنة

وفيه :

محمد بن أبى كامل قال : شهدت أبا تمام الطائي فى منزل الحسين بن الضحاك وهو ينشد شعره فقال له اسحاق يافتى ، ما أشد ما تتكىء على نفسك ، يعنى أنه لايسلك مسلك الشعراء قبله وانما يستقى من نفسه

قال أبو بكر الصولى فى كتابه (أخبار أبى تمام) :

حدثني ابو الحسن الكاتب قال : كان ابراهيم البندنيجى يجيئنا كثيراً ، وكان اعلم الناس بالشعر ، ويجيئنا البحترى وعلى بن العباس الرومى ، وكانوا اذا ذكروا أبا تمام عظموه ورفعوا مقداره فى الشعر حتى يقدموه على اكثر الشعراء ، وكل يقر باستاذيته وانه منه تعلم ، وهؤلاء أعلم زمانهم بالشعر ، وأشعر من لقى

(٣) كان ابو العلاء — كما رووا — اذا ذكر الشعراء يقول : قال أبو نؤاس كذا ، قال البحتري كذا ، قال ابو تمام كذا ؛ فاذا أراد المتنبي قال : قال الشاعر كذا تعظيما له

من حياة دمشق :

نحن والتجــــار ...

للأستاذ علي الطنطاوي

أكتب هذه الكلمة والمطر يهطل منذ ثلاث ليال ، ما انقطع خيطه ، ولا سكت صوته ، أقبل بعد سنة مضت ، شحت فيها السماء ، وضنّت السحب ، ففرح به النـاس واستبشروا ، وانتظروا عاماً خيّراً مباركاً ، يغاث فيه الناس ، ويأتيهم الفرج بعد الشدة ؛ غير أن الخير إن زاد عن حده ، كاد ينقلب إلى ضده ، وكذلك المطر لما استمر صار الناس يسألون الله الجفاف ، ويتمنون لو تطلع الشمس ، والشمس ما تطلع ، والمطر ما ينقطع ...

ووكفت السقوف ، ونزّت الجدران ، واساقطت غرف ، وسالت طرق الجبل أودية ، فامتلأت بالحصى والحجارة ، وغدت أباطح ، ووقف سيلها الدفّاعُ السيارات وحافلات الترام ، واختبأ الناس في البيوت ، وما تكاد البيوت تمنع برداً ولا بللاً ، ونال حيّ المهاجرين (على سفح جبل قاسيون) مالم ينل مثله حياً في في دمشق ، وحي المهاجرين نصفه قصور من الصخر شامخات ، ذات طبقات كثر وشرفات ، ونصفه دور لساكين ، هي أكواخ من اللبِن والطين ، وما في بلدنا مكان يلتقي فيه الفقر المدقع المتجمل الصابر ، والغنى السفيه الوقح المبذر ، كما يلتقيان وجهاً لوجه في المهاجرين . أما بيوت الأغنياء فما أحست المطر ولا درت به ، ونام من فيها على فخم الأسرة ووثير الفرش ، لا يعنيهم من خبر السماء وخبر الأرض إلا أن تشبع بطونهم ، وتمتلىء صناديقهم ، ويسلم لهم أولادهم وأهلوهم ؛ وأما أكواخ الفقراء ، فقد صبرت على المطر صبر الكريم ، واحتملت ليلة وليلتين . فلما جاوز الحمل الطاقة ، خرت في المعركة ، كما يخر البطل الشهيد ، وخرج من بقي من ساكنيها فراراً منها حين لم تعد دوراً وإنما صارت بركاً ومستنقعات . . .

سقوف بيوتى صرن أرضاً أدوسها
وحيطان داري ركّع وسجود

وسمعت في الليل هزّة ، اهتزت لها الدور ، ورجفت منها القلوب ، فقمت أستقرى الخبر ، فاذا دار جيراننا قد هوت . . .

... ومضت ساعة ، وأهل الحمية من الناس يعملون في الوحل والمطر والبرد ، ليواسوا أسرة نزل بها القضاء ، وينقذوا ما يستطيعون إنقاذه ، من فرشها ومواعينها ، وذلك القصر ينظر الينا ثم يعرض عنا ، قد شغلته حفلة أقامها تلك الليلة لا أدري فيم أقامها ، ولا تزال أنواره ساطعة في عيوننـا ، ونساؤه الكاشفات يتراءين لنا من وراء الزجاج في الحرير والذهب ، وأصوات الغناء والمرح في آذاننا ، تهزأ بالفقر وأهله ، وتضحك وتخة في مآتمهم ، وترقص فاجرة في مقابرهم ، والسيارات تقف في بابه تنزل منها باقات الزهر ، وثمن كل باقة يحيى الأسرة من هذه الأسر أياما ، والهدايا التى تذهب بالمال ولا تأتي بالنفع لوحات مصورة ، وكئوس منقوشة مذهبة ، وتماثيل للناس وللبهائم ، لو وزعت أثمانها على فقراء الحي لم تدع فيه فقراء ، والفضيلة قد توارت خجلاً في زاوية الطريق ، وابليس واقف يضحك مسروراً بأن سلب نفراً من أمة محمد فضائل دينها ، ومروءتها ، وأن ثار من آدم فجرد بعض بنيه من بشريتهم ، وأحالهم شياطين في أجسام بشر ، أو ذئابا قد استخفت في الثياب ... ولم أقل كلابا لئلا أشتم الكلاب !

فلما جاء إلى الشيخ قال : « أبو العلاء المعرى في الاطلاع على اللغة » .
يقول الامام الشافعى في (رسالته في أصول الفقه) :

« لسان العرب أوسع الألسنة مذهبا ، وأكثرها ألفاظا ، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي » .

ولو أحاط إنسان غير نبي بجميع هذا العلم لكان الشيخ أبا العلاء ، وإن لم يحط به كله فقد أحاط ـ كما يخال ـ بجله . وتلميذه أبو زكريا التبريزى يقول كما ذكر ابن العديم في كتابه (الانصاف والتحرى) : « ما أعرف أن العرب نطقت بكلمة لم يعرفها المعرى [1] » .

(١) في (أوج التحرى) هذا القول وهو منسوب الى الشيخ في حديث له : « ... والله ما أقول إلا ما قالته العرب ، وما أظن انها نطقت بشىء ولم أعرفه »

ونعجب بعد هذا من ابراهيم بن أدهم لما أخرجوه ليستسقي لهم، وقالوا له قد استبطأنا المطر، فادع الله لنا، فقال: تستبطئون المطر؟ أنا والله استبطىء الحجارة ...

« ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابة، ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى »

***

وما هذا القصر لملك ولا أمير، ولكنه لتاجر من هؤلاء التجار الذين يحيون في أيام الحروب التي يموت فيها الناس، ويغنون حين يفتقرون، وينسون أن لهذا الكون إلهاً قادراً عادلاً جباراً، ما استقال ولا أحيل على المعاش، ولا يزال لهم بالمرصاد، وينسون أن الموت آت لامفر لهم منه، وأن قبل الموت المصائب والرزايا؛ الفقر والثكل والمرض؛ وأن بعد الموت الحساب، وبعد الحساب جهنم أو الجنة، أفبلغ بالتجار أن يعلنوا الحرب على الله؟

إننا نعيش بحمد الله في منجاة من القتال وأهواله، والحرب وبلاياها، ومالنا عدو يحاربنا، وما عدونا الا هؤلاء المحتكرون أعداء الله وأعداء البشر، الذين حبسوا أقواتنا، وأخفوا أرزاقنا، وارتصوا لنا أن نجوع ونعرى، ليكنزوا الذهب والفضة وبطيفوا بها إطافة الوثني بصنمه، وليريقوا فيض مالهم على أرجل بنات إبليس: الأرتستات الراقصات، وفي معابد الشهوة المتلهيات وفوادي القمار، وفي كؤوس الجحيم التي اسمها الشمبانيا والويسكي؛ يحارون ماذا يشترون بمالهم من اللذاذات المحرمة، وفي أي مطرح من مطارح التبذير يلقونه، والموظفون والعمال لا يكادون يجدون ثمن الغذاء والكساء، إلا موظفاً خان أو عاملا سرق، فما حال الأرملة المفردة، واليتيم الضائع، والشيخ الذي لاسناد له من مال أو ولد، وعندنا في دمشق من الأرزاق والبضائع ما لو أخرج لكفانا الحاجة سنين أخرى، بل إن عندنا كما أكد لي من يوثق به، بضائع لاتزال في مخازنها منذ الحرب الماضية، والناس يحتاجون اليها والتجار يخفونها ويترقبون بها يوماً أشد، وضائقة أحكم، لايدرون أن كل من أخفى بضاعة أو حبسها ينتظر بها ارتفاع الأسعار، وحرمها من هو في حاجة اليها فهو محتكر قل ما حبسه أو كثر، وهو عدو مؤذ، ولص سارق، وليس بتاجر، لأن التجارة كما يفهمها عقلي القاصر إنما تكون بنقل البضاعة من بلد تكثر فيه إلى بلد هي فيه قليلة، أو بجمعها في موسمها لبيعها في غير موسمها، أو بشرائها جملة وبيعها أفراداً، ويأخذ التاجر الربح المعقول على مابذل في ذلك من ماله ومن عمله، أما مانراه اليوم من اجتماع النفر من التجار حول مائدة من الرخام في (قهوة الكمال) مثلا، وفي أيديهم أقلامهم وفي أفواههم دخائنهم أو أنابيب نراجيلهم، يبيع أحدهم (بالة الخام) أو (كيس السكر) عشرين مرة بأسعار مختلفة، ويشتريها، وما باع على التحقيق ولا اشترى، ولا قام من مكانه ولا أخذ ولا أعطى. ثم ينفض الاجتماع ويأتي الستار على من ربح منهم عشرة آلاف ليرة، أو من خسر مثلها ... أما هذا وأشباهه — وما أكثر أشباهه — فما هو لعمر الحق الا القمار بعينه وأنفه وذنبه ...

وإذا كان حقاً ما اعتمده (رينان)، من أن الدولة تقوم على (الإرادة المشتركة)، لا على الأرض وحدها ولا اللغة منفردة، إلى آخر ما في « نظريته » المعروفة، فليس التجار منا ولا نحن من التجار، لأنهم يريدون غير ما نريد، ولا إرادة مشتركة بيننا وبينهم، فنحن نرجو الرخص وهم يتمنون الغلاء، ونحن نحب أن تنتهي الحرب وهم يحبون أن تدوم، ونحن نطلب من الحكومة أن تسعّر وتراقب، وهم يطلبون لأنفسهم حرية إجاعتنا وتعريتنا، ونحن لا نجد مالاً نشتري به لوازمنا، وهم لا يجدون لذة جديدة يصرفون فيها أموالهم، فأي جامعة بيننا وبينهم؟

***

وإذا كانت الرسالة قد جردت قبل الحرب[1] قلمها البليغ، لنصرة أكرم مبدأ، مبدأ الإحسان، والدفاع عن الفقراء والمحتاجين، وإثارة الحمية في نفوس الأغنياء القادرين، ذلك والدنيا في رخاء، والحياة مهلة، والسلام قائم، فأولى أن تستل هذا القلم العضب اليوم، حين اشتد الخطب، واتسعت بين الفريقين

(١) في النصف الأول من سنه ١٩٣٩

الشقة ، وازداد الأغنياء غنى ، والفقراء فقراً ، ونشأت هذه الطبقة المحدثة النعمة ، التى شبعت من المال ولا تزال فى جوع إلى الرفاهية والبلهنية واللذائذ : طبقة « أغنياء الحرب »

إن أهل القصر لا يزالون فى لهوهم وقصفهم ، وأهل الكوخ لا يزالون فى كدهم وجدهم ، والمطر دائب ما ينقطع ، والبرد قارس ما يخف ، والليل موحش مخيف ، فمن لهؤلاء المساكين ، إن لم تجرد لنصرتهم الأقلام من أغمادها ، وتُشرع حتى تصدع على هؤلاء الأغنياء حجارة القصر الذى اعتصموا فيه ، ليروا ما بالناس ويسمعوا ما خطب المساكين ، من إخوانهم فى الوطن واللغة والدين . إنهم فى سكرة الذهب ، فاصرخوا فيهم حتى يصحوا منها ، قبل أن يذهب السكر ويأتى « الأمر » ، فيروا أن أمر الله إذا جاء لا يرد . أفهموهم – وكيف السبيل إلى إفهامهم – أننا رأينا رأى العين ، ما قرأنا فى الكتب ، ولا سمعنا من الناس ، من غنى فى الحرب الماضية أكثر مما غنوا ، وبذر أضعاف ما بذروا ، ثم ذهب المال والأهل ، وغدا يسأل الناس على أبواب المساجد ، ولولا أنه يحرم التصريح بعد التلميح ، لصرحت بأسماء أقوام عرفناهم ، وإن جهلهم من قصرت سنه عن أسناننا .

* * *

على أننى ما أعمم القول ، ولا أطلقه إطلاقاً ، وإن فى الموسرين لمحسنين ، وفى التجار لمنصفين ، وما تخلو طبقة من خير ولا من شر ، ولكن فى الموسرين من يريد الإحسان ولا يعرف المستحق له ، ومن المستحقين من لا يعرف المحسنين ، ومنهم من يعرف ولا يسأل ، أولئك الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف . وإن من أوجب ما يجب علينا فى هذه الحرب أن ننشئ جمعيات موثوق برجالها ، بأمانتهم ودينهم ، تكون فى كل حى كالوسيط بين الغنى المحسن والفقير المحتاج ، تأخذ من الأول وتعطى « بعد التحقق من حاجته » الثانى ، ومن عرفت أنه اتخذ السؤال حرفة – على مقدرة منه على العمل ، أو على مال له قد خبأه ، فعلَّ أكثر هؤلاء المكدين – رفعت أمره إلى الحكومة لتعاقبه عقاب المتشردين . ويا ليت هذه الجمعيات الإسلامية الكثيرة فى مصر والشام والعراق : الإخوان والشبان والهداية والتمدن وأمثالها ، تجعل ذلك المطلب من بعض مطالبها

ثم إن من أهم ما ينبغى لهذه الجمعيات أن تصنعه هو أن تختار للاحسان أسلوباً يهون به العطاء على المعطى ، وتجزل به المنفعة للآخذ . ولقد وجدت أنا واحداً من مائة أسلوب تخطر على البال ، حين كنت « من نحو ثلاث سنوات » قاضياً فى القلمون ، وضاقت الأقوات وقل الخبز ، فدعوت إلى ما سميته « مشروع الرغيف » ، وأعاننى عليه القائم بأمر المنطقة يومئذ[1] ففرضنا على أهل كل بيت من القادرين رغيفاً واحداً فى اليوم وكلنا من يجمعه ، ووزعنا ما جمعناه على المحتاجين ، وتركنا من هم بين ذلك فلم نأخذ منهم ولم نعطهم ، وهذا الرغيف الذى لا يصعب إعطاؤه على أحد ، ولا تشعر به الأسرة ، أحيا الله به أهل القلمون – وهم أكثر من سبعين ألفاً – فى سنة القحط والضيق ، وما ذكرت ذلك لأفخر به ، ولا لأنه الأسلوب البديع الذى لا نظير له ، بل لأمثِّل به على ما أريد ، والعبرة بالأعمال لا بالأقوال

نسأل الله أن يوفقنا حتى نعمل ، ويرزقنا الإخلاص فى عملنا حتى يقبل ، وألا يجعل هذه المقالة كالصرخة فى البيداء .

(دمشق) على الطنطاوى

---

(١) هو القائم مقام السيد زكى غزال من أنشط رجال الادارة فى الشام

حول فلسفة نيتشه

سبيل مطروق . . . !

للأستاذ زكريا ابراهيم

اعتقد نيتشه أنه رائد الإنسانية الأول ، وظن أن أحداً قبله لم يطرق السبيل الذى طرقه ؛ ولكنَّ الرّواد قبله كانوا كثيرين ، وهذا السبيل الذى ضرب فيه مطروق ! . فهذا الإيمان الشديد بالأرستقراطية وعبادة الذات ، قد سبقه إليه لاروشيفوكو وهلفتيوس ورينان وتين وبرودون وفلوبير وغيرهم . وذلك الاعتقاد الراسخ باستحالة المساواة بين الناس قد ذهب إليه من قبل « جوبينو » الذى أعجب به نيتشه أشد الإعجاب . وتلك الكراهية الشديدة للمذاهب الاشتراكية والفوضوية ، قد تردّدتْ من قبل على لسان « هارتمان » الذى أزرى به نيتشه كل الإزراء . وهذه الثورة المنيفة على الأخلاق السائدة والقِيَم الجارية ، قد لقيت من قبل فى « جويُّو » أحسن مُعبّر عنها . وتلك الدعوى الجريئة إلى « اللاأخلاقية » immoralisme قد سبقه إليها أحد معاصريه وهو « شتِرْنرْ » Stirner . ـ فليست رسالة زرادشت إذن جديدة كل الجدّة على الإنسانية ، وإنما هى رسالة ردّدها على مسمع منها كثير من مفكرى العصر الحديث . وإذا كان فى هذه الرسالة شىء من الطرافة ، فذلك لأنها تعبّر عن شخصية صاحبها التى استطاعت أن تؤلف بين كل هذه الأفكار المختلفة . ومعنى هذا أن ما يروعنا ويستهوينا فى نيتشه ، هو أولاً وبالذات ، شخصيته ، لا آثاره . فهذه الشخصية الرائعة تنطوى فى أعماقها على نفس فنانة ، وقلب شاعر ؛ وفى أبعد أغوارها يكمن « الإنسان العظيم » الذى طالما تحدث عنه نيتشه نفسه !

بيد أننا مع ذلك مضطرون إلى أن نضرب صفحاً عن تلك الشخصية ، لكى نقصر النظر على آثارها . وقد أراد نيتشه أن تحكم عليه الإنسانية بما خلّف من آثار ، فلم يبق إلا أن نحاسبه على هذا الأساس . وما دام هو قد تنكّر للماضى ، وثار على تراث الإنسانية كله ، فلا بأس من أن نحكم على آثاره محاولين أن نتلمس ما فيها من جدّة مطلقة . ـ ولكن لا بد لنا من أن نقرر قبل ذلك أن نيتشه قد استثنى بعض المتقدمين ، فاعترف بالفضل لطائفة من الكتاب والمفكرين ، ممن أنجبتهم الحضارة الفرنسية « التى هو مدين لها » . وقد حرص نيتشه على أن يذكر بصفة خاصة ستندال ، فإن هذا المفكر الفرنسى ـ فيما يزعم نيتشه ـ قد استلبه أجمل فكاهة إلحادية يمكن أن تخطر بالبال ، وهى قوله : « إن العذر الوحيد الذى يشفع لله هو أنه غير موجود ! » . ومهما يكن من شىء ، فإننا إذا استثنينا الإعجاب الذى أبداه نيتشه ببعض المفكرين الفرنسيين ، مثل : بول بورجيه ، وبيير لوتى ، وأناتول فرانس ، وجى دى موباسان ؛ وبعض الشعراء الألمان مثل هينرش هَيْنى ؛ فإننا نجد أنه كان يعتبر دائماً أن أحداً لم يسبقه إلى تلك الأفكار الرائعة التى أعلنها ، وتلك الآراء الصائبة التى أبداها !

ولكننا نلاحظ ـ بالرغم من هذا الادعاء ـ أن جوبينو قد سبق نيتشه إلى كثير من هذه الآراء : فقد نادى جوبينو بانعدام التساوى بين الأجناس البشرية ، واعتبر الجنس الأوروبى أرقى الأجناس ، وجعل على رأس هذه الأجناس جميعاً الجنس الجرمانى « الأشقر » . وفضلاً عن هذا ، فقد ذهب أيضاً إلى أن من حق الجنس الأوروبى ـ باعتباره أرقى الأجناس ـ أن يتحكم فى الأجناس الأخرى ـ باعتبارها أجناساً سفلى ـ وارتأى جوبينو أيضاً أن من الواجب تكوين صفوة أرستقراطية مختارة ، تكوّن من تلك الجنسيات nationalités التى تنتسب إلى أرقى الأجناس races . ـ وقد انتشرت هذه الآراء التى نادى بها جوبينو فى ألمانيا كلها ، فأنشئت فى أواخر القرن التاسع عشر ، جماعة تحمل اسم جوبينو ، وتعرف فى ألمانيا باسم : Gobineau Vereinigung . وترددت آراء جوبينو على لسان نيتشه ، فقال فيلسوفنا بأرستقراطية الاجناس ، وإمكان قيام جنس أعلى ، أو نوع راق ، يكون جديراً بأن يطلق عليه اسم الجنس « الأعلى » أو « فوق الإنسانى »

وليس جوبينو وحده هو الذى سبق نيتشه إلى بعض الآراء التى ادعاها نيتشه لنفسه ، بل لقد سبقه إلى ذلك أيضاً فيلسوف

آخر ألمانى ، هو ماكس شترنر الذى نادى بمذهب « اللاأخلاقية » والفردية المطلقة . وسواء أكان نيتشه قد عرف شترنر أم لم يعرفه ، فإن هذا الفيلسوف (الذى عاش من سنة ١٨٠٦ إلى سنة ١٨٥٦) كان سلفاً مباشراً لنيتشه فى المناداة بالمذهب اللا أخلاق . ويمكن أن تلخص فلسفة شترنر فى عبارة واحدة هى « تقديس الذات » ، أو « عبادة الأنا » . فالذات هى مركز العالم ، والعالم ـ بما فيه من أشياء وأفكار وأفراد ـ إنما هو ملك للذات . وكل ما في الكون ليس له وجود حقيق بالقياس إلى الذات ، التى هي الشىء الحقيقى الوحيد و « الإنسان » المجرّد أو الإنسان باعتباره معنى كلياً (وهو ما يريد فورباخ أن يجعله موضع تقديسنا) ليس له أى وجود حقيق ، « وإنما هو خيال لا يكون له وجود حقيقى إلا فى ذاتى وبذاتى » . ولما كانت الحقيقة الوحيدة هى حقيقة « الذات » أو « الأنا » فإن فى استطاعتنا أن نتخذ لنا من هذه « الذات » le Moi مبدأ نسميه باسم « الواحد » أو « الفرد » La' unique . وما دامت الذات هى المبدأ الوحيد الذى يجب أن نأخذ به ، فإن علينا أن نستبعد كل سلطة خارجية ، سواء أكانت سلطة « الله » أم « الانسانية » أم « الأخلاق اللاهوتية » ، أم « الآمر المطلق » . . إلى آخر تلك السلطات التى يراد فرض سيطرتها على الذات وإذن فإن علينا أن نهدم الأخلاق ، لأن الأخلاق تقوم على « فكرة متسلطة » هى فكرة « الواجب » أو « الآمر المطلق » . وهنا نجد أن نيتشه يتفق مع شترنر ، فإن زرادشت سينادى بهدم الأخلاق ، والثورة على المسيحية التى تضع للحياة قيماً فاسدة منحلة . . . أما القول بعبادة الذات أو تقديس « الأنا » فهذا أيضاً مما يتفق فيه نيتشه مع شترنر ، فإن نيتشه هو الذى يقول : « إن وراء أفكارك وعواطفك (يا أخى) يكمن سيد قوى ، بل حكيم مجهول ، هو ذاتك نفسها Selbst وهو فى بدنك يقيم ، بل هو بدنك نفسه » !

ولا تقف أوجه الشبه بين نيتشه وشترنر عند هذا الحد ، بل إنهما ليتفقان أيضاً فى شىء أعمق من هذا ، وهو القول بإرادة القوة « Wille znr Macht » ؛ فقد جعل شترنر لإرادة التوسع فى القوة ، والامتداد بالذات ، أهمية كبيرة فى فلسفته ، حتى إن هذه الإرادة لتبدو عنده باعتبارها « القوة الأساسية للكائن البشرى » ؛ وهذه الفكرة هى التى ستصبح على لسان زرادشت الأغنية المحببة التى يرددها نيتشه فى كل حين . — فنحن نرى من هذا كله أن شترنر قد سبق نيتشه فى الثورة على الأخلاق ، والانتقاض على المسيحية ، والدعوة إلى عبادة الذات . فلم يكن نيتشه إذن أول من ضرب بقدمه فى هذا السبيل ، بل كان شترنر هو الرائد الأول الذى سار فى الدرب الذى طرقه السابقون ، حتى نهايته . وكل مافعله نيتشه هو أنه جدد أفكار شترنر ، وردد آراءه — دون أن يكون قد وقف عليها — كما ردد أيضا آراء السوفسطائيين والكلبيين وبعض المحدثين مثل لاروشيفوكو وهلفتيوس وهولباخ وفريدريك شليجل وستندال — مع وقوفه عليها — .

ونستطيع أن نضيف إلى هؤلاء الفلاسفة الذين أثروا فى نيتشه أو الذين سبقوه إلى الآراء التى نادى بها ، فيلسوفا آخر يتفق مع نيتشه فى أنه شاعر مثله ، ويختلف عنه فى أنه ليس منحرف الطبيعة مثله . أما هذا الفيلسوف الشاعر فهو جويو Guyau صاحب كتاب « صورة مجملة لأخلاق بلا تكليف ولاجزاء » [1] وقد ذهب هـــذا المفكر الفرنسى فى مؤلفه مذاهب شتى ، بعضها يتفق مع ما ذهب إليه نيتشه اتفاقا كبيراً حتى إنه ليصعب علينا أن نتصور أن يكون نيتشه لم يطلع على ما جاء فيها . ومما يتفق فيه الفيلسوفان :

أولا : القول بأن « الحياة هى الكل » tout est vie بمعنى أنه ليس فى وسعنا أن نتصور شيئاً ما على أنه موجود حقيقة إلا إذا كان هذا الشىء حياً .

وثانياً : القول بأن الأخلاق التى تنادى بفكرة الواجب والآمر المطلق ، أخلاق فاسدة يجب القضاء عليها ، لأن الالزام أو التكليف يرجع إلى الحياة نفسها ، إذ الحياة هى التى توفر للفرد الشعور بالقدرة على العمل ، وليس هناك قوة سحرية غريبة « كالآمر المطلق » المزعوم

---

(١) «Esquisse d' une moryale sans obliqation ni sanction»

وهذا كتاب فريد يجب أن ينقل إلى العربية ، ولعلنا نلخص للقراء طرفاً مما جاء به فى مقال نكتبه عن جويو

وثالثاً: القول بأن التشاؤم يدعو إلى الانحلال والفناء، في حين أن التفاؤل يكسب الحياة خصباً وامتلاء، فكل من جويو ونيتشه يعتبر التشاؤم مظهراً للانحلال والهبوط والفناء . . .

رابعاً: القول بأن الفن هو المعنى الباطن للحياة بمعنى أنه ليس مجرد متعة أو ألهية، بل هو أمر جدي له قيمته في الشعور بالحياة الحافلة الخصبة المليئة. فكل من جويو ونيتشه ينظر إلى الفن نظرة حيوية، ولا يعده عديم الغاية بل يذهب إلى أن الفن للحياة وبالحياة. ومعنى هذا أن الفن عندهما ليس للفن – كما يقال عادة – بل هو غائي، وغايته ليست تقويم الاخلاق أو إصلاح الناس، بل تقوية الشعور بالحياة.

وأما النواحي التي يختلف فيها جويو مع نيتشه، فهي تلك التي تمس مشكلة «الفردية»؛ وذلك لأن جويو يعتقد أن الرجل القوي ليس هو الرجل المتوحد (كما زعم نيتشه) بل هو الرجل الذي تجمعه بغيره من الناس، وشائج العقل والقلب. فعلى الرغم من أن جويو يتفق مع نيتشه في القول بالحياة الخصبة المليئة، إلا أنه يتصور هذه الحياة على أنها أولا وبالذات، حياة اجتماعية تنعدم فيها الأنانية، لأن الأنانية سلب للحياة نفسها، وإنكار لكل خصب أو امتلاء . . ولعل خير ما يوضح لنا الفارق بين نيتشه وجويو، هو أن الأول يدعونا إلى اتباع الطبيعة (كما دعا إلى ذلك الأقدمون)، في حين أن الثاني يدعونا إلى تعميق الطبيعة. فنيتشه يقول: «اتبع الطبيعة» Suivez la nature؛ وأما جويو فانه يقول: «عمق الطبيعة» Approfondissez la nature ومهما يكن من شيء، فان جويو هو بلا ريب واحد من أولئك الرواد الذين سبقوا نيتشه في الطريق الذي سلكه. وقد رأينا أن هؤلاء الرواد كثيرون، فهل علينا من حرج بعد هذا إذا قلنا إن السبيل الذي سلكه نيتشه سبيل مطروق؟

(السويس) زكريا ابراهيم

مدرس بمدرسة السويس الثانوية

إشهار الرؤوس المقطوعة

في أيام العباسيين

للأستاذ ميخائيل عواد

تمهيد:

فى مقال سابق لنا ، ذكرنا أخبار « خزانة الرؤوس » فى دار الخلافة العباسية ببغداد [١] ، وما ضمته رفوفها من رؤوس لعب أصحابها أدواراً خطيرة فى ميادين السياسة والادارة والفكر. وها نحن أولاء ننتقل إلى بحث آخر ذى صلة بهذا الموضوع ، « وهو إشهار الرؤوس المقطوعة فى أيام العباسيين » وذلك فى مختلف البلدان الاسلامية ، فنقول :

أولاً — نصب الرؤوس فى سامراء

١ — رأس الخليفة المستعين بالله :

تنكر الأتراك للمستعين لما قتل بعض أعيانهم مثل : وَصيف وبُـغَا ، ونفى باغر التركيّ الذى فتك بالمتوكل ، ولم يكن له مع وصيف وبغا أمر حتى قيل فى ذلك :

خليفة فى قفص بين وصيف وبُـغَا
يقول ماقالا له كما تقول الببغا. [٢]

وانحلّ أمره بعد وقعات كثيرة ، فخلع نفسه وأُحدِر إلى واسط ، فأقام بها تسعة أشهر محبوساً ، ثمّ رُدّ الى سامراء ولم يبلغها حتى حُزّ رأسُه ، قال المسعودى : « ولما كان فى شهر رمضان من هذه السنة ، وهى سنة اثنتين وخمسين ومائتين ، بعث المعتز بالله سعيد بن صالح الحاجب ليلاقى المستعين ، وقد كان فى جملة من حمله من واسط ؛ فلقيه سعيد وقد قرب من سامراء فقتله واحتزّ رأسه وحمله إلى المعتز بالله ، وترك جثته ملقاة على الطريق ، . . . . وذكر شاهك الخادم ، قال : كنت عديلاً للمستعين عند إشخاص المعتز له الى سامراء ونحن فى عمّارية ،

(١) الرسالة : (الأعداد ٤٨٩ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٩٤٥)

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطى (ص ٢٣٨ ؛ طبع مصر)

فلمّا وصل إلى القاطول تلقاه جيش كثير ، فقال : ياشاهك انظر مَن رئيس القوم ؟ فإنْ كان سعيد الحاجب فقد هلكتُ. فلمّا عاينته قلتُ هو والله سعيد ، فقال إنّا لله وإنا اليه راجعون! ذهبتْ والله نفسى [١] وجعل يبكى . فلما قرب سعيد منه جعل يقنعه بالسّوط ثمّ أضجعه وقعد على صدره واحتزّ رأسه وحمله ... » [٢]

قال ابن الاثير : « وحُمِل رأسه (أى رأس المستعين) إلى المعتز وهو يلعب بالشطرنج ، فقيل هذا رأس المخلوع . فقال ضعوه حتى أفرغ من الدست .. . » [٣]

وفى كتاب « الديارات » للشابشتى وصف مؤثر لهذا المشهد المحزن الذى حلّ برأس المستعين . قال : « وذكرَ أحمد ابن حمدون قال : بَنَى المعتز فى الجَوْسَق فى الصّحن الكامل بيتاً قَدَّرَته له أُمه ومثلت حيطانه وسقوفه ، فكان أحسن بَيْت رُئى . قال : فدعانا المعتز اليه فكُنّا فى أحسن يوم رُئى مروراً . وخلف الستارة مُغَنِّية تُغَنّى أحسن غناء ليس لى بها عَهْد . قال : فنحن فى ذاك ، إذْ دَخل علينا خادم فى يده طَبَق عليه مِكَبَّة ، فوضعه فى وسط البيت ، وكان فى يد المعتز قَدَحٌ فشرب وشربنا ، ثم قال للخادم : ارفع المكَبَّة ، فرفعها ، فاذا رأس المستعين فى الطَبَق . فلما رأيته شَهِقْتُ وبكَيْتُ . فقال لى المعتز : يا ابن الفاعلة ، ماهذا ؟ كأنّك داخلَتْك له رِقّة . فثاب إلىّ عقلى وتَماسكتُ وقلتُ : ما كان لِرِقّة ، ولكنى ذكرتُ الموتَ . فأمَرَ الغُلامَ برَدّ المكَبّة ورفع الطبق ، فرفعه . وكان المعتز داخَلَته فترة ، وكذلك جميع مَنْ حضر وافترقنا عن الحال التى كُنّا عليها من السُّرور . قال : فنحن كذلك إذْ سمعنا وراء السِّتر ضجّة أفزعتنا ، فإذا امرأة تصيح ، وامرأة أخرى تَشْتم الصائحة ، والصائحة تقول : ياقوم أخذعونى غصباً ثمّ تجيئونى برأس مولاى

(١) وفى رواية أخرى أنه قال : « قد جاء جزار بنى العباس » المنتظم لأبى الفرج بن الجوزى (٥ : ٧٢ ؛ فى ترجمة أحمد بن طولون)

(٢) مروج الذهب (٧ : ٣٦٦ — ٣٧١ ؛ طبع باريس) ؛ وانظر تاريخ الطبرى (٣ : ١٦٧٠ — ١٦٧٥ ؛ طبعة دي غويه)

(٣) الكامل فى التاريخ (٧ : ١١٦ ؛ طبعة تورنبرغ = ٧ . ٦١ ؛ بولاق)

فتضمونه بين يدىّ ! فسمعنا صوت العود قد ضرب به رأسها . قالَ : وكان الشاتم لها والضارب قبيحة (١) ، وكانت الجارية من جوارى المستعين . قال : فانصرفنا عن المجلس أقبح انصراف وقد تنغص علينا ما كنا فيه ، ولم يمض إلا أيام يسيرة حتى وثب الأتراك على المعتز فقتلوه . ثم دعى بنا لننظر إليه فدخلنا عليه فى ذلك البيت ، فإذا هو ممدود فى وسطه ميتاً (٢) »

٢ — رأس صالح بن وصيف

روى قصته الطبرى فى حوادث سنة ٢٥٦هـ ، ودونك بعض ما قاله فى رواية مقتله : « ... وقيل إنه حمل على برذون صنابى والعامة تعدو خلفه وخمسة من الخاصة يعنفون منه ، حتى انتهوا به إلى دار موسى بن بغا ، ... فلما صاروا به إلى حد المنارة ضربه رجل من أصحاب مفلح ضربة من ورائه على عاتقه كاد يقده منها ، ثم احتزوا رأسه وتركوا جيفته هناك ، وصاروا به إلى دار المهتدى ، فوافوا به قبيل المغرب وهو فى بركة قباء رجل من غلمان مفلح يقطر دماً ، فوصلوا به إليه وقد قام لصلاة المغرب فلم يره ، فأخرجوه ليصلح ، فلما قضى المهتدى صلاته وخبروه أنهم قتلوا صالحاً وجاءوا برأسه ؛ لم يزدهم على أن قال واروه ، وأخذ فى تسبيحه ... فلما كان يوم الإثنين لسبع بقين من صفر حمل رأس صالح بن وصيف على قناة وطيف به ونودى عليه : هذا جزاء من قتل مولاه . ونصب بباب (٣) العامة ساعة ، ثم نحى وفعل به ذلك ثلاثة أيام تتابعاً . وأخرج رأس بغا الصغير (٤) فى وقت صلب رأس صالح ، يوم الإثنين ؛ فدفع إلى أهله ليدفنوه ... فقال السلولى لموسى إذ قتل صالح بن وصيف :

وصيف بالكرخ ممثول به وبغا بالجسر محترق بالجمر والشرر
وصالح بن وصيف بعد منعفر فى الحير جيفته والروح فى سقر (١)

ثانياً — رؤوس جماعة من بنى أمية

بين يدينا أخبار رؤوس لقوم من بنى أمية ، قطعت قبيل ظهور دولة بنى العباس ؛ أو إبان ظهورها ، ثم نقل بعض هذه الرؤوس إلى العراق ، وكان من أشهرها :

١ — رأس عبيد الله بن زياد

الوقعة التى قتل فيها ابن زياد مشهورة فى التاريخ . قال ابن عبد ربه : « ... ولما التقى عبيد الله بن زياد وابراهيم بن الأشتر بالزاب . قال : من هذا الذى يقاتلنى ؟ قيل له : ابراهيم بن الأشتر . قال : لقد تركته أمس صبياً يلعب بالحمام . قال : ولما قتل ابن زياد بعث المختار برأسه إلى على بن الحسين بالمدينة . قال الرسول : فقدمت به عليه انتصاف النهار وهو يتغدى . قال : فلما رآه قال سبحان الله ما اغتر بالدنيا إلا من ليس لله فى عنقه نعمة ، لقد أدخل رأس أبى عبد الله على ابن زياد وهو يتغدى . وقال يزيد ابن معن :

إن الذى عاش ختاراً بذمته ومات عبداً قتيل الله بالزاب (٢)

٢ — رأس مروان الحمار :

وهو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم آخر خلفاء بنى أمية . وبقتله طويت صفحة بنى أمية من ديار المشرق . قال ابن الأثير فى رواية مصرعه : « وحمل رجل على مروان فطعنه وهو لا يعرفه ، وصاح صائح : صُرع أمير المؤمنين فابتدروه ، فسبق اليه رجل من أهل الكوفة كان يبيع الرمان فاحتز رأسه فأخذه عامر فبعث به الى أبى عون ، وبعثه أبو عون الى صالح ، فلما وصل اليه أمر أن يقص لسانه ؛ فانقطع لسانه فأخذته هر . فقال صالح : ماذا ترينا الأيام من العجائب والعبر ، هذا لسان مروان قد أخذته هر . وقال شاعر :

---

(١) هى أم الخليفة المعتز بالله العباسى كانت رومية فائقة فى الجمال فسميت قبيحة من أسماء الأضداد . توفيت بسامراء فى سنة ٢٦٤ هـ

(٢) الديارات للشابشتى، مخطوط برلين ؛ الورقة ٧٣)

(٣) هو أحد أبواب مدينة سامراء ، له ذكر كثير فى التاريخ . راجع مثلا تاريخ الطبرى ٣ : ١٢٣٠ ، ١٣١٨ ، ١٥٠٤ ، ١٥٠٥ ، ١٥٢٢ ، ١٦٦٢ ، ١٧٢٣ ، ١٨١١ ، ١٨٢١ ، ١٨٥٩ ، ١٨٧٤ ؛

(٤) قتل فى سنة ٢٥٤هـ ، وحمل رأسه إلى المعتز ، ونصب فى سامراء ثم فى بغداد ، وأحرقت المغاربة جثته انظر الكامل لابن الأثير ٧ : ١٢٦ ؛ ليدن = ٧ : ٦٦ بولاق ›

(١) تاريخ الطبرى ٣ : ١٨١٠ — ١٨١١ ، وانظر الكامل لابن الأثير ٧ : ١٥٥ ليدن = ٧ : ٨٠ ؛ بولاق ›

(٢) العقد الفريد (٣ : ١٥١ — ١٥٢ طبعة القاهرة سنة ١٩١٣)

معرض الفن البريطاني الحديث

للأستاذ نصرى عطا الله سوس

الفن لازمان له ولا مكان ، بل هو تراث الانسانية الخالد على مر الأزمان . وحين تتيح لنا أمة من الأمم فرصة مشاهدة آثارها الفنية تمهد لنا السبيل إلى مشاركة فنانيها ورجال الفكر فيها ، أسمى أحلامهم وأمانيهم وأنبل عواطفهم واحساساتهم .

فى الفن وحده يتسامى الانسان عن المطامع والدنايا والمشاغل الدنيوية ، ويفسح الطريق لعواطفه ومشاعره التى تؤكد المعنى الانسانى فيه ، المعنى الانسانى الذى لا يعرف الحدود الجغرافية أو المطامع السياسية وما تثيره من أحقاد وضغائن وفرقة ، والفن وحده هو النبراس الهادى الذى يذكرنا دائماً أن البشر عائلة واحدة مهما احتدم بينهم الخلاف والبغضاء . وتبادل التراث الثقافى هو خير مايعزز هذا الاحساس فى الانسان .

ومعرض الفن البريطانى المعاصر الذى أقيم فى القاهرة خلال هذا الشهر [1] مجهود طيب من مجهودات « المجلس البريطانى » فى سبيل تعزيز الألفة الثقافية والفكرية بين مصر وانجلترا

وقد قسم المعرض إلى أقسام ثلاثة : قسم الصور الزيتية والمائية ، وقسم الحفر والنقش ، وقسم رسوم الأطفال . ويحتوى القسم الأول على مايقرب من مائة لوحة لأقطاب الفن الحديث فى انجلترا ، وهى تعطينا فكرة صادقة عن هذا الفن خلال الأربعين سنة الأخيرة . ولا شك عندنا فى أن المجهود الذى بذل فى انتقاء هذه المجموعة من بين آلاف اللوحات كان مجهودا كبيرا صاحبه التوفيق إلى أبعد الحدود فى اختيار خير العناصر التى تمثل مختلف المدارس الفنية المعاصرة فى بلاد الانجليز

والفن الانجليزى المعاصر لا يتميز بطابع إقليمى قوى ، ذلك لأن غالبية أقطابه تلقوا دراساتهم فى البلدان الأوربية الأخرى وبخاصة باريس ؛ كما أن سهولة المواصلات وسرعة تبادل الانتاج الفكرى ساعد الفنانين الانجليز على سرعة استيعاب المذاهب الفنية الأوربية والتأثر بها .

(١) معرض الفن البريطانى المعاصر بسراى الجمعية الزراعية الملكية بالقاهرة من ١٠ — ٢٨ يناير سنة ١٩٤٥

قد فتح الله مصر عنوةً لكم
وأهلك الفاجرَ الجَعْدىَّ إذ ظلما
فلاك مقوله هِرٌّ يجرره
وكان ربُّك مِن ذى الكفر منتقما

وسيره صالح الى أبي العباس السفاح . وكان قتله لليلتين بقيتا من ذى الحجة ، ورجع صالح الى الشام . . . ، ولما وصل الرأس إلى السفاح وكان بالكوفة ؛ فلما رآه سجد ثم رفع رأسه فقال : الحمد لله الذى أظهرنى عليك وأظفرنى بك ، ولم يبق ثارى قبلك ... » [1]

٣ — رأس مصعب بن الزبير

قال ابن عبد ربه فى رواية مقتل مصعب بن الزبير : « ... فجاء عبيد الله بن ظبيان وكان مع مصعب ، فقال : أين الناس أيها الأمير . فقال : غدرتم يا أهل العراق . فرفع عبيد الله السيف ليضرب مصعباً ، فبدره مصعب فضربه بالسيف على البيضة ، فنشب السيف فى البيضة ، فجاء غلام لعبيد الله بن ظبيان فضرب مصعباً بالسيف فقتله . ثم جاء عبيد الله برأسه إلى عبد الملك بن مروان وهو يقول :

نطيع ملوك الأرض ما أقسطوا لنا
وليس علينا قتلهم بمحرم

قال : فلما نظر عبد الملك إلى رأس مصعب ، خرَّ ساجداً ، فقال عبيد الله بن ظبيان وكان من فتاك العرب : ما ندمت على شىء قط ندمى على عبد الملك بن مروان إذ أتيته برأس مصعب فخر ساجداً ؛ أن لا أكون ضربت عنقه فأكون قد قتلت ملكى العرب فى يوم واحد .. ، الرياشى عن الأصمعى ، قال : لما أتى عبد الملك برأس مصعب بن الزبير ، نظر إليه ملياً ثم قال : متى تلد قريش مثلك ... » [1]

(البقية فى العدد القادم)

ميخائيل عواد

(١) الكامل فى التاريخ (٥ : ٣٢٧ ؛ ليدن ؛ حوادث سنة ١٣٢ هـ) . وراجع تاريخ الطبرى (٣ : ٤٤ — ٥١) ، ومروج الذهب (٦ : ٧٦) ، والفخرى فى الآداب السلطانية (ص ١٧٠ ؛ طبعة أهلورد) .

(١) العقد الفريد (٣ : ٢٥٥)

ولطالما نعى النقاد — حتى الانجليز منهم — على الفن البريطاني خلوه من الروح الفنية الصحيحة وضعف « معنوية الشكل » فيه ، ولكن المجموعة المعروضة الآن تثبت أن الفنانين البريطانيين قد تحرروا إلى حد بعيد من ذلك الجمود الذى كان يرين على مجهود الكثيرين منهم . وفى هذا المعرض مجال طيب لدراسة الفن البريطانى المعاصر ، كما أنه مجال خصب للتأملات الحرة التى تتصل بجوهر الفن عامة دون تقيد بعصر من العصور أو أمة من الأمم .

وجولة سريعة فى هذا المعرض تقنع المشاهد أن الفنان الانجليزى يبلغ أوجه عندما يرسم مناظر الطبيعة الريفية فى بلاده ، فالصورة رقم ٧ (سنودنيا — لرايموند كوكسن) تتميز بقوة التصميم والتعبير وحرارة اللون ودقته وحيوية العاطفة . والصورة رقم ٨٣ (منظر طبيعى فى وادى ستور — لرولاند سدبى) تمتاز بالتعبير الشعرى وحسن اختيار اللون والشكل . والصورة رقم ٢٧ (كنيسة — بريشة د. أبز) والصورة رقم ٥٧ (تلال — لڤيڤيان بشفورت) تمتازان بالألوان الحية المعبرة

والصورة رقم ٧٣ (برارى فى دورست — لستانلى سبنسر) ليست إلا صلاة للطبيعة بالشكل والألوان وهى تنم بنضوج العاطفة وحرارتها وقوة الأداء ، وتستطيع أن تشعر صادقاً وأنت تتأمل هذه الصورة بذلك الشعور الصوفى الذى يستولى على الفنان عندما ينساق إلى الرسم انسياقاً استجابة لقوة أكبر منه . . . .

وللرسام ولسن ستير (١٨٦٠ — ١٩٤٢) أربع لوحات . وستير من أقطاب المدرسة التأثرية ، وأحد مؤسسى نادى الفن الانجليزى الحديث الذى كان له أكبر الأثر فى اتجاه الفن المعاصر بانجلترا . تعلم فى باريس ، ورسومه الأولى متأثرة كل التأثر بمانيه ، وديجا ، ومونيه ، ورينوار ، ولكنه استطاع فيما بعد أن يتخلص إلى حد ما من طابع التأثريين ويسير فى طريق كبار الرسامين الانجليز مثل ترنر وكونستابل وجيرتن بورو . وصوره الأخيرة تجمع بين الطابعين الانجليزى والفرنسى . وهو يجيد كل الاجادة عندما يرسم الأراضى المغطاة بالغابات والمساحات الشاسعة التى تغمرها الظلال والأضواء . وهو خير من يبين لنا أى تأثير كبير يستطيع أن يحدثه الفنان الكبير فى نفوسنا مع بساطة الأداء وسذاجته .

وأنا حين أثنى هذه الصفات السخية على هذه الأعمال الفنية التى ذكرتها لا أعنى أن كل هذه الأعمال توضع جنباً إلى جنب مع روائع التراث الفنى العالمي ، ونحن لا نستطيع أبداً وليس من حقنا أن نطالب الفنان بما ليس فى طوقه ، إنما نستطيع أن نلزمه بالصدق والاخلاص لعاطفته والمحافظة على كيان شخصيته وطابعها ، وهو إذا التزم هذه الحدود يستطيع أن ينتج شيئاً ، ونستطيع نحن أن نجد فيه مجالا للمتعة الذوقية برغم ما يعتوره من ضعف ، وكل ما يجب أن يتخلص منه الفنان والناقد والجمهور هو : الانخداع . فعلى الفنان أن يعرف حدود طاقته ولا يتعداها ، وعلينا أن نقدره التقدير الصحيح ونضعه فى موضعه اللائق — وقد قال « جيته » مرة : ما أسعد الرجل الذى يكتشف سريعاً الهوة بين رغباته وبين مقدرته — وطابع الاخلاص ظاهر جداً فى الصور التى تحدثت عنها وهو يكسبها حلاوة وجمالا برغم بساطتها ويسرها . ونطالع طابع البساطة أيضاً فى بعض مناظر الطبيعة الصامتة : فالصورة رقم ٣٨ (منضدة جانب الفراش لادوارد لبا) تعبر عن عاطفة لاتتكلم بل تغنى وتغنى بحرارة تتمثل فى فرحة الألوان الزاهية . والصورة رقم ٩ (زاوية غرفة المكتب لدى بليس) تقول كل ما تقوله بالالوان فقط وهى تقول شيئا ما برغم بساطة التصميم وفجاجته .

ويعتبر دنكن جرانت من أقطاب الفن البريطانى الذين يمتازون بالحساسية الشعرية وقوة اللون وحسن اختيار الشكل وبراعة الأداء ، وكل هذا يبدو جليا فى لوحتيه رقم ١٨ (الخوان) ورقم ١٩ (صورة شخصية) ؛ وكأن صفاء نفس صاحبة هذه الصورة الأخيرة سرى إلى نفس الفنان فاختار اللون واللباس والجلسة التى تساعد على إبراز المعانى النفسية الوادعة البادية على وجه السيدة صاحبة الرسم .

وفى المعرض مجموعة لابأس بها من صور الأشخاص ، من أهمها الصورة رقم ٣١ لجوين جون ، وهى صورة جانبية لفتاة صغيرة وهى من فرائد هذا المعرض فى قوة الشكل وحيوية التعبير وهناك صورة لأوجستس جون بريشته ، وهى تمثل تمثيلاً قوياً الفنان اللاهى دائماً عن عالمنا ، الشارد الذهن دائماً وراء عرائس الإلهام . وجون فنان بوهيمي غذى الفن الإنجليزى

بدماء جديدة بدت غريبة أول الأمر وحدت من شهرته، ولكنه تطور مع الزمن. ويمتاز فنه إبان نضوجه بالميل إلى التبسيط ووضوح الألوان وصفائها. وصور الأشخاص التي رسمها تمتاز بقوة التعبير وصدق الدلالة على نفسية الشخص المرسوم

ومن الأعلام الممثلين في هذا المعرض السير وليم أوربن الذي لفت الأنظار إليه منذ صدر شبابه لبراعته وقدرته وتمكنه من مختلف نواحي الفن، فمنذ أكثر من ثلاثين عاما وأوربن يرسم صور الأشخاص وصور الطبيعة الحية والطبيعة الصامتة في يسر وسهولة وتوفيق في التعبير والأداء. ومنهم أيضاً رتشارد سكوت (١٨٦٠ - ١٩٤٢) وهو من أصل ألماني، وقد قيل عنه إنه رسام أدبي، أي أنه يعنى بما تقصه الصورة أكثر من عنايته بالشكل. وقد تتلمذ على ويسلر، ولكن غلب عليه طابع التأثريين خاصة ديجا - وصوره تغلب عليها الألوان القاتمة والظلال، وكان يفضل الرسم في الأيام النائمة، وأكثر رسومه لردهات داخلية قليلة الحظ من الضوء

وأود أن أشير هنا إشارة خاصة إلى الصورة رقم ٨٨ (منظر البحر لإنيل ووكر) وهي من أنفس ما في المعرض، والذي يتأمل هذه الصورة تأملاً صادقاً ينسى ما تحكيه - أي البحر والأمواج - ويذكر العاطفة الحية المتوثبة، الغامضة، الشادية، التي تستولي على نفوسنا أحياناً، فتجعلنا نحس أن السكون لحن كبير قوي، وإننا بعض هذا اللحن نحس موسيقاه في قلوبنا، وتهزنا هذه الموسيقى هزاً منغماً كما يهتز القارب الصغير على صفحة الأمواج اهتزازاً قوياً متداركا

* * *

قلنا إن الفنان الذي يلتزم حدود ذاته يستطيع أن ينتج شيئاً ما، ونقول أيضاً إن التفرد والشذوذ مع القوة، والإيمان بسداد هذا التفرد والشذوذ عبقرية وأصالة لا شك فيهما

ويتمثل التفرد والشذوذ في أعمال الفنانين المحدثين، ويتمثلهم في معرضنا - تمثيلاً روعي فيه الجودة والتعقل - هنري مور وسذرلند، وآخر ينسج على منوال هذا الأخير اسمه ادوار أرديذون (صاحب الصورتين رقم ١، ٢) وأعمالهم لا تخلو من صدق في العاطفة والأداء

وهنري مور رسام ونحات، وهو كصاحبه سذرلند مجدد يتسم بالجرأة والخروج على الأشكال المألوفة، وبرغم ذلك - أو لذلك - لا يستطيع الناقد إلا أن يسلم له بأنه فنان بل فنان كبير أحياناً

وسذرلند لا يتقيد بالطبيعة إلا فيما ندر، وإذا تقيد بها اختار ما لم تألفه العين من الأشكال والألوان فيوفق أحياناً ويخونه التوفيق أحياناً، وعلى كل أعتقد أنه خير من استطاع أن ينتزع من الطبيعة نفسها مادة للتعبير المجرد المعبر

والجزء الأكبر من إنتاج هؤلاء الفنانين المحدثين لم تتقرر قيمته الفنية بعد، ومن العسف أن يحكم الناقد ذوقه الفردي في ظاهرة فنية عالمية كالتي نحن بصددها. وإن كنا نرى أن النظريات الفنية الحديثة في حد ذاتها معقولة ومقنعة، ولكن الإنتاج الفني نفسه تعوزه القوة، العاطفة والخيال والطواعية أي ينقصه كل عناصر الفن!

وهذا الفن الحديث فيما أرى لا يمثل التحرر من القديم، بل يمثل عنف الثورة والتمرد على القديم - والثورة والتمرد عنصران سلبيان، والدافع إليه في الغالب اقتناع ذهني لا تسنده عاطفة أو خيال، وكل ما يستطيع أن يقوله الناقد المعتدل إن هذا الفن قد ينضج مع الزمن

وقد راعى منظمو هذا المعرض ذلك، فهناك صورة واحدة تمثل مذهب السريالزم، وأخرى تمثل المذهب التكعيبي، وثالثة تمثل ما يسمى النيو رياليزم، ورابعة تمثل الفن التجريدي، والأخيرة (رسم رقم ٨٥ لجون تنارد) قطعة فذة في نوعها تمتاز باللون والتصميم وموسيقية التعبير، وهي تبين لنا أن الفنان الصادق الإحساس ينجح دائماً مهما اتسم «الزي» الذي يختاره لعاطفته بالغرابة والبعد عن المألوف

وما دمنا بصدد الحديث عن النزعات الفنية الحديثة يمكننا أن نقول إن الفنان الإنجليزي عامة أخذ يحس ويبرز في لوحاته المعاني اللونية الباطنة للأشكال الطبيعية، ولعل هذا أكبر حسنات النظريات الفنية الحديثة.

نصري عطا الله سوس

المسلمون في بولندا (١)

للأستاذ مصطفى كمال عبد العليم

هناك صفحة ليست معروفة تماما فى التاريخ البولندى تتعلق بتاريخ القبيلة التترية الاسلامية التى استوطنت المنطقة الشمالية الشرقية من بولندا . فكما استقرت الشعوب الإسلامية فى أوربا كنزاة — إذا استثنينا مسلمى يوغوسلافيا الذين هم من أصل صربى أسلموا عن طريق الغزو العثمانى — كذلك استوطن تتار بولندا اقليما لم يطأه غاز مسلم من قبل . ومن المعروف أنهم بدأوا يستقرون فى بولندا منذ منتصف القرن الرابع عشر .

وليس هناك من شك فى أصلهم الجنسى ، فهم من الجنس التركى المنولى انحدروا من امبراطورية جوشى بن جنكز خان وعرفوا باسم « الرعيل الذهبى » فى غربى القبشاق (٢) . ولكى نعرف متى وكيف استقروا فى بولندا يجب أن نعرف أسباب تكوين تلك البقعة الإسلامية الصغيرة وظروف ذلك التكوين ، ثم كيف استطاعت هذه الفئة المسلمة وهى محاطة من كل جانب بشعوب مسيحية — أن تحتفظ بدينها خلال كل تلك القرون ، وبخاصة من القرن الرابع عشر إلى القرن السابع عشر ، تلك القرون التى تميزت بالنضال المنيف بين المسيحية والإسلام .

هناك حقيقتان ثابتتان أولاهما : أنهم بدأوا فى الاستقرار قبل سنة ١٣٩٢ وذلك من وثيقة ترجع إلى ذلك التاريخ تتعلق بمنح قطعة أرض لأسرة تترية . والأخرى : من وثائق ترجع إلى سنة ١٤٧٥ أمكن معرفة استقرار مركزهم الاجتماعى والقانونى إذ ذاك ، فهم يمتلكون اقطاعيات منحتها لهم السلطات المركزية مقابل تعهدهم بالخدمة العسكرية وقت الحرب . فما هى الأسباب التى دعت هذه السلطات إلى أن تسمح بايواء عنصر غريب الجنس والدين فى أراضيها ؟ حقيقة أن هناك خدمة إجبارية وقت الحرب مقابل هذا الإيواء ، ولكن حتى هذا الالزام دليل واضح على ثقة السلطات بهؤلاء التتار فما علة ذلك ؟

أخذ أسلاف التتار فى الاستقرار فى ضواحى مدينة فيلنو البولندية التى كانت تابعة لدوقية لتوانيا فى القرن الرابع عشر . وكانت لتوانيا إذ ذاك دولة متسعة ممتدة من نهر نيمن إلى نهر أوكا ، ومن البحر البلطي إلى البحر الأسود ، وكانت مهددة بغارات الفرسان التيوتون فى الغرب ، وامارة موسكو الناشئة فى الشرق التى بدأت تسود الامارات الروسية الأخرى بفضل مساعدة « الرعيل الذهبى » التابعين لموسكو . وكان سكان لتوانيا يبلغون بضعة آلاف ، فكان يخشى أن تنفصل الامارات الروسية التابعة للتوانيا لتنضم إلى موسكو بحكم اللغة ووحدة الدين . فكان على لتوانيا أن تحارب فى اتجاهين متضادين ، وكان على أدواقها تجنب الاشتباك مع الرعيل الذهبى القوى ، وكسب تحالفه إن استطاعوا . وهذا ماحدث فعلا سنة ١٣١٩ . فكان هذا التحالف موجها أولاً سنة ١٣٧٠ ضد الفرسان التيوتون ، ثم ضد موسكو ثانياً سنة ١٣٨٠ . هذا هو مبدأ الإتصال بين التتار المسلمين وبين لتوانيا وبولندا . وقد يتصور البعض أنه من الصعب تحالف شعبين أحدهما مسلم والآخر مسيحى فى ذلك الوقت الذى يفور بالعصبية العمياء ، ولكن إذا عرفنا أن اللتوانيين كانوا وثنيين أمكن تصور حدوث مثل هذا التحالف

ثم كان أن اتحدت لتوانيا مع بولندا سنة ١٣٨٦ واعتنق اللتوانيون الكثلكة ، ولم يؤثر ذلك فى سياسة لتوانيا نحو الرعيل الذهبى ، بل بالعكس ازداد انتظام العلاقات الودية بين التتار المسلمين وبين المملكة اللتوانية البولندية المتحدة الكاثوليكية .

لم تعد لتوانيا تقنع باضعاف موسكو ، بل تريد القضاء عليها ، فتدخلت فى شؤون الرعيل الذهبى الذى بدأ يتفكك فأخذت تناصر الخانات الأقوياء لتفيد منهم فى القضاء على إمارة موسكو ، كما شجعت هجرة التتار إلى أراضيها ، ومن ثم سمحت لهم بالاستقرار حول فيلنو كما وجد التتار المطرودون من القبشاق

---

(١) ملخصة عن مقالة « The Muslims in Poland By : L. Bohdanovicz .The gourmal of The Royal asiatic Society. 1942 »

(٢) كانت امبراطورية جنكزخان تمتد من الصين إلى بحر قزوين قسمها بين أولاده الأربعة . وكان من نصيب جوشى البلاد الواقعة بين نهر ارتش والسواحل الجنوبية لبحر قزوين وكان إسم تلك البلاد عامة « القبشاق » ويطلق عليها « الرعيل الذهبي » Golden Horde نسبة إلى خيم معسكراتها ذوات اللون الذهبي (حاشية نمرة ٤ ص ٣٩٤ القسم الثاني من الجزء الأول من كتاب السلوك نشر الدكتور زيادة)

ملجأ رحباً فى لتوانيا . والواقع أن لتوانيا قد جربت اخلاصهم وشدة مراسهم فى الحروب ضد الفرسان التيوتون وضد إمارة موسكو .

وقد عاش التتار فى هذا الاقليم ستمائة سنة ، إلا أنهم كونوا جماعة متميزة بتقاليدها وعاداتها من العنصر الذى عاشوا بين ظهرانيه . وبرغم أنهم تزوجوا بمسيحيات نظرا لقلة النساء المسلمات اللائى هاجرن معهم ، فإنهم احتفظوا بدينهم وتمسكوا به كما ظل طابعهم التركى التترى متميزا ظاهرا .

وقد تأثر التتار بالبيئة الجديدة التى استقروا بها . فبعضهم لم ترضه حياة الدعة والاستقرار ، فعادوا إلى مراكزهم الأولى فى القبشاق ، والبعض الآخر بقى ، وهؤلاء كانوا قد تأقلموا فى القرن الخامس عشر ونسوا لغتهم حوالى منتصف القرن السادس عشر . ويرجع ذلك إلى اضطرارهم إلى الزواج بنساء بولنديات ، فشب الأبناء على لغة أمهاتهم ، إذ أن الآباء كثيراً ما كانوا يتغيبون فى الحروب ، وفى هذا تفسير جزئى لاتخاذ المسلمين أسماء بولندية . ولكن برغم كل ذلك لم يضعف تمسكهم بدينهم — كما قلنا — كما أنهم حرصوا على الاتصال الدائم بالعالم الإسلامى وإن كان هذا الاتصال يتأثر بطبيعة الحال بالظروف السياسية . فمن وثيقة ترجع إلى القرن السادس عشر نعرف أنهم حجوا إلى مكة ، كما كانوا فى ذلك الوقت يتداولون فيما بينهم بنقود عربية لابد وأنهم جلبوها معهم بعد عودتهم من الحج . وكان من الطبيعى أن تفيد منهم الحكومة البولندية بأن تجعل منهم سفراءها لدى الدول الإسلامية ، وهذا مشاهد من إرسال مترجمين ومبعوثين سياسيين من بين التتار المسلمين خلال النصف الثانى من القرن الخامس عشر وطوال القرن السادس عشر . ثم من ناحية أخرى كان التتار يستعينون بأئمة وعلماء دينيين من تركيا والقرم ليشغلوا بهم وظائفهم الدينية . ومن الطريف أن نذكر أنهم كانوا يستخدمون الحروف العربيـة فى مؤلفاتهم الدينية والعلمية المؤلفة باللغة الروسية أو البولندية .

وقد بلغ التتار البولنديون القمـة فى تطورهم فى منتصف القرن السادس عشر الذى كان عصراً ذهبياً كذلك للتاريخ البولندى . ويمكن أن نقدر عددهم إذ ذاك بنحو مائة الف .

وكان فى كل قرية يقطنها المسلمون مسجدها الخاص ، وفى بعض المدن هناك شوارع تترية إسلامية صرف ، بل وأحياء بأكلها خاصة بهم .

وهناك مرسوم ملكى مؤرخ بتاريخ ٣٠ يونية سنة ١٥٦٨ يبين مركزهم بالنسبة للعناصر الأخرى ، وهـذا المرسوم يبين حقوق نبلاء المسلمين وامتيازاتهم ومساواتها بحقوق المسيحيين وامتيازاتهم . والواقـع أنهم كانوا أقل فى بعض الحقوق من المسيحيين ، فليس لهم حق الانتخاب للمجمع البولندى ، وليس لهم أن يكونوا أعضاء فيـه أو فى مجالس الولايات . وظلوا محرومين من هذا الحق حتى ظهور دوقية وارسو على يد نابليون سنة ١٨٠٧ . ولكن من ناحيـة أخرى يشتركون مع النبلاء المسيحيين فى الصفة المميزة لنبلاء العصور الوسطى ، وهى ملكية اقطاعات من الأرض كان يقطعها لهم الملك ، فكانوا يسمون أحيانا « تتار الملك » وهم إلى حد ما أتباع مباشرون له ، فهم لايستطيعون توارث ارضهم دون موافقة الملك ، إلا أن هـذا الحق فى التوارث صار نهائياً فيما بعد . أما من الوجهة الاجتماعية فهم مقسـمون الى طبقات ثلاث : الطبقة الأولى كبار الملاك ذوى الاقطاعيات الواسعة ، وهم ملزمون بالخدمة العسكرية وبتقديم جماعات من الفرسان كاملى العدة وقت الحرب ، وتضم هذه الطبقة الأمراء والأشراف . والطبقة الثانية الجند العاديون ، ولهم أراض تقل فى مساحتها عن أراضى الطبقة الأولى ، وهم على العموم يزرعون أرضهم بانفسهم . أما الطبقة الثالثة فلا يمتلك أفرادها نصابا معيناً من الأرض ، يشتغلون بالزراعة وأعمال النقل والبريد ، إلا أن فى إمكانهم الوصول إلى مركز محترم عن طريق الخدمة العسكرية . وكانت الطبقتان الأولى والثانية معفاتين من الضرائب ، ولكن بمضى الوقت أخذت الفوارق تتلاشى بين الطبقات .

[البقية فى العدد القادم]

مصطفى كمال عبد العليم

العصبية المفـــرقة

للأســتاذ محمود الشرقاوى

أبرزت الانتخابات البرلمانية التى جرت فى الأسبوع الماضى ظاهرة جزع لها رجال السياسة كما جزع لها المفكرون على السواء هـذه الظاهرة هى تحريك العنصرية الطائفية واستغلالها فى الصراع الانتخابى بين المرشحين والناخبين .

ورجال السياسة والمفكرون من حقهم أن يجزعوا لبروزهذه الظاهرة التى من شأنها ـ لو أنها لم تتدارك ـ أن تضعف التماسك الشعبى بين أبناء الأمة وأن تعطل إلى حد كبيرسيرها إلى أهدافها الوطنية ووصولهابعد ذلك إلى هذه الأهداف ، وأن تقلل من تقدير الأمم ذوات السيادة للوطن المصرى وللوطنيـة المصرية ولقيمة الشعب ومكانته من الحضارة والثقافة ومايستتبعه ذلك من اعتراف هـذه الدول لمصر بحقها فى الحياة الحرة وتمكينها مما تتطلبه من مركزحسن بين مجموعة الأمم المتحضرة ومكان ممتاز بين مجموعة الشعوب العربية بوجه خاص

ومن المقاييس الصادقة التى تقاس بها حضارة الأمم وثقافتها وحظ طبقاتها من التهـذيب مقياس التسامح الدينى والطائفى . فكلما كانت الأمة أعرق حضارة وأعمق ثقافة وأرق تهذيباً ، كانت أبعد بطبقاتها وأفرادها عن التعصب الدينى والعنصرى ، ومما يتصل بأى نوع من أنواع التعصب للأقليم أو المهنة أو التعليم أو الثقافة . وكلما كانت الأمة أقرب إلى البدائية فى حضارتها وثقافتها وتهذيب شعبها احتدّ بين طبقاتها وأفرادها التعصب وتعـددت ألوانه ومظاهره .

وكذلك الأفراد يمكن أن يقاس تهذيبهم رفعةً وخفضاًورقة وغلظة ، وأن تقاس ثقافتهم تعمقاً وسطحية وجوهراً ومظهراً ، بمقياس بعدهم أو قربهم من التعصب لدينهم أو ذاتهم أو إقليمهم أو معهدهم التعليمى أو نوع ثقافتهم .

وهذه كلها بداية أعتقد أن جمهوراً ممتاز الثقافة والفهم مثل قراء « الرسالة » لابد أن يعرفها ويسلم بها

وكما أبرزت الانتخابات البرلمانية الأخيرة هـذه الظاهرة المؤسفة من مظاهر التعصب الطائفى عند فريق من الناس فتدار كها رجال السـياسة والعقلاء من المفكرين ، أبرزت حوادث أخرى مثل إنصاف الطبقات والمتخرجين فى الجامعات والمدارس ظاهرة أخرى لنوع آخر من التعصب للمهنة أو الوظيفـة أو المعهد أو الثقافة ، وكلها ألوان من التعصب هى كما قلنا تمس إلى حد كبير وحدة الأمة وتماسكها ، ويستطيع بعض الناس أن يجعل منها مقياساً لحضارتها وثقافة مجموعها وفهمه لمقوّمات الأمم وتهذيب الأفراد .

وقد كان هـذا المظهر الأخير من مظاهر التعصب أكثر وضوحا للمشـتغلين بالصـحافة والذين لهم وعى وحسن إدراك للتيارات الذهنية والتموجات النفسية والفكرية للمجتمع المصرى .

كما كان أبرز وأوضح لمن تولوا شؤون هـذا الأنصاف للطبقات والخريجين والحاصلين على مختلف الأجازات العلميـة والشهادات المدرسية وكم سمعنا وقرأنا لهؤلاء الذين تولوا هـذه الشؤون فأدركنا أن الأمر جدٌ ، وأنه مما يستحق أن يشتغل به المفكرون والذين لهم غيرة على وحـدة الأمة الثقافية أو تماسكها الثقافى على الأقل .

وقد كان مما يهون ـ إلى حد ما ـ من شأن التعصب العنصرى والطائفى أن فشوه قاصر على السواد وأبناء الشـعب وأن الساسة والمفكرين يقضون على سمومه عند أول نهزة .

ولكن هـذا اللون الجديد من التعصب الثقافى ليس فاشياً بين السواد ولا بين أبناء الشعب ، ولـكنه قائم محتدم بين الخاصة والمثقفين منه ، وأن أحداً لم يدرك خطره ولا شره فيعمل على خلاص هؤلاء المثقفين والخاصة منه ، ويعمل على أن يعود بهذه الشيع من المتخاصمين المتنابذين إلى مايجب أن يكونوا عليه جميعاً من رفعة التهذيب ، ومن تعمق الثقافة وسعة الصدر والأدراك

وقد يكون للسواد والجهلة شيء من العـذر فى أن يتعصبوا وأن يفترقوا وأن يخاصم بعضهم بعضاً فيما لا يجب أن يكون بينهم فيه خصام ، أوفيما يجب ألا يكون بينهم فيـه خصام ، وأن يميز بعضهم بعضاً أو يفاضل بعضهم بينه وبين بعض آخر فيما يجب ألا يكون بينهم فيه تفاضل ولا تمايز . ولـكنه لا عذر للمثقفين ـ إذا أرادوا أن يكون لهم من هـذا الوصف نصيب ـ فى أن يتنابذوا ولا يتعصب كل منهم وينحاز إلى جانب يراه أرفع شأنا وأميز ثقافة وأقوم فى حياة الأمة وفى نفعها ، ليس لأنه كذلك فى واقع الأمر ، ولـكن لأنه هو من هذا الطريق .

محمود الشرقاوى

من كتاب الحياة

شريــــد . . .

للدكتور عزيز فهمي

مرَّ بى كالخيالِ فى أسمالِه واهياً كالخيالِ عندَ زوالِه
حائرَ الطَّرْفِ والخطى كطريدٍ ذاهلاً عن يمينه وشمالِه
راعشاً والسماءُ تمطِرُ سَيْلاً يُنذرُ الرَّعْدُ صاخباً بانهيالِه
يهزأ البَرْدُ ما يواريه بُرْدٌ وصريرُ الرِّياحِ دونَ سُعالِه
أيها العابرُ المُجدُّ تمهَّلْ أنتَ أحرى بأنْ ترِقَّ لحالِه !
صِحْتُ: ياطفلُ! لم يكدْ يتقيه لى
فتبعْتُ الشريدَ والقلبُ والِه
حيثُ أتوى بمسجدٍ غيرِ ناءٍ مُطرِقاً من حيائه وسؤالِه
والمصلُّون مَنْ يُسبِّحُ منهم عازفٌ عن فضوله وابتذالِه
حَرَماً ياأخى وياصاح جَمْعاً... أينَ مِنْ وقعِها ذليل مقالِه ؟
لم يجدْ راحماً ولا مُستجيباً بعدَ ما بُحَّ صوتُه من كلالِه
فانثنى عائداً بخُفَّىْ حُنَيْنٍ كاسفَ البالِ مُشفقاً من مآلِه
ثمَّ ولَّى إلى الكنيسةِ وجهاً واستجارَ الفتى بعيسى وآلِه
ردَّهُ سادنُ الكنيسةِ ركْلاً
ليتَ من ردَّهُ استحى من جلالِه !
ما على الدَّيْرِ لو أقامَ نهـاراً
أو أطالَ الوقوفَ فوقَ احتمالِه ؟
فمضى هائماً على غـــيرِ وجهٍ
ليسَ يلوى على هُدًى فى ضلالِه
وإذا بى أرى تقِىَّ أريحيّاً هزَّهُ النُّبلُ لا يضنُّ بمالِه
يتركُ الحانَ والندامى ويعدو كالذى فرَّ ناشطاً من عِقالِه
صاحَ بالطِّفلِ يا بُنىَّ انتظرنى لحظةً : فالطريقُ فى أوحالِه
وانتضى ثوبَه وقالَ تدثَّرْ... وأضافَ الجوادُ بعضَ نوالِه
فتأملْتُ ما رأيتُ مليّاً ذلكَ الدرسُ فاعتبِرْ بمثالِه
أيهم عنـــدَ ربِّه مُتَّقيهِ ليتَ شعرى وأيهم غيرُ آلِه[1]؟
ليتهم إذ صَفَوْا بخدٍّ ومالوا عنهُ أصغَوْا إليه عندَ ابتهالِه
مَنْ لهذا الشريدِ إنْ جَنَّه اللّيـ لُ وأرخى عليه من أسدالِه؟
قابعٌ عندَ دِمْنَةٍ تحتَ جُبٍّ يحْسَبُ الغولَ زاحفاً لاغتيالِه
قد تعرَّى إلى الثرى غيرَ فَضْلٍ منْ قميصٍ مُهلْهَلٍ كرمالِه
مَنْ لهـــذا اليتيمِ أمسى وحيداً
مُشفِقاً من غولِ الدُّجى وخيالِه
بينَ فكَّينِ مِنْ طوًى وعراءٍ يدفَعُ الموتَ وهْوَ بينَ نِصالِه
عالِقٌ بالحياةِ يبغى خلاصاً ويدُبُّ الفناءُ فى أوصالِه
يتلوَّى كما تلوَّتْ قطاةٌ عزَّها الفخُّ وهْىَ بينَ حِبالِه
أيها المانعونَ عنه زكاةً فرَضَ اللهُ بذلَها لِعيالِه
لا تصوموا ولا تقيموا صلاةً إنْ ضننْتُمْ بها على أمثالِه
يعلمُ اللهُ ما غنِمْتُم جزاءً أيها المؤمنونَ فى إذلالِه
أحسنوا البِرَّ إن أردتُم ثواباً وتواصَوا بعِتْقِه وانتشالِه

عزيز فهمى

(١) الآله : العابد.



الجارم البرىء

للأستاذ حبيب الزحلاوى

توهمت أنى الشرقي المتأمرك الوحيد بين ركب الباخرة التي بعث بهـا الرئيس روزفلت إلى الشرق لتعود بالأمريكيين إلى ولاياتهم المتحدة قبل أن تقطع الطريق عليهم الحرب الوشيكة الوقوع بين أمريكا واليابان وحليفتيها . توهمت ذلك ، لأنى لم أرَ ساعة رفعت الباخرة مراسيها وأخذت تبتعد عن الميناء مودعاً واحداً يلوّح بمنديل ، ولا بصراً واحداً رنا لراكب واحـد من ركاب هـذه الباخرة التي ستشق طريقها بين عجاجات الجحيم المستعرة بين أنصار الحرية وأشياع الفردية .

ألقيت بالنظرة الأخيرة على ميناء بيروت ، ولمـا اختلطت الرؤى ، وصرت لا أميّز بالعين المجردة إلا أشباح جبال لبنان الضاربة قممها فوق الغيوم دون أشجار الصنوبر الخـالدة ، طفقت أرود الباخرة أتطلع إلى ركابها الأمريكيين .

إن الروح الجماعية أصيلة فى خلق الأمريكان، تستميلهم المغريات كالفرنسيين ، ويدفع بهم حب الاطلاع إلى معرفة ما خفى من الأمور ، وما استتر من الأشياء وخفايا الناس أيضا ، وهم لا يتورعون عن المراهنة على كل حدث أو خاطرة ، فهذه الخاصة هى التي حفزت أكثر الركب ، وقد تعارفوا وتآلفوا، إلى معرفة طوية رجل متأمرك آخر سـواى، نفور جالس فوق كرسى مستطيل من كراسى الباخرة لا يجيب عن سؤال راغب ، ولا يلتفت إلى طلب أى طالب ، سيدة كانت أم رجلا . وقد استمان هؤلاء الطُلَعات بى، وكانت رغبتهم فى معرفة ازوراروماطنى الشرقي تكاد تنقلب شهوة ملحاحاً أكثر لجاجة من حبه الرهان .

قالت لى فتاة رفافة البشرة : « أحسب صاحبك عاشقاً ، لأن الحزن يجلل نفسه بوشاح من اليأس ! ! وقالت سيدة فقدت حيلتهـا فى مغالطة نفسها فتركت نفسها لأقدار الزمن : « صاحبك هذا قوى الغرام وهذه حالة تنتاب الكهول حين يشعرون بالهرم » وقال شيخ : « قد يكون سبب حزنه عدم إتمامه بنـاء القصر الذى بناه فى قريته فتركه يعشش فيه الخفافيش والبوم وعاد إلى أمريكا يجمع الدولارات ليتم بناءه » ولـكمنى فى بطنى « وهو يضحك » لـكمة لولا تعود بطون الأمريكان تحملها لأفرغت با فيها من كل منفذ . وقال آخر يتعمد الرصانة : « الجنسية الأمريكية للبنانيين حصانة تقى أطماعهم من طغيان إخوانهم الأقوياء » ، فقالت الفتاة الصبية مخاطبة هذا المترض ، كنت دائما يا عمى العزيز تكبر فى اللبنانيين مقدرتهم فى شق طريقهم للحياة برغم تحاملك عليهم . قلت وقد قطعت على هؤلاء النقادة حبل استرسالهم : « هـذا بحث فى خصال قوى سأحاسبكم عليه فى ظرف مناسب ، أما الآن وغايتكم معرفة صدوف مواطنى عنكم ، فأنى أتكفل بإشباع رغبتكم وإرضاء فضولـكم .

البحر والوحدة أنجع دواء للشفاء من لوعة الحزن ، بل لا حرج على القائل : « إذا انطلق لسانى المحزون بالشكوى فقد زال نصف دائه ، وإذا لقيت شكواه قلباً واعيا انتقلت إليه» لقد استطعت بوسائلى الخاصة حل عقدة لسان هـذا الحزن وهو من مدينة فى لبنان اشتهر سكانها بالفطانة والذكاء ، وعرفوا بالصلابة والعناد والأريحية والشمم لتأصل صفات الحربة فيهم فقال لى :

أتعرف حى البرازيلى فى زحلة ؟

قلت : أعرف الأبنية الجميلة المزخرفة القـائمة على ضفاف البردونى !

قال : يوجد فى عاصمة البرازيل حى يشبهه فى هندسة البناء يدعى الحى الزحلى .

قلت : ما علاقة هذا بذاك ؟

قال : لست أبالغ إذا قلت لك إن جل طلاب الـكلية الشرقية فى تلك المدينة كانوا يتوجهون وجهة الهجرة إلى البرازيل ، ولم يكن يجول فى خواطرهم إلا نيـل شهادة الدراسة والرحيل إلى البرازيل واللحاق بأخوان سبقوهم إليها ، وهمهم العمل والـكسب يبنون بناية جديدة فى الحى الزحلى فى البرازيل ثم العودة إلى زحلة يشيدون قصراً فخماً فى الحى البرازيلى الفخم :

قلت: أعرف روح المغامرة فى الزحليين دون سواهم من المهاجرين من لبنان.

قال: ما كدت أفوز بالشهادة المدرسية حتى رغبت إلى والدى أن يأذنا لى بالسفر إلى البرازيل وقد وافقا مكرهين.

كانت الباخرة التى أقلتنى آنذاك تعج بمئات من المهاجرين أمثالى، وكانت مناديل المودعين ترفرف كأجنحة الحمام، والعيون ترنو بين ساهمة ودامعة، والقلوب تخفق خفقان حنان وحب ورجاء.

كنت مشرد اللب ساعتئذاك، أنظر إلى أمى وأبى بعين الولد البار، وانظر إلى فتاة كانت بجانبهما بعين قلبي. لم تكن الفتاة غريبة عنى، بل كانت من أقاربى الأبعدين، وقد جاءت من «كفر شيما» خصيصا لوداعى. كانت معرفتى بها بسيطة محدودة، أما فى ذلك الموقف، موقف الوداع، فقد انفتحت لها جوارحى فأحسست فجاءة بأن كل ذرة من كيانى الذاتى تدعونى إليها، وأنها هي هى المتممة لتكامل وجودى فى الحياة، فوثبت على غير وعى وثبة قلب محفوز، وأخذت أدفع الناس حتى شققت طريقى إلى سلم الباخرة، فهرولت نحو والدى، فأخذت يد الفتاة بيدى اليمنى ويد أمى بيدى اليسرى، وقلت لوالدى هاك «أنيسة» خطيبتى بل زوجتى بالروح، احتفظا يا والدى بها. لن يطول غيابى. سأقتحم البحر، وأشق المنجم حتى أصل إلى الذهب أقتلعه من أصوله فأقدمه عربونا للزواج من حبيبتى «أنيسه» هذه. وقبلت جبينها قبلة خاطفة فيها كل الدوافع والبواعث والحوافز.

كان يتخلل حديثنا فترات ينقطع فيها الحديث لإشعال لفافة أو مسح جبين للاستذكار، أو مشاهدة دارعة كقلعة تترنح، أو غواصة تطفو وتغوص، أو أسراب من طائرات تهبط وترتفع واحدة منها للاستكشاف

قال محدثى: غمر البحر معالم الأرض، ولم تعد العين ترى إلا قبة مكورة فوق وجه الماء، وكنت أرى بعين البصيرة وجه «أنيسة» الصبوح، وعينيها الصافيتين الناعستين تدفعاننى دفعاً إلى الأرض الجديدة التى سأنبش تربها كالخلد وأقضم خيراتها كالجراد

بدت منابت الأمل فى نفسى تمتد سوقها، وتبرز براعمها، وتورق وتزهر. وأخذ خيال السعادة يحوطنى بشملة من فرح تربى وجه المستقبل نضراً بساما، فوددت لو استحثت الباخرة أن تثب فوق اليم فتجتاز المحيط ساخرة من أنوائه وعواصفه فأصل طفرة إلى حلبة الجهاد والعمل. ثم صمت هنيهة وقال:

لقَّننى مواطني فى البرازيل بضع كلمات من لغة البلاد، وبعد أيام معدودات ملأْت أكياسى بأنواع من جوارب ومناديل وأدوات زينة أعطانيها تاجر سورى، أطوف بها شوارع عاصمة البرازيل أقرع أبواب المنازل أعرض على رباتها بضاعتى. كنت أحس الشفقة بى والضحك من رطانتى واغتفار جرأتى وفضولى

كان تقبل البرازيليين إياى على هذا النحو يحز فى كبريائى فانتقلت إلى الضاحية. جبت الريف وتوغلت فى القرى النائية أسعى على أقدامى، وكلما نقصت بضاعتى كنت أرسل فى طلب سواها من عميلى الذى استأمننى ولا ضامن لى عنده سوى أنى مواطنه!؟

لله در الأمريكانى يا صديقى من عطوف شفوق! ولكنه طلعة مغامر مراهن تستضيفه فيطعمك ويؤويك، لا عن كرم ولا بدوات خاطر، بل عن فضول حافز ملح إلى الاستطلاع والمعرفة

(البقية فى العدد القادم) حبيب الزحلاوى

13 me Année No. 605

Lundi - 5 - 2 - 1945

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٦٠٥ «القاهرة في يوم الإثنين ٢٢ صفر سنة ١٣٦٤ — الموافق ٥ فبراير سنة ١٩٤٥» السنة الثالثة عشرة

الشجاعة الأدبية

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتبت مقالي السابق بالرسالة أحيي ذلك الروح الإنساني الكبير الذي رحل عن الدنيا برحيل رومان رولان

وقد كان للأدباء على ذلك المقال تعقيب يشبه الإجماع، ويتفق كله على تحية ذلك الكاتب العظيم. إلا رسالة واحدة ينزع صاحبها منزعاً، يخالف ما سمعت، وما تلقيت من الآراء في رومان رولان، وفيما كتبت عنه. وخلاصتها أن الأوربيين في حاجة إلى أمثال رومان رولان لقدرتهم على العدوان وإيغالهم فيه، ولكننا نحن الشرقيين أحوج ما نكون إلى التربية الحربية التي نعالج بها الضعف المقيم، ونحمى بها الحوزة المهددة، وإننا ينبغي أن نتعلم كل ما يحرضنا على منازلة الأعداء ومقاومة المعتدين، ونترك تلك الرسالة التي يبشر بها رومان رولان وأمثاله، حتى يحين موعد الحاجة إليها بيننا نحن الشرقيين

***

رأى فيه شبهة من الصواب، ولكنها شبهة من الصواب وليست بالصواب في اللباب

لأن الأديب المعترض قد التبس عليه الأمر بين مذهب رومان رولان، ومذهب أولئك المصدين الذين عرفوا في أوربا

الفهرس

باسم « الضميريين » من قولهم « إن ضميرى يأبى على حمل السلاح ولو دفاعاً عن الأوطان »

فليس رومان رولان من هؤلاء ولا هو ممن ينكرون الحرب حين يفرضها الحق والواجب على المدافعين ، ولكنه ينكر البغضاء فى سبيل الزهو والطمع ، ويرى أن يكون السلاح آخر ما يعمد إليه الإنسان لعلاج أزمات السياسة ، بعد أن تنفد وسائل الحسنى وحيل السلام

وما دام فى الدنيا حرب بغى فالحرب الشريفة مفروضة على الناس لجزاء ذلك البغى ومنعه أن يبلغ مقصده من الغلبة على الآمنين والموادعين . فمن ينكر حرب الإغارة والسطوة لا ينكر حرب المقاومة والدفاع

والفرق عظيم بين من يقول بمنع الحروب وتغليب وسائل السلام ، وبين من يرى الحرب الباغية وينكص عن دفعها ، لأنه لا يميز بين الاعتداء ورد الاعتداء

بل الفرق عظيم بين أولئك « الضميريين » وبين من يحاربون العنف بالحسنى ، لعلهم يخجلون صاحبه ، وينبهون فيه نبكيت الضمير ، ومن هؤلاء غاندى وتولستوى وطائفة من المصلحين الشرقيين والأوربيين هنا وهناك . وإنهم ليقولون بالحسنى ، ولكنهم لا يتخذون الحسنى عدة فى الحروب حين لا مناص من الحروب

ومهما يكن من رأى رومان رولان فى ذلك ، فليس كاتب هذه السطور بالذى يحمد « الدروشة » الضميرية فى هذا المقام ، وأقرب الشواهد على ذلك أننى كنت من دعاة المشاركة فى الحرب وإن كانت لا توجبها علينا معاهدة من المعاهدات ، لأن كفاح الطغيان واجب غنى عن الوثائق والعهود

إلا أن العجيب فى كلام الأديب الممرض قوله : إن دعوة رومان رولان وأمثاله قد يحتاج إليها الأوربيون ولا نحتاج إليها نحن الشرقيين

لأن دعوة رومان رولان قائمة على الشجاعة الأدبية وهى ألزم ما يحتاج إليه الضعفاء بعد عصور الجهل والظلم والفساد

وإن الضعفاء الذين طال عليهم مراس تلك العصور لأحوج إلى الشجاعة الأدبية منهم إلى حمل السلاح . لأن الشجاعة الأدبية تشفى أمراض الفساد كلها وتبدل بها الصحة والسلامة والقوة والكرامة ، وليس شىء من ذلك بمكفول من حمل السلاح فى أمة تخاف الجهر بالحق ولا تجترئ على الباطل ، بل لعل السلاح يصيبها قبل أن يصيب أعداءها ، كما رأينا فى كثير من الدويلات الأوربية والأمريكية والشرقية ، حيث يحمل السلاح ولا تعرف الآراء ولا الشجاعة فى الآراء

قال أبو الطيب :

والعار مضاض وليس بخائف   من حتفه من خاف مما قيلا

يريد أن الرجل قد يقدم على الموت ولا يقدم على العار ، ويحسب أن العار كله فيما يقوله الناس

فأهون الشجاعات عنده هى الشجاعة على الموت ، ثم يجعل الخوف من العار أكرم من الإقدام على الحمام

لكن الحقيقة أن شجاعة العقيدة أرفع من الشجاعتين بلا مراء ، وإن شجاع العقيدة أكرم من الشجاع على الموت ، ومن الشجاع الذى يموت لأنه يتقى العار ، ويفهم أن العار هو ما يقول الناس إنه عيب ذميم ، وأن الشرف هو ما يقول الناس إنه فضل حميد

أكرم من هذا وذاك من لا يبالى بالموت ولا يبالى بما يقوله الناس إذا اعتقد أنهم مخطئون فيه

ولا شجاعة فى الجرى مع القطيع حين يثور ويعدو فى الطريق الذى تدفعه إليه الغرائز الهوجاء ، ولكن الشجاعة كل الشجاعة أن يقف الرجل أمام ذلك القطيع ثم لا يتخلى عن مكانه حتى يصد القطيع أو يغلب على أمره غير مختار ولا ملوم

وهذه الشجاعة الأدبية التى تعلو درجات على شجاعة الموت وشجاعة العار هى الشجاعة التى نتمثلها فى رومان رولان الذى يقول : « إن الإيمان — وليس النجاح — هو غاية الحياة »

وهى هى التى نحتاج إليها نحن الشرقيين قبل كل حاجة ، ونتحلى بها قبل كل حلية ، ونجتزئ بها إذا كان لا بد من الاجتزاء بفضيلة واحدة من الفضائل تغنى عن سائرها ؛ لأن الأمة التى تحسن أن تجهر بالحق وتجترئ على الباطل تمتنع فيها أسباب الفساد ، أو يكون مجرد اقتدارها على تلك الفضيلة دليلاً لا دليل بعده على امتناع أسباب الفساد

ومن الخطأ البين أن يقال إن التربية الحربية أو التربية العسكرية تخلق الشجاعة حيث لم تخلق فى طباع الأمم جيلاً بعد جيل

وأبين ما يكون ذلك الخطأ إذا قيل إن الضعفاء يتعلمون الشجاعة بتلك التربية الحربية فى العصر الحديث على التخصيص

ولا نبدأ بالتعليل قبل أن نمهد له بالإشارة إلى الواقع الذى لا جدال فيه

فهذا مثال الفاشية فى إيطاليا غنى عن الإفاضة فى مراجعة المثلات وضرب الأمثال ؛ لأن الفاشية زعمت أنها تبعث النخوة بعثاً جديداً فى بقايا الأمة الرومانية القديمة ، وزعم أناس من الشرقيين مثل هذا الزعم فظنوا أن التربية الحربية منذ الصبا الباكر صنعت فى الأمة الإيطالية الأعاجيب ، وهى خليقة أن تصنع مثل تلك الأعاجيب فى النهوض بعزائم الشرقيين ، وراح بعض الدعاة يحاكونها محاكاة لا ترجع إلى فهم ولا اختبار ، وكل ما كانت ترجع إليه تخيل كاذب ومظهر خلاب

والحق أن التربية الحربية أو العسكرية — كما كانوا يسمونها هناك — كانت أولى بالفلاح فى التجربة الإيطالية لو أنها كتب لها أن تفلح فى بلد من البلدان

لأنهم كانوا ينشئون الأطفال عليها من الخامسة ، ويتعهدونهم بها إلى ما بعد العشرين . ومضى على التجربة منذ بدايتها نيف وعشرون سنة بدأت قبل الزحف الفاشى على روما وانتهت قبل الزحف عليها بجيوش الحلفاء الديمقراطيين

فماذا أفاد كل ذاك ؟

لقد كان أولئك الجنود الفاشيون أسبق المقاتلين إلى الفرار فى ميدان الصحراء وفى ميدان اليونان ، وكانت هذه التربية مجبنة لهم ولم تكن سبيلاً إلى الشجاعة ونهوض العزيمة ، لأن العزيمة والجعجعة قلما تجتمعان

ثم ذهب موسلينى — إمام الفاشية — بين عشية وضحاها فلم يسرع إلى نجدته أحد من جنوده فى طول البلاد وعرضها سواء ما وقع منها فى قبضة الحلفاء الديمقراطيين ، وما بقى منها فى قبضة الألمان النازيين ، وجاءه المدد حين جاءه من هؤلاء ولم يجئه من أبطاله الذين دربهم على نظامه سنوات بعد سنوات

وتعليل ذلك غير بعيد على من يكلف نفسه مؤونة النظر وراء المواكب والصيحات ، لأن الشجاعة خلق من الأخلاق ، وليست نظاماً من النظم المدروسة ، وكل خلق من الأخلاق فلا بد له من الشعور بالتبعة ومن الحرية التى يقتضيها الشعور بالتبعة ، لأنك لا تحمل الإنسان تبعة خلقية وأنت توثق مشيئته بوثاق الطاعة العمياء ، ولا تعوده خلقاً قط ، وهو ملقى التبعة على سواه

وأظهر من هذه العلة البدهية علة الإحجام عن معونة الدولة المدبرة ومن حولها أولئك الأنصار الناشئون على يديها

فإن جنود الفاشية قد نبتوا فى حمايتها وقاموا على يديها ، فهى التى تحميهم وهى قوية ، وهم العاجزون أن يحموها يوم تزول عنها القوة . ومن قام على يد فهو يضرب بها ولا يضرب دونها ، ويسقط معها ولا يقيمها بعد سقوطها

وهكذا صنع الجنود الفاشيون بالدولة الفاشية ، وهكذا يصنع أمثالهم بأمثالها فى كل زمن وبين كل قبيل

فالتربية على الشعور بالتبعة — أو على الشجاعة الأدبية بعبارة أخرى — هى حاجتنا اليوم نحن المصريين أو نحن الشرقيين على التعميم ، وأمثولة رومان رولان ألزم لنا من أمثولة العسكرية المزعومة التى رأينا قصارى جهدها فى تاريخ قريب لا نزال نشهده ، ولا حاجة بنا إلى التاريخ البعيد .

عباس محمود العقاد

أبو العـــــلاء المعرى

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

– ٢ –

عبقرية عربية نثرت فبهرت، ونظمت فعجّبت، وفكّرت فخيّرت، وأبدعت وتفننت[1] إذ قالت وألّفت فأدهشت. وعلمُها في كل فن من فنون اللغة علمُ إحاطة[2]، علمُ الحفِيّ[3] المحيط لا العالم النُّتَفَة[4]. وإذا لم نر (الأيك والغصون) — وهو نحو من مئة حزء — وغير الأيك والغصون، ومؤلفات الشيخ كثير[5] فقد رأينا المطبوعات المعروفات، واستدللنا بما حضر على ما غاب، ولم نستبعد ماروى ابن القارح في رسالته: «الشيخ بالنحو أعلم من سيبويه، وباللغة والعروض من الخليل» ووجدنا ابن القارح هذا من المقتصدين حين يقول:

«... لقد سمعت من رسائله عقائل لفظ، إن نعتّها فقد عبتُها، وإن وصفتُها فما أنصفتُها. وأطربتني (يشهد الله) إطراب السماع. وبالله لو صدرت عن صدرٍ مَن خزانتهُ وكتبه حوله يقلب طرفه في هذا، ويرجع إلى هذا... لكان عجيباً صعباً شديداً. ووالله لقد رأيت علماء، منهم ابن خالويه، اذا قرئت عليهم الكتب ولاسيما الكبار رجعوا إلى أصولهمّ كالمقابلين يتحفظون من سهو وتصحيف وغلط. والعجبُ العجيب والنادر الغريب حفظُه لأسماء الرجال[6] والمنثور كحفظ غيره من الأذكياء المبرزين المنظوم. وهذا سهل بالقول، صعب بالفعل، من سمعه طمع فيه، ومن رامه امتنعت عليه معانيه ومبانيه»

وإني لأقول: إنه لمن النادر الغريب أن يحتاز الأديب عبقرية نثرية، وعبقرية شعرية، كما احتازهذا الشيخ: واذا كانت الاجادة لا تتفق في فنى المنظوم والمنثور معاً إلا للأقل — كما قال ابن خلدون — فكيف حال العبقرية؟ وهذان الشاعران العبقريان أبو تمام والمتنبي لم تروِ لنا كتب الأدب والسير من نثرهما الا رسالة قصيرة للأول سطرها البديهى في (هبة الأيام)، ورسالة أقصر منها للثاني أوردها ابن خلكان في «وفيات الأعيان». وأما البحترى المِسكين[1]. فكأن لا يستطيع أن يخط في النثر سطراً، واذا خاطب أحداً في شأن وجه اليه شعرا. قال الشيخ في إحدى رسائله: «رُوى أن البحترى كان لا يقدر على كَتْب رقعة، فيجعل المنظوم عوضاً عن المنثور».

وألية محلوفة بالقرآن وإعجازه، لو أن هؤلاء الشعراء الثلاثة، وهم عند ابن الأثير وغير ابن الأثير أشعر العرب «هؤلاء لات الشعر وعزاه ومناته، الذين ظهرت على أيديهم حسنانه ومستحسنانه[2]» مشوا في عُرُض «العروض» المتشعبة، ومناحى «النحو» المتفرقة المتصعبة، كما مشى الشيخ، ونقبوا مثلما نقب، واستظهروا من مقالات الفلاسفة والمتكلمين ومصنفات الفقهاء وأهل النحَل بعض ما استظهر — لأجبلوا إجبالا[3] أو غثّ كلامهم أو جاؤا في القريض قرازيم[4]. لكن عبقرية الشيخ قوية جنية قد تسيطرت على كل فن، ولم يسيطر عليها فن، ولم ينْزل نظيمها ونثيرها من عليائهما في وقت، ولم تتبدل لهما ديباجة أو بهجة.

---

(١) لم يجد أستاذ هذه اللفظة في «القاموس المحيط» فسارع إلى تخطئتها. وهي في كلام الأدباء الكبار وكلام الأئمة. وفي كتب اللغة المشهورة مثل الصحاح والأساس، واللسان والتاج

(٢) علمه علم إحاطة إذا علمه من جميع وجوهه لم يفته منه شيء.

(٣) الحفى: الذى يتعلم الشيء باستقصاء.

(٤) النتفة: الذى ينتف من العلم شيئاً ولا يستقصيه. وكان أبو عبيدة يقول في الأصمعى: ذاك رجل نتفة.

(٥) قالوا: إنها مئتا مجلد.

(٦) رسالة أبي العلاء إلى أبي القاسم بن سبيكة يعزيه بأخيه — تؤيد قول ابن القارح.

(١) بكسر الميم. في «رسالة الملائكة» لأبي العلاء: الفراء قد حكى مسكين بفتح الميم في كتاب التثنية والجمع. وحكى أبو مسحل منديل في منديل، وهذه نوادر لا يطرد عليها القياس.

(٢) ابن الأثير في كتابه «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» ومن قوله في ذلك فيهم: المذهب عندى في تفضيل الشعراء أن الفرزدق وجريرا والأخطل أشعر العرب أولا وآخرا، وأشعر منهم عندى الثلاثة المتأخرون وهم أبو تمام وأبو عبادة وأبو الطيب فان هؤلاء الثلاثة لايدانيهم مدان في طبقة الشعراء. وروى في كتابه هذا الوصف الوجيز البليغ المرضى في الثلاثة وهو: أما أبو تمام فخطيب منبر، وأما البحترى فواصف جؤذر، وأما المتنبي فقائد عسكر

(٣) اجبل الشاعر: أفحم

(٤) القرزام: الشاعر الدون، وهو يقرزم شعره يجيء به رديئا.

إذا قال أبو الطيب :

ما به قتـــل أعاديه ولـكن   يتقى إخلاف ما ترجو الذئاب

فنطَّ وشطَّ وبدت « فاعلن » فى العروض « فاعلاتن »

فى حين أن المتنبىء – كما قال الشيخ – : « كان شديد التفقد لما ينطق به من الكلام ؛ يغيّر الكلمة بعد أن تُروى عنه ، ويفر من الضرورة وإن جذبه اليها الوزن » [١] .

وإذا قال « الوليد » البحترى :

وكأن الأيام أوثر بالحسن (م) علبها يوم المهرجان الكبير [٢]

فـكسر وجاء نقص من الزيادة .

وإذا قال حبيب بن أوس :

بالقائم الثامن المستخلف اتطأدت   قواعد الملك ممتداً لها الطوَل [٣]

فتهور [٤] البيت فى اللغة بـ « اتطأدت » ولم يتطد .

إذا جازف فى اللغة المجازفون ، وطفف المطففون « ويل للمطففين » فعند الشيخ الوازن القسط ، عنده القسطاس المستقيم ، وميزان الصيدلانى [٥] الحكيم .

« موازنُ صدقٍ ، كلُّها غير عائل [٦] »

* * *

نثر أبو العلاء مترسلا ومسجعاً ، فبذ الناثرين فى وقته ومن بعده كلهم أجمعين ، وشمُر فتبدى [٧] فى سماء القريض شمساً

(١) رسالة أبى العلاء إلى أبى الحسين أحمد بن عثمان النكتى البصرى.

(٢) يراجع « الموشح » للمرزبانى ، وذكر الشيخ فى رسالته إلى النكتى أن البحترى كسر فى قوله :

ولماذا تتبع النفس منه شيئا   جعل الله الفردوس منه جزاء .

« قلت » : رواية البيت فى ديوانه المطبوع فى بيروت هى .

ولماذا تتبع النفس شيئا   يجعل الله الفردوس منه بواء .

(٣) يراجع « المثل السائر » : النوع الأول معرفة علم العربية من النحو والتصريف

« قلت » في الديوان المطبوع فى بيروت : « اعتدلت » مكان « اتطأدت » واليقين أن ناسخا قديما أراد إصلاح الكلمة ، ولو اطلع حبيب على ما جاء به هذا الورق أو الناسخ لعج وضج ، وآثر خطأه على هذا الاصلاح ، وأين كلمة من كلمة ؟ . . .

(٤) تهور : انهدم

(٥) الصيدلانى والصيدنانى منسوبان إلى الصيدل والصيدن وهما أصول الأشياء وجواهرها ، والنون للمبالغة « الفائق » .

(٦) عائل : مائل .

(٧) تبدي : ظهر ، و « تبدى » بمعنى الظهور فى المفضليات والأصمعيات وحماسة أبى تمام وحماسة البحترى والأمالى ورسالة الغفران وديوان المعانى وكتب كثيرة . ففقدان الكلمة فى مثل اللسان والتاج وسائر المعجمات المطبوعة المشهورة — شىء عجب .

علائية لا نأول ما كان القرآن ، وكان هذا اللسان المبين [١] .

ولقد أصاب الشيخ وأطاب [٢] حين حاش فى رسائله ودواوينه وكتبه الكلمات الغريبات ، فجمع نادّات شاردات لم تر كثيراً منهن فى معجم من المعجمات . وإن غريبات قديمات نشأن فى « الجزيرة » مع أخوات لهن – لحريات أن يظهرن وأن يعرفن . وقد برع أبو العلاء إذ نصَّ تلك الغرائب فى حلل عدنيات [٣] من العبارات كأنهن عرائس قعدن فوق منصات . ولأن تجتاف لفظة غريبة جملة أو بيتاً خير من أن توحّد [٤] . ولكل لغوى فى التصنيف نمط . وإذا أحسن المعرى فقد أجاد ابن سيده ، وأجاد الجوهرى وابن دريد .

* * *

لم يكن الشيخ من المبقريين الملهمين ، بل كان من المبقريين الدارين المدركين ، تعلم واستعلم فعلم ، وسأل واستفهم ففهم . وللقائل الملهم حال ، وللدارس حال ، ولذاك وحى ، ولهذا مقال . والوحى لايحصّل ، ولا يوازيه مؤاز .

وقد استهام الشيخ بلغــة العرب ، وكان متمناه فى دنياه أو مرجاه [٥] الأسمى أو مثله الأعلى أن ينبغ فيها وفى علومها

(١) فى كتاب « إحكام صنعة الكلام لمحمد بن عبد الغفور الكلاعى الوزير الأديب الأندلسى :

« ... وشأن أبى العلاء عظيم ، وحكم نقدة الكلام أنه لم يكن فى صنعة النثر مثله لا قبله ولابعده إلا ما كان من أبى الطيب فى الشعر وحده » .

وكتاب « إحكام صنعة الكلام » مخطوطة فى خزانة العلامة الاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب الصمادحى الوزير التونسى

روى صاحب « أوج التحرى » هذه الأبيات الثلاثة للمنازى الوزير الشاعر فى مدح أبى العلاء :

لله لؤلؤ ألفــاظ تساقطها   لو كن للغيد ما استأنسن بالعطل

ومن عيون معان لو كحلن بها   نجل العيون لأغناها عن الكحل

سحر من اللفظ لو دارت سلافته   على الزمان تمشى مشية الثمــل

(٢) أطاب : جاد بشىء طيب .

(٣) عليه عدنيات : أى ثياب كريمة ، وأصلها النسبة إلى عدن ، حول : مرت جوار مدنيات عليهن رياط عدنيات « الأساس » .

(٤) وحد الشىء : صار على حدته

(٥) مرجاه : مصدر ميمى . قال المتنبي :

ما لمن ينصب الحبائل فى الأرض م ومرجاه أن يصيد الهلالا

فى نسخة « ديوان (أبى الطيب المتنبي) الباهر : المحققة التى أظهرها وصححها العلامة الدكتور عبد الوهاب عزام :

« جنى : فى الحاشية : سألته عن مرجاه من أين لك ؟ فقال : قلتها بالطبع ثم وجدتها فى شعر الأعشى »

قلت : السائل ابن جنى والمجيب المتنبى : وعندى أنها فى البيت « مرجاه » لا « مرجاة » . بوزن مفعلة كما روى وفسر العكبرى فى شرح الديوان . وواو الحال وجزالة الكلام تدفعان مرجاة هنا

فنبغ ، وبلغ حيث بلغ . فهَـوِيّـه [١] هو هـذه اللغة ، وفنونُ زمانه التى شاء عرفانها هُنّ للهوى تبع .

وإذا عادى الشـيخ فى إعجابه بالعرب الأقدمين ، وتطرّبه سجعُ مُحدَثين مسجعين فقلّد، فقد افتن فى تقليده واجتهد، فعد فى الشـعراء والكاتبين من المبدعين . وتذرع أبو العلاء بالله وتحاميده وتماجيده فنظم « اللزوميات » وصاغ أوحاك « الفصول والغايات » والمقـاصدُ لغوية لا ألهانية [٢] لا دينيـة ، وان اشتملت على أشياء منوعات ، ملونات ، مهولات [٣] فقد بدت مثل « صندوق العجب . . » وما كان يغرب حين يغرب حتى يعمّى مقالة ، ولكن ليملن قدرة وبراعة . وكيف يكفر معنى قصده وقد أصحبه شرح الغريب من ألفاظه ؟

ومؤلفات الشيخ العبقرية هن بنات القصد والتكلف وبنات الأثرية .

« ... وقد تكلفت فى هذا التأليف - يعنى الشيخ اللزوميات - ثلاث كلف ، الاولى أن ينتظم حروفَ المعجم عن آخرها . والثانية أن يجيء رويه بالحركات الثلاث وبالسكون بعد ذلك والثالثة انه لزم مع كل روى فيه شيء لا يلزم من ياء أو تاء أو غير ذلك من الحروف . »

ولو لم يجب الشيخ داعى أربته ، ويحقق قوله فى لاميته ، ويقصد ويتكلف ما كانت أمثال « اللزوميات والفصول والغايات والأيك والغصون » مما عرفناه وحرمنا اياه جهل الجاهلين ، وضلال الصليبيين ، وتترية التتر، وحوادث الايام [٤]، وما كانت العربية ازدادت ثروة بباهرات عبقريات تباهت بها ، وبلهت غيرها من اللغات . وإذا هُجّن فى العلم والأدب تكلف الضعفاء العاجزين حين يتكلفون ، فتكلفُ العباقرة القادرين يجل عن كل تعييب أو تهجين

* * *

حرث أبو العلاء القرآن حرثاً [١] عجباً ، وسيط هواه بلحمه ودمه ، واستهداه فهداه ، وذهن أو أدرك من إلهية (الكتاب) وسماويته ومن عربيته الناصعة الصافية ذات الإعجاز ، وبلاغته الخارقة العادة ما أدركه الفصحاء البلغاء من العرب فى عهد النبى أو كاد يدرك ذلك . ولا تستقلُنّ هذه الكيدودة . ومصنفُ الشيخ (تضمين الآى) « وهو إن لم نره فقد سمعنا خبره [٢] » يبين أنه بلغ فى علم (الكتاب) المبالغ - كما يقول الزمخشرى - ولا يُضمّنُ مثل ذلك التضمين الفائق البديع إلا من خرّجه (القرآن) هذا التخريج المظيم البليغ [٣]

---

(١) هويه : محبوبه ، معشوقه

(٢) هـذه نسبة إلى اسم الله عز وعلا إلا أنه وقع فيها تغيير من تغييرات النسب واقتضاب صيغة ونظيرها الرجولية فى النسبة إلى الرجل والقياس ألهية ورجلية « الفائق » .

(٣) نقد « المهول » في « تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة » و « ذيل الفصيح » و « شفاء الغليل » وذكرها « المخصص » ج ١٢ ص ١٢٤ وقال : قد جاء فى الشعر الفصيح ورواه ، ونقل مقاله وروايته « اللسان والتاج » وفى الأساس : مكان مهول فيه هول . وفى « مجمع الأمثال » : « لا يقرأ إلا آية العذاب وكتب الصواعق » ، قال الميدانى : يضرب للمهول .

(٤) فى كتاب « أوج التحرى عن حيثية أبى العلاء المعرى » وفى كتاب « إحكام صنعة الكلام » قطع من كتب الشيخ مفقودة تضاعف التحسر على ماضاع

و « أوج التحرى » حققه وصححه الأستاذ الألمعى ابراهيم الكيلانى وكتب مقدمته العلامة الأستاذ محمد سليم الجندى وطبعه المعهد الفرنسى الذي يديره فى هذا الوقت العلامة الأستاذ هنرى لاووست وأما كتاب (إحكام صنعة الكلام) فهو - كما قلت قبل = مخطوطة فى خزانة العلامة الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب الصمادحى . وقد أفضل هذا العلامة الكريم المفضال على الأدب بنشر طائفة من « الأحكام » فى مصنف « تعريف القدماء بأبى العلاء » الذى جمعه وحققه لجنة من العلماء الأساتذة : مصطفى السقا ، عبد الرحيم محمود ، عبد السلام هارون ، ابراهيم الابيارى ، حامد عبد المجيد باشراف العلامة الدكتور طه حسين .

يقول صاحب (أحكام صنعة الكلام) بعد أن أورد أربع شذرات من كتاب (القائف) للشيخ :

« ... ولأبى العلاء فى كتاب (القائف) احسان مشهور ، وابداع كثير موفور . وهو أكثر من كتاب « كليلة ودمنة » ورقا ، وأفسح طلقا ، واطيب شميما وعبقا ... »

قال صاحب « أوج التحرى » : « ولأبى العلاء ديوان شعر جميعه فى الألغاز » وروى مقاطيع منه ثم قال : « وكتاب الألغاز كبير الحجم رتبه على جميع حروف الهجاء مشتمل على كل بحور الشعر وأعاريضه وضروبه » .

(١) فى حديث ابن مسعود : احرثوا هذا القرآن وفى (الأساس) : وحرثت القرآن أطلت دراسته وتدبره .

(٢) مقتبسة من البديع الهمذانى ولشبل الدولة فى الزمخشرى :

زمخشرى فاضل   أعجبه زمخشره
كالبحران لم أره   فقد أتانى خبره

(٣) ليس هذا الوصف « البليغ » للقول وحده كما ظن بعضهم . فخطأ ولم يصب . ففى الأساس : أبلغت إلى فلان فملت به ما بلغ به الأذى والمكروه البليغ . ورواه التاج . وفى الفائق : الخدرى : إن الله حرم الخمر فلا أمت فيها يعنى أنه تحريم بليغ وفيه : الطوال البليغ فى الطول ؛ والطوال — بتشديد الواو — أبلغ منه . وفيه خطاب بلغ — بكسر الباء وفتحها وسكون اللام — أى بليغ وفى الكشاف : «المتين» الشديد القوة ، والمعنى فى وصفه بالقوة والمتانة أنه القادر البليغ الاقتدار ، وفيه فى تفسير . « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم » ، ومثل ذلك التزيين البليغ .

« ومن يهد الله فهو المهتدى »

بصر الكتاب الإلهى المحمدى (أحمد بن عبد الله بن سليمان) بعجائبه وآياته فاستيقن واستبصر ، وارتوى الشيخ من كوثر البلاغة القرآنية فأزهر الكلام العلائى ونوّر

نوّر القرآن قولاً فعلا وسما صاحبه فى القائلين

إنما القرآن هَدْىُ الناطقين ، إنما القرآن نور العالمين

غثٌّ قول لم يهذبه (الكتاب)

والقرآن ، القرآن ذلكم الكتاب العجيب المبين ، إنه يراه نابغة الأوربيين الأديب العبقرى العظيم (جان ولففنغ غوت) قد أُعطي فيه كل مقام حقه ، وأخذ كل معنى من مقاصده لفظه ، كما يراه قوياً ، عظيماً ، سامياً ، متعالياً ، رائعاً ، مهيباً قد خرق العادة ، فلا غرو أن يبلغ أثره فى العالم ـ كما قال ـ حيث بلغ .

ألا إن القرآن فى الكلام ، مثل محمد فى الأنام . فإن وجدت لمحمد خطيراً[1] ، ألفيت للقرآن نظيراً

(١) خطير الشيء مثله « المخصص » وفى اللسان : فلان ليس له خطير أى ليس نظير ، وهذا خطير لهذا أى مثل له فى القدر ، ولا يقال للدون إلا الشيء السرى .

« قل : لئن اجتمعت الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً »

دعا كم إلى خير الأمور محمد	وليس العوالى فى القنا كالسوافل
حدا كم على تعظيم من خلق الضحى	وشهب الدجى من طالعات وآفل
وألزمكم ما ليس يعجز حمله	أخا الضعف من فرض له ونوافل
وحث على تطهير جسم وملبس	وعاقب فى قذف النساء الغوافل
وحرم خمراً خلت ألباب شَرْبها	من الطيش ألباب النعام الجوافل
فصلى عليه الله ما ذرّ شارق	وما فت مسكاً ذكره فى المحافل[1]

***

أبو العلاء « هو جوهرة جاءت إلى الدنيا وذهبت »[2] .

(١) أبو العلاء .

(٢) قال الصفدى فى « نكت الهميان فى نكت العميان » : « حكى لى عن الشيخ كمال الدين بن الزملكانى أنه قال فى حقه هو جوهرة الخ » .

وفى عينية أبي الفتح بن أبى حصينة المعرى فى رثاء الشيخ :

تتصرم الدنيا ، ويأتى بعده	أمم ، وأنت بمثله لا تسمع !

علل المجتمع المصرى

للدكتور محمد صبرى

لكل مجتمع علله وآفاته ، ولكننا إذا استعرضنا علل المجتمع الأوربى كانت هذه العلل خاصة بمجتمع قد تهيأت له جميع المشخصات القومية ، وتجلت مظاهر القوة ومظاهر الضعف فيه . أما المجتمع المصري ، فهو مجتمع فى طور الانتقال ، وقد بدأت مرحلة الانتقال هذه منذ بداية القرن التاسع عشر ، ولم تنته إلى اليوم ، فى حين أن شعباً كالشعب اليابانى قطع فترة الانتقال فى سنوات .

فما لاشك فيه ، مثلاً ، أن اللغة قد قطعت شوطاً فى طريق التقدم والدقة والمرونة ، فتركنا السجع والإطناب وما إليهما ، ونحت الكتاب ألفاظاً جديدة ردت إلى اللغة شبابها وبهاءها ، ولكن اللغة لا تزال بعيدة من غاياتها ، ولا تزال فى حالة انتقالية ظاهرة ، كما لا يزال تعليمنا العالى فى الأزهر والجامعة ، وكذلك محاكمنا وقوانيننا مزيجاً من تعاليم القرون الوسطى والعلم الحديث ، كما أن حركتنا النسائية يتجاذبها عامل الرجعية والعزلة والجمود من ناحية ، وعامل الطفرة والمطالبة بالفاء نون النسوة من ناحية أخرى .

ومعلوم أن كل حركة تتجاذبها عوامل متضادة ، ولا تجد قادة يدفعونها بقوة فى طريق الانتقال والتجديد ، لا بد أن تضطرب فى سيرها ، وأن تتعثر وتتباطأ ويختل نظامها .

وهذا الاضطراب ، أو التردد ، يعتور جميع حركاتنا الاجتماعية ، لأن قادة الرأى مختلفو الأمزجة ووجهات النظر ، ولم نسمع مرة أن مفكرينا وضعوا أساساً ثابتاً لإقامة أى إصلاح ؛ بل يغتبط كل منا ، وكل منا مطبوع على الأنانية وحب التفرد والظهور بأنه صاحب المشروع الفلانى ، فيجب أن يسجل التاريخ باسمه — فرداً كان أو حزباً — ذلك المشروع . أما كيف يدرس المشروع ، وكيف ينفذ ، وهل ينفذ دفعة واحدة ، أو على مراحل ، وهل يراعى فى تنفيذه الحال والمستقبل ، وارتكازه على قواعد من البيئة والظروف ، فهذا كله فى المحل الثانى

وها نحن أولاء قد أنشأنا جامعة فؤاد فى القاهرة ، ثم أنشأنا جامعة فاروق فى الأسكندرية ، ونفكر فى إنشاء جامعة ثالثة فى أسيوط دون أن نتأكد من أن أولاها بلغت الكمال كله أو بعضه ، وحققت أغراضها فى خدمة العلم الصحيح . وقد أنشأنا فى إحداها صالة احتفالات بلغت تكاليفها ، فيما يقال ، مائة وأربعين ألفاً من الجنيهات ، بينما يشقى بعض علمائنا وأدبائنا الأعلام فى الجرى وراء القوت اليومى ، ولا يجد بعض طلبة العلم ما يسدون به رمقهم فى بعثة علمية منزهة عن المحسوبية وما إليها .

والواقع أن عللنا وآفاتنا كثيرة نشأ معظمها من الاستعباد وطول عهوده ، وقد أصبحنا وفينا مركب الشعور بالنقص Complexe d' infériorité وهذا واضح جلى فى « معاملات » المصريين والأجانب ، وما بقيت هذه العلة بغير علاج حاسم فستظل « الامتيازات » فى نفوسنا وأخلاقنا وإن تكن قد محيت فى الورق والمعاهدات

وقد أصبحت هذه الحالة مدعاة لليأس والتشاؤم؛ ففريق من المصريين يقول : إنه لا أمل فى إصلاح هذا الشعب . وفريق من الأجانب ، وعلى رأسهم المؤرخ الكبير جبرائيل هانوتو ، يقولون : إن مصر لا غنى لها عن الأجانب ، وإن مركزها الجغرافى إلى جانب ذلك يفرض عليها قبول سيطرة الدولة التى تهيمن على البحر الأبيض ، أى قبول الاستعباد فى شكل من أشكاله

وقد أخطأ الفريقان فى نظرهم وتشاؤمهم ، ويرجع ذلك الخطأ إلى أنهما قد أصدرا حكمهما على الشعب المصرى باعتباره قد استكمل أداته للكفاح ، وأخذ أهبته وجرب وكبر واستقر ، وبعبارة أخرى قد قطع مرحلة الانتقال وظهرت ملامح شخصيته الثابتة من حسنات وعلل وعورات

ولو أنهما انتبها إلى أن حالة مصر اليوم لا تزال حالة انتقالية ، وأن بعض العلل التى نراها ليست من العلل « المزمنة » ، وقد تكون غريبة عن جوهر الخلق المصرى الصحيح ، وإنها إذا عولجت انتفت عنه ، وزالت كما يزول كل عَرَض ، أقول لو أنهما انتبها إلى ذلك لفهما أن تشاؤمهما أكبر خطر يتهدد الفكرة الإصلاحية بل وكل فكرة تطمح إلى المُثُل العليا ، والسير بالبلاد إلى أبعد الغايات .

محمد صبرى

« الرقص الكلاسيكي »

للدكتور محمد مندور

بدا لي أن أكتب عن الرقص ، وذلك أملا مني في تقويم الأخلاق ، ولقد يلوح هذا غريباً ، فكيف نقوم الأخلاق بالحديث عن الرقص ، ومع ذلك فهذا حق ، فالرقص ونقصد به الإيقاعي والتعبيري ، لا الرقص الشرقي طبعاً ، يورث من يزاوله من رجال ونساء قوة في الجسم تحرر النفس من آفاتها

وقديماً حرص سقراط الشيخ على أن يتعلمه ليقلل من قبح جسمه المتبعج ، ويقوى من ضعفه ، فقال لأصدقائه وتلاميذه وقد اجتمعوا يوما بمنزل أحدهم حول غلام يعلم الرقص : « أتضحكون مني لأني أريد برياضة جسمي أن أتعهد صحتي فأتمتع بأكل هنيء ونوم سليم ؟! أتضحكون لأنكم تعتقدون أن شيخا مثلي لن يصاحب مدربا رياضياً إلى الخلاء فيعرى جسمه أمام الجماهير ، بل يقنع بغرفة طعام كهذه التي يكتفي بها هـذا الغلام ؟! أتضحكون لأني سأتدرب في الشتاء تحت السقف وفي الصيف تحت الظلال إذا اشتدت حرارة الشمس ؟! أم تضحكون لأنني رحت ببطن كبير إلى حد ما فأردت أن أرده إلى حجم معقول ؟! »

وفي هذا يقول شاعر الإغريق أنا كريون . « عندما يرقص الشيخ لا ترى فيه عجوزاً غير شعره ، وأما روحه فلا تزال فتية »

والرقص كما هو رياضة للجسم رياضة للروح ، وذلك لأنه يغذيها بشعورين لهما أثر عظيم في الحياة ، وهما الشعور بالمرح ثم الشعور بالجمال . وليس من شك في أن هذين الشعورين من أضعف المشاعر عند الشرقيين ، حتى لأحسب أن جانباً كبيراً من ضعف النفوس الذي نشكو منه يرجع إلى الحزن الذي يُنزل الخراب بالقلوب ، كما أن الإحساس بمعنى الجمال ومعاييره الصادقة يكاد يكون منعدما . والنفس الحزينة لا تعرف الثقة والتفاؤل . والحس الذي لا يدرك الجمال لا يحجم عن الخسيس من الأمور .

ولو أنك قارنت بين الرقص الشرقي والرقص الغربي لأدركت الفارق بين المشاعر التي يثيرها كل منهما ، فالرقص الشرقي رقص تمرد جسمي ، حركاته زوايا لا منحنيات ، وهو إثارة للغريزة الجنسية فحسب ، وأما الرقص الغربي فإيقاع وتعبير ، وهو في أصح أوضاعه يستمد إيقاعه من الموسيقى الشائعة في الطبيعة ، ففيه عنصرا التموج والاستمرار . وليس بخاف أن الحياة كلها تموجات موقعة ، فالصوت والضوء والموج والريح والشجر وأوراقه ، كلها تسير أو تهتز موقعة في موجات . والحركة دائرة مستمرة حتى في الجماد حيث ترقص الذرات الكهربائية . والراقص أو الراقصة في أوروبا لا يخترع حركات وإنما يكتشف حركات ، يكتشف ما هو كامن في نظام الحياة والوجود ، وإن كان لا يقف عند الإحساس بالطبيعة بل يعدو الإحساس إلى الدرس ، ويروض نفسه على تشرب موسيقاها بالتدريب الطويل المتصل حتى يجيد فهمها فتصبح الحركة تعبيراً عن معاني النفس .

لقد أخذنا نعنى في الشرق بتثقيف العقول ، ولست أدعي أننا قد نجحنا كل النجاح في هذا التثقيف ، ولكنني أحسبه شيئاً يذكر إذا قارناه بتثقيف الإحساس . ولقد فطن الناس إلى أن الشيء الرائع في تربية الإغريق القدماء كان عنايتهم بتنمية حاسة الجمال في النفوس عن طريق رياضة الجسم ورياضة الروح ، فأفلاطون نفسه قد قصر منهج التربية في جمهوريته على العلوم الرياضية والموسيقى والرياضة البدنية ، وبذلك يجمع بين تقويم العقل والإحساس والجسم ، ويقيم بين ثلاثتها توازنا هو عماد النفس القوية . ولقد كان الرقص جزءا هاما من رياضتهم ، وذلك سواء أكان حربياً أم فنياً ، ولقد كان المقاتلون لا يسيرون إلى القتال إلا بعد أن يثيروا في نفوسهم الحماسة والنشوة بالرقص الموقع توقيعاً قويا ، حتى لقد قال إفلاطون بلسان سقراط : إن أكثر الناس تبجيلا للآلهة في حلقات الرقص هم أشجعهم ضراوة على القتال في الميادين »

والإنسانية منذ أقدم عصورها لم تعرف الرقص منفصلا عن غيره من الفنون . فمنذ الأزل والناس يجمعون بينه وبين الموسيقى والشعر في ثالوث فني يستهوي أفئدتهم . ولربما كان الرقص أقدم هذه العناصر وأكثرها انتشارا ، فالحركة لا ريب قد سبقت اللفظ في التعبير . وفي الجسم إيقاع عضوي يتحرك لنغمات الطبيعة ، على غير وعي منا . وعند الإغريق القدماء لم يكن الرقص

والغناء والموسيقى مجتمعة مقصورة على مواكب النصر أو ولائم المرح ، بل كانت تكون العناصر الأساسية فى التمثيل المسرحى أيضاً . وهم لم يعرفوا تمثيلا يقوم على الحوار والحركة المسرحية فحسب ، فكل مسرحياتهم يتخللها الرقص والموسيقى . وإلى جوار الممثلين تجد دائما فرقة المغنين وعلى رأسها عازف الناى . ومن كبار مؤلفيهم كسوفوكايس من كان يجيد الرقص والعزف ويشترك فيهما اشتراكا فعلياً . ولقد كان ذلك من مواضع فخارهم ، فتلك فنون كانت تشارك فيها آلهتهم ذاتها ، ولكم من مرة رأس الإله هرميس أو الإله أبوللون بأعلى الأولب وفى محضر كبير الآلهة زوس جوقات تعزف وترقص لتطرب الآلهة . ولقد جعلوا للرقص ربة ترعاه كما جعلوا للموسيقى والشعر ربات . وليس من شك فى أن إقبال الإغريق على الحياة وحبهم لها وإمعانهم فيها قد فجر فى نفوسهم ينابيع الابتكار والخلق . وليس من شك كذلك فى أن عبادتهم للجمال وحرصهم على التناغم والانسجام قد أحيا فى نفوسهم معانى البطولة ومثل الأخلاق ومن البين أن أهم صفات العمل الأخلاقى هو جماله المشرق . .

ولقد رأت العصور الحديثة نهضة رائعة فى فن الرقص بفضل « الباليه » الروسية والسويدية ، وكان للفنان الكبير جاك دالكروز فضل إثراء فن الإيقاع وتحميله أنواعا من التعبير الإنسانى العميق . ولكم طرب الأوربيون لرقص نيجنسكى وكار سافينا وإزادورا دونكان ولوى فولر وبافلوفا وأرجنتينا . واستهوى الرقص ألباب كبار رجال الفن والأدب . ولقد كانت إزادورا دونكان تلتهب حماسة لفن النحات الكبير رودان ، وكيف كان رودان يعجب برشاقة الحركة وجمالها عند تلك الراقصة الروحية الكبيرة .

ومنذ سنين قليلة كتب الشاعر الفرنسى الشهير بول فاليرى حوارا رائعا عن الرقص ، وفيه يقيم توازنا متصلا بين حركات الرقص وحركات الفكر الذهنية ، ولفهم هذه العلاقة دعنا ننصت إلى فقرة رائعة من مذكرات دونكان : « لقد أنفقت أياما وليالى كاملة فى « الأتيليه » لأبحث عن رقص يستطيع بحركات الجسم أن يعبر عن الروح تعبيرا إلهيا . ولساعات طويلة كنت أقف ساكنة جامعة يدى إلى صدرى ووالدتى ذاهلة من موقفى هذا ، ولكننى انتهيت بأن اكتشفت الدافع الأساسي لكل حركة ، والبؤرة القوية التى تتخذ فيها وحدة الأوضاع .

ومدرسة الرقص التقليدية تلقن تلاميذها أن المركز الأساسى للحركة قائم وسط الظهر عند نهاية العمود الفقرى من أسفل ، ومن هذا المركز تنطلق حركات الأذرع والأرجل والجذع حرة . ولكنها عندئذ لن تكون غير حرية عرائس من الخشب ، ولن ينتج عن رقص كهذا غير حركات آلية مصطنعة غير جديرة بالروح . والذى كنت أبحث عنه لم يكن مصدر هذا النوع من الحركات ، بل مصدر حركات النفس التى تشيع فى الجسد وقد امتلأ ضوءا فتمكس فيه رؤية مشرقة . وبعد أشهر طويلة من الجهد المتصل ركزت فيها اهتمامى فى هذه البؤرة الموحدة لاحظت أننى عندما أنصت إلى الموسيقى تنساب إلىّ أشعة وموجات . تجرى فى فيض متلاحق نحو منبع الضياء فى نفسى حيث تنعكس الرؤية المشرقة . ولم يكن هذا المنبع مرآة نفسى بل مرآة روحى وبفضل إشراق تلك الرؤية كنت أستطيع أن أعبر عن الموجات الموسيقية بحركات راقصة » .

ولا غرابة في ذلك فقد ولدت إزادورا الأمريكية الأصل على شواطىء البحار واعترفت بأن فكرة الرقص لم تأتها إلا من مشاهدة أمواج البحر ، وكان أول رقص لها على إيقاع ذلك الموج . وما من شك فى أن للنفوس البشرية إيقاعا يتناغم إيقاع الطبيعة . ولقد قالت تلك الأديبة البارعة « إن الرقص كان موجوداً فى نفسها ولكنه نائم فأيقظته »

وما أريد أن أختتم هذا المقال دون أن أذكر أحد أساتذتى الفرنسيين وهو لويس سيشان ، وقد كان رجلا جادا على رقة نفسه ، رجلا حى القلب حى الضمير ، وقد تعلقت بتعاليمه فبحثت عن مؤلفاته ، وإذا من بينها كتاب قيم عن الرقص عند الإغريق القدماء ، فدهشت لأستاذ في الجامعة يكتب عن الرقص ، وكنت لا أزال حديث عهد بالشرق وأحكامه ، ولكننى لم أكد أتناول الكتاب حتى وجدته قد صدره فى أول صفحة بثلاث كلمات لأفلاطون قالها الفيلسوف عن الشعر ، وأبى أستاذنا إلا أن يطلقها على الرقص ، وهي قوله « شىء خفيف مجنح مقدس »

محمد مندور
المحامى

على هامش النقد :

قصص وأســــاطير

١ — أساطير الحب والجمال ... . . دريني خشبة
٢ — عشاق العرب ... ... كامل كيلاني

للأستاذ سيد قطب

(١)

ليس هذا الكتاب « ترجمة » بالمعنى الكامل وليس « تأليفاً » كذلك ، فهو استعراض لهذه الأساطير عند الإغريق مطلق من التقيد بالنصوص ... ولست أدرى أكان من الخير أن يسلك المؤلف هذا الطريق ، أم أن يسلك طريق الترجمة الدقيقة لأصل من أصول هذه الأساطير أو لبحث حولها أو لتفسير . ولكن وجودها في المكتبة العربية — على وضع من الأوضاع — هو بدون شك كسب لهذه المكتبة كبير . وقد تلقيتها بفرح ، وعشت معها أسبوعين ؛ كانا فرصة لأن أعاود قراءة ترجمة الإلياذة الاغريقية ، والشاهنامة الفارسية ، والرامايانا الهندية ، وبعض الأساطير المصرية . لأعيش فترة من الزمن في هذا الجو الأسطورى الجميل ، ولأصاحب الطفولة البشرية العذبة . بعض الوقت ، ولتكون لدى الفرصة — على قدر الامكان — لملاحظة الخصائص القومية في الأساطير والملاحم . وهى أصدق المعايير . لأنها من عمل الشعوب في الحقيقة لا من عمل الأفراد .

***

وقد أثار وجود هذه المجموعة في اللغة العربية ، شوقي لأن يوجد لها نظير عن « الأساطير المصرية » ، ومجموعة عن « الأساطير الهندية » . وإن كنت قد سمعت — ولم أقرأ — عن مجموعة صدرت للأساطير الشرقية

إن لمصر القديمة . مصر العريقة ، مصر الضاربة في مجاهل الأبد ، النابتة في جذور التاريخ . إن لمصر هذه أساطير راقية وحياة روحية رفيعة . وقد ثبت بما لا شك فيه أن الاغريق قد تناقلوا كثيراً من هذه الأساطير ، وتسلفوا الكثيرين من الآلهة من هنا من مصر ! وتثقفوا ثقافة مصر الروحية والعلمية والاجتماعية والقانونية ، ثم أقاموا عليها حضارتهم بعد ألف عام .

ولكننا نقتين عن هذا كله ، فلا نلتفت إلى هذه الذخيرة الضخمة التى لا يزال العالم الحى يقبس منها . ففي عصرنا الحاضر يوجد في أوربا من النحاتين من يقيمون مذاهبهم على أساس الفن المصرى القديم ، ويوجد من رجال الآثار ومن رجال الأدب من يتعمق دراسة الآثار الروحية والدينية لمصر القديمة ، ومن يحيل هذا الزاد طعاما حاضراً شهياً ، يزيد به ألوان المائدة العالمية

أما في مصر فلا شيء من هذا كله . إنما يكتب المفتونون منا بالحضارة الاغريقية ، فيصورونها حضارة هبطت من سماء الأولمب ، ولم تستق مرة واحدة من نبع النيل . اللهم إلا رجلاً عظيما — عظيما جداً لأنه نجا من هذه الفتنة — هو المرحوم عبد القادر حمزة باشا ، ذلك الذى حاول في كتابه الخالد « على هامش التاريخ المصرى القديم » أن يكشف لقراء العربية عن هذا الدَّين القديم !

وللشرق على وجه العموم — ولا سيما الهند — ثقافاته العريقة ، ثقافاته الروحية والفكرية . ولكن المكتبة العربية منها خواء . وعندما عثرت على ترجمة مختصرة لرامايانا (مجازفات راما) من « مطبوعات مجلة النفير » أحسست أننى عثرت على شيء نادر ! ليس لدى من مثله إلا القليل . شيء نادر لأنه شرقي . ونحن المفتونين عن مصر وعن الشرق . لا نحفل من هذه الذخائر ما تحفله الأمم الحية في الغرب ، التى تستنقذ كل ما خلفت البشرية من ثقافات فتحيله غذاء شهياً على مائدتها الحافلة بالشهى اللذيذ !

أفلم يأن لنا أن نعرف أنفسنا كما عرفها العالم المتحضر ؟

إننى لأشعر بفيض من السعادة يوم أجد المكتبة العربية حافلة بالمترجمات من كل ثقافات العالم . على ألا يبقى ركن الثقافة المصرية وركن الثقافة الشرقية كما هما اليوم يعشش فيهما العنكبوت ! ! !

***

يحس القارئ للأساطير الاغريقية أن الحياة المتنزية الوثابة هى الحكم في هذا الكون العريض ، بينما يحس في الأساطير المصرية أن العدل والخير والمبادئ الخلقية هى القانون أما الأساطير الهندية فتخيل إليه أن التضحية والصبر والتسامح هى محور الوجود . فإذا اجتازها إلى الأساطير الفارسية أحس أن

القوة والمراسم والنظام هي دعائم الحياة « وذلك على تقارب الهند وفارس فى الإصل الآرى القديم ».

وأوضح الأمثلة على هذه الملاحظات أساطير هرقل ، وأوزريس ، ورأما ، ورستم .

فمجازفات هرقل كلها تنفيذ لقضاء أعمى مبعثه نزوة شخصية لبعض الآلهة . ومأساة أوزريس هي تغليب للعدل والخير على الظلم والشر ، وقد وقفت قوى الآلهة فى صفه تحقيقاً لهذه المثل العالية .

ومجازفات راما كلها تنفيذ لعهد واجب الوفاء مهما يكن فى سبيله من تضحيات فوق الطاقة البشرية المحدودة . ووقائع رستم كلها تمجيد للقوة الخارقة التي تخضع مع هذا للنظام وتعترف عزائم السلطان !

تجمع آلهة الإغريق إلى قدرة الآلهة حماقات البشر . قانونها شهواتها . تخبط كيفما قادتها البدوات والنزوات . ويقع الخير فى أعمالها كما يقع الشر كأنما هو اندفاع من اندفاعات الحيوية النابضة فى الوجود . أما آلهة المصريين فتهدف فى تصرفاتها إلى تحقيق مبادىء خلقية وإنسانية قوامها الخير والعدل والفضيلة ..

ألا ما أحوجنا إلى أن تكون أساطير العالم كله بين أيدينا لنعرف حقائق الشعوب ! إن غاندى وصبره وسماحته مثلا ، لا يفهم كما لا يفهم تاجور إلا بعدد من الأساطير الهندية تشرح عناصر النفس الهندية وتفسرها خير تفسير .

***

وشيء آخر يحسه قارىء الأساطير الأغريقيـــة . يحس بالعبادة للطبيعة ، والفتنة بالجمال ، والنشوة بالحركة . الحركة العنيفة . التي لا تقر ولا تهدأ فى اللذة والألم . وفى السعادة والشقاء . والحب والبغضاء ، ويعيش فى ذلك الجو المرفرف الطليق الذى هو مزاج من العرائس والجنيات ؛ ومن الفتن والشهوات ، ومن المكائد والمجازفات . ومن الطبيعة الساحرة الفاتنة الحية الفائضة بالحياة المتجاوبة مع كل شيء فى هذا الكون الكبير ! إنها حياة تشوق وتعجب وتثير الحس والوجدان .

ويجب أن أقول : إن الأستاذ دريني خشبة قد أفلح فى نقل هذا الجو الحى الفائض بالحيوية ، وأن أسلوبه قد اضطلع بتصوير الحركة التى لا تهدأ فى هذه الأساطير . وإن هذا وحده لشيء رائع فى حد ذاته .

ولكن ! — وددت ألا أجد لها مكانا فيما أقول . !

لقد قادته رغبة التجويد فى التعبير ، والتفخيم فى الأسلوب إلى أشياء أود لو تنبـــه لها كل مؤلف . وكل مترجم على وجه خاص :

إن المطلوب فى الترجمة — خاصة — ليس هو نقل المعانى والأفكار فحسب ، ولكن نقل الجو الذى تعيش فيه هذه المعانى والأفكار . هذا الجو رهين بطريقة الأداء وبألفاظ الأداء . وفى كل لغة بعض الاصطلاحات وبعض الألفاظ . تعد بضاعة محلية . لا سبيل إلى نقلها من بيئتها إلى أية بيئة أخرى . ذلك أنها تشع جواً إقليميا أو قوميا خاصاً يتمثله الخيال بمجرد نطقها فى أى مجال .

هذه الألفاظ وهذه التعبيرات موجودة فى اللغة العربية . وهى تصور جوها بمجرد ورودها . — وهى لحسن الحظ قليلة نسبياً بالقياس إلى معجم اللغة اللغوى والفنى — وهى لا تصلح للاستخدام فى الترجمة على وجه خاص ، لأنها تعارض الجو الذى يجب نقله ؛ وتعترض الخيال المستغرق فى جو خاص بقطعة من الجو العربى البحت الذى لا انسجام بينه وبين ذلك الجو الخاص

إن للألفاظ والتراكيب أرواحاً كما لأفراد الإنسان . وكثيراً ما خيل إلىّ وأنا أقرأ بعض الترجمات ، أن المترجم يقذف برجل بدوى فى زيه الخاص على المسرح بين جماعة من الأوربيين ، فيخل بكل انسجام !

وفى أساطير الحب والجمال شيء من هذا : يتمثل فى بعضه استعباد النصوص المؤلف ، كما تتمثل فى بعضه الفتنة بالإغراب . ولا يتسع المجال لاستعراض جميع هذه المواضع فنكتفى ببعض الأمثال :

١ — من الأمثلة على استعباد النصوص ، أن يرد فى أسطورة إغريقية وثنية قول أبوللو لابنه : « فسر على دربها تصل إن شاء الله » فطريف هنا ذكر « إن شاء الله » من إلهى إغريقى ودع عنك « سر على دربها » وما تمثله من بيئة صحراوية . وأن يرد كذلك فى كلام هذا الإله نفسه : « ولا تنس السماء التى تجرى فوق لمستقر لها » وما فيه من جو قرآنى ينقل القارئ من أساطير الإغريق إلى القرآن الكريم . ومثله وصف شارون حارس الجحيم لجهنم كما وصفها القرآن : « لا تبقى ولا تذر ، وإنها أبداً ترى بشرر كالقصر »

وكثير من هذه النصوص القرآنية ومن مأثورات الشعر العربى والتعبيرات الإسلامية البحتة يتعارض فى بعض الأحيان

لامع الجو الأسطورى فحسب ولكن مع الحقائق الموضوعية كذلك أومع المشاهدات الواقعية . فلست أحسب أن « المنافقين فى الدرك الأسفل من النار » تمت بصلة إلى أوضاع الجحيم الإغريقى ! ولست أحسب أن الكبش حين يذبح « يُتَلُّ للجبين » كما تلَّ إبراهيم ولده للجبين فى القرآن . فالكبش يتل للجنب ، لأنه لا يذبح على طريقة ذبح الإنسان ! ...

ولست أحسب أن عرائس الماء كانت تقول كما قالت نساء امرأة العزيز فى القرآن : « ما هذا بشراً إن هـذا إلا ملك كريم » أو أن عجوزاً أسطورية تقول لفتى إغريقى : « ألم تسمع من يقول : « وكم لظلام الليل عندى من يد » وتلك شطرة شعر عربى لم تكن قيلت بعد حتى يسمعها الفتى المسكين ! . . . وهكذا وهكذا من هـذه الأمثلة لاستعباد النصوص المؤلف ، واضطراب الجو الأسطورى الإغريقى بما يلقى فيه من ظلال عربية أو إسلامية خاصة لا تتفق مع هذا الجو بحال

٢ — وأما الفتنة بالإغراب فقد ظهرت كذلك فى مواضع كثيرة : فلست أدرى لم تنبذ كلة المرآة ليوضع مكانها « السنجنجل » ولا كلة نعش ليوضع مكانها « إران » ولا كلة الظمأ ليوضع مكانها « الجواد » ولا كلة المساند لتوضع مكانها « الحسبانات » . كما لا أفهم أن تكون الفتاة الإغريقية « خدلجة » ! ولا جماعة الفتيات « ربربا »

وليس من عادتى أن أقف للأخطاء اللغوية البحتة ولكننى أنبه هنا إلى غلطات قليلة لعل معظمها من أخطاء المطبعة .

ولكم وددت أن يخلص كتاب الأستاذ دريني من هذا كله ليتم المتاع به فى جوه الإغريقى الأصيل !

(٢)

و « عشاق العرب » إنه هو الآخر ليس « ترجمة » وليس « تأليفاً » ! ولكنه فى هذه المرة مزاج بينهما عن أقاصيص الحب العربى . فلقد عمد الأستاذ « كامل عجلان » إلى بعض أخبار المحبين المبعثرة فى المراجع العربية ، التى لا يتيسر العثور عليها لشبان الجيل ، لأن معداتهم الرقيقة لا تستطيع هضم هذه المراجع الجافة . فصاغ منها قصصاً بأسلوب الحوار . وجعل من الخبر أو من مجموعة الأخبار رواية حب فى فصل أو فصول . فكانت من ذلك روايات : حبابة مع يزيد بن عبد الملك . وزينب مع ابن سلام ومع يزيد بن معاوية . ولبنى مع قيس ثم غادة الهودج مع الآمر بأحكام الله ومع الشاعر ابن مياح (فى أربعة فصول)

وأنا أعد هذا العمل خليطا من الترجمة والتأليف فالواقع أننا حين نعرض بعض النصوص القديمة فى أسلوبنا الحديث إنما نقوم بعملية ترجمة من معجم جيل إلى معجم جيل . ومن طريقة عرض قديمة إلى طريقة عرض جديدة . وقد كان هذا القسم من عمل الأستاذ كامل عجلان موفقاً ونافعاً . وهو طريقة من طرق الإحياء لتراث المكتبة العربية .

وأما القسم الثانى فلم يستكمل مداه . ذلك أنه أفرط فى التقيد بالنصوص التاريخية ، فلم يتسع أمامه المجال للخلق الفنى . وإن يكن حين وسع على نفسه بعض الشىء قد رسم خطوطا موفقة فى ملامح بعض الشخصيات كشخصية « برغش » المهرج فى غادة الهودج . وقد نص هو فى المقدمة على أن قصده كان مجرد الإحياء والامتاع بهذا القديم المهجور

فإذا كان معتزما إخراج مجموعة أخرى كما قال فى نهاية الكتاب فوصيتنا إليه أن يخطو خطوة أخرى فيعنى بتصوير الشخصيات الروائية ، وتسجيل الانفعالات النفسية ، وألا يكتفى بعرض الحادثة التاريخية ، بطريقة حوارية . ولعله حين يفعل هذا يستغنى عن كثير من الإشارات المسرحية التى كثرت فى كتابه لتهيئة الجو للقارىء . فالحوار يجب أن يستقل برسم هذا الجو بطبيعة ألفاظه الموحية لا بالإشارات المسرحية الخارجية .

وبعد فقد استمتعت بهذه القصص . أنا الذى تستطيع معدتى الخشنة أن تهضم أصولها القديمة فما أجدر شبابنا الرقيق اللطيف أن يستمتع بها إذ لا مورد له سواها !

سيد قطب

إشهار الرؤوس المقطوعة

في أيام العباسيين

(بقية المنشور فى العدد الماضى)

للأستاذ ميخائيل عواد

ثالثاً — رؤوس متفرقة

١ — الرؤوس فى مصر

قال المقريزى فى كلامه على دار الوزارة الكبرى : « ..... وأخبرنى شيخ معمر يُعرف بالشيخ علىّ السعودى ، وُلِد فى سنة سبع وسبعمائة . قال : رأيتُ مرّة وقد سقط مِن ظهر الرباط المجاور لخانقاه بيبرس مِن جملة مابقى من سور دار الوزارة جانب ظهرت منه علبة فيها رأس إنسان كبير ، وعندى أنّ هذا الرأس من جملة رؤوس الأمراء البرقية الذين قتلهم ضرغام فى أيام وزارته للعاضد بعد شاور ؛ فانه كان عمل الحيلة عليهم بدار الوزارة ، وصار يستدعى واحداً بعد واحد إلى خزانة الدار ويوهم أنه يخلع عليهم ، فإذا صار واحد منهم فى الخزانة قتل وقطع رأسه وذلك فى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة . وكانت دار الوزارة فى الدولة الفاطمية تشتمل على عدة قاعات ومساكن .. [(١)] »

ومما حفلت به سنة ٤١٠هـ من الأحداث أن « جرد صاحب مصر جيشاً لقتال صالح بن مرداس صاحب حلب ، وبعث الجيش مع نوشتكين الزبرى ، فكانت الواقعة عند شاطىء نهر الأردن ، فاستظهر الزبرى وقتل صالحاً وابنه ، وأنفذ رأسيهما إلى مصر .... [(٢)] » .

٢ — الرؤوس فى قندهار :

قندهار من بلاد السند . قد وقفنا فى بعض أخبار سنة ٣٠٤هـ ، على أنه « وَرَدَ الكِتاب من خراسان يذكر فيه أنه وجد بالقَنْدَهار [(١)] فى أبراج سورها برج متصل بها ، فيه خمسة آلاف رأس فى سلال من حشيش ، ومن هذه الرؤوس تسعة وعشرون رأساً ، فى أذن كلّ رأس منها رقعة مشدودة بخيط ابريسم باسم كل رجل منهم . والأسماء : شُريح بن حَيَّان ، خَبَّاب بن الزبير ، الخليل بن موسى التميمى ، الحارث بن عبد الله ، طَلْق بن معاذ السلمى ، حاتم بن حَسَنَة ، هانىء بن عروة ، عمر بن علان ، جرير بن عبَّاد المدنىّ ، جابر بن خُبيب ابن الزبير ، فرْقد بن الزبير السمدىُّ ، عبد الله بن سليمان بن عمارة ، سليمان بن عمارة ، مالك بن طرخان صاحب لواء عقيل ، ابن لسهيل بن عمرو ، عمرو بن حيَّان ، سعيد بن عتَّاب الكندىّ ، حبيب بن أنس ، هرون بن عروة ، غيلان بن العلاء ، جبريل بن عبادة ، عبد الله البجلى ، مُطَرِّف بن صبح ، ختن عثمان بن عفان (رض) — وجدوا على حالهم إلا أنهم قد جفت جلودهم والشعر عليها بحالته لم يتغير ، وفى الرقاع من سنة ٧٠ من الهجرة [(٢)] » .

رابعاً : الطواف بالرؤوس فى الآفاق :

هذا لون آخر من ألوان عرض الرؤوس ، فقد كانت تنصب ببغداد أياماً فوق الأماكن البارزة ثم تحط ، فنها مايستقر فى خزانة الرؤوس ، ومنها ما يرسل به إلى البلدان فيعرض فى كل بلد وكورة ، فيكون عبرة لمن يعتبر ، وعظة لمن تسوّل له نفسه الخروج عن طاعة أمير المؤمنين . وكان من هذه الرؤوس :

١ — رأس محمد بن عبد الله :

روى الطبرى فى حوادث سنة ١٤٥ هـ : « حدثنى عيسى

---

(١) خطط المقريزى (٢ : ٣٠٣ — ٣٠٤ ، مطبعة النيل) .

(٢) المنتظم (٨ : ٤٠) .

(١) كذا وردت فى صلة تاريخ الطبرى (بفتح القاف وسكون النون وفتح الدال) ، أما فى معجم البلدان (٤ : ١٨٣ — ١٨٤ ؛ طبعة وستنفلد) فانها « قندهار : بضم القاف وتسكين النون وضم الدال أيضاً وهو المشهور .

(٢) صلة تاريخ الطبري (ص ٦٢ — ٦٣ ، طبع ليدن) ، وتجد هذه الرواية فى المنتظم (٦ : ١٣٩) .

[بن عبد الله] قال : حدثنا ابن أبي الكرام . قال : بعثني عيسى برأس محمد وبعث معي مائة من الجند . قال : فجئنا حتى إذا أشرفنا على النجف كبرنا . قال : وعامر بن اسماعيل يومئذ بواسط محاصر هرون بن سعد العجلي . فقال أبو جعفر للربيع : ويحك ما هذا التكبير ؟ قال : هذا ابن أبي الكرام جاء برأس محمد بن عبد الله قال : إيذن له ولعشرة ممن معه . قال : فأذن لي ، فوضعت الرأس بين يديه في ترس .... ، حدثني علي بن صالح ابن ميثم . قال : لما قدم برأس محمد على أبي جعفر وهو بالكوفة أمر به فطيف به في طبق أبيض ، فرأيته آدم أرقط ، فلما أمسى من يومه بعث به إلى الآفاق [1] » .

٢ — رأس بابك الخرمي

كان ظهور بابك الخرمي في أيام المعتصم ، وقد اشتهر أمره وذاع صيته وكثر أتباعه ، فهابته أمراء النواحي والأطراف ، وبالغ في الظلم والعيث والفساد ، وكان المعتصم يومذاك مشتغلا في بناء سامراء ، العاصمة الجديدة لبني العباس ، فصبر له ، حتى إذا فرغ من هذا الأمر ، سير إليه الجيوش وعليها الأفشين ، فاتصلت الحرب بين الطرفين مدة ، حتى ضاق الأمر على بابك ثم دارت الدائرة عليه فوقع أسيراً هو وأخوه وجماعة من أصحابه ، فجيء به مقيداً مشهراً . قال المسعودي يصف مشهد قتل بابك : « ووجدت في كتاب أخبار بغداد [2] أنه لما وقف بابك بين يدي المعتصم لم يكلمه ملياً ، ثم قال له : أنت بابك ؟ قال : نعم أنا عبدك وغلامك ؛ وكان اسم بابك الحسن ، واسم أخيه عبد الله . قال : جردوه ؛ فسلبه الخدام ما كان عليه من الزينة ، فقطعت يمينه فضرب بها وجهه ، وفعل مثل ذلك بيساره ، وثلث برجليه ، وهو يتمرغ في النطع في دمه ؛ وقد كان تكلم بكلام كثير رغب في أموال عظيمة قبله ، فلم يلتفت إلى قوله وأقبل يضرب بما بقي من زنده وجهه . وأمر المعتصم السياف أن يدخل السيف بين ضلعين من أضلاعه أسفل من القلب ليكون أطول لعذابه ففعل ، ثم أمر بحز رأسه وضم أطرافه إلى جسده ، فصلب ثم حمل رأسه إلى مدينة السلام فنصب على الجسر ، وحمل بعد ذلك إلى خراسان فطيف به كل مدينة من مدنها وكورها ؛ لما كان في نفوس الناس من استفحال أمره وعظيم شأنه وكثرة جنوده وإشرافه على إزالة ملك وقلب ملة وتبديلها . وحمل أخوه عبد الله مع الرأس إلى مدينة السلام ففعل به اسحق ابن ابراهيم ما فعل بأخيه بابك بسامراء ، وصلب جثة بابك على خشبة طويلة في أقاصي سامراء ، وموضعه مشهور إلى هذه الغاية يعرف بكنيسة بابك ... [1] »

٣ — رأس الحلاج :

للحسين بن منصور الحلاج أخبار غريبة أسهب الكتبة فيها ، حتى إنهم صنفوا كتباً [2] شرحوا فيها دعوته وأعماله وأقواله ويهمنا في هذا المقام خبر رأسه . فقد روى ابن الجوزي في ترجمته للحلاج ، قائلاً : « ... فلما أصبح يوم الثلاثاء لست بقين من ذي القعدة [سنة ٣٠٩ للهجرة] أخرج ليقتل ... ، وضرب ألف صوت ، ثم قطعت يده ثم رجله ، وحز رأسه وأحرقت جثته ، وألقي رماده في دجلة .. [3] » .

ثم أشار أبو الفرج إلى مصير رأس الحلاج في حوادث سنة ٣١٠ هـ ، فقال : « وفي يوم الاثنين سلخ ذي القعدة ، أخرج رأس الحسين بن منصور الحلاج من دار السلطان ليحمل إلى خراسان [4] » .

وعلى هذا فإن رأس الحلاج مكث سنة كاملة ضيفاً على خزانة الرؤوس .

ميخائيل عواد

---

(١) تاريخ الطبري (٣ : ٢٥٤ — ٢٥٥) .

(٢) أخبار بغداد لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور (المتوفى سنة ٢٨٠ هـ) ، وقد أشار إليه المسعودي غير مرة في مروج الذهب (١ : ١٢ و ٨ : ٢٠٩) .

والمعروف من هذا الكتاب اليوم ، الجزء السادس فقط ؛ فيه خلافة المأمون . وقد عني بنشره « هنس كلر » في ليبسك سنة ١٩٠٨ ، وترجمه الى اللغة الألمانية

(١) مروج الذهب (٧ : ١٢٩ — ١٣١) .

(٢) لأبي الفرج ابن الجوزي كتاب في أخبار الحلاج . راجع المنتظم (٦ : ١٦٢) .

(٣) المنتظم (٦ : ١٦٤) .

(٤) المنتظم (٦ : ١٦٧) .

هذا العالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

معجزة الأبحاث الروسية

١٢ رجلا يعودون إلى الحياة

أذاعت جريدة برافدا الروسية أن الطب تمكن من إعادة الحياة إلى ١٢ جنديا من ٥١ بعد وفاتهم . وأبرق المراسل الحربى لإحدى الجرائد الاميركية بتفاصيل الخبر، فأبدء وتمت هذه العمليات فى خطوط القتال الأمامية ، وتحت وابل من قنابل المدافع . فان الأطباء الروسيين يستغلون الحرب الحالية وكثرة ضحاياها ليجروا من التجارب ما يستحيل التفكير فيه فى زمن السلم

ويشرف على هذه التجارب الدكتور نيجوفسكى من معهد الاتحاد السوفياتى للطب التجريبى . فبعد ما ظهر على المصابين جميع علامات الوفاة أجريت معهم تجربة جديدة للتنفس وتغذية أجسامهم بالدم . فدفع الهواء إلى الرئتين مباشرة كما غذى الجسم بالدم عن طريق وريد يؤدى إلى القلب ، لا عن طريق شريان

وتقول جريدة برافدا ان التجربة تمت على أساس النظرية القائلة ان الإنسان فى الدقائق الأولى لوفاته يكون قريباً من الحياة ، فيتاح إيقاف الموت ان اتخذت الخطوات الموفقة لأعادة القلب والرئتين إلى عملها . وبذلك يستعيد الضغط الدموى بناءه ، ويمتنع انحلال الجهاز العصبى .

ويقول الأطباء الذين أجروا هذه التجارب ان خطواتها يجب أن تتم بأقصى سرعة لأن الجهاز العصبى يتعرض لعدة تغيرات يتعذر تصحيحها ان حدثت فى الدقائق الخمس أو الست بعد الوفاة . ولهذا كان من الضرورى أن يكون الطبيب سريع التقدير كثير النشاط فى التنفيذ

ولم تكن هذه التجربة الأولى من نوعها، بل سبقتها عدة تجارب أخرى بلغ عددها ٢٥٠ تجربة أجريت على الكلاب . وتقرر فى نهايتها أن إعادة الحياة ممكنة فى بعض الحالات بواسطة منفاخ يدفع الهواء مباشرة إلى الرئتين ، وبنقل الدم فى وريد متصل بالقلب حتى يستطيع الدم تنبيه عضلاته .

وقال الأطباء إن نقل الدم بالطرق العادية ومثله عملية التنفس الصناعى كانتا عديمتى القيمة فى حالة حدوث الوفاة . وقد أثبت هؤلاء الأطباء صحة أقوالهم بعدة محاولات لم تسفر عن أية نتيجة .

وذكرت جريدة برافدا حالة الجندى الروسى الكسندر نوزوف . فانه أحضر إلى مستشفى الميدان بعد ما أطارت قنبلة إحدى ساقيه . وظل فى حالة نزع مدة ١٤ ساعة ، كان تنفسه أثناءها غير عميق ، وقال الأطباء ان النبض كان ضعيفا جداً يتعذر الإحساس به . استمر الأطباء فى علاجه مدة ١٢ ساعة ، فنقلوا اليه الدم ، وحقنوه بالكافور والكافيين بدون جدوى . وأخيراً فقدوا كل أمل فى إنقاذه وخصوصاً عندمابدأت أعراض الموت تظهر عليه

وعندئذ تسلمه الدكتور نيجوفسكى ومساعدوه وأجروا عليه تجاربهم . واستعملوا الطريقة الحديثة بنقل الدم الى الوريد بدلا من الشريان فاستعاد القلب تأديته لوظيفته . وفى الوقت نفسه أجريت عملية التنفس الصناعى بدفع الهواء إلى الرئتين مباشرة فتحسنت صحة المريض كثيراً ، فأتيح لأحد الجراحين إجراء عملية الساق بدون صعوبة . وبعد يومين استعاد المصاب من القوة ما يكفى لنقله إلى مستشفى فى مؤخرة الميدان

لقاح للسل

أوشكت مشكلة الاصابة بمرض السل أن تصل إلى علاج ناجع بعد تقرير قدمه الدكتوران والاس بروك وربرت داى من مستشفى هوبكنس انهما توصلا الى العثور على اللقاح المضاد للسل . فانهما اكتشفا عدداً من الأحياء الميكرسكوبية فى فأر الحقل البريطانى . وهذه الاحياء من نفس عائلة الميكروبات التى تسبب السل للماشية والطيور وللانسان

وبتطبيق الطريقة القديمة الناجحة التى أدت الى الوقاية من الجدرى الخبيث باستعمال لقاح جدرى الابقار يتوقع العلماء أن يقوا الانسان مرض السل باستعمال قريبه الذى يوجد فى الفيران كمادة لقاح

وأجريت عدة تجارب على حلوف جوينا لاختبار أثر هذا

اللقاح الجديد ، فلوحظ أن عدوى السل تأخرت مدة طويلة كما لوحظ عند ظهور أعراضه أنه لم يكن قاسياً . وتقدمت التجارب مرحلة أخرى لتطبيقها على الانسان فأعلن فى التقارير الطبية ان حقن اللقاح تحت الجلد أو فى الأوعية الدموية فى الانسان لم يؤد الى زيادة وطأة المرض

وتقول التقارير الأخيرة إن نتائج تجربة استعمال لقاح الفيران للوقاية من السل البشرى نجحت تجاربها فى حالات قليلة عرضت فيها القردة للعدوى فلم تصب بالمرض مما شجع الباحثين على الاستمرار فى تجاربهما

من الطباق الردىء

يتجه العلم الآن إلى الاستفادة من كل حاصلات الأرض على أحسن وجه . ويهتم بهذه الناحية علم جديد يطلقون عليه اسم هندسة الكيمياء . فالمواد التى نلقيها ، وخصوصاً النباتية من لحاء الأشجار وغيرها ، تحلل إلى عناصرها الأولية ، وتصنع منها مواد جديدة جيدة لفائدة الإنسان فى الناحيتين الصناعية والغذائية .

ويتنبأ علماء هذا العلم بأن أنواع الطباق الرديئة لن تستعمل لأغراض التدخين ، بل ينتظرها مستقبل أحسن وأخطر ، فيستخرجون منها الشمع والأصباغ وزيوتا لعمل الصابون ، ويستخرجون من البذور زيوت الطباق والنيكوتين ، أما الألياف فتصنع منها لوحات للحوائط

طماطم بدون بذور

توصل أحد الإخصائيين فى الزراعة من جامعة كاليفورنيا من استنبات طماطم بدون بذور داخلها . والمهم فى هذا الاستنبات أنه ينتظر أن يؤدى إلى نتائج كبيرة القيمة فى توليد نباتات أخرى تكون ذات قيمة أكبر ومحصول أوفر وأقل نفقة

ويقول مستنبت هذه الطماطم إنها كانت تمتاز عن مثيلاتها من ذوات البذور بقوتها وكبر حجمها وخصوصاً فى آخر فصل الحصاد

وفى سنة ١٩٤٣ تيسر الحصول على ثلاثة مستنبتات مختلفة من الطماطم الخالية من البذور ، والتى ينتظر عند ما تقدم للأسواق أن تكون غالية الثمن

فى ١٠ دقائق يجدد الإطار

من المشاكل التى يواجهها العالم فى الفترة الحالية الحاجة إلى إطارات المطاط للسيارات ، فإن نشوب الحرب فى الشرق الأقصى حرم العالم من الموارد الطبيعية لهذه المادة الضرورية لأدوات النقل حتى أسرعت الدول إلى صقل صناعة المطاط الصناعى . وكان إصلاح إطارات السيارات من المسائل المعقدة ، يحتاج ترميمها وإصلاحها إلى وقت طويل

ووصل أخيراً أحد مهندسى مصلحة الحرب البريطانية إلى استنباط وسيلة يتاح بها إصلاح الإطارات فى مدة ١٠ دقائق ، فتمتد حياتها إلى ١٠٠ر٠٠٠ ميل أخرى . وذلك باستعمال الأليكترونات الكهربائية فى ترقيع الأجزاء البالية من الإطارات فتعيدها جديدة إلى حالتها الأولى . وتضيف هذه الآلة المقدار اللازم من المطاط بطريقة آلية بصرف النظر عن كبر الجزء البالى أو صغره .

فوزى الشتوى



٢ - الجار البرىء

للأستاذ حبيب الزحلاوى

وكنت إلى الريف أبيع سلمى لا أنفق إلا نادراً فى شراء سيجارة أو كوبة شراب أو إرضاء رغبة متواضعة ، وإن هبطت المدينة فإنما أهبطها لأدفع ما علىّ من دين لعميلى أو أودع فى المصرف ما يتبقى معى من مال

أخذت أرقام رياللاتى تزداد أسبوعاً بعد أسبوع ، وشهراً بعد شهر ، فصرت أسخو بتحويل عشرات منها لوالدى ولأنيسة

لم يكن شىء فى الوجود يعادل فرحى حينما كنت أقرأ كتاباً وارداً من والدىّ يقول أبى فى ختامه ، « أما خادمتك أنيسة فتهديك السلام وتقبل يدك » .

كنت أغتفر لوالدى تمسكه بعادات أصيلة واعتبارات تقليدية فى كينونة المرأة ، وكنت أطلق أعنة خيالى تجول فى عوالم الرؤى أتصور نفسى ملقى عند أقدام « خادمتى » أنيسة أقبل يديها .

أجل ياصاحبى كنت أبعث بكتاب فيه تحويل مالى وألحف فى طلب وصل بالاستلام لأقرأ تحيات بريئة ساذجة ولازمة مستحبة لا يحيد والدى عن تسطيرها بالنص الواحد فى كل كتاب : « خادمتك أنيسة تهديك السلام وتقبل يدك » .

اتقدت نيران الحرب العالمية عام ١٩١٤ وامتدت ألسنتها المحرقة إلى جميع أرجاء العالم القديم ، أما العالم الجديد ، برغم اشتراكه فيها فى الساعة الأخيرة ، فقد راجت أسواقه التجارية وعم الرخاء كل الناس . كنت إن أعجب من شىء فعجبى من أخبار كانت تنشرها صحفنا العربية فى أميركا عن بؤس الناس فى لبنان وموت بعضهم جوعاً ، ولم يكن يخامرنى شك فى أن أنيسة المحبوبة ووالدىّ العزيزين أبعد من أن ينالهم ماينال الناس الذين تكلمت الصحف وأطالت فى وصف حالهم ! .

انقطعت أسباب الاتصال بينى وبين أهلى ، ولكنى كنت أغالط نفسى ، أتعمد المغالطة ، فأرسل الرسائل والتحاويل المالية كالعادة إليهم بدون انقطاع ، وأتهم إدارات البريد بالتقصير فى القيام بالواجب ، وكنت أطمئن إلى المغالطة المستحبة لتحيد بى عن مجابهة الحقيقة . وما كادت أجراس الهدنة تدق معلنة رجوع الإنسان إلى وعيه وانعتاقه من وحشيته التى لابسته طوال أربعة أعوام ، حتى عقدت العزم على العودة إلى الشرق . عند سفرى إلى أميركا كان الأمل يحدوني ، وقد افتر لى ثغره وابتسم ، فصار حين عودتى منها إلى وطنى يحدونى الشوق والفرح ، فهل ينضحانى يا ترى بأنداء السعادة ؟ كنت فى الذهاب أستحث الباخرة لتصل بى إلى ميدان الجهاد والعمل ، وقد توسلت إليها فى الإياب أن تسرع السير لأصل إلى مقام الحبيبة ، مقر الوالدين ، فهل يلازمنى الحظ فى هذه المرة أيضاً ؟ كان دنو الباخرة من الشرق ينسل خيوطاً من غشاوات غالطت نفسى فى تبين ما وراءها ، ويلقينى فى غبش صبح يتنفس الريب والشكوك ، وكثيراً ما كنت أستيقظ من أحلامى ، أنفض صور الذعر وأطرد الخيالات المرعبة ، ولكننى كنت أتجلد وأبتسم ! . كل شىء فى ميناء الوطن باق على ما كان عليه ، إلا مظاهر مجلوبة ، ورطانة مقتبسة ، يممت المدينة ، لم ألتفت إلى همة ناشطة فى حركة البناء والتعمير ، بل شقت سيارتى طريقها إلى الجبل . صدمتنى مشاهد بيوت خربة وقرى مهجورة ، أما قريتنا « كفر شيما » مسكن الحبيبة أنيسة فقد كانت مثالاً بارزاً للأطلال الدارسة . أين أبى وأمى ؟ أين أنيسة ؟ أسأل الجار ولا جار ، وسألت الناس وإذا بهم غير الناس . جبت الدساكر المتناثرة حول القرية . لجأت إلى دير « القرقفة » إلى القساوسة ، استعنت بالمجاز على التعرف على أهلى وأقربائى ففزت منهم بفيض من الأخبار المرتجلة والأكاذيب المفتعلة ، والحيرة الكبرى ! ؟ ذهبت إلى مدينة « زحلة » أسأل عن أمى وأبى فقيل لى : إنهما رحلا عن المدينة منذ سافرت ! قد يكون الموت اخترم والدى الشيخين ، ولكن أنيسة ، الريانة الشباب ، الغريضة الصبا ، هل يقوى الموت اللعين على أن يمدها يداً ؟ هذا محال

بل المحال هو هذا ! نهض من مكانه وأخذ يتمشى بخطوات واسعة ، ولما عاد إلى مجلسه كنت أتخيل أمارات الهلع ترتسم على محياه فتحل عقدة صبره ، وإذا بجبينه تعلوه مسحة من أمل . فقال بصوت حازم : لا يستنيم الأمل فى نفسى ولا يهجع . سأترصد الرجاء وأقاوم شبهات اليأس ، وأجد أنيسة . سأجدها لأنى أرى بصيصاً من روحها يشع فى أعماق نفسى ، وأصغى إلى هاتف روحها يدعونى ، إذن سأجدها . استمادتنى أشغالى المتمطلة إلى أميركا ... استغرقتنى الأعمال أو كادت تنحرف بى عن اتجاه بصيص أمل كنت أتطلع إليه . كان خيال « أنيسة » يلازمنى دائماً ، فى الفراغ وفى العمل ، ولم أكن أذكر والدى المسكينين إلا قليلاً ، أستنزل عليهما الرحمة أو أكاف قسيساً إقامة صلاة على روحيهما . لم يكن نداء أنيسة آتياً من وراء المجهول ، بل كنت أسمعها وأراها وأحس بها تتقلب على أذرع الوجود ! هل تزوجت ؟ أشقية هى ؟ ! وفي يوم من أيام ربيع عام ١٩٣٧ لج بى لاعج خفى فنازعتنى نفسى ودفعت بى - على رغم منى - إلى العودة إلى الوطن أعيد الكرة فى الاستقصاء والاستخبار . لم أمهل عقلى مهلة ليهديني إلى الممكنات ويريني المستحيلات ، بل لبيت الهاتف الخفى وعدت إلى لبنان . وفى صبيحة يوم بينما كنت أصعد الجبل إلى كروم العنب والتين ، إذا بى ألقى فتاة تحمل سلة على كتفيها مغطاة بورق الدوالى . نظرت إليها فإذا بها وضاحة المحيا ، ساجية الطرف ، مليحة المعارف . استوقفتها فأجفلت . لمحت فى عينيها نور نفس أنيسة . صرخت على رغم منى : أنيسة ، أنت أنيسة ؟ !

وقفت الفتاة مبهوتة تجيل نظرة حيرى من عينين عقيقيتين مغرورقتين بدموع رقيقة وقالت : لست أنيسة يا سيدى ، بل أنا يمنى ، اسمى يمنى .

يمنى ! يمنى من ؟ أين أمك ، من هو أبوك ؟

ألقيت أسئلتى بنبرات مريبة جافة كادت تربك الفتاة ، ولكنى استدركت الأمر بتهدئة اضطرابى فتعمدت الابتسام لأدخل الطمأنينة على نفسها ، فقلت هل لك أن تحدثينى عن والدتك وأين هى الآن ؟ قالت بصوت مختنق : تعيش أنت يا سيدى ! لقد ماتت أمى ومات أبى من زمن بعيد . قلت : أتذكرين صورة أمك وما وصفها ؟ قالت : مات والدى قبل اكتمال وعيي ، وكل ما أعرفه عن أمى أنها ماتت نفساء وأنها تدعى أنيسة الخشناوى ، أما أبى فأرمنى لا يحسن أحد نطق اسمه . واستطردت كأنها أحست تشوق إلى الاستطلاع فقالت : إن عائلة بطرس بك قد ضمتنى إليها ، وقد نشأت واستيقظت نفسي بين أولاده وخدامه .

كادت عبارتها فى وصف يقظة نفسها تشغلنى من غرضى وقد أحسست بعاملين قويين وثبا علىَّ وأغارا على مشاعرى : عامل الأمل ، وقد تحقق بلقيا هذه الفتاة التى لا شك أنها ابنة أنيسة ، وعامل نفسانى يماثل يقظة الحب التى استيقظت حين رأيت أمها إلى جانب والدتى ساعة الوداع فى الهجرة الأولى . رافقتها إلى بيت مخدومها ، وإذ كنا فى الطريق كنت ألمح فيها طمأنينة الطفل إلى جوار أمه ، وكانت ، الأفكار ، والصور ، والتخيلات ومرائى الماضى والحاضر والمستقبل تتعاقب على ذهنى فتزدحم فيه وتكتظ . طلبت من بطرس بك يد خادمته « يمنى » فلم يمانع فى الطلب بل علقه على رضا زوجته التى كان يعز عليها فقد خادمتها اليتيمة التى لا تليق بمقامى المرموق . لم أدع « يمنى » تشعر طوال أيام الخطوبة أنى كنت أعرف أمها ، وقد غام أو كادت تمحى من ذهنى صور الماضى التى تقممت وانبثقت متجسدة فى شخص « يمنى » . أخذت أوقظ نفسها وأشعرها ، رويداً رويداً ، بوجدانها الذاتى كإنسان له كامل الحق فى وجوده وحريته فى الحياة . كانت تصغى إلى أقوالى بوعي وتتلقفها بعينيها . صرنا نقرأ الكتب فاندمجت روحها بروحى ، وما عتمت أن تحولت من تلميذة مجيبة إلى فتاة تدرك وتدرى وتتذوق وتتمرد . كم تمنيت مطاولة الزمن لأيسر لها مجال الروح فى حلبة الحياة بدراية وفرح ، وكنت أنسى فوارق العمر وقد ناهزت الخمسين ، وهى تشرف على العشرين . لذلك أسرعت إلى عقد إكليلى وقد تطوع بطرس بك وزوجته أن يكونا « إشبينينا » فى الزواج ، وقد أصرت زوجة بطرس بك على إلباس عروسى « فروة » الشيخة إجلالا لفتاة يتيمة انتقلت إلى مصاف الطبقة العليا .

صمت محدثى قليلاً وقد علت وجهه سحابة غبراء ، ولكن ما لبث حتى أشرق جبينه وقال : جعلت أن أنا الرجل الكهل فاتحة غرام لزوجتى الصبية وقلت : أترى تكون بنيتى هذه خاتمة غرامى كما كانت مقدمة كتاب حياتى ؟ كان مجرد هذا الخاطر وقد داهم ذهنى ليلة الزفاف ، كافياً لأن يبعث فىّ حيوية بكراً ، ويدفعنى إلى أن آلى على نفسى وقف وجودى وما أملك على زوجتى ابنة حبيبتى . كم تمنيت فى ساعات الغبطة والهناءة التى كانت تفيضها زوجتى علىّ أن تطبق بأصابعها أجفانى فأنام أسعد نومة أبدية ، ولكن سرعان ما كنت أنتفض مذعوراً إذ أتخيل استجابة أمنيتى فأقبض بذراعى القويتين على جسم زوجتى البض اللدن أتشبث به كالطفل ، أتمتم بكلمات متقطعات أغمغمها بلا وعى استحياء منها ومن نفسى المتناعة . لا تعجب يا صاحبى إذا قلت لك إنى كنت أحيا بشخصيتين ، وأعيش بماضيين ، وقد كنت أقوى على صهر روحى فى بوتقة لا دخل فيها ولا زيف ، وعرفت السعادة معرفة حسية ، واستبدلت أنواعاً منها عامة شائعة بنوع لدنى روحى بحت . اذكر يا صاحبى فوارق العمر ، وتنوع الاختبارات ، ولا تنس فواصل العقل ونزعات المشاعر ، ولك أن تقدر بعد هذا أن اضطرابى وخلجات نفسى ووساوسى ليست سوى مجرد أوزان قلقة لرجل شارف الخمسين من عمره ليعيش فى جنون العشرين . ضحكت طويلا من الزمن وانتقمت كثيراً منه ! وسخرت من تقديرات أناس يعيشون فى الضباب ويقدرون علة فى زهرة لم تتفتح أوراقها فى الربيع ، حاسبين وجوب انطباق علم النبات على عالم الإنسان ، جاهلين النفس وعجائب الغريزة وأسرار الروح ، وقد تفتحت أكمام روحى فى غير فصل الربيع . سنحت التفاتة منى فلقيت رفاق الباخرة ، الأميركان الطلعة مشرئبين كأن أعناقهم تمتد إلينا لتسمع آذانهم حديثنا ، وكانت هذه الالتفاتة سبباً لانتشال محدثى من أعماق نفسه . أشعل لفافة وأخذ ينظر إلى حلقات دخانها تفنى فى الهواء . لم أكن أجرؤ على مطالبته بإتمام حديثه . أطفأ سيجارته ثم التفت ، فلمحت ابتسامة باكية ترتسم على فمه وقال : انقضى الصيف والخريف ، ثم الشتاء والربيع ، وأنا قابع فى دارى أرتع بنعم تفيضها علىّ زوجتى المحبوبة ، مشمولا بعناية خاصة منها ، وكانت كلما طمأنت نفسى بالغبطة تهيبها بغريزتها لغبطة جديدة ، وهكذا كنت أرى الأوضاع مقلوبة كأنى أنا وليست هى الطفل الخليق بالتدليل ! لم أكن زوجاً بل أباً ، ولم تكن لى سوى ابنة معبودة ، وكان هذا الإحساس المختلط يحفزنى إلى إشعارها بأنى زوج قبل كل شىء ، وكان الحياء يصدنى تارة ، وتارة أخرى يدفعنى إلى إثبات رجولتى ، وكان يجن جنونى كلما دهمنى إحساس تخاذل أو فتور ، إنما الشعور بالتخاذل فى مثل هذا الحال يخلق الحركة العنيفة دون وعى . أطلقت السيادة للجسد ، وجعلت العقل خادمه المهمل ، اسمع يا صاحبى لا شىء يجعلنا ننحرف عن سبيل هدى الطبيعة سوى عنعنات العقل ، أليس كذلك ؟ واستطرد . كدت أغرق عند شاطئ الغريزة غير حاسب أنها أوسع وعياً من إدراك الإنسان الحكيم ! أقول لك يا صاحبى إن الغريزة امرأة ، والمرأة إرادة ، والإرادة تحايل على البقاء والخلود ، ولكل هؤلاء غاية واحدة هى « حفظ النسل » وقد تجمعت هذه الإدعاءات وانسجمت متوحدة فى ذهنى حين همست زوجتى فى أذنى ، « إنا سنصبح أبوين » . سوف أصبح أباً ؟ يا لجنون السرور ، بل يا للسرور المجنون ! أحقاً يكون لى ولد له لطف الملائكة ولغتهم وصفاء السماء وتفتح الزهرة ؟ إذن سأسميه باسم المرحوم والدى ، سيبقى اسم عائلتنا بعدى إلى الأبد ، ولكن أترانى أعيش حتى أراه رجلا يستعجله الطمع فى الاستيلاء على أموالى ؟ سيان عندى ... سأعود إلى العمل ، وأضاعف ثروتى لا لتكون حجاباً بين ولدى والفاقة ، بل سلماً يتوقل عليه ليبلغ قمة المجد الزمنى . هـذا ما جال فى خاطرى ساعة وافتنى البشرى السعيدة . غدوت يا صاحبى فى فردوس من الغبطة والسعادة يرف على خمائلها خيالى الفياض ، وتبدع فى زخرفتها وتنميقها تصوراتى . لم أكن ذلك الراعى وقد صدمت هراوته جرة السمن فانطلقت أحلامه ، وتلاشت آماله وأمانيه ، بل كنت ذلك المحارب الهمجى الظافر لم يصده النهم عن الأسلاب والسبايا ولم ينتقص الحرص والحيلة من ادخاره استعداداً لحرب مقبلة . عادت إلىّ أطماعى طافرة وتنبهت هواجسى وظنونى ، خلت الأيدى التى تعمل فى إدارة أعمالى تنهب خيراتى ، وصور لى شيطان الحرص أن عمال الأمناء ائتمروا بولدى ليحرموه ما كسبته طوال أعوام الشباب بعرق الجبين وادخرتها له وحده !

(البقية فى العدد القادم)

حبيب الزحلاوى

13 me Année No. 606

Lundi - 12 - 2 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٦٠٦ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٩ صفر سنة ١٣٦٤ — الموافق ١٢ فبراير سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الفهـرس

الاتجاهات الحـديثة
في الأدب العربي
للأستاذ عباس محمود العقاد

شاعت في الأدب العربي اتجاهات حديثة منذ أوائل القرن الحاضر لم تكن شائعة في عصوره الماضية . ولكنها على هذا لم تزل على اتصال بمناصر الأدب العربي من أقدم عصوره

ومن شأن هذا الاتصال أن يحوط حركة التجديد بشيء من الأناة والتريث ، لأن الأدب العربي متصل باللغة كجميع الآداب في الأمم كافة ، ولكن اللغة عند العرب خاصة متصلة بكتاب الدين الإسلامي وهو القرآن الكريم ، ومن هنا كان الانقطاع بين الاتجاهات الحديثة والمناصر القديمة أصعب وأندر من المعهود في آداب الأمم الأخرى ، وأمكن أن تقاس درجة المحافظة ، أو درجة التجديد ، في كل قطر من الأقطار العربية بمقياس التراث الإسلامي فيه . فحيثما تمكن هذا التراث في جوار الأماكن المقدسة ، أو المساجد الكبرى، أو المعاهد العلمية العريقة، فهنالك تزداد الأناة في تلبية الاتجاه الحديث ، ويشتد الحرص على دوام الصلة بين القديم والجديد ، كما يشاهد في أطوار حركة التجديد بالحجاز والعراق والشام وفلسطين وبلاد المغرب ومصر ولبنان

وإلى جانب هذا العامل القوى من عوامل الأناة المقصودة ، يعرض للأدب العربي سببان آخران غير مقصودين ، يعوقانه عن الاسترسال مع كل حركة جديدة وكل اتجاه حديث . وهما

غلبة الأمية وقلة القارئين ، ونقص وسائل النشر لتوزع القراء بين الأقطار العربية وصعوبة توحيد النشر فيها

وقد يظهر اختلال وسائل النشر حتى فى القطر الواحد الخاضع لحكومة واحدة ، كما نرى فى الديار المصرية ، حيث أوشكت القاهرة أن تنفرد بوسائل النشر المنتظم وتعذَّر قيام المكتبات الناجحة فى غير العاصمة الكبرى

فالاتجاهات الحديثة فى الأدب العربى تخضع لهذه العوامل التى تحدها عن قصد وروية ، أو عن ضرورة لا قصد فيها ، وهى عوامل يندر أن تجتمع نظائرها فى أدب أمة واحدة ، ولهذا يلاحظ أن الاتجاه الحديث فى أدبنا العربى يجرى فى مجراه بداءة ثم لا يبلغ أقصى مداه الذى يتاح له أن يبلغه فى الأمم الأخرى ، ولا يخلو هذا الحد من بعض الخير ، حين يمنع الاندفاع والاعتساف فى اتباع الدعوات الطارئة ، ولكنه خليق أن يعالج فى جانب التعويق منه ، كما كان هذا التعويق عارضاً من عوارض النقص والاختلال

وعلى هذا كله قد اتجه الأدب العربى فى أوائل القرن العشرين وجهات محسوسة لم تكن شائعة فى عصوره الماضية بعيدها وقريبها ، سواء فى مبناه أو فى معناه ، أى سواء فى الألفاظ والعبارات ، أو فى المطالب والموضوعات

***

ففى اللفظ تتجه الكتابة العربية إلى التصحيح والتبسيط ، وتنجم فى العالم العربى من حين إلى حين دعوات جديدة إلى إعادة النظر فى قواعد اللغة ، لتيسير الكتابة بها وتعميم فهمها . وتصدر هذه الدعوات عن نيات مختلفة لغايات متباينة . ولكنها قد تنقسم فى جملتها إلى قسمين اثنين : أحدهما يراد به تغليب اللغة الفصحى ، والآخر يراد به تغليب اللغة – أو اللهجة – العامية وإحلالها محل الفصحى فى الكتابة والخطابة وأحاديث المعيشة اليومية .

وكل ما يبدو من مصير هذه الدعوات أن الأمر لا ينتهى بانفراد اللغة الفصحى ولا بانفراد اللغة العامية فى الكلام المكتوب . وإنما يدل الاتجاه الظاهر – إلى يومنا هذا – على إمكان العزل بين الموضوعات التى تستخدم فيها كلٌّ من اللغتين . فتستخدم العربية الفصحى فى الموضوعات العامة الباقية ، وتستخدم العربية العامية فى الموضوعات المحلية الموقوتة ، ومنها لغة الكثير من الروايات التمثيلية سواء فى المسرح أو فى الصور المتحركة ، وكأنهم يحسبونها بهذه المثابة من الكلام المسموع الذى نمر به فى المسرح كما نمر فى الأسواق والبيوت ، ولا يشعر من يسمعه بالانتقال من بيئة المعيشة اليومية إلى بيئة التعليم والثقافة ، وقد يساعد على الترخص فى لغة التمثيل أنها لا تكتب الآن ولا تؤلف للبقاء الطويل ، وإنما تؤلف لموسم بعد موسم ، وقلما تعاد بعد انقضاء مواسمها

أما موضوعات الكتابة العربية ، فأول ما يلاحظ فيها غلبة المنثور على المنظوم ، خلافاً لما كان معهوداً فى معظم العصور ، قبل بداية القرن العشرين .

ولا بد من انتظار الزمن قبل الحكم بدوام هذه الحالة أو زوالها وارتهانها ببعض الأسباب الموقوتة . ولكننا نستطيع أن نلمس منذ الساعة ، سببين بارزين يفسران لنا هذا الاتجاه الجديد فى تاريخ العصور الأدبية : أولهما أن الشعر كانت له فى العصور الماضية طائفة نافذة السلطان تشجعه وتتكفل بقائليه ، وهى طائفة الممدوحين من العظماء والسراة وأصحاب المصالح السياسية ، ولا سيما فى الزمن الذى كان النظم مفضلا فيه على النثر فى الدعوات السياسية لسهولة حفظه على الأميين وغير الأميين . وثانيهما أن الشعر قد شورك مشاركة قوية فى بواعثه ودواعيه عند جمهرة القراء من غير طبقة السادة والعظماء . فإن جمهرة القراء يجدون اليوم منافذ كثيرة للتعبير عن العاطفة والترويح عنها فى الروايات الممثلة والروايات المقروءة وما يذاع من الأغانى أو يحفظ فى قوالب الحاكى ويردد فى المحافل العامة ، فضلا عن الصحف والمجلات وسائر النشرات . وكل أولئك كان ميداناً وحيداً للشعر أو كان ميداناً للشعراء يوشك أن ينفردوا فيه .

ويلاحظ بعد هذه الملاحظة العابرة عن الشعر والنثر ، أن نصيب القصة فى الكتابة المنثورة آخذٌ فى الازدياد والانتشار ، وأن فن القصة العربية قد تقدم فى الربع الثانى من القرن العشرين تقدماً لم يعرف له مثيل فى ربعه الأول ولا فى القرن الماضى الذى ازدهر فيه فن القصة بين الآداب العالمية . وفى بعض القصص التى تؤلف فى هذه الفترة نزوعٌ إلى ما يسمى بالأدب المكشوف ترتضيه طائفة من قراء الجنسين ، ولا يقابل بالرضى عنه من جمهرة القراء

ثم يلاحظ مع هذا أن الترجمة تنقص فى هذا الربع الثانى وأن التأليف يزداد ويتمكن فى كثير من الأغراض .

ولعل مرجع هذا إلى نمو الثقة بالنفس فى الأمم العربية ، وإلى ظهور طائفة من الكتاب يستطيعون الكتابة فى موضوعات مختلفة ، كانت وقفاً على الترجمة قبل ثلاثين أو أربعين سنة .

وهنا أيضاً يحسن بنا أن ننتظر أطوار الزمن قبل الحكم بدوام هذه الحالة أو زوالها وارتهانها ببعض الأسباب الموقوتة

لأن نشاط التأليف فى السنوات الأخيرة قد يرجع إلى عوارض مستحدثة فى الحرب العالمية الحاضرة ، ومنها قلة الوارد من الكتب والمطبوعات الأجنبية ، واتساع الوقت للقراءة واللُّبث بالمنازل فى الليالى التى قيدت بها الإضاءة ومواعيد السهر فى الأندية العامة ، ومنها ضمور حجم الصحف والمجلات وفرض الرقابة على المنازعات السياسية التى تشغل طائفة كبيرة من القراء ، ومنها حالة الرواج التى يسرت أثمان الكتب لمن لم تكن ميسرة لهم قبل سنوات .

فإذا استقرت هذه الأسباب جميعها فى قرارها بعد تبدل الحال وضحت الحقيقة فى حركة التأليف ووضحت كذلك فى حركة الترجمة ، لأن الترجمة قد تعود إلى رجحانها بعد تدفق المؤلفات الأجنبية التى تعالج مشكلات العالم فى منابتها الأولى ، وقد يكون تدفق هذه المؤلفات موجباً للكتابة فى موضوعاتها والتعقيب عليها دون ترجمتها

أما أغراض الأدباء من موضوعاتهم وكتاباتهم ، فالربع الثانى من القرن العشرين حقيق أن يشهد فيها انشعاباً لم يسبق إليه قط بين المدرستين الخالدتين على مدى الزمان ، ونعنى بهما مدرسة الفن للفن ، ومدرسة الفن لخدمة المصالح الاجتماعية أو المصالح السياسية

فمنذ وُجد الأدب وجد الأدباء الذين يكتفون بالتعبير لجماله وإعرابه عن سرائر النفس الإنسانية ، ووجد الأدباء الذين يعبرون ليرجّحوا دعوة على دعوة ، أو يقنعوا الناس بمذهب من مذاهب الإصلاح ويحركوهم إلى عمل مقصود .

ولكن الآونة التى نحن فيها تجنح بالناس إلى التفرقة الحاسمة بين المدرستين الخالدتين ، لأنها ليست تفرقة بين رهطين من الأدباء وكفى ، ولكنها تفرقة بين نظم حكومية وطبقات اجتماعية ودعوات فلسفية لا تزال عرضة للمناقشة فى صدد المعيشة اليومية وصدد التفكير والدراسة . إذ كان من قواعد الاشتراكية المتطرفة أن الطبقة الاجتماعية الغالبة على الحكم فى حل من تسخير الآداب والفنون والعقائد لخدمة مصالحها وتمثيل عاداتها وآمالها . فإذا أضيف القائلون بهذا الرأى لأنهم يدينون بالاشتراكية إلى القائلين به لأنهم ينكرون مذهب الفن للفن عامة ، فقد أصبحت الآونة الحاضرة فى الحقيقة آونة النظر فى المدرستين الخالدتين على وجه من الوجوه .

وقد ظهر فى اللغة العربية بعض القصص ، والدراسات التى تتناول المسائل الاجتماعية ، وتصور الغنى والفقير ، والرجل والمرأة فى صورة تستحث النفوس إلى طلب الاصلاح والتغيير . ولا تزال تظهر فيها قصص ودراسات تصور الحالة فى صورتها الفنية وتترك العمل المترتب على ظهورها فى هذه الصورة لشعور القراء .

ولكننا نعتقد أن مصير الخلاف بين المدرستين ، كمصير الخلاف بين دعاة الفصحى ودعاة العامية ، فلا تنفرد مدرسة الفن للفن بالميدان ، ولا تنفرد به مدرسة الفن لخدمة المقاصد الاجتماعية ، لأن أنماط الكتابة والتفكير لا تفرض بالإملاء والإيحاء ، وإنما تفرضها على الأديب سليقته ومزاجه . فمن غلبت فيه سليقة المصلح على سليقة الفنان ظهرت الدعوة فى كتابته عامداً أو غير عامد ، ومن غلبت فيه سليقة الفنان على سليقة المصلح لم يفده إكراهه على الدعوة ، إلا أن يقتسر طبعه على غير ما يحسنه ويجيد فيه ، ولن تخلو الدنيا من أصحاب السليقتين .

وقد أسلفنا فى صدر هذه الكلمة أن درجة المحافظة — فى كل قطر من الأقطار العربية إنما تقاس بمقياس التراث الإسلامى فيه ؛ فحيثما تمكن هذا التراث فى جوار الأماكن المقدسة أو المساجد الكبرى أو المعاهد العلمية العريقة فهناك تزداد الأناة فى تلبية الاتجاه الحديث .

ولا تصدق هذه الملاحظة على شىء صدقها على الدعوات الاجتماعية التى تمس قواعد الدين . فأن درجة النفور منها تكاد تتمشى فى الترتيب بين الأقطار الإسلامية على حسب المعاهد العريقة التى فيها وحسب منزلتها فى القداسة والرعاية الدينية ، وذلك هو شأن الأقطار العربية فى كل تجديد له علاقة بالعقيدة الإسلامية من قريب أو بعيد .

وإذا أردنا أن نوجز القول فى وصف الاتجاهات الحديثة لجملة القول فى وصفها ، بعد هذه اللمحات عن مبناها ومعناها ، أننا نعبر الآن فترة البداية فى الاستقلال والثقة بالنفس ، وأن هذا الاستقلال يتجلى حيناً فى التحرر من القديم ويتجلى حيناً آخر فى التحرر من الجديد .

فقد مضى زمان كان يكفى فيه أن يكون الشىء قديماً ليحكى بلا تصرف ولا مراجعة ، ومضى بعده زمن كان يكفى فيه أن يكون الشىء أوربيا أو حديثاً ليحكى بلا تصرف ولا مراجعة ، فهذا الربع الثانى من القرن العشرين قد عرف أناساً يأبون التقيد بكل قديم لأنه قديم ، كما يأبون التقيد بكل جديد لأنه جديد . ومن الناس اليوم من يوصف بالابتكار والجرأة لأنه يستمسك بقديم كان الاستمساك به وقفاً على الجامدين ، ومنهم من يوصف بالجمود والمحاكاة لأنه يعجل إلى الجديد الذى يستحب على سنة التقليد . ولعل الحقيقة المقبلة هى التى يكتب لها أن تثبت قدم الاستقلال وتطلق الآراء من حجر القديم والجديد على السواء .

عباس محمود العقاد

أبو العــــلاء المعرى

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ٣ —

القائلون والمتشائمون

لما شاء الله أن يثب قبيل من نامية الله[1] تلك الوثبة، أن يطفر تلك الطفرة، وليست الطفرة على ذى القدرة والحول بمحال، واعتدلت القامات و [لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم] وتحركت الألسنة بعد حين من الدهر طويل بتلك اللهجات البينات، وكرّم الله أناسيّ كثيراً على سائر المخلوقات بالذى دعته اللغات (العقل) وهو نعمة الله الكبرى، وفضيلة الإنسان على غيره العظمى

[ولقد كرّمنا بنى آدم، وحملناهم فى البر والبحر، ورزقناهم من الطيبات، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا]

« اللباب أهلُ الألباب، ولكن حيوان حس[2]

ولكن الله فضل الناطقين[3] »

لما كان الذى سمته الإفرنجية Evolution وصرنا إلى أفق الإنسانية الذى ذكره ابن خلدون ووضحه وفصّله النشوئيون تفصيلاً [وقد خلقكم أطواراً] ونجم فى الأدمغة ذلك (الفكر) المضىء، وهو خير ما فى الدنيا، بل هو كل ما فى الدنيا — كما يقول العلامة بوانكريه — ومحلُّ العقل (الدماغ) كما ذهب إلى ذلك أبو حنيفة وأرنست هيكل لا القلب — كما يقول الشافعى — واستنبط الحجى معانى للأشياء كانت خافية قبل ذلك (لارتقاء)، وهشت النفوس وبشت بما ترى العيون، وأقبل (الإدراك) وأتى (الفهم) فادرِك المحسوس[1] أو المحس، وفُهم المنظور، والحس البحث والنظر الصرف كما يشعر غير الناطق ويلمح من دون فكر وفهامة هما كلا شىء، كونهما مثل العدم، إن الهناءة والسعادة فى البصيرة لا البصر،

لما ارتقينا وعقلنا وعلمنا وبنينا وحفرنا وغرسنا وتلونا:

[هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها]

[هو الذي خلق لكم ما فى الأرض جميعا]

وقال الشيخ فى (الفصول والغايات) :

« إن شاء الملك قرّب النازح وطواه حتى يطوف الرجل فى الليلة الدانية بياض الشفق من حمرة الفجر، طوفه بالكعبة حول قاف[2] ثم يؤوب إلى فراشه والليلة ما همت بالأسحار، ويسلم بمكة فيسمعه أخوه بالشام، ويأخذ الجمرة من تهامة[3] فيوقد بها ناره فى يَبرين[4] وقاصية الرمال[5] » فحققنا قوله، وطار فى الجو أو فى السُّمَّهى[6] مثل الطيور الطائرون، وسمعنا فى دمشق سرار القوم بله الطنطنة[7] فى برلين وفى لندن وفى باريس وواشنطن، وبله الغطمطة[8] فى ميادين القتال. وأورى (مركونى) ما أورى وهو فى سفينته فى بحر الروم فأضاءت (سدنى) فى أقصى الأرض [ويخلق ما لا تعلمون]،

لما قطعنا ما قطعنا، وبلغنا ما بلغنا، ومشينا اليَقْدُمِيَّة[9]، وحمدنا وشكرنا و « الحمد لله رب العالمين » طلعت علينا أجواق تذم الوجود، وتهجو الحياة، وتُطرى العدم، وتلعن الدنيا،

---

(١) نامية الله : خلقه لأنهم ينمون .

(٢) فى (الامتاع والمؤانسة) لأبى حيان التوحيدى : فأما أنفس أصناف الحيوان كالفرس والحمار فإنها أنفس ناقصة غير كاملة، وهى ضعيفة لأنها لم تجد إلا الاحساس والحركات، ولم يشع فيها نور النفس الشريفة، ولم ينبث فيها شعاع العقل الكريم، فوجب من هذا الوجه أن تكون تابعة لأبدانها جارية على فسادها وبطلانها، لأن الحكمة انتهت إلى ذلك الحد وكونها حشواً لهذا العالم وزينة ومنافع ومبالغ إلى غايات وأعراض .

(٣) أبو العلاء فى (الفصول والغايات)

(١) ورد (المحسوس) فى الفصول والغايات ص ٣٢٣ وفى مقدمة المخصص ج١ ص ٢، ١٠ ونقد الجواليقى المحسوسات فى (تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة)، فقال ابن برى : كثيراً ما يستعمل هذه اللفظة أبو على الفارسى وأبو عمران الصقلى على جلالتهما فى العلم فيقولون كل محسوس معلوم وليس كل معلوم محسوسا

(٢) قاف : جبل محيط بالأرض . . وقاف فى سلع الذى هو جبل فى المدينة : يثرب . والمقصود فى كلام الشيخ هو الأول .

(٣) تهامة : مكة، وبلاد شمالى الحجاز .

(٤) يبرين : من أصقاع البحرين، ويبرين قرية من قرى حلب .

(٥) رويت هذه الشذرة فى إحدى مقالاتى فى (الرسالة) ٢٥٠ ص ٦ فى ١٧ صفر ١٣٥٧، وعنوان المقالة (المخترعات وكتاب الفصول والغايات) .

(٦) السمهى : الهواء، الجو .

(٧) الطنطنة : كثرة الكلام والتصويت به .

(٨) الغطمطة : تتابع الأصوات فى الحرب وغيرها .

(٩) اليقدمية : التقدم بهمة والأفعال .

وفى (الفائق) فى حديث ابن عباس : أن ابن أبى العاصى مشى اليقدمية . وأن ابن الزبير مشى القهقرى . أى المشية اليقدمية التى يقدم بها الناس أى يتقدمهم وروى بالباء غلطا .

وتكنيها بأم دَفر وأم دَرّن ، وتصفها بأنها دار قُلْعة[١] ، منزل قُلَعة[٢] ، وتسمى خيراتها حطاما . وجاء فوج أنكر كونها ، ولم يجد لها مثلاً ؛ « قيل لبعضهم : كيف ترى الدنيا ؟ قال : وما الدنيا ؟ لا أعرف لها وجوداً » « وقيل لآخر : ما مثل الدنيا ؟ قال : هي أقل من أن يكون لها مثل » وتمادى محمد بن واسع في استحقارها بل جاز المدى « قيل له : فلان زاهد ، قال : وما قدر الدنيا حتى يحمد من زهد فيها ؟ » وأقبل الحجاج بن يوسف متقرئاً متحنثاً[٣] فقال في إحدى الخطب : « والله ما أحب أن ما مضى من الدنيا بعمامتي هذه ؛ ولما بقي منها أشبه بما مضى من الماء بالماء » وتالله لو لا أن هذا الكهاكه - وكان الحجاج قصيراً أصغر كهاكها[٤] - أيدى إلى العربية تلك اليد ، وتقرب إلى (الكتاب) ذلك التقرب الكريم المشهر ، وولع بالقرآن ولعاً كبيراً حتى قال عمر بن عبد العزيز : « ما حسدت الحجاج على شيء حسدي إياه على حبه القرآن وإعطائه أهله » لو لا كل ذلك لسخطنا وأطلنا القول فيه وبدا (الوليد) متحذلقاً متفلسفاً في هذه المقطوعة التي أخرجته من بغداد :

أخيَّ ، متى خاصمت نفسك فاحتشد ... لها ، ومتى حدثت بنفسك فاصدق

أرى علل الأشياء شتى ولا أرى التجمع (م) ... إلا علة للتفرق

أرى الدهر غولاً للنفوس وإنما ... يقي الله في بعض المواطن من يقي

فلا تتبع الماضي سؤالك لم مضى؟ ... وعرج على الباقي وسائله لم يبقى؟

ولم أر كالدنيا حليلة صاحب ... محب متى تحسن بعينيه تطلق

تراها عيانا (وهي صنعة واحد) ... فتحسبها صنعَى لطيف وأخرق[٥]

ومن قوله يذم جميع الناس :

(١) قلعة : اقتلاع ، تحول وارتحال .

(٢) منزل قلعة : المنزل الذي لا تملكه ، والقلعة من المال ما لا يدوم

(٣) « المتقرىء » المتنسك « المتحنث » المتعبد .

(٤) « الكهاكه » هو الذي إذ نظرت اليه كأنه يضحك وليس بضاحك من الكهكهة (الفائق) .

(٥) في « أمالي المرتضى » : قيل : ان السبب في خروج البحترى من بغداد هذه الأبيات ، فان بعض أعدائه شنع عليه بأنه ثنوي حيث قال « صنعى لطيف واخرق » وكانت العامة حينئذ غالبة على البلدة ، فخاف على نفسه ، وقال لابنه أبي الغوث : قم يا بني حتى نطفىء هذه النائرة بخرجة نلم بها شعثنا ونعود ، فخرج ولم يعد .

إن الزمان زمان سوء ... وجميع هذا الناس بو[١]

وأطال علينا أحمد بن الحسين الكندي بجهوره اهذا الكلام[٢] :

إذا كان الشباب السكر والشيب هما ... فالحياة هي الحلم

هل الولد المحبوب إلا تعلة ... وهل خلوة الحسناء إلا أذى البعل

وما تسع الأزمان علمي بأمرها ... وما تحسن الأيام تكتب ما أملي

وما الدهر أهل أن تؤمل عنده ... حياة وأن يشتاق فيه إلى النسل

يقول ابن الأثير في كتابه (الوشي المرقوم في حل المنظوم) : « كنت سافرت إلى مصر سنة (٥٦٦) ورأيت الناس مكبين على شعر أبي الطيب المتنبي دون غيره ، فسألت جماعة من أدبائها عن سبب ذلك ، فلم يذكروا لي في هذا شيئاً ، ثم إني فاوضت عبد الرحمن بن علي البيساني (القاضي الفاضل) في هذا فقال لي : (إن أبا الطيب ينطق عن خواطر الناس) ولقد صدق فيما قال » فهل نطق المتنبي بتلكم الأبيات عن خواطر الأناسين ، أم لفابها عن سوانح الشياطين ، إنهم الشعراء يفتلتون[٣] « ألم تر أنهم في كل واد يهيمون » و « الشعر للخَلد[٤] مثل الصورة لليد ، يمثل الصانع ما لا حقيقة له ، ويقول الخاطر ما لو طولب به لأنكره[٥] » . « وإذا رجع إلى الحقائق فنطق اللسان ، لا ينبئ عن اعتقاد الانسان[٦] »

ودهمنا ابن الشبل البغدادي هتاتاً[٧] جدّافاً[٨] يردد هذا الشعر[٩] :

صحة المرء للسقام طريق ... وطريق الفناء هذا البقاء

(١) أصل البو - كما في اللسان - جلد الحوار يحش تبنا أو ثماما أو حشيشا لتعطف عليه الناقة اذا مات ولدها ثم يقرب إلى أم الفصيل لترأمه فتدر عليه . والعرب لم تشتق فعلا من البو وقد وضع الشيخ ابرهيم اليازجي للفظة الافرنجية empailler « بوى » وهي لفظة صالحة .

(٢) جهور الكلام : فخمه .

(٣) الفلتة الكلام يقع من غير إحكام . وقد افتلته وفي الأساس : افتلت الكلام : ارتجل ، وكل شيء فعلته فلتة فقد افتلت .

(٤) « الخلد » القلب ، النفس .

(٥) أبو العلاء في مقدمة « سقط الزند » .

(٦) أبو العلاء في « رسالة الغفران » في أثناء حديث عن المتنبي .

(٧) « هتات » مهذار كثير الكلام .

(٨) جدف بنعمة الله : كفرها واستقلها . وفي حديث : لا تجدفوا بنعم الله .

(٩) ذكره ابن أبي أصيبعة في كتابه « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » وياقوت في « إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب » وقالا ان وفاته كانت سنة ٤٧٤ ولم يبينا وقت مولده ، وأطرياه كثيراً ، وأوردا قصيدتيه الرائية والهمزية وطائفة من شعره .

بالذى نفتدى عوت ونحيا   أقتل الداء للنفوس الدواء
قبح الله لذة لأذانا   نالها الأمهات والآباء
نحن لولا الوجود لم نألم الفقد (م) فإيجادنا علينا بلاء
ليت شعرى وللبلى كل ذا الخلق (م) بماذا تميز الأنبياء
موت ذا العالم المفضل بالنطق (م) وذا السارح البهيم سواء
لا غوىٌّ لفقده تبسم الأرض (م) ولا للتقىّ تبكى السماء
إنما الناس قادم إثر ماض   بدء قوم للآخرين انتهاء

بربك أيها الفلك المدار   أقصد ذا المسير أم اضطرار؟
مدارك قل لنا فى أى شىء   ففى أفهامنا منك انبهار
وعندك ترفع الأرواح أم هل   مع الأجساد يدركها البوار
ودنيا كلما وضعت جنيناً   غذاه من نوائبها ظؤار
هى العجماء ما جرحت جبار   هى المشواء ما خبطت هشيم
نعاقب فى الظهور وما ولدنا   ويذبح فى حشا الأم الحوار
وننتظر الرزايا والبلايا   وبعد فبالوعيد لنا انتظار
ونخرج كارهين كما دخلنا   خروج الضب أحرجه الوجار
فماذا الامتنان على وجود   لغير الموجدين به الخيار؟
وكانت أنعماً لو أن كونا   نخيّر قبله أو نستشار

لقد استأسد ابن الشبل على الحق، وبالغ فى المفلطة والعلطة[1]، ولقد عجبنا إذ سمعنا المقترح، وأطلنا الكركرة والقهقهة. إنّ على مبدعنا أن يستشير تلكم الذريرات (أعنى الأناسية) فى الكون أو فى العدم، ويقول لها: «انت على التخير» أنت بالمختار، أنت بالخيار. ولها أن تنعم أو تلالى[2]

«وربك يخلق ما يشاء ويختار، ما كان لهم الخيرة، سبحان الله وتعالى عما يشركون»

ذرية الأنس لا تزهوا فإنكم[3]   ذرّاً تعدون أو نملا تضاهونا

إنّ الأناسىّ لم يتمثلوا بشراً أو أبشاراً أسوياء إلا من بعد آلاف من الحقب ومن بعد أطوار مختلفات كثيرات لا يعلم عددها إلا الله. ومثل ابن الشبل إنما نشأ ذريرة لا تكاد ترى بالمجهر protiste «ثم أنشأناه خلقاً آخر» درّجته سنة الله إلى حيث انتهى أو ارتقى. وكان لا يحس فى وقت ولا يسمع وما عقل – إن عقل – إلا بالأمس، ففى أى طور وفى أى حين يخيّر أو يستشار؟

(١) المفلطة: تخليط الخبر «المسعدة» الكلام على غير نظام.
(٢) تلالى: تقول: لا. فى «الخصائص»: إن كثيراً من الأفعال مشتق من الحروف نحو قولهم: سألتك حاجة فلو ليت لى أى قلت لى: لولا وسألتك حاجة فلا ليت لى أى قلت لى: لا. واشتقوا أيضا اسم المصدر، وهو اسم من الحرف فقالوا اللالاة والبولاة   (٣) أبو العلاء

«إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى» أو رآه قد احتسى من بحر علم الله حسوة!

***

إنّ قوماً لم يريدوا أن يكونوا، وما أحبوا أن يكون غيرهم، فذموا الدنيا ذاك الذم، وصبغوها للناظرين بأردأ صبغ، بأبشع صبغ: «غرارة ضرارة، حائلة زائلة، نافدة بائدة، أكالة غوالة[1]» كما يقول قطرى، إن كان قال هذا. وهجوا قطين الأرض، أهل الدنيا شر هجاء:

خذ جملة البلوى ودع تفصيلها   ما فى البرية كلها إنسان[2]

أتمنى على الزمان محالاً   أن ترى مقلتاى طلعة حر[3]

زمان يمر، وعيش يمر   ودهر يكر بما لا يسر
وحال يذوب، وهم ينوب   ودنيا تناديك أن ليس حر[4]

وإذا سمعوا المتفائلين الخلص يقولون: (ليس فى الإمكان أبدع مما كان) تحدوهم صائحين: (ليس فى الإمكان أقبح مما كان) وما النجاة عندهم لمرتجى خلاصه مما يقاسى ويرى إلا فى الانتحار

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً   وحسب المنايا إن يكن أمانيا

ولهم فى قتل الناس نفوسهم وتزيينه أقاويل، شرحها طويل. وهؤلاء القوم الذين سماهم المصطلح العربى بالمتشائمين واسمهم بالفرنجى (Pessimistes)[5] بسيمست. إما أن يكونوا إلهيين، وإما أن يكونوا دهريين.

«وقالوا: ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا، وما يهلكنا إلا الدهر، وما لهم بذلك من علم، إن هم إلا يظنون»

ودان أناس بالجزاء وكونه   وقال رجال: إنما أنتم بقل[6]

ضل الذى قال: البلاد قديمة   بالطبع كانت والأنام كنبتها
وأمامنا يوم تقوم هجوده   من بعد إبلاء العظام ورفتها[7]

(١) من خطبة أوردها الجاحظ فى «البيان والتبيين» وابن عبد ربه فى «العقد» وروى قسما منها ابن قتيبة فى «عيون الأخبار» وعزاها هؤلاء إلى قطرى بن الفجاءة. ورواها الرضى فى مجموعة «النهج» وقال شارحه ابن أبى الحديد: «قد رأيتها فى كتاب «الموفق» لأبى عبيد الله المرزبانى مروية لأمير المؤمنين (عليه السلام) وليس يبعد عندى أن يكون قطرى قد خطب بها بعد أن أخذها عن بعض أصحاب أمير المؤمنين فإن الخوارج كانوا أصحابه وأنصاره وقد لقى قطرى أكثرهم» قلت: صائغها عندى مجهول.   (٢) ابن المبارك.
(٣) البديهى من شعراء اليتيمة.   (٤) ابن مقلة.
(٥) صاحب هذه المقالة هو شوبنهور Schopenhaur وصاحب مقالة التفاؤل Optimisme هو ليبنز Leibnez والرجلان جرمانيان، ومقالتاهما متعاندتان. فى المخصص لابن سيده: «تعاندت الآراء إذا لم تتفق، وهو خلاف تعاضدت، وأحسبها لفظة فلسفية».   (٦-٧) أبو العلاء

فإن كانوا من الاولين فهل يحق إلا الإيقان كل الإيقان بأن ليس ثمة إلا الحكمة التامة والإتقان

« ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت »

« صنع الله الذى أتقن كل شىء »

« الذى أحسن كل شىء خلقه »

« صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ؟ »

والله أعلم من كل عليم وأحكم من كل حكيم

« أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً » ؟

وخلقُك من ربنا حكمة لقد جلَّ عن لعب أو عبث [(١)]

وإن كانت برهمية وبوذية تريان الكون شراً ، فليست البرهمية والبوذية على شىء ، ولا يُحتسب بمثلهما [(٢)] . وإن عدها (أرثر شوبنهور) أكمل الأديان طراً من أجل هذا المعتقد

نعم « ما الدنيا إلا عمرى [(٣)] ولا خلود إلا فى الأخرى [(٤)] » و« والدنيا قنطرة [(٥)] » قنطرة الآخرة ؛ لكن هل علينا أن نقعد فى القنطرة نشهق ونزعق ، ونخمش الوجوه ، ونلطم الخدود ، ونلدم الصدور حتى يجىء الأجل ، حتى يجىء وقت النقلة ، و (الكتاب) يقول :

« ولا تنس نصيبك من الدنيا »

ونطق (الكتاب) فصل الخطاب

وإن كان القوم المتشائمون من الآخرين فسوف يُسألون : هل علمتم كيف كنتم ؟ هل علمتم كيف كانت داركم ؟ إنها كانت داراً تستعر استعاراً ، ولم تزل بقايا خبايا فى الزوايا تضطرم . فاقرءوا تاريخها ، واقرءوا تاريخكم ، وفتشوا صحائف الأنساب

« هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً »

وانظروا كيف عادت [(٦)] (محْلة) [(٧)] كيف عادت هذه (الغبراء) ، وانظروا كيف عدتم بشراً ، وكيف سدتم أقربين وأبعدين . وإن تأخرمن عترتكم متأخرون إذ تقدم متقدمون ، فتعلموا أن السابقين والمتوقفين المتمكثين لم يبرحوا فى البدء ، لم يبرحوا فى أول الطريق ، لم يبرحوا فى الطور الشنبزى كما قال توماس أدسن :

تشبه بعض ببعض فما تزال الشمائل قرديه [(١)]

فأجدر بالدهريين الذين ينشدون :

اجتنب ما سخرت جهـ لاً له هذى الخليقه

رغبوا فى باطل زور زهد فى الحقيقه

ليس إلا ما تراه أنا أدرى بالطريقه [(٢)]

خذ من الدنيا بحظ قبل أن ترحل عنها

فهى دار لا ترى من بعدها أحسن منها [(٣)]

فلا يرون أن هناك دارين ، وأن هناك معنيين : معنى هذى ، ومعنى تلك ، بل يقولون : كل شىء معناه ومنتهاه فيه ـ أجدر بهؤلاء ألا يكونوا من المتشائمين فى حين . ومقالهم هذا المقال .

* * *

إن الفتى بكونه سعيد ، بكونه حسب ، قد سعد بما وجد ـ كما يقول الإنكليز ـ فذروا التشاؤم فى الحياة يا أيها الناس ، وابهجوا أنفسكم ، واجتذلوا لعلكم لا تحزنون . كونوا من المتفائلين ، من أهل الفؤول [(٤)] ، ولا تشاءموا ولا تطيروا وتمثلوا بهذا البيت وقد تمثل به رسول الله كما ذكر الشيخ فى رسالة الغفران :

تفاءل بما تهوى يكن فلقلما يقال لشىء كان إلا تحققاً

وكان (صلى الله عليه وسلم) كما روت أحاديث ـ يتفاءل ولا يتطير

وكونوا إيثاريين أثريين فى هذا الوجود كيما تقوا أنفسكم ، وكى تصونوا جنسكم ، وتسمدوا وترتقوا . إن الأثرية والإيثارية هما الفضيلتان المعظميان متحدتين لا مفترقتين ، وأولى لأثرى كفر بالإيثارية ثم أولى ! وأولى لإيثارى لم يؤمن بالأثرية ثم أولى . إن الأول شرير شيطان من الشريرين ، وإن الثانى ـ إما كان ـ لذوجِنة فى المجانين

واستمعوا ما يقول شيخنا أبو العلاء ، فقد أعلنت أقواله الحقيقة وهدت إلى الطريقة ، وعززت شريعة المتفائلين . وفندت مذهب المتشائمين ، وبينت للناس كيف يحيون ، وكيف يقوون ، وكيف يسيرون فى هذا الوجود .

---

(١) أبو العلاء . (٢) لا يحتسب به : لا يعتد به .

(٣) العمرى ما تجعله للرجل طول عمرك أو عمره . قال ثعلب : أن يدفع الرجل إلى أخيه داراً فيقول : هذه لك عمرك أو عمرى ، أينا مات دفعت الدار إلى أهله ، وكذلك كان فعلهم فى الجاهلية « اللسان » .

(٤) الزمخشري . (٥) من أمثالهم .

(٦) العود بمعنى الصيرورة ، وهو كثير فى كلام العرب كثرة فاشية لاتكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد ، ماعدت أراه ، عاد لايكلمنى ، ما عاد لفلان مال « الكشاف » .

(٧) محْلة : الأرض ، وكملة السماء .

---

(١) أبو العلاء .

(٢) لأبى محمد عبد المولى رواها صاحب « نفح الطيب » .

(٣) رواها « النفح » ولم يسم قائلها : وذكر قولاً لأبى عمران موسى بن سعيد فيها بعدما قال : وهذا كفر صراح ، وقائله قد تقدس كفراً ، اللهم غفراً ! (٤) الفؤول : جمع الفأل .

علل المجتمع المصري

للدكتور محمد صبري

أحمد بن طولون – أو سمه ما شئت – باشا بن باشا، له جاه ومال، درس القانون وحاز الليسانس ثم وثب في المناصب وأصبح رئيس مجلس شيوخ ثم عضواً فيه، فاذا كتبت إليه خطابا وقلت «حضرة صاحب السعادة احمد باشا بن طولون عضو مجلس الشيوخ» ثارت ثائرته وصخب بل زأر وزبر وقال «أنا رئيس مجلس شيوخ سابق ووزير سابق فيجب أن تذكر ألقابي»... حتى في العنوان الذي لا يقرؤه إلا ساعي البريد وغيره من «سعاة»

وقد بلغ بنا التعلق بالألقاب الجوفاء أن المجمع اللغوي وهو هيئة محترمة اشتهرت بالدقة في التعبير قد رشحت أخيراً لرئاستها رسمياً سعادة «الدكتور» احمد لطفي السيد باشا، ولطفي باشا ليس دكتوراً، ولكنه أستاذ الأساتذة ومربي قادة الفكر الحديث، وكان يمضي مقالاته في الجريدة «احمد لطفي السيد» وهذا الاسم في غنى عن كل لقب وتعريف. وقد يجهل الكثيرون أن احمد لطفي السيد كان الكاتب الأول لرسائل الوفد المصري إلى مؤتمر السلام إبان الثورة، وأن مجموعة هذه الرسائل كانت توازي بدقة أسلوبها السياسي وروعته واتزانه خير ما جادت به القرائح من أمثالها في الغرب

ولو كانت العبقرية المصرية عبقرية بناء لا عبقرية هدم، لعرف القاصي والداني هذه الحقيقة، ولكان التفاخر بشخصياتنا وآثارهم عاملا من أكبر العوامل التي تساعد على تجديد كياننا وتدعيمه. ولو عرف شبابنا أن هذه الشخصيات المنزوية في جلالة الصمت وأبهة الشيخوخة – لأنها لا تعرف التهريج – لم تتكون إلا بعد جهد مضن وحياة مملوءة بالتضحية والتعلق بالمثل العليا، لخففوا من غلوائهم وعلموا أن الوظائف والدرجات ليست هي كل غايتنا في الحياة، وانه ليس مما يشرفنا أن تقوم من أجلها في هذا البلد الطيب ثورة اجتماعية أصبح ضجيجها على الأبواب

ولكن شبابنا قد اندفع في تيار الديماجوجية الصاخبة فأصبح يضرب عن تلقي العلم ويتلمس لذلك أوهى الأسباب، وأصبحت الوظيفة مطمحه الأسمى في الحياة. وقد ساعد بعض قادة أمورنا على انتشار هذه الروح لأنهم يريدون تأييد السواد الأعظم لهم شقيت البلاد أم سعدت (وبعدى الطوفان ...)

وقد أصبح سلطان الوظيفة عظيما في مصر حتى أن بعض كبار الموظفين المجردين من كل ثقافة يصيرون أعضاء في لجاننا العلمية «بحكم الوظيفة» وحدها، ولو أقصيتهم اللجان عنها لحاربوها ..

ومن البينات على سلطان الوظيفة ان بعض الوزراء ووكلاء الوزارات لا يكادون يتركون الحكم حتى تترامى الشركات الأجنبية على أحضانهم وتعرض عليهم المناصب الكبرى الصورية أو غير الصورية في إدارتها. والواقع أن هناك سياسة عامة متصلة الحلقات متساندة يشد بعضها بعضاً ترمي إلى أغراض واضحة معينة.

وقد كانت الوظائف مستقرة إلى حد قبل الثورة ثم صارت قلقة مقلقلة كأنما أصابها مس من الشيطان، ولا شك أن الثورة والاضطراب الطبيعي الذي نفثته في الحياة العامة، ولا شك أن تكاثر الأحزاب وتعددها ووجود الحياة البرلمانية كان لها أثرها في «تفاعلات» الوظيفة وتقلب الوجوه عليها من وصوليين وسرائين واللاعبين على الحبل وماسكي العصا من الوسط ..

وقد أخبرني رئيس حزب كبير في سويسرا مرة أن مصيبة الأحزاب أنها تفتح ذراعيها لكل من هب ودب من أنصارها (وكل يدعي حباً لليلى ..) فاذا كانت هذه حال الأحزاب في أوروبا فكيف تكون حالها في مصر؟ في أوروبا يجد الحزب بفضل كثرة «الرجال» نقطة توازن لحياته، أما في مصر حيث الرجال قليل، وإن تكاثر الطغام، فان حياة معظم أحزابنا الداخلية مسرح تُمثَّل عليه في مضطرب ضيق ألوان المهازل والمآسي والمطامع التي لا تربطها رابطة بمبادىء الحزب وأغراضه

فالثعابين والذئاب والأفاعي نكاد نجدها تسعى حثيثاً صباح مساء، وتزحف وتدب، وتتزاحم، وتجتمع وتتفرق، وتنطوي وتنتشر في كل حزب وفي كل ناحية من نواحي المجتمع ولكن من خلف ستار

محمد صبري

الصراع بين الاسلام والوثنية

صراع من أجل تقديس المبادئ دون الأشخاص

للدكتور محمد البهى

الوثنية عبادة المحسوس المشخص ، وعبادته تنطوى على تعدد المعبود أيضاً ، لأن المشخص بحكم تشخصه محلى يحدده زمانه ومكانه . والأمكنة مختلفة والأزمنة متتابعة ، ولهذا كانت آلهة الوثنيين متعددة . والجماعات الوثنية وإن اتفقت فى عبادة مافى الطبيعة من أنهر وجبال و كواكب وأفلاك وغير ذلك إلا أن معبوداتها مع ذلك كانت مختلفة . لأن مافى طبيعة إقليم لجماعة يختلف بالشخص عما فى طبيعة جماعة أخرى .

هاجم الإسلام الوثنية ، وهاجم تعدد الآلهة ودعا الإنسان إلى عبادة إله واحد لا يعرف شخصه ولا تحد حقيقته ، لأنه فوق الطبيعة وفوق مافيها من أشخاص وجزئيات محددة . صنع الإسلام ذلك لأنه أراد للانسان هدفا أسمى مما فى عالمه . أراد أن يكون خضوعه وأن تكون طاعته لغير من يجوز عليه التغير والفناء . والمتغير الفانى ليس إلا أشخاص هذا العالم الذى نعيش فيه . أراد له هذا لأن خضوع الانسان للمتغير الذى يعتوره الفناء معناه التقلب فى الانقياد على نحو يجعل الإنسان مضطربا فى التوجيه فى حياته ، ومضطربا فى الغاية ، وأخيراً مضطربا فى دوافع العمل والسلوك . فضلاً عن أن تشخص المعبود يؤدى إلى تقليل قداسته أو التضييق من تعظيمه . وذلك بتوالى انكشافه وتعرفه . وإذا قلت القداسة وضاق نطاق التعظيم ضعفت الطاعة أيضاً أو تلاشت ، وعندئذ لاتصلح القيادة أو لاتوجد . ولذا كان غير المحدد هو وحده محل تعظيم الانسان ومحل خشيته ، وبالتالى إذا عبد نال من التقديس والطاعة بقدر خفائه وعدم الوقوف عليه من الانسان

الوثنية وتعدد المعبود إذاً متلازمان . والوثنية وتشخيص المعبود أيضاً متلازمان ، وقد تفضى الوثنية مع ذلك ، أى مع تعدد المعبود وتشخصه ، إلى عبادة إله وراء ما اتخذته من آلهة فى الأرض أو السماء غير مشخص وغير محدد وقد تلقبه برب الأرباب أو بخالق السموات والأرض . وهى إن أفضت إلى هذا عدت شركا لأنها أشركت مع الإله الذى يجب أن يعبد وحده ، وهو الإله الطبيعى ، آلهة أخرى تمد فى ملكوته وتصرفاته ؛ أشركت مع الإله الذى لايحد ولا تدرك حقيقته آلهة أخرى محددة مشخصة .

فمهاجمة الإسلام للوثنية ومهاجمته للشرك ، ومهاجمته لأهل الكتاب الذين حرفوا الكلم عن مواضعه وقالوا إن الله ثالث ثلاثة وأشركوا مع الإله الطبيعى إلهين آخرين مشخصين هما عيسى ومريم ؛ مهاجمته هذه كانت لأجل أن يرفع الإنسان من عبادة الشخص المحدد المتغير الفانى إلى ماوراء ذلك مما له الدوام والاستقرار . وإذا كان له الدوام والاستقرار كان حتما له الكمال لأنه يعلو عندئذ الاحداث وتقلباتها ، أو لأنه لايخضع لها كما يخضع المتغير . والخضوع فى ذاته نقص ، والاستقلال والاستغناء فى ذاته كمال .

وإذا كان المعبود كاملاً ، وإذا كان دائم الكمال ، شرف الانسان بالخضوع له ، لأنه أعلى قيمة منه . وبقيت كذلك وجهته فى الحياة ثابتة لاتبدل فيها وهى وجهة الكمال المطلق

وكفاح الإسلام ضد عبادة الأشخاص او الذوات المشخصة قصد به إذاً إشعار الانسان بكرامته وبقيمة ذاتية له لأنه جعل خضوعه فحسب لمميز عنه وعما فى الكون كله ، كما قصد به توجيهه فى حياته إلى هدف باق هو الكمال الذى لايتغير أو الخير الذى لايتبدل . والصراع إذاً بين الأسلام والوثنية أيضا صراع من أجل تقديس المبادىء دون الاشخاص . إذ ليست المبادىء إلا المعانى العامة ، ولعمومها هى باقية فى كل مكان و زمان لا تخضع للتغير والتقلب .

***

وفى طى مكافحة الإسلام للوثنية مكافحته انقياد الفرد لفرد آخر لذاته دون رعاية لما يحمله من مبادىء أو فكر مثالية . وكان انقياد المسلمين للرسول صلى الله عليه وسلم لا لأنه محمد بن عبد الله ، بل لأنه رسول الله ، أى لما يحمله من رسالة ربه وليس لذاته كفرد من الافراد « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » . وكذلك كان انقياد المؤمنين حقا لرسلهم . ولهذا لم يكن من

المنطق فى شىء أن يدعو الرسول لعبادة نفسه من دون الله أو مع الله ، لأن الدعاء لعبادة نفسه على العموم يتناقض مع دعوى الرسالة التى تنطوى على أن قيمة الرسول فى صلته بالله . « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون »

وما عاب الإسلام على أهل الكتاب من المسيحيين تأليه عيسى وإشراكهم له مع الله فى معنى الألوهية إلا لأن فى تأليه عيسى معنى التبعية للشخص دون المبدإ . والذى دعاهم إليه ليس إلا التجاوز بالعبادة من الشخص إلى ما هو أسمى منه وهو الباقى الذى لا يتغير ولا يفنى . وبهذا إذا استمعوا لدعائه ، التقوا مع المسلمين فى هدف واحد . « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله . . » ، « يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ، ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه ، فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد ... » .

وما الإستمرار الذى طلبه القرآن من المسلمين فى الدعوى إلى الخير بقوله : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر... » إلا وسيلة المحافظة على فصل الإنسانية بين المبدأ والشخص كما طلب الإسلام ، وإلا خشية من أن يؤول الأمر ، إذا أهمل المسلمون إلهاب شعور الفصل هذا عند الإنسان ، إلى الوثنية فى صورة ما ، وهى الإنقياد للشخص لأمر آخر غير المعانى العامة الثابتة التى مرد جميعها إلى الخير المطلق والكمال الدائم . ومن السهل ، إذا لم تستمر الدعوة لما وضعه الإسلام من هدف ، أن ينجذب الإنسان إلى الإنقياد للشخص لأن التشخص ناحية مادية ، والمادة أرجح كفة مما وراءها فى نظرة الإنسان الأولى .

والأديان السماوية كلها ، وفى مقدمتها الإسلام ، متفقة على توجيه الإنسان نحو المبدإ دون الشخص ، أو متفقة على أن تكون عبادة الإنسان لما هو وراء المادة ، وما وراءها هو غير المتغير . ولعدم تغيره كان وحده إذا قورن بالمادة كاملا . وتعدد الأديان لا يقتضى اختلافها فى هذا التوجيه ، بل لأن الإنسانية لم تحرص فى فترات متفاوتة عليه . ولذا كان لا بد من تجديد ايقاظ هذا التوجيه عندها . والدين اللاحق إذاً هو بمثابة تجديد لدعوة الدين السابق . وإن وجد اختلاف جوهرى بينها فنشوؤه إذاً رجال الدين أنفسهم لأنهم بإصرارهم على أفهامهم فى الدين وقد تكون بعيدة عن هدفه العام وبمرور الزمن على هذا الإصرار يختلط ما أصروا عليه بما للدين فى الأصل إذا نقل عنه . وتحريف الكلم عن مواضعه الذى ينسب إلى رجال أى دين من الأديان منه هذه الأفهام البعيدة التى أصروا على أنها للدين . « إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ... » .

* * *

وليس الإلمام بمعارف الإسلام أو أداء رسومه الظاهرة هو عنوان سيطرة الاسلام على الفرد أو الجماعة أو على نسبة الفرد أو الجماعة إليه ، بل عنوان ذلك وحده هو الفصل على نحو ما ذكرنا بين الانقياد إلى الشخص أو إلى المبدإ . كما أن هذا الفصل نفسه عنوان رقى الفرد أو الجماعة لانه ينطوى على شعور الفرد أو الجماعة بالكرامة أو بالقيمة الذاتية وعلى ما يسمى بالسمو الروحى أو النفسى ، كما أن العكس وهو رواج الانقياد للشخص أكثر من الانقياد للمبدإ دليل على عدم سيطرة الدين وبالتالى على عدم نضوج الفرد أو الجماعة .

ويخطىء إذاً من يفرق بين الدين وضروب الثقافات الإنسانية الأخرى فى توجيه الانسان ، فيجعل للدين منزلة ثانية ، لأن هذه الضروب من الثقافة إن كانت موصلة لرقى الفرد والجماعة ؛ موصلة لتهذيب الإنسان وإشعاره بكرامته وموصلة لتحقيق معنى الصالح العام فى الجماعة التقت مع الدين فى هذا الغرض وامتاز الدين عنها بتجرده المطلق عن التحيز لجماعة إنسانية دون جماعة أخرى . وعلامة الصالح العام فى الجماعة تقدير المبادىء العامة التى لا تخضع للتغير والتى تتسلسل جميعها فى النهاية إلى مبدإ أعلى للوجود كله وهو الله .

ولأن الدين ، وبالأخص الإسلام ، له هذه المنزلة لا تكون

مغالين إذا حكمنا بأن خلو التوجيه منه فى الجماعة نقص فى التوجيه نفسه ، لأن الثقافة الإنسانية التى تستخدم فى التوجيه عندئذ مهما أكدت معنى المبادىء والمثل العليا فإضافتها للانسان توحى تشككا فى أبدية مافيها من مبادىء ومثل ، أو يؤول أمر نسبتها للانسان إلى تقديس الإنسان دون اعتبار حمله هذه المبادىء .

***

ولا نبعد عن الصواب كثيراً إذا حكمنا على بعض علماء الدين بأنهم لم يفهموا الاسلام إذا جعلوا من قوله تعالى : « وأطيعوا الله والرسول وأولى الأمر منكم » ثلاثة أنواع من الطاعة ، لأن الهدف الأخير للاسلام هو طاعة الله وحده ممثلا فى الرسول باعتبار كونه حاملا لرسالته ، وفى أولى الأمر باعتبار كونهم قوامين على تنفيذ ما ورد فى هذه الرسالة فى الجماعة الإنسانية . وفى هذا قوله تعالى : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » والحديث الشريف : « من أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن عصانى فقد عصا الله » .

ولا نبعد أيضاً عن الصواب كثيراً إذا ذكرنا أن الوثنية التى حاربها ويحاربها الاسلام ليست هى وثنية العرب التى كانت قائمة على تقديس الاصنام وبعض الكواكب فحسب ، بل هى وثنية الإنسانية على العموم ، وهى تقديس الشخص دون رعاية للمبدأ والمثال . وهى لا تزول من هذا الوجود ما دام للانسان ناحية مادية وأخرى روحية ، وما دام للوجود كله أيضاً جانبان : جانب ظاهرى هو الجانب المادى ، وآخر مستتر وهو الجانب المثالى أو المعنوى ، وما دام انجذاب الإنسان إلى الجانب المادى بحكم ظهوره أكثر من انجذابه إلى الجانب الآخر . ولسهولة انجذابه إلى الجانب المادى كان هو فى حاجة على الدوام فى الكفاح ضد هذه الوثنية أو كانت الإنسانية كلها — إذا ابتغت الرقى — فى حاجة أبداً إلى دين سماوى هو الإسلام . لأن الإسلام آخر مظهر للأديان السماوية على طبيعتها صانه الرشد الإنسانى فى التدوين والرواية عن أن يختلط ببعض الأفهام المنحرفة فيه . فكلامه لم يحرف عن مواضعه كما حرفت الديانات السابقة عليه . إذ الإنسانية وقتئذ أى وقت تحريف هذه الديانات لم تملك الشجاعة الكافية فى كتابة التاريخ حراً دون التأثر برأى رجال الدين ودون رعاية لسلطانهم ، فكان الدين المؤرخ هو رأى رجاله وكان رأى رجاله هو التعبير عن الدين .

وإذا كانت الإنسانية منذ القدم فى حاجة إلى معونة الدين فى مكافحة الوثنية ، وكانت حاجتها هذه قائمة على طبيع فيها وهو ميلها النفسى إلى الصفحة الظاهرة من الوجود وهى الصفحة المادية ، فالدين إذاً ليس لعهد دون آخر . إنما الذى يخلع عليه البلى أو يجعله للماضى فقط هو فهم رجاله وعمل الدعاة باسمه ، أو هو غرور الإنسان بالإنسان . إذ منذ قيام العهد الإنسانى وهو منذ عصر النهضة الأوربية أخذ الإنسان يؤمن بنفسه ثم بالغ فى هذا الايمان حتى طغى أو حال دون إيمان له نتيجة عملية لشىء آخر فى هذا الكون . ومنذ قيام هذا العهد أيضاً كان عمل رجال الدين بعيداً عن مقصد الدين . وبذا كانت فجوة بين الاتجاه الجديد فى الحياة الإنسانية وبين تمثيل الدين فى رجاله : الاتجاه الجديد فى الحياة الإنسانية يؤمن بالقيمة الذاتية للانسان ، ويؤمن بالمساواة بين الأفراد لا عابد ولا معبود بينها ، ورجال الدين بعملهم يصورون الدين منحرفا عن هذا الاتجاه .

***

ونفع الجماعة الإنسانية الحاضرة إذا بالدين متوقف إلى حد كبير على حاجة رجال الدين أنفسهم إلى الدين فى مكافحة هذا الانحراف ؛ متوقف على أن تكون الدعوة باسم الدين إلى الله وحده لا لإنسان آخر غيره مهما عظم ومهما كان له من سلطان. وهكذا أرباب الدعوة قد يحتاجون أنفسهم إلى الدعوة ، ولكن على يد من لا ينسبون أنفسهم إليها .

محمد البهى

هذا العـــالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

بخار البصل يقتل الجراثيم

تقرر الأبحاث العلمية الأخيرة أن البصل والثوم وكل نبات قوى الرائحة من أقتل المواد للجراثيم ، وأ كثرها وقاية للجسم من الأمراض

تجاهل جميع الباحثين أمر البصل مئات السنين برغم أن فلاحى اسكتلندا اعتقدوا أنه يقضى على الزكام والبرد ، وبرغم أن الأوربيين والمصريين علقوه على أبواب دورهم ليقيهم شر الحميات . ولفتت الظاهرة نظر الدكتور توكين وأتباعه الروسيين ، فأجروا تجاربهم ووجدوا أن البصل والثوم وغيرهما من النباتات القوية الرائحة تحتوى على زيوت أساسية تقتل البكتريا والجراثيم ، وبويضات بعض الحيوانات الصغيرة . فأطلقوا على هذه المادة القاتلة إسم « فيتونسيد » . ولم يوفقوا بعد إلى معرفة تركيبها الكيماوى ، وإن عرفوا أنها سريعة التبخر ، فإن تعريض عجينة من الثوم أو البصل للهواء من ١٠ إلى ١٥ دقيقة يفقدها كل قدرتها على قتل الجراثيم والبكتريا ، ولهذا كان من الضرورى استعمالها عقب تحضيرها مباشرة

وتختلف الطريقة العلمية لاستعمال عجينة البصل عن طريقة جداتنا اختلافاً يسيرا . فبعد أن يدق البصل لا يوضع على الجرح ، بل يوضع فى وعاء من الزجاج بسعة الجرح ، وعلى فوهته يوضع لوح ليتاقى بخاره لمدة عشر دقائق على فترتين كل منها خمس دقائق . وتستعمل عجينة جديدة فى كل فترة .

بدأ الأطباء الروسيون تجاربهم على ٢٥ مريضاً . ولكن قلة البصل عندهم اضطرتهم إلى قصر التجارب على ١٩ مريضاً فقط . منهم ٧ بترت أذرعتهم ، وواحد ساقه وثلاثة أقدامهم ، واختير المصابون ممن ظهرت فى جروحهم حالات التسمم والصديد؛ وكانت رائحة بعض الجروح منتنة ، وأنسجة الأعضاء متورمة يصرخ أصحابها من الألم .

وعولج المصابون ببخار البصل فترتين متتاليتين كل منها خمس دقائق . فتوردت كل الجروح بدل أن يطغى عليها اللون الرمادى . وأحس المرضى بآلامهم تزول . وفى المرة الثانية قلت كية الصديد واختفت الرائحة النتنة . ومرت خمسة أيام بدأت فيها الأنسجة نموها الطبيعي . ولم تحدث مضاعفات فى أية حالة ، فاقتنع الأطباء بما فى زيت البصل والثوم (فيتونسيد) من قدرة على التغلب على تسمم الجروح .

واستمر الدكتور توكين ومساعدوه ١٤ سنة يدرسون خواص الفيتونسيد القاتل للميكروبات والجراثيم ، فدرسوا ١٥٠ نباتاً وأثبتوا أن البصل والثوم من أغنى النباتات فى هذه المادة الواقية التى تستطيع قتل جراثيم خطرة مثل جراثيم حمى التيفوس على أنهم وجدوا أن نسبة تركيز هذه المادة فى أجزاء النبات مختلفة ، فأكثرها وأقواها فى قلب النبات وجذره ثم تتدرج فى القلة إلى أن تكون على أقلها فى الأجزاء الخضراء . ولعل هذا يفسر تعفن البصلة « تصفن » عند فصل الجذر عنها .

ووجدوا أيضاً أن بصل وثوم الخريف والشتاء أوفر فى مادتهما القاتلة من مثليهما فى الصيف والربيع . وتقل مادة « الفيتونسيد » فيهما كلما طال بهما التخزين . فإن كانت عملية التخزين رديئة فقدا مادتهما الثمينة وصارا أوساطاً جيدة لنمو الجراثيم مما نشاهده من تعفنهما إن طال بهما الزمن .

وأوصى باحثان باستعمال عصير البصل والثوم كعلاج منزلى عند الإصابة بالبرد . فنصحا بمضغ الطازج من النباتين من ثلاث دقائق إلى ثمان . وربما أنتج مضغهما لمدة دقيقة واحدة . فإنهما وجدا أن هذا المضغ يؤدى إلى القضاء على جراثيم الغشاء الداخلى للوجنتين والفم ، أو إلى توقف إفرازاتها .

وهناك ظاهرة أخرى يلفت إليها العلماء الأنظار من حين إلى آخر ، وهى قدرة عصير البرتقال أو الطماطم أو غيرهما من النباتات الصنوبرية (المخروطية) على شفاء الجروح . وعزوا هذه النتائج فى بعض الحالات إلى احتواء العصير على كميات من الفيتامينات .

على أن العلماء الروسيين يخالفون الآخرين فى اعتقادهم ويعزون قدرة هذه الأنواع من العصـــير على قتل الجراثيم إلى احتوائها على مادة الفيتونسيد التى عرفناها فى البصل والثوم . فهل لعلمائنا وأطبائنا أن يولوا البحث نصيبه ويقولوا كلمتهم فإن وصفاتنا البلدية أكثر من أن يحدها حصر ؟

الغذاء كعلاج لضغط الدم

تمكن أحد الأطباء من تخفيض حالات الإصابة بضغط الدم في ٦٠ ٪ من مرضاه بواسطة التغذية . وضغط الدم من الأمراض الشديدة الوطأة وخصوصاً على كبار السن ، ويتعذر شفاؤه في كثير من الأحيان . وقد درس هذا الطبيب حالات المرض والأغذية الملائمة له فوفق إلى تحديد غذاء من الأرز وعصير الفاكهة والسكر والفيتامينات ومواد حديدية . وهي تفيد المصابين بضغط الدم وبالكلى .

ويرى الدكتور كمبنر صاحب هذه النظرية أن الكلى تتعطل عن تأدية إحدى وظائفها فتعجز عن تحويل بعض المواد الزلالية إلى بول بسبب قلة الاكسجين مما يؤدي إلى ارتفاع ضغط الدم . فلجأ إلى الأرز ليخفف كمية الزلاليات عن الكلي ، فتقل المواد الضارة التي تسبب ضغط الدم .

ومع أن نجاح هذه التغذية لم يكن كاملا مع جميع المرضى فإنها لم تؤثر عليهم تأثيراً ضاراً ، ولهذا يفكر بعض الأطباء في استنباط نظام تغذية له نفس التأثير على مرض السكر

أثر التغذية في الجهد العضلي

لأول مرة في التاريخ البشري يجرى أحد أطباء جامعة مانيسوتا تجربة غذائية على الناس ، والغرض منها دراسة تحول السكر إلى مواد غذائية ، وعلاقته بالفيتامينات ومدى تأثيره على جسم الإنسان في نومه وفي نشاطه . وكانت مثل هذه التجارب تقتصر على الحيوانات لخطورتها . ولكن العمليات الحربية في المحيط الهادى دفعت إلى إجراء هذه التجارب على الناس ، فعلى ضوئها تصرف وجبات الطعام للجنود .

ويعيش المتطوعون في هذه التجربة في عنابر نوم تابعة لمعمل الطبيب ، ويتيسر فيها رفع درجات الحرارة والرطوبة إلى أن تصل إلى مثيلاتها في المناطق الحارة ، أو خفضها حتى تصبح جزءاً من المناطق القطبية .

وتعطى جميع وجبات الطعام في المعمل ، فيوزن كل غذاء يتناوله المتطوع ، ويؤخذ جزء مساو له في الوزن ليحلل كيماويا لكي تعرف قيمته الغذائية . ويمنع المتطوعون بتاتا من تناول أي طعام خارجي . ولوحظ أن من يحرمون من تناول المواد المحتوية لفيتامين (ب ، ا) يفقدون كل شهية للطعام ، ويعجزون عن إبقاء أي طعام في بطونهم . وأحيانا يتعذر عليهم برغم كل ما يبذلون من جهد الاستمرار في تناول وجبات معينة .

ومن المعروف أن النشاط الذهني أو البدني شديد الصلة بالتغذية ، ولهذا يقاس مدى نشاط المتطوعين في مختلف الوجبات بأنواعها ، كما يفحص تأثير البيئة الباردة أو الحارة أو الرطبة على الحالة الغذائية ، وحتى في أوقات الرياضة في الهواء الطلق تؤخذ عينات من دم المتطوعين لتحليلها ودراستها بالنسبة لكمية الهواء .

ويقول الدكتور كايس الذي يشرف على هذه التجربة : إن كثيراً من الأبحاث دار حول تحول المواد السكرية إلى مواد حية في جسم الإنسان ، ولكن قليلا منها طبق بمثل هذه الدقة . فإن أضفنا إلى هذه التجارب معلوماتنا المتزايدة عن الفيتامينات فإنه يعتقد أنه قد حان الوقت لكشف تفاصيل تحويل المواد النشوية والسكرية إلى أنسجة حية في الجسم ، كما أننا سنعرف الظروف التي يجب توفرها للفيتامينات للانتفاع بالسكر كوقود إنساني .

فوزي الشتوي



الجـــارم البرىء

للأستاذ حبيب الزحلاوى

تتمـــــة

لقد انقلبت طفلا ولابستني حالة جديدة ليس في وسعي تصويرها . صرت أرعى زوجتي الحامل كرعاية الأم رضيعها ، وأحرص على القرش الواحد كما لو كان ديناراً ذهبياً . كنت اصدف عن الصحاب وازور إذ ألقى ضيوفا في منزلي ، ووددت لو أحتاز خيرات العالم أقدمها هدية لولدي العزيز . قلت لصاحبي في شيء من المباسطة بغية إقشاع السحب المنتشرة — فوق نفسه ، يخيل إلى أن « العامل الخفي » في زوجتك هو الذي جعلك لجوجا وثابا تقدر الأشياء بمقدار التخيل والتصور . وقد لايؤذيك اذا قلت لك بصراحة الصديق الصادق إن بلوغك « سر المرأة » ابتعث فيك الشهوة عنيفة حادة . اطرق قليلا وأجاب « الشهوة حيلة ارادة الحياة الكبرى على البقاء » نحن يا صاحبي نخلق الجمال ونعطي المعاني للاشخاص والأشياء . فالمعنى الصحيح لسر المرأة الراحة والطمأنينة . صمت هنيهة ثم أردف « أن رجلا مثلي مفطور على العناد — والمغالبة والكبرياء لايرضيه الاستسلام والليونة والركون شأن أكثر الأزواج ... ثم تابع قوله كانت زوجتي ... فقاطعت كلامه قائلا : انتقال من الموضوع بارع ثم تقول . كانت زوجتي ، وكانت هذه تدل على فعل ماض ، فأومأ ان أتريث وتابع الكلام ، كانت زوجتي ، أجل كانت زوجتي على شيء عظيم من عزة النفس والكبرياء والمغالبة ، وأنا أنا الذي انميت فيها هـذه الصفات وتمهدتها بدراية وحكمة ، كان يلذ لي أن تعلو حجتها على حجتي فأرضخ للحق ، ولان يصدم عنادها عنادي فتنتهي الى الرضا . ولم يبلغ كبرياؤنا في ظرف من الظروف حد الغرور ، بل كنا نخلق الخصومة نوري بها الذهن فنستصبح بومضات الروح منبثقة من ظلمات المجهول ، من هذا التناسق والاتحاد جعلنا مواد بناء حياتنا الزوجية ، وقد استخلصنا من ضروب أنواع الحب في فوضى الحياة خيطا كان لنا بمثابة « الهارموني » من نشيد العمر ، يرتفع بفرحة الغاية من الوجود الانساني الى أسمى مقام ، أما خيط حياتي هذا فقد انقطع ، أنا الذي قطعته بيدي ، أجل يا صاحبي أنا الذي قطعته بيدي . لقد حطمت جرة السمن فاندلقت أحلامي ، أنا الراعي الغبي ، وانساح أملي في الرمل ، أنا الحي الضائع !! نظرت الى عينيه فاذا بنورهما قد ناص كمصباح نضب زيته ، وأجفانهما تكسرت وجدت فيهما دمعتان ، وعندما أخذ يتابع الكلام توهمت — الصوت آتياً من بعيد قال ، ذهبت وزوجتي ذات عشية الى وادي العرايش ، وما كدنا نأخذ مكاناً قرب النهر حتى توافد الصحاب ، فاتسعت الدائرة ، واتسقت صفوف الاقداح وشعشعت النفوس فانطلقت الألسنة . لم تهدأ جلبة السكارى الا حين ارتفع صوت المغني يشدو « العتابه » برنين شجي وصوت رخيم تشترك مع معاني العتاب في تطريب النفس — واثارة مافيها من حزن وفرح وقد استفاض صدري باحساس مضطرب إذ سمعت المغني ينشد « غربوا أحبابي » وشعرت كأن أحبابا تناديني ، لقد فاض الدمع من عيني وانهمر ، لا شك انه دمع حنان النفس التي تضطرب فيها الآلام جميعاً !!! ، في هذه اللحظة تلاقت نظراتي بنظرات زوجتي ، فاعتلج في صدري شوق مفاجيء يدعوني بالحاح الى العودة الى أميركا حيث أموالي المتروكة في بلاد الناس ، وعندما عدنا الى البيت سألتني زوجتي متى نسافر الى أميركا ؟ في تلك الساعة عقدت النية على العودة الى الوطن الثاني ، وفي تلك الليلة المشؤومة انتهى كل شيء ! ! ، أجل ياصاحبي في تلك الليلة الملعونة انتهى كل شيء في وجودي وبقيت وحدي كحروف رسالة بليدة جاثمة على قرطاس ، أخذ صوته يرتفع ونبراته تشتد ، وأمسك يدي بقبضة متصلبة وقال أنت تعرف أبنية زحلة متلاصقة ومنازلها متلاحمة لايفصلهما من الجيران فاصل ، قلت أعرف ذلك ، قال : كنت أسكن بيتاً من هذا الطراز القديم لانه أقرب الى احساسي وألصق بذكريات طفولتي ، هـذا البيت الذي كنت إخاله بقعة اقتطعتها الملائكة من فراديس النعيم قد انقلب بلحظة واحدة الى قبر في الجحيم تحوطه نيران قلبي وألسنة الناس ، قلت : اكتشاف خيانة ؟ ، نظر إلى نظرة استخفاف خلتها تهز مكمن كبريائي

فخجلت ، واستطرد قائلا : فى هدأة الليل حيث كل شىء هادىء الا عيون السماء ، دوى الوادى أو توهمت انه دوى بصوت استغاثة قريب صادر عن قلب هلوع ، الحرامى ، الحرامى ... النجدة ... النجدة ! وتلاه ولولة امرأة مخلوعة اللب وعويل أولاد ... استيقظت بلا وعى أترنح من الذعر أو من الشجاعة ، تناولت مسدسى من تحت الوسادة وهرعت لاقتنص السارق ، لم يكن فى وسعى ترتيب التصورات المتداعية والخيالات التى تراكمت فى ذهنى وازدحمت فيه مبلبلة مشوهة ، توهمت السارق عميداً من عمداء الجبابرة سلطته قوى مجهولة تتربص بى لتنتزع منى زوجتى أم ولدى ، وارث أموالى ومخلد ذكرى . لقد جن جنون أنانيتى وثارت فى فطرة ، فطرة الانسان ، أو غريزة لبوة بكرية اقتحم وحش ضار عرينها فهبت تدافع عن أشبالها ، كنت أروح وأجىء وأتوهم انى أقفز من سطوح الى سطوح ، ادور حول نفسى كاللولب ، أنادى السارق بصوت متهدج أجش ، اختلط صوتى بعجيج أصوات عشرات الشبان الذين خفوا مسلحين للفتك بالسارق ، إن السطو على منزل فى رحلة عروس مدن لبنان انما هو تحد لكرامة أهلها واستهانة بتقاليدهم ونخوتهم ، لمحت شخصاً ماثلا قبالتى فتصورته عملاقا من الجن ينقض على ، أحسست بالعملاق الجبار يرفع يديه ليسحقنى ... اطلقت رصاصة أو انطلقت من المسدس رصاصة ردد الوادى صداها . أصابت الهدف فسقط الجسم بدون حراك ، أيقظنى الانتصار من غفوة الذهول ، فتنبهت الى نفسى واذا أرى حولى طائفة من الجيران أقبلت على صوت الطلق النارى ، سمعت صراخاً وعويلا وحسرات فيها كل معانى الألم والحزن والشفقة ... أشعلت الأنوار ، تجمع الناس ، تبينت الوجوه ، فاذا بالعيون — تحدجنى بنظرات أسى وحيرة ملتاعة مضطربة ، دهمنا الجند فاذا بهم يطبقون على القاتل يجردونه من سلاحه وقد دل الجيران عليه . ياللاجناد الاجلاف ! يا لرجال التحقيق ما أطيب قلوبكم لقد منوا على — تكرما منهم باطلاق حريتى ريثما أرافق جثمان زوجتى فأواريه التراب ؟!!! ، وبلاه لقد جمد جسمى فى تلك الساعات وتبلد شعورى وزاغت نظراتى ، كنت اعتصر عينى ، استجدى قلبى قطرة من دمه ، ولسانى كلمة واحدة انطق بها ، كنت أرى جثمان « عينى » مسجّى فى النعش على رأسها أزهار الليمون الذى زانته بها يوم اكليلنا وقد غطى الورد ثوبها الأبيض الغارق بالدم ، وكنت كقمة الجبل الشاهق جوداً وبرودة . وهأنذا أحس بالوقائع ماثلة أمامى أصورها لك وفق الرؤى والشعور ، أحسست الأرض تدور بى والآلام تنساب فى نفسى تنهب وتنوش أعصابى . أما محدثى فقد اعتدل فى جلسته واشتدت نبرات صوته وقال : من السخرية الاستهانة بالعدل الإلهى واحترام شرائع الناس ؟ ! ! أليس رعونة أن تبرأ ساحة القاتل ويطلق من عقاله ولما يجف دم المقتول بعد ؟ أليس ظلماً أن تعاد إلى حريتى أنا القاتل الأثيم ؟ أين القصاص من الحياة ؟ أمن العدل أم من الظلم أن أجوب الأرض ، أتسكع فى الشوارع ، أطوف حول الذكريات أتلمس آثار الحياة وأنا ميت القلب والروح ؟ ؟ اسمع ياصاحبى ليس العدل والشرائع والقوانين والأديان نفسها تستطيع أن تشفى أدواء الناس ، انما الذى يستطيعها هو الضمير ، . وسأنفذ أحكامه التى أرتضيها لنفسى حاكما محكوماً . استسلمنا كلانا للصمت : توهمت صاحبى المسكين لايواصل رحلته إلى أميركا بل يترك الباخرة عند أول ميناء يتطوع للحرب حتى الموت ولكن سرعان ما استلمح هذا الخاطر يتوارى فى طيات كلامى حتى قال لى ضاحكا : أتحسب الموت يقضى على الموت ؟ قلت لأفهم ماذا تعنى . قال : ولا أنا أيضا أفهم كيف أقضى بيدى على حياة ألقيتها في غيابات العدم ، بل أفهم أنى سأبقى فى فراغ يتساوى والعدم ، وسأستمهل الموت حتى التى فى كل ساعة ميتة تكفر عن جنايتى . ، طفرت دمعة كبيرة من عينى المسكين فتلقاها بمنديله ، وعند ماهم — بالنهوض تخاذل وخانته قواه ، تأبطت ذراعه وأسندته على كتفى حتى بلغ غرفته فى الباخرة ، وإذ كنت عائداً لقيت الطلمة من الأميركان وقد تهيبوا سؤالى وانصرفوا يتبع بعضهم بعضاً .

حبيب الزحلاوى

الرسالة فى ثوب جديد

ابتداء من العدد المقبل تزيد صفحات الرسالة إلى ٣٢ صفحة ، وسيتبع ذلك تغيير مهم فى شكلها وموضوعها ، وستباع بقرشين كسائر المجلات المصرية

وديعة مدينة ســالم

[اقترح صديقنا الدكتور عبد الوهاب عزام في العدد الممتاز من الرسالة على شعراء العربية أن ينظموا ملحمة البطولة من حياة المنصور بن أبي عامر، وهذه محاولة أولى تقتطف منها هـذه الأبيات] :

قل للحجيج ، إذا ماناله التعب   يا أيها الركب: هل أديت مايجب؟
وهل إلى « سالم » خبَّت ركائبكم   وهل هدا كم إليها المجد والحسب؟
وهل رأيتم على آثارها « جدنا »
تطوف من حوله الأفلاك والشهب ؟
هذي الحجارة — وهي الآن جامدة —
كم ذا تفجَّر منها السلم والحَرَب[1]
استخبروها حديث المجـد تخبركم
فربَّ أخرس تعيا دونه الخطب
قولوا لها : يا بنات الصخر ما صنعت
بصفحتيك بنات الدهر، والنُّوب ؟!
هيا صلينا بآباء لنا نُجُب   قد أنجبتهم جدود سادة نُجُب
مدُّوا على البحر ظلاً من مراكبهم ..
والنصر من فوقهم قد قاد ماركبوا
حتى أتوا شاطئ الأسبان واختلطت
على رباه رماح القوم والقضب
فأشعلوا البحر ناراً من سفائنهم   كيلا يكون لهم من خلفهم سبب
وأصبحوا ولواء النصر مُنعقِد
من فوقهم ، والمنى من حولهم طُنُب
حتى إذا أرخت النعماء ساعدهم   واستنوقوا ما يشاء اللهو والطرب
ذابت مهابتهم من عين واترهم
كما يذوب بكأس الشارب الحَبَب
لولا « محمد » وافاها على عجل
والريح عاتية ، والموج يضطرب
لغيَّر الريح مجراها، ولا ارتطمت   ألواحها بصخور شادها العطب
فتى كبير الأماني من حداثته   قد كان يحلم بالعليا ، ويرتقب
خمسون موقعة قاد الجيوش بها
مُظفَّراً ، فائزاً ، للنصر يصطحب
لم يثنه عن لقا أعدائه مرض
ولم يثبِّطه عن نيل العلا نصب
قد يخمد الجسم من كدٍّ ومن تعبٍ
وجمـــرة الروح تبقى فيه تلتهب
لم يحمل « الزنج » منه غير هيكله
وروحه احتملتها السبعة الشهب
فأنت يا « سالم » للمجد قاعدة
تقوم من فوقها الأعلام والنُّصُب
قد أودعتك العلا أغلى جواهرها
واستأمنتك على تاريخها العرب ؟

(كلية اللغة)   **يوسف زاهد**

(١) الحرب بالفتح : الهلاك



بيت الكميت

العلامة الدكتور طه حسين تمثل في كلمة له في (المصور) الأغر، عنوانها (عشير الأدباء) ببيت جاء في هذه الصورة

إذا لم يكن إلا الاسنة مركبا   فلا رأى للمضطر إلا ركوبها

وقد يخال قارىء البيت أن (كان) هنا ناقصة و(الأسنة) اسمها و(مركبا) خبرها، وإنما هي في هذا الكلام تامة ومركب فاعلها، فالرفع واجب، والأسنة بدل من مركب قُدّم فنصب على الإستثناء، ويرفع بعضهم مثله، والبيت للكميت.

أزهرى

الحضارة المصرية القديمة وأثرها فى الحضارات الشرقية

ألقى الأستاذ ستروف أحد أعضاء الاكاديمية الروسية، خلال شهر ديسمبر الماضى، طائفة من المحاضرات العامة فى لنينجراد وموسكو، كشف فيها عن عظمة الحضارة المصرية القديمة. وكانت المناقشات التى تعقب محاضراته تدل على اعتراف المستشرقين الروس بالدور الذى قامت به مصر فى تكوين الحضارات الأوروبية والأسيوية

وقد تناول الأستاذ ستروف في إحدى المحاضرات موضوع الأسبقية بين حضارتى مصر وبابل مشيراً إلى وجوب إعادة البحث فى هذا الموضوع على ضوء ما ظهر من بيانات أثرية جديدة.

ومما قاله الأستاذ، أنه يؤيد الرأى القائل بان عصر الدولة الوسطى فى تاريخ مصر القديمة يعد سابقاً لعصر الأسرة الأولى فى بابل. وذلك لا يدع مجالا للشك فى أن الثقافة التى ازدهرت بمصر فى عصور الدولة الوسطى قد انتقلت إلى فلسطين وسوريا وبدا أثرها فى الحياة الاجتماعية بأرض الجزيرة

وكان مدار بحث الأستاذ ستروف فى هذه المحاضرة، أثر المدنية المصرية القديمة فى ثقافة بلدان حوض البحر المتوسط وآسيا الصغرى، فابان أن مصر كانت مهدانا لأول حركة شعبية ترمى إلى تحقيق العدالة الاجتماعية. ثم قال: ونحن نعلم مدى الأثر الذى خلفه المهندسون والرسامون والمثالون وأرباب الصناعات من المصريين فى مختلف الفنون، سواء فى سوريا أو بلاد الحثيين، وان هذا الأثر انتقل إلى الأشوريين.

كذلك امتدت حضارة مصر إلى اليونان فكان من نتائج هذا أن تهيأت الأسباب لتطور الفن اليونانى

وأشار بعد ذلك إلى القصص والاساطير التى شاعت فى عهد الدولتين الوسطى والحديثة وما كان لها من عظيم الاهمية فى حضارة العالم، قائلا: انه لا يسع المرء مثلا عند قراءة قصة «السفينة الغارقة» التى كشفها الأستاذ جولينيشيف العالم الروسى فى الآثار المصرية فى متحف الرهبان بلنينجراد، إلا أن يذكر بطل قصة الأوديسة الاغريقية أو السندباد البحرى.

ومن الواضح أن مجموعة القصص التى تتضمن ما كان يقوم به السحرة المصريون من الأعاجيب تعد أعرق فى القدم من كتاب (ألف ليلة وليلة) ذى الشهرة العالمية

ونوه الاستاذ ستروف بمدنية مصر من الناحية الطبية، فذكر أن الاطباء المصريين كانوا أول من كشف عوامل مسببة للامراض، وأول من سجل فى تاريخ الطب البشرى لفظة (المخ) وان هذا الجزء من الجسم إذا اختل أدى إلى خلل أجزاء أخرى

ثم قال المحاضر، إن المصريين قد تمكنوا من قياس مسطحات الاجسام المستديرة، واستطاعوا قياس السطح الكروى، قبل أن يهتدى ارخميدس إلى ذلك بزمن بعيد. كما نوه بفضلهم فى وضع التقويم الذى أخذه عنهم يوليوس قيصر، فأصبح بعد ذلك أساساً لحساب الزمن عند الشعوب الاوربية

وانتهى من هذا إلى قوله: ان من واجبنا أن نعترف اليوم بما كان للثقافة المصرية من أثر فى حضارتنا الحالية.

إلى الاستاذ حبيب الزحلاوى

[تهنئة بعيد ميلاد ولده نبيل]

أنجبتَ للدنيا نبيلاً أوّلا   فالله يحبوك غُلاماً أنبلا

لم نره لكننا نعرفه   لما رأينا منك فيه مثلا؟

إنا رأينا فيك فضلا واسعا فلا يَضِيرُكَ أن يكون أفضلا
نرجو له عمراً مديداً سابغاً وَغدَه المأمولَ والمستقبلا
ألا تَرى فيه الرجاء المرتجى ألا تَرى فيه الضياء المجتلى ؟
يُشعُّ في البيتِ سناءً وسنى ويملأ الدنيا لديك أملا
يسألك الشيء فلا تلبثُ أنْ تجيبَه حالاً إلى ما سألا !
ينالُ بالدموعِ كلَّ ما ابتغى وبالصياح كلَّ ما قدْ أمَّلا
خَيالُه قد يَسعُ الدنيا وما فيها. فلا تكفيه أعراض الفلا
وقد يَرُومُ في السماء مَصعَداً ويبتغي بين النجوم منزِلاً
براءة الأملاك فيه اجتمعتْ والطهرُ في صفاته تمثلا
لا يحمل الحقدَ ولا يعرف من دنيا الأنام آفةً أو عِلَلاً
ولا يَدُوسُ بالنفاقِ حماً ولا يخوضُ بالرِّياء وَحَلا !
سبحان من قد صوَّر الطفلَ على خيرِ مِثالٍ في الحياة شكّلا
قد صاغه من السلام مَلَكا مجسَّداً وَبشراً ممثّلا ..
لكنه غداً يقود عالماً إلى القتال أو يسوق جحفلا ..
وقد يقيم للدمار مدفعا وقد يعد للقتال مُنصُلا
وقد يَفُضُّ بالسيوف مُشكِلا ولا يحُلُّ بالكلام مُعضلا
فإن أصاب جعلوه غازيا ولقَّبوه فاتحاً وَبطَلا ...
مَنْ عَلَّم الإنسانَ أن ينمو على طبائع الذئبِ وكان حملا ؟؟

علِّمْهُ باللهِ المطايا صعبةً ولا تعلِّمْه المطايا ذُلُلا
علِّمه أن الحربَ دكّتْ أمما وزلزلت ممالكاً ودُولا
علِّمه أن الحق لا يُحمى إذا كان الفتى من السلاح أعزلا
علمه في النقد المرارة التي ليست تحابي لتكون عسلا !!
علمه في القول الصراحة التي عرفتها فيك تهز الجبلا
علمه في الحب الحرارة التي تجعل من قلب المحب شُعَلا
علّمه أوْ لا ! فهو شِبْلٌ ناشئٌ هل تنجب الأُسُود إلا أشبلا ؟

محمد عبد الغني حسن

من كتاب الرسالة أيضاً

كتب الدكتور سيد حنفي في العدد ٦٠٢ من مجلة الرسالة القراء مقالاً تحت عنوان « أثر الرسالة في الأدب المعاصر » ولما طالعته وجدته أغفل ذكر بعض الكتاب الأعلام الذين كانت لهم جولات في ميدان الرسالة وكانوا في مقدمة كتابها الكرام :

فالأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني هو أحد الكتاب الأعلام الذين كانوا يحررون مجلة الرسالة، وكذلك المرحوم عبد العزيز البشري، وكانت أبحاث الأستاذ محمد عبد الله عنان التاريخية في مقدمة المقالات التي تنشر في الرسالة، ومن الذين كانوا يكتبون في الرسالة أيضاً الأساتذة : زكي نجيب محمود، وخليل هنداوي، ومحمد فريد أبو حديد، ومحمد عطية الإبراشي، وحسين شوقي ؛ ومن الشعراء الذين كانوا يخصون الرسالة بما تنتجه قرائحهم الفياضة الأساتذة : علي أحمد باكثير، وفريد عين شوكة، ونخري أبو السعود ؛ وكل هؤلاء الكتاب والشعراء لم يتطرق الدكتور إلى ذكرهم في مقاله.

(بغداد — أعظمية) عبد الباسط يونس رشيد

الكتب

في عالم الكتب

الشوامخ (*)

خصائص الشعر الجاهلي وأعلامه

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

خيل إلي وأنا أقرأ هذا الكتاب الطريف الممتع أنني أقرأ لشيخ من شيوخ اللغة والأدب لا لرجل عل من الثقافة الأوربية ونهل ، وغاص في بحار المحفوظات والأضابير والوثائق التاريخية يستخرج منها تاريخا لأمبراطورية محمد علي الكبير ، أو يكتب بالفرنسية كتابا عنوانه: La Genèse de l'Esprit National Egyptien أو يؤرخ بالعربية للثورة الفرنسية ونابليون .

ولكن الدكتور محمد صبري يستوي عنده التاريخ والأدب مادام في ذلك رضى لحاسته الفنية الرفيعة ، أو رضى لقوميتـه المصرية العريقة ، أو رضى للغته العربية وأدبها الغني السمين .

وعجيب أن هذا الرجل الذي يقرأ في الفرنسية ، ويكتب قادراً بالفرنسية ، ويؤرخ لأحداث العصر الحديث يطوي القرون القهقري حتى يأتي « امرأ القيس » في أموره وخموره ؛ ويأتي « طرفة » في رحلته وناقته ، ويأتي « زهير بن أبي سلمى » في حكمته ومدائحه وفي المهاة التي شبه بها ناقته . ثم لا يكتفي بذلك فحسب ، بل تراه ضاربا مع الجاهليين في الخيام ، هائما معهم في كل دوية ؛ يلاحظهم وهم يشدون الأكوار على الرحال ، أو يلعبون الفايلة في الرمال ، أو يطاردون بالكلاب المضراة العيران ؛ أو حين تخرج الأرامل الشعث يحملن المناقع الى رجل كريم فتح بابه للسؤال ، وتهلل وهو يبث النوال ....

(*) طبع بمطبعة دار الكتب المصرية في ١٥٢ صفحة — الجزء الثاني

والحق أن في الشعر الجاهلي كثيراً من غريب الألفاظ باعد الزمن بيننا وبينها ، فتغيرت على أذواقنا وتوعرت على أسماعنا . ولكن الدكتور محمد صبري — جزاه الله أحسن الجزاء — قد ألف بيننا وبين هذه الثروة المذخورة من الألفاظ ؛ فقد عرض الشعر الجاهلي عرضا متبوعا بشرح غريبه ؛ فلا تلبث حتى ترى نفسك أمام شعر خلع التفسير عليه جمال الوضوح ، فبدا رائعا في شرحه ، رائعا في متنه . وإذا بك ترى هذه الألفاظ المهجورة الموحشة مأنوسة مألوفة ؛ وإذا بك تجد الحس بينك وبين العربي مشتركا ، وتجد التجاوب بينكما متبادلا . فتقف أمام البيت من الأبيات وأنت تكاد تحس فيه قلب الشاعر أو همس الخاطر ...

والمؤلف نفسه متأثر بالأسلوب العربي الرصين ؛ ويخيل إلي أنه عنده حاسة يتخير بها اللفظة الملائمة مهما كانت غريبة ؛ ولعله واثق أن إعادة استعمالها قد يضفي عليها الحياة من جديد . ولعله ناجح فيما هو بسبيله من ذلك . فقد وصف في صفحة ٥٨ مناظر الصيد والطرد بأنها « مرعبلة » ثم عاد في ص ٦٣ فشرحها في بضعة أسطر شرحا يجذبك إلى استعمالها ويحملك على الأخذ بها .

الدكتور صبري محب للشعر الجاهلي ، ولا نغالي إذا قلنا إن حبه إياه قد جرى مجرى الدم في مفاصله . وفي كل صفحة من الكتاب برهان ذلك ومصداقه . ولكنه أعلن ذلك الحب وجاهر به مصرحا في ص ٧١ حيث يقول « وإني أحب الشعر الجاهلي وأحب أسلوب الجاهليين » . ولو أنا وجدنا بيننا من يحب الأسلوب الجاهلي كما أحبه صبري ماشكونا الآن من « ميوعة » بعض الكتاب والشعراء المعاصرين الذين لا يبالون بلفظ ولا يحفلون بأسلوب . ولكن همهم من القول أن يرصوا الكلام رصا . من غير أن تكون لتلك الألفاظ التي يستعملونها دلالة خاصة — تلك الدلالة التي تجعل الأديب المعرق يؤثر لفظا على لفظ أو أسلوبا على أسلوب .

وفي الشعر الجاهلي لوحات فنية كثيرة لم يغفلها المؤلف ، ولكنه أبرزها في خير أطرها غير مغفل جمال اللوحة نفسها . وهو هنا ناقد فني بصير . ولا تخونه من حين إلى حين الموازنة

بين صورة ناطقة لشاعر وصورة صامتة لمصور.. فصورة « طرفة » التي يقول فيها :

وجالت عذارى الحى شتى كأنها توالى صوار والأسنة تزعف

تذكّره بصورة لرافائيل الإيطالي كانت موضع نقد من النقادة الفرنسى Muntz ص ١١٠

وقولة حميد الراجز فى صفة القلب عند وشك الفراق تذكره ببيت للشاعر « ڤرلين » ص ١١١ . ولوحات الشعر الجاهلى الحيوانية تذكره بالمثّال المصور الحيوانى (بارى) ص ٥٧ .

وإذا كان أبو نواس لم يفطن إلى نعت الإبل وناءها فأن المؤلف يلومه على هذا الاغفال لحقيقة فطن إليها الجاهلى فى شعره — ص ٧٠ .

وهكذا ترى المؤلف فطنا إلى مافى دقائق الشعر الجاهلى من تمثيل وتصوير، حتى كاد كتابه يكون قائما كله على هذه الناحية ، وهو على ذلك مثن عليه أطيب ثناء . إلا أنه — فى بعض مواطن من الـكتاب — قد يعدل عن الرسم الصحيح للشعر . وكان خيرا لو راعى الوزن فى الرسم كما راعى التقصى فى البحث . فى صفحة ٧٢ البيتان السادس والثامن من شعر البحترى لم يرسما على نهج صحيح .

وفى صفحة ٤٨ ذكر البيت المشهور :

تبيتون فى المشتى ملاءً بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خماصا

والصواب (يبتن خمائصا) على وزن فمائل كما ورد فى الأمالى حـ ٢ ص ١٥٨ طبع دار الـكتب . وفى صفحة ٤٧ نسب البيت المشهور : —

أيا شجر الخابور مالك مورقاً كأنك لم تجزع على ابن طريف

إلى الشاعرة ليلى الأخيلية . وقد نسبه ابن خلكان فى وفيات الأعيان إلى الفارعة أخت الوليد بن طريف وقيل فاطمة وقيل ليلى . ولـكنها على كل حال غير ليلى الأخيلية — راجع وفيات الأعيان حـ ٢ ص ٢٣٦ الطبعة الأميرية البولاقية

وفى صفحة ٨٧ (قال أبو الهندى ..... يصف أباريقا) . ولعلها أباريق ممنوعة من الصرف . وفى صفحة ٦٩ (ترى المصور أو الشاعر مولع) وهى من أخطاء الطبع . وفى صفحة ٥٤ (إذا نظرت إلى الجمل .... لتبينت) . واللام لاتقع جوابا لاذا الشرطية وإنما تقع جوابا (للو) فى حالة الأثبات غالبا

وفى صفحة ٦٥ (فيمكن للمصور تجريدها) واللام هنا لامحل لها .

وفى صفحة ٧٢ (حاول الأدباء . . . . . تحديد مراتب وطبقات الشعراء) والأولى أن يقال (تحديد مراتب الشعراء وطبقاتهم) . فقد أولوا قول الفرزدق (بين ذراعى وجبهة الأسد) على تقدير مضاف اليه محذوف أى بين ذراعى الأسد وجبهته — المفصل للزمخشرى مطبعة الـكوكب الشرق ص ٥٠

وفى صفحة ١٢٣ وردت الآية الـكريمة هكذا (فما بكت عليهم الأرض والسماء) . وصحة الآية (فما بكت عليهم السماء والأرض) .

تلك مآخذ شكلية لا تمس لباب هذا الـكتاب القيم الذى نتوقع له من الرواج ما يتفق وإخلاص المؤلف فى نيته وتحمسه لفـكرته وافتخاره بعربيته — حفظ الله به الأدب .

محمد عبد الغنى حسن

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 607

Lundi - 19 - 2 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٦٠٧ « القاهرة في يوم الإثنين ٦ ربيع الأول سنة ١٣٦٤ — الموافق ١٩ فبراير سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الرباط المقـــدس

للأستاذ عباس محمود العقاد

الرباط المقدس هو اسم رواية جديدة من قلم صديقنا الكاتب الفني الموهوب الأستاذ توفيق الحكيم.

والرباط المقدس هو رباط الزوجية

والتقديس يقترن في الذهن بالتحريم، والتحريم يقترن في الذهن بالاغراء، وهذا هو المعنى الذى فصله الأستاذ الحكيم في هذه الرواية أجمل تفصيل، وانتقل به خطوة خطوة بل همسة همسة من الوفاء إلى الاباحة فانساق معه القارىء في رحلة نفسية طبيعية لافجوة فيها، لأنه لم يسه فيها عن لمحة واحدة من اللمحات التى تتحول بها النفس من شعور إلى شعور ومن عزم إلى عزم ومن عمل إلى عمل، فاذا هي بدايات تنتهى إلى غاية بعيدة لمن ينظر إلى الطرفين الأقصيين، ولكنها لاتلوح للقارىء التتبع إلا بداية بعد بداية لا يفرقهما قيد شعرة من خطرات الضمير.

وخلاصة الرواية أن فتاة تزوجت رجلا يكبرها ولكنه يناسبها في عمرها، وكان الرجل من قراء الكتب وعشاق الثقافة، فأحب أن تشاركه زوجته في مسراته الفكرية، وأحبت هي أن ترضيه فقصدت إلى كاتب معروف — راهب الفكر — لتسترشده في تربية ذوق القراءة والأدب عندها، وشعر زوجها بأثر هذه الزيارة — وإن لم يعلم بها — فذهب إلى راهب الفكر أيضاً ليشكر له إقبال زوجته على قراءة كتبه ومشاركته في متعة فكره، ثم انقطع مابين راهب الفكر وبين الزوجين حتى خطر لراهب الفكر يوما أن يعتزل الناس في بعض الفنادق الخلوية فاذا به يلقى الزوج مع ضابط من أقربائه وهما قلقان مضطربان، ثم يعلم جلية الأمر فاذا بالزوج قد عثر في بيته على كراسة حمراء تنطوى على مفكرات خاصة كتبتها زوجه واعترفت فيها بعلاقة غرامية بينها وبين ممثل من ممثلى أدوار الغرام على اللوحة البيضاء. وأشارت فيها إلى غوايات فتاة أخرى هي زوجة ذلك الضابط القريب. فأخذ الضابط القريب يشك في ذريته من تلك الفتاة ويستعيد حوادثها التى كانت في أوانها موضع ريبة لايفهمها. ثم توسط راهب الفكر بين الزوجين فأخفقت الوساطة وأوشك الراهب أن يقع في الفتنة لولا دقات جرس التليفون، ثم افترق الزوجان وضاقت الدنيا بالضابط فأطلق النار على نفسه، وثاب الراهب إلى صومعته كما كان.

هـذا مجمل سريع للقصة لا يغنى شيئاً عن تفصيلها، لأن هذا التفصيل هو المقصود وليست الحكاية لذاتها، وفي هـذا التفصيل تتجلى قدرة الكاتب الفنان على تصوير لفتات النفس ووساوس الضمير والانتقال بها من عصمة الوفاء إلى إباحة الخيانة

في خطوات قصار لايشعر بها المتتبع لها إلا وقد شارفت نهايتها القصوى .

وأقوى مايكون هذا التسلسل في ضمير بطلة الرواية وفي ضمير راهب الفكر نفسه . ثم في ضمير الرجلين المتزوجين .

فالزوجة – بطلة الرواية – مثل صادق للفتاة المصرية التي تنعم بدفء الزوجية فلا يستقر لها قرار أو تحترق بالنار ، لأنها تلمح وهج النار حولها في كل مكان فلا تصبر على النظر إليها والدفء بها دون الوقوع فيها .

وراهب الفكر — ولعله مؤلف الرواية — مثل صادق للرجل الذي يعيش بين الصومعة والحياة فيأخذ من الحياة للصومعة ويأخذ من الصومعة للحياة . ولكنه يخفق من هذه كما حرفته عن تلك ، ولا يرى في إحداهما غنى عن الأخرى .

وأصوب مايقال في شرح هاتين النفسين أنهما دراسة فنية تحليلية من الطراز الأعلى ، ولو لم تكن في القصة إلا هذه الدراسة لكفى بها مادة حية وزادا شهيا لمن يولع بدراسات الفن والتحليل .

أما وضع القصة فهو مع تشويقه واستطراده تقل فيه الروابط الطبيعية التي تمسك أجزاءها وتحل في محلها روابط من عمل التأليف تأتي بها المصادفة ولايستلزمها السياق .

مثال ذلك أن الفتاة — بطلة الرواية — تقصد إلى المؤلف لأنها مغلقة النفس من ناحية الأدب والتفكير ، قد عيت بطبعها وعيّ بها زوجها في رياضتها على القراءة فضلا عن الكتابة .

ولكننا نستمع إلى حوارها مع راهب الفكر فإذا هي تساجله فكرة بفكرة وفطنة بفطنة وبراعة ببراعة . فتقول له مثلا إذا تمنع من رؤيتها في ملعب التنيس : « ... يجب أن تهبط إلى ملعبي لترتفع بي . هكذا يفعل الأنبياء دائما . يهبطون إلى الناس حتى يستطيعوا بعد ذلك أن يصعدوا بهم إلى السماء . ولم يحدث قط غير ذلك . ولا تنتظر أن أصعد أنا إليك توا بغير أن تهبط أنت إلي وتأخذ بيدي ... »

ثم نقرأ كلامها في الكراسة الحمراء فإذا هو كلام أديب وصافة لا تفوته خلجة من خلجات الوهم ولا لفتة من لفتات الملاحظة ، ويبدو عليها أنها أستاذة في هذا الفن وليست بالتلميذة الناشئة التي تتعثر فيما تحس وفيما تقول .

فمناسبة اللقاء هنا بينها وبين راهب الفكر ضعيفة ، وأضعف منها سبب التعارف بينه وبين زوجها ، لأنه ذهب إليه يشكره على اهتمام زوجته بقراءة كتبه ، ولم تكن بينهما رابطة تدعوهما إلى اللقاء غير هذه الرابطة ، ومنها استحكمت الصلة بينهما حتى أطلعه الزوج فجأة على سر بيته وبيوت أقربائه .

وفي الرواية صفحات طوال عن النساء اللواتي يحسبن مثلا في التاريخ للزوجات الوفيات . وكل مناسبتها في سلك الرواية أن راهب الفكر كتبها إلى طيف الفتاة بعد لقائها واشتغاله بأمرها وهو ينوي أن يطويها عنها ولا يطلعها عليها . وقليلا مايخطر على البال المشغول بامرأة في عصمة رجل آخر أن يجعل أحلامه كلها بقديسات الوفاء الزوجي . وهو يكتبها لنفسه ولا يقصد بها عظة الفتاة وتعليمها .

وتشيع في الرواية مناسبات المواقف ومداخل الشخصيات من هذا القبيل ، ولكنها ملاحظة على الشكل لاتنفذ الى جوهر الموضوع ، ويبقى بعد ذلك أن صفحات الرواية جميعها مادة قراءة فنية تحليلية قليلة النظير في أدبنا الحديث ، بل في كل أدب حديث ، وهي مما يعرض للمقارنة بينه وبين ثمرات الأقلام التي تجود بها قرائح الممتازين من أدباء الغربيين في هذا الجيل .

ويلحق بهذه الملاحظة الشكلية هفوة هنا وهفوة هناك من هفوات اللغة المطروقة كمساق في موضع سوق ونسوى في موضع نشوة وتعدية الأفعال بغير حروفها أو في غير مواضعها ، وهي جد قليلة في أكثر من ثلثمائة صفحة من الحرف الدقيق .

ولكن الملاحظة التي تدخل في جوهر الموضوع هي الملاحظة التي تدور على حدود الوصف « المكشوف » في الروايات والكتب عامة .

فالاستاذ توفيق الحكيم من أغنى الكتاب القاصين عن اثارة التشويق والتطلع بالافاضة في تصوير الغرائز التي لا حاجة الى تصويرها ، لأنه يملك زمام التشويق بوصفه لأنزه خواطر الفكر وأرفع سبحات الروح ، فلا حاجة به الى تنبيه الغرائز في زمن شكواه الكبرى فرط التنبه في غرائز أهله .

ولهذا وددنا لو خلت الرواية من صفحتين أو ثلاث لايضطرنا السياق إلى إثباتها ، وإن ذلك لخليق بالكاتب المتحرج الذي وصل الى الفتنة فدق للنجاة منها جرس التلفون ... لكيلا يسمح لغريزته أن تنطلق الى مداها .

على أن صديقنا الأستاذ كما أسلفنا متردد بين عتبة الصومعة

أبو العـــلاء المعرى

التفاؤل والأثرة عند الشيخ

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

— ٤ —

الأمل :

لى أمـــل ، فرقانه محكم أقرأه غضـاً كما أنزلا [١]

أجرى من الخيل آمال أصرفها لها بحثّى تقريب وإخباب [٢]

لا تقنطن أيها الإنسان ، فإن بلغتك [٣] عند الله الكريم ، والرزق يطلبك وأنت تبصر الأحلام . لو أن للرزق لساناً هتف بمن رقد ، أو يدا لجذب المضطجع باليد ، أو قدماً لوطىء على الجسد ، لا يزال الرزق مرنقا على الهامة ترنيق الطير الظماء [٤] على الماء المطمع [٥] .

(١) فى حديث : الأمل رحمة لأمتي ، لولا الأمل ما أرضعت أم ولداً ، ولا غرس غارس شجرا . ومن أقوالهم : أعظم المصائب انقطاع الرجاء ، قتل القنوط صاحبه . وللحجاج : أمس أجل ، واليوم عمل ، وغدا أمل .

(٢) التقريب والخبب : ضربان من سير الفرس فى الأصل .

(٣) البلغة : ما يتبلغ به من العيش ولا فضل فيه ، وتبلغ بكذا اكتفي به .

(٤) رنق الطائر خفق بجناحيه في الهـواء ورفرف ولم يطر . =

سم اهـــلال إذا عاينته قمرا إن الاهلة عن وشـك لأقمار

وقد يخمل الإنسان فى حنفوانه وينبه من بعـد النهى فيسود

أحسبت الخير ليس بمثمر ؟ بلى . إن للخير ثمرة لذت فى المطعم ، وتضوعت لمن تنسم ، وحسنت فى المنظر والمتوسم ، وجوزت الحد فى العظم ، فما ظنك بثمرة هذه صفتها ؟ !

هون عليك :

الأمر أيسر مما أنت مضمره فاطرح أذاك وهون كل ماصعبا

إذا تفكرت فكراً لا يمازجه فساد عقل صحيح هان ما صعبا

العلم كالقفل ، إن ألفيته عسرا فخـــله ثم عاوده لينفتحا

دع ما ضر وصعب ، إلى ما نفع وهان . واترك المضلة إلى المرشدة فإن طرقات الخير كثير .

لا طيرة :

الأيام كلها لله ، وربما ساءتك عروبة [١] ، وسرك الخميس . وإذا نزل بك نازل فى يوم فلا تمقته لذاك .

بركات الله ورحمة :

يبعث الله فى نهـار وليـل بركات من رزقه مدروره [٢]

= فى الأساس : هو ظمآن وهي ظمأي وهم وهن ظماء .

(٥) المطمع الذي أطمعها في النزول عليه (أبو العلاء) .

(١) الجمعة ، في « النهاية » : هو اسم قديم لها وكأنه ليس بعربي ، يقال : يوم عروبة والعروبة ، والأفصح ألا يدخلها الألف واللام .

(٢) « مدرورة » كثيرة ، فى الأساس : ومن المجاز : درت الدنيا على أهلها إذا كثر خيرها .

وعتبة الحياة ، ولم يزل مترددا بين العتبتين من الصفحة الأولى الى الصفحة الأخيرة .

ففى هذه الصفحة الأخيرة يقول عن راهب الفكر : « أما هو فقد رجع إلى عاداته السابقة ... يفض رسائل قرائه فى الصباح باسم الثغر هادىء الأعصاب . وإذا هو بعد زمن قليل قد وقعت فى يده رسالة بين البريد ارتجف لها : إنها من امرأة تسأله أن يحدد موعداً للقائها لأنها تريد أن تحادثه فى شأن من شئون الأدب والفكر ! . فصاح فى نفسه : لا . لا . كفى ... ألم يعرفهن ؟ .. وضغطت أصابعه على الرسالة تريد أن تمزقها ... »

هكذا كتب الأستاذ توفيق فى الأسطر الأخيرة من الصفحة الأخيرة عدا سطرين اثنين .

ولو ختم الرواية بعد ماتقدم لأحجم الأديبات عن سؤاله وعلمن أن التمزيق العاجل نصيب تلك الرسائل التى يكتبنها اليه ...

وهو يريد ولا يريد .

وهو يتردد بين الصومعة والحياة

ولهذا اتكل على الله وختم الرواية معتصما بالشجاعة فقال ان « الشجاعة ليست فى تجنب مزالق الجسد وتحاشى مواطن الزلل . بل فى مواجهتها بمصباح الحقائق ونور المثل العليا »

ومصباح الحقائق إذن هو الكفيل بانتظام البريد فى مجراه ، وليكتب اذن من يكتب فان راهب الفكر شجاع !

عباس محمود العقاد

١١ ٥ ٢٤

غشيت رحمة الله كل الحيوان ، وتكفل بالرزق لكل المتغذيات .

فرح الملأ بالكلأ [١] ، وحق لهم أن يبتهجوا برزق الله الكريم . جاء اللَّبأ [٢] ، وذهب الوَبأ [٣] ، فسبحان الله العظيم ! يا خصب ، ثِب لتراق الكُثَب [٤] على الكُثُب [٥] وعلى الله رزق العالمين .

السماء تَدِق [٦] ، والبلاد تورق ، والله الموفق ، والرزق بكرمه متدفق .

والشمس تغمر أهل الأرض مصلحة
ربّت جسوماً ، وفيها للعيون سنا

طهت لك الشمس ما يغني أخادعة
عن أن يكون له في الأرض طاهونا

الإقدام ، الجسارة :

وإني رأيت الصعب يركب دائماً
من الناس من لم يركب الغرض الصعبا

والعيش جسر ، نال من هو جاسر
أو كاد فيه وخاب من لم يجسر

ويحمد الصابر الموفي على غرض — لا عاجز بعرى التقصير معقود

ينبغي للمسبوق ألا يؤثر بصبوح ولا غبوق [٧] ، فليستحي المتأخر أن يفتخر .

الخيف من رأي السخيف ، فاجر على مَسْطَرتك في تقوى الله ؛ والخيل بفوارسها متمطرات [٨] .

إنما نحن في أحلام نائم لا أحلام ذوي العزائم ، وقديري الراقد

(١) الكلأ : العشب ج أكلاء .
(٢) اللبأ : اللبن ، أوله .
(٣) بالقصر والمد .
(٤) الكثبة : الطائفة من طعام أو غيره ، القليل من اللبن .
(٥) الكثيب : التل من الرمل .
(٦) تدق : تمطر . وفي الأساس : ودقت السماء ، والمطر . وفي التاج : الودق : المطر كله شديده وهينه .
(٧) الصبوح كل ما أكل وشرب غدوة وهو خلاف الغبوق : شرب العشي (اللسان) .
(٨) « الخيف : جمع خيفة ، (المطرة) العادة (متمطرات) جمع متمطرة وهي المجتهدة في العدو » والتفسير للشيخ .

نفسه مع الفراقد ، فإذا استيقظ رآها بالجدد [١] .

وكن في كل نائبة جريئاً — تصب في الرأي إن خطيء الهدان [٢]
وسائل من تنطس في التوقي — لأية علة مات الجبان [٣]

اشجُع فإن أقدار الله لا تعجل إلى الشجاع .

صُل على الظالم بالمنصل [٤] .

الدنيا ، الحياة :

خُلقت من الدنيا وعشت كأهلها
أجد كما جدوا ، وألهو كما لهوا

أمور دنياك سطر خطه قدر — وحبها في السجايا أول السطر [٥]
ولا تظهرن الزهد فيها فكلنا — شهيد بأن القلب يغمر عشقها
نفسي بها ونفوس القوم ملهَجة — ونحن نخبر أنا لا نباليها [٦]
أمرتني بسلو عن خوادعها — فانظر هل أنت مع السالين ساليها
ولا ترى الدهر إلا من يهيم بها — طبعاً ، ولكنه باللفظ قاليها

فتروّ من هذي الحياة لكي تموت النفس ريّا

الموت ، كرهه :

والنفس آلفة الحياة فدمعها — يجري تذكر فراقها منهلّه !

ولم أرد المنية باختياري
ولكن أوشك الفتيان سعيي [٧]
ولو خيرت لم أترك محلي — فأسكن في مضيق بعد رحب !

فليت الفتى كالبدر جدد عمره — يعود هلالاً كلما فني الشهر !

(١) « الجدد » : الأرض .
(٢) « الهدان » الضعيف الجبان الذي لا يهتدي لأموره . « شرح السقط » والهدان الأحمق الثقيل .
(٣) تنطس في كل شيء إذا أدق فيه النظر « الأساس » .
(٤) « المنصل » — بضم الميم والصاد . وبضم الميم وفتح الصاد — السيف . في « التاج » : قال ابن سيده : لانعرف في الكلام اسماً على مفعل ومفعل إلا هذا وقولهم منخل ومنخل .
(٥) في المصباح : وتفتح الطاء في لغة بني عجل فيجمع على أسطار ، ويسكن في لغة الجمهور فيجمع على أسطر وسطور .
(٦) ملهجة : مولعة .
(٧) الفتيان : الليل والنهار .

أحسن بدنيا القوم لو أن الفتى ... لا يُقتضى ، وأديته لا يحلم[(١)] !

تضاعف همى أن أتنى منيتى ... ولم تقض حاجى بالمطايا الرواقص[(٢)] !

فواها لأشباح لكم غير أنها ... تبدل من أوطانها برموس !

أنبأنا اللب بلقيا الردى ... فالغوث من صحة ذاك النبأ !!!

موت البطولة :

هناك ضرب من الموت لا يكره ولا يذم بل يحب ويعظم ، وهو موت البطولة فى الوغى . وقد حرض الشيخ عليه ، والحرب شرعة العربى :

إذا المـرء لم يغش الكريهة أوشكت ... حبال الهوينى بالفتى أن تقطعا[(٣)]

والجهاد من دين المسلم :

« كُتبَ عليكم القتال وهو كُرْهٌ لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شرٌّ لكم ، والله يعلم ، وأنتم لا تعلمون » .

« وجاهدوا فى الله حقَّ جهاده » .

« وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون » .

« انفروا خفافا وثقالا[(٤)] ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » .

وإذا كان الحال كما قال الشيخ .

وما سلُّ المهند للتوقى ... كسل المشرفية للتشفى

فلموت يومئذ خير من ألف حياة ، خير من الخلود .

من السعد فى دنياك أن يهلك الفتى ... بهيجاء يغشى أهلُها الطعن والضربا

فإن قبيحا بالمسوَّد ضجعة ... على فرشه يشكو إلى النفر الكربا

كلٌّ يحاذر حتفا وليس يعدم شربه ... ويتقى الصارم العضب (م أن يباشر غربه

(١) يقتضى : يطالب كأن الحياة دين عنده فإذا جاء الأجل اقتضاه المقتضى .

(٢) رقص البعير يرقص رقصاً — محرك القاف — إذا أسرع في سيره . ولا يقال يرقص إلا للاعب والابل وما سوى ذلك فإنه يقال : يقفز وينقز . «اللسان» .

(٣) لسكنجبة العرني فى مفضلية .

(٤) خفافا من السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة أو شبانا وشيوخا أو صحاحا ومراضا «الكشاف» القصد بالآية الحث على النفر على كل حال تصعب أو تسهل «مفردات الراغب» .

والنزع فــوق فراش ... أشـد من ألف ضربه

لقد ركزوا الأرماح غير حميدة ... فبعدا الخيل فى الوغى لم تطارد !

وما يجمع الأشتات إلا مهذب ... من القوم يحمى باردا فوق بارد[(١)]

لضربة فارس فى يوم حرب ... تطير الروح منك مع الفراش[(٢)]

أخفُّ عليك من سقم طويل ... وموت بعد ذاك على الفراش

ألا تنهـض للحرب ... وتدعو للوغى شوسك[(٣)] ؟

وقد علمتُ وغيرى عن مشاهدة ... أن العلا إلفُ قوم فى الوغى ليس[(٤)]

وجدتُك أعطيت الشجاعة حقها ... غـداة لقيت الموت غـير هيوب

من السعادة أن يموت القوم كراما

للحديد العلا على سائر الجوهر ... ذلُّ العدى وعزُّ الضيوف[(٢)]

فوارس خيلكم تُعطى مناها ... إذا دمَّى نواجذَها الشكيم[(٥)]

وفى بيض السيوف بياض عيش ... بذلك — فاعلموا — نطق الحكيم

القوة :

يخضع الظبى الأخضع[(٦)] . وينتصر الليث المهتصر .

المال ، تمجيده :

والمال خدنُ النفس غير مدافع ... والفقر موت جاء بالإمهال

أوَ ما ترى حكم النجوم مُصوراً ... بيت الحياة يليه بيت المال

ما اليسر كالعُدم فى الأحكام بل شحطت ... حال المياسير عن حال المحاويج

(١) « البارد » السيف ، البوارد السيوف القواتل « اللسان » . يحمى السيف فوق الدرع أو السيف فوق السيف .

(٢) فراش الرأس : عظام رقاق تلى القحف . والقحف العظم الذي فوق الدماغ .

(٣) الأشوس : الجرىء على القتال الشديد « اللسان » .

(٤) رجل أليس من رجل ليس وهو الذى لا يبالى هولا ، ولا يروعه شىء « الأساس » .

(٥) الشكيمة في اللجام الحديدة المعترضة فى فم الفرس التى فيها الفاس ، وفأس اللجام الحديدة القائمة فى الحنك .

(٦) [illegible] أخضع : راض بالذل « الأساس »

انفق لترزق فالثراء الظفر ، إنْ يُترك يَشن ويعود حين يُقلم

ينبغي لمن يرث ، أن يحترث ، وإلا فنى التراث

جل من سخره لقضاء الحاج

أعتمدُ على ذي وجهين ، ما عُرف قط بالَمين . لو كان رجلاً لكان ناصح الجيب ... سبّح ربه مذ خُلق ، إذا انطلق به فهو منطلق ، ومتى بُعث فى المآرب قضاها ، والله بلطفه أمضاها . ثم يُحبس ولا ذنب له . سجين فهو طول الدهر مستريح ، لا تلج عليه الشمس ولا الريح . لا يأكل ولا يشرب ... له منزل مادخله الهم ... إذا غاب الحافظ عنه فله الختم . وليس ذلك من القضاء الحتم ... خُص بالعمر الطويل ، وتناسخه جيل بعد جيل ، فظهر فى الأكاليل ، والأسورة والخلاخيل ، والكأس الدائرة بشراب الكرم والنخيل . ما شاب ولا هرم . ولا درِم[1] للكبر ولا دَرِم[2] . ملكه قوم فدفنوه ، فتطاولت فى الأرض سنوه ، ثم ظهر ما نُسى اسمه ، ولا تغير جسمه ... به صفرة من غير الضرب ، ظهر بها فى الشرق والغرب ... تلقاه معلِماً بالتوحيد ، وليس بالعالم ولا البليد ، ولكن الله أنطق بعظمته كل جماد ... جلَّ من سخره لقضاء الحاج[3] .

العمل

تروم رزقاً بأن تموت متكلا وأدينُ الناس من يسعى ويحترف

لا تقومن فى المساجد ترجو بها الزلف
معملاً بسط راحتيك إلى نائل يُلف
وُرُم الرزق فى البلاد فإن رمته ازدلف

يعرى الفقير وبالدينار كسوته وفى صوانك ما إعداده خرف

(١) درم من الدرمان وهو تقارب الخطو.

(٢) درم من الدرم وهو سقوط الأسنان ، ومن ذلك قيل : كعب أدرم ، والمعنى أن نقشه لم يزل وخشونته لم تملاس «أبو العلاء» .

(٣) ورد هذا الوصف البارع «فى الفصول والغايات» ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ ومن قول الشيخ فى هذا الكتاب ص ٧٧ : « فى الحق من الذهب ثلاث خلال : حسنه ، وتقاه ، وبقاؤه على الأبد بغير تغيير » وكتاب « الفصول والغايات » من أعظم مؤلفات الشيخ وقد أفضل على العربية بنشر الجزء [illegible] محمد محمود [illegible] الأستاذ الكبير صاحب الرسالة هو الذى هدى الأستاذ زناتي إلى هذا الكنز .

أملكُ من شداد بن عاد ساعة تفتقر الأملاك رجل اشترى كرْا[1] ، وقصد منابت الشجر محتطباً ، فرجع بالعَضَد[2] متكسباً ، فأحل فى المكسب وأطاب

لا يصبرنْ فقير تحت فاقته

إن السباريت جابها السباريت[3]

من فى اللجة يغبط السائر على المحجة ، والمسافر يغبط المقيم ، والغنيمةُ مع الظاعنين

العمل — وإن قلَّ — يستكثر إذا اتصل ودام

من سهر فى الليالى السود فأحر به أن يسود

بُلغ أمل بعمل ، وأهلُ التقصير بلا عون ولا نصير

أجدْ عملك وجِدّ فيه

طِدْ بناءك على أس

الثمر ، النبات

فإذاملكت الأرض فاحم ترابها من غرسه شجراً بغير ثمار

إذا رملة لم تجىء بالنبات فقدجهلت إن سقتها السوانى[4]

(١) الكر : الحبل ج كرور.

(٢) العضد : ما عضد من الشجر ، وعضده قطعه بالمعضد وهو كل ما عضد به الشجر « لسان » .

(٣) السباريت : الفلوات . جابتها : قطعتها . السباريت : المساكين والمحتاجون ، جمع سبروت وسبريت . وفى « نقائض جرير والأخطل » لأبى تمام : صعلك الرجل وسبرت إذا افتقر ، وفى « التاج » سبرت الرجل قنع وتمكن .

(٤) السانية : الساقية ، عنى بالسوانى السحب .

في عيد المعري (*)

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ٢ —

ويوم الاثنين ثامن شوال سنة ١٣٦٣ من الهجرة ، اجتمعت وفود البلاد العربية فى جامعة دمشق ، واحتشد الناس ليشهدوا افتتاح المهرجان ، وجلس الوفود على منصة عالية فى صدر المجلس ومعهم رئيس المجمع العلمى العربى وأعضاؤه — وهم الداعون إلى الاحتفال والقائمون عليه — وحانت ساعة الافتتاح فأقبل رئيس الجمهورية وجلس وسط الصف الأول من الوفود ومعه بعض الوزراء وكبراء الدولة .

أمة تمجد شاعراً من شعرائها ، وقد احتفلت لهذا واجتمعت له ، وشهد الاجتماع رئيس الدولة . ذلكم أمر أمم ، وخطب يسير لو وقف الفكر عند هذا المظهر المرئى ، وهذا الجمع الحاضر ؛ ولكن وراء هذا المرأى معان ومعان ؛ هذه الأمة العربية المجيدة قد عرفت نفسها ، وتبينت وحدتها ، فبعثت وفودها إلى دمشق لتجتمع على تمجيد شاعر من شعرائها . فالتقت فيها وجوه متعارفة لا تتناكر ، وقلوب متعاونة لا تتنافر ، وتحدثت عن الماضى والحاضر ، وطمحت إلى الآتى بآمال مجتمعة ، وعزائم مجمعة ، وقد اجتمعت فى الساعة نفسها وفودها فى الاسكندرية لتشرع لوحدتها شرعة ، وتخط لها منهاجا ، وتتحالف على الخطوب ، وتعد للحوادث ، وتلقى الزمان برأى جميع ، وأمر جامع . ولم يوافق إجتماع دمشق إجتماع الاسكندرية إلا إيذانا بيقظة هذه الأمة ، وطلبها المجد والكمال فى كل نواحيها ، وسلوكها كل سبيل إلى مقاصدها . وما رئيس الجمهورية هذا الجالس فى حفل المعرّى إلا ربيب الثورات وغذِى المحن فما نال مكان الرياسة من الجمهورية السورية إلا بأن العرب الثائرين تولوا أمورهم ، ونالوا مكانهم فى بلادهم ، وأن الثورة ظفرت ، والآمال تحققت ، وبدت بشائر الفجر الصادق للمستقبل الكريم . ولقد كان من مقاصدى يوم أزمعت شهود مهرجان المعرى أن أرى شكرى القوتلى وصحبه يصرفون الأمور فى حاضرة بنى أمية ، وأن أسعد نفسى برؤية ما تمنيت ، وشهود ما أملت . لقد أديل من الضعف للقوة ، ومن الذل للعزة ، ومن الفرقة للاجتماع . ولم يبق إلا أن تعتزم الأمة المجيدة وتقسم لتبلغن غايتها ، ولتنالن مُنيتها . وما أقسمت أمة وعزمت إلا أبرتها الحادثات ، وأمضى يمينها الزمان .

قلت فى نفسى ، والسرور يملؤها : قد احتفلنا من قبل بذكرى أبى الطيب المتنبىء فتجاوبت بلاد العرب بتمجيد الشاعر الكبير ما بين هضبة إيران وبحر الظلمات ، وكتبت مقالات وألفت كتب تناولت سيرته وأدبه . وتبين من يحتاج إلى بيان أن فى هذه الأقطار الواسعة أمة واحدة ، تنطق بلسان واحد ، وتروى عن تاريخ واحد ، وتتأهب لتأليف تاريخ هو على ضخامته واختلاف فصوله ، كتاب واحد .

ثم يدعى إلى الاحتفال بذكرى المعرى والحرب دائرة ، والخطوب محيطة ، والأسباب بين البلاد متقطعة فتصيب الدعوة هوى من أمة نزاعة إلى إحياء مجدها وحفظ تاريخها القديم وتسطير تاريخ جديد أعظم وأروع . وكانت دمشق مكان الجمعين وما أجمل أن يحيا أدب العرب ، ويذكر مجد العرب فى مدينة العرب : دمشق الخالدة .

وقد اجتمعت الوفود على ذكر الشاعر الفيلسوف الحزين المتشائم ، وهى فرحة مستبشرة ، ترى تباشير الصباح فى أعقاب الظلام ، وتكاد ترى أشعة الشمس من وراء الأفق ، ويعرف بعضهم فى وجوه بعض بسمة الأمل ونضرة الرجاء ، وقوة العزم وأهبة الجهاد الذى لا ينتهى دون الظفر .

احتفلنا بذكرى أبى العلاء يومين فى دمشق تلق المحاضرات فى العشى ، وللزيارات والمآدب سائر النهار وزلف من الليل .

ويوم الاربعاء عاشر شوال والساعة تسع ونصف من الصباح فصلت الوفود ومن معها من أدباء الشام وعلمائه تسير صوب الشمال . فتوالت السيارات على الطريق تخترق الغوطة الفيحاء

(*) انظر العدد ٦٠٠ من الرسالة .

الغناء وليست الغوطة إحدى جنات الدنيا ، فى حاجة إلى تعريف أو وصف ، وامتد بنا السير فيها زهاء نصف ساعة .ومررنا بقرية حَرَسْتا من قراها فذكرنا الإمام محمد بن الحسن الشيبانى الفقيه صاحب الإمام أبى حنيفة . ويقال إنه ولد بهذه القرية . وقال ياقوت فى معجم البلدان فى صفتها : « قرية كبيرة عامرة فى وسط بساتين دمشق ، على طريق حمص بينها وبين دمشق أكثر من فرسخ . » وعد ياقوت جماعة من العلماء المنسوبين اليها . ثم قال : « وحَرَسْتا المنطرة من قرى دمشق أيضا بالغوطة فى شرقيها » .

وجزنا الغوطة إلى أرض واسعة فيها كروم ومررنا بالثنايا . ويقال إن هناك ثنيّة العُقاب التى ركز عليها خالد بن الوليد رضى الله عنه راية العقاب حينما اجتاز بادية الشام ونجى، الروم من حيث أمنوا . وبعد قليل رأينا طريق بغداد يتفرع من طريقنا . وحسب هذا الطريق يمنا وفخراً أنه يصل بين دمشق وبغداد . وقد سعدت بقطعه عشر مرات فلم توحشنى قفاره ،ولم يعينى طوله ؛ بل أنست فيه بذكريات عظام ، وتحدثت فيه إلى آمال جسام .

وبعد قليل رأينا طريق تدمر ينشعب إلى يمين طريقنا ، ثم دخلنا أرضا جبلية يسير الطريق فيها على سفوح الآكام وحفاف الأودية ، ثم انفرجت الجبال واتسع السهل والساعة إحدى عشرة وبلغنا النبك بعد ربع ساعة ، وهى فى سهل واسع خصب . تلوح فى نواحيه قرى قليلة متباعدة وضياع وأشجار . والعمران والخصب ظاهران فى البلدة وحولها . وكذلك كانت فى القرن السابع . قال ياقوت : « قرية مليحة بذات الذخائر بين حمص ودمشق فيها عين عجيبة باردة فى الصيف صافية طيبة عذبة يقولون مخرجها من يبرود » . ويبرود هذه بين حمص وبعلبكّ وهى إلى الجنوب الغربى من النبك . والنبك مركز قضاء يسمى باسمها . ويستخرج فى نواحيها عرق السوس . وقد نزلنا على مجرى هذه العين ، فى بستان صغير فيه ناعورة . فاسترحنا واسترو حنا إلى البستان والماء والناعورة واحتفى بنا موظفو البلدة ونائب وأعيانها . واستأنفنا السير بعد قليل نؤم حمص فمررنا بدير عطية ورأينا على بعد إلى يسارنا قرية القارة . وهى قرية قديمة معروفة . قال صاحب معجم البلدان : « قرية كبيرة على قارعة الطريق . وهى المنزل الأول من حمص للقاصد إلى دمشق . وكانت آخر حدود حمص وما عداها من أعمال دمشق . وهى على رأس قارة وبها عيون جارية يزرعون عليها » والظاهر أن الأرض هناك كثيرة العيون وبهذه العيون تحيا الأرض هناك وتخصب وينبت الزرع والشجر وينشأ العمران . وكان معنا الأستاذ أديب التقى فقال : العامة يقولون : بين القارة والنبك بنات الملوك تبكى ؛ قلت : مم تبكى ؟ قال والعهدة عليه : من شدة البرد .

أخذ السهل يتسع حتى اختفت الجبال التى كانت تلوح بعيدة على يمين الطريق وابتعدت الجبال التى على يساره ، وأشير إلى سواد بعيد يبدو فيه الشجر والخضرة فقيل : انه منبع العاصى ، وشرعنا نرى آثار الخصب والنضرة فى سمتى العاصى . والعاصى أكبر أنهار سوريا ينبع شمالى بعلبك ويجرى صوب الشمال حتى يخترق بحيرة حمص ويمر بمدينة حماة . ثم يتجه صوب الشمال والغرب حتى يفيض فى البحر . وكم يفيض مجراه الخصب والبركة وينبت الزرع والجنات ، وينضر البساتين والمتنزهات ويدير النواعير الكبيرة الرائعة .

(للكلام صلة) **عبد الوهاب عزام**

منخفض القطارة

في صحراء مصر الغربية

للأستاذ ستابلتون ترول

كان قدماء المصريين يظنون أن منخفض القطارة هو الدار الآخرة . وكان قدماء الإغريق يعدونه الموطن الخرافي للغول الوحشي : ميدوس (Medusa) الذي كانوا يعتقدون أنه إذا نظر إلى شيء حوّله حجرا . ولا شك أن السبب في نشأة هذا الزعم هو ما كان يروى من القصص العجيبة عن الغابات والنباتات المتحجرة التي تغطي مساحة المنخفض . ولقد عبر منخفض القطارة جيش بقيادة قمبيز بن قورش الأكبر ، حينما زحف إلى مملكة سيوة لفتحها . ويحدثنا هيرودوت أن ذلك الجيش وقع فريسة لعاصفة رملية اجتاحته فلم يسمع عنه خبر . ولقد اجتاز الاسكندر الأكبر كذلك ذلك الطريق في عودته من سيوة بعد أن نادى به قساوسة المعبد السيوي إلهاً . تلك هي طبيعة منخفض القطارة ، حتى إنها ظلت مئات السنين تقذف الرعب الخفي في القلوب ، فكان الرحالون والقوافل تتجنبها دائما

ومع أن المنخفض قد كشف في أواخر القرن الثامن عشر وارتاده الرحالة الألماني رلفس (Rhulfs) سنة ١٧٨٤ ، لم تتجه إليه الأنظار اتجاها قويا إلا في فجر القرن التاسع عشر

على أن حديثنا هنا هو عن جماعة الكولونيل باكنولد (Bagnold) الذين اجتازوا المنخفض بالسيارات في سنة ١٩٢٧ وقد دون باكنولد ما جاء على غير ما كان يتوقع جمهور الناس ، إذ قال إنه لم يصادف في رحلته حوادث مثيرة أو خطيرة ، فلم يضلوا الطريق ، ولم تتعطل سياراتهم ، ولم تهاجمهم قبائل معادية . وقد قامت الفرقة برحلتها المنهكة من غير حوادث ولا مصادفات ولكنها عادت بوصف واضح لتكوين المنخفض . ويقول باكنولد إنه حتى في أثناء الحرب العظمى الماضية لم تحاول عبور المنخفض دوريات السيارات الخفيفة التي كانت تقوم بعملها في مصر لحراسة حدودها . ولقد بدأ رحلته من مينا ، باب الصحراء الغربية ، واختط طريقه جنوبي حافة المنخفض عابرا إلى قارة ، ومنها قدماً إلى سيوة — فبلغ ما قطعه في رحلته ٤٠٠ ميل . ولاشك في أن الرحلة لم تكن نزهة يتفكه بها ، إذ أن المنخفض ليس أرضاً صلبة ، لذلك كانت عجلات السيارات تغوص في التربة الرملية الملحية .

وكانوا في بعض الأحيان يقابلون قطعانا من الغزلان ترعى الحشائش المتناثرة التي تنمو بقطرات الندى ، والتي يحيط بها من كل ناحية سهول ممتدة من الرمل الأصفر ، تتلاشى بالتدريج في خط الأفق .

ويتألف المنخفض من سلسلة من الأحواض الضحلة تحتضنها حروف واطئة ملتوية من الحصباء السمراء المحترقة بأشعة الشمس . وتقطع الأكمات على مقربة من منخفض القطارة مجار تشبه الجداول الصغيرة ، غير أن الماء لم يعرف سبيله قط إليها . ومن المشاهد العجيبة في المنطقة الجنوبية للمنخفض انتظام الأكمات الرملية التي تنفصل كل منها عن الأخرى بما يقرب من مائة ياردة (أي نحو تسعين مترا) ، في صورة مجموعة متصلة من السلاسل الرملية . وتجد متناثراً هنا وهناك على الأكمات الرملية جذوع أشجار الغابات المتحجرة بما فيها من عقد وفروع ، وبعض تلك الجذوع غائر بحيث لا يبدو منها فوق الأرض الناعمة التربة إلا أعلاها بشكل يشبه مخالب عملاق تمتد في الفضاء . وفي أثناء عبور الفرقة للمنخفض عثروا على مواطىء أقدام لا بد أن يكون قد مضى عليها سنوات عدة ، ولكنها مع ذلك لم تكد تؤثر فيها العوامل الجوية . وهناك يلف صمت الصحراء الرهيب كل شيء ، كأنه ملاءة شاسعة ، ذلك الصمت الذي يستحوذ على مشاعر الانسان ، فان لم يسيطر العزم الصادق على أعماله حينئذ ، تغلب ذلك الصمت عليه فساقه في أي اتجاه طلبا للنجاة مما استولى عليه من السأم ، محاولا البحث عن سلوى يلجأ إليها في ذلك العمق الرهيب لسكون المفازة الشاسعة ، وما يزال كذلك حتى يضل الطريق فلا يعرف أمشرق هو أم مغرب . عندئذ تلحقه الخيبة والهزيمة فيقع في سبات — فان لم تسارع إليه النجدة كان الهلاك مصيره . تلك هي الأراضي التي اجتازها باكنولد ورفقاؤه .

وتدل الكتابات الجغرافية عن المنخفض على أن مصلحة المساحة المصرية قامت بتخطيطه على خرائط دائرية منذ سنة

١٩٢٧ ، وبذلك أصبحت مساحته معروفة على سبيل الدقة . وتكتنفه الأجرف الرملية من جانبيه الشمالى والغربى ، على حين أنه فى جانبيه الجنوبى والشرقى مفتوح منبسط بحيث ان قاعه فى معظم هاتين الجهتين يأخذ فى الارتفاع تدريجيا حتى يوازى المستوى العام للصحراء الحقيقية ويتلاشى فيه . وهذا التدرج فى الارتفاع من قاع المنخفض الى سطح الصحراء يجعل من الصعب تخطيط حد فاصل بين نهاية المنخفض وبداية الصحراء . على أننا اذا اعتبرنا المنخفض شاملا لبقعة الأرض الفسيحة التى ينخفض سطحها عن سطح البحر ، كان طوله من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربى ٢٩٨ كيلو مترا ، مع عرض يبلغ أقصاه ١٤٥ كيلو مترا ، فتكون مساحته ١٩٫٥٠٠ كيلو متر مربع . ويدخل فى حدوده واحة المغارة على جانبه الشرقى ، وواحة قارة — وهى واحة آهلة بالسكان على الدوام — على جانبه الغربى . ويقع الجزء الضيق للمنخفض ، أى الجزء الشرقى الذى به واحة المغارة ، على بعد ٢٠٥ كيلو مترات من القاهرة ، على حين أنه على مسافة لاتزيد على ٥٦ كيلو مترا من البحر المتوسط ؛ أما طرفه الغربى ، بالقرب من واحة قارة ، فانه يمتد الى نقطة تبعد ٨٠ كيلو مترا عن القرية الرئيسية لواحة سيوة ، كما تبعد ١٣٠ كيلو مترا عن حدود مصر الغربية . ويبلغ متوسط عمق المنخفض ٦٠ مترا تحت سطح البحر ، وأعمق نقطة فيه — وهى على مسافة ٣٠ كيلو مترا الى الجنوب الشرقى من قارة — يصل غورها الى ١٣٤ مترا تحت سطح البحر . ومما يسترعى النظر أن من الـ ١٩٫٥٠٠ كيلو متر المربعة التى تؤلف مجموع مساحة المنخفض جزءاً لايقل عن ١٣٫٥٠٠ كيلو متر مربع سطحها تحت مستوى سطح البحر بأكثر من ٥٠ مترا .

وتتغطى مساحة كبيرة من قاع المنخفض بتربة سبخة — وهى خليط من الملح والرمل — فيها على وجه العموم قليل من الماء ، وفى بعض البقاع تنبسط السبخة فوق أرض صلبة لايمكن اجتيازها الا بمشقة ؛ غير أنه فى جزء كبير من قاع المنخفض تتحول السبخة الى قشرة صلبة أو رخوة تغطى وحلا متشبعا بالأملاح — وهذا الجزء يستحيل اجتيازه . وتقع الأكمات الرملية التى أشرنا اليها من قبل فى أقصى الأجزاء الجنوبية للمنخفض ، وهى نتيجة لهبوب الرياح .

ويدل البحث الدقيق فى مساحة المنخفض والمنطقة المحيطة به على أنه لم يكن هنالك ولاشك اتصال مباشر بين البحر والمنخفض فى وقت من الأوقات . بل إن الماء الذى يوجد بالعيون القليلة التى ينز فيها الماء على مقربة من الجانب الشمالى انما سببه تواصل نشع الماء من تحت الأرض الى سطحها ، ذلك الماء الذى ينبع من نجود اندى (Ennedi) فى أقاصى الجنوب الغربى لمنطقة خط الإستواء بأفريقية ، ويسرى فى جوف صحراء ليبيا ، فيمد الآبار الأرتوازية فى الواحات الخارجة ، والداخلة ، وواحة الفرافرة والبحرية ، وسيوة . ويبلغ متوسط المطر الذى يسقط على منخفض القطارة نحو ٢٠ مليمترا فى السنة . ويتكون الجرف الشمالى للمنخفض من هضبة واحدة ممتدة بغير انقطاع ، ويبلغ ارتفاعه نحو ٢٥٠ مترا . أما سفح تلك الهضبة فيبدو كما لو أن نهراً عظيما كان قد اتخذ مجراه على امتداد حافته ثم جف ماؤه فلم يخلف سوى حوضه المحتفر . وفى هذا الحوض — الذى يمتد ، على أعماق مختلفة ، حتى داخل حدود ليبيا — نجد العيون المائية القليلة فى تلك المنطقة . أما العيون التى تستمد مياهها من الأمطار فلا وجود لها هنا .

ورحلة باكنولد ورفقائه كانت عبر الحدود الجنوبية لتلك المفازة السبخة ، الصامتة ، الرهيبة ، الخالية من الماء ؛ وكانت جعابهم لاتحمل أمتعتهم فحسب ، بل حملوا معهم كذلك كل قطرة من ماء الشرب العزيز الذى كان مقدراً لهم ، لكل منهم قدر معلوم لايتجاوزه فى كل يوم . وبلغ الركب آخر الأمر واحة سيوة ، حيث يبدأ بحر الرمال الذى لاساحل له ، وحيث تتلاشى على الخرائط المعالم الأرضية ، وتحل محل الخطوط التى تحددها النقط التى ترمز للرمال تتلوها الرمال ، وحيث يقرأ المرء على الخريطة تلك الإشارة الغامضة : « حدود الأكمات الرملية غير معروفة » .

ولقد عبر باكنولد ذلك البحر الرملى الشاسع بعد عبوره منخفض القطارة بسنتين ، وعاد كذلك بمعلومات قيمة .

* * *

ومن العجب أن بعض الرحلات الاستكشافية قد تبدو ابان القيام بها عديمة الأهمية ، ثم تحل من التاريخ المستقبل محلا رفيعا وتسيطر على بعض حوادثه سيطرة بليغة ، وبخاصة حين يكون مصير الشعوب فى ميزان القدر : فلقد وجد الجيش البريطانى الثامن فى منخفض القطارة ميسرة منيعة له حينما تقهقر من ليبيا واتخذ له

خطا دفاعيا جديداً يمتد من العلمين ، على ساحل البحر المتوسط الى حرف منخفض القطارة — وهى مسافة تبلغ نحو ٧٥ ميلا . ولقد وقف ذلك الحاجز المنيع عقبة كأداء فى وجه روميل وفرقه المدرعة التى كان يعتمد عليها كل الاعتماد . ثم أصبح ذلك الحاجز المركز الذى وثب منه الهجوم البريطانى حينما تجمع فى ذلك الخط ، ذى الخمسة والسبعين ميلا ، كل ما كان للجيش الثامن من عدد وعدة . ثم صب على « الجيش الأفريقى » الألمانى بتلك الصورة المهلكة ، حتى انه فى مدى ٣٨ يوما تفرق شذر مذر مرتدا الى طرابلس ، متقهقراً مسافة تزيد على ١٧٠٠ ميل — وهو أعظم تقهقر عرفه التاريخ الحربى . وفى أثناء تقدم الجيش البريطانى تحت لواء النصر فى أراضى ليبيا ، ألفى كذلك ميسرة طبيعيــــة أخرى ، تلك كانت بحر الرمال الشاسع الذى يلتقى بالصعوبات فى سبيل وسائل النقل العديدة « الميكانيكية » . وبذلك كان الجيش على الدوام خلوا من كابوس العدو اذا عن له أنْ يصد الهجوم بهجوم على الجناح أو المؤخرة ، مما كان يفسد جميع الخطط الدقيقة التى وضعها القائد مونتغمرى . أفلا يصح أن نقول ان منخفض القطارة كان اليد المساعدة التى مدتها الطبيعة الى مصر ، لانقاذها من العصابات النازية المغيرة ؟

***

ترى ، هل يظل منخفض القطارة ذا اهمية لمصر فى مستقبلها ، أم هل يبقى مفازة تتحدى جهود البشر ؟ ألا ان هناك مشروعا نافعا تقدم به الدكتور جون بول (John Ball) فى تقرير له . فقــــد اقترح فى سنة ١٩٢٧ ، وأعاد اقتراحه مرة ثانية فى سنة ١٩٣٣ ، بأن من الممكن استخدام منخفض القطارة لتوليد الكهرباء بالقوى المائية . وقد بحث الموضوع بمنتهى الدقة ، وعرض بشىء من التفصيل لطرق تنفيذه . واذا نفذ مثل هذا المشروع فان آلاف من العمال يستخدمون فى بناء الأقنية من البحر المتوسط الى حرف المنخفض ، كما تستخدم المهارة والكفاية الفنية التى تدخرها مصر فى رجال المساحة والهندسة من أبنائها . ذلك الى أنه اذا أمكن العثور على بقعة من الأرض مصمتة لاتتخللها المياه لتكون حوضا للملاحات ، كان من السهل انشاء منجم للملح بمساعدة محطة التوليد الكهربائى ، وبذلك يتيسر انتاج سلعة بثمن زهيد ، وهى الملح الذى لا يستغنى عنه بيت فى البلاد الشرقية .

وبناء على تقدير الدكتور بول يمكن الحصول من محطة الكهرباء على ٢٠٠ر٠٠٠ كيلووط صافية ، وان هـــذه القوة الكهربائية تزود المناطق الساحلية على الشواطىء المصرية برفاهية لاشك فى تقديرها ، كما أنها تحول مئات الأميال فى مناطق البرارى والصحارى الى مدن ومجتمعات تنبض بالحياة ؛ فان هذه القـوة الكهربائية هى التى تجلب معها حيث تسير الصناعة والتجارة والعمل لآلاف الناس .

ومن البديهى أن الأمل فى انفاذ ذلك المشروع يتوقف على الحاجة المستقبلة الى القوة الكهربائية ؛ غير أن أهم جزء فى نفقات أى مشروع لاستغلال ذلك المنخفض انما هو الأعمـال الانشائية اللازمة لحفر الأقنية لمرور المياه من البحر المتوسط الى المنخفض . على أن العمل لا ينقطع بمجرد انشاء هذه الأقنيـة ، فالحاجة الى أعمال الصيانة لمخازن الكهرباء ، وما اليها تظل أبدا قائمة ، كما تظل الحاجة الى العمل فى الملاحات .

وأمر آخر ، وهو أن تحويل المنخفض الى بحيرة يسبب زيادة صغيرة فى سقوط الأمطار على السهل الشمالى ، كما يخبرنا بذلك الخبراء فى حسابهم الدقيق . ومن الواضح أن هذه النتيجة تكون من أعظم الأمور نفعا للزراعة فى المناطق الساحلية ، كما أنها ترفع مستوى الماء فى الواحات المختلفة .

ألا إن شبان الأمم جميعها يتطلعون الى المستقبل : وسيكون أمام مصر ، بعد أن تضع هذه الحرب أوزارها ، فرص لا تعد للقيام بأعمال اصلاحية تؤدى بها خدمات لنفسها ولغيرها ، وتحتل بذلك محلها بين شعوب العالم الرئيسية ، متمتعة بثمار أعمالها ؛ تلك هى الفرص التى تتيح لأهلها من العلماء ، ومهندسى المساحة ، والأطبـاء ، ورجال الصناعة ، ومهرة الفنيين ، والطلاب ، أن يتقدموا الى الأمام — كل يؤدى نصيبه فى جمل العلم والصناعة مورداً عذبا ينهل منه جمهور الشعب . ومنخفض القطارة فى مصر ، على حد قول الدكتور بول فى مشروعه المقترح ، لايزيد على أن يكون أحد الأعمال الانشائية اللازمة بعد الحرب ، وهو عمل ينبغى أن ينال تفكيرا جديا من جميع المهندسين المصريين سواء أكانوا من رجال الكهرباء أم من رجال التعدين ، لكى تصبح ثمرة معارفهم ومهارتهم نفعا عميما لأبناء جلدتهم .

ستابلتون نرول

على هامش النقد .

خواطر متساوقة

فى النقد والأدب والأخلاق

١ — صرخة إنسانية ٢ — قفزة نفسية
٣ — تفاؤل مطمئن

للأستاذ سيد قطب

فى عدد « الثقافة » قبل الأسبق قصيدة لشاعر شاب « محمد العلائى » بعث بها إلى أبى العلاء « من القاهرة إلى المعرة » ... هى صرخة إنسان مألوم . قذفت به إرادة الحياة إلى دنيا كدنيا أبى العلاء ؛ ولم تكتف بهذا الشبه فى كيانه وموقفه فسمته « العلائى » أيضاً !

وعلى كثرة ما أقرأ من الشعر فى هذه الأيام منشوراً فى الصحف وغير منشور ، فقد وجدت فى هذه القصيدة طعماً لا أجده فى ذلك الكثير . وجدت طعم الصدق فى هذه الصرخة الباشرة ؛ فتحركت فى ضميرى كل أحاسيس « التعاطف » . ولا أقول كل مشاعر « العطف » كى لا أوذى الشاعر ، الذى ترتفع حساسته المؤذية حتى يقول هذه الأبيات :

شيخَ المعرّة هل مسّتك أهوالى ؟
وهل طويتَ زمانا تحت أثقالى ؟

هجرت دنياك لم تشهد مباذلها   ولم تعرّج على صحب ولا آل
ولم تساير مَودّات على رِيبٍ   ولم تصانع أذى عم ولا خال
ولا الوجوه إذا اهتزت ملامحها   بغمزة السوء من بال إلى بال
ولا العيون إذا رفّت بخائنة   ولا تميع مسلول ومحتال
ولا حبائل مطموس على جدث   به رميم الخطايا منذ أجيال
ولم تصعّد أمانيا إلى شجر   مدّ الظلال على طين وأوحال
ولم تضاحك غراب البين تحسبه   غرّيدَ سانحة من يومِ إقبال
ولم تذق خسّة الدنيا إذا مزجت   كأس المقل بأشواق وآمال
ولم تكابد رزاياها إذا جلبت   شؤم العثار على ضيم وإقلال

ووجدت طعم الصدق كذلك فى هذه الصورة الزرية التى يرسمها للجيل البائس الذى نعيش فيه :

بنو الأوان مسوخ لا كيان لهم   مرضى القلوب خطيئات لآباء
مَوْتى المشاعر إلا يوم تافهة   عمى البصائر إلا نحو أقذاء
هدّت كيانىَ بلواهم وحيرّنى   داء التفاهة فى موتى وأحياء
كأن ثرثرة الأفواه فى أذنى   رشاش سم على قلبى وأحشائى
تقى ، سمعىَ أشهى ما يفوه به   خيارهم يوم سراء وضراء
هم كالذباب فلا خير بأنفسهم   لأصدقاء ، ولا شر لأعداء
كلٌ سواء : فلا برٌ يفىء له   قلبى . ولا فاجرٍ أصليه بغضائى

يا أخى :

تلك — مع الأسف — صورة بنى الأوان . فى قلب كل « إنسان » وهى صورة كريهة شائهة . ولكنها هى الحقيقة الحقيقة . وقد تكون أنت أشد حساسية بها . ولكنك لست مفرداً فيها .

وإننى لأود لو تبلغ كلماتى هذه إلى أذنيك ، ولو تجاوزهما إلى قلبك . ولو تستطيع أن تنقل إليك اهتزاز نفسى ، فتشعر — على البعد — بهذا التجاوب معك فى دنياك !

* * *

وانتقلت من هذه الصرخة الوجيعة إلى مقال عدد الرسالة الأسبق للدكتور مندور عن « الرقص الكلاسيكى » وليست النقلة بعيدة — كما يبدو — فقد بدأ المقال هكذا :

« بدا لى أن أكتب عن الرقص ، وذلك أملا منى فى تقويم الأخلاق . وقد يبدو هذا غريباً ؛ فكيف نقوّم الأخلاق بالحديث عن الرقص ؟ ومع ذلك فهذا حق . فالرقص ونقصد به الإيقاعى والتعبيرى — لا الرقص الشرقى طبعاً — يورث من يزاوله من رجال ونساء قوة فى الجسم تحرر النفس من آفاتها »

نحن إذن فى مجال الشكوى من قيود النفس ومن ضمور الأخلاق . فى المجال الذى انبعثت فيه صرخة الشاعر الوجيعة ، لم نعده إلى سواه !

وتعجبنى قفزات الدكتور مندور — فى بعض الأحيان — ففيها طابع الحرارة ، وعنصر الإخلاص : وهو ميسّر لهذه القفزات ، وإن اختلفنا معه فى التطبيق هنا كما اختلفنا معه فى تطبيق « الشعر المهموس » !

اسمه يقول : « والرقص كما هو رياضة للجسم رياضة للروح . وذلك لأنه يغذيها بشعورين لهما أثر عظيم فى الحياة ، وهما الشعور بالمرح ثم الشعور بالجمال . وليس من شك فى أن هذين الشعورين من أضعف المشاعر عند الشرقيين ، حتى لأحسب أن جانباً كبيراً من ضعف النفوس الذى نشكو منه يرجع إلى الحزن الذى ينزل الخراب بالقلوب ، كما أن الإحساس بمعنى الجمال ومعاييره الصادقة يكاد يكون منعدما . والنفس الحزينة لا تعرف الثقة والتفاؤل . والحس الذى لا يدرك الجمال لا يحجم عن الخسيس من الأمور »

وكل ما يختص بأحزاننا الهامدة صحيح . ولقد كتبت فى عام ١٩٤٠ مقالا مطولا فى مجلة الشؤون الاجتماعية تحت عنوان : « مباهج الحياة عنصر أصيل فى الإصلاح الاجتماعى » بدأته بهذه الفقرات :

« نحن فى حاجة إلى حظ كبير من الفرح ، لأننا فى حاجة إلى حظ كبير من الحياة ، وإلى حظ كبير من سلامة الفطرة ، وصحة الشعور ، وهما أكبر مقومات الحياة .

« وحظنا نحن المصريين من الحياة ضئيل ، لأن حظنا من الفرح ، ومن المباهج الروحية ضئيل . وإنما يصح هذا القياس لأن الفرح الإنسانى ظاهرة نفسية وعقلية ، تقابل فى الحيوان ظاهرة القفز والوثب ، وفى الطير ظاهرة السقسقة والغناء ، وفى النبات ظاهرة التفتح والازدهار . وهذه الظواهر جميعاً دليل الحيوية والصحة فى الأحياء .

« نحن فى حاجة اذن الى حظ من الفرح الإنسانى الراقى ، لأننا فى حاجة الى حظ من الحياة الصادقة والفطرة السليمة .

« ولكن أهذا كل ما ينقصنا من ألوان الفرح ؟

« الواقع أن حظنا كذلك ضئيل حتى من الفرح الحيوانى الذى يدل على سلامة البنية وصحة الجسد واكتفاء الغريزة . والحرمان من هذا اللون ربما كان أخطر وأوغل فى العلة ، لأننا بهذا الوضع لا نرتقى فى سلم الصحة حتى الى مرتبة الحيوان ! »

« تشخيص » الدكتور مندور للعلة فى الشرق صحيح . ولكن الذى أخشاه هو ألا يكون قد وقع على العلاج الصحيح . وألا يكون رقصه المقترح هو الدواء المفيد .

فلقد ضرب المثل بالإغريق وإقبالهم على الرقص وأثر هذا الرقص فى تربيتهم الخلقية وفى عبادتهم للجمال . الجمال الذى هو قوام العمل الخلق : « وليس من شك كذلك أن عبادتهم للجمال وحرصهم على التناغم والانسجام قد أحيا فى نفوسهم معانى البطولة ومثل الأخلاق . ومن البين أن أهم صفات العمل الأخلاقى هو جماله الشرقى » ...

فالذى أعتقده هو أن الإغريق انما أقبلوا على الرقص الذى « يستمد ايقاعه من الموسيقى الشائعة فى الطبيعة » لأنهم قبل أن يرقصوا فاضت نفوسهم بالحياة الدافقة ، وأحسوا موسيقى الطبيعة الشائعة ، فأفاضوا الحيوية الكامنة فى كيانهم رقصاً ، وبادلوا موسيقى الطبيعة الشائعة ايقاعا . ولم يكن الرقص الا منفذاً للرصيد المذخور .

وليس الذى ينقص الشرقيين هو أن يرقصوا على نغمات الطبيعة ، ولكن الذى ينقصهم هو أن يدركوا هذه النغمات ، وأن يجدوا لها رصيداً يكافئها فى نفوسهم فيجاوبوها بهذا الرصيد .

ان الحيوية الكامنة هى التى تنقصنا — فيما أحسب — فليس لدينا منها ما ننفقه فى الرقص وما ننفقه فى المرح ، وهما منفذان يتسرب منهما النبع الفائض حين يفيض . فمتى يمتلئ الإناء الفارغ ، حتى يتسرب وحتى يفيض ؟

هذه هى المسألة يا عزيزى الدكتور !

* * *

ولا تختم الصحيفة على هذا التشاؤم ، فى عدد الرسالة نفسه بصيص من نور فى مقال للدكتور محمد صبرى عن « علل المجتمع المصرى » جاء فيه :

« لكل مجتمع علله وآفاته . ولكننا اذا استعرضنا علل المجتمع الأوربى كانت هذه العلل خاصة بمجتمع قد تهيأت له جميع المشخصات القومية ، وتجلت مظاهر القوة ومظاهر الضعف فيه . أما المجتمع المصرى فهو مجتمع فى طور الانتقال »

« والواقع أن عللنا وآفاتنا كثيرة نشأ معظمها من الاستعباد وطول عهوده . وقد أصبحنا وفينا مركب الشعور بالنقص . وهذا واضح جلى فى « معاملات » المصريين والأجانب . وما بقيت هذه العلة بغير علاج حاسم فستظل « الامتيازات » فى نفوسنا وأخلاقنا ، وان تكن قد محيت فى الورق والمعاهدات .

« وقد أصبحت هذه الحالة مدعاة لليأس والتشاؤم ، ففريق من المصريين يقول : إنه لا أمل فى اصلاح هذا الشعب . وفريق من الأجانب — وعلى رأسهم المؤرخ الكبير جبرائيل هانوتو — يقولون : إن مصر لا غنى لها عن الأجانب ، وان مركزها الجغرافى الى جانب ذلك يفرض عليها قبول سيطرة الدولة التى تهيمن على البحر الأبيض ، أى قبول الاستعباد فى شكل من أشكاله »

ثم يختم كلمته قائلا :

« وقد اخطأ الفريقان فى نظرهم وتشاؤمهم ، ويرجع ذلك الخطأ الى أنهما قد أصدرا حكمهما على الشعب المصرى باعتباره قد استكمل أداته للمكفاح ، وأخذ أهبته وجرب وكبر واستقر . وبعبارة أخرى قد قطع مرحلة الانتقال وظهرت ملامح شخصيته الثابتة من حسنات وعلل وعورات

« ولو انهما انتبها الى أن حالة مصر اليوم لا تزال حالة انتقالية ، وان بعض العلل التى نراها ليست من العلل « المزمنة » وقد تكون غريبة عن جوهر الخلق المصرى الصحيح ، وانها اذا عولجت انتفت عنه ، وزالت كما يزول كل عرض ... أقول لو أنهما انتبها الى ذلك لعلمهما أن تشاؤمهما أكبر خطر يهدد الفكرة الاصلاحية ، بل وكل فكرة تطمح الى المثل العليا والسير بالبلاد الى أبعد الغايات » .

***

هذا التفاؤل مطمئن على كل حال . وفى هذا القول كثير من الصدق . وشاهده قائم فى الحياة المصرية القديمة والحياة المصرية اليوم . وقد كانت لمصر مباهجها الحية يوم كانت حياتها توحى بالمرح والابتهاج ... وحتى الرقص ، الذى يريد الدكتور مندور ليستجلبه لنا من الإغريق . قد حفظت لنا منه الصور الفرعونية والآثار مشاهد جميلة فائضة بالحيوية منسقة بالايقاع ، مشعة بالسرور !

فلنستمع الى صرخة الشاعر الإنسانية . والى قفزة الدكتور النفسية ، والى تفاؤل الدكتور المطمئن ، فكلها دليل حيوية قد أخذت فى الظهور

سيد قطب



رئيس . . . . !

عدت إلى منظارى فوضعته على أنفى وقد أزلت عنه ما علق به من الغبار والصدأ ؛ وما زال لهذا المنظار سحره العجيب . فهو يرينى من دنيا الناس ما لا تريني العين المجردة ؛ فلولاه مثلا ما استوقف بصرى هذا الذى أحدثك عنه ، والذى أضيف إليه لقب الرياسة العظيم ، وما هو من ذوى الجاه ولا العظمة ، إذ ما زاد على أنه كبير الخدم بالمدرسة التوفيقية الثانوية .

وأنا يا قارئى العزيز رجل بسيط ، فقد لا أرى شيئاً من العظمة ولا من الرياسة فى بعض من تواضع الناس على أنهم عظماء ورؤساء ، وقد أرى العظمة كل العظمة والرياسة كأحسن ماتكون الرياسة فى رجل كالذى أحدثك عنه . ولست بالضرورة أدعوك إلى أن ترى ما أرى ، فأنت وشأنك ، وإنما أدعوك لأن تقرأ هذا فى غير سخرية منى ...

إن « عم أحمد حسين » كما يسميه الطلاب « والريس أحمد المهدة » كما يدعوه زملاؤه ، أو على الأصح مرؤوسوه ، هو رجل يرينى منظارى من خلقه وسمته ما يحملنى على أن أرى فيه رئيساً بل ورئيسا محبوبا ان أردت الحق .

أول ما حببه الى وقاره اذا تكلم أو مشى ، ووفرة شعوره بشخصيته . والأنفة ممن كان فى مثل موضعه تحمل على الإعجاب والمحبة ؛ فكم نسى الأنفة كثيرون هم أرفع درجة منه بحكم العمل . وليس فى أنفته شىء مما يرى فى غيره من ذوى الرياسات من صلف أو غرور ، وانما هى الكرامة تلمحها فى وجه « عم أحمد حسين » حين يأمر فى صلف أو ينهر فى غير موجب ، فتراه عندئذ يرشق آمره أو ناهره بنظرة ثائرة فيها التمرد الصامت ، والعتاب الذى يشبه الازدراء ، وبين يديه ثمانية وثلاثون عاما قضاها بين جدران ذلك المعهد العتيق . فمثله ليس بالشخص الذى يرهب سلطاناً متسلطا وقد درج تحت بصره فى هذا المعهد مئات من رجالات هذا البلد فما أساء اليه أحد بكلمة .

وحببه الى كذلك حيويته ودأبه واخلاصه فى عمله وعظيم تأثيره فى مرؤوسيه وقد علت به السن ؛ فما تدور بعينيك فى ركن من أركان الدار الا طالعك منه « عم أحمد » فى جلبابه الجيد النظيف وقد تجعد شعر فوديه الأبيض تحت طربوشه القاتم الطويل يدفعه دائما الى الخلف قليلا بحيث تتدلى خيوطه فوق أذنه اليمنى ، وكأنما يكسبه هذا الوضع مهابة الى جانب ما يكسبه منها شعره الأبيض وطول أعوام خدمته ، أو هكذا خيل الى منظارى ...

ويعجبنى منه ذكاؤه وسرعة خاطره وخفة روحه ، فهو سريع الفطنة الى ما يسرك من ألوان الحديث وكيفيه الخطاب ، فيحدثك وهو ينظر بعينيه اللامعتين اذ تسمع ، فإن لمح أثر ارتياحك على محياك استرسل ، وان آنس فيه كدرة أدار الحديث فى لباقة وسرعة حتى يقع على ما تحب .

وأجمل حديثه ما كان عن تاريخ المدرسة وتلاميذها القدماء ، فيسمعك أسماءهم كما كانت تسمع فى فناء الدار ، خالية من ألقاب العزة والسعادة والمعالى وما اليها ، وكأنه يريد أن يلقى فى روع طلاب اليوم أن هؤلاء كانوا بالأمس مثل ما هم عليه الآن ، وهو ايحاء يحبه الطلاب . ومن يدرى فلعل فيهم من يحمل فى غد أكبر الألقاب ، أو من يستغنى بنباهة اسمه عن جميع الألقاب .

على أن أكرم خلال ذلك الرئيس هى وفاؤه لكل من يعمل معهم ، وغيرته على سمعة ذلك المعهد الذى يعمل فيه ، وان جميع من عرفوه ليلمسون فيه هذا الوفاء .

واذا شئت دليلا على وفاء هذا الرجل ، فاعلم أنه يرسل كل عام فى عيد الميلاد خطابا الى مستر اليوت[1] بانجلترا ؛ ومستر اليوت هذا كان ناظراً للمدرسة التوفيقية منذ ربع قرن ، وهو لا يملك له اليوم ضراً ولا نفعا . ولذلك فوفاؤه لا تعلق به شائبة من تلك الشوائب التى قلما خلا منها « وفاء » فى هذه الأيام . وقل فى الناس من يوادك الا لعلة .

أرأيت معى أن « عم حسين » خليق بأن يدعى الرئيس ، وبأن رياسته خليقة بأن تحب ؟ ان كنت فى ريب من هذا فأخطر ببالك من تطمئن الى الاعتراف لهم بالرياسة ، وانظر ان كنت تجد فرقا بينه وبينهم ، ومرد الأمر فيما تحكم الى ذمتك ، أما أنا فلست أشك فى أنه أكرم عندى من كثيرين ، واذا كان هذا الخطاب الذى أشير اليه دليلا على ديمقراطية الناظر القديم ، فان فيه لك شهادة على أن كبير الخدم أحمد حسين جدير بأن يذكر وبأن يحب .

الخفيف

(١) تجد زد مستر اليوت عليه هذا العام معرباً فى البريد الأدبى

من دعاة الحرية

جويو

للأستاذ زكريا ابراهيم

ليس أكثر من دعاة الحرية فى هذا العصر ! وليس أكثر ايغاراً للصدور من دعاة حرية الفكر ! وما أنا بغافل عن تلك الضجة التى أثيرت منذ أمد قريب ، حين عرض أحد الكتاب لقضية الحرية الفكرية ... ومع ذلك فانى أجد نفسى راضياً بأن أثير هذه المسألة الشائنة الشائكة معاً ، لأجل خاطر «جويو» صاحب هذه الدعوة !

وصديقنا جويو فيلسوف أصيل جمع بين العمق والطرافة والوضوح . وهو واحد من أولئك الفلاسفة القليلين الذين استطاعوا أن يفهموا الفلسفة على أنها قطعة منتزعة من قلب الوجود ، وليست مجرد أفكار عقيمة لا تمت الى الحياة بأدنى سبب . فالفكرة الجوهرية فى مذهب جويو هى أن « الحياة » جوهر الوجود ، وأن الفكر ماهو الا جانب من جوانب الحياة . وقد استطاع جويو أن يوفق بين النزعة الفردية والنزعة الاجتماعية على أساس هذه الفكرة ، فذهب الى أن المثل الأعلى للحياة الفردية ، انما هو ذلك الذى تتمثل فيه الحياة الحافلة ؛ والحياة الحافلة هى تلك التى لا تكون فيها الذات مغلقة على نفسها ، بل تكون قادرة على أن تسع غيرها من الذوات . ومعنى هذا أن نقطة البدء فى فلسفة جويو هى « الفردية » لأن الحياة الخصبة الحافلة انما هى الحياة الفردية التى لا تكون فيها معارضة بين الفرد والمجموع ، اذ تمتد الذات حتى تشمل المجموع وتضمه تحتها !

وقد نشأت فكرة الحرية عند جويو كنتيجة لهذه النزعة الفردية الخاصة . ونحن ندع جويو يعبر عن هذه الفكرة بعبارته التى تفيض قوة وحماسة ؛ فيقول :

« ... ألا يمكن أن يأتى ذلك اليوم الذى فيه تزول كل العقائد السائدة التى يعتنقها الناس ، بحيث لا يبقى أى إيمان عام يستأثر بالنفوس أو يتملك العقول ؟ ألا يمكن أن يحين ذلك اليوم الذى فيه يصبح الاعتقاد « فرديا » خالصا ، فلا تعود هناك سنة بل خروج وابتداع ؟ ان الرغبة فى التحكم فى العقول هى أسوأ بكثير من الرغبة فى التحكم فى الجسوم ، فمن واجبنا اذن أن نتحامى أولئك الذين يريدون أن يفرضوا أنفسهم علينا ، أو أن يجعلوا من أنفسهم موجهين لأفكارنا ، أو قادة لضمائرنا ... أجل ، يجب علينا أن نتجنب هؤلاء كما نتجنب المصائب والمحن ! فقد آن الأوان لأن نسير بمفردنا ، وأن نفزع من أولئك الوعاظ الخادعين ... علينا أن نصبح نحن قادة لأنفسنا ، فلا ننشد الوحى والإلهام الا فى نفوسنا . أما المسيح فلم يعد موجوداً ، لأنه ليس ثمة ايمان عام بعد اليوم ! فليكن كل واحد منا اذن مسيحا لنفسه ، وليتصل بربه كما يشاء ، وليعتمد على الهه كما يستطيع ... وليتصور كل منا هذا الكون كما يحلوله ، وليخترأى نظام يروقه. أما أولئك الرجال الذين قد يستطيع المسيح أن يقول لهم : ما أقل إيمانكم ، فطوبى لهم اذا كان معنى هذا أنهم رجال مخلصون لا يريدون أن يخدعوا عقولهم ، أو أن يلغوا ذكاءهم ، أو أن ينتقصوا من كرامتهم ! طوبى لهؤلاء القوم ، لأنهم يملكون روحا علمية حقيقية ، وفكراً فلسفيا صادقا ، ولأنهم لا يؤخذون بالمظاهر ، بل يأخذون الحذر حتى من عيونهم وعقولهم ، ولأنهم يبدأون دائما من جديد ، فاحصين احساساتهم ، وممتحنين استدلالاتهم . ان هؤلاء وحدهم هم الذين يستطيعون أن يظفروا بجانب من الحقيقة الخالدة ، لأنهم لا يظنون فى أنفسهم أن فى وسعهم أن يظفروا بالحقيقة كلها ؛ فلديهم اذن قدر كاف من الإيمان الحقيقى الذى يدفعهم الى أن يبحثوا دائما ، بدلا من أن يركنوا الى الراحة والهدوء ، مكتفين بأن يرسلوا الصرخة العالية قائلين : لقد وجدنا ! لقد وجدنا ! أجل ، إن هؤلاء هم الشجعان الذين يواصلون السير والتقدم ، حين يتوقف غيرهم ويركن الى الدعة والخمود ؛ فالمستقبل لهم وحدهم ، وفى أيديهم يقع مستقبل الإنسانية فى العصور المقبلة ! »

هذه هى الحرية الفكرية كما يفهمها جويو ، فهى فى نظره ضرورة من ضرورات الحياة الحاضرة ، وحاجة من الحاجات الهامة التى يتوقف عليها مستقبل الإنسانية . وليس أحب إلى نفسى من هذه العبارة الخالدة التى يصور فيها جويو موقف الإنسانية اليوم فيقول :

أدب الشام الحديث

للسيدة وداد سكاكيني

منذ القدم اقتسمت بلاد العرب أدبها الأصيل ، فكان لكل قطر شعراؤه وأدباؤه . وكان الشعر فى آثار العرب الثقافية أول ما جاد به دهرهم وأطل من آفاقهم ، فكن فى الجاهلية موزعا بين قبائل وعشائر لكل منها شاعرها الذى يحمى ذمارها ويروى أخبارها ، وكان لنجد شعراؤها كما كان للحجاز أندادهم من أهل القرائح والبيان . بيد أن الأدب الذى انتهى إلينا منهم والشعر الذى أثر عنهم لم يكن بتلك القسمة فى عهود الجاهلية متميزاً بعضه من بعض ، إذ كان نسيج القصائد فى تلك الفترات متشابها ، ولم يستطع دراس الأدب من قدامى ومحدثين أن يكتنهوا الفروق بين أولئك الشعراء ، فالجزالة والفحولة حتى فى شعر النساء كانت شركة بينهم ، وسلامة الطبع والجبلة موهبة فيهم ، والسذاجة والبعد عن التكلف من سجاياهم ، أما الفروق الفنية فقد بدت فى الشعر والنثر بعد الإسلام ، فكان شعراء أمية السياسية فى طبيعة قصائدهم غير شعراء الحجاز الغزل . وقضى الأمر فى قسمة الأدب بين البلاد العربية فى العصور العباسية ، فظهرت الميزات والعلامات بمياسم أكثر انطباعا وأشد وضوحا ، فإذا للعراق أدب فياض شاعت فى مجاليه مطارحة الندامى وأغانى القيان ومجون الشاربين ، وإذا للأندلس طائفة من الشعراء انسرح خيالهم ، ورق شعورهم ، فابتدعوا الموشحات والمقطوعات ، وخلعوا على أدب العرب وشاحا هفهافا ، وفى نسمات الوادى الكبير ، أطلقوا فى ثناياه أعنة الخيال من روح الأدب الغربى الذى رف عليهم من صوب الإسبان أو عبر نحوهم من جبال (البيرنيه) .

وكان ثمة شعر مطبوع وأدب بهيج الألوان ، نجما فى آفاق الشام ، وقد نمتهما دارات غسان ورعتهما ضفاف بردى ، ورفت بهما أفانين (جلق) بغوطتها الخضراء كيوم العصابة التى درّ درها ونادمها حسان فى الزمان الأول . فقد عرفت الشام بلون من الشعر سماه المعاصرون من عرب ومستشرقين بالطريقة الشامية ، وهو ضرب من البيان ظهر فى آثار أبى تمام والبحترى وأبى العلاء فيه اللفظ البليغ والصناعات ذوات التحاسين ، حتى بات شعر الشام ، كعصب اليمن ، أفوافه مزركشة ومطارفه منمنمة ، فكأنه نمارق على أرض أو ديباجة على جدار

وإننى إذ أرسم صورة لأدب الشام ، لا أقول بالاقليمية العصبية ولا أغلو فى الرأى والتصوير ، وإنما أقصد إلى تلك المزايا التى اختص الله بها كل بلد من الأرض ، فجعل فيها البيئة ذات خلق وتكوين ، تؤثر فى سكانها وتطبع المرء بمزاجها ، فتجعله حسب أطوارها ومقتضاها

«إننا على ظهر سفينة هائلة كالتنين الضخم ، وقد اقتلعت الأمواج العاتية دفة هذه السفينة ، وحطمت الرياح الثائرة ساريتها . فالسفينة الآن ضالة فى المحيط ، تتخبط ذات اليمين وذات الشمال ، مثلها مثل الأرض السابحة فى الفراغ ! وهى تسير بالمصادفة والاتفاق وتضرب ضرب عشواء ، مدفوعة بالرياح السوافى ، كأنما هى حطام هائل يحمل فوق ظهره الناس ... وقد تصل هذه السفينة إلى هدف مجهول ، أو غاية غير معلومة ، فتبلغ الإنسانية غرضا لم ترم إليه من تلقاء نفسها . ولكن ليس ثمة يدٌ تقودنا ، ولا عينٌ ترعانا ؛ والدفة قد تحطمت منذ زمن بعيد ، بل لعلها لم توجد يوما ما ، فعلينا أن نصنع هذه « الدفة » ؛ وتلك مهمة خطيرة ، ولكنها عملنا ، ومن واجبنا أن نقوم بهذا العمل » .

نحن إذن فى دور اضطراب وصراع ، فلابدّ لنا إذن من أن نفكر بحرية فى الطريقة التى نخلُص بها من هذه الفوضى . والحرية التى يدعو إليها جودٌ و ليس معناها الفوضى ، وإنما هى حرية تنطلق معها النفوس من نير العبودية ، كما انطلقت الأجسام من نير الرق القديم . العالم — اليوم — يتحرّق شوقا لهذه الحرية ، فقد ظل الفكر أمداً طويلا حبيس الأنفاس ، لا يُفكّ إساره إلا بالقدر الذى يهيئ له أن يسير بضع خطوات فى حظيرة الإيمان الضيق ! ولكننا نريد أن ينطلق الفكر كما يشاء ، حرًّا لا تقيده سلطة ، ولا تردّه قوّة ، اللهمّ إلاّ سلطة المنطق ، وقوة المعقول !

(السويس) **زكريا ابراهيم**

من خطرات هذا الرأى ما صوره الشاعر ألفريد دوموسيه ، فان له رواية سماها « الكأس والشفاه » وصف فيها رجلا من سكان التيرول يقول الشعر ويروى سيرته ، فيعرضه الشاعر بمعاريض أولئك الأشداء الذين سكنوا فى الأرض القاسية ، فعلوا قمم الجبال على صهوات خيولهم ، ولم تتطامن أخلاقهم كأولئك الذين سهلوا إذ سكنوا فى السهول

وما ينكر المنصف أن الأدب كالمخلوق الحى ينمو وينضج وتسرى فى أعراقه دماء يطلب العارفون فيها الأصالة والنشأة التى تخضع لنوازع ثقافية وأحداث اجتماعية وسياسية

فأدب الشام الحديث هو من هذا القبيل أدب عربى الوجه والروح وقد صقله الفن والتطور وظهرت عليه مغارس الوطن ، ولم يولد هذا الأدب ولادة ارتجال ، وإنما فتحت الشام العيون بعد الحرب الماضية على حركة فكرية جديدة ويقظة ثقافية بلغها شذاها من ضفاف النيل فودت لو أتاح لها العصر منها مثيلا ، وكانت مثل سجين لم يجد أرفه لنفسه وأقرب إلى قلبه من أدب المصريين فتأثرت الشام نهضتهم ومضت على غرارهم فى نشأتها الحديثة . وكم راجت فيها سوق الأدب لقصيدة قالها شوقى أو حافظ ، ولكتاب ألفه المنفلوطى أو الرافعى ، وكان فى تلك الآونة نفر من الشاميين متنورين لكل نهضة ، بعضهم عرف الغرب وورد مصر ورود النحل على الأزاهير ، ثم صدر عنها فعاد إلى الشام ينشىء المجلات وينشر الصحف ويحاضر فى المجامع والندوات داعيا إلى نشر الثقافة والأدب . وأسس المجمع العلمى العربى فى دمشق على الفصحى وحفاظ أمجادها وذخائرها فجمع بين لغوى مدقق وعالم فيلسوف ومؤرخ محقق وشاعر أديب ، ورفدت أعماله مجلة ذاعت فى أقطار العرب . وكان من السوريين شعراء قد استيقظوا بعد الحرب الغابرة على صيحات البعث والتحرر والتجديد فأخذوا بشىء من القصيد كأنه الينبوع يفيض حينا وينضب حينا ، وفيهم من حذا حذو جرير والأخطل حتى قلدهما فى حلية القريض ، ومنهم من أدمن الإلمام بالمتنبى حتى سرى فى بيانه روح أبى الطيب وعنجهيته . وكما كان فى كل بلد أدب للشيوخ وأدب للشباب فكذلك حدث فى أدب الشام ، وليس بين الفريقين تنابذ وجفاء ، فالشيوخ رسخ مجهودهم فى اللغة والعلم والبحث ، والكهول والفتيان امتلأت نفوسهم بالأمل والطموح ، واكتسبوا بالتحصيل ما بدأ به الأوائل ، فقد جمع بعضهم بين الثقافتين العربية والغربية ، فانبعثوا وراء المثل العليا يسترشدون بالهداة ويتأثرون أعلام هذه النهضة التى تنوروها من قريب ومن بعيد

وان فى أدب الشام الحديث لألوانا وفنونا ، فى الكتابة والإنشاء فريق لو أتيح لهم ذوو نشر وطباعة تنى بآثارهم فتذيعها فى الناس ، أو لو كانت صحفهم تجاوز آفقهم ، لشاع صيتهم ، وفى هذا الملأ مواهب فنية فى النقد والقصص ، لولا إيثار أصحابها لوظائف الدولة لأثر عنهم كل أثر نفيس

إنه لأدب طريف الألوان أصيل السمات ، ولكنه ضئيل الجرم ، محلى الشيوع ، مقيد الخطوات . وفى مصر أدب جبار قيضت له أسباب الإنتشار والإزدهار ، والشام سوق لهذا الأدب المصرى بأكثر مما هى فيه لأهلها . فلو سئل المثقف أو المتعلم فى ديار الشام عن مصر وأدبائها وكتبها وعلمائها ، لأجاب بتايعجب ويتايطرب ، إذ أن أدب مصر يعيش فى تلك الديار منذ ثلاثين عاما كما يعيش فى حمى الأزهر وتحت قبة الجامعة ، وفى ندوات الثقافة المصرية ، غير أن مصر التى يجمل بها عتاب الحبيب لا تعرف من أدب الشام إلا القليل ، وكلتا الشقيقتين على حق فيما ترى بهذا الشأن

ولعلى أتحدث قريبا عن فنون هذا الأدب مزوداً بذكر أعلامه وكاتبيه وأهل القصة والنقد فيه

وداد سكاكيني

صفحة حزينة ... !

[إلى زوجتي الشابة المثقفة الطيبة الخلق
شريكة حياتي ورفيقة دراساتي] .

للأستاذ عبد الرحمن صدقي

بعد أيام ...

مماتك في الرَّيعان أصمى مقاتلي
وفقدُيكِ من عيشي مثيرٌ مشاكلي
وكنتِ الغِنَى من مشكل بعد مشكل
وعقداتِ نفسٍ تستديم قلاقلي
مشاكل شتَّى : حاجةُ النفس للهوى ،
وحاجةُ ذي حسٍّ ، وحاجة عاقل
جمعتِ لي الدنيا — فأغنيتِ معدمي ،
وأمتعتِ محرومي ، وزينتِ عاطلي
أدور بعيني كالشريد بلا هوًى ولا منزلٍ مثلِ الهوى والمنازل
وما منزلي إلا الذي أنتِ ملؤُه وما من هوى إلاكِ بين العقائل
رأيت الغواني وهي لهوٌ ومظهرٌ وأنتِ مزاجٌ من جميلٍ وكامل
ورقة إحساسٍ ، وعفة لفظةٍ ولحظٍ وتفكيرٍ ، وحفل فضائل
تعزَّيْتُ لو أني كغيري من الورى
وأنَّكِ أنثى كالنساء الحوامل
ولكنني نفسا وحسًّا مُعَقَّدٌ
وأنكِ طبٌّ للنفوس العلائل
أقول لدهري فيمَ ، فيمَ حرمتني ؟
وكل عزائي كان فيها ونائلي
أسائله في كل يوم وليلة ولن ينتهي مهما حييتُ تساؤلي
أراني مع الأيام تزداد لوعتي ، وعهدي بها للنقص في قول قائل
ويوحشني ، أني وحيد وأنني
مع الناس — أبغي الأنسَ في غير طائل
يزلزلني همي ، فأخرج هائما أسكِّن في هذا الفضاء زلازلي
فأذهل أن ألقى السماء وضيئة تَشِعُّ على الآفاق بسمة آمل
وأن تكتسي الأشجار أنضرَ خضرة
ويرقصَ موجُ النيل رقصة جاذل
بنا تسخرُ الأقدار : موتٌ وأدمعٌ
وثمَّةَ أنوارٌ وزهرُ خمائل ؟ !
خيالك في التابوت أثلج بي دمي ،
وأحرق أعصابي ، وهدَّ مفاصلي
وغيَّض دمعي أن رأيتك جثةً
وجسمك معروق العُلَى والأسافل
ووجهك شمعٌ ذو شحوبٍ وصفرة
كرسمٍ عتيق في التصاوير حائل
وشَعرك غربيبٌ ، وهُدبكِ أسودٌ
كذيل غُدافٍ حالك الريش ذائل
وما أنس لا أنسى جبينَك عاليا
قويا — على قيد الردى — غير ناكل
كأن الردى قد هاب ما في وِطابه
من العلم عصريًّا وعلمَ الأوائل
وأذكر زوجي كيف كانت إلى مدًى
قريب ، وما اختُصَّتْ به من شمائل
فينهلُّ دمعي هامراً بعد حبسةٍ
تَفَجَّرُ مُزنٍ حافل الضرع هاطل
وأعجبُ من شأن الحياة وسرِّها وأعجب من شأن المنون المعاجل
ويبلغ من فعل الزمان تعجُّبي ، فأضحك كالمفجوء من فعل هازل
هنا كان إنسانان : شطرٌ وصِنْوُهُ
سعيدان في فيض من العطف شامل
ففيمَ انصداعُ الشمل ، شطر على الثرى
وآخر من تحت الثرى والجنادل
لقد كان لي في الحب مَحْيا مضاعفٌ
وحبك — بعد البين — لا شك قاتلي

ذكرى

على الرغم مني أن خلا منكِ معهدُ
وأنَّكِ ذكرى كالصدى يترددُ

وأنت التي كانت عميقا شعورُها
وتفكيرُها فهي الوجود المؤكَّد

طواكِ الردى ما بين يوم وليلة   وأهنأ هذا الناس نحن وأسعد

وجِدُّ الردى هزلٌ، وأحكامه هوًى
ومنطقه فوضى القياسِ مفنَّد

قضى أن تموتى حتفَ أنفك غضةً
وما أنت كبرانا ولا أنتِ أزهد

وأن يتوافى نحو بيتكِ صحبُنا   فيلقاهم في البيت أرملُ مُفرد

يصبّرني أهلي شجاهم تهالكي   يقولون هذى أختها تتجلد

وما أختها؟! إني عدِمتُ قرينتي   وأختى، ومن أرجو، ومن أتفقد

تسائلني أمي ضحًى: أين تقصد؟   فأحْم لا أدرى، فيَوْمى تشرُّد

وأغمض جفنى حين تطرق مضجعى
ليُسكن روعَ الأم أنىَ أرقد

يُهيِّج ما بى أن ألاقى معزِّيا
وما بى — وإن طال المدى — ليس يخمد

وجانبتُ من لم يبلغ النَّعى سمعَه   حذارَ سؤالٍ عنك لا يُتعمَّد

وأعدل عن هذا الطريق لغيره   فقد طالما جُزناه نهوى ونصعد

وخير رفيقٍ أنتِ في كل رحلة   وخير سمير للحديث ينضَّد

ونجلس في حضن الطبيعة، صمتُنا   مناجاتها — إن الطبيعة معبد

ونجلس للأسفار ندرسها معا
كأنْ ليس غير الكُتْب في العيش مقصد

فلا درس إلا وهو عندكِ أرشد   ولا لهو إلا وهو قربَك أرغد

أمثلكِ لى خلٌّ كريمٌ موافق!   أبعدكِ نعمى في الحياة وأسْعُد!

وهل متعة إلا عليها موكلٌ   يحرّمها من ذكرياتك مُرْصَد

بحسبىَ أيام قلائل عشتُها   بواحة روضٍ حولها العمر فدفد

هنيهة أنسٍ، قبلَها العيش صفحةٌ
بياضٌ وعيشى بعدها اليومَ أسود

ووالله لا أدرى أدهرى أذمُّه
على قِصَرٍ فيها — ولا شىء مُخلَّد؟

أوانىْ على ما خصَّنى فأذاقنى
ولو طرفاً من ذلك الخلد أحد؟

برغمىَ أن قد عاود الشعر مِقْوَلى
وأن كان في مرثاكِ منه التجدد

وقد كان يستعصى علىَّ، فما له
كدمعى معينٌ سيلُه ليس يجمد!

تعجّب أصحابى وطال سؤالهم   يقولون لى في كل يوم تقصَّدُ

وما كان أغناهم عن القول لو دروا   بأنىَ طول الليل يقظان مُسهَّدُ

وكنتِ عروسى فى الحياة، فلاتَنى
عروسَ قصيدى تلهمين وأُنشد

عبد الرحمن صدقي

كرسي مجلس النواب

للأستاذ محمد الأسمر

[نظم الشاعر هذه الأبيات للشبان النواب بمناسبة فوز أصدقائه الثلاثة : مصطفى بك أمين ، علي أمين ، كامل الشناوى فى المعركة الانتخابية].

تهنئاتى : ثم كونوا عندما   قلتمُ قبل دخول (المجلس)

واحذروا (الكرسى) كم مرَّ به   معشرٌ غيركم ، ثم نُسى

لا تكونوا فوقه مثل الذى   يحضر (الجلسة) مثل الأخرس

أو كمن يهتف للزور به   فإذا الحق بدا لم ينبس

أو كمن تصفيقه ثروته   وهى عندى رأس مال المفلس

أو كمن قيل له كن فوقه   صنما ، جئتَ لهذا فاجلس

أو كمن يشتم قوما ظالما   فهو يعوى كعواء الأطلس

أو كرهط فوقه سيماهم   عدم الفهم ، وهز الأرؤس

أو كمن نام به ليس له   من وجود فيه غير النَّفس

أو كعريان رآه متجراً   فهو فيه قاعد كى يكتسى

بئس من أكرمه الله به   فأبى إلا حياة التعس

يحمل الكرسى منه جثة   أيها الكرسى لا تبتئس

هذه الدنيا حظوظ كلها   وكذا حظك ، فانظر وائتس

* * *

يا أزاهير الشباب المرتجى   حققوا فيكم رجاء الأنفس

أنتمُ ضوءٌ جديدٌ علَّه   فى غدٍ فجرٌ لهذا الغلَس

محمد الأسمر

هذا العالم المتغير

للأستاذ فوزي الشتوي

هذا الغيظ والحسرة

فى مدينة نيويورك رجل اسمه توم وعمره ، ٥٧ سنة . عاش منها ٤٨ سنة لم يبتلع طعاما ، ومع ذلك فهو يأكل أى طعام تشتهيه نفسه . سدت قناة الابتلاع (الزور) عنده وهو فى التاسعة من عمره إثر شربه لسائل ملتهب حرق الزور ولم يفد الطب فى علاجه فأغلق إلى الأبد . واضطر الجراح إلى فتح نافذة مستديرة قطرها بوصة وربع فى معدته ليتناول منها غذاءه

واندفعت أغشية المعدة من هذه الفتحة فكونت ثنية قطرها ثلاث بوصات . فان أراد أن يأكل رقد على ظهره وفك الأربطة عن وسطه ، وأزاح وسادة عن فتحة المعدة ، ثم يثبت فيها أنبوبة قصيرة من المطاط . وبعد ما يمضغ طعامه يضعه فى معدته عن طريق الأنبوبة . وبهذه الطريقة تناول مالا يقل عن ٣٠ الف وجبة طعام لم يشعر فيها بأية مضايقة .

مارس هذا الإنسان كثيراً من الألعاب الرياضية وهو غلام واشتغل فى عدة مهن يدوية ، فلم يلحظ زملاؤه شذوذه اذ كان يتمتع بصحة جيدة . إلى أن أكرهته ظروف العمل إلى الإشتغال فى حفر الخنادق فألهبت الحركة المستمرة أغشية المعدة المكشوفة حتى أدمتها واضطر إلى الالتجاء إلى أحد المستشفيات ، وهناك اكتشفه الطبيبان ولف ، فوجدا فيه حقل تجارب لن يسمح الزمان بمثله . ففى هذه المعدة المفتوحة يستطيعان أن يكشفا أسرار أمراض المعدة ، وأسرار التغذية ، وتأثر عملية الهضم بالانفعالات النفسية .

وتمكنا من إغرائه بالوظيفة الثابتة فى معملها ، وبما يؤديه للانسانية من خدمات ، فقبل منذ ست سنوات أن يعمل معهما . فاشتغل فى صباحه حقل تجارب ، وبعد الظهر كمحضر فى معمل مستشفى جامعة كورنل الطبية .

وفى مثل هذا الانسان تسهل دراسة الظواهر المعدية بانفاذ آلة مثل منظار الغواصة المزود بالضوء إلى داخل المعدة . ولهذا ظلت حياة هذا الإنسان طوال السنوات الست الماضية ممتزجة بالتجارب الطبية . فانه أغنى الطبيب عن استعمال منظار المعدة الذى لايتيح فحص الإنسان العادى أكثر من عشر دقائق .

ومن أهم الدراسات التى أجريت عليه فحص العلاقة بين الانفعالات النفسية ومرض قرح المعدة . فبينما الطب يتقدم بخطوات واسعة فى دراساته فان عدد الإصابات بهذه القرح يزيد ، ويعتقد عدد كبير من الباحثين انه نتيجة للاجهاد العصبي والقلق فقدمت لهم معدة توم الدليل العلمى بأن القلق المتواصل ، والغضب ، والعداوة تسكون إفرازات تؤدى إلى الإصابة بالقرح .

ويتفق أكثر الأطباء على أن هذا المرض نتيجة لزيادة الإفرازات الحمضية ، ويصف الطبيبان ولف تطوراته ، بأن الانفعالات النفسية المتعلقة بالقلق أو الغضب تصحب بزيادة إفرازات الحوامض العادية ومعها فيض من الدم مما يؤدى إلى غمر أغشية المعدة وتمددها . ويصحب هذه الانفعالات أيضا انقباض شديد فى المعدة .

وفى مثل هذه الحالات يسبب الاحتكاك البسيط بمواد الغذاء الصلبة تسلخات دموية رفيعة فى الأغشية يثيرها اتصالها بالسوائل الحمضية ، المعدية الغير العادية فتزداد الإفرازات الحمضية ، ويزداد غمرها بالدم وتمددها ، فتبدأ حلقة إصابة خطيرة فى المعدة . فتتصل مادة البيسين الهاضمة بأغشية المعدة الأصلية وتأكل جزءا منها فتسبب قرحة .

ولا تهضم المعدة نفسها أو تأكل أجزاءها لأنها مبطنة بغشاء مخاطى قلوى سميك يقى أغشيتها فلا تلمسها المواد الهاضمة . فإذا انغمس الإنسان فى الانفعالات النفسية المقلقة فإنها تأكل نفسها بطول المدة مبتدئة بالقرح ، مما شاهده الطبيبان فى معدة توم ، فكانا يعرضانه لمختلف الانفعالات النفسية ، ويراقبان التغير الذى يطرأ على معدته ، ولكنه من الطبيعى أن توم لم يصب بقرح المعدة لأن فترة إقلاقه وانفعاله لم تكن طويلة بل كانت فترات قصيرة .

والأشخاص المعرضون لهذه الإصابات هم ممن يجدون لذة فى الانفعالات وآلامها ، فيصرون على أن تكون رفيقتهم فى حلهم وترحالهم وفى عملهم وراحتهم .

ولم يؤثر تعاطى الكحول ولا التدخين أيا كانت نسبته على معدة توم ، لأن مخاط المعدة القلوى كان يقى أغشيتها من فعل حوامضهما . فإن تعرضت المعدة لحوامض قوية لا تكفى لتعادلها



همس الجنـــون

للأستاذ نجيب محفوظ

ما الجنون ؟

إنه فيما يبدو حالة غامضة كالحياة وكالموت . تستطيع أن تعرف الشيء الكثير عنها إذا أنت نظرت اليها من الخارج ، أما الباطن . أما الجوهر . فسر مغلق . وصاحبنا يعرف الآن انه نزل ضيفا بعض الوقت بالخانكة ، ويذكر — الآن أيضا — ماضي حياته كما يذكره العقلاء جميعا ، وكما يعرف حاضره . أما تلك الفترة القصيرة — قصيرة كانت والحمد لله — فيقف وعيه حيال ذكرياتها ذاهلا حائراً لا يدرى من أمرها شيئا تطمئن إليه النفس . كانت رحلة إلى عالم أثيرى عجيب ، ملىء بالضباب ، تتخايل لعينيه منه وجوه لا تتضح ملامحها ، كلما حاول أن يسلط عليها بصيصا من نور الذاكرة ولت هاربة فابتلعتها الظلمة . وتجىء أذنيه منه أحيانا مايشبه الهمهمة ، ما إن يرهف السمع ليميز مواقعها حتى تفر متراجعة تاركة صمتا وحيرة . ضاعت تلك الفترة السحرية بما حفلت من لذة وألم ، حتى الذين عاصروا عهدها العجيب قد أسدلوا عليها ستاراً كثيفا من الصمت والتجاهل لحكمة لا تخفى . فاندثرت دون أن يتاح لها مؤرخ أمين يحدث بأعاجيبها . ترى كيف حدثت ؟ ! متى وقعت ؟ ! كيف أدرك الناس أن هذا العقل غدا شيئا غير العقل ؟ ؟ وأن صاحبه أمسى فرداً شاذاً يجب عزله بعيداً عن الناس كأنه الحيوان المفترس ؟ ؟

كان إنسانا هادئا أخص ما يوصف به الهدوء المطلق . ولعل ذلك ما حبب اليه الجمود والكسل . وزهده فى الناس والنشاط . ولذلك عدل عن مرحلة التعلم فى وقت باكر . وأبى أن يعمل عملا مكتفيا بدخل لا بأس به . وكانت لذته الكبرى أن يطمئن إلى مجلس منعزل من طوار القهوة ، فيشبك راحتيه على ركبتيه ، ويلبث ساعات متتابعات جامداً صامتا ، يشاهد الرائحين والغادين بطرف ناعس وجفنين ثقيلين . لا يمل ولا يتعب ولا يجزع . فعلى كرسيه من الطوار كانت حياته ولذته . ولم يكن وراء ذلك المظهر البليد الساكن حرارة أوحركة فى قرارة النفس أو الخيال ، كان هدوؤه شامل الظاهر والباطن . الجسم والعقل ، الحواس والخيال . كان تمثالا من لحم ودم يلوح كأنما يشاهد الناس وهو بمعزل عن الحياة جميعا .

قلويات المخاط ، فإن الأغشية تكون غطاء آخر يحفظها من الحوامض فإذا فشل هذا الغطاء فى تأدية عمله لقوة الحوامض تكونت القرح وبدأت المعدة تأكل نفسها

وهكذا صدق تعبيرنا القائل أنه يأكل نفسه كمداً وحسرة .

يعيشون بدون معدة

أصبحت عملية إزالة المعدة أوجزء منها من المسائل العدية فى الولايات المتحدة كما صرح بذلك الدكتور فرانزا نجلفنجر . فانخفضت نسبة وفياتها فى الحالات غير السرطانية من ١ إلى ٣ فى المائة ، فان كانت لازالة سرطان المعدة انخفضت إلى ١٠٪ وحتى فى حالة إزالة المعدة كلها فان المريض لايتعرض للخطر من العملية بنسبة تعرضه للمرض الذى تزال المعدة من أجله .

وأثبتت الاحصاءات أن ٣٠٪ ممن تجرى عليهم هذه العمليات لا يستعيدون وزنهم العادى ومنهم ٣٪ يحسون بضعف ودوار وضغط إن أكلوا وجبات كبيرة . ولكن هذا الإحساس يزول بعد سنة من إجراء العملية فيتجنب المريض الوجبات الكبيرة ويستعيض عنهابست وجبات فى اليوم . فإن من العوامل المهمة أن تلائم عمليات الهضم للحالة الجديدة .

ويستطيع المريض بعد استئصال معدته تناول أى طعام وتأدية أى مجهود . ولكنه لوحظ أن النشويات والسكر والزلاليات يسهل امتصاصها ، أما الدهنيات فتحدث بعض الاضطراب . وقد يصاب بعض المرضى بالأنيميا وإن كانت الحادة منها نادرة الحدوث .

فوزى الشتوى

ثم ماذا ؟

حدث فى الماء الآسن حركة بريئة خفائية كأنما ألقى فيه بحجر.

كيف ؟ !

رأى يوما — إذ هو مطمئن إلى كرسيه على الطوار — عمالا يملأون الطريق — يرشون رملا أصفر فاقعا يسر الناظرين بين يدى موكب خطير . ولأول مرة فى حيـاته يستثير دهشته شئ . فيتساءل لمـاذا يرشون الرمل ... ثم قال لنفسه إنه يثور فيملأ الخياشيم ويؤذى الناس ، وهم أنفسهم يرجعون سراعا فيكنسونه ويلمونه ، فلماذا يرشونه إذا ؟ ! وربما كان الأمر أتفه من أن يوجب التساؤل أو الحيرة ، ولـكن تساؤله بدا له كأخطر حقيقة فى حياته وقتذاك . تخال أنه بصدد مسألة من مسائل الـكون الـكبرى . ووجد عملية الرش أولا والـكنس أخيرا والأذى فيما بين هذا وذاك حيرة ، بل أحس ميلا إلى الضحك ، ونادراما كان يفعل . فضحك ضحكا متواصلا حتى دمعت عيناه . ولم يـكن ضحكه هذا محض انفعال طارئ . فالواقع أنه كان نذير تغيير شامل ، خرج به من صمته الرهيب إلى حال جديد . ومضى يومه حائراً أو ضاحكا ، يحدث نفسه فيقول كالذاهل . يرشون فيؤذون ثم يـكنسون .. ها ها ها .

وفى صباح اليوم الثانى لم يـكن أفاق من حيرته بعد . ووقف أمام المرآة يهيئ من شأنه . فوقعت عيناه على ربطة رقبته . وسرعان ماأدركته حيرة جديدة ، فتساءل لماذا يربط رقبته على هذا النحو ؟ مافائدة هذه الربطة ؟ لماذا نشق على أنفسنا فى اختيار لونها وانتقاء مادتها ؟ وما يدرى إلا وهو يضحك كما ضحك بالأمس . وجعل يرنو إلى ربطة الرقبة بحيرة ودهشة . ومضى يقلب عينيه فى أجزاء ملابسه جميعا باستنكار وغرابة . ماحكمة تـكفين أنفسنا على هذا الحال المضحك ؟ لماذا لانخلع هذه الثياب ونطرحها أرضا ؟ لماذا لانبدو كما سوانا الله ؟ بيد أنه لم يتوقف عن ارتداء ملابسه حتى انتهى منها ، وغادر البيت كعادته ، ولم يعد يذوق هدوءه الـكثيف الذى عاش فى اهابه دهرا طويلا قانعا مطمئنا . كيف له بالهدوء والرمل لايزال عالقا بأديم الأرض ! كيف له بالهدوء وهذه الثياب الثقيلة تأخذ بخناقه على رغمه ! أجل على رغمه ؛ وقد اجتاحته موجة غضب وهو يحث خطاه . وكبر عليه أن يرضى بقيد على رغمه . أليس الإنسان حرا ؟ !

وتفـكر مليا ثم أجاب بحماسة ، بلى أنا حر ، وملأه بغتة الشعور بالحرية . وأضاء نور الحرية جوانب روحه حتى استخفه الطرب . أجل هو حر . نزلت عليه الحرية كالوحى فملأه يقينـا لاسبيل إلى الشك فيه . إنه حر يفعل مايشاء كيف شاء حين شاء غير مذعن لقوة أو خاضع لعلة . لسبب خارجى أو باعث باطنى حل مسألة الإرادة فى ثانية واحدة . وأنقذها بحماسة فائقة من وطأة الملل . وداخله شعور بالسعادة والتفوق عجيب . فألقى نظرة ازدراء على الخلق الذين يضربون فى جوانب السبل مصفدين لايملـكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا . إذا ساروا لم يملـكوا أن يقفوا . وإذا وقفوا لم يملـكوا أن يسيروا . أما هو فيسير إذا أراد ، ويقف حين يريد . مزدريا كل قوة أو قانون أو غريزة . وأهاب به شعوره الباهر أن يجرب قوته الخارقة فلم يستطع أن يعرض عن نداء الحرية . توقف مسيره بغتة وهو يقول لنفسه « هأنذا أقف لغير ماسبب» ونظر فيما حوله ثوانى ثم تساءل : أيستطيع أن يدفع يديه إلى رأسه ؟ أجل يستطيع . وهاهو ذا يرفع يديه غير مكترث لأحد من الناس . ثم تساءل مرة أخرى هل تواتيه الشجاعة على أن يقف على قدم واحدة ؟

وقال لنفسه نعم أستطيع وما عسى أن يعتاق حريتى ؟ وراح يرفع يسراه كأنه يقوم بحركة رياضية فى أناة وعدم مبالاة كأنه وحده فى الطريق بلارقيب . وغمرت فؤاده طمأنينة سعيدة وملأته ثقة بالنفس لا حد لها . فمضى يتأسف على مافاته — طوال عمره — من فرص كانت حرية بأن تمتعه بحريته وتسعده بحياته . واستأنف مسيره وكأنه يستقبل الحياة من جديد .

ومر فى طريقه إلى القهوة بمطعم كان يتناول به عشاءه فى بعض الأحايين . فرأى على طواره مائدة ملأى بما لذ وطاب . يجلس إليها رجل وامرأة متقابلين يأكلان مريئا ويشربان هنيئا . وعلى بعد يسير جلس جماعة من غلمان السبيل ، عرايا إلا من أسمال بالية تغشى وجوههم وبشرتهم طبقة غليظة من غبـار وقذارة . فلم يرتح لمـا بين المنظرين من تنافر . وشاركته حريته عدم ارتياحه

فأبت عليه أن يمر بالمطعم مر الكرام . ولكن ماعسى أن يصنع ؟ قال له فؤاده بعزم ويقين « ينبغى أن يأكل الغلمان مع الآخرين » . ولكن الآكلين لا يتنازلان عن شيء من هذه الدجاجة التى أمامهما بسلام ؟ هذا حق لاريب فيه . أما إذا رمى بها إلى الأرض فتلوثت بالتراب فما من قوة تستطيع أن تحرمها الغلمان . فهل ثمة مانع يمنعه من تحقيق رغبته ؟.. هيهات ربما كان التردد ممكنا فى زمن مضى ، أما الآن ... واقترب من المائدة بهدوء ! ومد يده إلى الطبق فتناول الدجاجة ثم رمى بها عند أقدام العرايا . وتحول عن المائدة وسار إلى حال سبيله كأنما لم يأت أمراً نكرا ، غير عابىء الزئير الذى يلاحقه مفعما بأقذع السباب والشتائم . بل غلبه الضحك على أمره ، فاسترسل ضاحكا حتى دمعت عيناه . وتنهد بارتياح من الأعماق ، وعاوده شعوره العميق بالطمأنينة والثقة والسعادة .

وبلغ القهوة فمضى إلى كرسيه واطمأن إليه كعادته . بيد أنه لم يستطع هذه المرة أن يشبك راحتيه حول ركبته ويستسلم لسكونه المعهود . لم تطاوعه نفسه ، فقد فقدت قدرتها على الجمود . أو ربت من عجزها عن الحركة . فنبا به مجلسه ، حتى هم بالنهوض . إلا أنه رأى — فى تلك اللحظة — شخصا غير غريب عن ناظريه وإن لم تصله به أسباب التعارف . كان من رواد القهوة مثله . وكان جسما ضخما وأوداجا منتفخة ، يسير مرفوع الرأس فى خيلاء ، ملقيا على ما حوله نظرة ترفع وازدراء ، تنطق كل حركة من حركاته ، وكل سكنة من سكناته بالزهو والكبر كأنما يثير الخلق فى نفسه ما تثيره الديدان فى نفس رقيقة مرهفة الحس . وكأنه يراه لأول مرة ، بدا له قبحه وشذوذه عاريا . فغالبته هذه الضحكة الغريبة التى ما انفكت هذين اليومين تعابثه . ولم تفارقه عيناه . وثبتت خاصة على قفاه يبرز من البنيقة عريضا ممتلئا مغريا . وتساءل أيتركه يمر بسلام !.. معاذ الله ، لقد ألف داعى الحرية . وعاهده ألا يخالف له أمرا . وهز منكبيه استهانة . واقترب من الرجل فكاد يلاصقه . ورفع يده وأهوى بكفه على القفا بكل ما أوتى من قوة فرنت الصفعة رنينا عاليا . ولم يتمالك نفسه فأغرب ضاحكا . ولكن لم تنته هذه التجربة بسلام كأختها السابقة . فالتفت الرجل نحوه فى غضب جنونى ، وأمسك بتلابيبه وانهال عليه ضربا وركلا ، حتى خلص بينهما بعض الجلوس . وفارق القهوة لاهثا . ومن عجب أنه لم يستشعر الغضب ولا الندم . وعلى العكس من ذلك ألمت بحواسه لذة عجيبة لا عهد له بها من قبل . وافتر ثغره عن ابتسامة لاتزايله . وفاضت نفسه بحيوية وسرور يغشيان أى ألم ، لم يعد يكترث لشيء غير حريته التى فاز بها فى لحظة سعيدة من الزمان وأبى أن يغيب عنها ثانية واحدة من حياته . ومن ثم ألقى بنفسه فى تيار زاخر من التجارب الخطيرة بارادة لاتنثنى وقوة لا تقهر . صفع أقفية وبصق فى وجوه وركل بطونا وظهورا . ولم ينج فى كل حال من اللكمات والسباب . فحطمت نظارته ومزق زر طربوشه ، وتهتك قميصه وانفضت ثنيتاه . ولكنه لا ارتدع ولا ازدجر ولا انثنى عن سبيله المحفوف بالمخاطر ، ولا فارق الابتسام شفتيه ولا خمدت نشوة فؤاده الثمل ، ولو اعترض الموت طريقه لاقتحمه غير هياب .

ولما آذنت الشمس بالمغيب عثرت عيناه المتجولتان بحسناء مقبلة متأبطة ذراع رجل أنيق المنظر ترفل فى ثوب رقيق شفاف . تكاد حلمة ثديها تثقب أعلى فستانها الحريرى . وجذب صدرها الناهد عينيه فزادتا اتساعا ودهشة . وهاله المنظر ، وكانت تقترب خطوة فخطوة حتى باتت على قيد ذراع وكان عقله — أو جنونه — يفكر بسرعة خيالية . فخطر له أن يغمز هذه الحلمة الشاردة . إن رجلا ما يفعل ذلك على أية حال فليكن هذا الرجل . واعترض سبيلهما ومد يده بسرعة البرق وقرص . آه . لقد انهالت عليه اللطمات واللكمات . وأحاط به كثيرون ولكنهم فى النهاية تركوه ، لعل ضحكته الجنونية أخافتهم . ولعل نظرة عينيه المحملقتين أفزعتهم ، تركوه على أية حال ، ونجا ولم تكد تزداد حالته سوءاً . وكان لا يزال به طموح إلى مزيد من المغامرات . ولكن لاحت منه نظرة إلى ملابسه فهاله ما يرى من تمزقها وتهتكها . وبدلا من أن يأسى على نفسه راح يذكر ما دار بخلده صباح اليوم أمام المرآة ، فلاحت فى عينيه نظرة غائمة ، وعاد يتساءل : لماذا يدع نفسه سجينا فى هذه اللفائف تشد على صدره وبطنه وساقيه ، وناء بثقلها ، وشعر لوطأتها باختناق . فغلت مراجله ولم يستطع معها صبرا . وأخذت يداه تنزعانها قطعة فقطعة ، بلا تمهل ولا إبطاء ، حتى تخلص منها جميعا ، فبدا عاريا كما خلقه الله . وعابثته ضحكته الغريبة ، فقهقه ضاحكا واندفع فى سبيله ....

نجيب محفوظ



بين صديقين

[اشتد بصديقنا الأديب الفاضل الأستاذ عبد الرحمن صدقي مصابه الأليم بزوجته المهذبة فنظم في رثائها قصيدتين من أبلغ الرثاء ، وأرسلهما إلى صديقه الأستاذ الجليل العقاد ومعهما هذان البيتان]:

أخي ، منذ أعوام مضين ذكرتني
وهنأت زوجي بالهوى ، وهنأتني
لقد ذهبت تلك السنون سريعة
وهذي مراثي زوجتي اليوم ، فارثني

فأجابه الأستاذ بهذه الأبيات:

أخي ! ما عزائي أن أهوّن فاجعا
أراه — وإن لم أبلُه — غيرَ هيّن
ولكنْ عزائي هذه الحرب زلزلت
قلوب بني حواء في كل مأمن
ولكن عزائي هذه الأرض علّمت
بنيها هوان العيش علم التيقن
قضاء علينا في الحياة فراقنا
لأحبابنا حيث التقينا بموطن
فجيعتنا فيمن نحب بديلُها
فجيعتهم فينا ، ومن يبق يفتن
فلا ترض للاحباب غبنا يؤودهم
وليس الرضا في الحالتين بممكن
ألا هان عيش لا يزال خياره
لمن يرتجيه شاكيا : متْ أو احزن
***
أخي ! هذه الدنيا وهذا عزاؤها ،
فصاراه — بعد الجهد — تسليم مذعن
وما أحسب الإيمان إلا حقيقة
فلا صبر فيها لامرئ غير مؤمن

شرح لامية العجم ، ما اسمه؟

شرح لامية العجم لصلاح الصفدي ، مصنف كبير ، مكتنز بالفوائد — أظهرته مطبعة بولاق مسمية إياه هذا الاسم :

(الغيث المسجم في شرح لامية العجم)

وهو مسندي حين ذكرته فيما رويته عن مسماه — أعني شرح اللامية — في (نقل الأديب) ، وفي خطبتي أو مقالتي في (أبي العلاء المعري) ، وقد أرشدني العلامة الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة الغراء إلى كتاب اسمه (سحر العيون) من مؤلفات القرن التاسع ، وهداني إلى هذه الفائدة الآتية فيه .

« ... عابوا على الشيخ صلاح الدين الصفدي (رحمه الله) في تسميته كتابه بـ (الغيث الذي انسجم في شرح لامية العجم) وقد مزق جلده الشيخ بدر الدين الدماميني في كتاب عمله عليه وسماه نزول الغيث ... »

فهل بدل الصلاح اسم كتابه من بعد ذلك النقد وتمزيق الجلد ... — وإني لأستبعد ذلك — أم بدله الناسخون والطابعون .

محمد إسعاف النشاشيبي

من ناظر إلى فراش (١)

عزيزي أحمد حسين

لك جزيل شكري على كتابك الذي تسلمته الساعة ، وما يبعث كتاب في قلبي من دواعي السرور أكثر مما تبعثه كتبك التي تصلني في نظام أول كل عام . وإنه لعجيب بعد تلك الأعوام الطويلة التي مرت منذ أن تعارفنا وهي الآن خمسة وعشرون أن

(١) أنظر صفحة (من وراء النظار) في هذا العدد

تظل محتفظا نحوى ونحو أسرتى بذكريات مودة وصداقة ، وأن تتعب نفسك على هذا النحو بالكتابة معبراً عنها . وإنى لشكور حقاً ولا أزال أتلو كتبك مرة ومرة فى سرور بالغ . ولاينقصنى إلا أن نلتقى كما كنا نفعل فى الأيام الماضية فأصافحك ، ولكن هذا بالضرورة مستحيل فليس لدى إلا أن أصافحك بكتابى وهذا ما أفعله الآن ... وكذلك أصافح ذلك الشيخ الكبير عزيزى الحاج عبد القادر ، وكم تتوق نفسى إلى رؤية ذلك الرجل الطيب العجوز : وأكبر ظنى أنه قد علت به السن جداً الآن كما علت بى . ولكن من دواعى الغبطة الشديدة أنه لا يزال حياً وأنك لا تزال على صلة به ولو أنك لا تراه ؛ وأنك تبلغه رسالاتى التى أبعثها إليه عن طريقك . بلغه أنى كثيراً ما أذكره كلما أذكرك وأذكر جميع الأخيار من الأصدقاء الذين عاشرتهم بالمدرسة التوفيقية فى تلك الأيام الطيبة الخالية . ولقد رغبتْ إلى زوجى أن أقول لك إنها كذلك لا تزال تذكركم جميعاً فى عطف ومودة وأنها جد فرحة بأنك لم تنسها .

وبعد فأنى أسرد عليك شيئا عن حال أسرتى كما طلبت ، وعلى الأخص حال ولدىّ ؛ إنهما والحمد لله بخير ، وإننا فى أيام الحرب هذه لنشكر الله على أنهما لايزالان كذلك . وإنه ليؤسفنى أنك كنت غائبا حينما زار أصغر الأخوين المدرسة التوفيقيـة سائلا عنك وكذلك يشعر هو بالأسف ؛ ولم يكن لديه متسع ليعاود الزيارة كما ذكرت أنت مع أنه رغب فى ذلك ؛ كان جيمس أصغرهما هو الذى زار المدرسة لا وليم ؛ وهو الآن « ليفتنانت كيرنل » فى فرقة المدفعية وهو يحارب على رأس رجاله فى جبال إيطاليا . ولقد كان وليم على مقربة من القاهرة حديثا إذ كان يصحب مستر ونستون تشرشل أثناء المؤتمر الذى عقد فى ديسمبر الماضى فى مينا هوس ؛ ولم يكن ليستطيع أن يغيب طرفة عين عن مكانه قرب الأهرام ، وعلى ذلك فلم يتمكن من زيارة المدرسة كما كان يحب أن يفعل . ولقد رقى الآن إلى مرتبة نائب مارشال الطيران وسيذهب لقيادة قوة الطيران الملكية فى جبل طارق وهو عمل شائق يتطلع إليه فى شغف ، وقد يكون ممكنا أن يطير من جبل طارق يوما ما إلى القاهرة ، فإذا تم ذلك فمن المؤكد أنه يحب أن يراك وإنه لذلك سيزور المدرسة ، وآمل أن تكون وقتئذ حاضراً ؛ ولكنى لاأستطيع طبعا أن أذكر متى يفعل ذلك إن كان ثمة ذلك فى طوقه . ولوليم الآن طفلان هما حفيداى الحبيبان ، بنت فى السادسة وصبى فى الرابعة ، ولقد قضيا هنا عندنا أسبوعين ؛ وكان جميلا أن نراهما وعلى الأخص ذلك الصبى فقد ولد فى بدء الحرب ولم نره قبل اليوم أبداً ؛ وهو ولد جميل قوى البنيـة لن يتعب من اللعب ، ولذلك ترانى أتعب قبل أن يتعب هو إذا مالعبنا معا ولما تنته اللعبة ؛ فأن جسمه الصغير أكبر قوة من جسمى الذى هده الكبر .

ليست زوجى على خير ما أحب لها من العافية ؛ أما أنا فعلى خير ما أرجو إذا ذكرت إنى أدلف إلى الثمانين من عمرى ؛ فلا زلت أستطيع أن أصعد فى تل قريب حيث أطل منه على منظر بهيج ، وإن كنت بالضرورة لا أستطيع أن أفعل ذلك فى مثل ما كنت عليه سالفاً من السرعة ، كما أنى لاأبلغ من التل ما كنت أبلغه من قبل .

أشكرك ثانياً على كتابك الكريم وما جاء فيه من عبارات طيبة ، وأرسل إليك أطيب تمنياتى وتشاركنى فى ذلك زوجتى ؛ كما نرسل حبنا ومودتنا لكل من لا يزال يذكرنا وبخاصة أنت والحاج عبد القادر العزيز .

المخلص

ج . إلبوت

تصويب ! ! !

ورد فى مقال الدكتور البهى فى العدد ٦٠٦ من الرسالة قوله : « ولا نبعد عن الصواب إذا حكمنا على بعض علماء الدين بأنهم لم يفهموا الإسلام إذا جعلوا من قوله تعالى « وأطيعوا الله والرسول وأولى الأمر منكم » والصواب : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » .

(كلية اللغة) **عبد الفضيل يوسف رجب**

الكتب

المنطـــق

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

لى صديق من أفاضل العلماء يحب أن يجادلنى على الدوام ، فنلعب بالمعانى والكلام ؛ ومن أساليب جداله قوله «أين المنطق» ؟

ومررت منذ أيام بدار الرسالة فأعطانى الأستاذ الزيات كتابا فى المنطق صدر أخيرا لأكتب عنه . فرحبت بالفكرة ، وقلت فى بالى سأستفيد من هذا الكتاب الحديث فهو آخر ما صدر فى هذه الأعوام ، ومؤلفه من العلماء المعروفين ، وأستطيع بعد ذلك أن أقنع صديقى الفاضل بأسلوب جديد فى المنطق ، وأعرّفه ما هو ، وأدفعه إلى الاقتناع بالحجة والبرهان .

مؤلف الكتاب الدكتور « جميل صليبا » عضو المجمع العلمى العربى ، وعنوانه : « دروس الفلسفة — الجزء الثانى — المنطق » طبع بمطبعة الترقى بدمشق عام ١٩٤٤ . ويقع فى ٤٤٠ صفحة من القطع الكبير . أما الجزء الأول من دروس الفلسفة فهو علم النفس طبع عام ١٩٤٠ .

وللمؤلف كتب أخرى عن ابن سينا ، وكتاب من أفلاطون إلى ابن سينا ، وكتب فلسفية نشرها وعلق عليها ، مثل : المنقذ من الضلال للغزالى وابن الطفيل .

ولكنى لم أكد أشرع فى قراءة كتاب المنطق حتى تبين لى أنى كنت مسرفا فى الأمل والتفاؤل ، لأننى لم أعثر على جديد معروف ، وعلى العكس صادفتنى أخطاء كثيرة كان ينبغى أن ينجو منها كتاب فى المنطق ، المفروض فيه أنه يعلمنا كيف نأمن الزلل ونتبع سبيل الصواب .

ونعرض لأول . مسألة قررها المؤلف وهى تعريف المنطق .

قال : « فيمكننا أن نعرف المنطق بقولنا : هو علم صور العلوم ، أو علم العلوم ، أو العلم الذى يبحث فى صحيح الفكر أو فاسده ، أو كما قال فلاسفة البور رويال : فن التفكير » [١] .

وليس فى هذه التعاريف المختلفة تعريف واحد صحيح .

التعريف الأول هو علم صور العلوم ، ليس صحيحاً لأن المنطق منه الصورى والمادى ، والمنطق الصورى لا يتصل بالعلوم بل بالفكر نفسه . وأكبر الظن أن المؤلف أخطأ فى ترجمة التعريف المتفق عليه بين العلماء الآن ، وهو أن المنطق علم صور التفكير La Science des formes de la pensée [٢] . وقال ليارد فى نفس الصفحة « إن موضوع المنطق تقرير قوانين التفكير فى ذاتها بصرف النظر عن الموضوعات التى تنطبق عليها . ثم بيان الطرق المختلفة لتطبيق هذه القوانين ، وهذا هو الموضوع المزدوج للمنطق » .

ويقول الأستاذ جميل صليبا عند الكلام عن موضوع المنطق إنه : « البحث عن العمليات الفكرية والشرائط النظرية التى يتوقف عليها التفكير الصحيح » . والبحث عن العمليات الفكرية من خصائص علم النفس لا علم المنطق الذى يبحث عن قوانين الفكر الصورية ، لا عن عملية التفكير كيف تقع فى الذهن . ويخيل إلينا أن هـذا اللبس ناشىء عن ترجمة المصطلحات عن اللغة الأجنبية ، وسنعرض لهذا الموضوع أى الاصطلاحات التى وردت فى هـذا الكتاب فى مقال آخر . والعمليات الفكرية هى Processus أما قوانين الفكر فهى Lois .

والتعريف الثانى علم العلوم ، لا يفيد شيئا ، فهو كقولك الأسد ملك الحيوان . ولماذا يكون المنطق علم العلوم ؟ لماذا لا تكون الرياضة مثلا ؟

والتعريف الثالث « العلم الذى يبحث فى صحيح الفكر أو فاسده » . ولعل صوابها وفاسده بدلا من أو فاسده ، إذ أن المنطق يبحث فى الصحيح والفاسد على السواء لبيان وجه الصواب منهما .

---

١) الكتاب المذكور ص ٩

٢) من كتاب Liard, Logique

والبحث فى الصحيح والفاسد فى الفكر ثمرة من ثمار المنطق تأتى بعد تطبيقه ، أو هى غاية من غاياته ، ولا تدخل فى تعريفه أو ماهيته .

ولعل المؤلف قد تأثر بالتعاريف التى أوردها العرب فى كتبهم ولم يعنَ بمناقشتها . لهذا نذكر بعض تعريفات العرب للمنطق ثم نذكر ملاحظاتنا عنها .

قال صاحب البصائر النصيرية « فاذا انقسمت الاعتقادات الحاصلة للأكثر فى مبدإ الأمر إلى حق وباطل ، وتصرفاتهم فيها إلى صحيح وفاسد ، دعت الحاجة إلى إعداد قانون صناعى عاصم للذهن عن الزلل ، مميز لصواب الرأى عن الخطأ فى العقائد ، بحيث تتوافق العقول السليمة على صحته . وهذا هو المنطق ».

وجاء فى لباب الإشارات لابن سينا شرح الرازى « الفكر ترتيب أمور معلومة ليتأدى منها إلى أن يصير المجهول معلوماً ، وذلك الترتيب قد يكون صوابا وقد لا يكون ، والتمييز بينهما ليس ببديهى ، فلا بد من قانون يفيد ذلك التمييز ، وهو المنطق » .

ويعرف الفارابى المنطق فى كتابه إحصاء العلوم : « فصناعة المنطق تعطى جملة القوانين التى شأنها أن تقوم العقل ، وتسدد الإنسان نحو طريق الصواب ، ونحو الحق فى كل ما يمكن أن يغلط فيه من المنقولات ، والقوانين التى تحفظه وتحوطه من الخطأ والزلل والغلط فى المعقولات » .

ونلاحظ على التعاريف أنها تجعل المنطق ميزانا للتمييز بين الصحيح والفاسد من الفكر وتجنب الزلل .

ونلاحظ ثانيا أنها تجعل المنطق آلة لغيره من العلوم .

وكلا الإتجاهين لا يجعل المنطق علما بل فنا .

قال صاحب الرسالة الشمسية « المنطق آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ فى الفكر » وعلق القطب الرازى على هذا التعريف بقوله : « والآلية للمنطق ليست له فى نفسه ، بل بالقياس إلى غيره من العلوم الحكمية ، ولأنه تعريف بالغاية ... »

والمناطقة فى أوربا فى عصر النهضة وما بعده أخذوا بوجهة نظر العرب وجعلوا المنطق فنا لا علما . والكتاب الصادر عن بور رويال Port Royl (١) عنوانه « المنطق أو فن التفكير » وهذا واضح الدلالة فى التصريح بأن المنطق فن وليس علما .

ولكن المناطقة المحدثين نظروا إلى قوانين الفكر فى ذاتها ، دون نظر إلى فائدتها فى كشف العلوم ، أو قيمتها فى التمييز بين الحق والباطل والصواب والخطأ . ولهذا كان المنطق علما ، وألحقوه بالعلوم ، وعرفوه بأنه العلم الذى يبحث فى قوانين الفكر أو صور التفكير .

وهذا يبين فساد التعريف الرابع الذى أورده المؤلف وهو أن المنطق فن التفكير .

دكتور

أحمد فؤاد الأهوانى

(١) بور رويال دير فى فرنسا فى مقاطعة السين ، سكن فيه كثير من العلماء والفلاسفة مثل بسكال وغيره وألفوا كثيرا من الكتب العلمية والفلسفية ، واهتم فلاسفته بالمنطق ، وألفوا فيه الكتاب المذكور ، وهو مشهور ، ويقال أيضا منطق بور رويال .

أساطير الحُبّ والجمال عند الإغريق

بقلم الأستاذ

دريني خشبة

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 608

Lundi - 26 - 2 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
م
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٦٠٨ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٦٤ — الموافق ٢٦ فبراير سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

المجــامع اللغوية (*)

لصاحب العزة الأستاذ أنطون الجميّل بك

قالوا إن الإنسان حيوان ناطق ، أى إنه مالك تلك القوة التى تساعده على التعبير عما يجول فى جنانه من الأفكار والمعانى . فكان من البديهى أن يحاول ، منذ نشأته الأولى ، استنباط خير الوسائل إلى أداء ما يريد التعبير عنه على أكمل وجه ، بالاشارة ثم باللسان ، أصواتاً متقطعة فألفاظاً منسقة . وكان من الطبيعى كذلك أن يتواضع مع أمثاله على أساليب للتعبير تكفل اتقان أداة التفاهم ، أى اللغة ، والوصول بها إلى الإعراب عن مختلف المعانى فى أدق مقاصدها .

ومن هنا نشأت على توالى الزمن الأندية والمجامع التى تعنى باستكمال هذه الأداة ، وهى المجامع التى أطلق عليها فيما بعد اسم « اكاديميا » .

وأصل الكلمة ، على ما هو معروف ، مشتق من اسم « اكاديموس » أحد أبطال الأغارقة . وكان « اكاديموس » هذا يملك على بعد فرسخين من أثينا روضة واسعة الأرجاء كان أفلاطون يختلف إليها فيجتمع تحت ظلال أشجارها الباسقة بتلاميذه ومريديه فيشرح لهم مذهبه الفلسفى . وبعد وفاته ظل هؤلاء يعقدون حلقاتهم للبحث والمدارسة فى هذا المكان فعرف باسم « اكاديميا » نسبة إلى صاحبه . وشاعت الكلمة بعد ذلك فى البلاد الغربية ، مع توسع فى مدلولها ، فأطلقت على المجامع والأندية الأدبية والعلمية والفنية ، بل تناولت المعاهد التى يدرس فيها بعض الفنون كأكادمية التصوير ، أو الغناء ، أو الرقص ، حتى إن الفرنجة اشتقوا منها صفات وموصوفات وأفعالا ، وكثيراً ما استعملت الكلمة فى لغاتنا الشرقية نفسها .

وعلى هذا الأساس نشأت أكاديمية البطالسة فى الاسكندرية ، والاكاديميات العبرية ، وأكاديمية شارلمان ، وأكاديمية الفريد الكبير فى انجلترا .

أما العرب فقد قامت أسواقهم ومجالسهم — وأشهرها سوق عكاظ ونادى قريش ودار الندوة — مقام هذه الاكاديميات . فكانوا فى مجتمعاتهم هذه يتبادلون الأخبار ويتناشدون الأشعار ويبحثون فى شؤونهم العامة . وكان للغة نصيب غير قليل من هذا البحث ، كما تدل على ذلك حكاية النابغة مع الأعشى والخنساء . ثم صار بلاط الخلفاء فى الشام والعراق والأندلس ومصر أشبه شيء بهذه الندوات الأدبية والفنية ، كما هو مفصل فى كتب الأدب .

(*) نص الخطبة التى ألقاها الأستاذ فى حفلة افتتاح المؤتمر لمجمع فؤاد الملكى للغة العربية .

أما انتشار هذه المجامع بمعناها الحديث فقد بدأ فى عهد النهضة أو البعث ، وبخاصة فى ايطاليا ، فقام فى كل مدينة جمعية اكاديمية أو أكثر تضم الصفوة المختارة من المفكرين والباحثين فى مختلف الفنون والعلوم .

ولم تلبث فرنسا أن حذت حذو ايطاليا فنشأت فيها مثل هذه الجمعيات وازدهرت .

وفى غضون ذلك أخذت اللغات الأوربية تتطور وتصقل بتأثير طبيعة كل إقليم وأخلاق ناسه ، وكان لهذه الأكاديميات أثر مذكور فى هذا التطور ، فانمازت لغة كل قوم بطابع خاص عرفت به ، حتى ان كارلوس الخامس المعروف باسم « شارلكان » وهو أول من فاخر بان الشمس لا تغيب عن املاكه — كان يقول :

« إنى إذا خاطبت الله ضارعاً خاطبته بالإسبانية . وإذا خاطبت النساء متحببا خاطبتهن بالإيطالية . وإذا خاطبت جوادى زاجراً خاطبته بالألمانية . وإذا خاطبت الناس عامة خاطبتهم بالفرنسية » .

وهو يشير بقوله هذا إلى مافى لغة الإسبانيين من الإجلال والتفخيم ، وإلى ما فى لغة الإيطاليين من الرقة والعذوبة ، وإلى ما فى لغة الألمان من العنف والشدة ، وإلى ما فى لغة الفرنسيس من الوضوح وحسن البيان .

وهل نغالى إذا قلنا إن هذا العاهل العظيم لو كان يعرف اللغة العربية لغنى بها عن غيرها فى مواقفه الأربعة ، فقد جمعت فخامة اللفظ وجمال الأسلوب إلى قوة الأداء وفصاحة التعبير .

قلنا إن الاكاديميات انتشرت فى عصر النهضة وبعده . وتنوعت أهدافها واختلفت مقاصدها ، ولكننا اكتفينا بالاشارة اليها اشارة عابرة لنقف عند مجامع اللغة ، ونقارن بين مهمتها ومهمة مجمعنا اللغوى ما دام هذا موضوع حديثنا . ومن خلال هذه المقارنة سنرى وجوه الشبه فى الأهداف ، وفى الصعوبات المعترضة ، وكذلك فى ضروب النقد الذى يوجه إلى هذه المجامع .

وأشهر المجامع اللغوية بلا مراء « الاكاديمية الفرنسية » التى قال عنها المؤرخ الإنجليزى هالام (Hallam) إنها أشهر مؤسسة فى تاريخ الأدب ، وهى كذلك أقدم المجامع القائمة إذ يرجع تاريخ إنشائها إلى أكثر من ثلثمائة سنة . ذلك أن الوزير الكبير الكردينال ريشليو نهض بعمل على نشر نفوذ فرنسا فى أوربا ، فأراد أن يدعم عن طريق نشر لغتها وثقافتها ما أحرزته من جاه وسلطان عن طريق انتصارات جيوشها .

وكان فى ذلك العهد لفيف من الأدباء يجتمعون للنظر فى منتجات القرائح وفى الموضوعات الأدبية . فخطر للوزير أن يجعل لهذه الاجتماعات صفة رسمية تعلى شأن الأدب فى الدولة وترفع مكانته فى أوربا ، فاستصدر فى شهر يناير من سنة ١٦٣٥ أمراً ملكيا بانشاء « الاكاديمية الفرنسية » ولكن السياسة عادة لا تحب الأدب ، فخشى البرلمان أن يطغى نفوذ هذه الندوة الأدبية على نفوذه وسلطانه فلم يقر إنشاءها إلا بعد سنتين

أنشأ ريشليو هذا المجمع فكان موضع عنايته . وظل اسمه مقرونا به حتى قيل إن إنشاء الاكاديمية الفرنسية كاف وحده لتخليد اسم هذا الوزير الخطير . وفى سنة ١٦٧٢ أصبح هذا المجمع فى كنف الملك لويس الرابع عشر فشمله برعايته وأغدق عليه من نعمه الشىء الكثير .

ومضت « الاكاديمية » تعمل قرابة قرن ونصف قرن إلى أن قامت الثورة الفرنسية الكبرى تحارب طبقة الأرستقراطيين أو الأشراف ، فألغت فى شهر أغسطس سنة ١٧٩٣ « الاكاديمية » لأنها كانت تمثل أرستقراطية الفكر . ولكنها ما لبثت أن عادت بعد سنتين فأقرت وجودها . وظل هذا المجمع بين مد وجزر إلى أن أصبح منذ سنة ١٨٣٢ إحدى الهيئات الخمس التى تألف منها المعهد العام (l' institut) وهى الاكاديمية الفرنسية ، واكاديمية الفنون الجميلة ، واكاديمية النقوش والآداب ، واكاديمية العلوم ، واكاديمية العلوم الفلسفية والسياسية .

ولا بد لى من الإشارة هنا إلى أن فى اضابير وزارة المعارف عندنا مشروعا بانشاء مثل هذا المعهد العام فى مصر على أن يؤلف من خمس شعب هى : شعبة العلوم ، وشعبة الطب ، وشعبة الآداب . وشعبة الفنون ، وشعبة العلوم السياسية والإقتصادية ، إلى جانب مجمعنا اللغوى . ولعل زميلنا المحترم الدكتور طه حسين بك ، وقد كان له اليد الطولى فى إعداد هذا المشروع ، سيحدثنا عنه الحديث الوافى فى الوقت المناسب

عرضنا فيما تقدم موجزاً لتاريخ الاكاديمية الفرنسية وكان عدد أعضائها ولا يزال اربعين عضواً يسمون « الأربعين الخالدين » لا لأن آثار كل منهم كفيلة بتخليده ، بل لأنهم كلما مات منهم

واحد حل محله آخر . ولعل كلمة « الأبدال » العربية تؤدى مثل هذا المعنى . فقد جاء فى لسان العرب : الأبدال قوم من الصالحين (ولنفرض رجال الأدب من أهل الصلاح) أربعون فى الشام وثلاثون فى سائر البلاد لا يموت منهم أحد إلا قام مكانه آخر . وجاء فى اللسان أيضاً : الأبدال الأولياء والعبَّاد ، سموا بذلك لأنهم كلما مات منهم واحد أبدل بآخر .

أما أهداف الاكاديمية الفرنسية فقد حددتها المواد ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ من الأمر الصادر بإنشائها ، وتلخص فى العمل على تطهير اللغة واستكمالها وتركيز قواعدها . وكان المفروض أن يحقق ذلك بتأليف المعجم لتحديد الألفاظ ، وكتاب النحو لتركيز القواعد ، وعلم العروض لميزان الشعر ، وعلم البلاغة لأحكام الكلام .

وهذه الأغراض تكاد تكون وأغراض مجمعنا واحدة فقد جاء فى المادة الثانية من المرسوم الملكى الصادر بإنشاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية ما نصه :

« أغراض المجمع هى :

(ا) أن يحافظ على سلامة اللغة العربية ، وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون فى تقدمها ، ملائمة على العموم لحاجات الحياة فى العصر الحاضر ، وذلك بأن يحدد فى معاجم أو فى تفاسير خاصة ، أو بغير ذلك من الطرق ، ما ينبغى استعماله أو تجنبه من الألفاظ والتراكيب .

(ب) أن يقوم بوضع معجم تاريخى للغة العربية ، وأن ينشر أبحاثاً دقيقة فى تاريخ بعض الكلمات وتغير مدلولاتها .

(ج) أن ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية .

(د) أن يبحث كل ما له شأن فى تقدم اللغة العربية ، مما يعهد اليه فيه بقرار من وزير المعارف العمومية »

على أن المجمع الفرنسى لم يلبث أن قصر همه على إعداد المعجم ، ثم على دراسة المنتجات الأدبية لمنح الجوائز للمتفوقين من الأدباء . ومع ذلك فان تصنيف هذا القاموس سار بطيئاً ، قد نجد فيه بعض العذر عن التأخير فى إنجاز قاموس مجمعنا . فان الطبعة الأولى منه لم تصدر إلا فى سنة ١٦٩٦ ، أى بعد ستين سنة من إنشاء الأكاديمية . ثم صدرت منه أربع طبعات فى القرن الثامن عشر ،

أما الطبعة الثامنة والأخيرة فقد صدرت منذ عشر سنوات ، أى أن الأكاديمية أصدرت ثمانى طبعات من معجمها فى ثلثمائة سنة من حياتها .

وقد رجعت إلى مقدمة هذا المعجم فوجدت وجوه الشبه كثيرة بين عملهم وعملنا ، وبخاصة بين العقبات التى اعترضتهم والتى تعترضنا . ففى الطبعة الأولى التى صدرت منذ ٢٥٠ سنة قررت الأكاديمية أن تقصى من قاموسها المصطلحات العلمية والفنية إلا ما كان منها كثير الذيوع شائع الإستعمال . ولكن استعمال هذه المصطلحات ما لبث أن ذاع ذيوعاً كبيراً بازدياد تذوق العلوم والفنون فى القرن الثامن عشر ، فلم ير المجمع مفراً من أن يفسح صفحات قاموسه فى طبعته الرابعة (سنة ١٧٦٢) للمصطلحات الأولية فى العلوم والفنون والمهن مما يحتاج اليه الكاتب ويجده القارىء حتى فى المصنفات التى لا تتناول هذه الموضوعات بالذات . ثم جاء فى تصدير الطبعة السابعة (سنة ١٨٧٧) ان الأكاديمية ارتضت أكثر من ألفى كلمة علمية وفنية لشدة الحاجة إليها .

ولما شرعت تعد الطبعة الأخيرة التى صدرت منذ عشر سنوات كانت الكلمات العلمية والفنية قد طغت على اللغة . فن العلوم القديمة فى عالم البخار والكهرباء والآليات قد تجددت معالمها وتعددت فروعها ، وظهرت علوم ومخترعات جديدة . كما حدثت انقلابات كبيرة فى عالم الإقتصاد والسياسة والإجتماع مما دعا إلى استنباط عدد كبير جداً من المصطلحات ذاعت وشاعت وعم استعمالها بين جميع الطبقات بفضل المدرسة والصحافة . ولاحظت الأكاديمية أن من هذه المصطلحات ما هو ابن يومه ومصيره إلى الزوال ، ومنها ما هو مضطرب الإشتقاق ، وليد الارتجال . فلم يكن بد من التمحيص والتروى طويلا قبل إقراره . شكلا وصيغة ، لإدماجه فى قاموس المجمع .

وبعد تخير هذه الألفاظ وصقلها وتهذيبها . واجه المجمع صعوبة أخرى ، كالتى نواجهها فى مجمعنا اللغوى ، وهى وضع التعريف الجامع المانع ، للكلمة المختارة . فكانت الأكاديمية كثيراً ما تحتاج فى كل ذلك إلى الاستعانة بالأكاديميات الأخرى — كأكاديمية العلوم وأكاديمية الفنون وأكاديمية الطب أو إلى

الاسترشاد بآراء الاخصائيين والخبراء فى المادة المبحوثة كما نفعل هنا

ولم تقتصر مهمة التحديد والتعريف على المصطلحات الجديدة بل امتدت إلى كثير من الكلمات القديمة التى كان تحديدها ناقصا أو غامضا أو التى تطور مدلولها مع الزمن . وعملت الأكاديمية كذلك على حذف الكلمات المائة أو المهجورة ، فأزالتها من قاموسها ، وأحالتها إلى معجم اللغة التاريخى ، كما أحالت إلى المعجمات الخاصة أسماء الأعلام والمسميات الجغرافية وما إلى ذلك مما لايتسع له معجم اللغة .

وقد عرضت الأكاديمية الفرنسية كذلك لما نعرض له الآن من تبسيط قواعد النحو وتسهيل القراءة . وانتهى بها الأمر أن أعلنت أنها لاتدعى التشريع فى القواعد ، ولا الوصاية أو القوامة على الإملاء . بل اكتفت بما قام به أحد أعضائها فى الطبعة الرابعة من قاموسها منذ نحو قرنين من إدخال تعديل على كتابة عدد كبير من الكلمات كانت تدخل فى هجائها أحرف لافائدة منها سوى الدلالة على أصلها اللاتينى أو اليونانى . وأبى المجمع فى الطبعات التالية أن يسير إلى أبعد من ذلك ، مكتفيا بصورة الإملاء التى أقرها الاستعمال الطويل والتى طبعت بها ألوف المصنفات المنتشرة فى العالم ،ورأت أن تغيير هذه الصورة فى الكتابة يدخل البلبلة والاضطراب فى الأفكار مقابل فائدة ضئيلة لايؤبه لها .

أما نحن فلم نصل إلى هذه المرحلة التى وصلوا اليها ، وقد نكون فى المرحلة التى كانوا فيها منذ قرنين فنحتاج إلى شىء من التبسيط فى القواعد وإلى بعض التعديل فى كتابة الكلمات . دون مساس بالجوهر .

ومن ينعم النظر فى تنوع الصعوبات عند إعداد القاموس الوافى يجد من التجنى على المجامع اللغوية اتهامها بالبطء فى عملها . وإذا كان المجمع الفرنسى قد سلخ ثلثمائة من السنين للتغلب على جانب من هذه الصعوبات فان لمجمعنا ، وهو لايزال فى عهد الطفولة بعد عشر سنوات فقط من إنشائه ، بعض العذر ، بل كل العذر ، فى عدم تحقيق جميع الأغراض التى أنشىء من أجلها ، لاسيما وأن الصعوبات التى واجهت غيرنا تباعا قد واجهتنا مرة واحدة مجتمعة .

أيها السادة : قلنا إن المجمع الفرنسى هو بكر المجامع اللغوية القائمة ، وعلى منواله نسجت المجامع التى أنشئت فيما بعد فى البلاد الأخرى ، لذلك نستطيع بعد أن تبسطنا فى سرد تاريخه وبيان مهمته أن نمر سراعا بسائر المجامع .

ففى سنة ١٧٠٠ أنشأ فردريك الأول مجمع العلوم فى برلين بإيعاز من الفيلسوف ليبنتز ، وقد حول فردريك الثانى الكبير هذا المجمع إلى « الأكاديمية الملكية للعلوم والآداب » وكان رئيسها فى أول أمرها العالم الفرنسى موبرتوى . وظلت تقاريرها تطبع بالفرنسية من سنة ١٧٤٦ إلى سنة ١٨٠٤ . وكان لهذا المجمع فيما بعد أثر كبير فى ازدهار العلم الألمانى .

وأنشئت أكاديمية مدريد فى إسبانيا سنة ١٧١٣ برعاية الملك فيليب الخامس ، فوجهت همها إلى وضع معجم وأجرومية أصبحا مرجعين بل حجتين فى اللغة فى إسبانيا والجمهوريات اللاتينية بامريكا الجنوبية .

وفى سنة ١٧٧٢ أنشئت فى بلجيكا الأكاديمية الملكية وأعيد تنظيمها فى سنة ١٨٤٥ فقسمت ثلاثة أقسام : قسم الآداب ، وقسم الفنون ، وقسم العلوم . وكان معظم أعضائها من الفلاسفة والمؤرخين واللغويين والقانونيين ، وقل فيها الشعراء والأدباء . فرأى القوم حاجتهم إلى إنشاء أكاديمية أخرى فأنشئت الاكاديمية الملكية للغة الفرنسية وأدبها فى سنة ١٩٢٠ .

وإذا كانت الأكاديميات قد نشأت فى مدن إيطاليا منذ نحو أربعمائة سنة فان الأكاديمية الكبرى لم تنشأ فى روما إلا فى سنة ١٩٢٦ وتم تنظيمها فى سنة ١٩٢٩ واشتملت على أربع شعب : العلوم الطبيعية والرياضية ، والآداب ، والعلوم الفلسفية والتاريخية ، والفنون .

أما الشعوب الانجلو سكسونية من انجليز وأمريكان فلم يعنوا بالمجامع اللغوية عنايتهم بأندية البحوث التاريخية والعلمية والفلسفية ، فالأكاديمية البريطانية والجمعية الملكية أو أكاديمية لندن ليستا بالمجامع اللغوية بالمعنى الذى نقصده ، فان القوم رأوا تبسيط لغتهم ما استطاعوا ليعمموا استعمالها ، حتى اهتدوا أخيراً إلى لغة مبسطة لايزيد عدد كلماتها على ٨٥٠ كلمة من الموصوفات والصفات والأفعال والحروف التى يحتاج اليها الإنسان فى الكلام .

أما فى الشرق . فقد ألف رهط الأدباء فى العواصم العربية

جميعات أدبيــة لغوية كثيرة ولـكنها لم تـكن لتعمر طويلا لأن الحكومات لم تكن تؤيدها ، بل كثيراً ما كانت تناهضها ، إلى أن أنشىء المجمع اللغوى فى دمشق منذ ربع قرن ، وقد أدى للغة خدمات تذكر له بالشكر .

ويسرنا أن نحيي هنا رئيسه الأستاذ محمد كرد على ووكيله الأستاذ عبد القادر المغربى ، زميلينا فى المجمع المصرى .

أيها السادة : وقفت بكم طويلا عند المجمع الفرنسى لأنه أقدم المجامع اللغوية وأشهرها ، فاسمحوا لى أن أقف بكم وقفة اخرى عند المجمع الروسى ، فهو أحدث المجامع واكثرها اختلافا فى تأليفه وأهدافه ، ونحن اقل معرفة به منا بغيره .

كان بطرس الأكبر قد أنشأ فى بطرسبورج سنة ١٧٢٥ أكاديمية للعلوم . ثم تفرعت إلى شعب على غرار شعب الأنستيتو الفرنسى . ولـكن نظام هذه الأكاديمية قد قلب رأسا على عقب فى روسيا السوفيتية ، حيث اصبحت الاكاديمية العلمية بمثابة هيئة أركان الحرب فى معسكر العلم الروسى ، وأصبح لها الشأن الأول فى نهضة البلاد . وفى سنة ١٩٤١ قبيل اشتراك روسيا فى الحرب القائمة كان هذا المجمع مؤلفا من ٧٦ معهدا و١١ معملا للاختبارات العلمية ، و٤٢ محطة للتجارب و٦ مراصد و٢٤ متحفا . ويبلغ عدد الأعضاء الآن ١٥٠ عضواً ، وعدد الأعضاء المراسلين ٢٣٠ وهناك ٤٧٠٠ إخصائى يساعدون فى الشؤون العلمية والتطبيقية ، وقد نشر المجمع فى سنة ١٩٤١ من التقارير والنشرات الدورية مايزيد على عشرة آلاف صفحة . وهذه الأكاديمية مؤلفة من ثمانى شعب ، وهى شعبة الطبيعيات والرياضيات ، وعلوم الكيمياء ، وعلم طبقات الأرض والجغرافية ، والعلوم البيولوجية والعلوم التطبيقية ، والتاريخ والفلسفة ، والاقتصاد والقانون ، والأدب واللغات . ويتبـع كل شعبة عدد من المعاهد والمعامل والمتاحف .

أما شعبة الأدب واللغات فتشتمل فيما تشتمل عليه على معهد اكتسب أخيراً أهمية خاصة وهو معهد الابحاث الشرقية ورئيسه العلامة ستروف « Struve » من علماء الآثار المصرية . ومن بين أعضائه البارزين المستشرق كراشكوفسكى (Krachkovski) الذى تخصص بالأدب العربى الحديث ، وهو من أعضاء مجمع دمشق ، وقد ترجم إلى الروسية بضعة مؤلفات لـكتابنا المعاصرين منها كتاب « الأيام » لزميلنا المحترم الدكتور طه حسين بك ، كما أشرف على نشر مؤلفات ابن فضلان التى تحتوى على معلومات ثمينة عن أقدم عهود التاريخ الروسى . وفى هذا المعهد أيضا يعمل البحاثة أرنستد (Ernstedt) الإخصائى فى اللغة القبطية . وقد أعد للنشر مخطوطات بهذه اللغة على جانب من الأهمية إذ تبحث فى تطور مصر الإقتصادى فى القرون الوسطى وهى تـكاد تـكون فريدة فى بابها .

وفى هذا المعهد مجموعة ثمينة من المخطوطات الشرقية من عربية وقبطية وإيرانية وصينية . كما أن فيه مكتبة شرقية ضخمة تعد من أغنى مكتبات العالم . وليست الدروس الشرقية محصورة فى معهد الأدب ، فإن لها كذلك نصيبا من أعمال معهد اللغة والفـكر ومعهد الأدب . وتدرس لغات الشعوب الشرقيـة الداخلة فى اتحاد الجمهوريات السوفيتية فى معاهد أرمينيا وجورجيا والتركمان .

أيها السادة — قد يـكون من الطريف ، ونحن نعرض وجوه الشبه بين مجامعهم ومجمعنا ، أن نورد بعض ماوجه إلى هذه المجامع من سهام التهكم والنقد البرىء وغير البرىء .

فهذا الشاعر الفرنسى بيرون Piron لم يتمكن من دخول الأكاديمية فارسل اليها يوصيها بان تـكتب على ضريحه : (هنا يرقد بيرون وهو لم يـكن شيئا حتى ولا عضوا فى الأكاديمية) وكان يقول عن الأربعين الخالدين : (هم أربعون ولـكن عقولهم عقول أربعة) .

وقال فولتير ، فى أسلوبه اللاذع ، يحدد الأكاديمية : (هى هيئة يدخلها أصحاب الألقاب وكبار الموظفين ورجال الدين والقانون والأطباء والمهندسون وأحيانا رجال القلم) . وهو يشير فى قوله هذا إلى بعض أعلام الأدب الذين لم تفتح الأكاديمية لهم أبوابها من أمثال موليير وغيره . ولـكن الأكاديمية عوضت موليير تمثالا نصبته بعد وفاته فى قاعة جلساتها وكتبت تحته : (لم ينقص مجده شىء ولـكنه هو كان ينقص مجدنا) .

وقال أحد النقاد (هذه المجامع اللغوية إن هى إلا ملاجىء للعجزة من الذين شوهتهم حرفة القلم) .

أبو العـــلاء المعرى

التفاؤل والأثرة عند الشيخ

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

— ٥ —

النسل . الزواج

والنسل أفضل ما فعلتَ بها فإذا سعيت له فعن عقـــل

إذا شئت يوماً أن تقارن حرة من الناس فختر قومها وبجارها

إذا خطب الحسناء كهل وناشئ فإن الصبا فيها شفيع مشفع
ولا يُزهدنها عُدمه ، إن مُده لأبرك من مال الكبير وأنفع
وما لأخى الستين قدرة سائر إليها ولكن عجزه ليس يُدفع
ويُخفض فى كل المواطن ذمه وإن كان يُدنى فى المحل ويُرفع

إذا ما ابن ستين ضم الكعاب إليه فقـــد حلت البهله[1]
هو الشيخ لم يرضه أهلـــه ولم يُرض فى فعله أهلـه
فلا يتزوج أخو الأربعين إلا مجـــربة كهـــله
رأى الشيب فى عارضيه المسن (م) فنعم القرين له الشهله[2]

وواحدة كفتك فلا تجاوز إلى أخرى تجىء بمؤلمات
ولا يتأهلن شيخ مُقـــل بمُعصرة من المتنعمات[3]
فإن الفقر عيب ، إن أضيفت إليه السن جاء بمؤلمات

إذا خطب الزهراء شيخ له غنى وناشئ عُدْم آثرت من تعانق

إذا كانت لك امرأة عجوز فلا تأخذ بها أبداً كعابا
فإن كانت أقل بهـــاء وجه فأجدر أن تكون أقل عابا

(١) البهلة — بالفتح وضم — اللعنة ، ومنه حديث أبى بكر : من ولى من أمر الناس شيئاً فلم يعطهم كتاب الله فعليه بهلة الله .

(٢) الشهلة : النصف العاقلة ، العجوز ، وذلك اسمها خاصة ، وامرأة شهلة كهلة ، ولا يقال : رجل شهل كهل ولا يوصف بذلك إلا أن ابن دريد حكى : رجل شهل كهل

(٣) المعصر والمعصرة هى التى بلغت عصر شبابها وأدركت

وقال آخر (هى جمعيات هازلة يحاول اعضاؤها أن يظهروا بمظهر الجد) .

ولكن ، مهما يقولوا ويتهكموا وينتقدوا ، ما فتىء مطمح كل كاتب وكل عالم وكل باحث فى البلاد الراقيــة الوصول إلى عضوية هذه المجامع التى يعتقد الكثيرون أن الكفاية والعقل يقدمان فيها على الثروة وشرف الأصل . وقد قال الفيلسوف رينان فى ذلك : (إن صوت العلم قد يكون احيانا ضعيفا تجاه الجرأة والدجل ، ولكن هذا الصوت متى خفت ضجيج الشارع يستمر مسموعا ولا يسمع غيره . لذلك ومهما تشتد الحملات على المجامع العلمية ستكون الغلبة دائما فى النهاية لهذه المجامع لأنها الحارس الأمين على الأساليب الصحيحة ، وإذا كانت محترمة فى نظر عدد قليل ، فان هذا العدد القليل هو على حق . ولا يبقى إلا الحق) .

وتعرفون حكاية (بوانكاره) وقد يكون فيها أسطع دليل على مكانة هذه المجامع . وصل هـــذا الرجل العبقرى إلى رياسة الجمهورية وظل مع ذلك عضوا فى الأكاديمية ، لا تشغله مهام الدولة عن حضور معظم جلسات المجمع ، بل كان يشترك فى التصويت عند انتخاب عضو جديد . وحدث أكثر من مرة أن فاز بالانتخاب من لم يكن قد أعطاه صوته وكان يوقع بصفة كونه رئيسا للدولة مرسوم تعيين الفائز وإن لم يكن مرشحه .

وعندما زار بوانكاره انجلترا فى شهر يونيو سنة ١٩١٣ وقف ملك الانجليز وهو ملك يستطيع أن يقول كما قال شارلكان إن الشمس لاتغيب عن أملاكه — وقف يرحب بضيفه رئيس الجمهورية الحليفة فقال :

« إنى سعيد بأن أرى فى ضيافتى رجلا ممتازا بخدمه الجليلة ، ذا شهرة بعيدة ليس فى عالم السياسة فحسب ، بل ايضا فى تلك الجمعية الأكاديمية التى هى منذ ثلاثة قرون موضع فخر لفرنسا تحسدها عليه اوربا جمعاء » .

أيها السادة — من الأقوال المأثورة عند الفرنجة أن لا شىء ادعى إلى الملل والسأم من الخطب الأكاديمية . وكان نصيبى من هذه الحفلة خطبة أكاديمية فى أكاديمية عن الأكاديميات ، فاذا كنت قد أمللت وأسأمت فأرجو عذرا .

أنطون الجميل

وحسن الشمس فى الأيام باق ‍ ‍ ‍ وإن مجّت من الكبر اللمابا

ومن جمع الضرات يطلب لذة ‍ ‍ ‍ فقد بات بالإضرار غير سديد

معاملة الصغار

ورفقاً بالأصاغر كى يقولوا ‍ ‍ ‍ غدونا بالجميل معاملينا
فأطفال الأكابر إن يوقوا ‍ ‍ ‍ يُروا يوماً رجالاً كاملينا

لا تزدرن صغاراً فى ملاعبهم ‍ ‍ ‍ فجائز أن يُروا سادات أقوام
وأكرموا الطفل عن نكر يقال له ‍ ‍ ‍ فإن يعش يُدع كهلا بعد أعوام

... وبالوالدين إحسانا

العيش ماض فأكرم والديك به ‍ ‍ ‍ والأم أولى بإكرام وإحسان
وحسبها الحمل والإرضاع تُدمنه ‍ ‍ ‍ أمران بالفضل نالا كل إنسان

تحمّلْ عن أبيك الثقل يوما ‍ ‍ ‍ فإن الشيخ قد ضعفت قواه
أتى بك عن قضاء لم ترده ‍ ‍ ‍ وآثر أن تفوز بما حواه

حفظ الصحة

دارِ نفسك وإن بلغت سن الهرم كما يُدارى الوليد .

إفراط الشبع آفة على كل حيوان :

سنُّك خير لك من درة ‍ ‍ ‍ زهراء تعشى أعين الناظرين (1)
عجبت للضارب فى ثمرة ‍ ‍ ‍ لم يطع الناهين والآمرين
يكسر باللؤلؤ من جهله ‍ ‍ ‍ خشباً عتت عن أنمل الكاسرين

تجزأ ولا تجعل لحتفك علة ‍ ‍ ‍ بإكثار طعم ، إن ذلك لُوم (2)

لا ترُبلنّ وكن رئبال مأسدة ‍ ‍ ‍ إن الرشاد ينافى البادن الرّبلا (3)

الشبيبة

إذا ما خبت نار الشبيبة ساءنى ‍ ‍ ‍ ولو نص لى بين النجوم خباء

إن الشبيبة نار ، إن أردت بها ‍ ‍ ‍ أمراً فبادره ، إن الدهر مطفئها

(1) زهراء : بيضاء صافية .

(2) تجزأ بالشئ ، قنع واكتفى به ، اكتف بجزء من أكلك . وفى طبعة اللزوميات تجرأ بالراء ، ولا معنى لها .

(3) الربالة : كثرة اللحم وهو ربيل وربل .

السفر

لو ملكت الرحيل جولت فى الآفاق (م) ‍ ‍ ‍ حتى يملنى التجويل

أدب السلوك (1)

الكتاب المختوم يشتمل على سر مكتوم ، فإن فضضته ولم يأذن من أمنك عليه فقد أوضعت (2) فى سبيل الخائنين

لا يبصر القوم فى مغناك غسل يد ‍ ‍ ‍ على الطعام إلى أن يرفع السور (3)
ولا يكن ذاك إلا بعد كفهم ‍ ‍ ‍ أكفهم ، ويسير الفعل ميسور
فإن تقريب خدام الفتى حُرضا ‍ ‍ ‍ والضيف يأكل رأى منه محسوز (4)

لكل زمان ما يشاكله

عدد لكل زمن ما يشاكله ‍ ‍ ‍ إن البراقع يستدنين بالشُّمُم (5)
فإن ضربت بسيف الهندو ومد ‍ ‍ ‍ فسيف إفرنجة المخبوء للشبم (6)

المرء شبه زمانه

وإن الفتى فيما يرى من زمانه ‍ ‍ ‍ لأشبه منه شيمة بأبيه (7)

الناس

والناس بالناس من حضر وبادية ‍ ‍ ‍ بعض لبعض ـ وإن لم يشعروا خدم ـ (8)

(1) قال عبد الله بن المبارك : إذا وصف لى رجل له علم الأولين والآخرين لا أتأسف على فوت لقائه ، وإذا سمعت رجلا له أدب النفس أتمنى لقاءه وأتأسف على فوته .

(2) مثبت فى حديث " من نظر فى كتاب أخيه بغير إذنه فإنما ينظر فى النار .

(3) سور بمعنى عرس ووليمة « شفاء الغليل » . وفى « النهاية » فى حديث جابر أن رسول الله « ص » قال لأصحابه قوموا فقد صنع جابر سوراً أي طعاما يدعو الناس اليه . واللفظة فارسية .

(4) الحرض : الأشنان تغسل به الثياب والأيدى على أثر الطعام .

(5) الشامان خيطان فى البرقع تشده المرأة بهما فى قفاه .

(6) ومد : حر . المخبوء المعد المدخر . الشبم : برد .

(7) فى أمالى القالى : هشام بن عروة : الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم . وروى ابن هندو فى كتابه « الكلم الروحانية فى الحكم اليونانية » لأفلاطون : لا تقسروا أولادكم على آدابكم فإنهم مخلوقون بزمان غير زمانكم

(8) الحضر — بسكون الضاد — أهل الحضر . يقال : قوم حضر وقوم سفر (شرح ديوان زهير لثعلب .

إن خالفوك ولم يجرر خلافهم
شرا فلا بأس؛ إن الناس أخياف [١]

قال الخليفة العظيم عمر :

« أعقل الناس أعذرهم للناس » .

وقال رشيد بن خليفة : « اشكر المحسن ومن لا يسيء ، واعذر الناس فيما يظهر منهم ولا تلمهم ، فلكل من الموجودات طبع خاص » .

ومن عرف الناس وتأريخهم ووراثتهم القريبة والبعيدة (L'atavisme) ومنشأ ما يسمى (رذائل) وأسبابها عذر ولم يستعجب مما يشاهد . يقول الشيخ :

يلقاك بالماء النمير الفتى وفي ضمير النفس نار تقد
يعطيك لفظا لينا مسه ومثل حد السيف ما يعتقد

وهذان البيتان إن دل ظاهرها على معايب في الناس ففيهما ماينبيء بارتقاء لهم عجيب ، فقد أمسى هذا الفتى الذئب الجشع الحاسد المحتقد سافك دم أخيه من أجل ثعلب ظفر به أو يربوع ، ومن أجل مستنقع يرده أو مطيطة [٢] — قد أمسى هذا الفتى وارث تلك الغرائز يلقاك أحسن لقاء ، ويخاطبك خطابا جميلا ، وفي الضمير والمعتقد ما أبان الشيخ . فإذا طال تكلفه مايتكلفه واستمر اعتياده مايعتاده « وعادة المرء تدعى طبعه الثاني [٣] » كما يقول شيخنا حاكى بعد أدهار باطنه ظاهره ، أشبه جوانيُّه برانيه ، وحسبك منه اليوم ذاك اللقاء وذاك العطاء ، وان كان في ضمير النفس نار تقد ، وساء ما يعتقد .

... كذلك سخرناها لكم

قال الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه (طريق الهجرتين وباب السعادتين) : « ... ولما انتهى أبو عيسى الوراق إلى حيث انتهت إليه أرباب المقالات طاش عقله ، ولم يتسع لحكمة إيلام الحيوان وذبحه صنف كتابا سماه (النوح على البهائم) فأقام عليها المآتم ، وناح وباح بالزندقة الصراح » ،

(١) من المجاز : هؤلاء أخياف أى مختلفون

(٢) المطيطة : الماء المختلط بالطين ، الذى يتمطط : أى يتمدد خثورته (الفائق) .

(٣) في أمثالهم : العادة طبيعة خامسة . العادة توءم الطبيعة .

وقال العلامة الفيومى في (المصباح) : « ... ويحرمون — يعني البراهمة — لحوم الحيوان ، ويستدلون بدليل عقلي فيقولون : حيوان برىء من الذنب والعدوان فإيلامه ظلم ، خارج عن الحكمة . وأجيب بظهور الحكمة ؛ وهو أنه استُسخر للانسان تشريفا له عليه ، وإكراما له كما استُسخر النبات للحيوان تشريفا للحيوان عليه . وأيضا فلو ترك حتى يموت حتف أنفه مع كثرة تناسله أدى إلى إمتلاء الأفنية والرحاب وغالب المواضع ، فيتغير منه الهواء ، ويكثر به الفناء ، فيجوز ذبحه تحصيلا للمصلحة ، وهي تقوية بدن الإنسان ، ودفعا لهذه المفسدة العظيمة . وإذا ظهرت الحكمة انتفى القول بالظلم والعبث » .

وشيخنا المعرى يقول داعيا إلى الارتفاق به :

يا كل أطايب الأعفاء ، من سمح بالرِّسل في أيام السَّفاء [١] ، ويلج الغمار باذل السمار [٢] ، وتثنى الضيفان ، على الجائد بملء الجفان . لا يثنى عليك فصيل بالأصيل . ومن اخضرت شَرَبَته [٣] بالواد اكماتّ مربده بالتمر الجلاد [٤] . ومن ركب العامَة [٥] في طلب الصيد كانت بطون عياله قبوراً للحيتان . ومن تتبع بقوسه موارد الوحش كثر في منزله الوشيق [٦] .

وقال (الوليد) : النبع ليس بمثمر
وأخطأ ، سرب الوحش من ثمر النبع [٧]

(١) (الاعفاء) جمع عفو وهو الجحش . (السفاء) قلة اللبن ، يقال : ناقة سفى وهي ضد الصفى ، والمعنى أن من سقى فرسه اللبن في أيام قلته طرد عليه الوحش فصادها (أبو العلاء) . العفو : الجحش سمى به لأنه يعفى عن الركوب والاعمال (الفائق) .

(٢) « الغمار » جمع غمرة وهي الشدة (السمار) اللبن المذيق ، والمعنى أن من سقى فرسه سماراً وثق بجريه فولج غمار الحرب (أبو العلاء) .

(٣) اخضرت شربته أى صار عليها طحلب من كثرة الماء وإدمان السقي (أبو العلاء) الشربة مثل الحويض يحفر حول النخلة والشجر ، يملأ ماء يسع ريها فتتروي منه ، والجمع شرب وشربات (التاج) .

(٤) اكمات المربد أي صار فيه تمر يوصف بالكمتة ، والعرب تصف التمر بالكميت . والجلاد جمع جلدة ، وهي التمرة الشديدة التي لا تتوسف أى تتقشر (أبو العلاء) .

(٥) « العامة » ضرب من السفن (أبو العلاء) . وفي الأساس : وركبوا العام أى الأرمات الواحد عامة لأنها تعوم في الماء ، وفيه : وركبوا الرمث في البحر وهو الطوف : وهو من قرب منفوخ فيها .

(٦) « الوشيق » اللحم المقدد طولا ، والقطعة وشيقة (أبو العلاء) .

(٧) في « شرح سقط الزند » :

« أراد الوليد بن عبيد البحترى وذلك أنه قال في شعره : —

جِـلَة ابلك وعشارها[١] . أربوت ضيفك غزارها ، وملأت جفانك وذارها[٢] ، لن تبكيك بكارها إذا السنة كثر قطارها ، وذبح فى الروضة فارها[٣] ، واعتم بالروضة بهارها[٤] . سالم إبلك شرارها .

الأثرة L'égoïsme

إن تُرد أن تخص حراً من الناس (م) بخير تخص نفسك قبله[٥]

إذا لم يكن لى بالشقيقة منزل فلاظهرت عزاؤها والشقائق[٦]

إذا كان إكرامى صديقى واجبا
فإكرام نفسى — لا محالة — أوجب

ومن أطال خلاجا فى مودته فهجره لك خير من تلافيه[٧]

إذا ولى صديقك فول عنه ، فإنما يُنزل بالوادى ذى الشجر والروض العميم[٨] ، ويقدح بزند العفار[٩] ما دام وارى النار ،

═ وعيرتنى خلال العدم آونة والنبع عريان، ما في عوده ثمر

يعني بالنبع الشجر الذى يعمل منه القسى ، قال البحترى : « إن النبع لا ثمر له » وقد أخطأ فى قوله فان قطيع الوحش التى تصاد من الظباء والحمر والبقر الوحشية — من ثمار النبع ، وذلك أن القسى إنما تبرى من النبع ، ويرمى إلى الوحش عنها ، وتصاد بها ، فالوحش إذن من ثمر النبع ... » .

و « عريان » مصروف ، وقد ترك البحترى صرفه ضرورة .

(١) الجلة : المسان — الكبار — من الابل يكون واحداً وجمعاً ويقع على المذكر والأنثى « اللسان » . عشراء أتى على حملها عشرة أشهر والجمع عشار، ومثله نفساء ونفاس ، ولا ثالث لهما (المصباح) .

(٢) وذارها جمع وذرة وهي القطعة من اللحم (أبو العلاء) .

(٣) ذبح الفار للمسك وهو هاهنا استعارة للروض (أبو العلاء) .

(٤) اعتم النبت إذا طال وكثر (أبو العلاء) . (البهار) : نبت طيب الريح : العرار .

(٥) روى الميدانى فى (مجمع الأمثال) هـذا المثل : من لم يحسن إلى نفسه لم يحسن إلى غيره .

(٦) (الشقيقة) على مثال فعيلة هو يوم (نقا الحسن) وفيه قتل بسطام بن قيس فهو يوم نقا الحسن ويوم الشقيقة . والشقيقة الفرجة بين الجبلين من جبال الرمل ينبت العشب (تعليق فى نسخة مخطوطة من « اللزوميات » فى دار الكتب المصرية عمرها الله !)

(العزاء) المطر الشديد الوابل (الشقائق) سحائب تبعجت بالأمطار الغدقة ، والشقائق هو هذا الزهر الأحمر المعروف .

(٧) (خلاجا) نزاعا ، جذابا .

(٨) كل ما اجتمع وكثر عميم والجمع عمم ، والعميم : الطويل من الرجال والنبات اللسان .

(٩) العفار شجر يتخذ منه الزناد ، المرخ والعفار شجرتان فيهما نار ليس في غيرهما من الشجر (اللسان) وفى أمثالهم : « فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار » وقد رواه الميدانى وشرحه .

فإذا خبت ناره بطل اختياره . وإذا السقاء لم يمسك الماء فهو زيادة فى مشقة المسافر ، لا تاو لمفسد[١] تاو[٢] ، فإن الذيب جدير بالتعذيب .

آخ فى الله الأخوان ، ولا تقل لبعيرك : إخ فى دار الهوان[٣] .

ادفع الشر إذا جاء بشر وتواضع إنما أنت بشر[٤]

بأى لسان ذامنى متجاهل علىّ ، وخفق الريح فى ثناء
تكلم بالقول المضلل حاسد وكل كلام الحاسدين هراء

إذا ما قلت نثراً أو نظاما تتبع سارقو الألفاظ لفظى

كأنى إذا طلت الزمان وأهله رجعت وعندى للأنام طوائل[٥]
وقد سار ذكرى فى البلاد فمن لهم بإخفاء شمس ضوءها متكامل
وإنى وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل
وطال اعترافى بالزمان وصرفه فلست أبالى من تغول الغوائل
فلو بان عضدى ما تأسف منكبى ولو مات زندى ما بكته الأنامل[٦]

وكم من طالب أمدى سياقى دوين مكانى السبع الشدادا
ويبطن فى علاى وإن شسى ليأنف أن يكون له نجادا
ويظهر لى مودته مقالا ويبغضنى ضميراً واعتقادا
لى الشرف الذى يطأ الثريا مع الفضل الذى بهر العبادا
وأحسب أن قلبى لو عصانى فعاود ما وجدت له افتقادا

تعاطوا مكانى وقد فتهم فما أدركوا غير لمح البصر
وقد نبحونى وما هجتهم كما ينبح الكلب ضوء القمر

(١) أوى له : رق ورثى له ، وأشفق عليه ، يأوى مأوية ومأواة .

(٢) تاو : هالك توي كرضى يتوى وطيء تقول توى كسمى .

(٣) إخ — يقال للبعير إذا زجر ليبرك ولا فعل له ، لا يقال أخخته بل أنخته .

(٤) من أمثالهم : الشر للشر خلق ، قد يدفع الشر بمثله إذا أعياك غيره وأرسطو — كما رووا — يقول : (دفع الشر بالشر جلد ، ودفع الشر بالخير فضيلة) والقول ما قال الشيخ ، ونطق المثل

(٥) (طلت) فقت (الطوائل) الترات . الذحول .

(٦) العضد بضم الضاد وسكونها وكسرها . وهو يذكر ويؤنث .

المذاهب الأدبية

للدكتور محمد مندور

فى مصر الآن اتجاه عام نحو التفكير المذهبي . سواء فى السياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع أو الأدب . وهو اتجاه يبشر بالخير ، أو على الأصح بالرغبة فى الخير . وذلك لأننى لم أستطع بعدُ أن أطمئن إلى اساس هذا الاتجاه . ومصدر عدم الاطمئنان هو أننى لا أكاد بعدُ أتبين وجود تفكير فلسفى يتشعب مذاهب مختلفة ، فتستند إليه مذاهبنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأدبية . ونقصد بالفلسفة وبالتفكير الفلسفى التفكير الإنسانى الذى يتناول ملكات الفرد وآماله وآلامه وكافة روابطه بالحياة والمجتمع ؛ وأما ما وراء الطبيعة والجدليات والمنطقيات ، فذلك ما لن أمل تكرار القول فى جدبه وعدم غنائه ، لأنها لا تعدو أن تكون رياضة عقلية .

لسنا نملك إذن حتى اليوم فلسفات إنسانية متميزة ، وهذا هو السر فى أن تفكيرنا المذهبي فى نواحى النشاط الفكرى المختلفة لا يزال تقليداً للغرب لا يقوم على أصالة نفسية حقة ، وأوضح ما تكون هذه الحقيقة فى فهمنا لمعنى المذاهب الأدبية . فنحن نظنها طرقاً فنية يقصد إليها الكاتبون قصداً . فاذا بأحدهم كلاسيكي والآخر رومانتيكي . وإذا بهذا واقعى وذاك مثالى . عقلى أو عاطفى . اجتماعى أو فنى . وما إلى ذلك من المذاهب والاتجاهات ، وهذا فهم خاطئ : فمذاهب الأدب — كما يشهد التاريخ — قد كانت دائماً حالات نفسية عامة خلقتها الحوادث . وكيفتها الظروف . وإن لم يمنع ذلك الاتجاه العام من أن تتميز بداخله نفوس الشعراء والكتاب بسماتها الخاصة .

وفى تاريخ الأدب العربى ذاته أمثلة لتلك الحقيقة . فالشعر العاطفى ، وبخاصة الغزل ، كما ظهر فى الحجاز فى صدر العصر الأموى ، والشعر العقلى ، وبخاصة الهجاء ، كما ظهر فى العراق فى ذلك العصر أيضا ، والشعر الفنى المصنوع ، وبخاصة المدح ، كما ظهر فى الشام عندئذ ، حيث كان مقر الملك ، ثم تيار الشعر الإباحى ، شعر الخمر والغزل بالمذكر ، والتكالب على اللذات ، كما عرفه العصر العباسى الأول ، والشعر الفلسفى الذى بلغ قمته عند أبى العلاء ، كل هذه الاتجاهات كانت فى حقيقة أمرها حالات نفسية . وما أحب أن أعيد القول فى انصراف أهل الحجاز عن الكفاح فى الحياة والمناضلة عن مجد الإسلام عندما رأوا القيادة تنتقل إلى غيرهم ، وإذا بهؤلاء الأشراف الذين رقق الإسلام قلوبهم يتغزلون غزلهم الساحر الجميل . وكلنا يذكر روح العصبية القبلية التى لم يستطع الإسلام أن يميتها فى العراق ، وما كان لتلك الحالة النفسية من تأثير فى تأجيج الهجاء بين القبائل والأفراد ، وقد عمرت أشعارهم بملاحاة القيم والأنساب . وأما فى العصر العباسى فتأثير الحضارة الفارسية بلذاتها وأنواع بذخها المختلفة ، أوضح من أن يذكر فى خلق الحالة النفسية التى صدر عنها الشعر الإباحى . وفى فلسفة الهنود واليونان . وفى ظروف الحياة السياسية والاجتماعية فى العصر العلائى وما سبقه بقليل ما يوضح اتجاه الشعر نحو الفلسفة بحثا عن حقائق النفس ومصيرها ، وآلام الحياة وآمالها . وهكذا جاءت نشأة المذاهب الأدبية عند العرب ، أو على الأصح ، الاتجاهات الأدبية فى شعرهم وليدة لحالات نفسية طبيعية لم تصطنع ، ولا قصد إليها ، فهى تقوم على أسس نفسية إنسانية لم يكن منها مفر . ولا إلى غيرها معدل . وإن لم يمنع ذلك — كما قلنا — كل شاعر من أن يتميز من غيره بأصالته الخاصة .

والأمر فى الأدب الغربى مثله فى الأدب العربى ، وإن تكن الحقائق هناك أوضح ، لأن الأدب الغربى هو الذى عرف — وبخاصة ابتداء من عصر النهضة — المذاهب الأدبية بمعناها الفلسفى الصحيح . وقد صاحب ظهورها وعى نظرى بها ومناقشة لأصولها ، وتوضيح لمعالمها وقتال دونها : وتلك ظواهر لم تكد تتضح فى تاريخ الأدب العربى . اللهم إلا أن يكون ذلك فى معركة كبيرة واحدة يحدثنا عنها التاريخ الأدبى . وهى تلك التى قامت بين أنصار البحترى وأنصار أبى تمام ، إذ ناضل الأولون عن عمود الشعر والصياغة التقليدية المرسلة ، وكافح الآخرون عن مذهب البديع والتجديد فى الصياغة . ومع ذلك فتلك معركة لم تمس حالات النفس فى شيء لأن مدارها كان التباين فى أسلوب التعبير . وأما موضوعاته فقد ظلت تقليدية حتى قال أحد النقاد : إن

التجديد عندئذ لم يعدُ التطريز على ثوب خلق ؛ وقال مستشرق : إنه كان رقصا فى السلاسل .

وعلى العكس من ذلك مدلولات المذاهب الأدبية فى الغرب ، فهنا نجد الحالات النفسية بأوسع معانى اللفظ . فالكلاسيكية التى ظهرت فى القرن السابع عشر فى فرنسا بنوع خاص ليست إلا نظاما عقلياً خاصاً فى تناول حقائق النفس البشرية وصياغتها . وأساسها العام هو تنحية الكاتب لشخصه عما يكتب ، وتسليطه ضوء العقل على ما يريد عرضه . ولهذا كان مظهرها هو الشعر التمثيلى . وأما الشعر الغنائى الشخصى فذلك نوع لم يزدهر إلا فى القرن التاسع عشر تحت جناح الرومانتيكية ، والكلاسيكية قسط واعتدال فلا إسراف فى إحساس ولا مبالغة فى عبارة ولا تصنع فى أداء ولا شذوذ فى أسلوب . وهى نتاج عقلى يخضع لأصول مرعية ويسير على مبادئ مقررة ، وهى أصول ومبادئ قننها النقاد فقالوا فى المسرح بالوحدات الثلاث ونادوا بفصل الأنواع فلا تجاور الفصولَ المحزنة فصول مضحكة فى المسرحية الواحدة ولا يختلط نوع بنوع .

وجاءت الثورة الفرنسية فشتتت أفراداً وبخرت آمالا ، وهاجر من هاجر وأقام من أقام وتجددت بفضلها مشاعر البشر . وأمعن الناس فى مصائرهم . وولت الثورة نابليون الذى ملأ الدنيا وشغل الناس ، حتى أثار فى نفوس الشبيبة أنواعا لا تحصى من الطموح وقد أصبح مثلهم المحتذى . ومنذ الأزل كان لشهوة المجد سحرها العجيب . وتنكر القضاء لنابليون فانهار مجده وتحطمت بانهياره النفوس ، فإذا بمرض اجتماعى ينتشر بين الناشئين هو المعروف « بمرض العصر » وما هو فى الحقيقة إلا إحساس الفرد بعجزه عن الملاءمة بين قدرته وآماله ، وبين شخصه ومجتمعه ، وبين واقعه ومثله الأعلى ، وتلك حالة نفسية تنشأ دائما عند ما تجد أحداث أو تنهار شخصيات تدعو إلى أن يدب اليأس فى الطموح . ولا أدل على صدق هذه الحقيقة من أن تجد الرومانتيكية التى ظهرت عندئذ ، عامرة بالشكوى من الحياة ، والإحساس إحساسا عميقا بجمال الأطلال ثم بصمت الطبيعة . ولكم يروعك عندئذ أن تستمع إلى شاتوبريان أحد أجداد الرومانتيكية الأوائل يفاضل بين الديانة اليونانية القديمة والديانة المسيحية ، ويؤثر الأخيرة لأنها قد طردت من الطبيعة ما ملأها به الإغريق من ربات وحوريات وآلهة ، لترد إليها ذلك الصمت الخالد الذى يعثر فيه الإنسان على الله عند ما يعثر على نفسه . وهذه حالة تتطلع إليها النفس عندما تستشعر الحاجة إلى الاستجمام وترتد عن صخب الحياة وحركتها الدائبة وأهدافها المترامية مؤثرة التأمل الباطنى على رقص الحوريات وأعياد الحياة . وعن هذه الحالة النفسية العامة صدرت الرومانتيكية التى تغلب عليها العاطفة والغناء الشخصى بالآلام والآمال غناء لا يخضع لقاعدة ولا يتقيد بأصل وهو أقرب إلى التشاؤم وشكوى الحياة منه إلى الرضى واطمئنان المصير .

وأفاقت النفوس من صدمتها . وتقدمت الأبحاث العلمية ونما الإنتاج المادى وأخذ المفكرون يكشفون عن الحقائق النفسية العميقة فإذا بالأدب يتجه نحو الإمعان فى الواقع . ولما كان ذلك الواقع أمرّ مما يتخيل الشعراء وأميل إلى الدكنة فقد تولدت حالة نفسية جديدة هى الواقعية ، التى تسيء الظن بالبشر وترى خلف دوافعه البراقة ظلاما كثيفا . وعلى إضاءة هذا الظلام توفرجهدها ، فالكرم قد يكون مباهاة خاوية ، والمجد قد يخفى طموحا شخصيا بل والعبقرية ذاتها قد تختلط بالتهريج الرخيص ، على نحو ما تجد فى الكثير من روايات بلزاك . ولم يكن هذا الاتجاه قاصراً على الأدب بل امتد إلى النحت والتصوير والموسيقى وغيرها من أنواع النشاط الروحى . لقد كانت الواقعية كما كانت الكلاسيكية والرومانتيكية حالة نفسية سائدة وتلك هى الحقيقة العامة التى أريد أن نتدبرها عند ما نأخذ فى الحديث عن ظهور مذاهب أدبية بيننا ، فإذا لم نجد الحالة النفسية التى تستند إلى فلسفة إنسانية عميقة كنت فى حل من أن تصف ما ترى بأنه لا يزال فى دور المحاكاة .

محمد مندور

المسألة الأفعوانية !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

هلمى يا ذات الخطر والجلالة ! إلى قلمى . . كما يقبل الثعبان العظيم زاحف الرأس إلى ساحر ليحطم نابه ويطهر لعابه !

هلمى يا بوق الشيطان ينفخ فيه على القلوب فتكون كالمخالى والخزائن والجيوب ، تختزن الأجسام ذات الحجم والكثافة والثقل .. وتمتلىء بالحطام وهى مهبط الأسرار ومجلى الأنوار ..!

هلمى يا دين البشرية الوثنية وقبلة قلبها ، وكعبة طوافها وسعيها .! هلمى يا أم الدينار ! ذى الغُرَّة والطُرَّة ، والبريق والرنين ، والثقل الخفيف والروح اللطيف الذى يسرى به الشيطان إلى الأقداس المغلقة فى الضمائر فيفتح به مكان الطهر ويحيله إلى نجس وعهر .!

هلمى يا روح العجل الذهبى الذى يتشكل ويتجسد ويتقمص جسم كل شىء ، فيتراءى به ويتخايل فى صور شتى تذهل العيون عن الحق والشرف والإيمان !

إلى قلمى أيتها الأفعى ذات الرءوس والقرون والألسنة والذيول التى لا عدد لها لأنها أم العدد والحساب !

هلمى أيتها « المسألة الإقتصادية » ! يا وكر الجرائم الفردية والإجتماعية والسياسية !

الرباطات الثلاثة

إننا نشعر برباطات ثلاثة عليها وتربطنا بثلاث غايات عظمى هى : « الحياة وما وراء الحياة » و « المال » فالذى يربطنا « بالحياة » هو « الحب » ونتيجته الاندماج فى « الزواج » والامتداد فى « النسل » تعزية وتعويضاً عن « خلود الذات » وهى الأمل الأكبر الذى لم يتحقق ، والذى يربطنا بما وراء الحياة هو « الدين » ونتيجته التعرف إلى الله بارىء الوجود ومفيض الحياة ..

والذى يربطنا بالمجتمع هو « المال » إرضاء لجملة غرائز حادة وشهوات عنيفة تظهر فى الأنانية والأثرة والخيلاء وحب التسلط والمباهاة والافتراس وحب الاقتناء والحيازة والتملك وحب « إثبات الذات » مقرونة بغيرها فى مجموع .. والرباطان الأول والثانى لكل منهما منطقة تتصل بالجانب الأعلى من الإنسان وتثير فى قلبه أشواقا فيها سمو وفيها رفق ووداعة وحنان ونسيان « للذاتية » و« الأنانية » فلذلك تحيا بهما النفس سعيدة مسعدة، منتفعة نافعة .

أما الرباط الثالث فلا يتصل إلا بمنطقة العواصف والزعازع من النفس ، إذ هى مجال الاحتكاك والمنافسة والسباق والصراع بين ذوات مختلفة متفاوتة القوى والمواهب .. وقد سبق الشر من هذه المنطقة إلى الحياة وأفسدها ، ولذلك كانت محل العناية والتنظيم والتهذيب ، ومحوراً عظيما لشرائع الأرض والسماء ، ومثار الحروب قديمها والحديث .

وبدون تسوية « المسألة الإقتصادية » ،، فى العالم وحل « مشكلة العيش » وتوزيع الموارد الإقتصادية فى الأمة الواحدة وفى الأمم المتعددة فى عدالة وإنصاف وتجرد عن الأنانية الشخصية والقومية لا يمكن الإطمئنان إلى مستقبل سعيد للانسانية

وربما كانت كبرى جرائم الحياة هى جرائم الغنى ومفاسد البطر والترف والطغيان نتيجة لغرور المال . نعم إن للفقر جرائم كبرى أيضاً ، ولكنها جرائم ومفاسد هى فى الواقع عقوبة « ورد فعل » على جرائم الغنى وعدم التوازن الإقتصادى فى المجموع .

ولذلك كان من أول الواجب على رجال الروح والفكر أن يجعلوا المسألة الإقتصادية وتنظيمها واعتبار أسسها العادلة محل عنايتهم الفائقة كما يعنون بالمسائل النظرية فى اللاهوت والفلسفات والآداب ، وأن تكون لهم رقابة ساهرة وجهاد دائم فى التدبير والتنظيم الإقتصادى حتى يضمنوا لكل فرد أن ينال حق العيشة بالجسد كما ينال حق الحياة بالروح ، وحتى يكفلوا لمثلهم العليا أن تحيا وتتجسد فى أشخاص بدل أن تظل طول الحياة ميتة مدفونة فى بطون الكتب .

ثم يكون واجبهم الأكبر أن يمنعوا التكالب عليها والتطاغى فى رحابها وأن يحملوا المجتمع على السعى إليها فى هوادة ورفق وشرف

الحدود فى الاقتناء والتوريث

وإن ما تطلبه غرائز التملك وشهوة المال لا يمكن أن يقف عند حد ينتهى إليه . وعلى هذا فواجب أن يدرك الإنسان ذلك ويحد من آماله ومطامعه بما يوافق مصالحه ومصالح الآخرين وإلا انقلب كذلك الثعلب الذى ظل يأكل من فريسة حتى امتلأ وعجز عن النهوض والجرى فاقتنصه الصائد ..

ومع عدم شعور الجد والأب بحب الحفدة والأبناء له بل مع عدم وجودهم فى حياته ... نجد الأجداد والآباء يغالون فى الاقتناء والإثراء بدون حد للمطامع ، وبدون التفكير فى أن ما زاد على الكماليات فى متوسط عمر الإنسان إنما هو حمل باهظ للنفس يرهقها ويكأدها

فينبغى أن يحد الثرى ثروته بحيث تكفى ابنه المباشر وحده . أما الحفدة والأسباط فيجب إهمال التفكير فى توريثهم وعدم تضحية المجتمع والمروءة مع الناس من أجلهم وهم فى عالم الغيب..

الأسرة تتسع

ولماذا يلزم الإنسان أن يعول أهله الأدنين وذريته الضعاف ولا يلزم بإعالة إخوته فى الوطن من العجزة المحتاجين وهم أسرته أيضا بالمعنى الواسع ؟ لا بد من إقامة مسائل الاقتصاد والإحسان على هذا المعنى العميق الكريم لا على التبرع والتفضل والاختيار ...

خطر العقليات المادية

لقد كثرت العقليات المادية المغالية التى تحاول أن تفسر الحياة دائما تفسيراً ماديا آليا .. مغفلة ذلك المعنى الإنسانى العظيم الذى يتصل بالحق ومعانى المروءة والإيثار والنبل، ولا يكون المرء انسانا إلا بسيطرة ذلك المعنى على فكره وروحه .. هذه العقلية أعظم نماذجها هم اليهود . وقد انتقلت فلسفتهم المادية فى غلوها إلى جميع الأمم . فهم ليسوا الآن ممثليها وحدهم ..

نعم إن المادة آثاراً كبرى فى الحياة الإنسانية ، ولكنها يجب ألا تكون المحور الوحيد لسياستها العليا كما هى الحال الآن ...

عبد المنعم خلاف

في المحكمة الشرعية

صــــــور جاهلية

للأستاذ علي الطنطاوي

— ١ —

رجل كهل معتم، له لحية وفي يده سبحة، دخل المحكمة ودخل وراءه مريدون له، ذوو عمائم، يتبعونه متخشعين ويلحظونه مكبرين، فوقف موقف المدعى عليه، وجلسوا من خلفه في مجالس المستمعين، وكان المدعي شيخا هماً ترعش يداه، وتضطرب رجلاه، ويزيغ بصره، ويتلعثم اذا تكلم لسانه ويفيض لعابه، وكانت دعواه أن هذا الكهل ابنه، وأن زوجته وهي أم المدعى عليه قد ماتت منذ شهرين، وهذا الولد قد وضع يده على تركتها كلها، فلا هو يعطيه حقه فيها فعال الرجل الشريف، ولا هو ينفق عليه انفاق الولد البار، فهو يطالب ... فسئل المدعى عليه ذو اللحية والسبحة، فقال: ان المدعى أبي ولكن له مالا فلا تجب عليّ نفقته، وأمي مطلقة منه فلا نصيب له في ارثها. فلما سمع الشيخ ذلك بكى بكاء محروق الفؤاد، واستنزل على ابنه غضب الله. اذ يعظ الناس ويأمرهم ببر الوالدين، ويسوق في ذلك الآيات والأخبار والرقائق، ثم يأبى الا أن يجمع على نفسه بين عقوق أبيه حيا، وأمه ميتة، ويضم الى ذلك كذبا وافتراء، ولا يرعى حق الأبوة، ولا يرأف بضعف الشيخوخة، ويصم أمه بوصمة الطلاق، وهي تشينها ان كانت حقا فكيف اذا كانت باطلا، وينسى الدين والمروءة، كل ذلك من أجل شيء من المال ماله [illegible]، وما هو الى مثله نقير، ولكنه الطمع وحب الدنيا التي [illegible] يدعو اليها.

ونصحت المحكمة هذا (الواعظ ...) فما انتصح، وذكرته فما ادكر، ثم كانت النهاية أن خرج فائزاً بدنياه رابحا دعواه، يتبعه مريدوه وتلاميذه مكبرين موقرين، وخلف أباه الشيخ الراعش، يتلمس يداً تسنده ليخرج من المحكمة وفي عينيه الدموع وعلى لسانه اللعنات، وفي قلبه الحسرات ...

— ٢ —

امرأة محجبة مستورة، على صدرها ولد، وفي بطنها ولد، تدعي على رجل أنه زوجها وأبو أولادها وأنه طردها من داره، ولم ينفق عليها، ولم يكلها الى منفق، والرجل من هؤلاء (الزكرت) الذين يسمون في مصر (الفتوات) حليق الخدين، مفتول الشاربين، عابس باسر، طويل الطربوش أسوده مائله، منتصب القامة، مرفوع الهامة، كأنه مقبل على صراع. فسألته المحكمة عما يقوله فقال، وقد صعر خده، وشمخ بأنفه: لست أعرف هذه المرأة! ... قالت المرأة: لست تعرفني يا أبا فلان؟ أهذه هي مروءتك وشهامتك؟ تنكر زوجتك، وتجحد ولدك، وأنت ترى طفلي وحملي، وتبيع عرضك وشرفك بعشرين فرنكا في اليوم تريد أن توفرها على نفسك، فتهدم بيدك بيتك. وتكتب بقلمك صفحة عار أهلك، وفضيحة أولادك.

قال: اسكتي يا امرأة، انني لا أعرفك، فسألتها المحكمة: ألم يسجل هذا الزواج في دفاتر المحكمة وسجلات النفوس؟ قالت: لا ياسيدي؛ انه أبى أن يسجله، وتركه مكتوما لكي يضيعني. وانطلقت تنشج.

وأصر الرجل على الانكار، وأعيت المرأة الوسائل، وكادت المسكينة تغلب على حقها؛ واذا بطفل في الخامسة يلج قاعة المحكمة فيأخذ بيد أمه المدعية، ثم يرى الرجل، فيقبل عليه، ولكن الرجل يعرض عنه ويتجاهله، فيبكي ويصرخ: «ليش يا بابا، شو عملت لك يا بابا ...»

... ويعترف الخبيث ولولا ذلك ما اعترف!

— ٣ —

امرأة قروية برزة ذات جمال ادعت على زوجها الطلاق. فأنكر فكلفتها المحكمة بيان زمان الطلاق ومكانه — فقالت: إنه وقع في دار زوجي. قال المدعى عليه: في داري؟! قالت: لا، بل في دار الآخر. وتنبه القاضي والمستمعون، وسألها: ماذا قلت ويحك؟ قالت: زوجي الآخر. قال القاضي. وما الآخر؟ قالت: انه تركني وأهملني ورماني فتزوجت غيره. قال الرجل: لقد كذبت، لم أهملها ولكنها أحبته وهربت اليه. قال القاضي: وماذا صنعت أنت؟ قال: وماذا أصنع، أنه عسكري واني أخافه.

القضايا الكبرى فى الاسلام

قضية التجسس لقريش

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

هذه قضية لها قيمتها فى أحداثنا الحاضرة ، ولو كنا نرجع فى حاضرنا إلى ماضينا ، لكان لنا منه أكبر العظات ، وأعظم العبر ، ولكنا قطعنا صلتنا بماضينا ، وأخذنا نتخبط فى حاضرنا ، وننظر فيه إلى من لا صلة بيننا وبينهم ، ولا يتفق أمرنا وأمرهم ، فتقطعت بيننا الأسباب ، واستفحل بيننا الخلاف ، ونكب المسلمون فى زعمائهم وقادتهم ، وصاروا ينظرون إلى من يأخذ بيدهم فيرتد الطرف إليهم وهو حسير

فى السنة الثامنة من الهجرة نقضت قريش عهدها مع النبى صلى الله عليه وسلم فى صلح الحديبية ، فتجهز النبى للسفر ، ولم يعلن أصحابه بما يريد من غزو قريش إلا أبا بكر رضى الله عنه ، ثم استنفر الأعراب الذين حول المدينة ، وقال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة . فقدم جمع من قبائل أسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة ، وقد طوى ما يريد عن الجيش ، لئلا يشيع الأمر فتعلم قريش فتستعد للحرب ، وهو لا يريد أن يقيم حربا بمكة ، بل يريد أن يباغت أهلها فيضطرهم إلى التسليم من غير حرب ، وقد دعا الله تعالى فقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها . وفى رواية أخرى : اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم ، فلا يرونا إلا بغتة ، ولا يسمعون بنا إلا فلتة . ثم أمر بالطرق فحبست ، وأقام جماعة بالأنقاب يراقبون من يمر بها ، وكان عمر رضى الله عنه يطوف على الأنقاب فيقول : لا تدعوا أحداً يمر بكم تنكرونه إلا رددتموه . وكانت الأنقاب مسلمة إلا من سلك إلى مكة ، فإنه يتحفظ منه ويسأل عنه

وقد أمكن حاطب بن أبى بلتعة مع ذلك التكتم الشديد أن يعرف قصد النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو لخمى نزل مكة وحالف بنى أسد بن عبد العزى ، ثم هاجر إلى المدينة وشهد بدرا

قال : ومن عقد هذا العقد ؟ قال : شيخ البلد وهو هنا .

وأمر القاضى بشيخ البلد فدعى . فحضر شيخ لحيته الى سرته ، له هيبة وشيبة ووقار . فسأله — فقال : نعم أنا زوجت هذه المرأة بفلان العسكرى . انها ذهبت اليه وساكنته فخفت عليهما المعصية ! ! فزوجته بها الزواج الشرعى على كتاب الله ، وسنة رسول الله !

قال القاضى وزوجها الأول ؟ قال : نصحناه أن يطلقها فأبى . فهو المسىء الى نفسه . وما أكرهتها بل زوجتها برضاها وموافقة أبيها . ولقد أنجبت منه أولاداً هم زينة البلد ، لا كأولادها من هذا الجاهل الذى لايقيم الصلاة ...

قال أبوها وقد أحضر وسئل : نعم ، لقد رضيت بما رضى به شيخنا وعالمنا حفظه الله ، وأطال عمره ...

— ٤ —

فتاة (على الطراز الحديث ...) سافرة الوجه ، غضة الأهاب ، قصيرة الجلباب ، تحاول كلما تحركت أن تبدى ماخفى من زينتها ومن فتنتها ، وقفت موقف المدعى . وكان المدعى عليه رجلا عليه سيما الصلاح ، وكان أباها ، فلما تكلمت تكلم معها حاجباها وشفتاها ، ورقص فى صدرها نهداها ، فأمرها القاضى بالأدب ، لما رأى من تبذلها واستهتارها ، وأن تلق (منديلها) على وجهها ، وأن تجد وتوجز فى كلامها ، وتسكن من جوارحها ، وأن تستشعر حرمة المكان ، وجلال المجلس ، وإلا حبسها بذنب (الإخلال باحترام المحكمة) . فأطاعت ما استطاعت

وكانت دعواها أنها ابنة المدعى عليه ، وأنها لا تنكر أن داره رحبة ، والمال فيها وفير ، والعيش هنىء ، وأنه ليس فى الدار الا أبوها وأمها ، وأنها لا تشكو شيئاً من جوع أو عرى ، ولكنها تشكو عدوان أبيها على حريتها ، فهو من (الطراز القديم) رجعى جامد ، لا يؤمن بالنهضة النسائية ... فهو لا يفتأ يسألها كلما خرجت ، لماذا خرجت ، وإن سهرت ليلة ، قال لها : أين كنت ، وإن سايرت شابا (مهذبا) أو زارته سبها وشتمها . فهى لم تعد تحتمل منه ذلك ، وتطلب فرض نفقة لها عليه لتعيش فى غير داره ...

... ولا أريد أن أكمل الصورة فحسب القراء هذا الجانب منها ... وتأويله عند صاحبات (المؤتمر) !

دمشق — **على الطنطاوى**

والحديبية ، وكان له بمكة بنون وإخوة ، نخاف عليهم من قريش فى ذلك الغزو ، وأراد أن يتقرب إليهم بإخبارهم بقصد النبى صلى الله عليه وسلم ، فلا يتعرضوا إلى بنيه وإخوته بسوء ، فكتب إليهم كتابا يخبرهم بذلك ، ثم استأجر امرأة بدينار وقيل بعشرة دنانير ، وقال لها : أخفيه ما استطعت ، ولا تمرى على الطريق فان عليه حرساً

والروايات مختلفة فى نص هذا الكتاب ، فقيل إنه كان فيه : من حاطب بن أبى بلتعة إلى سهيل بن عمرو وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن فى الناس بالغزو ، ولا أراه يريد غيركم ، وقد أحببت أن تكون لى عندكم يد

وقيل إنه كان فيه : أما بعد يا معشر قريش ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءكم بجيش عظيم يسير كالسيل ، فو الله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز له وعده ، فانظروا لأنفسكم ، والسلام

وقيل إنه كان فيه : إن محمداً قد نفر ، فاما إليكم ، وإما إلى غيركم ، فعليكم الحذر

فأطلع الله تعالى النبى صلى الله عليه وسلم على مافعله حاطب ، فقال لعلى بن أبى طالب والزبير بن العوام والمقداد بن الأسود : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن أبى بلتعة إلى المشركين ، فخذوه منها وخلوا سبيلها ، فان لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقها

فانطلق الثلاثة تعادى بهم خيلهم حتى أتوا روضة خاخ ، فاذا هم بالظعينة تسير على بعير لها ، فقالوا لها : أخرجى الكتاب . فقالت : ما معى كتاب . فأناخوها والتمسوا ذلك الكتاب فلم يجدوه ، فقالوا : ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قالوا لها : لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب . وفى رواية أن علياً قال لها : إنى أحلف بالله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبنا ، لتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك ، فلما رأت الجد منه قالت : أعرض . فأعرض فحلت قرونها فأخرجته من عقاصها ، وهو الخيط الذى تعتقص به أطراف الذوائب ، أو الشعر المضفور ، أولىُّ الشعر بعضه على بعض على الرأس ، وإدخال أطرافه فى أصوله ، أو السير الذى يجمع به الشعر على الرأس وفى رواية البخارى : فلما رأت الجد أهوت إلى حُجْزتها وهى محتجزة بكساء فأخرجته . والحجزة معقد الإزار ، والظاهر أن الكتاب كان فى ضفائرها ، وأنها جعلت الضفائر فى حجزتها .

فأخذوا الكتاب منها ورجعوا به إلى النبى صلى الله عليه وسلم فدعا حاطبا فقال له : ياحاطب ماحملك على ماصنعت . فقال : يارسول الله لاتعجل علىّ ، أما والله إنى لمؤمن بالله ورسوله ، ماغيرت ولا بدلت ، ولكنى كنت امرءاً ليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم ، فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتى ، ولم أفعله ارتداداً عن دينى ، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام .

فنظر النبى صلى الله عليه وسلم إلى ماضى حاطب وجهاده فى إعلاء شأن الإسلام ، وإلى موقفه فى غزوة بدر ، وما كان لها من عظيم الشأن فى إظهار الدين ، وفى قصة الحديبية ومبايعته فيها على الموت تحت شجرة الرضوان ، وقد قال الله تعالى فى شأن من بايعه تحتها فى الآية — ١٨ — من سورة الفتح (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا) .

نظر النبى صلى الله عليه وسلم إلى ذلك كله من حسنات حاطب ، ثم نظر إلى تلك السيئة التى ارتكبها ، وهى تعدفى عرف الشرائع الوضعية الخيانة العظمى للدولة ، والعقوبة التى تستحقها هذه الخيانة هى عقوبة القتل ، ولكن النبى صلى الله عليه وسلم لم يشأ أن تنتهى حياة ذلك المجاهد بذلك الشكل القبيح ، ولم يشأ أن يضيع له جهاده الطويل فى الإسلام بفلتة من فلتات النفس ، وغواية من كيد الشيطان ، فرأى أن يستعمل فيها حقه فى العفو ، لأنه الرئيس الأعظم على المسلمين ، فله حق العفو عن مذنبهم إذا كان فيه مصلحة من المصالح ، ولكنه نظر قبل ذلك إلى من كان بالمجلس من أصحابه فقال لهم : إنه قد صدقكم ، ولا تقولوا له إلا خيراً . فقال عمر رضى الله عنه : يارسول الله ، دعنى فلأضرب عنقه ، فان الرجل قد نافق . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم إنه قد شهد بدرا ، وما يدريك ياعمر لعل الله قد اطلع على أهل

بدر يوم بدر فقال : اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم . فدمعت عينا عمر وقال : الله ورسوله أعلم .

وقد عفا النبى صلى الله عليه وسلم بهذا عن حاطب رضى الله عنه ، بعد أن بين به أن عقوبة الجاسوس القتل ، لأنه أرشد إلى أن علة تركه أمر عمر بقتله هى شهوده بدرا ، فدل على أن من فعل فعله ولم يكن بدريا يستحق القتل ، ثم نزل بعدهذا فيما فعله حاطب قوله تعالى فى الآيات الأولى من سورة الممتحنة (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ، إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون ، لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم ، يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير ، قدكانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده إلاقول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شىء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير) إلى آخر القصة .

وفى هذه الآيات معاتبات رقيقة لذلك المجاهد الكريم بعد ذلك الصفح الجميل ، وعظات كريمة أطلقت إطلاقا ، ولم توجه إليه بخصوصه ، حتى لايكون فى ذلك ما يشم منه رائحة تشنيع ، ولا يكون فيه تصريح بتلك الخيانة ، ولا يشوب جهاده منها شائبة تشوبه ، ويمضى العفو عن ذنبه خالصاً يمحو كل أثر للذنب ، ولا يبقى أية حفيظة عليه فى نفوس المجنى عليهم .

ولم يكن كل هذا إلا لأن حاطبا كان من المجاهدين الأولين فى الإسلام ، وللمجاهدين الأولين فى كل دعوة شأنهم فى نفوس من يأتى بعدهم ، فاذا روعى لهم جهادهم إلى آخر حياتهم ، وأحيطوا بجانب من القداسة يعلى شأن جهادهم ، وينسى معه بعض مايحصل من زلاتهم بحسن قصد ، ومن غير تنكر للدعوة التى جاهدوا فى سبيلها — إذا روعى لهم كل هذا كان مدعاة لأخذ الخلف بسنة السلف فى الجهاد ، حتى ينالوا مثل قداستهم فى نظر من يأتى بعدهم ، ودعا أيضا إلى تكوين القدوة الصالحة اللازمة فى تاريخ كل أمة من الأمم ، وهى الماضى المجيد الذى يقوم على أساسه بناء المستقبل ، وهذه هى الحكمة الجليلة فى ذلك القول الذى ورد عن أهل بدر — اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم وفى بعض الروايات فانى غافر لكم ، وهذا يدل على أن المراد بقوله غفرت فى الرواية الأولى أنه سيغفر لهم فى المستقبل مايقع منهم ، وقد عبر عنه بالماضى مبالغة فى تحققه ، ولو كان المراد منه الماضى حقيقة لما صح أن يخاطب به النبى صلى الله عليه وسلم عمر رضى الله عنه ، لأنه ينكر به عليه ماقاله فى أمر حاطب ، ولا يكون فيه إنكار عليه إلا إذا كان الغفران لما يكون من ذنوبهم بعد بدر ، على أنه لايراد من هذا إباحة فعل الذنوب لهم ، وإنما هو خطاب تكريم وتشريف ، ولا يراد منه إلا أنهم حصلت لهم بتلك الغزوة حالة من القداسة ، غفر معها ماسلف من ذنوبهم ، وتأهلوا لأن يغفر لهم مايحصل من الذنوب اللاحقة إن وقعت منهم وقد خصهم الله تعالى بذلك تكريما لجهادهم ، وإعلانا عن عظيم حبه لهم ، وما أحسن ماقيل فى هذا الشأن :

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد ... جاءت محاسنه بألف شفيع

وموضع العظة لنا من هذه القضية أنه كان لنا جهاد سابق جمع كلمة الأمة ، وأيقظها من رقدتها ، وسار بها فى طريق الإصلاح والنهوض ، فجنت من ثمار الجهاد ماجنت ، وقطعت شوطا بعيداً فى طريق الإصلاح ثم تنكرنا لذلك الجهاد ، وأخذنا نجرح الذين قاموا به ، ونرميهم بكل قبيح ، ونكيل لهم التهم جزافا وتنكر أولئك المجاهدون بعضهم لبعض ، فضعفت ثقة الأمة فيهم ، وضاعت القدوة الصالحة التى تكون محل الثقة والقداسة ، وعاد كل شخص إلى سيرته الأولى قبل ذلك الجهاد ، لا يهمه إلا أمر نفسه ، ولا يسعى إلا فى سبيل مصلحته .

فهل لنا أن نعود إلى ماضينا فنتعظ بموضع العظة منه ، وننظر إلى المجاهدين فينا كما كان ينظر سلفنا إلى المجاهدين فيهم ، ولا نتنكر لجهادهم كما نتنكر الآن ، فنحاسبهم على الهفوة بأشد مايكون من القسوة ، ونسلك فى حسابهم سبيل التشنيع والتشهير ، وهم لم يصلوا فى هفواتهم إلى تلك الخيانة العظمى التى ارتكبت فى تلك القضية .

وهل لأولئك المجاهدين أن يعودوا إلى سيرتهم الأولى ، فيمد بعضهم يده إلى الآخر ، ويعرف له فضل جهاده الأول ، ذلك الجهاد الذى كان فينا مثل جهاد أهل بدر ؟

عبد المتعال الصعيدى



الفـــن

للكاتب الفرنسي بول جيزيل

بقلم الدكتور محمد بهجت

تمهيد المترجم

فى شهر مارس من عام ١٩٢٥ أسعدنى الحظ بالوقوف بباريس مدينة الفن والجمال والنور لأيام قلائل جعلت همى خلالها ارتياد المتاحف والدور والمعارض التى تزخر بأشتات الفنون ، التالد منها والطريف . وكنت أنتهب بعينى وقلبى تلك الروائع الفريدة ، وأحاول جهدى استيعابها واستذكار ما دق من محاسنها ومفاتنها ولكن هيهات !

وكان من بين ما راعنى وملك على لبى ومشاعرى أعمال المثال العظيم رودان (١) ، ثم غادرت مهد الفن والجمال آسفاً ، ولم أنقع صدى نفسى الهيمانة من نمير ذلك المنهل الصافى العذب . غادرته وبالحلق غصة ، وبالقلب لوعة ، إلى بلاد الثروة والمال والجاه — إلى أمريكا العظيمة . واستقر بى المقام بولاية كاليفورنيا ، قبالة مدينة سان فرنسسكو — عروس المحيط الهادى ، حيث انصرفت إلى الدرس والتحصيل — تحصيل العلم والفن . غير أن شواغل الدرس لم تكن لتصرفنى عن التحليق بروحى من آن لآخر فى سماء باريس وفى ردهات متاحف باريس لعلى ألم ببعض ما افتتنت به من روائع القدامى والمحدثين ، وبما أحببت من أعمال رودان . ولم ألبث طويلا حتى رأيت المثال الأمريكى يستنسخ نسخاً عديدة من أعمال هذا العبقرى العظيم ويحشدها بأحد متاحف مدينة سان فرنسسكو ، فكنت أخف لزيارتها من حين لآخر دارسا لها ، مستمتعا بها .

وفى ليلة الميلاد من عام ١٩٢٨ ، أهدى إلى كتاب عنوانه : « الفن » وضعه الكاتب الشهير بول جيزيل فى أسلوب محاورة جرت بينه وبين رودان ، يعرض الكاتب مسألة فنية فيندفع الفنان فى شرحها وتحليلها وإبداء رأيه فيها . وقد حاول الكاتب والفنان معا أن يجلوا كثيراً من نواحى الفن وأن يقربا فهمه إلى أذهان الكثيرين ممن لا يستطيعون فهمه على حقيقته ، وأن يثقفا به عقول الكثيرين ممن يعنون بقراءة الكتاب ويقدمون لهم غذاء روحيا شهيا لا تنفد لذته ، وعندى أنهما بلغا فى ذلك تمام القصد بفضل طلاوة الموضوع الذى يعالجونه من ناحية ، وبفضل الوضوح والنضوج اللذين امتاز بهما الفنان ، والبساطة والرشاقة اللتين خص بهما الكاتب من ناحية أخرى ، وإن كتابا يشترك فى إخراجه فنان عبقرى رقيق ، وكاتب بارع رشيق ، لخليق بأن يلقى من الإنسانية المتمدينة أكبر اهتمام ، وأن يخلد بما فيه على مر الأيام .

وكان من الطبيعى أن يخطر ببالى نقل هذا الكتاب الممتع إلى قراء العربية فأقدم إليهم بذلك نوعا طريفا من التأليف ، وثقافة فنية يحتاجها الفنان وغير الفنان على السواء . قمت بهذا العمل الشاق من زمن طويل ، ثم طرحته جانبا متردداً مرتقبا لظروف غير الظروف إلى أن وقعت عليه عين أستاذى وصديقى الزيات فأرادنى على نشر بعض فصوله فنزلت على إرادته .

مقدمة المؤلف

تقع على نهر السين ، قريبا من بلدة ميدون التى لا تبعد كثيراً عن باريس ، قرية ذات اسم جميل هو « فال فليرى » . تكلل هامة التل الصغير المشرف عليها بضعة أبنية تسترعى الأنظار بجمالها وغرابتها . وربما جال فى خاطر من رآها أنها ملك لفنان . وحقيقة الأمر أنها ملك « أوجست رودان » الذى اتخذها مقراً له . وإذا ما قاربها المرء وجدها مؤلفة من ثلاثة أبنية رئيسية منعزلة . أما الأول فنزل صغير ذو سقف عال مائل ، مبنى بالآجر والأحجار على طراز لويس الثالث عشر ، وقد اتخذه مسكنا له . وأما الثانى فبناء مستدير يقوم إلى جانب المنزل ، له رحبة فسيحة يدخل إليه بسقيفة ذات عمد هى نفس السقيفة التى أظلت معروضاته التى عرضها عام ١٩٠٠ فى معرض خاص أقيم بزاوية من « شارع بونت دى لالما » Pont de l'alma بباريس . وكان من دواعى سروره أن تقام هذه السقيفة مرة أخرى فى صدر هذا البناء الذى اتخذه مرسما وقريبا من هذا وعلى حافة التل المنحدر يقع قصر

(١) أوجست رودان مثال فرنسى عبقرى معاصر . له فى النحت على المذهب الواقعى روائع أطارت صيته وخلدت ذكره . ولد بباريس سنة ١٨٤٠ وتوفى بميدون سنة ١٩١٧ .

أو بالحرى واجهة قصر من قصور القرن الثامن عشر بها مدخل ظريف يعلوه إفريز مثلث الشكل يظهر بمثابة إطار لباب من الحديد اللين الزهر . وسيأتى ذكر هذا القصر فيما بعد .

تقع تلك المجموعة المتباينة الصفات . وسط بستان وادع بناحية مى ولا ريب من أجمل وأسحر النواحى التى بأرباض باريس ، جادت عليها الطبيعة بكثير من جمالها ، وزاد من جمالها ذلك المثال الذى نزل بها وسكنها ، فنمقها بكل ما يمكن أن يوحى به ذوقه السليم .

وبينما كنت أسير مع أوجست رودان تحت الأشجار التى تظلل رابيته الفاتنة فى أصيل يوم من أيام مايو من السنة الماضية أفضيت إليه برغبتى فى الكتابة عن آرائه فى الفن وعلى أن يكون ذلك من إملائه فقال لى : « يا لك من إنسان عجيب . لا زلت مهتما بالفن إلى الآن ! ان الاهتمام به لا يتفق والعصر الحاضر . فالفنانون اليوم ، وأولئك الذين يحبون الفنانين أشبه شىء بالحفريات القديمة . تخيل ناشدتك الله مخلوقا من تلك المخلوقات البائدة يدب فى شوارع باريس ، وعند ذلك يستبين لك الأثر الذى ستحدثه بمعاصرينا عندما تكتب عن الفن أو تتكلم فيه . ان عصرنا عصر مهندسين ورجال صناعة ، وليس عصر فنانين . فغاية السعى فى حياتنا الحديثة هى المنفعة ، وينصب جهدنا على تحسين بقائنا المادى . يطالعنا العلم كل يوم بمبتكرات جديدة خاصة بالمأكل والملبس وبوسائل التنقل ويخرج إلينا بسلع رخيصة وضيعة كيما يوفر لجمهرة الناس ما يصبون إليه من كماليات زائفة . ولو أنه مع ذلك أدخل تحسينا عظيما على كل ما يتصل بحاجاتنا اليومية وعت إليها بصلة . ولكن لم تعد المسألة مسألة روح أو فكرة أو أحلام . لقد مات الفن .

الفن هو التأمل . هو لذة العقل الذى يبحث فى أغوار الطبيعة والذى يقدس فيها الروح التى تسود الطبيعة نفسها . هو متاع الذهن الذى يستشف الكون والذى يعيد خلقه بنظرة فاحصة صادقة . الفن هو أسمى رسالة للانسان لأنه يعبر عن الفكر الذى يبحث ليهتدى إلى تفهم العالم وليجعل العالم جليا مفهوما .

يعتقد الإنسان اليوم أنه يستطيع الحياة بدون فن . انه يأبى أن يتأمل أو يتيه فى مهامه الفكر أو يسبح فى عالم الخيال . يريد أن يستمتع استمتاعا ماديا ، انه يقنع بإشباع شهواته الجسمانية ، أما سمو الحقيقة وأغوارها فلا يعبأ بها أو يعيرها اهتماما . فإنسان اليوم حيوانى الميول لم يخلق من الطينة التى خلق منها الفنانون .

وفضلا عن ذلك فالفن هو الذوق . هو ما ينعكس من قلب الفنان على كل ما يبتدعه من الأشياء . هو ابتسامة الروح الإنسانية للمنزل والأثاث . وهو جمال الفكرة والشعور مجسما فى كل ما ينفع الإنسان . ولكن كم من معاصرينا يشعر بضرورة شيوع الذوق فى المنزل والأثاث، كان الفن منتشرا بكل مكان فى فرنسا فى أيامها الخوالى . فكان أوساط الناس ، حتى الفلاحون منهم لا يستعملون من الأشياء إلا ما يفرح العين ويسرها . كانت مقاعدهم وموائدهم وقدورهم وقواريرهم جميلة . أما اليوم فقد اختفى الفن من الحياة اليومية ، حتى ليقول بعض الناس ان الجمال لا يشترط توفره فيما هو مفيد من الأشياء ... كل شىء قبيح خال من الرشاقة ، تصنعه آلات غبية فى سرعة وعجلة . أما الفنان فينظر إليه كما لو كان خصما مناهضا . آه يا عزيزى جيزيل ، أتريد أن تبسط آراء الفنان وأن تبرز أفكاره ؟ ماذا بك ؟ دعنى أتفحصك ! إنك وايم الحق لإنسان عجيب » .

فقلت : « إنى لأعلم أن الفن هو أقل ما نعنى به فى عصرنا هذا ، ولكنى آمل أن يكون هذا الكتاب بمثابة احتجاج على الآراء السائدة الآن ، كما آمل أن يوقظ صوتك معاصرينا وأن يساعدهم على إدراك الجرم الذى يُحرمون بفقدهم أجل شطر من تراثنا القومى الا وهو الشغف الشديد بالفن والجمال » . فأجاب رودان « عسى الله أن يسمع منك »

***

كنا نسير الهوينا بمحاذاة البناء المستدير الذى اتخذه مرسما . فشاهدت كثيراً من التماثيل القديمة الفاتنة فى حمى السقيفة . فهذا تمثال صغير لعذراء مقنعة بعض الشىء تواجه خطيبا رزينا مشتملا بعباءته . وقريبا من هذين يوجد تمثال لكيوبيد [١] (Cupid) ممتطيا ظهر وحش من وحوش البحر ، ويقوم وسط تلك التماثيل عمودان رشيقان كورنثيان [٢] من الرخام الوردى اللون . ويدل احتشاد تلك القطع الثمينة فى ذلك المكان على ولع مضيق بالفنين الإغريقى والرومانى .

---

(١) هو إله الحب عند الرومان .

(٢) نسبة إلى كورنث من بلاد الاغريق .

وثمت بجعتان(١) ناعستان على حافة بركة . فما إن مررنا بهما حتى مطتا رقبتيهما الطويلتين القوستين وأرسلتا فحيحاً مغضباً . ولقد دفعتني وحشيتهما إلى الجهر بأن هذا الطير ينقصه الذكاء . ولكن روادن أجابني ضاحكا : « حسبه ما به من جمال الخطوط ، وفي ذلك الكفاية » .

وبينما كنا نمشي الهوينا بدت هنا وهناك محاريب صغيرة اسطوانية الشكل من الرخام حفرت بها أضافير الأزهار . ويوجد تحت عريشة بديعة يعلوها نبات متسلق نضير الخضرة وتمثال صغير لمترا(٢) (mithra) بدون رأس وهو يتقرب بثور مقدس . ويوجد عند مفرق طريق معشوشب تمثال إيروس(٣) (Eros) نائما على فروة أسد ، وقد غلب النوم ذلك الذي يروض الوحوش ويغلبها على أمرها . وعند ذلك سألني رودان قائلا : « ألا ترى أن الخضرة هي أنسب شيء توضع بينه التماثيل القديمة ؟ ألا تستطيع ان تقول عن أروس هذا الصغير الناعس بأنه إله الحديقة ؟ أن لحمه ذا الغينات لشبيه بتلك الأوراق الخضراء في نضارتها وصفائها . لقد أحب فنانو الاغريق الطبيعة حبا جما حتى أن تماثيلهم لتزهو فيها كما تزهو في عناصرها التي قدت منها» .

ولنبحث الآن هذه الفكرة : انا نضع التماثيل في حديقة ، كيما نجمل بها تلك الحديقة . ولكن رودان يضعها بها كيما تكتسب تلك التماثيل جمالا منها . وعنده أن الطبيعة هي أبدا صاحبة الكلمة العليا والكمال الذي لا يحد .

وتقوم عند أصل شجرة من أشجار الاسفندان جرة اغريقية من فخار وردي اللون يغلب على الظن أنها كانت منطرحة بقاع البحر قرونا عدة وقد درست وتشبثت بمسامها بعض الطحالب وغيرها من عرماض البحار الجميلة ، فيخيل لمن يراها أنها أغفلت هناك عن قصد ، ومع ذلك فما كان يمكن أن تعرض لأعيننا بأجمل مما كانت عليه ، لأن ما كان طبيعيا هو غاية الذوق ومنتهاه .

ثم شاهدنا بعد ذلك بدنا لفينوس من غير ما رأس أو أوصال قد أخفى ثدياه بمنديل عقد وراء الظهر فيتبادر إلى ذهن الرائي أن أحداً من متكلفي الحياة بحدوه حياء مصنع — قد آلى على نفسه أن يستر تلك المفاتن .

ولكن من المحقق أن مضيفي لم يشاطر موليير (Moliere) رأيه في هذا الحياء المصنع . لأنه أفصح لي عن سر ذلك قائلا « أنا الذي أخفيت ثدي هذا التمثال لأنه أقل جمالا من بقية أجزاء البدن» وعند ذلك أدار مزلاج باب أدخلني منه إلى شرفة أقام عليها واجهة ذلك القصر الذي ذكرته منذ هنيهة والذي يرجع تاريخه إلى القرن الثامن عشر . تبدو هذه القطعة النبيلة رائعة حقا إذا ما شوهدت عن كثب . انها مدخل على رأس سلم من ثماني درجات ، حفرت على الافريز الذي يعلوه والذي يقوم على عمد تمثال تيميس (Themis) تحيط بها ملائكة الحب . وهناك قال مضيفي : «قديما قام هذا القصر الجميل على منحدر تل مجاور بأيساي (Issy) . وكنت كلما مررت به أبديت إعجابي بجماله ، ولكن سرعان ما اشتراه السماسرة وقوضوا بناءه ..» وعند ذلك لاح بعينيه وميض الغضب وقال : « لا تستطيع أن تدرك مقدار الفزع الذي تملكني عند ما شاهدت هذه الجريمة ترتكب . آه يا للفظاعة ! أيهدمون هذا البناء الجميل ؟ لقد أثر ذلك في نفسي كثيراً كما لو كانوا يمثلون بجسم عذراء جميلة على مشهد مني » .

لفظ رودان هذه الكلمات بصوت ملؤه الخشوع العميق . ولاريب أن في ذلك ما يشعرك بأن جسم الفتاة الأبيض البض هو أسمى وأروع المخلوقات في نظره . بل هو أعجوبة الأعاجيب ! ثم وصل حديثه قائلا : « سألت أولئك الأوغاد الأنذال أن لا يبددوا الأنقاض وأن يبيعونيها فرضوا . ثم أمرت بالأحجار فأحضرت إلى هنا وشددت بعضها إلى بعض على أحسن ما استطعت. ولسوء الحظ لم أرفع إلا حائطا واحداً إلى الآن كما ترى » .

ولتعجله وشدة تلهفه على الاستمتاع بذلك الأثر الفني البديع لم يتبع رودان الطريقة المثلى التي تقضي بأن تقوم حوائط البناء جميعها في وقت معا . وللآن لم يبن إلا جانبا واحداً من القصر . وإذا ما قاربت بابه الحديدي ونظرت من خلاله رأيت أرضا مخطوطة مشقوقة بها قطع من الأحجار تدلك على تصميم البناء المنتظر . حقا إنه قصر أحلام بل وقصر فنان ! ثم غمغم مضيفي قائلا : « حقا لقد كان بناؤونا القدماء رجالا عظاء لا سيما عندما نقارنهم

---

(١) أوزنا — معجم أسماء الحيوان اسكندر معلوف

(٢) هو إله الشمس عند الفرس .

(٣) هو إله الحب عند الاغريق بل هو أجمل الههم الذي لا يقاوم وتمثل بغلام جميل له جناحان .

الحرب والعلم

للأستاذ محمود عماد

أصلح المذياع نسمع ما يذاع ... أفلا ننعم حتى بالسماع
إن تلك الحرب أودت بالمتاع ... فى مناحى اللمس منا والبصر

ذكروا الصلح فقلت استعجلوا
أفلم يبق لديهم منزل
يبتلى أو يبق حى يقتل ؟ ... إنما الشر بخير والضرر !

إن ستًّا من سنين داميات ... لفناء الأرض ليست كافيات
لم تزل فيها بقايا من نبات ... وبقايا حيوان وبشر

لم تزل فى الأرض نيران مواحق
فى البراكين استقرت والصواعق
وبأضلاع وأكباد حوانق ... مثل سقط الزند ترمى بالشرر

إن يكن أعياهمو هرس الفرائس
لحديد لم يوفر للمهارس
فلديهم بعد صلبان الكنائس ... ومن الأجراس شىء مدخر

صار ماقد حرموا للحرب حلا ... لو أرادت ضربوا الليل فولى
أو رموا بالصبح عنه فتدلى ... ثم قدوا الشمس أوهدوا القمر

كيف ننسى أمهما جد بطان ... من مدار الجدى تاتى فى آزان
فيلقاها مدار السرطان ... من ترى يحملها طول السفر ؟

هو جنى له فى الجنة اسم ... واسمه العلم فهل عندك علم ؟
أين منه قمقم صلب وختم ... لسليمان كما تروى السير ؟

لا يجيد العلم أن يحيى ميتا ... بينما يبدع فى الأحياء موتا
فهو مجنون وإن خلناه ثبتا ... وجنون العلم مرهوب الأثر

هو دجال يرينا الضر نفعا ... وإذا أحسن وترا ساء شفعا
فاحذروا ياقوم من قدحاء يسعى ... ها هو الدجال فى الدنيا ظهر

إن يقل انى سخرت الحديدا ... أو يقل انى أدنيت البعيدا
أو يقل طرت وجاوزت الحدودا ... فلويل وثبور وخطر !

يتعب الجاهل قتل اثنين غدرا ... بينما العالم يفنى الألف فورا
أى هذين إذن أكثر شرا ؟ ... لا تقولوا الشعر بالعلم كفر

لست رجعيا إذا كنت أصيح ... ارجعوا للغاب فالغاب مريح
ان يكن فى الغاب زأر أو فحيح ... ينجنا منه قليل من حذر

ليس يؤذينا لدى جذر شجار ... بينما اليوم اذا لاح شرار
عند قطب غالت الآخر نار ... كم لقطب عند قطب من وطر !

بخلفائهم من بناتى اليوم الذين لا يستأهلون شيئا . » قال ذلك ثم قادنى إلى طرف من أطراف الشرفة حيث يظهر له جمال الوجهة بأجلى مظهر وصاح قائلا : « انظر كيف يعترض طيفه السماء الفضية بانسجام عظيم ، وكيف يشرف على الوادى الذى يمتد من تحتنا . » ثم ذهل برهة وانتظم بصره المشغوف أثناءها ذلك الأثر القديم وما يترامى حوله من المناظر .

وترامت أبصارنا من المرتفع الذى كنا عليه إلى آفاق بعيدة ، فهناك نهر السين تنعكس على صفحته البلورية سطور طويلة من ظلال أشجار الحور ، يتخذ شكل عروة عظيمة من الفضة عند ما يتدافع إلى القنطرة عند سفر Sèvres وتلى ذلك منارة سانت كلو Saint Cloud البيضاء الصاعدة فى الجو أمام تل أخضر . وأما مرتفعات سورسن الزرقاء وجبل فاليريان mt. Valerian فكانت تبدو كأنها ذرت بهباء من الأحلام . وإلى اليمين من ذلك ترى باريس — باريس الهائلة — تمد مهادها إلى الأفق البعيد وقد نضد بمنازل عديدة تبدو صغيرة على البعد حتى ليخيل للرائى أن فى استطاعته أن يستجمعها بكفه ، باريس التى تبدو لأول وهلة عظيمة سامية كأنها بوتقة هائلة تفور وتجيش بذلك المزيج العجيب من اللذات والآلام ، وبالقوى الزاخرة وبالمثل العليا الموموقة .

محمد بهجت

لا نحبُّ الجهل بل ننشد أمنا　　ان أتى العلم به بالعلم دِنّا

واذا اعتدَّ بسكينٍ هتفنا　　امنعوا الجزار عن وادى البقر

ما بحسبى أننى ان رُمت أمراً　　نلتُه فوراً اذا حركتُ زِرّا

فبهذا الزِّرّ قد أُشهِرُ صبراً　　ليتَ مَنْ أخلص يوما ما غدر!

اننا عن كلِّ نفع فى غَناء　　ان يكن من نوع نفع الكهرباء

فالذى يكمنُ فيها من بلاء　　بعد هذا لجديرٌ بالنظر

ان حرب العلم أوحت دون علم　　أن حرب الجهل كانت شبه سِلْم

والذى اليوم رمى أولَ سهم　　شرُّ سهمٍ هو فى قوس القدر

عصَّبوا الحرب وغطَّوا مقلتيها　　فمضت فى الأرض ترمى جانبيها

ليت شعرى ما الذى أبقت عليها　　أيردُّ الجوع عنهم ان حضر؟

انهم قالوا خشينا الموت جوعا　　فشبَبْنا الحرب كى نحيا جميعا

أفلم يلقوا بها موتا شنيعا؟　　لم يشبوها لجوع بل بطَرْ!

بل هموا جاعوا بها لم يشبعوا　　والذى قد أشبعوه المدفع

ونسورٌ فى الصحارى جوَّع　　حمِدَ الضيف قراهم وشكر

اسألوا (الفوهرر) كم (دنزيج) أوتى

واسألوا (الدوتشى) أتاه كم (جيبوتى)

كم (بروما) من كراس وبيوت　　دكَّها (كرسى القناة) المنتظر؟

أين يا (دتشى) حصان أبيض　　فوقه جئت (لمصر) تركض

ما له من بعد جهد يرفض　　عبر (مصر) وبك البحر عبر؟

رمت تبنى ما بنى (اسكندر)　　فتولى ما بناه (قيصر)

ما الملايين التى تستنفر؟　　ألملايين الثمانون صور

قلت: ان قلت لجيشى هات (مصرا)

نال (مصرا) ثم نال (الهند) قهرا

أهذا فات (روما) ثم فرّا　　و(طرابلس) و(تانا) و(هرر)؟

كم على دبابة قد قمت تهذى　　وبهزِّ الحلم فينا أى هزّ

فاخطب اليوم على دودة قز　　وارقب الهزَّ بأوراق شجر!

اهبط القيعان من بعد الروابى

واصحب (الفوهرر) يا خير الصحاب

واخطبا الناس بسلم مستطاب　　بعد حرب، فمن القاع الدرر!

اخطبا اليوم بآيات كريمه　　واذكرا الرحمة من بعد الهزيمه

أين كانت هذه النفس الرحيمة　　عندما شارفتما (بحر الخزر)؟

يا شرار الأرض ليس العيش شرا

ان خيراً أن يكون العيش خيرا

ليست الدنيا لكم الا ممرا　　كيف يرجى فى ممر مستقر؟

ان نور الشمس حقٌّ للجميع　　فبم اختصَّ فريقٌ بالشموع

ليتهم يقضون فيه بالشيوع　　عندما يحصونه فى (المؤتمر)

محمود عماد

هذا العـــالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

سكر وكحول من النشارة

كم من نشارة الخشب والمواد النباتية نلقى كل يوم ؟ إننا نحاول استغلالها فى إشعال الأفران . فهل نحصل على أكمل فائدة منها ؟

نتخلص كل يوم من أطنان من المواد النباتية . وينظر الكيماوى إلى هذه المواد أسفا لأنه لم يتوصل إلى طريقة يستطيع بها إعادة ترتيب عناصرها الأولية فيخرج منها مواد ضرورية للحياة . فهو يعرف أنها تتكون من كربون وإيدروجين وإكسوجين . وبعضها العناصر الأساسية فى السكر والكحول والبترول .

والعقبة الكبرى هى إعادة هذا التكوين بطريقة تجارية تقلل نفقات صنعها حتى تصلح للاستهلاك العادى . وقد تمكن ١٢ عالما أمريكيا فى صيف السنة الماضية من تذليل هذه الصعوبة فحولوا نشارة الخشب إلى كحول وسكر . فمن ٥٠٠ رطل من النشارة العادية حصلوا على ٢٥٠ رطلا من السكر فى ٨ ساعات وحولت الأخيرة بدورها إلى ١٢ جالونا ونصفا من الكحول فى ٢٤ ساعة

ومعنى هذا أن الطن من النشارة يتحول إلى نصف طن من السكر أو ٥٠ جالونا من أثيل الكحول . وهو غير المادة الكحولية المعروفة باسم ميثل وهى سامة وتستخرج من الخشب أيضا .

ومن المعروف أن استخراج الكحول من الخشب عملية قديمة . على أن النجاح الذى أحرزه العلماء أخيراً كان استخراجه بنفقات زهيـدة ، فلم يتجاوز إنتاج الجالون ٥٠ مليما ، وفى زمن قصير ، إذ تيسر إنتاجه فى ثلث المدة السابقة

وكان هذا الكشف العلمى عاملا قويا ساعد على سد الحاجات العسكرية والمدنية فى الولايات المتحدة التى قدر استهلاكها فى السنة بـ ٦٤٠ مليون جالون ينفذ منها فى صناعة المطاط الصناعى ٣٣٠ مليونا ويوزع الباقى على صناعات المفرقعات والنسيج وغيرها ، ولا تنتج هذه البلاد فى الواقع إلا ٥٩٠ مليونا فأتاح لها هذا الاكتشاف تعويض النقص

وتقدر نشارة الخشب التى تتخلص منها المصانع بالحريق بـ ٣٠ مليون طن يكفى أقل من نصفها لإنتاج كل حاجة الولايات المتحدة العسكرية والمدنية

ووضع الفنيون تصميمات مصانع إنتاج الكحول من نشارة الخشب فقدرت نفقات واحد منها ينتج ١٥٠ مليون جالون فى السنة بمبلغ ١٨ مليون جنيه . وقدروا إنه باستهلاك مخلفات النشارة كوقود يخفضون تكاليف الإنتاج بنسبة ٢٠ الى ٢٥ ٪

فترة النقه وأسبابها

من أعقد المسائل التى تواجهها الطبيب ومريضه فترة النقاهة فن جميع أسباب العلة تزول ، ومع ذلك يظل المريض فترة قد تصل الى أسابيع يشعر أثناءها بارتخاء فى أعصابه وعدم قابلية للعمل أو الحركة . فلماذا ينتاب الإنسان هذا الإحساس ؟

لم يستطع أحد حتى الآن تفسير هذه الظاهرة وإن كانت تعلل بأسباب مختلفة لم يقتنع بها الطب . ولهذا عكف بعض الأطباء على دراسة هذه الظاهرة دراسة عمية حتى يوفروا على المرضى كثيراً من سأم دور النقه

ويشرح الدكتور ريتشاردز الحالة بانه عندما يصاب الإنسان بجرح أو مرض فان الضرر لا يؤثر فى العضو المصاب وحده بل يشمل كل أعضاء الجسم . فيقل تركيز الدم . ويتأثر الجهاز العصبى ، ويختل نظم التغذية لمدة طويلة لا يعتبر فيها المريض معافى الا ان عادت الى حالتها الطبيعية .

ويبحث الأطباء الآن فى العلاقة بين هذه الظواهر ليتوصلوا الى تقرير ما يجب عمله فى أدوار النقه للمرضى

القهوة وقرح المعدة

أعلن ثلاثة من الاطباء فى اجتماع الجمعية الطبية الاميركية أنه من الميسور معرفة الاشخاص المعرضين للاصابة بقرح المعدة بواسطة شرب القهوة . فقد وجدوا أن شراب القهوة يؤثر تأثيراً

ضاراً على شخص من كل عشرة أشخاص من المصابين بالقرح أو المعرضين للاصابة بها .

فإن المعدة تتأثر بشراب القهوة وتفرز حامضاً قوياً غنياً بالببسين، وهذا التأثير سريع الزوال فى الأشخاص العاديين بينما يطول أمده فى الأشخاص المصابين بقرح المعدة أو المعرضين للاصابة بها ، ومن ثم يستطيع الطبيب أن يدرك استعداد الإنسان للاصابة بهذا المرض . وجرب مفعول مخدر القهوة على مجموعة من القطط بحقنه فى عضلاتها فأصيب منها ٤٠ إلى ٥٠ فى المائة بقرح المعدة .

ويعتبر الأطباء من يتناول أربع أو خمس فناجين قهوة فى اليوم من المدمنين . ومن السهل تخفيف أضرارها بإضافة السكر أو الكريمة إليها ، أو بتناولها مع الطعام فان هذه المواد تخفف حدة تأثيرها إلى ٦٠ فى المائة . فاذا اعتبرنا تأثير القهوة التركية السوداء ١٠٠٪ فان تأثير القهوة الفرنساوى يكون ٩٠٪ والشاى ٦٠٪

ويقول أحد الأطباء إن فى القهوة عاملين يؤثران على الإنسان: أحدهما يؤثر على المخ والجهاز العصبي وهو الذى يؤدى إلى حالة الصحو، والآخر يؤثر على خلايا المعدة مباشرة وهو الذى يؤدى إلى حالة قرح المعدة أو يبين استعداد الإنسان للاصابة بها .

أنف بدل المفقود

تقدمت جراحة التجميل خلال هذه الحرب خطوات واسعة فتيسر بها إعادة كثير من الوجوه إلى حالتها الطبيعية . والفضل الأكبر فى هذا التقدم يرجع إلى اكتشاف الأطباء لكثير من المعلومات الهامة عن المخدرات وفن « التبنيج » مما أتاح لهم حرية العمل فى عملية واحدة لمدة أربع سنوات متواصلة مما كان يبدو مستحيلا منذ ٢٥ سنة .

ويتعرض الإنسان فى هذه العمليات إلى عدة مضاعفات مثل فقد الدم وتسمم الجروح وتيسر تعويض دم المصاب بنقله إليه من الخارج ، كما منع اكتشاف البنسلين حوادث التسمم .

وليس معنى هذا أن الطب يستطيع تعديل تقاطيع الوجه كما يعدل المثال فى قطعة من طين ، فلم يوفق جراحو التجميل إلى تركيب أنف أو فك أحسن من الأنف أو الفك الأصليين ، حقيقة إن وفرة المصابين فى القتال أتاحت لهم إجراء عدة عمليات لم تكن معقولة فأعادوا لبعض الجنود أنوفاً غير التى فقدوها فى الميدان ولكنها لم تكن فى اتقان الطبيعية

وتستطيع جراحة التجميل بما تستعمل من حيل إعادة الجلد المحروق والمتسلخ إلى طبيعته ، فان كان كثيراً فانها لا تضمن أن تترك فيه أثر المشرط لعدة أسباب ، منها أن شرائح الجلد المأخوذة من أجزاء أخرى من الجسم تختلف فى لونها وسمكها وبنائها عن جلد بشرة الوجه ، فان كان الحرق أو التسلخ عميقاً حتى يتلف أنسجة الأعصاب فمن الصعب إصلاحه

واستطاع أحد العلماء ابتكار آلة دقيقة تقطع شرائح اللحم بأى سمك يطلب منها حتى تتفق مع المكان الذى ستوضع فيه فلا تكون سميكة ولا رفيعة

مواد التلوين والصناعة

المواد الكيماوية المستعملة فى تلوين الأحذية والكتب من المسائل الهامة الآن لحفظها أطول مدة ممكنة ، فكلما احتفظ الجلد بكمية وافرة من الحوامض كلما عاش مدة أطول ، ولكن العكس مطلوب فى صناعة ورق الكتب الثمينة ، إذ يجب أن يحتوى على كمية من القلويات فان الحوامض المبيضة تتلف الورق .

وتتناول الأبحاث الأخيرة فى التلوين عدة صناعات وزراعات من الألبان المحفوظة إلى الزهور. فقد وجد أحد الكيميائيين أن الورد الأحمر وزهر القمح الأزرق يتلون فى الطبيعة بنفس المواد . ومع ذلك فلوناهما مختلفان . ويرجع ذلك إلى أن خلايا الورد تغلب عليها المركبات الحمضية ، بينما خلايا زهور القمح تغلب عليها المركبات القلوية . وبتفاعل المادة الملونة مع أحماض الوردة ينتج اللون الأحمر. أما تفاعل نفس المادة مع قلويات الزهرة فينتج اللون الأزرق .

واستنبطت من هذه النظرية عدة قواعد هامة فى تلوين المنسوجات ، ومنع مواسير المياه من الصدأ ، وفى صناعة حفظ الأغذية فى الأوعية المعدنية .

ونال البسكويت نصيبه من الأبحاث الجديدة ، فوجد أن لونه يسمر إن كانت القلويات كثيرة فى الدقيق ، ويبيض ويصير هشا إن زادت كمية الاحماض فى العجينة

فوزى الشتوى



المجنونة

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

بقلم الأديب إبراهيم عبد الرحمن خليل

كان السيد ماتيوداندولان والسيد روبرت دي بونير يتجاذبان الأحاديث عند ما وجه داندولان نظر صديقه الى طيور برية قائلا : تذكرني هذه الطيور ياصديقي بحادث مؤلم من حوادث الحرب ... أنت تعرف أملاكي في ضاحية « كورمي » التي أقيم فيها منذ احتلها البروسيون ، وكانت جارتي « جادي » قد اعتراها نوع من الجنون بسبب حوادث مفجعة تتابعت عليها فأثرت فيها تأثيراً عنيفاً ، فقد فقدت المسكينة في شهر واحد أباها وزوجها وابنها الصغير ، وكان حديث الولادة ، وهكذا عند ما يزور الموت منزلا أول مرة ، يعود اليه ثانية كأنه يعرف الطريق ... صرعها الحزن فلزمت الشابة البائسة فراشها وهي تهذي ستة أسابيع كاملة وتوالت عليها أزمات حادة ظلت بعدها خامدة عديمة الحركة ، لا تكاد تتناول شيئاً من الطعام إلا بالجهد الشديد ، لا يتحرك فيها إلا عيناها ، وفي كل مرة حاولوا تغيير موضعها كانت تصرخ بشدة كأنما يراد قتلها ، فتركت نائمة كما شاءت وتوفرت على خدمتها سيدة عجوز طيبة القلب كانت تقدم لها الماء من وقت الى آخر مع قطعة من اللحم البارد تلوكها بين أسنانها ... ما الذي كان يدور بخلدها المشتت ؟ أكانت تحلم بالذين ماتوا ؟ لم يعرف ذلك أبداً ، لأنها لم تتكلم أبداً ، ولأن فكرها المضمحل ، ظل عديم الحركة كالماء الراكد .

ومرت خمسة عشر عاما وهي على تلك الحال ؛ مغلقة النفس ، خامدة الحركة ... جاءت الحرب ، وفي الأيام الأولى من ديسمبر ، تغلغل البروسيون في كورمي .

وكان الجو باردا والثلج يتساقط ، إني أذكر هذا اليوم كأنه الأمس القريب ، وكنت ممدداً على كرسي مستطيل بجوار نافذتي مريضاً بداء المفاصل ، أسمع وقع أقدامهم الثقيلة وخطواتهم الرتيبة ، وأراهم من النافذة صفوفا لا نهاية لها يبدون في حركاتهم المنتظمة كأنهم دمى تتحرك بخيوط مشدودة ، وقد أمر القائد بتوزيع الرجال على سكان القرية فكان نصيبي منهم سبعة عشر رجلا ونصيب جارتي البائسة اثنا عشر رجلا ، بينهم القائد وهو رجل عسكري قديم ، حاد الطبع ، غليظ الخلق . قيل له أثناء إقامته بالمنزل إن ربة الدار سيدة مريضة لم تفارق فراشها منذ خمسة عشر عاما متأثرة بحزن شديد أصابها ولكنه لم يقتنع بهذا ، من غير شك ، فقد توهم أن الذي منعها من استقبالهم إنما هو كبرياؤها واشمئزازها أن ترى البروسيين أو تحادثهم ، فطلب مقابلتها وأدخل إلى غرفتها ، فما إن رآها حتى خاطبها بصوت جاف خشن وبلهجة ركيكة فيها كثير من التحريف ... أرجوك ياسيدتي أن تنهضي من فراشك وأن تنزلي لكي يراك الجميع .... ولكن المرأة المسكينة أدارت نحوه عيونا مبهمة فارغة ولم تجب . فاعاد بلهجته الغريبة مرة ثانية .. إذا لم تنهضي بارادتك فسنجد وسيلة لأرغامك على نزهة فريدة .. ولكن المسكينة لم تأت بأي إشارة ، كانت دائماً عديمة الحركة كأنها لا تراه ، فتملكه الغضب ، وظن أن السكوت منها علامة احتقار بالغ له ، فأضاف مهدداً — إذا لم تنزلي ياسيدتي غدا ... ثم أدار وجهه وانصرف .

وفي اليوم التالي ، أرادت خادمتها العجوز الطيبة أن تلبسها ملابسها قبل أن يحضر الضابط ولكن المجنونة صرخت بأعلى صوتها في هياج شديد ، ولم تجد أي محاولة معها . وفي هذه اللحظة صعد الضابط مسرعاً ليرى تنفيذ أوامره ، فخرت الخادم على أقدامه مستعطفة صارخة ، إنها لا تريد ياسيدي ، انها لا تريد ، اصفح عنها ، انها بائسة تعسة .

ظل الجندي القديم ، مشبكا ذراعيه كاظما غيظه ، وفجأة انطلقت منه ضحكة عالية ، وأعطى بالألمانية أمراً إلى رجاله ، ورأى الرجال يحملون المريضة بفراشها كما يحملون جريحاً في الميدان ، ورئي في المؤخرة رجل يحمل حزمة ملابس نسائية .

المجنونة ساكنة هادئة لا تقاوم ، ولا تبالي بالعواقب ،



فى عالم الكتب

محمـــــد عبده

الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

« محمد عبده » يدخل فى سلسلة « أعلام الإسلام » نصاً وروحا . ولقد أحسنت اللجنة التعجيل باخراجه فى أول السلسلة ، كما أحسن الدكتور عثمان أمين فى اختيار الشخصية التى يقدمها من أعلام الاسلام .

ومن أولى المسلمين بأن يترجم له فى الأعلام مثل الأستاذ الإمام ؟ لقدعبنا على اللجنة إقرارها ترجمة « بشار » و« أبى نواس » ولكننا اليوم نذكرها بالثناء لهذا الانتقاء .

والدكتور عثمان أمين عالم بالشيخ محمد عبده من طول ما قرأ له وقرأ عنه . حتى لقد شغل به نفسه فى رسالته التى ظفر بها بأجازة « الدكتوراه » . ولايزال الشيخ شغلا لصديقنا المؤلف فى الصحف تارة وفى الندوات الأدبية تارات . حتى ليصح القول إن عثمان أمين ظل لروح الامام لو كان للأرواح ظلال .

لعل هذا الكتاب موجز لرسالة المؤلف التى قدمها إلى الجامعة ؛ ولعله أوجزفيه — مراعاة لاعتبار الطبع والنشر — كل ما يمكن أن يعرف عن محمد عبده

وإيجاز الرسائل الجامعية عمل لا بأس به لمن يريدون أن يجعلوا العلم سهلا تناوله قريباً مأخذه .

ولعل ذلك كان هدف المؤلف حين قصد إلى إخراج كتابه فى هذه السلسلة المألوفة المنتشرة .

وليس كتاب « محمد عبده » عملا أدبياً يضع صاحبه فى

كأنها نائمة نومتها الهادئة فى منزلها العتيق . فرك الضابط يديه سروراً قائلا : سترى جيداً اذا كنت تستطيعين أن تلبسى وحدك ، وأن تقومى بنزهة صغيرة . . الموكب يسير مبتعداً متجهاً الى غابة ايموفى . . . وقد مضت ساعتان عاد الجند بعدهما منفردين . . . ولم تعد المجنونة ثانية . . . ماذا صنعوا بها ؟ والى أى مكان حملوها ؟ لم يعرف أحد ذلك مطلقاً . الثلج يتساقط ليلا ونهاراً ، وبدا الوادى فى نعومة المخمل . أما الغابة فقد كفنها الجليد بثوب من الزبد المثلج ، والذئاب تعوى حتى أبواب المنازل ، وذكرى هذه المرأة المفقودة لا يفارقنى .

قمت بجولات متعددة قريباً من مناطق البروسيين مؤملا الحصول على معلومات عنها ولكنى لم أفز بطائل ، فظننت أنهم ربما قتلوها رمياً بالرصاص .

عاد الربيع . وابتعد الجيش عن القرية ومنزل جارتى المسكينة ظل مغلقاً تنبت الحشائش فى أبهائه ، والخادم العجوز فى أثناء الشتاء ، ولم يعد أحد يشغل نفسه بهذه الحادثة ، ولكنى — أنا نفسى كنت أحلم بها بلا انقطاع .

ماذا صنعت هذه المرأة ؟ أهربت مخترقة الغابة ؟ أم عثر عليها بعض المارة فأدخلها مستشفى قبل أن يستطيعوا الحصول على معلومات عنها ؟

لم أجد ما يخفف حدة الشك فى نفسى . ولكن الزمن خفف هذا الألم شيئاً فشيئاً . وجاء الخريف . وتتابعت أسراب الطيور البرية ، واسترحت من مرضى قليلا فاندفعت نحو الغابة للصيد ، وأصبت خمساً أو ستاً من ذوات المنقار الطويل ، وكنت أبحث عن واحدة وقعت فى حفرة صغيرة وسط فروع الأشجار . واضطررت إلى النزول فى الحفرة لالتقاطها ، ولكنى سقطت على رأس ميتة . وفى الحال ترددت فى صدرى ذكرى المرأة المجنونة كأنها لكمة قوية . لقد كنت متأكداً أنى سأقابل هذه البائسة يوماً ما ، وفجأة فهمت ، وفرضت كل شيء ، لقد حملها البروسيون إلى هذه الغابة الباردة وأهملوها ، وتركت المسكينة نفسها الخاوية تموت تحت وطأة البرد ، وزغب الثلج المساقط ، لا تحرك يداً ولا رجلا ، ثم جاءت الذئاب الجائعة فافترستها . والطيور بنت أعشاشها من صوف فراشها الممزق .

حفظت هذا الحطام الحزين . وأقمت له النذور ودعوت الله ألا يرى أولادى الحرب أبداً .

إبراهيم عبد الرحمن خليل

مرتبة الأدباء . وأظن المؤلف لم يقصد إلى هذا من وراء كتابه ولا عناه . ولـكنه عمل عالم مشتغل بالفلسفة أراد أن يرسم للقراء صفحة واضحة من حياة رجل اشتغل بالحياة الفكرية الفلسفية الاسلامية فكان علماً من أعلامها .

ومن هنا أخطأ الذين لاموا عثمان أمين على طريقته فى كتابه ؛ ووجه الخطأ فى قولهم إن « عثمان أمين » استعرض تاريخ رجل كما كان لا كما يريده المؤلف أن يكون . فهو يعرض الحوادث ويسوقها فى تسلسل وحسن ربط وصحة عبارة وسلامة أسلوب . وهذا قصارى المؤلف فى تاريخ الرجال . وما دام المؤلف قد بلغ بذلك العرض قصده من التعريف بحياة المترجم له فلا يعنينا بعد ذلك أن نبحث عن « مفاتيح الشخصية » التى يتحدث عنها بعض النقاد فى هذه الأيام ؟

وما حاجة المؤلف الواضح أن يصطنع « المفاتيح » ويتكلف البحث عنها ويدعى لنفسه فضل العثور عليها ما دامت الشخصية التى يتحدث عنها سهلة التناول واضحة للقارىء لا يجد فيها عناء ولا نصباً ؟؟

الحق أن فكرة « مفاتيح الشخصية » هذه فكرة يلجأ إليها بعضهم حين يريد التجنى على الكتاب لخدمة بعض الكتاب . وإلا فقد قرأنا « محمد عبده » لعثمان أمين ففهمنا حياة الشيخ من غير حاجة إلى « مفتاح » . وكان المؤلف أفطن من أن يعنينا « بالمفاتيح » التى يقولون عنها فى هذه الأيام !!

ولقد قرأت فى الفرنسية كتاب Napoléon Intime لمؤلفه Arthur Lévy وهو من الكتب التى قرظها « François Coppée » فلم أجد فيه « مفاتيح » بل وجدت الكتاب كله مفتوحاً أمامى .. وقرأت فى العربية كتاب « روزفلت » لفؤاد صروف وكتبت عنه فى الرسالة الغراء فلم أجد الباب فيه إلى حياة روزفلت موصداً ! وكذلك كان شأنى حينما قرأت « محمد عبده »

إلا أن عثمان أمين لم يشر إلى المراجع التى وردت فيها أقوال من استشهد بهم ، فقد ذكر أقوالا لأحمد بك أمين ولفضيلة الأستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغى ولم يشر إلى مأخذها — « ص ٢٢ » وذكر كلاما لجورجى زيدان ولم يشر إلى مصدره صفحة ٢٤ ، وروى للشيخ عبد الوهاب النجار كلاما ولم يذكر مصدره — صفحة ١٠٥

وذكر المراجع والمصادر والمآخذ فى خلال الاستشهاد يسهل على مريد البحث المطول أن يرجع إليه فى مصدره ، وخاصة أن الدكتور عثمان لم يثبت فى ذيل الكتاب مسرداً بأسماء مراجعه

وقد جره ذلك الأغفال إلى إغفال أعداد الصحف والمجلات التى نشرت فيها مقالات للشيخ خصها المؤلف بالذكر لأهميتها ، فذكر العناوين فقط ولم يذكر أعداد الصحف التى شوقنا إلى الاطلاع عليها وعنانا بالبحث عنها .

وفى الكتاب أعلام ذكرت الحروف الأولى منها ولم تذكر كاملة مثل « ع . ا . باشا » ناظر المعارف — ص ٤٢ ؛ و (ل . بيك . س) الأستاذ بالمدرسة الحربية — ص ٦٢ .

ووجه الحكمة فى إخفاء هذه الأعلام واضح فى عصر محمد عبده حتى لا يتعرض الكاتب لأذى حاكم أو سخط رئيس . ولكنى لم أفهم وجه الحكمة فى أن يُخفى علينا الدكتور عثمان أمين حقيقة هذه الأعلام بعد أن أصبحت فى ذمة التاريخ ..

ولقد كان للشيخ محمد عبده رأى فى الأصلاح الوئيد الثابت عن طريق التربية والتعليم لا عن طريق الطفرة والتطرف السياسى فكان كلام الدكتور فى هذا منقطع الوشائج : ذكره موجزاً فى صفحة ٦٢ ، ثم عاد اليه مقتضباً فى صفحة ١٢٠ حين تكلم عن جهود الإمام فى الجمعية الخيرية الاسلامية . ولو عقد فصلا مستقلا فى طريقة الاصلاح عند الامام لوجد الكلام واسعاً موصولا . كما صنع أحمد أمين بك فى الفصول الطيبة التى كتبها عن جمال الدين الأفغانى (راجع الثقافة — الأعداد من ٢٦٤ إلى ٢٦٩) .

عيب الكتب التى تخرج دورية من شهر إلى شهر ، أن كتابها يكتبون وهم مقيدون بقدر من الصفحات لا يتعدون حدوده ! ولا يرضى مُصْدرو هذه السلاسل أن يتسع الكتاب أو يضيق تبعاً لموضوعه . ومن هنا يقع الكاتب فى غُلّ قد تأباه سليقته ولكن تحتمه عليه المناسبة « والظروف » .

ومن هنا نجد كتب هذه السلاسل تنبسط هواديها وتنكمش أعجازها ... تنبسط حين يبتدىء الكاتب فى غير فيد ، وتنكمش حين يحتم عليه تحديد الصفحات أن يقف فى غير موقف ! وأن يختتم فى غير مختتم ! فترى آخر الكتاب ضيق الأنفاس على الضد من أوله .

هـــــذه الشجرة

للأستاذ عباس محمود العقاد

للأستاذ محمد عبد الحليم أبو زيد

لم يكد الفكر يثب لإخضاع كل شيء من مظاهر الوجود للدرس ؛ والتحليل ؛ والتجلية ؛ حتى اصطدم بأسوار الشخصية الانسانية ؛ فلقد لبث حيالها طويلا لاقتحام مجاهلها ؛ واضاءة جوانبها وكشف سراديبها ، متخذا شواردها وظواهرها وما يند عنها وينبعث منها في سكونها واضطرابها ؛ في تألقها ، وانطفائها ؛ في إقبالها وإدبارها ؛ وسيلة إلى النفوذ إلى أعماقها ؛ ومع أنه استطاع بفضل تسجيل هذه الظواهر ؛ واستقراء هذه الأطوار أن يقدم إلى حد كبير معلومات قيمة عن هذا العالم ؛ وكنه تلك الشخصية المحجبة ؛ وإن كان الكثير منها لا يزال رهنا بما يدعم قوته في المستقبل أو يهدمه ؛ ومع أن هذه الدراسات قد شارفت الاستواء العلمي في الغرب ، فهي لا تزال محاولات أولية في اللغة العربية ؛ تقوم على الترجمة حينا و — الاختلاس — حينا آخر . فاذا ظفرت اللغة العربية بهذا البحث عن شخصية المرأة ومحاولة تحليل هذه الشخصية ؛ وحل الكثير من عقدها ؛ والنوص إلى مصدر تجاوبها الروحي والنفسي ، واتصال ذلك بنظرتها في الحياة ودخله في تكييف نفسيتها وتكوين خلقها وإبانة مواضع سلوكها وما يتصل بعواطفها وأحاسيسها ؛ فقد كان فوزاً عظيما للغة والأخلاق ؛ أما اللغة فقد اكتسبت ثروة في ناحية لا تزال يعوزها الكثير منها ؛ فلقد كان يطامن من شخصيتنا العلمية خواء المكتبة العربية من هذا اللون من الدراسات على كثرتها وعمقها في المكتبة الغربية ؛ وأما الأخلاق فلا تخدم إلا بأمثال هذه الأبحاث ؛ لأن المصلح الأخلاقي إذا أخطأه الوقوف على حقيقة الدوافع النفسية ومصادر هبوبها ؛ والعوامل التي تعمل فيها حتى يتهيأ له قيادها حيث تجب القيادة ، ويطب حيث يكمن داؤها ؛ فشلت إلى حد كبير رسالته ؛ لا أقول إن هذا البحث قد قال الكلمة الأخيرة في هذا الموضوع ، أو أن كل مافيه مبرأ من المآخذ التي يمكن أن تكون موضع جدل بين أساطين هذه الدراسات ؛ بل ترجع قيمته إلى أنه أول بحث في اللغة العربية على ما أعلم — من نوعه ؛ وأنه قد جمعت له من وسائل الفوز مالا يظفر كثير بمثلها ؛ فلقد تناوله ذهن منطق بسليقته وطبعه ؛ وقد نهل طويلا من أصفى مناهل المنطق ؛ وعكوفه على هذه الدراسات العميقة الدقيقة ؛ في هذا الجانب النفسي ؛ وما يتصل به عكوفا متواصلا ؛ وليس أدل على ذلك من هذا الثبت في آخر الكتاب يرشدك إلى أن هذا الموضوع ليس وليد المصادفات الغريبة ؛ بل هو كمين في ذهن الكاتب من فجر حياته الفكرية ؛ ووقوفه التام على ما تجود به الأقلام في هذه الناحية ؛ ثم صياغته صياغة محكمة طلية ؛ كل هذا يضع هذا البحث من القلوب موضع الاكبار والحب ؛ لأنه الباكورة الأولى التي نرجو مخلصين أن تتابع ؛ وقيمة الكتاب يجب ألا تقاس فقط بكثرة مايحمل من نظريات لايحوم حولها النقد ؛ بل يجب أن تقاس أيضا بما يثير من آراء ؛ ويبعث من أفكار ؛ وينير من جوانب ؛ ولعل هذا النوع يكون أطول بقاء وأقوى على النفع بما يتولد عنه ويتجاوب معه ؛ وحسبي ذلك في تقديم هذه الشجرة ، فليقبل عليها القارىء ليجني ثمرها ؛ ويهدأ في ظلها .

محمد عبد الحليم أبو زيد

وكذلك كان الحال في « كتاب محمد عبده » فان محمد عبده المفتي لم يُعرض كما عرض محمد عبده الطالب بالجامع الأحمدي في بضع الصفحات الأولى من الكتاب . ومحمد عبده المدافع عن الاسلام ص ١٢٦ لم يطل الكلام فيه كما طال مع الشيخ عليش صفحات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠

إلا أن عثمان أمين يمتاز بالنصوع حتى على إيجازه ، والحق أنني أحببته محدثاً في ندوتنا الأدبية : ندوة الأحرار . وأحببته باحثاً في الفلسفة وكاتباً عن « محمد عبده » . وأحببته فوق ذلك مثالا رفيعاً لتواضع العلماء .

محمد عبد الغني حسن

محكمة شبين القناطر الأهلية

اعلان بيع عقار فى القضية المدنية رقم ١١٧٩
سنة ٩٤٣

انه فى يوم الاثنين ١٩ مارس سنة ١٩٤٥ الساعة ٨ افرنكى صباحا بحجرة المزايدات بسراى المحكمة سيباع بالمزاد العلني العقار الآتى بيانه بعد ملك أمين حسين حسين دياب الشلح جزار بعزبة الزيتون بشارع المتوكل على الله قسم مصر الجديدة وبناء على حكم نزع الملكية الصادر من هذه المحكمة بتاريخ ٢٠ ابريل سنة ٩٤٤ ومسجل بمحكمة مصر الأهلية فى ٢٦–٤–٩٤٤ تحت رقم ٣٤٢ سنة ٩٤٤ وفاء لمبلغ ١٤٠٢ قرش صاغ بخلاف ما استجد من المصاريف وبثمن أساسى قدره ٤٠ جنيه مصرى بعد تنقيص الخمس بجلسة ٢٨–٩–٩٤٤

وهذا البيع كطلب الست عائشة غانم حسين الشلح من عرب الصوالحة مركز شبين القناطر ومحلها المختار مكتب الأستاذ عمر افندى التلمسانى المحامى بشبين القناطر .

بيان العقار

٣ ط بزمام نزلة عرب جهة مركز شبين القناطر بحوض الشيخ يوسف رقم ٧ قطعة ٣٤ من بحرى القطعة ٣٤ عبد النبى متولى محمد وورثة عامر محمد قنديل وورثة أخواته محمد محمد ومحمود محمد قنديل وآخرين والشرقى ترعة الشقيقة عمومية بجسر بها نوع ثالث والقبلى فاصل زمامين حدود ناحية كفر الشوبكة والغربى باقى القطعة باسم السيد حسين حسين دياب الشلح رقم ٣٦ .

٨ ط و ١١ س بزمام نزلة عرب جهة مركز شبين القناطر بحوض الشيخ يوسف ٧ قطعة رقم ٣٦ ومحدوده البحرى رقم ٣٤ عبد النبى متولى محمد وآخرين والشرقى القطعة المحددة قبلى رقم ٣٥ والقبلى فاصل زمامين والغربى قطعة رقم ٧٩ أمين حسين حسين دياب الشلح .

١١ ط ١١ س فقط أحد عشر قيراطا وأحد عشر سهما لا غير .

وشروط البيع مع باقى الأوراق مودعة بقلم كتاب المحكمة لمن يريد الاطلاع عليها .

فعلى راغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان المحددين أعلاه للمزايدة . ومن يرسو عليه العطاء يدفع الثمن فورا وإلا يعاد البيع على ذمته ويلزم بالفرق .

كاتب البيوع

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦٠٦ — الاثنين ٥ مارس ١٩٤٥

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 609

Lundi - 5 - 3 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٠٩ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٠ ربيع الأول سنة ١٣٦٤ — الموافق ٥ مارس سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

المدارس الأدبيـــة

للأستاذ عباس محمود العقاد

من الحكايات الانجليزية المروية أن بنتاً من بنات الفلاحين وصلت إلى العاصمة فرأت جنوداً مصطفة وزحاما من الناس على جانبى الطريق وشرطا يذهبون ويجيئون وخيلا تعدو بفرسانها كوكبة بعد كوكبة ، فعجبت لهذه الحركة التى لم تعهدها فى قريتها وسألت ما الخبر ؟ فقيل لها إنه الملك يعود إلى قصره من هذه الطريق . فوقفت تنظر مع الناظرين حتى عبر بها الملك فى مركبته فنظرت اليه وهى لا تصدق ما تراه ، وصاحت بمن حولها : عجبا ! انه إنسان مثلنا ، فلماذا يجتمع الناس لينظروا إليه .

هذه البنت الريفية توجد فى كل بلد وفى كل زمن ، لأن الدنيا لن تخلو يوما من أولئك الذين يغلو بهم وهم السماع فلا يعرفون الواقع حين يرونه ، ويحسبون أن الأمور التى يتحدث بها الناس ينبغى أن تبدو للانظار والأسماع على غير ما تألف وتعتاد .

وليس هذا بعجيب فى أخلاق الجهلاء ، ولكنه عجيب ولاشك حين يتصف به أناس يحكمون فى الأدب والفكر ويقيمون الحدود بين الكتاب والشعراء ويزعمون أنهم يعرفون ويعلون المعرفة على الذين لا يعرفون !

ومن هؤلاء كاتب فى صحيفة سورية تناول ما كتبته «الرسالة» عن بعض المدارس الأدبية فقال كما قالت تلك البنية الساذجة : عجبا ! ان هؤلاء إلا أناساً كسائر الناس ، فكيف يكونون أصحاب مدارس فى الكتابة أو الشعر كأولئك الذين نسمع عنهم من وراء البحار ؟

وأظهر شىء تدل عليه تلك الدهشة أن « البنية الريفية » التى كتبت فى تلك الصحيفة السورية لا تعرف مدرسة واحدة من مدارس الأدب فى الغرب ولا فى اللغة العربية ، وإنما تعرف تلك المدارس على الوهم الذى يخيله اليها السماع ولا يتمثل لها لحظة فى صورة الفهم الصحيح .

ولو لم تكن تلك « البنيّة الريفية » كذلك لأدركت أن الأدب الغربى — منذ أربعة أجيال على الأقل — لم تنشأ فيه مدرسة واحدة صنعت فى أدب قومها بعض الذى صنعه أدباء العربية فى الجيل الحاضر والجيل الذى سبقه ، لأن الآداب الأوربية تجرى منذ ألف سنة فى طريق واحدة يتقدم فيها السالكون خطوة بعد خطوة ومرحلة فى إثر مرحلة ، ولا ينتقلون فيها إذا انتقلوا فترة بعد فترة إلا من مقدمة محضرة إلا نتيجة منتظرة ، تمشياً مع الحركة المطردة من عصر اليونان إلى عصر النهضة التى جددت بعض مدارس اليونان ، إلى عصر الإصلاح والثورة بلا انقطاع ولا انحراف ، إلا فى أيام الركود والجمود .

فقصارى ما تصنعه المدرسة الأدبية بين الغربيين أنها تزيد فى المجاز أو تزيد فى التعبير عن الواقع ، وانها تميل إلى الأسلوب المأثور أو تدخل عليه بعض التصرف والتعديل ، وأنها تجمع إليها رهطاً من الزملاء بينهم تشابه فى المزاج وتقارب فى الموضوعات أو تقارب فى موضع الإقامة وفى المناظر التى يلتفتون اليها ويعنون بوصفها ، ثم يرجع الناقد إلى أدب قومهم قبل ظهورهم وبعد ذهابهم فاذا هو متقارب متتابع لا وثبة فيه ولا جنوح عن الجادة التى مهدت من قديم الزمان .

ولا يستطيع أحد من أولئك السماعيين أن يترجم شعر خمسين سنة متوالية إلا بدا له أنه كالحلقة بعد الحلقة فى سلسلة واحدة قلما تتباعد فى أوساطها وإن تباعدت فى أطرافها ، وانه على الإجمال نوع واحد من الأدب فى الصميم .

أما أدباء العربية فى الجيل الحاضر والجيل الذى سبقه فقد صنعوا فى تغيير مقاييس الأدب مالم تصنعه مدرسة واحدة أوربية فى الأجيال الأخيرة .

لأن اختلاف المقاييس هنا هو اختلاف بين لغة ولغة ، وبين طبيعة وطبيعة . وبين اقليم واقليم . وبين زمن وزمن . وبين موضوعات وموضوعات .

كانت مقاييس الأدب عندنا هى المقاييس التى يقال فيها هذا أغزل بيت قالته العرب . وهذا أهجى بيت قاله الانس والجن ، وهذا معنى لو تقدم صاحبه فى الجاهلية يوماً واحداً لكان أشعر الشعراء .

وكان الأديب العظيم معصوماً من النقد والملاحظة ، فاذا نقد أو لوحظ عليه فانما يجترئون عليه لأنه متأخر لا يستشهد بكلامه فى العربية ، ولا يكون اجتراؤهم عليه لحرية فكر أو صدق نظر الى القول والموضوع .

وكان البيت وحدة القصيدة ، وكانت القصيدة شتيتاً لا يشبه البنية الحية ولا يقبل الاسم والعنوان ، إلا أن يذكر فى صدرها أنها نظمت فى تهنئة زيد أو رثاء فلان .

وكانت الدواوين كراسات مملوءة بالقصائد من حرف الهمزة الى حرف الياء بغير تفرقة فى معارض الكلام ومعانيه الا ماتعودوه فى التفرقة بين باب المديح وباب الهجاء وباب الوصف وما شاكل ذلك من الأبواب .

وندع المنظوم والمنثور وننظر الى الشعراء والكتاب أنفسهم فاذا هم قد كانوا فى عرف العلية والسفلة متسولين أو ندماء يغشون المجالس للتسلية والترفيه ، ولا نعرف لهم رسالة مرعية فى عالم الفكر أو فى عالم الروح .

كل أولئك قد تغير فى جيلين ، أو تغير معظمه فى جيل واحد ، ثم لا يقال عن الذين غيروه إنهم جاءوا بمدرسة من مدارس الأدب أو بدلوا حالا بعد حال ، ولا يزال كثيراً عليهم أن يشبهوا بأولئك الأدباء الأوربيين الذين تنسب إليهم المدارس لأنهم كانوا يقيمون عند بحيرات الجبال ولا يقيمون فى الحواضر والعواصم ، أو كانوا يفصلون فى مسائل الجَنس والغرام ولا يجملون ، أو كانوا من أهل التصريح فى العبارة ولم يكونوا من أهل الكناية والايماء .

جاء أولئك الأدباء الذين تستكثر « بنيّات الريف » أن تنسب المدارس اليهم فاستطاعوا فى مدى قصير أن يغيروا النظرة إلى الأدب وأن يغيروا النظرة إلى الأدباء .

فليس أدباء العرب اليوم مسترفدين ولا ندماء أسمار ، ولكنهم أصحاب صناعة مكرمة يضارعون فى الكرامة أولئك الذين كانوا يمدحونهم ويتزلفون إليهم ويقفون على أبوابهم فى انتظار جوائزهم قبل جيلين أو ثلاثة أجيال ، وإذا استطيع فى الغرب تعظيم شأن الأدباء على هذا النحو فليس فى ذلك من عجب وليس فيه كبير فضل للأديب ولا لأحد من أفراد الناس ، لأن استغناء الكاتب أو الشاعر بأعماله بين أمم محيت منها الأمية وتعودت مطابعها أن تخرج من الكتاب الواحد عشرات الألوف من كل طبعة أمر غير عسير .

أما المعجزة حقاً فهى تعظيم شأن الأدباء فى بلاد لا يزيد قراؤها على عشر أهلها ، ولا تملك مطابعها أن تعمم نشر الكتب بين القراء القليلين وهم موزعون هنا وهناك بين شتى الأقطار .

وهذه المعجزة صنعها أولئك الأدباء الذين يكثر عليهم أن تنسب المدارس إليهم !! ولم يصنعها الأدباء الذين تسمع بهم « بنيّات الريف » ولا يعقلون عنهم شيئاً وراء السماع .

صنعوا هذا وصنعوا معه أنهم غيروا النظرة إلى الأدب كما أسلفنا فانتقلوا به من عصر إلى عصر ومن موضوع إلى موضوع ومن مقياس إلى مقياس ، ولم يكن هذا الأمر ليتيسر فى البلاد الشرقية كما تتيسر نشأة المدارس فى البلاد الأوربية . لأن تغيير المقاييس

أبو العـــلاء المعرى

التفاؤل والأثرية عند الشيخ

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

— ٦ —

الإيثارية L'altruisme

وافعل بغيرك ما تهواه يفعله ... وأسمع الناس ما تختار مسمعه

هذا البيت يشمل الأثرية والإيثارية معاً .

وللحكماء الإغريق قبل التأريخ الميلادى بخمس مئة سنة وفى الإنجيل وللحكيم الصين ما يشبه قول الشيخ . وروى البخارى فى جامعه : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ، وروى ابن سعد فى (الطبقات) : « قال رسول الله ليزيد بن أسد : يا يزيدَ بنَ أسد ، أحبَّ للناس الذى تحب لنفسك » والأثر الكريم — كما ترى — هو أثرى وإيثارى . وروى البحترى فى حماسته لعبد الله بن معاوية الجعفرى :

ارض للناس مارضيت من الناس (م) وإلا فقد ظلمت وجرتا

ولأبى العتاهية :

ولا خير فيمن ظل يبنى لنفسه ... من الخير ما لا يبتنى لأخيه

وقال عبد الله ابن المقفع : « أعدل السير أن تقيس الناس بنفسك فلا تأتى إليهم إلا ما ترضى أن يؤتى إليك » .

وروى السبكى فى (طبقات الشافعية) لأبى سليمان الخطابى :

ارض للناس جميعاً ... مثل ما ترضى لنفسك
إنما الناس جميعاً ... كلهم أبناء جنسك
فلهم نفس كنفسك ... ولهم حس كحسك

وفى (كامل) المبرِّد هذا القول : « خير الناس للناس خيرهم لنفسه » ، قال أبو العباس : « وذلك أنه إذا كان كذلك اتقى على نفسه من السَرق لئلا يقطع ، ومن القتل لئلا يقاد ، فسلم الناس منه باتقائه على نفسه » .

ولما دعا الإمام الأستاذ أرنست هيكل إلى تلك النحلة الطبيعية الوَحدية la religion moniste اتخذ تلك الحكمة دعامة آدابها .

ولو أنى حُبيت الخلد فردا ... لما أحببت بالخلد انفرادا
فلا هطلت علىّ ولا بأرضى ... سحائب ليس تنتظم البلادا

فيا وطنى ، إن فاتنى بك سابق ... من الدهر فلينعم لساكنك البال (١)

(١) من أجمل ما قيل فى الايثارية الكريمة هذا الشعر : =

الحديثة هنا نقلة بعيدة من القديم إلى الحديث مع اختلاف اللغة والمزاج والفكرة ونماذج التفكير والتعبير ، وما كان هناك إلا حلقة صغيرة فى سلسلة متشابكة الحلقات .

وسبيل المقابلة بين جهود الأدباء فى الشرق وجهود نظرائهم فى الغرب قريب جداً لمن يسمع ويعقل وإن كان بعيداً جداً عمن يسمعون ولا يعقلون ... أو يعقلون وقصارى عقلهم أن يصيحوا كما صاحت بنيّة الريف : يا عجبا ! إنه لأنسان كسائر الناس .

سبيل المقابلة أن تختار خمسون سنة من تاريخ الأدبين ، ثم يرى الناقد من ذلك مبلغ التفاوت بين البداية والنهاية فى كل من الفترتين ، ومبلغ الجهد الذى كان لازما لاغنى عنه فى أحوال الأمتين

وإلى جانب هذا يختار كاتب أو شاعر من أصحاب المدارس هناك ثم تعرض له صنوة أعماله التى تتخذ للموازنة والمقابلة وتبنى عليها المناقشة والمفاضلة ، فلعل الكفة التى ترجح فى هذا الميزان غير الكفة التى ترجح فى ميزان السماع ، ولعل السالك فى الطريق المعبد لا يبلغ شأن نظيره الذى يعلو ويهبط بين النجاد والوهاد ، ويفتح طريقه قدما قدما وهو مدلج فيه منقطع عن الرفيق .

تلك هى الحقيقة السهلة لمن يبصر الحقيقة إذا وقعت عينه عليها ، ولاينتظرها كما ينتظر شيئاً يسمع به أبداً ولا يراه أو يدرى كيف يراه .

فاذا خفيت هذه الحقيقة البينة على من تصدمهم ولايدر كونها — فليس الخطأ فى ذلك خطأ الكتاب والأدباء ، ولكنه خطأ الحظ الذى رزقهم من القراء من يشبه تلك البنية الريفية البلهاء ، وما أكثرهم فى الشرق على قلة القراء !

عباس محمود العقاد

وما سرنى أنى أصبت معاشراً بظلم وأنى فى النعيم مخلد

فانفع أخاك على ضعف تحس به إن النسيم بنفع الروح هباب

كيف لا يشرك المضيقين فى النعمة قوم عليهم النعماء

انجد أخاك على خيريهم به فالمؤمنون لدى الخيرات أنجاد

فجد بعرف ولو بالنزر محتسباً إن القناطير تحوى بالقراريط

فدار خصمك إن حق أنار له ولا تنازع بتمويه وإجلاب

إذا ما تبينا الأمور تكشفت لنا وأمير القوم للقوم خادم

لا يتركن قليل الخير يفعله من نال فى الأرض تأييدا وتمكينا

أضىء بالمعروف وأتلق ، وأطلق يمناك فغدا تنطلق .

انظر بين يديك ، واجعل الشر تحت قدميك ، وإذا دعا السائل فقل لبيك ، وإذا ألجأ عدوك الدهر إليك فانس حقودك الغبرات[1] .

أطعم سائلك أطيب طعاميك ، واكس العارى أجد ثوبيك ، وامسح دموع الباكية بأرفق كفيك .

الرجل كل الرجل من آتى الزكاة ، ورحم المسكين ، وتبرع بما لا يجب عليه ، وكره الحنث ، وكفر عن اليمين .

لتكن سماؤك ثرة[2] ، وثرى[3] أرضك قريبا ، فنعم الشىء الثراء لمن كسا العارى وأطعم السغبان .

ذرت[4] البركة فى طعام أكل منه الضعيف ، ونزعت البركة من طعام خص به الغنى دون الفقير ، والله مطعم المطعمين . وزر

حرام يوقع المحقة فى قميص انتسج من حل ، وقطرة الدم تقع فى المزادة[1] فلا يحل منها الطهور .

أرّ نارك لطارقك[2] ، ولا تؤرها لإحراق الجار ، والله جار[3] من لا جار له من المستضعفين . وبرّ فى قلبك خير من برة فى يدك[4] فاتق الله ، وكن مع الأبرار الطاهرين .

قد نفسك إلى الواجب ولو بجرير ، وكِد معاديك بأن تجتنب أفعال الكائدين ، ودل السائل لتكون نعم الدليل ، ودم على ما قربك من الأبرار الطيبين ، ودِن من فعل خيراً معك فإنك مدين .

يا بغاة الآثام ، وولاة أمور الأنام ، مرتع الجور وخيم ، وغبه ليس بحميد ، والتواضع أحسن رداء ، والكبر ذريعة المقت ، والفاخرة شر كلام . كلنا عبيد لله .

من بخل بطعام فقد بخل بقليل الأنعام .

بعدت رائحة قتار ، تظهر تارة بعد تار[5] ، ثم لا ينال خيرها الفقير .

النفاق يلبسك ثوب الإشفاق ، والافتقاد يذهب الأحقاد ، والأشر يهلك البشر ، لا كتبنا الله مع الأشرين !

ما ريا قطر[6] ورائحة حبيب عطر بأطيب من ثناء مستطر[7] يثنى به برّ على منبر[8] .

* * *

تلكم طائفة من أقوال الشيخ ، وفيها التفاؤل كله فى الحياة ،

= على أنى أطرى الحسام إذا مضى وإن كان يوم الروع غيرى حامله
وآسى على جيحان إن غاض ماؤه وإن كان ذودا غير ذودى ناهله

(١) الغبرات : القديمات ، ومنه غبر الجرح إذا انتقض لفساد فيه قديم (أبو العلاء) .

(٢) عين ثرة : غزيرة الماء ، وكذلك السحابة ومطر ثر : واسع القطر (اللسان) .

(٣) الثرى : التراب الندى ، والثرى الندى (اللسان) وفى الأساس : وبلغت ثرى فلان إذا أدركت ما تطلب منه .

(٤) (ذرت) نثرت ، بذرت .

(١) (المزادة) ظرف من جلد يحمل فيه الماء .

(٢) أرى ناره تأرية : أشعلها ورفعها

(٣) جاره : مجيره وللبحترى :

شط من ساكن الغوير مزاره وطوته البلاد فالله جاره !

(٤) البرة : حلقة من سوار وقرط ، وخلخال من فضة أو ذهب .

(٥) فى (الصحاح) : وربما قالوه بحذف الهاء ، قال الراجز : بالويل تاراً والثبور تاراً .

(٦) القطر — بضم الطاء وسكونها — العود الذى يتبخر به ، وقد قطر ثوبه ، وتقطرت المرأة ، والعود فى المقاطر : المجامر

(٧) مكتوب .

(٨) ابر الأمور : طلب بها البر والاحسان إلى الناس والتقرب إلى الله تعالى .

وفيها الأثرية — كما أن فيها الإيثارية — وكان شيخنا « يلعب بالشطرنج والنرد ، ويدخل فى كل فن من الجد والهزل » كما روى الصفدى فى (نكت الهميان)

وكان خفيف الروح يدعب ويفاكه ، ومن فكاهته فى إحدى رسائله إلى أبى الحسين أحمد بن عثمان النكتى البصرى وقد غير هذا اسمه ، وقصر كنيته ـ هذه النبذة :

« ... وأهل البصرة[1] (سلمهم الله) ينسبون إلى قلة الحنين ، أليس قدمرت به هذه الحكاية وهى أنه وجد على حجر مكتوب :

ما من غريب وإن أبدى تجلده   إلا سيذكر عند العلة الوطنا

فكتب تحته إلا أهل البصرة . فاذا كانت تلك سجيتهم مع أهلهم وأوطانهم ، فكيف بالذين عرفوهم من إخوانهم ؛ والدليل على ما قلت أنه ـ أدام الله عزه ـ لم يثبت[2] اسمى ، جعلنى محمداً واسمى أحمد ... وله أن يقول إنه تشبث بالكنية فاستغنى بها عن الاسم . فأما أنا فحفظت اسمه وكنيته ونسبه ، ولم أنس أيامه ولا مذاكرته ، وقد جعلت جواب كتابه نائبا مناب الاجتماع معه...

وما عبت على أهل البصرة قلة التفاتهم إلى الاوطان وإنما وصفتهم بقوة القلوب والأكباد لأن العرب تصف نفوسها بذلك ، أليس قد بلغه قول قتادة بن مسلمة الحنفى :

يبكى علينا ولا نبكى على أحد   لنحن أغلظ أكباداً من الابل

فكيف استجاز أن يقصر كنية صديقه ؛ أما السمة فغيرها ، وأما الكنية فقصرها ، فانا لله وإنا إليه راجعون ! هذا أمر من الله ، ليس هو من ضعف الشاعر ولا وهن القائل ولكنه من سوء الحظ لمن خوطب والاتفاق الردىء لمن سمى وذكر . . . وإنما تفوثت من ذلك لأنى قصير الهمة ، قصير اليد ، مقصور النظر، أى بكفوف ، مقصور فى البيت أى لازم له ، فكأنى محبوس فيه .

فما كفانى ذلك مع قصر الجسم حتى يضاف إليه قصر الاسم ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . لو كنت أطول من ظل الرمح لصرت أقصر من سالفة[1] الذباب ، قد كنت أمتصح فى الأرض كما تمصح الظلال[2] ... وقد مدحنى بما ليس فىّ ، ولكنه فى ذلك على مذهب الخطباء والشعراء ، وزعم صاحب المنطق فى كتابه الثانى من الكتب الأربعة أن الكذب ليس بقبيح فى صناعة الشعر والخطابة ، ولذلك استجازت العرب أن تقول فتفرط ... »

وما (رسالة الغفران) العبقرية إلا كتاب أماليح وأفاكيه وأهاكيم (٣)

وكان الشيخ كلفاً بالحمد والمجد « والثناء على الرجل أحسن الملبوسات[4] » « وغير ملوم من عشق الثناء لأنه أحسن حبيب مزور وأبقى منفِس مذخور[5] » وقد أعلن ذلك ابن القارح فى رسالته المشهورة إلى أبى العلاء :

« ... ويعلم الله الكريم (تقدست أسماؤه) أنى لو حننت إليه (أدام الله تأييده) حنين الواله إلى بكرها ، أو الحمامة إلى إلفها ، أو الغزالة إلى خشفها ـ لكان ذلك مما تغيره الليالى والأيام والعصور والأعوام ، لكنه حنين الظمآن إلى الماء ، والخائف إلى الأمن ، والسليم[6] إلى السلامة ، والغريق إلى النجاة ، والقلق إلى السكون ، بل حنين نفسه النفيسة إلى الحمد والمجد ، فانى رأيت نزاعها إليهما نزاع الاسطقسات[7] إلى عناصرها ، والأركان إلى جواهرها ... »

* * *

---

(١) البصرة : مثلثة والفتح والسكون اللغة العالية والنسبة إليها بكسر الباء وفتحها .

(٢) أثبت الشىء : عرفه حق المعرفة . وفى الأساس : أثبت الشىء معرفة إذا قتله علماً

(١) السالفة : جانب العنق .

(٢) مصح الظل : ذهب .

(٣) جمع أهكومة والأهكومة كالأعجوبة من التعجب

(٤) أبو العلاء فى (الفصول والغايات) .

(٥) أبو العلاء فى رسالة إلى بعض أولياء السلطان يشفع فى صديق له كان عاملا يعرف بالحسين بن عنبسة . ومنفس كالنفيس ، نفس نفاسة وأنفس إنفاساً .

(٦) السليم : اللديغ ، وإنما سمى اللديغ سليما لأنهم تطيروا من اللديغ فقلبوا المعنى كما قالوا للحبشى أبوالبيضاء ، وكما قالوا الفلاة مفازة تفاءلوا بالفوز وهى مهلكة (اللسان) .

(٧) العناصر الأربعة فى مذهب القدماء وهى الماء والسماء والأرض والهواء .

وإذا أقام أبو العلاء فى عرينه مضرباً فيه[1] ، فقد كان معطلا على الدنيا ـ وإن خيل أنه تخلى منها ـ وما كان أخا زهد[2] فيها . لا فكر له فى شىء . وكانت شؤون أمته تعنيه أيما عناية . والتشائم لا تهمه حالة ، ولا يبالى بأمر بالة . كتب إلى أبى الحسن ابن سنان ، وقد أوذم على نفسه الحج[3] ، والعدو يزأر فى الثغور:

« ... وسفرُ مولاى إلى الحج فى هذه السنة حرام بَسْل...

وهل سمع فى أخبار الصحابة (رحمهم الله) أو التابعين أن رجلا خرج من مُصافة العدو[4] يريد بيت الله الحرام . . . وهو (أدام الله تمكينه) أمين من أمناء المسلمين ، يرهف الشوكة[5] ، ويستجيد اللأمة[6] ، ويحصن ما وهى من سور ... البيت العتيق منذ عهد آدم يُزار ويحج ، ما خيف عليه انتقال ولا تحول ، ولا غيره عن العهد منير ... أما يعلم أن لأهل البلد أُنساً برؤية شخصه واستماع قوله . وماينبغى أن يكون كما قيل فى المثل « جَّ وحج »[7] ولو قال وليد لوليد فى ليل داج وهو محادث محاج : من يؤجره فى مقامه فى الديار أضعاف أجره فى حج واعتمار ؟ فقال الوليد الآخر: (محمد بن سعيد) لوقع سهمه غير بعيد . وحماية الذمار أولى من حج واعتمار ... » .

ولما صبأ الفتى طارق (خلده الله فى جهنم)

وفرق دين الوالدين بزائل ولولا ضلال بالفتى لم يفارق[1]

أرسلها (لزومية) صاعقة مجلجلة أحرقت ذاك المضلل . وهذه اللزومية ـ وهى واحد وعشرون بيتاً[2] ـ توضح فرط عنايته بأمته واستمساكه بنحلته ، وتنبئ بأنه كان يداخل القوم فى أحوالهم وإن كان جليس نفسه[3]

***

اقرأ كلامى إذا ضم الثرى جسدى فإنه لك ممن قاله ـ خلف[4]

محمد إسعاف النشاشيبى

---

(١) اضرب فى بيته : لم يبرح .

(٢) كل من نسب إلى شىء فهو أخوه كقولهم أخو سفر وأخو عزمات وأخو قفار وأخو خمر وأخو لذة (المخصص) .

(٣) أوذم على نفسه حجا أوجبه وعم به أبو عبيد ، وأوذم على نفسه سفراً أوجبه (المخصص) .

(٤) صافه فهو مصاف إذا رتب صفوفه فى مقابل صفوف العدو . والمصاف — بفتح الميم وتشديد الفاء — جمع مصف وهو موضع الحرب الذى تكون فيه الصفوف (اللسان)

(٥) الشوكة : السلاح . رهف السيف وأرهفه رقق حده شحذه

(٦) اللأمة : الدرع المحكمة الملئمة .

(٧) قال الميدانى فى شرح المثل : معناه أن رجلا خرج يطوف فى البلاد فاتفق حصوله بمكة فحج من غير رغبة منه ، فقيل : جّ فى الطوف حتى حج ، قال أبو عبيد : يضرب للرجل يبلغ من لجاجته أن يخرج إلى شىء ليس من شأنه ، قال : وهذا من أمثالهم فى صعوبة الحلق والنحاجة

---

(١) أبو العلاء .

(٢) ذكر الشيخ طارقاً هذا فى لزومية أخرى وفيها التوبيخ الشديد والذم البليغ .

(٣) فلان جليس نفسه إذا كان من أهل عزلة .

(٤) أبو العلاء .

في معرة أبي العـــلاء

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ٣ —

وشارفنا حمص والساعة واحدة إلا دقائق ، وطالعتنا بعمرانها وسط زروعها وجناتها . ثم دفعت بنا السيارات إليها واخترقتها غير معرّجة ، وبودّنا أن نعرج عليها قليلا . وعزّانا عما فاتنا من منى العين والقلب أنا عائدون إليها بعد أيام فنازلون بها . وجاوزنا حمص إلى سهل واسع محمر التربة تكسو الخضرة آكامه وجباله . ومازلنا نضرب في الأرض صوب الشمال حتى عبرنا العاصي عند قرية عليه ورأينا أولى نواعيره والساعة واحدة وخمس وعشرون دقيقة . وأشرفنا على حماة والساعة اثنتان ، فقضينا بدخولها وطراً قديما ، فقد مررت بها ثلاث مرات ولم يتيسر دخـــولها . فأنشدت قول امرىء القيس :

تقطع أسباب اللبانة والهوى عشية رحنا من حماة وشيزرا

فاليوم أسعد برؤية حماة بين بساتينها ونواعيرها وهي أكبر نواعير الشام . ولا سيما هـذه الدعورة العالية الرائعة التي لا يقل قطرها عن عشرين متراً فيما حزرت . ويقال إنها كانت في مكانها من حماة أيام المأمون العباسي .

نزلنا في المدينة فاستقبلنا حكامها وأعيانها ورجال التعليم فيها في « دار العلم والتربية » وهي بناء قديم جميل فيـه من فن العمارة والنقش روائع . دخلنا ساحة فيهـا حوض كبير في وسطه صورة سبع يتدفق الماء من فمه ، وفي جانبه شجرة كبيرة جميلة ترى خضرتها ونضرتها في صفحة الماء . وصعدنا إلى طبقة فيها باحة يتوسطها حوض آخر وعليها عقود جميلة وراءها قاعة من آثار الفن العربي الإسلامي . يستقبل داخلها خرير الماء في حوض صغير توسوس فوقه نافورة جميـلة رخامية فيها أنابيب كثيرة تقذف الماء فتخرجه أغصانا متشابكة من البلور ، وعلى سقف القاعة وجدرها من النقش والألوان ما يشغل النظر والفكر ، وكتب عليها آيات وأحاديث وأبيات من الشعر . ومن المرائي العظيمة الجميلة المصورة على جدرها صورة مدينة حلب وقلعتها . وصورة القرن الذهبي في استانبول .

بنى هذه القاعة أسعد باشا العظم عام ١١٥٣ هـ ، وجود نقشها نصوح باشا العظم عام ١١٩٤ هـ .

وصارت مدرسة منذ خمسة وعشرين عاما وهي اليوم دار العلم والتربية . لبثنا بهذه القاعة الجميلة ريثما سمعنا ترحيب المدينة وتحدثنا إلى إخواننا في فرح الأمل وبسمة الظافر . ثم خرجنا إلى فندق البلدية حيث أعد الغـداء . وأهل المدينة في الطريق والشرفات يصفقون ويحيون بلاد العرب .

وقد رحب بنا رئيس البلدية هناك .

ولم يسعني الصمت في حماة وفي هذه الذكرى بين هذا الجمع ، فألقيت كلمة أذكر منها هذه الفقرات :

أرجو أن يعذرني إخواني إن تكلمت وفي صوتي أثر المرض ، كأن دمشق الحبيبة ، دمشق التي أحببناها وأخلصنا في حبها ، فعل بنا هواؤها ما فعل ، « وقد يؤذى من المقـة الحبيب » . وإني أقول مغيراً قول كثير :

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر لحلق من أجسادنا ما استحلت

أيها الإخوان : إن الأمم لا تستيقظ في جانب وتنام في جانب ، ولا تنهض في ناحية وتقعد في أخرى . إذا استيقظت استيقظ كل شيء فيها ، وإذا نهضت نهضت كلها . فليس محض اتفاق أن اجتمعت وفود البلاد العربية على ذكرى أبي العلاء المعري في الشام حين اجتمعت وفودها في الأسكندرية لتخط للجامعة العربية خطتها ، إن الأمم إذا عزمت وأجمعت أمرها لم يقفها شيء دون الغاية . ثم ذكرت اغتباطي بدخول حماة بعـد طول اشتياق إلى دخولها . وحييت أهل حماة وأهل الشام جميعا ، وقلت : إني أعني الشام الذي عرّفني إياه التاريخ . لا أعرف هذه الأسماء الجديدة التي ما أنزل الله بها من سلطان .

وكان بجانبي الأستاذ الصديق عارف النكدي . فطال تصفيقه لهذه الفقرة .

فصلنا من حماة والساعة ثلاث ونصف نؤم المعرة .

أشرفنا على المعرة أصيل اليوم بعد مسير نصف ساعة من حماة

فرأينا سهلا خصباً كثير الزروع والأشجار نخفقت القلوب لذكرى شاعرنا الفيلسوف ، وابتسمت الشفاه لمعاودة مدينة أبى العلاء ، وكنا زرناها قبل خمسة عشر عاماً ، واستقبلنا فى مدخل البلد شارع فسيح طويل لم نره فى زيارتنا الأولى . وعرفنا أنه فتح فى السنين الأخيرة ، ودعينا إلى الاستراحة فى دار حديثة جميلة من دور آل الحراكى ، ثم خرجنا نؤم مقصدنا ، ضريح رهن المحبسين

ولست أنسى مسيرنا بين صفوف متراصة من أهل البلد ، ودور ازدحمت منافذها وشرفاتها بالمشرفين على مهرجان أبى العلاء ، وقد مال بالشمس الأصيل فغضَّت أشعتها من أبصارنا كأنما يغض منها جلال الشيخ الفيلسوف

ذكرت حينئذ مكانة الشيخ من أهل بلده ، إذ كان حدباً عليهم براً بهم ، إذ كانوا يفزعون إليه فى الشدائد ، وتمثلت صالح بن مرداس ينزل بساحتهم يريد الإيقاع بهم ، فيفزعون إلى شيخهم وقد لزم محبسه وقطع بينه وبين الناس العلائق لواستطاع ، ويستنجدونه ليدفع عنهم بأس الأمير الكلابى ، ويستشفعون به ليطلق صالح رجالهم ، وكان قد اعتقل من أعيانهم سبعين ، وأبوالعلاء برم بالفتن المحيطة ، آنس بخلوته ، أو قلق بها ، يصف الناس ، إثمهم ورياءهم وخداعهم ، وجنايتهم على أنفسهم وعلى الحيوان يبنى الأمن فى داره الصغيرة ، ولا يأمن أن تلج عليه آثام الناس ، وقد اعتزلهم جهده ، وود لو ينقذه الموت من صحبتهم وجوارهم . ولكن أبا العلاء الرحيم لا يملك أن يرد اللاجئين إليه ، أو يقعد عن إغاثتهم وهو قادر ، فيخرج أبو العلاء كارهاً إلى الأمير صالح فيقول :

الأمير أطال الله بقاءه كالنهار الماتع قاظ هجيره وطاب برداه ، والسيف القاطع لان مسه وخشن حداه . خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » فيقول صالح وقد أخذه مرأى الشيخ الذى سمع بمكانته ، وعرف له قدره ، قد وهبتهم لك أيها الشيخ . ورجع الشيخ إلى داره وهو فرح بما يسر الله على يده من الفرج ، مغموم لما اضطره إلى الخروج من معتزله والمثول بين يدى أمير .

قال :

تغيبت فى منزلى برهـــة ستير العيوب فقيد الحسد

فلما مضى العمر إلا الأقل وحُمّ لروحى فراق الجسد

بعثت شفيعاً إلى صالح وذاك من القوم رأى فسد

فيسمع منى سجع الحمام وأسمع منه زئير الأسد

فلا يعجبنّى هـذا النفاق فكم نفّقت محنة ما كسد

ويقول :

نجّى المعاشر من براثن صالح رب يفرج كل أمر معضل

ما كان لى فيها جناح بعوضة والله ألبسهم جناح تفضل

وقد ذكر صالحاً فى مواضع أخرى من لزومياته ، وقال :

ما لمت فى أفعاله صالحاً بل خلته أحسن منى ضميره

وما زال أهل المعرة يعظمون شيخهم بعد وفاته ويسمونه « سيدنا أبا العلاء » فهم اليوم يعتزون ببلدهم ويفخرون بشيخهم وقد جاءت وفود الأقطار القريبة والبعيدة تذكره وتعظمه .

سارت الوفود بين الجموع الحاشدة ومعهم أعيان البلد ، وزعيمها حكمت بك الحراكى . وقد رأيته - وقد ضغط الناسَ الزحامُ إلى طريق الوفود - يُسرع مشفقاً على ضيوفه يرد الناس بأمره وذراعيه . مبالغة فى الاحتياط لضيوفه . ونحن فى جذل وفى هيبة مما نرى ونسمع . أبصارنا تتخلل هذا الزحام ، وتستشرف إلى الضريح المقصود وقلوبنا بين ذكرى الشيخ ، وبين حفاوة أهل المعرة به وبوفوده . اقترب منى حينئذ الأستاذ الأديب خليل مردم بك وقد أعجبه احتشاد المعرّيين ، وفرح الولدان ومرحهم ، وراعه هذا الموكب السائر لتحية الفيلسوف الحزين فقال : هذا مهرجان المعرى » قلت : صدقت ، إن هذا لهو مهرجان المعرى ..

وانتهينا إلى بناء جديد ولجنا أحد أبوابه إلى ساحة فيها زرع وزهر . فلنا ذات اليمين والجنوب إلى القبر الرهيب ، يجثم عليه هذا الجندل العتيق ، وكنا رأيناه من قبل وقرأنا عليه اسم المقبور بخط كوفى ، وقال أحد أصحابى حينذاك : إن له هيبة الأسد الرابض . وفوق القبر عقد من الحجر لا تكلف فيه ولا تأنق ، فهو يساير زهد أبى العلاء لو رضى زهدُه أن يشاد على قبره بناء . ألم يقل فى لزومياته :

فدّى لنفسك نفسى آونى جدثا من الخفّيات لا قصرا ولا فدَنا

قد تمنى الرجل ألا يزار قبره ولا يعرف :

أسرار الشعراء

للأستاذ صلاح الدين المنجد

لن تجد صاحب شغف بتسقط أسرار الأدباء ، ولا طُلَعةً يتحسس أخبار القراء مثلى . ولا أعرف منهلاً أحلى رشفاً ، وأكثر رِيّاً ، وأبلغ عظة من هذه الأسرار ، فهى إن لم تهذب وتحذّر تلذ وتهز . وقد تجد فيها ما ترومه . وقد تلتبس عليك الأمور فلا تجد شيئاً . لأن بعض الأدباء يخفون عمداً أسرارهم الصحاح ، ويوهمون الناس أسراراً أخرى مزيفات ، أو يلوذون بالصمت ، فيلصق الناس بهم أشاوى لا عهد لهم بها ، ولكنهم يرضون عنها ، فالمهم أن يكونوا أحدوثة القوم وسمر المجالس . وما عليهم بعد ذلك إن صح ما ينسبون إليهم ، أو بطل ، ولكن ما رأيك إذا عثرت على طائفة من رسائل نفر من الأدباء ؛ رسائل الأصدقاء إلى الأصدقاء ، التى يفضى بها الإنسان بدخيلة أمره ومكنون سره ومضنون شكواه ؟ إنها اعترافات لا يشوبها زيف ولا يعتريها بطلان ، فلنقرأ أنموذجات منها ولننظر ماذا تأتى فيها .

* * *

ديموند فلاور "Desmond Flower" أديب انكليزى معاصر؛ شغف بتتبع أسرار الأدباء . فانتخب نهاد المائة رسالة ، من رسائل الأدباء من أيام شكسبير حتى أيام لورانس، أعنى منذ منتصف القرن السادس عشر ، إلى هذه الأيام . فأخرجها فى كتاب ضخم طريف سماه « فى اقتفاء أثر الشعر » "The Pursuit of Poetry" نقلوه إلى الفرنسية فى فجر هذه الحرب وسموه "The Poursuité de la Poésie" . وهو كتاب يغنيك عن ألف كتاب ، وسفر لا يحوجك ، لكى تفهم ما فيه ، إلى كثير من العناء . يصور لك من خلال الرسائل أولئك القراء فترف حولك أطيافهم ، وتتمثل فى خاطرك أحاديثهم ، وتراهم بقلبك ، فتحسب أنك معهم ثم تشعر بعد هذا أنك صديق لهم ، تحبهم ويحبونك ، وتؤثرهم ويؤثرونك ، فيفضون إليك بدخائلهم وأسرارهم ، ويطلعونك على آرائهم وأفكارهم ، بل قد تعلم هجسات قلوبهم ونجويات خواطرهم . وقد تجد فيهم لطفاً وعطفاً ، وقد تأتى قسوة وخشونة . ثم إن شئت بعد ذلك أن تعرف شعرهم وطبعهم عليه ، ونترهم وبراعتهم فيه فذلك طوع يديك .

يقول فلاور فى مقدمة الكتاب : لا تخدع نفسك أبداً ، ولا تجهد كثيراً ، ليس لديك وسيلة لمعرفة جوهر الشعر ، والنفوذ إليه ، والوقوف عليه ، سوى القراءة . ينبغى أن تقرأ شعر الشاعر مرة ومرة ، ثم تعيد قراءته مثلها ، وقد تصل فى النهاية إلى ماتريد . ولكن إذا تواردت عليك هذه الأسئلة : كيف ينظم الشاعر ؟ أى نوع من الناس هو الشاعر ؟ كيف يبدع ، وكيف يخفق ؟ فليس لديك شىء أكثر جدوى من الرجوع إلى سيرة حياته ورسائله الخاصات إلى صحبه وأصدقائه .

اقرأ هذه الرسائل ، تعرف الشاعر حق المعرفة ، وتعلم أن عمل الشاعر شاق صعب ، طويل مجهد ، يبعث الملل ويفضى إلى التعب . وتقف على المشقة التى يلاقيها الكتاب ، للبحث عن لفظة أو صوغ جملة يؤدى بهما المعنى الواسع العميق الذى يزخر

ولى منزل فى الثرى ما يُزار ولو رامه زائر ما عرف

فهل يرضيه أن يكون قبره معروفا مَزورا تحج إليه الوفود ؟

وقد ود أن يكون جدثه فى معزل عن أجداث الناس كما بعد هو فى حياته عنهم :

يا جدثى حسبك من رتبة أنك من أجداثهم معزلا

وقد دفن فى معزل من الناس إلا بعض قرابة ؛ ولكنى أحسبه لا يكفيه هذا الاعتزال وهو فى المدينة بين الدور . كان بوده أن يدفن فى مهمه بعيداً عن الأحياء والموتى :

وددت وفاتى فى مهمه به لامع ليس بالمُعلَم[1]

أموت به واحدا مفردا وأدفن فى الأرض لم تظلم[2]

وأبعد عن قائل : لا سلمت وآخر قال : ألا يا اسلم

أحاذر أن تجعلوا مضجعى إلى كافر حان أو مسلم[3]

إذا قال ضايقتنى فى المحل قلت : أساءوا ولم أعلم

(للكلام صلة) **عبد الوهاب عزام**

---

(١) اللامع السراب .
(٢) لم تظلم لم يعهد فيها الحفر من قبل .
(٣) فى النسخة المطبوعة : خان وأحسبها حان ، من الحين .

به صدره . إن من المعانى ما يكون عظيماً واسعاً ، ولـكن الثوب ضيق . ولابد من البحث والتنقيب ، ليكون الثوب قدر المعنى ، فيُظهر محاسنه ولا يخفيها ، ويستر عيوبه فلا يبديها ، ويؤثر فى نفس السامع ويحييها .

الحق أن الأديب يجهد ويتعب . ولـكنه لا يشكو ولا يتأفف . وقد يبدو ذلك من فلتات لسانه أو قلمه ، وقد يدعى أن لا أسهل عنده سهولة ولا أشد تملكاً من أن ينظم لك أو يكتب ما تشاء ، وفى أى وقت تشاء . على حين يكون قد قطع الليالى فى البحث عن حرف أو فى نظم بيت .

إن هذه الرسائل تجمع حى للقراء الإنكليز وكتابهم . هذا دريدن Dryden ، وهذا وردثورث Wordsworth وذلك كيتز Keats وذاك شلى Shelly ، وهنا تينسون Tennyson وهناك هاردى T. Hardy ، وبينهما بيرون Byron فكلهم أمامى أقرأ رسائلهم فأتمثل وأفكر .

هذا دريدن يكتب إلى ناشر أحد كتبه بلهجة فيها عتب وتهديد :

« إنك لن تستطيع أن تعنى كثيراً بطبع كتابى طبعة جديدة مع التصحيحات التى أشرت إليها . إن أقل خطأ يسوؤنى إلى الأبد » .

وإذا كانت غلطة واحدة تسوء دريدن إلى الأبد ، فإن وردثورث كان أشد قسوة من دريدن وأقل بناشر كتبه رحمة فقد كتب إليه مرة : « لقد وجدت غلطة فى مقدمة مؤلفى الجديد قد طبعوا Lucretia بدلا من Lucretius . فينبغى أن تصحح هذه الـكلمة فى كل نسخة طبعت » .

فماذا يقول الناشرون اليوم لو ألحم وردثورث يطلب إليهم بالقلم ذلك وكان المطبوع آلافاً من الـكتاب :

ثم حول وجهك نحو ولتر سكوت W. Scott القصصى البارع . الذى يقول عنه هوغو « إنه يهزنى ويتلاعب بى كما تهز الريح الورق فى الخريف » . تحول إليه واسمعه يتحدث عن الإيجاز فى الـكتابة ويدعو إليه . ويشمئز من النعوت التى يحشو بها الـكتاب السطور لا معنى فيها ولا سحر بها . ولـكن للاطناب عند الـكتاب ، ولاستقامة وزن الشعر عند الشعراء . هذه الاستقامة التى يقتضيها علم العروض . حتى إنك لتراه فى بعض الأحايين مبشراً بالشعر المرسل الحر محاربا الحشو والتطويل أى حرب . معيباً على پوب Pope أنه ملأ ترجمته الألياذة حشواً .

وعلى نحو من هذا ، تجد الشاعر الأميركى ويتمان Whitman فإنه يعجب بالإيجاز ويأنف من التطويل . ويكتب عند ما أخرج مجموعته الشعرية المسماة Rou le ments de Tom Cour :

« إننى سعيد ، لأننى استطعت أن أنزه شعرى من كل حشو . وإننى لأنتشى عند ما أشعر أن كل كلمة فى القصيدة لا غنى عنها ، سواء أكان ذلك لوزن الشعر الذى راعيت حفظه ، أم للمعنى الذى أردت إظهاره » .

ولندع سكوت ينادى بالإيجاز ، ولننظر شارل لامب ، الدعبوبة المرح . يكتب إلى وردثورث رسالة طريفة . يتهزأ فيها من الـكتاب الذين ينبهون قراءهم أو ينصحون لهم : « قد تعلمون وقد لا تعلمون » . « ولا يحسبن القارىء أبدا » . « وتخيلوا إذا استطعتم » وغير ذلك من شبيهات هذه التعبيرات التى يعلو الـكاتب فيها ويحسب القارىء طفلاً أمامه يلقنه ويعلمه أو يشك بعلمه .

فماذا يقول لامب لو قرأ ما يسوقه الدكتور طه حسين فى ثنايا كتاباته من هذه التعبيرات ؟

ولامب إلى ذلك يعيب على شعراء عصره أنهم يشطون فى وصف المناظر الطبيعية بأوصاف مبتذلة « السماء الزرقاء والشمس الذهبية المتلألئة ... » فما ذا يقول لو سمع اليوم شعراءنا وكتابنا ما يزالون يقولون « النسيم العليل والماء النمير والهواء الرقيق ؟ »

استمع إليه يكتب إلى صديقه وردثورث ، وقد دعاه ليقضى أياماً فى الجبال . هذه الرسالة التى تثير دهشتك وشغفك :

« لا يسوؤنى كثيراً أنى لم أر الجبل قط فى حياتى ، فلقد عشت دائماً فى لندن . وكنت أشعر دائماً بميل شديد اليها لا يقل عن ميل أصحاب الجبال إلى الطبيعة الجميلة . إن الدكاكين المصفوفة والمصانع التى لا عهد لهــ˝ والتجارة والزبائن والسيارات الـكبيرات والصغيرات والمسارح والمقاهى . وهذا الفوران حول « كوفنت غاردن » وهؤلاء النساء المتسديات وحراس الليـل والسكارى والضجيج . وتلك الحركة الدائمة التى لا تنقطع فى أية ساعة استيقظت

فيها من الليل والجموع الغفيرة فى كل مكان . حتى الأوساخ والوحول . ثم تلك الشمس المضيئة الرفافة فوق البيوت ؛ وبائعى الصور المحفورة والأبخرة الفواحة التى تصاعد من مطابخ المطاعم . كل أولئك يملك على أمرى ويستولى على مشاعرى ؛ ويغذينى دائماً ، دون أشعر بملل قط . إن جمال هذه المناظر يدفعنى أحايين كثيرة إلى التنقل ليلاً فى الشوارع الملأى بالناس . وإننى لأذرف الدموع فى بعض الأحايين من الفرح . ولا بد أن تبدو هـذه المشاعر غريبة عنك ، كما تبدو غريبة عنى مشاعرك نحو الطبيعة والجمال ... »

فهذا وصف ما فيه ترتيب ولا حسن نسق ، وهو مضطرب مشوش ولكنه بارع . لقد تعمد الكاتب هذه الصورة المضطربة تعمداً ، ليصور لك لندن المضطربة أيضاً . فبراعتها فى اضطرابها وحسنها فى قبحها .

صلاح الدين المنجد

على هامش النقد

سلسلة جديدة

سارق النار ... خليل هنداوى

للأستاذ سيد قطب

فى العالم العربى نهضة لا شك فيها ، أخص خصائصها عندى الإقبال على القراءة ؛ فالرغبة فى المعرفة هى الرغبة فى الحياة ، وما يغلق إنسان على نفسه أبواب المعرفة إلا وقد خمدت فيها جذوة الحياة ، فلم تعد فى حاجة إلى « الأوكسجين » الذى يجدد اشتعالها

وآية الإقبال على القراءة هى الإقبال على النشر الذى نلحظه فى هذه الأيام فى جميع البلاد العربية . والإقبال على النشر يدعو إلى الإقبال على التأليف . فما ينشط المؤلف أكثر من أن يحس أن هناك ناشراً يترقب ما تخرجه يداه ، وأن من وراء الناشر قارئاً يتلقف ما تخرجه المطبعة !

وأياً كانت الأسباب التى بعثت هذه الحركة ، فهى بشير خير على كل حال . وحين نجرد الحركة من الأسباب الطارئة مع الحرب فاننا نجد وراءها سبباً أصيلا هاماً ، هو يقظة الشعوب العربية وتطلعها إلى مستقبل خير من الحاضر ، مستقبل تتهيأ له بالمعرفة ، ويشوقها ما فيه من حيوية وازدهار

أقول هذا بمناسبة ظهور سلسلة أدبية جديدة فى « بيروت » تضطلع بها دار « الأديب » ، وظهور سلسلة من قبلها فى « دمشق » تخرجها « دار اليقظة العربية » اتباعاً للسلاسل التى تصدرها مصر : سلسلة إقرأ . وسلسلة أعلام الإسلام . وسلسلة النشر للجامعيين . وسلسلة كتب الشهر لدار إحياء الكتب العربية ... وكل هذا بجانب الكتب الفردية للمؤلفين الكثيرين

هذا بشير نهضة نرجو أن تظل فى اندفاعها البعيد !

* * *

« وسارق النار » هى الحلقة الثانيـة من سلسلة « الأديب » ببيروت . ويهمنى أن أكتب عنها ! فاخواننا الشرقيون دائمو العتب علينا لأننا – كما يقولون – لا نحفل مؤلفاتهم ، ولا نلتفت إلى نهضتهم . وذلك فى الوقت الذى يعيينا أن نحصل على هـذه المؤلفات ، أو أن نقف على أسباب النهضة لأنها لا تصل إلينا إلا فى الحين بعد الحين ، وبعد مشقة وعسر ، حين نحصل عليها فى مكامنها المخبوءة . وقد لا نعثر عليها أصلا لأنها لا تباع !

اعرضوا هذه الكتب فى سوقنا ، واعلنوا عنها فى صحافتنا ثم اعتبوا بعد ذلك ما تشاءون !

والأستاذ خليل هنداوى صاحب هذه الحلقة معروف لنا من « الرسالة » ثم من « الأديب » ومن « المقتطف » فى بعض الأحيان ، فلعل إخواننا الشرقيين يعلمون من هـذا أننا نتتبع كتابهم ، ونعرف خطواتهم . ولسنا عن هذا بغافلين !

* * *

« وسارق النار » مجموعة من المسرحيات مستمدة من الأساطير الإغريقية – إلا واحدة منها من قصص الحب العربى – وليست « سارق النار » إلا واحدة من هذه الأساطير سميت بها المجموعة كلها . وقد ضمت سواها : فتنة جزيرة بلارجل . ميلاد . المثال التائه . اللحن الكئيب

و « سارق النار » هو « بروميثيوس » الذى تقول الأساطير

الإغريقية إنه سرق النار المقدسة بمساعدة هليوس ، فاستطاع أن يخلق بها كما تخلق الآلهة ، فغضبت هذه عليه وانتقمت منه .

والأستاذ خليل هنداوى يمثل فى هذه المسرحية طريقة السرقة والحوافز النفسية التى زجت به فى هذه الوعورات وغضب الآلهة وحوارها بشأنه ، ثم انتقامها بما أرسلت إليه من الرذائل تشق طريقها إلى قلبه ، والأمراض تتنقل على فراشه ، والشقاء ينقض ظهره ، والأشواك تملأ دربه ، والموت يطفئ حياته ... ومع هذه الآلام جميعاً ... الأمل صديق الإنسان الوحيد فى الحياة . الأمل الذى كان إله الأرض هو الشفيع فى إرساله للانسان مع هـذه الآلام !

وكذلك عالج فى « فتنة » عاطفة الغيرة . غيرة الجمال بين الربات الثلاث : أفروديت إلهة الجمال ، وأتينا إلهة الحرب ، وهيرا زوج كبير الآلهة . حينما غفل الآلهة عن دعوة « ايريس » خصيمة إفروديت إلى عرس إلهى . فقذفت بين المجتمعين بتفاحة كتب عليها إلى « أجمل فتاة » فانطلقت الفتنة فى لحظتها ... من الربات هى « أجمل » . إن حكم الآلهة لايرضى فليحكم الإنسان ! ليحكم أول رجل يصادفنه . إنه باريس راعى القطيع . وإنه ليحتار ويذهل ، وإنه ليتلقى الإغراء والوعيد ... ثم يحكم . يحكم لأفروديت إلهة الجمال التى لا تملك إلا الجمال . ثم ليتلق انتقام الإلهتين . لقد اختار الجمال . « وإن من يختار الجمال يختار معه الموت » . وباريس لم يتلق الموت ولـكنه تلقى الشرود الدائم فى الفيافى والسهوب يرسل الألحان من شبابته فى حنين دائم إلى ربة الجمال !

وعلى هذا النسق يسير المؤلف فى الاستمداد من الأساطير ، وصياغة مايستمده مسرحيات تقصر أو تطول .

* * *

يجب أن نرتد هنا إلى التسلسل الزمنى فى عالم الفن العربى فنرد هذا الفصل من فصوله — فصل الانتفاع بالأساطير المختلفة فى عالم المسرحيات — إلى « الفنان الأول » الذى نقله إلى المكتبة العربية ... هذا الفنان هو توفيق الحكيم :

أهل الكهف . شهر زاد . نهر الجنون . بيجماليون . سليمان الحكيم : هذه عنوانات لاتندى ، وقد فتح بها هذا الفصل فى المكتبة العربية واستقر . واطمأن على وجوده بشكل تأكيد .

بقى أن نتطلع إلى « الفنان الثانى » الذى يخطو خطوة وراء توفيق الحكيم . خطوة أصيلة كخطوته . لاتقف عند تقليده . ولا تقف عند مداه . بل تمتح من نبعها ، وترتقى آفاقا وراء الآفاق الأولى .

فهل استطاع الأستاذ « هنداوى » أن يخطو هذه الخطوة ؟ يجب ألا نجد فى أنفسنا حرجا من الجواب ... لا !

ولا يعنى هذا أن الأستاذ لم يوفق . فهذا شىء آخر . إنما الذى أعنيه هو أن الخطوة الأولى فى هذا الفصل لاتزال متفردة ولا تزال سابقة ، وهذا كل ماأريد أن أقول .

وفى مسرحية « المثال التائه » مجال للموازنة بين « بيجماليون » توفيق الحكيم و « بيجماليون » خليل هنداوى وأحب هنا أن أبرىء الأستاذ « هنداوى » من النقل . فحينما ظهرت « بيجماليون » توفيق كتب الأستاذ هنداوى فى المقتطف أن له مسرحية من فصل واحد عن « بجماليون » نشرها فى المقتطف فى وقت لايتسع البتة للنقل والمحاكاة .

ثم إنه عالج الموضوع بطريقة أخرى غير طريقة الحكيم وبين الطريقتين وبين الطاقتين تصح الموازنة ويصح القياس .

فأما بيجماليون عند توفيق الحكيم فهو الفنان المضطرب المتأرجح بين الحيوية الحاضرة والنموذج الفنى الخالد . والذى يفتن بما أبدعت يداه ثم يحطمه لأن فى نفسه أبدا طموحا إلى ماهو أعلى . إلى المثل الفنى الذى يخايل له أبدا ويدعوه إلى الخلق من جديد .

وأما بيجماليون عند خليل هنداوى فهو الفنان الذى يفتن بعمله الفنى فيحس فيه الحياة ويستغنى به عن النموذج الحى الذى استوحاه .

وكلتاهما وجهة نظر وطريقة اتجاه . أما التقدير الفنى لهما فيقوم على مقدار مااستطاع المؤلف أن يبثه من فن ومدى توفيقه فى فى معالجة موضوعه على النحو الذى أراد .

لاتزال الريشة فى يد الأستاذ هنداوى ترتجف ، ولا تزال تنقصها الجرأة الحاسمة ، والحركة المتمكنة . وفى مثل هـذه المسرحيات يكون للومضات الذهنية والتحليقات الفكرية

والإشرافات الوجدانية كل القيمة فى معالجة الموضوع . وهذا كله فى مجموعة « سارق النار » محدود بقدر ، حين يقاس إلى مثله عند توفيق .

وفى اعتقادى أن مسرحية « سارق النار » هى خير ما فى المجموعة بالقياس إلى توافر هذه العناصر ، وبالقياس إلى لمسات الحوار الموحية ؛ وإلى رائحة النضج التى تشم فى هذا الحوار .

ثم تليها مسرحية « فتنة » فمسرحية « جزيرة بلا رجل » فمسرحية « المثال التائه » فمسرحية « اللحن الكئيب » . .

أما مسرحية « ميلاء » فالفشل واضح فيها . وأخشى أن يكون منشأ هذا تخلى روعة الأساطير الإغريقية ووحيها عن « المؤلف » فميلاء عربية فى جوها وشخصياتها . وقد بقيت عارية من اللحم والدم والفن . ولهذا دلالة خطيرة ! لا أحب أن آخذ بها فى هذه المجموعة بل أوثر أن أنتظر تجربة أخرى جديدة !

* * *

بقيت كلمة حق :

إننا إذا استثنينا توفيق الحكيم . ورحنا نبحث فى الشرق العربى عما أخرجته المطبعة فى هذا الفصل — فصل المسرحيات الأسطورية . نجد مجموعة « سارق النار » هى الأولى فى جميع المحاولات . ولعل المستقبل يضمن لمؤلفها من النضوج والتمكن ما يقفز به إلى الصف الأول . ولكن بعد جهد طويل .

سيد قطب

الأميرة علية بنت المهدى

١٦٠ — ٢١٠

للأستاذ سعيد الديوه جى

عاشت علية بنت المهدى فى أوج الدولة العباسية ، ولدت فى خلافة المنصور ، وتقلبت فى نعيم أبيها المهدى وشاهدت بغداد وهى أعظم مدينة فى العالم : دار السلام ، وعاصمة الإسلام . مقر الخلافة وكعبة الأدب ، ودار العلم والحكمة ، جنة الأرض ، وغرة البلاد ، ومجمع المحاسن والطيبات ، ومدينة الطرائف والمطائف ، فهى حاضرة الدنيا وما عداها بادية ، وقد سأل الإمام الشافعى رجلاً : هل رأيت بغداد قال : لا . قال . ما رأيت الدنيا ولا الناس هذه هى بغداد التى كانت عاصمة الرشيد والتى مثل فى قصورها وحدائقها وملاعبها حوادث ألف ليلة وليلة ، التى كانت وما زالت مضرب الأمثال فى العظمة والسعة والنظام ، وفى سبيلها سفكت دماء ، وثلت عروش ، وانقرضت دول إثر دول . وهى صامدة تقاوم حدثان الدهر ، وتضحك من فتنة آدم بها ؛ فهى بحق « زوراء » بوجه كل عدو .

أما أمها : فهى مكنونة : من جوارى المدينة المشهورات بالحسن والجمال والغناء ، والدلال والشعر والأدب ولها صوت رخيم ، فاجتمع فيها جمال الخلق وجمال الصنعة وافتتن بها الناس ، وبلغ أمرها المهدى ، وكان يرغب بها ولكنه يخشى غضب أبيه المنصور المعروف بجده ، فاشتراها سراً بمائة ألف درهم ؛ ولما دخلت القصر غلبته على أمره وملكت قلبه ، فمال اليها دون بقية جواريه وفضلها حتى على « الخيزران » فكانت الخيزران تقول : « والله ما ملك امرأة أغلظ على منها » .

تولت أمها تربيتها بنفسها فحببت اليها الجمال منذ صغرها ؛ فنشأت مطبوعة على حب الفنون الجميلة ؛ أمرت بتعليمها الكتابة فأتقنتها ؛ واختارت لها الكتب الأدبية فدرستها ؛ وسلمتها إلى المؤدبين فأحسنوا تأديبها ؛ وأحضرت لها الفقهاء والعلماء فأخذت عنهم ، وكانت تريضها على قول الشعر منذ نعومة أظفارها فصارت من الشاعرات اللاتى يضرب المثل بشعرهن . كما كانت تطلعها على ألحان العرب وأصواتهم وتدربها على آلات الطرب . فكانت بلبل بنى العباس وهزارهم .

ولما كمل شبابها تطلع أمراء البيت المالك اليها وكل منهم يتمنى أن يحظى بالفن والعلم والجمال ، ولكن أباها آثر بها « موسى ابن عيسى الهاشمى » وهو أحد أبطال بنى العباس شجاعة وأدبا ودهاء . وتولى امارات الولايات المهمة . كمصر ؛ والعراق ؛ والشام ؛ واليمن .

ورثت علية من هذا الأمير أموالاً طائلة وعقارات فى الولايات التى تقلدها فاتخذت لها قصراً فخماً يضاهى قصور الخلفاء فى السعة والجمال ، يقع هذا القصر على ضفة دجلة بالقرب من قصر زبيدة « دار القرار » وقصر الرشيد « دار الخلد » ولقصرها شرف مطلة على دجلة ؛ وقد زينت شاطئه بما تحويه من النقوش المتقنة

والتصاوير الجميلة ؛ والألوان الزاهية ؛ كما كان لقصرها شرف أخرى تطل على الميدان — ميدان دار الخلافة — والقصر يضم آلاف الجوارى والخدم والحراس ؛ وبلغ من أمر القصر أن اتخذه الخليفة المعتصم داراً له بعد وفاتها .

فى الشرفات المطلة على النهر كانت تجلس علية ؛ تصعد أمامها الشُّمَيْرِيَّات والحَرَّاقات والزَّبازِب إلى دار القرار أو تنحدر إلى دار الخلد مقر عاهل الإسلام أمير المؤمنين الرشيد أعظم خليفة عرفه الشرق والغرب . فيها القواد والأمراء والعلماء وأهل الفن بل تمر أمامها أهل بغداد على اختلاف طبقاتهم . وترى وفود الملوك والمواهل يتقدمون بذلة وخضوع حاملين هداياهم معرضين ولاءهم لأمير المؤمنين .

علية والرشيد :

كان الرشيد مشغوفاً بأخته وقلما يصبر عنها ، وإذا زارته فانه كان يجلسها معه على سرير الخلافة . وذلك لما يراه من عقلها وأدبها وظرفها ؛ ورقة شعرها ، وجمال غنائها ؛ وحسن توقيعها ؛ وكثيراً ما كان يزورها فى قصرها ويطلب منها أن تقيم له الحفلات الغنائية ويقضى ليله عندها يصغى إلى أصوات الحور العين ؛ تردد فى جو قصرها ما أبدعته قريحة علية من الشعر وما صاغته من الألحان

وفى إحدى ليالى الربيع وقد نشر البدر أشعته الفضية على بغداد وجنانها وساد المدينة الهدوء وأطفئت أنوار دار الخلافة وأمير المؤمنين على فراشه يتململ تململ السليم . يطلب النوم فلا يجده ؛ وتوالت عليه الهواجس والأفكار فضاق صدره ؛ بل ضاق به دار الخلد ؛ فخرج إلى حدائقه الغناء يتنقل من محل إلى آخر لينفس غمه ويزيل همه . ولكن السرور لم يجد إلى قلبه سبيلاً ؛ كأنه لم يشعر بما حوله من الأزهار والرياحين ؛ وما يحف به من الحور العين ؛ ترك القصر واتجه إلى قصر أخته « علية » هرع الخدم إلى الأميرة يعلمونها بقدوم أمير المؤمنين ؛ فأسرعت الأخت إلى أخيها ؛ وهى تعلم أن مجيئه فى مثل هذه الساعة ؛ ومن غير ميعاد ؛ لم يكن إلا لأمر أصابه أو هم أقلقه . وعلية أدرى الناس بمعالجة أخيها — كيف لا ؟ وهى أميرة الشعر والطرب .

جلس الرشيد فى الشرفة المطلة على دجلة . وأمرت علية جواريها أن يلبسن أنواع الثياب المزركشة ؛ ورصعت رؤوسهن بالعصائب الحريرية المكللة بالدرر والجواهر ؛ وأخذن معازفهن وجلسن قريباً من أمير المؤمنين واندفعت تغنى أبياتاً من نظمها وتلحينها والجوارى يرددن الغناء :

فرِّجوا كربى قليلاً فلقد صرت نحيلاً
افعلوا فى أمر مشغو ف بكم فعلاً جميلاً

فالشعر من نظمها ؛ واللحن من وضعها ؛ والصوت من قلبها وما خرج من القلب حل فى القلب ؛ فتغلغلت النغمات فى أعماق قلب الرشيد ودافعت الهموم ، فسر بذلك وابتسم فابتسمت الدنيا لعلية ؛ إذ أنها فرجت عن أخيها ؛ واستزادها فغنت من نظمها :

أوقعت قلبى فى الهوى ونجوت منه ساله
وبدأتنى بالوصل ثم قطعت وصلى ظالمه
توبى فانك عالمه أولا فانك آثمه

فطرب الرشيد طرباً شديداً . ثم استدناها منه وأخذ يتحدث معها عما كان به من الهم : وأمرت علية إحدى جواريها فغنت من أصوات سيدتها :

قل لذى الطرة والأصداغ والوجه المليح
ولمن أشعل نار الحب فى قلب قريح
ما صحيح عملت عيناك فيه بصحيح

وغنت جارية ثانية :

ألبس الماء المداما واسقنى حتى أناما
وافض جودك فى النا س تكن فيهم إماما
لعن الله أخا البخل وإن صلى وصاما

وبقى الرشيد عند أخته يستزيدها من الأصوات فتغنيه هى وجواريها حتى أذن المؤذن يدعو الناس إلى ذكر الله وإلى الصلاة فلبى الرشيد داعى الله ونهضت أخته تودعه يحف بها الجوارى والبشر طافح على وجه الخليفة والسرور قد ملأ قلبه .

وكانت علية كثيراً ما تباغت أمير المؤمنين فى الأزياء المبتكرة والألحان التى تضعها أو الشعر الذى تجود به قريحتها — وفى أحد الأيام كتبت إليه تستزيره كعادتها — وما كاد يتوسط حديقة القصر حتى رأى أخته تستقبله هى وجواريها بأزياء جديدة مبتكرة وهن يرددن صوتاً من نظم أميرتهم وتلحينها :

تفديك أختك قد حُبيت بنعمة لسنا نعد لها الزمان عديلا

إلا الخلود وذاك قربك سيدى ‏ ‏ لا زال قربك والبقاء طويلا

وحمدت ربى فى إجابة دعوتى ‏ ‏ ورأيت حمدى عند ذاك قليلا

وكان كثيراً مايستصحبها معه فى سفراته ومنتزهاته ، لتشاركه فى أفراحه وتخفف عنه عناء السفر فى أنغامها وأشعارها. خرج مرة إلى الرقة البلدة الجميلة التى كان الرشيد كثيراً ما يرتادها لجمالها وطيب هوائها وكثرة أزهارها وأثمارها ، فأحب أن تشاركه أخته بهذا الجمال الفتان فكتب إلى خال المهدى يأمره أن يصحبها معه إليه . وفى طريقها استيقظت صباح يوم على أصوات النواعير . فصغت إلى أنينها يتردد فى ذلك الفضاء الواسع يشارك كل مفؤود ويسلى كل محزون ويخفف أتعاب البائس ، ويحرك أشجان الهائم ويذكر الألف بألفه والحبيب بحبيبه ، والغريب بوطنه ، ويشكو إلى الله ظلم البشر — ولم تكن علية قد سمعت هذا الصوت السحرى الجميل فحرك أعجانها وهيج قلبها ، وذكرها ببغداد وما فيها ، ففاض الشعر من قلبها واندفعت تغنى على هذا التوقيع الطبيعى :

اشرب وغن على صوت النواعير

ما كنت أعرفها لولا ابن منصور

لولا الرجاء لمن أملت رؤيتـــه

ما جزت بغداد فى خوف وتقدير

وصلت الرقة بسلامة وشاركت أخاها الأنس والطرب ثم رجعت إلى دار السلام . ولما سافر الرشيد إلى الرى أمر علية أن ترافقه فوافقته كرهاً ، ولم يطب لها الخروج من قصرها جنة الدنيا ونعيمها إلى بلاد لا تعرفها وأناس لا تألفهم ، ولما وصل الموكب المرج جلست علية مع الرشيد وكان قلبها معلقاً ببغداد فأظهرت لأخيها شوقها فى شعرها فأنشدته :

ومغترب بالمـــرج يبكى لشجوه

وقد غاب عنه المسعدون عن الحب

إذا ما أتاه الركب من نحو أرضه

تنشق يستشفى برائحـة الركب

فأمرها الرشيد أن تعود إلى دار أنسها ومرحها .

وكان الناس يتقدمون إليها لتساعدهم فى قضاء حوائجهم عند الرشيد ، شفاعتها عنده مقبولة ، وكتبها لا ترد ، وقاصدها لا يخيب ، وكيف يردها وهى تخاطبه بلسان الشوق وتعبر له بأعذب الألحان .

أما تعلق « زبيدة » زوج الرشيد بالأميرة علية فكان لا يقل عن تعلق الرشيد بها . تشكو لها كل هم يصيبها وتطلعها على سرها وتستشيرها وتسترشد برأيها الصائب — كما كانت تبث لها شكواها إذا ما رأت جفوة أو إعراضاً من أمير المؤمنين وتستعين بها عليه .

أهدى للرشيد جارية فى غاية الحسن والجمال وعلى جانب من العلم والأدب فأعجب بها الرشيد وقدمها على جواريه . ثم تعدى الأمر إلى أعظم من هذا حيث قدمها على زبيدة ، شق الأمر على زبيدة ، فقد أفلت « هرون » من يدها ، وظهر لها ضرة نافستها وتقدمت عليها — وداء الضرائر معروف وجد مع تعدد الزوجات فلا يغيظ المرأة أحد بقدر ضرتها « فالضرة مرة ولو كانت جرة » ولكن ما العمل والجارية قد احتلت مكان زبيدة وملأ حبها قلب هرون .

كتبت زبيدة إلى بنت عمها تستزيرها ، ولما حضرت عندها عرضت عليها أمرها وشكت ما تقاسيه من مرارة العيش منذ وجدت هذه الضرة وطلبت معونتها فقالت علية : « لا يهولنك هذا الأمر والله لأردنه إليك » .

نظمت عُلية أبياتاً . وصاغت فيها لحناً وجمعت جواريها وجوارى زبيدة عندها وأمرتهن أن يلبسن أفخر ثيابهن ويأخذن أجمل حلاهن ، وكللت رؤوسهن بالأزهار والرياحين ، وعطرتهن بالطيب والغالية ، وطرحت عليهن اللحن حتى أتقنه . انتشر الجوارى بين أشجار جنائن الخلد وأزهارها ، ولما كان وقت العصر خرج الرشيد للصلاة فى مسجد قصر الخلافة ، وما كاد يتوسط القصر حتى باغته الجوارى وكأنهن حوريات أفلتن من الجنة ، بأيديهن المعازف يتقدمهن عُلية وزبيدة ، وهن يرددن بصوت واحد :

منفصل عنى وما قلبى عنـــه منفصل

ياقاطعى قل لى : لمن نويت غيرى أن تصل ؟

فطرب الرشيد غاية الطرب وتقدم إلى زبيدة وأخذ بيدها واعتذر منها ، ونادى يامسرور لا تبقين فى بيت المال درهما إلا نثرته على الجوارى . فيقال إنه نثر عليهن ستة ملايين درهم ولم يشاهد الرشيد فى يوم مسروراً كسروره فى هذا اليوم . عادت المياه إلى مجاريها و كفى الله زبيدة داء الضرائر بفضل عُلية . فسبحان محول القلوب !!.

قلما تصفو الدنيا الغدارة لأحد فهى لا تلبث أن تبدل الصفو بالكدر ، والسرور بالقهر ، والفرح بالحزن ، والهناء بالعزاء ، تضحك اليوم وتبكى غداً ، وتعطى هذا وتحرم ذاك .

وبينما عُلية فى شرف قصرها ، تطل على القاصدين لدار الخلافة تترقب عودة أخيها الرشيد من « طوس » رأت حركة منكرة فى دار الخلد ، واضطرابا فى القصر بل فى بغداد أجمع ، فقد اجتمع الأمراء والولاة والقضاة وأرباب الحكم على اختلاف طبقاتهم بثياب العزاء فتفرست بهم فاذا بوجوههم عانية ، وقلوبهم خانقة ، وعيونهم دامعة ، وألسنتهم خرس . لا تقدر أن تعبر عن هول المصيبة التى حلت بأمير المؤمنين ، والرزء الذى أصاب العرب والمسلمين : — ان أمير المؤمنين الرشيد قد قضى نحبه فى طوس — اسودت الدنيا بعين عُلية وضاق بها القصر الواسع فقد فجعت بأخيها أمير المؤمنين الرشيد أعظم خليفة أظهر للعالم عظمة العرب والاسلام ، وأنفق فى سبيل العلم والعمران مايعجز عنه غيره — وكانت عاقبة هذا العاهل الذى خضعت له ملوك الأرض ، ودانت له الأمم ، وانقادت إليه الشعوب صاغرة ، أن أدلى فى لحده وأهيل عليه التراب بعيداً عن عاصمة ملكه . فقد ضن عليه الزمن أن يدفن فى دار السلام ، المدينة التى جعلها كعبة العلم والأدب والفن ، بل عز على بغداد أن ترى الرشيد ميتاً يقبر فى لحودها بعد أن زانها حياً وجعلها سيدة البلاد .

رفعت المعازف . وبحت الحناجر وساد الهدوء والخشوع فى قصر عُلية فلا يسمع إلا صوت المؤذن وقراءة القرآن ، ولا ترى عُلية إلا فى محرابها تصلى ، أو بكتابها تقرأ ، أو تندب أخاها ، أو تتنقل فى خمائل قصرها تطلب العزلة لتخفف عنها أحزانها .

عز على الأمين أن يرى أميرة الشعر والطرب وهزار بنى العباس على هذه الحالة المؤلمة فكان يتردد إلى زيارتها كثيراً ويدعوها إلى قصره . والحزن لايجد قراراً فى قلب شب على الشعر والأدب والعزف والطرب فلم تلبث أن وافقت الأمين فى لهوه ومرحه .

عُلية اليوم قد ذهب نور شبابها ، واشتعل الشيب فى رأسها ، وتغيرت نبرات صوتها ، ولكن نفسها لم تشب ، بل بقيت نفساً طاهرة ، تحب الجمال ، وتسمع الصوت الجميل ، وتعشق كل جميل ، ومازالت هذه الزهرة تذبل حتى ذوت وفارقت الدنيا سنة ٢١٠ هـ وقد مضى عليها خمسون ربيعاً .

وفى صبيحة يوم رأى أهل بغداد أمير المؤمنين المأمون يسير خاشعاً أمام نعش مهيب يحف به الأمراء والوزراء والعلماء تحف به أهل بغداد ، وقف النعش على مقابر قريش وصلى عليه الخليفة ، وأدليت جثة عُلية ودفنت درة بنى العباس فى هذا التراب .

للحديث بقية

سعيد الديوه جى

النابغون فى أوطانهم

للأستاذ محمود عزت عرفه

كما تتوارى هذه الشمس فى النهار المدجن خلف كسف من السحاب مركوم فلايفتأ يتم عليها ساطع من سناها ، يوشى أطراف السحابة بلألائه ، ويكاد ينبثق على جنباتها انبثاقا.. كذلك تستكن العبقريات النواشىء فى زوايا بعض النفوس غير منفكة عن إرسال أقباسها الدالة عليها ، فى سدفة هذا الظلام المكتنف صاحبها ، من فقر أو ضعف ، أو اتضاع شأن أو بكورة سن ، أو غير ذلك من سائر هذه المعوقات التى تؤخر تجلى المواهب ، وتملأ السبيل إلى المجد بالشوك والصخور..

ولهذه النباهة التى تهبط على الخاملين فجأة دلائل وإرهاصات قل من يدركها فى حينها ؛ لكن قل أيضاً من لايعجب لنفسه كيف فاته أن يدركها فى ذلك الحين ! ومن هنا كان المرتقى أمام العصاميين شاقا طويل المدى ، لايكاد يوفى على غايته منهم إلا كل صافى الجوهر فى العبقرية ، قوى المنة على مواجهة مصاعب الحياة ومقارعة أحداثها..

والعصامى محروم — أول أمره — مما يستند إليه الناس عادة من سالف الحرمة أو سابقة الفضل ؛ وهو ماقٍ بالكيد منكوب بالمعارضة ، موزع جهده بين التقدم تارة ودفع التعويق تارات ، مقسومة قواه بين البناء من جانب وتوقى الانهيار من آخر...

وأغرى الناس بمنابذته وأشدهم بأساً فى مضارته ، هم أدناهم إليه مكانا ، وألصقهم به وشيجة ونسباً.. من أهل بلده وذوى قرباه ، ومن رصفائه وأنداده الذين يشركونه فى سن أو عمل ، أو نزعة واتجاه.

وكأنما يعجب هؤلاء لفرد من أوساطهم ، أو من أدانيهم ، يسمو إلى منزلة لم يروه من قبل لها أهلا ، ويبلغ من جاه الحياة أو من ثرائها حظا لم يقدروا له أن يبلغه. وما أشد تقتير الناس فى تقديرهم.

فلا غرو — وهذا هو الوضع — أن يكون لأكثر العصاميين ثارات قديمة عند أوطانهم الأولى حيث مرابع طفولتهم ومراتع صباهم.. تلك التى شهدت من بواكير ضرهم وبأسائهم ما لم يشهد سواها ؛ ثم عند مواطنيهم الأقربين فيها ، وهم من ذاقوا على أيديهم أول ماذاقوا من كؤوس الحرمان والأذى ، وتجرعوا أول ماتجرعوا من مرارة التثبيط والجحود. وإنها لثارات وذحول تأبى على أصحابها إلا ترقب العودة إلى هذه الأوطان فى مواكب النصر بعد أن فصلوا عنها فى ركاب الذل والصغار...

وليس من محض المصادفة أن نرى شكسبير يأوى فى أخريات أيامه إلى قريته ستافورد أون آفون ، مخلفاً وراءه لندن مبسوطة اليدين نحوه بمزيد من ثروتها وجاهها. ولا مراء فى أن صورة عجيبة المنظر كان يلتمع مرآها فى ذهن الشاعر الكبير وهو يقف على باب قريته كهلا فى سن الخمسين.. صورة لشاب فويق العشرين يتسلل لواذاً من أبواب هذه القرية قبل ثلاثين عاما ، وقد جلله عار السرق وحز فى بدنه وثاق السجن ؛ هو وليم شكسبير نفسه الذى أبى أن يمحو عار ذلك الهرب فى سواد الليل البهيم بغير هذا العود المظفر الكريم فى وضح نهار مشرق سنى..

وكذلك كان شأن تشارلز دكنز الكاتب الروائى الخالد. فقد أنفق فى قرية شاتهام ستة أعوام من طفولته البائسة جابه خلالها الفقر فى أقبح صوره ، وتجرعه فى أمر طعومه. وكان أعظم مايبهره يوم ذاك قصر « جادزهل » القائم على ربوة فى الطريق بين شاتهام وجرافسند ؛ ولقد طالما داعب أبوه مشاعره بامكان استحواذه على هذا القصر إذا هو جد واجتهد ، وأصبح رجلا ذا شهرة ومجد. ولسنا نعجب لهذه الأمنية وإينالها فى الطموح قدر مانعجب لتشارلز دكنز وهو يعود بعد أربعين حولا فيحققها فى جملتها وفى تفصيلها ؛ بأن يمتلك القصر الجميل

بما فيه ، ويقضى فى رحابه ختام أيام حياته وأطيبها . ولقد طوف دكنز فى مدائن إنجلترا وقراها ماطوف ، وحظى بطيب المقام ولذاذة التكريم فى سويسرا وأمريكا وسواهما من البلدان . . فلم تكن بقعة واحدة فى جنبات هذا العالم الفسيح لتستهوى نفسه بمثل ما استهواها ذلك المكان الذى يشهد مذلته وضيمه ، فأبت عليه نفسه إلا أن يشهده — بعد حين — مجده وعزته ونماءه .

على أن لورد بيرون لم يحظ بما حظى به صاحباه من هذا الشعور الجميل .. شعور التغلب على مصاعب الحياة ، والانتصار على الزمن وأهله فى نفس المكان الذى تسجلت به الهزيمة السابقة [(١)] ، فقد غلب الموت هذا الشاعر على أعز أمانيه ، وراح يجود بآخر أنفاسه فى ميسولونجى من أرض يونان وهو يتمتم فى مرارة بكلمته الباقية : لست أخاف الموت ... ولكنى أتساءل لماذا لم أذهب إلى إنجلترا قبل مقدمى إلى هذا البلد ! !

* * *

ونحن إذ ننتقل فنتصفح سجل الأدب العربى نرى الأصمعى — راوية البصرة — أحد من دهُوا بعنت الأقربين ، ومنوا بكيد الأكفاء . فقد نشأ بالبصرة مقلاً رقيق الحال إلا من ذكاء مفرط ونفس وثابة طموح .

وكان مايلقاه من شيخه عطاء بن مصعب — وقد تفتحت على يديه أزاهير عبقريته — أمراً رائعا عظيما . بلغه يوماً أن الأصمعى اتخذ حلقة ، واجتمعت إليه فيها جماعة ، فغاظه ذلك . ولما فرغ من حلقته استتبع أصحابه فقال : مروا بنا إلى ظاهر البصرة ! . . قال راوى الحديث [(٢)] : فخرجنا حتى مررنا بشيخ معه أعنز يرعاهن وعليه جبة صوف : فقال له : يا قريب . فقال : لبيك ! قل : مافعل ابنك الأصمعى ؟ فقال : هو عندكم بالبصرة فقال : هذا أبو الأصمعى لئلا [illegible] ! !

ويذكر القاضى التنوخى فى كتابه (الفرج بعد الشدة) قصة

(١) من طرائف ماقرأت أن الألمان وقعوا الهدنة التي فرضوها على الفرنسيين عام ١٩٤٠ م فى نفس المكان من غابة كومبيات ، بل وفى مركبة القطار ذاتها ، التى وقعوا بها شروط الهدنة المفروضة عليهم فى عا ١٩١٨ (! !)

(٢) انظر ترجمة عطاء بن مصعب فى معجم الأدباء لياقوت

الأصمعى مع أحد البقالين على باب بيته بالبصرة ، وما كان يعيره به من الفقر ، وينعيه عليه من انصرافه عن طلب المجدى من شئون العيش ، حتى قال له مرة : يا هذا اقبل وصيتى . أنت شاب فلا تضيع نفسك ، واطلب معاشاً يعود عليك نفعه ، وأعطنى جميع ما عندك من الكتب أطرحها فى هذا الدن وأصب عليه من الماء للعشرة أربعة ، وأنبذه ، وانظر مايكون منه .

على أن ضائقة الأصمعى تفرجت بعد حين ؛ وأقبلت الدنيا عليه حتى أوطأته بساط الرشيد ، فاستفاضت هنالك شهرته ، وأثرى من مال ومن جاه . وكان من أكبر همه يوم ذاك أن يلم بموطن صباه ، فترفق فى استئذان الرشيد حتى أذن له ، وكتب إلى والى البصرة بإكرامه والتحفى به . . قال الأصمعى [(١)] : فلما كان فى اليوم الثالث تأملت أصاغر من جاءنى ، فاذا البقال وعليه عمامة وسخة ، فقال : كيف أنت ياعبد الملك ؟ فاستضحكت من حماقته وخطابه لى بما كان يخاطبنى به الرشيد . فقلت : بخير ، وقد قبلت وصيتك وجمعت ماعندى من كتب العلم ، وطرحتها فى الدن فخرج ماترى ...

* * *

على أن هذه الذكريات « الشقية » التى تربط الإنسان بموطنه الأول ليست مما يطيف بحياة كل نابغة قلقت فى البلاد ركابه بل ربما كانوا يتخذون الرحلة عن الوطن الأثير الكريم — باباً إلى التقدم فى الحياة ، ووسيلة إلى تحقيق كرائم الغايات فيها : من إحراز مال وجاه ، أو جمع معارف وعلوم ، أو تقويم طبائع مستخذية وشحذ همم كليلة . وقد كان من مواطن العجب عند القوم — ولا يزال — أن يروج أمر من لاينفك حلس بيته ، وأن يحرز معالى الأمور من لم تنهض به همته إلى التغرب فى طلابها [(٢)] . فليس كل مغترب إذن طريد وطنه أو ضحية ظلم

(١) الفرج بعد الشدة للقاضى التنوخى ، الفصل السابع : فيمن استنقذ من كرب وضيق خناق ، باحدى حالتى عمد أو اتفاق .

(٢) قال ابن خلكان فى تاريخه ، عند الترجمة لشرف الدين أحمد ابن كمال الدين الأربلي : كان اشتغال شرف الدين المذكور على أبيه بالموصل ، ولم يتغرب لأجل الاشتغال ، وكان الفقهاء يقولون : نعجب منه كيف اشتغل فى وطنه وبين أهله ، وفى عزه واشتغاله بالدنيا ، وخرج منه ماخرج ؟ انتهى .

مواطنيه ، وإنما قد يفارق وطنه وأهله من لايزال يحن إلى سالف سعادته هنالك حنين النيب إلى أعطانها ، وقد يبلغ إلحاح هـذه الذكريات السعيدة على النفس حداً تفوق به شقي الذكريات وما تدفع إليه من رغبة التشفي وتذوق حلاوة الانتصار ، مما ضربنا له الأمثال آنفا .

وكان طاهر بن الحسين الخزاعى ، قائد الخليفة المأمون والملقب بذى اليمينين ، أحد من أضناهم هـذا الشعور الأخير .. شعور الحنين إلى الوطن وتعلق النفس بذكريات سعيدة فيه — حتى لتنغص عليه من سروره الحاضر وسعادته المستأنفة .

قال له بعض جلسائه يوما وقد بلغ من الجاه فى دولة المأمون ما بلغ : ليهنك ما أدركته من هذه المنزلة التى لم يدركها أحد من نظرائك بخراسان . فأجاب طاهر : ليس يهنيني ذلك ، لأنى لا أرى عجائز « بوشنج » يتطلعن إلىّ من أعالى سطوحهن ..

وإنما يقول ذلك لأنه ولد ببوشنج وبهـا نشأ ، وكان جده عليها حاكما . وممن اجتمع لهم شقى الذكريات وسعيدها ، فحدا بهم إلى أوطانهم حاديان ، وتمهد أمامهم نحوها سبيلان مهيعان — نبينا محمـد عليه أفضل الصلوات .. ففى مكة نشأ وتربى ملحوظا بعناية من ربه ، كريماً على نفسه وعلى قومه ، يظله من قبيلته أرفع لواء ويكنه فيها أشرف بيت ؛ وفى مكة أيضاً لقى الإعراضَ والأذى من قريش صنوفا . فيها لقّب الصادق الأمين حقا وإنصافا ، ثم وسم بالشاعر والـكذاب بغياً وإسرافا .

فليس عجيباً بعد هذا أن يكون حنينه إلى مكة قويا بليغاً يؤرثه شوق غلاب إلى عهود هنالك كريمة ومشاهد محببة أثيرة ، وأن ينضاف إلى هذا الحنين شعور آخر قوى بالرغبة فى مجابهة هؤلاء القوم الذين أخرجوه من داره مجابهةً يزلزل بها عقائدهم الملتوية ، ويزيل بها تلك الغشاوة التى رانت على أعينهم ، فيعرفوا قدر دينهم فى الأديان ، ومنزلة رسولهم بين رسل الله المـكرمين : «قيل ادخل الجنة ، قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المـكرمين» .

ومن علائم الشعور الأول ما كان من شأنه صلى الله عليه وسلم يوم قدم عليه أصيل الخزاعى من مكة فقال له : يا أصيل ، كيف تركت مكة ؟ قال : تركتها وقد أحجن ثمامها وأمشر سلمها وأعذق إذخـرها . فجاش صـدره الطاهر بأرق الحنين وأحر الاشتياق ، ثم غمغم يقول : دع القلوب تقر !(١)

☆ ☆ ☆

ألا لله ما أحلى العز والـكرامة فى أرض الوطن ! فلمثلهما يتجرع العقلاء كؤوس الذل والمهانة مغتربين . يقتحمون مشاق التطواف طلباً لدعـة المقام ، ويقتعدون ظهور المعاطب التماساً لمواطئ النجاة ومهابط الأمن والسلامة :

تقول سليمى لو أقمت بأرضنا ولم تدر أنى للمقام أطوّفُ

رب خفض تحت السرى، وغناء من عناء، ونضرة من شحوب!

وليس يحس قدر هذه النعمة إلا كبار النفوس ممن يغالبون الأيام فيقتلون أو يُقتلون ، ويشربون كؤوس الحياة من أرْى وشرى حتى الثمالة ... ولعل فى رأس القائمة من هؤلاء كافىَ الـكفاة الصاحب بن عباد — وزير آل بويه — قال القاضى الجرجانى فى بعض حديث له عنه : إن الصاحب يقسم لى من إقباله وإكرامه بجرجان أكثر مما يتلقانى به فى سائر البلاد ، وقد استعفيته يوماً من فرط تحفيه بى وتواضعه لى فقال :

أكرمْ أخاك بأرضِ مولده وأمدَّه من فعلك الحسن

فالعـــز مطلوب وملتمسٌ وأعزُّه ما نِيـلَ فى الوطن

ثم قال : لقد فرغتَ من هـذا المعنى فى العينية ، فقلت : لعل مولانا يريد قولى :

وشيدتُ مجدى بين قومى فلم أقلْ ألا ليت قومى يعلمون صنيعى

فقال : ما أردت غيره ، والأصل فيه قوله تعالى : ياليت قومى يعلمون ، بما غفر لى ربى وجعلنى من الـمكرمين .

للكلام بقية

محمود عزت عرفة

المدرس بقوص الأميرية

(١) وفى أمالى القالى أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع بلالا ينشد هذا البيت :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بواد وحولى إذخر وجليل

فقال : حنت يا ابن السوداء !

امرأة وشيطان

للأستاذ علي محمود طه

[من إحدى قصائد ديوان
الشوق العائد الذي يصدر قريباً]

ودنا الليل ورنَّت صدحةٌ   نبَّهته حين لا يبغى انتباها
وإذا مقصورةٌ من حوله   خالها تَنْبِض بالروح دماها
وقفت غانيةٌ في بابها
قد تعرَّت غيرَ فضلٍ من حُلاها
ثم نادت : يا « أحبايَ انهضوا
واغنموا الليلة حتى منتهاها »
وتلاشى الصوتُ لا رجعَ صدًى
لا ولا ثمَّ مُجيبٌ لنداها
فعرتها رِعدةٌ ، فالتفتتْ ،   فرأته ، فتلقاها وِجاها
أبصرت وجهاً كوجه المِسْخ لم
يَتَقَنَّع ، شاهَ هذا الوجهُ شاها
ورأت كفَّيه يَنْدى منهما   أرَجُ الزهر فأجَّت نظرتاها
عرفتْ ما اجترحته يدُهُ   أو لا يعرفُ من داسَ حماها ؟
يالهذا المسخ ! دوَّت ومشتْ   صيحةٌ يُنذر بالويل صداها
فانثنى الشيطانُ عنها صارخاً   أتُراها تتحدى ؟ مَن تُراها ؟
فبدتْ في شفتيها آيةٌ
من مُبين السِّحر ، أوما فحاها
فدَنَت ترمقه فاختلجتْ   عينه ، حين أشارت بعصاها
بُدِّلَت تلك العصا جمجمةً   رِيعَ لمَّا شرعتها فاتَّقاها
هي من مَلْكهِ جنٍّ من نُصبٍ   يحترمُه بالمنايا محجراها
فتنحّى غاضباً مبتئساً   وتنحَّت والأسى يُلجم فاها
وسجَى بينهما الصمتُ الذي   يَتَغشَّى الأرض إن خان رداها
والتقت عيناهما مستروحاً   راحة من قبلها ما عرفاها
عرفت من هو فاستخذت له   ورأى من هيَ فاستحيا قُواها
قال : أختاه اغفري لي نظرةً   اشتهت كلَّ جمالٍ واشتهاها
واغفري لي شِرَّةً عارمةً   في دمي . لو أنأبى ما أباها
يا لهذا الدمِ ! ما عنصرُه ؟   كل ما في النار من وقد لظاها !
فأجابتْ : زهراتي ردُّها   إن تقل حقاً ولا تبغِ أذاها
قال : لا أذكرُ إلا حلُماً   لحظة ضلَّ بها عقلي وتاها
أأنا من تتخطى قدمي   مسبحَ الشمس فيربدُّ ضحاها
أأنا من يطوىءُ النجمَ في   وأردُّ الارضَ غرقى في دُجاها
وتمسُّ القممَ الشمَّ يدي   فيُرى منحدراً لي مُرتقاها
وأجيءُ الارضُ من محورها   فإذا بي يتدانى قُطباها
أأراني عاجزاً عن دَرْكِ ما   تتمنَّى امرأةٌ ؟ ! اعزَتْ مناها !
آهِ ما أضعفَ سلطاني وما   كنتُ إلاَّ بغروري أتباهى !!
قالتِ : الآن سلاماً زائرى
ورضِى نفسى بأن رُمتَ رضاها
أيها الشيطانُ ما أعظمَ ما
قلتَه . ما قلتَ لغواً أو سفاها
زهراتي تلك . ما كانت سوى
شهواتِ جمحي الطاغي نماها
قهرتني واستذلتني بها   غيرةٌ ينهش قلبي عقرباها
وأنانيةُ أنثى لم تُطِق   فتنةً تملكه أنثى سواها
قد صنعتَ الحقَّ قد عاقبتني   فرحم المرأةَ في ذُلِّ هواها
فدنا منها فألفتْ وجهَهُ
غير ما كانَ . لقد ألفتْ أخاها !
قرَّبتْ بينهما روح الأسى   فاجتبتْهُ بعد حقدٍ واجتباها
واستهلَّت دمعةٌ من عينها   دمعةٌ رقَّت وشفَّت قطرتاها
ضُمِّنت كلَّ عذابٍ وضنًى   كلُّ ما في النفس من بث أساها
ورآها فتندَّت عينه   رحمةً ، فاحتال يُخفي من بكاها
وبكى الشيطانُ ! يا لامرأةٍ
أبكتِ الشيطانَ لمَّا أنْ رآها ! !

علي محمود طه

سياسة التعليم ووحدة الأمة

للأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

يجد الناشىء فى مصر اليوم أبواباً مختلفة للدخول إلى الحياة التعليمية . فالوالد يرى أمام عينيه لابنه أنواعاً من المدارس متعددة : المدرسة الإلزامية ، والمدرسة الأولية ، والمدرسة الابتدائية ، ومدرسة تحفيظ القرآن الكريم ، وأخيراً المدرسة الريفية التى ظهرت حديثاً . فإلى أيها يتجه الولد وفى أيها يستمر ؟

وبجانب هذه الحيرة من الوالد تجد السرور من المواطن الذى لم ينظر إلا نظرة سطحية إلى هذه الأنواع الكثيرة من المدارس فسره تعددها معتقداً أن ذلك يفسح المجال أمام الناشىء للسير قدماً فى حياته التعليمية وأن التعليم الشعبى فى بلادنا قد تدرج فى مدارج الرقى وتقدم تقدماً سريعاً فى تطوره وتنوعه فى سبيل إنشاء جيل جديد مغامر مجاهد فى نواحى الحياة المختلفة ، غير أن نظرة أعمق من تلك النظرة السطحية كفيلة بأن توحى إليه بشعور آخر خصوصاً إذا درس تاريخ تلك الأنواع . فهذه المدارس البدائية فى التعليم ، لم تنشأ نتيجة تجارب وأبحاث علمية كما هو الحال فى غير هذه البلاد ، ولكنها نشأت كما نشأ غيرها أحياناً فى مراحل التعليم الأخرى نتيجة أفكار وآراء ارتجالية بحتة من أشخاص واتاهم النفوذ والسلطان ردحاً من الزمن تبين لهم فى خلاله شىء من العيب أو النقص فى نوع ما من أنواع التعليم ، فلم يفكروا جدياً فى إصلاحه وتركوه جانباً يتخبط فى عيوبه حيث هو واتجهوا إلى خلق نوع جديد خال كما ظنوا من ذلك العيب أو النقص الذى تبينوه ، وأطلقوا على مولودهم اسماً جديداً ليتميز عن قديم غيرهم . كما حدث أخيراً فى المدارس الريفية التى تكاد تطغى الآن على المدارس الإلزامية والأولية . وفى المدارس الثانوية الزراعية ، والتجارية ، والصناعية التى حلت محل المدارس الفنية المتوسطة . وكما حدث قديماً فى قيام معهد التربية العالى والابتدائى على أنقاض مدرسة المعلمين العليا والمتوسطة وفى قيام كليات فى الأزهر الشريف تناهض دار العلوم ومدرسة القضاء الشرعى ، وكليات الجامعة تتبعها معاهد دينية ثانوية على غرار المدارس الثانوية المدنية تؤهل للكليات الأزهرية ومعاهد ابتدائية دينية على غرار المدارس الابتدائية تؤهل للمعاهد الدينية الثانوية الخ .

وكانت نتيجة وجود هذه التشكيلات المختلفة التى نشأت فى دور التعليم أن خرجت جماعات من أبناء البلاد الواحدة مختلفة الثقافات متعددة الشهادات تعمل فى مهنة واحدة مما حدا بوزارة المالية أن تكدح شهوراً طوالا فى تقدير درجات تلك الورقات وتقديم ما يستحقه حاملها من مرتبات وعلاوات فى مختلف الوظائف الحكومية ، وقامت بين تلك الطوائف المختلفة المشاحنات على ما تستحقه هذه الطائفة أو تلك من مرتبات ودرجات . وياليت الأمر اقتصر على ذلك فانا نجد أن كل وحدة من وحدات الطائفة الواحدة أو كل فئة من فئاتها تتعصب فى نفسها لمدرستها وثقافتها عاملة على رفع شأن نفسها على أنقاض الفئة الأخرى مجدة فى تأليف النقابات لمناهضة غيرها والفوز عليها مقدمة ذلك كله على الصالح العام المشترك .

خذ لذلك مثلا طائفة رجال التعليم والمعلمين وهى تلك الطائفة الكبيرة التى بلغ عددها آلافا مؤلفة والتى كان يجب أن تحمل لواء النهضة فى البلاد لمركزها العلمى من جهة ولتغلغلها فى القرى والمدن من جهة أخرى إذ تجد منها العشرات فى القرية الواحدة موزعين على المدارس الإلزامية والأولية والريفية كما تجد منها المئات فى المدينة الواحدة بين جدران المدارس الابتدائية والثانوية والصناعية والزراعية والتجارية ، هل ترى بين رجالها شيئاً من التآلف والتعاون على الصالح العام فى سبيل النهوض بأبناء البلاد ورجال مستقبلها ! وهل تجد تلك الوحدات من رجال التعليم فى اقليم ما يجتمعون اجتماعا جدياً للبحث فى حالة التعليم فى إقليمهم ؟ انهم مع الأسف لايجتمعون إلا لتكريم زيد أو بكر الذى سيساعدهم فى الحصول على الدرجات والعلاوات .

والأدهى والأمر من ذلك ما تجده فى المدرسة الواحدة من تنافر بين الوحدات المختلفة الثقافة المتباينة التفكير ! فقد تجد فى المدرسة الواحدة الابتدائية أو الثانوية واحداً أو أكثر من رجال البعثات ، وآخر من خريجى جامعة فؤاد ، وثالثاً من خريجى المعلمين العليا ، ورابعاً من خريجى دار العلوم ، وخامساً من خريجى الجامعة الأزهرية ، وسادساً من خريجى المعلمين الثانوية ، وسابعاً من خريجى الفنون الجميلة العليا ، وثامناً من خريجى الفنون والصنائع ، وتاسعاً من خريجى المعلمين المتوسطة ، وعاشراً من خريجى الفنون التطبيقية ، وغيرهم وغيرهم

من خريجى معهد التربية العليا ، ومعهد التربية الابتدائى ، وحملة البكالوريا وغيرهم ؛ وإنى أذكر أنه قد اجتمع لدى لما كنت ناظر لإحدى المدارس الابتدائية تسعة أنواع من هؤلاء ، فكان لا يمر يوم واحد بدون مشاحنة بين بعضهم البعض ، فكيف يظن متفائل أن عدداً من هؤلاء إذا اجتمعوا فى مدرسة يمكن لهم أن يتفقوا ويتفاهموا فى سبيل صالحها ! فما بالك بما ينشده كل معهد علمى من التضافر والتعاون فى سبيل النهوض به وبأبنائه ! إن التعاون فى مثل هذه المدرسة مستحيل لأن كل ضعيف من هؤلاء يفكر فى الدفاع عن نفسه أو هاجم غيره وأظهر امتهانه لثقافته ، ولأن كل قوى منهم يحاول أن يهاجم غيره ويقلل من أهميته . ومصلحة التعليم ضائعة بين الكر والفر والهجوم والدفاع ! لا يفكر فيها مفكر وليس الأمر فى هذا التنافر قصراً على التعليم وحده ، ولكنه يتعداه إلى غيره من مرافق البلاد الحيوية خصوصاً تلك التى تسيطر عليها عناصر مختلفة الدراسات والثقافات . فهذه الحال نجدها بين رجال القضاء الأهلى والشرعى فى المجالس الحسبية خاصة . كما نجدها بين رجال القضاء الشرعى فيما بينهم من طائفتى خريجى الجامعة الأزهرية ، وخريجى مدرسة القضاء الشرعى !

وهذه الحال نجدها بين طوائف المهندسين من خريجى كلية الهندسة وخريجى المدرسة التطبيقية وخريجى الفنون الجميلة العليا وخريجى الفنون والصنائع على النظام القديم والحديث ! ثم إن هذه الحال نفسها نجدها مع الأسف فى قادة الرأى والزعماء المشرفين على مصالح البلاد العامة كلها ! فيا له من انقسام وانحلال يكاد يهوى بنا ! وكان للتشعب والتنوع فى التعليم الواحد أثره الفعال فيه ! لقد نبهنا من سنين عدة إلى ضرورة رسم سياسة تعليمية عليا توجه التعليم فى البلاد توجيهاً صالحاً فى سبيل التوحيد والتعاون ولكنا مع الأسف لم نجد سميعاً ! فكان ما نراه من تخاصم وتنافر وتناحر!

وإذا كان اليوم قد تولى أمور التعليم رجل عالم واسع الفكر فانا نهيب به أن يعمل جاهدا فى سبيل الوحدة بوضع التعليم والثقافة فى هذا البلد على أسس قوية تكفل الوحدة وتدفع إلى التعاون والتآزر بدلا من التخاصم والتنافر . إن ثمرة ذلك لا تأتى إلا بعد زمن طويل ولكن الفخر للوزير العامل الذى سيضع إن شاء الله بذور ثقافة موحدة تنمو وتزدهر فى مستقبل الأيام وتستمر على مدى الأيام حاملة اسمه فى سجل العاملين الخالدين .

عبد الحميد فهمى مطر

هذا العالم المتغير

للأستاذ فوزي الشتوي

الفأر يختار لنا طعامنا ؟

هل فقدنا وراء جرينا وراء الحقيقة حواس وغرائز زودنا بها الله ؟

يصرح العلم بأننا أضعفنا كثيراً من غرائزنا أو على الأقل سيطرنا عليها فأصبحت لنا قوانين وتقاليد تحكم تصرفاتنا . ويرى خواص الحيوانات مميزات ليست فى الإنسان . وعلى هدى هذه الغرائز يعيش الحيوان فيختار ما يفيده ويرفض ما يضره . ويتصرف بما يبقى نوعه .

ومن التجارب التى أجريت أخيراً ما وفق إليه البروفسور رشتار فى أبحاث أجراها على الفيران لاختبار قدرتها الغريزية على اختيار الغذاء المفيد لها فى الحالات المختلفة . فعمد إلى مجموعة من الفيران الكبيرة السن فأطلقها لتشرب كما تشاء من ماء نسبة الملح فيه ٣ ./. ثم أزال غددها التى تعلو الكلى فكانت النتيجة عجيبة إذ شربت الفيران كمية كبيرة من الماء المالح .

وأزال الغدد التى فى العنق فازدادت شهية الفيران إلى المواد الجيرية وغيرها من المواد المعدنية . ثم قسم البروفيسور رشتات وجبات الطعام إلى أكوام نقية من النشويات والزلاليات والدهنيات والفيتامينات ، وزن كل منها محدود . وأعد أيضاً أوعية بسوائل تحتوى الأملاح المختلفة والفيتامينات وزيت كبد الحوت وكل مادة أخرى يراد اختبارها ، فاختارت الفيران وجبات الغذاء اللازمة لها كأن إخصائياً فى التغذية أوصاها بتناولها .

وتناولها مبعضه مرة أخرى فأزال البنكرياس من كل منها فأصبحت معرضة للاصابة بمرض السكر ، فامتنعت الفيران عن تناول أى غذاء فيه سكر أو نشاء ، واستهلكت كميات كبيرة من الدهن تماماً كما يوصى الطبيب مريضه .

وهكذا كلما استأصل منها الطبيب عضواً عوضت الجرذان عمله باختيار الطعام الملائم لها أو امتنعت عن الأغذية التى تضرها .

وكانت فى كل مرة تقدم للبروفيسور رشتار قائمة بالأغذية التى يجوز تناولها والتى لا يجوز .

فهل جرد الإنسان من مثل هذه الغريزة التى ترشده إلى الغذاء الصالح له ؟ لقد عاش الإنسان ملايين السنين معتمداً على حاسة الذوق وحدها فلم يرشده طبيب ولا إخصائى عما يجوز تناوله من الأغذية وما لا يجوز .

إن تقدم العلم وحده حول من وسائلنا وطرقنا فى الحياة فمنع وأجاز بناء على اختبارات ثابتة . ولكنه لم يقل كل كلمته ، ولم يكشف عن كل أسراره . فمنذ مئات السنين عرف الإنسان أن التغذية ليست خبزا وإداما ، بل هى ما فى هذا الخبز والإدام من وحدات حرارية تحرك أجهزة الجسم فرأينا أنفسنا كغلايات وقودها الطعام .

واكتشفت الفيتامينات فعرفنا سراً آخر ، وأدركنا أن الأجهزة الإنسانية لا تعمل بالوحدات الحرارية فحسب ، بل إن نشاطها ومرضها يعتمدان إلى حد كبير على حيوية هذه المواد التى أطلقنا عليها الحروف الهجائية ، فالاعتماد على اللحم وحده مع وفرة كمياته الحرارية لا يمنع الجسم من الانحلال إن لم تعضده مجموعات الفيتامينات .

فنقص الفيتامينات فى الجسم يؤدى إلى عدة أمراض تبدأ من الالتهابات الجلدية فإن استمر نقصها أوصلت الإنسان إلى الموت ، ولاعبرة فى هذا بوفرة الوحدات الحرارية التى يحتويها غذاء الإنسان فى وجباته . على أنه من الثابت أيضاً أن كمية الوحدات الحرارية التى تنتجها المواد الغذائية ذات أثر كبير فى نشاط الإنسان . فالعامل الذى يشتغل بعضلاته يحتاج إلى كميات طعام أكثر من الموظف الذى يؤدى الأعمال الكتابية .

وتقودنا أبحاث البروفسور رشتار إلى نتيجتين : أولاهما أن يؤدى التوسع فى أبحاثه إلى معرفة دقيقة لأنواع الأغذية الملائمة للأمراض المختلفة مما يساعد الطبيب والمريض على سهولة الشفاء أو توقى المرض .

والثانية هى حاسة التذوق ، فإذا كانت الجرذان بفضل هذه الحاسة تجيد اختيار طعامها فكيف نصقلها فى الإنسان ، وما هى على التدقيق ، فقد ثبت من هذه التجارب أن الجرذان تفضل الغذاء الطبيعى الغنى بالوحدات الحرارية وبالفيتامينات وغيرها من المواد



إيزرهادن

للكاتب الروسي تولستوي

للأستاذ زكي شنوده

انقض إيزرهادن ملك الأشوريين انقضاض الوحش على دولة الملك ليليّ ، فعذب فيها الناس ، وخرب منها المدن ، وأطلق فى أطلالها ألسنة النار تأكل ماتبقى من معالمها وأخذ كل من فيها أسرى ، وهنالك ذبّحهم وألقى ملكهم فى غيابة السجن .

وبينما هو مستلق ذات ليلة فى فراشه يفكر فى أفظع الوسائل لقتل الملك الأسير إذ سمع حفيفاً خفيفاً يقترب منه فرفع عينيه فرأى أمامه شبح رجل طويل القامة أبيض اللحية فى عينيه وداعة وسلام يقترب منه ويهمس فى مسمعه هل حقا تريد أن تقتل ليليّ ؟

فقال الملك : هذا ما أريد فخبرني ربك كيف السبيل؟

فقال الكهل : ولكنه أنت ! !

قال — أنا من ؟

— ليليّ

— ويحك هل جننت ؟ إن ليلى هو ليلى وأما أنا فهو أنا !

— وهمت ياصاحبي فأنت وليلى كل لايتجزأ .

— ولكن لا أفهم : فها أنذا مستلق على فراش وثير ، وحولى الجوارى والغلمان ، وغداً سوف أجلس مع صحابى على سماط نأكل حوله الآكال ونشرب الأشربة ونسارُ ونتسامر كما فعلنا اليوم وكما فعلنا بالأمس . بينما ليلى هنالك ماثل فى سجنه كطائر فى قفص ، وغداً يخوزق ، ويعلق من لسانه فيظل يتخبط حتى يأخذ روحه الشيطان .

قال الشيخ : ولكنك لن تسلبه الحياة ! !

الضرورية للحياة . وهى بهذه الحاسة تدرك من مطالبها أكثر مما يدرك الإنسان .

لماذا لاتحترق الشمس ؟

لو كانت الشمس مجموعة عادية من الغازات المحترقة لزالت من عالم الوجود . ولو كانت كية من الفحم المحترق لاستهلكت كيته من قرون مضت . ويعلل العلماء بقاء الشمس إلى الآن بأنها تتكون من غازات مرتفعة الحرارة إلى درجة تمنعها من الإحتراق .

فالاحتراق نوع من التأكسد ونظن عادة أنه يحدث بالحرارة ، ومن المحتمل أنه إذا كانت الحرارة شديدة جداً فان التأكسد يمتنع وهذا ماحدث للشمس فعلا. فدرجة حرارة غازاتها مرتفعة جداً إلى حد يمتنع فيه التأكسد والاحتراق .

ويعرف العلماء الذين يدرسون الشمس أن درجات الحرارة المرتفعة تحلل المركبات الكيميائية وتقسمها لعناصرها الأولية المختلفة ، ولهذا فان الغازات المكونة للشمس هى خليط آلى من العناصر الأولية . ولايوجد فيها مركبات كيميائية بتاتاً فان الخلط آلى وليس كيميائياً .

ونحن نعرف أن الشمس تفقد حرارتها التى نستفيد منها ، على أن هـذه الحرارة تفقد ببطء ينتظر معه أن تعيش عدة بلايين من السنين .

زينة الأسماك

عند ما هددت الغواصات الألمانية الشعب الإنجليزى بالجوع كلف معهد الصناعات الكيميائية الامبراطورى السير جون جراهم كر والبروفيسور جروس باجراء التجارب لزيادة المحصول القومى من الأسماك . وأفردت للعالمين بحيرة يجريان فيها تجاربهما فى إحدى خلجان اسكتلندا .

وبعد عدة محاولات نجحا فى تحقيق المطلوب منهما إذ تمكنا من زيادة اخصاب البحيرة بالنترات والفوسفات التى كان يتغذى بها السمك الصغير ، وهو الغذاء الطبيعى للأسماك الكبيرة .

وبهذه الطريقة نمت الأسماك بسرعة غريبة فان حجمها ووزنها زاد فى شهر أوشهرين زيادة كبيرة كانت تستلزم ثلاث سنين بطرق التغذية العادية . وكانت النتيجة أن شباك الصيد وجدت فى الأسماك كية وافرة فبلغ وزن بعض الأسماك ٢٠ ضعفاً لوزن مثيلاتها فى العمر .

فوزى الشتوى

— إذن ما رأيك ياشيخى العزيز فى الأربعة عشر ألفا من الجنود الذين اقتلعت من حلوقهم الأرواح وصنعت بأجسادهم رابية كجبل الهند . فأين هم الآن ؟ لقد قتلتهم وليس ثمة لهم وجود وها أنذا من أحادثك وتحدثنى بترهاتك يا شيخ المخرفين .

— ومن يدريك أن لاوجود لهم ؟

— يدرينى أننى لأراهم الآن وقد أكلتهم بالأمس جوارح الطير أمام عينى .

— وفى هذا كذلك أنت واهم فما فعلت إلا أن قتلت نفسك .

— ربك ألا تدعنى أفهم هذا الذى تهذى به ؟

— أو تريد أن تفهم ؟

— نعم .

— إذن تعال . .

وأشار الشيخ إلى طست فيه ماء وقال للملك اجلس فيه ، فنهض الملك من سريره ، وجلس فى الطست . وأمسك الشيخ بقارورة تشف عن سائل ، وقال للملك أحن رأسك فأحناه ، فسكب عليه من ذلك السائل فانتفض ثم شعر بأنه إنسان آخر : ورأى نفسه فجأة متكئا على سرير وثير إلى جانب امرأة كاللؤلؤة ما رآها من قبل بل عرف ساعتئذ أنها زوجته . ونهضت المرأة قائلة له أى ليلى زوجى العزيز ، لقد رأيت أعمالك بالأمس متعددة متعقدة ، أنهكت قواك فرحت مع النوم أكثر من كل يوم ، فضع على منكبك الرداء ، وهب يامولاى إلى البهو الأعظم حيث الأمراء والحكماء ينتظرون .

فقام إيزرهادن وقد وقر فى نفسه أنه ليلى ، وعجب كيف لم يعرف نفسه من قبل ؟ ! ثم تزيا وتمنطق وتهادى فى جلالة الملك إلى البهو الأعظم حيث يسوس مع أعوانه شؤون الناس .

حيا الأمراء ملكهم ليلى وقد عنت منهم الوجوه ، ثم جلسوا بأمره واستهل كبير الوزراء الكلام فقال إنه من المستحيل أن تتغاضى المملكة عن تلك الإهانات الوقحة التى مايفتأ يوجهها إليها الملك المفتون الأحمق إيزرهادن ملك الأشوريين وإن لم يكن ثمة بد من القتال فانها الحرب

ولكن ليلى انتفض ورفض ، وقال إن الأمور تصرف بالسلام لا بالصدام . وأصدر أوامره بأن يبعث من لدنه رسلا يفاوضون الملك الأهوج إيزرهادن وزود الرسل بما يقولون ويفعلون ، ثم بعث بهم على بركة الله .

وبعد أن نظر الملك ماعليه — فى شؤون الملك من عمل خرج يقتنص من لفائف الغاب طرائد الوحوش . فتلك هى صبابته ولذة نفسه منذ كان فى أكناف أبيه يافعا ، وما كان أسعده فى هذا اليوم إذ صرع بسهمه المراش عجلين من أخفى مجول الأحراج . نظر كذلك إلى هذه اللبؤة العرفاء التى جاءت نحوه تتهادى فى دلال الإناث وإقبال الأسد ، وعاد الملك بالقنائص طروبا ، وقضى الليل مع ندمائه فى قصف ورقص .

وهكذا عاش الملك مقسما بين ضرورات الحكم ومسرات القلب أياما وأسابيع فى انتظار عودة الرسل الذين بعث بهم إلى الملك إيزرهادن ، وعاد الرسل بعد شهر ولم تعد معهم أنوفهم ولا آذانهم ، إذ أن الملك ايزرهادن قد أخذها رهينة على أن يقولوا لمليكهم ليلى إن ما حل بهم سيحدث له كذلك إن هو لم يحمل على ظهور المطايا أوساقا من الفضة والذهب والأخشاب الثمينة ويقدمها للملك ايزرهادن ومن خلفها يذهب الملك ليلى بنفسه ويقدم للملك العظيم فروض الولاء

وجمع ليلى أمراءه فتشاوروا ودبروا وقدروا ، وقرروا أن الملك قد أهين ، وبالإجماع أعلنوها حربا على ملك الأشوريين . وعلى رأس جيش يتقد حمية وحماسة كان الملك ليلى يزحف الى عدوه وقضى سبعة أيام يكابد هو وجيشه مشقة السفر ووعثاء الطريق .

وفى اليوم الثامن تقابل الجيشان فى بطن واد مكشوف . ويا أكثر ما روع الملك الباسل ليلى إذ رأى جيش غريمه ينهمر كالسيل من أعلى الجبل ويكتسح الوادى بآلاف مؤلفة فدافع ليلى ببضع مئاته دفاع الأبطال .

ولكنه سرعان ما جرح وحمل أسيراً وذهب جيشه من قتيل وأسير وسيق به وبهم إلى نينوى حيث ألقى الملك فى كهف مسوج بالقضبان .

ولم يعان الملك ليللى فى هذا الأمر من آلام الجوع وإيلام الجروح كما عانى من آلام الروح : فها هو ذا ملطخا بالخزى والعار لا حول له ولا قوة ، يكابد عذابه وأوصا به شجاعا صابراً لا شاكيا ولا متذمراً .

اثنتا عشر يوما ينتظر الملك الموت وهو يرى فى كل لحظة خلصاءه وندماءه يساقون إلى الذبح كالخراف ولكنه تجمل وتحمل وكتم : رأى زوجته التى يحبها كل الحب مغلولة اليدين يسوقها عبدان إلى حيث تلتقى مع جوارى إيزرهادن فسكن وسكت .

وأخيراً صرصرت السلاسل وفتح باب السجن ، ودخل جنديان ، فأنهضا الملك وكبلاه بالحديد وساقاه إلى ساحة الإعدام ، وخلعوا أثواب الملك وزجروه وزجوه إلى حيث الموت ، وحينئذ صاح الملك : إنه الأجل . لا أستطيع . وفقد الملك شجاعته وبكى ، ووقع الملك على أقدام الجلادين يبكى ويسترحم ، ولكن لا سامع ولا مجيب . وشهروا السيف وأرادوا أن يهووا به على عنقه .

وهنا صاح الملك : هذا لا يمكن . إنه حلم ، ونفض الملك رأسه فعاد كما كان : إيزرهادن .

وقال إيزرهادن : يا إلهى كم قسيت من العذاب . وكم طال هذا الكابوس .

فأجاب الشيخ ذو اللحية : كم طال هذا الكابوس ! ؟ إنه لحظة يا صاحبى دونها غفوة العين ... فهل فهمت الآن ؟

فنظر الملك فى رعب ولم يجب .

فقال الشيخ أرأيت أن ليللى هو أنت . وأن الجنود الذين عذبتهم وقتلتهم ليسوا أحداً غيرك ؟ إنك تظن أيها الملك أن الحياة تجرى فى عروقك وحدك ، ولكننى أريتك أنك بعمل الشر للآخرين إنما عملته لنفسك لأن الآخرين وأنت شىء واحد ، فالحياة واحدة فى الجميع وإنما حياتك جزء من هذه الحياة العامة وصورة منها مصغرة : وإلا فخبرنى هل يمكنك أن تجعل الحياة أسوأ مما هى أو أحسن مما هى ؟ هل يمكنك أن تمدها حتى تطول ، أو تقبضها حتى تقصر ؟ ... كلا فما فى استطاعتك أن تحقق الحياة إلا فى نفسك وذلك بأن تحطم الحواجز بين حياة الآخرين وحياتك ، وبأن تنظر إلى الآخرين النظرة التى تنظرها إلى نفسك وتحبهم كما لو كانوا منك . بهذا تزيد نصيبك فى الحياة ، إنك تنظر إلى حياتك كأنها الحياة الوحيدة فى الكون وتريد أن تزيدها بما تأخذ من حياة الآخرين ، وأنا أقول لك إنه نفس هذا العمل إنما تخطىء فى حق نفسك لأنه مستحيل وفوق قدرتك أن تسلب الحياة التى توجد فى الآخرين . وخطأ أن تظن أن حياة الذين قتلتهم قد اختفت لأنك لا تراها فهى اختفت عن ناظريك فحسب ولكنها لم تختف فى الواقع أبداً ، فالحياة لا تعرف الزمان ولا المكان . حياة لحظة وحياة ألف عام وحياتك أنت وحياة كل الكائنات الكثيرة والمتنوعة فى الوجود ، كل هذا سواء ، وواحد لا يختلف . مستحيل أن تسلب الحياة أو تهبها لأحد . الحياة هى الشىء الوحيد الذى يوجد إلى الأبد ؛ وكل شىء عداها نتخيل أنه موجود وهو وهم باطل .

قال الشيخ هذا واختفى .

وفى الصباح أصدر الملك إيزرهادن أمره باطلاق سراح الملك ليللى وإلغاء كل أحكام الإعدام . وفى الثالث استدعى إليه ابنه آشور بانى يال وتنازل له عن الملك بكل قوته وسطوته .

وأما الملك إيزرهادن فقد خرج إلى الغابات يتأمل فى كل ما عرفه وطاف فى المدن والعساكر يبشر الناس بأن الحياة واحدة خالدة ، وأن الناس إذ يسيئون للغير لأنفسهم لأن غيرهم وأنفسهم واحد خالد .

زكي شنوده
المحامى



ضجعة العروس

قصة مصرية

١١٧ صفحة — مطبعة التوكل

الأستاذ محمد عبدالغنى حسن

كنا جماعة فى ندوتنا الأدبية الحرة ؛ وكانت هذه القصة فى يدى ولا أدرى لماذا حملتها وطوفت بها الآفاق . فلفت غلافها نظر صديقنا الدكتور ع . فلم يعجبه العنوان من ناحية تناسب الحروف . لأن الحروف فيه متنافرة ثقيلة ؛ والدكتور رجل دقيق الحس فيما يخص الذوق والجمال .

أما أستاذنا المحامى الكبير « ا . ق » فكان اعتراضه على العنوان من ناحية أخرى ... « ضجعة العروس » ؟؟! ما هذا ؟ إنه عنوان لا يليق .

ولعل العنوان الذى اختاره الدكتور . ع . «رقدةالعروس» كان أكثر مناسبة وأقل معترضا . ولولا أن القضاء سبق فطبع العنوان ولم يبق إلا مجال الاعتراض لا مجال الاختيار والاقتراح .

هذه القصة قصةغرامحطمه الزمان . فأخرجها الأستاذ ابراهيم عز الدين فى ثوب يريك أثر جراحات الزمان وندوبه . وللمؤلف هنا قوة فى التعبير تصور لك المأساة فى أروع صورها حتى ليكاد وصفه كله يقطر بالدماء المتقطرة على مذبح الحياة . لولا ومضات من الفكاهة هنا وهناك تجىء عفواً أحياناً ؛ ويعتمدها المؤلف أحياناً ليروح عن قرئه المكدود بأثقال الحوادث .

وما أبرع المؤلف وهو يصور لنا — خلال مشاهدالأسى — مشهد المقابر وقد زحمتها جيوش المسولين والفقهاء الذين يرتلون على قبور الموتى آيات من الذكر الحكيم لا يتبينها السامع لطول ما يلوون بها أشداقهم .

وما أبرعه أيضاً وهو يصورلنا « مأذون الناحية » فى أسلوب يسيل فكاهة ومرحا . حتى لتكاد تنسى فى تضاعيف الفكاهة المتلاحقة فى هذا الشيخ « سعاد » المسكينة المطوية بعد التمرد فى صفائح القبور .

والقصة مملوءة بالجانب « الحكائى » . وبطل القصة يروى لنا بنفسه ما تعاقب عليه من أحداث الليالى فى أحضان النساء . إلا أن البطلة « سعاد » ظهرت مقتضبة فى القصة فلا تفتح عينك حتى تراها صريعة الجحود والنكران ..

وفى خلال القصص ترى للمؤلف حكم الحياة مبثوثة فى تضاعيف السطور وهى حكم غير مقحمة ولا مجتلبة . ولكنها تصيب الموضع فتجمل وتصيب فى الأذن والقلب مكاناً . وماأصدق المؤلف وهو يقول فى صفحة ٧٤ (إن مركب الحياة تسير وتمخر فى عبابها ... ولن يثنيها عن طريقها صريع مدرج فى كفن أو وليد مدلل فى مهد) .

وعلى الرغم من أسلوب القصة القوى فان فى الكتاب استهتاراً كبيراً باللغة .وما قيمة الأسلوب والعبارة إذا خالفا اللغة ونحوها ؟ أليس من حق اللغة على شباب الكتاب أن يهتموا بها اهتمامهم باختيار العبارات .

فى صفحة ٧٨ « الكف الندى » والصواب الكف الندية لأن الكف مؤنثه كما ورد :

فلو كفى اليمين بغتك خونا   لأفردت اليمين عن الشمال

وفى صفحة ٧٩ « وهم على وشك أن يفجعونه » والصواب يفجعوه بحذف النون .

وفى صفحة ٨٩ « كان الشيخ والمرأة فرسا رهان » والصواب فرسى رهان لأن المثنى ينصب بالياء والنون وهو هنا خبر كان .

وفى صفحة ٩١ « إلى العمل فى رابعة النهار » وليس للنهار ثالثة ولا رابعة . وانما هى رائعة النهار بالهمزة .

وفى صفحة ٣٩ « كلما أمعن هذا الرجل تخليلا كلما تعقد » . وكلما لا تتكرر فى الجواب بل تحذف. قال تعالى فى سورة الأعراف

آية ٣٧ (كلما دخلت أمة لعنت أختها) . وقال الشاعر :

أو كلما وردت عكاظ قبيلة بعثت إلى عريفها يتوسم

وفى صفحة ١٥ « ويفرحن لشقوانا » وليس فى اللغة شقوى بمعنى شقاء والمذكور فى المعاجم الشقاوة والشقوة .

وإنى على ثقة أن الأستاذ الكاتب القوى إبراهيم عز الدين لحاول أن يكمل أسلوبه الفاتن ولوحاته الصادقة « برتوش » النحو واللغة فذلك خير لأدبه وقلمه — والسلام .

محمد عبد الغنى حسن

محمود تيمور

رائد القصة العربية

المعجبون بفن محمود تيمور من الشباب السورى كثير . من هؤلاء الأستاذ نزيه الحكيم مؤلف هـذه الدراسة الأدبية عن القاص المصرى الكبير التى بدأها بعرض تاريخى عن الأسرة التيمورية ومنشئها وولوع بيتها بالعلم والأدب حتى كان أحمد تيمور باشا وكان ابنه الأستاذ محمود يدرج فى أحضان بيت كريم . فاذا شب بدت عليه مخايل النجابة فهو منذ السن المبكرة يؤلف القصص حتى يجود بهذا الفن المدار الذى عرف به فى الشرق وكانت له اليد السابقة عليه فى نهضة القصة العربية الحديثة .

وفى الفصل الثانى من هـذه الدراسة حلل المؤلف الأديب طبع تيمور وسجاياه من حب للخير وهدوء وإنسانية ممحوضة ظهرت آثارها فى وصفه لطباع الأبطال فى روايتـه وسجاياهم الهادئة وتصوير إنسانيتهم الخيرة الشفافة . ثم تحرى وجهات فنه وطريقته فى القصة وإيراد الحوادث مما لم ينسحب فيه على آثار غيره، وإنما جعله طابعاً لفنه معروفا لا تجثم عليه الواقعية الباهتة ولا تُغربُ حوادثه الأوهام . ثم مضى المؤلف فى تبيان الألوان الفنية التى امتاز بهـا قصص تيمور والمراحل التى تحول فيها أثره من الفن الواقعى إلى التحليل النفسى ومن البيئة الخاصة المحدودة إلى الآفاق المنطلقة البعيدة . كل ذلك أتى عليه الأستاذ نزيه الحكيم بطريقة علمية ونقد تحليلى قويم تـكاد كل كلمة فيه تنزل فى مكانها من المعنى الذى لا يؤدى بغيرها لدقة التعبير الفنى . ثم أتبع هذه المراحل بخروج تيمور من القصة المقروءة إلى القصة التمثيلية وهو أفق أطلق تيمور فيـه جناحى طائر يجيد التدويم . وحين وصل المؤلف إلى أسلوب تيمور بين التحول فيه أيضاً مما كان يعتريه فى سوابق قصصه من لين فى التعبير وانحراف عن مصح اللغة إلى هـذه الحلية الحديثة فى آثاره الأخيرة التى استقامت لغتها وأسلس تعبيرها .

المرأة ومركزها الاجتماعى فى الدولة :

هذا كتاب طريف وظريف . أما طرائفه فلأنه يُعنى بتقديم المرأة عامة والمصرية خاصة بما يسدى اليها من نصح وإرشاد، ومايختط لها من خطط فى إنهاضها وإصلاحها . وأما ظرفه فلأنه حوار بين فيلسوف وتلميذه الفتى . فالفتى يجنح إلى عداوة المرأة والتنقير فى عيوبها ، والفيلسوف رحيم القلب رحيب الصدر يتخذ للمرأة ألين السبل لتسديد خطاها وإعلاء شأنها ودفع التلوام عنها .

فهذا الـكتاب دعوة مصلح لم يلجأ إلى التنديد والوعيد ورفع العقيرة بالصراخ، ولاجعل الوسيلة إلى بلوغ غايته من طريق الغيرة الدينية والتزمت ؛ وإنما هو دعوة مطمئنة هادئة تتسرب إلى النفوس بقبول . فـكأن فيها الإيحاء على نحو مايسميه علماء النفس . تقرأ الـكتاب كله أوفصلا منه وتخرج بنفس رضيت عما قرأت ولمست وجه الخير فيه . وقد زانه مؤلفه الأستاذ محمد البندارى بلُمَع من تاريخ العرب والأمم . وحين كتب فصل المرأة المعاصرة ونهضتها أوفى على الغاية وتناول البحث من جذوره إلى ثماره مؤرخا نهوض المرأة المصرية وأخواتها المجاورات . وجعل آخر كل فصل من فصول كتابه أبياتاً فى معنى الموضوع بعضها جاء سليم النظم واضح المعنى وبعضها بدا ظالع المبنى فهيه المعنى . وكيف اتفق الأمر ففى الـكتاب أدب وحكمة؟ فهل كان اسم صاحبه منتزعا من اسم بندار الشاعر الحكيم القديم ؟

زكى المحاسنى

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 610

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique

Lundi - 12 - 3 - 1945

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ٦١٠ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٧ ربيع الأول سنة ١٣٦٤ — ١٢ مارس سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

المجـــاهد الشهيد!

كنت في الريف ليلة نعى الناعي الزعيم الشهيد أحمد ماهر باشا. وكان من امتحان القدَر لصبري أن يروّعني هذا النبأ الفاجع الفاجئ وأنا في وحدة من الناس ووحشة من الطبيعة، لا أرى ولا أسمع ولا أحس غير وكيف السحاب وزفيف الريح وشفيف البرد، فأقبع في الغرفة قبوع القنفذ، وأنشر فكري في معاني هذا الرزء الوطني الفادح، أسبر غوره، وأتقصى أطرافه، فأشعر بثقله كله يبهظ نفسي ويصدع قواي، فأستكين للجزع وأستسلم للشجون!

ويتمثل لعيني منظر الصريع المسجَّى على فراشه الدامي، وحوله ابنته وزوجته وإخوته هلعين مشدوهين لا يكادون يصدقون أن هذا الجسد الهامد هو رجلهم الذي تركهم منذ هنيهة وقدرته فوق الأحداث، وهيبته ملء القلوب، وذكره ملء الأسماع، وعمله حديث الألسنة، وأمله سعة الدنيا، فينفر عني النوم، ويطول عليّ الليل، وتهون في نفسي الحياة!

وفي الصباح الباكر من يوم الأحد كان القرويون يتناقلون النبأ العظيم، وعلى كل وجه سهوم الحزن، وفي كل قلب لهيب الحسرة؛ كأنما وشجَت بهم جميعاً قرابة الفقيد، فمصابهم فيه واحد، وحزنهم عليه مشترك. وتلك ظاهرة اجتماعية لم يسجلها مرصد التاريخ من قبل أحمد ماهر إلا لسعد زغلول. وتعليل هذه الظاهرة أبين من أن يُبين؛ فقد كان ماهر كما كان سعد زعيماً شعبياً تألق اسمه في سطور تاريخنا الحديث تألق النجم الهادي، وتردد ذكره في حوادثه الجُلّى تردد النشيد الحماسي على أفواه الجند؛ وكان له ولرفيقه في الجهاد وخليفته في الحكم — أطال الله عمره — من فضل التدبير والتنظيم والفعل، ما كان لرئيسهما الخالد من فضل التنبيه والتوجيه والقول. ثم كان ظهور سعد للزعامة حين أبطرت الحرب الماضية نفوس الغالبين، فسطت قوة الغالب على حق الوطن، وسيطرت إرادة المحتل على رغبة الأمة، وتطامنت الرءوس فلا ترتفع، وانعقدت الألسن فلا تنطق، فتميز واشتهر بشجاعته وكفايته وبلاغته وقدرته. وكان ظهور ماهر للزعامة حين أضلت الحرب الحاضرة عقول الحاكمين والمحكومين، ففسدت الأخلاق، وماتت الضمائر، وتحكمت الشهوات، وانتهكت الحرمات، وخست المطامع، فتميز واشتهر برجولته وصراحته ونزاهته وحزبيته.

كلا الزعيمين كان رجل الساعة في وقته، وحديث الأماني لقومه؛ ذلك لدعوة الإيقاظ والثورة احتجاجاً على صلح كفر بالعدالة، وهذا لدعوة الإصلاح والوحدة استعداداً لصلح يؤمن — كما يقولون — بالحق؛ ومن ثم كان الحزن عليهما حزناً شعبياً أحسه القريب والبعيد، وأخلص فيه الخصيم والولي.

والحق أن الحزن على الفقيد الشهيد قد غزا القلوب الغُلف

والأكباد السود ، فما ظنك بمن يعرفونه عن كثب ، أو يمتون إليه بسبب ، أو يقرون له بفضل ؟ والإقرار بفضل أحمد ماهر قد بلغ حد الإجماع ، إن لم يكن من جهة كفايته فمن جهة خلقه . والخلق فى الرجل السياسى هو المزية التى تجزى عما عداها ، والثروة التى لايبلغ العلم والمال والسلطان مداها . وأخلاق أحمد ماهر كانت أخلاق الرجل الذى يعده القدر ليرفع أمته إلى الفوق ويدفعها إلى الأمام . كان أكرم الله مثواه وبرد بالرحمة ثراه ، مؤمناً بما يدعو ، مخلصاً فيما يعمل ، صريحاً فيما يقول ، جريئاً على ما يقدم ، عفيفاً عما لا يحل . وتاريخه كله مصداق لأصالة هذه الصفات النادرة فيه . جاهد فى استقلال بلاده حق جهاده ، ففكر وقدر ، ثم جهز ودبر ، وترصدته العيون ، وانفجرت من حوله المخاطر ، وأشفى به الإقدام على هوة الموت ، فما نكص ولا وهن ولا استكان ، ولم يكن يومئذ للمجاهدين أمل فى منصب ، ولا رجاء فى حكم .

ورأس مجلس النواب فى حكومة الوفد فتجلت خلال الديمقراطية فيه : كان الوفد عنده أصغر الأحزاب حين ينتصف لغيره منه ؛ وكان رئيس الحكومة عنده أضعف النواب حين يطبق (اللائحة) عليه ؛ وكان الدستور قسطاسه المستقيم لا يصدر إلا عنه ولا يرجع إلا إليه .

وتولى المعارضة حيناً من الدهر ، فكان عف اللسان عن الهُجر . عف الضمير عن الفجر ، عف الفكر عن المغالطة ، عف النفس عن الخديعة ؛ يعالن بالمخالفة ويعتمد فى إعلانها على الصدق والجد ، ويصارح بالتهمة ويستعين على إثباتها بالحق والمنطق ، وينفرد بالرأى ويجعل له من قوة إيمانه وثبات جنانه السندَ الذى لا يهى والدليل الذى لا يدفع . ومواقفه فى (المجلس) و (القصر) لا تزال عطر الأفواه والأندية ، فلا حا[illegible]

ثم رأس الحكومة ، والخصومة الحزبية على أقبح ما تكون عنفاً وحدّة ، والأخلاق الاجتماعية على أسوأ ما تكون اعتلالاً وزردّة ، والسياسة الدولية تتمخض عن أحداث جسام ستغير أوضاع الأرض وتبدل أنظمة الحياة ، فساسها بالصراحة والسماحة والحرية والعدل ، فمكّن لكل ذى رأى أن يرى ، ولكل صاحب قلم أن يكتب ؛ ومهد لائتلاف القلوب واتحاد الكلمة بالمسامحة لاستلال ما فى النفوس من سخيمة ، وبالمشاورة لتهوين ما فى المعارضة من خلاف ، وأوشك أن يقول لنفسه : «عدلت فأمنت فنمت يا عمر» ، لولا أن الخوارج لا يزالون أحياء ، وأن أبا لؤلؤة لا يزال له فى مصر أبناء ! وهكذا تجرى تصاريف القدر بما غُيب عن ابن آدم علمه ، فذهب أحمد كما ذهب عمر صريع جنون أو فتنة . ولو كان أحمد أو عمر أو سائر الأسماء العظمى علماً على رجل لهان فيه الخطب وتيسر عنه العزاء ، ففى كل ساعة من ساعات الليل والنهار تبتلع القبور ألوفاً من الأنفس فلا يُعقبون فراغاً ولا دهشة ؛ إنما هو علم على ثروة ضخمة من الخلق والعلم والمواهب والتجارب عمل فى تكوينها مع الطبيعة الحرة والزمان الطويل عوامل جمة وأحوال مختلفة ، حتى أصبحت قوة فى طاقة الإنسانية وقطعة من ثروة العالم . ففقدها يحدث فى سير الحياة من الخلل ما يحدثه فقد الضرس الصغير فى الدولاب الكبير . ذلك الخلل هو الفراغ الذى يحسه الناس بموت العظيم . وعلى مقدار العظمة يكون اتساع الفراغ . وإن الفراغ الذى أحدثه فى صف القادة مصرع أحمد ماهر فراغ واسع عميق . وكم من فراغ مثله فى نواحى الحياة المصرية أودى الزمن بشاغليه ، ولم يستطع شغله بأمثالهم ، فاضطرب المسير وأبطأ التقدم .

نحن فقراء إلى الرجال ذوى الخلق والكفاية ، وليس لنا وا أسفاه فى توفيرهم حيلة ، لأنهم من صنع الله لا من صنع المدرسة ، ومن أثر الأسرة لا من أثر البيئة . وأمثال الأسرة الماهرية فى الشرق قليلة ؛ أنجبت رجالا تميزوا على نظرائهم بأخلاق الرجولة . شق كل واحد منهم طريقه إلى المجد بنفسه ، ثم ساروا إلى غاياتهم فى طرق متوازية لا تتلاقى . وعهدنا بالأسر الكبيرة إذا سما فرع من فروعها وغلظ تسلقه الآخرون كما يتسلق اللبلاب جذع النخلة . هم يعملون للمجد أكثر مما يعملون للعيش ، ويبذلون للناس أضعاف ما يبذلون للنفس ؛ فهم فى العظماء لا فى الأغنياء ، وفى معنى السماء لا فى حقيقة الأرض ! فما أجدر هذه الأسرة أن تُدرس لتكون لأسرنا قدوة ! وما أخلق الشباب أن يتخذوا لهم من رجالها أسوة ! وما أحق مصر أن تجزع جزع الثكلى على من يعز الصبر عليه ويستحيل العوض منه !

احمد حسن الزيات

يوحنا الدمشـــقى

JOHANNES DAMASCENUS

للدكتور جواد على

عجيب أمر أولئك المسلمين ! كانت صدورهم والله رحبة أرحب من صدور أهل القرن العشرين . هذا يوحنا الدمشقى "John. of Damascus" أحد آباء الكنيسة اليونانية وأحد كبار القديسين يطعن فى عقيدة المسلمين ويؤلف الكتب فى الرد عليهم ويجادل علماءهم فى صحة دعوى النبي العظيم ، وهو مع ذلك موظف من كبار موظفى بلاط أمير المؤمنين ، ورجل من ذوى الحل والعقد فى دمشق عاصمة خليفة رسول رب العالمين .

عاصر يوحنا الدمشقى أو منصور بن سرجيوس "Sergius" المعروف « بينبوع الذهب » الخلفاء الأمويين وجالسهم وعمل لهم فى دولتهم وكانت له دالة عليهم [١]، كما كانت لوالده «سرجيوس» حرمة فى نفوس العرب ومنزلة انتقلت إلى ابنه من بعده . كان سرجيوس هذا من الموظفين المشهورين فى العهد البيزنطى ومستشاراً مالياً معروفاً ، شهد الفتح الإسلامى لسورية وظل محافظاً على منصبه هذا حتى فى الإسلام [٢] . ولعله كان موظفاً فى عهد عبد الملك بن مروان [٣].

أما ولده يوحنا فلقد كان من المقربين إلى الخليفة يزيد بن معاوية والأثيرين عنده . ولما توفى والده خلفه فى منصبه المالى الكبير وظل فى هـذه الوظيفة حتى خلافة هشام (٧٢٤ — ٧٤٣) إذ ترك الدنيا والمركز الحكومى معا لينصرف إلى إعـداد مايلزم لحياته الثانية ، الحياة الآخرة فى دير من أديرة فلسطين [١] .

ولم تصرف الوظيفة وجلالها يوحنا عن العلم والكنيسة التى كوّنته وصقلت عقله . بل على العكس من ذلك اتخذ الوظيفة وسيلة للكنيسة والدين . وسيلة يتقرب بوساطتها إلى الرؤساء والزعماء ليخفف من شدة حدتهم إن كانت هنالك حدة ضد المسيحيين عامة وضد الأرثوذكس وضد البيزنطيين على الأخص ، ولذلك كان رسولا سياسيا ودينيا فى بلاط الخليفة فى نفس الوقت [٢] . وقد عرف البيزنطيون ما حصل عليه قديسهم هذا من منزلة فى بلاط « ملك العرب » المسلمين « Saracens » ولا سيما رجال الدين منهم وساسة الحكومة فكلفوه بمهمات صعاب مختلفة ووسطوه لحل مشاكل دولية معقدة . حتى تصوروا أن مركزه فى سورية كان يضاهى مركز الخليفة بدليل إغداقهم عليه الألقاب التى كانوا يلقبون بها عادة خلفاء المسلمين ، ونعتهم إياه بالنعوت التى كانوا ينعتون بها عادة آل أمية ملوك الشام [٣] .

ونال يوحنا من تقدير رجال الدين والكنيسة ما ناله من تقدير الدولة البيزنطية وجماعة الحكومة . نال لقباً عظيما هو لقب « قديس » ولقب بلقب آخر جميل اللفظ والمعنى هو لقب « يوحنا ينبوع الذهب » [٤] وخصصت له الكنيسة الأغريقية يوم ٤ دسمبر ويوم ٦ مايو ليكونا عيدين خاصين بهذا القديس [٥] . الذى برع فى علم المنطق والفلسفة وفى الثقافة اليونانية ، والذى اتخذ من المنطق سلاحا يدافع به عن الكنيسة ، والذى فلسف الكنيسة الشرقية وأخضع المعارف الأغريقية الوثنية لحكم سلطان الدين المسيحى [٦]

ووهب الله صاحبنا بصراً فى العلوم الزمانية فاق بصره فى العلوم الدينية . برع فى علوم زمانه وتقدم على أقرانه وخلانه . وألف كتابه الشهير المعروف باسم « ينبوع الحكمة » اقتصر فى القسم الأول منه على محاورات أرسطو . وقد جمع العلامة لوكياز

---

(١) راجع The Encyclopaedia Britannica 14. ed val. 13 p. 102. كذلك كتاب المخطوطات العربية لكتبة النصرانية للأب لويس شيخو اليسوعى بيروت ١٩٢٤ ص ٢١٧ .

(٢) راجع Hitti, History of the Arabs p, 246 . ولكنه يقول كان جده منصور بن سرجيوس والصحيح أن منصور هو اسم يوحنا العربى وأن سرجيوس هو اسم والده . راجع دائرة المعارف البريطانية طبعة ١٤ ج ١٣ ص ١٠٢ وما بعدها .

(٣) Becker. Islam Studies val g p 434 .

---

(١) Hitti. p, 246

(٢) Islam Studies vol 1 p, 434 M. 94 449.

(٣) راجع Islam Studies. vol 1 p. 434 وكذلك مباى M. 94 449

(٤) The Encycl Brit. vol 13 p, 102 Harnacks, History of Dogmatroversy, IV p, 322

(٥) دائرة المعارف البريطانية ج ١٣ ص ١٠٢

(٦) Textbook of the History of Philosophy, p. 227

تآليفه اليونانية ونشرها فى « مجموعة الآباء اليونان »[١]. والعلامة الفرنسى « لوكوين » Le Quien[٢].

وهو بجملته وتفصيله مرآة صافية للكنيسة الأرثوذكسية اليونانية فى معلوماتها ومعارفها فى ذلك العهد . وبحكم مقامه فى الخط الأول من خطوط القتال بين الإسلام والنصرانية اضطر إلى دراسة الأسلحة التى شهرها المسلمون على المسيحيين وعلى التنقيب فى القرآن الكريم وفى أحاديث الرسول وفى سيرة النبى وأصحابه من الأنصار والمهاجرين لعله يجد نقصاً أو ضعفاً يتخذه هدفاً يهاجمه أو ركناً يبنى عليه خطة هجومه على المسلمين بدون شفقة أو رحمة وهوادة .

بهذه الروح اعتكف يدرس القرآن الكريم والحديث النبوى وهو فى عصر كان فيه أصحاب رسول الله أحياء يرزقون ، حتى إذا ما حفظ القرآن وما شاء من أحاديث انطلق كالأسد يزأر فاتحاً فكيه يريد موضعاً سهلا يغرس فيه أنيابه من جسم المسلمين .

بتلك الروح صار يفلى آيات القرآن الكريم وينبش فى ثنايا أحاديث الرسول وأخبار أصحابه من المهاجرين والأنصار لعله يعثر على ذلك الموضع السهل الذى يهجم منه على الإسلام ، أو يمكن الطعن فيه بسلاح المنطق اليونانى الذى لم يتمرن العرب عليه ولم يكن لهم به خبرة أو إلمام ، والذى صوبه الوثنيون إلى النصارى فمضى مدة فى جسم الكنيسة حتى إذا ماتعلمه رجال الدين استخدموه لمحاربة خصوم الدين . وفى الفصل ١٠١ من رسائله وفصوله (بالآرامية، ميامى) ، وهو الفصل الذى عنونه بهذا العنوان (De Hearesibus) ، وفى مناظراته الكثيرة معلومات غزيرة تدل على اطلاع واسع على تاريخ المسلمين[٣].

استشهد مثلا فى الفصول التى كتبها دفاعاً عن المسيحية التى كانت تحتضر فى سورية ومصر وفلسطين وفى المناطق العربية الأخرى بآيات من القرآن الكريم وبكثير من الأحاديث لإثبات وجهة نظره ولمناقشة المسلمين بتلك المصادر فى صحة دعواهم على طريقة استخدام الكليات والجزئيات والمقدمات والنتائج والحوار والمناظرة .

وبالنظر إلى جهل أبناء دينه بأسباب الجدال الدينى وبالبراهين العلمية المنطقية فإنه وضع لهم كتابا فى المناظرة على طريقة السؤال والجواب على هذا النسق : « إذا سألك العربى كذا فأجبه بكذا وليس بكذا »[١] ، وشدد على إخوانه بوجوب حفظ هذه المحاورة واتباعها حرفيا وشدد فى تحريم مبادرة العربى بالسؤال خوفا من الزلل والوقوع فى مهاوى الضلالة ، ومن الارتباك الذى قد يؤدى إلى تغلب العربى على المسيحى فى النهاية .

وهذه الرسالة حوار (Dialogue) بين عربى مسلم وبين مسيحى جمع فيها أكثر ماكان يدور فى خلده وفى خلد الجدليين من أسئلة ومن أجوبة ومن فروق بين الديانتين . خذ مثلا لذلك ما جاء فى طبيعة المسيح . قال : « إذا سألك العربى ما تقول فى المسيح ؟ فقل له إنه كلمة الله . ثم ليسأل النصرانى المسلم : بم سمى المسيح فى القرآن ؟ وليرفض أن يتكلم بشىء حتى يجيبه المسلم فإنه سيضطر إلى أن يقول : « إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه »[٢]. فإذا أجاب بذلك فاسأله : هل كلمة الله وروحه مخلوقة أوغير مخلوقة ؟ فإن قال مخلوقة فليرد عليه بأن الله إذن كان ولم تكن له كلمة ولاروح، فإن قلت ذلك فسيفحم العربى ، لأن من يرى هذا الرأى زنديق فى نظر المسلمين»[٣].

وفى موضع من مواضع الرسالة يجيب على اعتراض المسلمين على المسيحيين فى قضية عبادة الصليب وتقديسه بقوله : «أنتم تنكرون علينا تقديس الصليب وهو من خشب ، فى حين أنكم تقدسون حجراً أسود هو رأس« أفروديت » Aphrodite»[٤]. ثم يستمر فيقول : « وتدعون بأنكم إنما تقدسون هذا الحجر الأسود لأن ابراهيم الخليل على زعمكم كان قد اضطجع عليه أو

---

(١) دائرة المعارف البريطانية ج ١٣ ص١٠٢ كذلك الأب لويس شيخو ص ٢١٧ أيضا Migne, Patrol Greac XCIV (424—489)

(٢) Le Quien 2 vol, fal, Paris 1 712.

(٣) راجع ميامى ٥ M 94 1585 ff 96 1335 ff كذلك Islam Studies p, 434 f vol 1

---

(١) Islam Studies vol, 1, p, 435 دائرة المعارف البريطانية ج ١٣ ص ١٠٢ J. Hell, The Arabic Cniture, p, 75

(٢) سورة النساء آية ١٧٠

(٣) الترجمة نقلا عن كتاب تراث الاسلام ج ١ ص ٢٤٧ . راجع أيضاً « ميامى ٥ » وكذلك Islam Studies, vol , 1, p, 437

(٤) كان اليونان يزعمون أن العرب كانوا يعبدون إلهين هما « افروديت » و « باخوس » وظن صاحبنا أن الحجر الأسود هو رأس أحدهما وهو افروديت . راجع تاريخ هيرو دوتس M, 94, 769

لأنه ربط به الناقة حينما همّ بذبح اسحاق . وتسخرون منا لأننا نقدس الصليب الذى صلب عليه سيدنا عيسى المسيح»[١]، وقوله هذا ظاهر البطلان لم يأت فى القرآن الكريم ولا فى الحديث الشريف[٢].

جاء فى القرآن الكريم : « وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ، مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا[٣]» وهذا معناه عدم اتفاق وجهة نظر المسلمين مع المسيحيين فى دعوى صلب المسيح . وذهب صاحبنا مذهب المغالطة والجدل الصورى فعمد إلى التفسير وإلى الآية التالية مدعيا بأن فى «ولكن شبه لهم » غموضا تفسره الآية التى بعدها « بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيما»[٤] وفى هذه الآية على زعمه من الاعتراف بصحة الصلب والصليب ما لا يخفى .

ثم يقول : « وتدّعون أيضا بأن الذبح ، أى ذبح ابراهيم لإسحاق ، إنما كان فى مكة ، ومكة بلد غير ذى زرع ، وهذا موضع لا ينطبق عليه ما جاء فى التوراة ، وهو كتاب الله ، إذاً فمكة ليست بذلك المكان»[٥]. ومن الأبحاث الأخرى التى تعرض لها هذا القديس مبحث تعدد الزوجات ، وبعد أن ذكر نص الآية التى حددت عدد الزوجات[٦] ، وبعد أن ترجمها ترجمة حرفية[٧] بحث فى الطلاق ، وانتقل إلى زواج النبى بزينب وتطليق زيد لها[٨] ، ثم تحدث عن « التجحيش » بعد الطلاق الثالث[٩] وعن قوله تعالى « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم وقدّموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين»[١٠].

وبحث فى قضية عويصة ، هى قضية حرية الإرادة والجبر والاختيار « مشكلة القدر » ، وكانت قضية القدر من أهم المشاكل التى تعرض لها العصر الأموى لما كان لها من ارتباط بالوضع العام والسياسة فضلا عن الدين .

قسّم يوحنا العالم إلى فريقين : فريق دان بعقيدة « الجبر » والضرورة وهو فريق المسلمين ، وفريق دان بحرية الإرادة أو بالقول «بالاستطاعة» وهو فريق المسيحيين . وبعد أن ذكر أن المسلمين قاطبة كانوا يدينون بعقيدة « القدر خيره وشره من الله » . وذلك على عكس مدلول الكلمة والمعنى الذى خصصت به فيما بعد . قال : « إنهم إذاً بقولهم هذا ينسبون الشر والقبيح إلى الله » . ولماذا ؟. يجيب على هذا الإعتراض بهذه الصورة . « هل يمكن أن يكون الله هو العلة والسبب والفاعل لكل شىء حتى المكروه ؟ يقول المسيحيون لا ، لأن الله لا يمكن أن يكون خالقاً للقبيح أو الشر — إذ يكون حينئذ ظالماً ومن المحال أن ينسب الظلم إلى الله . إن الله جل جلاله يجازى الظالمين والآثمين فكيف يجوز أن يجازى الله شخصاً أمره أن يقوم بعمل فقام به ، أو يكون العقاب فى الدنيا فضلا عن ذلك عقاباً موجهاً ضد إرادة الله تعالى ، فالله أراد أن يكون ذلك الرجل شريراً فأصبح شريراً ومن الحيف إنزال العقاب بشخص لم يكن له فى العمل أى استطاعة أو اختيار»[١].

يقول يوحنا بعد ذلك « وسيتعجب العربى من هذا القول ، وسيقول لك ولكنك أشركت من حيث لا تدرى ، وعلى المسيحى أن يجيبه فوراً ولكنك نسبت الظلم إلى الله من حيث لا تدرى . ثم ليباغت المسيحى المسلم بهذا السؤال : من خلق نطفة ولد الزنا فى بطن أمه ؟ سيقول المسلم : الله . وعلى المسيحى أن يرد عليه بقوله : إن الزنا عمل قبيح وهو فى حد ذاته شر ، فالله على قولكم إذاً ساعد على هذا الشر ، وهو أمر لا يليق بالله تعالى»[٢].

ويجيب يوحنا على لسان المسيحى بهذا الجواب « إننا معاشر النصارى نعتقد بأن الله لم يخلق شيئاً بعد أسبوع الخلق الأول . وإنما أمر الله عبيده بعد ذلك بالاستمرار على التكاثر والإنتاج . فجعل فى صلب آدم أبى البشر قدرة الإنتاج وأصبح الإنسان منذ ذلك الحين منتجاً»[٣].

---

(١) Islam Studies, vol 1, p, 437, M. 94, 769

(٢) Islam Studies, p, 437 راجع المصادر الاسلامية

(٣) سورة النساء آية ١٥٦ .

(٤) سورة النساء آية ١٥٧ .

(٥) Islam Studies, vol, 1, p, 437

(٦) راجع سورة النساء آية ٣ .

(٧) راجع وسط ميى M, 94. 769,

(٨) سورة الأحزاب آية ٣٧ .

(٩) سورة البقرة آية ٢٢٩ .

(١٠) سورة البقرة آية ٢٢٣ .

---

(١) Islam Studies, vol, 1, p, 440

(٢) M, 94, 1590 ff, Journal Asiatige, 57, 397

(٣) M, 94, 1593.

أسرار الشـــعراء

للأستاذ صلاح الدين المنجد

[تتمة ما نشر فى العدد الماضى]

ولنقرأ الآن صفحة أشد متعة ، تتعلق بأمر ذى شأن عند الأديب ؛ ذلك هو النقد ، نقد آثاره بنفسه ، ونقد الناس آثاره . والأدباء فى هـذا الأمر مختلفون متباينون . فهذا تهيجه الكلمة الواحدة فيثور لأخف نقد ولا يرضى عنه ، وذاك لا يثور ولا يحفل بما قيل . وهؤلاء أناس يستقبلون أروع الآثار بنقد لا نقد فيه . وأولئك يستقبلون أهون الكتب بمدح وتقريظ . وكلٌّ يكتب عن هوى فى نفسه أو غرض لديه فيسف ولا يعلو . ويتجنى ولا يقـدِّر ، كل ذلك لغرضه وحاجته ، وقديماً قال الصوفيون « المرض فى الغرض » .

اسمع النقد الذى استقبلت به قصيدة كيتز المسماة « آنديميون » Endymion أروع قصيدة لهذا الشاعر ، التى يقولون إنها تحوى أبياتا فرائد من الشعر الانكليزى .

لقد كتب ناقد مجلة Quarterly Revieu يقول : لقد سرق هذا الشاعر أفكار السيد هنت hunt (وهو صحافى وشاعر معروف) وادّعاها لنفسه . ولكنه كان أشد غموضاً منه ، وهو جامد الطبع ينحت من صخر ... »

فما ذا أبقى هذا الشاعر لكيتز ؟ سرّاق أفكار ، وجامد الطبع ينحت من صخر ! لم يبق له شيئا إذ ذاك . ولكن الناقد يمضى ويمضى معه غرضه الذى دفعه إلى هذا النقد الغث ، وتبقى القصيدة وحدها خالدة لروعتها وعظمتها .

وحين أصدر الشاعر الأميركى « ويتمن » ديوانه الخالد « أوراق العشب » قال النقدة عنه إنه مشابه كلام العوام ، مفعم بالحماقات ؛ وتطاول آخرون فقالوا ماليس يقال .

على أن هذه النّقدات ما أثرت فى الشاعر ولا أبِهَ لهـا . وظلَّ يعمل حتى أدرك الثالثة والسبعين من عمره . أما كيتز المسكين ، فقد مات فى السادسة والعشرين . وكان من سبب موته يأسه الشديد حين قرأ ذلك النقد السخيف .

شتان بين هذين الشاعرين ! لقد أعرض ويتمن عما قالوه لأنه ليس من النقد فى شىء ، ولأن النقد غـير السباب والتعريض . لقد كان عقله ذا سلطان على نفسه . أما كيتز فقد كانت نفسه الرقيقة أعظم من عقله ، فتغلب عليه اليأس ، وأضناه ماسمعه من سباب . وهكذا يكون النقد سبباً للاحياء ويكون أيضاً سبيلا للموت .

هذا النقد الذى قضى على كيتز ، وكاد يقضى على « اندرسن » هو الذى دفع إلى المجد كوبّـه ، ولوتيس ، وكلودفارير ، وماترلنك .

ولنعد إلى شاعرنا كيتز . لقد ثار على النقاد جميعاً ، ولا شىء يؤلم حقاً كقراءة هذه الرسالة التى كتبها شلّى بهـذا الشأن إلى مدير مجلة « كوررترلى روفيو » يخبره فيها « إن كيتز المسكين قد أُلجىء إلى حالة لا تطاق من جراء تعسف الناقد وسوء تأتيه . لقد سبب له مرضاً أحسب أن الأمل ضعيف فى شفائه منه . ولقد كتبوا إلى أن أولى علامات المرض تحاكى الجنون ، وأنهم جهدوا كثيراً حتى استطاعوا أن يمنعوه من الانتحار . وإلى ذلك فإن آلامه النفسية سببت انفجار وريد دموى فى الرئة . وبدت دلائل السل المعوى لديه » .

فأى نفس ، هذه النفس الرقيقة ؟

والنقّـاد فى بعض الأحيان لا يفهمون ولا يقدّرون ، وقد يهرفون بما لا يعرفون . ولـكنهم ، على كل حال ، يكتبون وينقدون . ربما رفعوا قصيدة لبيت ، وربما خفضوا كتاباً لمقطع ... لقد اتهم النقادُ هاردى طول حياته بأنه كان متشائما . ولـكنه لم يحفـل بمـا قالوا ولم يحاول أن يدفع عنه ما نسبوه ولـكنه ثار يوماً ، وقد بلغ الرابعة والثمانين من عمره ، عند مانقده ناقد ، فـكتب يقول :

وظن يوحنا بأنه قد تغلب على المسلمين بهذا الجواب . وقد ردّد تلميذه ثيودور أبو قرّه الذى عاصر الخلفاء العباسيين هذه النغمة فى الفصـول « اليامى بالارامية » التى ألفها فى الرد على اليهود والمسلمين . وكأنك تقرأ فى هذه اليامى النزاع الذى كان بين القدرية والجبرية أو بين المعتزلة والأشاعرة . تقرأ فى الرسالة الأدلة والبراهين التى استعملها المعتزلة فى خصامهم مع الأشاعرة والفرق الأخرى تماماً .

(البقية فى العدد القادم)

جواد على

الاميرة علية بنت المهدى

١٦٠ – ٢١٠

للأستاذ سعيد الديوه جى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

غناؤها

ورثت هذا الفن الجميل عن أمها مكنونة التى غرست فى نفسها الطرب منذ نعومة أظفارها فشبت مطبوعة على التلحين والغناء والعزف ، ولم تكن عُلية من المقلدات لغيرها فى هذه الصنعة ، بل إن أشهر المغنين كانوا يسعون إليها ويأخذون عنها . وقد وضعت ثلاثة وسبعين صوتاً ، فكانت من أجمل الأصوات التى يتغنى بها فى العصر العباسى . ذلك لأن الأبيات التى غنتها كانت صادرة عن روحها الشاعرة ، وهى أعلم الناس بمعناها ، فكانت أبدع الناس فى مغناها . ولها بعض الأصوات كان يتغنى بها الكبير والصغير ، والسوقة والأمير ، والعالم والجاهل ؛ وانتشرت بين جميع طبقات الشعب ومنها الصوت التالى وهو من نظم (وضاح اليمن) فى محبوبته (أم البنين) .

حتام نكتم حزننا وإلاما ؟ وعلام نستبق الدموع علاما؟
إن الذي بى قد تفاقم واعتلى ونما وزاد وأورث الأسقاما
قد أصبحت أم البنين مريضة أخشى بما نقلوا على حماما

وإن شهرة أخيها إبراهيم فى الغناء كانت مستمدة منها ، لأنها كانت كلما وضعت صوتاً استدعت إبراهيم وألقته عليه حتى يتقنه . ثم تأمره أن يعلم جواريه وجواريها هذه الألحان ، فكان إبراهيم يتولى تعليم الجوارى . وأحدثت عُلية ميلا كبيراً إلى الفنون الجميلة بين أعضاء الأسرة المالكة ، كانت هى زعيمة الحركة وأخذعنها أخوها إبراهيم وفاق كثيراً من أهل عصره حتى قالوا : « إنه لم يُرَ فى جاهلية ولا إسلام أخ وأخت أحسن غناء من إبراهيم بن المهدى وأخته عُلية وكانت تقدم عليه » كما كان أخوها يعقوب زامراً مشهوراً وأختاها تضربان على العود ضرباً فائقاً .

وقصرها كان أشبه بمدرسة فنون جميلة يتردد فى جوه

« إنى لأدهش من أنه ينبغى أن أذكر الناقد الأديب أمراً هو أول قواعد النقد ، أمراً كان عليه أن يعرفه كما أعرفه . إن أثر المؤلف يُنقد ويحكم عليه بالجملة لا بمقاطع مأخوذة عرضاً ربما تعارضت وتباينت ... »

ويتناول تينسون Tennyson مسألة السرقة الأدبية ، فيقول : « وربما صادفوا معنى واحداً عند شاعرين ، فيقولون هذا سارق وذاك مسروق منه ، مع أن العين البشرية تتأمل الأشياء نفسها فى العالم كله ، فمن الطبيعى أن يتلاقى الشعراء ... » ويذكر أن أديباً صينياً كتب إليه ذات يوم يخبره أن بيتين فى شعره وجدها بألفاظهما ومعانيهما فى قصيدة لشاعر صينى لم تترجم ولم تنقل إلى لغة من اللغات .

ويُدلل تينسون على عجز النقاد عن الفهم بقوله :

عرفت عجوزاً ، زوج صياد ، فقدت ولدها فى البحر . فرأيتها فى يوم عاصف تشير بقبضة يدها إلى البحر الهائج وتصيح :

« آه ! تستطيع أن تزأر وتنفض الآن ! فلشدّ ما أبغض مرآك مظهراً أسنانك البيض .. »

قال : فلو أنى ذكرت ذلك فى قصيدة من قصائدى لنصح لى النقاد أن أصور مجازى تصويراً طبيعياً لا خيالياً » .

ويضرب تينسون مثلا آخر فيقول :

« قمت برحلة إلى ألبيرنه ، وأنا فى العشرين من عمرى . فأعجبت بشلال عظيم يساقط من علو ألف قدم . فكتبت فى كناشتى إنه يتساقط على روْد ، كأنه شُرُع من القماش الناعم الرقيق . »

فلما أخرجت ذلك للناس ، أعلمنى ناقد ، أن هذا القماش الذى شبّهت الشُرُع به هو نسيج يستعملونه فى المسارح ، ليقلدوا الشلال المتساقط ، ثم أضاف « وإن السيد تينسون ليحسن صنعاً إن استوحى الطبيعة ولم يستوح المسارح » .

وبلغ تينسون الذروة من المجد ، وقد يعجب القارئ إذا علم أن أول مجموعة شعرية صدرت له بيع منها خلال سنة كاملة نسختان فقط بعد جهد وإغراء .

* * *

وبعد ، فهذى طُرَف من الأسرار .. فهل ترى أعذب من الأسرار؟

دمشق

صلاح الدين المنجد

ما أبدعته قريحة علية من الشعر ، وما وضعته من الألحان يزينها عزف إبراهيم وأختيه ، ومزمار يعقوب وترديد الجوارى ، كما أنها كانت فى أوقات فراغها تستدعى أخاها تطارحه الألحان أو تأمر الجوارى أن يعرضن أمامها ما أخذنه عنه . وكان الرشيد إذا نظم أبياتاً يبعث بها إلى بلبل بنى العباس فتصوغ لها لحناً وتغنيه بها . أرسل إليها مرة هذين البيتين من نظمه :

يا ربة المنزل بالفرك   وربة السلطان والملك
ترحجى بالله من قتلنا   لسنا من الديلم والترك

فصاغت فيهما لحناً جميلا . ولما حضر عندها الرشيد أخذت تغنيه هى وإبراهيم أخوها يضرب بالعود ويعقوب يزمر والجوارى يرددن

علمت عُلية يوماً أن الرشيد قد غضب عليها بوشاية حاسد وهى من أعلم الناس بمعالجته . فنظمت ثلاثة أبيات وعملت لحناً فيها وألقتها على جوارى الرشيد وأمرتهن أن يغنين بها فى أول مجلس يجلسه فغنين :

لو كان يمنع حسن العقل صاحبه   من أن يكون له ذنب إلى أحد
كانت علية أبرى الناس كلهم   من أن تكافا بسوء آخر الأبد
ما أعجب الشىء ترجوه فتحرمه   قد كنت أحسب أنى قد ملأت يدى

فطرب الرشيد طرباً شديداً ، وسأل الجوارى عن القصة فأخبرنه بها ، فبعث إليها فحضرت فقبل رأسها وسألها أن تغنيه هى ، فأعادته عليه فبكى وقال لها « لا جرم أنى لا أغضب أبداً عليك ما عشت » ، وبلغها يوماً أن الرشيد وأخاه منصور يتحدثان فى جنة دار الخلد ، فاستدعت جاريتها « خلوب » المغنية ، وأمرتها أن تذهب إلى الرشيد وتغنيه هذا الصوت ، وأن يضرب على غنائها بعود :

حيا كما الله خليلىّ   إن ميّتاً كنت وإن حيا
إن قلتما خيراً ، نخير لكم   أو قلتما غيًّا ، فلا غيًّا

أما تأثير غنائها فكان عظيما ، ذلك أنها كانت تمتاز برخامة صوتها ، وحسن توقيعها ، وتفننها وإبداعها فى كل ما تضع من الأصوات . دخل يوماً « إسماعيل بن الهادى » على « المأمون » فسمع غناءً أذهله ، فقال له المأمون : مالك ؟ قال : قد سمعت ما أذهلنى : وكنت أكذب أن أرغن الروم يقتل طرباً ، وقد صدقت الآن بذلك . فقال له المأمون : ألا تدرى ما هذا ؟ قال : لا والله . قال : « هذه عمتك علية تلق على عمك إبرهيم صوتاً » .

شعرها

نشأت علية منذ نعومة أظفارها مطبوعة على قول الشعر ، فشبت متفننة فى قرضه ، وكانت آية فى الفصاحة والبلاغة . وقد ذكر « ابن النديم » أن لها ديوان شعر قد رآه . ولكن أين هذا الديوان ؟ لا شك أن أيدى البلى أبلته كما أودت بصاحبته . يقول الصولى « إنى لا أعرف لخلفاء بنى العباس بنتاً مثلها ، على أن لها شعرا حسناً جدا ، وصنعة فى الغناء حسنة كثيرة » وما وصلنا من أشعارها يدل على أنها صادرة عن قلب شاعر ونفس صافية وقريحة فياضة وروح نشأت على حب الفنون الجميلة ، فكان كل ما صدر عنها جميلا ، ولهذا كان شعرها مما يغنى به فى صدر الدولة العباسية لرقته وانسجامه ووقعه فى النفس . ومما يدل على انطباعها على قول الشعر أنها كانت تعبر فى شعرها عن الكثير من أغراضها حتى المراسلات الخصوصية .

كانت علية جميلة فى صورتها ، جميلة فى نفسها ، جميلة فى صوتها ، تحب الجمال وتألف الجميل ، ففاض هذا الجمال فى شعرها ، فكان لؤلؤا منضودا تزين به تيجان الخلفاء ، ولشعرها وقع فى النفس وروعة فى القلب ، لأنه صادر عن قلب شاعر فياض .

وعلية تقول الشعر لنفسها تعبر به عما يخالجها من الأهواء والنزعات وما يجيش بصدرها من حب وإجلال لأهلها ، وما توحيه الطبيعة من مناظرها الخلابة ، أوما تحدثه فيها الحضارة من التنسيق والترتيب . وهى أصدق شاعرة عبرت فى شعرها عما كانت تعانيه المرأة فى ذلك الوقت من التضييق والإرهاق ، وما كانت تقاسيه من لواعج الشوق والهيام فى سجنها الضيق وأغلالها النادية ، وما كانت تولده هذه من انفجار عظيم تردد صداه بغداد . فالكثيرات هن البائسات اللاتى أجسادهن مكبلة فى القصور وأرواحهن كانت تتمنى القبور :

بتُّ قبل الصباح إن بت إلا   فى إزار على فراش حرير
أو يحلْ دون ذاك غلق قصور   كم قتيل من الهوى فى القصور ؟

ونجد فى شعرها ما كان يدور بين ربات الخدور من لغات العيون والرموز والإشارات تعبر عما تكنه الصدور من الحب والشوق ولا تقدر الألسن أن تبوح به :

تكاتبنا برمز فى الحضور   وإيماء يلوح بلا ستور
سوى مقل تخبر ما عناها   بكف الغيب فى ورق السطور

أما أشعارها الكثيرة فهى فى العشق والهوى والحب وأسبابه

ووصف حال المحب ودلال المحبوب وظلمه وهجره . وقد أجادت في هذا الباب وأتت بما لم يتهيأ لغيرها من الشاعرات ، بل إن الشعراء أخذوا يقتفون أثرها ويسلكون سبيلها في تعليلاتهم فهي تقول :

ليس خطب الهوى بخطب يسير — لا ينبئك عنه مثل خبير
ليس خطب الهوى يدبر بالرأ — ي ولا بالقياس والتدبير
إنما الحب والهوى خطرات — محدثات الأمور بعد الأمور

ولعلية غزل رقيق يستهوى القلوب ، وأشعارها في هذا الباب كثيرة منها قولها :

أتانى عنك سبك لى فسبى — أليس جرى بفيك اسمى فحسبى
وقولى ما بدا لك أن تقولى — فما هذا كله إلا لحبى
فما زال المحب ينال سباً — وهجراً ناعماً ومليح عتب
فصارك الرجوع إلى مرادى — فما ترجين من تعذيب قلبى
تشاهدت الظنون عليك عندى — وعلم الغيب فيها عند ربى

وعلية إذا مدحت فانها تمدح أخاها الرشيد وابنه الأمين ،وهى بهذا تجزل اللفظ وتحكم المعنى وتوفى الممدوح حقه — كيف لا ؟ وهى ما تمدح إلا نفسها فتعبر عما يكنه صدرها لأخيها من الحب والاحترام وما يملأ قلبها من الفخر بآبائها وأجدادها العظام، وإذا زارها الرشيد استقبلته بقولها :

قل للامام ابن الإما — م مقال ذى النصح المصيب
لولا قدومك ما انجلى — عنا الجليل من الخطوب

ثم تنثنى فتفخر بالأمين سليل بنى العباس ابن زبيدة والرشيد فتقول :

يابن الخلائف والجحاجحة العلى — والأكرمين مناسباً وأصولا
والأعظمين إذا العظام تنافسوا — بالمكرمات وحصلوا تحصيلا
والقائدين إلى العزيز بأرضه — حتى يذل عساكرا وخيولا

وإذا علمت أن الرشيد قد استزار أختيها ولم يكتب لها كتبت إليه تعاتبه :

مالى نسيت وقد نودى بأصحابى ؟
وكنت والذكر عندى رائح غادى
أنا الذى لا أطيق الدهر فرقتكم
فرق لى بأبى من طول إبعادى

وإذا ودعت أخاها الرشيد فانها تودعه بشعرهاوقلبها فتقول:

لاحزن إلا دون حزن نالنى — يوم الفراق وقدغدوت مودعاً
فاذا الأحبة قد تولت عيرهم — وبقيت فردا والهاً متوجعاً

وإذا طالت عليها أيام رمضان وهى مشغولة بصيامها وقيامها تذكرت أيام لهوها ومرحها وحفلاتها التى كانت تقيمها فى قصرها وحنت إلى ذلك بشعرها :

طالت علىّ ليالى الصوم واتصلت
حتى لقد خلتها زادت على العدد
شوقا إلى مجلس يزهو بساكنه — أعيذه بجلال الواحد الصمد

وإذا ما رأت تقصيراً من « طغيان » خادمها أو خيانة من وكيلها « سباع » فانها كانت تهجوهما هجواً لاذعاً مقذعاً لا يخلو من الفحش . ومن أهاجيها الجيلة أنها حضرت حفلة زفاف ورأت مخنثاً قد تزيا بزى النساء وخضب يديه وكحل عينيه ، وحمر شفتيه ، وهو ينقر بالدف ويغنى ويرقص والنساء قد حففن به يصفقن له ويضحكن عليه وهو مسرور بعمله هذا :

ومخنث شهد الزفاف وقبله — غنى الجوارى حاسراً ومنقباً
لبس الدلال وقام ينقر دفه — نقراً أقر به العيون وأطربا
إن النساء رأينه فعشقنه — فشكون شدة مابهن فأكذبا

وإذا كتبت إلى صديقتها ولم يأتها الجواب كتبت إليها تعاتبها :

ياخلتى وصفيتى وعذابى — مالى كتبت فلم يرد جوابى ؟
خنت المواثق؟أم تميت حواسداً — يهوين هجرى ؟ أم مللت عتابى؟

وإذا جلست فى حفلاتها ولم تجد من تحب وتهوى شعرت بألم الفراق ولوعة الاشتياق زفرت من قلبها :

ياموري الزند قد أعيت قوادحه — اقبس إذا شئت من قلبى بمقباس
ماأقبح الناس فى عينى وأسمجهم — إذا نظرت ولم أبصرك فى الناس

وإذا طال غياب الرشيد عن عاصمته بغداد وخلت حفلات علية منه شعرت بفراغ واسع ونقص فى سرورها فلا يكمل إلا به كتبت تعاتبه :

هرون ياسؤلى وقيت الردى — قلبى بعتب منك مشغول
مازلت منذ خلفتنى فى عمى — كأننى فى الناس مخبول

ولعلية قلب ضعيف لايحتمل القهر والهجر ، فكانت تستعين بدموعها فى تخفيف أحزانها وأشجانها وتروح بها عن نفسها وتنفس كربها :

بليت بقلب ضعيف القوى — وعين تضر ولا تنفع
إذا ماذكرت الهوى والنى — تحدر من جفنها أربع

وكنت تراها تتنقل فى حدائق قصرها الواسعة ، تمتع نظرها

بأزهارها وأشجارها وتصغى إلى ترديد أطيارها وخرير مياهها وحفيف أشجارها ، فينعكس هذا فى نفسها فترده شعراً ، تقف على الزهرة فتشمها وتناجيها ، وعلى الساقية تردد معها الألحان ، وأمام الحمام تشاركه السجع ، ومع الهزار تشاركه التغريد . ومن أوصافها الجميلة أنها رأت ريحانة تميل مع الريح فمال قلبها إليها فاقتطفتها وقالت :

كأنها من طيبها فى يدى ... تشم فى المحضر أو فى المغيب
ريحانة طينتهـا عنبر ... تسقى مع الراح بماء مشوب
عروقها من ذا ، وتسقى بذا ، ... ممزوجة بالماح طيباً بطيب
تلك التى هام فؤادى بها ... ما إن لدائى غيرها من طبيب

هذا هو الشعر الحقيقى الصادر عن شعور خالص لا أثر فيه للتكلف ولا للمبالغة والتهويل . ولها أبيات معانيها مبتكرة ، وتجرى مجرى الأمثال يتناقلها الناس عصراً بعد عصرها :

رأيت الناس من التى ... عليهم نفسه هانا
فزر غباً تزد حبـاً ... وإن جرعت أحزانا

وقولها :

ماينظر الناس إلى المبتلى ... وإنما الناس مع العافيه

وقولها :

الحب أول مايكون جهالة ... فاذا تمكن صار شغلاً شاغلاً

عفافها

كانت علية مثالا صالحاً ، وقدوة حسنة للمرأة المسلمة التى تعبد ربها حق عبادته ولا تنسى نصيبها من الدنيا ، ذات صيانة وأدب ، شاركت الشعب فى لهوه ومرحه وأناشيده ، وترفعت من مفاسده ورذائله . قال أبو الفرج الأصفهانى : « كانت علية حسنة الدين ، وكانت لاتغنى ولا تشرب النبيذ إلا إذا كانت معتزلة الصلاة ، فاذا طهرت أقبلت على الصلاة والقرآن وقراءة الكتب ، فلا تلتذ بشىء غير قول الشعر » فعلية كانت ترفه عن نفسها بطرق وأساليب تبتكرها هى ، تدفع بها سأم البطالة والعزلة . فتمرح وتلهو وتلعب دون أن تفقد شيئاً من كرامتها أو أن تتعدى حدود ربها وهى تقول : « ما حرم الله شيئاً إلا وقد جعل فيما حلل عوضاً منه ، فبأى شىء يحتج عاصيه والمنتهك لحرماته » فهى ترى أن أسباب اللهو المباح كثيرة ، ولكن المرأة الضيقة الصدر القليلة العقل ، تتبع كل ناعق ، وتجيب كل داع ، فتقع فى شرك الهتك والعصيان . ومما يدل على تقيها بنفسها واعتدادها بشرفها وطهارة أخلاقها أنها كانت كثيراً ماتقول « اللهم لا تغفر لى حراما أتيته ، ولا عزماً على حرام إن كنت عزمته ، وما استغرقنى لهو قط ، إلا ذكرت سببى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقصرت عنه ، وإن الله ليعلم أنى ما كذبت قط ، ولا وعدت وعداً فأخلفته » هـذه هى أخلاق درة بنى العباس الفريدة التى أرضت ربها بعبادتها ، وخففت عن نفسها بمرحها العفيف الطاهر.

وهذا ما يجب أن تكون عليه المرأة الصالحة التى تتبع كتاب الله وسنة رسوله « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا » « إن لربك عليك حقا ، وإن لنفسك عليك حقا ، فاعط كل ذى حق حقه »

الموصل

سعيد الديوه جى

النابغون فى أوطانهم

حديث عن البحترى

للأستاذ محمود عزت عرفه

[تتمة مانشر فى العدد الماضى]

... وللبحترى فى هذا الشأن حديث عجيب .

فقد كان أحد الذين ارتفعوا بشعرهم من حضيض الجهالة والخمول إلى ذروة النباهة والمجد . ولسنا نجد فى ديوانه على ضخامته مايشير به إلى حياته الأولى فى موطنه « مَنْبِج » (١) سوى ماينص عليه من عداوة بعض أهله له ، برغم مايعود به عليهم — وعلى سواهم — من فضل المال والجاه ، والشفاعة لدى الخلفاء ، ورفد العفاة وفك العانين .. وذلك حيث يقول فى قصيدة له :

.. ومن الأقارب من يُسر بميتتى سفَهاً ، وعزُّ حياتهم بحياتى
إن أبقَ أو أهلكْ فقد نلت التى ملأت صدور أقاربى وعداتى
وغَنيتُ ندمانَ الخلائفِ نابهاً ذكرى ، وناعمة بهم نشواتى
وشفعت فى الأمر الجليل إليهمو بعد الجليل ، فأنجحوا طَلِباتى
وصنعت فى العرب الصنائع عندهم من رِفد طلاَّبٍ وفك عُناةِ

وحظى البحترى عند المتوكل بأرفع المراتب وأسنى الدرجات فكان شاعره المقرب الأثير لاتندُّ عنه فى الحياة رغبة أو تبعد دونه أمنية .. ولكن شاء القدر مع ذلك ألا تزال نفسه تهفو إلى عُرض ما ، فكان ينتابه القلق ويساوره الحنين إلى الإلمام بوطنه منبج ، ولا ينفك يهتف بالمتوكل مستحثاً إياه على قصد هذه البلاد كلما قصد دونها إقليما أو غشى موضعاً :

لو كنت أحسد أو أنافس معشراً لحسدت أو نافست أهل الموصل
غشى الربيع ديارهم وغشيتها وكلاكما ذو عارض متهلل
فأضاء منهما كل فج مظلم بكما ، وأخصب كل واد ممحل
فتى تخيم بالشآم فيكتسى بلدى نباتاً من نداك المسبل؟!

وكأنما شاء القدر — مرة أخرى — أن يلوح للبحترى بتحقيق أمنيته . فاضطرب حبل الأمور على المتوكل فى سامراء بسبب اتساع نفوذ الأتراك واستفحال خطرهم ؛ ولم يكن ليخضد من شوكتهم فى شىء قتله إيتاخ عام ٢٣٥ هـ ، وكان المدبر لفتنتهم والمتولى كبر هذا الأمر فيهم . فصح عزم المتوكل على تغيير عاصمة خلافته والانحياز إلى دمشق ليكون بنجاة من كيدهم وتطاولهم .. وغدا عليه البحترى — مستحسناً محبذاً — يقول :

.. إن دمشقاً أصبحت جنةً مخضرَّة الروض غَداة البراق
هواؤها الفضفاض غض الندى وماؤها السلسال عذب المذاق
والدهر طلق بين أكنافها والعيش فيها ذو حواش رقاق
ناظرة نحوك مشتاقةٌ منك إلى القرب ووشك التلاق
وكيف لاتؤثرها بالهوى وصيفها مثل شتاء العراق ؟!

وأنفذ المتوكل عزمه فى عام ٢٤٣ هـ ، فشخص إلى دمشق ونقل إليها دواوين الخلافة ، ووطن نفسه على المقام بها . فلم يكن عجيباً حينذاك أن نسمع البحترى يقول فى قصيدة له ، وكأنما هو يتنفس الصعداء بعد طول اللهفة وفرط الانتظار :

قد رحلنا عن العرا قِ وعن قطبها النكدْ
حبذا العيش فى دمش قَ إذا ليلها برد !
حيث يُستقبَل الزما نُ ويستحسن البلد
سفرةٌ جدَّدتْ لنا ا لهوَ أيامُه الجدد
عزم الله للخليـ فةِ فيه على الرَّشدْ

ويقول فى موضع آخر وهو يحاول تحسين الشام فى عين المتوكل ، وحضه على موالاة المقام بدمشق :

أما دمشق فقد أبدت محاسنها وقد وفى لك مطريها بما وعدا

— ولعله يقصد نفسه بهذا المطرى الوافى بما وعد —

إذا أردت ملأت العين من بلد مستحسن ، وزمان يشبه البلدا
يمسى السحاب على أجبالها فرقاً ويصبح النبت فى صحرائها بددا
فلست تبصر إلا واكفاً خضلا أو يانعاً خضراً أو طائراً غردا
كأنما القيظ ولىَّ بعد جيئته أو الربيع دنا من بعدما بعدا

.. وذلك ضمن قصيدة فاخرة مطلعها :

العيش فى ليل (داريا) إذا بردا
والراح نمزجها بالماء من (بردى)

على أن السياسة ليست شيئاً يخضع لأهواء الشعراء ؛ فما

---

(١) بلدة من أعمال الشام إلى الشمال الشرقى من حلب

تلبَّث المتوكل بعد استقراره بدمشق إلا ريثما يعد عدته للرجوع إلى سرَّ من را ، بعد أن شغب عليه الأتراك فيها وتحركوا فى طلب أرزاقهم ، وكانوا قد أوجسوا خيفة من انحيازه إلى الشام ، وتوقعوا أن يستعين عليهم بسلطان العرب هناك . . .

عاد المتوكل يزعم أنه استوبأ دمشق ، وفى صدره مما جرى غصة [1] ؛ وانهارت آمال أبى عبادة حتى ليبدو من المفارقات الغريبة أن نراه يهنىء المتوكل بهذا العود ، ويستحسن ما تم من إنفاذه فيقول :

لعمرى لقد آب الخليفةُ جعفرٌ   وفى كل نفس حاجة من قفوله
دعاه الهوى فى سرَّ من رَاء فانكفا
إليها انكفاء الليث تلقاء غيله
على أنها قد كان بُدِّل طيبُـها   ورحَّل عنها أنسُـها برحيله
وإفراطُها فى القبح عند خروجه   كإفراطها فى الحسن عند دخوله
وقد لبست بغدادُ أحسن زيِّها   لإقباله ، واستشرفت لعُدُوله
ويثنيه عنهـا شوقه ونزاعه
إلى عرض صحن الجعفرى وطوله [2]

وقد أصبح تسارى أمل البحترى بعد هذا الحادث أن يلم بموطنه فى زيارات قصيرة خاطفة ، يوا كبه فيها من ألطاف الخليفة ومبراته ما يرضى غروره ، ويظهر لقومه منزلتـه وجاهه . وإنه ليخاطب المعتز [3] فى ذلك ، وكان من أحظى النـاس عنده . فيقول :

هل أطلعنْ على الشآم مبجَّـلاً   فى عز دولتك الجديد المونقِ ؟
فأرمَّ خلة ضيعةٍ تصف اسمها   وألمَّ ثمَّ بصبية لى دردق ؟
شهران إن يسرت إذنَى فيهما   كفلا بألفة شملى المتفرق

وإن المعتز ليعرف هذا الشعور من نفس البحترى فيبرُّه ويكرمه ، ويحمله على الجرد العتاق إلى موطنه منبج ، حيث يلقى هنالك أهله ، ويتعرف حال ضيعته (الضائعة) كما يقول . والخليفة يُصحِبه الطرف والهدايا تحملها عشرة من خيل البريد وفيها بدر المال وخلع الديباج ، وجوادان أصيلان : كميت وأبلق وسيف صقيل فى إهدائه تشريف وتنويه . . وفى ذلك يقول أبو عبادة :

تجانفَ بى نهجُ الشآم وطاعَ لى   عنانٌ إلى أكناف منبج مطلقُ
أسرُّ صديقا أو أسوء ملاحياً   وأنشر آلاء بطولك تنطق
حملتَ على عشرٍ من البرْدِ مركبى
عجالاً عليهن الشكيم المحلق
وأكثرت زادى من بدورٍ تتابعت
لجُودك فيهن اللجيْنُ المطرق
ومنتسبانِ للوجيه ولاحقٍ   كميتٌ يسر الناظرين وأبلق
ومن خلع فازتْ بلبسك فاغتدى   لها أرج من طيب عَرفك يعبق
عليها رداءٌ من حمائل مرهفٍ   صقيل يزلُّ الطرفُ عنه فيزلق

وبوفاة أبى عبد الله المعتز عام ٢٥٥ هـ أفل نجم البحترى من سماء الخلافة فى سر من رأى . إذ لم يكن موضعه لدى المهتدى أو المعتمد — وقد خلفا المعتز على التتابع — بالموضع الذى يرضى طموحه ، أو يكافىء سابق منزلته لدى المتوكل وابنه . وكان الذى جرى من الأحداث على عهد المتوكل والمنتصر ثم المستعين والمعتز قد خلف فى نفس الشاعر أثراً من اليأس عميقا ، وجعله قليـل الثقة بالناس وبالحياة .. يقول الشعر فى مناسباته لأن من واجبه أن يقوله لا لأنه متأثر بما يدور حوله ، وبدت عليـه فى أخريات أيامه نزعة قوية إلى الانزواء فى بلدته يراقب منها تيـار الحوادث فى صمت واعتبار. استمع إليه يخاطب أبا الصقر إسماعيل ابن بلبل — الذى وزر للمعتمد بين عامى ٢٧٢ و٢٧٨ هـ — فيقول:

بقيت ، فكائن جئت بادىء نعمة   يقلُّ السحاب أن يجىء بمرسلها
وأعطيتَ طلاَّبَ النوافل سُؤْلهم
فمن أين لا تمطى القصائد سولها ؟

(١) يقول المرحوم الخضرى بك فى محاضراته : بعد أن أقام المتوكل بدمشق أياما أظهر أنه استوبأ البلد ، لأن الهواء بارد ندى والماء ثقيـل ، والريح فيها تهب مع العصر فلا تزال تشتد حتى يمضى عامة الليل . وغلت فيها الأسعار وحال الثلج بين السابلة والميرة فبارحها عائدا إلى سامراء . ويظهر أن الأتراك هم الذين حملوه على العودة .

(٢) من قصور سر من رأى ، أنشأه المتوكل عام ٢٤٥ هـ

(٣) المعتز « أبو عبد الله » ابن المتوكل ، يفصله عن أبيه الخليفتان المنتصر والمستعين . ولم يكن للبحترى معهما كبير شأن .

صور فلسفية :

الفيلسوف المتوحد كيركجورد

(١٨١٣ – ١٨٥٥)

الأستاذ زكريا إبراهيم

كيركجورد فيلسوف دنمركي متصوف ، نشأت فلسفته في حضن الدين ، وتكونت بفضل تجربته الروحية الخاصة وعزلته النفسية العميقة . وهو واحد من أولئك الفلاسفة القليلين الذين استطاعوا أن يحيوا حياة العزلة والتفرد وأن يحتملوا ما يجيء مع هذه الحياة من قلق وجزع ولهفة . ولم يكن كيركجورد فيلسوفا يتخذ من الفلسفة صناعة له ، أو عالماً لاهوتياً كل همه أن يشتغل باللاهوت ، وإنما كان أولا وبالذات ، إنساناً مشتعل الوجدان ، مشبوب العاطفة ، تشيع في نفسه سورة القلق . وتضطرم في باطنه جذوة الألم ؛ يجتذبه العالم من ناحية ، وتؤرقه الرغبة في القداسة "désir de la sainteté" من ناحية أخرى . وهو إلى هذا وذاك ، إنسان غني في مواهبه ، قوي في إيمانه ، عميق في نظراته الصوفية . هو رجل متوحد انطوى على نفسه ، وعاش حياة أقرب ما تكون إلى حياة الأنبياء ، فاستطاع أن يتوصل إلى فلسفة مخالفة لكل الفلسفات التي كانت موجودة في عصره ؛ فلسفة تعتبر وجود الذات هو وحده الوجود الحقيقي ، وترى في عزلة الذات ، الحقيقة الوحيدة الثابتة . أما النزعات الفلسفية التي كانت موجودة في عصر كيركجورد فقد نظر إليها فيلسوفنا نظرة معادية ، واعتبر فيها « سقوطاً » Chute للذات ، ومن ثم فقد هاجم الفيلسوف الألماني هيجل مهاجمة عنيفة وحارب فكرته عن الروح المطلقة ، وحاول أن يفتقد الإيمان الضائع بالتحول عن عالم الفلسفة إلى عالم الدين

وقد اتخذ كيركجورد كل ضروب التخفي والتستر ، حتى يستطيع أن يأمن عدوان خصومه ، فكان يطبع مؤلفاته موسومة

ووليت عمال السواد ، فولني   قرارة بيتي مدة لن أطيلها !

.. وهكذا لا يتشهى البحتري من جاه الولايات الذي يسبغه الوزير على خلصائه ؛ إلا أن يدعه يلوذ بقرارة بيته ، متجانفاً بنفسه عن مزالق السياسة وفتنها بعد أن طال في ذلك خبه وإيضاعه . وإنه في موضع آخر ليطلب إلى الوزير أن يعتق (رقبته) بصرفه إلى بلده :

وقد شمل امتنانك كل حي   فهل مَنٌّ يُفك به أسيرُ ؟
وأعتقت الرقاب فمر بعتق   إلى بلدي ، وأنت به جدير !

وما كان اعتزال البحتري في منبج إلا شراً أجاءه إليه ما هو شر منه . ذلك أنه كان ودع أرغد عيشه وأطيب أيام حياته بتوديع عهد المتوكل الذي شهد بعينيه مصرعه الرهيب . .

وكانت فترة (المعتز) في حياة البحتري أشبه شيء بخفقة المصباح الأخيرة حين يصارع الظلمات ولما تخمد منه الأنفاس .

ولعل أشد الأشياء على نفسه ما كان يعالجه من جفاف الحياة في منبج بعد أن نعم بالمقام الطيب سنين متطاولة في بغداد وسر من رأى ؛ ثم جلوسه إلى حاكمها مجلس (الرعية) من الراعي ، بعد أن كان لا يرى إلا جليس خليفة أو وزير أو أمير خطير ...

وكانت أيام المتوكل ونجيه الفتح — وأمثالهما ممن بسطوا على البحتري ظلال نعمائهم — تبدو له كأحلام سعيدة تمتع بها حينا ، ثم انقشعت عن حسرة في نفسه وشجى . وإنه ليعبر عن شعوره بذلك أصدق التعبير حين يقول ضمن قصيدة بعث بها إلى أبي الصقر —

مضى جعفر والفتح بين مرمَّل   وبين صبيغ بالدماء مضرَّج
أأطلب أنصاراً على الدهر بعدما   ثوى منهما في الترب أوسي وخزرجي؟
أولئك ساداتي الذين برأيهم   حلبت أفاويق الربيع الثجج
مضوا أمماً قصداً وخلفت بعدهم   أخاطب بالتأمير والي (منبج)

وتوفي البحتري في منبج ، بداء السكتة ، عام ٢٨٤ هـ . وكان قد أربى من عمره على الثمانين .

(قوص)   **محمود عزت عرفه**

بأسماء مصطنعة مثل اسم « قنسطنطين قنسطنطيوس Constantin Conestantius » أو إسم « جوهانس كليما كوس Gohannes Climacus » ... ولعل السبب فى ذلك أن الوجدان الجائش الذى كان يعمر نفسه والذى كان هو يريد أن ينقله إلى الناس لم يكن من السهل أن يصل إلى عالم شاعت فيه الأفكار الهيجلية . فلذلك اضطر صاحبه إلى أن يصطنع أساليب التخفى التى تجنبه الخصومة والعداء . ومع ذلك فإن هذا الوجدان intuition لم يستطع أن يستحيل إلى تصورات عقلية تكون مذهباً ، فتمثل فى محاولات رمزية وصور مجازية متباينة .

وإذا نظرنا إلى بعض الصفحات التى كتبها كير كجورد عن « الظلمات الروحية les ténébres spirituelles » للنفس التى تبحث عن الله فإننا نجد فيها نبرة صادقة قوية تشهد بتجربة صوفية عميقة . والواقع أن المشكلة التى واجهت كير كجورد باعتبارها المشكلة الوحيدة الهامة إنما هى مشكلة الإيمان ، فقد بدا لكير كجورد أنه لا سبيل إلى إثبات حقيقة الإيمان إلا بإنكار عالم العقل والمنطق (وهو العالم الذى يعرف له كير كجورد قيمته ، وإن كان فى نظره متجسداً فى هيجل) . ومن ناحية أخرى فإن إيمان كير كجورد لم يكن مقترنا بمجموعة من المبادىء العامة أو الحقائق المطلقة (كما هو الحال عند أصحاب المذهب البروتستنتى الذين لا يرتبطون بكنيسة قوية تجمع بينهم فى وحدة قوية شاملة) ولذلك فقد كان بطبيعته إيماناً منطلقاً سهل التحول ، لا يتوفر فيه أى عنصر من عناصر اليقين أو الطمأنينة . ومثل هذا الإيمان لا يعسر أن يرتبط بالقلق والجزع والتمزق الداخلى déchirement intêrieur فى نفس صاحبه ؛ بل إنه ليصبح حقيقياً بقدر ما يقترن به من هذه العوامل النفسية .

وهنا لعبت التجربة الروحية التى عاناها كير كجورد دورها الأساسى الهام : فإن كير كجورد كان قد خطب فتاة أحبها وأحبته فاستقر رأيه على أن ينقض هذه الخطبة ، واعتبر تضحيته هذه من قبيل تضحية إبراهيم الخليل وظن أنه إذا كان لديه إيمان حقيقى كما كان لدى إبراهيم ، فإن المعجزة لا بد أيضاً أن تحدث ، وبالتالى فإن خطيبته لا بد أن تعود إليه كما عاد إسحق إلى أبيه . بيد أن خطيبته لم تعد إليه ، فأدت به هذه التجربة إلى اعتبار الإيمان سراً عميقاً لا سبيل إلى اكتناهه ؛ وانضافت إلى هذه التجربة نزعته اللاعقلية irrationalisme فذهب كير كجورد إلى القول بأن المؤمن (أو رجل الإيمان) يعيش بالضرورة فى شك مرير قاتل من جهة الإيمان نفسه : فأنت إذا اعتقدت أن لديك إيماناً فكأنك بذلك تجدف على الإيمان .

ولكن كير كجورد لا يدعنا فى هذه الحالة من التمزق الداخلى ، بل سرعان ما ينقذ الإنسان من السقوط الكامل ، فيثبت — فى لمحة سريعة باهرة — عالم المعجزة ، وعالم الحرية الإنسانية والصلة الفائقة للعقل بين الله والإنسان . ولكنه إثبات يعتمد على الذوق الصوفى واللمع الروحية ، مما لا سبيل إلى العثور عليه عند فيلسوف آخر غير كير كجورد الصوفى المتوحد !

« مصر الجديدة » زكريا ابراهيم

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٦٢٤ — مقالة أبي ذر جندب

في (تاريخ الطبري) : أتى أبو ذر معاوية فقال : ما يدعوك إلى أن تسمي مال المسلمين مال الله ؟ قال : يرحمك الله — يا أباذر — ألسنا عباد الله ، والمال ماله ، والخلق خلقه ، والأمر أمره . قال : فلا تقله . قال : فاني لا أقول : ليس لله ، ولكن سأقول : مال المسلمين. وقام أبو ذر بالشام وجعل يقول : يامعشر الأغنياء ، واسوا الفقراء ، بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها في سبيل الله بمكاو من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك ، وأوجبوه على الأغنياء ، وحتى شكا الأغنياء مايلقون من الناس . فكتب معاوية إلى عثمان : إن أبا ذر قد أعضل بي ، وقد كان من أمره كيت وكيت . فكتب اليه : جهز أبا ذر إلي ، وابعث معه دليلا ، وزوده وارفق به . فلما قدم المدينة ودخل على عثمان قال : يا أبا ذر ، مالأهل الشام يشكون ذربك ؟ فأخبره أنه لاينبغي أن يقال مال الله ، ولاينبغي للأغنياء أن يقتنوا مالا . فقال : يا أبا ذر ، عليّ أن أقضي ما عليّ ، وآخذ ماعلى الرعية ، ولا أجبرهم على الزهد ، وأن أدعوهم إلى الاجتهاد والاقتصاد . ودخل أبو ذر على عثمان وعنده كعب الأحبار ، فقال لعثمان : لا ترضوا من الناس بكف الأذى حتى يبذلوا المعروف . وقد ينبغي للمؤدي الزكاة ألا يقتصر عليها حتى يحسن إلى الجيران والإخوان ويصل القرابات . فقال كعب : من أدى الفريضة فقد قضى ما عليه ، فرفع أبو ذر محجنه فضربه فشجه ...

٦٢٥ — هؤلاء مماليكنا ... !

(إخبار العلماء بأخبار الحكماء) : بلغ نوسيوس (الشاعر اليوناني) أن عدواً له اغتابه فقال هذا الشعر (على طريقة يونان) : بلغنا أن كلباً وقرداً اجتازا بمقبرة سباع ، فقال القرد للكلب : اصعد بنا لنترحم على هؤلاء الموتى . فقال الكلب : ومن أين هذه المعرفة بينكما ؟ قال القرد : سبحان الله ! أما تعلم أن هؤلاء مماليكنا ؟ قال الكلب : والله ما أعلم شيئا من هذا ولكني كنت أحب أن يكون أحدهم حاضراً وتقول هذا .

٦٢٦ — ليس للشيطان ذنب

(تاريخ بغداد) : قال مالك بن أنس : لهؤلاء الشطار[1] ملاحة ، كان أحدهم يصلي خلف إنسان فقرأ الإنسان : الحمدُ لله رب العالمين حتى فرغ منها ثم أرْتِجَ[2] عليه ، فجعل يقول : أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم ، وجعل يردد ذلك فقال الشاطر : ليس للشيطان ذنب إلا أنك لا تحسن القراءة.

٦٢٧ — نحب فيها المال والجاها

الشميس الأندلسي :

لله في الدنيا وفي أهلها	معمَّياتٌ قد فككناها
منْ بَشرٍ نحن ، فمن طَبْعِنا	نحب فيها المال والجاها
دعني من الناس ومن قولهم	فإنما الناسُ أخلاها
لم تُقبِلِ الدنيا على ناسكٍ	إلا وبالرحب تلقَّاها
وإنما يعرضُ عن وصلها	من صَرفتْ عنهُ محيَّاها

٦٢٨ — فسماهم الزوار ستراً عليهم

قال العباس بن خالد البرمكي : كان الزوار يسمون في قديم الدهر إلى أيام خالد بن برمك — السؤَّال ، فقال خالد : هذا اسم

---

(١) فلان شاطر : خليع (الأساس) الشاطر : من أعيا أهله ومؤدبه خبثاً ومكراً ، وهو مأخوذ من شطر عنهم إذا نزح مراغما وقد قيل إنه مولد.

(٢) من المجاز : ارتج عليه إذا استغلق عليه الكلام

أستثقله لطلاب الخير ، وأرفع قدر الكريم عن أن يُسمى به أمثال هؤلاء المؤملين ، لأن فيهم الأشراف والأحرار وأبناء النعيم ومن لعله خير ممن يقصد وأفضل أدبا ، ولكنا نسميهم (الزوّار) وفى ذلك يقول بشار :

وكان ذوو الآمال يُدعون قبله
بلفظ ، على الإعدام فيه دليل[(١)]

فسماهم الزوار ستراً عليهم
فأستاره فى المجتدين سدول[(٢)]

٦٢٩ — بين امامين ...

فى كتاب (سحر العيون) :

من بديع الاتفاق أن قاضى القضاة شيخ الإسلام بدر الدين محمود (العينى) الحنفى لما ولى مشيخة المدرسة المؤيدية التى بباب زويلة مالت منارتها فبلغ ذلك قاضى القضاة شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن (حجر) العسقلانى وكان بينهما ما يكون ما بين المعاصرين فأنشد بديهة :

لجامع مولانا المؤيد رونق
منارته تزهو على الفخر والزين

تقول وقد مالت عليه تمهلوا
فليس على حسنى أضر من (العين) ى،

فلما بلغ ذلك العينى أجابه بهذين البيتين ، والمشهور أنهما من نظم الشيخ شمس الدين النواجى على لسان العينى :

منارة كعروس الحسن إذ جليت وهدمها بقضاء الله والقدر
قالوا أصيبت بعين قلت ذا خطأ
ما أوجب الهدم إلا خسة (الحجر)

(١) أعدم : افتقر ، وأعدمه غيره ، والعديم الذى لا شىء عنده وجمعه عدماء .

(٢) السدول : جمع السدل وهو الستر والسدول : ما جلل به الهودج من الثياب ، وسدل الثوب والستر والشعر : أرخاه وأرسله ،وأسدله

٦٣٠ — افتح عينك

قال صاحب كتاب (سحر العيون) :

كنت حاضراً فى مجلس بين يدى شيخنا المرحوم برهان الدين أبى إسحاق إبراهيم بن اللاح — وقد سأله بعض أبناء الأتراك أن يقرأ عليه فى العروض ، فكسر العين من العروض ، فقال له الشيخ : افتح عينك .

٦٣١ — فكيف تدعى أنه لا حقيقة لشىء

فى كتاب (تلبيس إبليس) لابن الجوزى : حكى أبو القاسم البلخى أن رجلا من السوفسطائية[(١)] كان يختلف إلى بعض المتكلمين ، فأتاه مرة فناظره ، فأمر المتكلم بأخذ دابته ، فلما خرج لم يرها ، فرجع إليه فقال : سرقت دابتى . فقال : ويحك ! لعلك لم تأت راكبا ، قال : بلى ، قال : فكر ، قال : هذا أمر أتيقنه فجعل يقول تذكر . فقال : ويحك ، ويحك ! ما هذا موضع تذكر ، أنا لا أشك أننى جئت راكباً . قال : فكيف تدعى أنه لاحقيقة لشىء وأن حال اليقظان كحال النائم ، فوجم السوفسطائى .

***

فى (العقد) لابن عبد ربه : دخل رجل على المأمون فقال لثمامة بن الأشرس : كلمه : فقال له ما تقول ؟ وما مذهبك ؟ قال : أقول : إن الأشياء كلها على التوهم والحسبان ، وإنما يدرك منها الناس على قدر عقولهم ، ولا شىء فى الحقيقة . فقام اليه ثمامة فلطمه لطمة سودت وجهه . فقال : (يا أمير المؤمنين) يفعل بى مثل هذا فى مجلسك ؟ قال ثمامة : ولعلى إنما دهنتك بالبان ، ثم أنشأ يقول :

ولعل آدم أمنا والأب حوا فى الحساب
ولعل ما أبصرت من بيض الطيور هو الغراب
وعساك حين قعدت قمـ ـت وحين جئت هو الذهاب
وعسى البنفسج زئبق وعسى البهار هو السذاب[(٢)]

(١) زعموا أن الأشياء لاحقيقة لها وأن ما نستبعده يجوز أن يكون هو ما نشاهده ويجوز أن يكون على غير ما نشاهده (ابن الجوزى) .

(٢) البهار والسذاب : نباتان طيبا الرائحة .

همس الساعة

للدكتور عزيز فهمي

تَعُدُّ الثواني همساً ونفضا
وتزحف زحفاً وتنبض نبضاً (١)
وتدني البعيدَ وتقصي القريبَ
وتجمع شملا وتبعد أرضا
توارثها الناسُ جيلا فجيلا
وشكَّلها من توالى وقضَّا (٢)
تصوَّرها البعضُ في عين هرّ
إذا الهِرُّ ثبَّت جفنا وغضَّا
ولولا الأهلّة لم تعدُ عنها
مواقيتُ للناس والحجُّ تُقضى
إذا الشمس خلف الغيوم توارت
هداك سناها ولم تأل حضا
توحِّد بين اللغات وتُفضي
إلى أهلهن بما هو أفضى
تبشر صبًّا بوصل الحبيب
فتحيي الشباب الذي كان غضَّا
ومن عجب أن يبين الجماد
وينطق جهراً ويمعن خفضا
تبين وتُفصح في صمتها
فتوجب فرضاً وتُسقط فرضا
وتهمس: ما فات ودَّعته
فشيَّعت حيناً وفارقت بعضا!
وهيهات يرجع ما قد مضى
وهيهات يقبل حكمي نقضا
أتعرض عني لتسمع لغواً
وتأتي من الناس نوكى (٣) ومرضى؟

ومعظمهم لو علمت دعيٌّ
يريك الوداد ويضمر بغضا
سواي يرائيك في محضر
ويفريك إن غبت غمزاً وعضا
وغيري يبثُّك ما تشتهي
ويهزأ منك إذا هو أغضى
أنا الوقت أملى (١) على عادتي
وفتكي من فتكة السيف أمضى
فإن شئت بادر إلى عزمة
فعزمي يكاد يسلُّ وينضى
وخلِّ المقادير تجري المدى
ودع ما يريبك ما دام غمضا
تنبَّه! تنبه... ولا ترجئن
إلى الغد وانهض لأمرك نهضا
غدٌ موعد العاجزين ووهمٌ
تمنّيك إن رمت للريح قبضا
غدٌ لو علمت غيوبٌ فعجِّل
وبادر لعلَّك في الغد ترضى
ستندم بعد فوات الأوان
وتجني الأماني صاباً وغضّا
حذار، حذار ولا تلحني
فكم قد بذلت لك النصح محضا
وأنذرت حتى مللت النذير
ولولا ملالك ما عاد مضّا
ولو قد أصخت لقيت الحتوف
بدرع بصدٍّ فيزداد ومضا
تفيض بفلس ضنين الشحيح
وتسرف في العمر جهلاً وفوضى
فيا للضلال! تفيض بدون...
وترخص كنزاً وجاهاً وعرضا!

عزيز فهمي

(١) النفض: الحركة والاضطراب.
(٢) نقها وتقبها.
(٣) حمق.

(١) أمهل.

صـــدى الفاجعة

للأستاذ سيد قطب

[لم تكن إلا مرات معدودة جلست فيها إلى فقيد مصر العظيم . ثم هأنذا أعانى من الفجيعة فيه كأنها فجيعتى الخاصة ... فياويح لأولئك الذين عاشروه ، فأحبوه . ووارحمتا لهم كيف يعيشون ...؟]

جَـفَّ ازْنائى بخاطرى المفجوعِ ... وصَمَتُّ لا أُفضى بغير دموعى
إنى ذُهِلتُ عن المصاب بوقعه ... حيناً ، ذهول الواهم المخدوع
فظللتُ أُنصت للرجاء ، وأتّقى ... صوت اليقين الفاجع المسموع
أيموتُ ؟ كلا ! لايموت وهذه ... مصر تُرَجّى نجمه لسطوع
أيموت والأحداث تهتف باسمه؟ ... أتكون تلك هُتافةَ التوديع؟
قُل أيها الناعى سواه ، فما أرى ... أنى ـ وإن جاهدتنى ـ بسميع!

واويلتاه ! أنَّها لحقيقةٌ ... جلّتْ عن الإيجاف والترويع؟
صمتَ الذى قد كان ألحن حجةً ... وتحدثت طعنانه بنجيع
متفجرات بالدماء كأنها ... كلماته فى قوة ونصوع
كلماته اللائى نبضن بقلبه ... ودماؤه من ذلك الينبوع

يا واهب الوادى مَريع حياتِه ... ما بال عمرك لم يكن بمريع ؟
يا مانع الوادى العزيز بنفسه ... ما بال عمرك لم يكن بمنيع ؟
خَطِفتك عادية المنون وخلفت ... وطناً يعالج سكرة المصروع
خلا مكانك ليس يملأُ رحبه ... إلا الأسى وتفجُّعُ المفجوع
لَخلا مكانك والبلاد تهيأت ... تخطو إلى أفق رسمتَ وسيع
وتلفتت تصغى لصوتك هادياً ... فى المدلهمّ ورأيك المسموع
فصمتّ ـ ياالهول ـ صمتة واجم ... ماضٍ لغير تأوُّب ورجوع
واهاً لمصر ويا فجيعة أهلها ... فى الرائد المتفرّدِ المتبوع !

طـــريقى

للأستاذ عبد الرحمن صدقى

طريقى إلى بيتى؟ نعِمْتَ ، طريق ... إلى خير محبوبٍ وخير رفيق
طريق إلى دنيا غرامٍ ونشوة ... وفردوس أرضٍ ناضر وأنيق
وهيكلِ تفكيرى ، وقدس عبادتى ... وآية توفيقٍ ، وكنز حقوق
تقلبتَ فى عينى كريهاً معبّساً ... وكنتَ تلقّانى بوجهٍ طليق
شجيراتك اللفاء تُقعى كأنها ... أفاعٍ على أذنابها بعضين
نهارك مغبرٌّ ، وشمسك سمجة ... كأن شروقاً فيك غير شروق
وجوك خنّاق أبيتُ لثقله ... بأنفاس مضغوطِ الضلوع خنيق
كذا أنت مذ جازت سراتك فى الضحى ... جنازة زوجى ، زوجتى وصديقى
تسير وئيداً للتراب ، وخلفها ... أنا الأرمل الباكى أجرُّ سوقى
طريق! لقد جازتك أيامَ أنسنا ... بخطوٍ لها حلوِ الأناة رشيق
فمالك ، قد مرّتْ عليك جميلةً ... ولم ترتجف زلزالَ غير مطيق
طريق! ومازلتَ الطريق ، وإنما ... إلى وحدتى من بعدها وحريقى
إلى البيت مبناه ، وأما صميمه ... فكالقبر مكشوفاً وغير سحيق
طريق ، طريق ! كل دُورك ظلمةٌ ... بغير بريقٍ — وهى ذات بريق
إذا سرتُ فيك اليومَ سِرْتُ كأننى ... جنازتها — نحو الحِمام طروقى
قطعتَ ، فأوْصِلْ شائقاً بمشوق ... وإلا ، فتَعْساً لى ، وتعْس طريق

هذا العالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

مستقبل الطيران

يتنبأ أحد مصممى الطائرات أن الترف والراحة فيها سينافسان الترف والراحة فى عابرات المحيط الكبيرة . فيستطيع المسافر أن يطوف حول العالم فى ١٤ يوماً تشمل زيارات فرعية لمناطق متعددة تستعمل فيها الطائرات التى تهبط عمودياً فتهبط فى أماكن لم يفكر أحد فى زيارتها لوعورة مسالكها .

وتزود طائرات مابعد الحرب بغرف طعام خاصة وغرف للملابس ولأنواع التسلية والتلفزيون والراديو، كما تجهز بمقاعد مريحة خاصة بنحاف الأجسام أو ضخامها . أما متاع الأشخاص فينتظر أن يفرد له ظهر الطائرة لتوفير داخلها وستوالى هذه الطائرات رحلاتها فى مواعيد منتظمة ، وقد صنعت طائرات تسع الواحدة منها ٤٨ مسافراً وتكفى لنوم ٢٤ مسافرا .

عمر الفرد ١٣٠ سنة

يقولون إن ابنك أو ابن ابنك سيعيش ١٣٠ سنة فى أتم صحة ، لأن هذا العمر سيكون متوسط عمر الإنسان بعد جيل أو جيلين، فقد لوحظ أن متوسط عمر الحيوان يساوى خمسة أضعاف أو ستة أضعاف عمر بلوغه ، وعلى هذا الأساس يكون المتوسط العادى لعمر الإنسان بين ١٢٥ ، ١٥٠ . ويميل العلماء إلى ربط طول عمر الإنسان بتغذيته ، فيوصون بالألعاب الرياضية ، والهواء الطلق ، والشمس والفيتامينات ، والنوم ٨ ساعات والحمامات الباردة .

ويعللون سهولة الوصول إلى هذا المستوى من العمر بالتقدم الطبى واتجاه الأبحاث إلى الناحية الإنشائية فى جسم الإنسان .

الموسيقى والأمراض العصبية

أجرى المجلس الاستشارى الأهلى للموسيقى فى الولايات المتحدة حصاء لدراسة مدى استعمال الموسيقى فى المستشفيات للأمراض العصبية ونتيجة استعمالها فى شفاء الأمراض ، فأجابه على استفتائه ٢٠٩ مستشفيات يتراوح عدد أسرة الواحد منها بين ٣٣ و ٨٠٠٠ سرير . ويستعمل الموسيقى منها ١٩٢ مستشفى . ولم تستطع المستشفيات الأخرى الحصول على أدواتها بسبب صعوبات الحرب ونقص الأيدى العاملة وغيرها .

ويدير الحفلات الموسيقية فى ١٦٠ من هذه المستشفيات موسيقيون محترفون أو مرضى موهوبون أو أندية خاصة . وتستعمل الاسطوانات الموسيقية فى ١٥٢ من المستشفيات ، وهناك إجماع على أن المرضى يحبون الموسيقى . ولكن ٢٣ مستشفى أجابت بأنها تستعمل الموسيقى كأداة علاجية فى حالات بعض الأمراض العصبية ، وأجابت ١٣٤ بأنها تستعملها لغرضى العلاج والترفيه .

ويرى أكثر مديرى المستشفيات أن الترفيه نوع من العلاج . على أنهم يعتبرون الاشتراك فى توقيع القطع الموسيقية فى جماعة أكثر تأثيراً فى المرضى من مجرد الإصغاء إليها ، فان روح الاشتراك مع الجماعة يكسب المرضى حب التعاون والصداقة ويساعدهم على تذليل صعوبات الكبت عندهم .

وقال المشرفون على علاج المرضى فى أحد المستشفيات إن ضوضاء الطبول وأصواتها ذات تأثير مقلق لجميع حالات المرضى، بينما الموسيقى والأغانى الشعبية الهادئة ذات تأثير ملطف . وهناك شبه إجماع على أن الموسيقى لا تصلح كعلاج فعلى بل إنها قد تكون خطرة على بعض المرضى إذا اختير نوع غير ملائم لهم مما قد يؤدى إلى زيادة ارتباكاتهم العقلية ويقوى أفكارهم المشوهة .

عينات دم من الأعضاء الداخلية

صرح الدكتور جيمس ليرى فى اجتماع الجمعية الطبية للأبحاث أنه صار من السهل الحصول على عينات دم من القلب أو الكبد أو الكلى مباشرة ، وذلك بامرار أنبوبة رفيعة طويلة ومرنة من الكوع . وترجع أهمية هذه العينات إلى خلوها من تأثيرات الدم فى الأوعية الدموية الأخرى مما يساعد الطبيب على تشخيص المرض بدقة .

وليست العملية معقدة كما قد تبدو، وإن كانت رحلتها طويلة . فان الأنبوبة تمر داخل أحد شرايين الكوع ويلاحظ سيرها

بجهاز خاص فنشاهد وهى تسير إلى الجزء الأيسر للقلب ومنه إلى الشريان المؤدى إلى الكبد أو الكلى أو غيرها من الأوعية .

وأجريت هذه العملية فى السنتين الأخيرتين فى ٣٠٠٠ حالة بدون أن يصحبها أو يعقبها أى رد فعل أو ضرر .

من البيض لقاح ينقذ الحياة

هى قصة فتح جديد فى عالم الطب ، هى قصة الصراع بين الصحة والمرض وبين الموت والحياة ، أعلنت على الناس ثمراتها الأولى فى سنة ١٩٣١ فجنوا نضجها فى إبان الحرب . هى قصة مربية الفيرس (Viruse) ذلك الحى الدقيق المسئول عن كثير من الأمراض المستعصية مثل التيفوس والحمى الصفراء والانفلونزا والحصبة وشلل الأطفال .

ولولا هذا الكشف لانتشرت الأوبئة الفتاكة بين الجنود والمدنيين كما حدث فى ١٩١٨ - ١٩١٩ حينما أزهق وباء الانفلونزا عشرين مليوناً من الأنفس . ولكن نجاح الدكتور جودباستور ومساعدته الدكتورة اليس وودرف أنقذ العالم من الأوبئة ، كما وضع الأحجار الأساسية لوقاية الناس من أمراض عدة تسببها عائلة الفيرس .

وهذا الميكروب دقيق لا تراه الميكرسكوبات العادية ، ويخالف سواه فى وسائل تغذيته وحياته ، فبينما الميكروبات الأخرى تعيش فى أوساط مختلفة مثل الآجاراجار واللحم ، فإنه لا يعيش إلا على أنسجة حية إن ماتت قضى معها . وكان الأطباء يربونه لعمل اللقاح فى القردة والطيور ، ولكنهم لم يحصلوا منه على المقادير اللازمة لكفاية عدد من الناس فضلا عن أمة كبيرة . فاللقاح الواق هو ميكروب المرض ، ميتاً أو ضعيفاً ، يلقح أو يحقن به الجسم فيكتسب مناعة ضد المرض نفسه .

بدأ الدكتور جودباستور أبحاثه لتربية الفيرس فى الدجاج ، وفى مرض جدرى الطيور . وهداه البحث إلى الإستعانة بالبيض المخصب فهو يحتوى على أنسجة حية . فكان يفتح قطعة صغيرة من قشرتها ليمرر الفيرس ، ثم يغلقها ثانية بغشاء شفاف يرى من خلاله مايحدث داخل البيضة . وبعد أربعة أيام صارت أغشية البيضة سميكة وملتهبة فعرف أن مجموعات الفيرس تنمو وتتغذى على جنين البيضة .

وأعلن نتيجة بحثه فى سنة ١٩٣١ ، فلم يجد من الأطباء أذناً صاغية . وأهملوا قيمة أبحاثه كما أهملوا فى سنة ١٩٢٩ نبأ اكتشاف الدكتور فلمنج للبنسلين ، ولكنه انتقل إلى المرحلة الثانية . فأى أنواع الفيرس ينمو فى البيض وأيها لاينمو ؟ فجرب فيرس الجدرى البشرى فحصل من البيضة الواحدة على كميات لقاح تكفى ١٠٠٠ فرد فأى هدية ثمينة رخيصة يقدم للعالم .

وانتشرت أنباء نجاح الدكتور جودباستور ، فصنع الألمان كل لقاح الجدرى من البيض . ونجح الدكتور بيرنت فى استراليا وربى فيرس الانفلونزا فى البيض . وأدركت الهيئات المختلفة أهمية الكشف الجديد فجربه معهد روكفلر لتربية فيرس الحمى الصفراء ، فكان النجاح باهراً .

وما زالت المعاهد الطبية تقدم إلى العالم كل يوم لقاحاً جديداً ، فقد أعلن الدكتور هرالدكوكس أن عدد أنواع الفيرس التى تنمو فى البيض ٢٥ نوعا ، منها التيفوس ومرض نوم الخيل الذى قتل فى سنتين ٨٠ ألف حصان . ولفيرسه خطره على الناس أيضاً ، فإنه فتك بسبعين فى المائة ممن أصيبوا به ومن نجوا من الموت أصيبوا بانهيار فى أعصابهم أو جنوا .

وهناك أمراض لم ينجح الباحثون بعد فى كشف سر تربية فيرسها ، ومثال ذلك مرض شلل الإطفال . ولكن العلماء يعتقدون أن التوفيق اليه قريب بفضل تقدم فن تربية الفيرس فى البيضة ، وما توصلوا إليه من تحسينات فى أدوات حقن جنينها بالميكروب فى أنحاء جسمه المختلفة . فمرة يحقن الفيرس فى المخ ، وأخرى فى النخاع الشوكى ، وثالثة فى الجلد ، ورابعة فى العضلات ، إلى غير ذلك من الأجزاء وهم يرجون أن تظهر أعراض المرض فى أحد هذه الأعضاء فيتاح لهم صنع لقاحه ويكشفون سره .

وكانت القوات المحاربة الأمريكية من أسرع الهيئات التى استعانت بأبحاث الدكتور جودباستور ، فوفرت على جنودها شر الإصابة بالأوبئة الفتاكة التى تعتبر من لوازم الحرب فى المناطق الحارة فى المحيط الهادى ، وبالتالى تيسر لهم النصر فى معارك القتال المختلفة . ولولا هذا الاكتشاف وما أضفاه على الجنود من صحة وطمأنينة لانقلب ميزان هذه المعارك ، فالجندى المريض عبء على الجيش تخسر وحدته جهده ، كما تزيد جهد الأقسام الطبية مما قد يؤجل النصر إن لم يمنعه .

فوزى الشتوى

رسالة الفن

الفـــن

للكاتب الفرنسي بول جيزيل

بقلم الدكتور محمد بهجت

— ٢ —

الواقعية في الفن Realism in art

في نهاية شارع الجامعة الطويل ، وقريباً من الشان دي مارس Champ de mars يوجد «مخزن الرخام» في ركن منزل مهجور يشعرك بأنك في الريف . في فناء هذا المخزن الذي تكسوه الأعشاب ترقد قطع رخامية غبراء ثقيلة مبعثرة ، تبدو في مواضع منها كسور حديثة العهد تنم عن بياض ناصع . تلك هي أحجار الرخام التي احتفظت بها الدولة للمثالين الذين تشرفهم بعمل تماثيل لها .

ويقوم إلى جانب من هذا الفناء عدة مراسم خصصتها الدولة لمختلف المثالين ، تبدو كأنها مساكن للطلبة من طراز جديد ، وهي بمثابة مدينة صغيرة للفنانين ، يجللها هدوء عجيب . يشغل رودان مرسمين من تلك المراسم ، يعمل في واحد منها ويضع في الآخر سبائك الجص لقطعته المعروفة « باب جهنم » ، تلك القطعة التي تسبي العقول برغم أنها لم تكتمل بعد .

ولقد اعتدت أن أزوره هنا أكثر من مرة في آخر النهار ، عند ما يوشك أن ينفض يده من عمله اليومي . فكنت أجلس على كرسي وأرقبه وهو يعمل ، وأرتقب تلك اللحظة التي يرغمه فيها الظلام على الكف عن العمل ، ولكن كان حرصه على الإنتفاع بآخر شعاع من أشعة النهار يلهب أعصابه ويصيره كالمحموم .

وهأنذا أراه يسوي ويشكل تماثيله الصغيرة من الطين بسرعة خاطفة . وهو يجد في ذلك ضربا من التلهي والتسلي يجنح اليه في الفترات التي تتخلل عمله الوئيد الذي يبذله في صنع التماثيل الكبيرة .

ثم انه يجد في تلك الدراسات العجلى التي تؤدى للتو واللحظة متاعا ولذة لأنها تعينه على امتساك حركة رشيقة أو إيماءة جميلة عابرة ، قد لا يتاح لصدقها الآبق أن يُدرس دراسة عميقة طويلة .

أما طريقته في العمل ففريدة في بابها . فترى في مرسمه كثيراً من المثل الآدمية العارية تمشي الهوينا أو تستريح ، يؤجرهم رودان لكي يرى فيهم الجسم العاري يتحرك بكل ما في الحياة من حرية ، فهو يلاحظهم في غير انقطاع؛ وبذلك أمكنه أن يلم برؤية العضلات في حركاتها وسكناتها . إن الجسد العاري الذي نعتبره نحن المحدثين علانية شاذة ، والذي لا يرى فيه المثالون إلا طيفاً لا يدوم لأكثر من جلسة أصبح منظراً مألوفا لدى رودان .

وإن الدراية المستمرة بالجسم الإنساني ، تلك الدراية التي اكتسبها قدماء الإغريق من ملاحظة الألعاب الرياضية كالمصارعة ورماية القرص والملاكمة وغيرها من صنوف الألعاب الرياضية ، والتي أباحت لفنانيهم أن يتكلموا بحرية عن الجسد العاري اكتسبها صانع « المفكر » أو رودان بجعل الآدميين العرايا يذهبون ويجيئون أمام عينيه باستمرار . وبذلك استطاع أن يستكنه المشاعر التي تعبر عنها كل هنة من هنات الجسد . ويعتبر الوجه عادة المرآة الوحيدة التي نرى فيها النفس ، كما يبدو لنا أن تحرك أعضاء الوجه هو المظهر الخارجي الوحيد للروح . وفي حقيقة الأمر الواقع أنه لا توجد عضلة من عضلات الجسم لا تعبر عن التغيرات التي تطرأ على الشعور الداخلي ، كلها تعبر عن فرح أو حزن ، عن يأس أو أمل ، عن تعقل أو جنون . إن الذراع المنبسطة أو الجسم المسترخي ليبسم في رقة وحلاوة مثلما تبسم الشفاه أو العيون ، ولكي يصبح المرء قادراً على تفسير كل خلجة من خلجات اللحم وجب عليه أن يوطن نفسه على قراءة ذلك الكتاب البديع — وهذا ما فعله أساطين الفن الأقدمون ، وساعدتهم عليه ظروف مدنيتهم . أما رودان فقد توصل إليه في عصرنا هذا بقوة إرادته الخاصة . إنه يتبع مثله بنظراته الفاحصة النهمة ويتنسم في هدوء روح الحياة التي تختلج فيهم ، ويعجب بطرواة هذه الفتاة التي تنحني لتلتقط إزميلا[1] ، أو بجمال أخرى ترفع ذراعيها لتصفف شعرها الذهبي فوق رأسها ، أو بخطران شاب يمشي عبر الغرفة ، وعندما يأتي هذا أو ذاك بحركة أو وضع يروقه يطلب منه توا أن يستبق ذلك

(١) شفرة الحذاء .

الوضع ثم يهوى إلى طينه ويعمل بسرعة فلا يلبث أن يخرج تمثالا صغيراً إلى الوجود ، ثم ينتقل بنفس السرعة إلى غيره يشكله ويسويه بالطريقة ذاتها .

وفى إحدى الأمسيات ، عند ما أخذ الليل يرخى سدوله الكثيفة على مرسمه جرى لى حديث مع المعلم عن طريقته بدأته بقولى :

« إن ما يدهشنى منك أنك لا تشتغل على وتيرة أقرانك . إنى لأعرف الكثير منهم وقد رأيتهم يعملون ، فهم يجعلون المثال يعتلى خشبة تسمى العرش ويأمرونه بأن يتخذ كذا أو كذا من الأوضاع ، وفى العادة يثنون أو يبسطون ذراعيه ورجليه حسبما يروق لهم ، ويحنون رأسه أو يمددون جسمه كما لو كان بنتا من بنات[1] الأطفال؛ ثم يشرعون بعد ذلك فى العمل . أما أنت فعلى النقيض من ذلك ، تنتظر حتى يأخذ مثالك وضعاً من الأوضاع التى تروقك فتقوم بانتساخه حتى لكأنك أنت الذى تأتمر بأمرهم ولبسوا هم الذين ينزلون على أمرك » .

وكان رودان متشاغلا بلف نماذجه الصغيرة بلفائف مبللة فأجابنى فى هدوء .

« أنا لست رهين أمرهم وإنما أنصاع لأوامر الطبيعة ، أما زملائى فلهم ولا ريب أسبابهم التى تدعوهم إلى الاشتغال على النحو الذى ذكرت ، ولكن اعتسافهم الطبيعة على هذا النحو ومعاملتهم الإنسان معاملة الدمى تجعلهم يخاطرون بإنتاج تماثيل متكلفة لا تنبض بالحياة ، أما أنا الذى ينشد الحقيقة ويدرس الحياة كما ترى فسوف أحرص على ألا أنهج نهجهم . إنى أستخرج الحركات التى ألاحظها من الحياة ولكننى لا أفرضها ولا أصطنعها ، حتى إذا ألجأنى الأمر وأنا أشتغل بموضوع ما أن أطلب من المثال أن يتخذ وضعاً معينا ثابتاً فإنى أشير اليه بأن يأخذ ذلك الوضع متحاشيا جهدى أن أمسه لأضعه فى الوضع المطلوب ، لأنى لا أنقل إلا ما تقدمه لى الحقيقة على الأثر . إنى أطيع الطبيعة فى كل شىء ، ولا أحاول قط أن أسيطر عليها ، وكل ما تصبو اليه النفس هو أن أكون عبدها الوفى الأمين » ، فأجبته فى شىء من الخبث والمداورة « ومع ذلك فأنت لا تبرز الطبيعة فى أعمالك بنصها وفصها » فتوقف قليلا وهو ممسك باللفائف المبللة ثم أجابنى وهو مقطب الأسارير .

— نعم إنى أبرزها بنصها وفصها

— ولكنك تضطر إلى تغيير ...

— لا أغير منها فتيلا

— ولكن البرهان على أنك تغير منها هو أن السبيكة لا تعطى من التأثير مثلما يعطيه عمل يدك بحال من الأحوال

ففكر لحظة ثم قال :

هذا حق ! لأن السبيكة أقل صدقا مما تطبعه يدى فى الطين أو تحفره فى الحجر . يكاد يكون مستحيلا على أى مثال أن يحتفظ بوضع حى طيلة الوقت الذى يلزم لعمل سبيكة منه

ولكنى أحتفظ بجملة الوضع بمخيلتى وأصر على أن يتطابق المثال على ما وعته مخيلتى من ذلك الوضع . وأكثر من ذلك أن السبيكة لا تظهر إلا المظهر الخارجى ، ولكنى أظهر بجانب ذلك الروح التى هى بلا ريب جزء من الطبيعة أيضاً . إنى أرى الحقيقة كاملة ولا أقصر نفسى على رؤية المظهر الخارجى . إنى أبالغ فى إظهار الخطوط التى تعبر أحسن تعبير عن الحالة النفسية التى أتولى تفسيرها »

وكان يرينى وهو يتكلم تمثالا من أروع تماثيله قائماً على منصة قريبة ، هو تمثال لشاب راكع رافع ذراعيه المتوسلتين إلى السماء كأنما تنهش كيانه حيات الألم ، جسمه مائل إلى الوراء ، وصدره ناهد وحلقه متوتر من اليأس ، أمايداه فممدودتان إلى مخلوق وهمى تتوقان إلى إمساكه ؛ ثم قال لى :

« انظر ، لقد أوضحت انتفاخ العضلات التى تفصح عن الألم ، فهنا وهنا وهناك قد غاليت فى توتير أربطة العضلات التى تدل على تدفق الصلاة وحرارتها » وبعد ذلك أشار إلى أقوى وأبرز ما بالتمثال من أجزاء ، وهنا صحت به متهكماً :

« لقد أصبت منك مغمزا يا أستاذى . تقول بنفسك إنك تفصح ، وتزيد ، وتبالغ . فترى من ذلك إذن أنك غيرت من الطبيعة » فأخذ يضحك من عنادى ويقول :

« أبداً ، أنا لم أغير منها شيئاً ، وعلى فرض أنى فعلت ذلك فإنى لم أكن أتوقعه وقتذاك ، فالاحساس الذى سيطر على مشاعرى وقتئذ أرانى الطبيعة كما نقلتها . فاذا ما أردت تنقيح ما رأيت وجعله أكثر جمالا لما أنتجت شيئا طيبا » وبعد برهة عاود حديثه قائلا :

« إنى أوافقك على أن الفنان لا يرى الطبيعة كما يراها السوق

---

(١) البنات لعب الأطفال (العرايس)



عالمية الاسكندر

فى هذه الأيام التى يتفاوض فيها أقطاب العالم لوضع نظام عالمى أو قريب من العالمى ، يضمنون به الإشراف على القوميات المختلفة ، ووضعها فى نظام منسجم متناسق ، قد يكون من الطريف أن نشير إلى محاولة لتطبيق فكرة العالمية قام بها صاحبها منذ اثنين وعشرين قرناً أو ما يقرب من ذلك ، تلك هى محاولة الاسكندر المقدونى التى أراد بها أن ينفذ هذه الفكرة فى النصف الثانى من القرن الرابع قبل المسيح .

لم يكن العالم الهلّينى فى ذلك الوقت قد اتسع أفقه بعد ليشمل نطاقاً أوسع من نطاق « المدينة الحرة » الذى نادى به أرسطو فى « سياسته » والذى عبر به خير تعبير عن النظام السياسى الوحيد الذى كان يدركه العالم الهلينى حينذاك .

وإذا كانت بعض المدن الإغريقية قد حاولت أن ترتفع قليلا عن هذا الأفق لتضع نظاماً أوسع ، كأثينا التى حاولت أن توجد نظاماً إمبراطورياً تكون هى سيدته ، فمع ذلك نجد أنها لم تستطع أن تمتد بنظامها هذا الجديد لتشمل به شعوباً أخرى غير شعوب العالم الهلينى .

فلما ظهر الاسكندر ، نظر نظرة أخرى جديدة ، وقام بمحاولة بعيدة عن إدراك الإغريق ، أراد أن يوجد « دولة » تكون حدودها هى حدود العالم المعروف إذ ذاك ، فكيف عمل على تحقيق هذه العالمية ، وكيف دبر النظام الذى يستطيع به أن يضمن تناسق أجزائها ، وما مدى تأثير الظروف التى أحاطت بالعالم إذ ذاك فى هذا النظام ، وأخيراً ما مقدار نجاحه فى تحقيق فكرته ؟

نظر الاسكندر حوله فوجد بين يديه فتوة وقوة يستطيع بها أن يناضل وأن يتغلب ، ووجد العقبة الوحيدة التى قد تعترض طريقه ، وهى الإمبراطورية الفارسية ، قد تفككت وأصبحت على شفا الانهيار ، وإذن فليحقق عالمية عن طريق إمبراطورية يكسبها بسيفه ، وليجمع بين الشرق والغرب فى نظام يكون هو على رأسه ، وهكذا يسيطر الاسكندر على آسيا الصغرى وسوريا وفينقيا ومصر ، ثم يتوغل فى آسيا حتى يصل إلى شواطئ المحيط ، ويود الوصول إلى الشواطئ المقابلة لولا أن تعاجله منيته .

عمل الاسكندر إذن على أن يوجد « المادة » التى سيطبق فيها نظامه العالمى ، ثم انتقل إلى دور آخر ، هو تطبيق النظام نفسه ، وهنا تقابله المشكلة ، فلكى يضمن تحقيق فكرته لابد أن يسيطر بنفسه على إمبراطوريته ، ولكن إذا كانت هذه السيطرة الإمبراطورية مما يتفق ونظم الشرق ، الذى جرب قبل ذلك نظام الإمبراطورية تحت سيطرة الفراعنة والفرس ، فهى مما يتناقض تناقضاً تاماً مع نظام المدينة الذى درج عليه الهلينيون والذى قامت على أساسه الحضارة الهلينية .

وإذن فالاسكندر أمام مشكلة ، إن وضع نظامه على أساس المدينة الحرة فقد ضاعت سيطرته ، وضاعت بالتالى فكرته الأولى التى يرمى إليها من وراء هذه السيطرة ، وهى العالمية . وإن قضى، فى سبيل سيطرته ، على نظام المدينة الحرة ، فقد قضى على الحضارة الهلينية التى قامت على هذا النظام ، والتى كان يرمى قبل كل شىء إلى أن تسود « عالمه » الجديد .

لأن عواطفه تكشف له عن الحقائق المخبوءة تحت ستر المظهر الخارجى ، وعلى كل حال فالقاعدة الوحيدة فى الفن هى أن تنسخ من الطبيعة ما تراه . ويرى المشتغلون بجهال الفنون أن أية قاعدة مغايرة لهذه يكون مآلها إلى البوار ، فليس ثمت من طريقة لتحسين الطبيعة ، والأمر الوحيد هو أن ترى . آه ، حقيقة أنه ليس فى مقدور رجل من أوساط الناس ممن ينسخون الطبيعة أن يأتى بعمل فنى لأنه فى الواقع ينظر ولا يرى ، ولو أنه استطاع أن يتتبع كل دقائقها بانعام لجاءت النتيجة تافهة لا خطر لها ، ولكن لم تخلق مهنة الفنان لأوساط الناس الذين لا يمكن أن يكتسبوا مواهب حتى من أجل النصائح والإرشادات .

فالفنان — على نقيض ذلك — يرى بمعنى أن عينه المركبة على قلبه تقرأ عميقاً فى أغوار الطبيعة ، وهذا يفسر السبب الذى يجعل الفنان لا يعتمد إلا على عينيه فقط » .

(للكلام صلة) محمد بهجت

فليفكر الاسكندر إذن فى طريقة يسيطر بها على إمبراطوريته دون أن يقضى على الأساس الأول للحضارة الهلينية ، طريقة يجمع بها بين «ملكية» الشرق و«مدينة» الغرب .

وهنا يلجأ الاسكندر إلى خير طريق يربط بين النظم والأفكار على اختلافها وتباينها ، ذلك هو الطريق الدينى . ليسبغ الاسكندر على نفسه سمة دينية مقدسة ، يجمع بها بين سيطرة الشرق والغرب ، الذى تشغل الأفكار الدينية فيه إذ ذاك المقام الأول ...

وهكذا يسعى الاسكندر إلى أن تكتسب سيطرته شكل الحق الإلهى ، بل أكثر من ذلك أن يصبح هو نفسه إلهاً .

وهكذا نراه يحج فى مصر إلى معبد آمون حيث يحصل على اعتراف من الكهنة بأنه ابن الإله «آمون» ، ولآمون إذ ذاك مكانته سواء فى مصر أو فى العالم الاغريقى ، الذى أخذ فى ذلك الوقت يضعه فى مصاف آلهته الكبار .

ثم نراه مرة أخرى فى فارس يحيط نفسه بهالة كثيفة من الطقوس الدينية ، والمراسيم التى تقدم إلى النار القريبة من عرشه ، والتى تمثل فكرة الحق الإلهى للملك .

هذه محاولة للعالمية قامت فى القرن الرابع قبل الميلاد ، وقد قضت بقضاء صاحبها ، فهل تنجح محاولات العالمية فى القرن العشرين ؟

لطفى عبد الوهاب

تساؤل واستفهام ؟

قرأت معجم الأدباء لياقوت الحموى وهو المعجم الذى قامت بطبعه دار المأمون . وبعد البحث والاستقصاء لفت نظرى خلوه من كثير من الشخصيات ، إذ قد وجدت أن نخبة صالحة من الرجال البارزين لم تذكر فى هذا المعجم . فإما أن تكون قد ضاعت من الأصل — وهو احتمال ضعيف — وإما أن يكون ياقوت قد أغفلها ، وهذا هو موضوع التساؤل .

لقد كان فى جملة من أغفل ذكرهم من الشعراء والأدباء شخصيات مختارة أمثال حسان بن ثابت والحطيئة والأخطل والكميت وجرير وبشار والبحترى وأبى تمام والمتنبى وابن زيدون وعمر بن أبى ربيعة وابن الرومى وابن المعتز وأبى فراس ومسلم بن الوليد (وقد ذكر ترجمة ولده سليمان) ، ومن الأدباء والرواة والفلاسفة أمثال الحسن البصرى والرئيس ابن سينا وابن سيرين والامام أحمد والامام أبى حنيفة والامام مالك والبخارى ومسلم وعبد الحميد الكاتب والنزالى والفارابى والرازى والأصمعى وأبى بكر الخوارزمى وابن الزيات وعلى بن الفرات وعمرو بن مسعدة وابن خفاجة والفضل بن يحيى والفضل بن الربيع والحسن بن سهل واسماعيل بن صبيح والحسن بن وهيب وبنى موسى بن شاكر وأبى الحسن الأشعرى والوزير محمد بن على بن مقلة (أشار ياقوت فى ترجمته لأخى الوزير الحسن بأنه سيذكره فى بابه ولكنى لم أعثر على ترجمة له) وعبد الله ابن قتيبة (ذكر ياقوت ترجمة لولده أحمد) وابن المقفع ويعقوب بن اسحاق الصباح الكندى ومالك بن دينار والقاضى الفاضل وغيرهم ممن يصعب حصرهم فى هذه العجالة . فى حين أنه ترجم لشعراء كثيرين منهم الفرزدق وصريع الغوانى وأبو دلامة وغيرهم ممن لا يتسع المجال لذكرهم ممن هم دون من أغفلهم شهرة ومنزلة ، وهنا موضع التساؤل ؟

إذا فرض أن ياقوت قد أغفل ذكر هؤلاء أوقسما منهم فاهو يا ترى السبب الذى حمله على إغفال أمثال هذه الصفوة المختارة ؟ وما هو السر فى ذلك ؟ وهل من الجائز أن يقال إنه تعمد عدم الترجمة لهم أو لقسم منهم لأسباب ودواع تمت إلى سياسة حكام عصره ومسايرة ميولهم ؟ تلك الميول التى ربما كانت لا تحبذ الترجمة لأحد من أولئك ؟ وإذا كان كذلك فما هى تلك الميول ، وهل كانت ظاهرة أو مستترة ؟ وما هى الدوافع لها ؟ وإذا قال قائل إنه اقتصر فى معجمه على شخصيات الأدباء فقط ، فأقول إنه ذكر كثيرين ممن اشتهروا بالشعر دون غيره كما مر آنفاً . وقد ترجم للامام الشافعى كما ترجم لأناس اشتهروا بالعلوم الفقهية والنحوية ، أو فى اللغة والقراءة . فهل لا يرى رجال الأدب اليوم أن إغفال ياقوت — إذا صح — لمثل تلك الشخصيات يعتبر نقصاً كبيراً فى قيمة معجمه الأدبية ، أو على الأقل إهمالا من ياقوت وغمطاً لحقوق أولئك

الرجال ؟ وهو ما لا يجب أن يتصف به كاتب أخذ على عاتقه تدوين حياة النـاس . وإذا كان ياقوت قد قال إنه جعل معجمه قاصراً على من اشتهروا بالأدب ؛ فما هو المقياس الذي يقيس به ياقوت الرجل ليكون أديباً في نظره ؟ وما هو معنى الأدب عند ياقوت ؟ وعلى أي شيء يشتمل ؟ وهل إن الوراقين أو بعضهم ـ وقد حشرهم ياقوت في زمرة الأدباء ـ يعتبرون من الأدباء في العصر الحاضر ؟

هذا بحث مقتضب جاء على عجل ، إلا أنه لا يخلو من حقائق كما أنه لا يخلو من غوامض تريد من يزيح الستار عنها . فإلى أدباء العصر ولا سيما من عرفوا ببحوثهم القيمة واشتهروا بتحقيقاتهم العلمية والأدبية الثمينة أوجه قولي هذا راجياً أن يتفضلوا بكشف النقاب عما خفي واستغلق ولهم على ذلك شكر التاريخ وثناء الأدب والله الموفق .

(الزبير — البصرة) **احمد حمد آل صالح**

شرح لامية العجم ، سحر العيون ، نزول الغيث

تعليقاً على مانشره العلامة المحقق الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي في صفحة ١٨١ من « البريد الأدبي » للرسالة الغراء بعددها ٦٠٧ بتاريخ ١٩ فبراير سنة ١٩٤٥ تحت عنوان شرح لامية العجم — لم أقف على المصنف المذكور لصلاح الصفدي مطبوعاً في بولاق والذي أعرفه من طبعاته المتداولة طبعة معوض فريد (المطبعة الوطنية) بالاسكندرية سنة ١٢٩٠ هـ وأخرى طبع المطبعة الازهرية بمصر سنة ١٣٠٥ هـ[1]

أما كتاب « سحر العيون » المنسوب لأحد تلامذة شهاب الدين أحمد الحجازي الشاعر المصري أحد علماء القرن التاسع فمطبوع طبعة حجر بمصر سنة ١٢٧٦ هـ

ومن بواعث الأسف أن « نزول الغيث » لابن الدماميني لا يزال مخطوطا وتوجد منه أكثر من نسخة بدار الكتب المصرية

فلعل هذا التعليق يهم المتتبعين لحركة النشر من قراء الرسالة الغراء ، ومن الخير أن يدون للحقيقة والتاريخ .

يوسف كركور

(١) ومن هذا الكتاب نسخ مخطوطة بدار الكتب المصرية

شكر وتعليق

قرأت في « الرسالة » الغراء مقالاً للناقد الشاعر الأستاذ محمد عبد الغني حسن عن كتابي « محمد عبده » الذي ظهر منذ شهور في سلسلة « أعلام الإسلام » فوددت أن أوجه إلى الناقد الفاضل أحسن التحية للروح الجميلة التي أملت عليه مقاله الكريم الذي خصني فيه بكلمات طيبات ، مما شاء له أدبه الجم وفضله الموفور . ووددت أن أنوه أيضاً بسماحته وإنصافه ، وهما خصلتان شريفتان من بين خصال أخرى محمودة تجلت في نقده لكتابي .

والواقع أن ما أورده صديقنا الأستاذ من ملاحظات على كتابي هو الحق الصريح البريء من الشبهات ؛ وليس يسعني هنا إلا أن أهنئه على ما حباه الله من حدس صائب وذوق سليم .

غير أن لي تعليقاً على ملاحظتين وردتا في ثنايا المقال ، وأرجو من هذا التعليق أن أبين الحقيقة فيما يتصل برسالة لي عن الأستاذ الإمام كتبتها أثناء بعثتي بأوربا ، وقدمتها إلى السربون لنيل الدكتوراه في الفلسفة من تلك الجامعة ، وتقوم وزارة المعارف المصرية بطبع تلك الرسالة وستظهر قريباً باللغة الفرنسية . وقد ظن الأستاذ محمد عبد الغني حسن كما ظن غيره أن كتابي عن « محمد عبده » في سلسلة أعلام الاسلام موجز لرسالة الدكتوراه ، والواقع غير ذلك : فإن عنايتي في رسالتي الفرنسية كانت موجهة كلها إلى « آراء محمد عبده الفلسفية والدينية » ، وبعبارة أخرى إلى فلسفة الأستاذ الإمام ومذهبه في الدين والأخلاق والاجتماع .

ولم يظهر من هذا البحث بالعربية إلا فصول مختصرة قلائل نشرت في « الرسالة » و « الثقافة » و « مجلة الأزهر » و « مجلة العلوم » أما « محمد عبده » في « أعلام الإسلام » فقد كتب خصيصاً لهذه السلسلة ، ولم أقصد منه إلا إلى التعريف بسيرة الرجل كما كان ، لا كما يريده بعض الناس أن يكون . وهذا ما أدركه الأستاذ محمد عبد الغني حسن ، وكشف عنه بإشارات ألمعية وبيان نفاذ . وما أحسبني إلا قد انتهجت لهذه الغاية طريقا سويا مفتوحا لا عوج فيه ولا يحوجنا إلى بدعة « المفاتيح » هذه التي يجري وراءها بعض « المحدثين » في هذه الأيام .

أما ما استدركه الأستاذ الناقد من أننى لم أشر إلى المراجع التى وردت فيها أقوال من استشهدت بهم ، فاستدراك ينصب لا على كتابى وحده ، بل على أكثر الكتب التى ظهرت الى الآن فى سلسلة « أعلام الإسلام » : لأن المجال أمام المؤلفين ضيق محدود ، وهم كما رأى الأستاذ نفسه ، « مقيدون بقدر الصفحات لا يتعدون حدوده » . وأنا أؤكد لصديقى عبدالغنى حسن أن هذا القيد الذى أشار اليه كان أثقل على نفسى من أى شيء سواه .

أما ما لاحظه الأستاذ عبد الغنى من ورود بعض الأعلام بالحروف الأول دون ذكرها كاملة فمرجعه إلى أن تلك الأسماء إنما أوردتها كما هى فى نصوص من كلام محمد عبده نفسه ، ولم يكن يسعنى أن أغير فيها ما دمت أنقلها اقتباسا (وقد وضعتها بين أقواس صغيرة إشارة إلى هذا) ، ولم يكن ثمة حاجة ملحة للكشف عنها لأنها أسماء أشخاص مغمورين ممن لا خطر لهم وإن كانوا من أصحاب المناصب الكبيرة . وعندى أنه كان من الميسور إغفال أسمائهم بالمرة ، دون أن يؤثر ذلك فى سياق الكلام أو يقلل من مغزى الرواية .

وأود أخيراً أن أوجه خالص الشكر إلى صاحب « الرسالة » الذى هيأ لنا هذه الفرصة الممتعة للوقوف على مثال طيب من النقد النزيه الصادر عن خلوص النية وسداد النظرة وصدق الشعور .

عثمان أمين

الحومانى فى فلسطين

هبط فلسطين منذ أيام الأستاذ محمد الحومانى صاحب مجلة (العروبة) فى بيروت ، وناظم ديوان (حواء) ، وناقل رسالة الأدب العربى إلى أمريكا . وقد احتفل به جماعة الأدباء فى يافا ، وألقى مختارات من شعره فى قاعة المعهد البريطانى هناك . وأقامت له اللجنة الثقافية فى جمعية الشبان المسيحية فى القدس حفلة دعى اليها جمهور غفير من المثقفين ، وأنشدهم فى نهايتها كثيراً من قصائده العصماء .

حول كتاب « الفاروق عمر »

لا نريد أن نعرض هنا لتقريظ كتاب « الفاروق عمر » لسعادة الدكتور هيكل باشا ، ولا لنقده ، فذلك أمر لم يحن حينه ، وإنما نحب أن ننبه إلى وهم لغوى وقع فى عنوان الكتاب ، ذلك أن أصحاب اللغة من بصريين وكوفيين ، نصوا على أن الإسم يتقدم على اللقب فى جميع الأحوال ، فيقال : « عمر الفاروق » ولا يقال « الفاروق عمر » .

ويبدو أن الكاتب الكبير قاس اسم مؤلفه الجديد على اسم الكتاب السابق له المعنونَ « الصديق أبو بكر » ولا قياس فى هذا ، حيث لم تنص كتب اللغة على الترتيب بين اللقب والكنية كما نصت على الترتيب بين الاسم واللقب . ولعل سعادة الدكتور هيكل باشا يتدارك هذا الأمر فى الطبعة الثانية من الكتاب ، وفقه الله .

(الرمل) **منصور جاب الله**



التعـس ... !

أقصوصة روسية

للأستاذ عبد اللطيف النشار

لست أعرف لماذا يعتقد كثير من الناس أن المقادير تعنى بحظوظ الملوك والأبطال لا بالرجال العاديين ، وأن الرجال العاديين لاشأن للأقدار بهم كأنها لا تلحظهم

لم يكن بطل هذه القصة من الملوك ولا الأبطال ، ولكن الأقدار لم تكن فى عناده أقل حرصاً على الانتصار منها فى عناد « أوديب » الملك ، حتى لقد يظن المرء أنها تركت كل مشاغلها وتفرغت « لإيجور شيمو دانوف » مدة الثلاثين عاما التى قضتها فى حرب معه .

ولد « إيجور » لأبوين غير معروفين لأنه لقيط . وكان مولده فى قرية من قرى سيبريا . وترك عند باب تاجر من أغنياء التجار اسمه « إيجور » ومن ثم أطلق عليه هذا الاسم ، وكان فى الأعوام الأولى من حياته سعيداً تهيأ له من أسباب الرفاهية مالا يتهيأ أوفر منه لابن أمير .

وكان التاجر الغنى وزوجه يقصران عنايتهما عليه حتى استثارا بذلك حقد الأقارب وحسدهم ، فألبساه الحرائر وأطعماه الشهى ونادياه بأحب الأسماء ، وامتلأ الطفل والتف عوده ، ولكن بقيت فيه نعسة بسبب الزيادة فى الطعام . وهكذا ظل طول عمره ممتزج اليقظة بشىء من النعاس

وكان شعره أصفر ناعماً وقوامه ممتلئاً قصيراً . ولكن سمنته مازالت تقل كلما كبر حتى صار هزاله محزناً فى أخريات أيامه

لما بلغ السابعة من العمر مات اللذان تبنياه موتاً شنيعاً إذ تحطمت بهما عربة القطار ، ولم يشك أحد فى أنه ابنهما وكانت هذه النكبة أول حلقة فى سلسلة أحزانه

وكان أول ما فعله ورثة التاجر أن جردوا « إيجور » من ثيابه الحريرية وطردوه من المنزل . ولقد كان الموت مقدوراً عليه فى الطريق لولا أن رحماء آخرين أخذوه من الطريق فأرسلوه إلى الإصلاحية .

ولم يكن الطفل مذنباً ولكنه لم يكن هناك مكان يؤويه غير هذا المكان ، وهكذا كان أمر المقادير . ولقد قبل الطفل هذا الانتقال من السعادة الكاملة إلى الشقاء الكامل بنفس وطنها على المذلة ، وهناك عرف الضرب كما عرف الجوع ، وسمى لصا فلم يغضب لشىء من ذلك ولم يتمرد ، بل بدأ يستشعر الحب لهذا المكان ويخلص بقلبه لأولى الأمر فيه . ونسى سعادته الماضية كل النسيان فلم يعد يتألم من حالته الجديدة حتى ولا فى معرض الذكرى

ولعل المقادير رأت فى هذا السلوان شيئاً من السعادة فأنكرته عليه . وذلك أن النار شبت فى الاصلاحية ذات ليلة من ليالى الشتاء فاحترقت المديرة وأبناؤها الثلاثة ونجا « إيجور » بعد أن تعرض للموت . وكان حاضراً فى وقت إطفاء الحريق رجل من رعاة الغنم فأصر على أن يأخذه معه لأن البناء أصبح غير صالح للسكنى

وقال إيجور لراعى الغنم وهو ذاهب معه : « لعلهم سيجددون بناء « الإصلاحية ؟ » وكان يقول ذلك وهو يبكى فأجابه الراعى لاتخف فان بناءها سيعاد »

وأخذه إلى مدينة « سمارا » ولم يلحظ الدافع الذى حدا بالطفل إلى القاء هذا السؤال . ولقد كان الدافع فى الحقيقة هو عزمه على العودة بعد تجديد البناء . وهذا عمل لم يعمله انسان من قبل ، بل المعهود ان كثيرين قد فروا من الإصلاحية ولم يتطوع أحد بالذهاب إليها . ولكن هذا العزم يدل على مزاجه الخاص الذى ساعده على احتمال ما أصابه من الحوادث . ولقد كان الطفل بغريزته عدواً للتمرد فأنكر على نفسه الفرار من الراعى ليذهب إلى سجن الأطفال ، ولكنه راجع نفسه فى ذلك بأن ذهابه إلى السجن كان بدافع آخر هو الاستسلام للقدر الذى قضى عليه بأن يعيش فى السجن

وفر الطفل من سمارا ثلاث مرات عاد فيها إلى سيبريا . ولكنه ضبط مرتين وضرب ضربا مبرحا ، ونجا فى المرة الثالثة ، ولكنه ضل الطريق فى مجاهل سيبريا . وعلى الرغم من ذلك فان الأخطار والمتاعب لم تغفل عنه فقد كان الدب يطارده فى الغابة ، وقطاع الطرق يهاجمونه فى الطريق ، والأشرار يعتدون عليه فى

المدن . وكان إيجور يجوع أحيانا ليشترى « باقة » ويخشى على ثيابه أن تمزق ولهذا كان يفر من طريق الأشرار . وكان شريفاً على الرغم من إقدامه على سرقة الثياب مادام فى حاجة اليها ولا يملك ثمنها ، ولم يكن يعد هذا ذنباً .

ولما اعتاد هذه الحالة انطفأت نار شوقه إلى الاصلاحية وظل ينتقل من مدينة إلى مدينة حتى إذا بلغ السابعة عشرة وجدناه فى تفليس عاملا فى مصلحة التلغراف وكان مغتبطاً بهذه الوظيفة التى أهله لها حسن ملبسه وظل نظيف الثياب فى الأعوام الثلاثة التى كان فيها مثالا لحسن الخلق والمعاملة . وشعر فيها السعادة التامة الماضية حتى كأنه قد نسيها

ولما بلغ الحادية والعشرين صار من دأبه التغنى بأنشودة غرامية فسمعته فتاة ووهبته قلبها . ومن هذا العهد ظهر سوء الحظ مرة أخرى وكأنه كان مختفياً ليظهر فجأة بشر مرعب ، فلقد ماتت هذه الفتاة بالجدرى . وعلى الرغم من أن إيجور كان مطمئنا لكل هذه الحوادث فقد بدا أثر الحادث الأخير على وجهه فأفقده رواءه وارتسم عليه الهم والألم . وفى خلال هذا العام التحق بالجندية وكان يكره البحر وأسفاره ولكنه عين فى فرقة البحريين فى الأسطول واضطر إلى السفر فى البلطيق فأصيب بمرض من أمراض البحر ، وبدلا من أن يعطف عليه الجنود لمرضه صاروا يضحكون منه . وانقضى عامان كانت السفينة فى خلالهما راسية على بعض شواطئ أفريقيا ، وكان أهل هذه الجهة من السودانيين الذين لايعرف إيجور شيئا من لغتهم ، ولم يكن معه مال ليعيش معهم ولكن هكذا شاء القدر أن يهرب من السفينة ويشرد فى تلك المجاهل

ولم يزل يمشى حتى وصل بعد ثمانية عشر شهراً إلى القاهرة فتجددت له السعادة ، لأن القاهرة خير مكان يستطيع أن يعيش هادئاً فيه . وتزوج واشتغل صانعاً فى أحد المعامل ، ولما كان قنوعا فقد اقتصد جزءاً من المال وعزم فى النهاية على فتح حانوت لصنع الأحذية ولكن قبل أن ينفذ هذا العزم اعتقل صاحب المصنع وصودرت أمواله بسبب إفلاسه . وكان إيجور قد حفظ أمواله عنده فصودرت أيضاً .

فى ذلك اليوم هرب إيجور من القاهرة ولم يزل ينتقل من بلد إلى بلد ومن صناعة إلى أخرى كاليهودى التائه ، وركب البحر ثلاث مرات فغرقت السفن ونجا . وعلى الرغم من ذلك فقد ظل مطمئنا كأن الذى أصابه ليس إلا حوادث عادية يتعرض لمثلها كل إنسان .

وأخيراً وصل إلى نابولى فأخذ يبيع بها السلع متجولا . ومن هناك سافر إلى سويسرا وكانت لغته قد أصبحت مزيجاً من الروسية والعربية والإيطالية . وألف هذا النوع من الحياة وأمهله القدر فصار لايتعرض لأخطار جديدة وأيسر وبدا اليسار عليه .

ولكنه لم يكن قد تعود هذه الحالة فتاقت نفسه إلى المخاطر ليتعرض لصدمات الأقدار ، فبدا فى نفسه نزوع وحنين إلى ماضيه المستهدف ، وان شئت فقل إنه أصبح فى حالة عقلية قلقة بسبب الراحة التى لم يعتدها . وبالرغم من مقاومته نفسه فقد عجز عن كبح عزمه على العودة إلى مجاهل افريقيا حيث تلفحه الشمس المحرقة ويتعرض لأذى الزنوج والحيوانات المفترسة .

وسافر من مرسيليا على ظهر سفينة الى الجزائر فغرقت السفينة على مسافة قليلة من الشاطىء الفرنسى فأعيد الى باريس . ولكن ماالذى يفعله الباريسيون بمخلوق تعس كهذا ...؟

وضعوه فى معرض وكتبوا على قفصه «مخلوق تعس» وصار الأغنياء والأطباء والمفكرون يذهبون ليسمعوا منه قصته ويروا شكل جمجمته الصغيرة وعينيه الضيقتين ليصلوا إلى تعليل لتعاسته . ولكن كان ذلك على غير طائل

واستفاد إيجور من هذا العرض مالا كثيراً فعزم على استئناف العمل وعاد يعمل وبقتات . ولكن القدر أبى عليه أن يستريح فتشبثت بذهنه فكرة لم يستطع إلا تحقيقها وهى أن يعود الى سيبريا فيبحث عن أمه المجهولة ، فعاد ، ولما وصل إلى روسيا كانت الثورة قد نشبت فجردته من أمواله عصابات اللصوص وألقته فى خندق . وأبى عليه حظه أن يموت فيستريح ومن أجل ذلك نجا بأعجوبة واستأنف تجواله ، ولما وصل الى القوزاق اشتغل كاتباً وكادت الراحة تعرف طريقها اليه ولكن التفكير فى أمه لم يتركه . ولذلك سافر إلى سيبريا

ولما وصل إلى البلدة التى ولد فيها كان قد بلغ الثلاثين من العمر ، وفى يوم وصوله وكان جواز السفر الذى ابتاعه من موسكو قد باعه إياه رجل اتضح انه مجرم سياسى محكوم عليه بالاعدام — فى يوم وصوله وقع هذا الجواز فى يد الحكومة فأعدمت «إيجور» بغير تحقيق ... اعتقاداً منها بأنه ذلك المجرم السياسى

وهكذا شنق إيجور فلم يبكه صديق أو قريب ولم يذكره ذاكر ، وهل يذكر الناس من ضحايا الأقدار غير الأبطال والملوك ؟

عبد اللطيف النشار



فيلم «أحب البلدى»

تأليف وإخراج حسين فوزى

إنتاج شركة أفلام الشباب

القصة

قامت فكرة القصة — إن كانت لها فكرة — على أساس الاشادة بطبقة (أولاد البلد) والتنديد بالطبقة (الراقية) تنديدا أحسب أنه لايتفق مع الواقع فى كثير ولا فى قليل . ولست أدرى لماذا يعتمد أكثر المخرجين عندنا على عرض هذه الفكرة بالذات فى أكثر أفلامهم ؟ ! وإن كنت أدرى أن الفن أكبر من أن يستغل فى هذا التملق الرخيص المبتذل ، وليس بمعقول أن حياة الطبقة الراقية أو الطبقة الغنية عندنا تنحصر فى (الرجس والخمر والميسر) وحياة (أولاد البلد) كلها (شهامة ورجولة وكرم) ، وإنما المعقول أن لكل طبقة — على وجه الأرض — مزاياها وعيوبها ، وأعتقد أنه من الخير لأهل الفن فى مصر أن يدعوا هذا التهريج الأجوف ويعملوا للفن وللفن وحده حتى يمكن أن يوجد عندنا نهضة فنية صحيحة .

الإخراج

حفل الاخراج بفجوات متعددة فى أغلب المشاهد . مثال ذلك : أقام (عادل) حفلة خيرية لجمع التبرعات لمساعدة (الأسطى ابراهيم) ، ولم يحضر هذه الحفلة إلا نفر قليل من أبناء البلد . فكيف تسنى له أن يحصل على ثمن (جوز خيل) مع أن أى تبرع لم يزد عن خمسين قرشاً ، وكيف هربت (شربات) من المنزل وأين كان أبوها وأين كانت أمها ؟ ! وكيف غادر عادل منزل أبيه مطرودا ولم يتدخل جده فى هذه المسألة ؟ ! وكيف يشفى مريض قرر الطبيب أن مرضه خطير بكلمة (بابا وماما) ؟ ! وكيف تذهب نازك إلى منزل لم تعرفه من قبل ولم تسأل أحداً عن مكانه ، وكيف تركها والدها تذهب إلى ذلك المنزل فى منتصف الليل بدون مبرر؟!

وما هو الداعى للمشاجرة التى حدثت فى (الصالة) وكان من الممكن عدم حدوثها بكلمة ، وما هو عمل مختار فى (الصالة) وبأى حق يضرب (زبون) ولا يتدخل أحد ؟ ! وكيف عرف (الأسطى ابراهيم) نبأ اشتغال ابنته بالرقص ولما ذا لم يمنعها من ذلك إذا كان لايوافق على اشتغالها بالرقص ؟ ! وهناك أخطاء متعددة لا يتسع المجال لسردها فنكتفى بهذا القدر .

التمثيل

قامت تحية كاريوكا بتمثيل دوز (شربات) فنجحت فيه ، والذى لوحظ عليها أنها عندما كانت تبكى فى بعض المواقف تبدو وكأنها تبتسم ، وقام الأستاذ أنور وجدى بتمثيل دور (عادل) فعرف كيف يقوم به على أكمل وجه . وقام الأستاذ محمود المليجى بتمثيل دور (شوكت بك) فوفق على الرغم من أن الدور لا يناسبه . وكذلك وفقت سامية عبد العزيز على الرغم من أنها أصغر من أن تكون « أم عادل » وكذلك نجح الأساتذة : حسن فايق — مختار حسين — كامل الصاوى — أما شكوكو فننصح إليه أن يخفف من (تهريجه) وأما شافية فقد نجحت كمطربة فقط .

الأغانى

أحسب أنهم لم يأتوا فيها بجديد تأليفاً وتلحيناً .

التصوير والديكور والصوت

بدت أكثر المناظر رديئة ، ولم يكن الديكور متقنا ، ولم يكن الصوت واضحا .

كلمة أخيرة

أعتقد أن الوقت قد حان ليراجع أصحاب الشركات السينمائية أنفسهم من حيث الطريقة التى ألفوا إخراج أفلامهم بها (أو عليها ، فالهدنة قد قربت ، والأفلام العالمية سوف تغرق سوقنا (ناطقة بلغتنا) مقدمة لنا خير الموضوعات لأخلد المؤلفين فما بالنا نحن لا نزال نعتمد على إقحام (الغناء والرقص والتهريج) فى كل فيلم غير مبالين أن يجىء موضوعه تافها ، وسياقه مفككا .... مع أن شيئاً من العناية بالقصة والقاص يوفق بين المزاج الشعبى الذى يريده أصحاب الشركات والنجاح الفنى الذى يقاوم ـ إلى حد ـ طغيان الفيلم الأجنبى ... لكم أتمنى أن يراجع «تجار السينما» فى مصر أنفسهم !!

عبد الفتاح متولى غبن

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦١١ — الاثنين ١٦ مارس ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 611

Lundi - 19 - 3 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الثالثة عشرة «القاهرة في يوم الإثنين ٤ ربيع الآخر سنة ١٣٦٤ — ١٩ مارس سنة ١٩٤٥» العـــدد ٦١١

ســـؤالان وجوابان

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتب إلى الأديب «على الشوكانى» فى البصرة يقول :

«كنت أقرأ المقدمة الممتعة التى صدر بها المستر هـ . ج ولز كتاب المستر فرانك سونرتن فوقفت أمام قوله : إنه باعتباره كاتباً ينتمى إلى مدرسة، وباعتباره قارئاً ينتمى إلى مدرسة أخرى، كما يتفق أن يشتغل الإنسان بالآلات البصرية ثم يعنى بجمع الآنية الصينية القديمة ... وهو قول يحتمل التأييد والتفنيد على السواء ، ولا ينحصر الاعتراف به فى الكاتب الإنجليزى الأشهر وحده بل يتعداه إلى أدباء كثيرين . ولكن هل تختلف عند الكاتب الواحد بوجه عام أهداف الكتابة وأهداف القراءة ؟ وهل يصح مثلا أن يحيا عقله فى دنيا تخالف كل المخالفة أو بعضها تلك التى يحيا فيها بقلمه ؟ وهل ثمة تعليل مقبول لهذا التباين الواضح بين دنيا العقل ودنيا القلم ؟...

هذا ما أرجو أن تتفضلوا بشرحه على صفحات الرسالة الغراء أحد ميادين الأدب الخالد ، وإنى الشاكر الحامد ... »

***

والذى نعتقده أن هذه الحالة معقولة لا غرابة فيها ، وليس من وجه لاستغرابها إلا أن ترى أن الإنسان لن يقرأ إلا ليكتب ولن يشتغل بموضوع إلا الذى يشتغل به قراؤه ، وكلاهما مخالف للواقع المشاهد فى كل مطلب وكل بيئة .

فمن الناس كثيرون يقرأون ولا يكتبون ، وليس الكاتب بدعا بين القراء فى مطالعاته . فيجوز إذن أن يقرأ فى موضوعات لا ينوى الكتابة فيها ولا يهمه أن يعقد التفاهم عليها بينه وبين قرائه .

كذلك يصح أن يشتغل الكاتب بشؤون كثيرة لا يشتغل بها قراؤه ومريدوه . فربما كان من هؤلاء القراء من يتلقى عنه تجاربه الخاصة التى يشرح فيها ما جرى له ولا يشرح فيها مطالعاته ومعارض درسه ، وربما كان منهم من يقرأه لأنه حلقة بينه وبين جيل مضى من المؤلفين والكتاب ، فيكون الكاتب حينئذ كالقنطرة الثقافية بين شاطىء وشاطىء مفترقين .

ومن المعهود بيننا أن الشاعر لا يقرأ الشعر دون غيره ، وأن الفيلسوف لا يقرأ الفلسفة دون غيرها ، وأن المصور قد يقرأ الروايات والروائى قد يجمع الصور ويدرس التصوير .

ومن تجاربى التى أعلمها فى الكتابة والقراءة أننى أقرأ كثيراً فى موضوعات لا أطرقها ولا أنوى أن أطرقها إذا كتبت للتأليف أو للصحافة . ومن هذه الموضوعات طبائع الأحياء وعجائب النبات ورحلات الأقدمين والمحدثين ، وما من خليقة إنسانية أعرفها إلا أحببت أن أقابل بينها وبين نظائرها فى عالم الحيوان أو عالم النبات ، ولكنى لا أفعل ذلك تمهيداً للكتابة

عنها وإن جاءت الكتابة عرضاً في بعض المناسبات .

وما زالت المطالعة ملجأ نفسياً للمطالع يأوي إليه ويجب أن يخرج إليه من شواغل دنياه . فالرجل المشغول بالمسائل الطبية أو الاجتماعية أو السياسية يروقه أن يخلو ساعة من الساعات بالشعر أو بالقصة أو بكتاب من كتب الإيمان والعقيدة ، وهو إذا قرأ في كتب الإيمان والعقيدة لا ينوي من ثم أن يبشر بالدين أو يؤم الناس في الصلاة ، ولكنه يستريح من حال إلى حال ، ويدع الدنيا هنيهة لينفرد بضميره أو بتفكيره في مناجاة لا علاقة بينها وبين الناس .

فالاختلاف بين العالم الخاص والعالم العام في كثير من الأوقات معقول لا غرابة فيه ، ومن قبيل هذا الاختلاف أن يختلف ما نقرأ وما نكتب ، وأن يختلف ما يعنينا وما يعني قراءنا ، فهم يقرأوننا نحن ونحن لا نقرأ أنفسنا ، بل نقرأ غيرنا ولا يلزم أن يكونوا معنا طرازاً واحداً لا تنوع فيه .

لكن ينبغي أن نفرق بين هذا وبين القول بأن الكاتب يعيش في عالم غير الذي يقرأه ضرورة لا محيص عنها .

فاذا وجد من يقرأ أبا العلاء ويكتب في القانون فلا مانع ولا شذوذ ، ولكنه لا يحرم عليه أن يقرأ أبا العلاء ويكتب في الزهد والأخلاق أو العقائد والديانات .

***

ومن البصرة أيضاً جاءتني رسالة ختمها كاتبها الأديب « الفريد سمعان » من طلبة المدرسة الثانوية بسؤال يقول فيه : « ... هل يكتفي الأديب أو الذي يريد أن يصبح أديباً بمطالعة الكتب التي تصدر في العصر الحاضر دون الرجوع إلى الكتب القديمة والإعتماد على المخطوطات السالفة ؟ »

وهذا سؤال مفيد .

وجوابه المفيد أن الاكتفاء بأدب العصر الحاضر مستطاع ولكنه ليس بأفضل الحالات .

وتقاس حاجات النفس على حاجات الجسد بغير اختلاف يذكر في هذا المقام .

فالرجل الذي يكتفي بمحصول أرض واحدة يعيش ويأخذ بنصيبه من الحياة ، ولكنه ليس بأوفى نصيب وليست عيشته الجسدية كعيشة الرجل الذي يغتذي بمحصولات البلاد على تنوعها ويأخذ من كل محصول خير ما يعطيه .

وقد يوجد في الادباء من يكتب أو ينظم وليس له اطلاع واسع على أدب عصره ولا على آداب العصور الأخرى .

وكذلك يوجد في أقوياء الأجسام من يأكل الطعام الغث ويستفيد منه لجودة هضمه وانتظام وظائف جسده .

ولكننا عند ما نضع قواعد الصحة وأصول التغذية لا نقول للناس كلوا الطعام الغث واعتمدوا عليه في تقوية الأبدان وتنظيم وظائف الأعضاء .

وعلى هذا القياس نفسه لا نقول للناس عندما نضع قواعد القراءة وأصول التثقيف والتهذيب إن الاطلاع وترك الاطلاع يستويان .

فالانتفاع بالطعام الغث شذوذ لا يقاس عليه . ومثله في الشذوذ أولئك الذين ينظمون أو يكتبون ما يحسن أن يقرأه القارىء دون أن يرجعوا إلى أدب العصر أو آداب العصور .

ومما لا مراء فيه أن الرجل الذي ينتفع بالطعام الغث يزداد انتفاعه بالطعام الجزل كلما وصل إليه ، وأن الرجل الذي ينظم أو يكتب بغير اطلاع يترقى في منازل الأدب كلما استوفى حظه من المطالعة والدرس والمراجعة .

فالاكتفاء بالقليل من الأدب جائز كالاكتفاء بالقليل من كل شيء ، ولكنه القليل في الحالتين ولن يكون شأنه كشأن الكثير .

ومن الحسن جداً في هذا الباب أن نذكر أن الأدب قيمة حيوية أو قيمة انسانية قبل أن يكون قيمة لغوية أو قيمة فنية أو تاريخية . ويغنينا أن نذكر هذه الحقيقة عن الجدل أو عن اللبس في كثير من الأمور .

فالذين يقولون إن الطبيعة هي وحي الشاعر الأول الذي لا يحتاج بعده إلى وحي الصناعة :

أو الذين يقولون إن البلبل يوحي إلى الشاعر بتغريده . وإن الوردة توحي إليه بنضرتها ، وإن الشفق يوحي إليه بألوانه وظلاله وخفقات الهواء فيه ...

كل أولئك خلقاء أن يذكروا أن القريحة التي تستفيد من

من مئذنة القصبة

لأمير الأمراء السيد حسن حسني عبد الوهاب

وزير القلم بتونس

من كوة هذه المئذنة الحفصية العتيقة — مئذنة جامع القصبة القائم في قلب مدينة تونس — يرسل المتأمل بصره فتتجلى له « الخضراء » كأنها برنس أبيض مفروش على شاطئ .

وأول ما يشخص أمام بصره هذه المآذن السامقة الضاربة في الجو التي تزين أفق تونس ، وتقوم أدلة شاهدة على هـذه العهود التي مضت ، عهود الأغالبة والفواطم والحفصيين والأتراك الذين كانوا يفتنون افتتاناً في إقامة هـذه المآذن الرائعة يدعو عليها الداعي إلى عبادة الله ، في مختلف مواقيت الصلاة .

وبالله ما أجمل هـذه القباب البيض الناصعة البياض ، والخضراء الشديدة الخضرة ، والصفراء الفاقعة الصفرة ! كم تبعث في النفوس البهجة والغبطة ! وكم توحي إلى النفس معاني من الجلال والتقديس ! وكم تمتع العين بمجال من الجمال الرائق ، هذا الجمال الذي يزيده شعاع الشمس روعة وفتنة .

إن هـذه المآذن والقباب لرائعة في إشراق الشمس وبزوغ القمر . إنها لسحر في الليل والنهار . إنها آية من الفن تمتع الناظر بمختلف المعارض والمناظر .

من كوة هذه المئذنة يشرف المطالع على تونس اشرافاً محيطاً فلا ينفلت من العين معلم من معالمها ، ولا يند عنها مظهر من مظاهرها .

يرى تونس العربية في شكلها الشرقي البديع ، ويتم النظر فتبدو له المدينة الأوربية الحديثة بعماراتها الشاهقة وقصورها العالية .

ها هي ذي سطوح الدور العربية بيضاء مشرقة . وها هي ذي سقوف الأسواق المقوسة تبدو كأنها مسايل من ماء منسابة . وها هي ذي القصبة تظهر عامرة بهذه الدواوين الحكومية التي أقيمت على أشكال بعضها شرقي والآخر غربي . وها هي ذي بحيرة تونس تلوح من بعيد وقد انعكست عليها أشعة الشمس وأرست فيها البواخر ، وطار في جوها هذا الطائر الرائع النُحام « البشروش » ذو الأجنحة الوردية والطيران النشوان . وها هو ذا خليج تونس يشق الأرض شقاً والرتل الكهربي يبدو كأنه أرقم جدّ في هربه ، ينساب في هـذا البرزخ الممدود بين العاصمة والمصطاف التونسي البديع « حلق الوادي » الفضي الأسحار ، الذهبي الأصائل .

وها هو ذا جبل (الزلاّج) المترامي الأطراف تتوج هامته تلك القبة الخضراء القائمة في ذروته كأنها قلعة حربية ، وما هي في الحقيقة إلا زاوية الشيخ أبي الحسن الشاذلي دفين عيذاب من صحراء مصر .

ومنه تنتقل العين إلى ذلك الجبل الأشم الشامخ المرهوب جبل (أبي قرنين) المطل على مربع (حمّام الأنف) وعلى قمة هذا الجبل كان القرطاجنيون أقاموا معبداً لبعل ذي القرنين كبير آلهة الفينيقيين وما يزال التونسيون إلى اليوم يسمونه بجبل أبي القرنين .

وما تزال العين تقع من هذا الموقع الكاشف على بدائع الخضراء حتى يبدو لها من بعيد ذلك الجبل الآخر السامق الذراء « جبل زغوان » مسبح الصلحاء وخلوة العباد والزهاد ، ومنبع العين الدفاقة التي تفيض بخيرات مائها النمير على العاصمة التونسية وضواحيها .

تعبير عصفورة أو تعبير زهرة تستفيد ولا شك أضعاف تلك الفائدة من تعبير أبي الطيب وهوميروس وابن الرومي وبيرون وعمر الخيام ، لأن قصائد هؤلاء تعبير عن الطبيعة الحية وليس قصاراها أنها لفظ يقال أو أنها فن يصاغ .

فالاطلاع على ثمرات القرائح اطلاع على ثمرات الحياة ، وكلما اتسع النطاق اتسع التعبير وتنوعت الثمرات ، لأنك لا تعرف الحياة الإنسانية بالإطلاع على أبناء زمانك الذين يشبهونك ويتلقون معك الشعور من مصدر واحد ، ولكنك تعرف الحياة الإنسانية حق عرفانها إذا عرفت الصلة التي بين العصور المختلفة والأقطار المتباعدة ، وعرفت الواشجة التي تجمع بينها على تعدد المصادر وتفاوت المؤثرات .

وليس هذا بميسور لشعراء العصر الواحد ، وكيفما كان نصيب هؤلاء فهو ولا جدال دون النصيب الذي يظفر به قراء جميع العصور .

عباس محمود العقاد

حقاً ، إن تونس من هذا المكان تخلب اللب وتأسر الفؤاد .

وإنك لتود ألا تبارح هذه المناظر الصباح والمباهج اللطاف ، وهذا المزاج من الجلال والجمال والماضي والحاضر ، والذوق الشرقي والغربي الذي عمل في تكوين تونس ، في هندامها الأنيق ، وتخطيطها الدقيق ، وحسن موقعها ، وإحاطة الجبال والهضاب بها إحاطة الهلال ؛ اللهم إلا ما يصل بين البر والبحر .

إن موقع تونس الجغرافي لبديع غاية الإبداع ، هي بحرية كأنها جزيرة ، وهي برية كأنها صحراء . فهي تجمع بين الضب والنون كما يقول الجاحظ في مدينة البصرة .

أما ترى البحر كيف يهاجم بأمواجه هذا المرفأ ، فهي تصطفق وتموج وتصخب ، حتى إذا ما اصطدمت بهذه الحواجز القائمة على الساحل انثنت مبددة متناثرة ، وما هي إلا لمحة حتى تتجمع موجة أخرى هاجمة تريد أن تشق صدرها من صدمة هذه الحواجز ، ولكنها تنهزم مع صاحبتها الأخرى ، فلا الموج يكف عن الهجوم ولا الساحل يلقي سلاح المقاومة ...

أما ترى هذه الهضاب المحدقة بتونس ، كأنها جيوش جرارة نصبت لحراسة الخضراء ، أعلامها أشجارها ، وعدتها صخورها ، وهيبتها شموخها ، وخيلاؤها ارتفاع رأسها في الجو .

بحر إن شئت حدثك عن الأساطيل القرطاجنية ، والأغلبية والفاطمية ، وكيف شقت صفحته هذه الأساطيل الغازية لتونس ، الحارسة لسواحل البحر الأبيض المتوسط . فكأنها أسود البحر ، لكنها تدفع الشر وتجلب الخير .

وجبال إن شئت نبأتك عن مدنية قرطاجنة وعن حضارة الأغالبة والفواطم والحفصيين والأتراك . وحدثتك أحاديث القرون الغابرة ، والأجيال العابرة ، التي مرت بهذا القطر على سواحل البحر الأبيض المتوسط وضفاف أودية الصحارى الأفريقية ، جبال تصور لك الشمس وهي مائلة إلى الغروب ، مرسلة شعاعها العسجدي العليل على مآذن تونس ، والمؤذن ينتظر ليدعو الناس إلى الشكر والحمد . وتريك ضوء الفجر ينشر في الآفاق رواءه والمؤذن أيضاً يجهر بدعائه : الصلاة خير من النوم !

حسن حسني عبد الوهاب الصمادحي

على قبر المعـــري

للدكتور عبد الوهاب عزام
عميد كلية الآداب

— ٤ —



ما أجدر هذه الأبيات أن تنقش عند ضريح الشاعر(١) ، وأى كلام أولى بقبر ابى العلاء من أبياته فى صفة قبره ؟ طال وقوفنا وتأملنا واعتبارنا ناظرين إلى هـذا الجدث ، قرئين فيه فلسفة أبى العلاء القائل .

لو نُخيل الناس لما حصّلت شيئاً سوى الموت يد الناخل

والفكر يحلق فى أرجاء العالم ، ويعبر صحف الحياة ثم يقف على هذا القبر كما يقع الطائر بعد طول تحليق وتدويم .

فيالك قبراً عـلى قربه نظل العقول به فى سفر
ويالك قبراً كعين البصير يحوى العوالم فيها صِغَر

وتكلم على القبر الدكتور طه حسين والدكتور مهدى البصير وأنشدت قصيدة معروف الرصافى ، ولكن كان سكون هذا الجندل أبلغ . كان هذا السكوت أغلب على السمع والقلب من كل قول . ان هذا السطر المسمّى الضريح بيتُ المقطع من شعر الفيلسوف الحزين . إن هذه الصفيحة الجاثمة على قبره وقد ألحّ عليه البلى ألف عام لكلمة فى فلسفة المعرى جامعة . لا أدرى أأقول إنها عنوان وراءه كل ما قال الشاعر فى الحياة والموت ، أم أقول إنها توقيع الزمان مصدّقا كل ماأنشد الشاعر فى البلى والفناء والزوال .

(١) تقدمت الأبيات فى المقال السابق .

ثم دخلنا إلى الحجرات التى شيدت وراء القبر لتتخذ خزائن لمكتبة المعرى . وانصرف الزائرون يسلكون الشارع الكبير إلى دار مضيّفنا . وسلكت فى صحبة سعادة الأستاذ كرد على دربا عتيقا ضيقا إلى هذه الدار ، الدار التى أكرمت وفادتنا قبل أربعة عشر عاما ، دارحكمت بك الحراكى . وهى من دورالشام القديمة ظاهرها قلعة وباطنها روضة . وكانت الدور الكبيرة فى تاريخنا تبنى ليسكن إليها أهلها وينعموا فيها ويستكنوا ، وكانت حرما لأهلها ، ومنتدى للصَّحب والجيرة . فلما قُلبت معيشتنا ، قلبت الدور فصار باطنها ظاهرَها ، وزالت حُرمتها وحصانتها وهجرها أهلها إلى النوادى العامة .

اجتمع الضيوف فى قاعات الداروفى حديقتها حول الأحواض والنافورات وقد صفت قلوبهم ونضرت وجوههم ، وتحدثوا فى ماضيهم وحاضرهم . ثم اجتمعوا على المائدة فكهين فرحين يذكرون المعرى ويذكرون الأدب العربى والأمة العربية كلها . ورب الدار وأولاده وأقاربه قائمون يتنافسون فى خدمة الضيفان مبالغة فى الاحتفاء والأكرام .

وقدّمت الفواكه فيها تين المعرة وهو أخضر كبير حلو . قلنا لهذا رغب أبو العلاء فى التين وجعله حلاوته قال :

يُقنعنى بلُسْن يمارس لى فأن تكن حلاوة فبَلَس

والبلس التين .

وقال ياقوت فى معجم البلدان عن أهل المعرة : « ماؤهم من الآبار وعندهم الزيتون الكثير والتين » .

* * *

خرجنا بعد هزيع من الليل والقمر يترقرق نوره على بلدة أبى العلاء الحبيبة — كانت — إليه ، وفيها يقول وهو ببغداد :

فيابرق ليس الكرخ دارى وإنما رمانى اليه الدهر منذ ليال
فهـل فيك من ماء المعرة قطرة تغيث بها ظمآن ليس بسال

فياوطنى إن فاتنى بك سابق من العيش فلينعم لساكنك البال
فان أستطع فى الحشر آتك زائراً وهيهات ـ لى يوم القيامة أشغال

وضربنا صوب الشمال نقصد حلب .

كلما رحبت بنا الروض قلنا حلب قصدنا وأنت السبيل

والسيارات تجدّ فى سكون الليل لا يُسمع إلا دويها ولا يرى معها إلا ظلالها . ورحم الله أبا العلاء كأنه عناها حين قال :

ولما لم يسابقهن شىء من الحيوان سابقن الظلالا

وكان حديثنا أفانين فى تاريخنا وحاضرنا وذكرى أبى العلاء وبعض الشعراء لاسيما أبو الطيب المتنبى ، وتأبى مكانة أبى الطيب إلا أن تصله بكل حديث عن الأدب أو جدال فيه . وصدق الأستاذ النشاشيبى حين يقول : ما تكلم اثنان فى الأدب إلا دخل معهما المتنبى خصما ثالثاً . وكم أنشدنا من شعر أبى الطيب فى مسيرنا هذا ورددنا الحديث بينه وبين المعرى المعجب به . وكيف لا نذكر المتنبى ونحن على مقربة من حلب التى مابرحت تدوّى بشعره منذ أنشده فيها .

طاب لنا أن نقيس فلسفة الشاعر الحزين اليائس رهن المحبسين بفلسفة الشاعر الساخط المتكبر الآمل الرحّال الجوّال ، صفحتان فى الأدب خالدتان ، وسيرتان فى الحياة مختلفتان ، وهما فى الحق متقاربتان ، على عكس ما قال أبو الطيب :

وقد يتقارب الوصفان جدا ... وموصوفاهما متباعدان

وأقبلت حلب بذكرها ، وأشرفنا عليها فى حشد من التاريخ نكاد نسمع البحترى والمتنبى والصنوبرى ، ونبصر ازدحام الوفود على أبواب سيف الدولة ، والجيوش ذاهبة لحرب الروم وآيبة والخطوب فى مدها وجزرها ، والزمان فى نعيمه وبؤسه .

ودخلنا المدينة وكاد الليل ينتصف ، والقمر يجلو محاسنها ، ويجمل ذكرياتها وعلى ألسنتنا قول الصنوبرى :

حلب بدر دجى أنجمها الزهر قراها
أى حسن ما حوته حلب أو ما حواها
حلب أكرم مأوى وكريم من أواها
بسط الغيث عليها بسط نور ما طواها
وكساها حللا أبدع فيها إذ كساها

ولم ننس أبيات كشاجم ، وكيف ينسى زائر حلب هذا الشاعر المبدع .

أرتك يدا الغيث آثارها ... وأخرجت الأرض أزهارها
وما أمتعت جارها بلدة ... كما أمتعت حلب جارها
هى الخلد يجمع ما يشتهى ... فزرها فطوبى لمن زارها

وأوينا إلى فندق بارون حيث لقينا وجوها معروفة تبالغ فى الحفاوة بنا ، من حكام حلب وعلمائها وأدبائها ، وبينهم شباب نجباء كانوا تلاميذ لنا فى جامعة القاهرة .

وأصبحنا نجول فى أرجاء المدينة نشهد آثارها وما شاده العمران الحديث فيها ، ونمشى فى أسواقها المعمورة التى عرفتها العصور القديمة والحديثة . رأيت القلعة العجيبة وكنت دخلتها مرات من قبل وذكرتها فى رحلاتى فلا أعود إلى وصفها ولكن أكتفى بكلمة لياقوت لم أنقلها فى الرحلات :

« وأما قلعتها فبها يضرب المثل فى الحسن والحصانة . لأن مدينة حلب فى وطاء من الأرض . وفى وسط ذلك الوطاء جبل عال مدور صحيح التدوير مهندم بتراب صح به تدويره . والقلعة مبنية فى رأسه ولها خندق عظيم وصل بحفره إلى الماء ، وفى وسط هذه القلعة مصانع تصل إلى الماء المعين ، وفيها جامع وميدان وبساتين ودور كثيرة »

وقد أخبرت أن آثاراً لسيف الدولة عثر عليها فى القلعة أخيراً ، إلى مارأينا فيها من آثار الأيوبيين والمماليك وغيرهم .

وكانت جولتنا فى الأسواق قصيرة ممتعة جامعة . سرّنا مارأينا من عظم الأسواق والخانات ، وأعجبتنا بدائع الصناعات الحلبية . وحلب منذ العصور القديمة معروفة بتجارتها وصناعتها ولأهلها بصر بالتجارة وعناية بها ، وأسفار فى سبيلها .

وقد حدثنى أحد تجار حلب بهذه الفكاهة :

قال رجل لآخر : لا يخلو قطر فى الأرض من حلبى . فماراه الرجل فى هذا وقال : إنى ذاهب إلى الهند وما أحسبنى أجد فيها حلبياً ، وسأنظر . فلما جال الرجل فى أرجاء الهند وجد قبرا كتب عليه : « هذا قبر فلان الحلبى الأعرج »

وقال ياقوت :

« وما زال فيها على قديم الزمان وحديثه أدباء وشعراء ولأهلها عناية بإصلاح أنفسهم وتثمير أموالهم ، فقل أن ترى من نشئها من لم يتقيل أخلاق آبائه فى مثل ذلك . فلذلك فيها بيوتات قديمة معروفة بالثروة ، يتوارثونها ويحافظون على حفظ قديمهم بخلاف سائر البلدان » .

وأنا أرجو أن يدوم أهل حلب على هذه السيرة الطيبة النافعة إن شاء الله .

(للكلام صلة)

عبد الوهاب عزام

سهام ماضية

للدكتور محمد مندور

هناك ثلاث رذائل كبيرة تنخر فى أخلاق الكثير من المصريين على نحو لم أر له شبيها فى بلد من بلاد العالم على كثرة ما رأيت من بلاد وقابلت من بشر ، ولا بد من أن نفضحها لعلها تخفى عن نواظرنا شبحها المرذول فقد سئمت لقياها فى كل سبيل وتمنحنى كل نفس .

أما أولاها فهى محاولة كل إنسان أن يوهمك أنه أكبر وأفضل وأعلم مما هو . ولقد كان من عادتى الصبر فكنت أتلقى هذه الدعاوى بصدر رحب . ولكننى لم أكن ألبث أن أحس بنوع من اختلاس الثقة يحاوله من يتخطى حدود نفسه . وليس أمر على النفس ولا أهيج للحفيظة من خيبة الأمل . وإنه لمن اليسير على من أوتى شيئاً من الفراسة وسداد الرأى أن يحكم على الناس وينزلهم منازلهم الحقة ؛ وإنه لمن الخير لنا جميعاً أن نحاول دائما احتلال المكان الذى نستحقه فى النفوس دون تطاول أو انحطاط ، وأما الإقحام فما نظنه يعقب أثراً باقيا حتى ولا بنفوس البله . ولست فى الحق بواثق من أن أمثال هؤلاء الناس الذين نشكو منهم الآن مر الشكوى يعون ما يفعلون ، أم هم فى غفلة الغرور . ولكننى لاحظت فى الغالب الأعم أنهم مشربون بحقارتهم ، وأنهم يبذلون مجهوداً إراديا لتغطية تلك الحقارة بالإيهام . وذلك لما نلاحظه من هياج فى الحركات وضغط على مخارج الحروف وتصنع للانفعال وارتفاع فى الصوت وهلهلة فى ملامح الوجه وتنطع فى السكون والحركة .

وثانيتها غيرة مسرفة وحقد عجيب . ولكم ساءلت نفسى لماذا يشغل الناس أنفسهم بغيرهم إلى هذا الحد المدمر ، وتلك مشاعر خليقة بأن تنزل بالنفس الخراب . والذى عهدته فى النفوس القوية هو نزوعها المستمر إلى التسامى بذواتها . فهى تسمى لأن تكون فى يومها خيرا من أمسها ، وأن تعمل فى غدها ما يبذ عملها فى حاضرها.

فاذا عز التسامى كان الاستجمام فى ثقة وتوثب . وأما أن يفنى المرء بياض يومه وسواد لياليه فى التفكير فيما وصل إليه هذا الشخص أو ذاك ، أو الخوف من أن يسبقك زيد أو بكر فهذا شعور صغير لا تعرفه إلا نفس صغيرة ، وهو دليل عدم الثقة بالنفس كما هو دليل على انهيار الشخصية ، وإن كان هناك شعور قبيح من مشاعر البشر فأجدر به أن يكون هذا الشعور .

وثالثها فساد عميق فى تربية الناس الاجتماعية . فقد تلاقى صنوفا من الأفراد بعضهم صغير وبعضهم كبير ، ولقد تتلطف مع الصغير بدافع إنسانى برىء ظانا أنك بعملك هذا تدخل السرور على نفس بشرية ، فاذا بك وقد سقطت هيبتك من قلبه ، وإذا به يتطاول إلى المساس بك فى غير ذوق ولا حياء . ولقد تفسح فى صدرك ، ثم يأتى يوم يتحرك دمك فاذا بك ترد فى عنف ، وإذا بالمسكين يصحو بعد غفلة ، وإذا به يشكو دون أن يفهم شيئاً أو يدرك له محنة . وإذا كان كبيرا ولكنه صغير النفس وعاملته فى رفق وتأدب ظن معاملتك ضعفا ، أو خيل إليه وهمه ذلك ، فاذا جاء يوم وصفعته صفع الأقوياء لأنك رجل عزيز النفس حامى الدماء أسقط فى يده وأخذه إما عناد الحمقى وإما انهيار الأذلاء . ولست أدرى لذلك من سبب غير فساد التربية الاجتماعية ، فسادها فى المنزل وفى المدرسة وفى الوظيفة وفى الشارع وفى الدكان وفى المصرف وفى كل مكان ، حتى لكأنك تسير فى بلد كله أرقاء ، سيان فى ذلك سيدهم ومسودهم ، رئيسهم ومرؤوسهم ، بلاد منكودة وأخلاق مسفة ! أى عذاب نفسى فى أن تراك مضطرا إلى تقدير كل لفظ تقول وكل حركة أو ابتسامة أو تقطيب جبين ! أناس لا فهم لهم ولا تقدير ، لا يعرفون حداً يبدأون منه ولا حداً ينتهون إليه أنعام سائمة ! ترى أباستطاعتك أن تخلق لنفسك عقلية جديدة وذوقا جديدا وتربية جديدة تماشى بها الناس ، أم تأخذك العزة فتثبت كما أنت محاولا أن تنقل العقول وتحول الأذواق وتسدد التربية لتستطيع أن تتفاهم مع الناس أو أن تقبلهم أو تطيق عليهم صبرا . هذه أسئلة لا يستطيع الإجابة عليها غير الله فاليه نفوض الأمر .

محمد مندور

يوحنا الدمشـــقى

JOHANNES DAMASCENUS

للدكتور جواد على

— ٢ —

ذكرنا أن يوحنا جادل المسلمين فى طبيعة المسيح ، وأنه وضع خطة للمسيحيين وجادة ثابتة للبحث والمناظرة استهلها بهذه الكلمة : « إذا سألك العربى ما تقول فى المسيح ؟ فقل له إنه كلمة الله ، ثم ليسأل النصرانى المسلم بعد ذلك بم سُمىَّ المسيح فى القرآن ؟ وليرفض أن يتكلم بشىء حتى يجيبه المسلم فإنه سيضطر إلى أن يقول : « كلمة الله ألقاها إلى مريم وروح منه »[1] . فإن أجاب بذلك ، فسأله : هل كلمة الله وروحه مخلوقة أو غير مخلوقة ؟ فإن قال مخلوقة فليرد عليه بأن الله إذاً كان ولم تكن له كلمة ولا روح . فإن قلت ذلك فسيفحم العربى ، لأن من يرى هذا الرأى زنديق فى نظر المسلمين »[2] .

قال المستشرقون : أثار يوحنا بهذا السؤال وبأمثاله مشاكل خطيرة فى الإسلام كمشكلة « خلق الأفعال » ومشكلة « خلق القرآن » ومشكلة « صفات الله » وأضرابها . لأنه استدرجهم على رأيهم بهذه الأسئلة والأجوبة إلى أمور لم يكن المسلمون يخوضون فيها . وهو رأى لا يسمح لنا الموقف بالتعرض له لأننا فى موضع ترجمة شخص لا فى موضع مناقشة آراء .

على أن فى كتب الأخبار والفرق والتواريخ ما يتعارض مع كثير من عقائد مذهب المستشرقين . وما بالنا نذهب بعيداً وفى عبارة يوحنا نفسها ما يفند هذا الرأى ويدحض هذا الزعم ؟ جاء على لسانه : « فسيفحم العربى لأن من يرى هذا الرأى زنديق فى نظر المسلمين » ، ومعنى هذا أن جماعة من المسلمين كانت تتباحث فى صفات الله أهى قديمة أزلية أم حادثة ومن جملة ذلك كلام الله[1] . والمعروف أن جعد بن درهم الذى ذبحه خالد بن عبد الله القسرى فى عيد الأضحية ، والذى كان أستاذ مروان بن محمد الجعدى آخر خلفاء بنى أمية كان من القائلين بخلق القرآن[2] .

وأما « القدر » والقدرية فقد وردت فى القرآن الكريم آيات تدل على أن الإنسان مخير قادر على أفعاله . كما وردت آيات تدل على عكس ذلك ، وقد ورد مثل ذلك فى الحديث . ويستشهد « المعتزلة » ومن يذهب مذهبهم على صحة دعواهم بآيات من القرآن الكريم وبأحاديث من أقوال الرسول[3] . وقد ورد على لسان الصحابة ما يدل على أن بعض أصحاب رسول الله كانوا يذهبون هذا المذهب . خذ ما جاء فى كتاب « نهج البلاغة » لما سئل الإمام على بن أبى طالب « أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله وقدر »[4] ، وقد أجاب الإمام « بكلام طويل هذا مختاره » .

« ويحك لعلك ظننت قضاء لازماً وقدراً حتماً . ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب ، وسقط الوعد والوعيد . إن الله سبحانه أمر عباده تخييراً ، ونهاهم تحذيراً ، وكلف يسيراً . ولم يكلف عسيراً ، وأعطى على القليل كثيراً ، ولم يُعصَ مغلوباً ، ولم يطع مُكرِهاً ، ولم يرسل الأنبياء لعباً ، ولم ينزل الكتب للعباد عبثاً ، ولا خلق السموات والأرض وما بينهما باطلا « ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار »[5] .

وروى عن علىّ كل ما يخالف هذا الكلام ، يرويه أصحاب نظرية « لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه »[6] . وروى عن نافع أن رجلا جاء إلى ابن عمر ، فقال : إن فلاناً يقرأ

---

(١) سورة النساء آية ١٧٠ .

(٢) عن تراث الاسلام ج ١ ص ٢٤٨ . راجع ميمى رقم M. 94, 1585 ff . جاء فى ملحوظة (١) من تراث الاسلام ج ١ ص ٢٤٨ روى ابن خلكان فى أخبار الحكماء . وهذا خطأ إذ أن مؤلف أخبار الحكماء هو.

---

(١) راجع Islam Studies, Part 1 p, 434

(٢) وكان من زملاء غيلان الدمشقي ومعبد الجهنى ، راجع كتاب التبصير فى الدين لأبى المظفر الاسفراينى ١٩٤٠ ، وكان له رأى فى القدر ص١٣ أيضاً مختصر كتاب الفرق بين الفرق، اختصار عبد الرزاق بن رزق الله الرسعنى طبعة فيليب حتى . مطبعة الهلال سنة ١٩٢٤ ص ١٢ .

(٣) راجع كتب المعتزلة كالكشاف للزمخشرى وكتب علم الكلام أيضاً كتاب الكافى للكلينى في الحديث وهو يشرح وجهة نظر أئمة الشيعة

(٤) راجع نهج البلاغة فى « باب المختار من حكم أمير المؤمنين » . راجع شرح ابن أبى الحديد .

(٥) نهج البلاغة شرح الامام محمد عبده ج ٣ ص ١٥٣ وهناك رأى الامام

(٦) شرح العقائد النسفية ، كذلك ضحى الاسلام ج ١ ص ٣٤٥ .

عليك السلام . فقال ابن عمر : أنه بلغنى أنه قد أحدث التكذيب بالقدر ، فإن كان قد أحدث فلا تقرأ منى عليه السلام »[١].

وذكر ابن العبرى أن معاوية بن يزيد الأول كان قدرياً (من المؤمنين بالاستطاعة) ، وأن عمراً المقصوص كان قد علمه ذلك فدان به وتحققه ، ولم يزل به حتى أفسد رأيه فلم يقبل بالخلافة ، فوثب بنوأمية على عمرو المقصوص وقالوا أنت أفسدته وعلمته ، فطمروه ودفنوه حياً[٢].

إلى آخر ما هنالك من أخبار تدل على أن « القدرية » أو « قدرة الإنسان على خلق أفعاله » كانت قد انتشرت لدى المسلمين قبل أن ينشأ يوحنا بل وقبل جداله مع المسلمين . وأن هذه الفكرة كانت قد اتخذت شكلا اجتماعياً سياسياً خطيراً . روى « أن رجلا قال لابن عمر : ظهر فى زماننا رجال يزنون ويسرقون ويشربون الخمر ويقتلون النفس التى حرم الله ثم يحتجون علينا ويقولون : كان ذلك فى علم الله . فغضب ابن عمر وقال : سبحان الله ، كان ذلك فى علم الله ، ولم يكن علمه يحملهم على المعاصى »[٣].

وكان بنو أمية باستثناء نفر منهم[٤] يكرهون القدرية ومن كان يقول بها ، وقد نكلوا بالقدريين كل التنكيل ، ولذلك لم يكن المعتزلة وهم خلفاء القدريين يعطفون على الأمويين[٥].

« وبنو أمية كانوا يكرهون القول بحرية الإرادة ، لا دينا فقط ، ولكن سياسياً كذلك ، لأن الجبر يخدم سياستهم . فالنتيجة للجبر أن الله الذى يسير الأمور قد فرض على الناس بنى أمية كما فرض كل شىء ، ودولتهم بقضاء الله وقدره . فيجب الخضوع للقضاء والقدر »[٦].

كذلك أتى عطاء بن يسار ومعبد الجهنى الحسن البصرى وقالا: يا أباسعيد ، هؤلاء الملوك يسفكون دماء المسلمين ويأخذون أموالهم ويقولون إنما تجرى أعمالنا على قدر الله تعالى[٧].

(١) ضحى الاسلام ج ١ ص ٣٤٥ .
(٢) ابن العبري تاريخ مختصر الدول بيروت ١٨٩ص ١٩٠ وما بعد
(٣) راجع كتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم للمولى أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبري زاده طبعة أولى مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر اباد دكن ج ٢ ص ٣٢
(٤) مثل ما ذكرناه عن معاوية وعن يزيد بن الوليد ضحى الاسلام ج ٣ ص ٨٢ ومروان الجعدى .
(٥) ضحى الاسلام ج ٣ ص ٨١ .
(٦) نفس المصدر .
(٧) مفتاح السعادة ج ٢ ص ٣٢ .

فالأحداث السياسية التى حدثت بعد وفاة الرسول ، والأوضاع الاجتماعية هى التى أثارت تلك المشكلة التى وردت فى القرآن الكريم وفى أحاديث الرسول مع غيرها من المشاكل التى كان الصحابة يحجمون عن الخوض فيها وأعنى بها مشكلة التشابهات .

روى العلماء أنه « فى عهد الفاروق رضى الله عنه ، أخذ رجل يقال له صبيغ بن عسل يسأل عن المتشابه ويتكلم فيما لا يعنيه مما قد يحدث فتناً بين العامة ، فطلبه عمر وقال له : من أنت ؟ قال : أنا عبد الله صبيغ ، وقال عمر : أنا عبد الله عمر . فأخذ يضربه بعراجين النخل حتى دمى رأسه . فقال صبيغ : حسبك يا أمير المؤمنين ، قد ذهب الذى كنت أجده فى رأسى ، ثم نفاه إلى البصرة حتى صلح حاله[١] .

وعلى كل فقد حدثت هذه المشكلة ، مشكلة القدر والاستطاعة قبل أن يخلق يوحنا بزمن ، فلا يصح إذاً أن يقال بأن يوحنا كان هو مثير هذه المشكلة فى الإسلام ، وأن نظرية « القدر » دخلت عن طريق النصرانية وحدها إلى الإسلام بدليل ظهور هذه المشكلة فى الشام ، والشام ملتقى النصرانية فى الجزيرة العربية ، وبظهور هذه المشكلة فى العراق على يد نصرانى يقال له سوسن ، كان نصرانياً فأسلم ، وكان أول من نطق فى القدر ، وعنه أخذ معبد الجهنى ، وعن معبد هذا أخذ غيلان الدمشقى[٢]. فقد رأينا على أن القول بالقدر كان قديماً ، وعلى أنها لم تقتصر على الشام والعراق ، بل ظهرت فى الحجاز كذلك بنفس الوقت الذى ظهرت فيه الفتن السياسية ، إن لم يكن قبل ذلك . وفى رواية ابن عمر وابن عباس وأبى هريرة وأنس بن مالك ما فيه الكفاية والتسليم[٣] . ولا عبرة أيضاً بإسناد كتب الفرق هذه الفكرة إلى نصرانى معين أو مجهول فقد عودتنا هذه الكتب نسبة الفرق المخالفة إلى اليهودية أو المجوسية أو الثنوية والديصانية ، وهى عادة كانت متبعة لدى جميع أهل الأديان[٤] .

(يتبع)

جواد على

(١) التبصير فى الدين لأبى المظفر الأسفرايينى مطبعة الأنوار سنة ١٩٤٠ ص ٢
(٢) راجع التبصير فى الدين ص ٤٠ أيضاً اللالكائى فى شرح السنة . كذلك الملل والنحل للشهرستانى وكتب الفرق الأخرى
(٣) راجع التبصير فى الدين ص ١٠ مختصر كتاب الفرق بين الفرق ص ٢١
(٤) راجع كتب تاريخ الأديان .

على هامش النقد :

التناسق الفنى
فى تصوير القرآن
للأستاذ سيد قطب

قلنا : إن القرآن يرسم صوراً ويعرض مشاهد[1] ، فينبغى أن نقول : إن هذه المشاهد وتلك الصور ، يتوافر لها أدق مظاهر التناسق الفنى فى ماء الصورة ، وجو المشهد ، وتقسيم الأجزاء ، وتوزيعها فى الرقعة المعروضة .

والذى نعنيه هو :

أولا : ما يسمى « بوحدة الرسم » . وحتى المبتدئون فى القواعد يعرفون شيئاً عن هذه الوحدة ، فلسنا فى حاجة إلى شرحها . ويكفى أن نقول إن القواعد الأولية للرسم تحتم أن تكون هناك وحدة بين أجزاء الصورة ، فلا تتنافر جزئياتها .

وثانياً : توزيع أجزاء الصورة — بعد تناسبها — على الرقعة بنسب معينة حتى لا يزحم بعضها بعضا ، ولا تفقد تناسقها فى مجموعها .

وثالثاً : اللون الذى ترسم به ، والتدرج فى الظلال ، بما يحقق الجو العام المتسق مع الفكرة والموضوع .

والتصوير بالألوان يلاحظ هذا الانسجام ، ويقع شىء منه فى بعض المشاهد المسرحية والسينمائية المبدعة . والتصوير فى القرآن يلاحظ هذا كله ، وإن كانت وسيلته الوحيدة هى الألفاظ . وبذلك يسمو الإعجاز فيه على تلك المحاولات .

١ — خذ سورة من السور الصغيرة التى ربما يحسب البعض أنها شبيهة بسجع الكهان أو حكمة السجاع . خذ سورة « الفلق » .

فما الجو المراد إطلاقه فيها ، إنه جو التعويذة ، بما فيه من خفاء وهينمة وغموض وإبهام ، فاسمع :

« قُلْ : أعوذُ بربِّ الفَلَق . من شرِّ ما خَلَق . ومن شرِّ غاسِقٍ إذا وَقَب . ومن شر النفاثات فى العُقَد . ومن شر حاسد إذا حسد » .

فما الفلق الذى يستعيذ بربه ؟ نختار من معانيه الكثيرة معنى الفجر ؛ لأنه أنسب فى الاستعاذة به من ظلام ما سيأتى : مما خلق ومن الغاسق ، ومن النفاثات ، ومن الحاسد ، ولأن فيه إبهاما خاصاً سنعلم حكمته بعد قليل .

يعوذ برب الفجر « من شر ما خلق » هكذا بالتنكير وبما الموصولة الشاملة . وفى هذا التنكير والشمول يتحقق الغموض والظلام المعنوى فى العموم . « ومن شر غاسق إذا وقب » الليل حين يدخل ظلامه إلى كل شىء ، ويمسى مرهوباً مخوفاً . « ومن شر النفاثات فى العقد » وجو النفث فى العقد من الساحرات والكواهن كله رهبة وخفاء وظلام ، بل هن لا ينفثن غالباً إلا فى الظلام . « ومن شر حاسد إذا حسد » والحسد انفعال باطنى مطمور فى ظلام النفس ، غامض مرهوب كذلك .

الجو كله ظلام ورهبة ، وخفاء وغموض . وهو يستعيذ من هذا الظلام بالله ، والله رب كل شىء . فلم خصصه هنا « برب الفلق » ؟ . . . لينسجم مع جو الصورة كلها ، ويشترك فيه . ولقد كان المتبادر إلى الذهن أن يعوذ من الظلام برب النور ، ولكن الذهن هنا ليس الحكم ، إنما الحكم هنا هو حاسة التصوير الدقيقة ، فالنور يكشف الغموض المرهوب ، ولا يتسق مع جو الغسق والنفث فى العقد ، ولا مع جو الحسد ... و « الفلق » يؤدى معنى النور من الوجهة الذهنية ثم يتسق مع الجو العام من الوجهة التصويرية ، وهو مرحلة قبل سطوع النور مجمع بين النور والظلمة ، ولها جوها الغامض المسحور .

ثم ما هى أجزاء الصورة هنا أو محتويات المشهد ؟

هى من ناحية : « الفلق ، والغاسق » مشهدان من مشاهد الطبيعة ومن ناحية « النفاثات فى العقد ، وحاسد إذا حسد » مخلوقان آدميان .

وهى من ناحية : « الفلق » و « الغاسق » مشهدان متقابلان فى الزمان . ومن ناحية : « النفاثات » و « الحاسد » جنسان متقابلان فى الإنسان .

(١) يراجع عدد الهجرة من الرسالة هذا العام .

وهذه الأجزاء موزعة على الرقعة توزيعاً متناسقاً . متقابلة فى اللوحة ذلك التقابل الدقيق . وكلها ذات لون واحد ، فهى أشياء غامضة مرهوبة ، يلفها الغموض والظلام . والجو العام قائم على أساس هذه الوحدة فى الأجزاء والألوان .

ليس فى هذا البيان شىء من التمحل ، وليست هذه الدقة كلها بلا هدف . وليس هذا الهدف حلية عابرة . فالمسألة ليست مسألة ألفاظ أو تقابلات ذهنية . إنما هى مسألة لوحة وجو وتنسيق وتقابلات تصويرية تعد فناً رفيعاً فى التصوير ، يلفت النظر إذا أداه مجرد التعبير .

٢ — عبر القرآن عن الأرض قبل نزول المطر ، وقبـــل تفتحها بالنبات ، مرة بأنها « هامدة » ومرة بأنها « خاشعة » وقد يفهم البعض أن هذا مجرد تنويع فى التعبير . فلننظر كيف وردت هاتان الصورتان :

لقد وردتا فى سياقين مختلفين على هذا النحو :

(ا) وردت « هامدة » فى هذا السياق « يأيها الناس : إن كنتم فى ريب من البعث ، فانا خلقناكم من تراب، ثم من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مُضْغة مُخلَّقة وغير مخلقة ؛ لنبيِّن لكم ، ونُقِرُّ فى الأرحام مانشاء إلى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلا ، ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ، ومنكم من يُرَدُّ إلى أرذل العُمر ، لكى لا يعلمَ مِنْ بعد علمٍ شيئاً ، وترى الأرض هامدةً فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ، وأنبتت من كل زوج بهيج » .

(ب) ووردت « خاشعة » فى هذا السياق : « ومن آياته الليلُ والنهار والشمس والقمر ، لاتسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسجدوا لله الذى خلقهن ، إن كنتم إياه تعبدون ،فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لايسأمون . ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت »

وعند التأمل السريع فى هذين السياقين ،يتبين وجه التناسق فى « هامدة » و « خاشعة » . إن الجو فى السياق الأول جو بعث وإحياء وإخراج ؛ فما يتسق معه تصوير الأرض بأنها « هامدة » ثم تهتز وتربو ، وتنبت من كل زوج بهيج .

وإن الجو فى السياق الثانى هو جو عبادة وخشوع وسجود ، فما يتسق معه تصوير الأرض بأنها « خاشعة » فاذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت .

ثم لايزيد على الاهتزاز والإرباء هنا ، الإنبات والإخراج كما زاد هناك ، لأنه لامحل لهما فى جو العبادة والسجود . ولم تجىء « اهتزت وربت » هنا للغرض الذى جاءتا من أجله هناك . إنهما هنا تخيِّلان حركة للأرض بعد خشوعها ، وهـذه الحركة هى المقصودة هنا ، لأن كل مافى المشهد يتحرك حركة العبادة ، فلم يكن من المناسب أن تبقى الأرض وحدها خاشعة ساكنة . فاهتزت لتشارك العابدين المتحركين فى المشهد حركتهم ، ولكى لايبقى جزء من أجزاء المشهد ساكنا وكل الأجزاء تتحرك من حوله . وهذا لون من الدقة فى تناسق الحركة المتخيلة ، يسمو على كل تقدير .

ويحسن أن نلاحظ أن الهمود والخشوع يتحدان فى المعنى العام ، ويستدل بهما فى الآيتين على قدرة الخالق على البعث ، فما هما إلا سكون أو خمود ، تعقبه الحركة والحياة ، فلو كان المقصود هو مجرد أداء المعنى الذهنى، لما كانت هناك ضرورة لهذا التنويع . ولـكن التعبير القرآنى لايرمى إلى مجرد أداء المعنى الذهنى ، إنما يريد الصورة كذلك ، والصورة تقتضى هـــذا التنويع ، ليتم التناسق مع الأجزاء الأخرى فى اللوحة ، أو فى المشهد المعروض

ودلالة هذا التنويع حاسمة فى أن « التصوير » مقصود قصدا فى أسلوب القرآن ؛ وأن التعبير لايقصد إلى أداء المعنى الذهنى مجردا ، إنما يعمد إلى رسم صور للمعانى ، تختلف هذه الاختلافات الدقيقة اللطيفة حسب اختلاف الأجزاء والألوان

ثم لننظر الآن إلى « وحدة الرسم » فى كل من الصورتين ، وفى أجزاء الصورة كذلك .

وحدة الصورة الأولى هى : مخلوقات حية تخرج من الموت أو مشاهد حياة ، والأجزاء هى : نطفة تدرج فى مراحلها المعروفة ونبتة تصير زوجا بهيجاً . وهى تراب ميت تخرج منه هـذه النطفة ، وأرض هامدة تخرج منها هذه النبتة . والجو العـام هو جو الإحياء المرتسم من هذه الأجزاء

ووحدة الصورة الثانية هى : مخلوقات طبيعية عابدة ، أو مشاهد طبيعة . والأجزاء هى : الليل والنهار ، والشمس والقمر ، والأرض

خاشعة لله . تموج فيها وتتصل بها جماعتان من الأحياء مختلفتا النوع متحدتا المظهر : جماعة من الناس تستكبر على العبادة ، وجماعة من الملائكة تعبد بالليل والنهار . والجو العام هو جو العبادة المرتسم من هذه الأجزاء .

وهكذا تتناسق الجزئيات مع الجو العام ، وتتحد جزئيات الصورة الواحدة تحقيقاً لوحدة الرسم وتوزع الأجزاء فى الرقعة بهذا النظام العجيب .

٣ – عرض القرآن فى مواضع مختلفة كثيراً من صور النعمة التى أفاءها الله على الإنسان . وفى كل موضع كان يعرض مجموعة من النعم ، متسقة « الوحدة » على هـذا النحو الذى نعرضه فى موضعين للتمثيل :

(ا) « والله جعل لكم من بيوتكم سكناً ، وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ، ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعا إلى حين ».

« والله جعل لكم مما خلق ظلالا ، وجعل لكم من الجبال أكناناً ، وجعل لكم سرابيل تقيكم الحرّ وسرابيل تقيكم بأسكم . كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون »

(ب) « وإن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها – من بين فرثٍ ودم – لبناً خالصاً سائغاً للشاربين .

« ومن ثمرات النخيل والأعناب ، تتخذون منه سكَراً ورزقاً حسنا . إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون .

« وأوحى ربك إلى النحل : أن اتخذى من الجبال بيوتاً ، ومن الشجر ، ومما يعرشون ، ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذُلُلاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس . إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون »

يلاحظ فى هذين السياقين أن الأنعام مذكورة فيهما على السواء ، فلننظر من أى الجوانب عرضت فى كل سياق ، ولماذا عرض هذا الجانب هنا ، وذلك الجانب هناك .

(ا) السياق الأول يرسم صورة أو مشهداً للبيوت ، والأكنان والظلال ، والسرابيل ، وكلها مما يلاذ به ، أو يستتر ، أو يستظل أو يحتمى . ولأن هذا هو « وحدة الرسم » عرض من « الأنعام » الجانب الذى يتفق مع هذه الوحدة . عرض الجلود التى تتخذ بيوتاً تستخف يوم الظعن ، والأصواف والأوبار والأشعار التى تتخذ أردية وأثاثاً .

(ب) والسياق الثانى يرسم صورة أو مشهداً لاستخراج الأشربة : السكر الذى يستخرج من الثمار ، والعسل الذى يخرج من النحل . ولأن هذه هى « وحدة الصورة » عرض من الأنعام الجانب الذى يناسب الأشربة . عرض اللبن السائغ للشاربين .

ولم تقف دقة التنسيق عند وحدة المنظر العامة ، بل تمشت إلى دقائق الجزئيات : فهذا السكر يستخلص من الثمرات المخالفة فى هيئتها وطبيعتها للعسل ، وهذا اللبن يستخرج من بين فرثٍ[1] ودم المخالفين فى هيئتهما وطبيعتهما للبن ؛ فهى كلها تستحيل من أشياء أخرى . ثم المنظر كله منظر زراعى حيوانى .

ألا إنه الإبداع هنا فى دقة التصوير ، وفى تناسق الإخراج . ومثل هذه اللمسات الدقيقة التى تستوعب دقائق الجزئيات كثير فى القرآن ، نكتفى منه بهذه الأمثلة ، ونضيف إليها المثال التالى لماله من دلالة خاصة !

٤ – « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم . فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما » .

فالصورة صورة مبايعة بالأيدى ، ولتنسيق الجو كله ، جعل « يد الله فوق أيديهم » واستخدم هذا التجسيم فى موضع التجريد المطلق ، والتنزيه الخالص .

وعلماء البلاغة يسمون مثل هذا : « مراعاة النظير » ويعنون منه الجانب اللفظى ، لأنهم لم يحاولوا أن يلحظوا جانب التصوير ، ونحن نأخذ تعبيرهم نفسه « مراعاة النظير » ونعنى به جانب التناسق الفنى فى الصورة ، للمحافظة على « وحدة الرسم » وعلى جو المشهد وعلى الانسجام العام .

***

ولكن القرآن لا يستخدم فى التصوير هذه « اللمسات الدقيقة » وحدها ؛ إنما يستخدم كذلك « اللمسات العريضة » (ونحن نعبر بلغة التصوير لأننا فى الواقع أمام تصوير قبل التعبير) هذه اللمسات العريضة قد تجمع بين السماء والأرض فى نظام ، وبين مشاهد الطبيعة ومشاهد الحياة فى سياق . حيث تتسع رقعة

(١) الغذاء المهضوم فى الأمعاء .

الصورة لهذا كله على أساس من « الوحدة الكبيرة » بدل « الوحدة الصغيرة » .

١ — من ذلك : « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت ؟ » .

فهذه ريشة تجمع بين السماء والأرض والجبال والجمال ، فى مشهد واحد ، حدوده تلك الآفاق الوسيعة من الحياة والطبيعة ، والملحوظ هنا هو « الضخامة » وما تلقيه فى الحس من استهوال . والأجزاء موزعة بين الاتجاه الأفقى فى السماء المرفوعة والأرض المبسوطة ، والاتجاه الرأسى بينهما فى الجبال المنصوبة ، والإبل الصاعدة السنام . وهذه دقة تأخذها عين المصور الدقيقة فى الأشكال والأحجام .

ومما يلاحظ هنا بعين المصور كذلك أن لوحة طبيعية تشمل السماء والأرض والجبال ، لا يبرز فيها من الأحياء إلا الجمال ، أو ماهو فى حجم الجمال ! والجمل هو الحيوان المناسب ، لأنه أليف الصحراء الفسيحة التى تحدها السماء والجبال !

٢ — ومن هذا النحو — مع تغيير فى مواضع اللمسات : «ولقد جعلنا فى السماء بروجاً ، وزيناها للناظرين ، وحفظناها من كل شيطان رجيم ، إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين . والأرض مددناها ، وألقينا فيها رواسى ، وأنبتنا فيها من كل شىء موزون ، وجعلنا لكم فيها معايش ، ومن لستم له برازقين » .

ففى السماء بروج ضخمة ، وشهب تنقض على المردة . وفى الأرض الممدودة رواس راسخة، ونبت «موزون» (لا « بهيج » لطيف !) وفى الأرض كذلك « معايش » بهذا الجمع والتكثير، وفيها من لا يرزقه الناس بهذا التهويل والتنكير... وهذه مشاهد وحدتها الضخامة الحسية والمعنوية .

٣ — وقد تتسع الرقعة ويتطاول المدى وتعرض اللمسات ، ولكنها تدق فى النهاية حتى تتناول الجزئيات :

مثال ذلك : « إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم مافى الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت . إن الله عليم خبير » .

فهذه رقعة فسيحة فى الزمان والمكان ، وفى الحاضر الواقع ، والمستقبل المنظور ، والغيب السحيق ، وفى خواطر النفس ووثبات الخيال ، مابين الساعة البعيدة المدى ، والغيث البعيد المصدر ، وما فى الأرحام الخافى بلفظه وحقيقته عن العيان ، والرزق فى الغد وهو قريب فى الزمان مغيب فى المجهول ، وموضع الدفن وهو مبعد فى الظنون .

إنها رقعة فسيحة الآماد والأرجاء ، ولكن اللمسات العريضة بعد أن تتناولها من أقطارها ، تدق فى أطرافها ، وتجمع هذه الأطراف كلها عند نقطة الغيب المجهول ، وتقف بها جميعاً أمام كوة صغيرة مغلقة ، لو انفتح منها سم الخياط لاستوى القريب خلفها بالبعيد ولانكشف القاصى منها والدان .

* * *

ذلك أفق واحد من آفاق التناسق الفنى فى تصوير القرآن ووراءه آفاق أخرى وآفاق !

سيد قطب

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٦٣٢ — فافطن لأمرك . . .

قال أبو حيان التوحيدي : جرى بيني وبين أبي على مسكويه شيء : قال لي مرة : أما ترى إلى خطأ صاحبنا — وهو يعني ابن العميد — في اعطائه فلاناً ألف دينار ضربة واحدة : لقد أضاع هذا المال الخطير فيمن لا يستحق .

فقلت — بعد ما أطال الحديث وتقطع بالأسف — : أيها الشيخ ! أسألك عن شيء واحد فاصدق فإنه لامدبّ للكذب بيني وبينك ، لو غلط صاحبك فيك بهذا العطاء وبأضعافه وأضعاف أضعافه أكنت تتخيله في نفسك مخطئاً ومبذراً ومفسداً أوجاهلاً بحق المال ، أو كنت تقول : ما أحسن مافعل ، وياليته أربى عليه . فان كان الذي نسمع على حقيقته فاعلم أن الذي يرد ورد مقالك إنما هو الحسد أو شيء آخر من جنسه ، وأنت تدعى الحكمة وتتكلف في الأخلاق ، وتزيف الزائف ، وتختار المختار ؛ فافطن لأمرك .

٦٣٣ — وأكره أن يكون على دين

خطب أعرابي إلى قوم فقالوا : ما تبذل من الصداق[1] ؟ وارتفع السَّجف[2] فرأى شيئاً كرهه ؛ فقال والله ماعندي نقد ، وإني لأكره أن يكون عليّ دين .

٦٣٤ — نحن إلى إمام فعال أحوج منا إلى إمام قوال

في (محاضرات الراغب) :

(١) الصداق : — بفتح الصاد وكسرها مشددة — مهر المرأة والجمع أصدقة وصدق — بضم الصاد والدال — (اللسان)

(٢) السجف : الستر .

كان أبو بكر بن قريعة[1] (قاضي السندية[2] وغيرها من أعمال بغداد) من عجائب الدنيا في سرعة البديهة بالأجوبة عن جميع ما يسأل عنه في أفصح لفظ ، وأملح سجع ، وكان رؤساء ذلك العصر والعلماء يداعبونه ويكتبون له المسائل الغريبة المضحكة فيكتب الأجوبة من غير توقف ولا يكتب إلا مطابقاً لما سألوه . فمن ذلك ما كتب به بعض الفضلاء : ما يقول القاضي (أيده الله تعالى) في رجل سمّى ولده مداماً ، وكناه أبا الندامى ، وسمى ابنته الراح ، وكناها أم الأفراح ، وسمى عبده الشراب ، وكناه أبا الإطراب ، وسمى وليدته القهوة ، وكناها أم النشوة ، أينهى عن بطالته ، أم يؤدب على خلاعته ؟

فكتب تحت السؤال : لو نُعت هذا لأبي حنيفة ، لأقعده خليفة[3] ، وعقد له رايه ، وقاتل تحتها من خالف رايه . ولو علمنا مكانه ، لقبلنا أركانه . فإن أتبع هذه الأسماء أفعالا ، وهذه الكنى استعمالا ، علمنا أنه أحيا دولة المجون ، وأقام لواء ابنة الزرجون[4] ، فبايعناه وشايعناه . وإن تكن أسماء سماها مله بها من سلطان خلعنا طاعته ، وفرقنا جماعته ؛ فنحن إلى إمام فعال ، أحوج منا إلى إمام قوال .

٦٣٥ — يمشي في جنازته

في (معجم البلدان) لياقوت :

مسعر بن مهلهل في رحلته : بلغنا أن نصر بن أحمد السعيد الساماني (صاحب خراسان وماوراء النهر) عمل قبره قبل وفاته بعشرين سنة ؛ وذلك أنه حدّ له في يوم مولده مبلغ عمره ، وأن موته يكون بالسل ، وعرف اليوم الذي يموت فيه ، فخرج يوم موته إلى خارج بخارا ، وقد أعلم الناس أنه ميت في يومه ذلك ، وأمرهم أن يتجهزوا له بجهاز التعزية والمصيبة ، فسار بين يديه ألوف من الغلمان وقد

(١) اسمه محمد بن عبد الرحمن ، وفاته سنة (٣٦٧) وعمره (٥٠) سنة

(٢) السندية : قرية على نهر عيسى بين بغداد والأنبار والنسبة إليها سندواني للفرق بينها وبين بلاد السند (ابن خلكان)

(٣) الزمخشري : كلمات السجع موضوعة على أن تكون ساكنة الاعجاز موقوفاً عليها لأن الغرض أن يجانس بين القرائن ولا يتم ذلك إلا بالوقف وإلا ذهبت أيادي سبا .

(٤) الزرجون : الخمر

ظاهروا اللباس بالسواد ، ثم تبعهم نحو ألف جارية ، ثم جاء عامة الجيش والأولياء حاثين التراب على رؤوسهم ، واتصلت بهم الرعية والتجار فى بكاء شديد . وشهر هو نفسه بضرب من اللباس ، ثم جاء أولاده يمشون بين يديه حفاة وبين أيديهم وجوه كتابه وخدمه وقواده ، ثم أقبل القضاة والعلماء يسايرونه فى غم وكآبة ، وأحضر سجلا كبيراً ملفوفاً فأمر القضاة والكتاب بختمه ، وأمر نوحاً ابنه أن يعمل بما فيه . واستدعى شيئاً من حساء فى زبدية من الصينى ثم تناول منه شيئاً ثم تغرغرت عيناه بالدموع وتشهد ، وقال : هذا آخر زاد نصر من دنياكم ، وسار إلى قبره ودخله وقرأ عشراً فيه ، واستقر به مجلسه ، ومات . . . ! ! !

٦٣٦ — يحب البلاء لماسه كريم

أبو سعيد المخزومى :

إذا كنت فى بلدة نازلا وحل الشتاء حلول المقيم
فلا تبرزن إلى أن ترى من الصحو يوماً صحيح الأديم
فكم زلقة فى حواشى الطريق ترد الثياب بخزى عظيم
وكم من لئيم غدا راكباً يحب البلاء لماش كريم

٦٣٧ — لولا المشقة

قال ابن خلكان : بلغنى أن ابن مطروح كتب — قبل ارتفاع درجته — رقعة تتضمن شفاعةً فى قضاء شغل لبعض أصحابه أرسلها إلى أحد الرؤساء ، فكتب إليه ذلك الرئيس فى جوابه : هذا الأمر على فيه مشقة .

فكتب ابن مطروح جوابه ثانياً : « لولا المشقة »

فلما وقف عليها ذلك الرئيس قضى شغله وفهم ما قصده وهو قول المتنبى :

لولا المشقةُ سادالناسُ كلُّهُمُ الجودُ يُفقرُ، والإقدامُ قتّالُ

٦٣٨ — لا جرم أن أثر الحسد فيك . . .

قال إسحق الموصلى : أنشدت الأصمعى شعراً لى ، على أنه لشاعر قديم :

هل إلى نظرة إليك سبيلُ يروَ منها الصدى ويشف الغليل [1]
إن ما قل منك يكثر عندى وكثير من الحبيب القليل

قال لى : هذا — والله — الديباج [1] الخسرواني [2] .

فقلت له : إنه ابن ليلته ، فقال : لا جرم أن أثر التوليد فيه .

فقلت له : لا جرم أن أثر الحسد فيك . . .

٦٣٩ — أشم نسيم قرطبة

قال ابن بشكوال : دخل الشيخ أبو بكر بن سعادة مدينة طليطلة مع أخيه على الشيخ الأستاذ أبى بكر المخزومى فسألنا : من أين ؟

فقلنا : من قرطبة !

فقال : متى عهدكما بها ؟

فقلنا : الآن وصلنا منها !

فقال : اقربا إلى أشم نسيم قرطبة . فقربنا منه فشم رأسى وقبله وقال لى اكتب :

أقرطبة الغراء هل لى أوبة إليك وهل يدنو لنا ذلك العهد
سقى الجانب الغربى منك غمامة وقعقع فى ساحات روضتك الرعد
لياليك أسحار وأرضك روضة وتربك فى استنشاقها عنبر ورد

٦٤٠ — سكارى . . .

السرى الرفاء :

وفتية زهر الآداب بينهم أبهى وأنضر من زهر الرياحين
مشوا إلى الراح مشىَ الرُخ وانصرفوا والراح تمشى بهم مشى الفرازين [3]
غدوا اليها كأمثال السهام مضت عن القسىّ وراحوا كالعراجين [4]
وكان شربهم فى صدر مجلسهم شرب الملوك وناموا كالمساكين

---

(١) يرو : مجزوم بان مضمرة لوقوعه جوابا لاستفهام و (يشف) معطوف عليه .

(١) الديباج : الثياب المتخذة من الأبريسم (النهاية) الأبريسم الحرير . وفى (شفاء الغليل) : ديباج معرب ديوباف أى نساجة الجن .

(٢) ثوب خسروانى وخسروى منسوب إلى خسرو شاه من الأكاسرة (الأساس)

(٣) الرخ من أدوات الشطرنج معرب وضعوه تشبيها بالرخ الذى هو الطائر ، طائر كبير يحمل الكركدن ...ج رخخة (التاج) فرزان الشطرنج معرب فرزين وهو بمنزلة الوزير للسلطان وتفرزن البيدق صار فرزانا (التاج)

(٤) العرجون عود العذ ما بين شماريخه إلى منبته من النخلة وقال الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف . (الكشاف) العرجون العذق إذا يبس واعوج (اللسان)

فى الأدب العـــربى

للأستاذ عبد اللطيف محمد ثابت

فى عدد مضى من الثقافة كلمة للأستاذ الكبير أحمد بك أمين يعيب فيها على كثير من الأدباء ميلهم إلى قصر الأدب على الشعر والنثر الفنى المصنوع ، ويحثنا أن نعيد النظر فى هذا الوضع من ناحية الأدب القديم والحديث : فمن ناحية القديم يجب أن نتوسع فى فهم معنى الأدب ، فندخل فيه الشعر الصوفى والنثر الصوفى ، والأساليب المتبعة فى شرح النظريات الاجتماعية والاقتصادية إذا كانت أدبية ، وكذلك الأساليب المتبعة فى كتب التاريخ والرحلات والفلسفة والقصص من نوع ألف ليلة وليلة . ومن ناحية الحديث يجب أن يتجه أدباؤنا إلى الموضوع أكثر من الشكل ، وحمد الله إذ رأى هذا الاتجاه واضحاً جلياً من أدباء العصر الحديث ، وضرب لذلك الأمثلة ، ثم قال : « ففهمنا للأدب على أنه شعر أو نثر يشبه الشعر أو قصة بديعة ، أو نحو ذلك ، فهم قاصر ، والأدب أوسع من ذلك وأشمل » ، وقال : « وأرى أن هذه الفكرة عن الأدب غير صحيحة ، وأنها ضارة بالناشئين والمتعلمين ؛ إذ تجعلهم يتصورون الأدب على أنه حلية لفظية شكلية ، فإذا عمق الكاتب وفكر تفكيراً دقيقاً ، خرج عن الأدب ولم يسم أديباً ، وضرر هذا واضح ، وهو اتجاه الأدب العربى إلى السطحية ، والعناية فيه بالشكل أكثر من الموضوع »

هذا مجمل ما قاله أستاذنا الكبير ، ولا أدرى إلى أى شىء يرمى . إنه عاب على الأدباء قصرهم الأدب على الشعر والنثر المشبه الشعر والقصة البديعة ونحو ذلك لأنه أوسع من ذلك وأشمل ، فماذا بقى بعد هذا مما يصح أن يكون فى متناول أوسع وأشمل ؛ حتى ندخله فى الأدب ؟

إن الشعر هو الكلام ذو الوزن والقافية المشتمل على التصوير البديع المؤثر لأنواع الإحساس ، سواء أكان إحساساً صوفياً أم فلسفياً أم خيالاً من واد آخر غيرهما . والنثر المشبه للشعر هو ذلك النثر الفنى المصنوع ، ويراد بالصنعة ما يرتفع بالنثر إلى ما يحقق معنى الفصاحة والبلاغة على ما اتفق عليه الأقدمون ، ولم يعارض فيه المحدثون ، سواء أتناول النثر شرحاً لنظريات اجتماعية أم اقتصادية ، أم تناول التاريخ والرحلات ، أم تناول الفلسفة ، أم كان قصصاً ، بل يمكن أن يدخل فى متناول النثر الفنى المصنوع بهذا المراد من الفن والصنعة طوائف العلوم الأخرى ، فكلها نثر فيه فن وفيه صنعة بحسبه ، فماذا بقى بعد ذلك حتى يكون فهمنا للأدب على أنه الشعر أو النثر المشبه للشعر أو القصة البديعة أو نحو ذلك فهماً قاصراً ؟

لم يبق يا سيدى البك إلا الكلام الذى انفع ولم تتحقق فيه شروط الفصاحة والبلاغة ، فصار بحكم ما فقد من شروط الأدب غير أدب ، وصار الكاتب له غير أديب .

فهل تريد أن يدخل مثل هذا على أنه أمثلة تحتذى فى مباحث الأدب ؟ فماذا يكون الأدب إذن ؟

إن الأدب فن رفيع كالموسيقى وما يشبهها ؛ فلنتصور أننا توسعنا فى متناول الموسيقى حتى جعلناها تشمل كل ما يمكن أن يكون صوتاً ، فهل يكون ذلك مقبولا ؟

كذلك الأدب لا يمكن أن يكون أدباً إذا توسعنا فيه فجعلناه يشمل كل ما يمكن أن يقال أو يكتب ، فإن ذلك تضييع لقيمة المثل العليا من الكلام ، وتضييع للمبرزين من الكتاب من القدماء والمحدثين ، مع ملاحظة أنه لا يعقل أن يكون كلام مكتوب لا موضوع له إلا ما يصدر من المجانين ؛ فأولئك الكتاب الذين يجلسون بجانب كل محكمة ، ويسمون بالكتاب العموميين ، لهم موضوعاتهم التى يتناولونها فيما يكتبون ، وليس من المعقول أن تكون رسائلهم من مباحث الأدب . ولست أعلم أن أحداً من المتقدمين منع أن يكون الشعر الصوفى والنثر الصوفى ، والكتب التى تشرح النظريات الاجتماعية والاقتصادية والتى تتناول التاريخ والرحلات والقصص من نوع ألف ليلة وليلة والفلسفة — منع أن تكون هذه مما يتضمنه معنى الأدب حتى ينبهنا الأستاذ الكبير إلى أن نعيد النظر فى هذا الوضع من ناحية الأدب القديم فندخل فيه هذه الموضوعات .

ويقول الأستاذ إن هذه الفكرة عن الأدب أنه مقصور على الشعر والنثر الفنى المصنوع ضارة بالناشئين والمتعلمين ، ويقصد من غير شك الناشئين والمتعلمين فى هذا العصر ، فهو يخشى عليهم أن



٣ - الفـــن

للكاتب الفرنسى بول جيزيل

بقلم الدكتور محمد بهجت

يرى الفنان كل ما فى الطبيعة جميلا

يوجد بمرسم رودان الكبير بـ « مِيُدُون » تمثال صغير على جانب كبير من الدمامة الروعة ، استقى مثالنا العظيم موضوعه من قصيدة ڤيلون المسماة La Belle Heaulmiere . كانت الحظية تشع يوما ما شبابا وجمالا ، أما الآن فهى عجوز شمطاء منهدمة تنبو عنها العيون . كانت مختالة فخورة بحسنها وروائها فاذا بها اليوم تُغص بالخجل من بشاعتها .

وهـذه ترجمة بعض الأبيات التى ساقها ڤيلون على لسان الحظية البائسة .

« آه أيها الهـرم المتعاظم الخوّان ، لِمَ أذللتنى هكذا سريعاً ، ولم أمسكتنى هكذا حتى لا أستطيع أن أضرب ، فكنت أقضى بضربة واحدة على آلامى » .

هنا تبع المثالُ الشاعرَ خُطوة فخُطوة . فتلك العجوز الشمطاء التى تكرش جلدها حتى صار أكثر تكرشا من المومياء تحزن على بلى جسدها . تراها جالسة مقوسة تنظر فى يأس وألم إلى ثدييها اللذين ضمرا ضموراً يثير الشجن ، وإلى جسدها الذى تجعد وتقبض تقبضا بشعاً ، وإلى ذراعيها وساقيها التى أصبحت عقداء كأصول الكرم أو هى أعقد . وثمت بضعة أبيات أخرى ساقها الشاعر على لسان الحظية أيضاً .

« عند ما أفكر بذهن كليل فيما كنت عليه بالأمس ، وفيما أنا عليه اليوم ، عندما أرى كيف استحلت هكذا : مسكينة بائسة مقددة نحيفـة ، يتملكنى الأسى . أين جبينى الناصع وشعرى الذهبى وكتفاى الجميلتان — وكل ما كان فىَّ وقد خلق للحب ؟ هذه هى نهاية الجمال الانسانى ! وتلكما الذراعان النحيلتان ، واليدان المعروقتان ، تلكما الكتفان الحدباوان ، ذلكما الثديان والعجزان وتلكما الساقان ، خفتا وأصبحتا منقوطتين كأنها المصير المحشو » .

وهنا لانرى المثال يقل إدراكا للواقعية عن الشاعر ، بل نرى

يتجهوا فى أدبهم إلى السطحية والعناية فيه بالشكل أكثر من عنايتهم بالموضوع ، ثم يحمد الله أن يرى أدباءنا يتجهون اتجاهاً واضحاً إلى الموضوع أكثر من الشكل .

فهل كان أدباؤنا من غير الناشئين المتعلمين فى هذا العصر ؟ فمن الذى أرشدهم ألا يتجهوا فى أدبهم إلى السطحية وأخذ يحثهم على العناية بالموضوع دون الشكل ، وهم إنما درسوا الأدب قاصراً على الشعر والنثر الفنى المصنوع ، وهو الذى يعيبه الأستاذ احمد أمين على الأدباء .

إننى لا أنكر أنه قد أتى على الأدب حين من الدهر مال فيه الكتاب إلى العناية بالأسلوب أكثر من عنايتهم بالموضوع ، بل أسرفوا فى ذلك حتى عيب عليهم ، ولكن هذا النوع من الكتاب أقلية إذا قيسوا بغيرهم من أدباء اللغة العربية ، وقد أخذ عليهم إسرافهم فى العناية بالألفاظ وتنميقها أكثر من عنايتهم بالأفكار وتوليدها والموضوع ودراسته ؛ فلم يكن لما عيب عليهم أثر إلا بمقدار ما تظهر بدعة غير مستحسنة فى عصر من العصور ، ثم لا تلبث أن تهمل لما يشق فيها على الناس ، على أنه كان لأدب هؤلاء موضوعه الذى يحله محله من مباحث الأدب العام .

ولم يحل وجود هؤلاء الكتاب الشكليين فى عصور الأدب أن نفهم الأدب على حقيقته فى الشعر والنثر الشبه الشعر فى عصورنا هذه فيظهر فينا الكتاب الذين يعتمدون على الموضوع فى أسلوب ، لا على الأسلوب له صورة موضوع .

عبد اللطيف محمد ثابت

على النقيض من ذلك أن البشاعة التى يثيرها بهذا التمثال أوقع فى النفس من أبيات ڤيلون الجافية . نرى ثنى جلدها يتدلى على الهيكل العظمى فى ضعف واسترخاء ، والأضالع تبرز من تحت الصفاق أو الرّق الذى يغطيها ، ويبدو الجسم كله كأنه يرتعد أو ينكمش ويتضاءل . ومع ذلك نرى ألما عميقاً ينبعث من ذلك الجسد البالى المشوه المؤلم . وذلك لأن ما نشاهد منه هو الألم البالغ لنفس شغفها حب الشباب والجمال الخالد فأصبحت تنظر بيأس إلى الوعاء القبيح الدميم الذى يحتويها . انه التناقض البين بين الكائن الروحى الذى يتطلب اللذة الخالدة وبين الجسد الذى يبلى وينحل ويؤول إلى الفناء . تهلك المادة ويموت اللحم ، أما الأحلام والآمال فخالدة . وهذا ما أراد رودان أن نفهمه . هذا وإنى لا أعتقد أن فنانا آخر صور لنا الهِيرَم بمثل هذه الفظاعة الفجة ، اللهم إلا واحداً . فانك لترى على مذبح كنيسة بفلورنسا تمثالا عجيبا من صنع دونا تللو . ترى عجوزا عارية أو هى متشحة بشعرها الطويل الرفيع الذى يتشبث بجسدها المتهدم الفانى . إنها القديسة مجدولين فى الصحراء وقد قوست السنون ظهرها ، تنذر إلى الله الرهبوت الصارم الذى ستأخذ به جسدها جزاء وفاقا لما أسبغته عليه من رعاية فى الماضى . ولقد بلغت الصراحة الفطرية بهذا الفنان الفلورنتى مبلغا عظيما بحيث لا يتسنى لأحد أن يدانيه فيها ، حتى ولا رودان نفسه . ولكنا نرى إلى جانب ذلك أن الشعور فى العملين مختلف كل الاختلاف ، فبينا نرى القديسة مجدولين تبدو فى توبتها أكثر إشراقا كلما أحست أنها تزداد دمامة ، نرى من الناحية الأخرى الحظية الشمطاء تهلع عند ما ترى نفسها أشبه شىء بالجثة الهامدة . وعلى ذلك فالنحت الحديث أعظم وقعاً وأنجع فى تأثيره من النحت القديم .

وفى أحد الأيام درست تمثال رودان هذا لحظة ثم قلت له فى هدوء:

« أيها المعلم ! لا أظن أحداً يعجب بهذا التمثال المدهش إعجابى به . ولكن أرجو ألا يتملكك الامتعاض إذا ما أطلعتك على الأثر الذى تحدثه مشاهدته فى زائرى متحف اللوكسمبورج ، وفى السيدات خاصة » .

« أكون شاكراً لو تفعل ذلك » .

« حسن . إن النظارة لتفرمنه قائلة : آه ، ما أبشعه ! وكثيراً ما شاهدت بعض السيدات يتقينه بأيديهن حتى لا يرونه » فضحك رودان ملء شدقيه وقال :

« لابد أن يكون عملى من الوضوح والصراحة بحيث يحدث مثل هذا الأثر البين . ولا ريب أن هؤلاء الناس ممن يرهبون الحقائق الفلسفية المرة . غير أن كل ما يعنينى من الأمر ويهمنى هو أن أقف على آراء أولئك الذين وهبوا الذوق الحسن . ولقد سرنى أن أظفر بمدحهم لحظيتى العجوز . ان مثلى كمثل ذلك المغنى الرومانى الذى أجاب على صخب الجماهير : إنى أغنى للنبلاء فقط ، أو بمعنى آخر للهواة الذين يفهمون ويتذوقون » .

يتبادر إلى ذهن السوقة أن ما يرونه قبيحاً فى الحياة لا يليق أن يكون موضوعا للفنان . يودون لو يمنعوننا من إظهار ما يسوؤهم من الطبيعة أو يقذى أعينهم ؛ وهذه غلطة شنيعة يغلطونها . إن ما قد يسمى عادة قبيحاً فى الطبيعة يمكن أن يكون لدى الفن عامرا بالجمال . وفى الواقع نسمى قبيحاً كل ما كان مشوها أو مريضا أو يشعر بعرض ، أو ما كان ضعيفاً أو مبتلى ، أو ما كان منافيا للمألوف الذى هو إمارة وشرط من شروط الصحة والقوة . فالأحدب قبيح ، والأعرج قبيح ، والفقر فى الأسمال البالية قبيح . وقبيح أيضاً روح الرجل الفاجر وسلوكه ، والرجل الخبيث المجرم ، والرجل الشاذ الذى يكون بلية على المجتمع ، وقبيح أيضاً روح الذى يفتك بوالديه ، وروح الخائن ، وروح كل دنىء المطامع . ومن الصواب تسمية الناس أو الأشياء التى لا نتوقع منها سوى الشر بتلك المسميات الكريهة . ولكن دع فنانا مبرزا أو كاتباً نابها يتولى بفنه قبحا واحداً أو أكثر مما ذكر فسرعان ما يتحول فى يديه ؛ إذ ينقلب بلمسة من عصاه السحرية إلى جمال رائع . إن هذا إلا كيمياء ، إنه السحر المبين !!

دع ڤيلا سكويز يصور سيباستيان Sebastian قزم فيليب الرابع ، ملك إسبانيا ، تراه يحبوه بتلك النظرة المؤثرة التى نقرأ فيها على الفور ما تنطوى عليه نفس هذا المخلوق التعس من الأسرار

المؤلمة ، ذلك المخلوق الذى ألجأته حاجته للعيش إلى أن ينزل عن كرامته الإنسانية فيصبح ألعوبة أو سخرة من المساخر الحية . وكلما زادت لذعة الألم فى نفس ذلك المخلوق البائس زاد جمال عمل الفنان .

وليصور فرنسوا ميليه فلاحاً يتــكىء على فعال[1] فأسه ليستريح لحظة ، رجلا بائساً أضناه التعب ولفحته الشمس ، غبياً كالحيوان الأعجم الذى أذهلته الضربات فبلدم . وما هو إلا أن يظهر فى تعبير هذا الشقى البائس ذلك الاستسلام السامى للألم الذى فرضه علينا القدر حتى يجعلنا نرى فيـــه الرمز العظيم للانسانية كلها .

ثم ليصف لنا بودلير Beaudelaire جثة مقرّحة ، قذرة متلزجة ينخر فيها الدود ، ثم دعه يتخيل خليلته المحبوبة فى هذه الحالة المخيفة الممضة ؛ فلا يمـكن والله أن يدانى شىء فى الروعة والفخامة صورته التى يضع فيها جنباً إلى جنب هذا الجمال الذى نرجو له الخلود ، وذاك الفناء المروع الذى ينتظره . وهاك أشعار بودلير

« ومع ذلك فستصبحين مثل هذا يوماً ما ، مثل هذه الوخامة التى تتقزز منها النفس ، أنت يانجم عينى ، أنت ياشمس طبيعتى . آه يا ملاكى ويا غرامى !

« نعم يامملـكة الحسن ، ستكونين هكذا بعد القداس ، عندما تلحدين تحت الحشائش والأزهار حيث تبلين بين العظام . وعندئذ يا حبيبتى خبرى الديدان التى تلتهمك بالقبل أننى — على الرغم منها ومن كل شىء — قد احتفظت بهيكل حى المقدس وروحه الذى فنى وباد » .

ومثل هذا ما كان من شكسبير عند ما وصف ياجو Iago أو رتشارد الثالث . وعندما صور راسين Racine نيرو ونرجس Nero and Narcissus ، كذلك يمكن أن ينقلب القبح الخلق موضوعا رائع الجمال إذا ما فسرته عقول صافية راجحة نفاذة .

وفى الواقع نرى أن الجميل فى الفن هو ماله شخصية . فالشخصية هى العنصر الضرورى لـكل شىء طبيعى ، جميلا كان أو قبيحاً ، أو هى الحقيقة المزدوجة كما يجب أن نسميها . هى الحقيقة الداخلية تفصح عنها الحقيقة الخارجية ، هى الروح والشعور والأفـكار تعبر عنها قسمات وجه أو أفعال الإنسان وإشاراته أو ألوان السماء أو خطوط الأفق ...

يرى الفنان العظيم أن لـكل شىء فى الطبيعة شخصية لأن نظرته الفاحصة الصائبة تستجلى ما غمض وخفى من معانى الأشياء جميعها . ولربما كان لما نحسبه بشعا دميما من الشخصية أكثر من ذلك الذى نراه بسيما وسيما . وذلك لأن الحقيقة الداخلية قد تسطع فى أسارير سحنة مريضة ، أو فى نواحى وجه خبيث ، أو فى كل ما هو مشوه أو عفن ، سطوعا جلياً أكثر مما فى القسمات الصحيحة العادية .

وطالما كانت قوة الشخصية وحدها هى التى تظهر الجمال فى الفن ، فـكثيراً مايحدث أنه كلما قبح الشىء فى الطبيعة زاد جماله فى الفن . فلا يوجد فى الفن قبيح اللهم إلا ما خلا من الشخصية ، أى ذلك الذى تجدد من الحقيقة الداخلية أو الخارجية .

والقبيح فى الفن هو كل زائف غير طبيعى ، كل ما عنى بحسن المظهر دون التعبير ، كل ما كان هوائياً متقلباً ومتصنعاً ، كل ما ابتسم من غير باعث على الابتسام ، أو تثنى من غير ما سبب ، كل ما كان بغير روح أو حقيقة . أو كل ما كان مظهراً للحسن والجمال فقط ، وبالجملة هو كل ما كان كاذباً .

وعند ما يحاول الفنان أن يحسن الطبيعة فيضيف اللون الأخضر إلى الربيع ، والوردى إلى شروق الشمس ، والقرمزى إلى الشفاه الصغيرة ، يخلق بعمله هذا القبح لأنه يكذب ، وكذلك عندما يخفف من حدة الألم أو يلطف من تهدم الشيخوخة أو من بشاعة التحريف أو التصحيف ، وعندما يحاول تنسيق الطبيعة فيقنعهـا وينـكرها ويلطفها كيما تسر السوقة الجهلة ، فهو يخلق القبح لأنه يخشى الحق .

كل ما فى الطبيعة جميل فى عينى أى فنان خليق بهذا الاسم ، لأن عينيه اللتين تقبلان الحقائق الخارجية فى شجاعة ، تقرآن الحقائق الداخلية كما لو كانتا تقرآن فى كتاب مفتوح . وما عليـه إلا أن ينظر فى وجه إنسان ما فيقرأ أغوار نفسه بحيث لا يمكن أن تخدعه قسمة من قسماته . والإخلاص كالتصنع كلاهما شفاف لا يستر ما تحته ، نخط فى الجبين ، أو رفعة خفيفة من الحاجب ، أولمحة من العين ، كل هذه تـكشف له عن كل أسرار القلوب وتطلعه على خفاياها

(١) فعال الفأس هراوته

كذلك يستطيع الفنان أن يدرس ذهنيــة الحيوان الخبيثة ، ويقرأ فى عينيه وحركاته وسكناته مزيجاً من الشعور والأفكار والذكاء الأبكم والأحاسيس البدائية .

وهو فضلا عن ذلك صفى الطبيعة وأمينها ؛ فتكلمه الأشجار والنباتات كما لو كان صديقها ، وتحدثه أشجار البلوط القديمة العقداء عن حدبها على الإنسان الذى تظله تحت أفرعها الوارفة الظلال . وتخاطبه الأزهار باهتزاز سوقها الرشيقة ، وبغناء ألوانها الشجى . إن كل زهرة وسط الخضرة لكلمة طيبة تخاطبه الطبيعة بها .

والحياة عنده متاع مقيم ، وسرور مستديم ، ونشوة جنونية . ولكنه لايرى كل شىء فى الحياة مستطابا ، لأن الآلام التى تنتابه وتعتور أصدقاءه تتعارض مع تفاؤله وأمانيه تعارضاً مؤلماً ، ومع ذلك فكل شىء عنده جميل لأنه يمشى دائماً فى ضوء الحق النفسانى.

نعم ! إن الفنان العظيم ، وأقصد به الشاعر والمصور والمثال ليجد ، حتى فى الآلام وموت الأحباب ، وفى خيانة الأصدقاء بعض ما يغمره بفيض عجيب من السرور ولو شابته مرارة بشعة .

وقد تمر به فترات يكون قلبه أثناءها فريسة للآلام ومع ذلك نرى اللذة المريرة التى يكابدها من تفهم وتفسير تلك الآلام أقوى من الآلام نفسها وأرجح . وهو يقدس أغراض القضاء فى كل كائن حى ، ويلقى على آلامه وجراحه الدامية نظرة ملؤها التقدير والاهتمام ، نظرة الرجل الذى قرأ أحكام القدر . حتى إذا ماخانه حبيب ترنح تحت الضربة ، ولكنه سرعان مايثبت على قدميه ويستقر، ثم يرى ذلك الخائن مثلا طيباً للوضاعة والحقارة ، ثم إنه يرحب بالعقوق لأنه يجد فيه مايصقل نفسه .

وكثيراً ما يكون وجده وهيامه جامحاً مخيفاً ، ولكن فى ذلك السعادة على كل حال، لأن فيه التقدير العميق الثابت للحق والصدق.

فعند ما يشاهد الناس يقتل بعضهم بعضاً فى كل مكان ، وعند ما يرى الشباب الغض يذبل ويذوى ، وكل القوى العاملة تضمحل ، وكل النبوغ يخبو ، وعندما يواجه الإرادة العليا التى تملى تلك القوانين الصارمة وتفرضها على الكائنات ، نراه اكثر ما يكون اغتباطا بمعرفته ، سعيداً أيما سعادة إذ يستولى عليه حبه للصدق من جديد .

محمد بهجت

فى طريق الحياة . . .

للأستاذ عبد القادر القط

فى طريقٍ مِن لَقى الأنضاء والصرعى صُواهُ (١)
وفضاء لم تعانق أرضَه يوماً سماه .
مُفرَغاً ترجع الأبصارُ حسرَى عن مَداه .
أضربُ الأرضَ طليحاً تحت أعباء الحياه
وشبابٍ لم يمتَّع بالشباب .

* * *

أغتدى فى زحمة الأطماع مشدوه الرجاء .
وأرودُ الودَّ فى دنيا من الود خلاء .
مفردَ القلب وللقلب حنينٌ واشتهاء .
ظامئ الروح وللنبع بأسماعى غناء .
من وراء الغيب من خلف الحجاب .

* * *

أغتدى فى مهمه الدنيا ومالى من رفيقْ .
غيرَ روحٍ سادر النجوى وقلبٍ لا يفيق
كلما أوغلتُ فى القفر تراءت لى بروق .
وامضاتٌ بأمانىٍّ كأطياف الشروق .
بعد ليلٍ مدلهمٍّ وضباب .

* * *

طالما أدركتُ أن البرق خلاَّبٌ جَهام
ورأيتُ القطرَ محبوساً بأطباق الغمام .
غير أنى كلما راودَ أجفانى المنام .
قذفت بى ظامئاتٌ من رغابى للأمام .
ولقد ينجى من اليأس السراب .

* * *

(١) اللقى الشىء المطروح . والصوى أعلام الطريق

أتخطَّى الصخر لا عزماً ولكنى أسير .
وعلى السائر أن يمضى وإن شقَّ العبور .
لم أعد أسأل ما الجدوى ولا أين المصير .
ما سؤالى ؟ وفؤادُ القفر مسلوبُ الضمير .
ليس يصغى لسؤالٍ أو جواب .

* * *

فى طريقى كم تراءت لى جنانٌ وادعات .
مثقَلاتُ الدَّوح بالأثمار شتى ناضجات .
يرفُلِ الظلُّ بها فى مسرحٍ جمّ الشيات .
ويميس النهرُ فى أعطافها رحبَ الجهات .
بين أفوافٍ وألفافٍ وغاب .

* * *

كم رأت عينى وكم قد حَنَّ للروضات قلبى .
فتركتُ الدربَ مهجوراً وجلتُ الروضَ دربى .
وهفتْ للعشب أقدامى وقال الجهدُ : حَسْبى .
ورفعتُ الكفَّ لله أقضّى حقَّ ربى .
من ثناء وصلاة ومتاب .

* * *

وإذا بالروض قد حفَّتْ به جندٌ عُتاه .
لم يبالوا حرمة الحمد ولا قدسَ الصلاه .
صاح منهم صائحٌ : رُدُّوا عن الروض الجناه .
أغريبٌ بملكنا المحبوبُ من بعض مُناه ؟ !
أشهروا البيض وهزّوا للحراب !

* * *

فهوتْ من حضرةِ الربِّ إلى الأرض يداىْ
وتلاشى حمْدِىَ المبتورُ وانجابتْ رُؤاى .
قلتُ : هذى الحربُ يا قوم أُعدَّتْ لسواى .
أنا منكم . طال فى البيد ثوائى وسُراى .
كيف تلقون أخاكم كالذئاب !

* * *

قد صحبت الليلَ والليلُ على البيد رهيب .
ونهاراً للحصى من قيظه العاتى وجيب .
منحتنى البيدُ بلْواها وأخفتْ ما يطيب .
من رُواء الفجر فى الشرق ومن سحر الغروب .
لم أنَلْ منها سوى قبض التراب .

* * *

يا صحابى روضُكم ريانُ ممتدُّ الظلال .
لن تضيقَ اليومَ بى سرحاتُه الفيحُ الطوال .
فدعونى يلتئمْ جرحى ولى بَعْدُ ارتحال .
لن أقيم الدهرَ فيه ويجتنبْ ملال .
يحزُ القلبَ إلى هذى الشعاب .

* * *

يا صحابى ! أيها الواغل لسنا من صحابك .
اسْعَ فى قفركَ ما شئتَ وهوِّمْ فى شعابك .
نحن من أصلاب مجدٍ ، امض لسنا من ترابك .
وإذا ما مسَّك الضرُّ فكفكِفْ من رغابك .
واترك الدنيا لأرباب الرغاب .

* * *

قلتُ يا أقدامىَ الحسرَى إلى دَربك عودى .
وتأسَّى يا لهاتى من خيالى بالوعود .
واصبرى للظمأ القاتل يغتال نشيدى .
فغداً فى روضتى العذراء يحلو لى ورودى .
وأروِّيكِ من الشُّهد المذاب .

* * *

روضتى العذراء فى الربوة لم يُطمَثْ ثراها .
خلف هذى القفرة الجرداء قد طاب جَناها .
ضلَّ عنها الناسُ واستخفى عن الناس شذاها .
قلبى العامرُ بالإيمان يوماً سيراها .
وسيلقاها وإن طالَ الغياب .

عبد القادر القط

هيفـــــاء الحفل

للشاعر الأســتاذ محمد الأسمر

باتَ بعد السلوّ صبا مُعنّى   خافقاً قلبهُ ، وكان اطمأنّا
شاعرٌ هام بالجمالِ قديماً   ثم عاداهُ ، ثم عاد فجُنّا
لا تلوموه إن ترنّمَ عشقاً   بلبلٌ أبصرَ الرياضَ فغنّى
كان عوداً معطلاً ثم مرّتْ   فوق أوتاره اليدان فرنّا
من تكون الهيفاء تخطرُ غصناً   لورآها غصنُ الربى ما تثنّى
تتهادى فى الحفل أشبهَ بالطا   ووس يمشى من الدلال الهوينى
هى فيه كمثــل زنبقةِ الرو   ض استطالت على الأزاهير حسنا
حبذا القامةُ التى شغلتنا   عن سواها ، ونعم ما شغلتنا
أىَ قدٍ ، بل أى رمح عجيبٍ   ما نظرنا إليهِ حتى طُعنّا
من تكون الهيفاء ، أبدعُ ما أبـ   صر راء عيناً وجيداً ومتنا
ذكرتنا بما مضى يوم كُنّا   فى صبانا ، أيام كُنّا ، وكنا
وأعادتْ شرخَ الشباب إلينا   بعد ما صوّحَ الشبابُ وشبنا
عربىٌ لسانهـــا أعجمىٌ   نغماتٌ تشدوبها بينَ بيننــا
لست أدرى لمصر أم لسواها   ما علينا من أرضها ، ما علينا
حَسْبُها أنها عشيّةَ لاحت   أصبحتْ دارها الجوانح منّا

يا حبيباً لــكل قلب وعينٍ   أنتَ نُعمى بها الزمانُ يُهنّا
أنت والله يا جميلُ منـــانا   أنت والله فوقَ ما نتمنّى
يا رشيق القوام يا مفرد الحسن   تعطفْ واجمل مع الحسن حسنى
نظرةٌ منك نحونا تكفينا   كم نظرنا شوقاً لها وانتظرنا
ما حباكَ الجمال ربى إلا   راضياً عنكَ ! فارضَ بالله عنّا

أشــتاق للمجهول !

للأديب عبد الحليم عيسى

أحيا على الدنيا بقاب زاخرٍ   بالهوْل والآلام والأشجان !
حيران . . لا أدرى لأية غاية   أمشى على الأيام نهبَ هوانى
البحرُ يُزْبد والعواصف لا تَنى   والريح معْـوِلَةٌ بكل مكان
والمرْفأ المجهول لا أدرى متى   يبدو لعين المجهد الحيران
حجبَـتْه أردية الضباب فما أرى
غير الدجى والهول والحرمان !
النار فى قلبى وبين جوانحى   تمتص أفراحى بألفِ لسان !
أنا فى الحياة شكاية مفجوعة   لا تنتهى أبداً مدى الأزمان !

أشتاق للمجهول إنى ظامىء   لأعيش فى المجهول والنسيان
أشدو بموسيقى الحياة وأرتوى   من سحرها المترقرق الفتان
مستقبلاً هتفاتِها ونداءهـا   مستوحيا من نورها ألحانى
وأطل من فوق الذُّرا متأملاً   فى فسحة الآفاق والأكوان
وأعانق الكون الكبير كأن بى
روح الحقيقة مشرقاً بكيـــانى
أُصغى لأحلامى وهمس مشاعرى   ورسيس قلب دائم الخفقان
وأذيب روحى فى غنائى والهاً   كالبلبـــل المتفجِّر الولهان
أنا ذلك الوتر المجرَّح شدوه   طالت عليه مرارة الأحزان
ضيعت عمرى فى الحياة خرافةً   وحييت كالطلل الشجى العانى
ضاقت بى الدنيا فهمتُ بغيرها   بعدت ... فلم تحلم بها عينان
دنيا من النور المصَفّى كلها   فرحٌ وأحلام وعذبُ أغانى

هذا العـــالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

خطوات العلم في سنة ١٩٤٤

لخص وطسن دافيس مدير معهد الخدمات العلمية الخطوات العشر الموفقة التى خطاها العلم فى سنة ١٩٤٤ .

١ — تطبيق عملية الدفع الغازى على الطائرات . وهـذه العملية عبارة عن اندفاع غازات مضغوطة من مؤخرة الصواريخ تؤدى إلى دفعها إلى الأمام .

٢ — استعمال القنابل الآلية والصواريخ الذاتية الاندفاع بنطاق واسع فى هذه الحرب .

٣ — نجاح استعمال المركب الكيماوى المعروف باسم DDT وانتشاره كقاتل للميكروبات وخصوصاً لمقاومة ناقلات حمى الملاريا والتيفوس .

٤ — استعمال العفن الكيماوى مثل البنسلين كعلاج ناجع لمجموعة كبيرة من الأمراض المختلفة .

٥ — صقل الأخشاب وتحويلها إلى أخشاب أفضل بالوسائل الكيماوية .

٦ — استعمال السليكون بأنواعه فى عزل المواد المختلفة وكمادة لا ينفذ منها الماء .

٧ — تقسيم الدم الإنسانى إلى سبعة أجزاء واستعمالها فى كثير من الأغراض الطبية .

٨ — صنع آلة ضخمة لتيسير العمليات الحسابية المطلوبة لشئون الحرب والأبحاث العلمية .

٩ — استعمال الأشعة فوق البنفسجية وغيرها لتقليل انتشار المكروبات فى الهواء .

١٠ — استعمال القلاع الطائرة المعروفة باسم ب-٢٩ فى الحرب

بماذا نستعيض عن اللحم ؟

هل اللحم مادة ضرورية لتغذية الإنسان ؟ وهل نقص كمياته يسبب للانسان ضرراً ؟

يقول العلم نعم . فالأغذية الحيوانية سواء من اللحوم أو البيض أو اللبن ضرورية للانسان لأنها تحتوى على مواد زلالية ذات قيمة حيوية كبيرة لاحتوائها على أنواع من الأحماض الأمينية التى لا يستطيع الجسم بناءها . فان قلت هذه الأحماض فى جسم الإنسان سببت له أمراضاً مختلفة

وتقل نسب هذه الأحماض فى المواد النباتية ، ولا يستطيع الجسم تعويض نقصها إلا بتناول مقادير كبيرة من الأغذية النباتية ان اقتصر غذاؤه عليها .

ولعله من حسن حظ الفقير وطفله أن يجدا فى بلادنا مادة نباتية رخيصة الثمن سهلة التناول تعوض عليه نقص المو اد الحيوانية وهى الفول السودانى . وهما يتناولانها دون أن يشعرا أنهما يأكلان مادة ضرورية لنمو جسميهما ، فهما يأكلانها لمجرد التسلية فتعطيهما ما حرمها منه المال وارتفاع مستوى المعيشة .

وقد اتجه نظر العلماء فى العصر الحاضر إلى دراسة المواد الزلالية النباتية التى تستطيع أن تحل محل المواد الحيوانية فى الطعام، فجرب جماعة من العلماء الأمريكيين الفول السودانى وبذرة القطن وفول الصويا على الحيوانات . وقارنوا نتيجة تغذية الحيوانات بهذه المواد بمثيلها من دقيق القمح أو اللبن فكانت النتيجة كما يبين الجدول الآتى : —

الغـذاء	الزيادة فى الوزن
دقيق قمح صافى	١٩ جرام
« قمح وردته	٣٦ «
« فول سودانى	٧٥ «
« بذرة القطن	٨٥ «
« فول الصويا	٨٧ «
مخلوط سودانى وقطن وصويا	٨٤ «
اللبن	١٠٠ «

والإنسان لا يعيش على نوع واحد من الأطعمة بل يتناول ألواناً مختلفة ، فجربوا خلط هذه المواد ٥٪ و١٠٪ و١٥٪ إلى دقيق القمح ، فكانت النتيجة باهرة النجاح إذ عوض خلط دقيق

القمح بـ ١٥ ./. من دقيق الفول السوداني ما يتيحه لنا خلطه باللبن المجفف بنسبة ٥ ./. ، وهو ما يعز على كثير من الناس فى العصر الحالى . ويبين الجدول التالى نسب الخلط والزيادة فى الوزن بالجرام تحت كل من المواد المكملة لباقى النسبة لتكون ١٠٠ ./.

قمح	سودانى	قطن	صويا	لبن
./.٩٥	٢٩	٢٩	٣٩	٤٩
./.٩٠	٤٤	٤١	٧٥	٧٧
./.٨٥	٤٨	٤٥	٩٣	٨٥

ومن هذا الجدول يتبين أن أكثر المواد نفعاً لجسم الإنسان هو فول الصويا الذى تتجاوز فائدة الجسم منه مثيلها من المواد الحيوانية مثل اللبن ، فعند خلط كل منها بنسبة ١٥ ./. إلى القمح زاد وزن الحيوان فى الأول ٩٣ جراماً ولم يزد إلا ٨٥ جراماً مع اللبن . ويليهما فى المرتبة الفول السودانى .

على أن هذه النتيجة حلت معضلة الأمير كيين لكثرة فول الصويا عندهم ومن ثم أقبلوا على استعماله بكثرة .

ولم تفت هذه النتيجة الهامة علماءنا المصريين وهم يعرفون أن الشعب المصرى يتخذ الرغيف غذاءه الأساسى فأجروا عدداً من التجارب نرجو أن نطلع عليها القارىء فيما بعد

الطيور تكره الحبوب المصبوغة

تجرى مصلحة الأسماك والحيوانات المشردة أبحاثاً عن استجابة الطيور والحيوانات للألوان . وقد وجدت أن بعض الطيور لا تقرب حبوب القمح إذا صبغت باللون الأصفر الفاقع أو البرتقالى أو الأخضر كما أظهرت بعضها عداء للون الأحمر .

والمعروف أن الطيور شديدة الحساسية للألوان وتشك فى الغريبة منها . وربما أدى هذا الإحساس إلى نجاح الفلاحين فى مقاومة جرذان الحقول والكلاب الضالة وغيرها من الحيوانات الضارة وذلك بصبغ أغذية مسممة بألوان تعافها الطيور المنزلية وتقبلها هذه الحيوانات التى لا تتأثر بالألوان فتصاب بالتسمم وتموت

سلاح سرى باللاسلكى

عثر الحلفاء أثناء زحف قواتهم على أحد الأسلحة الألمانية السرية . وهو عبارة عن طائرة من قاذفات القنابل الضخمة من طراز جنكرز ٨٨ . وهى تملأ بالديناميت ، وتمتطيها طائرة أخرى صغيرة يقودها طيار وتحلق الطائرتان معاً ، فان اقتربتا من الهدف انفصلت الطائرة الكبيرة عن الصغيرة ووجهتها الأخيرة باللاسلكى إلى منطقة الهدف .

زميل للبنسلين من الثوم

توصل بعض الكيماويين من عزل عقار من نبات الثوم اسمه اليسين وهو يشابه البنسلين فى كثير من خواصه . وهذا العقار سام عندما يحقن فى الجسم وأقل أثراً من البنسلين فى مقاومة بعض ميكروبات لا يهاجمها البنسلين .

وقد صنع أحد الصيادلة منه حبوباً تطهر مياه الشرب من الأحياء التى تسبب الدوزنتاريا وغيرها من الأمراض .

تحليق الطائرات بالصواريخ

تزود بعض الطائرات الضخمة بالصواريخ لتساعدها على التحليق فى الجو من بقعة أرض ضيقة المساحة . ويسهل على الطائرات التخلص من هذه الصواريخ بعد تحليقها فى الجو . وكانت عقبة استعمال الصواريخ فى تعذر السيطرة عليها من جهة ، وفى إيجاد مادة تتحمل الحرارة الشديدة التى يولدها اندفاع الغاز الأبيض من جهة أخرى وقد تيسر تذليل الصعوبتين .

منفاخ للطيران العالى

كان الحد الاقصى الذى يستطيع الطيارون الارتفاع إليه ٤٢ ألف قدم . ولا يستطيعون المكث فى هذا الارتفاع أكثر من دقائق ، وقد أتيح اختراع منفاخ ينفخ الرئتين مثل البالون فيستطيع الطيار بواسطته الارتفاع إلى ٥٠ ألف قدم لدقائق قليلة بينما يستطيع الطيران على ارتفاع ٤٥ ألف قدم لمدة نصف ساعة .

فوزى الشتوى



الاستاذ النشاشيبي

كادت القاهرة فى هذا الشتاء أن تكون حاضرة العالم كله . وفد إليها الملوك والرؤساء والوزراء وأقطاب السياسة وأعيان الأدب وأعلام الصحافة ، فأشرقت بهم إشراق الفجر المسفر عن صبح يوم سعيد ، ثم غادروها بعد أن وضعوا فى تاريخ الشرق العربى عنوان فصل جديد . وكان آخر من تركها إمام العربية وخاتمة محققيها الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى رائد الوحدة العربية بما حاضر وخطب ، ورسول الجامعة الإسلامية بما ألف وكتب . والأستاذ النشاشيبى شخصية قوية تميزت بجملة من الفضائل والمواهب قلما تجتمع لأحد . وقف نفسه ووقته وجهده على دراسة الإسلام الصحيح فى مصادره الأولى ، وتحصيل اللغة وعلومها وآدابها من منابعها الصافية ، وأعانه على ذلك قريحة سمحة وبصيرة نيرة وذاكرة قوية وذوق سليم ، فكان آية من آيات الله فى سعة الاطلاع وكثرة الحفظ وتقصى الأطراف وتمحيص الحقائق . ومن يقرأ ما ألف من الكتب ، ويتتبع ما نشر من المقالات ، يجد الدليل الناهض على كل ذلك .

كان مجلسه فى (الكنتنتال) ندوة علم وأدب وفكاهة ؛ لا تذكر مسألة إلا كان له عنها جواب ، ولا تثار مشكلة إلا أشرق له فيها رأى ، ولا تروى حادثة إلا أورد له عليها مثل ، ولا يحضر ندوته أديب مطلع إلا جلس فيها جلسة المستفيد . حفظ الله الأستاذ الكبير فى حله وترحاله ، وحفظ العربية والعروبة بنبوغ أمثاله .

الدكتور عبد الوهاب عزام

أقيل الدكتور حسن ابراهيم حسن من عمادة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول . وفى يوم الأربعاء الماضى اجتمع مجلس الكلية لانتخاب العميد الجديد ، فانتخب صديقنا الدكتور عبدالوهاب عزام بما يشبه الإجماع . وفى هذا الانتخاب الموفق رفع لهذا المنصب إلى المستوى الذى كان له حين شغله الأستاذان الجليلان طه حسين وأحمد أمين ؛ فإن للدكتور عزام من سعة العلم وسمو الخلق ورفيع المكانة ما يرد إلى عمادة الآداب اعتبارها ، ويحقق للكلية ما ترجوه من حسن الثقة وسداد التوجيه واطراد التقدم .

ذكرى الاستاذ أمين الريحاني

فى الساعة الرابعة بعد ظهر يوم السبت الماضى احتفلت بيروت بذكرى الكاتب الفيلسوف الأستاذ أمين الريحانى بمناسبة قرار الحكومة اللبنانية (رفع رسمه فى دار الكتب الكبرى ، وإطلاق اسمه على أحد الشوارع المعروفة) ، فافتتح الحفلة وزير التربية الوطنية والفنون الجميلة ، وخطب صاحب الدولة رئيس الوزارة السورية ، فمندوب المملكة السعودية ، ثم أنشدت قصيدة للأستاذ خليل مطران بك عن مصر ؛ ثم تتابع على المنبر الأساتذة : خليل تقى الدين ، وخليل السكاكينى ، وسامى الكيالى ، وعمر الفاخورى ، وفؤاد باشا الخطيب ، فوفوا صاحب الذكرى حقه من الإشادة بفضله والاعتراف بجميله .

ومصر الأدبية تشاطر المحتفلين الأفاضل هذه العاطفة الكريمة وتسأل الله أن يتغمد فقيد العربية بالرضوان والرحمة .

محمد رمزى بك مؤرخ البلدان المصرية

يلاحظ الذين يقرأون فى كتاب « النجوم الزاهرة » لابن تغرى بردى تعليقات ثمينة على الأماكن الأثرية والمدن والقرى المصرية .

وتكاد هوامش هذا الكتاب القيم تزدحم بهذه التحقيقات التى تدل على بسطة فى العلم وسعة فى الاطلاع ، حتى ليخيل إلى القارىء أن صاحبها لم يدع أثراً من آثار مصر ولا خطة من خططها إلا تعرف اليه معرفة الخبير .

ذلك العالم الذى فجع العلم بوفاته فى الأسبوع الماضى هو المرحوم محمد رمزى المفتش بالمالية سابقاً ومؤرخ المواقع المصرية ومحقق تاريخ الآثار والمبانى وصفتها وتحديد أماكنها القديمة اذا كانت ضاعت معالمها

كان محمد بك رمزى دليلا حافلا من دلائل الآثار المصرية وخاصة الإسلامى منها . وقد عرفت له الهيئات العلمية والدوائر الرسمية هذا الفضل فكانت تأنس إلى رأيه وتطمئن إلى تحقيقه

ولطالما تهافتت عليه هذه الهيئات وألحت عليه فصرفته عن التأليف المستقل إلى الكتابة هنا وهناك وهو فى ذلك لا يشفق على سنه العالية ؛ كأنه كان يزيد على الهرم مضاء وفتاء .

ويشهد بهذا الفتاء الجزء التاسع من « النجوم الزاهرة » الذى خرج إلى سوق الأدب من عهد غير بعيد فإذا به يفيض بتحقيقات عجيبة لا يتسع لها صدر رجل جاوز السبعين . فهو يحقق فى هامش صفحة ٩٦ موضع « جامع بين السورين » ويناقش المقريزى مناقشة العالم .

ويعلق فى ص ١٤٤ على « خانقـــاه سرياقوس » وتاريخ إنشائها فيصوب ما ذكره المقريزى ويخطئ رواية ابن تغرى بردى فى « النجوم الزاهرة » .

وهكذا تجد للرجل — فى هامش كل صفحة تقريبا — تعليقاً وتحقيقاً وتصويباً وتخطيئاً . وهو فى ذلك كله الحجة الثبت.

وهو الذى عرف الدكتور عزيز سوريال عطية الأستاذ بجامعة فاروق الأول إلى المغفور له الأمير عمر طوسون فكلفه إخراج كتاب « قوانين الدواوين »[1] لابن مماتى إخراجا علمياً . فقام الدكتور بالعمل ؛ وراجع محمد رمزى بك الباب الثالث من الكتاب وهو الخاص بتقويم البلدان ، وأقام ما فيه من تحريف وتصحيف فاستحق بذلك شكر الأمير وتقديره فى مقدمته للكتاب

ولقد عرفت الفقيد معرفة عين وحديث من ثلاثة أعوام . قدمنى إليه محمود نصير بك فرأيت منه فضل التشجيع وحسن التقدير ؛ ورأيت منه فوق ذلك تواضعاً أكبره فى عينى ؛ ورأيت تحت إبطه خريطة منتفخة لا يحمل فيها مالا ولا ذهباً ؛ ولكن يحمل علماً وأدباً . . .

وحدثته بعد ذلك فى « المسرة » حديثاً علمياً تاريخياً . وكان ذلك منذ عام . وما كنت أدرى أنه حديث لغير لقاء . أجزل الله للعلم فيه العزاء .

محمد عبد الغنى حسن

تصويب اسم كتاب

ذكر الأستاذ الفاضل منصور جاب الله فى العدد (٦١٠) من مجلة الرسالة الغراء أن اسم كتاب صاحب المعالى الدكتور هيكل باشا (الفاروق عمر) خطأ لأن علماء النحو من بصريين و كوفيين نصوا على أن الاسم يتقدم على اللقب فى جميع الأحوال ، فيقال : « عمر الفاروق » ولا يقال « الفاروق عمر » .

وقد فات الأستاذ أولا أن اللقب إنما يجب تأخيره عن الاسم إذا لم يكن اجتماعهما على سبيل إسناد أحدهما إلى الآخر ، فإذا كان اجتماعهما على هذا السبيل أخر منهما ما قصد المتكلم الحكم به . ويمكن أن يكون اسم هذا الكتاب « الفاروق عمر » على سبيل الإسناد . فهو جملة اسمية مركبة من مبتدإ وخبر . وقد ورد عن العرب العلم المركب من جملة فعلية مثل تأبط شرا ، وشاب قرناها ، ولم يرد عن العرب المركب من مبتدإ وخبر ، ولكنه جائز بمقتضى القياس كما ذكره الأشمونى .

وفاته ثانياً أن تقديم اللقب على الاسم فى غير الإسناد جاء نادراً فى مثل قول أخت عمرو ذى الكلب :

أبلغ هُـذَيْلاً وأبلغ من يُبَلِّغُها
عنى حديثاً وبعض القول تكذيبُ
بأن ذا الكلب عمْـرًا خيرهم حسباً
ببطن شِرْيانَ يَعْوى حوله الذِّيبُ

وكذلك ورد فى قول أوس بن الصامت :

أنا ابن مُزَيْقِيَا عمرٍو وجَدِّى
أبوه منذرٌ ماء السماء

ولاشك أن ورود هذا ، وإن كان نادراً ، مما يكفى فى تصويب اسم هذا الكتاب « الفاروق عمر » ، والحكم بأنه خطأ مع هذا تعنت لا يقبل فى عصرنا .

عبد المتعال الصعيدى

وقد زاد الأديب أحمد ابراهيم الغرباوى على ذلك قوله :

وقد نقل العلامة « يس » فى حاشيته على كتاب التصريح قول الزرقانى : « قد نص ابن الأنبارى على أن اللقب إذا كان أشهر من الاسم يبدأ به قبل الاسم ، كما فى قوله تعالى : إنما المسيح عيسى بن مريم ، فإن المسيح لا يقع على غيره بخلاف عيسى فإنه يقع على عدد كثير . ولذلك تقدم ألقاب الخلفاء لأنها أشهر من أسمائهم » .

قال السيوطى : « فى هذا تخصيص لإطلاق وجوب تأخير اللقب » .

(١) قوانين الدواوين لابن مماتى من مطبوعات الجمعية الزراعية الملكية مطبعة مصر سنة ١٩٤٣ فى ٦٩٠ صفحة من القطع الكبير .



١ – فصول في الادب والنقد

للدكتور طه حسين بك

٢ – الفاروق عمر

للدكتور هيكل باشا

– ١ –

لعل فى الكشف عن بيان الفرق بين الأدب النقدى ؛ والنقد الأدبى تصوراً لمذهب الدكتور فيما يعرض له من الدراسات الأدبية والنقد الفنى ؛ فالأدب النقدى نستطيع تعريفه بأن قوامه الفن الأدبى ثم يتخلص الحين بعد الحين ليوجه النظر إلى مايستثير الإعجاب أو ينبه فى رفق ولين إلى مالا يجمل أن يكون ؛ فالقارىء فى صحبته مستغرق فيما يفيضه الأدب من صور جذابة وإن استوقفه كلما اطرد بها السير ليمعنا الفكر فيما تنطوى عليه تلك الآيات.

أما النقد الأدبى فلا تعدو دائرة الصواب إذا قلت إن عماده الدرس والتحليل والتشريح ؛ وإن كان أريج الفن ينشر شذاه ملطفا هذا الجو الذى هو أقرب مايكون إلى الجو العلمى الثقيل الصارم ؛ ولكنك مع الدكتور أبعد ما تكون عن هذا الجو الذى يبث السأم فى النفس ؛ ويسلط العناء على الذهن ؛ ويجعلك تتشوق دائما إلى الخلاص من هذا الجهد المضنى الذى يثقل عليك إذا طال بك العهد فى جواره فهو يجيد كيف يسرى عن القارىء ؛ ويذود عنه أشباح الملل ؛ ويذهله عن نفسه بما يسوق بين يديه من الصور الهادئة الطبيعية الجميلة ؛ فأنت معه — فى الأدب الجاهلى — لست فى صحراء موحشة ماتكاد تلم بها حتى تتلفت متطلعاً إلى الفرار منها : ولست محتاجا إلى تسليط إرادتك على عواطفك حتى يتسنى لك قطعها ؛ وإطراح أثقالها وأنت متبرم بها ساخط عليها ، بل أنت معها فى مكان موفق أشبه مايكون بأحد الملاعب ؛ أو دور الصور المتحركة تجلس هادئاً مستريحا جذلانا ؛ ثم تأخذ الصور تتهادى أمام ناظرك وكلها متعة ؛ وكلها ترويح ؛ فكل ماتصبو اليه أن تطول هذه الأوقات لتأخذ من هذا المتاع الروحى بحظ وافر ؛ فلا تكاد تتقدم معه فى القراءة حتى تشعر بالحاجة إلى المعاودة لاستبقاء اللذة واطراد المتاع ؛ لأنه تمكن من النجاح فى الاستئثار بالحواس وتقديم النظريات العلمية مغلفة وموشاة بأزاهير البيان فلا ينفر منها الحس ، ولا تنبوا عنها المشاعر ، بل تنساب فى هذه النواحى سهلة لينة ، هذا هو سر الكلف بأدب الدكتور وتعلق القلوب به ، حتى ذهب بعض النقاد إلى القول بأن أبحاث الدكتور الأدبية ستخلد ببيانها وعرضها وأسلوبها كما تخلد بنظرياتها وأنت فى حل من أن تمارى فيما يضم هذا الكتاب أو ذاك من آراء لا تطمئن اليها أو تذهب إزاءها مذهبا آخر ؛ ولكن الذى ليس فيه مراء أنك مع هذه الابحاث فى جو فنى بديع ؛ على هذا الأسلوب يتناول الدكتور أبحاثه ودراساته الأدبية ، فقد يذهب بك إلى « المتنبى » أو « أبى العلاء » أو « الأدباء المعاصرين » فتجد خيرمن يؤنس ويقدم ويدير الحديث ؛ ويرفع الحجب بينك وبينهم ؛ ويضع يدك فى لباقة على مواضع ضعفهم ؛ وجوانب مآخذهم ؛ ولم يلبث أن يصوب اتجاهك إلى مبعث خلودهم ؛ ومصادر عبقرياتهم ؛ كل ذلك بهذه الطلاوة وهذا الجمال وهذه الأريحية ؛ وكل هذه الخصائص نجدها بارزة واضحة فى هذه الفصول التى نشرها الدكتور حديثا فى الأدب والنقد ؛ وهى إن امتازت بشىء فهى تمتاز بأنها لم تقدم لنا شخصيات من العصر الجاهلى ؛ أو الأموى ؛ أو العباسى ؛ مما يفصل بيننا وبينهم كثير من العادات والأذواق والنظرة إلى الحياة ، بل تقدم إلى الشباب الذى يأخذ نفسه بالدراسات الأدبية شيوخه فى الأدب ؛ ومن هم فى الطليعة ومن يحملون المشاعل لهدايته. ومن ذا الذى لايحتاج من الشباب إلى أن يكون علمه عن شيوخه أتم وبصره بمذاهب تفكيرهم وشيات انتاجهم أوفى ؛ حتى يستطيع أن يتمثل كل مايصدر عنهم تمثيلا صحيحاً لأنه يتركز على دعائم من الدراسة التى تبرز طبائع كل منهم ؛ ففى هذه الفصول تستطيع أن تقف على كثير مما كان يستتر عن فهمك مما يتعلق بهؤلاء الشيوخ . فأنت ستعرف كثيرا عن أمثال الاستاذ — أحمد أمين بك — وأدبه فى رأى الدكتور ، وستعرف عن الاستاذ — العقاد — والأستاذ — أبى حديد — وغيرهم ممن يكيفون النهضة الأدبية فى الشرق ؛ وتقف على اتجاهاتهم الفكرية وخصائص أقلامهم ، كل هذا تظفر به من غير أن يشعرك الدكتور أنه سيعرض عليك شيئاً من هذا بل هو يحمل من — فيض

الخاطر — مثلا — لأحمد أمين بك — سبباً للكتابة يعرج بك من هذا الجانب مرة ؛ وذاك أخرى ؛ ويرسم لك هذه الصورة ويدع لك هذا اللون وإذا بشخصية صديقه لايند منها شىء ولا يخفى عليك منها خافية ؛ ويسير على هذا النهج مع كل من عرض لهم فى هذه الأحاديث ؛ والكتاب ممتع فى أسلوبه ؛ شيق فى عرضه ؛ خليق بالقراءة والدرس لأنه يقرب بعد الشقة التى تفصل شباب الأدب وشيوخه وتعطى لك صورةعن مذاهبهم الفنية ؛ وإن حمدنا شيئاً فاننا نحمد رجوع الدكتور إلى ميدانه بعد أن طالت غيبته ؛ وتشوفت القلوب إلى طلعته .

— ٢ —

العصور الإسلامية أحوج ما تكون إلى البعث والصقل والربط بين أجزائهاوترتيب المقدمات الصحيحة التى أفضت إلى هذه النتائج ؛ لأن هذه العصور لا تزال مطموسة المعالم ؛ حائلة الصورة ؛ مفككة الأجزاء ؛ ينقصها رفع الأغشية عن اطرادها المنطقى لسير حوادثها ؛ وحركات تطورها ؛ فتاريخنا لم ينل من العناية والدقة مايحفظ عليه ملامحه ؛ ويحدد كينونته ؛ وتأخذه العين كائناً ؛ حياً ؛ له خصائصه وشياته ؛ بل نجده أجزاء متفرقة ؛ لا ينظمها تسلسل منطقى ؛ ولا تربطها وحدة ؛ وما أشبه تاريخنا بحومة وغى ؛ انكشف تلاحمها عن أشلاء قد كدس واختلط بعضها ببعض . فعلى من يريد أن يرد إلى كل جسم بقاياه ؛ أن يعمد إلى متناثره من هنا وهناك ؛ حتى يستطيع أن يسوى منه مخلوقا ؛ هكذا انتثرت مهايا العصور الإسلامية ومهايا رجالها فى هذا الحشد المزدحم من هذه الأخبار المتضاربة أحياناً التى ينقصها فى كثير من المواضع طابع الاتزان ؛ نجد فى هذا المكان لمحة عن هذه الشخصية أو العصر ربما أتت عرضاً ؛ وفى ذاك صورة يمكن بعد نفض الغبار عنها أن تكون مادة قوية فى رسم لوحة من لوحات هذا العصر أو ذاك ؛ فرسالة المؤرخ لهذه الحقب أن [illegible] مع استعانته بكل ما من شأنه أن يعينه على جمع الأشباه إلى الأشباه ؛ والنظائر إلى النظائر ؛ وإقامة حياة من ذلك الشتيت المتناثر ؛ ثم يعمد إلى سد الفجوات فى هذا البناء ؛ وتنسيق الحوادث تنسيقاً منطقياً ؛ حتى يبدو عليه وقار الحياة ؛ وجلال الدرس القيم ؛ ثم يلقى الأضواء دائماً على الجوانب التى يكتنفها شىء من الظلام ؛ ويجلو الآفاق التى يخيم على تألقها الضباب ؛ هنا يصبح التاريخ وهو قطعة حية من صميم الحياة المطردة والوجود المتماسك ؛ والدكتور هيكل باشا أول من حاول هذه المحاولة فى كتابة التاريخ الإسلامى على هذا الأسلوب العلمى الدقيق ؛ فقد كان صاحب اليد فى تجلية العصر النبوى ؛ وإماطة اللثام عن كثير من جوانبه ؛ وتوجيه الأنظار إلى مشرق النور ؛ ومصدر السمو البشرى ؛ ومنزل الوحى ؛ وتقديمها لأول مرة فى هذا الثوب الجديد ؛ وقد استطاع أن يعطينا صورة من هذه الفترة التى لونت حياة العالم الإنسانى إلى حد كبير بلونها المتألق الجميل ؛ أقرب ما تكون إلى الدقة العلمية فى البحث والتحليل ؛ والجمال الفنى فى العرض ؛ والتصوير ؛ وها هو ذا اليوم يهدى إلى الأدب ؛ والعلم ؛ والتاريخ ؛ شخصية من أضخم الشخصيات العالمية ؛ وهى شخصية — الفاروق عمر — والعالم كله يجتاز هذه المرحلة وهو أشد ما يكون احتياجا إلى الأخلاق ؛ والشجاعة ؛ والعدل ؛ والعطف ؛ والمساواة ؛ والأخذ على يدى الطاغى مهما كانت مظاهر سطوته ؛ التى سنها عمر فى سياسته وضربها مثلا فى معاملته ؛ وهذا الكتاب الجديد يحمل طابع المؤلف فى كتابيه السابقين — حياة محمد — والصديق أبو بكر — من حيث الدأب فى الحصول على كل ما يتعلق بهذه الفترة ؛ وتلك الشخصية فى كل ما تفرق من المصادر العربية ؛ وما يتصل بها من البحوث الغربية التى قام بها المستشرقون — وإعمال الفكر ؛ ودراستها دراسة تحليلية ؛ ومناقشة كل ما يستحق المناقشة على الطريقة العلمية ؛ ثم يترك قلمه يصوغها صياغة فنية خلابة ؛ فكتابة الدكتور — هيكل باشا — تحمل دقة المنطق ؛ وطلاوة الأدب ؛ ومن هنا كانت قيمتها لأنها تشوق القارىء إلى اقتحام فيافى التاريخ الشاقة ؛ وتعين الباحث المختص على تقديم مادة قوية فى هذا المجال ورسم النهج الذى يجب أن يحتذيه من ينهض بعبء هذه الرسالة ، ولا ريب أننا تعوزنا هذه الأبحاث ؛ وهذه الدراسات فى تاريخنا الإسلامى وتقديمه للشباب فى هذه الأساليب العلمية والهالات الفنية ؛ حتى يتهيأ لنا أن نوقد الرغبة فى قلوب الشباب ونثير الشوق إلى هـذا التاريخ حتى يتسنى له أن يأخذ حظه من العناية والدرس بين الحضارات الأخرى ؛ ومن هنا كان أهمية هذا المؤلف القيم عن هذه العبقرية الخالدة . . .

والذى نأمله ألا يلبث القارىء طويلا حتى يظفر بين يديه بشخصية جديدة من شخصيات هذا التاريخ .

محمد عبد الحليم ابو زيد

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 612

Lundi - 26 - 3 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٦١٢ « القاهرة في يوم الإثنين ١١ ربيع الآخر سنة ١٣٦٤ — ٢٦ مارس سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشر

معروف الرصـــافي

١٨٧٥ — ١٩٤٥



(الرصافي وهو في الخمسين من عمره)

نعى العراق أول هذا الأسبوع شاعره الباقي ، فوجمت لمنعاه ألسن ، وجزعت لفقده نفوس ! ثم قرأنا أن بغداد قد غسلت شاعرها الراحل بالدموع وشيعته بالحسرات ، وكنا قرأنا من قبل أن الرصافي في أعقاب عمره كان يطلب الغذاء الكفيّ فلا يجده ، ويلتمس الدواء الضروري فلا يناله !

لفظ معروف الرصافي أنفاسه الأخيرة في حجرة مظلمة مقرورة لا يلطف جهومتها نور ولا نار ، ولا يخفف وحشتها خليط ولا جار ؛ ولم تقع عينه الشاخصة وهو في نزاع الروح إلا على ورقة هنا وكتاب هناك ، أو على خادمه الأمين يتماسك لحظة وينهالك أخرى ، والدنيا التي صحبها الشاعر سبعين عاماً يدل على جمالها العيون ، ويغري بمتاعها الأفئدة ، لم تجُد عليه ساعة الوداع بيد رفيقة تغمض عينيه ، ولا بعين حبيبة تذرف دمعة عليه !

كان الرصافي ـ أحسن الله إليه ـ لسان العراق الصادق ، ينقل عن شعوره ، ويترجم عن أمانيه ، ويحدو لركبه المجاهد في سبيل استقلاله وعزته بالحداء الحماسي المطرب ، ويصور خلجات نفسه ووساوس أحلامه بالشعر الصريح المعجب ؛ وظل هو والزهاوي وشوقي وحافظ ومطران حقبة من الدهر يؤلفون الأوتار الخمسة لقيثارة الشعر العربي الخالص . ولكل وتر درجته في الرنين والجهارة والأثر .

والرصافي أشبه بحافظ من الزهاوي بشوقي . وإن شئت فقل كانا الوترين الرابع والخامس في القيثارة : صوت عريض ضخم ، وذبذبة ضيقة محدودة .

كان هذان الشاعران يتشابهان في أسلوب العيش وأسلوب الفكر . كانا صدًى لهتاف الجمهور في السياسة والاجتماع ، ورجعاً لأنين البائسين في الألم والشكوى . وكانا يتقاربان في جوانب من ضيق الثقافة وقلة الاطلاع وبوهيمية الحياة . ولكن الرصافي كان متميزاً على نظرائه جميعاً بالصراحة الجريئة والاستهتار البالغ . كان يعيش ليومه وينطلق على هواه ويستجيب لغريزته ، فيفعل

ما يشاء ، ويقول ما يعتقد ، ويطلب ما يشتهى ، ثم لا يبالى أين يقع ذلك كله من رأى غيره . ولا مراء فى أن لهذه الحرية المطلقة أصلاً فى مولده ونشأته . كان أبوه من بدو الكرد وأمه من بدو العرب . وكانا فقيرين فولداه ببغداد فى مهد بدوى خشن . ثم نشّآه على أخلاق البادية الأصيلة . ثم أرخيا له الحبل وتركاه يغدو ويروح على مقتضى فطرته . ثم تبناه بالروح عالم العراق الأستاذ محمود شكرى الألوسى فلقنه فى اثنى عشر عاماً أصول المعقول والمنقول من علوم الدين واللغة والأدب . ثم حاول أن يقبسه أشعة من نور سلفيته وتقواه ؛ ولقبه بالرصافى رجاة أن يخلف معروفاً الكرخى فى صوفيته وزهده . ولكن غرائز معروف كانت أقوى ، ومطامحه كانت أبعد ، فخرج من هذه الرياضة الطويلة مسلم اللسان جاهلى القلب .

ووجد الرصافى العراق على فترة من الشعراء ينتظر أبا نواسه المبعوث ، فصدح على ضفاف الرافدين صدحاته المعروفة فأصغت إليه الأسماع واهتزت له القلوب . ورأى الناس فى أمثال قصائده : (المطلقة) و (أم اليتيم) و (اليتيم فى العيد) أسلوباً من الشعر لم يعرفوه فأكبروه . وحاول أن ينفض عن نفسه غبار التربة فزاول التعليم فى مدارس بغداد . ثم كان من الذين صارعوا استبداد عبد الحميد بقوافيه المسمومة ؛ فلما خر الطاغية وأعلن الدستور تعاظمه النصر وازدهته الشهرة ، فاعتقد كما كان يعتقد الشعراء أن له أن يقول وعلى الناس أن يفعلوا ، وأن له أن ينفق وعليهم أن يبذلوا . فذهب إلى الأستانة يطلب المجد بوساطة شعره ، فكان قصارى أمره أن يكون خوجة فى مدرسة أو محرراً فى صحيفة . ثم سما به الحظ درجة فانتخب نائباً فى مجلس (المبعوثان) عن لواء المنتفق ؛ وظل فى عاصمة الخلافة مدة الحرب الماضية حتى أعلنت الهدنة . وكانت ثورة العرب على الترك يومئذ قد انجلت عن عرش أمية فى دمشق يجلس [illegible] ومن حوله سيوف الثورة وألسنتها من أمثال ياسين ونورى وجعفر ورستم وساطع . وجاء الشاعر الطماح يبحث عن مكانه فى الدولة العربية الجديدة فلم يجد . فانقلب بعد طول الصبر وإدمان السعى إلى فلسطين خائب الأمل كاسف البال يبتغى العيش فيها من طريق التعليم . فلما انتقل العرش الهاشمى من الشام إلى العراق سنة ١٩٢١ ، عاد الرصافى إلى وطنه ورجا أن ينال فى بغداد ما لم ينله فى دمشق . وتهيأ خليفة النواسى لينادم خليفة الأمين ، وإذا الأمل الفسيح والطموح البعيد يسفران عن وظيفة متواضعة فى وزارة المعارف ! حينئذ تفجر غيظه المكتوم على السلطان ورجاله فأعلنها شعواء بالهجاء المقذع والتهكم الفاحش . ووسعه (معاوية بنى هاشم) بحلمه ، وتغمد إساءته بإحسانه ، ففتح له الطريق إلى مجلس النواب ثم عاد فأغلقه دونه .

ونال الخذلان والحرمان من نفس معروف ومن جسده ففتر نشاطه وتراجع شعره ، ورضى من دهره بالمهلكات الثلاثة : شرب العرق ولعب الورق واستباحة الجمال !

وعلى هذه الحال المضنية أدركه الفقر والمرض والموت دون أن يجد آسياً من إيمانه ، ولا مواسياً من إخوانه !

* * *

قلت لصاحبى ذات ليلة من ليالىّ فى بغداد : أريد أن أزور الرصافى فقد زارنى مراراً ولم أزره . فقال : أتشجع على أن تدخل حى البغايا ؟ فقلت له : وما صلة هذا بذاك ؟ فقال إنه يسكن بينهن ، وقد تزوره واحدة أو أكثر منهن . فقلت له : هلم ، فما يسع زواره من العذر يسعنا . ودخلنا البيت فإذا هو بيت الشاعر الأعزب المتلاف ، لا أثاث ولا نظام ولا حرمة . وكلمة الشاعر هنا بدل الأديب تدلك على أن ليس بالمنزل مكتب ولا مكتبة ؛ فقد كان الرجل لا يقرأ ، وإنما كان يتكئ على شدة ذكائه وحدة فهمه ، ويكتفى بما حصل فى شبابه من أدبه وعلمه . كان فى الردهة قوم يأكلون ويشربون ، وفى حجرة النوم آخرون يسمرون ويلعبون ، وكان الرصافى يتصدر هؤلاء ، فى يمناه كأس ، وفى يسراه ورق . فلما رآنى فض اللعب وأقبل بأنسه على . ثم أخذ يشرب ويتحدث باللغة العارية عن الحقائق العارية فى غير اكتراث ولا تحفظ . ويظلم الرصافى من يقيد عليه فى مثل هذه الحال . ولكن ندماءه يروون شعره أو يذيعون حديثه فيبلغ صاحب المُلك فيغضب ، أو صاحب الحكم فيعجب ، أو صاحب الدين فيصخب ، أو صاحب الخلق فيثور . وكل أولئك يعادون الرصافى ، ولكنهم يهابونه لشخصيته ، ويحترمونه لعبقريته ، ويتربصون به سوء المصير

هذه صورة مصغرة لحياة الفقيد الكريم ، أما عقيدته فالأمر فيها لله لا للناس ، وأما شاعريته فالحكم عليها للناقد لا للمؤرخ . وقد يكون لنا إليها عودة . . .

احمد حسن الزيات

الرقص . . .

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

نشر أحد الكتاب مقالة صالحة فى (البلاغ) الغراء ذكر فيها الرقص وبيّن محاسنه ، وحض الناس عليه . والرقص شيء حسن لا يجادل فى فضائله وحسناته مؤمن

(الرقص) شيء حسن ... ليس به من حرج

أقل ما فيـــه ذهاب (م) الهم عن قلب الشجى [1]

وقد كان الآباء المتقدمون يتعلمون الرقص ويرقصون . ولإسحاق الموصلى (كتاب فى الرقص والزفن [2]) ذكره ياقوت فى (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)

وفى (السيرة الحلبية) : « عن أبى بشير أن النبي ولأبا بكر مرا بالحبشة وهم يلعبون ويرقصون فلم ينكر عليهم ، وبه استدل أئمتنا على جواز الرقص حيث [3] خلا من التكسر »

وقال ابن عساكر فى تاريخه الشهير :

« كان العباس بن الوليد بن عبد الملك فارساً سخياً ، وكان يقال له فارس بنى مروان ، وافتتح مدناً وحصوناً من بلاد الروم . وكان الوليد يجد [4] بالعباس ابنه وجداً شديداً ، وكان له من قلبه أحسن موقع ، فأدبه بجميع الآداب حتى علمه الرقص وضرب الطبل »

وفى كتاب (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب) :

« كان المنصور بن أبى عامر (سلطان الأندلس) قد عزم فى يوم

(١) ابن رشيق صاحب العمدة

(٢) فى اللسان : الزفن شبيه بالرقص وأصله اللعب والدفع وفي حديث عائشة : قدم وفد الحبشة فجعلوا يزفنون ويلعبون أي يرقصون

(٣) حيث (للتعليل) مولدة . وفى فاتحة المفصل : « ولعل الذين يغضون من العربية ويضعون من مقدارها حيث لم يجعل خيرة رسله وخير كتبه فى عجم خلقه ولكن فى عربه لا يبعدون عن الشعوبية منابذة للحق الأبلج » ومثل هذا الاستعمال في (كشافه) كثير

(٤) وجد به ، وتوجد به : أحبه

على الانفراد . فأمر بإحضار من جرى رسمه من الأدباء والندماء ، وأحضر الوزير (أحمد بن شهيد) فى محفة [1] لنقرس [2] كان يعتاده ، وأخذوا فى شأنهم . فمر لهم يوم لم يشهدوا مثله ، وطما الطرب ، وسما بهم حتى تهايج القوم ورقصوا ، وجعلوا يرقصون بالنوبة حتى انتهى الدور إلى ابن شهيد . فأقامه الوزير أبو عبد الله ابن عباس فجعل يرقص وهو متوكئ عليه ، ويرتجل ، ويومئ إلى المنصور وقد غلبه السكر :

هاك شيخاً قاده عذر لـكا ... قام فى رقصته مستهلكا

لم يطق يرقصها مستثبتاً ... فانثنى يرقصها مستمسكا

عاقه عن هزها منفرداً ... نقرس أخنى عليه ، فاتكا

من وزير فيهم رقاصة ... قام للسكر يناغى ملكا

أنا لو كنت كما تعرفنى ... قمت إجلالاً على رأسى لـكا

قهقه الإبريق منى ضاحكاً ... ورأى رعشة رجـلى فبكى

وهذه قطعة مطبوعة وطرفها الأخير واسطتها . وكان حاضرهم ذلك اليوم رجل بغدادى حسن النادرة سريعها ، وكان ابن شهيد استحضره إلى المنصور فاستطبعه [3] . فلما رأى ابن شهيد يرقص قائماً مع ألم المرض الذى يمنعه من الحركة قال : لله درك ياوزير ! يرقص بالقائمة وتصلى بالقاعدة . . . فضحك المنصور . وأمر لابن شهيد بمال جزيل ولسائر الجماعة وللبغدادى »

وفى (مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار) : « قال محمد بن المؤمل : كنت مع أبى العتاهية فى سميرية [4] ونحن سائرون

(١) (المحفة) مركب كالهودج إلا أن الهودج يقبب والمحفة لا تقبب. قال إبن دريد سميت بها لأن الخشب تحف بالقاعد فيها أى يحيط به من جميع جوانبه

(٢) (النقرس) ورم ووجع فى مفاصل الكعبين ، وأصابع الرجلين (القاموس المحيط) ومن معانيه الهلاك والداهية العظيمة

(٣) (استطبعه) يريد استملحه : وجده أديباً مطبوعاً « وكلام وشعر مطبوع نشأ من الطبع والسليقة » واستطبع مولدة . وفى (شفاء الغليل) المطبوع ما نشأ عليه الطبع ثم توسعوا فيه لكل ما يستملح

(٤) (السميرية) ضرب من السفن

إلى (أشمونى)[١] فسمع غناء من بعض تلك النواحى فاستحسنه وطرب وقال لى : أتحسن أن ترقص ؟ فقلت : نعم .

فقال : فقم بنا نرقص .

فقلت : فى سميرية ؟ أخاف أن نغرق .

قال : إن غرقنا أليس[٢] نكون شهداء الطرب ؟...»

وفى (كتاب الأغانى) لأبى الفرج الأصبهانى :« قال عبدالله ابن جعفر : يا غلام ، مر فلانة أن تخرج ، فخرجت معها عود . فقال عبد الله : إن هذا الشيخ (يعنى صديقاً له) يكره السماع . فقالت : ويحه ! لو كره الطعام والشراب ، كان أقرب له إلى الصواب . فقال الشيخ : فكيف ذاك وبهما الحياة ؟

فقالت : ربما قتلا وهذا لا يقتل . فقال عبد الله : غنى

لمن ربع بذات الجيش (م) أمسى دارساً خَلَقا[٣]

فغنت ، فجعل الشيخ يصفق ويرقص ويقول :

هذا أوان الشد فاشتدى زِيَمْ[٤] ويحرك رأسه ، ويدور حتى وقع مغشياً عليه ... »

وذكر القوصى فى الوحيد أنه كان للشيخ ابن الفارض جوار بالبهنسا يذهب إليهن فيغنين له بالدف والشبابة وهو يرقص ويتواجد

وللشيخ برهان الدين القيراطى :

حبذا مجلس أنس ضمنا بعد شتات

مجلس يرقص فيه طرباً قاضى القضاة

وفى (يتيمة الدهر) لأبى منصور الثعالبى : كان القاضى التنوخى فى جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلبى ، ويجتمعون عنده فى الأسبوع ليلتين على التبسط فى القصف[١] ، وهم ابن قريعة وابن معروف والقاضى التنوخى وغيرهم ، وما منهم إلا أبيض اللحية طويلها ، وكذلك كان الوزير المهلبى ، فاذا تكامل الأنس ، وطاب المجلس ، ولذ السماع ، وأخذ الطرب منهم كل مأخذ — وهبوا ثوب الوقار للعقار ، ويرقصون أجمعهم . وإياهم عنى السرى بقوله : « مجالس ترقص القضاة بها »فاذا أصبحوا عادوا لعادتهم فى التوقر والتحفظ بأبهة القضاة ، وحشمة المشايخ والكبراء .

هذا قليل من كثير من أخبار الرقص والراقصين من السلف الصالح ، فكبيرة أن نحرم ما حللوه ، وأن نستهجن عملا قد استحسنوه ، وهم الناس عندنا ، وهم لنا قدوة . بيد أنا نقول : ألا يرى الكاتب الفاضل والعقلاء من أهل الرجولية والحزم أنا (معشر العرب) أحوج فى هذا الوقت إلى إتقان فن (الإنقاذ) منا إلى تعلم فن (الرقص) ؟ و« اليوم أمر وغداً خمر » وأنا حقيقون أن نتمثل بما تمثل به البطل الأموى (عبد الملك بن مروان) حين أقبلت عليه تلك الحوراء الباهرة وهو فى محاربة (ابن الأشعث) :

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولوباتت بأطهار[٢]

حتى إذا نجونا مما نحن فيه أجبنا داعى الطرب ، ورقصنا الرقص العجب ؟

---

(١) (دير أشمونى) وأشمونى امرأة بنى الدير باسمها ودفنت فيه وهو بقطر بل (مسالك الأبصار)

(٢) فى شرح الكافية : إذا كان جواب الشرط مصدراً بهمزة الاستفهام سواء كانت الجملة فعلية أو إسمية لم تدخل الفاء قال الله تعالى : (أرأيت إن كذب وتولى ألم يعلم) ويجوز حمل هل وغيرها من أدوات الاستفهام على الهمزة . قال الله تعالى (قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك ، الآية) وقال تعالى (قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله) ويجوز دخول الفاء فيها لعدم عراقتها فى الاستفهام قال الله تعالى (قال ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى وآتانى منه رحمة فمن ينصرنى) وتقول ان أكرمتك فهل تكرمنى

(٣) (ذات الجيش) موضع

(٤) (الشد) العدو ، الركض (زيم) اسم فرس

(١) (القصف) اللهو واللعب ويقال انها مولدة ، والقصف الجلبة والاعلان باللهو (اللسان)

(٢) البيت للأخطل فى يزيد بن معاوية

الواحـــد!...

للأستاذ عبد المنعم محمد خلاف

« البحيرة الكبيرة من المنبع الصغير . هذه الحرب من قلب واحد . صمامات التيارات العظمى . الفرد المنشود عالم معقد . التبادل بين الفرد الواحد والانسانية الجامعة . توزيع الدنيا على الأفراد والأفراد على الدنيا . من جذور الشجرة الانسانية إلى ثمارها . لا بد لحياة الشجرة من اعتراف كل جزء فيها بكل جزء »

تظهر بوضوح قيمة الفرد البشرى الواحد ، ومبلغ آثار تصرفه ، فى تدبير تشرشل أو هتلر أو روزفلت أو إينونو أو ابن سعود أو ستالين أو أيزنهاور أو أمثالهم . فإن تصرف أحدهم يجر على أمته إما الحسنى والفخار ، وإما السوء والدمار .

ففى أمثال هؤلاء يتبين كيف يجر فرد واحد العالم ، أو شعبه وراءه فيخفضه أو يرفعه . ومعنى هذا أن الفرد البشرى ذو قيمة كبرى فى حياة الاجتماع ، وأن وضعه هذا يحتم عليه وعلى الدولة أن يحترسا دائماً من سوء تصرفاته ، وما يجلبه على الاجتماع من الضر .

فتصرف الفرد فى الحياة الاجتماعية أشبه بتصرف ماء مستبحر من ثلم رخو ، على أرض منخفضة ، يبدأ ضعيفاً ، ثم لا يلبث أن يتحول سيلاً حَدُوراً لا يستطاع ردُّه .

ومهما قيل فى حكم الديمقراطية المطلقة ، والشورى الفضفاضة ، فروح الانتقال والبطولة ، وفتح آفاق جديدة تتركز غالباً فى فرد واحد . وخصوصاً عند الأزمات الخطيرة ، ويكون هذا الفرد حينئذ كموضع نبع الماء فى البحيرة التى يكونها ، ويكوّن آثاره وعظمته بها . فموضع النبع صغير ، ولكنه هو البحيرة الكبيرة فى الواقع !

وكيف انبثق هذا الدمار فى هذه الحرب على العالم ؟ لقد انبثق من قلب رجل واحد ملىء قلبه بالحقد والضغينة على الذين رآهم لم ينصفوا أمته . وتجمع الحقد والضغن فى قلبه ، كما يتجمع القيح والصديد والرَّحَضُ فى رأس خرّاج ، فيصيب جسم أمته بالحمى والرعدة ، ولا يمكن سده إلا بعد التصفية النهائية .

فهل بعد هذا يحتقر بعض الأمم شئون الفرد الواحد ويتركونه مهملاً ، زاعمين أنه لا وزن له إزاء الأمة أو العالم ؟ !

وهل قام الخير ، أو قام الشر إلا بواحد ؟ الواحد هو أساس العدد اللانهائى .

وهكذا إذا أراد الله أن يتصل بالناس جميعاً اتصال تغيير فى نظمهم المعاشية والسياسية والدينية ، وضع بده فى قلب واحد ، وسلط منه تياراً خفياً على الجميع . فاذا كان يريد خيراً بالعالم أطلق تيار الخير من قلب رجل خير ، وإذا كان يريد نقمة وقصاصاً أطلق تيار الصعق والحرق السريع أو البطىء من قلب رجل شر .

فلنجتهد أن نجعل قلوب الأفراد مواضع ليد الله حين يريد الخير .

* * *

والعناية والمشيئة الإلهية التى تخرج وجوه الناس ونفوسهم وعقولهم صوراً شتى متمايزة مهما كثرت الأعداد ، بحيث لا يتشابه وجهان ، ولا يتماثل عقلان فى كل شىء حتى ولو كانا لتوأمين ، ترشدنا إلى أن نرى فى كل فرد جانباً متميزاً من الإنسانية ، وأنه موضع عناية وقصد من مخرجه .

ولو فهمت الدولة قيمة القصد فى الفرد الواحد وخطره فى الحياة فى حالتى صلاحه وفساده ، إذن ما كانت تسمح لنفسها أن تترك فرداً دون أن تمر عليه بمنظار مكبر يكشف عن أدوائه ومنافعه .

فالفرد إما بؤرة ظلام نجس وفساد متنقلة تحمل الجراثيم الفتاكة معها حيث حلت ... وإما بؤرة صلاح وطهارة وإشعاع تحمل وتعكس عوامل الحياة والجمال معها حيث حلت . وشتان ما بينهما ! فكيف تهمله الدولة هذا الإهمال الشنيع وهو ما هو فى جسمها ؟ !

لو أفلت فرد شرير شيطانى من قيادتها وحراستها إذاً لعاث فساداً فى حرثها ونسلها وعمرانها . ولو ضاع فرد ملكى من رعايتها وتمهدها وتشجيعها ، إذاً لضاع عامل عظيم من عوامل نموها وارتقائها وسعادتها . ولعل فيه ما يرفع النوع كله .

ويظن أكثر الناس أنه يكفى لإنشاء « الفرد الإنسانى » أن تطرح بذرة منوية فى رحم من الأرحام ، تولد بعد مدة ، فتنمو حتى تكون ذلك الجسم المعهود الذى يملأ أسواق الحياة ، ونسوا أنهم فى إنشاء شجرهم وغراسهم وحيوانهم يسلطون يقظتهم وعملهم وتمهدهم الدائم ، حتى يحصلوا على ما يريدون من الأصناف المطلوبة

المرغوبة . وأنهم يستهترون ويحاربون الآفات التى تدنو من حرثهم وحيوانهم .

ألا إن الإنسان المنشود عالم معقد ليس الجسم الظاهر إلا وعاءه وقالبه ! أما سره ومعناه ولبابه كما يريد رب الحياة من « النوع » فأمور لا تظهر إلى عالم الاجتماع إلا إذا اجتمعت لها عوامل الحياة الصالحة بنسب موزونة .

وإن الروح التى عنها يتحدثون هى نتيجة تفاعل الحياة الحيوانية فى الجسم مع نتائج التربية والبيئة والتعليم وجميع المؤثرات . إنها كائن ينفصل عن الجسم كنتيجة وجود هذه العوامل الأرضية المختلفة . وإن من أدواتها ذلك اللوح الخفى السريع التأثر الذى ينطبع فيه ما يقع عليه ، أو يتخايل أمامه من المؤثرات .

فالذين يلقون بذور الإنسان فى الأرحام ولا ينتقونها قبل إلقائها . ولا يهيئون لها الجو الصالح وهى فى مستودعها ، ولا البيئة الصالحة وهى فى نشأتها ، ويتركونها هكذا تتداولها العوامل الطبيعية مصادفة ؛ هؤلاء ينبغى ألا ينتظروا من الحياة أن تعطيهم تلك الوحدات الإنسانية المنشودة القريبة من الكمال فى صفات نوعها .

* * *

والإنسانية ملك الفرد ، والفرد ملك الإنسانية . وما كان من المستطاع أن يحصل الفرد الإنسانى ما يحصله الآن من الأفكار والمعلومات والتجارب والأرزاق والمتاع لو أنه عاش فريداً متأبداً ، أو لو أنه اعتزل حياة الاجتماع .

فنحن جميعاً بإزاء بحار المعانى يأخذ كل فرد منا غرفة منها يلونها فى إنائه بلونه الخاص ، ثم يقدمها إلى غيره من الناس . وكلما أضيف فرد إلى المجموع زاد أفق من آفاق الحياة فى الأرض . ولن يمكن أن يحل فرد محل آخر ، فان كل ثمرة إنسانية لها سر خاص لا يرى فى سواها . وإنى ما أجلس مجلساً مع فرد ما إلا أرى فيه صورة للدنيا لست أراها فى مجلس مع غيره .

ومن العجيب أن كل فكر يريد أن يطبع الإنسانية على غراره ويحملها على حياة تصدق منطقه ، مع أن التوزيع والتمايز بين الوحدات الإنسانية قانون مطرد .

وينطوى فكر كل فرد على صورة للدنيا غير الصور التى فى أفكار الآخرين ، فكل فرد يرى الدنيا من خلال نفسه ، والأكوان عدد العقول .

وما أعجب أن تنظر إلى وجوه الناس ورءوسهم ! إنها صفحات يبدو للناظر العجلان أنها سطحية ضحلة . ولكنها للناظر المتملى المتفرس تقذف به إلى لا نهائية ذات أعماق . والعيون هى مسالك تلك الأعماق !

وكذلك يثير وجه كل فرد وعقله صورة من صور الدنيا . وكل فرد كأنه الحياة كلها مستقلة . حتى ليخيل إليك أن الدنيا الإنسانية تنقص بموت فرد واحد ، وأن مكانه لا يملؤه غيره سواء علا أم سفل ، علم أم جهل . فتوزيع الدنيا على الأشخاص ، وتوزيع الأشخاص على الدنيا يعطى صورة فنية أو حبكة مسرحية يحشد فيها الفن الرفيع والإخراج البديع .

ولذلك قالت التوراة والقرآن : « أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ... »

ومن هنا جاءت قداسة الحياة الفردية فى الشرائع ، واستنكر الاعتداء عليها استنكاراً إجماعياً . وقد أعطت الإنسانية الفرد حرية تخيلها لنفسها واستوحتها من إحساسها العام وضميرها المشترك .

* * *

والإنسانية كجسم شجرة واحدة ؛ فيها جذور لا بد أن تعيش فى الطين والظلام والعفونة لتحلل غذاءها وتأخذه عناصر بسيطة تركب منه ما تشاء من اللباب والقشور والأزهار والثمار والعطور إلى آخر ما فى عالم الأشجار .

وفيها سيقان لا بد منها لتحمل غيرها وترفعه إلى عالم الجو والضوء والنسمات .

وفيها أوراق تبلغ من الكثرة حداً كبيراً ترتفع إلى مستوى الزينة ويشترك فى صميم العمل الضرورى لحياة الشجرة ، لأنها رئات يتنفس بها الشجر .

وفيها أزهار وهبها واهب الحياة العطر والجمال ، وأخرج فيها روحاً خاصاً يخيل للناس أنها ليست من عالم الطين والعفونة والتحلل والظلام .

وفيها ثمرات هى صناديق أسرار الشجرة ومستودع حياتها المقبلة . وهى روح الشجرة تحمل سر نوعها من الماضى للمستقبل .

ولا مفر من اعتراف كل جزء من الشجرة بكل جزء آخر لتحيا جميعها . ولا بد أن يعلم كل جزء أنه وضع فى موضعه الرفيع

اقتحم العرب المحيط

قبل أن يقتحمه كلمبس

للآنسة دوات حسن الصغير

نشر فى مقتطف فبراير الماضى نص خطبة ألقاها الأب الفاضل أنستاس الكرملى ، بين فيها أن أبناء يعرب القدامى اختلفوا إلى جزر القصدير ببحر المانش ، وعرفوا تيار الخليج Golf Stream واتخذوه لهم ناقلا إلى تلك الربوع المعروفة الآن باسم المكسيك . واستدل على ذلك من الأسماء العربية للحيوان والطير التى تعرف بها إلى اليوم فى تلك البقاع .

وكنت أحسب قبل مطالعة كلمته الرائعة ، أنه سيورد من المراجع العربية ما يثبت أن من أبناء قحطان من اقتحم البحر المحيط ليرى ما به من الأخبار والعجائب ويقف على نهايته . غير أن الأب — أبقاه الله ذخراً للعروبة — اعتمد فى كل ما قرره على مصنفات الأغراب فحسب ، إلا ما وجده نبها بنفسه .

وليس لى أن أفند ما جاء به العلامة من تحقيقات لغوية ، فما إلى هذا رميت فى هذا المقال — ولكننى سأعنى بالتحدث عمن ركب من العرب البحر المحيط قبل أن يركبه كلبس ، معتمدة على ما جاء بالمصادر العربية

ثبت قطعاً أن خرستوف كلبس ليس أول من حط رحاله بالدنيا الجديدة ، ولكن رحلته إليها هى التى فتحت أعين الناس على هذا العالم الجديد ، فبدئ من بعده الظعن إليه والاستعمار .

حدثنا الأب أنستاس بنبأ رحلة الراهب برندان إلى جزيرة إيسلنده (المعروفة عند العرب باسم ثولى) ، وجزائر الكنارى (الخالدات) ، ثم نزوله على الساحل الأمريكى فى النصف الثانى من القرن السادس ، كما حدثنا بخبر بعض الرهبان الأرندليين — الذين كانوا يدهشون لركوب العرب تيار الخليج القادم من المكسيك — ونزولهم فى القرن الثامن الميلادى إلى سواحل أمريكا الشرقية . غيرأن التاريخ غمط حقوق بعض الرواد المغامرين من يعرب ، الذين ركبوا الأهوال محاولين اختراق الخضم المحيط المعروف فى ذلك الحين باسم بحر الظلمات

الكرة الأرضية والبحر المحيط عند العرب :

نقل العرب كتاب المجسطى لبطليموس القلوذى فى مطلع العصر العباسى ، وقالوا فى أزياجهم وكتبهم الجغرافية إن الأرض

أو الوضيع ليخدم نفسه ويخدم الجميع . والسفالة فى الموضع أو العلو فيه ، والعلانية أو الخفاء كلها نظرات اعتبارية فى الظاهر ، والحقيقة أن نصيب العمل واحد ، والنتيجة واحدة : هى حياة الشجرة بحياة أجزائها ، وحياة الأجزاء بحياة الأم .

وينبغى ألا ينظر جزء من الشجرة لآخر ، وإنما ينظر لليد التى وضعته فى كل ليؤدى دوره وخدمته ،ويكفى عزاء لما سفل واختفى أن حياته كثيراً ما تكون أثبت وأدوم مما علا .

ويكفى عزاء لما علا وارتفع عن سرعة فنائه أنه أجمل وأشهر . وكلا المعنيين جدير أن يحار بينه وبين قسيمه الاختيار .

ألا إننا ممثلون نؤدى أدواراً يرسمها ويحملنا عليها مؤلف رواية الحياة ومخرجها ، بديع السموات والأرض ! فينبغى أن نعرف مواضعنا الحقيقية من الكون ، وأدوارنا فيه نؤديها على أكمل وجه ، ثم نختفى وراء « الكواليس » إلى يوم إصدار الرواية الأخرى التى سنؤديها فى المسرح الأكبر ، فى الكون الواسع !

* * *

فقط اضمنوا لكل عامل بارع مهما كانت مواد عمله خسيسة أو كريمة مكافأة وتكريماً وتعظيماً لمواهبه . ولا تقصروا اهتمامكم وتمجيدكم على الأجزاء الرفيعة الملونة المزوقة من شجرة الإنسانية : والساسة والحكام والأثرياء ، ومن إليهم من الذين خصهم المجتمع الجاهلى بالاحترام ، بل امنحوا وقدموا ذلك الاهتمام والتمجيد لكل عامل بارع فى عمل من أعمال الحياة الإنسانية ، تنفتح لكم أبواب من سعادة الحياة ما كنتم تتصورون أن وراءها شيئاً ذا قيمة وتأثير فى حياتكم يعادل تأثير السياسة والحكم وما إليهما .

اقضوا على تخصيص الحكام وذوى السلطان والثراء بتعظيمكم وخشيتكم ، وانظروا لغيرهم كذلك من العمال والكناسين وغيرهم وكرموهم كرامتهم ، فإن لهم فى الدولة أثراً لا بد منه كآثار « أصحاب الدولة » ! .

عبد المنعم محمد خلاف

كروية . جاء فى مروج الذهب(١) للمسعودى : « ذكروا أن الأرض مستديرة ، ومركزها فى وسط الفلك ، والهواء محيط بها من كل الجهات ، وأخذوا عمرانها من حدود الجزائر الخالدات فى بحر أقيانوس إلى أقصى عمران الصين » و « علموا أن الشمس إذا غابت فى أقصى الصين كان طلوعها على الجزائر العامرة المذكورة التى فى بحر إقيانوس . وإذا غابت فى هذه الجزائر كان طلوعها فى أقصى الصين . وذلك نصف دائرة الأرض ، وهو طول العمران الذى ذكروا أنهم وقفوا عليه » . ولعمرى إن هذا تحديد دقيق لما يعرف اليوم جغرافيا باسم نصف الكرة الشرقى .

وقال المسعودي أيضاً : « إن أقصى العمران فى المشرق إلى حدود بلاد الصين والسيلى إلى أن ينتهى إلى بحر أقيانوس المظلم المحيط . وأقصى عمران المغرب ينتهى إلى بحر أقيانوس المحيط أيضاً »(٢) .

فكأن الأقيانوس المحيط كان — بحسب ما عرفوه — متصلا من أقصى العمران فى المشرق إلى أقصى العمران فى المغرب . وهو مايعرف اليوم جغرافيا باسم نصف الكرة الغربى .

وتواترت الأخبار قديما بأن بحر الظلمات هذا لا تدرك غايته ، ولا يعلم منتهاه . وأنه بحر لا تجرى فيه جارية ولا عمارة . جاء فى كتاب الشريف الإدريسى(٣) — نزهة المشتاق إلى اختراق الآفاق — . « ولا يعلم أحد ما خلف هذا البحر المظلم ، ولا وقف بشر فيه على خبر صحيح ، لصعوبة عبوره ، وظلام أنواره ، وتعاظم موجه ، وكثرة أهواله ، وتسلط دوابه ، وهيجان رياحه . وبه جزائر كثيرة منها معمورة وغير معمورة » .

وكان يعزز ما تواتر عليه الناس عنه ، أسطورة مأثورة عن قدامى اليونان تقول بأن هرقل بنى أعمدة من النحاس والحجارة . حداً بين بحر الروم والأقيانوس . وعلى أعلاها كتابه وتماثيل مشيرة بأيديها أن لا طريق ورائى لجميع الداخلين إلى ذلك البحر المحيط . وأشار المسعودى إلى هذه النصب بما نصه(١) . « وعلى هذا البحر المحيط مما يلى الأندلس ، جزيرة تعرف بقادس Cadix مقابلة لمدينة شذونة .. وفى هذه الجزيرة منارة عظيمة عجيبة البنيان ، على أعاليها عمود عليه تمثال من النحاس يرى من شذونة وورائها لعظمه وارتفاعه . ووراءه فى هذا البحر على مسافات معلومة تماثيل أخرى فى جزائر يرى بعضها مع بعض ، وهى التماثيل التى تدعى الهرقلية ، بناها فى سالف الزمان هرقل الجبار ، تنذر من رآها أن لا طريق وراءها ولا مذهب ، بخطوط على صدورها بينة ظاهرة ببعض الأقلام القديمة ، وضروب من الإشارات بأيدى هذه التماثيل تنوب عن تلك الخطوط لمن لا يحسن قراءتها . صلاحا للعباد ، ومنفعاً لهم من التغرير بأنفسهم فى ذلك البحر » .

وكان الحكماء والجغرافيون من العرب ، يعرفون أن هذا البحر موصل إلى الهند . فقد جاء فى كتاب السماء والعالم(٢) لأرسطو فى الدليل على صغر الأرض أن الموضع الذى يدعى أصنام هرقل ، يختلط بأول حد من حدود الهند . ولذلك قالوا إن البحر واحد »(٣) .

رواد المحيط من العرب

واقتحام أبناء قحطان بحر الظلمات ، وركوبهم أهواله أمر لا مرية فيه ، وقد بسط الأب أنستاس الدليل على ذلك نقلا عن هيرودوتس وعن استرابون . ونحن بدورنا نبسط الدليل نقلا عن المصادر العربية .

جاء فى مروج الذهب صفحة ٧١ فى ذكر الكلام عن البحر المحيط « وله أخبار عجيبة ، وقد أتينا على ذكرها فى كتابنا (أخبار الزمان)(٤) فى أخبار من غرر وخاطر بنفسه فى ركوبه ، ومن نجا

(١) ص ٥١ .

(٢) وجاء فى كتاب التنبيه والاشراف للمسعودى فى ذكر بحر أوقيانوس ص ٥٩ « وأكثر نهاياته مجهولة عند بطليموس (القلوذى صاحب المجسطى) وغيره . فانه يبتدىء من نهاية العمارة فى الشمال إلى أن يصير إلى المغرب . وينتهى إلى نهاية العمارة فى الجنوب وليس له فى غربيه ولا شماليه نهاية محدودة . وفى هذا البحر الجزائر المسماة برطانية وهى اثنتا عشرة جزيرة . ويتصل ببحر الصين مما يلى الزابج وجزائر المهراج وشلاهط وهريج . الخ» .

(٣) ألف الشريف الادريسى لروجر الثانى ملك صقلية كتابه فى الجغرافية سنة ٥٤٨ هـ وقد نشر فى أوربا بعض قطع منه .

(١) التنبيه والاشراف ص ٦٠

(٢) نقل هذا الكتاب ابن البطريق ، ولثامسطوس شرح الكتاب كله ، نقله وأصلحه يحيى بن عدى — أخبار الحكماء للقفطى ص ٣٠ .

(٣) التنبيه والاشراف ص ٦١ .

(٤) كتاب أخبار الزمان ، ومن أباده الحدثان ، من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة » هو أكبر وأهم كتاب للمؤلف الجغرافى الكبير أبى الحسن على بن الحسين المسعودى ، المتوفى سنة ٣٤٥ هـ . تعب كثير من الباحثين فى التنقيب عنه . ولاريب أن فقده خسارة كبيرة للعلم والبحث والتاريخ . ولا توجد منه — فيما نعرف — إلا نسخة واحدة خطية ببلاد شنقيط بالصحراء الافريقية . والشنقيطيون يضنون بها على العلم والحقيقة والتاريخ . ترى متى يسمح الزمان بنشرها .

منهم ومن تلف ، وما شاهدوا منه وما رأوا » .

وإذا لم يحفظ لنا التاريخ قول المسعودى فى أخبار من ركب هذا البحر ، فقد ذكر لنا الإدريسى فى كتابه الجغرافى النفيس قصة الإخوة المغرورين أو المغررين الذين خرجوا من لشبونة ، وضربوا فى عرض المحيط ، ثم عادوا يقصون على الناس مشاهداتهم. ولعلهم حاولوا عبثاً إقناع القوم بوجود دنيا جديدة وآفاق حديثة ، وراء لجج المحيط ، فرماهم البعض بالغرور والبعض بالتغرير . قصتهم ولا ريب ، كانت معروفة قبل المسعودى — والأرجح أنها وقعت فى القرن الثالث الهجرى — التاسع المسيحى — وتناقلها الناس بعد ذلك فلحقها شىء من التحوير والتبديل ، شأن جميع الروايات التى تجرى على الألسن وتدخل فى عداد الأساطير . لذلك سنورد القصة كما استقاها الإدريسى من الأفواه فى منتصف القرن السادس الهجرى — الثانى عشر الميلادى .

قال فى كتاب — نزهة المشتاق إلى اختراق الآفاق — .

« ومن مدينة لشبونة ، كان خروج المغررين فى ركوب بحر الظلمات ، ليعرفوا ما فيه وإلى أين انتهاؤه كما تقدم ذكرهم . ولهم بمدينة لشبونة بموضع من قرب الحمه ، درب منسوب إليهم يعرف بدرب المغررين ، إلى آخر الأبد . وذلك أنه اجتمع ثمانية رجال كلهم أبناء عم ، فأنشأوا مركباً حمالا . وأدخلوا فيه من الماء والزاد ما يكفيهم لأشهر . ثم دخلوا البحر فى أول طاروس (كذا) الريح الشرقية . فجروا بها نحوا من ١٢ يوماً ، فوصلوا إلى بحر غليظ الموج ، كدر الروائح ، كثير القروش ، قليل الضوء ، فأيقنوا بالتلف . ثم ردوا قلاعهم فى اليد الأخرى ، وجروا فى البحر فى ناحية الجنوب ١٢ يوماً ، فخرجوا إلى جزيرة الغنم ، وفيها من الغنم ما لا يأخذه عد ولا تحصيل . وهى سارحة لا راعى لها ، ولا ناظر إليها . فقصدوا الجزيرة . فنزلوا بها ، فوجدوا عين ماء جارية وعليها شجرة تين برى . فأخذوا من تلك الغنم فذبحوها ، فوجدوا لحومها مرة لا يقدر أحد على أكلها . فأخذوا من جلودها وساروا مع الجنوب ١٢ يوماً إلى أن لاحت لهم جزيرة فنظروا فيها إلى عمارة وحرث . فقصدوا إليها ليروا ما فيها . فما كان غير بعيد حتى أحيط بهم فى زوارق هناك . فأخذوا وحملوا فى مركبهم إلى مدينة على ضفة البحر ، فأنزلوا بها فى دار . فرأوا رجالا شقراً زعراً شعور رؤوسهم سبطة ، وهم طوال القدود ، ولنسائهم جمال عجيب .

فاعتقلوا فيها فى بيت ثلاثة أيام ، ثم دخل عليهم فى اليوم الرابع رجل يتكلم باللسان العربى ؛ فسألهم عن حالهم وفيما جاءوا ، وأين بلدهم ، فأخبروه بكل خبرهم . فوعدهم خيراً ، وأعلمهم أنه ترجمان الملك .

فلما كان فى اليوم الثانى من ذلك اليوم أحضروا بين يدى الملك . فسألهم عما سألهم الترجمان عنه ، فأخبروه بما أخبروا به الترجمان بالأمس من أنهم اقتحموا البحر ليروا ما به من الأخبار والعجائب ، ويقفوا على نهايته . فلما علم الملك ذلك ضحك ، وقال للترجمان : خبر القوم أن أبى أمر قوماً من عبيده بركوب هذا البحر ، وأنهم جروا فى عرضه شهراً إلى أن انقطع عنهم الضوء ، وانصرفوا فى غير حاجة ولا فائدة تجدى .

ثم أمر الملك الترجمان أن يعدهم خيراً ، وأن يحسن ظنهم بالملك ففعل . ثم صرفوا إلى موضع حبسهم إلى أن بدأ جرى الريح الغربية ، فعمر بهم زورق ، وعصبت أعينهم ، وجرى بهم فى البحر برهة من الدهر ؛ قال القوم : قدرنا أنه جرى بنا ثلاثة أيام بلياليها ، حتى جىء بنا إلى البر فأخرجنا ، وكتفنا إلى خلف ، وتركنا بالساحل إلى أن تضاحى النهار وطلعت الشمس ، ونحن فى ضنك وسوء حال من شد الأكتاف ؛ حتى سمعنا ضوضاء وأصوات ناس فصحنا بأجمعنا ، فأقبل القوم إلينا فوجدونا بتلك الحال السيئة ، فحلونا من وثاقنا ، وسألونا ، فأخبرناهم بخبرنا . وكانوا برابرة . فقال لنا أحدهم : أتعلمون كم بينكم وبين بلدكم ؟ فقلنا لا ، فقال : إن بينكم وبين بلدكم مسيرة شهرين . فقال زعيم القوم : واأسفى . فسمى المكان إلى اليوم أسفى ، وهو المرسى فى أقصى المغرب »

والذى نستخلصه من رواية الإدريسى ، أن الإخوة الذين نعتوا ظلما باسم المغررين أو المغرورين ، ركبوا البحر المحيط من لشبونه عاصمة البرتغال الحالية ، فضربوا فى عرضه غربا ، ثم انعطفوا نحو الجنوب ، فوطئوا أرض جزيرة بها غنم وتين برى ، بعد مسيرة أربعة وعشرين يوما (؟) . ونحن نستبعد أن تكون جزيرة الغنم هذه إحدى جزر اللازورد (أزوره) لأنها تقع غرب

لشبونة لا إلى جنوبها الغربى ؛ ولأنها جزر مسكونة من قديم الزمان عرفها القرطاجنيون والنورمانديون والعرب ، كما جاء فى دائرة المعارف الفرنسية . وقد هاجر إليها فريق من عرب أسبانيا بعد طردهم من الأندلس .

والذى نظنه ، هو أن هؤلاء الإخوة حطوا رحالهم فى إحدى جزر برمودة أو جزر الانطيل ، إن لم يظعنوا إلى أحد أنحاء المكسيك ، بلاد التين البرى « وفصائل الصبير » ، والتى كانت تزخر بقطعان الماشية المعروفة عند الغربيين باسم البافالو . (بالفرنسية Bison) أوقطعان اللاما Lama إحدى فصائل الأغنام الأمريكية. والذى استوقفنا فيما تواتر على ألسنة الناس فى هذه القصة هو ذكر الغنم والتين البرى . أما الغنم فكانت الدنيا الجديدة عامرة بقطعان البافالو واللاما — وكاد النوع الأول ينقرض الآن لأن المستعمرين الأوربيين أكثروا من صيده للانتفاع بجلده — وأما التين البرى فنحسب أنه تعبير وصفى لفصائل العائلة الصبارية التى تنبت فى أمريكا الوسطى عامة وسواحل المكسيك خاصة ، وهى مشهورة بها كشهرة مصر بنيلها وأهرامها . أفيحق لنا أن نظن أن ما هبط إليه الإخوة « المغامرون » كان أحد أنحاء المكسيك التى منها يخرج تيار الخليج ويعرج فيها :

هذا رأى لا يحمل إلا على محمل الظن .. والله أعلم .

وهناك قصة لمغامر آخر اقتحم البحر المحيط ، ولا يعرف إلا الله مصيره ومن تبعه . فى النصف الأول من القرن الثامن الهجرى (أوائل القرن الرابع عشر الميلادى) يحدثنا ابن فضل الله العمرى فى كتابه مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار عن الملك موسى بن أبى بكر أحد ملوك « مالى » فى السودان الغربى ، وكان معاصرا لصاحب مسالك الأمصار فى أيام الملك الناصر بن قلاوون . قال « قال ابن أمير حاجب والى مصر ، عن الملك موسى ابن أبى بكر : سألته عن سبب انتقال الملك إليه فقال : إن الذى قبلى كان يظن أن البحر المحيط له غاية تدرك . فجهز مئين من السفن ، وشحنها بالرجال والأزواد التى تكفيهم سنين ، وأمر من فيها ألا يرجعوا حتى يبلغوا نهايته ، أو تنفد أزوادهم . فغابوا مدة طويلة ، ثم عاد منها سفينة واحدة ، وحضر مقدمها ، فسأله عن أمرهم فقال : سارت السفن زمنا طويلا حتى عرض لها فى البحر فى وسط اللجة واد له جرية عظيمة . فابتلع تلك المراكب وكنت آخر القوم ، فرجعت بسفينتى . فلم يصدقه .. فجهز ألفى سفينة ، ألفاً للأولاد ، وألفاً للأزواد . واستخلفنى ، وسار بنفسه ليعلم حقيقة ذلك . وكان هذا آخر العهد به وبمن معه » . فهل وصل هذا الملك المغامر بقافلته العريضة المزودة إلى بر السلامة أم ابتلعته ومن معه لجج المحيط ؟ لانحسب أن إقدام هذا الملك الجسور على اقتحام البحر كان من قبيل الظن بأن للمحيط غاية تدرك ، فلربما كان لديه من الأنباء والوقائع مادعاه أن يكذب مقدم السفينة العائدة ، ويركب أهوال البحر بألفى سفينة ليصل إلى غايته .

ومما يغلب على الظن أن كلبس وقف على خبر الإخوة المغرورين ، وعرف أنهم هبطوا إحدى الجزر فيما وراء المحيط — ولعله كان على علم بنبأ رحلة برنْدان — ولا جدال فى أنه اطلع على ترجمات الكتب الجغرافية العربية التى تقول بكروية الأرض ، وبأن البحر المحيط موصل إلى الهند . ثم استطاع أن يقنع الملكة إيزابلة ، وسار بسفنه الشراعية الثلاث فى ٣ أغسطس سنة ١٤٩٢ متخذا سبيله فى المحيط غربا ، ثم جنوبا بغرب ، حتى وصل فى ١٢ أكتوبر إلى جزيرة غوانى هانى (التى عرفت فيما بعد باسم سان سلفادور) وكأن معاصريه لم يجدوا فيما أتى به بدعا ، ولم يروا فيه أول مقتحم لبحر الظلمات. فضرب لهم مثل البيضة المعروف ، ومات فى بلد الوليد عام ١٥٠٦ آسفا محسورا .

وبعد فهذه حقائق مستقاة من المصادر العربية ، تثبت أن أبناء يعرب جابوا بحر الظلمات قديما . على أن أخبار مقتحميه منهم وما شاهدوا منه وما رأوا لم تلق من الناس والمؤرخين الأقدمين اهتماماً كبيرا . وهناك ولا ريب كثير من رواد المحيط الناطقين بالضاد ركبوا فى قوافل بحرية كبيرة مثل ملك «مالى» ، بيد أنهم لم يجدوا من يؤرخ لهم . ولا ريب أن بعضهم حط رحاله فى ربوع أمريكا الوسطى وجزارها . لذا لا نعجب أن رأينا فيها كثيراً من الأسماء العربية العائدة إلى الحيوان والطير .

(الاسكندرية) دولت حسن الصغير

يوحنا الدمشقى

JOHANNES DAMASCENUS

للدكتور جواد على

تتمة

ومن آراء هذا القديس أن النبي الكريم كان قد تلقى تعاليمه من أحد أتباع «آريانوس» "Arius" "Arianers" (المتوفى سنة ٣٣٦ للميلاد) والذى كان قد أنكر ألوهية المسيح فحرمه مجمع نيقيا "Nikäa" الذى انعقد فى عام ٣٢٥ للميلاد، ثم أكد هذا التحريم المجمع (Synod) الثانى الذى انعقد فى القسطنطينية. وكان من أشد خصومه (أثناسيوس) Athansius رئيس أساقفة الاسكندرية القائل على العكس بألوهية المسيح[1].

وهو قول ردد صداه المستشرقون فيما بعد. وقد فاتهم بأن البدعة «الأريوسية» أو «الآريانية» لم تكن معروفة فى البلاد العربية، فلا يمكن أن يكون الرسول قد تعرف إلى أحد من أتباع هذه الشيعة. وقد فاتهم أيضاً بأن النسبة إلى «الأريوسية» كانت شائعة بين الفرق النصرانية، فكانت كل شيعة من الشيع النصرانية تنسب الشيعة المعارضة لها إلى هذا الإسكندرى الذى حرمته مجامع المسيحيين. وقد سلك يوحنا فى مواضع من ميامره مع «المنوفيسيتين» والمعارضين الآخرين نفس هذا السلوك، ونسبة دراسة النبي على أحد «الأريانيين» — وهو قول واهٍ لا تؤيده الشواهد التاريخية — هو من هذا القبيل[2].

وخلاصة ما يمكن أن يقال، هو أن يوحنا كان قد خاف على دينه من الزوال، وهو رجل دين وصاحب عقيدة، وأنه وهو فى بلاط خليفة دينه يخالف دينه عرضة للمناقشة فى الدين وهدف للجدال كما كان يحدث ذلك دوماً لكل ذمّى يتولى مركزاً سامياً فى قصور أمراء المسلمين. وقد ساءه ما رآه من دخول أبناء دينه أفواجاً أفواجاً فى الإسلام، فأراد أن يضع لهم منهجاً ثابتاً فى الكلام وطريقاً واضحاً لإخوانه من أبناء دينه كما يفهم ذلك من ميامره ومن كتابه الذى ألفه فى الرد على المسلمين.

وغريب أمر أولئك الذين يتصورون بأن المسلمين الأولين كانوا كالحجارة الصم لا يحسنون سؤالا ولا يدرون جواباً. وفى القرآن الكريم والحديث الشريف والسير والمغازى والأخبار أسئلة وأجوبة مختلفة فى مسائل الكون والعالم والبعث ويوم الدين والأفعال والأعمال والخطير من الدنيا والحقير. وهم إن شكوا فى كل شىء فلن يستطيعوا الشك فى صحة القرآن وفى صحة روايته كما كان ينطق به الرسول. والقرآن وحده كفيل وخير شاهد على صحة ما نقوله.

ولا عبرة ببعض ما ورد فى بعض الكتب مثل ما جاء فى «كنز العمال» من أن القدريين سموا بهذا الإسم لأنهم «اشتقوا قولهم من النصارى» أو عبارة «اشتقوا قولهم من قول النصارى»[1] إذ ورد فى الأخبار «القدرية مجوس هذه الأمة»[2].

ولو ذهبنا مذهب بعض المستشرقين. ومذهب أهل الرأى والقياس لوجب علينا أن نقول بأن القدرية أخذت قولها هذا من المجوس، وهو قول يناقض المعروف؛ إذ المعروف بأن المجوس كانوا يقولون بالجبر لا بالاستطاعة والاختيار.

الحق أن ما ذكره يوحنا وما بنى عليه بعض المستشرقين هو من قبيل «الأفكار العامة» التى تخطر على كل بال، من قبيل تلك الأفكار التى ترددت فى عقول البشرية منذ أول يوم هبوطها على سطح الأرض حتى اليوم. إنها من قبيل الأفكار العامة التى عالجتها أدمغة الوثنيين كما عالجتها أدمغة أصحاب الأديان بل وحتى الشعوب الابتدائية والقبائل البدوية، وما كان ظهور مثل هذه الأفكار فى الإسلام بحادث غريب وقد عالج الإسلام أموراً أعقد من المواضيع التى نتحدث الآن فيها بكثير.

ولنعد الآن إلى الموضوع. ظهرت فى الإمبراطورية البيزنطية المسيحية وفى ردهات المسيحية فكرة غريبة هى فكرة «تحريم الصور» (Ikonoklasten) وقد انتشرت هذه الفكرة بسرعة كبيرة فى سوريا وفى مصر وفلسطين. فتحطمت الصلبان وأحرقت

---

(١) راجع عنه O'Leary, Arabic Thought and its Place in History p, 27. London 1939.

(٢) Islam Studies. Part. 1, pp, 433, M, 94, 765

(١) راجع كنز العمال ج ١ ص ٣٦ نمرة ٦٦٨ و٦٥٢، كذلك Islam Studics. Part, 1, p, 441.

(٢) راجع مختصر كتاب الفرق بين الفرق وهو حديث ص ١٦

التصاوير ، ونادى الناس حتى فى الإمبراطورية البيزنطيـة بأن الصور والصلبان والزخرفة رجس من عمل الوثنية والشيطان(١).

وشاعت أسـطورة ذكرها ثيوفانس (Theophanes) خلاصتها أن أحد اليهود ، وكان يكره النصارى ، تمكن من إقناع الخليفة يزيد الثانى بضرورة تحطيم الصلبان وتمزيق التصاوير كى يطول عمر الخليفة(٢). فأصدر الخليفة أمره فى الحال بوجوب تحطيم كل ما هو موجود من صلبان النصارى . ويذكرون أيضاً بأن إمبراطور القسطنطينية ، وهو الإمبراطور « ليو » تأثر بعد ذلك بأفكار أحد السريان ، وكان قد وقع فى أسر المسلمين ، فاعتنق الإسلام وسمى نفسه « بشراً » « بسر » Beser وغدا من أعداء الصلبان والتصاوير ، وكان ذلك فى عام (٧٢٦) للميلاد(٣).

عندئذ أصدر الإمبراطور أمره فى عام ٧٢٦ للميلاد بتحريم الصلبان والتصاوير . وقد نفذ الأمر الامبراطورى الرسمى فى كافة أنحاء الامبراطورية البيزنطية ، وتبرم صاحبنا يوحنا من هذا الأمر الملكى الرسمى واعترض عليه بست رسائل ألفها تفنيداً لهذا الأمر ولمن قال بهذه البدعة من أتباع الملوك .

وفى هذا التحريم أصل إسلامى ملموس وإجابة لدعوة النبى الكريم ، تلك الدعوة التى حققها يوم أمر بتحطيم أصنام الكعبة وأصنام الطائف وكل صنم آخر قائم . ذلك ما قاله نفر من المستشرقين(٤). على أن هنالك جماعة أخرى رأت غير هذا الرأى ؛ رأت أن هذا التحريم مصدره تلك الفكرة اليهودية التى كانت قد حرمت تصوير المخلوقات الحيّة وقاومت التصوير مقاومة عنيفة . وقد انتقلت هذه الفكرة إلى المسلمين وانتقلت على زعمهم من المسلمين إلى المسيحيين(٥).

وتطرف هؤلاء فقالوا بأن الأحاديث التى رويت عن لسـان الرسول ، والتى حرمت التصوير ، إنما ظهرت فى هذا العهد الذى أعلنت الحكومة البيزنطية فيه أمرها بتحطيم الصلبان .

ورد فى الحديث : من صوّر صورة فى الدنيا كُلّف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ »(٦). واستعمل بعض المحدثين

(١) راجع هذه المـادة فى دائرة المعارف البريطانيـة وفى دائرة المعارف الفلسفية

(٢) راجع Theophanes Edition de Boor 401 29.

(٣) راجع Michel le Syries, Livre, XI p, 503

(٤) Islam Studies part 1 p, 446.

(٥) Levetts, History of the Patriachs of the Coptic 3, 72

(٦) كنز العمال ج ٢ ص ٢٠٠ القسطلانى ٨ ص ٤٨١ الزرقانى على الموطأ ٤٠ ، ٢٠٤ .

لفظة « تصاليب » بدلا من « تصاوير » ، قال القسـطلانى : « تصاليب أى تصاوير كصليب النصارى »(١). وهـذا ما يجعل للمشكلة صلة بالمشكلة التى أثارها «الامبراطورليو» فى الامبراطورية البيزنطية . ويلاحظ أيضاً بأن يوحنا لم يتحامل فى رسائله التى ألفها للدفاع عن الصليب والتصوير على المسلمين كتحامله على اليهود . على عكس ثيودور أبوقرة أحد تلاميذه الذين احتذوا حذوه ونهجوا منهجه ، فلقد تحامل هذا على المسلمين تحاملا شديداً وعنفهم تعنيفاً مراً لأنهم كانوا سبب هذا التحريم(٢). لم تنفع هذه الحملة الصليبية التى أثارها هذا الموظف المسيحى فى بلاط أمير المؤمنين فى الشام شيئاً . قد يكون يوحنا نجح بعض الشىء فى إثارة جذوة نار تلك المشاكل الكلامية التى ظهرت قبله بزمن وفى صبها فى جداله مع المسلمين بقالب منطق يونانى أثر على أسلوب الكلام عند المسلمين، ولـكنه فشل فى الحيلولة بين المسيحيين السوريين وبين الاسلام

وآثر يوحنا وهو فى أواخر حياته الاعتزال فى دير من أديرة الدنيا النائيـة ليوجه تفكيره نحو خالقه ، فاختار دير « القديس سابا » (St Sabas) قرب القدس ليكون محـله المختار(٣). وقد ظل فى هذا الدير إلى أن جاءه أجله المحتوم بين عامى ٧٤٨ و٧٥١ للميلاد على أكثر الروايات(٤).

جواد على

(١) القسطلانى ج ٨ ص ٤٨١ .

(٢) ثيودور أبو قرة " Theodore Abucara " أو ناودروس أبو قرة (ويروى أيضاً أبو قارة) . أسقف حران (٧٠٠ — ٨٢٠ للميلاد) من أعظم الكتبة الكنسيين وأبرعهم فى المصنفات الجدلية والأبحاث الدينية. وعمر أبو قرة فى عهد المأمون راجع عنه كتاب المخطوطات العربية لكتبة النصرانية للأب لويس شيخو اليسوعى بيروت ١٩٠٤ ، أيضاً المشرق سنة ١٩٠٣ ص ٦٣٣ ، كذلك ميامر، وقد طبعها الخورى قسطنطين الباشا أحد رهبان دير المخلص . مطبعة الفوائد لصاحبها خليل البدوى فى بيروت . أيضاً المتحف البريطانى رقم Or. 4240 كذلك R. A. Nicholson Aliterary History of the Arabs p, 221 Cambtidge. 1931

وجاء فى ضحى الاسلام ج ١ ص ٣٤٤ طبعة أولى « أبوكارا » كما جاء فى الأحرف اللاتينية والصواب « أبو قرة » أو « ابو قارة » . كما جاء ذلك فى ميامره نفسها . راجع كتاب ميامر ناودروس أبو قرة .

(٣) راجع Hitti, History of the Arabs, p, 246 3, Edition 1943.

(٤) يقول Qailhe إنه توفى فى ٤ دسمبر من عام ٧٤٩ للميلاد . أما كتاب فيليب حتى فحوالى عام ٧٤٨ وأما كراف Graf الذى كتب عنه وأخرج مصنفاته فيرى أن حياته كانت بين عامي ٧٤٠ — ٨٢٠ للميلاد ، أى بين عامى (١٢٣ و ٢٠٥ للهجرة) راجع Islam Studies 1, p, 434 Migne Patrobog Graec وجاء فى حاشية ص ٢٤٨ من الجزء الأول من تراث الاسلام الترجمة العربية (١٩٢٦) وكان (أى يحي أو يوحنا) مولى المأمون وهو خطأ لا أدرى من أين جاء به معرب الكتاب . فأغلب الظن أنه لم يدرك ما قبل عهد خلافة المأمون .

سياسة التعليم ووحدة الأمة

للأستاذ عبد الحميد فهمى مطر

— ٢ —

لم يقتصر أمر التعدد فى معاهد المرحلة الواحدة من التعليم مع ما يصحبه ذلك التعدد من اختلاف ثقافات المدرسين على تعليم البنين ، بل سرى نفس الداء إلى معاهد البنات كذلك . خصوصاً فى المرحلة الثانية منها حيث وجدت مدارس الفنون الطرزية ومدارس الثقافة النسوية والمدارس الثانوية والأوليات الراقية والتربية النسوية ومدارس المعلمات الأولية وغيرها ، وحيث وجدت فى هذه المدارس طوائف مختلفة الثقافات من المعلمين والمعلمات اللواتى تخرجن فى مدارس التدبير بأنواعها والتعليم العام الاضافى ومدرسة المعلمات والسنية ومعهد التربية والفنون إلى غير ذلك مما أدى إلى تفكك تعليم الفتاة بسبب تعدد المعاهد وعدم انسجامها وقلة توافقها وترابطها ، فخلقنا جواً ملائماً كل الملاءمة لتفاوت الطبقات فى معاهد البنات كما سبق أن خلقناه فى معاهد البنين مع أن الوظيفة الأساسية للمرأة فى الحياة تكاد تكون محدودة معروفة وهى طبعاً الزوجية والأمومة . وكان لهذا كله أثره القوى الفعال فى خلق التنافر والقضاء على التعاون بين الأفراد المثقفين من أبناء الأمة الواحدة وبناتها ذلك التعاون الذى هو أساس بناء وحدتها وعماد نهضتها فى كل أعمالها ومشاريعها التى تنهض بها الجماعات والطوائف المختلفة .

ولقد بدأ الاضطراب فى سياسة إعداد المعلمين والمعلمات للتعليم العام فى هذا البلد منذ ألغيت المدرسة السنية للمعلمات ومدرسة المعلمين العليا التى خرجت فى نحو ربع قرن من الزمان عدداً كبيراً من رجال التعليم اضطلعوا ولا زالوا يضطلعون بأكبر قسط فى تثقيف الناشئين فى مختلف المدارس والمعاهد . ولم تستطع مصر مع الأسف أن تحصل على ما يسد فراغ هاتين المدرستين ؛ فمعهد التربية العالى بشقيه الذى قام على أنقاضهما ليعد معلمين ومعلمات للتعليم العام لا يلتحق به إلا طالب منته من الدراسة فى إحدى كليتى الآداب أوالعلوم بالجامعة . وأنى لطالب منته فى احدى هاتين الكلتين راغب فى ولوج معترك الحياة العامة بعد الدراسة الطويلة أن يفكر فى اعداد نفسه من جديد ليكون معلماً ! أنّى له ذلك وحظ المعلمين من متع الحياة ومتع الوظيفة ضئيل لا يُقدم عليه إلا من أكرهته الظروف للالتجاء اليه ! لهذا كان الانصراف عن المعهد خصوصاً من خريجى كلية العلوم الذين تتخاطفهم الشركات . ولهذا بقى هذا المعهد سنين طويلة وعدد خريجيه من قسم الرياضة والعلوم لا يتجاوزون عدد أصابع اليد الواحدة . ولهذا وجدت فى مصر أزمة شديدة فى الحصول على هذا النوع من المعلمين . ثم أنا لم نواجه الأزمة مع الأسف بما تستحقه من عناية فوقفنا ازاءها مكتوفى الأيدى ننتظر كل عام ما يجود به المعهد من خريجين قليلين حتى اصطدمنا بالحقيقة الراهنة المؤلمة الخاصة بعدم وجود المعلمين الضروريين للمعاهد التى تنشأ ولملء الوظائف التى تخلو ، واضطررنا إلى حل تلك الأزمة بحلول سريعة غير موفقة كالاستعانة بغير الفنيين من حملة البكالوريا وغيرهم . وزادت بذلك هوة الخلافات فى ثقافات القائمين على أمر اعداد النشء وتثقيفهم كما هوى مستوى التعليم نفسه هويا كبيراً. ولما أحسسنا بذلك أخذنا نعالجه بعلاجات وقتية ضئيلة الأثر كالدروس الصيفية لغير الفنيين وما إلى ذلك . ثم جاء تقرير مجانية الابتدائى وما تبعه من إقبال أبنائنا على هذا التعليم ضغثاً على أبالة ، إذ اضطررنا إلى التوسع فيه دون أن نعمل أى ترتيب لايجاد المعلمين الضروريين . وأصبح المدرس يواجه أمامه عدداً كبيراً من التلاميذ لم يسبق له مثيل فى الفصل الواحد حتى أصبح عسيراً على المدرس الفنى أن يسوس هذا الجم الغفيرأو أن يفيدهم ، فما بالك بالمدرس غير الفنى أو المدرس الضعيف أو المدرس المبتدىء قليل الخبرة ! انها لحالة تستدعى الاهتمام وتستدعى العلاج . إن مسألة المعلم الكفء ذى الضمير الحى هى أول ما يجب أن تفكر فيه الدولة الرشيدة الحريصة على مستقبل أبنائها وتربيتهم وثقافتهم قبل أن تخطو خطوات واسعة فى نشر تعليم مشكوك عند الكثيرين فى صلاحيته من حيث نوعه ونظامه وانتاجه . وإن التفكك والانحلال القائم فى كثير من المعاهد بسبب وجود عناصر متعددة من المعلمين ذوى الثقافات المختلفة والآراء المتنافرة التى لا يمكن أن توحى بالانسجام والتعاون لكفيل بأن يبقى حالة المدرسة المصرية بعيدة كل البعد عن الأخذ بأساليب التربية الحديثة مهما

دعونا اليها ومهما نبهنا إلى ضرورتها ومهما حاضرنا فيها . ذلك لأن عناصر المعلمين المتعددة المتنافرة لا يمكن أن تجد من تنافرها الوقت ولا أن تتملكها روح التوفر على البحث والعمل للصالح العام ، فكل منها لاه بنفسه وبمستقبله الخاص وبالتعصب لثقافته وبالظهور على غيره . وهى أمور كلها تزيد فى هوة الخلاف المؤدى إلى التفكك والانحلال ؛ وسيمتد ذلك التفكك والانحلال دائما وبطبيعة ما للمدرسة من أثر فى التكوين ، إلى طبقات الأمة المختلفة خصوصاً منها أولئك الذين يتولون أعمالا موحدة ومرافق ذات غايات واحدة . ولن يمكن القضاء على تلك الخلافات وتوحيد الاتجاهات إلا بتوحيد الثقافات . ولن يتم لنا ذلك إلا بايجاد المدرسة الموحدة التى تعد المعلمين الذين يقومون بتدريس مختلف العلوم فى مدارسنا . أما وقد قُضى على مدرسة المعلمين العليا من زمن بعيد فلاشك فى أن المصلحة تقضى بادماج دار العلوم ومعهد التربية بعد تعديل شروط الالتحاق بهما وجعلها معهداً واحداً لاعداد معلمى المواد المختلفة . وإنا نسوق هذا الاقتراح للرجال المسئولين خصوصاً بعد تلك البحوث القيمة التى أجراها مؤتمر أساليب التربية الحديثة والتى تبين منها « أن الأمر يتطلب معلماً يفهم روح التربية وأهدافها فهما واضحا ويؤمن بها ايماناً قوياً يدفعه الى الجهاد فى سبيل تحقيقها » كما جاء فى القرار الثانى من قرارات المؤتمر . ولا شك أن هذا المعلم النموذجى لن يندفع إلى ذلك الجهاد إلا إذا تعاون معه زملاؤه وأمن كيد عناصر أخرى تؤذيه فى جهاده وقد تحاربه وقد لا تقدره . والمعلم الموحد الثقافة هو المعلم الوحيد الكفيل بالاضطلاع بهذا الجهاد فى سبيل تحقيق الهدف المطلوب . يقول أحد قادة التربية الغربيين « أعطنى المعلم الكفء واتركه بغير برامج يخرج لك من النشء رجالا . أما البرامج التى لا يقوم على تنفيذها المعلم الكفء مهما حسنت فانها لا تخرج إلا أطفالا كبارا [illegible] وما هم برجال » فمسألة المعلم الكفء الذى يفهم مهمته ويفهم روح التربية وأهدافها والذى يتعاون مع زميله على قدم المساواة لما بينهما من تجانس فى التعليم والثقافة ، وتوافق فى الاتجاه والاحساس بالمسئولية هى مسألة المسائل ومشكلة المشاكل فى مصر . وقد أعارها المؤتمرون جل اهتمامهم لأنها لا يصح أن تتجاهلها أية هيئة تعليمية

إن أمامنا مثلا رائعاً نحسه ونلمسه بين أيدينا اليوم يوضح لنا أثر الثقافة الموحدة فى بناء كيان وحدات الأمة وتدعيمها وتقويتها . ذلك المثل هو جامعة فؤاد الأول بمختلف كلياتها . فقد ظن البعض فى مبدأ تكوينها أن لا فائدة ترجى من الجمع بين عدة مدارس عالية وجعلها كليات فى جامعة واحدة . فإن مايدرس فى كلية الهندسة اليوم مثلاهوما كان يدرس فى مدرسة المهندسخانة قديما مضافا اليه التطور الذى أوجده الزمن فى فنون الهندسة الحديثة . وكان من الممكن البقاء على مدرسة المهندسخانة القديمة مع ادخال ما استدعاه التطور الحديث فيها .

نعم كان ذلك ممكنا وتبقى كليه الهندسة مستقلة كل الاستقلال بل بعيدة كل البعد عن كلية الحقوق وعن غيرها من الكليات الأخرى . كل ذلك صحيح ، ولكن أنى يكون لنا عندئذ بفكرة الوحدة الهائلة العظيمة التى تضم عدداً كبيراً من الكليات تحت لوائها فى إدارة واحدة يشرف عليها جميعاً مدير واحد يضم شتاتها ويوحد صفوفها لتسير فى اتجاهات متوازية إلى غرض واحد ؟ أنى يكون لنا عندئذ بتلك الوحدة الجامعية التى تضم الآلاف المؤلفة من شبابنا تحت لواء واحد يعملون جميعاً فى تلك الصفوف المتوازية المتقاربة المتعاونة سائرة فى اتجاه واحد لا يصطدم بعضها ببعض ولا يتعارض بعضها مع بعض الى هدف واحد تهفو اليه مصر كلها وتنزله المنزلة الأولى من نفسها وتضعه فى السماك الأعلى من آمالها ؟ فلا شك اذن أن فكرة الوحدة الجامعية فكرة رائعة توحى إلى الشباب بالوحدة والقوة وتقضى على كثير من تلك الخلافات السخيفة التى يؤدى اليها اختلاف الثقافات . فهى مكسب هائل وربح عظيم ربحته مصر فدفعها نجاحها فى الحصول على هذا الكسب أن خلقت فى العاصمة الثانية أختا للأولى تشاركها فى مسئولياتها وتسير فى نفس اتجاهاتها مما سيؤدى ان شاء الله الى خلق غيرها وغيرها بفضل توفر البحث وتضافر الجهود .

نسأل الله أن يسدد خطى العاملين لرفع شأن الثقافة وتوحيد اتجاه التعليم ومقاصده للنهوض بالناشئين أبناء الجيل الحاضر نهوضاً يتناسب مع مركز مصر بين أمم الأرض عامة وبين أمم الشرق والعروبة خاصة فى ظل جلالة الفاروق المفدى .

عبد الحميد فهمى مطر

محمد بن عبد الملك الزيات

للأستاذ عبد اللطيف ثابت

جلس عبد الملك بن أبان بن أبي حمزة إلى ولده محمد يحدثه عن تجارة الزيت ، ويروى له من تجاربه ، ويصف له مشاهده المتعة فى رحلاته التى كانت تنتهى بذكائه وصبره وجرأته إلى التوفيق ، إذ كان يجلب الزيت من مواضعه إلى بغداد ، فيثرى من وراء ذلك ثراء عظيما ، ويعد لما جمعه من المال فى تجارة الزيت من مياسير الكرخ ، وينصحه فى لهجة العاطف الحانى أن يحذو حذوه ، ويسلك مسلكه ، فيتعلق بالتجارة ويتشاغل بها ؛ ولكن الفتى وقد سمت به همته ، وطمح إلى ما لا يطمح إليه السوق الذى تشغله التجارة وملازمتها عن قصد المعالى — يأبى أن يصغى إلى حديث أبيه إلا بمقدار أن يسمعه ، فيجيب عنه بإباء يؤكده أنه لا يشتغل إلا بالأدب وإلا بما هو من وسائل الأدب ، لأنه يحس من نفسه بدوافع تدفعه إلى ما لا يرمقه إلا كل ذى همة وثابة ، ونفس تطمح إلى العلا .

وها هم أولاء لداته يشهدون له بكفايته فى العلم والأدب ، ويثنون على ذكائه وقوة إدراكه وسرعة بديهته ، ومقدرته على حل ما يشكل عليهم من مسائل العلوم لا فى النحو واللغة فحسب بل فيهما وفى غيرهما من سائر العلوم . وهذا أبو عثمان المازنى وقد عرفه لما قدم بغداد فى أيام المعتصم يقول لأصحابه وجلسائه ، إذا خاضوا بين يديه فى علم النحو فاختلفوا فيما يقع فيه الشك – ابعثوا إلى هذا الفتى الكاتب ، يعنى محمد بن عبد الملك الزيات ، فاسألوه واعرفوا جوابه فيفعلون ، ويصدر جوابه بالذى يرتضيه أبو عثمان ويوفقهم عليه . فهذه الثقة من أترابه وغيرهم من أبناء عصره ، تدفعه فى قوة أن يخالف أباه عبد الملك ويراغمه ، فيلزم الأدب ويطلبه ويخاطب الكتاب ، ويلازم الدواوين ، ويجيب أباه فى قوة الواثق المطمئن — وقد قال له ذات يوم : والله ما أرى ما أنت ملازمه ينفعك ، وليضرنك ، لأنك تدع عاجل المنفعة ، وما أنت فيه مكفى ، ولك ولأبيك فيه مال وجاه ، وتطلب الآجل الذى لا تدرى كيف تكون فيه . فيجيبه : والله لتعلمن أينا ينتفع بما هو فيه أأنا أم أنت ؟ ثم يشخص بعد قليل إلى الحسن بن سهل وزير المأمون ، فيمدحه بقصيدة أولها :

كأنها تدنى خطوها ... أخنس موشى الشوى يرعى القلل

فيعطيه الحسن عشرة آلاف درهم ، فيعود إلى أبيه فائزاً منتصراً ، فيبتسم أبوه فى رضا ، لأنه تاجر يسره أن يرى الدراهم والدنانير ، ثم يقول له لا ألومك على ما أنت فيه . ولكن محمد بن عبد الملك لا يقنعه أن يصله الحسن بعشرة آلاف درهم ، إذ ليس ذلك قصارى غايته مما تطمح إليه نفسه ، بل يطلب أن يمثل بين يدى الوزير فيؤذن له ، فينشده :

لم أمتدحك رجاء المال أطلبه ... لكن لتلبسنى التحجيل والغررا
وليس ذلك إلا أننى رجل ... لا أطلب الورد حتى أعرف الصدرا

فيقدره الحسن قدره ، ويعترف له لأنه شاعر مجيد لا يقاس به أحد من الكتاب إلا ابراهيم بن العباس الصولى . على أن الصولى مقل وصاحب قصار ومقطعات ، ومحمد بن عبد الملك شاعر يطيل فيجيد ويأتى بالقصار فيجيد .

ويأبى إلا أن يصل إلى الغاية فى أن يأخذ الحجة على أبيه بصدق نظره وصحة رأيه فيما هو يرمى إليه من الاشتغال بالأدب ، فينتهز فرصة واتته بادر إلى افتراصها ، فرد بها حقاً لأبيه كاد يضيع : ذلك أن ابراهيم بن المهدى وثب على الخليفة المأمون ، ولما لم يكن لديه من المال مايعينه على أمره ، اقترض من مياسير التجار ما هو فى حاجة إليه من المال ، وأخذ من عبد الملك بن أبان فيمن أخذ عشرة آلاف درهم ، وقال له : أنا أردها إذا جاءنى مال ، ولم يتم أمر ابراهيم ، فاستخفى حيناً ثم ظهر ، ورضى عنه المأمون ، فطالبه الناس بأموالهم فقال : إنما أخذتها للمسلمين وأردت قضاءها من الفىء لو تم لى الأمر ، والأمر الآن إلى غيرى .

وعلم محمد بن عبد الملك بقصة القرض ، فعمل قصيدة يخاطب فيها المأمون بما يوقظ موجدته على ابراهيم بن المهدى ، واطلع ابن المهدى عليها ، وقال له : لئن لم تعطنى المال الذى اقترضته من أبى لأبعثن بهذه القصيدة إلى المأمون ، فخاف ابن المهدى أن يقرأها المأمون فيتدبر ما قاله فيوقع به ، فقال له : خذ منى بعض المال ونجم على بعضه ، ففعل بعد أن حلفه ابراهيم بأوكد الأيمان ألا يظهر القصيدة فى حياة المأمون ؛ فوفى له بذلك ، ووفى ابراهيم برد المال كله . ويسر أبوه بهذا كله ويعجب ، ومن هذه القصيدة ما يأتى :

فو الله ما من توبة نزعت به ... إليك ولا ميل إليك ولا ود
ولكن إخلاص الضمير مقرب ... إلى الله زلفى لا تخيب ولا تكدى
أتاك بها طوعاً إليك بأنفه ... على رغمه واستأثر الله بالحمد
فلا تتركن للناس موضع شبهة ... فإنك مجزى بحسب الذى تسدى
فقد غلطوا للناس فى نصب مثله ... ومن ليس للمنصور بابن ولا المهدى
فكيف بمن قد بايع الناس والتقت ... ببيعته الركبان غوراً إلى نجد
ومن سك تسليم الخلافة سمعه ... ينادى به بين السماطين من بعد
وأى امرئ سمى بها قط نفسه ... ففارقها حتى يغيب فى اللحد

ومنها :

فإن قلت قد رام الخلافة غيره ... فلم يؤت فيما كان حاول من جد
فلم أجزه إذ خيب الله سعيه ... على خطأ إذ كان منه على عمد
ولم أرض بعد العفو حتى رفعته ... وللعم أولى بالتغمد والرفد
فليس سواء خارجى رمى به ... إليك سفاه الرأى والرأى قد يردى
ومن هو فى بيت الخلافة تلتقى ... به وبك الآباء فى ذروة المجد
فمولاك مولاه وجندك جنده ... وهل يجمع القين الحسامين فى غمد

ويظهر لما اشتهر به من العلم والفضل والبراعة فى الأدب أثره ، فينتظم فى سلك الكتاب بديوان الوزارة ، ويظل يعمل لا يزيد على غيره من الكتاب شيئاً ، ولا يمتاز عنهم بشىء إلا بما وهبه الله من علم وأدب .

ويتولى الوزارة للمعتصم أحمد بن عمار بن شاذى البصرى ، ويرد على الخليفة من بعض عماله كتاب يقرؤه الوزير عليه ، وكان فى الكتاب ذكر الكلأ ، فيسأله المعتصم : ما الكلأ ؟ فيقول : لا أعلم ، وكان قليل المعرفة بالأدب ، فيقول له المعتصم : خليفة أمى ، ووزير عامى ! وكان المعتصم ضعيف الكتابة ، ثم يأمر أن يبصروا من بالباب من الكتاب ، وتشاء الأقدار التى تيسر كل إنسان لما خلق له ، أن يكون بالباب محمد بن عبد الملك الزيات ، ويدخلونه إلى الخليفة فيسأله : ما الكلأ ؟ فيجيب : الكلأ العشب على الإطلاق ، فإن كان رطباً فهو الخلا ، فإذا يبس فهو الحشيش ، ثم يشرع فى تقسيم أنواع النبات فيعلم المعتصم فضله فيستوزره ويحكمه ويبسط يده .

ويبلغ الفتى بالوزارة الذروة مما كان يطمح إليه ، فيعلو شأنه وتنفذ كلمته ، ويدل بما عرف عنه من العلم والفضل فيشترط إذ يتولى الوزارة ألا يلبس القباء ، وأن يلبس الدراعة ويتقلد عليها السيف بحمائل فيجاب إلى ذلك فيمتاز بهذا أيضاً عما سبقه من الوزراء .

ويبدو فى وزارته شديد البأس ، عظيم المنة ، قوى الإرادة قاسى القلب ، لا تعرف الرحمة إلى قلبه سبيلا بل هو يرى الرحمة خوراً فى الطبيعة وضعفا فى المنة ويقول عن نفسه مارحمت شيئا قط . ولا يقف فى حقده دون نكبة من يحقد عليه ، غير مبال بصروف الزمان وتقلب الدهر . اتخذ فى أيام وزارته تنورا من حديد فى داخله مسامير محدودة قائمة كرؤوس المسال يعذب فيه المصادرين وأرباب الدواوين المطلوبين بالأموال فكيف انقلب أحدهم أو تحرك من حرارة العقوبة تدخل المسامير فى جسمه فيجد لذلك أشد الألم ، حتى إذا جأر إليه المعاقب يطلب الرحمة أجابه بكلمته السابقة إن الرحمة خور فى الطبيعة :

ومن يتصف بمثل صفاته هذه ويكون فى مثل شأنه هذا يكثر حساده ويشتد عليه أعداؤه .

ومن هم حساده وأعداؤه ؟ إنهم عظماء الرجال فى عهده : كالقاضى أحمد بن أبى دؤاد ، ويحيى بن خاقان ، وابرهيم

ابن العباس بن محمد بن صول ، وعلى بن جبلة ، وأبى دلف القاسم ابن عيسى :

كتب إليه على بن جبلة يقول ، وكان قد قصد أبا دلف فى بعض أمره :

يابائع الزيت عرج غير مرموق ... لتشغلن عن الأرطال والسوق
من رام شتمك لم ينزع إلى كذب ... فى منتماك وأبداه بتحقيق
إن أنت عددت أصلا لا تسب به ... يوما فأمك متى ذات تطليق
ولن تطيق بحول أن تزيل شجا ... أثبته منك فى مستنزل الريق
الله أنشاك من نوك ومن كذب ... لا تعطفن إلى لؤم لمخلوق
ما ذا يقول امرؤ غناك مدحته ... إلا ابن زانية أو فرخ زنديق

فاجابه محمد بن عبد الملك

اشمخ . بأنفك ياذا السىء الأدب ... ماشئت واضرب حذاك الأرض بالذنب
ما أنت إلا امرؤ أعطى بلاغته ... فضل العذار ولم يربع على أدب
فاجمح لعلك يوما أن تعض على ... لجم دلاصية تثنيك عن كثب
إنى اعتذرت فما أحسنت تسمع من ... عذرى ومن قبل ما أحسنت فى الطلب
صبراً أبا دلف فى كل قافية ... كالقدر وقعا على الجارات بالعقب
يارب إن كان ما أنشأت من عرب ... شروى أبى دلف فاسخط على العرب
إن التعصب أبدى منك داهية ... كانت تحجب دون الوهم بالحجب

ثم اتصلت الهاجاة بينهما زمنا بسبب تعصب على بن جبلة لأبى دلف وليس غريبا ولا فضولا أن يتعرض على بن جبلة لهجو محمد بن عبد الملك لا يحمله على ذلك إلا انتصاره لأبى دلف وإخلاصه له وتفانيه فى حبه ، فقد تعرض ابن أبى جبلة لغضب المأمون وناله مانا له منه بسبب أبى دلف إذ قال فيه :

إنما الدنيا أبو دلف ... بين باديه ومحتضره
وإذا ولى أبو دلف ... ولت الدنيا على أثره

وقال :

أنت الذى تنزل الأيام منزلها ... وتنقل الدهر من حال إلى حال
وما مددت مدى طرف إلى أحد ... إلا قضيت بأرزاق وآجال

فأحفظه عليه ، فليس يعقل أن يخشى سلطان محمد بن عبد الملك وهو لم يخش سلطان الخليفة وإن كان محمد بن عبد الملك قد بلغ من السلطان مبلغا جعل الناس يتملقونه ، فيرضون عمن يرضى ويغضبون على من يغضب .

وهذا ابرهيم بن العباس الشاعر تنقلب صداقته لمحمد بن عبد الملك عداوة شديدة ، وشحناء عظيمة ولا سبب لذلك فيما يغلب على الظن إلا أن ابن عبد الملك حسد ابرهيم حظه من الوجهة الأدبية فهو كاتب حاذق بليغ ، فصيح منشىء ، وهو إلى هذا شاعر مجيد يقول عنه أحد شعراء عصره لو تكسب ابرهيم بالشعر لتركنا فى غير شىء . وحسده كذلك نباهة شأنه ، وعلو قدره ، حتى لقد تنقل فى الأعمال الجليلة والدواوين إلى أن تولى ديوان الضياع والنفقات بسرمن رأى — وكأنما كان يخشى منه ابن الزيات على نباهته أن يخملها ، وسلطانه أن يذهب به ، فهو يحمل عليه وينال من دينه وشرفه ، ويرسل إليه أبا الجهم أحمد بن سيف ويكلفه أن يبحث بدقة فى شئونه عسى أن يكشف عن أخطائه ويظهر من أغلاطه ما يأخذه به فى غير حذر من لوم ، فيكتب إليه ابراهيم .

وإنى لأرجو بعد هذا محمداً ... لأفضل ما يرجى أخ ووزير

ولكن محمداً يقيم على أمره وأبا الجهم يلج فى تحامله . فيكتب إبراهيم أيضاً إلى ابن الزيات شاكيا أبا الجهم نائلا منه ، واصفاً إياه بالكفر ، إذ هو القائل لما مات غلامه يخاطب ملك الموت :

تركت عبيد بنى طاهر ... وقد ملأوا الأرض عرضا وطولا
وأقبلت تسعى إلى واحدى ... ضرارا كأن قد قتلت الرسولا
فسوف أدين بترك الصلاة ... وأصطبح الخمر صرفا شمولا

فينسب محمد لشدة عصبيته على ابراهيم هذا الشعر له ويرميه بالكفر دون أبى الجهم ، ويأبى أن يصغى لتوسلاته اليه شعراً أو

نثراً ولا ينقذه منه إلا الخليفة الواثق فهو الذى يرفع عنه ، ويأمره أن يقبل منه مارفعه من المال برغم ما ثبت عليه من عجز فى إدارته فى ديوان الضياع بما كشفه أحمد بن المدبر ، حين جمع المتوكل بينه وبين ابراهيم فأخذ يروى من عجزه أمثلة لا تنتقر — وقد اعترف ابراهيم نفسه بعجزه وقال : إنى لم أدفع أحمد بحجة ولا كذب على فى شىء مما ذكر . وننظر فاذا الناس يتحامون ابراهيم أن يلقوه ، وقد انحرف عنه محمد بن عبد الملك ، حتى الحارث بن بشتخير الزويم المغنى ، وكان صديقاً مصافياً لإبراهيم يهجره فيمن هجره من الإخوان . فيكتب إليه إبراهيم :

تغير فيمن تغير حارث   وكم من أخ قد غيرته الحوادث
أحارث إن شوركت فيك فطالما   غنينا وما بينى وبينك ثالث

ويحس إبراهيم أن ابن الزيات رُدَّ عنه ، فيبسط لسانه فيه ويهجوه كثيراً ، ويقول له :

أبا جعفر خف خفضة بعد رفعة   وقصر قليلا عن مدى غلوائكا
فإن كنت قد أوتيت عزا ورفعة   فإن رجائى فى غد كرجائكا

ثم يبلغه أنه مات فيقول :

لما أتانى خبر الزيات   وأنه قد صار فى الأموات
أيقنت أن موته حياتى

ويعاديه أحمد بن دؤاد فيهجوه ابن الزيات كثيراً ويجمع أحمد الشعراء ويحرضهم على هجاء ابن الزيات ، ثم يقول فيه وقد بلغه أن أحد الشعراء هجاه بقصيدة عدتها سبعون بيتاً

أحسن من سبعين بيتاً هجا   جمعك معناهن فى بيت
ما أحوج الملك إلى مطرة   تغسل عنــه وضر الزيت

يعير ابن الزيات بتجارة الزيت ، فلما بلغ البيتان ابن الزيات كتب إلى القاضى أحمد يعيره ببيع القار وكان أبوه يبيعه

ياذا الذى يطمع فى هجونا   عرضت بى نفسك للموت
الزيت لا يزرى بأحسابنا   أحسابنا معــروفة البيت
قيرتم الملك فلم ننقــه   حتى غسلنا القار بالزيت

وينشد أبو تمام محمد بن عبد الملك قصيدة يقول فى مطلعها « لهان علينا أن نقول وتفعلا » فيثيبه عليها ثم يوقع له

رأيتك سهل البيع سمحا وإنما   يغالى إذا ما ضن بالشىء بائعه
فأما الذى هانت بضائع بيعه   فيوشك أن تبقى عليه بضائعه
هو الماء إن أجممته طاب ورده   ويفسد منه أن تباح شرائعه

فيجيبه أبو تمام منكرا عليه هذا التوقيع

أبا جعفر إن كنت أصبحتُ شاعراً   أسامح فى بيعى له من أبايعه
فقد كنت قبلى شاعراً تاجراً به   تساهل من عادت عليك منافعه
فصرت وزيراً والوزارة مكرع   يغص به بعد الذاذة كارعه
وكم من وزير قد رأينا مسلطا   فعاد وقد سدت عليه مطالعه
ولله قوس لا تطيش سهامها   ولله سيف لا تفل مقاطعه

وقد حمل أبا تمام بقسوة ملاحظته أن يرد عليه رداً ثقيلا فيه هجاء، وفيه تذكير بما قد يؤول اليه أمره مما يتمناه له حساده وأعداؤه وقد صار أبو تمام بهذا أحدهم .

« للحديث بقية »

عبد اللطيف ثابت

الشيخ عبد العزيز البشري

لمناسبة انطواء عامين على وفاته *

للأستاذ منصور جاب الله

طويت صفحة المرحوم الشيخ عبد العزيز البشري فى غمار الأحداث فلم تفه الأقلام حقه بحسبانه من أدباء العربية المعاصرين الذين خدموا لغة الضاد وتميزوا بجزالة الأسلوب ورصانة العبارة ووثاقة المعنى .

والحق أن المرحوم البشرى كان من حوارىى تلك المدرسة الأدبية المحافظة التى نشأت فى أعقاب الثورة العرابية ، ولقد شرح بنفسه مدى تأثره بأسلوب المويلحيين فى الجزء الأول من كتاب «المختار» . ولو قد رجعنا إلى أساليب الكتاب قبل هاتيك الثورة لهالنا مقدار تهافتها وركاكتها وبعدها عن أوضاع اللغة الصحيحة ونحوها وصرفها ، ومن ثم كان لنا أن نزعم أن الثورة العرابية خدمت — عن طريق غير مباشر — اللغة العربية بما أذكت من الكتاب والخطباء .

ولقد نشأ الشيخ البشرى فى بيت علم ونعمة وحفاظ ، فكان أبوه شيخاً للأزهر حقبة ليست بالقصيرة وكان من الأساتذة المتبحرين فى الفقه على المذهب المالكى ، فلم يشأ أن يخالف عن تقاليد أسرته فانخرط فى سلك طلاب الجامع العتيق ، بيد أن النهضة الحديثة كانت أضواؤها تألق فى جنبات الأزهر بين طائفة قليلة من الطلاب وطائفة أقل من الأشياخ . وكان أن أصدر المرحوم ابراهيم بك المويلحى صحيفته الأسبوعية «مصباح الشرق» وفيهـا نقد للشخصيات المصرية فى القرن التاسع عشر وفيها « حديث عيسى بن هشام » لمحمد بك المويلحى بأسلوبه التهكمى الجزل ، وهكذا فتن « البشرى الصغير » بالأدب والأدباء وعزف عن حلقات الدرس فى الأزهر ودأب على مراسلة الصحف الأدبية القائمة حينذاك ، وما كاد يظفر باجازة العالمية حتى طلبتـه وزارة المعارف ليكون محرراً فنياً بها .

حدثنا رحمه الله فيما حدثنا أنه كان مغرماً بالفن من صباه ، وأنه وقد أدرك من المطربين عبده الحمولى ومحمد عثمان ويوسف المنيلاوى وعبـد الحى حلمى وغيرهم ، كان لايفوته مجلس من مجالسهم المونقة ، وإذ كان صغيراً والناس ما يبرحون على الحفاظ والإحتشام ، كان ماينفـذ من الخدم والأحراس إلا بالرشوة فى أيديهم أو بالزوغان من أعينهم ، وكان يمضى الليل ساهراً جله ما تغمض عيناه غير سويعات قلائل مع مطلع الفجر .

وكان الشيخ البشرى يوافى الصحف بمقالاته التى تشيع فى جوانبها الجزالة والترف اللفظى ، غير أنه كان يطالع كل مقالة على ملأ من إخوانه قبل نشرها ، وأخبرنا رحمه الله أنه كان ينهج فى رسائل « فى المرآة » نهج المويلحى الكبير فى تحليله الشخصيات دون خدش للأعراض أو إسفاف فى الأداء . وذكر أن أحداً من الزعماء إذا عرف أن نوبته قد أقبلت فى « مرآة السياسة الأسبوعية » طوى ليله ساهراً لايغمض له جفن حتى يطالع ما كتبه عنه البشرى !

***

لقيته — رحمه الله — أول مالقيت صيف عام ١٩٢٨ ، وكان يصطاف فى ضاحية « شوتس » الجميلة فى رمل الاسكندرية ، فتعارفنا من يومها وتوثقت بيننا الصداقة فكان لايهبط الاسكندرية حتى يعلمنى بمقدمه فلا نكاد نفترق طوال مقامه بالثغر البسيم . ولما أراد أن يسوّى من مقالاته المبثوثة فى الصحف كتاباً ، عهد إلىّ فذكيت جماعة من النساخين فى مكتبة بلدية الاسكندرية ونقلت بيدى طائفة منها مما كنت أحتفظ به من صحف ومجلات . وقد أحجم عليه رحمة الله طويلا عن جمع مقالاته فى كتاب ثم أجاب طلبة أصدقائه على تكره واستثقال ، وأشار إلى ذلك فى مقدمة الجزء الأول من كتاب المختارفقال : « وكثيراًما استحثنى صُدقائى على أن أُسوّى من تلك الرسائل مجموعات أطبعها وأنشرها للناس ، فإذا اعتلوا على عذرى بأن هـذا الذى أصنع مما لا أراه يرتقى إلى هـذا المكان ، رحت أجاريهم بظاهر من القول ، وفى التعليق على مشيئة الله تعالى من الكذب منتدح »

وكان أسلوب البشرى وسطاً بين الترسل والسجع ، وكانت فواصله بعيدة المدى ، وتتقاصر حينما يمزح أو يداعب ، ونستميح

(*) توفى رحمه الله فى صباح الخميس ٢٥ مارس عام ١٩٤٣

القارىء فى أن نعرض عليه مثلا من الازدواجات « البشرية » الرائعة . قال رحمه الله على لسان مغرم صب « إننى مارأيت دُرّة قط إلاّ حسبت أنها انتزعت من ثغرها ، ولا أبصرت مرآة قط إلا ظننت أنها استعيرت من صدرها ، ولا طالعت وردة ناضرة إلا خلتُ أنها قطفت من خدّها ، ولا تمثل لى غصن من البان إلا أحضرنى صورة قدها ، ولا سطع لى عبير إلا شعرت أنه من شذاها ، ولا فصحنى نور إلا قدّرت أنه من إشراق محياها ، ولا سمعت شدْو القُمرى إلا سمعتها تتكلم وتلغو ، ولا طاف بى النسيم إلا تمثلتها تلعب وتلهو ، ولا طلعت الشمس إلا رأيتها فيها ، ولا استتم البدر إلا خلتها تعلو على الدنيا كبراً وتيها . وإنى لأرفع بصرى إلى السماء فأرى لها هودجاً فى موكب السحاب ، وأخرج إلى الفلاة فإذا هى يترقرق بها السراب ، فهى سعدى وهى نحسى ، وهى نعيمى وهى بؤسى ، وهى لذتى وألمى ، وهى صحتى وسقمى ، وهى نعمتى وبلائى ، وهى حياتى وفنائى » (1)

وقال البشرى الشعر فى صباه ، وكان يرسله فى جريدة « الظاهر » هجواً فى المرحوم الشيخ على يوسف صاحب المؤيد تشيعاً منه للمرحومين مصطفى كامل ومحمد المويلحى ، ثم أجبل زمانا ، فلما توفى صديقه المرحوم الدكتور حمى المنشاوى فى ريق الشباب ومشرق الفتوة جرى لسانه بالشعر مرة أخرى ونشرت له « الرسالة » قصيدة باكية فى ربيع عام ١٩٣٤ ، وكانت آخر قصيدة له فيما أعلم ؛ فلم يقل بعدها شعراً .

والشيخ البشرى . كما عرفه أصحابه ، حسن العشرة ، بارع الحديث ، سريع الخاطر ، يجيد الفاكهة ، ويستضحك بنوادره الباكى الحزين . ومن ثم اتخذه كثير من عظماء المصريين صاحباً وخدينا ، وقبلوا وساطاته وشفاعاته فى الناس ، ولكنه كان إلى ذلك عصبى المزاج يثور لأقل بادرة ، وفى سبيل ذلك يهدر الصداقة القديمة ، ومن أجل هذا الغمز كان كثير من أصدقائه يتقونه ويتحاشونه ، ويخافون سقطات لسانه .

زرته فى مطالع عام ١٩٣٤ ، وكان يسكن بضاحية الزيتون ، فأخذ بيدى وأدخلنى قاعة الاستقبال وأشار بيده إلى صور معلقة إلى الجدار قائلا « هؤلاء الثلاثة هم الذين أجلّهم وأحترمهم من بين المصريين جميعاً » وتفرست فى الصور فإذا هى لعظماء ثلاثة : المرحوم أحمد شوقى بك ، والدكتور على ابراهيم باشا ، والدكتور عبد الحميد بدوى باشا . وقد رجعت الآن إلى كتابه « المختار » فألفيته يهديه إلى صديقه المرحوم محمد راغب عطية بك الوزير السابق بهذه العبارة « أهدى عصارة ذهنى مدة الحياة ، إلى من أهدت مودته إلى أحلى ذكريات الحياة » .

***

كان الشيخ عبدالعزيز البشرى أديبا ملء إهابه ، ولو قد قصر عمله على الأدب والكتابة لجاء فيهما بالعجب العجاب ، ولكن أريد له أن يكون موظفا ، وأريد له أن يكون رئيساً إدارياً ، وليس ينتقص من قدر الأديب الصحيح سوى الوظائف التى لاتوائم طبائعه ، ولا تتفق مع سليقته ، ومن ثم بدأ عجز أديبنا العظيم واضحاً حين جىء به وكيلا لإدارة المطبوعات ، ثم مراقباً إداريا لمجمع اللغة العربية ، وقد توفى وهو يشغل المنصب الأخير ، وكان لابد مما ليس منه بد ، وترك رحمه الله الحبل للغارب لبعض صغار الموظفين ، فأحفظ ذلك سائرهم ، وكان فيهم أدباء معروفون ، وكان فيهم أصدقاء قدماء له . فقام ذلك دليلا على أن الأديب الممتاز ينبغى ألا يشغل عن الأدب بما هو دون الأدب .

***

وبعد ، فلقد غدا عبد العزيز البشرى فى المنسيين ، لا بل لقد أصبح وأمسى فى المذكورين . وبين أيدينا الساعة كتاب « المرآة » وهو أول كتاب من نوعه فى الأدب العربى ، يجد فيه ويمزح ، ثم لايقول إلا حقا ، وبين أيدينا جزءان من كتاب « المختار » وقد جمع فيه أروع وأجل ماأرسله فى الصحف الدائرة ، ثم هو قد ألف كتاب « التربية الوطنية » لتلاميذ المدارس وشارك فى وضع « المجمل فى الأدب العربى » لطلبة المدارس الثانوية . ومثل هذه الآثار مجتمعة ومتفرقة لاينسى صاحبها ، ولسوف تمضى سنون وسنون وهذا البلد وبلدان العروبة قفر من بيان البشرى الساحر وملحه الطريفة ، وشخصيته الفذة . تداركه الله برحمته ، وجزاه عن لغة الضاد أحسن الجزاء .

(الرمل) منصور جاب الله

(1) المختار ج ١ س ١٥٩ و ١٦٠

رسالة الفن

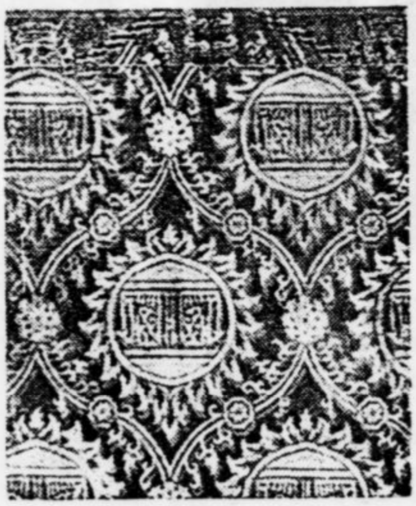
المنســـوجات

في الخلافة الاسلامية

للدكتور ر . ب . سارجنت

لقد طغت صناعات الغرب على جميع أنحاء العالم فى أثناء القرون الثلاثة الماضية ، حتى أوشكنا أن ننسى أن صناعات الشرق ، ولا سيما الشرق الإسلامى وبيزنطة ، كانت تتهافت عليها البلاد الأوربية تهافتاً عظيما . ويحدثنا رحالة البلاد الغربية فى القرن السادس الهجرى أن الإسكندرية كانت تموج بحركة الملاحة وسفن النقل البحرى من جميع ممالك أوربا حتى أقصى حدودها الشمالية فى البلطيق وإسكندناوة ؛ بله العديد من التجار الذين كانوا من جهات أبعد فى الشرق كالهنود وغيرهم . وليس ثمة شك فى أن تلك السفن حملت معها « الإسكندرانى » الثمين وهو نسيج من التيل المطرز بالحرير . وأغنية رولان ، التى كتبت فى القرن الحادى عشر ، والتى كانت تصف حوادث عصر سابق بمدة طويلة لتاريخ كتابتها ، تذكر جثة مكفنة بقطعة من نسيج الإسكندرانى. وكما انتقلت تجارة المنسوجات إلى الغرب عن الطريق البحرى ، كذلك انتقلت إليه عن الطريق البرى على الساحل الشمالى الافريقى ، كما أنها انتقلت إلى أوربا الشرقية كما يستدل على ذلك من العملة الإسلامية التى ترجع إلى ذلك التاريخ والتى عثر عليها فى الطريق الرئيسية لأوربا الشرقية والسهول الشاسعة لبلاد الروسيا ، مما وصل إلى بعض البلاد التى فى أقصى الحدود الشمالية لبلاد الروسيا . ويحدثنا ابن فضلان أن الروس كانوا يتجرون مع البلاد الإسلامية فى فراء القندر والسمور والسنجاب ، إذ كانوا يجلبونها من الشمال بطريق الماء على نهر الفولجا ، ويأخذون بدلها المنتجات المصنوعة فى العالم الإسلامى المتمدين .

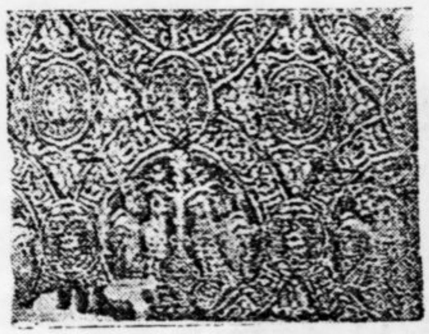
وكانت فرنسا ، وإيطاليا ، والدويلات الألمانية ، وأسبانيا ، وغيرها من بلاد أوربا تستورد المنسوجات من الشرق الأوسط لاستعمالها فى القصور الملكية والأغراض الدينية فى المعاهد الكنسية الغنية ، حيث معظم النماذج المعروفة لتلك المنسوجات لا تزال باقية حتى اليوم ، ولاسيما ما هو باق منها فى الأقطار البلطيقية . وعلى مقتضى ما نقرؤه فى دفاتر الحسابات الملكية الإنكليزية التى ترجع إلى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى ، كان ملك انكلترة قد اشترى منسوجات إسلامية ليضعها فى كنيسة وستمنستر . ولقد اطلعت فى سجلات النفقات البيتية لملوك اسكتلاندة فى سنة ١٣٣١ ميلادية ، على أصناف تشتمل على قطع من الحرير الرقيق من أنطاكية وطرسوس وطرابلس الشام .



(شكل ١) زخرف من اللوتس وبه كتابة كوفية

وفى عهد الخلفاء العباسين — بل فى عهد الخلفاء الأمويين كذلك — كان بلاط الخليفة يستورد منسوجاته الثمينة من مجموعة عظيمة من المصانع التى تملكها الدولة لصناعة تلك المواد الثمينة وكانت تعرف تلك المصانع باسم مصانع الطراز . ويقول رحالة العرب إنه كانت توجد مصانع للطراز فى كثير من بلاد فارس ، ومصر ، وأفريقية الشمالية ، وأسبانيا ، كما يذكرون أنه كانت هناك مصانع للطراز فى صقلية ، وسوريا ، والعراق ، واليمن . ومن المرجح أن المنسوجات كانت تحمل من هذه المصانع إلى قصور دمشق ثم بعد ذلك إلى قصور بغداد ، حيث كان يلبسها رجال البلاط أو ينعم بها هدايا قيمة وتكريما للمنعم عليه بتلك الخلع ، من رجال الدولة ، حتى الشعراء والمغنين كما تحدثنا بذلك القصص الطريفة التى تملأ كتاب الأغانى . على أنه ليس

شك فى أن هذه المصانع لم تكن من اختراع العرب الذين غادروا الصحراء وورثوا نظم الحكم وطرائق العيش عن البيزنطيين والفرس . ويشير الجهشيارى إلى أن ديوان الخراج كان يستعمل اللغة اليونانية فى الغرب واللغة الفارسية فى الشرق ، حتى حدث التعديل بنقل لغة الديوان إلى العربية . وهو يذكر ثبتا بالمنتجات الخاصة بكل إقليم ، والتى حملت إلى بغداد بصفتها جزءاً من الخراج وكثير منها كان من المنسوجات . فمن المرجح إذن أن ديوان الخراج كان على اتصال وثيق بادارة مصانع الطراز . ويختلف المؤرخون فى أصل نشأة الطراز ، أكانت فى مصر أم فى العراق ؛ ولكن المرجح أن الطراز كان فى كل من القطرين منذ زمن لا تعيه الذاكرة ، بقية من نظام الضريبة النوعية التى كانت تدفع



(شكل ٢) نسيج مصرى مشجر يرجع إلى حوالى سنة ١٣٠٠

ولقد كان الطراز من الأهمية فى عصر العباسيين بحيث عين له رئيس خاص بادارته ، ولم يقنع هارون الرشيد بشخص أقل من جعفر البرمكى ، نفسه لادارة ديوان البريد ، ودار ضرب النقود ، ودار الطراز — وهى وظائف لا بد أنها كانت تدر الخير . وبانحلال الخلافة العباسية انحلالا تدريجيا شرعت الإمارات الصغيرة تستولى على دور الطراز السلطانية أو تنشىء دوراً جديدة ، وعلى الخصوص فى الأندلس وأفريقية الشمالية . ولإمام اليمن مصنع ملكى للطراز فى صنعاء من المرجح أنه منحدر انحداراً مباشراً عن مصنع الطراز الذى كان للخلفاء .

وفى تاريخ غير معروف أنشىء مصنع ملكى للطراز على الضفة الشمالية لنهر دجلة بالقرب من الرصافة ، ولا بد أنه كان يضم مساحة كبيرة من الأرض . وكانت بغداد كما هو المنتظر من دخلها الضخم وبلاطها المترف وسكانها الذين يقدرهم بعض من يحتج بهم بمليونين من الأنفس — أعظم مركز لصناعة المنسوجات فى العالم الإسلامى . وكانت حلل ولاية العرش تصنع فى دار الطراز حتى فى العصور الأخيرة للخلفاء العباسيين المغلوبين على أمرهم والذين كادوا لا يملكون من سلطان الحكم أكثر من اعتمادهم لأولئك الذين كانوا يغتصبون السلطة فى أيديهم . فقد كانوا مثلا يرسلون مجموعة من الحلل الملكية لأمير مثل محمود الغزنوى ، محتوية على منسوجات بغداد الخاصة . وقد عثر علماء الآثار القديمة على نماذج موشاة بالكتابة من صنع دار الطراز ببغداد فى أجزاء أخرى من الإمبراطورية الإسلامية .

وكان من الطبيعى أن أنواعا شتى من المنسوجات كانت تصنع أو تباع فى العاصمة الإسلامية . فاليعقوبى يحدثنا عن تجار المنسوجات الخراسانية بالقرب من ناحية الكرخ وكانت بعض أجزاء مدينة بغداد تسمى بأسماء النسيج الذى تصنعه أو تبيعه . فالنسيج الذى من صنف التستر كان يشترى من حى التسترية . وتستر مدينة من مدن خوزستان على رأس خليج العجم . ومن الشائق أن نذكر أنه كان فى تلك الولاية كثير من مصانع الطراز ترجع نشأتها إلى عهد الدولة الساسانية التى كان ملوكها قد نقلوا الصناع من حدود رومية ليؤسسوا صناعاتهم فى جنوبى بلاد العجم وفى العراق . وربما كانت الثياب الديبقية تصنع فى حى الديبقية على نهر عيسى ، وهو طبعا نسيج أصله مصرى ، كما أنه قد يكون أكثر الأنسجة تردداً على الألسنة وأعلاها قدراً فى ذلك العصر . ويصف لنا الغرناطى نسيج العتابى بأنه مقلم كجلد حمار الوحش ، وهو حيوان يقول عنه إنه من فصيلة الحمير ، وقد رآه فى القاهرة وعند ما مات ذلك الحيوان حفظ جلده وحشى قطنا لعرضه فى أيام المواسم .

ولقد رأت الحكومة فى تلك الصناعة الرائجة ، صناعة الأنسجة ، مصدرا لجلب الضرائب ، فحاولت فى القرن الرابع الهجرى أن تفرض ضريبة على جميع المنسوجات المصنوعة من الإبريسم أو القطن فى المدينة ، مقدرة أن تجلب تلك الضريبة ألف ألف درهم للخزانة العامة . ولكن الضريبة كانت مكروهة : وسببت اضطرابات عنيفة ، فقررت الحكومة فيما بعد ترضية الشعب بفرض ضريبة على المصنوعات الحريرية فقط . وأنشىء مكتب بجوار بركة زلزل ، وكانت جميع البضائع التى تدفع عليها ضريبة تختم هناك بخاتم الحكومة ، وهو نظام يثير العجب لانطباقه على الأساليب الحديثة الآن .

(البقية فى العدد القادم)

عن مجلة الأدب والفن الإنكليزية

في البيت...

للأستاذ عبد الرحمن صدقي

أيا غرفةً مرموقةً لِصْقَ غرفتي
مطفَّأة الأنوار رَهْناً بظلمةِ
أرى بابَكِ المطروقَ أمسى موصَّداً
ومخدعُ زوجي أنتِ ، بل أنت جنّتي
فأدعو بزوجي وهي جِدُّ سميعةٍ
لأمري ، ولكن الصدى رَجْعُ دعوتي
لقد كنتِ يازوجي لدى الصبح موقظي
وكنتِ حسيبي في خروجي وأوبتي
فما لِيَ لا ألقاكِ يومي وليلتي
وبابُكِ من بابي على قيد خطوة
أرى من خلال السجف نوراً مُشَعْشَعاً
من الشمس ، لكن لا أرى شمس مهجتي
وأسمع للأطيار تزقو كما زقَتْ
وللوُرْق تُزجي سجعةً بعد سجعة
فأين فتاتُ الخبز تُلقينه لها
فينقُرْنَ منها حبّةً إثر حبّة
عرفن أوانَ الأكل فهي كعهدها
تراءى صفوفاً فوق سورٍ وأيكة
تألّفتِها يا إلفَ قلبي وأنسه
فما لِيَ في هذا الحِمى نَهْبَ وحشة!
ألا تسأليني كيف أصبحتُ؟ في الضحى
وترْجين لي طيبَ الكرى في العشية
عهدْتُك لا ألقاكِ حتى تزيّني
ألم تفرغي لي من حُلِيٍّ وزينة
شريكةَ عيشي ، أسفر الصبحُ فاطلعي
أعِدّي فَطوري وانتقي لي حُلّتي
مكانكِ خالٍ في الخوان فأقبلي
فَيَهْنا طعامي من حديث وطلعة
وإني لَغادٍ للخروج كعادتي
فأين وَداعي بالوصيد وقُبلتي
أغضْبَى بلا ذنب وفي غير مَغضبٍ
وأنت الرضى والصفح عن كل زلة
وكنتُ أعزَّ الناس عندك برهةً
أهُنْتُ عليك اليومَ من بعد عزّة ؟
معاذ الهوى ! ما إن صمدتِ لجفوةٍ
ولكنه حكمُ القضاء المشتّت
نأى بك عني للمنية غائلٌ
ولولا المنايا ما سكنتِ لفرقتي
فأعدمني بيتي وعيشي وجنتي
وكانت هنا في غرفة لِصق غرفتي
أمرُّ فأزوي الطرفَ عنها تألماً
وكان إليها ما مررت تلفّتي
ويفجؤني أن يفتحَ الباب فاتحٌ
كأنْ كشف اللحّادُ عن جوف حفرة
أطامن صوتي — إن همست — محاذراً
وأحبس أنفاسي وأخلس مشيتي
وما بي حذارٌ أن أنبّه هاجعاً
ويا ليت يصحو الميْتُ من بعد هجعة
ولكن مزيجٌ تارةً من تهيّب
وخوف ، وطوراً من خشوع وحرمة
ووالله لا أدري أتفكير عاقلٍ
أفكر ؟ أم هذي سمادير جِنّة

الخطيئة الاولى

للشاعر إدوار حنا سعد

فتحتْ بابها وقالت تقدمْ ... سكتَ الليلُ والغرام تكلمْ
ما لكفيك ترجفان وكفى ... فيهما مستكينة تستسلم!
ذاك ميعادنا وهذا هوانا ... فلماذا تهمُّ حيناً وتُحجم!
ليلة كالخلود بعد اشتياق ... تتدنَّى بها الليالى وتنعم

هتف المخدع الأنيق الوردى: ... ألغرام العنيف واللهو عندى
والتهاويل والستائر قالت ... إن تقواك ها هنا ليس تُجدى
فدخلنا إليه كفاً بكف ... من فتون الهوى ... وخداً لخد
وبانى إغراؤها وهى تخفى ... نار أشواقها دلالاً وتُبدى

أسكرتنى العطور والأنوارُ ... فاترات وأحرقتنى النار
فاذا الغرفةُ الصغيرة تغدو ... عالَماً لا تحدُّه الأبصار
وغيوماً مُورَّدات الحواشى ... وسماء تحفها الأسرار
ورياضاً إعصارهن نسيم ... وبحاراً نسيمها إعصار

لم يعد للوجود سرٌّ يباح ... كلُّ ما فيه غامضٌ أشباح
ويدٌ عانقت وأخرى تراخت ... وأسًى يبتدى ونعمى تُتاح
أجريح شفته كأس التدانى ... أم برىء قد أثخنته الجراح؟
لا جديدٌ ولا قديمٌ ولكنْ ... حلم وانتباهة وصباح

ضحك الفجر ساخراً وبكانى ... حين غادرت معبد الشيطان
هارباً كالذئاب تحت ظلال ... من أسًى فاتر ومن أشجان
حاقداً تملأ السموم كيانى ... وخجولاً من كل وجه يرانى
آه يا رب بعد طول تسام ... لحقت بى حقارة الإنسان

أترانى أخطأت أم ذاك ضعف ... كامن فى دمائنا لا يكفُّ؟
سنه آدمٌ وأورثنيه ... أم جديدٌ على شبابى يرف؟
والخطايا كريهةٌ غير أنى ... قد وجدت الأجساد ليست تعف
تهت فى حيرتى فوجهت عينى ... للرحيم الذى يقيل ويعفو

أنت أنقذت من شراك الغوانى ... يوسفاً بالهدى وبالبرهان
فلماذا تركتنى يا إلـهى ... فى متاهات جوها الفتان
كلما قلت قربتنى صلاتى ... زعم القلب أنه غير دان
لا على الشك يستريح فؤادى ... يا إلـهى ولا على الإيمان

أنا يا رب تائه وغريقُ ... بعُد الشط والتوت بى الطريقُ
فاتحاً قلبىَ الشجى لنجوا ... ك فأين السنا وأين الرحيق؟
ابعث النور فى حياتى وهدهد ... نزواتى لعلنى أستفيق
وابعث النار فى هشيم شكوكى ... علَّ شكى تقضى عليه الحريق

جيفة*

لشارل بودلير

بقلم الأستاذ عثمان على عسل

أتذكرين يا حبيبتى ما رأيناه صباح هذا اليوم المشرق من أيام الصيف الجميلة؟ أتذكرين هذه الجثة البشعة وهى راقدة على فراش قد تناثر عليه الحصى. وقد رفعت ساقيها فى الهواء كفاجرة تلهبها الشهوات، ينضح منها العرق سما. وكشفت عن بطنها المفعم بروائح منتنة بفتور واستهتار. كانت الشمس تسلط أشعتها على هذه الجيفة كأنما تريد أن تصليها وتسويها فترد إلى الطبيعة ما وسقته، مبعثراً فى ذرات لا تحصى. وكانت السماء تنظر إلى هذه الجثة الرائعة كأنها زهرة تتفتح، وكانت رائحة العفن الشديدة حتى كدت تسقطين على الأعشاب مغشياً عليك. وكان الذباب يطن حول هذه الأحشاء المجفرة التى تنبعث منها حشرات صافات سود تنحدر كأنها سائل ثقيل على هذه الأسمال الحية، وهى تعلو وتهبط كالأمواج، وتندفع فى صخب، فيخيل إلى المرء أن الجسد وهو ينتفخ بأنفاس خفية يستمر فى الحياة بتكاثر أجزائه. كان هذا الحشد يردد أنغاماً غريبة، كأنه ماء جار، أو ريح عاصفة، أو وسوسة حبوب تُذرَّى بمنسفة فى الهواء بحركات متسقة. غابت معالم هذا الجسد عن الأنظار، فلم تعد تبدو للعين إلا كحلم أو رسم أولى لصورة سيرسمها الفنان من ذاكرته بعد حين على لوحته المهجورة. وكان ثمة كلب قلق قابعاً وراء الصخور، ينظر إلينا شزراً، مترقباً لحظة ذهابنا ليعود فيلتهم العظمة التى تركها من هذا الحطام. على أنك واحسرتاه! ستصيرين يوماً كهذه القمامة المدنسة، كهذا النتن المخيف، انت يا نور عينى، يا شمس حياتى، انت يا ملاكى، يا هيامى. بلى! إلى مثل هذا المصير سينتهى بك المطاف، يا ملكة الجمال، بعد أن تتلى على روحك الصلوات الأخيرة، فترقدين تحت الأعشاب والأزهار، ويبلى جمالك بين الرمم. وحينئذ خبرى يا حبيبتى الفاتنة، خبرى الدود الذى سيلتهمك بقبلاته، إننى سأحتفظ بصورة غرامى الزائل وروحه المقدسة.

(*) فى الفصل الذى كتبه الدكتور محمد بهجت تحت عنوان « يرى الفنان كل ما فى الطبيعة جميلا » من سلسلة المقالات القيمة التي ينشرها عن الفن لبول جيزيل إشارة إلى هذه القصيدة التى ننشرها كاملة ليتأملها القارئ.



الأستاذ ساطع الحصرى بك

وردَ القاهرة فى الأسبوع الماضى على الرحب والسعة المربى الكبير الأستاذ ساطع الحصرى بك ، زعيم النهضة العلمية فى العراق ، والمستشار الفنى لوزارة المعارف فى سورية ، وأحد أقطاب الفكر فى الشرق ، ومؤلف الكتاب القيم « دراسات عن مقدمة ابن خلدون » ؛ ورد القاهرة يستجم قليلا بعد أن قضى سنة فى العمل المتصل ، متنقلاً من مدن الشام إلى قراه ، يزور المدارس ، ويدرس المناهج ، ويبحث النظم ، حتى استطاع أن يضع للتعليم فى سورية دستوراً على أحدث الطرق التربوية الحديثة يلائم نهضتها ووطنيتها وعقيدتها ووحدتها ، ثم أخذ يدعو إليه ويدافع عنه حتى نُفِّذ . وقد نزل الأستاذ فى فندق شبرد ، فأقبل عليه المشوقون إليه والمعجبون به يرحبون بمقدمه وينعمون بلقائه .

معرض سيدات القاهرة

المعرض الذى أقيم فى نادى سيدات القاهرة خلال هــذا الشهر[1]، لا يقل فى مستواه عن أى معرض شاهدناه . والرسوم المعروضة كلها من رسم سيدات وآنسات ، والبعض منهن لسن مصريات ، ولكنهن عشن فى مصر واستوحين تربتها السمراء وسماءها الصافية ومشاهدها المختلفة .

وأحسن صور هذا المعرض من عمل الآنســات مرجريت يزبك وجان كوهين ومنيرفا فرح وكلو بادارو ، ولــكل طابعها وشخصيتها المميزة .

فرسوم الآنسة يزبك مفعمة بالعاطفة الشابة ، وفى صورها شىء من الشاعرية ، وهى ترسم وكأنها تصلى أو تغنى وتبذل كل حرارة قلبها فى الصلاة أو الغناء .

وللآنسة جان كوهين صورة شخصية لرجل Portrait (دكتورهيكان) ، والآنسة جان رسامة بارعة ناضجة ، قد وفقت فيما رسمت توفيقاً كبيراً ، فأعطتنا خلاصة شخصية الرجل الذى رسمته ، ويبدو أنه رجل ممتاز ، فالصورة تنطق بالعمق والعزم ويقظة الحيوية النفسية .

أما لوحات الآنسة منيرفا فرح — وهذه أول مرة أسعد فيها برؤية صورها — فهى خير برهان على أن الآنسة الفنانة تجد جديداً يهز مشاعرها فى الأشياء التى تصادفنا كل يوم ولا نحفل بها . وهى حين تعرض علينا صورها تشركنا فى عواطفها المتجددة ، وتفتح عيوننا على ألوان من الجمال كثيراً ما نغفل عنها . وتلك هى رسالة الفن .

والآنسة عطيات فرج توفق أحياناً فتبلغ مستوى زميلتها وصديقتها « جان » وتقصر أحياناً ، وهى غالباً ما تحمل لوحاتها أكثر مما تطيق هـذه اللوحات احتماله من الأشكال والألوان ، فتضيع « الوحدة الفنية » ويتوزع اهتمام الناظر المتأمل . ويبدو أنها تبذل فى عملها مجهوداً كبيراً ، ولكن كل هذا الإجهاد لا يصل بها دائما إلى غايتها ، ولألوانها طابع قاتم ، وليس لنا اعتراض عليه ما دام وحى شخصيتها وإحساساتها ، ولا شك أنها فى طريقها إلى النجاح الكامل .

وقد وفقت الآنسة أنايت شمليان فى منظر من مناظر الطبيعة الصامتة ، ولكنها لم تبلغ المستوى نفسه فى لوحتيها « العارية » و « زهور » .

وهناك فنانات ما زلن فى منتصف الطريق : ففى صور « ماريان بيرسن » ، نجد أن الإحساس أقوى من الأداء ، ومع ذلك فهو إحساس لم يتركز بعد ، كما أن الألوان غير ناضجة ، وفى صورة « عمرضوان » للآنسة قدرية علوبة نجد المظهر الخارجى للشيخ المسن ، ولكنها لم تنجح فى نقل صورته النفسية .

ونعتقد أن المستقبل والاجتهاد ، كفيل بأن يصل ببعض هؤلاء الفنانات إلى مستوى أرقى ، واللواتى أعنيهن بهذه الجملة الأخيرة ، هن الآنســات : قدرية علوبة ، ومفيدة شعبان ، وكوكب يوسف . والمعرض فى مجموعه مجهود لا بأس به

نصرى عطا الله سوس

---

(١) معرض الفن الثامن بنادى سيدات القاهرة ميدان مصطفى كامل

نقص إرشاد الأريب

إجابة عن تساؤل الأستاذ احمد احمد آل صالح المذكور فى عدد (الرسالة ١٦٠) أقول : إننا لا نستطيع أن نتهم ياقوتا الحموى بإغفال بعض الفحول ، غير أن الكتاب لم يصل إلينا كاملاً ، كما ذكر ذلك العربانى مرجليوث فى مقدمة الطبعة الأولى . وأمر آخر هو أن أحد الوراقين كان لفق جزءاً وباعه للعربانى مرجليوث على أنه من « إرشاد الأريب » ، فطبعه وألحقه بطبعته ، وراج ذلك على الدكتور الرفاعى فنشره فى طبعته الأخيرة . ونفس ياقوت لا يخفى على الحاذق .

وفى دار الكتب المصرية ، مختصر لإرشاد الأريب ، لعله يتيسر لنا الاطلاع عليه قريباً ، فنستبين منه بعض ما خفى علينا من أصله .

محمد غساله

فلسفة الإسكندرية القديمة

حاضرنا الأستاذ يوسف كرم ، المدرس بكلية الآداب ، بجامعة فاروق الأول ، بقاعة المحاضرات لجمعية الشبان المسيحيين ، عن فلسفة الإسكندرية القديمة ، وهى الحلقة الأولى من سلسلة محاضرات تقيمها الجمعيـة عن مدينتنا الخالدة ، الإسكندرية ، فى شتى العصور .

على أن ظاهرةً لفتت نظرى فى محاضرة الأستاذ كرم ، عن أصل الفلسفة ! هل الفلسفة أصيلة فى اليونان ؟ لقد أكدّ لنا الأستاذ كرم ، كما فعل كل مؤرخ للفلسفة من كتّابنا المعاصرين ، — ما عدا الدكتور غلاب فيما أذكر — أصالة الفلسفة اليونانية ، وقال الدكتور كرم ، متابعاً فى ذلك أرسطو وأشياعه ، إن طاليس الملطىّ هو أبو الفلسفة بلا منازع ! فما قول الأستاذ كرم فى أننا ننازع طاليس هذه الأبوّة ، ونزعم أن الشرق هو أبو الفلسفة .

على أن الأستاذ كرم أمتعنا كل الإمتاع باستعراضه التلخيصى لتاريخ الفلسفة مُنذ أن وضع لبنتها طاليس — فيما يرى أستاذنا الفاضل — إلى آخر عهد الإفلاطونية الحديثة بالإسكندرية ، وإن أبناء الثغر من روّاد الحضارة الجديدة ليتطلعون إلى بعث جديد ، يحسّون اليـوم إرهاصاً بوشك حدوثه ، وإن غداً لناظره قريب .

(الأسكندرية) **على حسن حموده**

حول اسم كتاب

اطلعت على ما كتبه الأستاذ منصور جاب الله فيما يتصل بتخطئة عنـوان كتاب « الفاروق عمر » ، ثم رد الأستاذ عبد المتعال الصعيدى والأديب احمد ابراهيم الغرباوى عليه ، وكان من المصادفة أنى كنت أقرأ ساعتها نص ابن الأنبارى « على أن اللقب إذا كان أشهر من الإسم يُبدأ به قبـل الإسم » فوجدت الأستاذ منصوراً محقاً فى قوله لأن اسم سيدنا عمر أشهر من لقبه ، والعامة عندنا لا يكادون يعرفون لقب ثانى الخلفاء الراشدين ، على حين أنهم يحفظون اسمه حفظاً .

وأما ما ذكره الزرقانى من أن ألقاب الخلفاء تقدم على أسمائهم فهذا نادر لا يقاس عليه ، وبحسب القارئ أن يسأل نفسه : هل يقول هارون الرشيد أو الرشيد هارون ، وهل يقول عبد الله المأمون أو المأمون عبد الله ... ليجد عند نفسه الجواب الصحيح . وقد أشار السيوطى إلى هذه المسألة اللغوية ، وقال إنها (تخصيص لإطلاق وجوب تأخير اللقب)

وكان حرياً بسعادة الدكتور هيكل باشا أن يجرى على المشهور من أقوال أئمة اللغة ويدع التخصيص الذى أورده السيوطى وغيره .

ومن هنا لا ترانا نميل إلى قول الأستاذ الصعيدى من أن الأستاذ منصور جاب الله كان متعنتاً فى تخطئة اسم كتاب مؤلفنا الكبير ، وإنما كان رجلا يسعى وراء الحق ، ولو كان متعنتاً حقيقة لما أقدم على تخطئة رجل له من المكانة فى وطنه وفى بلدان العروبة ما له .

(الأسكندرية) **عبد العزيز جادو**



فيلسوف العرب والمعلم الثانى

لمعالى الأستاذ مصطفى عبد الرازق باشا

هذا الكتاب من تأليف معالى مصطفى عبد الرازق باشا الرئيس الفخرى للجمعية الفلسفية المصرية . وهو أول كتاب فى سلسلة بحوث الجمعية التى تعمل على « إشاعة التفكير الفلسفى فى أوسع نطاق بنشر طائفة من المؤلفات فى تاريخ الفلسفة ، وما بعد الطبيعة ، والاجتماع ، وعلم النفس ، على أن تعالج حقائق هذه العلوم من أسهل الطرق وأقربها مأخذاً » على حد ماجاء فى التصدير .

وكتاب فيلسوف العرب والمعلم الثانى يحقق هذه الأغراض كل التحقيق ، فقد عرض معالى مصطفى باشا للموضوعات بما هو معروف عنه من التحقيق العلمى ، مع نفاذ الفكر ، وعمق النظر ورقة الأسلوب ، وبراعة الاستهلال ، ولطف الانتقال

وموضوعات الكتاب أوسع من عنوانه ، فإلى جانب فيلسوف العرب وهو الكندى ، والمعلم الثانى وهو الفارابى ، نجد الشاعر الحكيم المتنبى ، وبطليموس العرب ابن الهيثم ، وشيخ الإسلام ابن تيمية .

وإذ كان المقصود هو التعريف بشخصية هؤلاء الأعلام ، على الأخص وأن حجم الكتاب لا يتسع للاحاطة بتفصيل مذاهبهم ، فقد اكتفى معالى الوزير بتحقيق حياة بعضهم ، وعرض الجانب الفلسفى عند البعض الآخر ، وهى جوانب كلها طرافة . أنظر إلى ما كتبه عن ابن تيمية ، نجد قطعة من الأدب الرفيع استهلها بقوله « فى أواخر سنة ٧٢٨ هـ . كان فى قلعة دمشق إمام من أئمة المسلمين ، شيخ جاوز السابعة والستين من عمره ، يعانى ألم الإعتقال والسجن ، وحيداً ، ليس معه إلا أخ له يقوم بخدمته . وكان الشيخ يقاسى فوق ألم السجن ألما آخر ، هو على نفسه أشد وقعاً : فقد منع من الكتابة والمطالعة ، وأخرجوا ما عنده من الكتب ، ولم يتركوا له دواة ولا قلماً ولا ورقاً . وكتب عقيب ذلك بفحم يقول : إن إخراج الكتب من عنده من أعظم النقم » ... أليس هذا عرضاً للفلسفة بأسلوب الأدب .

(***)

وا إسلاماه !

للأستاذ على أحمد باكثير

بقلم الأستاذ لبيب السعيد

بعد أن ردت مصر الصليبيين فى المنصورة المجيدة لم ينالوا من الإسلام خيراً ، خرجت إلى « عين جالوت » ترد التتار هم الآخرين ؛ ووقف سلطان مصر المظفر قطز على رأس جيشه يثخن بيده فى أعدائه الطغاة ، بيد أن هؤلاء مكروا مكراً كاد يرديه لولا أن برز فارس مسلم ملثم رد عليهم مكرهم وتلقى المكروه من دون السلطان ثم هتف وهو يعانى الموت : « صن نفسك يا سلطان المسلمين ، ها قد سبقتك إلى الجنة » .

لم يكن هذا الفارس سوى جلنار : زوجة السلطان وحبيبته. وقد جعل السلطان يقبلها ويقول لها فى ذهول وجزع : « وازوجاه ! واحبيبتاه ! » فنادته وهى تجود بروحها : « لا تقل واحبيبتاه قل : وإسلاماه ! » .

وانطلق السلطان إلى المعمعة يصرخ : « وا إسلاماه ! » . ورجاله معه يرددونها فيلقون فى قلوب الذين كفروا الرعب ، ولا يزالون يجاهدونهم ويغلظون عليهم حتى يجيئهم النصر ويشفى الله صدور المؤمنين .

تلك هى القولة التاريخية التى اتخذها صديقنا الأستاذ على باكثير عنواناً لروايته الجيدة .

***

كانت جلنار وقطز رقيقين فى جملة الرقيق أيام آل أيوب ، ولكن لهما قصة حافلة بالعبر، فهما سلالة بيت بعيد النسب فى المجد ، فأما هى فابنة السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه ، وأما هو فابن عمها . وقد نزلت أفجع الأحداث بآلها فبادوا جميعاً فى ظروف تموج بالهول ، وسلم هذان من الموت ليباعا فى الأسواق وليذوقا ضروبا من الهوان . وفرق الدهر الشت بينهما أمداً ثم جمعهما الأقدار أخيراً ليكونا سلطانى المسلمين وليكتبا فى تاريخ الإسلام صفحة جد نضيرة :

***

تجلو الرواية أياما مجيدة لسلف المسلمين . وفصولها جميعا تنطوى على رسالات سامية ، فهنا معرض خلق وبطولة باهرين ، وهناك حديث وطنية وتضحية مثاليتين ، وهنا دعوة قوية إلى

الاستمساك بالحق والحماسة له ، وثم حوافز للمجد وزراية على الضعف والضعفاء . ولكنك على كثرة ما تواجهك هذه المعانى لاتحس أن الكاتب تكلفها ، بل تدرك أنها — مع علو نمطها — ليست الشيء الذى وضعت له الرواية وتلك لا ريب من خصائص القصة الفنية الناجحة .

***

ولقد عرض المؤلف أشخاصاً يتعذر على القارىء نسيانهم لوفرة ما لذوا شعوره وناجوا ضميره . فكيف ينسى مثلا «ممدود» أبو قطز وصهر جلال الدين ووليه الحميم ومستشاره الحصين الأمين ؟ وكيف ينسى «سلامة الهندى» الخادم الوفى الذى حمل الطفلين : قطزا وجلنارا — وكان اسماها فى طفولتهما محمودا وجهادا — إلى الهند يوم أغرق نساء بيت «خوارزم شاه» فى اليم تفادياً من ذل الإسار ، والذى قاسى ما قاسى ابتغاء الوفاء ، والذى مات هماً بالغلامين إذ بيعا فى أسواق النخاسة وجزعاً عليهما من تفرق الشمل ؟ وكيف يُنسى «غانم المقدسى» السرى الصالح وزوجته البارة ؟ و «الحاج على الفراش» الخادم الخير الذى لا تمنعه ضآلة منزلته من إسداء الجميل ؟ و «ابن الزعيم» المحسن البار والوطنى المسلم المجاهد ؟

فأما «الشيخ عز الدين بن عبد السلام» العالم الذى لا يشترى بدينه ثمنا قليلا ، والسياسى الخالص العقيدة ، والمجاهد الصادق البأس ، والزعيم الذى يجد الناس فى زعامته أنوارا وآمالا ، فما ألطف وما أجل وما أنفع ما جرى به عنه قلم المؤلف فى روايته . إن القارىء كلما حكى المؤلف عن عز الدين شيئاً لتحوبه موجات روحية ، وإن نفسه لتسمو وتسمو .

وفى الرواية صفحات أخرى كثيرة كأنها لعذوبتها فيوض من الشعر كتبها المؤلف بأسلوب مسيطر ينتزع للرواية منزلة طيبة بين الآثار الأدبية الطيبة .

فطفولة «جهاد» الحلوة ومعابثة أبيها إياها وطموح «محمود» وبطولته وغرامه بتدمير التتار وهو بعد فى طفولته يجتاز الحياة على جسور من الأوهام والأحلام ، والحب الأكيد بين الطفلين ، ومناجاة جلال الدين لأبيه حين أخطأ جلال وقسا على بلد إسلامى .. هذه كلها فيها جمال مؤثر ورقة تلفت القلوب ، وفيها دقة وحذق تساوقان علم النفس مساوقة ملحوظة .

والحب الذى كان بين قطز وجلنار ، الحب العظيم الذى كأن السماء كانت ترعاه ، والذى نما به وشقيا ، هو فى كل مراحله من أمتع ما فى الرواية وأكثره استهواء للب وهزاً للعواطف .

حدث المؤلف عن الحبيبين فى فترة من أيامهما قال :

«وحليت الدنيا فى عينيهما فصارت رياضاً وأنهاراً وورودا وأزهاراً وطيوفا من ضياء الشفق البهيج ، وروحات من نسيم الفجر العليل يتقلبان منها فى أيام كلها أصيل وليال كلها سحر» .

ومن مثل هذا النسق العالى كانت كتابة «با كثير» عن ذلك الحب الفائق ، ومن مثله كان وصفه للطبيعة فى بعض جنبات روايته .

***

بقى أن نعتب على مؤلفنا الموهوب ما حشد به روايته من أسماء كثيرة لأناس فى العهد الأيوبى لم تكن الرواية — فى رأينا — بحاجة إلى ذكرهم .

ونحن نستميح صديقنا المؤلف فى أن نسأله : ما هذه الحيدة عن الطابع الأدبى الخالص فى بعض أنحاء الرواية حين يسوق أحداث التاريخ غير مدبجة ببراع الأديب فلا هى خفيفة ولا هى محبوبة بل هى مجهدة للقارىء مزعجة إياه . لقد قال مثلا فى أحد المواضع : «فلما كان يوم السبت لست بقين من ذى القعدة سنة ٦٥٧ حصل كيت وكيت» فانظر كيف يثقل هذا على من يقرأ قصة أدبية محضاً . إن اللمحات بله العبارات الأدبية — وخاصة إذا كانت من أديب تمرّس بالقصة وتوفّر عليها مثل مؤلفنا البارع — كانت كفيلة جداً بأن تشق لنا مسالك التاريخ فى الحدود التى تناسب روايته بوصفها أثراً أدبياً لا كتاباً تاريخياً . إن القصة الفنية كاللوحة — كما هو معلوم — والرسام يرسم الصورة للشىء القديم فيجعلنا بفنه ندرك تاريخ هذا الشىء ، دون أن يضع عليه اسم يوم أو شهر أو سنة . ألا وإن الفطرة الفنية الذواقة على نقيض العقلية العلمية لا تحفل كثيراً بالتواريخ ولا تعنى بالأسماء إلا بقَدَر . وأظن أن الأستاذ المؤلف إذا عنى بتقديم روايته لمسابقة وزارة المعارف فى الموعد الذى ضُرب للمتسابقين أعجل عن بث مواهبه الفنية فى تلك الأجزاء . ولو فعل لكانت روايته يقيناً من أرفع الآثار الفنية لدينا .

***

وبعد فلا بدّ أن نقرر أن المؤلف كان فى جل روايته نافذ القوة ، وأنه — فيما خلا المواضع المشحونة بالتاريخ لغير داع فنى — بلغ فيما عرضه أقصى ما يبلغه مؤلف فى نفس قارئه من الانفعال والتأثر القوى .

لبيب السعيد

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦١٣ — الاثنين ١ مارس [illegible]

الرسالة والرواية

الفهرس

صفحة



إدارة البلديات العامة

مجارى

يطرح مجلس الفيوم البلدى فى المزاد بيع ٧٠٠ متراً مكعباً من السماد الناتج من مزرعة المجارى مقسمة على أجزاء كل منها ٥٠ متراً مكعباً ويمكن للمزايد مشترى جزء أو عدة أجزاء حسب حاجته وقد تحدد يوم ١٤ إبريل سنة ١٩٤٥ للمزايدة بديوان البلديه

٣٣٣٢

محكمه الأزبكيه الجزئيه الأهليه

إعلان بيع عقار فى القضيه رقم ٣٥٧٢ سنه ١٩٤٤

مدنى الأزبكيه

نشره أولى

إنه فى يوم الاثنين ٣٠ إبريل سنة ١٩٤٥ الساعه ٨ أفرنكي صباحا بسراى محكمه الأزبكية الجزئيه الأهليه الكائن مركزها بشارع جزيرة بدران قسم روض فرج سيباع بطريق المزاد العلني العقار الآتي بيانه بعد المملوك إلى ١ الست رقيه يوسف المفيه بشارع نوح باشا رقم ١٢ بالزيتون قسم مصر الجديده ٢ — الست سوسانه يوسف المفينة بشارع باستور نمرة ٢ بمصر الجديده وهذ اليوم كطلب ورثة الست شفيقه يوسف وهم أسعد أفندى وجرجس أفندى وحنا أفندى والستين أولجا وأجيا عباد حنا المفيمين بشارع الجد رقم ٢٨ بالفجاله قسم باب الشعرية ومحلهم المختار مكتب حضرة الأستاذ شاكر سماب المحامى بشارع جزيرة بدران ن ٦ بشبرا

نفاذاً لحكم نزع الملكية الصادر من هذه المحكمه بتاريخ ١٢ — ٢ سنة ١٩٤٥ ومسجل بقلم كتاب محكمة مصر فى ١٥ — ٢ سنة ١٩٤٥ وفاء لمبلغ ١٦١ مليم ، ٩٠ جنيه بخلاف ما استجد ويستجد من المصاريف ورسوم الشهادات بثمن أساسى قدره ٦٠ جنيه بخلاف المصاريف .

بيان العقار

١٧٣ متر مربع تعدل ٩ س ١٠ ط شيوعا فى أربعه وعشرين قيراط فى قطعة الأرض نضاء رقم ٤٣ على شارع شركات البترول بحوض الشيخ صالح نمرة ٦ بزمام الزلونة الجرا . مركز ضواحى مصر مديرية القليوبية تبع شياخة الشرابية قسم شبرا محافظة مصر وجملة مسطحها ٣٠ ر ٢٤ متراً مربعاً وحدودها . بحرى شارع شركات البترول بطول ٢٤ ر ٣٠ متر والشرقى حارة فضول بطول ٨٧ ر ١٩ متر والقبلى جار بطول ١٨ ر ٢٠ متر والغربى جار بطول ٨٤ ر ٦٩ متر

وجميع الأوراق والمستندات الخاصة بالبيع مودعه ملف الدعوى لمن يرغب الاطلاع عليها

فعلى راغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان المحددين أعلاه للمزايده

كاتب البيوع

13 me Année No. 613

Lundi - 2 - 4 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦١٣ «القاهرة في يوم الإثنين ١٨ ربيع الآخر سنة ١٣٦٤ — ٢ أبريل سنة ١٩٤٥» السنة الثالثة عشرة

المذاهب تتقارب

للأستاذ عباس محمود العقاد

من أهم الأنباء التي نقلها إلينا البرق في الشهر الماضي ذلك النبأ الذي يلخص نظام التوريث والوصية في البلاد الروسية، وفحواه أن القوانين الجديدة تبيح لمن يشاء أن يترك ميراثه لمن يشاء، بعد أن كانت التركات من حق الدولة وحدها إن لم يكن للمتوفى ورثة أو أقارب.

سئلت منذ تقدمت الجيوش الروسية في الأرض الأوربية: ماذا يكون مصير أوربا أمام الدعوة الشيوعية واحتلال الروس للأقطار التي يحتلونها الآن وقد يحتلونها إلى ما بعد انقضاء الحرب بسنوات؟ فقلت: إن الروسيا لن تكون شيوعية ماركسية في ذلك الحين، لأنها ستقترب من النظم الاشتراكية المعتدلة، ثم تقترب من النظم الديمقراطية، وسيكون للديمقراطية حظ السبق إلى التطور السريع في مسائل الثروة والتأمين الاجتماعي، فتحل المشكلات التي عجزت الماركسية عن حلها بعد ربع قرن من التجارب والمحاولات، فإن لم توفق الديمقراطية إلى الحل الحاسم في جميع هذه المشكلات فهي موفقة لا محالة في الابتداء الذي يكفل لها حسن الانتهاء أو حسن التقدم والاطراد في الطريق.

وقد يقتضي الأمر بضع سنوات قبل أن تصطبغ الماركسية بالصبغة الأخيرة التي تقربها من الديمقراطية، فلا نقول إن الماركسية اليوم قد تغيرت كل التغير ولا أنها قد رجعت في مسألة الطبقات عن القواعد التي قام عليها المذهب منذ أعلنه دعاته في القرن الماضي، ولكنا نقول إنها شرعت في النقلة التي لا رجوع فيها، وإن المسألة بعد ذلك مسألة الوقت والمناسبات.

والذي تغير حتى الساعة من أصول الدعوة الماركسية غير قليل

فأول عوارض التغير هو العدول عن نشر الدعوة في العالم والاكتفاء بالتجارب الميسورة في البلاد الروسية وما جاورها، وقد كان هذا مبعث الاختلاف الشديد بين الزعيمين الكبيرين تروتسكي وستالين.

وجاءت بعد ذلك عوارض أخرى لم تكن تدور للنين — فضلاً عن كارل ماركس — في حساب. فاعترفت الحكومة السوفيتية بالكنيسة وبعض النظم الدينية، ثم اعترفت بالوطنية التي كانت تعتبر في عرف كارل ماركس وأصحابه بقية من بقايا

رأس المال ، ولجأ الزعماء إلى إثارة النخوة فى صدور الشعب بتسمية الحرب الحاضرة « حرباً وطنية » وإحياء التراث الوطنى فى الأغانى والمواكب والمسرحيات .

وعمد ديوان التعليم إلى التفرقة بين الجنسين فى المدارس الابتدائية والثانوية ، مع حرص الماركسيين على إعلان المماثلة التامة بين الرجال والنساء فى جميع الأعمال وجميع الكفاءات .

وقد سلم ولاة الأمر الروسيون فى الملكية الصغيرة وسلموا فى تفاوت الدرجات وتفاوت الأنصبة على حسب اختلاف الأعمال ، وسلموا فى معاملة الصناعات الفردية بغير النظام الذى يعامل به الأجراء فى المصانع الكبيرة ، ونشأت عندهم طبقات ممتازة فى المعيشة تبعاً لامتيازها فى الوظائف المدنية أو العسكرية .

وكل هذا والروسيا بمعزل عن العالم يتخيل أبناؤها أن الإصلاح فى ظل الديمقراطية مستحيل ، وأن إنصاف العمال مع قيام رأس المال ضرب من الأساطير ، فإذا ارتفعت الحواجز غداً وأبيح للروسيين السفر إلى أنحاء العالم وأبيح للأجانب السفر إلى روسيا فلا بد من تبدل الأحوال فى أمد قصير ، ولا بد من تغير النظر إلى حقائق الأمور . فإن الشيوعى الذى يعلم يومئذ أن الأمور تنصلح فى ظل الحكم الديمقراطى ، وأن العمال ينالون من خيرات الدنيا فى البلاد الأخرى فوق ما ينالونه فى الجمهوريات التى تسمى بجمهوريات العمال لن يثبتوا على توجسهم من الديمقراطية ولا يأسهم من صلاح الأمور على يديها ، ولن يثبتوا على تعصبهم للشيوعية ، ولا حصر الخير كل الخير فى دعوتها ؛ ولا سيما بعد التوسع فى تطبيق مذاهب التأمين الاجتماعى وإنصاف العاطلين والعجزة والشيوخ ، وشعور الروسيين حكومة وشعباً بضرورة التعاون بينهم وبين سائر الحكومات والشعوب .

والأرجح عندنا أن سياسة العزلة الروسية لن تدوم بعد الحرب زمن طويل ، ونعنى بسياسة العزلة تصعيب السفر على الروسيين وتصعيب الدخول إلى الأرض الروسية على الأجانب ، فإن قيام هذه العزلة لا يتاح لمن يريده بعد تشابك المصالح وتواتر الأخبار والعلاقات من هنا وهناك ، وبعد احتياج الساسة الروس إلى بسط قضاياهم السياسية ، وتحصيل المواد الصناعية والسلع التجارية التى لا يستغنون عن توريدها والمبادلة عليها وعقد الصفقات الطويلة أو القصيرة بشأنها ، وربما أحس هؤلاء الساسة قبل غيرهم بضرورة التيسير فى مسألة السفر من بلادهم والسفر إليها ، لأنهم يأمنون بذلك معارضة المنكرين لكل تغيير فى الأساليب الماركسية إذا وجب أن يغيروها ويقتربوا بعض الاقتراب من النظم الديمقراطية ، فإنما يصعب الخروج على قواعد كارل ماركس لمن يجهل أعمال الإصلاح وأحوال العمال فى البلاد الديمقراطية ويمتنع عليه أن يعقد المقارنة بينها وبين أعمال الإصلاح وأحوال العمال فى الجمهوريات السوفيتية ، فإذا تيسرت هذه المقارنة للمتعصبين المتعنتين لم تقم الحوائل الحاسمة دون التغيير درجة بعد درجة ، ومرحلة بعد مرحلة حتى يتم التقارب والتوفيق بين أطراف المذهبين ، أو بين أطراف المذاهب التى تتناول مسائل الإصلاح ومشكلات الاجتماع .

وقد كان من قوانين العدل المفروغ منها عند الماركسيين أن تحرم الوراثة كما تحرم الملكية . ولكن تحريم الوراثة فيما نرى أدنى إلى الظلم والمفارقة من تحريم الملكية حيث كانت فى المال أو العقار ، لأن الحكومات والقوانين لن تمنع الإنسان أن يرث عن أبيه أمراضه وعيوبه وسوء العلاقة بينه وبين غيره ، فليس من حقها أن تمنعه ميراث الخير الذى يصل إليه أو تقطع الصلة بينه وبين مساعى أبيه ، وإذا كان للمجتمع حق فى ميراث الفرد الغنى فليس للمجتمع أن يجهل حق بنيه وبناته وأقرب الناس إليه .

فاليوم يرجع الشيوعيون إلى الاعتراف بالميراث والتوصية بعد الاعتراف بالملكية الصغيرة مدى الحياة ، وإذا كانت الأملاك المنتجة للثروة لا تزال فى الجمهوريات السوفيتية مستثناة من حيازة الأفراد فالديمقراطية نفسها لا تمنع استيلاء الدولة على هذه الأملاك ، ولا تمنع مشاركة المجتمع فى التركات الكبيرة بحصة تربى على حصص الأبناء والأقربين .

ثم إن الملكية الصغيرة فى الجمهوريات السوفيتية تخالف

الملكية الصغيرة فى الأمم الديمقراطية ، لأنها هناك أشبه بالحكر الذى يستغل بإشراف الدولة ولا يجوز لمن يستغله أن يتصرف فيه بالبيع أو الهبة أو التأجير ، ولكنه ـ كائناً ما كان ـ أقرب إلى الديمقراطية منه إلى الماركسية فى أساسها . فهو قد تجاوز منتصف الطريق فى اتجاه الديمقراطية ، ولا سيما بعد تسويغ التوصية والميراث .

وليست الشيوعية وحدها بالمذهب الذى يقترب فى إبان الحرب ـ وبعد الحرب ـ من المذاهب الاجتماعية على اختلافها .

فإن الديمقراطية مثلها تقترب من ناحية إلى الاشتراكية كما تقترب من ناحية أخرى إلى النازية أو الدكتاتورية . وإنها لمضطرة لا محالة إلى العدول عن خطة الهوادة والإغضاء فى معاملة الخارجين على مبادئ الحرية الفردية والحرية القومية ، ومضطرة لا محالة إلى العدول عن خطة الحيدة التامة ـ من قبل الحكومة ـ فى الرقابة على شؤون الثروة ومسائل الأرزاق ، ومضطرة لا محالة إلى اختصار « الإجراءات » الشكلية التى كانت تعوق حركة العمل فى الحكومات البرلمانية ، وهى اليوم بما تفرض من الضرائب على التركات وعلى الأرباح المفرطة والمرافق العامة أصح اشتراكية من مذاهب الاشتراكيين ، لأنها تشارك الأفراد فى أملاكهم الخاصة وغلات تلك الأملاك وتنقلها إلى المفتقرين إليها ، على سنة الدعاة الشيوعيين الذى جعلوا شعارهم : « من كل حسب ما يستطيع، ولكل حسب ما يحتاج إليه » .

إلا أن الفرق بين الديمقراطية والشيوعية فى هذه الحالة أن الديمقراطية تدع الفرد مستطيعاً لجمع الثروة حتى يؤخذ منه العون الاجتماعى على حسب ما يستطيع ، أما الشيوعية فقد سلبت الفرد نخوة المنافسة وحمية الطموح إلى التفوق ، وتركت له شيئاً واحداً وهو أن ينتظر المدد من المجتمع على حسب الحاجة إليه .

ومن ثم لا يبقى بعد الحرب مذهب اجتماعى واحد كما كان قبلها أو كما أراد دعاته أن يبقى ، وإنما تتقارب مع الزمن حتى يخلص منها مذهب واحد جامع لمحاسنها معتبر بمساوئها ، والديمقراطية هى المذهب الغالب عليها فى النهاية لأنها هى المذهب الذى لا يصطدم فى أساسه بموانع التطور والاقتباس ، فالشيوعية التى تبيح الملكية وتبيح الميراث تناقض أساس المذهب الذى قامت عليه ، والدكتاتورية التى تنكر على الزعيم قداسته تناقض أساسها وتنتزع حجتها فى محاربة الديمقراطية ، ولكن الديمقراطية التى تحد الملكية على سنة المساواة ، أو تزيد فى سلطان الوزير المقيد برقابة النواب والناخبين لا تزال ديمقراطية فى الصميم ولا تنقض مبدأ من المبادئ التى تقوم عليها الحرية الفردية ، وتعاون الأمة ذلك التعاون الذى يشمل الطوائف والأفراد .

ما من حركة إنسانية هى شر محض من مبدئها إلى منتهاها ، حتى الحرب العالمية وما أشنعها وأقساها .

فلعل هذا التصالح بين المذاهب التى تسعى إلى خدمة الإنسان هى ثمرة الخصومة التى تسفك فيها دماء بنى الإنسان ، ولن يزال الارتقاء غنيمة غالية الثمن فى تاريخ أبناء آدم وحواء .

عباس محمود العقاد

علم العرب الأقدمين بالجراد

للدكتور محمد مأمون عبد السلام
وكيل قسم أمراض النباتات بوزارة الزراعة

عرفت شعوب الشرق الأوسط من حاميين وساميين الجراد وأحواله وأطوار نموه وتحركه من أقدم العصور. يدل على ذلك ماورد فى كتب العهدين القديم والجديد، وما جاء فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف، وما لدينا من أمثال العرب القدماء وأشعارهم. فوصف سفر الخروج (١٢ — ١٣) غاراته على مصر أبلغ وصف: « ثم قال الرب لموسى مد يدك على أرض مصر لأجل الجراد ليصعد على أرض مصر ويأكل كل عشب الأرض وكل ما تركه البرد. فمد موسى عصاه على أرض مصر فجلب الرب على الأرض ريحاً شرقية كل ذلك النهار وكل الليل، ولما كان الصباح حملت الريح الشرقية الجراد فصعد الجراد على كل أرض مصر وحل فى جميع تخوم مصر شيء ثقيل جداً لم يكن قبله جراد هكذا مثله ولا يكون بعده كذلك، وغطى كل وجه الأرض وأكل جميع شجر الثمر الذى تركه البرد حتى لم يبق شيء أخضر ولا فى عشب الحقل فى كل أرض مصر ».

ووصف سيدنا سليمان أسراب الجراد فى أمثاله بقوله: « الجراد ليس له ملك ولكنه يخرج كله فرقاً فرقاً ».

وجاء فى القرآن الكريم « فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين ».

وورد أن النبى الكريم كان يصلى ظهراً والجنادب تنقز من الرمضاء. وفى حديث عمر رضى الله عنه أنّ رجلا قال أصبت دباة وأنا محرم، قال اذبح شويهة. وفى حديث ابن عباس أنه دخل مكة رجل من الجراد فجعل غلمان مكة يأخذون منه فقال: « أما إنهم لوعلموا لم يأخذوه » يعنى بذلك أنّ صيد الجراد مكروه فى الحرم وفى الحديث الشريف « كأن نبلهم رجل جراد ». وذكر الجراد فى حضرة النبى صلى الله عليه وسلم فقال ليت عندنا منه قفعة أو قفعتين. قال ذلك لأنه غذاء محبوب عند العرب. وسئل النبى كيف الناس بعد ذلك؟ قال دباً يأكل شداده ضعافه حتى تقوم عليهم الساعة. وقال النبى صلى الله عليه وسلم إن مريم جاعت فجاءها طبق من جراد فصادت منه — أى قطيع من الجراد. وورد أن عائشة رضى الله عنها أرسلت إلى النبى جراداً محموساً أى سوى على النار. وفى حديث غزوة حنين « أرى كتيبة حرشف » أى فرقة من الرجالة شبهوا بالحرشف أى الجراد لكثرتهم.

وقد ورد الجراد بأسمائه المختلفة فى أمثال العرب وحكمهم وأشعارهم فقالوا (إذا أجدب الناس أتى الهاوى والعاوى) والهاوى هو الجراد والعاوى هو الذئب. وسمى الجراد بذلك لأن له هويا أو دويا يعنى صوتاً. وقد سمى بعض العرب خيلهم بالجرادة والخيفانة، تشبيها لها به فى خفته وسرعته، فسمى عبد الله بن شرحبيل فرسه بالجرادة. وجرادة العيار اسم فرس فى الجاهلية لأعرابى اسمه العيار صاد جراداً وهو جائع ودسها فى النار وصار يخرجها واحدة واحدة ويأكلها حية وهو لا يدرى من شدة الجوع فطارت منها جرادة فقال: « والله إن كنت لأنضجهن » فضرب ذلك مثلا لكل من أفلت من كرب. وقيل كانّ العيار رجلا أعلم أخذ جرادة ليأكلها فأفلتت من عَلَم شفته، ويصف العرب الفرس والناقة السريعة بأنها خيفانة لسرعة عدوها وخفتها وطمورها كالجراد قال عنترة:

فغدوت تحمل شكتى خيفانة ... مرط الجراء لها نميم أتلع

وقال امرؤ القيس:

وأركب فى الروع خيفانة ... لها ذنب خلفها مسبطر

وقال مشبها الخيل بالحرشف:

كأنهم حرشف مبثوث ... بالجو إذ تبرق النعال

والحرشف ضرب من الجراد قال الراجز:

يا أيها الحرشف ذا الأكل الكُدَم — يعنى الشديد الأكل.

ويقول العرب فى أمثالهم « صر الجندب » وهو مثل يضرب للأمر يشتد حتى يقلق صاحبه. والأصل فى هذا المثل أن الجندب وهو الجراد إذا أرمض من شدة الحر لا يستقر على الأرض بل يطير فيسمع لرجليه صرير. وقد وصف ذلك أحد شعرائهم بقوله:

قطعت إذا سمع السامعون ... من الجندب الجون فيها صريرا

والجندب من أسماء الاساءة فى لغة العرب فتراهم يكنون به الظلم والغدر والداهية فيقولون (وقع القوم فى أم جندب) إذا ظلموا. قال الشاعر:

قتلنا به القوم الذين اصطلوا به   جهاراً ولم نظلم به أم حندب

أى نقتل به غير القاتل .

وكان من عادة العرب أن يسموا الأشخاص بأسماء الجراد ، فورد أن جرادة اسم امرأة فى الجاهلية غنت للرجال الذين أوفدهم عاد إلى البيت الحرام بمكة يستسقون لتلهيهم عن السقاية . وفى ذلك يقول ابن مقبل :

سحراً كما سحرت جرادة شربها   بغرور أيام ولهـو ليـال

ويقال إنه كان بمكة فى الجاهلية مغنيتان يقال لها الجرادتان مشهورتان بحسن الصوت والغناء ، وقيل إنهما مغنيتان للنعمان . وجندب اسم رجل .

وعادة أكل الجراد قديمة عند شعوب الشرق الأوسط فقد أحله الله لبنى إسرائيل على لسان كليمه موسى « هذا منه تأكلون الجراد على أجناسه ، والدبا على أجناسه ، والحرجوان على أجناسه والجندب على أجناسه » . وكان يحيى بن زكريا عليهما السلام يقتات بالجراد والعسل وهو يتعبد فى البرية .

وقد أحل أكله للمسلمين على لسان النبى الكريم « أحلت لكم ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال » . وورد فى صحيح البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يأكل الجراد فى غزواته ، فقد ذكر ابن أوفى « غزونا مع النبى صلى الله عليه وسلم سبع غزوات أو ستاً كنا نأكل معه الجراد » ، ولذلك كان العرب يصطادونه ويكتسبون لعيالهم منه كما قال المبرد :

إذا أكل الجراد حروث قوم   فحرثى همه أكل الجراد

وللعرب فى أكله طرق فكانوا يقشرونه أى ينتزعون رؤوسه وقوائمه ويسمونه الجُلف ومفرده جليف كما ذكر قيس ابن الحطيم فى وصف امرأة :

كأن لباتها تبـددها   هزلى جراد أجوافه جلف

وكانوا يجففونه ويسحقونه ويضيفونه إلى الدقيق لصنع الخبز ويطبخونه فى الرجل ويسمونه الهميشة لأنه يغلى بعضه فى بعض فيسمع له حركة . ويشوونه على النار ويسمونه المحسوس ، وكان العرب يأكلون بيض الجراد وبيض الضب ويسمونه المكن قال أبو الهندى عبد المؤمن بن عبد القدوس :

وما فى البيوض كبيض الدجاج   وبيض الجراد شفاء القرم

ومكن الضباب طعام العرب   لا تشتهيه نفوس العجم

ولم يعتبر العرب الجراد حشرة بل كان فى عرفهم من صغار الطير لذلك سموه طيفورا أو طويئراً .

والجراد من صميم حشرات بلاد العرب لكثرة ما ورد من أسمائه فى العربية . وقد سمى جراداً لأنه يجرد الأرض أى يدبشها أو ينمشها أو يحتنكها أى يلتهم كلأها فيتركها جرداء من جرد الشىء قشره وجرد الجلد نزع عنه الشعر . ومنه الرجل الأجرد . والجرد من الأرض الفضاء الذى لا نبت فيه . قال الشاعر يصف حمار وحشى يأتى الماء ليلا ليشرب .

يقضى لبانته بالليل ثم إذا   أضحى تيمم حزما حوله جرد

والجردة أرض مستوية متجردة . ومكان جَرِد وأجرد وجَرَد لانبات فيه . وفضاء جرد وأرض جرداء جردها الجراد أو القحط تجريداً . وفى الحديث (كانت فيها أجارد) أى مواضع متجردة من النبات . والسنة الجارود هى المقحطة الشديدة المحل . ويقول العرب جردت الأرض فهى مجرودة إذا أكلها الجراد .

والجراد اسم للجنس يطلق على الذكر والأنثى على السواء ، ويسمى العرب ذكر الجراد بالعنظب أو العصفور أو الجندب . وقيل الجندب والقمل هو الصغير من الجراد قال الشاعر :

يغالين فيه الجزء لولا هواجر   جنادبها صرعى لهن فصيص

أى صوت . ويسمون الأنثى من الجراد العنظوانة نسبة إلى العَنَظ وهو الكرب لأنها تحدث الكرب والشدة قال جرير :

ولقد رأيت فوارسا من رهطنا   عَنَظُوكَ عَنْظَ جرادة العيار

(أى لازموك وغموك) وتسمى الأنثى أيضاً السرعوفة أو العيساء أو العرادة أو الدباساءة . ومن أسماء الجراد الحسبان المذكور فى القرآن الكريم « فعسى ربى أن يؤتينى خيراً من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيداً زلقا » .

ومنها الحاسة لأنه لا يدع فى الأرض شيئاً الا حسه أى لم يترك منه شيئاً . ومنها أيضاً السرواح لأنه يسرح . ومن أسماء الجراد أيضاً الجائح لأنه يجتاح كل شىء أى يستأصله ، ومنها الجادى لأنه يجدى أى يأكل كل شىء . قال عبد مناف الهذلى :

صابوا بستة أبيات وواحدة   حتى كأن عليها جاذياً لُبداً

واللبد هو الكثير .

والدَّيجان هو الكبير من الجراد .

والجُنْدُعُ أو الخُنْدُع أو الحَنْدَع جندب أسود له قرنان طويلان وهو أضخم الجنادب .

وكان العرب على علم بأطوار نمو الجراد وتطوره وتزاوجه فقالوا غرزت الجرادة أو رزت أو متحت أى أثبتت ذنبها فى الأرض لتسرؤ أى تدفن بيضها فى الأرض فهى غارزة ، والمنرز هو موضع بيضها ، والجرادة السرؤ هى التى أسرأت أو سرأت أى ألقت السرء أى المكن وهو البيض . ويطلق العرب المكن على بيض الضب كذلك كما سبق القول .

ويقول العرب مكنت الجرادة فهى مكون إذا كانت حبلى أى جمعت البيض فى جوفها وحفظته فيه فإذا ألقته فهى السلقة . فإذا لم يكن فى جوفها بيض فهى جرادة صفراء .

وإذا انقف الجراد بيضه أى القاه فإنه يتنفس عن السروة وهى صهباء إلى البياض وهذه تصبح دبا عند ما تأخذ فى الحركة قبل أن تنبت أجنحته أى قبل أن يطير فتكون الأرض لوجوده مدبوءة أو مدبية وواحدته دباة . والدبى اسم مكان بالدهناء يألفه الجراد فيبيض فيه . والدبا يكون فى أول أمره قمصاً كالعث صغراً (الطور الحورى الأول) ثم يصبح كالقمل سوادا ويسمى الحبشان (الطور الحورى الثانى) فإذا سلخت الحبشان صارت برقاناً فيها جدة سوداء وجدة صفراء (الطور الحورى الثالث) وجميع هذه الأطوار يسميها العرب خرشفاً وهى أشره ما يكون ، ويسلخ اليرقان المعين أو الخيفان وتظهر فيه خطوط مختلفة من بياض وصفرة (الطور الحورى الرابع) ثم يصبح مرجلا أو كتفاناً لظهور أوائل أجنحته ولأنه إذا تحرك لا يطير بل يقفز فى الأرض مثل المكتوف الذى لايستعين بيديه إذا مشى ، ويسمى كذلك عتاباً لأنه يعتب أى يقفز (الطور الحورى الخامس) ثم يصبح غوغاء حين يخف للطيران (الطور الحورى السادس) . وقد سمى العرب السفلة المتسرعين إلى الشر من الناس بالغوغاء لكثرة لغطهم وجلبتهم . ثم يصبح عند ما يطير جراداً (الطور البالغ) . والمسيح هو الجراد إذا صار فيه خطوط سود وصفر وبيض وتسبيح الجراد هو ما يخرج منه من ألوان شتى حين يزحف .

وقد عرف العرب الكثير عن أعضاء الجراد ، فقالوا إن للجرادة تأشيرة وهى التى تعض بها mandibles والتأشير أيضاً شوك ساقيه leg spines . أما الإشرتان أو الاثناء أو الأطواء Ovipositor Sheath فالعقدة التى فى رأس الذنب كالمخلبين وبها يرز الجراد أى يدفن بيضه فى الأرض ، ويقال للمخلبين اللذين تحت الساقين المنشاران . والنخاع hypopharynx هو الخيط الذى فى حلق الجرادة كاللسان . والبخنق جلباب الجراد على أصل عنقه Pronotum والنكبان هما رؤوس الأجنحة Wing—bases والأجنحة أربعة : اثنان أعليان غليظان هما الظهران Forewings واثنان سفليان رقيقان هما القشران Hindwings والجؤشوش أو الجوش أوالجوشن Thorax هوصدر الجراد وله ست أيد وهى فى الجوشن . وسرم الجراد هوماخلف الجوشن وهوذنبها Abdomen .

وكان العرب على علم بتجمع الجراد وهجرته وتفرقه فقالوا حوم الجراد فى السماء أى حلق . وسام الجراد سوما إذا دخل بعضه فى بعض . وهمش إذا تحرك ليثور . وارتهش إذا ركب بعضه بعضاً حتى لا يرى معه تراب . وقالوا الشفترة تفرق الجراد . والجراد الشفتر هو المتفرق قال الشاعر :

فترى المرو إذا ما هجرت عن يديها كالجراد الشفتر

وعيران الجراد هى أوائله المتطرفة القليلة — وأرجال الجراد أى جماعته أو طوائفه تسمى القفعة . فإذا كانت غير كثيرة فهى الشيتان. أما إذا كانت كثيرة فهى الطبق أو الثوالة لتثولها وتراكبها. ورجل الجراد هى قطعة أو خيط منه يملأ مكاناً بقدر ميل فإذا كان أكثر من ذلك فهو زحف . فإذا سد الأفق من كثرته فهو السد أو العارض أو العرض ؛ فإذا كان أقل من ذلك فهو الحذقة . وصرير الجراد وفصيصه هوصوته ، وحنشرته هى صوت أكله .

وقد وصف شعراؤهم ثوران الجراد وتحركه وأضراره أبلغ وصف . فقال ساعدة :

رأى عارضاً يهوى إلى مشمخرة قد احجم عنها كل شىء يرومها

والعارض كما قلنا هو السرب العظيم من الجراد يرى كالسحاب فى ناحية من السماء كأنه يسد الأفق . ومنه قول العرب أتانا جراد عرض أى كثير .

(البقية فى العدد القادم)

الدكتور محمد مأمون عبد السلام

العنـــــاية الالهية

للكاتب الفرنسي « لامنيه »

للأستاذ زكريا إبراهيم

« ... إلى الآنسة المهذبة (ا . م) : يا فتاتي : إن العناية الالهية ترعانا ، فدعيني أضع بين يديك هـذه القطعة الجميلة الرائعة التي تعبر — في بساطة مقدسة — عن تلك العناية الالهية الفائقة ... »

ز . إ

كانا جارين ، يعيش كل منهما مع زوجه وأبنائه الصغار ، ولا همّ له سوى توفير أسباب الحياة لأسرته .

وذات يوم ، طافت برأس أحدهما خواطر مزعجة ، فقلقت نفسه ، واضطرب باله ، وأخذ يفكر في نفسه قائلا : « ماذا يكون من أمر زوجي وأبنائي ، لو عدا عليّ عادي الموت أو المرض ؟ » .

وألحّت عليه هذه الفكرة ، فلم يجد للخلاص منها سبيلا . وهكذا أخذت الخواطر المزعجة تأكل قلبه ، كما تأكل الدودة الثمرةَ التي تختبىء فيها .

أما الآخر ، فقد طافت بذهنه هذه الفكرة نفسها ، ولكنه لم يتوقف عندها ، ولم يعِرْها أدنى اهتمام ، بل قال في نفسه : « إن الله يعرف كل خلائقه ، وهو يعتني بها جميعاً ، فلابدّ أنه سيعتني بي ، أنا وزوجي وأبنائي » .

وهكذا عاش مطمئناً هانئاً ؛ بينما رفيقه في حيرة وقلق واضطراب ، ولم يستطع — لحظة واحدة — أن يستمتع بالراحة والهدوء .

وذات يوم ، كان صاحبنا يعمل في حقله ، وقد ارتسمت على وجهه أمارات الحزن والكآبة ، من فرْط ما به من قلق وهمّ ، فرأى بعض العصافير ، وهي تدخل إلى إحدى الشجيرات ، ثم تخرج منها ، ثم لا تلبث بعد قليل أن تعود إليها .

وحينما اقترب من تلك الشجيرة ، رأى عشّين متجاورين ، في كل منهما عصافير صغيرة ، لم ينبت لها الريش بعد !

وعاد الرجل بعد ذلك إلى عمله ، ولكنه يرفع بصره من وقت إلى آخر ، وينظر إلى تلك العصافير التي تروح وتجيء حاملةً القوت إلى صغارها :

وذات مرّة ، كانت إحدى الامهات عائدة إلى عشها ومعها القوت الذي جلبته لصغارها ، فانقض عليها نسر كاسر ، ومضى بها ، وهي تتلوّى في قبضته ، وترسل الصرخات الأليمة المدوية !

وحينما وقعت عينا الرجل على هذا المنظر ، لجّتْ عليه خواطر السوء أكثر من ذي قبل ، فزاد قلقه واضطرابه ، وأخذ يفكر في نفسه قائلا : « إن في موت الأم موتاً للأبناء ، فماذا عسى أن يفعل أبنائي ، لو قُدّر لي أن أموت ، وما لهم من معين سواي ؟ » .

وظل الرجل طوال اليوم حزيناً كاسف البال ، وبات طيلة ليلته ساهداً لم تكتحل عيناه بنوم .

وفي اليوم التالي ، حينما عاد إلى عمله في الحقل ، فكّر في نفسه قائلاً : « تُرَى ما الذي صار من أمر الصغار الذين خلّفتهم تلك الأمّ المسكينة ، لابدّ أن يكون عدد كبير منهم قد مات جوعاً » ومضى الرجل إلى الشجيرة ، لكي يرى بعينيه ما حدث

وألقى الرجل نظرة على الشجيرة ، فراعه أن الصغار جميعاً في أحسن حال ، ليس بينهم من يبدو ضعيفاً أو خائراً أو موشكا على الموت »

ولما كانت الدهشة قد بلغت به كل مبلغ ، فقد اختبأ لرى بنفسه ما الذي سيحدث .

وبعد لحظات ، سمع الرجل صرخة خفيفة ، ولمح صاحبة العش الآخر ، وقد أسرعت تحمل القوت لصغارها ، وصغار رفيقتها التي اقتنصها النسر . ورأى صاحبنا هـذه الأمّ الرحيمة وهي توزع القوت على الصغار جميعا بلا تفرقة ولا تمييز ، فيصيب كل منهم طعامه ، ولا يُترك واحدٌ منهم يتيماً لا عائل له !

وفي المساء ، مضى الرجل إلى جاره المؤمن ، يروي له ما رآه بعيني رأسه .

وعند ذلك قال له رفيقه : « فِيمَ القلق والاضطراب إذن ؟ إنّ الله لا يتخلّى عن عباده أبداً ؛ وهذه محبّته لها أسرارٌ لا سبيل لنا إلى معرفتها . فحسبنا أن نؤمن ، ونأمل ، ونحبّ ، ولنواصل السير في طمأنينة وسلام .

« وإذا قدّر لي أن أموت قبلك ، فإنك تصير أباً لأبنائي ، وإذا قدّر لك أن تموت قبلي ، فإنني أصير أباً لأبنائك .

« أما إذا قُدّر لنا نحن الاثنين أن نموت قبل أن يصبح أبناؤنا رجالاً ، فسيكون أبوهم حينئذ ذلك الأب الذي في السماء ! »

زكريا إبراهيم

مدرس بمدرسة السويس الثانوية

على هامش النقد :

هذه الشجرة ... للعقاد

للأستاذ سيد قطب

هذا كتاب يجىء فى إبانه لتصحيح مقاييس كثيرة فى عالم التفكير والشعور ، وفى عالم الأخلاق والاجتماع ، تجاه مسألة من أكبر مسائل الحياة ، بل تجاه مسألة الحياة : مسألة الجنسين ، وعلى أي أساس تقوم بينهما العلاقات .

هو كتاب يجىء فى إبانه لأنه يرتفع بهـذه المسألة فوق السفسطات الذهنية ، وفوق تقاليد « الصالونات » وفوق الفتنة التافهة أو المغرضة بالمرأة « المسترجلة » التى كادت تصبح زيًّا من أزياء « المودة » يفتن بعض الرجال « المتأنثين » فتنة الأزياء الجديدة للمرأة فى كل زمان !

يرتفع بها فوق هذا كله ليردها إلى منطق الحياة ، وإرادة الطبيعة . ثم إلى وظائف المجتمع وقوانين الأخلاق ، المستمدة من منطق الحياة ومن إرادة الطبيعة . وقد آن لنا أن نرد كثيراً من الأوضاع إلى هـذا المنطق الأصيل ، إذا شئنا أن نرجع إلى سواء الفطرة الخالدة ، التى قد تفسد فى بعض الأجيال للابسات خاصة ؛ ولـكنها تعود إلى الصلاح حتماً ، لأن الحياة لا تستقيم طويلاً فى عزلة عن هذه الفطرة الأصيلة .

والمسألة حين ترتفع إلى هذا المستوى ، لا يعود الحديث فيها هو الحديث عن حقوق المرأة وحقوق الرجل ؛ ولـكن عن حقوق الحياة من وراء المرأة ووراء الرجل ، ولا يعود المرجع فيها إلى إرادة هذا الجنس أو ذاك ؛ ولـكن إلى إرادة الطبيعة التى صاغت الجنسين ، لتصل بهما جميعاً إلى تحقيق أغراضها وأغراض الحياة .

ومن هنا نصل إلى المنطق الفاصل ، الذى يعود كل منطق سواه عبثاً وسفسطة ، وتظرفاً يصلح « للصالونات » والمجتمعات ؛ ولا يصلح لبناء الحياة وإقامة المجتمعات !

* * *

والعقاد هنا فى ميدانه الأصيل : ميدان التحليل والتعليل ، للبواعث النفسية والـكوامن الفطرية ، والسمات الشخصية . وهو الميدان الذى يقف فيه متفرداً فى الشرق العربى الحديث .

ويجب أن نقف هنا وقفة قصيرة لتوضيح ما نعنيه بالتحليل والتعليل . فليس أكذب على العقاد من شبهة شائعة عنه عند من لا يفرقون بين ألوان المنطق الإنسانى فى الحياة والفنون .

تقوم هذه الشبهة على أساس أن المنطق الفـكرى هو الذى يغلب على كتابات العقاد ... وهذا فى الواقع هو مفرق الطريق فى اعتقادى – بين من يفهمون ومن لا يفهمون . بل بين من يشعرون ومن لا يشعرون ، حين يتذوقون الفنون !

إن للعقاد منطقاً قوياً جارفاً ... هذا صحيح ... ولـكن أى منطق ؟ إنه « المنطق الحيوى » كما عبرت عنه فى مقالة سابقة فى الرسالة منذ أكثر من عام . وذلك حيث أقول :

« مدرسة العقاد هى مدرسة المنطق الحيوى . والنسبة هنا إلى « الحياة » وإلى « الحيوية » جميعاً ... إلى « الحياة » لأن مرد الحكم على كل قول وكل عمل هو ما تقوله الحياة وما تصنعه ، ومنطقها هو المنطق المطاع فى جميع الأحوال .

كلُّ ما تصنعُ الحياة يُرجَّى من بنيها قبولُه واغتفارُه
فإذا أنكروا قبيحاً ففى القبـــح من الموت لونُه أو شعاره

« وإلى « الحيوية » لأن مرد الحكم على كل قول وكل عمل هو باعثه ، ومدى الحيوية فى هذا الباعث . وقد تتشابه مظاهر الأعمال والأقوال ، ولـكنها تتفق فى « الرصيد » المكنون لها من الباعث الحيوى ، فيتوحد الحكم عليها . وقد تتفق مظاهرها ، ولـكنها تختلف فى الرصيد ، فيكون ذلك مناط الاختلاف » .

إلى أن جاء فى ذلك المقال نفسه :

« ولقد كان العقاد – بما فيه من يقظة الحس وقوة الحواس – وشيكا أن يبذل إعجابه كله للحياة المحسوسة الظاهرة ، وللحيوية المتدفقة فى الحس والغريزة ، لولا قسط من « الصوفية » – ولا يعجب أحد لهذه الـكلمة – ففى العقاد إيمان عميق بقوة مجهولة تصرف الحياة والناس ، وتسيطر على أقدار الفرد والنوع (والصوفية فى أساسها البسيط هى هذا الإيمان بالمجهول) . ولـكن هـذه القوة المجهولة التى يؤمن بها العقاد إنما تصرف الحياة والناس ، وتسيطر

على أقدار الفرد والنوع لمصلحة هذه الحياة نفسها ، وللرقى بالإنسانية فى معارج الكمال ، لا لغرض آخر من الأغراض التائهة المجهولة . وهذا القسط من الصوفية ـ بهذا المعنى ـ يمتزج بالحيوية الحسية ، فيخرج منهما مزاج جديد ، فيه من هذه وفيه من تلك ، على غير تميز بينهما ولا انفصال .

« ولقد كان العقاد كذلك — بما فيه من صحو الذهن ويقظة الوعى — وشيكا أن يبذل قواه كلها للفكر والمنطق ، لولا فيض من حيوية الطبع ، يجرف قوى الذهن والوعى ، فتستحيل جنوداً لهذا الطبع الحى ، تضرب بسلاحه ، وتستمد منه القوة ، وله عليها السيطرة فى النهاية ! »

***

فى هذا الذى اقتبسناه إيضاح لطبيعة المنطق عند العقاد ، ولأسس التحليل والتعليل التى نعنيها . وفيه كذلك تفسير لكل آراء العقاد فى الكون والحياة ، وفى الأدب والفن ، على السواء . وما لهذا أو ذلك وحده سقنا هذا الاقتباس . ولكن لأنه يصلح كذلك أساساً للحديث عن « هذه الشجرة » !

إنه يتحدث عن أسلحة المرأة وأسلحة الرجل فى الحياة ، فيردها إلى أهداف الحياة وإلى مصلحة النوع ، وإلى إرادة الطبيعة . فسلاح المرأة هو الإغراء ، وسلاح الرجل هو الإرادة . وتعليل ذلك فيما يلى :

« وليس للمرأة أن تريد غير هذا النوع من الإرادة ، لأسباب عميقة فى أصول التركيب والتكوين .

« وموقف الجنسين من الاستجابة لمطالب النوع يهدينا إلى حكمة هذا الفارق من طريق قريب .

فالذكور من جميع الحيوانات قد أعطيت القدرة — بتركيبها الجسدى — على إكراه الإناث لاستجابة مطالب النوع طائعات أو مقسورات . ولا يتأتى ذلك للاناث على حال من الحالات الجسدية ، فغاية ما عندهن من وسيلة أن يهجن الرغبة فى الذكور وأن يجعلنهم يريدون ، ولا يستطيعون الامتناع عن الإرادة .

« فهذا الفارق ملحوظ فى أعمق أعماق التركيب الجسدى من كلا الجنسين ، منذ نشأ الفارق بين ذكر وأنثى فى عالم الحيوان . وحكمته ظاهرة كل الظهور ، لأنها هى الحكمة التى توافق بقاء النوع ، وارتقاء الأفراد جيلا بعد جيل .

« فالإغواء كاف للأنثى ، ولا حاجة بها إلى الإرادة القاهرة . بل من العبث تزويدها بالإرادة التى تغلب بها الذكر عنوة ؛ لأنها متى حملت كانت هذه الإرادة مُضيَّعة طوال مدة الحمل بغير جدوى . على حين أن الذكور قادرون إذا أدوا مطلب النوع مرة ، أن يؤدوه مرات بلا عائق من التركيب والتكوين ، وليس هذا فى حالة الأنثى بميسور على وجه من الوجوه .

« وإكراه الأنثى على تلبية إرادة الذكر لا يضير النوع ولا يؤذى النسل الذى ينشأ من ذكر قادر على الإكراه وأنثى مزودة بفتنة الإغواء ؛ فهنا تتم للزوجين أحسن الصفات الصالحة لإنجاز النسل : من قوة الأبوة ، وجمال الأمومة ، ويتم للنوع مقصد الطبيعة من غلبة الأقوياء الأصحاء القادرين على ضمان نسلهم فى ميدان التنافس والبقاء ...

« وعلى نقيض ذلك لو أعطيت الأنثى القدرة على الإرادة والإكراه لكان من جراء ذلك أن يضمحل النوع ويبطل النسل ؛ لأنه قد ينشأ فى هذه الحالة من أضعف الذكور الذين ينهزمون للاناث ....!

« وكيفما نظرنا إلى مصلحة النوع وجدنا من الخير له أبداً أن يتكفل الذكور بالإرادة والقوة ، وأن تتكفل الإناث بالإغواء والتلبية ، بل وجدنا أن فوارق البنية قد جعلت السرور فى كل من الجنسين قائماً على هذا الأساس العميق فى الطباع . فلاسرور للرجل فى إكراهه على مطلب النوع ، بل هو منغص له ، مضعف من لذة حسه . أما المرأة فقد يكون استسلامها لغلبة الرجل عليها باعثاً من أكبر بواعث سرورها ، ولعله أن يكون مطلوباً لذاته كأنه غرض مقصود . بل هو فى الواقع غرض مقصود لما فيه من الدلالة على توفق الأنثى إلى إغواء أقوى الذكور . ومن البداهات الفطرية أن تتظاهر المرأة بالألم والانكسار فى استجابتها للنوع ، لأنها تفطن ببداهتها الأنثوية إلى هذا الفارق الأصيل فى خصائص الجنسين »

***

بمثل هذا المنطق المستلهم مباشرة من الحياة يسير العقاد فى « هذه الشجرة » . فيتحدث عن : « غواية المرأة ، وجمال المرأة ، وتفاوت الجنسين ، وتناقض المرأة ، وحب المرأة ، وأخلاق المرأة ،

وحقوق المرأة ، والجنس ، والحب ، ومعاملة المرأة » وهى الفصول التى تضمنها كتابه ، ثم يختمها « بمقتطفات عن المرأة من كتب المؤلف» تتساوق مع آرائه التى أبداها فى الكتاب، وتدل على عمق هذه الآراء فى نفسه ، وأصالتها فى طبيعته ، وأنها ليست وليدة الاطلاع وحده ، ولا وليدة التجربة وحدها ، ولكنها قبل هذا وذلك وليدة الطبع المستقيم ، والفطرة السليمة ، التى تستمد عناصر شعورها وتفكيرها من صميم الحياة والطبيعة .

* * *

ولولا أننا معجلون — لضيق الفراغ — لاقتبست هنا كثيراً من الفقرات الدالة على هذا كله فى ذلك الكتاب ، الذى أعده من أعظم ما كتب العقاد

ولكن هنا ملاحظة جديرة بالتسجيل . ذلك أن العقاد فى كتابه هذا إنما يتحدث عن « الأنثى الخالدة » وراء أوضاع المجتمع ، ووراء أزياء الحضارة ، الأنثى التى طعمت من الشجرة المحرمة — لأنها ممنوعة — وأغوت رجلها فأ كل ، والتى لن تزال تطعم من كل شجرة محرمة — لأنها ممنوعة — وتغوى رجلها فيأ كل ! وتأويل هذه الفتنة بالممنوع ، وتأويل قدرتها كذلك على الإغواء هو الذى تكفل به بعض فصول الكتاب !

والعقاد مهيأ بطبيعته ، لأن تتكشف له « الأنثى الخالدة » من وراء المرأة المتجملة ، والأوضاع الطارئة . وهو القائل فى كتابه « شاعر الغزل » عن طبيعة عمر بن أبى ربيعة :

« إنما تأتى خبرة ظرفاء المجالس من تقارب الإحساس بين المرأة وبين هذه الطائفة من اللاهين والمتغزلين ، فهم يحسون كما تحس ، أو على نحو قريب مما تحس ، وهم يشبهونها بعض الشبه فيصدقون فى الحكاية عنها ، والتحدث بخوالج نفسها . وفرق بعيد بين هذا وبين الرجل الذى يعلم طبع المرأة وهو يخالفها فى طبعها ، ويستجيش ضمائرها ، لأن هذه الضمائر تجاوبه مجاوبة الأنثى للذكر ، فيعرف من مجاوبتها كيف تضطرب نفسها ، وتتقلب هواجسها وخواطرها »

الرجل الأول هو عمر بن ربيعة ، والرجل الثانى هو العقاد . وإن هذه الاستجاشة وتلك الخبرة الناشئة عنها لواضحتان كل الوضوح فى هذا الكتاب !

سيد قطب

التكتم في البحث العلمي

للأستاذ خليل السالم

لايصيخ العلماء اليوم لصرخة الضمير الحي ، الذي يهيب بهم أن يخففوا من غلواء انتاجهم المهلك واستكشافهم المدمر ؛ فالاسلحة السرية تثب من مكامنها ، وتعبث بحياة البشر آنا بعد آن ، وتهدم من معالم الحضارة عمراناً بعد عمران . ولا يذهبن الخاطر إلى أن الفتك والتدمير مقصوران على الأسلحة السرية وحدها ، ولكن هذه أكثر ازعاجا وأفعل في بث الرعب والفزع لأنها كالعدو المفاجيء يخرج من الظلام في حين لم يحسب له الإنسان حساباً ولم يوطن نفسه عليه

والأمم التي تؤمن بالعلم ، وتؤمن بفعاليته القوية في ابتكار أساليب الهجوم والدفاع الناجعة ، هذه الأمم تفتح المختبرات وتجهزها بالمعدات والآلات ، وتغدق عليهـا وافر الأموال والميزانيات ، وتجند العلماء للعمل فيها . وطبيعي بعد ئذ أن تحيط ابحاثهم بسياج حصين من الكتمان الشديد وتحرم النشر وتقتل حرية البحث .

وقد يرضى بعض العلماء بهذا الوضع الشاذ البعيد عن روح العلم الانسانية ، فما أسهل أن تكسب الحكومات في الأزمات والظروف الحرجة عطف العلماء وتعاونهم وتآزرهم ؛ فهم يرضون ظنا منهم بانهم يخدمون مصلحة الأمة ويقودون الجيوش إلى غاية النصر ، ويؤكدون الذات في المعترك الدولي . ونجد نفراً آخر غير قليل يجد نفسه مجبراً على هذه الخدمة القهرية الوحشية تحت ضغط النظام القاسي الذي يحيا فيه ، ليؤمن أسباب الحياة التي ما كان ليبلغها لولا انسجامه مع روح العمل وتفانيه فيه . فالسلطة لاتستخدم عالماً حراً يفشي أسرار بحثه ، ويبشر بصراحة العلم المثالية ؛ وإنما تلاحقه بصنوف الاضطهاد والضغط ، وتسوقه للقيام بأعباء عمل آخر لاترتاح له نفسه ولا يتسق مع طبعه .

ولذلك قد نجد في أيام الحرب مبرراً لهـذا الجو البغيض الكريه الذي يحيا فيـه البحث العلمي المنتج . ولكننا لانجد مبرراً شرعياً يسوغ للنظام القاسي أن لايمتع العلماء بالجو الفسيح الطلق في أيام السلم أيضاً .

فقد درجت مؤسسات الصناعة أن تعد المختبرات المجهزة تجهيزاً فنياً حديثاً ، وتعين للاشراف عليها العلماء الذين لمعت أسماؤهم في الحقل الفني الذي تعمل فيه ، وترصد المخصصات الطائلة لابتكار وسائل التحسين والسرعة في الانتاج . وتوفير المواد الخام واقتصاد الطاقة المستنفدة ، وإن لم يكن لها مختبرها الخاص بها . تكلف علماء الجامعات القريبة بحل المشكلة الراهنة أو إجراء التجارب الضرورية . . وهي في كل هذا تقيد الباحث وتشترط حفظ البحث سرياً . فيحرم على الباحث أن يتصل بغيره من أنداده ويتبادل معهم الرأي والنقاش ، وتمنعه أن يستعير كتابا من مكتبة ما خشية أن يشتم من مادة الكتاب رائحة البحث ، تعقل لسانه فلا يصرح أو يقول . وتتمادى بعض الصناعات في هذا التكتم والتستر ، فترفض أن تجيب أي سؤال يتعلق بماهية البحث ، أو عدد الباحثين في مختبراتها ، أو مقدار المبالغ المكرسة للبحث ، ولا تبوح بأسماء مديري المختبر فيها . ولا تعلن أخبار التحسين والكشف أبداً .. والصناعة التي تحيا في جو التزاحم والتنافس ترى أن هذا الكتمان حق مشروع لها ، فهي لا تمول العلم إلا لتستغل نتائجه في التجارة والإحتكار ، فلا قيمة لأي كشف تستطيع الصناعات المنافسة أن تقلده وتستفيد منه .

ولكن هذا التكتم خطر على العلم والمجتمع ، يعبث بمقدرات الأول ، ويمنع المجتمع من النفع والكسب ويحصرهما في فئة جشعة محدودة : خطر على تقدم العلم لأن انقطاع العلماء عن المراسلة المتبادلة والتفاهم الحر يضاعف الجهود المضاعة لاكتشاف حقيقة واحدة في منشآت متعددة ، فتماثل الجهود وتتجه وجهة واحدة وتثمر ثمراً واحداً ، بينما كان من الممكن التوزيع وانطلاق الجهود في اتجاهات متعددة والاتيان بثمر كثير . ويقطع التكتم عن العالم معين الخبرة والإيحاء الخارجيين اللذين كانا في ظروف ليست قليلة سبب الاكتشافات والاختراعات .

والابحاث الآمنة جانب النقد والنقاش تخرج مبتورة ناقصة تضرب في طياتها الفوضى والترجيح ، وخصوصاً عندما يكون

مدير الشركة شخصاً لا يمت إلى العلم بصلة ، كما هى الحال فى أغلب الأعيان ، يشيع التدجيل فى البحث ، ومع ذلك يحظى بالتأييد الرسمى الجاهل . أضف إلى ذلك أخطار الخلق السيئ المتولد فى نفس العالم ، كالتنافس الدنىء على حقوق التسجيل وابتكار ما يساعد يد الشر ومعاول الهدم أن تعيث وتفسد وتدمر .

والخطر الأكبر يحيق بالمجتمع ، فالصناعة تكره العالم على الصمت حتى تحتكر السوق وترفع الأسعار وتجنى الأرباح . قد ظهر هذا الخطر أوضح ما يكون فى عمليات التسجيل وصناعة العقاقير والأدوية . فهذه تصنع من مواد موفورة رخيصة ، ولكن أسرار صناعتها الغامضة تجعل فى إمكان الصناعات أن ترفع أثمانها ارتفاعاً فاحشاً بحيث تسمح للمرض أن يزهق أرواحاً لا تعد ولا تحصى لأنها لا تجد لشيها ثمن الدواء .

وتتصرف الصناعة بالمكتشفات السرية كما يروق لها ، فمنها ما يقتل فى المهد ، ومنها ما يوضع على الرف ، ومنها ما يطبق فى وقت متأخر مهما تكن حاجة المجتمع لها ماسة بالغة . وفى كثير من الأحيان ترفض الصناعة مبدأ التحسين قطعاً لئلا تموت الصناعة فلا يسمح مثلاً بتحسين مصابيح الكهرباء أو صمامات الراديو أو شفرات الحلاقة الاضمن نطاق مخصوص . لأن التحسين يقلل الاستهلاك والتلف فتقل تبعاً لذلك الأرباح . ولا هم للصناعة إلا أن تغمر الأسواق بالبضائع الرائجة سواء طالت خدمتها أو قصرت .

وكذلك يسىء هذا التكتم للصناعة أن تهمل التفكير بخدمة المجتمع ، وتطيع قوانين المباراة التجارية قبل كل شىء آخر . وعند ما تأمن ضغط المباراة التجارية كأن تعقد الشركات العاملة فى حقل واحد الاتفاقات بينها على تبادل البحوث واتحاد الآراء وتوحيد الأسعار ، وإدخال التحسين فى المصانع على نسق واحد وفى وقت واحد . وبذلك يكون هذا التكتم استغلالا بشعاً لطاقة العلماء الذهنية ومال الجمهور المستهلك

لذلك قرر مجلس جامعة كمبردج فى فرصة ماضية أن تعلم العمدة بكل كشف جديد ، فإن رأت أن تطبيقه يزيد فى رضاء المجتمع وسعادة الأفراد ، سمحت للصناعة باستغلاله واستثماره ، وإن رأت غير ذلك استعملت سلطتها القانونية فى كبته وقتله قبل أن تشتريه الصناعة وتفيد به . ويؤسفنا أن نقول إن النظام الرأسمالى السائد لم يسمح لهذا القانون أن يتنسم روح الحياة .

وإليك ما رد به العلامة رومور على الذين لاموه على كشفه النقاب عن أسرار صناعة الفولاذ وفضحه هـذه الأسرار بعد أن مكثت سراً مكتوماً على طول الأجيال السابقة قال « لقد وجهت إلى انتقادات متضاربة بعد اجتماع الأكاديمية ، وإنى لا أجد فى نفسى نزوعاً قويا للرد عليها . استغرب المنتقدون أن أفشى أسراراً كان يجب أن تبقى مكتومة محصورة فى الشركات التى تستثمرها لمصلحتها أولا ومصلحة الوطن ثانياً ... ولكن ألا يتبرأ هذا الشعور من النبل ويناقض روح العدل الطبيعى ..؟ ومن أين لنا أن تكون مكتشفاتنا ملكا خاصاً لنا بحيث لا يكون للمجتمع أى نصيب فيها ؟! إن واجبنا الأول المهم أن نساعد المجتمع ونسعى للمصلحة العامة ... والشخص الذى يكون بمقدوره أن يفعل خصوصاً عند ما لا يكلف أكثر من أن ينطق ويقول شخص مقصر فى واجب نبيل ، والظروف التى تبرر له ذلك ظروف حقيرة مستهجنة. قد يكون حق فى تدمر البعض من المجتمع لا يكيل المديح للمكتشفين ولا يفيهم حقهم من التقدير والاكبار ، وانما ينظر بعين التقديس والاعجاب لابحاثهم ما دامت سراً مستغلقاً حتى إذا ما أعلنت صرخ بملء فيه « أهذا كل ما هنالك ؟ » ... ولكن أيكفى هذا لنمسك عن المجتمع ماهو بأمس الحاجة اليه ، وما يحتمل أن يجنى منه المغانم الوافرة ؟ أيحق للطبيب أن يرفض تقديم الاسعاف والمساعدة لمريض خطر حينما لا يتأكد من تقدير المريض له واعترافه بالجميل ؟ ... إن نفسى لا تقر النظام الكريه الذى تتبناه جيراننا فى كتم الأسرار .. إن هناك ما هو أهم وأسمى من هذا كله ... هو واجبنا نحو الانسانية بأسرها . فالعلماء العاملون فى حقل العلم لترقيته وتقدمه يجب أن يكونوا اخوة ورفاقا ومواطنين فى عالم واحد ... »

إننا لننظر إلى المستقبل القريب بعين الرجاء والأمل : الرجاء بأن تزول من العالم هذه العلل المستعصية الفتاكة ، والأمل بأن تنكشف هذه الأزمة عن انتشار مبادىء الحق والحرية والعدل والمساواة فى كل الشعوب .

« السلط — شرق الأردن » **خليل السالم**

(ب . ع . من الدرجة الأولى فى الرياضيات

السيد جمال الدين الأفغانى

أستاذ الوحدة الاسلامية

للأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف

تمهيد تاريخى

كان السيد جمال الدين الأفغانى أستاذ « الوحدة الإسلامية » ، الذى أقامها مذهبـاً ، وأوضحها منهجاً ، وخلفها فى العقول وفى القلوب عقيدة اجتماعية وفكرة سياسية لها أشياع وأتباع ، فتردد صداها فى كل مصر من أمصار العربية ، وظهر أثرها فى كل قطر من الأقطار الإسلامية ، حتى أصبح اسم ذلك المصلح العظيم لا يذكر إلا مقروناً بالدعوة لتلك الوحدة ، مميزاً بالجهاد فى ميدان هذه الفكرة .

كان جمال الدين الأفغانى أستاذ « الوحدة الإسلامية » الذى رفع لواءها ، على أنه لم يكن أول من فكر فيها أو اقترح الرأى بها ، فهم يقولون إن صلاح الدين الأيوبى قد دعا هذه الدعوة . وأراد أن يجمع عليها دول الإسلام وولاياته عندما رأى دول الصليب قد تجمعت واحتشدت لتتخطف مجد الهلال من كل جانب ، وعلى أى حال فقد طويت دعوة صلاح الدين بظروفها وملابساتها . وانتهت حملة الصليب على الهلال إلى غمرة شاملة ، قضاها الشرق العربى مخدور الأعصـاب ، مجزور الأسباب ، مهدوم الكيان والبنيان ، بعد أن خذلته أمراض الفرقة ، وفرقته أغراض الطمع . وقتله الجمود والخمود ، فكان له ماض وكأنه لا يمت إليه . وكان له حاضر ولكنه لا ينتفع به ، وكان أمامه مستقبل ولكنه ليس له .

هذه حقيقة لم يختلف فى تقريرها أحد من الباحثين الذين عنوا بشؤون الشرق واهتموا بتشخيص دائه المزمن سواء أكانوا من الغربيين أم من الشرقيين ، وإن اختلفوا فى التعليل لهذه الحقيقة والتماس الأسباب التى أدت إليها ، على أن هناك إلى جانب هذه الحقيقة حقيقة أخرى لا بد أن نذكرها فى المقام ، وهى التى شهد بها البحاثة الاجتماعى المعروف الدكتور جوستاف لوبون إذ يقول فى هذا الصدد : « ولئن كانت دولة العرب لم تعد ترى إلا فى كتب التاريخ فإن المعنى الدينى الذى هو أساس تلك الدولة قد ظل حياً دائماً ، وبقى ظل محمد « صلى الله عليه وسلم » من أعماق قبره يسود تلك الملايين العديدة الساكنة أفريقية وآسيا المترامية بين مراكش والصين والمنثورة بين البحر الأبيض وخط الاستواء .. » .

غير أن هذا المعنى الذى يشير إليه جوستاف لوبون ، والذى بقى حياً فى قلوب أمم الشرق ، وظل يربط نفوسهم برباط الوحدة ، استحال آخر الأمر فى قلوبهم وفى نفوسهم وفى تفكيرهم إلى وضع معكوس مقلوب عما كان عليه آباؤهم من قبل ، وليس لباساً ملفقاً من الأوهام والأضاليل والترهات ، أجل ! فقد كان الدين فى قلوب الآباء قوة تتدفق بالحياة والحركة فأصبح فى قلوب الأبناء إشارة ضعف وجمود ، وكان فى نفوس السابقين مظهر عزة وفخار ، فصار فى نفوس أولئك اللاحقين دلالة ذلة وانكسار ، وكان فى تفكير السلف صلة تصلهم بما فى الدنيا من أرقى معانى الحرية والاستقلال فانعكس فى تفكير ذلك الخلف إلى بلادة تفيض بالخضوع والاستسلام ، حتى كنت لا تمس فى ذلك الجسم الطويل الممدود فى أفريقية وآسيا من معانى الدين إلا الحسرة على مجد كان لهم ، والبكاء على سلطان ضاع من أيديهم ، وإنهم لفى يأس من رجعة ذلك إليهم ، كأن ما ذهب قد ذهبت الأيام بحقيقته ، فكان هذا مما فتح الباب لبعض المستشرقين فى اتهام الدين الإسلامى فى طبيعته وتعاليمه ، فقرروا أنه هو الذى أفضى بالشعوب الإسلامية فى الشرق إلى ما هم فيه من الانحطاط ، وأن عقيدة القضاء والقدر هى التى أدت بهم إلى البلادة والخمول والاستسلام ، ومن العجيب أن هذه التهمة الباطلة المغرضة قد راجت فى الغرب ، وجازت على بعض أبناء الشرق ، على الرغم من أنها ظاهرة البطلان ، واضحة البهتان ...

كانت تركيا تحمل لواء الخلافة الإسلامية ، وتبسط جناح السيادة على أقطار الشرق العربى فيما تحكم من الأقطار والأمارات ، ولكن تركيا كانت تعنى بأملاكها فى أوربا أكثر مما تعنى بشؤون الشرق العربى وشؤون أقطاره ، ولم تكن لها صلات صحيحة تقوم على المودة بين أبناء العروبة ، ولم تكن ترعى حقوق الرابطة الإسلامية كما يجب أن تكون الرعاية ، بل لقد صارت سياستها فى الشرق آخر الأمر مثلا شروداً فى الظلم وخنق روح القومية

بين أبناء الأقطار العربية ، والاستبداد فى القضاء على كل مظهر من مظاهر الاستقلال والتعاون بينهم ، وعند ما تنمر الاستعمار الأوربى وأخذ يتطلع لافتراس ممتلكات تركيا أو الشيخ المريض كما كانوا يقولون ، لم تبادر تلك الإمبراطورية المتداعية إلى تدارك هذا الأمر برأب الصدع وإقامة جبهة إسلامية قوية فى الشرق لمواجهة هذا الخطر ، ولقد أراد السلطان عبد الحميد أن يحقق هذه الغاية استجابة لدعوة السيد جمال الدين ، كما سنشرح ذلك فيما بعد ، ولكنه أخفق ، لأنه أراد أن يقيم هذه الوحدة لا من حول تركيا ولا من حول الفكرة الإسلامية ، بل من حول شخصه هو ، فالتاث عليه الأمر ، وجرت الأحوال فى طريقها المحتوم ، وانطلقت الدولة فى سياسة الأقطار العربية على أساليبها الفاسدة ، وخططها الجامدة ، فكان ذلك مما عجّل بتقلص ظلها عن الشرق ، فاحتل الفرنسيون تونس فى سنة ١٨٨١ ، واحتل الإنجليز مصر سنة ١٨٨٢ ، ثم أغارت إيطاليا على طرابلس فى سنة ١٩١١، ثم وثبت فرنسا مرة أخرى فاستولت على المغرب فى سنة ١٩١٢، ثم قامت الحرب الماضية فكانت نهايتها نهاية تركيا فى حكم الشرق العربى جميعه ...

الهزة الأولى ...

ولعل حملة نابليون على مصر كانت أول هزة هزت أقطار الشرق العربى ، وحركت من وجدانات أبنائه ، فإن تلك الحملة كانت كما يقول « كلوت بك » أشبه شىء بصاعقة هوت من السماء على الشرق ، فأيقظته منزعجاً من سباته الطويل العميق ، إذ كانت الأساليب العتيقة فيه قد بقيت إلى ذلك العهد على حالها لم يتناولها تغيير ولا تبديل ، وكانت الدولة العثمانية قائمة بحروب طويلة ضد الروسيا والنمسا ، ففازت بالنصر تارة وباءت بالخذلان أخرى ، لكن هـذه الحروب لم تغير شيئاً من أفكارها العتيقة ، وكانت الشعوب الخاضعة للدولة العثمانية تعتقد أنها بعيدة المنال على من يرومها بفتح أو قهر ، وأنه لا يمكن أن يوجد على سطح الأرض دولة تبلغ مبلغها عزاً ومنعة لأن ذكرى الفتوحات القديمة كانت لا تزال عالقة بأذهانهم .. »

لهذا كله كانت تلك الحملة هزة هزت أعطاف الشرق العربى ، واتجهت به وجهة جديدة مغايرة ، ولم تكن تلك الحملة بما يكتنفها من الظروف والملابسات موجهة إلى مصر فحسب ، ولكنها كانت تريد أن تتخذ من ذلك باباً إلى أقطار الشرق جميعها ، وإذا كانت تلك الحملة قد فشلت من الناحية الحربية والسياسية ، فإنها لاشك قد نجحت من الناحية العلمية والفكرية ، وكانت الاتجاهات التى اتجه إليها نابليون فى إنشاء المجالس النيابية والوطنيـة ، مما فتح الأعين وهز النفوس بالتشوق إلى وضع جديد من أوضاع الحكم يقوم على الشـورى والرأى ، وأكثر من ذلك فقد وقف أبناء الشرق بواسطة هذه الحملة على ما دعت إليه الثورة الفرنسية من مبادئ سياسية وغايات اجتماعية فى تحقيق العدالة والأخاء والمساواة، فكان لهذا كله أثر فى الأفكار والميول ظهر فيما بعد ..

محمد على والوحدة ..

وتم الأمر لمحمد على باشا فى حكم مصر والاستقلال بها عن الدولة العثمانية ، وقد كانت لذلك العاهل العظيم مطامع وآمال كبار فى إقامة إمبراطورية عربية شرقية تقوم على أطلال الإمبراطورية العثمانية المتداعية ، أو على الأقل تقوم تجاهها فى الشرق حفظاً للتوازن الذى يجب أن يقوم أمام الغرب الطامع؛ والتى كانت الحملة الفرنسية نية من نياته المتحفزة المتنمرة ، وكان محمد على يرى أن تحقيق آماله هذه منوط بشيئين أساسيين : سطوة السيف ، وقوة العلم ، ومن ثم فقد أرسل بجيوشه الفتية تحت قيادة ابنه ابراهيم تحقق هذه الغاية فى ميادين الحرب ، كما أرسل بالبعوث العلميـة إلى أوربا لتكون سنادة لهذه الغاية ، وتدعيما لسلطان السيف فيما يطويه من الممالك والأمصار ، ولقد سئل إبراهيم باشا عند ما شدد الحصار على عكا وأوشك حصنها أن ينهار أمام قواته : إلى أى مدى ستقف فى فتوحك إذا ما تم لك الاستيلاء على عكا ؟ فقال : إلى مدى ما يتكلم الناس وأتفاهم وإياهم باللسان العربى ؛ ومما يؤثر عنه أنه كان يقول : أنا لست تركياً فإنى جئت مصر صبياً ، ومنذ ذلك الحين قد مصرتنى شمسها وغيرت من دمى وجعلته دماً عربياً .

إذن كان محمد على يقصد إلى إقامة إمبراطورية تقف حدودها

عند ما يتكلم الناس ويتفاهمون باللسان العربى . وإذن كان ذلك الرجل العظيم يرى إلى هدف معلوم مفهوم ، وهو إقامة وحدة بين الأقطار العربية بحد السيف وسلطان القوة ، على نحو الإمبراطورية العظيمة التى أقامها الفتح الإسلامى ، والإمبراطورية الممتدة التى أقامها الفتح العثمانى ، فهو لم يتنكب الوضع التاريخى السابق الذى اتخذه مثالا وقدوة فى تحقيق مطامعه ، وقد كاد الأمر يتم له ، لولا يقظة الدول الأوربية وتألبها عليه ، إذ تبينت حقيقة مطامعه وخطر قيام هذه الإمبراطورية العربية على أطماعها فى الشرق ، فتآمرت على تحطيم أسطوله فى معركة « نافارين » ووقفت إلى جانب تركيا تتحداه فى مطامعه ، وتحتم عليه أن يعود أدراجه ، فاستطاعت بذلك أن تغير وجه التاريخ ، وأن تقلب أطماع محمد على رأساً على عقب ، وأن تقضى على آمال ذلك البطل العظيم فى إقامة وحدة عربية أو على التحقيق فى تأسيس إمبراطورية عربية إسلامية . .

وأنت فى الواقع لا تستطيع أن تجد فرقاً يذكر فى تقدير محمد على بين العربية والإسلامية ، فإن الرجل كان يتكلم بقوة السيف ، والذى يتكلم بقوة السيف لا يعنيه غالباً البحث فى الألفاظ والاهتمام بوضع الاصطلاحات والتدقيق فى تحديد الفرق بينها ، كما يصنع الذين يجلسون على المكاتب فيرسمون الخطط ، ويحسبون الخطوات ، ويهتمون فى حسابهم بالأصفار والفروق بين الأصفار ، ويقدرون أن إنشاء الأمم وحياة الشعوب نظرية هندسية يقدر قياسها بالدرجة وأجزاء الدرجة ، إنما كان قصد محمد على كما قلنا إلى تأسيس إمبراطورية تقوم الوحدة بين أجزائها وعناصرها على الوضع السابق فى قيام الإمبراطورية العربية والإمبراطورية العثمانية ، وأنت حر فى نعتها بالعربية أو بالإسلامية أو بالعلوية ، فهذه كلها ألفاظ مترادفة تؤدى إلى مدلول واحد ، وغاية ما كان ينظر إليه محمد على هو وحدة اللسان العربى ، وكأنه كان يريد بهذا إشعار الأقطار التى تدخل حوزته بأنه عربى لأنه يتكلم هذا اللسان ، حتى لا يشعروا بأن حكمه عليهم صورة أخرى من الحكم العثمانى ، وأنه فرع من تلك الشجرة فيؤثروا أن يستمروا على العيش فى ظلال الأصل بدل الفرع ما دام الوضع هو هو لم يتغير . .

اسماعيل والوحدة الافريقية

ودالت دولة محمد على ، أو قل دالت أطماعه فى إقامة الإمبراطورية التى كان يريدها ، فلما كانت أيام اسماعيل باشا ، كانت فى نفس ذلك الخديوى نزعة طموح من نزعات محمد على ، وكانت تتخلله رغبة فى الفتح ، ولكنه كان يقف فى هذه الرغبة عند إقامة وحدة أفريقية تشمل حوض نهر النيل من المنبع إلى المصب ، وما يتصل بذلك من الأقطار القريبة والأمصار التى لا بد منها ، وقد أرسل بعض الحملات الحربية فى سبيل تحقيق هذه الرغبة ، وقد استطاع اسماعيل أن يشغل الأذهان بعض الوقت بمسألة « الوحدة الإفريقية » ، وأعاد سيرة محمد على فى بعث البعوث العلمية ، واندفع فى الأخذ بمظاهر المدنية الأوربية حتى يكون لمصر الصدارة فى ذلك بين الأقطار المجاورة ، ولكن شتان ما بين محمد على واسماعيل . فقد كان محمد على يجند جميع مرافق البلاد لخدمة جيوشه والإنفاق عليها ، وكانت هذه الجيوش تجلب له ما تجلب من المغانم والأسلاب . ولكن إسماعيل كان يستدين وينفق على حملاته ، وكانت هذه الحملات تأخذ دائماً ولا تعطى شيئاً ، وجرت الأمور معكوسة . وأثقلت الديون كاهل إسماعيل ، وذهبت فكرة « الوحدة الإفريقية » كما يذهب أمس من اليوم ، ومضت وكأنها لم تكن ...

فآمال محمد على ، وآمال اسماعيل من بعده إنما كانت هزات سياسية ، ونزعات إلى التآلف والوحدة فى ظل القوة والفتح والاستعمار ، فانتهت بانتهاء الظروف التى لابستها ، ولم يكن لها أثر إيجابى فى النفوس ، ولم تنحدر إلى العقول والقلوب عقيدة لها أشياع وأتباع ، ولكنها خلفت وراءها أثرين متقابلين ، وتيارين متضادين ، أحدهما فى الشرق ، وهو تنبه الأذهان ، وتفتح الأفهام ، والطموح إلى حياة المجد والاستقلال ، والتميز الشخصى بين ممالك الإمبراطورية العثمانية ، وثانيهما فى الغرب ، وهو تنبه المطامع ويقظة المآرب فى نفوس الدول الغربية المتحفزة لوضع يدها على تركة الشيخ المريض ، والقيام مقام الدولة العثمانية المتداعية على أقطارها فى الشرق ...

« للكلام بقية » **محمد فهمى عبد اللطيف**

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٦٤١ — جعلته عجوزاً في محرابها

فى تاريخ الطبرى : ذُكر عن عُمارة بن عقيل أنه قال : قال لى عبد الله بن أبى السمط . علمت أن المأمون لا يبصر الشعر ؟ قلت : ومن ذا يكون أعلم به منه ؟ فوالله إنك لترانا ننشده أول البيت فيسبقنا إلى آخره . قال : إنى أنشدته بيتاً فلم أره تحرك له . قلت : وما الذى أنشدته ؟ قال : أنشدته :

أضحى أمام الهدى المأمون مشتغلاً بالدين ، والناس بالدنيا مشاغيل

فقلت له : إنك والله ما صنعت شيئاً . وهل زدت على أن جعلته عجوزاً فى محرابها . فى يدها سُبحتها ؟ فمن القائم بأمر الدنيا إذا تشاغل عنها وهو المطوق بها . هلا قلت فيه كما قال عمك جرير فى عبد العزيز بن الوليد :

فلا هو فى الدنيا مضيع نصيبه ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

فقال : ألآن علمت أنى قد أخطأت .

٦٤٢ — شهود طبقات

فى (محاضرات الأدباء) : قال سهل بن دارم : كان فى البَصرة شيوخ يشهدون بالزور ، وشرطُ بعضهم درهم ، وآخرون يشهدون وشرطهم أربعة ، وآخرون شرطهم عشرون درهما . فسألت عن ذلك فقالوا : أصحابُ الدرهم يشهدون ولا يحلفون ، وأصحاب الأربعة يشهدون ويحلفون ، وأما أصحاب العشرين فيشهدون ويحلفون ويباهتون (١) .

٦٤٣ — خذها فاشتر بها زيتاً

كان ابن الدقق الأندلسى الشاعر المشهور يسهر فى الليل ، ويشتغل بالأدب ، وكان أبوه فقيراً جداً ، فلامه وقال له : نحن فقراء ولا طاقة لنا بالزيت الذى تسهر عليه . فاتفق أن برع فى الأدب والعلم ونظم الشعر فقال فى أبى بكر عبد العزيز صاحب بلنسية قصيدة منها :

ناشدتُكَ الله نسيمَ الصَّبا أنَّى استقرت بعدنا زينبُ ؟
لم تسرِ إلاّ بشذا عَرفها أولاً ، فماذا النَّفَسُ الطيب (١)
إيه وإن عذبنى حُبُّها فمن عذاب النفس ما يعذب (٢)

فأطلق له ثلاث مئة دينار فجاء بها إلى أبيه وهو جالس فى حانوته مُكبَّ على صنعته فوضعها فى حَجْره (٣) وقال : خذها فاشتر بها زيتاً ...

٦٤٤ — أستعين بالله عليكما !

وقف أحمد بن أبى خالد الأحول وزير المأمون بين يدي المأمون ، وخرج يحيى بن أكثم من بعض الأماكن فوقف ، فقال له المأمون : اصعد ، فصعد وجلس على طرف السرير معه . فقال أحمد : يا أمير المؤمنين ، إن القاضى يحيى صديقى ، وممن أثق به فى جميع أمورى ، وقد تغير عما عهدته منه .

فقال المأمون : يا يحيى إن فساد أمر الملوك بفساد خاصتهم ، وما يعد لكما عندى أحد ، فما هذه الوحشة بينكما ؟ !

فقال له يحيى يا أمير المؤمنين ، والله إنه ليعلم أنى له على أكثر مما وصف ، ولكنه لما رأى منزلتى منك هذه المنزلة خشى أن أتغير له يوماً فأقدح فيه عندك ، فأحب أن يقول لك هذا ليأمن منى ، وإنه والله لو بلغ نهاية مساءتى ما ذكرته بسوء عندك أبداً .

فقال المأمون : أكذلك هو يا أحمد !

قال : نعم يا أمير المؤمنين .

قال : أستعين بالله عليكما فما رأيت أتم دهاء ولا أعظم فتنة منكما .

---

(١) باهته : حيره بما يفترى عليه من الباطل ، وقد تكون المباهتة فى ذلك الزمان مثل مناقشة (المحامين) فى هذا الوقت . . .

(١) الشذا : شدة ذكاء الريح الطيبة

(٢) إيه : كلمة يراد بها الأستزادة وهى مبنية على الكسر فاذا وصلت نونت فقلت إيه حدثنا (النهاية) قال ابن السرى : إذا قلت إيه يارجل (غير منون) فانما تأمره أن يزيدك من الحديث المعهود بينكما ، وإن قلت إيه بالتنوين فكأنك قلت هات حديثاً ما (التاج) قال ابن سيدة : هذه الأصوات إذا عنيت بها المعرفة لم تنون وإذا عنيت بها النكرة نونت (اللسان)

(٣) الحجر — بالفتح والكسر — حضن الانسان (التاج) وفى (المصباح) بالفتح وقد يكسر

٦٤٥ — شهيد . . .

فى (الأغانى) : قال محمد بن عبد الملك لبعض أصحابه : ما أخرك عنا ؟ قال : موت أخى . قال : بأى علة ؟ قال : عضت أصبعه فارة فضربته الحمرة .

فقال محمد : ما يرد القيامة شهيد أخس سبباً ، ولا أنزل قاتلاً ، ولا أضيع ميتة ، ولا أظرف قتلة من أخيك ...

٦٤٦ — فشكرت رضواناً ورأفة مالك

قال أبو الفضل أحمد بن محمد الخازن فى أبى القاسم هبة الله بن الحسين الأهوازى الحكيم وقد أضافه وأدخله بستانه وداره وحمامه :

وافيت ساحته فلم أر خادماً إلا تلقانى بوجه ضاحك
ودخلت جنته ، وزرت جحيمه فشكرت رضواناً ورأفة مالك
والبشر فى وجه الغلام أمارة لمقدمات حياء وجه المالك

٦٤٧ — ... وأنا آكل عيونهم

فى (نفح الطيب) : حضر القاضى أبو الوليد هشام الوقشى يوماً مجلس ابن ذى النون[1] فقدم نوع من الحلوى يعرف (بآذان القاضى) فتهافت جماعة من خواصه عليها يقصدون التندر عليه[2] ، وجعلوا يكثرون من أكلها . وكان فيما قدم من الفاكهة طبق فيه نوع يسمى (عيون البقر) فقال له المأمون : يا قاضى[3] ، أرى هؤلاء يأكلون أذنيك !

فقال : وأنا أيضاً آكل عيونهم ، وكشف عن الطبق ، وجعل يأكل منه . وكان هذا من الاتفاق العجيب .

٦٤٨ — فاشدد يديك بها . . .

اشترى رجل من أصحاب يعقوب الكندى الفيلسوف جارية فاغتاظت عليه ، فشكاها إلى يعقوب ، فقال جئنى بها لأعظها ، فجاء بها اليه فقال : يا لعوبة ، ماهذه الاختيارات الدالات على الجهالات ؟ أما علمت أن فرط الاعتياصات ، على طالبى المودات ، الباذلين الكرائم المصونات ؛ من الموبقات المؤذنات بعدم المعقولات .

فقالت الجارية : أما علمت أن هذه العثنونات ، المنتشرات على صدور أهل الركاكات ، محتاجات إلى المواسى الحالقات ؟

فقال يعقوب : لله درها ! فلقد قسمت الكلام تقسيما فلسفيا فاشدد يديك بها ...

٦٤٩ — سبل الغواية والهدى أقسام

كان عبد الرحمن بن أبى عمار من قراء أهل مكة ، وكان يلقب بالقس لعبادته ، ثم شغف بقينة من مولدات المدينة اسمها سلامة ، وافتتن بها وغلب عليها لقبه ، فقيل لها (سلامة القس) ومن قوله فى فتنة عشقه :

قد كنت أعذل فى السفاهة أهلها
فاعجب لما تأتى به الأيام
فاليوم أعذرهم وأعلم أنما سبل الغواية والهدى أقسام

٦٥٠ — كلانا على طول الجفاء ملوم

قال ابراهيم بن العباس : ما رأيت كلاما محدثا أجزل فى رقة ، ولا أصعب فى سهولة ، ولا أبلغ فى إيجاز ، من قول العباس ابن الأحنف :

تعالى نجدد دارس العهد بيننا
كلانا على طول الجفاء ملوم[1]

---

(١) لسعيد بن حميد :
تعالى نجدد عهد الرضى ونصفح فى الحب عما مضى

---

(١) ملك طليطلة وصاحب الأعذار (الختان) المشهور الذى يقال له الأعذار الذنونى وبه يضرب المثل عند أهل المغرب ، وهو بمثابة عرس بوران عند أهل المشرق وبنوذي النون من أعظم ملوك الطوائف فى الأندلس

(٢) تندر وتنادر عليه من المولد والتندر المفاكهة والمداعبة

(٣) يوقف على المنقوص فى الرفع والجر بحذف آخره أو بقائه وقرىء : وما لهم من دونه من وال ، وقد يوقف على المعرف بحذف آخره . وقرىء : وهو الكبير المتعال

هـــذا العالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

الراديو المصور فى بيتك

قفز العالم خطوات واسعة عقب الحرب الماضية فى ميادين العلم والاختراع ، فتناولت أيدى الناس أدوات كانوا يعتبرون الوصول إليها حلماً عسير التحقيق . ويبدو عهد ما بعد الحرب الحالية بخطوات أوسع ؛ فالتقدم العلمى عدة المتحاربين وسلاحهم الخطير فى مفاجأة خصومهم ، حتى قال أحد كبار الساسة إنها حرب علمية، وحرب مخترعات واكتشافات .

ومن الخطوات الحاسمة التى خطتها هـذه الحرب التحكم فى موجات الأثير ، فأدخلت كثيراً من التحسينات على أجهزة اللاسلكى مما سمعنا عنه فى توجيه القنابل الطائرة والصواريخ . ومنها أيضاً حديث الراديو المصور (التليفيزيون)

فتصور أنك جالس فى دارك ، وبضغطة خفيفة من أصبعك على زر صغير تعرض أمامك على شاشة صغيرة ما يمثل من المسرحيات فى دار الأبرا الملكية ، فتسمع أصوات الممثلين والممثلات ، وترى حركاتهم ومناظرهم بالألوان الطبيعية ، كما لو كنت جالساً فى قاعة الأوبرا .

لم يعد هذا حلماً ، بل هو حقيقة واقعة تستعد شركات اللاسلكى لتقديم أجهزته إلى الناس بعد الحرب . تمت الكثير من أبحاثه ولكنها لا تزال من الأسرار العسكرية التى لا تباح إذاعتها . ولا تختلف نظرية نقل الصور عن زميلتها نقل الأصوات كثيراً ، فى كلتا العمليتين تتحول الإشارات الصوتية أو الضوئية إلى إشارات كهربائية تنتقل فى الأثير .

فإذا تجاوزنا عملية نقل الأصوات بحكم وجود آلات الإذاعة بيننا فإننا نلخص عملية نقل الصور فى ثلاث مراحل :

١ — تحويل الإشارات الضوئية إلى إشارات كهربائية .

٢ — نقل الإشارات الكهربائية إلى مسافات بعيدة .

٣ — إعادة الإشارات الكهربائية إلى إشارات ضوئية .

ولم تكن هذه المسائل الثلاث من الأمور الهينة ، فقد كان من السهل تحويل الإشارات الصوتية إلى إشارات كهربائية ، لما بين الإشارتين من صلة وثيقة عرفها الإنسان من زمان بعيد واستعملها فى التلغرافات والتليفونات بمساعدة المغناطيس .

ومن المعروف أن كل جسم يشع ضوءاً يختلف باختلاف لونه . فكمية الضوء المشعة من جسم أسود تخالف مثيلتها من جسم أبيض . وعلى هذا الأساس تحول الإشارات الضوئية بانعكاسها على أجهزة حساسة للضوء يسمونها الخلايا الضوئية ، تصنع موادها من مركبات معدنية شديدة الحساسية .

وهذه الأجسام تتأثر بكمية الضوء المنعكسة عليها وتقلبها إلى إشارات ضوئية تنشر فى الأثير بأجهزة خاصة حتى إذا تلقاها جهاز استقبال عكس الإشارات الكهربائية بنفس الخلايا الضوئية إلى ألوان تراها العين المجردة .

وعملية إرسال الصور الملونة أكثر تعقيداً من عملية إرسال الأبيض والأسود ، فى الحالة الثانية ترسل الصورة مرة واحدة . أما فى الصور الملونة فترسل الصور ثلاث مرات كما قال جون بيرد مكتشف الراديو المصور .

فقد وجد بالدرس أن أكثر الألوان أساسها ثلاثة : الأحمر والأزرق والأخضر . فترسل فى أول الأمر الانعكاسات الحمراء وحدها ، ثم الزرقاء فالخضراء ، ولأن سرعة إرسالها شديدة جداً فإن العين لا تدرك اختلاف أوقات إرسالها بل تندمج الألوان الثلاثة فى بعضها البعض مكونة الانعكاسات المطلوبة

مطاط من اللبن

يستعمل حامض اللبن كعنصر أساسى فى إنتاج المطاط الصناعى، فبإضافته إلى مواد أخرى ينتج عجائن (باغة) مختلفة وهذه تحول إلى مطاط .

وحامض اللبن هو المادة التى تسبب حموضة اللبن ويمكن الحصول عليه بكثرة من مصانع منتجات اللبن من جبن وزبد وغيرها

رطل جبن يكفى ٢٥ شخصاً

من المشاكل التى تواجهها السفن ضيق المساحة اللازمة لشحن البضائع والمعدات المطلوبة . وقد صنع أحد مصانع اللبن آلة كلفتها ٥٠٠٠ جنيه لتضغط الجبن وتخلصه من المياه التى يتشبع بها فيكفى الرطل منها ٢٥ شخصاً ، وتنتج هذه الآلة ١٨٠ قرصاً فى الدقيقة الواحدة

المربع بدل المستدير

استبدلت شركات اللبن بالزجاج المستدير آخر مربعا . فقد وجدت أن الزجاج المستدير يحتاج لمساحة واسعة ، فالثلاجة التي تسع لخمس وعشرين زجاجة مستديرة تتسع لـ ٣٦ مربعة . ووزن الزجاجة المستديرة ١٨ أوقية بينما وزن المستديرة ٢٢ أوقية

أضخم رافعة "ونش" في العالم

شيد في وادى تنيس بالولايات المتحدة أضخم آلة رافعة مزدوجة لرفع الأثقال وارتفاعها عن قاعدتها ٥٠٠ قدم . ويستطيع كل من ذراعيها حمل ثقل وزنه ٢٣ ألف رطل ونقله إلى أية مسافة على بعد ١٥٠ قدماً من المركز . وهي مجهزة بأدوات كهربائية تساعد على سرعة تحميلها ، وتتحرك بحمولة كاملة بسرعة ٣٧٥ قدماً في الدقيقة فإن كانت فارغة تحركت بسرعة ٧٥٠ قدماً في الدقيقة .

لإصلاح الإطارات

تستعمل القوات العسكرية آلة كهربائية تصلح إطارات السيارات الخارجية وتقوى مطاطها بالتسخين الداخلي . وهذه العملية لا تؤثر على الجزء الداخلي للأطار ، وتضيف هذه العملية إلى عمر الإطار ١٠٠,٠٠٠ ميل ، ووزن الآلة ٥٠٠ رطل فقط .

المقاعد تحول إلى أسرة

أضيفت بعض الأجهزة التي تساعد الطائرات في الهبوط إلى الأرض إلى أسرة المرضى في المستشفيات . فيتيسر للمريض بضغطة صغيرة من أصبعه على زر خاص أن يحول السرير إلى مقعد مريح جداً دون أن يتحرك من مكانه

ويقترح بعضهم إضافة هذا الجهاز إلى مقاعد الطائرات وعربات السكك الحديدية فيتاح للركاب في الأسفار الطويلة تحويل مقاعدهم إلى أسرة ينامون عليها إن أتعبهم الجلوس .

ويقترحون أيضاً استعمال ستائر نوافذ العربات على نظام متحرك فإن أراد المسافر أو المسافرة الاختفاء عن عيون بقية الركاب حرك الستائر التي خلف مقعده والتي أمامها فتكون لمقعده غرفة صغيرة .

دبابة الأعماق

صنعت دبابة تستطيع السير في قاع المحيط تحت طبقة من الماء عمقها ٢٠٠ قدم . والغرض منها إخراج كنوز البحار . وتسع هذه الدبابة رجلين لقيادتها ولالتقاط مايصادفها ، فلها أيد خارجها تتحرك بآلات من الداخل ، ويستطيع قائداها البقاء داخلها من ١٠ إلى ١٢ ساعة على أن يستعملوا أوعية أكسوجين ، وبذلك يستغنون عن أنابيبه المتصلة بسطح الماء . ويسهل إنزال هذه الدبابات ورفعها من سفن الإنقاذ .

تعب المعادن

اخترعت آلة لطرق سطوح المعادن بسرعة كبيرة فتمنعها من الكسر . فكثيراً ما تتعرض معادن بعض الأدوات لضغط أكثر من احتمالها « فيتعب » الحديد حتى إذا عرض للضغط مرة أخرى كسر . ولكن طرقه المتوالى بهذه الآلة يجعل سطح المعدن يتداخل في بعضه . وتمتلئ الفراغات التي قد تحدث من ثنيه فيتحمل العمل أضعاف المدة المقررة له .

صلب ينافس الخشب

تمكن المخترعون من الحصول على نوع جديد من الصلب الخفيف الذي ينتظر أن ينافس الخشب ويفوقه في بناء منازل ما بعد الحرب ، فمن مميزات هذا الصلب أنه غير قابل للاحتراق ، وأكثر مقاومة من الخشب ، وأقل ثمنا ، كما أنه يساعد على سرعة البناء . وقد صنعت منه عدة منازل ، وصدرت إلى أنحاء العالم المختلفة حيث تشيد هناك فان أريد نقلها إلى مكان آخر فكت ونقلت .

الصور الملونة بالبرق

سجلت إحدى الشركات اختراعا ينقل الصور الملونة بالأجهزة السلكية أو اللاسلكية إلى أية بقعة من أنحاء الأرض . وترسل هذه الصور بالطريقة العادية لنقل الصور ذات اللون الواحد ولكن في ثلاثة ألوان مختلفة . وهي الألوان المستعملة في الأفلام الملونة . وبهذه الطريقة تستطيع الصحف إعدادها للطبع بمجرد تسلمها

دراجة رخيصة

صنع أحد الأمريكيين دراجة تسير بسرعة ٣٠ ميلا فى الساعة ويتكلف سيرها ساعة كاملة أربعة قروش . وهذه الدراجة ذات ثلاث عجلات يسهل تسييرها بالبدالات كما يسهل تسييرها بالكهرباء وقوة محركها ربع حصان ، ويمكن تشغيله فى أقسى درجات البرودة . وقد كلفه صنعها بأكملها تسعة جنيهات ونصف ولها فى مؤخرتها سلة توضع فيها الأشياء التى يراد حملها ولو كانت طفلا .

لتفريغ شحنة الطائرات

استنبط أحد المخترعين سيارة لشحن حمولة الطائرات أو لتفريغها فى دقائق . فلهذه السيارة سطح مرتفع يعلو ويهبط تبعا لارتفاع باب الطائرة . وبنفس هذا السطح حصير يدور إلى أعلى أو إلى أدنى بأجهزة آلية ، فاذا أريد تفريغ الطائرة أدير إلى أسفل وإذا أريد شحنها أدير إلى أعلى فتوضع الأمتعة أو البريد على الحصير فيرفعها أو يهبط بها .

علاج الجنون بالكهرباء

وفق الدكتور جورج تومبسون إلى علاج بعض حالات الجنون المعروفة بالشيزوفرانيا (انقسام الشخصية) بواسطة الصدمات الكهربائية فى المخ . فبعد أن يسلط على المريض التيار الكهربائى يستغرق فى النوم لمدة سبع دقائق يفيق بعدها وهو أحسن حالاً .

وكانت حالات الجنون تعالج من قبل بواسطة صدمات الأنسولين ولكنها كانت فى بعض الأحيان تقتل المرضى . ويقول الدكتور تومبسون إن ٧٦٪ من الحالات التى عالجها شفى أصحابها ولم يمت من الألف حالة التى أجرى عليها تجاربه مريض واحد . كما أنها لم تؤد إلى زيادة حالة المرض أو إلى تعقيدات أخرى

عشرون مليونا بدون مأوى

يقدر عدد الأشخاص الذين يحتاجون إلى مأوى عقب هذه الحرب بعشرين مليوناً من الأنفس ، ويقدر من يشتغلون فى تشييد منازلهم بمليون ونصف مليون من العمال يربحون مالا يقل عن ٢٠٠ مليون من الجنيهات .



المنسوجات
فى عهد الخلافة الاسلامية

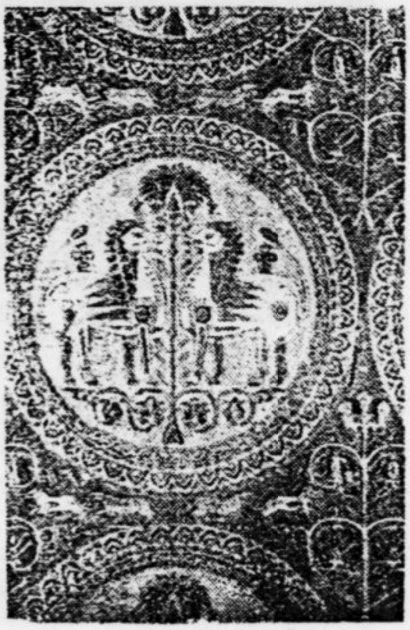
للدكتور ر . ب . سارجنت

[بقية ما نشر فى العدد الماضى]

. وكما كانت بغداد مركز الصناعة ، كانت كذلك مركز الأناقة فى الزى . وفى كتب الأدب العربى كتب وفصول تبحث فى آداب البلاط الملكى وأزياء أهله ، نجد ذلك مثلا فى كتاب اللطائف والمعارف للثعالبى ، كما نجد خير نموذج له فى كتاب الموشى لمؤلفه الوشاء ، وهو يحتوى على قسم خاص بثياب المتأنقين والحلل التى يرتديها ذوو المناصب . فى صفحة ١٢٤ (من الطبعة التى حررها برونوف) يقول : « واعلم أن ثياب ذوى الفضل ، والشجاعة ، وأهل العلم ، تتألف من القمصان الرقيقة والقمصان الغليظة المصنوعة من أنواع فاخرة من الكتان الناعم الصافى الألوان كالدبيقى والجنابى ... ويعد من سوء الرأى ارتداء ثياب ذات ألوان قبيحة مصبوغة بالطيب والزعفران كاللحم الأصفر والدبيقى المضرج بالعنبر ، لأن ذلك لباس النساء ولباس الراقصات والخادمات » . ويصف الوشاء كذلك ماينبغى للنساء فى آداب الثياب ، ولعل أفضل ما يوضح لنا كيف أن بغداد كانت عاصمة عالية فى حياتها هو تلك القوائم التى يذكرها للمنسوجات ، والتى تحتوى على قمصان دارا بجرد فى بلاد فارس ، ومطارف سوس ، وجباب فرس ، والمنسوجات الاسكندرانية والخراسانية ، وعباءات عدن ، والنسج الأرمنى المشهور ، والأحذية الزنجية ، أو اليمنية أو الهندية الواردة من كامباى . وكثيراً ما كانت الثياب تطرز بأنواع شتى من الكتابة العربية . فدراعة هارون الرشيد مثلا كانت محلاة فى أحد جانبيها بكلمة « حاج » ، وفى الجانب الآخر بكلمة « غاز » . على أن هذه العبارات التى كانت تحلى بها الثياب كثيراً ما كانت أبياتاً من الشعر الناطق بالظرف والدعابة كالبيتين التاليين اللذين كانت تحلى بهما عصابتها إحدى الجوارى على ماترويه صاحب كتاب العقد الفريد :

تمت ، وتم الحسن فى وجهها . فكل شىء ماسواها محال
للناس فى الشهر هلال . ولى من وجهها فى كل يوم هلال .

ويمكننا أن نتصور فخامة الأثاث فى بلاط بنى العباس من الثبت الذى ذكره ابن الخطيب للسجوف والطنافس التى يشاهدها فى حفل استقبال الخليفة المقتدر لسفير بيزنطة سنة ٣٠٥ هجرية فقد اشتمل ذلك الثبت على مطرزات ذهبية فيها صور جمات ، وفيلة ، وخيول ، وجمال وحيوانات برية ، وطيور ، إلى غير ذلك ، وهو لون من الفن توارثه فنانو العرب واستعملوه فى العهود المختلفة بنجاح عظيم ، وكان يمتزج بهذه الأصناف كلها المنسوجات الصادرة من الصين والهند ورومية . وهى منسوجات كانت مشهورة عند أهل الشرق الأوسط .



(شكل ٣) قطعة من زخرفة حريرية ترجع إلى العصر الفاطمى حوالى ١٠٠٠ م

ومع أنه ليس من الممكن أن نتناول هنا بالتفصيل ذكر سائر بلاد الخلافة فإن مصر وفارس خليقتان بذكر خاص . ففى مصر تنيس ، ودمياط ، ودبيق ، وعدد آخر لايحصى من البلاد الصغيرة بمنطقة دمياط والأبوانية . تصنع وتصدر كميات من التيل ؛ بل إن كسوة الكعبة تصنع عادة هناك منذ أيام الخليفة

عمر بن الخطاب ؛ وأنا أعتقد أن القباطى التى كانت تستعمل فى الكسوة كانت فى الحقيقة مصنوعة فى هذه المدن . وكذلك كانت الفيوم مركزاً لنشاط صناعى عظيم ، وكانت تحتوى على عدة مصانع للطراز . وكانت مصر تستورد منسوجات من الخارج. ويمكننا أن نقتبس بهذا الصدد شعر بهاء الدين زهير فى التاجر البغدادى فى القاهرة :

دخلت مصر غنياً — وليس حلى بخاف —
عشرون حمل حرير ، ومثل ذاك نصاف ،
وجملة من لآل وجوهر شفاف .

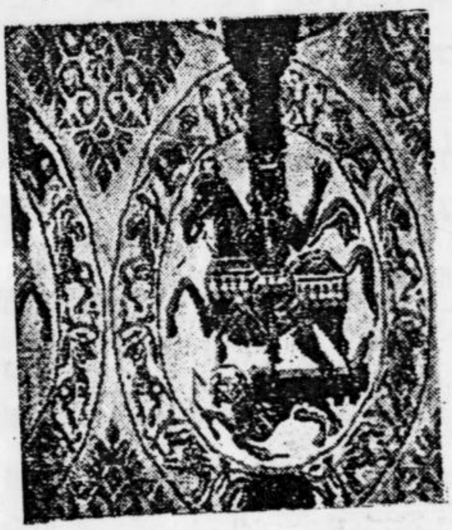


(شكل ٤) قطعة من الحرير المخطط عليها كتابة عربية .

وكل من النطرون والشب اللذين كان يستعملها الصباغون كان يوجد فى مصر وكان يصدران إلى أقطار أخرى . ويروى لنا ابن مماتى أنه كان هناك طلب كثير للشب فى بيزنطة . . وهو يصف لنا إدارة الإحتكار الحكومى لهذه المادة فى القرن السادس الهجرى . وكانت مناجم الشب فى صحراء الصعيد ، وكانت هذه المادة تحمل فى النيـل إلى الوجه البحرى ومنه إلى الاسكندرية . وكان النطرون يستخرج طبعاً من وادى النطرون . كما كان الأمر على عهد قدماء المصريين ؛ وكان النطرون احتكاراً حكومياً كذلك ، ونجد أنه كان يباع فى مدن دمياط وتنيس وأمثالها . وما زال النطرون يستخرج حتى اليوم فى مصر . وتستغله شركة أسست فى آخر القرن الماضى .

وكانت بلاد فارس شهيرة بمصنوعاتها النسيجية فى عهد الخلافة ، سواء فى ذلك ما كان منها تحت إدارة الحكومة وما كان تحت إدارة الأفراد ، غير أنه بينما ظلت التقاليد الفنية متواصلة بدون انقطاع فى مصر ، كان لفتح المغول لبلاد فارس أثر فى إدخال عدة عوامل جديدة على تلك الصناعة . فلم يكن عمل المغول مقتصراً على تخريبهم عدة مدن قديمة وبعثرتهم للنساجين فى آسيا الوسطى حتى بلاد الصين ، بل إنهم بنوا أو أعادوا إنشاء مدن جديدة هامة جلبوا لها صناعا من سائر أنحاء آسيا والعاهلية الصينية . كذلك نقلوا الصناع الفنيين من مكان إلى آخر فى داخلية البلاد الاسلامية . وهناك رسالة من رشيد الدين ، الوزير المشهور للسلطان غازان خان ، يطلب فيها إرسال نساجين من أنطاكية ، وسوس، وطرسوس . إلى تبريز إحدى حواضر المغول. ويبدو لى أن التقاليد الفنية الفارسية أصبحت ، منذ تلك الحقبة ، تزداد تميزاً واختلافا عن نظيرتها فى القسم الغربى للثقافة الإسلامية

ولا يتسع لى المقام هنا أن أعرض لمصنوعات مدن البلاد التى تسمى الآن بتونس ، ولا للمنسوجات الأندلسية التى خلفت آثاراً كبيرة فى المنسوجات الأوربية ، ولا لمصنع الطراز فى بلرمو الذى عادت إليه الحيلة فيما بعد على يد النورمان الفاتحين . ولعل هذه النظرات فى الصناعة وتقاليد الزى فى العاهلية الاسلامية فى أثناء ستة القرون الأولى من حياتها ، تنقل إلى القارىء صورة ما عن تلك الحضارة الثرية المبتكرة التى مازال تراثها فى أوربا باقيا حتى اليوم .



(شكل ٥) قطعة من حرير قبطى يمثل الفروسية ترجع إلى القرن الثامن م .

(عن مجلة الأدب والفن الانكليزية)

ر . ب . سارجنت

الوحـــدة الكبرى

للأديب محمد سليم الرشدان

أمة العرب : يا ابنة المجد عودى … وانشرى للأنام عهد الجدود
فى ثنايا ردائك السابغ المع … طار . نفحُ العَلاء والتخليد
والأزاهيرُ ناديات على ها … مك تعلوه شارة التمجيد
أنت أغرودة الزمان وفى ذك … رك يحلو لديه عذب النشيد
أنت قيثارة الخلود ومن فيـ … ـك تعالى فى الدهر صوت الخلود
لن تهونى وفى بنيك اليامين … ن ذماء ، وأنت بيت القصيد
نحن أبناؤك الألى ندفع الضيـ … ـم ونمشى على شفار الحديد
نبذل النفس طائعين لإسعا … دك يا أمة الفخار التليد
لتعيدى مجداً بناه الغطاريـ … ـف أباة من الكماة الصيد
فانهض يا ربيبة العزّ والرّفـ … ـعة : عودى إلى المفاخر ، عودى!
وانفضى عن جفونك الحُلم المف … زع من بعد رقدة وهجود
وانظرى مسرح الأشاوس فى اليرـ … ـموك ، مثوى فيالق ابن الوليد
يقذف الروم بالكتائب والأقـ … ـران من كل فارس صنديد
فإذا هم قد صيروا ساحة الحر … ب هشيماً من القنا المخضود
وأعادوا الرومان ما بين مصرو … ع ، وعانٍ يجرُّ فضلَ القيود
أمة العرب لا تنام على ضيـ … ـم ولو كان فى جنان الخلود
وانظرى : هل ترين فى الأفق النا … ئى قتاماً من الوغى المعقود ؟ !
ذاك سعد شبّ الحروب على كسـ … ـرى ، ووافى بجحفل وعديد ..
يدمغ الباطل المهين فيُزجيـ … ـه ويُنحى عليه بالتهديد
ويثل العرش المكين . وهل كا … ن يفلُّ الحديد غير الحديد ؟
سرحى الطرف بعد ذلك واجتا … زى خراسان ثمّ فى التصعيد
وابلغى إن أردت مزدحم الأفـ … ـيال ، وأتى هناك أرضَ الهنود
أو ما تبصرين فى حومة الحر … ب غلاماً ينقضُّ كالجلمود
لا يغرّنك أنه الأسدُ الـورْ … د بسربال يافـعٍ أملود
يهتف الجند باسمه حيث ترتجُّ (م) لأصـواتهم أعالى النجود
إن ذيالك الهمام هو ابن الـ … ـقاسم الفذ فى العراك الشديد
بطأ الهند بعد ما وطأ السنـ … ـد ويغزو فى كل قطرٍ بعيد

يبتغى الشبق مع قتيبة من أو … عل فى الصين كل قرمٍ عنيد
هكذا تنجبين يا أمة العر … ب ، وذا كم من نسلك المحمود
ليت شعرى ، هل تسمعين من الغر … ب صدًى من صواعق ورعود ؟ !
ذاك لو تعلمين عقبة ! إذ أقـ … ـدمَ إقدام ضَيغم مفؤود
والذى تسمعين حَمحَمة الخيـ … ـل وزحفُ الجنود إثر الجنود
وازدِحامُ الخميس فى جانب الأط … لس من بين سيفه والصعيد
والأهازيج داويات من الأبـ … ـطال إثرَ الغناء والترديد
وانحدار العدوّ أرهبه المو … ت فألوى ينساح عُرض البيد
هكذا شيَّد الأباة ومن كا … ن عرب يبنون صرح مجد عتيد؟!
أمة العرب : يا سليلة أمجا … دٍ توالت فى مشرقات العهود
أو ما حدثوك عن يوم تُذريـ … ـق وأعظم بيومه المشهود ؟!
أو لم تسمعى عن البطل الفا … تك مذكى السفين خلف البنود ؟!
هاتفاً فى الرجال : دونكم البحـ … ـر !! وإلا فانحوا طريق الخلود !
فإذا هم يستبسلون لدى المو … ت ! وطوبى لكل حرّ شهيد
كبّروا فاستحال فى أذن الجو … زاء تكبيرهم زئير أسود
وانتضوا خلف طارق فإذا بالـ … ـقوط ما بين هالك وشريد
وإذا بالإسلام ينشر جنحيـ … ـه بظل الخليفة الممدود
وإذا بالإسبان تستقبل البُشـ … ـرى بصوت المؤذن الغرِّيد
هكذا سوف نبتنى الوحدة الكبـ … ـرى ونمشى على غرار الجدود
هكذا يطلب الفخار ! فلا ما … ت على الذل مقلة الرعديد ...

(القدس)

محمد سليم الرشدان
ماجستير فى الأدب والساميات



بين شاعرين

(عرف القراء فجيعة الأستاذ عزيز بك أباظه في زوجته من مجموعة أشعاره «أنات حائرة»، وقد عرفوا أخيراً فجيعة الأستاذ عبد الرحمن صدقي من أشعاره التي يوالي نشرها هنا وفي الثقافة. وفيما يلي كلمة أرسلها إلى زميله، وهي عامرة بروح التقدير الكريم والمشاركة في الألم الوجيع)

عزيزي الأستاذ عبد الرحمن:

تتبعتُ قصائدك التي تنشر في الرسالة والثقافة. وما أظنها قصائد بالمعنى المفهوم، ولكنها دموع العين والقلب معاً تقطر في أصدق تعبير وأشرفه — ولكنها الحشاشة الذائبة والنفس المنصهرة تترقرق في أنصع الشعر وأسماه.

وما من شك أن هذه اللوعة التي تحترق بها أنت، قد اهتز لها في آفاقه الشعر الباكي، وابتهج بها في محيطه الأدب الحزين. فلقد أضفت إلى صحفها التي طهرتها الآلام صحفاً أخرى تفيء بأنبل الألم وفي الألم لذة مشرقة تستشعرها النفس وهي تكتوي بناره، وتراح لها الروح وهي تنزى فوق أواره.

أما أنا، فلي شأنٌ مع دموعك، شأن غير شأن الناس. فلقد رثيت لها أكثر مما رثى الناس. ذلك أنني فهمتها أكثر مما فهمها الناس. ثم إذا دموعك أو قصائدك قد امتزجت بأحناء نفسي وأعراقها حتى لأوشك أن يتسرب بعضها في بعض.

ثم زدتُ فأوشكتُ أن أدّعي لنفسي منها هذه المقطوعة الدامية أو ذلك البيت الأنيم ... ولِمَ لا أفعل، إذا كنت أجد فيها صدى نفسي، وأسمع فيها همسها وزفيرها، وأستاف منها رائحة الكبد المحترقة. ولقد عرفتُ ومازلت أعرف رائحة الكبد المحترقة.

هل تظنني قائلا لك: «تماسك واصبر»؟

لن أفعل ذلك فأسيء إلى وفائك وحبك

ولن أفعل ذلك فأحرم الأدب من نفحاتك ولفحاتك

كان الله لك، ورضى الله عنها وعنك

أسيوط

المخلص

عزيز اباظه

الجامعة العربية

أصبحت الجامعة العربية أمراً واقعاً، وحقيقة ثابتة وقد خلصت الجمعيات التي قامت لأجلها، والكتاب الذين دعوا إليها من التخبط في تعريف غاياتها وتحديد أغراضها. وكذلك اطمأنت نفوس من كانوا يتوجسون من تأليفها، لزعم باطل أو وهم مدخول، بأنها ستكون جامعة إسلامية تناوئ أو تقضي على كل ما هو غير إسلامي. أما الآن فقد وضح أمرها فصار في وسع كل إنسان أن يقول:

«إن الغرض من الجامعة العربية توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها، وتنسيق خططها السياسية، تحقيقاً للتعاون بينها، وصيانة لاستقلالها وسيادتها، والنظر بصفة عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها»

«وكذلك من أغراضها تعاون الدول المشتركة فيها تعاوناً وثيقاً بحسب نظم كل دولة منها وأحوالها في الشؤون الاقتصادية والمالية، والاجتماعية والصحية، والمواصلات والثقافة، والجمارك والجنسية»

وإذا سأل سائل، الرجال الذين وقّعوا وثيقة هذه الجامعة عن رأيهم فيها سمعنا دولة النقراشي باشا يقول باسم حكومة مصر:

«إنها ضرورة تدعو إليها الظروف الدولية في هذا الوقت. لقد أردتم وأردنا أن تكون هذه الجامعة جامعة سلام ووفاق وهي هذه الصورة التي سوف تراها الدول وتستقبل بها عهداً جديداً للبلاد العربية، أساسه التضامن وحسن التفاهم»

ويقول دولة السيد فارس الخوري باسم حكومة سورية:

«نحن مطمئنون إلى أن هذه البداءة المتواضعة ستأخذ مجراها في طريق النمو إلى أن تبلغ الهدف الأسمى الذي تتوق إليه نفس كل عربي حريص على وصل مستقبل أمته العتيد بماضيها المجيد»

ويقول دولة سمير الرفاعي عن شرق الأردن:

«إنها الحجر الأساسي للكيان القومي»

ويقول السيد أرشد العمري عن العراق:

«إن هذا الميثاق لهو الطلقة الثانية للعرب، ولكنها طلقة سليمة هذه المرة، بيد أن الطلقة الأولى لفكرة الجامعة العربية كانت تملك حسين بن علي»

ويقول السيد يوسف يس عن الحكومة السعودية :

« إن ميثاقنا سيلقاه الناس بسيطا فى مبناه ولكنه سام فى أهدافه وغاياته ، وأهم ما تستند إليه جامعة دولنا العربية هو حسن ظن بعضنا ببعض »

ويقول السيد كرامى عن لبنان :

« نعلم حق العلم أن هذه الجامعة ليست هى غاية ما يصبو إليه العرب فى مختلف أقطارهم ، ولكنها خطوة مباركة ، بل خطوة كبيرة جبارة نحو تلك الغاية السامية ، أى اتفاق على تأسيس جامعة لدولنا تكون أداة دائمة للتعاون الأخوى الوثيق بيننا »

ويقول عبد الرحمن عزام بك :

« الحقيقة هى أن الجامعة وميثاقها ليست إلا عنواناً لميثاق غير مكتوب ، أخذه علينا آباؤنا ورسلنا من قبل وأخذناه على أنفسنا اليوم »

لقد سجلنا على رجال حكوماتنا أقوالهم لنشهد عليهم ونستشهد بها قريباً .

حبيب الزحلاوى

الإسكندرية فى العصور الوسطى

الدكتور عزيز سوريال عطية ، خير من يجلو لأبناء الاسكندرية ما غمض من تاريخ مدينتهم فى العصور الوسطى ، فقد عرض لمستمعى الحلقة الثانية من سلسلة المحاضرات الإسكندرية ، التى تقيمها وتشرف على الدعاوة لها جمعية الشبان المسيحيين . أقول عرض الدكتور سوريال كيف كانت الإسكندرية فى تلك الآونة كعبة الدنيا ، وعروس الزمان .

ومن أهمّ ما حدّثنا عنه الدكتور المحاضر مسألة الامتيازات الأجنبية ، فقال : إنّ لهذه الامتيازات التى تخلصنا من ربقتها أخيراً ، أصلا فى تاريخ الإسكندرية الوسيطة ، وهو أنّ قد كان ما يعرف فى تلك الآونة ، بالفنادق ، وقصة هذه الفنادق ، تصور لنا كيف كانت تنشأ بأموال النزلاء الأجانب ، على أن تعود ملكيتها إلى السلطان ، وللسلطان بعد ذلك أن يصدر أمره إلى كلّ فئة أن يُقيم كلّ منها فى فندق يشرفون منه على مصالح بلادهم الاقتصادية ، على ألا يعترف لهم بأكثر من صفة الضيافة ! !

فهل يرى الدكتور سوريال أوجه شبه بين هذه الفنادق ، وبين مايعرف اليوم بنظام السفارات ؟

أما تخطيطات الإسكندرية فى العصور الوسطى ، فقد شرحها لنا الدكتور المحاضر شرحاً وافياً ، مستعينا بخرائط كان يُعنى بلفت الأنظار إلى ملاحظتها عند كل نقطةٍ من نقاط بحثه ، فكانت فرصة طيبة ليتابع المستمعون قصة مدينتهم فى إحاطة وعمق ، وكانت آيةً على حرص الدكتور سوريال ، على أن يحيط متتبعو محاضرته بعناصر الموضوع المختلفة من شتى الجهات ، ولقد كان الدكتور سوريال دقيقاً أجلّ الدقة ، فى تحفظه حين كان يحدث عن رأى لم يقل العلم بَعْدُ كلمته الفاصلة فيه .

ومن أمتع ماحدثنا عنه الدكتور سوريال ، حضارة الإسكندرية الوسيطة ، تلك الحضارة التى تتجلى فى أروع ظواهرها حين نستعرض مراحل الديانات المختلفة ، وآثارها المتباينة ، فيحدثنا الدكتور عن مسجد النبى دانيال حديثاً طلياً عذباً ، متتبعاً تاريخه منذ كان معبداً فى العهد القديم ، إلى أن أصبح مقبرة للاسكندر — فيما يقال — ثم يحدثنا عنه فى صورته الحديثة ، حديث الأستاذ المحاضر الذى ألمّ بأطراف موضوعه .

— وإنى اعتقد أن فى هذا النشاط الفكرى الذى نلمسه فى الإسكندرية الآن ، ظاهرة حيوية جديدة ، توحى بأن ليس من البعيد أن يعيد التاريخ نفسه ، فتصبح الإسكندرية كما كانت ، مشعل الحضارة الجديدة ، حينما تستقر النفوس ، وحين يتطلع الناس إلى مثل عليا جديدة .

الاسكندرية **على حسن حموده**

أكاديمية مصرية للعلوم

تألفت فى القاهرة أكاديمية مصرية للعلوم ، على نظام الأكاديميات العلمية فى أوربا وأمريكا ، وقد جعل مقرها « دار الحكمة » وتشمل بحوثها الآن العلوم الرياضية والطبيعية وعلوم الاحياء .

ويبلغ عدد أعضائها الحاليين تسعة ، رؤى أن يكون كل منهم ممثلا لفرع خاص وحاصلا على درجة الدكتوراه فى اختصاصه ، وممن لهم أبحاث علمية مبتكرة معترف بها فى العالم .

وهؤلاء الأعضاء هم — بحسب ترتيب الحروف الأبجدية — الدكاترة : ابراهيم فهمى رجب ، وأحمد زكى بك ، وحسن صادق باشا ، وسعد الله مدور ، وعلى مصطفى مشرفه بك ، وكامل منصور ، ومحمد خليل عبد الخالق بك ، ومحمد رضا مدور ، ويونس صالح ثابت .

وستعقد الأكاديمية أولى جلساتها العلمية فى ٣ ابريل القادم ، ويستطيع من تعنيه المحاضرات التى ستاتى فيها أن يحضرها ، بوصفه زائراً .

وقد وافق معالى وزير المعارف على نشر البحوث التى ستتلى فى الأكاديمية على نفقة الوزارة



ناظر المدرسة

للقصصي الروسي أنطون تشيكوف

ترجمة الأستاذ محمد قطب

كان فيودور لوكيتش سيسوييف — ناظر المدرسة التابعة للمصنع الذي يديره كوليكين — كان يعد نفسه لحفلة الغداء السنوية. ففي كل عام بعد انتهاء الامتحانات كان المدير يقيم حفلا يدعى إليه مفتش المدارس الأولية والممتحنون ويحضره كذلك مديرو المصنع.

وعلى الرغم من الصبغة الرسمية التي كانت لهذه الحفلات فإنها كانت دائما حافلة بالحياة والمرح، وكان المدعوون يقضون فيها وقتاً طيباً ناسين ما بينهم من فروق. وكانوا يأكلون حتى يمتلئوا ويشربون ويتحدثون حتى تبح أصواتهم، ثم يتفرقون في المساء المتأخر وقد انطلقت حناجرهم بغناء صاخب تغطى حدته على ضجيج آلات المصنع!

وقد حضر سيسوييف من أمثال هذه الحفلات ثلاثة عشر إذ كانت قد مضت عليه ثلاث عشرة سنة في نظارة تلك المدرسة.

والآن — وهو يعد نفسه للرابع عشر — كان يحاول أن يبدو عليه البشر وأن تبدو حركاته مضبوطة بقدر الإمكان. وقد مرت عليه ساعة كاملة وهو ينظف بالفرشاة حلته الجديدة السوداء وقضى ساعة أخرى أمام المرآة وهو يرتدي قميصاً على آخر طراز. ولكن دبوس الرقبة لم يشأ أن يدخل في عروته بسهولة فثار الرجل وصخب وراح يوجه أعنف اللوم إلى زوجته ويهددها بعظائم الأمور.

وكانت زوجته المسكينة قد أنهكت قواها وهي تدور حوله لتقضى له حوائجه وتساعده على إعداد نفسه. والحق أنه هو نفسه قد خارت قواه آخر الأمر حتى إنه — حين أحضر له حذاؤه اللامع من المطبخ — لم يستطع أن يلبسه واضطر أن يضطجع حينا من الوقت ويشرب كوبا من الماء فتنهدت زوجته آسفة وقالت له « لقد غدوت ضعيفاً جداً، وكان الأجدر بك ألا تذهب إلى هذا الغداء أبدا »

فقاطعها غضباً « لا أريد نصائح من فضلك! »

وقد كان ثائراً جداً ... وكانت نتيجة الامتحانات الأخيرة تثيره أكثر من كل شيء. ومع أن الامتحان قد انتهى بصورة باهرة وحصل تلاميذ الفرقة الأخيرة على شهادات وجوائز أيضاً، وسر لهذه النتيجة رجال المصنع ورجال الحكومة سواء، إلا أن ذلك كله لم يكن كافياً لحضرة الناظر ... فقد آذاه أن التلميذ بابكين الذي لم يكن يخطئ في الإملاء أبداً قد أخطأ ثلاث مرات، وأن سرجييف كان شديد الاضطراب فلم يعرف حاصل ضرب ١٧ × ١٣، وأن المفتش وهو شاب غير مجرب — قد اختار للاملاء قطعة صعبة، وأن ليابونوف — وهو ناظر مدرسة مجاورة — لم يسلك مسلك الزملاء حين اختاره المفتش لإملاء القطعة بل جعل يبتلع الحروف ابتلاعا ولم ينطق الكلمات كما هي مكتوبة!

وبعد أن ارتدى الرجل حذاءه بمساعدة زوجته ونظر إلى نفسه في المرآة مرة أخرى، أمسك بعصاه المحببة وذهب إلى الحفل. وما إن وصل إلى منزل مدير المصنع حتى حدث له حادث بسيط. فقد انتابته نوبة سعال عنيفة فجعل يهتز حتى طارت قبعته من فوق رأسه ووقعت عصاه من يده. وما إن سمع المفتش والمدرسون سعاله حتى هرعوا إليه فوجدوه جالساً على أسفل السلم سابحا في بحر من العرق؛ فقال المفتش مستغرباً « أهذا أنت يا فيودور لوكيتش؟ هل ... أتيت؟ »

ولماذا لا أحضر؟ »

« كان يجب أن تكون في المنزل يا صديقي العزيز فلست اليوم على ما يرام »

« إنني اليوم كما كنت بالأمس ... وإذا كان وجودي يضايقكم فأستطيع أن أرجع »

« أوه يا فيودور . لا تتحدث بهذه اللهجة ! تفضل بالدخول . إنك أنت الذى تشرف هذا الحفل لا نحن . وإنـا لمسرورون برؤيتك ... مسرورون جداً ! »

وكان كل شيء فى الداخل قد أعد للحفل . وكانت فى حجرة المائدة المزينة بزهور (الجيرانيوم) مائدتان إحداهما — الكبيرة — للطعام ، والأخرى قد وضعت عليها طائفة من المشهيات . وكان ضوء النهار الحار يدخل بقدر من خلال الستائر المدلاة على النوافذ . وكانت مناظر الطبيعة المنقوشة على الستائر وأزهار الجيرانيوم وشرائح اللحم المرتبة فى الصحاف ... تعطى كلها جوا فطريا عاطفياً يلائم طبيعة صاحب المنزل وهو رجل ألمانى طيب القلب صغير الجرم تلمع عيناه بالبشر والمحبة يدعى « أدولف أندريتش برُونى » وكان يدور حول المائدة الصغيرة نشيطاً متحمساً يملأ الأكواب بالشراب ، ويملأ الصحاف بالطعام محاولا بكل طريقة أن يعبر عن صداقته وأن ينشر البشر على الجميع .

ولما أن رأى سيسوييف صاح « من ذا الذى أرى ؟ فيودور لوكيتش ! إن هذا بديع ! لقد أتيت برغم مرضك . أيها السادة دعونى أهنئكم بحضور فيودور لوكيتش ! »

وكان المدرسون فى ذلك الوقت قد اجتمعوا حول المائدة يأكلون المشهيات ، فقطب فيودور غاضباً لأن زملاءه قد بدأوا الطعام والشراب من غير أن ينتظروه . ولاحظ من بينهم ليابونوف الذى أملى الإملاء فى الامتحان فاتجه نحوه قائلا :

« لم يكن سلوكك مما يجدر بالزملاء ! أبداً ! فإن السادة الكرام لا يعملون هكذا ! »

فقال ليابونوف مقطباً « يالله ! أمازلت تفكر فى هذا الموضوع ؟ أما سئمت الأخذ والرد فيه ؟ »

« بلى . مازلت أفكر فيه ! إن يابكين لم يكن يخطىء أبداً ! وأنا أعرف لماذا أمليت هكذا . لقـد أردت أن تطوح بتلاميذى حتى تبدو مدرستك خيراً من مدرستى . إنى أعرف كل شيء ! ... »

فصاح ليابونوف محتداً « لماذا تحاول أن تقيم معركة ؟ وأى شيء حدا بك إلى إغضابى ؟ »

فتدخل المفتش قائلا : « مهلا أيهـا السادة . هل يجوز أن تحتدوا على شيء بسيط كهذا ؟ ثلاثة أخطاء ... بدلا من واحد ... هل هذا يهم ؟ »

« نعم ؟ يهم . إن يابكين لم يكن يخطىء أبداً » .

فصاح ليابونوف « إنه لن يترك هذا الحديث أبدا . وهو يستغل ضعفه ومرضه فيسبب لنا المتاعب جميعاً . إننى يا سيدى لن أعاملك كرجل مريض »

فاحتد سيسوييف قائلا : « دع مرضى جانباً . فليس لك به شأن . إنهم جميعاً يرددون فى وجهى المرض ... المرض ... المرض . كأننى محتاج إلى عطفك ! ثم خبرنى من أين جاءتك فكرة مرضى ؟ لقد كنت مريضاً قبل الامتحان . هذا صحيح ولكنى شفيت تماما ولم يبق من أثر المرض إلا شيء من الضعف »

وهنا قال مدرس الديانة الأب نيكولاى « لقد استعدت صحتك فاشكر ربك . وعليك أن تسر بهـذا ولكنك سريع الغضب »

فقاطعه سيسوييف قائلا : « وأنت أيضاً ... ما كان أحسن صنيعك ! الأسئلة يجب أن تكون مستقيمة وواضحة ولكنك ظللت تسأل ألغازاً . ليس هذا ما يجب صنعه ! »

... وأخيراً أفلحوا فى تهدئتـه وأخذوه إلى المائدة . فظل يتردد فيما يشرب حتى قرر أن يشرب زجاجة كاملة من النبيذ ثم جذب إليه قطعة من فطير اللحم واستخرج ما حشيت به وقضم منه قضمة تخيل إليه أنها خالية من الملح فرش عليهـا الملح رشا وما لبث أن دفعها بعيداً إذ أصبحت الفطيرة غارقة فى الملح ...

وفى أثناء الغداء كان سيسوييف يجلس بين المفتش وبرونى .

وبدأ شرب الانخاب حسب العادات المتبعة . فبدأ المفتش بقوله : « إننى أعتبر من واجبى أن اقترح عليكم شكر اللذين أخذا هذه المدرسة تحت كنفهما وإن كانا لم يحضرا هذا الاجتماع وأعنى بهما دانيال بتروفيتش و ... و ... و ... » فقـال برونى يلقنه « وايفان بتروفتش »

« وإيفان بتروفتش كوليكين اللذين لا يألوان جهداً فى سبيل المدرسة وأقترح أن نشرب نخبهما ... »

فنهض برونى واقفاً كالملدوغ وقال « أنا من جانبى أقترح أن نشرب نخب مفتش المدارس الأولية بافل جينادييفتش ناداروف ! »

فنهض المدعوون وأزاحوا كراسيهم وبدأوا يقرعون الأكواب .

وكان النخب الثالث دائمـا من نصيب سيسوييف . وبهذه المناسبة نهض واقفاً ثم أخذ يلقى كلمته بعد أن اتخذ سيماء الجد وتنحنح ... وقد بدأ كلمته بقوله إن الله لم يمن عليه بموهبة البلاغة وإنه لم يكن مستعداً للخطابة . ثم قال إنه فى خلال الأربعة عشر

عاماً التى قضاها ناظراً للمدرسة كانت هناك دسائس تحاك وأياد تلعب فى الخفاء . بل وصل الأمر إلى حد كتابة تقارير سرية إلى السلطات التى بيدها الأمر . وقال إنه يعرف أعداءه الذين أدلوا بمعلوماتهم ضده ولكنه لن يذكر أسماءهم « حتى لا يفسد شهية أحد » وإنه برغم هذه الدسائس فإن مدرسة كوليكين كانت الأولى فى المنطقة كلها « ليس من الناحية الخلقية فحسب بل من الناحية المادية أيضاً » .

ثم قال « فى كل مكان آخر يتناول النظار رواتب تتراوح بين مائتى روبل وثلثمائة بينما أتناول أنا خمسمائة روبل ، وعلاوة على هذا فقد أعيد نقش منزلى وأثث على حساب المصنع وفى هذا العام غطيت الجدران بالورق ... »

وأخذ الناظر بعد ذلك يتحدث عن كرم المصنع فى تزويد التلاميذ بأدوات الكتابة بالنسبة لمدارس الحكومة . وقال إن المدرسة مدينة فى كل هذا لا إلى رؤساء المصنع الذين يقيمون على بعد ولا يزورونها إلا نادراً ، وإنما إلى الرجل الذى برغم كونه ألمانى العنصر وعلى عقيدة لوثرن فإنه روسى فى دخيلة نفسه .

وتكلم سيسوييف طويلا .. وكان يقف بين الحين والحين ليلتقط نفسه ، وكان يتصنع البلاغة وحسن التأثير حتى أصبح كلامه مملا ممجوجا . وظل يردد الإشارة إلى أعدائه ويكرر نفسه ويسعل ويمد أصابعه فى الفضاء بإشارات غير مناسبة ، وأخيراً أنهكت قواه وتصبب العرق من كل بدنه وانخفض صوته حتى لكأنه يحدث نفسه وختم كلامه بجمل غير مترابطة « وعلى هذا فأنا أقترح شرب نخب برونى أعنى أدولف أندرييتش ، الذى هو بيننا ... وبصفة عامة ... تفهمون ما أقول .... »

وحينما انتهى من حديثه تنفس الجميع الصعداء ، كأنما رش أحدهم ماء باردا فصفا الجو .. ولم يكن قد بقى فيهم أحد على مرحه إلا برونى الذى شد على يد سيسوييف مصافحا وعاد وجهه ينضح بالبشر قائلا :

« أشكرك . وأشعر بسعادة عظيمة لأنك مهمتنى ! إننى أرجو من كل قلبى أن يكون كل شىء حسناً ولكن يجب أن ألاحظ أنك تضخم من أهميتى كثيراً . وإن نجاح المدرسة يرجع فى الحقيقة إليك أنت ياصديق . فلولاك أنت لما امتازت من أى مدرسة أخرى . وقد تظن أننى أجاملك ، ولكنى لا أجامل أحداً . وإذا كنا ندفع لك خمسمائة روبل فى السنة فلأننا نقدرك .

أليس كذلك أيها السادة ؟ إن ما أقول صحيح . أليس كذلك ؟ إننا لم نكن لندفع لغيره مثل هذا الأجر . والواقع أن المدرسة الطيبة السمعة هى شرف للمصنع ! »

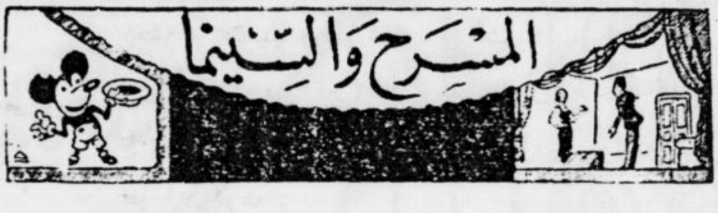
فقال المفتش « لايسعنى إلا أن أقول إن مدرستكم ممتازة . ولا تظنوا هذا رياء ، فإنى لم أصادف مدرسة أخرى كهذه فى حياتى . وبينما كنت أجلس لامتحان التلاميذ كان يغمرنى الإعجاب .. تلاميذ مدهشون ! إن معلوماتهم جيدة وإنهم يجيبون إجابات مشرفة وفى الوقت ذاته فإنهم — على نحو ما — ممتازون . ثم هم صادقون فى عواطفهم ، ويستطيع الإنسان أن يجزم بأنهم يحبونك يافيودور لو كيتش . إنك ناظر مدرسة لحما ودما . ولا بد أنك ولدت مدرساً . فإن فيك جميع المواهب ، من ميل فطرى وتجريب طويل وحب لعملك . وإنه — بالاختصار — يدهشنا — بالنظر إلى ضعف صحتك — أن نرى فيك كل هذا النشاط والفهم والمواظبة والثقة بنفسك . لقد وصفك أحدهم فى اجتماع مدرسى بأنك شاعر فى عملك . أجل إنك لشاعر ! »

وهب الحاضرون على الطعام كرجل واحد يتحدثون عن مواهب سيسوييف وكأنما فتح خزان فسال طوفان من الكلمات الحماسية الصادقة . ونسى الجميع خطبة سيسوييف وحالته العصبية المنكرة ووجهه المعبر عن الحقد والكراهية . وجعلوا يتحدثون بحرية حتى أولئك المدرسون الجدد المستحون الذين كانوا لايتحدثون إلى المفتشين إلا بقولهم « سعادتكم » . وكان من الجلى أن سيسوييف — فى محيطه — رجل ذو حيثية .

ولما كان قد تعود النجاح وسماع المديح مدة الأربعة عشر عاما التى قضاها ناظر مدرسة فإنه كان يستمع بغير اهتمام إلى حماسة المعجبين ..

وكان برونى هو الذى شرب نخب هذا المديح بدلا من سيسوييف ، فقد انتبه لكل كلمة تقال وكان يصفق ويهلل وينحنى متواضعاً كأنما كان كل هذا المديح خاصاً به هو لا بناظر المدرسة . وكان يصيح قائلا : « مرحى .. مرحى ! هذا حق ! لقد عرفتم ما أقصد !.. بديع !! »

وكان ينظر إلى ناظر المدرسة كأنما يريد أن يشاركه فرحه . وأخيراً لم يطق صبراً ، فقفز واقفاً وغطى بصوته جميع أصواتهم وهو يصيح : « أيها السادة ! اسمحوا لى أن أتكلم ! هس ! أمام كل الذى تقولونه ليس لى إلا جواب واحد : وهو أن إدارة



فيلم سفير جهنم

تأليف وإخراج وتمثيل يوسف بك وهبي

القصة

تدور حول مدرس يحيا مع زوجه وأبنائه حياة شقية كلها فاقة وعوز ، قاده الشيطان بوسائله إلى حياة لم يألفها من قبل . وغدا ذلك المدرس من هؤلاء المترفين بفضل الشيطان الذي عرف كيف يسيطر عليه ويوجهه كيفما يريد ... ثم تنتهي حياته بفقده زوجه ، وجنون ابنته ، وسجن ابنه ، وأخيراً يستيقظ المدرس من نومه فيحمد الله على أنه كان في حلم ، وينادي أبناءه وزوجه ليقص عليهم رؤياه ، فإذا بهم كانوا مستغرقين في نفس الحلم

هـذا هو ملخص لقصة (سفير جهنم) . ويظهر أن الشيطان لعب دوراً خطيراً حتى استطاع أن يخدع يوسف بك ويجعله يخرج قصة مفككة كهذه ليس لها فكرة تهدف إليها . ولا وحدة تسير عليها لتكون فيلماً !

الإخراج

اعتمد الأستاذ يوسف بك في إخراجه على تهاويل ومفارقات . لحشد المناظر حشداً ، وجمع الصور جمعاً في فوضى عجيبة تشهد أن الشيطان وحده هو الذي أوحى إليه هذه التهاويل والمفارقات .

لست أدري كيف أخرج يوسف بك قصة فيلمه على أنها حلم مع أن المدرس نفى ذلك أكثر من مرة وفي مواقف متعددة ، ولا أدري أي شيطان هذا الذي يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ، يعرف الغيب ، ويعيد إلى عجوز شمطاء صباها ، ثم يعيد إلى كهل شبابه ، ثم هو بعد ذلك أو قبل ذلك يعظ الناس في مكارم الأخلاق ، ويتحدث بالفرنسية حيناً وبغير الفرنسية حيناً آخر ...

المصنع لن تنسى ما أداه فيودور لوكيتش من الخدمات !... »

وساد الصمت . ورفع سيسوييف بصره إلى وجه الألماني المتورد الذي عاد يقول : « إننا نعرف كيف نقدر مجهوداته . والجواب على كلماتكم هو أن أخبركم أن مبلغاً من المال قد وضع في المصرف في الشهر الماضي من أجل عائلة فيودور لوكيتش » . فنظر سيسوييف متفهماً إلى الألماني وإلى زملائه كأنه غير قادر أن يفهم لماذا وضع المبلغ لعائلته وليس له هو . وفي لحظة واحدة استطاع أن يرى جميع الوجوه المنحدرة إليه ، وفي العيون المثبتة نحوه ، لا إحساس العطف ولا الشفقة التي لم يكن يحتملها ، بل شيئاً آخر عطوفاً رقيقاً ، ولكنه في الوقت ذاته مشئوم مخيف كأنه حقيقة واقعة . شيء سرى كالقشعريرة في جسده وملأ قلبه بيأس دفين ، فقام فجأة بوجه ممتقع وضرب رأسه بيديه ، وظل هكذا ربع دقيقة وهو يحدق في نقطة أمامه ، كأنه يرى الموت الذي تحدث عنه بروني ... ثم جلس ثانية والدموع تنهمر من عينيه . وسمع من حوله أصواتاً فزعة تقول : « ماذا ؟ ماذا ؟ ماء . اشرب شيئاً من الماء ! »

ومرت لحظة قصيرة هدأ خلالها الرجل ، ولكن المجتمعين لم يعودوا إلى مزاحهم الأول . وانتهى الغداء في صمت كئيب ، وفي وقت أسرع من كل المرات السابقة .

وحين عاد سيسوييف إلى المنزل ذهب تواً إلى المرآة ثم قال في نفسه وهو ينظر إلى خديه المترهلين وعينيه اللتين تحيط بهما هالة سوداء « حقاً . لم يكن بما يدعونى أن أبكي كل هذا البكاء ! إن وجهي اليوم خير منه بالأمس . وإن ما أعانيه هو الانيميا والزكام الناشيء من المعدة . وسعالي ناشيء من المعدة » . وخلع ملابسه وقد عاد إليه اطمئنانه وقضى وقتاً طويلا ينظف بالفرشاة بذلته الجديدة السوداء ثم طبقها بعناية ووضعها في مكانها . ثم ذهب إلى المكتب حيث تراكمت كراسات التلاميذ فأخرج من بينها كراسة بابكين وجعل يتأمل في جمال خطه ...

وفي الوقت ذاته — بينما كان هو يفحص كراسات التلاميذ — كان طبيب المنطقة يجلس في الغرفة المجاورة ويهمس في أذن زوجته أنه لم يكن يجوز أن تبيح الذهاب إلى حفلة غداء لرجل لا يحتمل أن يعيش أكثر من أسبوع .

محمد قطب

التمثيل

قام الأستاذ يوسف وهبي بتمثيل دور (الشيطان)، فعرف كيف يكون خير سفير لجهنم وعلى أحدث طراز، على الرغم من مغالاته في التكلف في كثير من المواقف. وقام الأستاذ فؤاد شفيق بدور (المدرس) فوفق فيه. وكذلك وفق الأستاذ محمد كمال المصري (شرفنطح) الذي قام بدور (ناظر المدرسة)، ووفقت فردوس محمد التي قامت بدور (زوجة المدرس) أما الأستاذ عبدالغني السيد فقد نجح كممثل وكمطرب. ونجح الأساتذة محمود المليجي وفاخر فاخر، وأيضاً أمينة شريف وليلى فوزي وهاجر حمدي

أما الأغاني، فقد نجحت أغنية «أنا روميو» تأليفاً وتلحيناً وغناء.

وبعد، فالأستاذ يوسف بك وهبي فنان موهوب له أدواره التمثيلية الخالدة التي تضعه في مصاف الممثلين العالميين، ولكنه يأبى على نفســه إلا أن يرهقها، فيرغمها إرغاماً على الانخراط في سلك القصاصين والمخرجين، فلا تجاوبه بتأييد، لأنها — وأعني نفسه — ليس عندها استعداد للقيام بمثل هذه المهام، فماذا عليه لو ترك نفسه على سجيتها وركز مجهوده في التمثيل؟!

أعتقد أنه من الخير للفنان يوسف بك أن يدع مسألة التأليف والإخراج ويتفرغ للتمثيل ليستطيع أن يؤدي رسالته كممثل على أكمل وجه.

عبد الفتاح متولي غبن

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

محكمة بولاق الجزئية الأهلية

إعلان بيع

إنه فى يوم الست خمسة مايو سنة ١٩٤٥ من الساعة ثمانية أفرنكى صباحاً وما بعد او الأيام التالية له إذا لزم الحال بشارع قطب الدير موسى أمام رقم ١٤ ببولاق .

سيباع بالمزاد العلنى الأشيا المحجوز عليها تحفظيا والمبينة الوصف والمعالم بمحضرى الحجز التحفظى الموقعين عليها بتاريخ ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٤٤ و٢٢ يناير سنة ١٩٤٥ تعلق رحين أفندى بيزاوى ومدام راشيل بيزوى ونفاذاً للحكمين الصادرين من محكمة القاهرة التجارية الجزئية الأهلية الصادر أولهما بتاريخ ١٢ فبراير سنة ١٩٤٥ فى القضية رقم ٤٢٦ سنة ١٩٤٥ وثانيهما بتاريخ ٢٢ فبراير سنة ١٩٤٥ فى القضية رقم ٤٧٧ سنة ١٩٤٥ ووفاء لمبلغ ٢٠ مليم . ر ١٨٦ جنيه مائة ستة وثمانين جنيها مصريا وعشرين مليما بخلاف رسم التنفيذ وتعميه و جرة النشر .

وهذا البيع بنا على طلب محمد أفندى أحمد البدوى التاجر بالسويس ومحله المختار مكتب حضرة الأستاذ حسن الجداوى المحامى بشارع للسكا فرمدة رقم ٢٩ بمصر فعلى من يرغب الشترى الحضور فى الزمان والمكان المحددين بعاليه ومن يرسو عليه آخر عطاء يدفع الثمن فوراً ليد المحضر المعين للبيع وإن تأخر يعاد المزاد على ذمته ويلزم بالفرق أن نقص الثمن وإن زاد يضاف على الأصل . ؟

الباشمحضر

13 me Année No. 614

Lundi - 9 - 4 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦١٤ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٥ ربيع الآخر سنة ١٣٦٤ — ٩ أبريل سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الرصـــافى وأغا خان

أو

الزعيم الأدبى والزعيم الدينى

لك الله يا ابن آدم ، ما أغمض سر الطبيعة فيك ! تزعم أن فيك عقلا وأنت تتبع هواك ، وأن لك ديناً وأنت تعبد دنياك ، وأن عندك علماً وأنت تجهل نفسك !

ما هذا الذى نرى من خذلان المنطق لك ، وإسراف الرأى عليك ؟ تعرف الله وتفسق عن طاعته ، وتخلق الصنم وتخلص فى عبادته ، ثم تقدس الجرائم باسم العدل ، وتعتقد الأباطيل باسم العقل ، وتفسد قوانين السماء وتقول إنه الشيطان ، وما الشيطان إلا نفسك ؛ وتزيف طبائع الأشياء وتقول إنه الحظ ، وما الحظ إلا عماك !

إن من عماك لا من عبث الحظ أن يكون فى بيتك الكلب يتقلد الذهب ، ويتوسد الحرير ، ويتهنأ اللحم ، وفى جوارك الإنسان يفضح جسده العرْى ، ويلحس كبدَه الجوع ، ويقض مضجعه الهم

وإن من هواك لا من نزغ الشيطان أن تلح على أخيك بالأثرة والحرمان ثم ترثى لحالته ؛ وإذا كان من عمل الشيطان أن تقتل القتيل فليس من عمله أن تمشى فى جنازته ؟

فى الأسبوع الذى كان الرصافى شاعر العربية يعالج فيه آلام المرض ، ويكابد غصص الموت ، على الفراش القلق ، فى المضجع الوحش ، وكل ما يملكه من حياته الطويلة العريضة أسماله البدوية وأشعاره المخطوطة ، فى ذلك الأسبوع نفسه كان أغا خان زعيم الاسماعيلية يقعد فى كفة الميزان المأثور المشهور كما ترى ، وبإزائه فى الكفة الأخرى مائة



أغا خان فى الميزان

كيلو من سبائك الذهب المصفى ، هى مثقال الزعيم العظيم فى هذا العام ، خرج له عنها أتباعه فى الهند وفى غير الهند ، ونفوسهم راضية ، وقلوبهم مطمئنة !

إى والله ! مائة كيلو من الإبريز الخالص ، هى ضريبة العقيدة يقدمها المؤمنون المخبتون كل سنة إلى أميرهم المقدس ، ورقابهم من الجلالة خواضع ، وعيونهم من المهابة نواكس ، فيتعطف صاحب السمو بأخذها ، ليطهرهم بها ، ويزكيهم لأجلها ، فى حلبات السباق ، وخلوات العشاق ، ومعابد الحب ، على البحيرات الناعمة بالنعيم ، والجبال الباسمة بالجمال ، والشواطئ المائجة بالفتنة

الحياة الروحية بسببه . فما بالهم تركوه يكتب فى وصيته الأخيرة هذه الفقر التى تستدر الشؤون وترمض الجوانح :

« كل ما كتبته من نظم ونثر لم أجعل هدفى منه منفعتى الشخصية ، وإنما قصدت به خدمة المجتمع الذى عشت فيه ، والقوم الذين أنا منهم ونشأت بينهم ، لذلك لم أوفق إلى شىء فى حياتى يسمى بالرفاهية والسعادة فى الحياة ... لا أملك شيئاً سوى فراشى الذى أنام فيه ، وثيابى التى ألبسها ؛ وكل ما عدا ذلك من الأثاث الذى فى مسكنى ليس لى . بل هو مال أهله الذين يساكنوننى ... »(١)

أين كان ذوو النفوس الشاعرة القادرة من أتباع الرصافى حين أفرط عليه إباؤه وكبرياؤه ، فانطوى على نفسه يهدهد آماله بالصبر . ويخدر آلامه بالشراب . وروحه الوثاب يشتق انبثاق النور . وأمله الطماح يتقلص تقلص الظل ؟ لو شاء الرصافى أن يهاوى السلطان، ويمالق الحكومة ، وينافق الشعب ، لعاش أرغد العيش وبلغ أرقى المناصب ؛ ولكنه آثر الحرية على الرق ، واستحب الصراحة على الرياء ، فذهب شهيد كرامته وعفته .

ستقول إن الزعيم أغا خان كذلك صريح حر ، وإن صراحته لسافرة وحريته الطليقة لم تبغيا عليه فى قومه ، ولم تجرا إلى الكلام فى صلاته وصومه . والجواب أن أتباع الزعيم الدينى يصورونه فى نفوسهم بصورة العقيدة التى يدينون بها ، ويجعلون هيكله المادى رمزاً لهذه الصورة . ولهذا الرمز ظاهر يراه الأوزاع، وباطن يستأثر بعلمه الأتباع ؛ فهم يسددون مايبصرون من زيغه . ويؤولون مايسمعون من باطله ، ويُسبلون على عمله المريب مايسبله الصوفيون من القداسة على الطبل والدف والناى والصنج ، فتصبح هذه الآلات فى أيديهم غيرها فى أيدى القيان والمُجّان ، وهى فى نظر الناس لا تختلف فى شىء عنها . قل إنها الجهالة أو السذاجة أو البلاهة ، فلن يقدح ما تقول فى الحقيقة ، ولن يغير من الواقع .

أما أتباع الزعيم الأدبى فإنهم يتخذون صورته من فنه وروحه ؛ فلصورته فى كل ذهن شكل مختلف ، وفى كل قلب أثر خاص . وطبيعة هذه الصورة أوتلك الصور مشتقة من طبيعة الفن : تتصح تارة وتنبهم تارة ، وتختفى حيناً وتلوح حيناً ، على حسب استعداد النفوس لتقبل الجمال الفنى حالا على حال ، ووقتاً بعد وقت . لذلك كانت عقيدة هؤلاء الأتباع فى زعيمهم كالعَرَض المنفك : تزول ثم تؤول ، فإذا زالت نسوه كما ينسون السرور والحزن واللذة والألم ؛ وإذا آلت سمعوه كما يسمعون البلبل على فنن الدوحة ، يطربون لشدوه ويُعجبون بريشه ، ثم لا يعنيهم بعد ذلك أيجد الحَب والعش ، أم يجد الفخ والقفص .

وكذلك شأن أصحاب السلطان وأرباب الحكم مع رجال الأدب ، يقتبسون من عقولهم النور إذا أظلمت الخطوب ، ويستمدون من نفوسهم اللهب إذا خمدت العزائم ، حتى إذا استوثق لهم الأمر ، وتنازعوا الغار ، وتقاسموا الفىء ، أنكروا مابذل الأدباء ، وقالوا بلهجة الساخر البطر : وماذا صنع هؤلاء ؟ لقد قالوا وإن الكلام طبع . وكتبوا وإن المداد رخيص ! ذلك إلى أن أكثر عشاق الأدب مفاليك لا يملكون لأربابه إلا الدعاء فى الحياة ، وإلا الرثاء فى الموت ! وإذا كان لدى بعضهم فضل من القوت لم يجد فى نفسه من سلطان العقيدة ما يحمله على مواساته : وذلك هو الفرق بين العقيدة الأدبية والعقيدة الدينية . فالعقيدة الدينية سلبية لا تتجاوز الإعجاب بالكلام والإنفاق من الكلام ؛ فإذا وجدت من يبذل فى سبيلها المال كان ذلك قطعاً للسان الهاجى ، أو شراء لضمير المادح ، أو تزييفاً لصورة الحق ، وليس فى مثل هذا البذل كسب للأدب ولا نفع للأديب . ولكن العقيدة الدينية إيجابية تقوم على إعلان الفكر بالشعيرة ، وتمثيل المعنى بالرمز ، وتحقيق النية بالعمل . والسلطان الروحى فيها قاهر، والأثر المادى عليها ظاهر. وحسبك منها الزكوات والصدقات والأضاحى والنذور ؛ ففى بعض أولئك للزعيم الدينى ذهب وميزان، ومدد وسلطان ، وقصور ورَآسة ، ثم ضريح وقداسة !

• • •

حظك يا معروف هو حظ الأديب منذ كان فى الناس أدباء ، وفى الأرض أدب ! يموت أمثالك شرَقاً بالبؤس ، كما يموت أمثال أغا خان غرقاً فى النعمة ! فلو أن ربك حقق لك ما كان يرجوه شيخك الألوسى من رسوخ قدمك فى الدين ، وعلو منزلتك فى التصوف ، إذن لخلفته فى الزعامة الدينية ، وبلغت من (طريقتك) ما بلغ أغا خان فى الدنيا ، ونلت من (صوفيتك) ما نال معروف الكرخى فى الآخرة .

احمد حسن الزيات

(١) إقرأ نص الوصية كاملة فى البريد الأدبى .

أقوال فى الزكاة مهمة ، لأئمة

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

أراجع من أجل الطبعة الثانية لكتابى (الإسلام الصحيح) مؤلفات القوم ، فأجد فى (إعلام الموقعين عن رب العالمين ، وفى مفاتيح الغيب ، وفى المُحلَّى) هذه الأقوال العظيمة المهمة فى الزكاة والمعونة . وهى أقوال لاتسأل راويها تفسيراً ولا تفصيلاً ؛ إنها تشرح نفسها ، وتعلن أمرها ، وتذكر وتنذر ، بل تكاد تنطق بالحق مصوتة مثل الأناس الناطقة . وقد رأيت أن أتعجل نشرها فى (رسالتنا) الإسلامية ، والسبق من دأب (الرسالة) ومن دأبها تعجيل الخير .

— ١ —

قال الإمام أبو عبد الله محمد المعروف بابن قيّم الجوزية فى (إعلام الموقعين عن رب العالمين) :

إن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) أسقط القطع عن السارق فى عام المجاعة . قال السعدى : حدثنا هارون بن اسماعيل الخراز : حدثنا على بن المبارك حدثنا يحيى بن أبى كثير : حدثنى حسان بن زاهر أن ابن حدير حدثه عن عمر قال : لا تقطع اليد فى عذق ولا عام سنة . قال السعدى : سألت أحمد بن حنبل عن هذا الحديث ، فقال : العذق النخلة ، وعام سنة المجاعة . فقلت لأحمد : تقول به ؟ فقال : إى لعمرى .

قلت : إن سرق فى مجاعة لا تقطعه ؟

فقال : لا . إذا حملته الحاجة على ذلك ، والناس فى مجاعةوشدة .

وقد وافق أحمدَ على سقوط القطع فى المجاعة الأوزاعى ، وهذا محض القياس ومقتضى قواعد الشرع ؛ فإن السنة إذا كانت سنة مجاعة وشدة غلب على الناس الحاجة والضرورة فلا يكاد يسلم السارق من ضرورة تدعوه إلى ما يسد رمقه ، ويجب على صاحب المال بذل ذلك إما بالثمن أو مجاناً على الخلاف فى ذلك . والصحيح وجوب بذله مجاناً لوجوب المساواة ، وإحياء النفوس مع القدرة على ذلك والإيثار بالفضل مع ضرورة المحتاج .

قلت : قد درئ الحد عن السارق فى غير المجاعة وفى غير السنة ، ففى (سيرة عمر بن عبد العزيز) للامام أبى الفرج عبدالرحمن ابن الجوزى :

« ... حدثنا زياد بن أنعم الألهانى عن عمر بن عبد العزيز أنه أُتى إليه بسارق ، فشكا إليه الحاجة ، فعذره وأمر له بنحو عشرة دراهم[1] »

والمثل يقول : « الخلة تدعو إلى السلة » والخلة الفقر ، والسلة السرقة ،قال العلامة الميدانى : ويجوز أن يراد بالسلة سل السيوف ... !

— ٢ —

قال الإمام محمد فخر الدين الرازى المعروف بخطيب الرى فى (مفاتيح الغيب) وهو تفسيره الكبير الشهير :

١ — إن النفس الناطقة لها قوتان : نظرية وعملية ، فالقوة النظرية كمالها فى التعظيم لأمر الله ، والقوة العملية كمالها فى الشفقة على خلق الله ، فأوجب الله الزكاة ليحصل لجوهر الروح هذا الكمال وهو اتصافه بكونه محسناً إلى الخلق ساعياً فى إيصال الخيرات إليهم دافعاً للآفات عنهم .

٢ — إن الخلق إذا علموا فى الإنسان كونه ساعيا فى إيصال الخيرات إليهم وفى دفع الآفات عنهم — أحبوه بالطبع ، ومالت نفوسهم إليه — لا محالة — على ما قال عليه الصلاة والسلام : (جبلت النفوس على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها) فالفقراء إذا علموا أن الرجل الغنى يصرف إليهم طائفة من ماله ، وأنه كلما كان ماله أكثر كان الذى يصرفه إليهم من المال أكثر — أمدوه بالدعاء والهمة . وللقلوب آثار ، وللأرواح حرارة ، فصارت تلك الدعوات سبباً لبقاء ذلك الإنسان فى الخير والخصب ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : (وأما ما ينفع الناس

---

(١) فى ليلة من ليالى الدهر — كما يسميها العام الأديب الكبير محمد عبد الغنى حسن — فى القاهرة « أدام الله عمرانها بالمسلمين » — كما يقول ابن خلدون وهو فوق ودعاؤنا فى كل حين — فى منزل العلامة الأستاذ الكبير إسماعيل مظهر صاحب مجلة العصور والمؤلفات المشهورة ومحرر المقتطف اليوم — رويت هذا الخبر و « الحديث شجون » فسر به الأستاذ وصحبه من الفضلاء الحاضرين . وسئلت عن مظنته، فقلت : نقلته فى أوراق . ولا أتذكره فى هذا الوقت . والخبر فى الكتاب المذكور فى المتن فى الصفحة (٧٩) . مطبعة المؤيد .

فيمكث فى الأرض) وبقوله عليه الصلاة والسلام : (حصنوا أموالكم بالزكاة[١])

٣ — إن المال سمى مالاً لكثرة ميل كل أحد إليه فهو غاد ورائح ، وهو سريع الزوال مشرف على التفرق ، فما دام يبقى فى يده كان كالمشرف على الهلاك والتفرق ، فإذا أنفقه الإنسان فى وجوه البر والخير والمصالح بقى بقاء لا يمكن زواله ، فإنه يوجب المدح الدائم فى الدنيا والثواب الدائم فى الآخرة . وسمعت واحداً يقول : الإنسان لا يقدر أن يذهب بذهبه إلى القبر . فقلت : بل يمكنه ذلك إذا أنفقه فى طلب الرضوان الأكبر فقد ذهب به إلى القبر ، وإلى القيامة .

٤ — إن إيجاب الزكاة يوجب حصول الإلف بين المسلمين وزوال الحقد والحسد عنهم ، وكل ذلك من المهمات .

٥ — إن الأغنياء لو لم يقوموا بإصلاح مهمات الفقراء فربما حملتهم شدة الحاجة والمسكنة على الالتحاق بأعداء المسلمين ، وعلى الإقدام على الأفعال المنكرة كالسرقة وغيرها .

— ٣ —

قال الإمام ابن حزم فى المحلى :

فرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ، ويجبرهم السلطان على ذلك إن لم تقم الزكوات ولا فىء سائر أموال المسلمين بهم ، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذى لا بد منه ، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك ، وبمسكن يكنهم من المطر والشمس وعيون المارة .

قال عمر بن الخطاب (ض) لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين .

وعن ابن عمر أنه قال : فى مالك حق سوى الزكاة .

وصح عن الشعبى ومجاهد وطاوس كلهم يقول : فى المال حق سوى الزكاة .

... ويقولون : من عطش فخاف الموت ففرض عليه أن يأخذ الماء حيث وجده وأن يقاتل عليه .

فأى فرق بين ما أباحوا له من القتال على ما يدفع به عن نفسه الموت من العطش وبين ما منعوه منه من القتال عن نفسه فيما يدفع به عنها الموت من الجوع والعرى ، وهذا خلاف للاجماع وللقرآن وللسنن وللقياس .

ولا يحل لمسلم اضطر أن يأكل ميتة أو لحم خنزير وهو يجد طعاماً فيه فضل عن صاحبه لمسلم أو ذمى ، لأن فرضا على صاحب الطعام إطعام الجائع ، فإن كان ذلك كذلك فليس بمضطر إلى الميتة ولا إلى لحم الخنزير ، وله أن يقاتل عن ذلك ، فإن قُتل فعلى قاتله القود ، وإن قُتِل المانعُ فإلى لعنة الله لأنه منع حقاً . وهو طائفة باغية . قال تعالى : (فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله) ومانع الحق باغ على أخيه الذى له الحق ، وبهذا قاتل أبو بكر الصديق مانع الزكاة .

***

تلكم أقوال الاسلامية عربية بينة . وأقول فى هذا المقام وفى الختام : إنه من لم يجب داعى الله وهَدْى (الكتاب) وشرعة سيد الأنبياء والمرسلين — وفى الوقت فسحة — فليرتقب طلعة التنين[١] ، وقـ مة لينين ... ! !

محمد إسعاف النشاشيبى

(١) فى مجموعة (النهج) هـذا القول : سوسوا إيمانكم بالصدقة ، وحصنوا أموالكم بالزكاة ، وادفعوا امواج البلاء بالدعاء .

وفيه هذا القول : استنزلوا الرزق بالصدقة .

وفى شرحه لابن أبى الحديد : جاء فى الحديث المرفوع ، وقيل إنه موقوف على عثمان : (تاجروا الله بالصدقة تربحوا) وكان يقال : الصدقة صداق الجنة . وفي الحديث المرفوع : ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله الخلافة على مخلفيه . وعنه (ص) : ما من مسلم يكسو مسلماً ثوباً إلا كان فى حفظ الله ما دام منه رقعة . وقال عمر بن عبد العزيز : الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه .

(قلت) : حسب هـذه الأقوال المنسوبة إلى النبي وإلى على أن تقوها إسلامية ، وأن يؤيد معانيها (الكتاب) .

(١) التنين فى الأصل — كما سطروا — ضرب من الحيات كأكبر ما يكون منها ، فى فمه أنياب مثل أسنة الرماح ، وهو كالنخلة السحوق ، أحمر العينين مثل الدم ، واسع الفم والجوف ، براق العينين ، يخافه حيوان البر والبحر ، إذا تحرك يتموج البحر لشدة قوته . روى عن بعضهم أنه رأى تنيناً طوله نحو من فرسخين ، ولونه مثل لون النمر ، ورأسه كرأس الانسان لكنه كالتل العظيم ، وأذناه طويلتان ، وعيناه مدورتان كبيرتان جداً ... !

علم العرب الأقدمين بالجراد

مع نبذ عن غاراته الحديثة

للدكتور محمد مأمون عبد السلام

وكيل قسم النباتات بوزارة الزراعة

بقية مانشر فى العدد الماضى

وقال جندل بن المثنى يصف غارة الجراد :

يثور من مشافر الخنادج ومن ثنايا القف ذى الفوائج
من ثائر وناقر ودارج ومستقل فوق ذاك مائج
يفرك حب السنبل الكنافج بالقاع فرك القطن بالمحالج

(والكنافج هو السمين الممتلىء . والخنادج هى الابل الضخام شبهت بالرمال) .

ومن الطريف أن كتاب العرب الأقدمين كانوا على علم بأطوار الجراد ، فقد وصفها صاحب المسالك ابن فضل الله العمرى الدمشقى المتوفى ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ ميلادية) إذ قال إن الجراد صنفان أحدهما يقال له الفارس (Migratory) وهو الذى يطير فى الهواء عالياً . والصنف الآخر يقال له الراجل وهو الذى ينزوى Solitary فإذا فرغت أيام الربيع طلبت أرضاً طيبة رخوة فتنزل هناك وتحفر بأذنابها حفراً وتطرح فيها بيضها وتدفنه وتطير فتفنيها الطيور والحر والنور فإذا تم الحول جاءت أيام الربيع تفقأ ذلك البيض المدفون وظهر مثل الدبيب الصغار على وجه الأرض، وقلوا كل جرادة تبيض شيئاً كثيراً فإذا خرج ذلك من البيض أكل ما وجد من الزرع والشجر وغيرها حتى يقوى ويقدر على الطيران فينهض ويذهب إلى أرض أخرى فيفعل ذلك أبداً دائما تقدير العزيز العليم .

وينطبق ما قاله ذلك العالم العربى على النظرية الحديثة لأطوار الجراد Theory of Phases التى وضعها العالم العالمى الأستاذ يوڤاروف الاختصاصى الشهير فى الجراد وبذلك يكون علماء العرب قدسبقوا علماء الغرب فى القول بنظرية أطوار الجراد بنحو ستمائة سنة.

وقد نصح كتاب العرب لمقاومة الجراد وإبادته بالتدخين ، ورش النباتات بمواد طاردة ، وإحراق الجراد ومطاردة فراخه إلى أخاديد محفورة يحرق فيها ، وقد شرح ذلك صاحب كتاب الدر الملتقط فى علم فلاحتى الروم والنبط فقال . أما الجراد والجندب فيدخن مع جرى الهواء بقصب القنة والقنب والكبريت وعظام الهداهد والسلاحف والتبن ، ويرش على الشجر ما قثاء الحمار والترمس والملح بعد طبخه . أو يطبخ قشر الطلع بالماء حتى يخرج قوته ويرش الشجر والزرع به . ثم قال ويدق الشونيز أى الحبة السوداء nigella sativum ويربب ببول الجمال على نار هادئة كذلك سبعة أيام ثم يرش ماؤه على الزرع والشجر فإنه يهلك الجراد والزنابير والزرازيح وغيرها. ثم قال : وإن كان الجراد فرخاً فلتحفر له الأخاديد ثم يساق إليها ويحرق فيها أو إلى حفائر عميقة أو أبيار معطلة أو تنصب قدور كبار فيها ماء حار يلقى فيها أولاً بأول ليلاً ونهاراً .

غارات الجراد الحديثة

هذا ما أمكننى العثور عليه فى مخلفات العرب عن الجراد ومقاومته . أما عن غارات الجراد فى العصور الحديثة فى الشرق الأوسط فأقول إن من الذين تكلموا عنها بمصر من الحديثين هو الرحالة بورخهاردت وهو سويسرى كريم المحتد أرسلته إحدى الجمعيات الانجليزية فى رحلة علمية لبلاد الشرق الأوسط فى عهد محمد على فمكث بالشام عامين جاء بعدها إلى القاهرة عن طريق سينا ثم توجه صعدا إلى أسوان فوادى أم جات المتفرع من وادى العلاق حيث شاهد أسرابا من الجراد الشره يلتهم أوراق أشجار السيال وفروعه الغضة ثم سار فى وادى الطرفاوى وبه الكثير من أشجار الدوم والطرفا ونبات السنامكى ورأى أسراب الجراد تجردها من أوراقها وفروعها الغضة . ومنهم كذلك المسيو بوفيه وهو فرنسى استقدمه المرحوم الحاج ابراهيم باشا نجل محمد على الكبير ليكون مديراً لمزارعه وحدائقه وقد أرسله فى بعثة زراعية إلى بلاد اليمن وسينا وفلسطين، فلما توجه إلى سينا وصل إلى دير سانت كاترينا فى أول يونية سنة ١٨٣٢ فرأى قرب جبل سينا سحابة عظيمة من الجراد من نوع قال عنه إنه قريب من ايدوبودا ميجراتوريا Aedopoda migratoria فالتهمت ما فى طريقها من عشب الأرض وأشجارها فلم تبق ولم تذر .

ولم تتعد أخبار الجراد ما يقوله المسافرون والرحل عنه . فلم تعن الحكومات بأمره إلا من عهد قريب . وبلادنا بلا فخر من أسبق الممالك فى دراسة أحواله والمبادرة إلى مكافحته ولعل أول

مجهود حكومى فى ذلك هو ما فعلته حكومتنا فى غارة سنة ١٨٩١ وإليك ما قاله عنها المرحوم ميخائيل بك شاروبيم فى الجزء الرابع من كتابه « الكافى » : —

ووردت أخبار من بعض مديرى الاقليمين القبلى والبحرى على ديوان الخديوى وديوان الداخلية بظهور الجراد فى جهات الصالحية والزنكلون وتل حوين من بلاد الشرقية . وأهوى وباروط وآها من بلاد مركزى النجيلة والدلنجات واليهودية وقبور الأمراء بالبحيرة وطود ودماريس والبرجين والاخصاص وغيرها بمديرية المنيا وأكثر بلاد القليوبية والمنوفية . وكسا أراضى الجزيرة بالبر الغربى من القاهرة ، وكان ظهوره فى أخريات رمضان نخاف الناس شره واهتمت الحكومة بأمره اهتماما عظيما وأرسلت إلى سائر المديرين والمحافظين بالتشديد على قطع شأفته لجدوا فى تأثره ، وكانت الاخبار ترد تباعا بتكاثره وانتشاره شرقا وغربا وشمالا وجنوبا وفتكه بكل ذى خضرة من النبات والشجر والنخيل ، وظل الحال على ذلك أياما والناس فى دهشة وحيرة حتى أذن الله سبحانه بأن هبت ريح فى أخريات شوال سنة ١٣٠٠ ﻫ ورياح مختلفة بعضها من الشرق وبعضها من الغرب ولبست على اشتدادها أياما فاكتسحته وحملت بعضه إلى الحوف الشرقى وبعضه إلى الجبل الغربى ولم تترك منه إلا القليل فى البلاد والقرى التى نزل عليها فأباده أهلها بضرب العصى وسعف النخيل وجدوا فى جمع بيضه وفرضت الحكومة قرشين لمن يأتى بأقة من بيضه ، فتسابق الناس إلى البحث عن مواطنه وإخراجه منها فكان أكثره فى مركز النجيلة بالبحيرة وفى الجبل الغربى وسواحل البحر وفى الفشن بمديرية المنيا .

ومن غريب ما نقل عنه أن سحابة منه نزلت على مزرعة قطن باحدى بلاد المنوفية فأكلتها وما أتت على آخرها حتى ماتت جميعها فجاءت أخرى إلى مزرعة فى جوار المزرعة الأولى فلما رأت ما أصاب الأولى نفرت من النزول على شجر القطن وتحول ضرره إلى الأشجار والنباتات الأخرى . وأخبر جماعة من تجار المنوفية مديرها وحلفوا له الأيمان المغلظة بأنهم شاهدوا فى بلاد مركز أشمون جريس طيراً كثيراً جداً أقرب شبها بأبى قردان ولكنه أطول منقارا وقد ترك الجبل أسراباً أسرابا وأخذ يتتبع الجراد أينما وجده ويكبس عليه ويزدرد منه المئين والألوف ثم يتقيأه ميتا وهكذا فلا يرحل عن البلد أو المزرعة إلا وقد أفنى ما فيها من الجراد وأباده ، وأن بعض الجهلاء من الفلاحين كانوا يخافون من ذلك الطير فيرجمونه بالأحجار وهو لا يلتفت إلى ذلك ولم يثن له عزما. قلت وقد شاهدت شيئاً كثيراً من ذلك الطير نازلا على طول الطريق من نفيشة إلى السويس وهو على هيئة صفوف الجند بعضها خلف بعض ساكن القلب لا يزعجه مزعج ولا يحركه محرك ، وقد أخبرنى بعض أهالى نفيشة بأنه قد نزل عليهم منذ أيام وهو يترصد الجراد الزاحف من بلاد الشرقية إلى الحوف الشرقى حتى إذا مر قام من فوره وسد عليه الطريق وجعل يضربه بأجنحته ومنقاره ويبتلع منه الألف فلا يستقر فى جوفه لحظة حتى يتقيأها فاذا أفلت منه شىء تعقبه وقتله ثم يعود إلى مكانه متربصا. قيل وبقى على هذه الحال أياما حتى قمت تلك الريح واكتسحت ما بقى من الجراد ، فسبحان مدبر الأكوان ومسلط الأبدان على الأبدان إنه خلاق عظيم سبحانه جل شأنه » .

وأغار الجراد بعد ذلك على الديار المصرية فى سنة ١٩٠٤ فورد أول بلاغ عن ظهوره من منطقة العريش فى ٢١ مارس سنة ١٩٠٤ ثم تلته بلاغات أخرى طول شهر إبريل عن ظهوره فى الوجه البحرى وشمال القاهرة . وكانت أرجاله قد جاءت من صحراء العرب وشبه جزيرة سينا ، فأغارت على مديريات الدقهلية والشرقية والقليوبية وكل بلاد مصر الوسطى ومديرية المنيا حتى سمالوط . وصار يضع بيضه أينما حل . واستمرت غاراته طول شهر مايو والنصف الأول من شهر يونيه فلم يترك بلداً من بلاد مصر إلا ونزل بها . وكانت وزارة الداخلية المنوطة بمقاومته وتخليص البلاد من شره فأصدرت إلى رجالها فى الأقاليم المنشورات ليحثوا الأهالى على مكافحته .

وأغار الجراد على مصر بعد ذلك عدة إغارات صغيرة فى سنة ١٩١٤ شوهدت أرجاله خلالها فى أسوان وكوم امبو وأدفو والمعادى وفارسكور وسيدى برانى . ثم تلت هذه الغارات غارة كبرى فى سنة ١٩١٥ فظهرت أسرابه أول الأمر فى الواحة البحرية فى شهر يناير ولكنه لم يبلغ عنه إلا فى ٢ فبراير . وقد شوهدت أرجال الجراد فى وادى الريان والواسطى والصف والعياط وشبين القناطر ونوى وفى أسوان ، ولم ينتصف شهر فبراير إلا وأطبقت جحافله على الوجه البحرى ومديريات الجيزة والفيوم

وبنى سويف والمنيا وأسيوط وجرجا وقنا وشبه جزيرة سينا ، واستمرت غاراته حتى أوائل يونيه فلم تسلم منه بلد فى القطر المصرى حتى واحة الفرافرة . ووقع حمل مقاومته فى هذه الغارة الكبرى على عاتق وزارة الزراعة فلم تأل جهداً على حداثة سنها (ولدت سنة ١٩١٣) فى مكافحته مستعينة فى ذلك بأحدث ماوصل اليه العلم من وسائل الكفاح مما تجده مفصلا فى تقريرها عن « غارة الجراد الكبرى على مصر سنة ١٩١٥ » فكان مما فعلته أن قررت مكافأة قدرها جنيه واحد لمن يدل على موضع بيض جديد فى الصحراء، فكشفت بذلك مغارز عديدة لبيضه فبلغ ماجمع من البيض فى هذه الغارة ثلثمائة وأربعين الف أقة تحوى ثمانية وعشرين بليون بيضه . وبلغ مقدار ماجمع من الجراد نفسه عشرة ملايين أقة أى نحو ثمانية بلايين جرادة سوى النطاط

واستعانت وزارة الزراعة فى هذه الغارة بعدة مصالح حكومية كالمالية والمساحة وخفر السواحل وعينت دوريات من الهجانة للبحث عن الجراد فى الصحارى وقد بلغت نفقات هذه الحملة سبعة عشر الفا من الجنيهات .

وأغار الجراد بعد ذلك على مصر فى أواخر سنة ١٩٢٩ وأوائل سنة ١٩٣٠ غارته الكبرى التى كلفت البلاد فى مقاومته ربع مليون من الجنيهات .

ومن ثم أخذت وزارة الزراعة فى دراسة أحوال الجراد وغاراته دراسة علمية منظمة، فأنشأت فرعا لأبحاثه ومكتبا لمقاومته ، وأخذت ترسل حملات الاستكشاف فى صحارى مصر وبلاد العرب لتتبع حركاته ومقاومته فى مواطنه قبل أن يستفحل أمره وتصعب مقاومته ، وعقدت المؤتمرات مع الدول المهددة بغاراته للتعاون وتبادل الرأى فى مكافحته . وقد سجل الاخصائيون المصريون بوزارة الزراعة صفحة عالية مجيدة فى أبحاث الجراد وطرق مقاومته . وقد وضعت وزارة الزراعة نظاماً دقيقاً لمقاومة الجراد كفل للبلاد الوقاية التامة من شره وأذاه .

الدكتور محمد مأمون عبد السلام

وقفة على طلـــل !

للأستاذ على الطنطاوى

[فى حمى المسجد الأموى ، وفى ظلال سوره العالى ، بين مثوى البطل الأجل الملك الناصر صلاح الدين والمدرسة الكلاسية الأثرية ، وبين المدرستين القديمتين السمياطية والاخنائية ، تقوم المدرسة الجقمقية الخالية المائلة — التى بناها سنجر الهلالى — وجددها الملك الناصر سنة ٧٦١ هـ ثم احترقت فجددها الأمير سيف الدين جقمق فنسبت اليه] .

ما مررت بهذه المدرسة الخربة المعطلة ، وذكرت ما أودعتها من عواطفى ، وما تركت فيها من حياتى ، إلا تلفت القلب ، وصغى الفؤاد ، واعتلجت فى النفس خواطر ، وانبثقت للعين صور ، أقر بالعجز عن صوغها ألفاظاً مقروءة وجملاً ، ووضعها فى هذه القوالب الجامدة الضيقة وهى أشد انطلاقا من النور وأوسع من الزمان ... ولا أجد إذا أردت وصفها إلا هذا الحديث المعاد ، وهذا القول المكرر المعار الذى لا يفتأ الشعراء من عهد امرىء القيس الذى وقف واستوقف ، وبكى واستبكى ، يعيدونه ويرددونه ، وهو ما يزال ومعناه جديد فى كل قلب ، سريع إلى كل لسان — فأسائل هذه الجدران المائلة ، وأخاطب ... هذه الغرف الخالية ... وآه ! لو تصف هـذه الجدارن ما رأت وتنطق الأبواب ، وآه ! لو تعى المغانى وتحدث المبانى! وأنَّى؟ ! وما وعت قلوب الناس ولا وفت حتى يفى الجماد !

هذه نفسى أسائلها : هل تعرف النفوس الوفاء ، وهى تدور مع الدهر الدوار كيفما دار ، تلبس لكل حالة لبوسها ، وتتخذ لكل يوم ميزانه . فيهون عندها اليوم ما عزّ بالأمس ، ويرخص ما غلا ويغلو مارخص ، نرى الشخص فلا نباليه ، وقبلا كان مناط حبنا ، وكنا نقنع إن كان وصله حظنا من دنيانا ، أو كان موضع إكبارنا وكان رضاه نهاية متمنانا ، ونمر بالمكان لا نلتفت اليه وفيه ذقنا حلو العيش ومره ، وفيه أثر من أنفسنا ، وفيـه بقايا من أعمارنا !

لقد عشت دهراً لو قيل لى فيه ، إنه سيأتى عليك يوم تجوز فيه بهذه المدرسة فلا تقف عليها إلا وقفة التذكر والحنين ، ثم تمضى لطيتك وتنساها بعد خطوات ، لما صدقت ! فكيف هانت علىَّ هذا الهوان . وقد كانت بالأمس نصف دنياى . وهل دنيا التلميذ إلا داره ومدرسته والطريق بينهما ؟ وقد كانت أبداً فى فكرى وحسّى : فى الصباح حين أتوجه اليها ، وفى النهار حين أكون فيها . وفى المساء حين أعود منها ، قد تجمعت فيها أفراحى كلها وأتراحى ، وأصدقائى جميعاً وأعدائى ، وكأنت بضعة منى . بل كيف أنكرت ذلك الطفل الذى كان فى سنة ١٩١٨ تلميذاً فيها يحمل اسمى وملامح وجهى ؟ كيف جوزت لنفسى أن أطرح آراءه ، وأهزأ بأفكاره . وأحتقر ما كان يعظمه ؟ لقد ذهب المسكين ولا أدرى أين ذهب ، وجئت من بعده . ولكنى لم أنس حوادثه. فهل الذاكرة هى الشىء الفرد الذى يبقى ثابتاً فى الإنسان ، على حين تبدل العقول والأجسام ؟

سلوا الفلاسفة إن كان عندهم علم ، فما أنا بحمد الله من أهل الفلسفة !

* * *

سلوا الفلاسفة ودعونى أسترجع على باب هذه المدرسة أيامى التى ولّت . ولئن عاد أقوام إلى ماضيهم ليستريحوا اليه ، ويتسلوا بادّ كار أحداثه ، فإنما أعود إلى الماضى لأحيا فيه ، وأفرّ اليه من حاضر أمقته وأجتويه . وأنا رجل كلما تقدمت به السنّ ازداد إيغالا فى عزلته ، وهرباً من جماعته ، فكأنه يقطع كل يوم خيطاً من هذا الحبل الذى يربط زورقه بآلاف الزوارق الصغيرة التى تمخر عباب الحياة مجتمعة ، كما كانت تجتمع السفن إذ تجوز بحر الظلمات ، فلا تخوض فيه ماء بل نارا ، نارا من تحتها لا تعلم متى تتفجر فتزلزل أرض البحر وتشعل جبال الموج ، وأخرى من فوقها تحط عليها السماء رجوما ، وتفتح عليها من جهنم أبواباً ، وإن عباب الحياة لأشد من ذلك شدة وأعظم هولاً

... حتى غدوت وقد رثّ حبلى وتصرم الاخيوطا ، طائفة من الأصحاب لا يبلغون عد أصابع اليدين ، وأما كن هى أقل من ذلك ، لا ألقى سواهم ولا أرتاد غيرها . ولم يبق لى فى لياليَّ الطوال مؤنس أو سمير ، إلا هذه الكتب التى مللتها وملتنى ، وصارت مودتنا تكلفاً وحديثاً مملولاً . وهذا الماضى ازداد كل يوم تعلقا به وحنيناً إليه ، أما المستقبل فأخافه حقاً ولا أجرؤ على التفكير فيه

لذلك تراني إن لقيت رفيقاً من رفاق الصبا استوقفته وشممته عليّ أجد في ثيابه عبقاً من أزاهير الماضي الحلو الذي سَرَّ بنا جميعا يحملنا مرح الطفولة وعبثها اللذ، فجسنا خلال رياضه ، وأوغلنا في دروبه المعشبة ، ومسالكه التي فتح على جانبيها الأقحوان وضحكت الشقائق . أحاول أن أستطلع من وراء هذا الشباب الذي نالت منه الليالي حتى أشرف على الكهولة ، وهدته مطالب العيش وأخذت منه رواءه وبهاءه ، فبدا كالشجرة المنفردة القائمة على شفير الوادي ، عاجلها الخريف الظالم ببرده وعواصفه ... أحاول أن أرى من ورائه طلعة (ذلك) الصبيّ الفرح أبداً ، الضاحك اللاهي، الذي كان رفيقي يوماً والذي أحببته وقاسمته مرحه ولهوه . فإذا لم أرها أُبْتُ أجرّ رجل خائب فجع في أعزّ آماله ، وفقد أحب أمانيه إلى قلبه ، وإن وقفت على معهد من معاهد الصغر ، أوملعب من ملاعب الطفولة ، فتشت في زواياه وأركانه ، وتحسست الحجارة من جدرانه . عليّ أجد بينها ذكرى حلوة قد خبأتها يوماً ونسيتها .

ولذلك وقفت اليوم على (الجقمقية) ولكني لم أجد فيها ما أريد . لقد عدا سارقان على أحلى ذكرياتي فسرقاه في غلس الليل ، كما يسرق النباشون الذهب من قبور الفراعنة ، ولم يدعا لي إلا كل تافه حقير ، فماذا أتحف القراء بعد الذي صنعه مني هذان اللصان : الزمان والنسيان ؟ !

***

هذه هي المدرسة التي أودعتها عهد الطفولة وذكرياته العذاب ، لا تزال قائمة جدرانها ، ماثلاً بنيانها ؛ وهذه هي الطرقات التي كنت أسلكها غادياً إليها من داري ورائحاً منها إليها ؛ وهذا هو (الأموي) العظيم الذي كنا نعرّج عليه كل يوم بكرة وظهراً وعشية ، ومابيننا وبينه إلا أن نخرج من باب المدرسة فندخل من بابه ، نغافل (الحسكي) ونقفز ، فيلحقنا بعصاه ونحن نتضاحك ونروغ منه نعدو في صحن الجامع الواسع النظيف ، حتى يكل المسكين ويتعب فيدعنا مكتفياً بما تبعثه به قريحته من روائع فن الهجاء ، فإذا انصرف عنا ، وذهب الحافز لنا على اللعب ، عقلنا ودخلنا نستمع إلى أصحاب الحلقات فيه . هذا هو (الأمويّ) لا يزال على عظمته وجلاله ، لا يدانيه في سعته وفخامته مسجد في دنيا الإسلام ، غير أن صورته في ناظري قد تبدلت وامحت روعتها وبطل سحرها . وماذا تصنع الجدران والسقوف إذا ذهبت الوجوه ، ومضى الساكنون ، وتغيرت الروح ؟ لقد أضحى الأموي غير الأموي ، فلا دروسه تلك الدروس ، ولا علماؤه أولئك العلماء . ولا جوّه ذلك الجو . إن المدن كالأشخاص تخلق كل يوم خلقاً جديداً . وقد ماتت دمشق التي نشأنا فيها ، دمشق الإسلامية المرحة الفاضلة التي لم يكن فيها ماخور مشهور ولا ميسر ظاهر ولا عورات باديات ، ولا حانات ولا ملهيات . وكانت فيها المرأة لبيتها ، والرجل لأهله ، والعلماء عاملون بعلمهم ، مطاعون في أمتهم ، والحي كالبيت الواحد في تعاون أهله وتعاطفهم ، والمساجد عامرة والرجولة بادية ، وأهل الدين لا يأكلون به الدنيا ، ولا يتخذونه تجارة . فيا أسفي على دمشق التي ماتت ! ويارحمة الله على تلك الأيام : أيام لم نكن نعرف من الدنيا إلا المتع الفاضلة ، والفضائل المتعة ، نلهو ونلعب ولا كلهو فتية اليوم ولا كلعبهم . كان أقصى ما نأتيه أن نركض في الأموي ، أو ننقسم عند المساء قسمين ، فنقيم بيننا سوق حرب سلاحها المقالع والعصي ، وقد نجرح أو نكسر ، ولكننا نتعلم الرجولة والقوة ثم نرجع متفقين ، وأن نتلهى عن الدرس بقراءة قصة عنتر وحمزة البهلوان ، نتلقى منهما ما ينقصنا من علم الكر والفر والمبارزة والقتال ، وأن نمكر بالمدرسين ، وإن أثمنا لهواً وأردناه ، فشهود خيال الظل (كراكوز) وهو سينما تلك الأيام . ولا يراه منا إلا مقدوح في خلقه . أما التأنق والتجمل والترقق فلم نكن ندرى منه شيئاً . وكان من العيب في أيامنا لبس البذلات لما تصور من أعضاء الجسم ، فكنا نجيء إلى المدرسة بالقنابيز (الجلابيب) ، وكنا نتعجل الشباب فنتخذ دواء (كان معروفاً) يطول به الشارب وينمو به قبل الأوان .

فأين أيامنا في هذه المدرسة ، وهل تعود هذه الأيام ؟ أين ذلك الشيخ الحبيب الى كل نفس ، الجليل في كل عين ، شيخ الشام ومعلمها ستين عاماً ؟ ستين عاما وهو دائب على عمله العظيم يأخذ من هذه الأمة أطفالا صغارا ، فيردهم إليها شباباً متعلمين ، يصب من عقله الذي يزيد على البذل في أدمغتهم ، ومن ايمان في صدورهم ، فتعلم منه الولد وأبوه وجده . أي والله وهذه سجلات

مدرســـــة فسلوها تنبئكم ، ذلك هو الامام الشيخ عيد السفرجلانى .

***

هذه هى المدرسة ! هذا البنيان فأين السكان ؟ أين رفاقى فيها ؟ أين من كان يجمعهم مقعد واحد ، وكانوا سواء فى كل شىء لا يميز أحد منهم على أحـد إلا بمقدار ما ينجح فى درس ، أو ينال ثناء من أستاذ . وكان فلان الفقير عريف الصف والمقدّم فى التلاميذ . وكان الشيخ يتخذ منه مثلا مضروبا لأبناء الأغنياء ، ويبشره بالمجد والمال والرتب ، وبأنه سيمشى على الورد المفروش حين يمشى أولئك على الشوك .

رحمك الله يا شيخنا فلقد أصبت فى كل ما كنت تقول إلا فى هذا . تعال انظر تر الدهر قد ضرب بيننا ، ففرق الإخوان ، وشتت الخلان ، فتفرقوا فى آفاق الأرض ، وانتثروا على سلم الحياة علاء وخفضاً ، وسار الأكثرون على الأشواك فدميت أقدامهم الحافية ، ومشى قوم على الورد والفل والياسمين ، وحازوا المال والمجد والرتب ، ولن أسمى لك أحداً كيلا أفجعك بآرائك وفضائلك !

لا . لا أحب أن أعود إلى هـذا الحاضر فدعونى أستمتع بادّكار ماضىّ كما يستمتع المنقطع فى البادية بما بقى فى سفرته من زاد المدينة التى خرج منها وأضاع طريق العودة إليها . إنى أبصر كل ما حولى قد تغير فأنكره وأحسّ كأنى صرت غريباً فى وطنى ، ولقد كنت أنا وأخى أنور العطار لا نزال نحن إلى الوطن ونراه فى صفحة البدر عند المطار ، وفى صفحة دجلة على الجسر . فتسيل قلوبنا رقة وشوقا ، ونحن فى بغداد بلدنا وبلد إخوة لنا أعزة كرام . وطريق الشام مفتوح ، فكيف بمن صار يحسّ أن وطنه قد طواه الزمان ، واختبأ وراء السنين ولم يبق إليه من سبيل ؟

فيا أيتها المدرسة — خبرينا لماذا لا نستطيع أن نعود أدراجنا فى طريق الزمان — كما نملك أن نرجع فى طرق الأرض ؟ لماذا لا نقدر أن نقف فى الفترة السعيدة من أعمارنا ، كما يقف المسافر فى البقعة الجميلة إذا جاز بها ؟

إذن لعدت أدراجى فلصرت العمر كله تلميذاً فيك ، أستمتع بجوار ذلك الشيخ النورانى ، وأعيش فى جو أنيس من نصائحه ومواعظه وقصصه ، وأبقى أبداً ذلك الطفل الذى لا يدرى ما الشرّ ، هذا ما تمنيت أن أكونه وهيهات أن تتحقق الأمانى الكواذب !

***

إنى كلما رأيت هـذه المدرسة خالية خاوية خربة لا يحفل بها أحد ، ولا يذكر شيخها إنسان ، أيقنت أن الجحود سجية فى هؤلاء الناس . أتنسى دمشق شيخها ومعلمها الذى أحسن إليها ؟ إن هـذا الشيخ إن لم يكن عالما مؤلفا . ولا سياسيا حاكما ، ولا فيلسوفا مفكرا ، فلقد بنى فى نهضة دمشق ركنا لم يبن أضخم منه عالم ولا حاكم ولا فيلسوف . لقـد كان معلم أولاد ولكن أولاده صاروا قادة هـذا البلد . لقد أنشأ مدرسة منظمة يوم لم يكن فى دمشق إلا الكتاتيب . لقد كان مربياً بالفطرة لم يقرأ بستالوسى ، ولا تعلم أصول التدريس ولكنه كان أحسن مربٍّ رأيته ...

... فيا أيها القراء لا تقولوا ، ومن الشيخ عيد السفرجلانى ، وماله يملأ صفحات الرسالة بأخبار نكرة فى الرجال ... فكم فى ظلام النسيان من عظماء حقا ، وكم فى ضياء الشهرة من أصنام قائمة نظنها ناساً ، وهى مبنية من جامد الصخر . أو بارد النحاس !

دمشق (المحكمة الشرعية) **على الطنطاوى**

رحلة أسـوان

للسيدة وداد سكاكيني

جئت مصر من الشام في يوم وبعض يوم ، تخب بنا مراكب الحديد ، وأين منها مطايا البيد ! حتى بلغنا القاهرة فطالعتنا مواكب النخيل على لمحات النيل ، وقد غمرت الآفاق شمس حمراء مازالت منثورة الغرر ، وهاجة الضياء ، حتى ألقى بنا القطار على محطة باب الحديد .

دخلت مصر يتنازعني الوجوم للغربة ، والشوق لبلدة طالما هفا الخيال إليها ، واستقرت بها نواي وقرّت بها عيني ، فتغمرت بن النيل ، واستذريت بظل المقطم كما قال الشاعر ، وقد طوفت بحدائق مصر ومغانيها ، وما فاتتني مفاتن الجزيرة ومباهج الطبيعة فيها ، ثم وددت أن أملأ العين من ريفها ، وأستمتع بنيلها الذى يفيض على جنباتها ، فمضيت فى رحلة فنية إلى أسوان ، أنشأها المعهد العالى لمعلمات الفنون ، وهو بنية مجد للمرأة العربية ، وجامعة ثقافة للمصريات ، أضفت عليه عميدته الفضلى السيدة عائشة إقبال راشد من اسمها ونفسها رشداً وإقبالا .

غادرنا القاهرة مع بضع عشرة فتاة من قسم الفنون الجميلة بالمعهد ، تحدوهن صديقتاى الأستاذتان إنعام سعيد وعزيزة يوسف ، وهما فى طليعة من أنجبت مصر من بناتها اللاتى ضممن فى الجوانح حب الوطن إلى ثقافة الغرب الذى نزلن معاهده سنين للقانة الفن ونباهة الفكر ، ثم عدن إلى الكنانة يطبعن الفتيات المتعلمات بمياسم التجديد ، ويكشفن عن مواهبهن بالتوجيه والتسديد .

فهذه محطة باب الحديد تلقانى مرة ثانية ، تحت عشية غير مبتئسة ولا واجمة ، منيرة بمصابيح تكسف الشمس بسطوعها ، فأين نفسى الفرحة فى هذه الأمسية من قلبى المحزون حين بلغت مصر منذ عام والوحدة مهيمنة علينا ؟

الآن أدرك عظمة المكان ، وأحسبنى لولا العمائم البيض تلوح بها الهامات ، والجلابيب الضافية تخفق فيها القامات ، لكأنى أبرح عاصمة فى ديار الغرب ، فقطار يؤج ويعج ، وناس يغلى بهم الزمن يخفون إلى الركوب أو ينزلون من التوديع .

ودق ناقوس الرحيل فوجف القطار ثم سار تحت جنح الليل ، وباتت مصر خفية فى طى الدجى عنا ، وتغورت المصابيح كلما ابتعدنا ، حتى عطفت بنا الدروب وهدهدنا فى مجامعنا دوى القطار وهدير آلاته ، وكاد النعاس يأخذ بمعاقد جفوننا لولا أنس الرفيقات . ولولا مرح الطالبات واستفاضة النكتة على أطراف ألسنتهن ، لغططنا فى سبات عميق كما يغط الطفل حين يترجح به السرير .

وكنا نتلفت بين الفينة والفينة ، فنطل من النافذ ، والركب يسرى كسهم نزعه العلم عن قوس الحضارة ، فنمسك رؤوسنا عن صفقة الريح ، ونحبس شعرنا عن التشعيث ، وهاج فينا الحنين لمرأى النيل حين سكب القمر عليه شعاعه ، فانسحب كسيف من فضة مسلول على أرض مصر ليدفع عنها عاديات المحن .

وأسفر الصبح على رؤوس النخيل يلتمع الندى على أوراقه الخضر ، وتستدير سعفه فتبدو من بعيد كالقباب الصغيرة ، ومن قريب كالمراوح المنشورة أو المظلات المرفوعة ، وصاغت لنا ذكاء وجه النيل بالذهب فتألقت تلاميعه وتلوّت على حواشيه ، ولاح كمرآة مجلوة تتمرى بها الطبيعة على نشيد طيبة الذى كان رقراق الماء يردده لحناً مكروراً منذ الأزل باقياً على الأبد .

وأخذ يشارفنا الريف بصوره المتشابهة وألوانه الكابية ، وقد انطبعت بيوته بطوابع الروح المصرى القديم ، فلاحوه سمر الوجوه عراض المناكب ، سكبوا على الأرض عرق الجبين ، وعركوها بكدح الأيدى ، وطفحت شفاههم بالباسم لصباح وضاح لايسأم القروى الفرحة بلقائه ، ولو لقى هذا الفلاح من سيده بسمة الشاكر ورحمة المالك وكان أبىّ الخنوع ، مطبوع الميل للنظافة متقبلاً للاصلاح ، لعُدّ أعز أمثاله فى الدنيا ، لأن ضفاف مصر الخيرة أجود أرض للزرع والإنبات

أما نساء الريف فوديعات الوجوه منتصبات القامات ، يستقبلن وجه النهار غاديات بالجرار على رؤوسهن ثم رائحات من مسارب النيل ، وهن يشاركن الرجل فى خدمة الأرض والأنعام ، وكلما وقف بنا القطار على ديار ذكرنى بأرض بلادى ، فمن مشارف الشام إلى مرابع بيروت يقف أولاد القرى تلقاء القطار فى المحطات ، بأيديهم سلال أو قصاع مملئة بالفواكه ، ينادون على بيعها ، وصنوف الباعة طوّافون بخبز وإدام على سفر بغير زاد ، ولم أجد مثل هذا فى مسيرى على درب أسوان .

وجزنا أرضاً فى جوارها الأقصر الحافلة بالآثار ، فأمعنت التحديق فى تلك الجنبات التى عاشت فى تضاعيفها وجوفها خيالات الأقدمين وأطيافهم ، وبقيت روعة الأطلال والآثار تدل عليهم ، وقد برزت من بعيد تلك العمد الفرعونية ولاحت من بين أعمدة النخيل فقلت : يا لله كأنى الساعة أمضى بقطار حلب فأمر ببعلبك ، وأرى عمد هيكلها الرومانى تتراءى من بعيد من بين أشجار الجوز والمشمش . ورحت أذكر أرضاً على وجه الشرق تعاورت عليها الأمم من رومان وإغريق وفراعنة وفينيق . حتى بسط عليها الإسلام جناح الأمن والرحمة ووهبت لها العروبة لغة القرآن ، فكان عليها خير أمة أخرجت للناس ، وما نقلنى من تهاويل هذا الخيال سوى بشرى الرفيقات باقتراب الوصول إلى أسوان .

وأسوان بلدة دون سعة صيداء — لبنان ، تساير ضفاف النيل فى مبانيها وحدائقها ، وإنها لشعرية الطبيعة ، هادئة المقامة ، هفهافة النسيم .

على رؤوس رجالها عمائم بيض لا يوهن كأنهم الهنود ، ونساؤها ملتفات بالسواد ضاربات على وجوههن بخُمُر مصرية ، سجنت الخدين وأطلقت العينين .

هنالك دعينا إلى متنزهات على النيل ، فبدا ثمة نهر مصر كما يسميه أهلوها بحراً رحيب الصفحة مترامى الساحة . وحملنا ذات صباح مركب بشراع مال بنا مترنحاً على خطرات الريح ، فذكرت تحت شراعه وصف شوقى « النيل نجاشى والفلك حمامة بيضاء بجناح واحد » وسألت نفسى كيف يزهد شعراء مصر وهم غنية الأدب بوصف هذه المباهج والمغانى كما زهد شعراؤنا بالشام فى وصف طبيعتها ومفاتنها ، وما مصر سوى النيل الذى وهب لها البركة والحياة وكتب لها المجد والخلود ، فلو أحصى ما قال الفرنسيون عن نهر السين وحده لجاء أكثر من ديوان ، وما نظم القدامى والمحدثون من أمم الحضارة والثقافة فى وصف بلادهم تضيق به الأسفار الضخام.

ذلك دأبنا نحن الشرقيين ، فننا فى جيوبنا دفين ، وشعورنا فى جمال أرضنا وسمائنا مكبوت أو كمين . ذكرت هذا فى السفينة الشراعية التى نقلتنا إلى جزيرة الملك بأسوان ، التى اشتملت على حديقة واسعة فينانة ، ذات أدواح باسقة عتيقة ، وأشجار لفاء مثمرة حديثة الزرع إفريقية المنشأ ، وقد التفت غصونها وتكاثفت أوراقها ، وحشدت فى الحديقة أفواف الزهر ونسقت مغارسها يد صَنَّاع ، وفى هذه الجزيرة الغناء تناثرت طالبات الفنون على حفافى النيل وفوق جاثم الصخور بأيديهن الألواح والتلاوين ، وطفقن يستوحين الطبيعة المصرية الخالبة ويتنافسن فى رسم صورها الرائعة مرضاةً لمواهبهن المتفتحة واكتساباً لتشجيع رئيستهن الفنية النابغة السيدة زينب عبده .

ولاحت لنا من على عدوة أسوان قبة الهواء تتناوح فيها الريح فوق جبل أسندت فيه رشيقات الأجسام ممن احتملن نقل الأقدام على الرمال حتى أشرفن على النيل وطوفن بمقابر الأمراء ثم صَعَّدْن فى الروابى والشرفات .

وزين لنا الإلمام بالقبائل التى اعتزلت فى ضاحية من أسوان كأنها الصحراء ، فرأينا فيها رقص بناتها وترنح شيخاتها ، وإنها لزمر تسكن المدر وتعيش على الفطرة نائية عن الحضارة ، وفى ضاحية ثانية تقام كل خميس سوق عامة كسوق الجمعة فى صالحية دمشق ، يبسط فيها للبيع كل أوعية ومتاع ، ويتنافس الباعة من نسوة ورجال فى عرض بضاعتهم المزجاة ، ويزدحم المساومون حولها.

ثم كان يومنا الأخير فى أعز ما عند أسوان وهو الخزان ، فركبنا سفينة تجرى بالبخار ، حملتنا فى مؤنس الضحى على متن

النيل إلى مجثم الخزان ، فإذا هو متحبس ماء جبار رابض فى قاع من جلمد الصخر ، شيدته معجزة العلم الحديث بين ضفتين شاسعتين ومرتفعات راسخة ، حصرت الماء الذى رأيناه منبثقاً من خلال الخزان ، وكأنه أسنان مشط برجل ضفائر عروس النيل ، فكان الزبد يعلو ثم يهوى فيتفجر دقيق الرؤوس ضخم الأجسام ثم تتناثر منه الأقدام برذاذ كأنه ضباب أو دخان .

وتولّع بنا صبية عوّامون فى النيل حول الخزان ، وما راعنا إلا صغير منهم أسود الأديم قفز من ارتفاع عشرين متراً فهوى إلى الماء جنبنا وكأنه باشق حالك ، ولما غاص فى الماء ثم عام أخذ يتقلب وكأنه سمكة سوداء .

وكذلك عدنا من أسوان ، بمسيرة يوم وبعض يوم ، معنا لذكراها أوعية من القش موشاة بالألوان ومراوح منسوجة ذوات طرر ، وقلائد من العاج سآخذها معى إلى الشام لأذكر بها أسوان كما ذكرتها من قبل إذ قرأت كتب العقاد .

(القاهرة) وداد سكاكينى

بعـــد الرصافى . . .

للأستاذ عبد الوهاب الأمين

الآن ختم جيل الشعر فى العراق ، وانطوت صفحة أخيرة من كتابه . بعد أن فاضت روح معروف الرصافى . فقد توفى صباح يوم الجمعة الماضى . المصادف ١٦ آذار سنة ١٩٤٥ فى الأعظمية ببغداد .

وبموت الرصافى تبدأ صفحة جديدة فى عالم الشعر العراقى ، وتنتهى سلسلة الشعراء الكبار الذين امتدت حياتهم بين القرنين التاسع عشر والعشرين . والذين كان آخرهم فى العراق – قبل الرصافى – جميل صدقى الزهاوى .

وحياة الرصافى تختلف عن حياة كل من عاصره من الشعراء من عدة وجوه . وليس المجال متسعاً للافاضة فى تاريخ حياته ، لأن ذلك لا يتسع له مجال محدود . بل الأجدر أن تقوم فئة بتدوين حياته تدويناً علمياً ، ولكن نقطة الاختلاف التى أشرت إليها تنحصر فى عقدة نفسية كانت بارزة فيه . هى شدة حبه المطلق للحرية بجميع معانيها . حتى لقد كان هذا الحب الجارف أشبه بالقيد الذى قيد حياته ، وأثر فى نفسه تأثيراً عظيماً . فهو من قبيل القيد النفسى الذى تقيد به العبيد والمتصوفون . ومن مظاهر هذا القيد الخفى فى نظرى ، حياته الأخيرة البائسة قبيل وفاته ، حيث انزوى وانقطع عن العالم ، وأصبح يعيش مهملا .

ومن المآسى النفسية أنه كان فى وضعه ذاك يأنف أن يشار إلى حالته بغير ما لا يأتلف وكرامته الجريحة . فقد أذاع بياناً على الناس قبيل وفاته رفض فيه النغمة التى كانت ترددها بعض الصحف عن بؤس حالته وقال إنه يتبع فلسفة أبى العتاهية الذى يقول :

حسبك مما تبتغيه القوت ما أكثر القوت لمن يموت

وهذه حركة تدل على أنفته وكبريائه الجريحين اللتين خفف من حدتهما السن والمرض .

ولقد أدى الإهمال وسوء الحال بصحة الرصافى إلى التردى يوماً بعد يوم مع أنه يملك جسما يكاد يكون عملاقاً . ومن مميزاته الشكلية وضوح النظرة ، وجهارة الصوت ، وقوة العارضة .

***

عرف الناس الرصافى الشاعر الذى لاحدود لصراحته ولارقيب على لسانه غير ما يعتقد ، منذ زمن بعيد . كما عرف بكرمه الزائد وعدم انصياعه للضرورة مهما كان شكلها . وهاتان الخلتان تكفيان لأشقاء فرد فى العراق لا مال له ولا سلطان ، ولا يعتمد اعتماد القرابة أو النسب على ذوى المال والسلطان . ولذلك كانت حياته سلسلة من تشرد ضيق الحدود . فيه فوق صفة التشرد التزام الحشمة التى ينبغى على رجل كالرصافى أن يؤدى جزيتها .

فمن غريب المفارقات أن الرصافى كان يستخدم اسمه وشهرته وحب الناس له فى قضاء حوائج غيره ممن لايرتدعون عن اللجوء إليه فى طلب الشفاعات ، ولعله كان أجدرهم بطلب الشفاعة لو أنه كان يأبه للضروريات . ولو أن نفسه تقبل التوسيط والرجاء .

ولقد نبذ الزى المدنى منذ زمن والتزم زى البدو من العشائر ، وسكن قبل مدة فى الفلوجة إحدى القرى القريبة من بغداد ،

الأفغانى والوحدة الاسلامية

للأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف

— ٢ —

بين غسق القرن الغابر، وغلس القرن الحاضر، اشتد إمعان تركيا فى الضغط على الشرق والاستبداد بأبناء العروبة حتى فيما يمس دينهم وينال اختصاصهم. ومن ناحية أخرى أخذ طمع الاستعمار الأوربى يفتح فاه على الشرق يريد التهامه ويطمع فى ابتلاعه، وقد ابتدأ يتخطف أجزاءه، ويتحيف جوانبه. مرة بالحيلة، وأخرى بالوقيعة، وثالثة بالسطوة والقوة، وكان من هذه «الرزايا التى حلت بأهم مواقع الشرق أن جددت الروابط، وقاربت بين الأقطار المتباعدة بحدودها، المتصلة بجامعة الاعتقاد بين ساكنيها، فأيقظت أفكار العقلاء، وحولت أنظارهم لما سيكون من عاقبة أمرهم، فتقاربوا فى النظر، وتواصلوا فى طلب الحق، وعمدوا إلى معالجة علل الضعف، مؤملين أن يسترجعوا ما فقدوا من القوة، راجين أن تمهد لهم الحوادث سبيلا حسناً يسلكونه لوقاية الدين والشرف... وطفقوا يتحسسون أسباب النجاح من كل وجه، ويوحدون كلمة الحق فى كل صقع، لاينون فى السعى، ولايقصرون فى الجهد[1]»، وكان رأس هؤلاء المصلحين الداعين السيد جمال الدين الأفغانى رضوان الله عليه.

هال الأفغانى أن يرى الشرق بين أنياب الاستعمار الأوربى تنوشه من كل جانب وتدميه فى الصميم من قلبه ووجدانه، ومع هذا فهو يغط فى سبات عميق، وأهله فى فرقة كلها التخاذل والتنافر، والدولة التى تحمل لواء الخلافة ليست لها صلات صحيحة — كما يقول — بأمم الشرق وأقطار العربية، وقد كان الرجل يعجب أشد العجب إذ «يرى للمسلمين شدة فى دينهم، وقوة فى

(١) افتتاحية العدد الأول من العروة الوثقى التى كان يصدرها جمال الدين ومحمد عبده.

وعاش عيشة المتزهدين المتصوفين، ثم انتقل إلى الأعظمية قرب بغداد حيث ختمت بها أيامه.

وهذا التغير هو الآخر يدل على حبه للحرية، فإنه لم يرض أن يتقيد بالزى «الأفندى» وقبل أن يلتزم قيد اللباس العربى البدوى. ولعله لم يشعر بالنقالة شعور الذى يتفرج عليها، بل لعله لم يشعر بها مطلقاً.

***

لا أظن قلباً إنسانياً ينبض بحب الإنسانية لا تحركه هذه الكلمات البسيطة من وصية الرصافى التى كتبها قبل أن يموت:

«لا أملك شيئاً سوى فراشى الذى أنام فيه، وثيابى التى ألبسها، وكل ما عدا ذلك من الأثاث الحقير الذى فى مسكنى ليس لى، بل هو مال أهله الذين يساكنوننى. كل من اعتدى علىّ فى حياتى فهو فى حل منى. وإن كان هناك من اعتديت أنا عليه فهو بالخيار، إن شاء عفا عنى، وإلا قضى بينى وبينه الله الذى هو أحكم الحاكمين».

فى هذه الكلمات أتخيل الرصافى كالأسد الجريح.. الأسد الذى هدت من حياته تصورات الموت وسخف الحياة الماضية. إن هذه النغمة ليست نغمة المستكين الضعيف، ولكنها نغمة القوى الذى وضح لعينه سخف القوة والأقوياء.

لقد كانت فى حياة الرصافى عدة دروس جديرة بالاعتبار.

ومما لا شك فيه أن ستقوم هنا وهناك حفلات التأبين، وسنسمع أصوات أولئك الذين يمجدونه ويلهجون بحمده وحمد شعره وآثاره. ولكن لن يكون لكل هذا من جواب من الرصافى نفسه، لو أنه يطلع عليهم من وراء الحجب، غير ضحكة الاستهزاء والسخرية. فما كان أكثر تعريضه بهذه الأساليب التكريمية وقلة جدواها.

هل سنتعظ من درس الرصافى هذا؟

أشك فى ذلك.

(بغداد) عبد الوهاب الأمين

إيمانهم ويقينهم ، يباهون بها من عداهم ، حتى ليشفقون على أحدهم أن يمرق من دينه أشد مما يشفقون عليه من الموت والفناء » ومع هـذا يراهم « فى شقاق مقيم ، وتنافر أليم ، وغفلة عما ينتظرهم ، ويلم ببعضهم » ..

أقول هال السيد الأفغانى ما رأى وما كان يتوقع من مقدمات الحوادث ، وأفزعه ذلك الشتات فى الجامعة الإسلامية ، وتحقق له أن الفرقة علة الشرق المتوطنة ، وداؤه المتمكن ، فنهض يصيح « بأرباب الغيرة من ملوك المسلمين وعلمائهم من أهل الحجة والحق ألا يتوانوا فيما يوحد جمعهم ، ويجمع شتيتهم ، وأن يتعاونوا على صون الوحدة عن كل ما يثلمها ، فيكونوا بهذا العمل الجليل قد أدوا فريضة ، وطلبوا سعادة ، والرمق باق ، والآمال مقبلة » ، ولقد كان ذلك المصلح العظيم يرى أن قيام هذه الوحدة للمسلمين « مما تقضى به الضرورة ، وتحكم به العادة ، حتى يقيموا بذلك سداً يحول عنهم تدفق السيول المتدفقة عليهم من جميع الجوانب ، ومن ثم ظل طول حياته ينهض بهذه الدعوة وينادى بضرورتها فى كل مناسبة سانحة ، وفى كل مكان تنزل به قدمه ، ثم أراد أن ينظم سبيل الدعوة ، وأن يقوى من صوتها وأغراضها ، فأنشأ جمعية « أم القرى » وهو فى مكة لتدعو إلى الجامعة الإسلامية تحت لواء خليفة واحد يسيطر على العالم الإسلامى أجمع ، ثم ألف جماعة « العروة الوثقى » وهو فى باريس من مسلمى الهند ومصر وشمال أفريقيا وسوريا ، وأصدر بالاشتراك مع الشيخ محمد عبده مجلة « العروة الوثقى » لساناً لحالها وتعبيراً عن أغراضها ، وكان هدفها وحدة المسلمين وإيقاظهم من سباتهم ، وتنبيههم إلى المخاطر التى كانت تهددهم ، وإرشادهم إلى سبل مواجهتها والتغلب عليها[1] .

كانت دعوة جمال الدين تتلخص فى أن الوحدة بين المسلمين ضرورة تقضى بها الطبيعة والعادة ، ويؤيدها العقل والنقل ، وتقرها شواهد التاريخ للجماعات البشرية ، وعوامل الاجتماع والألفة بين الأمم والشعوب ، وكان يضرب لذلك الأمثال والسوابق فى تاريخ الوحدة الإسلامية فى الصدر الأول ، والوحدة الجرمانية فى العصر الحديث ، أما المبررات والدعائم التى تقوم عليها هذه الوحدة ، فقد أشار إليها إشارة عابرة فى إحدى مقالاته إذ يقول : « إن من أدرنه إلى بيشاور دولاً إسلامية متصلة الأراضى متحدة العقيدة لا ينقص عددهم عن خمسين مليوناً[1] ، وهم ممتازون بين أجيال الناس بالشجاعة والبسالة ، فلو اتفقوا فليس ذلك ببدع بينهم .. » ، ومعنى هذا أنه يرى أن الدعائم لتحقيق الوحدة ترجع ، أولا : إلى اتصال الأراضى وتجانس الوضع الجغرافى بين الأقطار الإسلامية ، وثانياً : إلى اتحاد العقيدة التى تربط القلوب وتؤلف النفوس وتوحد بين الأحساس والاتجاه ، وثالثاً : كثرة العدد ، وهذا مما يجعل الوحدة قوة يحسب حسابها ويخشى بأسها ، ورابعاً : ما يتجلى فيهم من صفات الشجاعة الموروثة ومآثر الرجولة الكامنة ، وهذا ما يقوى الأمل فى قدرة الوحدة على مواجهة الخطوب والتغلب على الصعاب التى تحيط بها ، وحطم الأنياب المسنونة لانتهاشها .

ثم يشرح الأفغانى غاية ما يرجو فى قيام الوحدة ، ومدى ما يطمع فيه من الوضع الذى تتحقق به فيقول : « لا ألتمس بقولى هذا أن يكون مالك الأمر فى الجميع شخصاً واحداً ، فإن هذا ربما كان عسيراً ، ولكنى أرجو أن يكون سلطان جميعهم القرآن ، ووجهة وحدتهم الدين ، وكل ذى ملك على ملكه يسعى جهده لحفظ الآخر ما استطاع ، ويعتقد أن حياته بحياته ، وأن بقاءه ببقائه ، على أن تكون أول صيحة تبعث على الوحدة وتوقظ من الرقدة ، صادرة من أعلاهم مرتبة ، وأقواهم شوكة .. » ، وهنا يبدو الرجل فى الواقع حكيماً فطناً ، وسياسياً عالماً ببواطن النفوس ، فلم يركب الشطط فى الطلب ، ولم يسرف على نفسه وعلى الناس فى الخيال ، فيرجو وحدة يكون مالك الأمر فيها شخصاً واحداً ، لأنه كان يعرف أن الأنانية المتسلطة على نفوس أهل السلطان لا تؤهلهم إلى إنكار ذاتهم ونسيان أنفسهم ، ولا تسمح لهم بفناء أشخاصهم فى شخص واحد من أجل مصلحة المسلمين ووحدتهم العامة ، ولهذا

(١) راجع ما كتبه الشيخ رشيد فى الجزء الأول من تاريخ الأمام .

(١) كان هذا العدد فى تلك الأيام

وقف فى رجائه عندما يسمح به الواقع ، وتجود به الطبائع ، ويكفى فى تحقيق الغرض ، ولعل الأفغانى لم يقتصد فى وجه من وجوه الدعوة كما اقتصد فى هذا الموضع الدقيق الذى كان يتعاظمه الناظرون فى مسألة الوحدة ، ويرونه عقدة المشكلة وعقبة الطريق ، فتغلب عليها الرجل بالتغاضى عن مظاهر السلطان الشكلية ، وإن كان أحكم الرباط المعنوى فى القصد والغاية ، والشعور والاتجاه ، حتى يكون الجميع يداً واحدة ، ووجهة متفقة ، وقوة دفاعية لصد التيار الجارف ، وهذا غاية ما تطلع إليه الآخذون بخطة الأفغانى من بعده ، وهو الوضع الذى قام عليه « بروتوكول » الجامعة العربية وميثاقها فى هذه الأيام .

وتحدث الأفغانى عن الأداة التى تهيئ للوحدة ، وتجمع حولها العواطف والميول ، وتغرسها عقيدة فى النفوس وفى القلوب ، وحاول أن يجد هذه الأداة فى الصحافة التى كانت قائمة فى أيامه ، ولكنه لم يكن على ثقة بها ، يراها قليلة الغناء والفائدة ، وضرب المثل بما كان من سوء تأثيرها ودعوتها إلى التفرق والانقسام وتبديد بقايا الالتئام ، وجعلها النوافذ والخصاص فى بنيان الأمة أبواباً ليدخل منها الأجنبى ، وكان هذا رأيه فى ناشئة المدارس المدنية فى مصر وتركيا لأنهم أضعفوا الأمة بدلا من أن تنال بهم القوة والمنعة ، وكل بضاعتهم التفيهق بألفاظ الحرية والوطنية والمدنيـة ، وهم لا يدركون مغزاها ومرماها ، ولا يقدرون تكاليفها ، وغاية ما لهم هو الإسراف فى تقليد الأجانب والانسلاخ من قوميتهم ، فكان أن تجاوز الرجل الأمل فى هذين العاملين ، وانتهى فى اختيار الأداة إلى العلماء العاملين ، وجعلهم مناط التكليف للقيام بهذه المهمة وطلب منهم أن يكون لهم اليد الطولى فى هذا العمل الشريف ، وقد وضع لهم فى ذلك برنامجاً منظماً محكماً إذ يقول : « ومن الواجب على العلماء قياماً بحق الوراثة التى شرفوا بها على لسان الشارع ، أن ينهضوا إلى إحياء الرابطة الدينية ، ويتداركوا الاختلاف الذى وقع فى الملك بتمكين الاتفاق الذى يدعو إليه الدين ، ويجعلوا معاقد هذا الاتفاق فى مساجدهم ومدارسهم حتى يكون كل مسجد وكل مدرسـة مهبطاً لروح حياة الوحدة ، ويصير كل واحد منها حلقة فى سلسلة واحدة ، إذا اهتز أحد أطرافها اضطرب لهزته الطرف الآخر ، ويرتبط العلماء والخطباء والأئمة والوعاظ فى جميع أنحاء الأرض بعضهم ببعض ، ويجعلون لهم مراكز فى أقطار مختلفة يرجعون إليها فى شؤون وحدتهم ، ويأخذون بأيدى العامة إلى حيث يرشدهم التنزيل وصحيح الأثر ، ويجمعون أطراف الوشائج إلى معقل واحد يكون مركزه فى الأقطار المقدسـة وأشرفها فى معهد بيت الله الحرام حتى يتمكنوا بذلك من شد أزر الدين وحفظه من قوارع العدوان ، والقيام بحاجات الأمة إذا عرض حادث الخلل ، وتطرق الأجانب للتداخل فيها بما يحط من شأنها ، ويكون ذلك أدعى لنشر العلوم وتنوير الأفهام وصيانة الدين من البدع .. »

هذه هى الأداة التى وقع عليها اختيار الأفغانى ، وهـذا هو البرنامج الذى وضعه لدعاة الوحدة وألسنتها ، والظاهر أن الرجل فى هذا الاختيار وهذا الإيثار قد تمثل أمامه ما كان لهذه الأداة من القوة والسلطة فى الصدر الأول ، وما كان للعلماء والأئمة والوعاظ يومذاك من صلة محكمة بشئون الدين والدنيا ، وأمور السياسة والملك ، وأحوال الناس والعباد ، ثم ما كان فى نفوسهم وفى قلوبهم من إباء فى الحق ، وغيرة على الصدق ، وعزة ترتفع بهم عن منازل الخضوع والخنوع ، ولكن أين هم أولئك العلماء وأين هم أولئك الوعاظ والخطباء والأئمة حتى يعلق بهم السيد الأفغانى كل الأمل فى رأب الصدع ، وجمع الشمل ، وبناء المجد . لقد وقع الرجل بحسن ظنه بعيداً عن الحقيقة ، واهماً فى الأمل ، ولو أنه تكشف بواطن الأمور فى هـذه المسألة لتبين أنه اختار للأمر أداة بطل عملها ، وتفككت أوصالها ، وفقدت قوتها ، حتى أصبحت فى نفسها وفى وضعها جزءاً من العلة ، وأصلا من أصول الداء ، وعجيب أن يكون هذا أمل الأفغانى فى العلماء والوعاظ والأئمة ، وهو الذى اصطلى نارهم ، وحرق بسعيرهم ، وقضى حياته يشكو الناهضة منهم ، والمضايقة من جمودهم وجحودهم للدين والحق تملقاً لأهل السلطان والسياسة ، وهكذا عاش تلميذه الأستاذ الإمام من بعده . ولو أن العمر امتد بالأفغانى إلى تلك الأيام ، ورأى ما كان من تطور الحوادث والأحداث ، وعلم الزعماء والرجال الذين جاهدوا لمجد الشرق العربى ، ومدافعة الاستعمار الأجنبى ، وليس فيهم رأس من أولئك العلماء والأئمة والخطباء ، إذن لتنكر لرأيه ، ولبارك رجالا أساء الظن بهم ، فكان القادة منهم ، والطلائع من بين صفوفهم.

وأخيراً ينتهى الأفغانى فى الرأى إلى أن يكون لهذه الوحدة الدينية قبلة ، هى قبلة الدين ، ووجهة المسلمين فى مشارق الأرض

ومغاربها ، فاختار مكة المكرمة لأنها كما يقول : « مبعث الدين ، ومناط اليقين ، وفيها موسم الحجيج العام فى كل عام ، يجتمع إليه الشرقى والغربى ، ويتآخى فى مواقفها الطاهرة الجليل والحقير ، والغنى والفقير ، فكانت أفضل مدينة تتوارد إليها الأقطار ، ثم تنبث إلى سائر الجهات ... وما هى إلا كلمة تقال بينهم من ذى مكانة فى نفوسهم حتى تهتز لها أرجاء الأرض ، وتضطرب لها سواكن القلوب[1] .. » ، ومن ثم كان السيد الأفغانى يطمع فى أن يكون موسم الحج مؤتمراً عاماً يتلاقى فيه المسلمون بآمالهم ، ويتعهدون فيه شؤونهم ومصالحهم ، ويؤكدون به غاياتهم وروابطهم ، وإنها لفكرة قويمة جليلة لو استطاع القائمون بأمر الإسلام والقوامون على المسلمين الانتفاع بها ، لكانت للأمم الإسلامية قوة روحية لا تنفد ، وعدة تعينهم على مواجهة الشدائد والصعاب ، وذخراً يملأ نفوسهم بالسمو والطموح إلى آفاق المجد والارتباط التين لاستقبال الغد .

للكلام صلة

محمد فهمى عبد اللطيف

(١) نقلنا هذه الفقرات وما قبلها من مقالات العروة الوثقى التى كان الأفغانى صاحب الرأى فيها

فلاسفة المجتمع

الصراصـــير ... !

للأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى

قال لى صاحبى ليعلم ما بى . . . مالك كأن أمراً ذا بال استقل بك عن دنيا الناس . قلت : صدقت فراستك ياصاحبى على ندرة ما تصدق ؛ فقد انفرجت الهوة بينى وبين دنيا الناس ، وأصبحت مشغولا بتوافه المخلوقات فى دنيا الصراصير ... وهذه الطائفة من هوام الأرض هينة ضئيلة الخطر ؛ لأنها تألف بأملاء طبعها عليها ، ودفع تكوينها لها ، « الجدار » المتداعى من « بيتك » الذى يريد أن ينقض وتريد أنت أن تقيمه ، فلا تريد له هذه الصراصير بقاء أو سلامة ، هى جادة فى عبثها وأنت جاد فى حذرك منها والهزيمة على البائس منكما . . .

ومن فلسفة الحياة أحيانا ، أن تقذف بالسوس فى لفائف العود الباكر فإما أن يتقصف أو يستطيل على الريح ! !

ومن فلسفتها كذلك أن تحترم عزمة الكاسر الضارى وتشد وثاقه وتطلق عليه « الفيران » تلتطم بجبهته وتتساقط حواليها ولن تظفر بعد ذلك منه بغير تثاؤب طويل .

أعود بك ياصاحبى لقصة الصراصير ... فهى فى فلسفتها ليست بأقل شأنا من فلسفة السوس مع العود الباكر ، أو جماعة الفيران مع الضارى الكاسر ، وما إخالك تستريح للاسترسال فى اكتناه أسرار هذا الفريق الآخر من فلاسفة المجتمع .

أعود فأقول لك : إنك إن يئست من اتقاء شر هذه الحشرات فأنت مقدم بذلك كافة جدران بيتك هدية لفتكها وعملها الخبيث .

هى مولعة أن تأكل اللبنات الطينية ، فإن لم تجد جدارا تقوى عليه ، انقلبت يعدو بعضها على بعض ، فتتآكل وتفنى ، والموقف منها ذو حيلتين : إما أن تقيم معها على الضيم الرخيص وفى ذلك اعتراف بها ، وتقويم لوجودها . . . ثم فيه أخيرا تشجيع لها لتمضى على سنتها التى درجت عليها ، من الاختلاف إلى كل جدار ؛ تتكاثر فى قاعدته ، ثم تتسرب جماعاتها فى تجاليدها المظلمة ، تكد وتجهد ، حتى يتطامن الجدار ويصبح كله قاعدة . فإذا البيت لا يصلح إلا لهذه الصراصير ... وحيلتك الثانية معها أن تنزح وتتركها فى الزوايا المظلمة ؛ تعبث وتلهو ، وتجنب نفسك بذلك فضل احساسها بشعورك بها . . .

... فانتفض صاحبى قائلا : أو ترضى يا أخى أن تهزم وتنتصر الصراصير !

قلت : هى على كلتا الحالين منتصرة ، تعوز رب البيت وسائل التطهير .

ثم أنسيت أنت قول الرجل العربى « خير لنا أن تغلبنا قضاعة من أن نغلب قضاعة » . . . قال : وما قصة قضاعة هذه ؟ فقلت : هى قصة تلخص فلسفة مجتمع مضى كان صريحا واضحا . تربى فى كنف فلاسفة الرجال ولم يتلق تعاليمه ونظمه الاجتماعية من فلاسفة الصراصير ؛ تلك الطائفة الحائرة المحيرة . . . فاطمأن صاحبى فى جلسته ، وأخذ يفرك جبهته بأنامله قائلا : بدأت أفهم يا أخى فقلت : وأنا بدأت أفكر فى ادخارك لحديث آخر يكون كله مفهوماً ، أعرض لك فيه صورا ناصعة ، لطراز آخر من فلاسفة المجتمع الحديث .

أحمد عبد المجيد الغزالى



٤ ـ الفن

للكاتب الفرنسى بول جيزيل

بقلم الدكتور محمد بهجت

التمثيل(*)

كنت أتحادث مع رودان بمرسمه فى أصيل يوم من الأيام ، وقد أخذ الظلام يرخى سدوله فسألنى فجأة :

« هل سبق لك أن عاينت تمثالاً قديماً على ضوء مصباح ؟ »

فأجبته فى شىء من التعجب : « كلا ، أبداً » .

« حسن . سأدهشك . فربما بدا لك أن معاينة التماثيل فى غير ضوء النهار أمر غير مألوف . صحيح أنك تستطيع أن تستجليها على أكمل وجه فى وضح النهار ولكن تمهل قليلاً فسأطلعك على تجربة تخرج منها بفائدة محققة » .

وعند ذلك أشعل مصباحاً أخذه بيده ثم قادنى إلى تمثال من رخام قائم على منصة فى ركن من أركان المرسم . كان نسخة جميلة مصغرة من تمثال زهرة مديسى Venus di Medici وقد احتفظ به رودان هناك كيما تستعر به نار وحيه وإلهامه عند ما يعمل .

« اقترب منى » قال ذلك ثم رفع المصباح إلى جانب التمثال وقربه منه حتى كاد يلمسه ، وسلط الضوء كله على الجسم ، ثم سألنى عما عساى أن ألاحظه . ولأول لمحة أخذت أخذاً عجيباً بما بدا لى فجأة إذ أظهر الضوء وهو من ذلك الوضع نتوءات وانخفاضات هينة عديدة منتشرة على سطح الرخام مما لم أكن أتوقع مشاهدته . وهذا ما أجبت به رودان على سؤاله فصاح موافقاً : « حسناً ، انتبه جيداً » . وعند ذلك أدار المنصة التى يقوم عليها التمثال . وكنت لا أزال أبصر فى جسم التمثال وهو يدور عدداً عديداً من تلك الفحصات التى تكاد تدق على الأعين . وبدا لى ما كان بسيطاً فى أول الأمر غير بسيط ، وإذ ذاك رفع رودان رأسه وصاح مبتسماً : « أليس ذلك عجيباً ؟ اعترف بأنك ما كنت تتوقع اكتشاف الكثير من تلك التفاصيل . انظر إلى تلك التموجات العديدة على الجزء الذى يصل الفخذ ببقية الجسم . لاحظ كل انحناءات الورك الشيقة ، ثم هنا ، تلك الفحصات(1) المليحة الفاتنة التى على طول الأرداف » .

قال ذلك فى صوت خفيض به حرارة التعبد ونبرات الخشوع وقد انحنى فوق التمثال كأنما شغف به حباً وقال : « حقاً إنه من لحم » . ثم لمعت عيناه وقال : « يخيل إليك أنه قد من العناق والقبل لا من الحجر الصلد » . وبعد أن وضع يده على الدمية قال فجأة : « عند ما تمس هذا التمثال تحس كأن الحرارة تسرى فيه » وبعد لحظات قليلة عاد فقال :

« حسن . وما قولك الآن فى تلك الفكرة السائدة عن الفن الإغريقى ؟ يقولون . وأخص بالذكر أصحاب المدرسة القديمة الذين نشروا هذه الفكرة ، إن القدماء فى عبادتهم للمثل الأعلى احتقروا الجسد أيما احتقار وأرخصوا من شأنه وأبوا أن يظهروا فى أعمالهم دقائق الحقائق المادية العديدة . يدعون أن القدماء أرادوا أن يجاريهم الطبيعة فى خلق جمال متخيل مبسط يروق للذهن فقط ولا يستثير الحواس . ويضربون لذلك الأمثال التى يتوهمون أنهم وقعوا عليها فى الفن القديم ، ويتخذون من ذلك حجة على تهذيب الطبيعة وتخنيثها وقصرها على حدود ضيقة جافة فاترة عقيمة لا تمت إلى الحقيقة بصلة .

ومما لامشاحة فيه أن الإغريق بالغوا فى إظهار ما يجب إظهاره بما أوتوا من عقول منطقية جبارة . لقد أفصحوا عن أهم المميزات البارزة فى النوع الإنسانى ، ومع ذلك فإنهم لم يطمسوا شيئاً من التفاصيل الدقيقة الحية . إنهم كانوا يقنعون بمزجها وإدماجها فى المجموع . وبينما تراهم مولعين بالحركات المنسجمة المتزنة الهادئة تراهم يخضعون أو يضعفون فى غير ما تعمد كل ما شأنه أن يؤثر فى جمال أو رواء حركة من الحركات . ولكنهم تحاشوا أن يمحوها كل المحو .

إنهم لم يبتدعوا قط طريقة أو أسلوباً من العمايات والأضاليل ، كان ديدنهم أن يظهروا الطبيعة كما يرونها ، يحدوهم فى ذلك حبهم

(*) رأيت أن أضع هذه اللفظة لكلمة الانجليزية Modelling مشتقاً إياها من كلمة مثال Model

(١) جمع فحصة وهى من فحصة الصبى : نقرة ذقنه ، استعملت هذه اللفظة للدلالة على النقر التى فى الجسم .

واحترامهم لها . ولقد أثبتوا إثباتاً قاطعاً فى كل المناسبات شغفهم الشديد بالجسد. وإنه لمن البله أو الخبل أن نعتقد أنهم كانوا يحتقرونه ، إذ لم يثر جمال الجسم الإنسانى شعوراً أرق وأعمق مما أثاره فى نفوس الأغريق ، حتى لتبدو تماثيلهم التى نحتوها كأنما يطيف بها طائف من النشوة والوله . وعلى هذا الأساس يُفسر الفارق العظيم الذى لا يتصور بين المثل الأعلى الزائف عند المدرسة القديمة وبين الفن الأغريقى . فبينما نرى فى أعمال القدماء أن تعميم الخطوط ما هو إلا مجموع أو « كل » يتكون من التفاصيل والدقائق ، نرى التبسيط المدرسى خوراً وضعفاً ، نراه خاوياً كالطبل الأجوف . وبينما نرى الحياة تهيمن على عضلات التماثيل الأغريقية النابضة وتبعث فيها الحرارة والدفء نرى دُمى الفن المدرسى كأنما أثلجها الموت » .

وهنا صمت رودان هنيهة عاود بعدها حديثه قائلا :

سأطلعك على سر عظيم . أتدرى كيف أمكن أن نحس دبيب الحياة فى تمثال ڤينوس الذى نحن بصدده ؟ بواسطة علم التمثيل . ولربما بدت لك هذه الكلمات تافهة عادية ولكن صبراً فستبين غور أهميتها بعد حين .

أخذت علم التمثيل عن معلم يسمى كنستانت كان يعمل فى المرسم الذى ظهرت فيه أول مرة كمثال محترف . فبينما كان يراقبنى يوما وأنا أعمل فى رأس يكلله أكليل من الغار إذ صاح بى قائلا : يا رودان ! إنك لا تسير بهذا فى الطريق السوى . فكل أوراقك منسطحة ولهذا فهى لاتبدو طبيعية . اجعل أطارف بعضها متجهة نحوك حتى يشعر من يراها أن لها أبعادا وأغوارا. عملت بمشورته ؛ ولشد ما دهشت من النتيجة التى حصلت عليها .

ثم عاود كنستانت نصيحته قائلا : فلتذكر دائما ما سأقوله لك الآن . عند ما تطبع فى الطين أو تحفر لا تنظر إلى الجسم فى طوله ولكن فى ثخانته ، ولا تعتبر سطحاً من السطوح إلا كحد أو نهاية لحجم ما ، أو كالطرف الذى يوجهه إليك ذلك السطح . إنك ان تمارس ذلك تحصل على علم التمثيل ؟ ولقد وجدت هذه القاعدة مفيدة أيما فائدة . ومن ثم طبقتها على صنع التماثيل . فبدلا من أن أتصور أجزاء الجسم مسطحاتٍ كثيرة الانبساط أو قليلة أبرزتها كنتوءات ذات أحجام داخلية . وقد حاولت جهدى أن يدل كل نتوء فى الصدر أو الأعضاء على عضلة أو عظمة تحت الجلد ، وهكذا يبدو صدق تماثيلى منبعثاً من الداخل كالحياة نفسها لا سطحياً تافها .

ولقد تبين لى الآن أن الأقدمين مارسوا هذا الضرب من التمثيل بحذافيره . ومما لا ريب فيه أن ما نراه من نضارة وطراوة أعمالهم التى تنبض بالحياة انما يرجع إلى اتباعهم هذه الطريقة فى أشغالهم .

وهنا تأمل رودان تمثال الزهرة من جديد ثم سألنى فجأة :

« ما رأيك يا جيزيل ؟ هل اللون صفة من صفات التصوير أو النحت ؟ »

فأجبته : « من صفات التصوير طبعا » .

فقال : « حسن . انظر إلى هذا التمثال » . قال ذلك ثم رفع يده بالمصباح إلى أعلى ما يستطيع لكى يلقى بكل الضوء على صدر الدمية ثم قال :

« انظر إلى الأضواء القوية التى على الثديين ، وإلى الظلال الثقيلة التى فى ثنايا اللحم، ثم إلى هذه الصفرة الباهتة ، ثم إلى تلك الألوان الأثيرية التى تخفق على أدق أجزاء هذا الجسم المقدس ، ثم إلى تلك الأجزاء المظللة بظلال خفيفة حتى لتبدو كأنها تذوب فى الهواء وتندمج فيه . ماذا تقول فى كل ذلك ؟ ألايخيل إليك أنها قطعة موسيقية مؤلفة من الأبيض والأسود أو من الأضواء والظلال ؟ »

« وربمـــا بدا لك فى قولى بعض التناقض الظاهرى إذا ما قررت بأن المثال العظيم لا يقل مهارة فى فن الألوان عن أكبر المصورين ، بل عن أكبر الحفارين engravers ، وذلك لأنه يتفنن بكل حذق فى كل ضروب التمثيل البارز وصنوفه ويمزج حدة الضوء بهدوء الظل فتجىء قطعه سارة ممتعة كأجمل الرسوم المنقولة عن ألواح النحاس (etchiny) .

والآن — وقد أزدت أن أصل بحوارى إلى هذه النتيجة — أقول إن اللون هو زهرة التمثيل الجميل ، وإن اللون والتمثيل صنوان لا يفترقان، وهما اللذان يسبغان على كل قطعة خالدة من أعمال النحت ذلك المظهر الوضىء للجسم الحى » .

دكتور محمد بهجت

قسم البساتين



بين الأرقام والأحلام

كنت أذهب مساء كل يوم إلى حديقة نادى الموظفين فى عاصمة من عواصم مصر العليا فأجلس فى ركن هادىء من أركان تلك الحديقة الفسيحة ساعة أشاهد قرص الشمس وهو يغيب خلف التل فى إحدى عدوتى الوادى .

وكان لا يدنو منى هناك إلا رجل إنجليزى حاسر الرأس سريع الخطى أراه كل يوم وفى إحدى يديه ساجور كلبه وفى الأخرى عصا غليظة يدخل من باب النادى فى ساعة معينة لا يتقدم عنها ولا يتأخر ، حتى لقد كنت أضبط ساعتى على مرآه كما أضبطها إذا انتبهت إلى صوت المدفع . وكان الرجل متى بلغ النادى يجرى فى حديقته ساعة يلاعب كلبه كما يفعل صبى فى العاشرة ، ثم يدع الكلب ويجلس غير بعيد منى على كرسى . ويمد رجليه على آخر . ويفتح كتاباً يخرجه من جيبه فيقرأ بعض الوقت ثم يبرح وكلبه النادى عند ساعة لا يتقدم عنها كذلك ولا يتأخر .

وتعارفنا أنا ومستر « للى » وهذا اسمه إلىّ وأنس « جوى » وهذا اسم كلبه . وأحسست من الرجل ما يشبه طبيعة المصرى فى سرعة الألفة ، وذكرت له ذلك فضحك وامتدح فى كياسة هذه الطبيعة المصرية قائلا وقد لمح على محياى ما داخلنى من سرور : « هذا بعض ما أحببت من شمائل شعبكم الطيب ؛ وقد عرفت الكثير منها من مخالطتى عملائى هنا فى بنك باركليز » .

— « هالو ! مستر خفيف ! سعيدة » ... ... التفت ذات مساء على تحية مستر للى هذه يلقيها إلىّ بالعربية ضاحكا ، ثم تقدم إلىّ وصافحنى كما نفعل نحن المصريين كلما التقينا ، ولو وقع ذلك فى اليوم مائة مرة .

— « جوى ! جوى ! إلعب وحدك اليوم فلن أشاركك مرحك ... ... إن فى توثبك دعوة إلى ولكنى لن ألبيها ؛ إنى متعب من زحمة الأرقام فى رأسى طول اليوم » .

وكان الرجل يخاطب كلبه بلغته الإنجليزية كما لو كان يخاطب ابنا له . ثم التفت إلىّ قائلا : « لينصرف كل منا إلى كتابه فبنفسى ميل إلى القراءة » وبعد مدة ألقى كل منا كتابه ودنا منى ذلك الإنجليزى باسما وهو يقول : « والآن فلنتحدث » .

وتبادلنا الحديث وانتقلنا من موضوع إلى موضوع حسبما اتفق ؛ وكثيراً ما عدنا إلى الحرب ومآسيها وأنبائها . ثم تحدث مستر للى عن وحدته وكيف يعيش هو وكلبه . ثم استدرك قائلا : « هذا إذا لم نعتبر الكتب وما فى بطونها من ناس ، فهؤلاء تغص بهم الكتب أو يزدحم بهم البيت ! » .

وسألته عن كتابه الذى ألقاه الساعة من يده ، فأجاب متهللا : « هذا مختارات من شعر تنيسون ... لشد ما تعجبنى موسيقاه ومعانيه ! أجل لشد ما يبهج نفسى ويؤنس وحدتى تنيسون العظيم ! ... إنى لأقدمه على الشعراء ما عدا شكسبير وملتن ... آه لهذا الساحر ! » .

وكان الرجل فى كلامه عن الشعر والشعراء فياض المعانى بادى التحمس . وقد بدا وجهه الوسيم المتورد كوجه غلام فى أول الشباب ، وظللت أنصت إليه متعجباً من هذا الذى يقضى نهاره بين الأرقام فى المصرف ثم يختتمه باللعب وقراءة الشعر . وزادنى إعجابا به أنه يقضى وقتاً طويلا من ليله يقرأ ويستمع للموسيقى إلى جانب المذياع .

ولشد ما أبهج الرجل أن رآنى أحب ذلك الشاعر كما يحب ؛ وأنصت إلى فرحا وأنا أطرى بعض قصائده ثم قال : « لا بد من الشعر فى هذه الدنيا . لا شىء يسمو بالنفس الأنسانية كما يسمو بها الشعر . لا تصاحب من لا تجد فى نفسه شعراً ... إننى طول نهارى بين الأرقام فما كان أشقانى لولا الشعر والموسيقى . ثم هذه الحرب ما كان أتعسنى بويلاتها لولا هذا الروح العلوى ... حقا إن القراءة أعظم متعة »

وكانت الشمس قد مالت لتغيب خلف التل فى العدوة القريبة ، وانعكست خطوط من التل على قبة السماء ، وطرزت حواشى الأفق حمرة الشفق ، ثم زحفت ظلال الطفل تتشرب هذه الحمرة ، وتراءت القلاع البيض على صفحة النهر الأزلى يزيد بياضها خضرة الزرع على جانبيه ! والتفت صديق الإنجليزى قائلا : « مد عينيك ! هذه قصيدة رائعة ، فلنصل لحظة » .

وصلينا خاشعين لحظة طويلة ، ونهض صاحبى وهو يقول : « إن هذا التل وهذا النهر ليملآ ن نفسى بخيال الماضى ، فضلا عما يريانى من صور الجمال » ونادى الرجل كلبه ثم قال وهو يشير إليه « إنى أحب هذا الكلب لأنه شديد الإحساس بالحياة ، ولذلك سميته جوى ... آه كم أحب أن ألعب مثله فأشعر أنى صبى وأنسى أنى فى الرابعة والخمسين ! »

ووضع الرجل عصاه على ذراعه والساجور فى عنق جوى وانصرف قائلا : « هذا برنامج كل يوم ؛ ألست تحب ذلك ؟

ولكم أحببت ذلك وأحببت هذا الشاعر وأغرمت بخياله الذى حبب إليه الحياة أو هونها على نفسه .

الخفيف

رضـــا الفاروق

[إلى صاحب المقام الرفيع أحمد حسنين باشا]

للأستاذ محمد الأسمر

[الأبيات الآتية نظمها الشاعر الكبير الأستاذ محمد الأسمر بمناسبة إبلال صاحب المقام الرفيع أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكي من مرضه الذي فجأه وهو يشيع جنازة اللورد موين ، منتدباً من لدن حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم ، وقد كتبها لرفعته الخطاط المبدع الشيخ محمد عبد الرحمن ، وأحاطها بزخرف من فنه الجميل ، فجاءت إحدى طرائف القلم ، ونحن ننشرها بمناسبة إبلال رفعته من مرضه الأخير] .

تماثلَ للشفاء عظيمُ قومٍ ... إذا مصرُ اشتكت كان الدواء
عرفناهُ الشجاعَ ، فكم دعته ... شجاعتُه ، وكم لبَّى الدعاء
سلوا عنهُ الأمورَ إذا ادلهمَّتْ ... سلوا عنه (الرمال) أو (الهواء)
كفاهُ أنه — تفديه نفسي — ... يُقدمُ نفسهُ أبداً فداء
مشى بالأمس ليس يكاد يمشي ... يغالبُ عزمُه الداء العياء
يتابعُ خطوهُ ، والموتُ فيهِ ، ... كذا شاءت رجولتهُ وشاء
أروني غيرهُ لمح المنايا ... تخف لهُ فما رجع الوراء
مضى قُدماً يؤدى ما عليهِ ... لواجبهِ ؛ فما أسمى الأداء
يُجشّم نفسه أشياء ينسى ... لديها الصارمُ الماضى المضاء
نجا من فتكِ (غادرةٍ) تمشَّتْ ... لصدرٍ ما حوى إلا الوفاء
ولو عرفتهُ ما عرفتهُ يوماً ... وصدَّتْ عن جوانحه حياء
فلولا الله لاقت مصر منها ... ولاقى كلُّ مصريٍ عناء

***

تساءل معشرٌ عما شفاهُ ؟ ! ... رضا (الفاروق) كان له الشفاء
رعاه الله من ملكٍ كريمٍ ... يرفُّ على رعيتـهِ لواء

٢٦ - ٢٤ **محمد الأسمر**

خواطر فى الظلام !

[من ديوان « فوق الحياة » الذى يصدر قريباً]

للشاعر عبد الرحمن الخميسى

— ١ —

أيُّهذا الغريقُ فى الهمِّ يا قلـبي ... سُدًى ترتجى نسيمَ الهناء
ليس للحزنِ يا فؤادى قرارٌ ... أنتَ فيه تغوص دون انتهاء
مزّقَ الصخرُ فى الشواطئ جَنْبَيـ
ـكَ ، إذا أنتَ رُمْتَ بعضَ النجاء
اجتنبْ هذه الصخورَ حراباً ... لكِ مسنونة ذوات مَضاء !!
فعسيرٌ أراكَ تدمى ممزقاً ... إنما فيكَ يا ثمينُ ... بقائى
وعسيرٌ أراكَ تنشقُّ يا قلـبي أمامى فتستفيض دمائى !
فدعِ الصخرَ والشواطئ ، واهبطْ
ما يشاء المقدورُ فى البُرَحاء
إنَّ تلكَ المهاوى السودَ حتمٌ ... أن تعانى بها صنوفَ البلاء
ولئن كنتَ يا فؤادى تشتا ... قُ إلى العيشِ فوقَ سطحِ الماء
فترقّبْ موجةً من القاعِ تسمو ... بكَ نحو السنى ونحو الهواء
إنما البحرُ قُلّبٌ يا فؤادى ... شأنُ هذى الحياةِ والأحياء
بينما قاعه على السطحِ أموا ... جٌ عوالٍ تنال ثوب السماء
فإذا الموجُ بعد حينٍ قرارٌ ... وإذا القائمُ المقرَّبُ ... ناء

— ٢ —

يدُ مَنْ هذه التى دفعتْ بى ... وبقلبى إلى خضمِّ الشقاء ؟
يدُها ؟ بينما أكبُّ عليها ... طابعاً قبلةَ تبثُّ وفائى !
يدُها أم يدُ الزمانِ ... أبادتْ ... نشوانى لبعدِها وهنائى
يدُها أم يدُ الزمانِ ؟! أطاحتْ ... بقلاعى التى بنيتُ ورائى
كنتُ شيدتُ من ظنونى قصوراً
حـرماً للحبيبةِ السمراء
شاهقات يصفقُ الحبُّ فيها ... بجناحين مِنْ مُنًى وصفاء
كنتُ أعليتُ من أمانىَّ حتى
شارفتْ فى مسارحِ الجوزاء

كنتُ ... أوّاهُ ما الذي هدم السا
مقَ فانداكَّ في التراب رجائي ؟!
ذلك المِعْوَلُ الرهيبُ ... أواهُ
وهو يَهْوِي على رفيعِ بنائي
هو في قبضةِ القادرِ سيّا   نِ لديه تَبَسُّمي وبكائي
والليالي وراءه زاحفاتٌ   ساخراتٌ تضج في استهزاءِ

— ٣ —

ذلك الليلُ ... وهو عندي مكانٌ
ألتقي فيه بالطيوفِ الوِضاءِ
كنتُ أحيا به ، كأنيَ منه   قطعةٌ في رحابه السوداءِ
وأبثُّ الرياحَ أوهامَ نفسي   فتُغنّي بها على الظلماءِ !!
وأناجي الأشباحَ والفكرَ والأحلامَ حتى تطلَّ عينُ الضياءِ
ذلك الليلُ .. كم تنقّلتُ فيه   يقِظاً فرطَ نشوةٍ برجائي
كنتُ أودعته مطامعَ روحي   وهو يُصغي ويستجيشُ غِنائي
والنجومُ التي تلألأ يا ليـلُ شهودٌ أمامَ حكمِ القضاءِ
أين واريتَ ما سمعتَ من الآ   مالِ يا هاتكاً عهودَ الإخاءِ
كيف راحتْ مطامعي وهي في قلـبكَ سرٌّ تلفّه بالخفاءِ ؟!
هي زادي على الحياةِ ومائي   كيف تأبى عليَّ زادي ومائي ؟!
أعِدِ الآنَ للشقيِّ أمانيـهِ وإنْ كُنَّ كالسرابِ النائي
أيها الكاهنُ الجليلُ الذي اهتزَّ (م)
لشدوي وحارَ في أهوائي
أنت يا مَنْ نسجتُ خلدَ قصيدي
بين أحضانه وصغتُ غنائي
أيها الشيخُ ... يا ظلامُ ... أعِدْ لي
أمَلي في شقيقتي الحسناءِ
أوحدَتني على دياجيكَ نفسٌ   لم تفارقْ ترقّبي وإبائي ...
رضيتْ قسمةً لها بانفرادي   دون عيشي كسائر الدهماءِ
حقرتْ ذلك القطيعَ من النا   سِ ولاذتْ بوحشةٍ خرساءِ
لم تعانقْ سوى العواطفِ والفكـرِ ولم تتّشحْ بغير النقاءِ
غربتي ... غربةُ المحبةِ عن قو   مٍ أضاعوا الحياةَ في البغضاءِ
والذي يمتطي المصاعبَ في الدنيـا حرامٌ عليه طعمُ الهناءِ
كلما طهّرَ الصباحُ جبيني   بسناه ، علوتُ في استحياءِ
أبتغي النورَ في الذُّرى ، وأُمنّي   باكتناهِ المحجّباتِ علائي
وتُصلّي خواطري وهي تسمو   بي إلى عالمِ المعاني الوِضاءِ
بي طموحٌ من الحنينِ لمجهو   لٍ بعيدٍ ... مُقنَّعٍ بالخفاءِ
واشتياقٌ إلى عوالمَ خلفَ الـ
عينِ ، قامتْ هناكَ ... بعد السماءِ !!
ومطاري من الحقائق يمتدُّ (م) رفيعاً ، ويستحثُّ ارتقائي

— ٤ —

قد بلوتُ الأنامَ فانكشفَ الستـ
رُ وساءَ الكمينُ تحتَ الطلاءِ
لي نفاذٌ يكادُ يخترقُ الأنـ   فسَ حتى زهدت في الأحياءِ
أنا يا ليلُ قمةٌ ... ومحالٌ   أن تطولَ الربى إلى عليائي
كم تطلّعتُ .. لم أفُزْ بضريبٍ
يتسامى على حياةِ الرياءِ
كم تطلّعتُ ... ثمّ آبتْ عيوني
بدموعٍ سخينةٍ بكماءِ ...
كم تطلّعتُ ... فاخترقتُ فضاءً
شارداً ، يرتمي وراءَ فضاءِ ...
غمرتْ هذه الثلوجُ ؛ ثلوجُ الـ
يأسِ قلبي فجمّدتْ أحنائي
لم يكن لي سوى شقيقةِ روحي   منيةٌ بين عزلتي وخلائي
أيهذا الظلامُ أرجعْ لنفسي   أملي في حبيبتي السمراءِ
إنني قمةٌ تعالى بها الحقُّ (م) غريباً عن سائرِ الأهواءِ
وحرامٌ يباعدُ الغيمُ في الأفـ
قِ ارتفاعي ولا يزينُ علائي
وحرامٌ أُطيلُ حولي فلا ألـ   قى سوى اليأسِ مُنذِراً بفنائي
إنما تسأمُ الحياةُ .. إذا لم   تشدُ من حولها طيورُ الرجاءِ

(القاهرة)   عبد الرحمن الخميسي



وصية الرصافي قبيل وفاته

إلى أصدقائي الأحرار الكرام :

أراهم يهيجون على الدوام باسم الدين ، وما أظنهم يتركونني حتى بعد موتي . وليس لي من ألتجيء إليه سوى الله ، وكفى بالله حافظاً وحسيباً . ليس لي من الأقارب من أعهد إليهم بوصيتي سوى معارفي من الأصدقاء الأحرار من أهل البلاد ، فلذا أكتب إليهم عسى أن يقوموا بتنفيذها ولهم من الله الأجر

كل ما كتبته من نظم ونثر لم أجعل هدفي منه منفعتي الشخصية ، وإنما قصدت به منفعة المجتمع الذي عشت فيه ، والقوم الذين أنا منهم ونشأت بينهم ، لذلك لم أوفق إلى شيء في حياتي يسمى بالرفاهية والسعادة في الحياة . لا أملك شيئاً سوى فراشي الذي أنام فيه ، وثيابي التي ألبسها . وكل ما عدا ذلك من الأثاث الحقير الذي في مسكني ليس لي ، بل هو مال أهله الذين يساكنونني .

كل من اعتدى عليّ في حياتي فهو في حل مني . وإن كان هناك من اعتديت أنا عليه ، فهو بالخيار ، إن شاء عفا عني وإلا قضى بيني وبينه الله الذي هو أحكم الحاكمين .

أنا ولله الحمد مسلم مؤمن بالله وبرسوله محمد بن عبد الله إيماناً صادقاً لا أرائي فيه ولا أداجي ، إلا أنني أخالف المسلمين فيما أراهم عليه من أمور يرونها من الدين ، وليست هي منه إلا بمنزلة القشور من اللباب . ولا يهمني من الدين إلا جوهره الخالص وغايته المطلوبة التي هي الوصول إلى شيء من السعادة في الحياة الدنيوية الاجتماعية والحياة الأخروية ، ما أمكن الوصول إليه من ذلك بترك الشرور وبعمل الصالحات ، وكل ما عدا ذلك من أمور الدين فهو وسيلة إليه وواسطة له ليس إلا .

بما أن عبد بن صالح الذي هو معاوني على العيش في مسكني كنت أنا السبب في زواجه ، وقد ولد له بنات صغار ، وليس له من أسباب المعيشة والكسب ما يجعله قادراً على إعاشتهن ، أرجو من أهل الخير في الدنيا ومن أصدقائي الكرام الأحرار أن يسعوا في إيجاد شغل له يكسب به ما يقوم بإعاشتهن ، وإن الله تعالى لا يضيع أجر المحسنين .

كل ما عندي من الكتب المخطوطة التي كتبتها أنا ، تباع لمن يرغب في شرائها على أن يكون له حق الطبع والنشر ولا يكون لي فيها سوى الاسم ، ويدفع المال الحاصل من بيعها إلى بنات عبد .

أريد أن أدفن في أي مقبرة كانت على أن يكون قبري في طرف منها وأن يكون في أرض مظلومة وهي التي لم تحفر قبلا ...

إن كانت الحياة نعمة سابغة من الله على عباده فإن الموت رحمة واسعة منه عليهم . فالموت هو رحمة الله الواسعة التي وسعت كل شيء . كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام .

المؤمن بالله وحده لا شريك له

معروف الرصافي

جمعية مصرية تعرب الموسيقى العالمية

لا يزال هواة الموسيقى العالمية يذكرون تلك الحفلة التي أقيمت بكلية العلوم في اليوم التاسع عشر من شهر مارس سنة ١٩٤٢ . ويعتبرونها فاتحة عهد جديد في تاريخ هذا الفن



السادة الذين أقاموا الحفلة ، ومن بينهم الدكتور علي مصطفى مشرفه بك والأستاذ كامل كيلاني ناظم الأغاني ، وحسن بك رشيد ، فالأستاذ أبو بكر خيرت

الرفيع . ذلك أن برنامجها اشتمل يومئذ على عشر أغان اختيرت لعباقرة الموسيقى ، ونقلها نظماً إلى اللغة العربية الأستاذ كامل كيلاني فسجل بذلك فوزاً مبيناً للعربية في ميدان هذا الفن ، وأثبت بالفعل للذين يهجمون عليها بالقول أنها تستطيع بشعرها العالي

وعروضها الدقيق أن تترجم أغانى شوبرت وموتسارت ومندلسون وأضرابهم بمعانيها وأوزانها وألحانها دون أن يفقد شيء من جمال المعنى ولا من سلامة الإيقاع . وقد لقيت هذه الحفلة يومئذ من النجاح العظيم والتقدير الحسن ما حفز القائمين بها إلى مواصلة الجهد فى هذا السبيل ، فألفوا (الجمعية المصرية لهواة الموسيقى) رئيسها الدكتور على مصطفى مشرفة عميد كلية العلوم ، وأبرز أعضائها الأساتذة محمد زكى على وإسماعيل راتب وكامل كيلانى وعلى بدوى .

وكان أول ما عنيت به أن طبعت هذه الأغانى العشر وقدمتها إلى الجمهور بكلمة لطيفة جاء فيها : « ... فنحن نستمع إلى الأغنية أو الأوبرا فى كل بلد بلغة أهله . نستمع إليها فى روما بالإيطالية ، وفى برلين بالألمانية ، وفى لندن بالانجليزية ؛ فإذا استمعنا إليها فى القاهرة سمعناها بكل لغة من لغات العالم المتحضر ما عدا اللغة العربية ! فكيف نقبل هذه المعرة القومية ، ونرضى بهذا الهوان الفكري ؟ »

ثم قالت فى موضع آخر : « وقد كان علينا أن نحل مشكلة رئيسة فى التدوين الموسيقى كادت تستعصى على الحل ، فإن الموسيقى تكتب من اليسار إلى اليمين ، على العكس من الألفاظ التى تكتب من اليسار . وقد وقفنا طويلا أمام هذه المشكلة ثم انتهينا إلى حل يجمع بين الحرص على أصول الفن الموسيقى ، والوفاء للغة العربية والمحافظة على تقاليدها ، فجعلنا الكلمة وحدة ظاهرة ، ولم نكتف بذلك فعمدنا إلى كتابة مقاطع كل كلمة سالكين فى إثباتها الطريقة العروضية ، فزال بذلك كل إبهام فى المقابلة بين المقاطع اللفظية والمقاطع الموسيقية وبقيت الألفاظ سهلة القراءة بادية للعيان » .

وعما قريب تصدر هذه الأغانى المختارة فتسدى إلى اللغة العربية والموسيقى المصرية معروفا يخلد الشكر عليه بخلوده .

بين شاعرين

سيدى الأستاذ الكبير عزيز بك أباظه .

لا أكتب إليك للشكر على التعزية أو على التقدير . فاننا نحيا — إن سميت هذه حياة — فى جو واحد ، ونطوى على فجيعة واحدة . وهذه المشاركة تغنى بيننا عن كل عبارة .

وما يزال لدى الكثير من الأشعار . ولعل صفحات الرسالة والثقافة تتسع لنشرها . وهذه القصائد مانشر منها وما لم ينشر نظمت جميعها تقريباً فى شهر فبراير حتى أول الوفاة . فهى الحصاد المشئوم لشهر وبعض شهر . وإنى لا أدرى كيف نظمت ، وكيف كان النظم على هذه السرعة وأنا لست من أهلها . ولكن الذى أدريه أننى ليس لى فيها شيء ، وأنها « هى » صاحبتها . « فهى » التى حفزتنى منذ حين إلى التوفر على إخراج ما أخرجت من كتب ؛ و « هى » الآن التى تملى على ما أنظم من قصيد بعد أن انقطعت عن قوله سنوات وسنوات . ولقد كنت ماضيا على هذا الانقطاع على الرغم من حث كرام الأصدقاء ، والزملاء لى على مراجعته . وأخيراً ... أخيراً يكتب لى أن أعود إليه . وأن يكون العود غير أحمد .

أيا مُذكرى يوماً بأنى شاعرُ إليك التى فاضت بهن المشاعرُ
ثمراتٍ . ومَن أرنى ؟ شريكة عيشتى
وكَدرمى ، طوتها فى التراب المقابر
ولو كنتَ تدرى ما ازدهيتَ قريحتى
فلا الشعرُ مذكورٌ ولا أنت ذاكر
ويارب ، لا كانت إلى الشعر رجعة
فأنى — ولو كان الخلودَ — لخاسر

كان الله فى عونك وعونى .

عبد الرحمن صدقى

الأطياف الأربعة

[أصدرت « لجنة النشر للجامعيين » هذا الكتاب الذى اشتركت فيه أقلام « الاخوة الأربعة » . وقد كتب أحدهم : الأستاذ سيد قطب . هذا « التعريف » للمؤلفين والكتاب وهو يعطى لمحة عن شخصياتهم ، وعن طريقتهم كذلك] .

صبية وفتاة ، وفتى وشاب ... أولئك هم الأطياف الأربعة ! إخوة فى الدم ، إخوة فى الشعور . كلهم أصدقاء ، وذلك هو الرباط الأقوى . إنهم يقطعون الحياة كأنهم فيها أطياف . هم أنفسهم كل ما يملكون فى الكون العريض ! كل ما يربطهم بالكون أن يتطلعوا إليه هنيهة ، ليردوه صوَرا فى عالمهم المسحور . إنهم أبدا يحلمون . وقد يتفزعون فى الحلم ، ولكنهم إليه يعودون !

* * *

أحد هذه الأطياف تلك الصبية الناشئة . إنها موفوزة الحس أبداً ، متفزعة من شبح مجهول . إنها تعبد الحياة وتخشاها . إنها تتلفت فى ذعر كلما تفرست فى المجهول

* * *

وأحد هذه الأطياف تلك الفتاة الهادئة . إنها سارية فى الماضى لا تكاد منه تعود ! إنها شاعرة ، ثروتها من التصورات أجزل من ثروتها فى التعبير . إنها مستغرقة فى حلم : بالمستقبل الذى لا تملك ، وبالماضى الذى لن يعود .

* * *

وأحد هذه الأطياف ذلك الفتى الحائر . إنه دائم التجوال فى دروب نفسه ومنحنياتها يفتش فيها ويتأملها ، ولا يسأم التأمل والتفتيش . إنه يحلم فى اليقظة ، ويستيقظ فى الأحلام !

* * *

وأحد هذه الأطياف ذلك الشاب الشارد . إنه عاشق المحال . إنه يطلب ما لا يجد ، ويسأم كل ما ينال . وإنه — بعد ذلك كله — للوالد والأخ والصديق لأولئك الأطياف .

* * *

أولئك هم الأطياف الأربعة . وهذه خطراتهم فى كتاب . إنها عصارة من نفوسهم وظلال من حياتهم . إنها أطياف الأطياف!

سيد قطب

الاصلاح الدينى ومذهب ابن حنبل

كان مساء يوم الثلاثاء الماضى موعد المحاضرة التى ألقاها فى مسرح الأزبكية العالم الكبير الأستاذ شاكر الحنبلى بك وزير العدل السابق فى الحكومة السورية فأقبل على شهودها جمهرة كبيرة مختارة من رجال العلم والأدب والسياسة ولبثوا ساعة يستمعون إلى المحاضر العظيم وهو يتدفق بالبيان الرائع فى صوت متزن ولهجة فصيحة فأبان عن شخصية الإمام — أحمد بن حنبل — وجلاها مبرأة مما رميت به من الضيق ، ثم أفاض فى الكلام عن ـ ابن تيمية ـ ونفاذ عبقريته ؛وما رمى به من مروق وزندقة ؛ وما أصابه فى سبيل دعوته من سجن ومطاردة ؛ وتناول الإمام ابن القيم — تلميذ ابن تيمية . وعمق تفكيره ، ومرونة ذهنه ، وحسن فهمه لروح الدين وما تكبده كذلك فى سبيل آرائه. ثم ختم المحاضر الفاضل محاضرته ببيان أن روح الإسلام لا تقف ما يحفز المدنية إلى التقدم ،ولا تقعد مايسمو بالانسانية إلى الكمال .

م . ع . أ

الفلسفة والدين ، فى جامعة الاسكندرية

لم تنس جامعة فاروق الأول أنها وريثة جامعة الاسكندرية القديمة ، فقد حاضرنا مساء الأربعاء ٢٨ مارس سنة ١٩٤٥ بقاعة المحاضرات الجامعية أستاذ أعتقد أن الكثيرين من رواد الفلسفة الحديثة يعرفونه ، كما أعتقد أن هؤلاء الكثيرين من الرواد يتطلبون منه الكثير من محاضراته ودراساته .

حاضرنا الأستاذ توفيق الطويل المدرس بكلية الآداب عن النزاع بين الفلسفة والدين فى القرن السابع عشر .

وقد أمضينا ساعة ونصف ساعة مع الأستاذ توفيق الطويل ، فى رحلة فكرية شائقة ، حاول خلالها أن يبرهن على أن لا تنافر بين الفلسفة والدين حتى فى عصر محاكم التفتيش ، وابتدأ بأن فرّق بين الدين فى ذاته ، وبين رجال الكنيسة الذين جعلوا من أنفسهم حرّاساً على نصوص هـذا الدين ، حرّاساً جامدين على ظواهر هذه النصوص .

واختار الأستاذ الطويل للتدليل على وجهة نظره ثلاث دول ، كانت حركة النضال فيها بين الفكر الحرّ وبين اللاهوتيين الجامدين على أشدّ ماتكون عنفاً وحدّة ، وهى فرنسا ، وهولنده ، وإيطاليا .

واختار من كل بلد من البلدان الثلاثة فيلسوفاً واحداً ، لضيق الوقت ، فمن فرنسا تخيّر — ديكارت — وعرض موجزاً من فلسفته التى بدأت بالشكّ ، وانتقلت إلى إثبات الذات التى تشكّ ! والتى ابتدأت بأن أخضعت حقائق الوجود إلى العقل ، ثم استثنى الحقائق التى وصلتنا عن طريق الوحى ، واعتبرها غير خاضعة للاختبارات العقلية ، فكان ديكارت — وإن لم يوضح لنا الأستاذ المحاضر — متأرجحاً بين الفلسفة والدين . بين عقله وقلبه ، ولعلّ فى خوفه من سلطة الكنيسة ، أو رجال الكنيسة بمعنى

أدق ، تعليلا لذلك التأرجح الذى تعرّض له الأستاذ المحاضر فى سرعة وخفّة نلتمس له فيهما عذراً لضيق الوقت ، وانفساح مجال الموضوع الذى اختاره لمحاضرته القيمة .

ومن هولاندا ، تحدث الأستاذ الفاضل ، عن — سبينوزا — ذلك الفيلسوف الذى نادى بمذهبه فى وحدة الوجود . فأثار على نفسه ثائرة رجال الأكليروس ، وأقام قيامة أولئك الذين فى يدهم مقاليد الأمور فأجمعوا على تكفيره . وحرمانه . واضطروه أن يعيش منبوذاً من الناس ، وأن يكدح لينال بلغة من العيش تقيم أوده ، بعد أن هاجر من البلد الذى أصدر قرار حرمانه ، وغيّر اسمه ، وكان ينشر مؤلفاته بأسماء مستعارة . دَرْءًا لأخطار المصادرات . وما وراء المصادرات . مما كانت تحفل به عهود محاكم التفتيش .

أما فى إيطاليا . فقد كان لجاليليو قصة — أو مأساة كما سمّاها الأستاذ المحاضر — تبعث على كثير من الأسى ، فقد اضطهد هذا الرجل من أجل عقيدته أقسى الاضطهاد . وحوكم مرتين أمام محكمة التفتيش وسجّلت مؤلفاته فى القائمة السوداء — أو الفهرست !! — كما كان يطلق عليه ،وقد حرص الأستاذ الطويل على أن يذكّرنا أنه اختار جاليليو ، وتحدث عنه كفيلسوف — على الرغم من أنه كان عالم فلك ولم يكن فيلسوفاً ، لأن الفلسفة فى القرن السابع عشر كانت تعتبر عالم الفلك فيلسوفاً ، ولم تكن العلوم قد تحررت بعد من حظيرة الفلسفة .

والطريف . فيما عرضه الأستاذ المحاضر ، من رأى جاليليو عن دوران الأرض وعن النظام الكوبرنيكى الذى قال به ، أقول الطريف فى ذلك أن الاسكندرية كما حرص الأستاذ الطويل على أن يذكرنا بذلك . كانت سباقة فى هذا المجال الخطير . فقد قال بنفس هذا الرأى من قبل كوبرنيكوس . ومن جاليليو . فيلسوف عاش فى الإسكندرية . وهو أرسطوخوس !!

قصص هؤلاء الفلاسفة الثلاثة ، فى بلدانهم الثلاثة ، صادقة الدلالة على أن الاضطهادات التى حدثت ، والتى كان ضحيتها هؤلاء الفلاسفة العظام ، لم تكن من الدين ، ولا من كل رجال الدين ، وإنما كانت من تلك الفئة الجامدة التى لم يخل منها عصرٌ من العصور ولا دين من الأديان .

ولا صحة لما يقال ، من أن ازدهار الفكر لا يكون إلا حيث يتخلص من قيود الدين ، فالتاريخ يحدثنا عن فلاسفة كثيرين حاولوا التوفيق بين الدين والفلسفة ، ولعل أشهرهم من فلاسفتنا الإسلاميين هو ابن رشد الفيلسوف الأندلسى المعروف .

هذه خطوط سريعة لمحاضرة مرتجلة . جعلنا الأستاذ الطويل خلال حديث شائق فى صددها ، نعيش فى عالم فكرى بعيد عن ماديات هذه الحياة الصاخبة .

على حسن حموده

جماعة الفكر

تألفت فى القاهرة جماعة فكرية ثقافية باسم « جماعة الفكر » قوامها لفيف من أدباء الشباب ، وستنشر مكتبة كاملةً فى شتى نواحى المعرفة .

فندعو لها بالتوفيق فى إتمام هذا العمل الجليل .

الكتب

١ — ابن رشد الفيلسوف للأستاذ محمد يوسف موسى

٢ — بعد الموت للأستاذ السعيد يوسف موسى

— ١ —

هذا الكتاب من تأليف الأستاذ محمد يوسف موسى المدرس بكلية أصول الدين ، وهو من سلسلة أعلام الإسلام التى تصدرها لجنة دائرة المعارف الإسلامية . ويقع الكتاب فى ١١٧ صفحة من الحجم الصغير ، ولكنه على صغر حجمه جيد فى بابه ، ولا غرو فالمؤلف مشتغل بهذا الفيلسوف من زمن ، وينوى أن يضع فيه رسالة كبيرة ، فهو ليس غريباً عن الموضوع . عرض أولا لعصر ابن رشد وأسرته ، ثم إلى نشأته ، ثم عمله فى التوفيق بين الحكمة والشريعة ، ثم عمله فى نظرية المعرفة ، ثم ابن رشد والغزالى ، ثم انتهى إلى خاتمة المطاف ، وإلى ابن رشد وأثره من بعده ، وهل نجح فى رسالته .

وأنت ترى أن صفحات الكتاب أضيق من هذه الموضوعات المتعددة . وقد كان المؤلف بارعاً فى الإيجاز حتى يسوق جميع ما يريد أن يقول فى هذا الثوب الضيق . غير أنه اضطر إلى التلميح عن بعض النظريات دون إشباع حسب ما يقتضيه المقام .

وفى الكتاب عرض جيد لحياة ابن رشد وعصره وتفصيل لمحنته ومناقشة أسبابها . وطريقة المؤلف فى اقتباس النصوص وحبكها فى مجرى الكلام ، تدل فضلا عن الاطلاع الغزير ، على امتلاك ناصية الموضوع .

وقد وفى الفصل الخاص بالتوفيق بين الحكمة والشريعة حقه إذ يستغرق ٢٧ صفحة ، بينما نظرية المعرفة تناولها فى خمس صفحات ونصف . وكنا نرغب الإطالة فى هذا الموضوع الذى لم تسبق الكتابة فيه ، ولا يزال غامضاً . وأخالف الأستاذ محمد يوسف موسى فيما يذهب إليه من أن ابن رشد يرى فى الاتصال أنه « وصول العقل الإنسانى إلى الدرجة العليا من الكمال ، نعنى إلى الاتحاد ، أو الاتصال بالعقل الفعال أو الله تعالى ذاته » ص ٦٣ ، ٦٤ ثم قال :

« ولا بد من توفر ثلاثة أمور فيمن يسعد بهذه النعمة أى نعمة الوصول : قوة العقل الأصلية ، وكمال العقل بالفكر ، وعون وإلهام غير طبيعى من الله » .

وأكبر الظن أنه يريد أن يقول « إلهام طبيعى » لا غير طبيعى . وتصوير الاتصال بالعقل الفعال أو الله ذاته على النحو المذكور يجعل من ابن رشد صوفياً ، خصوصاً وأنه اشترط فيما بعد العون الإلهى . وبهذا لا تستقيم النتيجة التى أوردها بعد ذلك ، وهى أن ابن رشد « ابتعد عن مجاهدات الصوفية ... فهو لهذا أقل الفلاسفة الأندلسيين بل المسلمين تصوفاً » ص ٦٤ .

فهل كان ابن رشد متصوفاً ، أو عنده نزعة صوفية كالفارابى مثلا ؟

— ٢ —

وهذه قصة ألفها الأستاذ السعيد يوسف موسى ، تقع فى ٢٨٦ صفحة من الحجم المتوسط .

أعرف المؤلف معرفة شخصية ، وأستطيع أن أؤكد لك أن هذه القصة صورة من نفس المؤلف ، أودعها أحاسيسه وعواطفه وآراءه . وهذا الصدق فى التعبير هو السر فى قوة هذه القصة . وأكبر الظن أن المؤلف لن يستطيع أن يخرج لنا مثيلا لها إلا بعد مضى سنوات طويلة ، تزدحم فيها نفسه بتجارب جديدة وصور أخرى يودعها قصته الجديدة ، فإن أراد أن يبين فساد حكمى فليتقدم على إخراج قصة أخرى ...

نحن فى حاجة إلى القصة الطويلة فى اللغة العربية . فالقصة القصيرة يكتب فيها كثيرون على رأسهم الأستاذ محمود تيمور ، فهو بطل هذا الميدان . وقصة « بعد الموت » قصة مصرية صميمة ، لم يتأثر صاحبها بالمؤلفات الأجنبية ، فهى بذلك تسد باباً كنا نحس فيه بالنقص . وهذه خلاصة الموضوع فى إيجاز .

طالبان من الريف ، ذهبا إلى مدرسة داخلية بالاسكندرية ، فاتصلا فى المدرسة وارتبطا بصداقة وثيقة العرى . أحدهما جلال ، والآخر هو الذى يقص القصة ... رأيهما « نجوان » صاحبة بار بالاسكندرية ، فأحبت جلال الذى كان متعاهداً على الزواج من هند ابنة عمه . وهنا يحدث صراع بين الوفاء للوعد ، وبين الحب الجديد الذى يستغرق فيه جلال ، وصاحبه معه ، إلى أن يطردا من المدرسة . وتعرف هند وأم جلال ، فتحضران إلى الاسكندرية وتطلبان إلى نجوان التخلى عن جلال ، ولا تستطيع نجوان فتقتل نفسها ويشهد جلال مصرعها ويظل ذكراها عالقة بذهنه فلا يفيق من داء حبها حتى « بعد الموت »

من إنتاج الأدب السوداني

١ – مهدي الله للأستاذ توفيق أحمد البكري

٢ – الطريق إلى البرلمان للأستاذ إسماعيل الأزهري

– ١ –

مؤلف هذا الكتاب الأستاذ توفيق أحمد البكري شاب سوداني ذو ثقافة عالية وذوق أدبي أصيل – ولا عجب فهو خريج كلية الآداب ومعهد الصحافة من جامعة فؤاد الأول – وإذ تصدى للكتابة عن الإمام الكبير محمد أحمد المهدي فقد تصدى بعد دراسة عميقة مزمنة ورغبة ملحة صادقة. ولعل المستر ونستن تشرشل يعنيه حينما قال في كتابه حرب النهر «إن المؤرخ السوداني الذي سيكتب تاريخ بلاده يوما ما يجب ألا ينسى أن يضع «محمد أحمد» في طليعة أبطاله، «فأن هذا الشاب النابه قد خدم بلاده خدمة محققة بنشره هذا الكتاب في سيرة ذلك الرجل، الذي لانعلم أن أحداً استطاع من قبل أن يصور له صورة إنسانية خالية من التحامل» كما يقول الأستاذ الكبير أبو حديد.

وسيرة الإمام المهدي سيرة فيها من هدى الدين وقوة الإيمان ماذللت أمامهما الصعاب ورضخت لمشيئتهما القوة المنظمة الحاكمة! فأن رجلا نشأ بين أبوين شريفين رقيق الحال فشب عن الطوق وثقافته دينية بحتة، وحياته تأملات صوفية عميقة، وروحه نقية زاهدة، فلا تريد من متاع الدنيا مالا ولا جاها ولا ملكا. وإنما يدعو العباد إلى صلاحهم وإلى مايقربهم من ربهم لتمتلىء الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما – وبهذه الدعوة الطاهرة المليئة إيمانا تمكن كما عليه المؤمنون جماعات ووحدانا يتلون قوله تعالى «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولاهم يحزنون».

استطاع، وهو الأعزل، أن يفتح ذاك الفتح المكلل بالظفر وأن يقيم دولة إسلامية دستورها الكتاب والسنة ست عشرة حجة طوالا

وإننا بصدد الأشارة إلى هذا الكتاب النفيس لايفوتنا أن نزجي عاطر الثناء إلى لجنة دائرة المعارف الإسلامية لنشرها هذا الكتاب من سلسلتها التاريخية «أعلام الإسلام» كما نرجو أخانا الأستاذ توفيق البكري أن يتم مابدأه فيفصل ما أوجز ويسهب فيما اقتضب، لتوفى هذه الشخصية الكبيرة حقها دراسة وتحليلا.

– ٢ –

«الطريق إلى البرلمان»: مؤلفه الأستاذ اسماعيل الأزهري خريج الجامعة الأمريكية ببيروت ورئيس مؤتمر الخريجين العام في السودان لهذه الدورة ودورات ماضية – والأستاذ معروف بأنه البرلماني الأول في السودان، فلا غرو أن يؤلف كتابا قيما بعنوان «الطريق إلى البرلمان» في أكثر من ثلثمائة صفحة – والعنوان كما ترى جذاب أخاذ يدل على أن هذا الكتاب يأخذ بيدى القارىء ويدخله البرلمان بسهولة ويسر! ويتضخم هذا المدلول حينما تعلم أن الأستاذ زعيم معروف! بينا أن الكتاب يتحدث عن نظم الجميات، كالأندية والشركات واللجان والأحزاب وغير ذلك، مرتبا كيفية تكوينها وتنظيمها وإدارتها حتى يتدرب النشء والكبار على النظم البرلمانية وأساليبها فتنشأ الأجيال المقبلة عريقة فيها مجبولة على تقديس القوانين مفطورة على حب النظام.

ولم يفت الأستاذ أن يشير إلى استخدام هذا الإسم «الطريق إلى البرلمان» كعنوان، لأن الغرض من وضع هذا الكتاب كما قال: «نشر النظام البرلماني ليصبح بفضل التدريب والمران عادة مألوفة وتقاليد متأصلة عند الصغار والكبار في «الطريق إلى البرلمان» حتى إذا دخلوه استطاعوا أن يستفيدوا من نظمه في النهوض بأممهم إلى أعلى مراتب التقدم والكمال»

والكتاب يحتاج إليه رجل الاجتماع بقدر حاجة الطالب الماسة، ويا حبذا لو قررته مصلحة المعارف السودانية في مدارسها الثانوية ليساعد على إخراج رجل الاجتماع المنشود.

الفاتح النور

إني آسف لهذا الاختصار المخل، فهو لايغني عن قراءة القصة وتذوق ما فيها من حلاوة الحوار بين هذه الشخصيات المختلفة، التي يحاول صاحب القصة أن يجعلها تنطق بحقيقة المشاعر الإنسانية.

يريد المؤلف أن يقول إن الروح تبقى بعد الموت، وأنها تؤرق ملوك الأحياء. بدليل أن موت نجوان لم يبطل حب جلال لها، ولم يصرفه إلى العودة إلى خطيبته الأولى هند وكان يراها في المنام فيفزع.

ولكن علماء النفس المحدثين يذهبون إلى خلاف ما يذهب إليه المؤلف، ويفسرون أمثال هذه الظواهر بأنها حالات مرضية يمكن شفاؤها بالتحليل النفساني. ونأخذ على المؤلف هجومه العنيف على المعلمين وعلى المدرسة وكنا نحب أن يسمو عن هذا.

الدكتور أحمد فؤاد الأهواني

يعرضه حالياً بنجاح عظيم

بسينما الكورسال بالقاهرة



الفيلم الغنائى

الحب الأول

تمثيل.

رجاء — جلال حرب

تأليف

أحمد شكرى

إخراج

جمال مدكور

إنتاج

أفلام عبد الوهاب

أربع حفلات يومياً

(س . ت ٢٣٨٠٤)

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦١٥ — الاثنين ١٦ ابريل ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

صفحة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

محكمة الفشن الأهلية

إعلان بيع عقار

نشر أولى فى القضية رقم ١١٩٣ سنة ١٩٤٤

انه فى يوم الأربعاء ٩ مايو سنة ١٩٤٥ الساعة ٨ أفرنكى صباحا باودة المزايدات بسراى المحكمة

سيباع العقار الآتى بيانه بعد السكائن ببندر الفشن ملك عبد الفتاح خليفة مرزوق من بندر الفشن وبيانه

المسطح	إسم الشارع	نمرة الملك
دبسى متر		
٨١ و١٣٤	الشونة ــ ٩	١٢ عوايد

الحدود

البحرى فضاء ملك محمد أفندى أبو النيل ١٣ متر والشرقى منزل محمود أفندي أبو النيل بطول ١٠ متر و٤٥ سنتى و قبلى شارع الشونة ــ ٩ وبه الباب بطول ١٣ متر و١٥ س والغربى منزل محمد الشرقاوى بطول ١٠ متر و٢٠ س

١٨٤ متر و٨١ دبسى فقط الجملة مايه وأربعة وثلاثون متر وواحد وثمانون دبسى عبارة عن منزل بما فيه من المبانى والمشتملات

وهذا البيع كطلب حضرة الأستاذ فهيم بك باخوم ابن المرحوم حنا بك باخوم بمصر الوكيل عن حضرة الأستاذ أحمد أفندى زغلول المحامي بالفشن

وبناء علي حكم نزع الملكية الصادر من هذه المحكمة بتاريخ ١٧ يناير سنة ١٩٤٥ فى القضيه نمرة ١١٩٣ سنة ١٩٤٥ الفشن ومسجل بمحكمة بنى سويف الأهليه فى ٢٣ ــ ١ سنة ١٩٤٥ نمرة ١١١ سنة ١٩٤٥ . وسيكون البيع قسما واحدا بثمن أساسى قدره ٥٦٣ مليم ، ٣١ جنيه مصرى وفاء لمبلغ ٥٧٠ مليم ، ٥٢ جنيه مصرى بعد تنقيص الخمس بجلسة ٢٨ ــ ٣ سنة ١٩٤٥ وبخلاف رسوم التنفيذ والشهادات وما يستجد من المصاريف والأوراق وشروط البيع مودعه بقلم الكتاب لمن يريد الاطلاع عليها .

فعلى راغب الشراء الحضور للزايده

تحريراً فى ١٢ ــ ٤ سنة ١٩٤٥ .

كاتب البيوع

إعلان بيع

انه فى يوم الأحد الموافق ٢٠ مايو سنة ١٩٤٥ من الساعه ٨ صباحا وما بعدها بناحية البلايش بحرى مركز البلينا.

سيباع بالمزاد العلنى محصول ٩ ط ٣٠ فدانا أذره صيفى واحمال بوص ينتج من الفدان ٨ أرادب و ٨ حمول بوص مملوكة إلى العبد أفندى جورجى من ناحية الكشح سابق الحجز عليها تحفظيا بتاريخ ١٧ يوليو سنة ١٩٤٠ وحكم بتثبيت الحجز فى القضيه رقم ٩٠٩ سنة ١٩٤٤ كلى محكمة إسكندرية الأهليه وفاء لمبلغ ٣٨٢ مليم ١٦٦ جنيه بخلاف رسم هذا وما يستجد

وهذا البيع بناء على طلب حضرة صاحب السعاده على أمين يحيي باشا بصفته ناظراً لوقف المرحومة السيدة خديجة بهيه هانم برهان بالاسكندريه بشارع النبي دانيال رقم ١ ومحله المختار مكتب الأستاذين سليم أنطون ويوسف خليل المحاميين بميدان محمد على رقم ١٠ بالاسكندريه

فعلى راغب الشراء الحضور للزايدة ؟

الباشمحضر

محكمة العياط الأهليه

إعلان بيع عقار

نشره أولى

فى القضية المدنيه رقم ١١١٨ سنة ١٩٤٤

انه فى يوم الأحد ٢٠ مايو سنة ١٩٤٥ بسراى المحكمه

سيباع بالمزاد العلنى العقار الآتى بيانه ملك إبراهيم مصطفى الجمل من ناحية الطرفايه مركز العياط جيزه

بيان العقار

٣٠ سنتى ، ٦٠ متر بإسم الحوض ونمرته الباجة نمرة ٤ نمرة القطعه ٤٥ س بإسم الناحيه الطرفايه

الحدود

الحد البحرى شارع وبه الباب والحد الشرقي محمد سالم ورد وآخرين والحد القبلى منزل حنفى سالم يحيي ومدبولى حسانين أبوداود والحد الغربى منزل حسن قاسم الجمل

٣٠ ، ٦٠ الجمله فقط ستون متراً وثلاثون سنتى متراً مقام عليها سكن

وهذا البيع بناء على طلب محمود محمد حاد من الطرفايه مركز العياط ومحله المختار مكتب حضرة الأستاذ نجيب أفندى فرج المحامي بالعياط وفاء لمبلغ ١٤٥ م ، ٧٨ ج ثمانية وسبعين جنيها مصريا ومايه خمسة وأربعين مليما بخلاف مايستجد لسداد

بثمن أساس قدره ٦٠ ج ستون جنيها مصريا وذلك بناء على حكم نزع للملكيه الصادر بتاريخ ٢٥ مارس سنة ١٩٤٥ ومسجل بمحكمة مصر الأهلية بتاريخ ٢٨ ــ ٣ سنة ١٩٤٥ نمرة ٢١٠ سنة ١٩٤٥

فعلى راغب الشراء الحضور للزايده وأوراق القضية مودعه بقلم كتاب المحكمة لمن يريد الاطلاع عليها ؟

كاتب المحكمة

شيكوريل

نشر بالعدد ٦١٤ الصادر فى ٩ أبريل ضمن إعلان شيكوريل ــ تيل نقى ألوان جميلة سادة للفساتين عرض متر سعر المتر ١٠ قروش والصواب سعر المتر ٧٠ قرشاً

---

13 me Année No. 615

Lundi - 16 - 4 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٦١٥ « القاهرة في يوم الإثنين ٤ جمادى الأولى سنة ١٣٦٤ — ١٦ أبريل سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

المدرسة الرمزية

للأستاذ عباس محمود العقاد

« ... استرعى نظرى نوع من الأدب أسموه بالرمزية ، ولا أعلم حتى الآن تعريف هذا النوع ، وقد نبهني إليه تلك الانذارات التي وجهها الأدباء إلى الشباب المحدثين بالآداب أن يكفوا عن تلك الطريقة الرمزية فانها عقيمة النتاج لا تجدى نفعاً . فما هي الرمزية في الأدب ؟ وهل هي تقتصر على الآداب العربية فقط عدا الآداب العالمية ؟ وما هي نتائجها المضرة ؟ ... »

(بغداد — الكاظمية) جعفر آل ياسين

***

والرمزية التي يسأل عنها الأديب البغدادى قديمة في العالم ، لأن الناس عرفوا الكتابة بالرموز قبل أن يعرفوا الكتابة بالحروف ، ولأن الكهانات الأولى كانت تستأثر بأسرار الدين وتضن بها أن تذاع للعامة على حقيقتها الصراح ، فكانت تعمد إلى الرموز أحياناً للتعبير عن تلك الأسرار .

ثم ارتفع حجر الكهانات عن أسرار الدين فتكلم الناس فيها وأفصحوا عما يعتقدونه من خفاياها ، ولكن الولع بالأسرار والبحث عن الغوامض والغيوب طبيعة في بعض النفوس لا تخرجهم منها صراحة القول ولا إباحة التفكير المطلق لمن يشاء ، فظهر هؤلاء بين المسلمين كما ظهروا بين الأمم المسيحية والإسرائيلية ، وقسموا عندنا العلم إلى علم شريعة وعلم حقيقة ، وأرادوا بعلم الشريعة ما يبدو على ظواهر الأشياء ، وبعلم الحقيقة ما ينفذ إلى بواطن الأسباب المغيبة عن العقل المكشوفة للبصيرة ، وقابلهم عند الأمم الأخرى جماعة المتعمقين الموكلين بالغوامض والأسرار وهم المعروفون باسم الخفيين أو الـ Mystics ولا يزال لهم مريدون ودعاة في كل عصر من عصور الآداب .

لكن المقصود بالرمزية في الأدب الحديث هو تلك المدرسة التي راجت في أوائل القرن الحاضر وظهرت في فرنسا على أعقاب مدرسة « البرناسيين » أصحاب القول بجمال القالب وأناقة النفس والعكوف على المحاسن الظاهرة في أساليب الشعر والنثر وصياغة العبارات ، وعندهم أن الصقل المحسوس هو آية الجمال والبلاغة في جميع الفنون .

فلما راج مذهب البرناسيين هذا في أواخر القرن الماضي ظهر الرمزيون يعارضونه ويغلون في إنكاره ويذكرونهم بما نسوه من أسرار المعاني التي لا تبرز على وجوه الكلمات ، وينبهونهم إلى جمال الوحي والإيمان الذى أهملوه في سبيل الصقل المحسوس والرونق البارز على صفحات الأساليب .

وقد كان الرمزيون على حق لولا الغلو الذى يندفع إليه أصحاب كل مدرسة جديدة حين يتصدون لحرب المدارس الأخرى فيذهبون من أقصى النقيض إلى أقصى النقيض .

فالأدب لايستغنى عن الوحى والاشارة ، وأبلغ الفن ما يجمع الكثير فى القليل ويطلق الذهن من وراء الظواهر القريبة إلى المعانى البعيدة التى تومئ إليها الألفاظ ولا تحتويها بجملتها إلا على سبيل التنبيه والتقريب .

ولكن هذه المدرسة غلت وتمادت فى الغلو حتى قام من دعاتها من يجعل الغموض والتعمية غرضاً مقصوداً لذاته ولو لم يكن من ورائه طائل ، وخيل إليهم أنهم مطالبون بالتعبير عن أنفسهم بالرموز وإن أغنتهم الحروف الواضحة والكلمات المفهومة ، فلم تعمر مدرستهم طويلا وسقطت فى الأدب الفرنسى كما سقطت فى آداب الأمم التى انتقلت إليها .

وقد أملى لأتباع هذه المدرسة فى الغلو أنها قامت للدعوة فى العصر الذى ظهر فيه « فرويد » وبشر بمذهبه القيم عن الأحلام ودلالتها على الوعى الباطن وما يستكن فيه من الأسرار المكتومة والنوازع المكبوتة .

وخلاصة هذا المذهب فيما يرجع إلى « الرمزية » أن الأحلام هى لغة الرمز التى يعبر بها «الوعى الباطن» عن شعوره المكبوت ؛ فالرجل المبتلى بالخوف من عدو منتقم أو من وهم مسلط عليه يرى فى نومه وحشاً ينقض عليه وينهشه بأنيابه ؛ والرجل الطامح إلى المجد يرى أنه سابح فى السماء على رؤوس الناس ، أو يرى أن الناس بالقياس إليه كالنمال فى جانب الفيلة الضخام . وهكذا تتمثل معانى « الوعى الباطن » رموزاً جسدية ، لأن الإنسان لا يتمثل المعانى فى أحلامه وأمانيه بل يتمثل فيها ما يرى بالعين ويلمس باليد ويسمع بالأذن ويترجم من لغة الفكر إلى لغة الحواس على أسلوب الخيال المعروف .

فما هو إلا أن راجت كلمة « الوعى الباطن » ورموزه فى الإصلاح وخيالات الفنون حتى تلقفها أذناب المدرسة الرمزية كما تلقف الببغاوات صيحات الآدميين بغير فهم ولاروية ، وخيل إليهم أن « الوعى الباطن » خلق جديد أنبته « فرويد » فى بيئة الإنسان بعد أن كان معدوماً فى الأجيال الماضية ، وفاتهم أنه أقدم من الوعى الظاهر وأنه لم يزل يعمل عمله فى الآداب والفنون وفى المعيشة اليومية منذ عرف الناس الشعور والتفكير ، ولن يزال كذلك خفياً فى مكانه القديم ما دام الإنسان هو الإنسان ، وكل ما صنعه فرويد أنه نبه الأذهان إلى وجوده لا أنه أوجده من العدم فى الزمن الحديث .

وبعد أن كان الرمزيون لا يتجاوزون فى دعوتهم التذكير بوجود الأسرار والمعانى التى توحى إليها أصبح أولئك الببغاوات ينكرون الحس الظاهر وينكرون الحواس وعملها ولا يدينون بشىء غير ما يسمونه رموز الوعى الباطن وأحاجيه .

فبطل الوضوح عندهم كأنه نقيصة أو كأنه خروج على الحقيقة ، وتقررت التعمية عندهم كأنها هى البيان دون كل بيان ، وكأنما « الوعى الباطن » قد كشف فى الزمن الأخير ليلغى العيون والآذان ويغرق الناس فى ظلمات لا تدركهم فيها أنوار النهار .

ومن آفات فرنسا الولع بالأزياء والمدارس التى كأنها أزياء تخلع بين كل صيف وشتاء ، فما هو إلا أن يسمع فيها باسم الدعوة الجديدة حتى تقفوها مدرسة هنا ومدرسة هناك ، وحتى تتقاسمها الفنون المختلفة فيبشر بها المصورون والنحاتون كما يبشر بها الشعراء والكتاب ، وينتقل الأمر من حيز التفكير إلى حيز الصفقات والمساومات . فيأخذ المتجرون بالصور فى جمع اللوحات التى يبيعها إياهم فقراء الفنانين بدريهمات معدودات ، ويحتفظون بها حتى يحين الأوان لإبرازها والمتاجرة بها ، فإذا بمجلة من المجلات التى يملكها أولئك التجار أو يستأجرونها قد نشرت فصلا مطولا عن «المدرسة الجديدة» المزعومة وتليها مجلة أخرى تناقضها وتنحى عليها ، وإذا بالمدرسة الجديدة بعد هنيهة قد أصبحت فى دوائر الفن أحدوثة الفضوليين والأصلاء ، ومحور الهجوم والدفاع ، ويحضر إلى باريس فى هذه الآونة أناس من أصحاب الثروات الأمريكية أو أصحاب الألقاب الروسية العريقة ممن يصطنعون الوجهة ويفاخرون باقتناء التحف النادرة ، ويودون أن يرجعوا إلى بلادهم وفى جعابهم أحدث ما يتحدث به أصحاب الأذواق وأدعياء التنظر فى الثقافة والآداب الفنية ، فإذا بهم قد وقعوا فى الفخ المنصوب واستبضعوا اللوحات والتماثيل من تلفيقات تلك المدرسة الجديدة بألوف الجنيهات ، وهى كلها لا تساوى مئات الدراهم عند بائعيها الماكرين .

وهكذا تخرج إلى الدنيا « مدرسة جديدة » ، وتبقى فيها ما بقيت صالحة لتلك الصفقات الخادعة ، ثم تنطوى وتخلفها

دواليك مدرسة أخرى على هذه الوتيرة ، ولا تعقب بعدها أثراً من الآثار الباقية فى عالم البلاغة والجمال .

وقد راجت الرمزية فى الكتابة والشعر، كما راجت فى النحت والتصوير ، وشوهدت صور لبعض الناس لا يعرفها أصحابها ، ولا يتفق اثنان من المصورين أنفسهم على عرفان ملامحها أو تفسير الغرض منها . وسئل واحد من هؤلاء المصورين عما يعنيه بهذا الخلط الذريع ، فقال بلهجة هؤلاء المخرفين التى هى مزيج من لغة الدجالين والببغاوات : إن الكتاب الإنجليزى يقع فى يد الرجل الذى لا يفهم الإنجليزية فلا يبصر فيه إلا خليطاً مشوشاً من الخطوط والنقاط...فهل يفهم من ذلك أنه كذلك ، وأنه لايشتمل على معنى من المعانى التى يدركها الإنجليزى ، أو من يفقهون اللغة الإنجليزية ؟

وهذا كلام دجالين وببغاوات لا يفهمون ما يقولون ، لأن الناس لا يختلفون فى رؤية الشمس كما يختلفون فى فهم مئات الكلمات التى تدل عليها باللغات الإنسانية ، ولأنهم لا يختلفون بالعيون والآذان والأفواه كما يختلفون بالألسنة والعبارات ، وليس بين الرجل وبين مشابهة الإنجليزى فى قراءة كتابه إلا أن يدرس الإنجليزية فينفذ إلى ماوراء الخطوط والنقاط من الألفاظ ومعانيها، فما هى الأداة التى يستعين بها الإنسان على فهم الصورالتى لا تشبه أصحابها ؟ أهى أداة الوعى الباطن ، وهو لا يتماثل فى رجلين اثنين على نحو واحد ؟ أيصبح كل إنسان « فنا » وحده لأنه وحده صاحب الوعى الباطن الذى توارثه من آبائه وأجداده وأضاف إليه ما أضاف من مذكوراته ومنسياته ؟

وكل مدرسة من هذا القبيل فهى مدرسة بكماء لا تستطيع أن تشرح مذهبها للناس إلا بمزيج من كلام الببغاوات وكلام الدجالين .

لكن الوعى الباطن حقيقة لا شك فيها ، وهو كذلك حقيقة لا شك فيها ، ولكنه كان حقيقة لا شك فيها من أقدم عهود التماثيل والمصورين والشعراء فى التاريخ ، وقد عمل فى شعر هوميروس عمله البديهى ، كما عمله فى شعر المتنبى والشريف وبيرون ولامرتين ، وإنما كان يعمل عمله دون أن يلغى العيون والآذان ، ودون أن يلغى الأذواق والأذهان ، وعلى هذا ينبغى أن يمضى فى عمله سواء ظهر فرويد أو لم يظهر فى عالم الوجود ، لأن فرويد لم يخلقه فى طبائع الناس حتى يخلفه خلق جديد لم يكن معلوماً قبل مئات السنين ، فقصارى ما فى الأمر أنه سماه وفسر معناه ، وترك العيون تنظر كما كانت تنظر ، والآذان تسمع كما كانت تسمع ، والأجسام البشرية تغدو وتروح كما كانت تغدو وتروح .

فالرمزية سليمة فى حدودها الأولى ، وهى حدود الاعتراف بالخفايا والأسرار ، ولكنها دعوة مريضة عوجاء حين تنكر الوضوح لأنه وضوح وكنى ، وتشيد بالتعمية لأنها تعمية وكنى .

وميزان الصدق فى هذا المذهب أن يكون الرمز ضرورة لا اختيار فيها . فأنت تفصح حتى يعييك الافصاح فتعمد إلى الرمز والإيحاء لتقريب المعنى البعيد لا لإبعاد المعنى القريب . والأصل فى الإبانة عن الذهن أو النفس أن يحاول المبين جهده توضيح معناه حتى تعييه العبارة فيلجأ إلى الإشارة ، فلا يكتب بالهيرغليفية ما يقدر على كتابته بالحروف الأبجدية ، ولا يؤثر الكناية وهو قادر على التصريح .

أما من يقول بنقيض ذلك فليس عنده في الحقيقة ما يقول ، وإنما هو مزيج من الببغاوات والدجالين يلفظ بالكلام ولا يفقه معناه ، ويخلط الحق بالباطل على النحو الذى قدمناه .

عباس محمود العقاد

في عيد المعري

من حلب إلى دمشق

للدكتور عبد الوهاب عزام

عميد كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

كان أعظم ما رأيت من آثار حلب ذلك اليومَ مقبرة الفردوس وكنت سمعت بها ، وحرصت على رؤيتها فى زورتى لحلب قبل ثمانى سنين فأعجلت عنها آسفاً .

وهى مقبرة نادرة بنيت على هندسة المساجد ، أو مسجد اتخذت أروقته للقبور . يدخل داخلها إلى صحن شرقيه وغربيه رواقان فى مستوى الصحن وفى جهة القبلة منه مسجد ، وفى الجهة الشمالية عقد كبير فوق رواق مرتفع . والرواقان اللذان على جانبى الصحن بهما قبور أكثرها قديم وبعضها حديث . ويرى الداخل إلى المسجد ثلاث قباب : الوسطى وهى الكبرى تقوم فوق مصلى ، وعلى جانبى هذه القبة قبتان أخريان تحت كل منهما حجرة كبيرة فيها قبور : فالبناء فى جملته مقبرة مشيدة على هيئة مسجد ... وما رأيت فيما رأيت من الآثار الإسلامية مقبرة أخرى على هذه الشاكلة . وشمالىّ هذا البناء حديقة ذابلة يشرف عليها رواق كبير خارجى وراء الرواق الداخلى الذى فى شمالى الصحن . وعلى جوانب الصحن والمسجد كتابة كثيرة أعجلنى ضيق الوقت عن قراءتها كلها . وهى آيات من القرآن وأبيات ، وكلمات مأثورة .

وكان فى عشية ذلك اليوم ، يوم الخميس ١١ شوال ، احتفال حلب بذكرى المعرى ، فاحتشد جمع عظيم فى فناء المدرسة الثانوية وقد أخذت زينتها من الأعلام والمصابيح ، وتكلم هناك من أدباء العربية : السيد طه الراوى ، والدكتور طه حسين ، والأستاذ عبد القادر المازنى ؛ وأدباء وشعراء آخرون وكان يوماً مشهوداً .

وأصبحنا نتأهب للمسير إلى اللاذقية ووددنا أن نفسح الوقت للتلبث فى حلب . وفصلنا من مدينة سيف الدولة ضحوة الجمعة فضربنا صوب الغرب والجنوب فى سهول خصبة فيها آثار الكدح والدأب حتى لاحت إدلب بيضاء بين أشجارها . وأكثرها أشجار الزيتون ، وكانت سيارتنا متقدمة فوقفت فى ظاهر البلد ليلحق بنا الركب . ثم دخلنا المدينة فإذا حشد منظم من رجال الحكومة والمدرسين والطلبة يسرّ العين والقلب ، والموسيقى تدوّى فتبث ألحانها فى هذا الجمال فإذا هو كله موسيقى مؤتلفة ، واستقبلتنا طالبات صغيرات ينشدن أناشيد للبلاد العربية كلها ، ويقدّمن الأزهار إلى ضيوفهن . هنالكم اجتمعت ذِكَر الماضى وصُوَر الحاضر وأمانىّ المستقبل ، فى أصوات هؤلاء الناشئات العربيات . فكان هذا ثقلا على القلب فزع منه إلى العيون يستنجد دمعها فذكرت قول البحترى :

وقفة بالعقيق نطرح ثقلاً من دموع بوقفة فى العقيق

ورأيت أحد الأصدقاء من أدباء دمشق يغالب دمعه . وقد لقينى من بَعد فقال : تبيّن لى أنا لم نكن وحيدَين فى الشجى ، وأن غيرنا غلبته عبراته فى هذا المقام . وما كانت هذه العَبرات إلا أمشاجاً من الفرح والحزن ، والألم والأمل ، والحماس والعطف . وما لا يُستطاع الإعراب عنه من أشجان غامضة ، وعواطف مبهمة يجمعها كلها اضطراب النفس بين ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا ، واغتباطها وطربها بما ترى وتسمع وتتخيل .

ومررنا بين الجموع لنستأنف السير فقال لى أحد الشبان : أهذه رحلة أخرى يا أستاذ ؟ . قلت ، وعيناى أفصح من لسانى : أجل ! رحلة جميلة جليلة أُلحقها برحلاتى الماضية .

إدلب مركز قضاء[1] سكانها زهاء عشرة آلاف . وهى معروفة بالزيتون والقطن والبطيخ . ولكثرة الزيت بها عرفت بصناعة الصابون حتى سميت إدلب الصابون . كذلك أخبرنى بعض الرفقاء من الشام .

وبعد مسيرنا عن إدلب علونا أرضاً جبليّة فسرنا فى حَدور وصَعود حتى جئنا جسر الشُّغور . وهو قرية كبيرة عبرنا عندها جسراً على مجرى ماء ، وشرعنا نصعد بعدها جبالاً عالية مخضرّة ، وما زلنا صاعدين وهابطين حتى وقفنا عند أشجار باسقة ظليلة عندها مسيل ماء قليل ينصب فى حوض ، ويسمى قسطل العجوز . وكانت الساعة إذ ذاك اثنتى عشرة وربعاً . ويقول ياقوت : القسطل

---

(١) القضاء فى التقسيم الادارى فى الشام والعراق وتركيا كالمركز فى تقسيم مصر . يتولى أموره قائمقام . هو كالمأمور فى مصر .

بلنة أهل الشام الموضع الذى تنترف منه المياه ، وهناك استقبلنا وفد من الصحفيين قدم من اللاذقية . وكثرت على طريقنا أشجار الصنوبر . وما زالت الطريق تتمعج بنا على سفوح الجبال وفى الأودية . وكلما جزنا جبلاً لقينا أعلى منه وأروع ، حتى استقبلنا طريق صعود على سفح جبل شاهق ، وشفا واد هائل ، فلما شارفنا القمة وقفت السيارات بغتة ولما تبلغ مأمنها من القمة . قلنا ما الخطب ؟ فإذا سيارة تشتعل فيها النار ليست من سيارات الركب . فزع بعضنا لهذه الوقفة فى هذا المكان المخوف ، ولهذا الحريق المفاجىء فنزلوا من السيارات مسرعين إلى جانب الطريق . وبينما الأستاذ المازنى يتجنب هذا الخطر بعد أن نال منه الاعياء فى هذا السير الشاق تقدم إليه سائل يسأله عن مطلع قصيدة لأحد الشعراء ، فنال القصائد والشعراء ما نالهم من غضبة المازنى .

وبعد الكلال والملال وطول السؤال بلغنا مقصدنا حرش بابير . وهو حرج على قمة عالية مشرف على البحر يطلع السائر فيه على مناظر جليلة جميلة رائعة على السفح الغربى المفضى إلى الساحل ، وكان هناك موعدنا للغداء فى ضيافة الأديب العالم الأمير مصطفى الشهابى متصرف اللاذقية (أو متصرف جبل العلويين ، واللاذقية عاصمة الجبل) وقد نعمنا بالراحة بعد التعب ، والطعام بعد الجوع ، وأنسنا بجماعة من التركمان يزمرون ويطبلون ، وكانت جلسة فرحة مكافئة لما سبقها من تعب ، وما لحقها من مسير طويل .

ومشينا بعد الغداء قليلا نطل على جمال السفوح الغربية وجلالها وروعتها ويتمنى الشعر والخيال التلبث بها . ثم ركبنا فهبطنا حتى أفضينا إلى سهل خصب يكثر فيه شجر الزيتون . ولما انتهينا إلى الساحل سايرناه شطر الجنوب حتى بلغنا بشق الأنفس المدينة التى نؤمها ، وقد رددنا اسمها على الطريق فى شعر المتنبى وغيره . كقول أبى الطيب ، غفر الله غلوه .

لك الخير غيرى رام من غيرك الغنى وغيرى بغير اللاذقية لاحق
هى الغرض الأقصى ورؤيتك المنى ومنزلك الدنيا وأنت الخلائق

وبلغنا المدينة قبيل الغروب فأسرع بنا النقيب إلى الفندق الذى أعد لنزولنا ولحفلة المعرى فندق الكازينو ، وهو مشرف على البحر ، متصل بأمواجه .

وكانت حفلة أبى العلاء فى فناء الفندق بعد الغروب فغص المكان بالمستمعين ، وتكلم فى أبى العلاء أساتذة من مصر والشام ، وأنشدت قصائد تشيد بشاعر العرب الفيلسوف . ثم كان العشاء والسمر فى الحديقة من دار الأمير الشهابى فنسى الضيوف هناك ما لقوا من نصب النهار . وفاتتنى هذه المأدبة الا أخبارها ، إذ قعدنى الاعياء عن الخروج إليها ورحم الله ابن حمديس .

فإن أك أخرجت من جنة فأنى أحدث أخبارها

وأصبحنا نسير فى اللاذقية — وهى مدينة جميلة نظيفة يرجى لها فى مستقبل البلاد العربية شأن عظيم — إلى الشارع الذى سمى شارع أبى العلاء ، وهو شارع فى وسط المدينة ينتهى بعقد قديم من آثار الرومان فيما يظن . سرنا إلى المكان فى موكب عظيم والموسيقى تدوى والهتاف بالبلاد العربية يعلو . وتقدم محافظ الاقليم الأمير مصطفى الشهابى فافتتح الشارع فسار الموكب فيه . واللاذقية ، على نجد مشرف على البحر فيها كثير من أشجار الزيتون والتين والتوت وفيها بساتين كثيرة يسقيها النهر الكبير ولها مكانة فى التجارة وسكانها أكثر من عشرين ألفا .

وبرحنا اللاذقية والساعة عشر وعشر دقائق نسير صوب الجنوب مع ساحل البحر . وجاوزنا نهراً صغيراً يسمى نهر أبى على أخبرنى الرفقاء أنه ينحدر من جبل الأقرع ويسير إلى البحر ، وضربنا فى سهل واسع خصب يمتد بين الساحل وجبال العلويين . ورأينا جبلة على يسارنا فى شرقيها جامع ظاهر . وهى مركز قضاء جبلة وحولها بساتين وسكانها زهاء ستة آلاف .

وجبلة ذكرى الخطوب العظيمة التى انتابت بلاد الشام بأيدى الروم ثم الصليبيين . وكانت حين الفتح الإسلامى حصنا للروم فلما جلوا عنه بنى معاوية حصناً آخر وبلدة ، وينسب إلى جبلة جماعة من العلماء .

وقاربنا الجبال فسايرناها زمناً بعيدين من الساحل ، ثم عاج بنا الطريق إلى البحر فمررنا ببلدة بانياس وقلعة المرقب ، وما زلنا فى طريقنا بين البحر والجبل نمر بقرى قليلة ونعبر جسوراً على مجارى مياه سائلة من الجبال إلى الساحل ، ونمر بأشجار من الزيتون فى الحين بعد الحين حتى بلغنا طرطوس والساعة إحدى عشرة

ونصف . فنزلنا إلى حديقة هناك صغيرة بجانب بناء كنيسة عتيقة سماها بعض الكتاب الأوربيين نوتردام دى طرطوس تشبيها لها بكنيسة نوتردام دى باريس . دخلنا البناء وهو معطل يحتاج إلى الترميم . وكان قد اتخذ مسجدا ووضع له منبر . ولا ريب أن أيدى المسلمين والصليبيين تداولته إبانَ الحروب الصليبية . وبعد زيارة هذا المسجد جلسنا إلى حوض فى الحديقة قليلاً ثم ركبنا بعد نصف ساعة من نزولنا .

ومررنا على مقربة من طرطوس بخرائب عمريت . وكانت من مدن الفينيقيين الكبيرة ، وبجزيرة أرواد المعروفة فى التاريخ .

ثم تركنا البحر وطريق الساحل المؤدى نحو طرابلس بين جبال لبنان والماء ، وعطفنا ذات الشمال ، فضربنا فى إقليم جبلى حتى لاح لنا عن يسارنا بعيداً حصن الأكراد منيفاً على الجبل ، يتميز عن القمم ببياضه وارتفاعه . وهو حصن كبير قديم ، شارك فى خطوب الحروب الصليبية زمناً طويلاً . ويقول ياقوت :

« هو حصن منيع حصين على الجبل الذى يقابل حمص من جهة الغرب » . وقال : « وملكه الفرنج وهو لا يزال فى أيديهم إلى هذه الغاية ، وبينه وبين حمص يوم . ولا يستطيع صاحبها انتزاعه من أيديهم . »

ثم سايرنا النهر الكبير الذى يسير حيناً مع حدود لبنان . وسألنا هناك كم بيننا وبين حمص ، فقيل : أربعون كيلا . وجاوزنا بعد قليل تلّ كلَخ ، وهى قرية صغيرة على سكة الحديد بين حمص وطرابلس .

والآن نطوى الطريق قراه ومزارعه لنستقبل جنات العاصى الناضرة تحيّى القادم إلى حمص وتبشره بدخولها .

ودخلنا حمص نضّرها الله والساعة اثنتان من المساء .

فبدأنا بزيارة الزعيم الكبير السيد هاشم الأتاسى ، رئيس الجمهورية قبلاً . وكانت رؤيته بلوغ أمل قديم . فنعمنا بالحديث معه فى داره على قدر ما وسع الوقت الضيق . ثم خرجنا إلى الروضة ، إحدى حدائق حمص العامة ، وكان فى ظلال الشجر أخذنا بأطراف الحديث ، ثم اجتماعنا على المائدة .

وتكلم هناك الأستاذ عارف النكدى ، وتلوته بكلمة . وكان لا بد لى أن أتكلم فى حمص إعراباً عما جاش فى نفسى من ذِكر الماضى والحاضر حين دخلتها ، ومما قلت :

« يملأ نفسى إعجاباً وروعة وفخاراً ، أن أقف على مقربة من أعظم تمثال للبطولة المجاهدة المخلصة المطيعة ، ضريح خالد بن الوليد رضى الله عنه ...

يا قومنا ، إن الفرصة قد سنحت ، والزمان ضنين بفُرَصه ، والفرص سريع مرورها ، فاحذروا أن تناموا والخطوب يقظى ، أو تبطئوا والزمان يسرع ، أو تقفوا والفلك يدور ، أو تهزلوا والزمان يجد . ألا إن تكاليف المجد شاقة ، ومطالبه صعبة ، وغاياته بعيدة ، ولكن فى ضمان العزائم المجتمعة ، وفى كفالة النفوس الأبية تذليل الشاق ، وتيسير الصعب ، وتقريب البعيد . فأجمعوا أمركم ، واجمعوا كلمتكم . وتقدموا إلى العمل بقلوب ملؤها الرجاء والأمل ، ورؤوس ملؤها الحكمة والروية ، وأيد ملؤها النشاط والقوة ... الخ الخ

وفصلنا من حمص والساعة أربع وثلث راجعين أدراجنا إلى دمشق الحبيبة .

وكان فى دمشق ختام عيد أبى العلاء يوم الأحد رابع عشر شوال من سنة أربع وستين وثلثمائة وألف (أول تشرين الأول سنة ١٩٤٤)

عبد الوهاب عزام

محمد بن عبد الملك الزيات

للأستاذ عبد اللطيف ثابت

(تتمة ما نشر فى العدد ٦١٢)

وكما يسرف محمد بن عبد الملك فى الظلم والقسوة ، فلا يكاد يقع تحت يده مأخوذ بجريرة حتى يعاقبه أشد العقاب ، وينتقم منه أقسى الانتقام ، ناسياً أن الله بالمرصاد لكل ظالم قاس ، وأن الزمن يومان يوم له ويوم عليه — يسرف كذلك فى انتقاد الشعراء والكتاب ، يدفعه إلى هذا غلوه فى اعتزازه بنفسه ، وثقته بعلمه وأدبه ، ناسياً أن له عيوباً ومثالب شأن كل إنسان ، فإذا لم يرفق بمن ينتقدهم فليس يرفق به منقدوه .

كتب عبد الله بن الحسن الأصبهانى وهو على ديوان الرسائل إلى خالد بن يزيد « ان المعتصم ينفخ منك فى غير فحم ، ويخاطب امرأ غير ذى فهم » فلما وقف عليه محمد بن عبد الملك قال : « هذا كلام ساقط سخيف ، جعل أمير المؤمنين ينفخ بالزق كأنه حداد » .

ثم كان أن كتب محمد بن عبد الملك إلى عبد الله بن طاهر يقول : « وأنت تجرى أمرك على الأربع فالأربع ، والأرجح فالأرجح ، لا تسمى بنقصان ، ولا تميل برجحان » . فقال عبد الله الأصبهانى : « الحمد لله قد أظهر من سخافة اللفظ ما دل على رجوعه إلى صناعته من التجارة بذكره ربح السامع ورجحان الميزان ونقصان الكيل والخسران من رأس المال » . فلم يلبث الأصفهانى أن انتصف منه ، وقد حقدها عليه ابن الزيات حتى نكبه .

وذكر يحيى بن خاقان فانتقصه ، وقال عنه : هو مهزول الألفاظ ، عليل المعانى ، سخيف العقل ، ضعيف العقدة ، واهى العزم ، مأفون الرأى . وهذا نقد ، ولكنه ليس على الصورة التى ينبغى أن يكون عليها النقد . وهو ناقد ولكنه فى الواقع لا ينقد ، وإنما يسخر سخرية من يرى الناس دونه ، ويتهكم تهكماً لاذعاً لا نرتاب فى أن باعثه الحقد على من يرى لهم فى سماء المجد الأدبى سطوعاً ، كما يحقد على من تعلو درجاتهم فى الحياة فيماثلونه فى دولته أو يقاربونه . ولم يكن على رغم سلطانه وقوته بنجوة من التهكم به كما يتهكم ، أو السخرية كما يسخر ، ولعل أشد من تهكموا به وسخروا منه فى جرأة المغيظ المحنق ابراهيم الصولى الذى يقول له :

أبا جعفر خف خفضة بعد رفعة ... وقصر قليلا عن مدى غلوائكا
لئن كان هذا اليوم يوماً حويته ... فإن رجائى فى غد كرجائكا

ويقول فيه :

قلت لها حين أكثرت عذلى ... ويحك أزرت بنا المروءات
قالت فأين السراة قلت لها ... لا تسألى عنهمو فقد ماتوا
قالت ولم ذاك قلت لها ... هــذا وزير الإمام زيات

ويقول له :

فإن تكن الدنيا أنالتــك ثروة
فأصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر
فقد كشف الإثراء منــك خلائقا
من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر

ويقول فيه :

من يشترى منى إخاء محمد ... أم من يريد إخاءه مجــانا
أم من يخلص من إخاء محمد ... وله منــاه كائنا ما كانا

ونظن أن محمد بن عبد الملك الذى يقول : « الرحمة خور فى الطبيعة وضعف فى المنة » ويقول : « ما رحمت شيئا قط » والذى يكثر أعداؤه وحساده ، حتى يضيق بهم ويضيقوا به ، وينال منهم وينالوا منه — تظن أن هذا الرجل لا يعرف قلبه الرفق ولا اللين ولا تحس نفسه شيئا من الأحاسيس التى تحمل على الرقة وتدفع إلى العطف ، وتلفت العقل إلى ما لا يهنأ العيش به ، ولا تجمل الحياة إلا بطلبه ، ولعلك تستبعد أن يكون منه ما يكون من ذوى القلوب الرقيقة فيواد أو يتعشق أو يتنادر ، فلا تنس أنه شاعر فهو فى الواقع يجمع بين جفاء الحاكم القاسى القلب ، ورقة الشاعر الذى يحس بما فى الحياة من لذة وألم ، وعرف ونكر .

اعتل الحسن بن وهب كاتبه ، فتأخر عنه أياماً كثيرة لا يأتيه رسوله ولا يتعرف خبره ، فكتب إليه الحسن :

أيهــذا الوزير أيدك الله ... وأبقــاك لى بقاء طويلا
أجميلا تراه يا أكرم النا ... س لكيما أراه أيضا جميلا
إننى قد أقمت عشرا عليلا ... ما ترى مرسلا إلى رسولا

إلى آخر أبيات رقيقة تضمنت عتبا رقيقا فأجابه محمد :

دفع الله عنك نائبة الدهـ ر وحاشاك أن تكون عليلا

أشهد الله ما علمت وما ذا ك من العذر جائزا مقبولا

إننى أرتجى وإن لم يكن ما كان مما نقمت إلا جليلا

أن أكون الذى إذا أضمر الإخـ لاص لم يلتمس عليه كفيلا

فاجعلن لى حظ التعلق بالقد ر سبيلا إن لم أجد لى سبيلا

فقديما ما جاد بالصفح والعفـ و وما سامح الخليل الخليلا

واستقى منه الحسن نبيذاً وهو مع المعتصم ببلاد الروم فسقاه وكتب إليه :

لم تلق مثلى صاحبا أندى يداً وأعم جودا

يسقى النديم بقفرة لم يسق فيها الماء عودا

صفراء صافية كأ ن بكأسها دراً نضيدا

وأجود حين أجود لا حصراً بذاك ولا بليدا

وإذا استقل بشكرها أوجبت بالشكر المزيدا

وكتب إليه راشد الكاتب وقد عاد من الحج

لاتنس عهدى ولا مودتيه واشتق إلى طلعتى ورؤتيه

فان تجاوزت ما أقول إلى العصب فذاك المأمول منك ليه

فأجابه محمد :

يا بأبى أنت ما نسيتك فى يوم دعائى ولا هديتيه

ناجيت بالذكر والدعاء لك اللـ ـه لك الله رافعاً يديه

حتى إذا ما ظننت بالملك الـ قادر أن قد أجاب دعوتيه

قت إلى موضع النعال وقد أقمت عشرين صاحبا معيه

وقلت لى صاحب أريد له نعلا ولو من جلود راحتيه

ثم تخيرت بعد ذاك من الـ عصب اليمانى بفضل خبرتيه

موشية لم أزل بائعها أرغب حتى زها على بيه

وعشق جارية من جوارى القيان ، فكان منه ما يكون من العشاق ذوى القلوب الرقيقة ثم بيعت الجارية لرجل من أهل خراسان وخرج بها ، فذهل عقل ابن الزيات حتى غشى عليه ، وفيها يقول :

ياطول ساعات ليل العاشق الدنف وطول رعيته للنجم فى السدف

ماذا توارى ثيابى من أخى حرق كأنما الجسم منه دقة الألف

ما قال يا أسفا يعقوب من كمد إلا لطول الذى لاقى من الأسف

من سره أن يرى ميت الهوى دنفاً فليستدل على الزيات وليقف

ويتمادى بدافع من التظرف فى التشبه بشعراء المجون من أبناء عصره فيظهر الوله بغلام رآه على فرس ، ويتغزل فيه على سنتهم ولا يأنف أن يذكر به ، بل هو يتمنى أن لو كان فارس ذا الفارس

وتؤثر عنه أمثلة من التنادر ، تصور ما طبعت عليه نفسه من رقة وظرف فى بديهة حاضرة وخاطر سريع وإن ظهر فى بعضها متهكما ساخراً ، وهو يقدر ما يجابه به أو يكتب إليه من ظريف التنادر فيطرب ويضحك ، ويوقع فى جو الطرب والضحك بما يريد المتنادر ، بل قد يقربه إليه ويصطنعه .

فمن ذلك أنه جلس يوما للمظالم ، فلما انتهى المجلس ، رأى رجلا جالساً فسأله ألك حاجة ؟ قال نعم ، أدننى إليك فإننى مظلوم وقد أعوزنى الإنصاف . قال ومن ظلمك ؟ قال أنت ، ولست أصل اليك فأذكر لك حاجتى . قال ومن يحجبك عنى ؟ قال يحجبنى عنك هيبتى لك ، وطول لسانك ، وفصاحة قولك ، واطراد حجتك . قال ففيم ظلمتك ؟ قال أخذ وكيلك ضيعتى الفلانية غصباً ، فإذا وجب عليها خراج أديته باسمى لئلا يثبت لك ملكها ، فوكيلك يأخذ الغلة وأنا أؤدى الخراج ، فهل سمعت بمثل هذا فى الظلم ؟ فقال محمد قولك هذا تحتاج عليه إلى بينة وشهود وأشياء ، فقال له الرجل أيؤمننى الوزير حتى أجيب ؟ قال نعم أنت آمن . قال البينة هم الشهود ، وإذا شهدوا فليس يحتاج معهم إلى شىء ، فما معنى قولك بينة وشهود وأشياء ؟ إيش هذه الأشياء إلا العى والتغطرش ! فضحك وقال صدقت ، والبلاء موكل بالمنطق ، وإنى لأرى فيك مصطنعا ، ثم وقع له برد ضيعته .

ومن ذلك أن أبا دهمان المغنى سرق منه منديلا ديبقيا ، وأخفاه تحت عمامته ، وبلغه فقال .

ونديم سارق خاتلنى وهو عندى غير مذموم الخلق

ضاعف الكور على هامته وطوى منديلنا طى الخرق

يا أبا دهمان لو جاملتنا لكفيناك مؤونات السرق

على هامش النقد

المدينتـــان

١ — دمشق : للأستاذ محمد كرد على
٢ — بغداد : للأستاذ طه الراوى

للأستاذ سيد قطب

أحببت أن أجمع بين هذين الكتابين فى مقال ؛ لأن جميع الأسباب توحى بهذا الجمع . فكلتا المدينتين حاضرة خلافة إسلامية فى القديم ودولة عربية فى الحديث . وكلتاهما كانت مقر نهضة ثقافية ومهبط حضارة إسلامية فى التاريخ ، كما أن كلتيهما اليوم تتطلعان إلى فجر جديد . ثم اتفق أن يكون الكتابان حلقتين فى سلسلة « اقرأ » وأن يكتبهما كاتبان عربيان متعاصران ، وأن يسلكا فيهما نهجا واحداً فى التأليف على وجه التقريب !

وقبل أن أحكم على هذا النهج ، أحب أن أطلع القارىء عليه كى يشترك معى فى الحكم الأخير :

من عنوانات الكتابين المتتالية يتضح هذا النهج بعض الوضوح . فهذا كتاب دمشق يبدأ هكذا ويسير :

« دمشق وطبيعتها » ثم « تاريخ دمشق السياسى : تاريخ دمشق القديم . دمشق قبل الفتح العربى . دمشق فى الإسلام . دمشق فى عهد العباسيين . دمشق فى عهد ملوك الطوائف . دمشق فى عهد السلجوقيين . دمشق على عهد الدولتين النورية والصلاحية . دمشق على عهد المماليك . دمشق فى عهد الدولة العثمانية . دمشق فى العهد الأخير » .

فإذا انتهى التاريخ السياسى على هذا النحو بدأ « التاريخ العمرانى » على النحو نفسه متتابعاً من التاريخ القديم إلى الحديث . حتى إذا انتهى من تاريخ عمارتها ابتدأ « وصف القدماء والمحدثين لدمشق » . فإذا انتهى هذا الوصف بالترتيب الزمنى تحدث عن « سكان دمشق وخصائصهم » . حتى إذا انتهى هذا الفصل تحدث عن « الحياة الأدبية والفنية والصناعية » فى تدرجها حتى العهد الأخير مع تقسيم هذه « الحياة » إلى أقسام كل منها له بدء

ومن ذلك أن آفة لحقت غلات أهل البت من جراد وعطش فكلمه جماعة منهم ، فوجه ببعض أصحابه ناظراً فى أمرهم ، وكان فى بصره ضعف ، فكتب إليه محمد بن على البتى .

أتيت أمراً يا أبا جعفر لم يأته بر ولا فاجر
أغثت أهل البت إذ أهلكوا بنــاظر ليس له ناظر

فبلغه فضحك ورد الناظر ووقع لهم بما سألوا بغير نظر . ولم يكن محمد بن عبد الملك مع هـذا مؤثرا موادة منافسيه ولا محسنا مصانعتهم ، اعتمادا على أنه أعظم معاصريه شأنا وأخبرهم بتدبير الأمر فلا يسهل على الخلفاء أن يجدوا عنه عوضا ، ولكن أعداءه وهم كثيرون وعلى رأسهم القاضى أحمد بن أبى دؤاد أخذوا يكيدون له ، ويوغرون عليه صدر الخليفـة الواثق هرون الذى كان عليه ساخطا فى أيام والده المعتصم ، حتى لقـد حلف يمينا مغلظة أنه ينكبه إذا صار الأمر إليه ثم يتولى الخلافة الواثق . فيستقبله ابن الزيات ببيتين هما من قوله فى رثاء المعتصم .

قد قلت إذ غيبوك وانصرفوا فى خير قبر لخير مدفون
لن يجبر الله أمة فقــدت مثلك إلا بمثـل هرون

ويأمر الواثق الكتاب أن يكتبوا مايتعلق بأمر البيعة ، فلا يأتى على ما فى نفس الواثق فى هذا الأمر إلا ابن الزيات فيرضى عنه ، ويقره على ما كان فى أيام المعتصم ، ويكفر عن يمينه . ثم يتولى المتوكل الخلافة متسخطا على ابن الزيات ،لأنه كان يتجهمه حين يدخل عليه فى أيام الواثق ، ويغلظ له القول يتقرب بذلك إلى قلب الواثق ، ولأنه أشار بتولية ولد الواثق دون المتوكل ، ويجد القاضى أحمد بن دؤاد فى إغرائه به ، فيجد لذلك عنده موقعاً . ويجيبه بعد أربعين يوماً من توليه الخلافة فيقبض عليه ، ويقيده بما زنته خمسة عشر رطلا من الحديد ، ويأمر بإدخاله فى التنور الذى كثر ما عذب فيه معاقبيه فى غير رحمة ، ثم يراجع المتوكل الرأى فيه ، ويرق له فيأمر بإخراجه ، ويبادرون إليه فيجدونه قدمات .

عبد اللطيف ثابت

ونهاية حسب التدرج التاريخى « فالعلم والأدب لهما فصل منفرد و « الفنون الجميلة » لها فصل كذلك ومثلها : «صناعات دمشق » و « تجارة دمشق » . ثم يفرد المؤلف فصلا عن « غوطة دمشق » لأن لهذه « الفرطة » شأنا خاصاً وفى هتافات الشعراء بنوع خاص .

أما كتاب بغداد فتسير عنواناته على النحو التالى :

« بغداد » ويشمل بحثا عن معنى الكلمة وتاريخها . « خبر بنائها . سبب الإختيار . البدء بالبناء » ثم « شذرات من سجايا البغداديين وشمائلهم » ثم « شذور من أقوال أهل الفضل فيها نظما ونثرا » . ثم « خلاصة التاريخ السياسى لبغداد » مقسما إلى ثلاثة أبواب لكل باب فصول تتمشى مع تمشى الزمن إلى اليوم . ثم تاريخ عمارة بغداد ويسميه المؤلف « الخطط والآثار » فإذا انتهى من تعدادها وبيان أما كنها تحدث عن « الحياة العقلية » مقسمة إلى « العلوم الشرعية » و « العلوم الكونية » و « العلوم اللسانية » مع فصل كل منها عن الأخرى وتتبع خطواته . ثم إذا انتهى تحدث عن « الشعر والشعراء » فى عجلة واختصار .

* * *

هو نهج واحد سار عليه المؤلفان ، الاختلاف فيه هو اختلاف الأداء، واختلاف المستوى . ولكنه ليس اختلاف النهج ولا اختلاف الطريق .

وهو نهج لا نوافق عليه فى الكتابة عن « المدن » فى هذا الزمان . وإن لم ننكر ما يفيد منه القارىء العجلان من بعض « المعلومات » .

أقول « المعلومات » وهى كل مايضطلع هذا النهج بتقديمه للقارىء . ولكنها معلومات مبعثرة بعثرة هذه العنوانات التى أسلفتها . مسوقة بطريقة بدائية فى التأليف إذا قبلناها من مثل صاحب « تاريخ بغداد » و « خطط المقريزى » و « تاريخ ابن الأثير » وسواهم فى الزمن القديم ، فلسنا نقبلها من مؤلف عربى فى القرن العشرين ؛ نتطلب منه أن يخطو خطوة وراء « المعلومات » المتناثرة . خطوة التنسيق الفنى . وخطوة « التشخيص » والإحياء .

أقول « التشخيص » وهو أفضل مناهج الكتابة عن « المدن » فى هذا الأوان ...

فالمدينة يجب أن يكتب عنها كما يكتب عن « الشخص » الحى ، والشخص الحى وحدة تنمو كاملة بمرور الأيام ، ولا تنمو أجزاء وتفاريق . لاينمو جسم « الشخص » الحى وحده ، وينمو عقله وحده ، وتنمو نفسه وحدها . وإذا تحدثنا عنه فلسنا نبدأ بنموه الجسمى فنتحدث عنه من مولده إلى وفاته . ثم نكر راجعين إلى عقله من البدء للنهاية . ثم نكر للمرة الثالثة إلى نفسه على التوالى . إنما نحن نتناول مراحل حياته فنسجل مظاهر النمو فى كل قواه التى لاتنفصل ولا تتجزأ ؛ والتى يموت الكائن الحى فيه إذا نحن فصلناها وجزأناها !

وتاريخ حياة « المدن » كتاريخ حياة « الأشخاص » لا ينفصل فيه النمو السياسى عن النمو العمرانى عن النمو العقلى عن النمو الفنى . إنما يسير هذا كله وحدة لاتتجزأ فى المرحلة الواحدة ، وتسير المراحل المتتالية متواصلة كالأمشاج ، متفاعلة كالعناصر المختلفة فى المزاج .

يجب أن تطالعنى « دمشق » أو تطالعنى « بغداد » بنية حية ؛ تبدأ صغيرة ، ثم تنمو وتنمو ، ثم تتعاقب عليها الأحداث فتترك آثارها فى هذه البنية الحية ، التى لاتنفصل ذراتها لأنها لاتزال على قيد الحياة .

يجب أن يجتهد المؤلف فى « إحياء » هذه المدينة ، حتى تبرز لى شخصية متماسكة حية تعاطفنى ؛ وأعاطفها ؛ وحتى أساير خطاها فى الزمان بقلب جياش يطلع منها على ضمير منفعل ، وحركة مثيرة ؛ أو على حسن خامد وغفوة هامدة ، أو على صراع مع الأحداث والأيام ، تواجهه بقلب الكائن الحى ، الذى يضطرب وينبض للأحداث والأيام .

فأين هذا كله من كتابى « دمشق » و « بغداد » ؟

* * *

تبقى الموازنة بين الكتابين فى دائرتهما المتواضعة ! وكثيرون من الناس يشفقون من الموازنة بين الأحياء ؛ وينصحون لى بالكف عن هذه الموازنات التى تثير الغيرة والخصومات !

وأنا لا أومن بهذه النصائح التى تنشأ من « تقاليد الصالونات » تلك التقاليد الناعمة الرقيقة ، التى لا يمكن أن تبرأ من الجبن والنفاق . فى الوقت الذى تبرأ من أعظم عناصر الحيوية ، الحسم والحماسة !

كتاب « دمشق » أوسع وأمتن من كتاب « بغداد » والتماسك بين مباحثه المتفرقة أدق وأعمق . ونَفَس المؤلف فيه أقوى وأطول . وقد عرف المؤلف حدود المجال الذى يضطرب فيه فلم يزج بنفسه فى مباحث « كبيرة » لم يتهيأ لها فى هذه الحدود .

مثال ذلك ما زجّ بنفسه فيه مؤلف كتاب « بغداد » من الحديث عن خصائص الشعر البغدادى . ذلك الموضوع الخطر الذى يحتاج الحديث عنه إلى فطرة موهوبة ، وإلى بحث كذلك عميق . فلم يزد فيه على الملخصات المدرسية المعروفة . من ذلك قوله :

« والناقد البصير مضطر إلى الاعتراف بما لشعراء بغداد النابتين فيها والطارئين عليها من الفضل على الشعر فى تنويع أغراضه ، وابتكار البارع من معانيه وأخيلته ، ونشر الآراء الحرة والمذاهب الجديدة ، والبراعة فى رسم الصور المبتكرة فى الأوصاف وغيرها . كأنه عليهم تقع تبعة إذاعة الزندقة والتشكيك فى العقائد ، والاسترسال وراء الأهواء . وهم أول من فتح باب الغزل فى المذكر ، أو — على الأقل — هم أول من وسع هذا الباب ، وأغرقوا فيه أيما إغراق . كما أنهم أول من وسع باب المجون وغالوا فيه غلواً تستنكره الطباع السليمة والنفوس المستقيمة ، ولم يكترثوا لما يتقيد به المؤمنون من كرائم الخلال ، ومحامد الخصال وأكثر المندفعين فى هذه المسالك من الموالى الذين لم يملأ الإيمان صدورهم ، ولا ارتاحت إلى الدين عقولهم من أمثال بشار بن برد وحماد عجرد وحسين بن الضحاك وأبى دلامة ... الخ »

ثم يجمل ماجد من الشعر ببغداد فى نقط كالنقط المدرسية فى مذكرات التلاميذ :

« أ — الركون إلى الأنيس من الألفاظ وهجر الغريب الحوشى .

٢ — الإكثار من الألفاظ الدخيلة ولاسيما الدالة على أنواع الخمور وضروب الأزهار وأصناف الأطعمة .

٣ — استعمال مصطلحات العلوم التى كثرت فى هذا العصر .

٤ — الاهتمام بالمحسنات البديعية اللفظية منها والمعنوية كالجناس والتورية ورد العجز على الصدر والطباق . وأكثر الشعراء ولعاً بهذه المحسنات مسلم بن الوليد وأبو تمام وعبد الله بن المعتز

٥ — الميل إلى سلامة التراكيب وانسجامها مع الاحتفاظ بجزالة الأسلوب وظهور المعنى » .

وعلى النسق نفسه يسرد ماجد فى « معانى الشعر وأخيلته » وماجد فى « أغراضه وفنونه » .

وأعتقد أن الكتابة على هذا النحو لا تصلح لغير التلاميذ .

***

وبعد ففى الكتابين كما قلت « معلومات » مفيدة فى اختصار ينفع المتزود العجلان . ولكن هذه المعلومات كان يمكن أن تستحيل لبنات متماسكة فى بناء الكتابين لو سار المؤلفان الفاضلان على منهج « التشخيص » والإحياء الذى أسلفنا بيان خصائصه .

وإذا كان للنقد وظيفة فليست وظيفته هى تغيير طبائع المؤلفين المخلوقة ، ولا زيادة طاقاتهم المحدودة ؛ ولكن وظيفته أن يوجه الأنظار إلى المنهاج الأقوم ليسلكه من يملك الطبيعة ، ومن يطيق السلوك فيه .

سيد قطب

١٣ــ القضايا الكبرى فى الإسلام

قتل مالك بن نويرة

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

كان مالك بن نُوَيْرَةَ التميمى اليربوعى شاعراً شريفاً ، معدوداً فى فرسان بنى يربوع فى الجاهلية وأشرافهم ، وبلغ من أمره أنه كان يُضرب به المثل فيقال : مَرْعًى ولا كالسَّعْدَانِ ، وماء ولا كَصَدَّاء ، وفتى ولا كمالك . وبلغ من شرفه أنه كان يردف الملوك ، وللردافة موضعان : أحدهما أن يردفه الملك على دابته فى صيد أو غيره من مواضع الأنس . والموضع الثانى أنبل ، وهو أن يخلف الملك إذا قام عن مجلس الحكم ، فينظر بين الناس بعده . ولكنه كان فيه خُيَلاء ، لما كان يرى من نبله وجماله .

وقد وفد على النبى صلى الله عليه وسلم فيمن وفد عليه من العرب ، فاستعمله على صدقات قومه بنى يربوع ، وقد مات صلى الله عليه وسلم وهو عامل على تلك الصدقات ، فلما بلغه موته اضطرب فيها فلم يحمد أمره ، وفرق ما فى يده من إبل الصدقة ، فكلمه الأقرع بن حابس والقعقاع بن معبد فقالا له : إن لهذا الأمر قائماً وطالباً ، فلا تعجل بتفرقة ما فى يدك . فقال :

أرانى الله بالنعم المندى . ببرقة رحرحان وقد أرانى

تُمَشِّى يا ابن عوذة فى تميم وصاحبك الأقيرع تَلْحَيَانِى

يعنى أم القعقاع ، وهى معاذة بنت ضرار بن عمرو .

وقال أيضاً :

وقلت خذوا أموالكم غير خائف

ولا ناظر فيما يجىء من الغد

فإن قام بالأمر المُخَوَّف قائم

منعنا وقلنا الدِّينُ دينُ محمد

يعنى أنهم لا يدينون إلا له ، فإذا مات لا يدينون بعده لانتفاء أمر النبوة .

فلما فعل مالك ذلك فى كثير من العرب الذين ارتدوا ومنعوا الزكاة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، أرسل أبو بكر إليهم خالد بن الوليد وغيره فى جيوش من المهاجرين والأنصار ، وكان فيما أوصاهم : إذا نزلتم فأذِّنوا وأقيموا ، فإن أذَّنَ القوم وأقاموا فكفوا عنهم ، وإن لم يفعلوا فلا شىء إلا الغارة ، ثم اقتلوا كل قتلة الحرق فما سواه ، فإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم ، فإن هم أقروا بالزكاة قبلتم منهم ، وإلا فلا شىء إلا الغارة ولا كلمة .

وقد قصد خالد بن الوليد مالكاً بعد أن فرغ من أسد وغطفان وغَنِىٍّ ، فلما علم مالك بقصده ندم وتحير فى أمره ، ففرق قومه فى أموالهم ونهاهم عن الاجتماع ، فلما وصل خالد إلى مكانهم لم يجد فيه أحداً ، فبعث السرايا وأمرهم برعاية وصية أبى بكر رضى الله عنه ، فجاءته الخيل بمالك بن نويرة فى نفر من بنى ثعلبة بن يربوع وغيرهم ، وقد اختلفت السرية فيهم ، وكان أبو قتادة رضى الله عنه فيمن شهد أنهم قد أذَّنوا وأقاموا وصلوا ، فلما اختلفوا فيهم أمر خالد بحبسهم ، وكانت ليلة باردة لا يقوم لها شىء ، وجعلت تزداد برداً ، فأمر خالد منادياً فنادى : أدفئوا أسراكم . وكان فى لغة كنانة إذا قالوا : أدفأنا الرجل وأدفئوه ، فذلك معنى اقتلوه ، وفى لغة غيرهم : أدفئوه من الدفء . فظن القوم أنه يريد القتل ، فقتلوهم على هذا الظن ، وكان ضرار بن الأزور هو الذى قتل مالكا ، فخرج خالد وقد فرغوا منهم ، فقال : إذا أراد الله أمراً أصابه . وقد وقع خلاف بين القوم فى قتلهم ، وقال أبو قتادة لخالد : هذا عملك . وقد عاهد الله ألاَّ يشهد حرباً بعدها أبداً .

وهناك رواية أخرى أراها أقرب من هذه الرواية ، وهى أن خالداً راجع مالكا فيما فعله ، فقال له مالك : إنى آتى بالصلاة دون الزكاة . فقال له خالد : أما علمت أن الصلاة والزكاة معاً ، لا تقبل واحدة دون أخرى . فقال مالك : قد كان صاحبك يقول ذلك . ففهم خالد أنه يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال له : وما تراه لك صاحباً ، والله لقد هممت أن أضرب عنقك . ثم تجاولا بالكلام طويلا ، فقال له خالد : إنى قاتلك . فقال له مالك : أوبذلك أمرك صاحبك ؟ فقال له خالد : وهذه بعد تلك ،

والله لأقتلنك . ثم قدمه فضرب عنقه وعنق أصحابه ، وقد اختلفوا أيضاً فى قتلهم على هذه الرواية ، ومن يؤاخذ خالداً يرى أن هذا ليس بصريح فى الكفر ، لأن مثل هذا يمكن أن يعد من جفوة الأعراب ، ويجوز أن يكون قد عنى بصاحبه أبا بكر

وكان لمالك امرأة فائقة فى الجمال ، تسمى أم تميم بنت المنهال ، فلما قتله خالد تزوج امرأته قبل أن يستبرئها ، ثم تركها حتى ينقضى طهرها ، فأكثر فى ذلك القالة على نفسه ، حتى اتهمه أناس بأنه إنما قتله لأجل أن يخلفه عليها .

فلما قتل مالك قصد أخوه متمم بن نويرة أبا بكر ينشده دم أخيه ، ويطلب إليه فى سبيهم ، وكان شاعراً جيد الشعر ، فلما وصل المدينة صلى مع أبى بكر الصبح ، ثم أنشد :

نعم القتيل إذا الرياح تناوحت تحت الإزار قتلتَ ياابن الأزْوَرِ
أدعوته بالله ثم قتلتــه لو هُو دعاك بذمة لم يغدر

فقال أبو بكر : والله ما دعوته ولا قتلته . فقال :

لا يضمر الفحشاء تحت ردائه حلو شمائلُهُ عفيف المِئْزَرِ
ولنعم حشو الدرع أنت وحاسراً ولنعم مأوى الطارق المُتَنَوِّر

ثم بكى حتى سالت عينه ، ثم انحط على سِيَةِ قوسه مغشياً عليه ، ولما أفاق طلب من أبى بكر دم أخيه ، وأخذ يدافع عن قضيته بالشعر والنثر أحسن دفاع ، ومضى يطرى أخاه ويذكر محاسنه ويرثيه حتى لفت أهل المدينة إليه ، وصار شعره حديث أنديتهم ومجالسهم ، ومن ذلك قصيدته المشهورة فى الرثاء ، وهى معدودة من عيون المراثى :

لَعَمْرِى وما دهرى بتــأبين مالكٍ
ولا جَــزِعٍ مما أصــاب فأوجعا
لقد كَفَّنَ المنهال تحت ردائه[1]
فتى غير مِبْطَان العَشيّات أرْوَعا

وقد صلى يوماً الصبح مع عمر بن الخطاب ، فلما انفتل من صلاته سأل عنه فقيل إنه متمم بن نويرة ، فاستنشده قوله فى أخيه ، فأنشده هذه القصيدة حتى بلغ إلى قوله :

وكنا كندمانى جذيمة حقبةً من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا
فلما تفرقنا كأنى ومالكا لطول اجتماع لم نَبِتْ ليلة معا

فقال عمر : هذا والله التأبين ، ولوددت أنى أحسن الشعر فأرثى أخى زيدا بمثل مارثيت به أخاك .

وكان عمر رضى الله عنه من الذين رأوا مؤاخذة خالد بقتل مالك وتزوجه امرأته قبل استبرائها ، فذهب إلى أبى بكر وقال له : إن فى سيف خالد رهقا ، وحق عليه أن يقيده . وأكثر عليه من ذلك .

فلما رأى أبو بكر ذلك كتب إلى خالد أن يقدم عليه ، فأقبل قوفلا حتى دخل المسجد وعليه قباء ، وعليه صدأ الحديد ، معتجراً بعمامة قد غرز فيها أسهما ، فلما أن دخل المسجد قام إليه عمر فانتزع السهم من رأسه فحطمها ، ثم قال : أقتلت امرءا مسلما ثم نزوت على امرأته ، والله لأرجمنك بأحجارك . فلم يكلمه خالد ، وظن أن رأى أبى بكر على رأى عمر فيه .

فلما دخل على أبى بكر سأله عما فعل ، فأخبره بما كان منه وذكر عذره فيه ، ثم شهد قوم من السَّرِيَّةِ أن مالكا وقومه أذنوا وأقاموا وصلوا ، وشهد آخرون أنه لم يكن من ذلك شىء فقتلوا .

فرأى أبو بكر أن خالداً لا يعدو أمره أنه تأول فأخطأ ، وأن الشهود مع هذا مختلفون فى شهادتهم ، والجناية فى الشرائع الحديثة يكفى مثل هذا فى سقوطها فى حال السلم ، فما ظنك بحال الحرب ، فلا يصح أن يؤخذ خالد بالقود مع هذا وهو ذلك البطل الذى أبلى فى حروب الردة أحسن البلاء ، حتى قضى على تلك الفتنة التى كادت تقضى على الإسلام فى مهده ، وتعيد بلاد العرب إلى ما كانت عليه من وثنية مظلمة ، وفوضى هادمة مخربة ، وما كان مالك إلا ممن أغواهم الشيطان فأوقدوا نار تلك الفتنة فى بلاد العرب ، فذهبت فيها نفوس كثيرة من المسلمين كانت دماؤهم أذكى من دم مالك ، وكانوا أكرم على الله منه ، وإذا صح أنه عاد إلى الإسلام فقد عاد إليه والسيف مصلت على

(١) المنهال : رجل من بنى يربوع ، مر على أشلاء مالك لما قتله خالد ، فأخذ ثوباً وكفنه فيه ودفنه .

كلمة لا بد منهـــا

للأستاذ على الطنطاوى

ولقد كنت أود أن أجد من نشرها بداً — غير أن ما تنشره صحف مصر ومجلاتها فى موضوع الأدب الشامى والتعريف بأهله لمن نعرف ومن ننكر من الكتاب أوجب نشرها — وأنا أعرف قولهم (العبرة بما قيل لا بمن قال) ولكن ذلك فى الحقائق التى يستقل العقل بتمحيصها ووزنها ، والحكم عليها بالصحة أو بالفساد ، أما الأخبار الممكنة التى تحتمل الصدق والكذب ، كقولنا : إن لفلان أسلوباً بارعاً ، وفلان بليغ ، وله كذا من الكتب ، لمن لم يسمع بفلان هذا ولم يقرأ له ، فلا يمكن الحكم عليها بالتصديق أو بالتكذيب ، وبالقبول أو بالرد ، إلا بعد معرفة حال راويها ومخبرها ، ومبلغه من الاطمئنان إلى خبره وحكمه ، فإن كان عدلاً ضابطاً ، والضبط فى الأدب هو التمرس به والذوق فيه وفهمه ، والعدالة ألا يميل به حب ولا بغض ، وأن يحكم على الرجل بأثره ، فلا تمنعه عداوته مجوداً من الثناء عليه ، ولا صداقته مسيئاً من نقده .. فإن كان كذلك قبل خبره وإلا ردَّه ، وأنا أقول آسفاً إن مجلات مصر لما فتحت صدرها لمن يعرف قراءها بالمجهول من أدب الشاميين ، جاءتها مقالات من أشخاص هم أكثرهم وكبير مطلبه أن يرى اسمه منشوراً فى هذه المجلات ، ومنهم من لم يكد يضع من قبل سواداً فى بياض ، فنشرت لهم كل الذى جاءها منهم وحكمتهم فى رقاب الأدباء ، وجعلتهم من أهل الترجيح فى الأدب ، فكتبوا أشياء لا يفهم منها الجاهل بأدبنا شيئاً ، ويضحك منها العارف به أو يشنعوا على صاحبها ، ومنها ما يخرج فى جملته وتفصيله عن أن يكون دعاية لمن كتبه ولأصحاب الكاتب وأصدقائه ، وحشراً لهم بين مشايخ الأدب والمقدمين فيه ، ثم كانت الطامة التى لا أقول إنها الكبرى لأنى لا أدرى ماذا يجيء من بعدها ، فنشرت مجلة محترمة مقالة فى ذنبها اسم لم نسمع به ، خلط فيها صاحبها وخبط ، وانتهى به الخلط والخبط أن نحل رياسة الأدب فى الشام رجلاً ليس منه فى العير ولا النفير ، وليس منه فى فرس ولا بعير . وأشهد لقد ضحكنا منها فى مجالسنا كأشد ضحك ضحكناه

رأسه ، فهو إسلام محوط بالشك ، لا يصح أن يؤخذ فيه إسلام لم يجد الشك إليه سبيلا ، ولم تزعزعه الفتن كما زعزعته .

فلما نظر أبو بكر إلى ذلك كله حكم بعذر خالد فيما فعل ، وتجاوز له عما كان فى تلك الحرب ، ولكنه عنفه على مبادرته بتزوج امرأة مالك قبل أن تمضى مدة استبرائها ، ثم قضى لمتمم ابن نويرة بدية أخيه من بيت المال ، وحكم له برد السبى .

فخرج خالد حين رضى عنه أبو بكر وعمر لا يزال جالسا بالمسجد ، فقال له خالد : هَلُمَّ إلىَّ يا ابن أم شملة . فعرف عمر أن أبا بكر قد رضى عنه فلم يكلمه ودخل بيته .

وقد أصر عمر على رأيه فى خالد حتى صارت إليه الخلافة ، فكان من أول ما بدأ به أن عزل خالداً من قيادة جيش الشام ، وولى مكانه أبا عبيدة بن الجرّاح ، ولا شك أن أبا بكر كان أدق نظراً فى هذا من عمر ، وقد قال لعمر لما ألح عليه أن يعزله ، وقال له إن فى سيفه لرهقا : لا يا عمر ، لم أكن لأَشِيمَ سيفاً سَلَّهُ الله على الكافرين .

فرحمك الله يا أبا بكر ، لقد عرفت أن مثل خالد من أبطال التاريخ إنما يحيا لأمته ، فلا يضيره أن يعزل من قيادة أو نحوها ، وإنما يضير ذلك أمته التى تحرم من حسن جهاده ، وتتعرض جيوشها للهلاك حين تفقد قائدها المدرب ، وبطلها الذى يقودها من نصر إلى نصر ، وما الأمة إلا بزعمائها ، وما الجيوش إلا بقادتها ، فلا يليق أبداً أن نغمط جهادهم بهنة من الهنات ، ولا يصح أن ننسى ماضيهم المجيد لزلة من الزلات ، فهم بشر مثلنا يصيبون ويخطئون ، فيجب أن يعذروا فى خطئهم ، لأنه لا يقع منهم عن عمد ، والعصمة لله وحده .

عبد المتعال الصعيدى

قط . ولكن القراء لم يضحكوا لأنهم لا يعرفون من الأمر إلا أنه (كفّ عدس ...) ، ولأنهم يثقون بأن هذه المجلات لا تقدم لهم إلا حقاً ، ولا تنشر إلا لأديب أريب .

***

وأنا لا أنكر منافع (التشجيع) ولقد كتبت فيه وأثنيت على أهله[1] ، ولكن هذا التشجيع إذا بلغ هذا المبلغ صار أذى لمن يشجع ، وضرراً على الأدب وأهله ، لأن من يشجع على الادعاء والغرور والعدوان يؤذى ولا يبقى فيه مصطلح ، ويصدق أنه صار زبيباً وإن كان فى ذاته حصرماً حامضاً يلذع اللسان ويجرح الحلق ، ويكون عند نفسه أستاذاً جليلاً ، وعلماً مشهوراً وهو عند الناس تلميذ صغير ... ولأن الأدب إذا كثر الأدعياء فيه والواغلون عليه ، وتصدر الجهلة مجالسه وامتهن العلماء الأبيناء هان الأدب وسقط . وهل فى الهوان أهون من أن يكتب (زيد) من الأدباء مائة مقالة ، يبذل فيها الغالى من عمره ومن قوته ، ومن دم قلبه وضياء عينيه ، بعد أن استعد لها بالدرس والتحصيل وسهر الليالى فى مدارسة كتب العلم ومطالعة أسفار الأدب ، وصرم فى ذلك الدهر الأطول فيأتى (عمرو) فيختصر الطريق ، ويقفز من فوق الجدران فلا يقرأ شيئاً ولا يكتبه ، ولكن يكتب مقالة يقول فيها عن نفسه : إن له مائة مقالة أو يسخر صديقاً له ليقول عنه إنه أحسن من (زيد) ذاك ، وأرسخ منه فى الأدب قدماً ، وأضخم منكباً ، وأعلى هامة ، ويصدق ذلك القراء ويستوى عندهم الرجلان . أو هو يسب العاملين بدلاً من أن يعمل ، وينقص أقدار الرجال ليزيد بما ينقص منهم ، ويعلو بما يظن أنه يحط من منازلهم ...

... خبرونى بالله ان كنتم تعلمون ، كيف يكون التدجيل إن لم يكن هذا تدجيلاً ؟ !

***

أما إننى لا أدعو إلى احتكار الأدب وما فى سوق الأدب احتكار ، ولكن أدعو المجلات المصرية المحترمة أن تتريث فى نشر ما يحمله إليها البريد من مقالات النقد والتقريظ والكلام فى الأدب وأهله حتى تعرف الكاتب ، ومبلغ الثقة بخبره وحكمه ، ومكانته فى بلده ، وألا تدع أسماء الكبار من أدباء الأقطار العربية مضغة فى فم كل محب للشهرة ، يشتهى أن يكون كاتباً ولم يعدّ للأمر عدته

وأنا لا ألوم الشباب أن يستمرئوا التدجيل ويستسهلوا طريقه ، ويستصعبوا الجد والدأب ودخول البيوت من أبوابها . فهذا هو شأن الشباب ، وكلنا كان كذلك أو كان قريباً منه ، ولكننا لم نجد مجلات تعيننا عليه ووجدوها ، وها أنذا قد دانيت الأربعين ، وأظن أنى كتبت من الصحائف المنشورة ما يزن أرطالاً ، وإنى والله ما أبعث اليوم بمقالة إلى مجلة إلا مستحيياً منها ألاّ تكون للنشر صالحة ، وخائف أن تصير لقىّ ، أفلا يحق لنا أن نعجب من صفاقة أقوام من هؤلاء الكاتبين وأن نعتب على هذه المجلات المحترمة ، إذ تضع الشيء فى غير موضعه فتجود فى غير مجاد ، وما لكل ناشيء اليوم لا يرضى بأقل من الرسالة والثقافة فلا ينشر فيها غُذْرمته ... فقد كنا نتمنى جريدة يومية تنشر لنا فما كنا نصل ، ونحن يومئذ أقلّ من أكثرهم اليوم جهلاً !

ولقد كنا سألنا مجلات مصر أن تنشر لأدبائنا وتعرّف بأدبنا وعتبنا عليها أنها لا تفعل ؛ ولكنا لم نرد إلا الأدباء حقاً[1] لا أن تنشر لكل من يسود صحيفة ويضعها فى ظرف ويبعث بها إلى المجلة ... ثم تحملُ ذلك علينا وتنسبه إلينا وتمثل به على أدبنا ، وتقبل حكم صاحبه علينا يرفع منا من يشاء ويخفض من يريد .

والسبيل لا سبيل سواها هى تكليف أحد أدبائنا المعروفين ممن لا يطعن على شخصه وإن خولف فى رأيه البحث فى أدب الشاميين بحثاً علمياً منظماً خالياً من أثر الحب والبغض ، مؤيداً بالدليل مستنداً إلى التحليل فينظم أدوار هذا الأدب وطبقات أهله من جهة السن ، ومن جهة الأسلوب والبلاغة ، إذ رب شاب هو أبلغ بلاغة ، وأصفى ديباجة ، وأعلى أدباً ، من شيخ يحمل أمجاد نصف قرن ، أى أنه يؤرخ أدبنا على نحو ما نؤرخ الأدب القديم الذى تقطعت بيننا وبين أهله أسباب الميل والنفار والحب والكراهية . أما هذا الطريق الذى سارت عليه مجلات مصر إلى الآن فحسبنا مالقينا من وعره ووحشته والتوائه .

القاهرة

علي الطنطاوي

(١) الرسالة العدد (١٠٦) — فى ١٥ تموز سنة ١٩٣٥

(١) ومن هؤلاء السيدة وداد السكاكيني : ونرجو أن تتم هذه الفصول التى بدأتها فى الرسالة ، والصديق الأستاذ صلاح الدين المنجد .

صوت من العالم الآخر

[مهداة لى روح أبى العلاء مؤلف رسالة الغفران]

للأستاذ نجيب محفوظ

— ١ —

مقدمة

[سودت هــذه الصحائف يد ميت . كتبها بعد أن فارق الحياة واطمأن إلى مضجعه الأخير . ويبدو هــذا — أول وهلة - غريبا لا يصدق ؛ ولـكنه يغدو لاغرابة فيــه إذا تذكرنا حكمة قدماء المصريين التى أملت عليهم أن يودعوا قبر الميت آثاره وما كان يحبه أو ينتفع به فى دنياه ، كي تتمتع روحه — إذا زارت القبروعاودت الجسد ليلة بعد أخرى — بما كانت تتمتع به في دنياها من مسرات الحياة . فان كان الميت كاتبا أو دعوا قبره — بطبيعة الحال — كتبه وأوراقه ، وربما تسلت روحه بالكتابة كما كانت تفعل فى الدنيا . وهــذا ما يبدو أنه كان الواقع فى الحال التي نحن بصددها .فقد اكتشفت في العهد الأخيرمقبرة لـكاتب اسمه توتى من كتاب الأسرة التاسعة عشرة ، عثربها على مخطوط من البردى تدل القرائن على أن صاحب المقبرة —أو روحه على الأصح – كتبه على أثر الدفن مباشرة . وهو يحــوى حقائق غريبة لا يدرى الحي عن أكثرها شيئا ولا تكن أن توضع موضع الاختبار والتجربة . وقد أثارت من الدهشة ما هز الافئدة جميعاً . ويقتصر عملى على ترجمة هذا المخطوط العجيب دون تعرض للتفسيرات التى أثيرت حوله ، ولا للجدل الذى اكتنف هذه التفسيرات . وللقارىء أن يرى فما جاء به رأيه ، بيد أنه ينبغى أن يذكر دائما أنها خطرات ميت . وإليك ترجمة هذ المخطوط] .

ترجمة المخطوط الهيرغليفى

يا إلهى ! ماذا يعوز هــذا القبر من طيبات الحياة الفانية ؟ ! إنه قطعة من صميم الحياة حافلة بما لذّ وطاب . لقد حليت جدرانه بصور الجوارى والخدم ، وفرش بأفخر الأثاث ، وأجمل الرياش . وبه ما أشاء من أدوات الزينة والعطور والحلى ؛ وفيه مخزن مفعم بالحبوب والبقول والفاكهة . وها هى ذى مكتبتى حملت إليه بمجلداتها الحكمية ، وما يحتاجه الكاتب من الأوراق والأقلام . هى الدنيا كما عهدتها . ولـكن هل ثمة طعم للدنيا فى حواسى الآن ؟! أبى حاجة إلى متعة من متعها ؟ ! جهد ضائع ذلك الذى بذله الذين هيأوا هذه المقبرة . بيد أنى لا أستطيع أن أنكر أمراً غريباً هو أنه ما فتئت نفسى تنازعنى إلى القلم . يا عجبا ! ما لهــذه الأوراق تنادينى بسحرها المحبوب ؟ ! ألا يزال بى موضع لم يمح منه الموت منازع الضعف والهوى ؟ أقضىَ علينا — معشر الكتاب — أن تشقى بضاعتنا فى الحياتين ؟ ! على أية حال لا يزال أمامى فترة انتظار أبدأ بعدها رحلتى الأبدية . فلأشغل هــذا الفراغ بالقلم . فلطالما دان القلم الفراغ بالجميل .

رباه ! ألا زلت أذكر ذاك اليوم الذى فصل بين الحياة والموت من عمرى ؟! بلى . فى ذلك اليوم غادرت قصر الأمير قبيل الغروب ، بعد عمل شاق ، تعنانى فيه الجهد ، حتى قال لى الأمير « توتى ... كف عن العمل . ولا تشق على نفسك » . وكانت الشمس قد مالت نحو الأفق الغربى فى سياحتها الأبدية إلى عالم الظلام ، ولآلىء من أشعتها المودعة تنتفض انتفاضة الاحتضار على صفحة النيل المعبود . فأخذت فى طريقى المعهود متسمتا شجرة الجميز فى طرف القرية الجنوبى حيث يقوم بيتى الجميل .

يا آمون المعبود . ما هذا الألم فى العظام والمفاصل ؟ ليس ما بى أثر من جهد العمل فلطالما واصلت العمل بلا انقطاع . ولطالما ثابرت وصبرت فغلبت الأعياء بالقوة والعزم . أما هذا الألم المضنى ، أما هذه الرعشة المزلزلة ، فطارئ جديد ، امتلأت منه رعباً . أيكون ذاك الخبيث الذى لا ينزل بجسم حتى يورده التهلكة ؟ انطويا طريق القرية بحسنك فما فى جوارحى قوة تقبس من جمالك . واغرب ياطير السماء فما فى صدر توتى المسكين حنان يناديك ، وأخذت فى الطريق قلقاً متأوها . وعند عتبة البيت طالعنى وجه زوجى رفيقــة شبابى وأم أبنائى . فهتفت بى « توتى أيها المسكين . مالك تنتفض . ما لعينيك مظلمتين ... ؟ ! » فقلت لها محزوناً مكتئباً « يا أختاه .. وقع المحظور ... وحل الخبيث بجسم زوجك . هيئى الفراش ودثرينى . ونادى الحكيم والأبناء والأحباب : قولى لهم إن توتى على فراشه يضرع إلى ربه . فاضرعوا معه . واسألوا له الشفاء ! » وحملتنى التى تهوانى على صدرها . وجاء الحكيم فجرعنى الدواء

وأشار بأصبعه إلى السماء وقال لي : « توتى ... أيها الـكاتب الكبير ! يا خادم الأمير الجليل ! أنت في حاجة لرحمة الرب . فادعه من أعماق قلبك » . ورقدت لا حول لي ولا قوة . يا آمون المعبود جلت حكمتك ! ألم أصحب سيدى الأمير إلى الشمال في جيوش فرعون ؟ ألم أشهد القتال في صحارى زاهى ؟ ألم أحضر قادش مع الغزاة البواسل ؟ بلى أيها الرب . ونجوت من الرماة والعجلات والمعارك . فكيف يتهددنى الموت في قريتى المحبوبة الآمنة بين أحضان زوجى وأمى وأبنائى ؟ ! وغرقت في أبخرة الحمى . واشتد الدوار برأسى ، وسال بلسانى الهذيان ، وشعرت بيد الموت ترتاد قلبى . ما أقبحك أيها الموت ! أراك تتقدم إلى هدفك بقدمين ثابتتين وقلب صخرى ، لا تتعب ولا تسأم ولا ترحم ، لا تهزك الدموع ، ولا تستعطفك الآمال . تدوس حبات القلوب ، وتتخطى الأمانى والأحلام . ثم لا تبدل سنتك ولو كان الفريسة في ربيع العمر الزاهر . توتى في السادسة والعشرين ذو بنين وبنات ، ألا تسمع ؟ ماذا يضيرك لو تركت أنفاسى تتردد في صدرى ؟ دعنى ريثما أشبع من هذه الحياة الجميلة المحبوبة . إنها لم تسؤنى قط ولم أزهد فيها أبداً . أحببتها من أعماق الفؤاد ولا أزال على العهد . كانت الصحة طيبة والمال موفورا والآمال كبارا . ألم تحط بكل أولئك خبراً ؟ ومن حولى قلوب محبة ونفوس والهة ، أفلا تنظر إلى الأعين الدامعة ؟ كأنى لم أعش ساعة واحدة في هذه الحياة الجميلة المحبوبة . ماذا رأيت من مشاهدها ؟ ماذا سمعت من أصواتها ؟ ماذا أدركت من معارفها ؟ ماذا ذقت من فنونها ؟ ماذا جربت من ألوانها ؟ أى فرص ستضيع غداً ؟ أى نشوات ستخمد ! أى عواطف ستهمد ! أى مسرات ستبيد ! ذكرت ذلك جميعه . ودارت بخلدى أشياء أخرى لا حصر لها ولا حد ، ما بين مفاتن الماضى وسحر الحاضر وأمانى المستقبل . وجرت أمام حواسى الورود والحقول والمياه والسحاب والمآكل والمشارب والألحان والأفكار والحب والأبناء وقصر الأمير وحفلات فرعون والرتب والنياشين والألقاب والفخر والجاه وتساءلت : أيمضى كل هذا إلى الفناء ؟ وانقبض صدرى أيما انقباض . وامتلأت حزناً وكمداً ، وهتفت كل جارحة لى « لا أريد أن أموت » . وتتابعت جحافل الليل . فغلب النوم الصغار . ولبثت زوجى عند رأسى وأمى عند قدمى ، وانتصف الليل ونحن على حالنا . ثم استدار وأوغل في الرحيل ، ثم بهتت ذوائبه بزرقة الفجر . هنالك داخلنى شعور غريب بالرهبة وتولانى إحساس بالخوف . وأطبق السكون وأنذر بشيء خطير . ثم شعرت بيد أمى تدلك قدمى وتقول بصوت متهدج « بنى ... بنى ! » وهتفت زوجى المحبوبة « توتى ... ماذا تجد ؟ » ولكنى لم أستطع جوابا . لاشك أن أمراً استثار جزعهما . ترى ماذا يكون ؟ هل لاح في وجهى النذير ؟ وتحولت عيناى على غير إرادة منى نحو مدخل الحجرة . كان الباب مغلقاً بيد أن الرسول دخل ، دخل دون حاجة إلى فتح الباب . فعرفته دون سابق معرفة فهو رسول الفناء دون سواه . واقترب منى في خطى غير مسموعة : كان مهيباً صامتاً مبتسما ذا جمال لا يقاوم سحره فلم تتحول عنه عيناى . ولم أعد أرى من شيء سواه . وأردت أن أضرع اليه ولكن لم يطاوعنى اللسان . وكأنى به قد أدرك نيتى الخفية . فازدادت ابتسامته اتساعا . فآنست منه رفقاً . ولم أعد أبالى شيئاً . انجابت عنى وساوس الليل وأحزانه وحسراته . وغفلت عن دموع من حولى . ووجدت نفسى في حال من الاستهانة والطمأنينة لم أعهدها من قبل . سلمت في محبة لا نهائية وتركت جسمى في المعركة وحيداً ! رأيت — دون مبالاة ألبتة — دمى يقاوم في عروق ، وقلبى يدق ما وسعه الجهد ، وعضلاتى تنقبض وتنبسط ، وأنفاسى تتردد من الأعماق ، وصدرى يعلو وينخفض . وشعرت بالأيدى الحنون تسند ظهرى وتحيط بى . رأيت ظاهرى وباطنى رؤية العين بغير مبالاة ولا اكتراث . وقد تحول الرسول عنى إلى جسمى وأخذ في مباشرة مهمته في ثقة وطمأنينة والابتسامة لا تفارق شفتيه الجميلتين . وشاهدت نسمة الحياة المقدسة تذعن لمشيئته فتفارق القدمين والساقين والفخذين والبطن والصدر ، والدم من ورائها يجمد والأعضاء تهمد والقلب يسكت ، حتى غادرت الفم المفغور في زفرة عميقة . سكن جسمى وصمت إلى الأبد . وذهب الرسول كما جاء دون أن يشعر به أحد . وغمرنى شعور عجيب بأنى فارقت الحياة . وأنى لم أعد من أهل الدنيا ...

للكلام بقية

نجيب محفوظ

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٦٥١ — والشيب يغمزها بألا تفعلى !

فى (كتاب الأذكياء) لابن الجوزى : قال العتبى : رأيت امرأة أعجبتنى صورتها فقلت لها : ألك بعل ؟ قالت : لا . قلت : أفترغبين فى التزويج ؟ قالت : نعم ، ولكن لى خصلة أظنك لا ترضاها . قلت : وما هى ؟ قالت : بياض برأسى . قال : فثنيت عنان فرسى ، وسرت قليلاً . فنادتنى أقسمت عليك لتقفن ، ثم أتت إلى موضع خال فكشفت عن شعر كأنه العناقيد السود . فقالت : والله ما بلغت العشرين ولكن عرّفتك أنا نكره منك ما نكره منا .

قال : فخجلت وسرت وأنا أقول :

فجعلت أطلب وصلها بتملق   والشيب يغمزها بألا تفعلى

***

فى (الأغانى) : قلت امرأة لبشار : أى رجل أنت لو كنت أسود اللحية والرأس ! قال بشار : أما علمت أن بيض البزاة أثمن من سود الغربان ؟ فقالت له : أما قولك فحسن فى السمع ، ومن لك بأن يحسن شيبك فى العين كما حسن قولك فى السمع ... ؟ فكان بشار يقول : ما أفحمنى قط غير هذه المرأة .

٦٥٢ — فانا لله وإنا إليه راجعون !

قال الجاحظ فى (الحيوان) : بينا داود بن المعتمر الصبيرى جالس معى إذ مرت به امرأة جميلة ، لها قوام وحسن وعينان عجيبتان ، وعليها ثياب بيض ، فنهض داود ، فلم أشك أنه تام ليتبعها ، فبعثت غلامى ليعرف ذلك . فلما رجع (داود) قلت له : قد علمت أنا قمت لتكلمها فليس ينفعك إلا الصدق ، ولا ينجيك منى الجحود ، وإنما غايتى أن أعرف كيف ابتدأت القول ، وأى شيء قلت لها ، وعلمت أنه سيأتى — بآبدة[1] — وكان مليا[2] بالأوابد — قال : ابتدأت القول بان قلت : لولا ما عليك من سيمياء الخير لم أتبعك . فضحكت حتى استندت إلى الحائط ، ثم قالت : إنما يمنع مثلك من اتباع مثلى والطمع فيه ما يُرى من سيمياء الخير ، فأما إذ قد صار سيمياء الخير هو الذى يطمع فى النساء ، فانا لله وإنا إليه راجعون ... !

٦٥٣ — لعن الله شر الثلاثة

اطلع مروان بن عبد الحكم على ضيعة له بالنوطة فأنكر منها شيئاً فقال لوكيله : ويحك إنى لأظنك تخوننى

قال : أتظن ذلك ولا تستيقنه ؟

قال : وتفعل ؟

قال : نعم (والله) إنى لأخونك ، وإنك لتخون أمير المؤمنين ، وإن أمير المؤمنين ليخون الله . فلعن الله شر الثلاثة .

٦٥٤ — أردت أن أقول بعد يوم

قال الحمدونى : بعث إلى أحمد بن حرب المهلبى فى غداة السماء فيها مغيمة ، فأتيته والمائدة موضوعة مغطاة وقد وافت عجاب المغنية فأكلنا جميعاً وجلسنا على شرابنا . فما راعنا إلا داق يدق الباب فأتاه الغلام فقال : بالباب فلان . فقال : هو فتى من آل المهلب ظريف نظيف . فقلت : ما نريد غير ما نحن فيه . فأذن له فجاء يتبختر وقدامى قدح شراب فكسره فاذا رجل آدم ضخم ، وتكلم فاذا هو أعيا الناس ، فجلس بينى وبين عجاب ، فدعوت بدواة وكتبت إلى أحمد بن حرب :

كدر الله عيش من كدر العيـ   ـش فقد كان صافياً مستطابا
جاءنا والسماء تهطل بالغيـ   ـث وقد طابق السماع الشرابا
كسر الكأس وهى كالكوكب الدرى   ضمت من المدام رضابا
قلت لما رميت منه بما أكره   والدهر ما أفاد أصابا
عجل الله نقمة لابن حرب   تدع الدار بعد شهر خرابا

ودفعت الرقعة له فقال : ألا نفست فقلت بعد حول ؟ فقلت : أردت أن أقول بعد يوم فخفت أن يصيبنى مضرة ذلك . وفطن الثقيل فنهض . فقال : آذيته ، فقلت : هو آذانى .

(١) من المجاز جاء بآبدة : بامر عظيم تنفر منه وتستوحش . والآبدة الكلمة أو الفعلة الغريبة والداهية يبقى ذكرها أبدا (التاج) .
(٢) هو ملىء بكذا : مضطلع به (الأساس) .

٦٥٥ — فما أخذت بترك الحج من ثمن

قال ابن جريج : ماظننتُ أن الله ينفع أحداً بشعر عمر بن أبى ربيعة حتى كنت باليمن فسمعت منشداً يُنشد قوله : بالله قولا له فى غير معتبة :

ما ذا أردت بطول المكث فى اليمن ؟

إن كنتَ حاولتَ دنيا أو ظفرتَ بها

فما أخذت بترك الحج من ثمن

فحركنى ذلك على ترك اليمن والخروج إلى مكة فخرجتُ فحجَجْت .

٦٥٦ — لا يتيه وزير فى وزارته

قال أبو العيناء : كان عيسى بن فرخان شاه يتيه على فى ولايته الوزارة . فلما صرف رهبنى . فلقينى فسلم على فأحفى . فقلت لغلامى: من هذا ؟ قال : أبو موسى . فدنوت منه وقلت . أعزك الله ، والله لقد كنت أقنع بإيمائك دون بيانك ، وبلحظك دون لفظك . فالحمد لله على ما آلت اليه حالك . فلئن كانت أخطأت فيك النعمة لقد أصابت فيك النقمة ، ولئن كانت الدنيا أبدت مقابحها بالاقبال عليك ، لقد أظهرت محاسنها بالانصراف عنك . ولله المنة إذ أغنانا عن الكذب عليك ، ونزهنا عن قول الزور فيك ؛ فقد والله أسأت حمل النعم ، وما شكرت حق النعم .

فقيل له : يا أبا عبد الله لقد بالغت فى السب ، فما كان الذنب ؟ فقال : سألته حاجة أقل من قيمته ، فردنى عنها بأقبح من خلقته

٦٥٧ — سارت مشرقة وسرت مغربا

ذكر بعض الأكابر أن بعض أهل الظاهر فى عصر الحافظ ابن حجر كتب على تائية ابن الفارض وأرسل إلى بعض العظماء من صوفية الوقت ليقرظه ، فأقام عنده مدة ثم كتب عليه عند إرساله إليه :

سارت مشرقة وسرت مغربا شتان بين مشرق ومغرب

فقيل له فى ذلك ، فقال : مولانا الشارح اعتنى بارجاع الضمائر والمبتدأ والخبر والجناس والاستعارة وما هنالك من اللغة والبديع ، ومراد الناظم وراء ذلك كله .

٦٥٨ — رقعة . . .

فى (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) : قال على بن عدلان النحوى الموصلى : حضرت بدمشق عند محمد بن نصر بن عُنين الشاعر وزير المعظم ، فجاءته رقعة طويلة عريضة خالية من معنى، فارغة من فائدة ؛ فألقاها إلى قائلا : هل رأيت قط أسقط من هذه مع طول وعرض ، فتناولتها فوجدتها كما قال ، وشرعت أخاطبه ، فأومأ إلى بالسكوت وهو مفكر ، ثم أنشدنى لنفسه :

وردت منك رقعة أسأمتنى وثنت صدرى الحمول ملولا
كنهار المصيف ثقلا وكربا وليالى الشتاء بردا وطولا

فاستحسن أهل المجلس هذه البديهة، وعجبوا من حسن المعنى .

٦٥٩ — كتاب أمير المؤمنين لا يكون ملحونا

فى (تاريخ بغداد) للخطيب :

كتب (المهدى) إلى عبيد الله بن الحسن العنبرى — وهو قاضى البصرة — كتابا فقرأه عبيد الله فرده ، فحمل عبيد الله إلى المهدى فعاتبه ، فكان فيما عاتبه به أن قال له : رددت كتابى ! فقال عبيد الله[1] : يا أمير المؤمنين ، إنى لم أردَّ كتابك ، ولكنه كان ملحوناً ، وكتاب أمير المؤمنين لا يكون ملحوناً . فصدق المهدى مقالته وأجازه ورده إلى عمله .

٦٦٠ — وألقيت عليك محبة منى

فى (رسالة الصداقة والصديق) لأبى حيان التوحيدى :

ابن سمعون الصوفى : ما يقف البشر على بعد غَوْر قوله تعالى : « وألقيتُ عَلَيْكَ محبةً منىّ ، ولِتُصنَعَ على عَيْنِى » فإنّ فى هاتين الكلمتين ما لا يُبلغ كُنْهه . ولو أنّ أرقّ الناس لسانا والطفَهم بياناً أراد أن يتوسَّطَ حقيقة هذا القول لم يستطعْ ، ونكصَ مبْهورا. ثمّ قال : اللهمّ ، حبِّبْ بعضنا إلى بعض ، واجمعْ شَمْلنا إلى رضاك عنّا مع إحسانك إلينا ؛ إنّك أهلُ ذلك والجوادُ به .

---

(١) من أقوال عبيد الله هذا : لأن أكون ذنباً فى الحق أحب إلى من أن أكون رأساً فى الباطل . ولله هذا القول .

هـــذا العالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

خلجات الأصابع تدل على تفكيرك

خلجات أصابع يدك تبين محتويات عقلك . فعند ما تجرى عملية ضرب ويدك مرفوعة فى الهواء ، فإن اهتزازات أصابعها تكون أقل من اهتزازاتها وأنت تستجم . ويزيد هذا الاهتزاز قبلما تنطق بالجواب بصوت مرتفع .

وقد ذكر هذه الحقيقة الدكتور جون فرنش فى نشرة الأبحاث السيكولوجية فقال : إن كية الاختلاج تزيد بسرعة على أثر صوت مرتفع ، أو عقب مؤثر يستدعى استجابة ، فإذا طلب إليك أن ترفع يدك فى الهواء وتقبض بيدك الأخرى على جهاز معين فان فترة خمود قصيرة تحدث قبل أن يصبح اهتزاز أصابعك كاملاً .

ويقصد الدكتور فرنش بكمية الاختلاج المسافة الكلية التى يهتزها طرف الأصبع بعامل الاختلاج فى ثانية واحدة ، وهذه الحركة تختلف باختلاف الظروف المحيطة بالانسان وهى فى اعتباره ظاهرة عضوية (فسيولوجية) توصل دراستها إلى معرفة اتجاهات العقل وتفكيره .

وتوصل الدكتور إلى هذه المعلومات بتجارب أجراها على خمسة أفراد وباستخدام جهاز خاص بذلك فكان يلبس الأصبع السبابة كستباناً متصلاً بعصا طويلة مرتفعة إلى أعلى وتنعكس العصا والأصبع على مرآة محدبة بحيث تتضخم اهتزازات العصا إلى عشرة أمثال الواقع . ثم صور هذه الانعكاسات لحصل على اختلاجات الأصبع مضاعفة عشر مرات .

معدن جديد يستغل

يعد معدن الليثيوم من أخف المعادن إذ يبلغ وزنه النوعى ٣٠ ٪ من وزن الألومينيوم . وهو معدن فضى اللون تفوق الكمية الموجودة منه فى كوكبنا الأرضى مثيلاتها من معادن الرصاص أو القصدير

وقد كان معروفاً من زمن بعيد ، ولكن الصناعة لم تستطع استغلاله إلا فى السنوات الأخيرة ؛ فإن الإخصائيين فى المعادن تمكنوا من تركيب عدة أخلاط معدنية منه بإضافته إلى المعادن الأخرى . وكانت هذه الأخلاط ثمينة من الناحية الصناعية حتى حرم تصديره

وأزيلت عنه أخيراً قيود التصدير وأبيح استخدامه فى الصناعات العامة مما ينبئ له بمستقبل كبير ؛ فإن خفة وزنه وشدة مقاومته أتاحتا الفرصة فى صناعة أدوات النقل وغيرها إلى توفير كميات الوقود أولا وزيادة السرعة ثانياً فضلا عن رخص الأسعار

لقاح ضد البرد

تدعى بعض شركات العقاقير الطبية أنها تمكنت من تحضير مصل يقى الإنسان الإصابة بالزكام وما يتبعه من أنواع البرد . وقد حذرت الجمعية الأميركية الناس من تصديق مثل هذه الأقوال كما طلبت إلى الأطباء اعتبار جميع هذه الأمصال فى مرحلة التجارب

وبنت الجمعية بيانها على دراسات قام بها لفيف من الأطباء . وتضمنت هذه الدراسات عدداً كبيراً من أنواع اللقاح مما يتناوله الأفراد عن طريق الفم أو الحقن أو الرش داخل تجاويف الأنف ، وكانت نتيجة هذه الدراسات أن أنواع اللقاح كانت سلبية النتيجة ، إما لأنها استخدمت مع أفراد قلائل وإما لأنها استخدمت لمدة قصيرة

وقالت الجمعية فى تقريرها إنه يجب على الأطباء ألا يشجعوا استخدام هذه العقاقير . فإن أراد الأطباء اختبارها فيجب أن تخضع لقيود خاصة تكشف عن فوائدها أو مضارها حتى لا يتكرر وصفها أو تحضيرها

ويلجأ بعض الأطباء إلى أخذ مواد اللقاح من المريض نفسه ، وقد يكون هذا أكثر نفعاً للمرضى أو المعرضين للاصابة بالبرد ولكن الثابت أن أمراض البرد ما زالت تحتفظ بغموضها .

بقايا الدم لقاح

تجمع بعض الهيئات الأميركية الطبية كميات الدم من المتطوعين لتقدمه إلى الجرحى من الجنود لتعوض به ما يفقدون من

دماء حتى يستميدوا صحتهم ، ولكن هذه الميئات لا تستخدم كل مواد الدم بل تنقص بعضه لانقاذ الجنود ، وتستغنى عن المواد الأخرى

وأدت الأبحاث التى أجريت أخيراً إلى أن هذه البقايا الدموية جليلة النفع فهى تستخدم كمادة لقاح ضد كثير من الأمراض ومنها مرض الحصبة كما قال لفيف من أطباء مصلحة الصحة هناك فى بيان نشروه أخيراً فى مجلة الجمعية الطبية الأمريكية

ويؤخذ من هذا البيان أن التجارب أجريت على ٨١٤ طفلا أعمارهم بين ستة شهور وست سنوات لقحوا بمستحضرات هذه البقايا وعرضوا للعدوى بوضعهم مع أطفال آخرين مصابين بها

وكانت النتيجة أن نجا من العدوى ٦٥٤ طفلا وأصيب ١٦٠ بحصبة خفيفة و ١٣ طفلا أصيبوا بالعدوى العادية . وبدون هذا اللقاح كان من المؤكد إصابة ٨٠ فى المائة منهم بالإصابات العادية

بكتريا لصنع الفيتامينات من الانسان

يتاح للانسان أن يحصل على أنواع من الفيتامينات التى يحتاج اليها فى غذائه اليومى من نفس جسمه كما قال البروفيسور الفيجم الأستاذ بجامعة وسكونسين

ففى الجسم مصانع للفيتامين . وتدير هذه المصانع أنواع من البكتريا التى تسكن الأمعاء . وقد عرف العلماء هذه الحقيقة منذ جيل من الزمن حينما رجحوا وجود علاقة بين البكتريا التى تسكن الأمعاء وبين طول حياة الانسان

وتبين الأبحاث الأخيرة تقدماً ملموساً فى دراسة هذه الأنواع من البكتريا وافرازاتها مما يرجى معه إطالة الحياة البشرية وتحسن الصحة العامة

وآخر هذه الأبحاث يدل على أن أنواع البكتريا المنتجة لأنواع الفيتامينات تختلف باختلاف الأحياء . فهى فى الكلاب أو القطط تخالف مثيلتها فى الدجاج أو القردة أو الانسان . وتختلف فى كل من هذه الأنواع باختلاف ألوان الطعام التى يتناولها ، فبكتريا الحيوانات من أكلة اللحوم تخالف مثيلتها عند أكلة النباتات . ويدخل فى هذا النطاق نصيب كل منها من الفيتامينات فى طعامها .

لافتات للطيارين

وضعت مصلحة الطيران المدنى فى أميركا نظاما لارشاد الطيارين الى مواقعهم . وذلك بانشاء ١٠٠ر٠٠٠ لافتة (يافطة) فى أميركا . وتقرر أن يكون سمك الحروف التى تكتب بها اللافتات من ٩ . إلى ٢٠ قدما حتى يراها الطيارون من ارتفاعاتهم الشاهقة . وهى تكتب على الحوائط أو السطوح المرتفعة حتى يسهل على الطيارين رؤيتها كما أنها ستكتب بمواد مشعة تضيء بالليل .

ويذكر فى هذه اللافتات خط طول المكان وعرضه واسم المدينة كما يرسم سهم يبين الاتجاه الشمالى إلى غير ذلك من المعلومات التى يحتاج اليها الطيار أثناء رحلته وترشده هذه اللافتات أيضاً إلى أقرب مطار يستطيع الهبوط فيه .

فوزى الشتوى

حيرة . . . !

للأستاذ عبد الرحمن صدقي

أأهرب من ذكراكِ، أم لستُ أهربُ؟ ... وهل مِن وفاءٍ أن يُجنّ المعذَّبُ؟

أأترك هذا البيت قد كان عشنا ... وكُنّا به الإلفين والأرض مُعشِب؟

تناغيني بالحب والكتب وحدنا ... ويا حبذا مغناك مغنًى ومكتب

أأتركه تركَ الطريد، كآدمٍ؟ ... ويا ليت أنى ذلك الزوج والأب

طريدٌ ولا حوّاءُ تُبدلُ جنتي ... بأخرى، فحوّائي قضتْ قبل تُنجب

أو ابقى أوفّي ذكرياتك حقَّها ... أُحيّي الصبا والعلمَ فيك وأندب؟

هنا عالم الأنثى، ثيابٌ وزينةٌ ... يُكظُّ بها تختٌ ويزدان مِشجب

أرى المعطفَ الشاتي تريكاً، وطالما ... أفاض عليه الحسنَ عِطفٌ ومِنكب

ويا ربَّ، هذا الثوبُ حُلّةُ سهرةٍ ... وكان عليه العزمُ لولا المغيَّب

والمح مرآةَ الجميلة عندها ... تفانينُ حَلْيٍ: بهْرجٌ ومُذهَّب

وثَمّ قواريرٌ تضوّع عَرْفُها ... قوارير كانت لي بها تتطيَّب

هنا الطيبُ والأبراد والحَلْيُ كلُّهُ ... فأين التي كانت بهـا تتحبب

إلى أين أمضي عنكَ، يا طيف زوجتي ... أليس إلى السلوى مجازٌ ومهرب!!

وأمضي أسرّي من خبالي، وإنني ... لأُشفق من هذا الخبال وأعجب

إلى شُرفتي هذي — ويا حسنَ شرفتي ... على النيل تبرأ نحبها يتسبسب

كأنْ قد خلَتْ من مجلسٍ ضمَّ شملنا، ... وما إن خلا منكِ المكانُ المحبَّب

أأنسى التناجي في الأصائل عندها ... وبالأُفْق الغربيّ نارٌ تلهَّب

نتابع ماء النهر ينساب حالماً ... ونحن مع الأحلام نطفو ونرسب

مناظر قد كانت، فباخ ضياؤها ... وغام عليها دمعيَ المتصبِّب

فلا حسنَ، كلُّ الحسن كان بمهجتي، ... وقد كان منك الفيضُ، فالآن ينضب

إلى أين أمضي عنكِ — رُحماكِ — زوجتي ... أمنـكِ إلى ذكراكِ أمضي وأذهب

وأفزع للأسفار في جوف مكتبي ... تجاورَ فيها أعجميٌّ ومُعْرِب

إليَّ جميعاً — بالتعازيم والرُّقى! ... فبي طعنةٌ مسمومة لا تُطبَّب

أفيكنَّ من جرح الحياة مُخدِّرٌ ... أفيكن أفيون، أفيكن قِنَّب؟

فما حاجتي علمٌ وشعرٌ وحكمةٌ، ... وكيف، ويومي مستطار عصبصب

وكيف، وهذا الشعر كان نشيدَنا ... وذي صفحةٌ للفن كُنّا نقلِّب

وهذي تواريخ، وتلك مشاهدٌ ... مررنا بها سيّان شرقٌ ومغرب

وتمتد كفّي نحو سِفْر أريده ... فترجع كالملدوغ مسَّته عقرب

فهذا كتابي، ربِّ! هذا كتابها ... قرأناه نستقصي معاً ونُنقِّب

مجاميع أبحاثٍ، متون تفلسفٍ ... بهن حواشٍ، وهي ذاك المعقِّب

أيا زوجتي، قد كنت حافظ مكتبي، ... وقارئَه قبلي، ونِعْمَ المرتِّب

لمن أستجدّ الكتب في كل مطلب ... وقد كنتِ لا يعدو اهتمامَكِ مطلب

فكم من علومٍ كنتِ من نَهَم الحجى ... جُهَينَتها، تَرْوِين منها وأنهب

تفوّقتِ تحصيلاً وحسنَ إفادةٍ ... ولم تكتبي يوماً وقد كنتُ أكتب

وكنتِ ترجّين الحياةَ لتقرئي ... إلى جانبي، والصِّنو للصنو يطرب

وحيدان نستوحي الدفاترَ علمَها ... صموتان لا نلغو ولا نتغضّب

خلونا — وفي هذا التفرُّد أُنسُنا ... وفي صمتنا نجوى الهوى والتحبب

ويا زوجتي، كنتِ المدبّر عيشتي ... فعيشيَ أهنا العيش طرًّا وأطيب

حرصتِ على مالي، وصُنْتِ مغيَّبي ... وأخلصتِ لي في الحبِّ والحبُّ قُلَّب

تقومين في شأني — وثمة خادمي، ... وحسبَ من الزوج العروب التعرُّب

ومالي في الأهلين بعدك عائش ... ولو قام منهم في ركابي موكب

أصداء ...

للأستاذ أنور العطار

ما كان أفدح أحزاني وأعظمها
لو كنت أحمل من ماضيّ أحزانا
خلّفتها صارخات من كآبتها
وعدت أضحك خلق الله أجفانا
يا بؤس قلبي لو عاشت بساحته
لماد من عبثها وانهدّ أركانا
وأنت يا بهجتي عودي ويا فرحي
أملأ فؤادي ترنيماً وسلوانا
وطف بروحي في الآفاق حالية والنجم مقتلها والبدر وسنانا
وهات من نغم الأملاك قافية وهات من فلك الأفلاك ألحانا
لعلني من أعاليلي وأخيلتي أبيت في رغد الأحلام نشوانا
خذ الفؤاد صديئاً من كآبته
وهات قلباً من الآمال ريّانا
جم الولوع كثير الشوق لاهيه
يطوي الليالي مفتوناً وهيمانا
إذا ألمّت به الأوجاع هدهدها
حتى تزايله برءاً ونسيانا
أطوف بالغابر النائي فيرمضني
أني ملأت رباع الأمس أشجانا
وأن طويت على غمّ صحائفه
وأن مررت بحلو العمر أسوانا
وأن شقيت وكان السعد يكلؤني
وأن ضجرت وقد ذقت المرّ ألوانا
فليت أحلامه دامت مناعمها
وليت طول التشكي منه ما كانا
كأن أصداءه قد خامرت كبدي
ففجّرتني أشواقاً وتحنانا

***

يا فرحة العمر عودي غير آيسة وأطمعيني في لقياك أحيانا
لعل قلبي وقد هاج الحنين به يعيش في غمرة التذكار سكرانا
كأن أعرافه قد ضمخت خلدي وأوسعتني أطياباً وريحانا

معاد الربيع !

[قطعة من ديوان «أصداء بعيدة» الذي تقدمه جماعة الفكر بعد أيام ...]

للأستاذ العوضي الوكيل

عدت يا صاحبي الربيع، وعدنا
فامض في الكون كيف شئت! وشئنا...
قد روينا عنك القصائد زهراً
فاروِ هذي القصائد الزهر عنا!
ورسمنا ما راقنا من مرائيـ ـك، وهل فيك منظر لم يرقنا!؟
قد عمرت الحياة ركناً فركناً
وغمرت القصيد وزناً فوزنا!
لك مسرى أخفى من الروح في الجسـ
ـم تهادى في خاطري واطمأنا!
قد سلكت الحياة في سبب منـ
ـك فزدت الحياة سحراً وفنا!
أنت في الغصن حينما يتثنى أنت في الطير حينما يتغنى!
ربّ لحن سرى إلى النفس روضاً
ورياض سرين في النفس لحناً!
ضمّ عودُ الربيع بلبلة الأيك
وإن طرّا فانسقن في النفس كوناً...

وتلتاع نفسي إن تعهّد ملبسي سواك ووفّاني الذي أتطلّب
أأشعر أني عن تعهد زوجتي غنيت، لقد آثرت أني الترّب
وما بي من سخف وما بي جِنّة
ولكنه الحب الشديد المؤرّب
خيالك يا زوجي كظلّي إن أسر، وإن أبق تمثال أمامي منصّب
خيالك لا أقوى عليه، فإنه
– وقد صار جزءا من حياتي – مغلّب
إلى أين أمضي عنك – لا أين – زوجتي
وما لي غير الموت بعدك مذهب



أريحية كريمة

تأثر كريم عظيم لم يرد أن نذكر اسمه ، حين قرأ وصية الرصافى المنشورة فى العدد الماضى من (الرسالة) فتبرع بجنيهين مصريين لخادمه عبد ، وقد أرسلناهما بالبريد المسجل إلى صديقنا الأستاذ طه الراوى ببغداد ليؤديهما إلى هذا الخادم المسكين .

جواب عن تساؤل واستفهام :

قرأت فى العدد ٦١٠ من الرسالة الغراء فى البريد الأدبى (ص ٢،١٤) كلمة للسيد أحمد حمد آل صالح تحت عنوان « تساؤل واستفهام » ، فأكبرت له إحفاءه فى التساؤل ، ودقة ملاحظاته فى النواحى التاريخية ، وأحببت أن أجيبه إلى بعض ماسأل عنه :

١ — من أنعم النظر فى معجم الأدباء الذى قام بطبعه المستشرق مارجليوث طبعتين ، ثم حذت حذوه دار المأمون فى طبعتها المشكولة — علم أن كل هذه الطبعات كانت عن نسخة واحدة لا ثانية لها ، وإذا كانت هناك نسخ أخرى فانما هى ناقصة مخرومة . ومن هنا يجد المتصفح للكتاب المذكور أن بعض الأعلام لم يرد منها فى الكتاب إلا النزر اليسير ، فإن المسمين — من الأدباء — بعمرو كثيرو العدد جداً ، مع أنه لم يرد منهم فى هذا المعجم إلا أربعة ، وكذلك المسمون بعبد الله لم يرد منهم إلا عشرة ، والمسمون بعمر لم يرد منهم إلا بضعة عشر ، مما يدل بوضوح على أن قسماً كبيراً من هذا الكتاب لا يزال فى طيات الخفاء . يعرف ذلك كل من تصفح هذا الكتاب من أهل المعرفة بكتب الطبقات ومعاجم الأعلام .

٢ — هذا من جهة ومن الجهة الأخرى فإن لياقوت معجمين اثنين واحداً منهما للشعراء والآخر للأدباء . والظاهر أن الأمر قد اختلط على بعض الوراقين فنقلوا من معجم الشعراء ترجمات وضموها إلى معجم الأدباء مثل ترجمة الفرزدق وصريع الغوانى وأبى دلامة ومن اليهم .

٣ — على أننا نرى أن نترك كلمة الفصل فى الجواب لياقوت نفسه إذ قال فى مقدمة كتابه هذا ما نصه : « وجمعت فى هذا الكتاب ما وقع إلىَّ من أخبار النحويين ، واللغويين ، والنسابين ، والقراء المشهورين ، والإخباريين ، والمؤرخين ، والوراقين المعروفين ، والكتاب المشهورين ، وأصحاب الرسائل المدونة ، وأرباب الخطوط المنسوبة والمعيَّنة ، وكلّ من صنَّف فى الأدب تصنيفاً ، أو جمع فى فنه تأليفاً ، مع إيثار الاختصار والإعجاز ، فى نهاية الايجاز » .

ثم قال : « وكنت قد شرعت عند شروعى فى هذا الكتاب أو قبله فى جمع كتاب فى أخبار الشعراء المتأخرين والقدماء ، ونسجتها على هذا المنوال ، وسبكتها على هذا المثال فى الترتيب ، والوضع والتبويب ، فرأيت أكثر أهل العلم المتأدبين ، والكبراء المتصدرين ، لا تخلو قرائحهم من نظم شعر ، وسبك نثر ، فأودعت ذلك الكتاب كل من غلب عليه الشعر ، فدوَّن ديوانه ، وشاع بذلك ذكره وشانُه ، ولم يشتهر برواية الكتب وتأليفها ، والآداب وتصنيفها ، وأما من عرف بالتصنيف ، واشتهر بالتأليف ، وصحت روايته ، وشاعت درايته ، وقل شعره ، وكثر نثره ، فهذا الكتاب عشه ووكرُه ... وأجتزئ به عن التكرار هناك ، إلا النفر اليسير الذى دعت الضرورة اليهم ، ودلتنا عنايتهم بالصناعتين عليهم ، ففى هذين الكتابين أكثر أخبار الأدباء ، من العلماء والشعراء ، وقصدت بترك التكرار ، خفةَ محمله فى الأسفار ... »

ومن هذا يعلم القارئ الكريم السبب فى إغفال ياقوت فى معجمه هذا ذكر حسان بن ثابت والحطيئة والأخطل ... الخ لأنه ذكرهم فى معجمه الثانى . وأن من جاء ذكره من الشعراء فى هذا المعجم ممن لم يشتهر بالتأليف مثل الفرزدق ، فانما هو من عمل الوراقين ليس غير .

ونحن لا نشك فى أنه إذا تيسر العثور على معجم الشعراء يتبين التمايز بين هذين المعجمين .

٤ — أما الأئمة العظام الذين لم يشتهروا بقول الشعر أو النثر الفنى كالإمام أبى حنيفة والامام أحمد فلا معنى لإثباتهم فى هذا المعجم . أما الإمام الشافعى ، فله شعر معروف ، ونثر موصوف ، لا يزالان خالدين إلى يوم الناس هذا . والمعروف أن الإمام الشافعى

طلب الأدب قبل أن يطلب الفقه . وقد روى الرواة أن عبد الملك ابن قُريب الأصمعى قال : قرأت شعر الهزليين على فتى من قريش يقال له محمد بن إدريس (يعنى الشافعى) .

ملحوظة : ذكر الكاتب الفاضل اسم البحترى بين الشعراء الذين أغفلهم ياقوت فى معجمه هذا . مع أن ترجمته وردت مبسوطة فى الجزء التاسع عشر من (ص ٢٤٨ إلى ص ٢٥٨) ويظهر لنا أن السبب فى ذكره بين الأدباء يرجع إلى كونه معدوداً فى زمرة المؤلفين ، فإن له ديوان الحماسة الذى عارض به حماسة أبى تمام ، وقد طبع بمصر فى المطبعة الرحمانية سنة ١٩٢٩ فاستحق بهذا أن يُعد بين الأدباء ، كما هو معدود فى الطليعة من فحول الشعراء .

[بغداد — كلية الحقوق] **هاشم الراوى**

فى الأدب الحديث

أعتقد أن الذين قرأوا شعر الدكتور إبراهيم ناجى يلذّ لهم كثيراً أن يتعرفوا رأيه فى الأدب الحديث ، واتجاهه فى الشعر الحديث ، فلا عجب إذا ما احتفت كلية الآداب ، بجامعة فاروق الأول بالدكتور ناجى محاضراً فى الأدب الحديث .

وقد تجلى احتفاء كلية الآداب السكندرية بالدكتور ناجى فى كلمة موجزة شاء الأستاذ العميد عبد الحميد العبادى أن يقدمه إلى الحاضرين بها ، فتحدث فى إيجاز عن العلم والأدب ، وشرح فى دقةٍ وعمقٍ كيف تعزز بالعلم مادةُ الأدب ، وكيف ينبغى أن يكون الشعر بعد أن مازجت الثقافة الحديثة بينه وبين العلم ، ثم حدثنا الأستاذ العبادى عن أوجه الشبه بين العالم الأديب — الجاحظ — وبين الطبيب الشاعر — ناجى — وبين الفيلسوف المجرّب ، فرنسيس بيكون ، ذلك الرجل الذى نُحِلَ مسرحيات شيكسبير لما كان من شهرته فى الأدب ، تلك الشهرة التى طغت عليها شهرته كعالم وفيلسوف مجرب

وبعد أن غادر الأستاذ العبادى منصّة الخطابة وقف الدكتور ناجى وابتدأ حديثه عن الأدب ، منكراً على الكثيرين من المشتغلين بالأدب فهمهم لمصطلحات الكلاسيكية ، والرومانتيكية ، والرمزية ، سارداً بعض كلمات الرمزيين من الأدباء ، وهى كلمات لامدلول لها ، وكنا نحب أن يذكر لنا الدكتور ناجى أسماء أولئك الأدباء حتى نكون على بينة من الأمر أولا ، وحتى نستطيع دراسة هؤلاء الرمزيين بأنفسنا على ضوء من دراساته التى عرض لنا لوناً منها

ومهما يكن من شىء ، فقد ضرب لنا الدكتور ناجى مثلاً أوجه الخلافات بين المذاهب الثلاثة ، فقال : إن الكلاسيكية تصنع تمثالا من المرمر دقيق الصنع ، معبّراً عن أرستوقراطية الفن ، وترفعه عن الأحاسيس الشعبية ، فتأتى الرومانتيكية فتضع أحمر فى شفتى التمثال . ولا ندرى ، أتصنع الرومانتيكية ذلك تطرّفاً أم نزولا إلى منطقة المحسات الشعبية ؟ أما الرمزية فتسدل على التمثال رداء من الحرير المتموّج

والدكتور ناجى حريص أشد الحرص على أن يحتفظ المجددون من الشعراء والأدباء بالتراث الأدبى القديم ، وأن يتمسك الأولون بعمود الشعر ، أو على حد تعبيره أن يضعوا الخمر الجديد فى الزجاجات القديمة . فلا جديد فى الشعر يمكن أن نزعم أنه مَنبتٌ عن القديم . وليس من شاعر معاصر إلا وهو متتبع خطوات من سلف . وقد ضرب الدكتور ناجى مثلا بشوقى . فقال إنه كان من أعرف الشعراء بدقائق الشعر القديم .

ولقد كان نصيب الأدب الإنجليزى — القديم والحديث — من عناية الدكتور المحاضر نصيب الأسد كما يقولون ! فقد طاب له أن يسرد لنا نماذج عدة من ذلك الشعر على سبيل الاستشهاد

على أن إحجامى عن إثبات ما استشهد به الدكتور ناجى من شعر مترجم لا يمنعنى من أن أعتب عليه ، وهو الداعى فى غضون محاضرته إلى شعر القوة ، قراءته ذلك الشعر — العريان — على حد تعبيره فى حشد من طالبات الجامعة ، وكان يحسبه أن يشير إلى من شاء بأن يقرأ شعر « لورَنس — إن يُرِدْ أن يطلع على لون من الأدب المكشوف

الاسكندرية **على حسن حموده**

وحدة الروح والهوى :

أربعة من الشباب جمعت بين قلوبهم آمالٌ حلوة ، وعقدت بين أرواحهم أواصرَ القربى آلامٌ مرةٌ ، ولمّ شملهم صلاتٌ من الفكر واتفاق النظرة إلى الحياة ، ونزعات من خلجات الفؤاد .

كنا — ولا نزال — نلتقى كلّ ليلةٍ عند صديق لنتنفس عن نفوسنا بما نعى من أحاديث ، وبما نتداول من آراء ، وبما نتطارحه

من أخبار الشعر والأدب : فنتعرض للحرب ، وننقد الأوضاع ، ونقرظ الحسن ، ونسخر مما يدعو إلى السخر .

ففى ليلة من ليالينا اللاهية الجادة ، أقبل علينا صديق ، وبيده الأعداد الأخيرة من مجلة «الرسالة» الغراء . فقلت : هاتها ، هاتها ، هات مصر مثقفة ، هات الينبوع السلسال ! فقال : كلا ولكن انصت؛ فصمت وصمت الآخرون ، وراح صديقنا يقرأ : «لاحت[1] فى جوانب العام المنصرم تباشير السلم كما تلوح فى هوادى الليل تباشير الفجر الكاذب ، فانبعثت روافد الأمانى هنا ، وتحلبت أشداق المطامع هناك ، وابتهل العالم العربى إلى الله أن يوقيه ويلات السلم ، كما وقاه ويلات الحرب ، فأُوحى إليه أن يتحد ... »

وهنا هتف صديقنا الأستاذ عبد القدوس الأنصارى : إنها والله زياتية يا رفاق ، فقلت : لعلك تعنى هـذه الفقرة من المقال ، فقال : أى والله ، أمعن فى قوله « فأُوحى إليه أن يتحد » فصمتنا جميعاً نتصور مبلغ ما أوتيت هذه العبارة من جمال

ومضى صاحبنا يقرأ حتى بلغ: « ذلك وحى الضرورة نزل على قلوب الساسة فصدعوا به ، وعملوا له ؛ وهنالك وحى الطبيعة أوحته القرابة الواشجة ، واللغة الواحـدة ، والوطن المشاع ، والتاريخ المشترك » فصمت صاحبنا وقد غرقت عيناه بالدموع وكان مؤثراً فى قراءته ، فالتفت إلى صديقى الأنصارى وقلت : ماذا ؟ فقال : حسب الزيات أن يبكى من جراء قلمه الأدباء! ثم وضع جبهته على كفه وراح يفكر، وللأنصارى فى عوالم الفكر سبحات يا لروعة البيان ! سطور ثلاثة تجمع كل روابط العرب فى بيانٍ ضاحكٍ باكٍ ، هـذه الروابط التى يبعث ماضيها فى النفس سروراً وبهجة ، ويسكب حاضرها الكسير فى القلب لوعةً وشقاء ! ! !

سطورٌ ثلاثةٌ طوت التاريخ منذ خلق الله البشرية إلى اليوم الذى نعيش فيه ، «فالوطن المشاع» ما هو غير هذه البلاد العربية ؛ مصرها وشآمها ، ونجدها وعراقها وحجازها ويمنها وحضرموتها .

ما هو الوطن المشاع غير هذه المقاطعات المقسمة المحددة المبعثرة المفرقة « واللغـة الواحدة » ما هى غير لغـة القرآن ؟ ما هى غير لغة الخلود ، لغة الضاد أمنا الرءوم وعزنا القوى ، ورجاؤنا الكريم ؟ ما هى « هذه اللغة الواحدة » غير ما قلت وغير ما ثار عليه صاحب المعالى عبد العزيز فهمى باشا ؟ عفى الله عنه .

« والتاريخ المشترك » ماهو غير هذه الصفحات الوضاء بأسطار المجد وآيات النضال ؟ ما هو غير هذه السطور الشعاعة بالعظمة والخلود

ما هو هـذا التاريخ المشترك غير ما نقول ، ويقولون ، وغير ما يقرره الشرق ، فيعترف به الغرب ، ما هو غير هذا وأكثر من هذا ؟

وهذه « القرابة الواشجة » أليست مستقاة من الدين واللغة والرحم والوطن .

فما نحن وهذه الروابط ؛ أليست داعيا قويا إلى أن نتحد ثقافةً ولغةً ووطناً ؛ فنقوى بعد ضعف ، ونعرف بعد جهل ، ويقام لنا ويقعد ، بعـد أن كنا غفلا من كل عناية لا يؤبه لنا ، ولا يقام لنا وزن !

لهذا فلنتحد . وقد أوحى الله إلينا بالاتحاد لننجو من حرب ما بعد الحرب .

ورضى الله عنك أبا رجاء وأرضاك .

(مكة) **عبد الله الغاطى**

---

(١) الرسالة العدد ٦٠٠

الكتب

أربعـــــــة كتب

١ — القومية والعروبة ٣ — إلى الأبد
٢ — المنتخب المدرسى من الأدب التونسى ٤ — عطر ودخان

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

١ — القومية والعروبة

هذا الكتاب على صغر حجمه يعد من أمتع ما كتب فى موضوعه . سار فيه مؤلفه الأستاذ نقولا زيادة ، من حياة القبيلة أو العشيرة ، إلى حياة المدينة فالدولة ، وذكر فيه فكرة نمو القومية والوطنية أولا ، ثم وقوفها أجيالا طويلة ، ثم عودتها ثانية للظهور بعد عصر النهضة الأوربية المعروفة بالرينسانس . وذكر أثر تلك النهضة فى التحرر الفكرى والتعبيرى الذى كان من نتائجه محاولة التعبير عن النفس باللغة الوطنية : وتلك هى الخطوة لنشأة الشعور الوطنى والقومى .

وللعروبة فى هذا الكتاب فصل يعد ، على إيجازه الكثير ، تلخيصاً جيداً لتاريخ الأمة العربية ، والموجات التى انساحت منها . ولو أن المؤلف أطال فى هذا الفصل لاستطاع أن يلائم بين فصول الكتاب من حيث معالجة الموضوع . وذلك ما نعيبه على صديقنا المؤلف ؛ فإنه لم يكتف بنصيب العروبة الضئيل فى مكانها العالى الآن ، حتى جعل نصيبها فى كتابه ضئيلا .

والأستاذ نقولا منصف للإسلام ومتعصب لعربيته . وهو يدعو غير المسلمين — وهو منهم — إلى إتقان اللغة العربية ، وفهم القرآن الكريم فهماً صحيحاً . وفى ذلك أجران : أجر المسلم عند ربه ، وأجر غير المسلم عند نفسه وعند عروبته ، وعند أبنائه الذين ينشأون على منهج عربى صحيح .

وهذا كلام فيه من الجمال ، والسماحة ، واتساع الأفق ، وصدق الوطنية ، وقوة الروح العربية ، ما لا يصدر إلا عن فتى عربى مثل أخى المسيحى نقولا زيادة ، الأستاذ بالكلية العربية بالقدس ، وخريج جامعة لندن ، والذى أهدى كتابه « إلى كل من علمنى درساً فى الوطنية » .

٢ — المنتخب المدرسى من الأدب التونسى

العروبة كلها وطن واحد مهما تباعدت بها الأصقاع .

ألم يكن المتنبى ينشد الشعر فى حلب فتردده الدنيا فى كل بلدة عربية من العراق ، إلى مصر ، إلى اليمن . واللغة العربية رباط يصل بين العرب والمستعربين . وقد وصل فى القديم بين العرب وغير العرب ممن أظلتهم الراية الإسلامية .

وما أحوجنا نحن العرب ، فى هذه الأزمان ، التى تلعب فيها الأحداث السياسية أدواراً جساماً ، إلى أن نصل بين تراثنا الفكرى ، ونصل منه ما قطعت الأيام .

فى تونس أدباء ، وفى تونس شعراء . ومن ثرى تونس الخضراء نبت علماء ، نبتت لهم فى الفكر العربى شئون ، مثل ابن خلدون .

وإذا أتاحت ظروف النبوغ لرجل مثل ابن خلدون أن يشتهر فى العالم العربى ، وغير العربى ، فإن مئات غير ابن خلدون لا نزال نحتاج إلى التعرف إليهم ، والقراءة لهم .

وهذا ما فعله الأمير حسن حسنى عبد الوهاب الصمادحى ، حين أخرج كتابه « المنتخب المدرسى من الأدب التونسى » . وقد أحسنت وزارة المعارف المصرية فى طبع هذا الكتاب ، الذى يعرف أبناء العروبة بإخوانهم فى العروبة والإسلام أهل تونس من أهل الشعر والأدب والعلم . كما أحسن سعادة حسن حسنى عبد الوهاب فى تأليف هذا الكتاب وإهدائه إلى كل تلميذ عربى نجيب .

والواقع أن أستاذنا المؤلف الفاضل كان متواضعاً فى إهداء كتابه إلى « التلميذ » ، فهو كتاب يُهدى إلى المعلم والمتعلم على السواء . ولكن فى الرجل تواضعاً يبعد به عن الادّعاء .

لقد أمتعنى هذا الأمير التونسى المتواضع العالم بهديته النفيسة التى عرفتنى إلى فضيلة أرضه وفضل قومه . وهم إخواننا وجيراننا . والحق أن هديته هذه باقة تونسية مختلفة الثمر ، ناضرة الزهر . ولو أنها وصلت إلى أدباء القرن الرابع عشر الهجرى ، لعرفتنا بتونس الحديثة التى يهم كل عربى أن يعرف كثيراً عن أدبائها وشعرائها وعلمائها . ولكننا نطمع منه فى دراسة أخرى تصل حاضر تونس بماضيها ، ولعله فاعل إن شاء الله .

٣ — إلى الأبد

هذه ملحمة شعرية جديدة للأستاذ إلياس أبى شبكة ، الأديب الشاعر اللبنانى المعروف . أخرجتها دار المكشوف ببيروت . وهى دار لصنيعها فى النهضة الأدبية الحديثة أطواق فى أعناقنا .

ولقد حاولت أن أدرس شعر هذه الملحمة الفاتنـة على وجه واسع إلا أن « الرسالة » الغراء قيدتنى فى هذا المكان الضيق وقالت لى اكتب ! كما يقيد الرجل الطير فى قفص ويقول له غرّد !

ولست بمستطيع ذلك على سبيل يرضى عنه النقد والذوق . فآثرت أن أنقل إلى القراء بعض أبيات من هذه الملحمة تعرّفهم بنفسها وتدلهم على جمالها . قال :

جُنت الدنيا كما نهوى فجُنى   إنما الدنيا هوى منك ومنى
نزلت عينـاك فى صحرائها   من سماء الحب سلواى ومَنّى

وقال :

أحبك ... لا أدرى لماذا أحبها   كفانى إيمانى بأنى أشعر
وأهوى الذى تهوين حتى كأننى   بقلبك أستهدى وعينيك أنظر

وقال :

أحبك لا أرجو نعيما يصيبنى   وأبذل من قلبى ولا أبتغى جدوى
وقد كنت أهوى فيك حسنا أناله
فأصبحت أهوى فيك فوق الذى أهوى

وقال :

كنتِ فى الناس كالنساء فلما   جئت قلبى ظهرت شعراً ولحناً
وزرعت الآمال فىَّ نجوماً   أى كنز أحب منها وأغنى ؟
نحن يا ليلَ أسعد الناس فلنغـــفر لهم كل ما يقولون عنا !

ولقد كنتُ وأنا أمضى فى قراءة هذا الديوان — أو هذه القصيدة الفريدة — أخط بقلمى على كل موضع فيه منها جمال . فلما كثرت الخطوط خرجت من هذه المهمة بأن القصيدة كلها نشيد عذب من الجمال . فأهنئ الأخ الشاعر « الياس أبو شبكة » على تحفته ، وأشكره على هديته . والقصيدة كلها — على اختلاف أوزانها وقوافيها — تجرى على نغم حلو الرنين مستقيم الوزن

ولقد وقفت وأنا أقرأ هذه القصيدة عند بيت أعجبنى وهو :

سوف نغدو فى الورى أسطورة   ينقل الناس الهوى عنك وعنى

أترى فى أى ديوان قرأت مثل هذا البيت ؟ ولأى شاعر ينسب هذا المعنى ؟ ألم يقل شوقى فى مصرع كليوباترة :

غننا فى الشوق أو غنى بنا   نحن فى الحب حديث بعدنا

نعم قال شوقى ذلك . ولـكن الياس أبو شبكة زاد عليه قوله « ينقل الناس الهوى عنك وعنى » وتلك زيادة شرح وبيان زاد بها المعنى حلاوة وليست من فضول الكلام .

٤ — عطر ودخان

اشتهر الأستاذ محمود تيمور بالقصة وله فيها مكان مشهور أما أدب المقالة فلم يطالعنا منه إلا هذا الكتاب الجديد « عطر ودخان » . فهو محاولة أولى من قلم تيمور؛ ولـكنها محاولة ناجحة ، فإن أفكار تيمور التى كان يبثها فى خلال قصصه ومسرحياته نراه اليوم يبثها فى خلال طائفة من المقالات الممتعة .

ولـكن أليس لنا أن نتساءل لماذا عدل تيمور عن فن القصة فى معالجة المشكلات إلى فن المقالات ؟ هل وجد فى المقالة متسعاً للعلاج لم يجده فى القصص والمسرحيات ؟ جواب هذا السؤال عند تيمور نفسه . ولـكننا نستطيع أن نؤكد له أن هذه المقالات فيها من المتعة الفنية الـكثير . وأن فيها من روح القصصى الـكثير. وأن فيها نفوذاً إلى دقائق الحياة عالجها تيمور فى هدوئه ورقته أكثر مما يعالج الـكتاب الاجتماعيون المشكلات بالأرقام والمستندات ...

وأول شىء فى هذا الـكتاب فصل عن الرجعية الحميدة وكونها من دعائم النهضة الحديثة . فالأستاذ تيمور فى هذا الفصل العميق ينادى بأن نأخذ من الجديد ما يُبقى على شخصيتنا ويجعلها قوية نامية . وينادى بأنه ليس من المستطاع قطع الصلة بالماضى قطعاً باتا مهما يكن من أمره ومهما تـكن المصلحة فى هذا القطع . فما يدعو إليه غلاة التجديد من نفض اليدين من تراث الماضى مضاد للطبيعة القاهرة التى جعلتنا زبدة ذلك الماضى . وهذا كلام جميل وخاصة من رجل كمحمود تيمور عرف ثقافة العرب وثقافة الغرب . ولعل هذه الصرخة الـكريمة من تيمور مضافة إلى صرخات المعتدلين تحمل المغالين فى تحقير القديم على أن يخففوا من غلوائهم .

وهذا الفصل الأول جعله تيمور جداً كله ، ولهذا صدّر به كتابه الجديد ، إلا أن فى الفصول التالية جمعاً بين الجد والدعابة . ودعابة تيمور كالجد لأنه يرسلها فى جو من الحياء والاستحياء والوقار فيختلط على قارئه الأمر ولا يدرى أجاداً كان أم مداعباً ...

ومحمود تيمور بارع فى الصور الوصفية للرجال ، ولا شك أن لوحاته الثلاث لشقيقه اسماعيل باشا تيمور ولصديقيه زكى طليمات وبشر فارس هى مما يحملنا على أن نستزيده من مثلها لأخواننا الأدباء ...

محمد عبد الغنى حسن



نقد فيلم «القلب له واحد»

تأليف وإخراج بركات . إنتاج آسيا

القصة :

تصور طبقتين مختلفتين ، الطبقة الأولى تعقدت نفوس أصحابها بحب المظاهر وهذه يمثلها ملك هانم وابنتها منى ، والطبقة الثانية صفت نفوس أصحابها فساروا فى الحياة سيراً طبيعياً لا يعتوره مغالاة ولا تكلف ، وهذه تمثلها سعاد . والجميع فى بيت واحد هو بيت شوكت بك ، فملك زوجته تحوط ابنتها منى برعايتها وحنانها . وسعاد – ابنته من زوجته الراحلة – منطوية على نفسها ترسل تغاريدها شجية فيستمع لها الخدم ويمسحون دموعها فتتعزى بعطفهم وتنسى ما ألمّ بها من حرمان . وهنا شاء المؤلف أن يكون هناك صراع بين الفتاتين حول رؤوف فأيهما ستفوز ؟ هذه منى بجمالها المتكلف تلاحق رؤوف فى كل مكان وتحاول – بمعاونة أمها – أن تطويه ، وتلك سعاد لا تملك من السلاح إلا البساطة والسذاجة وعلى الرغم من ذلك فلا يتردد رؤوف فى اختيار سعاد فأنساها بذلك ما لقيته فى الحياة من شقاء . فغنت سعاد ولكن غناءها فى هذه المرة يختلف عما اعتادت أن تغنى به فكان ذلك خير ختام للقصة .

هذا هو ملخص لقصة الفيلم وقد وفق المؤلف فى إبراز فكرته فى بساطة محببة وأسلوب لطيف خال من الافتعال الذى نلمسه فى أكثر الأفلام .

التمثيل :

صباح – قامت بدور (سعاد) فنجحت كممثلة أولا لأن المخرج لم يرهقها بتعاليمه وإنما تركها على سجيتها فاستطاعت أن تكون ممثلة وممثلة عظيمة ، أما كمطربة فقد تعاون زكريا والقصبجى ورياض على تكييف صوتها ، واستطاعت هى أن تأسر الجمهور بصوتها وهى تغنى (أروح والا ما أروحش – والا مالى كده ميتخده – وبشويش على عقلك بشويش – وحيرانه يا ربى)

أنور وجدى : قام بدور (رؤوف) وكان من الممكن أن يكون هذا الدور درة أدوار أنور العاطفية . ولكن المخرج كان يعلم أن أنور ليس بالممثل العاطفى ، فجعل كل مواقف النجوى بينه وبين صباح أقرب إلى الفكاهة وحسناً فعل ، فقد نجحت تلك المواقف وخاصة عند لقائهما على شاطئ النيل وفى البيت حين ظنته سارقاً . والحقيقة أن أنور يجيد تمثيل دور العاشق العابث ، أما العاشق الجدّى الذى كان جديراً أن يسند إليه هذا الدور فلم تعثر عليه السينما المصرية بعد .

سليمان بك نجيب – قام بدور – (شوكت بك) وكان عليه أن يكون ضعيفاً مستسلما فى أول الفيلم فكان الضعيف المستسلم ثم كان عليه أن يثور فى آخر الفيلم فثار وهنا . وهنا فقط ظهرت موهبته . ميمى شكيب – قامت بدور (ملك هانم) وهو دورها الذى تجيد تمثيله من غير شك . فردوس محمد – قامت بدور (الداده) فأدته على أكمل وجه ، أما محمد كامل واسماعيل يس وعبد الحميد زكى وعبد النبى محمد (فريق الخدم) فكانوا موفقين كل التوفيق . يحيى مراد – نجم جديد ظهر فى بعض الأفلام ولكنه فى هذا الفيلم أثبت موهبته على الرغم من قصر دوره . الضوء ، والصوت ، والمناظر . لابأس ..

الإخراج : لم يخل الإخراج من بعض الهنات كان من الممكن تلافيها مثال ذلك : مهاجمة العصابة للسيارة من غير أن يحاولوا الاستخفاء حتى على النظارة . والمغالاة فى معاملة ملك ومنى لسعاد (والعريس) الذى جاء لخطبة سعاد على صورة مشبعة بالإفتعال وموقف سعاد وهى تنتظر والدادة . وإجادة سعاد للرقص مع أنها ترقص لأول مرة ، وموقف سعاد من رؤوف فى نهاية الفيلم ، وليس بمعقول أن تخدع فتاة – مهما كانت سذاجتها بشاب أنيق مثل رؤوف بأنه (غلبان ومسكين ومش لاقى يا كل) . وعلى الرغم من هذه الملاحظات فقد قفز بركات بفن الإخراج قفزة موفقة نهنئه عليها .

أما بعد ، فإذا كانت السينما فى مصر لم تزل موسوعة يحوى الفيلم الواحد مواقف متعددة . درامية وكوميدية ورقصاً واستعراضا وغير ذلك فإن مخرج هذا الفيلم قد نجح فى المزج بين هذه الأشياء ، وفى نفس الوقت عالج مشاكل اجتماعية لها خطرها فى أسلوب رائق متجدد خال من الافتعال والتكلف والحشو ، ولا يسعنى أزاء هذا المجهود إلا أن أهنئ آسيا وأتمنى لبركات وللجميع من اشتركوا فى الفيلم اطراد التقدم .

عبد الفتاح متولي غبن

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦١٦ — الاثنين ٢٣ ابريل ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

صدر حديثاً :

القومية والعروبة

تأليف

نقولا زيادة

خريج جامعة لندن ، والأستاذ بالكلية العربية

الناشر

مكتبة الطاهر أخوان

يافا — فلسطين

ويطلب من المكاتب الشهيرة فى العالم العربى

مكتب

الأستاذ راغب حنا المحامى

« إعلان بيع عقار »

إنه فى يوم الثلاثاء الموافق ١٥ مايو سنة ١٩٤٥ من الساعه ٨ أفرنكى صباحاً بسراى محكمة امبابه الجزئية الأهليه

سيباع بطريق المزاد العلنى العقار الآتى بيانه بعد المملوك إلى نصيف أفندى سيدهم حنا المقيم بشارع العطاره رقم ٤ بناحية تاج الدول بامبابه مركز إمبابه جيزه

وهذا البيع بناء على طلب الست أصاف سيدهم حنا عن نفسها وبصفتها احدى ورثة المرحومة الست دره جرجس الامبابى وسليمان أفندى داود مقرر الزيادة ومقيمين بشارع رفعت نمرة ٩ بمنشية الصدر قسم الوايلى ومحلهما المختار مكتب حضرة الأستاذ راغب حنا المحامى لدى محكمة النقض بشارع الملكة نازلى رقم ١٤٧ بمصر .

نفاذاً لحكم نزع الملكية رقم ١٠٥٧ سنة ١٩٤٤ الصادر من محكمة امبابه الجزئية الأهلية بتاريخ ٤ — ٩ سنة ١٩٤١ ومسجل بقلم كتاب محكمة مصر الأهلية بتاريخ ١٠ — ٩ سنة ١٩٤٤ تحت نمرة ٦٢٣ سنة ١٩٤٤ وفاء لمبلغ ٧٠٠ مليم ، ١٢ جنيه قيمة المحكوم به بالحكم رقم ٢٢٥١ سنة ١٩٣٧ مدنى امبابه بخلاف رسم التنفيذ وأجرة النشر وما يستجد من المصاريف بثمن أساسى قدره ١٠٠ مليم ، ٢٣ جنيه

فعلى راغب الشراء الحضور .

« بيان العقار »

٨ س ٥ ط من ٢٤ ط شائعا فى المنزل الكائن بتاج الدول وكفر الشيخ اسماعيل مركز امبابه مديرية الجيزه قطعه رقم ٣ عوائد بحارة الحكارى بحوض الخيل والعماره نمرة ٨ البحري ورثة سيدهم ميخائيل أفندى ابراهيم والشرقى ورثة ميخائيل زكى والقبلى حارة وبها الباب والغربى ٨ و ٥ من ٢٤ عشم الله فرج .

الجمله فقط خمسة قراريط وثمانية أسهم من أربعة وعشرين قيراطا فى كامل أرض وبناء المنزل ومسطح المنزل المذكور ٦٠ و ٥٨ متر مربع

كاتب البيوع

محكمة الخليفة الأهليه

إعلان بيع

نشره أولى بيع عقار فى القضية المدنية نمرة ٨٠٠ سنة ١٩٤٥

إنه فى يوم السبت ١٦ مايو سنة ١٩٤٥ من الساعه ٨ أفرنكى صباحاً أمام حضرة قاضى البيوع بمحكمة الخليفة الأهليه

سيباع بالمزاد العلنى العقار الآتى بيانه بعد المملوك إلى محمد أحمد أبو السعود المقيم بالمنزل نمرة ٤٢ الكائن بدرب الصهريج قسم الخليفه محافظة مصر وهذا البيع بناء على طلب الست نجيه محمد خليل مليحه ومقيم بالمنزل نمرة ٤٤ بدرب الصهريج قسم الخليفه محافظة مصر وذلك البيع وفاء لمبلغ ١٧٠ مليم ، ٤٤ ج بخلاف رسم التنفيذ ورسم الشهادات تنفيذاً لحكم نزع الملكية الصادر من هذه المحكمة فى القضية المدنيه نمرة ٨٠٠ سنة ١٩٤٥ بتاريخ ٢١ مارس سنة ١٩٤٥ ومسجل بقلم كتاب محكمة مصر الأهليه بتاريخ ٢٥ مارس سنة ١٩٤٥ تحت نمرة ٢٠٣ سنة ١٩٤٥ بثمن أساسى قدره ٥٠ جنيه خمسون جنيها مصريا الموضحين بعاليه

فعلى راغب الشراء عليه الحضور فى الزمان والمكان وجميع المستندات والأوراق مودعه بدوسيه القضيه بمحكمة الخليفه الأهليه للاطلاع عليها .

بيان العقار

حصه قدرها ١٢ قيراط إثنى عشر قيراطاً شائعه فى كامل أرض وبناء المنزل نمرة ٤٢ عوائد بدرب الصهريج شياخة الحطابه قسم الخليفه محافظة مصر والمحدود بحدود أربع

الحد البحرى ملك نمرة ٤٢ على درب الصهريج ومكونه منه مستقمين وبه الواجهة والباب ومكونه منه ثلاث مستقيمات تبتدىء منه شرق لغرب بطول ٧ متر ويبحر ٢٠ سنتى ويغرب ٤٥ سنتى ، ١ متر

والحد الشرقى شارع درب الصهريج ومكونه منه مستقمين تبتدىء منه بحرى لقبلى بطول ٤٠ سنتى ، ٦ متر وينحنى إلى قبلى بطول ١٠ سنتى ، ١ متر

والحد القبلى درب الصهريج بطول ٧٦ سنتى ، ٧ متر

والحد الغربى ملك محمد خليل مليحه بطول ٤٠ سنتى ، ٧ متراً بجوار المنزل نمرة ٤٠ بدرب الصهريج ومسطح المنزل جميعه ٣٥ سنتى ، ٦٠ متر ستين متراً وخمسة وثلاثون سنتمر

وعلى قلم الكتاب إجراء النشور والتعليق حسب القانون .

كاتب البيوع

13 me Année No. 616

Lundi - 23 - 4 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٣٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٦١٦ « القاهرة فى يوم الإثنين ١١ جمادى الأولى سنة ١٣٦٤ — ٢٣ أبريل سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

إلى صاحب المعالى عبد الرزاق السنهورى بك

رأى واقــــتراح

إن من المحال أن تنقل الأمة كلها إلى العلم عن طريق المدرسة ، ولكن من الممكن أن تنقل العلم كله إلى الأمة عن طريق الترجمة

يا صاحب المعالى ، إن أخص ما يميزك على نظرائك فى العلم والحكم أنك تقدس الحقيقة وتطلب الحق . وإن سبيلك إلى ذلك عقل راجح واضح يتعمق ويتبسط ، ويحيط ويستوعب ، ويدقق ويحقق ، ويستقرئ ويستنبط ؛ فإذا رأيت الحق فى جانبك أقنعت ومنطقك سديد وحجتك مُلزمة ؛ وإن رأيته فى الجانب الآخر اقتنعت وعقلك راض ونفسك مسلِّمة . وقد أجمع الذين عرفوك أن فى مناقشتك الرأى أو فى مطارحتك الحديث متعة للعقل والذهن ؛ لأنك توضح الخطة وتحدد الرسوم وتعين الغاية ، ثم تعرض الرأى عالماً بما تقول ، وتسمع الرأى فاهماً لما يقال ، ثم تعارض القول بالقول ، وتوازن الدليل بالدليل ، ثم تحكم الحكم المسبَّب لك أو عليك فلا تدع للمكابرة والمماراة سبيلاً إلى استئناف أو نقض !

لذلك أحببت أن أتقدم إلى معاليك برأى يتصل بالثقافة العامة ؛ ويقينى أنك إذا اقتنعت به أمضيته ؛ وإذا أمضيته كان حرياً أن يضيف عصر الفاروق إلى عصور بركليس وأغسطس والمأمون ولويس الرابع عشر ، وهى كما تعلم العصور الذهبية التى حددت المراحل المتعاقبة للانسان المتمدن فى طريقه إلى المعرفة .

تعلم معاليك أن أدبنا الجديد لا يزال ناقصاً فى نوعه قاصراً فى بيانه . ناقص فى نوعه لأنه أنكر قديمه وجهل جديد الناس، فلم يُغذِّه ماض ولم ينمِّه حاضر، فظل مُخدَجَ الخلق لا هو حى ولا هو ميت . ولقد كان أدبنا القديم فى حدود مراميه اللسانَ العام لخوالج النفس الإنسانية فى أكثر بقاع الأرض ، فلم تكن هناك فكرة تجول فى ذهن كاتب ، ولا صورة تتمثل فى خاطر شاعر ، إلا وجدتْ فى هذا الخضم المحيط صَدفة تستقر فيها. فلما تحولت عن مذاهبه الأنهار، وجفّت على جوانبه الروافد ، عاد كالبحيرة المحدودة لا يمدها إلا قطرات المطر ودفعات السيل حيناً بعد حين . فالقارئ العربى الحديث لا يجد فيما أثر منه ولا فى أكثر ما استجد فيه غذاء عقله ولا رضا شعوره ؛ لأن المأثور منه ناقص لانقطاعه عن سير المدنية ، والجديد منه ناقص لخلوه من الآداب الأجنبية . والغريب المخجل أن المرأ يقرأ أى نابغة من نوابغ العالم فى أى لغة من لغات التمدن إلا فى اللغة العربية ! فالتركى مثلاً يستطيع أن يقرأ فى لغته هوجو كله ، وشكسبير كله ، وجيته كله ؛ ولكن العربى لا يجد فى لغته لهؤلاء العباقرة العالميين إلا كتاباً أو كتابين اختارهما مترجم على ذوقه ونشرهما على حسابه !

فإذا أردنا يا معالى الوزير لأدبنا أن يتسع فى حاضره كما اتسع فى ماضيه ، فليس لنا اليوم غير سبيل الأمس : نرفده بآداب

الأمم الأوربية ، ونصله بتيار الأفكار الحديثة ؛ فإن لكل أمة مزايا ، ولكل بيئة خصائص . ولن يكون أدبنا عالياً ما لم يلقح بآداب العالم ؛ والمحاكاة والاحتذاء من أقوى العوامل أثراً في الأدب .

والأدب العربي قاصر في بيانه ، لأنه مقطوع الصلة بحضارة العصر ، فلا يستطيع أقدر كتابنا أن يتحدث عما يستعمل من ماعون وأثاث ، ولا أن يصف ما يركب من باخرة أو طائرة . ومجمعنا اللغوي على ما نرى من نشاطه لن يقدم إلى الناس معجمه المنتظر إلا بعد جيل أو جيلين ، حين يكون كل شيء في العالم قد تغير أو تطور ، فيصبح معجمه في الجدة يومئذ كمعجم (لسان العرب) اليوم ! والزمان يا معالي الوزير يسرع ، والعالم كله يجد ، والسارى على مركب العجز لا يلحق ، والبيان القاصر نصف الخرس ، واللغة الناقصة ثلاثة أرباع الجهل .

وما قلناه في اللغة والأدب نقوله في العلم والفن : فإن ما في العربية منهما لا يعدو في الغالب أن يكون ملخصات مجهولة النسب ، أو مقتبسات قليلة الغناء ، إذا نفعت أحدا فإنما تنفع طلاب المدارس . أما الشعب الظامئ إلى المعرفة فلا يجد بين يديه من أمهات الكتب العلمية والفنية ما ينقع غليله ويسد عوزه . وما دام الأمر كذلك فسيظل اللسان العربي والعقل العربي محصورين في حدود القرون الوسطى لا يواكبان ركب الحياة ، ولا يسايران تقدم الفكر .

إن العلوم اليوم أوربيـة وأمريكية ما في ذلك شك . وإن الفروق التي باعدت بين الشرق والغرب في مدلول الإنسانية الراقية إنما يجمعها كلها لفظ العلم . وهـذا العلم الذي يسخر السموات والأرض للإنسان الضعيف ، ويذلل القطعان الملايين للراعي الفرد . سيبقى غريباً عنا ما لم ننقله إلى ملكنا بالتعريب ، ونعممه في شعبنا بالنشر ؛ ولا يمكن أن يصلنا به أو يدنينا منه كثرة المدارس ولا وفرة الطلاب ، فإن من المحال أن ننقل الأمة كلها إلى العلم عن طريق المدرسة ، ولكن من الممكن أن ننقل العلم كله إلى الأمة عن طريق الترجمة .

فالترجمة إذن يا معالي الوزير هي الوسيلة الأولى لدفع القصور عن اللغة ، وسـد النقص في الأدب ، وكشف الظلام عن الأمة . ويحسبنا أن ننقل معجماً من المعاجم العلمية الأوربية لتصبح لغتنا كاملة وثقافتنا شاملة ؛ فإنا مضطرون في أثناء الترجمة أن نضع المصطلحات الحديثـة لكل علم وفن ، فلا يتم المعجم حتى تتم اللغة . وإذا نقلنا إلى العربية نتاج القرائح لأقطاب العلوم والفنون والآداب من الانجليز والأمريكان ، والفرنسيين والألمان ، والروسيين والطليان ، أصبح هؤلاء العالميون جزءا من كياننا الأدبي . وركناً في بنائنا العلمي ، نعتز به ونستمد منه ونفتن فيه ونزيد عليه ، كما فعل آباؤنا الأقدمون بما نقلوه من علوم الإغريق والهنود واليهود والسريان والفرس .

لذلك أرى — ورأيك الأعلى — أن تُنشأ دار للترجمة مستقلة عن ديوان الوزارة ، يكون لها من جلالة القـدر ونباهة الذكر ما للجامعتين ؛ فإنها على اليقين ستكون جامعـة شعبية لا تقل عنهما في الخطر والأثر ؛ أو قل إنهما الميدانان المتقدمان وهي مركز التموين الذي يمدهم بالميرة والذخيرة والمدد . ثم يختار لها مائتان على الأقل من المترجمين النابغين في لغتهم وفي اللغات الأوربيـة الثلاث ، ينقلون الآداب الأجنبية نقلا كاملا صحيحاً ، فلا يدعون علماً من أعلام الأدب والعلم والفن والفلسفة إلا نقلوا كتبه ونشروها على حسب ترتيبها وتبويبها في طبعاتها الأصلية .

هذه الدار ستنقل إلى العربية كل يوم أربعمائة صفحة مصححة منقحة مهيأة للنشر . قد تكون كتابين أو كتاباً أو جزءا من كتاب على حسب النظام الذي يوضع لها . فإذا فرغت من ترجمة الموجود فرغت لترجمة المستجد . فلا يكون بين ظهور الكتاب في أوربا وظهوره في مصر إلا ريثما يترجم هنا ويطبع . أما نفقات الدار فلا تزيد على مائة ألف جنيـه ؛ وقد تنقص إلى نصف ذلك إذا ساهم فيها الأمراء والأغنياء وجامعة الدول العربية . على أن ما ينفق في سبيل هـذا العمل العظيم يقل مهما كثر في جانب ما يؤتيه من تجديد اللغة ، وتطعيم الأدب ، وتعريب العلم ، وتعميم الثقافة ، وتدعيم النهضة ، وتيسير القراءة ، وتشجيع القارئ ، وفي تحقيق منفعة واحدة من هؤلاء تخليد لذكر من قام بهذا العمل أو شارك فيـه أو أعان عليه ؛ فما بالك إذا حقق هذه المنافع جمعاء ؟

ذلك جوهر الفكرة يا معالي الوزير عرضته عليك ، أما النظر في تأثيلها وتفصيلها فأتركه إليك .

احمد حسن الزيات

النيف في العـــدد

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

فى مقالة (أبو العلاء المعرى) فى الرسالة الغراء ٦٠٤ فى الحاشية رويت هذا الخبر فى (الموشح) :

« نظر يعقوب الكندى فى شعر أبى تمام فقال : هذا رجل يموت قبل حينه ، لأنه حمل على كيانه بالفكر . ويقال : إن أبا تمام مات لنيف وثلاثين سنة »

فقال لى فى القاهرة عالم كبير : (لثلاثين سنة ونيف) .

فقلت : هذا ما جاء فى (لسان العرب) — عنيت المعجم — ولكن المبرد فى (الكامل) فى مواضع كثيرة قدم هذا المؤخر . ومثله غيره من الأدباء وكتاب السير والمؤرخين والعلماء . والذى ورد فى (الموشح) هو كلام الإمام المرزبانى لاريب فيه . ولا تبديل وقد بعثنى تنبيه ذلك العالم على إملاء هذه الأحرف .

لم تجىء (النيف) مع العدد — حسب ظنى — فى كلام جاهلى أو إسلامى متقدم ، فهى فى هذا الاستعمال إسلامية متأخرة أو مولدة متقدمة . وإذا صاحبت قولاً جاهلياً أو إسلامياً متقدماً فقل : إنه مصوغ أو مبدل أوهو من عند راويه المحدَث . ذكر المسعودى فى (المروج) هذه الجمل من خطبة منسوبة إلى على (رضى الله عنه) :

« وقد زعمت قريش أن ابن أبى طالب شجاع ولكن لا علم له بالحروب . تربت أيديهم ! وهل فيهم أشد مراساً لها منى ، لقد نهضت فيها وما بلغت الثلاثين ، وها أناذا قد أربيت على نيف وستين »

ورواية الرضى فى (المجموعة النهجية) « وها أنا ذا قد ذرّفت على الستين » ، ورواية المبرد فى (الكامل) : « ولقد نيّفت اليوم على الستين »

فإن قال الإمام ما قال فليس هناك إلا (ذرفت أو نيفت على الستين) فاعرف ذلك ولا تثق بما روى المسعودى (1)

لم يقل ابن دريد فى كتابه (جمهرة اللغة) — وهو أقدم معجم بعد العين — فى النيف إلا هذا : « النيف الزيادة من قولهم نيفت على السبعين أى زدت عليها » ولم يزد ...

ولم يحدث سيبويه فى (الكتاب) ولا ابن سيده فى (المخصص) عن تلكم اللفظة فى باب العدد بشىء .

يقول الجوهرى فى صحاحه : « النيف الزيادة ، يخفف ويشدد ، وأصله من الواو ، يقال : عشرة ونيف ومئة ونيف » .

وقال اللسان : « الأزهرى : يقال : هذه مئة ونيف — بتشديد الياء — أى زيادة ، وعوام الناس يخففون فيقولون ونيف ، وهو لحن عند الفصحاء . الأصمعى : النيّف والنيْف كميت وميت . قال اللحيانى : يقال : عشرون ونيف ومئة ونيف وألف ونيف ، ولا يقال إلا بعد عقد .

وفى (المصباح) : قال أبو العباس : الذى حصلناه من أقاويل حذاق البصريين والكوفيين أن النيف من واحد إلى ثلاث ، والبضع من أربع إلى تسع ، ولا يقال نيف إلا بعد عقد نحو عشرة ونيف ومئة ونيف وألف ونيف .

وفى (همع الهوامع) : هما — يعنى البضع والبضعة — من ثلاث إلى تسع ، وبذلك فارقه النيف فإنه من واحد وفارقه أيضاً فى أنه يكون للمذكر والمؤنث بغير هاء .

فالنيف كما يستدل مما أورده الجوهرى والأزهرى واللحيانى والفيومى — تتأخر ولا تتقدم ، تعطف على العدد ، ولا يعطف عليها . وقد قدم المبرد فقال فى كامله (رغبة الآمل ج ٣ص١٨١ :

... فقال الحسن ونحن إذ ذاك نجرى على نيف وسبعين ألف ملاح . ومثل ذلك فى ج ٤ ص ١٩٧ وج ٧ ص ٢٤٤ وفى ج ٨ ص ٩٥ وأنا أروى هـذا الخبر بجلاه إكراماً لبطولة المهلب وبنيه ورجاله وبطولة قوم شجعان يقول شاعرهم وقائدهم :

ألا أيها الباغى البراز تقربن ‏ ‏ أساقك بالموت الزعاف المقشبا
فما فى تساقى الموت فى الحرب سبة ‏ ‏ على شاربيه فاسقنى منه واشربا

قال أبو العباس :

وجّه الحجاج إلى المهلب رجلين أحدهما من كلب ، والآخر من سُليم يستحثانه بالقتال ، فقال المهلب متمثلا :

ومستعجب مما يرى من أناتنا ‏ ‏ ولو زبنتــه الحرب لم يترمرم

وقال ليزيد : حركهم ، فحركهم فتهايجوا وذلك فى قرية من قرى إصْطَخْر ، فحمل رجل من الخوارج على رجل من أصحاب المهلب فطعنه فشك فخذه بالسرج ، فقال المهلب للسلمى والكلبى : كيف نقاتل قوماً هذا طعنهم ! وحمل يزيد عليهم ، وقد جاء الرُّقاد ، وهو

---

(1) مما هو عريق فى المين والتلفيق خبر مروان بن الحكم حين عزله معاوية (رضى الله عنه) عن المدينة — رواه العباسى فى معاهد التنصيص ج ٢ ص ١٩٥ — وقد جاء فيه : « فرويداً رويدا قد بلغ بنو الحكم وبنو بنيه نيفاً وعشرين وإنما هي أيام قلائل حتى يكملوا أربعين ... » وأقول بوى' إلى حديث مصوغ .

لماذا تفلسف الإنسان ؟

للدكتور محمد البهى

يعتبر مؤرخو الفلسفة القرن السادس قبل الميلاد بداية التفلسف الإنسانى . والفلسفة إذا قيل فى شأنها إنها محبة الحكمة ، والتفلسف إذا عبرعنه بأنه البحث عن الحكمة ، فمن غير شك أيضا أن الفلسفة فى أول عهدها مجموع المعارف التى حررها الإنسان أو استخلصها من المعارف السابقة على عهدها ، وأن التفلسف فى بداية عهده أيضا نظر الإنسان فى هذه المعارف السابقة لاختيار مايصلح منها فى رأيه للبقاء . فالفلسفة هى معارف مختارة، والتفلسف هو إعمال الروية فى تصفية المعارف التى كانت متداولة فى الجماعة الإنسانية إلى حين التفلسف فى القرن السادس قبل الميلاد .

والتفلسف إذا كان تصفية واختيارا يفرض طبعاً وجود مجموعة من المعارف متداولة يضعها محلا للتصفية والاختيار . وقبل عهد التفلسف كانت هناك معارف متداولة فى الجماعة الإنسانية ، ولكنها كانت كلها معارف إلهية ، أى كانت منسوبة إلى الآلهة ، وكانت طائفة بالذات هى طائفة رجال الدين أو من تسمى بالكهنة تقوم بشأنها وتتعهدها بالحفظ والتناقل والشرح . وما عدا هذه الطائفة من طوائف أخرى كانت تقف من هذه المعارف موقف القابل المطيع الذى لا يسمح له بمعارضة أى نوع منها ولو معارضة نفسية داخلية ، فضلا عن معارضتها بالتفنيد عن طريق الحجة أمام آخرين ؛ فهذه المعارف لها قداستها من الجميع ؛ وقداستها تمنع نقدها وتحتم قبولها .

والإنسانية فى جماعات مختلفة وفى أجيال متعددة قبلت المعارف الدينية ، وقبولها يتضمن تقديسها وعدم نقدها ، وتقديسها وعدم نقدها ينسحب إلى تقديس من يقوم بأمرها وعدم معارضته .

وما عرف للانسان من عمل فيها كان عبارة عن شرحها شرحاً عقليا يساعد على رواجها لدى أصحاب القلق النفسى من التابعين للدين . وبهذا كان عقل الإنسان فى خدمة التعاليم الدينية ولتأييد قداستها وقداسة القائمين بأمرها . وقد نسترسل فندعى أن خدمة الإنسان لهذه التعاليم عن طريق عمله العقلى لم يكن لعهد وجودها

من فرسان المهلب على فرس له أدهم وبه نيف وعشرون جراحة ، وقد وضع عليها القطن ، فلما حمل يزيد ولّى الجمع ، وحماهم فارسان ، فقال يزيد لقيس الخُشَنى : من لهذين ؟ قال : أنا . فحمل عليهما ، فعطف عليه أحدهما ، فطعنه قيس الخشنى فصرعه ، وحمل عليه الآخر فعانقه ، فسقطا جميعاً إلى الأرض ، فصاح قيس الخشنى : اقتلونا جميعاً . فحملت خيل هؤلاء وخيل هؤلاء فحجزوا بينهما ، فإذا معانقه امرأة ، فقام قيس مستحيياً ، فقال له يزيد : أما أنت فبارزتها على أنها رجل ، فقالت : أرأيت لو قتلت ، أما كان يقال قتلته امرأة .

ولم يناقش العلامة المرصفى فى (رغبة الآمل) صاحب (الكامل) فى موضع من الواضع الأربعة فى حين أنه نبه على أشياء غير قليلة فى كتابه .

والحريرى الذى اعتاد تخطئة الصواب فى (درته) لم يغلط إلا من خفف النيف .

وقال أبو بكر الخوارزمى فى إحدى رسائله (ص ١٣٢ مطبعة الجوائب) : فى نيف وسبعين من جماعة شيعة .

ومثل هذا الاستعمال فى مروج الذهب ج٢ ص ١٩٥ و ج ٣ ص ٥٨ .

وفى تاريخ الطبرى ج ١١ ص ٢١٢ .

ومثله فى (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) ج ١ ص ٢١٦ و ج ٢ ص ١٤١ و ج ٤ ص ٢١٥ و ج ١٦ ص ٢١٩ و ج ١٧ ص ٢٣١ و ج ١٨ ص ٨١ .

ومثله فى (معاهد التنصيص) ج١ص١٠٢ وج٢ص١١٦و١٨٢ وفى (كليات أبى البقاء) ص ٣٦٠ .

***

ذلكم ما جاء فى مصنفات القوم ، وقد نزل النيف فى أقوالهم حيث نزل . وإنا لنستبعد تبديل ناسخين فيها . فما الذى حملهم على تقديم الزيادة على المزيد عليه ؟

هل قاسوا النيف على البضع فى بعض حالاته فقالوه ، أو استخفوا هذا التركيب فشوّه . وهل عليهم فيما أتوه من حرج ؟

وهل نؤخر نحن معشر العرب فى هذا الزمان أو نقدم ... ؟

محمد إسعاف النشاشيبى

ونشأتها فحسب ، بل استمرت أيضا فى مراحل تطورها. والإنسان بعقله كما أيدها فى صفائها أيدها أيضا وقد دخلها صنعة الدين .
وربما كان تعظيم طائفة الكهنة وتميزها عن بقية الطوائف فى الأمم الشرقية القديمة من عمل الإنسان المؤيد أو من نتائج تأييده لتلك التعاليم عن طريق عمله العقلى ، ولم يكن بوحى أصل من أصول أديان تلك الأمم .

وقبل التفلسف الإنسانى أو قبل التفلسف الإغريقى فى القرن السادس قبل الميلاد كانت تسيطر إذاً على معارف الجماعة الإنسانية عدة مظاهر :

١ — كانت المعارف الدينية وحدها هى التى تقود الإنسان .

٢ — وكانت طاعة الإنسان لهذه المعارف ناشئة عن تقديسه لها واعتقاده بعصمتها .

٣ — وكان القائم بأمر هذه المعارف ، سواء بتعليمها وتلقينها أو بشرحها وتحديد مدلولات عباراتها ، طائفة معينة هى طائفة الكهنة .

٤ — وعمل الإنسان العقلى كان مرتبطا بأصول هذه التعاليم وفى خدمتها ولغاية تمكينها من النفوس الحائرة .

* * *

وإذا كان القائم بأمر التوجيه فى الجماعة الأنسانية طائفة معينة ، وإذا كانت فى توجيهها تصدر عن إرادة الله ومن تعاليم وسيط فى الكون وهو الرسول ، وإذا كان غيرها من الطوائف فى الجماعة عليه أن يخضع ويطيع فحسب ، فليس هناك من ضمان فى أن يبقى توجيه الطائفة المعينة فى دائرة التعاليم الأولى للدين . وليس هناك من ضمان أيضاً فى أن يكون شرحها لهذه التعاليم فى حدود الغاية التى يبغيها صاحب الرسالة ، بل يجوز أن تجعل هى منَ الدين سرا تختص بعلمه دون بقية التابعين وهو غير ماعرض على هؤلاء التابعين ، ويجوز أن تشرح ماعرف لهؤلاء باسم الدين بما تراه هى لابما يهدف إليه الدين نفسه . وإذا جعلت من الدين سراًخاصابها فليست هناك لأحد استطاعة فى أن يراقبها فيه ، وإذا فسرت ماعرفه الناس من تعاليم الدين بما تراه هى فاسناد التوجيه إليها خاصة وقيامها وحدها دون سواها بأمر هذه التعاليم يحميها من التجريح ومن رميها باتباع الهوى والغرض فى التفسير . ثم نسبتها إلى مقدس هو الدين يزيد فى حمايتها وفى إمعان الأغراض الخاصة عنها .

وفى طبع الأنسان إذا شعر بالتميز أن يطمع فى أن تتسع دائرته حتى ليود أن يصبح طبيعة أخرى مغايرة لطبيعة الانسان ولكنها أرقى منها . ورجال الدين أو طائفة الكهنة كانت متميزة لأنها اختصت بمعرفة الدين وشرحه والقيام عليه ، وطمعت أيضا فى أن يزداد تميزها . وقد زاد حتى عدت فى بعض العهود أبناء للآلهة أو من سلالتها كما اعتبرت بعض الطبقات الأخرى عبيـدا لها . وانقسمت الجماعة الانسانية عندئذ إلى قسمين متقابلين : قسم شريف هوطائفة الكهنة ، وقسم آخرخسيس هو العمال والاكرة

وإذا تميز الإنسان أو ادعى تميزه إلى حد أن يعتبر طبيعته مغايرة لطبيعة من دونه ، وفى الوقت نفسه يتولى هوأمرهذا الذى دونه ، فتوليه للأمر يصدر فيه عن الشعور بالمفارقة . والكهنة كذلك جعلوا الناس مختلفين ، ووضعوهم أمام آلهتهم مواضع مختلفة وجعلوا تكاليفهم ورسومهم فى العبادة مختلفة أيضاً .

وهكذا آل الدين الذى شأنه أن يسوى بين الناس فى الطبيعة ويجعل تفاوتهم فى بعدهم أو قربهم من مثله الأعلى ، إلى أن يكون عاملا فى التفريق بين طبائعهم . وهكذا آل أمر رجال الدين إلى أن يكونوا طبقـة متميزة ، وآل توجيههم إلى أن يكون إملاءً للمحافظة على تميزهم أو للمحافظة على بقاء دولتهم . وبالتالى أصبح الدين صناعـة محتكرة ، وأصبحت المعرفة المسيطرة على الجماعة الإنسانية لا لإرشاد الإنسان إلى سعادته ، بل لإسعاد طائفة معينة.

* * *

هذا المصير الذى صارت إليه المعرفة الدينية ، وصار إليه رجال الدين فيما قبل القرن السادس قبل الميلاد ، وصارت إليه الجماعة الإنسانية ، حمل بعض الناس على أن يثور ، وعلى أن يسلك طريق الفكر فى ثورته للرد والإقناع . ولم تكن ثورته الفكرية حبا فى معالجة الجدل ، بل لوضع حد لامتهان الإنســـان ، ورد اعتبار الإنسان ، وتخليص الإنسان من الإنسان ، وإسعاد كل فرد من الإنسان لا طائفة معينة بالذات . وتوجه هـذا البعض إلى تعاليم

الكهنة لا ليقرها ويقبلها كما كان الشأن بالنسبة إليها بل لينقدها. ومعيار نقده ليس السماع والرواية ، وليس الإذعان للعصمة والقداسة ، بل عقله ومنطقه .

وأطلق على هذه الثورة الفكرية تفلسفاً . والنفر الذى رفع علم هذه الثورة كان من الإغريق . والشرق إذا كان فكر قبل هذا ، وأنتج فى محصول الفكر البشرى ، فقد كان على نحو ما يبينا فى دائرة الدين ولخدمة المعارف الدينية . والإصلاحات التى قامت فى الشرق لرفع مستوى الإنسان ورد اعتباره وإزالة الفوارق الطائفية كانت إصلاحات دينية كالزرادشتية والبوذية . فالأولى كانت تعديلا دينياً أو إصلاحاً دينياً للديانة الشعبية الآرية التى قامت على عبادة النار والطبيعة المحسوسة . والثانية كانت تعديلا للبراهمية التى حولت الجماعة الهندية إلى طبقات متفاوتة فى الطبيعة .

وبنشأة التفلسف تكونت الفلسفة ، وأصبح فى الجماعة الإنسانية نوعان من المعرفة : المعرفة الدينية . والمعرفة الفلسفية أو الإنسانية . وإذا كانت الأولى يدعى فيها العصمة . فالثانية للإنسان أن يصوب أو يخطئ فيها . وإذا كانت مبادئ الأولى محدودة لأنها وقف على الوحى . فالثانية قابلة للزيادة والنماء لأنها فى متناول كل الأجيال الإنسانية . وإذا كان رجال الدين هم المحافظون فى كل أمة بحكم موقفهم من عدم التصرف فى معارف الدين ، فالفلاسفة هم رجال الثورة الفكرية وأصحاب التطور فى توجيه الإنسان . وإذا كان رجال الدين يضعفون من قيمة الإنسان واعتباره ، وقد يلغون أثره فى الحياة ، ويردون كل أثر فيها إلى الله ، لتتضاعف بذلك عظمة الإله ، فالفلاسفة يشيدون بالإنسان وينسبون إليه أثراً ويسندون إليه فعلا فى تغيير الحياة نفسها .

والفيلسوف وإن كان رجل ثورة على التعاليم الدينية ، فثورته فى الواقع على التعاليم التى كونها الإنسان باسم الدين ، والتى ربما قلب بها أوضاع الدين وحرف بها هدفه . والفيلسوف وإن رمى بالإلحاد فرميه به عادة من رجال الدين ، وليس بلازم أن يكون منكراً للدين وإن أنكر تعاليم رجاله . ولكنه مع عدم إنكاره الدين لا يبلغ مبلغ رجل الدين فى إلغاء وجود الإنسان بغية إظهار عظمة الله .

ولأن التفلسف فى بدايته كان خروجاً على تعاليم رجال الدين وعلى المألوف من المعارف المسيطرة على الجماعة الإنسانية عدّ الفيلسوف مناوئاً لرجل الدين وعدت الفلسفة عدوة للدين . وبمقدار ما فى القضية الأولى من صدق بمقدار ما فى الثانية من مبالغة . إذ الأديان فى طبيعتها تنظر إلى أفراد الإنسان نظرة مساواة وتهدف إلى إسعادهم جميعاً ، وكذلك الشأن فى الفلسفة ، وفقط طريق أحدهما قد يختلف عن طريق الآخر .

وكما لم تستطع الفلسفة أن تلغى الأديان كذلك هذه لم تستطع إلغاء الفلسفة ، بل الفلسفة إن لم تنته إلى ما ينتهى إليه الدين، تعترف بحيز له لا تستطيع السير فيه إذا اقتحمته ، والدين فى وضعه الأصلى إذا لم يشجع التفكير الإنسانى فى دائرة ما يرسمه له يدع له مجالا خاصاً به ، لا يبدى — إذا أبدى — رأياً فى ناحية من نواحيه إلا عن طريق الإجمال .

وما بين الفلاسفة ورجال الدين ، فلأجل توجيه الإنسان . فالفلاسفة يرون أن رجال الدين لما لتعاليم الدين الذى ينسبون إليه من قداسة ، ولما لهم هم أنفسهم من طبيعة إنسانية تميل إلى الجاه والسلطان ، قد يكون لهم خطر على الإنسان فى قيادتهم له إن احتكروا الدين وجعلوا فهمه وقفاً عليهم وحدهم . فلكى لا يقع هذا الخطر يذكر الفلاسفة بتفلسفهم الإنسان بقيمته واعتبار وجوده ، حتى لا يكون انجذابه إلى تعاليم رجال الدين عن غير روية واختيار . ورجال الدين لأنهم يرون فى الفلاسفة منكرين لأفهامهم الدينية ومفرقين بين الدين وتعاليمهم ، ومحرضين الإنسان على عدم الانقياد لهم فى يسر وسهولة يقررون بعد الفلاسفة عن التوجيه الصحيح للإنسان ويصورونهم منحرفين عن الدين .

وإذا كانت الفلسفة فى بدايتها تكونت من المعارف الدينية ، فالفلاسفة فى العصور المختلفة إلى عصرنا الحاضر نشئوا تنشئة دينية وكانوا من رجال الدين قبل أن يصيروا من رجال الفكر ، وإن اختلفت بدايتهم عما صاروا إليه ، فليس لأنهم أنكروا الدين ، بل لأنهم خالفوا رجال الدين فى تصويرهم للدين وعرضهم له .

وإذا كان تفلسف الإنسان فى أول الأمر لرفع طغيان الإنسان باسم الدين ، فلم تزل حرية التفكير التى هى أساس التفلسف وسيلة الإنسان السلمية لكبح اعتداء الإنسان باسم أى شىء آخر .

محمد البهى

صلوات فكر

فى محاريب الطبيعة

للأستاذ عبد المنعم خلاف

مع العالم الأكبر

لنا نحن الآدميين عالمٌ صغير ، هو الأرض . شُغِلنا به وبصَغاراته عن العالم الأكبر وغاياته ، بل إن لأكثرنا عالماً لا يعدو أن يكون بيته أو حجرته أو حقله أو وظيفته أو ديناره أو كأسه أو بطنه ، إلى آخر هذه التفاهات .

وقد مضينا نقطع العمر هكذا دائرين على هذه الصغارات كما يدور الذباب على القاذورات والعُفونات ... وكأنه لا يعنينا من شأن هذا العالم الأكبر الذى نرى معالمه العظيمة فى السماء تضىء لنا ، وتنادى عيوننا بنورها إلى النور الأكبر الذى يضىء ذلك العالم ، ما نراه ولا ما لا نراه ، لنتجه إليه بآمالنا وأفكارنا ومساعينا ، ولتتسع سماحة نفوسنا باتساع عالمنا الذى يشغل بالنا ؛ فإن الذى يتجه إلى الكثير ويُعْنَى بالعظيم ، قليلا ما يخاصم على القليل والحقير . وإن السر فى سماحة النفس التى شغلتها السماء فلم تُخْلِد إلى الأرض ، هو هذا الاتجاه إلى مفاتح الرحمة وكنوز الثراء وخزائن النور الأعلى !

لهم عذرهم أولئك الذين مضوا قبل التاريخ ، وقبل معرفة جدود الأرض وضآلتها ومركزها الصغير فى الكون ، أن تشغلهم أنفسهم أو ديارهم الضيقة ، أو جزرهم المنثورة فى محيطٍ مائىٍّ ، أو واحتُهم الضالة فى بيداء ، وأن يحسبوا أن العالم ضيق لضيق ما يعرفون ...

ولكن ، لا عذر لأبناء هذا الزمان الذين يتلقى صِغارهم وناشئوهم كثيراً من حقائق الكون وأوضاع الأرض وأخبار الأمم مما لم يُيسَّر عُشر معشاره للفلاسفة تلك الأزمنة التى خلَت وبادت !

***

كما كان يشير الرُّوَّاد الأولون بأيديهم صَوْبَ الدروب والبقاع المجهولة التى كشفوها وراودها ، ينبغى أن يشير الآن رواد الحياة والعلوم للناس إلى الطريق الذى يجب أن يسيروا فيه وحده إلى حقائق الوجود الحالى وعلومه ومعارفه ... ينبغى أن يشير المعلمون والآباء للأطفال إلى ذلك الطريق ... ويفتحوا مداركهم على فِجاج الحياة ومناجم الأسرار ، وأن يُشعروهم رهبة الرحلة فى هذا الكون !

ينبغى أن يقول الوالد الجسدى أو الروحى لولده عند ما تتفتح مداركه ويستطيع التميز : يا بنى إنى جئت إلى الحياة مثلك . وقبلى جاء أبى وأبو أبى ، فى حبل نَسْلٍ طويل يتصل بآدم أبى البشر ... لترى هنا ما تراه أنت اليوم بعيونك الجديدة . وقد أصاب عينى الكلالُ من كثرة التحديق إلى مشاعل النور التى تراها فوق ... ولم يشغلنى عنها شاغل من ظلمات الأرض . وحسبُك نظرةٌ بالليل الرهيب لترى أن عينيك غريبتان فى هذه الظلمات ! لأنها لم تُصنع لها غُربةَ روحك فى كثافة جسمك التى لم تخلق لها ...

يا بنى إن عينيك مخلوقتان لنور الشمس والنجوم التى تعرفها فى السماء ... وكذلك روحك مخلوقة لنور الكون وروحه . ولا تستطيع حياةَ الظلام الأرضى ... فارفع عينيك إلى منابع نورها ، وارفع روحك إلى منبع نورها ... يا بنى إننا أُلقِينا فى ظلمات هذه الأرض لغرض عظيم خفىٍّ من أغراض واهب الحياة . ثم لا نلبث أن نُرفع ونعود إلى ذلك العالم الذى ألقينا منه .

يا بنى فكر دائماً فى أن تتخذ سُلّماً تعرج عليه روحك إلى هذا العالم ، ولا تُخلِدْ إلى الأرض إخلاد حشراتها وحيواناتها الدنيئة . ولا تُدِم النظر إلى تفاهاتها وحقاراتها وضيقها ، لئلا

يضيق نظرك وخلقك وفكرك ، وتَعْشى عيناك من رؤية النور ، وهو ما يجب أن تبصر به ... شتان بين عقلين أحدهما يحدِّق في النور والثاني يأبى أن يرفع عينه إليه .

الأول أوسع وأعلم وأروح ... والثاني أضيق وأجهل وأكثف ... لأنه مُطارَدٌ ملهوف خائف من فوات فرصة حياة الظلام التي لم يرغبها إلى غير رجعه ، فهو يملأ منها كل أوعيته ، وكلما امتلأ غاص حتى لا يبقى منه على سطحها إلا ما يبقى من فُقّاعة على سطح وحل وحمأ مسنون !

على عتبة من عتبات الكون !

إنما مثل الله ، جل جلاله ، مع أحدنا حين أخرجه من العدم إلى الوجود ، وأدخله هذه الأرض ليريه من عجائب ملكوته ما يثير به شهوته وتطلُّعه للخلود ، وحبَّه للمتاع بملكوته وعجائب صنعه ، كمثل غنيٍّ أخذ بفقير جائع عارٍ إلى قصره الفاخر ، وأوقفه على عتبته وفتح له الباب ، فرأى من موقفه هذا ما أثار شهوته للطعام والمتاع والسكنى في هذا البيت ... ولاشك أنه سيسأل هذا الغني ويتمنى عليه أن يمنحه دخول هذا القصر والخلود فيه والمتاع بما به من بهجة وتعاجيبَ وثراء ... ولا شك أن موقفه الصحيح ينبغي ألا يكون شغل النفس بعتبة المنزل ، ورؤية واجهته وحدها بدون تطلع إلى ما وراءها ...

كذلك هذه الأرض إنما هي عتبة من عتبات ملكوت الله الذي لا نرى إلا جزءاً ضئيلا من سطحه في السماء ... ينبغي لنا ألا نخلُدَ إليها وننسى ما وراءها . بل ينبغي أن نسأل الله مالك هذا الملكوت الأعظم ، ونُلِحَّ في السؤال أن يدخلنا إلى واسع ملكوته ورحب رحمته وسُبُحات جماله وأفانين صنعه ...

ذلك هو الموقف المعقول إن كنا ذوى طبع سليم وعقل غير مصروف ومزاج غير مَؤُوف !

دود !

رأيت دوداً حقيراً شنيعاً يرعى في جيفة كلب بشراهة ، فتذكرت مصيري وفزعت ..

ثم رأيت فكرى يقول في رنة أسف وألم وتحد : أنت يا هذا الدود تأكلني وتمزق أوصالي وتغيبني في جوفك ... ثم تفنى أنت أيضاً . !

لى الله ! لك الله ياجسدى وأعضائى التى تجمعت لأكون ! لكما الله يا قلبى ويامخى ! ياموضعى الأسرار الرهيبة منى ! والله لما اختزنتماه من معانى الحق والجمال والحب والخير والإيمان إن كان مصيرها كمصيركما !

هبوا أحشائى السفلى ومواضع القذر فى جسمى تفنى هذا الفناء ، وتصير إلى هذا المصير الرهيب ؛ ولكن مابال رأسى وقلبى يفنيان مع هذه الأنجاس والأقذار . ! مابال الرأس يساوى القدم واللسان يساوى الظفر ! !

أنا أفنى هذا الفناء مع الكلاب ! !

كلا ! لستُ هذه الأوصال ... ولكنها دوابٌّ وآلات أركبها وأعمل بها ، تفنى وتتجدد فى حياتى وتتهدم وتتخرب بعد مماتى .. أنا الساكن المستخفى فى جسمى ولا أراه ! والذى يحدثنى الآن ويحاكمنى ويدير هذه الآلات ويوجهها .. ذلك كائن آخر له شأن آخر ...

إنه هو الذى يتخلى عن تلك الأوصال . وسواء بعده رأس وقدم ، وعين وظفر ؛ فإنها آلاته ترساً أو مسماراً ، وجهاً أوقفا ، لابد له منها ليعلم بها ماهنا ويستكمل شئونه .

إنه هو الذى ينظر مصير أوصالى فى جوف الأرض ويتعجب من شأنها معه الآن ، وشأنها بعد أن يتخلى عنها ...

إنه هو الذى يذكرها الآن بمصيرها لِتَجِدَّ وتعمل وتأخذ نصيبها من الاحساس والشعور والفكر والعلم والقوة والنزوع قبل ألا تستطيع .

إنه راصد يقظ دائماً وراء الحس والفكر ، يقول هذا حسن وهذا قبيح ، وهذا حق وهذا باطل ...

إنه من عالم الصَّحْو المُطْلق ، والإدراك الكُلِّى ، والخلود السَّرمَدِى ، والانطلاق الحر ، والجمال الدائم . لا يفزع من ذلك المصير الحقير لنَعْله البالية التى بها يسير فى أوعار الأرض وأشواكها ومجهولاتها ومهولاتها ، بعد أن يقضى منها أوْطارَه ..!

إن هذه الأوصال طين مُزَوَّق . لبسته روح الحياة فمنعت عفونته وظلمته ، وقللت كثافته ... ثم لا يلبث إذا فارقته أسرار الحياة أن يختمر ويتعفن ويتحلل ، شأنه شأن كل نوع من طين الأرض ، يوقد عليه فى حرارة الحياة ... فلا بأس أن يذهب روح الحياة ويتركه يرتد إلى ما كان ...

ومن الطين وروح الحيوان تولد كائن آخر هو الإنسان الذى يستعلى على ذلك المصير الفانى ، ويتعلق بالفكر العالى ، والجمال السَّنِى ، والكمال السَّرِىّ ... هو الذى فزع حين رأى جيفة الكلب ، وأبى حكمه ويقينه أن يكون مصيرُه مصير روح هذا الكلب ، وإن سلَّم لقميصه المادى أن يُجَيِّف كما جَيَّفت جثة الكلب ...

عطر الخلود ورياه :

خَبَرتُ الحب ، فلم أره من أشياء هذا العالم الفانى ... وإنما هو من الخالد ... هو عطر الخلود ورياه ، يهُبُّ حين يماسّ قلب بقلب فلا يشعر به غيرهما ...

وإذا صح أن الحب فى أكثر حالاته البشرية هو عاطفة ممهدة للزواج والشعور بالجنس ، أو أنه خدعة لتحقيق مآرب من امتداد النوع ... وإذا صح أن ثمرة الغريزة هى الولد ، والنسل هو امتداد الشخصية الأبوية ، وأنه صورة من صور الخلود الذى تتعلق به وتتمناه كل ذات لنفسها ... إذاً فقد صح قولى ، إن الحب هو صبوة النفس إلى عالم الخلد ...

ويحس الفرد حين يصرعه الحب ، ويغدو قلبه فى يد هذا الطفل العابث الدائم الطفولة ، أنه يتهافتُ على موارد الحياة ، ويَهفُو قلبه إلى جميع مصادر الأُنس والبهجة والتفتُّح والخفة والطيش إلى ما تَعيزِف النفس عنه حين لا تكون فى قبضة ذلك الطفل . وهذا يؤيد عندى أن الحب هو مفتاح الشعور العميق بالحياة ، وأكبر دافع إلى خوض غُمارها وخُبر شعابها .

وليس يكون تصوير الحب أصحَّ وأوفق من تصوير قدماء اليونان إياه ، حين صوروه طفلا . فالشعور بالطفولة وارتداد النفس اليها بين المحبين ، هو أخص صفاته وسماته ؛ إذ هو يَرُدُّ الشيخ والكهل إلى حب الحياة والتجمل والتزين لها ، كحب الأطفال وتجملهم ...

ولا غرابة مع هذا أن يكون الحب مستشاراً سيء الرأى ... لأن طفولته تمنعه من سداد الأحكام !

عبد المنعم خلاف

مقالات فى كلـــات

للأستاذ على الطنطاوى

مقدمة

كان عنـدنا مدرس (فاضل) ، يعلمنا الإنشاء ولا ينشىء ، ويريد أن يجعلنا كتاباً وما كان قط كاتباً ولا صاحب قلم ، وكان مما لقننا من مسائل هذا (الفن ...) ولم نستفد منه لأننا لم نعمل به ، أن القطعة الأدبية يجب وجوباً لا جوازاً أن تجىء فى أحد عشر سطراً ، فى كل سطر إحدى عشرة كلمة ، فإن زادت على ذلك فهو الإسهاب المملّ الذى وصفه أهل البلاغة ، وإن نقصت فهو الإيجاز المخل ، وأن الموضوع إن انتشر على الكاتب واتسع كان عليه أن يأخذ من أطرافه ، ويضم بعضه إلى بعض ، ولو بتر فى سبيل هذا النظام (الأحد عشرى) عضواً منـه أوهدّ ركناً ، حتى يعود إلى حدّه ، ويدخل فى أحد عشر سطراً لا تزيد ، وإن ضاق عن ذلك وكان فى أقل منه مجزأة ودلالة على القصد ووفاء بالمرام ، كان على الكاتب أن ينفخ الموضوع حتى يكبر ، أو يركب له فوق أعضائه أعضاء أخر ، ولا بأس أن يخرج مخلوقاً مشوهاً عجيباً ...

لقد مرّ على هذا الدرس دهر طويل ، وأكبر الظن أنه قد ذهب إلى رحمة الله ، ولـكنى كلما عرضت لى فكرة لا تبلغ أن يكتب فيها مقال ذكرته ، فأنا أضيع صوراً وخواطر كثيرة لأنها تجىء فى الجملتين أو الثلاث ولا تؤلف مقالا ، ومن حقها علىّ وحق القراء ألا أضيعها ، وأن أدونها كما هى ...

لذلك فتحت هذا الباب (مقالات فى كلمات) أطرقه كلما تجمع لدىّ من هذه الكلمات ما يصلح للنشر:

ردوا علينا فننا

كنت أجوز أمس سوقاً فى حىّ بلدى من أحياء القاهرة ، أسرع الخطو لأنجو من هذا البلاء الذى يأخذ بالعين والأنف والأذن ، قذارة ورائحة مزعجة وضجة مدوّية ، وفى بعض هذا ما يهرب منه ، وإذا بى أسمع صوتاً تيقظت له روحى وتنبهت أعصابى ، صوتاً منبعثاً من قهوة هناك ذكرنى أيامى الخوالى وبلدى ومجالس لى فيه . واشوقاه إلى هذه المجالس ! صوتاً أبصرته يطفو على وجه هذه الأمواج العاتية من ضجة السوق وصراخ الباعة ، يرقص نورانيا ، ثم يذهب فى جوانب السوق القذرة فيغسلها ، ويطهرها ويحيلها جنة شممت عبيرها ، ورأيت وردها ، وسمعت تغريد بلابلها ، ذلك الصوت هو (دور) قديم للصفتى طالما سمعته فلم أملّه ، ولم تبل فى أذنى جدّته ، هو دور (يا الله اصلح الحال) الذى يقول فيه ، يصرخ صرخة متألم محروق (أنا على نار فى انتظار مطلوبى) و (يا اللى عليك العين تبكى أشوفك فين) يرددها وما أحلى ذلك الترداد إذ يقلب فيه الأنغام والقلوب ، وهذا هو سرّ فننا ، وفيه براعة المغنى من مغنينا ، أما الغافلون فيحسبونه ترداداً غطياً ، وقولا معاداً ، وهو السحر ، وهو الفتنة ... لقد نسيت منه السوق ، ونسيت يومى ، وعشت مع هذا العاشق الذى تبكى عينـه على حبيب لا يدرى أين مقره ومثواه . وأبصرت مأساته ، ولمست جرحه الدامى ، وأحسست دمه الآنى .

يا ناس ، افهموا عنا ، وسلوا قلوبكم ، ودعوا التقليد ، فلئن كان العلم عالمياً لا جنس له ولا وطن ، فالفن لعمر الفن ما كان عالمياً ولن يكون . حاولوا أن تطربوا الإفرنج بغنائكم . إنكم لن تطربوهم ولا تطربون أنتم لغنائهم ، ولـكن منا من يستشعر قوتهم وضعفنا ، فيخادع نفسه رياء وتقليداً . يا ناس ، هذه أغانينا ، لا ما تنقلونه الينا من هناك . إنها لنا وحدنا . إنها ألفت من خفقات قلوبنا ، وأشواق محبّينا ، وزفرات عشاقنا ، ودموع آلامنا ، ودماء أكبادنا . ألا ترون المغنى ينطلق بها صوته حراً ممتداً ، على حين نرى أصحاب هذا الفن (الجديد) ، يغنون ملوية أشداقهم ، يعتصرون الحناجر اعتصاراً ، فيخيل إلىّ وأنا أسمع منهم (آه ...) وهم يرجعون ألفها ، أنى أمام نفساء تصرخ من آلام الوضع !

أليس حراما عليكم يا أيها الموسيقيون ، أن تحرمونا هذه النعمة بفننا الذى هو لنا ، وأن تأتونا بكل غريب عنا ! ألم تدركوا أن أذواق الناس لا تنشرح إلا للشرق الأصيل ؟ أنسيتم كيف هتف السامعون فى كل قطر عربى لصوت (على بلد المحبوب وديني) لأنه لحننا ، ومعانيه معانينا التى نحس بها ؟ ما لنا وللجندول

وأهل الجندول؟ ما لنا وللأنغام الإفرنج التي لاطعم لها في حلوقنا؟! إن كان لا بد من تجديد. فهاتوا مثل تجديد سيد درويش !

أما إنني قد أعجب بعبد الوهاب، ولكنني أطرب لدور الصفتي أما الطرب الحق الذي يهز نفسي ويبلغ قرارتها، فللعتابا الشامية، والأبوذية البغدادية، وهذه الأغاني البلدية المصرية!

أي والله وقولوا عني ما شئتم!

لذة الخمول

إن من دأبي كلما هبطت بلداً لا أعرف فيه، أن أجوب طرقه وأضرب في سككه على غير هدى، أمشي حيث يدعوني بصري وتحملني رجلاي. وكلما رأيت مشهداً استوقفني وقفت عليه، أستمتع بالجديد أتقاه، ولا يلقاه الناس جديداً لطول ألفهم إياه، وأعجب من الأمر لا يعجبون منه ... لذائذ خصصت بها من بينهم وحدي!

وأختزن هذه الصور في موضع الذكريات من نفسي إلى يوم الحاجة إليها، كما يدخر مصور السينما ما يصور من المشاهد ليضعه في مكانه من (الفلم).

وسر المتعة في هذا التطواف أني أرى الناس ولا يرونني، لأن جهلهم بي يصرفهم عن الانتباه إليّ، فأكون كمن يلبس (طاقية الإخفاء) فيحس الحرية والانطلاق وأنه هو وحده مكافئ لهؤلاء الناس كلهم، وتلك هي لذة الخمول والنكارة، وإنها لأكبر من لذة الشهرة. ولأن أمر في الطريق لا يعرفني فيه أحد أحب إليّ من أن يشير بإصبعه إليّ كل واحد، وإذا كان الرجل المعروف يزهى وينتفخ فإنه يتقيد ويتضايق إذ يحس أنه مراقب، تعد عليه أنفاسه، وتحصى حركاته وسكناته، وإن المجهول المغمور أهدأ منه بالا، وأسعد حالا ... فلا تحسدوا أهل الشهرة على شهرتهم، بل اغبطوا أهل الخمول على خمولهم ...

مجلة أوتوماتيكية:

من أعجب ما رأيت في مصر، وما أكثر عجائب مصر، مجلة لا يدري صاحبها من أمرها إلا أن يرسل الورق إلى المطبعة وأن يدفع الحساب، أما الكتابة فيها وإعداد مقالاتها فيقوم به صاحب المطبعة بالمقص، فهو يقطع من الجرائد والمجلات والرسائل ما يراه يصلح لها، والمنضد يصف حروفه، والطابع يطبعه، ثم ترسل المجلة إلى المشتركين والباعة، وأعجب من هذا كله أن صاحبها المكتوب اسمه في رأسها بالقلم الجلي لا الثلث، لا يقرؤها ولا يطلع عليها أبداً، ولا يحاول أن يعلم ما الذي نشر فيها...

... والناس يسمونه صحفياً، وأديباً، وكاتباً، ووزارة المعارف — فيما سمعت — تشتري من مجلته أكثر مما تشتري من مجلة الرسالة مثلا ... ويقال بأن هذا العصر عصر الحقائق، لا عصر التدجيل!

التطبيع:

التطبيع: هو الخطأ المطبعي كما سماه الأديب الضليع واللغوي المحقق، الذي لم يسم عضواً في المجمع اللغوي في مصر، النشاشيبي.

وإن في قلبي من التطبيع لحزات وغصصاً، أكتب المقالة وأبعث بها إلى المجلة، فتجيئني وقد حرفت فيها الكلمات وصحفت، وبدلت وغيرت، وزلزلت عن مواضعها وزحزحت. وأتى بما لا يخطر لي على بال ونسب إليّ ووضع عليه اسمي، ولو عرفت العامل الذي صنع بي ذلك لأخذت بخناقه، ثم لم يشف غيظي منه إلا أن أنزل عليه ركلا ولكما. ولكني لا أعرفه ولا آلمه، فليعلم ذلك القراء، حتى إذا استشكلوا شيئاً أو وجدوا خطأ قدروا الضمير المستتر فيه إلى العامل قبل إعادة الضمير فيه إليّ، أو سألوني عنه قبل أن يأخذوني به.

القاهرة

علي الطنطاوي

تصويب

وقع تطبيع في مقالة (كلمة لا بد منها) في العدد ٦١٥ من الرسالة وهو:

الخطأ	العمود	السطر	الصفحة	الصواب
ردّه	٢	٢	٣٩٢	ردّ
يشنعوا	٢	٩	٣٩٢	يشفق
يخرج	٢	٩	٣٩٢	لا يخرج
فلا ينشر	٢	١٢	٣٩٣	ينشر
نصل	٢	١٣	٣٩٣	نصل إليها

العلم الحديث والعمران

للأستاذ نقولا الحداد

يقوم عمران البلاد على نتاج العلوم الطبيعية والرياضية والاجتماعية ، ودماره يقوم على هذه أيضاً .

المدنية الغربية الحديثة هي مجموعة الاختراعات المادية العملية العجيبة التي أثمرها هذا العقل الإنساني القدير في القرن الماضي ونصف الحاضر مستندة إلى العلوم الرياضية والطبيعية ومقترنة بتوسع الشؤون الاجتماعية من اقتصادية وسياسية وصحية .

وأسوأ مساوئ هذه الاختراعات التي تعاظم شأنها مع تقدم العلم أنها كانت أفعل العوامل في تقويض العمران وإطفاء نور المدنية . فما ابتكرته هذه المدنية الحديثة من علم واختراع كان مقوّضاً لأركانها وهادماً لبنيانها . وقد يكون في المستقبل العامل الوحيد لفنائها « كدودة القز ما تبنيه يهدمها » .

سطعت هذه المدنية الغربية حتى غلف ضياؤها سطح الكرة الأرضية ، وكادت تغمر النوع الإنساني بلوامع السعادة والهناءة ، لولا ما اعتورها من غياهب النزعات السياسية والاقتصادية ، فكانت هذه النزعات تثير ثورات الشعوب والأقوام بعضها على بعض فتطفئ تلك اللوامع بألوف منتجات الكيمياء والبخار والكهرباء التي تمتع بها العالمان القديم والجديد مما يعلمه كل إنسان وبألوف تلك المنتجات وما أضافته عقول الحرب إليها يتدمر الآن عمران العالم كله . لذلك يقول بعض قصار النظر : « لا كان العلم والاختراع ولا كان هذا الدمار » .

وقد خفي على هؤلاء أن الذنب ليس ذنب العلم والاختراع ، وإنما هو ذنب هذا العقل الإنساني العجيب الذي ابتدع هذا العلم الأرضي الباهر ، ولم يبتدع إلى جنبه خلقاً سماوياً ساطعاً .

لهذا أمكن جيش الشياطين والأبالسة أن يغزو ملكوت الإنسان ويفتحه ويستتب فيه ويملكه . فليس الذنب ذنب العلم ، بل هو ذنب النفس الأمارة بالسوء ، أصلح النفس وطهرها فيطهر العلم من عوامل الشر ويعمل للخير وحده . ما ذا كان نصيب الشرق من هذه المعمعة التي التحم فيها العقل المبدع والنفس الأمارة بالسوء .

كان أن الشرق سرق من فردوس الغرب بعض ثمار علمه وشاركه بالتمتع بها ولكنه لم يشاركه في فلاحة ذلك الفردوس وزراعته . على أنه لما جاء دور التدمير أصاب الشرق ما أصاب الغرب من ويلات التدمير . وأقل ما مني به الشرق أنه ازداد عبودية للغرب في السياسة والاقتصاد وغيرهما ، وبالتالي أصبحت سعادته الحيوية متوقفة على الفضلة الفاضلة من سعادة الغرب . وهذا الفقر في السعادة جزاء ذلك الفقر في العلم . وكيف يمكن أن تغتني بالسعادة ونحن لم نشترك مع الغرب في تحصيلها بل نسرق فضلاتها منه ؟

لا يمكن أن نرفع عن رقابنا نير العبودية للغرب إذ لم نباره في العلم العملي والاختراع والاصطناع . لو كان لنا علم وقوة اختراع وأمكننا أن نخترع الطيارة واللاسلكي والبارجة والغوّاصة ، إلى غير ذلك مما لا يحصى من الاختراعات لاستحال على الغرب أن يستعبدنا وأن يبتز ثروتنا وأن يزعزع كياننا وأن ينغص عيشنا .

أخذنا العلم الحديث عن الغرب فلاحرج ، ولاعيب أن نقتبس العلم منه . الغرب اقتبس قبلنا من الشرق . ولكن أية فائدة عمرانية استفدنا من هذا العلم ؟ هل استفدنا منه أن نخلص من الاتكال على الغرب ؟ هل استطعنا أن نستقل عمرانيًّا أواقتصادياً على الأقل؟

منذ بُني خزّان أسوان إلى اليوم ونحن نتحدث عن توليد الكهرباء منه. واصطناع السماد بواسطتها فلماذا لم نولّدها ؟ — ليس ذلك لأنه لا يوجد عندنا رأس المال اللازم لهذا العمل العظيم ، ولا لأن الحكومة عاجزة عن تقديم المال ، ولكن ليس عندنا مهندسون كهربائيون يجرؤون أن يقدموا على هذا العمل أو يوثق بكفايتهم . وليس عندنا الآلات والأدوات اللازمة لهذا العمل ولا مصانع لها عندنا . ولذلك نعرض الشروع على المهندسين الأجانب مضطرين . فإذا لم يتفق الأجانب معنا على هذا الشروع لا يتكهرب خزان أسوان . وقس عليه كثيرا من المشروعات الاقتصادية العمرانية الكبيرة التي نحن محرومون منها لقصور فينا . إذاً فماذا استفدنا من العلم الذي اقتبسناه ؟ ما استفدنا إلا أن شبابنا حصلوا على بعض الثقافات الفنية العملية التي تمكنهم من الارتزاق

فقط . ولكن بعد الحصول على وسائل الاسترزاق لم يستمر المثقفون فى طلب المزيد من العلم بعد الحصول على الدبلوم التى توصل إلى حرف الارتزاق . فلما نرى مثقفاً يستمر فى الدراسة بغية الاستزادة من المعرفة ، ولا نرى مثقفاً قصد البحث فى العلم بغية اكتشاف نظرية علمية أو استخراج حقيقة جديدة . والأرجح أن معظم الذين تخرجوا وغنموا الشهادات التى تخولهم حق العمل لم يعودوا يفتحون كتاباً لترويض عقولهم وتوسيع معارفهم لكى تحفز أذهانهم للبحث والتفكير والاستنباط .

أكسلا كان هذا الإهمال أم عجزاً أم ضعفاً عقليا ام قلة ثقة بالنفس وتمادياً فى الاتكال على الغرب ؟

فلقلة اكتراث المثقفين بالمطالعة لا نرى فى مطبوعاتنا اليومية إلا النزر اليسير من المؤلفات العلمية المفيدة التى تحتوى على كل ما استجد من الحقائق العلمية ، وكل يوم تظهر معلومات جديدة فى العلم . ولكن الذين كانوا فى معاهد العلم قبل ظهورها لم يقفوا عليها لأنهم لم يجدوها فى مطبوعاتنا الجديدة . وإذن فكأنهم لم يثقفوا الثقافة التامة .

لا نرى من المطبوعات الجديدة عندنا واحداً فى المائة حتى ولا واحدا فى الخمسمائة من المؤلفات العلمية التى تلم بكل جديد من العلم . لا نرى إلا مئات المؤلفات فى الأدب والقصص واللغة والتاريخ الخ . ولكن بكل أسف لا تقوم المدنية على الأدب . ولولا ما نقتبسه من علم الغرب لكنا بلا مدنية عصرية نجارى بها العالم .

الأدب ليس قوام المدنية وإنما هو حلية لها . فاذا كانت المدنية مزينة بأجمل الحلىّ وأثمن الجواهر ولكن على بدنها أطمار الجهل العلمى فهل نقول إنها حسناء رائعة الجمال ؟

وكيف تحيا وتترعرع وهى بدن سقيم وجسم ضعيف . وكيف يبدو جمالها وهى لاقلب ولاروح . ليس بالقصائد والقصص وروائع الأدب اخترعت الطيارة والسيارة واللاسلكى والسينما والمطبعة إلى غير ذلك من ألوف الاختراعات التى يتمتع بها البشر الآن . الأدب وحده لا يبنى مدنية أو عمراناً بل هو ثانوى فى بناء العمران وإنشاء المدنية .

بكل أسف نقول إن الأدب طغى عندنا على العلم حتى كاد يختفى هذا وراء الغيوم ، ولم يعد المثقف وقليل الثقافة يرى فى سوق الطباعة إلا قليلاً من الأدب الجميل وكثيراً من الأدب السخيف . فكيف يمكن أن تكون لنا مدنية ذاتية خاصة بنا وغير مستعارة وغير مزيفة ؟

لسنا فقراء فى رجال العلم . ولكننا فقراء فى قرّاء العلم حتى من المثقفين ، وأغنياء بقراء الأدب الفكاهى وبقليل من الأدب الراقى الصافى . ولذلك قلّ الذين يؤلفون فى العلم ويقدمون لنا ثمرات العلم الحديث .

لولا بعض المجلات التى تعنى قليلاً بطرائف العلم الحديث ، ولولا بعض المؤلفين الذين أغرموا بالمطالعة والتأليف والنشر لكان عندنا قحط علمى يُعنون مدنية زائفة .

حبذا لو أمكن إحصاء اقبال القراء على المؤلفات العلمية ذات القيمة لكى نعلم هل نحن جادون فى التقدم العلمى ، وأن هذا التقدم يبشرنا بأننا مقبلون على مساهمة الغربيين فى الانتاج العلمى والاختراع والاكتشاف لكى نستبشر بالاستقلال العمرانى الحقيقى وعدم الاضطرار إلى الاتكال على الغرب فى بنيان مدنيتنا .

إذا عرفنا أن للمؤلفات العلمية ونحوها إقبالاً من القراء كبيراً عرفنا أننا نبنى عمراننا وليس الغربيون يشيدونه . هل يا ترى من وسيلة لهذا الاحصاء لكى نعلم فى أية درجة نحن من التقدم العلمى ؟

نقولا الحداد

الأفغاني والوحدة الاسلامية

للأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف

— ٣ —

ماذا كان يرجو السيد الأفغانى من وراء الوحدة ؟ وماذا كان يعلق عليها من الآمال والأغراض ؟ ويحدد لها من الأهداف والغايات ؟

لقد كان الرجل يقف من ذلك بادىء الأمر عند مسألة المسائل ، فكان كل مايرجو أن تكون الوحدة قوة دفاعية تقف فى وجه الأستعمار ، وتقوم « سداً يحول عن المسلمين السيول المتدفقة عليهم من كل جانب » ، ومعنى هذا أنه كان يرجو من الوحدة أن تكون وقاية وحماية ، هدفها الوقوف فى وجه الخطر وكفى ، ولكنا نراه بعد ذلك يتوسع فى الأمل ، ويتفسح فى الغاية ، إذ يقرن « بالميل إلى وحدة تجمع ، الكلف بسيادة لاتوضع !! ، ويطمع أن يرى المسلمين « تتلاقى هممهم ، وتتلاحق عزائمهم فى سبيل الطلب ، فيندفعون للتغلب على الذين يلونهم ، كما تندفع السيول على الوهاد ، وألا تقف حركتهم دون الغاية مما نهضوا اليه ..!!

وكأن الرجل قد رأى نفسه فى القمة من الرأى والقوم لايزالون يدرجون عند السفح ، وكأنه أدرك أنه بلغ فى التوسع بالأمل مبلغاً تتعاظمه النفوس ، وتستهوله العزائم ، فأخذ يتلمس كل وجه من وجوه التدليل على مايجب من الحماسة لهذه الغاية الضرورية ، وراح يبذل كل ما فى وسعه من اللباقة والزلاقة ليصل بهذا الرأى إلى أطواء القلوب ومكامن العقيدة ، فنراه يقرر أن الوحدة والسيادة « أمران خطيران ، تحمل عليهما الضرورة تارة ، ويهدى إليهما الدين تارة أخرى ، وكل منهما يطلب الآخر ويستصحبه ، بل يستلزمه » ، وبعد أن يتمشى الأفغانى فى شرح هذا الاستلزام من الناحية النظرية ، يجنح فى الاستدلال إلى مايدل عليه « تصفح تاريخ الأجناس ، واستقراء أحوال الشعوب فى وجودها وفنائها ، وما درجت عليه سنة الله فى الجمعيات البشرية ، من جعل حظها من الوجود على مقدار حظها من الوحدة ، ومبلغها من العظمة على حسب تطاولها فى الغلب ..!! » ، ثم ينتهى فى أسلوبه هذا إلى الوتر الحساس ، وتر الدين المشدود بالقلوب ، فيقرر « أن الوفاق والغلب ركنان شديدان من أركان الديانة الإسلامية ، وفرضان محتومان على من يستمسك بهما ، فمن خالف أمر الله فيما فرض منهما عوقب من مقته بالخزى فى الدنيا والعذاب فى الآخرة ..!! » ، ولكنه لايخلص من هذه النتيجة إلا بعد أن يدعمها بكثير من آيات التنزيل ومأثور السنة ومواقف الإسلام..

فما هذا ؟ أهى أحلام المجد ، ونعرات مثالية كانت تملأ رأس الرجل وتفعم وجدانه ؟ أم هى دعوة إلى الممكن يؤدى إليها الامكان ويحتملها الجهد ؟! يبدو لنا أن الأفغانى وضع أمامه صورة الأمبراطورية الإسلامية فى عصرها الزاهر ، وسلطانها الغالب ، وأخذ يرسم للمسلمين صورة مماثلة لها ويضعها أمامهم الغاية الرشيدة التى يجب عليهم بلوغها والأخذ بأسبابها ، فكان صنيعه هذا كصنيع الحكماء فيما تصوروه فى قيام « المدينة الفاضلة » ، كل ماعندهم أن يصح الرأى فى أذهانهم ولا شأن لهم إذا لم يصح فى عالم الواقع الذى عليه الناس ، وهكذا راح الرجل يموج فى أمل طويل عريض ، ويقف بالرأى عند غاية تحتاج فى إدراكها إلى رجال وحبال كما يقولون ، وفاته أنه كان يهز جسماً فقد حيويته ، وينادى على عالم ضاعت معالمه ، فليس هذا مما يكفى فى إيقاظه ، ولكنه كان يحتاج إلى بعث جديد ، وخلق من طراز آخر .

فالأفغانى لم يكن فى أمله هذا بالرجل السياسى الذى يرسم طريق الخلاص على ماتسمح به الظروف والملابسات ، وما يمكن أن يكون فى عالم الواقع الماثل بما يصح أن تبلغه الجهود ويؤدى إليه الاستعداد ، ولكنه كان ينزع نزعة مثالية يضع بها الأمل فوق العزم ، وينتهى فيها إلى غاية أكبر من الجهد ، وهل كان من الممكن أو من المعقول أن ينهض العالم الإسلامى الذى فرقه الاستعمار ، وقتله الجمود ، وفقد كل عدة مادية ، وقوة معنوية ، فيقف بين عشية وضحاها جبهة مدافعة ، وقوة متسلطة ، أمام الغرب الطاغى ، والاستعمار الزاحف بما لامثيل له فى التاريخ من أساليب السياسة والفكر ، وأفانين العدة والذخر ، فياليت شعرى ، ألم ير الأفغانى ، وهو الذى طوف بكثير من أنحاء الدنيا

كيف كان الغرب يسير بالبخار وبالكهرباء على حين كان الشرق فى ذلك الوقت لايزال يركب الجمل ؟ ! .

إنها فى الواقع حقيقة لم تغب عن فطنة الأفغانى ، ولم تغرب عن إدراكه النافذ ، فعلى الرغم من أنه كان يثق ثقة كبيرة بالقيمة العددية واحتشاد الجموع ، فأنه لم يقف بأمله عند تحقق الوحدة وجمع الكلمة ، بل أخذ يدعو إلى الاستعداد النادى « واكتناه أسباب تقدم الغرب والوقوف على تفوقه وقدرته » ، وإنه ليضرب للمسلمين المثل فى ذلك بأمة الروس ، وهى كما كانت « أمة متأخرة فى الفنون والصنائع عن سائر أمم أوروبا ، وليس فى ممالكها ينابيع للثروة ، ولكن كانت ، فليس هناك مايستفيضها من الأعمال الصناعية ، فهى مصابة بالحاجة والفاقة والعوز ، غير أن تنبيه أفكار آحادها لما به يكون الدفاع عن أمتهم ، واتفاقهم على النهوض به ، وارتباط قلوبهم صير لها دولة تميد لسطواتها رواسى أوروبا . لم يكن لروسيا مصانع لمعظم الآلات الحربية ولكن لم يمنعها ذلك عن اقتنائها ، ولم يرتق فيها الفن العسكرى إلى ما عليه جيرانها ، إلا أن هذا لم يقعد بها عن جلب ضباط من الأمم الأخرى لتعليم عساكرها حتى صار لجيشها صولة تخيف ، وحملة تخشاها دول أوربا .. »

وهذا صحيح ، صحيح فى عالم المعقول ، وفى عالم الإمكان . وهنا يسير الأفغانى بأمله فى الوحدة إلى طريق عملى ، ويهدى إلى أسلوب واقعى ، كان من الضرورى أن يكون فى إدراك الغاية . وبلوغ الهدف ، وهو الذى كان فعلا فيما أخذت به الأمم الإسلامية فى نهوضها وفى توثبها إلى حياة العزة والحرية ، وما من شك فى أن الأفغانى كان يعلم أن هذا الطريق يستغرق فى اجتيازه مسافة من السنين والأعوام ، وأنه لايؤدى إلى نتيجة عاجلة يستطيع العالم الإسلامى بلوغها فى أيام ، ولكنه على الرغم من ذلك كان ينادى ويهيب ويتعجل الغاية ويطمع أن يرى القوم عندها بين طرفة عين وانتباهتها ، وهنا يبدو الأفغانى مرة أخرى مسرفاً فى الأمل ، مغرقاً فى الرجاء .

إن بناء الأمم والشعوب يتمشى مع الزمن وتطور الأيام . ولن تستطيع دعوة من دعوات الإصلاح أن تؤتى ثمرها وأن تحقق النتيجة من ورائها إلا إذا نضجت واستوت وأشربتها النفوس والقلوب عقيدة راسخة ثابتة ، فالمبادىء التى نادت بها الثورة الفرنسية لم تستطع القوة أن تحققها طفرة ، ولم تقدر المقصلة أن تفرضها رغباً ورهبة ، ذلك لأن الزمن لم يكن قد أنضج تلك المبادىء بعد ، فشبت الثورة واستطار لهيبها فى أرجاء العالم ، ثم همدت وماتت وقد خلفت من ورائها تلك المبادىء يحققها الزمن بما فى قدرته على الإنضاج والتسوية ، ولا يزال الزمن يجد فى تحقيقها إلى اليوم . وكذلك كانت الثورة العرابية ، تلك الثورة التى قامت كما نعلم تروم خطة واسعة وغاية كبيرة كانت لا تزال نجوى فى المجال الفكرى والعقلى عند القادة ، ولم تكن قد انحدرت بعد إلى قلب الشعب فى مكان العقيدة ، ولهذا فشلت الثورة بها فجأة كما قامت فجأة ، وانتهت على أهون مايكون كما ابتدأت بأهون مايكون . ولو أن الشعب كان يضم جوانحه على ماتنادى به الثورة من المبادىء والأغراض ، وما تهدف إليه من المطامح والغايات ، لما أفلحت الدسيسة فى خذلانه ، ولا وجدت الخيانة مكانا بين صفوفه ، ولما سلم فى الجولة الأولى وجعلها بداية النهاية .

فما نحسب أن الأفغانى كان يخفى عليه إدراك هذه الحقيقة ، ولكنه كان ينظر إلى طغيان الاستعمار على الشرق وإلى المطامع التى أنشبت أظفارها بعنقه ، فكان يفزع لسوء المغبة ، ويجزع من التراخى أمام الكارثة ، ويصرخ بدعوته إلى رأب الصدع وحشد الجهود وفى الأمل بقية . وإن من الظلم للتاريخ وللرجل أن نتهمه بالفشل وأن نصف مسعاه بالخيبة ، فحسبه نجاحا أنه رسم الطريق ، وهيأ الأذهان ، وأقام فكرته عقيدة كان لها أكبر الأثر فى توجيه الشرق الإسلامى إلى مجالى النهوض والتجمع ، وإن ماوصلنا إليه من وضع فى الوحدة ثمرة من ثمرات ذلك الرجل العظيم .

لقد أيقظت دعوة الأفغانى الشرق ، كما أفزعت الغرب ، وعلى الرغم من أن الرجل كان يبذر آراءه فى تربة غير صالحة من طول ما تراكم عليها من صدأ الجهل واستبداد الظلم وبؤس الخنوع ، فقد استطاع لصدق غيرته وشدة نخوته وقوة شخصيته أن يصل بها إلى قرارة النفوس والقلوب ، وأن يحشد لها جهود الغيورين ، وأن يقيم لها دعامة قوية من التلاميذ والمريدين . وبهذا أصبحت تياراً

فكريا مضاداً لأطماع الاستعمار الأوروبى من جهة ولمفاسد الاستبداد العثمانى من جهة اخرى ، ولم يكن الاستعمار الأوروبى الطامع بجهل خطر هذه الدعوة عليه إذا ما نجحت ، ولم تكن تركيا دولة الخلافة والرئاسة تنظر إليها إلا بعين الشك والريبة ، بل كانت تراها فكرة هدامة ، ودعوة إلى التمرد على « الاسلامية » التى تمثلها الخلافة ، فكان من الطبيعى أن يكون الأفغانى ومريدوه والمتشيعون له هدفاً للمناهضة والتنديد والاتهام . وكان أول تهمة ألقيت على الأفغانى وأتباعه فى دعوتهم أنهم دعاة عصبية وتعصب . وقيل يومذاك إنهم يريدون النهوض بالمسلمين على حساب الطوائف الأخرى التى تقطن البلاد الإسلامية ، وارتفعت صيحات كثيرة تندد بالتعصب وبالمسلمين « الجامدين » الذين يدعون إلى العصبية . ارتفعت هذه الصيحات من جانب الغرب وفى وسط الشرق الاسلامى نفسه ، وكان لها أثر ملموس فى مناهضة الوحدة على الوضع الذى كان يريده الأفغانى ، وإنها لتهمة مغرضة ينكرها الرجل كما ينكر دعاتها ، ولهذا اضطر الرجل أن يرسل هذه الصيحة للتحذير والتنبيه فى العدد الثامن من مجلة العروة الوثقى إذ يقول : « لا يظنن أحد من الناس أن جريدتنا هذه بتخصيصها المسلمين بالذكر أحياناً ومدافعتها عن حقوقهم تقصد الشقاق بينهم وبين من يجاورهم فى أوطانهم ، ويتفق معهم فى مصالح بلادهم ، ويشاركهم المنافع من أجيال طويلة ، فليس هذا من شأننا ولا مما نميل إليه ، ولا يبيحه ديننا ولا تسمح به شريعتنا ، ولكن الغرض تحذير الشرقيين عموماً والمسلمين خصوصاً من تطاول الأجانب عليهم ، والأفساد فى بلادهم ، وقد نخص المسلمين بالخطاب لأنهم العنصر الغالب فى الأقطار التى غدر بها الأجانب ، واستأثروا بخيراتها ، وأذلوا أهلها أجمعين ... »

فالأفغانى لم يكن داعية تعصب دينى بالمعنى المفهوم فى الغرب ، ولم يكن داعية تعصب جنسى يقف عند صلات الدم ، ولكنه كان ينادى فى ذلك بروح الإسلام السمحة ، وقد لبث هو وتلاميذه يصولون فى مجالس الدعوة بهذه الروح وفى هذا الاتجاه ، وإذا كانوا فى كتاباتهم قد دعوا إلى العصبية ، فانما هى العصبية للنهوض والأخذ بأسباب التقدم ، ولو أننا رجعنا إلى كتاباتهم لرأيناهم يستعملون العربية والشرقية مرادفة للاسلامية ، وإنما دعا الأفغانى وأتباعه إلى الوحدة باسم الإسلام لتكون أعم وأشمل ، وليدخل فى حسابها أمم إسلامية لا تمت إلى العربية ولكن لابد من ضمها إلى الوحدة ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان « الإسلامية » كانت كما يقول بعض الكتاب : « رمزاً لروح خاص ، وعقلية خاصة ، وحضارة خاصة أيضاً » ، وقد كانت الرباط المتين الذى ربط أجزاء الأمبراطورية العربية على طولها وامتدادها فى أفريقية وآسيا وأوروبا ، وقد كانت تركيا نفسها تحكم هذه الشعوب وتبسط سلطانها على جميع الطوائف فى الشرق باسم الاسلام وحمل لواء الخلافة الاسلامية .

والواقع أن الأفغانى لم يكن واهماً فى اختيار العامل الدينى للوحدة وجمع الكلمة ، فقد ظل هذا العامل يكيف التفكير الاجتماعى والاتجاه العمرانى فى الشرق آمادا طويلة وقرونا متعاقبة ، ولم يكن لعامل من العوامل فى تحريك الوجدانات والعواطف وسحر العقول والقلوب مثل ما كان لذلك العامل العريق الذى صنعه الزمن وقواه التاريخ وأرسخته المشاعر المستغرقة ، فكان اختيار الأفغانى اختيارا طبيعياً ضرورياً لاغبار عليه ولامناص منه ، لأنه أمسك برابطة قوية متينة لا تقوى عليها إلا رابطة راسخة تسندها قوة دافعة ، ولو أن الرجل تنكب هذا الطريق ونظر إلى الاعتبار السياسى بعيدا عن هذه الرابطة لما صنع شيئاً ، ولضاعت صرخته فى واد .

(للكلام صلة) **محمد فهمى عبد اللطيف**

صوت من العالم الآخر

للأستاذ نجيب محفوظ

— ٢ —

غمرني شعور عجيب بأني فارقت الحياة ، وأني لم أعد من أهل الدنيا ، ماذا حدث ؟ ! وما الذي تغير في ؟ ! مازلت في الحجرة . والحجرة كما كانت ، فأمي وزوجي تحنوان على جسمي ، ولكن حدث شيء بلاريب ، بل أخطر الأشياء جميعاً . لم أوخذ على غرة . ولو كان بي قدرة على الكلام لأجبت زوجي — حين سألتني « توتي … ماذا تجد ؟ » بأني أموت . ولكني فقدت قدرتي على الكلام وغيره . فلم أوخذ على غرة كما قلت ، وشعرت بزورة الموت كما يشعر المضطجع بدبيب الكرى وتخدير النعاس . ثم رأيته جهرة . والذي لاشك فيه أن الموت ليس مؤلما ولا مفزعا كما يتوهم البشر ، ولو عرف حقيقته الحيّ لنشده كما ينشد نشوة الخمر المعتقة ، وفضلا عن هذا وذاك فلا يخامر المحتضر أسف ولا حزن بل الحياة تبدو شيئاً تافها حقيراً إذا ما تخايل في الأفق ذاك النور الالـهي البهيج . كنت مكبلا بالاغلال فانفكت أغلالي . كنت حبيساً في قمقم فانطلق سراحي . كنت ثقيلا مشدوداً إلى الأرض تخلصت من ثقلي وأرسلت وثاقي . كنت محدوداً فصرت بغير حدود . كنت حواسّ قصيرة المدى فانقلبت حسا شاملا كله بصر وكله سمع وكله عقل ، فاستطعت أن أدرك في وقت واحد ما فوق وما تحتي وما يحيط بي ، كأنما هجرت الجسم الراقد أمامي لأتخذ من الكون جميعاً جسماجديداً . حدث هذا التغيير الشامل الذي يجل عن الوصف في لحظة من الزمان ، بيد أني ما برحت أشعر بأني لم أغادر الحجرة التي شهدت أسعد أيام حياتي السابقة . كأن العناية وكلتني بجسمي القديم حتى ينتهي إلى مستقره الأخير ، فجعلت أتأمل ما حولي في سكون وعدم اكتراث . وقد غشي جو الحجرة حزن وكآبة ، وأخذت أمي وزوجي تتعاونان على إنامة جسمي على الفراش ، ثم قبلت زوجي جبيني . ولثمت أمي قدمي ، ونادتا أبنائي والخدم . وراحوا جميعاً يعولون وينتحبون ، رأيت جسمي — صاحبي القديم — بملامحه المعهودة راقداً لاحراك به ، وقد ابيض لونه وشابته زرقة وتراخت أعضاؤه وأطبق جفناه ، ومضى الحاضرون يسكبون عليه الدمع الغزير يكادون يهلكون كمداً وحزناً وغما . ومضيت أنظر اليهم بعدم اكتراث غريب كأنه لم تربطني بهم يوما آصرة قربى ! ما هذا الجسم الميت! لماذا تصرخ هذه المخلوقات ؟ ما هذا الأسى الذي جعل من سحنهم دمامة شوهاء ! كلا لم أعد من أهل هذه الدنيا ، ولم يردني إليها صراخ أو بكاء ، ووددت لو تنقطع أسبابي بها لألحق في عالمي الجديد . ولكن وا أسفاه ، إن بقية من حريتي لم تزل عزيزة عليّ ، أسيرة إلى حين . فلآخذ نفسي بالصبر وإن شق عليّ . وجاءت أمي بملاءة وسجت الجثة ، ثم أخرجت العيال والخدم ، وأخذت زوجي من يدها ، وغادرتا الحجرة ، وأغلقتا الباب . لم يغيبا عن ناظري لأن الجدران لم تعد حائلا يحجب شيئاً عن بصري . فرأيتهما وهما تغيران ملابسهما وترتديان السواد ، ثم اتجهتا نحو فناء الدار وهما تحلان من ضفائرهما وتحثوان التراب على رأسيهما ، وخلعتا النعال وهرعتا إلى باب الدار ، وانطلقتا تصوتان وتلدمان ، ومضت أمي تصرخ « وا إبناه » فتصرخ زوجي « وا زوجاه » ثم تهتفان معا « يا رحمتا لك يا توتي المسكين ! خطفك الموت ولم يرحم شبابك » وتركتا الدار على تلك الحال من العويل والنواح ، وأخذتا في طريقهما ، حتى إذا مرتا بأول دار تليهما برزت لهما ربة الدار في ارتياع وصاحت بهما : « ما لكما يا أختاي ! » فأجابت المرأتان «خربت الدار، وتيتم الصغار، وثكلت الأم، وترملت الزوج، يا رحمة لك يا توتي ! » فصوتت المرأة من أعماق صدرها وصاحت « واحر قلباه … يا خسارة الشباب … يا ضيعة الآمال … » وتبعت المرأتين وهي تحثو التراب على رأسها وتلطم خديها ، وكلما مررن بدار برزت ربتها وانضمت إليهن ، حتى انتظم الحشد نساء القرية جميعاً ، وتقدمتهن امرأة دربة بالنياحة ، فجعلت تردد اسمي وتعدد فضائلي ، وذهبن يقطعن طرقات القرية باعثات الحزن والأسى في كل مكان . هذا اسمي تردده النائحات ، ما له لا يحركني ؟ !

أجل ، لقد صار الاسم غريباً غرابة هذه الجثة المسجاة ، وبت أتساءل : متى ينتهي هذا كله ؟ متى ينتهي هذا كله ؟ ! وعند ما

أتى المساء جاء الرجال وحملوا الجثة إلى بيت التحنيط والصراخ يطبق علينا ، ووضعوها على السرير بالحجرة المقدسة . كانت الحجرة مستطيلة ذات اتساع كبير ، وليس بها من نافذة إلا كوة تتوسط السقف ، وفى الصدر قام السرير ، وعلى الجانبين رفعت رفوف رصت عليها أدوات الكيمياء ، وفى الوسط — تحت الكوة — حوض كبير ملىء بالسائل العجيب ، وخرج الرجال فلم يبق إلا رجلان ، وكان الرجلان حكيمين من المشهود لهما فى فنهما ، فأخذا فى عملهما دون إبطاء ، وقد جاء أحدهما بطست ، ووضعه على كثب من السرير ، ثم تعاونا معاً على تجريد الجثة من ملابسها حتى بدت عارية لا يحجبها شىء . فعلا ذلك فى هدوء وعدم اكتراث ، ثم قال الذى جاء بالطست وهو يغمز عضلات صدرى وذراعى : « كان رجلا قوياً ... انظر ! » ؛ فقال الآخر : « كان توتى من رجال الأمير ، يؤاكله ويشاربه ، وفضلا عن ذلك ، فقد خاض غمار الحروب ! » ؛ فقال الذى جاء بالطست متحسراً : « لو أن الأجسام تعار ! » ؛ فأجابه الآخر ضاحكا : « أيها العجوز ، ما جدوى جسد ميت ؟ ! » ؛ فقال وهو يهز رأسه : « كان قوياً حقاً ! » ؛ فقال الآخر ضاحكا وهو يتناول خنجراً طويلا حاداً من أحد الرفوف : « فلنختبر قوته ! » وطعن الجانب الأيسر فيما يلى الصدر بخنجره ، حتى غاب نصله ، وشقه حتى أعلى الفخذ ، وأعمل فى الداخل يده بمهارة ودربة ، ثم استخرج الأمعاء والمعدة . وأودعها الطست ، وقفاها بالكبد والقلب ، فسرعان ما رأيت باطنى جميعاً ، ولم يستغرق ذلك إلا دقائق معدودة ، فالرجل من مهرة المحنطين الذين أتقنوا عملهم أيما إتقان، ورحت أنظر إلى باطنى بعناية ، وبخاصة إلى معدتى التى عرفت بقوتها ونشاطها ، ولم يحل غلافها دون رؤية ما بداخلها بفضل تلك القوة السحرية التى اكتسبها بصرى ، فرأيت فيها مضغ الأوزة والتين وبقايا النبيذ التى تناولتها على مائدة الأمير مساء الأمس ، وذكرت قوله حين عزم علىّ بالطعام « كل يا توتى واشرب ، وتمتع بالحياة أيها الرجل الأمين ! » ... رأيت وذكرت دون أن يعرونى أى تأثر أو انفعال ، ودون أن يزايلنى عدم الاكتراث العجيب ، ثم حولت بصرى إلى قلبى فرأيت عالما حافلا بالعجائب . رأيت بشغافه آثار الحب والحزن والسرور والغضب ، وصور الأحبة والرفاق والأعداء ، وقد ترك الهيام بالمجد به فجوة عمقها ما خضت من معارك فى بلاد زاهى والنوبة . ولاحت على رقعته مشاهد مروعة لميادين القتال ، وأجزاء ملتهبة دامية من أثر ذلك الطمع العنيف الذى بعثنى للكفاح بلا رحمة حتى ضممت إلى أرض أسرتى قطعة أرض تجاورها نازعنى عليها جار بضع سنين . ورأيت فيه جل حياتى وما عانيت من الاهواء . أما الرجل فمضى فى عمله يحدوه الهدوء والمران ، فأتى بكلاّب دقيق وأولجه فى أنفى باحتراس حتى تمكن من هدفه ، ثم وجهه بدراية وعنف وجذبه بسرعة ، فسال مخى الكبير من منخرى مادة رخوة تذرو فى الهواء ما تجمع فيها من لوامع الفكر ولآلىء الآمال ودخان الأحلام . هذه أفكارى منقوشة أمام عينى ، فاذا قارنتها بنور الحق الذى يتخايل لروحى بدت تافهة مشوهة ، لقد قتلها المثوى الذى آوت إليه : رأسى ومخى ، ها أنذا أقرأ القصيدة التى صغتها فى وصف قادش ! وهاهى ذى الخطب التى ألقيتها بين يدى الأمير فى المناسبات المختلفة ، وهذه آرائى فى آداب السلوك . وهذه الحكم الذى حفظتها عن حقائق النجوم كما جاءت فى كتب قائمنا ! كل أولئك أزاحه الرجل مع فتات المخ فاستقر بين الأمعاء والمعدة فى الطست الدامى ، غير ما تناثر على الأرض فداسته الأقدام . قال الحكيم وهو يعيد الكُلاّب إلى موضعه « الآن صارت الجثة نظيفة ! » فقال صاحبه ضاحكا « ليتك تجد بعد موتك يداً ماهرة كيدك ! » وحمل الحكيمان ما تبقى من جسمى إلى الحوض الكبير ، وأناماه فيه ، فامتلأ بالسائل الساحر وغرق فيه ، ثم غسلا أيديهما وغادرا المكان ، وقد أدركت أن الحجرة لن يعاد فتحها قبل كرور سبعين يوماً — مدة التحنيط — فمسنى الجزع ، ووقع فى نفسى خاطر أن أنطلق بروحى إلى العالم لألقى عليه نظرة الوداع ...

(للقصة بقية)

نجيب محفوظ

سياسة التعليم ووحدة الامة

للأستاذ عبد الحميد فهمى مطر

— ٣ —

تم والحمد لله ميثاق الجامعة العربية العتيد بعد أن وافقت عليه المجالس النيابيـة فى البلاد الدستورية والحكومات فى البلاد الأخرى، فعمَّ الابتهاج وشمل السرور بذلك نفوس أبناء العرب جميعاً ولقد اقترح بعض المتحمسين جعل يوم توقيع هذا الميثاق وإعلانه عيداً قومياً عربياً تحتفل به هذه الدول فى كل عام تقديراً لهذه الوحدة وتذ كيراً . وحق لهم أن يقترحوا ذلك وأن يدعوا اليه وإنا لنشاركهم فى هذه الدعوة . فهو عيد وأى عيد . قال عنه عزيز مصر ومليكها المفدى إنه أسعد يوم فى حياته . وكيف لا نسعد به جميعاً وهو اليوم الذى وُضع فيه الحجر الأساسى فى إعادة بناء مجد الأمة العربية التليد ، لجعل وحدتها فى تعاونها وتناصرها أمراً واقعاً وسياسة عملية محققة تضم شتاتها وتجمع وحدتها وتؤلف بين قلوبها وتقوى أواصر المودة والأخاء بين أبنائها . وقد أصبح من آمالها القريبة المنال إن شاء الله توحيد تشريعاتها وقوانينها بحيث تستق جميعاً من منبع واحد وتنهل من معين واحد وترجع كلها إلى أصل واحد وتدور حول محور واحد هو ملتقى آمالها وجامع عناصر قوتها ووحدتها فتصبح بذلك أمة موحدة إسما ومعنى ، تسير بمختلف فروعها إلى غايات نبيلة واحدة وأهداف سامية واحدة مشتركة . وإن أهم ما يحقق تلك الوحدة ويجمع فلولها ويقوى أواصرها لهو توحيد الثقافة فيها ووضع البناء الذى بدأ يتكون من لبنات صغيرة مفككة على أساس من الرابطة القوية المتماسكة حتى لا يشذ طفل فى رجولته المستقبلة ، ولا تضل جماعة بعد ذلك اتجاهها نحو الغايات السامية والأهداف العظيمة الموحدة .

من أجل ذلك تشخص أبصارنا وأبصار رجال التربية والتعليم والثقافة فى مختلف دول الجامعة إلى وزارة المعارف المصرية التى بدأت تنظم نفسها على أسس جديدة فتية ، آملين أن تتجه فى سياستها الحديثة إلى جمع أشتات بنى العروبة فى تثقيفهم وتعليمهم وتربيتهم ، وأن تعمل جهدها على تقريب المسافات وتقليل الفروق بين مختلف الثقافات وتوحيد الاتجاهات فى الأخذ بأساليب التربية الحديثة فى مختلف معاهد العلم والتعليم فى دول هذه الجامعة الفتية . وإن خير ما نعمله فى هذا السبيل أن تبدأ بالدعوة إلى مؤتمر جامع من رجال التربية والتعليم فى مختلف دول العروبة يعقد فى مصر لتبحث فيه الأسس التى تراعى فى وضع سياسة تعليمية عامة موحدة على أساس من التفاهم والتناصر والتعاون والاتصال المستمر الدائم وتبادل المنافع والآراء العلمية بين معاهد هذه الدول الناطقة بالضاد فعسى أن يكون ذلك الخير قريباً .

لقد أحسنت هذه الوزارة فى تنظيم نفسها وفروعها على أساس ثابت من اللامركزية بعد أن طال تأرجح هذه الفكرة فيها تأرجحاً كاد يودى بها . وإن خير ما فى هذه الفكرة لهو إعطاء سلطة واسعة لنظار المدارس حتى تكون المدرسة كخلية مستقلة تنظم نفسها حسب ظروفها وبيئتها المحيطة بها وتوجه أبناءها إلى دراسة وافية لتنتفع بهم وينتفعوا بها وإلى تعرف مراكز بيئتهم وأحوالها وكل ما يتصل بها وتعرف علاقاتهم باخوانهم فى الوطنية المصرية وأبناء عمومتهم فى مختلف دول الجامعة العربية ، وإلى ما تستلزمه تلك العلاقات الحديثة والقديمة من ضرورة التفاهم والتآزر والتعاون والتناصر فى سبيل العمل للخير الخاص والخير العام (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)

فإذا كانت المدرسة المصرية إلى اليوم ، لا تزال مع الأسف نواة لأخراج شعب مشتت الإتجاه متباين التفكير غير موحد الثقافة بسبب تفرع التعليم فى مدارسنا منذ البداية ، وبسبب تشتته فى المرحلتين الأوليين منه اللتين هما عماد الثقافة العامة وأساسها ، وبسبب تنوع طوائف المعلمين فى المعهد الواحـد وتنكر بعضهم لبعض وتنافر بعضهم مع بعض وعدم تعـاون بعضهم مع بعض كما أسـلفنا ، فقد أصبح لزاما وقد تزعمت مصر دول العروبة أن نعمل جهدنا لوضع أساس المدرسة الموحدة فى المرحلة الأولى من التعليم خاصة وفى المرحلة الثانية منه عامة ، وأن نبذل كل ما فى وسـعنا لإيجاد المعلم الموحد الثقافة المستقل التفكير الحى الضمير ، ليكون دعامة قوية للأمم العربية جمعاء وعونا لها على توحيد ثقافتها وتكاتف أبنائها والسير بهم قدما فى صفوف متوازية إلى أهداف الجامعة وأغراض الوحدة .

نعم أصبح لزاما أن نكون المعلم تكوينا جديدا يتفق مع هذا الوضع الجديد ومقتضيات أحواله ، وأن نبصره بانبثاق هذا الفجر الجديد الذى غمرنا بضيائه ، وأن نوجهه التوجيه الملائم ليكون خير قدوة لأبنائه وخير حافز لهم على متابعة النهوض بالبناء الجديد . وإن خير ما نفعل فى هذا السبيل أن نوحد معاهد تخريج معلمى التعليم العام توحيداً يضمن لأبناء الجيل المقبل فى دول الجامعة تفاهما وتناصراً وتعاوناً . وأن نبنى ضمير المعلم من جديد لا على أساس المادية الجشعة التى تنتابنا فى كل مكان فتحط نفوسنا وتقوى سلطان الهوى فينا وتفرق جموعنا وتفكك وحدتنا وتفصم عرى محبتنا ، بل على أساس من السمو الإنسانى والتكوين الروحى الذى يقوى ضمير المعلم ويرفع من نفسيته ويحببه فى جهاده ويسعده فى شقوته . فيتقبل على التضحيات المطلوبة منه عن طيب خاطر ونفس طيبة تدفعه إلى العمل فى بناء لبناته بهمة لا تعرف الكلل وقوة لا يتطرق إليها ضعف ولا ملل . ثم ينفث تلك الروح القوية العالية فى أبنائه فتشب أجسامهم تملؤها أرواح طيبة وضمائر قوية تتضافر على العمل للخير العام فى بناء صرح السلام العام .

إن العالم العربى يحق له أن يصبو إلى كل ذلك ، ويحق له أن يصبو إلى الاشتراك الفعلى مع الموكب العالمى فى بناء صرح السلام العام . وقد كان أسلافه أول المنادين « اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام » فتجاوبت أصداء ذلك النداء الحار فى مشارق الأرض ومغاربها . فكان العرب خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . لقد تخبط قادة الأمم فى هذه الأيام المريرة فى تنكب طرق السلام لما أصاب نفوسهم من الجشع المادى والشغف بالسيادة وحب الاستعمار . وإن الصوت الخافت الذى يرفعه العرب اليوم ضد ذلك لابد له من أن يستمر ، ولا بد له من أن يقوى . ولا بد له من أن يعلو حتى يسمع الآذان الصم ! ولن ينهض بهذا العبء الثقيل الدائم ولن يضع أساسه حقا إلا المعلمون الصادقون المخلصون المتعاونون المتضامنون المتآزرون ، فاعملوا على تكوينهم ، واعملوا على الاكثار منهم ، فهم أصحاب الأثر القوى الفعال الذين لا يضل سعيهم والذين قيل فيهم قول لا يفهمه الفكر المادى الحديث إنهم ورثة الأنبياء .

عبد الحميد فهمى مطر

أحاديث عابرة :

التجديد في الشـــعر

كما يراه شاعر القطرين خليل بك مطران

في جلسة شاعرة مع شاعر القطرين خليل بك مطران — أحد الأوتار الخمسة في قيثارة الشعر العربي الحديث — كما يقول أستاذنا الزيات ، تشقق بنا القول . وتنقل بنا الحديث في شجون من الأدب . فأدى بنا ذلك إلى الحديث عن قديم الشعر وجديده . وإلى الكلام عن الشعراء المجددين والمقلدين … وكانت فرصة طيبة أن أسأل الأستاذ الجليل عن علة عدم تقدم الشعر الحديث . وقصوره عن مجاراة الشعر العالمي في باقي اللغات . فأخذ ـ حفظه الله ـ يتحدث في بيانه الرائع عن محاولته الأولى وإخوانه من متقدمي شعراء هذا الجيل في هذه السبيل . قال :

ظل الشعر العربي منذ فجر حياته محدود الأغراض ، مقيد الأفق ، لم تنفسح له ميادين الخيال . ولا مجالات التجديد ، بسبب طبيعة البيئة التي نشأ فيها ، والأرض التي درج عليها . والغايات التي كان يهدف لها …

وكان المبرزون من شعراء العرب ينسجون على منوال من تقدمهم من الجاهليين ، ويترسمون خطاهم ، ويسيرون على هديهم . فلا يجتاز خيالهم وصف البيئة التي يعيشون فيها . ولا تمتد إلى ماوراء ذلك من آفاق واسعة وأحاسيس إنسانية ، اللهم ما كانت تسبق إليه طبيعة الشاعر الفنية بين الحين والحين — على غير قصد وفي غير تعمد — في سياق قصيده ، إذ تجد البيت أو البيتين كأنما ساقهما محض المصادفة ، وإلهام الفطرة ! وكان أن حدد علماؤهم للقصيد شروطاً لا يتعداها الشاعر ولا يتخطاها … فإن هو جاوزها عد مقصراً ، وأُخذ ذلك عليه . ومن أهم هذه الشروط وحدة القافية ، وقد كان ذلك — فيما أرى — أهم عوائق نهضة الشعر ، وبخاصة في عصرنا الحديث الذي تنوعت فيه ألوان الحضارة ، وتغيرت فيه أهداف الشعر ومقاصده ، وأضحت له أغراض غير التي كانت له بالأمس ؛ فلم يعد لشعر المناسبات تلك الأهمية التي كانت له ، ولا لوصف البيئة التي يعيش فيها الشاعر ولا راحلته ولا دياره ما كان لها من روعة وبهاء .

وقد دفعني ذلك كله منذ بدأت أحاول الشعر إلى أن أنهج به منهجاً آخر يجاري ما نحن فيه من حياة ، ويتمشى وتلك الحضارة التي يدفع بها إلينا الغرب ونتلقاها نحن عنه ، سواء في الثقافة وتنوع أغراضها ، أو الاجتماع وتعدد مراميه ؛ وكان أن أخذت أنقل إلى العربية آثار كبار شعراء الغرب وأدبائه من أمثال شكسبير وكورني وراسين وفيكتور هوجو . وألفريد دي موسيه وغيرهم من الانجليز والفرنسيين ، متوخياً أن تكون نماذج أدبية سواء في روعة أخيلتها . أو تعدد مقاصدها ، أو سعة أفقها ، أو ما تحمله في طواياها من جدة المعنى وروعة اللفظ وبراعة الأداء .

ثم حاولت أن أقحم في الشعر العربي نظم «الملحمة» وما كان له أن يدخل في هذا الفن إلا إذا تحلل من وحدة الروي ، ولكنني أردت بتجربة منظومة أن أبين نهاية ما يستطاع بالروي الواحد . فأنشأت على سبيل المثال قصيدة « نيرون » في نحو من أربعمائة بيت من بحر واحد وروي واحد . تخيرت لها حرف الراء حتى أبرز للقراء أقصى ما تصل إليه طاقة الناظم بالقافية الواحدة . على أن اللغة العربية تعطي في الروي الواحد ما لا تعطيه لغة أخرى بإطلاق . ولكن التزامه فيها من أسباب ضعف التبسط إذا أريد القصص الطويل . أو الوصف الدقيق بالتحليل والتفصيل ، فلهذا عمدت بما قدمته من المثال إلى أن أصور للأذهان أين موضع العجز عندنا عن مجاراة الشعر القصصي والوصفي والتحليلي عند الأمم التي لم تلتزم وحدة القافية .

وقد انتفع بمحاولاتي ومحاولات أخر من شعراء عهدي . نفر غير قليل من شعراء هذا الجيل ، وتمسك آخرون بما ورثناه عن شعرائنا الأقدمين ؛ وما زلت أومن بصدق نظرتي في أن التزام القافية الواحدة هو الذي يقعد بالشعر العربي عن مجاراة نظيره في آداب الأمم الأخرى التي لا تلتزم قافية واحدة كما يقعد بالشاعر عن التحليق فيما يريد من آفاق بعيدة المدى … ولن يعيب القدماء ما آثروا للشعر من النهج ، ولن ينقص من جمال ما أتوا به من الروائع . ولكن ما لا ريب فيه هو أن طبيعة الحياة قد تغيرت عما كانت عليه من قبل . إذ تعددت مناحيها ، وتشعبت مراميها ، وتباعدت أطرافها . وما كان لنا في ظروف حياتنا وما تزودنا به حضارة العلم الحديث من وسائل شتى للعيش ، وضروب مختلفة

للترفيه ، أن نظل كآبائنا فى نطاق محدود من الخيال ووسائل الفن . ولن يتأتى لنا ـ فيما أرى ـ أن نجارى ما يتحفنا به أدباء الغرب من روائع ، إلا إذا تحللنا من ذلك القيد الذى ظل الشعر العربى يرسف فيه منذ قرون طوال . ولاشك فى أن ذلك — مع المحافظة على ما امتاز به الشعر العربى من مقاطع وأوزان — يفسح لنا ميادين التفكير ويؤدى بنا إلى أن نستطيع الإنتاج بأنفسنا ، وتزويد الثروة الأدبية العالمية بثمرات جديدة من وحى بلادنا . وفيض عواطفنا وأحاسيسنا ، ويومئذ نكون قد عرضنا للعالم ما تمتاز به لغتنا من جزالة وسعة ، وما يوحى به شرقنا — مهبط الأديان ومنزل الوحى — من حكمة ، وما تفيض به قلوب أبنائه من سمو فى العاطفة وعلو فى التفكير .

هذا رأى اقتبسناه من حديث للشاعر الكبير نعرضه لشعراء الشباب ، والرأى لهم الآن .

س . العنانى

رثـــاء البشرى

بمناسبة مرور عام على وفاته

لشاعر القطرين خليل مطران بك

وارحمتا لىَ من صروف زمانى   أنَّى رمت رَأَت السهامْ مكانى

إنى لأسأل وارفاق تحملوا   أُترى يطيل عذابىَ السلوان

مَن مبلغ السلوان مقروحَ الحشا   سدت عليه مسالك السلوان

منعاك يا عبد العزيز أمضنى   وأضاف أشجاناً إلى أشجانى

فاجأتنى بالنأى قبل أوانه   هل حرقة كالنأى قبل أوان

أتسوء إخواناً ملكت قلوبهم   ظرفاً وكنتَ مسرَّة الأخوان

رَبَّ البيان وأنت بالغ شأوه   أعجزت بالسبق البديع بيانى

أدب يخال مطالعو آياته   أن الكلام مثالث ومثانى

فقت الذين أخذت عنهم يافعاً   وبززت من جلوا مِن الأقران

هــذا بإجماع فماذا عارضت   دعوى دعى من سَنَى البرهان

لا خير فى زمن إذا ما طاولت   فيهِ الصِّعادُ عوالىَ المُرّانِ

أحدثتَ أسلوباً وكنت إمامَه   وبقيت فذاً فيه مالك ثان

جمع السهولة والجزالة لفظه   تتخالفانِ حِلًى وتأتلفان

ديباجة عربيـــة مصرية   نقشت برائعة من الألوان

مَن للنوادر تجتنى منها النهى   ما تشتهى من طيبات مجان

مَن للبوادر لا يجود بمثلها   فى الروية أحضَرُ الأذهان

مَن للدعابة وهى قد قَرَنت إلى   حلم الشيوخ فكاهةَ الشبان

إن ثقَّفَتْ لطفت وفى ضحكاتها   إيماض برق لا انقضاض سنان

نُهَلٌ تساقاها القلوب فتشتفى   غِلَلٌ وتُقضَى للقلوب أمان

بَدَوات أَلْسبقِ كاتب ومحدث   صافى البداهة بارع التبيان

فى جِدِّهِ ومزاحه متصرفٌ   بيراعة خـــلابة ولسان

أخلا من البشرى عصر لم يكن   فيـه على ذاك المثال اثنان

شخص قليل ظِـلُّهُ طاوى الحشى   يمشى فلا تتوازَنُ الكتفان

طلقُ المحيا إذ تراه وربما   نَمَّت بكامِن دائه العينان

خُبِّت ملامحه بمسْحَةِ أدْمَةٍ   هى من « مِنا » إن شئت أو « عدنان »

وبعارضيه الهابطين وَلِمَّة   شعثاء لم تُلْمَمْ من الثَّوَران

وَمَضنةٌ يطوى عليها صدرَه   وكأنه أبداً عليها حان

من ذلك التمثال لاحت للورى   آيات أىٍّ حجًى وأىٍّ جَنان

حُسنُ المنارة فى سطوع ضيائها   لا فى زخارفها ولا البنيان

أما خلائقه فقل ما شئتَ فى   جَمٍّ المروءة راسخ الإيمان

ماضاق صدراً وهو أصدق مسلم   بتخالف الآراء والأديان

نعم الفتى فى غيبة أو مشهد   نعم الفتى فى السر والإعلان

بالعدل يقضى فى الحقوق وبالندى   يقضى حقوقَ الأهل والجيران

يسعى كدأب من سعى لِمُهمه   مهما يجشَّم دونه ويعانى

متشمراً بغـــدوه ورواحه   عَجِلَ الخُطى مسترسل الأردان

لو كان ما فى جِدِّهِ فى جَدِّه   لعلت مكانته إلى كيوان

لكنه لم يُلْفَ يوماً عاتباً   أو طالباً ما ليس فى الإمكان

ورعى حقيقة نفسه وأجلَّها   عن أن تبدل عزةً بهوان

مامنصب فوق المناصب أو غنى   فوق المطالب غاية الفنان

مهما يزاول فالكرامة عنده   هى فى إجادته وفى الإتقان

ماذا يكون سليل بيت صالح   عالى المنارة باذخ الأركان

الوالد الشيخ الرئيس وَوُلْدُه   شَرْواه فى أدب وفى عرفان

صبراً جميلاً يا أخاه وأنت مَن   بحجاه يدركُ حكمة الرحمن

كم فى القضاء تلوح للفطن الذى   وَلِىَ القضاء سرائرٌ ومعان

وعزاءكم يا آلهُ أن الذى   تبكونه فى نَعْمة وجِنان

وعزاءكم يا معجبين بفضله   فيما دنا ونأى من الأوطان

انتهينـــــــا . . . !

للأستاذ سيد قطب

انتهينا . قد مضى الماضي جميعاً ومضينا
انتهينا . لم نعدْ نسأل أيانَ وأينا
أو نعدَّ اليوم للأحلام والأوهام عينا
انطوى الحلم الذى لاح زماناً وانطوينا
ويد الدهر تمشّت تسبل الستر علينا

اضربي فى زحمة الأرض على غير طريق
فكرةً ضلت وحلما يتوارى عن مفيق
ولقًى يقذفه الموج إلى الشط السحيق
وهوًى يخسره الفن ، على عين الصديق
وسنى يطمسه الليل إلى غير شروق

وأنا المكدود فليلقِ إلى الأرض عصاه
آنَ للمجهد أن تسكن فى الأرض خطاه
آنَ أنْ يصمت لا تهتف شوقا شفتاه
آن أن يغمض لا توقظه وَهْناً رُؤاه
جاوز الجهدُ قواه ، فهاوت قدماه

طال هذا الحلم حتى صار فى النفس عيانا
ومضينا فى طريق الوهم تنساب خطانا
تهدم الأيام ما نبنى فتبنيه رؤانا !
ونخوض الشوك يُدمينا فتمضى قدمانا
تتبع الوهم الذى صاغ من الشوك جنانا

يا لهذا الحلم والأيام تمضى والليالى
عابثات بالأمانى وهو يمضى لا يبالى
يغلب الواقع فى الأرض بتحليق الخيال
ويَرى خلف الروابى والصحارى طيف آل
فيرود الأفق ظمآن مشوقا للظلال

قد مضى ، والعمر يمضى والأمانى والزمانْ
وانتهينا وصحا بعد الأوان الحالمان
عجبا ! قد كان حلمٌ ! ليت شعرى كيف كان ؟ !
العيان اليوم كالحلم وحلمى كالعيان
صمت الدهر عياءً ومضى يعطو الزمان

نشيد عسكرى

عاش الملك*

للشاعر الأستاذ محمد الأسمر

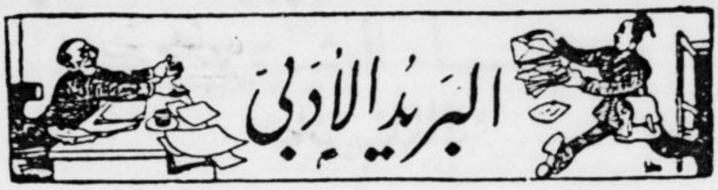
هيَّا بنـا إلى الأمامْ هيَّا بنـا ، هيَّا بنا
المجدُ فى الدنيـا زحامْ فزاحموا نحوَ المُنى
واسعَوْا إلى خير الوطنْ
عاشَ الملكْ ، عاشَ الوطنْ عاشَ الملكْ ، عاشَ الوطنْ

نحن الحياةُ للبلادْ ونحنُ أنصارُ العَلَمْ
إذا دعا داعى الجهادْ كُنّا بها أُسْدَ الأجمْ
نذودُ عن أرضِ الوطنْ
عاش الملكْ ، عاش الوطنْ عاشَ الملكْ ، عاش الوطنْ

يامصرُ يا كَنْزَ الوجودْ نحنُ على الكنزِ أُسودْ
ونحنُ أمثالُ الجدودْ نفنى ونعطيكِ الخلودْ
يا مصرُ يا خيرَ وطنْ
عاش الملكْ ، عاش الوطنْ عاشَ الملكْ ، عاشَ الوطنْ

هيَّا بنــا ، هيَّا بنا نبنى الخلودَ والبقاءْ
نبنى ونرفعُ البِنـا
المجدُ فى الدنيا لنـا لمـّا بنى الله السماءْ
بنى لنا مجدَ الوطنْ
عاش الملكْ ، عاش الوطنْ عاشَ الملكْ ، عاش الوطنْ

(*) غير مسموح بتلحين وغناء هذا النشيد أو بعضه إلا بإذن كتابى من المؤلف .



الزار ظاهرة اجتماعية أفريقية

حاضرنا الأستاذ على أحمد عيسى ، فى مدرّج كلية العلوم ، بجامعة فاروق الأول ، عن الزّار كظاهرة اجتماعية أفريقية .

فابتدأ بأن قال : إن هذا الموضوع الجديد على الباحثين الاجتماعيين فى مصر لا يعتمد على الكتب ، أو المراجع ، بقدر ما يعتمد على المشاهدة عن كثب . كان أول عهد اهتمام الأستاذ المحاضر بهذا الموضوع الخطير حين وَجّهَهُ إلى دراسته البروفيسور «هوجارْتْ» الأستاذ بجامعة فؤاد الأول — وكان أستاذاً لمحاضرنا الفاضل فى سنة ١٩٣٥

وقد أخبرنا الأستاذ عيسى ؛ أنه عثر على كتاب فى — طب الرُّكَّهِ ! — يرجع تاريخه إلى القرن التاسع عشر ، أورد فيه مؤلفه حديثاً عن الزّار ، لأول مرة فى مصر ، واستدل الأستاذ المحاضر بذلك ، على أن تلك الظاهرة الاجتماعية لم تكن معروفة فى مصر قبل ذلك القرن ، ثم حدّثنا عن سيدتين كتبتا عن هذا الموضوع أيضاً وفصّلتا بعض طقوسه هما : زينب فواز ، وحواء غرزوزى ، وكانتا من سيدات القرن التاسع عشر

أما المصادر الأوروبية ، فقد ذكر الأستاذ الفاضل أن البروفيسور « تشيرواللى » تحدث عن الزار فى دائرة المعارف الاسلامية

وخلاصة رأى العلماء فى صدد هذا الموضوع أن الحبشة هى المنبت الأول لهذه الخرافة ، وقصة الزار فى الحبشة تبتدىء منذ اعتناق الأحباش للديانة المسيحية — وقد كانوا من قَبلُ يعبدون إلٰهاً يسمى ظارو ! أو دارو ! أو زارو ! على حسب الروايات — فلما استجابوا للدين الجديد ظلت آثار الديانة القديمة راسبة فيما وراء اللاشعور ، وابتدأوا يتوجسون فى أعماق نفوسهم خيفة من مظنة انتقام الإله المندحر ، زارو ! وأنشأوا ضروبا من الطقوس والشعائر البدائية يترضونه بها ، وصاروا يجتمعون فيرقصون رقصات تشبه كثيراً من الشابهة رقصاتهم الدينية القديمة تقربا وتزلفاً للالٰه القديم ...

فظاهرة الزار إذن ، ظاهرة دينية ، لا تسود فى غير الشعوب البدائية ، تلك الشعوب التى تختلف أداة تفكيرها عن أداة التفكير لدى الشعوب المتحضرة ، والتى تتفشى أمثال هذه الخرافة فى بيئاتها تفشياً يبعث على كثير من التأمل .

وإذا نحن علمنا أن رجل الشعب البدائى ، يجمع بين الأشياء التى نفصل بينها ، وأن لافرق لديه بين شخصه وبين ظله ! ولابين شخصه وبين اسمه ! وأن الرجل الصينى حريص على أن يباعد بين ظله وبين نعش الميت وقت تسميره ، مخافة أن يموت فى الحال إذا ما قدر لهذا الظل أن يلتصق وقتذاك بالنعش . إذا علمنا ذلك ، أدركنا إلى أى مدى تتحكم الخرافات فى أمثال هذه البيئات .

وليس من شك فى أن هذه المعتقدات تجعل معتقدها مهدداً فى كل آن بغارات خفية من عالم الأرواح ، فهو فى فزع دائم لا ينقطع ، وهو محاط بغيوم من الروع جاثمة لا تنقشع . ولاعجب إذا ما اندفع إلى استرحام تلك الأرواح التى تهدده كل وقت باحتلال جسمه ، مقدماً اليها القرابين المختلفة ، ممارساً لأجلها شتى الطقوس والشعائر ، استجلابا لعطفها واستدراراً لرحمتها ورفقها .

وقد تلقت مصر أيام العثمانيين هذه الخرافة عن الرقيق الذين توافدوا إليها أثناء حملات محمد على باشا وغزواته للحبشة والسودان ، وساعد على انتشارها فى البيئات المصرية أنها كانت فى حال من الانحلال النفسىّ تبرّر تقبلها لكل دخيلٍ من أمثال هذه الفِكر .

فمصر ، كما اهتم الأستاذ المحاضر أن يؤكد لنا ، ليست عريقة فى اعتناق ديانة زارو ، بل هى حديثة العهد بها جداً ، إذلم تعرفها قبل الربع الأول من القرن التاسع عشر .

ولا يسعنى إلا أن أقول فى إيجاز : إن الأستاذ المحاضر قد أعطانا صوراً دقيقة من مراسيم الزار ، وأكد لنا أن كلمة — زار — هى بلا شكّ تحريفٌ لإسم الإلٰه الحبشىّ القديم زارو ! ! كما برهن على أن الطقوس التى تؤدى فى هذا الصدد ليست طقوساً مصرية أصيلة ، ولكنها طقوسٌ دخيلةٌ محدثةٌ

(الاسكندرية) على حسن حموده

إلى ابنتي عفاف

فى الربيع النضر ، حين سرى الماء فى العود اليابس ، ونبضت الحياة فى البراعم النابتة ، وتألق الجمال بألوانه الزاهية فى الزهور المتفتحة ؛ فى الربيع النضر يا ابنتى ،حين أشرق كل شيء بالبهجة ، ورقص كل حى من المرح ، ونعم كل ألف بإلفه ؛ وسكن كل طير إلى عشه ، تذبلين أنت يا زهرتى الغضة ، وربيع شبابك لا يزال فى إبانه ، ويذوى غصنك الرطيب فى غير أوانه ، ويخلو عشك الناعم من بسمتك الحلوة ونظرتك الأنيسة وصوتك الغـرد !

وفى الربيع الماضى ، وفى مثل هذا الشهر ، ذوت أختك الجميلة أمام عينيك وبين يديك ، فعلمت كيف رَوْع البَين، وبتصدع الشمل، ووُحش الأليف ،وبرمض الحزن ، فهلا رثيت لأبيك الواله فلا تجملى بذبولك فى هذا الربيع روضه من غير زهر ، وقلبه من غير أمل ، وبيته من غير أنس !

ثلاثون يوماً يا عفاف رقدتِها على جنب واحد تتبخرين كما تتبخر دمعة الحب ، وتذوبين كما تذوب شمعة العرس ، وبسمات الرضا لا تغيب عن ثغرك ، وومضات الأمل لا تخبو فى صدرك ، وداء السل الوبيل يخادعنا ويخادعك ، فيتورد خدك ، ويرهف إحساسك ، ويرق حديثك، ويتسع رجاؤك ، فتنذرين النذور للشفاء، وترسمين الخطط لتغيير الهواء ، فنصدّق الظواهر ونـكذب الأطباء ونتعلق بأهداب الأمل !

ماذا دهاك يا عفاف وقد تركتك فى المساء وأنت على حالة مُطمئنة ،ونفس راضية مؤمنة ، وقلت لك مساء الخير فقلت أنت مساء الخير والسعادة . أين الخير وأين السعادة ؟

والهفتـاه حين أصمنى صوت الناعيـات المروع وأذهلنى عن نفسى ، وأخرجنى عن حسى ،فلم أعد أعلم مما جرى شيئاً .

أختك ياعفاف طال عليها الـكرى ، وهاهى ذى فى جوارك،فخلى دثارك، ودعى أزاهيرك البيض والحمر تتناثر على جسدها البالى برفق، ثم إرقدى مطمئنة يا عفاف فليس وراءك فى هذه الحياة ما يقلقك فى قبرك ، فابنتك الصغيرة قد ماتت منذ أشهر ، وأمك منذ ثمانى حجج فى جوار الله، فحيها تحية صامتة كدموع أبيك ، ولاتقصى عليها ما كان من أمر « عواطف » وهى تندبك وتبكيك !

نامى طويلا كيف شئت يا عفاف فقد طال بك السهاد ونال منك التعب ، وقد قلت لى ليلة عدت من حلوان :

أنا بخير! لا أحب البكاء ! أريد أن أستريح ! فاستريحى يا ابنتى المحبوبة ، واسمحى لى يا زهرتى الأولى أن أقدم إليك هذه العبرات الجافة الصامتة ، وإن كنت تـكرهينها ؛ فإن فيها تفريجاً عن قلب أبيك الثاكل ، وما أملك لك يا أعز الناس عندى غير الذكريات الطيبة طول حياتى ، والدعوات الطاهرة فى خلواتى وصلواتى . وإلى اللقاء .

والدك الحزين

حسن عبد العزيز الدالى

أرض مصر : معرض صور جان هيكمان (1)

معرض صور جان هيكمان من المعارض القليلة الجديرة بعناية كل مشتغل بالفن محب له . ولا أذكر أنى زرت معرضاً حافلا بالمعانى والدروس مثل هـذا المعرض ، وصاحبته ولدت فى وادينا وعاشت بين ظهرانينا ، وهى إن لم تكن مصرية بالدم ، فهى مصرية صميمة بالقلب والروح ، ومعرضها دليل بليغ على صحة هذا الـكلام .

ومن المفرح حقاً أن توفق هذه الفنانة الـكبيرة إلى إنتاج هذا الفن المصرى الصميم الذى يجمع بين الطابع المحلى البحت والروح الإنسانية الشاملة التى يتميز بها كل فن ناضج فى أى بيئة .

ويجب أن نتحدث أولا عن القيمة الفنية الذاتية لرسوم السيدة جان . وهذه الفنانة تجمع بين الإحساس الفنى الصحيح وهو الشعور بالقيم اللدنية للأشكال والأوضاع ، ورقة العاطفة وحيويتها ، وقوة الخيال واكتماله . ومتى توفرت هذه الملكات لفنان استطاع دون عناء أن يعثر فيما حوله من أشكال على الصور التى يتخذ منها أداة للتعبير عن ذاته ، ومع ذلك قد يظل مثل هذا الفنان بعيداً عن روح البيئة التى أنتجته فينتج إنتاجاً خالصاً للفن ينظر إليه المصرى بنفس العين التى ينظر بها إليه الصينى مثـلا . ولـكن هذه الفنانة ، مع احتفاظها بطابعها الشخصى الخالص ، استطاعت أن تعبر عن روح بيئتنا تعبيراً وفياً فذاً .

وصورها كلها تمثل مظاهر الحيـــاة المصرية الصميمة التى نشاهدها كل يوم: الفلاحون بملابسهم وأوانيهم ، السحنة المصرية تشرق من أساريرها الروح المصرية الصميمة ، آلاتنا الموسيقية المحلية الساذجة ، الغيط والساقيـة والقوارب النيلية ، والعامل المصرى بأعبائه الثقيلة ومسكنه المتواضع .

وصورها لا تمثل « مظاهر الحياة » فقط ، بل جوهر الحياة

(1) ٢٦ شارع قصر النيل

الكتب

كتاب التصوير الفني في القرآن

تأليف الأستاذ سيد قطب

للأستاذ نجيب محفوظ

قرأت كتابك « التصوير الفنى فى القرآن » بعناية وشغف ، فوجدت فيه لذتين كبيرتين :

أولاهما للقارىء : خصوصاً القارىء الذى لم يسعده الحظ بالتفقه فى علوم القرآن ، والغوص إلى أسرار بلاغته . بل حتى هذا القارىء الممتاز لاشك واجد فى كتابك نوراً جديداً ولذة طريفة ، ذلك أن كتاباً خالداً كالقرآن لا يعطى كل أسراره الجمالية لجيل من الأجيال مهما كان حظه من الذوق وقدره فى البيان ، فللجيل الحاضر عمله فى هذا الشان ، كما سيكون للاجيال القادمة عملها . والمهم أنك وفقت لأن تكون لسان جيلنا الحاضر فى أداء هذا الواجب الجليل الجميل معاً ، مستعيناً بهذه المقاييس الفنية التى يألفها المعاصرون ويحبونها وينشرون فى وادى الفن على هداها ونورها . إن عصرنا — من الناحية الجمالية — عصر الموسيقى والتصوير والقصة . وهاتت ذاتين لنابقوة والهام أن كتابنا المحبوب هو الموسيقى والتصوير والقصة فى أسمى ما ترقى إليه من الوحى والإبداع . ألم نقرأ القرآن؟ بلى . وحفظنا — فى زمن سعيد مضى — ما تيسر من سوره وآياته ، وكان — ومازال — له فى قلوبنا عقيدة وفى وجداننا سحر . بيد أنه كان ذاك السحر الغامض المغلق ، تحسه الحواس ، ويهتز له الضمير ، دون أن يدركه العقل أو يبلغه التذوق ، كان كالنغمة المطربة التى لا يدرى السامع لماذا ولا كيف أطربته . فجاء كتابك كمرشد للقارىء والمستمع العربى من أبناء جيلنا ، يدله على مواطن الحسن ومطاوى الجمال ، ويجلى له أسرار السحر ومفاتن الإبداع . كان القرآن فى القلب فصار ملء القلب والعين والأذن والعقل جميعاً .

ولقد قلتَ بعد نظر طويل وتدبر « التصوير هو الأداة المفضلة فى أسلوب القرآن . فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهنى ، والحالة النفسية . وعن الحادث المحسوس ، والمشهد المنظور . وعن النموذج الانسانى والطبيعة البشرية . ثم يرتقى بالصورة التى يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهنى هيئة أوحركة ؛ وإذا الحالة النفسية لوحة أومشهد، وإذا النموذج الإنسانى شاخص حى ، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية ... » ومضيت تستشهد لكل حالة بالأمثال مفسراً شارحا موضحا ، ولم تقتنع بذلك فتوثبت للبحث عن القواعد التى يقوم عليها هذا التصوير المعجز من التخييل الحسى والتجسيم فى فيض

المصرية وروحها ، فصورة « الأمومة » تمثل المرأة المصرية الوادعة المستسلمة المستغرقة فى شؤون العيش ، يفعم قلبها السلام والإيمان ما دامت تجد الكفاف ، وتمثل صورة « عزبة فى إمبابة » منزلا يكاد يحدثك عن الحياة التى تنطوى عليها جدرانه . وفى صورة « أرض النيل : الفلاح » تحقق روح القرية ، بل تكاد وأنت واقف تتأملها تشم رائحة التربة المصرية وتشعر بقلبها النابض ، والنسيم المتجاوب فى أنحائها ، وتلمس شقاء الفلاح وبؤسه وصبره وأمله وإيمانه وتعاونه مع زوجه .

ومن مزايا هذه الفنانة شدة الإحساس بالضوء المصرى الصافى وما يضفيه على الألوان من حيوية وقوة ، ويتجلى هذا جيداً فى المناظر الطبيعية التى رسمتها ، وهى نماذج صادقة من الجمال العبقرى وأناقة الطبيعة المصرية ، كما أنها مفعمة بالإحساس الشاعرى الرقيق — وبينما تطالعك لوحة الفلاحين مثلا بغلظة الحياة الواقعية وقسوتها ، كأنها جلاد لا يرحم ، تطالعك صورة « المحمودية » بجمال الطبيعة ورقتها وحدبها علينا ، كأنها أم رؤوم .

ولا شك أن الفنانة التى تستطيع أن تستوعب كل هذه الاحساسات وتعبر عنها تعبيرا موفقا فنانة كبيرة — ولا شك أن الفن الذى يجمع بين : (١) الشىء فى حد ذاته ، أى الشكل ذو الدلالة المعنوية و (٢) التعبير عن رؤيا فنية شخصية و (٣) الاحساس البيئى الاجتماعى الذى يصور الآلام والآمال المشتركة ، فن جدير بالذكر والتنويه والدرس والاعتبار . وإنى لأزف إلى صديقتى جان أخلص تهنئة على توفيقها التام فى رسومها التى تفتح أعيننا على صور الجمال التى تفيض بها « أرض مصر » .

نصرى عطا الله سوس

من الأمثال والشواهد . ثم لم تقنع بما فتح الله عليك من سحر هذا الفيض الإلهى فقلتَ « حينما نقول إن التصوير هو القاعدة الأساسية فى تعبير القرآن وإن التخييل والتجسيم هما الظاهرتان البارزتان فى هذا التصوير لا نكون قد بلغنا المدى فى بيان الخصائص القرآنية عامة ولا خصائص التصوير القرآنى خاصة ... هنالك التناسق الذى يبلغ الذروة فى تصوير القرآن . » فكان هذا الفصل الذى بلغت به أنت أيضا الذروة فى النقد والذوق والفهم . كنت أود لو أستشهد ببعض ما جاء فى كتابك من النقد التطبيقى للآيات الكريمة ، ولكن تضيق عن ذلك كلمتى الموجزة ويأباه ذوق الذى يأبى المفاضلة بين آى الذكر على أى وجه من الوجوه . ومهما يكن من أمر فينبغى أن أقرر هنا أنه فى فصلى « التناسق الفنى » و« القصة فى القرآن » قد بارك القرآن مجهودك فرفعك إلى مرتقى يتعذر أن يبلغه ناقد بغير بركة القرآن..!

أما أخرى الفائدتين : فهى لك أنت ! لأن الكتاب فى جملته إعلان عن مواهبك كناقد . إنك تستطيع أن تعبر أجمل التعبير عن أثر النص فى نفسك ، ولا تقف عند هذا فتجاوزه إلى بيان مواضع الجمال فى النص نفسه ومايحفل به من موسيقى وتصوير وحياة ، ثم تستنطق الموسيقى أنغامها وضروبها ، وتستخبر الصورة عن ألوانها وظلالها ، وتستأدى الحياة حرارتها وحركتها . ولا تقنع بهذا كله ! فيقرن ذهنك بين النص والنص ، حتى تظفر وراء الظواهر بوحدة ، وخلف الآيات بطريقة عامة ، تجعل من الكتاب شخصاً حيا ذا غاية واضحة ، وسياسة بارعة ، وخطة موضوعة ، تهدف جميعاً إلى الإعجاز الفنى فتناله عن جدارة . فهذا ذوق جميل ، وتذوق عسير وفكر ذو نفحة فلسفية ...

والآن اسمح لى أن أوجه إليك سؤالا ، وأن أسوق ملاحظة:

أما السؤال : فإنك تحدثت عن التصوير والتخييل والتجسيم والتنسيق الفنى ، وكل أولئك روح الشعر ولبابه قبل أى شىء آخر ، أفلم يخطر لك أن تحدد نوع كلام القرآن على ضوء بحثك هذا ؟ وأما الملاحظة فمن الفصل الذى خصصته للنماذج الإنسانية ، فقد وجدت فيما استشهدت به من آيات ما يعبر عن طبائع بشرية وسجايا نفسية لا نماذج إنسانية ، فالنموذج الإنسانى بمعناه العلمى شىء أشمل من هذا ، وهو قد يحوى الكثير من هذه الطبائع كما قد يحوى غيرها ، والمهم أنه يعرضها على نحو خاص يتفق ومزاجه الأساسى . والنماذج الإنسانية محدودة معروفة — على اختلاف تقسيم علماء النفس لها — أما الطبائع فلا حصر لها ، فلعلك قصدت الطبائع لا النماذج .

حمارى قال لى ...

توفيق الحكيم ... مطبعة المعارف ١٤٧ ص

للأستاذ كامل عجلان

حمار الحكيم ، لين الطبع هادئ التأمل ، يمر خفيفاً على هامات التاريخ ، يقتطف شيئاً من الدقائق القصصية مثل مشاهده فى حادثة الطوفان ... ويأبى الحكيم إلا أن يكون صادقاً فى تأملاته .

فإذا نشط الحمار وتطاول إلى الاشتراك فى « الدعاية » وتعرض (لهتلر ثم موسيلينى) وانغمس فى جحيم الحرب ، والخواطر التى تدور مع رحاها الطحون ، انفلت الحمار وصاحبه إلى الأساطير الشرقية ، فأرسل بشهرزاد إلى الغرب تتهادى هنالك . ولا لوم على الحكيم الذى أبى إلا أن يحلم عن الحرب ، وإلا أن يعيش فى أحلامه الفتنة وآرائه عن المرأة وأفكاره فى السياسة التى تجد وتجمل فى عين السياسى ورجل الاجتماع مثل(حمارى ومؤتمر الصلح) .

ومع خفة الآراء وطرافة موضوعها تطالعك شخصية الحكيم ص ٤٨ فى حزب الحمار ...

« الحمار : ألست معى ؟

الحكيم : أبداً أبداً ... ما الذى صنعناه إذن ؟

الحمار : ماذا كنت تريد أن تصنع أكثر من ذلك ؟

الحكيم : أشخاص ومكان وناد ، إنى ياسيدى — كما تعلم — لا أعرف لعب الطاولة ولا الشطرنج . ولست ساحر الحديث ، ولا ظريف المجلس ، ولا أحب أن أكون من ذوى الجاه ، كل ما عندى قلم لا أرضى أن أسخره فى هدم الأشخاص لمجرد الهدم ولا أن أستخدمه فى بناء أشخاص طمعاً فى النعم ... الخ)

هذه هى أنفاس الحكيم ، وتلك آراؤه الهادئة العابرة ، التى لا يريد صاحبها أن يأخذ فيها بخناق أحد ، ولا يرقب شيئاً إلا الإخلاص لفنه والصداقة لحماره الذى غلب كما غلب هو على أمره أيضاً .

وقد أرانا توفيق صوراً من ظلال العاطفة المحرومة الخائفة من المرأة فى أحلامه وآرائه (حمارى والطالبة) وأبدع وتخابث وأسرف فى الصدق حين صور (العقاد) فى خوف وحذر من برائنه العملاقة ، ومن فرط حذر الحكيم كان فى فصل (حمارى

مشكلة اللغة العربية

للأستاذ محمد عرفة
عضو جماعة كبار العلماء

هو كتاب عالج أصعب مشكلة تواجه المعلمين والمتعلمين فى بلاد الشرق ، وهى مشكلة اللغة العربية .

لقد عالج الكتاب هذه المشكلة فأبان أن سر هـذا الإخفاق يرجع إلى سببين ، أولهما طريقة تعليم اللغة ، وثانيهما قواعدها ، أما طريقة تعليم اللغة التى تجرى عليها مدارس الشرق ومعاهده فقد ذكر أنها غير طبيعية فى تعليم اللغات ، وأقام الأدلة القاطعة على ذلك ثم بين الطريقة الطبيعية التى يجب أن تسلكها معاهد الشرق فى تعليم اللغة العربية وسائر اللغات ، وقد أفاض فى هذا القسم ولم يدع زيادة لمستزيد ، ولم يبق إلا أن يقتنع أولو الأمر فى بلاد الشرق فيأخذوا بها فإذا اللغـة العربية طيعة مذللة ، وإذا الإخفـاق الذى منيت به مدارس الشرق انقلب إلى نجاح عظيم وأما القسم الثانى — قواعد اللغة — فقد بحث الكتاب لماذا هى مبغضة إلى التلاميذ ؟ ولـماذا تند عن أذهانهم فوصل إلى الحق فى ذلك ، وقد بين أن القواعد منها ما حرف وبدل ، ومنها ما هو صحيح ولـكنه جرد من علله الصحيحة وألقى إلى التلاميذ جافا خاليا من التعليل .

وقد ناقش بعض القواعد مناقشة علمية هادئة فأرانا رأى العين إننا كنا ندرس باطلا وقواعد محرفة لا تصبر على النقد ، وأرانا الجديد الذى أحله محلها فإذا هو أحظى بنصرة العقل وتأييد الدليل .

وقد كنا نود أن يطيل المؤلف فى هذا القسم ولـكنه وعد أن يصدر ذلك فى كتاب مستقل .

وإذا كان لنا رجاء من المؤلف فهو أن يسرع فى إخراج هذا الـكتاب إذا كان على سنن ما بينه فى كتاب مشكلة اللغة العربية فأن ذلك يكون فتحاً جديد فى اللغة .

ولا يسعنا إلا أن نشكر المؤلف على ما بذل من جهد أو ما تحمل من نصب ، فجزاه الله خيرا عن أبناء الشرق الذين يحدب عليهم ويرعاهم ، ويريد أن يوفر عليهم جهودهم وأعمارهم فينالوا فى الزمن الوجيز من اللغة ما ينفقون أعمارهم سعياً وراءه ثم لا يظفرون منه إلا بالنذر اليسير .

م

وعداوة المرأة) يشرح فـكرة العقاد عين الأنوثة التى يراها دائماً كما هى فاكهة فيها الدود يتَنشاها ويأخذها كما أراد لها القدر لا كما أراد الحكيم وأمثال حماره من الناس .

ولذلك يقيد رأى العقاد بعد ذلك بأبيات منها :

انت الملوم إذا أردت لهـا ما لم يرده قضـاء باريها

ثم يجلس الحكيم وهو آس على نصيبه من المرأة وحظه منها وهو لا يفعل وإنما يتكلم ، ويعجب بالمرأة التى تثور للـكلام ولا تتمرد وتصرخ للفعال .

وهذا ضرب من التأملات الصادقة التى توحى بسمو العقلية النابغة .

ولا ألوم الأستاذ (توفيق) فى شىء إلا أنه كثيراً ما ينسى نفسه وينسى حماره وينسى أن لغة الـكتاب من وحى حماره ، وهو هنا له العذر لأن ميزة الحكيم فى (سهواته) وجماله فى (شطحاته) التى تغيب به عن المجالس وعن الناس وعن الحياة الصاخبة التى تحيط به . وبعد فالحكيم هنا موفق كل التوفيق وقد استطاع أن يمزج أفكاره العميقة بتأملاته فى الحياة والناس والمرأة والحرب وحرب الأحزاب وجحيم الأدباء وجنانهم .

محكمة الجيزة الأهلية

اعلان بيع عقار

نشره أولى فى القضية المدنية رقم ١٨٥١ سنة ١٩٤٥

انه فى يوم الأحد ٢٠ مايو سنة ١٩٤٥ من الساعة ٨ افرنكى صباحا بسراى المحكمة بشارع الناصر بالجيزه

سيباع بالمزاد العلنى العقار الآتى بيانه ملك ورثة المرحوم شافعى على على الفقى وهم خليل وجمعه ولدى شافعى على وفاطمه على نصار فارس عن نفسها وبصفتها وصية على أولادها على الشهير بنصر الله ويونى ولدى شافعى على على وعوض ابراهيم أحمد أبو شنب من ناحية أبو النمرس مركز الجيزه لحكم نزع الملكية الصادر من هذه المحكمة بتاريخ ١٨ مارس سنة ١٩٤٥ ومسجل بمحكمة مصر الأهلية رقم ١٩١ سنة ١٩٤٥ فى ٢١ — ٣ — ١٩٤٥

وهذا البيع كطلب الست زنوبه محمود ابراهيم الفقى من ناحيه أبو النمرس مركز الجيزه

وفاء لمبلغ ٩٢٥ مليم ، ٧٧ جنيه سبعه وسبعين جنيه وتسمائة خمسة وعشرين مليم بخلاف ما استجد ويستجد من الفوائد والمصاريف

بيان العقار

٤ س ٢٢ ط اثنين وعشرين قيراط وأربعة أسهم أرض زراعيه بزمام أبو النمرس مركز ومديرية الجيزه شائعة فى ٤ س . ٦ ط . ١ فدان بحوض الملك — ١٢ قطعه نمرة ١٥ حدها البحرى قطعه — ٤٥ بحوض ملك محمد على على الفقى وآخرين والشرقي مصرف الذوات عمومى

انه فى يوم الثلاثاء ١٥ مايو سنة ١٩٤٥ من الساعه ٨ أفرنكي صباحا بجرن عبد الرحيم تبع ناحية ماجونه مركز سوهاج

سيباع علنا عدد ١ ماكينه قوة ٨٤ حصان وعدد ٢ جمل أبيض وعدد ٢ جحش أبيض ركوبه وعدد ٢ دكه خشب وعدد ٥٠ اردب أذره صيفى وعدد ٢ عجل بقر أحمر وعدد ٤ كنبه خشب لابينه بمحضر الحجز الرقيم ٣١ أغسطس سنة ١٩٤١ ملك الشافعى محمد حسن من نجع عبد الرحيم تبع ناحية ماجونه مركز سوهاج المحجوز عليهم نفاذاً للحكم المدنى رقم ٥٣٧٥ سنة ١٩٤١ طهطا وفا لمبلغ ٢٣٠ مليم ، ٥٧١ جنيه بخلاف رسم هذا وكان محدد للبيع يوم ٥ مارس سنة ١٩٤٥ ولم يتم لعدم اعلان الصق كطلب وكيل الدائن

وهذا البيع بناء على طلب السيد مصطفى سالم بك عمرو وعبد المنعم بك محمود أفندى سالم مديرى شركة المرحوم السيد أحمد مصطفى عمرو باشا بمصر

فعلى من يرغب الشراء الحضور للمزايدة .

بحريه (نزع ثالث) والقبلى القطعه — ١٦ بحوض ملك ورثة حسن وعبد المجيد على على الفقى مناصفة والغربى فاصل حوضين والثمن الأساسى مبلغ ١٠٠ ج مائة جنيه تبنى عليه المزايده وجميع المستندات والأوراق مودعه بدوسيه الدعوى لمن يرغب الاطلاع عليها .

كاتب البيوع

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦١٧ — الاثنين ٣٠ ابريل ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 617

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

Lundi - 30 - 4 - 1945

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـدد ٦١٧ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٦٤ — ٣٠ أبريل سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الأسرة والمجتمع

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتاب جديد من الكتب القيمة التى تدرس فيها مسائل الإجماع على الطريقة العصرية الحديثة ، وتتقرر فيها الآراء بسند من الإحصاء والاستقصاء والوصف والمقابلة والتحليل

ألفه الاستاذ على عبد الواحد وافى أستاذ علم الإجماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، وأداره على موضوع الأسرة والمجتمع ، فلخص فيه مشاهدات العلماء الثقات فى مسائل علم الأجناس وعلم وصف الإنسان ، ولم يلتزم فيه وجهة نظر واحدة من وجهات النظر الكثيرة التى يذهب إليها أولئك العلماء ، ولكنه أجملها ووازن بينها ورجح بعضها فى موضع وبعضها الآخر فى غيره على ما تبين له من وجوه الصواب .

ويظهر أن الكتاب قد ألف فى أوقات متفرقة أو كتب بعض فصوله بمعزل عن البعض الآخر ، فتكررت فيه العبارات بمعنى واحد ، وورد فيه بعض الأسماء بألقاب مختلفة ، ولكنه على هذا مطرد السياق متتابع الفصول ، يتمم اللاحق منه ما سبقه من الأجزاء ، وينتقل فيه القارىء من تمهيد إلى مقدمة إلى نتيجة بغير انقطاع

وخلاصة الكتاب كله أن الأسرة نظام اجتماعى لا طبيعى كما جاء فى الفصل الثالث حيث قال : « قد يتبادر إلى أذهان كثير من الناس أن نظام الأسرة الإنسانية قائم على دوافع الغريزة وصلات الدم ومقتضيات الطبيعة ، وانه لايكاد يختلف فى دعائمه عن نظائره فى الفصائل الحيوانية الأخرى . فيظن هؤلاء أن العلاقة بين الزوج وزوجه ، والرابطة بين الأولاد وآبائهم ، وشفقة كبار الأسرة على صغارها وحرصهم على تربيتهم وما يقوم به كل من الأب والأم من وظائف فى الحياة العائلية ... يظنون أن كل أولئك وما إليه من الأمور التى يتألف منها نظام الأسرة الإنسانية يسير وفق ما تمليه الغرائز الفطرية ، وتوحى به الميول الطبيعية شأنه فى ذلك شأن أشباهه فى عالم الحيوان . ولكن نظرة يسيرة إلى الحقائق التى ذكرناها فى الفصلين السابقين تدلنا على فساد هذا الرأى . فمن هذه الحقائق يتبين لنا فى أوضح صورة أن نظم الأسرة تقوم على مجرد مصطلحات يرتضيها العقل الجمعى ، وقواعد تختارها المجتمعات ، وأنها لا تكاد تدين بشىء لدوافع الغريزة ؛ بل إن معظمها يرمى إلى محاربة الغرائز أو توجيهها إلى طريق غير طريقها الطبيعى . فقد ظهر لنا مما سبق أن النظم العائلية تختلف فى جميع مظاهرها باختلاف الأمم والبيئات وتختلف فى الأمة الواحدة باختلاف العصور » .

تلك هى خلاصة الكتاب ، وهى خلاصة توافق رأى الكثيرين من علماء الإجماع ، وليس فيهم من يخالف الواقع فيما بثته من

التجارب والمشاهدات ، ولكن النتيجة مع هذا لا تتحقق على وجه الحتم واللزوم فى جميع تلك المشاهدات .

لأن اختلاف النظم العائلية بين الأمم أو اختلافها فى الأمة الواحدة بين العصور لا يقطع الصلة بينها وبين الغريزة ولا يجعلها عملاً مستقلاً عنها غير متأثر بدواعيها

وإلا لوجب القول بأن الغرائز الإنسانية قد بطلت وبطلت آثارها فى جميع الأحوال التى تلابس الحياة الإجتماعية ، لأن الحياة الإجتماعية تنظم تلك الغرائز على ضروب شتى من النظم لا تزال مختلفات فى جميع الأمم وبجميع العصور . فغريزة حفظ البقاء معدومة إذن لأن الناس يتقون الخطر ويجلبون الأمن ويستشفون من الأمراض بما لا يحصى من أساليب السكن واللباس والطعام والطب والدواء والسلاح ، ولا يزالون على اختلاف فى هذه الأشياء بين الأمم والأجيال .

والقوانين التى تروض الجشع والعدوات أو تروض الشر بضروبه لا تتفق بين الناس على اختلاف الأمم والأجيال ، فهى إذن تقول لنا باختلافها وتطورها إنها شىء منعزل عن الغرائز الإنسانية لا يتأثر بدواعيها ولا باعث لها إلا تلك المصطلحات التى يرتضيها العقل الجمعى والقواعد التى تختارها المجتمعات .

وكل أولئك لا يقال ولا يعقل إذا قيل ، فلماذا يقال إن الغريزة بمعزل عن الأسرة ، لأن نظام الأسرة متعدد متجدد من قديم الزمان ؟

إن أمرين اثنين تختلف النظم العائلية ما تختلف بين الشعوب والأجيال وهما ماثلان فى كل أسرة وفى كل شعب وفى كل جيل ، وهما حضانة الطفل والألفة الحميمة بين فئة من الأقرباء ، وكلا هذين الأمرين قائم على الغريزة الفطرية دون سواها على نحو متشابه فى جميع الأجناس وجميع العصور .

فمن الخصائص الفطرية فى الإنسان أنه طويل الحضانة لأطفاله ، ضرورة لازمة لا دخل فيها للمجتمعات ولا لقوانين الاجتماع ، ومن هذه الخصائص أنه يحتاج إلى الألفة الحميمة بينه وبين فرد آخر أو أكثر من الأفراد ، أياً كانت حالة الاجتماع من القبيلة البدائية إلى جامعة اللغات والعناصر والأديان .

وكل أسرة وجدت بين الناس فهى محاولة مستمرة لتحقيق هذين الغرضين الغريزيين ، ولولاهما لما كان هذا الإصرار على خلق الأسرة ومحاولة تحسينها وتنظيمها فى كل مكان .

وما هو الأثر الذى يترتب على إلغاء الأسرة بأنواعها المعروفة بين الأجيال البشرية ؟

إن أول الآثار التى تشاهد فى هـذه الحالة أن الناس يخلقون الأسرة بما يشبهها وينوب عنها ، فلا يكفيهم مجرد الاجتماع فى مكان واحد ولا يغنيهم أنهم يشتركون فى المأكل والمشرب مئات وألوفا كما يحدث فى الجيوش والأديرة والمدارس الداخلية ، ولكنهم يخلقون حنان الأسرة ورعاية الأبوة والأمومة خلقا يعلمون أنه اصطناع ولا يستغنون عنـه مع علمهم أنه اصطناع . فتظهر أسماء التحبيب والتصغير فى الجنود ، ويتسمون بأسماء « تومى وجونى » كأنهم أطفال صغار ، وتظهر الحيوانات الداجنة التى يعطف عليها المعسكر كما يعطف على أبنـاء البيت ، وتظهر أمومة الكنيسة وأحضان المدرسة وأخوة الدير وأشباه هذه القرابات ، وهى شىء غير ألفة الاجتماع بين الناس بمعزل عن هذه القرابات « العائلية » التى يخلقها المجتمعون معها حتى لو وجدت لكل فرد منهم علاقته العائلية بذويه .

وإذا فقد الإنسان هـذا الشعور الحميم لم يكن قصارى الأمر عنده أنه يعانى « النقص الاجتماعى » فى أخلاقه القومية أو أخلاقه الإنسانية ، بل كان من جراء ذلك أنه يعانى نقصا « بيولوجيا » يؤثر فى الغريزة والعقل ويدل على أن المسألة فى أصولها مسألة الحياة لا مسألة الأوضاع والأنظمة والقوانين .

ومن الصفات المشتركة بين جميع الأسر فى جميع الشعوب والأجيال أنها قيد للعلاقات الجنسية ملحوظ فيه مصير النسل على نحو من الأنحاء . فكل أسرة هى ضابط للنسل وليست وحدة من وحدات البنية الاجتماعية الكبيرة وكفى ، ولا عجب فى

اختلاف الضوابط والقيود ، بل العجب كل العجب أن تتفق كل الاتفاق من المحاولة الأولى إلى المحاولة الأخيرة ، فإن ذلك هو المستحيل الذى لا يخطر على البال فضلا عن انتظاره وتعليق الاعتراف بالغريزة فى تكوين الأسرة عليه .

ولا نقول إن هذا الضابط مقصود لغاية من الغايات أو غير مقصود ؛ ولكننا نقرر المشاهد حين نقول إن منع الزواج من المحارم قد أفضى بالنوع الإنسانى إلى ثروة شعورية لم يكن ليطمع فيها بغير هذه الوسيلة ، فكأنما يتجه النوع الإنسانى من قديم الزمن إلى « تخليص » الشعور وتنويعه فى العلاقة بين الأقربين والبعداء ، فلا يشعر الرجل بالمرأة الأخت أو الأم ، كما يشعر بالمرأة الزوج أو المرشحة للزواج ، ولا تزال هناك ضروب من العطف بين الأقربين لا تقتصر على ضرب واحد ولا تتشابه فيها الأواصر والصلات . ومعنى ذلك أن الإنسان يحرص على أنواع كثيرة من القرابة العائلية ولا يريد أن يخلطها بعلاقات المجتمع الذى لا قرابة فيه.

إن أواصر القرابة تختلف بين الأمم والأجيال فتشمل فى أمة ما تستثنيه فى أمة أخرى ، وتنكر فى هذا الجيل ما تعترف به فى ذاك . ولكن هل يقع هذا الاختلاف لو لم يكن فى طبيعة الإنسان استعداد للشعور بالقرابة أياً كان عنوان القريب ؟ وهل أنكر الإنسان قط قرابة من القرابات إلا ليعترف بقرابة تعدلها أو تنوب عنها ؟ وهل أنكر ما أنكره طويلا دون أن يعود إليه ؟

فالغريزة وراء الظواهر الاجتماعية فى جميع هذه الأحوال ، والفطرة الإنسانية أحوج فطرة بين الأحياء إلى النشأة فى أسرة والاتصال بقرابة عائلية . ويغلو فى القول من يرجع بكل ظاهرة من ظواهر الأسرة إلى الاجتماع لأن الناس يعيشون جماعات جماعات .

فإن انتساب الفرد إلى أمة لا يغنيه عن النشأة العائلية بحال من الأحوال ، ولو جاء الوقت الذى تهدم فيه الأسرة وتلغى فيه الأمومة والأبوة لتحل فى محلها « تربية المجتمع » لكان ذلك تبديلا فى الخلق ولم يكن تبديلا فى النشأة الاجتماعية وكفى ، لأن الفطرة قد عودت الأحياء أن يخدم الفرد نوعه ، وهو يشعر بأنه يخدم نفسه لفرط ما يخالجه من اللذة والسرور بإنجاب الذرية . فماذا لو قيل غداً إن اللذة الجنسية ليست أصلا فى دوام النوع ، وإن الحمل قد يتم بغير هذه اللذة التى يشعر بها الآباء والأمهات ؟

إن من يقول بذلك لن يكون فى مقاله أغرب ممن يزعم أن المجتمع ينشئ الأطفال بغير حضانة الأمهات والآباء ، وأن الفطرة تستقيم على هذه التنشئة لأنها وضع من أوضاع الاجتماع

ولقد أحسن صاحب الكتاب فى تسجيل المشاهدات وتقرير وجهات النظر بين العلماء ، وكتابه من هذه الناحية أوفى كتاب ظهر بالعربية فى هذا الموضوع ، ولكنه تجاوز حد المشاهدات التى أثبتها حين بنى عليها الفصل بين الغريزة ونشأة الأسرة أو تطورها . فإن تلك المشاهدات لن تبلغ بنا ذلك الحد الذى ذهب إليه ، ولن تثبت لنا إلا أمراً واحداً لا نتعداه هو عمل المجتمع فى الأسرة ، وهو عمل من البداهة بمكان ؛ ولن يلجئنا توكيده إلى الفصل بينه وبين الغرائز الفطرية ، فهى لن تنفصل عن وضع من الأوضاع المتواترة بين الناس .

عباس محمود العقاد

تأييد لاقتراح «الرسالة»

للأستاذ على الطنطاوى

ما تفتأ الأفكار تحمل وتلد ، وما تنى المطابع تتلقى الولائد وتلفها بالثياب ، وتخرجها للناس كتباً ، فلا يدرى القارئ من كثرتها ماذا يقرأ ، ويحار المرء من تعددها ماذا يختار . ولكن العبقرى فى الكتب كالعبقرى فى الناس ، لا تراه الدنيا إلا مرة واحدة فى الدهر الطويل ، ولا يكون إلا واحداً فى ملايين . أحص السابقين من العباقرة فى الأمم كلها تجدهم قد جمعهم لقلتهم سجل واحد ، وضمت أسماءهم صحيفة ، ثم اذكر كم من ملايين البشر عاشوا معهم ، وتنفسوا الهواء الذى كانوا يتنفسونه ، وأكلوا من الطعام الذى كانوا يأكلونه ، ثم طوتهم الأيام ، ونسيهم الناس ، فكأنهم ماولدوا ولا عاشوا ، بل ربما كان فى هؤلاء المنسيين بحق ، المجهولين من كانت له دنيا أعرض من دنيا أولئك العبقريين ، وكانوا يتمنون الأقل منها فلا يصلون إليه ، وكانت لهم منزلة وكان لهم سلطان ، ولكن الزمان محص الحقائق ، وماز الأباطيل ، فإذا ذلك السلطان زبد يذهب جفاء ، وإذا العبقرية تمكث فى الأرض لأنها تنفع الناس . وكذلك الكتب ، فرب كتاب يطبل له ويزمر ، ويقام له ويقعد ، وآخر لا يدرى به أحد ، يبطل الزمان الأول ، ويبقى الثانى خالداً . ولقد قرأت فى بعض ما قرأت من شعر الإفرنج كلمة أحسبها لتيوفيل غوتييه يقول فيها مخاطباً الملك العظيم لويس الرابع عشر : « لقد نسى التاريخ اللآلئ التى كانت فى تاجك أيها الملك ، ولكنه لا يزال يذكر الرقع التى كانت فى حذاء كورنيى » . كما نسى التاريخ ألوف الأمراء والملوك إلا ما خلده شاعر حين أمر اسمه على لسانه فى قصيدة من قصائده .

هؤلاء الرجال العبقريون ، وهذه الكتب العبقريات ، التى لا تقوى حدود البلدان ، ولا فوارق اللسان ، على إبطال فتنتها ، وإذهاب روعتها ، هذه الكتب (قدر مشترك) بين أبناء الشعوب المتمدنة كلها ، ليست لشعب ولا لجيل ، لأنها حديث القلوب فهى لكل ذى قلب ، ولغة القلوب واحدة وإن اختلفت الألسنة وتعددت البلدان ، فما يليق بأمة لها شعور وكرامة وعقل ، أن تجهل هذه الكتب ولا هؤلاء الرجال .

« ٠ »

أكتب هذا تعليقاً على مقالة الأستاذ الزيات فى العدد الماضى من الرسالة . وإذا كتب الأستاذ فى موضوع لم يدع فيه ركناً يعرض له بالوصف مثلى ، لأنه يوفى فيه على الغاية ، ويبلغ فى الإجادة فيه النهاية ، وما علقت مستدركا بل معيداً ومردداً ، وليكون لى فى هذه الدعوة المباركة نصيب .

ولقد عادت بى مقالة الأستاذ إلى أيامى الخوالى حين قرأت قصة (رفائيل) أول مرة ، بإذن من أستاذنا شيخ أدباء الشام سليم الجندى ، وكان يحرم علينا أن نلم بشىء من الأدب الحديث أو ننظر فى جريدة من الجرائد ، قبل أن نتمكن من الأدب القديم ، ونألف الصياغة العربية ، وتستقيم ملكاتنا على طريق البلاغة السوى خشية أن تدخل جراثيم العجمة إلى أسلوبنا ، وأن يفشو الضعف فى بياننا ، فلما سألته عن قصة رفائيل غداة صدورها هل أقرؤها ؟ نظر فيها ثم أذن لى بقراءتها لأنه رآها بليغة الأسلوب ، صافية الديباجة ، سليمة اللغة ، سامية البيان ، فكانت أول ما قرأت من الأدب الحديث بعد (النظرات) ولا والله لا أستطيع أن أصف أثرها فى نفسى ولا فى خيالى ولا فى قلبى ، ولا أملك حتى الإلمام بذلك إلماماً ، لأنه شىء فوق الوصف وإنما أعترف أنها أحد المصنفات القلائل التى كانت غذاء أدبى من الكتب الجديدة ، بعد أن غذيته بأمهات كتب الأدب القديم . وقرأت (آلام فرتر) فكان لها مثل ذلك الأثر ؛ ثم افتقدت هذا اللون من الأدب فلم أجده ؛ ثم وجدت شبهه فى مثل (عطيل) مطران و (مرجريت) زكى و (فاوست) عوض وإن كانت هذه من قماش وتلك من قماش ، وإن اختلف النسج وتغيرت الديباجة ، وأمثال (تأبين فولتير) التى نقلها (المنفلوطى) إلى العربية بقلم أحسب لو أن (هوغو) كان عربياً ما كتبها بأبلغ منه ؛ كما أن لامارتين لم يكن ليكتب قصته ولا جوت كتابه ، خيراً مما كتبهما

الزيات ولو خلقا عربيين من أبين العرب وإنى حين أقرأ اليوم هذه الروائع من أدب الغرب مترجمات فى (روايات الجيب) مثلا أكاد أخرج من ثيابى غيظاً وغضباً لهذه المعانى الكريمات تجىء فى هذه الكلمات ، وأسفاً على هذه العرائس الفاتنات تخرج فى هذه الثياب الأخلاق الباليات . وأفكر لو أن الله قيض لقصة (ذهب مع الريح) مثلا أو (الفندق الكبير) أو (الأم) وأمثالها الكثيرات من عبقريات القصص العالمية التى ترجمها كتاب روايات الجيب ، ونشكرهم على كل حال على حسن اختيارها ، وبذل الجهد فيها ، إذ لم يدخروا فى التجويد وسعاً ؛ لكن البلاغة درجات ، والكتاب طبقات ؛ لو أن الله قيض لها قلماً لدناً قوياً ، لا يضعف فينكسر ولا يقوى فيؤذى ، فترجمت بأسلوب عذب بليغ ، لا يصح من غير جمال فيجف ويجمد ، ولا يجمل من غير صحة فيميع ويسيل ، لكان منها لهذا النشء مدرسة ، الله وحده يعلم كم كانت تخرج لهذه الأمة من كتاب . وليست العبرة فى الترجمة بنقل المعنى المجمل للقصة بل بنقل التفاصيل الفنية الدقيقة والصناعة الناعمة ، وطريقة عرض الفكرة ، وأسلوب تصوير المشهد .

ولو أن المعنى المجمل هو المقصود للخصت قصة يوسف مثلا فى كلمات وضاع إعجاز السورة وجمالها الإلهى ، ولكانت كل قصص الحب فى الأدب متشابهة لا تخرج عن أن رجلا أحب امرأة حباً عاطفياً أو جسمياً ، فوصل إليها أو حيل بينه وبينها ؛ فهذه أنواع أربعة للقصص الغرامية ينشأ منها أربع قصص فقط ويكون الباقى كله لغوا . مع أن فى كل قصة جواً خاصاً بها ودنيا لها وحدها ، لا تغنى فى المتعة الروحية بها قصة منها عن قصة ، وما ذاك إلا لاختلاف الدقائق والتفاصيل ، ولا يظهر هذه الدقائق والتفاصيل إلا قلمٌ بليغ ، بصير بمواقع الكلام ، عارف بأوجه الدلالة فى الألفاظ ، له الحاسة الخفية التى يفاضل فيها بين الكلمات ويحسن انتقاءها ، إذ ربّ كلمتين بمعنى ، وبين إحداهما والأخرى مثل ما بين البلاغة والعىّ . ورب كلمة فى لسان لها جوّ ولها مدلول ، وتحيط بها ذكريات عند أهل ذلك اللسان ، لا يمكن أن تجىء بها مرادفتها فى اللسان الآخر ، ومن هنا علت بعض النصوص كالقرآن مثلا عن الترجمة واستحال أن تنقل إلى غير لغتها .

***

ونحن اليوم فى أشبه العصور بعصر المنصور والمأمون ، أمة كانت معتزلة منطوية على نفسها ، ثم اتصلت بأمم غيرها لها مدنيات ولها علوم ، فإذا استمرت على عزلتها علت عليها تلك الأمم بعلمها وقوتها ، وإن تعلمت ألسنتها لتفهم علومها ، أضاعت لسانها وعصبيتها ؛ فلم يبق إلا أن تنقل كتب تلك الأمم إلى لسانها ، فتزداد به غنى فى الأفكار وفى طرق التعبير ، ثم تفهمها وتسيغها وتهضمها كما يقولون ثم تنشئ مثلها إنشاء .

ونحن فى الواقع لا نستغنى عن الترجمة ولا نقلّ منها ، ولكننا نسىء الاختيار فندع الكتاب العبقرىّ الفذّ الذى يعد واحدا من مائة كتاب هى خلاصة آداب الأمم كلها وتترجم الكتاب لا فائدة فيه . ثم نسىء التعبير فلا ننقل هذه الكتب إلى العربية وإنما نضع فى مكان ألفاظها الأعجمية ألفاظا عربية ، ولا يقدر على الترجمة الصحيحة إلا متمكن من اللغتين ، بليغ فى اللسانين ، يقرأ الفقرة ثم يفهمها ثم يدعها تخالط روحه وتصير كأنها له ، ثم يعبّر عنها بلسانه ، ويزّينها بجمال بيانه .

***

والأستاذ الزيات يوجه كلامه إلى معالى الأستاذ السنهورى بك الذىّ عرفناه فى بغداد ودمشق عالماً قبل أن نعرفه وزيرا . ونحن نعلم وجه الصواب فى الأمر ولا نملك تحقيقه ، والوزراء على الغالب يملكون . ولا يعلمون . فلما جاء الوزير العالم الذى يعرف الحق ويقدر عليه ، كان موضع الأمل ، ومحل الرجاء ، فإذا ألهمه الله أن يفعل فقد أراد الخير لهذه الأمة على يديه .

بقيت كلمة للأستاذ الزيات ، هى أنه ترجم فكان أبرع المترجمين ، فلماذا لا يكمل ما بدأ به ، ويترجم لنا قصة (غرازيلا) ثم (جوسلان) ؟ وينتقل بعد ذلك إلى غير لامارتين من أمراء البيان ، وأئمة الأدب فى كل لسان ؟ وما فيمن سيجمعهم معالى الوزير السنهورى فيما أظن من هو أقدر على ذلك من الزيات وأولى به .

الجواب عندك يا أستاذنا !

(القاهرة) **على الطنطاوى**

٢٤ ٥ ٣١

على هامش النقد

التعاون الثقافي

بين الأقطار العربية

تأليف الأستاذ عبد الله مشنوق

للأستاذ سيد قطب

هذا كتاب جيد فى موضوعه ... وليس هو كتاباً أدبياً ولا فنياً ، ومع هذا نفسح له مكاناً « على هامش النقد » لأنه الكتاب الأول فى هذا الموضوع ، ولأنه يعالجه معالجة دقيقة واضحة ، ويترجم « التعاون الثقافى بين الأقطار العربية » إلى حقائق واقعة ، واقتراحات عملية ، فى أسلوب تقريرى بسيط ، يعجبنى فى أمثال هذه الموضوعات ، وأفضله ألف مرة على الأساليب البيانية والاستعارات اللولبية ، والتفاصح الذى يغيظ !

والموضوعات التى تناولها المؤلف الفاضل فى كتابه حين تستعرض استعراضاً سريعاً تكفى لبيان اتجاهاته ، وقد جاءت فى الكتاب بهذا الترتيب :

« بين التعاون والتوحيد . الطغيان الثقافى . ليس التعاون بدعة . التعاون أداة تقدم . الشعوب العربية المتعاونة وموقف التعاون من الغرب . ميادين التعاون الثقافى . المناهج : الأهداف والاتجاهات العامة ، أقسام الدراسة وأنواعها ومراحلها وشهاداتها ، مواد الدراسة فى مختلف المراحل والسنوات . تحضير المعلمين . الكِتاب ، مجلة للصغار ، وسائل الإيضاح . تنظيم المعادلات بين الشهادات : المعادلات مع الخارج ، البكالوريا العربية . البعثات العلمية : تبادل البعثات بين الأقطار العربية . تبادل الأساتذة : الأساتذة الزائرون ، الخبراء الفنيون . المجامع اللغوية والعلمية : الخمسون المخلدون ، المعجم الجديد ، المصطلحات العلمية ، تتويج روائع العلم ، إصلاح الحروف العربية ، الموسوعة العربية . المدارس والجامعات . المكتبات العامة . التأليف والترجمة والنشر » .

* * *

عالج المؤلف الفاضل هذه الموضوعات كلها بروح عملية ، لاتنشط فى الخيال ، ولا تقف مكتوفة اليدين أمام العقبات . ومن هنا قيمة الكتاب . فلقد استحال هـذا التعاون المنشود حقيقة عملية فى حيز الإمكان . وأحسب أن الشرق العربى سيتلفت ليجد أمامه الوسائل ميسرة لتحقيق هذا التعاون ؛ وسيجد منها الكثير بين يديه حاضراً مهيئاً ، والبقية ليست عنه ببعيدة . والمهم أن كلمة « التعاون » لا تبقى بعد هذا البيان أملاً غامضاً مبهماً . بل تصبح حقائق ووقائع فى متناول التفكير والتنفيذ .

وأمر آخر يقرره هذا الكتاب فى نفوس القراء .

إنه يُطلع الشرق العربى على دخيلة نفسه وحقيقة حاله ! فحاجاته الثقافية ، والوسائل التى يملكها لسد هذه الحاجات ، يضعها المؤلف بمهارة وبساطة تحت عين هذا الشرق العربى . وكأنما يرفع فى وجهه المرآة ليراه !

والذين يستطيعون أن يرفعوا المرآة فى وجه الشعوب ببساطة فائقة ومهارة كبيرة قليلون جداً بين الباحثين والكتاب . والذين يستطيعون أن يرفعوا هذه المرآة فى اللحظة المناسبة هم أقل من القليل . ومن هؤلاء الأخيرين الأستاذ عبد الله مشنوق الأديب اللبنانى صاحب هذا الكتاب !

وهو يرفع المرآة فى وجه الشرق العربى ليقول له : إنه فى حقيقته وحدة متعاونة ، وأجزاء متكاملة . وهو لايعتمد فى تقرير هذه الحقيقة على الأساليب الحماسية ، بل يبدو أن هذه الحقيقة جزء طبيعى من إحساسه العادى بالمسألة . فحين يتحدث عن بعثات أمم الجامعة العربية إلى البلاد الأوربية ينظر إليها كأنها بعثات بلد واحد ، لتلبية حاجة البلد الواحد ، ويصوغ رأيه فيها بهذه البساطة العميقة :

« أما التعاون بين العرب فى البعثات إلى الخارج ، فأمر يحتاج إلى تنسيق حتى تكون الجهود منسجمة ، فلا يحدث تضخم

فى ناحية من نواحى الاختصاص ، وقحط فى النواحى الأخرى ؛ فليس من الضرورى أن يتخصص رجال كل قطر فى وقت واحد فى الجامعات الغربية فى علم الآثار والعاديات والقانون والآداب والفلسفة واللغات القديمة وفن القتال والهندسة وعلم المعادن والزراعة والميكانيك ومختلف الصناعات ، وما إليها من أنواع التخصص ، لأن أمثال هذه البعثات تكلف موازنات الدول مبالغ قد لا تتحملها . ولذلك يحسن أن توزع هذه النواحى بين الحكومات العربية وفقاً لمقدرتها ودرجة احتياجها ، على أن تتعاون هذه الدول فيما بينها بتبادل الخبراء والأساتذة لسد النقص الناشىء عن هذا التوزيع ... » .

وبنفس هذه الروح يعالج مسألة « تبادل البعثات بين الأقطار العربية » فيسميها « كوتا العلم » ويشبهها بالترخيصات التى يمنحها مركز التموين فى الشرق الأوسط للاستيراد حسب الحاجة الضرورية ! ثم يقول :

« ولعلى لست مخطئاً فى التشبيه عند ما أقول فى معرض حديثى عن البعثات أن ثمة « كوتا » علمية بين الأقطار العربية المتعاونة ، وأن على المكتب الثقافى الدائم فى القاهرة توزيعها بالعدل والقسطاس بين البلدان الشقيقة ، مراعياً فى ذلك الإمكانيات والحاجات الثقافية فى كل بلد متعاون ، فلا يكون تبادل البعثات العلمية مظهراً من مظاهر الفوضى ، بل يخضع لخطة مرسومة مبنية على دراسة علمية صحيحة للحالة الثقافية الراهنة فى مختلف الأقطار العربية . ولن يتم توزيع « كوتا » العلم ما لم تعد كل حكومة عربية تقريراً ضافياً يحتوى على الحد الأقصى لما تستطيع قبوله فى معاهدها العليا والثانوية من طلاب الأقطار الأخرى من جهة ، ويحتوى على ما تشعر بأنها فى حاجة ملحة إلى إيفاده من بعثات إلى الأقطار الشقيقة من جهة ثانية . ومتى تم وضع هذه التقارير وزعت مقاعد الدراسة على ضوئه ، فإذا كانت مصر مثلا قادرة على قبول ١٠٠ طالب فى معهد التربية لإعداد المعلمين ، فإن مهمة المكتب الثقافى الدائم تنحصر فى توزيع هذا « الكوتا » بالعدل بين حكومات الأقطار المتعاونة مراعية فى ذلك المستوى الثقافى فى كل إقليم ، مفضلة الحاجات الملحة السريعة على سواها »

ومن هذه المقتطفات تبدو الروح العامة التى عالج بها المؤلف حقيقة العلاقات بين أمم الجامعة العربية كما تتبين طريقته العملية فى معالجة وسائل التعاون ، وإحالتها إلى حقائق ملموسة ممكنة التنفيذ فى نظام دقيق .

وبمثل هذه الروح عالج جميع الأسس التى يقوم عليها التعاون . ولكن هذا لم يكن كل محتويات الكتاب ، فقد تطرق من أسس التعاون الى موضوعات فى صميم التربية والتعليم ، كمكتبة الطفل ، ومجلة الطفل ، ووسائل الإيضاح ، والأهداف الوطنية والثقافية والروحية من المناهج وكان موفقاً فى هذا كله ، لأنه آثر أن يعالج موضوعاته فى بساطة وعمق وأن يصوغ تعبيره فى قالب دقيق

***

وثمة أمر آخر ساعد المؤلف على النجاح فى دراسته لموضوعه ... ذلك هو الإخلاص فى مواجهة الحقائق بروح الإنصاف . فقد نبه إلى مواطن النقص فى وسائل الثقافة عند كل شعب ، وإلى مواطن الكمال أو التفوق حيثما وجدها بلا تحيز إقليمى لا معنى له .

فهو يقول مثلا عند الموازنة بين هــذه الوسائل فى مصر وشقيقاتها : « لقد زرت عدداً كبيراً من المدارس — على اختلاف أنواعها — فى مصر والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين ؛ وأستطيع أن أصرح دونما تحيز أو مواربة ، بأن المعاهد المصرية الرسمية تأتى فى الطليعة من حيث أخذها بالأساليب الحديثة فى التربية والتعليم وسخاء الحكومة فى الإنفاق عليها لتتوفر فيها الشروط الفنية ؛ ويشمل قولى هذا المعاهد الابتدائية والثانوية والعليا ، العامة منها والفنية المهنية . لذلك أدعو الأقطار العربية أن تتعرف تماما إلى هــذه المعاهد المصرية قبل البدء بإنشاء مدارس جديدة أو القيام بإصلاح عام فى مدارسها القديمة ... »

ويقول فى صدد المعاهد التى تخرج المعلمين فى جميع بلاد الجامعة العربية : « وبوسعى أن أقول جازماً : إنه يتعذر الآن على أية

حكومة عربية إنشاء معهد كدار العلوم العليا لتحضير أساتذة اللغة العربية ، هذا المعهد الذى يتهمه البعض بالرجعية ويود إلحاقه بالجامعة ؛ ولكنه على الرغم من ذلك مفخرة من مفاخر مصر ، ومعقل من معاقل العروبة ، وإليه يعود الفضل الأكبر فيما أنجبته مصر من أساتذة متمكنين من فقه اللغة وفلسفتها وقواعدها ، متعمقين فى فهم روح البلاغة وأسرارها ، مختصين فى أساليب تدريسها. فلماذا لا تفتح أبواب هذا المعهد على مصاريعها فى وجه الأقطار العربية ، فيخرج لها نخبة صالحة لتدريس اللغة العربية فى الأقسام الثانوية ؟ وقد أسلم جدلا بأن منهاج دار العلوم مثقل بالمواد القديمة الصعبة المرهقة والجافة أحياناً ؛ ولكن فهمنا للغة فهماً صحيحاً يخولنا تدريسها بكفاءة ، لا يمكن أن يتم إلا بعد دراسة عميقة لهذه العلوم على النحو المتبع فى دار العلوم .

« وتستطيع كلية اللغة العربية فى الجامعة الأزهرية أن تقبل الراغبين فى التخصص باللغة العربيـة إلى جانب العلوم الدينية . وهذه قد لا تشترك فيها جميع الأقطار العربية »

وبمثل هذا الإخلاص فى مواجهة الحقائق بروح الإنصاف سار فى بقية فصول الكتاب ، فلم يقصر كذلك فى نقد مواضع النقص حيثما وجدت . وحينما ساقه الحديث مثلا عن « مكتبة الأطفال » كشف عن نقصها وفقرها فى جميع بلاد الجامعة العربية ومصر من جملتها وكان محقاً كما كان منصفاً .

***

هـذا الإخلاص فى مواجهة الحقائق يجعلنا نوجه الحديث بصراحة إلى الأستاذ المؤلف ، وإلى جميع الراغبين رغبـة نفسية أكيدة فى توثيق عرا التعاون بين أمم الشرق العربى .

إن لمصر ما تشكو منه من بعض شقيقاتها العربيات ، أو ما تعتب عليه بتعبير أصح ... ويجب أن نكون صرحاء فيما بيننا ليقوم البناء على أساس سليم ... ومصر لا تشك فى إخلاص الشقيقات لها وتطلعهم إليها واهتمامهم بها . ولكن هنالك مع هذا أشياء !

فأنا أعتقد أن الأستاذ المؤلف يسلم معى بأنه ليس ذنباً لمصر أن تلبى حاجة الشقيقات إلى المعلمين ... وإنما هو واجب عليها تؤديه . فما بال جماعة من الناس فى بعض هذه الشقيقات ينظر إلى المسألة نظرة أخرى ، فيرى فى هؤلاء الأساتذة مرتزقة ، أو بلغتهم « عَيّاشة » يزاحمونهم الرزق ويطلبون العيش ؟ إن كثيراً من هؤلاء الأساتذة يعودون شاكين لا لما يعانونه من معالجة شئون الحياة بعيداً عن أهلهم وصوالحهم ، ولكن لأنهم ينبزون بلقب « العيّاشة » ! مع أنهم منتزعون من ضرورات المدارس المصرية

وأعتقد أن الأستاذ يسلم معى بأنه ليس ذنباً لمصر أنها كانت سابقة فى الأدب والثقافة . فما بال جماعة من الناس فى بعض هذه الشقيقات يعدون هذا استعماراً ثقافياً ، ويحملون فى بعض الصحف على الأدباء المصريين وعلى الثقافة المصرية ، حتى يصدر أحد رؤساء الحكومات أمراً بالكف عن هذه الملاحاة ؟

وأعتقد أن الأستاذ يسلم معى بأنه ليس ذنباً لمصر أنها فتحت أبواب معاهدها للطلاب من كل الشقيقات . فما بال بعض هؤلاء الطلاب الذين تقوم لهم مصر بواجبها فى الضيافة الكاملة والثقافة والرعاية يحلو لهم أن يملئوا أفواههم بنقد المصريين حتى ليصل هذا النقد إلى درجة التجريح فى وجه المصريين ؟ !

هذه كلمات لا تنقصها الصراحة ، وهى كلمات واجبة ، وهى عتب الشقيق على الشقيق ، مبعثه الود الصريح ، والإخاء العميق والإخلاص الوثيق .

سيد قطب

التطور الاجتماعى بعد الحرب

للأستاذ عبد القادر المغربى

إن اهتمام المفكرين فى نتائج هذه الحرب وما تتركه وراءها من أثر فى شؤون البشر قد تجاوز كل حد ، وأصبح لا يقل عن اهتمامهم بأخبار وقائعها وأهوال ملاحمها ولهم الحق فى ذلك : لأن الحرب مهما طالت ظل متقلص وسحاب متقشع ، أما نتائجها وما تتركه وراءها فهو على ما يظهر حكم مبرم باق إلى ما شاء الله .

وقد انتشر من جراء ذلك الذعر فى قلوب قادة الأمم وكبار زعمائها ، وأوجس كل منهم خيفة على مستقبل بلده وأوضاع وطنه .

وليس الشأن فى هذا ، وإنما الشأن فى التطورات الاجتماعية التى سوف تقلب عادات الأمم وأخلاقها وقوانين حياتها رأساً على عقب ، حتى زعموا أن التطور الاجتماعى سيشمل كل ما تقع عليه العين من مادة أو تحس به النفس من معنى — فالعالم بعد الحرب عالم آخر ينبغى أن يسمى منذ الآن (عالم ما بعد الحرب) — وحتى خشى الحريصون على أديانهم وتقاليدهم وآخرون على قومياتهم ولغاتهم ، أن يعمل ناموس التطور عمله فى تلك الأديان وهذه اللغات فيأخذ بهما ذات اليمين أو ذات الشمال .

نعم إن العقلية السياسية الديمقراطية التى تسيطر على البشر بعد هذه الحرب ستضمن للبشر سلماً دائماً يغمرهم ، وأنظمة دولية ثابتة تصون استقلالهم وتحمى حدودهم وتنتزع العدوان الديكتاتورى من بينهم .

أجل قد يكون هذا كله ، ولكنّ السلم الدائم المضمون شىء والتطور الاجتماعى المتوثب شىء آخر .

التطوّر الاجتماعىّ لا تقف فى وجهه حدود ولا تصده حرّس ولا أغلاق ، هل سمعتم بالمظليات الجوية قط ؟ وهكذا هبوط التطورات الاجتماعية .

العقلية السياسية المسيطرة تقدر على وقاية الإنسانية من كل شىء إلا شيئاً واحداً : هو سلطان التطور الاجتماعى وما يحمله على كفه من المبادئ الاشتراكية والنزعات المتطرفة .

التطور الاجتماعى ناموس طبيعى قوى الشكيمة ماضى العزيمة ، ولم يكفه هذا حتى تقوم (الحريات الأربع) تحميه من ورائه وتنهض الدعاية بسحر وسائلها تمهد له من أمامه .

ونحن معشر المسلمين والعرب خاصة لا يمنعنا مانع أن نؤمن بكل ما يتكهن به المتكهنون عن نتائج هذه الحرب وتطور شؤون البشر بعدها ، إذ أن التطور من قَدَرِ الله سبحانه له فيه حكمة ومصلحة لعباده ، كما أن السلم الدائم من صنع أقطاب السياسة المسيطرة : لهم ولنا وللأمم كافة فيه الأمن والصلاح والإسعاد .

ولكن هل تنام معشر المسلمين والعرب على هذه الفكرة البراقة ، ونتعلل بها مطمئنين مستسلمين ؟

إذا لم يمكنا درء التطور غير الملائم لنا ، أفلا يمكننا تلطيفه وتحويل مجراه إلى ما فيه صلاحنا وسلامة إسلاميتنا ولغتنا ؟

فكر ملوكنا وكبار زعمائنا بأمر الوحدة العربية ، وتسييجنا بها ، فنعمّا فعلوا ، وإن فعلهم هذا من نوع تلطيف القضاء وتخفيف وقعه وتوجيهه إلى توفير مصلحة العرب السياسية والقومية

أفلا يفكر غيرهم من العاملين المسئولين فيلطفوا التطور المتوقع حصوله فى الدين واللغة ، ويوجّهوا إبرة بوصلته إلى ما فيه حفظ لدينهم وسلامة للغتهم ؟

والتطور الفكرى فى الدين وإصلاحه أمر خَطِر وخَطِير فى آن واحد ، ولا يمكن التعرض له فى موقفنا هذا بأكثر من قولنا : إن فى المتطرفين من المثقفين المسلمين من يرى ضرورة تقضى بفصل الدين عن الدنيا ، وآخرون منهم لا يرون هذا الرأى وإنما هم حريصون على العمل بالاجتهاد فى الدين كما كان يجتهد الأولون من السلف عند ما تتوفر فيهم شروط الاجتهاد ، ويزعمون أن هذه الشروط اليوم ممكنة الوجود فى مجموعة من الأفراد ، لا فى الفرد الواحد . وهذا الفريق لا يبعد عن روح الدين الإسلامى كما بعد الفريق الأول وإن كان معظم رجال الدين اليوم لا يرون فتح باب الاجتهاد .

وهناك فريق ثالث يرى التعجيل بعملية «التصفية» وخلاصة ما يقال فى وصف هذه العملية أن يُنَحّى إلى جانب من مسائل الدين وأحكامه ودراساته ما لا يمكن تطبيق نصوصه ولا العمل به فى عصرنا الحاضر ، فهو مُرْجأ إلى أن يأذن الله بعودته ، مثل معظم أحكام الجهاد والرق والعتق وإقامة الحدود إلى غير ذلك مما أصبح عبئاً على عاتق الثقافة الإسلامية التى تضطرها الظروف القاهرة إلى التخفف منه كى تنشط وتتمكن من لحاق من سبقها

فى ميادين الحضارة والعزة والغلبة .

هذه خلاصة مايحدث ، أو ربما يحدث من توثب الفكر الدينى — خيره وشره — بعد الحرب .

وما ذكرته أصول لها ذيول لا يمكن استيفاؤها إلا فى مصنفات أو محاضرات تاتى فى غير هذه الحفلة . أما حفلتنا هذه فيكفيها ما اجترأت به عليها مذ شغلتها بغير ما أعدت له : أعدت هذه الحفلة (بعد البيانات الرسمية) لبحوث اللغة وطرق وقايتها مما يُهَدد سلامتها .

ومهما ذكرت لكم من مهددات سلامة اللغة لا آتى بشىء تجهلونه بل سأعمد إلى عكس ذلك : فأذكر لكم أيها السادة من أسباب سلامة اللغة وضمانة أبديّتها شيئاً جديدا ، شيئاً فيه طرافة وفيه استجمام ، وفيه استشفاف لما يأتى به الغد القريب من صنع الله العجيب .

يعود نشاط الآراء وتوثُّب الحرية فى المسائل الاجتماعية بعد الحرب إلى أشد مما كانت عليه قبلها . ويعود الداعى فيدعو إلى الشىء النُّكُر : إلى استبدال اللغة العامية باللغة الفصحى ، ولا أطيل القول فى هذه المسألة لما أنكم أيها السادة المصريون خاصة أعرف بها وبمبتدإ خبرها من كل أحد . فالدعوة إلى اللغة العامية أشأم ما يهدد لغتنا العربية ، وهناك مسألة أخرى وهى استبدال الحروف اللاتينية بحروف كتابتنا العربية .. وهذه الدعوة أيضاً قد علمتم من أمرها أكثر مما علمتم من أمر الدعوة الأولى ، إذ لم تهدأ بعد هماهم الداعين إليها ، وشقاشق الرادّين عليها ، وهى فلتة قام على أنقاضها نهضة مباركة تدعو إلى تيسير الكتابة العربية وتسهيل الإفادة بها والاستفادة منها ، وذلك من طريق إضافة حركات أونترات موصولة بأطراف الحروف العربية أو أوساطها ، فتصبح الكتابة العربية (ونسميها الكتابة الميسّرة) سهلة فى القراءة ، قريبة التناول فى الطباعة ، خفيفة الظل على المعلمين والمتعلمين ، ولا شؤم فى هذا المشروع ولا ضير ، بل إن فيه الخير كل الخير .

ومثله مشروع إصلاح قواعد اللغة العربية والاقتصار من مسائلها على ما تمس إليه الحاجة وتتوقف عليه صناعة البيان وملكة الإفصاح ... وهذان المشروعان (تيسير الكتابة ، وإصلاح قواعد اللغة) أهم ما يُعنى به مجمعنا فى دورته التى نحن واقفون على عتبتها ، غير أن بعض المتشائمين يعترضنا ويقول : إن ما عرض حتى الآن من نماذج الكتابة الميسرة لا يخرجها عن كونها كتابة مستقلة ذات طابع خاص وشكل خاص ، لا يحسنه إلا من اعتاده وتمرن عليه ، فإذا حذقت الأجيال الآتية من أبنائنا هذه الكتابةَ وأهملوا الكتابة بالحروف العربية القديمة نسوا هذه الأخيرة بالطبع وجهلوا قراءتها . فتنقطع صلتهم بثقافة ماضيهم والاستمتاع بآثار أسلافهم . ومثاله القريب حروف الكتابة المغربية الافريقية اليوم فانها عربية فى أصلها ، لكن طرأ عليها من الأشكال والأوضاع والنَتَرات والتقوّسات ما حولها عن شكل الخط العربى المشرقى إلى خط خلاسى حتى أصبحنا نحن الشارقة عاجزين عن قراءة خطوط المغاربة ، وبذلك انقطعت صلتنا بثقافتهم وآثار علمائهم وهم إخواننا وأهلونا .

(وإنا نرى أقدامنا فى نعالهم وآنُفَنا بين اللِّحى والحواجب)

وكم مرة حملنا كتابات هؤلاء الأخوان ومصنفاتهم المخطوطة أو المطبوعة بحروفهم إلى من يقرؤها لنا منهم ، وقد لا نجده ، غير أن هذا كان قبل أن ينهض إخواننا فضلاء المغرب إلى تدارك هذه القطيعة بيننا وبينهم ، أما اليوم فقد أخذوا يطبعون وينشرون آثارهم القلمية بحروفنا المشرقية ، وبذلك عدنا إلى الوصل واجتماع الشمل ، وإلى الانتفاع بآثار عملهم والارتواء من معين فضلهم .

هذا بعض ما يقال فى لمز الكتابة الميسرة المتوقع اختيارها ، فإذا كان ما يقوله هؤلاء العائبون لها حقاً ، وكان ما قاله أولئك فى لمز الحروف اللاتينية حقاً أيضا ، وقعنا فى حيرة من أمرنا ، وأُركسنا فى اليأس من تيسير كتابتنا ، وتسهيل تناول العلم على أحداثنا

هنا أسمع بعض الملهمين يقول مستبشراً : إنه لا ينجينا من هذه إلا إذا أصغينا إلى هاتف الأمل ، يهتف بنا من وراء حجب المستقبل ؛ فهو ينصح لنا — أولا — بالبقاء على الثقة بكتابتنا العربية الجميلة التى ورثناها عن ابن مقلة . ويبشرنا — ثانياً — قائلا : إنكم علمتم مبلغ التطور المتوقع حدوثه بعد هذه الحرب ، وسيكون هذا التطور على أشده فى الصناعات ومختلف آلاتها وأدواتها ، ومن الصناعات التى سترتقى وتتطور إلى أقصى حد من الترقى والتحسن صناعةُ طبع الكتابة ، أى تصويرها بالفوتوغراف بآلة خاصة ، وطريقة خاصة ، وقد ارتقت هذه الآلة ، وطريقة التصوير بها فى سنين قليلة إلى حد أن مجلة « المستمع العربى » التى تطبع فى لندن باللغة العربية أصدرت منذ نحو شهرين

عدداً قدمته إلى القراء بقولها : « قمنا فى هذا العددبتجربة جديدة، ذلك أننا قررنا جريا على خطتنا فى تحسين مجلتنا أن نستخدم طريقة الفوتوغرافير (Photogravure) وهى ليست من أحدث طرق الطباعة فحسب ، بل هى من المستلزمات الضرورية لطبع الصحف الكبيرة المصورة ، وقد اتبعت أمهات الصحف العالمية المصورة هذه الطريقة اهـ .

وطريقة الفوتوغرافير الطفلة سوف لا تبقى على طفولتها ولا على حالتها التى طبعت بها مجلة المستمع، بل سترتقى وتتطور كما ترقت وتطورت مطبعة (يوحنا غوتمبرج) التى تدار باليد إلى المطبعة الحديثة التى تطبع مطبوعاتنا بتذويب الرصاص (لينوتيب) (Linotype) بل إن الطيارة التى قطعت المانش منذ خمس وثلاثين سنة لا نسبة بينها وبين طيارات هذه الحرب ، ولا يعلم إلا الله ما ذا يكون من مصير تطورها بعد خمس وثلاثين سنة أخرى .

وعلى هذه النسبة سترتقى الكتابة العربية المصورة بطريقة (الفوتوغرافير) ارتقاء مدهشا نستخدمه معشر العرب فى حفظ مكتبتنا والميراث الثقافى الذى تلقيناه من أسلافنا ، وفى نشر العلم واللغة الصحيحة بين أبنائنا ، وعندها نبقى على اتصالنا بماضينا والانتفاع بعلوم أسلافنا .

سيكتب الكاتب منا بعد خمس وثلاثين سنة — أو أقل — ما يريد كتابته من مقال أو خطاب أورسالة أو مصنف ، ويضطر الكاتب — بسبب أوامر الحكومة التى تجعل طبع الكتابة المعربة إجباريا — يضطر أن يجوّد حروف ما يكتب ، ويتحرّى وضع النقط على الحروف وضبطها بالشكل الشامل لها ، أو ما يلزم تشكيله منها ، ثم يسلم أصول ما كتب إلى مدير مصنع الفوتوغرافير فيطبع منه أو نقول يصوّر عنه ألوفا وألوفا من النسخ فى ساعة من الزمن ، فتجىء كلها طبق النسخة الأصلية المخطوطة بخط الكاتب أو المؤلف ، وتُنشر هذه الملايين من النسخ المحلاة بعلامات الإعراب بين أيدى القراء ، فإذا مرّ على الجيل الآنى من أبنائنا نصف قرن ، وهم لا يقرأون من الخطوط إلا ما كان مطبوعا بطريقة الفوتوغرافير لا يعود أحد منهم يقرأ الكلام إلا معربا ، ولا يلفظه إلا معربا ، ولا يستظهره إلامعربا ، بل لايفهمه الامعربا ويصبح إعراب الكلام سليقة لأبنائنا ، وملكة راسخة فى نفوسهم ، وهذا كالشأن فى أولاد عرب الجاهلية ، قبل فساد اللغة بمخالطة الأعاجم ، وإذ ذاك يصح للفتى العربى منا أن يتمثل بقول أبى الأسود :

ولستُ بنحوىٍّ يلوك لسانه ولكن سليقىٌّ أقول فأعرب

وإذا اتفق وأصدر مصنع الفوتوغرافير كتابة عربية ، لا هى بالمجوّدة ، ولا بالمحررة ولا بالمعربة ، بحيث لايفهمها قارئوها ، رفع الأمر إلى وزارة المعارف ، فتصادر النسخ ذات الخطأ ، ويحاكم مدير المصنع ، وبهذه الصورة تقع المحافظة على سلامة اللغة العربية التى هى مبتغانا ، ومن أهم أغراض مجمعنا ، وسيكون من أثر انتشار هذه الطريقة (طريقة الفوتوغرافير) أن تهمل مطبعة (غوتمبرج) وتكسد صناعتها وصناعة ما يشبهها من آلات الطباعة ، كما تبطل صناعة النحو إلا قليلا .

أما صناعة الخط بالقلم (ن . والقلم وما يسطرون) . (علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) فتنتعش وتنتشر ، ويعود سلطانها إلى سابق عهده ، وسامى مكانته .

وإذا نسخ الكاتب العربى فى المستقبل كتباً لطبعهاوتصويرها سوف يكتبها معربة بسليقته وملكته السليمة لا بملكة قواعد قاسى عرَق القربة فى تعلمها ، إلى غير ذلك من النتائج التى تُحدثها صناعة (الفوتوغرافير) فى ثقافتنا ، وسهولة نشر العلم بين أحداثنا ، ومايدرينا أن تقوم مجامعنا فتضع لصناعة الفوتوغرافير أسماء كالفقرفة مثلا كما قالوا الفلسفة والفذلكة .

وإذ ذاك لا نعود نهدد بمشروع اللغة العامية ولا نروّع بمشروع الحروف اللاتينية ، بل ستهدأ فورة هؤلاء ، وتتحول إلى رضى واطمئنان وابتسام ، ويضطر مجمع فؤاد الأول أن يعدل قوانينه وأنظمته تعديلا كبيراً أو صغيراً حسب الحاجة ، ويستبدل ببعض أغراضه أغراضاً أخرى اقتضاها التطور ، وترتفع الأصوات بشكر الله وحمده على أن وفق البشر إلى هذا الاختراع العجيب ، فأنقذنا من الحيرة ، ونجانا من المحنة .

عبد القادر المغربى

من تاريخ الأدب الفرنسي

بوفون وحديثه عن الأسلوب

للأستاذ أحمد أحمد بدوي

في حديقة النباتات بباريس، وأمام متحفها، يجلس تمثال بوفون Buffon، باديا على محيّاه وقار العلماء، وهدوء الباحثين، وسكينة النّفس، واطمئنان الضمير، ولقد أحسن الفرنسيون في اختيار هذا المكان لتمثاله، فقد وقف الشطر الأكبر من حياته على دراسة ما في الطبيعة من حيوان ونبات.

ولد بوفون في السابع من سبتمبر سنة ١٧٠٧ في مونتبار القريبة من ديجون، وقضى تعليمه العالي بكلية ديجون، ولم يكن متميزا فيها إلا بميله إلى الرياضيات. وظل بيفون إلى الثانية والثلاثين من عمره غير مهتد إلى السبيل التي هيأته الطبيعة لها، ولم يقم بما يدل على أنه سيكون في قابل حياته العالم العبقري والكاتب الممتاز، وفي تلك المرحلة قام برحلة مع أحد الأمراء إلى إيطاليا ولندن، وألقى بحثاً في المجمع العلمي نال به لقب العضو المساعد، وترجم عن الإنجليزية بعض الكتب العلمية. وإذا كانت المصادفة تقود خطى بعض الناس، وتكشف لهم عما يكمن في أنفسهم من المواهب؛ فإن الصدفة قد لعبت دوراً كبيراً في حياة بيفون، وحددت له الطريق الذي يجب أن يوجه اليه جهده، فقد عين مديراً لحدائق الملك، وكلفه الوزير أن يضع وصفاً منهجياً لما بالقصورة الملكية من مجموعات النباتات، ومنذ ذلك الحين وجد بيفون طريقه، وخصص نفسه لدراسة التاريخ الطبيعي.

كان حينئذ في الثانية والثلاثين من عمره، وقضى المدة الباقية له في الحياة، وقدرها تسعة وأربعون عاما، بين باريس التي كان يفر منها كلما استطاع ذلك وبين بلدته مونتبار؛ وهناك كان ينهض من نومه الساعة الخامسة، ويحبس نفسه بمكتبه يملي إلى التاسعة، ويفطر في نصف ساعة يعود بعدها إلى العمل حتى الساعة الثانية إذ يتغدى. وهكذا كان يقضي كل يوم إلى نهاية حياته سنة ١٧٨٨

قدر بيفون أن يخرج كتابه: التاريخ الطبيعي العام والخاص في خمسة عشر مجلدا، ولكنه لم يتم إلا بعد أن صار ستة وثلاثين مجلداً، ولقد أحرز ما ظهر من هذا الكتاب في حياته شهرة واسعة، وأقبل عليه القارئون في شوق وحب.

كان بيفون ذا نفس سامية متزنة، مستقلة، هادئة، وكان بعيدا كل البعد عما يدور في عصره من المجادلات والاضطرابات وعاش للدرس والبحث والتأمل، واجدا في ذلك كل سعادته.

ولكي يجعل التاريخ الطبيعي — وهو مادة جافة — مقبولا لدى الذوق احتاج أن يكون في ذكاء كاتب من الدرجة الأولى.

وفي سنة ١٧٥٣ دعاه المجمع الفرنسي إليه من غير أن يتقدم بيفون بطلب إلى المجمع، واستقبل فيه يوم ٢٥ من أغسطس، وألقى حديثاً عرض فيه بعض خواطره عن الأسلوب، وقد آثرت نقل هذا الحديث إلى اللغة العربية بجملته حتى لا يشوهه التلخيص؛ قال بيفون:

سادتي:

لقد غمرتموني بالشرف حين دعوتموني إليكم، ولكن التشريف لا يكون مزية إلا اذا كان المرء به جديرا؛ وأنا لا أستطيع أن أقنع نفسي أن بضع مقالات كتبت خالية من الفن وغيره من الزخارف سوى زخرف الطبيعة تكون حججاً كافية للجرأة على أخذ مكان بين سادة الفن، والرجال الأمجاد الذين يمثلون هنا عظمة فرنسا الأدبية، والذين سارت أسماؤهم في مختلف الأمم، وسيظل ذكرهم حياً رفيعاً على ألسنة آخر أحفادنا. وإن لكم أيها السادة لبواعث أخرى في اختياركم إياي، ذلك أنكم أردتم أن تقدموا للمجمع العلمي المجيد الذي كان لي الشرف باتصالي به منذ زمن بعيد[1] — علامة جديدة من تقديركم، وإن اعترافي بجميلكم — مهما يكن مقسما — لن يكون لتقسمه أقل قوة.

والآن، كيف أؤدي الواجب المفروض عليّ؟ ليس لديّ أيها السادة، ما أقدمه إليكم سوى ما لكم أنتم من فضل، فهو بعض أفكار عن الأسلوب استقيتها من كتبكم، فبقراءتي لكم وبإعجابي

(١) كان بيفون عضواً في المجمع العلمي منذ سنة ١٧٣٣

بكم أدركتها ؛ وبعرضها تحت أضواء أفكاركم تتضح فى جلاء .

فى كل الأزمنة وجد رجال عرفوا كيف يسيطرون على غيرهم بقوة الكلام ، ومع ذلك لا تعرف الكتابة الجيدة وفصاحة القول إلا فى العصور المستنيرة ، وإن الفصاحة الحقيقية تتطلب مران العبقرية والموهبة النفسية ، وهى فى الحق تختلف عن السهولة الخلقية فى الكلام التى ليست إلا نوعا من الفطنة ، موهوبا لكل هؤلاء الذين عواطفهم قوية وألسنتهم مطواعة وخيالهم سريع . هؤلاء الناس يشعرون شعوراً قويا ، ويتأثرون بقوة أيضاً ، ويبرزون شعورهم فى الخارج مدموغاً بالقوة ؛ وبتأثير آلىّ محض ينقلون إلى الآخرين حماستهم وانفعالاتهم . إن الجسم هو الذى يتحدث إلى الجسم، فكل الحركات والإشارات تتعاون وتخدم أيضا ماذا يجب لإثارة الجماهير وقيادتها ؟ وماذا ينبغى لتحريك القسم الأعظم من الرجال وإقناعهم ؟ نغمة حادة مؤثرة ، وإشارات معبرة كثيرة ، وكلمات سريعة رنانة . ولكن العدد القليل من أصحاب العقول الراجحة ، والأذواق الدقيقة ، والمشاعر السامية ، الذين هم على شاكلتكم — أيها السادة — ممن يستقلون النغمة والإشارات ، والرنة الفارغة للكلمات ، تجب له أشياء أخرى وأن تقدم إليه أفكار وحجج ، ينبغى لمن يقدمها أن يعرف كيف يبرزها وكيف يلونها وينسقها ، ولا يكفيه أبداً أن يقرع الأذن أو يشغل العين ، بل يجب أن يحرك الروح ، ويلمس القلب ، متحدثاً إلى اللب (١) .

ليس الأسلوب إلا النظام والحركة التى يضعها المرء فى أفكاره (٢) ، فإذا ربطت هذه الأفكار بدقة ، وضمت ، صار الأسلوب متيناً قوياً موجزا ، أما إذا تركت تتتابع فى بطء ولا تأتلف ، إلا بفضل رباط الكلمات ، مهما كانت أنيقة فإن الأسلوب يكون مسهبا رخواً مملاً .

ولكن قبل أن نبحث عن النظام الذى تصب فيه الأفكار يجب أن يكون ثمت خطة أشمل وأثبت ، من الواجب ألا يدخل فيها سوى العناصر الأولى ، والأفكار الأساسية (١) ، وإنه بتعيين مكان العناصر والأفكار من هذه الخطة البدائية ، يكون الموضوع محدداً معروف المدى ، وبالتذكر الدائم لهذه الخطوط تحدد المسافات الصحيحة للأفكار الأساسية ، وتخلق الخواطر الإضافية الثانوية التى تفيد فى إكمالها بقوة العبقرية ، نستحضر كل الأفكار العامة والخاصة فى ثوبها الحقيق ، وبالدقة العظيمة فى الفرز تتميز الأفكار المجدبة من الخصبة ، وبالبصيرة النافذة المتنبئة التى يأتى بها كثرة اعتياد الكتابة يشعر الكاتب سلفاً بما سوف تفضى إليه كل عملياته العقلية . وعند ما يكون الموضوع واسعاً أو معقداً يكون من البيّن أنه من النادر أن يستطاع شموله بنظرة واحدة ، أو اختراقه بأول مجهود للموهبة . ومن النادر كذلك أنه حتى بعد تأملات عدة أيضاً تدرك كل تفصيلاته فلا يستطاع إذاً أن يشغل الكاتب نفسه بذلك كثيراً ، ومع هذا ، تلك هى الطريقة الوحيدة لتوطيد أفكار الكاتب ، وتفصيلها والسمو بها : فكلما منحها ما يقومها ويقويها بالتفكير يكون من السهل عليه بعدئذ أن يوضحها بالتعبير .

ليست هذه الخطة مع ذلك بالأسلوب ، ولكنها قاعدته . هى التى تصونه وتقوده وتنظم حركته ، وتخضعه للقوانين ، وبدونها يضل خير الكاتبين ، ويسير قلمه بدون قائد ، ويأتى مصادفة بصفات شاذة ، ومجازات متنافرة ؛ ومهما تكن الألوان التى يستخدمها لامعة ، والمحسنات منثورة فى الجزئيات ، فإن العمل فى جملته يصدم الإحساس ولا يتضح ، ولن يكون التأليف أبداً محكم البناء . ومع إعجابنا بعقل المؤلف يستطاع الارتياب فى أن الموهبة تنقصه (٢) . ولهذا السبب كان هؤلاء الذين يكتبون كما يتكلمون — مهما كان حديثهم عظيم الجودة — ذوى كتابة

---

(١) لايقبل بيفون إلافصاحة التفكير ، والتفكير عنده أساس التأثير

(٢) هذه هى الفكرة السائدة فى المقال ، وهى أول تحديد للاسلوب ولها قيمة خاصة ، إذ أنها لا تفرق بين المعنى والصورة ، وتعود بفن الكتابة إلى فن التفكير الدقيق المنظم .

(١) هذه هى الخطة التى اتبعها بيفون ، فإنه قبل أن ينشر المجلدات الثلاثة الأولى لكتابه التاريخ الطبيعى ، كانت خطة كتابه كاملا قد نشرت فى مجلة العلماء Journal des Savants .

(٢) قال فنلون Fénelon : إن المقال لا يكون له نظام حق إلا إذا كان من غير المستطاع أن نضع جزءا مكان آخر بدون أن نضعف المجموع أو نبهمه أو نخل به ، وكل مؤلف لا يضع هذا النظام لمقاله لا يملك موضوعه حقاً ، وليس له إلا ذوق غير كامل وفطرة منتقصة . ويجب أن يشمل النظر كل شىء ، ويخترق كل شىء ، ليعرف المكان الدقيق لكل كلمة .

رديئة ؛ وهؤلاء الذين يتبعون أول شرارة يقدحها خيالهم يأخذون سمة من لا يستطيعون ضبط أنفسهم ؛ وهؤلاء الذين يخافون أن يفقدوا أفكارهم المفرّقة الشاردة ، ويكتبون فى أوقات مختلفة قطعاً متفرقة لا يستطيعون أبداً أن يجمعوها بدون تغيير اضطرارى ، وفى كلة واحدة : نجد كثيراً من المؤلفات قد كون من قطع شتى وقليل منها ما له هدف واحد .

ومع ذلك كل موضوع وحدة[1] ، ومهما يكن البحث واسعاً فمن الممكن وضعه فى مقال واحد ، والانقطاعات والاستراحات والتقسيمات لا يصح أن تستخدم إلا عند ما تعالج موضوعات مختلفة ، أو عند التحدث فى أشياء جليلة شائكة متباينة ، فيجد تيارُ التفكير نفسه معترضاً بشتى العقبات ، ومكرها بضرورة الظروف ؛ وفضلا عن ذلك ترى كثرة الأقسام ، مع بعدها عن أن تجعل الموضوع شديد الالتحام تهدم وحدته . وإن الكتاب بها يبدو أمام العينين واضحاً ، ولكن هدف المؤلف يظل غامضاً ، ولا يمكن أن يؤثر فى نفس القارئ ؛ وإن الغرض لا يدرك إلا باتصال الأفكار ، وارتباطها ارتباطاً ملتئماً ، وبالشرح المتتابع ، والتدرج الآخذ بعضه بحجز بعض ، وبالحركة المتسقة التى يهدمها كل انقطاع أو يضعفها .

ولماذا كانت أعمال الطبيعة تامة الكمال ؟ ذلك أن كل عمل وحدة تامة ، وأنها تعمل تابعة لخطة خالدة لا تفارقها أبداً . إنها تهيئ فى صمت بذور ما تنتجه ، وترسم بنظام واحد الشكل الأول لكل المخلوقات الحية ، وتنميه ، وتكمله بحركة دائمة وفى وقت معين . العمل عجيب ، ولكنه الطابع الإلٰهى فيه سماته التى يجب أن تؤثر فينا . وإن النفس الإنسانية لا تستطيع أن تخلق شيئاً ، ولا تنتج إلا بعد أن تكون خصبة بالتجربة والتأمل ؛ ومعارفها بذور إنتاجها ، ولكنها إذا قلدت الطبيعة فى سيرها وعملها ، وإذا ارتفعت بالتأمل إلى أسمى الحقائق فوحدتها وربطتها ، وكونت منها بالتفكير كلا ومنهاجا فإنها تبنى آثاراً خالدة على أسس لا تتزعزع .

إنه لمن نقص فى الخطة ، ومن عدم التفكير الكافى فى الغرض ، أن رجلا ذكياً يجد الموضوع يملك نفسه ولا يعرف بم يبدأ الكتابة . إنه يدرك مرة واحدة جملة عظيمة من الأفكار ، ولأنه لم يستطع أن يوازن بينها ، ولا أن يلحق فكرة بأخرى ، لا يمكنه أن يجزم بتفضيل بعضها على بعض ، ويظل إذاً يتخبط فى حيرته .

ولكنه منذ أن يضع الخطة ، ومنذ أن يجمع أفكاره الأساسية للموضوع وينظمها ، يدرك فى الحال بسهولة ما يجب أن يتناوله قلمه ، وسيشعر باللحظة التى يتم فيها نفح فكرته ، وسيجد نفسه معجلا إلى الإنتاج ، ولن يجد إلا السرور بالكتابة ، تتتابع الأفكار فى يسر ، ويصير الأسلوب طبيعياً سهلا ، وتتولد الحرارة من هذا السرور ، وتشيع فى كل مكان ، وتعطى الحياة لكل تعبير ، وينتعش كل شىء كلما تقدم الكاتب فى الكتابة ، وترتفع نغمة الأسلوب ، وتأخذ الأشياء ألوانا زاهية ، والشعور منضما إلى الوضوح يفخمها ويقويها ، ويصير الأسلوب بذلك جذاباً مشرقاً .

لا شىء يعارض الحرارة إلا الرغبة فى أن نضع دائماً عبارات أخاذة . ولا شىء ينافى الوضوح والضوء الذى يجب أن يكون له مركز ينتشر منه متناسقاً فى المؤلَّف كله — إلا هذه الومضات التى تنتصب بالقوة من تضاد الكلمات بعضها لبعض ، والتى لا تبهرنا بعض الوقت إلا لتتركنا بعدئذ فى الظلمات . إنها أفكار لا تلمع إلا بتضادها[1] ، ولا تبرز إلا جانباً من جوانب الموضوع بينما يوضع فى الظلام كل الجوانب الأخرى ؛ وفى العادة يكون هذا الجانب الذى يختار حدا أو زاوية يتلهى الذهن بها بسهولة ، بينما يكثر بعدُه عن الجوانب العظيمة التى اعتاد الفكر المستقيم أن يقدر بها الأشياء .

[البقية فى العدد القادم]

أحمد أحمد بدوى

مدرس بحلوان الثانوية للبنين

---

(١) قال فنلون ذلك عينه وبالأسلوب نفسه تقريباً ؛ قال : كل مقال وحدة ، وإنه ليعود إلى قضية واحدة وضحت بعبارات مختلفة . هذه الوحدة فى القصد جعلت الكتاب بجملته يرى بنظرة واحدة كما يرى من ميدان فى المدينة جميع الشوارع والأبواب إذا كانت الطرق كلها مستقيمة منتظمة مهندسة . إن المقال لهو القضية مشروحة ، وإن القضية لهى المقال مجملا .

(١) قال باسكال Pascal هؤلاء الذن يصنعون ألوان الطباق بإكراه الكلمات مثلهم مثل هؤلاء الذين يصنعون نوافذ كاذبة للتناسب .

صوت من العالم الآخر

للأستاذ نجيب محفوظ

[تتمة ما نشر فى العددين السابقين]

استرق إلى نفسى خاطر أن أنطلق بروحى إلى العالم فانطلقت، لم تحدث حركة فى الواقع . وإنما كان يكنى أن يتجه فكرى إلى شىء حتى أجده ماثلاً أمامى . بل الواقع أعظم من ذلك ؛ فقد صار بصرى شيئاً عجباً ؛ لا يعصى أمره شىء ، صار قوة خارقة تشق الحجب وتتخطى السدود ، وتنفذ إلى الضمائر والأعماق . بيد أنى — وقد حم الوداع — نازعنى الفكر إلى أهلى . فوجدت نفسى فى دارى . أما الصغار فقد راحوا فى نوم عميق لا يزعجه مكدر . وأما زوجى وأمى فقد افترشتا الأرض ، ولاح فى وجهيهما الهم والغم . لشد ما أعياهما الحزن والبكاء ! وغدا يتضاعف حزنهما عند تشييع التابوت إلى مثواه الأبدى . وقد تغلغل روحى فى فؤاديهما فتحرك رأساهما وتمثلت لهما فى الأحلام ، ورأيت القلبين المحزونين يخفقان فى كمد وألم . فيم كان كل هذا الكدر ؟ ! بيد أن شيئاً استرعى بصرى ! رأيت فى سويداء القلبين نقطة بيضاء . فعرفتها — فما عاد يخفى علىّ علم شىء — فهى بذرة النسيان ! آه ... ستكبر هذه النقطة وتنتشر حتى تشمل القلب كله . أجل أدركت هذا حق الإدراك ، ولكن بغير مبالاة فلم أعد أكترث لشىء . وتساءلت مسوقاً بلذة المعرفة متى يمكن أن يحدث هذا ؟ ! فأرتنى عيناى العجيبتان صورة من المستقبل : رأيت أمى تمسك غلاماً بيمناها وتشق طريقها وسط زحام شديد ملوحة بزهرة اللوتس . فعلمت أنها خرجت — أو أنها ستخرج — للمشاركة فى أسعد أعياد قريتنا ، عيد الإلهة إيزيس . كان وجهها متهللاً وكان ابنى يهتف ضاحكاً . ورأيت زوجى تهيئ مائدة — والطعام خير ماتصنع فى دنياها — وتدعو إليها رجلاً أعرفه ، فهو ابن خالها ساو . ونعم الزوج هو . ولو أن ميتاً يسر لسررت لها ، لأن ساو رجل فاضل ، وهو خير من يسعد زوجى ويرعى أبنائى . وانصرفت روحى عن دارى . فمرت فى سبيلها بقصر أميرى المحبوب ، فشاهدت عقل الأمير ووجدته متأسفاً لفقدى وهو الذى قدرنى أجمل التقدير وجازانى خير الجزاء . ووجدته مشغولاً باختيار خلف لى فقرأت فى ذاكرته اسم المرشح الجديد « آبرع » وكان من مرءوسى النابهين وإن لم تتصل بيننا أسباب المودة . كل هذا جميل . ولكن إلام أبقى فى قريتى واليوم يستقبل فرعون رسول الحيثيين لتوقيع معاهدة الصلح والسلام ؟ رأيت منف — فى لمح البصر — تعج بجمهورها الحاشد . والقصر فى أروع منظر . وقد اجتمع فى بهو العرش العظيم الملك والرسول والكهنة والنبلاء والقواد . هؤلاء هم سادة الدنيا قد جمعهم مكان واحد . وهذا فرعون المظفر يحادث رسول الحيثيين الجبابرة فى جو بالمودة عامر . أما صدر الملك فقد امتلأ احتقاراً ، وترددت بأعماقه هذه العبارة : « لا بد مما ليس منه بد » وأما صدر الرسول فقد بض كراهية ، وتحيرت به هذه الفكرة : « صبراً حتى يموت هذا الملك القوى » . ونشطت عيناى ، فرأيت الوجوه والملابس والقلوب والعقول والبطون . رأيت عالمى الظاهر والباطن بغير حجاب . وتسليت زمناً بتفحص ما فى البطون من طعام فاخر وشراب معتق ، حتى عثرت بمعدة كاهن على بصل وثوم ! وهما محرمان على الكهنة . وتساءلت ترى كيف غافل هذا الرجل الورع أقرانه ودس هذا الطعام فى جوفه ؟ ! ولمحت فى ناحية من معدة أحد النبلاء دبيب المرض الذى أودى بحياتى ، وكان الرجل يحاور قائداً فى سرور وانشراح فقلت له فى نفسى : « على الرحب والسعة ! » . ثم وقع بصرى على الحاكم تيتى الذى اشتهر بالقسوة والبطش حتى ليوالى فرعون النصح له بالاعتدال مع رعايا إقليمه . فنظرت إليه بإمعان . وسرعان ما تكشف لى عن جسم مهزول ، مريض الأعضاء ، لا يفتأ يشكو مرّ الشكوى أسنانه ومفاصله . وكلما ألح عليه الألم تمنى لو يستطيع بتر الفاسد من جسمه . ولذلك تملكته فكرة البتر بقسوة فلا يتردد عن بتر المعوج من رعاياه بعنف لا يعرف الرحمة . وإلى جنب تيتى شاهدت الوزير مينا ، ذلك الرجل العنيد الذى حارب فكرة الصلح بكل قواه ، وطالما حرّض على القتال ، وتساءلت ترى ما سر عناد هذا الوزير الخطير ؟ ! رأيت عقله نيراً ، ولكن أمعاءه ضعيفة فتستبقى فضلات الطعام طويلاً فتلوث دمه فى دورته فيذهب إلى عقله فاسداً ، ويغشى نور أفكاره ، حتى إذا خرجت من فمه كانت ذات شر كبير ! والرجل مقتنع برأيه يراه واضحاً مستقيماً كما أرى مخه مسوداً ملوثاً ! ثم دار بصرى بالصدور يستقرئها خفاياها الكامنة وراء بسمات الثغور . هذا صدر ثقل عليه الملل فهمس لصاحبه : « متى العودة إلى القصر حيث السماع والقيان ؟ ! » وهذا صدر يتوجع قائلاً : « لو مات الرجل بمرضه لكنت الآن قائداً على فرقة الرماح ! » وذاك صدر يقول فى جزع متسائلاً : « متى يقوم الأحمق برحلته التفتيشية فأهرع

إلى زوجه الحسناء المحبوبة ... آه ... » وقال صدر لصاحبه من الأعماق : « لا يدرى إنسان متى يحين الأجل . فلا يجوز بعد اليوم أن أؤخر بناء مقبرتى . أو فما فائدة المال إذاً ؟ ! » وتولت الحيرة صدراً كبيراً فجعل يقول لصاحبه : « قال أخناتون إن الرب هو آتون . وقال حار محب إنه آمون . وهناك قوم يعبدون رع . فلماذا يتركنا الرب فى شقاق ؟ » ولم أواصل الاستطلاع طويلاً فى هذا الحفل الفرعونى الجليل إذ سرعان ما أدركنى الملل . فتحولت عنه ووجدت نفسى مرة أخرى فى الدنيا الواسعة . ومرت أمام ناظرى مشاهد كثيرة من الأرض والسماء ، لمست حقائقها جهرة ، ونفذت إلى صميمها ، حتى وقع البصر على جنين يتكون فى رحم ، فرأيته يكتسى لحماً وعظماً . وشهدت مولده . وجرى البصر معه فى المستقبل فرآه طفلاً وصبياً وغلاماً وشاباً وكهلاً وشيخاً وميتاً . وشاهد ما اعتوره من حادثات وحالات سرور وحزن ورضا وغضب وأمل ويأس وصحة ومرض وحب وملل . رأى ذلك جميعه فى دقيقة من الزمان . حتى كاد يختلط فى أذنى بكاء الميلاد وشهقة الموت ! وغلبتنى على أمرى رغبة جامحة فى اللعب فسايرت حيوات أفراد كثيرين من الميلاد إلى الممات . واستلذذت كثيراً وقوع الحالات المتنافرة لا يكاد يفصل بينها زمن ! فهذا وجه يضحك ويقطب ثم يضحك ويقطب عشرات المرات فى جزء من الثانية ! وهذه امرأة تتيه حسناً وتعشق وتتزوج وتحبل وتلد وتهرم وتقبح وتسمج فى لحظة من الزمان ! ووفاء وخيانة لا يفصل بينهما زمن . هذا وغيره مما لا يحيط به حصر جعل الحياة مهزلة . فلو أن ميتاً يضحك لأغرق فى الضحك . وبدا لى كأنه لا حقيقة فى العالم إلا التغير ! ورغبت نفسى عن مطالعة الأفراد وحيواتهم المجنونة فغابوا عن بصرى . ورنوت إليهم من بعيد جماً غفيراً لا يحده شىء . تضاءلت الحجوم وطمست المعالم وانعدمت الفوارق . فصاروا كتلة واحدة . ساكنة صامتة . لا حياة فيها ولا حركة . رحت ألقى البصر فى دهشة وحيرة . حتى ألفت النظر . فتكشف لى عن جانب جديد كان من قبل خافياً . رأيت ذلك الظلام الساكن يشع نوراً شاملاً ؛ فإن الأنوار الخافتة المتهافتة التى تخفق فى كل مخ — على حدة — ضعيفة خابية ، اتصلت فى المجموع الملتحم المتماسك ولاحت نوراً قوياً باهراً . رأيت فى لمعنها حقاً باهراً وخيراً صافياً وجمالاً متألقاً فازددت دهشة وحيرة . رباه لشد ما تعانى الروح وتتعذب ولكنها تبدع وتخلق على رغم كل شىء . رباه لقد رأى توتى أموراً جليلة وليرين أموراً أجل وأخطر . وأيقنت أن ذلك النور الذى بهرنى إن هو إلا نقطة من السماء التى سأعرج إليها . وغضضت البصر . ووليت الدنيا ظهرى . فوجدت نفسى فى حجرة التحنيط المقدسة . وقد ملأ روحى سرور إلهى لا يوصف ...

***

وانتهت أيام التحنيط السبعون . فجاء الرجال مرة أخرى ، واستخرجوا الجثة من الحوض وأدرجوها فى الأكفان ، وأتوا بالتابوت وقد زانوا غطاءه بصورة جميلة لتوتى الشاب ووضعوا فيه الجثة ، ثم رفعوه على أعناقهم وساروا به إلى الخارج ، فتلقاه المشيعون من الأهل والجيران بالعويل واللطم ، وعاد النواح كأفظع مما كان يوم النعى ، وذهبوا إلى شاطئ النيل ، وهبطوا إلى سفينة كبيرة أقلعت بهم صوب مدينة الأبدية على الشاطئ الغربى ، والتفوا بالتابوت يصوتون وينوحون . قالت أمى : « لا جفّ لى دمع ، ولا اطمأن لى قلب من بعدك يا توتى ! » . وصاحت زوجى : « لماذا قضى علىّ بأن أعيش بعدك يا زوجى ! »

وقال حاجب الأمير : « توتى أيها الكاتب المجيد . لقد تركت مكانك شاغراً ! »

ولبثت أنظر بهاتين العينين اللتين تنكرتا لماضيهما ، وكأن سبباً لم يصلنى يوماً بهذه الدنيا ، ولا بهؤلاء الناس . ورست السفينة إلى الشاطئ ، فرفعوا التابوت مرة أخرى ، ومضوا به إلى المقبرة التى أنفقت فى تشييدها جل ثروتى ، وأحلوه موضعه من الحجرة : وفى أثناء ذلك كان جماعة من الكهنة يتلون بعض الآيات من كتاب الموتى ، يلقنوننى التعاليم الهادية من أقوم سبيل ! ثم جعلوا ينسحبون تباعاً حتى خلا القبر ، ولم يعد يسمع من شىء إلا العويل الآتى من بعيد ، وأغلقت الأبواب وهيلت عليها الرمال ، فانقطعت كل صلة بين العالم الذى ودعت ، والدنيا التى أستقبل ...

***

ملاحظة : هنا انقطعت الكتابة فى المخطوط الهيرغليفى ، ولعل فترة الانتظار التى أشار إليها الكاتب فى أول كتابته كانت قد انتهت . ولعل رحلته الأبدية كانت قد بدأت ، فشغل بها عن قلمه المحبوب ، وعن كل شىء

نجيب محفوظ



متحمس . . . !

يتحمس فى كل شىء : فى رأيه ، فى إشارته ، فى نطقه ، فى عبارته ، فى جلسته ، فى حركته ، فيما يختار من ألوان ملبسه ، فى ضحكته ؛ ولا بد أنه قياساً على كل هذا متحمس كذلك فى بكائه . وكم تمنيت — على شدة كراهيتى للبكاء — لو رأيته يبكى لأرى مبلغ حماسته فى دمعته !

قارب الثلاثين أو جاوزها قليلاً . حديث العهد بشهادة من شهادات إحدى جامعتينا فهو بها معتز مغتبط متحمس فى اعتزازه واغتباطه . ولست أجد فى ذلك مايلام عليه فهذا ما يفعله كثيرون غيره ممن يظفرون بشهادات جامعية يستطيعون بعدها أن يعملوا ليظفروا بالألقاب العلمية الضخمة ، ومن منهم لا يحب أن يصبح دكتوراً مرموق المكانة عظيم الخطر ؟

وصاحبنا الذى اختلس منظارى النظر إليه ساعة ، وحملقت فيه عيناى أكثر من مرة من شدة إعجابى به ، ولست أقول من فرط تعجبى منه ، قد عقد النية فيما علمت من أنبائه على أن يكون دكتوراً مهما كلفه ذلك من جهد . على أننى لا أذكر أنى رأيت فيمن يحملون هذا اللقب العظيم من هو أشد ذهاباً بنفسه من صاحبنا هذا ، ولا من يصطنع لهجة الأستاذية والضلاعة ، ولا من يقطع بالرأى فى سرعة ويقين ، ولا من يقذف بالأحكام العريضة فى سخاء ويسر ، كما يفعل هذا الذى لم يصبح دكتوراً بعد ، وهذا هو سر إعجابى به ، فما أحسب إلا أنه غنى بذلك كل الغنى عن جميع الألقاب

كل وصف عنده ، سواء وصف ما يرضيه أو وصف مايسخطه ، يأتى على وزن أفعل كما يقول النحاة ، فهـذا أحسن مؤلف ظهر حتى اليوم ، وفلان أكبر عالم فى البلد ، وهذا أجهل رجل بكيت وكيت من المسائل ، وهذه أحسن خطة ؛ وهكذا دائماً على وزن أفعل النحاة ، أو على طريقة أفعل التجار فى مثل قولهم أحسن صنف وأفخم قماش وأجمل لون وأرخص سعر !

وهو على أهبة دائماً لأن يعارضك فيما تبدى من رأى . وليته يقارعك حجة بحجة ، أو يعنى حتى بمجرد الاستماع إلى أن تتم رأيك ، فإنك ما تكاد تشير إلى فكرة حتى تراه ينهال عليك بما حفظ من مسائل ، فيورد طائفة مختلفة من الآراء وليس يهمه إن كانت تتصل من قريب أو من بعيد بما يدور الكلام حوله ، وإنما يكفيه أنه هكذا قرأها ، وإنه ليوردها أحياناً مبتورة مشوهة فيقحمها عليك إقحاماً ، فإن غيرت مجرى الحديث لتصحح له نصوصه عاند وأصر على أن الصحيح ما يقول ، فلا مناص إذاً من أن تجد نفسك وإياه وقد خضتما فى حديث جديد لتنتقلا منه بنفس الطريقة إلى غيره ثم إلى غيره ، وحينئذ ينظر إليك نظرة الظافر ، ويبتسم ابتسامة من يرثى لضيق عقلك وقلة اطلاعك ، وإنه لأهون عليك ألف مرة أن ترضى بذلك من أن تساويه فى جدله

وإنه ليلتفت إلى متحاورين فى المجلس فما أسرع ما يجعل من نفسه خصماً ثالثاً وما سأله أحد رأيه . وإنه ليسفه كلا الرأيين المتجادلين ، فما تدرى ماذا يريد ، ثم يهجم هجومه على أسلوبه المعتاد ، فهذا الرأى أضعف ما قيل فى هذه المسألة ، وذلك أبعد ما يكون عن الحقيقة ، وقول فلان هـذا يرفضه أبسط متعلم ، ولا يجوز عند أقل الناس إلماماً وأضعفهم إدراكاً ، وإن الرأى الصحيح بل أدق الآراء وأحذقها هو ما ذكره العلامة فلان والفيلسوف علان فى كيت وكيت من الكتب . وإنه ليرتعش من جميع نواحيه وتهتز أطرافه من فرط تحمسه ، وتتعاقب الصفرة والحمرة على محياه الكريم ، بحيث لو دخل زائر فى هذه الحالة لما شك أنها معركة تبودلت فيها أقذع التهم وأفحش المطاعن

وإنك لتقرأ فى وجهه العجب والغضب من أنك تطاوله ، فضلاً عن أن تنكر عليه ما يقول ، فهل قرأت مثل ما قرأ أو بعضه ؟ وكيف لا تؤمن بطول باعه ورسوخ قدمه ، وإنك لتراه يتناول كل معضلة ويجادل فى كل فن ولا تعزب عن ذهنه صغيرة ولا كبيرة من المسائل ، فإن تكلم فى المجلس اقتصادى انبرى له ، وإن تحدث لغوى وثب عليه ، وإن جادل سياسى أخذه من أقطاره ، وإن شرح طبيب سبب علة أبان له وجه الخطأ فيما يقول ، وإن أرخ مؤرخ لحادث شهده بنفسه أو روى حديثاً عن عظيم طواه الموت جابهه بما يشبه التكذيب لأنه لا يمكن أن يعتقد وقوع ذلك فإنه أبعد ما يكون عن العقل وأضعف سنداً من أن يعتمد عليه

وبعد فما كانت الحماسة عيباً ، وإننا معشر المصريين لمن أكثر بنى الدنيا تحمساً فى معظم الأمور ، وإنما هو هذا المنظار اللعين يأبى إلا أن يستخرج من هذه الحماسة الشائعة ما يسوقه مساق التندر والمعابثة ، وهذه صورة منها سوف تعقبها صور

الخفيف

التصوير الفنى في القرآن

لمؤلفه الأستاذ سيد قطب

للأستاذ عبد المنعم خلاف

نقد وتعليق

هو كتاب شاعر ناثر ناقد، زاول الشعر والنثر والنقد، ونجح فى ذلك كله كثيراً من النجاح.

ولا بد لمن يتناول البحث فى القرآن من جانب فنه البيانى أن يكون قد زاول التعبير الفنى ونجح فيه واتصل بفنونه اتصالا وثيقاً، وأن يكون كذلك له ذوق وحكم وتقليب نظر فى أجواء البيان الرفيع.

ولست أقدم « المؤلف » للقراء، فهم يعرفونه، بل أقدم كتابه هذا الذى هو لا شك نظرة واسعة لبيان القرآن جاوزت حدود تلك النظرات القديمة المعقدة الضيقة التى كانت فى أكثرها تتخذ « وحدة » القياس البيانى فى الغالب من العلاقات والتخييلات الجزئية بين أجزاء الجملة. فتنظر لوضع اللفظ وحده فى وصلته بالحقيقة والتخييل، وقليلا ماتتخطاه إلى الصورة الجامعة وملابساتها وما حولها من الظلال والرموز.

ومن حق المؤلف أن يحظى من النقد بالتفتيش والتتبع لما يكتبه من أدب حر، لأنه هو يعنّى نفسه فى التفتيش والتتبع لما يكتب المؤلفون، وتقديمه للناس وتعريفهم به. وهو عمل متعب مشكور، له أثره فى تعريف الكاتبين إلى أنفسهم أولا، وفى وجود صدى لا بد منه لآثارهم. وفى إثارة الأذهان نحو النقد والحكم على الآثار الأدبية ومعرفة أهدافها وتبيين آثارها وأساليبها وسماتها، وفى التاريخ لها أولا بأول ..

والذى أستطيع أن أقوله بسرعة عن هذا الكتاب: إنه ينزل إلى مكان كريم من مكتبة القرآن، لأنه حديث جديد عميق فى أسرار بيانه، وعرض رشيق لمذهب من مذاهب الفهم والذوق لإعجاز تعبيره.

وينزل كذلك إلى مكانه من مكتبة بحوث « البلاغة » والنقد الأدبى، لأنه ظاهرة طيبة لتحررها من النظرة الجزئية وتسديدها إلى النظرات الواسعة الكلية التى تستوفى « الجو » العام الذى صدر فيه الأثر البيانى، وتتلمس المناسبات الداخلية والخارجية حوله، وتحلل العلاقات الكثيرة بين الكاتب والمكتوب والقارئ والموضوع.

ويدخل كذلك ببعض فصوله إلى مكانه من مكتبة الأدب الفنى لأنه يكشف عن صورة للقرآن فى ذهن شاعر معروضة عرضاً جيلا بأسلوب ناثر دقيق التعبير مشرق الأسلوب، له ذوق وحساسية وبيان، لا بأسلوب « محصل » علم، إن أصاب الفكرة فقد يخطئ التعبير ..

ويدخل كذلك إلى مكتبة « الفن » وأعنى به هنا التصوير بالريشة والإزميل، فهو يضع أمام المصورين الباحثين عن المشاهد الرائعة صوراً بيانية للوحات حية مشروحة الدقائق والتفاصيل والأضواء والظلال والأطياف والشواخص والمعانى، يستطيعون أن يتمثلوها ويتفرسوا فيها فيجدوا متاعاً أى متاع ..

وينزل كذلك إلى مكانه من « البحث » المستقصى والتتبع والتحقيق وجمع الحلقات المفرقة عن الموضوع الواحد. كما يتجلى ذلك فى مباحث « القصة فى القرآن ». وهى مباحث استغرقت أكثر من ربع الكتاب وتعد موضوعاً قائماً بذاته فيه.

وقد عرض فى بعض فصوله لكثير من المباحث التى تدور حول القرآن، ولا غنى عنها لمن يريد أن يتفرس فى بيانه.

***

غير أننى أخشى أن يكون قد أفلتت لفظة أو اثنتان من قلم المؤلف فى أهم فصل من فصول الكتاب خرجت بهما فكرته الأساسية التى عنونه بها فى جو من المبالغة والتعميم.

ذلك أن يقرر فى الفصل الذى أنشئ من أجله الكتاب أن (التصوير هو الأداة « المفضلة » فى أسلوب القرآن) وأن إدراكه وسيلة إلى (إدراكنا « سر الإعجاز » فى تعبير القرآن)

فإذا تجاوزنا عن الفرق بين كلمة « أسلوب » وكلمة « تعبير » وفهمنا أن الأستاذ فى الغالب يريد من الكلمة الأولى معنى الكلمة الثانية، إذ لا يخفى عليه الفرق بينهما، وخصوصاً فى القرآن، فإننا لا نستطيع أن نتجاوز عن إطلاق كلمة « المفضلة » ولا عن

إطلاق « سر الإعجاز » لأن الحكم بتفضيل القرآن للتصوير كأداة فى التعبير يقتضى الاعتماد على « الإحصاء » وظهور نتيجته بكثرة عددية .. فهل إذا أحصينا طرق التعبير فى القرآن نجد ما قرره المؤلف يحظى بالكثرة العددية ؟

إنى أترك له أن يستعرض صفحات القرآن ، فسيجد أن التصوير الفنى أداة واحدة من أدوات التعبير الكثيرة فى القرآن ، وليست هى الغالبة ولا الكثيرة .

فتارة يعبر عن المعنى المراد بالتعبير المتكافئ المعنى واللفظ ، والذى يستخدم الألفاظ الوضعية وحدها ، وتارة يستعير لفظاً واحداً من غير أسرة الألفاظ التى فى الجملة ليحرك به الخيال ويلمس الحس لمساً رفيقاً ، وتارة تكون ألفاظ الحقيقة وملابسات الخيال متساوية ، وتارة تكون ملابسات التصوير وإثارة الخيال هى الغالبة ، وتارة تكون هى الكل ، ومع ذلك يحتفظ القرآن فى كل أولئك بأسلوبه المتفرد وسر إعجازه ؛ فليس التصوير الفنى وحده هو سر الإعجاز فى تعبيره كما يرى المؤلف الصديق .

وحديث سر الإعجاز حديث شغل الباحثين فى القرآن من قديم ، ولا يزال يشغلهم للآن ، وسيظل يشغلهم أبد الدهر ، ولن يصلوا إليه « ويدركوه » وقد « أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض » ؛ لأننا نستطيع فى اليوم الذى « نصل » فيه إلى إدراك سر الإعجاز فى تعبير القرآن أن نستخدمه فى صنع كلام معجز ... وحينئذ لا يكون معجزاً ... ما دام مفتاحه بأيدينا وفى طوق صنعتنا .

فالمعجز من أمور الحياة هو ما لا يمكن الوصول إلى سره واستخدامه . ونحن نجد فى مواريث أرباب البيان الرفيع فى كل لغة استخدام التصوير الفنى للتعبير عن « المعانى الذهنية والحالات النفسية والحادث المحسوس والمشهد المنظور والنموذج الإنسانى والطبيعة البشرية » إلى آخر ما قرره المؤلف من الحالات والسمات والمواقف التى رأى القرآن يعبر عنها على قاعدة التصوير التى تجعل « المستمعين نظارة » فلو لم تفلت هاتان الكلمتان من قلم المؤلف الواعى ، ولو لم يحاول أن يجعل قضية كتابه التى عنونه بها « قاعدة ومذهباً مقرراً وخطة موحدة وخصيصة شاملة » يفضلها أسلوب القرآن أو بالأحرى تعبيره ، إذاً لجاء المعنى الذى أراده خالياً من هذا التعميم ، ولكان موضوعه كما يحدده عنوان الكتاب هو استقراء « الصور الفنية » فى القرآن وعرضها والتعليق عليها وبيان ما فيها من روعة وأسرار .

***

فى الكتاب فصل عن « المنطق الوجدانى » يتصل بالمباحث العقلية حول القرآن وأسلوب دعوته إلى الإيمان بالله الواحد وقضايا الدين . وهو فصل أثار فى نفسى تعليقاً وخواطر حول بيان أساس الدين ، وهل هو الوجدان أو العقل ؟

والمؤلف يرى أنه الوجدان ، وأن الذهن ليس أوسع المنافذ ولا أصدقها ولا أقربها إلى الدين .

ونظراً لخطر الموضوع وقيمته فى الدعوة الإسلامية والدينية الصحيحة عامة سأضطر إلى مناقشة هذه الفكرة التى صارت زعماً عاماً انتقل إلى المسلمين الذين أساس دينهم (بل أساس الدين الصحيح كله) العقل ؛ لأننى أعتقد أن المسلمين الآن بحاجة إلى أن يعلموا أن قضية الإيمان بالله الواحد كما استعرضها ودعا إليها القرآن ليست قضية « وجدانية » تأخذ من المجهول للنفس أكثر مما تأخذ من المعلوم لها ، بل هى فى أصلها ومنبتها الأول تأخذ من « المعلومات » ويقينات الحس والبداهة والحكم العقلى أكثر مما تأخذ من أى منطقة أخرى من مناطق النفس البشرية ....

فليس الوطن الأول لهذه العقيدة هو الوجدان ، منطقة الانفعال والاستسلام أو الثورة ، بل موطنها هو موطن ذلك « البرق » الذهنى أو العقلى الذى ينتج « حكما » يرسله إلى الوجدان فينفعل له ويتقبله « ويعقده » فى طويته ويستسلم له ويسير حياته على مقتضاه .

هذا البرق الذى ينتج « الحكم » يستمد حيثيات أحكامه من انطباعات الصور الثابتة للكون فى النفس ومن الانفعالات الداخلية بهذه الصور . والذى أعلمه من علم النفس أن أول « برق » يبرق فى النفس وينطبع فيها هو حقيقة « السببية » التى تفجأ الطفل ويتحرك لها فمه حركة « منعكسة » آلية عندما تلقمه أمه ثديها ، فيجد أثراً واضحاً لذلك التحريك تنفعل له أعصاب الجوع والشبع

وكذلك عند ما يصل إلى عينه أو أذنه أول شعاع ضوئى أو أول صوت فيجد له أثراً فى حساسية بصره أو سمعه ، ثم لا تلبث الآثار المطردة « الأسباب » أن تتلاحق على مجمع حواسه حتى تنتج طائفة من الأحكام المطردة المبنية على الانفعالات المطردة التى يجدها فى حواسه وفيما وراءها

وهذا ما يقرره القرآن نفسه بقوله : « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون » فعندما يصل الناشىء إلى ترك مرحلة ذهول الطفولة وإلى إدراك الكون كله كوحدة ، لا يتجه بانفعال وجدانى إلى السبب الأكبر للكون لأن ذلك الوجدان لم يوجد بعد ، وإنما يتجه إليه بحكمه الذهنى الذى يركب قضية ذهنية منطقية فى خفاء وبدون ألفاظ ، يحكم بها بأن لهذا الكون سبباً وقدرة ومشيئة تدبره ... وهى التى أدخلت الإنسان إلى الدنيا العجيبة وتخرجه منها . ولن ينفعل لهذا وجدانه « بالدين » إلا إذا صح لديه هذا الحكم . فإن لم يصح لديه أن لهذا الكون عقلا يدبره فلن ينفعل وجدانه لعقيدة دينية إلا تحت تأثير الخوف والقصور والتهيب أمام المجهول . وليست هذه مواقف الإيمان الصحيح المستنير الثابت الذى لا يتزعزع ، وإنما هى مواقف الإيمان الأعمى المقلقل الحائر المستعد للتقلب ، كما هو الحال فى أكثر الذين لا يأخذون الدين بالفكر عند ابتداء صحوهم من ذهول الطفولة . فالعقل أو الحكم أو « الذهن » يا صديقى قطب ، هو صاحب هذا الموضع الأول من النفس ، ينتج لها تلك النتيجة الأولية التى تجعلها تنفعل بوجدانها انفعال الإيمان . وهو الجزء « المتبلور » فى جميع النفوس — والوجدان جزء مائع — وهو الحكم الذى يكاد يكون من عالم الأرقام التى تنتج نتائج واحدة بقوانينها الواحدة .

ولن يضيره أن يكون مختلفاً فى الناس اختلافا ما . فكذلك الوجدان مختلف .

ونحن فى سبيل البحث عن حجة لله على الناس جميعاً . ولن تكون هذه الحجة فى أغلب الأمر إلا عن طريق العقل والذهن المنطقى الذى يحاكمنا الله إليه دائماً فى الحياة وفى القرآن ، ويردد اسمه دائماً ؛ ويلومنا ويقرّعنا بأننا لا نفكر ولا نعقل ولا نتدبر ولا نتذكر ولا نتخذ أسباب الوقاية كما يوحيها العقل .

نعم إن الموطن النهائى للعقيدة الحارة هو الضمير والوجدان ، ولكن بعد أن تمر من العقل أولا ويحكم بوجوب سكناها فى الوجدان لتستمد من حرارته قوة الاندفاع والعمل للدين .

وقد كان الوثنيون الذين أنزل إليهم القرآن يعتقدون عقيدة فى « وجدانهم » ويتعصبون لها ويصدرون عنها فى حياتهم ، لأن أذهانهم كانت تحكم بصحتها . فبماذا زعزعها القرآن فى وجدانهم وضميرهم ؟ أليس بالمحاكمة العقلية التى كشفت عن عقولهم ضباب الوثنية القديم ، وأدركوا بها الحق الأول بالذهن والحكم ، ثم أخلوا وجداناتهم من العقيدة القديمة وأحلوا محلها العقيدة الجديدة ؟

والوثنيات تجد فى منطق الوجدان وحده مدداً متصلا لها بالانطلاق وراء الرموز والتهاويل والإثارات الفنية التى هى باب الواجدان ... وقد افتخر « طاغور » واحتج للوثنية بأنها مجال طيب لرقى الفنون ... ولاشك أن هذا احتجاجٌ طفلىٌّ وجدانى لا يتصل بسبب كريم بالحق والعقل والكرامة الإنسانية والمصلحة الإجتماعية . فالقول بأن منطقة الدين هى الوجدان وحده قول غير إسلامى . أخذه المسلمون المحدثون عن المفكرين غير المسلمين الذين لم يعرفوا الأساس الأول للاسلام والدين عامة ، والذين وجدوا فى أديانهم أسساً يأباها العقل والمنطق ، ووجدوا الدين فى حد ذاته كفاية نفسية لابد منها ، فأرادوا أن يجمعوا بين الدين والعقل ، فزعموا أن لكل منهما منطقة قد يناقض ما فى إحداهما ما فى الأخرى ولا ضير ! أما الإسلام فأساسه أن إله القرآن هو الإله الذى وصفته الطبيعة ووجهت العقل اليه ؛ واعتمدت فى هذا التوجيه على المحاكمات العقلية كأساس أول وعلى المحاكمات الوجدانية المبنية على هذا الأساس ، وقد استخدم القرآن فى سبيل ذلك كله البيان المشرق الجميل البارع المعجز فى تعبيره وأسلوبه .

ولم يقصر خطابه على طائفة واحدة معينة هم طائفة الذين ارتفعوا عن المستوى العام للناس واحتكت عقولهم بما وراء سطح الحياة وما وراء البداهة والحس من عوالم الفروض والصور الطليقة من قيود الحياة الظاهرة ، بل خاطب الناس بالقدر المشترك بينهم جميعاً وخاطب هذه الطائفة الممتازة فى بعض معارضه كما خاطب المبتدئين القاصرين فى البعض الآخر

والقرآن يفرض الفكر ميزاناً قائماً بذاته مستقلا عن الإنسان ثم يعجّبه مما يراه فى الوجود ، كأنه زائر غريب عن الحياة دخل إليها من عالم آخر وهو بكل وعيه ، ولا شك أن الفكر بجميع قواه حينما يدخل إلى الوجود كأنه غريب عنه يعجب غاية العجب من بدائعه ويحكم الحكم الجازم بأنه لبارىء واحد . وليس هنا مجال تفصيل هذا ، وقد سبق أن عالجناه فى بعض البحوث .

فالموقف الأول من الكون والإيمان بربه الواحد ، موقف « جَزْم » بالذهن والحكم العقلى . إذ أننا نشعر ونحس أننا

واقفون إزاء « معلومات » تنتج العلم والحكم الضرورى البديهى والمركّب .

وهو موقف دينى سابق على مجىء النبوات والرسالات ، لأنها تعتمد عليه فى التدليل على قضاياها والتحاكم إليه . فالدين عقلى طبيعى فى الإيمان بأصله الأول وهو الله الواحد .

ولقد وجدنا كل جماعة دينية تؤمن بما عندها بوجدانها . فهل لهذا وزن إلا عند ما يدركون شاكلة الحق الذى عند الله والذى يوحى به الكون ؟ وهل يدرك الحق إلا بقوة « الحكم » التى هى موضع الحساسية بالعدالة والقوانين الطبيعية التى استمددنا منها حكمنا ، والتى لا تنظر إلى الصور والإطارات وإنما تنظر إلى صلب الأمور ؟

***

والقرآن لم يعن بأن يرد على منكرى وجود الله . وكأنه لم يفرض وجودهم . أو كأنه نظر إليهم على أنهم خارجون عن نطاق العقل والبداهة ، ولذلك لم يحاجهم ولم يوجه إليهم قولا يشعر بأن لهم وزناً . وإنما وجه حديثه الأكثر إلى المشركين مع الله آلهة أخرى ، الذين من فرط شعورهم بالألوهية استكثروا منها ... وخلعوا صفاتها على كثير من المخلوقات ، فهؤلاء لديهم الإيمان الوجدانى ولكنه إيمان مدخول منكوس يحتاج فى تعديله وإقامته فى نصابه الطبيعى إلى منطق عقلى يستعرض الكون ويستقرئه ويستنتج منه أنه لا إله واحد .

فالحديث مع هؤلاء المشركين لا يستلزم إلا الإيقاظ إلى الكون وأعاجيبه الموحية أنه من صنعة يد واحدة ... وهذا ما فعله القرآن . أما الذين التمسوا وراء حديث الإيمان الفطرى مناطق يتحدثون فيها عن ذات الله وصفاته والكون ومبدإ وجوده وعلاقته بالله وصفاته ، إلى آخر مباحث علم الكلام والفلسفة فهؤلاء لا يدعون أنهم يؤسسون عقيدة للجمهور بكلامهم ، وإنما يريدون أن يصلوا بين هذا الكون المادى العجيب وبين ما قبله وما بعده . وموقفهم هذا موقف طبيعى ، هو نتيجة للعجب الذى يرونه فى هذا الكون ، ونتيجة لشعورهم بأن عقلهم وحكمهم يريد أن يتصل بألغاز الحياة وما قبلها وما بعدها . فإنهم يشعرون أنهم غرباء ، فى هذا الكون المادى ذى القوى الموزونة والطلعة الجبارة المثيرة للفكر أيما ثورة . ولا بد للغريب أن يبحث ويتقصى ويتعرف المكان الذى دخل إليه ويتعرف إلى صاحبه ويبحث عن شئونه حيثما ساعدت الوسائل .

غير أنهم يجب لكى يضمنوا الحياة العملية فى الأرض والألفة العقلية ألا يشردوا ويحملوا عقولهم فوق ما تطيق ، ولا ينسوا أن الإله الحكيم الذى وضعهم هكذا قاصرين عن إدراك كثير من الأمور ، وعن إدراك المبدأ والمنتهى إدراكا كما يشتهون ويتطلعون ، إنما فعل ذلك لحكمة بالغة هو يعلمها ، فيجب أن يلتزموا حدود « الضيافة » المؤقتة فى هذه الحياة . ولا شك يكون لهذا الالتزام ما بعده من التناسق بين الفكر والعمل والألفة العقلية . وما كان للقرآن أن يكون على أسلوب تفكيرهم الخاص وهو قد جاء ميسر الذكر للناس جميعاً .

ولكنه مكن هؤلاء العقليين والمتفلسفين أن يؤلفوا من معانيه التى تحت « سطحه التعبيرى » قضايا ذهنية يستطيعون أن يستخدموها فى أسلوبهم الخاص . فهو قد ساق قضية عقلية عظمى بأسلوب بسيط ميسر للناس جميعاً حينما قال : « لو كان فيهما آلهةٌ إلا الله لفسدتا » ؛ وترك للعقليين أن يبينوا كيف يكون هذا الفساد حينما يفرض التعدد فى الآلهة ...

وحينما قال : « ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من إله ، إذن لذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض » . أرسل هذه القضايا هكذا واضحة ميسرة ، وترك للعقل أن يتحاكم إلى الكون ويستقرئ أحوال الأشياء إذا كانت بين والد ومولود وإذا كانت بيد واحدة ، وإذا كانت بأيد متعددة ، وعماد الحكم فى ذلك هو الحركة العقلية الآخذة من كل مورد من موارد النفس والكون وكل قوة من قواهما لتصل إلى الحكم .

والمتتبع للقرآن يرى أن وراء « سطحه التعبيرى » السهل الميسر ، عالماً يموج بالمسائل العقلية والبديهية والفرضية تضع العقل البشرى فى موضع أصيل كريم كأنه هو وحدة القياس فى كل العالم لا فى الأرض وحدها .

...

وأخيراً أشكر المؤلف الصديق على هديته التى جعلتنى أعيش فترات فى جو فنى بديع ، فيه الفكر والبيان ، وحسن الترتيب والتبويب ، ولطف المدخل إلى ما تناوله من موضوعات .

عبد المنعم خلاف

هـــذا العالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

بترول من الميكروبات ؟ !

من الأخطار التى تهدد المدنية الحديثة نقص احتياطى البترول فى العالم ، فقد استنفدت أدوات الحرب كميات طائلة منه . ولهذا اتجهت انظار الساسة والاقتصاديين إلى مد أنابيب البترول عبر شبه جزيرة العرب لاستغلال آباره مع ما يتكلفه هذا المشروع الضخم من نفقات كبيرة . ولقد أجهد الكيميائيون والعلماء أذهانهم ليحصلوا على موارد جديدة تزيل المخاوف المقبلة .

وكان من أمتع الأبحاث وأغربها بحث الدكتور كلود زوبل الذى تجاوزت مدته ١٥ سنة ، قضاها لا يحفر الأرض ليعثر على آبار جديدة للبترول ، بل منقباً عن حشرة صغيرة تحول المواد الأولية إلى بترول . ووفق أخيراً إلى العثور على ضالته فكان لكشفه أهميتان مزدوجتان

أولاهما أن البحث عن آبار البترول لن يحتاج إلى حفر أغوار بعيدة ، ولا إلى استعمال المجسات المختلفة ، بل سيبحث العلماء بعد ذلك سطح الأرض للعثور على هذا النوع من البكتريا ، فإن وجدوها فقد وجدوا الآبار .

والثانية أن دراستنا لهذا النوع من البكتريا ستتيح لنا معرفة الوسيلة التى يتكون بها البترول فى الطبيعة ، فيستطيع الإنسان بوسائله الصناعية الإسراع فى إنتاجه بالمقادير اللازمة .

فمنذ خمس عشرة سنة اقتنع الدكتور زوبل بأن نوعاً من البكتريا يقبض بيده على سر إمداد العالم بالزيوت ، فنقب ودرس ما وسعته الدراسة وهو يوفق فى كل فترة إلى كشف جديد يبطل فكرة قديمة أو يقدم للعالم معلومات جديدة — فعثر على قائمة طويلة بأنواع من البكتريا لم يسمع عنها الناس ، ومنها ما تحول الدهنيات النباتية أو الحيوانية إلى مواد بترولية . ولكن الميكروبات لم تكن ثابتة الإنتاج فأحيانا تترك بقايا زيتية وأحياناً ترفض . واتجه تفكير زوبل إلى ناحيتين ، فأما أن البكتريا تنتج البترول بشروط خاصة وإما أنه يجرب فى أكثر من نوع واحد منها ، وأى الاحتمالين يقض مضجع صاحبه . ففى أى الظروف تنتج البكتريا الزيت ؟ وكيف يحصل على البكتريا الأصيلة نقية ؟

ولكى يحقق الاحتمالين خرج إلى عرض المحيط مرات ليستخرج من قاعه عينة نقية . فمن المعروف أن أكثر الزيوت العالمية نشأ فى ظروف بحرية . وفى خلال هذا التنقيب قلب كثيراً من الأوضاع العلمية القديمة ، وأثبت خطأها ، فنفى ما قيل من أن البكتريا لا تعيش فى المياه الملحة فى أعماق المحيط .

وقال العلماء أيضاً إن الأحياء الميكروسكوبية لا تعيش فى أعماق المحيط أو الأرض لأنهـا تتأثر بالضغط ودرجة الحرارة فأخرج لهم زوبل أحياء ميكروسكوبية من أعماق زادت على ثلاثة أميال . وأثبت أن بعض الأحياء تعيش فى أبعد الأعماق ، وتتحمل عشرة أضعاف ضغطها وفى درجات حرارة لم يحلم بها عالم .

وغذى ميكروباته بالسكر واللحم والدهن والملح والخضروات والجيلاتين والفيتامين وأحيانا بالكعك ، فهضمت كل المواد العضوية وأنتج بعضها ثانى اكسيد الكربون أو الميثين كما حلل آخر أحجار الجير أو أطلقوا الألمينيوم من السليكا أو استخرجوا البوتاسا أو النيتروجين إلى غير ذلك من قائمة المستخرجات والانحلالات .

ولكن الموضوع الذى يحصر فيه كل تفكيره استمر على غموضه إذ تعطيه بعض الأنواع مادة زيتية لا تلبث أن تتلفها . فكيف تنتج المادة وكيف تفسد وتزول ؟ أهو قبل نوعان من البكتريا يتشابهان فى المظهر ؟

سؤال أرسل إلى رأسه الصداع مرات فانه ليضع ١٥,٠٠٠ حى تحت المجهر فلا يزيد طولها عن بوصة واحدة فكيف السبيل إلى التفريق بين النوعين . كثيراً ما أعطته هذه المجموعة نفسها دهنيات لازيوتا .

ولقد جرب حتى أنهكته التجارب ، وفصل الأنواع حتى أرهقه التنويع . وأخيراً هدته المصادفة وحدها إلى عزل النوع المضبوط ، فحصل على النتيجة التى يريد ، ففى إحدى المرات عزل مجموعات منها فى أوانيه الصغيرة ثم غطاها بلصقة باريس ووضع فوق الجميع شمع البارافين . وبعد أسابيع أزال الأغطية فعثر على

سائل أثبت التحليل الكيماوى أنه زيت خام . كما وجد أن التجربة التى عملها أوجدت بيئة بحرية داخل الإناء ، وأعاد التجربة مرات فاذا هو يجد نفس النتيجة .

ومن الطبيعى أن يعتبر الجزء التجارى من أبحاث زوبل فى الوقت الحالى من الأسرار العسكرية . ويقال إن نجاحه كان عظيما حتى ليتيح تحويل جميع مخلفاتنا النباتية إلى زيوت معدنية ، على أن مبدأ واحداً أذيع وهو كيفية الكشف عن منابع البترول التى يتسرب قليل منها خلال طبقات الأرض مما يتعذر على الطرق الكيميائية معرفته ، ولكن هذه « البكتريا المحللة » تستطيع بطبيعتها الخاصة اكتشاف أماكنه . فأينما وجد هذا النوع من البكتريا فالى جواره منابع زيت .

فهذه الجراثيم الدقيقة هى الآن قائدتنا إلى منابع الزيت المختفية فى باطن الأرض لا المجسات ولا وسائل الحفر والاستنتاج .

زجاج من غير رمل

استخدمت إحدى مصانع النظارات نوعا جديداً من الزجاج للوقاية من بعض أنواع الحوامض التى تأكل الزجاج العادى ، فإن سقطت على جسم الإنسان أحرقته . وهذا النوع نقى جداً ولا يدخل فى صناعته الرمل كما هو معروف .

وينتظر أن يكون لهذا النوع من الزجج مستقبل كبير لأن الحامض المعروف باسم هيدروفلوريك ضرورى فى كثير من الصناعات الحيوية الهامة مثل صناعة المعادن والمنسوجات والمطاط الصناعى . وكان فى أول أمره عسير الحفظ لأنه يأكل المعادن والزجاج ويصعب وضعه فى آنية .

وقد استعيض فى هذا الزجاج عن الرمل الذى يعتبر جوهريا فى جميع أنواع الزجاج بأحد مركبات الفسفور . ومن الغريب أن هذه المادة شديدة التفاعل مع الماء وتحدث فرقعة شديدة . ولكنه تيسر تذليل هذه العقبة بجعلها أقل تفاعلا مع الماء . وعلى العموم فإنه يفضل وضع هذا الحامض الشديد الأثر فى هذه الأوانى الزجاجية على وضع الماء فيها .

ولهذا الزجاج نفس خواص الزجاج العادى فينصهر فى درجة حرارة الزجاج . ويمكن صنعه فى رقائق طويلة أو مربعة أو لفه على شكل زجاجات ويسهل صقله بوسائل صقل الزجاج المعروف .

لوقاية الآذان من الضوضاء

استخدم أحد المصانع أخيراً غطاء للآذان يقيها من الصمم الناتج عن الأصوات المرتفعة . ويستخدم هذه الغطاءات رجال المدفعية فى البحر والبر فإن شدة انفجار القنابل تحدث دويا مرتفعاً يؤدى إلى الصمم الكامل

وتخفض هذه الصمامات دوى أصوات المطارق الكهربائية الضخمة وحركات الآلات الكبيرة الكافية لصم الآذان فتجعلها كصوت قطار قادم على محطة وقوفه

علاج لشلل الأطفال

لا يزال شلل الأطفال من الأمراض المستعصية فى الطب . وقد وصل الطب إلى اكتشاف علاج له على ضوء اختبارات نباتية وصناعية. فقد كانوا من قبل يجربون لإحياء أعصاب المرضى مهتدين بما هو متبع فى تقليم الأشجار بفصل الفروع التى لا فائدة منها للشجرة

وكان الأطباء يعمدون إلى قطع الأعصاب الباقية فى جزء ملتهب من الجسم بدقه بمطرقة صغيرة ذات وجهين . ونظرية الأطباء فى هذه العملية هى أنه عند ما يقطع العصب يبدأ فى النمو ثانية ولكنه فى هذه الحالة يتفرع بطريقة أقوى مما يجعله أكثر تغذية للعضلات وهو ما يحدث عند تقليم شجرة

ولكن الاستخدام اليدوى لهذه الطرقة كان عملا مرهقاً للطبيب ويحتاج إلى قوة احتمال طويلة منتظمة مما يصعب على أعصاب الطبيب تحمله :

وحدث أن زار بعض الأطباء الذين يهتمون بهذا المرض أحد مصانع الطائرات ، وهناك رأوا مطرقة كهربائية على شكل مروحة تدور فتدق أطرافها المسامير . وفى هذه المطرقة وجد الأطباء ضالتهم المنشودة فصقلوها حتى تؤدى الغرض المطلوب منها فى تقليم أعصاب المرضى بشلل الأطفال .

وقد أجريت التجارب فى معهد فيلادلفيا فى ٥٠٠ مريض فتحسنت حالتهم إلى حد يدعو إلى كثير من الرجاء . ويرجع فضل هذه الاكتشافات إلى إحدى المؤسسات الخاصة بعلاج حالات الشلل التى قدمت لأطبائها ما يلزمهم من أموال لإجراء تجاربهم .

فوزى الشتوى

حنة غريب !!

للأديب محيي الدين صابر

مضى الركب ، ياقلبي ، فأين حبائبي
وأين مجالاتي ؛ وأين مذاهبي ؟

وأين الربيع الحلو ؟ قد مات في يدي
وصوح إلا صورة في رغائبي

وأين العشيات الرطاب ؟ عبرنني
كما تعبر الصحراء ، غنوة راكب !

وأين غدي ؟ إني دفعت خياله
على جدول في منهل الغيب ساكب !

ويومي ؟ لقد كفنته ... في دموعه
بواد حزين الظل سأمان شاحب !

وعشت فضاء ناعساً خلف ربوة
على سفحها المحروم ، أغفت ركائبي

ملال طريد ... أو سآمة مدلج
ويأس شقي ... أو تثاؤب شارب !

فيا موكب الأحزان عطلت فرحتي
وشردت أنغامي وأضرعت جانبي !

وأطلقتني في الليل ؛ كالليل ذاهلاً
حنيناً ... كأني فيه دمعة راهب !

وأفردتني كالنجم حيران ساهراً
كأني على دنياك ... لفتة هارب !

وأظمأتني حتى من الوهم ... في دمي
وكان كثيراً ، كالحياة ، مشاربي ...

وأفقرتني حتى المنى ... ما تزورني
وكانت يد الأقدار تثني مطالبي !

وأشقيتني يا ذل روحي ، على الذرى
وضيعة أيامي ؛ بوادي المصائب

تمر بي الذكرى ؛ فأجثو كأنني
ضمير نبي ... أو ضراعة تائب

فتنثر أفراحي ، على حسرة مهجتي ...
كما تنثر الأشواق دمعة عاتب

أحدثها كالطفل حين تهزه ...
طرافة لهو ، أو مجانة صاحب !

وأبكي كما يبكي الغريب قد التقى
بسامره — بعد النوى — والحبائب !

وأعذر دمع ... دمعة كرمت بها
محاريب أشواق — خلت — وملاعب !

أحس حياتي في التراب صريعة
تساقط من روحي ، كأنفاس لاغب

وأغمض عيني أستعيد مباهجي
وأخدع حسي في الليالي الذواهب

ليالي أشباه حياتي ... على الهوى
فيوض ندى الأفق ... رطب الجوانب

وليلى أنغام ، وخمر وفتنة ،
وسمار صدق ... كالأماني الكواذب !

فمدن كأن الكأس دمع شربته
وأن صدى الألحان صرخة نادب

على مهجتي ، ماض عدتني ظلاله
وصار حصيداً بين فأس وحاطب

حنين كدفق الموج يسري بخاطري
فمن نازع منه عنيف ، وسارب !

وأصبحت كالطير الغريب مفزعاً
على فنن باكي العشيات ، ناحب

فيا منهلاً عذباً وردت على الصبا
أنيقاً كوجه الروض تحت السحائب !

سلام على عهدي بواديك إنه
هو الزاد ، في عهد النوى ... والنوائب

ويا غربتي نوحي على وطر بي
كرجفة غاب في السواقي الحواصب

وهبي هلي عمري ، وسوقي زمانه
وذريه في أفق ، على السفح غارب

فلا خير في عمرين ، ذكرهما أسى
فمن بين مجهول ، وآخر ذاهب

وحسبك أن تأسى على ما عرفته
وتجزع من مستحدث في العواقب



إلى خلفاء جلفر والسندباد !

تلقينا من بريد بيروت هذا الكتاب العجيب ونصه :

حضرة الفاضل مدير مجلة الرسالة الغراء

فى العالم اليوم موجة جارفة نحو المادة التى يتهالك فى سبيلها البشر ، وتتكالب عليها الجماعات والأفراد فى مشارق الأرض ومغاربها

ومنذ سنوات ونحن نراقب ما جرته الحروب من ويلات وخطوب ، فآلمتنا هذه المطامع الدنيوية والرغبات الأرضية التى ما زالت تزدحم فى صدر الإنسان منذ كان الإنسان حتى الآن ، على رغم ما توالى على البشرية من شرائع وأديان

فنحن أتباع الدكتور داهش بعد أن درسنا هذه الشؤون من جميع نواحيها ، ورأينا على أى خبث ولؤم تنطوى روح الإنسان ، وبعد أن عقدنا النية على الاتجاه نحو المثل العليا والسير بموجب التعاليم السماوية المنزلة ، ولاحظنا صعوبة تطبيقها فى المجتمع الموبوء الذى يحيط بنا ، وبعد أن شاهدنا من الناس اضطهاداً رهيباً لمنعنا من نشر أفكارنا الحقة واعتناق مذهبنا بحرية ، فقد وطدنا النية على مغادرة لبنان فى أول فرصة مواتية ، والهجرة إلى جزيرة نائية ، نعيش فيها أحراراً ونتمتع فيها بالحق المقدس المعطى لكل إنسان أن يفكر ويدين كما يشاء

فهل لكم أن ترشدونا على صفحات مجلتكم إلى جزيرة متوسطة الموقع ، جيدة المناخ ، ذات مياه غزيرة وهواء نقى ؟ ولا ريب أن الصحيفة التى ستهدينا قبل سواها إلى مثل هذه الجزيرة نعاهدها منذ الآن بأننا نبقى على اتصال معها ، فنوافيها بأهم الأنباء التى تتعلق بكيفية عيشنا هناك وباختباراتنا وبأطرف ما تجود به قرائحنا فى تلك الوحدة الوادعة ، خصوصاً وبيننا نحن الداهشيين أطباء ومحامون وفئة تميل إلى الأدب والشعر والرسم وسائر الفنون الجميلة

فنرجو التلطف بالإجابة على كلمتنا كما أننا نرجو نشرها فى مجلتكم الغراء، لعل البعض من قرائكم يحبذون فكرتنا ويقررون الانضمام إلينا فى السفر ، وهذا مما يقلل العقبات التى تعترض تنفيذ هذا التصميم ، والسلام عليكم

عن الداهشيين

شاهين صليبى

طبيب العيون

بيروت ١٤ نيسان ١٩٤٥

نشرنا هذا الكتاب بنصه وفصه كما أراد طبيب العيون الدكتور شاهين صليبى ، ثم نسأله : مَن هذا النبى الجديد ؟ وإلى أى إلـه ينتمى ؟ وبأى تنزيل جاء ؟ وإلى أى الأمم أرسل ؟ لقد سمعنا عن هذا الداهش أنه منوّم ماهر فكيف أيقظ هذه الفتنة ؟ إن العالم العربى يعانى اليوم مشكلة الوطن اليهودى فى البر ، فهل تريدون يا دكتور أن تخلقوا للعالم العربى مشكلة أخرى للوطن الداهشى فى البحر ؟ إنا على كل حال نود مخلصين أن نستودعكم (نبتون) إلى آخر الدهر ! فعسى أن نجد فى خلفاء جلفر والسندباد من يدلكم على هذه الجزيرة النائية فتعشوا وتبيضوا وتفرخوا وتصفروا وتنقروا ما شاء لكم هذا الدين الجديد ... أما مكافأة الرسالة إن وجدتم هـذه المملكة عن طريقها فأن يخصها نبيكم (داهش) بما يوحَى إليه من ربته الصغيرة ، وأن يُطرفها شاعركم (دموس) بما يصدر من شعره عن هذه الجزيرة !

إلى الأستاذ حبيب الزحلاوى

قرأت قصتك الممتعة « الأفعوان » فى مجلة المنتدى التى تصدر فى بيت المقدس (عدد نيسان ١٩٤٥) فأسفت أشد الأسف على ما ورد فيها من النمز الجارح للدكتور بشر فارس ، كقولك فيها : « نسمع محاضرة صديقك الدكتور نشر فهارس فى مذهب الشعر الرمزى والعقل الرمزى » وقولك : « إن صاحبك الدكتور فهارس السربونى سيتكلم عن الرمزية . وستضحك منه مع من سيصفرون له من المستمعين كما ضحكنا وسخرنا من شعره المهلهل وقصصه الرمزية الملتوية » وقولك أيضاً : « كما يقال مثلاً دكتور بيطرى . ودكتور فى الشعر الرمزى . ودكتور نشر فهارس » الخ

إن قصة الأفعوان لا يتصل بحثها بما بينك وبين الدكتور بشر فارس من الخصومة الأدبية فى كثير ولا قليل ، وقد أقحمت اسمه فيها إقحاماً لا يرضى به الأدب رسالة الفن السامى ،

فلا يصح أن يكون وسيلةً تعين على تنشيط الغرائز غير المهذبة في الإنسان ؛ فعمل الناقد في الأدب كعمل الطبيب الجراح . يعمل مبضعه في الجسم العليل بمقدار ، غير مدفوع إلى ذلك بعوامل الانتقام من المريض ، بل بدوافع الرحمة وتخفيف الآلام .

وفي الأدب الحديث نزعة خطيرة تلزم القائمين على توجيه المجلات الأدبية في العالم العربي ، بمحاربة تلك النزعة ، ذلك أن القراء يريدون أن يقف الناقد الفني إلى جانب الأديب المنتج في حلبة صراع لا رحمة فيه ولا هوادة ، وهم يقهقهون ويغمزون ويلمزون .

وثمة نزعة أخرى لا تقل في خطرها عن الأولى ؛ ذلك أن الناقد الفني ينسى أو يتناسى أن عمله الأدبي لا يقل خطورة عن الأثر الأدبي الذي يتحدث عنه إلى قرائه ، فلا ينبغي له أن يسمح لفنه أن يهبط إلى مستوى المهاترات الكلامية والتراشق بالألفاظ غير المهذبة .

إننا من المعجبين بأدبك أيها الأستاذ فنرجو أن ينصرف عملك كله إلى الفن الخالص . عفا الله عنك . وسدد في المستقبل خطاك . والسلام عليك ورحمة الله .

(فلسطين)

شريف الفبج
دكتور في الفلسفة

الى مؤلف كتاب « التصوير الفني في القرآن »

كتابك جوهرة في الكتب كشفتَ عن الذكر فيه الحجب
وثبتَ به وثبةً للعلا سواك إلى مثلها لم يثب
بلغتَ به منزل الخالدين في ذكريات لسان العرب
حللتَ به عقدةً حيرت عقول القدامى طوال الحقب
لسحر يحسونه في القلوب وما يعرفون له من سبب
أقاموا حيارى على بابه قنوعاً بنشوتهم والطرب
حيارى ... ولكنهم مهتدون بفيض سنا منه لا يحتجب
إلى أن أتيت بمفتاحه فصاحوا على الفور: هذا عجب !
أجِدَّك ننشد مفتاحه دهوراً ؟ ومفتاحه عن كثب !

***

تبارك منزل قرآنه على سيد البشر المنتخب
تلألأ معجزة في الدهور تدول — وما إن يدول — الشهب!
به نالت الفخر أم اللغات عزت وعز بنوها النُّجب !
لغات الورى من ردىء النحاس إذا الضاد شبهتها بالذهب

(المنصورة)

علي أحمد باكثير

في جامعة فاروق

أقام نادي فاروق لطلبة الجامعة يوم الأربعاء الماضي ١٨ أبريل مهرجاناً للشعر اشترك فيه أبناء الجامعة الشعراء ، وقد خصصت جوائز أدبية لأحسن القصائد ، وكان المحكمون الأساتذة : الدكتور أحمد زكي أبو شادي ، وصديق شيبوب ، وأحمد عبد الهادي

وقد اشترك في هذا المهرجان من كلية الآداب الأستاذ حسن ظاظا المدرس بالكلية ، والطلبة والطالبات الشعراء والشواعر : فاطمة على حسن ، وكمال نشأت ، وحميد عبد الجليل ، ونفوسة زكريا ، ومحمد العشماوي ؛ ومن كلية الحقوق : سالم حق ، وحسين البشبيشي ، وعبد العزيز خاطر

وبعد أن ألقى المتسابقون قصائدهم أنشد الأساتذة : خليل شيبوب ، وحسن ظاظا ، وأحمد أبو شادي ، بعضاً من أشعارهم

وإنا لنرجو أن يكون هذا المهرجان الشعري فاتحة عهد زاهر للشعر في الثغر ، ولا سيما بعد وجود جامعة فاروق التي نرجو أن تكون باعثة على إحياء نهضة ثقافية كبيرة في الأسكندرية

إنصاف فهمي
كلية الآداب بالأسكندرية



المـــارسلييز

للقصصي الروسي ليونيد اندرييف

ترجمة الأستاذ شكري محمد عياد

كان نكرة ؛ له روح أرنب واستسلام دابة . وعندما رماه القدر بسخريته اللئيمة بين صفوفنا السود ، ضحكنا كالمجانين حين فكرنا أن مثل هذه الأخطاء الشنيعة الفاحشة ترتكب حقاً . أما هو فقد بكى . وما رأيت قط رجلا تهمى من عينيه الدموع بهذا اليسر والوفرة . كانت تسيل من عينيه وأنفه وفمه ، كان أشبه بإسفنجة غمست في الماء ثم اعتصرت . ولقد رأيت في صفوفنا رجالا يبكون ، ولكن دموعهم كانت ناراً تجفل منها الوحوش الضارية . كانت تلك الدموع الجبارة تسرع بالوجوه إلى الهرم ولكنها ترد العيون شابة من جديد . كانت أشبه باللابة المنطلقة من أحشاء الأرض الملتهبة ، تترك على سطح الأرض آثار الحريق ، وتدفن تحتها مدنا بأسرها من الخدع الحقيرة والهموم التافهة . أما هذا الفتى فكان حين يبكي لا يعدو أن يحمر أنفه ويبتل منديله ؛ ولعله كان يعلق مناديله صفا لتجف ؛ فقد كنت أسائل نفسي أنى له كل تلك المناديل ؟

كان طيلة عهد النفي يلجأ إلى ذوي السلطان الحقيقي أو الموهوم ، ينحني ويبكي ويحلف أنه بريء ، ويتوسل إليهم أن يرحموا شبابه ، ويعاهدهم ألا يفتح فاه طوال عمره إلا ضارعا أو شاكراً . ولكنهم كانوا يضحكون منه كما كنا نفعل ، ويسمونه « الخنزير الصغير الحقير » ، وينادونه : تعال ياخنزير ! فيهرع إليهم خاضعا ، راجيا في كل مرة أن يسمع نبأ عودته إلى وطنه ولكنهم كانوا يهزلون . كانوا يعلمون مثلنا أنه بريء ، غير أنهم يظنون إذ يعذبونه أنهم يرهبون غيره من الخنازير الصغيرة ، كأن هذه الخنازير الصغيرة في حاجة إلى مزيد من الخور . ولقد يأتي إلينا يدفعه فزع حيواني من الوحدة ، ولكن وجوهنا كانت صلبة لا تلين ، وكانت مغلقة من دونه ، وعبثا كان يبحث عن المفتاح ؛ فإذا حار في أمره دعانا رفاقه وأصدقاءه ، ولكنا نهز رؤسنا ونقول :

— حذار ! قد يسمعك أحد ! .

فلا يخجل الخنزير الصغير أن يلتفت إلى الباب !

أكنا نستطيع عندئذ أن نمنع أنفسنا من الضحك ؟ كلا ، لقد كنا نضحك بأفواه ألفت الضحك منذ عهد بعيد . ثم يشجع ويهدأ ، ويقرب مجلسه منا ، ويحدثنا ، ويبكي كتبه العزيزة التي خلفها على المنضدة ، وأمه وإخوته الصغار ، الذين لا يدري أأحياء هم أم أهلكهم الروع والأسى .

أبينا قرب النهاية أن نتصل به . ولما بدأ الإضراب عن الطعام أصابه الفزع ، فزع مضحك لا سبيل إلى وصفه . وكان من الجلي أن الخنزير الصغير المسكين نهم تلقامة ، وكان شديد الخوف من رفاقه ومن السلطات أيضا . فجعل يهيم بيننا جزعا ، يمسح بمنديله جبينه الذي نضح عليه شيء لا أدري أهو الدمع أم العرق ثم سألني متردداً :

— هل ستضربون طويلاً عن الطعام ؟

فأجبته بغلظة :

— سنضرب طويلا .

— أو لا تأكلون أي شيء خفية ؟

فأجبته بجد وكأني أوافقه :

— سترسل إلينا أمهاتنا الفطائر .

فنظر إلى مرتابا ، وأومأ برأسه وذهب وهو يتنهد .

وفي اليوم التالي أجاب وقد اخضر لونه من الجوع فصار كلون الببغاء :

— أيها الرفاق الأعزاء ! إنني سأصوم معكم .

— فأجبناه بصوت واحد : صم وحدك !

ولقد صام ! لم نصدق ذلك كما أنك لن تصدقه . فظننا أنه يأكل بعض الأشياء خفية ، وكذلك ظن حراسنا . فلما أصابه تيفوس المجاعة في أخريات الإضراب هززنا أكتافنا وقلنا :

— ياللخنزير الصغير المسكين !

ولكن واحداً منا — ذلك الذى لم يضحك قط — قال واجما :

— إنه رفيقنا . فلنذهب إليه .

كان يهذى وكان هذيانه المضطرب يثير الإشفاق كما كانت حياته كلها . كان يتكلم عن كتبه العزيزة ، وعن أمه وإخوته . كان يطلب حلوى ، حلوى باردة كالثلج ، حلوى لذيذة . وأقسم أنه برىء ، وسأل العفو ، ونادى فرنسا وطنه العزيز . ويا لضعف القلب الإنسانى ! لقد مزق قلوبنا بصيحته : يا عزيزتى فرنسا !

كنا جميعا فى الحجرة وهو راقد يموت . واسترد وعيه قبل الموت ، ورقد صامتا صغيراً ضعيفا ، ووقفنا نحن رفاقه صامتين . وسمعناه نحن جميعا يقول :

— غنوا علىّ المارسليز حين أموت .

فصحنا وقد انتبهنا مزيج من الفرح والغضب المثار .

— ماذا تقول ؟

فردد . غنوا على المارسليز حين أموت .

ولقد كانت عيناه جافتين للمرة الأولى ، ولكننا بكينا ، بكينا جميعاً . وكانت دموعنا ملتهبة كالنار التى تحفل منها ضاريات الوحوش .

مات . وغنينا عليه المارسليز . كنا نغنى هذه الأغنية العظيمة — أغنية الحرية — بأصوات طامئة شابة ، والمحيط يرددها متوعداً ، وأواذى الموج تحمل إلى وطنه العزيز فرنسا فزعا شاحبا وأملا فانيا .

أصبح إلى الأبد شعارنا ذلك النكرة ، بجسمه الذى يشبه أرنبا أو دابة ، وبروحه الإنسانى العظيم ! ركوعا أيها الرفاق والأصدقاء !

كنا نغنى ! وكانت البنادق مصوّبة إلينا ، وأقفالها ترن مندرة ، وأسنة الحراب موجهة إلى صدورنا تتهدد ، ولكن الأغنية المتوعدة ظلت تدوى عالياً عالياً ، والتابوت الأسود يتأرجح فى أكف عماليق .

كنا نغنى المارسليز !

شكرى محمد عياد



فلم «قبلة في لبنان»

تأليف الأستاذين : سليمان نجيب بك ويوسف جوهر
إخراج الأستاذ أحمد بدرخان — إنتاج شركة اتحاد الفنيين

الموضوع

زوجة شابة من سيدات الطبقة الراقية تسافر وحيدة إلى لبنان، وهناك تلتقى بشاب مصرى ويتعارفان ويتفاهمان ويساعد الجو الشاعرى على أن تصحو العاطفة فى قلبيهما، وتنتهى هذه اليقظة الفاجئة إلى قبلة خاطفة تنبه الزوجة إلى الخطر المحدق بها فتختفى عن عين الفتى وتعجل بالعودة إلى القاهرة من غير أن تحيط أسرتها علماً بهذه العودة، وتفاجئ زوجها يقبل فتاة فى بيتها فتثور (طبعاً) ويعلم والد زوجها بما حدث فيسخر هذا الوالد العصرى من ابنه الذى لو كان مثل أبيه لما استطاعت زوجته أن تضبطه متلبساً بفعلته ... ثم يعلم هذا الوالد بما كان بين زوجة ابنه وبين من تعرفت به فى لبنان — بعد أن حاول عبثاً حملها على أن تغفر لزوجها خطيئته — فيستغل ما استكشفه من سر العلاقة التى ربطت بين الزوجة الشابة والفتى فى لبنان. والصورة التى كانت قد التقطت لهما. فيتهددها بهذا السر فتنزل على إرادته وتعفو عن زوجها من غير أن يعرف الزوج عن خطيئتها شيئاً، ويتلقى الفتى المحب هذا الدرس القاسى فيذهب إلى غير رجعة ...

هذا ملخص لقصة الفيلم، وقد سبق للفرقة المصرية أن قدمت هذه القصة بالذات وأسمتها (كلنا كده) ودار حولها نقاش وكان مما قيل فيها : إنها تسيء إلى الأخلاق والكرامة بالصورة التى أرادها المؤلف للطبقة الراقية فى مصر. ولست أدرى لماذا وقع اختيار اتحاد الفنيين على هذه القصة لتكون باكورة إنتاجهم. وإن كنت أدرى أن مثل هذه القصة ليست صالحة لتكون فيلماً نظيف الصورة رفيع الفكرة ...

التمثيل

قام سليمان نجيب بك بدور (محسن باشا) وقد أراد له المؤلف أن يكون والداً من الصنف الذى يفهم (العصرية) على أنها سخرية بالأوضاع واستهانة بالتقاليد فكان له ما أراد، ولهذا لم تتسنى لسليمان بك فرصة فنية تقتضيه بذل جهد ممتاز.

وقام أنور وجدى بدور (سامى بك) وهذا دوره الذى يجيده، وقامت مديحة يسرى بدور (فتحية هانم) فأبدعت حقاً وعرفت كيف تجيد التعبير عن إحساسات مختلفة فى براعة فائقة، وقام محمد فوزى بدور (منير) ويمكن أن نعتبر هذا الدور بداية طيبة إذا اعتبرنا صاحبه وجهاً جديداً، وقد وفقت زينب صدقى وفردوس محمد وهاجر حمدى، وكذلك نجحت النجمة الجديدة ليلى عبده ودلت على استعداد يؤهلها لأن تكون نجمة لامعة، ووفق أيضاً فؤاد شفيق ومحمد كامل.

الأغانى :

ألف أكثرها أحمد بدرخان فدل على طول باعه فى التأليف، ولحنها وغناها محمد فوزى فدل على أنه يمشى فى طريق النجاح. وكلها تشهد ببراعته فى التلحين والموسيقى التصويرية.

الصوت والإضاءة والديكور :

كان الصوت سيئاً جداً فى كثير من المشاهد، وكانت الإضاءة خير ما فى الفيلم وكذلك الديكور.

الإخراج :

اضطلع به الأستاذ أحمد بدرخان وهو مخرج شاب له موهبته وثقافته ومقدرته، وقد بذل جهداً كبيراً فى الإخراج ولكن تفاهة القصة جعلته كجندى يحارب فى غير ميدان.

وبعد :

فإن من الشائع عندنا أن الذين يؤلفون للسينما يسيرون وراء المؤلف الغربى ويأخذون عنه ويقتبسون منه ويحاكونه. ناسين أو متناسين أن لكل بلد جوه ومزاجه وتقاليده. وقد تجلت هذه الظاهرة واضحة فى قصة هذا الفيلم. وقد تستساغ مثل هذه القصة فى البلاد الغربية لأنها لا تتنافى مع ما ألفوه من عادات وتقاليد، ولكنها فى مصر لا يمكن أن تستساغ ولا أن تهضم ...

... كم أتمنى أن تقوم عندنا نهضة فنية صحيحة ! ! نعم كم أتمنى ! !

محمد الفتاح متولى عجو

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦١٨ — الاثنين ٧ مايو ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

ظهرت الطبعة الثانية من

شوپنهور

تأليف

الدكتور عبد الرحمن بدوى

أجمل عرض وأعمق تحليل لمذهب الفيلسوف الذى كشف مأساة هـذا العالم ، ووضع يده على لغز هذه الحياة ، وكشف عما فى جوهر الوجود من آلام ، ونشد الخلاص عن طريق الفناء .

الثمن ٢٥ قرشاً

الناشر : مكتبة النهضة المصرية ٩ شارع عدلى باشا بالقاهرة

التعليم فى رأى القابسى

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

قدم إليه معالي مصطفى باشا عبد الرازق

مُذيلا بالرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين

لأبى الحسن القابسى المتوفى ٤٠٣ هجرية

اعظم كتاب فى تاريخ التربية والتعليم

يطلب من الناشر مكتبة الخانجى بشارع عبد العزيز بمصر .

ومن مكتبة المثنى ببغداد

الثمن خمسون قرشاً وللبريد ٦٣ مليم

13 me Année No. 618

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 7 - 5 - 1945

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦١٨ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٦٤ — ٧ مايو سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

نهـــاية دكتاتورين !

عَمْرك الله ، أهى نهاية دكتاتورين ، أم نهاية دولتين ، وعبودية أمتين ، وعبرة الدهر لمن يسول له الحمق الآدمى أن يطاول الله فى سمائه ، ويصرّف الأقدار فى أرضه ؟ !

سبحانك ربنا ما أبلغ حكمتك وأعدل حكمك ! كأنما يقضى عدلك المطلق بين آدم وإبليس فى صراع الخير والشر أن ترسل من الجحيم رسلا للفساد ، كنيرون وجنكيز وهتلر ، كما أرسلت من الجنة رسلا للصلاح ، كموسى وعيسى ومحمد ! وإلا فكيف يتصور عقلنا المحدود أن رجلا كسائر الرجال ، فيه الخطل والجهل والعجز والهوى ، وليس فيه إيمان لوثر ، ولا سياسة بِسْمَرك ، ولا أدب جوته ، ولا فلسفة نيتشه ، يستطيع أن يسيطر على ستين مليوناً من الجنس الأوربى الممتاز ، وأن يسخرهم اثنى عشر عاماً فى ابتكار أفظع ما يتصور الذهن الجبار المجرم من وسائل الفتك وآلات الدمار ، فابتكروا من المهلكات المعجزات ما لو وجهوه إلى الخير لعمرت الأرض ، وأنفقوا من الأموال والثمرات ما لو سلطوه على الفقر لسعدت الدنيا . ولو أن هذا الشقى وأحلافه فعلوا ذلك فساعدوا الخير بمبتكرات العلم ، وأشاعوا الغنى ببراعات الإنتاج ، لكانت رسالتهم أكرم وسيادتهم أعم ومجدهم أخلد ؛ ولكنهم لم يهيأوا بطبائعهم لهذا الأمر لحكمة يريدها الله من هذا الكون العجيب الذى يحيا بالموت ، ويصلح بالفساد ، ويتجدد بالبلى ، ويقتات بعضه ببعضه ، ويتربص كله بكله !

نعم هلك الطاغيتان موسولينى وهتلر فى أسبوع واحد بعد أن ظلا ستة أعوام ينشران الفزع والجوع والموت والخراب والحداد فى كل أمة وفى كل أسرة وفى كل نفس ، دون أن يعصم الناس من كل أولئك عاصم من دفاع أو ملجأ أو بعاد أو حِيدة .

ومن سخر الأقدار أن الفوهرر الذى كان يدعو إلى النازية فى مشرب من مشارب البيرة فى ميونخ ، يُقتل وهو يدافع فى برلين فيهوِى على قاعدة مدفع ؛ وأن الدتشى الذى كان يخطب للفاشية على ظهر مدفع فى البندقية ، يُصرع وهو يفر إلى الحدود فيخر على صدر مومس ! ! والحق أن هاتين الميتتين : مِيتةَ الأسد لزعيم الألمان ، وميتة الكلب لزعيم الطليان ، هما الخاتمان اللذان صاغتهما الحوادث للزعيمين من معدن الأمتين ليطبعهما التاريخ على وثيقة هذه المجزرة البشرية فيرمز بهما إلى نفس كل زعيم وطبيعة كل أمة ! وفى المجرمين تفاوت فى الطباع يدعو بعضها إلى الإكبار وبعضها إلى الإصغار ؛ ولكن اللص الإيطالى الذى يغتالك خفية بالموسى ، لا يختلف فى رأى القانون عن اللص الأمريكى الذى يقتلك جهرة بالمسدس ؛ وليس فى الإجرام تفاضل ولا فى الشر خيار .

***

ابعث هذان المسيخان من ركنين متجاورين من أركان التمدن الحديث ، فاستوحيا الشيطان دينين جديدين يجعلان الآخرة للدنيا ، والأمة للفرد ، والعقل للهوى ، والعلم للشر ، والحضارة

للدمار ، والحياة للموت . ثم خرجت هاتان النحلتان من الكهوف والمواخير وانتشرتا فى جواء برلين وروما انتشار الظلام المضل والناز الخانق ، فعميت عيون كانت ترى ، وغيبت قلوب كانت تفقه . ثم هتكت النازية أستار الدول بالجواسيس ، وبلبلت عقائد الناس بالدعاية ، واشترت ضمائر الساسة بالمنى ، وبثت فى دخيلة كل أمة دعاة الهزيمة وسماسرة النفاق يزيفون الوطنية فى كل نفس ، ويميتون الحمية فى كل رأس ، حتى تركت القوم تماثيل من غير خلق ولا روح ؛ ثم رمت جوانب الأرض وخوافق السماء بالموت الوحِىّ فى شتى أشكاله وأهواله ، فأصبحت أوروبا الجميلة خليطاً من الأنقاض والأشلاء ، ومزيجاً من الدموع والدماء ، وانبسط الطغيان المحورى على ممالك كانت بالأمس مسارح للسلطان والمجد ، فأصبحت اليوم سجوناً للأحياء وقبوراً للموتى . ثم وقفت الديمقراطية من الدكتاتورية موقف الفريسة المرتاعة تنظر إلى الناب البارز، أو الشهيد الصابر ينتظر هُوِىّ الحسام المصْلَت ؛ ولكننا قلنا يومئذ والأمل فى النصر كبصيص المنارة الخافت على محيط من اليأس يموج بالظلام والهول : إن الفوز مكفول للديمقراطية ، لأنها هى الصحة التى انتهى إليها جسم الإنسانية العليل ؛ أما الطغيان والبربرية فهما نكسة المرض ؛ والنكسة خلل عارض لا يلبث بحسن علاج الطبيب وصدق إيمان المريض أن يزول . وقد صدّق الله هذا القول ، فانهارت النازية على نفسها وأهلها انهيار الطود الأشم فلم تدع خنزوانة فى رأس طاغية ولا أملاً فى صدر طامع .

***

والدكتاتورية نظام من أنظمة الحكم الشاذ يقتضيه حال ويستوجبه جيل ويستسيغه زمن ؛ ولكنه كالعلاج بالسم إذا زاد مقداره قتل . وعيب الدكتاتور الصالح أنه يعرف كيف يبتدئ ولا يعرف كيف ينتهى . إنه عجلة من غير فرملة ، يحمل عليها أمته المتلكئة المتخلفة ، ثم ينطلق بها انطلاق الطائرة المطارِدة لا يلوى على شىء ، حتى إذا غلا فى السرعة وأوغل فى السير أعياه الوقوف فيضل فى مفازة سحيقة ، أو يتردى فى هاوية عميقة .

والطاغية إذا ركب رأسه تنكر للنصح وتمرد على المشورة . فهو يسكت أقطاب الرأى ليتكلم ، ويؤخر أبطال القيادة ليتقدم . والغالب أنه يجيد القول ولكنه يزوّر ، ويحسن العمل ولكنه يطيش . وما زلنا قريبى عهد بشقشقة هتلر وزوزرة موسولينى ، فقد كانا يقولان القول ولا يصدقان فيه ، ويعدان الوعد ولا يبران به ؛ لأن الاستبداد بالرأى ينفى التبعة ، والاعتداد بالنفس يلغى الرقابة ؛ والتبعة والرقابة مزيتا الديمقراطية . ومن ذلك كانت خطب تشرشل وروزفلت وثائق يستشهد بها السياسى ويعتمد عليها المؤرخ . والديمقراطية تنظر إلى الشىء من جهاته الست ، وتسلك إلى الغاية طرقها المختلفة ؛ ولكن الطغيان لا ينظر إلى الشىء إلا من الجهة التى تجذبه ، ولا يسلك إلى الغاية إلا الطريق التى تعجبه . ثم يحمل الشعب على رأيه ونهجه بالإرهاب المستمر ، والتعليم المسموم ، والتربية الآلية ، والدعاية المغشوشة ، فلا يجوز لصوت أن يرتفع بتعريف أو إنكار ، ولا ينبغى لأحد أن يقول للقاطرة الرعناء إلى أين تذهبين بالقطار !

***

ألآن ، وقد تحطمت النازية بعد أن تحدّت بجبروتها سنة الله وقوة الطبيعة ، وارتفعت أيدى الأبالسة عن منشأ هذه الرجفة العامة من الأرض ، وأخذت غواشى الليل الطويل تتكشف عن فجر السلام المشرق ، وأوشكت الإنسانية المكروبة أن تجد نفَساً من الرجاء ورَوحاً من الطمأنينة ، وآن لقادة الحديد والنار أن يتركوا الميدان لساسة الرأى والهوى ، ألآن يجمل بالأقطاب الثلاثة أو الأربعة الذين يقررون اليوم مصاير الأمم والشعوب أن يتخذوا لهم من أهوال ست سنين موعظة وعبرة . يجمل بهم أن يذكروا وهم حول الموائد الُخضر تلك الميادين الحمرَ فتتمثل لعيونهم تلك القذائف الجهنمية تذرو أجساد الشباب كما تذرو العاصفة غثاء الهشيم ! يجمل بهم أن يذكروا وهم ينعمون بالحفلات الساهرة بعد المناقشات الثائرة ، تلك الدور الحزينة التى خلت من عائلها الكادح ، وفتاها الشابل ، وأنسها الأنيس ، وعيشها الآمن ، فترد على خواطرهم تلك المآسى الدامية التى مثلتها الحرب فى كل مكان ! نعم يجمل بهؤلاء الأقطاب أن يذكروا أنهم أنقذوا المدنية هذه المرة أيضاً بأعجوبة . وليست الأعاجيب والمعجزات مما يُكشف أو يخترع ؛ إنما هى الفرص والمصادفات تسنح أو تبرح كما يشاء القدر . إنهم إذا ذكروا كل أولئك كانوا حريين ألا يقبلوا فى مؤتمر الصلح مندوبين عن أصحاب الجلالة : الاستئثار والاستعمار وبسط النفوذ ! وإذن يتمتع العالم بسلم طويلة يضمد فيها جروحه ويستأنف بها سيره .

احمد حسن الزيات

دار الترجمة

ونهضة مصر الثقافية

للأستاذ سيد قطب

قرأت مقال الأستاذ صاحب الرسالة عن « دار الترجمة » فى العدد الأسبق من الرسالة ، ذلك الذى يقول فيه :

« والغريب المخجل أن المرء يقرأ أى نابغة من نوابغ العالم فى أى لغة من لغات التمدن إلا فى اللغة العربية . فالتركى مثلاً يستطيع أن يقرأ فى لغته هوجو كله ، وشكسبير كله ، وجيته كله ، ولكن العربى لا يجد فى لغته لهؤلاء العباقرة العالميين إلا كتاباً أو كتابين اختارهما مترجم على ذوقه ، ونشرهما على حسابه ! »

« فإذا أردنا يا معالى الوزير لأدبنا أن يتسع فى حاضره كما اتسع فى ماضيه ، فليس لنا اليوم غير سبيل الأمس : نرفده بآداب الأمم الأوربية ، ونصله بتيار الأفكار الحديثة ؛ فإن لكل أمة مزايا ، ولكل بيئة خصائص . ولن يكون أدبنا عالمياً ما لم يلقح بآداب العالم ؛ والمحاكاة والاحتذاء من أقوى العوامل أثراً فى الأدب »

قرأته فإذا هو « يشخص » موقف المكتبة العربية الراهن من الثقافة العالمية تشخيصاً صادقاً صحيحاً . ولا يكتفى بهذا « التشخيص » بل يصف طريق العلاج ، ثم يتجاوزه إلى وصف الدواء فيقول :

« لذلك أرى — ورأيك الأعلى — أن تنشأ دار للترجمة مستقلة عن ديوان الوزارة ، يكون لها من جلالة القدر ونباهة الذكر ما للجامعتين ، فإنها على اليقين ستكون جامعة شعبية لا تقل عنهما فى الخطر والأثر ، أو قل : إنهما الميدانان المتقدمان وهى مركز التموين الذى يمدهما بالميرة والذخيرة والمدد . ثم يُختار لها مئتان من المترجمين النابغين فى لغتهم وفى اللغات الأوربية الثلاث ، ينقلون الآداب الأجنبية نقلاً كاملاً صحيحاً ، فلا يدعون علماً من أعلام الأدب والعلم والفن والفلسفة إلا نقلوا كتبه ونشروها على حسب ترتيبها وتبويبها فى طبعاتها الأصلية .

« هذه الدار ستنقل إلى العربية كل يوم أربعمائة صفحة مصححة منقحة مهيأة للنشر ، قد تكون كتابين أو كتاباً أو جزءاً من كتاب على حسب النظام الذى يوضع لها . فإذا فرغت من ترجمة الموجود فرغت لترجمة المستجد ، فلا يكون بين ظهور الكتاب فى أوربا وظهوره فى مصر إلا ريثما يترجم هنا ويطبع . أما نفقات الدار فلا تزيد على مائة ألف جنيه ، وقد تنقص إلى نصف ذلك إذا ساهم فيها الأمراء والأغنياء وجامعة الدول العربية » ...

***

لقد استطردت فى الاقتباس من كلمة الأستاذ ، لأنها واضحة دقيقة وافية ، تحيل ذلك الحلم الضخم عياناً منظوراً ، وتحول هذا المشروع الكبير حقيقة مستطاعة .

استطردت فى الاقتباس لهذا ، ولسبب آخر يعنينى !

فالواقع أننى استرحت لهذا التفاؤل الذى يشيع فى كلمة الأستاذ بعد أن بلا من مصر ما بلا فى هذه السنين الطوال . وبعض هذا البلاء كاد يردنى أنا الشاب إلى اليأس من كل رجاء ! ... إلى اليأس من تنفيذ أى اقتراح إنشائى يكلف المسئولين تغيير « الروتين » اليومى ، والإقدام على المشروعات الضخمة التى لا تسير على مثال سابق ، ولا تطرد على وتيرة معروفة . إن « السوابق » هى التى تحدد طريقة العمل واتجاهه فى الديوان !

وكثيراً ما ابتلع هذا « الروتين » البغيض شخصيات حية مجددة تملأ الدنيا ابتكاراً وتجديداً وهى خارج « القفص الذهبى » حتى إذا آوت إليه لفها الدولاب ، وابتلعها الجو العام ، وعادت « موظفين » . أى آلات تسير سيرة الآلات !

فإذا ظل الرجاء يداعب رجلاً مجرباً كالأستاذ الزيات ، فذلك شعاع مضىء يعشو إليه أمثالنا من الشبان . وعجيب أن ينبع الأمل من نفوس الشيوخ وأن يتسرب منها إلى نفوس الشبان ، فى هذا الزمان !

فى وقت من الأوقات كان فى وزارة المعارف مشروع مهيأ لترجمة « شكسبير » وكان مقرراً أن يسند إلى أديب كبير يوثق بحسن قيامه على هذا العمل الضخم . ثم ماذا ؟ ثم تغيرت

الظروف السياسية ، فطوى المشروع ، لأن الرجل الذى اختير له لا « ينسجم » مع القائمين بالحكم فى ذلك الأوان !

وفى وقت من الأوقات كان فى وزارة المعارف أديب كبير جم النشاط متعدد الجوانب ، وكان للترجمة مشروع يقرب من مشروع الأستاذ الزيات ، تقدم به كاتب السطور ، وقيل له : إن المشروع موضع النظر والتفكير ، ثم صب على الرجل سيل من أعمال « الروتين » فنرق وقته كله ، حتى تغيرت الأحوال .

وفى وقت من الأوقات كان على رأس وزارة المعارف وزير يشتغل بالتأليف وبالترجمة أيضاً . وكان المنظور أن يصنع شيئاً فى هذا المجال . ولكن عجلة « الروتين » « وتوزيع الدرجات » قد استغرقت وقته مع المقابلات والوساطات والرجاءات ... !

وفى كل وقت مثل ، وفى كل عهد نموذج . وأسباب التسويف كثيرة ، و « القفص الذهبى » لا يسمح بالتحليق والطيران !

***

لا أريد أن أثبط عزيمة أحد ، ولا أن أطفئ الآمال فى صدر أحد ؛ ولكنى أحب أن أصارح الأستاذ المتفائل : إننى قليل الرجاء فى الدواوين . وإذا أسعدنا القدر فى وقت من الأوقات بوزير يقدم على عمل إنشائى كهذا العمل الجليل ، فالتقلبات السياسية بالمرصاد . ولا بد للوزير الجديد أن يجدد ، وأن يبدل ؛ ولا بد أن يجد من كبار المسئولين موافقة إجماعية على التجديد والتبديل ، كالتى لقيها سلفه سواء بسواء !

أجل لا بد أن ندور فى هذه الحلقة المفرغة ما دام «الروتين» هو الروتين ؛ ما دامت « السوابق » هى التى تحدد الاتجاه ؛ ما دامت روح الابتكار محصورة فى هذه الحلقة المفرغة على توالى الأجيال .

لقد قضينا الآن أكثر من عشرين عاما منذ حصلنا على نوع من الاستقلال ، نغير ونبدل فى مناهج التعليم ، فلم يتعد التبديل والتغيير طول مدة الدراسة وقصرها توزيع المواد المقررة على السنوات الدراسية ، توزيع الموظفين على المناطق أو حشدهم فى الديوان ، توزيع الدرجات على أساس أقدمية التخرج أو أقدمية التعيين أو أقدمية الدرجة ... ! إلى آخر هذه الدورات التى لا تنتهى فى الحلقة المفرغة المضروبة !

لم نفكر فى تغيير النظام المدرسى كله ، ولا تجديد عقلية التعليم ، أو على الأقل تغيير طرق الدراسة . لم نفكر فى « النموذج الإنسانى » الذى نريد أن نصل إليه بالتلميذ ، لنستطيع رسم الوسائل والأدوات . بل لم نؤلف « مكتبة التلميذ » . فهل نريد يا سيدى أن نؤلف « مكتبة الأجيال » ؟ . ألا ما أحلى الآمال !

***

أما لئن استطاع وزير المعارف الحالى أن يقهر الماضى كله ، وأن يقتحم العقبات جميعاً ، وأن ينفذ اقتراح الأستاذ الزيات فليكونن أكبر ميدان فى العاصمة أصغر من أن يتسع لتمثاله الخالد . إنه يكون واضع أسس النهضة وضامن بقائها أجيالا طويلة .

إن النهضة الثقافية فى مصر مودعة بضعة رءوس كبيرة ، ولكنها فانية — مع الأسف — فلئن أودعت بطون الكتب ، ليكونن هذا طريقها للخلود ، ولتضمنن لصاحبها كذلك الخلود .

وعندئذ نستطيع أن نحرر برامجنا المدرسية من نير اللغات الأجنبية فى سن مبكرة ، ومن مزاحمة هذه اللغات للغة القومية فى عهد التكوين . وهى مشكلة تواجه واضعى البرامج عندنا ، وتصطدم بقواعد علم النفس والتربية المقررة .

وعندئذ يصبح تعلم اللغات ضرورة لمن تستدعى الضرورات العملية فى الحياة أن يتعلموها ، وتصبح المكتبة العربية مصدر ثقافة عالية كمثل المكتبات العالمية .

هذا أمل ، وأمل كبير . وما علينا أن نرجو فى تحقق الآمال ؟

سيد قطب

إلي حامى الاسلام ...

للأستاذ علي الطنطاوي

[جاء فى برقيات أمس أن موسولينى قد أسر ، ولو كان موسولينى البطل النبيل الذى حارب حتى سقط ، لنسينا عداوته وحيينا بطولته ، وللبطولة حقها لا يجحده كريم ، ولكن موسولينى دعى ظالم ، وخصم لئيم ، فلذلك وجهنا إليه هذا المقال] (ع ...)

يا من يفتش فى الكتب عن العبر ! يا من يبحث فى خرائب التاريخ ، تعالوا : فإن ها هنا عبرة ما فى التاريخ أجلّ منها ، وما فى الكتب مثلها . تعالوا فشاهدوا واعجبوا واعتبروا ...

هذا الذى تكبر وانتفخ حتى ما تسعه ثيابه ، وما يحتويه جلده ... هذا الذى تطاول وتعالى حتى ما يجد محلا يرتقى إليه . ولا علا فوق علوه ... هذا الذى طغى وبغى حتى استلب فراش هيلاسلاسى من تحته ، وطرده من بيته ... هذا الذى تجبر وتنمرد حتى ألقى الشيخ المجاهد الصالح عمر المختار من الطيارة فتلقته الأرض ، أرضه وأرض قومه ، أشلاء ومزقاً ... هذا الذى جنّ من الكبر ، وحمّ حتى صار يهذى فى حمّاه ، ويثرثر فى جنونه ، يقول : أنا حامى الإسلام !

تعالوا انظروا إليه أسيراً ذليلا ، يقاد إلى الموت ، بأيدى قومه ، قد طار هواء الكبر من جوفه ، فانحنى واستخذى وهبط من بعد علاه إلى الحضيض ، ونزل من يفاعه إلى القاع ، فمن كان يظن أن موسولينى سيكون أسيراً فى بلاده يساق إلى الشنقة ؟

ألا لا يأمنن بعد اليوم ظالم ، ولو مدّ الله له ومنحه قوة وأعطاه مالا . ولا ييأسنّ مظلوم ولو ابتلاه الله فقدر عليه الضعف وكتب عليه الفقر . ولايفتحن فمه ملحد فاجر ، فإن لهذا الكون إلـهاً منتقماً جباراً عادلاً ، يمهل ولا يهمل ، ويمد للظالم ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر .

***

يا موسولينى ، يا حامى الإسلام هلم احم رأسك غداً من سيف الجلاد . احم اسمك من لعنات التاريخ . احم (عظمتك ...) من سخرية الأجيال ، وهزء القرون الآتيات ، فإن للاسلام رب يحميه ، وإن للاسلام يا أيها الدوتشى ... ولا دوتشى اليوم ! جنداً إن لم يكن لهم (الآن) مثل رصاص جندك الذى لايقتل ، ومدافعهم التى لا تؤذى ، وأسطولهم الذى لا يحارب ، فإن لهم قلوباً فيها إيمان وسواعد فيها عزم ، ونفوساً لا تهاب الموت . ومن يجمع الإيمان والعزم وحب الموت لا يغلبه شىء . وسل إن كنت ناسياً ... سل عنهم بطاح طرابلس ، وبقاع الريف ، وجنات النوطة ، وجبل النار . سل جنود إيطاليا الذين كنت تخطب فيهم خطبك المسرحية ... تظن أنك صرت بها قيصر ثانياً ...

لقد أجاب عليها شاعرنا حافظ ابراهيم، فقالها كلة حق وصدق، كلة قوة ونبل ، فاسمعها إن لم تكن سمعتها :

قد ملأنا البر من أشلائهم فدعوهم يملأوا الدنيا كلاما

نعم لقد امتلأت الدنيا أمس يا دوتشى بالكلام عنك ، والهتاف باسمك ، باسم موسولينى الأسير الجانى ... فهنيئاًلك هذه الشهرة وهذا المجد !

يا موسولينى ، لقد قوض المسرح ، ومزق الستار ، وبدا المكنون للعيون ، فإذا أنت وجندك كما قال الرافعى فيهم :

يا أمة النحت والتصوير ويحكم حتى جنودكم الأنصاب والصور

ولقد هدمت الأنصاب ، ومزقت الصور ... وثقبت هذه الكرة المنفوخة بإبرة ، فعادت قطعة من جلد ميت ...

***

يا من يفتش عن العبر ، هذه عبرة تخذوها ، وأذيعوها ، واصرخوا بها فى أذن كل ظالم ، علّه يسمع ويصيخ ، ويتعظ ويعتبر ، قبل أن يقضى الله فيه قضاءه فيكون عبرة للمعتبرين .

قولوا لهم إن الظلم مرتعه وخيم ، وإن دعوات المظلوم سهام مسمومة ، وإن الدهر دوار، والأيام دولاب ، وربما عزّ غداً الذليل وذلّ العزيز ، وجاءت ساعة الانتقام ، وويل يومئذ للظالمين .

***

ويا أيها المظلومون ، فرادى وجماعات ، فى كل قطر وتحت كل كوكب ، اصبروا ولا تقنطوا من رحمة الله ، ولا تيأسوا من روحه وكونوا معه ، فإن الظالم مهما كبر ، فالله أكبر ، ومهما طالت يده وعلت ، فإن يد الله فوق يده ، ومهما ملك من أمر يومه ، فإن غده وراء باب مغلق ، ومفتاحه عند الله ، وما يدرى أحد بماذا يطلع عليه غده .

لقد قال هوجو شاعر فرنسا الأكبر لنابليون بطلها الأكبر الذى تجرأ لما ولد له (ملك روما) فقال المستقبل لى : « يا أيها الملك ، إنك تستطيع أن تظفر فى أوسترلتز ، وأن تفتح فيينا ، وأن تملك العالم ، ولكنك لا تستطيع أن تقول المستقبل لى ، لأن المستقبل يا أيها الملك ، لله وحده ! »

***

وأنت يا فاتح الحبشة ، وغازى طرابلس ، اخل الآن بنفسك وابك على خطيئتك ، واستعد تلك الخطب ، وفكر فى هاتيك الأيام التى كنت تطل فيها من شرفة قصرك ، على أولئك الآلاف المؤلفة من الشخوص السود ، أبطال الفاشست ، فتصرخ فيهم حتى تتمزق حنجرتك ، وتتفجر رئتاك ، وهم يجيبون بدوى يهتز له ذلك القصر ... أين هؤلاء الذين أعددتهم ليكونوا عدتك فى بنيك على طرابلس ؟ أين ذلك الحماس وذلك الدوى ؟ بحد بنيته فى الهواء فضربته الرياح ! يا غازى طرابلس ، لقد كانت فرقة المغاربة من الطرابلسيين وإخوانهم المسلمين أول فرقة وطئت أرضك ، وغزت بلادك ، وطاردتك حتى سقطت فى الفخ ، كما تسقط الضبع الخبيثة التى لا تأكل إلا لحوم الموتى لأنها لا تجرؤ على الأحياء ! لا لست الأسد الجريح ، ولا النسر المهيض !

فكر فى ذلك الشيخ الشهيد الذى ملأ مصرعه كل قلب بغضاً لك ، وكل عين دمعاً عليه ، لقد انتقم الله له ، ولكنا لا نريد أن يفعل بك ما فعلت به لأنا أكرم منك أصلا وفرعا ، وأنبل خلقاً وطبعا ، ولأن نبينا نهانا عن المثلة ، وأمرنا بالرفق حتى بالحيوان فلا نذبحه إلا بشفرة حادة ، فاطمئن فقد أحدت لك الشفرة !

يا موسولينى ، وما إياك نخاطب . لقد صرت أقل وأذل من أن تخاطب ؛ ولكن ليعتبر قوم لم يقلوا بعدُ قلتك ، ولم يذلوا ذلتك . ياموسولينى إنا لانشمت ، وما الشماتة سجية فينا ، ولكنا ندل على مكان العبرة فيك ، حين نلت جزاءك ... لقد أوكت يداك ، ونفخ فوك ، فنفرقت ، فالحمد لله الذى أنقذ الأرض منك وأقر بك عيون من ظلمت ، وأرانا فيك هذا اليوم الأسود[1] . اللهم أنعمت فزد ، فإنها لا تزال الأرض تعج بالظالمين !

القاهرة

على الطنطاوى

حاشية : قضى الله قضاءه العادل فى موسولينى الظالم بين كتابة هذا المقال ونشره .

(على)

---

(١) اقرأ مقالة (فضيحة القرن العشرين) فى الرسالة عدد (١٥١) فى ٢٥ مايو سنة ١٩٣٦

صلوات فكر

فى محاريب الطبيعة !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

أزل وأبد !

لما تعب الناس من الوقوف على عتبة المهد ، يقولون لكل قادم : من أين أتيت ؟ والوقوف على عتبة اللحد ، يقولون لكل ذاهب : إلى أين عزمت؟ ولم يعلموا من الأزل والأبد علما ، انصرفوا حين ذهب عنهم ذهول الطفولة إلى القنطرة والجسر الذى وجدوا أنفسهم فوقه ، يتراكضون عليه ويبنون ويتزاحمون ويختصمون ، واتخذوا لهم فلسفة هى وعى الحياة البادية فوق هذه القنطرة وحدها ، واقتناء التجارب فيها ، ومدوا علمهم فى تراب الأرض ورحابها ، وصار من طبيعة تفكير أكثرهم أنهم لا يسألون عن النبأ العظيم الذى ينبثّ فى السماء والأرض ، ويوجه الأفكار المخلصة للسؤال عنه وإنهم ليمرقون من الدين الموروث لأنهم لم يمحصوا حقيقتيه فى الأزل والأبد بأنفسهم ، ولم يَدُرْ بخواطرهم التفكير فى هذا الوجود الغريب الذى ليس من طبيعته أن يكونوا هم منه .

إنهم لا يلتفتون للأزل إلا حين يطرق بابهم مولود قادم فيفرحون ويضحكون له ، ولا يتيقظون للأبد إلا حين يودّعهم مودّع ميت فيبكون عليه .

هم يضحكون للأول لأنه كائن يظهر لهم وينمو ويتفتح « فيقتنونه » ويملكونه كمتاع ...

وهم يبكون على الذاهب لأنه يُنتَزَع منهم ويختفى ، ويذكرهم باختفائهم وذهابهم إلى المصير المجهول فيخافون ...

هم لا يتيقظون إلا حين ظهور شىء أو اختفائه . أما استمراره وحركة حياته فلا يسترعيان انتباههم .

مهما فلسف الحسّيون الماديون الذين لا يؤمنون بالغيب فيما قبل حياتهم وما بعدها ، فإن العقل والطبع لا يقبلان أن يصدر هذا الكائن العظيم من غير مصدر أزلى عظيم ، ولا أن يذهب إلى غير مصير أبدىّ عظيم ، لأنه يوقن أن له فى ضمير الكون كله نسباً عريقا خالداً !

همسات :

هنا همس من عوامل الحياة ودورات الأحداث ودوافع الأرحام
وهناك همس من عوامل الموت وسكون الأجداث وعقم الرجام
والإنسان بينهما لا يسمع ... لأنه لا يسمع إلا بأذنين ...
وهما لا يسمعان إلا ضجيج الطبل ورنين الدنيار والكأس

أما الهمس النافذ الدائم فله حاسة أخرى تكاد تكون مفقودة عند الأكثرين ... الإنسان بين المهد واللحد ، بين السرير والنعش ، بين القصر والقبر ؛ ولا يسأل ما هاته العجائب المتضادة التى ما جاء للحياة إلا ليدركها أو يحار فيها ...

أحاول بهذه الكلمات أن أضخم هذه الهمسات حتى يسمعها الذين لا يسمعون إلا بالآذان ، وأن أشق لها طريقا بين ضجيج الحياة ... فلقد امتلأت الآذان بالصخب والزّئاط والعياط حتى تصدعت الرءوس ، وشاقها أن تسمع بعض الألحان الخافتة التى تفتحت عليها آذانها ، وهى فى مهد الحياة كما يشوق الرجال أن يستعيدوا الألحان والأهازيج التى سكبتها الأمومة فى آذانهم ...

وقد رأيت الآداب والفنون توشك أن تنساها وتجهل أقدارها وتغفلها إغفالا ، وشغلت بضجيج الطبول وأشكال الفقاقيع الفانية وأحاديث الأسمار والمخاصمات والمتاجرات فى الحطام والشهوات ...

جامع أزهار

أنا جامع أزهار من حديقة الله . وكثيرون مشغولون بجمع أحطابها وأشواكها .

فلا عجب أن أكون متفائلا مبتهجا نتيجة ما توحيه بهجة الأزهار . . .

ولا عجب أن آخذ منها وجهها الرفيق الباسم الملون بألوان جميلة . والذين أخذوا أنفسهم بجمع أحطابها وقشورها وأشواكها لا شك قد ورثوا من ذلك قسوة وعبوساً وعنفا وتشاؤما وغفلة عن العناية بنواحى الجمال والفن فيها .

فاللهم اجعل حظى دائما جمع أسرارها من أزهارها وثمارها وجنبنى أشواكها وعبوسها ...!

قلوب مغلقة وقلوب مفتحة

من الذى له عظمة الله ورحمته ولطفه وجبروته وكبرياؤه ، وهو

مع ذلك يحتفى بكل مخلوق من رعيته، ويضع عينه عليه ويمنحه ويرشده؟!

إنه يزور ضمير كل إنسان فى جميع الأحيان ... فالمخلصون له المترقبون لجلاله، الدائبو الفكر فيه، يفتحون له أبواب ضمائرهم كما أحسوا نسائم رحمته أو عواصف نقمته! وحينئذ يدخلها سره، ويلقى فيها ما يشاء، ثم يتركهم فترات ليفكروا ويقدروا ...

والمعرضون عنه الغافلون عن جلاله وعلمه، لا يفتحون له قلوبهم إلا كما يفتح البخيل باب داره .. فلا يحسون قربه ونفاذه إلى ضمائرهم ..

اللياذ والاحتماء

هل نملك ونحن عجزة ضعفاء، غير أن نتعلق بيد الله رب العزة والجبروت قهار السموات والأرض، وصاحب هذه الدار التى أدخلنا إليها وجعل لنا فيها مثل ما لغيرنا، فاعتدى علينا الظلمة أمام ساحة عدله، وهو ينظر القاتل والمقتول؟

هل نملك غير أن نتعلق بهذه اليد القاهرة، نسألها أن تبطش بالذين غيروا ما وضعته، وأفسدوا ما أصلحته، وشوّشوا ما سوّته، وحرموا الضعاف من برها وعطفها المباح؟!

لقد عجزنا وذهبت حيلتنا! وطمست علينا وجوه السبل لننقذ أنفسنا وننقذ ما فرحنا به من صور المثل العليا ومباهج الحياة! ولم يبق لنا إلا التعلق بيده، نسألها حيلتها ومكرها ليحيق بمكر أهل السوء!

لا وجوه:

لا وجه يطالعنى مما أرى فى الطبيعة ولا مما وراءها ... لا وجه واضح المعالم محدث اللسان مضىء العينين! إنما هى أجسام غير محدودة ولا مشكلة إلا فى النبات والحيوان ... وما عداهما فأهراء من التراب والسحاب والحجارة ... وأنصاب من الجبال، وأغوار من المياه ... ثم صمت يكتنف الجميع ... ...

أمد نظرى إلى عالم التراب فيقف مصدودا لدى عتبات الباب .. وأمده إلى السحاب فيضيع فى الضباب ... وأمده إلى النجوم فيرتد حسيرا، وأمده إلى أغوار الماء فلا يرى إلا خياله ...

لا وجه إلا وجه الإنسان؛ وهذا قريب حاضر، ولكنه مثلى قاصر ... ووجه الله، وهذا بعيد جليل لا يستطاع التحديق إليه ..!

طالما وقفت وقوف العاجز المسجون أطلب أن أرى وجهاً آخر غير وجه الإنسان ليحدثنى عن أسرار الحياة!

عبد المنعم خلاف

أبو ســـعيد أبو الخير
وشطحات المتصوفة

للدكتور جواد على

علّق معالى الأستاذ مصطفى باشا عبد الرازق فى كتابه القيم « تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية » على اسم أبى سعيد أبى الخير ، وفى أثناء عرضه لرأى المستشرق « تنمان » guillaume Theophil " Tenremann ' بهذا التعليق : « لم أجد ذكراً فيما بين يدىَ ن مراجع البحث لأبى سعيد أبى الخير ، لكن يوجد أبو سعيد حمد بن عيسى الخراز نسبة إلى خرز الجلود من القرب ونحوها ن أهل بغداد ، وقد ذكره صاحب كتاب « التعرف لمذهب أهل لتصوف » وقال السيد مصطفى العروسى فى حاشيته على شرح لرسالة القشيرية « هو شيخ الطائفة غير أنه توفى على الأرجح سنة ٢٨٠ﻫ (٨٩٩ م) وذلك يمنع أن يكون هو المراد بواضع علم التصوف نبل القرن الثانى أو فى ثناياه »[١].

ثم استمر معاليه قائلا : « على أن الأستاذ ماسنيون ذكر فى كتابه « مجموعة نصوص لم تنشر متعلقة بتاريخ التصوف فى بلاد الإسلام » ص ٨٧ أبا سعيد بن أبى الخير المتوفى سنة ٤٤٠ ﻫ (١٠٤٨ م) وذكر أنه خراسانى وأشار إلى أنه كان يتحلل من القيود الدينية وكان ذا صلة بالفيلسوف ابن سينا ، وليس أبو سعيد ابن أبى الخير هذا هو المقصود بالضرورة »[٢].

ثم ذكر معاليه بعد هذه الفقرة نصوصاً فيمن يصح أن ينسب إليهم التصوف وفيهم اسم أبى سعيد الخراز البغدادى . وحين تحدث المستشرق عن أبى سعيد تحدث عن تطور التصوف فى الإسلام وعن الأفكار الحديثة التى حلت بناديه كفكرة وحدة الوجود ثم

(١) راجع كتاب تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية لمصطفى باشا عبد الرازق ص٦ عن أحمد بن عيسى الخراز. راجع الرسالة القشيرية ص٢٤ والخراز من أهل بغداد صحب ذا النون المصرى والنباجى وأبا عبيد البسرى والسرى . مات سنة سبع وسبعين ومائتين أو تسع وسبعين ومائتين. راجع الطبقات الكبرى، للشعرانى ص ٧٨ وما بعد .

(٢) تمهيد ص ٦

ذكر تأثير بعض المتصوفة فى التصوف كأبى سعيد أبى الخير فى فارس والهند .

وتأثير أبى سعيد فى متصوفة فارس تأثير مشهور معروف ولا سيما عند المستشرقين ، وسبب ذلك على ما أرى هو أن هذا المتصوف كان فى إيران ، وكان يكتب فى عصر أخذ الفرس فيه يدونون أفكارهم بلغتهم الوطنية ، وفى عصر ظهرت فيه حكومات إيرانية أخذت تشجع اللغة الفارسية ، فصار صاحبنا يكتب بهذه اللغة بأسلوب سلس جذاب وينظم بها نظماً جديداً على طراز مبتكر فريد[١] ، وفضلا عن ذلك فإنه لم يغادر وطنه على ما هو معروف عنه . ومع ذلك فإن الكتب العربية تحدثت عنه كمتصوف عظيم ونعتته « بشيخ الوقت ومقدم شيوخ الصوفية وأهل المعرفة فى وقته »[٢]

وأما قول معاليه حكاية عن رأى تنمان : « ثم جاء التصوف فعرض لهذا العلم المؤلف من اصطلاحات خاوية وانضم إليه خصوصاً عند فرقة القائلين بوحدة الوجود من أهل التصوف الذى وضعه قبل القرن الثانى أو فى ثناياه أبو سعيد أبو الخير ، ولا تزال تلك الفرقة منتشرة فى فارس والهند »[٣] ففيه التباس على ما أعتقد نتج إما عن خطأ فى الأصل وقع فيه المستشرق — وهو حكم لا أستطيع أن أجزم به لعدم وجود كتاب المستشرق لدى فى الوقت الحاضر — وإما عن صعوبة فى العبارة ووهم فى الترجمة أو الإختصار إذ لا يوجد شخص آخر فى تاريخ التصوف بهذا الإسم وبهذه الصفات ظهر أثره فى فارس واتهم بالتحلل من قيود الدين وبالقول بوحدة الوجود غير هذا الشخص الذى نتحدث عنه الآن والذى عاش فى النصف الأول من القرن الخامس للهجرة ،لا قبل القرن الثانى أو فى ثناياه كما جاء فى الكتاب .

(١) راجع عنه The Mystics of Islam, by R.A. Nicholson كذلك Browne Persian Literature vol I. p, 416. London 19.h
Zhukovski رسالة حوزائيه ص ٩٣ :

(٢) راجع طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين أبى نصر عبد الوهاب إبن تقي الدين السبكى (المطبعة الحسينيه) ج ٤ ص ١٠ كذلك الأنساب للسمعاني (طبعة جب ص ٥٥٠ . أيضا تذكرة الاولياء لفريد الدين عطار ج ٢ ص ٣٢٢ وتذكرة الشعراء تأليف أمير دولتشاه بن علاء الدولة (طبعة Broune) ص ٨٤ و ٥٢١ .

(٣) تمهيد ص ٥ وما بعد .

والمستشرقون من ذوى التخصص فى موضوع التصوف حين يتحدثون عن مشاهير المتصوفة يتحدثون عن أبى سعيد كمثل بارز من أمثلة المتحررين والقائلين بوحدة الوجود . وكتب التصوف الفارسية تعتبره أمة بنفسه فى عالم التصوف ، صاحب مدرسة ورأى . ومن البديهى أن يكون الشخص الذى بحث عنه تمان هو هذا الشخص الذى ذكره سائر المستشرقين وكتاب العرب والفرس [١]

وأبو سعيد بن أبى الخير الذى تحدث عنه هذا المستشرق ، والذى نتحدث عنه الآن ، هو شخصية مشهورة جداً ؛ وقد بحث عنه المستشرق المعروف إتى (Ethé) فى رسالته التى وضعها فى عام ١٨٧٨ للميلاد ، والمستشرق الروسى زوكوفسكى (Zhukowski) ناشر كتاب « أسرار التوحيد فى مقامات الشيخ أبى سعيد » [٢] ثم المستشرق الثقة فى موضوع التصوف الإسلامى الإنكليزى « نيكلسون » [٣] ، والمستشرق (إدوارد براون) فى كتابه القيم «تاريخ الأدب الفارسى» [٤] . وهو أبو سعيد فضل الله بن أبى الخير ولد فى غرة المحرم من عام ٣٥٧ للهجرة (٧ دسمبر ٩٦٧ م) فى ميهنه وهى مدينة من إقليم خاوران بخراسان [٥] وتوفى فى ٤ شعبان من عام ٤٤٠ للهجرة (١٢ يناير من عام ١٠٤٩ للميلاد) [٦] ، وكان أبوه عطاراً ، ولكنه كان فناناً موهوباً محبوباً من السلطان محمود الغزنوى ملك غزنة .

يقول فريد الدين عطار : رسم أبو الخير والد أبى سعيد على جدران بيته صورة بديعة للسلطان محمود الغزنوى وهو فى وسط معركة حامية الوطيس تحف به فيلته وجنوده على طريقة الهنود فى المعارك ، فلما أبصر ابنه أبو سعيد هذه الصورة وهو طفل يافع نقش على جدران البيت أسماء الله الحسنى فلم يترك مكاناً إلا كتب

(١) راجع طبقات السبكى ج ٤ ص ١٠ ، الانساب للسمعانى (طبعة جب) ص ٥٥٠ . كتاب لب الالباب ص ٢١٠ طبعة Petrus vettr (أمستردام) . رسالة حورائيه طبعة Zhukovski ص ٤٩٣ . تذكرة الشعراء (طبعة براون) وتذكرة الاولياء .

(٢) طبع فى بطرسبرك سنة ١٨٩٩ .

(٣) راجع كتابه الشهير Nicholson. The Mystics of Islam London, 1914 Nicholson, Studies in Islamic Mysticism Cambridge 1921 1—76

(٤) Broune persian Literature p. 2

(٥) راجع لب الالباب ص ٢١٠ .

(٦) دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة العربية) مجلد ١ ص ٣٥٢ . والانساب ص ٥٥٠ . وطبقات السبكى ج ٤ ص ١٠ .

عليه اسم الله العظيم . فلما رأى ذلك والده امتعض كثيراً ووبخه على عمله الذى سبب تسويد الجدران وتشويه منظرها . فما كان من الطفل إلا أن أجاب : « نقشت يا والدى على الجدار اسم سلطانك ، ونقشت أنا اسم سلطانى »

فخجل الوالد من هذا الجواب وأمر بإزالة معالم ما رسمه هو على الجدار [١] .

درس أبو سعيد ، على طريقة ذلك الوقت ، النحو والفقه والتفسير والحديث والشعر وعلم الطريقة ، وحفظ من شعر العرب وحده ثلاثين ألف بيت [٢] ناهيك بشعر العجم . ولما توسم أبوه فيه الخير أخذه إلى أكبر شيخ فى بلده وهو الشيخ أبو القاسم الكركانى من كبار المتصوفة وأصحاب الطرق ليتبرك به ولينال على يديه العلم والفوز والسعادة [٣] .

كانت الأحوال السياسية والاجتماعية فى هذا العصر سيئة جداً : أمراء يتذابحون على جيف الدنيا ، وسلاطين يتقاتلون على ملك زائل لن يدوم ، ومشايخ يتحاسدون على نعمة لا تساوى شيئاً ، وانحطاط فى الخلق إلى أقصى حد ، ونقص فى المثل الإسلامية العليا ، وشذوذ فى الطبع غريب ، وتكالب على المادة . فرأى الناس أن المخرج الوحيد للخروج من هذا المأزق هو محاربة المادة عن طريق التصوف ، ومجاهدة الدنيا عن طريق الزهد . فنفقت سوق المتصوفة وراجت بضاعتها . ويجب ألا ننسى بأننا فى بلد فيه استعداد لهذا المبدأ قديم ، والهند وهى عش من أعشاش التصوف تجاوره وقد أمدته وغذته بهذه المادة منذ العصور التى سبقت الإسلام .

وكانت العادة أن ينتقل طالب العلم فى ذلك الوقت من مكان إلى مكان طلباً للعلم وبحثاً عن شيخ شهير . وفى ذات يوم وبينما كان الغلام يغادر المدرسة إلى البيت إذا بأحد الفضوليين من المارة يسأله عما درس وعن الكتاب الذى درس فيه ، وأخيراً عن «ماهية الحقيقة » ولما لم يكن أبو سعيد يعرف شيئاً عن ماهية الحقيقة تشوش واضطرب ، فأجيب : « حقيقة العلم ما كشف عن السرائر » [٤] فأثار هذا الجواب فى نفسه شوقاً عظيماً إلى معرفة الحقيقة

(١) راجع تذكرة الاولياء ج ٢ ص ٣٢٣ .

(٢) تذكرة الأولياء ج ٢ ص ٣٢٢ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) راجع تذكرة الاولياء ص ٣٣٤ .

ولم يزل يبحث عنها حتى وجدها فى أروقة الزهاد والمتصوفين .

اتصل وهو بمرو بالفقيه الشافعى أبى عبد الله الحصرى ، ثم تحول إلى أبى القفال ، والظاهر أن دراسة الفقه لم تجد فى نفسه هوى ومكانة فانتقل إلى «سرخس» وهنالك اتصل بصوفى مجذوب هو لقمان السرخسى ، وقد أرشده هذا الصوفى إلى صوفى آخر هو « أبو الفضل حسن » تلميذ أبى نصر السراج على طريقة الجنيد البغدادى المتوفى عام ٢٩٧ للهجرة وعام ٩٠٩ للميلاد[١] .

أتقن أبوسعيد مبادئ التصوف واجتاز الامتحانات النفسية الشاقة ونال « الخرقة من أبى عبد الرحمن السلمى النيسابورى (المتوفى عام ٤١٢ للهجرة) وأصبح درويشاً من الدراويش من أهل المسلك والذوق وقطباً من أقطاب التصوف فى منطقة خراسان[٢] . والتصوف فى نظر أبى سعيد أبى الخير هو « طرح النفس فى العبودية وتعلق القلب بالربوبية والنظر إلى الله بالكلية »[٣]

وبعد سياحة فى البرارى والقفار على طريقة الفقراء دامت سبع سنوات لم يبال خلالها بحر أو ببرد عاد أبو سعيد إلى مخالطة الناس ومجالستهم ، ونال خرقة ثانية من أبى العباس القصاب بمدينة « آمل » إلى أن حل أخيراً بنيسابور[٤] .

بلغ أبو سعيد منزلة عالية جداً فى التصوف ، والتف حوله جم غفير من المريدين رأوا فى سيرته سيرة الرجل الزاهد الصالح الذى وصل إلى مرتبة الوجد والفناء[٥] . فكانوا يتبركون به ويتهالكون عليه . والسعيد منهم من حصل على قطرة ماء من ماء وضوئه ليتبرك بها . حتى أنه سقطت منه قطعة من قشر البطيخ

(١) عطار ج ٢ ص ٣٢٤ .

(٢) عطار ج ٢ ص ٣٢٦ وهو صوفى شهير وقد اشتهر بتفسير القرآن على طريقة الصوفية وله فيه كتاب شهير هو كتاب (حقائق التفسير) وينمه الذهبى فى تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٢٤٩ راجع أيضا Journal Asia 1912, 584 .

(٣) راجع طبقات السبكى ج ٤ ص ١٠ .

(٤) دائرة المعارف الاسلامية مجلد ١ ص ٣٥٣ فريد الدين العطار ج ٢ ص ٣٢٧ وما بعد .

(٥) الوجد هو بشارات الحق بالترقى إلى مقامات مشاهداته . راجع كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٨٢ (طبعة اربرى) . والفناء عدم رؤية العبد لفعله بقيام الله على ذلك . راجع اصطلاحات الصوفية الواردة فى الفتوحات المكية ص ١٧٩ . التعرف ص ٩٢ الجرجانى ص ١١٣ .

«الرق» فتهالك أصحابه عليها واشتراها أحدهم بعشرين ديناراً[١] .

وأبو سعيد كسائر كبار المتصوفة من أصحاب الحس المرهف والخيال ، فنان موهوب بطبعه ، حلو الحديث ، سلس العبارة ، كان على رأى أكثر المتصوفة الفرس فى مذهب الحلول ووحدة الوجود بل كان من متطرفى أصحاب هذا المذهب فى هذه العقيدة وقد سما خياله فى هذا الباب حتى على خيال بايزيد البسطامى (المتوفى عام ٢٦١ للهجرة) والحلاج . وقد تحلل فى كثير من أقواله عن القيود المألوفة ، لم يجد فى ذلك حرجا ولا غضاضة . والأنبياء وعددهم (١٢٤) ألف نبى كلهم فى الدرجة سواء جاءوا لتحقيق شىء واحد هو « معرفة الله » ولكن متى تمت هذه المعرفة عرف الإنسان كل شىء وسقط عنه كل شىء وتساوى لديه كل شىء[٢] .

والشريعة هى ظاهر المعرفة ، لذلك فهى لا توصل إلى المعرفة لأنها ظاهر الحق جاءت لمن لا يعرف الحق ولم يؤت العلم الصحيح . والسبيل الوحيد الذى يسلك بنا إلى المعرفة هو مسلك (الطريقة) وذلك لا يتم طبعاً إلا بعد جهد جهيد يصل الإنسان فى نهايته إلى إدراك (الحقيقة) ثم إلى (النهاية) التى هى فوق (الحقيقة) وهى (المعرفة) التى لا يمكن إدراكها إلا بعد إدراك (علم اليقين)[٣] .

ومتى خصص الإنسان كل قواه وحصر كل حواسه فى الوجود الحقيقى بحيث اتصل به اتصالا كلياً أدرك عندئذ (عين اليقين) . ومتى وصل الإنسان إلى هذه الدرجة من المعرفة اتصل اتصالا مباشراً (بالمعرفة) التى تشع بنورها على القلوب وتتجلى عندئذ أسرار النبوات وحقائق الكتب المنزلة فلا حاجة إلى نبوة أو وسيط « لأنه يأخذ من حيث يأخذ الملك الذى يأتى الرسل »[٤] وحيث أن القليل من الناس من يصل إلى هذه المرتبة احتاج الناس إلى الأنبياء والوسطاء ليكونوا سفراء بين الحق والناس[٥] .

البقية فى العدد القادم

الدكتور جواد على

(١) دائرة المعارف مجلد ١ ص ٣٥٢ . عطار ج ٢ ص ٣٢٧

(٢) راجع عطار ج ٢ ص ٣٢٤ . عن المعرفة راجع التعرف ص ١٠١ . المعرفة إذا وردت على السر ضاق السر عن حملها كالشمس يمنع شعاعها عن إدراك نهايتها وجوهرها .

(٣) راجع مصطلحات الصوفية ودرجاتهم .

(٤) راجع رسائل ابن تيمية الرسالة الأولى ص ٢٠

(٥) تذكرة الأولياء ج ٢ ص ١٧٧ .

من تاريخ الأدب الفرنسي

بوفون وحديثه عن الأسلوب

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

[بقية ما نشر فى العدد الماضى]

ولا شىء كذلك أيضا يضاد الفصاحة الحقة إلا استخدام هذه الخواطر الضعيفة والبحث عن الأفكار السطحية المنحلة التى لا صلابة فيها ، والتى تشبه أوراقا معدنية مطروقة لا تنال اللمعان إلا بفقدان الصلابة ، وكما أفرغنا من هذه الروح الضعيفة اللامعة فى مؤلف قل نصيبه من القوة والوضوح والحرارة والأسلوب . إلا إذا كانت هـذه الروح هى الغرض من الموضوع ، ولم يكن للكاتب هدف إلا الفكاهة . إن فن الحديث عن الأشياء الصغيرة ربما كان أصعب من الحديث عن الأمور العظيمة[1] .

لا شىء أكثر مضادّة للطبيعة السليمة إلا التعب الذى يتكلف للتعبير عن أشياء عادية أو شائعة بطريقة شاذة أو مبهرجة[2] . ولا شىء ينزل الكاتب عن درجته أكثر من ذلك ؛ ففضلا عن عدم الإعجاب به يلام لأنه قضى وقتاً طويلا فى تركيب مقاطع جديدة لأجل ألا يقول إلا ما يقوله كل الناس . هذا عيب النفوس المتعلمة العقيم ، فلديها كلمات كثيرة ، ولا أفكار عندها . مجال عملها إذا الكلمات ، وتتخيل أنها كونت فكرا ما دامت قد رصت جملا . وأنها قد نقت اللغة فى حين أنها قد أتلفتها بتغيير معناها . هؤلاء الكتاب ليس لهم أسلوب ؛ أو — إن شئت أن تقول — ليس لهم منه سوى الظلّ . إن الأسلوب يجب أن ينقش بالأفكار ، وهم لا يعرفون إلا أن يرسموا ألفاظاً .

للكتابة الجيدة إذاً يجب امتلاك ناصية الموضوع امتلاكا تاماً ، والتفكير فيه تفكيرا كافيا حتى يرى الكاتب بوضوح نظام عناصره ، ويكونها متتابعة ، ويجعل منها سلسلة متصلة فيها كل نقطة تمثل فكرة ، وعند ما يأخذ القلم يجب أن يعالج الموضوع بالتوالى مبتدئا بالنقطة الأولى من غير أن يسمح له بتركها ، أو أن يعنى بالعناصر عناية غير متساوية ، أو أن يضع عنصراً فى مكان غير مكانه المحدّد له والذى يجب أن يشغله . بهذا تبدو صراحة الأسلوب ، وذلك أيضاً هو الذى يجعل منه وحدة ، وينظم سرعته ، وهو فقط ما يكفى لأن يجعل الأسلوب دقيقا بسيطا متساوياً ، واضحاً ، حياً ، متتابعاً .

إذا ضمّ إلى هـذه القاعدة الأولى التى يكفل تحقيقها الموهبة — الرقة ، والذوق ، والدقة فى اختيار التعبيرات ، والعناية بألا تسمى الأشياء إلا بأكثر الأسماء عمومية[1] حاز الأسلوب نبلاً ، وإذا ضم إلى ذلك أيضاً الاحتراس من أول انفعال والاحتقار لكل ما ليس فيه سوى البريق والنفور الدائم من الإبهام والسخرية ، نال الأسلوب رصانة وجلالاً أيضاً . وأخيراً إذا كتب الإنسان كما يفكر ، وإذا كان مقتنعاً بما يريد أن يقنع به سواه ، أنتج هـذا الاقتناع الذى يرتاح إليه الغير ، وصدق الأسلوب — كل آثارهما ، على شريطة ألا يعبّر عن هذا الاقتناع الداخلىّ بعبارات حماسية قوية ، وأن يكون دائماً ، التحرّز أكثر من الثقة ، والتعقل أكثر من التحمس .

هكذا ، أيها السادة ، يبدو لى وأنا أقرؤكم أنكم حدثتمونى

---

(١) قال جريم Grimm : « من الواجب اعتقاد أن بيفون أضاف هذه الفكرة الأخيرة ليغرى بعض زملائه الجدد الذين لا يستطيعون أن يدعوا أن لهم مجدا إلا مستمداً من أنفس ضعيفة براقة . ولكن فكرته ليست حقاً ، فان فن الحديث عن الأشياء الصغيرة فن تخيل صغير ، ولا يتحدث عن العظائم إلا العبقرية . إننى أفضل أن أقول شيئاً واحداً ممتازاً طول عمرى على أن أطبع اثني عشر مجلداً فى أمور صغيرة . وإنى أتحدث عن هـذه الأشياء التافهة التى تجلب للرجل شهرة ضعيفة عابرة لأن هناك سمواً أيضاً فى الفكاهة ، لا يستطيع الحصول عليه إلا العبقرية » .

(٢) يبدو من الغريب أن بيفون يمقت بهرجة الأسلوب ، وفى الحق أنه لا يمقته إلا حين يخفى تفاهة الفكرة وضآلتها ، ولكنه يقبل حقاً — وكان هذا دأبه — أن يكون الأسلوب فخما مناسباً لعظمة الموضوع .

(١) يقصد بيفون بالعبارة العامة هـذه التى لا تبرز الصفات العرضية للأشياء ، ولكن صفاتها الأساسية الدائمة . وإذا كان يوصى باستخدامها فذلك لأنه يرى أن عمومية الفكرة تكسو الكلمة نوعاً من النبل ، ولكن هذه الوصية خطرة لأن استخدام الأسماء العامة يلقى بنا فى الابهام والغموض ، ويجعلنا نضحي بالدقة المؤثرة ، وبالحياة فى سبيل جمال كاذب ، وتترك الكلمة الحقة المستخدمة إلى عبارات طويلة ، فلا يقال مثلا : الأسد ، ولكن ملك الوحوش ، ولا باريس ولكن عاصمة النور ؛ وقد هزئ باسكال Pascal من هؤلاء الذين يقنعون الضيء . والواجب أن نتمسك برأى برويير Bruyère الذى يقول : (كل عبقرية المؤلف تنحصر فى قوة تحديده وتصويره . يجب أن نصور الحق لتكون كتابتنا طبيعية قوية رقيقة .)

وعلمتمونى ؛ وإن روحى التى تلقت بشراهة إلهامات الحكمة هذه رغبت فى القفز والارتقاء إليكم ؛ وما أضيعها من جهود . إن القواعد ، كما قلتم أيضاً ، لن تحل محل الموهبة ، فهى إذا فقدت أصبحت القواعد غير مجدية . فالكتابة الجيدة هى التفكير الجيد والشعور الصادق والإبانة الممتازة مجتمعة معا ، هى أن يجتمع للمرء ذكاء وإحساس وذوق . وإن الأسلوب يتطلب اجتماع القوى العقلية وتمرينها . والأفكار وحدها تكون روح الأسلوب ، وتناسق الكلمات ليس إلا تابعا ، ولا يتعلق إلا بحساسية الأعضاء . ويكفى أن تكون لك أذن دقيقة نوعا ما لتتجنب تنافر الكلم ، ويكفى أن تمرنها وتكملها بقراءة الشعراء والخطباء ، لتندفع بدون وعى إلى تقليد التناسق الشعرى والأسلوب الخطابى ، لكن التقليد لم يخلق شيئا ، وتلاؤم الكلمات أيضا ليس أساس الأسلوب ، ولا قوته ، وكثيراً ما يوجد فى مؤلفات خالية من الأفكار[1] .

متانة الأسلوب ليست إلا ملاءمته لطبيعة الموضوع ، ولا يصح أن تنال قسراً ، بل تتولد تولداً طبيعيا من معنى الموضوع نفسه ، وترتبط غالبا باستخدام العبارات العامة التى تجذب إليها الأفكار . وإذا كان من المستطاع الارتفاع إلى أعظم الأفكار عمومية ، وإذا كان الموضوع فى نفسه عظيما ، ارتفعت النغمة إلى المستوى نفسه . وإذا قدمت الموهبة ما يكفى لأن يوضح كل غرض وضوحا تاما مع احتفاظ النغمة بهذا المستوى ؛ وإذا أمكن أن نضيف جمال التلوين إلى قوة الصورة ، وفى كلمة واحدة ، إذا كان من المستطاع أن نبرز كل فكرة فى صورة حية محددة تحديداً تاما ، وأن نكون من سلسلة الأفكار لوحة متسقة ، حية — لم تكن قوة الأسلوب رفيعة فحسب ، بل فى غاية السمو .

هنا ، أيها السادة ، يكون التطبيق أفضل من القاعدة ، والأمثلة تفيد أكثر من النظريات ، ولكن بما أنه لا يسمح لى أن أذكر القطع السامية التى كثيراً ما أثرت فى لدى قراءة مؤلفاتكم أجد نفسى مضطراً إلى الوقوف عند حد التأملات . إن المؤلفات

(١) فكرة عزيزة لدى بيفون ، فهو يرى أن الأسلوب يجب أن يغير نغمته تبعاً لطبيعة الموضوع ، وينبغى أن يرتفع أو يهبط إلى مستوى المواد التى يعرضها والموضوع الذى يعالجه ؛ وهكذا كان بيفون فخما عندما يكتب فى التاريخ الطبيعى ، وبسيطاً مستخدماً للألفاظ الشائعة فى رسائله إلى أصدقائه المقربين

الجيدة الكتابة[1] هى وحدها فقط التى تنتقل إلى الخلف ، وإن كمية المعارف ، وطرافة الأعمال بل وجدة المكشوفات ليست ضمانات كافية للخلود[2] . وإذا كانت الكتب التى تحويها لا تتحدث إلا عن أغراض تافهة ، أو إذا كانت مكتوبة بلا ذوق ولا سمو ولا موهبة ، فسوف تبيد ؛ لأن المعارف والموضوعات والمكشوفات تسرق بسهولة وتنتقل ، بل وتكتب أيضا بأيد أكثر مهارة . إن هذه الأشياء خارجة عن الرجل ، أما الأسلوب فالرجل نفسه[3] وإذا فالأسلوب لا يستطاع سرقته ولا نقله ولا تحريفه ، فإذا كان رفيعا نبيلا ساميا صار المؤلف أيضا موضعا للإعجاب فى كل زمان لأنه لا شىء يبقى ويخلد سوى الحقيقة ، وإذا فالأسلوب الجميل لم يكن كذلك إلا بما يبرزه من عدد لا يفنى للحقائق ، وكل المحاسن العقلية التى به ، وكل التفصيلات التى يتكون منها حقائق بمقدار نفعها ، وقد تكون أغلى عند النفس الإنسانية من هذه الحقائق التى تستطيع أن تكون أساس الموضوع

إن السمو لا يستطيع أن يوجد إلا فى الموضوعات العظيمة . والشعر والتاريخ ، والفلسفة ، لها كلها موضوع واحد عظيم هو الإنسان والطبيعة ؛ فالفلسفة تصف وتصور الطبيعة ؛ والشعر يصورها ويزخرفها ، ويصور الناس أيضا ويمجدهم ويبالغ فى أوصافهم ، ويخلق الأبطال والآلهة . والتاريخ لا يصور إلا الناس

(١) لنفهم قيمة هذه الفكرة يجب أن نعود إلى التحديد السابق للكتابة الجيدة ، وهو : الكتابة الجيدة هي التفكير الجيد والشعور الصادق والابانة الممتازة مجتمعة معاً .

(٢) علق على ذلك الأستاذ (رينيه نولت) بقوله : إن الأعمال والمعارف والمكشوفات ليست إلا مادة الكتاب الذى لا يأخذ شكلا إلا بالأسلوب الذى يبرز الأفكار ويثبتها .

(٣) هذه العبارة مشهورة ، وفى بعض الطبعات الأولى نجد بعض التحريف ، إذ فيها : Le style est de l'homme même أى أن الأسلوب من الرجل نفسه ، وقد يذكر المعنى فى كلمات موجزة هكذا : Le style, c' est l' homme أي أن الأسلوب هو الرجل ، وقد يظن معنى تلك العبارة أن الأخلاق الشخصية للكاتب تظهر ظهوراً قويا فى أسلوبه ، ومع أن هذه الفكرة صحيحة فى ذاتها لا يقصد إليها بيفون ، بل يريد شيئاً آخر ، ذلك أن مادة الكتاب نفسها ليست للمؤلف وحده بل هى مشتركة بينه وبين سواه ، أما الأسلوب فقط فلا يرتبط بغير الكاتب وهو ملك له ، فمثلا مادة كتاب التاريخ الطبيعى وما فيه من الملاحظات والأوصاف ليس ملكا خاصاً لبيفون ، بل كان له مساعدون آخرون لهم نصيبهم من هذه الملاحظات والأوصاف ، ولكن الذي اختص به بيفون ، والذى له وحده هو الأسلوب الذى صاغ فيه كل هذه المعلومات .

القضايا الكبرى في الإسلام

١٤ – قتل سعيد ابن جبير

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

إذا أردنا أن نصل إلى ما يرضى العدل والإنصاف فى هذه القضية الكبيرة ، وجب أن يسير البحث فيها بقطع النظر عن شخصية المقتول وشخصية القاتل ، لأنا إذا نظرنا إلى شخصية المقتول فسنجد أنه كما قال فيه خصيف : من أعلم التابعين بالطلاق سعيد بن المُسَيَّب ، وبالحج عطاء ، وبالحلال والحرام طاوُس ، وبالتفسير أبو الحجاج مجاهد بن جبير ، وأجمعهم لذلك كله سعيد بن جبير . وسنجد أيضاً أنه كان كما قال فيه أحمد بن حنبل : قتل الحجاج سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه .

ويصورهم كما هم ؛ وهكذا نغمة المؤلف لا تصير سامية إلا عندما يضع صور أعاظم الرجال ، وعندما يعرض أعظم الأعمال وأعظم الحركات ، وأعظم الثورات . وفيما عدا ذلك يقاسى عناء أن يكون جافا عابساً ، ونغمة الفيلسوف تسمو فى كل حين يتحدث فيه عن قوانين الطبيعة ، والمخلوقات بوجه عام ، وعن المكان ، والمادة ، والحركة ، والزمن ، والروح والنفس الإنسانية والعواطف والانفعالات؛ وفيما عدا ذلك يقاسى عناء أن يكون فخما عاليا. ولكن نغمة الخطيب والشاعر ، متى كان الموضوع عظيما ، يجب أن تكون سامية دائما ؛ لأنهم السادة الذين يجمعون إلى سمو موضوعهم سمو التصوير والحركة والتخييل [1] الذى يسرهم ، ولأن من الواجب عليهم أن يصوروا الموضوعات ويفخموها — يجب أيضا فى كل حين أن يستخدموا كل قواهم وأن ينشروا كل ما تستطيعه عبقريتهم .

أحمد أحمد بدوى

مدرس بحلوان الثانوية للبنين

(١) يقصد بالتخييل أن يتوهم القارئون والسامعون أن الموضوعات المعظمة التى يدعيها الشعر والخطابة .

وإذا نظرنا إلى شخصية القاتل وهو الحجاج بن يوسف الثقفى ، فسنجد الناس يكادون يجمعون على أنه كان ظالماً جباراً ، وقد قال ابن خلكان : كان للحجاج فى القتل وسفك الدماء والعقوبات غرائب لم يسمع بمثلها ، ويقال إن زياداً أراد يتشبه بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ضبط الأمور والحزم والصرامة وإقامة السياسات ، إلا أنه أسرف وتجاوز الحد ، وأراد الحجاج أن يتشبه بزياد فأهلك ودمّر

وقد نظر الناس إلى هذه القضية متأثرين بشخصية سعيد وشخصية الحجاج فلم يوفقوا كل التوفيق فيها من الناحية القضائية ، ولم يصلوا فيها إلى حكم يرضى القضاء كل الرضا ، ولا يتأثر بعاطفة الحب والكره ، وإذا خالفناهم فى ذلك فسنصل إلى حكم فى هذه القضية يرضى كل منصف من الناس ، لأنه يراعى فيه كل وقائع القضية من ناحية الحجاج وسعيد ، ويبين تبعة كل منهما فى هذه الوقائع .

اضطرب أمر المسلمين بعد قتل عثمان رضى الله عنه اضطرابا كبيراً ، ووقعوا فى فتن شديدة كادت تقضى على الإسلام فى مهده لولا أن الله كان يهيىء لهم فترة من الاجتماع بعد التفرق ، فيمضى الإسلام ظافراً فى فترة الاجتماع ، وينظر العقلاء إلى ظفره فيرضيهم ويجعلهم يغمضون أعينهم على ما فى حكمهم من قذى حذراً من التفرق ، وما يجلبه على الإسلام من أكبر الضرر ، وقد جاء الإسلام بجواز ارتكاب أخف الضررين ، وكانوا مع هذا يرضون الله بالنصح الرفيق ، والبعد عن الاشتراك فى ذلك الحكم ، وكان من هذا الفريق الحسن البصرى رضى الله عنه ، وهو سيد التابعين وأكبر علماء عصره قدراً ، فكان يبتعد عن وظائف الحكم منكراً له فى صمت ، ولا يقصر فى توجيه النصح الرفيق للحكام ، وقد شكا إليه الحجاج ما يجده فى مرض موته فقال له : قد كنت نهيتك أن تتعرض إلى الصالحين فلججت . فقال له الحجاج : يا حسن ، لا أسألك أن تسأل الله أن يفرج عنى ، ولكن أسألك أن تسأله أن يعجل قبض روحى ، ولا يطيل عذابى . فبكى الحسن بكاء شديدا !

أما سعيد بن جبير فإنه لم يبتعد عن وظائف هذا الحكم ،

فكان فى أول أمره كاتباً لعبد الله بن عُتْبَةَ بن مسعود ، ثم كتب لأبى بُرْدَةَ بن أبى موسى الأشعرى ، وقد وَلاَّه الحجاج القضاء فضج أهل الكوفة وقالوا : لا يصلح للقضاء إلا عربى . وكان سعيد مولى لبنى والبة بن الحارث ، وهم بطن من بنى أسد بن خُزيمةَ ، فاستقضى الحجاج أبا بردة بن موسى الأشعرى ، وأمره ألا يقطع أمراً دون سعيد بن جبير ، ثم جعله فى سُمَّارِهِ وكلهم من رؤوس العرب ، وكان الحجاج يعرفه من عهد ولايته على الحجاز ، وقد أعطاه فى أول ما رآه مائة ألف درهم يفرقها فى أهل الحاجة ، ولم يسأله عن شىء منها .

وفى سنة ثمانين من الهجرة جهز الحجاج جيشاً لغزو رُتْبيل ملك الترك ، وولى عليه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندى ، وجعل سعيد بن جبير على عطاء الجند ، وكان الحجاج يبغض عبد الرحمن ويقول : ما رأيته قط إلا أردت قتله . وقد سمع الشعبى ذلك من الحجاج ذات يوم ، فأخبر عبد الرحمن به ، فقال : والله لأحاولن أن أزيل الحجاج عن سلطانه . وكان عبد الرحمن ينتمى إلى ملوك كندة ، فيعتز بنفسه ولا يخضع للحجاج كغيره ، وكان يبطن التشيع لعلى رضى الله عنه كغيره من أهل الكوفة ، فأراد الحجاج أن يرسله فى تلك الغزوة النائية ليتخلص منه ويشغله بالجهاد وكان قد غزا رتبيل قبله عبيد الله بن أبى بكرة فى جيش كثيف فهلك فى تلك البلاد ، فسار عبد الرحمن حتى وصل إلى بلاد رتبيل فأوغل فيها ، وفتح كثيراً من حصونها ، فلما حاز من أرضه أرضاً عظيمة ، وملأ يده من الغنائم ، حبس الناس عن الوغول فى تلك الأرض وقال لهم : نكتفى بما أصبناه العام من بلادهم حتى نجبيها ونعرفها ، ويجترىء المسلمون على طرقها ، ثم نتعاطى فى العام المقبل ما وراءها ، ثم لم نزل ننتقصهم فى كل عام طائفة من أرضهم حتى نقاتلهم آخر ذلك على كنوزهم وذراريهم ، وفى أقصى بلادهم وممتنع حصونهم ، ثم لا نزايل بلادهم حتى يهلكهم الله .

ثم كتب إلى الحجاج بما فتح الله عليه من بلاد العدو ، وبما صنع الله للمسلمين ، وبهذا الرأى الذى رآه لهم ، فلما أتى كتابه إلى الحجاج كتب جوابه : كتابك كتاب امرئ يحب الهدنة ، ويستريح إلى الموادعة ، فامض لما أمرتك به من الوغول فى أرضهم وإلا فإن إسحاق بن محمد أخاك أمير الناس ، فخله وما وليته . فكبر ذلك على عبد الرحمن ، ثم جمع الناس إليه ودعاهم إلى الخروج على الحجاج فأسرعوا إلى إجابته ، وكان أكثرهم من أهل العراق الذين يضمرون البغض لبنى مروان ، ولم يقتصروا على خلع الحجاج ، بل خلعوا بعده عبد الملك بن مروان ، ونادوا بعبد الرحمن أميراً عليهم وانقلبوا فى يوم وليلة يذكرون ظلم الحجاج ، وظلم عبد الملك بن مروان ، وكانت بيعتهم لعبد الرحمن : تبايعون على كتاب الله ، وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى جهاد أهل الضلالة وخلعهم ، وجهاد المُحِلين ، فإذا قالوا نعم بايع . ثم صالح رتبيل على أنه إن ظهر على الحجاج فلا خراج عليه أبداً ما بقى ، وإن هُزِم فأراده الجأه عنده ، وكان سعيد بن جبير فيمن خرج مع عبد الرحمن وبايعه .

ولاشك أن من ينظر إلى هذه الوقائع يجد أن عبد الرحمن لم يخرج على الحجاج غضباً لله تعالى ، وإنما خرج غاضباً لنفسه حين كتب إليه الحجاج يرميه بالعجز والضعف ، وولى مكانه أخاه إسحاق ابن محمد ، وقد دفعه الغرور بنفسه إلى هذا الخروج وهو ليس بأهل لما نصب نفسه له من الإمارة على المسلمين ، وقد كان يوجد من الصحابة والتابعين فى عصره من لا يذكر بجانبهم ، ومع ذلك آثروا السكون للمصلحة ، ورأوا أن الإسلام فى حاجة إلى فترة من الهدوء بعد تلك الفتن ، ولقد أساء عبد الرحمن إلى الإسلام حين صالح رتبيل ذلك الصلح الشائن ، وعمد إلى السيف الذى كان يجب أن يُصَوِّبه إليه فصوبه إلى رقاب المسلمين ، وأعادها فتنة عمياء كتلك الفتن التى لا يزال الإسلام يجنى آثارها إلى اليوم ، ولكن الغلطة غلطة الحجاج حين يولى عبد الرحمن هذه الإمارة وهو لا يثق به ، ويعرف أنه لا يخلص لأهل دولته ، وقد نصحه إسماعيل بن الأشعث فقال له : لا تبعثه ، فوالله ما وصل جسر الفرات قط فرأى لوال من الولاة عليه طاعة وسلطاناً ، وإنى أخاف خلافه . فقال الحجاج : ليس هناك ، هو لى أهيب ، وفىَّ أرغب ، من أن يخالف أمرى ، أو يخرج من طاعتى .

وكان على سعيد بن جبير أن يعرف كل هذا ، وأن يذكر كل ما كان بينه وبين الحجاج ، وألا يجر نفسه وراء أطماع عبد الرحمن

فى الإمارة والملك ، وهو رجل عالم صالح لا أطماع له فى مثل ما يطمع فيه ، ولا يليق به أن يستخدمه مثله فى أغراضه ، وما كان أجدره أن يبعد عن الحجاج كما بعد عنه إخوانه من العلماء ، وأن يترفع عن وظائفه وأمواله كما ترفعوا عنها ، حتى لايكون له حجة عليه فى يوم من الأيام ، ولايؤاخذه بها إذا لم يقم بواجب الإخلاص له عليها

وقد جرت حروب شديدة بين الحجاج وعبد الرحمن ، ذهبت فيها دماء غزيرة من المسلمين ، ولو أنها وجهت إلى رتبيل لاستفاد منها الإسلام ، وانتفع منها المسلمون ، ثم انتهت هـذه الحروب بانتصار الحجاج ، ففر عبد الرحمن إلى رتبيل يطلب أمانه على ما كان بينهما من الصلح ، وهرب سعيد يتنقل فى البلاد إلى أن قصد مكة ، فكان هو وأناس أمثاله يستخفون فلا يخبرون أحدا أسماءهم ، فلما ولى خالد بن عبد الله القَسْرِىُّ مكة قبض عليهم وأرسلهم إلى الحجاج ، وكان لا يعفو عمن خرج مع عبد الرحمن إلا إذا قال له : أتشهد أن قد كفرت ؟ فإذا قال نعم عفا عنه وإلا قتله ، وهو يرى فى ذلك أن من يخرج على الإمام يكون كافرا ، لأنه ورد فى بعض الأحاديث أن من مات ولا بيعة فى عنقه مات ميتة جاهلية ، وقد أخطأ الحجاج فهم ذلك الحديث ، لأن معناه أنه يموت على مثل ما كان الناس عليه فى جاهليتهم ، إذ لم يكن لهم إمام يجمع كلمتهم ، وليس معناه أنه يكون كافرا مثلهم .

وكانت مواقف حرجة قتل فيها كثير من العلماء الذين كبر عليهم أن يشهدوا على أنفسهم بالكفر ، وكان لبعضهم لباقة أنقذته من ذلك الموقف الحرج ، كما فعل الشعبى وقد أشار عليه إخوانه ونصحاؤه أن يعتذر أمام الحجاج ما استطاع من عذر ، فلما دخل عليه رأى غير ما ذكروا له ، فسلم عليه بالإمرة وقال : أيها الأمير إن الناس قد أمرونى أن أعتذر بغير مايعلم الله أنه الحق ، وايمُ الله لا أقول فى هذا المقام إلا الحق ، قد والله مردنا عليك وحرضنا وجهدنا ، فما كنا بالأقوياء الفجرة ، ولا بالأتقياء البررة ، ولقد نصرك الله علينا ، وأظفرك بنا ، فإن سطوت فبذنوبنا وما جرت إليه أيدينا ، وإن عفوت عنا فبحلمك ، وبعد فالحجة لك علينا .

فقال له الحجاج : أنت والله أحبُّ إلىَّ قولا ممن يدخل علينا يقطر سيفه من دمائنا ، ثم يقول ما فعلت ولا شهدت ، قد أمنت عندنا يا شعبى فانصرف .

ولم يكن لسعيد بن جبير مثل لباقة الشعبى ، بل اضطرب أمره حين وقف أمام الحجاج ، ولم يلتزم طريقا واحدا ينفعه فى هـذا الموقف الحرج ، مع أن الحجاج قد لوَّح له بأنه يحب أن يعفو عنه ، فإنه حين رآه قال : لعن الله ابن النصرانية — يعنى خالداً — أما كنت أعرف مكانه ؟ بلى والله والبيت الذى هو فيه بمكة . ثم أقبل عليه فقال له : يا سعيد ، ألم أشركك فى إمارتى ؟ ألم أفعل ؟ ألم أستعملك ؟ قال : بلى . قال : فما أخرجك علىَّ ؟ قال : إنما أنا بشر يخطىء مرة ويصيب مرة . فطابت نفس الحجاج وتطلق وجهه ، ورجا أن يتخلص من أمره ، ثم عاوده فى شىء فقال له : إنما كانت بيعة فى عنقى . فغضب الحجاج وانتفخ حتى سقط أحد طرفى ردائه عن منكبه ، وقال : يا سعيد ، ألم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير ، ثم أخذت بيعة أهلها وأخذت بيعتك لأمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال : بلى . قال : ثم قدمت الكوفة واليا على العراق فجددت لأمير المؤمنين البيعة ، فأخذت بيعتك له ثانيا ؟ قال : بلى . قال : فتنكث بيعتين لأمير المؤمنين ، وتفى بواحدة للحائك بن الحائك ، والله لأقتلنك . قال : إنى إذن لسعيد كما سمتنى أمى . فأمر به فضربت عنقه ، وإياه عنى جرير بقوله :

يا رُبَّ ناكثِ بيعتين تركتَه وخضابُ لحيته دَمُ الأوداج

وقد كان على سعيد وقد اعترف على نفسه بالخطأ فى خروجه على الحجاج أن يمضى فى ذلك حتى يحقن دمه ، وقد قال الله تعالى (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) وما كان له بعد هذا أن يعتذر ببيعته لعبد الرحمن ، لأنه قد اعترف بخطئه فيها ، ولا معنى بعد هذا للاعتذار بها .

وإذا كان سعيد قد أخطأ تلك الأخطاء فى هذه القضية ، فإن خطأه فى أنه لم يتورع عن ذلك الحكم الجائر كما تورع غيره من العلماء ، وفى أنه أخطأ الطريق فى إنكاره فغلا فيه ووضع يده فى يد من لم يكن مخلصاً فى إنكاره ، ولعله أراد بذلك أن يكفر عن عدم تورعه عنه فى أول أمره ، ولكن تلك الأخطاء بالغة مابلغت لا تبلغ خطأ الظلم نفسه ، فكان على الحجاج أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب سعيدا ، وأن يعرف أن ظلمه هو الذى أوقع سعيداً وغيره فيما وقعوا فيه ، ولو أنه فعل ذلك لأراح نفسه وأراح الناس جميعاً .

عبد المتعال الصعيدى

الأسرة والمجتمع

للدكتور على عبد الواحد وافى

أستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد من سعة الاطلاع ، ورجاحة الفكر ، والتمكن من ناصية البيان ، ما يتيح له علاج أى موضوع من موضوعات الآداب والعلوم علاج الإخصائى الأريب ، ويسمو ببحوثه فى نباهة الشأن ، والمعية التحقيق إلى منزلة منقطعة النظير . وقد تجلت خصائصه هذه جميعاً فى مقاله القيم بعدد الرسالة السابق عن كتابى « الأسرة والمجتمع » الذى ظهر أخيرا فى مؤلفات « الجمعية الفلسفية المصرية » .

غير أننى — إذ أبدى كبير إعجابى بكلمته الممتعة عن هذا الكتاب ، وأقدم إليه جزيل الشكر لما وجهه إلى الكتاب وصاحبه من عبارات الإطراء والمديح ، وبذله فى دراسة مسائله من عناية مشكورة ، ولما أبداه بصدده من ملاحظات قيمة تنم على دقة التأمل وعمق التفكير — أرى من الخير أن ألقى نظرة على بعض ما ورد فى ملاحظاته من أمور تحتاج إلى مزيد من التوضيح .

فمن ذلك ما ذكره الأستاذ بصدد تماسك أجزاء الكتاب ، وذلك إذ يقول : « ويظهر أن الكتاب قد ألف فى أوقات متفرقة . أو كتب بعض فصوله بمعزل عن البعض الآخر ، فتكررت فيه العبارات بمعنى واحد ، وورد فيه بعض الأسماء بألقاب مختلفة . ولكنه على هذا مطرد السياق ، متتابع الفصول ، يتمم اللاحق منه ما سبقه من الأجزاء ، وينتقل فيه القارىء من تمهيد إلى مقدمة إلى نتيجة بغير انقطاع » .

ولا أدرى كيف تتوافر هذه الصفات الأخيرة فى كتاب ، ثم يُظَنّ مع ذلك أن بعض فصوله قد كتبت بمعزل عن بعضها الآخر ، أو أنه قد ألف فى أوقات متفرقة ؟ ! أما تكرار بعض العبارات فى مواطن مختلفة من هذا الكتاب ، فقد تعمدته تعمداً ، ورأيت أن تماسك أجزاء المؤلف لا يستقيم بدونه . وذلك أننى قد عمدت إلى هذا التكرار فى موضعين يظهر فى كليهما القصد وشدة المحافظة على ربط الأقسام بعضها ببعض .

أحدهما أننى قد ذكرت فى المقدمة الحقائق الأساسية ، أو « الفكرة la thèse » التى سأعنى باستخلاصها من بحثى لظواهر الأسرة . ثم كررت فى الخاتمة هذه الحقائق نفسها ، أو هذه « الفكرة » ، بعباراتها المذكورة فى المقدمة بعد أن كشفت لى دراستى للموضوع عن صحتها ، ومهدت لى سبيل استخلاصها . وهذا هو أقصى ما يمكن أن تصل إليه المحافظة على اطراد السياق وربط أجزاء الموضوع بعضها ببعض ، ويصل إليه الحرص على اتفاق نتيجة الدليل مع نفس القضية التى جعلت موضوعا للاستدلال. وقد كان لى فى منهج علماء الرياضة أسوة حسنة فى هذا السبيل . فقد جرت عادة الرياضيين فى علاجهم لنظرياتهم أن يعرضوا أولا نص النظرية التى يريدون دراستها ، ثم يأخذون فى الاستدلال على صحتها ، حتى يصلوا إلى نتيجة تتفق فى عباراتها اتفاقا تاماً مع نفس هذا النص .

والموضوع الثانى الذى تعمدت فيه التكرار لشدة المحافظة على ربط أجزاء الكتاب بعضها ببعض يلاحظه القارىء فى عرض طائفة من النظريات التى قال بها علماء الاجتماع . وذلك أن بعض هذه النظريات تشتمل على حقيقتين أو على حقائق كثيرة يرتبط بعضها ببعض ارتباطا وثيقاً ، ولكنها تتصل بموضوعات عرضتُ لها فى عدة فصول من الكتاب ؛ فاضطررت حيال كل نظرية من هذا النوع إلى تكرارها كاملة فى فصلين أو أكثر مع عنايتى فى كل فصل بالناحية التى تهم موضوعه منها . وذلك كنظرية « ماك لينان » التى يذهب فيها إلى أن نظام قتل الأولاد فى الأمم البدائية قد أدى إلى تحريم التزاوج بين الأقرباء وإلى اصطناع طريقة السبى فى الزواج . فلما كان موضوع المحارم قد عرضت له فى القسم الأول من الفصل الثانى وموضوع السبى قد عرضت له فى القسم الثالث من هذا الفصل ، وكانت نظرية « ماك لينان » تتصل بكلا القسمين ، وتتوقف عناصرها بعضها على بعض ، اضطررت إلى تكرارها فيهما ، مع اقتصارى فى كل قسم على مناقشتها من الناحية التى تهم موضوعه .

وأما ورود بعض الأسماء فى كتابى بألقاب مختلفة ، فلا أرى

فى ذلك موضعاً للمؤاخذة متى كانت هذه الألقاب صحيحة ، كما لاأرى فيه دليلا على ماظهر للأستاذ العقاد . فقد ذكرت «فريزر» مرة بلقب العلامة ، ومرة بقلب العلامة الانكليزى ، ومرة بلقب الأستاذ ، وجميع هذه الألقاب صحيحة لأن فريزر أستاذ علامة انجليزى . وفعلت مثل ذلك بصدد مرجان ووستر مارك وباخوفين ودور كايم وماك لينان ... وغيرهم ممن ورد ذكرهم فى عدة مواطن من الكتاب . وقد يكون بعض الألقاب مقصوداً استعماله بالذات فى موطن ما لغرض يدل عليه سياق الحديث ، وقد يكون غير مقصود . ولكن أمراً عادياً كهذا لا يدل على أى حال ، على أن الكتاب قد ألف فى أوقات متفرقة أو كتب بعض فصوله بمعزل عن البعض الآخر ، كما يذهب إلى ذلك الأستاذ العقاد . وإن الواحد منا ليكتب خطاباً إلى صديق فيتحدث فيه عن شخص ثالث مرة بلقب الصديق ، وأخرى بلقب الأخ ، وثالثة بلقب الأستاذ ، ورابعة بلقب الدكتور ... ، بدون أن يكون فى ذلك دليل على أن الخطاب قد كتبت بعض أجزائه بمعزل عن البعض الآخر . وأكبر الظن أن الأستاذ العقاد نفسه لو كان قد ذكر اسمى فى مقاله أكثر من مرة لتعددت ألقابى لديه عن قصد وعن غير قصد .

* * *

ومن ذلك أيضاً ما ذكره الأستاذ بصدد خلاصة الكتاب إذ يقول : « وخلاصة الكتاب كله أن الأسرة نظام اجتماعى لا طبيعى ، كما جاء فى الفصل الثالث ... »

وحقيقة الأمر أن خلاصة الكتاب ، كما بينت ذلك بصراحة فى مقدمته وفى فصله الأخير ، تشتمل على ثلاث حقائق : إحداها الحقيقة التى أشار إليها الأستاذ العقاد ؛ وثانيتها « أن نظم الأسرة ليست من صنع الأفراد ، ولا هى خاضعة فى تطورها لما يريده لها القادة والمشرعون . وإنما تنبعث من تلقاء نفسها عن العقل الجمعى واتجاهاته ، وتخلقها طبيعة الاجتماع وظروف الحياة ، وتتطور وفق نواميس عمرانية ثابتة ، وأن القادة والمشرعين ليسوا فى هذه الناحية وغيرها إلا مسجلين لاتجاهات مجتمعاتهم ومترجمين عن رغباتها وماهيئت له . فإن انحرفوا فى تشريعهم عن هذا السبيل كان نصيبهم الإخفاق المبين » ؛ — وثالثة هذه الحقائق « أن نظام الأسرة فى أمة ما يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمعتقدات هذه الأمة وتقاليدها وتاريخها وعرفها الخلقى وما تسير عليه من نظم فى شؤون السياسة والاقتصاد والتربية والقضاء ، وما تمتاز به شخصيتها الجمعية ، ويكتنفها من ظروف فى شتى فروع الحياة ، وأنه فى طريق تطوره يسير منسجماً مع هذه الأمور . فشأنه معها شأن جهاز مع بقية أجهزة الجسم الحى . يسير فى أداء وظائفه ومناهج تطوره على طريق ينسجم مع طريق الأجهزة الأخرى ؛ ولا يستقيم أمره وأمر الجسم الذى يحل فيه إلا إذا سار على هذا السبيل . فإن لم يراع القادة والمشرعون هذه الحقيقة فى علاج النظام العائلى جاء إصلاحهم عنصراً غريباً فى حياة الأمة ، تتجرعه الجماعة تجرعاً ولا تكاد تسيغه ، وتتضافر نظمها الأخرى على مطاردته ودفعه ، ولا تنفك تطارده وتدفعه حتى تجهز عليه ، فيصبح أثراً بعد عين ، كجرثومة ضعيفة تنفذ إلى جسم منيع » .

ولا تقل الحقيقتان الأخيرتان أهمية فى نظرى عن الحقيقة الأولى ، بل إنهما لتزيدان عنها أهمية من الناحيتين العملية والإصلاحية كما أننى لم أعن بواحدة منها أكثر من عنايتى بما عداها . ولايظهر فى الكتاب أى أثر لترجيح بعضها على بعض .

* * *

ومن ذلك أيضاً أننى ذكرت فى الفصل الأخير من الكتاب لتأييد الحقيقة الأولى المشار إليها فيما سبق ، اثنى عشر دليلا متماسكة مترابطة يشد بعضها بعضاً ، وتقفى فى مجموعها على كل منفذ يتسرب منه الشك إلى هذه الحقيقة . وقد استخلصت هذه الأدلة استخلاصاً من دراستى لموضوع الأسرة ، وذكرتها تحت أرقام مسلسلة ، ولكن الأستاذ العقاد قد اقتصر على نقل فقرة واحدة من الدليل الأول وحده ، وذكر هذه الفقرة فى صورة يتبادر منها إلى ذهن القارئ أن هذا هو كل ما اعتمدت عليه . ثم ناقشها ورأى أنها لا تنهض حجة على تأييد النظرية التى أردت تأييدها ، وبنى على ذلك معظم ما ذكره فى مقاله .

وغنى عن البيان أن بنياناً يقوم على اثنتى عشرة دعامة يأخذ بعضها بحُجَز بعض ، ويشد بعضها بعضاً ، يبدو ضعيفاً واهياً إذا لم يبق من دعائمه هذه إلا جزء من دعامة واحدة ، ولا يحتاج هدمه فى هذه الحالة إلى كبير عناء ؛ وإن حكما بناه القاضى على

فلسفة المجتمع

ذوات الطنـــين ..

للأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالي

وخلا الذباب بها فليس ببارح غرداً كفعل الشارب المترنم
هزجاً يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الأجذم

ولم أكد أنتهى من إنشاد صاحبي شعر العبسى ، حتى تقلص وانفرد ، وقد ارتعشت شفتاه ، وانفسحت بينهما مسافة مخيفة ، انطلقت منها هذه الكلمات تتخلج ولا تتحرج : يا أخى ، جنبنى شر شعرك هذا ! فما عدت أومن بما للشعر من قيم وأقدار ؛ قلت : أو يؤمن الشعر بمن لا يعرف أواصره وأنسابه ؟

قال : أريد أن تبرأ من هذا الشعر وفيه جودة التصوير والصدق .. وصاحبي هذا نسيت أن أقدمه لقارئيه ، حتى يطمئنوا إلى مايجرى على لسانه من حديث وجدل ... فهو قد انبعث إلى أوربا بضاعة مزجاة ، ثم ردت بضاعتنا إلينا مهوشة مضطربة كـكل بضاعة وافدة من هناك ، تنكر الفصحى وتتهم ثقافتها ، وتعيش بمعزل عن كل ما يقرأ أو يكتب من الميمنة إلى الميسرة ، والمعجب الطريف من أمره أن يده اليمنى معطلة ، فهو مع شماله دائماً ، قارئاً وكاتباً ... فصاحبي رجل — أعور العقل واليد — ورحم الله الرافعى ...

قلت له : لن أبرأ من هذا الشعر وإن كان للعبسى ... فقد حدثتك نفسك ، وهى ذكية ، لولا ما يكتنفها من « كثافتك » حدثتك أن جواً خاصاً أعيش فيه يتنفس بهذا الشعر ... والزمن مهما تراخى ، لا بد واصل بوشائج وصلات ، بين مظاهر الحياة ومفاتن المجتمع ...

كان ثمت للعبسى روضة وذباب ... افتتن بهما ، وافتن فى تصويرهما ... وقد احتفظ نقدة الأدب ومؤرخوه بهذه الروعة الماثلة فى هذين البيتين ، وظلت تتحدر من قمة الزمن ، حتى ترسبت فى سفح هذا الجيل ، نابضة بالصدق ، مزدانة بالتصوير ...

روضة واحدة كان يغشاها العبسى غردة بذبابها ، مخضلة بنداها . أما أنا وأنت يا صاحبي ، فأينما اتجهنا ، فرياض نواحة بذبابها « الأصيل » مخضوبة بلعابه السام ... وذباب واحد كان يستهوى العبسى بنشيده الموقع المحبوب ، فى ضحوة الصبح وصفرة الأصيل ...

وتسمع للذباب إذا تغنى كتغريد الحمام على الغصون[1]

ذباب يترشف ألحانه من كؤوس الزهر البليلة المشرقة فى مطالع الربيع ومجالى الطبيعة ، كما يحدث أبو النجم عن روضته الأُنُف التى تعِلُّ ذبابها من أكاليل الزهر وريحانه

أُنُفٌ ترى ذبابهـــا تعلُّه من زهر الروض الذى يكلله

أما أنا وأنت ياصاحبي ، ففى أعيننا مواكب الذباب الأصيل يستثيرنا بطنينه المُلِح الموصول فى غدونا ورواحنا ... ذباب يصوغ أصواته من دم الأخلاق الهزيلة الضالة ، ولا ينشط إلا فى عتمة الليل ومتاهات الظلام حيث ترهف الآذان ، وتنحط معانى الحيوان ...

ولا تثقل عليك فلسفتى هذه يا صاحبي ، فقد ذكر الجاحظ : « إن للذباب وقتاً يهيج فيه لأكل الناس وعضهم وشرب

(١) البيت للمثقب العبدى شاعر جاهلى من شعراء البحرين

اثنى عشر سبباً تدل عند ضمها بعضها إلى بعض على صحة ما جاء به ، ليبدو حكما فطيراً ضعيفاً إذا لم ينشر من أسبابه هذه إلا فقرة من سبب واحد .

فلو أن الأستاذ العقاد قد ذكر جميع الأدلة التى أوردتها أو لخصها لا تضح وجه الحق فيما أذهب إليه . بل لو أنه ذكر الدليل الأول وحده كاملا لظهرت النظرية فى شىء من قوتها .

* * *

أما النظرية التى ذهب إليها الأستاذ العقاد بصدد الدعائم التى يقوم عليها نظام الأسرة ، وهى النظرية التى عارض بها نظريتى والأدلة التى أعتمد عليها لتأييد هذه النظرية فتحتاج مناقشة هذا كله إلى مقال طويل نرجئه إلى عدد قادم إن شاء الله ، مع تكرار شكرنا للأستاذ الجليل لما قدمه إلينا من فضل ، وما أتاحه لنا من فرصة للتحدث فى هذا الموضوع الهام على صفحات الرسالة الغراء .

علي عبد الواحد وافي
دكتور فى الآداب من جامعة باريس

دمائهم ، وإنما يعرض هذا الذباب فى البيوت عند قرب أيامها ، فإن هلا كها يكون بعد ذلك وشيكا »(١)

قال صاحبى : بقى جانب غامض فى موقفك من هذه المخلوقات المتواضعة الصغيرة أرجوأن تجلوه لى : لم ترصد أجواء هذه الحشرات عادا عليها أنفاسها ؟ أتنطوى عوالمها على أسرار ومعجزات ؟ قلت : ولست بمحص لك أسرارها ، فهى وحدها بمزاجها ودقة تكوينها سر هذه الأسرار . ثم فى تأملها اعتراف بقدرة خالقها ، ورياضة للنفوس الزارية بها ، ولعل الجاحظ أيضاً يريحك فيمنحك ثقة بها تباعد بينها وبين احتقارك لها ...

أوصيك أيها المستمع المصيخ ، ألا تحقرشيئاً أبداً لصغرجثته . وإياك أن تسيء الظن بشيء من الحيوان لاضطراب الخلق ولتفاوت التركيب ، ولأنه مشنوء فى العين ...

... ولعلك يا صاحبى تصدق أن الذباب لم يكن فى أيام العبسى إلا ذباب الربيع الباكر البهيج ، لا تكتحل العين به إلا فى موسم وميعاد

أما فى أيامك ، فهو كل ما تلقاه حيث أنت ، عاكفاً بالليل ، أو سارباً بالنهار

كن فى الزمن الأول يقتات نوافح الزهر ، حيث لا يضطرب المجتمع بغير نوازع الحب والكبرياء الدافعة إلى خوض المضاجع والدماء ، أسمعت العبسى ينشد :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل ... منى وبيض الهند تقطر من دمى
فوددت تقبيل السيوف لأنها ... لمعت كبارق ثغرك المتبسم

هذا ... كان مشغلة لفن الشعراء ، فى قمة الزمن الأول ... كبرياء الحب الصحيح مجلبة لاشتباك الأسنة والسيوف ، عمل النفوس فى النفوس صفاء ، ووفاء ، ودماء

أما فى «مستنقع» زمنك الأخير يا صاحبى ، فمشغلة الكاتبين لجاجة الذباب .. كما سماها أستاذك الجاحظ فقد أصابه منها شر متطاير وثاب ، ستأتيك قصته فى خاتمة الحديث

استقرت لجاجة هذا الذباب الذى أصبحت تعرفه معى ، على أوضاع توائم دواعى الأيام ، حيث يصطرع مجتمعه بأعاصير التعاطف الرخيص العاصف بالنفوس الذليلة ، والضمائر العليلة ، فأطعمه المجتمع شرائح الأعراض ، فامتصها غرداً كفعل الشارب المترنم ، ثم نفثها ، طاقة ومجهودا ؛ فاستشرت الأدواء فى الأصحاء

... قتل وتجريح وإيذاء ! ! ..

قال صاحبى : ألهذا آثرت العافية .. ونجوت ؟ قلت : ولمساخر أخرى يحجزنى عن التصريح بها أنك رجل وقفك الورع ، وأسقمتك التقوى ، وتلك التى لم تستطع أوربا أن تبتزها منك ! ! وحسبك أن شيئاً وأشياء — تزيد على ما أصاب أستاذك الجاحظ — نالنى من شر هذه المخلوقات ، فألفيتنى أعدو وأجد ؛ وقد سلبنى « الذباب » راحة البال واطمئنان الخاطر ، وقد يئست من استنقاذهما منه ، ضعف الطالب والمطلوب ! وظللت أعدو حتى انتهى الشوط

أأجد يا صاحبى ظِلا وأمنا فى هذا المكان ؟ حيث لا للشر على الخير سلطان ...

قال قل لى ما كان من أمر الجاحظ حين خرج يريد دير الربيع ، فتلقاه الأندلسى قائلا : مالك يا أبا عثمان ؟ هل من حادثة ؟

قلت ياصاحبى : هذه قصة تطول ... فافرغ لى من شغل غدك ، أكمل لك ما كان من شأن أبى عثمان . .

قال : وحينذاك أفتيك عن مصيرك فى هذا المكان . ؟

أحمد عبد المجيد الغزالى

(١) الحيوان . الجزء الثالث . ص ٣١٦ تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون .

المصطلحات العلمية

والمجمع اللغوى

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

كنت مع الأستاذ العقاد فاختلفنا على لفظ « الوعى الباطن » أو« اللاشعور » والاصطلاح فى اللغة الإنجليزية unconsciousness وفى الفرنسية Jnconscience . قلت له ماذا تعنى بالوعى؟ قال الوعى من الوعاء ، فتكون النفس أشبه بالوعاء الذى يحتوى الأحوال النفسية .phè omènnes psycho Logigues ، قلت له هذا رأى من الآراء فى تعريف الشعور أو الوعى ، وهناك رأى آخر لا يجعل الشعور كالوعاء الذى يحتوى الأحوال النفسية ، ظاهرة كانت أم باطنة ، بل يجعل الشعور كالمرآة التى تنعكس عليها الأحوال النفسية ؛ فإذا كان الأمر كذلك فاستعمال لفظ اللاشعور أصح من استعمال الوعى الباطن .

واتفقنا على أن اصطلاح « العقل الباطن » الذى شاع استعماله فى مصر وقتا طويلا ، ليس اصطلاحاً ملائماً . فنحن إذن أمام ثلاثة مصطلحات : الوعى الباطن ، واللاشعور ، والعقل الباطن ؛ فأيها نأخذ ؟ وأيها صحيح ؟ ومن يستطيع الحكم على صحة هذه المصطلحات وملاءمتها لمقتضى العلم ، ومطابقتها لروح اللغة ؟

مهما يكن من شىء فنحن فى حاجة إلى اتفاق على المصطلحات العلمية فى شتى أنواع العلوم التى تقدمت تقدماً عظيما ، ونريد أن ننقلها إلى اللغة العربية . فنحن فى عصر النقل أو الترجمة . وأهمية الاتفاق على المصطلحات واضحة ، إذ يمتنع اللبس وتقل البلبلة والاضطراب ، ويستقيم الفهم عند المطلعين ، ويسهل عليهم معرفة المقصود إذا كانوا على علم باللغات الأجنبية التى نأخذ عنها .

هذا الخلاف يزيد أمره وتتسع شقته عما يجرى عليه علماء الأقطار الشقيقة من ترجمة تختلف عما يجرى عليه العلماء فى مصر . ولو أن كل قطر من الأقطار العربية استقل بوضع المصطلحات العلمية ، لانتشر فى اللغة العربية بعد زمن وجيز عدة ألفاظ للمعنى الواحد ، فنبتعد بذلك عن روح الوحدة العربية أو الجامعة العربية التى نعمل على تحقيقها .

ونضرب لذلك مثلاً بما جاء فى كتاب « المنطق » للأستاذ جميل صليبا ، عضو المجمع العلمى العربى بدمشق ، وهو كتاب كبير فيه أبحاث جليلة ، ولا يقلل من قيمة الكتاب ما نأخذه عليه من نقد . وصاحب الكتاب يذكر الاصطلاح العربى وإلى جانبه معناه بالأفرنجية . وهذا مما يسهل للقارئ خصوصاً المطلع على اللغات الأجنبية معرفة المعنى المقصود .

فى ص ١٠ علم قاعدى Science normative ، وقد درجنا فى مصر على تسمية هذه العلوم بالعلوم المعيارية ، كالمنطق والأخلاق وعلم الجمال ، وهى تسمية مأخوذة عن العرب ، وللغزالى كتاب إسمه « معيار العلم » يقصد به المنطق .

فى ص ١١ ميتودولوجيا أو علم الأصول Méthodologie ، وفى ص ٥٥ جعل عنوان الكتاب الثانى « المنطق التطبيق أو علم الأصول » . والميتودولوجيا نسبة إلى « الميتود » أى المنهج ، ولهذا كانت التسمية التى اصطلحنا عليها وهى « مناهج البحث » أليق من « علم الأصول » خصوصا وأن المسلمين يطلقون علم الأصول على أصول الدين أو أصول الفقه ، وعندهم أن فلاناً عالم بالأصلين ، يريدون الفقه والدين .

وفى ص ١٥ ، « المعانى أو المفاهيم هى أبسط أجزاء التفكير المنطق ،لأنها العناصر الأولى التى تتركب منها الأحكام والأقيسة » . وهذه القضية عليها خلاف ، لأن الرأى الحديث بعد كانت الفيلسوف يجعل الأحكام هى أبسط أجزاء التفكير ، وفى ذلك يقول جملته المشهورة « التفكير هو الحكم Penser c'est juger» وليس مجالنا الآن تحقيق هذه المسألة .

وواضح أن المؤلف يجعل « المعنى » مرادفاً « للمفهوم » ولكل منهما دلالة معينة فى المنطق . فالمفهوم فى اصطلاح المناطقة مجموع الصفات التى يدل عليها اللفظ Compréhension ولكن الأستاذ جميل صليبا يضع اصطلاحين جديدين للمفهوم والماصدق هما التضمن — والشمول ، وكلاهما لا يصلحان للتعبير عن المفهوم والماصدق ، كما أننا فى غير حاجة إلى ابتكار مصطلحات جديدة إذا كان العرب قد وضعوها واستقرت فى الإستعمال .

وكذلك ما يسميه « معانى الحرمان Idées Privaties » . ص١٩ ، وفيها يقول « وهى تدل على الإيجاب والسلب معاً ، مثل معنى الأعمى فهو لا يقال إلا على الموجودات القادرة على الرؤية » والعرب يسمون هذه الألفاظ « العدم والملكة » فهى ألفاظ عدمية ، أى أن صاحبها كان يملك الصفة ثم عدمها ، مثل العمى فهو عدم البصر ، والصلع عدم الشعر .

ولا نريد أن نتعقب جميع ماورد فى الكتاب من مصطلحات ومناقشتها ، لأن غرضنا التنبيه على الخلاف الشديد الذى يذهب إليه المؤلفون فى تعريب الألفاظ الأجنبية ، وهذه فوضى عجيبة لا تبشر بالخير فى عالم الثقافة العربية .

***

وعلاج هذه الحالة ما رآه بعض المفكرين من إنشاء « المجمع اللغوى » الذى يضم قادة الفكر من علماء الأقطار العربية ، وبعض المستشرقين ، ومن أغراضه وضع المصطلحات العربية للألفاظ الأجنبية المستحدثة التى لم يضع لها العرب ألفاظاً .

وقد مضى على إنشاء المجمع زمن ليس بالقليل ، ومع ذلك لا يزال سلطانه ضئيلا ، وآية ذلك أن العلماء يمضون فى سبيلهم يضعون ما يعجبهم من اصطلاحات ولا يعترفون بما يفعله المجمع ، فما السبب فى ذلك ؟

يرى الدكتور على مصطفى مشرفه بك فى كتابه « نحن والعلم » أنه ينبغى البدء بالنقل وتشجيع التأليف العلمى لإيجاد المصطلحات قال : « والتأليف العلمى هو الوسيلة الطبيعية لإيجاد هذه المصطلحات فى لغتنا . فكل لغة حية إنما تنمو عن طريق التأليف والكتابة . واللغة العلمية وليدة التفكير العلمى ، والمصطلحات العلمية فى اللغات الأوربية إنما نشأت بهذه الطريقة ، ونتجت عن نمو العلم والتأليف . ومن العبث أن يقوم مجمع بفرض المصطلحات على المؤلفين فرضاً ، وإنما تأتى مهمة المجامع بعد مهمة المؤلفين لا قبلها ، فالمجمع اللغوى يجمع ما ورد فى الكتب العلمية من مصطلحات ويدونها ويفسرها . » ص ٢٤ ، ٢٥

فما رأى أعضاء المجمع فى هذه الدعوى التى يريد بها صاحبها أن يغلق أبواب المجمع اللغوى ؟

ونحن نرى أن المجمع اللغوى بحالته الراهنة لا يستطيع أن يخدم اللغة العربية من جهة المصطلحات العلمية الحديثة ، لأنه فى واد ، والمؤلفين والمترجمين فى واد آخر . والواجب أن يتقرب المجمع من الجمهور ومن المشتغلين بشتى فروع العلم ، وأن يتصل المؤلفون والمترجمون بالمجمع . وسبيل ذلك ما يأتى :

١ — إصدار مجلة المجمع بصفة جدية ، على أن يكون إصدارها أسبوعياً فى صفحات قليلة وتخصص لمصطلحات العلمية فقط ؛ وأن تتخذ الصفة التجارية ، من حيث الحجم والطباعة والإخراج والثمن والتوزيع ، ولا بأس أن يدفع أجر لكل من يراسلها من المؤلفين والمترجمين ، كما تفعل جميع المجلات . أما الاعتذار بصعوبة الحصول على الورق فأمر غير مفهوم .

٢ — تصنيف العلوم المختلفة ، وهذا رأى يسير بطبيعة الحال ، ثم تسجيل جميع المؤلفات العربية فى كل علم أو فن ، وتسجيل أسماء المؤلفين أو المترجمين مع بيان عنوانهم لسهولة الاتصال بهم .

٣ — أن يخاطب المجمع العلماء والمؤلفين ، ويطلب منهم رأيهم دون أن ينتظر منهم أن يخاطبوه هم . فالمجمع فى حاجة إلى العلماء قبل أن يكون العلماء فى حاجة إلى المجمع . وبذلك يكون المجمع همزة الوصل بين العلماء فى شتى الجهات والأقطار ، وسبيلا من سبل التقريب .

دكتور
أحمد فؤاد الأهوانى

من وراء المنظار

متحمسان ... !

كنا ذات صباح نحو عشرين رجلا قد وقفنا واحدا خلف واحد ننتظر فى قلق حتى تفتح نافذة تذاكر السفر؛ وأخذ يتزايد عددنا دقيقة بعد أخرى، وكان كل قادم يأخذ مكانه فى ذيل هذا الخط الطويل الذى ذكرنى بما كنا نفعل ونحن صغار حين كنا نقلد القطار ...

وكنا جميعاً لا نفتأ ننظر فى ساعاتنا وصفير القُطر وصوت رحيلها على الأفاريز القريبة يملأ أسماعنا ، وحركة المسافرين والحمالين وهم يسرعون فى موجب وفى غير موجب تزيدنا قلقاً على قلق ، ونشاط صارفى التذاكر فى النوافذ المفتوحة على جانبى نافذتنا الموصدة يلقى فى نفوسنا الشك فى وجود من يفتحها أو يميل بنا إلى الظن أنه ربما ربكه فى حجرته عمل آخر . وكان أكثرنا نظراً فى ساعاتهم من كانوا أكثر بعداً عن النافذة ؛ على أن القلق قد اشتد بنا جميعاً حتى أوشك أن يتحول إلى ضجر ... وأخيراً فتحت النافذة .

أقبل بائع التذاكر على عمله فى هدوء وتؤدة ، بعد أن ألقى نظرة على المنتظرين ، وكأن مبعث اطمئنانه أنه كفيل ببيع التذاكر جميعاً قبل تحرك القطار بوقت كاف فهو خبير بعمله وقلما داخله ما يداخل المسافرين من قلق .

وأخذ كل منا يخطو خطوة كلما خلا من مقدمة الصف رجل ، وبينا نحن على هذا النظام الذى نفعله مقلدين نزلاءنا منذ كثر عددهم بيننا فى هذه الحرب ، إذ أخذت عيناى لا بل أخذ منظارى شاباً مقبلا بادى الأناقة ، متكلف العظمة ، يلتمع شعر رأسه الحاسر التماعاً لا يضاهيه إلا التماع رباط عنقه الأحمر، وإنه ليخطو فى خيلاء تشبه الصلف ، يضرب الأرض بقدميه ضرباً قوياً حتى ليحدث حذاؤه صوتاً واضحاً فى ضوضاء الفناء ، وما أسرع ما فطنت إلى أنى منه تلقاء متحمس ، وإنى لشديد المحبة للمتحمسين عظيم الشغف برؤيتهم .

ومشى هذا المتحمس إلى النافذة فوضع نفسه فى رأس الصف وهيهات أن يرضى متحمس أن يكون فى المؤخرة ، ولكنه ما كاد يمد يده بالنقود حتى سرت فى الصف كله موجة احتجاج كانت أكثر شدة فى آخره ؛ وارتفع صوت من الوسط ينبه هذا المخالف :

— أرجو أن تأخذ دورك وإلا فما معنى أن كلاً منا قد ارتضى دوره؟

— هذا ليس من شأنك ... أأنت مفتش؟... أأنت مراقب ؟

— يا سيدى هذا لا يليق ... ارجع إلى موضعك من فضلك

— موش شغلك يا أفندى ... إشكنى إلى مدير المصلحة

وتحير هذا الذى يحتج ماذا يقول ، ولكنه ما لبث أن صاح قائلا فى غضب : « يظهر أنه مازال بيننا (جليطه) كثير » ونظرت فإذا بى منه تلقاء متحمس ثان فى نهاية سن الكهولة ، وأنا كما ذكرت لك أحب المتحمسين وأطرب أشد الطرب لرؤية تحمسهم

وجاء أجنبى فى تلك اللحظة فقصد إلى النافذة كما فعل المتحمس الأول ؛ ولعله قد رأى مزاحمته فظن الأمر فوضى، وما كاد ينبهه أحدنا حتى عاد إلى موضعه فى ذيل الصف معتذراً عن خطئه وفى وجهه حمرة شديدة من فرط الخجل .

وإذ ذاك نظر المتحمس الثانى إلى المتحمس الأول قائلا وهو يشير إلى ذلك الأجنبى : « ألا ترى ؟ هذا لأنه بنى آدم »

ولكن صاحبنا لم يتزحزح عن موضعه وكأنه يتمسك بمبدأ الثبات حتى الموت ، وإلا فما له لا يبالى بضجر المتضجرين فى الصف كله — إلا أنا بالضرورة — ولا يبالى بنظرات الإزدراء تصوب نحوه فى شدة كادت تجعل من فى الصف ما عداى متحمسين ؟

لم يعبأ على الرغم من ذلك وظل متمسكا بمبدئه القويم ومد يده بالنقود إلى بائع التذاكر فما أشد ما أخذه من حيرة إذ سمع ذلك البائع يقول له فى هدوء : « من فضلك اذهب إلى موضعك »

وثارت ثائرة هذا المتحمس ، فقال فى صوت أشبه بالصراخ وهو يضرب النافذة بقبضته «أتمتنع عن بيع التذكرة ؟» وتطلعت فى فرح أحسبنى أظفر برؤية متحمس ثالث ، ولكن البائع ظل هادئاً ونظر إليه مبتسما وهو يقول : « إشكنى إلى مدير المصلحة »

وتناول البائع النقود من كل مسافر حسب دوره فى الصف وظل صاحبنا فى موضعه قرب النافذة متمسكا بمبدأ الثبات حتى الموت يرشقه كل من أخذ تذكرته بنظرة ازدراء ، حتى جاء دور المتحمس الثانى وقد امتلأت نفسه إعجاباً ببائع التذاكر وعدالته ، فنظر نظرة نصفها إليه ونصفها إلى ذلك الذى لم تجده حماسته وقال متهللا : « والله ما يصح أن يكون مدير المصلحة غيرك » ؛ ثم صوب نحو زميله الذى ماتت حماسته من الخزى نظرة شامتة وهرول إلى حيث يقف القطار .

الخفيف

ريح الشمال ...

[مهداة إلى الوزير الشاعر دسوقى بك أباظة]

للأستاذ أحمد مخيمر

تنسمتُ أرواح الشمال هنيهةً   فهاج بيَ الشوق الدّفين هبوبها
بسمي كمعسول الحديث خفيفها   رخيٌّ ، وفي قلبي شجيٌّ دبيبها
فتحتُ لها صدرى فأمسَتْ خميلة   من الحب فيه صادحٌ عَندليبها
نأتْ راحةُ السّاقى فصوّح دوحها
وما غاض فى ظل الغصون قليبها(١)
وكانت كرونقِ الشمس فى ميعة الضحى
يرفُّ رفيفــاً زهرها وقضيبها
ويبرقُ من فرط النّضارة عشبها
ويهتزُّ من فرط الحياة رطيبهـا
فنى لحظةَ ريحَ الشمال ، فطالما   تمنّتْكِ نفس شرّدتها خطوبها
لعل شذًى منها لديكِ أشمّه   وهاتفةً مما تبثُّ أجيبها
وبين فؤادينا صحارى رحيبة
تضِلُّ الخطى وديانها ولهوبها(٢)
يعوم عليها الآل حتى كأنه   ظنون بأرض النفس ناء قريبها
بعثت عليها من أمانيَّ طائراً   فآب مهيضاً ألهتته دروبهـا
وإن كثيراً أن أظل ببلدة   غريباً ولا يدنو لنفس حبيبها
إذا الليل وافانى شعرت بلوعة   يُشَبُّ بأحناء الضلوع لهيبها
وجاء إليّ الحزن من كل جانب   وهمهمت الأشواق جمًّا سروبها
وبان لعينيّ الظلام كأنه   حفيرة موتى فاجأتها شعوبها(٣)
ورفّتْ بقلبي ذكريات من الهوى
تفوح كأزهار الرياض طيوبهـا

أرود بها لذات عهد قد انقضى   وأيام حب غاب عنها رقيبها
فما هو إلا أن طبتنى ظلالها
فسرحتُ عينى فاستهلّت غروبها
وكنت كذى غلّ(١) رأى الماء قلبه
ظنوناً ، وهل يُروَى بهن طلوبها !

* * *

لكِ الله يا ريح الشمال ، وإنها   لساعة بثّ ثم يدنو مغيبهـا
تهيجين أشواق ! وقد كنتِ قبلها
مزاميرَ غيبٍ ، فى الضلوع طروبها
وكنتُ إذا أعولتِ فى ظلمة الدجى
توزّعنى أسرارها وغيوبهـا
أظلُّ كأنى قد فتحتِ لناظرى   سبيلاً إلى الآباد رحتُ أجوبها
فبالله يا ريحَ الشمال أشيّعتْ   إلينا تحياتٍ لديك نصيبها !
ألا مستِ خديها ، أجاذبتِ شعرها
ضفائر صـفراً ينفح العرف طيبها
كمثل خيوط الشمس ، والفرق وسطه
شعاعةُ قمـراء بهيٌّ سروبها
عجيب كصحراء الخيال مموّهٌ   بذوب نضارٍ قاعها وكثيبها
جميل كألوان على السحب ثرّةٍ
وقد حان من شمس النهار غروبهـا

* * *

شفت كبدى ريح الشمال وقد سرت
فيا ليت شعرى هل شفتها جنوبها
نأت دارنا عنها ، وشطّتْ بدارها
نوًى قذفٌ قد أبعد السأو(٢) نيبها
وإنى امرؤٌ أقصى مناه وهمه   بقيمان أدفو أوبةٌ فيثوبها !

(ادفو)   **احمد مخيمر**

(١) القليب : البئر .
(٢) اللهوب : المهاوي بين الجبال .
(٣) شعوبها : المنية

(١) الغل : الغليل
(٢) الشأو : الهمة .



حول المدرسة الرمزية

سيدى الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد :

لست أريد من هذه الكلمة القصيرة التى شرفها أنها موجهة إليكم ، إلا أن أذكر لسيدى الأستاذ أن الجملة الأخيرة التى أنهى بها مقاله عن « المدرسة الرمزية » فى عدد سابق ، هى نفسها ماظللت أشعر به منذ سنين ، آن ملت إلى الرمزية أنصفها وأنقذها من أيدى من كفانا الأستاذ الكريم عناء وصفهم ولله الشكر ... فلقد لست بيدى ضرورة الإيمان بأن « ميزان الصدق فى هذا المذهب أن يكون الرمز ضرورة لا اختيار فيها » ... وأن يكون الإيحاء « لتقريب المعنى البعيد لا لإبعاد المعنى القريب » ... أىْ وربى ... ولا أخفى على الأستاذ أنى ما شعرت بهذا إلا من كثرة ما أغوص فى نفسى الحزينة المتألمة ، حيث أقف على كل عاطفة ، دقيقة وغير دقيقة ، وكل معنى ، واضح أو مبهم ، فأذهل فى هذه المرحلة التى أسميها مرحلة المواطف ، وأشعر أنى فى جو جديد ، أنصت للهمسات المتشردة ، وأرنو إلى ألوان متتابعة ... حتى يأتينى هيجانُ النظم ، فلا أقنع بما دون الحالات كلها وأجرب وصفها وتصورها ... فأضطر إلى أن أغالى ... فأغالى ... وما العمل ؟ وأصبح لا أريد من الرمزية إلا الوقوف على هذه الحالات الدقيقة ، مردداً فى كل مناسبة هذه الجملة التى كادت تكون تسبيحى : « إذا الرمزية لم تأخذ على عاتقها إجلاء غوامض النفس فحرىٌ بها أن لا تكون ... »

غايتى إذاً فى الرمزية هو التعبير عن هذه الدقائق النفسية التى لاريب قد شعر بها القارئ كل أو بعض الشعور ، والتى يمكن على كل حال إحياؤها فيه ... ووسيلتى — وهى أيضاً غاية بعض الرمزيين المنصفين — ليست الغموض وحده ولا الوضوح وحده ولكن تعانق هذين اللونين اللذين نجدهما — كما يقول صديقنا الأستاذ بديع حقى — فى كل شىء ضمته هذه الحياة ، هذه الحياة التى هى نفسها تعانق وضوح وغموض ... نعم صديقنا بديع — وهو أكثر ما أراه ميالا إلى الغزل وإلى وصف الطبيعة فى شعره الرمزى — يريد أن تكون الرمزية صورة هذه الحياة ... وله الحق ... ولكن أنا ... لا أريد من الرمزية إلا التعبير عن هذه العواطف الدقيقة وتلك المعانى المبهمة بأسلوب يقتضيه الحال ، فنكون بذلك قد خدمنا الأدب الرمزى خاصة والأدب العربى عامة ... وأنا أقول هنا الأدب العربى لأن الأدب العربى لم يجهل قط فى عصر من عصوره الإسلامية هذا النوع من النظم ! ! واليوم ، يجب أن لا ننظر إلى الرمزية بعين الازدراء أو التعصب فنعدها خروجاً عن الأدب أو مفسدة للذوق الفطرى الأدبى أو غير ذلك : ولكن يجب التعقل فيها !. نعم ، نحن ورثنا عن القدامى رمزيات عديدة كتلك التى رمز إليها أستاذنا آنفاً أو تلك التى أسعدنى الحظ ففصلتها فى بحث يطول الآن اختصاره ، قدمته لمباراة أبى العلاء التى أقامتها مجلة (الأديب) الغراء فى السنة المنصرمة ... فكان والحمد لله من الفائزين : وقد تبين لنا فيه أن المعرى رمزى صوفى ، لم يدفعه إلى الرمزية إلا تصوفه ... وغير ذلك ... ولكن ياحضرة الأستاذ ألا ترانا بحاجة إلى تجديد هذه المفاهيم الصوفية الرمزية العربيـة ؟ إننا اليوم نرمز ونحن بعيدون عن التصوف بعد الأرض عن السماء ، أفلسنا بحاجة إذاً إلى رفع لواء الرمزية الحقيقية حيث يكون « الرمز فيها ضرورة » .

سيدى الأستاذ ، أنا قد آمنت بهذه الرسالة التى يجب أن أحمل مشعلها فى الأدب الحديث ، باثـاً هذه المفاهيم الشاقة الشيقة التى وجدتُ أيضاً (جذورها) عند منصفى الرمزية الفرنسية : عنـد (مالرمه) — وخاصة مالرمه هذا — و(فرلين) وقليلا عند (رمبو)..
وأنا اليوم أنظم على منوال مفاهيمى هذه التى رمزت إليها فوق ، والتى أحب ، بعد هذه الكلمات ، أن أسمع أستاذى بعض ألحانها ... فهل يتكرم الأستاذ فيبدى فيها رأيه ، بعد ما أتيحت لى هذه المناسبة السعيدة التى تجعلنى أومن كل الإيمان بأن (الرسالة) هى تاريخ هذا العصر الأدبى المضطرب ... وبعدما طمعت — والشباب كله طمع وأمل — فى جودكم المعهود الذى يجملكم لا تضنون برأى على قريب ولا بعيد ...

فالقصيدة ، وعنوانها « بقايا حُلُم » جربت فيها تصوير هذه الفترة الدقيقة التى تمر على كل إنسان فى ساعات أحلامه : فيندفع وراء الأوهام باسماً فرحاً ، بوعى وبغير وعى ... فتحمله ... وأوّاه ... لا تحمله إلا إلى خيبة ، إلى حزن ، إلى قبور جامدة فيقف قائلا لنفسه :

بقايا حلم

لحشرجة الوهم ، يا نفس ، هل تبسمين ؟ ...
تموت الرؤى فى الضلوع ... ولا تشعرين !!.
وتهفو ، يُشَيّعُها الفلُّ والياسَمين :
لتسكُبَ حُزنى على زَغردات الأنين !؟ !.

وتبقين حيرى ، وراء الهضاب الحزين !!.
فأسألُ عنكِ الخيالَ ... الخيالَ الأمين :
إذا بالتهاويل تومئ : « صه ... بعض حين » !.

« ٥ »

فأهمسُ للموت ... والبيدُ ليست تبين :
قبورٌ على أبحُرِ الوهم تبكي السنين ...
وترنو إلى الذكريات بعين الحنين !..
قبورٌ ... ولحن احتضار ... ودنيا ... ودين ...
وألقاكِ ، أنتِ ، تقولين للنادبين :
« بنفسي أشيع نفسي! ... فهل من معين؟! » ..

« ٥ »

لحشرجة الوهم ، يا نفس ، هل تبسمين ..

فهذه قصيدة قد تغنى عن كل ما لخصناه فوق والسلام عليكم وإلى اللقاء ...

دمشق

عدنان الذهبي

غيرة فيلسوف

ليت الغيرة التي دفعت الدكتور شريف القبج إلى نقد طريقة إقحامي النقد الأدبي في فن القصة كانت غيرة على الأدب وحده دون سواه ، وبذلك كنت أحمد له غيرته ، وأقدر تجرده عن الغرض البادي من تضاعيف سطوره وتعابيره غير المحمودة .

إني أتغاضى عما قال — سامحه الله — حباً بالنقد وحرصاً على الحرية — لأقول له إن ما بيني وبين زميل له من خصومة أدبية هي التي حفزتني إلى إقحام النقد الأدبي في فن القصة . فهل هذا الإقحام جائز أو غير جائز ، مقبول أم مكروه ، أو هو بدعة للتشفي كما توهم ؟

أعرف أن ميدان القصة رحب يسع ما في الحياة بأكلها من صور وألوان ، وأعرف أن إقحام النقد الأدبي لا يكون إقحاماً على القصة بمعناه الصحيح إلا إذا عجز القاص عن إلحاقه بسياق الحديث ، وبمجراه الطبيعي ، وبجوه المناسب ، ولم أتعدّ عن هذا السمت فيما أوردته في قصتي « الأفعوان » المنشورة في مجلة « المنتدى » .

أما زعمه أني فعلت ذلك للتشفي من زميل له فهذا زعم باطل . لأني خاصمت بشر فارس الشاعر القاص وحاربته في شعره وفي قصصه ، ولن أنفك عن منازلته في كل ميدان ، ومحاربته بكل سلاح ، حتى أقتل التواءات في نفسه يقرّني عليها كل الأدباء ولن أعامله كما رغب إليّ حضرة الدكتور — سامحه الله مرة ثانية — « كما يعمل الطبيب الجراح مبضعه في الجسم العليل » لأني أعتقد أن في وسع هذا الزميل الانعتاق من هذه الرمزيات الشعرية والقصصية متى انجابت السحب الدكناء عن ذهنه غير المظلم ، وعندها يكون صحيحاً كأحسن الأصحاء . أفعل ذلك ، لا حباً به ولا كراهة ، ولكن غيرة مني على ناشئة قد يسممها هذا الضرب السمج من الرمزية الجوفاء ، الحامل لواءها المنكس الدكتور بشر فارس .

حبيب الزحلاوي

حفلة المعهد الملكي للموسيقى العربية

أقام المعهد الملكي للموسيقى العربية يوم الإثنين الماضي حفلته السنوية لتوزيع الشهادات على الخريجين تحت رعاية الوزير الحصيف الدكتور عبد الرازق السنهوري بك الذي أناب عنه الأستاذ محمد بك فهيم ، وقد بحثت بإمعان عن مجهود الطلبة في هذا المعهد فلم أجد له أثراً ينسينا أخطاءه الماضية وجموده الدائم بالرغم من وجود الدكتور شرف الدين سليمان والأستاذ عبد الحليم علي في المعهد وفي الوزارة وهما علمان بارزان في سماء الفن ولولاهما لسقطت الحفلة سقوطاً مريعاً . وأعتقد مع الأسف الشديد أن النظم العتيقة في هذا المعهد هي التي ظلمت جهود هذين البطلين وحالت بينهما وبين تنفيذ برامجهما الفنية في عالم الأوبرا التي قدم منها الدكتور شرف أول محاولة بالنسبة إلى فهم المعهد . وقد أجمع المثقفون على صلاحيته لمثل هذا العمل لولا النظم البالية التي حالت بينه وبين تنفيذ برامجه في عالم الموسيقى المسرحية التي لم يسمع بها المعهد بعد ! ونحب أن ننبه القائمين بالأمر على صفحات هذه المجلة التي تخدم الفن والأدب بإخلاص إلى ضرورة الالتفات إلى وضع الموسيقى المسرحية والأوبرا في برامج المعهد في العام القادم حتى نتخلص من هذه الأوضاع الجامدة التي تركض بنا إلى الوراء ركضاً سريعاً ، وحتى نرى في السنين القادمة أثراً واضحاً ينير الطريق للسالكين بعد هذا الليل الطويل .

عبد القادر محمود

الكتب

الشـــــوق العائد

ديوان جديد للشاعر الأستاذ على محمود طه

آية الفنان الموهوب أنك فى دنياه لا تكاد ترجع ما يعرضه أمام ناظرك ، ويجريه فى حسك ، إلا إلى منابع روحه ، وفيوض مواهبه ، وحسب هذه المجموعة التى يقدمها الشاعر — على محمود طه — فى ديوانه الجديد الشوق العائد أنها تحمل هـذا الطابع الفنى الرائع فى معناها ومبناها ، فهى تتقـدم فى مبنى غاية فى الأناقة ، ومعنى من دنيا الشاعر الذى يهيم فى أجواء الحب ، ولا يكاد يثنيه عن الولع بهذا الجانب الإنسانى العاطفى ما يغلى به مرجل العالم من أحداث وأهوال . ولـكن متى كان فى استطاعة الإنسانية أن تتخلص من أسر العواطف ؟ والشوق العائد وحى الوجدان الصادق ، فليس فيه عاطفة مصطنعة ، ولا صورة غريبة ، ولا شعور متكلف ، ولا إحساس دخيل ، بل يغمرك بوقدة روحه ، ويشع عليك وهج قلبه فى صدق وأمانة ، ويرسم لك عواطفه وخوالجه بهذا الوضوح والهدوء ، فلا يحلق بك وراء السحاب ، ولا يقذفها هوجاء عاصفة ، ولا معقدة غامضة ، ولا أدرى ما إذا كان هذا من حسنات — محمود طه — فى نظر بعض الناقدين أم من مآخذه . ومن بين عرائس هذا الديوان قصيدة (الشوق العائد) التى يقول فيها :

إهدئى يا نوازع الشوق فى قلـ ـبى فلن تملكى لماض رجوعا
آه هيهات أن يعود ولو أفنـ ـيت عمـــرى تحرقاً وولوعا

ثم يعقب على هذا الزائر المعاود فيقول :

أيها الزائر المعــاود ما ألـ ـقاك أحسنت بالمزار صنيعا
ما أرى فى سمات وجهك إلا شـبحاً رائعاً وحلماً وجيعا
يتـــوقاه ناظراى كأنى فيه ألقى آلام عمرى جميعا

ثم ينتهى إلى هذه النغمة الحزينة :

عدت يا شوق! فيم عدت ؟ ربيع الـ ـعمر ولى! فهل تعيد الربيعا ؟!

ولقد استطاعت المرأة أن تبسط سلطانها على أكثر ما فى هذا الديوان ، وأن تطلق فيه أشباحها ، وأن تستأثر منه بصفحات خالدات من أمثال : طاقة زهر — وامرأة وشيطان — وهى وهو — وثلج ونار — ونار ونار — والغرام الذبيح — وامرأة .

وهو يضم أيضاً عدة قصائد من بينها : الأيام — وإلى الطبيعة المصرية — وفاروس الثانى — وموكب الوداع . وكلها نماذج لهذا الشعر العاطفى الراقص ، والديوان من الشعر الحى الذى تعتز به دولة الشعر الحديث .

محمد عبد الحليم أبو زيد

البلاغة العصرية واللغة العربية

للأستاذ سلامة موسى

كتاب للأستاذ سلامه موسى يحمل طابعه المعروف ، أهداه إلى الأستاذ أحمد أمين لأنه هو الذى أوحى إليه بموضوعه من حيث لا يدرى (أحمد أمين بك يوم أن نشر مقالا فى الثقافة) يشير إلى أن الكلمات تتغير معانيها بتغير الزمن والبيئة ...

والأستاذ سلامه يرى أننا نفكر بالكلمات وكثيراً ما ننخدع فنظن أننا نعالج الأشياء فى حين أننا نعالج الأسماء ويرى أن الكلمات تكسبنا اتجاهاً أخلاقياً وتكون لنا مزاجا فنيا وأحياناً تحمل إلينا رواسب ثقافية قديمة كثيراً ما تضرنا فى مجتمعنا ، وهو من أجل هذا عالج فى كتابه البيئة واللغة ، واللغة والتطور البشرى ، واللغة والمجتمع ، والأحافير اللغوية . وتعرض إلى ضرر اللغة (هكذا فى الكتاب)

وقارن بين الكلمة الموضوعية والكلمة الذاتيـة وتحدث عن المجتمع العربى القديم .

وعقد فصلاً حول (الكلاسية داء الأدب العربى) ... الخ وليس فى الكتاب بحث يتصل بالبلاغة بمعناها الاصطلاحى إلا كلمة (فن البلاغة)

والكتاب بحوث حول اللغة كأداة للتعبير وحول تبسيطها وإخضاعها للحياة المعاصرة .

ومع أن الكتاب فى جملته بحوث تثير التأمل إلا أن الكتاب لم يأت بجديد يحل مشكلة اللغة من ناحية البلاغة ؛ لأن نهاية إجهاد قلمه كانت تتلخص فى (أن تكون البلاغة بلاغة المنطق والمعرفة بدلا من بلاغة الانفعال والعقيدة ، كما يجب أن نتوقى المرادفات والكلمات الملتبسة وأن نميز بين الكلمة الذاتية والكلمة الموضوعية .

ثم يدعو الأستاذ إلى أن يتأنق (التلميذ) فى تعبيره ولكن تأنق الذكاء وليس تأنق البهرجة البديعية ...

وهذه الأماني تحققها كتب البلاغة حتى الكتب القديمة .

والأستاذ يعرف أن بلاغة المقيدة هي أشد أنواع (البلاغات) وأن المترادفات متى استدعتها دواعي البلاغة كانت ألزم في تظليل المعنى وإيضاح الفكرة ، والفن العارى المجرد لايهز النفس ولايمتع الروح ، والأستاذ (سلامه) في حاجة إلى أن يراجع آراءه القاسية التي تريد للغة أن تكون من وحي (التلغراف)

وعليه أن يعرف أن فن البلاغة خضع للتطور ، وأن أدباء العرب لم يقدسوا شيئاً كما ظنّ فقد يهرجوا الزائف بدقة أذواقهم وقوانينهم التي أجدت على النقد وأسعفت الفن الرفيع .

وأما تعرض الأستاذ سلامه لمنهج العقاد وسلوكه في تأليفه على نهج سلفي وإضافة كثرة الأدباء إلى هذا فندع ذلك وبيان إيضاحه للقراء ، ندع أمره والدفاع عنه للأستاذ العقاد . ونحن نعتز بالفصحى ونعتز بمن يعتز بها ، ولست أدرى ... لم يضيق الأستاذ سلامه موسى بأحافير اللغة ما دمنا نستطيع الانتفاع بها وما دامت فيها روح الإعجاز والخلود .

واللغات جميعها تنتفع بماضيها وتحيي من نفائسها ما يربط مستقبلها وحاضرها بالتليد النافع

وإذا فاتك التفات إلى المـــا ضي فقد غاب عنك وجه التأسي

كامل محمد عجلان

الأطياف الاربعة

للأساتذة أمينة وحميدة ومحمد وسيد قطب

أخرجت لجنة النشر للجامعيين أخيراً كتاب « الأطياف الأربعة » للاخوة الأربعة الأساتذة حميدة وأمينة ومحمد وسيدقطب .

« كتاب كتبه إخوة في الدم ، إخوة في الشعور ، كلهم أصدقاء ، يقطعون الحياة كأنهم فيها أطياف ، هم أنفسهم كل ما يملكون في الكون العريض . إنهم أبداً يحلمون وقد يتفزعون في الحلم ولكنهم إليه يعودون . أودعوا خطراتهم صفحات هذا الكتاب ، فاحتوى عصارة من نفوسهم وظلالاً من حياتهم »

يصف الأدباء الأربعة صوراً خبروها في حياتهم ، وحوادث مرت بهم ، بعضها يبعث على الأسى ، وبعضها يكتنفه الأمل ، وبعضها يستدر العطف . لوحات فنية رسمها كل منهم بريشته الخاصة وتفكيره الخاص فأخرجوا منها مجموعة يصح أن تزين معرضاً . لقد كشف ذلك الكتاب عن أسرة تعيش في دنيا الأدب ، يرتفع أفرادها مرة إلى أفق الخيال البعيد ، ثم يهبطون إلى دنيا الحقائق الملموسة ، ومايلبثون حتى يحلقوا في عالم الأطياف والرؤى

أهدى المؤلفون كتابهم إلى « أماه » التي عاشوا وهي معهم غرباء في القاهرة ، فلما مضت عنهم تفرقوا في الكون العريض كنباتات ضالة ليس لها جذور ، وأطياف هائمة ليس لها قرار .

ولقد اتصف الصديق الكريم الأستاذ سيد قطب بالوفاء وتسربل بالإخلاص . وتلك الصفة وذلك اللباس يتجليان رائعين فيما كتب من فصول عن « أماه » تلك الملهمة التي لا يفتأ الأستاذ قطب يردد ذكراها ويحس بالوحشة إليها . وما أجمل اللوحة التي أبدعها قلمه حين قال مخاطباً إياها « قفي ... قفي نصمد لعجلة الزمن العاتية كي لا تدور فتسحق كل عزيز وتدفن الماضي الذي نعيش على هداه . ظللي ياأماه حياتنا بجناحيك الرفيقين ، ولا تحسرى هذا الظل عن مواقعه التي تفيأناها . عيشي معنا يا أماه في هواجسنا وأفكارنا ، ولا تبالي أن يلذعنا ألم الذكرى كل لحظة ، فهو ألم رفيع عزيز ، يغذى من نفوسنا ما كان يغذيه عطفك ، ويملأ من وجداننا ما كانت تملؤه رعايتك . جنبينا الفراغ القاتل ، والسلوى الرخيصة ... يا أماه » .

والحق أن كتاب « الأطياف الأربعة » ممتع يلتذ القارئ بقراءته حتى ليكاد يستعيد بعض فصوله مرات ومرات ؛ فإن الصور الخاطفة التي ساقها مؤلفوه ، والمشاعر السامية التي أودعوها صفحاته ، والتحليلات النفسية البارعة التي عرضوها فيه ، دلت على قدرة مشاعة بين إخوة أربعة ، وفطنة مشتركة بينهم ، ولباقة أدبية يتميزون بها ويتحلون .

غير أنني أريد أن أهمس في آذان الكتاب الأفاضل ، ولا أظنني متحاملا عليهم ، إن مصنفهم اتشح بالسواد واكتنفته مسحة قاتمة من الحزن تكاد تبلغ مرتبة التشاؤم . حتى الغلاف لم يسلم من ذلك الخمار الأسود القاتم يجلل صدره . أما كان يجدر بهم أن يضيفوا إلى « الأطياف الأربعة » طيفاً خامساً مرحاً أو باسماً ؟ أما كان من الأفضل أن يكون الكتاب معرضاً لصنوف المشاعر ، بين فرح وحزن ، وابتسام وعبوس ، وجمال ودمامة ؟

والكتاب فيما عدا ذلك قطعة أدبية فنية رائعة ، تحس حين تقرأه اتساقاً وانسجاماً بين فصوله المختلفة تفصح عن مكنونات قلوب كاتبيه السمحة ، وميولهم الأدبية الرفيعة .

وديع فلسطين

بكالوريوس صحافة

محكمة قنا الجزئية الأهلية

إعلان بيع فى القضية رقم ٨٦٢ سنة ٩٤٤ جزئى قنا

فى يوم الاثنين ٢٨ مايو سنة ٩٤٥ الساعة ٨ أفرنكى صباحا بسراى المحكمة سيباع بطريق المزاد العلنى اجرى الدقار لآتى بعد المملوك إلى جندى أفندى حليم ابراهيم وأمينة لوقا سيداروس من بندر قنا وفاء للمبلغ ٦٦ جنيه و٠٣٨ مليم بخلاف ما يستجد من المصاريف بثمن أساسى قدره ٧٠ جنيه للمنزل جميعه

وهذا بيان للمنزل وهو كائن ببندر قنا

هدد ٣٦٢ ذراع عبارة عن منزل كائن ببندر قنا بحارة الأنصارى حسب جرد البندر وحارة أبو شقرة حسب خريطة ١/١٠٠٠ تحت رقم ٤ وحديثا رقم ١٠٨ جرد مبنى بالطوب الأحمر والأخضر مكون من ثلاثة أدوار حده البحرى زقاق وفيه الباب وطوله ١٢ وثلثي أذرعة والحد الشرقى شارع وطوله ١٦ وثلث ذراع والحد القبلى بعضه شارع وبعضه ملك ورثة مصطفى دغيمى وطوله ٢٤ ونصف ذراع والحد الغربى حوش رقم ١٠٧ ملك أمينه لوقا سيداروس بطول ٢١ وربع ذراع

وهذا البيع بناء على طلب الخواجه عازر جورجى خليل من بندر قنا ومحله مكتب حضرة الأستاذ ميشيل أفندى رزق المحامى

ونفاذ الحكم نزع للملكيه الصادر من هذه المحكمة بتاريخ ٢٢ ـ ٥ سنة ١٩٤٥ ومسجل بمحكمة قنا الكلية فى ٢٨ منه تحت رقم ١٩٤ ص ٢٣٤ ، ٢٣٥

فعلى راغب الشراء الحضور وشروط البيع وجميع الأوراق بقلم الكتاب لمن يريد الاطلاع عليها ؟

كاتب البيوع

الحب العنيف والغيرة القاتلة فى ...

الجنس اللطيف

الهوى والشباب والصبا والجمال والكهولة فى ...

الجنس اللطيف

الضحك والسرور والمرح والبهجة والطرب والهناء مع ...

الجنس اللطيف

في سينما الكوزمو بالقاهرة

حاليا بنجاح عظيم — ٤ حفلات يوميا

س . ت — ١٦١١

الحاسة السادسة

وهو بحث علمى وتجارب عملية فى الكشف وقراءة الأفكار والنوم المغناطيسى والأحلام وتحضير الأرواح وغيرها من الظواهر التى يعدها الناس من فنون السحر . وهو ثمرة درس وملاحظة وتجارب دامت أربعين عاما وموضح بالصور . ألفه بالانجليزية « جوزف ستبل » وكتب مقدمته الطبيب العالمى الشهير الدكتور مكلويد يرسلى وترجمه الأستاذان محمد بدران مدير إدارة الترجمة بوزارة المعارف وعضو لجنة التأليف والترجمة والنشر وأحمد محمد عبد الخالق بك خبير مصر الاقتصادى بالسودان وثمنه ٢٠ قرشاً عدا أجرة البريد وقد نشرته مكتبة الآداب بالجماميز ويطلب منها والمكتبات الشهيرة

محكمة العدل الدولية

ومحاكم النازية والفاشية

بإزاحة الستار عن عصبة الأمم القديمة التى تمخضت عنها الحرب الماضية . هل ينبغى إيجاد قوة من البوليس لتنفيذ أحكام محكمة العدل الدولية ، مشكلة اليهود وطردهم من أوربا ، المبادىء السياسية العامة والديمقراطية والشيوعية والفاشية والنازية . الحكومة الدينية ودفاع أصحابها عنها .

إقرأ ذلك فى أسلوب رائع (لبرنارد شو) فى كتابه

(جنيف)

الذى ظهر أخيراً وترجمة الأستاذان محمد فتحى ومصطفى طه حبيب عضوا هيئة خريجى قسم الأدب الانجليزى بجامعة فؤاد الاول وقد طبع الكتاب طبعا فاخراً يليق بمكانته فى عالم الادب والسياسة ويطلب من ناشره صاحب مكتبة الآداب بالجماميز بمصر ت ٢٧٧٧٤ والمكتبات الشهيرة وثمنه ٢٠ قرشاً عدا البريد .

صدر فى منشورات أصدقاء الكتاب :

نساء عاشقات

للاستاذ

صلاح الدين المنجد

تحليل بارع لأروع قصص الحب فى الأدب الفرنسى بأسلوب ناعم حلو

أطلبوه من الوكيل العام

عبد الله السوادى

صاحب مكتبة الهلال

محكمة الصف الجزئية الأهليه

« إعلان بيع عقار »

نشرة فى القضية رقم ٦٨٠ سنة ١٩٤٤

إنه فى يوم الثلاثاء ٢٩ مايو سنه ١٩٤٥ الساعه ٨ أفرنكى صباحاً بغرفة المزايدات بمحكمة الصف الجزئية الأهليه .

سيباع بطريق المزاد العلنى بالشروط المدونه بحكم نزع الملكية العقار الآتى بيانه بعد ملك كامل عبد العال رضوان من ناحية الكوايه مركز الصف مديرية الجيزة وهاهو بيانه

٨١ سنتيمتر ، ٣٧ متر سبعه وثلاثون متراً مربعاً وواحد وثمانون سنتيمتر مربع قطعة ٩ بحوض السوقى ن ٨ قسم ثانى مشاعا ر المنزل البالغ مسطحه ٢٥ س ، ١٥١ متر الحد البحرى منزل إبراهيم أبو شبيكه والشرقى بعضه شارع وبه الباب وبعضه منزل ورثة محمد على البطيحة وبعضه — ١٢٦ بحوض رغقان حسن حموده وآخرين والقبلى — ١٢٧ بحوض رغقان وسعد ولى حسن حموده مناصله والغربى بعضه منزل عبد سليمان جاد الحق وبعضه منزل شلباه محمود زعفان من ناحية الكوايه مركز الصف ٨١ س ، ٣٢ م قدره سبعه وثلاثون متراً مربعاً وواحد وثمانون سنتيمتر مربع .

وهذا البيع بناء على طلب ست الكل على جمعه من الكوايه مركز الصف مديرية الجيزه وفاء لمبلغ ١٠٢٥ قرش ألف وخمسة وعشرين قرشاً صاغا وما يستجد من المصاريف نفاذاً لحكم نزع الملكية الصادر من محكمة الصف الأهليه بتاريخ ٣ اريل سنة ١٩٤٥ ومسجل بمحكمة مصر الابتدائيه بتاريخ ٧ — ٤ سنة ١٩٤٥ رقم ٢٣٢ سنة ١٩٤٥ بثمن أساسى قدره ١٠٢٥ الف وخمسة وعشرين قرشا صاغا

فعلى من له رغبة فى الشراء الحضور فى الزمان والمكان المبينين آنفا وشروط البيع والأوراق مودعة بقلم كتاب المحكمه لمن له رغبه وللاطلاع عليها .

كاتب البيوع

سكك حديد الحكومة المصرية — مواعيد فصل الصيف

يتشرف المدير العام بأن يلفت نظر الجمهور إلى التعديلات التى أدخلت على بعض قطارات الإكسبريس والركاب والتى نفذت ابتداء من أول مايو سنة ١٩٤٥ كالمبين بالجداول المعروضة بالمحطات ودفتر الجيب الذى يباع بها .

وفيما يلى أهم التعديلات :

١ — تستبدل العربة الديزل الإكسبريس رقم ٢٥ التى تغادر القاهرة فى الساعة ٣٠ ٢٠ إلى الاسكندرية بقطار عادى مؤلفاً من عربات درجة أولى وثانية وصالون بولمان وعربة أكل .

٢ — تستبدل العربة الديزل الإكسبريس رقم ٢٦ بقطار عادى مؤلفاً من عربات درجة أولى وثانية وصالون بولمان وعربة أكل ، يغادر الإسكندرية فى الساعة ٤٥ ١٩ ويصل إلى القاهرة فى الساعة ٢٥ ٢٣

٣ — ينقل قطار الإكسبريس رقم ٨٨ الذى يغادر القاهرة فى الساعة ٠٠ ٢٠ إلى الشلال ، ركاب الدرجتين الأولى والثانية فقط ويسير بصفة إكسبريس بين الأقصر والشلال فى الساعة ٤٠ ١١

٤ — ينقل قطار الإكسبريس رقم ٨٩ ركاب الدرجتين الأولى والثانية فقط . ويغادر الشلال فى الساعة ٥٠ ١٦ ويسير بصفة إكسبريس إلى الأقصر ويصل إلى القاهرة فى الساعة ٤٥ ٨

٥ — يغادر قطار الإكسبريس رقم ١٦٤ القاهرة فى الساعة ٠٠ ١٦ وينقل ركاب الدرجات الأولى والثانية والثالثة ويمتد مسيرة بين سوهاج والشلال ويقف بجميع المحطات بين الأقصر والشلال فيصل إلى الشلال فى الساعة ٣٥ ١٠ ويعود منها برقم ١٦٣ بركاب الدرجات الأولى والثانية والثالثة فى الساعة ١٥ ١٧ إلى سوهاج والقاهرة فيصل القاهرة فى الساعة ٢٠ ١١

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 619

Lundi - 12 - 5 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٣٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦١٩ «القاهرة فى يوم الإثنين ٣٠ جمادى الأولى سنة ١٣٦٤ — ١٤ مايو سنة ١٩٤٥» السنة الثالثة عشرة

التربية السياسية

للأستاذ عباس محمود العقاد

أحسنتم فى كلمتكم التى شيعتم بها عهد الدكتاتورين هتلر وموسلينى ، وأشرتم إلى موضع العجب العاجب من أمر الأمة الألمانية التى يستطيع رجل كسائر الرجال ... « فيه الخطل والجهل والعجز والهوى ، وليس فيه إيمان لوثر ، ولا سياسة بسمارك ، ولا أدب جوته ، ولا فلسفة نيتشه ، أن يسيطر على ستين مليوناً من الجنس الأوربى الممتاز ، وأن يسخرهم اثنى عشر عاماً فى ابتكار أفظع ما يتصور الذهن الجبار المجرم من وسائل الفتك وآلات الدمار »

والحق أن أعجوبة الأعاجيب فى هذه الأمة الألمانية أنها على وفرة نوابغها وشيوع التعليم بين طبقاتها وازدهار المعارف والصناعات فيها ، لا تزال تستسلم لطاغية بعد طاغية سواء من عواهلها أو من المغامرين بالحكم فيها ، ثم تمضى معهم فى مخاطرة بعد مخاطرة من أيسر شرورها هزيمتها وامتلاء الأرض كلها بالوجل والبلاء بضع سنوات

ولكنها عبرة من عبر التاريخ الكبرى تساق إلينا نحن الشرقيين خاصة لنعلم هوان المعارف والصناعات ووفرة النوابغ وكثرة المتعلمين إلى جانب التربية السياسية التى تتوارثها الأمة جيلا بعد جيل فى ظل الحرية والمعاونة البصيرة بين الرعاة والرعية

فالأمة الألمانية قد استوفت كل مزية من مزايا العلم والصناعة والنبوغ إلا هذه المزية التى لا غنى عنها ، وهى مزية التربية السياسية

وأولى خصائص هذه المزية هى الاستقلال بالرأى فى محاسبة الحكام ، أو هى اشتراك الجميع فى الحكم ببداهة المعاونة التى تنشأ من طول المرانة و كثرة المراس

فالأمة الإنجليزية مثلا قد نشأت فى جزيرة يحوطها البحر ، فاستغنى ملوكها عن الجيوش القائمة الكبيرة التى يدفع بها الملك خطر العدوان من جيرانه ، وأمن رؤساء العشائر أن يسومهم الملك طاعة لا مراجعة فيها ولا مشاورة ، لأنهم كانوا جميعاً فى عشائرهم بمثابة الملوك الصغار ، وكان لهم من الجند والأتباع ما يستعينون به على مكافحة العسف والطغيان كلما تجاوزا حدود المصلحة الكبرى التى يرتضونها أجمعين

وكان الإنجليز أمة تجار وبحارة ينفردون بأنفسهم فى لجج البحار . فتعلموا من التجارة مساومة الآخرين ، وأن الأمر لا يؤخذ فى الدنيا بالغصب والإكراه ، وتعلموا من البحر كيف

ينفردون بمكافحة الأخطار ، وكيف يستقلون بآرائهم فى مداورة الصعوبات

وجيل بعد جيل بعد ثالث بعد رابع على هذه الوتيرة كفيلة بتربية الاستقلال والخبرة بمداولة الشؤون وإقامة الحدود المعقولة بين الحاكم والمحكوم

لكن الألمان على نقيض ذلك ، قد شاء لهم سوء الحظ أن يقيموا فى الرقعة الوسطى من القارة الأوربية ، وكانوا فى حاجة دائمة إلى الطاعة العسكرية ، لأنهم يغيرون على جيرانهم ويغير جيرانهم عليهم فى كل حين ، ولم يزالوا على ذلك عرضة لسطوات الأقوياء كلما ظهروا من حولهم فى الشرق أو الغرب أو الجنوب أو الشمال . فمن ظهر فى الشرق أخذهم فى طريقه غرباً إلى حيث يريد الفتح أو القتال ، ومن ظهر فى الغرب أخذهم فى طريقه شرقاً كما يشاء وحين يشاء ، وكذلك كان يصنع بهم من يمتد بسلطانه من الجنوب إلى الشمال ، أو يمتد به من الشمال إلى الجنوب

وكانوا من قديم عصورهم قبائل متفرقات تعمل فى الرعى والقنص والزراعة ، فعاشوا عيشة القبائل الأولى وهى عيشة طاعة وتسليم ، وجاءتهم النظم العسكرية التى لا فكاك منها ، فزادتهم طاعة على طاعة وتسليما على تسليم

وقد تعددت ولاياتهم حتى زادت على ثلثمائة فى نهاية القرون الوسطى ، ولم تنقص هذه الولايات عن مائة وسبعين فى أيام الثورة الفرنسية ، ثم تجمعت بعض التجمع فى زعامة ولاية من أكبرها فى العدة العسكرية ، ولكنها من أقلها نصيباً فى الثقافة والأخلاق الاجتماعية ، وهى بروسيا التى عرفت فى تاريخها بأنها آخر القبائل الجرمانية حضارة وأقلها دماثة وأدباً ، فطبعتهم من جديد بطابع الإذعان الذى لا يعرف المراجعة ولا يؤمن بتعدد الآراء

وقد ثار الألمان على الكنيسة أو على البابوية ، ولكنهم لم يثوروا قط على طغيان الحكومات وعسف القادة ، وإنما ثاروا على البابوية لأنهم كانوا فى طاعة القادة والحكومات

قلنا فى كتاب تذكار جيتى الذى ظهر منذ بضع عشرة سنة : « ... يجب أن نذكر كذلك فى هذا الصدد أن مبادئ الديمقراطية حين وصلت إلى ألمانيا كانت مبادئ عدوها المغير عليها المذل لكبريائها : كانت مبادئ الجيش الفرنسى والدولة الفرنسية . فليس بعجيب أن يتلقاها فلاسفة الألمان بشىء من الفتور والإعراض ، وأن تجنح بهم الوطنية إلى إنكار الديمقراطية فى إبان المنافسة والملاحاة بين الشعبين ... على أن السبب الذى يتصل بجميع هذه الأسباب ويكاد يدرجها كلها فى أطوائه هو حرب الثلاثين المشهورة ، فإن هذه الحرب الطحون قد دمرت ألمانيا فى الشمال والجنوب تدميراً ، وعطلت البحث والأدب فيها جيلين متواليين ، ورزحت استقلال الفكر فيها خلال القرن السابع عشر الذى نشطت فيه دعوة الفكر الحر فى الأمم الأوربية الكبرى »

من هذه العوامل التى فصلنا بعضها فى « تذكار جيتى » وبعضها فى كتاب « هتلر فى الميزان » أصيبت الأمة الألمانية بتلك الآفة الجائحة وهى نقص « التربية السياسية » وكان بعضها من صنع يديها وبعضها من صنع الحوادث والملابسات .

لا جرم يطيع الألمان حكامهم تلك الطاعة العمياء ويعتقدون فيهم كما يعتقد الأطفال فى آبائهم « إن أبانا لعلى كل شئ قدير » .

وقد خدعهم فى هتلر – فوق خداع التربية السياسية الناقصة – أنه نجح فى ضم السار والرين والنمسا وبلاد السوديت بغير قتال ، فخيل إليهم أنه يلعب بأوربا وبالعالم وأنه يملك من قوة الدهاء وقوة السيف ما يخضع له أوربا إذا خالفته ويخضع له العالم كله إذا وقف فى طريقه .

وذلك هو الضلال الأكبر فى القياس والتفكير .

لأن مصطفى كمالا – كما قلنا فى كتاب هتلر فى الميزان – « لم ينفق جزءاً من ألف من ربوات الملايين التى أنفقها هتلر على التسليح ، واستطاع مع ذلك أن يفتح الآستانة فتحاً ثانياً وفيها جيوش الحلفاء ، وأن يعيد إليها الحصون التى منعت إقامتها بعد هزيمة الحرب العظمى ، وأن يلغى الامتيازات الأجنبية والمعاهدات التى سبقت ألمانيا الحديثة ونشأت من أيام سليمان الكبير » ... ولم ينجح مصطفى كمال ولا هتلر فيما صنعاه لأنهما أقوى من الدول التى كانت تأبى ما صنعاه ، وإنما سر المسألة كله صعوبة الإقدام

على حرب عالية سواء كان القدم عليها من الحكام الدستوريين أو من الحكام المستبدين ، فالذى صنعه هتلر إذن هو أنه غير هذه الحالة بسياسته الخرقاء وجعل الصعب سهلاً على الدول فى مدى ثلاث سنوات ، وما ثلاث سنوات فى تواريخ الأمم وحوادث الدنيا ؟ ... »

نعم هذا هو الضلال الذى طير صواب هتلر فطار معه صواب الألمانيين ، لأنهم لا ينظرون إلا كما ينظر القادة والزعماء فى أصغر الهنات وأخطر الأمور .

***

لقد عصفت التربية السياسة الناقصة بكل فضيلة من فضائل هذه الأمة الألمانية ، وحرمتها ملكة الابتداع حتى فى العلم والصناعة . فاشتهر الألمان بأنهم محسّنون مكمّلون لما يخترعه الآخرون ولم يشتهروا بأنهم مخترعون مبدعون . وتبين ذلك فى الطيارات والدبابات التى هى عدتهم فى مقاومة الأساطيل البحرية ، فإنهم كانوا يشتغلون بالمناطيد يوم كان العالم كله يشتغل بالطيارات على اختلافها ، ولما التفتت الأمم إلى الطيارات واستخدامها فى الحرب كرة أخرى كانت طيارات الألمان دون غيرها فى الصناعة والقيادة والتأثير .

ولقد شاع بين الشرقيين كما شاع بين غيرهم أن هؤلاء الألمان يحسنون مالم يحسنه سائر الأوربيين ، لأنهم يصنعون الأدوية والمواد الكيمية التى تنقطع عن العالم بانقطاع مواصلاتهم فلا تعوضها الأدوية من سائر البلدان .

وهو وهم فارغ كان يسهل علينا نحن المصريين أن ندرك حقيقته إذا التفتنا إلى ما يجرى فى بلادنا ونصنعه بأيدينا . فنحن نستورد القمح والدقيق وبلادنا تستورد القمح وتطحن الدقيق ، وإنما نفعل ذلك لأن زراعة القطن أنفع لنا - أو كانت أنفع لنا - من زراعة الحبوب ... فليس فى الأمر عجز ولا قصور .

وكذلك الألمان والصناعات الكيمية فى القرنين الماضيين ، فإن علم الكيمياء الحديث قد راج فى أوربا يوم كانت البلاد الإنجليزية والبلاد الفرنسية ذوات مصانع ومنشآت تدار على نسيج الصوف والقطن وعلى مصنوعات المعادن والأخشاب ، فلم يكن معقولاً أن تلغى هذه المصانع والمنشآت وأن تحل الشركات التى تديرها لتعود إلى إدارتها على الأدوية والكيميات ، وإنما كان المعقول أن تترك هذه الصناعة لألمانيا كما تركت صناعة الألبان لدنمرك مع وفرة الألبان فى المراعى الإنجليزية والفرنسية . وما اضطرت أمم أوربا وأمريكا قط إلى استخراج مادة كيمية إلا أتقنتها كما يتقنها الألمان أو فوق إتقان الألمان .

فالنقص فى التربية السياسية هو علة النقص فى استقلال الرأى حيث كان ، ولو تجاوز مجال الحكم والشورى إلى مجال الرأى والابتداع .

والنقص فى التربية السياسية هو الذى ضيّع على هتلر وأتباعه كل ما استكملوه من العدة الحربية ، فليكن لنا فى ذلك عبرة نحن أبناء الشرق المترددين بين المذاهب والآراء . فلا نعدل بالحرية بديلاً من الخيرات التى يقال إنها تنوب فى عهود الطغيان عن الحرية والاستقلال .

عباس محمود العقاد

في إرشـــاد الأريب

إلى معرفة الاديب

الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ١ —

كان العلامة الدكتور عبد الوهاب عزام عميد كلية الآداب قد نبه على أشياء في الجزء الأول والجزء الثاني من هذا الكتاب، ثم شغله الذي هو أهم . وفي أثناء مراجعة في أجزائه لمحت العين ما أنا ذاكر قسماً منه اليوم . والكتاب — كما يلوح — فيه ما فيه ، وإن بالغ في تحقيقه العلماء الفضلاء من مصححيه . ومثل هذا المرجع جدير بالضبط المحكم ، والإصلاح الأكمل .

* في جزء ١٠ ص ٢٥ في قصيدة ابن الشبل البغدادي :

تُبادِي ثم تخنِس راجعات ... وتكنس مثلما كنس الصُّوار
وأيام تعَرَّقنـا مَداها ... لها أنفاسنا أبداً شفار
وكم من بعد ما كانت نفوس ... إلى أجسامها طارت وطاروا
ولا أرض عصته ولا سماء ... ففيما يفول أنجمها انكدار

قلت : (تبادى) في البيت الأول هي (تبارى) أي تتبارى حذفت الأولى جوازاً .

و(تعرفنا مداها) في الثاني هي (تعَرَّقنا مُداها) والمدى مع جوع المدية وهي الشفرة ، و (تعرقنا) أي تتعرقنا حذفت التاء الأولى جوازاً . وفي اللسان : « عرقت العظم وتعرقته إذا أخذت اللحم عنه بأسنانك نهشا » وعجز البيت يثبت المعنى الحق .

والبيت الثالث هذه روايته الصحيحة :

وكم من بعد ما ألفت نفوسٌ ... جسوما عن مجاثمها تطار(١)

وليست (نفوس) تمييزاً لكم كما جاء في الحاشية .

والبيت الرابع عجزه : ففيم يفول أنجمها انكدار ؟

* في ج ١٠ ص ٣٥ وقال (يعني ابن الشبل) :

وكأنما الإنسانُ منا غيرَه ... متكوِّن والحس منه معار
متصرِّف وله القضاء مصرف ... ومسيَّر وكأنه مختار

وجاء في حاشية البيت الأول « كانت في الأصل (والحسن فيه) ولكن لا يستقيم المعنى إلا بما غيرت إليه . وجاء في حاشية البيت الثاني : « كانت في الأصل (ومخير) ولكنها لا تقيم معنى البيت » .

قلت : البيتان في مقطوعة أرويها تامة(١) ؛ فإنها من الشعر البارع الحكيم ، وفيها الرواية الصحيحة للبيتين ، وإن قوله (الحسن فيه معار) يجاوب قوله (وكأنما الإنسان فيه غيره) وأما الحس في الإنسان وفي غير الإنسان .. فلن يكون في كل حال إلا حقيقة لا استعارةً ولا مجازاً ...

وكأنما الإنسانُ ، فيه غيرُه ... متكوناً ، والحسن فيه معار
متصرِّفاً وله القضاء مصرِّف ... ومكلَّفاً وكأنه مختار
طوراً تصوبه الحظوظ وتارة ... خطأً تحيل صوابه الأقدار
تعمى بصيرته ، ويبصر بعد ما ... لا يسترد الفائتَ استبصار
فتراه يؤخذ قلبه من صدره ... ويُرد فيه وقد جرى المقدار
فيظل يضرب بالملامة نفسه ... ندما إذا لعبت به الأفكار
لا يعرف الإفراط في إيراده ... حتى يبينه له الإصدار

وقد ذكرني هذا الشعر بأبيات لبشار حكميات :

طُبعت على ما فيَّ غيرَ مخيَّر ... هواي ولو خيرت كنت المهذبا
أريد فلا أُعطى، وأُعطى ولم أرد ... وقصر علمي أن أنال المغيبا
فأُصرف عن قصدي وعلمي مقصر ... وأُمسي وما أُعقبت إلا التعجبا

* في ج ١٢ ص ٢٢٦ ومنه (أي من شعر عليّ بن أحمد بن سلَّك الفالي بالفاء) :

تصدَّر للتدريس كل مهوَّس ... بليد يسمى بالفقيه المدرس
فَحَقٌ لأهل العلم أن يتمثلوا ... ببيت قديم شاع في كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها ... كُلاها وحتى سامها كل مفلس

قلت : في رواية (تَسمى) مكان (يُسمى) وجاء في الحاشية : « وربما كانت (مهوش) بالشين » والصحيح هو (مهوس) كما روى في كثير من كتب الأدب .

والقول في البيت الثاني (فَحَقٌ لأهل العلم) هو (فَحُقَّ لأهل العلم)وهذا ما قاله قارض الشعر وأراده . وهذا أسلوب العربية في القديم في هذا المعنى . وفي التاج عن الأساس « وأما حُقَّ

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٢٤٨

(١) وهي رواية ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء ج ١ ص ٢٥٠

لك أن تفعل فمن حق الله الأمر أى جعله حقاً لك أن تفعل وأثبت لك ذلك وهو تحقيق نفيس» وفى اللسان : « قال الفراء : حُق لك أن تفعل ذلك وحَق ، وإنى لمحقوق أن أفعل كذا فإذا قلت حُق لك ، وإذا قلت حَق قلت عليك » فإن قيل : ألا يحق لنا أن نقول اليوم : حَقٌ للعلماء أن يتمثلوا الخ .. قيل لنا أن نقول وليس لنا أن نُقَوِّل ...

* فى ج ١٥ ص ٢١٠

وله (لابى على المنطق) من قصيدة فى عضد الدولة يذكر الصَّدَق :

ما زلت تنصف فى قضاياك العلا	قل لى : فما بال الضحى يتظلم ؟
أهديت رونقه إلى جنح الدجى	فاعتنّ أشهبَ وهو طِرف أدهم
حتى كأن الليل صبح مشرق	وكأن ضوء الصبح ليل مظلم
هى ليلة لبست رضاك فأشرقت	من بعد ما كانت بسخطك تظلم
ما كان فى ظن امرىء من قبلها	أن الملوك على الليالى تحكم

قلت : ضبطت (الصدق) بتشديد الصاد وكسرها وسكون الدال وفتح القاف ... والشعر لا يدل على شىء من الصدق ، وإنما يصف (السَّذَق) وهو ليلة الوقود عند الفرس ، واللفظة معربة فارسيتها (سذه) والسدق بالدال لغة فيه ، وبعضهم يراه محرفا ، وأنا لا أرى ذلك . والصَّدَق بالصاد لحن عند صاحب القاموس ، وقد ذكره معجم عصرى بالصاد كأنه لغة فى السذق

والسذق من ميراث المجوسية . ولبديع الزمان الهمذانى رسالة عبقرية (كتبها إلى الرئيس أبى عامر) فى الإشادة بذكر العرب والتنديد بذلك العيد وناره المجوسية . ومما جاء فيها :

نحن (أطال الله بقاء الشيخ) إذا تكلمنا فى فضل العرب على العجم ، وعلى سائر الأمم ، أردنا بالفضل ما أحاطت به الجلود ، ولم ننكر أن تكون أمة أحسن من العرب ملابس وأنعم منها مطاعم وأكثر ذخائر ، وأبسط ممالك وأعمر مساكن . ولكنا نقول : العرب أوفى وأوفر ، وأوق وأوقر ، وأنكى وأنكر ، وأعلى وأعلم ، وأحلى وأحلم ، وأقوى وأقوم ، وأبلى وأبلغ ، وأشجى وأشجع ، وأسمى وأسمح ، وأعطى وأعطف ، وأحصى وأحصف ، وأنقى وأنق . ولا ينكر ذلك إلا وقح ، ولا يجحده إلا نغل ... إن عيد الوقود لعيد إفك ، وإن شعار النار لشعار شرك ، وما أنزل الله بالسدق سلطانا ، ولا شرف نيروزا ولا مهرجانا ... وإنما جعل الله النار تذكرة ومتاعا ، ولم يجعلها وداً ولاسواعا . ولم يضرب الله تعالى لها عيداً ، ولم يجعلنا لها عبيداً . الله والنبىّ ، والعيد العربىّ ، والتكبير الجهير ، وتلك الجماهير ، والملائكة بعد ذلك ظهير ، والرحمة صوباً وصبا ، والبركات فيضاً وفضا ، والجنة وصراطها والنجاة وأشراطها ، والموسم الطاهر من لغو الحديث . ذلك لاما شرع الشيطان لأوليائه ، نار لديهم تشب ، ولعنة عليهم تصب ، وخمرة متاعها قليل ، وفى الآخرة خمارها طويل . هذا هو العيد ، وذلك هو الضلال البعيد ...

* فى ج ١٦ ص ٩٢ فأنا بين حشا خافقة [1] ، ودمعة مهراقة

قلت : هذا فى رسالة للجاحظ إلى ابراهيم بن المدبر . واليقين أن القول هو (فأنا بين حشا خفاق ودمع مهراق) والحشا مذكر لا مؤنث ، والدمع فى هذا المقام خير من الدمعة . وإن قال أبو عثمان : دمعة مهراقة فلن يقول حشا خافقة ولا خفاقة .

* فى ج ١٦ ص ١٤٩ قال الأصمعى وحدثنى عيسى بن عمر قال : لقد كنت أكتب بالليل حتى ينقطع سَوْنى أى وسطى

قلت : ضبطت (سونى) بفتح السين وسكون الواو ؛ وإنما هى (سَوائى) وسواء الشىء وسطه لاستواء المسافة إليه من الأطراف كما فى النهاية . وفيها فى صفته (صلى الله عليه وسلم) سواء البطن والصدر ، أى هما متساويان لا ينبو أحدهما عن الآخر . وفى الفائق : بطنه غير مستفيض فهو مساو لصدره . وفى النهاية : ومنه حديث أبى بكر والنسابة : أمكنت من سواء الثغرة أى وسط ثغرة النحر .

* فى ج ١٥ ص ٧٢ وكأنها عنده رواية عضّدها القياس وكان شيخنا موهوب ينعى ذلك عليه

قلت : ضبطت (عضدها) بتشديد الضاد ؛ وإنما فى اللغة عضده [2] وعاضده . وعضد المشدد فعل لازم وهو لا يعنى المعاونة فى التاج : « ورمى فأعضد ذهب يميناً وشمالا كمضد تعضيداً ، وهذا مما استدرك به على اللسان » وذهب يمينا وشمالا يعنى السهم

وضبطت (ينعى) بكسر العين وهى بالفتح من حد سعى .

(١) وردت بهذه الصورة فى « رسائل الجاحظ » ص ٣١٤

(٢) ومن مجاز المجاز عضده كنصره عضدا أعانه ونصره . وفى كتب الأمثال مايقتضى أنه صار متعارفاً كالحقيقة . قالوا عضده إذا صار له عضدا أى معينا وناصرا ، وأصل العضد فى اليدين فاستعير للمعين ، ثم استعملوا من معناه الفعل ثم شاع حتى صار حقيقة عرفية . قلت : ولذا لم يذكره الزمخشرى فى المجاز (التاج) .

حول اقتراح

الترجمة واللغة العربية

للدكتور عبد العزيز برهام

طلعت علينا (الرسالة) الغراء باقتراح جليل لرئيس تحريرها الفاضل الأستاذ (الزيات)؛ اقتراح لو أخذ به لسد نقصاً يشعر به كل من عالج تعلم اللغات الأجنبية التي لا غنى عنها في عصرنا الحديث. ولقد وفى الأستاذ الموضوع حقه؛ فأبان حاجتنا الماسة إلى الترجمة في الأدب وفي العلم. وإني لأستبيحه أن أضيف إلى آرائه القيمة بعض أفكار تواردت على ذهني حين قرأت اقتراحه:

إن حاجتنا إلى النقل من اللغات الأجنبية ليست وليدة اليوم، وإنما شعرنا بها من يوم أن دب في بلاد الشرق دبيب الحياة وأخذت بعد سباتها العميق تستيقظ وتتصل بالغرب. عندئذ أدرك الآخذون بأسباب من العلم والمعرفة أن نهضتنا لن تقوم وتنجح إلا إذا قبسنا من نور الغرب، فأخذت ترجمة الكتب ولا سيما الأدبية تترى. وسار كل غيور على رفعة وطنه في هذا التيار حتى رأينا كثيراً من الكتب النافعة نقلها من اللغات الأجنبية جلة العلماء في عصر المغفور له (محمد علي باشا)، ولكن لم تكن هذه الكتب القليلة العدد شيئاً يذكر إن ووزنت بما كنا في حاجة إليه إذ ذاك. ثم خطت الترجمة بعد ذلك خطوات واسعة غير أن أغراضها تنوعت، وصار للعنصر التجاري فيها شأن أي شأن. فكم من قصة ترجمت لم يقصد بها العلم وإنما قصد بها الربح! وساير ترجمة الكتب انتشار الصحف والمجلات في أواخر القرن التاسع عشر وفي أوائل هذا القرن. والصحف العربية والمجلات لا تزال تعول على الجرائد الأعجمية في كثير من موضوعاتها

نجم عن ذلك كله أن اتسعت دائرة الترجمة إلى اللغة العربية اتساعاً يبعث كثيراً من الأمل في نفوس ذوي الغيرة الوطنية. بيد أن أكثر القائمين بأمر هذه الترجمات لم يكن بصيراً باللغة العربية بصره باللغة التي ينقل عنها. فكانت تستعصي عليه لذلك ترجمة كثير من الأساليب التي لا يجد — لضعفه في العربية — مثيلا لها في لغة الضاد. فالتوت لغة الترجمة وكثر ما عمد الناقل إلى الأسلوب أو التعبير الأجنبي فنقله بنصه دون مراعاة لروح اللغة التي ينقل إليها فغمضت على القارئ. وكثر ما دخل في اللغة العربية من كلمات أعجمية لم يستطع المترجمون أن يجدوا لها مدلولا في لغتهم فطغت على لغة الكتابة والخطابة، واستعملها الناس في حديثهم دون شعور بأعجميتها. وزاد الطين بلة تلك الحرية الواسعة التي يتمتع بها المترجمون. وإنه ليسهل عليك أن تجد تعبيراً واحداً في لغة أعجمية نقل إلى العربية بأساليب متعددة حتى يعجزك رد هذا التعبير إلى أصله. وقد تدهش أحياناً من أن كلمات عربية دخلت منذ حين في لغات أعجمية فإذا ما أعيدت إلى لغتها الأصلية أعيدت مشوهة. وما كلمة (الحمراء) التي نقلت إلى الإسبانية والفرنسية ثم عادت إلى اللغة العربية (الهمبرة) ببعيدة عن الأذهان، وإن الجرائد المصرية ليحلو لها دائماً حين تكتب عن (قناة السويس) أن ترسمها (قنال السويس) (Canal de Suez) وناهيك بما يعترض سبيلك وأنت تقرأ مجلة أسبوعية أو برقيات جريدة يومية من كلمات أعجمية لم يعمل المترجم فيها إلا أن كتبها بحروف عربية، وليته أعجمها حتى يستطيع الجاهل باللغة التي نقلت عنها قراءتها صحيحة، بل ترك للقارئ حرية الحدس والتخمين، وتركك تسمع في نطقها العجب العجاب. أوليست كلمات رجيم (Régime)، ستراتيجية (Stratégique)، ومونوكل (Monocle)، سامباتيك (Sympatique)، بوستة (Poste)، وابور (Vapeur)، شيري (Chéri) ... الخ ... الخ ... من الكلمات التي نقرؤها ولم نعد نهتم بها كأنما صارت من صميم الكلمات العربية؟

ولما كان لكل لغة قواعدها النحوية والصرفية واللغوية الخاصة بها فمن العسير أن تنقل من لغة إلى أخرى إلا إذا كنت ملماً بقواعد كلتا اللغتين وإلا تعرضت للزلل. أولا يستعمل العامة والخاصة فعل (أعطى) متعديا لمفعول واحد فيقال: أعطيت الكتاب لفلان، كما يقول الفرنسيون J' ai donné le livre à un tel وهو في اللغة العربية متعد لمفعولين فيقال: أعطيت فلانا الكتاب؟ أو لم تجر أقلام الكتاب باستعمال (لا) قبل (يجب أو ينبغي) إذا أريد نفي ما بعدهما فيقولون: لا ينبغي (أو لا يجب) أن نفعل كذا "Il ne faut pas faire telle ou telle chose" والعرب تقول ينبغي ألا نفعل كذا وكيت وعليك ألا تفعل كذا وكيت؟

لقد نقل الخطأ الشائع وأضرابه بادئ ذي بدء من لم يكن متمكنا من اللغة العربية التي ترجم إليها ثم استعمله سواه من بعده ولم يلبث أن انتقل إلى أقلام الخاصة.

وما نشأ هذا الخلط وعمت هذه الفوضى في الأساليب

والتعبيرات وطغت الروح اللغوية الأعجمية على روح اللغة العربية إلا لأن الترجمة نفسها لا تخضع لنظام . حتى إن كل من أتقن لغة أعجمية أو اعتقد أنه أتقنها استباح لنفسه الترجمة منها دون مراعاة لمبلغ قدرته فى اللغة المنقول إليها . وإنه ليسهل عليك أحيانا أن تفهم بعض التعبيرات فى لغتها الأصلية عن أن تفهمها فى اللغة العربية ؛ وذلك لأن المترجم إما أن يكون ضعيفاً فى اللغة العربية فلا يحضره من الألفاظ ما يسد به حاجة الترجمة ، أو أن يكون ضعيفاً فى اللغة الأعجمية فينقل إليك التعبير دون تصرف فيه فتكون ترجمة حرفية سقيمة المعنى أوخلواً منه — وإنى لأذكر — وأنا لا زلت طالباً بمصر — أن كنا ندرس فى كتاب مترجم فى « النظريات السياسية » . ولقدكان أكره الدروس إلى نفوسنا درس هذه المادة المحببة النافعة . كان ذاك لتعقد فى أسلوب الكتاب كثيراً ما دعانا إلى أن نقف عند كل سطر وأن نكون أحياناً حلقات ندرس فيها ما يراد وما لا يراد من هذه العبارة أو تلك . وما أكثر ما ثرنا على أستاذ المادة — وكان أحد المترجمين — حتى لكنا نلجئه إلى قراءة الكتاب فى (الفصل) لنفهم عباراته . وإن انتشار هذه التراكيب الركيكة فى اللغة السائدة فى الكتب والصحف ليتسرب إلى لغة كثير من فضلاء العلماء والأدباء دون أن يشعروا بأنهم ينزلون بلغتهم درجات . خذ مثلا كتابا من كتب القانون أو اقرأ الدروس التى يلقيها على طلبته بعض الشبان من رجال القانون الحديثى العهد بالتدريس باللغة العربية وستتبين من غير عسر روح الترجمة فيها . وإنى لأنقل إليك عبارة واحدة على سبيل المثال تجدها فى مذكرات للقانون الجنائى لعالم فاضل وأترك لك الحكم عليها .

« إذن فطبقاً للرأى الذى ساد المراد بالاختلاس أن الجانى يأتى بحركة مادية يخرج بها الشىء من حوزة غيره ويستولى هو عليه . وليس بذى شأن أن ينقل الجانى الشىء بيده كحالة اللص الذى ينشل محفظة من جيب المجنى عليه أو بواسطة كمن يحرض كلبه ... كذلك يكفى أن يهيئ الجانى أسباب الانتقال وبعد ذلك يتم انتقال الشىء من تلقاء نفسه ... الخ ؟

وأمثال هذه التعبيرات كثير : أنا شخصياً لا أقبل هذا Moi, personnelement je n' accepte pas cela . « قابل صاحب الدولة رئيس الوزراء بوصفه وزيراً للخارجية ··· en qualité de » « هذا الأمر بالقياس إلى هذا ··· » « Rapport à cette question par » ؛ « من وقت لآخر » Du lempis en temps وهكذا وهكذا .

ثم إذا نحن جاوزنا لغة الأدب إلى لغة العلم لما تغير الأمر كثيراً ولا قليلا . واللغة العلمية والمصطلحات العلمية أحوج ما تكون إلى أن تكون موحدة . ولن نصل إلى هذا التوحيد إلا إذا قضينا على الحرية المطلقة الفردية فى الترجمة وأخذنا المترجمين جميعاً على استعمال تعابير بعينها .

هذا ، وإن بعض المواد لا تزال يدرس فى (مصر) حتى اليوم باللغة الإنجليزية أو الفرنسية : إما لأن اللغة العربية لا تتسع — كما يقولون — لما وسعه غيرها من اللغات (وهى التى وسعت فلسفة الإغريق ، وحضارة الفرس) ؛ وإما لأننا لا نزال ندرج على سنة درج عليها آباؤنا من قبلنا وإن انقطعت اليوم الأسباب التى دفعت بهم إلى فعل ما فعلوا . وليس من سبيل لسد هذا النقص القومى وتمصير الطب مثلا إلا طوفان من الترجمات يجرف جميع الكتب القيمة الأعجمية التى وضعت فى هذه المواد جرفا ليلقى بها على ساحل اللغة العربية .

وبعد فإن ترك الترجمة فوضى شأنه اليوم يعرض سلامة اللغة لخطر مستمر ، وينقل إلينا سيلا من الكلمات والتعابير الأعجمية التى تنخر فى عظام الأساليب العربية الرصينة . وحسبك أن تقرأ كتابا (كالبؤساء) الذى ترجمه حافظ إبراهيم أو غيره مما ترجم الأستاذ (الزيات) أو (المنفلوطى) وهذه الكتب نفسها إن أشرف على ترجمتها ذوو الترجمات العاجلة الخاطفة لتلمس الفرق بين الترجمتين ، ولتدرك أيهما كتب باللغة العربية الفصيحة : من بلاغة فى الأسلوب ، وصفاء فى الديباجة ، وسمو فى البيان ، وتنوع فى الصياغة ، ودقة فى التعبير حتى لكأنك تقرأ القصة فى لغتها وبأسلوب كاتبها .

وإنك لتعجب حين تقرأ كتابا ما ترجم إلى لغات عدة من أن أثر الترجمة لا يحس إلا فى اللغة العربية إن نقله إليها من لم يلم إلماماً تاما بها . ولو علم كثير من كبار الكتاب الأعاجم مقدار ما يصيب آثارهم الفذة من مسخ وتشويه إن أسىء نقلها لحرموا الترجمة ولآثروا أن يظلوا غفلا فى البقاع التى تسودها هذه اللغات المنقول إليها من أن يساء إلى بنات أفكارهم . أو لم تؤلف اللجان لترجمة القرآن حتى يحتفظ له ما أمكن فى اللغة التى ينقل إليها بأسلوبه المعجز ، وسحر بيانه ، وجماله الفنى ، وتصويره الرائع ؟

فليس أمامنا إذاً إلا سبيل واحدة لنسلكها حتى نحيط اللغة بسياج متين من تسرب الدخيل إليها ونحفظ عليها بنيتها وروحها وأساليبها — تلك هي الترجمة الدقيقة المنظمة. ولا سبيل إلى مثل هذه الترجمة إلا إذا قام بها من هو ذو بصر باللغة العربية وباللغة التي ينقل عنها . وإن إنشاء دار للترجمة وتزويدها بأعلام الأدب والعلم والفن ممن يحذقون لغات أعجمية لهو الطريقة المثلى لتحقيق هذه الأمنية .

وإننا — كما يقول الأستاذ الفاضل صاحب الاقتراح — « إذا نقلنا إلى العربية نتائج القرائح لأقطاب العلوم والفنون والآداب من الإنجليز والأمريكان ، والفرنسيين والألمان ، والروسيين والطليان — أصبح هؤلاء العالميون جزءا من كياننا الأدبي ، وركناً في بنائنا العلمي، نعتز به ونستمد منه ونفتن فيه ونزيد عليه ، كما فعل آباؤنا الأقدمون بما نقلوه من علوم الإغريق والهنود واليهود والسريان والفرس » — ولجددنا في اللغة مع محافظتنا عليها ، ودعمنا النهضة ، ويسرنا القراءة ودعونا إليها ، ولهيأنا للعلوم التي تدرس بلغة أعجمية في معاهدنا العلمية سبيل تدريسها باللغة العربية ، ولأمددنا كتاب الصحف والمجلات بأساليب ترفع من ترجمتهم العاجلة ، وتسعفهم إن ضاق بهم الوقت ؛ ولاستطعنا كذلك أن نضع معاجم عربية — أعجمية يقل فيها الخطأ ويكثر فيها الدقة .

إن مصر ليجهل جمهرة أهلها اللغات الأعجمية . والذين يحذقون أكثر من لغة قليل ما هم . وفي هذا التباين ما فيه من خطر قومي يدفع إليه تباين الثقافات ، فمن ثقافة عربية إلى ثقافة أعجمية ، ومن ثقافة فرنسية إلى ثقافة إنجليزية أو ألمانية. وفي تنوع هذه الثقافات ما يخلق تباينا في التفكير بين أفراد الأمة حتى ليتهم بعضهم بعضا بالقصور عن مسايرة النهضة العلمية الحديثة أو يدل بعضهم على بعض . ولقد ألفت آذاننا سماع تفضيل ثقافة على ثقافة ، وألفنا الحديث عن مدارس الثقافة الفرنسية وعن مدارس الثقافة الإنجليزية وهكذا ، فاتسعت الهوة بين المنتمين إلى هذه والمنتمين إلى تلك ، فإذا نحن نقلنا هؤلاء جميعاً المؤلفات القيمة من مختلف الثقافات جعلناهم يتغذون بلبن واحد فاتحدت طريقة تفكيرهم ومادتها التي لن تكون إلا عصارات هذه الثقافات ممتزجة ، وزالت الفوارق بين طبقات المتعلمين ، واقتربت وجهة النظر بينهم ، وصاروا جميعاً أبناء أمة واحدة يرتوون من منهل واحد هو الثقافة المصرية .

ثم ما ظنك بفريق من أدعياء العلم والأدب الذين بنوا لهم مجداً شامخاً في الشرق على ما انتحلوه من آراء الأعاجم دون أن يشيروا إليها أو يدلوا عليها ؟ داء عسير دواؤه أصيبت به الطبيعة الشرقية لضعف في النفوس وجهل بها ، وعجز عن الابتكار والاختراع ، واستهانة بالقراء ، وغرام بالشهرة ولو كاذبة . وشجع على استفحاله أن الشرق ولاسيما المصري لم يُعَدّ إعداداً يحبب إليه القراءة والاطلاع ، والتعمق في العلم ، فهو يكتفي بما يقع تحت بصره دون تطلع إلى ما وراء ذلك ؛ وكان جهله باللغات الأعجمية أو بأكثرها من العوامل التي جعلته يقف في قراءته عند ما كتب بالعربية .

إن هذا الفريق من الأدعياء سينكشف أمره ، وسيرى مجده يتداعى يوم أن ينقل إلى اللسان العربي جميعُ ما ألف في سواه أو جمهرته ، ويطلعَ الناس على مصدر الآراء التي ارتفع بها أقوام لا يستحقون الرفعة فينزلونهم من حالق . وسيوصد الباب أمام هذه الفئة الطفيلية فنتخلص من شرورها وغطرستها .

وحبذا لو فكر القائمون بالأمر في وزارة المعارف في إرسال البعوث من ذوى الكفاية في اللغة العربية لدراسة اللغات الأعجمية في مهدها ، ولا سيما وقد انفتح الطريق الآن بيننا وبين بعض هذه البقاع . ولو أن السنة التي خطها صاحب المعالي محمد حلمي عيسى باشا حين كان وزيراً للمعارف في عام ١٩٣٣ اتبعت منذئذ لتجمع لدينا الآن عدد لا يستهان به من الشبان الأكفاء الذين يسند إليهم هذا العمل الجليل ؛ فلقد أرسل معاليه بعثة للترجمة والتحرير إلى فرنسا وألمانيا وإنجلترة كانت الأولى والأخيرة . وشاء تغير الوزراء من بعده ، وعدم استقرار سياسة التعليم ، ونقض كل وزير ما أبرم سلفه أن يغفل هذا الأمر !

ولعل وزارة المعارف إن وصلت إليها هذه الصيحة وكتب لها أن تستأنف إرسال بعوث الترجمة أن تسند إليهم متى عادوا — بعد عمر طويل — أعمال الترجمة نفسها لا أن تكل إليهم أمر تعلية خزان أسوان أو كهربة خط حلوان ، أو أن تكافئهم على جدهم بتكليفهم العمل في حقول التجارب وفلاحة البساتين . والله الهادي إلى سواء السبيل .

عبد العزيز برهام
دكتوراه الدولة في الآداب
ليسانسيه في القانون من باريس

أبو ســـعيد أبو الخير
وشطحات المتصوفة
للدكتور جواد على

[تتمة ما نشر فى العدد الماضى]

ساقت هذه الفلسفة الجديدة : فلسفة المعرفة ، جماعة المتصوفة إلى تقرير نظرية جديدة هى نظرية « الحق واحد وإن تعددت مظاهره » وما دام الإنسان يتوصل إلى الحق فلا حاجـة للأصفياء بالرسل والأنبياء . يقول أحدهم وهو السيد قاسمى الأنوار : « قبل أن تبنى الخانقاه ، وقبل أن تنشأ أديرة السومنيه التى هى أقدم أديرة الكون ، كنت معى فى أطوار الكائنات . فدرجة الأنبياء قد ارتفعت من بيننا ؛ إذا ما دمنا مجتمعين دائماً فما هى الفائدة من الرسل إذاً[١] .

ومتى توصل الإنسان إلى معرفة (حق اليقين) الذى هو الفناء المطلق[٢] تساوت الدرجات وأصبح المعلوم واحداً وتحللت الغاية من الأديان عموماً . فالأديان على اختلاف درجاتها تقصد غاية واحدة وهدفاً معيناً ، هو التوصل إلى معرفة الله ، تستوى فى ذلك الصابئة واليهودية والنصرانية والإسلامية كما جاء :

عبادتنا شتى وحسنك واحد وكل إلى ذاك الجمال يشير[٣]

وإلى هذا المعنى ذهب (شمس تبريز) حيث قال : « لست بمسيحى ولا يهودى ولا مسلم »[٤] . وهذه النزعة الإنسانية التى توصل إليها متصوفة الإسلام هى نفس النزعة الإنسانية (Humanism) التى توصلت إليها متصوفة أوربا فى القرون الوسطى . ثم المذهب الإنسانى الفلسفى الذى تمثل فيما بعد على لسان الفيلسوف (هيردر) « Herder » ، وعلى لسان الفلسفة الإنكليزية ثم الأوربية فى القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر للميلاد[٥] .

(١) Browne, Persion Literature vol 3, p, 477.

(٢) راجع تفسير ابن عربى القاهرة ١٣١٧ جـ ٢ ص ٦٤ لسورة ٢٩ آية ٤٤ .

(٣) محاضرات عن الاسلام للمستشرق اليهودى المجرى كولد زهير ص ١٧ .

(٤) راجع ديوان شمس تبريز ١٢٤ . Nicholson, The Mystics of Islam 87

(٥) راجع دائرة المعارف البريطانية مادة فلسفة

وهكذا تساوت الأديان فلا فرق إذاً بين أن يكون الإنسان مسلماً أو مسيحياً أو يهودياً . وما دامت غاية الإنسان الاتصال بالله عن طريق المعرفة فالتصوف وحده هو الكفيل بذلك . فمن طريق التأمل بذات الله تتم المعرفة وتنال السعادة الأبدية ، أما الأديان والشرائع على رأى نفر من المتطرفين بآرائهم فإنها تحول بين الإنسان وبين معرفة الذات ، وتفرق بين اتصال العبد بالرب فهى عامل فتنة وخراب[١] .

وصنف جلال الدين الرومى البشر من حيث معرفة الخالق إلى صنفين : صنف تعلق بالطقوس والشرائع ، وصنف امتلأ قلبه وفاض بحب الله[٢] . ولابن العربى كلمات تشبه هذه الكلمات[٣] . وقد نسب ابن تيمية إلى أحد المتصوفة وهو التلمسانى من تلامذة ابن عربى هذا القول : « القرآن كله شرك وإنما التوحيد فى كلامنا »[٤] على أن ابن تيمية من أعداء الفلسفة والتصوف ويجب أن ننظر إلى كلامه بشىء من التروى على ما أعتقد والحذر .

ونسبت إلى نفر من المتصوفة بعض الأقوال التى لا تلتئم مع ما هو مألوف . مثل قول حافظ : « اتركوا الإثنين والسبعين فرقة لأنها لا ترينا الحقيقة ، ولأنها تستمد وحيها من وحى الشياطين[٥] .

ونسب إلى أبى سعيد أبى الخير قول يشبه هذا القول فقد قيل إنه قال : « ما دامت المساجد والمدارس باقية لا تتطرق إليها أيدى البلى فإن عمل الدراويش لا يتم . وما دام هنالك مؤمن وكافر فإنه لا يمكن أن يظهر على سطح الأرض مسلم حقيقى أبداً »[٦] .

وفى أقوال أبى سعيد وأشعاره مواضع أخرى تشير إلى هذا النوع من التفكير الحر . وهذه الأقوال ولا شك هى التى أثارت غضب بعض العلماء عليه أمثال ابن حزم الظاهرى والمؤرخ الشهير الحافظ الذهبى[٧] ولهذا السبب عينه قال عنه

(١) راجع عطار تذكرة الأولياء جـ ٢ ص ١٥٩ س ١٢ ابن تيمية رسائل ١ ص ١٤٨ .

(٢) مثنوى ص ٨٣ .

(٣) الظاهرية للمستشرق كولد زهير ص ١٣٢ حيث تجد النص وكذلك محاضرات عن الاسلام ص ١٧٠

(٤) رسائل ابن تيمية رسالة ١ ص ١٤٥ .

(٥) حافظ جـ ١ ص ٥٨٤ . محاضرات عن الاسلام ص ١٧١

(٦) Nicholson' Studies in Etrè vèl' 2, p, 157 1375 Islamic Mysticism Cambridge. 1—76.

(٧) السبكى جـ ٤ ص ١٠ .

المستشرق نيكلسون فى كتابه « التصوف الإسلامى » وفى الفصل الذى عقده عنه فى « دائرة المعارف الإسلامية » بأنه « يمثل الآراء الحلولية المتطرفة التى جاء بها بايزيد البسطامى المتوفى عام ٢٦١ للهجرة (٨٧٤م) تلك الآراء التى يمتاز بها متصوفة الفرس بوجه عام . ولسنا بحاجة إلى أن نزيد أن أبا سعيد كان ينظر إلى الإسلام وغيره من الأديان المنزلة نظرة احتقار »[١] وهو قول ردد صداه المستشرق الفرنسى لويس ماسنيون والمستشرق الإنكليزى إدوارد براون وأغلب المستشرقين المشتغلين بموضوع التصوف .

على أن من باب الحق والمنطق أن نقول بأن جماعة كبيرة من العلماء كانوا يثنون عليه ويذكرونه ذكراً جميلاً . أمثال : السبكى صاحب كتاب طبقات الشافعية الكبرى[٢] والسمعانى فى كتابه « الأنساب »[٣] وفريد الدين العطار فى كتابه تذكرة الأولياء[٤] وأمثالهم ؛ وقول هؤلاء طبعاً قول مقبول محترم لا يمكن أن يرد بأى حال من الأحوال .

أما أنصار التصوف وأصحاب مبدأ « حسن الظن من الإيمان » فإنهم يعتذرون عن هذه الأقوال ويفسرونها تفسيراً فيه حسن ظن ورجاء ، ويتجاوزون عنها ويرجئون أمرها إلى الله ، ويؤولونها تأويلاً ، ويحسبونها شطحة من شطحات اللسان . والشطحة عندهم « عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى وهو من زلات المحققين فإنها دعوى بحق يفصح بها العارف من غير إذن إلهى بطريق يشعر بالنباهة »[٥] وهم يؤولون كلام هؤلاء كما قلنا فيقولون : نعم ، فى ظاهر هذه الكلمات خروج عن المألوف والذوق ، ولكنهم لا يقصدون ظاهر هذه الألفاظ بل بواطنها وذلك لا يدركه إلا من سما فى العلم الإلهى وفى درجات المعرفة .

ثم قالوا : « وإن للقوم عبادات تفردوا بها واصطلاحات فيما بينهم لا يكاد يستعملها غيرهم مخبر يبعض ما يخفى وتكشف معانيها بقول وجيز ، وإنما نقصد فى ذلك إلى معنى العبادة دون ما تتضمنه

(١) دائرة المعارف الاسلامية الترجمة العربية مجلد ١ ص ٣٥٠ .
(٢) ج ٤ ص ١٠ .
(٣) طبع بعناية تذكار جب ص ٥٥٠ .
(٤) طبع بعناية المستشرق براون ج ٢ ص ٣٢٢ .
(٥) التعريفات للسيد الشريف الجرجانى ص ٨٦ وكتاب اصطلاحات الصوفية الواردة فى الفتوحات المكية ص ١٧٧ .

العبادة فإن مضمونها لا يدخل تحت الإشارة فضلاً عن الكشف »[١] وإن القوم فى حالة سكر فى الذات العلية[٢] وفى غيبوبة تامة[٣] .

قالوا ومن هذا القبيل قول سهل بن عبد الله التسترى إذ يقول : « أعرف تلامذتى من يوم ألست بربكم ، وأعرف من كان فى ذلك الموقف عن يمينى ومن كان عن شمالى ، ولم أزل من ذلك اليوم أربى تلامذتى وهم فى الأصلاب لم يحجبوا عنى إلى وقتى هذا »[٤] وقوله : « أشهدنى الله تعالى ما فى العلى وأنا ابن ست سنين ، ونظرت فى اللوح المحفوظ وأنا ابن ثمانى سنين ، وفككت طلسم السماء وأنا ابن تسع سنين ، ورأيت فى السبع الثانى حرفاً معجماً حار فيه الجن والإنس ففهمته وحمدت الله تعالى على معرفته ، وحركت ما سكن وسكنت ما تحرك بإذن الله تعالى وأنا ابن أربع عشرة سنة »[٥] .

وامتازت فلسفة هؤلاء المتصوفة أصحاب الذوق بأسلوب جديد مبتكر أخاذ هو الشعر الغزلى التصوفى الذى أطلقوا عليه اسم « الغزل الصوفى » كما نعتوا الحب البرىء « بالحب الأفلاطونى » أو « الحب العذرى » وفيه الرمزية والخيال البعيد . ولنا فى باب « الغزل الصوفى » طائفة كبيرة من الشعراء . والتصوف فى حد ذاته نوع من نوع الشعر أو الفن ، ففيه عاطفة جامحة ؛ لذلك كان أكثر المتصوفة ينظمون نظماً دقيقاً فيه عاطفة دقيقة وإن كانوا قد خرجوا فيه كما خرجوا فى نثرهم عن القيود الدينية المألوفة والأساليب المتعارفة كما نجد ذلك فى شعر الحلاج[٦] وفى شعر محيى الدين بن عربى وفى شعر السهروردى وأمثالهم . ويكفينا فى هذا الباب ما نظمه الشيخ المتصوف سيدى ابراهيم الدسوقى المتوفى

(١) كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف تأليف أبى بكر محمد بن اسحق البخارى الكلاباذى المتوفى سنة ٣٨٠ للهجرة ص ٨٠ .
(٢) راجع التعرف ص ٨٥ .
(٣) التعرف ص ٨٧ .
(٤) راجع طبقات الشعرانى ص ١٥٨ عن أقوال سهل راجع أيضاً التعرف لمذهب أهل التصوف (١٩٣٣) فى عدة مواضع من الكتاب .
(٥) نفس المصدر ص ١٥٨ عن سهل أيضاً . Nicholson A Literary History of the Arabs p. 392.
(٦) عن الحلاج L. Massignon, La Passion d' al-Hosayn Ibn Mansour Al-Halladj وكتبه الاخرى .

عام ٦٧٦ للهجرة[١] : ففى هذا النظم أشياء كثيرة لا توافق ما هو مألوف لما فى هذا القول من اتحاد الذات فى الإنسان وفى الأشياء . والقصيدة مرآة صافية لفكرة وحدة الوجود التى شاعت فى أوربا أيضاً واعتنقها جمهور من الفلاسفة والمفكرين ولا سيما أولئك الذين درسوا الآداب الشرقية واطلعوا على تراجم الأشعار الفارسية على الأخص كالشاعر غوته الذى دان بمذهب وحدة الوجود[٢] . يقول هذا المتصوف الزاهد الذى يرجع بنسبه إلى الإمام علىّ بن أبى طالب والذى تأثر بآراء من سبقه من كبار المتصوفة كالحلاج والسرىّ السقطى والجنيد البغدادى والشيخ عبد القادر الجيلى على الأخص فى جملة ما قاله هذه الأبيات :

تجلّى لى المحبوب فى كل وجهة ... فشاهدته فى كل معنى وصورة
وخاطبنى منىّ بكشف سرائرى ... فقال أتدرى من أنا قلت منيتى
فأنت منائى بل أنا أنت دائماً ... إذا كنت أنت اليوم عين حقيقتى
فقال كذاك الأمر لكنه إذا ... تعينت الأشياء كنت كنسختى
فأوصلت ذاتى باتحادى بذاته ... بغير حلول بل بتحقيق نسبتى
فصرت فناء فى بقاء مؤبد ... لذات بديمومية سرمدية
وغيبنى عنى فأصبحت سائلاً ... لذاتى عن ذاتى لشغلى بغيبتى
وأنظر فى مرآة ذاتى مشاهداً ... لذاتى بذاتى وهى غاية بغيتى
فأغدو وأمرى بين أمرين واقف ... علومىَ تمحونى ووهمىَ مثبتى

ومنها :

أنا ذلك القطب المبارك أمره ... فإن مدار الكل من حول ذروتى

ومنها :

وبى قامت الأنباء فى كل أمة ... بمختلف الآراء والكل أمتى
ولا جامع إلا ولى فيه منبر ... وفى حضرة المختار فزت ببغيتى

ومنها :

بذاتى تقوم الذات فى كل ذروة ... أجدد فيها حلة بعد حلة

ومنها :

نعم نشأتى فى الحب من قبل آدم
وسرّى فى الأكوان من قبل نشأتى
أنا كنت فى العلياء مع نور أحمد ... على الدرة البيضاء فى خلوتى

ثم يستمر على هذا النسق فيذكر أنه كان مع جميع الأنبياء ويختم قصيدته باسمه وبأنه القطب شيخ الوقت ابراهيم[١] .

وأبو سعيد أبو الخير من المبرزين فى الشعر الصوفى ، ويمتاز عن غيره من شعراء الفرس بابتداعه الشعر الصوفى عندهم[٢] وبنهجه منهجاً جديداً فى النظم حذا حذوه أكثر شعراء الفرس كفريد الدين العطار[٣] وجلال الدين الرومى وعمر الخيام[٤] .

وإذا صحت نسبة الرباعيات الفارسية إليه فيكون بذلك أول مؤسس لرباعيات المتصوفة وأول مبتكر لطريقة جديدة هى الطريقة الرمزية فى الشعر . ولكن هناك من يشك فى صحة نسبة الرباعيات إلى صاحبنا استناداً على رواية تقول بأن الناظم الأصلى لهذه الرباعيات هو أستاذ أبى سعيد أبو القاسم بشريس وهو متصوف أيضاً وأديب مشهور[٥] .

على أن شيئاً واحداً لا يمكن أن يتطرق إليه الشك هو أن أبا سعيد كان ينظم الشعر وكان يحفظ شيئاً كثيراً من شعر الفرس والعرب[٦] ، وأنه كان ضليعاً فى اللغة العربية وكان يجلس لتفسير القرآن . وبهذه المناسبة نقول إن تفسير القرآن على طريقة الصوفية هو تفسير خاص . ومن أشهر هذه التفاسير تفسير عبد الرحمن السلمى النيسابورى (٤١٢ هـ) أحد الأساتذة الذين درس عليهم أبو سعيد ونال الخرقة منه[٧] ولشتهر هذا الشيخ برواية الأحاديث ولا سيما أحاديث الصوفية وقد اتهم لذلك بأنه كان يضع الأحاديث على لسان الرسول لتقوية مذهب التصوف (سنن الصوفية)[٨] . وتفسير محيى الدين بن عربى الشهير[٩] وتفسير نظام الدين الحسن

---

(١) راجع طبقات الشعرانى ج ١ ص ١٥٨ .
(٢) راجع Miguel Asin, Islam and the Divine Comedy, London 1926

---

(١) طبقات الشعرانى ج ١ ص ١٥٨ .
(٢) دائرة المعارف الاسلامية ج ١ ص ٣٥٤ .
(٣) راجع عنه براون فى كتابه تاريخ الأدب الفارسى ج ٣ ص ٨٨ ومواضع أخرى .
(٤) دائرة المعارف ج ١ ص ١٥٤
(٥) راجع Zhukowski حالات شيخ أبو سعيد ١٧٩٠ ص ٥٤
(٦) تذكرة الأولياء ج ٢ ص ٣٢٢
(٧) ذهبى ، تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٢٤٩ ، Journal Asiatig, 1912, 583 . ويعتمد القشيرى فى رسالته عليه كثيراً . راجع المقدمة
(٨) السيوطى ، اللآلئ المصنوعة ج ٢ ص ١٧٨
(٩) تفسير محى الدين بن عربى بولاق ١٢٨٣ فى جزئين ثم ١٣١٧

بن محمد النيسابورى (فى أوائل القرن الثامن للهجرة)(١) وتفسير عبد الرازق الكاشى (الكاشانى)(٢).

وكما أن أصحاب الباطن (الباطنية) من المسلمين والحروفية فسروا القرآن تفسيراً يوافق آراءهم باعتبار أن للقرآن ظاهراً وباطنا وقالوا بأن الظاهر هو المفهوم لدى العامة وأن الباطن هو المقصود من القرآن ولدى الخاصة وحدهم (علم الباطن) أولئك الذين يعرفون (ما ظهر منه وما بطن) فكذلك المتصوفة فسروا القرآن تفسيراً خاصاً حيث كانوا يعمدون إلى التأويل دائماً تأويلا يتفق مع آرائهم ومشاربهم.

واتصل أبو سعيد على ما يروى بالمتصوف الشهير أبى القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيرى (المتوفى عام ٤٦٥ للهجرة)(٣) «وقد تلقى القشيرى أول الأمر هذا الزائر الجديد بشىء من الحذر والنفور، ولكنه ائتلف به وأصبح صديقه الحميم فيما بعد، وتلك خاتمة يلوح لنا أنها بعيدة الإحتمال»(٤).

حول القشيرى وهومن رجال التصوف فى رسالته الشهيرة «الرسالة القشيرية» (كتبها سنة ٤٣٧ للهجرة) جمع خلاصة آراء وأفكار المتصوفة للتوفيق بين آراء المتصوفة وبين آراء جماع المسلمين والبرهنة على أن التصوف أصل الإسلام. وذكر طائفة من كبار المتصوفة بما فيهم الخلفاء الراشدون والأئمة العلويون(٥) وأكثر الصحابة، وقد فاته أن التصوف الذى كان عليه فى وقته لم يكن معروفاً بهذا الشكل فى صدر الإسلام، وأن الصحابة كانوا يؤاخذون الناس عليه كما فعل الخليفة عثمان بعامر بن عبد الله ابن قيس الذى ترهب وتزهد فى البصرة وامتنع عن أكل اللحوم والزبد والجبن وكل منتوج للحيوان، وأعرض عن الزواج(٦). وعرف «براهب الأمة».

والتقى أبو سعيد بالفيلسوف ابن سينا على ما ذكره فريد الدين العطار فى كتابه(٧). والظاهر أن هذا اللقاء كان بنيسابور حيث

(١) تذكرة الأولياء ج ٢ ص ٣٢٢. دائرة المعارف ج ١ ص ٣٥٣
(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان
(٣) عدة نسخ خطية.
(٤) دائرة المعارف ج ١ ص ٣٥٣ عن القشيرى. راجع رسالته والتصوف الاسلامى للمستشرق نيكلسون
(٥) العبارة من دائرة المعارف ج ١ ص ٣٥٣
(٦) راجع رسالته حيث يذكر أسماء الصحابة فى ضمن المتصوفة
(٧) عن عامر بن عبد القيس. راجع الطبرى (الطبعة الأوربية ج ١ ص ٢٩٢٢. ابن سعد طبقات ج ٧ ص ٧٤

أقام بها أبو سعيد محترماً مقرباً من عالمها الكبير إمام الحرمين أبو المعالى عبد الملك الجوينى. وابن سينا الذى اشتهر بنظم الشعر باللغة العربية اشتهر بنظم الرباعيات بالفارسية فهو زميل منافس لصاحبنا المتصوف. ولعل هذه المنافسة هى التى أدت إلى نفرة أبى سعيد من ابن سينا، ثم إلى ردّه على ابن سينا برباعية من رباعياته المشهورة(١).

تمتع أبو سعيد بشهرة عظيمة فى بلاد فارس حيث كان محط الرحال إلى أن جاءه الأجل المحتوم فى سنة ٤٤٠ للهجرة فدفن فى مسقط رأسه «ميهنة» وبذلك تم دخوله فى عالم الفناء.

مات أبو سعيد فكتب حياة هذا المتصوف حفيده محمد بن أبى النوّر، وعلى هذه الترجمة اعتمد فريد الدين العطار فى كتابه «تذكرة الأولياء»، وجامى ملانور الدين عبد الرحمن فى كتابه «نفحات الأنس»(٢).

بغداد — الدكتور جواد على

(١) راجع هذه الرباعية فى Ettr, 1878, pp. 52
(٢) راجع دائرة المعارف الاسلامية مجلد ١ ص ٣٥٢

الأسرة والمجتمع

للدكتور على عبد الواحد وافى

أستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

من بين الحقائق التى عنيت بإبرازها وتوكيدها فى كتابى «الأسرة والمجتمع» ، الذى ظهر أخيراً فى مؤلفات «الجمعية الفلسفية المصرية» ، أن الأسرة تقوم على مصطلحات يرتضيها العقل الجمعى ، وقواعد تختارها المجتمعات ، وأنها لا تكاد تدين بشىء لدوافع الغريزة ، بل إن معظمها ليرمى إلى محاربة الغرائز أو توجيهها إلى طريق غير طريقها الطبيعى .

وقد ناقش الأستاذ العقاد[1] الفقرة الأولى من الدليل الأول الذى أوردته لتأييد هذه النظرية ، وهو — كما أشرت فى مقالى السابق[2] — واحد من اثنى عشر دليلا ذكرتها مسلسلة فى هذا الكتاب . فظهر له أن ما تشير إليه هـذه الفقرة لا ينهض حجة على صحة ما ذهبت إليه . ثم أدلى برأيه فى هـذا الموضوع ، فذكر أن الغريزة وراء الظواهر الاجتماعية فى جميع شئون الأسرة أو فى أهمها على الأقل ، واستدل على ذلك بعدة أمور .

ولست محاولا فى هذا المقال أن أسرد ما أغفله الاستاذ العقاد من الادلة التى أوردتها فى كتابى لتأييد نظريتى ، والتى لا تدع مجالا للشك فى صحتها ؛ لأن محاولة كهذه لا يتسع لها المقام من جهة ، ولأنها من جهة أخرى ستكون مجرد تلخيص مخل لمسائل استغرق بحثها نحو مائة وخمسين صفحة فى الكتاب . ولذلك سأقتصر على مناقشة الأستاذ فى النظرية التى أوردها ، وهى أن الغريزة وراء الظواهر الاجتماعية فى أهم شئون الأسرة .

* * *

ذكر الأستاذ لتأييد نظريته هذه أموراً كثيرة يمكن رجعها إلى دليلين رئيسيين . وقد أشار الأستاذ العقاد إلى هذين الدليلين إذ يقول : « إن أمرين اثنين تختلف النظم العائلية ما تختلف بين الشعوب والأجيال وهما ماثلان فى كل أسرة وفى كل شعب وفى كل جيـل . وهما حضانة الطفل والألفة الحميمة بين فئة من الأقرباء . وكلا هـذين الأمرين قائم على الغريزة الفطرية دون سواها على نحو متشابه فى جميع الأجناس وجميع العصور » .

واتخذ من هذين الأمرين حجة على أن النظم الأساسية المشتركة فى العائلات الإنسانية قائمة على الغريزة .

ونحن نشكر للأستاذ كثيراً أن قدم لنـا دليلين من أقوى الأدلة على صحة ما نذهب إليـه ؛ فكفانا بذلك مئونة الجهد فى تأييد ما قررناه فى كتابنا ، وفى الرد على نظريته .

١ — حقا إن حضانة الاولاد أمر غرزى عند معظم الحيوانات[1] على اختلاف يسير فيما بينها : فأحياناً تتوافر هـذه الغريزة عند الأم وحدها ؛ وأحياناً عند الأب وحده ؛ ولـكنها فى معظم الحيوانات الزوجية (وهى التى تعيش زوجين زوجين ، والتى منها الإنسان) تتوافر لدى الأب والأم معاً . ولـكن هل تسير الحضانة فى الأسرة الإنسانية وفق ما تمليه هذه الغريزة ؟ الحقيقة أن النظم الاجتماعية وحدها هى التى تتحكم فى الحضانة تحكما مطلقاً لا تقيم فيه وزناً للغريزة ولا لمقتضياتها ، وأن الاسرة الإنسانية تخضع فى ذلك لما يسنه لها المجتمع سواء أكانت شرعته متفقة مع منهج الغريزة ، أم كانت معدلة له ، أم مختلفة معه كل الاختلاف . بل لقد وصـل الامر فى كثير من الشعوب أن أصبح واجباً على الآباء أن يقتلوا أولادهم أو بعضهم أوجنساً معيناً منهم عقب ولادتهم أو فى سن الطفولة أو يلقوا بهم فى مكان قفر Exposition أو يقدموهم قرباناً للآلهة ، وأبت هـذه المجتمعات إلا أن يتم لها ما أرادت ولو كرهت الغرائز ، وسارت العائلات وفق ما أملته عليها نظم مجتمعاتها لا وفق ما فطر عليه أفرادها من غريزة . فمن ذلك مثلا أن النظم الإسبرطية كانت توجب على الآباء إعدام أولادهم الضعاف أو المشوهين أو المرضى عقب ولادتهم أو تركهم فى القفار طعاماً للوحوش والطيور . وكانت الأم نفسها تلجأ إلى مختلف الوسائل لتحقيق هذه الغاية ؛ مع أن غريزة الحضانة والحدب على الصغار عند أنثى الإنسان ومعظم الحيوانات الثديية تتجلى فى أوضح مظاهرها حيال الضعاف من الأولاد (ولعل الاستاذ العقاد يذكر بيت المهلهل :

كأن كواكب الجوزاء عوذ معطفة على رُبَع كسير

فلتأكد من صلاحية ولدها للحياة فى نظر مجتمعه ، كانت

---

(١) انظر مقاله بعنوان « الأسرة والمجتمع » فى مجلة الرسالة عدد ٣٠ أبريل سنة ١٩٤٥ .

(٢) انظر مقالى بعنوان « الأسرة والمجتمع » بالرسالة عدد ٧ — ٥ — ٥ :

(١) أقول عند معظم الحيوانات ، لأن بعضها لا يحضن أولاده ، بل يلقى عبء ذلك على غيره ، كفصيلة « الكوكو » فى الطيور .

تغمسه عقب ولادته فى دن من النبيذ ، وتتركه مغموساً وقتاً ما : فإن عاش بعد ذلك دل هـذا على قوة بنيته واستحقاقه للتربية ؛ وإن مات أدت الأم واجبها نحو المجتمع بأن خلصته من كائن ضعيف لايستحق الحياة فى نظره . وهذا النظام نفسه أومايقرب منه كان سائداً فى أثينا وفى روما وقد أقره فلاسفة اليونان أنفسهم وعلى رأسهم أفلاطون وأرسطو . ومن ذلك أيضاً أن التقاليـد الاجتماعية كانت توجب على الآباء فى كثير من الشعوب البدائية وغيرها قتـل أولادهم جميعاً أو بعضهم فى جميع الحالات أو فى حالات خاصة لاعتبارات دينية أو اقتصادية . ومن هؤلاء بعض عشائر من عرب الجاهلية كانت تقتل أولادها ذكورهم وإناثهم فى بعض الحالات ؛ وعشائرأخرى كانت تصطفى الذكور وتئدالبنات. وفى كثير من الشعوب كانت النظم الاجتماعية توجب على الآباء تقديم أولادهم أو بعضهم فى حالات خاصة قرباناً للآلهة . ومن هؤلاء قدماء المصريين والعبريين والعرب فى الجاهلية . بل إن أقدم صورة للأضحية فى المجتمعات قد تمثلت فى الأضحية الإنسانية التى يقدمها الآباء من أولادهم[1] . وفى معظم المجتمعات الإنسانية ، إن لم يكن فى جميعها ، لا يقوم الاب بحضانة ولده من السفاح ؛ مع أن الغريزة لا تفرق بين ولد شرعى وولد غير شرعى ، وإنمـا جاءت هـذه التفرقة من النظم الاجتماعية وحدها . بل إن الأم نفسها كثيراً ما تتخلى فى هـذه الحالة عن الحضانة فتقتل ولدها أو تلقيه فى الطريق ، متصامّة عن نداء الغريزة ، خشية ما تجره عليها نظم مجتمعها وعرفه الخلق .

وإذا كان الآباء فى معظم مجتمعاتنا المتمدينة الحاضرة يسيرون فى حضانة أولادهم فى حالة الزواج الشرعى وفق المنهج الغريزى إلى حد ما ، فإن السبب فى ذلك يرجع إلى أن النظم الاجتماعية قد أوجبت عليهم حضانة أولادهم وتربيتهم على هـذا الوضع ، وأتاحت لهم بذلك إرضاء غرائزهم . ولو أنها سارت بهم فى طريق آخر ، كما كان الشأن فى شعوب أخرى كثيرة ، ما استطاعوا إلى مقاومتها سبيلا ، وما وجدت غرائزهم منفذاً إلى الظهور . على أن هـذه الحضانة ، إذ يقرها المجتمع ويوجبها على الآباء ، لا يتركها للغريزة تتجه بها كما تشاء ، بل يتدخل فى تنظيمها ويضع لها قيوداً وأحكاماً تبعد بها بعداً كبيراً عن طريقها الفطرى.

(١) انظر تفصيل ذلك بكتابى « الأسرة والمجتمع » صفحات ١١٨ — ١٢٤ ، ومقالا لى « بالرسالة » فى عدد ٣ — ٣ — ١٩٤١ عن « وأد البنات عند العرب » ، ومقالا لى بمجلة الشئون الاجتماعية عدد مارس سنة ١٩٤٠ عن « الأضحية والقرابين » .

وإن نظرة يسيرة فى أحكام الحضانة فى القانون الرومانى القديم والقانون الفرنسى الحديث وفى الشريعة الإسلامية ، وفيما تقرره هذه الشرائع من أحكام وقيود بهذا الصـدد فى حالة بقاء عقد الزواج ، وفى حالة فسخه ، وفى حالة موت أحد الزوجين ، وفى حالة زواج أحد الأبوين بزوجة أخرى أو زوج آخر ... إن نظرة يسيرة إلى هذه الأمور وما إليها لـكافية فى الدلالة على أن النظم الاجتماعية ، حتى فى حالة إقرارها مبدئياً لحضانة الأبوين لأولادهما لا تترك هذه الحضانة للغريزة توجهها كما تشاء ، بل تتدخل فى تفاصيلها وعناصرها ومدتها ، وتضع لها من القيود ما يبعد بها كثيراً عن سنن الغريزة.

أفبعد هذا دليل على أننا بصدد نظام يقوم على مصطلحات اجتماعية لا على أمور تقررها الغرائز ؟ !

٢ — وأما « الألفة الحميمة بين فئة من الأقرباء » التى ظن الأستاذ أنها أمر غريزى وأنها دعامة لجميع النظم العائلية ، فحقيقة الأمر أنها ليست من الغريزة فى شىء ، وأن النظم الاجتماعية هى التى تخلقها خلقاً ، وتحدد مجراها ونطاقها ، وتسير بها فى السبيل الذى يرتضيه العقل الجمعى ، ويتفق مع ما تصطلح عليه الجماعة من أوضاع ؛ فإذا كانت الجماعة تسير فى القرابة على « النظام الأمى » تألف أقرباء الفرد من أمه وأقارب أمه فحسب ، على حين يصبح أبوه وأقارب أبيه أجانب عنه ، لا تربطه بهم أية رابطة من روابط القرابة ، ولا يشعر نحوهم كما لا يشعرون نحوه بأية عاطفة عائلية ، ولا بأية ألفة حميمة أو غير حميمة . وإذا كانت الجماعة تسير فى القرابة على « النظام الأبوى » ، تنعكس الآية فتتجه العاطفة والألفة إلى الاب وأسرته ، وتصبح الام وأسرتها أجانب عن الولد لا تربطه بهم أية قرابة ، ولا يشعر نحوهم بأية عاطفة أو ألفة . وإذا كانت الجماعة تسير فى القرابة على النظام المشترك (وهو النظام الذى يعترف بقرابة الولد لـكل من أبيه وأمه) مع ترجيح ناحية الأب أو ترجيح ناحية الأم اتجهت الألفة والعاطفة إلى الناحية التى يرجحها المجتمع أكثر من اتجاههما إلى الناحية الأخرى . وإذا كان محور القرابة فى الأمة يعتمد على ناحية أخرى غير الأب والأم (وكثيراً ما تحقق ذلك فى المجتمعات الإنسانية) انقطعت صلة الولد بأبيه وأمه معاً ، واتجهت عاطفته وألفته نحو الجماعة التى يلحقه بها مجتمعه[1].

(١) انظر تفصيل هذه النظم بكتابنا « الأسرة والمجتمع » صفحات ٢٤ — ٢٩ — ١٣٤ .

فلسنا إذن بصدد أمور تحددها صلات الدم أو تقررها الغرائز ، بل بصدد نظم تصطلح عليها المجتمعات اصطلاحاً . والألفة التي يتحدث عنها الأستاذ العقاد ، حتى في صورتها العاطفية الخالصة : لاتقوم على أساس من الغريزة ؛ وإنما تخلقها النظم الاجتماعية خلقاً ، وتتجه بها في الطريق الذي تريد . على أن هذه الألفة لا تتمثل في أمور عاطفية فحسب ؛ وإنما يتمثل أهم عناصرها في طائفة من الحقوق والواجبات التي تربط الأقرباء بعضهم ببعض . وغني عن البيان أن هذه الحقوق والواجبات لا تدين بشيء إلى الغريزة ؛ وإنما مردّها إلى المجتمع وقوانينه ؛ بل لقد وصل الأمر في كثير من الشعوب الإنسانية أن انعدمت الألفة بمعناها العاطفي بين أفراد الأسرة الواحدة وبين الأقرباء ؛ لأن الأوضاع الاجتماعية كانت تحول دون نشأة الألفة بينهم بهذا المعنى ؛ ولم تبق إلا الألفة بمعناها القانوني والاجتماعي متمثلة في الحقوق والواجبات التي تربط أفراد الأسرة وتربط الأقرباء بعضهم ببعض . وإليك مثلاً العشائر البدائية باستراليا التي كان معظمها يسير على « النظام الأمي » (وهو الذي تعتمد القرابة فيه على الأم وحدها) . ففي هذه العشائر كانت الأم تقيم عادة مع الأب في منازل عشيرته ، مع أنها كانت تنتمي دائماً إلى عشيرة أخرى (فقد كان يحرم تزاوج أفراد العشيرة الواحدة بعضهم من بعض) . وكان نساء العشيرة الواحدة يتزوجن من رجال ينتمون إلى عشائر متعددة ويسكنون مناطق مختلفة . وكان أولادهن بمقتضى النظام المتبع (وهو النظام الأمي) ينتمون إلى توتم Totem أمهاتهم وعشيرتهن ، ويؤلفون معهن أسرة واحدة . وقد ترتب على ذلك أن كل أسرة من الأسرات التي تتبع هذا النظام كانت مبعثرة الأفراد ، لا يضم أعضاءها مكان واحد ، ولا يمكن أن تتكون بينهم ألفة عاطفية : يجمعهم ذلك الرباط الاجتماعي الديني ، وتربطهم بعضهم ببعض طائفة من الحقوق والواجبات ؛ بدون أن تنتظمهم وحدة جغرافية أو تؤلف بينهم رابطة إقليمية ، أو تتوافر الظروف التي تنشيء في نفوسهم ألفة بمعناها الوجداني الطبيعي .

علي عبد الواحد وافي
دكتور في الآداب من جامعة السربون

سياسة التعليم ووحدة الأمة

للأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

— ٤ —

إن الروح العالية التى أملت على وزارة المعارف التنازل عن سلطانها إلى فروعها فى المناطق التعليمية الإقليمية وفى إدارات مدارسها بمشروع اللامركزية الذى وضعته ونفذته أخيراً — تلك الروح تستحق كل ثناء وإعجاب لأنها تدل على أن الوزارة جادة فى تلمس أسباب الإصلاح . وإذا كانت هذه هى الخطوة الأولى فى سبيله فإنه لا بد أن يتلوها خطوات ؛ لأن الإصلاح يتطلب بجانب تنظيم إدارات التعليم تنظيما لمعاهد التعليم على أسس جديدة تغير من روحها ومن جوهر الحالة القائمة فيها لتنتج الخطوة الأولى نتيجتها . وبث الروح الجديدة فى المعاهد يتطلب مجهوداً جباراً ويتطلب تعاوناً صادقاً من الرجال ذوى التجارب الذين مارسوا المهنة طويلا ، والذين يشرفون على معاهد التعليم ، والذين يطلب منهم أن يقوموا بإخلاص بتنفيذ الأسس الجديدة . فلا بد لهؤلاء وهؤلاء أن يقتنعوا بما فى المدرسة القائمة من عيوب وأن يقتنعوا بما يجب نحوها من تغيير وتبديل نتيجة بحث وتمحيص . ومشكلة التعليم يجب ألا تحصر فى تغيير أسماء بأسماء أخرى ، أو فى نقل موظفين من هنا إلى هناك ، أو فى خلق وظائف جديدة قد لا يكون لها مبرر . إنما مشكلة التعليم الأساسية هى فى المدرسة : فى نظمها القائمة ، وفى مدرسيها ، وفى الروح السائدة فيها ، وفى روح طلبتها .

فإذا كنا قد شكونا قديماً من أن روح المدرسة كانت محصورة منذ زمن بعيد فى تلقين التلميذ كثيراً من المعلومات ليصبها صباً فى ورقة الامتحان ثم ينساها بمجرد الانتهاء منه ، فإن هذه الروح لا زالت قائمة إلى اليوم وهى التى تملى على المدرسة ومدرسيها أعمالهم ، وتملى على الطلبة طرق السير فى حياتهم وفى تفكيرهم ، وفى غدواتهم وروحاتهم .

وإذا كنا شكونا حتى بحت الأصوات فى كثير من الأوقات بأن المدرسة تباعد بين المتعلم وبين الأعمال والمشاريع الحرة ، وإن كل متعلم متى حصل على الشهادة فهو لا يفكر فى عمل يعمله غير الوظيفة ، وأن المتعطلين من المتعلمين زاد عددهم قبل الحرب زيادة كبيرة ، ونعتقد أن سيتضاعف عديدهم بعد الحرب ، فإن السياسة التى رسمت أخيراً للوظائف والتوظف بتسعير الشهادات وأعمال الإنصاف قد زادت أبناء الأمة تشبثاً بالوظائف واندفاعاً فى سبيلها وتعلقاً بأهدابها فزادت بذلك مسافة الخلف بينهم وبين العمل الحر ، وارتفعت نسبة عباد الوظيفة من المتعلمين حتى أصبحت المدرسة بحق هى المصنع الدائم لصناعة الموظفين !

وإذا كنا شكونا قديماً وقلنا بأن المدرسة لا تعنى عناية مباشرة بتكوين النواحى الخلقية الضرورية فى أبنائها أو بغرس الأخلاق القويمة التى تتطلبها حياة الأفراد والجماعات اليوم من صبر على المكاره ومثابرة على العمل وجهاد وتعاون على الخير الخ . فإن المدرسة لا زالت إلى اليوم تهمل كل هذه النواحى الهامة التى لا ينجح فى الحياة فرد ولا مجتمع إلا بها . وإذا كنا شكونا قديماً من أن المدرسة تعنى العناية كلها بالأمور المظهرية والصورية دون الأمور الجوهرية فى اتصالاتها وأعمالها وحفلاتها فإن الحالة لا زالت تجرى اليوم كما كانت قديماً . وإذا كنا شكونا من أن الاتصال الروحى الذى كان قائماً بين التلميذ وأستاذه والذى كنا نحسه قديماً فى تلمذتنا يسرى فى دمائنا ويدفعنا دفعاً إلى تمجيد أساتذتنا واحترامهم مما كان يبعث فى قلوبنا للمدرسة الهيبة والتقديس قد أخذ فى التضاؤل حتى أصبح شيئاً تافهاً ، فإنا نحس اليوم أن ذلك الاتصال الروحى قد انقلب مع الأسف إلى ضده حتى أصبحنا نرى تلاميذ المدارس ينتهزون الفرص أحياناً للنيل من أساتذتهم ونظارهم ومعاهدهم التى تؤويهم . ثم إن روح الاستهتار لم تقتصر على التلاميذ وحدهم بل تعدتهم فى الأيام الأخيرة إلى بعض المدرسين الحديثين الذين أصبحوا لا يقدرون حق التقدير واجبهم وما يلقيه عليهم من مسئوليات ، فإذا عبثوا أو أهملوا وسئلوا فى ذلك هزوا أكتافهم أو هربوا من المسئولية وألقوها على غيرهم ولفوا وداروا فى الظلام بحثاً وراء من يحمى ظهورهم ويشجع استهتارهم بالعمل

على ترقيتهم وسبق زملائهم . لذلك نجد أن الروح الجدية أخذت مع الأسف تتلاشى تدريجياً بين مدرسى مدارسنا كما تلاشت بين تلاميذنا . فما بالك إذن بروح التعاون التى تتطلبها المدرسة والجماعة والأمة فى سبيل نهضتها ووحدتها ! ؟

ولقد زاد الطين بلة ما كان من ثورة على مناهج التعليم كأن المناهج لا المعلمين وكأن الخطط لا النظم هى التى تكون الناشئين ! فلطالما اهتزت أركان الوزارة فى ربع القرن الماضى بتغيير الخطط وتغيير المناهج وإطالة مدة مرحلة من مراحل التعليم وإنقاص أخرى من تلك التغييرات الظاهرية ، والتبديلات الجوفاء التى أضافت إلى جمود الروح المدرسى عبثاً آخر من فوضى التغيير الظاهرى والعبث بالاستقرار الحقيقى حتى ضج من ذلك المعلم والمتعلم . وكم نادينا على غير جدوى بأن المشكلة الحقيقية ليست فى المناهج والخطط ولكنها فى نظم الدراسة وروحها ومعلميها . ثم زاد الحالة سوءاً بعد ذلك ما كان من تشجيع الطلاب على الاندماج فى الحزبية الجامحة التى دفعت بالكثيرين منهم إلى الخروج على أبسط قواعد الأدب وتقاليد المجتمع !

كل ذلك يلمسه ويحسه القائمون على أمور المدارس والمتصلون بها من رجال التعليم والمشرفون عليها . وكل ذلك نادينا بضرورة إصلاحه من زمن بعيد فلم نجد مع الأسف من القائمين بالأمر إلا ارتجال مشروعات لا تمت بصلة صحيحة إلى إصلاح روح المدرسة ونظمها . وأعتقد أن رجال التعليم جميعاً يتحدثون بذلك ويدركونه ويتلمسون له الحلول فلا يجدونها !

وها هى ذى الأمة تقاسى اليوم من جراء ذلك ما تقاسى من فوضى الأخلاق ، وسوء معاملة الناس متعلمين وجاهلين بعضهم لبعض وعدم تفهم بعضهم بيعض ، وأنانيتهم وجشعهم وقلة اكتراثهم بعمل الخير ، وقلة إقدام متعلمينا وشبابنا على المشروعات العامة بسبب فقدان التناصر والتعاون حتى بين أفراد الأسرة الواحدة وخروج الإبن على أبيه ، وعدم رعاية حقوق الأخوة والجوار ، وانتزاع الرحمة ممن تجب عليهم الرحمة للضعفاء والمعوزين ، إلى غير ذلك مما يفت فى عضد الأمة ويضعف من قوتها ، ويوهن روح نهضتها ويضعضع وحدتها . ولقد أحس بذلك الصغير والكبير ورجل الشارع ورجل التعليم . فما السبيل يا ترى لإصلاح هذه الحال؟

فإذا كنا نادينا فى سبيل وحدة الأمة وتكاتف عناصرها بضرورة توحيد الثقافة فى المرحلة الأولى من مراحل التعليم بإحلال المدرسة الموحدة محل المدرسة المشتقة من التعليم الإلزامى والأولى والريفى والابتدائى ؛ وإذا كنا نادينا فى سبيل وحدة الأمة بضرورة توحيد معاهد المهنة الواحدة ، وعلى الخصوص معاهد المعلمين كدار العلوم ومعهد التربية وكلية اللغة العربية وإدماجها فى معهد واحد لتخريج مدرسين متعاونين متضامنين عارفين بواجباتهم مقدرين لمسئولياتهم ، فإنا ننادى كذلك بضرورة إصلاح المدرسة القائمة بصفة عامة إصلاحاً يتناول روحها ونظمها ويحدد أهدافها ، ولن يتم لنا كل ذلك إلا بالتعاون الفنى والتعاون القوى . لا يتم لنا كل ذلك إلا إذا تعاون رجال التعليم عامة فى لجان دارسة فاحصة تبحث عيوب النظام الحالى كلها وتناقشها فى محاضرات ومؤتمرات عامة ، وتضع الحلول المختلفة للخلاص منها . ثم تدرسها بعد ذلك لجنة فنية عليا لغربلتها وتصفيتها . ومما يساعد على ذلك الآن وجود عدد كبير من المفتشين العامين فى مختلف إدارات التعليم بالوزارة . ثم يعرض الأمر أخيراً على مجلس المعارف الأعلى الذى سمعنا بقرب تشكيله . وإنه ليفرح الأمة أن يتكون هذا المجلس تكويناً قومياً بحيث يكون جامعاً لخلاصة المفكرين ورجال الأعمال من كافة الأحزاب ، ويا ليته يضم عدداً من رجالات البلاد العربية الشقيقة حتى يكون عمله قومياً بحتاً معترفاً به من جميع الحكومات على اختلاف مذاهبها . وبذلك تسير مصر كلها ومعها بلاد الجامعة العربية فى طريق واحد نحو هدف ثقافى واحد .

هذه هى الطريقة المثلى فى حل مشاكلنا التعليمية ، وهى طريقة وإن كانت بطيئة إلا أنها مضمونة الفائدة محققة النفع ذات هدف سام يرحب به الجميع ، وأقل ما توصف به من خير أن الحلول التى تضعها لمشاكل التعليم لا تكون بنت يومها أو بنت الطفرة ، ولا تكون حلولاً مرتجلة نتيجة تفكير فرد أو أفراد محدودين ، بل هى نتيجة بحث وفحص وتمحيص يشترك فيها الجميع وتمليها المصلحة القومية العامة ، مصلحة الأمة التى تطلب الوحدة وتنادى بها وتعمل لها .

عبد الحميد فهمى مطر

الأفغانى والوحدة الإسلامية

للأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف

— ٤ —

وأخيراً ، أين بلغ الأفغانى من التأثير فى المسلمين بدعوته ؟ وأين وصل من الطريق إلى هدفه وغايته ؟ وماذا أجدى فى تحقيق تلك الفكرة التى نهض لها ملء يقينه وجهد طاقته ؟

إننا نستمع إليه فى آخر حياته يرسل هذه الصيحة الأليمة اليائسة إذ يقول : « إن المسلمين قد سقطت هممهم ، ونامت عزائمهم ، وماتت خواطرهم ، وقام شىء واحد فيهم ، وهو شهواتهم ! »

فى هذه الصرخة التى تفيض بالألم نرى الرجل مغيظاً محنقاً ، لأنه لم يجد فى المسلمين العزيمة التى كان يتمثلها ، والوثبة التى كان يتوقعها ، وكأنه يقول : لقد ناديت لو أسمعت حياً ، والواقع أن الرجل لم يكن يستطيع أن يبلغ أكثر مما بلغ ، فإنه كان ينادى على قوم يأخذون طريقهم إلى النهاية ، وسنن الوجود الاجتماعى لها فى هذا حكمها الذى لا يرد ، وقد كان التيار المتدفق من الخارج قوياً عنيفاً ، ودنيا النضال والنزال فى عهد جديد تسيطر عليه الآلة ، وهو عالم لا يعرف عنه المسلمون إلا كما يعرفون عن عالم السحر ودنيا الجان

فحسب الرجل نجاحاً أنه فتح العيون على الخطر الماثل ، ونبه الأذهان إلى غاية الشر المتنمر ، وأنه استطاع بصادق غيرته وقوة يقينه أن يجعل من دعوته نقطة تحول فى حياة الشرق العربى ، وأن يقيمها عقيدة اجتماعية لها تيارها واتجاهها فى تلوين الأفكار وتوجيه العقول والأفهام ، على أننا لا ننسى أن الأفغانى فى هذا كله كان لا يملك كثيراً من الوسائل المساعدة ، فهو رجل فقير مضطهد ، الملوك وأهل السلطان يخذلون جهده ، ودول الاستعمار وأهل المآرب يناهضون فكرته ، فتراه كل يوم على سفر يضرب فى فجاج الأرض ، كل ما فى قدرته أن يلقى بأفكاره إلى أفهام الطبقة المثقفة ، وكانت يومذاك قلة ، وليست فى يده الوسيلة التى يصل بها إلى الرأى العام ، ونحن نعلم من شواهد التاريخ أن الرأى العام هو القوة الفعالة فى تحقيق الدعوات ، وأن الجماهير هى الوقود الذى ينضج الثورات

ولعل أهم ما أجدى السيد الأفغانى فى توطيد دعوته والامتداد بأثرها فى إيقاظ الشرق وتنويره ، هم أولئك التلاميذ ، أو على الأصح أولئك المريدون الذين طبعهم بطابعه ، وصقلهم على غراره وخلع عليهم كل ما خصه الله به من عبقرية الدرس وعبقرية النفس ، فكانوا لسان صدق للدعوة ، وكانوا دعاة مخلصين واجهوا بها الأحداث فى إباء وشجاعة ، ولاقوا من أجلها الأهوال فى قوة وصرامة ، وقد كان أبرز هؤلاء الدعاة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رضوان الله عليه ، والسيد عبد الرحمن الكواكبى رحمه الله

أما الشيخ محمد عبده ، فقد كان صوتاً متفقاً مع الأفغانى ، شاركه الرأى والجهاد فى ميدان واحد ، وأما الكواكبى فكانت حياته أشبه ما تكون بحياة أستاذه فى الرحلة والتنقل من قطر إلى قطر ، وكانت تعاليمه ودعوته إلى الوحدة صورة مطابقة لما كان ينادى به الأفغانى . كان الأفغانى كما مر بك يرى أن تقوم الدعاية للوحدة بعقد مؤتمر عام كل سنة فى مكة يجمع أصحاب الكلمة والرأى من العلماء لحسم كل نزاع ، وتدبير كل ما من شأنه النهوض بالمسلمين ، فتطوع الكواكبى لعقد هذا المؤتمر فى عالم الخيال أو فى عالم الأمل ، وندب له أعضاء من جميع الأقطار الإسلامية ، ووضع أمامهم حال المسلمين للبحث وتمحيص الرأى ، وقد جعل هذا موضوع كتابه المعروف « بأم القرى » ، وهو اسم أخذه أيضاً من اسم الجمعية التى كان أنشأها أستاذه بمكة من قبل

ولكن هؤلاء الدعاة ، وهم ما هم فى صدقهم وإخلاصهم لم يستطيعوا أن يتمسكوا إلى آخر الشوط بدعوة الأفغانى فى نصها وحرفيتها كما يقولون ، لأن الحوادث كانت تتطور تطوراً سريعاً يحيط بهم ، ويكبر على جهدهم ، فكان عليهم أن يلائموا بين خطتهم وبين طبيعة الحوادث ، وقد تبصر المعتدلون من هؤلاء المريدين والأتباع ، فرأوا أن وحدة تشمل سائر الأقطار الإسلامية وتجمعها فى صعيد واحد لا يمكن أن تقوم لا فى الوضع السياسى ولا الاجتماعى ولا العمرانى ، وأن الفكرة فى ذلك فكرة فضفاضة

متموجة لا تحدها معالم ثابتة ولا تسندها مقومات متينة ، فضلا عما تثيره من الابهامات والشبهات وما تلاقيه من المناهضة والمقاومة فعدلوا عن الوحدة الإسلامية إلى الوحدة العربية ، واختزلوا رغبة الأفغانى فى قيام وحدة تشمل سائر الأقطار الإسلامية إلى وحدة عربية تجمع الأقطار المتجاورة المتشابهة التى وحدت حوادث التاريخ الماضى بينها فى اللغة والتفكير والمظهر الاجتماعى ، والتى تؤلف بينها الأغراض المشتركة والآمال المتفقة فى الفوز بحياة الحرية والعزة ، ولم يكن قصدهم « العربية » المحصورة فى شبه الجزيرة العربية فحسب ، بل كانوا يقصدون أيضاً مايتفرع عنها من الجنس السامى فى العراق وسوريا وفلسطين ولبنان ، وما يتصل بها من الجنس الحامى فى مصر وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش ، وكانوا يعتقدون أن رابطة تشمل هذه الأقطار مما يدخل فى دائرة الإمكان ، بل إنها قائمة روحياً ومعنوياً ، لا ينقصها إلا خطوة نحو التنفيذ والإنجاز !

وإذا كان دعاة « الإسلامية » قد وقفوا فى تأييد دعوتهم عند أساليب الحث والوعظ والتذكير والإهابة بضرب الأمثال وأناشيد المجد السالف ، فإن دعاة « العربية » قد أخذوا فى دعم فكرتهم بأساليب الفلسفة السياسية والاجتماعية ، وخلعوا عليها لباساً علمياً من النظريات العلمية التى كانت شائعة بين العلماء فى ذلك الوقت . كانت الجامعة السياسية فى رأى علماء الألمان تقوم على وحدة اللغة ووحدة الجنس ، وعند علماء الطليان ترتكز على وحدة التاريخ ووحدة العادات ، وعلى مذهب الفرنسيين تعتمد على وحدة الطموح السياسى ونفوذ السلطان ، وفى جماع هذه الآراء والاتجاهات وجد دعاة العربية برهاناً لدعوتهم ، من وحدة اللغة ، ووحدة الجنس ، ووحدة التاريخ ، ووحدة التقاليد ، ووحدة الطموح السياسى ، وبهذه الصبغة صبغوا دعوتهم ونادوا بفكرتهم وانتصروا لها بكل ما يملكون من أساليب البيان واللسان

وأذكى تيار هذه الفكرة ما كان من غطرسة الحكم التركى فى الاستخفاف بحقوق العرب والنظر إليهم بعين الإغضاء والاستهانة ، وقد اضطرت تركيا تحت هذا الضغط إلى إصدار كثير من « الفرمانات » تعلن فيها المساواة بين الأجناس والأديان فى السلطنة العثمانية ، ثم أعلنت دستور سنة ١٩٠٩ ، فغمرت العرب موجة من السرور والارتياح ، وشاموا فى هذا بداية عهد جديد يؤدى إلى جمع القلوب ، ولكن سرعان ما تكشفت الأمور فإذا هى هباء وألاعيب ، وإذا الاتحاديون الذين أعلنوا الدستور وجاهدوا من أجله أشد الغلاة فى هضم حقوق العرب والاستهانة بحريتهم وكرامتهم ، وظهر لأبناء العروبة أن « الفرمانات » التى حررت ، والدستور الذى أعلن لم يكن إلا حبراً على ورق ، فانقلبت آمالهم إلى خيبة مريرة ، وحسرة قاسية ، واشتدت عصبيتهم لجنسيتهم ، ووقفوا والعثمانيين وجهاً لوجه .

كانت هذه الحركة أقوى ما تكون فى سوريا والعراق لوقوعهما مباشرة تحت سلطة تركيا ، ولكن مصر كانت أوسع ميدان لها وأفسح مجال للعاملين على امتدادها ، إذ كانت مصر فى هذه الفترة موئلاً للمتمردين على الحكم العثمانى من أبناء الأقطار العربية ، كما كانت مجال حركة فكرية تملك من الوسائل والأسباب ما لا يملك غيرها من أقطار العالم العربى ، وامتد تيار هذه الحركة على أوسع ما يكون ، وتألفت أحزاب وجمعيات ومنتديات كثيرة فى مصر وبيروت وفى الأستانة نفسها ، وكل منها يعمل فى طريق للنهوض بأبناء العربية ، ووقف الشعوبيون من أنصار الرابطة « الطورانية » يناهضون هذا الاتجاه ويناضلون العرب فيما يدعون إليه ، ووجد أنصار الأغراض الاستعمارية لأنفسهم من هذا منفذاً لبث آرائهم ودعاياتهم ، فكان أن أصبح الرأى فوضى لا قوام له ، وأصبح الدعاة للوحدة والنهوض يخضعون لتيارات مختلفة ويعملون لأغراض متباينة ، ففى مصر مثلاً كان الرأى القوى الذائع هو أن تنال مصر استقلالها وأن تتحد مع جاراتها العربية ، على أن يكون ذلك فى ظل الولاء للخلافة العثمانية ، ولكنك كنت تجد فى الجهة المقابلة رأياً يدعو إلى الاستقلال عن كل سلطة خارجية وصلة أجنبية ورعاية مصالح مصر قبل أى اعتبار آخر ، وفى سوريا والعراق كان جماعة ينتصرون للعربية من عسف الأتراك ، ويدعون إلى الوحدة على أن تظل على الإخلاص لبنى عثمان ، ولكن الرأى السائد كان عداوة للأتراك ، وعصبية للجنس ، وتشنيعاً على الاستعمار العثمانى فى جميع أطواره ، وكان أصحاب هذا

الرأى يعتقدون أن العرب إذا انسلخوا عن الوحدة العثمانية فى مقدورهم «أن يقيموا لأنفسهم دعائم استقلال سياسى» ، ولا بأس عليهم من الاستعمار الأوربى ، وكان أكثر أهل هذا الرأى من «محترفى السياسة وتجارها» كما يقول بعض الكتاب ، ولسنا فى مقام توزيع التبعات وتحقيق الاتهامات وتفنيد الآراء ، ولكنها إلمامة عارضة أوردناها على قدر ما يقتضيه الموضوع الذى نحن بصدده فى بيان الأثر الذى امتدت به دعوة الأفغانى .

هـذه الفوضى التى اضطربت بالأفهام وبلبلت الأفكار ، وهذه الأغراض التى دخلت على الدعاة إلى الوحدة العربية واردة من «أوروبا» ، جعلت العقلاء ينظرون إلى المسألة بعين التبصر مرة أخرى ، ويحكمون فيها عقولهم قبل أن يندفعوا إليها بعواطفهم ، فظهر لهم أن هناك خطراً ماثلاً يتهدد كل وحدة فى الشرق مهما كان لونها أو اتجاهها ، وأن أوربا تريد أن تضع يدها على تركة المسلمين تحت سمعهم وبصرهم ، وأن «القوة العثمانية التى تمثل الاستقلال السياسى للمسلمين والتى هى مظهر السيادة الإسلامية قد أصبحت معرضة لأشد الأخطار» ، ظهر كل هذا للعقلاء المتبصرين ، فأشفقوا من الخلاف القائم ، وانبروا يدعون إلى الاتحاد تحت راية الخلافة ، ويحضون على وحدة شاملة لمدافعة الخطر ، وكانت مصر أفسح ميدان لهذه الدعوة وأعلى صوت فى الدعاية لها والحض عليها ، لأن ما كانت تعانيه من عسف «كرومر» قد بصرها بالأمر ، ولأنها كانت فى النهضة الوطنية والفكرية أسبق وأنضج ، ولأن صلة «بيتها الحاكم» ببنى عثمان كانت تقوم على المودة والقرابة .

وبين عشية وضحاها وضح الأمر وتكشفت الحقيقة فيما توقعه أولئك العقلاء ، إذ تألبت ممالك البلقان على الدولة العثمانية ، ودهمت إيطاليا طرابلس وبرقة وضرب أسطولها بيروت فى غير شفقة ولا رحمة ، فهز هذا من أريحية المصريين ، واستثار عواطفهم وشجونهم ، وارتفعت الأصوات بالإشفاق على مجد الإسلام ومعالمه الباقية ، وعادت الدعوة إلى الوحدة الإسلامية لتكون قوة فى وجه الاستعمار الذى كشف عن ناجذيه فى غير مواربة ، وقد بذلت مصر بذل المخلص الشريف فى نصرة العالم الإسلامى ، وأمدت تركيا بهبات سخية من المال والعتاد ، وأعانت المنكوبين إعانات فياضة ، مما دل على الإخلاص فى النية ، والصدق فى العزيمة ، والغوث فى الملمات .

واطردت الأمور متقلبة متحولة ، ومضت الأحوال تجرى بين جزر ومد ، ولم تلبث الحرب الماضية أن نشبت على أوسع رقعة ، ودخلتها تركيا إلى جانب ألمانيا ضد الحلفاء ، فطوى كل رأى فى صدور أصحابه ، ووقفت كل دعوة عند حدودها ، وأصبح الأمر للدعايات الحربية والسياسات الحزبية والاتجاهات الملتبسة التى لا يرتبط فيها اللسان بالقلب ، ولا يتصل فيها القول بالعمل ، وفى هذا الجو ظهرت دعوة إلى «العربية» فى شكل جديد وعلى وضع جديد ، وكان الغرض فيها يدور حول الحركة التى قام بها السلطان «حسين بن على» فى الحجاز ، وامتدت دعاياتها إلى سائر الأقطار العربية ، وكان هذا الغرض هو ما تكشفت عنه الحوادث فى أعقاب الحرب الماضية ، وكان أثر هذه الدعوة الجديدة هو ما انتهت إليه بعد .

الخلاصة :

فأنت ترى فيما أوردناه عليك ، أن الدعوة إلى الوحدة إنما نشأت «إسلامية» قوامها القرآن فى لسان الأفغانى ومحمد عبده والكواكبى وأضرابهم ، ثم اختزلت إلى «العربية» فى تقدير المعتدلين ممن جاءوا على أثرهم وترسموا طريقهم ، ثم تشعبت هذه «العربية» فيما بعد إلى شعب لهـا مراميها وأغراضها ، ولها أساليبها وسبلها . ولا شك أن المؤرخ السياسى والاجتماعى لحياة الشرق العربى فى العصر الحديث لا بد له من تحليل هذه التيارات كعوامل وعناصر كان لها أثرها فى توجيه الرأى السياسى والاجتماعى الذى سيطر على الحركات الأخيرة ، وكيف النهضات الحديثة ، وأدى إلى ما بلغته الأقطار العربية اليوم ، بل وما ستبلغه فى الغد ، والفضل فى هذا كله للأفغانى العظيم ، الذى وهب نفسه للوحدة ، وظل طول حياته يجاهد فى سبيل هذه الدعوة .

(تم البحث)

محمد فهمى عبد اللطيف

هرموبوليس مدينة الحج

للأستاذ فوزى الشتوى

انقرضا من مصر

فى أساطير قدماء المصريين أن مجاعة اجتاحت بلاد النوبة ففتكت بأهلها وزرعها ، إلى أن خف إليها الإله توت على شكل قرد أنقذها وأعاد إليها الأمن ورغد العيش . والإله توت من أقدم معبودات قدماء المصريين . وله رمزان يمثله أحدهما على صورة طير أبى منجل . ويمثله الثانى صورة وجه القرد .

وقد تبين من حفريات جامعة فؤاد الأول برياسة الدكتور سامى جبرة فى منطقة تونة الجبل قرب ملوى أن أرض مصر فى عهد الفراعنة كانت تضم مجموعة كبيرة من الحيوانات التى انقرضت أو هاجرت إلى بقاع أخرى ومنها طير أبى منجل والقرد . والأول من فصيلة أبى قردان وله طباعه فى الفتك بالحشرات الضارة بالإنسان وزرعه .

رمزا الإله

قال عنه هيرودوتس المؤرخ اليونانى إنه كان يسكن بين جبال سينا فيأكل الثعابين والحيات قبل دخولها أرض مصر . ويقول الدكتور سامى جبرة إن المصريين شهدوا اتزان مشيته ووقاره ، فأعجبوا بصفاته العالية ، واتخذوه رمزاً لإله المعرفة ، ولئن كانت قوانيننا الحالية تحرم صيد أبى قردان ، وتفرض الغرامة والسجن على مقتنصه فإن قوانين القدماء كانت تقضى بإعدام من يقتل أبا منجل .



(شكل ١)
طائر أبو منجل وأمامه تمثال الآلهة معان إله العدل

والقرد من الحيوانات النادرة التى تهلل جماعاتها إذا أشرقت الشمس وتنوح وتندب إن آذنت بالغروب . والمصريون القدماء معروفون بدقة الملاحظة . رأوا فى تهليله ونواحه علامة على معرفته لأسرار الشمس والعالم الآخر .

والإله توت إله المعرفة ، يعرف ما خفى وما استتر ، ويحق الحق ويزهق الباطل . وهل لإله المعرفة من رمز أشعى من الاتزان كما تمثل فى أبى منجل ؟ وهل من إدراك بالغيب وسر إقبال الشمس واختفائها أعمق من إدراك القرد ؟ رأى المصريون فى الحيوانين صفات شديدة الصلة بالإله توت فاتخذوهما له رمزين حيين ، ورفعوهما إلى مركز التقديس .

وزال أبو منجل من مصر ، ولكنه لا يزال يقطن السودان وشواطىء إيطاليا الجنوبية ، كما يعيش القرد فى عدة أماكن منها السودان . وعرف رمز الإله فى عهد الفراعنة باسم توت ، فلما أقبل اليونان والرومان رأوا فيهما تشابهاً مع إله المعرفة عندهم فسموه هرمس .

وأطلقوا على بلدة أشمون الغربية اسم هرموبوليس . ولتوت فيها مقابر من السراديب الصخرية قال عنها هيرودوتس إن مساحتها ٤٠ فدانا ضمت جثث آلاف القردة وأبى منجل .

ولعل القارىء سمع عن بلدة الأشمونين أو بلدى أشمون . والغربية منهما تكون من قبور الإله توت ومعابده ومكان الحجاج والشرقية هى مركز الحياة المدنية والإدارية . وقد كشفت حفريات الدكتور سامى جبرة عن المدينة المقدسة فأعطانا معلومات هامة عن فترة من أشد فترات التاريخ المصرى القديم غموضاً وهى ما يسميه الدكتور بعصر الانتقال . إذ يربط بين المدنية المصرية وبين المدنية اليونانية الرومانية . وهناك قطع أثرية جمعت بين الفنين . وقد امتدت إلى ما قبل العصر المسيحى بقليل .

مجهول ينكشف

ويقول الدكتور إن أبحاث الجامعة هناك تشمل فترة تبدأ من القرن السادس قبل الميلاد . وتمتد إلى القرن الثالث بعد الميلاد ، أى أنها تضم تسعة قرون من الزمن . ولا تخلو آثارها من مفاجآت ، ففى أحد السراديب وجد ناووس للاله توت يخص الملك رمسيس الثانى من عهد الأسرة التاسعة عشرة .

ويرى مؤرخنا أن أهمية منطقة الأشمونين ترجع إلى موقعها الجغرافى والتاريخى . فهى فى مفترق الطرق بين مدينة طيبة قرب الأقصر وبين مدينة ممفيس فى الدلتا . وهى منطقة واسعة الثروة

يتسع فيها وادى النيل فيغطى رقعة واسعة من الأرض هى فى الواقع أوسع منها فى أى بقعة أخرى .

وتتفرع من هذه المنطقة أيضاً طرق قوافل تخترق البقاع إلى السودان وإلى البحر الأحمر . كما يخترقها نهر النيل وبحر يوسف فتجود أرضها بالوفير من الغلات والحاصلات .

وقد بدأت الحفريات فى سنة ١٩٠١ فى ظروف قاسية فلم يكن بالمنطقة ماء ولا سكان ، بل كانت تلالا من الرمال يتراوح ارتفاعها بين ١٢ متراً و ١٥ متراً فلم يكن هناك مفر من المبيت فى خيام أو أكواخ صغيرة ، فتحمل الجميع شظف العيش هناك . وعلى مر السنين أقيمت المبانى وتيسر الحصول على الماء والغذاء وأصبحت من أجمل البقاع .

مدينة الحجاج

ومدينة الحجاج تتكون من ثلاثة سراديب طويلة متفرعة اتخذت مدافن للاله توت . شيد إلى جوارها بناء كبير يتكون



(شكل ٣)

دخل السراديب وترى فتحات دفن الطيور والقردة

من عدة غرف لتنظيم دفن جثث الطيور أو القردة . فإن مات واحد منها نقله صاحبه إلى الكهنة ودفع قدراً من المال يقرر تبعاً له مدى إتقان التحنيط ومكان الدفن . فإن كان كبيراً حنط رمز الإله تحنيط الدرجة الأولى ودفن فى فتحات خاصة حفرت فى الصخر على جانبى السراديب . فعرف مكانه وتيسر له زيارته كل عام فى عيد الإله توت فى أول الشهر المعروف باسمه فى التقويم القبطى ، ويوافق ١٦ يوليو فى بدء الفيضان .

وإن كان صاحب الرمز فقيراً ودفع قدراً قليلا من المال حنطت الجثة من الدرجة الثالثة ، ووضعت فى إناء من الفخار ، ثم دفنت فى حجرات واسعة منتشرة على جانبى السراديب صفاً صفا . فإن اكتمل نظام صف وضعت فوقه طبقة من الرمال لتبدأ طبقة أخرى من الجثث إلى أن تملأ الحجرة فيبدأ الدفن فى غيرها

ودفن الأثرياء مع رموز آلهتهم تماثيل وتمائم تمثلهم لتحل على أشخاصهم بركة الآلهة . وكانوا يضعونها فى صناديق من خشب الجميز الذى أثبت أنه لا يبلى بمر السنين ، وأنه أقوى أنواع الخشب متانة واحتمالا بخلاف ما يقول المثل البلدى « تخن على الجميز » وكتب بعضهم على هذه الصناديق أدعية .

معدات تحنيط كاملة

وقرب مدخل السراديب وجدت غرفة تحنيط كاملة المعدات وتبين جميع مراحله ، فى أحد أركانها إناء كبير يحتوى على مادة التحنيط نفسها ، ولكن تحليلها لم يكشف عن سر تركيبها ، فإن انتهت هذه العملية حمل الكهنة المومياء فى موكب دينى وهم يرتلون أدعيتهم ونزلوا سلم السرداب بظهورهم إلى أن يضعوها فى مقرها الأخير

وأحد هذه السراديب خاص بالعظماء ، نقش سقفه بالألوان وزين بالرسوم ، وتغطيه الآن طبقة خفيفة من « الهباب » لايعرف مصدرها وإن كان يظن أنها أثر حريق شب فى السراديب أو لأن المسيحيين كانوا يلجأون إليه هرباً من اضطهاد الرومان فيتصاعد دخان مسارجهم ويغطى السقف بلونه القاتم

واحتفظ معبد الأرواح المقدسة فى أحد السراديب بنقوشه وآثاره . شيده أحد البطالسة تقربا من المصريين وهو يمثل الإله توت على شكل قرد يستقبل أشعة الشمس . ويلاحظ أن جميع غزاة مصر حاولوا التقرب من المصريين وحكمهم عن طريق الاندماج فى دياناتهم، فقد وجد ناووس قرد للملك داريوس الفارسى . ويحاط مدينة الحج بسور متدرج فى الارتفاع تكون كل ثمانية أعمدة درجة . والثمانية هو درج ، والثمانية هو رمز تلك المنطقة وتعبير عن عدد آلهتها الثمانية المعترف بهم فى ذلك الوقت . فلا تجد هناك شيئاً يتكون من ست أو سبع بل ثمانية ومضاعفتها وحتى مدخل السراديب أضىء بثمانى مسارج .

فوزى الشتوى

عيد الجلوس والربيع والسلام

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

لواء مُلكك يا مولاى منشور
وعيدك السَّمح ضاحي الوجه مشهور

له على الأرض ضجَّات وجلجلة
وفى السموات تهليل وتكبير

يوم من الخلد قد خُطت صحائفه
كأنه فى سجل الخلد مسطور

مع الربيع قد انهلّت بشائره
وللربيع إذا وافى تباشير

كأنه مؤذن بالخصب فى بلد
تراؤه فى كتاب الله مذكور ...

مولاى تلك الأسارير التى انبسطت
ما أشرقت مثلها فينا أسارير

مولاى تلك الأزاهير التى ابتسمت
ما شابهها على الروض الأزاهير

تبسّم الزمن المنكود واعتدلت
أموره وتحامتنا الأعاصير

ومرّ من سيئات الدهر ما غفرت
وكل سوء على الأيام مغفور

وأصبحت مصر والأيام مقبلة
والحظ فى أمرها جذلان مسرور

لما جلست أقال الله عثرتها
وصافحتها على الخير المقادير

مولاى عيدك هذا العامَ تغمره
بشرى السلام ويسرى فوقه النور

كأنه من هتاف الحقّ أغنية
أو أنه من نشيد السلم مزمور

كانَ الطغاة لهم تدبير منتقم
فينا ، ولله يا مولاى تدبير ...

رموا وللهِ فى أغراضهم هدف
وقدّروا ، والحكم الله تقدير ...

شنّوا على الأرض حرباً غير عاقلة
الجو منها لظى والبحر تنور

ظنوا الليالى عليهم غيرَ دائرة
مَن اطمأنّ إلى الأيام مغرور

الأرضُ ضاقت عليهم وهى مفزعة
والجوُ سُدّ عليهم وهْو مذعور ...

كم آمرٍ بات منهم وهو مؤتمر
وآسرٍ بات فيهم وهو مأسور ...

مولاى : فى الشرق نور كم أضاء به
على الدجنات فى التاريخ ديجور

وللعروبة يا مولاى ألوية
ينبيك عنها من الرومان « نقفور »

لواؤها فى دروب البرّ منتصر
وجيشها فى خضم البحر منصور

إذا غزت فهى نيران مسعرة
وإن رمت فهى تخريب وتدمير

ماض من العيش قد ولت بشاشته
وما جرت فيه بالسعد المقادير

قد غيّر الدهرُ يا مولاى سيرته
والدهر فى صرفه حولٌ وتغيير

إنا لنرجوك للآمال تجبرها
فكل كسر على كفيك مجبور

عسى الليالى التى ضاعت نضارتها
تعود منها الفيافى وهى يخضور

ما دام فيه قلوب مثلُ قلبكمو
فكل معسوره لا شك ميسور

فكن إلى المجد ركناً فى بنايته
فإنما الملك إصلاح وتعمير

يا قائد الجيش إن السيف ما برحت
له على الأرض آراء وتدبير

كفى الوقوف بمجد ليس يحفظه
إلا الفوارس والأسْدُ المغاوير

من فاته السيف فى الدنيا فليس له
من ذنبه فى حفاظ الحقّ تكفير

لا يحفظ الحقَّ إلا السيفُ منصلتاً
دعوى السلام بتلك الأرض تغرير ...

ذلك الصوت !

للأستاذ ابراهيم العريض

يا ابنة الحسن ! قد عشقتك صوتاً
يتهادى على جناح الأثير

أنا أصغى إليك فى رنّة اللي
ل كأنى فى عالم مسحور

ليت شعرى ! أيضحك البدر لى أم
أنا فى وسط حفلة للطيور ؟

لم أكن قبل ذلك الصوت أدرى
أن فى الأرض كل هذا السرور

ما وعت من لحونك الأذن لحناً
إنما غبتُ ... غبت بين الزهور

يا طريد الجنان ! عرّج على الخالد ، فما ذاك غير صوت البشير

هو كالروح ... فى ضلوعى منه
خفقة ، بللت أرق شعورى

هو كالورد ... ما نشقت بأنى
ريحه ، بل لمسته فى ضميرى

هو كالصيف ... ليله مر بالأنجم
يزهو ، فى قلبى المحرور

هو كالنجم ... ما تصورت إلا
أنه فى السماء بات سميرى

كنت فى ظلمة ، أعيش لذكرى
حسن ، حتى حظيت منه بنور

هو دنيا من الشعور لقلبى
يا لدنيا – فى وحدتى – من شعور



في مدرج كلية الحقوق بجامعة فؤاد

دفعني حب الاستطلاع إلى مشاهدة مناقشة رسالة الأستاذ (أنور مصطفى الأهواني) في يوم السبت الماضي عن «رئيس الدولة في النظام الديمقرطي» التي تقدم بها إلى (كلية الحقوق) بالجيزة . ولطالما تاقت نفسي — بعد أن طوفت ماطوفت في جامعات أوربا وشهدتُ مناقشة رسائل عدة بها — إلى أن أحضر نقاشاً في جامعة مصرية يكون فيها المحتكِم والمحتكَم إليه من المصريين .

ولقد تركت أحسن الأثر في نفسي تلك الساعات القليلة التي قضيتها في مدرج كلية الحقوق أستمع إلى الحوار الذي دار بين أعضاء لجنة التحكيم وبين مقدم الرسالة . وراعني حقاً حرص المحكّمين جميعاً على الفصل بين العلم والسياسة ، وإيثارهم التفرقة بين لغة الكتب ولغة الصحف ، وأن يكون النقاش كله بالعربية الفصحى وإن رأت لائحة الكلية غير ذلك

وكان يسود الجلسة روح من المرح والإفادة ، وكان يغشاها جلال العلم ورهبته لولا ما تخللها من تصفيق استحسان أو قهقهة استملاح . وحبذا لو عمل رؤساء لجان التحكيم على أن يظل للعلم حرمته ولقاعة المباحث ما لايذهب بقدسيتها ويصيرها سرادقاً يضم خطباء ومعجبين .

ولقد أظهرت مناقشة المحكمين للرسالة دراستهم إياها دراسة مستفيضة وإلمامهم بموضوعهم إلماماً تاماً ، ودلت على غزارة مادتهم واطلاعهم على ما كتب الأعاجم ، ولا غرو فمن بحرهم نهلوا أو عليهم تتلمذوا . وعندي أن لو هيئ لهذا الشباب الناهض من الأساتذة ، مجال العمل وإيقاف النفس على العلم وحده دون تطلع إلى مناصب القضاء أو الإدارة لأتى بأطيب الثمرات ، ولأنجبت مصر مئات من عبد الحميد بدوي وأحمد ماهر

وكان غريباً أن يطلب إلى المرشح أن يذكر ملخصاً لأطروحته باللغة الفرنسية ، ولا أكتمك أني أحسست عند ذلك بخدش في عزتي القومية ، وتساءلت كيف نكون في جامعة مصرية ، وبين أساتذة وطلبة مصريين تُناقَش رسالة مصرية بلغة أعجمية ؟ ولم يذهب بدهشتي إلا قول جار لي إن لائحة الكلية تجيز ما كان . إلا أنه إذا صح لِلائحة أن تجيز ذلك أيام أن كنا فقراء في العلماء، وكان الأساتذة الأعاجم يشتركون في مناقشة الرسائل ، أوَ لا يجدر بنا أن نغفل هذا الأمر اليوم بعد أن توفر بيننا العدد الكافي من المحكمين المصريين ؟

ثم أعود فأقول إن من صواب الرأى أن يؤذن للطالب بالحديث والرد وهو جالس لا أن يترك أكثر من ساعة واقفاً كالخطيب يستند على إحدى قدميه تارة وعلى الثانية أخرى . إن المرشح يكون في حال نفسية تتطلب أن توفر له أسباب الراحة ، ولن يكون هذا بتركه يلقي ملخص رسالته وهو واقف والكرسي بجانبه . ولعل إدارة الكلية تفكر في أن تضع ثلاثة مصابيح ثابتة على منصة المحكمين أمام كل عضو مصباح حتى لايتكرر ما تكرر في الجلسة التي نكتب عنها مما ذهب ببعض جلالها .

وبعد ، فلقد كان الدكتور سيد صبرى بارعاً في محاجته للطالب وإن ظهرت عليه روح التحامل حيناً وروح الخطابة أحياناً . وكان بارعاً كذلك في دفاعه عن نفسه وتنصله من أنه «يميل إلى الحلول الوسطى» أو «أن بعض العبارات في كتبه غامضة» وكانت روح الدعابة التي مزج بها نقده تخفف على المتحنَ بعض ما لقي منه .

أما الدكتور وحيد رأفت فكان حواره حوار العالم الذي لا يرى من وراء مناقشته إلا إلى الوصول إلى الحقيقة وإرشاد المخطئ إلى مواضع خطئه . وكان التزام سبيل المنطق في الإقناع أكبرعون له على بلوغ غايته ؛ وألبست نبرات صوته المتزنة الهادئة الجلسة جلالا فوق جلالها ؛ فكان الكل آذاناً صاغية له .

وكان صديق الدكتور عثمان خليل مثلا للشباب الحي . ولقد

برهنت مسايرته الطالب فى المناقشة متتبعاً الرسالة صفحة صفحة على أنه « قتلها بحثاً » ولو كنت ذا إمرة لأذنت لعضو اليسار بأن يكون البادئ فى المناقشة ؛ فهو عادة أحدث المحكمين سناً ، وأن سَبْقه بغيره مما يفوت عليه كثيراً من نقده .

ولو أن الدكتور عثمان التزم اللغة العربية الفصحى فى مناقشته لكان لحواره شأن آخر . وليت شعرى لماذا كانت تبدو عليه أمارات الغضب والتألم وهو يعد المآخذ على الرسالة ؟ إن كان المصنف قد أسرف فى الاقتباس إسرافاً حوّل الرسالة إلى « ملخص » مدرسى ، فكيف أذنت له الكلية فى طبعها ؟ كيف أذنت فى أن يحمل اسمها كتاب ليس لواضعه فيه إلا الجمع والترقيع ؟

عبد العزيز برهام

إلى الدكتور جواد علي

قلت فى السطر الرابع من العمود الثانى من مقالك القيم « أبو سعيد أبو الخير وشطحات المتصوفة » فى عدد الرسالة السابق ٦١٨ ص ٤٧٣ : « وأبو سعيد ... ... كان على رأى أكثر المتصوفة الفرس فى مذهب الحلول ووحدة الوجود بل كان من متطرفى أصحاب هذا المذهب فى هذه العقيدة » .

وأقول إن ثمة فرقاً كبيراً بين مذهب الحلول ووحدة الوجود حتى إنه لا يحق لنا أن نجمع بينهما ونقول إن أبا سعيد كان من أتباعهما معاً . إن المذهب الاول اثنينى dualiatic يقول بطبيعتين مختلفتين: إلهية وبشرية ، يمكن للأولى أن تحل فى الثانية إن تحققت شروط معينة . ويتضح هذا المذهب خير ما يتضح عند الحلاج الذى قد تأثر ولا شك بفكرة المسيحيين عن اللاهوت والناسوت .

أما المذهب الثانى فمذهب واحدى monistic يقول بحقيقة واحدة كلية لها تعينات هى الحقائق الجزئية على اختلافها . الكل هو التعينات والتعينات هى الكل وهذه وتلك هى الله . ويتضح هذا المذهب خير ما يتضح عند ابن عربى .

هذا الخلط بين مذهب الحلول ومذهب وحدة الوجود قد وقع فيه من قبل الدكتور زكى مبارك مع أنه قد ميز بينهما فى هامش من هوامش كتابه التصوف الإسلامى .

وإذا كان الأمر كذلك فإنى أسأل الدكتور أن يجيبنا : من أتباع أى المذهبين كان أبو سعيد » ولكم الشكر .

حسن على الحلوة

إلى الأستاذ محمد يوسف موسى

قدم الأستاذ محمد يوسف موسى كتابه « ابن رشد الفيلسوف » إلى الأستاذ أحمد عاصم بك المدير العام لدار الكتب المصرية فأرسل إليه هذا الكتاب .

شكرتك من قبل على هديتك العلمية القيّمة ، كتابك عن « ابن رشد الفيلسوف » ، والآن وقد قرأته أكثر من مرة ، أرى من حق هذا السفر الممتع أن أبعث إليك بكلمة تعبر عن مدى تأثيره فى نفسى .

لقد كنت إلى عهد غير بعيد أشعر بشىء من الضجر كما وقع فى يدى كتاب فى الفلسفة أو عن الفلاسفة ، وكنت ألمس مثل ذلك الشعور فى إخوانى الذين لا أشك فى مقدرتهم العلمية ، وكان هذا الملل يتطور أحيانا إلى درجة « النفور » من الفلسفة ، حتى حملنى ذلك على تلمس السبب فى هذا الشعور المشترك بينى وبين من أعرفهم من صفوة المثقفين المفكرين ، فلم أجد لذلك سبباً إلا ما يتوخاه بعض من يكتبون فى الفلسفة من طرق معقدة كثيرة الغموض والدوران ، توحى أحياناً بأن المؤلف نفسه لا يملك ناصية مادته ، ولا يستطيع صوغها فى القالب السهل الواضح الذى يجنّب القارىء الحيرة ، ويشبع أطماعه ويحبّب إليه ما يقرأ .

ولكنى قد لمست الآن ولله الحمد تطوراً عظيما فى أسلوب الكتابة فى الفلسفة ، يبشر بعصر مزدهر فى حياة هذه المادة ، فهى لا يعوزها غير إقبال القراء عليها ، والمؤلفون وحدهم هم الذين يملكون هذا التيسير . فإن قلت لك إن كتابك حملنى على قراءته عدة مرات ، علمت بعد هذه التوطئة التى سقتها مبلغ تأثيره فى نفسى ، ومدى إعجابى به وبأسلوبه .

وإنى لأرجو مخلصاً أن ينسج الكتّاب على منواله ، كما أننى شديد التفاؤل ما دامت قد قامت الآن نهضة فلسفية يحمل علمها جلة من العلماء المعاصرين ، وفى زمرتهم الأستاذ صاحب « ابن رشد الفيلسوف » . ولا شك فى أن للأزهر وأبنائه فضلهم العظيم فى إحياء هذه النهضة التى ترمى إلى تيسير فهم الفلسفة على غير الفلاسفة ، وإثبات أن الدين والعقل متلازمان لا تنافر بينهما ، فينصب بذلك أمثال ابن رشد والفارابى وابن سينا وغيرهم على يد الأزهر وفلاسفة الأزهر . لهذا غمرتنى موجة من الغبطة حينما رأيتك وقد وفيت موضوعك حقه ، وأعطيت ما لله لله وما لقيصر لقيصر ، ويسعدنى ما أشعر به من أن السواد الأعظم من الناس ستطمئن نفوسهم إلى الفلسفة وهم يرون الأزهر يحمل شعلتها .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المخلص

أحمد عاصم

١٠ – ٥ – ١٩٤٥

نقل مبتور عن ابن تيمية

نشر الدكتور جواد على تعليقاً على ما كتبه معالى مصطفى عبد الرازق باشا عن الفيلسوف أبى سعيد أبى الخير ، وقد عرض الدكتور فى نهاية كلامه للامام ابن تيمية ، إذ نقل كلاماً مبتوراً من رسالته الأولى ، ونسبه على هذا البتر إلى ذلك الشيخ الجليل فكانت فيه وقفة للقارىء . وإليك ما كتب الدكتور، واستشهد عليه بالنقل المبتور :

« ومتى خصص الإنسان كل قواه وحصر كل حواسه فى الوجود الحقيقى ، بحيث اتصل به اتصالا كلياً أدرك عندئذ — عين اليقين — ومتى وصل الإنسان إلى هذه الدرجة من المعرفة اتصل اتصالا مباشراً بالمعرفة ... فلا حاجة إلى نبوة أو وسيط ، لأنه يأخذ من حيث يأخذ الملك الذى يأتى الرسل »

وقد نسب الدكتور هذا التعليل المحجوز بين حاجزين إلى الإمام ابن تيمية ، دون أن يبين لنا : أهو يحكى هذه الفقرات عن غيره ، أم هو يقرر فكرة يراها ويستشهد لها ؟ والقارئ لما نقل عن ابن تيمية على هذا الوجه يفهم فهماً أولياً أن ابن تيمية ممن يرون الاستغناء عن النبوة لمن يسمون أنفسهم « متصلين » مع أن هذا الإمام رجل يقظ لم يتخبط فى دينه على هذا النحو ، وقد ذكر هذه الفقرة فى كلام طويل ينكر فيه تلك الفكرة ، ويشنع على القائلين بها ، ويجرح فهمهم وتعليلهم الذى استشهد به الدكتور على صحتها . ويبتره ابن تيمية فى كلامه الطويل أصحاب الرسول (ص) وأتباعه عن القول بمثل هذا التحريف ، فإيراد هذه الجملة مبتورة عما يتصل بها ليس من أمانة النقل ، ولا من الإنصاف فى عرض المسائل الخلافية ، فضلا عما فيه من إثارة الحفيظة الدينية نحو ابن تيمية ، وتصويره للناس فى صورة جماعة هو من خصومهم . وليرجع من شاء إلى صفحة ٢٠ من الرسالة الأولى لابن تيمية ، ليعلم الفرق بين الأصل والنقل وكفى

عبد اللطيف السبكي

المدرس فى كلية الشريعة

الكتب

مجمع الأحياء

كتاب للعقاد قبيل قراءة الآن

كان فرحي بظهور هذا الكتاب فرحاً عظيماً ، لأن إعادة طبعه كانت رغبة ، بل أمنية ، اشتهيتها منذ بضعة عشر عاماً . وظهوره فى طبعته الثالثة يسد نقصاً فى المكتبة المصرية ، لأن طبعتيه الأولين نفدتا ولم نستطع الحصول عليه لندرة وجوده ، فلما ظهرت هذه الطبعة تلقيتها فرحاً فما هو هذا الكتاب ؟

إن مقدمات العقاد لكتبه هى غالباً مفاتيح لشخصيته العظيمة المتعددة النواحى فى تلك الكتب العديدة ، وهى شروح للظروف التى أوحت بها ، وللمؤثرات التى أحاطت به فكتبها ، فلنرجع إلى تصدير الطبعة الثالثة حيث يقول : « هذه الرسالة وليدة الحرب العالمية الماضية ... شغلنى موضوعها يومئذ ، لأنه موضوع الصراع فى الحياة الإنسانية ، بل فى الحياة عامة ، وأحببت أن أعرف لهذا الصراع معنى يطمئن إليه الضمير ، فانتهيت بالرسالة إلى معنى فيه بعض الاطمئنان أو كل الاطمئنان ، وهو أن الحق والنواميس الطبيعية يتلاقيان »

ويقول فيها أيضاً : « وها هى ذى الطبعة الثالثة لمجمع الأحياء تصدر والدنيا مشغولة بحرب عالية أخرى هى أشد هولا وأوسع مدى وأقوى اختلافاً على المبادئ والآراء من الحرب التى نشبت قبل ثلاثين سنة ، فإذا كان هناك خاطر يرد على الذهن فى تصدير هذه الطبعة — خلال هذه الحرب القائمة — فذلك الخاطر مما يزكى موضوع الرسالة ويؤيد نتيجتها ، أو يسير بنا فى وجهتها ، وهى أن الصراع الأكبر الذى نشهده اليوم سينتهى أيضاً إلى عاقبة فيها بعض الاطمئنان أو كل الاطمئنان ، لأنها تناقض القوة العمياء : قوة الحديد والنار ، وتشايع القوة البصيرة : قوة العدل والحرية » .

والعقاد يبسط فى مقدمة الطبعة الثانية آراء عميقة : منها أن الخير والشر فى هذه الدنيا لا ينفصلان ، وأن أشرف ما يعرفه الناس من الحق غيرتهم على ما يعتقدون أنه الحق ، ولكن الحق الذى نعرفه غير الحق الذى تتوخاه حركات الكون ، والسعادة المطلقة لفرد واحد معناها إبادة مطلقة للنوع ، وكثيرون من الخلق يشكون من تفاوت الأعمار والحظوظ ، فإذا تساوى الناس فى كل شىء ، فأى دنيا تكون هذه وأى حياة ؟ ولو أن هؤلاء الشاكين صار إليهم أمر الكون لحاروا فى تسييره فهدموه ، لأنهم لا يعرفون كيف يوفقون بين أجزائه المتفاوتة المختلفة ، لأنهم ناقصون ، ويحسبون أن الكون فوضى لأن جميع أجزائه غير كاملة ... فإذا أردنا حياة سعيدة أقرب إلى الكمال فلنفهمها بلغتها ، ولا نحاول التعبير عنها بلغتنا ، فقد صورت حقائقها مرة واحدة فى كتاب نحن حروفه وكلماته وأرقامه . فنحن إذن النتيجة لا المسألة ... والحروب دائماً تزلزل العقائد وتطفر بالناس والأخلاق ، ومقاييسها طفرات أخرى غير المألوفة ، فتشكك قوماً وتجذب إلى الدين آخرين ... ولكنه يعتقد أن الغيرة على الحق هى روح الإنسانية ، أو هى مظهر أنانيتها وحب البقاء فيها ، فإذا أريدت حياة سعيدة ، فليسمع الناس صوت الطبيعة على سجيته قبل أن يضطروا إلى سماعه زجرة ووعيداً ، وليسمعه كل إنسان على شاكلته : الشرير فيتمادى فى شره ، والأمة فتقضى على هذا الشرير ... وتسمعه الإنسانية فتنحى على الأمة التى تفرط فى حقوق الحياة ، أو تمسخ عناصرها الباقية فى الأمم إيثاراً لمنافعها المحدودة « وما دام هذا الصوت مسموع النداء ، فالعالم الإنسانى ممدود البقاء »

وقد شرح العقاد هذه الآراء شرحاً جميلا فى رسالته ، على ألسنة الحيوان والإنسان ، فهو يتخيل الغاب ، وقد وجد إنسان نفسه فى هذا الغاب ، ورأى هناك امرأة جميلة جليلة ولكنها ضريرة . هى الحياة ، أم المخلوقات . وقد دعتهم إليها لتلقى إليهم

بنبأ خطير ، فأسرعوا من كل حدب وصوب يستمعون إليه ، وكل يراها فى الهيئة التى يصورها له وهمه وخياله . .

وألقت عليهم كلامها فإذا هى تعاتب المخلوقات كلها على ما شجر بينها من خلاف وبغضاء وفتنة ... يطغى الأبيض على الأسود والأصفر على الأبيض وهذا على ذاك . وهى تدعوهم إلى الوئام فيما بينهم على اختلاف المذاهب والألوان ، ثم تشير على اليمامة — رمز السلام — لتحدثهم عن علم الإنسان وتواريخه وأديانه ، ليكون لهم منها عظة وعبرة وزاجر . فيؤمنون جميعا على كلامها ، وكلهم ظاهر الرضى والاقتناع !

ووقفت اليمامة تتكلم ، فذكرت حقائق من التاريخ الملموس المتكرر كل يوم ، بدأتها بالآية الكريمة « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الأرض » . وشرحتها بالشواهد الملموسة ، وطالبت بالعدل والرحمة وبالأخاء بين القوى والضعيف !

وحينئذ وقف الثعلب قائلا : وعظتكم اليمامة وأوصتكم بالضعفاء وقالت لكم إن الله بارك فى مخلوقاته الضعيفة ليحرم عليكم قتلها ... ثم يعارض الثعلب اليمامة فى كل ما قالت ويتملق القوة والأقوياء فيفوز أثناء كلامه (بتصفيق من جانب الأسد !) — أقوى الحيوان — وهو يتكلم كلاما منطقيا عن العرف والقوانين ، فالسارق إذا سطا على بيت فضحوه ، والقاتل إذا سلب أمة أو أعمل فيها قتلا عظموه !

وينتهى الثعلب ، ويضج الآخرون بين معارض ومؤيد ، ثم يقوم القرد — وهو يمثل الطموح أو الطماع ... ولكنه المتدين ذو الضمير الحى المتمسك بالعدل والحقوق والقوانين والوحدة . فإن فى تماسك الضعفاء قوة ضد القوى الظالم الجبار . والديمقراطية الصحيحة السليمة جديرة بخلق شعوب نابغة صحيحة . أما الأرستقراطية المتعالية المتألهة فمآلها ومآل حثالة شعبها جميعا إلى الخسارة والفناء أو للمصير الذى هو أسوأ من الفناء . هو حياة كحياة السائمة المتهالكة !

ويا لها من مفارقة عجيبة ! يدافع القرد عن الديمقراطية الصحيحة والأخاء والضمير ، ويحمل على مبدأ القوة الغاشمة . فيغضب النمر فيكاد يضربه فيتعلق القرد بأطراف الشجرة ، ثم يقف الأسد فيهابه النمر فيخرس فالقرد الفيلسوف لم يستطع دفاعا عن نفسه ، والأسد الشرس الأعم أرهب النمر ، ولا فصاحة ولا بلاغة ولا فلسفة !

فأخلاق الأسد هى أخلاق بنى الإنسان الجهلة الأقوياء . القوة الظالمة الغاشمة ولا شىء غيرها !

ثم تكلمت المرأة . وكان كلامها طبيعياً ، تلك الثرثرة الأبدية الخالدة عن حقوقها التى اغتصبها منها الرجل ، وعن نبوغها فى أشياء وتقصيرها فى الأخرى ، ولكن الذنب ذنب الرجل ، وكأنها إن أصابت فمن وحى عبقريتها . وإن أخطأت فمن ظلم الرجل وتجنيه عليها !

وها هو الرجل يعقب عليها فيقول إنه كان يحذر كل الحذر من يوم تصل المرأة فيه إلى نصيب ولو قليل من الحرية لأنها شديدة الطيش والغرور ، ولا تنال القليل حتى تطمع فى الكثير ، ولو أنها حرمت كل شىء لما طمعت فى شىء ما ، وهى تخلط كل شىء بسفسافها وألاعيبها .

ثم ينكر عليها الحرية المطلقة التى تطلبها ، وهى تطلبها لأنها نوع جديد من الزينة ، وهى لا تفهم لها مرمى ...

وهذا كلام حق !

فالرأى الذى ينادى به العقاد هنا — منذ ثلاثين عاماً — يرجع العالم إليه فيندد بتلك الحرية التى منحها للمرأة فأساءتها . وقد خرجت كتب كثيرة هذه الأيام فى المناداة بهذا الرأى ...

ثم يقول الرجل : « أى مساواة للرجل تدعيها المرأة وهى إلى اليوم لا تجاريه فى صناعة الطهى لو شاركها فيه ؟ »

فالمرأة لا تجيده وهى التى قضت الدهور والأجيال فى تعلمه ، لأنه صناعتها الأولى . فهل ملته ؟ وإذا كانت ملت هذه الوظيفة الطبيعية التى خلقت لها والتى أهلتها لها الطبيعة — كما أهلتها لوظائف الأمومة التى سلحتها لها بكل سلاح من تركيب الجسم ومن درجة الجمال — فما بالك بوظائف الرجل تزاحمه فيها ؟

حسين غنام

سكك حديد الحكومة المصرية - مواعيد فصل الصيف

يتشرف المدير العام بأن يلفت نظر الجمهور إلى التعديلات التى أدخلت على بعض قطارات الإكسبريس والركاب والتى نفذت ابتداء من أول مايو سنة ١٩٤٥ كالمبين بالجداول المعروضة بالمحطات ودفتر الجيب الذى يباع بها وفيما يلى أهم التعديلات :

١ — تستبدل العربة الديزل الإكسبريس رقم ٢٥ التى تغادر القاهرة فى الساعة ٣٠ ٢٠ إلى الاسكندرية بقطار عادى مؤلفاً من عربات درجة أولى وثانية وصالون بولمان وعربة أكل .

٢ — تستبدل العربة الديزل الإكسبريس رقم ٢٦ بقطار عادى مؤلفاً من عربات درجة أولى وثانية وصالون بولمان وعربة أكل ، يغادر الإسكندرية فى الساعة ٤٠ ١٩ ويصل إلى القاهرة فى الساعة ٢٥ ٢٣

٣ — ينقل قطار الإكسبريس رقم ٨٨ الذى يغادر القاهرة فى الساعة ٠٠ ٢٠ إلى الشلال ، ركاب الدرجتين الأولى والثانية فقط ويسير بصفة إكسبريس بين الأقصر والشلال فى الساعة ٤٠ ١١

٤ — ينقل قطار الإكسبريس رقم ٨٩ ركاب الدرجتين الأولى والثانية فقط . ويغادر الشلال فى الساعة ٥٠ ١٦ ويسير بصفة إكسبريس إلى الأقصر والقاهرة فيصل إلى القاهرة فى الساعة ٤٥ ٨

٥ — يغادر قطار الإكسبريس رقم ١٦٤ القاهرة فى الساعة ٠٠ ١٦ وينقل ركاب الدرجات الأولى والثانية والثالثة ويمتد مسيرة بين سوهاج والشلال ويقف بجميع المحطات بين الأقصر والشلال فيصل إلى الشلال فى الساعة ٣٥ ١٠ ويعود منها برقم ١٦٣ بركاب الدرجات الأولى والثانية والثالثة فى الساعة ١٥ ١٧ إلى سوهاج والقاهرة فيصل القاهرة فى الساعة ٢٠ ١١

طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين

العدد ٦٣٠ — الاثنين ٢١ مايو ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

محكمة الواسطى الأهليه

اعلان بيع نمره أولى فى القضية المدنيه رقم ١١٣٤ سنة ٩٤٠

انه فى يوم السبت ٩ يونيه سنة ٩٤٥ الساعه ٨ — ٣٠ أفرنكى صباحا بحجرة المزايدات بسراى المحكمه .

سيصير الشروع فى بيع العقار الآتى بيانه بعد المملوك إلى الشيخ محمود عفيفى خليفه والشيخ سيد عفيفي خليفه القيمان بكفر ابجيج مركز الواسطى .

وبناء على حكم نزع الملكية الصادر بجلسة ١٦ فبراير سنة ٩٤٢ من هذه المحكمة ومسجل بقلم كتاب محكمة بنى سويف الكلية الأهليه فى ١٨ — ٢ سنة ٩٤٢ — ٢٧٤ سنة ٩٤٣ وفاء لمبلغ ٧١٩ مليم ، ٢٢٠ جنيه بخلاف ما يستجد من المصاريف وبثمن أساسى قدره ٤٠ جنيه والمصاريف .

وهذا البيع بناء على طلب عبد ربه شيمى شحات الذى توفى أثناء سير الدعوى وحل محله ورثاه وهم أم خزيم بنت خلف عن نفسها وبصفتها وصية على القاصر فراج عبدربه شيمى ثم امين وعلى وشيمى وسيده أولاد المرحوم عبد ربه شيمى ببولاق مصر ومحلهم المختار بالوسطى مكتب حضرة الأستاذ محمد افندى مرسى المحامى .

بيان العقار

١٨ س ١٧ ط بزمام قمن العروس مركز الواسطى مديرية بنى سويف بحوض القصالى — ٩ قطعه — ٦٧ شيوعا فى ١٦ س ٩ ط ٢ فدان البحرى القطعه — ٦٣ بحوضه باسم الشيخ عبد المجيد خيرالله وآخر والشرقي القطعه ٦٢ ، — ٦٨ بحوضه باسم محمد عبد المجيد خيرالله وآخر والقبلى القطعه — ١١٢ بحوضه باسم على عوض مصطفى وآخرين والغربى فرع ن ٢ من ترعة قمن عموميه بجسر [illegible] تالتا وبيانه ٨ س ٦ ط من اسم محمود عفيفى خليفه [illegible] ١١ ط من اسم سيد عفيفى خليفه ١٨ س ٧ [illegible]

فعلى راغب الشراء الحضور للمزايدة فى الزمان والمكان المحددين اعلاه ومن يرسى عليه العطاء يدفع الثمن فوراً وان تأخر يعاد البيع على ذمته ويلزم بالفرق . كاتب البيوع

ادارة البلديات العامة

تنظيم

يطرح مجلس الزقازيق البلدى فى المناقصة العامة توريد ٦٥٠ أردبا من الشعير و ٣٠٠ حملا من التبن الأبيض وقد تحدد ظهر يوم ١٠ يونيه سنة ١٩٤٥ لفتح العطاءات بديوان البلدية ويجب أن ترفق العطاءات بتأمين ابتدائى قدره ٢ ٪ من قيمتها .

٣٤٩٥

محكمة تلا الأهلية

اعلان بيع فى القضية ٥٠٩ سنة ١٩٤٣

فى يوم الأربعاء ١٣ يونيه سنة ١٩٤٥ الساعه ٨ أفرنكى صباحا بسراى المحكمة

سيباع بالمزاد الجبرى الأطيان الموضحة بعد المملوكة إلى كل من عبد الدايم ومحمود ولدى محمد عبدالله أبو غريبة من كفر بتبس مركز تلا وفاء لمبلغ ٧٢٠ مليم ، ٧ جنيه بخلاف ما يستجد من المصاريف وهذا بيان الأطيان .

١٦ س ٢ ط بزمام كفر بتبس بحوض قورفياله — ٦ قطعة — ١٥ حدها البحرى طريق خصوصى فصل حوض والشرقى الحاج احمد ابراهيم عبد الغفار والغربى مرسى عبد الله أبو غريبة والقبلى الحاج احمد ابراهيم عبد الغفار

وهذا البيع بطلب محمد مصطفى أبو جريدة ترزى حربى بمصر بشارع النزهة ن ٥٤ قسم الوايلي ومحله المختار بشبين الكوم مكتب حضرة الأستاذ رمسيس أفندى مرقص منصور المحامي نفاذاً لحكم نزع الملكية الصادر من هذه المحكمة بجلسة ٢٨ فبراير سنة ١٩٤٥ والمسجل بمحكمة شبين الكوم الكلية الأهلية فى ٤ مارس سنة ١٩٤٥ بنمرة ٨٨ وسيبتى المزاد على أساس قدره ١٠٠٠ الف قرش فمن يريد الشراء عليه أن يحضر للمزايدة .

13 me Année No. 620

Lundi - 21 - 5 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٨٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٦٢٠ « القاهرة فى يوم الإثنين ٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٤ — ٣١ مايو سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

وزراؤنا والأدب

من القضايا التى صدقت فى الماضى والحاضر ، وفى الشرق والغرب ، أن الأدب والفن لا يزدهران وينتشران إلا فى ظلال ملك أو وزير أو أمير .

وصدق هذه القضية جاءها من أن الأدب العالىَ والفن الرفيع لم يكونا من مطالب العامة فى أى عهد ؛ إنما يطلبهما عشاق المجد والحمد ممن بلغوا الغاية القصوى من بسطة الحياة وسطوة الملك فتشوفت نفوسهم وامتدت عيونهم إلى أبعد من ذلك . يطلبهما الملوك وأشباههم من أولى الصدارة والإمارة لأنهما العطر الباقى فى يد ابن آدم من الجنة ؛ فمن لم يطلبهما لمتعة النفس وسعادة الروح ، طلبهما لزينة الملك وجمال الأُحدوثة . فالأدب والفن بمعناهما الأعلى أرستقراطيان لا يرفعهما إلا الرفيع ، ولا يَقدُرهما إلا القادر. فإذا نزلا إلى الشعب ابتُذلا فلا ينفعانه ولا يرفعانه . إنما الأدب والفن معنيان من معانى السماء يحملك النزوع إليهما على أن تطمح ببصرك إلى الفوق ؛ ويدفعك الطمع فيهما إلى أن تطوح بنفسك إلى الأمام . ومن هنا كان الرجل إذا سمت ملكاته بالعلم أو بالملك ، ورقّت مشاعره بالتربية أو بالمدنية ، وجد نفسه فى أفق الفن محوطاً برجاله ، مغموراً بجماله . فإذا كان صاحب السلطان من ذوى القرائح الفنانة كان جدواه على الأدب من جهتين : جهة الإقتداء به فى الإقبال عليه ، وجهة المكافأة منه على الإحسان فيه. والناس منذ كانوا على دين الملوك وهوى القادة . قال أسامة بن معقل : « كان السفاح راغباً فى الخطب والرسائل يصطنع أهلها ويثيبهم عليها ، فحفظتُ ألف رسالة وألف خطبة طلباً للحظوة عنده فنلتها . وكان المنصور بعده معنياً بالأسمار والأخبار وأيام العرب يدنى أهلها ويجزيهم عليها ، فلم يبق شىء من الأسمار والأخبار إلا حفظته طلباً للقربة منه فظفرت بها . وكان موسى مغرماً بالشعر يستخلص أهله ، فما تركت بيتاً نادراً، ولاشعراً فاخراً، ولا نسيباً سائراً ، إلا حفظته ؛ وأعاننى على ذلك طلب الهمة فى علو الحال . ولم أر شيئاً أدعى إلى تعلم الآداب من رغبة الملوك فى أهلها وصلاتهم عليها . ثم زهد هرون فى هذه الأربعة فأنسيتها حتى كأنى لم أحفظ منها شيئاً » . وكل أديب أو فنان أو عالم هو فى ذلك أسامة بن معقل . وما النهضات الأدبية والعلمية فى الأمم إلا وثبات للمجد الروحى فى نفوس بعض الملوك . وفى تاريخنا الأدبى نستطيع أن نؤرخ النهضات فيه بتاريخ معاوية وعبد الملك فى دمشق ، والرشيد وابنه المأمون فى بغداد ، وعبد الرحمن الناصر وابنه الحكم فى قرطبة ، والعزيز بالله وابنه الحاكم فى القاهرة . وإن فى قصور بنى بويه فى الرصافة ، وبنى حمدان فى حلب ، وبنى عبّاد فى إشبيلية ، لمنازل للوحى تنبأ بالقريض فيها من تنبأ ، وبُعث برسالة العلم منها من أُرسل . وإنك لتذكر وزراء الأدباء من أمثال ابن العميد ، والصاحب بن عباد ،

ويعقوب بن كلس ، ولسان الدين بن الخطيب ، والقاضي الفاضل ، فتذكر مجالس بالأدب ناضرة ، ومغانيَ بالعلم عامرة ، ومجالس كانوا فيها شموساً تدور من حولها توابعها تستمد الحرارة وتمد ، وتقتبس النور وتقبس .

وكان للمجالس الأدبية والعلمية في عصرنا الذهبي نفحات من الإلهام أيقظت رواقد العبقرية في ألوف من الأذهان الخصبة والقرائح الموهوبة فازداد بهم الأدب والعلم ازدهاراً وابتكاراً وكثرة .

كان للرشيد مجلس للأدب بلغ لألاؤه أطراف الإمبراطورية الإسلامية فعشا على ضوئه صاغة القريض ورواته حتى ضاقت عليهم بغداد بما رحُبت ، فاضطر يحيى بن خالد إلى امتحانهم في الشعر وترتيبهم في الجوائز ، ليخفف من زحمة الأدباء عن عاصمة الدنيا في ذلك الحين ، وقد عهد بذلك الامتحان إلى شاعره أبان اللاحق فقام به

وكان للمأمون مجلس للعلم يعقده في دار الخلافة أيام الثلاثاوات من كل شهر ؛ فإذا أقبل الحكماء والفقهاء مدت الموائد وقيل لهم : « أصيبوا من الطعام والشراب ثم جددوا الوضوء . ومن كان خُفه ضيقاً فلينزعه ، ومن كانت قلنسوته ثقيلة فليضعها . فإذا فرغوا أتوا بالمجامر فتبخروا ، ثم خرجوا فدخلوا على المأمون فيدنيهم منه خير إدناء ، ويناظرهم أحسن مناظرة ، حتى تزول الشمس فتنصب الموائد ثانية فيطعمون وينصرفون .

وكان للصاحب بن عباد مجلس للشعر لا يغشاه إلا من حفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب ، ومع ذلك الشرط القاسي كان يجتمع على سماطه كل يوم ألف من رجالات الأدب والعلم والكلام . وبنى داراً فاجتمع له من قصائد التهنئة عليها ديوان شعر ضخم . ونفق برذون لأديب من أدباء مجلسه فرثاه شعراء الحضرة بخمسين قصيدة . وقد ذكرتُ بذلك (مكسويني) حصان الدكتور محجوب ثابت ، فإنه حين نفق من الهزال لم يظفر من شعراء مصر على كثرة ما ركبوه بالمزاح والهزل إلا بقصيدة واحدة لشوقي .

وكان للمعتضد عباد دار خاصة للشعراء ينزلونها على الرحب والسعة ؛ فإذا جاء يوم الشعر وهو يوم الإثنين من كل أسبوع دخلوا عليه فلا يقابل غيرهم ولا يسمع إلا شعرهم . ولقد بلغ من عنايته بهم ورعايته لأدبهم أن جعل لهم رئيساً يرجعون إليه ، ونظاماً يرتّبون عليه ، وسجلا يُحصون فيه .

ولو ذهبت أستقصي مجالس الأدب والعلم في عواصم العراق والشام ومصر والأندلس لاسترخى في يدي عنان القلم ، وتشتت في ذهني سياق الموضوع .

***

تواردت على خاطري هذه المآثر العربية التاريخية وأنا أنعم لأول مرة بالحديث إلى صاحب المعالي إبراهيم دسوقي أباظه باشا وزير المواصلات ؛ وكنت قبل هذا اللقاء الأول قد عرفته بالسماع ، والسماع بِسَريّ خُلقه وسمو أدبه مستفيض ، فلم يجر ذكره على لسان أديب إلا روى عن مجالسه ، ونوه بمواهبه ، وحدث عن أياديه . وكنت أعلم أنه استن لنفسه سنة وزراء بني بويه ، فاتخذ له بطانة من صفوة الشعراء الشباب يأنس إليهم في داره ، ويُسبل عليهم بجاهه ، ويستعين بهم في عمله ، ويجزل لهم من فضله . وهم يعلمون أن الأدب وحده هو الذي أحظاهم عنده ، فلا يفتأون يتنافسون في تحصيله ويتفاضلون في تجويده . فلولا أن لهذا الوزير الشاعر طبعاً أصيلا في الأدب استفاده من مناشيء فطرته وتقاليد أسرته ، لما انبثق في حياته العاملة ذلك النور السماوي الذي استحال أدبا في نفسه يتخلقه ويعمل به ، وأدبا على لسانه يقوله ويفتنّ فيه ، وأدبا على سمعه يعيه ويشجع عليه

وللقطب ابراهيم الدسوقي باشا نظراء في الوزراء لم يجُد الدهر بأمثالهم على دولة من دول العرب في وقت واحد منذ دالت الهاشمية في العراق ، والأموية في الأندلس ؛ نذكر منهم الباشوات أصحاب المعالي : لطفي السيد ، ومحمد حسين هيكل ، ومصطفى عبد الرازق ، ونجيب الهلالي ، ومكرم عبيد ، وطه السباعي ، وحفني محمود . ولكل وزير من هؤلاء الوزراء الأدباء طُفاوة من ناشئة الأدب ومنشئيه ، تتسع أو تضيق على حسب ما يبذل لها من نفسه ، ويفيض عليها من نشاطه . وهم عسيّون إذا هم استجابوا للملكة الأدب فيهم ، وواجب العربية والعروبة عليهم ، أن ينفخوا من رُوحهم ورَوْحهم في جذوة هذه النهضة الأدبية حتى تستعر وتنتشر فتصهر بقوتها الجامد ، وتنعش بحرارتها الخامد ، وتنير بأشعتها الطريق .

احمد حسن الزيات

في إرشـــاد الأريب

إلى معرفة الاديب

للأستاذ محمد اسعاف النشاشيبي

— ٢ —

* فى ج ٥ ص ٢٣ أما إنى لا أرضى من كرمه العَدّ ، أن تُجَرّ أولياؤه على شوك الردّ

قلت : القول من رسالة لأحمدبن محمد الصخرى . وقد ضبطت (العد) بفتح العين والدال ، وإنما هى (العد) بكسر العين وبكسر الدال صفة لكرمه . والعِد فى الأصل « الماء الجارى الدائم الذى له مادة لا تنقطع كماء العين » ، كما فى التاج . والعد الكثرة فى الشىء ، والعد القديم من الركايا . وفى الأساس : ومن المستعار : حسب عِد ، قال الحطيئة :

أتت آل شماس بن لأى وإنما أتاهم بها الأحلام والحسب العد

* فى ج ١٢ ص ٢٢٦

تصدر للتدريس كل مهوّس

قلت : رويت (مهوس) بكسر الواو وإنما هى بفتحها (١) . فى التاج : وهو مهوس كمعظم ، وقد يطلق على الذى به الماليخوليا والوساوس وعلى من يشتغل بعلم الكيمياء ، والعامة تستعمل الهوس بمعنى الأمل وهو من ذلك

* فى ج ٨ ص ٥٣ وهو القائل : (يعنى الحسن بن إسحاق ابن أبى عبّاد اليمنى النحوى) :

لعمرك ما اللاحن من شيمتى ولا أنا من خطأ ألحن
ولكننى قد عرفت الأنا م فخاطبت كلا بما يحسن

قلت : ميم الأنام مع جماعتها فى الصدر ، وإقامتها فى العجز تخل بوزنه . وفى المتقارب تجتمع العروض الصحيحة والمقبوضة والمحذوفة

(١) أما الموسوس فهو بكسر الواو . فى الأساس . وسوس الرجل بلفظ ما سمى فاعله فهو موسوس بالكسر .

* فى ج ٦ ص ١٢٣ وقال (أسعد بن المهذب) فيه (فى الثلج فى حلب) :

لما رأيت الثلج قد غطى الوهـاد والقنن
سألت : يا أهل حلبْ هل تمطر السما اللبن ؟

قلت : اليقين أن الأصل (سألت أهل حلبٍ)

* فى ٦ ص ١٧٥ ويقول الشعر (يعنى الصاحب بن عباد) وليس بزالٍ

وجاء فى الشرح : أى ليس منحرفاً عن الصواب

قلت : وليس بمبتذل والشعر الضعيف إنما يوصف بالابتذال لا بالزلل

* فى ج ٥ ص ٥٦ حدثنى المولى القاضى المفضّل جمال الدين قال : دخلت إلى الصاحب أبى بشر وهو فى مجلسه ، فجلست إلى جانبه ، فأنشدنى متمثلا :

إنك لا تشكو إلى مُصْمِتِ فاصبر على الحمل الثقيل أومتِ

إشارة إلى أنه لم يُشكه . قال أبو زياد الكلابى : ومثل من أمثال العرب : إنك لا تشكو إلى مُصْمِت . والتصميت أن تقول المرأة إذا بكى صبيها الرضيع وهى مشغولة عنه لبعض صبيانها أو لزوجها : صَمِّتْ هذا الصبى . فيأتيه فيحضنه بيده حتى يسكت ...

قلت : ضبطت (مصمت) فى البيت وفى المثل بسكون الصاد وكسر الميم غير مشددة . وإنما هى بفتح الصاد وكسر الميم مع التشديد . وبيت الراجز يكسر بذلك الضبط . وفى اللسان والتاج : « صمّت الرجلَ شكا إليه فنزع له من شكايته ، قال : (إنك لا تشكو ، البيت) ومن أمثالهم (إنك لا تشكو إلى مصمت) أى لا تشكو إلى من يعبأ بشكواك »

وما ذكره ياقوت فى تفسيره طريف وإن لم يرد ...

* فى ج ٦ ص ١٨

أرى الناس خلان الكرام ولا أرى
بخيلا له حتى الممات خليـل

قلت : ضبطت (خلان) بكسر الخاء هنا وفى مواضع كثيرة فى الكتاب ، وهى بضمها . والبيت لإسحاق بن ابراهيم الموصلى فى مقطوعة أنشدها الرشيد ، وختمها بقوله :

وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى ورأى أمير المؤمنين جميل ؟ !

فقال الرشيد : لا تخف ، إن شاء الله . ثم قال : لله در أبيات تأتينا بها ما أشد أصولها ، وأحسن فصولها ، وأقل فضولها ! وأمر له بخمسين ألف درهم . فقال له إسحاق : وصفك والله (يا أمير المؤمنين) لشعرى أحسن منه ، فعلام آخذ الجائزة ؟ فضحك الرشيد ، وقال : اجعلوها لهذا القول مئة ألف درهم . قال الأصمعي: فعلمت يومئذ أن إسحاق أحذق بصيد الدراهم مني ...

وقول الرشيد (لا تخف) هو رواية الأغانى . وما جاء فى (إرشاد الأريب) هو (لأكفيك)

وقد جاء فى الحاشية : هذه طريقة الكوفيين إذا أكدوا الفعل إذ يكتفون باللام بدون نون التوكيد ، أما البصريون فيوجبون الجمع بين اللام والنون فيقولون : (لأكفينك)

قلت : رواية الأغانى أصح و (لا تخف) تجاوب (كيف أخاف ؟)

* فى ج ٦ ص ٤٤ كان ابن الأعرابى يقول : إسحاق (والله) أحق بقول أبى تمام :

يرمى بأشباحنا إلى ملك نأخذ من ماله ومن أدبه

ممن قد قيل فيه

قلت : ترمى بالتاء ، وقبله :

لست من العيس أو أكلفها وخدا يداوى المريض من وصبه

وفى هذه القصيدة :

والحظ يعطاه غير طالبه ويحرز الدر غير مجتلبه

وهل يبالى إقضاض مضجعه من راحة المكرمات فى تعبه

* فى ج ٦ ص ٣٣ وقال (يعنى الواثق لإسحاق الموصلى) ما هو الأفضل ؟ أدب وعلم مدحه الأوائل ، واشتهاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون بعدهم ، وكثر فى حرم الله عز وجل ومهاجر رسوله صلى الله عليه وسلم

قلت : ما هو إلا فضلُ أدب وعلم

* فى ج ٦ ص ٢٩٠ ونصَّ على يوم الوصول نجعله عيداً مُشرِفاً ، ونتخذه موسماً ومَعْرِفاً

وجاء فى الشرح : المعرف والمعرف واحد المعارف وهى الوجه بما اشتمل عليه ، يقال . امرأة حسنة المعارف ، وفلان من المعارف أى من المعروفين ، ومعارف الرجل أصحابه وأهل مودته كما هو شائع

قلت : نجعله عيداً مُشَرَّفاً ، ونتخذه موسماً ومُعرَّفاً

وعرّف القوم — كما فى اللسان — وقفوا بعرفة ، وهو المعرف للموقف بعرفات . وفى النهاية : وفى حديث ابن عباس : ثم محلها إلى البيت العتيق ، وذلك بعد المعرف يريد به الوقوف بعرفة ، وهو التعريف أيضاً

* فى ج ٤ ص ٢٣١ فهذا الضرب من الكلام يجب أن يفتخر بمثله ويترقَّقُ به ؟

وفى الحاشية : يريد الافتخار ، والترقق السخرية

قلت : لم أر الترقق بمعنى السخرية فى مكان ، وربما أراد القائل بالترقق التظرف والتزين

* فى ج ٦ ص ٢٠٠ فَلْيُفرَج رَوْعُك

قلت : ضبطت (فليفرج) بلفظ ما لم يسم فاعله وبالجيم . وكلامهم فى هذا المعنى « لِيُفْرِخْ روعك ، أى ليخرج عنك فزعك كما يخرج الفرخ عن البيضة » ، كما فى اللسان ، وروى مثله التاج . وفرّخ الروع وأفرخ ذهب الذهب

ومن أمثالهم « أفرخ روعك » قال الميدانى : أفرخت البيضة إذا انفلقت عن الفرخ فخرج منها . يضرب لمن يدعى له أن يسكن روعه

* فى ج ٦ ص ١٩٥

دَبَّبْتَ الضر إلينا ومَشَّيْتَ الجَمْرَ علينا

قلت : دبيت غير مضعفة وكذلك مشيت . والضر إنما هو (الضَّرَاء) فى الصحاح : الضراء بالفتح الشجر الملتف فى الوادى ، وفلان يمشى الضراء إذا مشى مستخفياً فيما يوارى من الشجر ، ويقال للرجل إذا ختل صاحبه هو يمشى له الضراء ويدب له الخمر

والجمر إنما هو (الخَمَر) فى اللسان : الخمر كل ما سترك من شجر أو بناء أو غيره ، ويقال للرجل إذا ختل صاحبه هو يدب له الضراء ويمشى له الخمر

* فى ج ٦ ص ٢٩٠

سقى الله دارات مررت بأرضها فأدنتك نحوى يا زيادُ بن عامر

من سخافات الوضاعين

ســـــورة النورين

وكتاب دبستان مذاهب

للدكتور جواد علي

في كتاب فارسي طبع عدة طبعات في الهند وإيران[(١)] سورة دعيت سورة النورين ، زعم مؤلف الكتاب أنها من السور القرآنية التي لم يقبل الخليفة عثمان بن عفان درجها في القرآن الكريم[(٢)] . وقد نقل هذه السورة المستشرقون عن هذا الكتاب ومن أشهر هؤلاء المستشرق نولدكه في كتابه « تاريخ القرآن »[(٣)]

والكتاب خير مرجع لمن أراد البحث عن تاريخ الملل والنحل والمذاهب والأديان في الهند وإيران ، وبخاصة في القرن الحادي عشر للهجرة ، أي في العصر الذي عاش فيه مؤلف هذا السِّفر. على أننا لا نعرف عن مؤلف الكتاب شيئاً ؛ وكل ما نعرفه أنه عاش في مدينة « إكرا » الهندية وأنه ألف الكتاب بين سنتي ١٠٦٤ و١٠٦٧ للهجرة[(١)].

يستهل صاحب الكتاب كتابه بالبحث في عقائد الفرس عبدة النيران (Parsis)[(٢)] فيفصل فيه تفصيلا وافياً ويجيد فيه إجادة تامة . ويتناول حياة (زردشت) على الأخص بالتفصيل ويدعوه (النبي زردشت)[(٣)] وبعد هذا البحث ينتقل إلى آراء أهل الهند ثم أهل التيبت ، فيجيد في بحث الهند أيضاً ، ويتناول بالبحث بعض الفرق الهندية التي لا يعرف عن آرائها إلا النزر اليسير . وهو في بحثه هـــذا أشبه الناس بالبيروني أبي ريحان محمد بن أحمد (٩٧٣ — ١٠٤٨) الفيلسوف الرياضي الشهير وصاحب « تحقيق ملل الهند »[(٤)] من حيث الطريقة في البحث والحرية في عرض الحقائق والحياد في معالجة القضايا الدينية ومناهج البحث .

للمؤلف على ما يظهر راوية لما يسمع ، محدث لما يرى ، جالس علماء الطوائف المختلفة وتكلم إلى رؤساء الشيع والمذاهب ، فنقل ما سمعه نقلا لا ندري مبلغ درجته من الصحة لجهلنا بمنزلة المؤلف ودرجته من الحق . أخذ معلوماته عن السنة من كتاب واحد هو « كتاب الملل والنحل » للعلامة الشهير أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني[(٥)] ولعله استمد معلوماته عن بقية المذاهب الإسلامية من هذا الكتاب أيضاً ؛ غير أنه لم يذهب مذهبه في التقسيم ولم يتوسع توسعه في المعرفة بل اقتصر على معلومات عامة وخاصة تناسب الهند والحالة السياسية والاجتماعية التي كانت سائدة في ذلك الزمان .

---

(١) راجع Encyclopépie de L' Islam vol 1 p 908 Catalogue of the Persian Manscripts of the Britisch Museum 1, 141

(٢) راجع دبستان مذاهب طبعة بمبي سنة ١٢٦٢ هـ ص ٢٢٨

(٣) راجع تاريخ القرآن ج ٢ ص ١٠٢ كذلك Journal Asiatique 1842 vol 1 p, 431—439

(١) دائرة المعارف الاسلامية ج ١ ص ٩٥٨ أيضاً Ethé, Catalogue of the Persian 1, 1369

(٢) عن البارسس (الفرس) راجع دائرة المعارف البريطانية Encyclopedia Britanica. The Religion of the East p, 60 f و

(٣) راجع دبستان مذاهب ص ٧٢ وما بعد .

(٤) راجع Hitti, History of the Arabs p, 377 ودائرة المعارف الاسلامية . مادة البيروني .

(٥) راجع الملل والنحل (طبعة لندن) في جزئين عن الشهرستاني راجع دائرة المعارف الاسلامية ، كذلك G, W, Thatcher, Art " Shahrastani " in Eney Clopedia of Religion and Ethics

---

* وفي ج ٧ ص ١٤٤

أثابتُ بنُ سنان ، دعوةٌ شهدت

لربها أنه ذو غـــلة أسِفُ

قلت : ضبطت (بن) بالضم في البيتين وإنما هي بالفتح ، ولا يجوز الضم بوجه من الوجوه . و (زياد) و (ثابت) جائز في مثلهما الضم ، والمختار الفتح ، وفي شرح الكافية ج ١ ص ١٤١ : « وقد ذهب بعضهم إلى وجوبه »

وفي شرح المفصل لابن يعيش : حق الصفة أن تتبع الموصوف الصفة ... شبه سيبويه[(١)] حركة الدال من زيد بحركة الراء من امرىء ، وحركة النون من ابنم ، فكما أن الراء من امرىء تابعة للهمزة ، والنون من ابنم تابعة للميم ، كذلك أتبعوا الدال من (يا زيدَ بنَ عمرو) النون من ابن ، لأن الصفة والموصوف كالصلة والموصول ، وانضاف إلى ذلك كثرة الاستعمال فقوى الاتحاد

---

(١) ج ١ ص ٣١٣ وشاهده قول الراجز : (يا حكم بن المنذر بن الجارود) وقول الراجز : (يا عمر بن معمر لا منتظر)

واستمد معلوماته الشفهية عن أهل السنة والجماعة ممن اتصل بهم من العلماء أمثال « الملا عادل الكشـغرى الذى التقى به فى مدينة لاهور عام ١٠٤٨ للهجرة ، والملا محمد معصوم الكاشغرى، والملايعقوب الترفانى وأمثالهم [١] . ويجعل المؤلف ديباجته عن أهل السنة والشيعة هذه العبارة « سمعت من ثقات أهل السنة رحمهم الله وقرأت فى كتبهم وفى كتاب الملل والنحل للشهرستانى أن الرسول عليه الســلام قال : « لَيأتِـيَنَّ على أمتى ما أتى على بنى إسرائيل . تفرق بنو إسرائيل على ثنتين وسبعين ملة ، وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة تزيد عليهم ملة كلهن فى النار إلا ملة واحدة . قالوا : « يا رسول الله من الملة الواحدة » قال : « ما أنا عليه وأصحابى » [٢] .

ويقسّم المؤلف أهل السنة والجماعة إلى أصناف ثلاثة : معتزلة وأشعرية ومجسمة . ويتفرغ لبحث المجسمة على الأخص .فيذكر بعض حججهم واستدلالاتهم مثل قوله تعـالى : « الرحمن على العرش استوى » و « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » ومثل ما روى فى الحديث « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » و « خلق الله آدم على صورته » [٣] . وقد أسهب فى هـذا الباب إسهاباً يلفت النظر ، فالمعروف أن المشبهة أو المجسمة لم تكن إلا فئة قليلة بالنسبة إلى الأشعرية وهم غالبية السنة فلِمَ كل هذا الإسهاب؟

وعد الزيدية أو الأموية فى عداد أهل السنة ومعلوماته عنهم لا تجلب إلى القارئ شيئاً جديداً ، ولعل بُعد مسا كن الزيدية عنه حال بينه وبين الكتابة كما يجب أن يكون .

أما الطائفة الثانية من الطوائف الإسلامية فهى الشيعة، ويستهل بحثه عن الشيعة بهذه العبارة : « سمعت من علماء الشيعة بأن الشيعة هم حزب على بن أبى طالب القائلين بإمامته » [٤] . ولم يذكر من طوائف الشيعة غير الإثنى عشرية والإسماعيلية . ومرجعه عن الإثنى عشرية رواية نفر من علماء الشيعة ممن كانوا يقيمون فى مدينة لاهور . والظاهر أن الحديث معهم كان فى عام ١٠٥٣ للهجرة [١] . وهؤلاء العلماء الذين تحدث إليهم مؤلف الكتاب ونقل عنهم هم « ملا معصوم ومحمد مؤمن تونى وملا إبراهيم، ذكر أثناء حديثه عن الإثنى عشرية بعض العلماء أمثال العلامة الشيخ المفيد [٢] والشيخ الطوسى [٣] والشريف الرضى [٤] والمحدث الكلينى صاحب « الكافى » [٥] وهو أشهر كتاب فى الحديث لدى الشيعة الإثنى عشرية ، والعلامة الحلى [٦] .

ويتكلم فى موضوع انقسام الشيعة الإثنى عشرية من حيث الفقه وأصوله إلى أصولية وهم غالبية الشيعة وجمهرتهم ، وأخبارية وهم القائلون بالأخبار وبقوة الحديث تجاه الرأى وبترك الأخذ بالرأى والاجتهاد . ويستند فى بحثه عن الأخبارية على كتاب « الفوائد المدنية لملا محمد أمين الإسترابادى أشهر علماء الإخبارية ولسان هذا المذهب ومنظمه [٧] » .

وينتقل المؤلف إلى الغلاة من الشيعة وهم العلى اللاّهية الذين يؤلّهون علياً . ومن رأى المؤلف أن رجال هذه الفرقة يضيفون إلى القرآن كل ما يجدونه من كلام الإمام على ، على أنه من كلام الله ، فما دام القرآن هو كلام الله ، وما دام الإمام على هو الله بعينه فلِمَ لا يجمع كلامه كله فى صعيد واحد هو القرآن [٨] ؟

وينفرد المؤلف بذكر فرقة إسلامية لم تعرف فى كتاب آخر سماها « الصادقية » أو « المسيلمية » أتباع مسيلمة الذى يلقبه المسلمون بلقب « مسيلمة الكذاب » ويدعى بأنه رأى هذه الفرقة

---

(١) دبستان مذاهب ص ٢٢٣ ومواضع أخرى .

(٢) هنالك خلاف بين العلماء في منطوق هذا الحديث وفى صحته وعدم صحته . وقد جاء فى أغلب كتب علم الكلام . راجع الشهرستانى ج ١ ص ٤ والمقريزى ج ٢ ص ٣٤٥ وفرق الشيعة للنوبختي ص ٣ والبغدادى ص ١٤ وغيرها .

(٣) راجع دبستان مذاهب فى بحث المجسمة .

(٤) دبستان مذاهب ص ٢٢٦ .

---

(١) نفس المصدر .

(٢) المفيد محمد بن محمد بن النعمان مات سنة ٤١٣ للهجرة راجع عنه الفهرست للطوسى . النجف سنة ١٩٣٧ . رجال العلامة الحلى (طهران سنة ١٣١٢) وبحار الأنوار .

(٣) الطوسى شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى عام ٤٦٠ للهجرة . راجع الفهرست للطوسى (طبعة النجف ١٩٣٧) له كتابا التهذيب والاستبصار فى الحديث من الكتب المعتبرة عند الشيعة وكتب أخرى .

(٤) الرضى الشريف محمد بن الحسين نقيب العلويين ببغداد توفى سنة ٤٠٦ للهجرة . إتقان المقال ص ١٢٢ .

(٥) صاحب الكافى مات سنة ٣٢٨ هـ إتقان ص ١٣٥ .

(٦) دبستان ص ٢٣١ — راجع عن الحلى توفى سنة ٧٢٦ للهجرة (١٣٢٥ م) Brown Literary History of Persids part 4 p, 405 Donaldson, the Shi'ite Religeon London 1933 p, 296 راجع كتاب الرجال للعلامة جمال الدين بن يوسف بن مطهر الحلى . وكتبه الأخرى .

(٧) دبستان ص ٢٣١ وما بعد . (٨) دبستان ص ٢٤٦ .

فى مشهد من أعمال خراسان عام ١٠٥٣ للهجرة ، وأنه شاهد عالم هذه النحلة « محمد قلى » ؛ وقد أخبره هذا العالم على ما يدعيه مؤلف الكتاب بأن مسيلمة الذى يلقبه المسلمون زوراً بلقب الكذاب إن هو إلا نبى مرسل وشريك محمد رسول الله فى الرسالة[1].

ولمسيلمة هذا كتاب سماوى يضاهى القرآن ويحاكيه على حد تعبير إمام هذا النحلة اسمه « الفاروق » لأنه يفرق بين الحق والباطل، وهو «الفاروق الثانى» ؛ أما الفاروق الأول فهو «الفرقان» أو « القرآن ». وقد جاءت فى « فاروق » مسيلمة آخر أحكام الله ونواهيه ، لذلك فهو خاتم الكتب السماوية ، كما أن مسيلمة هو خاتم الأنبياء والمرسلين[2].

ويزعم مؤلف الكتاب أن زعماء الصادقية يعرفون كتاب « الفاروق » ويحفظونه ، وأن رئيسهم كان يحفظ هذا الكتاب المقدس، وأنه أخذه عن أجداده فأجداد أجداده إلى مسيلمة . وهو يفتخر بانتسابه إلى سلالة تشرفت بخدمة مسيلمة وقمت بواجب التعظيم لنبى مرسل ولكنه لم يذكر ولا آية واحدة من آيات هذا الفاروق على خلاف عادته فى ميله إلى ذكر الغريب[3].

وتأخذ طرق « الصوفية » و « الإشراقية » و « الحكماء » حقلا طويلا من كتابه ، فهو يبحث فى فرقها حتى ينتهى الكتاب . ومن الطرق الغريبة طريقة « الواحدية » الذين يقولون بوحدة الجسد والروح . فهم فى هذا على مثال القائلين بالطبيعة الواحدة فى المسيح[4] . ومؤسس هذه الطريقة هو « محمود » من قرية « مسجوان » إحدى قرى كيلان ، وقد ظهرت دعوته عام ٦٠٠ للهجرة[5].

ومحمود هذا على زعم «الواحدية» هو المقصود بقوله تعالى: «عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً»[6] وقد مزج أصحابه بين الفلسفة اليونانية وبين الصوفية الهندية الإيرانية ، وبين علم النجوم وأحكام الدين حتى تولدت من هذا المزيج الغريب « غنوسطية » لا هى مسيحية ولا هى إسلامية ولا هى شرقية بحتة ، بل هى وسط بين هذا وذاك أكلها علماؤهم على مر السنين، وتباينت كما قدم المهد عليها ، أمثال « درويش اسماعيل » و « ميرزا تقى » و « شيخ لطف الله » و « شيخ شهاب »[1].

وللواحدية كتاب اسمه « الميزان » يتألف من رسائل فيها علوم الأولين والآخرين منذ يوم الخليقة إلى يوم يبعثون ، فيها المغيبات والنبوآت وكل ما يحتاج إليه الإنسان . وأهم ما فى هذا الكتاب هو أن دين العرب سيدوم ثمانية آلاف سنة لأن برجه « الثريا » ، ثم ينطوى ذلك الدور ويأتى بعده دور العجم حيث يدوم نفس هذا المقدار[2].

وكانت للواحدية عصبة اتخذت لها مدينة « أصفهان » فى إيران مقراً وكانت لها جماعة وأنصار ، وقد زارها مؤلف الكتاب ووجد لها دعاة فى تلك المدينة ، ولكن الشاه عباس الصفوى ابن الشاخدابنده قضى على هذه الجماعة ونكل بها حتى لم تبق لها بقية على ما يراه مؤلف الكتاب .

***

لم يعرف عن مؤلف الكتاب شىء ، وقد أجهد المستشرقون أنفسهم للتعرف على هذا المؤلف ولكنهم لم يصلوا إلى نتيجة حاسمة حتى الآن . وكان أول من عرّف هذا الكتاب إلى الأوربيين هو المستشرق الفرنسى « ده تاسى » (Garcin de Tassy)[3] ، ثم ترجم إلى اللغة الإنكليزية ، ترجمه المستشرق الإنكليزى « كلادوين » (Gladwine) بعنوان «The School of Manners» ولم تكن ترجمته ترجمة صحيحة مضبوطة فأكملها « داود شى » (David Shea) ، ثم « أنطون ترير » (Anton Trayer)[4] .

وذهب المستشرقون إلى أن مؤلف الكتاب هو رجل يدعى « محسن فانى » لما جاء فى مقدمة بعض الطبعات : « يقول محسن فانى »[5] ولعله الشيخ محسن فانى الكشميرى المتوفى عام ١٠٨١ للهجرة أو ١٠٨٢ . ولهذا الشيخ مؤلف اسمه « مصدر الآثار مثنوى » وهو شعر على طريقة المتصوفة كتبه سنة ١٠٦٧ للهجرة .

(١) دبستان ص ٢٤٦ وما بعد عن مسيلمة ، راجع الطبرى وابن الأثير وسيرة ابن هشام وابن كثير الشامى ثم Muir, the life of Muhamned

(٢) دبستان ص ٤٧ .

(٣) دبستان ص ٢٣٨ وما بعدها .

(٤) راجع J M Robertson a short history of christianity فى مختلف الفصول أيضا Encyclopaedia of Religian and Ethics 1918

(٥) دبستان ص ٢٣٩ وما بعد .

(٦) دبستان ص ٢٥٠ .

(١) دبستان ص ٢٥١ .

(٢) دبستان ص ٢٥١ .

(٣) Journal Aciatigue 1842 Tome 1 431 .

(٤) Pertsch P, 271 nr 229 Zeuker nr 832 Rieu, Catalogue of the Persian manuscripts of the Britisch museum 1, 141

(٥) نفس المصادر وتاريخ القرآن ج ٢ ص ١٠٠ وما بعد و Troyer Daveid Schea the Dabistan 1843 .

وتوجد نسخة منه فى مكتبة إدارة الهند[١] .

ولعل أهم ما لفت أنظار المستشرقين إلى هذا الكتاب هو وجود سورة سماها المؤلف «سورة النورين» نزلت فى الإمام على وذريته من بعده . زعم أن الشيعة يعتقدون بأنها من السور القرآنية التى حذفها الخليفة عثمان بن عفان[٢] . وقد نشرت فى المجلة الأسيوية (Journal Asiatique)[٣] ثم نشرت فى كتاب «تاريخ القرآن»[٤] .

ولا يذكر المؤلف اسم المصدر الذى استقى منه هذه السورة ، ولا الكتاب الذى اعتمد عليه ، ولا الشخص الذى روى عنه سورة النورين . ولم أعثر حتى الآن على مصدر شيعى قديم أو حديث يعرف هذه السورة أو أشار إليها ولو إشارة بسيطة . ولو كانت هذه السورة موجودة حقاً لما تورع المؤلفون عن ذكرها والاستشهاد بها كما فعلوا فى الاستشهاد بمواضع من آى الذكر الحكيم ، وبالأحاديث المروية عن الرسول فى تأييد وجهة نظرهم إلى إمامة الإمام[٥] . أما السورة المزعومة فهى هذه :

سورة النورين

بسم الله الرحمن الرحيم . يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنورين ، أنزلناهما يتلوان عليكم آياتى ويحذرانكم عذاب يوم عظيم . نوران بعضهما من بعض وأنا لسميع عليم . إن الذين يوفون بعهد الله ورسوله فى آيات لهم جنات نعيم . والذين كفروا من بعد ما آمنوا بنقضهم ميثاقهم وما عاهدهم الرسول عليه يقذفون فى الجحيم . ظلموا أنفسهم وعصوا لوصى الرسول أولئك يسقون من حميم . إن الله الذى نوّر السموات والأرض بما شاء واصطفى من الملائكة والرسل وجعل من المؤمنين . أولئك من خلقه يفعل الله ما يشاء لا إله إلا هو الرحمن الرحيم . قد مكر الذين من قبلهم برسلهم فأخذتهم بمكرهم إن أخذى شديد أليم . إن الله قد أهلك عاداً وثمودَ بما كسبوا وجعلهم لكم تذكرة فلا تتقون . وفرعون بما طغى على موسى وأخيه هرون أغرقته ومن تبعه أجمعين ليكون لكم آية وإن أكثركم فاسقون . إن الله يجمعهم يوم الحشر فلا يستطيعون الجواب حين يسألون . إن الجحيم مأواهم وإن الله عليم حكيم . يا أيها الرسول بلغ إنذارى فسوف يعلمون . قد خسر الذين كانوا عن آياتى وحكمى معرضون . مَثَلُ الذين يوفون بعهدك إنى جزيتهم جنات النعيم . إن الله لذو مغفرة وأجر عظيم ، وإن علياً لمن المتقين . وإنا لنوفيه حقه يوم الدين . وما نحن عن ظلمه بغافلين . وكرّمناه على أهلك أجمعين . وإنه وذريته لصابرون . وإن عدوهم إمام المجرمين . قل للذين كفروا بعد ما آمنوا طلبتم زينة الحياة الدنيا واستعجلتم بها ونسيتم ما وعدكم الله ورسوله ونقضتم العهود بعد توكيدها وقد ضربنا لكم الأمثال لعلكم تهتدون . يا أيها الرسول قد أنزلنا إليك آيات بينات فيها من يتوفه مؤمناً ومن يتوله من بعدك يظهرون . فأعرض عنهم إنهم معرضون . إنا لهم محضرون فى يوم لا يغنى عنهم شيئاً ولا هم يرحمون . إن لهم فى جهنم مقاماً عنه لا يعدلون . فسبح باسم ربك وكن من الساجدين . ولقد أرسلنا موسى وهارون بما استخلف فبغوا عليهم فصبر جميل فجعلنا منهم القردة والخنازير ولعنّاهم إلى يوم يبعثون . فاصبر فسوف يُبلون[١] . ولقد آتيناك الحكم كالذين من قبلك من المرسلين . وجعلنا لك منهم وصياً لعلهم يرجعون . ومن يتول عن أمرى فإنى مرجعه فليتمتعوا بكفرهم قليلاً فلا تسأل عن الناكثين . يا أيها الرسول قد جعلنا لك فى أعناق الذين آمنوا عهداً فخذه وكن من الشاكرين . إن علياً قانتاً بالليل ساجداً يحذر الآخرة ويرجو ثواب ربه ، قل هو يستوى الذين ظلموا وهم بعذابى يعلمون . سيجعل الأغلال فى أعناقهم وهم على أعمالهم يندمون . إنا بشرناك بذرية الصالحين . وإنهم لأمرنا لا يخلفون . فعليهم منى صلاة ورحمة أحياء وأمواتاً ويوم يبعثون . وعلى الذين يبغون عليهم من بعدك غضبى إنهم قوم سوء خاسرين . وعلى الذين سلكوا مسلكهم منى رحمة وهم فى الغرفات آمنون . والحمد لله رب العالمين آمين[٢] .

جواد على

---

(١) Catalogue of the Persi·n manuscripts of the Library of the Jndia offiee gol 11, 1934 - p, 1071 .

(٢) دبستان مذاهب ص ٢٢٨

(٣) 1842, vol I P, 431 و 1843 vol 2 P, 414 .

(٤) تاريخ القرآن ج ٢ ص ١٠٠ وما بعد .

(٥) راجع كتب الشيعة المعتبرة أمثال الكافى لمحمد بن يعقوب الكلينى (طهران ١٢٨١) ومن لا يحضره الفقيه . وبحار الأنوار للملاباقره المجلسى (طهران ١٣٠١) فى ٢٦ مجلداً وشرح اللمعة . وكتاب الارشاد للعلامة المفيد وغيرها .

---

(١) فى دبستان المذاهب فسوف يصرون وفى نولدكه تاريخ القرآن ج ٢ ص ١٠١ فسوف يبلون .

(٢) دبستان مذاهب (طبعة بمبى) ص ٢٢٨ — ٢٢٩ و Journal Asiatipne 1842 vol I P, 431 و 1843 vol 2 P, 414 وتاريخ القرآن ج ٢ ص ١٠٠ — ١٠١ .

على هامش النقد :

مباحث عن التصوير الفنى في القرآن

للأستاذ سـيد قطب

كانت خطتى التى اعتزمتها أن أدع كتاب « التصوير الفنى فى القرآن » وشأنه مع القراء والنقاد ، يصنعون كيف يشاؤون ، بعد أن فرغ بينى وبينه كل حساب !

ولكن بعض الذين تفضلوا بالكتابة عنه قد أثاروا أسئلة ومباحث حول الموضوع ذاته ، فلم تعد المسألة مسألة كتاب التصوير الفنى ولكنها مسألة القرآن . وهى بهذا الوضع تصلح لحديث متصل ، ولا يعد حديثى عنها عودة إلى كتاب بذاته . وهذا مايبيح لى أن أخالف خطتى فى هذه النقطة وحدها . وسأدع للقراء والنقاد كل ما يعن لهم خاصاً بتقدير كتابى دون اعتراض عليه ، ولن أناقشهم إلا فيما يتناول الموضوع ذاته ، وهو ملك لى كما هو ملك لهم بطبيعة الحال !

* * *

وجه إلىّ الأستاذ نجيب محفوظ سؤالاً ، ولاحظ على فصل من فصول الكتاب ملاحظة قال :

« فأما السؤال فإنك تحدثت عن التصوير والتخييل والتجسيم والتنسيق الفنى ، وكل أولئك روح الشعر ولبابه قبل أى شىء آخر . أفلم يخطر لك أن تحدد نوع كلام القرآن على ضوء بحثك هذا ؟ »

وأنا أحسبنى قد أجبت على مثل هذا السؤال حينما قلت فى صفحة ٨٣ من الكتاب وما بعدها هذه الفقرات .

«جاء فى القرآن الكريم : [وماعلّمناه الشِّعرَ — وماينبغى له — إنْ هو إلا ذِكْرٌ وقرآنٌ مُبين] .

« وجاء فيه حكاية عن كفار العرب : « بل افتراهُ . بل هو شاعر » .

« وصدق القرآن الكريم ، فليس هذا النسق شعراً . ولكن العرب كذلك لم يكونوا مجانين يوم قالوا عن هذا النسق العالى : إنه شعر !

« لقد راع خيالهم بما فيه من تصوير بارع ، وسحر وجدانهم بما فيه من منطق ساحر ، وأخذ أسماعهم بما فيه من إيقاع جميل . وتلك خصائص الشعر الأساسية ، إذا نحن أغفلنا القافية والتفاعيل .

« على أن النسق القرآنى قد جمع بين مزايا النثر والشعر جميعاً . فقد أعفى التعبير من قيود القافية الموحدة والتفعيلات التامة . فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة . وأخذ فى الوقت ذاته من الشعر الموسيقى الداخلية ، والفواصل المتقاربة فى الوزن التى تغنى عن التفاعيل ؛ والتقفية المتقاربة التى تغنى عن القوافى ؛ وضم ذلك كله إلى الخصائص التى ذكرنا ، فشأى النثر والنظم جميعاً » .

هو إذن ليس شعراً وإن أخذ من الشعر خصائصه الفنية فهو نثر . ولكنه النثر الذى يرتقى فيه التناسق الفنى آفاقاً وراء آفاق على النحو الذى أوضحته فى فصل « التناسق الفنى » وقلت إن به تقويم هـذا الكتاب وهى آفاق لم تبلغ فى القديم والحديث بلا ارتياب .

ثم قال :

« وأما الملاحظة فمن الفصل الذى خصصته للنماذج الإنسانية . فقد وجدت فيما استشهدت به من آيات ما يعبر عن طبائع بشرية وسجايا نفسية لا نماذج إنسانية ، فالنموذج الإنسانى بمعناه العلمى شىء أشمل من هذا ، وقد يحوى الكثير من هذه الطبائع كما قد يحوى غيرها . والمهم أنه يعرضها على نحو خاص يتفق ومزاجه الأساسى . والنماذج الإنسانية محدودة معروفة — على اختلاف تقسيم علماء النفس لها — أما الطبائع فلا حصر لها . فلعلك قصدت الطبائع لا النماذج » .

وأحسب كذلك أن اختيار كلمة « نماذج » أقرب إلى ما يفهم من طبيعة التعبير القرآنى حين يقول مثلا : « ومن الناس من يعبد الله على حَرْفٍ فإن أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة » أو حين يقول : « ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على مافى قلبه وهو ألدُّ الخِصام وإذا تولى سعى فى الأرض ليُفسد فيها ويهلك الحرث والنسل » ... فقوله : « ومن الناس » يعنى : وفريق من

الناس . أو وصنف من الناس . أو ونموذج من الناس ... على السواء .

على أن كل إنسان تغلب عليه «طبيعة إنسانية» معينة ، حتى تصبح سمة له يعرف بها وتدل عليه ، إنما يصبح « نموذجاً » إذا كان عنواناً لطائفة من هؤلاء الذين غلبت عليهم هذه الطبيعة بعينها « فالمكابرة » طبيعة و « المكابر » نموذج مثل « المقامر» و « البخيل » و « العبيط » وأمثالها من الصور الإنسانية التي أبدعتها أقلام بعض الفنانين ، وعرفت في عالم الأدب باسم «النماذج» على هذا المدلول . ومنها معظم « النماذج الإنسانية » التي رسمها التعبير القرآني في بضع كلمات أو فقرات .

***

وكتب الأستاذ عبد المنعم خلاف كلمة مطولة ضمنها ملاحظتين أساسيتين على مباحث الكتاب :

فأما أولاهما فخاصة بالتصوير في القرآن وفيها يقول :

« غير أنني أخشى أن يكون قد أفلتت لفظة أو اثنتان من قلم المؤلف في أهم فصل من فصول الكتاب خرجت بهما فكرته الأساسية التي عنونه بها في جو من المبالغة والتعميم . ذلك أن يقرر في الفصل الذي أنشئ من أجله الكتاب أن (التصوير هو الأداة « المفضلة » في أسلوب القرآن) وأن إدراكه وسيلة إلى (إدراكنا « سر الإعجاز » في تعبير القرآن) »

« فإننا لا نستطيع أن نتجاوز عن إطلاق كلمة « المفضلة » ولا عن إطلاق « سر الإعجاز » لأن الحكم بتفضيل القرآن للتصوير كأداة في التعبير يقتضي الاعتماد على « الإحصاء » وظهور نتيجته بكثرة عددية . فهل إذا أحصينا طرق التعبير في القرآن نجد ما قرره يحظى بالكثرة العددية ؟ »

وجوابي للأستاذ عبد المنعم هو « نعم » وقد كانت مهمتي هي هذا « الإحصاء » وكان حكمي قائماً على هذا « الإحصاء » وقد عبرت عن ذلك في فصل « لقد وجدت القرآن » حين قلت :

« لقد بدأت البحث ومرجعي الأول فيه هو المصحف ، لأجمع الصور الفنية في القرآن ، وأستعرضها ، وأبين طريقة التصوير فيها ، والتناسق الفني في إخراجها إذ كان همي كله موجهاً إلى الجانب الفني الخالص ، دون التعرض للمباحث الدينية أو سواها من مباحث القرآن المطروقة .

« ولكن ماذا أرى ؟

« إن حقيقة جديدة تبرز لي . إن الصورة في القرآن ليست جزءاً منه يختلف عن سائره . إن التصوير هو قاعدة التعبير في هذا الكتاب الجميل . القاعدة الأساسية المتبعة في جميع الأغراض — فيما عدا غرض التشريع بطبيعة الحال — فليس البحث إذن عن صور تجمع وترتب . ولكن عن قاعدة تكشف وتبرز .

« ذلك توفيق . لم أكن أتطلع إليه حتى التقيت به »

ولقد كنت أعني ما أقول ، وأرتكن فيه إلى الدليل .

والأستاذ عبد المنعم يخشى « إدراك سر الإعجاز » لأننا نستطيع في اليوم الذي نصل فيه إلى إدراك سر الإعجاز في تعبير القرآن أن نستخدمه في صنع كلام معجز ، وحينئذ لا يكون معجزاً ما دام مفتاحه بأيدينا وفي طوق صنعتنا »

ولست أرى داعياً لهذه الخشية لأن المسافة بين إدراك سر الإعجاز في العمل الفني خاصة ، وبين صنع الكلام المعجز ذاته مسافة متطاولة . وليست هذه على كل حال بمانعة للباحثين من محاولة إدراك هذا السر قدر ما يستطيعون ، وترك ما لا يدركونه للغيب المجهول .

على أنني أحب أن أصحح شيئاً في الموضوع ، فإن قولي «أدركنا سر الإعجاز في تصوير القرآن » جاء في معرض آخر يجعل له اتجاهاً آخر . إنه جاء هكذا بعد بيان ما في تصوير القرآن من إبداع يرتفع فوق ما تستطيعه الريشة المصورة والعدسة المشخصة:

« فإذا ما ذكرنا أن الأداة التي تصور المعنى الذهني والحالة النفسية ، وتشخص النموذج الإنساني أو الحادث المروي ، إنما هي ألفاظ جامدة ، لا ألوان تصور ولا شخوص تعبر . أدركنا سر الإعجاز في تعبير القرآن »

وما من شك أن قيام الألفاظ وحدها بوظيفة أرقى من وظيفة الريشة والعدسة في مجاله الخاص نوع من الإعجاز ، وحين ندركه مطرداً إنما ندرك « سر الإعجاز » بمقدار ما يستطيع إدراكنا الإنساني وهو المعنيّ في هذه الحال .

***

وأما الملاحظة الثانية فعن « المنطق الوجداني في القرآن » وقد أدار عليها الأستاذ عبد المنعم معظم المقال . ومما جاء عنها هذه الفقرات :

« فليس الموطن الأول لهذه العقيدة هو الوجدان – منطقة الانفعال والاستسلام أو الثورة – بل موطنها هو موطن ذلك « البرق » الذهنى أو العقلى الذى ينتج « حكما » يرسله إلى الوجدان ، فينفعل له ويتقبله و « يعقده » فى طويته ويستسلم له ويسير حياته على مقتضاه .

« هذا البرق الذى ينتج « الحكم » يستمد حيثيات أحكامه من انطباعات الصور الثابتة للكون فى النفس ومن الانفعالات الداخلية بهذه الصور » .

ثم يقول :

« فالقول بأن منطقة الدين هى الوجدان وحده قول غير إسلامى أخذه المسلمون المحدثون عن المفكرين غير المسلمين الذين لم يعرفوا الأساس الأول للاسلام والدين عامة »

فماذا قلت أنا فى كتابى مما بنى عليه الأستاذ عبد المنعم هذه الأحكام ؟

لقد قلت :

« كانت وظيفة القرآن إذن أن ينشئ هذه العقيدة الخالصة المجردة (عقيدة التوحيد) . وموطن العقيدة الخالد هو الضمير والوجدان – موطن كل عقيدة لا العقيدة الدينية وحدها – وأقرب الطرق إلى الضمير هو البداهة ، وأقرب الطرق إلى الوجدان هو الحس . وما الذهن فى هذا المجال إلا منفذ واحد من منافذ كثيرة ، وليس هو على أية حال أوسع المنافذ ولا أصدقها ولا أقربها طريقاً »

إلى أن قلت :

« فالذهن الإنسانى خليق بأن يدع للمجهول حصته ، وأن يحسب له حسابه . لا يدعو إلى هذا مجرد القداسة الدينية ، ولكن يدعو إليه اتساع الآفاق النفسية وتفتح منافذ المعرفة . « فالمعقول » فى عالم الذهن و « المحسوس » فى تجارب العلم ، ليسا هما كل « المعروف » فى عالم النفس . وما الفكر الإنسانى – لا الذهن وحده – إلا كوة من كوى النفس الكثيرة . ولن يغلق إنسان على نفسه هذه المنافذ ، إلا وفى نفسه ضيق ، وفى قواه انحسار ، لا يصلح بهما للحكم فى هذه الشئون الكبار » .

ثم قلت :

. « لقد عمد القرآن دائماً إلى لمس البداهة وإيقاظ الإحساس ، لينفذ منهما مباشرة إلى البصيرة ، ويتخطاهما إلى الوجدان . وكانت مادته هى المشاهد المحسوسة ، والحوادث المنظورة ، أو المشاهد المشخصة ، والمصاير المصورة . كما كانت مادته هى « الحقائق البديهية الخالدة ، التى تتفتح لها البصيرة المستنيرة ، وتدركها الفطرة المستقيمة » .

فأين فيما قلت : « إن منطقة الدين هى الوجدان وحده » فى الوقت الذى أقول فيه : « وما الذهن فى هذا المجال إلا منفذ واحد من منافذ كثيرة » ... كل ما يفهم من مجموعة ما قلت أننى لا أريد أن أكل هذه المهمة الضخمة لهذا الذهن الإنسانى المحدود « وحده » ، وفيها ما يتصل بالغيب المجهول .

ثم أعتقد أننى كنت دقيقاً فى التعبير وأنا أذكر « الحقائق البديهية الخالدة » بل وأنا أذكر « المنطق الوجدانى » والمنطق لا بد له من مقدمات ونتائج وليس هو مجرد « الانفعال » كما فهمه الأستاذ . وكل ما فى الأمر أنها مقدمات ونتائج من نوع خاص يعتمد على الصور المحسوسة والمشاهد المنظورة كما يعتمد على الحقائق البديهية الكونية ، ولم يكن بد من تسميته كذلك وضعاً له فى مقابل « المنطق الذهنى » الذى اتبعه « علماء الكلام » وهو غير المنطق القرآنى بلا جدال .

***

وكتب كاتب – أو كاتبة – فى جريدة الأهرام « أن هذا الكتاب « محاولة » للبحث فى جمال القرآن سبقتها اتجاهات فى الجامعة »

وللكتابة على هذا النحو أسباب خاصة ليس من شأنى الحديث عنها كما أن وصف هذا العمل بأنه « محاولة » مسألة داخلة فى دائرة « التقدير » المتروكة للقراء .

إنما يعنينى هنا الحقيقة التاريخية ... إننى بدأت هذا البحث ونشرت فصولا منه بعنوان «التصوير الفنى فى القرآن» فى المقتطف عام ١٩٣٨ ثم أخرجته كتاباً فى هذا العام فأين هى البحوث الجامعية فى هذا الاتجاه

إن كان الغرض هو البحث فى جمال القرآن فهذا بحث قديم قديم ؛ وإن كان الغرض هو البحث على نحو خاص غير مسبوق ، فالواقع ينطق بأن ما كتب فى الأهرام لا يطابق الحقيقة . والسلام .

سيد قطب

صفحة من تاريخ الاستكشاف :

فيتـــــوس بيرنج

VITUS BERING

للأستاذ محمود عزت عرفة

بطرس الأكبر بين حربين

شهدت أخريات القرن الخامس عشر خرستوف كولمبس يضرب فى أرجاء المحيط الأطلنطى غربا ، على أمل أن يبلغ الهند من طرفها الشرقى فيثبت صحة النظرية التى آمن بها من استدارة الأرض . وكان بسبيل أن يحقق نظريته هذه لولا أن اعترضته أمريكا بهيكلها العظيم ، فبقيت نظريته معلقة — بل وقابلة للجدل ! — حتى قدّر لماجلان أن يثبتها عمليا برحلته المشهورة فيما بين عامى ١٥١٩ و ١٥٢٢ م .

ومن ثم تتابعت الرحلات فى كل متجه ، وعرف الناس عن أمريكا الشىء الكثير ، حتى وافت أيام بطرس الأكبر — عاهل روسيا وسليل أسرة رومانوف[1] — فحاكت بصدره مشكلة آلى على نفسه أن يضع لها حلا ... مشكلة عاضلة يتعلق بها مستقبل بلاده ، ويتوقف عليها مجدها وعظمتها واستقرار شعبها هادئا — مدى أجيال — فى حدود امبراطوريته التى تباعدت أطرافها ...

وكان بطرس قد شنّ على السويد حربا ضروسا انتهت بعقد معاهدة نيستاد فى أغسطس من عام ١٧٢١ ؛ وبها ضم إلى بلاده دويلات من البلطيق أمّن بها حدودها وعزز ركنها فى اتجاه الغرب فراح بعد ذلك يتلفت إلى الشرق ... إلى أطراف سيبريا المطلة على محيط مجهول يتكنفه الظلام والضباب .

ورأى بثاقب فكره أن لابد من النفوذ إلى أعماق هذه المواضع قبل أن تسد السبيل عليه فيها دولة مستعمرة ، فيقف منها أمام « سويد » أخرى تقتضيه حربا لا يعلم إلا الله نتيجتها .

... ألا ماذا فى نهاية الطرف الشمالى الشرقى من آسيا ؟...

... أهى ممتدة شمالا إلى مدى غير معلوم ، ... أم ثمة انفصال تبدأ عنده أمريكا من حيث ينتهى العالم القديم ؟

سؤال تقدم به بطرس إلى الطبيعة نفسها لا إلى عدو أو صديق من البشر ، ومعضلة ينبغى أن يحلها رحالة مستكشف لا قائد محارب . وللطبيعة سر لا تسلمه إلا لمن ينتصر عليها ؛ والانتصار على الطبيعة غير المحدودة ولا المتناهيـة ... الطبيعة ذات الأسرار الرهيبة والمفاجآت المربكة والقوى المحتشدة الكامنة التى تعصف بقوى الإنسان قبل أن يشعر بمجرد وجودها ، فضلا عن أن ينهض إلى خصومتها — الانتصار على هـذه الطبيعة — وتلك صفاتها — غير الانتصار على كتيبة من جند السويد ، أو نشر شباك مكيدة حول تركيا ، أو انتهاز فرصة اضطراب داخلى فى بولندا ...

وكان بطرس ممن يحسنون تخير الرجال . فليس يزكى التاريخ « فيتوس بيرنج » بأكثر من أن يسجل أن بطرس قد انتقاه لمهمة خطيرة كانت شغله الشاغل وهو يجود بآخر أنفاس من حياته ... مهمة مات بطرس — كنحوينا المعروف — وفى نفسه منها شىء !

وكان بيرنج من أبناء دنمركه . ولد فى هورسنز Horsens عام ١٦٨٠ ، وتقلب فى أحضان البحر منذ صباه فنشأ بحارا بالسليقة إن صحت العبارة ..

وقد زار المحيطين الأطلسى والهادى قبل أن يلتحق — وهو فى الثالثة والعشرين من عمره — بالأسطول الروسى الحديث الذى أقام دعائمه بطرس الأكبر . واشترك بيرنج فى الحرب البحرية ضد السويد فأبلى البلاء الحسن ، وكان من أثر ذلك أن قرر القيصر إيفاده على رأس البعث الذى أعده لكشف مجاهل شرق آسيا وما يكتنفه من مياه . ولم يحل دون ذلك ما كان من مرض بطرس (الذى انتهى بموته) ، ولا ما حدث من اضطراب فى الأحوال الاقتصادية على آخر عهده .

(١) ولى الحكم فى روسيا بين عامى ١٦٧٢ و ١٧٢٥ م

ولقد كانت تلك فى الواقع أعجب رحلة كشفية يشهدها العالم ، منذ أن قام الفينيقيون فى عهد فرعون مصر « نخاو » بطوافهم المشهور حول القارة الإفريقية[1] .

عبر مجاهل سيبريا

كانت أرض روسيا خلواً من المسالك والطرق ؛ وسيبريا التى تشغل شطرها الشرقى حتى المحيط لا تعدو أن تكون سهوبا مقفرة شديدة الإيحاش يسيطر عليها شتاء قاس رهيب لا تتبلج فى دهمته إلا عزر أيام من الصيف ضئيلات قصار .

وكان على بيرنج أن يقود بعثته مدى ألف ميل خلال هذه الأصقاع الموحشة حتى يبلغ المحيط فيبدأ أعماله الاستكشافية ؛ وكان عليه أيضاً — إذا قُدر له أن يبلغ المحيط ناجيا — مهمةُ ابتناء السفن اللازمة لهذه الرحلة الخطرة . وإن من نكد الدنيا حقا أن ينوء هذا الرحالة الجرئ بعبء ستة عشر عاماً من الجهاد المضنى ، قبل أن يتاح له تقديم جواب صحيح عن ذلك السؤال المعجز لبطرس الأكبر . ثم هو لا يفرغ من ذلك إلا ليفارق حياته مبتئساً عليلا فوق جزيرة نائية ، بعد معاناة خطوب فوادح وأهوال جسام ...

غادر بيرنج مدينة بطرسبرج فى فبراير عام ١٧٢٥ م على رأس خمسمائة من الرجال ما بين بحار وقين وكاتب ونجار وصانع شراع ، وكان معهم ثمانمائة دابة حمولة تقل ما يحتاجون إليه من الميرة والذخيرة ؛ وقد ارتفقوا بسائر ما يلزمهم عدا السفن نفسها ، إذ كانت مادتها الخشبية وقتذاك لا تزال جذوعاً ضخمة تغتذى وتنمو على الشاطئ الشمالى الشرقى من آسيا ، فى انتظار أن يأتى القوم فيقتطعوها ويصوغوا منها مطاياهم إلى البحر .



مُلتقى القارتين

وكان على الركب الحاشد أن يقطع جبالاً شوامخ ، وأن يصنع لدى كل معبر نهر زوارقَ وأطوافاً يجتاز عليها من شاطئ إلى شاطئ ، ثم يخلفها وراءه تنتى من شادها . وقد قضى البعث شتاءه الأول فى أيلمسك Ilimsk الواقعة على مدى ثلاثمائة ميل تقريباً شمالى إركتسك Irkutsk . وما كاد يتبلج وجه الربيع حتى تابعوا مسيرهم خلال مستنقعات وغابات ومجار من الماء عميقة وجبال وعرة المسالك أدت بهم إلى بلوغ ياكتسك Yakutsk على نهر لينا ؛ وهناك ألجأتهم ضرورة النقل ومشقاته إلى أن ينقسموا أقساماً : فمضى فريق على رأسه سپانجبرج Spangberg فى أسطول صغير من الأطواف عبر المسالك المائية المنحدرة شرقا ، وتقدم بيرنج بطريق البر ومعه الجياد ومائتان من الرجال .. فى حين تبعهما الفريق الثالث عن كثب .

وبعد رحيل شاق مضنٍ استغرق سبعة أسابيع وصل بيرنج إلى أوختسك Okhotsk حيث اقتطع رجاله ما يلزمهم من الخشب لإنشاء السفن وتشييد أرباض الشتاء ..

أما سپانجبرج فقد قطع عليه البرد طريقه ، ونفقت ركائبه بفعل الجليد وانخفاض درجة الحرارة إلى السبعين تحت الصفر .

---

(١) ذكر هيرودوت أن نخاو — وقد حكم بين عامى ٦٠٩ و ٥٠٣ قبل الميلاد — أراد أن يعرف علاقة البحر الأحمر بالبحر الأبيض المتوسط ، فكلف جماعة من الفينيقيين أن يسيروا فى البحر الأحمر نحو الجنوب بإزاء ساحل إفريقية الشرق ، ثم يعودوا عن طريق أعمدة هرقل (مضيق جبل طارق) إن أمكن . فقاموا بتلك السياحة خير قيام ، ولكنها استغرقت منهم ثلاث سنوات ، لأن سفينتهم لم تكن تتسع لمقدار كبير من المؤن ، فكانوا ينزلون على الساحل كل خريف فيزرعون الأرض ثم يقيمون إلى ما بعد الشتاء حتى ينضج الزرع ، فيحصدونه ثم يقلعون — راجع « أساس الفلك والجغرافيا » للأستاذين محمد نفر الدين وعبد الفتاح الزيادى

ولم يتصل ببيرنج إلا بعد انقضاء عامين كاملين فقد خلالهما ثمانية عشر من رجاله .

وكان بيرنج قد أنجز فى هذه الفترة تشييد أولى سفائنه « ذى فرشونا » وانتقل فيهامع رجاله وذخائره ومعداته إلى بولشيريتسك Bolsheretsk فى شبه جزيرة كامتشاتكا . وهناك أنشأ سفينته الثانية « جبرائيل » ، فاستنفد بذلك ثلاث سنوات وخمسة شهور فى عمل مضن وكفاح متواصل قبل أن يتهيأ له القيام بمهمته الرئيسية .. وهى التقصى عن خبر آسيا ومبتدأ أمريكا ..

هذه آسيا . . فأين أمريكا ؟

فى العاشر من يوليو سنة ١٧٢٨ أبحر بيرنج من كامتشاتكا ميمماً صوب الشمال ؛ والتقى فى إحدى الجزائر المأهولة بمن أفضى إليه من سكانها بحقائق نفعته . فقد علم أن الساحل الأسيوى بعد امتداده نحو الشمال قليلا ينحرف إلى الغرب . وبذلك تمثلت لديه أول فكرة عن انقطاع آسيا فى هذا الموضع واحتمال قيام أمريكا بإزائها . ومر بيرنج أثناء ذلك بجزيرة كبيرة أسماها سنت لورنس ، احتفاء بذكرى القديس الذى اكتشفها يوم عيده . وفى السادس والعشرين من أغسطس طاف حول رأس « إيست كيب » الواقع فى أقصى الطرف الشمالى الشرقى من آسيا ؛ وتحقق لديه يومئذ أن اليابسة تنحرف نحو الشمال الغربى ، فتتبع ساحل آسيا الشمالى إلى مدى سبعمائة ميل غرباً حتى بلغ خليج تشوان : Tchuan Bay وعرف أن آسيا تنتهى حقيقة فى هذا الموضع ، لكنه لم يعثر بعد على القارة المزعومة التى قيل إنها تواجه آسيا عبر المحيط ، والتى يحتمل أن تكون أمريكا نفسها . ولاذ بيرنج بسواحل كامتشاتكا طوال أشهر الشتاء ، ثم انطلق يبحث عن أمريكا فى ربيع عام ١٧٢٩ متجهاً صوب الشرق . ولما أعجزه الوقوع على طلبته كر أدراجه عائداً إلى بطرسبرج ؛ وهناك قص حديث مغامرته العجيب فأثار ضده عاصفة قوية من السخرية والتكذيب .. عاصفة أنسته بشدتها ماقاسى من عواصف سيبريا ، وهونت لديه ما لقى من قواصف المحيط ..

وكانت القيصرة كترينا التى خلفت بطرس الأكبر على عرش روسيا لا تقل عن سلفها طموحاً فى الغاية ولا جرأة فى العمل ؛ وقد أثر فى نفسها ما لقيته مساعى بيرنج من إنكار وجحود وأعجبها من الرجل شهامته ونبل سلوكه ، فأبت أن تقطع الألسنة الحداد اللائى سلقته إلا بمزيد من تكريمه وتوكيد الثقة به ؛ وعهدت إليه برياسة بعث آخر أخطر من سابقه شأناً ..

(البقية فى العدد المقبل)

محمود عزت عرفة

الأدب العصرى

فى الجنوب الغربى لشبه جزيرة العرب

للدكتور ر . ب . سارجنت

تمهيد

ليس فى أنحاء العالم العربى جزء يعرف عنه الناطقون بالضاد أقل مما يعرفون عن الزاوية التى فى الجنوب الغربى لجزيرة العرب إذا استثنينا منها عمان . وفضلاً عن ذلك ليس فى تلك المنطقة ما هو أقل معرفة لجيرانه من بلاد اليمن ، على الرغم من وقوعها فى الطريق العام للعالم ، وعلى الرغم من تاريخها الطويل فى ميدان الحضارة . يقول ابن خلدون : « وتبقى الصنائع طويلاً فى البلاد المتحضرة . فهى هناك محفوظة تتجدد دائماً ، وخصوصاً ماتمتاز به اليمن (كنسج الوشى ، والعصب ، ونسج الثياب والملابس الحريرية إلى غير ذلك مما وصل إلى درجة الإتقان) » .

وليس من الصعب أن نشرح السبب الذى من أجله كنا على جهل بهذه البلاد ؛ فقد ظلت بلاد اليمن وحضرموت قرناً ونصف قرن وهما فى اضطراب وفوضى لم يقض عليهما إلا منذ نيف وعشرة أعوام مضت . وكانت الحكومات القائمة فى ذلك العهد لا ترضى أن تأخذ على عاتقها مسئولية السماح للأجانب بالسفر فى البلاد أو بالكشف عن أسرارها . وكان يؤيد ذلك الحظر مناعة البلاد بجبالها الشاهقة التى فى « اليمن الخضراء » ؛ لهذه الأسباب لم يتسن للرحالة ، أو العلماء ، أو التجار ، أن يتعمقوا فى جنوبى بلاد العرب ، منذ البعثة العلمية الدنمركية لنيبوهر ، ومنذ الأيام التى كان فيها للبريطانيين والفرنسيين مصانع فى مخا تشتغل فى تجارة البن .

على أن الأحوال قد تغيرت فى السنوات الأخيرة ، فاستطاع كل من العرب والأوربيين أن يزوروا اليمن ، ومحمية عدن ، وحضرموت . وبين كتاب العرب فى تلك البلاد عبد المحسن الذى ظهرت كتاباته قبل الحرب الماضية ، ومنذ ذلك التاريخ ظهر الريحانى ، ونزيه المؤيد العظم ، ثم أحدثهم جميعاً الدكتور حزين . وكان من ثمرة الاتصال السياسى بين اليمن من جهة ، ومصر والعراق من جهة أخرى أن اليمن استجلبت منهما خبراء ، فى العلوم الهندسية فى الغالب ، كما أن اليمن أوفدت عدداً من طلابها إلى القاهرة وإلى بغداد . كذلك التحق بخدمة إمام اليمن عدد من السوريين والأتراك ، وعند عودتهم إلى بلادهم أفضوا بتصريحات إلى رجال الصحافة الذين كانوا يتطلعون لأخبار اليمن . ورغبة فى رى ظمأ العالم المفكر عن أخبار اليمن ، استخرج من بين طيات المخطوطات الأب أنستاس مارى الكرملى كتاب « بلوغ المرام » للعرشى ونشره (طبعة مصر سنة ١٩٣٩) وهو يصل بتاريخ اليمن إلى سنة ١٩٠٠ . على أن القسم الخلاب فى ذلك الكتاب هو الفصل الممتع الذى كتبه نيافة الأب بقلمه عن الدولة الحديثة ، معتمداً فيه على الكتابات والجرائد المعاصرة . ومع ذلك فإن القارئ يسترعيه لأول وهلة رجوع الأب أنستاس ، فى كثير من المواضع ، إلى مؤلفات الجغرافية فى القرون الوسطى ؛ فالمعلومات التى جمعها ابن حوقل ، أو المقدسى ، أو ياقوت ما زالت تقتبس سداً للنقص الذى فى المعلومات الحديثة عن اليمن ، على حين أن الهمدانى — وهو دائرة معارف عن جنوبى بلاد العرب — ذو نفع لنا لا يقدر . وقد أخرج نيافة الأب أنستاس الجزء الثامن من كتابه « الأكليل » مطبوعاً طبعاً شافياً . ولم يفتأ رجال الأدب يعلنون حزنهم على فقد الأجزاء الضائعة من ذلك السفر ، غير أنه ينبغى لنا ألا نفترض ضياعها لمن سيأتون بعدنا ، فإن الريحانى يقرر أن الإمام عنده نسخة كاملة للكتاب فى مكتبته بصنعاء ، وهى مكتبة يقال إنها إحدى كبريات المعاهد التى من هذا القبيل فى الجزيرة العربية ، ولو أن هناك كذلك مجموعات فاخرة من الكتب فى حوزة أمراء حضرموت . والحق أنه يجدر بنا أن نؤمل أملاً غير ضائع فى أن كثيراً من الكتب المأثورة ، التى لم يصل إلينا علمها إلا من كتاب « الفهرست » أو كتاب « كشف الظنون » ، ربما كشف عنها البحث فى جنوبى الجزيرة العربية .

ويشتغل بجمع هذه المخطوطات فى اليمن سيف الإسلام عبد الله المشهور بولعه بشئون التربية . وقد سمعت من يخبرنى بأن مصاحف بالخط الكوفى القديم كانت لا تزال تستعمل فى القرى النائية حتى عهد غير بعيد . وربما أحل انتشار المطبوعات مصاحف مطبوعة محل تلك المخطوطات ، فاليمن اليوم تتطور تطوراً ربما كان أعظم من أى تطور شاهدته فى خلال عدة قرون مضت .

أنواع الأدب القديم السائدة في الجنوب الغربي لجزيرة العرب

يجنح الأدب فى الجنوب الغربى لجزيرة العرب ، بصفة عامة ، إلى نواح ملموسة ما تزال واضحة فى كتابات العصر الحاضر ، وخاصة فيما يتعلق بأغراض الأدب أو موضوعات الكتابة . وأقدم الكتب التى خلفها كتاب هذه البلاد فى الماضى هى فى الغالب دواوين شعر هو فى كثير من الأحيان شعر دينى ذو نزعة صوفية . وقد قام لويس شيخو بدراسة فيها شيء من التفصيل للشعراء النصاوى القدامى فى تلك المنطقة . وأشهر المنظومات غير الدينية ، وأصلحها تمثيلاً لنبرها ، هى « القصيدة الحميرية » لنشوان بن سعيد ، وفيها يتحدث الشاعر عن افتخاره بالتراث الموروث فى العلم والعزة والسلطان . ومن ذلك قوله :

وملوك حمير ، ألف ملك ، أصبحوا
فى الترب رهن صفائح وضراح
آثارهم فى الأرض تخبرنا بهم ، والكتب من سير تقص صحاح
أنسابهم فيها تبين ، وذكرهم فى الطيب مثل العنبر الفياح
ملكوا المشارق والمغارب ، واحتووا
ما بين أنقرة ونجد الجاح
ملكت ثمود وعادا الأولى معاً منهم ملوك لم تكن بشحاح

وكان للمؤلفات التاريخية دائماً ازدهار وخاصة فى العصر الرسولى حينما كانت زبيد مركزاً لحركة أدبية منتعشة . ونكاد نكون فى غنى عن التنويه بأمثال هؤلاء المؤلفين أو هذه الكتب : عمارة الخزرجى ، والجندى ثم تواريخ صنعاء والغز . وكان من الطبيعى ، فى بلاد تقوم فيها الحياة على نظم القبائل ، أن يشغل علم الأنساب بال المؤلفين ، وقد كتب فيه السلطان الملك الأفضل ، كما أن هناك مجلداً ضخماً عن تاريخ الأولياء وطبقات الفقهاء فى بلاد اليمن ، إلى جانب سير الصحابة والمدائح النبوية .

ذلك إلى أننا نجد كثيراً من الكتب الزيدية بأقلام أتباع المذهب الخامس كما يسمى الزيدية مذهبهم ، كما نجد كمية عظيمة من الكتب الفقهية الشافعية ، وتنقسم البلاد جغرافياً إلى قسمين : اليمن الأعلى واليمن الأسفل ، ويتبع الانقسام المذهبى ذلك الانقسام الجغرافى على وجه التقريب . ويمكن أن تسمى صنعاء الحاضرة الثقافية للزيدية ، على حين أن زبيد ، وتريم ، وغيرهما من المدن الجنوبية ذات المعاهد العلميـة التى أنشأها أو أحياها الأمراء الرسوليون ، ما زالت مراكز لفقه المذهب الشافعى .

ومن أنصع الأدلة على أهمية البلاد من حيث هى مركز ثقافى فى العصور الوسطى أن السلطان الملك الأشرف دعا العالم اللغوى الشهير الفيروزابادى للاقامة هناك فى نهاية القرن الثامن الهجرى ، ثم عينه بعد ذلك قاضياً للقضاة . ومعظم الكتب العلمية التى ألفت فى العصور الوسطى ، من طراز كتاب « شمس العلوم » لنشوان الحميرى ، هى نتاج لدراسة سنية صحيحة وإن كانت خالية من الابتكار . وعلى ذكر هذا الكتاب نقول : إن إمام اليمن كان يأمل أن ينشره بجميع أجزائه ، بل إنه رغب فى الأمر المرحوم الملك فؤاد ، وقد عين وقت للنشر ، بل إنه صدر إعلان عن ذلك النشر ، ولكن وا حسرتاه ، لم يظهر الكتاب حتى الآن . ويمكننا أن نقول بصفة عامة إنه يبدو أن اليمن فى العصور الوسطى ، على الرغم من الطابع الخاص الذى امتازت به مؤلفاتها ، لم تتمخض عن حركات أدبية مبتكرة أو ذات نباهة عظيمة . ولعل خير مايوضح لنا اتجاه الناس نحو العلم ، من حيث هو إجلال واحتفاظ للمعلومات ، هو البيت الآتى الذى قاله شاعر مغمور وأنشدنيه أحد أصدقائى :

العلم يعلى بيوتاً لا أساس لها والجهل يدنى بيوت العز والشرف

وبما أن اليمن اليوم بلاد ما زالت إلى حد كبير فى العصور الوسطى ، تتحرك الهوينى نحو الحياة العصرية السائدة فى سائر العالم ، لم يكن هناك بد من أننا نجد ماينشر فيها اليوم من الكتب يشبه كثيراً فى طابعه تلك الكتب التى أخرجتها فى العصور الوسطى .

الطباعة والمطبوعات في اليمن

فى صنعاء اليوم مطبعتان ، إحداهما فى القصر الملكى المسمى « مقام الإمام » أو « المقام الشريف » . وهى هناك منذ العهد التركى ، وكانت تستعمل فى طبع الجريدة « صنعاء » التى سنتحدث عنها فيما بعد . ومع أن هذه المطبعة كانت على مايظهر تطبع بعض الكتب الصغيرة فى الحين بعد الحين . ليس لدينا بيان عن مبلغ ما أخرجته من المطبوعات . والمطبعة الأخرى ملك لإدارة المعارف . وفى خلال العشرين سنة الماضية طبعت هاتان المطبعتان عدداً محدوداً من الكتب ، ربما لايتجاوز الثلاثين عداً ؛ ومن المرجح أن قليلاً من تلك الكتب خرج خارج البلاد نفسها . وتدل موضوعات تلك الكتب على مبلغ اشتغال الناس بالشئون الدينية ، مما تمتاز به المنطقة الجنوبية لجزيرة العرب ، وتشجعه حكومة إمام اليمن . وتشتمل الكتب المطبوعة هناك على بحوث قرآنية ، ورسائل فى مذهب الزيدية ، والفقه ، والحديث وما إلى ذلك ، وهى فى الغالب طبعات لكتب قديمة من كتب المؤلفين السابقين .

وفى العلوم المدنية شغلت إدارة المعارف نفسها بجمع مواد لإخراج كتاب فى تاريخ اليمن يمكن استخدامه فى المدارس كتاباً مدرسياً . وقبل إعلان هـذه الحرب كان تحت الطبع كتاب فى تاريخ الإمام يحيى . وقد بلغ من ارتباط الأسرة الزيدية المالكة ببلاد اليمن وما جرى لها ، سواء فى طول المدة أو وثاقة الصلة ، ما جعل هذين الكتابين على شاكلتهما ضرباً من الدعاية للأسرة الحاكمة . ومن المرجح أن ذلك سيساعد على خلق روح القومية فى البلاد . ومما يشغل بال حكام اليمن اليوم التربية والكتب المدرسية ، وهى مشكلة من المحتمل أن تزداد إلحاحاً على مرور الأيام . فأطفال المدارس الأولية مثلاً قلما يستعملون كتباً مطبوعة ، وإن كانت مدارس صنعاء تستعمل إلى حد ما كتاب « القاعدة البغدادية » لعيسى البابى الحلبى ، كما أن لدى إدارة المعارف مجموعة صغيرة من المطبوعات المدرسية . وفى « المدرسة العلمية » يكاد الطلاب لايستعملون سوى المخطوطات التى ينسخونها بأنفسهم . وطبع كتاب فى قواعد اللغة أو علم النحو ، وكذلك كتاب مؤلف فى القرن العاشر اسمه « كتاب العلماء والمتعلمين » وهو يبحث فى آداب المعلمين والطلاب ، ويبحث هذا الكتاب كذلك فى طريقة الخط ونسخ المخطوطات . وحسبنا فى أنه رؤى أن هذا الكتاب يستأهل الطبع دليلاً على نوع التربية التى ما زالت سائدة هناك ، فإن البلاد التى أخذت بنصيب أوفر فى التقدم لا ترى فى مثل هذا الكتاب ما يزيد كثيراً على قيمته التاريخية من حيث هو أثر من الآثار . وبانقطاع علماء اليمن عن الاتصال المباشر بسائر البلاد العربية ، بعوامل البيئة الجغرافية والاعتبارات المذهبية ، أصبحوا على غير شاكلة العلماء فى البلاد الأخرى .

على أن مطبعتى صنعاء أخرجتا عدة كتب فيها روح جديدة ، فهناك كتابان فى الفنون الحربية ، وكتاب فى الزراعة . وقد ظهر الكتابان الحربيان فى سنتى ١٣٤١ و ١٣٥١هـ . واسم أولهما « كتاب التربية العسكرية » ، ومؤلفه هو حسن تحسين باشا ، وهو رجل سورى كان فى وقت من الأوقات قائداً للجيش الهاشمى . وبين سنتى ١٩٣١ و ١٩٣٣ م كان هذا الضابط فى اليمن يعيد تنظيم جيش الإمام ، والقواعد التى وضعها فى هذا الكتاب تدل على درجة أعلى فى تنظيم الجيش مما هو قائم الآن ، ولكنها تؤمل مجىء وقت تتحسن فيه الإدارة الحربية .

أما كتاب « رسالة فى فن زراعة الأشجار المثمرة » فكان من تأليف أحمد واصف بك ، المستشار الزراعى فى الحقبة التى فى سنتى ١٩٣٥ و ١٩٣٦م . ويعالج الكتاب ، كما يدل عليه عنوانه ، موضوع زراعة الفواكه واستخدام الوسائل الزراعية . وكان الأتراك فى مدة احتلالهم لليمن قد قاموا بتجارب متقطعة فى إدخال محاصيل جديدة فى البلاد ، وقد احتذى البيت المالك حذوهم فى القيام بتجارب أخرى من جانبه ، وعلى الأخص فى زراعة القطن . ولا شك أننا سنرى فى المستقبل الكثير من هذه المطبوعات الفنية والعلمية .

ومن المعلوم أن كثيراً من المؤلفات القيمة بأقلام بعض اليمنيين قد ظهرت فى القاهرة حيث تقطن جالية يمنية . ومن بين هذه المطبوعات الكتب الثلاثة التى ألفها عبد الواسع ، والتى تناول فيها التاريخ والجغرافية والشئون العامة التى تشوق القارئ . ونحن

تؤمل أن يأتى اليوم الذى يستطيع فيه هؤلاء المؤلفون اليمنيون أن ينشروا مؤلفاتهم فى وطنهم . وسنرى أن معظم المؤلفات التى تنشر اليوم عن الجنوب الغربى لجزيرة العرب إنما تنشر فى مصر ، أو الهند ، أو جزائر الهند الشرقية .

عدن وطلائع الحركة الحديثة

تختلف عدن اختلافاً عظيماً عن اليمن وعزلتها الجذابة التى خلفتها فى القرون الوسطى ، بما فيها من الجو العلمى الذى يستمد من مائة سنة كانت فيها عدن على اتصال مباشر بالبلاد الأوربية ، وبمصر ، والهند ؛ وبمدارسها الثانوية للبنين والبنات ؛ ويعلم فى مدارس البنين معلمون من البلاد العربية الأخرى كسورية ، وأحياناً من الهند ؛ وبالعدد المتزايد الذى ترسله من أبنائها إلى جامعات القاهرة وبغداد . ويطالع الأهالى الجرائد المصرية الشهيرة ، بل إننى كثيراً ما رأيت كذلك روايات مصرية فى أيدى المتعلمين فى المدارس الثانوية من أهل عدن . ومما لا شك فيه أن الجالية السورية المؤلفة من مستوردى المنسوجات والتجار تستورد كذلك الجرائد السورية ، وما نعهده فى السوريين وميلهم للاشتغال بالصحافة يدعو إلى الظن بأنه فى يوم من الأيام قد يقوم أحد السوريين بنشر جريدة فى عدن . وليس هناك مفر من أن الصحافة تنتعش فى مثل ذلك الجو ، وتصدر جريدة « فتاة الجزيرة » منذ أواخر سنة ١٩٣٩ . وكان فى عدن قبل سنة ١٩١٤ ثلاث مطابع ، وكانت إحداها فى السجن وربما كانت تقتصر على طبع المطبوعات الحكومية . وليس من المعروف مدى مانشرته المطبعتان الأخريان من الكتب العربية ، ولم أستطع أن أعثر على أى مطبوع عربى صادر عنهما . على أنه قبل الحرب الحاضرة أخرجت مطبعة الهلال فى بازار بهرة — وهى تطبع بكل من اللغتين العربية والإنكليزية — مجموعة شعرية وصلت إلى يدى ، وهى ديوان لأغانى لحج على أوزان بحور الشعر القديمة والبحور المولدة ، من نظم الأمير فضل بن على . وقد أعيد طبع هذا الديوان فى مطبعة فتاة الجزيرة ؛ وقد طبعت هذه المطبعة أيضاً رسالة فى إباحة العود والرباب لنفس المؤلف المذكور . ولعل القراء يذكرون أن الموسيقى محظورة فى اليمن إذا استثنينا جوقات الموسيقى الحربية ، وهذا الكتيب ينادى بنظرة تسامحية فى شأن الموسيقى .

وقد نشر محرر فتاة الجزيرة عدة كتيبات أخرى شائقة ، على أن عدداً منها — كما هو الشأن فى مطبوعات مطبعة صنعاء — يتناول التاريخ ، والبحوث الدينية ، وسير الصالحين ، ككتاب « سلالة قحطان » ، تأليف محمد سعيد الأصبحى . وأهم ما نشر من الوجهة الصحافية هو سلسلة مقالات كتبها أعضاء النادى المعروف باسم « أقلام المخيم » ، وهى مقالات تتناول موضوعات شتى ، مثل الكشافة ، والمذياع (فإن عدن لها محطتها الإذاعية الخاصة « صوت الجزيرة » وهى كذلك تنشر صفحة عن إذاعتها) ، وحياة صيادى السمك على الساحل الجنوبى لجزيرة العرب ؛ وكل هذه المباحثات كتبت بأسلوب نقدى علمى . وقد أخبرنى محرر فتاة الجزيرة ، فى رسالة بعث إلىّ بها حديثاً ، أن هناك كثيراً من اليمنيين فى عدن يرغبون فى نشر كتب ألفوها ، وفى هذا دليل على مبلغ العناية التى ينالها الأدب فى هذه المنطقة من العالم العربى . ولا يسعنا إلا أن ننوه بعناية الجالية الهندية المسلمة فى عدن بالأدب العربى ، ولا سيما عبد الله يعقوب خان الذى هو حجة فى تاريخ ثغر عدن ، والذى نشر كتباً عن جغرافيته وأمثاله . وقد ورد ذكر الهنود القاطنين بالثغر قبل زمن أبى مخرمة الذى يشير فى كتابه « تاريخ ثغر عدن » عدة مرات إلى نشاطهم التجارى .

وخليق بالقراء الذين أخذوا من الحضارة بنصيب أوفى ، من أهل مصر وسورية اللتين مضى على قيام النهضة العربية فيهما عهد طويل — خليق بهؤلاء القراء ألا ينقدوا هذه المطبوعات نقداً حديثاً على وفق المقاييس العالية للانتاج الأدبى السائد فى بلادهم ؛ بل عليهم أن يعدوها نواة الإنتاج الأدبى الذى تقدمه بلاد الجنوب الغربى لجزيرة العرب إلى الثقافة العربية . ولنتذكر أن جمعيات المناظرة التى من طراز « نادى المخيم » كانت ذات أثر فعال فى القرن الماضى فى قيام النهضة الثقافية العربية فى سورية ؛ ونحن نرى اليوم فى عدن عوامل التقدم هذه تخلف آثارها .

(البقية فى العدد القادم)

عن مجلة الأدب والفنون الانجليزية

حول مقال للأستاذ الطنطاوى

الموسيقى والأغانى الحديثة

للأديب سهيل إدريس

... وأخيراً ... عاد الأستاذ الطنطاوى إلى روض الأدب ، بعد أن انقطع عن ارتياده حيناً من الزمن طويلاً ، حسبنا معه أنه هجره إلى غيرعودة ، وذهب بنا الظن « أن الحرفة قد طغت عليه » فصرفته عن الأدب ... أما وقد رجع ، فنرجو أن يواصل المسير ، وأن يتبع الركب ، فلا ريب أنه قد تخلّف عنه ، ولعله لا يفوته بَعْدُ ! ...

أقول هذا بعد أن قرأت مقال أستاذنا الطنطاوى[1] (الذى حبّب إلينا هذا البلاء الذى نعتز به والذى يدعونه الأدب فبتنا من طلابه ...) عن الموسيقى القديمة والموسيقى الحديثة ، وعمّا تبعثه الأولى فى نفسه من سحر وفتنة ، والثانية من اشمئزاز وبغضاء لها ولرجالها . ثم يقول « فلئن كان العلم عالمياً لا جنس له ولا وطن ، فالفن لعمر الفن ما كان عالمياً ولن يكون . حاولوا أن تطربوا الإفرنج بغنائكم ؛ إنكم لن تطربوهم ولا تطربون أنتم لغنائهم ، ولكن منا من يستشعر قوتهم وضعفنا ، فيخادع نفسه رياء وتقليداً ... » ويتابع الأستاذ مخاطباً الموسيقيين فى بلادنا « ألم تدركوا أن أذواق الناس لا تنشرح إلا للشرقى الأصيل .. ما لنا وللجندول وأهل الجندول ، ما لنا ولأنغام الإفرنج التى لا طعم لها فى حلوقنا ؟ »

أما أن يدعى الأستاذ أن العلم وحده عالمى ، وليس الفن كذلك فهذا بِدْعٌ من القول ، بل الحقيقة أن الفن أكثر عالمية من العلم لأنه أقرب إلى نفوس الجميع ، وأدنى إلى التذوق والفهم ، وأبلغ تأثيراً فى الإحساس ، من العلم . وللقطعة الفنية الرائعة جمال ورونق فى كل عين ، وأثر إعجاب فى كل نفس وإن فى روائع الفن الغربى ، لقطعاً قد يكون إعجاب الشرق بها متعدّياً إعجاب الغربى ، سواء كان ذلك فى الموسيقى أو الرسم أو النحت أو غير ذلك من الفنون ؛ وكذلك القول فى الفن الشرقى بالنسبة إلى الغربيين وأعنى نفسى من التمثيل لذلك . فإن هذا الأمر من البداهة بحيث لا يفتقر إلى إيماء ، بَلْه تشريح وتمثيل ! وإنما نعجب بفن الغربيين ، ويعجبون هم ببعض فننا لأن الفن عالمى ، هذا ما لا شك فيه .

ثم كيف يزعم الأستاذ الطنطاوى أننا لا نطرب لغناء الإفرنج ، وأننا « لن » نطربهم بغنائنا ؟ هل تجد اليوم شاباً فى جميع بلدان الشرق الأوسط لا يحفظ من الأغانى الغربيـة هذه الأغانى : "J' attenderai toujours, ton retour" و "Kiss my again" و "Balalaika" ، ومن الذى لا يهوى سماع السمفونيات والتانجوات وغيرها ؟ ومن منا لا يطرب اليوم للموسيقى الغربية ؟ من منا لا يحب بتهوفن وباخ ؟ وهل للقطع الموسيقية التى يحفظها الشرقيون من الغرب عد أو حصر ؟ ليست القضية قضية موسيقى غربية أو شرقية ، وإنما قضية موسيقى تؤثر فى النفس وتلمس أوتار القلوب ؛ وفى الشرق والغرب من هذه الموسيـقى الشىء الكثير ! أما أنا لن نطرب الإفرنج بغنائنا ، فليس ذلك عائداً إلى أن غناءنا — ولا سيما الحديث منه — ليس بالغناء الجميل ، وإنما لتقصير فى وسائل بث هذا الغناء ونشره والدعاية له فى أوروبا ، كما يفعل الغربيون بفنونهم . ولكن الأمر الذى يظلُّ موضع النظر ، هو الأغانى « المحلية » البحت ، التى لا يستسيغها عادة إلا أقوام وعشائر معينة لا يمثلون أمة بكاملها أو شعباً بكامله . والواقع يدل اليوم على أن هذه الأغانى ليس لها من الشيوع مثل ما للأغانى غير المحلية . وقليلون هم الذين يؤثرون الأولى على الأخرى . وهذا راجع — فى اعتقادنا — إلى أن الأغانى المحليـة تتصف بالرتابة والترديد الباعث على الملل ، وإلى أن لها « جوها » الخاص ، وأن ليس لها نفس الحلاوة والجمال فى جو غيره . وقد يكون من الصحيح أن الأغانى المحلية ستندثر يوماً ما بداعى التطور .

---

(1) العدد ٦١٦ .

وظاهر من مقال الأستاذ الطنطاوى أنه يؤثر هذا اللون من الغناء على غيره . فهى إذن هواية خاصة لا تبرر له أن يُعرِّى ألوان الغناء الأخرى من القيمة أو من الجمال . وما دام الأستاذ قد ذكر الجندول فى معرض الإنكار أو الكراهية ، فلا بأس هنا من أن نساجله القول ؛ فليس من ريب فى أن فن الأستاذ عبد الوهاب قد سجل تحولا جديداً فى الموسيقى العربية الحديثة يوم غنى الجندول من تلحينه ، ولا اذكر أن أحداً من رجال الفن أو الأدب أو السياسة أو حتى الفلسفة ... وقف من هذه الأغنية الموقف الذى يقفه الأستاذ الطنطاوى اليوم ! ولو أنه استشهد بغيرها من أغانى المطرب المعروف لكان الخطب أيسر ! ذلك أن هذه الأغنية أروع ما أنشد عبد الوهاب ، ولن تتماسك أمامه أية أغنية من أغانيه أو أغانى غيره فى معرض المقارنة . ذلك أنه بلغ غاية التوفيق فى تلحينها : فى اقتباس بعض مادتها من موسيقى الإفرنج وإضفاء الروح الشرقية الحالمة على ألفاظها ومعانيها . ولو أنه اجتزأ بأحد هذين العنصرين فحسب ، لعرّيت الجندول من قسط كبير من روعتها .

وقصارى ما أود قوله فى هذا المضمار — ولو أنى أعتمد فقط على تذوق للموسيقى دون أن أكون من رجالها — أن تلقيح الأنغام العربية بالموسيقى الأوروبية يرفع من شأن موسيقانا الحديثة إلى حد بعيد . فحسبنا من تلك الأدوار القديمة التى بليت ، وكفانا ذلك الترديد الرتيب والتمديد الممل للكلمات بل للأحرف ، وقد شبعنا كلَّ الشبع من أدوار صالح عبد الحى وعزيز عثمان وعبد الله الخولى وأضرابهم ! ...

ويظهر أن الموسيقيين المصريين قد ادركوا فى المدة الأخيرة أن التقيُّد بالقديم من الألحان مؤخر النهضة الفنية ، وصارفٌ الجيل الجديد عن القديم ، فإذا هم يعمدون إلى ألحان يستحدثونها أو يقبسونها من الأنغام الأوروبية ، فيسيرون فى هذا المضمار شوطاً بعيداً . ولا سبيل اليوم لأحد أن ينكر أن الهواة وغير الهواة من المستمعين يؤثرون ألحان عبد الوهاب على غيره من الموسيقيين القدماء . ونحن فى الحق نعتمد — فى نهضتنا الموسيقية الحاضرة — على عبد الوهاب والسنباطى والقصبجى ومن بعدهم على فريد غصن ، وفريد الأطرش ، وعبد العزيز محمود ، وغيرهم كثير .

وإن الدعوة التى يدعو إليها الأستاذ الطنطاوى لدعوة بمضرة بالموسيقى والغناء الحديث إن هى اتبعت ، ونخالها لن تتبع . هذا وإن الغناء الحديث قد ارتقى — فى اعتقادنا — ارتقاء كبيراً بالنسبة للغناء القديم ، إذ أنه خلا من الترديد والتمطيط ، فليس اليوم من مغن يسلخ خمس دقائق فى أداء « آه ... » تتبعه الجوقة فينقلب الغناء إلى جو من النعيب ! كما أن الغناء الحديث أصبح أرشق أداء وأرق لفظاً وأحيا روحاً من الغناء القديم . وإنى أرى فيما اتهم به الأستاذ الطنطاوى المطربين المحدثين — جميعاً ! ... — شيئاً من التعسف . وإليه على كل حال تحيتى الصادقة والسلام .

« بيروت » **سهيل إدريس**

نشـــيد الزورق

للأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى

« ربان هذا الزورق شاعر عاش فى دنياه طويلا ، بين الماء والسماء ، ويوشك أن يعيش فى دنيا الناس بعد أن رسا زورقه وركدت من تحته الأمواج » .

رسَا زورقى وطويتُ الشراعا   وكفَّنْت فيه النَّدى والشُّعاعا
وعدتُ إلى شاطئى ساخراً   أردُّ اللَّيالىَ مرَّتْ سِراعا
هنا كان لى سامرٌ… أين ولَّى ؛   هُنا كان لى أملٌ… أين ضاعا
ذوَى أملى فى ربيع المنى   وما خِلتُ يا «أملى» أن تُراعا
فقدتُكَ يا « أملى » جدولاً   تدفَّقَ لحناً بسمعى مُشاعا
ترفُّ على جانبيْكَ المنى   فَتاهٌ يفيضُ هوًى واندفاعا
عرفْتُ المنى شاعراً ملهما   وخلفْنَنِى لا أجيدُ السَّماعا
أكادُ أُشوِّه هذا النشيدَ   وأُنكِرُ فى أصبَعىَّ اليَراعا

رَسَا زورقى فوق صخرٍ رهيبٍ
يطالعُ سرَّ الزمانِ العجيبِ
نَعتْ فجرَهُ نسماتُ الضُّحى   ولفَّ الصباحَ شعاعُ الغروب
سَرى فوق أمواجِه العاتياتِ   بِهَدْىِ النبىِّ وخطْوِ المريب
تُولْوِلُ فى جانبيْهِ الرِّياحُ   مُقذَّفَةً مِنْ وراءِ الغُيوب

مضَى الزَّمن الحلو فوق العُبابِ   ولاذَ الغريبُ بشَطٍّ غريبِ
فلاَ طائِرى غرِدٌ بالنَّشيدِ   ولاَ زورقى آهلٌ بالحبيب
فيا ليلةً جمعتْنَا هُنَا   على زورقى ، هل لنا أن تؤوبى ؟
ويا زورقى آنَ أنْ نستريحَ
فلا الخمرُ خمرِى ، ولا الكوب كوبى

رَسَا زورقى وصحَا الحالمُ   وثابَ إلى رُشْدِه الآثمُ
وغادَرَ حانتَه مثْلمَا   يغادِرُ مخدعَه النائم
وودع قيثاره مثْلمَا   يودِّعُ ريشتَه الرا[illegible]

فنامَ بها الوترُ الناغم   وألقى بها قبل عزفِ النشيد
سَنًى خاطفٌ وندًى ساجم   وسَلْسَلَ فيها نشيدَ السماء

فيا شاعراً عافَ قيثاره   فزورقُه موحِشٌ سائم
لقد كانَ يُلهمُ أوتارَها   وينطقها روحه الهائم
أيلهُو بزورقِه بعدها   أما شاقه عهدها الناعم ؟

رسا زورقى ، هلْ رَسَا واطمأنَّا ؟
وقد هَدأ الليلُ طيراً وغصناَ
وداعبَه الموجُ فى الضِّفتيْنِ   وسَبَّح فى الشطِّ ناياً ولحناَ
أيَحْيا هُنا خشباً جامداً   وقد عاش بالأمس روحاً وفنّاً !
لقدْ هادنتْهُ رياحُ العَشىِّ   فهل ستظلُّ سلامًا وأمنا ؛
أقامَ هُنا كالطَّريد السليم   وضمَّ إليهِ الطريدَ المعنَّى
طريدانِ سارا النهارَ الطويل   إلى أن مَضَى نورُه واستكنّا
تخافا ضلالَ الطريق البعيدِ   وناما بليلهما حينَ جنّا …
فمنْ لكَ يا زورقى ها هنا ؟   وقد سكن الكون حسّاً ومعنى ؛

رسا زورقى غارقًا فى الظَّلامِ   وقد شردَ النجمُ فوقَ الغمام
ونامتْ على الشطِّ أمواجُه   فأقفرَ من زُوحِها المستهام
أتغفُو وقد شاقَهُ صحوُها   أمَا سئمتْ طولَ هذا المقام ؟
أما شاقَها زورقى سابحاً   فتجْرى به سبحةً للأمام ؟

لقدْ أوشَكَ الليلُ أن ينجلى   وتهتفَ أطيارُه بالنِّيام
دعِ الليْلَ والموجَ يا زورقى   وجدِّف على موجةٍ من هيامى
بدا النورُ فى الأفق فاسبح له   فإنى سئمت حياة الظلام
ظمئْتُ إلى الفجرِ يا زورقى   أما آن لى أن أندِّى أوامى ؟

رسا زورقى عند فجرٍ سَنِىٍّ   فصافحه بالشُّعاعِ النَّدىّ
وأطْلقَ صدَّاحَهُ هاتفاً   يُرحِّبُ بالزورق العَبْقرىّ
نَحوَّمَ مُستلْهماً سرَّه   ورفرفَ فوق الجبين الوَضِىّ

هُنَا شاعرٌ سابحٌ فى رؤًى   مجنّحة فى خيالٍ سرىّ
توسَّدَ زورقَه مضجعاً   وأغْفى على صدْره كالصَّبىّ
فأيقظَهُ الطيرُ من حُلمِهِ   زغنَّاهُ لحنَ النشيد الشجىّ

وأجْفَلَ من نايه عاطلاً كما يُجْفِلُ النورعند العَشِيّ
غـدا زورق ها هنا معبداً يَضمُّ حُطامَ الشهيد الوفي

رسا زورق بعد عصف الرياح وهبّت عليه نسُومُ الصباح
وعادَ إلى عُشّهِ طائرٌ صريعَ الأماني ، ذليلَ الجناح
شدَا في الغصون فأنكرْنَه وقد كانَ ملءَ الجواءِ الفساح
جَفَا الروضُ شاديه العبقريَ وماتتْ أغانيه بين الأقاحي
حَنانَيْك يا طائري لا ترَعْ جراحُك يا طائري من جراحي
لئنْ بَرِمتْ بك تلك الغصونُ فعش بين تلك الرُّبا والبطاح
فَلمْ يعد الزهرُ ملكَ الطيورِ ولا وارفُ الظلِّ بالمستباح
مَراحكُ؟ حسبُكَ أن يطلقوه متى يُطلقون الغداة سراحي ؟!

رسا زورق في الصَّباح الحزين فألفيتُ مِجْدافه من يميني
وغبتُ عن الكون في رحلةٍ ترامى بها الوهمُ فوق السنين
فمن عالم من بناء الزمانِ إلى عالم من بنـاء الظنون
سئمتُ خِداعَ التُّراب المهين فحلَّقتُ فوق سماء اليقين
عوالمها أطلقتني سجيناً فواعجبًا للطليق السجين !!!
على قمة الدهر باتتْ قيُودي ممزقةً كالهشيم الدفين
وما راعني غيرُ تهـويمةٍ تطِلُّ مع الصبح خلف الدُّجون
تلفتُّ أبحثُ عَنْ زورق فألفيتُ مِجْدافَه في يميني

رسا زورق في انبثاق الضُّحى وأوْمأ للظلِّ أنْ يَسرحا
وللشمس في الأفق أن تعتلي وللطير في الروضِ أن يصدحا
وللغصنِ أن يرتوي بالندى وللعُشّ في الغصن أن يمزحا
وللروض أن يستفزَّ الطيورَ وللجدول الثرِّ أن يمرحا
وللزَّهر أن ينفح الحالمينَ وللطَّيف في الحُلْمِ أن يسنحا

بدا الكونُ يا زورق فاتناً كما شئتَ ، هل آن أن تفرحا ؟
أطلتَ الوقوفَ هنا مُستكينًا وقد كان دأبُك أن تجمحا
جرى الموجُ يركضُ في شطِّه فيا زورق آن أن تسبحا

أحمد عبد المجيد الغزالي

لقـــاء ...

للأستاذ إدوار حنا سعد

ترفق فقد هزت كياني وخاطري عواطف من فرح بلقياك غامر
أأنت أم الأطياف في موكب المنى
لقد كدت من سحر أكذب ناظري
تعايت دموعي في نواك على الأسى
فكيف استجابت للسرور المباكر
نعيم سماويّ الجنى لم تطف به خوافق أحلامي وطير خواطري
ولو كنت في الأحلام شاهدت صفوه
لما جن في صدري هتاف البشـائر
فقد تنقص الأحلام من فرحة اللقا
إذا هي أبدتهـا بشتى المظاهر
طلعت كواحات الأماني ليائس وكالأمن في واد عصوف القادر
وكالضفة الخضراء لاحت لطائر لهيف الظما دامي الجناح مسافر
وكالمجد ألقى للطموح عنانه سنيّ المجاني لؤلؤي الأزاهر
وكالبرء للعاني ... وكالنوم للذي يؤرقه ركب الطيوف العوابر
وكالعيد للطفل الثري .. وكالسنا لسارٍ .. وكالطفل الجنين لعاقر
فأوشك أن يطغى سروري وأن أرى
هتوفاً بأفراحي العـذارى الزواهر
لكي يعلم الحسـاد أية نعمة
تشوفها أمسي وضاءت بحاضري
توالى خفوق القلب يلقـاك ثائراً
كطبل زنوج الغاب في عيد ساحر
تراقب عيني فيك أحور فاتناً وتسمع أذني منك ترتيل شاعر
وألثم في مغناك شتى فواكه وأنشق من رياك عطر مجامر
لقد حسدت بعض الجوارح بعضها
على رغم ودٍّ تالد وأواصـر
قسمتُ حظوظاً بينها فأثرتها شواجر أطماع بدت لشواجر

الاسكندرية

إدوار حنا سعد



إلى الأستاذ حبيب الزحلاوى

قرأت فى عدد الرسالة ٦١٧ كلمة موجهة إليك بتوقيع شريف القبج الدكتور فى الفلسفة ، وأنا حاملَ هذا الإسم وذلك اللقب أبرأ إلى الله مما جاء فى هذه الكلمة الرقيقة ، ولست آسف كثيراً على هذا المجهول الذى نزع كلمة من هنا وكلمة من هناك ووقف على منبر فى الخفاء ليعطى الإرشادات الفنية بشكل رسالة للفن السامى ، ويخاف من نشاط الغرائز غير المهذبة فى الإنسان ، ويخشى أن يستعمل الأديب فى النقد مبضعه بلا رحمة ولا هوادة .

ويتوقع أن يقف الأديب والناقد فى حلبة صراع يجلب غمز القراء ولمزهم وقهقهتهم . وكأنه يندب حظ الأدب إذا تلطخ بالمهاترات الكلامية والتراشق بالألفاظ غير المهذبة .

ونحن القراء فى هذا البلد «فلسطين» لا نزال ننعم ونتمتع بما تجود به الأقلام المصرية علينا لنغذى نفوسنا كما كانت مصر الخصيبة تملأ غرائزنا فى المجاعات العالمية التاريخية .

لقد دل هذا الكاتب المقنع من تزييف توقيعى على أن إرشاداته للأدب والأديب كاذبة ، وأنا معذور إذا لم تتولد فى روحى الحرارة الكافية للرد عليه ، لا لأنه أساء إلى الناقد الأديب السيد حبيب زحلاوى ، ولا لأنه أساء إلى القراء بقصة بهلوانية ، ولا أساء إلى بلاده بعملية التزوير ، بل لأنه كأولاد الشوارع الذين يرشقون السيارات بالحجارة ولا يسع صاحب السيارة إلا أن يشتم أهل البلد الذى وقع فيه الحادث ، ولكن الذنب فى الحادث فرد مجهول .

قيل لى إن الذى مثل هذه الرواية شاب خليع ليس بالكاتب ولا بالأديب ولكنه يقول الشعر الجارح لا من قريحته بل من جمعه للقوافى المختلفة وقياسها بخيط طوله معلوم عنده ، فإذا جاءت قياساتها متناسبة وقوافيها على نغم واحد أخرجها قصيدة شتامة لرفاقه . ولقد كسدت بضاعته أو ربما أضاع الخيط الذى يقيس به فانتقل إلى صناعة النثر وبدأ باستعارة الأسماء ، وواجبى تجاه هذه المجلة العظيمة أن أعتذر للسيد حبيب زحلاوى عن هذا الواعظ المجهول ، وأعتذر لصاحب الرسالة عن ذلك الصبى الذى يرشق سيارات الناس فيسيء إلى سمعة بلده ، وأعترف أننى لا أملك المقدرة لمعالجة هذه الثلمة الأخلاقية بدرس ألقيه فى الرسالة فأترك ذلك إليكم

والسلام عليكم ورحمة الله .

(طولكرم — فلسطين) **شريف القبج**

كتاب «التصوير الفنى فى القرآن»

كتاب طيب جديد فى بابه ، يشق لنفسه طريقاً إلى نفسك ، ويحل عندك محله اللائق به من إعجاب به ، وتقدير لما بذل صاحبه فى وضعه من جهد ، وما صادف من توفيق ، حتى جاء شاهداً لصاحبه بأنه كما قال الأديب عبد المنعم خلاف فى الرسالة «شاعر ناثر ناقد ، زاول الشعر والنثر والنقد ، ونجح فى ذلك كله كثيراً من النجاح» وحتى جاء شاهداً لنفسه — كما قال ذلك الأستاذ الأديب — «بأن له الموضع اللائق به من مكتبة القرآن ، ومكتبة بحوث البلاغة ، ومكتبة الفن ، ومكتبة البحث» وليس يسع القارئ لهذا الكتاب إلا أن يحمد لصاحبه عمله ، ويغبطه على نجاحه ، وذلك موقفى من الكتاب وصاحبه .

وإن تكن لنا ملاحظات بعد فهى ملاحظات هينة يسيرة ، لا تنقص من قيمة الكتاب ، ولا تبخس فضل صاحبه ؛ وإنما هى ملاحظات — إن روعيت — تزيد الكتاب حسناً على حسنه ، وكلا إلى كماله : وإليك هى :—

١ — عنى المؤلف بتحليل الآيات عناية مشكورة ؛ ولكنه لم يعن بتحريرها على وجه الصحة ، فتطرق إلى كثير منها الخرم ، كما تسرب إلى بعضها التصحيف ، أو التحريف ، ولو أن ذلك قليل لهان الاعتذار عنه ، وإن شاء تبيان ذلك فليضع المصحف بين يديه ثم ليراجع من كتابه صفحات ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٣٠ ، ١٤١ ، ١٧٦ ، ١٩٨ .

ب — اتجه المؤلف فى بحثه إلى الناحية البلاغية فحسب ، ونبه فى غير موضع من كتابه إلى أن الجانب الدينى ليس موضع نظره — وهذا حسن ، ولكنه (على غير قصد منه فيما أرجح) لمس الجانب الدين لمساً جارحاً حين عرض للآيات فى قصة يوسف عليه السلام — صفحة ١١٥ — إذ وصف النبى يوسف — أولا — بأنه الواعى الحصيف ، وبأنه كان فى موقفه من زليخا يحذر مواضع الحرج جميعها ، وهذا لا شىء فيه ؛ غير أنه جعل يوسف أمام المرأة وفى هذا الموقف الأجرامى أشبه بشخص عادى (كاد يضعف) لولا أنه كان واعياً حصيفاً يخشى أن تأخذه عين الرقيب مثلا ، أو يفجأه الزوج ، وقد صدقت فراسة يوسف : إذ فجأه الزوج حين محاولته الإفلات لدى الباب . وهذا تصوير غير فنى لإنسان هيأه ربه للنبوة ، وكتب له العصمة من قبل ومن بعد . وأظن الأستاذ منساقا فى هذا وراء ما يقال : من أن يوسف إنسان لم تفارقه نوازع البشرية ، فهو يميل كما يميل أى إنسان ، ويكاد يضعف كما يضعف أى إنسان . وأظنه كذلك يحسب الآية فى ظاهرها تؤيد هذا إذ قررت أن المرأة همت به ، وأن يوسف هم بها . وليسمح لى الأستاذ أن أنبه إلى أن هذا فهم سطحى غير سديد ، درج عليه غير الدارسين لقواعد اللغة ، والمتساهلون ممن فسروا هذه الآيات .

ولو أنه لم يتابع هؤلاء فى فهمهم ، ونظر نظرة استقلالية إلى التعبير لرأى بادى الرأى — وهو القوى الإدراك لأسرار القرآن — أن هذا توجيه لا يرضيه ، وأن المقام أسمى من ذلك ، وأن نوازع البشرية فى يوسف كانت مكفوفة بالزهادة الدينية على الأقل (فضلا عن العصمة) على نحو ما ترى وتقرأ عن الأتقياء فضلا عن الأنبياء ، ولو أن يوسف كاد يضعف وأنه تحرج للحصافة والوعى والحذر لكان الموقف منه أمام الله موقف عتاب ، لا موقف تبرئة وتزكية بقوله سبحانه وتعالى (إنه كان من عبادنا المخلصين) .

وفى سياق الآيات وألفاظها المفردة ما يتسع للنظر والوصول إلى ما أبديت . ولولا أن صفحات الرسالة لا تتسع للتطويل لأوضحت : وصاحب الكتاب فى غير حاجة منى لأكثر من هذه اللفتة ؛ وحسبه أن يراعى الوضع الترتيبى لكلمة — لولا أن رأى برهان ربه — فأن موقعها بين كلمتى همت وهم — وأن يتذكر ما تدل عليه كلمة لولا ، وسيجد نفسه أمام نفى قاطع لوجود الميل والهم من يوسف . وكفى .

حـ — مضى ذلك الردح الطويل من تاريخ الإسلام وقضية إعجاز القرآن ناهضة تضاءلت بجانبها جهود الباحثين ، كما تحطمت على صخرتها جهود العابثين ، ولم نر ممن كتبوا وعنوا أنفسهم واحداً يمنّ على الناس بما قدم لهم ، أو يغض من شأن سابقيه ، وكنت أحب للأستاذ قطب أن يدع للناس تقديره وأن يلحظ مالحظه الأولون من أنه فوق كل ذى علم عليم ، وأن الأيام ستطلع علينا وعلى الناس بالجديد فى كل شىء فلا يغمز الأوائل بالتجهيل أو القصور ونحن لا نبنى إلا من الحصيات نجمعها من ساحاتهم الواسعة .

د — كان حريا بالأستاذ سيد قطب وهو مدرك لبلاغة القرآن ومفتون بسحره أن يشاكل بين مؤلفه وبين الكتاب العزيز فيبدأه بالتسمية ليرتفع به عن نمط الروايات وكتب التسلية التى تقرأ وتلق لا تقرأ وتقتنى فى الموضع الكريم بين الكتب الكريمة .

هـ — وكان جميلا فى النهاية أن يضع للكتاب دليلا يرشد الناظر فيه إلى موضع كل آية ببيان صفحتها حتى يسهل على من أحب الرجوع إلى آية بعينها أن يتعرف مكانها ، دون أن يخالف النظام الشائع ويصب الكتاب صباً تحت عناوين الفصول فحسب . وبعد — فليتقبل الأستاذ ثنائى خالصاً ، وشكرى مضاعفاً ، ولا عدمنا مثل هذه الجهود الطيبة النافعة .

عبد اللطيف السبكي
المدرس بكلية الشريعة

الفن والتاريخ فى فلم سلامة

أعرف أن من حق الفن أن يدخل على التاريخ ليبعث فى وقائعه الحياة ، وليلبس حوادثه ثوباً من الأناقة والطرافة يحببها إلى النفوس والقلوب . وليس للفنان القصصى فى القصد إلى التاريخ إلا أن يجمع بين الحقيقة التاريخية تحمل أسانيد الواقع وصدق الرواية ، والحقيقة الفنية تلائم بين الحوادث بالانسجام والروعة والجمال .

ولكنى لا أعرف أن يكون من حق الفن أن يمسخ ، وأن يجرى بوقائعه على الهوى ، فيغير الزمان والمكان ، ويزوّر

الأشخاص والمشاهد ، وينكر البيئة وما تقضى به ، ويجهل الحوادث وما تؤدى إليه ، فإنه حينئذ لا يكون فناً ولا تاريخاً ، ولكنه يكون المسخ والتشويه والخلط والتضليل والشعوذة التى لا تصح فى ذوق ، ولا تليق بأى صفة من صفات الفن .

ولقد قدر لى أن أشهد فلم « سلّامة » الذى مثلته المطربة المشهورة أم كلثوم ، وأخرجه السينمائى المعروف توجو مزراحى . وقصة سلّامة فى الأدب العربى القديم من أروع القصص ، وهى بواقعيتها جميلة عنيفة تعالج كثيراً من الجوانب النفسية والخلجات العاطفيـة إلى جانب ما تحمل من طريف الرواية وحلاوة الغناء وروعة الجمال ، وقد استهوت بعض الأدباء المعاصرين فعرضوا وقائعها فى معرض الفن القصصى والرواية الطريفة وفيها ما فيها من روعة التحليل ، فكتبها المرحوم الأستاذ محمود مصطفى فى « مجلتى » ، وجلّاها المغفور له الأستاذ الرافعى فى « الرسالة » آية من آياته الخالدة ، ثم حبكها صديقنا الأستاذ أحمد باكثير حبكة قصصية نال بها الجائزة لإحدى المسابقات . فلما قيل إن أم كلثوم مثلتها ، قلت : طاب الأصل والمثال ، والتقى سحر القديم بروعة الحديث ، وإنها لمتعة فنية من الواجب أن أدركها وأن أفوز بها على أى حال .

وقصدت إلى مشاهدة الرواية وسماع أغانيها ، فليتنى ما قصدت ! لقد دخلت إليها ونفسى مفعمة بما أتمثل من سحر وجمال وروعة فن ، ثم خرجتُ مكروب النفس آسفاً أن يبلغ عبث التجارة بالفن إلى هذا الحد السخيف ، وأن تصبح مشاهد التاريخ ووقائعه ملكا لهؤلاء المشعوذين يسخرون منها ومن الناس على هواهم ، وعلى ما تدعو إليه بواعث الكسب التجارى ، ومع هذا يأخذون الثمن الباهظ .

أول جريمة من جرائم التزوير فى الرواية أنْ نقل « حضرة المخرج الأريب » مكانها من المدينة ومكة بالحجاز إلى الكوفة والبصرة فى العراق ، وفى هذا كذب على التاريخ ، وفيه أيضاً جهل فاضح ، لأن قصة سلامة ما كانت تطلع إلا فى أفق الحجاز ، وما كانت حياة الترف والدعة والسماع إلا ديدنهم فى ذلك الوقت ، على حين كان أهل العراق فى فتن عاصفة وحروب طاحنة وحياة شديدة قاسية ، وهذه حقيقة أحسب أن « المخرج » لا يدركها ، ولكن ماذا تكون قيمة هذا « المخرج » فى العلم بصناعته إذا ما نقل مشاهد المدنية العامرة إلى ربوع الصحراء الخالية ، ومثل مظاهر أهل الحضر ، فى مواقع الوبر ؟!

أما الجريمة الثانية فتتصل بشخصيات القصة ، فقد كانت سلّامة على ما يحدث الرواة جارية مولدة ، شاعرة متفقهة ، تقول الشعر وتجالس العلماء ، فأبى صاحبنا سامحه الله إلا أن يمثلها جارية من جلب رخيص ، مبتذلة العاطفة والفن ، تغنى بلهجة مغربية غثة فى ألحان تافهة كأنها ألحان « زفة العروسة » ، وتعابير نازلة تعلو عليها تعابير أولاد القرية وهم فى مزارع القطن ينشدون أناشيد « مقاومة الدودة » ، فأنت تسمع فيها « الحب حلو والا حرّاق » و « سلام الله على الأغنام » و « غنى لى شوىْ شوىْ » وكثيراً من أمثال هذه السخافات . وأين هذا من تلك المقطوعات الشعرية العاطفية المنسجمة التى كانت تغنيها سلّامة ، والتى لو غنتها أم كلثوم لكانت لها مجداً خالداً فى الفن ، يضاف إلى ما بلغته من مجد .

وجاء « المخرج » — ولا أدرى لماذا — بالشاعر عمر بن أبى ربيعة بين أشخاص القصة ، وهو تزوير آخر على التاريخ ، إذ لم يعرف أن سلّامة التقت به ، وإن كانت هناك رواية تقول إنها التقت فى المدينة بصاحبه ابن أبى عتيق .

وفى صلة سلّامة بحبابة وبجميلة ، وفى كل شخص ، وفى كل مشهد ، تزوير على التاريخ ، وكذب على البيئة ، وخروج على روح الفن ، وشعوذة رخيصة لم تساغ إلا فى منعطفات الطرق كشاهد « جلا جلا » وحلقات الحواة .

لماذا لا يريح الناس أنفسهم ويريحونا معهم ، بعدم ذكر الفن والتعلق بهذا الحرم المقدس الذى وضع العلماء له القواعد والأصول ، والذى يحتاج فى مزاولته إلى علم ودراية وفهم وذوق ..

أنا والله لا ألوم هذا « المخرج » فى عبثه ، لأننى أعلم تماماً أنه رجل لا يخدم الفن ولكنه يخدم جيبه ، ولا يرضى الذوق وإنما يرضى خزائنه ، فهو يقيس النجاح بمقدار الدخل واستغفال العامة وأشباههم ، ولكن كيف تجيز له رقابة الروايات هذا العبث وهذا التلفيق يفسد به الفن ويكذب به على التاريخ ويجنى به على الذوق ويضحك به على الشعب المسكين ؟!

ثم ماذا ؟

قال صاحبى : إنها لا شك مؤامرة على أم كلثوم ، قلت : ومن الأسف أنها أفلحت ..

محمد فهمى عبد اللطيف



أقصوصة من لاتفيا القديمة

الرســـالة

للكونتيسة هرميانازر موهلن

ترجمة الأستاذ فيصل عبد الله المحامى

لشد ما راعنى من مارتا حين لقيتها أول مرة دمامة وجهها الذى خلعت عليه أربعون عاما شر ما كان لديها .

لقد لاح وجهها آنذاك كما لو أن مثالا مجنونا نحته بأزميل مثلم الحد . وكانت تنوء فى دنياها بأنفها الغليظ وجيدها المترهل ، ووجهها المعروق الذى برزت فيه عظام خديها وبفمها الواسع العريض ... على أن عينيها كانتا على نحو آخر . فلم يكن ثمة غلو فى القول بأنهما على شىء من الحسن — لولا — ما تعبران عنه وتنطقان به من جوع ونهم .

وبرغم ذلك كان من العجيب أن لم تتزوج مارتا ، فإن فتاة من الفلاحين يتيمة من الصغر تملك حقلا ممرعا وثمانى بقرات سمان وزوجى خيل من الأصائل ، وكن دجاج واسع يندر أن تبقى بكراً فى ريف لاتفيا القديمة ، حيث لا يكون الزواج فيها عقداً بين فتى وفتاة وإنما يكون بين حقل وحقل ؛ ولكن مارتا لم تتزوج ، ولا يبدو أنها معنية بأن تتزوج . على أن عجائز القرية كان لهن — بالطبع — ما يلغطن به . فلقد كن يهمسن بحديث حب كان قبل عشرين عاما عن فتى وسيم الطلعة من الروس جاء هذا البلد كغيره يسعى لرزقه من جنى البطاطس .

ولقد روت لى عجوز درداء منهن ذات يوم حديث مارتا والروسى ذاك ، فقالت وقد دلت لهجتها عن حقد تخفيه لمارتا ... (... لقد شغفها حباً ، ثم كان بعد ذلك أن أعلنا خطبتهما . وكان مقدراً أن تزف إليه فى عيد القديس ميخائيل لولا أن أصر (بوريس) على أن يرحل إلى أمريكا أولا ؛ فلقد كان يقول إن له أقرباء سراة هناك لا يضنون عليه بالمال إن سمعوا برغبته فى زواج صالح ، وهذا كما كان يقول سيعينه هو ومارتا على أن يبتاعا الحقول الثلاثة التى تحيط بحقلها والطاحونة التى شاخ راعيها وشح رزقه .

وبرغم أن مارتا لم تكن لتأبه بأن تمتلك الحقول أو الطاحونة فإن (بوريس) قد أصر على دعواه تلك ولج فيها فلم تستطع مارتا بالطبع لرغبته رفضاً ...)

ثم سعلت العجوز وبصقت على الأرض بذوراً كانت تمضغها واسترسلت فى حديثها وقد سرها أن تجد من لم يسمع بعد بما ترويه ويسعدها أن ترويه .

ثم قال لها بوريس : إنه ليستحى أن يفد على أقربائه معدما حقير الهيئة رث الثياب ، فكان أن باعت مارتان حقلين مما تملك وخمس بقرات وسواراً ذهبياً وحليا أخرى مما كانت لأمها وقدمت ثمن ذلك كله لبوريس الذى راح بعد ذلك ينفق منه على أقرانه فى الحان وهو يحدثهم ساخراً هازئا بحديث مارتا الدميمة الخلق الدنيئة الخُلق التى صدقته فى كل ما ادعاه ..

ثم لبث بعد جنى البطاطس حيناً على نهجه ذاك حتى أقبل الشتاء فعاش كالسادة على ما تدره الأرض . ولما أقبل الربيع ذهب... ولم يعد

ومنذ ذلك الحين قل أن تتحدث مارتا إلى أحد ... فلم يعد لها فى دنياها من شىء غير العمل والأمل ، تعمل فى حقلها وترعى ما لديها وتنتظر بوريس أن يعود ... وترتقب ذلك اليوم الذى فيه سيعود

ولقد يكون محتملا أن تحس مارتا بغتة رغبة فى أن تتحدث إلى أحد ، وقد يكون محتملا أيضاً أنها قد أدركت أن من السهل أن تروى قصتها لغريب من أهل قريتها فيصدق كل ما ترويه ويأنس به وبها ، وقد يكون غير ذلك ، فلست أدرى ما الذى أوحى إلى مارتا أن تستوقفنى ذات يوم وقد مررت بحقلها على فرسى فطلبت إلىّ أن أترجل وأدخل مثواها لأشرب قدحاً من اللبن ؛ ثم راحت بعد ذلك تحدق فى بعينيها الزرقاوين ، وقد لاح عليها أن لديها ما تريد أن تقوله وما لا تريد أو ما لا تقوى على أن تقوله ،

فلقد لاح عليها تردد بيّن ثم تنهدت وهي تقول :

— ربما بلغك عنى ما يلغط به القوم هنا ... إن ذلك كله هراء محض ، وقمين بك ألا تصدقيه . كلا ... إنه لم يهجرنى وسيعود ... أجل سيعود .

ثم نهضت متثاقلة كأنما تحس على كاهلها عبء سنيها وانحنت على صندوق مزركش وأخرجت منه ورقة مطوية . كانت تلك الورقة رسالة تحمل تاريخاً قديماً واسم مدينة (بروكلين) ثم قالت وهي ممسكة بها : لقد كتب إلىّ هذه الرسالة . كتبها بلغة الحب الصادق . لقد أذاب قلبه فى رسالته هذه يناجينى فيها بأعذب الألفاظ . ثم عادت تحدق فىّ كأنما استقر خاطرها على رأى فجأة وقالت : إننى أعرف بالطبع أنها رسالة غرام . ولطالما تمنيت أن أطلع على ما فيها فأعرف كل كلمة حبيبة كتبها إلىّ .

وإنك لتعلمين أننى أمية لا أقرأ .

وليس فى القرية من أثق به فأطلب منه أن يقرأها لى؛ والنساء يحقدن علىّ لأن زين الشباب أضحى أسير حبى ؛ والرجال يمقتوننى لأننى لم أرض بأحدهم زوجاً ؛ إذ كل ما يبغونه من زواجى لو تم ذلك لا يعدو الحقل . لذلك احتفظت برسالتى فلم يطلع عليها أحد . على أننى غالباً ما أخرجها من الصندوق ثم أعدو بالفكر فى مجالى الخيال أحاول أن أتصور مايعبر عنه من العواطف ويزدان به من المعانى ، وإنه ليسعدنى أن تقرأيها أنتِ علىّ إذا سمحت بذلك .

فأخذت الرسالة ، وقد كان واضحاً أن كاتبها ليس على شىء من العلم ، ثم أخذت أقرأها لنفسى قبل أن أتلوها عليها . ولقد جلست إلى جانبى ، كأنما تلوذ بى مما تحسه وتفيض به من تلك العاطفة الجموح . وكانت عيناها الظامئتان المترقبتان لا تتحولان عنى .

ولقد قرأت رسالتها مرة وثانية وثالثة ، وقد أفزعنى أن أجدنى أرتعش ، وأخذنى دوار حاد ، إذ لا بد أن يكون الرجل ثملا حين أنشأ هذه الرسالة ؛ فلا يمكن لمخلوق بغير الخمر أن يثور فى نفسه كل هذا الحقد وكل هذه القسوة . مما لا يمكن تصوره فى حنايا إنسان . كان كل ما فى الرسالة سخرية من هذه البلهاء الدميمة التى صدقته فى تظاهره بالحب ، ولم تعجز منشئها دقة الوصف وسعة العلم بما يزرى بمارتا ويخزيها ، ولم يفته مظهر من دمامتها يتهكم به ويسخر منه . كان يسخر من أهداب عينيها كأنما هى شعرات خنزير ، ومن جسدها كأنما هو كتلة واحدة من العظم ، ومن فمها الواسع كأنه فم ضفدعة أو أوسع وأبشع . وحين ينتهى من وصفه اللاذع لمارتا وتهكمه بها يتحدث مزهواً عن فتاته الأمريكية الحسناء التى تجلس إلى جانبه وهو يكتب رسالته . هذه الفتاة التى يقول عنها إنها مشرقة كالزهر ، منيرة كالبدر ، تبتسم فتبدو كزهرة الربيع .

ثم روى لمارتا أنه حدّث فتاته بحديثها ، حدثها عن امرأة بلهاء جُنّت به ووهبته كل مالها لكيما يبلغ هذا البلد السعيد الذى يعج بالنساء الفاتنات .

ولقد ألحت علىّ مارتا بعد ذلك ، تسألنى فى لهفة وتحرق ، ما ذا يقول ؟ لما ذا لا تقرئين ؟ ما ذا تنتظرين؟

لقد كذبت عليها ، وماذا كان فى طوق أن أفعل ؟ رحت أحدثها ويدى ترتجف وقلبى من الغيظ يتلوّى ،أن بوريس يذكرها أبداً ولا يملّ ذكراها ، وإنه ليذكر طول عمره ذلك الزمن الذى قضياه معاً . ثم رحت أصف لها شدة شوقه إليها وأنه سيعود ذات يوم حينما يفرغ صبرها وتيأس من رحمة الله ، ليفوز بها ولن يتركها بعد ذلك العمر كله .

لقد كنت أجد الكذب شاقاً على نفسى مجهداً لها ، فلقد أمضنى الرثاء الذى أحس به لهذه البلهاء حقاً ، والاشمئزاز الذى أفيض به لذلك الذى عبث بها وتنعم بمالها ثم راح يسىء إليها قدر ما أحسنت إليه . على أننى وجدتنى بعد بضع جمل أتقن الكذب وأجيده . فرحت أجهد خيالى وأعنت ذاكرتى لتسعفنى بما تعى من شهيرات رسائل الحب التى قرأت .

ثم ألقيت بالرسالة بعد ذلك على المنضدة ، فأمسكت بها مارتا وهى على حال شديدة من الاضطراب . كانت كهيكل من الخشب بعثت فيه الحياة فجأة ، فلم يعد يبدو عليها ذلك العبوس ، وتلك البشاعة . كل ذلك انقلب الآن فى وجهها إلى عذوبة وإشراق وحياة .

ثم راحت تتحدث إلىّ بخفوت حتى لكأنها تحدث نفسها..

كتب إلى كل ذلك ؟ كل ذلك ؟ كل هذه الألفاظ الحلوة العذبة !! كل هذا الحب ... لى أنا ! ؟ ثم تنهدت وقالت : على أننى لسوء الحظ لا أستطيع أن أقرأ كل هذا بنفسى . لماذا لا أتعلم القراءة ؟ ... أرينى بالله فى أى سطر منها يؤكد شدة حبه إياى وشوقه إلىّ ، وأين

كتب يقول إنه سيعود حينما يعينني الصبر .

ولقد أريتها بعض السطور فى أول الرسالة وأخرى فى آخرها..
فهزت مارتا رأسها وقالت : لو كان لى علم ذلك . حينما كربنى الهم وأمضنى اليأس وأضنانى الانفراد . لو أننى كنت أستطيع أن أقرأ على نفسى هذه الرسالة الحبيبة كل يوم ... ثم راحت تحدق فىّ كطفل يستجدى حلوىً وتقول : يا صديقتاه أخبرينى . هل يستطيع مَن فى سنى أن يتعلم القراءة ؟ ...

ولقد راعنى قولها هـذا حقاً . على أننى قلت لها : إن هذا لغاية فى الصعوبة . ولـكن ما الذى يدفعك إلى هذا وأنت تعلمين الآن ما كتب إليك ؟ فقالت : هذا صحيح . ومع ذلك فإننى أحس رغبة ملحة فى أن أقرأ الرسالة بنفسى لـكى أتملى بكل حرف منها ... على أى حال لا بد أن أكلم معلم القرية فى ذلك .

ثم غلبها الصمت فراحت تحلم . وقد فاضت عيناها بالدمع غبطة. واستسلمت لأمانيها وأحلامها ، فلم تفطن إلىّ وأنا أنسل من جانبها فزعة كأنما ارتـكبت إثما .

منذ ذلك اليوم حرصت على ألا أمر بحقل مارتا كلما امتطيت جوادى خيفة أن تبصر بى فتطلب إلى أن أقرأ الرسالة مرة أخرى فأتلوها على غير ما تلوتها أول مرة ، فيبعث هذا فى نفسها الشك .

على أننى عرفت مما تثرثر به عجائز القرية أن مارتا تقصد المدرسة مساء كل يوم فتمكث فيها ساعة أو تزيد، تتلقى على مدرسها دروساً فى القراءة . ولشد ما كان نساء القرية يضحكن وهن يلفظن بحديث مارتا ويقلن إنها تتعلم القراءة ... تتعلم القراءة فى سنها هذه ! ترى أ كان هذا لأنها ستصبح عما قريب سيدة ؟ لقد ابتاعت كتابا للأطفال وإنها لتجلس على مقعد أمام بيتها كل يوم ممسكة به وهى تردد حروفا منه : ألف — باء — جيم — قاف — طاء — هاء — قطه ..
وإن الناس لا يقوون على كظم ضحكهم مما يرون ، ثم يسترسلن فى ضحكهن ساخرات . أما أنا فقد وجدت فى الأمر غير ما وجدنه .
لقد كان فيه ما يبعث على البكاء رثاء لها وفزعا مما ينتظرها .

ولقد خرجت أتنزه ذات يوم فضللت سبيلى . ثم ألفيتنى بعد حين فى غاب خلف حقل مارتا . وكان الوقت خريفاً والهواء البارد يهب من البحر قارساً ، فلذت بالأشجار محتمية بها ، ثم رحت أزحف بين أفنانها ، فبلغ أذنى بغتة صوت أجش قوى النبرات ردد ألفاظاً بجد وقوة : بيت — حقل — كلب — بقرة .. وما شا كل هذه الـكلمات البسيطة الرقيقة التى كانت برغم ذلك تمهد السبيل الذى سيقود مارتا ذات يوم من النعيم إلى الجحيم .

وكان الصوت لا يزال يردد ... حقل ... الله ...

الله ! أجل ... إنه هو وحده القـادر على أن يبعث إلى مارتا بكسف من السماء يودى بها قبل أن تجد نفسها قادرة على أن تقرأ الرسالة ... الرسالة التى تفيض بالحقد والمقت والسخرية ... الرسالة القاتلة ... إنه القادر على أن يرحمها فيعمى عينيها الظامئتين المترقبتين قبل أن تستطيعا قراءة حرف .

وكانت ليلة ... أرخت فيها يد الخريف سدول الوحشة والـكآبة على الـكون ودوّت فيهـا العواصف القاصفة بالسهول ... وهدير البحر يتعالى مضطرباً صاخباً ، والأشجار العارية تمد أيديها كأنها تسأل النجدة أو تستغيث مما ترى وتسمع ... وأوراق الشجر تتناثر على الأرض فتلوح مما علاها كبساط مزركش زاه ... ثم أرسلت السماء بعـــد ذلك ثلجاً أبيض ناصعاً رقيقاً ، فكسا كل شىء رداء أبيض يشف عن طهر وروعة ، مبدلا بؤس الخريف وعبوسه دنيا بيضاء ... ناصعة البياض ، وكان هذا قبل عيد الميلاد بيومين ... حين تلجأ السـاحرات إلى مثواهن يخشين الأشباح التى تطوف فى الـكون كلما حان هذا الحين ... وعلى حين فجأة تبدى الـكون الأبيض فى وشاح قرمزى اللون يضطرب ويلتهب ، فلقد اندلعت نيران ، نيران هائلة ، أضاءت من تلظيها الغابة التى كانت تجاورها . ولقد أهرع رجال القرية وعمال المقاطعات الأخرى ليطفئوا النار ... ينير لهم السبل وهجها الأحمر . ولما بلغ القوم بيت مارتا الفوا حقلها يشتعل ، والريح الشمالية تقذف بألسنة ناره إلى كل جهة . وكانت الأبقار تخور فزعاً فيملأ خوارها الأرجاء ؛ والخيول مسّهـا خبل فأخذت تقمص حتى وجدت مخرجا فاندفعت منه إلى السهل الأبيض كأنها أشباح تطوف .

وأمام البيت الملتهب كانت تقف امرأة ... كان شعرها الأغبر الأشعث المنفوش يحيط بوجه كالح وعينين متحجرتين ... وكانت تقهقه ضاحكة ... فتعلو قهقهتها على خوار البقر وفرقعة الخشب المحترق ،ولقد لبثت حيناً بعد ذلك وهى تشهد كل ما حولها وتقهقه.

لقد قرأت مارتا الرسالة أخيراً ...

القدس **فيصل عبد الله الحامى**

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦٢١ — الاثنين ٢٨ مايو ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

13 me Année No. 621

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

Lundi - 28 - 5 - 1945

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٢١ « القاهرة في يوم الإثنين ١٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٤ — ٢٨ مايو سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الأسرة والمجتمع

للأستاذ عباس محمود العقاد

كل ما يفصله الأستاذ علي عبد الواحد في كتابه عن « الأسرة والمجتمع » ، أو في مقالاته بالرسالة يصلح لتقرير حقيقة واحدة ، وهي أن للمجتمع وآدابه شأناً في نظام الأسرة على اختلاف الأزمان والبيئات

وهي حقيقة لا حاجة بها إلى كثرة الأدلة والأسانيد ، لأن المجتمع قائم وقوانينه وعاداته قائمة كذلك ، وليس في وسع أحد أن ينكرها أو ينكر أثرها في معيشة الأسرة ولا في معيشة الفرد حيث كان

إن الأسرة تتأثر بالمجتمع وعاداته وقوانينه ، وهذا أمر بيّن بالبداهة كما هو بيّن بالمشاهدة العلمية ، فلا ينكره أحد ولا يحتاج القول به إلى إسهاب في الأدلة والأسانيد ، إلا إذا كان إثبات الأدلة والأسانيد من قبيل الإحصاء والتقرير

لكن الحقيقة التي نقررها نحن هي شيء آخر غير هذه الحقيقة ، وهي أن الغريزة لها شأن في تكوين الأسرة ، وأن المجتمع لا ينزع الغرائز نزعاً حين يتولى تنظيمها وتوجيهها إلى وجهاتها الكثيرة ، وليس إثبات الآداب الاجتماعية بمنكر للغريزة ولا بمبطل لعملها في نشأة الأسرة ولا في نشأة الاجتماع نفسه وما يتفرع عليه من الآداب والقوانين

وقد يخالف المجتمع الغريزة في وجهته وغرضه ، فلا يكون ذلك دليلا على أن المجتمع وحده هو الموجود وأن وجهته وحدها هي المحسوبة ، وإنما يكون دليلا على وجود شيئين مختلفين ، وأنهما على اختلافهما أو اتفاقهما لا يعملان منفردين

فإذا ناقشنا الأستاذ علي عبد الواحد في أمر الأسرة والغريزة فليس سبيله في مناقشتنا أن يثبت لنا وجود المجتمع وآدابه ، فإن هذه الحقيقة في غنى عن الإثبات ، ولا حاجة بأحد من علماء الاجتماع إلى إثبات وجود الاجتماع ، وإنما سبيله أن يورد لنا الأدلة التي تمنع وجود الغريزة أو ظهور أثرها في نشأة الأسرة ، وليس لعلماء الاجتماع دليل على ذلك فيما أوردوه أو استخلصوه من المشاهدة والإحصاء

فلا ريب أن حاجة الطفل الإنساني إلى الحضانة الطويلة لم يكن عملا من أعمال الاجتماع ، ولكنه عمل من أعمال الغريزة التي لا تختلف هنا أو هناك باختلاف قوانين الاجتماع

ولا ريب أن العلاقات بين أفراد الأسرة الواحدة تتوقف على الغريزة ولا تتوقف على آداب الاجتماع ؛ فإن عطف الأب والأم على ولدهما أشد في كل مجتمع من عطف الولد على أبيه وأمه ،

ولو لم تكن غريزة حفظ النوع هى الغريزة الغالبة فى إنشاء هذه العلاقات لكان حب البنين للآباء كحب الآباء للبنين ، بل لوجب أن يختلف الأمر اطراداً إذا كان مرجع الأمر كله إلى آداب الاجتماع ، لأن حاجة الأبناء إلى الآباء من الوجهة الاجتماعية أكبر من حاجة الآباء إلى أبناء

ولا يقال فى هذا الصدد إن بعض الآباء قساة وبعض الأبناء رحماء ، فإن الغريزة الحيوانية أو الإنسانية لا تستلزم المساواة بين جميع الأفراد ولا تمنع الشذوذ فى بعض الأحوال

وقد وجدت الصلة بين الأم وذريتها ، حيث لا يوجد شىء قط غير قوة الغريزة فى أحوال الفرد أو فى أحوال الجماعة ، فوجدت هذه الصلة فى الحشرات والهوام وتتابع الارتقاء فيها على حسب الارتقاء فى نمو الغريزة لا حسب الارتقاء فى آداب الاجتماع

وجاء فى كتاب الحشرات الاجتماعية للأستاذ وليام هويلر أستاذ علم الحشرات بجامعة هارفارد : « إنه قد حدث على التحقيق تطور طويل الأمد فى أدوار عدة تزداد بها الصلة بين الأم وذريتها منذ الدور الأول الذى يخلو من كل اكتراث بالذرية إلى الدور الذى يتم فيه التعاون المتبادل بين الفريقين ، ونستطيع أن نرتب سلسلة هذه الأطوار على ما يأتى دون أن نتوقف لإيراد الشواهد التى سيمر بك الكثير منها . فهى على هذا الترتيب :

أولا : تبذر الأم بويضاتها فى البيئة التى يعيش فيها أبناء نوعها ، وقد تبذر البويضات فى بعض الأحوال إلى جانب المادة الغذائية التى تأكل منها بعد فقسها

ثانياً : تضع الأم بويضاتها على جزء من البيئة كأوراق الشجر التى تصبح غذاء للديدان المفقوسة

ثالثاً : تزود بويضاتها بغطاء واق ، وربما اقترنت هذه الحيطة بالدورين الأول والثانى اللذين تقدما

رابعاً : تبقى الأم مع بويضاتها والديدان المفقوسة منها وتحميها

خامساً : تضع بويضاتها فى حرز مصون أو مكان مهيأ لها — كالعش وما إليه — مع مؤنة من الغذاء ميسرة للديدان بعد فقسها

سادساً : تقيم مع البويضات والصغار وتتعهدها بالوقاية والتغذية

سابعاً : أما الدور السابع فلا يقتصر الأمر فيه على حماية الأم لصغارها وتغذيتها ، بل تنمو الصغار وتتعاون معها على تربية نسل آخر وتستمر الأمهات والأبناء فى معيشة سنوية أو معيشة دائمة ... »

فالغريزة قد أنشأت الأسرة المتعاونة بين الحشرات حيث لا عمل للاجتماع قط بمعزل عن الغرائز الحيوانية ، وقد أصبح للآداب الاجتماعية فى النوع الإنسانى عمل غير عمل الغرائز وما شابهها ، فجاز أن يقال فى بعض العادات والمشارب إن هذا من وحى الغريزة ، وهذا من وحى الاجتماع . ولكننا إذا رجعنا بالاجتماع إلى أصوله لم نكد نعزله عن الدوافع الغريزية أو الدوافع الحيوانية البيوليوجية ، لأن الاجتماع على التحقيق لم يكن من اختراع الأفراد وإنما كان من إيحاء النوع بأسره حيثما كان ، وكل ما كان « إيحاء نوعياً » ، فهو إيحاء غريزة فطرية على وجه من الوجوه

إننا نحب أن نؤكد هذه الحقيقة ، لأن إثبات الحقائق واجب لغير علة ، ولأننا فى زمن خلقت فيه العلل الكثيرة لتعزز مكان الأسرة من الطبيعة الإنسانية والفضائل الخلقية ، سواء رضى عنها دعاة المذاهب أو أغضبتهم عليها عوارض الدعاية ومراميها

والعلماء الاجتماعيون الذين درسوا نظام الأسرة وقرروا ما قرروه عن ارتباطها بالآداب الاجتماعية براء من غرض الدعاية ومن كل غرض غير تقرير الحقيقة العلمية كما يرونها ، ولكن الحقائق العلمية قد ابتليت اليوم بمن يسخرونها عامدين أو غير عامدين فى خدمة مذاهبهم الهدامة وفى طليعتها الدعوة الماركسية ، ولم يفتح الله على دماغ كارل ماركس بشىء يفهمه ويرد إليه بواعث الاجتماع ، وكل باعث من بواعث الحياة غير الاستغلال وابتزاز الأموال ، فما هو إلا أن رأى فى زمانه أناساً يستخدمون أبناءهم فيما ينفعهم ويستعينون بهم على مصالحهم أو يرهقونهم فى جمع ثروتهم حتى جزم بفساد نظام الأسرة وقيامها جميعاً على أساس الاستغلال

الحياة صادقة !

بين الصوفية البلهاء والمادية الصماء !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

الاعتراف بما أخرجته الحياة — السبيل إلى تعديل المادية الصماء — المجال الخصيب للجهد البشري — قضية لا شك فيها — الفكر والعمل — موازنة — عوامل الحياة أمينة — كفاح الحياة لحفظ الأحياء — إشارات إلى المستقبل

كل ما نجده في الحياة يجب الاعتراف به وعدم إسقاطه من حسابنا ... فإذا ثبت أنه ينمي عوامل الحياة ، وأنه من وسائل تقدمها المادي والمعنوي ، فهو إذاً من عالم الخير والصلاح ، ويجب الوقوف في صفه والدفاع عنه والإكثار منه ... وإذا ثبت أنه من عوامل الإفناء والفساد ، أو من معوقات تقدم الحياة ، وجب الوقوف في وجهه ومكافحته وإفناؤه .

وعلى هذا ينبغي ألا نثور على أي عامل من عوامل نمو الحياة وصلاحها ، مهما بدا أن فيه تكليفاً مجهداً ، كما ينبغي ألا نبقي على أي عامل من عوامل فساد الحياة ، مهما بدا أن فيه لذة عاجلة .

ومصلحة الاجتماع البشري كله هي محور هذا ؛ لأن حياة الاجتماع هي طريق الترقي والقدرة على تسخير عوامل الطبيعة . فلسنا نستطيع السير وراء النظريات التي تنظر إلى الأفراد كوحدات مستقلة عند ما نتحدث عن الإنسانية العامة ، بل لا نستطيع السير في هذا المقام وراء النظريات التي تنظر إلى الشعوب والأمم كوحدات مستقلة ، وإنما نسير وراء النظرية التي ترى إنسانية واحدة أمام طبيعة واحدة !

تلك أولى المقدمات في السبيل إلى إدراك صدق الحياة ،

والتسخير ، وإن المسألة كلها « حسبة اقتصادية » ومضاربة مالية تتبدل من زمان إلى زمان كما تتبدل صفقات الإنتاج وأسعار الأسواق

وكارل ماركس قد رأى أناساً يرهقون أنفسهم في طلب الرزق ويعملون فوق طاقتهم لادخار القوت أو الثراء ، ولعل هؤلاء أكبر عدداً ممن يرهقون الأبناء والبنات في طلب المعاش وهم مكرهون أو مختارون، فلماذا أبطل عواطف الأسرة وأواصر الأبوة والأمومة ، لأن بعض الآباء والأبناء ينتفعون بجهود أبنائهم ويسرفون في الانتفاع ، ولم يبطل عواطف « الأنانية » وحب الذات أو حب البقاء ، لأن أناساً من الخلق يجورون على أبدانهم وأذهانهم وهم يعملون لجمع الحطام ؟ لماذا تكون الأسرة « غير طبيعية » ، لأنها تسخر للمنفعة ولا تكون « الأنانية » غير طبيعية كذلك لأنها تسخر للمنفعة على هذا المنوال ؟

إن حاجة النفس الإنسانية إلى وشائج الأسرة لم تبطل قط في مجتمع من المجتمعات ، وإن آداب الاجتماع قد تفيد في إصلاح الأسرة أو وقايتها من عيوب الأفراد سواء كانوا من الآباء أو الأبناء . ولكن المجتمع لا يملك دليلا واحداً يخوله إلغاء الأسرة — إن أراده — حتى لو صح أن المرجع إليه وحده في نشأة الأسرة وتتابع أطوارها ، لأنه يقيس على غير شيء حين يقيس المستقبل على الماضي في هذه القضية ، ويعتسف طريقاً جديداً لا مسوغ لاعتسافه من الطبيعة ولا من الاجتماع

ولست أعني بما تقدم أن كتاب الأستاذ عبد الواحد ينحو هذا النحو أو يفضي إلى هذه النتيجة ، لأنه في الواقع لم يعدُ تقرير الحقائق الاجتماعية التي حصلها أساطين هذا العلم ممن لا يدينون بالماركسية ، ولعلهم ينكرونها إذا عرضوا لها بالبحث والمناقشة ، ولكنني عنيت أن الكلام عن الأسرة في زماننا هذا خليق أن يقترن بالحذر والحيطة لئلا يؤخذ على غير مأخذه أو يعين على غير قصده . ولهذا رجعنا بنظام الأسرة إلى مرجعه من غرائز الحياة في أبسط الأحياء ، ولم نشأ أن نقصر الحكم فيه على الاجتماع أو من يصطنعون الدعاية الاجتماعية ، لأن الأمر أعظم وأبقى مما تتناوله المذاهب والدعوات

عباس محمود العقاد

وتصور ما بها تصوراً صحيحاً ، وتصحيح عقائد الناس فيها ، وحملهم على الكفاح لإسعاد أنفسهم فى رحلتهم إلى الأرض أولاً ، وإلى الملكوت الذى ينتظرهم بعدها ثانياً .

ولكن مع الأسف يحاول كثير من الأدباء والفلاسفة والصوفية أن يفروا من وجه الحياة وينطلقوا مما يسمونه سجونها وأقفاصها ، ويقللوا من قيمة الجانب المادى فيها ويقللوا تبعاً لذلك من قيمة الجهد الصناعى الإنسانى ، ولا يعترفوا بالأجسام والشخوص والشكول الواضحة التى تملأ الحواس ، وتشغل الوعى الذى وراءها ، وتثير كفاية العمل إلى تقليدها ومحاكاة نماذجها ... كأنهم لا يرضيهم إلا أن تكون الدنيا رموزاً مبهمة وأفكاراً طليقة غير محدودة ولا مُبَلْوَرَة ...

إن المادة التى بها يضيقون ذرعاً ، ويحاولون أن ينفلتوا من سجونها وأقفاصها خَلْقٌ عجيب لا يليق بنا أن نزعم تفاهة اتصال النفس به وإعمال الفكر به . وإن أساطين العلم فى حيرة من أمر نشوئها وتعدد عناصرها . وقد خلقنا فيها وصورنا منها ، لندركها ونتعرف إليها ونتعجب ...

إننا ندرك الله تعالى وقدرته وعلمه من عمله البديع فى دولة الأجسام والأشكال ... ولم يأخذنا جميعاً إليه بأى دليل إلا من الأدلة المبثوثة فيها أو المرتبطة بها ...

إنها من أوعية أسراره ، ومجلى أنواره التى يرسلها إلى عقولنا وقلوبنا حتى نهتدى إليه ونؤمن به من غير أن نراه .

فلماذا تلك الحملة عليها والإزراء بها والتهوين من شأنها ؛ كأننا صرنا خالقين مبدعين قد أبدعنا شيئاً غيرها أو ظفرنا جميعاً بأمر عجيب خارج عن نطاقها !

قد يكون من المعقول أن نتطلع إلى القدرة التى أبدعت الطبيعة متلهفين إليها أن تطلعنا على عجائب ما لا نراه مثل ما أرتنا من هذا العجب الذى نراه ؛ فإن هذا دليل على شدة الحساسية ويقظة الأشواق وحسن الإدراك والتقدير لتلك القدرة ... ولكن ليس من المعقول أن نحقر ما نراه ونزرى به ونزعم أنه تافه ، فتنبو عنه حواسنا وعقولنا ، ونبحث عما عداه من المخبوء ، ونتطلع إلى ما وراءه مع أننا لم نفرغ من استيعابه وإدراك جميع أسراره .

ويحاول آخرون أن يفضلوا حياة الأقدمين الخالين العجزة الجهلة على المحدثين القادرين ، ما دامت الحياة الحاضرة قد جرت هذه المتاعب وهذه الضجة الآلية التى ملأت اليابس والماء والهواء فأقلقتهم . فمذهب هؤلاء وأولئك بالطبع غير ملائم لنمو الحياة واطراد تقدمها ، فيجب إهداره وعدم الالتفات إليه ؛ لأنه مذهب فيه ارتداد وانتكاس وتشاؤم ومقاومة لدورة الفلك التى أعتقد أنها تجرى بالناس إلى غاية صالحة لا بد من الوصول إليها ، لأن الله لم يخلق هذا العالم الإنسانى لكى يضيعه أو يعوقه أو يفوّت على نفسه الغاية من خلقه .

هو مذهب يحول بين معتنقيه وبين حياة القوة والسيادة على مرافق الطبيعة ، وهى سيادة لا يظفر بها إلا من اتصل بها اتصالاً وثيقاً وتعرف إلى الأسرار المكنونة فيها ولم يقف عند حد مادامت الطبيعة تفتح له أبوابها وترفع أستارها ...

ومع أن مذاهب الإزراء والتحقير للمادة وشئونها والتشاؤم والنظر إلى الوراء دائماً والانتقاص على الحاضر ، لم تظفر فى مرحلة من مراحل تاريخ الإنسانية ، ومع أن الإنسانية لم تلتفت لقائليها أى التفات يبرر مضغ قضاياها وترديد دعواتها ... نجد كثيرين من الدعاة الدينيين والفلاسفة والشعراء يصرون على إحياء الدعوة إليها وتحكيمها فى الحياة وإفهام الناس أن فى الأخذ بها عقلاً وحكمة وإصابة لأهداف الحياة ... واعتقادى أن أكثر الإخفاق فى تعديل العقلية المادية الصماء وتقليل جشعها وتوسيع ضيقها راجع إلى هذه المغالاة من هؤلاء السادة فى إهدار القيم المادية للحياة ، وإلى مبالغتهم فى تجريد الحياة الإنسانية من ملابسات المادة ، وإلى افتراء أكثرهم فى إلصاق مذهبهم هذا بالمسألة الدينية التعبدية التى هى لباب القلب البشرى ومصباح العقل الإنسانى . حتى لقد أعرض وأجفل كثير جداً من الناس من الإقبال على الله والاعتقاد به ، وحاول كثير منهم أن يخفتوا صوته المجلجل فى ضمائرهم ويتجنبوا التفكير فيه ، حتى لا يحرمهم ذلك من تذوق الحياة فى دنياهم والعمل المادى فيها والإحساس بها والتمتع بطيباتها التى رأوا هؤلاء المتشائمين المحرومين يقبحونها وينفرون عنها ، ويزعمون أنها عبث ومأساة وخديعة ومجلبة لسخط الله وخذلانه ...

لقد ثبت أن المادة هى مجال عمل إنسانى خصب ثابت دائم

النفع للإنسانية جميعها ، وأنها هى الشىء الوحيد الذى تلتقى فيه الإنسانية بأفكارها وأيديها ، وترتفق منه مرافق نفعها جميعاً .

أما المذاهب والفلسفات النظرية فلم تلتق فيها للآن . فلا غرو إذا كان الإكثار منها والإسراف فيها مما يزيد الإنسانية افتراقاً وبلبلة وتقطع أمر .

وقد يجد أنصار الشك سبيلا إلى كل قضية فكرية ، ويستطيعون أن يلبسوا فيها حقاً بباطل ، ويقيناً بشك ، إلا قضية فكرية واحدة ، هى قضية « تفوق » الإنسان واطراد تقدمه المادى المبنى على أساس إدراكه أسراراً من الطبيعة . وهذا يجعلنا نتجه إلى إعطاء هذا الجانب من حياته أعظم اهتمام ، حتى نخترق به حجاباً وراء حجاب مما يدنينا من الراحة والسعادة والعلم بالأسرار ؛ بل يجب أن نتخذ هذا الجانب العظيم فى الإنسان أساساً للإيمان به وبصدق الحياة كما هى ثابتة فى فكره العام . وإن هذا يعطى المثبتين لحقائق الأشياء حججاً دامغة ، ويقضى على مذاهب السفسطة والتشكيك . بل متى اتخذ هذا الجانب العظيم أساساً لحياة الفكر صح اعتباره أساساً للوحدة الإنسانية الشاملة التى طالما دعا إليها النظريون فلم يستمع إليهم إلا الأقلون ؛ لأنهم اعتمدوا على نظريات تختلف باختلاف الأجناس والبقاع ، وليست عامة يراها سكان الأرض جميعاً رؤية واحدة ويخضعون لنتائجها خضوعا واحداً كما هو الحال فى رؤيتهم وخضوعهم لنتائج الأبحاث الطبيعية ذات الآثار الواحدة فى جميع الأمكنة والأزمان .

ولقد أثبتت سيادة الغرب على الشرق أن عالم القوة المادية هو أساس حياة الحق وعمادها ، وأن الحق المجرد لا يعدو أن يكون فكرة فاكر ، أو حلم حالم ، ما لم تبرزه القوة المادية وتجسمه فى أشخاص وآلات .

وبعد أن رأينا مَرَدَةَ الجو والبحر والبر يقذفون القنابل مصارعَ لراهبات الكنائس ، وأطفال المدارس ، وعجائز المنازل ، وغير هؤلاء من عباد السلام والحق والرحمة : كيف يصح لنا أن نقول إن هناك حقاً يدافع وحده عن نفسه أمام باطل مدرع بيأسه ؟ !

وبعد أن رأينا أمماً كأمم الهند وشمال إفريقية تعبد الله بالأقوال والأشعار ، وتسبح بحمد الحق ليل نهار منذ مئات السنين ، فلم يحمها ذلك أمام سيادة القوة وجبروتها ؟!

إننا لم نجد غير الأقوياء بالقوة المادية مصطلعين بأعباء الحياة الاجتماعية ، فهم أسرع الذين يؤثرون فى الأخلاق وفى سير الحياة ، ومن عداهم فلا تأثير لهم فى مجرى الحياة إلا بمقدار ما تسمح القوة المادية بدراسة آرائهم ومذاهبهم . فلو أن ذوى الأفكار العليا والأخلاق الكاملة التمسوا القوة المادية كالتماسهم الحق ، وأثروا بها فى مجرى حياة الجماهير ، إذاً ما وجدنا هذا التخلف الفظيع بين حياة الفكر والخلق وحياة الواقع .

مهما صفا الفكر وامتلأ بالخواطر الراجحة الكريمة فلن يجدى المجتمع جدوى واسعة متعدية ، إلا إذا عاونته اليد بوسائل تنفيذ ما يمتلئ به .

ومهما امتلأت المعابد فلن يجدى امتلاؤها الحياة شيئاً ، إلا إذا امتلأت الشوارع والمعامل والأسواق والحقول والجيوش بمن ينفذ روح العبادة فى هذه المجالات .

كل فكرة معرضة للفناء السريع ، أو للركود والدفن فى الصحف ، إذا لم يسعفها التجسيم والتشكيل والتطبيق .

والفكرة إذا جسمت فى قالب دخلت باب الوجود الحسى ، وصارت محلا للتحسين والنمو والتجميل ممن يأتى بعد صاحبها الأول . أما إذا تركت حيث انبثقت فهى كائن موقوت من عالم الأطياف !

فيا رجال التصوف والشعر من كل جنس ! لا تحاولوا أن تصرفوا الناس عن حياتهم المادية ، فقد صارت جميلة معقدة منوعة مغرية ذات قيمة كبيرة وسلطان على النفوس ؛ وحاولوا أن تفهموا أنتم وأن تفهموا الناس أن الدين جزء من الحياة ، وليس منفصلا عنها إلا فى جزاءاته الموعودة فى المصير الآجل المحتوم .

ومن السهل إفهام الناس ذلك فى هذا العصر الذى اتسعت فيه أدوات الإقناع والتأثير .

اجعلوه امتدادا لأحلام الناس فى السعادة والجمال الذى يفتنهم من دنياهم ، ولا تجعلوه حرماناً وخواطر وضعف تشاؤم وبكاء .

اجعلوا الأخرى صورة كاملة مضخمة دائمة من هذه الآثار الناقصة الفانية

ومن السهل أن تجدوا من منطق العقل ومنطق الوجدان

ومنطق القدرة العملية للانسان حججاً للاقناع ...

***

أيهما أوقع فى النفس وأشد إثارة لابتهاجها بالحياة ؛ وأدعى إلى الفرح بالإنسانية : أن نظهر الوحدات الإنسانية فى حشود استعراضاتها النظمية والرياضية ، ومواكبها الفنية التى تظهر جمال أجسامها وإشراق ديباجة الحياة بها ... أم أن نظهرها فى أفراد منثورة و زُمَر مبعثرة من الفقراء الضعاف العجزة الجهلاء المهزولين المكتئبين المتشائمين ، الذين يقتلهم الصمت والعزلة والوحشة ، قد طمست نضرة الحياة فى وجوههم ، وانطفأ نورها من عيونهم ، وخمدت شعلتها فى قلوبهم ، وتعطلت أيديهم من العمل ، وأذهانهم من العلم فليس لهم مهارة فى مهنة ، أو أثارة من علوم الدنيا ؟

لا شك أن رؤية استعراض عسكرى أو نظامى أو رياضى كاف أن يقذف فى قلوب المتشائمين شعلا وشُحَناً كهربية تردهم إلى الفرح بالحياة والحماس لها ، وللمعيشة بالأجسام عيشة رحبة ، إن كانوا ذوى طبع سليم يستجيب لعوامل الحياة .

إننا نستطيع أن نقول : إن أجسام الإنسانية ماهى إلا نبات ، كله وظهور أسراره والابتهاج به يكون عن طريق تصحيح أعواده وتقويتها وتجميلها إلى آخر حدود الصحة والجمال .

وإذا تفتحت أجسامنا فى صحة وقوة وجمال كما تتفتح الأزهار وتنضج الثمار ، حملنا ذلك على أن نحب الحياة وتحبنا ، ما دمنا قد جعلنا عقولنا وقلوبنا كمناطق النمو التى فى النبات ، محفوظة من الآفات وعوامل الفساد . وإن كل تنظيم جسمى ومادى مما يكون فى ذات الإنسان أو فى مرافق حياته يزيد فى ثقة الإنسانية بنفسها ، ويوضح أسرارها ، ويجلو امتيازها على غيرها .

وقد تدخلت يد الإنسان فى نبات الحقول ، ووزعت البذور بحيث ينال كل منها حظه وحقه من الماء والهواء والضوء ، وتنبت أعواده متباعداً بعضها عن بعض بدون احتكاك وطغيان ، وسهرت عينه عليها تحرسها من الآفات والجراثيم الضارة ، فخرجت أعواده وأوراقه وثماره مخضلة وارفة راقصة ، تعطى الأرض الجمال والنماء وسداد الاحتياجات .

وكذلك فعلت مع الحيوان ، فأجسنت نسله وتخيرته ومنعت طغيان بعضه على بعضه ؛ وروّضته واستأنسته حتى صار منظره فى المراعى والحظائر كذلك يعطى الأرض جمالا ورواء ومنافع .

فما بال يد الإنسان لا تتدخل فى مناطق نمو النفوس والأجسام الإنسانية بالتعليم والتهذيب والتربيب والتجميل ، بل تركتها تنمو نمواً « شيطانياً » متطاغياً ؟

ولقد أرى الوجه المُشوَّه الأكْمَهَ المَجْدُورَ القبيح المُركَّبَ على جسم مهزول ، والخامل للسانٍ قذرٍ وعقلٍ ممسوخ ، فأقول : هل يجوز أن تخرج ثمرة بطبيعتها إلى الحياة هذا الخروج ؟ ! أم أن هناك اعتداء على عوامل التكوين والتجميل التى تولت إخراج هذه الثمرة منع عنها الصحة والجمال ؟ !

إنه اعتداء مسلسل فى الأنسال المتحدرة فى أجيال الجهالة والضلال ...

فاسألوا الأمراض الخبيثة الوراثية ، وسلوا الأغذية السامة ، وسلوا الإهمال الشائن للأبوة والأمومة ؛ ولا تتهموا عوامل التكوين الأمينة الدقيقة .

إن كفاح الحياة الإنسانية فى سبيل حفظ ذاتها كفاح هائل ! فبرغم عوامل الفناء والدمار قد كثر عدد الإنسانية كثرة غصت بها أكثر بقاع الأرض خصوبة ، وضوعف عدد كل أمة أضعافاً مضاعفة ، وصارت مجموعات الناس وتشكيلاتهم أمراً لا يقاس به ما كان لهم فى القديم . وهذا مما يدل على أن شجرة الحياة الإنسانية وفصائلها خلقت للنمو والصحة والقوة والإنتاج ، وملء المسرح الأرضى الذى قدر عليها أن تمثل دورها فيه .

فنمو العدد ، ونمو صحة الأجسام ، ونمو العلوم ، ونمو الاختبارات والتجارب ... كل أولئك إشارات بليغة من حياة صادقة إلى مستقبل سعيد لهذا النوع الذى لمَّا يعرف أسراره بعد ! ...

عبد المنعم خلاف

البحث العلمي

أصوله وآدابه

للدكتور محمد مأمون عبد السلام

غريزة البحث

غرض كل حي المحافظة على نوعه ونشره فى الأرض . فيستعين الحيوان على اختلاف أنواعه لبلوغ هذه الغاية بغريزة البحث وحب الاستطلاع . فالحيوان ومنه الإنسان يولد جاهلا بما حوله من البيئة لا يعرف عنها شيئاً . فيأخذ من وقت ولادته العلم عن كبرائه ويستمر طول حياته فى التحصيل مدوناً فى مخه مشاهداته واختباراته مستنتجاً من نتائج تأثيرها عليه ما يساعده فى منع الضرر عن نفسه وما يعود عليه بالنفع .

ولما كان الإنسان يمتاز بعقله عن غيره من أنواع الحيوان فإنه يدأب فى تعرف أسرار ما يصادفه فى حياته بقدر طاقة عقله البشرى . ويلقن خبرته وما كشفه من أسرار الطبيعة لسلالته لتتوفر لهم وسائل الحياة ولترتقى معيشتهم .

فالبحث إذن هو القوة الدافعة للإنسان على اختلاف أجناسه لكشف أسرار ما حوله فيضع مشاهداته موضع التجربة لكى يصل إلى نتيجة عملية نافعة . ولولا البحث لما قهر الإنسان الطبيعة وسخرها لخدمته ولما وصل إلى ما هو عليه من الرقى . ومن الخطأ أن يعتبر البحث حرفة أو صناعة يختص بها أفراد دون آخرين . فهو مشاع لكل مخلوق يريد الحياة ، فلكل إنسان بحاث فى حرفته ، ولكل حرفة بحوثها ، فما تقدمت الحرف والصناعات الا بسلسلة متواصلة من التجارب تناقل نتائجها الخلف عن السلف فنشأت العلوم وتنوعت أبوابها بتراكم خبرة بنى الإنسان .

توزيع العمل والتخصص

كلما تقدم الحيوان فى مراتب الحياة الاجتماعية ينزع بغريزته إلى توزيع الأعمال وتخصيص الأفراد كل فى عمل خاص إتقاناً له وتسهيلا لحياة المجموع . فالتخصص إذن ظاهرة طبيعية تشاهد فى شتى أنواع الحيوان . فنراها واضحة جلية فى الحشرات الاجتماعية كالزنابير والنحل والنمل والأرضة . ونراها فى أكمل صورها فى الإنسان ؛ لأنه بطبيعته مدفوع إلى التخصص لما اتضح له بالتجربة من امتياز بعض الأفراد دون غيرهم بإتقان نوع خاص من العمل يميلون بطبعهم إليه . فإذا وزع كل عمل على من يتقنه أدى ذلك إلى سرعة إنجاز الأعمال وإتقانها والاقتصاد فى نفقاتها .

والتخصص فى الأعمال موجود حتى فى أحط الشعوب دركة فى المدنية . فنرى فى الجماعات التى تعيش على الفطرة أفراداً يبرعون فى اقتفاء أثر الفريسة فيسترشد بهم قومهم فى الصيد ، كما أن منهم من يتخصص فى الريافة وهو علم استنباط الماء من الأرض بوساطة بعض الأمارات الدالة على وجوده فيعرفون دون سواهم بُعْدَ الماء وقربه من لون التربة وشكل سطحها ورائحة ترابها وبما ينمو فيها من النباتات الخاصة وبحركة الحيوانات التى تعيش فى باطنها . كما أن منهم من يتخصص فى معرفة فوائد الأعشاب فيبرعون فى استعمالها لمعالجة قومهم ، وهكذا يتدرج الإنسان فى التخصص ويبرع فيه كلما ارتفعت مرتبته فى المدنية . فنشأ عن تراكم الخبرة أن وضعت أسس العلوم ونظمت فروعها إلى أن أصبحت كما نراها اليوم .

بدأت العلوم نظرية ، وذلك أن ذوى العقول الممتازة من بنى الإنسان فكروا فيما حولهم من دقائق الكون مدفوعين بقوة عقلهم وصفاء روحهم وعمق تفكيرهم ، فاجتهدوا فى حل أسرارها عن طريق المشاهدة والاستنتاج المنطقى المؤيد فى كثير من الحالات بتجارب عملية تؤيد صدقها . وبهذه الوسيلة وضع علماء الأمم السالفة من مصريين وبابليين وهنود وصينيين وإغريق ورومان وعرب وغيرهم الحجر الذى أسست عليه العلوم الحديثة .

فالعلوم السماوية والفلسفية هى أول ما شغل عقول البشر . أما العلوم المادية الحديثة فلم تصل إلى حالتها من التقدم إلا بعد مشاهدات ودراسات وتجارب بنيت على أسس علمية وقواعد منظمة قام بها عدد عظيم من البحاثين المدربين على أسس البحث السليمة فى جو يضمن لهم مطلق الحرية فى إدارة بحوثهم من غير

أن يتأثروا بالمؤثرات الخارجية التي تعطل سير تفكيرهم وقيامهم بحل ما يطلب منهم من المسائل مستعينين برؤساء متيني الخلق مجردين عن الأهواء والأغراض المفسدة للنفوس . لا هم لهم سوى الوصول إلى الحقيقة المجردة لخير بنى وطنهم خاصة والإنسانية عامة

والواقع أن المدنية الغربية الحديثة لم تصل إلى ذروتها المعروفة إلا بفضل من كونتهم من جيوش البحاثين فى العلوم الطبيعية والكيميائية والطبية والبيولوجية والهندسية وغيرها . وقد أخذت فرق هذه الجيوش تزداد بتشعب العلوم وتقدمها إلى أن عمت كل مرافق الحياة الحديثة ، فأصبح لكل مهنة وحرفة وصناعة معاهد للبحث خاصة بها ومؤتمرات دولية يعقدها أفرادها لمناقشة دراساتهم ونتائج بحوثهم، فأصبح كل مصنع من المصانع الحديثة مزوداً بمعهد للأبحاث كامل العدة يقوم فيه اختصاصيون يجرون البحوث للتوصل إلى رقى هذه الصناعة وتقدمها تقدما يضمن للمصنع خاصة وللبلاد عامة التفوق فى جودة منتجاته وسرعة إنتاجها مع رخص ثمنها وذلك لكسب معركة التنافس . وهم ينشرون نتيجة بحوثهم فى نشرات ومجلات علمية تتداول فى جميع أصقاع الأرض . ومن أمثلة ذلك معاهد البحوث الخاصة بصناعات البيرة والشوكولاته والخبز والصناعات الزراعية على اختلافها كحفظ الخضر والفاكهة واللحوم والألبان ومشتقاتها بالوسائل المختلفة التي من أحدثها التجفيف . ناهيك عن معاهد البحوث فى كافة صناعات التعدين والآلات وغيرها وبناء المساكن الحديثة والطائرات والسيارات وكل ما يؤدى إلى رفاهية الإنسان ورفع مستوى معيشته .

ونتج عن التخصص فى البحوث أن أصبح لكل مهنة وحرفة وصناعة اختصاصيون ترجع إليهم الحكومات والهيئات فى حل مشاكل الحياة الحديثة وتعتمد عليهم فى تسيير دولاب أعمالها .

الشروط الواجب توفرها في الباحثين

يجب لكى تنجح البحوث وتأتى بثمارها المطلوبة أن يقوم بها أناس يتوفر فيهم : حسن الخلق ، وغزارة المادة العلمية ، وقوة الملاحظة والقدرة على الاستنتاج ، والقدرة على تصميم التجارب وتنفيذها واستخلاص نتائجها، والقدرة على ترتيب النتائج وإعدادها للنشر ، وحسن علاقة رؤساء البحوث بمرؤوسيهم .

أما حسن الخلق فان كتب العرب تفيض ببحار من آداب البحث وشروطه ، والواجب علينا أن نعمل بها ونسير على منهاجها ؛ لأن البحث أمانة فى عنق الباحث هو مسئول عنها أمام ربه وضميره . لذلك يجب عليه أن يكون متفرغا بقلبه لبحثه غير ملتفت إلى سواه ، وأن يكون محباً للعلم صدوقا منصفا بالطبع متصفا أكثر من غيره بالفضيلة والصدق والأمانة فى أقواله وأعماله ، لأن فضيحة البحاث إن هوى عظيمة وسقطته إن كبا مميتة ، فالحق لا بد أن يظهر ولو بعد حين .

ويجب ألا يكون الباحث فظاً سيء الخلق بل يكون كريم النفس سمحاً يرحم من دونه فى المرتبة ويحترم كباره وأساتذته وذوى النصح له لأن قدره من قدرهم .

ويجب ألا يهاب تجشم المشاق فى أبحاثه وألا يستهين بآراء غيره ومعلوماتهم مهما انخفضت مرتبتهم عنه فلكل فرد نصيبه من خبرة الحياة . وقد يستفيد أعلم العلماء من أقل الناس علماً .

ومن الأمانة ألا يغمط حق من سلفه فى البحث وأن يعترف بفضلهم مهما قل أو ضؤل . وليتخذ التواضع فى أقواله ومناقشاته ومناظراته ديدنا له فيحترم رأى مناظريه ولو كانوا بعيدين عن الصواب . وليعمل بقول الفيلسوف المصرى القديم « بتاح حتب » :— لا تكن فخوراً بعلمك ، وأعط الجاهل والعالم قسطاً متساوياً من الاحترام .

والواجب على البحاث أن يكون صريحاً فى كل أقواله وكتاباته غير هياب فى الحق فلا يخشى المجاهرة برأيه ولو كانت نتائجه غير متفقة مع نتائج زملائه الذين يشتغلون فى نفس موضوعه ؛ فان الحقيقة لا يحجبها مثل الجبن فى الدفاع عنها ونشرها بين الناس وهى بنت البحث لا وصول إليها إلا بالمناقشة والمناظرة .

وينبغى ألا يخالف قوله فعله فلو كذب مقاله حاله ينفر الناس منه ولا يسترشدون به ، لأن المقلد ينظر دائماً إلى حال المرشد

وينبغى على الباحث أن يكظم غيظه ولا يخلط جده بهزله ولا ييأس إذا لم يقبل قوله وأن يكون مثالا حسنا لزملائه ومرؤوسيه فى الخشية والشفقة والإحتمال والحلم والصبر والتواضع وعفة اللسان واليد والاشتغال بمصالح عمله وافادة الغير بعلمه وخبرته دون انتظار شكر أو جزاء .

وليعلم الباحث أن من وضاعة الخلق وضعف النفس أن ينشر بحثا يبنيه على آراء ونتائج أسرها إليه أحد زملائه أو حصل عليها بطريقة غير شريفة كاستراق سمعه لمناقشة ، أو أن ينقل اليه ناقل تفاصيل تجربة رآها ، فإن نشر وجب عليه أن يُعَنْعِنَ أى يذكر من أخذ عنه . وليجعل الباحث لنفسه فى نظر نفسه قيمة قبل أن يكون لعمله قيمة ، فاحترام المرء لنفسه يوجب احترام الناس له . وليربط لسانه عن التفوه بنتائج بحوثه لمن يشتغل فى نفس موضوعه قبل نشرها لأن ذلك يحفظ له حق الأولوية ويقلل من سوء التفاهم الناشئ عن التنافس الطبيعى بين أفراد المهنة الواحدة ، وليس ذلك معناه ألا يساعد زملاءه فيما يطلبونه منه ، كلا بل الواجب عليه أن يكون كريما . فإن كشف فى بحثه نقطة تخص أحدهم فليبادر باطلاعه عليها لأن التعاون من روح البحث . وإن عثر على كتب أو نشرات تفيد أحدهم وجب إرسالها اليه لأن ذلك يبعث على توثق العلاقة ومحو التنافر وغرس المحبة والوئام بين أفراد يجب أن يكونوا أدعى الناس إلى التضامن فى خدمة العلم والإنسانية .

وواجب البحاث لا يضايق اخوانه ولا يزعجهم بكثرة الأسئلة ، لا يلح عليهم فى الإطلاع على نتائج بحوثهم قبل نشرها ، ولا يخشى الاعتراف بالخطأ فأن ذلك يقربه من الحقيقة ، ولا بالضعف لأن ذلك يزيده قوة .

وعليه أن يجعل الأمانة والصدق وسيلة لبلوغ أغراضه فإن الغش والتدليس وطبخ النتائج والتهريج العلمى كلها عوامل تؤدى إن آجلا أو عاجلا إلى موت أدبى محقق . فما التهريج إلا آلة الجهلاء وصناعة الضعفاء وهو آفة من الآفات التى تنخر فى عظام الأمم التى لم تضرب بسهم وافر فى المدينة الحديثة . فتراها متفشية فى شتى المهن والحرف والصناعات دون زاجر نفسى أو قانونى وواجب الحكومات أن تعمد بشتى الوسائل لمحاربة هؤلاء الأدعياء الذين كثيراً ما يحتمون بمؤهلاتهم وألقابهم الضخمة فيسيئون إلى العلم والعلماء .

ولعل أحسن نصيحة للباحثين هى التى ألقاها البروفسور الروسى إيفان پاڤلوف مخاطباً الشباب الجامعى السوفييتى إذ قال :

« يجب عليكم أن تنموا ملكة النظام فى عملكم لأن النظام من أهم العوامل فى الأبحاث العلمية ؛ لذلك ينبغى عليكم أن تعودوا أنفسكم من مبدأ دراساتكم على جمع معلوماتكم بطريقة متتابعة منظمة . والواجب عليكم أن تتعلموا أبجدية العلوم قبل أن تتسلقوا جبالها فلا تقصدوا فعل شىء إلا بعد أن تمهروا فى أداء ما يسبقه من الأعمال . والواجب ألا تخفوا نقص معلوماتكم بالتخمين والظنون والنظريات الجريئة ، ويجب أن تدربوا أنفسكم على رباطة الجأش وحكم النفس والصبر والقيام بالأعمال العلمية الشاقة المضنية ، فادرسوا وقارنوا واجمعوا الحقائق ؛ فالحقائق هى الهواء الذى بدونه لا يعيش العلم ولا يتسنى الوصول إلى حل المشكلات العلمية . فبدون الحقائق تصبح نظرياتكم مجهوداً ضائعاً . ولكن ينبغى عليكم ألا تقنعوا بالحقائق وحدها فى دراساتكم وتجاربكم ومشاهداتكم ، بل يتحتم عليكم التعمق للوصول إلى أصول هذه الحقائق ومعرفة النواميس التى تسيطر عليها وتتحكم فيها .

والواجب أن تكونوا متواضعين لا يأخذكم الغرور فتظنون أنكم تعرفون كل شىء . فيجب عليكم أن تقولوا دائما « نحن جهلاء » مهما ازداد مدح الناس لكم . فلا تكونوا عبيداً أذلاء للغرور والصلف يجعلكم عنيدين بدلا من أن تكونوا مرنين . ويجعلكم ترفضون النصح الصادق وتفقدون الهداية إلى الطريق المستقيم والغرض المنشود . والواجب أن يكون المشتغلون بالبحوث العلمية كخلايا الجسم تعمل منسجمة متعاونة مع بعضها البعض كل يؤدى وظيفته وعمله الخاص بمعاونة الآخرين للوصول إلى النتيجة المنشودة فالأنانية هى ألد أعداء العلم والعلماء .

والواجب عليكم أن تعلموا أن العلم يتطلب من طالبه أن يقصر عليه حياته ويتفانى فى حبه . فالعلم شره لا يقنع بغير المجهود الجبار فكونوا متوقدين فى حبكم له .

والواجب أن تكون العلوم مغروسة فى دم أبناء الأمة لأنها هى سلاحها التى تحافظ بها على كيانها »

(لها بقية)

الدكتور مأمون عبد السلام

وكيل قسم أمراض النباتات بوزارة الزراعة المصرية

صفحة من تاريخ الاستكشاف:

فيتــــوس بيرنج

VITUS BERING

للأستاذ محمود عزت عرفة

بقية المنشور فى العدد الماضى

الرحلة الثانية والأخيرة :

أمدت كترينا بيرنج بستمائة من الرجال بينهم لفيف من العلماء الأكفاء ذوى التخصص ، وبمحمول تسع مركبات ضخمة من الأجهزة العلمية الهامة ، بينها بعض المناظير المكبرة التى يبلغ طول واحدها خمس عشرة قدما . وصحت نية بيرنج على ابتيناء ثلاث سفن إحداها لكشف اليابان ، والأخريان للبحث عن أمريكا .

وقد تكررت فى الرحلة الثانية متاعب السفر الأول ومشقاته ، وإن كان بيرنج قد حاول تخفيف ذلك بإنشاء مصهر للحديد فى ياكتسك يستعين به على تجهيز سفنه وتيسير إعدادها .

وانطوت ثلاثة أعوام قبل أن تبحر السفينتان الأوليان ، وكانت مخازن الذخيرة ومراكز التموين قد أنشئت على امتداد الطريق البرية . وفى عام ١٧٣٦ م تناهت الأنباء بأن الجليد قد حصر إحدى الفرق المتقدمة ، وأن أفرادها يهلكون جوعاً وبرداً . وبادر بيرنج بإرسال النجدات الممكنة ، ولكن لم يُتح له أن ينقذ من أفراد الفرقة البالغ عددهم ستين رجلا أكثر من ثمانية ..

وبالرغم من هذه العوائق الموبقة تمكن سبانجبرج — وكان قد عهد إليه أمر البحث عن اليابان — من استكشاف جزائر كوريل وتصوير سواحلها . وكان بهذا قد بلغ اليابان حقيقة ، ولكنه لم يجد — ويا للأسف — من يصدق منه هذه الدعوى !

وشحّت الأقوات لدى البعث حتى لم يجد بيرنج بداً من استجلاب المزيد منها من بطرسبرج على مسافة ألف ميل عبر اليابسة ذهاباً ومثلها إيابا ، يضاف إلى ذلك عبور بحر كامتشاتكا إلى حيث تقوم السفن بعملياتها الاستكشافية .

وأنشأ بيرنج سفينتين أخريين ليقودهما بنفسه بحثاً عن أمريكا ثم انطلق بهما عبر المحيط بتاصل نضاله الأخير . وكان ذلك فى شهر يونية من عام ١٧٤١ ، أى بعـد انطواء أكثر من سبعة أعوام على خروجه الثانى من بطرسبرج .

وقد خلد بيرنج ذكر سفينتيه سنت بيتر وسنت بول حين صاغ من اسميهما علماً للمدينة الجديدة التى أنشأها فى كامتشاتكا ودعاها بِترُوبَافْـلُوفسك Petropavlovsk .



وكانت سنت بيتر تقل سبعين رجلا على رأسهم بيرنج، وفيهم العلامة الطبيعى المشهور جورج وليم ستِـلَّار G.W. Stellar وحملت السفينة الثانية ستة وسبعين رجلا . ثم انطلقت السفينتان صوب الشمال فيما يعرف اليوم باسم بحر بيرنج ، وكان شاطئ آسيا الشرقى إلى ميسرة القوم وإن لم يكن منهم بمرأى. وانقضت ثمانية أيام استدار بعدها بيرنج نحو الشرق ، وسرعان ما هبت قواصف المحيط فى عنف ففرقت ما بين السفينتين . ومضت سنت بول فى تيه فسيح من البحر الخضَم ؛ فاضطر بيرنج كى لا يفقدها أن يتحرك فى دائرة منداحة طيلة شهر كامل . ولكن لم يُقدر له مع ذلك أن يلتقى بها مرة أخرى ... لقد فقدها إلى الأبد .

على أن بيرنج رأى عرضاً هدفه المقصود — أمريكا — حين كان يجد فى البحث عن سنت بول ، وكان ذلك فى التاسع عشر من يولية سنة ١٧٤١ ؛ وبهـذا تحقق الحلم الذى كان يتراءى له ويضنيه تحقيقه مدة ستة عشر عاما .

وكان أول ما بدا له من أرض القارة الجديدة جبل شامخ البناء رفيع السَّمك أسماه (سنت إيليا) ... إذ كان بيرنج رجلا تقياً متديناً كأكثر أولئك المغامرين البواسل من أبطال التاريخ .

حقائق جغرافية :

لزم بيرنج ساحل القارة الجديدة ستة أسابيع على أمل أن يلتقى بالسفينة المفقودة ؛ وكان بجولته هذه قد عبر المضيق المعروف باسمه ورأى رأى العين كيف تنتهى آسيا وتبدأ أمريكا .

ويبلغ عرض هذا المضيق فى أضيق أجزائه ستة وثلاثين ميلا وهو مرصع الصفحة بعدد من الجزائر يقوم سكانها منذ كانوا بمهمة الربط بين القارتين عن طريق التجارة وتبادل السلع .

والحق أن بيرنج كان قد بلغ موضعاً من الأرض ينطق بأورع ما تتكشف عنه غرائب الطبيعة ... فثمة تبدو مظاهر الانخساف الهائل فى اليابسة بكيفية نشأ عنها انهيار تلك القنطرة التى كانت تصل فى يوم ما بين العالمين القديم والجديد ؛ وثمة كان يمتد الطريق التاريخى الذى اجتازته طوائف البشر والحيوان قديماً منتقلة من آسيا إلى أمريكا ، وهو الطريق الذى يعلل وجوده نشوء الأسد The Puma والفهد The Jaguar الأمريكيين كسليلين لجديهما المهاجرين من العالم القديم ، والذى مكّن كذلك للجمل الأسيوى القديم من أن ينشىء حفدته على سفوح جبال أمريكا باسم ... اللاما The Llama .

ويقول العارفون من علماء الجغرافيا إن جو هذه المناطق كان استوائياً شديد الحرارة فى الزمن القديم ؛ وهم قد وجدوا تأييداً لدعواهم — فى أكثر الجزائر التى أرمى عليها بيرنج — عظاماً نخرة وبقايا هياكل مطمورة لحيوان الماموث والكركدن والخرتيت والنمر والوعل وغيرها من تلك الأحياء التى لا تألف اليوم إلا أشد الأقاليم حرارة ...

وكان من غريب ما جرى لبيرنج أن انقطعت أخبار الرواد الأوائل العشرة الذين أرسلهم ليستطلعوا طِلْع العالم الجديد ، وكذلك كان مصير الأربعة الآخرين الذى تعقبوهم باحثين عنهم !

خاتمة بيرنج :

زحف الشتاء بخيله ورجله فلم يجد بيرنج بدأ من أن يُهرع إلى الجنوب الغربى ناجياً بنفسه من ويلاته . وهبت قواصف المحيط فى شدة وعنف ولجّت فى العبث بالسفينة حتى أضلتها الطريق سبعة عشر يوما . وقد دهم هذا الزمهرير القوم ودهم بين سماء وماء يتلمسون عبثاً طريقهم إلى ساحل كامتشاتكا ؛ وكانت أبدانهم قد نحلت وضوت من سوء التغذية ففشا بينهم داء (الأسكربوط) . وأنفقوا أياما طويلة فى أحضان المحيط وهم يتخبطون بين منهال الجليد ومنهل المطر ، فى حين كان الثلج المتساقط من أمراس السفينة يرض أجسامهم ويكاد يفضخ منهم الرءوس . وازدادت الأطعمة شحاً فى مقدارها وقلة فى غنائها حتى نهكت القومَ الأدواء ، وعلَّ الموت فيهم ونهل .

وقد شلت ساقا النوتى القائم على سكان السفينة ، وبدأ أكثر البحارة يعجزون عن الاضطلاع بأعباء عملهم يوما بعد يوم . وكان من سخرية القدر أن يعجز الرجل الذى استكشف قارة بأكملها عن أن يجد ذراعاً من الأرض يريح فوقها أجساد رجاله المتهالكين ...

وكان بيرنج شديد المنة قوى الاحتمال ، ولكن مسًّا من داء (الأسكربوط) أطاف به كصحبه فتركه عليلا لا يقدر على شىء . وثارت بالسفينة عواصف هوج كادت تحطمها على نواتىء بعض الصخور ، حطما ، ثم دفعت بها نحو مجموعة من الرضام[1] حتى استقرت دون كبير أذى فى أحضان بحيرة ضحلة من الجزيرة المعروفة اليوم باسم جزيرة بيرنج . وكان مجرد بروز القوم من غرفهم الخانقة الهواء كافياً لإزهاق أرواحهم على ظهر السفينة بتأثير البرودة القاسية . وقد اشتدت وطأة العلة على بيرنج فأضجعوه مدثراً فى فرائه ، ثم احتملوه إلى قُرموص[2] أعدوه له على الشاطىء وهيأوا له منه شبه بيت مسقوف . ولاذ سائر البحارة بمواضع أخرى من الرمل احتفروها لأنفسهم . وهكذا نجا أكثرهم من الهلاك ثم عادوا بعد عام إلى أوطانهم على ظهر سفينة جديدة اصطنعوها من أنقاض « سنت بير » — أما بيرنج فقد كان يحثث الخطى نحو مصيره المحتوم ... كان يموت ! ولم يقدر له ، فوق هذا ، أن يودع حياته فى جو من الهدوء والسلام إذ كانت قطعان من الثعالب القطبية تغير على المعسكر ، وتنغص على القوم عيشهم بما تسلبهم من رمام موتاهم وطعام أحيائهم .

ورقد بيرنج مطموراً نصف جسده فى الرمل ؛ وكان يزعم أن هذا مما يخفف وطأة البرد عنه . والحق أن رجاله قاموا بأكثر

(١) الرضام صخور عظام أمثال الجزر (الواحدة رضمة — عن الثعالبي
(٢) الأصل فى القرموص حفرة واسعة الجوف ضيقة الرأس يستدفىء بها الصرد من البرد — المنجد

مما فى ظوقهم لإنقاذه وتخفيف ألمه ؛ وكان الطعام الطازج موفوراً لديهم بما يصطادونه من حيتان البحر وبقره وكلابه وسائر أصناف سمكه ، ولكن الرجل كان خائفاً لا يشتهى الطعام ، ثم أصيب من الوهن بما عجز معه عن ازدراد لقيمة تقيم أوده ! وكان لا ينفك يهيل على بدنه كثباناً من الرمل ويزداد غوصاً فى أعماق حفرته كل يوم ، كأنما هو يقبر نفسه حياً . وفى صبيحة يوم مقرور ألفاه صحبه غائصاً فى الرمل إلى ذقنه وقد أسلم الأنفاس . وهكذا مات بيرنج الرحالة المجاهد ... ولكن بعد أن أنجز مهمته الخطيرة وشهد انتصاره بعينى رأسه .

بيرنج بعد موته :

كانت حوادث هذه الرحلة من الغرابة بحيث استحال على الكثيرين تصديقها ... حتى جاء الرحالة الانجليزى المشهور « كابتن جيمس كوك [1] » فأزال قناع الريبة فيها عن وجه اليقين . وقد جاس فى رحلته خلال مضيق بيرنج ، وفحص الخرائط التى تركها الرحالة الذاهب ، فتبين له مبلغ دقتها ، وأمانته فى تخطيطها . وهكذا اتضح للعالم أجمع عظم المهمة التى اضطلع بها هذا المستكشف الدنمركى الجرىء الذى لم يقابل بغير السخرية والتكذيب من رجال عصره الجاثمين خلف جدران بيوتهم لا يعملون ولا يدعون لغيرهم أن يعمل . وقد أقيم لبيرنج نصب تذكارى رائع فى مدينة « بتروبافلوفسك » التى يرجع إليه فضل إنشائها ، على أن ذكراه الحقة إنما تخلدت فى الجزيرة والمضيق والبحر اللائى سمين باسمه جميعاً .

ولم يكد ينقضى جيل على وفاة بيرنج حتى نهضت أعظم تجارة للفراء عبر المياه التى ذلل للعالم سبيلها ومهد مسالكها . واكتسى ملوك أوربا وملكاتها وسائر أهل النبالة والثراء فيها من هذه الفراء الغوالى التى ترد عن طريق بحار موحشة مقرورة جاد فيتوس بيرنج بحياته ، غير ضنين ، فى سبيل أن يقرب قواصيها ويملك الناس نواصيها ..

(قوص) **محمود عزت عرفة**

(١) ولد كوك عام ١٧٢٨ ، وتوفى فى ١٤ فبراير سنة ١٧٧٩ م

الأدب العصرى

في الجنوب الغربي لشبه جزيرة العرب

للدكتور ر . ب . سارجنت

بقية المنشور فى العدد الماضى

حضرموت :

لقد تأثرت الحياة السياسية والثقافية لحضرموت ، فى خلال عدة قرون على أقل تقدير ، تأثراً عميقاً بما طبعتها به عدة أسرات شهيرة من السادة نذكر من بينها الأسماء القليلة الآتية : السقاف ، وعيدروس ، وبا فقيه ، وبا علوى . وفى القرن الحادى عشر الهجرى أخرجت أسرة السقاف التى كان مقرها فى ذلك العهد غالباً فى تريم وابلا من الأدب الصوفى ، وطبعاً أخرجت الأسرات الأخرى كذلك مجموعة غير صغيرة من المؤلفات الصوفية . وقد طبع من مؤلفات السقافين عدد ما فى خلال القرن الماضى . ولم يقتصر نفوذ السقافين على كليتهم أو مدرستهم التى كانت فى تريم بل كانت لهم كذلك صلة بضريح عينات المشهور ، الذى تظهر صورته على طوابع البريد الحضرمية ، وكان نفوذهم وعلاقاتهم تمتد فى ذلك الحين — كما تمتد اليوم — إلى أفريقية الشرقية وإلى الهند ولا سيما أحمد آباد ؛ بل ربما كانت لهم علاقات بالجاليات العربية فى جزر الهند الشرقية . ومن المعلوم لنا أن الأسرة كانت مزدهرة منذ عهد يرجع على أقل تقدير إلى القرن التاسع ، ومن عجيب ما يروى أنه كان هناك شخص يسمى حسين بن أبى بكر السقاف أنكر على تدخين التبغ الذى كان يباع فى جزيرة العرب فى سنة ١٠١٢ هجرية ، وقد نجح فى الحصول على حظر بيعه العلنى فى الأسواق ا واشتهر السقافون بأنهم صوفيون غيورون ، وارتحلوا فى بقاع الأرض برسائلهم الصوفية ، وتقبلوا العباءة الصوفية من أعضاء الجمعيات الصوفية الأخرى .

ومن ثم لم يكن غريباً أن يكون اليوم للحضرميين حى يقطنون به فى القاهرة ، بناحية الجمالية ، على مقربة من مسجد سيدنا الحسين ، وقد نشر عدد من الكتب الحضرمية أحدها تأليف كاتب سقاف . ويحتوى هذا الكتيب على ست قصائد فى مدح الإمام يحيى ، نظمت فى سنة ١٩١٢ حينما كانت بلاد اليمن تحت الحكم التركى ، ونشرت فى سنة ١٩٢٦ ، وبه أيضاً ردان شعريان من الإمام نفسه ، إذ أن الإمام شاعر معترف بشاعريته . وقد قامت هذه الأسرة المجددة ، فى خلال السنتين أو الثلاث الماضية بنشر مجلة الاعتصام ، وهى صحيفة شهرية تصدر فى مدينة سيون وتعالج الشئون الدينية والثقافية والأدبية ؛ ومن حسن حظى أنى أمتلك نسخة من هذه المجلة ، وهى العدد الثامن الصادر فى صفر سنة ١٣٦٢ هـ ، وهى السنة الأولى فى حياة الصحيفة . ومما يذكر عن هذه المجلة أنها مكتوبة بخط اليد إذ يظهر أنه ليس فى ذلك الجزء من الوادى مطبعة ، ولا بد أن تكون هذه الصحيفة هى المجلة الوحدة التى تصدر فى البلاد العربية على هذا الشكل .

وصدر فى القاهرة كذلك منذ بضع سنين كتاب آخر هام عن حضرموت اسمه « تاريخ حضرموت السياسى » ، وهو يشتمل على قدر كبير من المعلومات القيمة ، ليس فيما يتعلق بالشعراء العصريين ، والأدب العصرى ، والتاريخ الحديث فقط ، بل كذلك فيما يتعلق بالعلوم التى نهضت فى الغرب كعلم طبقات الأرض وعلم وصف البلدان ، مما له فائدة جليلة على الرغم مما قام به الطيران فى السنوات الأخيرة من رحلات الكشف والاستطلاع

وحضرموت تواجه الشرق كما تواجه الغرب ، ولقد كانت العلاقات بين جنوبى جزيرة العرب والهند قائمة على أساس وطيد قبل الإسلام بزمن طويل . ويقوم اليافعيون اليوم بالخدمة المتوارثة فى الحرس السلطانى الخاص لنظام حيدر آباد ، كما كان اليافعيون والمهريون يخدمون فى الحرس الخاص فى أحمد آباد فى عهد مضى عليه أكثر من أربعة قرون . ولدينا من الرجحان ما يقرب من اليقين إذ نعزو سبب طبع كتب مثل كتاب فتوح اليمن ، فى بمباى وغيرها من البلاد الهندية إلى أنه كان فى الهند جاليات حضرمية ؛ كذلك طبعت كتب أخرى تختص بشئون جنوبى جزيرة العرب ، فى المدينتين الهنديتين الكبيرتين، كلكتا وكانبور ، غير أنه طبع فى بغداد ، فى عهد أحدث من هذا ،

كتاب مشهور هو « النور السافر ، عن أخبار القرن العاشر » وهو من تأليف أحد أفراد أسرة العيدروس ، ويتناول أخبار الصوفيين فى جنوبى الجزيرة العربية وكجرات .

وللحضارمة جاليات تقطن منذ عهد بعيد فى جزائر الهند الشرقية الهولندية ، ومستعمرات الملايو البريطانية ، وإن كان من المرجح أن نشأة تلك الجاليات لا ترجع فى تاريخها إلى مثل ما ترجع اليه جاليات الحضارمة فى الهند . وللحضارمة مطبوعات نشرت فى بتافيا ، عاصمة الهند الشرقية الهولندية منذ سنة ١٨٧٥ وتتناول هذه المطبوعات فى معظمها العلوم الدينية ، والفقه ، وعلم التوحيد ، وبعضها طبع حجر وبعضها طبع حروف ؛ وبعد ذلك التاريخ بعشرة أعوام طبعت خريطة هامة لشبه الجزيرة العربية ، وكذلك الأطلس العربى ، للسيد عثمان ، على طبعة الحجر .

ومعلوماتنا عن الجهود الأدبية للحضارمة خارج وطنهم ، معلومات متناثرة فى جملتها ، وبما أنهم أقليات فى تلك البلاد التى اتخذوها وطناً لهم — مهما تكن تلك الأقليات مهمة — فقد جر النسيان ذيله على جهودهم الأولى . وليس فيما أعلم فى مكلا نفسها مطبعة ، وإلى أن تنشأ هناك آلة للطباعة لن يكون مفر من أن ينتشر الأدب عن طريق المخطوطات التى تنسخها الأيدى أو عن طريق المطبوعات التى تستورد من البلاد العربية الأخرى . وهذا أدعى إلى الأسف ، إذ أن للبلاد تاريخاً ثقافياً عريقاً تمكن المحافظة عليه وتغذيته بما يعيد اليه الحياة مرة أخرى ، بإدخال فن الطباعة .

الصحافة والمطابع فى الجنوب الغربى لجزيرة العرب

أصبحت الجرائد اليوم مصدراً من المصادر التى يعتمد عليها التاريخ ، وإن كان من غير الممكن أن نقول عنها إنها فى الغالب دقيقة ، أو نزيهة عن المحاباة ، أو إنها دائماً حسنة الأسلوب ، بل لا نستطيع أن ندعى لها أنها تضع أمامنا صورة صادقة عما هو حادث فى البلاد فعلا . والحق أن المؤرخ اليقظ لا يترقب أن يجد فى الجرائد تلك الصفات ، وهو إذ يرجع إليها إنما يرجع إليها مع شعوره بتشيعها ، ليوضح طريقة عرضها للحوادث فى ضوء ميولها الحزبية ، فيستنتج من الجرائد المختلفة آراء الأحزاب المختلفة عن شأن من الشئون ، ثم يعتمد على مصادر أخرى أقل تشيعاً ليستقى منها التأويل الحقيقى للحوادث . على أن المؤرخ الأدبى أسعد حظاً من زميله المؤرخ العام ، إذ أن الجرائد هى إلى حد كبير مرآة تنعكس عليها الحركات الأدبية للعصر الذى تصدر فيه ، بل إنها فى بلاد مثل بلاد الجنوب الغربى للجزيرة العربية تكاد تكون الوسيلة الوحيدة لنشر الآداب . وقد شاهدنا جميعاً الدور الهام الذى قامت به الجرائد فى نهضة الأدب العربى فى مصر وسورية ، فمن المهم إذن أن نتدبر أثر الجرائد فى المجهودات الأدبية فى ذلك الركن من شبه الجزيرة العربية .

وفى منتصف القرن التاسع عشر نشر عالم هولندى اسمه فان دن بيرغ ثبتاً بالجرائد العربيــة التى كانت متداولة بين الجاليات العربية فى الهنــد الشرقية ، ولنا أن نفترض أن كل تلك الجرائد كانت متداولة فى المدن التى كان يمكن الوصـول إليها فى الجنوب الغربى للجزيرة العربية ، وكانت هناك جريدة « الجوائب » التى أسست فى إستنبول سنة ١٨٦٠ وكانت تطبع فيها ، وقد عطل الباب العالى هذه الجريدة ، ولـكنها عادت للصدور مرة أخرى سنة ١٨٨٥ باسم جريدة « القاهرة » . كذلك كانت جريدتا « الاعتدال » و « الإنسان » تصدران فى إستنبول وتتداولان فى الهند الشرقية . ومما كان منتشراً فى الهند الشرقية أيضاً الجرائد البيروتية الآتية : « الجنة » و « لسان الحال » و « ثمرات الفنون » ؛ ومن القاهرة جريدة « الوطن » ؛ ومن الاسكندرية جريدتا « الأهرام » و « روضة الاسكندرية » ؛ ولعل أهم ما كان متداولا من الجرائد هناك ، من الوجهة السياسية ، هو صحيفة « العروة الوثقى » وهى مجلة دعاة الوطنية من العرب وكانت تصدر فى باريس .

وليس من اليسور الحصول على معلومات فيما يتعلق بإنشاء المطابع وتأسيس دور الطباعة فى الجنوب الغربى للجزيرة العربية . ذلك إلى أنه يظهر أن معظم المطبوعات الأولى التى أخرجتها تلك المطابع كان ذا صبغة وقتية فاختفى غير مخلف له أثراً يهتدى به على نوعه أو قدره . وما كتب له البقاء من الرسائل أو الجرائد التى طبعت فى تلك المطابع فى عهدها الأول ، يرجح أنه اليوم مبعثر

بين المكتبات الخاصة والعامة فى تركيا ، والهند ، وصنعاء ، وعدن ، وبريطانيا العظمى ، ولكن القارىء العادى لا يعرف شيئاً عن وجودها . على أن لدينا شيئاً من المعلومات عن تأسيس الجريدة اليمنية « صنعاء » التى كانت تطبع بالعربية والتركية . ففى سنة ١٨٠٧ قررت الحكومة التركية العثمانية أن يكون فى عاصمة كل ولاية من ولايات الدولة العثمانية مطبعة ، وأن يقوم كبار الموظفين فى الولاية بنشر تقويم أو كتاب سنوى « سالنامه » يشتمل على أهم الأخبار فى الولاية ، وأن تنشر كذلك جريدة فى كل عاصمة . وبناء على هذا القرار أقيمت مطبعة فى القصر الحالى للامام المعروف باسم « مقام الإمام » وطبعت فيها جريدة « صنعاء » . ونسخ هذه الجريدة نادرة الوجود جداً فى الوقت الحاضر ، ومن المرجح أن هذه الجريدة لم تكن منتشرة ، حتى فى ذلك العهد ، إلا فى المدن الكبرى ، إذ أن سلطة الأتراك خارج تلك المدن كانت واهية جداً . ويظهر أن عدداً من الرسائل طبع كذلك فى تلك المطبعة ، ومن المرجح أن معظمه كان متصلا بالشئون الحربية والإدارية ، ولكن واحدة من هذه الرسائل قد وقعت فى يدى وهى تبحث فى الفرائض الدينية . والكتاب الأتراك عن اليمن هم الذين يمكنهم أن يكشفوا عن نشأة هذه المطبعة ، وعلى الخصوص حامد وهبى الذى نشر كتابه السنوى عن اليمن « سالنامه سى » فى سنة ١٢٨٩ هـ . ، وكذلك غيره من المؤلفين الذين كانوا على الأرجح موظفين فى الحكومة وكان لهم اهتمام بالبلاد دعاهم إلى كتابة تاريخها . ولقد كان الأتراك طبعا حكاما لجزء من اليمن فى حقبة قصيرة فى خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر . ومما يذكر على سبيل التندر أنه مازال باقياً حتى اليوم فى القسطنطينية صور للفتح التركى لليمن من صنع فنانين أتراك من أهل ذلك العهد .

وفى أثناء العهد المضطرب الذى تلا الحرب العظمى الأولى لم يكن فى اليمن على ما يظهر نشاط أدبى كبير ، غير أنه فى سنة ١٣٤٥ هـ . و (١٩٢٦ م .) ظهرت الأعداد الأولى للجريدة اليمنية الجديدة فى صنعاء ، مطبوعة فى المطبعة التركية القديمة ومسماة باسم « الإيمان » . وتشتمل هذه الجريدة الرسمية على نصوص المعاهدات المعقودة مع الدول الأجنبية وعلى المراسيم ، والأحكام القضائية ، والقصائد المنظومة فى مدح الإمام وأمراء البيت المالك ، كما تحتوى على مقالات أدبية ودينية . وبفضل هذه الجريدة يمكن تتبع الموقف السياسى الداخلى للبلاد ، إلى درجة ما ، كما يمكن الوقوف على الجهود الحميدة التى تبذلها الحكومة المركزية فى النهضة بالتعليم ، وتربية روح وطنية عامة ـ لا روح قبلية محلية ـ فى جميع أنحاء البلاد . وعلى أنه من غير الممكن أن نقدر مبلغ ما لهذه الجريدة من الانتشار فى داخل بلاد اليمن ، يمكننا أن نسلم بأنها تصل إلى جميع دور الحكومة فى كل قضاء ، وبأنها تتداول بأيدى قراء يزيدون فى عددهم زيادة كبرى على ما كان للجريدة التى كانت تصدر فى العهد التركى ، وتؤدى بذلك خدمة أهم من تلك التى كانت تؤديها تلك الجريدة . ومن المميزات الشائقة فى جريدة « الإيمان » ما تنشره لمراسليها فى سورية وغيرها من البلاد العربية الأخرى .

أما أهل عدن فانهم يستوردون منذ عهد طويل الصحف المصرية التى يكاد يكون الحصول عليها فى عدن فى مثل سهولة الحصول عليها فى القاهرة ، ولا يقتصر قراؤها هنا على العرب فقط ، بل يقرؤها كذلك المتعلمون من الصوماليين . وتنتشر الجرائد كذلك فى لحج عاصمة السلطنة العبدلية ، ولكنها قليلة الانتشار فى الجهات الأخرى من المحمية . ولدينا من المراجع المسطورة ما يدل على أنه فى سنة ١٨٧٠ كان فى عدن مطبعتان : إحداهما فى السجن ، ومن المرجح أنها لم تطبع بجانب المطبوعات الحكومية إلا القليل ، والأخرى خارج السجن ، وليس لدينا ما يدل على أنها كانت تطبع كتباً عربية أو على مقدار ما طبعته منها إن كانت قد طبعت منها شيئاً . وشاهدت سنة ١٩١٤ قيام مطبعة ثالثة . فأصبح هناك ثلاث مطابع تقوم على خدمة عدد من السكان يتراوح بين أربعين ألفاً وخمسين ألفاً ؛ واليوم أستطيع أن أسمى ثلاث مطابع تطبع بالعربية ، منها مطبعة « فتاة الجزيرة » ، ومطبعة « الهلال » فى بازار بهرة ، وربما كان هناك مطابع أخرى ولست أدرى أكان بين مطبوعات المطابع الأولى ما يزيد على حجم الرسائل أو الاعلانات أم لا ، ولكن من غير المحتمل أن تكون تلك المطبوعات قد اشتملت على كتب . ومنذ نشوب الحرب الحاضرة تولى تحرير جريدة « فتاة الجزيرة » صحفى عدنى

اسمه محمد لقمان ، وتنشر هذه الجريدة الأخبار المحلية ، وقصائد شعرية ، ومواد فى التربية والتعليم ، ومقالات عامة ، والأوامر الحكومية . وإذا قارنا هذه الجريدة بجريدة « الايمان » التى تجنح إلى الأسلوب القديم ، ألفيناها ذات أسلوب حديث فى عرض موضوعاتها ، وتستخدم لغة الصحافة الحديثة العربية . وهى منتشرة فى عدن ولحج وإن كنت رأيت بعض نسخ منها فى الأجزاء الأخرى من المحمية ، وربما وجدت أيضاً فى حضرموت حيث مستوى التعليم أعلى نوعا ما .

وقد سبق أن ذكرنا جريدة « الاعتصام » الحضرمية ، ولكنه إذ لا مفر من طبع جميع الكتب الحضرمية فى الخارج ، كذلك الجرائد المطبوعة تأتى من الخارج . فمن ذلك أن الجرائد تستورد من جزائر الهند الشرقية الهولندية ، ومن المرجح أن يكون من بينها جريدة « حضرموت » التى تطبع فى سورابايا ، فى الهند الشرقية الهولندية ، منذ نحو سنة ١٩٢٣ . وكانت تطبع فى سنغافورة جرائد عربية قبل الحرب الماضية ، وعلى أننى لم أر واحدة منها ، أرجح كل الترجيح أنها كانت من تحرير الحضارمة ، وأنه ظلت الجرائد العربية تظهر هناك حتى عهد قريب . ومن الصحف المتداولة فى المدن الساحلية للمحيط الهندى مجلة « العرب » التى تصف نفسها بأنها « جريدة إسلامية ، أخبارية ، أسبوعية ، تصدر من الهند » ؛ وقد بدأت هذه الصحيفة فى الظهور فى سنة ١٩٤٠ — ١٩٤١ ، وهى تحتوى على أخبار ومعلومات عامة عن عدن ، واليمن ، وحضرموت . وهى تطبع فى بمباى ، وتدعى أنها « حلقة الاتصال بين الهند والعالم العربى » ويرد إلى حضرموت مجموعة متنوعة من الصحف بالإضافة إلى الصحف المصرية والعراقية ، غير أن توزيعها مقتصر على المدن ولا سيما المدن التى هى أقرب إلى الساحل .

اللغة العربية فى جنوبى الجزيرة العربية

ونختتم بحثنا هذا بكلمة قصيرة عن الأساليب العربية التى تستعمل فى جنوبى الجزيرة العربية . والأب أنستاس مارى يقول عن جدارة ، معبراً عن وجهة نظر الأمم الآخذة من التقدم بنصيب أوفى ، فيما يتعلق بالأسلوب العربى الذى يستعمله اليمن :

« وأما لغة الإنشاء فصحيحة ، لكن أسلوبها أسلوب العصور الوسطى ، وليس فيها تلك السلاسة والرطوبة واللدونة التى ترى فى أساليب العصريين من أهل مصر ، وسورية ، ولبنان ، والعراق ؛ وكل ما يرمى إليه كتبة اليمانيين السجع الممل . »

ولكنه يحتاط فيقترح الحل الآتى : « على أننا لا نريد بذلك ذم كلام أبناء اليمن ، بل نود أن يطالعوا التصانيف الحديثة التى تصدر كل يوم فى الديار العربية اللسان . »

وفيما يتعلق بلغة التخاطب والمحادثة ، يستخدم أهل المدن لهجة شائعة يفهمها الغريب بسهولة ، أما فى القرى فللناس لهجات كثيراً ما يصعب فهمها على المسافرين الوافدين من جهات أخرى . وبين يدى الآن وثيقة قانون قبلى أو شرع قبيلة كما تسمى فى جنوبى جزيرة العرب ، وهى وثيقة لا يستطيع فهمها مصرى أو سورى ، بل لا يستطيع فهمها حضرمى مثلا . ومع ذلك فهى مكتوبة باللهجة التى تتكلمها هذه القبيلة دائماً ، بل يتكلمها سلطانها . وفى بعض المناطق ما زالت لغة التخاطب قوية الشبه بلغة بنى حمير ، ولن يدهش علماء النحو أن يعلموا أن « أم » ما زالت تستعمل أداة للتعريف بصفة عامة جداً ، كما أخبرنا بذلك منذ قديم كل من الزمخشرى وسيبويه . إن فى الجنوب الغربى لجزيرة العرب مناطق كثيرة لم تكد الحروف المطبوعة تخترق أصقاعها ، وهذه المناطق تكاد لا تزيد على أن تفهم لغة الجرائد العصرية . على أن ارتجال الشعر فى تلك الجهات ما زال عنصراً من عناصر الحياة الاجتماعية للناس . وليس ثمة شك فى أنه فى خلال نصف قرن يأتى ستتطور منطقة الجنوب الغربى بانتشار التربية وتعلم القراءة والكتابة ، وما سيصحبهما من نشر المعلومات العصرية فى الفنون الهندسية والأساليب الأدبية ، وسيكون من الشائق جداً أن يلاحظ الباحث تطور هؤلاء القوم تحت تأثير هذه العوامل الحديثة . لقد كان للبلاد ماض مجيد فى تاريخ المدنية ، وجدير بها أن يكون لها مستقبل مجيد ، وهى بذلك أجدر بسبب ما تحتويه من الثروة الطبيعية التى ساعدت فى الحجاز على تقدم الشعب العربى .

الدكتور ر . ب . سارجنت

هرموبوليس مدينة الحجج

– ٢ –

للأستاذ فوزى الشتوى

[انتهينا في المرة الماضية عند وصف سراديب التحنيط ونختم فى هذا المقال بوصف بعض الآثار الأخرى]

حياتنا لم تتغير

وإلى جوار السور معبد حاكم المنطقة الدينى بوتوزوريس . وهو معبد فخم تبدو نقوشه بالألوان الطبيعية والصور المنحوتة فى الأحجار فترى فى تقاطيع أصحابها سمات المصريين ، وسمات السوريين والصينيين . ترى فيها تعابير الحزن كما ترى فيها علامات الفرح . وتدرك من نظرات أصحابها ما تنم عليه من إعجاب أو ازدراء ، فعلى حوائط هذا المعبد سجلت صور الحياة المصرية فى مراحلها المختلفة .

فهنا لوحة أو لوحات تمثل الفلاح يزرع أرضه من حرث وسق وإنبات ثم حصد وتدرية ، وفى لوحة ثانية ترى الصانع يحتضن أدواته ويحركها فى خزفه أو نحاسه ليخرج منها تلك الأوانى التى تشاهدها فى دار الآثار ، أوان أردتها حية مجسمة تجدها فى خان الخليلى ، فصناعه وأدواتهم وطرقهم يتبعون طرق اسلافهم ونادراً ما تجد أداة تغيرت ولكن ما تغير هو مرور تلك الحقبة من الزمن

ونظرة دقيقة إلى تلك اللوحات وما شملت ، ثم نظرة أخرى إلى تلك البقعة وما تبين توضح لك أننا لا نزال نعيش على حساب تلك العقول ، فهناك ترى صحاف النحاس تنقش ثبتت على قواعد من القار فترى منها نسخة أخرى فى خان الخليلى .

وما قيل عن صناع الصحاف النحاسية ينطبق على النجارين والخراطين وصناع الفخار . تراهم كلهم منهمكين فى عملهم فى تلك الاوضاع المختلفة التى لم يترك منها الفنان تعبيراً إلا نجح فى آدائه وإجادته طبقاً للحقيقة الحية .

كاهن ورع

وهكذا خصص من كل من حوائط المعبد واحدة أفردت الأولى للزراعة وبينت الثانية نواحى الصناعة وعرضت الثالثة لحياة الكاهن وموته . وعلى هذا الحائط تظهر عظمة صاحب المعبد . فهو لم يكن كاهنا عاديا ، رجلا تقياً ورعا يحج إليه الناس من كل مكان فيأتيه اليونانيون والرومانيون ليحصلوا على بركته وليعبروا له عن إعجابهم بسجاياه ، يمتدحون جليل أعماله ، ويطنبون فى حسن معاملته لأعوانه .



(شكل ١)
لفتت حفريات الدكتور سامى جبرة فى تونه الجبل نظر علماء الآثار فى العالم ويرى فى الصورة وهو فى وسط لفيف منهم

ومن الظواهر الجديرة بالتسجيل على ذلك الحائط منظر أولاده الأربعة وبناته السبع وقد احتلوا أماكنهم فى صف واحد مرتبين تبعاً لأعمارهم فلا يسبق الغلام الفتاة ولا الفتاة الغلام . فى المقدمة الإبن الأكبر وفى النهاية الإبن الأصغر وإنك لتلحظ فيهم اختلاف التقاطيع وتشابهها كما تلحظه فى أبناء أية أسرة . وإنك لترى فى تلوين البشرة سمارها فى الذكور وبياضها فى الفتيات ، كما تلمس أمارات الرجولة فى الشبان وعلامات النعومة فى الفتيات وإن امتياز الجميع بقاماتهم الفارعة الممشوقة .

ومات الكاهن الورع ، فقدمت الوفود من كل مكان . وسار الكهنة فى موكب جنازته يسحبون العربة التى تحمل جثته وترفرف فوق رؤوسهم أعلام بلادهم ، فهم لم يأتوا كأفراد فحسب ، بل قدموا كممثلين لبلادهم وليعبروا عن مكانة الرجل فى ديارهم .

يوم الحساب

والموت فى عرف المصريين القدماء مواصلة الحياة ولكن فى الدنيا الآخرة أو عالم الخلود . وليس الوصول اليه من الأمور الهينة فنى طريقه حساب عسير لا يكتفى فيه بالظاهر بل يوزن فيه قلب الإنسان ومبعث خيره وشره .

فإذا انتقلنا إلى الحائط الأخير وجدنا روح الميت بين أيدى الآلهة تقدم حسابها فتذكر أربعين سيئة لم يعملها الميت فى حياته ثم يترافع أمام مجمعهم مبيناً حقه فى الحياة الأبدية . إلا أن الآلهة لا تؤخذ بالأقوال فيزنون ما فى قلبه من شر . فان وازن ريشة «معان» إلهة العدل أدخل الجنة . وإن زاد عنها ألقى إلى حيوان ضخم يلتهمه ثم يندفع به فى حياة الظلمة .

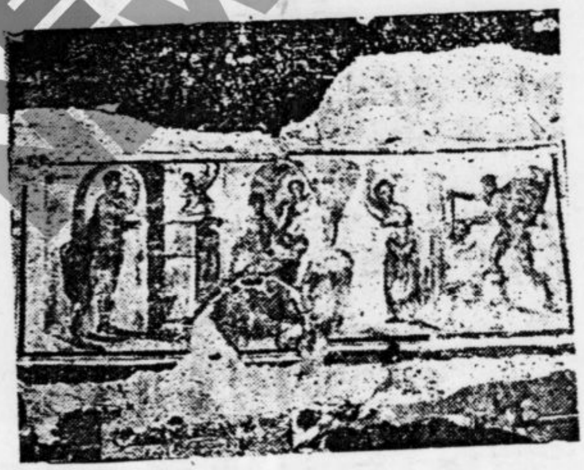
ويربط هذا المعبد بين الفن المصري والفن اليونانى . فهو مصرى فى جميع نقوشه وتفاصيله إذا استثنينا طريقة الدفن . فالمتبع فى المقابر المصرية أن يكون مرقد الميت إلى اليمين . فكان فى هذا المعبد فى بئر عميقة فى وسطه طبقاً لطقوس ذلك العصر . وفى سقف المعبد فوق البئر فتحة صغيرة لوحظ أن الشمس تسقط منها إلى أسفل البئر فتضيء المكان وتبارك صاحبه فى وقت الظهر من شهر بؤونة .

فن التصوير القصصى

وتمثل الحفريات الأخرى كثيراً من الفنون اليونانية . ونجد فيها أول مراحل فن التصوير القصصى . فى أحد المنازل ،ويظهر أن صاحبه كان من رجال العلم ، صور الفنان قصتى أوديب الملك والكترا . فى الأول يبين الرسم ذلك الحيوان الضخم وهو يسأل أوديب عن الشيء الذى يسير على أربع فى الصباح ، وعلى اثنين فى الظهر وعلى ثلاث فى المساء .

ويجيبه أوديب بأنه الإنسان عند ما يحبو طفلا ، وعند ما يمشى رجلا ، وعند ما يتوكا على عصاه شيخاً . ولأهمية هذه الصورة نقلت إلى متحف الآثار واستبدلت فى مكانها نسخة حديثة الصنع .

وعلى حائط آخر مثل الفنان أخلاق الرجل والمرأة فرسم الأول على شكل ديك هادىء وديع ، وصور المرأة على شكل هرة ثائرة متحفزة للشر .



(شكل ٢)
قصة أوديب الملك كما صورها الرسام فى مراحلها المختلفة

ومدينة الحج بعيدة عن موارد الماء . ولهذا احتاج إمدادها به إلى بناء ساقية تدل على رقى فن الهندسة . يبلغ عمقها ٣٤ متراً حتى يصل عمقها إلى مستوى ماء بحر يوسف . وهى مبنية على درجتين : عمق الأولى ٢٠ متراً ، وعمق الثانية ١٤ متراً يرفع منها الماء بالطرق المعروفة عندنا ليخزن على سطح الأرض فيأخذ منه السكان حاجتهم ويستقى منها الطير . ثم يتسرب ما يفيض ليروى أشجار الدوم التى كانت مزروعة حولها .

والمنطقة عامرة بكثير من الآثار التى تربط بين مختلف العصور المصرية ، ففيها معبد وجدت فى بعض أنحائه بعض أدوات يظن بعض المشتغلين بالآثار أنها من العهد المسيحى ويرى أنها من أدوات عماد الأطفال فى الكنائس .

والمنتظر عند ما يتم كشف هذه المنطقة ويدرس علماء الآثار محتوياتها أن تكشف لنا عن كثير من غوامض التاريخ فقد كانت المنطقة كما قلنا على جانب كبير من الأهمية الجغرافية ، وكانت فى أكثر أحوالها مقصد الناس . ونعتقد أن فائدتها لا تكمل إلا بإتمام كشف المنطقة الأخرى المعروفة الآن بالإدارة فقد وجدت هناك مبانى ضخمة تدل على عظمة وفن وروعة ؟

فوزى الشتوى

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٦٦١ — رب قليل أبلغ من الكثير

دخل سعيد بن وهب على الفضل بن يحيى في يوم قد جلس فيه للشعراء فجعلوا ينشدونه ويأمر لهم بالجوائز حتى لم يبق منهم أحد، فالتفت إلى سعيد بن وهب كالمستنطق، فقال له: أيها الوزير، إني ما كنت استعددت لهذه الحال، ولا تقدمت لها عندي مقدمة فأعرفها، ولكن قد حضرني بيتان أرجو أن ينوبا عن قصيدة. فقال: هاتهما، فرب قليل أبلغ من الكثير، فقال سعيد:

مدح الفضل نفسه بالفعال. فعلا عن مديحنا بالمقال

أمروني بمدحه قلت كلا كبر الفضل عن مديح الرجال

فطرب الفضل، وقال له: أحسنت (والله) وأجدت! ولئن قل القول ونزر، لقد اتسع المعنى وكثر. ثم أمر له بمثل ما أعطاه كل من أنشده مديحاً يومئذ، وقال: لا خير فيما يجيء بعد بيتيك، وقام من المجلس وخرج الناس يومئذ بالبيتين لا يتناشدون سواهما.

٦٦٢ — وشريكي في الصنعة

قيل لشبيب بن شبة بن عقال:

ما بال عبد الله بن الأهتم يغتابك وينتقصك؟

قال: لأنه شقيقي في النسب، وجاري في البلد، وشريكي في الصنعة.

٦٦٣ — شر من إبليس

قال الراغب الأصبهاني: توصل رجل إلى إبليس فقال له: لي إليك حاجة؛ إن لي ابن عم ذا ثروة، وله إحسان كثير إليّ ولي عاله نفع بيّن، ولكن أريد أن تزيل نعمته وإن افتقرت بفقره. فقال إبليس لأصحابه: من أراد أن يرى من هو شر مني فلينظر إليه.

٦٦٤ — لا والله بل أنا

قال رجل لأبي عمرو بن العلاء: وعدتني بأمر فلم تنجزه. فقال أبو عمرو: من أولى منا بالغم أنا وإلا أنت؟

قال: أنا

قال: لا (والله) بل أنا

قال: وكيف؟

قال: لأني وعدتك وعداً فأنت تفرح بالوعد، فبت جذلان مسروراً، وبت أنا بهم الإنجاز، فبت ليلتي مفكراً مغموماً بما عاق الدهر من بلوغ الإرادة فيه. فلقيتني مدلا، ولقيتك مستحيياً

٦٦٥ — وبالشباب شفيعاً أيها الرجل

في (الأغاني): الرياشي: سمعت الأصمعي يقول: قال هذا الباهلي محمد بن حازم في وصف الشيب شيئاً حسناً، فقال له أبو محمد الباهلي تعني قوله:

كفاك بالشيب ذنباً عند غانية وبالشباب شفيعاً أيها الرجل

فقال: إياه عنيت. فقال أبو محمد الباهلي: ما سمعت لأحد من المحدثين أحسن منه.

٦٦٦ — جحود الذنب ذنبان

أنكر الصابي على صديق له شيئاً فكتب إليه: إما أن تقر بذنبك فيكون إقرارك حجة علينا في العفو عنك، وإلا فطب نفساً بالانتصاف منك، فإن الشاعر يقول:

أقرر بذنبك ثم اطلب تجاوزنا عنه فإن جحود الذنب ذنبان(1)

٦٦٧ — أوميروس وأنابو الماجن

(إخبار العلماء بأخبار الحكماء): جاء أنابو الماجن إلى أوميروس الشاعر اليوناني فقال: اهجني لأفتخر بهجائك إذ لم أكن أهلاً لمديحك. فقال له: لست فاعلاً ذلك أبداً، قال:

---

(1) البيت لكلثوم بن عمرو العتابي. ومما يروى له في هذا المقام قوله لرجل اعتذر إليه: اني لو لم اقبل عذرك لكنت ألأم منك، وقد قبلت عذرك فدم على لوم نفسك في جنايتك تزد في قبول عذرك والتجافي عن هفوتك.

فإني أمضي إلى رؤساء اليونانيين فأشعرهم بنكولك . قال أوميروس مرتجلاً : بلغنا أن كلباً حاول قتال أسد بجزيرة قبرص فامتنع عليه أنفة منه ، فقال له الكلب : إنني أمضي فأشعر السباع بضعفك . قال له الأسد : لأن تعيرني السباع بالنكول عن مبارزتك أحبُّ إليَّ من أن ألوِّث شاربي بدمك .

٦٦٨ — شدة الاحتياط في الدين … !

في (الحيوان) للجاحظ : قال أبو بكر الهذلي : كنا عند الحسن البصري إذ أقبل وكيع بن أبي سُود فجلس ، فقال : يا أبا سعيد ، ما تقول في دم البراغيث يصيب الثوب أيصلي فيه ؟ فقال : يا عجبا ممن يلغ في دماء المسلمين كأنه كلب ثم يسأل عن دم البراغيث … ! فقام وكيع يتخلج[١] في مشيه كتخلج المجنون . فقال الحسن : إن لله في كل عضو منه نعمة فيستعين بها على المعصية . اللهم ، لا تجعلنا ممن يتقوى بنعمتك على معصيتك .

٦٦٩ — فلم لا يكذب الوراقون عليك ؟

حضر أبو العيناء يوماً مجلس بعض الوزراء ، فتقاوضوا حديث البرامكة وكرمهم ، فقال الوزير لأبي العيناء (وكان قد بالغ في وصفهم) : قد أكثرت من ذكرهم ووصفك إياهم ، وإنما هذا تصنيف الورّاقين ، وكذب المؤلفين .

فقال له أبو العيناء : فلم لا يكذب الوراقون عليك أيها الوزير ؟ فسكت الوزير ، وعجب الحاضرون من إقدامه عليه .

٦٧٠ — والغصن يمرح في غلائله

في (نفح الطيب) : كانت نزهون القلاعية الأديبة الأندلسية تقرأ على أبي بكر المخزومي الأعمى ، فدخل عليهما أبو بكر الكتندي فقال يخاطب المخزومي :

لو كنت تبصر من تجالسه

فأفحم وأطال الفكر فما وجد شيئاً ، فقالت نزهون :

لغدوتَ أخرس من خلاخله[٢]

البدر يطلع من أزرته والغصن يمرح في غلائله[١]

(١) الأساس : المجنون يتخلج في مشيته : يتفكك و يتمايل ، كأنه يجتذب شيئا .

(٢) لعبالة الساقين .. في (الأساس) : وامرأة صموت الخلخال ، وفي (اللسان) : جارية صموت الخلخالين إذا كانت عبلة الساقين لا يسمع لخلخالها صوت لغموضه في رجليها .

٦٧١ — يطول وقوفك إذن

ابن الجوزي : مر رجل من الفطناء برجل قائم في طريق ، فقال : ما وقوفك ؟

قال : أنتظر إنساناً .

قال : يطول وقوفك إذن …

٦٧٢ — أيها الأمير ، ليس هذا من عملك …

في (نثار الأزهار في الليل والنهار) لابن منظور صاحب (لسان العرب) : دخل عبد الله بن عمر قاضي إفريقية[٢] على أميرها يزيد بن حاتم فقال : أهللنا هلال رمضان فتشايرناه بالأيدي ، فقال يزيد : لحنت يا ابن غانم ، إنما هو تشاورناه . قال : بيني وبينك أيها الأمير قتيبة النحوي ـ وكان إذ ذاك قدم على يزيد ، وهو إمام الكوفة ـ فبعث إليه ، وكان في قتيبة غفلة ؛ فقال له يزيد : إذا رأيت الهلال وأشرت إليه وأشار غيرك إليه كيف تقول ؟ قال : أقول : ربي وربك الله ! فقال يزيد : ليس هذا أردنا ، فقال ابن غانم : دعني أفهمه من طريق النحو فقال : إذا أشرت وأشار غيرك وقلت : تفاعلنا في الإشارة إليه كيف تقول ؟ قال : تشايرنا وأنشد لكثير عزة :

وقلت وفي الأحشاء داء مخامر ألا حبذا (يا عز) ذاك التشاير

قال يزيد : فأين أنت يا قتيبة من التشاور ؟ قال : هيهات أيها الأمير ، ليس هذا من عملك ، هذا من الإشارة وذاك من الشورى . فضحك يزيد ، وعرف جفاء قتيبة فأعرض عنه ، واستحيا من ابن غانم .

(١) ذكرت المعجمات في جمع لزر الأزرار والزرور ولم تذكر الأزرة وقد وجدت الأزرة في تاريخ الطبري ج ١١ ص ٣٧ في كتاب المتوكل في لبس أهل الذمة : « … وان يؤخذ الجميع منهم في قلانسهم بتركيب أزرة عليها يخالف ألوانها ألوان القلانس .. » (غلائله) برزت فلانة في غلالة وبرزت في غلائل وهي شعار يلبس تحت الثوب للبدن خاصة . وتقول : قولوا للحلائل لا يبرزن في الغلائل (الأساس) .

(٢) أبو عبيد البكري : حد افريقية طولها من برقة شرقا إلى طنجة الخضراء غربا ، وعرضها من البحر إلى الرمال التي في أول بلاد السودان (معجم البلدان) .

أغنية:

أحـــــلام الجزيرة

للشاعر عبد الرحمن الخميسي

خفقَ الروحُ بينَ تلك الروابى
ذكرياتى هنـا ... ورَجْعُ شبابى
آهِ لو تعـلم (الجزيرةُ) ما بى،
من حنينٍ ولهفـةٍ لحبيبى

كلمـا أقبـلَ المساء عليها
جَنحَ العـاشقُ اللهيفُ إليها
وجثا للحبيب بينَ يَدَيها
أنا وحدى هنا ... فأين حبيبى ؟ !

كم صحبتُ الظـلامَ بين رباها
ودعوتُ الصبـاحَ يغشَى سماها
ومع الطـير ... كم ملأتُ ضُحاها
بأغاريدَ صغتُهـا لحبيبى ! !

ضمَّها النيـلُ جَنَّةً للغرامِ
ورواها بقلبـه المُستهامِ
ليلُها ... كانَ معبدَ الأحلامِ
كم سَجَدْنا به ... أنا وحبيبى

عذبةٌ حـيرتى، ولوعة روحى
وأنا أستعيـدُ ذكرى جُروحى
وانطلاقى مع الهوى وجُموحى ...
قَدَحى ... فاضَ بالأسى يا حبيبى

سألتنى الظلالُ حين رأتْنى،
واجماً فى سكونها لا أُغنِّى:

كيفَ غابَ الأليفُ عنكَ وعنى ؟
فتهاويتُ باكياً يا حبيبى ! !

كم خَطَرْنا مع الدجى والنهارِ
بين تلك المروجِ والأشجارِ
اسألوها تذيعُ من أسرارى
أنا قبَّلتُ فى حماها حبيبى ...

من نسيج الفؤاد صُغْتُ ابتهالى
للعصافير ... والربى ... والظلالِ،
أنْ تبثَّ الوجودَ لوعةَ حالى
وتُغَنِّى بمـا جنَاهُ حبيبى ...

خفقَ الروحُ بينَ تلك الروابى
ذكرياتى هنـا ... ورَجْعُ شبابى
آهِ لو تعـلم (الجزيرةُ) ما بى،
منْ حنينٍ ولهفـةٍ لحبيبى ! !

عبد الرحمن الخميسى

ضجة الربيع

للأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى

(دقت نواقيس المساء حزينة تنعى النهار)
تجرى الأصيل مُروَّع الخطوات مجنون الفرار
وترَكت والأفقَ الحزين يَلُفُّه طفَل الغبار
والوحـدة الخرساء تسلمنى لآلام ضوار
ونسيج أحـلام تمزقه أعاصير ادِّكار

***

وترا كضت قطع السحاب كسرب أوهام بديده
دكناء يطردها الظلام كبعض آمالى الشريده

وسمعت ريح الليـل تحمل صوت أرجاء بعيده
لـكأنمـا همساتها أصـداء أيامى السعيده
أمْ أن ريح الليل تحمل لى صبابات جديده ؟ !

* * *

ولمحت صاحبتى الحزينـة كالنهار الغارب
وقفت مُرَنَّحة الخيال على الضياء الذاهب
عجفاء كالشجر المصوّح ... كالمساء الشاحب
دبّ المشيب بها ... فلاذت بالشباب الهارب
كتألُّقِ الأفق الحزين بنـور فجر كاذب

* * *

تجرى ... فيقعدها السعال ... فتستريح إلى الدموع
وإذا انثنت طربا كسالف عهدها ... لا تستطيع
الشهـوة الحمقاء تشعلها ... فيطفئها الصقيع
لم تبق غير أواخر الخفقات فى جَهَدِ الشموع
والشعرة البيضـاء تنعب فى بقيات الربيع !

* * *

وفجاءة ضج الفضاء وصاح فى الدنيـا نذير
واصطكت الريح الرخاء وثار فى الحقل الغدير
وكأن فى كبد السماء لواعجاً حرّى الزفير
عوت الذئاب كأنما جُنَّت.. ودَمْدَمَتْ النسور
عجباً له ليـل عميق الفكر ... ملتهب الشعور !

* * *

وإذا الشجيرات الذوابل ينتفضن مزمجراتٍ
وإذا بروح تمرد تجتاح صمت الكائنات
لـكأنمـا اندفعت عصارات الحياة إلى الموات
ويحى.. هل انبعثت من الصمت المقدس ذكرياتى ؟!
كالنبع المهجور منبثق الميـاه على فلاة

* * *

كالزهر المحطوم تُرسل فيـه أنغام خفيه
كالرغبة الحمراء فى أعراق راهبـة فتيه
كطهارة العـذراء فى خطرات غانية شقيه
كدينة ذهبية الجدران فى أحلام قريه
كالقوت تبسطه لعينى جائع كف عصيه

* * *

يا ذكريات الأمس ... قرّى فى غيابات السكون
قد عاود الليل الخشوع ... وغَيَّم الصمت الحزين
لا صوت إلا أنَّةُ الفلاح من ظلم السنين
وتناوح الطير المشرد بعـد تمزيق الغصون
الزعزع النكباء قد بعدت عن البلد الأمين

عبد الرحمن الشرفاوى
المحامى



التصوير الفني في القرآن

يجب أن أشكر للأستاذ الفاضل عبد اللطيف السبكي المدرس بكلية الشريعة عنايته بنقد كتابي « التصوير الفني في القرآن » . ولكن ليس هذا هو الذي يشفع لي في أن أشغل حيزاً من الرسالة !. إنما هو قد أثار مسألة أساسية في القرآن وفي الطبيعة البشرية . أثار مسألة يوسف في : « ولقد همّت به وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه » وهي مسألة تستحق المناقشة :

وقبل أن أتناول هذه المسألة الأساسية أستأذن القراء في سطور للحديث العابر عن المسائل الأخرى التي أثارها الأستاذ

١ — لقد لاحظ أن هنالك بضعة نصوص أصابها الخرم عيّن مواضعها. وأنا أشكره هذا التنبيه، وآسف لوقوعها في الكتاب . وما دام هو قد لاحظها فأنا أرجوه أن يتفضل بإرسال بيان عنها إليّ ، للاحظها في الطبعة التالية ، موفراً عليّ جهد البحث عنها

٢ — ولاحظ أني لم أبدأ عملي بالتسمية (ليرتفع عن نمط الروايات وكتب التسلية) ! وأحسب أن هذه التسمية إن كانت ضرورية في كل عمل فليست ضرورية في كتابي هذا ! إذ ماذا تعني التسمية إلا إثبات التوجه إلى الله بالعمل . فهل كتاب عن القرآن على نمط كتابي في تمجيده من الوجهة الفنية ، في حاجة إلى هذا الإثبات الشكلي ؟ إنه كله توجه ، وطبيعته كلها تسمية ، من صفحته الأولى إلى صفحته الأخيرة !

٣ — ولاحظ أن ليس بالكتاب دليل في نهايته . وله كل الحق في ملاحظته . ولكن من يعلمه : كم جاهدت لوضع هذا الدليل . وكم وقفت أزمة الورق وضرورات الطباعة بي عما أريد؟

٤ — ولاحظ — ولا أدري كيف — أنني أمنّ على الناس بما قدمت ، وهو ما عدت إلى الكتاب أبحث عنه فلم أجده . أم لعله يقصد ما ذكرته من أن الاتجاه إلى إدراك الجمال الفني في القرآن على النحو الذي اتجهته لم يكن من نصيب الباحثين في بلاغة القرآن — قدامى ومحدثين — فتلك حقيقة تاريخية لا بد من إثباتها ولا ضير فيها ولا منّ ... وفي قوله : « فلا يغمز الأوائل بالتجهيل أو القصور ونحن لا نبني إلا من الحصيات نجمعها من ساحاتهم الواسعة » .

فتلك قضية أخالفه فيها فيما يختص بالجمال الفني في القرآن . لقد أثنيت ما استطعت على رجلين اثنين : عبد القاهر والزمخشري . وعرضت نماذج من حسن فهمهم — المحدود بحدود الزمان — لبعض الجمال الفني في القرآن وهذا كل ما يطلب مني ... وأحب أن أقول بعد هذا : إنني — فيما يختص بالجمال الفني — لم أبن من حصيات أحد ... وهذه حقيقة تاريخية كذلك لا أرى أن تقديرنا للقدامى يكفي لإنكارها . ومن الأمانة للبحث العلمي ألا نبخس الناس أشياءهم .. ولكن من الأمانة كذلك ألا نعطيهم فوق ما يستحقون .

***

ثم أخلص إلى القضية الأساسية . قضية يوسف :

يتحدث الأستاذ عن تصويري ليوسف بالاستناد إلى ما ورد عنه في القرآن بأنه الرجل الواعي الحصيف ، واستشهادي بإبائه على مراودة امرأة العزيز ، وقولي « ومع ذلك لقد كاد يضعف » فيقول :

« وهذا تصوير غير فني لإنسان هيأه ربه للنبوة ، وكتب له العصمة من قبل ومن بعد . وأظن الأستاذ منساقاً في هذا وراء ما يقال : من أن يوسف إنسان لم تفارقه نوازع البشرية ، فهو يميل كما يميل أي إنسان ويكاد يضعف كما يضعف أي إنسان . وأظنه كذلك يحسب الآية في ظاهرها تؤيد هذا إذ قررت أن المرأة همت به وأن يوسف هم بها ، وليسمح لي الأستاذ أن أنبهه إلى أن هذا فهم سطحي غير سديد » ...

وأنا بدوري أحب أن أقول للأستاذ : إنني أخالفه فيما اتجه إليه . وأن هذه قضية مدروسة جيداً عندي — وإن لم أتعرض لها بتوسع في كتابي — لأنها من مباحث كتاب آخر أعده الآن عن « القصة بين التوراة والقرآن » . والمجال لا يتسع هنا للتفصيل إلا أن يشاء الأستاذ وقراء الرسالة أن أعرضها كاملة .

ولكن هذا لا يمنع من بضع كلمات :

لقد كنت حريصاً في تعبيري فقلت : « كاد يضعف » ولم

أقل إنه ضعف فعلا . وليس فى هذا ما يخالف العصمة فى اعتقادى . فالعصمة لا تقتل النوازع البشرية ، ولكنها تقيم حولها الحواجز ، وتجعل الروادع فى النفس أكبر من الدوافع ... وهذا يكفى

ولقد عصم الله يوسف ، فجعله يكافح النوازع البشرية وينتصر عليها فى اللحظة التى لا ينتصر فيها إلا أولو العزم . وإن هذا ليكفى ليقال عنه فى القرآن : « إنه كان من عبادنا المخلصين » .

وغير يوسف أنبياء مخلصون : منهم موسى ويذكر القرآن أنه قتل رجلا ثم تاب فتاب عليه الله . وداود وسليمان ويذكر القرآن أنهما قد فتنا ثم استغفر وأنابا ...

فالعصمة النبوية مسألة تحتاج إلى أفق أوسع فى النظر إليها . ولست ممن يميلون إلى أنها التجرد من جميع النوازع البشرية . وإن كنت أومن بأنها الانتصار على جميع النوازع البشرية .

ونفى الهم عن يوسف — بالمعنى الذى يريده الأستاذ — يحتاج إلى تأويل النص الصريح ، وأنا أنفر من التأويلات التى لا يدعو إليها إلا الغلو فى التحرج . وإن دراستى لطريقة التعبير فى القرآن لتبيح لى أن أقول : إن للنص القرآنى معنى واحدا فى كل حالة . وإن الاحتمالات المختلفة التى يرويها المفسرون للنص الواحد ، إنما تتوارى مع شىء من التدقيق ليبرز منها احتمال واحد هو الذى يتفق مع طبيعة التعبير القرآنى . وهذه مسألة لا يكفى الفراغ المتاح لشرحها اليوم . فقد أقوم ببيانها بتوسعة إذا وفقت .

على أن هناك عدة احتمالات فى موقف يوسف :

١ — فهل العصمة النبوية قبل الرسالة وبعدها ؟ أم بعد الرسالة فحسب ؟ هذا مبحث طويل .

٢ — وهل حادثة يوسف كانت قبل رسالته أم بعدها ؟ لا يذكر القرآن عن ذلك شيئاً . ولنا الحق فى أن نفهم أنها كانت قبلها . ولا سيما أن التوراة تحدد سنه فى هذا الوقت بأنها كانت دون الثلاثين .

٣ — ثم ألا يكون سجن يوسف تكفيراً عن النزعة التى قهرها وعصمه الله منها ؟ ليكون بعد ذلك « من عبادنا المخلصين » ؟

كل هذا يجوز ولكنى لا أحب الارتكان إليه ، لأن تفسير العصمة على النحو الذى أسلفت يغنينا عن كل هذه الاحتمالات .

وللأستاذ الفاضل شكرى على ما أتاح لى من هذا البيان .

سيد قطب

النبى ودائرة المعارف البريطانية

لاحظت فى الجزء الخامس عشر من دائرة المعارف البريطانية طبعة ١٩٣٢ اعتباراً من الصفحة ٦٤٧ فى البحث عن حياة منقذ البشرية الأعظم محمد بن عبد الله هذه الجملة فى مفتتح الحديث وبالخط البارز (Mohammed as despot of yathrib) ولا يخفى ما يعنيه هذا الوصف (Despot) الذى لا يليق أن يوصف به ذلك النبى الأمين الذى أضاء بحكمته دياجير الظلمات الحالكة ، ورفع لواء العدل على الإنسانية نخلصها من نير العبودية ، وفكها من عقال الجهل ، وبسط السلام الحق ، وآخى بين الناس ، وأقر مبدأ المساواة فى الحقوق بين الأفراد ، وأزال الفوارق بين الطبقات ، وبصورة أعم فقد جاء بالحرية للانسان ؛ وهذا أمر اعترف به رجال التاريخ المنصفون من غير المسلمين ؛ فما بال دائرة المعارف المذكورة تتجاهل كل ذلك وتصفه بهذا الوصف الذى لم نرها تصف به من يستحقونه أمثال الإسكندر — ونابليون وأضرابهما من الحكام والمستبدين ؟...

إن محمداً لم يكن يوما ما طاغية ولا مستبداً ولا حاكما مطلقاً كما يشهد التاريخ بذلك ، بل هو الذى علم الناس التسامح وجاء بالحكم الشورى الذى تدرج حتى صار يدعى اليوم بالحكم النيابى أو الديمقراطى .

هذا من جهة ومن الجهة الأخرى فقد وجدت الدائرة المذكورة تمعن فى هذا التجاهل فلا تستند إلى كتب التاريخ المهمة بل تستند إلى تاريخ الواقدى الذى تقول عنه إنها لم تجد غيره ، ثم هى فى الوقت نفسه تطعن فى هذا التاريخ وتقارنه ببعض الكتب الغربية الخرافية فى أوربا . والواقدى كما يعلم المتتبعون لحوادث التاريخ غير حجة ولا ثقة بالنسبة لغيره من المؤرخين الثقات ، هذا بالإضافة إلى أن البحث برغم استناده إلى ذلك التاريخ غير مستوف .

وظاهرة أخرى لاحظتها فى هذه الدائرة ، وهى أنها عند تعرضها لذكر كبار رجال الإسلام كالخلفاء الأربعة ومشاهير بنى أمية والعباسيين وغيرهم تأتى بنبذ مقتضبة عنهم لا تتجاوز بضعة أسطر فى حين أنها تكتب الصفحات الطوال عن نابليون وأمثاله وحتى عن رؤساء وزارات ووزراء وغيرهم .

هذا عرض موجز لما لاحظته ، وقد فكرت طويلا ثم ...



آل بونتـــى ...

للكاتب الأمريكي ستيفن فنسنت بنيت

تتكون عائلة بونتى من تسعة أفراد : أم ، وأب ، وستة أولاد ، ثم خادم متقدمة السن . وهم يعيشون فى مجاهل الغابة حيث يقتطعون الأخشاب ويتجرون فيها ، وبذلك اعتزلوا البلدة وأهلها فسرت تلك الأشاعات الهامسة التى كان يتناقلها أهل البلدة عنهم وذلك الشعور المبهم الذى كان يساورهم كلما رأوهم قادمين بين كل فترة طويلة وأخرى لتبادل المحاصيل بالمواد الغذائية اللازمة ، أوحين يتوجهون إلى الكنيسة فى أيام الآحاد ، حتى لقد قيل عنهم إنهم يضربون فى مجاهل تلك الغابة المخيفة حتى ائتلفوا مع حيواناتها المفترسة وأصبحت تربطهم بها صلة صداقة وثيقة .

شاء القدر أن يتوفى عميد العائلة ، ثم تلحق به زوجه ، وسرعان ما توفيت الخادم العجوز كذلك ، وتركوا الأبناء وحدهم وقد شعروا بنتائج تلك الوفيات المتلاحقة ، فهاهى ذى الأتربة بدأت تتراكم على النوافذ والجدران ، وها هم أولاء يطهون طعامهم بأيديهم ، طعامهم الذى فقد نكهته الأولى التى تعودوها فى حياة والديهم .

ولما تشاوروا فيما بينهم لم يجدوا مخرجاً من ذلك المأزق الحرج وبديلا لتلك الحياة الشاقة سوى أن يتزوج أحدهم حتى ترعى امرأته المنزل بما لها من حنكة النساء ودرايتهن بتدبيره . ولما اختاروا أكبرهم ويدعى هارى للقيام بتلك المهمة التى سبق أن أجمعوا على صعوبتها ، حاول أن يتهرب منها وأن يلقى بالعبء على أخيه الذى يليه ؛ ولكن هذا حاول أن يسند الأمر إلى من يصغره ... وهكذا ... حتى وجد هوب الأصغر أنه هو المكلف بالأمر فمانع واعتذر

منذ أشهر بذلك إلى معالى السيد عبد الرزاق السنهورى بصفته وزيراً لمعارف أكبر أمة إسلامية عرفت واشتهرت بمواقفها المشرفة فى الدفاع عن الإسلام وشعوبه ، كما فيها أكبر معهد إسلامى يرنو إليه مسلمو الأرض بعين الثقة والأمل ألا وهو الأزهر ، وأهبت بمعاليه أن يتفضل ويدرس الموضوع فى مرجعه والقيام بالتوسط لدى ناشرى الدائرة لحذف مايتنافى وكرامة من يدين بدينه أكثر من أربعمائة مليون مسلم ثم تزويدهم ببحث واف مستفيض عن حياة الرسول الأعظم وكذلك عن مشاهير رجال الإسلام ليكون جاهزاً ينشر فى الطبعة المستقبلة .

وأنا الآن أستنهض همم الهيئات المختصة من دينية ومدنية لا فى مصر وحدها بل فى جميع الأقطار الإسلامية للقيام بواجبهم نحو دينهم ورجال دينهم الذين لولاهم لما كنا اليوم نستنشق عبير الهواء ونطمح إلى حياة موفورة الكرامة ومنزلة رفيعة مرموقة تحت الشمس . ولعلهم إن شاء الله فاعلون .

(البصرة) **أحمد حمد آل صالح**

التواءات نفس

من نكد الدنيا على الأدب أن يوجد أديب واحد من أبناء هذا العصر ينزل منزلة المزورين فى الأدب يلفق كلاماً يلصقه بغير قائله . ومن سوء طالع هذا الجيل أن يكون فيه كاتب واحد جبان لا يجرؤ على القول الحق والمجاهرة به .

لقد سمعنا بمقالات كان يكتبها أديب يدافع فيها عن الشعر الرمزى مذيلة بامضاء غيره ؛ ولكننا لم نسمع عن حادث فى الأدب كحادث التزوير الذى ذكره الدكتور شريف القبج فى العدد السابق من الرسالة فى الدفاع عن الشاعر الرمزى بشر فارس .

وعلى الرغم من شناعة هذه الفرية الشائنة التى ألصقها مخلوق مريض النفس بأدبنا العصرى ونهضتنا الزاهرة ، أحذر الأدباء هذا الانحطاط الخلقى وأهيب بهم مجافاة هؤلاء المرضى بالالتواءات النفسية ؛ لأن حكمهم ليس كحكم أصحاب العاهات من عميان ومجذوبين ومبتورى السوق تتقزز النفس لمرآهم ، بل كحكم مرضى يوبئون المجتمع بجراثيمهم الخلقية وعللهم النفسية ، وسنعمل على تطهير المجتمع الأدبى منهم .

حبيب الزحلاوى

واقترح أن يقترعوا فيما بينهم وكانت نتيجة الاقتراع أن اختير هارى الأكبر .

وفى اليوم التالى ألبسوه أنظف لباس ثم أرسلوه إلى المدينة ليبحث عن زوجة له .

سار مشتت الفكر مبلبل الخاطر وقد قرر أن يفاتح أول فتاة تقابله فى أمر الزواج به . ولكن كانت أول من قابلته امرأة متزوجة ، ثم التقى بطفلة صغيرة ، وأخيراً ابنة الحاكم التى ما إن رأته حتى فرت هاربة .

فغمره اليأس ودخل حانة صغيرة وجلس بقرب النافذة ليشرب كوباً مثلجة من الخمر . وبينما هو يرسل نظرة تائهة نحو الخارج رآها ، وكانت فى ملابس الخادمات ، ريانة العود ، عذبة الملامح . ولم يشعر بنفسه إلا وهو يسرع إليها ويبتدرها قائلا :

— ما أبهج الصباح ، وما أسعدنى بلقائك ، يا له من يوم جميل يصلح لأن يكون يوم زواج .

فنظرت إليه طويلا ثم ابتسمت قائلة : هو كذلك .

فتشجع وقال فى حماسة : أتتزوجيننى ... أنا أدعى هارى بونتبى وأسكن الغابة وأصلح لأن أكون زوجاً طيباً .

فتمنعت قليلا فى بادىء الأمر ولكنها سرعان ما وافقت . فأخذها من يدها مسرعاً إلى الحاكم ليعقد عليهما ثم اشترى لها ملابس جديدة وعاد بها إلى منزله عودة الظافر المنتصر .

ولما رأت اخوته الخمسة قالت — لماذا لم تخبرنى بذلك ياهارى من قبل ؟

فقال : لعل سعادة لحظة الزواج أنستنى كل شىء عداها .

ثم دخلت ذلك المنزل الكبير واستعرضت ما فيه فهالتها الأتربة المتراكمة والكميات الوافرة من الطعام التى تكفى لإشباع بطون كثيرة ، وأكوام الملابس القذرة التى فى أشد الحاجة إلى أيد تغسلها وتتعهدها . فشمرت عن ساعديها وأقدمت على العمل مجتهدة وتناول الفتيان ليلتئذ أول عشاء جيد لم يسبق أن تذوقوه منذ شهور .

كرت الشهور تتلوها الأيام واحتلت ميلى فى نفوسهم جميعاً مكانة عظمى فأصبحوا رهن إشارتها يضحون بكل ما تطلبه منهم كما تغيرت وجهة نظرها الأولى التى كانت تحفظها عنهم وهى فى البلدة إذ وجدت فيهم أناساً يتحلون بأنبل السجايا وعجبت كيف يختلق أهل القرية تلك الإشاعات المفتراة عنهم .

ويوما ، لاحظ عليهـا زوجها أنها تكد وتجهد وتكافح فى سبيلهم حتى هزل جسدها ونال الضعف من قوتها فقال لهـا — يجب أن تنالى راحتك ولو قليلا يا عزيزتى .

فنظرت اليه فى ابتسامة وقالت — وبخاصة وأنا أشعر بذلك الجنين الذى بدأ يتحرك فى أحشائى .

فاجتمعت العائلة وقررت أن يتزوج هلبرت الأخ التالى حتى تمد زوجته يد المساعدة إلى ميلى فى إدارة المنزل .

وفى صباح اليوم التالى توجه هلبرت إلى البلدة وانتظره إخوته ولكنه عاد فاشلا ، فما من فتاة قبلت الزواج منه . وهن يتعجبن كيف تسنى لميلى أن تحتمل أعباء المعيشة معهم . فأرسلوا هوسيا الذى يصغره فى اليوم التالى ليجرب حظه ... ثم الأصغر ... ثم الأصغر ... إلا أنهم أخفقوا جميعا فى مساعيهم . وأخيراً لم تجد ميلى مفراً من أن تقف فيهم قائلة :

« يا إخوتى الأعزاء ، يجب أن تسلكوا طرقاً أخرى تمكنكم من نيل مآربكم ، فلقد رفضت هؤلاء الفتيات الزواج منكم بعد أن سألتموهن ، فلنجرب طريقة أخرى ، لم لا تتزوجوهن أولا ثم تسألوهن الموافقة بعدئذ !. »

فهتفوا فى صوت واحد — وكيف ذلك ؟

فقال — لقد قرأت يوما فى كتاب من كتب التاريخ أن جماعة من الرومان تقدموا للزواج من فتيات بلدة من البلدان ولكن لسوء حظهم رفضت الفتيات أن يرتبطن معهن بتلك الرابطة ، فما كان منهم إلا أن أغاروا على البلدة ليلا وعادوا بنسائهم اللاتى اختاروهن عنوة معهم . فاذا لم تفعلوا أنتم مثلهم فلن أكون لكم أختا بعدئذ ، ولن تتقدم يدى إلى طعامكم أو ملابسكم ، بل عليكم أنتم أن تفعلوا كل شىء بأيديكم كسابق عهدكم .

فساد الصمت بينهم ولكن عاد صوتها يقول — أرجو ألا ينفـذ اليأس إلى قلوبكم ، فأن ما يجعلهن يحجمن عن الزواج بكم إنما هى تلك الإشاعات الكاذبة التى يفتريها القوم عليكم هناك ،

ولكنى أؤكد أنه إذا ما قبلت إحداهن الزواج فسرعان ما تتقاطر الأخريات عليكم .

وبقيت صامتة فترة إلى أن خطر لها أن تسأل .

— هل هناك من يحرر عقوداً سوى الحاكم ؟

فأجابوها — هناك قسيس فقير فى الغابة .

— حسنا لقد انتهى الأمر .

كان اليوم أحد أيام الأعياد الوطنية ، وقد اعتاد الأهالى أن يتركوا أسلحتهم فى منازلهم فى مثل تلك الأعياد . وفى المساء وأهل البلدة فى هرجهم ومرجهم إذ بهم يفاجأون بالأخوة بونتبى وقد أشهروا أسلحتهم مهددين ... وسرعان ما انطلقوا هاربين بعد أن حملوا معهم صفوة الفتيات التى اختاروهن ولم ينسوا أن يغلقوا أبواب البلدة خلفهم جيداً حتى وصلوا إلى منزلهم فى الغابة سالمين .

عالج أهل البلدة فتح الأبواب فلم يتمكنوا من ذلك إلا فى الفجر ، وكانت الثلوج تتساقط فى غزارة حتى عجزوا عن تمييز أى شىء . وبقيت الحال على ذلك عدة أيام طويلة بعدئذ حتى دب اليأس إلى قلوبهم خوفا من الذهاب إلى منزل آل بونتبى مخترقين تلك الطريق المظلمة الخطرة ولم يجدوا بداً من الانتظار حتى الربيع .

أمسكت الفتيات فى بادىء الأمر عن تناول الطعام وتمسكن بأهداب الفكرة التى كانت تحوم برؤوسهن دائما عن العودة إلى أهلهن . ولما لاحظت ميلى ذلك الامتناع البغيض ، جعلت تدبر الأمر فى سياسة ، فأول ما فعلت أن جهزت لهن الشاى وجعلت تقنعهن حتى تناولنه ... ولما سرى الدفء فى أجسادهن بدأت تقول . « إنه لمن دواعى أسفى حقاً يا آنساتى أن أجدكن على تلك الحال التعسة بعد أن اختطفكن هؤلاء الوحوش . ولو أنى علمت أن تلك هى نواياهم لنصحتهم بالعدول عنها . بودى لو تعدن جميعاً إلى بلدتكن ، ولكن ما حيلتى الآن ... والثلوج متراكمة فى الطريق ... علينا إذن أن ننتظر حتى الربيع . ولكنى أؤكد لكن أنى سأحرص دائما على بقائكن فى أمان ودعة » .

ثم أخرجت مجموعة كبيرة من المفاتيح وعادت تقول « سنبقى نحن هنا ، ونغلق علينا أبواب المنزل جيداً ، أما هؤلاء الحمقى فليتناولوا طعامهم وليناموا فى حظيرة البهائم حتى تخزهم ضمائرهم ويندموا على هذه الفعلة الشنعاء » .

فأشرقت وجوه الفتيات لذلك ، وقادتهم ميلى إلى حجراتهن وهن يشعرن بصداقتها الحقة .

ظلت الحال على ذلك أسبوعا كاملا ، فالفتيات داخل المنزل المغلقة أبوابه وقد تحققت أحلامهن القديمة عن حياة خالصة من شوائب الرجال . يا للسعادة حينئذ ... جعلت ميلى تحبذ تلك الفكرة فتقول : « أترين يا صديقاتى أن الحياة بدون رجال جنة من جنات النعيم والخلد » وكن يوافقنها فى حماسة فى بادىء الأمر .

إلا أن الملل بدأ يتسرب إلى نفوسهن على مر الأيام وبدأن يسأمن ذلك الحديث ، ولاحظت ميلى أنهن يحاولن بقدر المستطاع رؤية أحد الفتيان من النوافذ أو من خلف الستائر كما بدأت تقوم بينهن المنازعات ... وحينئذ ... قررت ميلى أن تخطو خطوتها الثانية

جمعتهن يوما فى حجرة واسعة بطرف المنزل فاستعرض الفتيات ما فيها من أثاث وإذا بابنة الحاكم تفتح صندوقا وقعت عليه عينها فوجدت فيه ثوب عرس فأفلتت منها صيحة إعجاب جعلت الباقيات يتجمعن حولها ويتحسسن الثوب فى رغبة خفية .

فقالت ميلى فى حزم — دعن الثوب ... لقد صنعته لما حاول أحدهم الزواج بإحداكن ... دعنه ... ولكنهن تجاهلن كلماتها وأسرعت ابنة الحاكم ترتديه وهى تقول :

— إن هوب الصغير له شعر مجعد ، كم هو مغر .

فقالت ابنة المحامى — ليس لهوب ما لهلبرت من جمال

فقالت الثالثة — أرأيت عينى هارفى ، إنهما فاتنتان بنظراتهما الهادئة الوديعة .

وقالت الرابعة : ما أجمل اسم هوارد وما ألطف وقعه على الأذن !

فقالت ميلى وهى تتظاهر بالخوف — ما هذا يا فتياتى ... أأصابكن الجنون ؟

فرمقنها جميعاً بنظرات التحدى والثورة حتى اضطرت إلى أن تخبرهن بأن هناك أربعة أثواب أخرى غير هذا الثوب .

ولما بدأن يهرعن لرؤيتها أوقفتهن وهى تقول — إن أردتن الزواج من آل بونتبى ، فليس هناك أى مانع ، ولكن اعلمن أنى لا أزال مسئولة عنكن أمام آبائكن ، فبمجرد زواجكن

يجب أن يعود كل إلى مكانه ، أنتن إلى هنا ، وهم إلى حظيرتهم، ولا يمكننى أن أجمع بينكن وبينهم إلا بعد الحصول على موافقة آبائكن .

قام القسيس الفقير بصوغ العقود الخمسة ، وعاد الرجال إلى حظيرتهم ، كما أغلقت أبواب المنزل على الفتيات .

ولكن حدث فى ذلك المساء أن هبت ابنة الحاكم صارخة :

— أنا لا أفهم كيف تقوى فتاة متزوجة لها شرعية الوجود مع زوجها دائما على ألا تراه إلا من النوافذ خلسة !

وحينئذ ارتضت ميلى أن تسن لهن قانونا خاصاً ، فسمحت للرجال بزيارة زوجاتهم ثلاث مرات فى الأسبوع ، على أن يتناولوا العشاء معهن تحت مراقبتها .

كان النفور هو الشعور السائد بين الفتيان والفتيات فى أول الأمر ، ولكنه سرعان ما اختفى ، فهاهى ذى ابنة الحاكم وقد سمحت لهوب أن يضغط يدها فى غفلة عن ميلى ، كما خاطت ابنة المحامى زرا فى ثوب هلبرت وهكذا بدأت الأحوال فى التحسن والانتعاش ولو أن ميلى كانت تتظاهر دائماً بالحذر فى رقابتها .

وفى صباح يوم من أيام يناير استيقظت ميلى ونظرت من النافذة فابتسمت ابتسامة عريضة . لقد ضربن برقابتها عرض الحائط . فها هن يمرحن مع أزواجهن ، تلك تحدث زوجها والأخرى تقبله ، والثالثة تعدو أمامه . فشعرت بالسرور يملأ قلبها وخطر لها خاطر لم يزعجها ، إذ هى تذكرت أهلهن ولكنها وهى المدبرة قد احتاطت للأمر من مبدئه ، إذ أوصت الفتيان أن يتركوا خطاباً بامضاءاتهم هم الخمسة ويذكروا فيه حسن نواياهم ونبلها ويطمئنوا الرجال على فتياتهم .

وفى ذات يوم بعد أن وضعت ميلى طفلها بستة أسابيع ، جاءها هوب وهو يلهث ويقول :

— لقد جاء يا ميلى كل رجال المدينة مدججين بالسلاح ، تبدو على وجوههم معانى التحدى والشراسة . ما ذا تفعل ؟

قامت ميلى فجمعت الفتيات وأصدرت اليهن أوامرها كما أخفت الفتيان فى مكان أمين ، ونظرت أمامها فوجدت تلك الكتل البشرية القادمة صوب المنزل تحت قيادة الحاكم فلم تعرهم التفاتها .

ولما وصل القوم إلى المنزل عجبوا وتولتهم الدهشة ، إذ وجدوا أبوابه مفتوحة على مصراعيها ، فما كان من الحاكم إلا أن قرع الباب مرتين فظهرت ميلى تحمل طفلها فبادرته قائلة .

— لقد جئت فى الوقت المناسب يا جناب الحاكم فأنا أود أن أعمد طفلى .. هل جئت بذلك السلاح لتعمده به ؟

فخجل الرجل وألقى سلاحه ثم قال فى حدة — ليس لى شأن بولدك .. أين ابنتى ؟

فقالت فى هدوء — اصغ جيدا . .

أرهف الكل سمعهم فطرقت آذانهم صوت آلة غزل تدور وصوت آخر يجاريها وهو يتعالى بنشيد فى مرح وسرور . وقالت ميلى : هاهى ذى ابنتك يا جناب الحاكم .. أتراها سعيدة أم شقية ؟

فتمهل الحاكم ثم قال — إنها سعيدة . .

وسرعان ما تعالت أصوات الباقين يتساءلون عن فتياتهم ، ولما أصاخوا السمع كانت هناك إحداهن تنشد أغنية عذبة ، وأخرى تغسل فى حبور ، وثالثة تطهى الطعام .

وخاطبتهم ميلى أخيرا « هاهن بناتكم ، ألسن سعيدات ، نحن جميعاً ندعوكم لتناول الغداء معنا » وأخيراً ظهرت الفتيات فهرع آباؤهن اليهن ، وتم التعارف بين الأزواج والأصهار

حسن فتحى خليل

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين

العدد ٦٣٢ - الاثنين ٤ يونيو ١٩٤٥ - السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

13 me Année No. 622

Lundi - 4 - 6 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
م
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٢٢ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٤ — ٤ يونيو سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

دار الترجمة أيضاً

عفواً يا معالى الوزير !

هذا الطريق لا يؤدى

فى عدد مضى من الرسالة اقترحنا على صاحب المعالى وزير المعارف أن تُنشأ دار للترجمة مستقلة عن ديوان الوزارة يُختار لها مائتان على الأقل من المترجمين النابغين فى لغتهم وفى اللغات الأوربية الثلاث ينقلون المعارف الأجنبية نقلاً كاملاً صحيحاً فلا يدَعون عَلماً من أعلام الأدب والعلم والفن والفلسفة والإجتماع إلا نقلوا كتبه ونشروها على حسب ترتيبها وتبويبها فى طبعاتها الأصلية ؛ فإذا فرغوا من ترجمة الموجود فرغوا لترجمة المستجد ، فلا يكون بين ظهور الكتاب فى أوربا وظهوره فى مصر إلا ريثما يترجم هنا ويطبع . وكان هذا الاقتراح مبين الأسباب ، مفصل النتائج ، موضح الآثار ، يقرأه القارئ فيحسبه لطول ما تردد فى نفسه ، وتجدد فى أمانيه ، صادراً عن رأيه أو منقولا عن شعوره . لذلك دوّى صداه فى الأقطار العربية فتجاوبته ألسن مبينة ، وتناولته أقلام بليغة ؛ ولو ذهبنا نذكر كل ما قيل ، وننشر كل ما كُتب ، لما اتسعت الرسالة لموضوع غير هذا الموضوع .

على أنا ننشر اليوم قولين رسميين دارا على هذا الاقتراح فى مجلس الشيوخ ، أحدهما سؤال لشيخ محترم أجمل فيه رأى الأمة ، والآخر جواب عنه لوزير المعارف لخص فيه رأى الحكومة ، ثم نعقب عليهما بما نعتقد أنه الحق والأحق

صاغ الأستاذ أحمد رمزى بك أحد أعضاء مجلس الشيوخ من هذا الاقتراح سؤالا وجهه إلى معالى عبد الرزاق السنهورى بك فأجابه عنه بقوله : « توجد فعلا بوزارة المعارف إدارة لأداء الأغراض النافعة التى أشار إليها حضرة العضو المحترم فى الجزء الأول من سؤاله ، وهى ترجمة المؤلفات الأجنبية ونقل المعلومات العلمية والإجتماعية والأدبية وثمرات الثقافة الأجنبية إلى اللغة العربية ؛ وعندما توليت وزارة المعارف أعدت تنظيم إدارة الثقافة العامة التى تتبعها إدارة الترجمة بما يكفل لها أداء مهمتها على الوجه الأكمل ، وراعيت فى هذا التنظيم الجديد أنه يمكن الوزارة من أن تستعين بمن يمكن الاستعانة بهم من الكتاب والمترجمين من موظفين وغير موظفين فتعهد إليهم بأعمال الترجمة والمراجعة نظير مكافآت سخية تصرفها لهم . وشكلت لجنة من كبار رجال الوزارة والجامعة لاختيار الكتب التى تترجم ، ووضع المناهج للترجمة وتعيين من يقومون بها . أما عن النفقات التى يحتاجها هذا العمل فإن الوزارة فضلا عما يوجد فى أبواب ميزانيتها من اعتمادات مرصودة لهذا الغرض لن تتأخر عن التقدم إلى البرلمان بطلب ما يحتاجه هذا العمل الواسع النطاق من اعتمادات جديدة »

أما سؤال الشيخ فاتجاه إلى الطريق الأقوم فى تربية الشعب وترقية عقله ولغته وأدبه وعلمه وعمله ؛ وأما جواب الوزير فاحتفاظ

بالنمط المألوف من مسايرة (الروتين)، ومشاورة اللجان، ومطالعة التقارير، ومماطلة الحوافز، حتى يتراخى الزمن ويفتر العزم ويتغير الحال وينتقل الحكم وينتهى كل شىء إلى لا شىء! وكان الظن بصاحب المعالى وزير المعارف وهو من هو فى منطقه وتعمقه وجده أن يعالج نقل المعارف الأجنبية على أنه تصحيح نهضة وتثقيف أمة وبدء تاريخ، فيجعله الهدف الأول لسياسة الوزارة فى عهده، والنار الهادى لمن يسلك هذا الطريق من بعده

إذن بقينا فى نقل الثقافة الغربية على ما كنا عليه لم نتقدم خطوة: إدارة للترجمة فى مراقبة الثقافة العامة تشرف على خمسة مترجمين أو ستة ينقلون سفراً ضخماً فى التاريخ العام لا ندرى فى أى مدة ينتهى، أو كتاباً فى تاريخ انجلترة لما كولى لا ندرى أى أمة يفيد؛ ثم الاستعانة بالكتاب والمترجمين من موظفين وغير موظفين (فى أعمال الترجمة والمراجعة نظير مكافآت سخية تصرف لهم)، وهذه هى الخطوة الجديدة فى الإدارة القديمة ولكنها إلى الوراء، لأن اختيار الكتب وتوزيعها على أحرار المترجمين تجربة تحققت فى بعض العهود ثم أخفقت. وإخفاقها إنما أتاها من نزعتها الفردية فى اقتراح الفكرة وانتخاب الكتاب واختيار المترجم. وبقاء الأعمال الفردية رهن ببقاء الفرد. والقاعدة عندنا أن يهدم الخالف ما بنى السالف حتى لا يكون لغيره بناء يقوم ولا عمل يتم. أما إذا أسس العمل على قانون أو مرسوم عز على الرياح أن تنال منه وإن سفت عليه التراب وزمجرت حوله باللغط.

وبعد، فهل نستطيع أن نعرف ولو بالحدس بعض الأسباب التى سوغت للوزارة أن تفضل إدارة للترجمة على دار للترجمة؟ يقولون إن من هذه الأسباب صعوبة الحصول على مائتى مترجم يصلحون لهذا العمل. واعتراف الوزارة بهذه الصعوبة اعتراف منها بالعجز عن أداء ما خلقت له؛ فإن من العار الذى لا يرحضه ندم ولا لوم ألا نجد فى جيلين نشأتهما وزارة المعارف فى مصر وفى أوربا، مائتين يحسنون اللغة العربية ولغة أخرى أوربية، وتعليمهما كما نظن يبتدئ مع الدراسة الإبتدائية، وينتهى مع الدراسة الجامعية! فإذا سلمنا لهم أن ذلك هو الواقع فإن فى الإمكان أن يسدوا هذا العوز بطائفة من إخواننا العرب، إذ الغرض العلمى واحد، والتعاون الثقافى قائم. فإذا أعيانا الوصول إلى هذا، كما أعيانا الحصول على ذاك، بدأنا العمل بمائة أو بخمسين ثم بعثنا إلى أوربا فى كل سنة عشرة من خريجى الأزهر ودار العلوم والجامعة يُخَصون فى درس هذه اللغات حتى يبلغ النصاب عدده. ولو أن (البعثة الفهمية) — ولها فى ذمة الوزارة ستمائة فدان من أخصب الأرض — سارت على النهج الذى رسمه لها صاحب المعالى حلمى عيسى باشا لما شكونا هذا النقص وأحسسنا ذلك القصور

كذلك يقولون إن هؤلاء المترجمين إذا تيسر الحصول عليهم سيصيبهم داء الموظفين فيعملون عُشر مايستطيعون؛ وإذن يكون عشرون يرأسهم ضميرهم، خيراً من مائتين يرأسهم كبيرهم. ودواء ذلك إذا جاز أن يكون عين كلوء تراقب، ويد حازمة تصرّف، وتحديد يومى لإنتاج المترجم يطلب منه ويناقش فيه ويحاسَب عليه

أما غير هذين الإعتراضين على تهافتهما فرده إلى الهوى لا إلى العقل. والحق أن النار الذى ضفره عطارد لهذا العمل العظيم الخالد لا يزال مرفوعاً بين يديه ينتظر الرؤوس التى تستحقه. وما زلت قوى الأمل فى أن يكون من نصيب الصديقين العزيزين عبد الرزاق السنهورى واحمد أمين. فليت شعرى أهو الحذر الذى يخطئ، أم هو القدَر الذى يصيب؟

يا معالى الوزير! إنا أمة جاهلة فينا أفراد يعلمون. وإن من الخزى أن نظل كذلك وآباؤنا هم الذين علموا الشعوب ومدنوا العالم! إن الجهل باللغات الأجنبية عندنا مذمة وهو عند غيرنا محمدة. وعلة ذلك أن لغتنا لا تزال لغة العلم القديم؛ فمن اكتفى بها اتهم بخفة الوزن وقلة العلم. وهيهات أن ندرأ عنها وعنا هذه المعرة إذا لم تنقل إليها المعارف الحديثة على الوجه الذى أقترح! بهذا وحده يامعالى الوزير تعود لغتنا إلى الحال التى قال فيها كاهن قرطبة أيام كنا سادة الأندلس: «إنا نحب أن نقرأ الشعر والقصص، وندرس الدين والفلسفة فى اللغة العربية، لأنها لغة عذبة الألفاظ بليغة الأداء. ولا نكاد نجد فينا من يقرأ الكتب المقدسة باللغة اللاتينية، وشبابنا الأذكياء كافة لا يعرفون غير لغة العرب وآدابهم. وكلما قرأوا كتبها ودرسوا أدبها أعجبوا بها. فإذا حدثتهم عن كتاب من الكتب اللاتينية سخروا منه وقالوا: إن الفائدة منه لا تساوى التعب فى قراءته(١) ...»

ذلك ما قالوه فى لغتنا بالأمس؛ وهو نفسه ما نقوله فى لغاتهم اليوم! فهل فى ذلك لقوم بلاغ؟

احمد حسن الزيات

---

(١) تاريخ العرب فى أسبانيا لدوزى بالفرنسية – ٢ ص ١٠٣

فى إرشاد الأريب
إلى معرفة الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

— ٣ —

* فى ج (١٠) ص ٢٦٣ .

ويلومون فيك يا ابنة عبد الله (م) والقلب عندكم موهوق

وجاء فى الحاشية : موهوق يروى مكانها موثوق .

قلت : لم يرو موثوق مكان موهوق فى كتاب ، ولم يجيء ذلك عن راوية . ولن يعد تصحيف ناسخ أو تطبيع طابع رواية من الروايات ... وكان العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي وجد هذه اللفظة (موثوق) فى طبعة كتاب فسارع إلى تخطئة الشاعر ، قال فى مجلته (الضياء) س ١ ص ٥١٥ :

« وأغرب منه ورود مثل ذلك فى كلام أناس من أهل الجاهلية كقول عدى بن زيد العبادى : ويلومون ، البيت ... يريد موثوق »

والشاعر لم يقل (موثوق) وإنما قالته المطبعة ، والبيت من شواهد اللسان والتاج فى (و ه ق) .

وورد فى ج ١٠ ص ٢٦٤ فى قصيدة عدى هذا البيت :

مرة قبل مزجها فإذا ما مزجت لذ طعمها من يذوق

و (مرة) هنا هى (مزة) بالزاى . والمزة — كما فى اللسان — الخمرة التى فيها مزازة ، وهى طعم بين الحلاوة والحموضة ، وحكى أبو زيد عن الكلابيين : شرابكم مز .

وجاءت (مرة) فى طبعة الأغانى . والبيت من شواهد اللسان والتاج فى (م ز ز) والبيتان من قصيدة مشهورة ، مطلعها :

بكر العاذلون فى وضح الصبح (م) يقولون لى : ألا تستفيق

وفيها هذا البيت المشهور :

فدعوا بالصبوح يوما فجاءت قينة ، فى يمينها إبريق

ولم يورد أبو الفرج هذه القصيدة فى كتابه (الأغانى) فى أخبار قائلها المنسوبة إليه ، وأوردها فى أخبار حماد الراوية ، فهل صاغها حماد ... ؟

* فى ج ١٠ ص ٣٧ وقال (يعنى ابن الشبل البغدادى) :

احفظ لسانك ، لا تبح بثلاثة سن ومال — ما استطعت — ومذهب

فعلى الثلاثة تبتلى بثلاثة بمكفر ، وبحاسد ، ومكذب

قلت : بمكفر . وجاءت فى (طبقات الأطباء) بمفكر . والمفكر — يا أخا العرب — لا يكفر ...

* فى ج ٦ ص ٢٣٧ : فكان إذا سمع منه كلاماً يسجع فيه ، وخبراً ينمقه ويرويه — يَبْلُقُ عينيه ، وينشر منخريه .

وجاء فى الشرح : بلق عينه كنصر وأبلق فتحها وأقفلها .

قلت : جاء فى اللسان : بلقه يبلقه بلقاً وأبلقه فتحه كله ، وقيل فتحه فتحاً شديداً ، وأغلقه ، ضد .

وعندى أن الأصل (يُبرّق عينيه) قال التاج : برق عينيه تبريقاً إذا وسعهما وأحد النظر ، قال أعرابى فى المعاتبة بينه وبين أهله :

فعلقت بكفها تصفيقا
وطفقت بعينها تبريقا
نحو الأمير تبتغى تطليقا

وفى الأساس : ومن المجاز : وبرق عينيه : فتحهما جداً ولمعهما .

وأغلب الظن أن (ينشر منخريه) هى (يُنشز منخريه) أى يرفعهما .

والقول لأبى حيان التوحيدى فى الصاحب بن عباد وأبى طالب العلوى أحد أصحابه ، أى فكان أبو طالب إذا سمع كلاماً منه أى من الصاحب الخ ... وأبو حيان هو صاحب كتاب (مثالب الوزيرين) والوزيران هما ابن العميد والصاحب ...

* فى ج ٧ ص ١٨٢ .

وصاحب أصبح من برده كالماء فى كانون أو فى شباط

ندمانه من ضيق أخلاقه كأنهم فى مثل سم الخياط

نادمته يوماً فألفيته متصل الصمت قليل النشاط

حتى لقد أوهمنى أنه بعض التماثيل التى فى البساط

قلت : جاءت (شباط) بفتح الشين وهى بضمها . فى التاج : شباط وسباط كغراب اسم شهر من الشهور بالرومية . قال أبو عمرو : يصرف ولا يصرف . (وهو) قبل آذار يكون بين الشتاء والربيع . قال الأزهرى : وهو من فصول الشتاء ، وفيه يكون تمام اليوم الذى تدور كسوره فى السنين ، فإذا تم ذلك اليوم فى ذلك الشهر سمّى أهل الشام تلك السنة عام الكبيس ، وهو الذى يتيمن به إذا ولد مولود فى تلك السنة أو قدم قادم من بلد .

* فى ج ٨ ص ١٨٢ ولولا الإبقاء لأهل العلم لكان القلم يجرى بما هو خاف ، ويخبر بما هو مجمجم .

قلت : أغلب الظن أن الأصل هو (الإبقاء على أهل العلم) فى الصحاح : أبقيت على فلان إذا أرعيت عليه ورحمته . وفى الأساس : وأبق عليك بُقيا وبقية ، وأرعى عليه : أبق ، وهو حسن الدَّعوى والدُّعيا كالبَقوى والبُقيا .

ومن أمثالهم : لا أبقى الله عليك إن أبقيت علىّ . قال الميدانى : أبقيت على الشيء إذا تركته عطفاً عليه ورحمة له . يقال هذا للمتوعد

* فى ج ٦ ص ١٨٥ ودخل إلى الصاحب رجل لا يعرفه ، فقال له الصاحب : أبو من ؟ فأنشد الرجل :

وتتفق الأسمـــاء فى اللفظ والكنى
كثيراً ولكن لا تلاقَى الخلائقُ

فقال له : اجلس يا أبا القاسم .

قلت : رواية البيت هى :

فقد تلتقى الأسماء فى الناس والكنى
كثيراً ولكن لا تلاقِى الخلائقِ

جاء فى (خزانة البغدادىّ) . قال يونس بن حبيب : أشد الهجاء الهجاء بالتفضيل ، وذلك كما قال صديق مولانا القريب وابن عمته النسيب الفرزدق بن غالب وقد قيل له : انزل على أبى قطن قبيصة ، فحسبه ابن مخارق الهلالى فإذا هو آخر ، وذم قراه وجواره فقال :

سرت ما سرت من ليلها ثم وافقت
أبا قطن ليس الذى لمخارق

وقد تلتقى البيت . وروى ابن أبى الحديد فى شرح النهج (ولكن ميزوا فى الخلائق) والذى فى الخزانة هو أضبط .

و (دخل إلى الصاحب) ربما كانت (على الصاحب) وإن جازت (إلى) .

* فى ج ١١ ص ١٥٥

كنت فى عينها كرود كحل
صرتَ فى عينها كشوك السّبال

وجاء فى الشرح : السبال سنابل الحنطة وغيرها جمع سبلة .

قلت : هو السَّيال ، فى اللسان : السيال بالفتح شجر له شوك أبيض وهو من العضاه . وروي اللسان والتاج للأعشى (والبيت من معلقته) :

باكرتها الأغراب فى سنة النوم (م) فتجرى خلال شوك السيال[1]

قلت : الأغراب الأقداح والمفرد غَرْب . وقد جاءت الأعراب هنا فى المعجمين بالعين وإنما هى بالغين .

* فى ج ٨ ص ٢١٠ ومنها (أى من وجوه الواو ومواقعها) أن تكون بمعنى حرف الجر كقولك : استوى الماء والخشبةُ أى مع الخشبة .

قلت : جاءت الخشبة مرفوعة وهى منصوبة . والقول للامام أبى سعيد السيرافى فى المناظرة بينه وبين متى بن يونس القنائى . والإمام يعنى بالفعل (استوى) ارتفع لا تساوى حتى يجوز العطف ، ويقصد واو المفعول معه لا العاطفة إذ قد ذكر هذه فى أول بحثه فقال : منها معنى العطف فى قولك أكرمت زيداً وعمراً و (استوى الماء والخشبة) من أمثلة المفعول معه فى همع الهوامع وحاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك ...

* فى ج ٨ ص ٨١

رأيت قلنســـوة تستغيث (م) من فوق رأس تنادى خذونى
وقد قُلِعَت وهى طوراً تميل (م) من عن يسار ومن عن يمين

قلت : وقد قَلِقت فهى الخ . ولو قلعت ما كانت تميل من عن يسار ومن عن يمين ...

* فى ج ٩ ص ١٢ وقلت كما قال رؤبة لما استزاره أبو مسلم صاحب الدعوة :

لبيك إذ دعوتنى لبيكا
أحمـد ربى سابقاً إليكا

---

(١) السيال أصوله أمثال ثنايا العذارى . . . قال الأعشى : باكرتها البيت ، يصف الخمر (اللسان) .

على قارعة الطريق

صور من الجيل الجديد

للأستاذ سيد قطب

١ — تلميذة

لقيتها منذ عام واحد صبية أقرب إلى أن تكون طفلة . كانت فى السنة الرابعة الابتدائية ، تلميذة لأحد الزملاء ... وكان معى حينما تقدمت هى إليه لتحييه تحية التلميذة للاستاذ فى الطريق ، وسلمت علىّ معه فى براءة .

واليوم لمحتها . لا فى الطريق ، ولكن فى محل عام من محال « السندوتش » وغير السندوتش أيضاً ! لم تكن وحيدة . كان معها رفيق تلمع على كتفيه نجمة ... قلت لعله أخوها أو قريبها فما تجرؤ طفلة على الجلوس هكذا فى ركن منعزل خفى عن الأنظار ، مع غير قريب !

ولم ألق بالا إلى الأمر بعد النظرة الأولى . ولكن ماذا ؟ هأنذا أسمع أصواتاً فيها شىء . شىء غير حديث الإخوة أو الأقرباء أو ممكن هذا ؟ أو يكون ؟

نعم يكون فنحن فى الجيل الجديد !

لم تكن قد رأتنى بعد كما رأيتها ، لقد كانت مستغرقة فيما هى فيه . ولكن ها هى ذى ترانى ... وأقول الحق كى لا أظلمها ... لقد خجلت وتوردت وجنتاها ! أم لعلهما قد توردتا لسبب آخر ؟

على أية حال لقد همست له ، وهمس لها . ثم إذا هما ينسحبان ... أأكون قد عكرت عليهما الجلسة « البريئة » ... ؟ ربما أكون !

٢ — عذراء

كان يقف فى محطة الترام ، وقد غاب . كان يقطع الطوار جيئة وذهوبا من ملل الانتظار . وفجأة يرفع عينه إلى شرفة المنزل الفخم المقابل فتقع عينه على فتاة .

لم يكن يريد شيئا حينما رفع يده يمر بها على موضع شاربه ! كانت حركة آلية شبه غريزية فى هذه المفاجأة . ولكنه وجد يدها ترتفع بالتحية ، ولما كان الموقف كله هزلا فى نظره ، فقد تحرك حركة غريزية أخرى ، حرك أصبعه للاستدعاء !

قلت : رواية البيت هى :

أحمد ربا ساقنى إليكا

وبعده :

الحمد والنعمة فى يديكا

وقبل الأول :

قلت ونسجى مستجد حوكا

وعندى أن (صاحب الدعوة) هى صاحب الدولة وإن جاءت الدعوة فى كتب كثيرة .

١٠ فى ج ٧ ص ٢٥٠ فأما أخونا أبو الحسين قريبه ـ أعزه الله ـ فقد ألزمنى بإخراجه إلى أعظم منة .

قلت : ضبطت (أعظم) بالكسر كأنها مجرورة بإلى ، وجوزت كسره عند ضابطه الإضافة . والقول هو : ألزمنى بإخراجه إلىّ أعظمَ منة . يقال ألزمته الشىء فالتزمه كما فى الصحاح وغيره ، وألزمه به كما فى التاج ، ولم يرد ألزمه إلى الشىء .

والجملة من رسالة للصاحب بن عباد إلى أبى على الفارسى وقد جاء فيها :

« والشيخ — أدام الله عزه — يبرد غليل شوقى إلى مشاهدته ، بعمارة ما افتتح من البر بمكاتبته ، ويقتصر على الخطاب الوسط ، دون الخروج فى إعطاء الرتب إلى الشطط كما يخاطِب الشيخ المستفاد منه التلميذ الآخذ عنه »

وكلام الصاحب هذا مطرب مثمل [١] . وأبو على هو « أوحد زمانه فى علم العربية ، كان كثير من تلامذته يقول : هو فوق المبرد » كما روى ياقوت فى كتابه . وما القول فى إمام ، ابن جنى تلميذه ؟

(١) الأساس : وأثملهم الشراب .

واختفت من الشرفة ، لتمضى دقائق قليلة ، ثم يجدها بعد ذلك على الطوار !

لقد ارتبك قليلا . ولكنه تماسك ليرى ! فما كان يخطر على باله أن يتم الأمر كله بهذه السهولة . ومن يدرى لعلها لم تلحظ إشارته ولم تحس بوجوده وإنما هى تمضى لشأن خاص .

وقال كلمة عابرة ، مما يقوله الشبان لفتيات . وما كان أشد دهشته حين أشارت إليه أن يصمت هنا وأن يمضيا هناك .

إنها لتلحظه هنا كل صباح . وإنها لتعرف أنه مدرس فى المدرسة الثانوية بالحى ، وأنه خاطب ليتزوج . فأين هى « دبلة » الخطوبة ؟

واستمر فى عبثه فقال : لقد عدلت نهائيا عن الزواج . فما راعه إلا أن تقره فتاة على هذا العزم . لأن الطلاقة هكذا هى أليق الأوضاع !

والتقيا مرتين قبل أن ترافقه إلى داره ! ...

وفى الصباح سأل فى سخرية : ألا تتزوجينى ؟ قالت : لا . إن أبى مستشار ، ولن يرضى بالمدرسين !

وسألته عن شاب آخر يدرس معه فى المدرسة نفسها : ما اسمه وأية مادة يدرس ؟

وواعدته مرة ثم أخلفت الميعاد !

وبعد يومين شاهدها مصادفة ... برفقة ذلك الشاب !

إنها من الجيل الجديد ...

٣ — خطيبة

جلسا قبالتى فى ترام رقم ١٥ ، وكنا ثلاثة فى الحجرة ، كان يبدو عليه شغف وفتنة ، وكان يبدو عليها دلال وإغراء ... إنهما خطيبان . لقد لمحت فى أصبعيهما « دبلتين » فى اليد اليمنى ...

وسمعتها تقول : الحمد لله إذ كنت موجودا لئلا تظن شيئا !

وقال — فى لهجة يخالطها العتاب — : ماذا تقولين ؟ أظن شيئا ؟ ماذا أظن ؟ وافرضى أننى لم أكن موجودا ... اسمى : إنه لا يمكن أن يجول فى نفسى أى شىء عنك . إن على الإنسان أن يبحث عن الأسرة أولا وعن الأم ثانيا ... ثم يثق ، فلا يفتش بعد ذلك أبدا . !

وتبادلا النظرات فى إغراء ...

ونزل فى محطة وتابع الترام سيره ...

ثم يصعد فى المحطة التالية مباشرة رجل آخر يأخذ مكان الرجل الأول . فتتصافح الأيدى والعيون والأجسام أيضاً ...

ويسأل : أين نزل ؟ فتجيبه وهى تغمز : فى المحطة السابقة . فيعقب هذا ضحكة مشتركة ساخرة ... ثم يأخذ وجهها طابع الجد ، وهى تقول :

إنت عارف « ياسوسو » أننى قبلته من أجل خاطرك انت !

فيجيب وهو يربت على يدها بين يديه :

« معلهش » ياميمى ... « برقان كويس » !

٤ — زوجة

كنت أعرفها سيدة فاضلة . وكانت تزور أسرة أخرى أعرفها بنظام واطراد ... ثم انقطعت عنها فلم أعد أراها هناك .

قلت لها : لم لا تزورين بيت فلان ؟

فترددت هنيهة ، ثم انطلق لسانها ... لسان حواء !

قالت : لأننى أخجل أن أقابل فلانا هذا ، بعد ما اتخذتنى زوجته ستاراً لأشياء ، وهو يثق بى فلا يفكر فى هذه الأشياء . وانطلقت تحكى :

لقد كانت يوما ما هناك ، ثم استأذنت مبكرة لأنها تنوى الذهاب إلى الخياطة ... وما كان أسرع الزوجة لأن ترجوها فى الانتظار هنيهة حتى تتهيأ للخروج معها إذ أنها قد غاضبت خياطتها وتود أن تعرف خياطة جديدة .

ولم يمانع الزوج بطبيعة الحال ، فخرجتا بعد قليل .

ولم تكن صديقتها لتشك فى أنها تعنى ما تقول . فلهذا دهشت حينما فاجأتها الصديقة بعد خطوات بالاستئذان منها بعد أن قامت بمهمتها ... وأنها تقصد إلى جهة أخرى .. إلى موعد « برىء » !

وقالت الصديقة المدهوشة : ولكن يافلانة ما الذى تنقمين من زوجك ، وهو رجل مهذب ، ومركزه الاجتماعى كبير ، وسيرته معك طيبة ؟

وقالت لها الزوجة : حذار أن تفهمى أننى أنقم من زوجى

شيئا . إنه ما تقولين وأكثر . وإنه لوالد أطفالى ، ورب بيتى ... ولكن يافلانة ... لا بد من التغيير بين الحين والحين !!!

وفغرت الصديقة فاها عجبا ... فما راعها إلا الزوجة تقول : أوه . يبدو أنك من الجيل الماضى ! نحن فى جيل جديد !!

٥ — أم

قلت له : لماذا فصمت الخطبة ، وقد كنت معجبا بالفتاة ؟

قال : أمُّها !

قلت : ومالك أنت وأمها إذا أعجبتك ذاتها ؟

قال : فإذا شاءت هذه الأم أن تغلب ابنتها ؟

قلت : ويحك ! أهى ألغاز ؟

قال : كلا ! هو ما أقوله لك .

قلت : اتق الله ! ولا يبلغ بك العبث هذا المبلغ فى الحديث عن العائلات !

وأقسمَ : إنه لصادق . وإنها لامرأة نصف ، لم تشبع بعد من الدنيا . وإنها لا ترى الحياة إلا صراعا ... ولو مع ابنتها !

ولما كنت أعرف صدق صاحبى — كما عهدته — فقد رحت أحوقل وأستعيذ ، وأخبط كفا على كف ... ثم أقول : دعنا من الأخلاق . فأين الأمومة يا أخى ؟ عاطفة الأمومة ؟

قال : أوه . يبدو أنك من الجيل الماضى . يا مولانا نحن فى جيل جديد !

إنها هكذا تقول !!

٦ — أب

نزل من عربته الفخمة ، وجلس على « البار » الصغير تحت عمارة « الإيموبليا » أمام مفرق الطريق ... جلس ينفض المرات من بعيد ، ويحملق فى السيقان العارية ، ويتبعها بنظره إلى بعيد !

ثم لمح على مقربة رجلا وفتاة ينتظران انفتاح الطريق للمرور. ورأيت الرجل يشير للفتاة فى حذر وتهيب على هـذا الجالس ، ثم يندفع للتسليم عليــه فى انحناء ، ويدعو الفتاة لتسلم على عمها فلان بك .

واتسعت حدقتا البك ، واختل توازن عضلات وجهه وهو يبتسم ويحملق ويهز يد الفتاة آن .

وقال : لماذا لم تمر علىَّ لتذكرنى بمسألتك ؟

قال الرجل فى تلعثم : البركة فيك ياسعادة البك .

قال : غدا — إن شاء الله — لا بد أن تمر علىَّ (ونظر للفتاة) ! — ... والآن تجلسان لتناول شيء ما .

وقال الرجل : متشكرين ياسعادة البك ، وهزت الفتاة رأسها شكراً .

قال سعادة البك : آه . طيب . هنا لا يناسب الجلوس . ولكن ستأخذان معى الشاى فى « جروبى » غداً إن شاء الله ! وفى الصباح تمر علىَّ فى المكتب من أجل مسألتك !

وسلما وانصرفا شاكرين ... والرجل تبرق من الفرح عيناه ونظرت فاذا البك يتقصى تقاطيع جسد الفتاة — ابنة الرجل — وشفتاه تتلمظان وعيناه !!

***

منذا الذى دفع بالجيل إلى الهاوية ؟ منذا الذى جعل هـذه الصور الشائهة تتوالى أمام عينيه دون استنكار ؟

بضعة ، واخير ... بعضها يسمى مجلات . وبعضها يسمى أفلاما . وبعضها يسمى أغانى تتسور جدران البيوت عن طريق المذياع ... وبضعة « هلافيت » لا يهمهم أن يكون فى البلد فراش نظيف . يسمون أنفسهم من حملة الأقلام !

سيد قطب

مناقشات فى الصيف ..

للأستاذ عبد المنعم محمد خلاف

— ١ —

« التصوير هو الأداة المفضلة فى أسلوب القرآن ، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهنى والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس ، والمشهد المنظور ، وعن النموذج الإنسانى والطبيعة البشرية ... فما يكاد يبدأ العرض حتى يحيل المستمعين نظارة .. »

« فإذا ما ذكرنا أن الأداة التى تصور المعنى الذهنى والحالة النفسية و ... إنما هى ألفاظ جامدة ، لا ألوان تصور ولا شخوص تعبر ، أدركنا سر الإعجاز فى تعبير القرآن »

والأمثلة على هذا الذى نقول هى القرآن كله حيثما تعرض لغرض من الأغراض التى ذكرنا ... »

فليس هو (أى التصوير الفنى) حلية أسلوب ولا فلتة تقع حيثما اتفق ، إنما هومذهب مقرر وخطة موحدة وخصيصة شاملة »

بهذا التعميم يبسط الأستاذ سيد قطب رأيه الذى يربط به إدراك « سر الإعجاز فى تعبير القرآن »

وقد قلت فى مقالى السابق[1] عن كتابه « إن الحكم بتفضيل القرآن للتصوير كأداة مفضلة فى التعبير يقتضى الاعتماد على الإحصاء وظهور نتيجته بكثرة عددية ، فهل إذا أحصينا طرق التعبير فى القرآن نجد ما قرره المؤلف يحظى بالكثرة العددية ؟ إنى أترك له أن يستعرض صفحات القرآن ، فسيجد أن التصوير الفنى أداة واحدة من أدوات التعبير الكثيرة فى القرآن ، وليست هى الغالبة ولا الكثيرة ، فتارة يعبر عن المعنى المراد بالتعبير المتكافىء المعنى واللفظ ، الذى يستخدم الألفاظ الوضعية وحدها ، وتارة يستعير لفظة واحدة من غير أسرة الألفاظ التى فى الجملة ليحرك بها الخيال ويلمس الحس لمساً رفيقا ، وتارة تكون ألفاظ الحقيقة وملابسات الخيال متساوية ، وتارة تكون ملابسات التصوير وإثارة الخيال هى الغالبة ، وتارة تكون هى الكل ، ومع ذلك يحتفظ القرآن فى كل أولئك بأسلوبه المتفرد وسر إعجازه . فليس التصوير الفنى وحده « هو سر الإعجاز فى تعبيره » .

ولكن الأستاذ سيد يقول فى الرد علىّ « نعم (أى أن نتيجة الإحصاء تؤكد رأيه) وقد كانت مهمتى هى هذا الإحصاء وكان حكمى قائماً على هذا الإحصاء »

وقد وصلنا بهذا الرد إلى مكان تغنى فيه الأمثلة والشواهد ما لا يغنى الجدل . ولست أستطيع أن أسرد « القرآن كله » فى مجلة الرسالة للاستشهاد كما لم يستطع صاحب « جحا » أن يعد النجوم حينما سأل « جحا » كم عدد نجوم السماء ؟ فقال له : كذا ... فلما تشكك ذلك الصاحب قال له جحا : إن لم تصدقنى فعدها أنت ... »

وهأنذا أفتح المصحف حيثما اتفق ، فاقرأ معى من سورة الفرقان : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا . الذى له ملك السموات والأرض ، ولم يتخذ ولدا ، ولم يكن له شريك فى الملك ، وخلق كل شىء فقدّره تقديرا . واتخذوا من دونه آلهة لا يَخلُقون شيئاً وهم يُخلَقون ، ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ، ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشورا ، وقال الذين كفروا : إن هذا إلا إفكٌ افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ؛ فقد جاءوا ظلما وزورا . وقالوا أساطيرُ الأولين اكتتبها فهى تملَى عليه بكرةً وأصيلا . قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض . إنه كان غفورا رحيما » . ولنفتح القرآن مرة أخرى حيثما اتفق ولنقرأ من سورة الأنعام :

« الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلماتِ والنور ، ثم الذين كفروا بربهم يَعدِلون . هو الذى خلقكم من طين ، ثم قضى أجلا . وأجل مسمى عنده ، ثم أنتم تمترون . وهو الله فى السموات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون . وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين ، فقد كذبوا بالحق لما جاءهم ، فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون » . ولنقرأ من سورة الأعلى :

(١) انظر العدد ٦١٧ من الرسالة .

« سبّح اسمَ ربّكَ الأعلى . الذى خلق فسوّى . والذى قدّر فهدى . والذى أخرج المرعى . فجعله غُثاء أحْوَى . سنُقْرِئُك فلا تنسى . إلا ما شاء الله . إنه يعلم الجهر وما يخفى . ونيسرك لليسرى . فذكّر إن نفعت الذكر ... »

ولنقرأ من النساء : « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظُلم وكان الله سميعا عليما . إن تُبْدُوا خيرا أو تخفوه أو تعفُوا عن سوء فإن الله كان عفوًّا قديرا . إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرّقوا بين الله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا ، وأعتدنا للكافرين عذابا مُهينا . والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم، وكان الله غفورا رحيما » . واقرأ من سورة الأعراف : « ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه ، فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم . قال الملأ من قومه إنا لنراك فى ضلال مبين . قال ياقوم ليس بى ضلالة ، ولكنى رسول من رب العالمين . أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين . أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون . فكذّبوه فأنجيناه والذين معه فى الفلك ، وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا ، إنهم كانوا قوما عَمِين » وهكذا سأتعب وأتعب القارىء من عد آيات القرآن للاستشهاد بها فى هذا المعرض كما يتعب من يعد نجوم السماء ...

فأين فى هذه الآيات وأمثالها الكثيرة « التصوير الفنى » الذى لفت نظر الأستاذ سيد وأثار خياله ، حتى وهو طفل ، بحبكته فى اللوحات ذات الوحدة والتناظر والتمثيل الجامع ذى الظلال والأجواء الشاملة كما يتجلى فى « ومن الناس من يعبد الله على حَرْفٍ ، فإن أصابه خير اطمأنّ به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه ... » وفى : « مَثَلُ الذين كفروا بربهم ، أعمالُهم كرمادٍ اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شىء » وفى « له دعوة الحق . والذين يَدْعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء إلا كباسط كفّيه إلى الماء ليَبْلُغ فاهُ ، وما هو ببالغه ... » وفى « ومن يشرك بالله ، فكأنما خرّ من السماء فتخْطَفُه الطير أو تَهوى به الريح فى مكان سحيق ... »

فهل نستطيع أن نقول إن أمثال هذه الآيات التى ذكرناها من سور الفرقان والأنعام والأعلى والنساء والأعراف لا تعبر عن « معان مجردة أو حالات نفسية أو صفات معنوية أو نماذج إنسانية ... الخ » وهل نستطيع أيضا أن نقول إن « نوع » التعبير فى هذه الألوان واحد من الجهة الفنية ؛ وهل لا نلمس فى هذه الآيات نفس الإعجاز الذى نراه فى غيرها من أدوات التعبير القرآنى ، حتى نربط ما بين الإعجاز وبين التصوير الفنى ؟

لا . إنى لا أقر الأستاذ قطب على هذا التعميم ، وكنت أحسبه فلتة قلم دعا إليها حماسه للموضوع ولكن رده علىّ بعد ذلك يؤكد أنه « يعنى ما يقول مرتكنا فيه إلى الدليل » . فلم يكن لى بد أن أسرد له وللقراء تلك الشواهد التى سلفت ، محيلا إياهم على استعراض القرآن . ليتبينوا أن « التصوير الفنى » أداة واحدة من أدوات التعبير الكثيرة ، وأن القرآن يحتفظ بروحه الفذ وجميع خصائصه الإعجازية فى كل هذه الأدوات ...

— ٢ —

أنا ما خشيت على القرآن من إدراك « سر الإعجاز فى تعبيره » كما ظن الأستاذ سيد ، وإنما بينت أننا لو ربطنا بين سر الإعجاز وبين التصوير الفنى وحده نكون قد سوينا بين تعبير القرآن وبين غيره من مواريث أرباب البيان الرفيع فى كل لغة إذ أننا نجد فى مواريثهم استخدام التصوير الفنى للتعبير عن « المعانى الذهنية والحالات النفسية والحادث المحسوس والمشهد المنظور ... الخ » ومع ذلك لا نجد فى بيانهم هذا اللون المتفرد ولا نجد فى نفوسنا هذه الاستجابة المسحورة لتخييلهم وتصويرهم كما نجدها حينما نتلو القرآن .

فأكرر للمرة الثانية أن المعجز من أمور الحياة ما لا يمكن الوصول إلى سره واستخدامه ، وكل أدوات التعبير التى أشرنا إليها قد استخدمها البلغاء . ولكن شتان بين الروح الخفى الذى يترقرق فى بيان القرآن ويشع من « هياكله » البيانية فى السطور وما بينها وبين الهياكل البيانية البشرية الجليلة ... شتان بين ما يمكن إدراكه بالمقاييس والمسافات ، وبين أسرار ذلك العالم الأعلى الطليق

الذى تنزل منه فى القرآن روح متفرد لا يستطاع حده بحدود وأربطة. فلا يصح أن نربط بين سر الإعجاز وبين أى أداة من تلك الأدوات. إن الكون صنع الله والقرآن كلام الله، وأسرار الإعجاز فى كلامه كأسرار الإعجاز فى صنعه، نستطيع أن نصف آثارها فى نفوسنا وعجبنا منها. ونستطيع أن نهتدى فيها إلى معالم للجمال تقاس، وعجائب للبلاغة تجلّى ولكننا لا نستطيع أن نقول: إنها موضع سر الإعجاز فى تعبيره.

— ٣ —

كل ما فى القرآن من «منطق» الوجدان فى إثبات عقيدة التوحيد أنه ساق القضايا العقلية بتعبير جميل أخّاذ حرك به الوجدان والمشاعر مع تحريك الذهن والحكم لصلب كل قضية، ولم يسقها بأسلوب جاف كأسلوب الناطقة الرياضيين الذى تتزاحم فيه المعانى فى ألفاظ ضيقة. وأى كلام اعتمد على «الحقائق البديهية الخالدة» وعلى مقدمات ونتائج صحيحة سواء أكانت محسوسة ومنظورة أم غير محسوسة ومنظورة فهو منطق ذهنى. فإذا جمع إلى صحة المقدمات والنتائج جمال التعبير وروعة الأسلوب وإشراق الطلعة فهو منطق «وجدانى» كذلك. منطق الوجدان – وإطلاق «المنطق» هنا تجوز فى التعبير — هو الذى يتأثر بالخطابيات والشعر والموسيقى وغير أولئك من ألوان الفن التى لا تعتمد على الحقائق الثابتة و «نقط الارتكاز» الواضحة فى عالم البداهة و «الحكم العقلى». والتأثر بهذا «المنطق» تأثر وقتى لا يترك رواسب فى الذهن ومقاييس تملأ اليد، يستطيع الفكر أن يتحاكم إليها، ولأنها ألوان وظلال ونغمات وأعراض غير ملازمة تنفعل لها النفس انفعال الانقباض أو الانبساط وقتاً ثم يزول تسلطها عليها.

وليست هذه الأعراض هى طريق إقرار «العقائد» ودعائم الفكر والحياة عند الراصدين المتيقظين الواعين، وخصوصاً الدعامة الأولى والقضية الكبرى قضية «التوحيد» التى هى قضية الكون كله وأعظم شئونه! إن الوجدانيات من الخطابيات والشعر والموسيقى وسائل إقناع وقتى للبسطاء، وليست وسائل يقين ثابت للذين يبحثون لعقولهم عن عواصم تستند إليها من طوفان الأهواء والنوازع والوجدانات المتقلبة ... وما كان للقرآن وهو يتصدى لإثبات القضية الكبرى أن يعتمد على «المنطق» الوجدانى.

وإنى أرى الذهن فى إثبات العقائد وخصوصاً «التوحيد» هو أوسع المنافذ وأصدقها وأدقها، كما بينت فى المقال السابق بهذا الخصوص.

والذى يدعونى إلى أن أفهم أن الأستاذ سيذهب إلى أن موطن العقيدة — بما فيها التوحيد — هو الوجدان قوله «موطن العقيدة الخالد هو الضمير والوجدان» «وما الذهن فى هذا المجال إلا منفذ واحد من منافذ كثيرة، وليس هو على أية حال أوسع المنافذ ولا أصدقها ولا أقربها طريقاً» «فلندع الذهن يدبر أمر الحياة اليومية الواقعة أو يتناول من المسائل ما هو بسبب من هذه الحياة. فأما العقيدة فهى فى برجها العالى هناك، لا يرقى إليه إلا من يسلك سبيل البداهة ويهتدى بهدى البصيرة ويفتح حسه وقلبه لتلقى الأصداء والأضواء».

فهذه كلمات صريحة (فيها الحصر بأمّا والنفى والاستثناء) فى إقصاء الذهن عن منطقة العقيدة، وفى التفريق بين عمل الذهن وعمل الوجدان فى الحياة والعقيدة، اضطررت إلى مناقشتها فى مقالى السابق كظاهرة لمذهب كلامى فشا الحديث به فى هذا العصر الذى اتصل فيه المسلمون بغيرهم من الذين وجدوا أصول دينهم لا تستقيم مع الفكر والحكم العقلى فالتمسوا العقيدة عن سبيل الوجدان وحده

ومع أن هذا النص من كلام المؤلف يكفى لأن يسلكه مع القائلين بأن منطقة العقيدة هى الوجدان وحده، فإننى لم أغفل النظر إلى ما قاله قبيل هذا النص مما يستفاد منه أنه لا يخرج الذهن إخراجاً كلياً من منطقة العقيدة.

ولذلك لم أناقش كلامه مناقشة حرفية ولكنى ناقشت الفكرة التى تشيع فى جو الفصل كله. ولْنُنَشِّه هذا الجدل بالمثال فإنه أبلغ فى الحجة وأروح للنفس. قلنا إن مسألة المسائل التى دار عليها أكثر جدل القرآن هى عقيدة التوحيد. وأنسب الآيات التى تناولت هذا الموضوع هى آيات سورة الأنبياء وقد ساقها المؤلف كدليل على ما ذهب إليه فلنقرأها معاً:

«أم اتخذوا آلهة من الأرض هم يُنْشِرُون. [لا (يَنْشُرُون) كما ضبطها المؤلف. فليضمها إلى ما نبهه إليه

فضيلة الشيخ السبكي] . لو كان فيهما آلهةٌ إلا اللهُ لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون ! لا يُسألُ عمَّا يَفعَلُ وهم يُسألون . أم اتخذوا من دونه آلهة .. قل هاتوا برهانكم ! هذا ذِكْرُ مَنْ معيَ وذِكْرُ مَن قَبلي ، بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون » فهل ترى هذه الآيات تركت حجة «ذهنية» يمكن إيرادها للكر على مزاعم القوم ثم لم تفعل ؟ « أم اتخذوا آلهة من الأرض هم يُنشِرون » فالإله هو وحده الذي يخلق ويُحيي ويُنشِرُ الخلائق من الأرض . فهذا مقطع من مقاطع الاستدلال بكلمة واحدة يدور بها الذهن في استعراض سريع للأرض وكائناتها للبحث عن حيٍّ مخلوق واحد لغير الله فلا يجد . وإنه لَلدَّليل الاستقرائي بعينه ! ذلكَ الذي بنى عليه (بيكون) الفلسفة الاستقرائية الحديثة .. وإنه لَلدَّليل المفضَّل عند المربين وعلماء النفس .

« لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » وهذا مقطع آخر من مقاطع الاستدلال في كلمة واحدة أيضاً ... وإنه للدليل التطبيقي بعينه ! أحد ضروب الأدلة الكبرى ، يطبق فيه العقل في ظروفه المتسعة ما يدركه من لوازم تعدد الرياسات وفساد الأمور إذا تولتها أيد متعددة سيكون بينها بالطبع ما يكون بين المتعددين ولا يمنع خلافهم وتنافسهم وتحاسدهم أنهم آلهة في طباع مختلفة عن الآدميين . فإن التصور البشري لا يستطيع أن يجرد الآلهة من صفات الناس لأنه لا يملك غير منطقه هو ، فهو معذور !

« فسبحان الله رب العرش عما يصفون » ذلك موقف وجداني فيه انفعال وتقزز من تلك الدعوى وتنزيه لله عما وراءها من أزمات ومحرجات . وهو موقف معترض للاسراع بالتنزيه تعود الآيات بعده إلى الاستدلال « لا يُسأل عما يَفعل وهم يسألون » وهذا مقطع آخر فيه ضرب عظيم من ضروب الاستدلال هو الدليل العملي الواقعي ، وهو كذلك أحد ضروب الأدلة الكبرى وله في الفلسفة العصرية المقام الأول إذ به تسير الحياة العملية وهو محور الاجتماع ...

فما دام الواقع أن جميع الآلهة المزعومة يَملكَ الناسُ أن يواجهوها بالمسئولية والمحاكمة فلا يصح أن تكون آلهة ما دامت تقع عليها الدينونة ... ولكن الذي خلق السموات والأرض لا يملك عابد له أن يرفع عينه إليه بمسئولية ، بل ليس له إلا التسليم والإذعان ما دام عاجزاً عن الهرب من أقطار السموات والأرض ...

« من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدُدْ بسبب إلى السماء ، ثم ليقطع فلينظر هل يُذهِبَنَّ كيدُه ما يغيظ ! »

وهل فيما زعمته الوثنيات والإشراكيات شخصية إلهية لم تسأل ؟ إن آلهة اليونان والهندوس وغيرهما كما وردت في أساطيرهم ذات صفات عاجزة فيها العبث والغلط والمنازعات التي كان وراءها مسئوليات .

« أم اتخذوا من دونه آلهة . قل هاتوا برهانكم ! » إذاً نحن في مقام جدل كبير يتسع للرد وقرع الحجة بالحجة وتشقيق الدليل وراء الدليل ، ولسنا في مقام تسليم بوجدان عن طريق تعريض « الحس والقلب للأصداء والأضواء » والخطابيات والشعريات والنغمات .

« هذا ذكر من معي وذكر من قبلي » وهذا مقطع عظيم أيضاً من مقاطع الاستدلال هو ما يسمونه « الدليل التاريخي » إذ أن التاريخ لم يثبت حياة رسول جاء قومه بغير الوحدانية ... إذاً فقد سد القرآن مجالات القول والاستدلال أمام المشركين حتى أثبت أنهم لا يستندون في دعواهم إلى أي حق ، وإنما إلى التكبر والجهل والإعراض . وكان هذا الختام « بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون » نتيجة منطقية ذهنية واضحة لمقدمات واضحة أخذت بضروب الأدلة جميعاً ولم تترك مفراً لجدل مجادل ...

فكيف بعد هذا كله يضرب الأستاذ قطب هذه الآية مثلا في أن القرآن تناول مشكلة التوحيد بلا جدل ذهني ؟ ! إن المنطق هنا منطق ذهني دقيق أخذ من موارد الكون والنفس جميعاً ، غير أنه ورد بتعبير القرآن الفني الجميل المعجز الذي يُدني البعيد القصيّ ...

ألم يقل : « فإنما يسّرناه بلسانك لتُبشّر به المتقين وتنذر به قوماً لُدّاً » وما أدراك ما لَدَدُ العربَ وجدالهم ! « بل هم قوم خَصِمُون »

ولكن « إن كنتَ ريحاً فقد لاقيتَ إعصاراً » وقد أتاهم من القرآن إعصار من البيان كَبّهم على مَناخِرِهم وأذقانهم !

عبد المنعم محمد خلاف

البحث العلمي

أصوله وآدابه

للدكتور محمد مأمون عبد السلام

[بقية ما نشر في العدد الماضي]

٢ – قوة الملاحظة والقدرة على الاستنتاج

من الصفات اللازمة لنجاح البحاث في عمله أن يرى بعينه وبصيرته مالا يراه معظم الناس . فالشخص العادي إن أعطيته زهرة نبات لايلاحظ فيها سوى لونها وحجمها ورائحتها . أما المدقق القوى الملاحظة فإنه يرى فيها ما يشغل فكره ويحير لبه . فإن ما رآه داروين وباستير وغيرهم من فطاحل العلماء قد مر بلا شك على نظر الملايين من الخلق قبلهم من غير أن يلاحظوه .

ولما كانت روح التنقيب والاستقصاء وحب الاستطلاع غريزية وقوية جداً في الأطفال وجب تشجيعها فيهم وذلك بأن يترك لهم المجال للاعتماد على أنفسهم في حل ما يعترضهم من المسائل فلا يتعدى ما يقدمه إليهم كبارهم الإرشاد في كيفية استخدام عقولهم وتدريبها في العمل على كشف أسرار ما يصادفونه من المعميات والصعاب .

على هذه النظرية بني التعليم الحديث . فالأمم الحديثة الراقية تدرب صغارها لتصبح عقولهم مرنة غير جامدة ، وعيونهم يقظة قوية الملاحظة ، وأذهانهم وقادة سريعة الاستنتاج فيستخلصون النتائج بدقة وإمعان ، فإذا التحق أحدهم بعد إتمام دراسته بعمل ما أو بمعهد من معاهد البحث كان مدربا من يوم نشأته على الاعتماد على نفسه في معرفة ما يستلزمه عمله أو بحثه من الشروط غير مستعين برئيسه إلا للاستفادة برأيه والاسترشاد بخبرته في حل المعضلات العويصة

فالتعليم التلقيني وهو الذي يلقن فيه الطالب العلم من أفواه المدرسين وصفحات الكتب دون التدرب على الاعتماد على النفس وقوة الملاحظة والاستنتاج وما يتبعهما من تشغيل الذهن ؛ هذا التعليم نتيجته تخريج شبان ضيق العقل جامدي الفكر قليلي الاعتماد على أنفسهم في حل ما يصادفهم من العقبات ، فتراهم في عملهم حيارى لا يعرفون أين يتجهون فيكثرون من إلقاء الأسئلة على رؤسائهم لمناسبة ولغير مناسبة ، وتجدهم ضعيفي الملاحظة والمشاهدة سريعي الاستنتاج الذي كثيراً ما يكون خطأ . وليس هذا الضعف طبيعي ، بل هو نتيجة لازمة للتعليم التلقيني وصرف عقولهم عن طريق التأمل والتفكير إلى طريق الحفظ . مثل هذا التعليم لايلائم روح العصر الحاضر ولا يمكن بوساطته إخراج رجال يمكن البلاد الاعتماد عليهم في أعمالها ولا يكون لهم رأى محترم في دوائر البحث العلمية العالية .

وقوة الملاحظة أو الفراسة صفة وراثية يصعب غرسها فيمن جرد منها . أما من اتصف بها فهو أوفق الأشخاص لأعمال البحث ، إذ يمكنه بتهذيب هذه الصفة في نفسه وتنميتها أن يتمكن من كشف غوامض الأشياء وحل رموزها بأبسط الطرق وأقربها منالا . وهذا ليس بسهل لأن السواد الأعظم من الناس يحاول حل المشكلات بأصعب الطرق وأكثرها تعرجا فيخيبون . ولايفوز بسرعة الحل إلا الذي يتبع الطريق السهل الذي لبساطته وسهولته لا يخطر إلا ببال النوابغ .

٣ – غزارة المادة العلمية

من أوجب الواجبات أن يكون البحاث واسع الاطلاع دائب المذاكرة في الكتب والمراجع لايفوته علم قديم أو حديث ، وعليه أن يلم بشتى العلوم التي لها صلة بعمله ليستعين بها في حل معضلات أبحاثه وتعليل نتائجها . ولنضرب لذلك مثلا المشتغل في البحوث البيولوجية ، فواجبه إن أراد أن يكون من أعلامها أن يلم بأصول اللغات اللاطينية والإغريقية نظراً لاستعمال أصولها في وضع الأسماء العلمية . وعليه أن يجيد علاوة على لغته لغتين أو ثلاثا من اللغات الحية للاستعانة بمراجعها في بحوثه كما يجب أن يلم بالعلوم الرياضية وأن يعرف الفيزيقا العلمية والنواميس المتصلة بكافة ظواهر الحياة كالجذب السطحي والميوعة وما إليها . ويلم بالكيمياء وعلى الأخص كيمياء الأحياء . وإن تعذر عليه ذلك فليستعن بكيميائي وهذا ضعف .

والواجب على المشتغلين ببحوث أمراض النبات أن يلموا إلماماً تاما بكيمياء المواد العضوية التي يتركب منها قسم النبات العائل وجسم الطفيل المسبب للمرض والذي يفرزها كلاهما . مثل كيمياء النشويات ، والسكريات ، والخلوزات ، والبكتوزات ، والتنينات

والأحماض والالدهيدات وأحماض الأمينو والجلوكوسيدات والأنزيمات والزيوت الطيارة والاسترات وهلم جرا . ومن رأى أكابر العلماء الحديثين فى دراسة علم أمراض النباتات أن بحوث هذا العلم تتوقف فى نجاحها على فهم كيمياء العائل والطفيلى وما يطرأ فى كليهما من التغيرات أثناء ارتباط حياة بعضهما ببعض . لذلك كان أغلب المتخصصين فى البكتريولوجيا حاصلين على درجات فى علم الكيمياء . وواجب الباحث فى أمراض النباتات أن يكون متمكنا من علم الكيمياء غير العضوية لتساعده على البحث فى المبيدات الفطرية ويتحتم عليه أن يحيط بأصول علم الأرصاد الجوية (المتريولوجيا) وعلم الجيولوجيا وفيزيقا التربة لما لهذه العلوم من العلاقة التامة بحدوث الأمراض وانتشارها . كما يتحتم عليه الإلمام بعلوم الزولوجيا (علم الحيوان) والحشرات لأن كثيراً من الحيوانات والحشرات الدنيا تنقل الأمراض النباتية وتسببها كأن تحدث أوراما فى جسم النبات تشبه الأورام الباثولوجية ، فمعرفته بالآفات الحشرية تساعده على أن تكون استنتاجاته صحيحة مجدية . وليس لعمل المشتغل ببحوث أمراض النباتات أية قيمة مطلقاً إن كان قاصر المعرفة بعلم النبات ؛ إذ كيف يمكنه دراسة المرض وتأثيره بدون أن يعرف تركيب النبات وتشريحه وتركيب أنسجته فى حالة الصحة وما يطرأ عليها من التغير بسبب المرض وعلى وظائف النبات من الخلل بسبب البيئة ؟ لذلك كان لعلم الفسيولوجيا النباتية المنزلة الأولى فى بحوث أمراض النباتات إذ لا يمكن للباحث أن يعرف أحوال النبات المريض إلا إذا كان ملماً بالكيفية التى يؤدى بها النبات السليم وظائفه . ومن أوجب الواجبات على الباحثين فى أمراض النبات أن يتبحروا فى العلوم الزراعية على اختلافها ، وفى فلاحة البساتين بصفة خاصة .

ونظراً للتشابه الكبير بين الباثولوجيا النباتية والحيوانية كان من المستحسن أن يتصل المشتغلون بالبحث فى هذين العلمين ببعضهم البعض زيادة فى الاستفادة .

وما يقال عن الباحثين فى العلوم البيولوجية يقال عن غيرهم من الذين يشتغلون بالبحث فى مختلف العلوم .

٤ — القدرة على تصميم التجارب وتنفيذها واستخلاص النتائج

لا بد للباحث عند وضع نظريته أن يثبتها بسلسلة من التجارب يكررها عدة سنوات ليتأكد من ثبات نتائجها وصحتها ، لذلك يبدأ الباحث فى بناء بحثه بكثرة المشاهدة وجمع البيانات على أساس احصائى لتتكون عنده فكرة عامة عن موضوع بحثه وتتجمع له المعلومات التى يستعين بها فى وضع منهج تجاربه . وعند تنفيذ تجاربه تظهر له مشاهدات أخرى جديدة قد تدفعه إلى تعديل منهج تجاربه الأول . وهكذا كلما تكونت عنده فكرة جديدة وصادفته مشاهدات جديدة استعان على دحضها أو إثباتها بالتجارب حتى يصل فى النهاية إلى الحقيقة الثابتة الناصعة المبنية على أساس علمى .

فالذى لا يأنس فى نفسه القدرة على اتباع هذا الطريق فى أبحاثه لا يصح أن يقوم بأى عمل من أعمال البحث . وانه لما يؤسف له أن العالم ملىء بالكثير من أصحاب النظريات غير المؤيدة بتجارب عملية صحيحة . وتراهم يفرضون آراءهم على الناس وعلى من ولى أمورهم للأخذ بها فيجدون من يغتر بأقوالهم فيستمع إليهم ويعمل بإرشادهم فلا يظهر دجلهم إلا بعد أن تتكبد البلاد نفقات باهظة ؛ ناهيك بضياع الوقت وإفلات الفرص . وبلادنا تعج بأمثلة كثيرة من هؤلاء فى كل مهنة وفن . والواجب على حديثى العهد بالبحوث العلمية أن يدأبوا على القيام بتجارب متنوعة كثيرة متواصلة واضعين نظرياتهم ونظريات غيرهم موضع الاختبار والدراسة ليستفيدوا ويزدادوا خبرة وعلما .

ومن أهم أركان البحث قدرة الباحث على تفسير مشاهداته واستخلاص نتائج تجاربه . وهذا يستلزم القدرة على ربط النتائج بعضها ببعض للاستنتاج النهائى . وهذا يتطلب الدقة فى الحكم وعدم التسرع فيه لأن الباحث إذا أراد أن تكون بحوثه مصدقة محترمة وجب عليه أن يتثبت من صحة نتائجه وصدق تعبيرها .

والواجب ألا يكتفى من يقوم بأعمال البحث بما حصل عليه غيره من النتائج بل عليه أن يعيد تجارب غيره حتى يحصل بنفسه على نتائج تؤيدها أو تنفيها . كما يجب عليه ألا يكتفى بنتائج تجارب قام بها أحد كبار الباحثين اعتماداً على شهرته . فكل عالم عرضة للخطأ والزلل كأى إنسان آخر . وكم من رجل وصل إلى الشهرة بالأعلان والدجل ودق الطبول ونفخ الأبواق وحرق البخور .

وواجب البحاث أن يصدق كل شىء ليبنى على هذا الشىء تجاربه ؛ وألا يصدق أى شىء حتى يحصل على نتائج تجاربه ؛ وألا يمنعه أى اعتبار مهما كان مقدساً عن البحث فى طبيعة الأشياء .

٥ — القدرة على تدوين النتائج وإعدادها للنشر

لما كانت الكتابة واسطة للتعبير وجب على الباحث إجادتها ليؤدى المعنى بأبسط عبارة . ولذلك ينبغى عليه أن يعرف آداب اللغة التى يكتب بها وقواعدها وأساليبها مع التضلع فى مفرداتها ليسهل عليه التعبير عن نتائجه بطريقة سليمة بسيطة سهلة لا يملها القارئ . فلا يستعمل كلمات لا معنى لها فى موضوعه . إذ من أصول الكتابة العلمية أن تؤدى كل كلمة معناها الخاص بها اللازم للتعبير عن غرض الباحث . لذلك يجب عدم تكرار الألفاظ لغرض التنميق والتجميل لأن الغرض من الكتابة العلمية ذكر الحقائق من غير حشو وبأسلوب بعيد عن التجميل المستطاب فى كتب الأدب .

والواجب على الباحث عند نشر بحوثه باللغة العربية أن يراعى قواعدها والكتابة بأساليبها لتبلغ جمله غايتها من غير شطط ، وأن يرجع إلى لغة العرب لانتقاء ما يصلح من ألفاظها للمصطلحات العلمية الحديثة ؛ فإن عجز فلا غبار عليه من تعريب هذه المصطلحات بما يقبله الذوق أو من وضعها بحالتها وله قدوة فى ذلك بمن سبقنا من علماء العرب الذين نقلوا كتب الأعاجم إلى العربية

والخلاصة هى أن الباحث يجب أن يراعى فى نشر بحوثه القواعد الآتية : —

١ — أن تكون كتابته واضحة سهلة تؤدى لمن يقرؤها المعنى المقصود .

٢ — أن يكون لكل كلمة وجملة يكتبها معنى يتصل اتصالاً وثيقاً ببحثه .

٣ — أن تكون جمله صغيرة تحمل معنى كبيرا

٤ — أن تكون جمله منطقية الترتيب تترك من يقرؤها مقتنعاً بصحة نتائج بحثه .

ولا حرج على الباحث من نشر ما ينتهى منه من فروع بحثه أولا بأول ولا يمنعه ذلك من الإستمرار فى بحثه حتى تتم أدواره .

٦ — حسن علاقة رؤساء البحوث بمرؤوسيهم

يجب أن يكون المشرفون على البحوث بالنسبة لمرؤوسيهم كالقلب بالنسبة للجسم ينظم حركة عمله . فإذا كان القلب سليماً انتظمت أعمال الجسم ولذلك يجب أن تتوفر فى رئيس البحوث شروط خاصة كنكران الذات والتضحية والتفانى فى المحبة وحسن الخلق والعلم الغزير مع التواضع وحسن توزيع العمل . وأن يعمل على إيجاد الجو الصالح لإدارة البحوث من غير أن يتأثر الباحثون بمؤثرات خارجية تشغل بالهم وتقلق راحتهم فينصرفون عن بحوثهم بمتاعب أنفسهم . لذلك يجب عليه أن يعمل لتأمين مرؤوسيه على مستقبلهم فيضمن لهم العدالة فى الترقية ومكافأة المجد على قدر ما يعود من الفائدة من نتائج بحوثه

ويجب عليه إشراك مرؤوسيه فى مسئولية العمل ليشعروا بقيمتهم فى الهيئة الإجتماعية والعلمية ، وبأنهم يؤدون عملاً لهم أصحاب الفضل فى إنجازه ، وألا يجعلهم يشعرون بأنهم آلات تعمل لمصلحته ورفعته فإن فعل ذلك فإنه يدل على ضعة فى النفس لا يكسب منها سوى حقد مرؤوسيه عليه واحتقارهم له وإهمالهم فى العمل ، بل والى الغش الذى يسىء إلى سمعة المعهد خاصة والبلاد عامة . لذلك يجب على رئيس البحوث أن يكون لمرؤوسيه بمثابة الأستاذ للطلبة ، له فضل تدريبهم وتعليمهم وإرشادهم ، ولهم نتيجة دراساتهم وبحوثهم يجنون ثمارها فإنه ليس أدعى إلى بذر بذور الحقد والكراهية فى مكامن النفوس بين الرئيس ومرؤوسيه من شعورهم بمحاولته غمط حقوقهم المكتسبة بكدهم وحسن عملهم .

ومن دواعى فخر الرئيس العاقل أن يرى مساعديه ينشأون بين يديه صغاراً كالأطفال ثم ينمون ويترعرعون بفضل تعهده لهم وعنايته بهم إلى أن يصبحوا رجالاً مسئولين ذوى آراء محترمة وعمل نافع .

وعلى المرؤوسين واجبات مقدسة نحو رئيسهم ، فعليهم أن يعتبروه كالأب يسرون إليه باخطائهم فيجدونه واسع الصدر صادق الحكم والرأى ، حليماً فى إرشادهم إلى الصواب ، ويجب عليهم أن لا ينسوا أنه صاحب الفضل فى تمرينهم وتدريبهم إلى أن وصلوا إلى الحالة التى مكنتهم من الاستقلال بعملهم .

* * *

هذا هو دستور البحث وأصوله وقواعده إذا توفر فى أمة ضمنت نجاحها وتأهلت مكاناً لائقا بين الأمم الراقية . فهل نحن عاملون به فى مصر . هذا موضوع سنتكلم عنه فى فرصة قادمة إن شاء الله .

دكتور محمد مأمون عبد السلام

من أساليب التفكير

التبرير الجدلى

للأستاذ زكريا إبرهيم

« للكاتب الأمريكى جيمز هارفى روبنسون رسالة قيمة عرض فيها لأساليب التفكير المختلفة ، مبيناً الدور الذى يؤديه كل فى تكوين الحضارة الانسانية . ونحن نعرض فى هذا المقال لواحد من تلك الاساليب محاولين أن نكشف عن الاصل فيه ، على ضوء علم النفس الحديث »

من أساليب التفكير المتنوعة أسلوب يطلق عليه علماء النفس المحدثون اسم « التبرير العقلى » أو الجدلى . والأصل فى هذا الضرب من التفكير أن يعرض أحد لمناقشة عقائدنا وآرائنا ؛ فإننا عندئذ نعمد إلى تبرير هذه الآراء والمعتقدات بأدلة عقلية نصطنعها من أجل مواصلة الاعتقاد بتلك الآراء . وقد يحدث أحياناً أن نغير آراءنا وأفكارنا دون أن يكون ثمة مؤثر خارجى ، ولكن إذا حاول أحد أن يثبت لنا خطأنا ، فإننا نزداد تمسكا بهذه الآراء التى ننادى بها ونمعن فى التعصب لها والتعلق بها . ونحن فى العادة متسرعون فى تكوين آرائنا ومعتقداتنا ، ولكننا نجد أنفسنا حريصين على هذه الآراء والمعتقدات ، حينما يحاول أحد أن ينتقص من قيمتها ، أو أن يشككنا فى صحتها . ومن الواضح أن الأفكار نفسها ليست هى الشىء العزيز علينا ، وإنما هو تقديرنا لذواتنا وحرصنا على كرامتنا الشخصية . فإذا كنا نميل بطبيعتنا إلى أن نتعصب لشخصنا وأسرتنا ومجتمعنا ومعتقدنا ، فما ذلك إلا لأن فى هذا ذَوْداً عن كرامتنا الشخصية . وقد تشتد الهجمات الموجهة إلى عقائدنا وأفكارنا ، فنضطر إلى التسليم ، ولكن يندر أن نعترف بالهزيمة « فالسلم — فى العالم العقلى على الأقل — يجىء دائماً بغير نصر حاسم »

وقلما يكلف الناس أنفسهم عناء البحث عن الأصل فى معتقداتهم التى يحرصون عليها ويتمسكون بها ، فإن الحقيقة أننا ننفر بطبيعتنا من القيام بهذا العمل . . إننا نحب أن نثبت على العقيدة التى اعتدنا أن نسلم بأنها هى الحق ؛ فإذا ما أثير حولها الشك ، رحنا نبحث هنا وهناك عن حجج معقولة تبرر مواصلتنا التمسك بها ، ولهذا فإن الجانب الأكبر مما نطلق عليه اسم «الاستدلال» أو التفكير المنطقى ، ينحصر فى البحث عن حجج وأدلة تبرر ثباتنا على المبادئ التى اعتدنا أن نسلم بصحتها

أما الأسباب « الحقيقية » لمعتقداتنا وآرائنا ، فهى فى الحقيقة خافية عنا ، كما هى خافية عن غيرنا ، والذى يحدث فى واقع الأمر هو أننا نشب على الآراء التى وجدنا مجتمعنا يأخذ بها . ونحن نتشرب هذه الآراء من البيئة التى نعيش فيها عن طريق لاشعورى ؛ فالجماعة التى نحيا بين ظهرانَيْها هى التى تهمس فى آذاننا دائماً أبداً بهذه الآراء والمعتقدات . ولما كانت هذه الآراء أو الأحكام وليدة الإيحاء (لا التفكير المنطقى) ، فإنها تبدو واضحة تمام الوضوح ، حتى أن أى ظل من الشك يلقى حولها ، يثير فى الناس الدهشة والاستغراب . والواقع أننا إذا حاولنا أن نناقش رأياً من الآراء فوجدنا أنفسنا بإزاء فكرة تبدو واضحة بينة حتى أن مجرد التعرض لمناقشتها يعتبر فى نظر الناس عملا غير مرغوب فيه ، فإن هذا الرأى لا بد أن يكون عبارة عن فكرة تتنافى مع العقل ، وبالتالى لا تستند إلى حقيقة ثابتة بينة .

أما الآراء التى هى وليدة الخبرة والتجربة ، أو التفكير الصائب النزيه ، فهى — على العكس من ذلك — لا تتصف بهذا « اليقين الأوَّلى » Primary certitude . وفى هذا الصدد يروى روبنسون أنه حينما كان حدثا صغير السن ، سمع جماعة من الناس يتناقشون فى مسألة خلود النفس ، فاستثاره الشك الذى أظهره بعضهم حول هذه الحقيقة . وهو يردف ذلك بقوله إنه حينما يعود اليوم ببصره إلى الوراء ، فإنه يرى بوضوح أنه لم يكن معنياً بذلك الموضوع فى ذلك الحين ، بل أنه يقيناً لم يكن يعرف دليلا واحداً صحيحاً يثبت به هذا المعتقد الذى يتعصب له . ولكن على الرغم من أنه لم يكن معنياً بالموضوع من قبل ، وعلى الرغم من أنه لم يكن له عهد بالبحث فى مثل هذه المسائل ، فإنه مع ذلك لم يتردد فى أن يظهر غضبه واستياءه حينما وجد آراءه ومعتقداته توضع موضع البحث والمناقشة .

وهذا التأييد التلقائى spontaneous لآرائنا السابقة وأفكارنا المبتسرة ؛ أو بعبارة أخرى هذا البحث عن الأدلة « المعقولة » التى تبرر معتقداتنا المألوفة وآراءنا التقليدية ، هو ما يُعرف عند علماء النفس المحدثين باسم « التبرير الجدلى » rationalizing ؛ وهو بلا ريب ليس سوى اسم جديد لشىء قديم

جداً . وهذه الأدلة « المعقولة » هى بطبيعة الحال وليدة التفضيل الشخصى والأحكام السابقة ، فهى إذن لا تمت بصلة إلى الرغبة الصادقة فى البحث عن معرفه جديدة أو فى التسليم بحقائق جديدة

وإذا نظرنا الآن إلى أحلام يقظتنا Reveries وجدنا أننا كثيراً ما نشغل أنفسنا فيها بتبرير ذواتنا . ومن الواضح أن السبب فى ذلك هو أننا لا نستطيع أن نحتمل الشعور بأننا مخطئون على الرغم من أن الأدلة كلها قائمة على ضعفنا وكثرة أخطائنا . وتبعاً لذلك فإننا نضيع وقتاً كبيراً فى البحث عن ظروف خارجية نرجع اليها أخطاءنا مثل سوء الحظ وانعدام التوفيق وعدم مواتاة الظروف لنا ، ونجتهد فى أن نُسقط على الآخرين (وكثيراً ما يكون ذلك بمهارة فائقة) أسباب سقوطنا وخيبتنا . فالتبرير الجدلى إذن هو عبارة عن تبرئة النفس حينما يتهمنا الناس (أو يتهمون جماعتنا) بالخطأ أو سوء الفهم .

وليس من شك فى أن حبنا لذواتنا ، إنما هو العامل الخفى الذى يكمن من وراء كل تبرير جدلى . فهذا الضمير الذى نعبر عنه بحرف الياء (ى) هو فى الحقيقة جوهر الحياة الإنسانية ؛ هو حرف صغير لا يضيره أن تلحقه بأى لفظ كائناً ما كان ، لأنه لا يفقد قيمته على أى حال ، يستوى فى ذلك أن تقول بيتى ، عقيدتى ، بلادى ، إلهى ... إلخ . فنحن لا نغضب فقط حينما يخبرنا أحد بأن ساعتنا غير مضبوطة ، أو أن سيارتنا ليست جيدة ، وإنما نغضب أيضاً إذا قال لنا أحد إن نطقنا لاسم « ابكتاتوس » غير صحيح ، أو إن رأينا عن تاريخ سارجون الأول بعيد عن الصواب .

وهذا الشعور نفسه كثيراً ما نجده عند الفلاسفة والعلماء أنفسهم إذا كانوا بصدد مسألة يدخل فيها حبهم لذواتهم amour propre فإن كثيرا من المؤلفات الجدلية ، لم تكتب إلا لمواجهة خصومة أدبية — وعلى الرغم من أن بعض هذه المؤلفات قد ينطوى على استدلالات تبدو سليمة لا غبار عليها ، فإنه من المحتمل أن تكون هذه الاستدلالات مجرد تبريرات جدلية ترجع فى نهاية الأمر إلى بواعث نفسية . وإذن فإن من الممكن أن يُكتب تاريخ الفلسفة واللاهوت فى عبارات الكبرياء المجروحة ، والخصومات المذهبية ، وضروب العداء المستحكمة بين الطوائف ويكون على هذه الصورة أصدق تعبيرا مما لو كُتِب على الطريقة المألوفة . وإننا لنعرف أن ملتون قد كتب مبحثه عن الطلاق نتيجة للمتاعب الكثيرة التى لاقاها بعد زواجه من تلك الفتاة التى كانت تبلغ من العمر سبعة عشر عاماً . وكذلك نعرف أيضاً أنه لم يكتب كتابه المشهور المعروف باسم : Areopagitica إلا حينما اتهم بأنه رائد مذهب جديد هو مذهب المُطلَّقين ؛ فكتب كتابه هذا لكى يثبت أن من حقه أن يقول ما يعتقد أنه الصواب ؛ وبالتالى لكى يثبت حرية الصحافة والتأليف فى إعلان الحق .

واليوم ، تتردد لدى بعض الكتاب والمفكرين فكرة مؤداها أنه من المحتمل أن تكون كل معارفنا التى حصلناها ، فى علم الاجتماع ، أو فى الاقتصاد السياسى ، أو فى الأخلاق ، إبان الأجيال الماضية ، مجرد تبريرات عقلية قد يطرحها الجيل المقبل . وقد وصل المفكر الأمريكى چون ديوى بالفعل إلى هذه النتيجة فيما يتعلق بالفلسفة ؛ واستطاع فبلن Veplen وغيره من المؤلفين أن يكشفوا عما فى الاقتصاد السياسى التقليدى من آراء مبتسرة وافتراضات غير مدركة . واليوم يأتى عالم اجتماعى ايطالى يدعى «ڤلفريدوباريتو» Vilfrido فى كتاب ضخم له عن الاجتماع العام ، فيكرس مئات الصفحات ، لكى يثبت هذه القضية العامة فيما يتعلق بالعلوم الاجتماعية جميعا . وهذه النتيجة التى توصل إليها ، قد تعتبر فى نظر الأجيال المقبلة إحدى المكتشفات العظمى لعصرنا الحديث . وليس بدعاً أن يكون ذلك كذلك ، فإن الحقيقة أنه كما كانت علوم الطبيعة المختلفة قبل بداية القرن السابع عشر مجرد ضروب مختلفة من التبريرات العقلية Rationalizations التى تتفق مع المعتقدات الدينية السائدة ، فكذلك العلوم الاجتماعية أيضا قد بقيت — حتى إلى يومنا هذا — مجرد تبريرات عقلية تتفق مع العوائد والعقائد المتقبلة بغير نقد أو تمحيص .

* * *

من هذا كله يظهر لنا أنه إذا كنا بصدد فكرة قديمة يسلم بها الناس أجمعون ، فإن هذا لا يمكن أن ينهض دليلا على صحة هذه الفكرة ، بل هو — على العكس من ذلك — أدنى إلى أن يكون دليلا على أنه من الواجب أن نفحص هذه الفكرة بعناية ، على أنها مثال محتمل للتبرير الجدلى .

زكريا ابراهيم

« مصر الجديدة » مدرس بمدرسة السويس الثانوية

التعليم ووحدة الأمة

— ٥ —

للأستاذ عبد الحميد فهمى مطر

يسرنا أن نشهد فى هذه الأيام شيئاً من الاهتمام بمسائل التعليم وإصلاحه فقد رأينا نقاشاً يتردد بين بعض رجال التعليم فى الجرائد والصحف الأسبوعية مما يدل على هذا الاهتمام وعلى أن وزارة المعارف ترحب بالآراء الجديدة التى تتناول المشاكل التعليمية وتعمل لإنماء روح البحث والاجتهاد فى هذا الموضوع الجليل الشأن. غير أنى أرجو أن يتحول البحث إلى المسائل التى فى الصميم والتى تتغلغل فى روح المدرسة وروح النهضة التعليمية التى تنشدها البلاد.

فالبحث الذى دار فيه النقاش والجدل أخيراً كان خاصاً بزيادة مرحلة وسطى بين مرحلتى التعليم العام. والتعليم العام سواء اشتمل على مرحلتين أو ثلاث مراحل هو فى حاجة ماسة إلى إصلاح أهم وأعم لايتناول مراحله فحسب، بل يتناول نظمه ويتناول روحه حتى نحصل منه على الثمار المرجوة. ولقد تناول صديقنا الأستاذ فريد أبو حديد إحدى مسائله الهامة فى العدد ٣٣٣ من الثقافة. تناول مسألة المعلم فطالب وزارة المعارف إذا شاءت أن تعد البلاد للمستقبل الذى تنشده أمم العالم جميعاً أن تتجه اتجاهاً جدياً إلى المعلم، وطالب الدولة كلها بأن تعين وزارة المعارف على ذلك وأن تحلها من كل قيد وأن تبذل لها من عنايتها ما يمكنها من أن تجعل المعلم روحاً حياً يبعث الحركة فى ناشئة البلاد. وهذا مطلب لا نشك فى أهميته ولا فى عدالته ولا فى ضرورته للنهضة التعليمية. ولقد سبق أن طالبنا الأمة به فى مواقف كثيرة، وسبق أن أوضحنا ما للمعلم من أثر فعال فى تكوين أبنائه وفى بناء نهضة هذه البلاد، وأنه هو العامل الحى الذى يبث الحياة فى النشء ويبصرهم بأمور الدنيا ويفتح عيونهم على ما يجرى حولهم فى الحياة. وهو القدوة الحية أمامهم يحاكونه فى أعمالهم ويتخذونه مثلا أعلى لهم ويقلدونه فى حركاتهم وسكناتهم ويلجأون إليه فى معضلاتهم. وإذا كنا نشكو اليوم ما فى المدرسة من جمود وخمود وما فى تلاميذها من استهتار وقلة تبصر وعدم اهتمام بمسائل الحياة وعدم إقدام خريجيها على العمل الحر المنتج فإنما يرجع الكثير من ذلك إلى جمود روح المعلم وجموده، وإلى سيره فى حياته التعليمية على طريقة أوتوماتيكية خالية من البحث والتفكير والابتكار. وله العذر فى ذلك لأن الحالة القائمة بين جدران المدارس وفى تقدير كفايات المدرسين وأعمالهم لا تشجع مع الأسف على شىء من ذلك. فمعلم اليوم مكبل بقيود ونظم وتقاليد لا تسمح له بالتفكير فى مستقبل تلاميذه إلا فى دائرة محدودة جداً هى دائرة المنهج المقرر وعدم الخروج عنه لأى سبب من الأسباب، والعمل على إنهاء دراسته فى المدة المحددة له حتى يستطيع طلابه اجتياز الامتحان. وهذا هو كل ما هو مسئول عنه. فهو بذلك معذور حقاً إذا لم يحاول أى عمل أكثر من إلقائه الدرس الملىء بالمعلومات التى لا تمت إلى الحياة بصلة فى الغالب مكررا على أسماع تلاميذه برغم أنوفهم تلك المعلومات التى لا تثير ميولهم ولا غرائزهم ولا تثير فيه هوميلا إلى البحث والتفكير؛ لأن ما ذكره فى الأعوام الماضية يجىء فيكرره فى عامه الحاضر دون تنويع أو تحوير ما دامت الطريقة التى اتبعها من قبل قد أرضت المفتش والناظر وأدت إلى نجاح معظم تلاميذه فى الامتحان. هو معذور إذا لم يعمل عملا ما لتحسين حال تلاميذه من الوجهتين الصحية والخلقية لأن المدرسة لا يعنيها ذلك. وهو معذور إذا لم يحاول أن يعرف تلاميذه شيئاً عن الحياة وما يحيط بهم منها وما يتعلق بها داخل المدرسة وخارجها، لأنه إن فعل ذلك أجهد نفسه فيما لايقدره أحد ولايشجعه أحد؛ ويجد نفسه قد أضاع جزءا من الوقت الثمين المخصص لإنهاء المنهج الذى لا يقدر رؤساؤه غيره، فلابد له من ملء الأدمغة وحشوها بكل ما جاء فيه مهما كان نوعه ومهما كانت قيمته بالنسبة إلى ميول التلاميذ. وما عليه من بأس مادام قد خلق المنهج فى أدمغة التلاميذ سواء أعرفوا شيئا عن الحياة بعد ذلك أم لم يعرفوا. ثم هو معذور إذا لم يعرف شيئاً عما يجرى فى مختلف البلاد المتحضرة من آراء حديثة وأفكار جديدة فى التربية والتعليم لأنه لايتابع قراءة شىء عن ذلك. ولعل أكثر من تسعين فى المائة من المعلمين لم يقرأوا شيئا من مقالاتى هذه لما

يستشعرونه من رؤسائهم من عدم اهتمام أو عدم تقدير لكل تفكير جديد . ثم نحن محاطون بكثير من المدارس الأجنبية المنتشرة فى البلاد التى تتبع طرقا فى التعليم غير طريقتنا . فمن يا ترى من رجالنا فكر فى الاتصال بها ومعرفة شيء مما يجرى بين جدرانها ! فالمعلم المسكين لا يفتح عينيه إلا على تلاميذه ومنهجه ودرسه ! ثم هو معذور إذا لم يتعاون مع زملائه التعاون الضرورى لرفع مستوى التعليم فى معهده وتكوين الجماعات التعاونية بين طلابه ؛ لأنه مشغول بنفسه وبالدفاع عن قضية عيشه فى أوساط تكلفه أكثر مما يطيق وتغمط حقه فى الحياة ولا تقدر مسئولياته فيها ؛ ولأنه مشغول بالكر والفر بين زملاء يتنافر الكثيرون منهم معه فى الثقافة والتكوين ولا يتفقون معه فى الآراء ولا ينسجمون معه فى العاطفة والروح بطبيعة اختلاف ثقافاتهم باختلاف المعاهد التى نشأوا فيها .

لذلك نكلف المعلم شططا إذا نحن طالبناه بالخروج عن جوده إلى العمل الجدى والنهوض بتلاميذه وبمدرسته ، لأنه مقيد بقيود تقف حجر عثرة فى سبيله بعضها يرجع إلى البيئة المحيطة به وبعضها يرجع إلى التصرفات التى تجرى فى محيطه التعليمى . فهو غالبا لم يدخل مهنة التعليم لحبه لها وشغفه بها كما يدخل غيره فى باقى المهن . ومعنى ذلك أنه مسوق إلى العمل فى مهنته برغم ميوله وإرادته . ولقد أثبت صحة هذا الرأى من زمن بعيد الخبير الفنى المسيو كلاپاريد فى تقريره عن حالة التعليم فى مصر تحت عنوان « النزعة البيداجوجية » إذ لاحظ أنه من بين الـ ٦٩ طالبا بمدرسة المعلمين العليا الذين وجهت إليهم أسئلة عن سبب اختيارهم لمهنة التعليم لم يختر منهم هذه المهنة بدافع الميل غير ٣١ طالبا أى أقل من النصف ؛ وأن كثيرين منهم التحقوا بهذا المعهد لأن معاهد أخرى رفضت قبولهم . ومعنى ذلك أن عدداً ليس بالقليل من المشتغلين فعلا بالمهنة البيداجوجية لا تتوفر فيهم النزعة الغريزية اليها . فاذا كانت هذه هى الحالة فى مدرسة المعلمين العليا سنة ١٩٢٩ قبل إلغائها فإن الحالة لا زالت هى هى فى معهد التربية الذى أنشىء على انقاضها وفى دار العلوم وفى معاهد المعلمين والمعلمات التى امتلأت بالفتيان والفتيات لا رغبة فى مهنة التعليم وحبا فيها بل رغبة فى كسب العيش عن طريقها . ولذلك فإنا لا نجد فى خريجى هذه المعاهد من القائمين بأمر التعليم الآن إلا أناساً مسوقين بحكم وظائفهم مجبرين على العمل الذين يقومون به لا محبين فيه . ويزيد نفورهم من المهنة ما يقاسون فيها من عناء وكد واجحاف بالحقوق بالنسبة لأقرانهم وزملائهم فى المهن الأخرى . وما يقاسون فيها من تنافس وتنافر غير مشروع بينهم يظهر من آن لآن بسبب النزعات والثقافات المختلفة . ولذلك فإنا مقتنعون بأن الحجر الأساسى فى بناء نهضة التعليم فى مصر ينحصر فى تشويق الشباب إلى المهنة وتحبيبهم فيها بما يجب أن يوجد فيها من مغريات ومشجعات لا أثر لها فيها اليوم ، كما ينحصر فى العمل الجدى على توحيد ثقافات المعلمين بضم معاهدهم المتنافرة المتناحرة بعضها إلى بعض فى معهد واحد ليكون الجميع يدا واحدة متناصرين متعاونين متجهين جميعا الاتجاه الصحيح فى تفكيرهم وبحوثهم وعملهم فى سبيل وحدة الأمة المنشودة . وإنه لن يتم للبلاد ما ينادى به الزعيم الوطنى الكبير على ماهر باشا فى أن يتحد أبناؤها اتحاداً شاملا حرا وأن يكون هذا الاتحاد اتحادا فى القرية واتحادا فى الإقليم واتحادا فى عاصمة البلاد كما ذكر رفعته فى حديثه لمراسل جريدة الأهرام بتاريخ ١١ مايو سنة ١٩٤٥ ؛ أقول لن تتم لنا تلك الوحدة العزيزة المنشودة إلا إذا وضعنا أساسها بين معاهد تخريج المعلمين من اليوم ليكون المعلمون على مر الزمان دعاة تلك الوحدة وأنصارها والقابضين على زمامها فى القرية والمدينة والعاصمة . ولتكون المدرسة نواة الإصلاح الحق فى بناء تلك الوحدة وتدعيمها كما هو الحال عند غيرنا من الأمم التى سبقتنا فى مضمار الحياة الحرة الكريمة . وإنا لنغتبط كل الاغتباط بما جاء فى سياق حديث رفعته الممتع من حماس للوحدة القومية إذ قال : « وما دام الحق واحدا لا يتعدد فالوحدة القومية التى فيها إنقاذ شرف الأمة يجب أن تكتسح كل من يقف فى سبيلها » .

لهذا نأمل أن يعمل العاملون فى بناء هذه الوحدة فوراً على وضع أساسها وتدعيم جدرانها بتوحيد معاهد المعلمين وتوحيد ثقافاتهم حتى ينبنى البناء الشامخ على أساس وطيد سليم لا تزعزعه العواصف بل لا تزيده إلا تماسكا وقوة وعزة ورفعة .

عبد الحميد فهمى مطر



٥ – الفن

المكاتب الفرنسي بول جيزيل

بقلم الدكتور محمد بهجت

الحركة فى الفن

يوجد بمتحف اللوفر تمثالان لرودان يتنازعانني ويؤثران فيَّ بوجه خاص، هما : « العصر الحديدى » « ويوحنا المعمدان » . ويخيل إليَّ أنهما أكثر حياة من غيرهما — إذا صح هذا التعبير . حقيقة أن كل تماثيل « رودان » الأخرى تنبض بالحياة ، وتتنفس ويحس منها ما يحس من اللحم الحقيقى إلا أن هذين التمثالين يتحركان !

كاشفت رودان بولعى الخاص بهذين التمثالين ذات يوم وأنا جالس بمرسمه بميدون فما كان منه إلا أن أجابنى :

إنهما حقاً من تلك التماثيل التى أبرزت فيهما الفن التقليدى إلى أبعد حدوده ، مع أنى صنعت غيرهما كثيراً مما لا يقل عنهما حركة وحياة ، أذكر منها على سبيل المثال « رهائن كاليه » « وبلزاك » « والرجل الذى يمشى » . وحتى فى أشغالى التى لا يظهر عليها النشاط حرصت دائماً على أن أطبعها بطابع الحركة . ولم أصنع قطعاً وادعة ساكنة إلا فيما ندر . ولقد حاولت دائماً أن أعبر عن الأحاسيس الداخلية بحركات العضلات . وهذا صحيح حتى فى تماثيلى النصفية التى أجعلها تميل أو تنحرف انحرافاً خاصاً أو تأخذ وضعاً معيناً يجعلها تنم عن خلجة من خلجات النفس .

لا يمكن الفن أن يعيش بغير حياة . فإذا ما أراد مثّال أن يعبر عن السرور أو الحزن مثلاً أو عن أية عاطفة كانت فإنه لا يستطيع تحريك مشاعرنا من غير أن يعلم بادئ ذى بدء كيف يبث الحياة فيما يسوى من الأجسام . وإلا فكيف يؤثر فينا السرور أو الحزن المرتسم على شىء جامد كقطعة من الصخر الأصم مثلاً ؟

ويمكننا الحصول على مخايل الحياة فى أعمالنا عن طريق التمثيل الجيد والحركة . هاتان الصفتان هما بمثابة الدم والروح لكل عمل جيد » . وهنا قلت له :

أيها المعلم ! لقد حدثتنى عن التمثيل فأصبحت قادراً على تذوق روائع الفن أكثر من ذى قبل ، فاسمح لى الآن أن أوجه إليك بعض أسئلة عن الحركة التى أراها لا تقل أهمية عنه . عندما أحدق فى تمثالك المسمى « العصر الحديدى » الذى ينهض ويملأ رئتيه هواء ويرفع ذراعيه عالياً ، أو فى تمثال « يوحنا المعمدان » الذى يخيل إلى الرائى أنه يهم بمغادرة قاعدته التى يقف عليها ويضرب فى أنحاء الأرض مبشراً برسالته بكلمات من الهدى ، يعرونى مزيج من الإعجاب والدهش . ويخيل إليَّ أن هناك سحراً فى ذلك الفن الذى يهب مادة الشَّبَه حركةً . ولقد درست روائع أخرى لأسلافك العظماء أذكر منها تمثال المارشال (ناى) « Ney » والمارسليز ، وكلاهما من عمل (رود) « Rude » ثم الرقص من عمل (كاربو) « Carpcaux » وكذلك حيوانات (بارى) « Barye » الوحشية الكاسرة ، ولا يسعنى إلا الاعتراف بأنى ما وجدت إلى اليوم تفسيراً مقنعاً للتأثير العميق التى تحدثه تلك التماثيل فى نفسى . وما زلت أسائلها كيف يمكن أن تؤثر فينا كتل صماء من الحجارة أو الحديد ؟ وكيف تبدو بعض التماثيل كأنها تعمل ، بل وكأنها فى حركة عنيفة بينما هى فى الواقع ساكنة لا حراك بها ؟ »

فأجابنى رودان : « أما وقد جعلتنى فى عداد السحرة فسأحاول جهدى أن أحمى سمعتى ، وذلك بأن أقوم بواجب هو أصعب بكثير من نفخ الحياة فى الشبه أو الحجر ، ألا وهو أن أشرح لك كيف يتسنى ذلك

لاحظ أولا أن الحركة هى الانتقال من وضع معين إلى وضع آخر . والحق يقال إن هذا التعريف الذى يكتنفه الصدق هو مفتاح السر . ولا ريب أنك قرأت فى أوفيد كيف استحالت (دافنى) « Daphne » إلى شجرة الغار ، و (برونى) Progne إلى عصفور السنونو . يرينا هذا الاديب الساخر أن الأولى اتخذت من قشور الأعواد ومن الأوراق غطاء بينما ادثرت الأخرى بالريش حتى نستطيع أن نرى فى كل منهما المرأة التى استحالت والشجرة أو الطير التى سوف تنقلب إليهما . وأظنك تذكر أيضاً أن دانتى يصور لنا فى جحيمه حية تلتف حول جسد أحد اللاعبين فتنقلب رجلا ، وينقلب الرجل بدوره حية تسعى . يصف لنا الشاعر العظيم هذا المنظر بجلاء تام وعبقرية فذة بحيث يستطيع المرء أن يتابع فى كل من هذين المخلوقين الصراع الدائم بين طبقتين تصطرعان لتسود إحداهما الأخرى .

وقصارى القول يمكن المصور أو المثال بمثل هذا الضرب من التطور والتبدل أن يهب المخلوقات التي يبتكرها الحركة والحياة بأن يمثل التحول من وضع إلى آخر ، ويظهر كيف يتصل الأول بالثاني ويمحى فيه بشكل غير محسوس ... ويجب أن نرى في عمله بعضاً مما وقع أو مما كان ، ونستبين طرفا مما سيكون . ولأضرب مثلا يوضح لك الأمر أكثر من ذلك :

« لقد ذكرت منذ هنيهة تمثال المارشال ناي الذي صنعه رود فهل تستوعبه بوضوح ؟ » فأجبته :

« نعم » إن البطل يشهر سيفه ويصيح في جنوده بأعلى صوته : إلى الأمام » .



تمثال المارشال ناى — (صنع المثال رود)

« تمام ! حسن ! عندما تمر بهذا التمثال مرة أخرى تأمله بدقة أوفى فتلاحظ إذ ذاك أن رجلي التمثال واليد اليسرى التي تقبض على غمد الحسام ثبتت على الحالة التي كانت عليها عند ما استُل السيف من قرابه . أما الرجل اليسرى فقد انسحبت قليلا إلى الوراء لكي يسهل إمساك السيف باليد اليمنى التي استلته منذ هنيهة . وأما اليد اليسرى فثابتة في الهواء ممسكة بالغمد كأنها ما زالت تقدم الغمد .

ولندرس الجسم الآن؛ كان يجب أن يكون مائلا قليلا إلى اليسار في اللحظة التي أتى فيها بالحركة التي وصفت آنفاً . ولكنه هنا منتصب ، والصدر بارز إلى الأمام ، والرأس يدور نحو الجنود وقد دوى منه الأمر بالهجوم . وأخيرا ترى الذراع اليمنى مرتفعة وقد شرعت الحسام . فها أنت ترى في كل ذلك إثباتا لما قلته لك آنفاً . فالحركة في هذا التمثال إلا تغيير من وضع أولي — هو الذي كان عليه المارشال عند ما استل سيفه — إلى وضع ثانوي هو عند ما رفع ذراعه وشرع في الاندفاع صوب العدو ... وفي هذا كل السر في الحركة كما يفسرها الفن . فعلى المثال إذا أن يلزم المشاهد بتتبع تطورات حركة ما في فرد معين . ونرى في المثل الذي استشهدنا به أن العينين تلتزمان التنقل من الأطراف السفلى إلى العليا حتى الذراع المرفوعة ، فترتاب أثناء ذلك التنقل أجزاء الجسم ممثلة في فترات متتابعة وتتوهمان بأن الحركة تمت » .

وقد اتفق وجود صبيتين (1) لتمثالي « العصر الحديدي » « ويوحنا المعمدان » في البهو الكبير حيث كنا ، فسألني روران أن أنظر إليهما ففعلت ، وأدركت صدق قوله للتو واللحظة . لاحظت في التمثال الأول أن الحركة تصاعدية كما في تمثال ناي . فالشاب غير كامل النهضة ، فساقاه متخاذلتان ، تميدان من تحته ، فاذا ما صعدت عيناك فيه قليلا وجدت الوقفة أصلب ، والأضالع بارزة من تحت الجلد ، والصدر يتمدد وينهد ، والوجه يواجه السماء ، والذراعين ممدودتين كمن يحاول أن يُنضي عنه خموله . أما موضوع هذا التمثال فيلخص في التخلص من حالة الركود والخمود إلى حالة النشاط في الإنسان الذي يتحفز للعمل .

وفضلا عن ذلك فإن تلك الحركة البطيئة التي تدل على الاستيقاظ والنهوض لتظهر أروع مما هي عليه عندما يدرك المرء مغزاها . فهي تمثل — كما يدل على ذلك اسم القطعة — أول خفقة من الإدراك والتمييز في إنسانية لا زالت في مدارجها الأولى وأول

(1) اخترت كلمة صبيبة للفظة الانجليزية Cast وهي ما يصب في قالب على نحو السبيكة للمعدن المذوب الذي يفرغ في قالب .

انتصار للعقل على وحشية العصور السابقة للتاريخ .



تمثال يوحنا المعمدان — (صنع رودان)

ثم درست بعد ذلك تمثال يوحنا المعمدان على الوتيرة السابقة ، فرأيت أن انسجام هـذا الجسم أدى إلى تطـور من حالة إلى حالة أخرى كما قال رودان . فأولا يتكىء الجسم بكل ثقله على القـدم اليسرى التي تضـغط على الأرض بكل قوتها . ويبدو كأنه يتذبذب فى ذلك الوضع هنيهة بينما تنظر العينان صوب اليمين . وبعد ذلك ترى الجسم كله يتجه فى هـذا الاتجاه ثم تخطو الرجل اليمنى وترتكز قدمها على الأرض . وفى تلك اللحظة يظهر الـكتف الأيسر المرتفع كما لو كان يلقى بثقل الجسم إلى هذا الوضع الجديد كما يعين القدم اليسرى الخلفية على الخطو إلى الأمام . والآن ، لم يخرج علم الفنان عن أنه يضع تلك الحقائق نصب عين الرائى على النحو الذى ذكرته حتى يكون من تعاقبها وتتابعها ما يشعر بالحركة .

وفضلا عن هذا أيضاً فإن لحركة « يوحنا المعمدان » دلالة روحية كتلك التى لتمثـال « العصر الحديدى » . فالنبى يتحرك حركة آلية كلها جلال ووقار حتى لتتوهم أنك تسمع وقع أقدامه مثلما تتوهم ذلك عند ما تشاهد تمثال « القائد » تحس منه كأن قوة خفية كامنة تهيمن عليه وتسيره . وعلى هذا نرى أنه بينما تبدو لنا حركة المشى عادية صرفة نراها هنـا جليلة لأنها فى سبيل رسالة مقدسة . وهنا سألنى رودان فجأة :

— « هل سبق لك أن عاينت بإمعان صورا فوتوغرافيه لأشخاص تمشى ؟ » . ولما أجبته بالإيجاب قال « حسن . ماذا لاحظت عليها . »

— « لاحظت أنها ثابتة فى أماكنها لا تتقدم ، وتبدو على العموم كأنها ترتكز على ساق واحدة ، فى غير ماحراك ، أو أنها تحجل على قدم واحدة » .

— تمام ! ولأضرب لك الآن مثلاً تمثالى (يوحنا المعمدان) ، الذى ترى قدميه مرتكزتين على الأرض . فإذا ما أخذت صورة فوتوغرافية لمثال حى يمشى مشيته فلربما ظهرت قدمه الخلفية مرتفعـة تلاحق القدم الأخرى ؛ أو على النقيض من ذلك قد لا تكون القدم الأمامية على الأرض إذا ما شغلت الرجل الخلفية فى الصورة الفوتوغرافيه نفس الوضع الذى تشغله من التمثال .

ولهذا السبب عينه قد يبدو مظهر هذا المثال الفوتوغرافى غريبا كما لو كان رجلا فاجأه الفالج وتحجر فى موضعه ، كما وقع فى القصة الخرافية البديعة لخدام « الجمال النائم » الذين مسخوا وسمروا فى مكانهم على حالهم التى كانوا عليها . وهذا أيضا يدعم ما شرحته لك من هنيهة بخصوص الحركة فى الفن . وفى الواقع أنه إذا ظهرت الأشخاص فى الصور الفوتوغرافية كأنها مثبتة فى الهواء مع أنها أخذت وهى فى حالة الحركة فما ذلك الا لأن جميع أجزائها صورت فى فترة زمنية واحدة هى جزء من عشرين أو أربعين من الثانية فلا يوجد فى هذه الحال تدرج فى الحركة كما هو الحال فى الفن » .

فقلت :

— « انى أفهمك تمام الفهم يا أستاذ : ولـكن أرجو أن تسمح لى بأن أقرر أنك تناقض نفسك » .

— « وكيف ذلك ؟ »

— « ألم تصرح لى أكثر من مرة بأنه يجب على الفنان أن ينسخ الطبيعة بكل اخلاص ؟ »

— « لا ريب فى ذلك . ولا أزال أتمسك به . »

— « حسن ! إذن إنه عند ما يفسر الحركة فيناقض بتفسيره الآلة الفوتوغرافية تمام المناقضة — والفوتوغرافيه دليل آلى دامغ لا يرقى إليه الشك — فانه بذلك يغير من الحقائق . »

— « كلا . ان الفنان هو الصادق ، والآلة الفوتوغرافية هى الـكاذبة ؛ لأن الزمن لا يقف كما هو ثابت مقرر . وإذا نجح الفنان فى اظهار تعبير حركة تستغرق عدة لحظات حتى تتم فان عمله يكون بلا ريب أقل تكلفا من الطيف العلمى « الفوتوغرافية » حيث اقتضب فيه الوقت اقتضاباً مفاجئا .

(له بقية)

دكتور محمد بهجت

فرنسا الجريحة

[بمناسبة الحوادث الأخيرة فى القطرين الشقيقين سوريا ولبنان] .

للأستاذ ادوار حنا سعد

فرنسا الجريحـــة لا تجزعى   فإن شقاءك لم يبرحِ
وإن كان فيك دَمٌ ناضح   فسوى خرابَك أو أصلحى
عجيب لعمرى بطشُ الجريح   ببيتِ الموالين والنُصَّح
فنبكى ونضحك من حمقه   ونرثى له ساحة المـــذبح !

جناحك فى الغرب ملقًى به   ونابك فى الشرق ... فى قلبه
فررت إليــه من الفــاتحين   فهل كان غوثك من ذنبه ؟
فيا للطريدة قـــد ضمها   كريمٌ تخفَّت إلى حربه
لئن كنتِ أخطأتِ فى بُغضنا   لقد أخطأ الشرق فى حبه

أهذى بواكيرُ عهد السلامْ   جيوش تساق وشعب يضامْ
فيا ســوأةً للعهودِ العِـذابِ   ويا ضِلةَ للأمانى الضخـام
وهل حُمِّلَ العالمُ المستثارُ   سنين اللظى والدما والظلام ..
... لمستهترين بحق الشعوبِ   ومؤتمرٍ غارق فى الكلام ؟

وأين التساوى وأين الإخاء ؟   رياءٌ ... تنصل منـــه الرياء
تراث الجـــدود فهل صنته   وقد خطه بدمعهم والدماء
ولو تنطق اليـــوم أشلاؤهم   لثارت على مشبهى الأقوياء
هويتِ بمجـــدٍ ولوثته   ومنبعه من كروم السماء

ثرى الحرب

للأستاذ محمد برهام

أراه فأذكر الحظ السعيدا   وأطرق إذ أرى حظى بليدا
لقـــد فهم الحياة فجد حتى   أقام لنفسه ملكا وطيـــدا
إذا عبست له الأقدار (بيضا)   فقد ضحكت له الأقدار (سودا)
ثرىَّ الحرب إن الناس حرب   عليـك لجمك المال العديدا
وأوليك المـــديح ولا أبالى   إذا ما صرت فى مدحى فريدا
وجود ... لا خـــير فيه   فما أحراك أن تنسى الوجودا
... المرء فى ديبـــاء مالا   يقاس به هبوطاً أو صعودا
تحـــدث بالثراء ولو كذابا   تجدك غدوت إنساناً مجيدا
وقالوا جهل قلنـــا سيغدو   على الأيام أبلغنا قصيـــدا
وقالوا مجـــده مجد طريف   فقلت المجد لم يخلق تليدا
صفات سوف تنساها الليالى   وثروته تخـــلده خلودا
لعمرك كم نمجـــد أثرياء   فنطريهم ونلبسهم عقودا
وكانوا لا تسلنى كيف كانوا   وخلى المـــال صيتهم بعيدا
إذا فتشت عن أسباب مجد   فلا تنسَ الدراهم والنقودا
لماذا لا أكون ثرىً حرب   فألبس خاتماً وأزين جيداً
وقل ما شئت فى ذمى فعندى   سواء أن تذم وأن تشيدا
أينبل شاعر قـــد وظفوه   فلاق فى وظيفته الجحودا
بلا حول ، فإن طلب الترقى   أقاموا دونه (كَدْرًا) حديدا
منيع ، تتبع النظرات فيـــه   فتلقى كل أحرفه قيـــودا
نظل سنين نحسب — كى نعلَّى   (جنيهاً) وا تفاهة ما أريدا
علاوات كدود البطن تردى   فسموها (الوُحيدة) والوحيدا
إلٰهى طال للعـــدل انتظارى   ولا أمـــل لدى أرى الفقيدا
فمن ذا يشترى علمى وشعرى   ويبـــدلنى بهم جهلا مفيدا
هنيئا يا ثرى الحرب مال   ضمنت بجمعه العيش الرغيدا
فعش من نور جهلك فى رخاء   ودع لى الفقر والخلق الحميدا

أشـــواق ...

للشاعر مصطفى عبد الرحمن

أيها الناعم فى ملك الكرى   بين أحلام الأمانى الباسمات
من على بالك يهفو يا ترى   عندما تذكر ما مر وفات
لا رأت عيناك يوماً ما أرى   وأقاسى من لهيب الذكريات

حينما يعرضها المـــاضى لعينى
صوراً تجلو الذى أفلت منى
من ليال بهوانا راقصات



تقدير فخم لكتاب فخم

أرسل إلينا الأستاذ نزار الحلى من كربلاء كتاباً يقول فيه :
« أهدى السيد محمد حسن آل ضياء الدين سادن الروضة العباسية بكربلاء هدية نفيسة إلى الأستاذ عباس محمود العقاد تتألف من مصحف أثرى ، وسجادة فاخرة ، وقطعة من الذهب المقصب تمثل ضريح الحسين عليه السلام ، وذلك بمناسبة تأليفه كتابه (أبو الشهداء) واعترافاً بإجادته فى هذا الموضوع . وتقدر هذه الهدية بألف جنيه علاوة على قيمتها الأثرية .

حمل الصبح إلى الكون نشيدى رائع اللحن شجى النغمات
كالمنى تحقق كالحلم السعيد كرضانا كابتسام الزهرات
بيـد أنى لا أبالى بالوجود ذاع لحنى فيه أم ضاع ومات

إن يكن قلبك لا يسمع لحنى
فلمن يا فتنـة الروح أغنى

للهوى لحن الليالى الخالدات

آه لو تسمعنى أشكو الجوى يا حبيبى . . . آه لو تسمعنى
وترى القلب ونيران الهـوى ولظاها بات يرعى بدنى
لترفقت وحطمت النوى وانطوى سهدى وولى حَزَنى

أين أحلام شبابى ، أين منى
أمسيات من فتون وتمنى

وعيـون الدهر عنا غافلات

يا حبيبى أيقظ الماضى شجونى حينما طافت رؤاه فى خيالى
وتلفت بعيـنى ليقينى فإذا الحاضر كالليل حيالى
وإذا بى قد خلت منك يمينى وانطوى ماكان من صفو الليالى

طال بى شـوق لأيام التغنى
وليال هن بعضى غاب عنى

هاتها لى يا حبيب الروح هات

ولقد أرسل الأستاذ المهدَى إليه رسالة رقيقة إلى السيد المهدِى نرسل إليكم صورتها لتنشروها فى مجلتكم الغراء ، وهذا نصها بعد الديباجة :

« تحيات الإجلال إلى مقام السيد الكريم ، وقد تلقيت هديته الفاخرة فتلقيت كنزاً ثميناً بكل معنى من معانيها ، وكل إشارة من إشاراتها ، وهى كثيرة المعانى والإشارات

وحسبى منها أنها عنوان الرضوان من أمثالكم ذوى الفضل والعلم ، ورضوانهم مفخرة لكل من يحمل القلم فى خدمة الحق والمعرفة ، وأنها قداسة تقترن بوحى الله وتزدان باسمه جل وعلا وأسماء نبيه الكريم وصفوة آله الأبرار وأنها مع هذا وذاك آية رائعة من آيات الصنع المونق المعجب والفن المحكم الجميل ، ولست أوفيها الشكر عن بعض هذه المعانى فكيف أوفيها الشكر عليهن مجتمعات ؟

غاية رجائى أننى استحققتها من كرمكم بكتابى عن (أبى الشهداء) فعسى أن أوفيها شكرها بالمضى فى هذا النهج القويم والمثابرة على خدمة الفضيلة والإيمان . ولعلى أسعد بفرصة يشكركم فيها اللسان مع هذا الشكر القاصر من اليراع .

ولكم منى أسنى التحية والسلام والإجلال »

المخلص

عباس محمود العقاد

من مستشار أديب إلى مؤلف أديب

عزيزى الأستاذ الكبير كامل كيلانى بك

إنى – منذ تفضلت فأهديت إلىَّ تحفتيك الأخيرتين – أتفيأ ظلال حديقة أبى العلاء ، أنعم بوارف هذا الظل وأمتع ناظرى بجمال تنسيقها ووشى أزهارها وأجتنى ثمارها وأتذوق عذب نميرها ، وأهنأ برسالة الهناء وما حوت من طريف اللغة ودقيق المعانى وما كشفت من نواحى الحياة الوضاءة حيناً والمظلمة أحياناً ، وأعجب من هذه القدرة التى حباك الله بها فيسرت العسير ، وذللت الصعب الممتنع ، وسقت لنا فلسفة أبى العلاء وأدب أبى العلاء وخيال أبى العلاء الشعرى الرائع فى أسلوب جزل حلو جذاب وثاب ينفذ إلى القلوب فيهز مشاعر النفس وجوانب الحس . وقد عقدت

الموازنة الطريفة بين حديقة أبي العلاء كما نسقها بنانك ورواها بيانك ، وبين غابة أبي العلاء بوحشيتها المحببة وروعتها الموطأة .

فلك مني الشكر على كريم هديتك ، والتهنئة على عظيم توفيقك . ولا عجب فماضيك في الأدب يحمل أكبر الدلالة على حاضر موفق ومستقبل أكثر توفيقاً بإذن الله . فالله يكافئك على ما قدمته للعربية من روائع أدب تضيف إلى كنوزها كنوزاً وتحمل رسالة السلف إلى الخلف في يسر وجمال وإغراء .

والله يجزيك جزاء العاملين الصالحين .

المخلص

محمد العشماوي

المستشار الملكي

إدارة للأدب في فرنسا

أنشئت في العهد الأخير في وزارة المعارف العمومية الفرنسية إدارة للأدب عهد إليها بالإشراف على كل ما يختص بالدفاع عن الأدب الفرنسي والكتاب الفرنسيين الماضين والحاضرين والذين يظهرون في المستقبل وإبرازها .

وستقدم هذه الإدارة المساعدات المالية لطبع المؤلفات العلمية التي يضعها كبار الكتاب العصريين ، أو تقديم أداة العمل كالمعجم . وستعنى أيضاً بإصدار الكتب الفرنسية إلى الخارج . وقد شرعت في وضع مرشد فرنسا الأدبي ليستعين به الأجانب .

وستحقق هذه الإدارة أمنية جورج دوهاميل بإنشاء « صندوق وطني للأدب » بحيث يمكن توزيع المساعدات اللازمة للعمل فتذهب عن كل من يمنحونها المشاغل المادية مدة عام أو عامين . وستكون هذه المساعدات شبيهة بجائزة روما للرسامين والموسيقيين والحفارين ، ويمكن أن تمنح للشبان من الشعراء والروائيين والفلاسفة والمؤرخين وغيرهم .

وستتولى إدارة الأدب صيانة عقيدة الكتاب ، وحماية منازل الكتاب المتوفين من الإهمال أو التدمير .

وستعنى بتنفيذ بعض المشروعات مثل متحف الأدب الذي يمثل منظراً واسع النطاق لنشاط الإنسان ، أو لحركة عهد من العهود ، أو تطور حركة من حركات الأدب ، فيمثل للجمهور مثلا أدب النهضة أو أدب بارناس أو الأدب الروائي أو أدب بلزاك أو فيكتور هوجو .

وبالإجمال ستكون مهمة هذه الإدارة اختيار ما أخرجه الأدب الفرنسي مهما يكن مصدره واتجاهه وصيانته من العبث .

هيكل باشا مع المؤرخين

قرأت ما كتب في « الرسالة » حول اسم كتاب الدكتور هيكل باشا (الفاروق عمر) فأرسلت بهذه الكلمة استدراكاً على ذلك !

قال المؤرخ الصفدي في (الوافي بالوَفيَات) : قد عرفت العلم والكنية واللقب ، فسردها يكون على الترتيب : يقدم اللقب على الكنية ، والكنية على العلم ، ثم بالنسبة إلى البلد ، ثم إلى الأصل ، ثم إلى المذهب في الفروع ، ثم إلى المذهب في الاعتقاد ، ثم إلى العلم والصناعة . والخلافة والسلطنة والوزارة والقضاء والإمرة والمشيخة والحج والحرفة كلها تقدم على الجميع ، فيقال في الخليفة : أمير المؤمنين الناصر لدين الله أبو العباس أحمد السامري البغدادي الهاشمي القرشي العباسي الشافعي الأشعري . ويقال في أشياخ العلم العلامة أو الحافظ أو المسند — فيمن عمر وأكثر الرواية — أو الإمام أو الشيخ أو الفقيه ، ويورد الباقي إلى أن يختم الجميع بالأصولي ، والمنطقي أو النحوي . انتهى . هذا مصطلح المؤرخين . وهيكل باشا منهم .

دمشق

أحمد بسام الفرسي

تصحيح آية

جاء في مقال الأستاذ السبكي أثناء نقده لكتاب التصوير الفني في القرآن أن الله سبحانه وتعالى قال في وصف سيدنا يوسف إنه كان من عبادنا المخلصين . ومع أن الأستاذ الناقد أخذ على المؤلف إهمال تحرير الآيات فإنه وقع في نفس المؤاخذة بأن زاد كلمة (كان) على كلام الله تعالى . فنرجو تصحيح ذلك .

عبد السلام النجار

الكتب

التعليم فى رأى القابسى

للأستاذ محمد يوسف موسى

رسالة دكتوراه للأستاذ أحمد فؤاد الأهوانى ، نشر مكتبة الخانجى بالقاهرة ، ٣٢٦ صفحة القطع الكبير .

ظن كثير من الناس أن نشر رسالة فى التربية لعالم من علماء الإسلام لا يقتضى من المجهود ما يستحق به صاحبه درجة دكتور فى الآداب ، حتى نشر الأستاذ الأهوانى هذه الرسالة وقرأها هؤلاء الذين كان رأيهم هذا الرأى ، فتبين لهم أنهم كانوا على أنفسهم مسرفين

ومن الحق أن قارىء هذه الرسالة القيمة يتبين له بوضوح مقدار ما عانى صاحبها الفاضل وما بذل من جهد ، وما كان له من آراء خاصة ونقد قوى لما يستحق النقد من آراء القابسى وغيره من المستشرقين وبعض الكتاب المعاصرين .

***

جعل الأستاذ رسالته من قسمين : التعليم فى رأى القابسى وهو من علماء القرن الرابع ، ونص رسالة القابسى التى بين فيها أحوال المعلمين والمتعلمين .

بدأ أولا بعرض حياة القابسى وبيان منهجه فى رسالته ، وأن هذا المنهج كان منهج رجال الحديث الذين يعتدون بالآثار ويكرهون الابتداع ، كما كان واقعيا فيما عرض من آراء فى التعليم والتربية ، إلا أن هذا لم يمنعه من أن يكون مؤرخا أيضاً ؛ فيعنى فيما يبحث من مسائل — إذا اقتضى الأمر — بردّها إلى أصولها التاريخية وتتبع تطورها إلى أن تبلغ زمانه (٤٦) .

ولم يفت الأستاذ أن يلحظ أن القابسى وإن كان واقعياً فى آرائه يعنى بتقرير الواقع ووصفه ، إلا أنه كان مثاليا فيما رأى من وجوب أن يكون تعليم الصبيان جميعاً إلزامياً (٥٠ ، ٨٣) ، وبهذا سبق بقرون عديدة ما رأته الأمم فى هذه الأيام .

ثم عرض بعد هذا إلى الكلام عن الكتاتيب فى الإسلام ، وإلى البواعث التى جعلت أصحاب الحديث هم المشرفين على التعليم ، وإلى الغرض من التعليم فى رأى القابسى ومناقشته . وهنا نراه يقوم لذلك بعرض تاريخى عن التعليم فى فارس والشام ومصر قبل الإسلام أخذ منه الفصل الرابع كله والفصل الخامس أيضاً .

ويطول بنا الحديث إذا أردنا تحليل الرسالة وبيان ما وعت من مسائل عديدة عولجت بمقدرة وشجاعة وعمق جدير بالإعجاب ، ولكنه يجب علينا مع هذا أن نشير إلى أن الأستاذ الفاضل كان موفقاً وقوياً فى نقده للقابسى فى منهجه وفى بعض آرائه التى قررها وفى نقده لبعض الذين كتبوا فى التربية عند المسلمين من المستشرقين وغيرهم من المسلمين المعاصرين ، لقد كان موفقاً فى ذلك كله إلى أبعد حدود التوفيق .

١ — نقد القابسى فى منهجه الذى يقوم على تلمس الآثار وآراء السابقين ، بأن هذا لا يصلح فى التربية لما يدعو إليه من جمود وحجر على الرأى ، وبخاصة والأمر أمر يتصل أوثق اتصال بشئون الدنيا (ص ٣٣) .

٢ — نقده أيضاً فى أنه أهمل فى الآراء التى أنهى إليها نفسية الطفل ورعاية مراحل نموه ، كما أهمل العلوم الطبيعية والرياضة البدنية فلم يجعلها من العلوم الواجب أن يؤخذ بها الناشئة ، على أن الأستاذ كان منصفاً حين لاحظ أن هذه الآراء كانت أثر البيئة الاجتماعية فى عصر القابسى ، وأن العيب الأول كان عيب العصر كله فى الشرق والغرب (ص ١٥٧) .

٣ — وكذلك نقد بعض المستشرقين ومن أخذ إخذهم ؛ إذ لم يفرقوا فيما ذهبوا إليه من أغراض التربية عند المسلمين وآرائهم فيها بين المؤلفين الواقعيين كالقابسى والمثاليين كابن عبد البر والغزالى وإخوان الصفاء ، ومن ثم كان خطأ أولئك الكاتبين — ومنهم الدكتور خليل طوطح فى كتاب التربية عند العرب — فى اعتبارهم آراء هؤلاء المؤلفين آراء المسلمين جميعاً . ص ٢٠١ وما بعدها .

٣ — والأستاذ « كارادى فو » المستشرق الفرنسى المعروف ناله شواظ من نقد الأستاذ الأهوانى بحق ؛ فقد زعم فى كتابه « مذهب الإسلام » أن الشرق الإسلامى ليس فيه الذوق

الفطرى للتعليم ، وأن الإسلام لم يهتم بأمر الطفل ... فأكد لنا الأستاذ الأهوانى أن هذا المستشرق لو عرف رسالة القابسى لغير هذا الرأى الخاطىء ، فكيف بها وبغيرها من المؤلفات التى عنيت بالتربية والتعليم ! (ص ٢٢٥ — ٢٢٦) . هذه الرسالة التى — كما جاء فى آخر القسم الأول من البحث — وضع بها القابسى مؤلفها أسس التربية بحيث تلائم المجتمع وحاجة العصر ، والتى فكر فيها فى التعليم الإلزامى وتعليم البنات .

وبعد فقد كنا نود الوقوف عند هذا ، ولكن نرجو أن يسمح لنا الدكتور الفاضل بأن نشير إلى أمرين :

(ا) استعمل فى مواضع «أهل السنة» للدلالة على «أصحاب الحديث» (ص ٧٥ ، ٧٨ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣) . والمعروف أن أهل السنة فى المقام الذى جاء ذكرهم فيه ، هم الأشاعرة والماتريدية الذين يقابلون المعتزلة ، لا أصحاب الحديث ، كما يتبين من ابن خلدون وطاش كبرى زاده وغيرهما من الذين عرضوا للكلام والمتكلمين

(ب) ذكر الأستاذ الفاضل (ص ٧٧) رأى الغزالى عن المعتزلة من أنهم رأوا أن من لم يعرف العقائد الشرعية بأدلتهم فهو كافر ... ومع أن هذا ، كما ذكر الأستاذ ، ورد فى فيصل التفرقة للغزالى ، إلا أنه كان الواجب فى رأيى أن يأتى الأستاذ بنص فى ذلك من كتب المعتزلة أنفسهم . لا من خصم لهم ، ولكنا نعرف قول الخصوم بعضهم على بعض . وبخاصة والمعروف المشهور أن هذا التضييق على الناس فى وجوب معرفة الله من أدلة خاصة لها مقدمات خاصة هو رأى القاضى أبى بكر الباقلانى الذى ذهب إلى أن بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول ؛ حتى جاء إمام الحرمين الجُوَيْنى وأعرض عن هذا الرأى ، وقرر أن بطلان الدليل لا يؤدى إلا بطلال المدلول بحال .

هذا ، وليس هذا المأخذ أو ذاك مما يغض من قيمة هذه الرسالة القيمة التى عالج فيها صاحبها العالم الجليل مسائل التربية والتعليم — على تنوعها وتعددها — فى القديم والحديث بمقدرة يستحق التهنئة عليها وأسلوب واضح مبين ومنهاج مستقيم لا عوج فيه . وهذا كله وأكثر منه ننتظره من الدكتور الأهوانى الذى تخصص فى هذا الموضوع زمنا طويلا .

محمد يوسف موسى

مرايا النـــــاس (*)

للأستاذ حبيب الزحلاوى

السيدة وداد سكاكينى ، أديبة سورية ، وكاتبة من الطراز الأول بين جميع بنات جنسها ، وأقدر من عرفت من كاتبات العربية على الجمع بين حسن الديباجة ، وطلاوة الأسلوب ، وسلامة البيان ، واختيار الألفاظ ، وبراعة السبك ودقة التصوير خصوصاً فى الأمور الواقعية .

ما قرأت لهذه السيدة بحثاً من البحوث إلا أحسست بالجهد الذى أنفقته والعناية التى بذلتها فى صقل جملها لتكون على أجمل وأكمل ما يتراءى لها ، وعلى أحسن ما يمكن أن يكون وقعها فى نفس قارئها ، وهذه صفات قلما وجدنا لها نظيراً بعد المرحومة الآنسة « مىّ » بين كاتبات العربية فى هذا العصر . بل هى ميزة تمتاز بها على قريناتها خصوصاً فى معرفة مداخل الموضوعات والخلوص منها .

جمعت هذه السيدة الفاضلة ما كتبت فى مستهل حياتها من قصص فى كتاب أسمته « مرايا الناس » ؛ وأول ما يبدو لخاطر قارىء هذه المجموعة أن مؤلفتها كانت حبيسة دار الزوجية لا تسمع فيها — إن سمعت — سوى أحاديث الكتاب والأدب ، والكتّاب والأدباء ، ولا تخرج من دارها إلا لتذهب إلى المدرسة تعلم بعد أن تعلمت وأخذت منها كل ما يمكن أن تعطيه لفتاة مجتهدة مثلها ، وإذا جنحت عن المدرسة أو البيت — وقل ما نلاحظه فى هذه المجموعة أنها جنحت عنها — فتكون لزيارة صديقة قريبة أو زميلة . وقد ألمس الحقيقة إذا قلت إن حوادثها الخاصة وصورها الذاتية المرسومة فى كتاب « مرايا الناس » مستمدة من محيط ضيق كل الضيق لم يتخط بيت طفولتها ، ودور المدارس ، ومنزل الزوجية . والمؤلفة برغم هذه العقبات وأسميها عقبات كأداء لسيدة متوثبة الذهن ، متحفزة لاقتحام ميدان الحياة واجتلاء أسرارها ، ألفتْ هذه المجموعة من القصص فجاءت ضيقة الحدود ، متعرجة الخطوط ، ناصلة الألوان ، غير واضحة المعالم ، وقد بدا شأنها فيها كشأن مقتحم الصحراء وهو غير مزود حتى بالبوصلة . وأزعم أن مجموعة قصصها الجديدة ، وقد كتبت ما كتبت منها تحت سماء مصر ، هذا القطر السعيد ،

(*) يقع فى ١٥٣ صفحة من القطع الوسط ويطلب من مكتبة مصر

الجياشة صدور أدبائه بالطموح إلى الخروج عن الطوق ، وإثبات الشخصية ، والسادرة أقلام نقاده فى جنان من المديح والثناء المأجور ، أقول إنها ستعنى كثيراً بعرض موضوعها القصصى ومعالجته وتحليل شخصيات القصة ، وتسلسل الحوادث، وبالعقدة والخاتمة، وبالمحافظة على عنصرى الصدق والتشويق،وإلى خصائص مقررة لا محيد ألبتة عن التزامها فى بناء القصة . أما مجموعتها هذه فهى غنية بالصور الوصفية ، وقد تكون قصة « شقيقة نفسى » من أغناها ، لأن بناءها قائم على رسم تطور حياة فتاة ، هى حياة المؤلفة الخاصة قالت :

« وقد مرت الأيام على « وئام » فألقت بها فى لجة الحياة ، وكأنها كانت تقول لها : حاولى النجاة ... فلاحت لها الدنيا بوجهيها ، ورأت فيها الحمامة الوديعة والحية الرقطاء . ثم فتحت كتاب الناس فراعها أن لم تجد فيه صفحة مما تعلمته فى المدرسة، وندمت على شباب نسجته بالمثل العليا ، فأخذت تتمرس بآفات المجتمع غير منطوية على يأس ، ولا متقنعة بمصانعة »

ثم تقول « وأسدل الستار على فصل من رواية عمرها ، فاذا هى فى فصل جديد ، وإذا بها كـكل أنثى تنضو عنها فتوة جاهدة، وتروز تبعات جديدة ، فتشيع قافلة من السنين تجاوز العشرين ، وينبثق حجاب الزمان عن سر الغد القريب ، فاذا بها تجلى فى طلعة دنياها التى خلقت من أجلها كل أنثى».

أحيى السيدة وداد تحية الولاء والصداقة ؛ وأرجو أن تحملنى مجموعة قصصها التالية على الوقوف عند كل قصة وقفة النهم من موائد مترعة الـكؤوس بخمرة الحياة .

شخصيات ومذاهب فلسفية*

من مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

من طبيعة الأدب شعره ونثره أنه سهل الدخول إلى النفس فى يسرولين لاعنف ولامشقة . وأن النفس تقبل عليه بدافع منها ، راضية عنه مقبلة عليه مستأنسة إليه .

أما الفلسفة فلا يقبل عليها من الناس إلا من رُزق الصبر عليها والأنس بها . وقلما كانت الفلسفة أنيسة إلى النفوس لأنها كالسباع من الحيوان لايقدم عليها إلا من رزق القدرة على ترويضها وتأليفها .

والفلاسفة والمشتغلون بالفلسفة مسئولون عن هـذا النفور الذى يعانيه الجمهور من القراء . ولا أدرى ماذا كانت حجتهم فى الأبهام وعذرهم فى التعمية . وهل فعلوا ذلك عن قصد حتى تبقى للفلسفة رهبة الغموض وهيبة الخفاء ؛وحتى يكون لهم وحدهم مفتاح الأسرار والاستئثار بالأستار ، أم جاءهم ذلك الغموض من طبيعة الفلسفة نفسها لأنها تبحث وراء « المجهول » « وما بعدالطبيعة » وما إليهما مما أبدىء الـكلام فيه وأعيد ولا يزال المجهول مجهولا ؟

والحق أن كثيراً من موضوعات الفلسفة — وخاصة عند المسلمين لا يفيد القارىء أكثر مما يتعب ذهنه ويحير عقله — كالـكلام فى النفس ووحدتها وبقائها ؛ وكالـكلام فى الكون وهل هو حادث أم قديم ، وكالـكلام فى معرفة الله للجزئيات أو الـكليات ، وكالـكلام فى البعث وهل هو لأجسام الدنيا بأعيانها أم بأمثالها .

وقد ظل الفلاسفة يبحثون فى هذا وأشباهه فما أراحونا ولا أراحوا أنفسهم ، ولا أزاحوا الستار عما تتحرق نفوسنا إلى معرفته وتتطلع إلى كشفه . حتى لقد مات الرازى وهو لا يدرى إلى أين ... وعبر عن ذلك بقوله فى بيتين يعبران عن سؤال كل نفس من عهد آدم إلى أن يشاء الله ، وهما :

لعمرى ما أدرى وقد آذن البلى … بعاجل ترحال إلى أين ترحالى
وأين محل الروح بعد خروجها … من الهيكل المنحل والجسد البالى

ولقد أراح — والله — خطيب أياد وحكيمها «ابن ساعدة» نفسه حينما قال قبل الإسلام :

لما رأيت مواردا … للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها … يمضى الأصاغر والأكابر
أيقنت أنى لا محا … لة حيث صار القوم صائر ...

ولقد ألهم الله الجمعية الفلسفية المصرية صوابا فى القول حين قالت فى تصدير أول كتاب من كتبها « وإذا أراد الله بالفلسفة خيراً ألهم أهلها أن يسلكوا سبيلا أخرى ، فيعنوا بالشئون الإنسانية ، وبالأمور التى يتجه إليها التفكير فى كل زمان ومكان ، ويعالجوا بحوثهم فى أسلوب سائغ جذاب يفتح باب الفلسفة على مصراعيه لجمهور المثقفين » .

أما العناية بالشئون الإنسانية فنجد أن الدكتور على عبدالوحد وافى قد هدف إليها فى رسالته الجليلة « الأسرة والمجتمع » التى تعد بحق تحفة فى المكتبة العربية . ونجد أن أساتذة آخرين سيكتبون فى سلسلة هذه الجمعية عن الحياة الأخلاقية ، والتشريع

(*) للدكتور عثمان أمين مدرس الفلسفة بكلية الآداب — مطبعة الحلبى .

والإصلاح الاجتماعى . وأمثال هذه الموضوعات التى تتناول الواقع والحياة ، ولا تطير وراء الغيبيات والمجهولات ...

ولكن الدكتور عثمان أمين — وهو شريك الدكتور على عبد الواحد وافى فى كتابة تصدير هذه السلسلة — ترك العناية بالشئون الإنسانية من أخلاق وسياسة واجتماع وراح إلى الفلسفة يلتمس عندها سدَّ النقص فى القوة الإصلاحية والروحية . لأنه يرى أن (كل إصلاح تم فى الماضى أو سيتم فى المستقبل إنما هو أثر من آثار الفلاسفة وأحرار المفكرين) .

وما كان الأنبياء يا صديق فلاسفة ولا أحرار تفكير ولكنك لا تنكر الإصلاح الذى تم على أيديهم :

على أن اكتفاءك بالكلام فى الشخصيات الفلسفية وتركك التأليف فى الشئون الإنسانية — كما صنع الدكتور على عبد الواحد — يُعدُّ ركونا إلى أهون الحملين وأخف العبئين ...

إلا أننى لا أكتمك أننى وجدت فى كتابك لونا من المتعة واللذة عرفتُه من قبل فى كتابك عن « محمد عبده » . ووجدت فى أسلوبك الواضح السائغ أخذا بما عاهدت أنت ورئيس الجمعية فى تصديركما لأول كتاب .

وما أنا بقائل هنا لك جديداً ؛ فقد كنت أقرؤك فى مجلة « المقتطف » من سنوات فأجد فيك من الوضوح ما صارحتك به من حين إلى حين . وهأنذا اليوم أقرؤك فأجدك سائغ الأسلوب فى سقراط ، وفى الثلاثة الفلاسفة المسلمين الذين شئت أن تكتب عنهم ، وفى ديكارت وهيوم من الغربيين .

ولا أدرى يا أخى السر فى اختيارك هؤلاء الثلاثة من المسلمين بأعيانهم مع كثرة ما كتب عنهم ونشر فيهم . فهلاَّ كتبت عن ابن زهر والرازى وابن بطلان أو غيرهم مما لا يعرف الناس عنهم إلا قليلا . ولم تختار طريقاً معبَّداً وأنا ما عرفتك ألا مجتاز الصخور والوعور ؟ ؟

وهل بين الذين كتبت عنهم غرض يؤلف بينهم ، أو غرض اتفق لك فى الكتابة عنهم ؛ أم هى أشتات من الشخصيات لا يؤلف بينها غرض ولا يجمع بينها إلا كلمة الفلسفة ؟ ؟

ولا تزال (ميزانك) يا أخى فى تقديم الكتاب وحفظ التناسب بين فصوله فيه كثير من السخاء فى موضع ، والشح فى موضع . فإن الفصل الذى كتبتَه عن آثار الفلسفة الإسلامية فى الفلسفة المسيحية واليهودية لا يشفى غليلا . فقد أوجزتَ فيه إلى حد لا تغفره لك عربيتك وإسلامك . ولا يغفره لك الإنصاف العلمى التاريخى . على الرغم من إعلانك أنك لا تنتحل الأسباب للاشادة بفضل المسلمين على غير حق . فقد كتبته فى صفحتين ونصف صفحة على حين خصصتَ « ديكارت » بأربعين صفحة من الكتاب .

وما كنتَ يا أخى منصفاً للعرب حين قلتَ فى هذا الفصل « ولعل أسبينوزا عرف شيئاً من نظريات العرب عن طريق موسى ابن ميمون » . وإيراد الخبر على هذا الأسلوب يورده موارد الشك على حين أن Will Durant يورده مورد اليقين فى كتابه : "The Story of Philosophy" (١)

ولقد ذكرت يا أخى أن « هيوم » نشر كتابه « رسالة فى الطبيعة البشرية» سنة ١٧٤٠ . وليس الحق كله معك فى هذا ... فإن « الطبيعة البشرية » ظهرت فى يناير سنة ١٧٣٩ .فى مجلدين ؛ أما الذى نشر سنة ١٧٤٠ فهو المجلد الثالث وموضوعه مبادىء الأخلاق .

وذكرت أن « هيوم » بعد رحلته فى فرنسا عاد إلى أدنبره فقضى فيها آخر سنى حياته . وهنا طرفة فى التاريخ لا أظنها خفيت على علمك . فقد عاد من فرنسا إلى أدنبره — كما تقول — ولكنه تركها إلى لندن موظفاً كبيراً فى وزارة الخارجية فقضى فيها سنتين ثم استقر آخر الأمر فى أدنبره سنة ١٧٦٩ (٢)

أما السياسة عند ابن سينا وكتابه فيها فلم تتعرض لها ولا له ! ! وأنا أعرفك يا أخى بعيداً عن السياسة المصرية بطبيعة وظيفتك وطبيعة نفسك التى ترسل الابتسامة المرة لما تقع عليه من أمورنا ... ولكن سياسة ابن سينا يا أخى تستحق الأعجاب ولا تستحق مرير الابتسامات . وقد كتب عنها الأب بولس مسعد فصلا لطيفاً فى كتابه الصغير عن « ابن سينا الفيلسوف » (٣)

وبالرغم مما ذكرته لك فأن كتابك قد ترك فى نفسى الأثر الطيب الذى تتركه عندى آثارك . وقد نزل من مكتبتى المنزلةَ التى أنت أعرف الناس بها . فأهنئك على كتابك وأهنئك على جهدك فى الجمعية الفلسفية التى وقعت أعمالها من نفوسنا مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

(١) ص ١٦٢ طبعة Simon and Schustet نيويورك .
(٢) دائرة المعارف البريطانية مادة David Hnme
(٣) مطبعة الاتحاد على السور بيروت سنة ١٩٣٧

إدارة البلديات العامة — تنظم

عدد أردب شعير	عدد حمل تبن	
١٤٠	٧٠	مجلس بيا البلدى
١٢٠	—	مجلس شبين القناطر البلدى
١٠٠	٥٠	لمجلس سمنود البلدى

تقبل العطاءات بالمجالس البلدية المعبينة بعاليه حتى ظهر يوم ٢٤ يونية سنة ١٩٤٥ عن توريد كميات الشعير والتبن الموضحة قرين كل منها ويجب أن ترفق العطاءات بتأمين ابتدائى قدره ٢ ./. من قيمتها ٣٥٧٢

شركة نحاس فيلم تقدم :

نور الهدى ، محمود ذو الفقار ، بشاره واكيم

مـــع

حسن فايق ، فردوس

فى فيـــلم

الآنسة

بوســـه

إخراج — نيازى مطصفى

تأليف — أبو السعود الابيارى

بسينما الـكورسال

هتفت له الجماهير ...

... وتسابقت لمشاهدته

إنتصار للسينما المصرية

وفخر الأفلام الغنائية

القلب له واحد

فوز ساحق ... ونجاح متجدد

إنتاج آسيا إخراج بركات

غناء شعبى للرشيقة ...

صباح

مفاجآت طريفه للنجم ...

أنور وجدى

مع مجموعة فريدة من النجوم

ميمى شكيب — سليمان نجيب

منى — فردوس محمد

بسينما

الـكوزمو

مصر والاسكندرية

٤ حفـلات يومياً

توزيع بهنا فيلم

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦٢٣ — الاثنين ١١ يونيو ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 623

Lundi - 11 - 6 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
م
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٢٣ « القاهرة فى يوم الإثنين ٣٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٤ — ١١ يونيو سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

قصة النمل الأبيض ...

قالت نملة حمقاء لجماعة من النمل الأبيض أنقذها الفرار من أخفاف الفيَلة : لِمَ لا نعمل كما عمل (تيتو) وقد صنع الحلفاء بنا ما صنعوه به ، فجعلوا على جوانبنا أجنحة ، ووضعوا فى أفواهنا أسلحة ؟

قالت لها الجماعة : وماذا تريدين أن نعمل يا ذات الأجنحة الأمريكية والأسلحة الإنجليزية ؟

قالت : نهجم على هذه الجماعة البشرية وهى فى نشوة من وعود النصر ، وغفوة من عهود السلام ، فنخرجها من دار أُميَّة ، أو ندفنها فى أنقاضها وهى حية ؟

وكان فى الجماعة نملة متصوفة من أتباع (مسِّنيون) تكفر بخطب الحجاج ، وتؤمن بطواسين الحلاج ، فنهضت تقول وفى عينيها رقراق من الدمع : ولِمَ هذا البغى يا أختاه ! أنسيتِ والعهد قريب ، بطشة الجبارين بأرضنا العزيزة وأهلها يومئذ يتقلبون فى النعمة ويتبسطون على الأنس ؟ أنسيت والهول لا يزال يعصف بالقلوب ، تلك الجبال التى كانت تسير فتنفجر منها الحُمم ، والقلاع التى كانت تطير فتنهمر منها الصواعق ، ونحن نلوذ بأجواف الأرضين فلا يمنعنا ذلك دون أن نُسحق أو نحرق ؟ ولولا أن جاءنا النصر بطريق القرْض ، لبقينا كاليهود مشردين فى الأرض ؟ فهل يزكو بمن قاسى معرة الظلم أن يظلم ، وبمن كابد مذلة الحرمان أن يحرِم ؟ ثم أسمعك تذكرين الأجنحة المستعارة ، كأنك لا تذكرين الحكمة التى تقول : لا يزال النمل بخير ما لم تنبت له أجنحة ؛ فإذا نبتت أجنحته وأخذ يطير ، صادته العصافير . وهل فى أمة النمل أحد ينسى قول أبى العتاهية شاعر الأنس :

وإذا استوت للنمل أجنحة حتى يطير فقد دنا عطبه

فما كان جواب النملة الحمقاء إلا أن قالت فى ضحكة ساخرة ولهجة ماكرة : إنك لا تزالين يا صديقتى متأخرة ، ومن العجيب أنك تُنسبين إلى أمة متحضرة ودولة مستعمرة ! على أننا لا نجادلك بوصايا سان فرنسسكو ، ولا بنصائح وشنطون ولندرة وموسكو ، وإنما نجادلك ببرهان العمل وسلطان الواقع . وما هى إلا دمدمة كعزيف الجن حتى غامت السماء بالنمل ، وسالت الأرض بالحشرات ، وأخذت هذه الطير الأبابيل ، ترمى الناس بحجارة من سجيل . ولم يغن عن العزل الأبرياء دعس النعال ، فى دفع هذه النمال ؛ فاستحرّ القتل ، وأثخنت الجراح ، وانتشر النهب ، وفشا الخراب ، وكاد النصر المؤقت يتم لهذه الحشرة الباغية لولا أن صاح من الجانب الغربى صائح يقول وفى يده بوقه وعلى رأسه بنوده : «يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده » ! فلم تبق نملة سمعت هذا الصوت من ذلك البوق ، إلا دخلت مذعورة فى شق من الشقوق ! وهيهات ألا يبعث الله من فى القبور ؛ إلا يوم ينفخ إسرافيل فى الصور !

وحينئذ قالت النملة المتصوفة الحكيمة وهى تنفض رأسها استهزاء بالضعيف المغتر والذليل المعتز : أليس من خيبة الحكمة ألا ينفضَّ مشكل ، إلا بجن سليمان أو أسطول تشرشل ؟ !

ابن عبد الملك

عصرنا العجيب

للأستاذ عباس محمود العقاد

أعجب العصور فى تاريخ الإنسان كله هو عصرنا الذى نحن فيه ، ولا سيما هذا النصف الأول من القرن العشرين .

لك أن تلغى التاريخ كله مكتفياً بهذه السنين الأربعين أو الخمسين، لأنك واجد على اليقين مائة عبرة فى مكان كل عبرة تلغيها من تلك التواريخ الغابرة ، ولأنك على يقين واجدها أضعافاً مضاعفة ، فى القوة والكثرة والدلالة والوضوح .

لقد كانت السنون تنقضى فى تواريخ الماضين عشراً بعد عشر ، ومائة بعد مائة ، بل ألفاً بعد ألف فى بعض الأحايين ، قبل أن يظهر للعالم رجل خطير يضطلع بأعباء حادث خطير ، أو قبل أن تقام دولة وتسقط دولة ، وقبل أن تنجلى للأبصار والبصائر بواعث القيام ودواعى السقوط .

أما اليوم فقيام الدول وسقوطها من أنباء الصباح والمساء ، واختلاف العبر وتقلبات المقادير من ذكريات العمر الواحد الذى لم يتجاوز الثلاثين ، ومسرح القدر كريم بالمآسى والملهيات يعرضها خمساً خمساً أو عشراً عشراً فى وقت واحد ، فلا يفوتك فصل هنا إلا عوضته بفصول هناك ، ولا تذكر خيال يوربيد وارستفان وسفوكليس واسكايلاس وشكسبير إلا تلقيت حولك من نسج الواقع روايات مشهودة تفوق كل خيال .

موسولينى من بيت الحداد ، إلى أزقة جنيف ، إلى مظاهرات ميلان ، إلى دست الحكم فى روما القياصرة ، إلى الصولة على العالم كله وهو فى شرفات قصر البندقيــة يقعقع بالسلاح فيرتجف الأقوياء والضعفاء ، ويحمدون الله على السلامة إذا انقضى ذلك الدعاء بغير النيران والدماء .

وموسولينى أيضاً من محب للسلام يلقى بنفســه أمام القطار ليعوق حركة الجنود التى تغزو طرابلس ، إلى مسعر للحرب لا يقوم ولا يقعد فى حكمه إلا بثمانية ملايين من الحراب ! وألوف الألوف من صرعى البلاد والخراب !

ثم موسولينى هو هو بعينه هاربا يتسلل على أبواب التخوم لا يزال يطمع فى الحياة بما بقى له من سبائك الذهب وسلوى الغرام ، ثم يفوته هذا المطمع الذليل فإذا هو معلق من قدميه لأنظار السابلة الشامتين ، لا تسلم جثته بعد الموت من رصاصة انتقام وبصقة ازدراء .

وهتلر سيد الألمان وصاحب الأمر المطاع فى القارة التى تطلب الطاعة من جميع القارات ...

من طفل مدلل ، إلى جندى مخذول ، إلى شريد على أبواب الصدقة فى العاصمة النمسوية ، إلى حلس قهوات فى ميونخ عاصمة البافاريين ، إلى وارث العرش العريق فى برلين ، وسيد الأمة المختارة كما قال بين أمم العالمين . كلمة فإذا العالم يتساءل ماذا يريد ؟ وهمسة فإذا هى أجهر فى الآذان من البروق والرعود ، وحركة فإذا الأكف على الصــدور ، وغضبة فإذا المغرب والمشرق يتحدثان بالشرور وعظائم الأمور .

عاش ليفتح الأرض بما رحبت ، ومات لتضن عليــه الأرض بقبر من ألوف القبور .

وفى روسيا ، أين دولة القياصرة ومن كان منهم يدعى بالأب الصغير إذا دعى الله بالأب الكبير ؟

وفى القسطنطينية أين دولة الخواقين ومن كان منهم يدعى بظل الله وخليفة رسول الله ؟

وفى أمة الفرس أين عرش الأكاسرة ؟ وفى أمم الصين أين عرش أبناء السماء ؟

لا تسل عن هؤلاء وسل عن لينين وكمال ورضا وشيان ، وكلهم بين طالب منفى وجندى ناشىء وثائر مغضوب عليه .

ودع السياسة والحرب وانظر إلى النسك والزهادة تر فى الهند ناسكا حاسر الرأس حافى القدم ينازل الدولة التى صمدت للنزال ، فى ميادين السياسة وميادين القتال .

ودع النسك والزهادة وانظر إلى عواطف القلوب وخلجات النفوس تر العــاهل العظيم الذى يتخلى عن ملكه ولا يتخلى عن زوجه وشريكة فؤاده وروحه .

ودع كل هذا وانظر إلى الصناعة والاختراع تر الإبداع الذى ينسيك كل إبداع : هاتف فى أقصى المغرب تسمعه فى لمحة عين وأنت على عشرات الألوف من الأميال ، وطيارة تسابق الشمس فتذرع الشرق والغرب فيما بين ليلة ونهار .

ما من شىء فى مصارع الدول ومقادير الشعوب ، وما من شىء

فى مظاهر القوة بين مظهر خادع ومظهر صحيح ، وما من شىء فى أفانين الدعوة التى تقال أو لا تقال ، وما من شىء فى أساليب الغلب بالسياسة أو بالسلاح ، وما من شىء فى موازين التقدير ومقاييس النجاح والإخفاق ، وما من عبرة فى حياة الأمم أو الأفراد خلت منها هذه السنون المحسون ، أو نقص نصيبها منها عن نصيب الدهور متجمعات متلاحقات .

أفنحن سعداء بهذه الآونة العجيبة أم أشقياء ؟

إن كانت السعادة وفرة الحياة وثروة التجربة فنحن سعداء .

وإن كانت السعادة خلو البال من العبر والأحداث فنحن لا نغبط السعيد الخالى ، لأن الخلو لم يكن قط بالنعيم الذى يعمر النفس ويحمده الأحياء .

فالعمر فى هذا العصر الحافل لا شك أعمار ، والحياة بين هذه العوالم لا شك حيوات ، وما نخال أحداً يستبدل بأيامه فى هذا العصر أياماً فى العصور الأخريات ولديه سبب مفهوم .

قال قائل وقد كنت أذكر عجائب عصرنا : نعم ويخيل إلى الناس مع هذا أن العصر عصر باهت لا عجب فيه ، وأن العجائب حق العجائب قد ذهبت مع ذاهب العصور ، لأنهم يعجبون على البعد ولا يعجبون على القرب ، ولا يعلمون أنهم متعجبون إلا إذا رأوا أنهم متعجبون !

وسأل سائل : لكن أليس بعجيب من هذا العصر أنه لم يبدع ملحمة من الشعر كملاحم الأقدمين ، وما كانت طروادة وميادينها وأبطالها إلا حادثة من حوادث الأقسام فى جوانب الحوادث التى مرت بأهل هذا الزمان ؟

قلت حذار يا أخانا أن تخطىء هذه الخطأة التى ينزلق إليها نقاد الظواهر مغمضين ! . . لو أن أدباء الملاحم الغابرة عاشوا فى عصرنا هذا لما كان شأنهم غير شأن الأدباء الذين يعيشون فيه . لأن الاختلاف إنما يكون فى النظر إلى الوقائع لا فى ضخامة الوقائع ونصيبها من السعة والضجيج . وحذار يا صاح من كل رأى يسول لك أن تجرد الخلائق الآدمية فى بعض الأجيال من سليقتهم التى طبعوا عليها فى غير ذلك الجيل ؛ فإن السليقة لا تتبدل إلا كما يتبدل الناس بين عصر اليقظة وعصر الغفلة والجمود ، فإذا لم يكن العصر عصر غفلة أو جمود فسليقة النفس الآدمية واحدة من أقدم العصور إلى أحدث العصور ، ولا سيما فى مسائل الحس والتعبير .

أما أن الأقدمين نظموا الملاحم فيما هو أهون من أعاجيب اليوم فإنما نظموها لأنهم كانوا يتلقون الحوادث بدهشة الخيال ، ولا يستعظمونها مع هذا حتى يضفى عليها القدم ثوبا من الغموض والتهويل .

ولا كذلك يصنع المحدثون حين يتلقون الحوادث الكبيرة فى عهدهم المشهود أو فيما غاب عنهم من المعهود ، لأن الحادثة الكبيرة تقع بينهم فإذا هى حيز فى الصحيفة ، وحديث فى المذياع ، وصورة على اللوحة البيضاء ، وموضع للتحليل فى كتاب ، وباب للترجمة وسرد السير فى سجل من سجلات التاريخ ، ودرس من دروس الصناعة فى المعامل أو معاهد التدريب . فقد شبع منها الحس واستنفدها اللسان ، والحس إذا شبع من شىء لم يرجع به إلى دهشة الخيال ؛ واللسان إذا استنفد القول تحليلا وتعليلا لم يبق منه بقية للغموض والتهويل .

ترى لو كان « هوميروس » قد شهد حصان طروادة صورة متحركة ، وقرأ أبطال الإغريق كتباً مفصلة ، وسمع المساجلات بينهم حديثاً مذاعاً أو أصداء على اللوحة البيضاء ، وعلم أنه لا أرباب هناك ولا أنصاف أرباب ، وأنه لا نبتون فى البحر ولا زيوش على متن السحاب — أكان ينظم الإلياذة كما نظمها أو كان الناس يسمعونها منه كما سمعوها ؟

إن الخيال يعمل حين يلجئه الخفاء إلى العمل ، وإن المرء ليضفى حلل الخيال على الغانية فى البرج المحجوب ، ولكنه حين يراها إلى جانبه فى الترام ، وينظر إليها وهى تأكل الطعام ، ويستمع إليها وهى تتكلم فتحسن الكلام أو لا تحسن الكلام ، يفكر فيها كل تفكير يخطر على البال إلا أن يلحقها بأجواء الخيال .

ولسنا نعنى بهذا أن الحوادث فى عصرنا لم تبق بقية لخيال الشاعر وبديهة الفنان ، ولكننا نعنى أن النظرتين تختلفان وأن التخيل فى عصرنا أصعب من التخيل فى تلك العصور ، فما كان يسيرا على هوميروس فى أيام طروادة لن يتيسر له هذا اليسر فى عصر دنكرك وستالنجراد .

نحن نشبع من الحوادث حساً وفهماً فلا نعجب لما كانوا يعجبون وهم يتلقونها بالدهشة والخيال ، وعلى هذا قد تمضى السنون الطوال قبل أن نحس ما نحن فيه كما ينبغى أن نحسه ، وقبل أن نفهمه كما ينبغى أن نفهمه بمعزل عن الأهواء .

عباس محمود العقاد

عرب فرنســا

للأستاذ عمر الدسوقى

عطبت سيارتنا ، ونحن نُصعّد فى الجبل صوب قرية من قرى لبنان ، وكان عطبها إزاء كوخ مشرف على الطريق ، أطلت منه عجوز نالت منها السنون حتى تركتها أثراً متهدماً لإنسان : درداء ، شمطاء ، عجفاء ، معروقة اليدين ، مخددة الوجه ، محدودبة الظهر . وكأنما راعها أن تقف سيارة فخمة بباب كوخها المتهدم المتواضع الذى يحاكيها قدما ، ويجانسها ضعفاً ، ويماثلها قماءة ، فأخذت تجيل فينا بصراً لا يزال حديداً ، لم يبل كما بلى جسمها ، ولم يرث كما رثت مُنّتُها ، يتطلع إلينا فى لهفة وعجب ، كأننا من عالم آخر لم تره من قبل .

فقال صاحبى يداعبها : صُبّحت بالخير ياخالة . من أى العرب أنت ؟ ، فأجابت بلهجة جبلية قحة ، وبصوت خشن ، استعار غلظته من هذه الصخور الجاسية التى تحيط بها : « إنى من عرب فرنسا » . فقال صاحبى دهشاً : « وى ! وهل لفرنسا عرب ؟ » فتلعثمت العجوز ، وحارت ثم أجابت : « إننا لا نعرف غيرها حاكما على هذه الديار . قد بسطت ألويتها على السهول والحزون ، وتغلغلت لغتها فى القرى والدساكر ، والبيوت والمتاجر ، ينطق بها الصغير والكبير ، ويزهى بالتشدق بها الحقير والأمير ؛ قد طبعت بلادنا بطابعها ، وتدخلت فى الهين والجليل وملكت أزمة المال والرجال . وإنى فى وكرى هذا لأحس بأسها وسطوتها فهل حدت عن الجادة إذا قلت : إنى من عرب فرنسا ؟

ولم يطل صاحبى معها الحديث لنستشف خبيئة نفسها ، ونعرف أمتهكمة هى أم جادة ، وفرحة بهذا الوضع أم ترحة ؟ فقد جارت السيارة مستأنفة السير فهرولنا إليها مشيرين إلى العجوز مودعين .

وما إن استقر بنا المقام فى النسيلة حتى التفت إلى صاحبى وقال : « ما رأيك فيما سمعت ؟ » فقلت : « نكراً والله ، إن كانت هذه العجوز جادة تقرر حقيقة قد سلمت بها ، واعتقدتها من قلبها فذلك برهان لا مرية فيه على أن فرنسا نجحت فى هذه الديار نجاحاً نفذ إلى ألباب العجائز فى الجبال . أما إن كانت متهكمة فهذا دليل اليقظة الروحية ، والإيمان الكامن فى هذه القرى النائية عن العمران ، وحجة على أن هذا الجبل الأشم أشد بأساً وأقوى مراساً من أن يلين لزبرج الحضارة المموهة ، وأساليب الاستعمار الخادعة .

فقال : لعلها تقرر الحقيقة من وجهة نظر فرنسا ، فإنها تعمل جادة على أن تسنخ هذه الشعوب من مقومات شخصيتها ، وتجردها من كل ما يذكرها بمجد تليد ، أو يحفزها لعمل مجيد ؛ وتلهيها عن مثلها العليا بخلق أسباب التناحر بين أفرادها ، وتطفىء جذوة الإيمان بالحرية المستقر بالفطرة فى كل نفس بشرية بما تقدم من نفايات حضارتها ومادية مدنيتها .

ألا ترى كيف فرضت لغتها على المدارس بشتى درجاتها يلقنها الطفل قبل أن يلقن لغة بلاده ، ويتعلم بها كيف يعبر ويفكر ويحس ! ؟ أليس من الخزى أن يُعلَّم تاريخ هذه البلاد العربية وجغرافيتها باللغة الفرنسية ؟ ! إن اللغة رمز القومية ، وعنوان الشخصية ، فإذا لهج إنسان بلغة غير لغته فى حديثه المعتاد ومع أهل بيته وجنسه ، فهل ثمت مايفصح عن قوميته ويدل على شخصيته ؟ إن الوجوه تتشابه ، والعقول تتكافأ ، ولكن اللغة وحدها هى التى تفرق بين أمة وأمة . ولأمر ما يعتز الانجليزى بلغته ، حتى وهو غريب ، ويفرضها على الناس فرضاً فى الفنادق والمتاجر فى أوربا نفسها ، ولا يفكر فى تعلم لغة البلاد التى يستوطنها

إن لغة أى بلد تحمل فى طياتها تاريخها ، وحضارتها ، وعصارة أفكار أجيالها السالفة ، وآدابها ، وأمثالها ؛ وتذكر دائماً بماضى تلك الأمة ، وهى رمز الشعور المشترك بين أفرادها ؛ فإذا عافها أبناؤها وأنفوا من التكلم بها ، وفرض عليهم الدخيل لغته ، فقد اقتطعهم من كل مايذكرهم بكيانهم الخاص وبدد ما بينهم من شعور بالقومية . وهذا ما عملته فرنسا فى الجزائر ، وشمال أفريقية ولبنان وسوريا .

أولا ترى كيف أضرمت فرنسا فى هذا البلد نار الطائفية الدينية ، بل فرقت بين أبناء الدين الواحد ، وجعلتهم مذاهب وشيعاً ، وزادت هوة الخلاف بينهم ، وجذبت إليها بعض رؤسائهم

وأغدقت عليهم النعم ، ومدت لهم فى أسباب المودّة ، وأضفت عليهم الألقاب حتى يمعنوا فى خلافهم ، وخلقت لهم المناصب ، ووزعتها طبقاً للطائفية ؟ فكيف يرضى هؤلاء وقد نعموا بالرياسة أن يخضع بعضهم لبعض ؟ أو لم تسمع بالرب «سليمان» ؟ قلت : كلا ! ، قال : إنه شخص يدعى الألوهية بجبال العلويين ؛ ويزعم أن روح الله حلت به ، وقد اعترفت فرنسا بألوهيته، وحين ينزل بيروت تضيفه الحكومة الفرنسية فى أرقى الفنادق ، وتحيطه بحرسها وجندها ، وتقله فى أفخم سياراتها ، وتوهمه أنه إله حقيق لا مرية فيه .

ألا تتصور الرب « سليمان » هذا يعود إلى موطنه فى جبال العلويين ، يشيد بفرنسا وعظمتها ويسبح بحمدها وقد بشم من الشبع على موائد الغاصبين ، وانتفخ عظمة كاذبة من ثناء الخادعين ، واكتظت حقيبته بالمال والهدايا ثمناً لضميره الذى بيع للمستعمرين ؟

إن فرنسا تتدخل فى الصغيرة والكبيرة من أمور هذه البلاد ، فلا تدع لأبنائها مجالاً للتفكير والتدبير ، والموازنة والتقدير . فهى تريد عقولهم مشلولة أو مخبولة ، أو قل إنها تريد أن تفنيهم معنويا ، وتجعلهم بعد جيل أو جيلين لا يحسون ولا يدركون مالهم من حقوق وما عليهم من واجبات ، يُدَبَّر أمرهم وهم فى غفلة ساهون ويُقضى الأمر حين تغيب تيمٌ ولا يُستأذنون وهم شهود وهكذا شأن الجزائر اليوم ، فلا حول ولا قوة إلا بالله !

فهل بعد هذا تعجب حين تقول هذه العجوز : « إنها من عرب فرنسا » ، إنها من عرب ملك لفرنسا تفعل بهم ما تشاء أو أنهم على وشك أن يكونوا كذلك ، تسومهم الخسف وسوء العذاب ، وتسلبهم حرياتهم ، وتفرقهم أباديد ، وتقتل فيهم الحياء والإباء ، والمروءة والوفاء .

فقلت : وكيف يرضى أهل هذه الديار بهذا ؛ وعهدى بأهل الشام أولى نجدة وحمية ، وغيرة متقدة وحماسة ملتهبة ، ووطنية متأججة . لهم تاريخ حافل بصفحات المجد والفخار ، وفيهم حيوية متدفقة وذكاء فطرى عظيم ، وحرارة إيمان شديدة . ثم هم أحفاد الغسانيين ، والعرب الفاتحين ، وأهل جبال فيهم مراس وبأس ، وصبر واحتمال ، ونزوع إلى المخاطرة والمغامرة ، لا يبالون بالشدائد والأهوال فى سبيل أهدافهم ، فكيف رضوا بنير الاستعمار ؟

فقال صاحبى : إن الاستعمار دنس ، يلوث النفوس الطاهرة ، ويوهن العزم القوى ، ويفتن القلب الأبى ، ويضل العقل الذكى . إنه امتهان للانسان وكرامته ، وانحطاط به إلى مرتبة الرق . وأوربا قد حاربت الرق الفردى ، ولكنها استباحت الرق الجمعى . فخرجت سوريا من الحرب الماضية منهوكة القوى من الجوع والجهل والضعف ، وطمعت فيها فرنسا ، فأبى فيصل وأتباعه على ماهم من وهن أن يكونوا طعمة هينة ، ثم كانت موقعة (ميسلون) وبسطت فرنسا نفوذها على الشام ، وقطعتها إرباً اربا ، فشرق الأردن ، وفلسطين ، وسوريا ، ولبنان ، وجبال العلويين ، وجبال الدروز ، والاسكندرونة ، وإنطاكية . وجعل لكل جزء رئيس ، وصار لكل رئيس أذناب وأتباع ، يطمعون فى المناصب والجاه الكاذب . وبذلك ذهبت قوة بلاد الشام فى هذه التفرقة ، ومُكِّن لفرنسا أن تعمل ما تشاء هى وإنجلترا . فلو كان الشمل جميعاً ، والقلوب متحدة ، والقوى متضافرة ، والموارد متجمعة ، لكان الشأن غير ما ترى اليوم ، ولكن قاتل الله الرق والاستعمار !

كان هذا الحديث قبل أن تنهار فرنسا ، وتبتلى بالمحن الشداد ، وتسقى كأس الذل حتى الثمالة ، وتنتهك حرماتها .

وقلنا لعله درس يعلمها كيف يتألم سليب الحرية ، وكيف يتململ تململ الذبيح تحت مدية الجزار ، وكيف يتأوه المظلوم والمحروم ، ويصعّد الزفرات والحسرات ، وقد سدت دونه السبل ، وأشرعت فوق رأسه حرب الغاصبين .

وشاء الله أن تعتق فرنسا على يد الحلفاء ، ولم تكد تتنسم نسمة واحدة من الحرية حتى أخذت تتطلع إلى أن تسرق غيرها ، وتبسط سلطانها على سواها من الأمم التى وَقَفْ لها وهى مثخنة الجراح فلم يطعنها من الخلف ؛ مع أن فرنسا لا تزال بعد دامية الجراح ، مفككة الأوصال ، تهددها المجاعة بالموت .

كنا نظن ، وقد ذاقت فرنسا مرارة الذل والاستعباد ، أنها ستقدر نزعات الحرية عند غيرها من الشعوب ، وكنا نظن ، وقد اعترفت الدول الكبرى باستقلال سوريا ولبنان أن لم يعد ثمة مجال للمساومة فى الرق بأى صورة كانت : انتداباً ، أو استغلالا ، أو امتيازاً .

وكنا نظن ، وأوربا بأسرها كانت تقاتل حتى أمس القريب فى سبيل الحرية ، والمبادىء الديموقراطية ، أننا مقبلون على عهد جديد ، يكرم فيه الإنسان أينما كان ، وتمحى فيه السيادات ، ويعيش الناس سواسية متحابين بعد هذه المحنة القاسية ، والحرب الشنعاء . وإلا ففيم كانت كل هذه الدماء المراقة ، والدعاوى العريضة ، والبلاد المخربة ، والإنسانية المنكوبة ؟!

ياعجباً ! تلجأ فرنسا التى كانت تئن بالأمس تحت سياط الجلاد ، إلى تلك السياط التى تسلطها على شعوب تأنف فى شمم وكبرياء أن تدين بعد اليوم لأمة ما بالطاعة والعبودية . أتضرب دمشق بالمدافع والطائرات الفرنسية ، لأن أهلها يرفضون وصاية وانتداباً فرض عليهم قسراً ، ولأنهم يرون أنفسهم ومن ورائهم ماضيهم وبين أيديهم حاضرهم ، أكثر رشداً ، وأقوم خلقاً ، وأوفى عهداً ، وأشد جلداً من هذه الأمم التى تفرض نفسها على غيرها ، وتسم غيرها بالقصور ، وهى فى أمس الحاجة إلى مرشد حكيم يجنبها مواطن الزلل ، ويعرفها أن طرق الاستعمار القديمة البالية لا تستسيغها الأمم بعد اليوم ؟!

كل البلاد العربيـة فى موقف مشابه لسوريا ولبنان ، وهما تعبران اليوم عما يجيش فى كل نفس عربية ، وتضربان بجهادهما الرائع وضحاياهما الخالدة البرهان الناصع على حيوية هذه الشعوب العربية ، وما تستطيع أن تفعله كل منها حين تقف للجهاد ، وتزأر زئير الحرية . وتتضافر الأمم العربية معهما وشدها أزرهما المحك الذى تبلى به جامعة الأمم العربية ، فإما عزة وسؤدد يبقيان للابد ، وإما خزى وعار وذل واستعباد لكل هذه الشعوب لا قدر الله . فهل آن لنا أن نعيش أحراراً من نير أوربا ؟!

عمر الدسوقى

فى إرشـــاد الأريب

إلى معرفة الاديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

— ٤ —

* فى ج ٨ ص ١٨١ وهـذا شىء (يعنى تفسير كتاب سيبويه لأبى سعيد السيرافى) ما تم للمبرِّد ولا للزجاج ولا لابن السراج ولا لابن دَرَسْتَوَيْه مع سعة علمهم وقبض بنانهم .

وجاء فى الشرح : وقبض بنانهم هو من قبض على الشىء بيده أمسكه وضم عليه أصابعه وهو إشارة إلى تمكنهم .

قلت : أغلب الظن أنه (فيض بيانهم) والمبرد هو بفتح الراء كما ضبط ابن خلكان فى (وفيات الأعيان) وبيّن ابن عبد ربه فى (العقد) ودل عليه خبران فى (تاريخ بغداد) للخطيب و (شرح المقامات) للشريشى . وكنت قد ذكرت كل ذلك فى « الرسالة الغراء » . ولما اطلع العلامة ابراهيم مصطفى الأستاذ فى جامعة فاروق الأول على النصوص التى أوردتها نشر كلمة فى الرسالة (٢٠٥) ذكر فيها أن الشيخين اللغويين الشنقيطى والمرصفى كانا يذهبان إلى كسر الراء ثم قال :

« ولعمرى لو أنهما شهدا وهدى إليهما ما قدم فى الرسالة من النصوص لما رأيا إلا الفتح ... فما كان لهؤلاء العلماء من التشدد فى الحق إلا ربما تنكشف لهم الحجة فى غير ما بأيديهم ، فهم أتباع الحق أبداً ... »

وهذه طرائف جديدة تنصر الفتح :

روى ابن حجـة فى (خزانة الأدب) لشيخ الشيوخ عبد العزيز الأنصارى الحموى :

ويلاه من نومى المشرد وآه من شمـلى المبدد
يا (كامل) الحسنى ليس يطفى نارى سوى ريقك (المبرد)

وجاء فى الأساس : فلان يفصّل كلامه تفصيل الفريد ، وهو الدر الذى يَفصِل بين الذهب فى القلادة المفصّلة ، فالدر فيها فريد والذهب مُفرَّد ، والواحدة فريدة ، وقيل : الفريد الشذر ، ويقال لبائعه : الفرّاد . وتقول : كم فى تفاصيل البُرد ، من تفصيل فريد ومفرَّد .

ومن عرف أسلوب الزمخشرى فى سجعات الأساس أيقن أنه لم يقصد إلا الفتح . ومثل تلك السجعة هذه المقطوعة لسلمان ابن عبد الله الحلوانى النهروانى :

تقول بُنيَّتى : أبتى ، تقنع ولا تطمع إلى الأطماع تعتد(١)
ورض باليأس نفسك فهو أحرى وأزين فى الورى ، وعليك أعود
فلو كنت الخليل وسيبويه أو الفرّاء أو كنت المبرد
لما ساويت فى حى رغيفاً ولا تُبتاع بالماء المبرد

وقال شاعر لا أتذكر الآن اسمه :

ومليح إذا النحاة رأوه فضلوه على (بديع الزمان)
برضاب عن (المبرد) يروى ونهود تروى عن (الرمانى(٢))

وقال الثعالبى فى (خاص الخاص) :

« أبو العباس المبرد قال : اجتزت يوماً بسذاب الوراق وهو قاعد على باب داره ، فقام إلىَّ ، ولاطفنى ، وعرض علىّ القرى . فقلت : ما عندك ؟ قال : عندى أنت ، وعليه أنا . يعنى أن عنده لحم السكباج البرد ، وعليه السذاب المقطع(٣) . فاستظرفت هذه النادرة ونزلت عنده »

وما كان أمثال الجاحظ والأعمش والبرد والأخفش يكرهون ألقاباً شهروا بها .

روى ياقوت فى أخبار على بن سليمان (الأخفش الصغير) : حدث أبو عبيد الله : حضرت يوماً أبا الحسن الأخفش ودفع كتاباً إلى بعض من كان فى مجلسه ليكتب عليه اسمه ، فقال له أبو الحسن : خَفَّشْ ، خفش . يريد اكتب الأخفش . ثم قال أنشدنا أبو العباس المبرد :

لا تكرهن لقباً شهرت به فلرب محظوظ من اللقب

(١) (أبتى) جمع بين التاء والياء — بين العوض والمعوض منه — ضرورة ، وقد ورد فى الشعر مثل ذلك

(٢) أبو الحسن على بن عيسى الرمانى النحوى المتكلم أحد الأئمة المشاهير جمع بين علم الكلام والعربية . أخذ الأدب عن أبى بكر ابن دريد وأبى بكر بن السراج « ابن خلكان » .

(٣) السكباج بالكسر معرب عن سركه باجه ، وهو لحم يطبخ بخل ، ويقال : سكبج الرجل إذا أعد سكباجا ، والسذاب بقل له خواص وطبائع معروفة فى كتب الطب (التاج) وفى (الألفاظ الفارسية المعربة) : نبات يقارب شجر الرمان ورقه كالصعتر . وزهره أصفر .

وبعد فالفضل كل الفضل فى تحقيق ذلك الإسم وضبطه إنما هو لرسالة العرب والعلم والفضل والأدب ، وللعلامة الأستاذ ابراهيم مصطفى ، وللأديب البارع الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف .

* فى ج ١٠ ص ٢١٢

إن هشاما جده هشام مقابِل مدابِر هضام

قلت : كسرت الباء فى مقابل ومدابر وهى فيهما بالفتح . ورجل مقابل مدابر كريم الطرفين من قبل أبيه وأمه كما فى اللسان والتاج وهو من المجاز كما ذكر الأساس . والبيتان من أرجوزة لحفص الأموى فى الخليفة هشام بن عبد الملك .

* فى ج ١١ ص ٧٦

وقبلك داوى الطبيب المريضْ فعاش المريض ومات الطبيبْ
فكن مستعداً لدار الفناء فإن الذى هو آت قريب

قلت : سكنت ضاد المريض وفتحها واجب ، والقبض هنا كثير ، وليس البيت مصرّعاً ولا مقفّى حتى يجوز التسكين . وعندى أن القائل وهو الخليل بن أحمد لم يستعمل إلا الضرب الصحيح وإن جاء قصره وجاز .

وقوله (فكن مستعداً لدار الفناء) هو (فكن مستعداً لداء الفناء) أى للموت كما روى الأنبارى فى (نزهة الألباء فى طبقات الأدباء) ومعلوم أن تلك الدار التى يستعد لها المؤمنون هى دار البقاء لا دار الفناء ...

* فى ج ٩ ص ١٧٩

يلذ له طعم الكماة كأنما
جرى الشنب المعسول فوق العواسل [1]

قلت : يلذ له طعن الكماة لا طعمهم ... والبيت للحسن بن محمد العسقلانى فى صارم الدولة بن معروف .

* فى ج ١١ ص ٢٠٤ وتهم قُرونتى أن أرفع عقيرتى ...

قلت : جاءت قرونتى بضم القاف وهى بالفتح كما ضبط القاموس المحيط ... وضُبط فى المخصص ، وقد جاء فيه : سامحت قَرونه وقَرونته وهى النفس ، وهى القَرينة وهى القَرين ، وحكى ابن الأعرابى : أسمحت قَرونه أى لانت وانقادت .

(١) ثغر أشنب ، وفيه شنب وهو رقته وصفاؤه وبرده (الأساس) العواسل : الرماح ، عسل الرمح : اشتد اهتزازه فهو عاسل وعسال وعسول : مضطرب لدن .

* فى ج ١٤ ص ١٦ وكان الشيخ عبد القاهر الجرجانى (صاحب دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة) قد قرأ عليه (يعنى على ابن عبد العزيز الجرجانى صاحب الوساطة بين المتنبى وخصومه) واغترف من بحره ، وكان إذا ذكره فى كتبه تبخبخ به ، وشمخ بأنفه بالانتماء إليه .

قلت : وردت (بخبخ) ولم تجىء (تبخبخ) واليقين أنها تبجح به . فى التاج : تبجح به . فخر ، قال اللحيانى . فلان يتبجح ويتمجح أى يفتخر ويباهى بشىء ما ، وقيل : يتعاظم .

* فى ج ٢ ص ٨١ وله (للصابى) إلى الصاحب :

لما وضعت صحيفتى فى بطن كف رسولها
قبلتها لتمسها يمناك عند وصولها
حتى ترى فى وجهك الـ ميمون غاية سؤلها

قلت : سولها بالتخفيف ضرورة هنا .

* فى ج ٧ ص ١٠٦

سُرج لقوم يهتدون بها وفضائل تنمى ولا تجرى

قلت : (تنمى) بكسر الميم ، و (تجرى) هى تحرى بالحاء ، وهى كرمى يرمى . فى النهاية : فى حديث وفاة النبى (صلى الله عليه وسلم) فما زال جسمه يحرى أى ينقص ، يقال : حرى الشىء يحرى إذا نقص ، ومنه حديث الصديق : فما زال جسمه يحرى بعد وفاة النبى (صلى الله عليه وسلم) حتى لحق به .

* فى ج ٨ ص ١٣٥

ومثالث العيدان يُسـ ـعد جَسها بم وزير

قلت : بم بالفتح وبم الغليظ من أوتار العود ، والزير الدقيق منها

* فى ج ٨ ص ١٤١ وكانوا يفدون على محمد بن يحيى بن أبان فيضربون خيامهم فى باغ سلم بن عَود .

وجاء فى الشرح : باغ اسم مكان فيه دار ابن عود

قلت : الباغ البستان بالفارسية ، وهو فى شعر أبى الفتح على ابن موسى البستى ، رواه الثعالبى فى مقدمة (كتابه فقه اللغة) :

لا تنكرن إذا أهديت نحوك من
علومك الغر أو آدابك — النتفا
فقيم الباغ قد يهدى لمالكه برسم خدمته من باغه التحفا

حول انهيار فرنسا

لأستاذ عربي كبير

حينما انهارت فرنسا أحدث انهيارها المفاجئ هزة أرضية عالمية ، دهش لها من دهش ، وابتهج بها من ابتهج ، وبكى منها من بكى .. وكان الظن بكتاب العرب يومئذ وهم الذين اكتووا طويلاً بنار الاستعمار الفرنسي أن يتنفسوا الصعداء بزوال هذا الكابوس ، ولكنهم انقادوا للنوازع الانسانية والأدبية فيهم فكتبوا يرثون فرنسا ويرثون لها ويعطفون عليها ، إلا هذا الكاتب المفكر الكبير فإنه عارض هذه النزعة وعالج الموضوع على ضوء الحقائق المجردة والوقائع الثابتة . ولم تتهيأ لنا الفرصة يومئذ لنشر هذه الآراء القيمة ، فننشرها اليوم بمناسبة المأساة السورية فإنها جمرة متقدة من تلك النار ، وأثر سيئ من آثار ذلك الانهيار ..

... أخذ عدد غير قليل من الكتاب العرب يتبارون في نشر المقالات ونظم الأشعار ، حول هذا الانهيار ، وكان معظم ما كتب في هذا الموضوع (عاطفياً) بكل معنى الكلمة . كان أكثرها مراثي تندب حظ فرنسا ، وتظهر أسفاً شديداً ، وحزناً عميقاً على الكارثة التي حلت بها ؛ وكان بعضها يغالي في الرثاء ، إلى أن يبلغ به درجة البكاء ...

غير أن هذه المراثي قوبلت بمعارضة شديدة ، فقد حمل عليها بعض الكتاب حملات عنيفة وقالوا : كيف يجوز لكاتب عربي أن يبكي على فرنسا وينسى ما فعلته بالقسم الأعظم من البلاد العربية ؟ كيف يجوز لمفكر عربي أن يرثي النكبة التي حلت بفرنسا وهو يعلم أنها كانت من أهم العوامل التي أنزلت أكبر النكبات بالأمة العربية وبخاصة بعد الحرب العالمية ؟

احتدم الجدال بين الفريقين ؛ وحاول كل فريق أن يبرر حسن عواطفه بمقالات حارة ، أودع فيها كل ما أوتي من قوة البلاغة والبيان ...

أنا من الذين يعتقدون أن الكتابات العاطفية تعبر عن نفسية كتابها الشخصية وخوالجهم الذاتية ، فلا تتحمل المناقشة مناقشة علمية ... غير أن أصحاب المراثي لم يكتفوا بإظهار عواطفهم وتثبيتها ، بل أخذوا يدافعون عنها ويدعون إليها ، وحاولوا أن يدعموها ببعض الآراء والنظريات السياسية والاجتماعية ..

فإذا جازلنا أن نسكت تجاه « العواطف الشخصية » ، فلا يجوز لنا أن نلتزم مثل هذا السكوت تجاه الآراء والنظريات التي صارت تنشر لتبرير تلك العواطف ...

لقد قال البعض « يجب أن نميز بين فرنسا الأدبية المتمدنة وفرنسا السياسية المستعمرة » ، كما قال آخرون : « يجب علينا أن نفرق بين عمل الساسة وعمل الأمة كلها ، فلا يجوز أن نعتبر الشعب الفرنسي مسؤولاً عن أعمال حكامه ..

فلننعم النظر في الآراء التي تتضمنها مثل هذه الأقوال . . ولنفكر جيداً : هل يمكن التمييز بين فرنسا الأدبية المتمدنة وفرنسا السياسية المستعمرة تمييزاً حقيقياً ؟

أنا لا أقول بذلك أبداً . . . لأن الأدب الفرنسي نفسه لم يلتزم الحياد تجاه السياسة الفرنسية بوجه عام وحيال السياسة الاستعمارية بوجه خاص . بل بعكس ذلك انبرى لخدمة تلك السياسة

---

* في ج ١٠ ص ١٣٦

أتطلب الفصاحة من الغنم ، والصباحة من المغتم ؟

قلت : من الأغم . والغمم كما جاء في الصحاح أن يسيل الشعر حتى تضيق الجبهة أو القفا ، ورجل أغم ، وجبهة غماء ، قال هدبة بن الخشرم :

فلا تنكحي إن فرق الدهر بيننا أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

والأنزع الذي ينحسر شعر مقدم رأسه مما فوق الجبين كما في النهاية . وفي اللسان : وامرأة نزعاء ، وقيل : لا يقال نزعاء ، ولكن يقال زعراء . وفي صفة علي (رضي الله عنه) البطين الأنزع[1] . والعرب تحب النزع وتتيمن بالأنزع ، وتذم الغمم ، وتتشاءم بالأغم ، وتزعم أن الأغم القفا والجبين لا يكون إلا لئيما ، ومنه قول هدبة : البيت . وفي (الكامل) : الغمم كثرة شعر الوجه والقفا ، وأورد البيت ، ثم قال : والعرب تكره الغمم .

---

(١) وقيل معناه الأنزع من الشرك المملوء البطن من العلم والايمان (النهاية) .

بكل الوسائل الممكنة .وقد كتب الأدباءعدداً لا يحصى من المقالات والخطب والأشعار والقصص والروايات التى تمجِّد الاستعمار وتزينه فى النفوس ، وتحثُّ على الاستعمار وتحبِّبه إلى القلوب . .

إن دلائل ذلك تظهر للعيان من خلال جلسات الأكاديمية الفرنسية أيضا . لأن هذه الندوة الأدبية العليا قد حرصت كل الحرص على أن تختار بعض أعضائها من بين رجال السياسة والجيش، كما اختارتهم أحياناً من بين صناديد الاستعمار . وهؤلاء لم يتجردوا من نزعاتهم السياسية والاستعمارية عند دخولهم قاعة اجتماع تلك الندوة حتى إنهم لم يترددوا أحياناً فى اتخاذ تلك القاعة منبراً لإسماع آرائهم الاستعمارية فى خطب أدبية رائعة .

ولعل أقرب وأوضح الأدلة على ذلك كان انتخاب الماريشال (ليوتى) عضواً فى الأكاديمية المذكورة . ومن المعلوم أن هذا الماريشال يعتبر من أكبر رجال الاستعمار ، فقد لقبه الفرنسيون بلقب « الإفريقى » — تقليدا لما فعله الرومان فى القرون الأولى ، عندما خلعوا مثل هذا اللقب على (اسجسيون) بعد تمكنه من تدمير قرطاجنة . إن الأكاديمية الفرنسية انتخبت الماريشال ليوتى عضواً بها ، أفتدرون ماذا كان موضوع « خطبة القبـول » التى افتتحت حياته الأكاديمية وفقاً لتقاليد الندوة الأدبية المذكورة ؟... كان موضوع الخطبة « الاستعمار » ... اقرأوا الخطبة المذكورة تجدوها قطعة أدبية رائعة فى مدح الاستعمار وتمجيده... إنها تشرح فوائد الاستعمار المادية والمعنوية بأسلوب حار بليغ ، وتدعو إلى «الإيمان» بضرورته لحياة فرنسا !

« لأن الاستعمار — مصـدر هام للقوة والثروة ، ومنبع لا ينضب للجيش ، وساحة تدريب وتكوين للقواد ... ولأن الأمم المحرومة من المستعمرات تكون جانحة إلى الركود والجمود الروحى . . . »

أعتقد أن هذه الخطبة من أبرز الأمثلة والأدلة على تداخل وتشابك الأدب والاستعمار؛ فلا يجوز لنا إذن أن نقول بوجوب التمييز بين «فرنسا الأدبية المتمدنة وفرنسا السياسية الاستعمارية » بوجه من الوجوه .

وأما إذا قيل : « إن القصد من التمييز المبحوث عنه ، هو (تقدير الأدب الفرنسى) فى حد ذاته ، بقطع النظر عن السياسة الفرنسية والاستعمار الفرنسى » ، فأنا أسلم بصحة هـذا الرأى ، غير أننى أقول بلا تردد : إذا كان الأمر كذلك ، فلا يبقى داع ولا مبرر للرثاء . . . لأن « الأدب الفرنسى » ظل خارجاً عن حدود النكبات ؛ فإن النكبة التى نحن بصددها حلت بالدولة الفرنسية والجيش الفرنسى لا بالأدب الفرنسى ... لأن انهيار الجيش لا يستوجب انهيار الأدب ، والاندحار فى ميادين الحرب والسياسة لا يستلزم الاندحار فى ميادين الأدب والثقافة ..

إننى أستطيع أن أخطو خطوة أخرى فى هذا السبيل فأقول : « إن مثل هذه النكبات قد لا تخلو من الفائدة إلى الأدب ، لأنها قد تكون منبتاً خصباً للانتاج الأدبى . فإن الآلام والأتراح تـكون — بوجه عام — أفعل من الأفراح فى إثارة العواطف ، وتوليد الأدب الرائع ...

وعلى كل حال فإن نظرية التمييز بين فرنسا الأدبية وفرنسا الاستعمارية لا تستند على أساس قويم من هذه الوجهة أيضاً .

وأما القول فى وجوب التفريق بين الشعب والحكام وعدم اعتبار الشعب مسؤولا عن أعمال الحكام ... فهو غريب جدا ، ولا سيما بالنسبة إلى فرنسا التى تفخر وتباهى بالديمقراطية والجمهورية والإدارة الشعبية ...

أنا لا أنكر أن الحكام قد يستطيعون فى بعض الأحوال أن يجروا شعبهم إلى الاتجاه الذى يريدونه ؛ غير أننى أعتقد أن ذلك الاتجاه لا يمكن أن يستمر طويلا إذا لم يأت موافقاً لنزعات الشعب ويجد هوى فى أمياله النفسية...

ومن المعلوم أن « الاستعمار » لم يكن من الحوادث العارضة فى تاريخ فرنسا ... بل ان تاريخ الاستعمار هناك طويل وطويل جدا ؛ حتى ان بدء الاستعمار الفرنسى للبلاد العربية نفسها يعود إلى أكثر من قرن . فإن فرنسا بدأت حملتها على الجزائر سنة ١٨٣٠ وقد مضى على ذلك التـاريخ قرن كامل مع عقد من السنين ... غيَّرت فرنسا « نظام حكمها » — خلال هـذه المدة أربع مرات بل خمسا ، انتقلت من الملكية إلى الجمهورية ، فالامبراطورية ، ثم عادت إلى الجمهورية . والآن أخذت تجرب شكلاً جديداً من نظام الحكم ... مع هـذا لم تنحرف عن سلوكها الاستعمارى طوال هذه المدة وخلال هـذه النظم

المختلفة . فإنها أتمت استعمارها للجزائر بين شتى الانقلابات السياسية ، واستولت على تونس سنة ٨٨٢ ، وبسطت حمايتها على مراكش سنة ١٩١١ ، واستولت على سورية ، وأتمت استعمارها للمغرب الأقصى بعد الحرب العالمية ... وقد توالى خلال هذه المدة الطويلة عدة أجيال ، ونشأ وتنازع فى غضونها عشرات الأحزاب ، وتولى الأمر فيها عشرات وعشرات من الحكومات المتضاربة النزعات . . . ومع كل هـذا ، لقد ظل « العمل الاستعمارى » هو هو ، دون أن يتوقف أو يتغير من جراء تبدل نظم الحكم ، أو تعاقب الحكومات وتوالى الأجيال ... فلا يجوز لنا أن نسلم بأن « الاستعمار الفرنسى » من أعمال حكام فرنسا ، فلا يعتبر الشعب الفرنسى مسؤولا عنه ... »

* * *

هذا ، ومما يسترعى النظر ، أن معظم ما كتب فى رثاء فرنسا وفى الدفاع عن ذلك الرثاء — فى اللغة العربية — يُظهر آثار افتتان غريب بها ومغالاة شديدة فى اعتبارها أرقى شعوب الأرض على الإطلاق ...

فقد قال أحد الكتاب « إن المساواة فى العدل الاجتماعى لم تكد تتحقق فى أمة من الأمم فى كل أدوار التـاريخ إلاّ فى فرنسا » ... كما قال كاتب آخر : « لم يثر ثائر على الاستعمار فى مشرق أو مغرب إلا وفى روحه جذوة من النار التى أوقدتها باريس للغضب على استعباد الشعوب » .

وقال أحدهم « لا أعرف فرداً قد ربى فيه الوازع الشخصى بمثل ما ربى فى الرجل الفرنسى » .

وقد صاح أحد الكتاب قائلاً : « إن قوة الألمان فيض من قوتك ياباريس » كما خلع كاتب آخر على فرنسا سلسلة نعوت خارقة مثل « مبعث النور والحرية ومهد الإختراعات »

إن معظم هذه المدعيات تخالف الحقائق الراهنة مخالفة صريحة ، كما ان ما تبقى منها ينطوى على مغالاة صارخة ...

فإن التاريخ يذكر لنا عشرات الثورات التى قامت قبل ثورة باريس المعلومة . والفرنسيون أنفسهم يعترفون بأنهم تأخروا كثيراً فى تحقيق المساواة فى العدل الاجتماعى . كما أن معظم مفكريهم يشكون بمرارة ضعف الوازع الشخصى فى نفوس مواطنيهم ، ويحسدون بصراحة بعض الأمم من جراء الوازع الشخصى المبحوث عنه ...

واما نعت فرنسا « بمبعث النور ومهد الاختراعات » واعتبار الفرنسيين أرقى شعوب الأرض على الإطلاق ، فإن كان ذلك من الدعاوى التى كان يمكن الدفاع عنها فى دور من أدوار التاريخ ، فقد أصبح من القضايا التى لا يمكن التسليم بها فى الدور الذى نعيش فيه الآن ...

لقد فنّد الفيلسوف الإنكليزى الشهير « هربرت سبنسر » الأسطورة القائلة « بتفوّق الفرنسيين » على جميع شعوب الأرض فى « المدخل » الذى كتبه لعلم الاجتماع ، قبل نحو سبعة عقود من السنين ، وانتقد انتقاداً لاذعاً المبالغات المفرطة التى كانت تلقب فرنسا بلقب « محررة الأمم » ، والتى كانت تدعى بأن اندراس باريس يعنى انطفاء مشعل المدنية .

انا لا أبشك فى أن مثل هذه المبالغات التى استثارت انتقادات هذا الفيلسوف عندئذ ، قد أصبحت أشد بعداً عن الحقيقة الآن ، وأجدر بالانتقاد الشديد فى هذا الزمان .

لا أنكر ان فرنسا كانت أرقى بلاد العالم فى دور من أدوار التاريخ ؛ هـذا الدور هو العهد الذى يمتد بين أواسط القرن السابع عشر وأواخر الثـامن عشر ، وأعرف أن البعض من المفكرين الذين استعرضوا تاريخ أوروبا استعراضـاً فلسفياً ، ولاحظوا تتابع دور الاقطاع ودور الانبعاث « قد سموا الدور الذى نحن بصدده باسم « الدور الفرنسى » ؛ غير أننى أعرف أيضاً أن ذلك الدور قد مضى وانطمس فى أغوار التاريخ منذ مدة طويلة ؛ لأن حالة أوربا وحالة العالم تبدلت تبدلاً هائلاً خلال القرن التاسع عشر ، فلم تستطع فرنسا أن تحتفظ بمنزلتها السابقة بين هذه التبدلات والتقلبات العالمية الهائلة . أنا لا أود أن أقول : ان فرنسا تأخرت منذ ذلك الحين ؛ غير إننى أقول أن أمماً ودولاً أخرى قامت ونهضت وتقدمت بسرعة هائلة منذ ذلك العهـد فأخذت تتسابق مع فرنسا تسابقاً عنيفاً فى جميع ميادين التقدم والرقى ... وقد لحقتها فى معظم الميادين ، بل سبقتها فى بعض الميادين . فقد خرجت الحضارة العصرية من سيادة فرنسا المعنوية منذ مدة غير قصيرة ، ففقدت فرنسا بذلك مكانتها السابقة بصورة قطعية .

القضايا الكبرى فى الاسلام

١٥ – قتل الوليد بن يزيد

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

فى سنة ست وعشرين ومائة ثار يزيد بن الوليد المُلَقَّبُ بالناقص على الوليد بن يزيد فقتله ، وكان الوليد بن يزيد من فتيان بنى أمية وظرفائهم وأجوادهم وأشدائهم ، منهمكاً فى اللهو والشرب وسماع الغناء ، وكان يزيد بن الوليد يظهر النُّسُكَ ويتواضع ، وهو الذى يقال فيه وفى عمر بن عبد العزيز : الناقص والأشج أعدلا بنى مروان . أى عادِلاهُم ، ولايجرون أفعل التفضيل على بابه ، لأنهما تقتضى نسبة العدل إلى غيرهما من بنى مروان ، ولم يكن فى بنى مروان عادل سواهما . وهكذا يقرن التاريخ ذلك الناقص بعمر بن عبد العزيز فى العدل ، مع أن عمر بن العزيز لو عاش إلى زمانه ما فعل فعله فى قتل ابن عمه من غير تحقيق فى أمر مانسب إليه ، ولم يقم حول الوليد من الأخبار التى لاتمحيص فيها مايسوغ الإقدام على قتله ، وما يُشَكِّكُ الناس فى دينه من غير روية ولا تثبيت ، والقضاء أدق من التاريخ نظراً ، وأقوى منه تثبتاً ، لأنه لا يحكم إلا بالبينة العادلة ، والأصل عنده البراءة ما لم تقم أدلة قاطعة على الإدانة ، فيجب أن يدرس ما نسب إلى الوليد درساً قضائياً ، وأن يرجع إلى تحقيق ما نسب إليه من تهم ، ليتبين أمر الوليد فى ذلك بياناً عادلا ، ولا ينزل به إلى ذلك الحضيض الذى نزل به التاريخ إليه ، وليتبين أمر ذلك الناقص الذى يشبهه الناس بعمر بن عبد العزيز ، ولم يكن من ذلك الملك العادل فى شىء ، وإنما كان الذى يشبهه فى زمنه أخ له لم يطمع فى الملك طمعه ، وسيكون قوله فى هذه القضية هو القول الفصل .

كان يزيد بن عبد الملك قد جعل الأمر من بعده لأخيه هشام ابن عبد الملك ، ثم جعل الأمر من بعد هشام لابنه الوليد ، وكان سن الوليد فى ذلك الوقت إحدى عشرة سنة ، وقد عاش أبوه يزيد ذلك حتى بلغ خمس عشرة سنة ، فكان يقول له : الله بينى وبين من جعل هشاما بينى وبينك . وكأنه كان يعرف ما سيلقاه ابنه من أخيه هشام ، فإنه لم يكد يتولى الملك بعد أخيه يزيد حتى أراد الوليد على خلع نفسه من ولاية العهد ، ليجعل الأمر من بعده لابنه مَسْلَمَةَ فأبى الوليد ذلك كل الإباء ، فتنكر له هشام وأضرَّ به ، وجعل يشيع حوله أخبار السوء لتسقط منزلته عند الناس ، وكان يزيد يقول الشعر فى الخمر والغزل ، وله فى ذلك أشعار جياد كان أبو نواس يأخذ منها ، ويحذو حذوه فيها ، وهذا إلى شغفه بسماع الغناء ، وانصرافه عن الناس إلى مجالسه بين أرباب ذلك الفن ، فوجد هشام فى ذلك مرتعاً خصيبا للتزيُّد على الوليد ، وتنقيصه عند الناس بما يشيعه حوله ، حتى جعل كثيراً منهم ينظرون إليه نظرة سوء ، ويتهمونه فى دينه وعرضه ، ولكنه على اجتهاده فى ذلك لم يقدر أن يثبت عليه شيئاً يمكنه من خلعه من ولاية العهد ، مع أن ملكه استمر من سنة خمس ومائة إلى سنة خمس وعشرين ومائة .

فلما ملك بعده الوليد بن يزيد لم ينس ما فعله معه عمه هشام، فأساء إلى أولاده ، وأخذ سليمان بن هشام فضربه مائة سوط وحلق رأسه ولحيته وغرَّبه إلى عمَّان من أرض الشام ، وكذلك أساء إلى أولاد عمه الوليد بن عبد الملك ، ففرق بين روح بن الوليد وامرأته ، وحبس عدة من إخوته ، فأخذوا يرمونه بالكفر ، ويشيعون بين الناس أنه يغشى أمهات أولاد أبيه ، إلى غير ذلك من التهم التى ستأتى بعد ، وكان أشدهم فى ذلك يزيد بن الوليد ،

مع هذا لا تزال تتمسك بالشهرة التى كانت اكتسبتها سابقاً ، بالرغم من حرمانها من التفوق الذى كانت أحرزته قبلا فى هذا المضمار .

إننى أشبه منزلة فرنسا وشهرتها المزعومة بمكانة « الوجوه والأعيان » الذين يتمتعون فى بعض المجتمعات بشهرة المكانة التى كانوا امتازوا بها قبلا ، دون أن يعترفوا بسمو المكانة التى قد أحرزها غيرهم بكل جدارة واستحقاق .

وكما أن بعض الناس يتأثرون – عادة – بالشهرة السابقة دون أن يلتفتوا إلى « الحالة اللاحقة » فإن بعض كتابنا ظلوا تحت تأثير شهرة فرنسا السابقة ، دون أن يعرضوا هذه الشهرة إلى حكم الأحوال الحالية ويزنوها بالموازين الجديدة .

(البقية فى العدد القادم)

***

وكان الناس إلى قوله أميل ، لأنه كان يظهر النسك ويتواضع ، فإذا أردنا تحقيق ذلك على الاجمال وجب أن نرجع فيه إلى رجل من بنى أمية كان له خطره بينهم فى ذلك الوقت ، وهو العباس ابن الوليد أخو يزيد بن الوليد ، وكان أمرأ صدق ، ولم يكن فى بنى أمية مثله ، لأنه كان يتشبه بعمر بن عبد العزيز فرأيه فى ذلك يرجح كل رأى ، لتلك الصفات التى تحمله على قول الحق ، ولأنه أخو يزيد بن الوليد فلا يتهم فى شهادته عليه .

وقد مشى إليه أخوه يزيد فشكا إليه ما يجرى على الناس من الوليد بن يزيد ، فقال له : يا أخى إن الناس قد ملّوا بنى مروان، وإن مشى بعضكم فى إثر بعض أكلتم ، ولله أجل لا بد أن يبلغه ، فانتظره .

ثم مشى إليه مرة أخرى هو وأخوه بشر بن الوليد ، فكلمه بشر فى أن يخلع الوليد بن يزيد ، فنهاه عن ذلك ثم قال له : يابنى مروان ، أظن أن الله قد أذن فى هلاككم ، ثم قال :

إنى أعيـذكمُ بالله من فِتنٍ
مثل الجبال تَسامى ثم تندفعُ
إن البرية قد مَلَّتْ سياستكم
فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا
لا تُلْحِمُنَّ ذئابَ الناس أنفسكم
إن الذئاب إذا ما ألحمت رتعوا
لا تُبْقِرُنَّ بأيديكم بطونكم
فَثَمَّ لا حسرة تغنى ولا جَزَع

ثم عاوده يزيد مرة أخرى وكان قد أجمع أمره ، وعزم على الدعوة لنفسه ، فشاور يزيد بن عمر الحَكَمِيَّ فقال له : لا يبايعك الناس على هذا وشاور أخاك العباس ، فإن بايعك لم يخالفك أحد ، وإن أبى كان الناس له أطوع ، فإن أبيت إلا المضى على رأيك ، فأظهر أن أخاك العباس قد بايعك . فأتى يزيد أخاه العباس فاستشاره فنهاه عن ذلك ، فرجع وبايع الناس سراً وبث دعاته بينهم ، ثم عاود أخاه العباس فاستشاره ودعاه إلى نفسه ، فزجره وقال له : إن عدت لمثل هذا لأشدنك وثاقا وأحملنك إلى أمير المؤمنين فخرج من عنده فقال العباس : إنى لأظنه أشأم مولود فى بنى مروان .

ولما قامت الحرب بين الوليد ويزيد كتب العباس إلى الوليد إنى آتيك ، فلما علم بذلك جيش أخيه أرسل من وقف له فى الطريق ، فأخذوه قهراً إلى جيشهم ، وأكرهوه على البيعة لأخيه يزيد ، ونصبوا له راية وقالوا : هذه راية العباس قد بايع لأمير المؤمنين يزيد . فقال العباس : إنا لله ، خدعة من خدع الشيطان، هلك بنو مروان . فتفرق الناس عن الوليد حين رأوا راية العباس وتم الأمر ليزيد بهذه الخدعة الماكرة .

فلما رأى الوليد ذلك ظاهر بين درعين ، وركب فرسه السندى، وقاتلهم قتالا شديداً ، فناداهم رجل : اقتلوا عدو الله قتلة قوم لوط . ارجموه بالحجارة . فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق عليه الباب ، فأحاطوا به من كل باب ، وضيقوا عليه ، فدنا من الباب وقال : أما فيكم رجل شريف له حسب وحياء أكلمه؟ فقال يزيد بن عنبسة السكسكى : كلمنى . فقال : يا أخا السكاسك ، ألم أزد فى أعطياتكم ، ألم أرفع المؤن عنكم ، ألم أعط فقراءكم ، ألم أخدم زمناكم . فقال يزيد بن عنبسة : إنا ما ننقم عليك فى أنفسنا ، إنما ننقم عليك فى انتهاك ما حرم الله ، وشرب الخمر ، ونكاح أمهات أولاد أبيك ، واستخفافك بأمر الله . فقال : حسبك يا أخا السكاسك ، فلعمرى لقد أكثرت وأغرقت ، وإن فيما أحل الله سعة عما ذكرت .

ثم رجع إلى داخل القصر وجلس وأخذ مصحفاً فنشره يقرأ فيه ، وقال : يوم كيوم عثمان . فصعدوا على الحائط ونزلوا إليه فاحتزوا رأسه ، وكان آخر كلامه : الله لا يرتق فتقكم ، ولا يَلُمُّ شعثكم ، ولا يجمع كلمتكم . ثم ساروا برأسه إلى يزيد بن الوليد فأمر بنصبه ، فقال له يزيد بن فروة مولى بنى مُرَّةَ : إنما تنصب رؤوس الخوارج ، وهذا ابن عمك وخليفة ، ولا آمن إن نصبته أن يَرِقَّ له قلوب الناس ، ويغضب له أهل بيته . فلم يسمع منه ، ونصب الرأس على رمح فطافوا به دمشق .

وقد أكبر الناس قتل الوليد بن يزيد بهذا الشكل، وثار لقتله أهل حمص وأهل فلسطين وغيرهم . واضطرب أمر بنى مروان اضطرابا كبيرا ، وعجل الله بأيام يزيد بن الوليد ، فلم يدم له الملك إلا خمسة أشهر واثنى عشر يوما ، ولم يدم أمر بنى مروان بعده إلا سنين تعد على الأصابع .

فإذا أخذنا فى قصة الوليد بن يزيد بهذا السياق ، وهو قائم على وقائع تنطق بنفسها ، وجدنا أنه لم يزد أمره عن غيره من بنى مروان ، وأنه كان سائراً على سنتهم فى الملك ، آخذا بطريقهم فى سياسة الناس ، ووجدنا أن يزيد بن الوليد لم يخرج عليه لأخذه بسنة آبائه ، لأن الناس كانوا قد ألفوها على ما فيها من إرهاقهم ،

فلم يكن فى أخذ الوليد بها ما يثيرهم عليه ، وقد سار عليها يزيد بعد قتل الوليد ، فتشفّى من رأسه ذلك التشفى ، وعسف بأولاده وأنصاره كما كان يعسف الوليد وغيره من بنى مروان ، ولو أنه خرج عليه لأنه يريد تغيير تلك السياسة كما غيرها عمر بن عبدالعزيز ، لكان له فى ذلك بعض العذر ، ولكان له فيه غرض شريف ، ولكنه كان يريد الملك لا أكثر ولا أقل ، فسلك إليه ذلك الطريق الشائك ، ولم يجد إلا أن يغالى فى أمر الوليد ، ويلصق به من أشنع التهم ما يلصق ، ليثير العامة عليه ، ويصل بذلك إلى غرضه فى الملك . ولقد كان عمه هشام أشرف منه خصومة ، وأقل منه حرصاً على ذلك المنصب الزائل ، فلم يستبح لنفسه أن يخلع الوليد من ولاية العهد على غير إرادته ، وخشى من ذلك مالم يخشه يزيد ، وقد نصحه أقرب الناس إليه فلم ينتصح ، وحذر مما يقدم عليه فمضى فيه ولم يلتفت إلى نصح ناصح .

فهل بعد هذا نصدق شيئاً من تلك التهم الشنيعة التى ألصقها أشياعه بالوليد ليصلوا بها إلى مآربهم ، وليرضوا الناس بعد أن غضبوا لقتلهم إياه ؟ وهل نصدق ما يروونه من أنه فتح المصحف يوما فخرج فيه (واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد) فألقاه ورماه بالسهام وقال :

تهدّدُ كل جبار عنيدٍ فهأنذاك جبارٌ عنيدُ
إذا ما جئت ربك يوم حشرٍ فقل يارب مزّقنى الوليدُ

وهل بعد هذا نصدق ما رواه العلاء بن البندار من أنه كان زنديقا ، وأن رجلا من كلب كان يقول بمقالته مقالة الثَّنَوِيَّة ، فدخل عليه العلاء يوماً وعنده ذلك الكلبى ، وإذا بينهما سفط قد رفع رأسه عنه ، فإذا ما يَبْدُو له منه حرير أخضر ، فقال الوليد : ادن ياعلاء . فدنا فرفع الحرير فإذا فى السفط صورة إنسان ، وإذا الزئبق والنوشادر قد جعلا فى جفنه ، فهو يطرف كأنه يتحرك ، فقال له الوليد : هذا مانى ، لم يبتعث الله نبياً قبله ، ولا يبتعث نبياً بعده . فقال له : يا أمير المؤمنين ، اتق الله ، ولا يغرنك هذا الذى ترى عن دينك . فقال الكلبى : يا أمير المؤمنين ، ألم أقل لك إن العلاء لا يحتمل هذا الحديث .

وهناك تهم أقبح من هذه التهم تلصق بالوليد ، يحجم القلم حياء عن ذكرها ، ولا يرى أن يلوث بها صفحات مجلة الرسالة الغراء . وكلها تهم إذا فتح لها التاريخ بعض صحائفه ، لأنه يروى كل سمين وغث ، فإن القضاء لا يمكن أن يؤاخذ الوليد بها ، لأنه لا يؤاخذ الشخص فى دينه بما يقوله غيره عنه ، وإنما يؤاخذه بما يقربه على نفسه ، وقد تبرأ الوليد من هذه التهم الشنيعة التى تلصق به ، فلا يمكن القضاء أن يؤاخذه بها ، لأنه يتحرج مما لا يتحرج منه التاريخ ، وقد وضعت فى يده رقاب الناس ، فلا يمكنه أن يجازف فيها ، ولا يستبيح أن يحكم فيها إلا بما يراه يقينا . ولو أن هذه التهم التى تلصق بالوليد قدمت إليه لعاقب أصحابها عليها ، لأنه ليس عندهم ما يثبتها ، فيعدها من القذف الذى يعاقب عليه ، حفظاً لأعراض الناس ، وصونا لأصحاب المروءة والشرف .

ويكفى فى براءة الوليد من تلك التهم الشنيعة وقوف العباس ابن الوليد ذلك الموقف منه ، وهو ذلك الرجل التقى الصادق ، وقد كان أشبه بنى أمية بعمر بن عبد العزيز لا أخوه يزيد الناقص ، وهو الذى كان يجب أن يقرن إليه فى ذلك القول المشهور — الناقص والأشج أعدلا بنى مروان — لأن الناقص لم يكن أمره فى شئ من أمر عمر بن عبد العزيز .

وقد أنكر قوم ما قيل فى حق الوليد من ذلك ، وقالوا إنه قيل عنه وألصق به وليس بصحيح . قال المدائنى : دخل ابن للغمر ابن يزيد أخ الوليد على الرشيد ، فقال له : ممن أنت ؟ فقال : من قريش . قال : من أيها ؟ فأمسك ، فقال : قل وأنت آمن ولو أنك مروانى . فقال : أنا ابن الغمر بن يزيد . فقال الرشيد : رحم الله عمك ولعن يزيد الناقص وقتلة عمك جميعا ، فإنهم قتلوا خليفة مجمعا عليه ، إرفع إلى حوائجك . فرفعها إليه فقضاها .

وقال شبيب بن شبة : كنا جلوساً عند المهدى فذكروا الوليد ، فقال المهدى : كان زنديقا ، فقام أبو علاثة الفقيه فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الله عز وجل أعدل من أن يولى خلافة للنبوة وأمر الأمة زنديقا ، لقد أخبرنى من كان يشهده فى ملاعبه وشربه عنه بمروءة فى طهارته وصلاته ، فكان إذا حضرت الصلاة يطرح ثياباً كانت عليه من مطيَّبة ومصبَّغة ، ثم يتوضأ فيحسن الوضوء ، ويؤتى بثياب نظاف بيض فيلبسها ويصلى فيها ، فإذا فرغ عاد إلى تلك الثياب فلبسها ، واشتغل بشربه ولهوه ، أفهذه أفعال من لا يؤمن بالله ؟ فقال المهدى : بارك الله عليك يا أبا علاثة .

عبد المتعال الصعيدى

هذا العـــالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

البلاجرا قد تؤدى الى الجنون

تصور قرية عدد سكانها ٥٠٠٠ نسمة ، منهم ٥٠٠ مصابون بالبلاجرا فلا يستطيعون الحركة ، فضلا عن حالة الاضطراب العصبي التى ترهقهم . فكم تخسر القرية المصرية بفقدها ١٠ ٪ من أيديها العاملة فقداناً كاملا ؟ وكم تخسر هذه القرية أيضاً من وقت يبذله الآخرون فى العناية بهؤلاء المرضى ؟

يود الدكتور على حسن أستاذ الكيمياء الحيوية بكلية الطب لو يتاح له الوقت فيقدر هذه الخسائر بالأرقام ، ويبين للأمة كم تخسر من الأموال كل سنة بانتشار هذا المرض الخبيث الذى يصيب سكان بعض القرى بنسبة تتراوح بين ٦ و١٠ ٪ من سكانها

تبدأ عوارض هـذا المرض بآلام فى السلسلة الفقرية واضطراب فى الهضم ، وضعف عام ينتاب الجسم كله . فان استمر سوء التغذية احمر الجلد وجف .

والمسئول الأول عن هذا المرض هو الطفيليات وإن لم تكن هى سببه المباشر ؛ فالإصابة بالبلاجرا نتيجة لسوء التغذية أو بالتعبير الطبى نقص فى كميات الفيتامين فى الجسم وهو الفيتامين المعروف باسم حامض النيكوتين .

وسوء التغـذية كما يقول رجال قسم الكيمياء الحيوية بكلية الطب بمصر يرجع إلى عاملين يؤدى أحدهما إلى الإصابة بالمرض وأولهما خارجى بأن لا يجد المريض حاجته من المواد الغذائيـة ، والثانى داخلى وهو أن يصاب الإنسان بطفيليات تحرمه من القدار اللازم لغذاء جسمه بأن تتغذى الطفيليات بطعامه . وفى مصر أكثر المصابين بالبلاجرا مصابون أيضاً بالطفيليات .

« ومما يؤسف له أن تنتشر الطفيليات فى بعض قرانا بنسبة مزعجة تصل إلى ٩٠ ٪ من عدد السكان . فان أراد الطبيب علاج البلاجرا أو أى مرض آخر أضعفت الطفيليات علاجه مما يستنفد وقته وعقاقيره ومال الدولة أيضاً » .

ومن التناقضات فى ريفنا المصرى أن زيادة الخير معناها انتشار المرض . ففى شمال الدلتا حيث الرى الصيفى ، والماء المتوفر ، والزراعة المنتعشة وباء الطفيليات من بلهارسيا وانكلستوما وغيرها من الأمراض الشديدة الفتك بالفلاح بخلاف ما يشاهد فى البلاد القليلة الخير التى تروى بالحياض .

ولا يسبب مرض البلاجرا أمراض الجنون ، ولكنه يظهرها عند المستعدين للاصابة بواحد منها ؛ فهو يضعف الجسم ويجعل الإنسان فى حالة عصبية سيئة تكشف عن علل جسمه الكامنة ، فلا يلبث أن تظهر عليه أعراض الجنون فتخسر الأمة جهده ، كما تخسر ثقتها بنفسها إذ يرفع نسبة المجانين فيها .

لفت هذا المرض نظر قسم الكيمياء الحيوية كما استرعى انتباهه علاجه المتبع فى أمريكا . وعلى ضوء اختلاف البيئة والغذاء عندنا وعندهم خالفهم فى العلاج أيضاً وأثبت أن علاج الأمراض يجب أن يتبع سياسة قومية لا سياسية تقليدية . ولئن اتفق المرض فى جوهره فإنه يختلف فى تفاصيله باختلاف البيئة من جو وتغذية .

ففى أمريكا تكون البلاجرا مصحوبة بنقص ثلاثة أنواع من الفيتامين المعروف باسم مركب (ب) أما فى مصر فأغلب الحالات ينقصها فيتامين واحد من هذه المجموعة وهو حامض البيكوتيك

وفى سنة ١٩٤١ أجرى القسم التجارب لاختبار نظريته فعهد إلى أحد تلاميذه الدكتور شوقى مترى بوزارة الصحة تطبيق النظرية طبياً فجربها فى ٤٨ حالة عالجها كلها بفيتامين حامض النيكوتين فشفيت جميعها فى مدة لا تتجاوز اسبوعا واحداً . وكان نجاحه مؤيدا لنظرية الدكتور على حسن . وأتيح بواسطته توفير نفقات العلاج بالفيتامينات الأخرى .

وكانت خطوته الموفقة برهاناً ساطعاً على وجوب بحث أمراضنا بحثاً محلياً . فلا يجوز أن نقلد العلماء الأجانب فيما يوفقون إليه تقليدا أعمى ؛ بل علينا أن نستفيد من تجاربهم بما يتفق وحاجة بلادنا . وأصلح أناس يؤدون هـذا العمل هم إخصائيونا فهم أدرى بحالة البلاد من سواهم ، فمنذ بدأ هذا العلاج فى سنة ١٩٤١ لم تشذ عنه إلا حالة واحدة .

إنتاج البنسلين بسرعة

حار الكيماويون فى إيجاد طريقة سريعة يجففون بها البنسلين

حتى يتيسر لهم إنتاجه بكميات كبيرة تكفى حاجة العالم إلى هذا العقار الهام فى مكافحة الأمراض . وكان تعريضه للطرق العادية السريعة لتبخير مائة يقتل العقار ويجعله عديم القيمة .

وقد توصل أحد المصانع إلى استنباط طريقة كهربائية يجفف بها البنسلين فى نصف ساعة ، وهى عملية كانت تحتاج إلى يوم كامل . واستعانوا لتحقيق أغراضهم بالذبذبات اللاسلكية .

وتتلخص هذه الطريقة فى وعاء مفرغ من الهواء تثبت فيه دوارات تلف بسرعة ٣٠٠٠ لفة فى الدقيقة وتعمل الأحزمة المعدنية بين الدوارات كصفائح كهربائية . وبهذا تيسر إغلاء العقار فى درجة ٥٠ فهرنهيت بغير أن يصيبه أى تلف .

ومن تجارب تجفيفه السابقة استخدام الجليد فى أوان مفرغة من الهواء .

معالجة الأسنان بمياه الشرب

يتجه بعض العلماء الآن إلى علاج أمراض الأسنان بالجملة وذلك بإضافة مادة الفلورين إلى مياه الشرب . فقد اجتمع أخيراً فى معهد نيويورك لفيف من الإخصائيين فى أمراض الأسنان والصحة العامة ودرسوا النتائج التى توصل إليها بعضهم . وأخيراً قرر خمسة منهم أن استعمال الفلورين فى مياه الشرب كمادة مانعة لتلف الأسنان ووقاية الصحة يحتاج إلى تجارب قد تمتد إلى عشر سنوات أخرى

ومن النتائج التى وصل إليها الطب الحديث ما قاله الدكتور فرندلى دين عن تجربة أجريت عن ٧٫٢٥٧ تلميذاً تتراوح أعمارهم بين ١٢ و ١٤ سنة عاشوا طول حياتهم يشربون من المياه المكررة العادية فى المدن ثم أضيف إلى المياه التى يشربونها نسبة ضئيلة من الفلورين قيمتها واحد إلى مليون فقلت نسبة إصابتهم بأمراض الأسنان إلى ثلث نسبة الإصابات فى جماعة أخرى تماثلهم فى العدد وتشرب الماء المكرر العادى .

وقال الدكتور والاس أومستروبخ إن الفحص الطبيعى للاسنان دل على أن السليمة منها تحتوى على كمية أكبر من الفلورين عن الأسنان التالفة . وأيده الدكتور بازيل بيلى فقال إنه أجرى ست دراسات على تغطية الأسنان بأحد مركبات الفلورين فقلت نسبة التلف فى الأسنان من ٢٦ إلى ٥٠٪ بعد استعمال الفلورين من مرتين إلى ١٥ مرة .

وقال الدكتور فردريك ما كاى إن إضافة الفلورين إلى مياه الشرب يقلل تلف الأسنان فى الأمة إلى نصفها .

وتجرى الآن فى كنجستون ونيوبوروف فى ولاية نيويورك تجربة واسعة النطاق ينتظر أن تمتد إلى عشر سنوات وهدفها اختبار قدرة الفلورين فى مياه الشرب على منع فساد الأسنان .

وتحتوى مياه نيوبوروف فى مياهها العادية على فلورين نسبته واحد من المليون . ويضاف إليها مقادير أخرى منه حتى تصل نسبته إلى واحد فى المليون . أما مياه كنجستون فلا تحتوى على فلورين على الإطلاق ؛ وعلى أساس إصابات الأسنان بالأمراض فى البقعتين ودراستها دراسة طبية يستطيع العلماء تقدير فائدة الفلورين فى الماء أو ضرره . على أن الإحصائية التى يريد العلماء الأخذ بها هى نتيجة السنة الثامنة عند ما تكون الأمراض القديمة قد أزيلت والأسنان أخذت حاجتها من مناعة الفلورين .

أبناء العظماء ومستقبلهم

قلما يصل الأبناء إلى اوج الشهرة التى وصل إليها آباؤهم . وذلك تبعاً لتقرير كتبه البروفسور جوزيف شنيدر فى مجلة الأبحاث الاجتماعية الأميركية فقال فيه ان أبناء الوزراء نادرا ما يصبحون وزراء معروفين وكذلك أبناء الأطباء ورجال الدين .

وقد قارن الباحث بين ميول الشعبين الإنجليزى والإميركى معتمداً على إحصائيات استقاها من عام ١٦٠٠ إلى الآن فوجد أن المشهورين من الاميركيين كانوا يخرجون غالباً من الطبقة المغمورة ويصلون إلى اوج رفعتهم عن طريق الأعمال أو الفلاحة أو السياسة أو الصحافة أو الأعمال الفنية .

ووصل أكثر مشاهير الإنجليز إلى مراكزهم عن طريق الدين وكتابة سير الأفراد أو الرسائل الأدبية ، وقال ان ٤٥ فى المائة من مشاهير الرجال فى الولايات المتحدة زاولوا أعمالاً ما كان يظن انها ترفع من شأنهم . أما أبناء الطبقة المنتخبة فى الولايات المتحدة فقد اكتسبوا الشهرة عن طريق السياسة أو الحرب بينما وصل أربعة اخماس أبناء الفنانين إلى مراكزهم الرفيعة عن طريق الفن وكتابة الرسائل .

فوزى الشتوى

رسالة الفن

٦ ـ الفـــن

للكاتب الفرنسى بول جيزيل

بقلم الدكتور محمد بهجت

إن ما يعيب بعض المصورين المعاصرين عندما يريدون تصوير خيول تعدو هو أنهم يمثلونها فى أوضاع أخذت فى لمح البصر .



سباق ابسوم (للمصور جريكول)

انتُـقِد جريكول (Gericault) لأنه صور بلوحته الموجودة باللوفر وهى « سباق ابسوم » خيوله تعـدو وقد تمطَّطت جسومها حتى لتكاد تلامس بطونها الأرض ، راميـة بقوائمها الأمامية إلى قدام وبالخلفية إلى وراء فى نفس اللحظة . ويقال إن لوح الفوتغرافية الحساس لا يعطى مثل هذه النتيجة . وحقيقة ما نرى فى التصوير الفوتغرافى هى أنه عند ما تكون قوائم الحصان الأمامية إلى قدام يكون للقوائم الخلفية التى دفعت الجسم إلى الأمام بطبيعة وضـعها وقت للتجمع تحت الجسم لإعادة الكرة ، فتكون بذلك القوائم الأربع متجمعة مع بعضها فى الهواء فى وقت معين ، ويبدو الحيوان كأنه يقفز من على الأرض وكأنه بغير حَـراك وهو فى ذلك الوضع .

« وأعتقد الآن أن جريكول هو المصيب وأن العدسة هى المخطئة لأن خيوله تظهر كأنها تعدو . ويتبين ذلك عنـد ما يتتبع الناظر اللوحة من اليمين إلى الشمال ، فيرى أول ما يرى القوائم الخلفية تنجز ذلك الجهد الذى تنشأ عنه القوة الدافعة العامة ، ثم يرى بقية الجسم ينبسط ويتمطط ، وأخيراً يرى القائمتين الأماميتين ممدودتين وهما تهويان إلى الأرض . وهذا خطأ فى الواقع ، لأن هذه الحركات لا يمكن أن تحدث فى وقت واحد ، ولـكنه صواب إذا ما لوحظت الأجزاء على التتابع ، وهذا الصدق وحده هو الذى يعنينا لأنه هو الذى نراه ونتأثر به .

لاحظ إلى ذلك أن المصورين والمثالين الذين عند ما يؤلفون بين الأوجه المختلفة لحركة ما فى صورة أو تمثال معين لا ينزلون فى ذلك على حكم العقل أو المهارة الفنية ولـكنهم يعبرون بكل بساطة عما يشعرون به فترى عقولهم وأيديهم كأنما تنساق فى اتجاه الحركة فيعبرون عن تطورها بالغريزة .

ونرى هنا — كما هو الحال فى كل ميادين الفن — أن الإخلاص وحده هو القاعدة الوحيدة »

صمتُّ برهة طويلة أفـكر فيما قاله لى إلى أن قطع صمتى بسؤاله : « ألم أقنعك ؟ »

نعم ، بالطبع . ولـكننى عند ما أتأمل تلك المعجزة ، معجزة التصوير أو النحت التى يمكنها أن تجمع فى جسم واحد حركة تدوم عدة لحظات ، أقول عند ما أتأمل ذلك أسائل نفسى إلى أى حد يتسنى للتصوير والنحت أن ينافسا الأدب — والمسرح بوجه خاص — فى تسجيل الحركة . ولايسعنى إلا أن أقول فى صراحة إننى أميل إلى الاعتقاد أن مثل هذا التنافس لا يمكن أن يجرى لشوط بعيد ، وأن رجال الريشة والإزميل لأشد قصوراً فى هذا الميدان من رجال القلم ، فقال رودان :

ليس قصورنا كبيراً كما تظن . وإذا كان باستطاعة التصوير والنحت أن يهبا الأجسام الحركة فنى مقدورهما أن يأتيا بأكثر من ذلك ؛ بل ويستطيعان فى بعض الأحوال أن يجاريا الفن الدراما طيقى فى إظهار عدة مناظر متتابعة فى نفس اللوحة أو مجموعة التماثيل » فأجبته :

« نعم . ولـكنهم يدلسون بعض الشىء . لأننى أظنك تتكلم عن تلك الصورة القديمة التى تعرض تاريخا شاملا لشخص معين فتظهره

عدة مرات فى أوضاع مختلفة على نفس اللوحة . فمثلا توجد بمتحف اللوفر لوحة زيتية إيطالية صغيرة يرجع تاريخها إلى القرن الخامس عشر تقص علينا تاريخ أوروبا على هذه الوتيرة . فترى فيها أول ما ترى الأميرة الصغيرة تلعب فى حقل نضير مع أترابها للواتى يعاونها على امتطاء صهوة الثور « چوپيتر » ، ثم تراها بعد ذلك مروعة وقد اختطفها الإله وغاص بها فى لجج اليم » . فأجاب رودان :

« هذه طريقة بدائية على الرغم من أن بعض الفحول من الفنانين مارسوها . فمثلا عالج ڤيرونيز Veronese قصة أوروبا هذه بنفس الطريقة كما يتضح من لوحته الموجودة بقصر الدوقية بمدينة البندقية . ولكن على الرغم من هذا النقص فلوحة كاليارى Caliari معجبة . وأنا لم أشر بشئ إلى مثل تلك الطرق الصبيانية لأنى لا أوافق عليها كما يمكنك أن تدرك ذلك . ولكى أجعل نفسى أكثر جلاء ووضوحا يتحتم على أن أسألك أولاً عما إذا كنت تذكر لوحة واتو Watteau المسماة « ركوب السفينة إلى جزيرة سايتيرا » فقلت :

« إنى لأذكرها تماما كما لو كانت نصب عينى الآن » .

« إذاً فسوف لا أجد صعوبة فى الإفصاح عن نفسى . فاذا تذكرت رأيت أن الحركة فى تلك اللوحة الفذة تبدأ فى الأمام إلى اليمين وتنتهى فى الخلف إلى اليسار . وتلاحظ أول ما تلاحظ فى مقدم اللوحة شخصين هما سيدة فاتنة وعشيقها المتيم جالسين تحت الظلال الوارفة قريبين من تمثال نصفى لسايپريس Cypris منمق بأضافير الورد وإكليله ، يشتمل الرجل بعباءة مطرزة عليها قلب نفذ فيه سهم . وفى ذلك إشارة لطيفة إلى ما سوف يتجشمه فى هذه المرحلة الغرامية . تراه راكعاً بجانبها يستميلها ويستعطفها فى حرارة ولكنها تقابل ضراعاته بفتور ربما كان مصطنعا ، وتتظاهر كما لو كانت متشاغلة عنه بمعاينة التهاويل التى على مروحتها . ويجلس بالقرب كيوپيد Cupid صغير فوق كنانته وقد تعرى أكثره . يرى أن المرأة قد أمعنت فى التدلل والتمنع فيجاذبها قميصها ليستلين فؤادها .

وإلى هنا لا تزال المرحلة الغرامية فى مبتداها . هذا هو المشهد الأول . وهاك الثانى : ترى إلى اليسار من ذلك زوجاً آخر . أما السيدة هنا فتقبل يد حبيبها الذى يعاونها على النهوض ، وقد أدارت ظهرها إلينا وتدلت من رأسها ذؤابة من تلك الذوائب الشقراء الذهبية التى يصورها واتو برشاقة ساحرة . أما المشهد الثالث فيقع إلى أبعد من ذلك بقليل . ففيه يضع المحب ذراعه حول خصر مالكة لبه ليجذبها إليه ويسير بها فتتلفت إلى قريناتها الذين يحيرها تخلفهم ، ولكنها لا تلبث أن تنقاد فى غير ما تأب .

والآن ينزل المحبون إلى الشاطئ ويندفع الجميع إلى السفينة ضاحكين ولم يعد الرجال بحاجة إلى التوسل والتضرع ، وقد تشبثت السيدات بأذرعهم .

وأخيراً يعاون المحبون فاتناتهم على الاستواء على ظهر السفينة الصغيرة التى تتأرجح على صفحة الماء كأنها الحلم الذهبى وقد ازينت بالأزهار وشارات خافقات من الحرير الأحمر . أما الملاحون فكبون على مجاذيفهم وهم على وشك التجديف . وثمت آلهة الحب الصغيرة تتقدمهم محمولات على أجنحة النسيم كأنما تقود المحبين إلى الجزيرة اللازوردية التى تلوح فى الأفق » .

« ألاحظ يا أستاذ أنك تحب هذه اللوحة لأنك تذكر كل دقائقها » .

« انها لمتعة لا يستطيع المرء أن ينساها . ولكن هل لاحظت تطورات هذا التمثيل الصامت ؟ خبرنى بربك الآن : أيها أصدق فى تسجيل الحركات أهو المسرح أم التصوير ؟ حقاً إنه ليصعب على المرء أن يقطع بقول فى هذا الأمر . فها أنت ترى أن الفنان لا يستطيع — إذا ما أراد — أن يصور الحركات العارضة فقط بل ويمثل فصلاً طويلا على حد تعبير الفن الدراماطيقى .

وليس عليه لإدراك النجاح سوى أن يضع أشخاصه بحيث يرى الناظر أول ما يرى منها أولئك الذين يبدأون العمل ، ثم الذين يمضون به ويستمرون فيه . وأخيراً يرى أولئك الذين ينهون ذلك العمل . أتريد مثلا فى النحت ؟ » وعند ذلك فتح كتاباً أخذ

يبحث فيه هنيهة ثم سحب منه صورة فوتوغرافية وقال :

« هاك المارسليز الذى نحته رود ليوضع فى جانب من نصب « قوس النصر » ، ترى « الحرية وقد لبست درعا نحاسية تشق الهواء بأجنحة منتشرة وترعد فى صوت هائل : « إلى السلاح أيها المواطنون » . ترفع يدها اليسرى عالية تستحث بها الأبطال من حولها ، وتمسك بالأخرى سيفاً تصوبه نحو الأعداء . إنها بلاريب أول ما تشاهد إذ أنها تسود المجموعة كلها . أما ساقاها المنفرجتان



تمثال المارسليز (صنع المثال رود)

اللتان تجعلانها تبدو كأنها تجرى فتخالهما نغمة أضيفت إلى هذه الأنشودة الحربية السامية . وكأنى بصوتها القوى المنبعث من فمها الحجرى يشق صماخ الأذن ، فما لك من سماع صوتها من بد ، ولم تكد ترسل دعوتهـا إلى الحرب حتى تدافعت الأبطال إلى الأمام . فهذا غوطى كأن شعره لبدة الأسـد يلوح بخوذته عالياً كأنه يحيى الآلهة وقد وقف ابنه الفتى الصغير إلى جانبه ممسكا بقبضة سيفه يستعطفه ليرافقه إلى ساحة الوغى وقد بدا عليه كأنه يقول : « أنا قوى كما يجب يا أبتاه ، إننى رجل ، أريد أن أذهب معك ، فيقول له أبوه وقد حدجه بنظرة عطف وخيلاء : «تعال» .

أما المشهد الثالث فيتكون من محارب قديم يترنح تحت أعباء عتاده ويجهد ليلحاق بهم ، إذ يتحتم على كل من يشعر من نفسه القوة أن يذهب إلى ميدان القتال . ثم هذا رجل هم قوست السنون ظهره يتبع الجند بأدعيته وصلواته ، وتدل إشارة يده على أنه يعيد عليهم نصائحه التى استخلصها لهم من تجاريبه الخاصة .

ويتكون المشهد الرابع من قواس يثنى ظهره المتعضل ليشد عليه سلاحه ، ومن بوق يرسل نداءه المثير إلى الجحافل ومن بنود تخفق ورماح مشرعة إلى الأمام . لقد صدر الأمر وابتدأ الكفاح فعلا .

ونرى هنا أيضاً رواية مثلت أمام أعيننا ؛ ولكن بينما لوحة « ركوب السفينة إلى سايتيريا » تذكر المرء بهزليات ماريفو marivaux فإن المارسـليز يذكره بمآسى كورنيل Corneille وإنى لا أدرى أى الاثنتين أفضل ، إذ أرى فى إحداهما من الروعة والعبقرية بقدر ما أراه فى الأخرى » ثم قال بعد أن حدجنى بنظرة تحدّ ماكرة :

« أعتقد أنك سوف لا تقول بعد الآن بأن لا قبل للتصوير والنحت بمنافسة المسرح » فقلت له : « طبعاً كلا » .

وفى تلك اللحظة لمحت فى الكتاب الذى أعاد إليه صورة المارسليز صورة شمسية أخرى لتمثاله البديع المسمى « رهائن كاليه » ثم قلت :

« ولكيما أبرهن لك على أنى أفدت من تعاليمك دعنى أطبقها على عمل من أجل أعمالك ؛ لأننى أرى أنك أنت نفسك تطبق تلك القواعد التى كشفت لى عنها . فهنا فى تمثالك رهائن كاليه[1] ، Burghers of Calais أستطيع أن أرى منظراً متتابعاً كالذى ذكرت من أعمال واتو ورود . فالشخص الذى فى الوسط هو أول ما يسترعى النظر . وما من إنسان يشك فى أنه (يوستاك سنت بيير) . إنه يحنى رأسه الجليل الذى يكلله شعر أشيب طويل .

(١) الأصل فى معنى كلمة Burghers هو « نواب » ولكنى استصوبت وضع كلمة « رهائن » بدلا منها .

ليس متردداً ولا خائفا ، يتقدم بخطى ثابتة وقد أُسبلت عيناه فى صلاة صامتة . وإن كان يترنح قليلا فإنما ذلك من جراء الشدائد التى عاناها أثناء الحصار الطويل . إنه هو الذى يُلهم الآخرين . إنه أول من تقدم من الرهائن الستة الذين يتوقف على اعدامهم انقاذ أبناء بلدتهم من المذبحة المنتظرة ، وذلك حسبما شرط الغزاة . أما المواطن الذى إلى جانبه فليس أقل منه شجاعة . ومع أنه لا يجزع لمصيره الخاص إلا ان شروط تسليم المدينة يسبب له ألماً ممضا . وفى حين يقبض بيده المفتاح الذى يتحتم عليه تسليمه للانجليز نراه يصلب كل جسمه كيما يجد من نفسه القوة على احتمال هذ الذل المحتوم . وإلى جانب هذين . وفى مستواهما ، تجد رجلا أقل شجاعة منهما لأنه يسرع فى مشيته فتقول عنه : أما وقد وطن نفسه على التضحية فإنه يتوق إلى تقصير الوقت الذى بقى على استشهاده .

ومن وراء هؤلاء يأتى رهينة آخرَ ممسكا رأسه بيديه ومسلماً نفسه ليأس عنيف ، ربما كان يفكر فى زوجه وأولاده أو فى أحبائه أو فيمن سيشقى برزئه من مماته .

وثم رهينة خامس يحرك يده أمام عينيه كأنما يحاول بذلك أن يبدد كابوساً مرعباً أناخ على روحه ... إنه يتعثر ، ولا غرو فقد روّعه الموت .

وأخيراً نرى الرهينة السادس وهو أصغرهم جميعاً . تراه كأنه متردد غير مستقر ، يقبض أساريرَ وجهه همٌ ناصب . أهو طيف حبيبته الذى يستحوذ على أفكاره ؟ ولكن رفقاءه يتقدمون وها هو ذا يتبعهم مادا عنقه كما لو كان يسلمه إلى سيف القدر .

ومع أن هؤلاء الثلاثة أقل شجاعة من الثلاثة الأول فإن نصيبهم من التقدير والإعجاب لا يقل بحال من الأحوال عنهم ، لأن إخلاصهم أدعى إلى التقدير والثناء . ويكلفهم أكثر مما يكلف الآخرين .

وهكذا يتسنى للمرءان يتابع بدقة فصلا تمثيلياً فى رهائن كاليه ، ذلك التمثيل الذى هو نتاج شعور وتأثر كل فرد منهم بنفوذ يوستاك دى سنت بيير ومقدار اقتدائه به والنسج على منواله فيراهم المرء وقد أسلموا قيادهم إليه رويدا رويدا وقد قرر الواحد تلو الآخر أن يتقدم معه إلى الموت ليدفع ثمن مدينتهم .

ولا ريب أن فيما ذكرت أعظم إثبات وتعضيد لرأيك عن قيمة الحركة والمناظر فى الفن » فأجاب رودان :

لو لم يكن فيما تراه فى عملى شىء من المغالاة لجزمت بأنك أدركت ما هدفت إليه تمام الإدراك . لقد قدرت (رهائنى) كل التقدير ورتبتهم بحق تبعاً لمقدار بطولتها . ولكيما أظهر هذه الحال بأجلى مظهر أبديت رغبتى التى ربما تعلمها بأن تثبت تماثيلى الواحد وراء الآخر على بلاط الميدان قبالة سراى بلدية كاليه لتكون أشبه بحلقة حية من الآلام والتضحية . لو أنها وضعت كذلك لبدت كأنها تخطو من دار البلدية إلى معسكر ادوار الثالث ، ويشعر سكان كاليه اليوم عندما يخالطونها فى غدوهم ورواحهم شعوراً عميقاً بالتضامن أو الاتحاد التقليدى الذى يربطهم بأولئك الأبطال ، ولكان أثر ذلك بالغا فيما أعتقد . ولكنهم رفضوا مقترحى وأصروا على وضع التماثيل على قاعدة قبيحة بقدر ما هى غير لازمة . إنهم كانوا مخطئين ، وأنا متأكد مما أقول» . فقلت «وا أسفاه . كأنما قدر على الفنان دواما أن يجارى الأفكار السائدة . وما أسعده لو استطاع أن يحقق طرفاً من أحلامه الجميلة » .

دكتور محمد بهجت

من وحى إنجلترة (1) :

البانوراما

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

[البانوراما هى هضبة عالية بمدينة إكستر تشرف على السهول والأودية الممتدة حول هذه المدينة التى تعد عروس المدن فى جنوب غربى انجلترة . وقف الشاعر عليها وأرسل الطرف بعيدا بعيدا ثم نظم هذه الأبيات] .

هذا الفضاءُ أمام عينك فانظرى ... تجديه ملء السَّمع ملء المنظر
إنى أذُوقُ به لذاذاتِ الهوى ... وأشمُّ نفحَ عبيرِهِ المتعطِّرِ
حيثُ الربيعُ هناك فى ريْعانه ... يختالُ فى البُردِ النضيرِ الأخضرِ
حلَّت بشاشتُه بكل ثنيَّة ... وبدتْ نضارتُه لكل مصوِّرِ
صُورٌ جَلاها الحسنُ فهى مُشاعة
نهبٌ لعبَّادِ الجمالِ الأطهرِ

***

قد عفتُ ثرثرةَ المدينة فاسمعى ... همس النسيم يمرُّ غيرَ مُثرثرِ !!
وسئمتُ أكدارَ الحياةِ وهاهُنا
ماءُ الحياةِ الصفوُ لم يتكدَّرِ
وبرِمتُ بالأنفاس وهى حبيسةٌ ... فى قلبىَ المتأجج المتسعِّرِ
ووجدتُ أعباءَ الحياةِ ثقيلةً ... فأردتُ أطرحها بهذا المشعرِ !
وهناك فى النَّشَوات غبتُ كأننى
سكرانُ من خمرٍ ولو لم أسكرِ
وأفقتُ والدنيا أمامى جنَّةٌ ... حُفَّت بكل محبَّبٍ ومُخيَّرِ
والجدولُ الوسنان يخطر تحتنا ... ينسلُّ مثلَ العاشقِ المتحذِّرِ
وعلى امتداد الطَّرف ألمحُ قريةً ... قد لفَّها ورَقُ الربيع بمئزر
ظَهرتْ على الأفق البعيد وخلفها
دنيا مغيَّبة الصُّوَى لم تظهر
عجباً يلوحُ لنا القريبُ كواقع ... ووراءه غيبٌ كسرٍّ مُضمَرِ
مَن لى (بزرقاء اليمامة) علَّنى
أستامُ ما خلف الستار الأكبر ؟ ؟

(1) من ديوان بهذا العنوان تحت الطبع

تمثلوا كلهم فى ذلك الرجل

للأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى

[كانت الحفلة التكريمية التى أقامها الدستوريون من أبناء دار العلوم فى دار الأوبرا الملكية بمناسبة الانعام الملكى على صاحب المعالى الوزير الأديب إبراهيم دسوقى أباظه باشا مظهراً من مظاهر الأدب الرائع تجلى فيما ألقى الخطباء وأنشد الشعراء من أفانين البلاغة العالية التى استمدت صورها من فن المادحين ، وفكرها من أخلاق الممدوح . وإنا ننشر هذه القصيدة تمثيلا لما قيل فى هذا الحفل الكريم ، ومشاركة من الرسالة فى تكريم هذا الخلق العظيم]

مجدٌ أهل على أمجادك الأُوَلِ ... ممن نفدِّيه بالأرواح والمقل
« فاروق » أكرم من يجزى على عمل
للساهرين على الإخلاص فى العمل
الصامتين وأيديهم محدِّثة ... والعازفين عن التهريج والدجَل
السائرين على الأشواك لن يهنوا
حتى يسير الحمى فى اليانع الخضِل
الذاهبين مثالا فى الفناء له ... حتى غدوا فى التفانى مضرب المثل
الخائضين الوغى ناراً مؤججة ... فما استكانوا وما ذلوا على وجل
القاذفين بها أرواحهم شعلا
أذكت لظاها ، فكانت أصدق الشعل
الثائرين على العدوان مجترئاً ... والصامدين له فى الحادث الجلل
الصارخين وقد دوَّى الحديد ضحى
والشوبكيُّون أشلاء على السبل (1)
الغاضبين أسوداً فى عرينهم
وقد عوى الذئب محموماً على الحمل
أولئك الصفوةُ الأخيار أجمعهم ... تمثلوا كلهم فى « ذلك الرجل »
هو الدسوقى وفى يمناه صفحته ... بيضاء : تقرأ فيها سيرة البطل
يا سيدى : رتبةُ الفاروق مفخرةٌ
فانعم بها فى هوى « الفاروق » واحتفل
نهيبتك فلم تهمم مبكرة ... وأين همها من قمة الجبل ؟
سعت إليك لخال الشعر فى خلدى
والشعر لولاك لم يخطر ولم يجل
يا سيدى فى يدى قيثارة عجب ... شدت بمجدك فى حب وفى غزل

(1) إشارة إلى حوادث الاحتلال الدامية فى بلدة « الشوبك » سنة ١٩١٩

تهز أوتارها نشوى فمن ثمل بجيل من فرط نشواه على ثمل
سكبتُ ألحانها من « خافقى » قُبلاً
على يديك فكانت أعمق القبل
ألحانها من كريم الشدو ينفحه
عهــدٌ إذا حالت الأيامُ لم يحل
ياطالما صدحت فى بيتكم وشدت وطالما كنت ترعاها فتسمع لى
أغلو بشعرىَ مزهواً فتوسع لى صدراً لمصرَ به دنيا من الأمل
خلعتُ من حلل الأشعار أوسمة عليه أخلد ما يعلوه من حُـلل
واليوم ذاك مجالى من يزاحمنى ومن يقول إذا «حسانُ» لم يقل
لى فى « غزالة » ناديك الذى انفسحت
أرجوؤه لـكريم الشعر والجــدل
يظله منك مجد دون روعته مجدالرشيد ومجد الأعصر الأول
فعشتَ للفن ترعاه وتكلاه .. يامجدىَ الضخمَ فى حلى ومرتحلى
وعشتَ للحق ترعى الحق واطردت
خُطاك للنيل فى منجًى من الزلل
لـما تحايلت الأيام تخــدعه ألقيتَ درساً عليها بارع الحيل
سعيتَ للهدف العالى ففزت به ومال غيرك للدنيـا فلم تمل

الأبد الصـــغير

للمرحوم أبى القاسم الشابى

ياقلب ! كم فيك من دنيا محجبة كأنها حين يبدو فجرها « إرَم »
ياقلب ! كم فيك من كون قد اتقدت
فيــه الشموس وعاشت فوقه الأمم
ياقلب ! كم فيك من أفق تنمقه كواكب تتجلى ثم تنعدم
ياقلب ! كم فيك من قبر قد انطفــأت
فيه الحيــاة وضجت تحته الرمم
ياقلب ! كم فيك من غاب ومن جبل
تدوى به الريح أو تسمو به القمم
ياقلب ! كم فيك من كهف قد انبجسب
منه الجــداول تجرى مالها لجم
تمشى ... فتحمل غصناً مزهراً نضر
أو وردة لم تشوه حسنها قدم
أو نحلة جرها التيار مندفعاً إلى البحار تغنى فوقها الديم
أو طائراً ساحراً ميتاً قد انفجرت
فى مقلتيه جراح جمــة ودم
ياقلب ! إنك كون مدهش عجب
إن تسأل الناس عن آفاته يجمِموا
كأنك الأبد المجهول قد عجزت
عنك النهى واكفهرت حولك الظلم

ياقلب ! كم من مسرات وأخيلة ولذة يتحـامى ظلها الألم
غنت لفجرك صوتاً حالماً فرحاً
نشوان ثم توارت وانقضى النغم
وكم رأى ليلك الأشباح هائمة مذعورة تتهاوى حولها الرجم
ورفرف الألم الدامى بأجنحة من اللهيب وأنَّ الحزن والندم
وكم مشت فوقك الدنيا بأجمعها حتى توارت وسار الموت والعدم
وشيدت حولك الأيام أبنية من الأناشيد تبنى ثم تنهدم

تمضى الحياة بماضيها وحاضرهـا
وتذهب الشمس والشطآن والقمم
وأنت أنت الخضم الرحب : لا فرح
يبقى على سطحك الطاغى ولا ألم

ياقلب ! كم ذا تمليت الحياة وكم
راقصتها مرحاً ما مسك السأم
وكم توشحت من ليل ومن شفق
ومن صباح توشى ذيله السُّدم
وكم نسجت من الأحلام أردية قد مزقتها الليالى وهى تبتسم
وكم ضفرت أكاليــلاً موردة
طارت بها زعزع تدوى وتحتدم
وكم رسمت رسوماً لا تشابهها هذى العوالم والأحلام والنظم
كأنها ظلال الفردوس حافلة بالحور ثم تلاشت واختفى الحلم

تبلو الحيــاة فتبليها وتخلعها وتستجد حياة ملؤها قدم
وأنت أنت : شباب خالد نضر مثل الطبيعة . لاشيب ولاهرم



الماضي الخالد

سيدى الأستاذ الجليل عباس محمود العقاد

اطلعت أخيراً على أحد المنشورات البريطانية عن تاريخ اهتمام الإنكليز بالعرب واللغة العربية ، وقد جاء فى ذلك المنشور ما يأتى :

« من بين أولئك الذين تأثروا تأثراً عميقاً بالعلوم العربيـة الفيلسوف العظيم «بيكون» . ومما يستحق الذكر أن أول كتاب طبع فى انكلترا ، وهو كتاب كلمات الفلاسفة وحكمهم كان مؤلفاً على نسق كتاب عربى اسمه «مختار الحكم ومحاسن الكلم» الذى ألفه عام ألف وثلاثمائة وخمسين بعد الهجرة « الأمير المصرى مبشر بن فاتك» ، ولم يطبع النص العربى لهذا الكتاب ، ولكن له نسخة مخطوطة فى هولاندا ، وقد ترجم هذا الكتاب إلى معظم اللغات الأوربية ، وقد كان فى وقت من الأوقات صاحب شهرة عظيمة فى الشرق » .

فهل قرأت يا سيدى العزيز هذا الكتاب فى الإنجليزية ؟ وإذا كان الأمر كذلك فما رسالته ؟ وكيف انتقلت النسخة المخطوطة إلى هولاندا ؟ وفى أى عصر كان هذا الانتقال؟ وإذا كان « بيكون» قد تأثر بهذا الكتاب فما مبلغ تأثره وما نتيجة ذلك ؟ وإذا كان هـذا الكتاب قد ترجم إلى معظم اللغات الأوربيـة فأين النص العربى الآن ؟

ومتى نعرف أن Sir William Jones « سير وليم جونس » ترجم المعلقات السبع ، وأن Hindley « هندلى » ترجم المتنبى ، وأن George Sale « چورج سيل » ترجم القرآن الكريم ، وأن Pococke « بوكوك » ترجم لاميـة الطغرائى ومختصر الدول ، وأن Ockley « أوكلى » ترجم رسالة حى بن يقظان لابن طفيل ؟ !

وإلى متى نظل فى مهاتراتنا حول قضية القديم والحديث ، وهـذا عالم إنجليزى لا يحضرنى اسمه يقول لابن أخيه : « إننى وقائدى ودليلى العقل قد تعلمت شيئاً من أساتذتى العرب ، ولكنك يابنى قد تعلمت شيئاً مختلفاً عنـه ، فقد بهرتك مظاهر السلطة فوضعت فى رأسك لجاماً تقاد به ، وكما أن الحيوانات تقاد من مقودها حيث يشاء الإنسان دون أن تدرى لم تقاد وإلى أين .. كذلك كثير منكم يرسف فى أغلال البساطة ولا يدرى أين يُذهب به » وأقول إن أولئك الذين يعرفون ما كتبه العرب يدركون لأول وهلة مصادر الدرس الذى تعلمه هذا الفيلسوف ، وأن أولئك الذين تعلموا علوم العرب ودرسوا لغتهم ليدركون كل الإدراك معنى هذا الدرس

ومن يك ذا فم مرٍّ مريض   يجـد مرًّا به الماء الزلالا

وإن فى هذا لبلاغا لقوم يعقلون .

عبد القادر محمود

هل الموسيقى لغة ؟

حاول الاديب سهيل إدريس تفنيد بعض آراء الأستاذ على الطنطاوى عن الموسيقى فأعوزه التوفيق فى إيضاح ما تعرض له إيضاحاً علمياً . وأمامى الآن كتاب صغير عن تأريخ الموسيقى وضعه الأستاذ و ج . تبرنر فى سنة ١٩٣٠ وفرغت أنا والفنان شكيب من نقله إلى العربية فى خلال السنة الماضية . فى الفصل الأول من هذا الكتاب تعرض المؤلف للبرهنة على أن الموسيقى لغة ، وأود أن أجمل فيما يلى بعض ما ذكره ، وهى كفيلة بوضع الأمور فى نصابها .

ما هى الموسيقى ؟ قال البعض : إنها الفن الذى يؤلف بين أصوات مطربة . وظاهر أن هذا التعريف لا يشمل أصول الموسيقى الروحية أو الذهنية ، إلى غير ذلك من مختلف التعاريف التى ينقصها الشمول والتحديد والتى لا ترتفع لمستوى ذلك التعريف الذى وضعه بتهوفن معرفاً به الموسيقى ، إذ قال : « إن الموسيقى هى الحلقة التى تربط حياة الحس بحياة الروح » ـ أى الحياة الباطنة بالحياة الظاهرة . والواقع أن الموسيقى لغة يمكن أن تعبر عما يخالج النفس الإنسانية من شعور ـ سواء أكان حسياً بسيطاً أم روحياً مركباً .

ومثل الموسيقى مثـل بقية الفنون فى قدرتها على التقليد والمحاكاة ـ فكما أن الشاعر قادر على محاكاة الأشياء كالكر والفر فى ميدان المعركة بترتيبه للألفاظ ترتيباً فنياً خالصاً ، كذلك

الموسيقى فإنه قادر على الوصف قدرة لا حد لها — إما بالمحاكاة المباشرة أو عن طريق التداعى ، وذلك بالنغم .

والنغم هو أداة الموسيقى كما أن اللفظ هو أداة الأديب واللون أداة الرسم . ويرتبط اللون واللفظ بأشياء خارجية تسبب تداعى مختلف المعانى ، ويرجع هذا لأثر البيئة . فإذا كتب كاتب : « شجرة » فإن القارئ قد يتصور نخلة تمر أو شجرة بلوط أو ما شاكل ذلك ، وإذا حاول رسام أن يخرج للحياة فكره وشعوره الباطنى عن طريق اللون فإن الرسم قد يُخرج مختلف الصور الذهنية عند مختلف الأفراد . هذه هى المعضلة الأساسية التى تقابل المترجم والرسام : عليه أن يتخير اللفظ واللون ليخرج صورة حية قمينة بالخلود ، ولا يتأتى هذا إلا للعبقرى .

أما الموسيقى فهى خلو من هذه الصعوبات ؛ لأن النغم واحد عند الجميع ، إذ هو مستمد من الروح الإنسانية ، أو بعبارة أخرى ، لأنه غير مرتبط بعوامل خارجية . والموسيقى قبل هذا كله لا ترتبط بالعالم الظاهر فيما عدا تقليدها المباشر لعدد قليل من الأصوات الطبيعية التى تخلقها الطبيعة ، مع ملاحظة أن الأصوات جد نادرة فى الطبيعة وأن عالمنا الذى نعيش فيه عالم صامت إلى أبعد الحدود ، ويمكن التدليل على صحة هذا بأن يتخيل القارئ أنه يعيش وحيداً فى الريف أو فى الصحراء بعيداً عن الناس وعن ضوضاء المدينة ، حيث السكون شامل مطلق .

يتساوى هذا السكون فى نظر الأفراد فى مختلف بقاع الأرض لأنه غير مرتبط بماديات الحياة . هذا السكون هو الذى وهب الموسيقى ذاتيتها الفريدة ، فتعبير الموسيقى عن فكره وشعوره عن طريق النغم مستمد من صميم العالم الباطن للروح الإنسانية ، وهى بهذا وطدت عالميتها وإنسانيتها .

والموسيقى كلغة لا تقدر على ربط معاملات الناس التجارية ولكنها قادرة على التعبير عما يختلج فى قلوبنا من عواطف وما يعر فى عقولنا من خيالات — كل هذا بأدق وصف ، وسهولة أداء وقدرة على التعبير ، لأنها أنق لغة تترجم عن النفس الإنسانية ولأنها تبحث فى دنيا الباطن ، وليس لها شىء فى عالم الظاهر . هى لغة لأنها تنقل للآخرين صورة حية لما يتفاعل فى نفس الموسيقى من شعور وآمال باطنة . هذه الصورة هى المظهر الخارجى الذى يفهمه الآخرون بحواسهم . فتعبيرات موسيقى النفسية هى ألحان موضوعة فى نغم موسيقى ، والنفس الإنسانية واحدة فى الجوهر وإن اختلفت فى المظهر ، وعلى هذا فتعبيرات الموسيقية واحدة تنبع كلها من نبع واحد هو النفس الإنسانية وإن اختلفت فى الشكل الخارجى .

هذا مجمل لرأى الأستاذ تيرنر فى هذا الموضوع .

محمد التونى

المدرس بالمعهد البريطانى للعلوم التجارية

مؤتمر إصلاح الأسرة

قررت الجمعية العمومية لرابطة إصلاح الأسرة فى اجتماعها السنوى برياسة سعادة محمد على علوبة باشا الدعوة إلى عقد مؤتمر عام لبحث شئون الأسرة يدعى إليه رجال الدين والاجتماع والتربية والمشتغلون بالأبحاث الاجتماعية فى مصر والأقطار الشقيقة ، وقد شكلت لجنة لتنظيم المؤتمر من حضرات أصحاب العزة :

محمد فتحى بك ، عبد الحميد بك عبد الحق ، جلال حسين بك ، حسن بك فريد ، صالح جودت بك ، أحمد محمد بك ، الدكتور محمد صالح حلمى بك ، الدكتورة فاطمة فهمى ، الأستاذة زينب لبيب المحامية

وتطلب البيانات الخاصة بهذا المؤتمر من سكرتارية الرابطة ٦ شارع محمد صدقى باشا بميدان الفلكى بمصر .

اسماعيل توفيق



ناظرة المدرســـة

لأنطون تشيكوف

بقلم الأستاذ محمد قطب

فى منتصف الساعة التاسعة خرجت العربة من المدينة . وكان الطريق الجبلى جافاً وشمس أبريل الضاحية المشرقة تنشر الدفء والبهجة وإن كان الجليد ما زال باقياً فى الحفر وفى ثنايا الغابات ، فقد انتهى الشتاء المظلم الطويل ولما يكد ، وطلع الربيع فجأة على غير انتظار . ولـكن الدفء الجميل ومنظر الغابات الشـفافة التى أنعشتها نسمات الربيع الدافئة ، والطيور المحلقة فى جماعات كبيرة فوق المستنقعات العظيمة التى تبدو كالبحيرات ، والسماء الصافية الرائقة التى تبعث الرغبة فى الإنطلاق ، وتخيل للانسان أن يرتقى إليها صعدا فيوغل فى أرجائها الفسيحة ... كل أولئك لم يكن ليبعث معنًى واحداً جديداً فى نفس « ماريا فاسيلفينا » التى كانت تجلس فى العربة . فهى ناظرة مدرسة منذ ثلاث عشرة سنة ، ولا يستطيع أحد أن يحصى عدد المرات التى ذهبت فيها إلى المدينة لتقبض راتبها . وسواء كان الوقت ربيعاً كما هو الحال اليوم ، أو كان يوم خريف ممطر أو شتاء مظلم ، فلا فرق لديها أبداً . وهو إحساس واحد يختلج فى نفسها كل مرة : هو التطلع إلى إنهاء هذه الرحلة بأسرع ما يكون .

وخيل إليها أنها تعيش فى هذا المكان منذ أجيال طويلة وآماد بعيدة ، وخيل إليها أنها تعرف كل صخرة وكل شجرة فى الطريق من المدينة إلى المدرسة ، لقد كان هنا ماضيها وحاضرها . ولا تستطيع أن تتخيل لها مستقبلا آخر غير المدرسة والطريق إلى المدينة والعودة إلى المدرسة وهكذا ... إلى ما شاء الله .

وقد أقلعت عن التفكير فى ماضى حياتها قبل أن تصبح ناظرة مدرسة بل كادت تنساه ... لقد كان لها — ذات يوم — والد ووالدة وكانا يسكنان فى موسكوفى منزل فخم . ولـكن لم يبق فى ذاكرتها من هذا كله إلا أشياء غامضة باهتة كطائف الأحلام فقد مات أبوها وهى فى العاشرة من عمرها وماتت أمها على أثره . وكان لها أخ ضابط فى الجيش وكانا يتراسلان بين الحين والحين ، ولـكن أخاها قطع عنها مراسلاته ولم تعد تعلم عنه شيئاً . ولم يبق لها ما يربطها بالماضى البعيد إلا صورة لأمها ... وحتى هذه قد بهتت معالمها من أثر الرطوبة فى المدرسة ولم يبق منها إلا شعر الرأس والحاجبان .

كانت ماريا — فى أثناء الطريق — تفكر فى مدرستها وفى الامتحان الذى سيقع فى القريب وفى البنت والأولاد الأربعة الذين سترسلهم إليه . وبينما هى مسترسلة فى أفكار الامتحان أدركها أحد الجيران من كبار الملاك — رجل يدعى هانوف — فى عربة تجرها أربعة جيـاد وكان هو بعينه الرجل الذى امتحن تلاميذها فى العام الفائت . فلما رآها عرفها وانحنى لها محيياً وهو يقول : « صباح الخير . أنت عائدة إلى المدرسة فيما أظن »

كان هانوف هذا فى الأربعين من عمره ؛ رجلا بارد العاطفة يبدو فى وجهه أثر الإجهاد ، وكان الهرم قد بدأ يدب إليه ولـكنه مع ذلك وسيم محبوب من النساء .

وكان يعيش فى منزله الـكبير بمفرده — ولم يكن موظفاً — وكان الناس يقولون عنه إنه لا يصنع شيئاً فى المنزل إلا أن يروح ويجىء فى الغرفة وهو يصفر بفمه أو يلعب الشـطرنج مع سائق عربته ويقولون كذلك إنه مدمن للشراب ، وهذا حق ، فقد كانت الأوراق التى أحضرها معه فى الامتحان تفوح برائحة الخمور ... وقد كان فى ذلك اليوم مرتدياً ملابسه الجديدة وبدا فى عينى ماريا وجيهاجذاباً ، وكانت طوال جلستها إلى جانبه فى غمرة من الانفعالات والأحاسيس . لقد تعودت أن ترى ممتحنين غلاظاً جفاة ، وآخرين معقولين معتدلين ، ولـكن هذا كان نموذجاً فريداً فلم يكن يدرى فى أى موضوع يسأل ! ولم يكن يعطى التلاميـذ أقل من الدرجة النهائية !

قال موجها كلامه إلى ماريا فاسيلفينا : « إننى ذاهب لزيارة باكفست ولـكننى أخبرت أنه ليس فى المنزل »

ثم انحرفوا عن الطريق الصاعد فى الجبل إلى طريق جانبى يؤدى إلى القرية ، وكان هانوف فى المقدمة يليه سيميون . وكانت الجياد الأربعة تتحول بسرعة ضئيلة وهى تجر وراءها العربة الثقيلة وسط الأوحال ، أما سيميون فقد كان يتأرجح من جانب إلى جانب فى الطريق وكثيراً ما كان ينزل من العربة ليساعد حصانه الهزيل

وكانت ماريا فاسيلفينا ما تزال تفكر فى المدرسة وفيما إذا كانت أسئلة الحساب ستأتى مناسبة لمستوى التلاميذ أو صعبة على أفهامهم .

وأحست فى هذه اللحظة بالغضب والاستياء من رجال المنطقة الذين لم تجد أحداً منهم فى اليوم الفائت . ما أبعدهم عن الشعور بمسئولية العمل ! لقد مر عامان وهى تطلب تغيير البواب الذى لا يقوم بأداء عمل ما ويعاملها معاملة خشنة ويضرب التلاميذ ؛ ولكن أحداً لم يعرها التفاتاً . وكان من المتعذر عليها أن تجد حضرة المراقب فى مكتبه ، فإذا وجدته بعد لأى أجابها والدموع فى عينيه إنه لا يجد لحظة فراغ واحدة يبحث فيها الطلب !

أما المفتش فهو يزور المدرسة مرة كل ثلاثة أعوام ! ولم يكن يعرف عن طبيعة عمله شيئاً . فقد كان موظفاً فى مصلحة الضرائب وحصل على وظيفة التفتيش بطريق الوساطة والاستثناء !

وكان راعى المدرسة مزارعا يكاد يكون أمياً ، وكانت به جلافة وضيق عقل ، وكان صديقاً حميما للبواب يحميه من كل سوء .

فلمن تتقدم بشكواها وقد أوصدت أمامها الأبواب ؟

قالت لنفسها وهى تنظر إلى هانوف « إنه حقيقة وسيم »

وزاد الطريق سوءا . وكانت العجلات تغرق فى الماء وتثير رشاشاً حاداً يضربهم فى وجوههم . فقال هانوف وهو يضحك : « ياله من طريق ! » .

وتأملته الناظرة حيناً فلم تستطع أن تدرك لماذا يعيش هذا الرجل العجيب هنا . وكيف يتناسب جاهه ووسامته وأبهة منظره مع هذا المكان المظلم القاتم الغارق فى الطين ؟ ليست له أية مصلحة فى الحياة هنا ، وها هو ذا يقود جياده فى ذلك الطريق المتعب كما يفعل سيميون ويلاقى ما يلاقيه هذا من نصب وعنت ... لماذا يبقى الإنسان هنا ما دام يستطيع أن يعيش فى بطرسبورج أو فى مدن القارة الكبرى ؟

لقد كان من الواضح أن هانوف لم يكن يحس وطأة هذه الحياة أو يرغب فى أحسن منها . لقد كان عطوفاً ، لينا ، ساذجاً ، لا يدرك غلظة هذه الحياة ؛ كما كان – أثناء الإمتحان – لا يعرف موضوعات الإمتحان .

وأيقظها سيميون من تفكيرها حين صاح بها « أمسكى بالعربة جيدا » فقد قفزت العربة فجأة وكادت تنقلب وأحست ماريا بشىء ثقيل يقع على قدميها فإذا هو حقيبتها وبداخلها ما ابتاعته من المدينة فى الصباح . كان الطريق يصعد رأسياً فى الجبل والأوحال تغطيه من كل جانب وكانت الخيل المجهدة تلهث من التعب فنزل هانوف وسار بجانب العربة وهو يمسح عرقه قائلا « ياله من طريق ! » وضحك مرة أخرى وهو يقول . « إنه كفيل بأن يحطم العربة »

فرد سيميون بلهجة أدنى إلى التوقح « لا أحد يضطرك إلى الركوب فى يوم كهذا . كان الأجدر بك أن تبقى فى المنزل »

فقال « إننى أضيق بالمنزل ياجدى ولا أحب البقاء فيه »

وكان يبدو بجانب سيميون العجوز رشيقاً متوفزا ومع ذلك فقد كان فى مشيته شىء خفى يكشف عن بنيان بدأ يدب فيه الضعف والانحلال . وأحست ماريا بشعور يملؤها بالخوف والعطف على هذا الرجل الذى يسير فى طريقه إلى الانحلال لغير ما سبب مفهوم . وخيل إليها أن لو كانت هى زوجته أو أخته لجعلت حياتها كلها وقفاً على إنقاذه مما هو فيه . زوجته ! لقد شاءت الظروف أن تجعله يعيش فى بيته الفسيح منفردا وتعيش هى فى هذه القرية اللعينة بمفردها ومع ذلك فإن مجرد التفكير فى أن يكون كلاهما بجوار الآخر مساوياً له يبدو أمراً مستحيل الوقوع .

فى الحق إن ظروف الحياة وملابسات بنى الإنسان قد ركبت تركيباً عجيبا يقف الإنسان أمامه حائراً عاجزاً عن تفهمه فإذا لم يجد له حيلة عاد مثقل الفؤاد .

قالت لنفسها وهى تفكر فى ذلك « إنه لمن أخفى الأمور وأصعبها فهما أن يعطى الله هذا الجمال وهذه الرشاقة وتلك العيون الحزينة الجميلة لقوم ضعفاء تعست حظوظهم فلا يصلحون لشىء لماذا ... لماذا يجعل الله فيهم كل تلك الفتنة الجذابة ؟ »

قال لها هانوف وهو يستقل العربة « هنا يجب أن أنحرف إلى

الشرق . وداعا ! أرجو لك كل شيء حسن ! »

وعادت تفكر فى التلاميذ وفى الامتحان وفى البواب وحين نقلت الريح إلى سمعها صوت العجلات المبتعدة اختلطت أفكارها تلك بأفكار أخرى . وأحست بالشوق الجارف إلى التفكير فى العينين الجميلتين ، وفى الحب ، وفى السعادة التى لن تكون ... زوجته ؟

لقد كانت تحيا حياة قاسية . الجو بارد فى الصباح ، ولا أحد يوقد الموقد ، وقد اختفى البواب ، والتلاميذ يتوافدون بمجرد ظهور الضوء يحملون قطعاً من الثلج والطين ويتصايحون فى ضجة عظيمة . كل شيء متعب مقلق للأعصاب . وكان مسكنها يتكون من غرفة واحدة صغيرة يتبعها المطبخ . وكانت تشعر بالصداع بعد انتهاء العمل ويصيبها الإلتهاب بعد كل أكلة . وكان عليها أن تجمع النقود من الأطفال للخشب وللبواب وأن تعطيها لراعى المدرسة ثم ترجوه — وهو ذلك الفلاح الفظ الغليظ — أن يرسل إليها الخشب . وفى الليل كانت تحلم بالامتحانات والفلاحين والعواصف الثلجية ... ما أقسى هذه الحياة التى تسرع بها إلى الهرم وتجعلها تبدو قبيحة محدودبة ثقيلة كأنما خلقت من رصاص .

لقد كانت أبداً خائفة قلقة . وكانت تنتفض واقفة ولا تجسر على الجلوس فى حضرة أحد موظفى المراقبة أو راعى المدرسة . وتستعمل العبارات الرسمية والتحيات المبجلة فى حديثها معهم .

ولم يكن أحد يظنها جذابة . وكانت حياتها تمر جافة مزعجة بغير عاطفة حية ولا إحساس صداقة ولا معارف يشاركونها بعض هموم الحياة .

ما أعجب حياتها لو وقعت فى الحب وهى فى حالتها تلك !

« أمسكى جيداً ياماريا ! »

مصعد آخر فى الجبل .

لقد أصبحت ماريا ناظرة تحت ضغط الضرورة . ولم تكن تشعر بأى ميل لهذه المهنة . ولم تتجه قط إلى مهنة بعينها ولا كانت تفكر فى خدمة ذلك الغرض النبيل : غرض التعليم والتثقيف . وكان يخيل إليها دائماً أن المهم فى الأمر كله ليس هو التلاميذ ولا التعليم وإنما هو الامتحان .

ومن أين لها الوقت لتفكر فى شرف المهنة وفى خدمة الثقافة ؟

إن المدرسين والأطباء صغار الأجور ، بما يرزحون تحته من أعباء مرهقة عنيفة ، لا يجدون ما يخفف عنهم ، ولا حتى الاعتقاد بأنهم يخدمون فكرة عليا أو يخدمون الناس ، ما دامت رؤوسهم دائماً مشغولة بالتفكير فى أمر القوت اليومى وفى المرض وفى سوء حالة المواصلات ...

إنها حياة شاقة مملة ، لا يستطيع احتمالها طويلا إلا « حمير الشغل » من أمثال ماريا فاسيلفينا . أما أولئك المتوفزون الذين تتدفق الحياة فى جنوبهم والذين يحدثون عن شرف المهنة وعن خدمة الأغراض النبيلة فسرعان ما يدركهم الملل من التدريس فينفضون أيديهم منه .

كان سيميون يجعل باله دائماً إلى اختيار أخصر الطرق وأكثرها استقامة ولكنه كان يجد العراقيل دائماً فى الطريق ، فهنا أحد الفلاحين لا يسمح له بالمرور ، وهناك أرض القسيس لا يخترقها أحد ، وفى جهة ثالثة قد اشترى بعضهم قطعة أرض وحفر حولها حفرة فلا سبيل إلى عبورها ، وهكذا كان يضطر بين الحين والحين إلى تغيير طريقه ووجهته .

ومروا فى أثناء الطريق على قرية « نيز هناى جورود يتشى » فقال سيميون « لقد كانوا يبنون مدرسة هنا أخيراً . وكان هذا عملا سيئاً جداً ! »

فقالت ماريا باستغراب « لماذا ؟ »

« يقولون إن المراقب أخذ ألف جنيه فى جيبه وأخذ راعى المدرسة ألفاً أخرى وأخذ المدرس خمسمائة »

« لقد تكلفت المدرسة كلها ألف جنيه . فمن الخطأ يا جدى أن تفترى على الناس مثل هذه الأكاذيب »

لا أدرى ... وإنما أخبرتك بما سمعت من الناس »

ولكن كان من الواضح أن سيميون لم يصدق الناظرة . ولم يكن الفلاحون يصدقونها كذلك . فقد كانوا يعتقدون أنها تأخذ راتباً ضخما : عشرين روبل (وكان يكفيها خمسة) وأنها كانت تأخذ لنفسها معظم المال الذى تجمعه من التلاميذ باسم الخشب وباسم البواب ، وكان راعى المدرسة يعتقد ذلك أيضاً ، وكان هو بدوره يجعل لنفسه ربحاً من المال المجموع للخشب ، وكان يأخذ

هبات من الفلاحين بصفه كونه راعى المدرسة بدون علم السلطات المختصة ..

وأخيراً خرجوا من الغابة إلى الطريق المستوى الذى يؤدى إلى فيازوفيا ، وكان عليهم أن يعبروا النهر ثم خط السكة الحديد فيصبحوا على مرأى البصر من فيازوفيا .

قالت ماريا « إلى أين أنت ذاهب ياسيميون ؟ خذ الطريق الأيمن إلى الجسر »

« نستطيع أن نذهب من هذا الطريق أيضاً . وليس النهر عميقاً هنا » ، « واحذر أن تغرق الحصان »

« ماذا ؟ » فقالت : ماريا وقد رأت الجياد الأربعة عن بعد : « انظر إن هانوف فى طريقه إلى الجسر . إنه هو ، أليس كذلك ؟ »

« نعم : فهو إذن لم يجد با كفست فى منزله . ألا ما أغباه ! لأى شىء قاد عربته إلى هناك وكان يستطيع أن يجئ من هنا فيوفر على نفسه ميلين كاملين »

ثم وصلوا إلى النهر . وهذا النهر يصبح فى الصيف جدولا صغيراً يسهل عبوره ويجف عادة فى شهر أغسطس ، أما الآن بعد ذوبان الثلوج فإن عرضه يصل إلى أربعين قدماً وهو سريع الجريان كثير الوحل بارد المياه

صاح سيميون فى حصانه وهو يجذب اللجام بحدة وعنف « هلم ! أسرع ! » فنزل الحصان فى الماء حتى بطنه ثم وقف ؛ ولكنه مالبث أن تحرك بجهد عظيم ، وأحست ماريا بالصقيع فى قدميها فصاحت هى الأخرى « أسرع ! أسرع ! » .

وحين وصلوا إلى الضفة الأخرى كان حذاؤها قد امتلأ بالماء وابتل أسفل ردائها وأخذ أحد أكمامها يقطر ماء . واختلط الماء بالسكر وبالدقيق اللذين اشترتهما من المدينة ، وكان هذا فوق ما تطيقه ماريا ولكنها لم تجد لها حيلة إلا أن تشبك أصابع يديها فى يأس وتصيح « إنك متعب ، متعب ياسيميون . كم أنت متعب ! »

وكان الحاجز الذى يغلق الممر قد أنزل قبل أن يجئ القطار من المحطة فوقفت ماريا تنتظر مروره وجسمها كله يرتعد من البرد . وكان أمامها على مدى النظر قرية ڤيازوفيا والمدرسة بسقفها الأخضر والكنيسة بصلبانها اللامعة فى ضوء الشمس الغاربة وكانت نوافذ المحطة تمع كذلك فى الضوء ، والدخان الأسود يرتفع من مدخنة القاطرة ... وخيل إليها أن كل شئ يرتعد من البرد !

وأخيراً جاء القطار . وكانت نوافذه تعكس النور فى عينيها فتعشيهما . وبينما هى تحدق فى العربات السائرة أمامها على مهل أبصرت بين عربتين من عربات الدرجة الأولى بسيدة واقفة فتأملتها وهى تمر بها . ياللعجب ! أمها ! أمها ! ما أشبهها بها ! لقد كان لأمها مثل هذا الشعر الفخم ومثل هذين الحاجبين وكانت ثنيات وجهها تشبه هذا الوجه إلى حد كبير .

ولأول مرة منذ ثلاثة عشر عاما برزت أمام مخيلتها بوضوح عجيب ودقة تامة صورة أمها ، وأبيها وأخيها ، ومنزلهم فى موسكو وكل شىء من الماضى بتفاصيله الدقيقة . وسمعت من أعماق ذلك الماضى نغمات البيانو تنبعث فى الفضاء وصوت أبيها يناديها وأحست — كما كانت تحس إذ ذاك — أنها شابة جميلة ، رشيقة ، وخيل إليها أنها جالسة فى غرفتها الدافئة على كرسى وثير وحولها أقاربها وغمرها شعور مفاجئ بالبشر والسعادة فغمرت خديها بيدها فى نشوة عارمة ونادت هامسة فى ضراعة « أماه ! »

وطفقت تبكى . لا تدرى لم ؟ وفى تلك اللحظة ذاتها وصل هانوف بعربته وجياده الاربعة . وما أن رأته حتى أحست بالسعادة كما لم تحس من قبل أبدا . وابتسمت وهزت رأسها محيية له باعتباره صديقاً ونداً لها . وخيل إليها أن سعادتها بل انتصارها يملأ الفضاء من كل جانب ويلمع فى النوافذ وفى الأشجار وعلى أوراق الزهور ! وأن أباها وأمها لم يموتا أبدا وأنها لم تكن قط ناظرة مدرسة . وأن هذا كله كان حلماً مزعجاً طويلا أفاقت منه هذه اللحظة

« اركبى يا ماريا ! »

وفجأة انتهى كل شىء . ورفع الحاجز ببطء وصعدت ماريا إلى العربة وهى ترتعش من الصقيع . وعبرت العربة ذات الجياد الأربعة خط السكة الحديد وتلاها سيميون . ورفع عامل الإشارة قبعته محيياً » . « ها هى فيازوفيا . وها نحن أولاء . »

محمد قطب

إدارة البلديات العامة — تنظيم

أردب شعير عدد	حمل تبن عدد	
١٤٠	٧٠	مجلس بيا البلدى
١٢٠	—	مجلس شبين القناطر البلدى
١٠٠	٥٠	لمجلس سمنود البلدى

تقبل العطاءات بالمجالس البلدية المبينة بعاليه حتى ظهر يوم ٢٤ يونية سنة ١٩٤٥ عن توريد كميات الشعير والتبن الموضحة قرين كل منها ويجب أن ترفق العطاءات بتأمين ابتدائى قدره ٢ ./. من قيمتها

٣٥٧٢

إعلان بيع

إنه فى يوم الاثنين ١٨ يونية سنة ١٩٤٥ من الساعة ٨ أفرنكى صباحا ببندر طنطا بشارع المديرية

سيباع بالمزاد العمومى العلنى دبلة وخاتم ذهب ملك محمد أفندى محمد رفعت التاجر بطنطا بشارع المديرية السابق توقيع الحجز التنفيذى عليها بتاريخ ٢٣ مايو سنة ١٩٤٥ نفاذا للحكم رقم ٩٩٦ سنة ١٩٣٤ جنايات طنطا

وهذا البيع بناء على طلب شفيق أفندى نصور المقيم بطنطا فعلى راغبى الشراء الحضور فى اليوم والمكان المذكورين للشترى ومن يرسى عليه المزاد يدفع الثمن فوراً وإن تأخر يعاد البيع على ذمته يلزم بالفرق

كاتب أول محكمة

إعلان مناقصة

تقبل العطاءات بمكتب حضرة صاحب العزة مدير كلية البوليس الملكية لغاية ظهر يوم ٢٣ يونيو سنة ١٩٤٥ عن توريد أدوات للألعاب الرياضية

ويمكن الحصول على الشروط من إدارة أسلحة ومهمات البوليس ببولاق وثمن النسخة مائة وخمسون مليماً

٣٦٠٩

مجلس بلدى المنصورة

إعلان مناقصة

تقبل العطاءات بمجلس بلدى المنصورة لغاية الساعة العاشرة من صباح يوم ٢٤ / ٦ /١٩٤٥ عن توريد الأغذيه اللازمة لمطعم جمعية البر بالفقراء بالمنصورة وتطلب الشروط والبيانات من المجلس على ورقة دمغة من فئة ٣٠ مليماً نظير دفع مائة مليماً

٣٦٢٥

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

نشر الاعلانات فى الرسائل البرقية

ان الإعلان فى الرسائل البرقية المتداولة بين سكان القطر المصرى بأجمعه هو دعاية هامة واسعه النطاق قد هيأتها المصلحة للمعلن الذى يؤدى إلى رواج أعماله وللتاجر الذى يبغى التوسع فى تجارته .

وقد راعت المصلحة أن تكون أجور النشر فى هذه الرسائل زهيدة وفى متناول الجمهور فجعلت كل مائة ألف إعلان بثلاثين جنيها مصريا وكل ربع مليون بسبعين جنيها وكل نصف مليون بمائة وعشرين جنيها فضلاً عن تخفيض معين فى المائة إذا بلغ المراد عشرة مليونا أو أكثر من الإعلانات .

انتهزوا هذه الفرصة ولا تفوتنكم أن تحجزوا من الآن القدر اللازم لكم من هذه الرسائل .

ولزيادة الاستعلام اتصلوا

بقسم النشر والإعلانات

بالإدارة العامة ـ بمحطة مصر

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦٢٤ – الاثنين ١٨ يونيو ١٩٤٥ – السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ظهرت الطبعة الثانية من

اشپنجلر

تأليف

الدكتور عبد الرحمن بدوى

أعمق تحليل فى أروع عرض لأعظم فلاسفة الحضارة وصاحب المذهب الذى اهتزت له أوربا بعد الحرب ، إن تنبأ علمياً بانحلالها وأقام بناء فلسفة التاريخ ، وكشف عن ينابيع الوجود وتيارات الحياة .

الناشر : مكتبة النهضة المصرية ، ٩ شارع عدلى باشا بالقاهرة وثمنه خمسة وعشرون قرشاً

13 me Année No. 624

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 18 - 6 - 1945

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الثالثة عشرة « القاهرة فى يوم الإثنين ٨ رجب سنة ١٣٦٤ — ١٨ يونيو سنة ١٩٤٥ » العــدد ٦٢٤

خليفة نابليــون !

لا تقل إن خليفة نابليون بيتان ؛ فإن المرشال جثا ضارعاً أمام النازية وجيشه يفعم الميادين والمدائن ، وذهبه يتخم الصناديق والخزائن ، وعلمه يخفق على مستعمرات مسخرات بأمره ، وحليفته الغنية القوية تسأله جاهدة أن تصل عمرها بعمره !

ولا تقل إنه ديجول ؛ فإن الجنرال لم يشتهر فى أيّة ملحمة ، ولم يُعرف بتدبير خطة محكمة . وجملة أمره أنه تشبث يوم الهزيمة بطائرة فهرب ، ثم لجأ إلى لندن وطلب فأعطته لندن ما طلب ! ولكن قل معى : إن خليفة نابليون ووارث بطولته وعبقريته هو الجنرال أوليفا روجيه دكتاتور فرنسا فى سورية ! !

وجه كوجه البومة عليه صفرة المومياء ، ورأس كرأس النعامة فيه رعونة الكبرياء ، وشخص كتمثال الموت فى يده منجل الفناء ، وصوت كنعيب الغراب يردد فى أجواز الفضاء :

« أخفق نابليون فى استعمار مصر فأنا أستعمر سورية ، وعجز نابليون عن تدمير عكا فأنا أدمر دمشق !! وكان فى يد هذا المغرور بقية من عتاد الحلفاء فيها القاذفات والدبابات والرشاشات والبنادق ؛ وكان من حول هذا المغرور طغمة من عبيد السنغال غلاظ المشافر سود الأكباد حمر العيون يعملون كالآلة من غير وعى . وكان إخواننا السوريون قد نظروا فى أمرهم وأمر هؤلاء فلم يجدوا لهم مزية عليهم ؛ فلا هم قدوة فى حسن الخلق ، ولا حجة فى صحيح العلم ، ولا قوة فى نظام العالم ؛ وإنما هم أمة أمرضتها رواسب اللاتينية فاستكانت لعوامل البلى ، حتى إذا ابتليت بهذه الحرب انخرعت فلم تقم ، وانماعت فلم تماسك . فلو كان بينهم وبينها أسباب من فتح أو عهد لأعادوا النظر فيها بعد انهيارها المخزى ؛ فكيف والسبب الذى انقطع كان أوهن من خيوط الباطل ؟ ولكن مسيخ نابليون يصمم على البقاء وإن أبدعت الحجة ، ويصر على المعاهدة وإن فقدت الثقة ! فهو يجلب المدد ليعزز العدد ، وينصب المدافع ليحصن المواقع ، ويتحدى حمية العرب الذين كان آباؤهم يحملون السيوف ليقودوا الأمم ، أيام كان آباء هؤلاء من (الغال) يحملون العصى ليقودوا النعم ! فلم يكن بد من قبول التحدى . ووقف الكماة الأباة العزل يتلقون برءوسهم قنابل النار ، وبصدورهم قذائف الرصاص ، دون أن يفروا كما فر فى (سدان) خلفاء نابليون الثالث وهم مدججون بالسلاح محصنون بالمدافع . فاستشهد منهم على أرض سورية الكريمة العظيمة ثمانمائة وجرح ألفان ! وكاد أربعون مليوناً من العرب يؤججون بأجسادهم هذه النار ليَصلى بها من يشاء الله أن يَصلى ، لولا أن رفع الصوتَ من يملك الرفع والخفض ، فانخلعت قلوب القادة وانخرعت متون الجنود !

ولا والله ما ذهب باطلا ذلك الدم الذى طهر سورية من الدخيل ، وجمع كلمة العرب وقوتها من شرق دجلة إلى غرب النيل !

ابن عبد الملك

هذه هي فرنسا ...

للأستاذ سيد قطب

كلما سمعت أو قرأت – بمناسبة حوادث سوريا الأخيرة – أن هذه الحوادث مخالفة لتقاليد فرنسا ، ثار فى نفسي شعور السخرية المريرة من هؤلاء المتحدثين أو الكاتبين ...

تقاليد فرنسا !

ومتى كانت تقاليد فرنسا إلا هذه البربرية المتوحشة ؟ ومتى كان الفرنسيون إلا عشاق المجازر البشرية ، المولعين بالدماء فى كل زمان ومكان ؟ حتى فى ثورتهم الكبرى التى يعيشون باسمها حتى الآن .

تقاليد فرنسا !

تقاليدها فى سورية ، أم فى مراكش ، أم فى تونس ، أم فى الجزائر ، أم فى أية بقعة من بقاع الأرض على مدى الأزمان والأجيال ؟

إننى لأستعرض أمامى تاريخ فرنسا فى الشرق ، فلا أجد إلا صفحات من البربرية المتوحشة ، وإلا بركاً من الدماء حيثما وضعت أقدامها فى مكان ، وإلا وسيلة واحدة من وسائل التدمير والتخريب .

فى أيام نابليون سلطت المدافع من قلعة الجبل على المصريين ، ودخلت الجنود الفرنسية المتبربرة بخيولها الأزهر ، وجرت الدماء فى شوارع القاهرة ، وديست كرامة الدين ، وانتهكت الحرمات العامة ... باسم تقاليد فرنسا !

وفى سنة ١٩٠٥ ضربت دمشق بالقنابل ، وأريقت الدماء فى الشوارع ، واعتدت الجنود الفرنسية المتبربرة على الآمنين . وضج الشرق العربى للمأساة ، بينما كانت الصحافة الفرنسية تمجد أعمال الوحشية فى سورية ... باسم تقاليد فرنسا !

وفى سنة ١٦٣١ وما بعدها وما قبلها أيضاً سالت الدماء فى مراكش العربية لإرغام الناس هناك على الدخول فى المسيحية وترك ديانتهم الإسلامية ، باسم « الظهير البربرى » المعروف جيداً فى كل صقع إسلامى ، والذى يشهد بأن دماء الصليبيين لا تزال تجرى فى عروق الفرنسيين . ومنذ ذلك الحين بل قبله والزعماء المراكشيون منفيون فى المستنقعات الحارة ، وبلغ من الوحشية المتبربرة أن تشغل هؤلاء الزعماء السياسيين فى رصف الأرض وقطع الأحجار فى تلك الجهات الحارة النائية فى أواسط إفريقية حتى يصاب بعضهم بالسل ، وبعضهم بالحمى الصفراء ... وذلك باسم تقاليد فرنسا !

وفى تونس ، وفى الجزائر ، البلدين العربيين اللذين تدعى فرنسا أن ثانيهما « أرض فرنسية » تعمل جاهدة على رد أهله عن دينهم بكل وسائل العنف والقسوة ... باسم تقاليد فرنسا !

هذه هى فرنسا .

هذه هى فى حقيقتها من وراء الأضواء المصطنعة والدعايات البراقة . بل هذه هى حتى من خلال الأضواء المصطنعة والدعايات البراقة . فما هذه الأضواء التى تخدع المخدوعين ، وتطلق ألسنة الدعاة ؟ إنها الدعارة الفاجرة ، والتحلل الذميم ، والبوهيمية المطلقة ... إنها هى بعينها النكسة إلى حياة الحيوانية ، وفوضى البربرية !

***

ولكن هنا رءوساً وأقلاماً لا تزال تمجد فرنسا ، ولا تزال تتشدق باسم فرنسا !

أولئك بضعة نفر عاشوا فى فرنسا فترة من العمر ، فسمحت لهم فرنسا الداعرة بإشباع أقصى لذائذهم الحيوانية ، وتروية أظمأ شهواتهم الحسية ... ثم عادوا فإذا فى الشرق بقية من تقاليد وبضعة من حواجز ، فلم يرق لهم ما فى هذا الشرق من « رجعية » ! وظلوا يحنون إلى عهد فرنسا الداعر وإلى لذائذها الممنوعة ، وإلى شهواتها المحرمة !

وقليل منهم وجد فى فرنسا علماً وفناً – وإن لم يجد لفرنسا قلباً – ففتنه العلم والفن عن أقدس المقدسات القومية والإنسانية . فتنه عن كرامة الوطن ، وعن حرمة الأهل وعن شرف العرض ... فإذا أحدهم يجادلنى فى أمر الشرق العربى وفظائع فرنسا فيه فيقول : « إذا لم يكن بد للانسانية من أن تفقد فرنسا أو أن تفقد هذا الشرق العربى ، فليذهب الشرق العربى إلى الجحيم ! »

هؤلاء نفر منحلون ... وعلامة الانحلال فى فرد أو أمة

أن يهون عليه شرف العرض وحرمة الأهل وكرامة الوطن. كما هانت على هذا الذى كان يجادلنى فى أمر فرنسا.

ويقولون لنا حين نجادلهم: إنكم لم تعيشوا فى فرنسا. أجل نحن لم نعش فى فرنسا، ولكن فرنسا عاشت عندنا فلم نطلع منها فى يوم من الأيام على صفحة بيضاء ... فهلا أخطأت فرنسا مرة فأطلعتنا على حقيقة عناصرها الطيبة ؟!

ويعتذرون لفرنسا اليوم فى تصرفاتها البربرية بأنها تحس «مركب النقص» بعد الهزيمة، فتريد التعويض بمظاهرات القوة، وأن سياسة وخز الإبر التى تتبعها معها انجلترا فى الشرق هى التى تثير أعصابها تلك الثورة الوحشية.

ولكننا نستعرض تاريخ فرنسا فى الشرق، فلا نجد اختلافاً بين مركب النقص ومركب الكمال!، ولا نلمح فرقاً بين فرنسا الظافرة بعد الحرب العظمى وفرنسا المهزومة فى هذه الحرب.

إنها هى هى ... فرنسا المتوحشة فى كل حال. فرنسا التى تدك القاهرة بالقنابل وتعتدى على حرمة الأزهر وكرامة الدين فى عهد نابليون، هى فرنسا التى تدك عاصمة الأمويين بالقنابل فى عام ١٩٢٥ ثم فى عام ١٩٤٥.

فإما أن «مركب النقص» هذا طبيعة فرنسية دائمة، وإما أننا نختلق لفرنسا المعاذير لأننا منحلون. لا نثور لعرض، ولا نغضب لأهل، ولا تعنينا كرامة، بعد أن تهيئ لنا فرنسا لذائذ الحس، وشهوات البدن، أو حتى لذائذ الفكر وشهوات الوجدان!

***

يجب أن نذكر أن فرنسا هى التى أطلقت قنابلها على القاهرة وداست بخيلها مسجدنا الأعظم فى عهد نابليون

يجب أن نذكر أن فرنسا هى التى مهدت الطريق للاحتلال الإنجليزى بانسحاب أسطولها من المياه المصرية سنة ١٨٨٢، وترك الأسطول الإنجليزى يهاجمنا بعد الخدعة اللئيمة التى خدعها دى لسبس لعرابى بحماية قناة السويس وعدم السماح للأسطول الإنجليزى بمهاجمة مصر من ناحيتها، ثم النكث بالعهد، لأن فرنسا كانت تبصبص بذنبها كالكلب ينتظر فتات المائدة فى «الاتفاق الودى» بعد ذلك بأعوام!

يجب أن نذكر أن فرنسا هى التى أطلقت قنابلها على دمشق عاصمة الأمويين مرتين فى خلال عشرين عاماً، بلا مبرر، وبعد تدبير شنيع

يجب أن نذكر أن فرنسا هى التى دبرت مؤامرة وحشية دنيئة لم تتم لقتل أعضاء الوزارة السورية وأعضاء البرلمان السورى، وكان عدم إتمامها راجعاً إلى وقوع وثيقة فى يد الحكومة السورية

يجب أن نذكر أن فرنسا هى التى أصدرت أمراً يومياً لقواتها فى سورية بالاستعداد «لمذبحة كبرى»! وأن قائدها هناك هو الذى صرح بحبه لمظاهر القتل والدماء!

يجب أن نذكر أن الجزائر وتونس ومراكش تلقى من البربرية الفرنسية ما لا يلقاه أحد من العالمين من القتل والنفى والتشريد، واستخدام الوسائل الخسيسة فى تعذيب الزعماء السياسيين

يجب أن نذكر هذا كله، لنحتقر الثقافة الفرنسية مهما تكن، لأن الثقافة تظل أبداً جوفاء إن لم يكن من آثارها تهذيب الطبع، وإنارة القلب، وبث الشعور الآدمى بين المثقفين!

ويجب أن نذكر هذا كله لنحتقر دعاة فرنسا فى كل مكان فى الشرق العربى، وننظر إليهم كما ننظر إلى الأمساخ المشوهة، والمخلوقات المريضة، فما يرتفع تمجيدهم لفرنسا على تمجيد الشهوة. ولو كان تمجيد الثقافة التى لا تخرج بالإنسان عن طبيعة الحيوان!

ويجب أن ننتهز الفرصة السانحة لخنق الثقافة الفرنسية فى الشرق كله، كما صنعت سورية الباسلة، فتختنق فرنسا فى الشرق بلا قتال!

يجب أن يكون لنا شرف المساهمة فى أن تعود فرنسا دولة صغيرة — كما تستحق — فقد برهنت على أنها لا تستحق غير هذا يوم جثت على ركبتيها عند الضربة الأولى!

يجب ... وإلا فدعونا من الثورات المؤقتة، ومن الجعجعة الفارغة، ومن الألفاظ الجوفاء!

سيد قطب

قضى استئنافياً بجلسة ٢٣ـ ١٢ ـ ١٩٤٠ فى الاستئناف ١٦٨٠٢ بتغريم اسماعيل حسن الدهان جنيهان لبيعه لحماً بأزيد من التسعيرة.

فى إرشـــاد الأريب

إلى معرفة الاديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

— ٥ —

* فى ج ١٥ ص ١٢٨ : وكتب حسن بن على الجُوَينى فى ذى القعدة سنة ست وستين وخمسمائة بالديار المصرية عمّرها الله تعالى بدوام العز : وقال المعرى وضرب علىّ بن هلال مثلاً :

طربتُ لضوء البارق المتعالى ببغداد وهنا ما لهن ومالى

فيابرق ليس الكرخ دارى وإنما رمى بى إليه الدهر منذ ليالى

فهل فيك من ماء المعرة نغبة تغيث بها ظمآن ليس بسالى

ولاح هلال مثل نون أجادها بماء النضار الكاتب ابن هلال

قلت : (طربن لضوء البارق المتعالى) (فهل فيك من ماء المعرة قطرة) (بجارى النضار الكاتب ابن هلال) (كما فى سقط الزند) ويؤيد ذلك قول الشارح فى البيت الأول : « الضمير فى طربن للأبل، والمعنى خفت الإبل شوقاً لما رأت البارق ... يعنى بارقاً نشأ من نحو أوطانها بالشام وهى بالعراق ... » وقوله فى البيت الثانى : « فهل حملت أيها البرق قطرة من ماء بلدتى » وقوله فى البيت الثالث : « شبه هلالا رجب بنون خط ابن البواب (الجوينى) بالنضار الجارى أى بماء الذهب ».

* فى ج ٧ ص ١٢٩ كان بندار[١] بن عبد الحميد الكرخى الأصبهانى يحفظ سبعمائة قصيدة ، أول كل قصيدة (بانت سعاد) . قال المؤلف : وبلغنى عن الشيخ الإمام أبى محمد الخشاب أنه قال : أمعنت التفتيش والتنقير فلم أقع على أكثر من ستين قصيدة .

(١) ضبط (بندار) فى الكتاب بكسر الباء، وإنما هو بفتحها .

وجاء فى شرح (أمعنت) أى أبعدت فى الاستقصاء وبالغت فيه ، وكانت فى الأصل (معنت) وأصلحت .

قلت : ربما كان الأصل (أنعمت التفتيش) أو (أمعنت فى التفتيش) .

فى النهاية : وفى حديث صلاة الظهر: فأبرد[١] بالظهر وأنعم، أى أطال الإبراد وأخر الصلاة ، ومنه قولهم : أنعم النظر فى الشىء أى أطال التفكير فيه .

وفى المخصص ج ٣ ص ٢٩ : قالت الأوائل : إن اليقين هو العلم الثانى أى أنه لا يُعلم ولا يُدرك عن بديهة ولكنه بعد بذل الوسع فى التعقب وإنعام النظر والتصفح . وفيه ص ٥٢ والرأى الدَّبَرى الذى لم يُنعم النظر فيه .

وقول الحريرى فى المقامة الثانية الحلوانية : « أمعنت النظر فى توسمه » محرف[٢] ، والصواب ما جاء فى مقدمة المقامات : « ومن نقد الأشياء بعين المعقول وأنعم النظر فى مبانى الأصول نظم هذه المقامات فى سلك الإفادات » وما جاء فى المقامة السادسة المراغية . وفى الخامسة عشرة الفرضية وفى التاسعة والأربعين الساسانية .

وأمعن فى الأمر : أبعد فيه كما فى الأساس ، وفى النهاية : وأمعنوا فى بلد العدو وفى الطلب أى جدوا وأبعدوا . ومثل ذلك فى كتب اللغة . وفى المقامة الخامسة عشرة الفرضية ، وفيها (أنعم وأمعن) : « قال : لأنى أنعمت النظر فى التقامك ما حضر، حتى لم تبق ولم تذر . فرأيتك لا تنظر فى مصلحتك ، ولا تُراعى حفظ صحتك . ومن أمعن فيما أمعنت[٣] وتبطَّن ما تبطنت ، لم يكد يخلص من كظة مدنفة ... » .

(١) الأبراد : انكسار الوهج والحر ، وهو من الأبراد الدخول فى البرد (النهاية) .

(٢) يظهر أن التحريف قديم ، ففى شرح الشريشى عند هذه اللفظة : أمعنت بالغت وأدمت النظر وأصله من أمعن فى الأرض إذا أبعد الذهاب فيها .

(٣) فسر الشريشى (أمعن) هنا بقوله : أمعن كثر ، وتقول أمعن لى بحق : اعترف به وأظهره ، مأخوذ من الماء المعين وهو الجارى الظاهر ، وهذا التفسير بعيد وهو يخالف شرحه (أمعن) فى الحلوانية .

وأمعن فعل لازم وأنعم فعل متعد .

* فى ج ١٤ ص ١٩٦ كان أبو الفتح بن العميد قد أغرم قبل القبض عليه بإنشاد هذين البيتين ، لايجف لسانه عن ترديدهما :

ملك الدنيا أناس قبلنا رحلوا عنها وخلوها لنا
ونزلناها كما قد نزلوا ونخليها لقـــوم غيرنا

قلت : فى اليتيمة : (ونخليها لقوم بعدنا) فغيّر النساخُ .

* فى ج ١٠ ص ١٥٤

والدهر إذ مات نماريده قد مد أيديه إلى بُلْـهِهِ

وجاء فى الحاشية : فى الأصل (نماريه) فجعلت نماريده ، واحدها نمرود ، وكان يطلق على ملك بابل ، فلما تجبر وتكبر حين دعاه الخليل إلى التوحيد صار يستعمل فى كل متكبر جبار ، كفرعون اسم لكل من ملك مصر ثم استعمل فى الشخص المتصف بالجبروت :

قلت : نحاريره . فى التاج : « النحرير — بالكسر — الحاذق الماهر العاقل المجرب ، وقيل : الرجل الطِبن(١) الفطن البصير بكل شىء مأخوذ من قولهم : نحر الأمور علماً . » والجملة الأخيرة فى الأساس فى مجازه . والبيت ختام مقطوعة للحسين بن محمد الدباس المعروف بالبارع ، ومقطوعته :

أفنيت ماء الوجه من طول ما
أسأل من لا ماء فى وجهه
أنهى إليـــه شرح حالى الذى
يا ليتـــنى مت ولم أنهـــه
فلم ينلنى أبداً رفــده ولم أكد أسلم من جَبْهِهِ

* فى ج ١٣ ص ٢٢٢ وخضت فى المناظرة والمجادلة سنة جَرِدَةً رضيت عن نفسى فيه ، ورضى عنى أستاذى .

وجاء فى الشرح : يقال : سنة جردة : خالية من النبات فكأنه يقول : لم أشتغل بغير الجدل والمناظرة .

قلت : قالوا : أرض جردة ، وقالوا : سنة جارود : مقحطة شدة المحل . و (جردة) فى الجملة هى (جرداء) قال الأساس : مضى عليهم عام أجرد وجريد وسنة جرداء أى كاملة منجردة من النقصان . ونقل التاج هذا القول . وفى اللسان : عام أجرد : تام . و (فيه) فى الجملة (فيها) والقائل الإمام البيهقى ، وأستاذه الذى عناه هو تاج القضاة يحيى بن عبد الملك . قال : وكان ملكاً فى صورة إنسان !

* فى ج ٧ ص ٢١٧

أقول لما جاءنى نَعِيُّهُ بعداً وسحقاً لك من هالك
يا شر ميت خرجت نفسه وشر مدفوع إلى مالك

قلت : جاءت (نعيه) بكسر العين وتشديد الياء ؛ وإنما هى (نَعْيُه) بسكون العين وتخفيف الياء ، وإن صح هذان المصدران ، وصح صدر البيت وحده(١) .

والبيتان قالهما حُبَيْش بن عبد الرحمن أبو قِلابة فى الأصمعى لما بلغته وفاته شامتاً به .

قلت : من أمثال العرب : الشماتة لؤم .

* فى ج ١٢ ص ١٠٥ ... أخبرنى(٢) أبو على(٣) عن أبى بكر(٤) عن أبى العباس(٥) قال : سمعت عِمارة بن عقيل بن بلال بن جرير يقرأ : (ولا الليل سابقُ النهارَ) فقلت له : ما أردت ؟ قال أردت (سابقَ النهارِ) فقلت : فهلا قلته . فقال : لو قلته لكان أوزن أى أقوى وأفصح .

قلت : عمارة هذا بضم العين ، وسابق الأولى المضمومة المنونة هى بضمة واحدة ، وهى قراءة عمارة بن عقيل ، و (سابقَ النهارِ) هما (سابقُ النهارَ) بضم سابق وتنوينه وفتح الراء فى النهار .

وقد قرئ (قل هو الله أحدُ الله الصمد) بغير تنوين فى أحد ،

(١) فى الأساس : هو طبن : عالم .

(١) الصدر من الرجز ، والبيتان من السريع .
(٢) القائل ابن جنى .
(٣) الفارسى .
(٤) ابن دريد .
(٥) المبرد .

والجيد هو التنوين كما قال (الكشاف).

* في ١٢ ص ١٥٩ وله (المهمن بن عيسى البلطي أبيات يحسن في قوافيها الرفع والنصب والخفض (مطلعها):

إني امرؤ لا يصطبيني (١) الشادن الحسن القوام (ما) رفع القوام بالحسن لأنه صفة مشبهة باسم الفاعل والتقدير الحسن قوامه كما تقول: مررت بالرجل الحسن وجهه، ونصبه على الشبه بالمفعول به، وخفضه بالإضافة.

وجاء في شرح (يصطبيني): كانت في الأصل يطيب لي، والبيت بها ينكسر، يقول: إن الشادن الذي هذه صفته ليس في مكنته أن يحملني على الصبوة إليه، والفعل مزيد بتاء الافتعال أبدلت طاء.

قلت: لا يَطَّبيني. في الأساس: طباه واطباه: دعاه واستماله. ومثل ذلك في الصحاح واللسان والتاج. وفي أمالي المالي والنهاية: «إن مصعبا (مصعب بن الزبير) أطبى القلوب».

وفي المقصورة الدريدية:

لا يطبيني طمع مدنس إذا استمال طمع أو اطبى

وفي طبعة (الجوائب): يطبئني. فختل بالهمز الوزن، واستحال الفعل...

* في ج ١٤ ص ٢٢٧ واستدعى ابن عباد من أصفهان وولى الوزارة ودبرها برأى وثيق، وجد رتيق.

وجاء في شرح رتيق: من رتق الشيء جعله يلتئم بعضه مع بعض.

قلت: لا رتيق في العربية. واللفظة المحرفة هي (زنيق) والزنيق المحكم الرصين يقال: رأى زنيق وأمر زنيق أي وثيق، وكذا تدبير زنيق كما في التاج. وفي الأساس: ومن المجاز: ورأى زنيق: محكم، وتقول: هذا تدبير أنيق، ورأى زنيق.

٢ – حول انهيار فرنسا

للأســتاذ عربى كبير

ولنترك مسائل المدح والإطراء والرثاء جانباً ، ولنعد إلى أصل القضية ونتساءل ما ذا كانت أسباب انهيار فرنسا ، هذا الانهيار السريع الذى يكاد يكون فجائياً ؟ ...

فمن أبسط وأسهل الأجوبة التى تخطر على البال رداً على هذا السؤال هى أن فرنسا لم تكن مستعدة للحرب .

وفى الواقع أن هذا التعليل قد سيطر على الأذهان والأقلام ، سيطرة غريبة . فإن معظم الذين كتبوا وعالجوا هذا الموضوع عللوا الانهيار بعدم الاستعداد والبعض منهم جعلوا من « عدم الاستعداد » هذا دليلاً على حسن الطوية ونبل الغاية .

فقد قرأت بين ما قرأته من المقالات حول هذا الانهيار فى المجلات المصرية ، هذا الحكم البتّار :

« ما غلبوا إلا لأن الديمقراطية التى يعتقدونها لا تفكر إلا فى السلم ولا تتسلح إلا بالعهود والمواثيق والقوانين والشرف ، وأن الديكتاتورية التى يعادونها لا تفكر إلا فى الحرب ولا تتسلح إلا بالحديد والنار والدعاية والخيانة والكذب »

أنا لا أستطيع أن أسلم بصحة هذا الرأى ، بالرغم من احترامى الشخصى لصاحبه ؛ فلنستعرض الأعمال العسكرية والسياسية التى قامت بها فرنسا منذ انتصارها فى الحرب العالمية المنصرمة : إنها استولت على مراكش من جهة ، وعلى الشام من جهة أخرى ، وجردت الحملات العسكرية على مختلف النواحى فى أوربة وآسية ، وأمريقية : حاربت الأتراك ، حاربت العرب ، حاربت الروس بعد الهدنة ، اشتركت فى احتلال قسم من البلاد الألمانية ، وأقدمت بمفردها على الاستيلاء على قسم آخر منها ؛ ساعدت دول بولندا ، وتشيكوسلوفاكيا فى تسليحاتها وتنظيماتها العسكرية ، وفتلت أحابيل الحلف الكبير والحلف الصغير ، وأخذت تدير دفة السياسة الأوربية بصوت مسموع ومكانة مرموقة . . وأنفقت مبالغ طائلة فى سبيل تشييد « خط ماجينو » على طول الحدود الألمانية ، ورصّعت البلاد السورية والمراكشية بعدد كبير من المواقع العسكرية . . . فكيف يجوز والحالة هذه أن نقول إن فرنسا لم تفكر إلا فى السلم ، ولم تتسلح إلا بالعهود والمواثيق ؟

العهود والمواثيق ؟ هل احترمتها فرنسا — مثلا — فى سياستها السورية ؟ ألم تكن أعمالها هناك — من أولها إلى آخرها — سلسلة حركات تتلخص فى القسوة والعنف دون أن تتقيد بالمواثيق والمواعيد ؟ ...

فالعامل الأصلى فى الانهيار لم يكن عدم الاستعداد للحرب .

وعلى من يخامره أدنى شك فى هذا الباب أن يرجع بذاكرته إلى أوائل الحرب الحالية ، ويتذكر ما كان يسمعه وما كان يقرأه من الآراء والأخبار حول قوة فرنسا العسكرية : فكلنا كنا نسمع كل يوم مقارنات طويلة عريضة ، بين خط ماجينو وخط سيجفريد ، مقارنات تنتهى بوجه عام بالمدح والإطراء على الأول وبالقدح والازدراء بالثانى . كل يوم كنا نسمع ونقرأ أخباراً شتى كلها تؤكد تفوق المدفعية الفرنسية على المدفعية الألمانية وتبرهن على تفوق الطيران الفرنسى على الطيران الألمانى ...

ولا حاجة للبيان أن مصادر هذه الأخبار والدعايات كلها كانت فرنسية ...

وكل شىء يدل على أن فرنسا كانت « تعتقد » أنها مستعدة للحرب أتم الاستعداد ، وأنها ستنتصر بدون ريب . وإلا لما أقدمت على إعلان الحرب ، ولأوعزت إلى بولندا بوجوب التساهل مع ألمانيا فى قضية دانزيج والممر ، ولا نكبت بعد ذلك على إتمام استعداداتها ؛ غير أنها لم تفعل ذلك ، بل بالعكس شجعت بولندا على المقاومة ، وانضمت إلى بريطانيا العظمى فى توزيع « الضمانات » إلى اليمين واليسار ، وعلى القريب والبعيد ، ممن يطلبها أولا يطلبها من الدول ... فلا مجال للشك فى أن فرنسا كانت مغرورة بقوتها ومخدوعة فى قوة عدوها .

من المعلوم أن القوة من الأمور النسبية ؛ فالقوى بالنسبة إلى شىء ، قد يكون ضعيفاً بالنسبة إلى شىء آخر ، والغلط فى التقدير فى مثل هذه الأحوال قد ينتج من غلط فى تقدير القوة نفسها ، أو فى غلط فى تقدير القوة المقابلة لها ، أو من غلط فى كلا الأمرين ... إن سير الوقائع يدل دلالة قطعية على أن فرنسا أخطأت خطأ فاحشاً فى تقدير قوة ألمانيا ...

فيجدر بنا أن نتساءل إذاً : لماذا أخطأت فرنسا كل هذا الخطأ الفاحش فى تقدير قوة عدوها ؟

إننى أعزو سبب ذلك إلى انخداع فرنسا بأقوال اللاجئين الموتورين الذين هربوا من ألمانيا أو طردوا منها ... وقد فتحت فرنسا أبوابها لهؤلاء ، وأرادت أن تستفيد منهم ومن شكاواهم ودعاياتهم فى إثارة الرأى العام العالمى ضد ألمانيا واستمالته نحو فرنسا ... فى حين أن القسم الأعظم من هؤلاء اللاجئين كانوا من الطفيليين الموتورين الذين لا يرتبطون بأى وطن من الأوطان العتيدة ارتباطاً قلبياً ، ولذلك أخذوا يصورون ألمانيا على غير حقيقتها ؛ صوروا النظام الجديد الذى قام فى ألمانيا بصورة مجموعة من التعسف البربرى تقوم بها جماعة من الطغاة فيكرهها جميع الناس . قالوا إن كل الناس ينفرون من النازية نفوراً شديدا ويستعدون للثورة عليها استعداداً كبيراً . كلنا سمعنا انعكاسات هذه الأقوال والدعيات . ألمانيا على أبواب ثورة داخلية ستندلع نيرانها قريباً فتجرف الهتلرية جرفاً عنيفاً ... كل شىء ردىء هناك ، حتى المعادن التى تصنع منها الأسلحة ، حتى الأسمنت الذى يستعمل فى بناء الحصون لم يكن من الأنواع الجيدة ...

لقد فتح الفرنسيون أبواب بلادهم لمئات الألوف من هؤلاء الموتورين على مصراعيها ، كما فتحوا آذانهم لسماع دعاويهم ودعاياتهم ، وصاروا يصدقون كل ما يقولونه ، ولاسيما أن ما يقوله هؤلاء كان موافقاً لما يتمناه الفرنسيون كل التمنى ...

وأنا أميل إلى الاعتقاد بأن ذلك كان من أهم الأسباب التى أدت إلى انخداع فرنسا فى تقدير قوة عدوها ، وأدت بها إلى الانكسار الفظيع ...

فقد أفاضت الجرائد كثيراً فى ذكر أعمال الذين سموا باسم « الطابور الخامس » وبحثت كثيراً عن الدور الذى لعبته الجمعيات التى كانت تقوم بدعايات متسترة — على حساب ألمانيا — ويهيئون بذلك الجوّ النفسى الملائم لعمل الجيوش الجرارة

غير أننى أقول : إن عمل أرتال اللاجئين فى فرنسا لم يكن أقل تأثيراً من عمل الطوابير الخامسة فى النتيجة النهائية . فإن أرتال اللاجئين الموتورين أضروا فرنسا من حيث كانوا يريدون خدمتها ؛ وخدموا ألمانيا من حيث كانوا يعتقدون إضرارها ... لأن دعاياتهم خدعت الفرنسيين خدعة قوية فى قوة ألمانيا ، وجرتهم إلى الحرب والاصطدام مع قوى تفوق قواهم تفوقاً عظيماً ... وأدت بذلك إلى انخذالهم ذلك الانخذال المريع .

* * *

والآن ، بعد أن حدث ما حدث فظهرت الحقائق للعيان ، تبين بصورة لا تترك مجالا للشك أن الجيش الألمانى الذى هاجم الجيش الفرنسى ، كان يفوقه تفوقاً عظيماً من جميع الوجوه المادية والمعنوية . كان يفوقه تفوقاً بارزا من حيث العدد والتجهيزات والانضباط والقيادة ... وبتعبير أقصر ، من حيث الكمية والكيفية ...

من المعلوم أن ألمانيا كانت جُرِّدَت من السلاح ، وحُرِمَت من حق التسلح بعد الحرب العالمية ، فظلت محرومة من الأسلحة ومن مصانعها مدة تزيد على عشر سنوات ، فعندما بدأت تتسلح مؤخراً — سراً فى بادىء الأمر ، وعلناً فى نهاية الأمر — لم تتقيد بشىء من القديم — بطبيعة الحال . . . فاستحضرت أنواعاً جديدة من الأسلحة الحربية ، وابتكرت أنواعاً جديدة من أساليب الحرب . ويظهر أنها كانت تمكنت من ابتكار أنواع عديدة ، فاستفادت من كل نوع منها فى إحدى صفحات حروبها المتوالية فى بولندة ، وفى النرويج . وفى هولندا ، وعندما جاء دور هجومها على فرنسا استطاعت مفاجأتها بوسائط وأساليب حربية أخرى ، أفسدت على الجيش الفرنسى جميع الخطط التى كان قد وضعها ...

وزد على ذلك أن الجيش الألمانى الذى انقض على الجيش الفرنسى بمثل هذه الوسائط الحربية الجديدة ، كان متفوقاً عليه تفوقاً كبيراً من حيث العَدَد أيضاً . وإذا بحثنا أسباب هذا التفوق العَدَدى نستطيع أن نذكر أموراً كثيرة منها مساعدة الموقع الجغرافى ، وسير صفحات الحرب ، وكثرة وسائط النقل ، ونظام خطط التعبئة .. وما أشبه ذلك من العوامل والأسباب ، غير أننا — مع كل ذلك — نضطر إلى التسليم بأن السبب الأصلى يعود إلى كثرة العدد ؛ إذ من المعلوم أن عدد نفوس ألمانيا يناهز ضعف عدد نفوس فرنسا ، فلا غرابة ، والحالة هذه أن يتفوق جيشها على جيش فرنسا تفوقاً كبيراً من حيث العدد أيضاً ..

ومما يجدر بالانتباه أن قضية عدد السكان كانت من القضايا التى أخذت تشغل بال الفرنسيين وتثير مخاوفهم منذ مدة غير يسيرة ، فإن

الاحصاءات الموجودة تدل على أن نفوس فرنسا كانت مساوية لنفوس ألمانيا سنة ١٨٦٥ غير أنها لم تزد بعد ذلك خلال سبعين سنة — أى حتى سنة ١٩٣٥ — إلا ثلاثة ملايين ، فى حين أن نفوس ألمانيا — زادت — خلال المدة نفسها — أكثر من ثلاثين مليوناً ...

لا شك فى أن قضية النفوس وحدها لا تكون من القضايا الحاسمة فى سير التاريخ ؛ فإن التاريخ يرينا أمثلة كثيرة من تغلب الأمم الصغيرة على بعض الأمم الكبيرة ، بالرغم من قلة عدد نفوسها ، غير أن مثل هذه الحوادث لا تحدث عادة إلا عندما يكون هناك فرق عظيم بين الأمتين ، من حيث مستوى الحضارة والثقافة ، وشدة الروابط الاجتماعية وقوة الإيمان القومى ... وأما إذا كانت الأمتان متقاربتين من هذه الوجوه الثقافية والاجتماعية — كما هى الحالة فى فرنسا وألمانيا الآن — فمن الطبيعى أن تكتسب قضية النفوس خطورة خاصة ، وتؤثر فى سير التاريخ تأثيراً كبيراً .

فقد انتبه عدد غير قليل من الكتاب والمفكرين فى فرنسا إلى الخطر الذى أخذ يحدق ببلادهم من جراء نقص عددها ؛ حتى إنه ظهر بينهم من قال : يجب أن نعلم بأننا فى كل سنة من السنين التى تمر علينا على هذا المنوال نخسر معركة ونفقد جيشاً دون أن نقدم على حرب ودون أن نشعر بهذه الخسارة ، فى حين أن ألمانيا ـ بعكسنا ـ تربح فى كل سنة معركة وتحصل فى كل سنة على جيش جديد ، دون أن تقدم على حرب ودون أن تضحى شيئاً فى سبيل ذلك ...

إلا أن الأمور ظلت على حالتها هذه بل زادت خطورة من جراء التدابير المتخذة فى ألمانيا فى هذا السبيل — لقد وضعت ألمانيا عدة قوانين واتخذت عدة تدابير لضمان تكاثر النفوس ـ زيادة على سيره المعتاد ـ فى حين أن فرنسا لم تخرج عن ساحة النقد والبحث فى هذا المضمار ، ولم تقدم على وضع قانون يعالج هذه القضية الحيوية بعض العلاج إلا قبل اندلاع نيران الحرب الحالية

كان يأمل رجال السياسة فى فرنسا التغلب على المشاكل والمخاطر التى تنجم عن مسألة النفوس بوسيلتين غير مباشرتين .

الأولى — التجنيد من المستعمرات ، وتقوية الجيش الوطنى بجيش المستعمرات .

الثانية — تكوين اتفاقات سياسية وعسكرية تربط فرنسا بكتل كبيرة قوية ، تكفى للافاة نقص النفوس الأصلى ، بل تضمن التفوق على أعدائها من جهة النفوس أيضاً

غير أنه مما لا مجال للشك فيه أن الجيوش التى تجمع من أهالى المستعمرات — وتساق إلى ساحات الحروب سوقاً وتحمل على خوض غمار الحرب — دون أن تشعر بدافع باطنى يحبب إليها الاستقتال ، أن مثل هذه الجيوش لا يمكن أن تتكافأ والجيوش الوطنية التى تعمل وتحارب بشعور وطنى وإيمان قومى ...

وأما الاتفاقات السياسية — فقلما تستقر على حال ؛ فلا تستطيع أن تضمن المستقبل فى جميع الأحوال ، لأن منافع الدول والأمم معضلة أعضالا شديدا ، ومتشابكة تشابكا كبيرا . فإذا رأت دولة ما أن من مصلحتها أن تتفق مع دولة أخرى فى بعض الظروف ، فقد ترى من مصلحتها أن تلتزم الحياد ، أو تتفق مع غيرها عند تبدل الظروف . إن نظرة بسيطة إلى تقلب الاتفاقات السياسية وتطور التكتلات الدولية تكفى لاظهار ذلك للعيان ...

هذه إيطاليا ، فقد انضمت إلى فرنسا وانجلترا ، ضد روسية فى حرب القرم ، ثم اتفقت مع ألمانيا ضد فرنسا بعد استيلاء الأخيرة على تونس ؛ ومع هذا لقد انضمت إلى أعداء ألمانيا خلال الحرب العالمية ، وفى الأخير عادت واتفقت مع ألمانيا ضد أعدائها فى الحرب الحالية ...

وهذه إنجلترة ، فقد حاربت فرنسا فى عهد نابليون ، ثم اتفقت معها ضد روسيا فى حرب القرم ، ثم اتفقت مع اليابان فشجعتها على محاربة الروس بعكس ما عملته فرنسا عندئذ ، ثم اتفقت مع فرنسا وروسية ضد ألمانيا فى الحرب العالمية ، ثم حاربت روسيا بعد انتهاء الحرب المذكورة ، وفى الأخير بذلت الجهود الجبارة بالاتفاق معها قبيل الحرب الحالية . وكذلك الأمر فى علاقات إنجلترة مع تركيا فإنها كانت على الدوام يوماً لها ويوماً عليها ...

ونحن نستطيع أن نذكر عشرات الأمثلة لذلك ... مما يدل على أن مثل هذه الاتفاقات لا توجد موازنات مستقرة — بين تطور المنافع وتقلب الاتجاهات ...

ولذلك كله سارت الأمور خلال الحرب الحالية سيراً غريباً — بالرغم من الاتفاقات والضمانات السابقة — وقد أدى هذا السير إلى بقاء الجيش الفرنسى — فى آخر الأمر — وحيداً إزاء الجيش الألمانى فى ساحات الحرب ... فازداد بذلك تأثير التفوق العددى زيادة هائلة ...

(س)

لزوم مـــا لا يلزم

متى نُظم وكيف نُظم ورتب ؟

للدكتور عبد الوهاب عزام
عميد كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

عنيت بأبى العلاء المعرى ناشئاً ، وكتبت فى أخباره وأشعاره تلميذاً. وما زلت معنياً به حافظاً لأخباره وأشعاره . واللزوميات أعظم آثار الرجل ، وهى سجل عقائده وآرائه ، ولها النصيب الأوفر من أحاديث من يتحدثون عن المعرى ، وكتابة من يكتبون فى فلسفته .

وكثيراً ما ساءلت الأدباء، وسألت نفسى: متى نظمت اللزوميات وكيف رُتبت ؟ أخط الشاعر خطبها ثم نظمها وِلاءً على ترتيب حروف الهجاء ، فآراؤه فيها متوالية على هذا الترتيب ؛ ما تتضمنه أبيات على روىّ الهمزة مقدم زماناً على ما يذكر فى أبيات على روىّ الباء وهلم جرا ؟ أم نظم الرجل ما نظم ثم رتبه على حروف الهجاء ، فقدّم متأخراً وأخر متقدماً ، مسايرة للترتيب الهجائى ؛ فما يُعرف المتقدم والمتأخر من شعر الرجل إلا ما دلت عليه حوادث مذكورة فيه ، ولا يستطاع تتبع أفكاره ورعاية تطورها على الزمان؛ وكنت أقول إنه لا بد لمؤرخ أبى العلاء من أن يفصل فى هذه القضية ، فيجزم بأن اللزوميات مرتبة على الزمان أو غير مرتبة .

لذلك أعدتُ قراءة اللزوميات مستوعباً ، متقصياً الأبيات التى تذكر فيها حوادث معروفة أو رجال معروفون ، والتى تذكر فيها سنّ أبى العلاء أو حاله من الشباب والكهولة والشيخوخة . وراجعت ما أثره التاريخ من أخبار الرجل ، وذكر كتبه ، فانتهيت إلى القضايا التى أسجلها فيما يأتى :

— ١ —

متى نظمت اللزوميات

جمهرة شعر أبى العلاء فى مجموعتين : الأولى تتضمن شعر الصبا والشباب ، وهى التى سماها سقط الزند . وقد جرى فى هذا الشعر مجرى الشعراء الآخرين ، فمدح وهجا وتغزل ورثى ووصف الخ .

وقد قال أبو العلاء فى مقدمة سقط الزند :

« وقد كنت فى رُبّان الحداثة ، وجن النشاط ، مائلاً فى صغو القريض ، أعتده بعض مآثر الأديب ، ومن أشرف مراتب البليغ . ثم رفضته رفض السَقب غِرسه ، والرأل تريكته ؛ رغبة عن أدب معظم جيده كذب ، ورديئه ينقص ويجدب » .

وقال مستملى أبى العلاء الذى كتب ثبت كتبه كما رواه ياقوت فى معجم الأدباء :

« ومن غير هذا الجنس كتاب لطيف فيه شعر قيل فى الدهر الأول يعرف بكتاب سقط الزند وهو ثلاثة آلاف بيت » .

وفى سقط الزند قصائد قالها فى بغداد ، وأخرى أرسلها إلى بغداد بعد رجوعه إلى المعرة سنة أربعمائة ، وأبيات قيلت بعد سنين كثيرة من اعتكافه فى المعرة كالبيتين اللذين مدح بهما القاضى ابن نصر المالكى (١) . فإن هذا القاضى مر بالمعرة فى طريقه من بغداد إلى القاهرة ، ولم تطل إقامته بمصر ، فتوفى بها سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، فقد نظم المعرى هذين البيتين حوالى سنة عشرين وأربعمائة . ومرثية جعفر بن على بن المهذب التى مطلعها :

أحسن بالواجد من وجده صبر يُعيد النار فى زنده

والمجموعة الثانية هى التى سماها « لزوم ما لا يلزم »

— ٢ —

هذه المجموعة الثانية من أشعار أبى العلاء قد نظمت بعد رجوعه من بغداد . وقد خط خطتها ، وتكلف لها ما تكلف من لزوم ما لا يلزم ، ومن استيعاب الحروف الهجائية على الحركات الثلاث والسكون . قال فى مقدمتها :

« كان من سوالف الأقضية أنى أنشأت أبنية أوراق توخيت فيها صدق الكلمة ، ونزهتها عن الكذب والميط . ولا أزعمها كالسمط المتخذ ، وأرجوا ألا تحسب من السُميط . فمنها ما هو تمجيد لله الذى شرف عن التمجيد ... الخ » .

وقال فى المقدمة كذلك :

(١) والمالكى ابن نصر زار فى سفر بلادنا فحمدنا النأى والسفرا
إذا تفقه أحيا مالكا جدلا وينشر الملك الضليل إن شعرا

« وقد تكلفت فى هذا الكتاب ثلاث كُلَف :

الأولى : أنه ينتظم حروف المعجم عن آخرها

والثانية : أن يجىء رويّه بالحركات الثلاث وبالسكون بعد ذلك

والثالثة : أنه لُزم مع كل روىّ فيه شىءٌ لا يلزم من ياء أو تاء أو غير ذلك من الحروف »

فهذا شعر حُدِّد موضوعه واختير له نظامٌ فى القوافى . وترتيب على الحروف وحركاتها ، وكأنه كتاب من كتب العلوم اتصل تأليفه حتى كمل ، وهى خطة تسلّى بها المعرى فى عزلته ، فينبغى أن يكون تاريخه متصلا ونظمه متواليا .

وأنا أدّعى أن ما تضمن هذا الكتاب من الآراء هو فلسفة أبى العلاء فى عزلته بعد سنة أربعمائة ، وأن هذا الكتاب كله ، إلا أن تشذ أبيات قليلة ، نظم بعد هذه السنة .

يدل على هذا أن أبا العلاء قال فى مقدمة السقط : إنه رفض الشعر . وقال فى مقدمة اللزوميات : « وقد كنت قلت فى كلام لى قديم : إنى رفضت الشعر رفض السقب غِرسه ، والرأل تريكته ، والغرضُ ما استُجيز فيه الكذبُ ، واستعين على نظامه بالشُبهات . فأما الكائن عظة للسامع ، وإيقاظاً للمتوسن ، وأمراً بالتحرز من الدنيا الخادعة وأهلها الذين جُبلوا على الغش والمكر ، فهو إن شاء الله مما يُلتمس به الثواب »

فهذا النظم الذى توخّى فيه العظة والإيقاظ كان بعد النظم الذى جرى فيه مع الشعراء ، ثم رفضه رفض السقب غِرسه ، والرأى تريكته كما تقدم

ودليل آخر أنه ذكر سنّه فى كثير من أبيات اللزوميات تصريحاً وتلويحاً ، ولم يذكر ما دون الأربعين ، وهو قد بلغ الأربعين سنة ثلاث وأربعمائة إلا بيتاً واحداً فى هذه القطعة :

إذا هبّت جنوب أو شمال ... فأنت لكل مُقتاد جنيب

رويدك إنْ ثلاثون استقلّت ... ولم يُنب الفتى فمتى ينيب ؟

والخطاب فى هذا البيت إما أن يكون لغير الشاعر ، وإما أن يكون بعض اللزوميات قد نظم حين جاوز الثلاثين قبل سفره إلى بغداد ، وإما أن تكون هذه القطعة نظمت كذلك بعد رجوعه من بغداد واعتزامه الاعتزال ، وكانت سنّه حينئذ سبعاً وثلاثين سنة ، فقد مضت الثلاثون ولم يبلغ الأربعين ؛ فليس بعيداً أن يذكر مرور الثلاثين . ومهما يكن فجمهرة الكتاب نظمت بعد سنة أربعمائة كما أسلفت .

ودليل آخر على أن أبا العلاء شرع ينظم اللزوميات بعد رجوعه من بغداد بقليل ، أنه يذكر فى اللزوميات ـ كما فعل فى سقط الزند ـ رحلته إلى العراق آسفاً على الرحيل وعلى الأوبة . وهذا ، فى غالب الظن ، لا يقال بعد مضىّ سنين كثيرة على هذه الرحلة :

ومابى طِرق للمسير ولا السُّرى ... لأنى ضرير لا تضىء لى الطُرْق

أغرباً نك السُحم استقلّت مع الضحى ... سوانحَ أم مرّت حمائمك الوُرق

رحلتُ فلا دنيا ولا دين نلته ... وما أوبتى إلا السفاهة والخرق

* * *

يالهف نفسى على أنى رجعت إلى ... هذى الديار ولم أهلك ببغداذا

إذا رأيت أموراً لا توافقنى ... قلت الإياب إلى الأوطان أدّى ذا

* * *

شُئمتِ يا همّة عادت شآمية ... من بعد ما أوطنت عصراً ببغداذى

* * *

وأزيد على هذه الأدلة أن أبا العلاء ذكر سن الأربعين مرات فى اللزوميات ، وقد بلغها بعد رجوعه بسنين ثلاث

ـ ٣ ـ

إن كان المعرى شرع ينظم لزوم ما لا يلزم حين رجع من بغداد أو بعد رجوعه بقليل ، فكم استمر ينظمها ، ومتى انتهى من نظمها وجمعها ورتبها وكتب لها المقدمة التى كتب ؟

يمكن أن نجيب على هذا السؤال بوسيلتين : الأولى تتبع الحادثات التى ذكرها والرجال الذين أورد أسماءهم فى شعره ؛ والثانية استقراء الأبيات التى ذكر فيها سنّه

(١) **الحوادث والرجال** :

١ ــ أولا : بنو عامر وطيىء

يذكر أبو العلاء فتناً وخطوباً أثارها بنو عامر وطيّىء فى الشام وما حولها ، ويسمّى بعض رجالهم فى مواضع كثيرة ، منها:

إذا عامر تبعت صالحا ... وزجّت بنو قرّة الحردبا

وأردفَ حسانُ فى مأزِقٍ متى هبطوا مُخصِباً أجدبا
وإن قرعوا جبلاً شامخاً فليس بعنف إن يُحدبا
رأيتَ نظير الدبا كثرة فتبرُهم كعيونِ الدبا

ومنها :

ألم تر طيئاً وبنى كلاب سموا للبلاد غزّة والعريش
ولو قدروا على الطير الغوادى لما نهضت إلى وكر بريش

ويذكر طيئاً وزعيمها حسان فى قوله :

قد أشرعت سنبسٌ ذوابلها وأرهفت بحتر معابلها
لفتنة لا تزال باعثة رامحها فى الوغى ونابلها
حسان فى الملك لا يحسُّ لها تُزجى إلى موتها قنابلها

ويقول :

أرى حَلَباً حازها صالح وجال سِنان على جِلّقا
وحسّان فى سَلَفى طيئ يصرِّف من عِزّه أبلقا
فلما رأت خيلهم بالغبار ثغاما على هامهم عُلّقا
رمت جامع الرملة المستضام فأصبح بالدم قد خُلّقا الخ

وقد رثى للرملة كثيراً وحزن لما ناب أهلها ؟ يقول :

والرملة البيضاء غودر أهلها بعد الرفاغة يأكلون قفارها

عتروا الفوارس بالصوارم والقنا
والمَلْك فى مصر يعتّر فرها (١)

جعلوا الشفار هواديا لتنوفة مرهاء تكحل بالدُّجى أشفارها
تكبو زناد القادحين وعامر بالشام تقدح مَرخها وعَفارها

ويقول :

أبا قَيلُ إن النار صال بحرّها مقيم صلاة والمهند وارس
وبالرملة الشعثاء شيبٌ وولدة أصابهم مما جنيت الدهارس
وقد ظهرت أملاك مصر عليهم فهل مارست من ظلمها ما تمارس ؟
وأحسنُ منكم فى الرعية سيرة طُفجُ بن جف حين قام وبارس

وقد ذكر المعرى هذه الحادثات فى سقط الزند كذلك ، إذ قال فى القصيدة التائية التى بعث بها إلى أبى التنوخى بعد رجوعه من العراق :

بينى وبينك من قيس وإخوتها فوارسٌ تذر المكثار سِكّيتا

ويقول فى القصيدة الطائية التى أرسلها إلى خزن دار العلم ببغداد وهو محتجب بمعرة النعمان :

وما أذهلتنى عن ودادك روعة وكيف وفى أمثالها يجب الغبط
ولا فتنة طائيّة عامرية يحرّق فى نيرانها الجعد والسبط
وقد طرحت حول الفرات جِرانَها
إلى نيل مصر فالوَساع بها تقطو
فوارس طعّانون ما زال للقنا
مع الشيب يوماً فى عواضهم وَخط
وكل جواد شفّه الركض فيهم وَجٍ يتمنى أن فارسه سقط
ونبالةٍ من بُحتر لو تعمدوا بليلٍ أناسىّ النواظر لم يُخطوا

فما هذه الفتن التى ذكرها أبو العلاء ، ومتى كانت ؟

(يتبع) **عبد الوهاب عزام**

---

(١) الملك فى مصر كان للفاطميين حينئذ وكان الخليفة منهم الظاهر (٤١١ — ٤٢٧) فهو يلوم الفاطميين على أن تركوا هذه القبائل تعيث فى الأرض وهم لاهون بتعتير فارات الملك يتطيبون بها لا بعتر الفوارس والعتر الذبح .

فصل كتاب :

يتيمة الدهر

للوزير السيد أبي الحسين بن أحمد بن الحسن بن علي

للأستاذ برهان الدين الداغستاني

كنت أظن أن اسم « يتيمة الدهر » وقف على كتاب أبي منصور الثعالبي المعروف ، حتى عثرت منذ سنوات في خزانة المرحوم أحمد تيمور باشا — على رسالة صغيرة الحجم بسماة يتيمة الدهر للوزير السيد أبي الحسين بن أحمد بن الحسن بن علي رضي الله عنه .

وهذه الرسالة في ٦١ ورقة مكتوبة بخط نسخي جميل مشكول وكل صفحة في أحد عشر سطراً ، وعلى الرغم من شدة عناية المرحوم تيمور باشا بمخطوطات خزانته ، وحرصه الزائد على ذكر مؤلفيها وبيان عصورهم وطرف من تراجمهم — لم أجد في فهارس الخزانة ما يكشف الغطاء عن شخصية مؤلف هذه الرسالة ، وأخذت أقلب الكتاب لعلي أجد في ثناياه ما ينم عن هوية مؤلفه فلم أجد إلا تلك العبارة المسطرة في رأس الصفحة الأولى منه وهي: « كتاب يتيمة الدهر . بسم الله الرحمن الرحيم . قال الوزير السيد أبو الحسين بن أحمد بن الحسن بن علي رضي الله عنه : الحمد لله العلي الكبير ، القوي القدير ، العليم الخبير ، السميع البصير ... إلى أن يقول : أما بعد ، فإن أحق ما نطق به لسان ، وأعرب عنه بيان ، وانطوى عليه كتاب ، وانتهى إليه خطاب ، ما زاد في قوة البصيرة ، وعاد بصحة السريرة ، وطرق طرائق العدل ، وبين حقائق الفضل ، فصار تذكرة للأخيار ، ومزجرة للأشرار ، وقوة لأولي الألباب والأبصار ، وإماماً للعمال ، وقواماً للأعمال ، يرجع إليه الساسة ، وتبنى عليه السياسة ، وتنظم به الأسباب ، وتتجمع فيه الآداب

وإن الأدب أدبان : أدب شريعة ، وأدب سياسة ؛ فأدب الشريعة ما قضى الفرض ، وأدب السياسة ما عمر الأرض ، وكلاهما يرجع إلى العدل الذي به سلامة السلطان ، وعمارة البلدان ، وصلاح الرعية ، وكمال المزية ، لأن من ترك الفرض ظلم نفسه ، ومن خرب الأرض ظلم غيره » . في مقدمة طويلة على هذا النسق من سجع قصير غير متكلف استغرق ثماني صفحات من الأصل إلى أن يقول في آخر المقدمة : « وقد جمعنا من إنشائنا في كتابنا هذا ألفاظاً وجيزة ، وأجريناها مجرى الأمثال ، وفصولا قصيرة قد جعلناها عمدة للولاة والعمال ، وعدة للعقلاء ، وذوي الأعمال ، وقصدنا فيما ألفناه من ذلك وجه الاختصار ليقل لفظه ، ويسهل حفظه ، وجعلناه ألف فصل ومثل في ثمانية أبواب :

الباب الأول : في الاستعانة على حسن السياسة

الباب الثاني : في الاستعانة على فضيلة العلم والعمل

الباب الثالث : فيما يستعان به على الزهد والعبادة

الباب الرابع : فيما يستعان به على أدب اللسان

الباب الخامس : في الاستعانة على أدب النفس

الباب السادس : في الاستعانة على مكارم الأخلاق

الباب السابع : في الاستعانة على حسن السيرة

الباب الثامن : في الاستعانة على حسن البلاغة

واستعنا فيما وضعناه من ذلك بالله الجليل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل » .

* * *

ثم قام أحد الناشرين بطبع هذا الكتاب ، وكتب له أحد كبار رجال القضاء الشرعي مقدمة نفيسة ، وصرح كاتب المقدمة بأنه لم يعثر على ترجمة المؤلف ، ولم يشر إلى أن هذه الرسالة طبعت قبل هذه المرة

والواقع أن هذه الرسالة قد طبعت في القاهرة من نحو خمسين سنة ، وإذا أردنا التحديد قلنا : إنها طبعت سنة ١٣١٧ هـ مسماة بغير اسمها ، منسوبة إلى غير مؤلفها ، فقد طبعت على هامش كتاب « نثر النظم وحل العقد » لأبي منصور الثعالبي ، وسميت « كتاب الفرائد والقلائد » ، ونسبت إلى أبي منصور الثعالبي أيضاً ، وذلك بالمطبعة الأدبية بسوق الخضار القديم بمصر سنة ١٣١٧ هـ ، ثم طبعت هذه الرسالة مرة أخرى بعنوان « كتاب الأمثال المسمى بالفرائد والقلائد ، ويسمى أيضاً بالعقد النفيس ونزهة الجليس » ،

ونسب فى هذه المرة أيضاً إلى أبى منصور الثعالبى . وهذه الطبعة مطبوعة فى مطبعة التقدم التجارية بحارة العنبة رقم ١٠ بشارع محمد على بمصر وليس عليها تاريخ الطبع

وهكذا فقد طبع هذا الكتاب مرتين — ولعله طبع مرات أخرى لا نعرفها — مسمى بغير اسمه الحقيقى — ونسب إلى غير مؤلفه فى كلتا المرتين ؛ حتى عثر على نسخة الخزانة التيمورية ، فعرف أن اسمه الحقيقى هو « يتيمة الدهر » ، وأن المؤلف هو الوزير السيد أبو الحسين بن أحمد بن الحسن بن على رضى الله عنه .

* * *

بقى أن نعرف من هو السيد أبو الحسين صاحب كتاب « يتيمة الدهر » ؟ وفى أى عصر عاش ، وما هى مكانته الأدبية ؟

لقد أطلت البحث عن ترجمة للسيد أبى الحسين ، وبذلت كثيراً من الجهد والوقت ، ولكن حياة هذا السيد الكريم ما زالت غامضة خفية . لم أستطع كشف القناع عنها ، فإنى مع كثرة ما بحثت وراجعت من المراجع لم أجد للسيد أبى الحسين ذكراً إلا ما ورد فى رسائل بديع الزمان الهمذانى فى سياق تلك المناظرة التاريخية التى وقعت بين البديع والخوارزمى فى نيسابور سنة ٣٨٣ هـ ، فقد كرر البديع الهمذانى اسم السيد أبى الحسين أكثر من مرة واحدة فى أثناء حكايته لتفصيلات تلك المناظرة ، وذكر أن السيد أبا الحسين كان أحد شهود المناظرة المحكمين ، وأنه كان يناصر الخوارزمى ، وأن الخوارزمى كان يلجأ إليه ويخصه بالحديث والالتفات فى الجلسة الأولى للمناظرة ، فلما كان المجلس الثانى احتال البديع على السيد أبى الحسين ، واستماله إلى جانبه بقصيدة أنشده إياها فى مدح أهل البيت والتشيع لهم ، واستمع إلى البديع حيث يقول : « ... ثم حضر السيد أبو الحسين وهو ابن الرسالة والأمامة ، وعامر أرض الوحى ، والمحتبى بفناء النبوة ، والضارب فى الأدب بعرقه ، وفى المنطق بحذقه ، وفى الإنصاف بحسن خلقه ، فجثم إلى المجلس قد سيفه ، وجعل يضرب عن هذا الفاضل — أبى بكر الخوارزمى — بسيفين لأمر كان قد موه عليه ، وحديث كان قد شبه لديه ، وفطنت لذلك فقلت : أيها السيد ! أنا إذا سارغيرى فى التشيع برجلين ، طرت بجناحين ، وإذا متّ سواى فى موالاة أهل البيت بلمحة دالة توسلت بغرة لائحة ، فإن كنت أبلغت غير الواجب فلا يحملنك على ترك الواجب ، ثم إن لى فى آل الرسول صلى الله عليه وسلم قصائد قد نظمت حاشيتى البر والبحر ، وركبت الأفواه ، ووردت المياه ، وسارت فى البلاد ، ولم تسر بزاد ، وطارت فى الآفاق ، ولم تسر على ساق ، ولكنى لا أتسوق بها لديكم ، ولا أتنفق بها عليكم . وللآخرة قلتها لا للحاضرة ، وللدين ادخرتها لا للدنيا

فقال : أنشدنى بعضها فقلت :

يا لمـــة ضرب الزما	ن على معرسها خيامه
لله درك من خزا	مى روضة عادت ثغامه
لرزية قامت بها	للدين أشراط القيامه
لمضرج بدم النبو	ة ضارب بيد الأمامه
متقسم بظبا السيو	ف مجرع منها حمامه
منع الورود وماؤه	منه على طرف الثمامه
نصب ابن هند رأسه	فوق الورى نصب العلامه

إلى آخرها ، وهى قصيدة فى نحو خمسة وعشرين بيتاً كلها على هذا الطراز

قال البديع : « فلما أنشدت ما أنشدت ، وسردت ما سردت ، وكشفت له الحال فيما اعتقدت ، انحلت له العقدة ، وصار سلماً ، يوسعنا حلماً » .

* * *

هذا كل ما وجدته عن السيد أبى الحسين ، ومنه يظهر مكانه فى العلم والأدب ، كما يعلم أنه من معاصرى البديع والخوارزمى ومقارعيهما ، وأنه كان موجوداً فى أواخر القرن الرابع الهجرى

بقى أن نعرف : هل هذا السيد الذى قص البديع الهمذانى خبره — هو الوزير السيد أبو الحسين بن أحمد بن الحسن بن على رضى الله عنه صاحب كتاب يتيمة الدهر ؟ .

ذلك ما لا سبيل إلى الجزم به الآن ، ولعل فى قراء « الرسالة » الغراء من يعرف عن كتاب « يتيمة الدهر » ومؤلفه السيد أبى الحسين أكثر مما نعرف . فإلى أولئك أوجه الرجاء أن يتفضلوا بنشر ما لديهم من المعلومات مشكورين .

برهان الدين الداغستانى

البــلاغة العصرية
واللغة العربية

تأليف الأستاذ سلامة موسى

للأستاذ أحمد محمد الحوفي

موضوع الكتاب — اسم على غير مسمى — الأسلوب التلغرافي — اللغة العربية وحرية المرأة — البلاغة والمنطق — لغتنا حرية استقراطية عقيدية — دار العلوم والمنطق — دار العلوم والاصلاح اللغوى — دار العلوم للمسلمين — أبو تمام والثقافة ... ...

— ١ —

لم يكد يفرغ الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات من دفاعه المنصف المجيد عن البلاغة حتى أخرج الأستاذ سلامة موسى هذا الكتيب. ولقد يتوسم قارئ اسمه أنه محاولة موفقة لتجديد البلاغة العربية، أو نقد ونقض لبعض أسسها القائمة، لكنه إذا ما أتمه دهش من انقطاع الصلة بين العنوان والمعنون، فليس فيه تجديد ولا نقض، اللهم إلا الدعوة إلى أن تجارى لغتنا عصرنا، وتماشى حياتنا، وهى دعوة قديمة قال بها عبد العزيز الجرجانى وعبد الكريم النهشلى وغيرهما، وإنما نثر المؤلف فى بحثه سوانح عنت له فى نشأة اللغة، وعلاقتها بالمجتمع، وضرر اللغة، والتفسير الإقتصادى للغة، والفصحى والعامية الخ، فمن المغالطة أن يسمى كتيبه بهذا الإسم، ومن المغالطة أن يعقد فصلا عنوانه (فن البلاغة) ولا شىء فيه من فن البلاغة. فهل من البلاغة العصرية ألا تدل الكلمات على مسمياتها المعهودة؟

— ٢ —

كرر فى بحثه الدعوة إلى الأسلوب التلغرافى «وكذلك نحن نتبع الأسلوب التلغرافى، ونتخير الكلمة التى تحمل المغزى فضلا عن المعنى» ص ١٩

فماذا يريد به؟ إنه يريد أن يكون الأسلوب خالياً من الروعة والبراعة والجمال والموسيقى، فلا يمتاز من أسلوب الخطاب المعتاد المتداول فى الشئون اليومية. يريد ألا تفاوت الموضوعات والمناسبات وأقدار الأدباء والقراء، يريد (الاشتراكية) فى اللغة كما قرر فى مواضع أخر، ويتجافى ما تقرره البلاغة وعلم النفس من أن الأسلوب صدى لما فى نفس منشئه، فالإنفعال القوى لا يعبر عنه إلا أسلوب يلائمه قوة. والانفعال الهادىء لا يوائمه إلا أسلوب يشاكله دقة، والمفات كلها تعيا أحيانا عن تصوير العواطف بكلماتها الوضعية، فلا مندوحة للأديب من الجوء إلى الخيال وأفانين الجمال.

وإذا كان هذا رأيه الذى طالما دعا إليه، فلماذا لم يأخذ نفسه به؟ ماله لا يلتزم الأسلوب التلغرافى الذى يدين به؟ ثم ماله لجأ إلى تكرير المعانى فى هذا الكتيب؟

على أنا إذا آثرنا الأسلوب التلغرافى فقد جحدنا ما خلفه أدباء العالم كله من تراث فنى. ولخير إذاً للزيات والعقاد والجارم وبرنارد شو وأندريه موروا وأضرابهم أن يحطموا أقلامهم، أو يغيروا أساليبهم، وهيهات هيهات!

وليس من الصواب الفصل بين الأسلوب والمعنى، فهما جزء واحد، وهما معاً قسيمان فى إثارة القارئ ومجاوبته للأديب، أو شعوره بالمتعة الفنية، وهما معاً شريكان فى التعبير عن خلجات الأديب وعواطفه، والأسلوب التلغرافى لا يحقق كل ذلك.

ولذا عرف بوفون الكتابة الجيدة بأنها «التفكير الجيد والشعور الصادق والإبانة الممتازة مجتمعة معاً» وفى رأى بوفون أيضاً أن «متانة الأسلوب ليست إلا ملاءمته لطبيعة الموضوع، وهى تتولد تولداً طبيعياً من معنى الموضوع نفسه». وهكذا كان بوفون نخما عند ما يكتب فى التاريخ الطبيعى. وسهلا يستخدم الألفاظ الشائعة فى رسائله إلى أصدقائه القربين[1].

والأستاذ سلامة يناقض نفسه إذ يقول فى ص ١٧ «ويمكننا أن ننظر إلى اللغة النظر الفنى فننشد بالكلمات والجمل رفاهية ذهنية لا تؤديها الدقة العلمية» وفى هذا رد على دعوته إلى الأساليب التلغرافية، إذ الرفاهية الذهنية ليست إلا ثمرة للروعة فى التعبير، والإبداع فى التصوير، والفحولة فى التفكير.

(١) بوفون والأسلوب. الرسالة العدد ٦٠٨

— ٣ —

« ثم انظر إلى ما ورثنا من المجتمع العربى القديم بشأن المرأة فقد ألغى هذا المجتمع المرأة من الحياة الاجتماعية إلغاء يكاد يكون تاما ، أما نحن فقد « رددنا الاعتبار » للمرأة المصرية ؛ ولكن مازلنا نستعمل الكلمات القديمة فنقول « أم فلان » أو « حرم فلان » ولا نذكر الإسم ، مع أن الإسم جزء من الشخصية وإهماله هو سبة للمرأة ... وإهمالنا لاسم المرأة هو تراث لنوى قديم يحمل إلينا عقيدة اجتماعية يجب أن نكافحها » ص ٤٩

وليس فى هذا شىء من الحق ، فإن الإسلام قد رفع من شأن المرأة ، واختصها القرآن الكريم فى كثير من المواضع بالخطاب ، ومنحتها الشريعة حقوقها كاملة ، وبحسبنا أن الشريعة الإسلامية لم تحرمها التصرف فى مالها الخاص أو الميراث إذا تزوجت ، ولم تجعل لزوجها سلطانا على مالها ، مع أن القانون الفرنسى ما زال يعتبرها ناقصة الأهلية ، فيتصرف زوجها فى مالها كما يتصرف المولى أو الوصى فى مال القاصر ، وليس لها حق التقاضى إلا بإذن زوجها .

ثم إن الشريعة الإسلامية منحت المرأة حرية اختيار زوجها ، وأجازت أن تكون العصمة بيدها . وقد ضرب الرسول عليه الصلاة والسلام أرق المثل فى إعزازها والحدب عليها ورد الاعتبار لها بأفعاله وأقواله ، وطالما تغنى الشعراء بحبها والزلفى لها ، وطالما أسهمت فى الحركة الأدبية والعلمية والسياسية بنصيبها ، وطالما سُمّى الرجال بأسماء أمهاتهم وبناتهم ، فليس بصواب أن المجتمع الإسلامى — ودينه الإسلام — انتقص حقوق المرأة وحقر من شأنها كما ادعى الاستاذ .

وهل تناسى الأستاذ أن أوروبا بعد ذلك العصر كانت تسوم المرأة الذلة والهوان ؟ وأن أوروبا كانت تتجادل فى حقيقة المرأة أإنسان هى أم شيطان ؟

ولا تحقير للمرأة فى أن نطلق عليها « أم فلان » ، وإنما فيه تكريم لها ومسرة واعتراف بالفضل ، إذ أنجبت ، وأدت وظيفتها الأولى فى الحياة . ولا تحقير لها فى أن نكنى عنها بحرم فلان ؛ لأنها فى عصمته ورعايته وحمايته ، وهى تعلم أن الزواج شرفها وحليتها وأملها ، وهل المجتمع الغربى المعاصر يحقر المرأة ؟ وإلا فلماذا يطلق عليها مسز فلان وليدى فلان ومدام فلان ؟

ومن لطائف برناردشو فى ذلك أن سيدة قالت له : إن الرجل قد سلب المرأة حقوقها ، فقال لها : بل سلبته هى كل شىء حتى اسمه

— ٤ —

« يجب أن يكون المنطق أساس البلاغة الجديدة ، وأن تكون مخاطبة العقل غاية المنشىء بدلا من مخاطبة العواطف » ص ٥٦

وهذه فكرة عاسفة تهدم أساس الشعر والنثر والفنون الجميلة عامة ؛ لأن الفنون وليدة العواطف ، واستجابة لنوازع نفسية لا صلة للمنطق بها ، ولو أنا أخضعنا كثيراً من النصوص الأدبية التى تروقنا للمنطق لوجدناها هباء .

فكلنا نعجب بقول المنخل اليشكرى :

وأحبها وتحبنى ويحب ناقتها بعيرى

ونطرب لقول جميل :

لكل حديث بينهن بشاشة وكل قتيل عندهن شهيد

ويروعنا قول المتنبى :

تسوّد الشمس منا بيض أوجهنا
ولا تسود بيض العذر واللمم

وكان حالهما فى الحكم واحدة لو احتكمنا من الدنيا إلى حكم

ويهزنا قول شوقى :

وجواهر التيجان ما لم تتخذ من معدن الدستور غير صحاح

وأى منطق فى هذا ؟

لو أنا اتخذنا المنطق وحده دعامة للأدب لا نقلب إلى حقائق جافة لا خيال فيها ولا جمال ولا سحر ، ولكان أحرى به أن يسمى علماً لا أدبا ؛ لأن خصيصة الأدب فى لغات العالم كلها أن معانيه خيالية ، وليس معنى هذا أنها بمعزل عن منطق الحياة ، أو فيها خلط واضطراب ، وما زال العالم يكبر ما خلفه هوميروس واليونان من تراث ، وأى منطق فى أبطالهم وأعمالهم الخوارق وهم آلهة وأنصاف آلهة ؟

— ٥ —

« لغتنا لا تماشى المعارف العصرية ؛ لأنها قضت شبابها

تلابس مجتمعاً أرستقراطياً حربياً عقيدياً » ص ٧٧ ، « يجب أن تكون لغتنا متمدنة تتسع للتعبير عن نحو مئة وعشرين علماً وفناً لم يكن يعرفها العرب الذين ورثنا عنهم لغتنا » ص ٢٠

أما أن لغتنا متخلفة عن ركب الحياة العصرية فهذا حق ، ولكن الوزر علينا ؛ لأن اللغة لا تنمى نفسها ، وإنما ينميها المتكلمون بها ، وقد ركدت حياتنا أحقاباً طوالا انزوينا فيها عن العالم المتجدد ، فلما أفقنا وجدنا فى لغتنا قصوراً عن مجاراة الحياة المتجددة ، فعلينا أن ننميها بالاشتقاق أو التعريب

وأما اتهام اللغة بأنها وليدة مجتمع أرستقراطى حربى دينى فلم تعد صالحة لحياتنا — فجرأة ودعوى باطلة ، فلم تكن الأمة الإسلامية فى العصر العباسى الذى يقصده المؤلف أرستقراطية حربية دينية فحسب ، وإلا فبأية لغة ترجم المسلمون تراث اليونان والفرس والهنود والنبط ؟ أتتسع اللغة العربية للتعبير عن فلسفة أفلاطون وأرسطو والتعليق عليها وشرحها ثم تتهم بأنها لغة مجتمع أرستقراطى حربى دينى فحسب فليست صالحة لنا ؟ وبأية لغة ألف المسلمون فى الفلسفة والجغرافيا والفلك والرياضة والمنطق والأخلاق والكيمياء والبلاغة الخ ... الخ

وبحسبى أن المؤلف قد ناقض نفسه بقوله : « إن اللغة خدمت المجتمع العباسى أجل خدمة ، وقامت بشئون حياته » ص ٧٥

ومن عجب أن يطالب بإلغاء كلمات الحرب من لغتنا ؛ لأن مجتمعنا سلمى ص ٧٧ فأى سلام هذا الذى يحلم به ؟ وأين اللغة التى تخلو من كلمات الحرب حتى نجرد لغتنا منها ؟ أو ليس من الحق أن تتهم اللغة بعد قرن إذا ما جردناها من كلمات الحرب بأنها كانت لغة قوم أذلاء مستضعفين ؟

— ٦ —

« وإذا كان اللورد هوردر الطبيب الإنجليزى ينصح لكليات الطب فى بريطانيا بتدريس كتاب جيفونز فى المنطق فى السنة الأولى من الدراسة الطبية فإننا أحوج إلى مثل هذه النصيحة فى دراسة اللغة العربية فى كلية الآداب أو فى دار العلوم » ص ٦ ١

والعجب من مؤلف ينصب قلمه للاصلاح المزعوم أو الموهوم ثم يتجنى أو يغفل ، كأنه لا يعلم أن المنطق القديم والحديث يدرس بدار العلوم دراسة تفوق الحد الذى يتطلبه الأستاذ .

— ٧ —

« أبناء دار العلوم هم الذين تخصصوا فى اللغة ، وتخصصهم حرمهم من دراسات بشرية عدة ، فضاقت آفاقهم وتحجرت لغتهم ... وهم يخشون التغيير لأسباب اقتصادية وطبقية » ص ١٤

أما أنهم هم الذين تخصصوا فى اللغة وأدبها فهذا حق ، وأما أن تخصصهم حرمهم من دراسات بشرية عدة فهذا باطل ، ذلك أنهم يدرسون مع اللغة التى تخصصوا وحدهم فى دراستها كما يقول الأستاذ ثقافات أخرى منها علم النفس والتربية والتاريخ والشريعة والمنطق والأدب ، والأدب المقارن والعبرية والسريانية والإنجليزية والاقتصاد والاجتماع ... الخ الخ ... وقد درسوا فى تجهيزية دار العلوم برنامج المدارس الثانوية وزادوا عليه التفسير والحديث والفقه . ولو اطلع الأستاذ على مناهجهم واستيعابهم لها وشغفهم بالبحث والدرس لغير رأيه ، أو لوجد من الخير له ألا يهاجم به إن كان له فى الإصرار على الانتقاص الظالم أرب .

وأما أن المتخرجين فى دار العلوم يخشون التغيير والتجديد لأسباب اقتصادية وطبقية فهذا افتراء وضغن ، فليسوا يعادون التجديد حرصاً على وظائفهم أن تزايلهم كما يزعم ؛ لأنهم دائماً فى طليعة المجددين ، لكن على أن التجديد إصلاح وبناء ودعم ، لا اعتساف وثورة وهدم ، ثم هم قد درّسوا الرياضة والتاريخ والجغرافيا فى مدارس المعلمين والمدارس الحرة فبرعوا ، واستحقوا تقدير الرؤساء ، ونالوا إعجاب الطلاب ، ولم يخطر لأيهم أن يقاوم تجديداً فى اللغة لأنه يؤثر صالحه كما يتهجم عليهم الأستاذ ، وإلا فما بالهم يجددون فى منهج دار العلوم ويستقدمون أساتذة ليسوا من أبنائها ؟ وما بالهم دعوا إلى إنشاء المجمع اللغوى منذ ثلاثين عاما ؟

— ٨ —

ولم ينفد بعد تجنيه على دار العلوم ، فيقول « ودار العلوم للمسلمين ، وهذه نظرة تربط بين اللغة والدين ... فاللغة عند زكى مبارك وابن عرب والحكومة المصرية ليست لغة الديمقراطية والأتومبيل والتلفزيون بل هى لغة القرآن وتقاليد العرب » ويخيل لى أن هذا مفتاح ضغنه على دار العلوم ، فلماذا يختص بها المسلمون ؟ أليس فى هذا حرص على اللغة العربية لأنها لغة الدين ؟

نعم دار العلوم للمسلمين ، لأن المسلمين ما زالوا يرون حفظ



٧ – الفن

للكاتب الفرنسى بول جيزل

بقلم الدكتور محمد بهجت

الفصل الخامس — الرسم واللون

كان رودان يرسم كثيراً مستعيناً بقلم الحبر أحياناً وبقلم الرصاص أحياناً أخرى . وكان فى أول الأمر يرسم الخط الخارجي بالحبر ثم يضع الظلال بريشة . وتظهر مثل تلك الرسوم النائية كأنها أخذت عن نماذج بارزة أو منحوتة . وما كانت تلك الرسوم فى جملتها إلا رؤى المثّال وأخيلته . أما فى العهد الأخير فكان يستعمل القلم الرصاص ليرسم الجسم العريان ثم يضع ألوان اللحم بالريشة . وهذه الأخيرة أبسط من الرسوم السابقة ، والأوضاع فيها أقل تحديداً ، ولكنها أكثر حركة وأوفى نشاطاً . فترى فى بعض الحالات الجرة أو الخط قوياً عنيفاً كأن به جنة . ترى جسماً بأكمله وقد نظمته جرة واحدة من القلم الرصاص – وتنم تلك الرسوم عن ذلك الجزع المقدس الذى يعترى الفنان حينما يخشى أن يفوته أو يفلت منه تعبير طارئ . أما ألوان اللحم فتوضع بسرعة وقوة وتتم فى ثلاث أو أربع لمسات ، وأما التمثيل فينشأ عن جفاف بقع الألوان حيث تتخلف عند كل لمسة نقط عديدة لا يتسنى للريشة العجلى جمعها والتقاطها .

وهذه الرسوم الأولية تمسك وتثبت الإشارات والإيماءات الخاطفة ، وتسجل الحركة المتتابعة التى قلما تلمحها العين لأكثر من نصف ثانية . وهى لا تطلعك على الخطوط والألوان فحسب ، بل تريك الحركة وتشعرك الحياة أيضاً . إنها أخيلة المصور أكثر منها أخيلة المثّال .

وأخيراً توقف رودان عن إجراء التمثيل بالريشة وذلك لمداومته على استعمال القلم الرصاص ، فهو يقتصر على مسح الخط الخارجي بأصبعه فينشأ عن ذلك لون فضى يغشّى الأجسام كأنه الغلالة الرقيقة ، ويضفى عليها جمالاً رائعاً يجعلها تبدو كأنها غمست فى الشعر والخيال .

وتلك الدراسات الحديثة أجمل دراساته على ما أعتقد . فهى مضيئة ، تزخر بالحياة وتفيض بالسحر .

وعند ما كنت أنظر مع رودان فى بعض تلك التصاوير قلت له : « كم تختلف هذه عن تلك التصاوير الكاملة المنمقة التى تصادف هوى الجمهور ؟ » فقال :

القرآن الكريم والحديث الشريف غذاء اللغة ومعينا للأدب ، وما زالوا يحرصون على سلامة اللغة وبقائها ليبقى الدين ويبقى القرآن الكريم . وأى ضير فى أن يكون للغة علاقة بالدين ؟ أيريد الأستاذ أن يتهاون أبناء دار العلوم باللغة فلا إعراب ولا فصاحة ولا تحرز من أن تفشو الكلمات الأعجمية وإن استطعنا وضع معانيها من لغتنا العربية كما صرح بذلك فى كتابه حتى يصبح القرآن غريباً فى هذه اللغة وهو منها الروح الملهم والمدد الذى لا يغيض ؟ أم يريد ألا يدرس أبناء دار العلوم دينهم ولا يعلموا فيما بعد تلاميذهم ؟

— ٩ —

« وقد كان نابليون يصف الأدباء بأنهم تجار الكلمات ، ولأبى تمام شطرة من بيت كثيراً ما تذكرهى :

« السيف أصدق أنباء من الكتب »

والواقع أن أبا تمام لم يقل كلمة هى أبعد عن الصحة والحقيقة من هذه الشطرة لأن السيوف لا تتحرك إلا للكلام الذى سبقها ... » ص ٨٨

فهم أن أبا تمام يفضل الحرب والقسوة على الثقافة ، كنابليون ولكن الحقيقة أن الشاعر يريد كتب المنجمين الذين أرادوا أن يعوقوا المعتصم عن فتح عمورية ، والتنجيم خرافة ، فلا تثريب على الشاعر ولا وجه للومه ، والشاعر يقول فى القصيدة نفسها :

والعلم فى شهب الأرماح لامعة
وفى الجديدين لا فى السبعة الشهب

مشيراً إلى خرافة المنجمين .

(يتبع)

أحمد محمد الحوفي

المدرس بالسعيدية الثانوية

« حقاً إنها التفاصيل والدقائق المينة الخالية من التعبير ، والحركة الزائفة المتكلفة هي التي تستهوى الجهال وتطربهم . فالعامة لا تستطيع أن تدرك كنه تعبير قوى لا يحفل بالدقائق والتفاصيل التي لا فائدة منها ويعنى بحقيقة المجموع كله . نعم لا تستطيع السوقة أن تدرك شيئاً من تلك الملاحظات الصادقة التي تنأى بنفسها عن الأوضاع المسرحية المفتعلة والتي تعنى بأحوال الحياة الحقيقية البسيطة ذات الأثر البالغ في النفس

إن من الصعب تصحيح الأغلاط الشائعة عن موضوع الرسم . فمن الخطأ البين أن يظن امرؤ أن الرسم جميل في حد ذاته . إنه ليس جميلا إلا بما يعبر به عن الحقائق الصادقة وعن المشاعر العميقة . يعجَبُ الجمهور بفنانين يملكون ناصية فنهم بلا مراء ولكنهم يزوقون وينمقون خطوطاً إنشائية خالية من الدلالة ، ويثبتون مرسوميهم في أوضاع متكلفة غير طبيعية ، ولكنها تعد فنية لأنها تشبه أوضاع المُثل الإيطالية الذين يعرضون أنفسهم على أبواب المراسم . وهذا ما يسمى غالباً بالرسم الجميل ، وما هو في الحقيقة إلا « خفة يد » تعجب البلهاء الحمقى .

وفي الواقع يوجد رسم في الفن كما يوجد أسلوب في الأدب ، أي أن الرسم في الفن هو بمثابة الأسلوب في الأدب . فالأسلوب المزوق الذي يترك أثراً في النفس أسلوب ردىء . وأما الأسلوب الجيد الرصين فهو الذي يستخفى ويتوارى كيما يوجه القارىء كل اهتمامه إلى الموضوع الذي هو بصدده وإلى العاطفة المصورة .

فالفنان الذي يزوق رسومه والكاتب الذي يصبو لامتداح أسلوبه كلاهما كالجندي الذي يزين كسوته بالريش ولكنه يتهيب الذهاب إلى المعركة ، أو كالفلاح الذي يشحذ ويجلو سكة المحراث بدلاً من أن يقوم ويفلح بها الأرض .

قد لا يخطر ببالك أن تمتدح الرسم أو الأسلوب ذا الجمال الصادق لأنك تؤخذ بأهمية كل ما يعبران عنه ، ومثل هذا يقال عن اللون أيضاً . وفي الواقع لا يوجد أسلوب جميل أو رسم جميل أو لون جميل ، وإنما يوجد جمال واحد فقط هو جمال الحقيقة السافرة المتجلية . فعند ما يتمخض عمل عظيم – أدبياً كان أو فنياً – عن حقيقة جلية ، أو عن فكرة عميقة ، أو عن شعور قوى فياض فمن البدهي أن يكون الأسلوب أو الرسم أو اللون بالغاً منتهى الإجادة والسمو ولا تكون تلك الصفات إلا نور الحقيقة منبعثاً من مصباحها .

يعجب الناس برسوم رفائيل بحق ، ولكن يجمل بهم ألا يعجبوا بها لذاتها أو لاتزان خطوطها اتزاناً بارعاً ، وإنما يعجبون بما تنطوى عليه من المعانى . وأما محاسن هذه الرسوم وكل ما يدعو إلى الإعجاب بها فتنحصر في وداعة الروح ووداعة حلوة رأتها عينا رفائيل وسفرت معبرة عن نفسها على يديه ، وفي الحب الذي يغمر نواحي نفسه والذي يفيض من قلبه على الطبيعة بأسرها .

ولقد حاول الكثيرون ممن تنقصهم روحه أن يستعيروا موسيقية الخطوط والحالات التي صور عليها أشخاصه فلم ينتجوا إلا مقلدات غثة لأعمال نابغة أوربينو العظيم[1] .

وفي رسوم ميشيل أنجلو لا يعجبن المرء بالطريقة التي انتهجها أو بالنتوءات القوية أو بالتشريح البارع ، ولكن بقوة هذا الفنان الزاخرة . أما مقلدوه الذين تعوزهم روحه والذين نسخوا في لوحاتهم أوضاعه القوية الوطيدة ، وعضلاته المنتفخة ، فقد باءوا بالفشل ووضعوا أنفسهم موضعاً كله شين وسخرية .

وإن ما يصح أن نعجب به من ألوان تيتيان Titian هو ما تقدمه لنا من المعانى لا بانسجامها القليل أو الكثير . فليس لألوانه جمال حقيقي إلا بما تتضمنه من سَيْدُودَة جليلة شاملة . ويظهر الجمال الحقيقي لألوان فيرونيز في قدرتها على إبراز حفلات النبلاء الرشيقة الأنيقة بألوان فضية موسيقية ساحرة .

وأما ألوان روبنز (Rubens) فلا قيمة لها في حد ذاتها ويكاد يكون جمالها المتوهج هراء لولا انطباعها بطابع الحياة والبهجة والسرور والشعور القوى العميق .

ولا أظن أنه يوجد عمل فني واحد يرجع جماله إلى اتزان خطوطه أو تهويل ألوانه فقط أو إلى أنه يسترعى العين وحدها . خذ مثلا النوافذ ذات الزجاج الملون التي يرجع عهدها إلى القرنين الثانى عشر والثالث عشر فهي إذا ما سحرتنا بألوانها الزرقاء المخملية ، أو بحنان ألوانها البنفسجية ، أو بحرارة ألوانها الحمراء ، فما ذلك إلا لأن تلك الألوان تفصح عن سرور خفى أمل صانعوه البررة الأتقياء أن يحظوا به في سماء أحلامهم . وإذا ما جاءت بعض

---

(١) رفائيل سانزيو ، وأربينو بلدته .

قطع القاشانى الفارسى المزينة بأزهار فيروزية اللون آية من آيات الألوان الساحرة المحببة فما ذلك إلا لأن ألوانها البديعة تحمل النفس إلى ما لا أدرى من أودية الأحلام والخيـال . وعلى ذلك فـكل رسم وكل ألوان منسجمة تؤدى معنى بحيث لا يصبح لها جمال بدونه ... وهنا قاطعته قائلا :

« ولـكن ألا تخشى الحط من قيمة الصنعة فى الفن ؟ »

ومن يقول لك باحتقـارها أو بالإقلال من شأنها ؟ ليست الصنعة إلا وسيلة . ولن يبلغ الفنان الذى يهملها غايتـه التى هى التعبير عن الشعور والأفـكار . ويكون مثـل هذا الفنان مثل السائس الذى نسى أن يعلف جواده الشعير .

ومما لا مشاحة فيه أنه إذا كان الرسم ضعيفاً ركيكا واللون مزيفاً مسيخاً ، فلا يمكن والحالة هذه أن تجد أقوى العواطف سبيلا إلى الظهور والأفصاح . قد يبعث التشريح الخاطئ على الضحك على حين يرغب الفنان أن يكون جداً مؤثر . ويرتكب اليوم كثير من أحداث الفنانين هذا العيب الشائن ، ويخونهم ضعفهم وقصورهم فى كل مناسـبة لأنهم لم يدرسوا الدرس الـكافى . قد تـكون مقاصدهم سليمة ، ونياتهم حسنة ، ولـكن ذراعا قصيرة قصر أظاهراً ، أو ساقاً غير مستقيمة ، أو منظورا مختلا مشوهاً — كل ذلك من شأنه أن يجعل الرائى يصد عن رؤيتها ويشيح بوجهه عنها .

وقصارى القول لا يمكن أن يغنى الهام مفاجىء عن العمل الطويل الذى لا غنية عنه لإكساب العين القدرة على الإلمام التام بالشكل والنسبة ، ولجعل اليد تنصاع لأوامر الشعور وتجرى مجراه

وعند ما أقول بأن الصنعة يجب أن تتناسى فلا أعنى أو يدور بخلدى قط أن الفنان يستطيع أن يزاول عمله من غير إلمام بالعلم ، وأرى على النقيض من ذلك أن لا غنى له عن طريقة شاملة يخفى تحتها ما يبطن ويعلم . ولا غرو فإن أبرع رجال العـالم فى نظر السوق الجاهل هم بعض المشعـوذين الذين يرسمون بضعة خطوط شاذة ، أو يأتون بألوان شبيهة بالألعاب النارية المدهشة ، أوهم الذين يكتبون جملا طويلة منمقة حشوها الغريب من الألفاظ . ولـكن الصعوبة كل الصعوبة ، وأساس الفن الصحيح هو أن ترسم أو تصور أو تـكتب بسهولة وبساطة .

إنك لتشاهد صورة أو تقرأ صحيفـة فلا يستوقفك الرسم أو اللون أو الأسلوب ، ولـكنك تشعر بالتأثير العميق فى نفسك من غير أن تخشى الوقوع فى غلطة ، فالرسم واللون والإسلوب كلها كاملة من الناحية الفنية ... فقلت له :

ألا يمكن مع هذا يا أستاذ أن تكون بعض الأعمال العظيمة الخالدة ناقصة من ناحية الصناعة الفنية ؟ ألم يقولوا مثلا إن ألوان رفائيل تغلب عليها الرداءة غالبا ، وإن رسم رمبراند لم يسلم من الغمز واللمز ؟ فقال :

صدقنى إن هذا خطأ صراح . فإذا كانت قطع رفائيل تسر النفس فما ذلك إلا لأن كل شىء فيها — من لون ورسم — يمد هـذا السرور بمعين . انظر إلى سان چورج الصغير باللوفر ، وإلى پارناسس بالفاتيكان ، وإلى رسوم الستائر فى سوث كنسنجتن (South Kensington) ، انظر إلى كل هذه تر الإنسجام فيها ساحراً أخاذا . نعم ، تختلف ألوان سانزيو عن ألوان رمبراند ولـكنها تلائم الهامه كل الملاءمة ، إنها صافية نقية كصنعة القرط. إنها تبدى انسجامات مفرحة ، طلية زاهرة . إن لهـا شباب روفائيل الخالد . إنها لا تبـدو حقيقية ، وذلك لأن الحقيقة التى كان يراها نابغة أوربينو ليست حقيقة مادية فحسب ، بل كانت دنياه دنيا شعور حيث تستحيل الأجسام والألوان بنور الحب . ولا غرو إذا قال أحد غلاة الواقعيين بأن ألوانه غير صحيحة ، أما الشاعر فيراها صادقة .

ولو قورنت ألوان رامبراند أو روبنز برسم رفائيل لبـدت الأولى جافية بشعة ، ما فى ذلك من شك .

ومع أن رسم رامبراند يختلف عن رسم رفائيل فهو لا يقـل عنه جودة . فخطوط رفائيل حلوة نقية ، أما خطوط رامبراند فخشنة متعرجة . كانت مخيلة الفلمندى العظيم متأثرة بالثياب الخشـنة ، والوجوه الفظة الجعدة ، وبأيدى الطبقة الفقيرة المـجلة الدرنـة . وما كان الجمال عنده إلا التباين بين حقارة الغلاف المادى الخارجى والإشعاع الروحى الداخلى . وإلا فـكيف كان يتسنى له أن يعبر عن هذا الجمال المؤلف من بشاعة مادية ظاهرة ومن سمو نفسانى رائع إذا ما حاول أن يجارى رفائيل فى أناقته ؟ ينبغى أن تدرك أن رسمه كامل متقن إلى أبعد حدود الـكمال والإتقان لأنه يتفق تمام الإتفاق مع خلجات نفسه وأفـكاره فقلت :

وعلى ذلك قد نفهم من قولك إنه من الخطأ الاعتقـاد بأن الفنان لا يستطيع أن يكون بارعا فى فن الألوان ورساما عظيما فى آن واحد

فقال : ما فى ذلك من شك. وأنا لا أدرى والله كيف رسخت هذه الفكرة فى الأذهان إلى هذا الحد . فإذا كان عظماء الفنانين فصحاء بلغاء ، وإذا كان فى مقدورهم أن يملكوا أعنة نفوسنا ويذهبوا بنا كل مذهب ، فما ذلك إلا لأنهم يملكون كل وسائل التعبير التى تلزمهم . لقد برهنت لك على ذلك من لحظة بحالتى رفائيل ورامبراند . ويمكن تطبيق مثل هذه الأدلة على جميع عظماء الفنانين. فمثلا اتهم البعض دلا كروا بجهله أصول الرسم ؛ أما الحقيقة فعلى النقيض من ذلك تماما ؛ فإن رسمه يتمشى تمشياً معجباً مع ألوانه . فهو مثلها وعر متقطع ، محموم ، سام ، مترع بالحيوية والعواطف القوية . وهو مثلها يجنح إلى الغلو والجنون أحيانا وعند ذاك يبدو أجمل وأروع ما يكون ... إن الرسم واللون شىء واحد ولا يمكن أن يعجب بالواحد دون الآخر .

ولقد يغرر أنصاف النقاد بأنفسهم حينما يفرضون وجود ضرب واحد من الرسم فقط هو رسم رفائيل أو حتى رسم من هم دونه من مقلديه أمثال دافيد وأنجر . وحقيقة الواقع أنه يوجد من ضروب الرسم والألوان بقدر ما يوجد من الفنانين .

يقال عن ألوان البرخت دورر (Alb·echt Durer) إنها صلبة جافة ، وليست كذلك بتاتا . إن دورر جرمانى ، فهو يعمم ولا يخصص ، وترى تراكيبه الإنشائية محكمة مدعمة كالحقائق المنطقية ، وأشخاصه جامدة كما ينبغى أن تكون . وهذا يفسر لنا دقة رسمه البالغة ، وكيف جاءت ألوانه مكبوتة محدودة .

« وينتمى هولبين (Holbein) إلى نفس المدرسة ، فليس لرسمه شىء من الرشاقة الفلورنتينية ، ولا للونه الجمال البندقى[1] .

ولكن لخطوطه وألوانه قوة ورسوخ ومعنى باطنى ، وهذه صفات قد لا تتوفر لأى مصور آخر .

ويمكن أن يقال إجمالا عن فنانين حريصين مدققين كمن ذكرت : إن رسمهم غير مرن وإن ألوانهم باردة جافة جفاف الحقائق الرياضية ؛ كما يمكن أن يقال على النقيض من ذلك عن البعض الآخر الذين هم شعراء الوجدان أمثال رفائيل وكوريجيو (Corregio) وأندريا دل سارتو (Amdrea dıl Sarto) إن خطوطهم أكثر طراوة وليونة ، وألوانهم أوفى رقة وجاذبية . أما فى غير هؤلاء ممن نسميهم «الواقعيين» أى أولئك الذين هم أقل عمقاً فى الشعور والحس أمثال روبنز وڤلاسكويز ورمبراند فترى أن لخطوطهم جمالا حيا له قوة وروعة ، وهدوء وسكون . أما ألوانهم فتقوى أحياناً حتى لكأنها أخذت من أشعة الشمس ، أو تخبو أحياناً أخرى فتبدو كأنها الهيدب أو الستر الشفيف .

وعلى ذلك قد تختلف طرائق التعبير عند نوابغ الفنانين باختلاف نفوسهم . ويكاد يكون مستحيلا على المرء أن يقرر بأن رسم ولون فريق منهم أحسن أو أفضل من رسم ولون الفريق الآخر » . فقلت :

— « إنى أدرك ذلك يا أستاذ ؛ ولكنى أراك لا تفكر لحظة فيما تسببه من الإحراج لجماعة النقاد المساكين عند ما ترفض مبدأ تقسيم الفنانين إلى رسامين وملونين . ولكن يسرنى أن أفهم من قولك إن هناك طريقة جديدة لمن يرغب ذلك من مريدى التقسيم ، فأنت تقول إن الرسم واللون ليسا سوى وسيلة ، وإن روح الفنان هى العامل المهم الذى يعنينا . وعلى هذا يمكن أن نضع المصورين فى جماعات تختلف باختلاف أمزجتهم . فالبرخت دورر مثلا يقرن بهولبين ، لأن كليهما منطقى . ويوضع رفائيل وكوريجيو وأندريا دل سارتو الذين ذكرتهم فى قسم تغلب عليه العاطفة والحس ، ويأتى هؤلاء فى طليعة المحزونين الذين يشبهون بشعراء المراثى . وثم قسم آخر يشمل أولئك الفنانين الذين يعنون بالوجود وبالحياة اليومية يكون من أقطابه الثالوث المؤلف من روبنز وڤيلاسكويز ورمبراند . وأخيرا يؤلف بعض الفنانين أمثال كلود لورين وتيرنر قسما رابعاً ينظر إلى الطبيعة كأنها رؤى وضاءة آبقة » .

فابتسم رودان وقال :

« أرى أن لا داعى لمثل هذا التقسيم الذى قد يكون أقرب إلى الصواب والعدل من ذلك الذى يقسم الفنانين إلى رسامين وملونين . وعلى كل حال فإن أى تقسيم من هذا النوع مصيره إلى الفشل ، وذلك لتعقد الفن أو بالأحرى لاختلاف النفوس الإنسانية التى تتخذه لغة للتخاطب والتفاهم . وعلى ذلك فغالباً ما يكون رامبراند شاعراً سامياً ورفائيل واقعياً صرفا

دعنا نروض أنفسنا على فهم عظماء الفنانين . دعنا نحبهم ، ولنقصدهم لنستلهمهم ونستوحيهم ، ولكن فلنكف عن وضع بطاقات عليهم كتلك التى نضعها على العقاقير فى مخازن الأدوية

دكتور محمد بهجت
قسم البساتين

(1) نسبة إلى مدينة البندقية

أغاني الرعاة . . . !

للمرحوم أبي القاسم الشابي

أقبل الصبح يغني للحياة الناعسه
والربى تحلم في ظل الغصون المائسه
والصبا ترقص أوراق الزهور اليابسه
وتهادى النور في تلك الفجاج الدامسه

أقبل الصبح جميلاً ! يملأ الأفق بهاه
فتمطى الزهر والطير وأمواج المياه
قد أفاق العالم الحي ... وغنى للحياه
فأفيقي يا خرافي ! واهرعي لي يا شياه !

واتبعيني يا شياهي بين أسراب الطيور
واملئي الوادي ثغاء ! ومراغاً وحبور
واسمعي همس السواقي وانشقي عطر الزهور
وانظري الوادي يغشيه الضباب المستنير

واقطفي من كلأ الأرض ومرعاها الجديد
واسمعي شبابتي تشدو بمعسول النشيد
نغم يصعد من قلبي كأنفاس الورود
ثم يسمو طائراً كالبلبل الشادي السعيد

وإذا جئنا إلى الغاب وغطانا الشجر
فاقطفي ما شئت من عشب وزهر وثمر
أرضعته الشمس بالضوء وغذاه القمر
وارتوى من قطرات الطل في وقت السحر

وامرحي ما شئت في الوديان أو فوق التلال
واربضي في ظلها ما شئت إن خفت الكلال
وامضغي الأعشاب والأفكار في صمت الظلال
واسمعي الريح تغني في شماريخ الجبال

إن في الغاب أزاهير وأعشاباً عذاب
ينشد النحل حواليها أهازيجاً طراب
لم تدنس عطرها الطاهر أنفاس الذئاب
لا ... ولا طاف بها الثعلب في بعض الصحاب

وشذا حلواً وسحراً وسلاماً وظلال
ونسيماً ساحر الخطوة ! موفور الدلال
وغصوناً يرقص النور عليها والجمال
واخضراراً أبدياً ليس تمحوه الليال

إن تملي يا خرافي ! في حمى الغاب الظليل
فزمان الغاب طفل لاعب عذب جميل
وزمان الناس شيخ عابس الوجه ثقيل
يتمشى في ملال فوق هاتيك السهول

لك في الغابات مرعاي ومسعاي الجميل
ولي الإنشاد والعزف إلى وقت الأصيل
فإذا طالت ظلال الكلأ الغض الضئيل
فهلمي نرجع السعي إلى الحي النبيل

في دار الإذاعة :

غريب . . .

للأستاذ إبراهيم العريض

يا ابنة الحسن ! لا تقولي غريب   غرّبتني في الحب عينا مهاةِ
لم تكن غير نظرة ... تركتني   ظامئاً – بعدها – إلى نظرات
أغمض العين كي أراها بسمعي   حين تسترسلين في النغمات ...
في فؤادي أحس وقع خطاها   حيثما تنهدين بين اللدات
ساءلتني : أأنت تشعر ؟ هلا   ساءلَت عني النجوم رواتي ؟
آه لي من هواك ! لو كنت عوداً   جمّرته يداك للنغمات
أنا من في الجمال غرّد حتى   ردد النيل لحنه للفرات
قدك يا هند ! طاب عهدك لما   حرتِ علّ ابتسامة في حياتي
لم تكن غير بسمة مجلت   عيناك في القلب سحرها بالتفات
ثم عدنا ... تخفيك عني الليالي   بين أحلامها ... وبين ملاتي
أيها الليل ! ضمّ ما شئت عني   غير صوت يلمّ بي في أناةِ
صوت تلك التي بشاطئ جمنا[1]   تتجنى ... عرفت فيها مهاتي !

(١) اسم النهر الذي تقوم عليه العاصمة الهندية .

ألوان . . .

للشاعر عبد الرحمن الخميسي

ليل باك

استوى الليلُ على عرش السماء مطفئاً فيها مصابيحَ الفضاء
كافراً تقطرُ من حلكته بالدجى حتى أعاصير الهواء
سلّط البَرْدُ على أكتافه من سياط البرق تعذيب الشتاء
والرياحُ الهوجُ من أنفاسه أطلقتْ من قلبه بعض العناء
يحملُ اللوعةَ فى أغواره يجهش الرعد بها كيف يشاء
فتدوِّى قصفةٌ من فمه كلما اشتدت عليه البُرَحاء
تسرد الأمطار عن شقوته قصة الحزن لعشاق البكاء

حيرة

يكبر مجدافى ومادتْ زورقى أعاصير هوجٍ كلهنَّ جنونُ
وأفردتُ وحدى فى الخضمِّ ولفَّنى ظلام من الأرزاء ليس يهونُ
فلا الموج يطوينى ولا النور مُسعفى ولا الشاطئ المجهولُ عنه يبينُ

شجى

ثارت بنفسى حيرةُ السأمانِ ورمتْ فؤادى فى اللظى أحزانى
وودتُ لو أحظى بلقيا عابرٍ فى الليل أفزعُ نحوه فيرانى
ويرى الذى قد خطه من شقوتى ألمى على وجهى الهزيل العانى
وأبثُّه هتفات قلبٍ راسفٍ فى الحبْ والتعذيب والحرمانِ
فلقد يُريحُ النفسَ أن تُفشى الذى فى غورها من هاتف الأشجان
ولقد يُريحُ النفس أن يُصغى إلى صرخاتها قلبٌ وحيدٌ حانى
أوّاهُ من شجنى الذى أبكانى ومشى على قلبى وفى أركانى
يا قُدسَه من لاعجٍ نيرانى لم يُبقِ إلا صورةَ الإنسانِ



حول منهج البحث عن تكوين الشعب المصري الجديد

ليس من الحق أن ننكر ما بذله الأستاذ الشيال من الجهد في بحثه (تكوين الشعب المصرى الجديد بعد الفتح العربى) فى مجلة الثقافة من رجوع إلى المصادر العربية القديمة ومحاولة تنسيق النقول المختلفة منها مع صحة الاستنباط وبراعة الاستنتاج، بيد أنى مضطر إلى القول بأن المنهج الذى ابتدعه يعوزه الترتيب وتنقصه المحاولة الدقيقة فى البحث عن أصول هذا التكون وعوامله ومقدار التلوين الذى أدخلته كلتا الشخصيتين العربيـة والمصرية على الأخرى . وإذا ما عدنا إلى مناهج الغربيين الباحثين عن أصول تـكون الشعوب الأوروبية وجدناها تختلف عن منهجه اختلافاً قوى الأثر بعيد الخطر . ولا يصح أن يقال إن ظروف التكون التى أحاطت بهذه الشعوب تختلف عن الظروف التى أحاطت بتكون الشعب المصرى العربى بعد الفتح ؛ فإن الأصول الأولى التى عرفت والتى كان لها أكبر الأثر فى تـكون هذه الشعوب ونمو شخصيتها الجديدة هى بعينها الأصول التى عرفت عند العرب . وإذا ما جاز لنا أن نحاول مثل هذه الدراسات فى البحث عن أصول الشعوب العربية الجديدة وتأثرها بمقومات الشعوب التى استعمرتها فى الثقافة والدين واللغة والجنس فإن هذا يحتاج إلى منهج من نوع آخر ليس يكفى فيه تنضيد النصوص العربية والوقوف عندها بالاستنتاج الحذر مما لا يلقى صورة واضحة ولا يدلى بأسباب قوية عن هذا التكون.

ولقد حاول المؤرخون الإنجليز البحث عن أصول تـكون الشعب الإنجليزى المختلفة المتعاونة على تقويم حياة الشعب فـكانت لهم من ذلك محاولات يصح أن ينتفع بها الدارسون لمثل هذه المحاولات فى الشعوب العربية وآدابها والأستاذ الشيال حين يبدأ أولى هذه المحاولات يقف عند المصادر العربية وقوفاً عجيباً فلا يحفل بالبحث عن مقومات البيئة المصرية الأولى التى استعمرها العرب . ونحن نعلم مما وصل إلينا من البحوث المختلفة التى عولجت حول هذه البيئة من مؤرخى اليونان والرومان الذين رحلوا إلى الأسكندرية أو استقروا فيها شيئاً كثيراً يتصل بعضه بالأديان المختلفة التى كانت تصطرع فى هذه المدينة وبعضه بالآثار الأدبية المختلفة من يونانية وقبطية وبعضه يتناول نواحى من التـدين خاصة كالتصوف الذى تأثر به العرب فيما بعد والذى كان أصلاً من أصول الحياة الدينية المصرية القديمة [1] .

وإن الأفلاطونية الحديثة التى نشأت فى مدينة الأسكندرية كان لها أثر قوى فى البحوث الدينية عند المسلمين فيما بعد ولعل هذا يلفتنا إلى وجوب البحث الدقيق عن مسالك تأثر المسلمين بالثقافات اليونانية إذ ربما حوّل ذلك مجرى البحث الذى استقر فى مثل هذه الموضوعات عندهم .

وإذا كان المؤرخون الإنجليز حاولوا شيئاً من هذا فى دراساتهم الأدبية والتاريخية فأولى بنا أن نرجع أولاً إلى مثل هذه المحاولات قبل البدء فى دراسة هذه الموضوعات . وبين يدى الآن مرجع من هذا الطراز Kistory of later Greek Literatureby Wright يبحث فيه صاحبه ما تردد فى الأسكندرية من ألوان الثقافات المختلفة التى كان لها أكبر الأثر فى تـكوين الشعب المصرى الجديد .

ولا يقف فى سبيلنا ما لا يزال موضعاً للدراسة مما يروى من إحراق مكتبة الأسكندرية على يد عمرو بن العاص بأمر عمر فإن تأثر العرب بالثقافات القديمة فى مصر لا يرتـكز فقط على المتحف والمـكتبة وإنما يعتمد على أشياء أخرى تظهر لمن خصص نفسه لمعالجة مثل هذه الدراسات برفق ولين وأناة .

وإذا كانت الفلسفة اليونانية قد لجأت إلى الأسكندرية بعد ما لاقت من ألوان الاضطهاد والأذى فى الغرب فوجدت فيها حياة آمنة وأفقاً طليقاً يلائم الفلسفة والتفلسف فأجدر بنا ألا نقف عند هذه المحاولات بل ينبغى أن يمتد ذلك إلى تعرف آثارها فى الحياة العربية الإسلامية المصرية فيما بعد .

وإذا كان المقريزى فى خططه يصف سكان مصر فيقول : « وهم أخلاط مختلفة من الفرس والروم والعجم والبربر » ولـكل من هذه الأخلاط مقومات مميزة انصهرت انصهاراً عجيباً فى البيئة المصرية فإن البحث عن أصول هذا الشعب ينبغى أن يتناول هذه الأخلاط المتباينة فى الجنس والثقافة والدين .

وسواء أكان العرب الذين استقروا فى مصر قيسيين أم يمنيين فإنهم وافدون من جزيرة العرب ذات المقومات الخاصة فى الدين واللغة والجنس ، ونحن نعرف من تاريخهم أكثر مما نعرف من تاريخ القبط والروم والفرس والبربر؛ فالاتجاه إلى بحث الجنس العربى وحده اتجاه يسير الجدوى قليل الأثر .

---

(١) نظر ترجمة ذى النون فى حلية الأولياء لأبى نعيم .

وإنى أرجو أن يتعاون الباحثون عن تكوين الشعب مصرى الجديد تعاوناً يستند على أصول دقيقة من البحث العلمى حتى تقوم دراسة الأدب العربى المصرى على أسس صحيحة من البحث المنتج السليم .

السيد خليل

طباعية لا طبعية ولا طبيعية :

قال الإمام العالم الأديب أبو حيَّانَ التوحيدى فى المقابسة الثانية والعشرين فيما بين المنطق والنحو من المناسبة ص ١٧٢ من كتاب المقابسات — وشهادة النحو طِبَاعِيَّةٌ ، وشهادة المنطق عقلية — فنسب إلى طِباعٍ ولم ينسب إلى طبيعة ، ونحرز بذلك المشكلة القائمة الآن فى النسب إليها ، وقد جاء فى القاموس : الطَّبْعُ والطبيعة والطِّباع ككتاب السجية جبل عليها الإنسان أو الطباع ككتاب ما ركب فينا من المطعم والمشرب وغير ذلك من الأخلاق التى لا تزايلنا ، كالطَّابِعِ كصاحب

فهل لنا أن نقلد ذلك الإمام الجليل فى تلك النسبة ، ونقول فى هذا المعنى — طباعية وطباعى — ولانقول طبيعى ولا طَبَعِى لأن النسبة الأولى تخالف القياس فى المنسوب إلى ما يكون على فَعِيلة والنسبة الثانية تلتبس بالنسبة إلى طَبَع بفتح الطاء والباء ، وهو الصدأ والدنس ، ولا شك أن مثل هذا الالتباس له حكمه فى اللغة ، وقد أوجب دفعه كثيراً من أحكام النحو .

عبد المتعال الصعيدى

أين شعراؤنا ؟

رحم الله (شوقياً) و (حافظاً) إنى كلما جد حادث فى مصر أو فى الشرق ، تذكرت هذين الشاعرين فسكبت عليهما الدموع ، ولعلهما لو عاشا إلى أيامنا هذه لقرأنا لهما القصائد الجياد فى هذه الأحداث التى تمر بنا . ولكنهما ماتا ، ولم يصدق الشاعر حين قال:

قالوا خلت مصر بعد الشاعرين ولم ... يعمر بمثلهما ميدانه الخالى

ولستُ وحدى له فى مصر بعدهما ... فمصر ملأى بأشباهى وأمثالى

نعم وجد هذا الشاعر سعة فى مجال الفخر ولكنه لم يجدها فى مجال الشعر ، وإلا فأين أشباهه وأمثاله ؟ أين هؤلاء الذين ملأوا الصحف بالأمس يبكون (باريس) أين هم اليوم ليبكوا « دمشق » و « حلب » و « حماة » ؟ ضلة لهؤلاء المفتونين بفرنسا وضلالات فرنسا ، أتراهم سكتوا الآن لأنهم يحبون فرنسا أكثر مما يحبون « سوريا » و « لبنان » إنا لنرفعهم عن ذلك ، ولكن ما بالهم لم تهز مشاعرهم هذه الحوادث الفظيعة التى ترتكبها فرنسا ؟

أيها الشعراء ، سجلوا مفاخر قومكم قبل أن تسجلوا مفاخر أعدائكم ، وابكوا على مصائبكم قبل أن تنوحوا على مصائب الناس وأسمعونا أصواتكم .

على محمد حسن

تصويب أخطاء فى العدد الماضى

فى الصفحة الأولى من العمود الثانى فى السطر ١٧ : هيهات ألا يبعث ، والصواب لا يبعث

فى الصفحة ٦٢٠ العمود الأول السطر الرابع للواتى والصواب اللواتى
« « « الثانى السطر ٢١ أيها « أيهما
« ٦٢٢ « الأول السطر ١٣ من مماته « بعد مماته
« ٦٢٥ « « العاشر بعد الهجرة « بعد الميلاد

جريدة الأنذار

أصدرت جريدة الأنذار التى يصدرها أسبوعياً بالمنيا الأستاذ صادق سلامه عدداً ممتازاً فى ٣٢ ص بمناسبة دخولها فى سنتها السادسة عشرة وهو عدد حافل بالطرائف الأدبية والآراء القيمة لنخبة من رجال العلم والأدب والسياسة فنرجو للزميلة دوام التوفيق واطراد التقدم



الدميم (*) ...

الأستاذ حبيب الزحلاوى

— ١ —

ما كدت أبتعد بضعة أمتار عن المقهى حيث كنت جالساً مع طائفة من أصدقائى حتى شعرت بقبضة يد رقيقة تستمهلنى. التفت فرأيت واحداً من أولئك الأصدقاء الجلاس، فلمحت فى نظراته شبه استعطاف، فقال لى بلهجة لا تخلو نبراتها من قوة: أريد أن أسألك بشرط أن تجيبنى بصراحة، ما هى عقدة القصة؟ وما هى الحبكة؟ ما هو العرض والفكرة والوحدة التى تكلمت عنها فقلت إنها عناصر حيوية للقصة؟ أنا يا صديق أحسن كتابة القصة، أو بعبارة أخرى أحسن خلقها فوراً، وأبتدع وقائعها وأشخاصها ابتداعاً، وأجذب المستمع إلى الانتباه إلىّ، ولا أتركه إلا بعد أن أشبعه وأمتعه بلذات من الخيال المذوّق، والتلفيق الموشى بألوان من حسن الكلام. أليس هذا هو الفن؟! واستطرد قائلاً: ما دام الأمر كما ذكرت لك، وأزعم أنى ذكرت الحقيقة الواضحة عن البناء الفنى، فما هى إذن العقدة، والحبكة، والعرض والفكرة والوحدة التى تكلمت عنها، وأحسب أنى فهمت من مجمل كلامك أن لا قيمة للقصة الخالية من هذه الخصائص؛ فهل هذا صحيح؟

أعجبتنى رؤية مسحة الطفولة تكسو وجه هذا الشاب ورفقت به وبأمثاله ممن يتغالبون فى الآداب والفنون ويستهينون بها كأنها سهلة التناول فقلت:

تعال معى إلى النادى فهناك أستمع إليك بانتباه وأجيبك إلى طلبك عن رضى.

قال: فى الجلوس فى المقهى متعة للنظر لا وجود لها فى الأندية.

فقلت: ليس بى ميل إلى إشغال الذهن بمراقبة المارة، وليس بى ذلك الظمأ إلى المرأة الذى يتملككم أنتم يا جلاس المقاهى

قال: نحن على غير مذهبك الفردى يا صاحبى، نحن جلاس الأفاريز، رواد المقاهى، نتضور جوعاً، نتلهف على لفتة من فتاة، أو نظرة من امرأة. ألا تحس مثلنا بالمجاعة الجنسية وقد طغت واستعصى أمرها على وزارة الشؤون الاجتماعية؟

ابتسمت لكلام هذا الشاب المتحمس، فأخذته من يده فمشى معى، فلما دخلنا المصعد الذى سيرتفع بنا إلى الدور العاشر من البناء قال: انت مصرّ على الجلوس فى النادى وكر الكهول والشيوخ من أرباب المال؟ حسن، سأجلس معك فى هذا النادى المرتفع المترفع عن الناس، وأقص عليك قصة من صميم الواقع، وأنا قمين بأنك ستشهد لى ببراعة الارتجال، وبأن القصة هى القصة، أعنى أن العقدة والحبكة، والفكرة والوحدة، إن هى إلا افتعالات، أما إذا كانت شيئاً غير ذلك فستدلنى عليه.

ابتسمت أيضاً لهذا الإدعاء الجديد الذى يمثل ادعاءات الشبان وهم يتوهمون الأمور وفق أمزجتهم الرخوة لا وفق الواجب فى معرفة الأصول، وقلت لصاحبى بعد أن انتحينا ناحية فى النادى مزدانة بأصص من الزرع دائمة النضارة الربيعية، يحسن أن تجلس هنا فتقص علىّ قصة شعرية يرتجلها خيالك الخصب وينتزعها من صميم الواقع كما قلت.

أرجو ألا تهزأ بى. استمع إلىّ:

« وضعت حقائبى فى المكان المعد لها، وجلست على المقعد الذى احتجزته فى عربة القطار، ثم التفت لأرى رفاق الطريق الذى سأقطعه بمرحلة واحدة من مرسيليا إلى باريس، فلقيت سيدة تتألق نضارة وشباباً، وضاحة المحيا بادية الفتنة وسمعتها تقول للرجل الجالس إلى جانبى: ألم أقل لك إنه غير فرنسى، إذ لو كان فرنسياً لكان حيّانا بإشارة بسيطة ساعة دخوله، ولما كان ألهاه الودعون ولا المشاغلُ الذهنية عن آداء التحية الواجبة ».

وسمعته يقول لها: لِمَ لا تقيمين للتقاليد والعادات اعتباراً؟ لما ذا تفرضين على غير الفرنسيين الأخذ بعاداتكم وتقاليدكم، وقد تكون هذه التقاليد التى ترينها حميدة عندكم مستهجنة عند بعض

(*) من مجموعة قلب مبعثر (تحت الطبع)

الأقوام ، وربما كانت مستقبحة عند أقوام آخرين أمثال الإنجليز مثلاً الذين يحيون من لا يعرفون مهما كانت الظروف والمناسبات .

فهمت من لهجة الرجل ومن قسمات وجهه ولون بشرته أنه أميركي يُحسن التعبير عن خواطره باللغة الفرنسية وكان بلفظها صحيحة ولكن ببطء ممض أوجع نفس السيدة الفرنسية الجيَّاشة ، وأدركتُ أن مدار الحديث يدور حولي لأني أخذت مكاني في عربة القطار ولم أحيِّ من فيها ساعة دخولي !

هل أدخل في القضية طرفاً ثالثاً على حد تعبير المحامين ، وهي قضية خاصة بي برغم قيامها بين السيدة الفرنسية والشاب الأميركي ، أو ألزم الصمت وأحترم سجية نفسي وعادات قومي وأسكت عن الكلام مع من لا معرفة لي به . أليس في ذلك تطفل أو تخط للعرف ؟ أو ليس هو وسيلة سهلة مؤدية إلى التعرف بهذه السيدة الجميلة المغرية ؟ أو ليس في ذلك فائدة للوصول إلى ناس يطيب لي أن أحدثهم عن قومي وبلادي وقد لا يعرفون عنهم شيئاً أو يعرفون ما تنقله لهم الدعاية المغرضة ، والفكر الاستعماري وجهالةُ بعض الكتاب الطائشين ؟

جالت هذه الخواطر في ذهني والسيدة والرجل ما زالا يتحاوران ويتناقشان . هي تصر على أن عادات قومها مرتكزة على قواعد آداب الاجتماع وهو ينكر أن للآداب الاجتماعية قواعد ثابتة ، هي تقول إن قواعدها الفن والذوق ، وهو يقرر أيضاً أن مباءات الفن هي معارض النحت والتصوير ودور التمثيل وبعض دواوين الشعراء وكتب الأدباء والروائيين ، وأن الذوق مسألة فردية وإحساس ذاتي . هي تغضب من تعمده إهمال ذكر المرأة في أنها الفن كله باعتبار أنها الباعثُ الأول على استفزاز ملكات الفن والإلهام الفني ، وهو ينكر عليها بعض دعواها ويؤيد بعضها ويقول : إن المرأة موحية حافزة ، وليست هي بشيء في صميم الفن ! هي تصرخ قائلة : إنكم معاشر الأميركان لا تتذوقون الحياة إلا عن طريق الدولار ؛ وإنكم ... وإنهم عبدة الدولار فقط . أليس كذلك يا مسيو ؟ والتفتت إليّ تدخلني في هذا الجدال . كاد يرتج عليّ حين فاجأتني بسؤالها وهو استنجاد بي أكثر منه سؤالا ، ولكني تمالكت نفسي وقلت :

إخال أني كنت السبب في هذا الحوار الذي بلغ بكما إلى هذه النتيجة ، فهل تسمح لي سيدتي أولاً أن أحييها وقد آليت على نفسي بمجاراة الفرنسيين وتقليدهم ما دمت في بلادهم ثم أدخل في الحوار ، لا كفضولي متطفل قد تعرضه صفاقته إلى سماع ما يؤذي إباء النفس ، بل كرفيق الطريق الذي يحرص على إبقاء أطيب أثر في نفوس رفاقه ؟

هاك يدي . أما أنا فمدام « فرانس » وصديقي هذا مستر « أميركا » وأنت يا صديقنا على هذا القياس من تكون ؟

رطبت شفتيّ بقبلة من يدها البضة وقلت متابعاً على المنوال نفسه : أنا يا سيدتي مستر « إيجبت ».

إيجبت ... إيجبت ! رددت السيدة كلمة إيجبت وهي تلفظها ممطوطة ممدودة بتؤدة كأنها تعود بذا كرتها آلاف السنين إلى الوراء تستعرض بلمحة واحدة آثار الماضي السحيق الباقية على الدهر وتقول : انت إذن مصري ؟ !

نعم يا سيدتي أنا مصري من سكان القاهرة ، وانت فرنسية فقاطعتني قائلة : « فرنسية باريسية » وصديقنا أميركي من واشنطون أو نيويورك وليس قطعاً من هوليود . وها نحن الثلاثة نمثل ثلاثاً من قارات عالمنا ، ونمثل أيضاً أعرق مدنية عرفها التاريخ القديم وهي تتوثب الآن للعودة إلى الحياة ، وأعرق مدنية حديثة ستتغلب عليها مدنية أحدث منها ، ومدنية جديدة في العالم الجديد قد يكون لها طابع خاص سوف يتحول بسرعة إلى طابع يعم العالم ، وأردفت كأنها تتدارك فوات فرصة : نعم نعم سيكون الدولار طابع أميركا الخاص كما يحاول الروس أن يجعلوا الاقتصاد أساساً لنظام العالم الاجتماعي الجديد . قالت السيدة كلمتها عن الدولار . وضحكت ضحكة عالية لها رنة الأوتار المتزنة والنغمات الرقيقة .

قلت : العالم ياسيدتي لا يقوى على السير في نظام اقتصادي محض بل يستحيل عليه المضي في طريق السعادة البشرية بغير دوافع الروح

هذا صحيح يا مستر إيجبت ولكني ألاحظ أن مدام فرانس تتحداني في كل ما أقول ، فإذا كان ذلك يلذ لك ياسيدتي فلا أمانع أنا الأميركاني في تقرير الدولار طابعاً لبلادي وهو بالفعل الإله الذهبي الموحي إلى كل الناس كل الرغبات والشهوات .

المرأة يا مستر أميركا ، أرجوك ألا تنسى المرأة ، بل أحتم عليك عدم نسيانها لأنها الروح الذي تكلم عنه مستر إيجبت ولأنها وحدها الموحي لكل الناس كل الرغبات والشهوات — على حد تعريفك أنت — بل هي وحدها موحية الحياة والحب

لو كل النساء كن مثلك يا سيدتي لما ترددت في الاعتراف بذلك ولكن ...

دع يا مستر أميركا قرض المديح ونظم الثناء والإطراء لأنها من طبائعنا الأصيلة التي لم تقتبسوها عنا بعد ، وإنها وإن كانت

ترضى غرور المرأة وتدغدغ زهوها ولكنها لا تقوم مقام الحقيقة التي لا محيص عن الاعتراف والجهر بها وهي « أن المرأة هي الإله الوحيد الموحى إلى كل الناس معنى الحياة والحب ، ولذة الوجود والفرح به على الأرض ، ولذة الألم والحزن أيضاً » .

قال مستر أميركا موجهاً إلىّ السؤال : هل تعترفون بألوهية المرأة في مصر ، وبأنها مصدر إلهام يوحى إلى الناس معانى الحياة كما قالت مدام فرانس ؟

بلعت ريقى وتكلفت ابتسامة رضى وقلت : ليتك يا مستر أميركا تضع السؤال في الصيغة التالية : هل بلغت المرأة الأميركية درجة من الرقى سمت بها إلى مقام جعل الرجل يتطلع إليها فيه كما نتطلع كلنا إلى المرأة الأوروبية باعتبار أنها الملهم معانى الحياة والدافع إلى الشعور بالفرح بها ؟

لقد نجحت في تحويل الدفة ، كما يقال في تعبير النوتية ، وفي رفع الأثقال عن كتف المرأة المصرية والرجل المصرى ، وفي إزاحة الألم عن نفسى من قول الحق ، وقد أفلحت في ذلك ، إذ ما كدت أنتهى من تحريف السؤال وتوجيهه إلى مستر أميركا حتى انبرت مدام فرنس تقول : تخولنى معلوماتى حق القول بأن المرأة الأميركية أخذت تدرك قدر نفسها وستنجح في صيرورة ذاتها مصدر حياة أفعل في روح الرجل الأميركى من الدولار .

ما كادت تنتهى مدام فرانس من قولها حتى رأيتنى مدفوعاً إلى الكلام فقلت معقباً :

سوف تصيّر المرأة المصرية ذاتها مصدراً لإلهام الرجل وإذكاء روحه متى خلصت من شوائب الطفرة وبعد أن ترغمها الآلام على التفكير في ماضيها ومستقبلها بالقياس إلى حاضرها المضطرم بنيران الانتقال .

صحيح ما رمزت إليه بلباقة يا مستر إيجبت عن المرأة أنها في طور الانتقال الذى يعقب الانقلاب الاجتماعى ، ويمكننى القول إن بواكير الانقلابات تكون من النساء وفي النساء كما تكون بوادر الثورات وطلائعها من شرارات يقدحها طلاب الجامعات بإيحاء غير مباشر من أرواح بقظة عاملة هادئة .

* * *

سكت محدثى الشاب وكاد يطول سكونه ولكنه رفع رأسه ونظر إلىّ نظرة استفهام واضحة ، فقلت له ببرود : ثم ماذا ؟

ماذا ؟ ! نعم نعم ، كدت أظن أنى أنهيت القصة ولكنى نسيت فصلها الثانى .

دوّى رنين الجرس يدعو الراغبين في الطعام من ركاب الدرجة الأولى إلى تناول العشاء ... وكان الكلام حتماً لمدام فرنس التى أمرت أحد الندل (جارسون) بتهيئة مائدة لثلاثة أشخاص ... فكان طعام وكان شراب ، بل كان شراب وطعام وكلام وشعر وتوريات ورموز وتلميحات ومقارنة بين المرأة المصرية وأختيها الفرنسية والأميركية ، وكادت تضطرم ثورة مدام فرانس لتوهمها أن أختها المصرية أوفر براعة منها في إرضاء الرجل ...

عدنا إلى مقاعدنا وقد أذبل الشراب أجفاننا ، وأخمد قوة النضال الكلامى فينا ، وأذكى بطبيعة الحال قوة النظر الطويل والإعجاب الذى لا حدّ له والافتتان بهذه المرأة المملوءة حيوية وجمالاً ونضارة وسحراً والممددة أمامنا على مقعد عربة سكة الحديد تحاول النوم على هدير القاطرة وصفيرها وقرقعة العربات .

لقد أحيينا الليل ورفيقى الأميركى نتحادث همساً حتى لا نزعج السيدة النائمة ، وكان طبيعياً أن نختلف في الرأى وأن نتحاور ونتجادل ثم نعود إلى صفائنا الأول ، وكان بديهياً ، بحكم الرغبة الكامنة ألا نختلف أبداً وأن نتفق اتفاقاً تاماً على ألا نعيد الغطاء كلما سقط عن جسم هذه المرأة الفاتنة المتناومة ، وكان عذباً على سماعنا قولها : يا لكما من شابين شقيين !

سكت محدثى مرة ثانية فلم أدعه يتمهل بل قلت له بنبرة جافة : ثم ماذا ؟ صدمه سؤالى وكاد يتخاذل ولكنه تجلد وقال :

طلع الفجر ، ثم تفجرت أشعة الشمس ، وانجلت عروس تربة فرنسا بثوبها الزبرجدى النضر . وبلغنا باريس فافترقت القارات الثلاث ، وراح مستر أميركا ومستر إيجبت كل في طريقه ، وراحت مدام فرانس تنثر القبلات وتتقبل القبل من مستقبليها على إفريز المحطة

ربتّ كتف محدثى وقلت له ببشاشة أذهبت وقع الصدمة الأثيمة التى صدمته بها عند سؤالى إياه تتمة القصة بقولى : «ثم ماذا»

ليست قيمة القصة يا صاحبى في المادة التى تتألف منها ، ولا في كيفية ترتيب تلك المادة ، بل قيمتها في الكيفية التى تؤدى بها وفي عرضها عرضاً خاصاً بمهارة فنية ، بالتشويق والترغيب ، وفي صدق الرواية عن الحياة ، مضافاً إليها الخصائص الفنية التى ذكرتها في حديثى مع رفاق المقهى ، أما قصتك المرتجلة هذه فإنها تماثل حكاية واقعية وقعت لى حين رحلت إلى جزيرة رودس التى انتزعها الطليان من الدولة العثمانية مع بقية جزر الدوديكانيز .

قال : أو تجعل قصتك ارتجالاً ؟ فابتسمت لسؤال هذا الشاب وقلت

يتبع

حبيب الزحلاوى

إعلان مناقصة

تقبل العطاءات بمكتب حضرة مدير إدارة الميزانية واللوازم بوزارة الداخلية لغاية ظهر يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٤٥ عن توريد الأصناف المستهلكة لسنة ١٩٤٥ و ١٩٤٦

ويمكن الحصول على الاستعلامات اللازمة لذلك من إدارة أسلحة ومهمات البوليس ببولاق وثمن النسخة من الشروط ٢٠٠ مليم . ٣٦٦٣

إعلان مناقصة

تقبل العطاءات بمكتب حضرة صاحب العزة مدير كلية البوليس الملكية لغاية ظهر يوم ٢٣ يونيو سنة ١٩٤٥ عن توريد أدوات للألعاب الرياضية

ويمكن الحصول على الشروط من إدارة أسلحة ومهمات البوليس ببولاق وثمن النسخة مائة وخمسون مليماً

٣٦٠٩

إنه في يوم ٢٤ يونية سنة ١٩٤٥ من الساعة ٨ صباحا بجهة أدفو وأرضها مركز المنيا ويوم الثلاثاء ٢٦ منه بسوق دمشير بالنسبة للمواشي .

سيباع علناً محصول ٦ ف مزرعة قمح وعدد ١ عجل بقر ملك إبراهيم حسن إسماعيل المقيم بناحية أدفو مركز المنيا كطلب حضرة صاحب المعالي مصطفى باشا عبد الرازق تنفيذاً للحكم ٣٤٢ سنة ١٩٤٥ الصادر بتاريخ ١١ / ٣ / ١٩٤٥ من محكمة المنيا الجزئية الأهلية ووفاء لمبلغ ٢٦٣ ج و ٦٩٦ م بخلاف ما يستجد

فعلى راغب الشراء الحضور

مجلس بلدى المنصورة

إعلان مناقصة

تقبل العطاءات بمجلس بلدى المنصورة لغاية الساعة العاشرة من صباح يوم ٢٤ / ٦ / ١٩٤٥ عن توريد الأغذيه اللازمة لمطعم جمعية البر بالفقراء بالمنصورة وتطلب الشروط والبيانات من المجلس على ورقة دمغة من فئة ٣٠ مليماً نظير دفع مائة مليماً

٣٦٢٥

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦٣٥ – الاثنين ٢٥ برنبر ١٩٤٥ – السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

أحدث المطبوعات التى ظهرت أخيرا

قرشاً	الكتاب	تأليف	وتعريب
٥٠	حياة محمد	تأليف أميل درمنجهم	وتعريب عادل زعيتر
١٦	دعائم السلام	» ا . هـ . كار	» محمد فريد أبو حديد
١٦	فنون الأدب	» هـ . ب تشارلتن	» زكى نجيب محمود
٢٠	طرائف العرب	» أحمد محمد رضوان	
٥٠٠	جان جاك روسو	» محمد عطية الابراشى	

تطلب من دار إحيـــاء الـكتب العربية

لأصحابها عيسى البابى الحلبي وشركاه بمصر

13 me Année No. 625

Lundi - 25 - 6 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٢٥ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٥ رجب سنة ١٣٦٤ — ٢٥ يونيو سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

من وحى المرأة

للأستاذ عباس محمود العقاد

من أعجب ما يلاحظ على آداب الأمم قلة ما نظمه الشعراء فى رثاء النساء ، ولا سيما الزوجات

فعلى كثرة الغزل فى المرأة ترجع إلى شعر الأقدمين والمحدثين وإلى شعر العرب وغيرهم من الأمم ، فلا نرى فى لغة من اللغات إلا قصائد معدودات فى رثاء النساء والزوجات منهن على الخصوص

فليس أكثر مما نظمه الشعراء فى التغزل بالمرأة ، ولا أقل مما نظموه فى الحزن عليها

وقد رثى شعراء العربية الأمهات كرثاء المتنبي لجدته ورثاء الشريف لأمه ، ونظموا العزاء فى أخوات الأمراء وقريباتهم ، كما نظم المتنبي تلك القصيدة اللامية فى رثاء أخت سيف الدولة ، ولم ينس أن يقول منها :

ولو كان النساء كمن فقدنا لفضلت النساء على الرجال

كأنه يعتذر من هذا الشذوذ فى قواعد الرثاء بحالة مستثناة لا يقاس عليها ، وهى حالة هذه السيدة التى تفضل السادة الرجال !

بل وجد فى صدر الإسلام من رثى امرأته معتذراً حيث يقول :

لولا الحياء لهاجنى استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار

ولم يظهر المعنى الإنسانى فى رثاء المرأة — حليلة كانت أو غير حليلة — قبل عهد ابن الرومى الذى قال فى بستان المغنية :

بستان وا حسرتا على زهر فيك من اللهو بل على ثمر

وقال من القصيدة بعينها يذكر وفاتها فى ريعان الشباب :

يا غضة السن يا صغيرتها أصبحت إحدى المصائب الكبر

ورثى امرأته رثاء يدل على هول الفجيعة فيها فقال :

عينىَّ سحا ولا تشحا جل مصابى عن العزاء

ونظم قصيدة أخرى فى مثل هذا الرثاء

***

وليس بالعسير تعليل هذه الظاهرة المتفقة فى جميع الآداب العالمية ، فإن الأمر مرتبط بمكانة الزوجة فى العصور القديمة ، ثم فى هذه العصور الحديثة . ومما لا اختلاف فيه بين الأمم أن الزوجة كانت فى أقدم العصور كالقنية المملوكة التى لا فرق بينها وبين الجارية الرقيقة ، ثم ارتفعت مكانتها فظهرت الزوجة ربة البيت ، ولكنها لم تزل فى عرف المجتمع شهوة من شهوات الضرورة التى يلجأ إليها الرجل فى ساعة ضعفه أو الساعة التى تغلبه فيها الطبيعة الحيوانية ، ولم تظهر المرأة التى هى « شريكة حياة » ، أو سكن للرجل كما جاء فى القرآن الكريم إلا فى العصور الأخيرة ، وإن كانت لها رائدات سابقات بين بعض الأسر فيما تقدم من العصور

فالشاعر كان يتغزل فى المرأة ولا يخجل من ذلك لأن الغزل منسوب إلى الظرف واللباقة

وكان يرثى أمه أو جدته لأن حب الأمهات والجدات محسوب من البر المشروع الذى لا ضعف فيه

وكان يرثى أمهات الأمراء وقريباتهم ، لأن عزاء الأمراء واجب من واجباته المفروضة عليه

ولكنه لم يكن يرثى الزوجة المتوفاة ، لأنها شىء يخصه ولا يفهم معنى الفجيعة فيه عند أبناء عصره إلا على معنى الضعف الذى لا يجمل بالرجال ، وكيف كان يجمل بهم أن يتفجعوا على الزوجة المفقودة ، وقد كانت زيارة قبرها مما يحتاج إلى اعتذار ؟

ولا شك أن آداب الأمم هى خير مسجل لأخلاقها الاجتماعية سواء تعمدها الشعراء أو لم يتعمدوها

فمن الظواهر الحديثة التى تسجل فى الأدب العربى — أو الأدب المصرى — أن الزوجة « شريكة الحياة » تمثلت فى شعرنا العصرى تمثلا واضحاً بليغاً صادق المدلول ، لأننا قرأنا فى سنوات متقاربات ديوانين كاملين فى رثاء الزوجة الفقيدة ، وكلاهما لم يكن ظهوره بالمفهوم قبل هذا الجيل ، لأن وجود شاعرين اثنين يفيان لذكرى فقيدتيهما لا يكفى لإظهار ديوانين فى هذا المعنى ، ما لم يكن هذا المعنى ملحوظاً مقدراً عند الكثيرين من أبناء الجيل الذى ينشآن فيه

قرأنا بالأمس ذلك الديوان الحزين الذى نظمه الشاعر المطبوع الأستاذ عزيز أباظة بك وسماه « الأنات الحائرة » ، لأنه أقوى من أن يسمى بالدموع

وقرأنا هذه الأيام ديواناً آخر فى هذا المعنى للشاعر الألمعى الأستاذ عبد الرحمن صدقى سماه « من وحى المرأة » ، لأنه لم يكن إلا وحياً فاض به حزنه على فقيدته العزيزة ، فخرج فى جملته منظوماً كأنه لا يحتاج إلى ناظم ، وجاء فيه بقصائد ومقطوعات ستبقى فى عداد الشعر الخالد ، سواء منه ما نظم فى هذا الموضوع أو غير هذا الموضوع

ويدل على أن ظاهرة الزوجة شريكة الحياة هى الباعث على نظم هذين الديوانين أنهما قد نظما فى زوجتين لا تجمع بينهما صفة تعزها غير صفة المشاركة فى الحياة ، فلا يقال إن القرابة هى باعث الرثاء ، لأن إحدى الزوجتين أجنبية عن البلد فضلا عن الأسرة ، ولا يقال إن الذرية هى علة الإعزاز ، لأن إحدى الزوجتين لم تعقب ذرية بعدها ، ولا يقال إن الحب العاطفى هو مصدر هذا الوحى ، لأن الحب العاطفى قد يوجد ولا يوجد معه التفاهم فى الأفكار ولا التعاون على أعباء الأسرة وشواغل النفوس ، ولكنها المشاركة فى الحياة وحدها هى التى يرجع إليها الإيحاء بهذين الديوانين ، حين فهم العصر كله معنى الزوجية التى تقوم على هذه المشاركة بين حياة إنسانين

والزوجة شريكة الحياة — حياة الأديب على التخصيص — هى التى يقول الأستاذ صدقى فى وصفها :

وكنت الغنى من مشكل بعد مشكل ... وعقدات نفس تستديم قلاقلى
مشاكل شتى : حاجة النفس للهوى ... وحاجة ذى حس ، وحاجة عاقل
جمعت لى الدنيا فأغنيت مُعدمى ... وأمتعت محرومى وزينت عاطلى

أو يقول فى ذكرياتها من قصيدة أخرى :

وخير رفيق أنت فى كل رحلة ... وخير سمير للحديث ينضد
ونجلس فى حضن الطبيعة صمتنا ... مناجاتها — إن الطبيعة معبد
ونجلس للأشعار ندرسها معاً ... كأن ليس غير الكتب فى العيش مقصد

وقد تكون شريكة حياة ولا يكون قوام المشاركة بينها وبين قرينها طول الشغل بالدراسة والمطالعة ، كما قال الأستاذ عزيز فى قصيدته الدالية فى يوم ميلاده :

أقول والقلب فى أضلاعه شرق ... بالدمع : لا عدت لى يا يوم ميلادى
نزلت بى ودخيل الحزن يعصف بى ... وقادح البث ما ينفك معتادى
وكنت تحمل لى والشمل مجتمع ... أنساً يفيض على زوجى وأولادى
فانظر تر الدار قد هيضت جوانبها ... وانظر تجد أهلها أشباح أجساد
فقدتها خلة للنفس كافية ... تكاد تغنى غناء الماء والزاد
وموئلا أجد الأمن الكريم به ... إذا تعاورنى بالبغى حسادى

بقية حديث فى فرنسا . . .

[إلى الأستاذ توفيق الحكيم]

للأستاذ عبد المنعم محمد خلاف

قد يذكر القراء أنى كتبت غداة انهيار فرنسا وسقوط باريس فى قبضة الألمان سنة ١٩٤٠ فى عددى ١٢ ـ ٨ ـ ١٩٤٠ و٢ ـ ٩ ـ ١٩٤٠ من هذه المجلة مقالين أندد فيهما بذلك الموقف الشاذ الذى وقفه بعض كتاب مصر والشرق العربى يبكون فرنسا بدمع غزير وعاطفة حارة ناسين أن فرنسا أشد أمم الاستعمار تعصباً على العرب والمسلمين ونكاية بمن وقع منهم فى يدها وتحت سلطانها ، وأنها كانت أعظم عائق فى طريق المفاوضين المصريين فى مؤتمر « مونترو » لإلغاء الامتيازات الأجنبية فى مصر ، وأنها كانت آخر دولة تنازلت عن دفع فوائد الدين المصرى بالذهب فى الأزمة التى وقعت بهذا الخصوص ، وأنها كانت أشد الأمم احتياطاً وتشدداً فى ضمان الحرية للمعاهد الأجنبية فى مصر .

وقد يذكرون أيضاً أن هذين المقالين كانا سبباً فى أن يمنع ممثل فرنسا فى سوريا ولبنان فى ذلك الوقت دخول « الرسالة » إلى هذين القطرين الشقيقين برغم أن الرسالة أفسحت صدرها لمن ردوا على رأيى منتصرين لفرنسا ومدافعين عن ميراثها الثقافى وروحها كما تراءى لهم . وكان منهم الدكتور زكى مبارك .

وقد بعثت إلى الرسالة بمقالين آخرين لم ينشرا حينذاك تمهيداً لعقد هدنة بين ممثل فرنسا فى سوريا ولبنان وبين الرسالة .

وقد ضاع المقالان ولم يبق لدى منهما إلا مسودات سأحاول الآن جمع ما تفرق من المعانى فيهما لأن الظروف قد صدقت رأيى فى فرنسا ، وجلبت عليها عداوة كثير من أقلام عربية وغير عربية من جراء تخبط سياستها ورجالها ، ومن جراء تلك الروح الوحشية البربرية الرجعية الحمقاء التى تزاول بها سياستها مع شعوب العالم العربى ، ومن جراء ذلك التخلف الذهنى الذى يبلغ درجة الانحطاط عن مستوى الروح العالمى الإنسانى الذى يغمر قلوب بعض الأوصياء على الحضارة ، على الأقل فى مظاهر الخداع والإرضاء ومحاولة الوصول إلى الأهداف من طرق ملتوية ولكنها سلمية .

وما أظن أحداً من أذناب فرنسا فى مصر يستطيع أن يرفع رأسه ويحرك قلمه الآن للدفاع عن فرنسا إلا بحذر وتمويه ولذعات خفية وظهور بمظهر الغيرة على موقف مصر بموازنة موقف انجلترا منها بموقف فرنسا فى سوريا ولبنان وشمال أفريقية ، كما يفعل الأستاذ توفيق الحكيم فى « الأهرام » بين آونة وأخرى مع أنه ظل ساكتاً لا يعلن سخطاً ولا نكيراً على سلوك فرنسا الأخير فى سوريا ، ومع أنه ربما يكون لاستنكار أمثاله من ربيبى فرنسا الأوفياء شىء ولو قليلا من الاعتبار . حتى إذا ما تحركت انجلترا بإيقاف تلك « الذبحة الكبرى » تحرك قلمه يغمز ويلمز فى مظهر الغيرة على الوطنية المصرية . وهو موقف مكشوف ظاهره الوطنية وباطنه تبرير موقف فرنسا بمقارنة صنيعها بصنيع انجلترا فى مصر . وما كان أولاه أن يتحرك قبل الآن ليثير الغبار والشرر والنار فى وجه الفرنسيين المعتدين الغاشمين على أبناء قومه فى المشرق والمغرب ، إن كان يدين بالقومية العربية التى يعيش من الكتابة بلغتها ... أو ليغمز الانجليز كما يشاء .

تحنــــو على وترعانى وتبسط لى

فى غمرة الرأى رأى الناصح الهادى

وهذه هى صفة الزوجية التى تشترك فيها حياتان بالرأى والعطف ، وتكاد تنفى غناء الماء والزاد ، بل تكاد تجعل يوم الميلاد يوماً مشتركا لا يستقل فيه الزوج بذكرى ولادة له لا ترتبط بذكرى الزواج

هــذه الحياة أعجوبة الأعاجيب ، وهى أعجب ما تكون فى مألوفاتها الشائعة كل صباح ومساء ، ومن تلك العجائب أنها لم تجود بخير لا شر فيه ولا تصيب بشر يخلو كل الخلو من الخير . وليس عزاء الإنسان على شطر نفسه وصنو حياته باليسير ، ولكنه على كل حال من العزاء النبيل للشاعرين الفاضلين أن مصابهما قد أغنى الأدب العربى بهذه الذخيرة النفيسة ، وسجل للمجتمع المصرى هذه الظاهرة الكريمة التى تقترن أبداً بالتهذيب والارتقاء

عباس محمود العقاد

وأنا بعد أن لست أخيراً حماسته لفرنسا حماسة نسى فيها أدب الحديث والمناقشة مع بعض الجالسين في إحدى جلسات ندوة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ينبغي ألا أصانعه ، بل ينبغي أن أكشفه وأكشف أمثاله للعالم العربي ليعرف في ساعة العسرة والأزمات هؤلاء الذين يعيشون معه بأجسامهم فقط . .

وإني أدعو الأستاذ سيد قطب أن يكشف عن هذا الأثيم الذي جادله في أمر الشرق العربي وفظائع فرنسا فيه ، وقال تلك المقالة المنكرة « إذا لم يكن بد للانسانية من أن تفقد فرنسا أو أن تفقد هذا الشرق العربي فليذهب الشرق العربي إلى الجحيم ! » فما ينبغي لنا بعد اليوم أن نبقى على صداقات تنكر الصداقة الأولى التي يعرفها الحيوان قبل الإنسان وهي صداقة الوطن والجنس ، فعليه أن يكشف هذا الدخيل الجاهل وهو معافى من قيود الأخلاق في مثل هذه الحال .

المقال الأول

مما لم ينشر في سنة ١٩٤٠

إلى ممثل فرنسا في سوريا ولبنان

كتب الدكتور زكي مبارك إلى جنابكم كتاباً مفتوحاً نشر في العدد[1] من « الرسالة » حاول فيه أن يبرئ الرسالة من جرائر المقالتين اللتين أنحيتُ فيهما باللائمة الشديدة والسخط البالغ على أساليب فرنسا الاستعمارية التي لا تفرق فيها بين الشخصية السياسية للمحكومين لها وبين شخصيتهم الإنسانية والأدبية التي تتطلب غذاء لأرواحهم وعقولهم في هذا العصر الذي تسمونه عصر العلم والنور وارتفاع قيمة المعاني الإنسانية ، وقد أدى عدم التفريق هذا إلى تخلف العرب والبربر المحكومين بكم عن قافلة الحياة الإنسانية بمائة سنة على أقل تقدير . وفي هذا جناية عظيمة على الحضارة بحرمانها من جهود أمة من أذكى أمم الأرض وأعرقها مدنية ، وجناية على المبادئ السامية التي زعمتم أنكم أول من أعلنها في ثورتكم الكبرى .

وقد طلبتُ من الباكين على فرنسا في محنتها الحاضرة أن يذكروا محنة بني قومهم بكم قبل أن يذكروا محنتكم بالألمان ؛ وأن يكفوا عن افتتانهم بحضارتكم فتنة العمى عن عيوبكم وجناياتكم على الإنسان بحرمانه من خبز الروح وخبز البدن ... مما لم ير العالم له مثيلاً إلا في عصور البربرية والهمجية .

وطلبت من هؤلاء الباكين أيضاً أنهم إذا ذكروا « باستور » وفضله على الإنسان كما ذكره الدكتور زكي فليذكروا أنكم الآن تحكمون البشر أقل من حكم البقر والغنم التي كانت في حظائر « باستور » ليجري عليها تجاربه وأبحاثه ؛ فقد كان يسمنها ويربيها ويداويها ويبقى على حياتها ويفكر لإنقاذها من الأمراض ويعدها للغاية التي خلقت لها . وإذا أحيا « باستور » ملايين الأجسام فقد أمات قومه ملايين الأرواح والأجسام موتاً مادياً وأدبياً أخف منه الموت بالطاعون والأوجاع الثقيلة التي تقضي على الإنسان مرة واحدة ولا تهدر دمه وترخص روحه .

وإذا ذكروا « شمبوليون » وفضله على مدنية أجداد المصريين كما ذكره الدكتور زكي فليذكروا أنه جاء مصر غازياً في حملة نابليون الذي نكل بالمصريين تنكيلاً فظيعاً ، فإذا احتفل الأول بأحجار قدماء المصريين فقد أباح الثاني لجنوده أن يتخذوا من الأزهر — صاحب الفضل الأول على الدكتور زكي مبارك ! — اصطبلاً لخيلهم ، وأن يحرقوا أحفاد صانعي الأحجار التي فتن بها « شمبوليون » بالنفط ويضربوا نطاقاً من المواد الملتهبة حول القاهرة وحواضر الأقاليم . وكتب نابليون إلى أحد قواده يأمره بقطع خمسة رءوس كل يوم من أعيان البلاد كما يقطع هو كل يوم عشرة رءوس منهم !

وإذا ذكروا « السوربون » وفضله على الأدب والعلم فليذكروا الأزهر الذي اتخذته جنودكم اصطبلاً للخيول ولم يرعوا للعلم والدين حرمة .

---

(١) عدد ٣٧٥ تاريخ ٩ سبتمبر ١٩٤٠

وإذا ذكروا انتفاعهم بعلومكم وفنونكم ، فليذكروا أنكم كنتم أشد الأمم إصراراً على الاستمرار فى إهدار الكرامة المصرية وكنتم الشوكة الوحيدة فى حلوق المفاوضين المصريين فى مؤتمر « مونترو » لإلغاء الامتيازات الأجنبية ، التى كانت تجعل من السنغالى التابع لكم شخصاً له امتياز على المصريين فى ديارهم . وأنكم كنتم آخر دولة وقعت على محضر إلغاء صندوق الدين : رمز الذل الاقتصادى الذى أصاب مصر ، فلم توقعوا إلا بعد هزيمتكم ونكبتكم ، وأنكم كنتم الوحيدين الذين أصروا على دفع فوائد ديونهم فى مصر ذهباً لا ورقاً ، وأنكم وحدكم الذى عنيتم بفرض ضمانات شديدة لاحتلالنا بثقافتكم .

وإذا ذكروا التماثيل والأنصاب التى تجمل مدنكم ، فليذكروا أن أشرف نُصُب فيها وهو ضريح الجندى المجهول فى باريس يثير فى نفوس العارفين ذكرى أكبر مخزاة ومظلمة ونكران للجميل ! فقد ذكر سكرتير مسيو « كلنصو » فى مذكراته أن حكومتكم لما فرغت من إقامة بناء ذلك النصب التى تحته قبر الجندى المجهول فى باريس أرادوا أن يضعوا فيه جثة جندى فرنسى ، فذهبوا إلى ميدان موقعة « المارن » الشهيرة ، وصاروا ينبشون لإخراج جثة . وشاء الله أن يسجل على فرنسا لعنة أبدية حيث أرادوا لها فخراً . فكانوا كلما نبشوا عن جثة وجدوها جثة قتيل من جنود شمال إفريقية فيردمون عليها ، وهكذا لم يهتدوا لجثة جندى فرنسى « أبيض » إلا بعد عثورهم على ثلاثة عشر جثة للمغاربة ! ومع هذا لم ينصفوا قوم هؤلاء القتلى الذين ذهب ملايين منهم ضحايا فى سبيل فرنسا أى إنصاف ، ولم يمكنوهم من أقل الحقوق الإنسانية وهى حق الحياة والعلم ، وأبو أن يضعوا جثة أحدهم مكان جثة فرنسى قح …

وإذا ذكر الباكون أنهم عاشوا بباريس فى رحاب الشراب والحب والغزل والأنس ، فليذكروا أن بطلاً كريماً هو المجاهد محمد عبد الكريم الخطابى بطل ثورة الريف فى مراكش الذى تفخر به قوميتهم العربية أعظم من فخرها بأى قلم تافه لأحدهم … قد مضى عليه خمسة عشر عاماً « الآن مضى عليه عشرون عاماً » وهو ملقى فى أصفاده على صخور جزيرة مدغشقر ، وأنه لم يسلم نفسه لفرنسا إلا بعد عهد قطعته على نفسها ثم نكثت به وخانت شرف اسمها ، وأن هذه الأمة الفرنسية التى لا يزال قلبها يتنزى ألماً وحسرة على نهاية بطلها نابليون لا تشعر أى شعور إنسانى نحو أمثاله من الذين نهضوا يذودون عن حرية قومهم ومجدهم .

فيا جناب ممثل فرنسا ! أظن أنك رجل تغار على قوميتك وتدافع عنها ! فدعنا نفعل ذلك دائماً

وأظنك ترى معى أن كل من يضفى على فرنسا حنان قلبه ويغسلها بدموع عينيه من المصريين إنما هو أحد رجلين : رجل جاهل بجرائركم على أمته وكرامة قومه ، قد استسلم للفتنة بما عندكم ، وهذا لا يليق به أن يتصدى لقيادة الشباب بقلمه مهما كان له من الحسنات فى مجال « الترف العقلى » ولا يجوز لكم أن تعتبروه معبراً عن شعور هذه الأمة المصرية حين يرسل لمصرع أمتكم دموعاً تشهد عليه أنه غير سليم الموقف ولا صحيح الطبع ، وإنما هو ذو مزاج مؤوف ورأى منكوس .

وإما رجل يعرف هذه الجرائر ولكنه يطويها عن الناس فى نفسه ولا يذكرهم بها ليبين لشباب قومه المفتون جوهر نفوسكم وحقيقة حضارتكم ، لأنه صريع الخيانة أو مأجور القلم . وهذا لا شك رجل تافه الصداقة تافه العداوة ؛ فليس فيه نفع لكم لأنه لم ينفع قومه . وهو جدير أن ينقلب عليكم حين تفوته المنفعة ، ولأنه لم يعشق روحكم التى يزعمها روح أحرار ، فلو عشقها حقاً لكان أول من حاكمكم إليها حين رآكم تحيدون عنها وخصوصاً مع بنى قومه

وإذا كان فيما مضى كتاب خادعون أو مخدوعون فتنوا بمظاهر حياتكم فتنة العمى عن حياة قومهم المعذبين بكم ، وصالحوكم ولم يذيقوكم مرارة العداوة والثأر من سمتكم ، لإخوانهم ، فإن الزمن الآتى لن يسمح لأمثالهم أن يسيطروا على عقول الشباب العربى ، بعد أن نطقت حوادث الزمان أنكم قوم لا تصلحون لوصاية على أحد إذ أنكم أنتم محتاجون فى الواقع إلى أوصياء يهدونكم سبيل الرشد .

عبد المنعم محمد خلاف

في إرشـــاد الأريب
إلى معرفة الاديب
للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

- ٦ -

* ج ١٣ ص ٤٧ :

ولما نشرتُ أفاويقَها طوى الناس ديباجة البحتريّ

وجاء في الحاشية :

لعل الأفاويق جمع فواق ، من فاق بنفسه فواقاً : إذا كانت على الخروج أو مات وهذا يناسبها نشرت ، وكنت على وشك أن أجعلها أقاويلها جمع أقوال وتكون نشرت بمعنى أبرزت غير أني أبقيتها ونبهت على ما كنت أريده ليكون للقارئ الخيار .

قلت : أفاويفها ... في المخصص : الفَوف الثوب الرقيق ، وفي اللسان والتاج : الأفواف ضَرْب من عَصْب البرود ، وفي الأساس : شعر كأنه أفواف . وحلة أفواف وبرد مفوّف ، أصله من الفوف وهو نقط بياض في أظفار الأحداث الواحدة فوفة . وقال أبو القاسم في مقدمة مقاماته : ولم يأتل فيما يعود على مقتبسيها بجليل النفع وعظيم الجدوى في بابَى العلم والتقوى من انتقاء ألفاظها وإحكام أسجاعها وتفويف نسجها وإبداع نظمها . وقال صاحبها الزمخشري في الشرح : التفويف التوشية وبرد مفوف فيه خطوط بيض ، قال ابن دريد : المفوف الموشى فيه رقة ، ويقال للوشى أفواف قال :

قد كذبتم ما لباسكم جيد الأفواف والحبره
بل لباس القين بزكم ولباس القين مشتهره (١)

(١) (بزكم) جاءت في شرح المقامات بالذال وهوخطأ . (القين) في اللسان : قيل : كل صانع قين والجمع أقيان وقيون ، وفي التاج : كل عامل بالحديد قين عند العرب ، وقال السكرى : كل صانع يعالج صنعة بنفسه فهو قين إلا الـكاتب . . . (قلت) : لباس الصانع أو العامل في وقت العمل أجمل لباس في الدنيا .

وروى ياقوت في كتابه لأبي حيان من (مثالب الوزيرين) : ثم ما ذنبي إذا قال لي (يعني الصاحب) : من أين لك هذا الكلام المفوف المشوف الذي تكتب به إليّ في الوقت بعد الوقت ؟ فقلت : وكيف لا يكون كما وصف مولانا وأنا أقطف ثمار رسائله ... وأرد ساحل بحره ... فيقول : كذبت وفجرت لا أم لك ! ومن أين في كلامي الكدية ... والتضرع والاسترحام ؟ كلامي في السماء ...

ولأبي هلال العسكري في مقطوعة :

وعلى الربا حلل وشاهن الحيا فمنهم ومزخرف ومفوف

وروى ابن حجة في (خزانته) لابن قاضي ميلة :

بعيشي ، ألم أخبركما أنه فتى
على لفظه برد الكلام المفوف ؟

و (التفويف) من أنواع (البديع) ...

وبيت (الأفاويف) ختام قصيدة لعلى بن الحسن الباخَرزي صاحب (دمية القصر) في أبي القاسم على بن موسى نقيب الطالبيين بمرو ، وقد جمع أفوافاً على أفاويف .

* ج ١٦ ص ١٩٦ :

وقنعني الزمات فلستُ آسٍ
على فوت الثراء وأنت عندى

وجاء في الشرح : آسٍ : حزين ، وأصله آسيا لأنه خبر ليس ، لكنه جره على توهم الباء لكثرة مجيئها في الخبر .

قلت : فلست آسَى .

أسِيَ يأسَى أسًى فهو آس وأسيان وأسوان كما في اللسان . وفي حديث أُبيّ بن كعب : والله ما عليهم آسى ولكن آسى على من أضلوا كما في النهاية .

* ج ١٥ ص ٩٨ :

ومن شعر أبي تراب (على بن نصر الكاتب) :

حالي بحمد الله حال جيِّدَهْ
لكنه من كل خير عاطل

قلت : (حالى بحمد الله حال جيد) والحال يذكر وإن كان التأنيث أكثر .

* ج ٨ ص ٢١ : ورفع مناور العلم .

وجاء فى الشرح : وجمعها (أى منارة) مناور لا تقلب الواو همزة لأنها أصيلة ، والقلب إذا كانت زائدة ، وكانت فى الأصل (منائر) .

قلت : الأصل صحيح . والقاعدة فى هذا الجمع معلومة ، وشذت منائر ومصائب . وقد ورد الجمعان فى كلامهم ومعجماتهم . وكان ابن جنى يقول : همزة مصائب من المصائب ...

* ج ١٥ ص٩١ : كتب عبد الله بن المعتز إلى على بن مهدى :

يا باخلاً بكتابه ورسوله أأردت تجعل فى الفراق فراقا
إن المهود تموت إن لم تحيها والنأى يحدث للفتى إخلاقا

فكتب إليه على بن مهدى :

لا والذى أنت أسنى من أمجّده عندى وأوفاهم عهداً وميثاقاً
ما حلت عن خير ما قد كنت تعهده ولا تبدلت بعد النأى أخلاقاً

قلت : (والنأى يحدث للفتى أخلاقا) بفتح الهمزة جمع خلق ، وهو ما أراده ابن المعتز .

* ج ١٦ ص ٢٦٢ : وكان (الحريرى) غاية فى الذكاء والفطنة والفصاحة والبلاغة وله تصانيف تشهد بفضله ، وتقر بنبله ، وكفاه شاهداً كتاب المقامات التى أبرّ بها على الأوائل ، وأعجز الأواخر . وكان مع هذا الفضل قذراً فى نفسه وصورته ولبسته وهيئته ، قصيراً ذمياً بخيلاً مبتلى بنتف لحيته .

قلت : دمياً لا ذمياً .

فى الأساس : دممت ودممت[1] دمامة ، وهو دميم الخلق ذميم الخلق ، وقد أدّمت فلانة وأذّمت جاءت به كذلك .

وفى التاج : قال ابن الأعرابى : الدميم بالدال فى قده وبالذال فى أخلاقه ، وأنشد :

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغضاً : إنه لدميم

إنما يعنى به القبيح ، ورواه ثعلب بالذال فردّ ذلك عليه .

قال الأنبارى فى (نزهة الألباء) : كان الحريرى دميم الخلق ، فيُحكى أن رجلاً قصده ليقرأ عليه ، فاستدل على مسجده الذى يقرأ فيه ، فلما أراد الدخول رأى شخصاً دميم[1] الخلق ، فاحتقره ، وقال : لعله ليس هو ، فرجع ثم قال فى نفسه لعله يكون هذا ، ثم استبعد أن يكون هو ، والشيخ يلحظه ، فلما تكرر ذلك منه ، تفرس الشيخ منه ذلك ، فلما كان فى المرة الأخيرة قال له : ارحلْ ، فأنا من تطلب ؛ أكبر من قرد محنّك ...
والقصة التى فيها البيتان الرائيان — وقد رواها ابن خلكان — مشهورة .

* ج ١٠ ص ١٩٠ :

فأنت امرؤ لو رمت نقل مُتالع ورضوى ذرتها من سُطاك نواسف

قلت : (متالع) بضم الميم كما ضبط القاموس وغيره ، وهو جبل فى البادية فى بلاد طيّء . والبيت لأبى العلاء صاعد البغدادى فى أبى عامر المنصور .

* ج ١١ ص ٨٠ : توفى القاضى السجزى (الخليل بن أحمد ابن محمد) بسمرقند وهو قاض بها سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة . وقال أبو بكر الخوارزمى يرثيه :

ولما رأينا الناس حيرى لِهدّة بدت بأساس الدين بعد تأطد
أفضنا دموعاً بالدماء مشوبة وقلنا : لقد مات الخليل بن أحمد !

قلت : بعد توطد ، وتوطد الشيء تثبت ، ولم ترد (تأطد) فى كلام ، ولما اضطر الوزن أبا تمام إلى أن يقول فى بيت له

(١) دم من بابى ضرب وتعب ومن باب قرب لغة (المصباح)

(١) جاءت (دميم) فى الجملتين فى (نزهة الألباء) بالذال أيضاً ...

(اتأطدت) وهي (اتطدت) ضجّ اللغويون ، ونقد الناقدون . وأبو بكر من الهمز والخطأ في بيته في مندوحة .

* ج ١٦ ص ٩٩ : كتب الفتح بن خاقان إلى الجاحظ كتاباً يقول في فصل منه : إن أمير المؤمنين يَجِدُ بك ، ويهش عند ذكرك ، ولولا عظمتك في نفسه لعلمك ومعرفتك لحال بينك وبين بعدك عن مجلسه ، ولغصبك رأيك وتدبيرك فيما أنت مشغول به ومتوفر عليه ، وقد كان ألقى إلى من هذا عنوانه ، فزدتك في نفسه زيادة كف بها عن تجشيمك ؛ فاعرف لي هذه الحال[1] ...

قلت . يَجِدُ بك من وجد يجد لا من جدّ يجد . ووجد به : أحبه واغتبط به كما في النهاية . ولأبي العباس الزراري :

لي صديق قد صيغ من سوء عهد
ورماني الزمان فيه بصد
كان وجدي به فصار عليه وظريف زوال وجد بوجد

وجدي به : حبي إياه ، ووجدي عليه غضبي عليه . ولهذا الفعل مصادر ومعان كثيرة تذكرها المعجمات .

* ج ١٦ ص ١٦٣ : وهذا كعب بن مالك الأنصاري عتب على امرأته فضربها حتى حال بنوها بينهما فقال :

لولا بنوها حولها لخبطتها إلى أن تداني الموت غير مذمم[1]
ولكنهم حالوا بمنعي دونها فلا تعدميهم بين ناه ومُقسم
فنالت وفيها حائش من عبيطها
كحاشية البرد اليماني المسهّم[2]

وجاء في الشرح : الحائش : أصلا جماعة النخل ، ولا واحد له .
(قلت) : جائش — بالجيم — أي فائض ، سائل .
و (قلت) : أكرم من الشعر المتقدم شعر القائل :

رأيت رجالاً يضربون نساءهم
فشلت يميني حين أضرب زينبا

(١) تلكم منزلة أبي عثمان عند السلطان

(١) في البيت خرم ، وهو كثير في شعر ولا يكون إلا في اول الجزء في البيت .
(٢) عبيطها : دمها في الصحاح : العبيط من الدم الخالص الطري

بحث في الصلاة

للدكتور جواد على

بين يدىّ رسالة للمستشرق اليهودى المعروف المرحوم أويكين ميتوخ (Eugeen Mittwoch) بحث فيها عن الصلاة عند المسلمين وقارن بينها وبين الصلاة عند اليهود. وقد أجهد المستشرق نفسه ليصل إلى نتيجة كان يقصدها ويريدها قبل الدخول فى الموضوع، هى أن الرسول الكريم أخذ صلاته من صلاة اليهود كما أخذ سائر الطقوس والعبادات[1].

وبين يدىّ أيضاً بعض الأبحاث العلمية التى قام بها نفر من المستشرقين فى نفس هذا الموضوع، أى تطور الصلاة ونشوء العبادات فى الإسلام، كبحث المستشرق المجرى اليهودى كولدزيهر (Goldzyiher) وبحث المستشرق الهولنــدى جوينبول (Juynbole)[2] وأبحاث المستشرق المرحوم بيكر (Becker)[3] وهى تسير على نفس الأسلوب ولكنها تختلف فى النتائج. إذ من رأى هؤلاء أن النبى علية الصلاة والسلام أخذ صلاته وعباداته عن النصارى لا اليهود.

وبالنظر إلى ما فى أبحاث هؤلاء المستشرقين من أمور لا تقرها الحقيقة رأيت أن أكتب فى هذا الموضوع، وأن أقارن بين الصلاة فى الإسلام وبين الصلاة فى اليهودية خاصة، لكونها أساس الصلاة عند المسيحيين فأقول:

أجمعت المذاهب الإسلامية قاطبة على أن هنالك خمس صلوات مفروضة فى اليوم، وأجمعت كذلك على عدد الركعات؛ فصلاة الصبح ركعتان، وصلاة الظهر والعصر والعشاء أربع ركعات إلا صلاة المغرب فإنها ثلاث ركعات[4].

---

(١) راجع بحثه المقدم إلى الأكاديمية الملكية البروسية سنة ١٩١٢ بعنوان تطور الصلاة الاسلامية وطقوسها.

(٢) راجع بحث (Juynboll) الذى طبعه فى مدينة ليدن الهولندية عام ١٩١٠ بعنوان Handboak of tte Jslamic law.

(٣) راجع أبحاثه فى مجلة (الاسلام) السنة الثالثة ج ٤ عن رأى المستشرق المجرى راجع كتابه « دراسات إسلامية » ج١ ص ٣٥.

(٤) راجع كتب الفقه فى بحث الصلاة على اختلاف المذاهب مثل كتاب الوضع لأبى زكريا الجناوونى يحيى بن الخير (القاهرة) المطبعة البارونية ١٣٠٥هـ، وكتاب النيل وشفاء العليل لعبد العزيز إبراهيم المصعي، وكتاب شرح النيل وشفاء العليل للاطفيشى وهي على مذهب الأباضية.

ولم تختلف المذاهب الإسلامية قديماً وحديثاً فى الشكل الأساسى للصلاة ولا فى هيكلها وكيفيتها، وإنما اختلفت فى مسائل فرعية طفيفة لا علاقة لها بالوضع العام للصلاة. فطريقة الركوع والسجود واحدة بين الجميع، وعدد الركعات ثابت كما قلنا، والاتجاه نحو القبلة واجب لا خلاف فيه. وأما فيما عدا ذلك مثل الجهر بالقراءة أو الإخفات، وإسبال اليدين فى الصلاة أو «التكتيف» فوق السرة أو تحتها، وجواز القنوت أو عدم جوازه، ورفع السبابة فى التشهد أو عدم رفعها وإدارة الرأس نحو اليمين واليسار حين السلام أو عدم ذلك، ثم الحد الأدنى للآيات التى يجب قراءتها فى الصلاة، وأمثال ذلك، فإن كل هذه لا تؤثر على هيكل الصلاة وشكلها كما قلنا ويكاد يصعب على غير المسلم تمييز هذه النقاط

« والصلاة هى الدعاء وعبادة الله الرحمن الرحيم بأقوال وأفعال ونظام وترتيب جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام واتبعه الصحابة وفسره أئمة الدين الذين تفرغ كل منهم لوصف ما وصل إليه وتمحيصه من صحيح العلم ودقيق العمل كما كان عن النبى صلى الله عليه وسلم وما فعل الصحابة الذين عاصروه وقاموا باتباع ما جاء به.. ولكم فى رسول الله أسوة حسنة ... »[1].

والصلاة مظهر من مظاهر تعلق الفرد بخالقه وواجب من واجبات الإنسان الدينية والانفرادية والاجتماعية فى كل الأيام وعند جميع الشعوب وهى التكلم مع الله وطلب ما يحتاج اليه الإنسان مع الشكر لأجل المراحم الإلهية[2]. ففى الصلاة إذاً عنصران: عنصر الشكر لله ومدحه وتبجيله على عظمته وبديع صنعه؛ وعنصر الطلب من الله القوى القهار الذى يسأل فيجيب

وهى فرض فى الإسلام واجب لأنها ركن من أركان الدين ولأنها « مفتاح من مفاتيح الجنة »[3] والصلاة عماد الدين[4] جاء فى القرآن الكريم « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون »[5] وجاء فى القرآن الكريم أيضاً « ما سلككم فى

---

(١) راجع كتاب الاسلام لعبد لطفى حسن. القاهرة سنة ١٩٣٢ ص ٢٣٨.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ج ٢ ص ١٢. طبعة الجمعية البروتستانية Hastings. Dictionary of the Bible P, 744.

(٣) كنز العمال ج ٤ ص ٦٤. نمرة ١٠٤٩. mittwocb P, 5.

(٤) كنز العمال حيدر آباد ١٣١٣ ج ٤ ص ٢٢ نمرة ١٢٠٦.

(٥) القرآن الكريم.

سقر؛ قالوا لم نكن من المصلين ولم نك نطعم المسكين، وكنا نخوض مع الخائضين، وكنا نكذب بيوم الدين، حتى أتانا اليقين»[١] وجاء عن النبي (ص) أنه قال «من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر جهاراً»[٢] وجاء أيضاً «من ترك الصلاة متعمداً أحبط الله عمله وبرئت منه ذمة الله حتى يراجع الله توبته»[٣]. فالصلاة إذاً فرض واجب على كل مسلم؛ من تركها متعمداً فهو ليس بمسلم[٤] وعد كافراً وجازقتله[٥]. وفي الكتب التي أرسلها الرسول إلى القبائل العربية ذكر للصلاة بعد الإيمان[٦] وفي الحديث «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا»[٧]

والصلاة في الأصل الدعاء والرحمة والاستغفار والبركة[٨] ثم خصصت لنوع معين من أنواع العبادات فيها ركوع وسجود وحركات معينة وقواعد ثابتة لا تتأثر بإرادة المصلي ولا برغبته وميوله ولا بالوقت الذي يريده إذا كانت الصلاة مفروضة واجبة[٩] وللصلوات شكل معين معلوم وإن لم يعينه القرآن إلا أنه معين باتفاق الصحابة والمذاهب الإسلامية عليه.

ثم إن الصلوات اليومية الخمس تؤدى في أوقات معينة معلومة لا يمكن المصلي أن يتخطاها وإلا اعتبر مقصراً وأصبحت صلاته باطلة. وأما الدعاء فإنه يكون في أي وقت كان وفي أي صورة يريدها المتضرع؛ فهو لا يتقيد بقيود ولا يتعين بشكل خاص ولا يكون في الصلاة إلا في مواضع معينة مخصوصة.

(١) قرآن الكريم.
(٢) الاسلام ص ٢٤٠.
(٣) الاسلام ص ٢٤٠.
(٤) الاسلام ص ٢٤٠. mittwocb. P, 5.
(٥) الشيرازي تنبيه طبعة (Juynball) ص ٥١ر٥.
(٦) راجع الكتب التي أرسلها الرسول إلى القبائل العربية بعد إسلامها m ttwocb. P, 5.
(٧) في التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح لحسين بن المبارك الزبيدي ج ١ ص ١٣ «شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس» وفي ج ١ ص ٨ «بني الاسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان».
(٨) قاموس ج ص ٣٥٣. المصباح المنير ج ١ ص ٥٣. الطبعة الأميرية بمصر ١٩١٠
( ) mittwocb. P, 6.

وكلمة «صلاة» آرامية في الأصل ثم استعملها اليهود فأصبحت لفظة آرامية عبرية[١] دخلت اللغة العربية عن طريق اليهود أو المسيحيين[٢]. استخدم اليهود هذه الكلمة (صلوتة) (Salûte) في الأزمنة المتأخرة من عهد التوراة حتى أصبحت كلمة مألوفة ذات معنى ديني خاص[٣]. وفي القاموس «والصلوات كنائس اليهود وأصله بالعبرانية صلوته»[٤] ومن جملة الصلاة «الدعاء» إلا أن «الدعاء» في الاسلام هو الابتهال إلى الله بالسؤال والرغبة فيما عنده من خير. ويقابل لذلك في العبرية كلمة «تحنونيم» ومعناها التضرعات والدعاء! وأما الصلاة التي هي ركوع وسجود فإنها تقابل لفظة «تفلوت» التي تعني صلوات[٥] قبل أن تخصص الصلاة عند اليهود بكلمة «صلوته» الآرامية في عهود التوراة المتأخرة[٦].

والذي لاحظه المتتبعون أن الشعوب القديمة حتى البربرية منها كانت تقوم بفروض دينية يصح أن نطلق عليها لفظة «صلاة»[٧] ومن بين ما عثر عليه المنقبون بعض النصوص القديمة التي كان يقرؤها الأشوريون والبابليون في الصلاة[٨]. والصلاة عادة طقوس خاصة وشرائط لابد منها؛ وبدون هذه الشروط تكون الصلاة باطلة غير مقبولة مثل ضرورة الغسل وشروط الملابس والبخور والوضع في المعبد وما يجب على المرء أن يقوم به أثناء الصلاة وهي تختلف باختلاف الأمم وعقليات الشعوب.

وقد لعبت الصلاة في العصور الوثنية دوراً هاماً. اعتقد الوثنيون أن المرء متى أحسن أداء الصلاة وقرأ النصوص التي لابد منها كما هي مكتوبة وقام بجميع أركان الصلاة وناجى آلهته في صلاته بأسمائها الصحيحة فإن الآلهة تلبي طلب المصلي لا محالة وتجبر على إجابة رغباته حتما[٩].

(١) mittwoch. P, 6.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر أيضا بحث المستشرق كولدزهير بعنوان دراسات إسلامية ج ١ ص ٣٥.
( ) القاموس ج٤ ص ٣٥٣
(٥) mittwoch. P, 6.
(٦) نفس المصدر.
(٧) راجع Encyclopeledia Britanicta art Prayer.
(٨) The Religions of the East P, 17.
(٩) The old Persian Religion. 1920 P. 22.

وفى استطاعة المصلى أيضاً إذا ما كرر الكلمات المقدسة فى صلاته طرد الأرواح الخبيثة والعوالم الشريرة عنه بل وفى المصلى استخدام الأوراح العليا لقضاء مصالحه وطلباته ولتنفيذ رغباته فيما إذا أحسن المصلى أداء الصلاة . جاء فى ياسنا من دين زرادشت « وبواسطة صلاتى هذه يا مزدا (Manydáh) أرجو منك طرد الأرواح الشريرة والخبائث »[١] .

ومن الأمور التى تهتم بها الشعوب فى صلاتها مسألة عدد الصلوات اللازمة على كل إنسان وتعيين أوقات الصلاة بالضبط ليتسنى لكل مؤمن أداء الفرائض فى أوقاتها ومواقيتها . وقضية الوقت هى قضية مهمة جداً فإن لم تعين أوقات الصلاة وتضبط التبس الأمر على المؤمن وحار ، لذلك ارتبطت مواعيد الصلاة بالصلاة مذ صلى الإنسان الأول . وبالنظر إلى عدم معرفة الإنسان طريقة فنية لضبط الأوقات ، وبالنظر إلى عقيدة تقديس الأجرام السماوية والانصراف إلى عبادتها ربط الإنسان أوقات صلاته بأوقات ظهور الأجرام السماوية ؛ ولا سيما الكبيرة منها ، وأعنى بذلك الشمس والقمر ؛ لأن عقلية الإنسان الابتدائى تميز هذين الجرمين لكبرهما عن الأجرام الأخرى بسهولة ، ولذلك كان الشروق والغروب ووقت الزوال أحياناً من أوقات الصلاة المفروضة لدى غالبية الأمم والقبائل والشعوب[٢] .

وحتمت الديانات الآرية القديمة والسامية منذ أقدم الأزمنة على الإنسان الصلاة فى أوقاتها ، فمن الواجبات الدينية على كل رجل من أتباع زردشت بلغ سن التكليف الدينى[٣] أن يصلى ثلاث مرات فى اليوم صباحاً وعصراً ووقت العشاء (المغرب) وعليه فضلا عن ذلك صلاة (Ashewvohu) وهى الصلاة التى يجب على كل رجل أداؤها حين ذهابه إلى الفراش لأجل النوم ، وبعد نهوضه من النوم مباشرة[٤] .

(البقية فى العدد القادم) **جواد على**

(١) راجع Persian. Religèan P, 23 .

(٢) راجع الكتب المؤلفة فى تاريخ الأديان Yasna. 33,4 .

(٣) The ald Persiau Religian. P, 124 nirangastau 31, .
ويقبل الفرس اليوم الطفل الفارسى فى المجمع الدينى متى بلغ السابعة من العمر . راجع Zend. av 2. 243 .

(٤) Shâyast 7. 1. The old Pers Rel P, 124

٣ – حول انهيار فرنسا

للأستاذ عربي كبير

تتمة ما نشر في العددين السابقين

هذا ، وفى آخر الأمر يجب علينا أن نشير — حينما نبحث عن أسباب انهيار فرنسا — إلى سبب آخر ، سبب يجب أن يعطى الموقع الأول بين سلسلة الأسباب ، بل يجب أن يعتبر السبب الأصلى ، بل هو علة العلل ...

هذا السبب هو علائم بلبلة الآراء، وفوضى النزعات التى كانت تسود فرنسا إزاء مظاهر وحدة الكلمة وتراص الصفوف التى كانت تميز ألمانيا ...

لقد دخلت ألمانيا الحرب ، وهى متحدة الكلمة ، تسير وراء زعيم واحد تثق به ثقة لا حد لها ، وتتجه نحو هدف عام يعرفه الكل ويقدسه الجميع ... فى حين أن فرنسا كانت منقسمة على نفسها فى معظم أمورها ، وقد بلغت فيها الشهوات الحزبية درجة تكاد تتغلب على الفكرة الوطنية ، وتعددت الأحزاب تعدداً لا مثيل له فى التاريخ ، فلم يبق حزب قوى يستطيع أن يضمن الأكثرية ويدعم الحكومة ، حتى بالاتفاق مع حزب ثان ، فأصبح من المحتم على كل حكومة تسعى إلى تسيير دفة الأمور أن تتفنن فى إجراء ترتيبات معقدة بين عدة أحزاب متخالفة ...

وبما أن مثل هذه الترتيبات المعقدة تكون عرضة للتغيير السريع بتقلب الظروف ، أصبح التوازن الحكومى شبيهاً بالأعمال البهلوانية التى يقوم بها اللاعبون على الحبال

ولا حاجة لبيان أن تعدد الأحزاب وتنازعها على هذا الوجه كان يفسح مجالا واسعاً لدسائس النفعيين ، ويزعزع ثقة الشعب بالحكومات ويسىء إلى سمعتها إلى حد كبير

وإذا كان تسيير دفة الشؤون بين هذه النزعات المتخالفة من الأمور الممكنة فى الأحوال الاعتيادية فلا شك فى أنه يصبح من رابع المستحيلات خلال الأزمات الحربية ، لأن الحرب تحتاج إلى أعمال منسقة تنسيقاً تاماً ، ولا سيما فى هذا العهد الذى أصبحت فيه الأعمال الحربية غير مقتصرة على الجيوش المحاربة وحدها وغير منحصرة فى ساحات القتال وحدها ، بل شاملة جميع أبناء الوطن وجميع أقسام البلاد ... فالبلبلة فى الآراء والفوضى فى الأعمال من الأمور التى لا يمكن أن تلتئم مع ضرورات الحرب بوجه من الوجوه ، فإذا أقدمت أمة ما على الحرب وهى مبلبلة الآراء ، فلا بد من أن تتعرض إلى كوارث ونكبات

وهذا ماحدث فعلا فى فرنسا ، لأن البلبلة التى كانت تضطرب فى نفوس أبنائها حين بدء الحرب ، ازدادت يوماً فيوماً من جراء سير الوقائع من جهة وبتأثير إذاعات الألمان من جهة أخرى ، ولا شك فى أنها كانت علة العلل فى أمر الانهيار

* * *

وهنا مسألة هامة تتطلب التفكير والاهتمام :

إن تعدد الأحزاب وبلبلة الآراء لم تكن من الأمور الشاذة فى فرنسا ، بل هى من الأمراض الاجتماعية المزمنة التى كانت تنخر عظم فرنسا منذ مدة غير يسيرة ، ومع هذا فأنها لم تؤد فى الماضى إلى انكسار وانهيار ، لأن الأحزاب كانت تنبذ عادة منازعاتها عند ما تشعر بالخطر الخارجى ، وتسرع إلى الاتحاد والتكتل عند ما يدعوها إلى ذلك داعى الوطن ، كما حدث فعلا فى الحرب العالمية

فلما ذا لم يحدث مثل ذلك فى هذه المرة ؟ لما ذا لم تتحد الأحزاب أمام الخطر الهائل الذى أحدق بفرنسا منذ نشوء الحرب الحالية ؟

لا شك فى أن ذلك لا يمكن أن يعلل إلا بأن نقول : إن داء الحزبية كان قد اشتد إلى درجة أصبح معها لا يتأثر من ضرورات الحرب ، وإن روح الفردية كانت قد قويت إلى درجة تحولت معها إلى أنانية مفرطة تتغلب على الروح الاجتماعية والروح الوطنية .

غير أن هذا التعليل لا يحل المسألة حلا مرضياً ، فيجب علينا أن نتساءل بعد هذا التعليل أيضاً : لما ذا اشتدت روح الحزبية إلى هذه الدرجة ، ولما ذا تقوت فكرة الفردية إلى هذا الحد ؟

إننى أعتقد أن الدعايات الشديدة المستمرة التى قامت فى طول فرنسا وعرضها منذ سنوات ضد النظام النازى والفاشى لم تخل من التأثير الشديد فى هذا الباب . إن تلك الدعايات كانت تستهدف — فى حقيقة الأمر — تبغيض ألمانيا وإيطاليا ، غير

أنها كانت تهاجم قبل كل شيء النظام الجديد الذي اختارته لنفسها كل واحدة من هاتين الدولتين مهاجمة عنيفة ، وذلك من وجهة تأثيرها على الحرية الفردية في الدرجة الأولى ، ولذلك أخذت الدعايات المذكورة تستمد قوتها من (فكرة الحرية) و (نزعة الفردانية) المنتشرة في البلاد ، فصارت تزدري حتى بـ (روح التكاتف والتراص) و (دعوة التوحد والتضحية) التي يتضمنها هذان النظامان ، فإن الكتاب والخطباء كلما أرادوا تزييف النازية ومهاجمتها لوحوا أمامها بعلم « الحرية المطلقة والفردية التامة » دون أن ينتبهوا إلى التأثيرات والأضرار التي قد يحدثها ذلك في داخلية البلاد ونفسية الناس . على هذا الوجه تقوّى الداء وتأصل ، وصار الناس يمجدون « الحرية » تمجيداً مطلقاً ولو أدت إلى الفوضى ، وينفرون من (التوحد) ولو أصبح ضرورياً لحياة الأمة ، ويسترسلون في (الفردية) ولو تحولت إلى أنانية فتاكة ... وفي الواقع أن مخاطر هذه الأمور لم تبق خافية على انظار جميع الفرنسيين بطبيعة الحال ؛ فقد ظهر بين رجال الفكر والسياسة مَن شَعَر بالأخطار التي ستنتجم عن استمرار هذه الأحوال ، ومن أخذ يعارض الإفراط في فكرة الحرية فيدعو إلى جمع الصفوف وتوحيد الكلمة ، حتى ظهر من يحمل بعض الحملات على روح الفردية والأنانية ... غير أن الدعايات التي ذكرناها آنفاً ، كانت أثرت في النفوس تأثيراً عميقاً حتى صار الناس ينظرون إلى كل محاولة من هذا القبيل كضرب من ضروب النازية أو الفاشية ، كما أخذوا يتهمون معتنقي مثل هذه الآراء بخدمة الأعداء وخيانة الوطن

وعبثاً حاول بعض الكتاب والمفكرين أن يرشدوا الناس إلى سواء السبيل بقولهم : « يجب أن نكره النازية من حيث سياستها الخارجية وحدها ، ولم يشمل كرهنا لها جميع أعمالها وجميع خصائصها ... ومهما كرهنا النازية من وجهة سياستها الخارجية فيجب ألا ننكر بأنها قامت بأعمال هامة في سبيل الإصلاحات الداخلية والتنظيمات الشعبية ، وإن بعض تلك الأعمال الداخلية جدير بالإعجاب وحرى بالاقتداء ... » غير أن أصوات هؤلاء المفكرين ضاعت بين صرخات الصارخين الذين ظلوا يهاجمون النازية من جميع الوجوه باسم الحرية ... ويستخفون بجميع مبادئها وأعمالها باسم الفردية ...

ولذلك استمرت في فرنسا الأمراض والنزعات السياسية والأخلاقيه النفسية التي شرحناها آنفاً ، خلال الحرب أيضاً ... ولا شك في أن هذا الاستمرار كان أهم الأسباب التي أدت إلى الانهيار .

***

ومن الغريب أن دعايات « الحرية والفردية » المفرطة التي كانت انتشرت في فرنسا فأدت بها إلى الانهيار كما اسلفنا أثرت تأثيراً عميقاً في آراء عدد غير قليل من كتاب العرب . فراح بعضهم يردد تلك الدعايات بحماس شديد ، حتى بعد ظهور أضرارها الفادحة للعيان في الويلات والنكبات التي جرتها على فرنسا نفسها ...

فقد نشر أحد الكتاب المشهورين[1] ، في إحدى المجلات المصرية الشهيرة ، سلسلة مقالات حول فرنسا ، بعد انهيارها ، أبدى فيها من الآراء ما يستوقف النظر ويتطلب النقاش ...

فقد وصف الكاتب المحترم ، في مقالاته هذه « الحالة النفسية التي كانت وصلت إليها فرنسا قبل الحرب الحالية بكلمات صريحة » فكتب — في جملة ما كتبه في الأقسام المختلفة من مقالاته المذكورة — الكلمات التالية :

« كانت شهوة السياسة الحزبية في فرنسا أقوى من الفكرة الوطنية »

« امتلأ الفرنسي بنفسه ، وأصبح الفرد كل شيء ، يؤثر نفسه بكل شيء ، يؤثرها بأعظم حظ ممكن من اللذة ، ويجنبها أعظم حظ ممكن من الألم ... »

« استجاب الفرنسي لداعي العقل الفردي ، أكثر مما استجاب لداعي العقل الاجتماعي » .

« قد رأى الفرنسي أن الحياة لم تمنح للناس ليبذلوها في الجهود المضنية التي تنتهي إلى الفناء ، إنما منحت للناس لتكون عليهم نعمة ليستمتعوا بلذاتها وليتجنبوا آلامها ... »

« فرنسا آثرت نفسها بالعافية واللذة ونعيم الحياة ... »

أنا لا آخذ على نفسي مسؤولية هذه الكلمات القاطعة ، ولا أشترك في إطلاقها وتعميمها على هذا المنوال . ومع هذا ، أرى من الضروري أن ننعم النظر فيها قليلا ...

(١) الدكتور طه حسين

إن هذه الصفات الأخلاقية ، وهذه النزعات النفسية ، هذه الفردية المفرطة التي لا تفكر في شيء غير نفسها . . والتي تتجنب الجهود المضنية على اختلاف أنواعها ، فتحاول أن تنال أعظم حظ ممكن من اللذة … والتي تؤثر نفسها على الدوام بالعافية واللذة ونعيم الحياة … كل من ينعم النظر في هذه الصفات ، يضطر إلى التسليم معي بأنها تدل على شيء واحد ، هو « التفسخ الأخلاقي » وتؤدي بطبيعة الحال إلى نتيجة واحدة ، هي « الإنحلال الاجتماعي » …

غير أن الكاتب المحترم ، لا يقول بذلك ، بل بالعكس يرى في كل هذه الصفات والحالات أثراً من آثار التحضر والتثقف ، ونتيجة من نتائج الأمعان في الحضارة والثقافة . إنه يعلل كل واحدة منها بقوله : « إن الفرنسي قد تحضر وأمعن في الحضارة » و « ومضت فرنسا في الحضارة إلى أقصى غاياتها » ويكرر ذلك مرات عديدة ، ويعتبر كل ذلك من نتائج « الحضارة والثقافة » الطبيعية ، حتى إنه يقول بكل صراحة ما يأتي .

« إن أية أمة من الأمم تبلغ من الثقافة ما بلغته فرنسا وتسلك بالثقافة الطريق التي سلكتها فرنسا منتهية من غير شك إلى مثل ما انتهت إليه فرنسا …

ويزيد على ذلك قائلا . « نحن بين طريقين » إما أن نستقبل الثقافة أحراراً (يريد مثل ما تفعل فرنسا) وإما أن نستقبلها مقيدين (يريد مثل ما تفعل المانيا) كما يقول أخيراً « أما أنا فاختار الطريق الأولى وأقبل أن أتعرض لما تتعرض له الأمم الحرة من ألوان الخير والشر ومن اختلاف الخطوب » ويعلل اختياره هذا بنزوعه إلى الحرية حيث يقول : « إن الحياة الحرة … خليقة بأن نشتريها بأغلى الأثمان » …

أنا لا أستطيع أن أشارك الكاتب المحترم في آرائه هذه … ولا أسلم بأن الأحوال والصفات التي ذكرها « نتيجة طبيعية » للأمعان في الحضارة والثقافة ، كما لا أسلم بصحة رأيه في انحصار الأمر بين طريقين لا ثالث لهما ؛ غير أن حديثي قد طال

ولكن من الضروري ألا أنهي حديثي دون أن أناقش الكاتب المحترم قليلا في كلمته الأخيرة .

« إن الحياة الحرة … خليقة أن تشترى بأغلى الأثمان … » ؛ إن سياق الكلام — في المقالات المذكورة — يدل دلالة صريحة على أن التمنى هنا هو « كيان الدولة » و « حياة المجتمع » … فهل يجب علينا أن نسلم بهذا القول ؟ هل يجوز لنا أن نقدم « الحياة الحرة » على كيان الدولة « وعلى مصالح المجتمع الحيوية »؟ وهل يمكننا أن نضحى « الحياة الحرة » بتضحية حياة الدولة وكيانها ؟ …

أنا لا أرى لزوماً لإطالة الحديث في الإجابة على هذه الأسئلة ، ومع هذا أرى من المفيد أن أذكر كلمة قالها قبل الحرب العالمية أحد عظماء السياسة في فرنسا ، وكلمة أخرى كتبها أحد كبار الأدباء …

في عهد وزارة بريان استعد الاشتراكيون لحمل الناس على إضراب عام يشمل عمال وموظفي السكك الحديدية ، ليشلوا جميع الأعمال والحركات في طول البلاد وعرضها . فلما اطلعت الحكومة على أخبار هذه الاستعدادات اعتقدت بأن ذلك قد يؤدي إلى كارثة كبرى ، نظراً لما كانت تعرفه عن استعداد المانيا نظراً لاحتمال إقدامها على انتهاز فرصة هذا الاضطراب العام للاستيلاء على البلاد استيلاء فجائياً … فقررت الحكومة الفرنسية أن تتخذ تدبيراً حاسما في هذا المضمار ، والتجأت إلى طريقة التجنيد . جندت عمال السكك الحديدية قبل يوم الإضراب ، وأمرتهم بتسيير القطارات بصفتهم جنوداً وضباطا . ومن المعلوم أن العامل حر في العمل أو الإضراب غير أنه يفقد هذه الحرية — بطبيعة الحال — عند ما يصبح جندياً … وبهذا التدبير استطاعت الحكومة أن تفسد على الاشتراكيين ترتيباتهم في هذا الباب وأن تحول دون تحقيق الإضراب العام الذي كانوا يستعدون له منذ مدة .

هذا التدبير سبب هياجا عظيما على الحكومة ، فأخذ المعارضون يقولون هذا إخلال بأحكام الدستور ، وإنه تعد على حق الحرية .. غير أن رئيس الحكومة رد على هذه الاعتراضات قائلا : « إن العمل الذي قمت به لا يخالف الدستور ولا يكون تعدياً على حرية الأفراد .. ومع هذا أود أن أصرح من على هذا المنبر بأنني لو

كنت أعلم بأنه مخالف للدستور ولحق الحرية .. لما أحجمت عن القيام به .. لأنني أعتقد أن حياة فرنسا أغلى من الدستور ، وأثمن من حرية الأفراد ... »

إن ساسة فرنسا الذين كانوا يحملون مثل هذا الاعتقاد قادوا بلادهم إلى النصر فى الحرب العالمية المنصرمة .. وأما رجال فرنسا الجدد الذين فقدوا هذا الاعتقاد وصاروا يعتبرون هذه الأعمال ضرباً من ضروب النازية ... فقد أوصلوا بلادهم إلى وادى الانحدار ...

هذا وأذكر أننى حضرت رواية فى باريس قبيل الحرب العالمية عنوانها (الغرب) يصور فيها مؤلفها ضابطا من كبار ضباط البحرية الفرنسية يعيش مع راقصة مغربية تنحدر من عشيرة مراكشية ، وللضابط أخ شاب مأخوذ بالآراء والنظريات المعارضة للخدمة العسكرية . يفر هذا الشاب من الجندية ، غير أن أخاه الضابط يتمكن — بعد سلسلة وقائع — من إقناعه وإعادته إلى حظيرة الخدمة الوطنية . تقف المرأة المغربية دهشة أمام خضوع الشاب لكلمات أخيه هذا الخضوع ، فتتساءل : ألم يكن هذا الشاب حرا ؟ فكيف يخضع لأوامر الضابط كأنه كلب مطوق بالأغلال أو عبد يمتثل أوامر سيده الذى اشتراه بماله الخاص ؟ ؟

أما الضابط فيبتسم لأقوال خليلته المغربية ، وعند ما يختلى بها يقول لها ما مؤداه « إن الحرية فى نظرنا نحن الغربيين ، هى غير الحرية التى تفهمونها وتطلبونها أنتم الشرقيين . الحرية فى نظركم هى أن يرتدى المرء برنسه ويعتلى صهوة جواده فينطلق فى الصحراء حيث شاء ... أما نحن فلا نطلب حرية مثل تلك الحرية ، فإن كلاً منا يحمل فى عنقه أغلالا وأصفادا ... أغلالا وأصفادا مصنوعة من ذهب معنوى ... من ذهب المنعنات والتاريخ والواجبات ... نحن نحب تلك الأصفاد بكل جوانحنا ، ونحمل تلك الأغلال بكل سرور ... نحن نبجل تلك الأصفاد والأغلال ، بل نقدسها كل التقديس ... » .

إن الجيل الذى يقول مثل هذه الأقوال قد قاد فرنسا إلى المجد والنصر ، وإن الجيل الذى عدل عن تقديس الأغلال الاجتماعية فأخذ يتمسك بالحرية المطلقة ... الجيل الذى ترك التساند الاجتماعى جانبا ، فأخذ يقدس تلك الفردية ... هذا الجيل ... قد أوصل فرنسا إلى هذه النكبات ...

إننى أعتقد أن هذه النتيجة يجب أن تكون درسا ثمينا لجميع شبان العرب ...

فأنا أود أن يعرف الكل أن الحرية لم تكن غاية قائمة بنفسها ، بل هى واسطة من وسائط الحياة العالية ... والمصالح الوطنية التى تتطلب من المرء أحياناً تضحية الحرية أيضاً فى بعض الظروف ...

إن كل من لا يضحى بحريته الشخصية فى سبيل حرية أمته — عند ما تقتضيه الحال — قد يفقد حريته الشخصية مع حرية قومه ووطنه ...

وكل من لا يرضى أن (يفنى) نفسه فى الأمة التى ينتسب اليها — فى بعض الأحوال — قد يضطر إلى « الفناء » فى أمة من الأمم الأجنبية التى قد تستولى على وطنه فى يوم من الأيام ...

ولذلك فأننى أقول بلا تردد وعلى الدوام ...

الوطنية والقومية قبل كل شىء ، وفوق كل شىء ... حتى فوق الحرية ، وقبل الحرية ...

(س)

لزوم ما لا يلزم

متى نظم وكيف نُظم ورُتب ؟

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ٢ —

كانت أمور الشام ولا سيما البلاد الشمالية فى أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس مضطربة بين سلطان الفاطميين والأمراء المتغلبين من بنى حمدان ومواليهم ومن رؤساء القبائل العربية . وقد استولى صالح بن مرداس الكلابى صاحب الرَّحبة على حلب فى هذا الاضطراب سنة ٤٠٢ . ثم وقعت خطوب ردّت حلب إلى سلطان الفاطميين حيناً . فلما قتل نائب الفاطميين عزيز الدولة سنة ٤١٣ ، وتولى من قِبَلهم ابن شعبان طمع صالح ابن مرداس فى التغلب على نوّاب الفاطميين فحالف اثنين من رءوس العرب هما حسّان الطائى وسنان بن عُليّان الكلبى واتفقوا على أن يقتسموا الشام من حلب إلى حدود مصر . فصارت حلب وما يليها لصالح ، ودمشق لسنان ، والرملة وما يليها إلى مصر لحسّان . وذلك عام ٤١٤ . وقد تقدمت أبيات المعرى التى تذكر هذا التقسيم .

هذه حوادث وقع بعضها فى العَقد الأول من القرن الخامس ومعظمها فى العَقد الثانى . فهذه الأبيات قد نظمت كذلك فى هذين العقدين ولا سيما الثانى منهما .

ثانياً — يُذكر صالح بن مرداس فى اللزوميات مرات أُخر لحادث آخر كان له فى نفس المعرى أثر باق .

نقل ياقوت عن أبى غالب بن مهذب المعرى فى حوادث سنة ٤١٧ من تاريخه : « صاحت امرأة يوم الجمعة فى جامع المعرة وذكرت أن صاحب الماخور أراد أن يغتصبها نفسها . فنفر كل من فى الجامع وهدموا الماخور وأخذوا خشبه ونهبوه . وكان أسد الدولة (صالح) فى نواحى صيدا فوصل الأمير أسد الدولة فاعتقل من أعيانها سبعين رجلا . وذلك برأى وزيره تادرس بن الحسن الأستاذ . وأوهمه أن فى ذلك إقامة للهيبة — قال ولقد بلغنى أنه دُعى لهؤلاء المعتقلين بآمد وميافارقين على المنابر — وقطع تادرس عليهم ألف دينار . وخرج الشيخ أبو العلاء المعرى إلى أسد الدولة صالح وهو بظاهر المعرة وقال له : مولانا السيد الأجلّ أسد الدولة ومقدّمها وناصحها كالنهار الماتع اشتد هجيره وطاب بَرداه ، وكالسيف القاطع لان صفحه وخشن حدّاه . خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين .

فقال صالح قد وهبتهم لك أيها الشيخ . ولم يعلم أبو العلاء أن المال قد قُطع عليهم وإلا كان قد سأل فيه » .

ونقل ياقوت أيضاً عن القِفطى أنه وجد على ظهر ديوان الأعشى فى مدينة قفط سنة ٥٨٩ ما يأتى : « حكى أن صالح ابن مرداس صاحب حلب نزل على معرة النعمان محاصراً لها ونصب عليها المجانيق واشتد فى الحصار لأهلها فجاء أهل المدينة إلى الشيخ أبى العلاء لعجزهم عن مقاومته لأنه جاءهم بما لا قبل لهم به وسألوا أبا العلاء تلافى الأمر بالخروج إليه بنفسه وتدبير الأمر برأيه إمّا بأموال يبذلونها أو طاعة يعطونها . فخرج ويده فى يد قائده وفتح الناس له باباً من أبواب معرة النعمان ، وخرج منه شيخ قصير يقوده رجل . فقال صالح هو أبو العلاء فجيئونى به . فلما مثل بين يديه سلّم عليه ثم قال : الأمير أطال الله بقاءه كالنهار الماتع الخ .

وهذه الحادثة ذكرها المعرّى فى موضعين من اللزوميات فى حرف الدال المكسورة واللام المكسورة . يقول :

تغيّبت فى منزلى بُرهة ستيرَ العيوب فقيد الحسد
فلما مضى العمر إلا الأقلّ وحُمّ لروحى فراقُ الجسد
بُعثتُ شفيعاً إلى صالح وذاك من القوم رأى فسد
فيسمع منّى سجع الحمام وأسمعُ منه زئير الأسد
فلا يعجبنّى هذا النّفاق فكم نفّقت محنة ما كسد

ويقول :

آليت أرغب فى قميص مموّه فأكون شارب حنظل من حنظل
نجّى المعاشر من براثن صالح ربٌّ يفرّج كل أمر مُعضل
ما كان لى فيها جناح بعوضة والله ألبسهم جناحَ تفضّل

فهاتان القطعتان نظمتا فى حادث وقع سنة سبع عشرة وأربعمائة والظن أن نظمهما لم يتأخر عن هذا التاريخ كثيراً .

ثالثاً — يذكر الشاعر « محموداً » فى مواضع كثيرة يقول :

يسلك محمود وأمثاله طريق خاقان وكنداج

***

أسَرُّ إن كنتُ محموداً على خلُق
ولا أُسرُّ بأنى المَلك محمود

ما يقنع الرأس بالتيجان يعقدها
وإنما هو بعد الموت جُلمود

* * *

لا كانت الدنيا فليس يسرّنى أنى خليفتها ولا محمودها

* * *

سيموت محمود ويهلك آلك ويدوم وجه الواحد الخلاّق
فمن مُبلغ عنى المآلك معشرا علياً ومحموداً وخانا وآلكا

فما أتمنّى أننى كأجلّكم
ولكن أضاهى المقترين الصعالكا

وكلمة آلك فيما أظن ، يريد بها المعرى أِلِك خان وهو لقب لبعض ملوك تركستان الذين قامت لهم دولة بين سنة ٣٢٠ وسنة ٦٠٩ ، والظاهر أن أول من لقب منهم أِلِك خان هو نصر بن على فاتح ما وراء النهر المتوفى سنة ٤٠٣ . فهذا دليل على أن هذه الأبيات نظمت بعد هذا التاريخ . وأما علىّ المذكور فى البيت فلم أعرف من هو إلا أن يكون علياً أسد الدولة أحد أمراء بنى مزيد تولى الملك من سنة ٤٠٣ إلى سنة ٤٠٨ .

ومن محمود الذى كرر المعرى ذكره وجعله مثلا فى الملوك وقال إنه لا يسرّه أن يكون فى منزلته ، وإن الدهر سيبطش به كما بطش بالضعفاء ؟

فى تعليقات الطبعة المصرية أنه أمير المعرة إذ ذاك . ولا نعرف من تولى فى تلك النواحى ذلك العصر إلا محموداً حفيد صالح ابن مرداس . ومحمود هذا تولى الإمارة سنة ٤٥٢ وخلع فى السنة التالية ، ثم تأمر مرة أخرى سنة ٤٥٤ ، فدامت له الإمارة حتى سنة ٤٦٨ . فقد تولى بعد وفاة المعرى .

ولا أدرى لماذا أثبت الشيخ الميمنى البيت الأول : « يسلك محمود ... الخ » أولَ فصل من كتابه عن المعرّى عنوانه : « هو ووزير محمود بن نصر بن صالح » . نقل فى هذا الفصل ما يقال عن تدبير محمود هذا لقتل المعرى وخلاص المعرى بالدعاء . وهى خرافة مَروِيّة نفاها الشيخ الميمنى وقال إن محموداً تولى بعد وفاة المعرى كما قلتُ . فهل الميمنى ، مع نفيه هذه الخرافة ، يظن أن محموداً الذى فى البيت هو حفيد صالح ذكره المعرّى قبل تولّيه الملك ؟ لا أدرى لماذا أثبت هذا البيت فى فاتحة هذا الفصل .

والذى أراه أن محموداً الذى أكثر المعرى ذكره هو سلطان ذاع صيته فى ذلك العصر وضرب المثل بقدرته وغناه ، هو يمين الدولة السلطان محمود بن سبكتكين فاتح الهند . ولهذا قرنه المعرى بالخليفة فى البيت :

لا كانت الدنيا فليس يسرنى أنى خليفتها ولا محمودها

والسلطان محمود تولى من سنة ٣٨٧ إلى سنة ٤٢١ . فهذه الأبيات التى تضمنت اسمه نظمت قبل سنة ٤٢١ ولا ريب ؛ لأن المعرى يذكره ذكر الأحياء ، ويقول : سيموت محمود ... الخ » .

ويؤكد ما رأيته فى محمود هذا أن الشاعر يقول فى اللزوميات أيضاً :

محمودنا الله والمسعود خائفه فعدّ عن ذكر محمود ومسعود
ملكان لو أننى خيّرت مُلكهما
وعُود صَلب أشار العقل بالعود

ومسعود هو ابن السلطان محمود استقر له الملك سنة ٤٢١ بعد أن ظفر بأخيه محمد . وبقى له السلطان حتى سنة ٤٣٢ . وأما السلطان محمود السلجوقى وأخوه مسعود فقد ملكا فى القرن السادس الهجرى .

رابعاً — كان أبو القاسم المغربى الوزير ممن أقام بالمعرة ، وكان يوادّ المعرى ويراسله ، وكان المعرى يحفظ له ولأبيه من قبلُ أياديه . فلما توفى رثاه بأبيات مثبتة فى اللزوميات . ولا أعرف فيها رثاء لغيره أو مدحا صريحاً .

ليس يبقى الضرب الطويل على الده
ر ولا ذو العَبالة الدِرحايه

يا أبا القاسم الوزير ترَحا
ت وخلّفتنى ثِقال رَحايه

وتركت الكتب الثمينة للنا س وما رحت عنهمُ بسَحايه
ليتنى كنت قبل أن تشرب المو ت أصيلاً شربتُه بضُحايه
إن نحتْك المنون قبلى فإنى منتحاها وإنها منتحايه
أم دُفْر تقول بعدك للذا ئق لا طعم لى فأين كحايه

إن يَخُط الذنبَ اليسير حفيظا
لك فكم من فضيلة محّايه

وهذا الوزير توفى سنة ٤١٨ . فهذه القطعة نظمت فى هذه السنة .

خامساً — يقول المعرى :

ألم ترنى وجميع الأنام في دولة الكذب الدائل
مضى قَيلُ مصر إلى ربِّه وخلَّى السياسة للخائل
وقالوا يعود فقلنا يجوز بقدرة خالقنا الآئل
إذا هبَّ زيد إلى طيِّيء وقام كليب إلى وائل

أظن أن قَيل مصر المعنىّ في هذا البيت هو الحاكم بأمر الله الفاطمىّ ، فهو الذى انتظر بعض الناس عودته . والحاكم هلك سنة ٤١١ . فالظاهر أن هذه الأبيات نظمت قريباً من هذا التاريخ .

(ب) سن المعرى في اللزوميات :

يذكر المعرى سنه في اللزوميات تصريحاً وتلويحاً ؛ تارة يقول بلغت كذا أو جاوزت كذا ، وتارة يقول : إذا بلغ الإنسان كذا آن له أن يرعوى أو حان له أن يهلك . وقد عبرت اللزوميات مستقصياً الأبيات الذى يذكر فيها سنه ؛ فإذا هو يذكر الأربعين مراراً ويذكر الخمسين كثيراً ولا يذكر ما دون الأربعين إلا مرة واحدة قدمت الكلام فيها ، ويذكر السبعين مرة سأثبتها من بعد .

يقول في الهمزية التى افتتح بها اللزوميات :

إذا ما خبت نار الشبيبة ساءنى ولو نُصَّ لى بين النجوم خِباء
أرابيك فى الودّ الذى قد بذلته فأُضعِفُ إن أجدَى لديك رباء
وما بعد مرّ الخمس عشرة من صبا ولا بعد مرّ الأربعين صَباء

* * *

ويقول :

خَبَر الحياة شرورها وسرورها من عاش مدة أول المتقارب
وافى بذلك أربعين فما له عذر إذا أمسى قليل تجارب

. . .

ومتى سرى عن أربعين حليفها فالشخص يصغر والحوادث تكبر

. . .

ورميت أعوامى ورائى مثل ما رمت المطىُّ مهامه السُّفَّار
وركبت منها أربعين مطيّة لم تخلُ من عَنَتٍ وسوء نِفار

. . .

شربتُ بِسِنِىَّ الأربعين تجرّعا فيا مَقِراً ما شُربهُ فىَّ ناجع

ويجوز أن تدل هذه القطعة أنه بلغ ثمانياً وأربعين :

عش يا ابن آدم عدة الوزن الذى يُدعى الطويلَ ولا تجاوز ذلكا
فإذا بلغت وأربعين ثمانيا فحياة مثلك أن يوسَّد هالكا

وأما ذكر الخمسين فأكثر وأصرح :

حياتى بعد الأربعين منيّة ووجدان حِلف الأربعين فقود
فمالى وقد أدركت خمسة أعقُد أبينى وبين الحادثات عقود ؟

إذا كنتُ قد جاوزت خمسين حِجة ولم ألق خُسرا فالمنيّة لى سِتر
وما أتوقّى ، والخطوب كثيرة ، من الدهر إلا أن يَحلَّ بى الهِتر

. . .

إذا طلع الشيب اللمُّ فحيِّه ولا ترضَ للعين الشباب المزوَّرا
لقد غاب عن فوديك خمسين حجَّة فأهلاً به لما دنا وتسوَّرا

. . .

وما العيش إلا لُجّة باطليّة ومن بلغ الخمسين جاوز غَمرها

. . .

أخمسين قد أفنيتُها ليس نافعى بتأخير يوم أن أعَضَّ على خمس

. . .

لا خير من بعد خمسين انقضت كَمَلا فى أن تمارس أمراضاً وأرعاشا

. . .

خمسون قد عشتَها فلا تعشِ والنعش لفظ من قولك انتعش

. . .

عَلِقتُ بحبل العمر خمسين حجة فقدرتُ حتى كاد ينصرم الحبل

. . .

كأنك بعد خمسين استقلّت لمولدك ، البناه دنا ليهوى

وقد ذُكرت الخمسون فى ثلاث قطع أخرى ، فى حرف الطاء والكاف والميم . ولم تذكر الستون فى اللزوميات قط . وجاء ذكر السبعين فى قوله :

من عاش سبعين فهو فى نصب وليس فى العيش بعدها خِيَره

(يتبع) **عبد الوهاب عزام**

الجمال الفنى والعقيدة الدينية

فى القرآن الكريم

للأستاذ سيد قطب

— ١ —

منذ أسبوعين قرأ الناس فى الرسالة « مناقشات » الأستاذ عبد المنعم خلاف حول « التصوير الفنى فى القرآن » وحول « المنطق الوجدانى » كذلك .

وإذا أنا عدت اليوم إلى مناقشة هذه المناقشات ، فإنما يدعونى إليها أنها طريقة مضمونة لتوجيه النظر إلى الجمال الفنى فى القرآن من زاوية لم تعرف قبل الآن . فأنا أزعم أن هذا الجمال قد بقى مجهولا فى الغالب ، منذ أن حاول تجليته الإمام « عبد القاهر » فوصل إلى أقصى ما يتيحه له عصره ... ثم لم يتابعه أحد فى الطريق الصحيح ، إلا فلتات تقع بين الحين والحين .

وأنا أزعم كذلك أن الأدب العربى لم ينتفع الانتفاع الواجب بكتاب الإسلام المقدس ، كما انتفعت آداب الأمم المسيحية بكتابهم المقدس من الوجهة الفنية ... فكل تجلية لطريقة القرآن الأدبية ولمواضع الجمال فيها على طريقة فنية شاملة إنما هى كسب للأدب العربى — ولو جاء متأخراً جد التأخر عن موعده — وتوسيع لآفاق النظرة الفنية للبلاغة ، واتجاه بها إلى «النقد الفنى» الذى كان يجب أن تصير إليـه ، لو لم تركد عند القواعد البلاغية الجافة التى يحاكون إليهـا الجمال الفنى فى الأدب العربى عامة

***

لا يزال الأستاذ عبد المنعم يجادلنى حول طريقة التعبير المفضلة فى القرآن ، وحول العقيدة بين المنطق والوجدان . فلنتحدث اليوم عن المسألة الأولى . فأنا أزعم أن الطريقة المفضلة هى « التصوير » ويرى هو هذا الزعم مبالغة دعا إليها مجرد الحماس .

وحين أحيله على المصحف لينظر صدق ما أتجه إليه يرى أننى أحيله إلى محال على طريقة « جحا » فى عد نجوم السماء !

ولكنه يفتح المصحف هنا وهناك فيجد أمثلة لا تنطبق عليها القاعدة ، ويرى مواضع للتعبير لا يبرز فيها التصوير . وعندئذ يحاكمنى إلى هذه المواضع وإلى أمثالها ... ما دام لا يستطيع أن يسرد « القرآن كله » فى مجلة الرسالة للاستشهاد !

وأحسب : أن ليس هكذا تكون مقاييس الفنون !

والذى أفهمه أنا حين أقول عن التصوير فى القرآن : « فليس هو حلية أسلوب ، ولا فلتة تقع حيثما اتفق . إنما هو مذهب مقرر وخطة موحدة ، وخصيصة شاملة » أو حين أقول : « والأمثلة على هذا الذى نقول هى القرآن كله حيثما تعرض لغرض من الأغراض التى ذكرنا ... »

الذى أفهمه حين أقول هذا : أن السمة الواضحة التى تحدد « عنوان » الطريقة المتبعة فى القرآن هى سمة « التصوير » وأن هذا لا يعنى انتفاء نص أو عدة نصوص لا تتضح فيها هذه السمة . إنما الطابع العام هو الذى يعنينى ، وهو الذى يعنى كل ناقد ينظر فى عمل فنى ، فيبحث عن السمات العامة فيه ، ولن يجد من يقول له : إن هنا سطراً أو فقرة أو صفحة لا تتضح فيها هذه السمة . فذلك آخر ما يقال فى الحكم على الفنون .

فأما حين نكون فى المعمل فنقول إن خصائص « الأكسجين » هى كيت وكيت . فإن لكل باحث أن يقول : نعم أو كلا . إن هناك خصيصة ذكرت خطأ ، أو هناك خصيصة نسيت . فالحكم غير صحيح !

وهذه هى نسخة المصحف التى كانت مرجعى فى أثناء تحضير كتابى . تحمل صفحاتها « تأشيراتى » على مواضع التصوير فى القرآن . وهأنذا لا أكاد أجد صفحة واحدة خلت من موضع يحمل إشارة إلا أن تكون تشريعاً ... وهذا حسبى لتقرير هذه الحقيقة التى قررتها فى كتابى بعد التتبع بطريقة القرآن ، والحياة فى جوه أكبر وقت مستطاع .

بل هأنذا أنظر فى كلمة الأستاذ عبد المنعم الأولى التى يعدد فيها طرائق التعبير القرآنى فيقول : « إنى أترك له أن يستعرض صفحات القرآن فسيجد أن التصوير الفنى أداة واحدة من أدوات التعبير الكثيرة فى القرآن ؛ وليست هى الغالبة ولا الكثيرة (١) فتارة يعبر عن المعنى المراد بالتعبير المتكافىء المعنى واللفظ الذى يستخدم الألفاظ الوضعية وحدها (٢) وتارة يستعير لفظة واحدة من غير أسرة الألفاظ التى فى الجملة ليحرك بها الخيال ويلمس الحس لمسا رفيقاً (٣) وتارة تكون ألفاظ الحقيقة

وملابسات الخيال متساوية (٤) وتارة تكون ملابسات التصوير وإثارة الخيال هي الغالبة (٥) وتارة تكون هي الكل ... »

فهذه خمس طرائق للتعبير عددها الأستاذ عبد المنعم ... أنظر فأرى أربعاً منها مما أعنيه حين أذكر طريقة التصوير . وواحدة فقط هي التي تسلك الطريقة الذهنية المجردة . وتكملة لهذا البيان أقرر أن هذه الطريقة تكثر في مواضع التشريع وفي بعض مواضع القرآن لأنها تكاد تطرد في سائر الأغراض .

أم لعل الأستاذ عبد المنعم لا يرى التصوير إلا في الطريقة الخامسة وحدها ؟ هكذا فهمت منه حين يقول تعقيباً على النصوص التي استشهد بها في مقاله الأخير !

« فأين في هذه الآيات وأمثالها الكثيرة « التصوير الفني » الذي لفت نظر الأستاذ سيد وأثار خياله حتى وهو طفل بحكته في اللوحات ذات الوحدة والتناظر والتمثيل الجامع ذي الظلال والأجواء الشاملة كما يتجلى في « ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه ... »

وجوابي على هذا أن هذا اللون « الفاقع » من التصوير ليس من الضروري أن يتحقق دائماً لنطلق عليه عنوان « التصوير » وإذا كان هذا اللون هو الذي لفت خياله في الطفولة ، فهذا شأن الطفولة التي لا تلفتها إلا الألوان الزاهية الصارخة . فأما حين تكتمل الحواس الفنية ، فهي خليقة أن تدرك أدق الخطوط وأهدأ الألوان ، وتنفعل بها أشد الانفعال ... وهذا هو الذي كان !

ولكن أكنت أنا مقصراً في التنبيه إلى ما أعنيه بالتصوير في القرآن ، وهل تركت مجالا في كتابي لمثل هذا اللبس !

فلنعد إلى بعض نصوص الكتاب :

جاء في صفحة ٣٢ من الكتاب ، في فصل « التصوير الفني »

« ويجب أن نتوسع في معنى « التصوير » حتى ندرك آفاق التصوير الفني في القرآن . فهو تصوير باللون ، وتصوير بالحركة ، وتصوير بالتخييل ؛ كما أنه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل . وكثيراً ما يشترك الوصف ، والحوار ، وجرس الكلمات ، ونغم العبارات ، وموسيقى السياق ، في إبراز صورة من الصور ، تتملاها العين والأذن ، والحس والخيال ، والفكر والوجدان ... »

وجاء في صفحة ٦٠ وما بعدها في فصل « التخييل الحسي والتجسيم » بعض التطبيق لهذه القواعد :

« لون من ألوان «التخييل» يمكن أن نسميه « التشخيص» يتمثل في خلع الحياة على المواد الجامدة ، والظواهر الطبيعية ، والانفعالات الوجدانية . هذه الحياة قد ترتقي فتصبح حياة إنسانية تشمل المواد والظواهر والانفعالات ، وتهب لهذه الأشياء كلها عواطف آدمية وخلجات إنسانية تشارك بها الآدميين ، وتأخذ منهم وتعطي ، وتتبدى لهم في شتى الملابسات ، وتجعلهم يحسون الحياة في كل شيء تقع عليه العين ، أو يتلبس به الحس ، فيأنسون بهذا الوجود أو يرهبونه في توفز وحساسية وإرهاف .

« هذا هو الصبح يتنفس . (والصبح إذا تنفس) فيخيل إليك هذه الحياة الوديعة الهادئة التي تنفرج عنها ثناياه ، وهو يتنفس فتتنفس معه الحياة ، ويدب النشاط في الأحياء ، على وجه الأرض والسماء .

« وهذا هو الليل يسرع في طلب النهار فلا يستطيع له دركا : (يُغشي الليل النهارَ يطلبه حثيثاً) ويدور الخيال مع هذه الدورة الدائبة التي لا نهاية لها ولا ابتداء .

« أو هذا هو الليل يسرى : (والليل إذا يَسْرِ) فتحس سريانه في هذا الكون العريض ، وتأنس بهذا السارى على هينة واتئاد .

« وهاتان هما الأرض والسماء عاقلتين يوجه إليهما الخطاب فتسرعان بالجواب : (ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها . قالتا أتينا طائعين) والخيال شاخص إلى الأرض والسماء ، تدعيان وتجيبان الدعاء .

« وهذه هي الأرض « هامدة » مرة و « خاشعة » مرة ينزل عليها الماء فتهتز وتحيا : (وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة ، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ... »

« ومن « التجسيم » وصف المعنوى بمحسوس كوصف العذاب بأنه غليظ : (ومن ورائهم عذاب غليظ) واليوم بأنه ثقيل : (ويدعون وراءهم يوما ثقيلا) والرياح بأنها لواقح تشبيها لها بالحيوان لما تحمل من مطر (وأرسلنا الرياح لواقح) .

« وضرب الأمثلة على المعنوى بمحسوس كقوله : (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) لبيان أن القلب الإنساني لا يتسع

لاتجاهين . ومثل (ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها — من بعد قوة — أنكاثا) لبيان العبث فى نقض العهد بعد المعاهدة ... »

وجاء فى ص ٧٤ وما بعدها فى فصل « التناسق الفنى » .

« هناك المواضع التى يتناسق فيها التعبير مع الحالة المراد تصويرها فيساعد على إكمال معالم الصورة الحسية أو المعنوية . وهذه خطوة مشتركة بين التعبير للتعبير ، والتعبير للتصوير ... مثال ذلك : (إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) . فإن كلمة « الدواب » تطلق عادة على الحيوان — وإن كانت تشمل الإنسان فيما تشمل لأنه يدب على الأرض — ولكن شمولها هذا للانسان ليس هو الذى يتبادر إلى الذهن ، لأن للعادة حكمها فى الاستعمال . فاختيار كلمة « الدواب » هنا تم تجسيم الحالة التى تمنعهم من الانتفاع بالهدى بوصفهم « الصم البكم » كلاهما يكمل صورة الغفلة والحيوانية التى يريد أن يرسمها لهؤلاء الذين لا يؤمنون لأنهم « لا يعقلون » !

* * *

« وقد يستقل لفظ واحد — لا عبارة كاملة — برسم صورة شاخصة — لا بمجرد المساعدة على إكمال معالم صورة — ... تسمع الأذن كلمة « اثاقلتم » فى قوله : (يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل اثاقلتم إلى الأرض ؟) فيتصور الخيال ذلك الجسم المثاقل ، ليرفعه الرافعون فى جهد فيسقط من أيديهم فى ثقل . إن فى هذه الكلمة « طنا » على الأقل من الأثقال !

« وتقرأ : (وإن منكم لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ) فترتسم صورة التبطئة فى جرس العبارة كلها — وفى جرس « ليبطئن » خاصة وإن اللسان ليكاد يتعثر وهو يتخبط فيها حتى يصل إلى نهايتها »

« وتتلو حكاية قول هود . (قال أرأيتم إن كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعُمِّيت عليكم أنُلزِمُكموها وأنتم لها كارهون ؟) فتحس أن كلمة « أنلزمكموها » تصور جو الإكراه بإدماج هذه الضمائر فى النطق وشد بعضها إلى بعض . كما يدمج الكارهون مع ما يكرهون ، ويُشدون إليه وهم منه نافرون ! »

وهكذا ...

وفى هذا الفصل عند استعراض آفاق التناسق الفنى فى القرآن ضربت الأمثلة بالموسيقى التصويرية التى تهيئ الجو العام فى مثل :

« والضحى . والليل إذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى . وللآخرة خير لك من الأولى . ولسوف يعطيك ربك فترضى . ألم يجدك يتيما فآوى . ووجدك ضالا فهدى . ووجدك عائلا فأغنى ... »

فهنا إيقاع موسيقى هادئ لطيف يصور الجو العام الذى تعيش فيه معانى السورة . وهو مخالف حتما للايقاع المنبعث من مثل قوله :

« كلا إذا دكت الأرض دكاً دكاً وجاء ربك والملك صَفّاً صَفّاً ... »

والموسيقى التصويرية لون من ألوان التصوير الفنى بلا جدال .

* * *

التصوير هو القاعدة العامة فى تعبير القرآن ... أكررها مرة ومرة ، لا إصراراً على قول ، ولكن اقتناعاً بعد درس . وكل ما أطلبه إلى الأستاذ عبد المنعم ألا يحاكمنى فى هذا الرأى إلى نص أو مثال . ولكن إلى سمة غالبة ، وإلى شمول فى معنى التصوير كما بينته فى مواضع متعددة من كتابى . وإنى لأطلب إليه وكتابى بين يديه أن يعود فيقرأه كله ثم يقرأ القرآن !

ويبقى تقويم هذا التصوير ، والأستاذ يقول : « إنما بينت أننا لو ربطنا بين سر الإعجاز وبين التصوير الفنى وحده نكون قد سوينا بين تعبير القرآن وبين غيره من مواريث أرباب البيان الرفيع فى كل لغة إذ أننا نجد فى مواريثهم استخدام التصوير الفنى ... »

ولست أدرى كيف يقال هذا الكلام بعد ما رددت به على الأستاذ نجيب محفوظ فى تقويم هذا التصوير فى القرآن وفى الشعر عامة ؟

إن العبرة ليست باستخدام التصوير ، ولكن بمستوى هذا التصوير من التناسق والحياة . وقد كشفت فى كتابى فى مواضع كثيرة عن تفرد التصوير القرآنى فى خصائصه فلم يبق مجال لمثل هذا الاعتراض الذى ينطبق على جميع طرائق التعبير لا على طريقة التصوير وحدها . ولا حكم فيه على أى طريقة . لأن السمة شىء ومستواها شىء آخر والسلام .

سيد قطب

نموذج من الشعر المرسل الحر !

للأستاذ على أحمد باكثير

عجباً كيف لم تعصف بالدنى زلزله ؟

كيف لم تهو فوق الورى شهب مرسله ؟

يا لها مهزله !

يا لها سوءةً مخجلة !

مثلت دورها أمة تدعى ضلة أنها من كبار الدول

سلمت للمغيرين أوطانها لتوارى فى سوريا وفى لبنان الخجل !

أمة ولت من وجه العدو فرارا

من ضربته الأولى انهارت ككثيب الرمل انهيارا !

خاست بمواثيق أحلافها الباسلين

الذين توافوا إلى أرضها منجدين

ثم خرت ساجدة تحت أقدام أعدائها المعتدين

نشرت صحف الدنيا يوماً هذا النبأ التالى :

احتلت جنود فرنسا البواسل (سردينيا)

قالت الدنيا : يا بطولتها ! يا شجاعتها !

رجعت لفرنسا حميتها وتقاليدها العسكريه

فإذا صوت قد علا لا يسمعه إلا المنصفون :

يا أيتها الدنيا هل تدرين أنك مخدوعة ؟

اسألى قبل أن تعجبى : من هم هؤلاء الجنود البواسل ؟

أى شعب أنجبهم ؟

إن لم تعلمى فاعلمى أنهم ليسوا من فرنسا !

إنهم من أبناء (المغرب) الأكرمين

إنهم من نسل العُرب الميامين !

وروت صحف الدنيا يوماً هذا النبأ التالى :

أبلت فى « بئر حكيم » جنود فرنسا بلاء كبيرا

صدت (النازى) فارتد كسيراً حسيرا

قالت الدنيا : يا بطولتها ! يا شجاعتها !

عادت لفرنسا حميتها وتقاليدها العسكريه

فعلا صوت لا يسمعه إلا المنصفون :

يا أيتها الدنيا هل تدرين أنك مخدوعة ؟

اسألى قبل أن تعجبى من هم هؤلاء الجنود البواسل ؟

أى شعب أنجبهم ؟

إن لم تعلمى فاعلمى أنهم ليسوا من فرنسا !

إنهم من أبناء (الشام) الأكرمين

إنهم من نسل العُرب الميامين !

يا فرنسا يا مهد الثورة الكبرى !

يا ناشرة الحرية فى الدنيا !

يا من ركعت تحت أقدام المعتدين

وتخلت لأعدائها عن أحلافها الباسلين

وتحرج أبناؤها إشفاقاً على باريس عروس السين

فرأوا أن يزفوها غير ممسوسة لغزاتهم الفاتحين ؟

ما نفع الكرامة فى الدنيا إن زالت تلك الفنون الغرائب ؟

إنهم ليسوا بالغلاظ طباعاً كأبناء عاصمة الإنجليز

الذين استماتوا عنها دفاعاً فأضحت أطلالاً وخرائب !

يا فرنسا يا مهد الثورة الكبرى !

يا ناشرة الحرية فى الدنيا !

أى حق على قومنا تدعين؟

وبأى جميل علينا تمنين ؟

أبما راج فى سوقنا من لسان به ترطنين ؟

وثقافة سوء أذلتك فى العالمين !

فاذهبى وتولى بها عنا !

قد تبرأنا منها فلتُعلِن براءتها منا !

إنا لا نقبل من أحد عدواناً ومَنّا :

إذهبى عنا بثقافتك الخائنه !

إن فى الدنيا غيرها لثقافات حرة واسعه !

ويلها ! أأرادت فرض ثقافتها بالسلاح ؟

فلنحطم ثقافتها والسلاح معا !

ويلها ! أأرادت فرض مصالحها بالسلاح ؟

فلنحطم مصالحها والسلاح معا !
يا لسخرية الأيام !
أتهددنا دولة فى عهد السلام
بالسلاح الذى لم تقاتل به الأعداء
بل ألقت به فى الثرى ساعة الهيجاء
لتصول به وتجول على من أحس لها بالرثاء
وأباح لها فى محنتها من معونته ما تشاء ؟!

فاشهدى يا أيتها الدنيا هذه الدولة الباغيه !
ليت شعرى أقاتلت الدنيا طاغيه
ليقوم على إثره طاغيه ؟
اشهدوا يا من وقعوا ميثاق النور على بحر الظلمات
أننا قد وفينا بالميثاق
إذ قمنا نصون كرامتنا ونصون السلام
لسنا ممن ينقضون العهود !
أو من يؤثرون على حريتهم شيئاً فى الوجود !
لن نسلم « باريسنا » للعدو لنحفظها من أذاه !
بل ندمر « لندننا » باسلين ليبقى لنا حقنا فى الحياة !
فاسمعى أنت يا باريس !
واشهدى أنت يا لندن !

السودان يعزى الشام

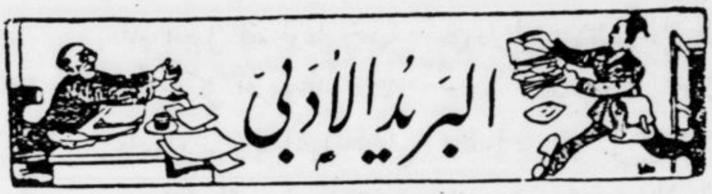
للشاعر السودانى الأستاذ أحمد محمد صالح

صبراً دمشق فكل طرف باك ... لما استبيح مع الظلام حماك
جزعت عمان وروعت بغداد واه ... تزت ربى صنعاء يوم أساك
وقرأت فى الخرطوم آيات الأسى ... وسمعت فى الحرمين أنة شاكى
ضربوك لا متعففين سفاهة ... لم تأت إثماً يا دمشق يداك
ورماك جبار يتيه بحوله ... شلت يمين العلج حين رماك
قم يا ابن هند وامش فيهم غازياً ... فى كل جبار العزيمة شاكى
جدد لنا يوم اللواء وعهده ... وأعد علينا ما حكاه الحاكى
أيام خيل الله أوغل نجعها ... فى دار أهل الإفك والإشراك
يحملن كل أغر وضاح السنا ... عند الكريهة باسم ضحاك
داسوا فرنسا واستباحوا أرضها ... وغدوا لحوزتها من الملاك
سبحانك اللهم أمرك نافذ ... لك حكمة جلت عن الإدراك

صبراً دمشق فكل هم زائل ... وغداً يلوح مع النجوم سناك
تتألقين كما عهدنك درة ... فى تاج أروع من أمية زاكى
فى الجاهلية كان عزك باذخاً ... وازدان بالإسلام عقد حلاك
يا جنة الدنيا وبهجة أهلها ... وحظيرة العباد والنساك
يا معقل الإسلام فى عليائه ... لا تذعنى للغاصب السفاك
قولى لديجول مقالة شامت ... أنسيت فى باريس نوح الباكى
أنسيت كيف ترنحت سيدان من ... ضرب على هام الرجال دراك

مهلا فرنسا فالحوادث جمة ... والدهر دوار مع الأفلاك
والله لولا الإنجليز وحلفهم ... لذهبت غير حميدة ذكراك

قل للعروبة قول باك مشفق ... لا تركنى للغرب فى مسعاك
فالوعد عندهم جهام خلب ... وعهودهم شرك من الأشراك



الأستاذ أحمد محرم

فجع الشعر العربى فى علم من أعلامه الذين حفظوا وجوده وأقاموا عموده ومهدوا له السبيل إلى هذه النهضة : ذلك هو المغفور له الأستاذ أحمد محرم . قبض إلى رحمة الله فى الأسبوع الماضى على الفراش الذى يسجه القدَر للأدباء الأحرار من الفاقة والمرض والوحشة ، بعد أن ظل اسمه لامعاً فى سماء الأدب العربى قرابة نصف قرن . والناظر فى تاريخ الشعر الحديث يراه فى الرعيل الأول من شعراء الإحياء الذين خلفوا البارودى على إرث الشعر فجددوا باليه وأنعشوا ذاويه ، ثم تخطفتهم المنايا واحداً بعد واحد فلم يبق منهم غير مطران والكاشف !

كان أحمد محرم من الشعراء المطبوعين على الديباجة المشرقة والقافية المحكمة ؛ وكان يطيل فى غير سقط ، ويبالغ فى غير شطط ، ويتأنق فى غير تكلف . وربما كان أقل معاصريه وقوعاً على المعنى الطريف والفكرة العميقة ؛ ولكنه كان من أكثرهم احتفالا بحسن الصياغة ولطف التخيل . وقد قام فى أعقاب عمره بنظم (الإلياذة الإسلامية) وهو عمل يكفى وحده لتمجيده وتخليده .

هذه كلمة ننعى بها الفقيد الكريم ولا نزعم أننا نرثيه ؛ فإن الرثاء يقتضى العلم بحياة المرثى وصفاته ومقوماته وملابساته ، ومعرفتنا بالشاعر الراحل لم تتعد المعرفة الفنية لشعره . لذلك نتقدم إلى إخوانه الذين خالطوه ولابسوه — وفى مقدمتهم الأديب الوفى للأدب ، والصديق المخلص للأصدقاء ، الأستاذ كامل كيلانى — أن يكتبوا للتاريخ ترجمة حياته وثبت مؤلفاته ؛ فإن ذلك غاية ما يطلبه الأديب من الحقوق ، فى دنيا لم ينل منها ومن بنيها غير العقوق !

أين شعراؤنا ؟

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ على محمد حسن كلمة أخذ فيها على الشعراء تقصيرهم إزاء شقيقتنا سوريا . والأستاذ مشكور على غيرته وحماسته وخاصة فيما يتعلق ببكاء شعرائنا المتفرنسين « باريس » بكاء الثكالى الوالهات ! ولو قد سقطت الاسكندرية تحت سنابك حصان موسليني الأبيض كما كان يرجو ما ذرفوا عليها دمعة واحدة !

وأحب أن أذكر بهذه المناسبة أنى قلت شيئاً فى حوادث لبنان سنة ١٩٤٢ حينما أمعن غربان السنغال فى التنكيل بأهل بيروت ؛ ولكن الرقابة حالت يومئذ دون نشره . ولما كانت حوادث سوريا هى حوادث لبنان ، وسنغال الأمس هم سنغال اليوم ، وعقلية فرنسا الاستعمارية لم تتغير ولن تتغير ، أستميح الرسالة الغراء نشر هذه القطعة ليعرف الكاتب الفاضل أن الشعراء لم يقصروا وإن لم يقوموا بكل ما يجب .

إلى الجنرال ديجول ! !

ديجولُ ، قلْ لى — هداكَ الله — ديجول
أأنتَ عما جرَى فى « الأرْزِ » مشغولْ ؟
أعطيتَ « لبنانَ » عهداً ما وفَيْتَ به
فكيف فاتك أنَّ العهدَ مسئول
فيم المواثيقُ إنْ كنتم على ثقةٍ
أنَّ المواثيقَ تمويهٌ وتضليل
قولوا لنا : كيف يحلو الظُّلمُ من فئة
أجلاهمو الظُّلمُ عن أوْطانهم ، قولوا
أتنكرون على الأحرار حقَّهمو
فى عُقْر دارهمو ! تلك الأباطيل
جزاؤُهم منكمُ فى ظلِّ رايتهم
— على المودّة — تشريدٌ وتقتيل
تركتمونى — وقد أكْبرتُ ثورتَكم — ،
أقول : ثورتَكم يا قوم تدجيل
أغمدْ سيوفَك إنَّ البغىَ جردها
على البرىء ! وسَيفُ البغى مفلول
لا تحقِرنْ دماء راحَ يسْفَحُها
غِربانُ(١) جُنْدِكَ ! غالت جندكَ الغولُ
شننتَ حرباً على من لا سلاحَ له
وفى بلادكمو تجرى الأفاعيـــل

(١) السنغال .

قد كان أولى بذاك «الهُونُ »[1] وحدهمو
فشيخكمُ[2] فى إسار « الهون » مغلول

عوذوا إلى الحق ، إن الحقَّ منتصرٌ
مَنْ ذاد عنه ، ومَنْ عاداه مخذول

إنّا غضبنا « لِلُبْنانٍ » وساكِنه
و « الأرْزُ » شاطرَه أحزانه « النّيل »

كلا الشقيقين — صانَ اللهُ حوزَته —
أبناؤه العرَبُ الغرُّ البهاليلُ

على الجندى

كتاب الفاروق عمر لمعالي هيكل باشا[3]

تبدو لنا فى ابتسامات الضحى السير
متى جلاها عزيز القول مقتدر

يا (هيكل) إن ما دبجت عن عمر
قد كان يرقبه من (هيكل) عمر

خليفة ملأ الأسماع ذو خطر   فما له غير جبار له خطر

ومن سواك انتضى فى كفه قلما
نور الهداية من فكيه منحدر ؟

ساس الأمور فعاش الكل فى دعة
وإن تفرست عن أعمالهم بهروا

ما حاد فى الله يوماً قيد أنملة
فى سلم من آمنوا أو حرب من كفروا

وإن رأى شبهة جالت بخاطره   من خشية الله لا ينفك يعتذر

ويقبل الحق مهما كان مصدره   لم ينسه الحكم يوما أنه بشر

الناس فى عدله طراً سواسية   كالمشط ، ما فيهم سام ومحتقر

هذى صحائف غر راح يبسطها   (محمد) بأياد كلها غرر

تبرى من الأدب العالى على فلك
وهالة ما سرى فى مثلها قمر

قدمت للعرب عقداً من مفاخرهم
فما هنالك تثريب إذا افتخروا

حلت تاريخه من كل ناحية   فكان أجمل تاريخ به صور

سفر يكمله سفر كما كملت   ببعضها الآى فى التنزيل والسور

فالله يشكر ما قدمت من عمل   لدينه ، ولسان الله من شعروا

محمد برهام

مجمع العرب . . .

اجتمع على مائدة جلالة الملك فاروق جمع كريم من رجالات البلاد العربية وزعمائها وفيهم سمو الأمير محمد بن عيسى آل خليفة عم حاكم البحرين ، وهو شاعر عظيم وراوية كبير ، فقدم إليه صديقه الشاعر الأستاذ محمد عبد الغنى حسن هذه الأبيات :

شرَّفتَ يا ابن الضاربين فى الكَرمْ
جوانبَ النيـل وَساحةَ الهرمْ

مصرُ التى كانت على طول المدى   منارةَ العلم ومصباحَ الظُّلَمْ

مثابة الإسلام فيها دَولةٌ   ولُغةُ الضاد لها فيها حُرمْ

اتحـد الجمعُ على ربوعها   واجتمع الشملُ عليها والتأمْ

قد صدَقوا العزَم على نيّاتهم   والعربىُّ صادقٌ إذا عزمْ

ما العرب إلا أمةٌ واحدةٌ   لها الجلالُ والجمالُ والقِدَمْ

قد فرقتهم كلُّ أرضٍ حرةٍ   واتحدوا فى ظل ذلك العلمْ

أليس من طينتهم كلُّ فتىً   محتدِم البأس إذا البأس احتدمْ

من كلِّ ممنوع على الضَّيم فلا   يُرْجىَ ، وأبّاء فليس يهتضمْ

الأمل المنشودُ آخى بينهم   وألّفهمُ الجـراحُ والألمْ

ألم يكونوا أمس آسادَ الحمى   وسادةَ الدنيا وقادةَ الأممْ ؟

قد فتحوا الأرض على أقطارها   وزلزلوا كلَّ بناء فانهدمْ

فى كل خطوةٍ لهم غنيمةٌ   وهمةٌ علياء فى كلِّ قَدَمْ

مجد أضاعه بنوه فمضى   وحائطٌ قد ثلَموهُ فانثلمْ

واليوم قد هبَّت عليه نفحةٌ   منكم وسار فى خلاله الضَّرمْ

فيم التغنى بتُراثٍ ضائع   وفيم يا قوم النشيد والنغم ؟!

لا يُدرَكُ المجدُ بمجد فائتٍ   ولا يُنالُ بالفخارِ والكلمْ

والحقُّ لا يُحمىَ بقولٍ أعزلٍ   الحقُّ يُحمى بالحـديد والحِمَمْ

يا أمة العُرْب وفيكم أنفسٌ   تأبى على القيد وفيكم الهممْ

كفاكم النومُ قروناً عدةً   من طلب الأمر الجليل لم ينمْ

قولوا لمن نام إلى رأد الضحى
قد غطّت الشمسُ الهضاب والأكمْ

المجدُ لا يُرجى بحُلم زائل   من عاش فى الأوهام ياقوم وهمْ

محمد عبد الغنى حسن

(١) الجرمان . (٢) بيتان وكان الألمان يحتلون فرنسا.
(٣) بمناسبة صدور الجزء الثانى



الدميم ...

للأستاذ حبيب الزحلاوى

— ٢ —

ألقت الباخرة « إيجبتو » مراسيها ، وأخذ الركاب يتزاحمون ويلتفون حول الضابط المكلف بالتأشير على الجوازات ، هذا يتوسل ، وذاك يطلب ، وذلك يتضرع ، وهذه تتدلل ، وتلك تغمز الضابط تستحثه التأشير على الجواز ، أى على السماح بالدخول إلى جزيرة « الورد » كما يسميها التليان .

لا بد من الانتظار الطويل ريثما ينتهى الضابط من أسئلة سخيفة كان يخص بها السيدات الجميلات .

اقتعدت مقعداً بعيداً عن الزحمة أنتظر دورى ، وإذا برجل يقترب منى ويقول : إنه مصرى مثلى جاء ليقضى فترة من إجازة الصيف فى هذه الجزيرة التى قرأ وصفاً لها فى الصحف فخال أنها قطعة من جنات عدن ، وإنه ما جاء إلا منساقاً بفعل الدعاية التى أحدثتها الصحافة فى نفسه ، فى حين أنه ألف الاصطياف فى مدن « الكوت دازير » وأخذ يتكلم عن مصايف فرنسا وسويسرا وإيطاليا وألمانيا بلهجة حارة ولفظ عذب وعبارات مختارة من صحيح اللغة ، وكان يدعونى صديقه .

نظرت إلى وجه هذا الرجل الذى طرح علىّ صداقته فإذا به يمثل الدمامة بله البشاعة خير تمثيل : أعمش ، أمرط الحاجبين ، أصلع ، فى جبينه وعلى خديه ندوب الجدرى ، وفى عنقه أخدود من أثر جراحة ؛ وهوفوق هذا أستاذ علم الزراعة فى الجامعة يحمل شهادة دكتور ... وقد أدهشنى عند ما قال لى إنه فى الرابعة والثلاثين من عمره وقد كنت أظن أكثر من ذلك .

لقد سحرنى هذا الدميم بعذب حديثه وطيب بيانه وحسن اطلاعه فانقدت إليه . فذهبنا بعد أن تركنا الباخرة إلى أول فندق رضينا به اعتباطاً وقد أشر الضابط السمج على جوازى سفرنا .

ارتاحت نفسى إلى صداقة هذا الدميم لأن فيه من جمال الصفات الروحية والخلقية ما يستر تلك البشاعة الواضحة المنكرة ؛ ولأن خفة ظله ، وحضور ذهنه ، وبراعته فى التنكيت تلقى ستاراً على دمامته المنفّرة .

اسمع ياصاحبى ، أحسب أن المشوه كالأحدب والمخلع والأعرج وكل ذى عاهة يعتقد أنك ستسخر منه فيبادرك بسخرية مؤلمة . والظريف فى أصحاب هذه العاهات أن البارع منهم يمزج سخريته بالابتسام والضحك وبذلك يبطن الانتقام بالمرح .

كنت ألقى صاحبى الدميم فى الصباح على مائدة الطعام ، ثم ننتحى ناحية فى بستان أو حرج بعيدين عن الناس وضوضائهم لنقرأ ؛ وكان رفيقى ولوعاً مثلى بقراءة الكتب ، ثم نعود فنجتمع فنتحدث فيما قرأنا .

لم أسمع من صديقى هذا حديثاً يخرج عن دائرة الكتب وأسماء المؤلفين . ومن غريب أطوار هذا الدكتور الجامعى أنه يقرأ الأدب ويتذوقه ؛ وله فى أدبائنا المعاصرين نظرات صائبات ؛ وله آراء فى كلية الآداب أسكت عن ذكرها ، ولكنه يجهل الحياة بجهله المرأة . وقد قال لى : إنه لا يعرفها ويهرب منها لأنها هبة الشيطان ، وعصا إبليس ، وسم الحية ، وأنه ما من رجل يطاوع هواه ويساير شهوته فيقترب من امرأة إلا وهو ضعيف العقل ملموس من خبال الغريزة ! ؟

ضحكت فى سرى من ضلال هذا الرأى وانتحلت لصديقى عذراً فى إيثاره على هذا النمط المخالف لسنة الطبيعة وقدّرت ظروفه الخاصة التى جعلته ينفر من المرأة ويتجنى فى الحكم عليها ، ولم يعد الحديث عنها يدور لنا على لسان .

أخذت الوحشة من الوحدة يدب دبيبها فى نفسى ، والسأم يرين علىّ من هذه البلدة الصغيرة الخالية من وسائل التسلية ، والتى لا أنيس لى فيها ولاسمير سوى الكتاب وصديقى الجامعى اللطيف .

كل ما فى طبيعة (رودس) هادئ ، البحر والأشجار ، والسماء والناس ، والقلوب كلها هادئة أو شبه متحركة . وقلما رأيت حتى فى الفتيات الرودسيات المرحات عيوناً تتطلع إلى القلوب

أو ترميها بنظرات ، فإن فعلت فهى تتطلع إليها خلسة تشبهها شهوة هادئة ولا ترميها رمية صائبة .

كيف آلف الهدوء وطبيعة رفيقى على النحو الذى وصفته لك ؟ وكيف لا تتوق نفسى إلى صخب الحياة وقد اتخذت « بيرون » وكل مؤلفاته رفيقاً لى وسميراً ومعلماً فى اعتكافى فى هذه الجزيرة الهادئة ؟ كيف أجمع بين حياة هادئة فترة فرضتها علىّ طبيعة وجودى فى هذه الجزيرة الساحرة مع هذا الصديق الدميم عدو المرأة البعيد عن الحياة ، وحياة قلقة حيرى ، صاخبة فياضة تضطرب فى صدر رفيقى « بيرون » العظيم وقد سارت عدواها إلى صدرى ؟

صمّمت على الرحيل ... ولكن إلى أين ؟

قال لى رب الفندق : إن فى أعالى الجزيرة فندقاً جميلا قائماً على القمة بين أحراج الصنوبر تحسن الإقامة فيه فترة من الزمن ؛ فقطعت الرأى على الذهاب إليه . ومن المدهش أنى ما كدت أضع حقيبتى فى السيارة حتى رأيت حقائب صديقى الدميم تلق فى السيارة ووجدت هذا الصديق نفسه ينحط فى المقعد ويجذبنى إليه جذباً وقال : أتهرب منى إلى الجبال وتتركنى وحدى فى هذا البلد الميت ؟

قلت قلبك هو الميت يا صديقى ! إن الحياة هى الحياة التى نعرفها نحن الأصحاء ، أما أنت المريض ميت القلب فلا تعرفها ولا تحس بوجودها .

لم يعر فورة نفسى التفاتاً ... وأشار إلى سائق السيارة أن يسير . ولما كانت السيارة تدرج على شاطئ البحر وتنعرج وتتسلق جبالا هى مجموعة من حدائق وبساتين كان صاحبى ملتزماً الصمت ، وما كنت أعرف أ كان صمته ذاك وسيلة لتهدئة نفسى، أم لعَلكِ ما رميت به قلبه بالموات ولوك هذه الفرية .

ما أكثر وجوه الشبه بين فندق « الأبل » ويسمونه باللغة الإيطالية « شيرفو » وبين الأديار فى لبنان ! سكان الأديرة قساوسة جرفتهم الأقدار إلى هذا المحيط الضيق فأخذوا يمنون أنفسهم بمحيط واسع تتحقق فيه الأمانى وتظهر الغاية الإلهية من الوجود الإنسانى عقب الخلاص من هذا العالم الفانى !

سكان فندق « شيرفو » أكثرهم مرضى ينتجعون العافية فى هذه المصحة ، وشيوخ يأملون فى العودة إلى الحياة ، حياة الشباب من طريق الاستراحة وطيب التغذية ، وفتية صغار يضيق بهم فناء الفندق فيتسرحون فى الحرج القريب ويمرحون . وكنت أنا وصديقى الدميم كمريضين أو قسيسين ننتجع العافية أو نمنى النفس بسعادة لا نجدها إلا فى قراءة الكتب وفى شىء آخر محبوب أكثر من الكتب .

قال لى صاحبى ذات مساء وقد عاد من رحلة فى تسلق الصخور : « لقد وجدتها ، لقد وجدتها » .

كانت نبرات صوته تدل فى هذه المرة على شعور لم أتبين مثله فى كلامه معى من قبل ، فقلت : وجدت من ؟ من هى التى وجدتها ؟

ولما لم يجب على سؤالى ولو بكلمة واحدة لم أعر تاء التأنيث اهتماماً لأنى عرفت فيه نفوراً من الأنثى وسمعت حكمه الصارم على كل من يقترب منها .

تغيب عنى فى تلك الليلة فلم أر له وجهاً فى غرفة المائدة ولا فى قاعة الجلوس . وفى صبيحة اليوم التالى لمحته يهرول صوب وادى « أبولون » يحمل هراوة ليلحق بطائفة من النسوة ولم أرها انحدرت فيه قبله

من أين أقبلت هذه الزمرة من النساء ؟ ما علاقة صاحبى بهن؟ من هى التى وجدها ؟ هل هى واحدة منهن ؟ لا أدرى !

الفندق الذى أقيم فيه محدود مساحة وارتفاعاً ، أكاد أعرف نزلاءه بملامحهم ووجوههم واحداً واحداً ، وواحدة واحدة ، من شيوخ وأطفال كأن عنصر الكهول والشباب لا وجود له ولا حساب ، فمن أين أقبلت زمرة النساء التى لحق بها صاحبى واندمج فيها حتى صرت لا أرى له وجهاً لا فى الصباح ولا وقت تناول طعام الظهر أو العشاء ؟ !

نضوت ثوب البلادة ، واطرحت الكتاب جانباً ، وقمت أسعى . هدانى السعى إلى فندق ملحق بفندقنا قائم على مرتفع ليس ببعيد ، تحجبه غياض الصنوبر عنا ، وتعج فيه الحياة ، ويصطخب مرح الشباب بأمواج من السرور ، ورأيت صاحبى الدميم تحف به جماعة من فتيان وفتيات يقهقهون . تقدمت قليلا وما كدت أدنو منهم حتى أحاطوا بى وأخذوا ينهالون علىّ بأقوال فيها ضحك ومزاح وعدم تورع فى السخرية من شاب مثلى دأبه القعود والقراءة والنوم ، وآفته الكبرى مصاحبة رجل تتمثل فيه الدمامة .

أدركت مبلغ تسامح صاحبى معهم فى المزاح حتى تجرأوا

عليّ أنا الذى لم أرهم قبل هذه اللحظة ، وكالوا لى بذات الكيل الذى رضى هو به .

أنقذت موقفى بتصويب سخرية لاذعة إلى جمال أبرز فتاة ، وإلى رجولة شاب مسكين فى الزمرة ، ولم أتعفف عن صد كل مازح أومازحة بضحكة المستهزىء .

شعرت بأنى كدت أعكر الجو ، وأجلب حقد النفوس على ، التفت إلى رئيس الموسيقى وطلبت إليه أن يعزف رقصة « الفالس » ، واجتذبت فتاة ليست على شيء من الجمال ، وأخذت أراقصها برشاقة وبراعة ... تقلبت خمس راقصات على ذراعى . ولم تكف الجوقة الموسيقية عن العزف لأنى دغدغت كف رئيسها فصار طوع إشارتى .

صفا الجو الذى عكرته بسلاطتى التى ما كان لى محيص عن التوسل بها لإنقاذ نفسى من المأزق الذى حشرنى فيه صاحبى على غير قصد . ولما فرغنا من الرقص تكونت حولى الراقصات اللاتى أعجبن برقصى فأخذت أحدثهن حديثاً طريفاً فى فن الرقص ثم فى الأزياء والعواطف وما تركت القاعة وقد كاد الصبح يتنفس حتى أيقنت أن سلطانى مد رواقه على الفتيات والسيدات والشبان النازلين فى ملحق الفندق

لم أنس أن آخذ صاحبى الدميم معى حين عودتى إلى الفندق ، ولما انفردنا قال لى إنه انتقل إلى ملحق الفندق ، فعرف فيه فتاة جذابة أذكت بفتنتها الجذوة الكامنة فى قلبه . وقد عقد عزمه على الاقتران بها وأنه سيتزوجها لا محالة .

قلت : أفى النساء عليلة نظر وحسّ وذوق ترضى بدمامتك وشناعتك ؟

أخرسنى الخبيث بإشارة فضحكت .

أعدت على مسمعه قوله فى المرأة أنها هبة الشيطان وسم الأفعى ، وعصا إبليس ؛ وحكمه على الرجل الذى يدنو منها بأنه خفيف العقل ، ممسوس بخيال الغريزة فأجاب .

كان حكمى ذاك قبل أن أصعق بفتنتها .

قلت اذهب إلى فراشك لأنك متعب وسنتحدث فى النهار فى أمر زواجك .

قال محتجاً: لا ، لا أذهب إلى فراشى ولن أذهب إليه ، لا أطيق النوم . وارتمى على كتفى كطفل وقال بصوت باك كبكاء الطفل « لقد أحببت » سمسم . بكل جوارحى العطشى . ماعرفت الراحة منذ عرفت الآنسة « سمسم » ولن يستقر بى قرار حتى أبنى بها

قلت : أجاد أنت فيما تقول أم هازل ؟

رفع رأسه عن كتفى ونظر إلىّ نظرة استفسار حادة فتابعت قولى : كيف تكون جاداً وقد اضطرنى موقف أصحابك من فتيان وفتيات منك ومنى ، وإمعانهم فى الضحك والاستهزاء بك إلى مخاشنتهم ، وكانت الآنسة « سمسم » هذه إحدى الضاحكات ، وهل يشاد بناء الزواج على غير قواعد مكينة من الرصانة والجد ؟

قال : مصيبتى الكبرى فى وجهى المشوه الذى يثير الضحك ، ثم ما شأنى فيمن يضحكون منى فأسخر بهم فأهملهم بلحظة واحدة وأنكرهم كأن لا وجود لهم ؟ أما الآنسة « سمسم » فما ضحكت قط منى ولا هزأت بى . كنت أراقبها وأستشف معانى ضحكها . كنت أحس نظراتها تهز مشاعرى ، وحنوها يظللنى كغمامة موسى الكليم ، وأن شفقتها علىّ قد تدفع بى إلى اقتحام الصعاب وتذليلها لأجل إسعادها ، وسأسعدها إذا رضيت بى زوجاً لها ، سترضى وسأتزوجها .

قلت أتعرف حكاية الشاب الفلاح مع ابنة الملك التى أحبها ؟

قال : لا أعرف الملوك والحكايات ، بل أعرف حكاية عرشى فى قلبى تستوى عليه مليكتى « سمسم » .

قلت : « سمسم » هذه هل سألت عنها ، هل عرفت أهلها ، هل كاشفتها الحب ، هل عرضت عليها الزواج ، هل رضيت بك بعلا ؟

صرخ فى وجهى صرخة شعرت بحرارتها تغلب دويها وقال : هذه أمور أترك لك تذليلها ، أما أنا فلست براغب فقط بل أريد حتماً الزواج من « سمسم » وسأرغمها على الرضى بى .

عجباً ، كيف ترغم فتاة على قبول زواج ؟

قال : يالك من أبله ، لقد لمحت شفقتها بى ترتسم فى نظراتها ، والشفقة عنصر قوى من عناصر الرضى والحب .

قلت أوافقك جدلا على استنتاجك ، ولكن هب أنها ليست على دينك فكيف يكون الحل ؟

قال : من منا لا يقدم الدين الإنسانى على نواميس الأديان السماوية وكلها فى الجوهر واحد ؟

قلت : دستور الدولة والعرف .

قال : أستهين بالعرف وبالشرائع التى تحول دون اتحاد قلبين وأدار كتفه وانصرف .

(يتبع) **حبيب الزحلاوى**

سكك حديد الحكومة المصرية

تسيير قطار اكسبريس بين القاهرة ودمياط (رأس البر)

يتشرف المدير العام باعلان الجمهور أنه أبتدأ من ١٩ يونية ولغاية ٨ يولية سنة ٩٤٥ يسير قطار اكسبريس (درجة أولى وثانية وثالثة وعربة بولمان) بين القاهرة ودمياط ثلاث مرات فى الأسبوع يغادر القاهرة فى الساعة ٣٠ ٨ ويصل إلى دمياط فى الساعة ١٥ ١٢ أيام الثلاثاء والخميس والسبت ويعود من دمياط فى الساعة ٣٠ ١٧ ويصل إلى القاهرة فى الساعة ١٥ ٢١ أيام الأربعاء والجمعة والأحد وسيسير يومياً ابتداء من ٩ يولية سنة ١٩٤٥ ولحين صدور اعلان آخر. وذلك وفقاً للمواعيد الآتية :

المحطات		٩٣٩ اكسبريس درجة ١ و٢ و٣ وعربة بولمان	
مصر	قيام	٣٠	٨
بنها	وصول	٠٨	٩
	قيام	١٢	٩
الزقازيق	وصول	٤٣	٩
	قيام	٥٠	٩
المنصورة	وصول	٠١	١١
	قيام	٠٨	١١
دمياط	وصول	١٥	١٢

المحطات		٩٤٠ أكسبريس درجة ١ و٢ و٣ وعربة بولمان	
دمياط	قيام	٣٠	١٧
المنصورة	وصول	٤١	١٨
	قيام	٤٧	١٨
الزقازيق	وصول	٠٩	١٩
	قيام	٠٤	٢٠
بنها	وصول	٣٥	٢٠
	قيام	٣٧	٢٠
مصر	وصول	١٥	٢١

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

إعلان

مجلس مطوبس القروى يشهر فى المزايدة العامة تأجير التزام معدية مطوبس لمدة ثلاث سنوات إبتداء من أول يناير سنة ١٩٤٦ لغاية آخر ديسمبر سنة ١٩٤٨ حسب الشروط المودعة بقلم سكرتارية المجلس القروى بمطوبس لكل من يريد الاطلاع عليها وتحدد ميعادا للمزايدة جلسة يوم الخميس الموافق ٢٨ يونيو سنة ١٩٤٥ من الساعة التاسعة أفرنكى صباحاً بديوان المجلس القروى بمطوبس .

فكل من له رغبة فى الدخول فى هذا المزاد عليه الحضور فى الموعد المحدد لتقديم عطاؤه بالنسبة لمن يرغب الاستئجار لها بعد أن يدفع تأميناً قدره ٢٠٪ من قيمة عطائه عن ثلاث سنوات

٣٦٧١

العدد ٦٢٦ – الاثنين ٢ يوليو ١٩٤٥ – السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٢٥٠١

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 626

Lundi - 2 - 7 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٦٢٦ «القاهرة في يوم الإثنين ٢٢ رجب سنة ١٣٦٤ — ٢ يوليو سنة ١٩٤٥» السنة الثالثة عشرة

نهضة العرب مشكلة ؟ !

نعم ، كذلك قال السياسي الخطير ديجول ، وقوله من وجهة نظره سديد معقول ؛ فإن الجنرال يرى على ما يظهر أن العرب دوابُّ سُخِّروا لنقل الأحمال وجر الأثقال ، أو هم على رأيه الأفضل عبيدٌ خلقوا للخدمة والاستغلال ؛ ومتى عرف الحيوان أو العبد حقه وواجبه ، فقد حطَّم راكبهُ أو قتل صاحبه !

بهذا المنطق الفرنسي وحده تستطيع أن تعقل ما قال هذا الرجل . فإذا أكرهت منطق النـاس ، على تصحيح قوله بالقياس ، فقد حمّلته ما لا يطاق ، وكلفته ما لا يدرك ! وأي عقل غير عقل الجنرال يُسيغ أن فرداً من نوع الإنسان يرى في نهضـة أخيه الإنسان ، مشكلاً تعقد لحله المؤتمرات ، وخطراً تقام لصده المعسكرات ، وسبباً يختصم لأجله العالم بأسره ؟ !

لقد زعموا أن (الانتداب) رسالة الغرب إلى الشرق ، فهو يحيل صحاريه فراديس ، ويجعل أناسيّه ملائكة ؛ فما بالهم إذن يتسعّرون بالغيظ ، ويتنمرون بالعداوة ، لأن العرب قد أدركوا أنهم ناس كسائر الناس ، لهم وطن لايشركون به ، واستقلال لا يساومون عليه ، وسلطان لايتزلون عنه ؟ ! أليس ذلك لأنهم يرمون بنشر مدنيتهم إلى استعباد الجسوم ، وبتعميم ثقافتهم إلى استرقاق الحلوم ، وبفرض انتدابهم إلى امتلاك الأرض ؟ ...

* * *

أندرى من أسمج من ذلك العتلّ الغليظ الذي يلقي بجسمه اللحيم الشحيم على صدر الفتاة الرشيقة الرقيقة في ملأٍ من الناس ، ثم يفغر فاه الأبخر ، ويصيح بملء صوته الأصحل : أحبك ، فلابد أن تحبيني ، وأدعوك ، فلا مناص أن تجيبيني ؟ أسمج منه ذلك الطفيلي الرقيع الذي يقتحم عليك دارك ويقول لك : صادقني لأنني أحب طعامك ، وضيفني لأنني أريد إكرامك ، وعاهدني لأكون سيدك وإمامك ، وأطعني لأقوم في كل أمر مقـامك ؛ فإن أبيت أو تأبيت فالسيف ، حتى تقول أنا المضيف وأنت الضيف !

يا لـكثافة الظل ! أبهذه الرقاعة الثقيلة والفضول البغيض يطمعون أن يحملوا العرب في شمال أفريقية ، وفي لبنان وسورية ، على أن يأخذوا (الجنسية) ليعطوا الدين ، ويمنحوا الثقافة ليُسلبوا العقل ، ويدخلوا في التحالف ليخرجوا من الوطن ؟

يا لسخافة العقل ! أبهـذه النية المدخولة والكلام المزور يخادعون خمسين مليوناً من العرب تثور في دمائهم أربعة عشر قرناً من التاريخ المجيـد الحافل بالنبوة الهادية ، والخلافة العادلة ، والفتوح المحرِّرة ، والقيام على ملك الله بالعمارة والعدل ، والمحافظة على تراث الفكر بالزيادة والنقل ؟

إن العرب بعد اليوم لن يُخدعوا ؛ وإن أبناء الفاتحين لغير الله لن يخضعوا ؛ وإن (جامعة الدول العربية) لهي الظاهرة الأولى لفورة الدم وثورة التاريخ ؛ فليتدبر ذلك القائمون على إقرار السلم ، والموقعون على ميثاق السلامة !

ابن عبد الملك

فرنسا على حقيقتها

للأستاذ على الجندى

أعرف — كما يعرف غيرى — أن فرنسا دولة لا دينية ، ولـكنى أعرف كذلك أن فرنسا اللادينية هى التى تلقب بينت الـكنيسة البـكر ، وتزعم لنفسها حماية الـكاثوليك فى الشرق من غير أن يطلب منها أحد ذلك ، وأعرف أنها تُظاهر بعثات التبشير فى كل مكان بمالها ونفوذها العسكرى والسياسى . وأنها تحرق المعابد ، وتهدّم المساجد ، وتقتل إخواننا المغاربة فى ظل المحاريب ، لأنهم يدعون الله بالدعاء المأثور « يالطيف » ليلطف بهم فيما تصبه عليهم هذه الدولة الغاشمة من ألوان العذاب ! وأعرف أنها واقفة للاسلام بالمرصاد فى مستعمراتها الشاسعة الواسعة ، لتحول دون نشره بقوة القانون وبقوة السلاح ، مؤثرة أن يبقى الزنوج همجاً متوحشين على الدخول فى الإسلام ! ويبلغ بها التعصب أن تمنع عشرة آلاف من سكان « مدغشقر » من اعتناقه بحجة أنهم لا يفرقون بين الإسلام وغيره من الأديان ! بل يبلغ بها التنطع أن تقطع ما بين برابرة المغرب وبين الإسلام من أسباب ؛ وتضرب بينهم وبين إخوانهم العرب بالأسداد ، فتلغى المحاكم الشرعية ، وتغلق المدارس الدينية ، وتخرج القضاة والقراء ومشايخ الطرق ، وتمنع قراءة القرآن وتعليم اللغة العربية ، وتلفّق لهم شريعة جديدة من قوانينهم العرفية ، لتسلخهم من الإسلام دفعة واحدة بهذه الطرق الإبليسية !

نعم ، أعرف أن فرنسا دولة لادينية كما قلت ، ولـكنى كنت أرى فى الوقت نفسه هذه الأعمال التى تعيد لنا محاكم التفتيش فى أبشع صورها ! فأقف حائراً ذاهلا بين هذه الفارقات المضحكة المبـكية ! حتى حل لى هذا الطلّسم المعقد حجة الإسلام المرحوم السيد رشيد رضا حين قال ذات يوم فى عرض حديث عن فرنسا وأعمالها : إن الفرنسيين واللاتين عامة يتربون فى حجور القساوسة قبل أن يتربوا فى حجرات المدارس ، ومن هذا كانت كراهتهم للاسلام والمسلمين وللعرب خاصة ! حتى ولو صاروا ملحدين .

وأعرف أيضاً عرفاناً تقليدياً أن شعار فرنسا : الحرية والإخاء والمساواة ، وأنها تفتح صدرها لطرائد الاستبداد ، وتُسبغ حمايتها على شذّاذ الآفاق من كل جنس ولون ، وأنها لا تبخل بمنح جنسيتها (الغالية) لـكل من هب ودب — وإن قصدت من ذلك سد النقص المطرد فى عدد سكانها — وأن عاصمتها مرتع خصيب لطلاب المعرفة وطلاب اللذة ، وأنها عاصمة الفن وعاصمة اللهو ، ومدينة النور ومدينة الظلام ، وأن العدالة الاجتماعية بلغت فيها غاية لا مزيد بعدها لمستزيد ، فرئيس جمهوريتها (مسيو) وماسح الأحذية (مسيو) ، والعامل يتقاضى أجراً على الفراغ كما يتقاضاه على العمل ! وأن حرية الأحزاب فيها وتمسكهم بآرائهم قضى ألا يزيد متوسط عمر الوزارات الفرنسية على ستة أشهر منذ قيام الجمهورية الثالثة إلى نشوب هذه الحرب

عرفت هذا جيداً وسمعت إلى جانبه هذه النعوت البراقة التى يخلعها إخواننا المتفرنسون على فرنسا من رقة ولين ودماثة وظرف ، حتى ليلذ للأمريكيين أن يُلجئوا الفرنسيين إلى الإساءة ليستمتعوا بعد ذلك باعتذارهم اللطيف بلغتهم الرشيقة ! ولـكنى كنت أشاهد أن فرنسا سوط عذاب ونقمة على كل بلد يرفرف عليه علمها المثلث الألوان ، فهى الدولة التى تخرج الأهلين قسراً من أرضهم الخصبة لتوزعها على المستعمرين من أبنائها ، وتعمل جاهدة على فرنستهم فى كل مرافق الحياة بقوة الحديد والنار ، وتستنزف أموالهم بما تفرضه من ضرائب باهظة بلغت فى سوريا من[1] ٧٠٪ إلى ٨٠٪ على بعض المواد بعد أن كانت من ١١ إلى ٢٥ فى العهد العثمانى ، وبما تنشئه من الوظائف ذوات المرتبات الضخمة للفرنسيين وصنائعهم وجواسيسهم ، حتى ارتفعت ميزانية النفقات فى سوريا من خمسة ملايين ليرة سورية فى آخر العهد التركى إلى ٣٦ مليون ليرة ، وارتفع عدد الموظفين من ألف موظف منهم خمسون تركياً يتناولون مرتبات ضئيلة إلى ١٨٢٢٣ موظفاً منهم ١٥٠٠ من الفرنسيين بين مدنى وعسكرى يتناولون أضخم المرتبات عدا

(١) هذا الاحصاء مأخوذ من كتاب الثورة العربية للأستاذ أمين سعيد

الامتيازات التى تفوق الحصر، هذا إلى ٧٥٠٠٠ ليرة تدفع سنوياً للجيش الفرنسى ! أى لغربان السنغال جزاء تنكيلهم بها !

وأشاهد أيضاً أن فرنسا هى الدولة المتخصصة فى تدمير القرى الآمنة ودك المدن الأثرية ، وإحراق الزروع ، وتسميم الماشية ، وموارد المياه ، وانتهاك حرمات المنازل ونهب ما فيها ، وتقتيل الشيوخ والنساء والأطفال ، وإعدام الأحرار بالألوف ، ونفى زعماء المجاهدين إلى جزيرة الشيطان ، والإمعان فى إذلال وطنية الشعوب وخنق روحها ، حتى كان فى تونس ناد — لعله لا يزال قائماً — كتب على واجهته « ممنوع دخول العرب والكلاب » !

كنت أرى وأسمع فأقف مضطرباً مشدوهاً بين هذه المتناقضات الفرنسية حتى كشف لى عن السر السيد الحسن بوعياد من أحرار مراكش ومجاهديها فى أعمال زيارته للقاهرة منذ سنوات قال — وهو يقص علينا طرفاً من أعمال فرنسا فى مراكش — إن الفرنسيين فى بلادهم غيرهم فى بلادنا ، لقد قابلت مدير البريد فى (مرسيليا) لبعض الشئون ، فبهرنى برقته وسلاسة حاشيته ، فلو أن الفرنسيين فى مراكش كانوا من هذا الطراز المهذب الوديع لتشبثنا ببقائهم إذا أرادوا الخروج

من هذا الوقت عرفت أن الفرنسى ذو طبيعتين ، فهو عذب دمث كيّس فى فرنسا ، وفظ غليظ عتل فى كل بلد يُنكب بسيطرته عليه ولو كان فى أوربا نفسها ! فسياسة العسف التى سلكتها فرنسا إزاء الألمان عقب الحرب الماضية وتشددها فى تقاضى التعويضات وتشجيعها زنوج السنغال على الاختلاط بالفتيات الألمانيات ، وعجرفة النمر الفرنسى « كليمنصو » والنقطة المربعة «بوانكاريه » وخلفاؤهم من الغلاة أمثال « تردبو » و « برتو » القائلين : بأن المغلوب يظل مغلوباً أبداً ، وتمسكهم بمبدأ السلامة الإجماعية ، وإصرارهم على نصوص معاهدات كان يصفها الساسة دائماً « بأنها عُجّة مصنوعة من بيض فاسد » ثم عدم مسايرتهم للسياسة الإنجليزية فى تشجيع جمهورية « فيمار» الألمانية الناشئة ، كل أولئك من أقوى الأسباب فى إنبات هذا النبات الشيطانى المسمى « النازية » والتمهيد لقيام الطاغية « هتلر » وما استتبع ذلك من وقوع المأساة العالمية التى خربت البلاد وأفنت العباد !

هذه هى فرنسا فى صورتها الأصيلة : حرة ومستبدة ، لينة وقاسية ، كيّسة ومتغطرسة ، متمدينة ومتوحشة ! ولكن حذار فهذه الجوانب الزاهية التى تلبس غلالة إنسانية فى الظاهر ، فاكهة محرمة على غير الفرنسيين ! وهى بضاعة لم تصدر قط — وإن تصدر — من « مرسيليا » و « بردو » و « الهافر» إلى الخارج!

فلا يعجبن الأستاذ سيد قطب من قول مجادله « إنك لم تعش فى فرنسا » إلى آخر ما قال ، فلهذا « البارزيانى » بعض العذر ، لأنه كان يتكلم وخياله عالق بضفاف السين وغابة بولونيا وعارضات الأزياء !

ولو أنه رنا ببصره إلى فاس والجزائر وتونس العانيات ، وإلى دمشق وحمص وحماه الداميات ، لتورع أن ينطق بهذا الهذر والهذيان !

على الجندى

طبيعي لا طباعي ولا طبعي

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

لما بدأ العربيون منذ أكثر من ألف سنة يؤلفون وينقلون علوم الأمم واحتاجوا إلى النسبة إلى الطبيعة — قالوا : (الطبيعي) وقد شذ هذا النسب كما شذ النسب إلى السليقة[١] . ولم يخطئ القوم في نسبتهم هذه أحد . وجاء (الطبيعي) في كلام الأديب واللغوي كما جاء في حديث المتكلم والفيلسوف . وإذا نسب أبو حيان في (المقابسات) إلى (الطباع) كما ذكر العالم الباحث الأديب الأستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدي — فما أكثر نسبته إلى الطبيعة ، فني (مقابساته) في ص ٣٣٣ : « فإنه ليس من معلول طبيعي ولا صناعي تنقطع عنه علته إلا فسد وباد » وفي المناظرة بين السيرافي والقنائي التي دبجتها براعته وبراعته : « فكيف يجوز أن يكون ها هنا شيء يرتفع به الاختلاف الطبيعي والتفاوت الأصلي » « وإنما الخلاف بين اللفظ والمعنى أن اللفظ طبيعي والمعنى عقلي » .

فالنسبة إلى الطبيعة هي النسبة المتقبلة المستجادة . وكافيك أن نابغة العرب واللغة والأدب أبو العلاء يقول في إحدى رسائله[٢] : « ولا يقل سيدي أدام الله عزه قد قصرت الشعراء قديمها ومولدها ، وأولها السالف وآخرها ، وفصيحها الطبيعي ومتكلفها ، فإنه لو استعمل ضرورة غير تلك لقبلت حجته ... » وأن اللغوي العظيم ابن سيده[٣] يقول في مقدمة مخصصه : « ... وإن أرادوا تسمية جزء منه أشاروا إلى ذلك الجزء فقالوا : عين أنف فم ونحو ذلك من أجزائه التي تتحلل جملته إليها ، وتتركب عنها . فمتى سمعت اللفظة من هذه كلها علم معناها وصارت له كالسمة المميزة الموسوم ، والرسم المحتاز لما تحته من المرسوم ، وكالحد المميز لما تحته من المحدود ، وإن كانت تلك الإبانة طبيعية وهذه تواضعية غير طبيعية » « فإذ قد بينا ما اللغة أمتواطأ عليها أم موحى بها وملهم إليها فلنقل على حدها لأن الحد طبيعي ... » .

فهذان الأمامان الحجتان ينسبان إلى (الطبيعة) ويقولان (الطبيعي) فمن وجدناه اليوم قد نسب إلى (الطباع) لم نستنكر نسبته ولم نلمه غير أنا نردد هذا المثل : « امرأ وما اختار ... » ومن آلم آذاننا وعيوننا ب (الطبعي) و (البدهي) عوذ بالله ، عوذ بالله ! — وقد استمرت العربيـة تقول : (الطبيعي والبديهي[١]) ألف حول غلطناه ورأيناه كمن يقول (السلقي) في النسبة إلى (السليقة) .

وما اختار الأئمة الذي اختاروه وآثروا شاذاً على مطرد أو منقاس عن جهل أو غفلة ، ولكن هو ذوقهم العالي الذائق ، وحسهم الدقيق اليقظ ، قادهم إلى التي هي أحسن والتي هي أقوم . وفي (استحوذ — في الكتاب — واستحاذ) حجة الشاذ .

وبعد فلهذه (الطباع) التي هاجها بعد السكون وبعد طول الزمن العلي بخلقه وبعلمه وبفضله الأستاذ عبد المتعال قصة طويلة . وإنها لحقيقة بالرواية في (الرسالة) وهذه قصتها مختصرة :

أبو علي الفارسي يقول : الطبع مصدر ثم كثر فسمي به الطباع .

وأبو القاسم الزجاجي يقول : الطباع واحد مذكر كالنحاس والنجار .

وابن الأثير صاحب النهاية يقول : هو اسم مؤنث على فعال نحو مهاد ومثال .

---

(١) في المخصص : النسب إلى السليقة سليقي وهو مما شذ فثبت فيه حرف اللين الزائد .

(٢) في رسالته إلى أبي الحسين أحمد بن عثمان النكتي البصري ص ١٢٣

(٣) بفتح الدال وبعدها هاء ساكنة .

---

(١) في (الكليات) : « البديهي أخص من الضروري لأن البديهي ما لا يتوقف حصوله على نظر وكسب .. والأوليات هي البديهيات بعينها ... » وفي (التعريفات) : « البديهي هو الذي لا يتوقف حصوله على نظر وكسب » وفي (اليتيمة) : « علي بن محمد البديهي . سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول وقد جرى ذكره بين يديه أنه كان لا يرجع من البديهة التي انتسب إليها وتلقب بها إلا إلى لفظ الدعوي دون حقيقة المعنى وفي ذلك يقول له الصاحب :

تقول الشعر في خمسين عاما   فلم لقبت نفسك بالبديهي

قلت : ولو لم يستصوب أبو بكر هذه النسبة لقال : ولقبه خطأ فالنسبة إلى فعيلة فعلي وأبو بكر هو ما هو !

وابن سيده في (مخصصه) يقول : طباع الإنسان يذكر ويؤنث ، والتأنيث فيه أكثر[1] ، وهو واحد مثل النجار إلا أن النجار مذكر .

وأبو حاتم — كما ذكر المخصص — يقول : الطباع مذكر لا غير إلا أن تُتَوهم الطبيعة .

والأزهري صاحب التهذيب يقول — كما نقل اللسان والتاج — يجمع طبع الإنسان طباعاً .

والأزهري أو غيره يقول — كما نقل اللسان والتاج — : الطباع واحد طباع الإنسان على فعال .

قلت : فهو عنده كهجان وهجان ودلاص ودلاص .

وصاحب (شفاء الغليل) يقول مورداً نقد ابن قتيبة وتعقب البطليوسي : طباع واحد مذكر كالطبع ومن أنثه ذهب إلى معنى الطبيعة . وقد جوّز أن يكون جمع طبع ككلب وكلاب قال ابن السّيد في شرح أدب الكتاب فليس خطأ كما توهم .

والمجد يقول في (قاموسه) : الطبع والطبيعة والطباع ككتاب السجية جبل عليها الإنسان ، أو الطباع ككتاب ما ركب فينا من المطعم والمشرب وغير ذلك من الأخلاق التي لا تزايلنا .

وأبو عبد الله محمد بن الطيب[2] يقول في (شرحه القاموس) ناقداً المجد : ظاهره بل صريحه كالصحاح أن الطباع مفرد كالطبع والطبيعة وبه قال بعض من لا تحقيق عنده تقليداً لمثل المصنف . والمشهور الذي عليه الجمهور أن الطباع جمع طبع .

والزبيدي صاحب التاج يقول ردًّا على شيخه : قول شيخنا ظاهره الخ ... يُتعجب من غرابته ومخالفته لنقول الأئمة . وليت شعري من المراد بالجمهور ، هل هم إلا أئمة اللغة ، فهؤلاء كلهم نقلوا في كتبهم أن الطباع مفرد ، ولا يمنع هذا أن يكون جمعاً للطبع من وجه آخر كما يدل عليه نص الأزهري . وأرى شيخنا (رحمه الله تعالى) لم يراجع أمهات اللغة في هذا الموضع . سامحه الله تعالى وعفا عنا وعنه ، وهذا أحد المزالق في شرحه فتأمل .

وشيخنا أبو العلاء حكمه في (الطباع) بيّن في هذين البيتين :

طباع الورى فيها النفاق فأقصهم
وحيداً ولا تصحب خليلاً تنافقه

هذي طباع الناس معروفة
تخالطوا العالم أو فارقوا

ووجدت الطباع مجموعة — كما يظهر — في هذا الحديث العظيم في هذا « الدرس » في أدب النفس ، وهو خير ما يختم به هذا البحث ، وهو في (الطبقات الكبرى) لابن سعد :

قال مُعاذ بن سعيد : كنا عند عطاء بن أبي رباح فحدث رجل بحديث ، فاعترضه رجل ، فغضب عطاء ؛ وقال : ما هذه الأخلاق ؟ ما هذه الطباع ؟ والله إن الرجل ليحدث بالحديث لأنا أعلم به منه ، ولعسى أن يكون سمعه مني ، فأنصت إليه ، وأريه كأني لم أسمعه قبل ذلك .

هذه حكاية (الطباع) الذي أو التي أو اللواتي جاء الأستاذ عبد المتعال — أدام الله نفعنا بفضله — يَهيجها ويهيجنا من أجلها ...

---

(١) ويقول في المحكم كما نقل التاج : الطباع مؤنثة كالطبيعة .

(٢) قال صاحب التاج في شرحه مقدمة القاموس : ومن أجمع ما كتب عليه (على القاموس) مما سمعت ورأيت شرح شيخنا الامام اللغوي أبي عبد الله محمد بن الطيب بن محمد الفاسي المتولد بفاس سنة (١١١٠) والمتوفى بالمدينة المنورة سنة (١١٧٠) وهو عمدتي في هذا الفن ، والمقلد جيدي بحلى تقديره المستحسن . وشرحه هذا عندي في مجلدين ضخمين.

لزوم مــــا لا يلزم

متى نُظم وكيف نُظم ورُتب ؟

للدكتور عبد الوهاب عزام

(بقية ما نشر فى العددين السابقين)

رجحنا أن أبا العلاء شرع ينظم اللزوميات بعد رجوعه من بغداد كما قلت آنفاً . وقد عرفنا أنه ذكر سن الأربعين والخمسين كثيراً ولم يذكر الستين قط على برمه بالحياة وتعجله بالموت — ولو بلغها وهو ينظم اللزوميات لأكثر ذكرها — فساغ أن نقول إن الرجل نظم اللزوميات من سن الأربعين إلى أن نيّف على الخمسين . وأما السبعون فأغلب الظن أنه لم يعن بها نفسه . وإن قدرنا أنه المعنى بها فقطعة أو قطع قليلة نظمت بعدُ وألحقت بهذه المجموعة التى نظِمت كلها أو جلّها فى السن التى قدرتُ .

ويؤيد هذا أن الحوادث التى ذكرها وقعت كلها فى أوائل القرن الخامس ولم تتأخر عن سنة ٤٢٠ ، وكذلك الرجال الذين ذكرهم أحياء كصالح بن مرداس ومحمود بن سبكتكين ماتوا قريباً من هذا التاريخ . وقد رثى الوزير المغربى الذى توفى سنة ٤١٨ . وأشار إلى وفاة الحاكم بأمر الله وقد توفى سنة ٤١١ . فكل حادثة مؤرخة نجدها فى اللزوميات تقع فى العشرين الأولى من القرن الخامس . وكل رجل ذكره الشاعر ذكر الأحياء هلك حول هذا التاريخ : صالح مات سنة ٤٢٠ ، ومحمود مات سنة ٤٢١

. وأما مسعود بن محمود الذى تولى سنة ٤٢١ فقد ذكره مرة مع أبيه ولم يعد إلى ذكره . فهو لم ينظم فى أيام مسعود بعد هلاك محمود ، أو لم ينظم إلا نادراً .

وأعزّز بأمر يستأنس به مضموما إلى الأدلة السابقة ، أن أبا العلاء ذكر فى مواضع من الكتاب أنه لم يشِب ، وزعم أنه كان جديراً بأن يشيب ، وأنه لا يسره بقاء شعره أسود . يقول :

ويحمل الهم قلبى مُعفياً جسدى
رأسى أحمٌّ وظهرى غيرُ مُنأطر

***

غرّك سود الشَعرات التى فى الوجه منى وأنا الدالف
كأنْنتنى شيمةَ عصر مضى هيهات منك العُصُر السالف

***

أبا مَفرِق هلاّ ابيضضت على المدى
فما سرّنى أن بتّ أسود حالكا
قبيح بفَود الشيخ تشبيه لَونه بفَود الفتى والله يعلم ذلكا

***

تأخَّرَ الشيبِ عنّى مثلُ مَقدمه
على سواى ووقت الشيب ما حضرا

***

ثم ذكر فى مواضع كثيرة لا تقل عن عشرة ، شيبَ رأسه وبياضَ شعره ، مثل قوله :

عنا على الشّيب فهل زارنا طيف لأصل الشرخ منتابُ

***

كانت مفارقُ جُون كأنها ريش غِربه
ثم انجلت فعجبنا للقار بُدّل صِربه

***

أأذهِب فيكمُ أيام شيبى كما أذهبتُ أيام الشباب ؟

***

قد شاب رأسى ومن نَبت الثرى جسدى
فالنبتُ آخر ما يعتـــو به الزهَر

***

أيها الشيب لا يريبُك من كفّى
مِقصٌ ولا بُواريك خِطْر
إن نهيتَ النفس اللجوجَ عن الإثـ
ـم وطابت فإنما أنت عِطر

فقد نظمت اللزوميات وشعره أسود ، ثم استمر النظم حتى

شاب . وهذا يلائم السن التى ذكرتها والتاريخ الذى حددته .
ولو أنه نظمها كلها قبل الأربعين لما ذكر الشيب ، ولما استبطأه .
ولو نظمها كلها بعد الخمسين لما ذكر الفرق الحالك والشعرات السود
ولا يجوز أن يُدَّعى أنه نظم قبل الشيب واستمر ينظم حتى مات ،
وسن الشيب متصلة بالموت . فقد دلت الأدلة الأخرى على أنه لم
يستمر فى النظم طول عمره .

ويمكن أن يقال : إن كان أبو العلاء فرغ من نظم اللزوميات
أو كاد حين بلغ الخمسين فكيف ذكر الكبر متبرِّما ، وطولَ
الثواء متململا ، وذكر دنو الأجل وقرب الرحيل ، وسقوط
الأسنان ، فى مثل قوله :

طال الثواء وقد أَنَى لمفاصلى أن تستبدَّ بضمِّها صحراؤها

***

وما زال البقاء يُرِثّ حبلى إلى أن حان للمَرَس انقطاع

***

أعلِّل مهجتى ويصيح دهرى ألا تغدو فقد ذهب الرِفاق

***

تخلفتَ بعد الظاعنين كأنهم رأوك أخا وهن فما حملوكا

***

أيتهـا النفس لا تَهالى شرخى قد مرَّ وا كتهالى
لم يبق إلا شفاً يسيرٌ قُرِّب من موردى نِهالى

***

فمى أخذت منه الليالى وإننى لأشرب منه فى إناء مثلَّمِ

***

ربِّ متى أرحل عن هذه الد نيا فإنى أطلت المقام

هذه الأبيات وأشباهها تصدر عن شيخ هِمٍّ ، بلغ أرذل
العمر ، وذهب جيله وبقى وحده . ولكن المعرى له شأن آخر .
فهو يبرَم بالحياة فى عنفوانها ويقول .

شربت سنىَّ الأربعين تجرُّعا فيا مقِراً ما شربُه فىَّ ناجع

ويرى أن الحياة بعد الأربعين موت ، والوجدان فقد

حياتى بعد الأربعين منيّة ووجدان حلف الأربعين فقود

فشكوى أبى العلاء من الضعف ، وهتافه بالموت ، وبرمه
بالحياة لا يدل كل حين على الشيخوخة أو الهرم .

وأما قوله :

فمى أخذت منه الليالى وإننى لأشرب منه فى إناء مثلَّم

فسقوط الأسنان كثيراً ما يعرض فى السن التى قدَّرتُ أنه
نظم فيها الكتاب .

وقد ذكر سقوط أسنانه فى رسالته إلى أبى الحسن بن سنان
وقد تقدم إليه باختصار كليلة ودمنة بأمر عزيز الدولة . وعزيز الدولة
قتل سنة ٤١٢ ، ولما يبلغ أبو العلاء الخمسين .

المبحث الثانى

ترتيب اللزوميات

— ١ —

وضع أبو العلاء خطة هذه المنظومة متكلِّفاً فيها ثلاث كُلَف
كما قال فى المقدمة : أن يلتزم فى قوافيه حرفا لا يلزم ، وأن ينتظم
حروف المعجم كلها ، وأن يستوفى فى كل حرف الحركات الثلاث
والوقف .

وقد تبيّن من تاريخ الحوادث التى ذكرت فى هذا النظم ومن
تاريخ الرجال الذين ذكرهم ومن الأسنان المختلفة التى ذكرها أن
الترتيب الهجائى لا يساير الترتيب الزمنى . انظر إلى روىّ الأبيات
التى أثبتّها فيما تقدم ، وإلى تاريخ الحوادث التى تتضمنها والأسنان
التى تذكر فيها تر هذا واضحاً . فلا يسوغ أن نظن أن قطعة على
روى الباء مثلا ينبغى أن يتقدم تاريخها على قطعة فى حرف الميم ،
وينبغى ألاَّ ينظر إلى الترتيب الهجائى فى تتبع آراء أبى العلاء فى
لزومياته .

— ٢ —

ودليل آخر : أنّ كثيراً من القطع المتوالية تتفق فى الموضوع
أو تتفق فى الوزن والقافية بل تتفق فى كلمات القافية أحيانا .
فلو أنه نظمها ولاء لم يكن للفصل بينها وجه ، وكان يلزم أن
تكون قطعةً واحدة ، ولو نظمها قِطعاً متوالية لم يُجِز لنفسه
أن يكرر فيها القوافى والمعانى . فليس الفصل بينها إذاً إلا بأنها
نظمت فى أحيان مختلفة ثم جمعت .

أنظر إلى هاتين القطعتين ، وهما متواليتان على الميم المضمومة :

العقل يخبر أنني في لجّة من باطل وكذاك هذا العالمُ
مثلُ الحجارة في العظات قلوبنا أو كالحديد فليتها لا تألم

ويليها :

لم تَلقَ في الأيام إلا صاحباً تأذى به طول الحياة وتألم
ويُعدُّ كونُك في الزمان بليّةً فاصبر لها فكذاك هذا العالم

ويقول من قطعة في حرف القاف :

مرازبُ كسرى ما وقت مهجةً له
وقيصر لم يمنع رَداه البطارق

وفي قطعة تليها :

وهل أفلت الأيام كسرى وحوله مرازبه أو قيصر وبطارقه

فلو أن القطعتين نظمتا وِلاء ما كرر هذا المعنى .

وأما القطع المتوالية المتفقة في الوزن والقافية ، والروى وحركته أو سكونه فكثيرة لا تحوج إلى التمثيل هنا . والأمر كله أبين من أن يطال فيه الكلام .

— ٣ —

وهنا نسأل : إن كان أبو العلاء لم ينظم على ترتيب الحروف والحركات فكيف ضمن الوفاء بما التزم من استيعاب الحروف وحركاتها ؟ إن كان قد نظم على الروى والحركة اللتين تعنَّان له دون أن ينتقل من حرف إلى ما يليه ومن حركة إلى ما بعدها فكيف استوعب الحروف والحركات ؟

لنا أحد فرضين : إما أن الرجل كان يأمر كاتبه أن يثبت كل حرف في فصل على حدة ، وكان يستعيده قوافيَ هذا الفصل فيكمل نقصه حتى تمت الحروف والحركات ؛ وإما أنه جعل الكتاب كله مجموعة واحدة على غير تفصيل ، وكان يقصد إلى تغيير الحروف كل حين على غير ترتيب ؛ فلما اجتمع له مقدار كبير من المنظوم رتبه وأكمل نقصه . وبهذا يُشعر قوله في المقدمة . وهذا حين أبدأ بترتيب النظم .

ونحن نجد في الكتاب قطعاً نظن أنها لم تنظم إلا لضرورة هذا الاستيعاب فالثاء المفتوحة ، والذال الساكنة ، والضاد المضمومة ، والطاء الساكنة ، والهاء الساكنة ، لم ينتظم في كل منها إلا بيتين اثنين وهما أقل ما ينظم لإنفاذ خطته . وقد قال هو هذا في آخر المقدمة

— ٤ —

نظم أبو العلاء ملتزماً ما لا يلزم ، ومستوفياً الحروف وحركاتها ، ورتب كتابه على الحروف وعلى حركات كل حرف ، وقال في آخر المقدمة :

« وهذا حين أبدأ بترتيب النظم وهو مائة وثلاثة عشر فصلا ؛ لكل حرف أربعة فصول . وهي على حسب حالات الروىّ من ضمّ وفتح وكسر وسكون ، وأما الألف وحدها فلها فصل واحد ، لأنها لا تكون إلا ساكنة . وربما جئت في الفصل بالقطعة الواحدة أو بالقطعتين ليكون قضاء لحق التأليف . وبالله التوفيق » .

وقد أدركت أنا بالتأمل في فصول اللزوميات ، ترتيباً آخر لم ينبّه إليه المعرّى ، وهو ييسر على الباحث عن الأبيات في الكتاب ، زيادة على التيسير بترتيب الحروف والحركات ؛ ذلك أن الأوزان في كل فصل مرتبة على ترتيب الدوائر والأبحر عند العروضيّين .

فنجد البحر الطويل في الفصل مقدماً على غيره ، والمتقارب مؤخراً عن غيره ، والأبحر بينهما على ترتيبها . وليس معنى هذا أنه استوفى في كل فصل الأبحر الخمسة عشر ، بل المعنى أن ما يوجد من الأوزان في فصل يلتزم فيه الترتيب .

فالذى يبحث عن قطعة أوبيت على الراء المفتوحة — مثلا — لا يلزمه ، إذا عرف الوزن ، أن يبحث في أبيات الراء المفتوحة كلها ، بل يطلب البحر الذى فيه وزن القطعة أو البيت في موضعه من الراء المفتوحة . وذلك يسير إذا عرف ترتيب الأبحر في العروض وهو أمر أَمَم .

* * *

هذا ما بدا لى في تاريخ اللزوميات وترتيبها ، فمن بدا له ما يؤيد رأيي أو ينقضه ، فليتفضل مشكوراً بالإدلاء برأيه والإبانة عن حجته .

ووراء هذا بحث مجمل في أمهات الأفكار التى ضمنها أبو العلاء لزومياته .

البلاغة العصرية واللغة العربية

تأليف الأستاذ سلامة موسى

للأســتاذ أحمد محمد الحوفى

— ٢ —

العقاد سلفى الذهن فى لغته ، وأسلوبه ، وتفكيره ، وسلوكه — ٩٩ فى المئة من كتابنا كذلك — الكلاسية داء مصر والشرق — كتابنا أعداء الكلمات الأعجمية

— ١ —

« وقد التفتُ إلى عبارة قالها الأستاذ عباس محمود العقاد بشأن الاشتراكيين فى مصر لها مناسبة هنا ، إذ هم يدعون على غير ما يحب إلى اللغة العامية ، وقد حسب عليهم هذه الدعوة فى قائمة رذائلهم ؛ لأنه هو يعتز بفضيلة اللغة الفصحى ، ويؤلف عن خالد بن الوليد أو حسان بن ثابت ، ولكنه غفل عن التفسير لهذه الظاهرة الاجتماعية ، وهى أن الاشتراكيين شعبيون يمتازون بالروح الشعبى ويعملون لتكوينه ، وهم لهذا السبب أيضاً مستقبليون وليسوا سلفيين ... فى حين أنه هو سلفى الذهن فى لغته وأسلوبه وتفكيره وسلوكه ، وليس الأستاذ العقاد وحيداً فى هذه السلفية ، لأنى أعتقد أن ٩٠ بل ربما ٩٦ فى المئة من كتابنا سلفيون » ص ١١

« والكلاسية فى مصر كما نراها فى أيامنا ليست لغوية أدبية فقط بل هى اجتماعية مزاجية ذهنية ، فدعاتها مثلاً يهتمون كثيراً جداً فى التأليف عن الخوارج فى أيام على بن أبى طالب . ويهملون التأليف عن الخوارج على الديمقراطية فى أيامنا ، وهم يدرسون رجال الأمس والأمس هنا قبل ١٠٠٠ سنة ميلادية ولا يدرسون رجال اليوم » ص ١٢٠

— ٢ —

يرحم الله أبا جعفر المنصور ، فقد قال : « إنه لم يسر أحد قط منكرة إلا ظهرت فى آثار يده أو فلتات لسانه » وقد استعلنت المنكرة التى يكتمها الأستاذ سلامة فى غضون كلامه ، وأطلت برأسها حين دعا إلى (الاشتراكية) فى اللغة ، وحين غاظه أن يثلب العقاد (الاشتراكية) ؛ لأنها تدعو — فيما إليه تدعو — إلى التدلى فى اللغة ، والهُوِىّ بهذا الفن الجميل من سمائه العالية إلى منحدر الدهماء والطغام .

ثم تجرّم على العقاد فزعم أنه متحجر اللغة ، عتيق الأسلوب ، رجعى التفكير ، محافظ فى سلوكه ، وكأنما لم يشف غله هذا التخصيص فتخرص على ٩٩ فى المئة من كتابنا بأنهم كذلك آسنون ، وما دليله الذى يجول به ويصول ؟ دليله أنهم يكتبون عن خالد والخوارج ولا يكتبون عن رجال اليوم .

يا لها من دعوى خرقاء ، ويا لها من حجة جوفاء .

أيذم أسلوب العقاد وهو ما هو سلاسة وسلامة ونصاعة ؟

أذنب العقاد فى نظر الناقد أنه يأخذ قلمه بقواعد اللغة وروحها فلا يلحن ، ولا يخطئ ، ولا يسف فى تعبير ، ولا يحتاج إلى من يصحح له ما يكتبه كما يحتاج غيره ؟

لقد كتب العقاد فى السياسة والأدب والتاريخ والقصة ، وأسلوبه فى هذه الفنون كلها فارع بارع ممتع .

ثم كيف يتهم العقاد بأنه آسن التفكير ؟

لقد ألف عدة كتب ، وكتب مئات المقالات فى شتى الموضوعات فلازمته فحولة الفكر ، وصاحبته سمة الاستقلال فى الرأى ، وما وجدناه مرة يتضاءل كما يتضاءل غيره أمام رأى قديم ، أو فكرة لعالم أوروبى ، وحتى العلامة (فرويد) الذى يتعبد بآرائه الأستاذ سلامة قد نقده العقاد ، والعلامة (داروين) الذى يشايعه الأستاذ سلامة فى كل نظرياته قد خالفه العقاد ، وبهذا الروح القوى الحر كتب العقاد ما كتب فى القديم والجديد .

وما معنى أن العقاد سلفى فى سلوكه ؟

أيعيبه لأنه ليس من أهل الخلاعة والمجانة واستباحة اللذات جهرة كما يفعل الممرورون من أدعياء الأدب والفن ؛ لأن الشذوذ والانحراف الخلقى فى نظرهم وثيقة بأنهم ناس ليسوا كالناس ؟

أم يعيبه لأنه رجل يؤمن بالرجولة فلا يكتب مرة ليتملق

المرأة ، ويزعم لها أنها جديرة بالمساواة ، خليقة بأعمال الرجال ؟

أم يعيبه إذ لم يخرج على الأمة بصيحة تحقر أدبها ، وتبلبل لغتها ، وتزدرى خصائصها وأخلاقها ، وتمتهن مفاخرها وأبطالها ؟ لست أدرى .

— ٣ —

وليست هذه العيوب مقصورة على العقاد وحده ، بل يشركه فيها ٩٩ فى المئة من كتاب مصر ، فمن بقى إذن ؟ لم يبق خالياً من العيوب إلا الأستاذ سلامة ومحررو بعض المجلات الشعبية ، فهم أرباب الأساليب والأفكار المرتضاة عنده ؛ لأنهم يسفون فى تعابيرهم ، ويتوخون العامية فى كتاباتهم ، ويختارون المجازات (البلدية) والكنايات (الشعبية) والموضوعات التافهة المبتذلة .

يا ويح الأدب العربى فى هذا العصر إن كان قد حرم بيان (الزيات) الرفيع ، وأسلوبه الفياض بالحياة ، الفياح بعبير الجمال وعطر الفن .

وويل للأدب فى هذا العصر وفى كل عصر إن استكان رُواده وشداته لدعوة الأستاذ فآثروا الفسولة فى تعبيرهم ، والاتضاع فى تصويرهم والتدلى فى لغتهم ، إذن لبرئ الأدب منهم ، وإذن لعُمِّيت عليهم وجوه الجمال فى تراثهم من أدب الأسلاف ، وإذن امَّحوا عن السر فى بلاغة القرآن وإعجازه ، وهذا كله بعض ما تقترفه هذه الدعوة العاسفة الهدامة .

— ٤ —

وكتابنا كلهم متخلفون رجعيون فى رأى المؤلف ؛ لأنهم يُعَنُّون أنفسهم بالبحث فى الماضى ، وتنضح أقلامهم بدراسة تراثنا المجيد ، ولا يكتبون عن الحاضر شيئاً

فأى حق فى هذا وأى صدق !

لقد كتب العقاد عن الماضى بروح العصر ، وثقافة العصر ، والطرق الحديثة فى البحث والتحليل ، وأسهم فى بعث مفاخر هذه الأمة التى رادت العالم أحقاباً طوالاً ، وشارك فى إحياء الأمثلة العليا من بطولتها ؛ لأن الأمم لا تنهض بحاضرها وحده ، بل لا بد لها من ماض مجيد يلهمها وينفخ فيها من روحه قوة وحيوية ، وهذا ما فعلته الدول الناهضة الغالبة اليوم ، وليس أهدم للأمة المتوثبة للمجد من تنكرها لماضيها الحافل ، وغفلتها أو تغافلها عما لها من عظائم وجلائل ، وأعجب عجباً لا ينقضى ممن دعا إلى الفرعونية مراراً وقد انقطع ما بيننا وبينها من نسب ، ثم لما بارت دعوته أخذ يعيب الذين يدرسون العرب ، ويكتبون عن أبطال العرب كأنه يرتبط بالفراعنة بنسب ثم لا يصله بالعرب سبب ! !

وربما دار بخلدى أنه يلحى العقاد وهيكل وطه والحكيم وغيرهم لأنهم كتبوا عن النبى محمد عليه الصلاة والسلام كتباً تخضع لطرائق البحث الحديث ولكنهم جلوا نواحى من عظمته ، وأبرزوا طرفاً من سمو رسالته ، ولم يجمح بأحدهم قلمه فيتقول أو يتهجم ، ثم كتب العقاد وهيكل فى أبى بكر وعمر وخالد ، وكتب العقاد فى على والحسين وعائشة ، فلا والله ما وجدوا إلا صحائف من ذهب تتبالج بالعظمة والبطولة والنبالة ، وما قالوا إلا ما قرأوا فى هذه الصحائف الخالدة ، ولو كانا غير مسلمين ما تغير قولهما ولا حكمهما ، فالبطولة سحر غلاب يجتذب الولى الحميم ، والعدو الخصيم ، وشمس سافر ، تغمر بضيائها الباهر ، القريب والبعيد ، وتنفذ آرادها إلى واضع كفيه على عينيه .

وهل كتابنا اقتصروا على الماضى وحده كما يزعم ؟

لنستعرض بعض مؤلفاتهم ثم نحكم .

هذا هو (الزيات) كتب فى تاريخ الأدب العربى كتابه ، فأرخ للأدب بأدب ، وكان مثل بوفون إذ كتب فى التاريخ الطبيعى ببيان خلاب ، ومع ذلك فقد ترجم آلام فرتر لجيته ، وروفائيل للامرتين ترجمة يقرر الحاذقون للألمانية والفرنسية أنها كالأصل بلاغة وسمواً ودقة ، ويكتب منذ أكثر من عشر سنوات فى مشكلاتنا السياسية والاجتماعية والأدبية والاقتصادية .

وهذا هو (العقاد) كتب العبقريات ، ولكنه ألف (سعد زغلول) ، و (شعراء مصر وبيئاتهم) و (الحكم المطلق فى القرن العشرين) و (هتلر) وغيرها ، وله مئات المقالات فى شتيت الموضوعات والمناسبات .

وهذا (هيكل) ألف عن (محمد) و (أبى بكر) و (عمر) ولكنه ألف أيضاً عن (روسو) و (السياسة المصرية) الخ .

فأى منصف بعد ذلك يتجنى على كتاب مصر بأنهم يحيون

وعيونهم مشدودة إلى الماضي وحده ؟

ومن ذا الذي يجحد فضلهم في مسايرة الثقافة ، ومواثبة الحياة المتجددة المتطورة ؟

إنهم يواثبون الثقافة ولكن أكثر إنتاجهم — متأثراً بهذه الثقافة — شرقي الروح ، عربي الأسلوب ، إسلامي النزعة ، وكل ميزة من هذه الميزات مرة في بعض الأفواه ، فكيف بها مجتمعة ؟

ثم لماذا تضفي نعوت العبقرية على (إميل لودفيج) لأنه كتب عن المسيح عليه السلام كتابة رائعة ، ويوسم كتابنا بالرجعية إذا ما كتبوا عن النبي محمد وخلفائه ؟

وإنه لعقوق أن يبهر ماضينا بعض المستشرقين فيجردون أقلامهم لتمجيده ، والكشف عن لآلئه ، كما فعل (استانلي لين بول) في (قصة العرب في إسبانيا) فتغنى بمجدهم ؛ لأنهم كانوا شعلة النور في أوروبا بعد أن خمدت مدنية الرومان ، واندثرت حضارة اليونان ، وكما فعل (سيديو) ومؤلفو (تراث الإسلام) و (دائرة المعارف الإسلامية) ثم نعمى — ونحن وراءهم — عن هذا المجد فلا ننوه به .

ولماذا لا يعاب كتاب الغرب وهم ما فتئوا يكتبون عن هوميروس وأفلاطون وأرسطو والإسكندر ؟

الحق أن الأستاذ سلامة كثير الدعاوى ، غريب القضايا ، مفتئت على المنطق الذي يريده أساساً للفكر والأدب .

بقيت إشارة عجلى إلى خلط آخر في كتابه كالخلط الذي بيناه في لومه أبا تمام في المقال السابق ، تلك أنه نسب إلى العقاد التأليف عن (حسان) فليخبرنا متى كان ذلك ؟ اللهم إلا إذا أراد بحسان كل مشايع للرسول منافح عن الإسلام .

— ٥ —

« يكره كتابنا الكلمة الأجنبية ، فيقولون سيارة بدلا من أتوموبيل » ص ٢٠

ودعا في كتابه إلى إدخال الكلمات الأعجمية على حالها ، واستدل بأن العرب أدخلوا في لغاتهم في العصر العباسي كلمات أعجمية .

ولكنه نسي أن العرب استعاروا كلمات من الفرس واليونان والهند بعد أن صقلوها أولاً صقلاً عربياً لتلائم منطقهم ، كلفظ آذريون من آذر كون ، وديباج من ديوفار ونيروز من نوروز الخ وقلما استعملوا الكلمة الأعجمية على حالها ، وكان ذلك للتظرف والتملح فحسب مثل كلمة آب صرد بمعنى الماء البارد في قول المعاني :

لما هوى بين غياض الأسد وصار في كف الهزبر الورد

آلى يذوق الدهر آب صرد

على أنهم عربوا حيث افتقروا إلى كلمات تؤدي معاني خاصة ليس في لغتهم ما يؤديها . وإذا كان الأستاذ يستدل على جودنا ومرونة الإنجليز بأن في لغتهم نحو ألف كلمة عربية فليدلنا على كلمة واحدة ينطقها الإنجليز كما ينطقها العرب .

على أن كتابنا محقون في أنهم لا يلجأون إلى الكلمة الأعجمية إذا كان في لغتنا ما يدل عليها ، أو نستطيع أن نشتق من لغتنا ما يؤدي معناها ، وما من شك في أن لفظ سيارة يؤدي المعنى ، وهو أخف نطقاً وأحلى وقعاً من لفظ أوتوموبيل . وما من شك أيضاً في أننا إذا أبحنا لأنفسنا استعمال الكلمات الأعجمية على حالها وبغير ضرورة إلى استعمالها فقد حفرنا للغتنا ولقوميتنا قبراً بأيدينا ؛ لأنه لن يمضي قرن واحد حتى تصير لغتنا خليطاً مشوهاً من عربية مهزومة ، وعامية مختلفة باختلاف الأصقاع والبيئات ، وأعجمية غازية متفشية ، ثم بعد قرن آخر تندثر العربية والعامية ونتفرنس أو نتجلنز ، ويصيبنا ما أصاب إخواننا العرب في تونس والجزائر ومراكش .

ومن الخير أن يقتصر التعريب على كلمات أعجمية لا مناص لنا من استعمالها في العلوم المختلفة ، ولا ضرر على لغتنا ولا على قوميتنا من ذلك ، ثم لنعرب الكلمات التي جدت في الصناعة وشئون الحياة إذا لم نجد في لغتنا أو مشتقاتها عديلاً لها ، وأما غير هذا فاندحار وانتحار ، وتخريب لبيوتنا بأيدينا ، ومعاذ الله أن يحيق بنا ذلك .

(يتبع)

أحمد محمد الحوفي

المدرس بالسعيدية الثانوية

بحث في الصــلاة

للدكتور جواد علي

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

عينت الديانة الإسرائيلية عدد الصلوات وأوقاتها فى اليوم وفى المواسم والسنة . ويقسم المستشرق « ميتوخ » الصلاة اليومية إلى نوعين : شماع (شمع) (Sch "Ma") وتقابل فى العربية كلمة « سماع » ، وتفيلة « Tephilé »[(١)] . أما الشماع (السماع) فعبارة عن قراءة بعض أقسام معينة من التوراة[(٢)] وأما سبب تسميتها « بشماع » « سماع » فلأنها تبدأ بكلمة الشهادة وهى « شمع يسرائيل » أو « اسمع يا إسرائيل » وهى شهادة بنى إسرائيل . ويمكن أن نقول إنها تقابل صلاة « A Shemvohn » عند الفرس[(٣)] .

ويطلق على قراءة هذه الشهادة « قراءات شماع » وأحياناً مجرد « قريئات »[(٤)] ومعناها « شماع » « والنطق بالشهادة » وهى تبدأ « شماع » ثم تنتهى « ببعض البركات » . « بركوت » (Bérakkött)[(٥)] .

وقبل تلاوة « الشماع » تقرأ عادة « بركوت شماع » أو « بركات السماع » وهى تسابيح خاصة لذكر الله تقال قبل صلاة السماع وبعدها . وقبل تلاوة البركة الأولى من هذه البركات أو بعبارة أخرى قبل تلاوة التسبيحة الأولى من هذه التسابيح فى صلاة الجماعة ينادى الإمام (الحزّان) « باركوا الله المبارك » وهذه الكلمة هى بمثابة إقامة الصلاة ، فيجيبه المصلون بنغمة خاصة وبطريقة معينة «فليتبارك الله المبارك إلى أبد الآبدين»[(١)] .

وأما التفيلة « Tehillé » أو « صلاة الثمانية عشرة » (تفيلة شل شمونة عشر) فقد سميت بهذا الإسم لأنها تتألف فى الأصل من « ثمانى عشرة بركة » أو بعبارة أخرى من ثمانى عشرة تسبيحة ثم أضيف إليها « بركة أخرى » فأصبح عددها « تسع عشرة بركة » ولكنها احتفظت مع ذلك باسمها القديم حتى الآن ، ولذلك يطلق عليها باللغة العبرية إلى يومنا هذا « تفله شل شمونة عشرة »[(٢)] أو مجرد « شمونة عشرة »[(٣)] ويكتفى أحياناً بلفظة « تفيلة » فقط[(٤)] .

وأطلق اليهود الذين صاروا يتكلمون الآرامية بدلا من العبرية على هذه الصلاة كلمة « صلوتة » وهى كلمة آرامية كما قلنا وقد ورد ذكرها مراراً فى الأقسام الآرامية من التلمود[(٥)] .

وتقام صلاة « السماع » عند اليهود فى صباح كل يوم ومسائه . وتقام « التفيلة » فى أوقات ثلاثة من اليوم : تقام فى الصباح وبعد الظهر (العصر) وفى مساء كل يوم . وتسمى الصلوات الثلاث بالعبرانية بهذه الأسمــــاء : « تفلات هشاحر » وأحياناً بمجرد « شحريت » وهى صلاة « السحر » وتسمى « صلاة الصبح »[(٦)]

وأما الصلاة الثانية وهى صلاة العصر فيطلق عليها بالعبرية

---

(١) mittwoch P, 7. The old Pers Rel P, 124 .

(٢) وهـذه الأقسام هى : Deut 6. 4 — 9 11, 13 — 21 أى التثنية إصحاح ٦ آية ٤ إلى ٩ . و num 15 : 37 — 41 أى العدد إصحاح ١٠ آية ٣٧ وما بعد .

(٣) وهذه الشهادة هى فى التثنية إصحاح السادس من الآية السادسة إلى التاسعة وهى « اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد . فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك . ولتكن هذه الكلمات التى أنا أوصيك بها اليوم على قلبك . وقصها على أولادك وتكلم بها حين تجلس فى بيتك وحين تمشي في الطريق وحين تنام وحين تقوم . واربطها علامة على يدك ولتكن عصائب بين عينيك واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك » .

(٤) The ald Persian Religion. P,124 .

(٥) Miscpna, Berahotp. Mittwocp. P, 7, 1, 1, 2, 3

---

(١) Mittwocp. p, 7 .

(٢) راجع Berâkbôtp 160. Mittwocp. P, 7 .

(٣) Miscpnâ Berâkbôtp 4, 3. .

(٤) Pesâchiw 117 b. Berâkkôtp 26 A. .

Levy. NH cp w. N 190

Mittwocp. p, 8

على بركة راجع قموس الكتاب المقدس ج ١ ص ٢٢٣ .

(٥) Mittwocp. P, 7 . راجع لفظة «صلوته» فى مادة « Prayer » من دائرة المعارف اليهودية كذلك فى الكتب الفقهية والتاريخية لليهود

(٦) Mittwocp. P, 8. nicpnà Sanp. 1, 6. Talm. Sanp. 74 b.

Beráh. 21 b.

« تفلات هامنحه » أو « منحة » فقط . وأما الصلاة الثالثة وهى صلاة المغرب فيطلق عليها « تفلات هاعربيت » ويكتفى بلفظة عربيت أيضاً [١]

ويرجع اليهود تاريخ صلاتهم إلى الأزمنة الأولى من تاريخ اليهود . جاء فى سفردانيال: « فلما علم دانيال بامضاء الكتابة ذهب إلى بيته وكُواهُ مفتوحة فى عُليته نحو أورشليم فجثا على ركبتيه ثلاث مرات فى اليوم وصلى وحمد قدام إلهه كما كان يفعل قبل ذلك »[٢] وجاء فى المزامير : « أما أنا فالى الله أصرخ والرب يخلصنى مساءاً وصباحاً وظهراً أشكو وأنوح فيسمع صوتى »[٣]

ويرجع اليهود أصل الصلوات اليومية الثلاث إلى عهد أقدم من هذا العهد ، إلى عهد الآباء أى إبراهيم وإسحق ويعقوب . ينسبون صلاة الصبح إلى ابراهيم وينسبون صلاة العصر إلى اسحق وينسبون صلاة المغرب إلى يعقوب[٤] .

وهنالك صلوات أخرى لا تعتبر من الفروض اليومية مثل صلوات أيام السبت (Sabbat) وصلوات « دوشن حودتس » أو « صلوات رأس الشهر »[٥] وعرفت صلاة رأس الشهر عند الأمم الأخرى مثل « البارسس » الفرس وعرفت عندهم باسم أنترماه « antaremàh »[٦] والهنود وعرفت عندهم باسم أمافازيا « Amàuàsyà »[٧] بل وعند الشعوب الأوربية أيضاً[٨] .

ولليهود صلاة أخرى هى صلاة «العيد» وصلاة رابعة تسمى بالعبريةباسم « Tephillah ham Mùsaphin »أو« Mùsàph» فقط[٩] وفى هذه الصلوات وأيام الاحتفالات يقدم اليهود أضحية

(١) Mittwocp P, 8 .
(٢) راجع دانيال ٦ : ١٠ .
(٣) حسن أمير ٥٥ : ١٨ .
(٤) Mittwocp. P, 8 Beràkbòtp. 26 b 27 b. .
(٥) قاموس الكتاب المقـدس ج ٢ ص ١٢ س ٥٥ : ١٧ . دا ٦ ر ١٠ . لو ١٨ : ١ . Mittwocp q. Hastings P, 744 .
(٦) The old Plrs Rel; P, 124. Yasnä 1, 8. 2. 8yt 7, 4 .
(٧) Pers Religos 124. Bensyinger. 388 .
(٨) Musters Athowe witp the Patagonians 1873 - P, 188.
(٩) miltwocp p, 9 .

إضافيـة إلى المعابد علاوة على الأضحية التى تقدم للمعبد صباحاً ومساء[١] .

ودخلت فى الأيام الأخير صلاة خامسة إضافية تقام فى نهاية أيام الصوم عصراً وهى خاتمة الصلوات وتعرف عند اليهود باسم نئيلا « ne ila »[٢] .

أما أوقات الصلوات اليومية الثلاث فإنها الساعة الثالثة والساعة السادسة والساعة التاسعة ؛ وهذه هى صلاة التفيلة اليومية وأما صلاة الشماع فتكون عند بداءة الليل وعند نهايته وعند تناول الطعام[٣] .

وأما الصلاة عند عرب الجاهلية فإننا لا نعرف حتى الآن عنها أى شىء ، وعلى فرض وجودها فإنها لم تكن بالمعنى الذى نعرفه من الصلاة ، بل يمكن أن يقال إنها كانت تقام فى أوقات مختلفة وفى مواسم معينة[٤] . ويقول المستشرق ميتوخ : « من المؤكد أن عرب الجاهلية لم تكن لديهم فروض من فروض الصلوات اليومية على نحو الصلاة التى فرضها الإسلام على المسلمين »[٥]

وقدلاقى الرسول(ص) صعوبات كثيرة من الأعراب الذين كانوا يرون فى الركوع والسجود والصلاة ذاتها علامة من علامات المسكنة والذلة والإهانة لا تتفق وما جبلوا عليه من كبرياء وأنفة واعتداد بالنفس ، حتى إن بعض القبائل العربيـة كقبيلة ثقيف بالطائف طلبت من الرسول الدخول فى الإسلام على شرط إعفائها من الصلاة[٦] .

هذه مقدمة مختصرة عن الصلاة عامة ؛ وسنبحث فى الأعداد القادمة عن تطور الصلاة فى الإسلام ، فنبحث أولا فى صلاة الركعتين وهى أول صلاة على ما نعرفه فى الإسلام .

جواد علي

(١) نفس المصدر .
(٢) Jerusp Berakbòtp 7. C .
(٣) قاموس الكتاب المقدس ج ٢ ص ١٢ . س ٥٥ : ١٧ . دا ٦ و ١٠ لو ١٨ر١ أيضا Hostivgs. P. 744 .
(٤) Mittwocp P, 9 f .
(٥) نفس المصدر .
(٦) mittwocp p, 9 . Goldwiber mup Tiud Val 1 P, 37.

الزمـــان النفسى

للأستاذ زكريا ابراهيم

نسيجُ الحياة النفسيَّة هو الزمان . والزمان — كما يقول برجسون — جِدةٌ مستمرة ، وخلق جديد ، وإبداعٌ لصور لم تكن موجودة من قبل ، ولم يكن وجودها منتظراً . فليس الزمان الحقيقى عبارة عن لحظة تعقب لحظة أخرى ، وإنما هو امتداد الماضى باستمرار . وهذا الطابع الذى يتصف به الزمان ، يتمثل فى الحياة النفسية بشكل واضح ، فإنّ ماضينا يتعقّبنا فى كل لحظة من لحظات حياتنا . وليس من شك فى أننا لا نفكر إلا بجزء صغير من ماضينا ، ولكننا إنما نرغب ونريد ونعمل بهذا الماضى كله . « فكل ما فكرنا فيه ، وما شعرنا به ، وما أردناه منذ طفولتنا المبكّرة ، لا يزال عالقاً بنفوسنا ، متجهاً نحو الحاضر الذى يوشك أن يتصل به ، ضاغطاً بقوة على باب الشعور الذى يريد أن يدعه خارجاً »[1] .

هذا هو جوهر الحياة النفسية ، كما تكشف لنا عنه النظرة العميقة إلى النفس الإنسانية . فكل فرد منا إذن هو عبارة عن تاريخ ؛ وهو عبارة عن تاريخ قائم بذاته مختلف عن غيره ؛ وثراء هذا التاريخ هو الذى يدل على ثراء حياة صاحبه الباطنة ، لا عدد السنين التى عاشها . وقد يبدو لنا أننا نسير مدفوعين بحكم الزمان الآلى — زمان الساعات — ولكننا فى الحقيقة نتحرك وفقاً لإيقاع الحالات الباطنة ، والحركات الداخلية ، مما يقوم عليه الزمان النفسى .

فنحن لسنا عبارة عن ذرات من الغبار تطفو على سطح نهر ، بل نحن قطرات من الزيت تنتشر على سطح الماء ، سائرة بسرعتها الخاصة[2] .

ومعنى هذا أن جوهر حياتنا هو الزمان النفسى — لا الزمان الآلى — لأن شعورنا إنما يسجل حركته الخاصة ، أى السياق الخاص الذى تتوالى وَفْقاً له حالاتُه الباطنة ، (وإن كان هذا تحت تأثير المنبّه الخارجى الذى يَعرض له) . وبعبارة أخرى فإن الزمان الآلى غريب عنا ، فى حين أن الزمان الباطن le temps intérieur هو جوهر نفوسنا . ومن المؤكد أن لحظات الزمان الآلى إنما تهوى إلى العدم ؛ أما لحظات الزمان النفسى فإنها لا تهوى إلى العدم مطلقاً ، بل تنطبع فى الشعور ، وتنضاف إلى سجل الوعى الإنسانى . فنحن نحمل معنا الطابع النفسى لكل أحداث حياتنا ، لأننا خلاصة للحالات النفسية التى مرت بنا .

وكل تجربة جديدة تمر بنا ، وكل فكرة تطوف بخاطرنا ، وكل فعل نقوم بتحقيقه ؛ بل كل حالة عضوية تعرض لنا ، لا بد أن يكون لها تأثير لا يمحى فى حياتنا النفسية . ومعنى هذا أننا لا ننفصل مطلقاً عن ماضينا ، بل إن شخصيتنا تزداد ثراء وخصباً بكل تجربة جديدة تعرض لنا . وقد نشفى تماماً من مرض انتابنا ، أو حالة نفسية عرضت لنا ، ولكن لا بد أن يظل أثر هذا المرض أو هذه الحالة النفسية باقياً فى طوايا شعورنا .

ومن جهة أخرى فإن من المستحيل على الشعور الإنسانى أن يمر بحالة واحدة مرتين . قد تكون الظروف الخارجية واحدة ، ولكنها لا يمكن أن تؤثر فى الفرد نفسه تأثيراً واحداً ، ما دامت تعرض له فى لحظة جديدة من لحظات حياته . وعلى ذلك فإن التاريخ الإنسانى (باعتبار أن كل إنسان هو عبارة عن تاريخ) لا يعيد نفسه مطلقاً . والشخصية الإنسانية تتكون فى كل لحظة من التجارب المتجمعة ، فهى تتغير دائماً أبداً ، وهى إذ تتغير ، تحول دون تكرر حالة واحدة بعينها . ومن هذا كله نخلص إلى هذه النتيجة الهامة ، وهى أن الزمان النفسى غير قابل للاعادة ، أعنى أننا لا نستطيع أن نحيا (إن صح هذا التعبير) حالة واحدة بعينها مرتين ، لأن هذا يقتضى أن نلغى وجود الذاكرة التى تحتفظ بالماضى[1] .

وإذا عمدنا الآن إلى مقارنة الزمان الآلى بالزمان النفسى فإننا نجد أن الزمان الآلى يسير وفقاً لإيقاع مطّرد ؛ أعنى أنه مكون

---

(١) « التطور الابداعى » لهنرى برجسون ، ص ٥

(٢) « الانسان ذلك المجهول ! » لألكسس كاريل ، ص ٢٠١

(١) برجسون : « التطور الابداعى » ص ٦

من فترات متساوية لا يتغير مساره خلالها . أما الزمان النفسى فهو على العكس من ذلك ، لأنه يختلف فى سرعته لدى الفرد الواحد ، تبعاً للفترات المختلفة فى حياته . فالسنة الواحدة — إبَّان الطفولة — تحتوى على أحداث فسيولوجية وتغيرات نفسية ، أكثر مما تحتوى عليه السنة الواحدة إبان الشيخوخة — وعلى ذلك فإن السنة الواحدة أطول إبان الطفولة ، وأقصر إبان الشيخوخة ؛ لأن قيمتها بالنسبة إلى الطفل أكبر منها بالنسبة إلى والديه .

من هذا يتبين لنا أن الحياة الانسانية لا تُحْسَب بالأيام والسنوات ، بل بالقدر الذى « تحيا » به الأحداث والتجارب . ومعنى ذلك أنه من العبث أن تقاس أطوار الحياة الإنسانية بالزمان الآلى ، لأن هذا يقتضى أن يكون فى الحياة النفسية اطراد الزمان الآلى ؛ ولكن هذا الاطراد — فى الحقيقة — لا وجود له فى الحياة فالحياة الإنسانية لا يمكن أن تقسم إلى أطوار زمنية تحسب بوحدات الزمان الآلى ، بل إنها يجب أن تقسم إلى أطوار نفسية تحسب بوحدات الزمان النفسى .

وإذا أخذنا اعتباراً للزمان النفسى ، فإننا لابد أن نهتم اهتماما كبيراً جداً بزمن الطفولة المبكرة ، لأن هذا الزمن هو بطبيعة الحال ، الزمن الثرى الحافل ... حقاً إن الزمان الآلى الذى تشغله هذه المرحلة من حياة الإنسان ، لا يبلغ مدى مرحلة الاكتمال أو مرحلة الرجولة ، ولكن الزمان النفسى الذى تنطوى عليه يفوق أية مرحلة أخرى . ولهذا فإن من الواجب أن تعطى مرحلة الطفولة المبكرة كل عناية ممكنة فى التربية . ولسنا فى حاجة إلى أن نؤكد ما لهذه المرحلة من قيمة سيكولوجية فى الحياة النفسية كلها ، فإن هذه حقيقة ثابتة لاشك فيها .

أما مرحلة النضج ومرحلة الشيخوخة فليس لهما إلا قيمة سيكولوجية ضئيلة بالقياس إلى مرحلة الطفولة ، لأنهما مرحلتان خاليتان تقريباً من التغيرات النفسية والتطورات العقلية . ومن أجل هذا ، فإن من الواجب أن يُملأ الفراغ الموجود فيهما بنشاط صناعى . وعلى ذلك فإنه إذا بلغ الفرد مرحلة الشيخوخة ، لم يكن عليه أن يقلع عن العمل ويركن إلى الدعة والخمول ، لأن الفراغ أخطر بالنسبة إلى الشيوخ منه بالنسبة إلى الشباب ... ؛ بل إن من الواجب على المجتمع أن يعهد إلى أولئك الذين وهت قواهم بعمل معتدل مناسب ، لا براحة تدنيهم من الموت ، أو دعة تذيقهم طعم الموت الحى (the living death) !

وإذا أنعمنا النظر فى هذه الفكرة — فكرة الزمان النفسى أمكننا أن نفهم كيف أننا منعزلون بعضنا عن بعض فى دوائر منفصلة ، أو عوالم متميزة . فمن المستحيل بالنسبة إلى الأبناء أن يفهموا آباءهم ، وبالأحرى أجدادهم . ولهذا فإننا إذا نظرنا إلى الأفراد فى حقبة واحدة أمكننا أن نقسمهم إلى أربعة أجيال متعاقبة بينها من التنافر أقصى ما يمكن ... وإن هذا الجد الطاعن فى السن ، وذلك الحفيد الصغير ، لهما كائنان مختلفان كل الاختلاف ، وكل منهما غريب عن الآخر تمام الغرابة ... فإذا أريد أن يكون تأثير الجيل الواحد فى الجيل الذى يليه تأثيراً أكبر ، كان من الواجب أن تقل المسافة الزمنية بينهما . ولهذا فإن من الأفضل أن تصبح المرأة أماً فى دور شبابها الأول ، حتى لا يكون المدى الذى يفصل بينها وبين أولادها هو من السعة بحيث لا يمكن الحب نفسه أن يسد فراغه .

زكريا ابراهيم

أحمد محرم !

الأستاذ عبد الحفيظ نصار

في يوم الأربعاء ١٤ يونيو ١٩٤٥م بمدينة دمنهور توفى الشاعر الكبير الأستاذ أحمد محرم في بيته المتواضع ، وهو الشيء الوحيد الذي كان يملكه في ذلك البلد الذي قضى فيه جل حياته فلم يهتم أحد لموته كما لم يهتم أحد لحياته ... ومع ذلك كانت له ثروة شعرية تضعه في صف أعلام الأدب العربي الحديث

ولد الشاعر في (إبيا الحمراء) ، وهي إحدى قرى مركز الدلنجات ولم نهتد بعد إلى تأريخ دقيق لميلاده ، وإن كنا نقطع بأنه مات وهو في العقد السادس من عمره . وانتقل به والداه وهما من أصل شركسي إلى الحوشة ، وهي إحدى القرى الكبيرة بذلك المركز ، حيث كان يشتغل والده مشرفاً على إدارة إحدى المزارع الواسعة لأحد كبار الملاك ، ومن ثم استحضر له والده ، وكان رجلاديناً مستعرباً، معلمين يحفظانه القرآن والشعرويعلمانه قواعد النحو واللغة ، وهذا كل ما تلقى من تعليم عن طريق المعلمين . لم يذهب إلى مدرسة أو إلى الأزهر كما كان يذهب غيره من أبناء ذلك العصر . ولما كبر واتسع أفق تفكيره ، استطاع أن يعب من المعارف والعلوم العربية والإسلامية قدر الإطاقة ، ولقيت تلك المعارف تربة ذكية وجواً ملائماً ... فهذه هي الصحراء التي تغنى بها شعراء العرب ، وهذا لون من ألوان المعيشة شبيه إلى حد كبير بالمعيشة التي كان يعالجها سكان الجزيرة العربية

وهذه القرية الجميلة القائمة وسط المزارع التي تترامى من ورائها الصحارى كالواحة يجد فيها المعتسف والسارى القرى والغذاء والظل والماء تحت ذلك النخيل الباسق ! ومع ذلك لم تقيده بيئته ومعارفه بالماضي العربي المجيد وحده فعاش فيه ومن أجله ، بل عاش وفكر في آفاق أخرى وراء أفق بيئته ومعارفه — إذ كان يتردد على المدينة (دمنهور) فيقرأ فيها الصحف ، ويشترى منها الكتب ، ويسمع منها الأخبار التي لا تحملها إليه الصحف والكتب ، أخبار الإنجليز في مصر والإنجليز في السودان ، وأخبار ذلك الشاب المشتعل حماسة ووطنية مصطفى كامل وما تؤمل مصر من وراء حماسته ووطنيته وسعيه في فرنسا واستنبول ... فكان لتلك الأحداث التي عمت العالم الإسلامي نتيجة لضعف (الرجل المريض) وطمع الأجانب في ممتلكاته أثرها العميق في نفسه ، فإذا به يرسل الشعر العربي الصافي . وغدا أحمد محرم ما بين يوم وآخر شاعر الحركة يزاحم بمنكبيه أمراء البيان ... وللشاعر في تلك الفترة قصائد تعتبر تاريخاً لها وتسجيلا للتيارات الفكرية والسياسية في ذلك العصر . أذكر أن له قصيدة عظيمة طبعت كديوان مستقل أوحاها إليه سقوط الدولة العثمانية ومجيء الأنباء باضطهاد مصطفى كمال لرجال الدين واللغة . وقليلون هم الذين يعرفون أن له ديوانين من الشعر العربي القوى ، ولندرة الموجود من نسخهما كادا أن ينمحيا من الوجود . وفي تلك الفترة والى المؤيد والجريدة وأنيس الجليس وغيرها من الصحف والمجلات العربية بأشعاره ، وخلق له جمهوراً من القراء والمعجبين به ، وصارت له صداقات أدبية بقادة النهضة الأدبية والسياسية في العالم العربي ، إذ لم تكن وقتئذ حدود بينة بين قيادة الفكر والفن وقيادة المجتمع والسياسة ؛ كل شيء مسخر لخدمة النهضة ومبادئها ، فلم تكن وجدت بعد الأبراج العاجية التي يهرب إليها مترفو الفكر الآن ، ولم يكن قد ورد إلى مصر من الخارج ذلك المخدر المسمى الفن للفن الذي يتعاطاه العجزة عن مواجهة الحياة . كان الشعراء والأدباء والعلماء في طليعة المجاهدين ، وكأن انتقال الشاعر إلى دمنهور بعد وفاة والده طالباً للعيش الهادئ فيها ، وليس لديه رأس مال في ذلك البلد التجاري غير الشعر والتقوى ... وما أخسره من رأسمال في بلد يستطيع أصحابه في إيمان وإخلاص عجيب أن يعبدوا الله والمال في وقت واحد ...

هي مدينة جميلة ما في ذلك شك ، لها تقاليدها الإسلامية العريقة ، ومساجدها العامرة دائماً ، ولكنها مع هذا لا تقدر غير أصحاب العقليات الزراعية من ملاك المزارع الواسعة وأصحاب المواهب التجارية في تجارة القطن التقليدية وأصحاب محالج الأقطان وإن كانوا أكياساً للغباوة والمال معاً ، فتلك المداخن العالية الكثيرة للمحالج التي تزاحم مآذن المساجد بكثرتها واستطالتها ، هي السمة الظاهرة لتلك المدينة وأهلها ، وعلى الأخص في الفترة

التى أعقبت الحرب والتى عظمت فيها تجارة القطن وعظم تجارها . أليس يكون غريباً مع هذا أن ينشد شاعرنا العيش الهادئ فى ذلك البلد ، وأن يحاول أن ينافس بتجارته هذه التجارة ؟ أليس غريباً أن تجد بلبلا غرداً بين ضجيج الآلات ؟ وأن يلهم الشاعر فى الجو الخانق من غبار القطن المتطاير أروع القصائد ؟

لا أدرى كيف استطاع أحمد محرم أن يعيش فى الفترة الأولى له ولكنى أعرفه بعد تلك الفترة مثالا لحظ الأديب النكد ، لا فى دمنهور وحدها ، بل فى مصر جميعها ؛ ولكنه استطاع بمعجزة ما أن يبنى له بيتاً صغيراً ، وأن يدخل أبناءه التعليم العالى . وعرفته فى تلك الفترة صحف أخرى ومجلات كالهلال والمقتطف والسياسة والسياسة الأسبوعية والبلاغ والأهرام وغيرها ، واستطاع أن يجد له معاشاً ضئيلا من التكسب بالنشر والكتابة والقيام ببعض أعمال صحفية صغيرة لبعض الصحف الكبيرة ، وكان يحاول أن يستر ذلك الجانب من حياته إذ كان يعتبره ناحية معاشية بحتة ، ومن ذلك الكتابة الدائمة لبعض الصحف الأقليمية ، ولم يكن ينشر شيئاً من ذلك باسمه . وقدرته جماعة (أبوللو) التى كان يرأسها المرحوم شوقى وسكرتيرها الدكتور أبو شادى ، فكان لا يخلو عدد من أعداد مجلتها من قصيدة له . وكانت تطلب منه الهيئات العربية والجمعيات الإسلامية قصائد لحفلاتها ، فكان الإبداع يواتيه ولا ينزل به أبداً إلى تكلف المناسبات المعروفة ، لأنه كان يعبر عن عقيدة وإيمان . وقد طُلب منه كثيراً قصائد لمناسبات شخصية أو سياسية تخالف مبادئه أو آراءه ، فما رضى لقلمه أن يرخص ولا لشعره أن يهون ، برغم سخاء الطالبين وأمانيهم له وشدة حاجته

رحمه الله ! لقد عاش عفيف اليد واللسان ، بعيداً عن مغانم السياسة ، لا نعرف أن شعره جر عليه مغنما اللهم إلا إذا اعتبرنا تلك الجوائز التى ظفر بها شعره فى مسابقات السيدة هدى هانم شعراوى ومسابقات الإذاعة البريطانية ، ولا أعرف أثراً إيجابياً كتقدير له من إحدى الهيئات سواء أكانت حكومية أم أهلية أم من زملائه فى النهضة الذين وصلوا إلى الحكم . وهنا أذكر بالثناء والتقدير تلك النفس الحساسة النبيلة للشاعر العاطفى عزيز بك أباظة إذ أحس بالواجب عليه كشاعر وحاكم عندما كان مديراً للبحيرة نحو زميل مهضوم الحق والجانب ، فرعاه وألحقه مشرفاً على مكتبة بلدية دمنهور ، وكان ذلك من عامين تقريباً

وقد نظم أحمد محرم فى حياته الأخيرة إلياذته الإسلامية التى عارض بها إلياذة هوميروس ، وهى مجهود شعرى ضخم يقع فى عدة آلاف من أبيات الشعر العربى الرائع يعرض فيه للتاريخ الإسلامى غزواته وحروبه . فهو ملحمة إسلامية لا نظير لها فى الأدب العربى ، وقد بعث بها لوزارة المعارف لتطبعها على نفقتها ، ولكنها — عافاها الله وعفى عن وزرائها الأدباء — الذين تعاقبوا عليها والإلياذة مهملة فى أركانها لم يبت فى أمرها حتى الآن ، برغم مضى الأعوام ، ومضى صاحبها ، وقد نظم مجموعات إسلامية أخرى غير مقطوعات الإلياذة كانت تطلبها منه — كما ذكرت — بعض الهيئات والجمعيات فى شتى المناسبات ، فأذكر أنه نظم فى موضوع واحد ، وهو غزوة بدر الكبرى ، ثلاث قصائد طوال واحدة أثبتها فى الجزء الأول من الإلياذة الإسلامية ، والثانية نظمها إجابة لطلب جمعية إحياء مجد الإسلام ، والثالثة نظمها إجابة لطلب المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين ، ولكل قصيدة أفقها وجوها الخاص برغم وحدة الموضوع . تقرأ القصائد الثلاث فلا تحس بتكرار لمعنى أو لفظ ، ويصعب كثيراً أن تفضل واحدة على الأخرى ، وسنرجئ التعرض لشعره بالتحليل أو الدرس إلى أجل قريب نرجو فيه أن تتوافر لدينا المواد لعرض دراسة شاملة عنه إن شاء الله

بقى أن نشير إلى ناحية يجهلها الكثيرون من عارفيه ، ذلك هو أحمد محرم الشاعر العاطفى الرقيق ، فقد اشتهر كشاعر عربى إسلامى ، فمن يعرف أن له قصائد تسيل غزلا وعذوبة وتسرى فيها حرارة الحب قوية أخاذة لم ينشر منها إلا القليل ، أذكر منها تلك القصيدة التى ألهمه إياها الربيع والتى مطلعها :

هتف الداعى فلبوا يا رفاق　　　واجمعوا شمل الهوى بعد الفراق

ويقول فيها :

كان للهجر زمان فانطوى　　　وخلت من شره دنيا الهوى
كم جريح فيه بالشوق اكتوى　　　كم طريح فيه بالدمع ارتوى
كم مشوق بات مشدود الوثاق

يا شفاء الزهر ما أبهى الشفاء　　　اضحكى بالله يا دنيا الحياه

وانظمى شعر الهوى إنى أراه سلوة الصب المعنى فى هواه
واسكبيه سلسلا عذب المذاق

لك من شعرى ربيع دائم كل بيت فيه عيـــد باسم
كل معنى فيـــه حب هائم كل حب فيـه معنى حالم
كل حلم يملأ السبع الطباق

ويقول :

تلك خمرى يا رفيقى خذ وهات ودع الهم لأهل الترهات
نحن فى المعبد نقضى الصلوات هات كأسى يا صريع النشوات
يا لها يا صاح من كأس دهاق

نحن فى عالمنا السامى الجليل ديننا الإيمان والحب النبيل
لا نبالى فى كثير أو قليل كل من لام خليلا فى خليل
ما لـكم والحب يا أهل النفاق

ويختمها بقوله :

يا نشيد الحب من ذا صنعك غنِّ يا قيس وقل ما أبدعك
كل طير يشتهى أن يسمعك هـذه ليلاك يا قيس معك
كاذب من قال (ليلى) بالعراق

وله قصائد تفوق هذه جودة ورقة لم تنشر بعد سنعرض لها ، والطريف أنه نظم أغلبها فى أخريات حياته ، فهل مس أخيراً الحب قلبه الكبير ؟

وبعد ، فيروع الدارس للشاعر أحمد محرم تعدد جوانب شاعريته واتساع آفاق تفكيره ، ونرجو بدراسته أن نضع ذلك الشاعر فى مكانه الصحيح ، وأن يلتفت له بالعناية نقاد الأدب الحديث ووزارة المعارف ، إذ قد ترك فى مكتبته مجموعات كبيرة من الشعر تفوق فى روعتها ما نشر له ، قصرت يد الشاعر عن نشره وإن كان ما نشر له كفيل بأن يضعه فى عداد الخالدين .

رحمه الله ! لقد عرفته فى حياته شاعراً عظيما مغموراً بائساً فى دنيا المهرجين ، وشاهدت جنازته ، فآلمنى مظهرها أكثر من مظهر حياته ، فقد صحبته جفوة الحياة ووحدتها ، حتى إلى قبره ! فما أندر المقدرين والمخلصين ؟ ...

(دمنهور) **عبد الحفيظ نصار**

رسالة الفن

٩ – الفن

للكاتب الفرنسي بول جيزيل

بقلم الدكتور محمد بهجت

الفصل السادس – جمال النساء

كان ذلك المنزل القديم الجميل المعروف باسم «أوتيل دي بيرون» الواقع فى شارع هادئ على الضفة اليسرى لنهر السين بباريس — كان إلى عهد قريب مقراً لدير « القلب المقدس » ولكن بعد أن ألغيت الرهبنة النسوية شغله بضعة مستأجرين من بينهم رودان .

وللفنان كما رأينا مراسم أخرى فى ميدون ، وفى مستودع الرخام بباريس ؛ غير أن له ولعاً خاصاً بهذا المنزل الذى بنى بالبلدة فى القرن الثامن عشر لأسرة ذات سطوة وجاه . وهو مسكن جميل تشتهيه نفس كل فنان ، فغرفه الكبيرة عالية ، بحوائطها حشوات بيض يطيف بها حُلى بارزة مموهة بالزخرف واللون الأبيض . أما الغرفة التى اختارها رودان ليعمل فيها فمستديرة تطل نوافذها الفرنسية العالية على حديقة غناء أهملت وطال عليها الإهمال . ومع ذلك فلا زال من المستطاع متابعة صفوف الأشجار التى تقوم على حوافى الطرقات والممرات المعشوشبة ورؤية بعض النباتات الخضراء القائمة على العرائش وقد ركبتها أنجم متسلقة عجيبة . وفى كل ربيع تتفتح الأزهار الناضرة من بين الحشائش الكثة التى تملأ حاشية الحديقة . ولا يتسنى لشىء أن يبعث فى النفس كآبة حلوة أكثر من هذا المنظر الذى يتلاشى فيه عمل الإنسان ويمحى رويداً رويداً بيد الطبيعة القاهرة .

يقضى رودان أكثر وقتـه فى الرسم بذلك المنزل . ويحب أن يخلو إلى نفسه فى هذا المنعزل الهادىء ، ويستودع الورق أشكالا لا عداد لها من الأوضاع الجميلة التى تتخذها المثل البشرية أمام عينيه .

وفى مساء أحد الأيام كنت أنظر معـه فى طائفة من تلك الرسوم ، وكنت أبدى إعجابى بتلك الخطوط المؤتلفة المتزنة التى استطاع بها أن يبرز كل انسجام الجسم الإنسانى على الورق . أما الخطوط التى عملت بجرة واحدة قوية من جرات القلم فتبدى حدة الحركات أو فتورها وسكونها . وأما جمال التمثيل فيظهر بقليل من الظل يحدثه بإبهامه . وكان يبدو عليه وهو يدرس الرسوم كأنه يرجع بذاكرته مرة أخرى إلى المثل الحية التى أخذ عنها تلك الرسوم وعند ذلك صاح :

« آه ! يا لجمال أكتاف هذه المرأة ! يا لها من متعة عظيمة ! وما أجمله من منحن كامل الحسن ! إن رسمى أثقل مما يجب . لقد حاولت كثيراً ولكن ! ! انظر . ها هى ذى محاولة أخرى لنفس المرأة . إنها أقرب شبهاً بها . ومع ذلك !

« ثم انظر إلى نحر هـذه ، وإلى ملاحة هذا الخط الممتلىء المحبوب . إن له رشاقة لا تشوبها شائبة .

وهنا سألته :

« يا أستاذ . أمن السهل العثور على مُثل جميلة ؟ » فقال : « نعم . » فقلت : « إذاً فالجمال ليس نادراً فى فرنسا . » فقال : « كلا . إنى أقرر لك ذلك . » فقلت : « ولكن خبرنى . ألا تظن أن الجمال القديم يفوق جمالنا الحديث ، وأن النساء العصريات يقصرن عن أن يدانين أمثال أولئك اللاتى أخذ عنهن فيدياس » فأجاب : « كلا ، ألبتة . » فقلت : « ومع هذا فجمال وكمال تماثيل زهرات الإغريق ... » فقال : « كان لفنانى ذلك العصر أعين يرون بها . أما فنانونا المعاصرون فعمى لا يبصرون . وهذا كل ما هنالك من فارق . كانت نساء الاغريق جميلات ، ولكن ترعرع جمالهن قبل كل شىء فى أذهان المثالين الذين نحتوهن . توجد اليوم نساء مثلهن تماما وعلى الأخص بجنوب أوروبا . فمثلا ينتمى الايطاليون المحدثون إلى نفس النوع الذى انتمت إليه مُثُل فيدياس . وأخص ما يميز هذا النوع هو اتساع الأكتاف والأرداف اتساعا متساويا » فقلت : « ولكن ألم تؤثر غزوة البرابرة فى مستوى الجمال القديم بما نجم عنها من اختلاط فى الجنس ؟ » فقال : « كلا . حتى إذا افترضنا أن البرابرة كانوا أقل جمالا وتناسباً من جنس البحر المتوسط — وهذا محتمل — أقول حتى إذا افترضنا هذا فإن

الزمن قد محا محواً تاما كل عيب نشأ عن امتزاج الدم ، وأعاد الانسجام إلى أجسام النوع القديم مرة أخرى . وإذا ما امتزج الجميل بالقبيح فأغلب الظن أن الغلبة تكون للجميل فى النهاية . إن الطبيعة لتتجه دائماً أبداً — بقانون سماوى — وجهة الأحسن والأصلح ، وتنحو ناحية الكمال بلا توقف . ويوجد بجانب نوع البحر المتوسط نوع الشمال الذى تنتمى إليه بعض نساء فرنسا ونساء العنصر الجرمانى والسلافى والذى نشاهد فيه الأرداف وافية التكوين والأكتاف ضيقة نوعا . إنه من نوع ما نشاهد فى حوريات چان جوچون (Jean Goujon) ، وفى زهرة واتو التى بلوحته المسماة « حكم باريس » ، وفى « ديانا » لهودون (Houdon) . ونرى فى هذا النوع أيضاً أن الصدر مرتفع بينهما نراه على نقيض ذلك مستويا فى النوع القديم ونوع البحر التوسط . والحق أقول إن لكل نوع أو جنس من الأجناس جماله الخاص . والمسألة هى اكتشاف هذا الجمال . لقد رسمت بسرور شديد راقصات كمبوديا[1] اللاتى حضرن مع مليكهن أخيراً إلى باريس ؛ إذ أن للاشارات والحركات الصغيرة الرشيقة التى تصدر عن أعضائهن الجميلة جمالا عجيباً مدهشاً .

ولقد عملت عدة دراسات عن الراقصة اليابانية هاناكو (Hanako) ذات العضلات القوية التى تبرز بروزاً واضحاً كما هو الحال فى نوع الكلاب المسمى (فوكس تيريور) . أما أربطة تلك العضلات فنامية لحد أن لمعاقدها ثخانة توازى ثخانة الأعضاء نفسها . إنها لمن القوة بحيث تستطيع الوقوف على ساق واحدة لأى وقت تشاء ، بينما تصنع بالأخرى زاوية قائمة مع جسمها فتبدو كأنها شجرة غرست فى الأرض غرساً . ويختلف التشريح فى جسم تلك الراقصة عما هو فى أختها الغربية ، ولكنه مع ذلك جميل كل الجمال فى قوته الخاصة . »

وبعد هنيهة من الصمت عاد إلى الفكرة المحببة إليه قائلا :

« وقصارى القول يوجد الجمال فى كل مكان . وليس هو الذى تفتقر إليه أعيننا ، بل إن أعيننا هى التى تقصر عن إدراكه ورؤيته . فالجمال سجية وتعبير . هذا ولا يوجد شىء فى الطبيعة له من السجية والتعبير أكثر مما للجسم الإنسانى ؛ فهو يبعث شتى الأخيلة المختلفة بقوته وجماله . فآناً نراه يشبه الزهرة بقوامه المائل الذى يكون بمثابة الساق منها ، وبالثديين والرأس وجزالة الشعر ، وكلها بمثابة كأس الزهرة ونضارته . ونراه آناً آخر كالنبت المتسلق اللدن أو كالساق الفارعة المعتدلة يقول أوليس (Ulysses) لنوسيكا (Nausicaa) « كأنى حينما أنظر إليك أرى نخلة باسقة بجزيرة ديلوس قريباً من مذبح أبوللو وقد نما فرعها الأوحد من الأرض إلى السماء » . ثم إذا انحنى الجسم الإنسانى قليلا إلى الوراء كان كالبلوب ، أو كقوس جميلة يسدد عليها إيروس سهامه الخفية ، وفى أحوال أخرى يبدو كالقارورة ؛ ولطالما أمرت مثالا أن تجلس على الأرض بحيث تجعل ظهرها قبالتى ، وذراعيها وساقيها متجمعة أمامها . ففى ذلك الوضع يبدو الظهر الذى يستدق قليلا نحو الوسط ثم يستعرض مرة أخرى عند الأرداف كأنه زهرية بديعة الشكل والتكوين .

وفوق كل هذا وذاك فالجسم الإنسانى مرآة النفس ، ومن النفس يستمد أعظم جماله . «يالحم المرأة ، ياأعجوبة العجائب ، ياأعلى مراتب الطين وأسماها ! يا أجل مستقر للروح من الحمأ المسنون ! يا أيها الظرف المادى الذى تضىء فيه الروح كما لو كانت تضىء فى أكفانها . أيها الصلصال الذى يرى المرء فيه انطباع أصابع الخالق المصور ! أيها الطين الجليل الذى يستمطر القبلات ويستبى قلوب الرجال ! بلغت من القدسية بحيث لا يُدرى إذا كانت الشهوات فيضاً آلهيا ، طالما كان الحب مسيطراً قاهرا والنفس منجذبة منقادة ، بلغت من القدسية بحيث لا يسع المرء عندما تتأجج عواطفه وهو يحتضن الجمال إلا أن يتوهم أنه يعانق الإلـه[1] »

«أى والله لقد أصاب فكتور هوجو كبد الحقيقة . إن أكثر ما نعشقه من الجسم الإنسانى لا يقتصر على الظرف الخارجى الجميل ، وإنما هو القبس الداخلى الذى يخيل إلينا أنه يشتعل فى جوفه ويضيئه .

دكتور محمد بهجت

قسم البساتين

(١) جزء من بلاد الهند الصينية الفرنسية

(١) من أبيات لفكتور هوجو

يا سامر الحي !

للأستاذ (بدوي الجبل)

ياسامر الحي هل تعنيك شكوانا　　رقّ الحديد وما رقوا لبلوانا

خلّ العتابَ دموعاً لاغناء بها　　وعاتبِ القوم أشلاء ونيرانا

آمنت بالحقد يذكي من عزائمنا　　وأبعد الله إشفاقاً وتحنانا

ويل الشعوب التي لم تسق من دمها　　ثاراتها الحمر أحقاداً وأضغانا

ترنح السوط في يمنى معذبها　　ريّان من دمها المسفوح سكرانا

تغضى على الذل غفراناً لظالمها　　تأنق الذل حتى صار غفرانا

ثارات يعرب ظمأى في مراقدها　　تجاوزتها سقاة الحي نسيانا

ألا دم يتنزى من سلافتها　　أستغفر الثأر بل جفت حميّانا

لا « خالد » الفتح يغزو الروم منتصراً　　ولا « المثنى » على رايات شيبانا

أما الشآم فلم تبق الخطوب به　　روحاً أحبّ من النعمى وريحانا

ألمّ والليل قد أرخى ذوائبه　　طيف من الشام حيانا فأحيانا

حنا علينا ظماء في مناهلنا　　فأترع الكأس بالذكرى وعاطانا

تنضر الوردَ والريحان أدمعُنا　　وتسكب العطر والصهباء نجوانا

السامر الحلو قد مر الزمان به　　فزق الشمل سماراً وندمانا

قد هان من عهدها ما كنت أحسبه　　هوى الأحبة في بغداد لاهانا

فمن رأى بنت مروان حنت تعباً　　من السلاسل يرحم بنت مروانا

أحنو على جرحها الدامي وأمسحه　　عطراً تطيب به الدنيا وإيمانا

أزكى من الطيب ريحاناً وغالية　　ما سال من دم قتلانا وجرحانا

هل في الشآم رعاك الله والدة　　لاتشتكي الثكل إعوالاً وإرنانا

تلك القبور فلو أني ألم بها　　لم تعد عيناي أحباباً وإخوانا

يعطي الشهيد فلا والله ماشهدت　　عيني كإحسانه في القوم إحسانا

وغاية الجود أن يسقي الثرى دمه　　عند الكفاح ويلقى الله ظمآنا

والحق والسيف من طبع ومن نسب　　كلاهما يتلقى الخطب عريانا

قل للألى استعبدوا الدنيا بسيفهم　　من قسم الناس أحراراً وعبدانا

إني لأشمت بالجبار يصرعه　　باغ ويرهقه ظلماً وطغيانا

لعله تبعث الأحزان رحمته　　فيصبح الوحش في برديه إنسانا

والحزن في النفس نبع لايمر به　　صادٍ من النفس إلا عاد ريانا

والخير في الكون لو عريت جوهره　　رأيته أدمعاً حرى وأحزانا

سمعت باريس تشكو زهو فاتحها　　هلا تذكرت ياباريس شكوانا

والخيل في المسجد المحزون جائلة　　على المصلين أشياخاً وفتيانا

والآمنين أفاقوا والربوع لظى　　تهوى بها النار بنياناً فبنيانا

رمى بها الظالم الطاغي مجلجلة　　كالعارض الجون تهداراً وتهتانا

أفدى المخدرة الحسناء روّعها　　من الكرى قدر يشتد عجلانا

تدور بالقصر عدواً وهي باكية　　وتسحب الطيب أذيالاً وأردانا

تجيل والنوم ظلٌّ في محاجرها　　طرفاً تهدهده الأحلام وسنانا

فلا ترى غير أنقاض مبعثرة　　حوين فناً وتاريخاً وأزمانا

... تلك الفضائح قد سميتها ظفراً　　هلا تكافأ يوم الروع سيفانا

يجابه الظلم سكران الظبي أشراً　　ولا سلاح لنا إلا سجايانا

إذا انفجرتِ من العدوان باكية　　فطالما سمتنا بغياً وعدوانا

عشرين عاماً شربنا الكأس مترعة　　من الأذى ! فتملى صِرفها الآنا

ما للطواغيت في باريس قد مسخوا　　على الأرائك خدماً وأعوانا

الله أكبر هذا الكون أجمعه　　لله لا لك تدبيراً وسلطانا

ضغينة تتنزى في جوانحنا　　ما كان أغناكم عنها وأغنانا

تفدى الشموس بضاح من مشارقها　　هلال شعبان إذ حيا بشعبانا

دوت به الصرخة الزهراء فانتفضت　　رمال مكة أنجاداً وكثبانا

وسال أبطحها بالخيل آبية　　على الشكيم تريد الأفق ميدانا

وبالكتائب من فهر مقنعة　　تضاحك الشمس هندياً ومرانا

تململ الفاتحون الصيد وازدلفوا　　إلى السيوف زرافات ووحدانا

السابقات وما أرخوا أعنتها　　والحاملات المنايا الحمر فرسانا

سفر من المجد راح الدهر يكتبه　　ولا يضيق به جهداً وإمعانا

قرأت فيه الملوك الصيد حاشية　　والهاشميين طغراء وعنوانا

شد الحسين على الطغيان مقتحماً   فزلزل الله للطغيان أركانا

نور النبوة فى ميمون غرته   تكاد تلثمه الأجفان فرقانا

لاث العمامة للجلى ولست أرى   إلا العمائم فى الإسلام تيجانا

يا صاحب النصر فى الهيجاء كيف غدا

نصر المعارك عنـد السلم خذلانا

... ...

أكرمت مجدك عن عتب هممت به

لو شئت أوسعته جهراً وتبيانا

ما للسفينة لم ترفع مراسيها   ألم تهيئ لها الأقدار ربانا

شقى العواصف والظلماء جارية   باسم الجزيرة مجرانا ومرسانا

ضمى الأعاريب من بدو ومن حضر

إنى لألمح خلف الغيم طوفانا

يا من يدل علينا فى كتائبه   نظارِ، تطلع على الدنيا سرايانا

يا عـــربى ...

للأستاذ محمد سليم الرشدان

صعدت السماء بلا سـلم   وسرت اختيالاً على الأنجم

بعزم يدك رواسى الجبال   وإقـدام ذى لُبَدٍ ضيغم

فـكيف تبيتُ أسيرَ الهوانِ   وأنت الذى ـ قط ـ لم يُرغم !

وأنت الذى دوّخ المشرقين   وصارمُ عزمك لم يثلم !

ملكت البلاد وسدت العبادَ   وكنتَ اللاذَ لمن يحتمى

وكنت منار الهدى للأنام   يؤمك فى ليـلهِ المظلم ...

فقم واطَّرِحْ عنك هذا الرقاد   فقد خسرت قسمةُ النُّوَّم

وما فاز فى العيش إلا الجسورُ   وما خاب فى السعى كالمحجم

ومن يركب الهول للمكرماتِ   يَعُدْ والمعـالى له تنتمى

فعش فى حماك عزيزاً مهيبا   وكن رجلاً باسِلاً تُكرمِ

فرحة الســـلم

للأديب مصطفى على عبد الرحمن

عادَنا السلم فعُودى لأغاريدِك عُـودى

وابعثى الأنغامَ فى سمعِ الليالى من جديد

من نشيدٍ عَبقرىٍ خالدٍ إثر نشيدِ

يُوقظ الفرحةَ والآمالَ فى هذا الوجودِ

أشرقَ الصبحُ وولت ظلمة الليلِ الرهيبِ

وأفاق الكونُ مما طاف من هول الحروبِ

وانطوتْ صفحةُ إثمٍ عابسِ الوجهِ مُريبِ

وليـالٍ هزتْ الدنيا بنارٍ وحديدِ

هو ليـلٌ طال ما أقساهُ بتناهُ حيارى

طال حتى لم نعُدْ نحسبُ لليـل نهارا

كم تَداعى فيـه للآمال صرحٌ وتوارى

روّع الدنيا بما يُزجيه من خطب شديدِ

هو ليـل طال ما أقساهُ فى عمر الزمانِ

مُغرقٌ فى الظلم لا يَعرفُ معنًى لحنانِ

قـد قضيناهُ على مُرٍ نُعانى ما نُعانى

من وعيدٍ منكرٍ يَصدُقُ من بعدِ وعيدِ

ذكرياتٌ يا لها فى خاطرى من ذكرياتِ

كلـما طافتْ بعينىَّ استباحتْ عَبراتى

وأشاعتْ فى رحابِ النفس شتَّى الحسراتِ

آهِ مما لقى الأحرارُ من ذُلِ القيودِ

ظالم لا يَعـرِف الرحـمةَ قد ضلَّ وتاها

أشعلَ الحربَ فباتَ الكونُ يشقى بلظاها

كم أسالتْ من دماء أينما دارتْ رحاها

فى سبيلِ الحقِّ ما أُزهِقَ من روحٍ شهيدِ

هللى للصبح يا أطيـارُ فالصبحُ أتانا

رائعاً يملأُ دنيانا أماناً وحنانا

رَفرَفَ السلم مُنى تُشرق فى ليـلِ أسانا

وتَشيعُ الأنسَ والفرحةَ فينا من جديدِ

أيهـا الشاعرُ هذا عيدُنا الأسنى فغنِّ

هو عيد السلم والنصرِ معاً عيـدُ التمنى

جاء للدنيا بشيراً جامعاً من كل حُسْنِ

نادياً باليمنِ والإسعادِ والعيشِ الرغيـد



حول انهيار فرنسا

سألنا كثيرون عمن هو الأستاذ العربي الكبير كاتب مقالات (حول انهيار فرنسا) التي نشرت بالرسالة . وجوابنا أنه الأستاذ ساطع الحصري بك وكان قد ألقاها في نادي المثنى ببغداد عقب انهيار فرنسا ؛ فلما حانت الفرصة لنشرها نشرناها ولم نصرح باسمه قبل أن نستأذنه وقد أذن . وفي كتابه الذي أذن فيه بذكر اسمه حديث عن مأساة دمشق الأخيرة ننشر منه هذه الفقرة :

« لقد قدر لي أن أشهد الفصل الأخير من المأساة التي بدأت هنا قبل ربع قرن . وكنت قد شاهدت انفجار أول قنبلة فرنسية في هذه الربوع وأنا أسير مع فيصل العظيم بجانب مستشفى (المزة) صباح يوم (ميسلون) في ٢٤ تموز سنة ١٩٢٠ ؛ ثم سمعت دوي آخر قنبلة فرنسية تلقى من المزة على المدينة مساء يوم ٣١ أيار سنة ١٩٤٥

لبثت في فندق (أوريان بالاس) إحدى وعشرين ساعة أسمع فيها بدون انقطاع أصوات البنادق والرشاشات ، ودوي القذائف والقنابل ، وأرى الرصاص والشظايا تخترق الشبابيك والجدران ، والقنابل تنفجر على السطح وفي داخل القاعات . ثم استطعت أن أنتقل إلى بناية في أعلى المدينة لأطلع من هناك على القذف الذي استمر أربعاً وعشرين ساعة أخرى . ثم تجولت ساعة في المدينة ورأيت من هول الفظائع والمناظر ما رأيت ، ثم عدت إلى الفندق فرأيت في غرفتي آثار سبع عشرة رصاصة ... ! »

في إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب

حضرة سيدي المحترم رئيس تحرير الرسالة الغراء

أهدي إليكم سلاماً ذكياً عاطراً وتحيات مباركة طيبة ...
وبعد ، فإني متتبع بعناية وإكبار تصحيح الأديب الفاضل الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي لكتاب إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، وقد رأيت في العدد الأخير من الرسالة الغراء تصحيحه لبيت أبي تراب علي بن نصر الكاتب الوارد في ج ١٥ ص ٩٨ وهو :

حالي بحمد الله حال جيده ... لكنه من كل خير عاطل

ولم يرتض الضبط (جَيِّـده) ورأى حضرته أن الأصل (حالُ جيد) بحذف الهاء ، وقال : (قلت : حالي بحمد الله حال جيد) ، والحال يذكر وإن كان التأنيث أكثر اهـ

وأنا أرى أن البيت (حالي بحمد الله حالٍ جِيدُه) على المجاز، وحال اسم فاعل من حلي ضد عطل ، والجيد العنق ، ودليل ذلك مقابلة الحلي في صدر البيت بضده في عجزه وهو قوله (عاطل) ، فإن وافقكم رأيي هذا رجوت نشره في الرسالة الغراء مع شكري لحضرتكم وحضرة الناقد الأديب الأستاذ النشاشيبي ، وتقبلوا فائق التحية والسلام

أحمد يوسف نجاتي
الأستاذ بكلية اللغة العربية

إلى الأستاذ عبده الزيات من الدكتور عبد الفتاح السيد بك

تحية وسلاما ، وبعد فقد تناولت بيد الشكر والامتنان يومياتك القيمة وأخذت في الاطلاع عليها واستيعاب ما فيها من ملاحظات ودروس في حياة المحامي العملية . ولم أشأ أن أؤخر القيام بواجب شكرك على إهدائي هذه الرسالة النفيسة حتى أتم الاطلاع على صحفها جميعاً ، بل رأيت من فرط ارتياحي لما قرأته منها أن أسطر لك كتابي هذا مقدمة لقيامي بواجب زيارتك لكي أكرر الثناء العاطر

إن ملاحظاتك تدل حقاً على خلق نبيل وإحساس رقيق وشعور سام .

وإن كان لي ملاحظة أبديها فهي حرماني من الاطلاع على هذه اليوميات قبل الآن وقت أن كنت مبتدئاً في المحاماة التي أريد أن تعتقد بقول زميل نابه لك من قبل إنها مهنة الكرامة والكفاح والمجد ، لا مهنة العبودية والمذلة وغير ذلك مما ذكرت في يومية ٢٥ مايو سنة ١٩٤٠ لأنك بذلك أيها الزميل تحاول أن تثبط عن غير قصد همة شيخ مثلي أراد في آخر أيامه أن يكون له شرف الانتساب إليها لا للكسب — صدقني — ولكن لما يشعر به في قرارة نفسه من أنها سبيل الدفاع عن الحق ومعاونة القضاء ، فعلا على الاضطلاع بمهمة

العدالة؛ ولا يضير المحامى أن يصادف فى عمله تعباً ونصبا، فإن الحياة كلها كفاح . وحسبنا فيها أن نؤدى واجبنا بضمير مرتاح ونفس مطمئنة أكرر لك شكرى أيها الزميل وأرجو المزيد من هذه اليوميات وتقبل ممن يفخر بك تلميذاً وزميلا أزكى السلام .

عبد الفتاح السيد

تقدير المجمع اللغوى لكتابين قيمين :

[ألف الدكتور على عبد الواحد وافى الأستاذ بكلية الآداب كتابين نفيسين فى علم اللغة وفقهها لم يصنف فى بابهما خير منهما فى سداد المنهج وغزارة المادة وطرافة البحث لا فى القديم ولا فى الحديث . وقد بعث بنسختين من طبعتهما الثانية إلى مجمع فؤاد الأول للغة العربية فجاءه من معالى رئيس المجمع الخطاب التالى] :

« حضرة الأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى :

« عرض على لجنة الأدب فى المجمع كتابكم « علم اللغة » ، وصنوه « فقه اللغة » . وقد حمدت لكم اللجنة ما بذلتم من جهد فى البحث والدرس والاستخلاص ؛ فقد حوى هذان الكتابان من مختلف مسائل اللغة وعالجا من مشكلاتها ما تمس إليه حاجة الباحث المتطلع . وقد انتهجتم فى التأليف طريقة علمية حقيقة بالتقدير ، وبسطتم من المعلومات ما يدل على غزارة مادة وحسن إحاطة . وكان لما أيدتم أو فندتم من وجهات النظر المتباينة مظهر من استقلال الرأى

وإننا إذ نشكر لكم هذا المجهود فى التأليف ، نرجو لكم المزيد من التوفيق ، وتقبلوا أطيب تحياتى »

رئيس المجمع

أحمد لطفى السيد

أهل السنة وأصحاب الحديث

كتب الأستاذ محمد يوسف موسى فى العدد ٦٢٢ من الرسالة كلمة طيبة عن كتابى « التعليم فى رأى القابسى » الذى صدر أخيراً مع رسالة القابسى المخطوطة « أحكام المعلمين والمتعلمين » . وهى كلمة تدل على أن الأستاذ يوسف موسى قد عنى بقراءة الرسالة عناية عظيمة ، مع تحقيق العلماء وبصر أصحاب الفكر ، مما هو جدير بعلم صاحب الكلمة وفضله .

وقد أشار الأستاذ الفاضل إلى مسألتين : أولاهما ورود « أهل السنة » للدلالة على « أصحاب الحديث » فى مواضع نص على صفحاتها من الكتاب .

ولا نزاع فى أن هناك فرقاً بين أهل السنة وأصحاب الحديث ، فأهل السنة يقابلون الفرق الإسلامية الأخرى ، وعلى الأخص الشيعة والمعتزلة ، ولا يلزم أن يكون أهل السنة من الأشاعرة والماتريدية كما ذكر الأستاذ يوسف موسى ، لأنه قبل الإمام أبى الحسن على ابن اسماعيل الأشعرى المتوفى ٣٢٤ ﻫ ، كان مذهب أهل السنة موجوداً فى مقابل الفرق الإسلامية التى تخالفه . كما أن فرقة الأشاعرة بعد موت الأشعرى تعمقت فى علم الكلام للرد على المعتزلة وعلى غير المعتزلة ، فى الوقت الذى بقى فيه كثير من المسلمين متمسكين بالسنة من غير أن يكونوا معتزلة أو أشاعرة . أما أصحاب الحديث ، فيذكرون عادة فى مقابل أصحاب الرأى من الفقهاء ، كما هو معروف .

ومع ذلك فالتفرقة الدقيقة بين أهل السنة وأصحاب الحديث لا يستمسك بها كثير من العلماء . فمنهم من يجعل أصحاب الحديث اصطلاحا مرادفا لأهل السنة ، فيتكلم على أصحاب الحديث فى مسائل كلامية لا فقهية . ونقصد هنا بالمسائل الكلامية ، الاعتقادات لا العبادات . قال الإمام المحدث المفسر شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل الصابونى المتوفى ٤٤٩ ﻫ فى رسالته عقيدة السلف وأصحاب الحديث[1] « أصحاب الحديث حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم يشهدون لله تعالى بالوحدانية ، وللرسول (ص) بالرسالة والنبوة ، ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التى نطق بها وحيه وتنزيله ، أو شهد له بها رسوله (ص) على ما وردت الأخبار الصحاح به ، ونقلته العدول الثقات عنه ... »

وقد كان القابسى من أهل السنة ، كما كان من أصحاب الحديث . فإذا كنت قد وصفته فى بعض الأحيان بإحدى الصفتين فلم أكن مجانباً فى ذلك الصواب . وبخاصة إذا لم يكن المقام يقتضى المقابلة بين الفرق المختلفة . أما إذا كان المقام مقام تفرقة صريحة بينه وبين المتكلمين من المعتزلة ، فقد عنيت بالنص على أنه من أهل السنة .

---

(١) من مجموعة الرسائل المنيرية — الجزء الأول — ١٣٤٣ﻫ الرسالة السادسة ص ١٠٥ وما بعدها

أما المسألة الثانية وهى الحكم على المعتزلة بما ذكره الغزالى ، وقد كان يحسن أن ألتمس الحكم عليهم من كتبهم أنفسهم ، فإن ما ذكرته هو ما كنت أعنيه ؛ لأنى أردت بيان رأى خصوم المعتزلة فى آرائهم ، ولم يكن يهمنى تحقيقها من كتبهم .

دكتور احمد فؤاد الأهوانى

إلى شيوخنا الأدباء

أقف الآن حائراً فى شئون الفكر ، ويمتد خيالى إلى الوراء فأطالع تراث الآداب المختلفة وملاحم الشعراء العظيمة ، وأخرج بعد ذلك إلى الحياة العامة ، وأشاهد مباذلها وقيمها المختلفة من خير وشر ، ثم أعود بعد ذلك فأحبس نفسى فى برج عاجى أوسجن فسيح ، أجتر غابر ذكرياتى ، وأطالع أدب شيوخنا الأدباء من صناديد المفكرين والكتاب الذين أتيح لهم بما لديهم من عبقريات فذة أن يعرفوا فى هذه البلاد والأقطار العربية الشقيقة . ولكننا نراهم عاكفين على إنتاجهم ولا يفكرون فى شئون الجيل الجديد والعمل لصالح مستقبل الأدب فى مصر

ولعل الذى أثار هذا المعنى الجليل فى نفسى هو نداء الأستاذ الكبير الزيات إلى وجوب إنشاء دار للترجمة تترجم لنا كل ما فى أدب الغرب من روائع وأعلام . ولا شك أنه نداء صادق أمين ، فللأستاذ الكبير الثناء والشكر من وفود جيل يرقب أعمال الأدباء بجانب تراثهم الخالد فى الأدب . وعلى هذا الضوء نتوجه إلى الأستاذ العقاد ، والدكتور طه حسين ، والأستاذ الزيات فى شىء من اللوم والتقصير : من فى أدباء الشباب سيخلف العقاد العظيم ؟ وهل فى العربية كاتب تقرب منزلته فى أسلوبه مثل الزيات ؟ الجواب : لا ... ولكن هل فكر الزيات فى أن يخلفه أديب أو جماعة من الأدباء يمثلون مدرسة خالدة فى الأسلوب الرصين ؟ وهل امتدت خدمة الدكتور طه حسين حينما كان مستشاراً فنياً لوزارة المعارف إلى عمل نافع لثقافة جيل جيد ؟ ! كم كنا نود من الدكتور طه أن يشير إلى مثل ما اشار إليه الأستاذ الزيات من إنشاء دار للترجمة ... ؟ ! وهل اتفق أقطاب الأدب الحديث وهم العقاد وطه حسين والزيات على ذلك العمل الجليل فأسرع العقاد فى مجلس الشيوخ يطالب بذلك . وأشياء وأشياء نودها من أشياخنا الأدباء لضرورة نهضة الجيل الجديد كإنشاء دار تعرف باسم الأدب الحديث للمحاضرات والمناظرة .

وإنى لأخشى ألا يكون فى امتداد أدباء الشباب من ينصف شيوخنا الأدباء فى المستقبل إلا إذا تأثروا بأدبهم ونشاطهم ولن يكون ذلك إلا إذا قامت مدارس أدبية تمثل ألوان الأدب الحديث وأعلامه الأفذاذ .

وبعد فهذه ناحية لم يلح فى تناولها أدباؤنا الشباب الذين أتيحت لهم الكتابة فى الجرائد والمجلات ، فهل تفسح لنا الرسالة الغراء فى نشر هذه الكلمة ؟ نرجو ذلك وللأستاذ الزيات الشكر والثناء على عمله المتواصل فى خدمة الشباب والأدب والثقافة .

أحمد محمود دعبس
طالب بالمدرسة السعيدية

الجمال الفنى فى القرآن

وقعت أخطاء مطبعية فى المقال المنشور بالعدد الماضى يمكن أن يدركها القارىء فنكتفى بتصحيح اثنين منها للضرورة :

وقع اضطراب فى هذه الفقرة فنعيدها مصححة بزيادة الكلمات الساقطة منها :

« وتكملة لهذا البيان أقرر أن هذه الطريقة تكثر فى مواضع التشريع وفى بعض مواضع الجدل . أما طريقة التصوير فإنها تكاد تطرد فى سائر الأغراض » .

ووقع خطأ فى هذه الآية :

« يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض » .



الدمـــيم ...

للأستاذ حبيب الزحلاوى

(بقية ما نشر فى العددين السابقين)

— ٣ —

لزمت غرفتى طول النهار التالى ولم أذهب إلى ملحق الفندق إلا بعد ثلاث ليال .

لقينى خصوم الليلة الأولى بل أصدقاؤها بترحاب ملحوظ ، جعلنى أحس كأنهم ينتظرون قدومى ، وغدوت أعاتب إذا تأخرت ليلة عن الحضور .

قيل لى مرة بعد مقدمات وأسئلة عن صاحبى (وقد أطلقوا عليه اسم « ليدرون » تحريفاً لكلمة بالفرنسية معناها « يشع ») بأنه خطب الآنسة « سمسم » من والدتها وهو يجهل طبعاً أنها حفيدة فلان العظيم ، وقد ذكروا اسمه ولقبه ورتبه ، وأن والدتها ردته بلطف فلم يأبه لردها وأصر على البقاء بقرب « سمسم » وأنه سيعود إلى مصر متى عادت إليها ليفاتح جدها وهو ولى أمرها « بالزواج » . وقالت إحدى الآنسات : نحن منقسمون حيال هذه المسألة إلى قسمين : قسم الآنسات يتنبأ بتحقيق هذا الزواج وسيكون زواجاً سعيداً ، وقسم الرجال يستبعد وقوعه ، فأنت إلى أى جانب يكون انحيازك ؟

قلت : ما ذا كان ردّ الآنسة « سمسم » على خطبتها ؟

قلن : قالت إنها ستقول كلمتها عند ما تعرض المسألة على ولى أمرها .

لم أشأ الانحياز إلى جانب المتنبئات المتفائلات لأنهن أقدر من الرجال على استشعار الرجولة ومعرفة ميول المرأة ، ولم أمل إلى المتشائمين الذين استبعدوا وقوع هذا الزواج بين شخصين يمثلان الشيء وضده ، أى الجمال البادى والدمامة الصارخة ، وقد تحاشيت عمداً إبداء رأى فى صاحبى الذى عرفته فقط يوم وصولى إلى جزيرة « رودس » وقد أعانتنى على هـــذا التحاشى رؤية صاحبى مقبلاً مع فتاته « سمسم » وكأن قلبيهما يدفعان خطواتهما باتزان فى حين كان فكراهما يسبحان فى جو سماء واحدة .

***

كان من عادتى فى تلك الجزيرة أن أستيقظ عند الفجر أستقبل شروق الشمس حين أكون عند قمة الجبل أمتع النظر بأبهج وأروع ما رأيت من مفاتن يقظة الشمس . وحدث فى صبيحة أحد الأيام ، أنى ما كدت أتخطى عتبة حجرتى حتى تقدم أحد غلمان الفندق فألقى إلى كتاباً فيه دعوة من السيدة والدة الآنسة « سمسم » إلى مقابلتها عند ربوة « النبى إيليا » وهى ربوة ليست بعيدة عن الفندق تكتنفها أشجار الصنوبر وتحجب الجالسين فيها عن الأنظار

سيدة مهيبة الطلعة يبرز وجهها الخافظ لنضارته ولونه كلون ضوء القمر من وسط هالتين من شعر أسود فاحم ، وثوب أسود يستر أكثر أجزاء الجسم ، هذه السيدة والدة « سمسم » هى التى دعتنى للكلام معها فى حادث صديق .

شرحت لتلك السيدة المحترمة العاقلة مبلغ معرفتى بصاحبى الدكتور واعترفت لها بأن لا سلطان لى عليه إلا حق دعوته إلى الاصطبار والتريث ريثما ينقضى فصل الصيف ونعود إلى مصر .

قالت : أخشى أخباراً تتسرب إلى مصر تنقل محرفة فيتقول الأشرار عن العائلة ما لا ترضاه ، ودعتنى بالحاح إلى معاونتها فى إقصاء صاحبى عن ابنتها التى شهدت بطيبة قلبه وكريم شمائله كما ستعمل هى من جانبها على ردع ابنتها بالحسنى عن التمادى فى صداقة رجل لم نعرفه بعد .

لم يكن فى وسعى استجابة طلب السيدة وقد أدركت من كلامها أنها وإن كانت غير راضية عن صلة ابنتها بالرجل ولكنها غير غاضبة عليها ، وقد صارحتها الرأى قائلا بأنى لا أطيق أن أباعد بين قلبين يتدانيان ، ولا أعمل مطلقاً على نصب حواجز بينهما . وقد شعرت عند تركى إياها بأنها مقدرة موقفى وتصرفى .

مدت يدها لوداعى ، فقبلت تلك اليد ووددت لو ألصق شفتى بظهر كفها طويلاً لإبلاغها مدى احترامى لها وإكبارى إياها .

السيدة جميلة تستر جمالها بالحزن ، حدثتنى عن ابنتها الوحيدة بلسانين من العاطفة الحنون والعقل الراجح . إنما هى محزونة

مفجوعة ، لا بزهرة من زهرات الحب ، بل بباذر بذور الحب ، بزوجها وهى الوفية لعهده بعد الموت . هى أم ترضى لابنتها زوجاً له بعض مزايا المرحوم زوجها فى الانكباب على قراءة الكتب .

***

لم يعد صاحبى فى حاجة إلىّ ولا إلى كتبه فقد تركها لى هدية المستغنى ، ولم يكن ظرفى الخاص يبيح لى الاندماج بنزلاء ملحق الفندق وجلهم أعزب دأبه التصبى والتغازل .

كم من العسير ياصاحبى على شاب ألجم بالزواج فى سن مبكرة قبل أن يتفتق ذهنه للحياة ! وكم تكون الحياة هزيلة فى نظره إذا داهمته بالبنين قبل أن يستد ساعده للكفاح ! وكم تكون قيود العرف وأغلال العادة ثقيلة على قلبه إذا ألزم نفسه التقيد بها والخضوع إليها ؟ هكذا كان حالى بين نزلاء ذلك الفندق .

أصخت لنداء الواجب يهيب بى أن أعود إلى زوجتى وأولادى ، فلبيت . جمعت حوائجى فى حقائبى وركبت سيارة أوصلتنى إلى ميناء الجزيرة ومنه ركبت البحر إلى الأسكندرية .

صمتّ هنيهة ريثما أستريح وأشعلت لفافة تحرض الذهن على الصفاء والاستذكار وإذا بالمنصت إلى حكايتى يسألنى بلسان الرجل الخبيث ولهجة المستحث « ثم ماذا » ؟

ابتسمت لسؤاله ابتسامة غابت عليه معانيها وقلت : انصرمت أعوام ثلاثة لم أر صاحبى الدميم فى غضونها ، ولم أسمع إلا خبراً واحداً نشرته الصحف وهو خبر استقالته من الجامعة وانصرافه إلى أعماله الزراعية . لقد أكبرت هذه التضحية من دكتور يدرّس فى الجامعة فى سبيل الاستقلال والحرية ، فإن كثيراً من الناس يؤثرون عبودية الوظيفة وقيود النفس على الحرية .

***

حدث فى مساء أحد الأيام ، وأذكر جيداً أنه كان فى اليوم الثانى والعشرين من شهر ديسمبر ، أنى لقيت مصادفة رجلا يشبه صاحبى الدميم فى متجر شيكوريل ولكنه لم يكن دميماً ، ولا أمرط الحاجبين ، وليس بأعمش أحمر الجفون ، إنما كانت ندبات الجدرى وأثر الجراح فى عنقه باقية كما عرفتها .

زالت حيرتى بإقبال الرجل على يحيينى بمودة واشتياق ، وقال مداعباً : لم يعد منظرى يفزعك لأنى أتقنت « التواليت » أليس كذلك ؟

قلت : من هو ذاك الفنان البارع الذى جعل من « الفسيخ شربات » ؟

قال : هى .

هىَ من ؟

تلك التى وجدتها فى رودس

أتعنى « سمسم » .

هى بعينها .

هل عند « سمسم » صالون « مكياج » ؟

ضحك صاحبى وقال : لا داعى الآن إلى إطالة الكلام ، سنطلعك الليلة على كل شىء .

قلت : نون المتكلمين تعنى من ؟

قال : دع التشوف وحب الاستطلاع ففى هذه الليلة تعرف كل شىء تهمك معرفته ويسرك خبره ، أما الآن فأنت أسيرى ولن يطلق سراحك إلا بعد أن ينتصف الليل ! أفهمت ، أنت أسيرى فلا داعى إلى السؤال ولا إلى الجدل أو الاحتجاج .

وقفت كالمبهوت ريثما ابتاع صاحبى حاجته من المتجر ، وتزايدت دهشتى وقتما دعانى إلى ركوب سيارته ولقد لقيتها تشغل نصف شارع فؤاد الأول عرضاً ، وقد درجت بنا إلى بيته وهو « ڤيلا » جميلة فى الجزيرة تحفّ بها حديقة باسقة الأشجار ، أما الدهشة الكبرى فهى تلك التى اعترتنى حين مقابلتى « سمسم » وجهاً لوجه واندفاعها نحوى تحيينى بلهفة ومحبة كما لو كنت أخاها .

لم تعد « سمسم » تلك الفتاة النحيفة الضامرة التى عرفتها فى فندق « شيفرو » تقفز بين أشجار الصنوبر كالغزال ، بل اكتمل جسمها واعتدل قدها ، وبرزت أنوثتها كأحلى ما تكون فى المرأة

قالت وقد أخذت بدى بيدها تعال أرك منزلنا وقد تعاونت وزوجى على تنسيق أثاثه وترتيبه ، ثم أحدثك كيف تم زواجنا .

مشيت معها أتفرج على حجرات « الڤيلا » المنسق فرشها ببراعة وذوق فنى ، ووقفنا طويلا فى غرفة المكتب وهى عامرة بآلاف الكتب فقالت .

هذه الخزائن (الدواليب) خاصة بكتب الزراعة فلا أقرب منها لأنه لا شأن لى بها ، وهذه الرفوف للكتب التى أشترك مع زوجى فى مطالعتها وكثيراً ما نجلس فى حديقتنا ، كما كنت أنت تجلس معه فى رودس ... تقرآن ، وكنت أنا والبنات أترابى نراقبكم من بعيد فنضحك من اجتماع ... النقيضين .

قلت : أى نقيض بين زوجك وبينى ؟

قال : إهمال مطلق من ناحية زوجى فى هندامه وزينته ،

وإصلاح ... رأسه ووجهه يقابله عناية تامة من ناحيتك فى كامل مظاهرك .

فتح الباب فى هذه اللحظة ودخل منه زوجها يحمل رأسه الأصلع وحاجبيه الأمرطين اللذين قلّ الشعر فيهما ، يلبس سروالاً قصيراً وقد برزت ساقاه الشعراوان ، ينتعل حذاء سميك النعل ، وفى يده عصاً كأنها جذع شجرة وقال : « هكذا كنت » .

قلت للسيدة « سمسم » وأنا كالفزع : كيف تخلصت من هذه الدمامة الصارخة ؟

قالت وهى تبتسم : علمته صناعة « التواليت » ثم التفتت إلى زوجها الذى كان يقفز كالقرد ويأتى بأشارات مضحكة وحركات طفلية وقالت له .

أنقنت تمثيل دورك كما كنت فى رودس فاذهب وغيّر هندامك استعداداً للعشاء .

قال محتجاً : لا عشاء قبل « الأبرتيف » .

قالت : هو ذاك مقبلات شهية .

عدنا إلى الصالة وكانت الدهشة ما زالت تغشانى ، فلما جلسنا قالت لى السيدة « سمسم » : لقد تم زواجنا على خير ما رمت .

اقتنعت والدتى برضاى عن الرجل الذى انفتحت له مغاليق قلبى فقبله شريكا لحياتى ، ثم أظهرت مثل هـذا الرضى للمرحوم جدى الذى كان ولى أمرى ، ولم يعترض إلا على مسألة واحدة حل عقدتها زوجى العزيز بالانتساب إلى دينى ؛ وأصارحك بأنى ما كنت لآبه لمثل هذا الأمر أوأعيره التفاتى لولا أحكام الشريعة ، أحكام الدين المنزل من عند الله ، ولم نراع دين الحب الذى هو الله .

صمتت هنيهة ثم قالت : أحس فى أعماق أن الأديان كلها تستمد قوتها من روحانية الإنسانية ، فلمَ لا نكون كلنا إنسانيين فى الزواج وهو روحانى فى الأصل ثم غريزى فاجتماعى ؟ !

ثم قالت : اتفقت وزوجى على أن ندع ولدنا على طبيعته يختار سبيلاً يوائم عقله ويتفق مع روحانيته وقد آلينا على أنفسنا رعايته كانسان ، وهكذا نكون قد نفضنا أيدينا من المشكلة الاجتماعية التى سوف تحلّ عقدها الأجيال المستنيرة المقبلة بعد أن بذرنا بذورها ! ؟

أقبل الزوج لابساً بدلة « سموكنج » فقامت السيدة ولم يطل غيابها ، وقد عادت بعد أن نضت ثياب البيت واستبدلت بها ثياب السهرة وقد برزت هى وزوجها كالانجليز الاستقراطيين، وإذ كنا فى طريقنا إلى غرفة المائدة قال لى الزوج مداعبا : انظر كيف تمثل أنت الدمامة بهندامك كما كنت أنا أمثلها بوجهى ورأسى وقتما تعارفنا فى رودس !

كان حديثنا ونحن على مائدة الطعام يدور حول الدمامة والحسن وقد اختلفت كما تنوعت وجهات نظرنا فى تعريفها ، وقد كانت السيدة « سمسم » أقدر منا وأصدق فى الحكم عليها من وجهة نظر المرأة فقالت .

الدمامة هى فى الوجه الميت والحسن فى الوجه الحى ، فالوجه الذى تموت فيه التعابير وتنطق فيه معانى النفس هو وجه دميم برغم تناسب قسماته ؛ أما الوجه المعبر الذى تبرز فيه كل المعانى النفسانية فهو الوجه الحسن برغم التنافر فى قسماته .

أما الجمال ، وإن كان تعريفه نسبياً ، واختـلاف النظر اليه واجب بوجوب تنوع الأذواق والميول ، فهو فى نظر المرأة رجولة فى القسمات ، رجولة فى الصوت والحركة والإشارة ، رجولة فى البيت فى الأمور وفى تصريفها . ولا شأن لى فى وجهة نظر الرجل فى تعريف جمال المرأة ، لأن أكثر الرجال لا يعرفون ما هو الجمال ! والجمال فى المرأة سر بل أسرار لا يعرفها معرفة حقيقية إلا الخبثاء من الأدباء والشعراء ورجال الفن .

ضحكت وصديقى ضحكة الرضا عن تفسير هذه السـيدة معانى الجمال على هذا الشكل البارع ، وأخذنا نشرب ونأكل . وإذ كنت فى طريقى إلى البيت كنت أحس بأنى سكران أترنح من الفرح ، ومابرحت ياصاحبى أزور هذه الأسرة السعيدة لأفرح بمشاركتها فى عيدها فى الليلة الثانية والعشرين من شهر ديسمبر من كل عام .

* * *

نظرت إلى صاحبى نظرة طويلة ساهمة ، ثم مد يده فصافحنى وانصرف دون أن يقول كلمة واحدة . وبعد ليلة جاءنى هذا الشاب وكل قسماته تطلب الاستفهام والاستيضاح وقبل أن يسلم علىّ قال : أستاذى المحترم ، أين عقدة القصة وكيف حللتها ؟ لقد أذهلتنى عن العقدة فبربك أرشدنى اليها .

قلت وقد تملت جفوة المتشرد ، اذهب إلى الدميم ، بل اذهب وسل « سمسم » إذا شئت .

حبيب الزحلاوى

إعلان بيع

أنه فى يوم الثلاثاء الموافق ١٠ يولية سنة ١٩٤٥ الساعة ٨ صباحا بناحية ساحل الجوابر مركز الشهداء منوفية تلا .

سيباع بالمزاد العلنى عدد ١ جاموسة ، بقرة حمراء ، عدد ١ أردب فول غير مجروش ، سرير حديد وأردب أزره شامى ، نورج خشب كامل الأدوات سليم ، اثنى عشر أردب قمح تقريباً، وثمانية أحمال تبن تقريباً . وخلافه موضحه بمحضر الحجز التنفيذى الموقع بتاريخ ٣١ مايو سنة ١٩٤٥ نفاذاً للحكم ن ١٣٣٦ سنة ١٩٤٥ كلى مصروقاء لمبلغ ٤٦ مليم و٢٢٩ جنيه مصرى قيمة المحكوم به بخلاف المصاريف تعاب والفوايد بواقع ٨ ٪ من المطالبة الرسمية حتى تمام السداد المملوكة إلى محمد أحمد هاشم الشريف الزارع ساحل الجوابر مركز الشهدا

وهذا البيع كطلب الشيخ عبد السلام هاشم الشريف صاحب مقهى بشبرا البلد ومحله المختار مكتب حضرة الأستاذ محمد صادق المحامى بشبرا البلد

فعلى راغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان الموضحين بعاليه . ومن يرسى عليه المزاد يدفع الثمن فوراً والإيعاد البيع على ذمته ويلزم بالفرق

إعلان بيع

أنه فى يوم الأحد الموافق ١٤ أربعة عشر يولية سنة ٩٤٥ من الساعة الثامنة أفرنكى صباحا وما بعدها بعزبة الصباغ بزمام شويك أكراش مركز ههيا شرقية

سيباع بطريق المزاد العلنى زراعة $\frac{1}{8}$ ١٥ س ٣ ط ٢ ف شائع فى محصول سبعة أفدنة قمح مشاعة فى ١ س ٥ ط ١٧ ف بحوض الكبيرة نمرة ٣ قطعة ضمن نمرة مكرر محدوده من بحرى سكة حديد الدلتا من والى درب نحم الإبراهمية والغربى زمام ناحية أكراش مركز السمبلاوين وبعضه إبراهيم العطار بالقطعة نمرة ١ وفاصل جسر بحر الخنوس والشرق أطيان ورثة الشيخ سالم عبيد الحضرمى وفاصل مسقة وينتج من الفدان عدد أتنين أردبين قمح وحملين تبن وهذه الزراعة تعلق الخوجة سامى أسبيروا من الناحية المذكورة السابق توقيع الحجز التنفيذى عليها بتاريخ ٣١ مايو سنة ١٩٤٥ تنفيذاً للحكم الصادر فى القضية رقم ٦٢٦ سنة ٩٤٣ كلى الزقازيق وفاء لمبلغ ٦١٣ مليم ٣١٧ جنيه بخلاف مايستجد من المصاريف وأجرة النشر

وهـذا البيع بناء على طلب حضرة الخواجة هنرى مكلف ناظراً على وقف الست فكتوريا شديد ومقيم بعزبة الوقف بزمام القنايات مركز الزقازيق ومتخذاً له محلا مختاراً بالزقازيق مكتب حضرة الأستاذ إبراهيم سعيد المحامى .

فعلى راغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان الموضحين أعلاه للمزايدة

طالب البيع

سكك حديد الحكومة المصرية

خط مصر ـ الاسكندرية

يتشرف المدير العام باعلان الجمهور أنه أبتداء من أول يولية سنة ٩٤٥ ولحين صدور إعلان آخر يسير « قطار فاخر » سريع (درجة أولى وعربات بولمان) بين القاهرة والأسكندرية ويقف بمحطتي طنطا وسيدى جابر كالبين بعد .

١ — يغادر قطار ٩٩٣ القاهرة فى الساعة ٤٥ ٨ ويصل إلى الأسكندرية فى الساعة ٤٥ ١١

٢ — يغادر قطار ٩٩٢ الأسكندرية فى الساعة ٠٠ ٨ ويصل إلى القاهرة فى الساعة ٠٠ ١١

وذلك وفقاً للمواعيد الأتية : —

المحطات		٩٩٣
مصر	قيام	٨ ٤٥
طنطا	وصول	٩ ٥٦
	قيام	٩ ٥٩
سيدى جابر	قيام	١١ ٣٨
الاسكندرية	وصول	١١ ٤٥

المحطات		٩٩٢
الاسكندرية	قيام	٨ ٠٠
سيدى جابر	قيام	٨ ٠٩
طنطا	وصول	٩ ٤٦
	قيام	٩ ٤٩
مصر	وصول	١١ ٠٠

ملاحظة : يبطل سير عربات البولمان بقطارى الاكسبريس رقم ٥ (الذى يغادر القاهرة فى الساعة ٠٠ ٧)
ورقم ٦ (الذى يغادر الأسكندرية فى الساعة ١٠ ٦)

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦٢٧ – الاثنين ٦ يوليو ١٩٤٥ – السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٣ ٢٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 627

Lundi - 9 - 7 - 1945

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٦٢٧ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٩ رجب سنة ١٣٦٤ — ٩ يوليو سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

السلفية والمستقبلية

للاستاذ عباس محمود العقاد

عنى الأديب الفاضل الأستاذ الحوفى بالرد على اللغط الذى يلوكه باسم التجديد ذلك الكاتب الذى يكتب ليحقد، ويحقد ليكتب، ويدين بالمذاهب ليربح منها ولا يتكلف لها كلفة فى العمل أو فى المال.

فهو يشترى الأرض، ويتجر بتربية الخنازير، ويسخر العمال ويتكلم عن الإشتراكية التى تحرم الملك وتحارب سلطان رأس المال

وهو يعيش من التقتير عيشة القرون الوسطى فى الأحياء العتيقة ويتكلم عن التجديد والمعيشة العصرية.

وهو ينمى الحضارة الأسيوية وإنه لفى طواياه يذكرنا بخلائق البدو المغول فى البرارى السيبيرية.

ومن لغطه بالتجديد ذلك اللغط الذى لا يفهمه، قوله الذى رد عليه الأستاذ الحوفى وهو: « التفت إلى عبارة قالها الأستاذ العقاد بشأن الاشتراكيين فى مصر لها مناسبة هنا. إذ هم يدعون على غير ما يجب إلى اللغة العامية؛ وقد حسب عليهم هذه الدعوة فى فاتحة رذائلهم، لأنه هو يعتز بفضيلة اللغة الفصحى، ويؤلف عن خالد بن الوليد أو حسان بن ثابت، ولكنه غفل عن التفسير لهذه الظاهرة الاجتماعية وهى أن الإشتراكيين شعبيون يمتازون بالروح الشعبى ويعملون لتكوينه، وهم لهذا السبب أيضاً مستقبليون وليسوا سلفيين ... فى حين أنه هو سلفى الذهن فى لغته وأسلوبه وتفكيره وسلوكه ... »

وهذا كلام عن السلفية والمستقبلية ببغاوى العبارة لا يعقل قائله ما يقول:

لأن الكتابة فى الموضوعات التاريخية ليست هى مقياس السلفية أو المستقبلية وإلا كان المؤرخون كلهم سلفيين لأنهم ما كتبوا ولن يكتبوا فى غير العصور السالفة وفى غير الماضى البعيد أو القريب، وإنما المقياس الصحيح هو طريقة الكتابة فى الموضوعات التاريخية والأبطال التاريخيين، وبهذا المقياس يحسب الإنسان سلفيا رجعياً ولو كتب عن المستقبل الذى يأتى بعد مئات السنين. إذ هو قد يكتب عنه بروح الجهل القديم والعصبية الرجعية، وهى العصبية التى عششت فى دماغ ذلك الكاتب الببغاوى فلا ينساها فى موضوع قديم ولا حديث.

ومن أصدق المقاييس للمستقبلية الإيمان بالحرية الفردية والتبعة الشخصية.

فليس فى التاريخ الإنسانى كله مقياس لتقدم أصدق ولا أوضح ولا أكثر اطراداً فى جميع الأحوال من مقياس حرية الفرد بين أمة وأمة، وبين زمان وزمان، وبين خليقة وخليقة، وبين تفكير وتفكير.

فإذا قابلت بين عصرين اثنين فارقهما ولا ريب هو العصر الذى يعظم فيه نصيب الفرد من الحرية والتبعة الشخصية .

وإذا قابلت بين أمتين فى عصر واحد فأرقاهما ولا ريب هى التى تدين بالنظم القائمة على تقرير حرية الفرد وتحميله التبعة فى السياسة والأخلاق .

وهذا الفارق الحاسم هو أيضاً مقياس الفارق بين العالم والجاهل والرفيع والوضيع والرجل والطفل والرئيس والمرؤوس وكل فاضل وكل مفضول .

ولهذا كنا نحن مستقبليين لأننا ندين بمذاهب الحرية الفردية ولا ندين بمذاهب الفاشية والشيوعية ، ولا نرى فى واحدة منها خيراً لبنى الإنسان . وقد حاربنا الفاشية والنازية فى الوقت الذى كان فيه الببغاوات من أمثال ذلك الكاتب يطبلون لها ويزمرون، ويسجدون لأبطالها ويركعون ، وعشنا وعاش الناس حتى رأوا ورأينا مصداق ما أنذرنا به وأكدناه وقررناه . وسنرى عن قريب مصداق ما أنذرنا به وأكدناه وقررناه فى أمر الشيوعية الماركسية على الخصوص ، لأنها هى المذهب الذى نحن على يقين من سوء مصيره وسوء وقعه وسوء فهمه بين أدعيائه ، وليس هو الاشتراكية فى صورتها الحرة المهذبة كما يغالط ذلك الكاتب الببغاوى فى التسمية وهو يتعمد أو لا يتعمد التغليط والتخليط .

وقد بدرت البوادر التى لا خفاء بها فعلم الشرقيون والغربيون أن سياسة بطرس الأكبر — لا سياسة المستقبل — هى التى يترنم بها الببغاوات فى هذا البلد وفى غيره من البلدان ، وسيرون المزيد والمزيد من دلائل الرجوع إلى القديم فى كل مسألة من مسائل الخلاف بين السلفيين والمستقبليين .

***

وفى مقاييس المستقبل التى لا تخطىء ولا تكذب فى الدلالة على الوجهة التاريخية العامة مقياس التعاون بين الدول ، أو التعاون بين الطبقات ، أو التعاون بين الأفراد ، فإن هذا التعاون ملحوظ الخطوات فى السياسة الدولية من الزمن القديم إلى الزمن الحديث ، وهو كذلك ملحوظ الخطوات فى المعاملات التى تشيع بين أبناء الوطن الواحد ، وسيكون له الشأن الأكبر فى علاج مشكلات الاجتماع والاقتصاد على توالى السنين .

وبهذا المقياس — بعد مقياس الحرية الفردية — تعتبر الشيوعية من المذاهب الرجعية التى ترجع بنا إلى سيادة الطبقة الواحدة وإن كانت تزعم أنها طبقة وحيدة وأنها هى طبقة الصناع والأجراء . فسيادة الطبقة الواحدة أقدم الصور الاجتماعية التى عرفها الناس ، والشيوعية لا تغير فى الأمر غير عنوان الطبقة ... إن صح ما تدعيه .

***

وأسخف السخف قول ذلك الكاتب الببغاوى إن الشيوعين « يفضلون اللغة العامية لأنهم شعبيون مستقبليون » .

ومصيبة الدنيا أن تحشو هذه الببغاوات أفواهها بما تسميه تفسير الظواهر الاجتماعية وهى لا تفسر تحت آنافها ما تسمعه بالآذان وتبصره بالعيون .

فاللغة العامية لغة الجهل والجهلاء، وليست بلغة الشعبيين ولا من يحبون الخير للشعوب .

لأن الغنى الجاهل يتكلم اللغة العامية ولا يقرأ اللغة الفصحى ولا يمتاز بفهمها على الفقراء .

ولأن الفقير المتعلم يفهم الفصحى ويكتبها ، كما يفهمها سائر المتعلمين من العلية أو السواد .

فأعداء الشعب حقا هم أولئك الذين يفرضون عليه الجهل ضربة لازب ولا يحسبونه فى يوم من الأيام صاعدا من حضيض الجهل إلى طبقة المعرفة والثقافة .

وأصدقاء الشعب حقا هم الذين يفتحون له أبواب المزايا العالية ويسوون بينه وبين القادرين على التعلم والتكلمين بلغة المتعلمين .

والمسألة هنا — أيتها الببغاوات التى تفسر الظواهر الاجتماعية — ليست مسألة شعبيين وطبقات وأجور رؤوس أموال كما يهذى كارل ماركس وأتباعه المفتونون .

فى إرشـــاد الأريب

إلى معرفة الاديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

— ٧ —

* ج ١٠ ص ٢٣٧ : وعن النضر بن شُمَيْل قال : دخلت على أمير المؤمنين المأمون بمرو فقال : أنشدنى أقنع بيت للعرب ، فأنشدته قول الحكم بن عبدل :

إنى امرؤ لم أزل وذاك من الله (م) أديباً أُعَلِّمُ الأُدبا
لا أحتوى خُـلَّة الصديق ولا أتبع نفسى شيئاً إذا ذهبا

وجاء فى الشرح : (أديباً) فى الأغانى قديماً (لا أحتوى) من الاحتواء وهو كونها له وتحت أمره (خلة الخ) يريد زوجة صديقه .

قلت : شميل جاءت بكسر الياء وتشديدها وهى — كما قال ابن خلكان — : بضم الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام ...

(قديماً) كما روى إلأغانى خير من (أديبا)

(أعلم الأُدبا) هى أُعَـلِّم الأُدبا)

وهو يعنى أدب النفس ، ومن هذا الأدب ومن القناعة ألاَّ يقول : أعلِّم الأُدباء .

(لا أحتوى) هى (لا أجتوى) أى لا أكره وأمل . و (الخلة) هنا هى الصداقة لا زوجة صديقه . والخلة بالكسر : المصادقة والموادة والأخاء . والبيتان تليهما فى الكتاب أبيات .

* ج ١٢ ص ٢٧٧ : وله (على بن ثَرْوان الكندى) :

هتك الدمع بصوب الهتَنِ كلَّ ما أضمرت من سر خفىّ
يا أخلائى على الخيف ، أما تتقون الله فى حتّ المطىّ !

قلت : لا تشدد الياء فى (خفى والمطى) حتى لا يختل الوزن :

وإنما هى مسألة الفارق السرمدى بين المعيشة اليومية وبين الحياة الانسانية الباقية على اختلاف الأمم وتعاقب العصور .

فكل ما هو من باب القيم الانسانية الباقية فلا مناص له من تعبير خاص غير تعبير السوق والبيت وكلمات التسلية والاستلقاء ، ولو أجبرنا الناس جميعاً فى هذه الساعة على الكلام بالعامية دون غيرها لما استطاعوا أن يتجنبوا اللغة الخاصة .

والمصطلحات الخاصة والتراكيب الخاصة سنة واحدة حين يكتبون فى الطب أو الرياضة العليا أو الكيمياء أو القانون ، ولكان عسيراً عليهم أشد العسر أن يكتبوا بالعامية مذهباً كذهب كانت أو مذهب لبروزو أو قصيدة كقصائد المتنبى وبيرون وشكسبير .

فإذا كانت اللغة الخاصة لازمة للمتعلم على كل حال لاستيفاء علم الطب أو علوم الرياضة أو علوم القانون فلماذا تحرم عليه لاستيفاء علوم الأدب والقدرة على التعبير الذى لا يتجاوز حدود اليوم ويصاحب الأمم الانسانية عدة أجيال؟ ومن قال إن الانسان يستخدم لغة واحدة حين يساوم على بطيخة أوحين يغسل القدور ويخرط اللوخية ، وحين يتكلم عن غبطة النفس بالربيع وسمو الأمل بالحب ونبل الفداء فى سبيل المثل العليا ؟

ما هذا الولع بالتسفل وهذا الإنكار لكل ارتفاع ؟ ما هذا التمرغ فى كل وضيع وهذا الحرد الذى لا يطاق على كل شريف رفيع ؟

فاللغات الفصحى لم تحفظ حتى اليوم لأن الأغنياء وأصحاب رؤوس الأموال يتكلمونهـا فى البيت والسوق ، ولم تحفظ حتى اليوم لأنها مزية طبقة من الطبقات الاجتماعيـة أو مزية الأغنياء القادرين على التعليم ، فإن أغنى الأغنياء كثيراً ما كانوا من أضعف المعبرين ، وأفصح الفصحاء كثيراً ما كانوا من الفقراء والمعدمين . وإنما اختلفت اللهجتان على مدى الزمن بضرورة الاختلاف بين حياة البيت والسوق وحياة المعرفة والتهذيب التى تتجاوز حاجة اليوم إلى حاجة الأجيال .

وليس إلا الحقد على كل شريف رفيع يسول للببغاوات أن يحاربوا اللغة الفصحى باسم الشعبية والشعبية منهم براء .

والمرجع بعد إلى الذوق والشعور وخصب الخيـال ، وهى ملكات حرمتها الشيوعية وذووها من كارل ماركس إلى أذنابه الذين لا يفقهون ما يقول ، ولو فقهوه لما عظم شأنهم بين شئون النفوس والعقول .

عباس محمود العقاد

و (بصوب الهتن) هما (بصوبٍ هـتِنٍ) وهتن بكسر التاء . وهذه اللفظة (هتن) لم تجيء فى شعر قديم وصل إلينا ، ولم يذكرها معجم نعرفه . وقد استعملها المتنبي فى هذا البيت فى إحدى قصائده :

العارض الهتن ابن العارض الهتن ابن(م)

العارض الهتن ابن العـارض الهتن

جاء فى (ديوان أبى الطيب المتنبى) النسخة التى صححها وجمع تعليقاتها (الدكتور عبد الوهاب عزام) وطبعتها (لجنة الترجمة والتأليف والنشر [1]) .

قال ابن القطاع : هذا البيت الذى أفسد المتنبى فيه اللغة ، وغلط فيه ، وكرر غلطته أربع مرات ؛ وذلك أن العلماء مجمعون على أن يقال : هتن المطر والدمع يهتن هتناً وهتوناً ، واسم الفاعل منه هاتن ، وكذلك يقال : هتل المطر والدمع يهتل هتلاً وهتولاً باللام ، واسم الفاعل هاتل . ولم يقل أحد من العلماء ولا جاء عن أحد من العرب : هـتِنَ يهـتَن على فعِل يفعَل فيكون اسم الفاعل منه هـتِن على فعِل . ولم يذكره أحد من جميع الرواة ولا اهتدى إليه إلى هذه الغاية حتى نبهت عليه .

جاء فى (نزهة الألباء فى طبقات الأدباء) للأنبارى :

لما أنشد (المتنبى) سيف الدولة قوله فى مطلع بعض قصائده : (وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه) كان هناك ابن خالويه فقال : يا أبا الطيب ! إنما يقال : شجاه — توهمه فعلاً ماضياً — فقال أبو الطيب : اسكت ، فما وصل الأمر إليك قصد أبو الطيب أشجاه أكثره شجى لا الفعل الماضى ...

قلت : فهل يقول أبو الطيب لابن القطاع — وقد أسمعه ما أسمعه — : اسكت ، فما وصل الأمر إليك ، قد سمعتها من الأعراب ، أو وجدتها فى شعر الأعشى أو قلتها ولى — وقد « بلغت فى علم اللغة المبالغ » — أن أقولها . وهل نتقبل نحن (الهتن) — وهذه قصتها — فى هذا الزمن بقبول حسن ... ؟

* ج ٨ ص ١٢٩ — : قال العماد (الأصفهانى) : أقام ملك النحاة (الحسن بن صافى) فى رعاية نور الدين محمود بن زنكى ، وكان مطبوعاً متناسب الأحوال والأفعال ، يحكم على أهل التمييز بحكم ملك فيُقيل ولا يُستقال ، وكان يقول : هل سيبويه إلا من رعيتى وحاشيتى [1] ، ولو عاش ابن جنى لم يسعه إلا حمل غاشيتى .

وجاء فى الشرح : وكانت (يستقال) فى الأصل (ولايستقل)

وفى البغية : يستقال .

غاشيتى : المراد بالغاشية أنه يكون من أتباعه وخدمه .

قلت : (فيقيل ولا يستقال) هما (فيَقتال ولا يُقتال) أى يحكم على غيره ولا يحكم غيره عليه . فى اللسان والتاج : اقتال عليهم احتكم . قال أبو عبيد : سمعت الهيثم بن عدى يقول : سمعت عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز يقول فى رقية النملة : العروس تحتفل ، وتقتال وتكتحل ، وكل شىء تفتعل ، غير ألاّ تعصى الرجل . قال : تقتال : تحتكم على زوجها .

و (الغاشية) هنا غاشية السرج وهى غطاؤه .

* ج ١٦ ص ١١ :

أبيت الليـــل مرتقباً كئيباً لهمّ فى الضلوع ، له أوار

وجاء فى الشرح : كانت هذه الكلمة (مرتقباً) فى الأصل (مرتفقاً) .

قلت : الأصل صحيح . فى الأساس : وبت مرتفقاً متكئاً على مرفق ، وفى اللسان : وبات مرتفقاً أى متكئاً على مرفق يده ، وأنشد ابن برى لأعشى باهلة :

---

(١) « طبعة تعتمد على أقدم النسخ وأصحها ، وتمتاز بزيادات فى الشعر ومقدمات للقصائد طويلة كتبها المتنبي وتعليقات عظيمة للشاعر نفسه »

(١) قلت : (وحاشيتى) من (بغية الوعاة) وعندى أنها كانت فى الأصل ، وفى هذا الكتاب : وكان يغضب على من لم يسمه بملك النحاة . وفى (إرشاد الأريب) : كان يستخف بالعلماء ، فكان إذا ذكر واحد منهم يقول : كلب من الكلاب . فقال رجل يوماً : فلست إذن ملك النحاة ، إنما أنت ملك الكلاب ... فاستشاط غضباً ، وقال : أخرجوا عنى هذا الفضولى .

فبت مرتفقاً والعين ساهرة كأن نومى علىّ الليلَ محجور (١)

وفى (الكامل) و (جمهرة أشعار العرب) لأعشى باهلة هذا فى قصيدته التى رثى بها المنتشر :

فبت مرتفقاً للنجم أرقبه حيران ذا حذر لو ينفع الحذر

وروى ياقوت لابن بكير المحاربى :

فبت مرتفقاً أرعى النجوم إلى أن جاوب الديك فينا سحرة ديكا

* ج ١٧ ص ٣٢ : حبس عيسى بن سليمان الهاشمى كيسان . وكان أبو عبيدة يعبث به كثيراً ، فشفع فيه أبو عبيدة إلى الأمير ، فأمر بإخراجه . فقال للجلاوزة : من أخرجنى ؟ قالوا : تكلم فيك شيخ مخضوب . فقال : أمه ... إن برَح من الحبس ، إحْبيس ظلم ، وطليق ذل ، لا يكون هذا أبداً .

وجاء فى الشرح : إحبيس بمعنى محبوس .

قلت : (برح) غير مضعف ، وليس هناك برح بالتشديد ، وفى مستدرك التاج : تَبرّح كبرح وأبرحه هو ، قال مليح الهذلى :

مَكـثْنَ على حاجاتهن وقدمضى شباب الضحى والعيس ماتتبرح

و (إحبيس ظلم الخ) هى أحبيس ظلم وطليق ذل ؟ ! وليس فى العربية إحبيس .

* ج ١٧ ص ٢١٧ : وله (لمحمد بن أحمد بن سهل المعروف بابن بُشْران) :

لا تغترر بهوى الملاح فربما ظهرت خلائقُ للملاح قباحُ

وكذا السيوف يَرَوْنَ حسن صِقالها وبحدها تَتَخطَّف الأرواح

قلت : وكذا السيوف يروقُ حسنُ صقالها .

* ج ١٥ ص ٢٦٧ : وكان عَلْقمةُ (٢) والياً على حُوران .

قلت : وردت حوران بالضم وهى بالفتح كما ضبط ياقوت فى (معجم البلدان) .

* ج ١٥ ص ١٠١ : قرأت بخط أبى سعد : سمعت على بن نصر النيسابورى مذاكرة بمرو يقول : كنت ببغداد فرأيت أهلها تستحسن هذه الأبيات التى لأبى اسماعيل المثنى :

(١) قلت : جاء (الليل) فى طبعة الساسى بكسر اللام مجروراً بما قبله .

(٢) هو علقمة بن علاثة ، وكان نديد عامر بن الطفيل . وهو الذى دعا عامراً إلى تلك المنافرة المشهورة ، وقد سردت قصتهما فى إحدى مقالاتى (حكاية الوفد الكسروى) الرسالة ٥٤٠

ذكرتكم عند الزلال على الظما فلم أنتفع من برده بِبَلالِ (١)

فأنشدت قصيدة فى نقيب النقباء أبى القاسم على بن طرّاد الزينبى على هذا الروى ، أولها :

خليلىّ ، زمت للرحيل جمالى فقد ضاق فى أرض العراق مجالى

وَقُوداً عتاقاً كالأهلة ، إنما ديار الندى والمكرمات حوالى (٢)

وما أوجبت بغداد حقى وغادرت بلابل بعد الظاعنين ببالى

وجاء فى الشرح : قوداً جمع قوداء : النوق وفى البيت قصر . يقول فيه : إن ديار الندى والكرم حوالى بغداد لا فيها :

قلت (خليلىّ ، زُمّا للرحيل جمالى) و (قودا) أمر لصاحبيه : قاد ، يقود ، قد ، قوداً . و (حوالى) هى (خوالى) بالخاء لا بالحاء .

* ج ١٧ ص ٢٤٤ : سئل الأديب الأبيوردى عن أحاديث الصفات ، فقال : نقرّ و نمِرّ .

وجاء فى الشرح : نقر ونمر أى نعترف به ونجيزه .

قلت : نقر و نُمِرّ : نسكت ولا نخوض فى صفات الله (عز وجل) مع الخائضين ، لا نجيء معتزلين نافين ولا مشبهين مجسمين ، نقر ونمر ...

(١) ما فى سقائه بلال وهو ما يبل به (الأساس)

(٢) عتاق الخيل والطير : كرائمها (الأساس) .

٢ ـ بقية حديث فى فرنسا

للأستاذ عبد المنعم محمد خلاف

المقال الثانى

مما لم ينشر فى سنة ١٩٤٠

مضافا اليه بعض ما يتصل به حديثا

يذكر الذين شهدوا معرض باريس العالمى الأخير سنة ١٩٣٧ شبه أقفاص أنهم رأوا فى أقسام المستعمرات الفرنسية تضم أفراداً من الإنسان الإفريقى والإنسان الأسيوى اللذين قضى على أممهم سوء الطالع أن تقع فى براثن الاستعمار الفرنسى . وقد عرضوا على أعين الناس أشباه عرايا كأنهم أنواع من « الغورلا » أو « الشمبانزى » أو الوحوش ... وزيادة فى الازراء بهم وكلوا حراستهم لجماعة من النساء العجائز .

هكذا سمعنا ممن شهدوا هذا المعرض ، ولعلنى رأيت صوراً لذلك فى بعض المجلات المصرية أو فى دور السينما فيما أظن .

هذه واحدة لفرنسا حامية حقوق الإنسان ! التى أوقعت فى روع البسطاء أنها اتخذت من ثالوث الحرية والإخاء والمساواة إلـهاً سياسياً بشرت به وبشر معها أذنابها فى بقاع الأرض .

لقد يغفر الله لفرنسا آثامها فى نفسها وفساد حياتها وانحلال روابط الأخلاق فيها وما إلى ذلك من موبقات الحياة ومدمرات العمران ... أما أن يغفر لها امتهانها كرامات الإنسان على هذا النحو وعلى رءوس الأشهاد بعرضه هكذا ، فذلك ما لا أظن الله مقدس الروح الإنسانى ولو كان فى جسم مِسْخٍ ، وخالق الناس ألواناً وأجناساً شتى ، قد تجاوز عنه لفرنسا !

ما أسعد العجزة والبُله والممسوخين وناقصى الخلقة فى الشرق الإسلامى وخاصة فى مصر ! إنهم يعاوَنون وتفاض عليهم ألوان الكرامة من القادرين الكاملين إلى درجة الاعتقاد بأنهم أولياء لله يتبرك بهم ويسعى إليهم ويعطف عليهم ؛ لأن وراء النظرة إليهم إدراكاً من الناظرين أن الذى خلقنا كاملين هو خلقهم ناقصين ، فهم غير مسئولين .

خلقتُ على ما فىّ غيرَ مخيَّر هواى ولو خُيِّرتُ كنت المهذبا

ولأن الناس يعتقدون أن الذى خلقهم هكذا ضعفاء وسط معترك الحياة لاشك سيتولى الدفاع عنهم والحماية لهم وامتهان من يمتهنهم .

ولـكن الفرنسيين ينظرون إليهم كأنهم حيوانات بشرية فى أفق أسفل . ونحن لا نريد أن ننظر إلى هؤلاء الناقصين نظرة الازدراء والإهدار ، ولا نظرة التقديس والإكبار ، فإن فى كلتا النظرتين خروجاً على الصواب ، ولـكننا نريد أن نوازن بين حظ الروح الإنسانى من التقديس فى الشرق والهوان فى فرنسا التى تزعم ويزعم لها أذنابها أنها حامية حقوق الإنسان ... ونريد أيضاً أن نقول للذين يدافعون عن روح فرنسا : إنهم لو قضى عليهم سوء الطالع فوقعوا تحت نير الاستعمار الفرنسى ما كان يستبعد أن تحشر فرنسا أقاربهم من الفلاحين المحرومين من العلم والتهذيب والمدنية فى أقفاص لتُـفَـكِّـه بهم رواد معارضها تفريجاً عن قلوبهم — إن كان فى هـذا فرجة قلب — وزيادة فى جلب وسائل إحاطتهم بالمعلومات ...

وإن فى القرى المصرية من ناقصى الخلقة الملونين بغير اللون الأبيض أمثال من فى بلاد شمال أفريقية والهنـد الصينية وجزر مدغشقر الذين عرضت منهم فرنسا نماذج .

***

يكاد يكون الإعجاب بفرنسا عند جمهور المدافعين عنها المحزونين على سقوطها يدور على محاور ثلاثة :

١ — مبادئ ثورتها التى زعموا أنها أول ثورة أعلنت حقوق الإنسان واتخذت من ثالوث الحرية والإخاء والمساواة إلهاً سياسياً .

٢ — دنياها الفكرية والأدبية التى ينمو فيها كل رأى بدون حرج ولو كان فيه حتف الدولة والدين ...

٣ — دنيا باريس « ذات المائة درجة والمائة دركة » بما فيها من حقائق وأباطيل ، وضلال وهدى ، ورشد وسَفَه .

***

أما الثورة الفرنسية فلم أر ثورة حبطت فى أرضها وضاع أكثر مابذل فيها من الدماء هباء منثوراً مثل حبوطها وضياع جهودها ... ومع ذلك فقد ظفرت فى الشرق الإسلامى وخاصة مصر بدعاية

فتنت الشباب فتنة العمى ، وأنستهم أن فى مواريثهم الفكرية والسياسية مبادئ أكمل وأكرم من مبادئها قد رآها التاريخ وسجلتها صحائفه قبل أن تثور فرنسا بألف ومائتى سنة . فلا ينبغى لهم أن يذكروها إلا بترتيبها التاريخى كصدى بعيد جداً للثورة الإسلامية الكبرى . ولكنا نحن العرب لسنا أمة فيها طفولة تحب الإعلان والطنطنة الجوفاء .

وللشباب معاذير من قصور البرامج الدراسية للتاريخ الإسلامى قصوراً معيباً . ووزر ذلك على الذين مسخوه ولم يكلوا دراسته للمؤمنين به الواقفين على أسراره ، ومعاذير من الدعاية العريضة التى تنفق عليها فرنسا « العلمانية » والكاثوليكية وتحشد لها الذين أفئدتهم هواء وأعينهم عمياء وشهواتهم ثقيلة ، فانطلقوا يحرقون البخور ويفرشون الأزهار ويعطرون الأجواء لفرنسا والثقافة اللاتينية ، ويقيمون من فرنسا تمثالاً أمام أعين الشباب للحرية والقوة والعلم والجمال حتى جهل الشباب الإسلامى والعربى أنهم أعرق فى الحرية والمساواة وأعرف بهما ، ولكن أممهم لا تحسن الإعلان .

ولقد مهد هؤلاء الدعاة للثقافة الفرنسية فى نفوس المصريين ، وطبعوا النفس المصرية بالطابع الفرنسى فى المدرسة والبيت والذوق العام ... وكان من الأنسب لنا إذا كان لا بد من شيوع روح أجنبية فينا أن تشيع فينا الروح العالمية التى فى أمريكا أو الروح بنوعيها : الإنكليزية والجرمانية ، فإنها روح قائمة على الخلق والعلم والعمل وفن الحياة بالجسم والروح . ولكننا على الرغم من وجود الحكم الإنجليزى السياسى بيننا نيفاً وستين سنة لم ننتفع بأساليب الحياة الإنجليزية ولم نتأثر بها كما تأثرنا بالروح الفرنسية ، ولو كنا تأثرنا بتلك التربية لكان لرجالنا من السياسة الإنجليزية موقف آخر عملى غير موقفهم الهستيرى الكلامى الحزبى الفردى الطليق من أكثر القيود الوطنية المقدسة . والذى يماثل موقف رجال فرنسا فى ديارها أشبه من الغراب بالغراب !

ولو كانت الثقافة الفرنسية مرضياً عنها عند الاجتماعيين والمفكرين الفرنسيين أنفسهم لكان لنا وجه من العذر فى اقتفائها ولكن هؤلاء الاجتماعيين كثيرو الانتقاد والسخط عليها ، داعُو الإهابة بأمتهم للأخذ بثقافة أمم الشمال لأنها ثقافة عملية منتجة معتدلة خاضعة لأصول الأخلاق ، وهى التى غيرت وجه الأرض وسيطرت على العالم .

* * *

قد يعذر الأوروبى إذا وجد فى الثورة الفرنسية بعض دواعى الإعجاب بجهاد قادتها ومؤرثى نارها فى سبيل تحرير الفرنسيين من استبداد الملوك وجمود الكنيسة وطغيان أمراء الإقطاع ، لأنه قد يجد فيها أمراً جديداً عظيماً غيّر الحياة الأوروبية فيما مضى . . ولكن لا عذر لعربى عرف أبسط مبادئ الإسلام فى العدالة والحريه والأخوة والمساواة ، وقرأ تاريخ الثورة الاسلامية الكبرى التى غيرت وجه التاريخ وأعلنت ووطدت حقوق الإنسان وجسدتها فى أشخاص أقاموا دولا مستقرة عمرت عمراً طويلا .

هذا إذا تغاضى الأوروبى عن الوحشية التى طبقت بها هذه الثورة فكشفت عن قسوة النفس الفرنسية وإسرافها فى سفك الدماء ، وإذا تغاضى عن تقلبات تلك الثورة وسيرها على غير هدى وعقمها عن إنتاج النتائج المستمرة التى أثيرت من أجلها كما سارت ثورات الأمم العاقلة المعتدلة وأنتجت وأطردت خطوات الأمة بعدها ولم ترتد على عقبيها كارتداد فرنسا بعد تلك الثورة الكبرى .

« فليس الفرنسيون شعب التطور التاريخى البطيء ، ولكن شعب التغييرات الثورية الفجائية . شعب قوى الاندفاع بلا « فرامل » . وخط تطوره كثير التعرج والالتواءات ؛ فنى آخر القرن الثامن عشر قلبت الأمة الفرنسية الحكومة الملكية باسم الديموقراطية والحرية ، ومع ذلك لم تمض عشر سنوات حتى عادت فرنسا إمبراطورية مطلقة ثم ارتدت فصارت ملكية محافظة ! ثم تحولت إلى ملكية برجوازية حرة ؛ ثم كانت ثورة أخرى ردت الجمهورية الثانية . ثم انقلاب حكومى أعاد للسلطة إمبراطورا . فلا توجد على هذا أمة كفرنسا فى اندفاعها وتحولها وانقلابها[1] . »

وفى العهد الأخير قبل الحرب الحالية وصلت فرنسا إلى عهد من الانحلال السياسى ، والاجتماعى جعلها تتهالك لأول صدمة مع عدوها التقليدى ، وتتخلى عن حلفائها وتنال من نفسها بأقلام قادتها وتدبير رجالها وقد صدق مستر هرست — وهو

(١) عن الداهية لجرى « كونبس » ترجمة للأستاذ الصاوى صديق فرنسا . وقد أعدنا الاستشهاد بهذا المذكرى .

من أشهر رجال الصحافة الأمريكية — حين قال . فى صحفه عقب سقوط فرنسا بتاريخ ٢٤ — ٧ — ١٩٤٠ « لم تكن فرنسا ديموقراطية ولا حليفة كبيرة ولا أهلا للنهوض بأعباء الديمقراطية ، ولم تكن لها سياسة مقررة خاصة ، بل كانت متقلبة فى إخلاصها وحليفة لا يمكن الاعتماد عليها لبريطانيا التى تحمل المبدأ الديمقراطى الحقيق فى قرارة نفسها ، ولما أقبلت الأزمة قصرت فرنسا ثم سقطت » .

***

أما المحوران الثانى والثالث اللذان يقوم عليهما أيضاً الإعجاب بفرنسا ، فقد كفانى مهمة تناولهما بالنقد الأستاذ المفكر الجليل ساطع الحصرى بك الذى نشرت له الرسالة ذلك التحليل القيم « حول انهيار فرنسا » فى الأعداد الثلاثة الماضية . بل إن التصريحات الحديثة المتكررة لمفكرى فرنسا كمسيو هريو وغيره ، التى يعلنون فيها تألمهم من انحطاط معنويات الروح الفرنسية وانطلاقها وراء الشهوات والمنافع الشخصية وكراهتها للقيود المقدسة وارتدادها عن مبادىء ثورتها ، وعدم فهمها لوحى الساعة ومقتضيات الظروف العالمية الحاضرة ، مما تطالعنا به الصحف منذ سقوط فرنسا للآن لأكبر شاهد على أن فرنسا لا تصلح أن يكون لنا فيها أسوة ولثقافتها فينا تقليد وتأثير

وإنى لأوقن أن السر فى بلبلة أخلاقنا نحن المصريين واضطراب مزاجنا وذبذبتنا بين الروح الشرقية الكريمة التى كانت لنا ولا تزال باقية فى الريف ، وبين ذلك الانسلاخ الشائن والتحلل البالغ فى المدن إنما هو أثر من جوارنا للثقافة اللاتينية وخصوصا الفرنسية وتأثرنا بها

وعلى ذكر مسيو « هريو » أود أن أجلو جانباً من عداوته هو الآخر للعرب وسعيه لعدم إنصافهم ، وقد علمت بذلك الجانب حين كنت عضواً فى « الجمعية الإسلامية الأسبانية » التى تأسست فى مصر سنة ١٩٣٤ برياسة الأستاذ عبد الرحمن فهمى بك وكان من أعضائها ذلك الرجل العظيم المغفور له فؤاد باشا سليم الحجازى . ومسيو « بونسو » أحد الأسبان بمصر . وكانت أغراضها تنمية العلاقات العربية الأسبانية وتوطيد الصداقة بينها تمشياً مع تلك الحركة المشكورة التى بدأها الجنرال فرانكو لإنصاف مغاربة المنطقة التى تحت النفوذ الأسبانى من مراكش والتى كان من نتائجها الشروع فى تأسيس جامعة عربية فى مدريد تسمى « البيت العربى » لخدمة التراث العربى فى أسبانيا ويكون فيها كراسى أستاذية بأسماء ملوك العرب الذين يساهمون فى معاونتها . ودعت لذلك فعلا العلامة المرحوم الشيخ الخالدى الفلسطينى والعلامة المجاهد الأمير شكيب أرسلان للبحث والمشاورة ، ووعد الملك فيصل الأول ملك العراق الراحل رحمه الله بالإنفاق على كرسى فيها ، وابتدأت الحركة تسير خطوات نحو النجاح . فما كان من فرنسا إلا أن أوفدت مسيو « هريو » إلى حكومة أسبانيا ليحبط هذا المشروع الجليل والمسعى الكريم محذرا أسبانيا من عواقب سياسة التسامح مع المراكشيين ومبدياً مخاوف فرنسا من تسرب « عدوى » هذه الحركة إلى مراكش الفرنسية والجزائر وتونس ... وكان لفرنسا ما أرادت ووقف المشروع .

ويزور مسيو « هريو » مصر لتوطيد حياة المعاهد الفرنسية بها قبل هذه الحرب فيبالغون فى الاحتفال به ولا تلقى فى أذنه كلة عتاب ... ويزورها أخيراً فى طريقه من موسكو إلى فرنسا أثناء الأعتداء الفرنسى الأخير على الشقيقة سوريا فيحتفل به كذلك ... ولا يقولون له ما كان يجب أن يقال فى مثل هذا الظرف . كأن منادح البيان قد ضاقت عن أن تتسع للترحيب والعتاب فى آن واحد !

عبد المنعم خلاف

إلى الأحزاب المصرية

عدلوا برامجـــكم

أو انسحبوا قبل فوات الأوان !

للأستاذ ســيد قطب

أمهر اللاعبين هو الذى يعرف بالضبط متى يجب عليه أن ينسحب قبل فوات الأوان

ولـكن يبدو أن أحزابنا المصرية لا تؤمن بهذه الحـكمة ، أو لا تعرف كيف تطبقها فى الوقت المناسب

قامت هذه الأحزاب جميعاً لغرض واحد ، هو الجهاد السياسى لتحقيق الاستقلال . ويقتضينا الإنصاف أن نثبت لها جميعاً أنها قد نجحت — إلى حد ما — فى مهمتها ، وذلك على الرغم من الأخطاء التى عرضت لها فى الطريق ، ولـكن هذه كلها هنات لا تذكر إلى جانب المهمة الضخمة التى نهضوا لهـا ... مهمة الاستقلال

ولقد استغرقت تلك المهمة الضخمة كل نشاط الأحزاب السياسية — ومن حقها كانت أن تستغرقه — فلم يتهيأ لها أن تمد ببصرها إلى أبعد من الغاية السياسية ، حتى لقـد أهملت فى بعض الأحيان الالتفات إلى الجانب الاقتصادى فى هـذه المهمة السياسية ، فى وقت تصطرع فيه القـوى الاقتصادية فى العالم ، وتؤثر تأثيراً حاسماً فى كل اتجاه سياسى !

وفى خلال هذه الفترة الطويلة ، وهى تتجاوز ربع قرن جدت فى العالم أمور وأمور ، وتغيرت النزعات والاتجاهات ، لا بل ولد عالم جديد ... ولـكن أحزابنا المصرية — فيما يبدو — لا تكاد تشعر بهـذا كله . فهى فى عام ١٩٤٥ لا تزال تحصر نشاطها الحزبى كله فى دائرة الخصـومات الحزبية ، بل الشخصية ، ولا تزال تنظر إلى المجتمع المصرى كأنه المجتمع المرغوب فيه ، فإذا فـكرت فى الإصلاح فـكرت فيه أجزاء وتفاريق على طريقة الترقيع والتجوير !

ومما لا شك فيه أن هذه العقلية ليست هى التى تستطيع مواجهة العالم الجديد

***

نحن فى حاجة إلى :

١ — برامج جديدة

٢ — وعقليات جديدة

٣ — وأحزاب جديدة

***

نحن فى حاجة إلى برامج جديدة غير البرنامج السياسى الذى استغرق جميع جهودنا فى ربع قرن من الزمان . برامج اجتماعية كاملة تؤثر فى النشاط الاقتصادى والثقافى والتشريعى ، وترسم له طريقاً واضحاً وهدفاً مقصوداً .

ولا يشك أحد فى أن العدالة الاجتماعية مفقودة فى مصر ، وقد ترددت هذه الجملة كثيراً حتى أصبحت حقيقة بديهية ، ومتى ثبت هذا فإن له مستلزمات : أولها أن توجد برامج حزبية معينة لتحقيق هذه العدالة ، فإنه خير لمصر أن يقوم الصراع الاجتماعى فيها داخل البرلمان على يد الأحزاب — كما هو الحال فى انجلترا — بدلا من أن يقوم هذا الصراع فى الشارع بلا ضابط ولا نظام !

والصراع داخل البرلمـان قائم بالفعل — وإن لم يأخذ صبغة الصراع الحزبى — فالذى يراجع مضابط البرلمان فى جميع العهود تبرز أمامه حقيقة معينة . فما من مرة عرض مشروع يمس رءوس الأموال ، أو ينصف بعض الطوائف الفقيرة ، إلا وتغير التنظيم الحزبى السياسى أو انهار . ووقف ممثلو رءوس الأموال من جميع الأحزاب جبهة واحدة ناسين خصوماتهم الحزبية ، ووقف كذلك أنصار الطوائف الفقيرة جبهة واحدة

فالنضال الاجتماعى موجود الآن ومنذ نشأة البرلمان المصرى . فلماذا لا ننظمه فى الصـورة الحزبية المعروفة فى برلمانات العالم الراقية ، وهى الصورة المأمونة العواقب ، التى تحيل هذا النضال أفكاراً وقوانين ومشروعات عملية ، بدل أن يتحول حركات هدامة غير إنشائية ؟

***

ونحن فى حاجة إلى عقليات جديدة تدرك المسألة على هـذا

الوجه ، وتكون على استعداد لخلق برامج إنشائية كاملة وتنفيذها بالجرأة والحماسة الواجبتين فى هذا الظرف الذى تولد به عوالم جديدة

وأنا شديد الشك فى صلاحية عقليات الأحزاب الحاضرة ورجالاتها لمواجهة مثل هذه البرامج الكاملة ، فقصارى ما يفكر فيه هؤلاء الرجال هو مشروعات جزئية لا تناسق فيها ولا انسجام ، ولا تربطها وحدة تفكيرية معينة

وثمت عقبة أخرى تحول بين الهيئات الحزبية الحاضرة والاتجاه الجديد ، فهذه الهيئات أجهزة قديمة صدئة لا تستطيع أن تتحرك حرة من أثقال الماضى . ومعظم رجالها فى سن الكهولة والشيخوخة ومن العسير على الكهل أو الشيخ أن ينهج فى تفكيره وفى حياته نهجاً جديداً ، ويدع مألوفه فى خمسين عاماً أو ستين . وقليل من أفذاذ الرجال هم الذين يحتفظون برصيد من قواهم لمواجهة التجديد الكامل . ومن هنا يخالجنى الشك المطلق فى صلاحية رجال الجيل الماضى لمواجهة مطالب الجيل الجديد

خذ مثلا لذلك الديوان الحكومى — وهو أقل مؤنة من الاتجاه الاجتماعى — فالكل مجمعون على أنه جهاز بطىء الحركة ، قليل الإنتاج ، فاسد النظام (باعتراف ديوان المحاسبة) ، فهل بين رجال الجيل الماضى من يصلح للقضاء على النظام الديوانى القائم كله ، وإنشائه على أسس جديدة فى دفعة واحدة ؟

كلهم يشفقون من هذه الخطوة الجريئة ، ويخشون أن يقف دولاب العمل ، وكلهم يميلون إلى سياسة الترقيع بدل سياسة الإنشاء ، لأن رصيدهم من القوى العصبية لا يكفى لهذا الابتكار الكامل ، ولا يصلح لمواجهة نظام مبتكر لم يألفوه فى الأربعين أو الثلاثين سنة التى عاشوها فى ظل النظام الديوانى العتيق !

وهناك أمثلة كثيرة ... ولكننا لا نمضى فى سردها لأنها ليست علة بذاتها ، وإنما هى أعراض لعلة أصيلة ؛ هى عدم وجود سياسة إنشائية مرسومة ، قائمة على تحقيق العدالة الاجتماعية وتجديد المجتمع المصرى تجديداً كاملا فى شتى الاتجاهات

وهذا التجديد الكامل فى حاجة إلى عقلية لا ماضى لها ! فى حاجة إلى عقلية إنشائية مبتكرة ، تنفر من أنصاف الحلول ، وتشمئز من منظر الترقيع فى الثوب البالى القديم ! !

* * *

ونحن — إذن — فى حاجة إلى أحزاب جديدة ذات عقلية إنشائية تنظر إلى المجتمع المصرى على أنه وحدة كاملة ، وترسم لإنشائه وتجديده سياسة جريئة حازمة متناسقة ، موحدة الروح فى شتى الوزارات والدواوين والإدارات ، وتتفاضل فيما بينها بالبرامج الاجتماعية الشاملة التى تعالج بها المجتمع المصرى المريض

وإذا قلت البرامج الاجتماعية الشاملة ، فإنما أعنى الاقتصاد والثقافة والتشريع بوجه خاص

فمن الناحية الاقتصادية نحن مجمعون على سوء توزيع الثروة العامة وعلى ضآلة الثروة القومية . أما الوسائل لمعالجة هذين النقصين فقابلة للاختلاف عليها بين الأحزاب

والبرنامج الاجتماعى الذى يعالج هذه الظاهرة لا بد أن يكون ذا أثر فى الاتجاهات الثقافية ، فيحرص على إتاحة الفرص لكل فرد إتاحة حقيقية بريئة من التهريج الحزبى ، ولن يتحقق هذا إلا بأن يجد كل راغب فى التعليم الصالح له مكاناً فى المدرسة المصرية لا يصده عنه عجزه عن النفقات التعليمية ، ولا حاجة أهله إليه ليعمل فى سبيل القوت قبل أن يتجاوز سن التعليم

ولا يكفى أن يتاح له التعليم على هذا الوجه ، بل لا بد أن يكون هذا التعليم موجهاً توجيهاً اجتماعياً معيناً يقرر مبدأ العدالة الاجتماعية فى أذهان النشء ، حتى يصبح إحدى العقائد التى تبثها المدرسة فى نفوسهم بتعاليمها ونظمها وتوجيهاتها النظرية كذلك

وعندئذ يكون للتعليم المصرى طابع ويكون للمدرسة هدف اجتماعى بجانب الهدف التعليمى الذى تسير إليه الآن على غير قصد ولا انتباه !

والتشريع هو أحد الأدوات لتحقيق البرامج الاجتماعية الشاملة ، فيجب أن يكون للتشريع عقلية موحدة ترمى إلى أهداف موحدة ، وتتفق مع البرامج الاجتماعية بوجه عام .

* * *

والكلمة الآن للأحزاب المصرية القائمة ، ولكنها فى الأغلب لمجموعات الشباب التى لم تتقيد بماض ثقيل يشلها عن الحركة الحرة فى الاتجاه والتنفيذ على السواء

أما الأحزاب القائمة ، فقد أدت دورها ، ومن الواجب أن تنسحب من المسرح قبل فوات الأوان ، ذلك إلا أن نستطيع التجدد والتحور لنواجه الحاضر والمستقبل ، وهذا ما لا أحسبها تطيقه ، وليس فى تاريخها حتى اليوم ما يدل على أنها تراه

سيد قطب

البلاغة العصرية واللغة العربية

تأليف الأستاذ سلامة موسى

للأستاذ أحمد محمد الحوفى

— ٣ —

دعوته إلى العامية — دعوته إلى الحروف اللاتينية — دعوته إلى إلغاء الاعراب . . . .

— ١ —

« يجب ألا يكون للمجتمع لغتان إحداهما كلامية أى عامية ، والأخرى مكتوبة أى فصحى كما هى حالنا الآن فى مصر وسائر الأقطار العربية ؛ لأن نتيجة هذه الحال أن اللغة المكتوبة تنفصل من المجتمع فتصبح كأنها لغة الكهان التى لا تتلى إلا فى المعابد ، وينقطع الاتصال الفسيولوجى بينها وبين المجتمع فلا تتطور ، ولهذا يجب أن تكون غايتنا توحيد لغتى الكلام والكتابة ، فنأخذ من العامية للكتابة أكثر ما نستطيع ، ونأخذ من الفصحى للكلام أكثر ما نستطيع حتى نصل إلى توحيدهما » ص ٤٧ .

لم يقنع المؤلف بالدعوة إلى استعمال الكلمات الأعجمية ، فعاد يحمل لهدم بنيان اللغة العربية الشامخ معولا قد حمله غيره من قبل فتثلم ، وضاعت الدعوة السابقة سدى ، وستذهب دعوته هذه أباديد لا رجع لها ولا صدى ، وأية دعوة أخطر على اللغة من اطراح الكلمات العربية واتخاذ العامية لغة فنية للشعر والكتابة والخطابة ؟ وما دامت العامية محرفة عن الفصحى فلم نفضل الدخيل على الأصيل ؟

ولم لا تكون الفصحى أحق بالاستعمال مادام القراء يفهمونها ؟

ونحن نرى فى عصرنا هذا أن كثيرين جداً من الأميين يسمعون الصحف ويفهمونها ، ويصيخون إلى الخطب السياسية والدينية ويستوعبونها ،وينصتون إلى الأغانى الفصيحة ويحفظونها، حتى إن الغلمان الذين لم يجلسوا إلى معلم يرددون فى هذا العصر جملا مما حفظوا وهم لها فاهمون ، وليست اللغة الفصحى فى نظرى هى المحشوة بالغريب ، ولا العويصة التراكيب ، ولا الخفية المجاز ، وإنما هى التعبير الصحيح الجارى على قواعد اللغة وإن كانت مفرداتها فى متناول الجميع .

فلن تنفصل الفصحى إذن من المجتمع ، ولن تصير كلغة الكهان التى لا تتلى إلا فى المعابد ، فإن الشعب كله يفهمها ، ورقى الشعب يقربها إليه ويقربه منها .

ليس عندنا مبرر إذن لتطعيم لغتنا الفصحى بأكثر ما نستطيع من العامية ، ولا أحد يزعم أن العامية كالفصحى ثراء وسعة ومرونة وموسيقية ، فالعامية فقيرة ، وليست بصالحة لتصوير المعانى الراقية أو خلجات النفوس ، فمن أراد التنفيس عما يجيش بين جوانحه من عواطف استمد من معين الفصحى الثر الذى لا يغيض ، وإذا اهتاج جرت على لسانه كلمات من الفصحى لم يزورها أو يتكلفها .

على أن العامية تختلف باختلاف الأصقاع والأقاليم ، فعامية الصعيد تغاير بعض المغايرة عامية الشمال ، وعامية مصر تخالف عامية الشام وهكذا ، فإذا أضفنا إلى لغة الأدب أكثر ما نستطيع من العامية انفصم الرباط الوثيق الذى ينتظم الأمة العربية ،ووأدنا الوحدة التى ننشدها وهى ما زالت فى المهد .

وبم تسمى اللغة الجديدة ؟ وما خصائصها المميزة لها وهى أخلاط وأمشاج من فصحى ، وعامية منشعبة منها ، ومن تركية ، ومن أوروبية محرفة ، ومن أوروبية غير محرفة دعا الأستاذ إلى اصطناعها فى المقال السابق ؟ ولسنا وحدنا بدعا فى أن لغة الكتابة عندنا تغاير لغة الخطاب ، فهذه المغايرة عامة فى اللغات كلها ، بيد أن الفرق عندنا أوضح وأبرز ؛ لطول العهد بالجهل ، والاستبداد ، ومحاربة اللغة القومية بالتركية آناً ، وبالإنجليزية والفرنسية آنا ، ولذا تقاربت اللغتان فى ربع القرن الحاضر لما ذاعت الثقافة ، وتنسمنا الحرية واعتززنا بالقومية .

ولنفرض جدلا أن الأستاذ على حق فى رأيه ، ولنتخذ لغة الأدب خليطاً من العربية والعامية ، ثم نترقب قرناً واحدا ، فإذا عامية جديدة تشتق من هذه اللغة الجديدة ؛ لأن الشأن فى لغة الخطاب الميل إلى التيسير والتسهيل وعدم التحرز من الأخطاء ، فماذا نفعل آنئذ ؟ أنؤمن بأن لغة الكتابة لابد أن تتميز من لغة الحديث المعتاد ؟ أم ننشئ لغة جديدة للكتابة ملفقة من تلك

اللغة التي اعتسفناها من الفصحى والعامية ومن هذه اللغة العامية الناشئة ؟

وما مصير تراثنا العظيم من قرآن وحديث وشعر ونثر ؟

سيصير أحاجي وألغازاً ولغة أثرية دارسة لا يفقهها إلا قلة ممن يشغفون بدراسة الآثار القديمة شأن اللغة اليونانية واللاتينية ، فهما أصل اللغات الأوروبية الحديثة ولكن لا يعرفهما إلا الأقلون . ربما رأى المؤلف أن الأوروبيين يترجمون روائع اليونان والرومان إلى لغاتهم الحديثة فلنصنع صنيعهم فنترجم حينئذ القرآن والحديث وروائع الشعر والنثر القديم إلى لغتنا الحديثة ، وأعتقد أن هذه فكرة من الهوان بحيث لا يتجادل فيها قلمان .

— ٢ —

« وعندى أن بعض المميزات لما يقترحه عبد العزيز فهمى باشا من اتخاذ بعض الحروف اللاتينية فى كتابتنا يعود إلى أن هذه الحروف تضمنا إلى مجموعة الأمم المتمدنة ، وتكسبنا عقلية المتمدنين » ص ١١٧

« والواقع أن اقتراح الخط اللاتينى هو وثبة إلى المستقبل ، لو أننا عملنا به لاستطعنا أن ننقل مصر إلى مقام تركيا التى أغلق عليها هذا الخط أبواب ماضيها وفتح لها أبواب مستقبلها » ص ١٣٨

أما اصطناع الحروف اللاتينية فى الخط العربى فإنه اقتراح صرعه النقد ، فلا حاجة بى إلى ذكر مساوئ الموتى .

ولا أذكر أن فى مصر مؤيداً آخر لهذا الاقتراح غير الأستاذ سلامة موسى . والجديد فى تأييده أن اصطناعنا الحروف اللاتينية يضمنا إلى مجموعة الأمم المتمدنة ، ويكسبنا عقليتها ، ويغلق علينا أبواب ماضينا ، ويفتح لنا أبواب مستقبلنا كما حدث فى تركيا .

ولو أن التمدن وكسب العقلية رهينان باستعمال خط الأمم الراقية لسهل التمدن على كل أمة متخلفة عن ركب المدنية ، فما عليها إلا أن تستعير حروف أمة أرقى منها لتبلغ شأوها ، وتفكر على غرارها ، حتى وإن اتفقت الحروف واختلفت اللغة وتباين النطق والمعنى !

ومعنى هذا أن جميع من يلبسون الملابس الأفرنجية قد تمدنوا ، وأنهم يفكرون كما يفكر الأفرنج . وما الغرابة فى هذا القياس ، والزى ألصق بالمرء وأعظم تأثيراً فى شخصيته من الحروف التى يكتب بها بين الحين والحين ؟

لقد تحضرت الأمة العربية ولم تصطنع حروف أمة أرقى منها ، وانفلتت أوروبا من عقالها مسترشدة بأعلام العرب وصوامع وإشعاعهم ومع ذلك لم تتخذ حروفهم ، ووثبنا نحن منذ عصر إسماعيل وثبات بدون حاجة إلى حروف اللاتين لتحفزنا إلى الوثوب ، أو تجذبنا نحو الهدف المنصوب . وهاهى ذى اليابان أتت بالأعاجيب فى نهضتها على حداثة نشأتها ولم تتسلف من أمة أرقى منها حروف كتابتها .

ولو أن الحروف تصنع العقلية لتساوت عقلية الأمم التى تكتب بالحروف اللاتينية ، فليس المعول إذن على الحروف ولكن على الروح الذى يستعمل الحروف .

ولم تنهض تركيا لأنها استبدلت بحروفها العربية حروفاً لاتينية ، فقد حدث هذا الاستبدال بعد النهوض والاستقرار ، على أنها أبدلت مستعاراً بمستعار .

— ٣ —

« وليس على التلميذ من حرج أن يقرأ فيرفع المفعول وينصب الفاعل ما دام يفهم ما يقرأ ، أما فى المدارس الثانوية فنشرع فى تعليم أقل ما يستطاع من قواعد النحو ، ولا نبالى الإعراب الذى أثبت الاختبار أنه لا فائدة منه بتاتا ، والوقف فى أواخر الكلمات أى إسكانها هو الخطة السديدة التى يجب أن تتبع »

« وقد قال هربرت سبنسر إنه لم يتعلم النحو قط ، وإنه درس وألف فى هذه اللغة دون أن يحتاج إلى دراسة النحو ، ولا يمكن عربياً أن يقول مثل هذا القول عن لغته » ص ١٣٣

« واقتراح عبدالعزيز فهمى باشا يحتاج أولا إلى العمل بإلغاء الإعراب » ص ١٣٨

وهذا تجديد آخر ، أى هدم آخر لهذه اللغة التى قاومت الأعاصير أكثر من ألف عام ، وهى كالصخرة يرتطم بها الموج فينحسر ، وتنهال عليها معاول الهدم فتفل وتتكسر .

التجديد المخلص للغة العربية أن يلغى الإعراب منها فيرفع المفعول وينصب الفاعل مادام القارىء يفهم ما يقول ! ثم تبلبل

الأستاذ فقال إن إسكان أواخر الكلمات هو الخطة السديدة التى يجب أن تتبع ، والإسكان شيء والفوضى فى الشكل شيء آخر .

ونحن نسأل الأستاذ : كيف يفهم القارئ ما قرأ وقد نصب الفاعل ورفع المفعول ؟ وروح اللغة التى يقرؤها لا تطاوعه على هـذا الفهم ، وذوق القارئ نفسه ما دام قد فهم معنى ما قرأ لا يطاوعه على هذا الخلط ، بدليل أن العرب — قبل أن تستنبط القواعد من لغتهم — كانوا يرفعون الفاعل وينصبون المفعول بالسليقة ، لأن هذه الحركات فى أواخر الكلمات ذات دلالات معنوية على المواد ؛ وهذه سليقة فيهم توارثوها وتناقلوها كما يأخذ أبناؤنا فى هذا العهد عنا أوضاع لغتنا العامية .

ولذلك يقول عبدالقاهر الجرجانى فى الرد على منكرى ضرورة النحو : « وأما زهدهم فى النحو واحتقارهم له ، أو إصغارهم أمره وتهاونهم به فصنيعهم فى ذلك أشنع من صنيعهم فى الذى تقدم ، وأشبه بأن يكون صداً عن كتاب الله وعن معرفة معانيه ؛ ذاك لأنهم لا يجدون بداً من أن يعترفوا بالحاجة إليه ، إذ كان قد علم أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذى يفتحها ، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها ، وأنه هو المعيار الذى لا يتبين نقصانه كلام ورجحانه حتى يعرض عليه ، والمقياس الذى لايعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه ، ولا ينكر ذلك إلا من ينكر حسه ، وإلا من غالط فى الحقائق نفسه » .

ثم يقول مبيناً أن النحو نبراس لفهم المعنى بدقة : « وإذا نظرتم فى الصفة مثلا فعرفتم أنها تتبع الموصوف ، وأن مثالها قولك : جاءنى رجل ظريف ، ومررت بزيد الظريف ، هل ظننتم أن وراء ذلك علماً ؟ وأن ها هنا صفة تخصص وصفة توضح وتبين ؟ وأن فائدة التخصيص غير فائدة التوضيح ، كما أن فائدة الشياع غير فائدة الإبهام ؟ وأن من الصفة صفة لا يكون فيها تخصيص ولا توضيح ، ولـكن يؤتى بها مؤكدة كقولهم (أمس الدابر) ، وكقوله تعالى : (فإذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) ، وصفة يراد بها المدح والثناء ، كالصفات الجارية على اسم الله تعالى جده ؟ وهل عرفتم الفرق بين الصفة والخبر وبين كل واحد منها وبين الحال ؟ وهل عرفتم أن هذه الثلاثة تتفق فى أن كافتها لثبوت المعنى للشىء ثم تختلف فى كيفية ذلك الثبوت ؟ »(١)

فالنحو فى رأى الجرجانى ليس لصحة الشكل فقط ، بل وللتعبير الدقيق عن المعانى ، وللفهم الدقيق لهـذه المعانى ، فهو إذن من صميم اللغة وجوهرها .

وأما الزعم بأنه لا يستطيع عربى أن يجيد لغته بدون تعلم النحو فيدحضه أن العرب — إلى أن خالطوا العجم فى الإسلام — كانوا يجيدون لغتهم غير مفتقرين إلى تعلم النحو ، وأن البارودى فى هذا العصر أجاد اللغة فهماً . وأجاد الشعر نظماً ، ولم يتعلم النحو ، وذلك بكثرة القراءة والحفظ ، لأنهما أجدى على المتعلم من قواعد النحو التى لا يصحبها تطبيق متكرر .

استمع إلى ما يقوله الشيخ حسين المرصفى فى الوسيلة الأدبية عن البارودى وهو من أعرف الناس به : « محمود سامى البارودى لم يقرأ كتاباً فى فن من فنون العربية ، غير أنه لما بلغ سن التعقل وجد من طبعه ميلا إلى قراءة الشعر وعمله ، فكان يستمع بعض من له دراسـة وهو يقرأ بعض الدواوين ، أو يقرأ وهو بحضرته حتى تصور فى برهة يسيرة هيئات التراكيب العربية فصار يقرأ ولا يكاد يلحن ... ثم استقل بقراءة دواوين مشاهير الشعراء من العرب وغيرهم حتى حفظ الـكثير منها دون كلفة ، واستثبت جميع معانيها ، ناقداً شريفها من خسيسها ، ثم جاء من صنعة الشعر اللائق بالأمراء » .

وقد فطن ابن خلدون قبل ذلك إلى أن الطريقة المثلى فى تعليم اللغة المرانة وكثرة الحفظ والقراءة ، لينطبع لسان المتعلم وفكره على اللغة ، وقرر أن سكان الأمصار أشد إغراقاً فى اللحن من سكان البوادى ؛ لأنهم لقنوا أول الأمر لغة ملحونة فاعوجت ألسنتهم واختلطت لغتهم . فالنحو وحده لا يكفى بل لابد من مخالطة الأعراب والتدرب على محادثتهم لأن اللغة ملكة والملكات لا تكتسب إلا بالتكرار والارتياض والمران ، فقد كان العربى يحاكى أهله فى نطقهم وتعبيرهم كما يحاكى الطفل أهله فى النطق بالمفردات والتراكيب ، وفى ذلك يقول ابن خـلدون : « وهذا هو معنى ما تقوله العامة من أن اللغة للعرب بالطبع أى بالملكة الأولى التى أخذت عنهم ، ولم يأخذوها عن غيرهم » .

(١) دلائل الاعجاز ص ٢٣ .

لغــــة السياسة

للدكتور عبد العزيز برهام

للسياسة لغة تختلف كل الاختلاف عما تواضع عليه الناس . إذ من المهارة السياسية أن تصل إلى أغراضك ولو من طريق ملتو . وقديماً قيل : الغاية تبرر الوسيلة . وأنه ما دام للمائدة آداب وللحفلات آداب ، وللزيارات آداب ... فلماذا لا يكون للسياسة آداب كذلك ؟ ومن مظاهر آداب السياسة أن تكون لغتها من الرقة والسمو بمكان ، بحيث لا تشعر المتحدث إليه بالرغبة فى السيطرة عليه أو استغلاله . فلغة « الأمر » قد تسمى بلغة « النصح » . وبداهة أن النصيحة لا تقيد المنصوح له برأى الناصح ولا تلزمه الأخذ به ؛ فله كامل الحرية إن شاء أخذ وإن شاء يذر؛ ولكن لها عند بعض الساسة معنى آخر . فإذا تفضل عليك ناصح بألا يطرح مشروع كذا فى مناقصة ورأيت أنت أن الخير لك ولوطنك فى غير ذلك عتب عليك فى عدم الأخذ بمشورته عتابا قد يكون مراً ، وقد يبلغ درجة اللوم والإحراج والتوعد ، وإذا نصحك بكذا وكيت لهوى قد يكون فى نفسه ولم تتابعه فى رأيه تململ واستاء ، لأن « النصح » على لسانه نصح من « نوع خاص » .

ولقد يتطوع لزيارتك زائر كريم ، ويتحدث إليك فى أمور يكثر الجدل فيها ، وتتناقلها الألسن ، ثم يبدى لك فى أدب جم بأن « من رأيه » أو « من رأى حكومته » أن تحل العقدة بكذا وكذا ، ثم يتركك وقد فهم كل منكما ما انطوت عليه سريرة الآخر ، وهو فى سعيه مشكور شكر الناصح المخلص . وإذا المشروع يطوى ، والجو يصفو ، والنفوس تهدأ ، ويعود الأمر كما بدأ ، وتصفق الأيدى للحل السعيد .

وقد يكفى مجرد « إظهار الضجر وعدم الرضا » لإيقاف المتحرك وتحريك الساكن . فإذا لم يُظهر بعض الدوائر المالية ارتياحا إلى أن تكون اللغة العربية هى لغة وطنها ؛ وإذا ارتأت دور الخيالة فى استخدام هذه اللغة فيما تعرض من أشرطة حرجا عليها فمعناه بلغة السياسة : قنوعا بما رضى الدخيل بمنحك إياه ، وشكراً له على تفضله .

« والمركز الممتاز » فى عرف الساسة الطالبين له هو صنيع يؤدى إلى من يطلب منه منحه : وكيف لا والدافع إليه شدة الحدب على المهيض الجناح ، والحرص على المحافظة عليه ؛ فالجيش

ولهذا رأى (فتربنو) زعيم التربية الأدبية فى إيطاليا أن أنجع حيلة لتعليم اللغة اللاتينية للأطفال أن يجعلها لغة المحادثة منذ الصغر يتفاهمون بها ، ويتحدثون مع أستاذهم ، على أنه عنى بتجويد نطقهم ، وجودة إلقائهم ، وتمثيلهم للمعانى .

ولهذا أيضاً كانت عادة العرب ولا سيما الخلفاء أن يرسلوا أولادهم إلى البادية لتنشئتهم على الفصاحة فيما ينشئون عليه .

فليس بدعا إذن أن يتعلم سبنسر اللغة الإنجليزية بدون قواعد .

وليس مستحيلا ولا عسيرا فى كثير أو قليل أن يتعلم أحد اللغة العربية أيضاً بدون قواعد ، فقد كان هذا يحدث فعلا ، وقد دعا إلى انتهاجه بعض المربين كابن خلدون . ليس الصواب إذن فى إلغاء النحو ، إنما الصواب فى تبسيطه وتيسيره ، وأن نتوخى سلامة التعبير فيما يسمعه التلميذ ويقرؤه ، وأن نكثر من تمرينه وتدريبه .

وبعد فالمدارس المصرية تعلم من النحو نتفاً ضرورية لا غنى عنها فى استقامة الأسلوب وفهم المعانى ، وشتان بين عهد درس فيه الأستاذ بعض النحو دراسة نظرية جافة مملة وبين تدريس النحو فى هذا العهد تدريساً نظرياً عملياً مشفوعا بالتطبيقات .

ثم لماذا يحرص الفرنسيون مثلا على أن يعلموا الدارسين للغتهم من أبنائهم ومن غيرهم قواعد لغتهم ، وهى لحيانا أكثر تشعبا من قواعد اللغة العربية مع رغبتهم فى نشرها وسيادتها وتيسير تعلمها على الراغبين ؟

وإذا كان الإعراب قد كاد يكون خصيصة للغة العربية وحدها بعد أن قل فى الألمانية فإن الوسيلة الوحيدة لتيسيره ليست إلتاءه بالتسكين ، ولا الفوضى فى نطق الحركات كيفما جرى بها اللسان ، وإنما بكثرة القراءة والمران ، والتدريب على القواعد الموضوعة لهذا اللسان .

(يتبع)

أحمد محمد الحوفى
المدرس بالسعيدية الثانوية

الدخيل الذى يحتل أرضه ليس له من مأرب إلا رد المعتدين عنه ، والثقافة التى تفرض عليه إنما يراد بها رفع مستواه العلمى والخلقى ، ومدارس التبشير ليست إلا لهدايته سواء السبيل ... ولكنه فى الواقع والحقيقة انتقاص شائن من حرية من يسلم به ، واعتداء على كرامته واستقلاله ، واعتراف منه بأنه ليس لهذا الاستقلال أهلا

ومن غرائب الصدف أن لغة السياسة من نصائح مسداة ، وآراء مبذولة ، وامتيازات مطلوبة ، لا تتخذ هذا المعنى « الرفيع » الخاص إلا إذا جرت على لسان قوى وتحدث بها إلى ضعيف أو إلى من يظن فيه الضعف . فالدول الكبرى فى مؤتمر (سان فرنسيسكو) تنصح عملياً للدول الصغرى بأن تقلل من شطحاتها وبأن تتعلم الطاعة وتستسلم صاغرة لما يراد بها ، ولكن إذا ما جد خلاف بين بعضها هى وبين بعض كانت لغة التوفيق ذات معان أخر وذات أسلوب آخر .

والسياسى الماهر هو الذى يقف من خصمه موقف مفسر الأحلام الذى استدعاه أحد الملوك ليفسر له حلماً أفزعه . وعلم المفسر أن قد سبقه فى هذا المضمار آخرون قربت المقصلة آخرتهم ؛ لأنهم أخبروا الملك أن جميع أفراد أسرته سيموتون قبله وسيموت هو بعد ذلك . فلما أحضره الملك بين يديه وسأله عن تعبير رؤياه أجابه : ستكون أطول أفراد أسرتك عمرا .

و (الدبلوماسى) البارع هو الذى لا يضع السيف فى موضع الندى ، والذى يصل بمعسول ألفاظه إلى ما لم تصل إليه القنابل الطائرة .

لما أخفقت الحملة الفرنسية على (مصر) وخشى (نابليون) أن يكون فى رحيل جنوده عن (وادى النيل) ما يذهب بالأثر الثقافى والعلمى الذى تركته بحث عن رجل يمثل (فرنسا) فى (مصر) وتكون رسالته « أن يحافظ على النفوذ الفرنسى رغم الهزيمة ، وأن يؤسس بالطرق (الدبلوماسية) ما عجزت الأسلحة عن تشييده » فوقع اختياره على (متيو دليسبس) Mathieu de Lesseps . وكانت وصية (تلليران) Talleyrand له وهو يودعه : « اتخذ لنفسك صديقاً : رجلا من بين خصومنا ، وسيكون فى صداقتك له ما يجعل منه واحداً منا » — وكلنا يذكر ما كان لصداقة هذا (الدبلوماسى) لمحمد على وبنيه من الأثر الكبير فى نجاح مشروع فتح (قناة السويس) .

ولقد أدخل القرن العشرون فى معجم السياسة كثيراً من الألفاظ التى غيرت من مدلولها ، وأضاف مؤتمر (سان فرنسيسكو) إليه مصطلحات جديدة . فبعد أن كنا لا نسمع إلا ألفاظ الاستعمار والانتداب والحماية ... أصبحنا نسمع كذلك ألفاظ الوصاية الفردية والوصاية الدولية ... ومن يدرى فربما أضيفت إليه فى المستقبل صفحات .

والحق أن الغاية من كل هذا واحدة : إخضاع الضعيف لسلطان القوى ، شأنه فى ذلك شأن الذئب والحمل الذى قيل إنه كان يعكر عليه الماء . وسواء لدى القوى أطلب منه الضعيف الوصاية عليه أم لم يطلبها ، فهو فى الحالين أهل لهذه الوصاية . ومن حق القوى أن يأخذ بيده حتى يصل به إلى درجة البلوغ الإنسانى ليستحق بذلك أن يكون عضواً فى جماعة الإنسانية .

ولو أنك سألت (عصبة الأمم) لماذا قررت (وضع سورية ولبنان) تحت الانتداب الفرنسى ، لأجابتك فى كثير من البساطة ، لتساعدهما على النهوض والاستقلال بأنفسهما ، ولتصل بهما إلى درجة من الرقى والحضارة تجعلهما أهلا لعضوية هذه العصبة . ولكنك لو سألت اليوم (فرنسا) لماذا لا تترك هذه البلاد بعد أن أدت فيها رسالتها (ما دامت الرسالة لم تكن الغاية منها إلا مصلحة الشعب المغلوب على أمره) أجابتك ، وعلى شفتيها ابتسامة : والمنشئات الحربية ، والمواقع (الاستراتيجية) والمدارس والمستشفيات والكنائس التى أسسناها ... ؟ أتريدنا على أن نترك كل هذا دون عوض وأن ننصرف كما قدمنا ؟ ولماذا إذن كانت كل هذه الجهود التى بذلناها قراب عشرين عاما ؟ وكيف يجرؤ الشعب الذى امتصصنا دمه وأذقناه الذل والهوان ، وحاولنا وضع بذور التفرقة بين وحداته على إنكار ما أسدينا إليه من صنيع ؟

قلت ما أحكم قول شاعر المعرة :

وأرض بت أقرى الوحش زادى ... بها ليثوب لى منهن زادُ

فأطعمها ؛ لأجعلها طعامى ... ورب قطيعة جلب الودادُ

عبد العزيز برهام

تسوية المنازعات الدولية

للأستاذ نقولا الحداد

قرأنا بالأمس النص الرسمى لميثاق السلم والأمن فلم نر فيه الضمانة التامة للسلم والأمن ، على الرغم من بذل كل مجهود فى سان فرنسيسكو .

فى هـذا الميثاق هيئتان كبيرتان للحرص على الأمن الدولى : الأولى الجمعية العمومية المؤلفة من جميع الأمم المتحدة التى كانت ممثلة فى مؤتمر سان فرنسيسكو . والأخرى مجلس الأمن وهو مؤلف من أحد عشر عضواً ، خمسة منهم ذوو كراسى دائمة فى المجلس وهم بريطانيا والولايات المتحدة الأميركية وروسيا والصين وفرنسا . والستة الباقون تنتخبهم الجمعية العمومية من سائر الأمم المتحدة الأخرى لمدة سنتين ثم ينتخب غيرهم .

على أن حبل الأمن والسلم فى يد هذا المجلس وهو أهم ما قرره المؤتمر ونص عليه فى هذا الميثاق . ولذلك نتساءل الآن هل يصون هذا المجلس سلام العالم ؟

كان العيب الأكبر فى جمعية الأمم السابقة التى تمخضت بها شروط الصلح بعد الحرب الماضية أنها لم تكن مسلحة لكى يمكنها أن تنفذ قراراتها . ولم يُتَح لها من وسائل التنفيذ سوى وسيلة واحدة وهى التوصية بمقاطعة الدولة المعتدية . ومع ذلك كانت هذه الوسيلة أضعف من الضعف لأن العمدة فيها كانت مروءة الدول أعضاء الجمعية . وليس للدول كما نعلم مروءات ولا ضمائر توجب عليها تنفيذ العهود .

وقد امتُحِنَت جمعية الأمم وضمائر الدول فى بعض المواقف فخابت . وكان آخر امتحان لها فى قضية اعتداء إيطاليا على الحبشة فحكمت الجمعية بمقاطعة إيطاليا . فما من دولة نفذت هذه المقاطعة ، اللهم إلاَّ انكلترا لأنها كانت فى الحقيقة هى لا جمعية الأمم ، خصم إيطاليا ، بل كانت هى وحدها جمعية الأمم وبقية الأمم الأخرى ذيولاً لها . وأما فرنسا فعكست حكم المقاطعة بأن أقرضت إيطاليا حينئذ عشرين مليون جنيه بدل أن تمتنع عن مساعدتها .

هذا كان أمر جمعية الأمم المرحومة . فما كانت إلا قصبة مرضوضة لا حول لها ولا طول ، فما صانت سلاماً ولا حفظت أمناً ولا منعت حرباً . فهل مجلس الأمن الذى وُلِد بالأمس أكثر طاقةً وأفعل صولةً منها فى حفظ السلام ؟ كان عيب جمعية الأمم المغفور لها أنها كانت عزلاء من السلاح . فهل مجلس الأمن الجديد مولود مسلحاً ؟

يستفاد من الفصل السادس ، فصل تسوية المنازعات ، من مادة ٣٦ إلى مادة ٥٥ ، أن مجلس الأمن يبذل كل مجهود لفض النزاع بين الدولتين المختصمتين بالطرق السلمية . وما عهدنا نزاعاً انفض بالطرق السلمية إلاَّ نادراً جداً بين دولتين متعادلتين قوة وسلاحاً . وأما إذا كانت إحداهما أضعف من الأخرى فلا يجدى إظهار الحق ولا محكمة العدل جدوى فى التسوية بينهما سلمياً . فإما أن تستسلم الضعيفة مغلوبة على أمرها مغبونة ، أو أنها تدافع عن حقها مستنصرة بدولة أخرى ذات مصلحة .

فهل لمجلس الأمن المحبوب قوة حربية توقف الدولة المعتدية عن حدودها وتردها عن عدوانها ؟

المادة ٤٦ تخول مجلس الأمن أن يطلب إلى أعضاء الأمم المتحدة وقف الصلات الاقتصادية والمواصلات الحديدية والبحرية والبريدية والبرقية واللاسلكية الخ ؛ وقطع العلاقات الدبلوماسية مع الدول المعتدية .

وهب أن بعض الأمم المتحـدة امتنعت عن أن تلبى هذا الطلب (كما حدث فى مسألة الحبشة إذ لم تقاطع أى دولة إيطاليا) فما الذى يرغمها على تلبية الطلب ، أتوقيعها على الميثاق ؟ فما كان توقيع المواثيق يوماً من الأيام مقدساً محترماً . ما كان إلا قصاصة ورق .

ولمجلس الأمن أن يقرر استخدام القوة وأن يطلب من الأمم المتحدة تقديم القوات المسلحة وفاء بالالتزامات فى مادتى ٤٧و٤٨ . فإذا نكصت بعض الدول عن تقديم المساعدة الحربية فمن يلزمها

أن تقوم بتعهداتها ؟ وهب أن الدول (أعضاء مجلس الأمن) اختلفت فيما بينها بشأن تنفيذ خطة المجلس أو قراره ثم تحولت الخصومة الصغرى إلى خصومة كبرى بين جانبي الدول فمن يحسم هذا الخلاف ؟

لنفرض مثلا أن رفعت الدولة السورية (وحينما نقول السورية نعني اللبنانية أيضاً) شكوى من فرنسا المعتدية ، ورأى مجلس الأمن أن لابد من استعمال القوة ضد فرنسا لأنها لم تذعن . وهب أيضاً أن بعض الدول تحيزت لفرنسا وأصرت على هذا التحيز ولم يعد ممكناً صدور قرار من مجلس الأمن ، أوأنه صدر قرار يستوجب طلب قوات حربية من الدول لإكراه فرنسا على الإذعان ولم تلب بعض الدول الطلب ، أفلا يمكن أن يتحول هذا الخلاف فى المجلس إلى خلاف كبير بين الدول ويعرضها لحرب هائلة ؟

قد تقول هذا فرض بعيد الحدوث جداً لأن الدول تعهدت وهى الآن فى ظروف وأحوال تدعها تستحى من نكث عهودها . ولكن بعد سنين أو عشرات السنين يسقط برقع الحياء ولا تعود تحترم عهودها . فإذن الفصل السادس من الميثاق لا يضمن السلام « على طول » ، أولا يضمنه غداً .

لو كانت نية جميع الدول حسنة وقد خلت من المطامع والمخاوف لكان فى إمكانها أن تجعل مجلس الأمن قوة حاسمة لكل خلاف بين الأمم صغيرة وكبيرة .

قد تقول : وكيف ذلك ؟

لو قررت الدول المؤتمرة فى سان فرنسيسكو أن تضع كل دولة كبيرة وصغيرة على الفور تحت يد مجلس العدل قوات حربية جوية وبرية وبحرية الخ بحيث يفوق مجموع هذه القوات قوة أعظم دولة — كل دولة تقدم بنسبة طاقتها — . ومجلس الأمن يجعل قواد هذه القوات وضباطها من غير جنسها تفادياً للتمرد ، وأن يفرق هذه القوات مختلطة فى مراكز رئيسية بحيث تكون مستعدة للعمل بسرعة عند الطلب — لوقرر المؤتمر تسليح مجلس الأمن على هذا النحو ونفذ قراره فى الحال ، إذ يكون أعضاء المؤتمر فى حماستهم وإبان شوقهم إلى السلام ، لكان مجلس الأمن هذا مجلساً دولياً مسلحاً حقيقة ، وكان فى إمكانه أن ينفذ قرارات الأكثرية بلا تردد ولا خوف من الشقاق

ومتى تم للمجلس هذا التسليح العظيم أمكنه أن ينزع سلاح جميع الدول ولا يبقى لها إلا ما هو ضرورى لحفظ الأمن الداخلى

على هذا النحو يكون المجلس الدولى مجلس أمن حقيقة ، وبه يصان السلام . ولكن ظهر من الميثاق الرسمى للسلم والأمن أن الدول دخلت قاعة المؤتمر وليس فى قلوبها صفاء ، ولا فى ضمائرها نيات طيبة إلى النهاية

لست أتشاءم من مجلس الأمن ، هذا الذى تمخض به المؤتمر ، فهو خطوة أخرى أفضل جداً من جمعية الأمم المرحومة . وإن شبت حرب ثالثة عظمى لا سمح الله بعد عجز مجلس الامن عن تداركها — وإن بقى بعدها مدنية — فسيكون مجلس الأمن القادم بعدها كما وصفته آنفاً .

وإلى الملتقى .

نقولا الحداد

التعليم ووحدة الأمة

للأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

- ٦ -

أخيراً استجابت والحمد لله وزارة المعارف لما سبق أن وجهناه إليها فى أوقات مختلفة من نداءات متكررة هاتفة بضرورة توحيد المرحلة الأولى من التعليم العام فى سبيل إيجاد أساس موحد للثقافة بين أبناء البلد الواحد وفى سبيل محو الفروق بينهم فى هذه المرحلة البدائية الضرورية لكل ناشىء . فلقد جاء فى الحديث المستفيض الذى أدلى به عن التعليم معالى وزير المعارف لمراسل الأهرام بتاريخ ٥ يونيه سنة ١٩٤٥ بعد الكلام عن المشاكل التعليمية الوقتية وبصدد الكلام عن المشاكل الأصيلة ما يأتى : أن فى مقدمتها (أى المشاكل الأصيلة) مشكلة التعليم الإلزامى ، ففى مصر ما يقرب من ثلاثة ملايين من الأطفال فى سن التعليم الإلزامى لا يتلقى التعليم منهم الآن فعلا إلا أقل من مليون طفل . وهذا فضلا عن أن التعليم الذى يتلقونه فى المدارس الإلزامية تعليم يجمع الرأى على أنه فاشل . لذلك كان واجبنا الأول العمل على تعميم المرحلة الأولى من التعليم بأسرع ما يمكن . وليس هناك أى مبرر لتعدد أنواع التعليم فى تلك المرحلة من إلزامى وأولى وابتدائى فهذا نظام عتيق مناف للديمقراطية عدلت عنه جميع الأمم الأخرى الراقية وانتهت إلى توحيد المرحلة الأولى لجميع الأطفال . وبعد كلام آخر عن المجانية فى التعليم الابتدائى اختتم معاليه كلامه فى هذا الموضوع بالذات بقوله : « لذلك تتجه سياستى إلى العمل على توحيد التعليم الإلزامى والأولى والابتدائى فى مدرسة واحدة مشتركة تأتى بعدها المراحل الدراسية الراقية لكل طفل يظهر استعداداً لها . ويلى ذلك مرحلة تدعى مرحلة التعليم المتوسط ثم مرحلة التعليم الثانوى . وكل هذه المراحل لا تتجاوز ثلاث عشرة سنة » .

وإنه لاتجاه جميل جداً بل اتجاه ديموقراطى مستقيم أن تتوحد المرحلة الأولى فى التعليم الإلزامى والأولى والابتدائى وتنضم جميعها فى مدرسة واحدة لتتكون منها المرحلة البدائية فى التعليم؛ غير أنا نرجو أن تتوحد هذه المرحلة توحيداً لا يمس ثقافة الناشىء ولا ينتقص منها شيئاً عن طريق إقلال مدة التعليم فيها . إذ أن التنظيم الجديد يستدعى إيجاد مرحلة وسطى بين التعليمين الابتدائى والثانوى الحاليين ويستدعى جعل مدة التعليم فى المرحلة الأولى الجديدة أربع سنوات فقط ، مع أن مدة هذه المرحلة كانت عندنا سبع سنوات فى رياض الأطفال مع التعليم الابتدائى الحالى وست سنوات فى التعليم الإلزامى الحالى الذى نشكو قلة فائدته ونسيان التلاميذ لما يتعلمونه فيه بعد الانتهاء منه ، أو بقول أعم نشكو فشله كما جاء فى تصريح معالى الوزير آنفا . ولذا فأنا نرى أن الناشىء على النظام المقترح لا يمكن أن يستفيد فائدة معقولة من المرحلة الأولى الجديدة إلا إذا تابع دراسته فى المرحلة الثانية كلها وليس عندنا ما يلزمه بذلك . وفى هذا ما فيه من فشل المرحلة الأولى إذا اقتصر الطفل عليها فقط . وكثير جدا أولئك الأطفال على ما نعتقد الذين ستضطر الظروف أهليهم إلى الاقتصار على هذه المرحلة فقط دون السير فى المرحلة الوسطى .

إن هذا النظام المقترح لم ينفذ فى انجلترا إلا حديثاً بعد تطورات كثيرة فى نظم التعليم وبعد أن محيت منها الأمية وبعد أن استعدت له البلاد بالمعلمين اللازمين وبالأبنية الضرورية للمدارس ، وبعد نقاش وجدل وأخذ ورد كثير فى لجان مختلفة ، من لجنة هادو إلى لجنة أسبن إلى لجان أخرى . وكانت بعض المدارس قبل تنفيذ هذا النظام فى انجلترا تجمع بين الأطفال والمراهقين وتحتم على الطفل أن يتابع التعليم فيها من الطفولة إلى المراهقة . ولذا فأن الكثيرين من رجال التعليم عندنا يرون أن الأخذ بهذا النظام اليوم يعد طفرة غير ملائمة ، وربما كان ضرره بالتعليم أكثر من نفعه خصوصاً أنه يتطلب الآن زيادة كبيرة فى أمكنة المدارس وفى عدد المعلمين اللازمين بما لا يقل عن الثلث ، لأن فيه زيادة مرحلة بين مرحلتين وهى زيادة ضخمة لا نطيقها الآن خصوصاً بعد التجربة التى قستها البلاد على حساب الثقافة العامة فى تنفيذ مجانية

العام المنصرم، وقد لمس ذلك معالى الوزير بنفسه وصدر به تصريحاته عن المشاكل الوقتية فى التعليم فقال حفظه الله: « إن معظمها ناشىء من الخطة التى سارت عليها الوزارة فى السنوات الأخيرة من إرغام المدارس على قبول عـدد من التلاميذ يزيد كثيرا على ما تتسع له وتستطيع تعليمه والإشراف عليه إشرافاً مثمرا من غير عناية بأعداد المبانى والكتب والمعدات اللازمة لمواجهة الزيادة فى التلاميذ وإعداد المعلمين الصالحين لها . . » ثم ذكر معاليه فى سياق حديثه عن مجانية التعليم الابتدائى ما يأتى : « وقد شملت الفوضى امتحانات القبول بالمدارس الابتدائية وإنشاء الفصول إنشاء مرتجلا من غير إعداد المبانى ولا الأدوات اللازمة . واكتظاظ المدارس والفصول اكتظاظاً لا يقل عنه بالمدارس الثانوية ، ونقص المدرسين فى المدارس عن العدد اللازم ، واستمرار حركة التنقلات شهوراً بعد بدء الدراسة لمحاولة سد ذلك النقص . » ولذلك فأنا ندعو الله لمعالى الوزير الجليل بالتوفيق ونعيذه من أن ينال مشروعه من النقد ما نال غيره ؛ لأن التنفيذ السريع لهذا المشروع الضخم الكبير ربما يجرنا إلى ورطة أكبر من ورطة مجانية التعليم الابتدائى .

من أجل ذلك نرجو التريث فى الأمر وعرضه على بساط البحث بين رجال التعليم على اختلاف طبقاتهم لتمحيصه والاقتناع به حتى يخلصوا فى تنفيذه إذا جد الجد ، كما نأمل أيضاً فى معالى الوزير الديموقراطى أن يعرض الأمر على المجلس الأعلى للمعارف الذى نرجو أن يجتمع قريباً وأن يكون فى تشكيله مجلساً قومياً ممثلا لجميع الأحزاب حتى يتكون فى صف المشروع رأى عام قوى لا تزعزعه العواصف ولا يفكر فى إلغائه يوماً ما فيكون نظام التعليم عرضة لانقلابات تنزل به هزات وضربات قد تؤخره لا قدر الله وترجعه أعواماً إلى الوراء .

ثم إنا نرجو بعد أن اقتنع معالى الوزير بفكرة توحيد التعليم فى مرحلته الأولى أن نضع تحت نظر معاليه مشروعاً آخر نرى أنه أكثر ملاءمة لحالتنا الراهنة إذ ليس فيه قلب للأوضاع القائمة ونأمل أن يدرس بجانب المشروع الحالى :

ذلك أن يوحد منهج التعليم فى المدارس الأولية والإلزامية والابتدائية الحالية على أساس جعل مدة الدراسة فيها ست سنوات كاملة تنتهى فى سن الثانية عشرة على أن يكون المنهج خالياً من اللغات الأجنبية التى تبدأ دراستها فى مرحلة التعليم الثانوى لمن يستأنف دراسته فيها بعد ذلك ، وأن يخصص نصف وقت الدراسة أو أكثر فى جميع مدارس المرحلة الأولى للثقافة العامة المشتركة التى يجب أن تحوى مقداراً معيناً من أسس الثقافة كاللغة والدين والحساب الخ ، ويترك باقى الوقت لدراسة المنطقة المحلية ليكون تحت تصرف الهيئة التعليمية المشرفة على المنطقة تتولى هى وضع المنهج المحلى اللازم له باتفاق المدرسين والنظار والمفتشين . ثم يتفرع التعليم بعـد ذلك فى المرحلة الثانية إلى فروعه المختلفة بين ثانوى وزراعى وصناعى وتجارى الخ ؛ وأعتقد أن الشطر الأول من هذا المشروع كان قد تقدم باقتراحه أو باقتراح قريب منه على الوزارة بعد دراسته دراسة فنية معهد التربية فى سنة ١٩٣٤ عند النظر فى تنقيح خطط التعليم ومناهجه .

وإنى أسأل الله أن يوفق العاملين إلى ما فيه وحدة الأمة والنهوض بثقافتها ورفع مكانتها بين أمم الأرض جميعاً .

عبد الحميد فهمى مطر

يا فرنســـا . . .

[ادعت فرنسا أنها حامية سوريا ولبنان]

للأستاذ حسن أحمد با كثير

يا فرنسا ! يا بلاداً حاربت حيناً فتَلَّتْ للجبين
صمدت للغزو أسبوعين ثم استسلمت للمعتدين !
يا بلاداً حررتها قوة الأحلاف من رقٍ مهين ؟
اسمعى ثم اسمعى سخرية الأقــدار مما تصنعين
إنها تضحك نكراء الصدى والجرس جشاء الرنين
إنهــا تضحك ملء الكون والأزمان مما تدعين

ادعى أنك تبغين لنا خــيراً بقتل الآمنين !
ادعى أنك تحمين حمانا ببنيك الظافرين !
ادعى ما شئت زوراً واذكرى إذ سمت خسفاً منذ حين
واذكرى إذ عجزت كفاك عن أن تدفعا عنك المنون
واذكرى ماذقت من عسف ومن خسف ومن ذل وهون

أتظنين شعوب الضاد كالسنغال قوماً صاغرين ؟
تستبدين بهم مثل ضحايا الرق فى خالى القرون
من ستحمين من العدوان ؟ هل تحمين آساد العرين ؟
ثم ممَّن ؟ أمن الأحلاف ؟ والأحلاف ليسوا ظالمين
أم من الأعداء ؟ والأعداء قد نالوا جزاء المجرمين
نحن لا نبغى حماة فاذهبى واحمى بنيك الباسلين

يا فرنسا ! يا بلاداً حاربت حيناً فُتلَّت للجبين !
يا بلاداً حررتها قوة الأحلاف من رقٍ مهين !
احذرى أن تستفزّى أمة قد أقسمت ألاّ تهون
أمــة أمجادها تزداد إشراقاً على مرّ السنين
أمة مقدامة ترنو إلى مستقبل ضاحى الجبين
أمة تحمى حماها بالدم القــانى وبالعزم المكين

حسن أحمد با كثير

عرائس محطة الرمل

للأستاذ ادوار حنا سعد

هل طافَ أبكارُ الجنه — بكؤوس السحر وبالفتنه
أو تلك عرائس أمواج — من بحر قد سئمت سجنه ؟
حسن الأملاك ووسوسة الـ — ـخناس وإغواء الجِنه
أضـداد باتت تعجبنى — بالرمل وأعجب منهنه

قد خطرت بالشعر الداجى — وجدائل صفر الأمواج
وغدائر فرع رفاف — فضىٍّ كالماء الساجى
ومزاج منها مختلف — درجات ... أحبب بمزاج
قد عقصت تاجاً أو تركت — تهفو بالعطف الرجراج

من كل طروب فى خجل — أو كل شرود فى جذل
الشرق مع الغرب... التقيا — فى غالى الحسن ومبتذل
وجمال ساج من نَصَف — وشباب زاكٍ مكتمل
تاه العشاق بمن صحبوا — وبقيت بنسكى المفتعل

موسيقى الخطوة رقراقه — أغرت بفؤادى أشواقه
وثياب الفتنة قد لمعت — غيداء الذيل وخفاقه
ألوان الطيف وأعطار — كالزهر تؤلفه باقــه
الجسم بها كاسٍ عارٍ — يُذكرك التين وأوراقه

غامت عيناى من الطرب — كفَراش يرقص للهب
مرت ناعمة ما التفتت — ورنت فاتنة لم تجب
وأجابت عينا ساحرةٍ — قد خف سواك إلى أربى
وهفت لندائى (غانية) — فذممت سُراى ومنقلبى

الروح الحيرى ما هدأت — والبيض الخرّد مافتأت ...
تغرى الأحلام وقد سكنت — وقلوب الشيب وقد صدأت
سبحانك ربى... كم أبدت — عظة الأجساد وكم خبأت
من طين صلصالٍ خلقت — وإليك تعود كما بدأت

الاسكندرية — أدوار حنا سعد



من معالي مصطفى عبد الرازق باشا إلى الدكتور عثمان أمين (*)

صديقي الأستاذ الدكتور عثمان أمين

أول من ترجم للشيخ محمد عبده ، وعنى بنشر آثاره هو السيد محمد رشيد رضا صاحب « المنار » . والسيد رشيد رضا هو أول من لقّب الشيخ محمد عبده بالأستاذ الإمام . وهذا اللقب نفسه ينبئ بالصورة التي أراد أن يرسمها السيد رشيد لشيخه فيما كتب عنه ، وينبئ بالفكرة السائدة في وجهة نظر التلميذ إلى أستاذه .

الشيخ محمد عبده عند السيد رشيد رضا إمام من أئمة الإسلام ، له في الدين مذهب يقوم أصحابه على روايته وتدوينه كما قام أصحاب أبي حنيفة والشافعي وغيرهما على ما لأولئك الأئمة من مذاهب .

وإذا كان الشيخ عبده إماماً في الدين ، فالسيد رشيد رضا لاشك صاحبه ومفسر مذهبه ومكمله . وقد بذل منشئ « المنار » — رحمة الله عليه — مجهوداً في هذه الناحية ضخماً حافلاً بالمباحث الدينية والمناقشات الفقهية . وكان لهذا المجهود العظيم أثر غير ضئيل في طلاب العلوم الدينية ومن إليهم ، وفي توجيه الدراسات الشرعية في بلاد الإسلام المختلفة .

ثم نهض بعض الكتاب والباحثين لدراسات تتصل بالشيخ محمد عبده وآثاره من غير الناحية التي كان السيد رشيد يقصر نظره عليها ، وشارك في ذلك طائفة من المستشرقين ، لكن هذه الدراسات لم تعدُ في جملتها أن تكون محاولات متفرقة وأن يكون حظ الأدب فيها أكبر من حظ التعمق في البحث ، والاستقصاء في المراجع الآخذة في الازدياد .

***

ولقد رأيتك تتخذ من الأستاذ الإمام موضوع دراسة تحفز لها كل همتك ، وتقبل عليها بكل قلبك ، وشهدت بعض عنائك في تتبع المراجع وتمحيص النصوص ، واستقراء الآثار ، وحسن الانتفاع بذلك كله في الاستنتاج والحكم .

ثم قرأت رسالتك لما أتممتها ، وكنت حاضر مناقشتها حين تقدمت بها لنيل الدكتوراه . فكنت من أشد الناس سروراً بك وإعجاباً بمصنفك الممتاز الذي يبرز صورة للشيخ عبده صادقة ناطقة ، ويحيط بكل الجوانب من نشاطه الإصلاحي المترامي الأطراف ، ويعرض أنظاره الفلسفية في اتساق ووضوح وحسن طريقة . وإن كتابك ليسد ثغرة في الدراسات المتصلة بالشيخ عبده ، وفي الدراسات المتصلة بتاريخ نهضتنا الفكرية والاجتماعية الحديثة من ناحية أثر الشيخ عبده فيها .

***

مضى أربعون عاماً إلا قليلاً على وفاة الأستاذ الإمام ، فكتابك الطيب تحية الجيل الجديد من العماء لعلم الجيل القديم . وهي تحية كريمة تتأرج بالحب والوفاء . وأي شيء في الدنيا أكرم من الحب والوفاء .

شكر الله لك وحياك .

مصطفى عبد الرازق

(*) بمناسبة ظهور رسالته عن الإمام عبده .

١ — رفقاً بنا أيها التجار

بعد انهيار الميدان الأوربي أخذ التجار يفتنّون في الإعلان عن بضاعتهم ورخص أثمانها ، ولكنا وجدنا أنفسنا معهم كما قيل عن « أبي معشر » : « تقرأ فتفرح وتجرّب فتحزن » :

قسا تُجّارُنا حتى حسبنا ... قُلوبهمو حديداً أو حجاره !
إذا قلنا لهم : عطفاً علينا ... فإنا إخوة ، تَمنوا التجاره !
وصاحوا : الحرب ! ويح الحرب إنا ... جنينا دونكم منها الخساره !
وما صدقوا ، فإن الحرب فاءت ... عليهم بالنُّضار وبالنَّضاره
عَذِيرى منهمو شبعوا وجعنا ... وبعض الجُوع يدرك بالمراره
إذا حل الوباء بأرض قوم ... فزف إلى الحنوطي(۱) البشاره
سلوا الصابون كيف غدا لديهم ... يباع كأنه مسك العطاره ؟ !
عباد الله خافوا الله فينا ... أنشكو العرى أم نشكو القذاره

٢ — المبرد

ساق العلامة المحقق « النشاشيبي » في العدد ٦٢٣ من الرسالة

(۱) الحانوتي .

الفراء البيتين الآتيين فى ثنايا احتجاجه لفتح راء « المبرد » .

ومليح إذا النحاة رأوه فضلوه على «بديع الزمان»
برضاب عن «المبرد» يروى وبهود تروى عن «الرمانى»

وقد قال : إنهما لشاعر لا يتذكر الآن اسمه .

والبيتان « لابن الوردى » كما جاء فى كتاب تزيين الأسواق للشيخ داود الأنطاكى .

ومما ينتظم فى سلك ما أتحفنا به الأستاذ الكبير من الطرائف عن هذا الإسم قول أبى الحسين الجزار :

حمتْ خدَّها والثغر عن هائم شج له أمل فى مَورد ، ومُوردَّد
وكم هام قلبى لارتشاف رُضابها فأعرض عن تفصيل نحو المبرّد

وقال آخر :

ثغر ، وخد ، لحِلٍّ ربٌّ بمبدع الحسن قد تفرّدْ
فذا عن « الواقدى » يروى وذاك يروى عن « المبرد »

على الجندى

١ — أهل السنة وأهل الحديث

تعليقاً على ما جاء فى هذا الموضوع فى عدد « الرسالة » ٦٢٦ أنقل كلمة من كتاب (كشف الكربة لابن رجب) : قال الأوزاعى فى قوله صلى الله عليه وسلم : (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ) . أما إنه ما يذهب الإسلام ولكن يذهب أهل السنة حتى ما يبقى منهم فى البلد إلا رجل واحد . وكان الحسن يقول لأصحابه : يا أهل السنة ترفقوا رحمكم الله فإنكم من أقل الناس . وعن سفيان الثورى قال : استوصوا بأهل السنة خيراً فإنهم غرباء .

ومراد هؤلاء الأئمة بالسنة طريقة النبى صلى الله عليه وسلم التى كان عليها هو وأصحابه السالمة من الشبهات والشهوات . ولهذا كان الفضيل بن عياض يقول : أهل السنة من عرف ما يدخل فى بطنه من حلال ...

ثم صار فى عرف كثير من العلماء المتأخرين من أهل الحديث وغيرهم السنة عبارة عما سلم من الشبهات فى الاعتقادات خاصة فى مسائل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وكذلك فى مسائل القدر وفضائل الصحابة ، وصنفوا فى هذا العلم تصانيف وسموها كتب السنة . انتهى ما قاله الحافظ ابن رجب الحنبلى .

٢ — قبرس

ورد فى عدد «الرسالة» ٦٢١ (قبرص) بالصاد ، والصواب (قبرس) بالسين على ما فى القاموس المحيط ، ومعجم البلدان وغيرهما ، وما كنت لأنبه عليها لو كانت فى غير مقال العلامة النشاشيبى ، ولعلها من خطأ الطبع .

محمد محسن الحسينى

فى مقالى عن أحمد محرم

وقع خطأ مطبعى وسهو فى كلمتى عن المرحوم الشاعر أحمد محرم ونورد هنا صحتهما رجاء التنبه للخطأ المقابل لها :

« فى يوم الأربعاء ١٣ يونيو ١٩٤٥م بمدينة دمنهور توفى الشاعر » وبعد ذلك بسبعة سطور :

« وانتقل به والداه وهما من أصل شركسى إلى حوش عيسى وهى إحدى القرى الكبيرة التابعة لمركز أبى المطامير » .

هذا وقد وردت إلىَّ بعض الرسائل من أفاضل القراء تفيض ألماً للفقيد وتسألنى مزيداً من التفاصيل عن حياة الشاعر . وعن مدى البؤس والإهمال الذى لقيه فى حياته . وإنى أشكر لهم ذلك الإحساس النبيل ، وأرجو أن أكون عند رغبة أصدقاء الشاعر قريباً بنشرى دراسة كاملة عنه .

كما قد علمت أن بعض أصدقاء الشاعر فى دمنهور — وما أقلهم فى ذلك البلد — يفكرون فى إقامة حفلة تأبين له وإنى إذ أحيى فيهم ذلك الوفاء أرجو أن لا يقف الأمر عند الرثاء ...

(دمنهور) **عبد الحفيظ نصار**

حفلة تأبين

ستقام حفلة تأبين للمغفور له الأستاذ الشاعر أحمد محرم بدار سينما بلدية دمنهور من الساعة الرابعة إلى السادسة من مساء يوم الثلاثاء الموافق ٢٤ يولية سنة ١٩٤٥ .

فعلى حضرات الذين يودون إلقاء كلمات فى هذه الحفلة الاتصال بمندوب اللجنة حضرة عبد الجواد أفندى غزال بمدرسة التعاون الإنسانى بدمنهور



أقصوصتان لتشيكوف

١ – ابتهـــاج

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسى

ما كادت الساعة تشرف على الثانية عشرة مساء ، حتى دلف ميتيا كلدروف إلى داره ، أشعث الشعر، منفعل الوجه ، مضطرب النفس . فهرع إليه والداه وكانا على وشك النوم ، وكذلك شقيقته وكانت قد أتت على الصفحة الأخيرة من إحدى القصص . أما إخوته التلاميذ فأغرقوا فى النوم

وصاح والداه فى دهش :

– من أين أقبلت ! ما ذا دهاك ؟ !

– لا تسألانى ... لم أكن أتوقعها ... إنها المستحيل بغير شك ... !

وعجزت ساقاه عن حمله – لما غمره من السعادة – فتهالك على أحد المقاعد ضاحكا مردداً :

– إنها المستحيل ! ... انظروا ، فأنتم لا تتصورون مبلغ ذلك ! نخفت إليه أخته – وقد أحاطت نفسها بدثار – واستيقظ الأطفال على صدى هذه الضجة .

– ما الذى حدث ؟ إنك تبدو فى غير طبيعتك !

– ذلك لأنى لا أكاد أتمالك نفسى من الابتهاج ، ألا تعلمين أن روسيا بأجمعها تعرفنى الآن ؟ تعرف ذلك الكاتب المسجل دمترى كلدروف ؟

وعاد ميتيا يهرول فى غرف المنزل من جديد ، ثم لم يلبث أن أدركه الكلل والعناء فتهالك على المقعد ثانية ، وشك الجميع فى أنه قد أصيب بلوثة فى عقله ، فصاح ميتيا فى سخرية :

– أنتم تعيشون هنا كالوحوش ، لا تدركون مايدور حولكم لأنكم لا تعيرون اهتماماً ما ينشر فى الصحف من الأخبار الهامة ، إن الصحف تذيع ما يطرأ من الحوادث الخطيرة ، فلا تبقى خافية على الناس ... يا إلهى ، كم أنا سعيد ... ألا تدرون ؟ لقد نشرت الصحف اسمى كما تنشر أسماء العظماء المشهورين !

فهرع الأخوة نحو أخيهم وقال الوالد وقد علا وجهه شىء من الشحوب :

– ما ذا تعنى ؟ أين ذلك ؟

– ما ذا أعنى ! لقد نُشر اسمى فى الصحف وعرفتنى الآن روسيا بأجمعها ... انظروا ...

وجذب ميتيا من جيبه نسخة من إحدى الصحف وناولها والده وأومأ إلى فقرة تحتها علامة زرقاء واضحة

– هلا قرأتها ؟

فثبت الأب نظارته أمام عينيه ، أما الأم ، ففغرت فمها وقد ارتسم عليه شىء من البله ، وراحت تتمتم فى صوت خفيض . وارتفع بعد هنيهة صوت الوالد وهو يتلو الفقرة :

« فى الساعة الحادية عشرة من مساء يوم ٢٩ ديسمبر ، بينما كان كاتب مسجل يدعى دمترى كلدروف ... »

فقاطع ميتيا والده قائلا :

– أسمعتم ؟ استمر

« .. بينما كان كاتب مسجل يدعى دمترى كلدروف يغادر إحدى حانات الخمر فى حى « كوزهين » بمقاطعة « بورونيا » وهو فى حالة سكر »

– إنه أنا يا والدى ، وكان معى سيمون بتروفتش ، إنهم يصفون الحادث أروع وصف ... انصتوا ... استمر

« فى حالة سكر ، تعثر وهوى تحت حصان عربة الثلج ، يقودها رجل ريفى يدعى « إيفان دروتوف » من قرية « دريكينو » بإقليم « يونفسكى » ، فهاج الحصان ووطىء كلدروف ، ومرت العربة فوقه وانقلبت بالقرب من تاجر من موسكو يعرف « بستيبان لسكوف » ، فتحطم ما كان بها من الثلج على قارعة الطريق ، واستطاع نفر من الناس أن يقبضوا على زمام الحصان الجامح ، وحمل كلدروف فى غيبوبته إلى مركز الشرطة حيث فحصه الطبيب

٢ - فى المقـبرة . . .

بقلم الأديب فيصل عبد الله

« الريح شرعت تهب ، والسكون قد غشيه الظلام ، أفما آن أن نعود إلى بيوتنا ؟ »

لقد هبت الريح تعصف بأوراق الشجر الصفراء ، وانثال علينا من السماء هاطل من البرد ، فانزلق قدم أحدنا وكاد أن يهوى على الأرض الموحلة لولا أن تدارك نفسه فأهوى بيده على صليب أغبر كبير كى يتقى به السقوط ، ثم راح بعد ذلك يقرأ ما كتب عليه:

« إيفورغرباز نوروكوف المشاور الخاص والفارس » .. إننى لأعرف هذا الرجل ، كان كلفاً بزوجه ويتقلد وسام ستانسلاف ولا يزعج نفسه بقراءة شيء ، أما ذوقه فكان جميلا ، إنها لحياة لا يأسى امرؤ على أنه حييها ، ولطالما جال فى خاطر الناس أن لم تكن بمثل هذا حاجة إلى أن يموت . ولكن للأسف ، فإن حادثاً أليماً كان فى انتظاره ، فلقد خر المسكين صريع حبه للمعرفة ، إذ بينا كان ذات يوم يختلس النظر من خصاص باب إذ صدم الباب رأسه بعنف فأفقده الوعى ثم ... مات . تحت هذا الصليب يرقد إنسان أبغض الشعر منذ المهد ، وكأنهم يسخرون منه إذ ملأوا النصب كله بالشعر ... ها قد أقبل بعض الناس ! »

أقبل نحونا رجل بمعطف بال ووجه شاحب حليق ، يتأبط قنينة من الفودكا ، وقد برزت من جيبه رزمة من شرائح لحم مقدد ، ثم سألنا بصوت أجش « أين قبر موشكين الممثل ؟ ! » فقدناه إليه ، وكان موشكين هـذا قد مات منذ عامين ، ثم سألناه : « أأنت موظف حكومى ؟ » فأجابنا : « كلا إنما أنا ممثل ، إن المرء لا يستطيع فى هذه الأيام أن يميز ممثلا من موظف حكومى ، ولعلكم لاحظتم ذلك . إنه لشيء عجيب وإن لم يكن فيه ثمة حط من قدر الموظفين »

لقد كان عسيراً أن يجد المرء قبر موشكين ، فلقد علته أعشاب فتبدّى مما كسبه أبعد ما يكون عن المقابر . كان عليه صليب رخيص صغير ومائل ، نما عليه الطحلب وعلق به الثلج ، فلاح قاتماً عتيقاً كتب عليه « الصديق المنسى موشكين » ، ولقد أزال الزمن حرفين من النصب وأصلح ضجعة الرجل . ولقد تنهد الممثل وجثا حتى مست ركبتاه الأرض الموحلة ، ثم قال : «لقد اكتتب الممثلون والصحفيون بمال ليقيموا به نصباً له ، ثم شربوه ، يالهم من صبية أبرار! »

— وماذا تقصد بقولك « شربوه » ؟

— ذلك جد بسيط ، لقد جمعوا المال ، وخطوا على الورق القوائم ، ثم شربوا المال . إننى لا أقول ذلك لألحوهم على ما فعلوا ولكنه الواقع . نخب صحتكم يا سادتى ، نخب صحتكم ونخب ذكراه الخالدة . ليس ثمة صحة تنال من الأفراط فى الخمر ، والذاكرة الحافظة الدائمة أمر مؤلم ... ألا فلنرجو من الله ذاكرة لا تعيش فيها الأحداث والرؤى ، أما الذاكرة الواعية ...

— حسناً ... إن هذا لهو الحق ، لقد كان موشكين رجلا يعرفه الكل ، ولكنه الآن منسى ، نسيه أولئك الذين أحبوه ، ويذكره أولئك الذين مسهم منه الضر والأذى وبخسهم أقدارهم أما أنا فلن أنساه ، كلا ، لن أنساه ، فلم يصبنى منه غير الضر والخسران ، ولست أحبه

ثم زفر الممثل فسألناه : وأى أذى نالك منه ؟ فبان على وجهه ما كان يكابد من جراح فى قلبه وقال : « إنه لأذى بليغ ، لقد كان خبيثاً وسارقاً ، ألا فلتسكن روحه ولتهدأ... لقد صرت

وكانت الإصابة التى أصابته فى مؤخر رأسه ... »

وعاد ميتيا يقاطع والده :

— لقد كانت من نوتاً فى العربة ... أتمم الباقى ...

« ... التى أصابته فى مؤخر رأسه لم تكن بالخطيرة ، وقد كتب تقرير عن الحادث ، وأسعف الجريح بالمساعدة الطبية اللازمة»

وأخبرونى أنه يجب أن ينظف موضع الإصابة بالماء البارد ...

أصدقتم الآن ؟ إن روسيا جلها تعرفنى ، أنا ديمترى كلدروف ناولنيها يا أبتاه!

والتقط ميتيا الصحيفة من والده وطواها ، ودسها فى جيبه ، وراح يقول :

— سأنطلق الآن إلى أصحابى ومعارفى لأنبئهم بأن ديمترى كلدروف قد ذاع صيته فى روسيا... نعم سأريهم الصحيفة . وداعاً

وارتدى ديمترى قبعته الحمراء ... وهرول إلى الطريق وملء جوانحه الزهو والابتهاج ...

مصطفى جميل مرسى

الكتب

شعر الطبيعة في الأدب العربي

[كتاب للدكتور سيد نوفل]

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

أظهرت مكتبة الخانجى بمصر كتاب شعر الطبيعة فى الأدب العربى للدكتور الفاضل والعالم الأديب سيد نوفل ، وهو الرسالة التى نال بها درجة الدكتوراه برتبة جيد جداً من جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٤٤م .

وقد كان الأدب العربى فى حاجة إلى هذا الكتاب الذى عنى بتاريخ شعر الطبيعة منذ ظهوره فى شعر امرئ القيس كفن قائم بذاته من فنون الشعر ، متأثراً بالبيئة التى ظهر فيها امرؤ القيس ، معبراً فى وصفه لها عن شعور صادق بأثرها فى نفس الشاعر ، وحب لها يصل إلى درجة التدله والفناء فيها ، ويجعل ذلك النوع من الشعر هو الغرض الأهم من القصيد ، وما عداه من الأغراض كالنسيب يؤخذ على أنه وسيلة له ، وكان مظهره فى الوقوف على الأطلال ووصفها والبكاء عليها ، ووصف مشاهد الصحراء العربية من نوق وأفراس وجبال ورياح وسحب ورعود وبروق وما إلى ذلك من مشاهدها ، وهذا هو الدور الأول لشعر الطبيعة فى الأدب العربى .

ويأتى بعده الدور الثانى ، وهو دور التقليد فى شعر المرقش ومن سلك طريقته ، وفى شعر أوس بن حجر ومن سلك طريقته ، وفى شعر طرفة ومن إليه من بعض الشعراء الذين تحرروا من قيود التقليد بعض التحرر ، وفى هذا الدور حذا أولئك الشعراء فى وصف الطبيعة فى شعرهم حذو امرئ القيس ، ولكنهم جعلوه وسيلة لغيره من الأغراض ، لأن وصف الطبيعة لم يكن يعنيهم فى الشعر كامرئ القيس ، وإنما كان يعنيهم غرض المدح وما إليه من الأغراض التى دعاهم إليها التكسب بالشعر .

ثم يأتى بعد ذلك الدور الثالث ، وهو دور الجمود فى صدر الإسلام ، وعهد الخلفاء الراشدين ، وعهد بنى أمية ، لأن شعراء هذه العهود جمدوا فيها على التراث الجاهلى فى وصف الأطلال وما إليها من المشاهد البدوية ، ولم يؤثر فيهم ذلك الانقلاب العظيم الذى أحدثه الإسلام فى تاريخهم ، ونقلوا به من أمة بدوية إلى أمة حضرية ، وشاهدوا فيه من آثار الممالك المفتوحة ما لم يشاهدوه فى باديتهم ، وقد وجههم الإسلام إلى النظر فى الطبيعة فلم يتوجهوا ، ولم يجددوا فى الشعر ما يلائم ذلك التجديد الدينى ، وقد قامت فى ذلك الدور حركة للاحياء فى رجز العجاج وغيره من الرجاز ، وفى قصيد الراعى وتلميذه ذى الرمة

ممثلا بالإصغاء إليه ، صرت ممثلا بالنظر إليه . لقد أغوانى بفنه وأغرانى بكبريائه فزين لى أن أهجر الأهل . لقد وعدنى بكل شىء ولكنه لم يهبنى غير الدموع والأشجان ، غير مصير الممثل ونهايته ! لقد خسرت كل شىء ... الشباب ... الوقار ... محبة الله ... ولم أعد أملك فلساً واحداً أعزى النفس به . لقد رثت حذائى وبلى ، وتهرأت ثيابى وانتشرت عليها الرقع ، وبدا وجهى كما لو أن كلاباً قد تولته نهشاً وتمزيقاً ، وامتلأ رأسى بالبالى الرخيص من الفكر ... لقد سلبنى إيمانى ذلك السارق ! على أن ذلك كله ما كان ليبلغ منى مبلغه هذا لو كان لدى شبه ذكاء أتعزى به ، ولكننى قد خسرت كل شىء ، كل شىء للاشىء . إن الجو لقارس أيها السادة ، أفتأذنون بقطرة فإن لدى ما يكفينا ، فلنشرب ، ولتهدأ روحه ، إننى لا أحبه ، إنه الآن ميت ، ولكنه برغم ذلك كان الوحيد الذى كان لى على وجه الأرض ، لقد كان لى كأصابع اليد ، وهذه آخر مرة أراه فيها ، فلقد أخبرنى الأطباء بأننى سأموت قريباً لإدمانى الخمر ، ولذلك جئته اليوم لأودعه ، فإن علينا أن نصفح عن أعدائنا !

ولقد تركناه يناجى موشكين ، وسرنا خارجين من المقبرة ، ثم انهال علينا رذاذ بارد ناعم من السماء ، وعلى منحنى الطريق الرئيسى لقينا جنازة يحملها أربعة رجال عليهم أنطقة بيض من القطن ، وقد اتسخت نعالهم وناءت بحمل من ورق الشجر علق بها ، كانوا يحملون كفناً رمادياً ، وكان الظلام قد هم بالكون يغشيه بسدول منه سوداء رهيبة ، فكانوا يسرعون بعبئهم يتعثرون ويتأرجحون ... لم تمض علينا غير ساعتين مذ شرعنا نجول هنا وهذه ثالث جنازة يأتون بها ، ألا فلنعد إلى بيوتنا ...

القدس

فيصل عبد الله

ثم يأتي بعد ذلك الدور الرابع ، وهو دور الانتقال في شعر أبي نواس وأبي تمام وابن الرومي والبحتري وابن المعتز وقد امتاز هذا الدور بالمنازعات التي قامت فيه بين القديم والجديد ، وثورة أبي نواس على الجمود في الشعر على وصف الطلول ، والوقوف على الدِّمَن ، وما إلى ذلك مما لا يتأثر به الشاعر في حاضره ، ولا يحيط به في بيئته ، وكان لذلك أثره فيما أخذ به هو وغيره من وصف مشاهد الحضارة العباسية ، في قصورها ومجالس لهوها ، وما إلى ذلك مما جد فيها ، ولكن الشعراء كانوا يترددون في ذلك بين القديم والجديد ، ولم يمكنهم أن يتخلصوا فيه كل التخلص من التأثر بالقدماء .

ويأتي بعد ذلك الدور الخامس ، وهو دور النهضة ، وقد انتهى القرن الثالث الهجري بغلبة الجديد ، فنهض شعر الطبيعة إلى أقصى ما وصل إليه في الأدب العربي ، وصار له في كل إقليم طابع يمتاز به ، وكان أرقى ما وصل إليه في بلاد الأندلس ، في شعر ابن خفاجة وغيره .

وقد آثرنا أن نلم بهذا التقسيم الذي يدل على مبلغ دقة المؤلف وتمكنه من موضوعه ، لندل به على طريقة دراسته في كتاب تبلغ صفحاته سبع عشرة وثلثمائة صفحة من القطع المتوسط ، فهي دراسة دقيقة جامعة لهذا الشعر في عهوده المختلفة ، وعرض حسن لنماذجه فيها ، وتحليل وشرح يدل على قوة إدراك ، وحسن فهم ، وموازنات بين الشعراء في هذا الباب تدل على مبلغ تفاوتهم فيه ، وتضع كل واحد منهم في درجته اللائقة به ، ونقد بصير بمواضع النقد ، وتوجيه حسن لمن يأخذ من الشعراء في هذا الباب .

ثم ماذا بعد هذا كله في ذلك الكتاب النفيس ؟ هناك دراسة أيضاً لشعر الطبيعة عند الغربيين ، وموازنات بينه وبين شعر الطبيعة في الأدب العربي ، وحسن توجيه أيضاً إلى ما وصل إليه شعراء الغربيين في هذا الباب ، لأنهم لم يقتصروا فيه على وصف مظاهر الطبيعة كما اقتصر شعراؤنا ، بل اتسع الأفق عندهم في نظرتهم إلى الطبيعة ، واتخاذها موضوعاً فكرياً عالياً ، ينتهي بهم إلى أفكار وتصورات سامية ، وفلسفات روحية تدل على كمال تفانيهم فيها ، ولذلك نماذج أيضاً تؤيده ، فجاء الكتاب بكل هذا جامعاً في بابه ، لا يستغنى عنه أديب في مكتبته .

عبد المتعال الصعيدي

ديوان الشوق العائد

[للأستاذ علي محمود طه]

للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

في كتاب العمدة لابن رشيق : « قال بعض الحذاق : إنه ليس للجودة في الشعر صفة ، إنما هو يقع في النفس عند المميز : كالفرند في السيف ، والملاحة في الوجه » .

هذا قول كله صدق وكله حق ، فنحن مهما اجتهدنا في تعريف غيرنا بنواحي الجودة في الشعر الجيد فلن نستطيع أن نأتي بصورة صادقة تامة لما نحسه في نفوسنا من جودة ذلك الشعر .

وهـــذه حالي مع شعر الشاعر علي محمود طه ، فإنني لأقرأه فإذا هو يوافق نفسي ، وإذا هو يقع منها موقعاً قلما يكون لغيره من شعر العصر . ولست أدري مبعث ذلك على وجه التحقيق ، أهي روعة الشعر أم تجاوب الذوق أم كلاهما معاً .

وها هو ديوانه الأخير « الشوق العائد » بين عينيّ ، فيا لها من عوالم حافلة بالتهاويل زاخرة بالصور الحية تبتدعها لطافة شعوز الشاعر ، وصفاء فكره ، ورفيع ذوقه وبراعة فنه ؛ ولله هذه الصفحات الرائعات من حياة ذلك القلب الذي لا يقر له قرار ، فهو لا يكاد ينسى أمسه بآماله وآلامه حتى يعوده عيد من الشوق جديد : الله لقلوب الشعراء ! وهل كانت يوماً إلا هكذا ؟ وهل تملك إلا أن تلتفت إلى أمسها رضينا أم لم نرض ؟ . ولقد ترقرقت في عينيّ دمعة حين قرأت قوله :

فقالت : ما حياتك ؟ قلت حلم   من الأشواق أوثر أن أطيله

ما أروعها حياة ! ولكن يا رحمة للنفس الشاعرة إذا هي لم تجد لطيوف أحلامها الأفقَ الرحيب لتنطلق فيه خفيفة الاجنحة ، فما تكاد تلك الطيوف تصفق بأجنحتها وقد همت بالتحليق حتى تصدمها قيود وسدود تعترض الأفق من هنا وهنا فإذا الأجنحة تتكسر ؛ وإذا الطيوف تختنق من الضيق فتتهاوى صريعة مهيضة ، وتستيقظ النفس الشاعرة الحالمة لتواجه الحقيقة ، الحقيقة التي ترمي فتصيب ، وتصيب فتقتل . وما هي حياة الشعراء إذا حيل بينهم وبين أحلامهم وأطيافهم ؟ .

ونظرة في قصيدة « يوم الملتقى » وهي من غرره الاجتماعية تعيد إلى أذهاننا ما تنبأ به المرحوم « الزهاوي »

لشاعرنا من أنه سيحمل بعد شوقى لواء الشعر العربى . حقاً ما كان أز كن الزهاوى رحمه الله ؟ أولا فا هذا الشعر الرصين ، وما هذه الديباجة المشرقة ، وما هذه العصا السحرية التى تمس القلوب إذا خاطب الشرق فى اجتماع زعمائه لتأليف الجامعة العربية :

فَقُدْ شراعك لا تسلم أزمته لغير كفك ، إن الريح هوجاء
ياشرق مجدك إن لم ترس صخرته يداك أنت فقد أخلته أهواء
ياشرق حقك إن لم تحم حوزته صدور قومك لم تنقذه آراء
والكون ملحمة كبرى جوانبها دم ونار وإعصار وظلماء

بلى ، ولئن لم ينزل الشرق هذه اللحمة ، ملحمة الكون الكبرى مزوداً بعدته ليهلكن .

ويا لتلك الريشة التى تضرب على أشد أوتارنا حساسية حين تستصرخ العصبة بشأن فلسطين فتهزنا هزاً :

أحلها ذهب الشارى وحرمها عصر به حرز القوم الأذلاء
حربان أثخنتاها أدمعاً ودماً تنزو بها مهجة كلمى وأحشاء
تطلعت لكم ولهى ، أليس لها على يديكم من العلات إبراء

الله فيك يا فلسطين الشهيدة .

ولست هنا بسبيل أن آتى على كل قصيدة فى ديوان الشوق العائد ، وليس ما ذكرت هو خير ما فى الديوان ، كلا ، فإن قصائد الشاعر تمتاز كلها بالجمال روحاً وجسماً ، فالمعنى الرائع فى اللفظ المنتخب . وإن الملاح التائه ليصور لنا بحرارة وصدق ما تهتز له خوالجه ، وإن شعره لينبض حياة بما فيه من العناصر الإنسانية التى تشيع فى كل ما ينتجه لنا من روائع، ومن هنا يتغافل شعره فى نفوسنا ومن هنا يخبأ شعره فى قلوبنا .

تحيتى إليك يا أيها الشاعر الخالد وإعجابى الذى لا ينتهى .

(نابلس) **فدوى عبد الفتاح طوقان**

أصـــــداء بعيدة

[للاستاذ العوضى الوكيل]

للأستاذ ثروت أباظة

صدر فى الأيام القريبة الماضية ديوان « أصداء بعيدة » للشاعر العوضى الوكيل ، وصاحب الديوان غنى عن التعريف وليس غريباً عن قراء الرسالة ، وديوانه هذا الأخير يغرى بالقراءة فقد قرأته عدة مرات ، كنت أفتح الديوان عفواً فما أزال أقرأ وأقرأ حتى أجدنى قد انتهيت من الديوان ، ولعل هذه القراءة الكثيرة جعلتنى ألحظ على الديوان شيئاً كنت أتمنى ألا ألحظه . فالشاعر العوضى شاعر له قصائد كثيرة تعطيك الفكرة الصحيحة الصادقة عن فن الشاعر الصادق . وبجانب هذه القصائد نجد مقطوعات لا تقل كثرة عن تلك ، كان بودى أن تنسب لغير الشاعر الذى عرفناه . فأنت حين تقرأ قصائد الديوان كأنك تقرأ لشعراء كثيرين متباينين قوة وضعفاً . فقصيدة الربيع مثلا التى يستهلها الشاعر بقوله .

عدت ياصاحب الربيع وعدنا
فامض فى الكون كيف شئت وإنا

وكذلك قصيدتا الريف الفائية والرائية من أحسن ما يمكن أن يكتب عن الربيع وعن الريف ، ولكن تعال مى مثلا إلى قصيدة الهجرة ... ...

رحلة لليقين والإيمان ، ونجاة الهوى من الطغيان
فتح القفر روحه للصديقين فأمسى باديه كالبستان
أيما ذرة من الرمل غنت ولكادت تهم بالطيران
حدثت أختها وفيها دبيب وهى نشوى بمقدم النسوان

بون شاسع بين هذا الشعر وما قدمت من نماذجه الجياد، ومن طراز هذا الشعر الأخير قصيدته فى صلاح الدين ومقطوعته التى بعنوان « قلمى » ونشيده العسكرى وغير ذلك مما لا أرضاه للشاعر . أنا لا أنكر أن كل شاعر يسف ويحلق ولكن ليس بهذه الكثرة فى الإسفاف . ولعل هذا راجع إلى أن الأستاذ العوضى سريع فى نظمه كل السرعة ، وسرعته هذه لا تعطيه الفرصة الكافية لكى يعرض القصيدة على ذوقه الأدبى مجرداً من كل عاطفة ، فهو ينظم القصيدة ثم ينظر إليها نظرة المعجب المزهو لا المنتقد المفند ، والوضع الصحيح أن ينتقد هو ليعجب به غيره . لعله يستمع لهذا الكلام فى هدوء وطمأنينة فيحاول أن يتدارك هذا المأخذ ... إذاً لأصبح العوضى فى مكانه اللائق به .

ثروت أباظة

١ — زوبعة الدهور : تأليف مارون عبود

فصول عن (دار المكشوف) بقلم خفيف سريع الحكم يعتصر حكمه على المعرى من عاطفته ويستدل بشعر المعرى ينتزعه من قصائده ويمهد لخواطره عن الشاعر .

يدور الكتاب حول حياة المعرى أو المعضلة العلائية ويمضى الكاتب يصف عصر المعرى بعصر الأسرار ويفيض عن مدرسة أبى العلاء وصلته بالحاكم ويستطيل به القلم حتى يصل به القول إلى أن العصر ظفر منه بشاعر العقل الفاطمى .

وعند الكاتب أن المعرى لم يضرب عن الزواج لأنه لا يريد الجناية على أحد ولكنه أضرب لأنه يؤثر الصفة ويحدد النسل عند الإضطرار ولا يسمح بتعدد الزوجات ويثور للعرض المهصور ثورته للدم المهدور

وقد أسرف الأستاذ المؤلف وزاد وأطال كى يثبت أن المعرى شيخ الفاطمية الأعظم . وإليك ما انتهى إليه (فى مذهب أبى العلاء) (من طالع سيرة المعز والعزيز والحاكم الفاطميين رأى أبا العلاء لا يخرج فى حدود تعاليمه عن تخوم آراء هؤلاء الثلاثة ، ومن أسعده الحظ وقرأ رسالة النساء الكبيرة فى كتب الدروز يرى أن النبع واحد كل يريد أن يقصى المرأة وينحيها خوفاً من الفتنة)

والمؤلف جرىء كثير التحامل والشطط ؛ من ذلك حكمه بأن أدب العميان جميعاً فيه رائحة عفنة لا تعجبه . وهو قد يكون على شىء ، ولكن فى أدب العميان مثل بشار سحر لا يشاب بعضه ولكنه يمزج بالسحر والصدق والصرامة ؛ وفى نظرات المعرى نفسه صدق ومضاء غاب عن المؤلف ؛ والمرارة شىء والتعفن شىء آخر .

والكتاب جميعه نسق من الخواطر الأدبية فى ثوب باحث وأسلوب يشوق القارىء بحديثه لولا الإطالة والإطناب حول المعرى والدعوة الفاطمية التى استولت على المؤلف وأضاعت عليه وقتاً كان فى حاجة إليه فى جوانب أخرى عن المعرى ...

٢ — مرايا الناس : تأليف السيدة وداد سكاكينى

رأيى فى الأدب النسوى لا يسر المرأة ولا يروق ربات البنان المخضب ، ولكنى أعترف كما يعترف غيرى أننا قرأنا من نتاج الأديبات فى مصر ما طربنا به شيئاً ، وإن كنت أجد فيه إلى جوار أنامل المرأة أصابع الرجل تنقيه مرة وتشجعه مرة أخرى وقد تقومه أو توجهه . والذى يؤلم أن أدب الأنوثة كنار الهشيم تعلو سريعاً ثم تهبط وإلا فأين (صوت سهير القلماوى) وأين نفحات الأنوثة فى (قلم ابنة الشاطىء) وأين طرائف المبدعات من (وداد صادق عنبر) وبيانها المنزل من موروث والدها . أين ؟ وأين ؟ أظن (البيت) هو الذى طغى على رسالة القلم عند هؤليائكن . ولا حرج فالطبيعة تقضى .

غير أنى اليوم أطالع مرايا الناس للسيدة وداد سكاكينى الكاتبة الشرقية فأعجب كيف أن الطبيعة لم تغلبها ، وحرفة الأمومة لم تنهنه من حماسها الأدبى، ولم تبلبل تيارها العارم ؛ أعجب ولا يدفعنى هذا إلى أن أقول كما قال الناقد القديم . (تلك التى غلبت الفحول) لا أقول ذلك وإنما أدعو القارىء إلى أن يرد مراياها ويقف على شخصيتها ويتملى من أسلوبها ليعجب بقصصها الإنسانى الذى اتخذ من صلاته بالمرأة درساً وتحليلاً ثم جاء تعبيراً سامياً فى إطار يشوق وإخراج يروق . وحتى لا أحرم القارىء أو يرمينى بمجاملة الضيفة الصديقة أضع أمامه قطعة من (شقيقة نفسى) تكشف عن جمال فى التعبير وإبداع فى التصور ورفعة فى الأسلوب الذى تحسد عليه المرأة وتغبط السيدة وداد .

(فى صيداء مدينة الزهر والعطر ، الحالمة بمجدها على الشاطىء الأبيض الجاثم بوداعة وفطنة ليداعب بمده وجزره تلك الرمال النقية ، فإذا وليت وجهك شطر البيوت تركت البحر يواجه بأمواجه القلعة العتيقة السادرة فى ذكرياتها ، ثم أقبلت بالنظر على جنات ألفاف ، وأفواف خلف أفواف ، وحدائق وراء بساتين رفافة النسيم سمراء الأديم قد شاعت فيها أنفاس الفردوس ، وليكن هذا فى الربيع حين يعبق فى هواء صيداء عطور النارنج والليمون) .

وأخشى أن أطيل وأمضى بك فى كثير من القطع الفنية التى صاغتها ريشة تغنى بعواطف المرأة وتجارب الأنثى وتأملاتها فى الحياة والمجتمع وصلات الناس .

نعم قد تمر على بعض القصص فلا تفجأ بالحادثة ، وقد تمر بك الخطرات والنظرات وأنت تقرأ كأنها النسيم يمضى رخاء دون أن يلفحك أو يعصر قلبك لأن السيدة وداد رفيقة الأنفاس هادئة البراعة تنظر بمرآة صافية لم تلعب بها الأعاصير ولم تمايل بها الرياح .

إنما هى امرأة فنانة متمكنة من قياد القلم تحمل قلباً إنسانياً ونظرة نشف وتنم عن الرحمة واليقظة . وهكذا جاءت مراياها من القصص المحلل المتأمل الذى يشهد للمرأة ويحملنا على الاعتراف بأدبها .

وقصص (هاجر العانس) و (الضرتان) و (حظها المكتوب) و (العروس) لون من نتاج المرأة الذى يضع الكاتبة فى مصاف القصاصين المبدعين .

ويكفى الأديبة أن تقبل إعجابنا بنتاجها الموفق وإلى أن أدبى آخر يردنا إلى الإعجاب بفن الأنوثة الشرقية .

كامل محمد عجلان

سكك حديد الحكومة المصرية

تسيير قطار إكسبريس بين القاهرة ودمياط

(رأس البر)

يتشرف المدير العام باعلان الجمهور أنه ابتدأ من ٣ يولية سنة ١٩٤٥؛ ولحين صدور إعلان آخر يسير قطار ا كسبريس رأس البر يومياً بين القاهرة ودمياط وبالعكس بدلا من مسيره ثلاث مرات فى الأسبوع فيغادر القاهرة فى الساعة ٨٣٠ ويصل إلى دمياط فى الساعة ١٥ ١٢ ويعود من دمياط فى الساعة ٣٠ ١٧ ويصل إلى القاهرة فى الساعة ٢١١٥ وفقاً لمواعيده الحالية .

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦٢٨ — الاثنين ٢٨ يوليو ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٢٥ - ٥

مجلة إسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 628

Lundi - 16 - 7 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٢٨ « القاهرة فى يوم الإثنين ٧ شعبان سنة ١٣٦٤ — ١٦ يوليو سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الثغر يضـــحك !

نعم ، يضحك ثغر الأسكندرية اليوم بملء شدقيه ، وعلى مضاحكه الغرّ العِذاب سمات ، وفى ضحكاته المرجَّعة الموقَّعة دلائل ! يضحك بعد أن قضت عليه الحرب بالعبوس المظلم ست سنين لم يسكن فيها روْعه ، ولم يرْقأ دمعه ؛ فهو يضحك ضحكة الشامت بخطوب طغت ثم زالت ، ودول بغت ثم دالت ، وقوم أرادوا أن يسخروا الأقدارفسخرت منهم ، وطمعوا أن يصرّفوا الحظوظ فانصرفت عنهم ، ومغتر أشار إلى بحر العرب (1) وقال إنه بحرنا ؛ فقال له القدر الراصد : لا ، بل قل إنه قبرنا !

* * *

والثغر يضحك من القاهرة كما يضحك أبيقور أو أبو نواس من الكلبيين أو المتزمتين الذين اتخذوا الحياة جداً من غير لهو ، وعبوساً من غير طلاقة ، وسعياً من غير جمام ، وخصاماً من غير بُقيا ، وعراكاً من غير هدنة ؛ ويقول وهو ينظر إلى البحر للعاصمة التى تنظر إلى الصحراء : إن الحياة زبد ورمال ، وموج وجبال ؛ ففيها الصلابة والمرونة ، وفيها الرصانة والرعونة ، وفيها العبث الذى يفور ويذهب ، والجد الذى يطمئن ويمكث ؛ وفيها المرح الذى يكتسى جمال الحياة ، والوقار الذى يرتدى جلال الموت . وهيهات أن تصلح الدنيا على المعالجة ، إذا لم تساعدها الطبيعة بهذه المزاوجة !

* * *

والثغر يضحك للقاهريين الذين يتهالكون من أجهد حتى أحضانه ، ويترامون من الكلال فوق شطآنه ، ويقول لهم : تعالوا إلى الصفاء المحض ، والسرور الخالص ، والوداد المصفق ، والشعاع الذى يعافى الجسد ، والنسيم الذى يرد الروح ؛ ودعوا القاهرة للساسة الذين أوقدوا فيها نار الخصومة فزادوا وهجها ، وضاعفوا رهجها ؛ وخلوا للزمان الحكم لهم أو عليهم ، فإنه لم يبق منهم أحد إلا اتهم الآخر ؛ فإن كان ما قالوه حقاً فليس فيهم صالح ، وإن كان ما قالوه باطلاً فليس فيهم صادق !

* * *

والثغر يضحك عند استانلى باى ! وخليج استانلى كخليج عُمان ؛ إلا أن اللآلىء هناك تغوص وهى هنا تعوم . ولآلىء عمان مصونة فى الأصداف لا تنال إلا ببذل النفس ؛ أما لآلىء استانلى فعارية مبـذولة للنظر واللمس ! ومن لآلىء عمان ما يباع بخزانة فى مصرف أو مساحة فى منجم ، ولكن من لآلىء استانلى ما يباع بقدح فى حانة أو عشاء فى مطعم ! وهذه أروع ما برأ الله فى العالم الناطق ، وتلك أبدع ما صاغت يده فى العالم الصامت ، ولكنه فضل الصون على الابتذال ، وفرق ما بين الحرام والحلال !

* * *

والثغر يضحك فى وجوه المصطافين كما يضحك الشباب فى الأجسام ، أوالربيع فى الخمائل ! فترى الشيخ فى مرح الشاب ، والشاب فى نزق الطفل . وكلهم يجتمعون فى وحدة من الأخاء والرخاء والعافية والأمن تشعرهم بأنهم عبيـد لإله واحد منعم ، وأبناء لوطن واحد منبل !

(الاسكندرية) ابن عبد الملك

(1) بحر العرب هو البحر الأبيض . والمغتر هو موسولينى .

كيف تنام أعين العرب

عن اخوانهم في شمال أفريقية ؟

للأستاذ حسن أحمد الخطيب

منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً توطن العرب والمسلمون بلاد المغرب برقة وتونس والجزائر ومراكش . لم يذهبوا إليها مدفوعين بحب الغلبة القاهرة ، والسيطرة الغاشمة ، والفتح الذى يقصد به استغلال المغلوبين ، ولم ينتقلوا إليها ليجردوا أهل البلاد من خيراتهم ، ولا لينتزعوا منهم ديارهم وأموالهم ، ولا ليكرهوهم فى الدين ، ولا ليسلبوهم حريتهم ، ولا ليقضوا على كيانهم كأمة من الأمم التى لها حق الحرية والوجود

إنما حركتهم للفتح عوامل إنسانية ، وحفزتهم إلى الانتقال والترحل غايات نبيلة ومقاصد شريفة ، هى رفع الظلم الذى كان يرسف فيه أبناء البلاد ، وإزالة العسف الذى كانوا يلقونه من الحكام ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، إخراجهم من ظلمات الجهل والجور والفوضى والاسترقاق إلى نور العلم والعرفان والحرية والإخاء والعدل والإحسان ، ثم اندمجوا فيهم فصاروا أمة واحدة تعيش فى كنف من تعاليم الإسلام ونظمه ، بحيث لم يعد هناك فارق بين الحاكمين والمحكومين ، وكانت الشرائع والأحكام التى يرجع إليها الناس فى مكة والمدينة واليمن والبصرة والكوفة ودمشق هى التى يدين لها بالطاعة والرعاية من فى مصر وبرقة والقيروان وبجاية وتلمسان وسبته وطنجة وفاس ومراكش ، كما ازدهرت فى هذه البلاد حركة علمية عمادها ثقافة الإسلام وعلومه وقوامها اللغة العربية وآدابها وعلومها وبخاصة فى مدينة القيروان

ثم تقلبت الأحداث والغير على تلك البلاد فى مختلف الحقب والأعصار إلى أن مُنيت بالاستعمار الأوربى من الفرنسيين والأسبانيين والإيطاليين فساموا أهلها سوء العذاب ، وأذاقوهم ألوان النكال ، وهم أمة أبية لا تنام على ضيم ، ولا تخلد إلى مسكنة أو مذلة ، فثار المسلمون والعرب غير مرة على طاغوت المستعمرين وبغى الولاة الظالمين ، لأنهم سلبوهم حريتهم المدنية والسياسية ، وضيقوا عليهم الخناق فى حريتهم الدينية ، وسلطوا عليهم كل وسائل الاستعمار التى تنخر عظام الأمم وتحولها شيئاً فشيئاً إلى مصيرها المحتوم من التأخر والانحلال ثم الثبور والفناء

هل أتاك نبأ ثورة أهل الجزائر الأخيرة ، إذ هضمت حقوقهم وسلبت حرياتهم ، وحيل بينهم وبين كل مشروع من أمانيهم القومية ، فقابلتهم فرنسا المستعمرة بالأسلحة الفاتكة والقوة الباطشة حتى أهريقت الدماء الزكية ، وأزهقت النفوس الرضية ، وشرد الأحرار . وألقى بالمجاهدين فى غيابة السجون ؟

فهل يجوز للعرب والمسلمين فى أقطار الدنيا أن يسكتوا على هذه الحوادث الجسام ، وأن يسلموا إخوانهم فى العروبة والإسلام لغول الاستعمار ؟ ! !

كلا ، فإن سمو نفوسهم ، ويقظة وجدانهم ، وما طبعوا عليه بحكم دينهم من الغضب للحق والتواصى به ، ومن التعاون على البر والتقوى ، ومن الشعور العميق بالوحدة والتكافل ، بحيث إذا اشتكى عضو منهم تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى — كل أولئك يوجب عليهم حكومات وشعوباً أن يهبوا لنصرة الضعفاء من إخوانهم أبناء المغرب بالدفاع عن حقوقهم ورفع نير الظلم والاستعباد عنهم

وعلى الحكومات الإسلامية عامة والحكومات العربية خاصة أن يطالبوا رسمياً الدولتين الفرنسية والإسبانية بكف يد العدوان والظلم عن تونس والجزائر ومراكش ، وعلى الجامعة العربية أن تطلب إجراء تحقيق محايد عن حوادث الجزائر الأخيرة ، كما أن عليها أن تختار مندوبين عن طرابلس وتونس والجزائر ومراكش ليمثلوا أممهم فى الجامعة ، وبذلك يمكن رفع الصوت بالنيابة عنها والدفاع عن حقوقها والمطالبة بحريتها واستقلالها . كذلك ينبغى أن يكون من واجبات مكتبى الدعاية المزمع إنشاؤهما بلندن وواشنطون الدعوة إلى تلك البلاد بجانب الدعوة إلى فلسطين والدفاع عن حقوق العرب فيها ، والله فى عون الأفراد والأمم ما دامت الأمم بعضها فى عون بعض . سدد الله خطى العاملين وهداهم إلى سواء السبيل « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » .

حسن أحمد الخطيب

المفتش العام بوزارة المعارف

فى إرشـــاد الأريب

إلى معرفة الاديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

— ٨ —

* ج ١١ ص ٢٠٧ :

ملكنا فكان العفو منا سجية فلما ملكتم سال بالدم أبطُح
وحللتمُ قتل الأُسارى وطالما غدونا على الأسرى نعف ونصفح
فحسبكمُ هذا التفاوت بيننا وكل إناء بالذى فيه ينضح

قلت : جاءت (أبطح[1]) بضم الطاء وهى بفتحها . والشعر لسعد بن محمد .

* ج ١٧ ص ٢١٠ : قال الحاكم أبو سعد : وأنشدنى (أبو الفتح بن الأشرس) أيضاً لنفسه :

كأنما الأغصان لما علا فروعها قطر الندى قَطَرا
ولاحت الشمس عليها ضحى زبرجد قد أثمر الدرا

نقد الحاكم على بيته فقال : قوله : (قد أثمر الدرا) لا يستقيم فى النحو ، لأنه لا يقال : أثمرت النخلة الثمر ، وإنما يقال أثمرت ثمراً بغير الألف واللام .

وجاء فى الشرح : قطر الندى : نقط المطر ، وقطر فعل ماض أى سال وسقط ، والجملة حالية .

قلت : (لما علا فروعها قطرُ الندى ثَرّا[2]) .

و (نقد الحاكم بيته) لا (على بيته) وأغلب الظن أن (على) من زيادة النساخ . يقال : نقده وانتقده ، وجاء فى الأساس : انتقد الشعر على قائله .

و (أثمر) هو فعل لازم كما قال أبو سعد ، وقد عداه المحدثون ، وكأنهم رأوا فيه استعداداً للتعدية ... وهذا ما قاله فى شأنه الخفاجى فى (شفاء الغليل) :

أثمر يكون لازماً وهو المشهور الوارد فى الكتاب العزيز ، ولم يتعرض أكثر أهل اللغة لغيره . وورد متعدياً كما فى قول الأزهرى فى تهذيبه : يثمر ثمراً فيه حموضة . وكذا استعمله كثير من الفصحاء ، كقول ابن المعتز :

وغرس من الأحباب غيبت فى الثرى
فأسقته أجفانى بسح وقاطر
وأثمرهماً لا يبيد وحسرة لقلبى يجنيها بأيدى الخواطر

وقول ابن نباتة السعدى :

وتثمر حاجة الآمال نجحاً إذا ما كان فيها ذا احتيال

وقول محمد بن الأشرس وهو من أئمة اللغة : (كأنما الأغصان ...) وقول ابن الرومى : (سيثمر لى ما أثمر الطلع حائط[1]) إلى غير ذلك مما لا يحصى . وهكذا استعمله الشيخ[2] فى دلائله والسكاكى فى مفتاحه[3] . ولما لم يره كذلك شراحه قال الشارح : استعمل الأثمار متعدياً بنفسه فى مواطن من هذا الكتاب فلعله ضمنه معنى الإفادة أو جعله متعدياً بنفسه .

ونقل (التاج) جل هذا الكلام ، وجاءت (ثرّا) فى الكتابين (نثراً) وهو تصحيف . وجاءت (ثراً ودراً) فى بغية الوعاة (سحراً ودرراً) وهو تبديل . وورد (ابن الأشرس) فى شفاء الغليل (لمن شرف) وفى التاج (ابن أشرف) وفى بغية الوعاة (ابن أشوس) وفى إرشاد الأريب (ابن أشرس) وفى دمية القصر (ابن الأشرس) .

* ج ٦ ص ١٥٤ :

والطير فوق الغصون تحكى بحسن أصواتها الأغانى
وأرسل الورق عندليب كالزير والبم والمثانى

قلت : (وراسل الورق عندليب) والشعر للجوهرى صاحب الصحاح .

فى التاج : « راسله فى كذا ، وبينهما مراسلات . والرسالة

(١) قلت : الأبطح : بطن السيل ولا ينبت كما فى المخصص ، ومن جموعه الأباطح . والأبطح كل مكان متسع كما فى المصباح . والأسارى بضم الهمزة وفتحها

(٢) الثر من السحاب الكثير الماء ، يقال سحاب ثر ، وثرت السحابة ماءها تثرثرا كما فى التاج . وعين ثرة : غزيرة كما فى الأساس .

(١) الحائط البستان من النخيل إذا كان عليه جدار .

(٢) عبد القاهر الجرجانى فى دلائل الاعجاز

(٣) قلت : من كلام أحمد بن يحيى البلاذرى : غرس البلوى يثمر ثمر الشكوى .

المجلة المشتملة على مسائل . وهو رسيله فى الغناء ونحوه ، وراسله الغناء . باراه فى إرساله » .

* ج ٢ ص ١١٩ : وأنفذا أبا بكر بن رافع إلى إستِراباذ ونواحيها لاستيفاء ما يستوفيه من المعاملين والتُّناء فيها . فقيل : جمع الوجوه وأرباب الأحوال ...

وجاء فى الشرح : وفى الأصل العاملين (مكان المعاملين) والثناء فيها هكذا فى الأصل ولعلها والتناهى فيها أى التشدد وبلوغ النهاية فى الاستصفاء وجمع المال .

قلت : (أستراباذ) بفتح الهمزة والتاء كما ضبط ياقوت لا بكسرهما كما جاء فى الكتاب . و (العاملين) الأصل قد تكون صحيحة . و (التناء) مثل السكان جمع التانئ وهو الدهقان[1] كما فى القاموس . والذى هو المقيم ببلده والملازم كما فى التاج . وفى الأساس : هو من تناء تلك الكورة إذا كان أصله منها . ويقال : أمن تنائها أنت أم من طرائها .

* ج ٦ ص ٢٧٧ :

رسمُ دار وقفتُ فى طَلَلِهْ كدتُ أقضى الغداة من جَلَلِهِ

قلت : ضبط (رسم) بالضم ، وهو بالكسر لأنه مجرور برب المحذوفة . والبيت وهو لجميل بن معمر — من شواهد الجماعة . قال ابن يعيش ... والثانى ما يحذف ولا يوصل الفعل ، فيكون الحرف المحذوف كالثبت فى اللفظ ، فيجرون به الإسم كما يجرون به وهو مثبت ملفوظ به ، وهو نظير حذف المضاف وتبقية عمله نحو ما كل سوداء تمرةً ولا بيضاء شحمةٌ[2] وكقوله :

أكلَّ امرئ تحسبين امرأً ونار توقد بالليـــل نارا

على إرادة كل ، ومن ذلك قول الآخر : (رسم دار ... البيت[3]) أراد رب رسم دار ثم حذف لكثرة استعمالها .

(١) الدهقان : التاجر ، وزعيم فلاحى العجم ، ورئيس الأقليم (القاموس)

(٢) وإن شئت نصبت شحمة كما قال سيبويه .

(٣) فى أمالى القالى : فعلت ذاك لجلك وجلالك أى لعظمتك فى صدرى . وأنشد الأصمعى لجميل (رسم دار) ورويت من غير هذا الوجه تفسير من جلله من أجله . يقال : فعلت ذاك من أجلك وجلك وجلالك .

و (أقضى) المشددة فى الكتاب هى (أقضى) كما روتها رواة الشعر .

* ج ١ ص ١٢١ : ... عن النبى أنه قال للنساء : إذا جعتنّ خجلتن ، وإذا شبعتن دقِعتن .

قلت : إنكُنَّ (إذا شبعتن خجلتن وإذا جعتن دقعتن[1]) والحديث مصوغ .

* ج ١٥ ص ٣٩ : أين أنا عن ذَوب لا شوب فيه ، وعن صوب لا جدد دونه[2] .

وجاء فى الشرح : الجدد الغليظ من الأرض قلت : لا حدد دونه بالحاء . يقال : دون ما سألت عنه حدد أى منع ، ولا حدد عنه أى لا منع ولا دفع كما فى التاج . والقول فى رسالة عبقرية لأبى حيان التوحيدى .

* ج ١٨ ص ٢٢٠ :

قرهت عينى من طول البكا وبكى بعضى على بعضى معى

وجاء فى الشرح : فى الأصل : قرهت بمعنى اسودت أوجمدت ، وفى طبقات الأطباء : شقيت . ولو أن لى حق التصرف لجعلتها قرحت ، وهى أقرب إلى قرهت .

قلت : مرهت . فى القاموس : مرهت عينه كفرح خلت من الكحل أو فسدت أو ابيضت حماليقها والنعت أمره ومرهاء . وفى مستدرك التاج : وقوم مره العيون من البكاء وهو جمع أمره[3] .

(١) قلت : فى النهاية : خجلتن : أراد الكسل والتوانى لأن الخجل يسكت ويسكن ولا يتحرك ، وقيل : الخجل أن يلتبس على الرجل أمره فلا يدرى كيف المخرج ، وقيل الخجل هنا الأشر والبطر من خجل الوادى إذا كثر نباته وعشبه . وفى اللسان : دقعتن أى خضعتن ولزقتن بالتراب ، والدقع الخضوع فى طلب الحاجة والحرص عليها مأخوذ من الدقعاء وهو التراب أى لصقتن بالأرض من الفقر والخضوع .

(٢) قلت : فى الأساس : هو أحلى من الذوب بالاذوابة أى من العسل الذى أذيب حتى خلص من الشمع — بالزبدة التى أذيبت وخلص منها السمن وفيه : وسقاهم صوب السماء وصبيها .

(٣) فى ديوان الخنساء :

مَرِهتَ عينى فعينى بعد صخر عطاءه
فدموع العين منى فوق خدى وكفه
إن نفسى بعد صخر بالردى معترفه

* ج ١٠ ص ١٧٧ : وقال (الحسين بن مُطَير) :

رأت رجلاً أودى بوافر لحمه طلاب المعالى واكتساب المكارم

خفيف الحشا ضرْباً كأن ثيابه على قاطع من جوهر الهند صارم

فقلت لها : لا تعجبِنَّ فإننى أرى سمن الفتيان إحدى المشائم

وجاء فى الشرح : (ضرباً) : من ضرب فى الأرض ذهب بنفسه وخرج تاجراً أو غازياً أو إلى غير ذلك .

قلت : الضرب الرجل الخفيف اللحم كما فى الصحاح وغيره . و (المشائم) هى (المشاتم) بالتاء .

* ج ١٦ ص ٢٥٦ : قال إسحاق بن راهَويه : يحب الله الحق ؛ أبو عُبيد (القاسم بن سلام) أعلم منى ومن أحمد بن حنبل ومن محمد بن إدريس الشافعى . قال : ولم يكن عنده ذاك البيان إلا أنه إذا وُضِع وُضِع .

وجاء فى الشرح : إذا وضع وضع كناية عن أنه كان كافياً فى كل شىء .

قلت : إذا وضَع وضَّح : إذا وضع أى ألَّف وصنف وضح وأبان وإن لم يكن للسانه ذاك البيان .

فى (وفيات الأعيان) لما وضع كتاب الغريب (المصنَّف) عرضه على عبد الله بن طاهر فاستحسنه وقال : إن عقلاً بعث صاحبه على عمل هذا الكتاب حقيق ألا يحوج إلى طلب المعاش ، وأجرى عليه عشرة آلاف درهم فى كل شهر . قال محمد بن وهب الشعرى : سمعت أبا عبيد يقول : مكثت فى تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة .

قلت : من هذا الكتاب نسختان مخطوطتان فى (دار الكتب المصرية) عمرها الله !

* ج ٩ ص ٨٧ : ومن عبث الخاطر وهوسه أبيات تشوقت فيها الحجاز ...

وجاء فى الشرح : فى الأصل : تشرفت .

قلت : تشوقت بالقاف ، يقال تشوقه وتشوق إليه ، وتشوق مثل اشتاق ومطاوع شوّق . وتشوف إلى الشىء تطلع ، ورأيت نساء يتشوفن من السطوح أى ينظرن ويتطاولن [1] كما فى اللسان .

* ج ١٥ ص ١١٦ : قال الصاحب وتوفرت على عشرة فضلاء البلد ، فأول من كارثنى أولاد المنجم لفضل أبى الحسن على بن هارون وغزارته واستكثارى من روايته ... فاتفق أن سألت أول ماسمعت اللحن [2] فيه (فى شعر له) عن قائله فغضب ... وقال : تقول لمن هـذا ، أما يدل على قائله ... أما ترى أثر بنى المنجم على صفحته ، أما

يحميه لألاؤه أو لوذعيته من أن يدال بمن أوممن هوالرجل

وجاء فى شرح (كارثنى) أى اشتد علىّ وعارضنى وفى شرح (يدال) يدال : يقال أى يتداول الناس فيه القول والسؤال بمن وممن .

قلت : (كارث) غير معروفة . وفى اللسان كرثه الأمر ساءه واشتد عليه ، وبلغ منه المشقة ، وأكرثه كذلك . والمقام لا يقتضى مثل هذه اللفظة كما لا يقتضى (كاثره) أى غالبه أو فاخره بكثرة مال أو عدد . وأغلب الظن أن الأصل (قابلنى) أو (قاربنى) ومن معانى قاربه : ناغاه وحادثه بكلام مقارب حسن ، والمقابلة هنا أليق من المقاربة .

و (يدال) هى (يذال) بالذال ، أى يهان . والقول هو بيت لأبى تمام من قصيدة فى المعتصم بالله ، قال :

يحميه لألاؤه أو لوذعيته من أن يذال بمن أوممن هوالرجل

وفى هذه القصيدة :

يستعذبون مناياهم كأنهم لاييأسون من الدنيا إذا قتلوا !!!

---

(١) وربما كان الأصل : ويتطالن . فنى الأساس : ورأيت النساء يتطالن من السطوح . وفي اللسان فى (طلل) : ويقال رأيت نساء يتطالن من السطوح أى يتشوفن وإن كان التطاول والتطال بمعنى واحد .

(٢) لحن الموسيقى ، مفرد ألحان .

البلاغة العصرية واللغة العربية

تأليف الأستاذ سلامة موسى

للأستاذ أحمد محمد الحوفى

— ٤ —

اللغة والسلوك والذكاء — اللغة والحب — أحاجي لغوية — تعابير منتقدة .. ..

(١)

« نحن نفكر وننبعث بالكلمات ، وسلوكنا فى البيت والشارع والحقل والمصنع هو قبل كل شىء سلوك لغوى ، لأن كلمات اللغة تقرر لنا الأفكار والانفعالات ، وتعين لنا السلوك كما لو كانت أوامر ، بل نستطيع أن نقول إن سيادة البريطانيين على الهنود ، أو المتمدنين على المتوحشين هى إلى حد ما سيادة لغوية ، أى مجموعة خصبة وافية من كلمات المعارف والأخلاق تحدث براعة فى الفن وتوجيها فى السلوك يؤديان إلى السيادة وأحياناً إلى العدوان » ص ١٠ .

« ومما لا شك فيه أن هناك بين المتوحشين والبدائيين أذكياء من الطراز الأول ، ولكن ذكاءهم يبقى عقيما ، لأنهم حين يفكرون يجدون تفكيرهم محدوداً بالتراث اللغوى المحدود الذى ينطقون ويفكرون بكلماته ، واللغة لهذا السبب هى أعظم المؤسسات الاجتماعية فى أية أمة ، لأنها الوسيلة لتحريك الذكاء فى أبنائها ، ولتوجيه أخلاقهم بكلماتها التى تعبر عن المعرفة أو العقيدة أو الحكمة » ص ٩٢ .

هنا ينظر الأستاذ إلى اللغة بعين واحدة ، لأنه رجع إليها وحدها التفكير والسلوك ، وأغفل تأثير المجتمع فيها ، فليست اللغة وحدها هى التى تحفز وتدفع ، وليس المجتمع سبيكة تصوغها اللغة وتشكلها ، لأن اللغة تؤثر فى المجتمع وتتأثر به ، بل لعل تأثرها بالمجتمع أقوى من تأثيرها فيه ؛ لأن المجتمع هو الذى وضعها وأنشأها ونماها ورعاها ، فلا شك أن المجتمع وجد قبل أن توجد اللغة ، ولا شك أن المجتمع هو الذى صاغ هذه اللغة فى آماد متباعدة ليعبر بها عن حاجته ، فالحاجات أسبق من اللغة المعبرة عنها ، والقول بأن اللغة وليدة المجتمع ومرآة لحياته أصدق من الزعم بأن المجتمع وليد اللغة وصورة منها .

فقد نهض المسلمون أولا ، وبسطوا سلطانهم على الشرق والغرب ، ثم تأثرت لغتهم بحياته الجديدة فاتسعت ومرنت وجدت فيها ثقافات لم تكن لهم من قبل .

ونهضت مصر والشرق العربى فى هذا العصر ، ثم اتسعت اللغة بما طرأ عليها من فنون ، استجابة لهذه النهضة .

ومن ذلك أننا الآن نترجم ونؤلف ونضيف إلى اللغة مصطلحات جديدة فى الطب والقانون والاجتماع والاقتصاد والكيمياء وغيرها ، أفنحن استجبنا لروح النهوض ثم استخدمنا اللغة لتحقيق هذا النهوض ، أم أنا كنا نعرف هذه المصطلحات وهى التى أوحت إلينا بهذا النهوض ؟ لا شك أن اللغة هى التى خضعت لحاجتنا وتأثرت بنهضتنا .

ولو صدقنا الزعم بأن اللغة هى الخلاّقة والفعّالة لكانت النتيجة الطبيعية أن سكان الهند وجنوب إفريقية الذين يتكلمون بالانجليزية ، وسكان تونس والجزائر الذين يرتطنون بالفرنسية — فى صف واحد مع الانجليز والفرنسيين ، لأن اللغة هى اللغة .

ثم ما للشرق تخلف عن ركب الحياة بعد أن كان الرائد والقائد ، ولغته هى لغته إن لم تكن قد زادت ثروة من الكلمات والتعابير وسعة فى الخيال ؟

وما لنا نرى كثيرين جداً من المثقفين الدارسين لأكثر من لغة يتنكبون الفضيلة وهم على علم بما يقترفون ؟ ويعدون صوالح أمتهم وأنفسهم وهم على بينة أنهم عادون ؟ إن كانت اللغة هى الحافز والملهم فلماذا لم تحفزهم إلى الخير وتلهمهم نوازعه .

إن اللغة لا تحفز إن لم يكن خلفها رصيد من قوة الخلق ، وسمو الروح ، والطموح إلى مثل أعلى . أما اللغة وحدها فزجاجات

منفلقة على معان لا ينتفع بها إلا من يتذوق مراميها ، ويفقه معانيها ولو كان الشأن للغة وحدها لسما كل من حفظ كلمات : المجد ، والشهامة ، والمروءة ، والنجدة ، والعزة الخ .

(٢)

« يجب أن نذكر أن كثيراً من توجسنا من الحب واختلاط الجنسين يرجع إلى أننا نستعمل كلمات الحشاشين سوء أكانت فصحى أم عامية فى وصف هذه العلاقات الجنسية بدلا من كلمات العلماء أو المثقفين ، ولذلك كلما فكر بعضنا فى الحب أو اختلاط الجنسين على الشواطئ أو العرى خطرت بذهنه كلمات توحى البذاء أو العهر فيصد ويصرخ فى الدعوة إلى انفصال الجنسين » ص ٨٤ .

ما شاء الله !

هل الغُيُر على الخلق الكريم أن يتدهور ، وعلى عفاف المرأة أن يخدش ، وعلى سمعة الأسرة أن تلوث ، وعلى العرض أن يهتك ، إنما يصرخون بدعوتهم لأنهم يستعملون كلمات الحشاشين التى توحى إليهم بالبذاء والعهر والفجور ؟

وهل الذين يتوجسون من الحب أن يغلب الهوى العقل ، وأن يجر ويلات على الفتيان والفتيات ، إنما يتوجسون لأن قاموسهم اللغوى منحط ؟

ومن الظريف أن هذا الأستاذ الداعية إلى اختلاط الجنسين على الشاطئ فى عرى وتهتك قد ضرب المثل على صحة دعواه بأن المثقف يرى المرأة العارية فيتذكر الرشاقة ، والجاذبية ، والصحة الخ والرجل المتأخر أو (الحشاش) يراها فيتذكر اللذة ، والأرداف ، والقبلة الخ .

فأية صيحة منكرة هذه الصيحة ؟

وماذا بقى من الدعوة الجريئة المكشوفة إلى العرى والاختلاط والإباحية ؟

هى دعوة خاطئة خاطلة بنيت على أساس خاطئ ، واهٍ نقدناه فى تأثير اللغة . وأنا أسأل الأستاذ :

أكل من يقعون فى المحرم ويسطون على الأعراض من غير المثقفين ؟

أو كل مثقف يخالط على الشاطئ امرأة عريانة لا يفكر فى المتعة الجسدية ؟

أنستطيع أن ندعى أن الثقافة تميت الغريزة ؟

أيتذكر مثقف الخفة والرشاقة والجاذبية ثم ينقطع به خياله عند هذا الحد ؟ وماذا بعد الإعجاب والخفة والرشاقة والجاذبية ؟

أيرى مثقف امرأة ذات خفة ورشاقة وجاذبية ويعجب بها ثم يسجد لله إقراراً بقدرته وتفرده فى صنعته ؟

وهل هذه المرأة دمية أو تمثال حتى يقنع منها بالنظر ؟

وإذا كان المثقف كثيراً ما تعجبه الوردة الناضرة فلا يقنع منها بالنظر ، بل يقطفها ويشمها ، وكثيراً ما تروقه القطة الأليفة الجميلة فلا يكفيه منها الرؤية ، بل يلمسها ويداعبها ، فلم يزعم زاعم أن المرأة الحسناء العارية أو غير العارية تروعه ثم يخالطها ، ولكنه يتبتل ويترهب !

إن الداعين إلى هذا البلاء ليسوا إلا مغالطين مخادعين يفترون على عواطفهم ؛ ويكذبون فى تحليل نفوسهم ، أو تجاراً يبغون هدم ما بقى لهذه الأمة من حصن الأخلاق

— ٣ —

« ومن الأحافير اللغوية كلمات (الدم) و(الثأر) و(العِرض) فى بعض مديريات الصعيد ، فإن هذه الكلمات تؤدى إلى قتل نحو ثلاثمائة امرأة ورجل كل عام » ص ٥٢

أكاد أشفق على هذا الكاتب الذى يخبط ويخلط فيما يكتب ، ويتردى ثم لاينهض إلا ليكبو ، فإذا كانت دعوته إلى الاختلاط والعرى مستورة بستار شفيف فإن دعوته هذه مكشوفة مفضوحة تطل بقرنيها من خلال كلماته

إنه يريدنا على أن نمحو من لغتنا كلمة (العرض) فلا نغار ، وكلمة (الثأر) فنذل ولا ننتقم ، وكلمة (الدم) فتهدر حياتنا وحياة أعزائنا فلا نثأر ! !

إن الديك الذى لا يعرف كلمة (العرض) يغار على دجاجاته ، ويصد عنهن الجنيب الغريب ، والديك الذى لا يعرف كلمة (الدم

أو الثأر) بصون عزته فيناضل من يعتدى عليه ، وإن كان أشد منه مراساً وأقوى شكيمة .

أفننتكس نحن فنكون أقل من الديك غيرة وحمية ؟

ولن يزعم إنسان أن لغة الشمال وبقية مديريات الجنوب خالية من كلمات الثأر والدم والعرض ، فلما ذا لا تكثر هناك جنايات القتل ؟ أنتهمهم فى رجولتهم وكرامتهم وشرفهم ؟ لا ، فليس مرد حوادث القتل إلى اللغة ، ولكن إلى ظروف أخولعل منها : الجو ، والفقر ، والضغائن الموروثة ، والضرب إلى الأصل العربى بعرق ، والاعتزاز بالشرف الذى تخدره موجات المدنية الداعرة . فلاجريرة للغة فى هذا ولا دخل

وإذا سلمنا جدلا أن الثأر للكرامة ، وأن صون العرض من جرائر اللغة فما أحبها جريرة . والخير إذن أن تبقى هذه الكلمات حية تعمل فى النفوس عملها ، لا أن تسمى (حفائر)

أيها الغُيُر على الأعراض فى مصر ! خففوا من غلوائكم ، بل أميتوا غيرتكم ، والْغوا رجولتكم ، فإنكم همج فى رأى الأستاذ سلامة موسى ! !

أيها الطامحون إلى الاستقلال التام ، الثائرون للكرامة والحرية المغصوبة ! رويدكم فإنكم متأخرون فى زعم كاتب من كتاب مصر ! !

أيها الآباء ! أيها المربون للجيل الجديد ! أيها الواضعون للقاموس اللغوى الجديد ! احذفوا من لغتكم كلمات العرض والثأر والدم وأضرابها لتنشئوا نعاجاً لا تثأر ولا تثور ولا تغار !

— ٤ —

« وما زلنا نلتزم عبارات مقتبسة يعافها الذهن الذكى ، ومرجع هذه العبارات تلك البلاغة العاطفية الانفعالية التى تعلمناها وغرست فى نفوسنا قيمة مزيفة للاستعارة والمجاز ، فما زالت صحفنا مثلا تقول :

عرض على بساط البحث ، بدلا من عرض للبحث

وخاض غمار القتال ، بدلا من قاتل

وحمى وطيس الحرب ، بدلا من حمى القتال

ودارت رحى المعركة ، بدلا من دارت المعركة

ووضعت الحرب أوزارها ، بدلا من انتهت المعركة الخ

ونحن نستغنى عن الاستعارة حين يمكن الاستغناء عنها أو حين تعكس مجتمعاً يخالف مجتمعنا » ص ٧٣

ولكن الاستعارة — ما دامت فى موضعها ، وصدى لشعور الأديب وانفعاله وخياله — جوهرية فى النص لا يمكن الاستغناء عنها ، وإلا فقد التعبير عن النفس قيمته وقوته وجماله

ولا عيب فى أن تشير بعض الاستعارات إلى حياة سابقة ، لأن الكلمات التى نكتب بها ونشعر ، لها تاريخ وأعمار وأطوار وأحوال مرت بها تخالف فى كثير أو فى قليل المعانى الجديدة التى نطلقها عليها الآن ، وما زالت اللغات الحديثة حافلة باستعارات تعكس صوراً قديمة ليست قائمة ، بل إن بعضها يشير إلى أساطير عتيقة .

وأنا أبين خطأ الأستاذ فى عيبه هذه التعابير التى تتداولها الأقلام :

١ — « عرض على بساط البحث » : يتوهم أن هنا زيادة يمكن الاستغناء عنها ، ولكن المعنى إذا حذفت كلة بساط ليس كالمعنى بها ، فكلمة بساط أفادت أن البحث واسع ، حر ، واضح ، متكشف للباحثين جميعاً كأنه شىء على بساط أمام الناظرين ، والتركيب إذن تشبيه بليغ من إضافة المشبه به إلى المشبه

٢ — « خاض غمار القتال » : والغمار من معانيها الشدة ، والمزدحم ، وشدة الظلام ، والخوض فى الأصل للماء ، فالصورة الخيالية هنا أن الميدان غاص بالمحاربين ، وعددهم كالبحر الزاخر ، وهذا المحارب شجاع ، لأنه خاض هذا الميدان المهيب الرهيب ، وهذا معنى لا تؤديه كلة (قاتل) ، لأن المقاتلة تكون بين اثنين وأكثر ، وتكون بحماسة وشجاعة كما تكون بجبن وفزع

٣ — « حمى وطيس الحرب » : وهى جملة ابتكرها النبى

عليه الصلاة والسلام يوم حنين لما تجالد القوم

والوطيس فى اللغة التنور ، وحفيرة تحفر فتوقد فيها النار للاشتواء ، والمراد حمست الحرب ، وعظم الخطب ، فهنا استعارة رائعة مبنية على تشبيه الحرب بالنار ، لحرارة الضرب بالسيوف أو المدافع أو القنابل ، وللحرارة التى يوقدها فى جسوم المحاربين ما عليهم من سلاح ، وما يقومون به من حركة ، ثم لأن الحرب تأكل الرجال ، وتفنى الأبطال كما تأكل النار الحطب

ولذلك قالت العرب : « أوقدت نار الحرب » ؛ وقال تعالى : « كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله » .

وقال زهير :

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة   وتضر إذا ضريتموها فتضرم

وهذه معان لا تفى بها كلمة دارت المعركة

٤ — « وضعت الحرب أوزارها » : والأوزار عدد الحرب وآلاتها ، قال الأعشى :

وأعددت للحرب أوزارها   رماحاً طوالا وخيلا ذكورا

فهذه كناية عن انتهاء الحرب ، لكنها أبلغ من الحقيقة ، لأنها أفادت الحقيقة ، وأفادت معها دليلا محسوساً على صدقها ، ثم أفادت أن الحرب كانت طاحنة ، ثم فى إسناد الوضع إلى الحرب مجاز عقلى أو استعارة أو حذف ، وكل منها جميل ، فليراجع الأستاذ ذلك كله فى كتب البلاغة إن أراد التفصيل

ولماذا لم يستغن الأستاذ عن المجاز ما دامت الحقيقة قديرة على أداء المعنى ؟

قال فى ص١٣ : « وهذا موضوع (تخصب) فيه الالتباسات »

وفى ص ٢٤ : « بل كانت تبقى هذه المعانى (أجنة) تؤله (بالمخاض) ، ولا تجد المخرج من ذهنه أو تخرج (جهيضة) » .

وفى ص ٨٩ : « لم تجد كلمات ولسن الجو الملائم لها (فذبلت) وماتت أمام (الأعشاب) التى زرعها كلنسو ولويد جورج » الخ

وأخيراً ، أسأل الأستاذ جاداً أن يكتب مقالا أدبياً واحداً باللغة الجديدة التى دعا إليها ، بحيث يكون خليطاً من الفصحى والعامية والإفرنجية ، وملغى فيه الإعراب ، وبالحروف اللاتينية ، وأساس البلاغة فى المقال النطق وحده ، ومجرداً من كل استعارة أو تشبيه ، أو مجاز يمكن الاستغناء عنه ، ثم لا أطالبه ولا أطالب القراء بتقدير قيمته الفنية ، بل أطالبه وحده بفهمه ، وإن كان قد حبره بقلمه

لأكاد أوقن أن دعواته لهدم اللغة ، وتقويض الأخلاق ، وازدراء الماضى المجيد ، إن هى إلا دعوات استعمارية لتبديد شمل الأمة العربية ، أو دعوات تبشيرية لقطع ما بين المسلمين ودينهم من صلة لغوية وخلقية ، ولكن لن يكون لدعواتهم صدى مادامت أقلام فى أيدى أحرار .

أحمد محمد الحوفى

المدرس بالسعيدية الثانوية

الشعر المرسل والشعر الحر

للأستاذ حسين الغنام

قرأت قصيدة الأستاذ الفاضل على أحمد باكثير المنشورة فى عدد مضى من الرسالة، والتى أسماها شعرا مرسلا حراً ...

وقد جمع الأستاذ الفاضل بهذه التسمية بين الشعر المرسل، والشعر الحر، وهما ضربان مختلفان فى الشعر الأوربى، ويسمى الأول فى الانجليزية Blank Verse، والثانى Free Verse.

ولكن الترجمة الصحيحة لهما هى: نظم مرسل، ونظم حر ... ومعنى هذا أنه يجب أن تتوفر الموسيقية فى هذين الضربين من الشعر أو النظم!

ولا يعنى الأستاذ باكثير جمعه بين الضربين فى قصيدة واحدة — كما سماها مجازاً — أن يهمل الموسيقية أو العروض، وإن لم يتقيد أو يلتزم بحرا واحدا ...

فلقد أدهشنى خلو ما سماها قصيدة من أى موسيقية، وحاولت قراءتها وتنغيمها على كل الوجوه فلم أفلح.

فهذه إذن ليست قصيدة بالمعنى المفهوم لخلوها من الموسيقية، وهى ليست شعرا مرسلا، وليست شعرا حرا. والخطأ الثانى هو جمعه بين الضربين فى قطعة واحدة.

أما أصدق وصف لكلمة الأستاذ باكثير فهو أن يسميها نثرا مشعَّرا، أو شعراً منثوراً، كما يقولون. أما أنها نظم Verse فهذا خطأ.

وإذا أراد نموذجا من الشعر فإنى أرجو من أستاذنا الزيات أن يتفضل بنشر هذا النموذج لى، عن الشاعر الأمريكى الفحل لونجفلو، وهى السطور الأولى من ملحمته المساة (أغنية هياواثا)، وقد نظمها صاحبها شعراً حراً، ولكنى ترجمتها شعراً مرسلا منذ بضع سنوات.

وإنك لواجد فى هذا النظم موسيقية، لأنها من أول الشروط فيه. وقد أخطأ الشعراء فى عدم فهم هذا الضرب، فكان ما ينظمون منه — حتى مع التزامهم الموسيقا — متنافراً فى البحور غير منسجمة مع بعضها. ومن أولى خصائص هذا الضرب موسيقيته أولا، ثم ائتلاف هذه الموسيقا فى بحور متقاربة ليجعل منها تجانساً وتناسقاً فنياً Harmony.

وإليك الأبيات الأولى من ملحمة لونجفلو، كما ترجمتها شعراً مرسلا من أوزان متقاربة لا تحس فيها بتنافر أو اصطدام، وهذه أولى خصائص ذلك النظم:

(نواراها) المغنى العظيم

— ١ —

لعلك سائلى من أين هاتيك الأقاصيص؟
ومن أى المصادر جئت بالأخبار ترويها
وإن لها لرائحة من الغابات منبعثه
وإن بها ندى الأعشاب فى المرجات منبثه
ندى رطب إن التمعا
بضوء الشمس أو سطعا
وإن لها دخاناً جاء م الأكواخ مرتفعا
وإن لها خرير الماء فى الأنهار مندفعا

— ٢ —

فإما قلت لى من أين هاتيك الأقاصيص؟
فهاك جواب أنبائى من الملموس أحكيها:
من الغابات والروضات جئت بكل أخبارى
وليس السامع المروى مثل الناظر السارى
فمن غابٍ ومن سهل
ومن نهر ومن تلٍّ
ومن أرض يعيش بها قبائل أهل (أوجيبِ)
و (دا كوتاة) فى أرض حلت للشاة والذيب
ومن جبل ومستنقع
وأرض ثم لم تزدع

ومنبسط من الأرض

هنالك كل ما فيه — على بداوته — يُرضى

هنالك (مالكُ المحزونُ) يحيا عيشة الزهد

(شَشَهَنْتَجاهُ) كما يدعوه بعض قبائل الهند

يعيش هناك بقتات السَّمار الفجّ والقصبا

فلا عنباً وفاكهة ولا نبتاً ولا حبا

ومن شفَتَيْ (نواداها)

أغان ... كان غناها

وأعظم بالذى غنى

مغنيهم إذا افتنّا

سأرويها كما غنى

فما زال الصدى المسحور حسناً يطَّبى سمى

ويعذُب وقعُه فيه — وما أحلاه من وقع !

— ٣ —

وإما عدتَ تسألنى سؤالا عن « نواداها »

ومن أى الموارد جاء بالألحان فتانه

فألقاها وغناها

فرد الطير ولهانه

أغان من بداوات ولكن لحنُها يُصبى

فمن أطيار غابات تلوذ بصوتها العذب

على أعشاشها العلياء فى أطراف أشجار

وحسبك لحن أطيار

ومن أكواخ « كلب الماء » تحت الماء مختفياً

ومن آثار ثيران أوابد — كان مقتفيا

وعش النسر فوق شواهق الجلمود ممتنعاً

وغير النسر لم يمسسه مهما طال وارتفعا

— ٤ —

وفى واد جميل ساكن رقت حواشيه

وفوق الجدول الساجى أقام على حوافيه

« نواداها » بقرب القرية الهندية الصغرى

« نواداها » الذى غنى

وعنها لقن الفنا

وفوق المرج مخضرّا

وبين مزارع الحنطه

فتحسب ذلك البُرّا

تلألأ — عسجداً حرّا

وفوق الأرض منبسطه

وعن قرب من الغيطان قامت غابة كبرى

وأحراج الصنوبر وهى كالأطيار غريده

تراها ثَم ممدوده

وعند الصيف تبصرها إذا ما رُدِت خضراء

وفى وقت الشتاء تحول من خضراء — بيضاء

وفى الحالين تبصرها

إذا ما رحت تخبرها

تنهد قلبها آناً وآناً بالهوى غنى

وما أحلاه إن غنى ، وأوجعه إذا أنّا

وهذا الجدول الرقراق فى الوادى قد انسابا

وفى جنباته سالا

وراح يتيه سلسالا

وعاد جداولا كُثرا

تشق السهل والأعشاب والأحراج والغابا

تراها فى الربيع تخر بالأمواج صفّاقه

وتبصرها إذا ما كنت يوماً تقتفى الأثرا

فتالفها أوان الصيف إذ تنساب رقراقه

بأشجار من الحور الجميل مهفهفاً قاما

وإبان الخريف ترى الضباب هناك قد غاما

وإبان الشتاء يند خيط أسود داكن

يفرّع منه — قاتمً — خيوطاً غُبراً دكنا

بجانب كل ذلك عاش « ناواداه » — من غنى

بوادٍ أخضر ساكن

— ٥ —

وغنى عن « هياواثا »

وغنى من « هياواثا »

أغانى عن ولادته العجيبة ثم تكوينه

وكيف صلاته قامت وكيف صيامه كانا ؟

وكيف حياته كانت من الآلام ألوانا

وكم كدح الشقى لكى يكون لأهله قدوه

ورائدهم إلى النجح

فإن النجح فى الكدح

— ٦ —

ألا يا من تحبون الطبيعة وهى مزدانه

وشمس المرج ساطعةً وظل الغاب ممدودا

وصوت الريح فى الأغصان تخطر وهى نشوانه

وهمس الريح مردودا

إذا حفت على الشجر

ألا يا من تهيمون بشؤبوب من المطر

يسُحّ كدافق النهر

وعاصفة من الثلج

على الآكام والمرج

ودفع الماء فى الأنهار ينفذ من حواجزها

وصوت الرعد فى قنن الجبال وفى مفاوزها

إذا أصداؤهن عوت

تخال نسورها دوّت

الوغا ما لها عدُّ

وحسبك أنه رعد

تعالوا واسمعوا منى أحدثكم أحاديثا

وأغنية أغنيها كما غنى « هياويثا ! »

حسين الغنام

سيبـاى الكافلى

آخر نائب للمملكة المصرية بالشام

الأستاذ أحمد رمزى

القنصل العام السابق لمصر بسورية ولبنان

كان ذلك فى جولة من تلك الجولات فى دمشق حين كان يحلو لى السير لمسافات بعيدة للتعرف على أحياء الدينة التى قلت عنها إنها « عاصمة وثغر ورباط »(١) . وذلك لما نقل عن أبى الدرداء من قوله : « إن أهل الشام مرابطون وأنهم جند الله »(٢)

وكان ذلك فى ربيع سنة ١٩٤٣ ويد الله تحرك العالم وشعوبه وسط حرب عالمية شعواء ، والشرق العربى يتأرجح بين الصليب المعكوف ورمز النصر الديمقراطى ، وكان معى صاحبى وقد انتهى بنا المطاف إلى بناء عليه مسحة القرون المصرية التى نعرفها قلت : « هذا البناء لنا » وصاحبى يعرف مقدار شغفى بكل ما يذكر بمصر العربية الخالدة من عهد الأيوبية والبحرية والبرجية ، ففتح فاه وقال : « نعم ! ألا تدرى أنك أمام جامع سيباى » قلت : « ومن هو سيباى هذا ؟ » قال : « هو نائب الشام تولى إمرة السلاح بمصر » ثم عين نائباً للسلطنة المصرية بدمشق فى عهد سلطاننا الغورى طيب الله ثراه — قلت : « إذن هو آخر من حكم هذا البلد الأمين من أمراء مصر؟» قال : « نعم ». سألته : « كم يفصلنا عنه من القرون ؟ » قال : « أربعمائة وأربعون عاماً » قلت : « لقد انتهت الفترة إذن وستبعث مصر بعثاً جديداً وستعود أيامها الخوالى وستلعب دورها التاريخى مرة أخرى » — ونظرت إليه محدقاً وقلت : « أو لم تؤمن بما أقول ؟ » . فابتسم صاحبى ابتسامة عريضة لها معناها . وتوجه إلى المسجد وقال لى : « أتدرى ماذا يقولون عن جامع سيباى ؟ يطلقون عليه اسم جمع الجوامع » قلت : « أى نعم أذكر جيداً جمع الجوامع فى أصول الفقه للسبكى المتوفى سنة ٧٧١هـ وأذكر الرواق العباسى بالأزهر وما ألقاه علينا أستاذنا الأكبر الشيخ الدجوى يوماً ما » قال : « لا ؟ وإنما أردت أن أقول إن بعض الظرفاء وإن كان الكرد على فى الجزء السادس من خطط الشام صفحة ٩٣ يسميهم العلماء يقولون إن صاحب هذا الجامع لم يدع بدمشق مسجداً مهجوراً ولا مدفناً معموراً إلا أخذ منه من الأحجار والرخام والأعمدة ما أحبه ؛ ولذلك سمى مسجده جمع الجوامع » واستمر صاحبى فى بحثه وشرحه ويقول : « استغفر الله ! ناقل الكفر ليس بكافر . كانت هناك مدرسة اسمها الخاتونية بالصالحية درست ، وأول من استفاد من أنقاضها سيباى هذا ، وكانت هناك تربة باسم الأمير بلبان المحمودى أتابك العساكر المصرية بالديار الشامية أخذ سيباى حجارة واجهتها لبناء جامعه هذا ولم يترك لصاحبها غير الضريح » واستمر يشرح لى هذه النقطة الغامضة بإسهاب جعلنى ألتفت إليه : « والله لو استعمل سيباى حجارة شارع جمال باشا بأكمله وأخذ رخام قلاع الكرك وحصن الأكراد ومصياف لما حال ذلك دون زيارتى لهذا الأثر المصرى ، فوفر عليك ما تقول وسر بنا نطوف به » . ودخلنا المسجد وأنا أطيل النظر فى الزخارف ومقرنصات الباب العليا وأرفق فى لمس الجدران والحجارة وأتأملها بين أبيض وأسود وكأنها تحدثنى وتحن إلىّ ، وكنت قد صعدت الدرجات واتجهت إلى الصحن فوجدت على يمينى جناحاً اتخذته جمعية الشبان المسلمين بالشام مقراً لها ، نخف أعضاؤها لاستقبالنا والترحاب بنا ، وكنت مبابل الفكر سارحاً ، فأخذت بذراع صاحبى على جنب وهمست فى أذنه : « أبلغت القحة أن تطأ الأقدام ضريح أمير من أمراء مصر وبتخذ مدفنه مكتباً فلا ترعى لجسده أية حرمة !» فضحك صاحبى وقال : « لابأس ! » قلت : « وما معنى هذا ؟ ».قال : « خفف عليك ! إن سيباى قتل فى معركة مرج دابق مع الغورى ولم يضم عظامه لحد ولا ضريح ؛ والذى تراه أمامك ماهو إلا تربة فارغة » .

انتصر صاحبى وعرف كيف يسكتنى وكيف يقود الزيارة للصحن الداخلى ويلفت نظرى إلى مزولة من رخام كتب عليها أنها من عمل الفقير محمد زريق الموقت سنة ٩٦٢ ، ثم أخذنى إلى المصلى واستمر يحدثنى عما يعرفه عن المحراب والمنبر الجميل وما فيه من الزخارف والنقوش الهندسية .

---

(١) راجع الرسالة عدد ٤٧٠ بتاريخ ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٤٢ .

(٢) ابن عساكر صفحة ٥٨

مشروع السنوات الخمس

للدكتور محمد مأمون عبد السلام

وكيل قسم أمراض النباتات بوزارة الزراعة المصرية

تراعى الحكومات الديمقراطية فى وضع مشروع السنوات الخمس أن تكون أغراضه محددة لسياسة التعمير وموجهة لزيادة الثروة الأهلية ورفع مستوى الشعب عامة من الوجهة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لا أن تكون نتيجته استفادة فئة قليلة على حساب أغلبية الشعب ؛ لذلك توضع برامجه على ما لدى الدولة من الموارد الطبيعية والأيدى العاملة وعلى احتياجات الشعب ليعم نفعه كافة أفراده من غير تمييز .

فيجب أن يتمشى المشروع مع ازدياد عدد السكان والتقدم فى الآلات الحديثة ووسائل الإنتاج ، وأن يستعان فى وضع برامجه بما ينبغى أن يكون لدى الدولة من أرقام إحصائية حقيقية دقيقة عن موارد ثروتها على اختلاف أشكالها وعن تعداد سكانها ومبلغ زيادتهم السنوية وعن حالتهم واحتياجاتهم أى معاملاتهم الداخلية والخارجية وعن الإنتاج المحلى ليعمل المشروع على زيادته لكفاية الشعب واستغنائه عن الاستيراد الخارجى واستقلال البلاد بنفسها لنفسها والواجب أن تبنى أسس المشروع على تقدير مستوى المعيشة الواقعى لجمهور الشعب تقديراً صحيحاً لا اجتهاديا وعلى مدى ثقافة الشعب وحالته الصحية ، وعلى كافة العيوب التى تؤثر فى حياته كعيوب المدن والقرى والعزب والمساكن والطرق، وعيوب الإنتاج وبالاختصار على جميع أوجه النشاط الزراعى والصناعى والاجتماعى

والواجب أن توضع برامج مشروع السنوات الخمس لمصر نتيجة لدراسات عميقة تشمل شتى نواحى الحياة فيها ، وأن تتعاون فى وضعه كافة الهيئات الحكومية والأهلية ، وأن تنفذ برامجه طبقاً لدراسات صحيحة مبنية على أرقام حقيقية لكافة العيوب والأمراض التى لا بد من استئصالها لتبنى الأمة المصرية حياتها الجديدة على أساس موضوع لغرض قومى معين غير متأثر بأى مؤثر داخلى أو خارجى . فيجب أن تتمشى برامج الرى والصرف مع إصلاح الأراضى وزراعة البوات وتوزيع الفائض من السكان فيها توزيعاً عادلا لاستعمارها . وينبغى أن يوضع برنامج الاصلاح الزراعى للبلاد على أساس تعديل الملكية لينتفع الشعب بالأرض انتفاعاً شعبياً يؤدى إلى رفع مستوى الإنتاج بمساعدة الوسائل الحديثة الميكانيكية والكيميائية والبيولوجية فيوزع الإنتاج توزيعاً يتفق مع مجهود الأيدى التى أنتجته .

والواجب أن يضم المشروع برنامجاً خاصاً للبحوث الزراعية بحيث يكون موحداً بين الأقسام الفنية المختلفة لوزارة الزراعة والهيئات الزراعية الأخرى كالجمعية الزراعية والكليات الزراعية ومعاهدها على أن يكون الغرض الأسمى من هذه البحوث كفاية الشعب من الطعام الصحى الرخيص ومن المواد اللازمة لراحته فى الملبس والمسكن وذلك بإنتاج الحاصلات الوفيرة الريع التى تقاوم الآفات والأمراض، وأن يعطى الشعب كفايته من الخضر والفواكه واللحوم والبيض والألبان ومشتقاتها بأثمان رخيصة تتمشى مع نفقات الإنتاج لا مع جشع المنتجين والوسطاء أى التجار . وأن يكون من أغراض المشروع تخزين المحصولات بالطرق الحديثة التجميعية التى تضمن سرعة علاجها وسهولة توزيعها على مناطق الاستهلاك بأقل النفقات . وأن تنشأ مصانع للآلات الزراعية التى تحتاجها البلاد فى تطورها الزراعى المرتقب . وأن ينتفع بجميع موارد الطاقة الموجودة عاطلة فى البلاد لمصلحة الأمة عامة وذلك بتوليدها من مجارى المياه ومن الرياح وأشعة الشمس ومن آبار البترول وأن تستخدم فى الزراعة وفى تنفيذ المشروع الصناعى بصفة شعبية

كنت أسمع إليه وأنا فى عالم آخر. ولما وجدنى مشتت الفكر سار بى إلى إحدى الغرف المخصصة لتلقين صبية الحى بعض آيات القرآن الكريم . ورحب بنا الشيخ وأخذ يدعو أولاده لتلاوة ما حفظه كل منهم من جزء عم فسرى ذلك قليلاً عنى .

أما نفسى فكانت حزينة لا تفكر فى شىء غير يوم مرج دابق والسلطان الغورى وسيباى وغيره من أمراء مصر الذين قتلوا وكتبت لهم الشهادة فى ذلك اليوم العصيب . ونزلتُ درجات السلم وأنا أتمتم بنشيد من شعر نيتشه لا أذكر منه سوى بعض المقاطع . وهو :

« إنى أحبكم من عميق القلب أيها الرفاق فى المعارك فما أنا الآن إلا مقاتل مثلكم كما كنت بالأمس » .

(للكلام بقية) **احمد رمزى**

وأن ينتفع بفوائض الحاصلات فى التغذية وفى الصناعات كصناعة الورق والخشب الصناعى واستخراج الكحول والنشا وغاز الوقود والإضاءة فيمكن مثلا أن ينتفع ببقايا الذرة فى مناطق زراعتها فى توليد غاز الاستصباح والوقود واستخدامه فى المدن والقرى والعزب .

والواجب أن يوضع برنامج الصناعات لأغراض وطنية ولمنفعة الشعب عامة على أساس مدروس فترفع مستوى معيشته وتغنيه عن المصنوعات الأجنبية فتؤسس الصناعات التى تتوفر خاماتها فى البلاد كصناعات الزجاج والنسيج والورق وبعض الصناعات الكيميائية والطبية والصناعات المعدنية لوفرة خامات المعادن فى صحارينا وصناعة الآلات الزراعية والأسمدة الصناعية والصناعات الزراعية المختلفة وغيرها .

ويجب أن يشمل مشروع الإصلاح الاجتماعى وقاية البلاد من شرور المدنية الغربية التى أخذت تهدد كيان الأسرة المصرية بشكل واضح فيوجه الشعب ذكوراً وأناثاً التوجيه السليم الصحيح الذى يتفق مع آدابه الموروثة التى حددتها له عاداته وعقائده . وأن يوحد الزى لما له من التأثير البسيكولوجى فى داخل البلاد وخارجها . وينبغى أن تؤمن الأيدى العاملة على حياتها فى الصحة والمرض ، وعلى مستقبلها ومستقبل أولادها ، وأن يوضع البناء الاقتصادى للبلاد على قواعد تمنع البطالة وتضمن تشغيل كل يد عاملة فيما تجيده من العمل المنتج . وأن يجعل مساعدة المحتاجين على أساس ما لهم عند الدولة من حقوق لا على قاعدة الإحسان . فالواجب أن تلغى الأوقاف بحيث لا يكون لها أى أثر فى البلاد وتنظم المساعدات على الأسس الشعبية الحديثة .

والواجب أن ينظم التعليم على أساس مطالب العمل والاستعداد الفطرى للأفراد فيوجه الطلبة للمهن المختلفة بحسب ميلهم الغريزى وأن تعطى كل مهنة وحرفة كفايتها من المتخرجين بحسب احتياجاتها وبذلك تعطى البلاد كفايتها من الأطباء والمهندسين الميكانيكيين والكهربائيين والمعماريين والمتخصصين فى الصناعات المختلفة وفروع المهن الزراعية والصناعية فلا تشكو البلاد قلة المتخصصين فى مهنة على حساب كثرتهم فى مهنة أخرى لا أثر لها فى التقدم الحقيقى للبلاد . والواجب أن تغير برامج التدريس تغييراً انقلابيا يتفق مع الاتجاهات الحديثة فى توجيه أفراد الأمة للانتاج المفيد .

والواجب أن يكون من أسس المشروع حل مشكلة الأجانب المتوطنين فى مصر وهم الذين انقطعوا عن بلادهم وذلك بتمصيرهم وإدماجهم فى الحياة المصرية والانتفاع بهم كمصريين فى تنفيذ المشروع . كما يجب الاستعانة بالخبراء الأجانب من الخارج المشهود لهم بالكفاية والأمانة والاستقامة .

ويجب لتنفيذ المشروع أن يستعان بالقروض الوطنية وبالاقتصاد فى مصروفات الدولة حكومة وشعباً وبتحريم استيراد الكماليات وتنظيم توزيع العمل ؛ وأن يلجأ إذا اقتضى الأمر إلى التجنيد المدنى لتنفيذ المشروع وأن يشجع الشعب على ذلك بالمسابقات المالية والمكافآت للمجتهدين والمبتدعين .

والواجب أن يكون لكل وزارة وهيئة ومنشأة بل ولكل مديرية ومدينة مشروعها الخاص ضمن المشروع العام للدولة وأن يخصص لكل منها لجنة دائمة توضع برامجه ومراقبة تنفيذها وأن يشرف على هذه اللجان هيئة عليا « كوزارة للمشروعات » . وأن تخضع ميزانية الدولة وميزانيات الهيئات المختلفة لهذا المشروع باعتباره وسيلة لبلوغ البلاد أسمى أغراضها وهو رفاهية الشعب وسعادته وأمنه . « فوزارة المشروعات » تعتبر المسئولة عن وضع مشروعات كافة الهيئات والمدن وغيرها وعن انسجام برامج هذه المشروعات وعن إدارة تنفيذها . وهى المسئولة عن موازنة كل ناحية من نواحى الإنتاج والتوزيع والتمويل موازنة تتفق مع برامج المشروعات ، فلا تخطو أى خطوة كبيرة فى مشروعات الزراعة أو الصناعة أو النقل أو التمويل أو تجديد بناء المدن والقرى والعزب أو غير ذلك إلا بعد موافقة اللجنة العليا للمشروعات التى يجب أن يعاونها مئات من المتخصصين فى مختلف أبواب المشروع . ويجب أن يقسم مشروع السنوات الخمس إلى مشروعات سنوية ينجز كل منها فى مدى سنة واحدة ليتم المشروع كله فى المدة المقررة له .

وليعلم القائمون بالأمر بل وكل فرد من أفراد الأمة أن مشروع السنوات الخمس بالشكل الذى وصفته هو المحك الحقيقى لحيوية الأمة وهو الذى يظهر مدى استعداد أفرادها للأخذ بأسباب التقدم ومجاراة العصر .

الدكتور محمد مأمون عبد السلام

الحياة الأدبية في الحجاز

للأستاذ ابراهيم هاشم فلالى

من المؤلم ألا يجد القارئ الحجازى فى صحيفة « الرسالة » الغراء شيئاً عن أدب بلاده ، بينما هو يجد فى هذه المجلة الكريمة آداب الأمم العربية ممثلة فيها

فهل هذا القصور ناشىء عن الرسالة ؟ أو هو ناشىء عن الأدباء الحجازيين الذين لا يتقدمون بإنتاجهم الأدبى إليها ؟ إنك تجد من الأدباء الحجازيين من يقول لك إن الرسالة ضنت بنشر ما قدمناه لها ، وقد تقول الرسالة إنها لا تضن بنشر كل ما يصل إليها من أى قطر إذا رأته صالحاً للنشر . والذى أراه أن الرسالة أصبحت لها من المكانة فى قلوب أبناء البلاد العربية ما تغبط عليه ، لأنها ما زالت تخدم فكرة العروبة ولغة العروبة ، حتى ظن أبناء العروبة فى شتى بلادهم أنها رسالتهم ، فهى قمينة بأن يكتب لها الكاتبون وهم قمينون بأن تنشرلهم كل ما يكتبون ، فكثرت لديها المواد ، حتى أصبحت صفحاتها لا تسع كل ما يطلب منها نشره، وعلى الأخص بعد أن استحكمت أزمة الورق وتضاءل حجمها حتى أصبحت فى الحجم الذى هى فيه الآن ، ولم يبق لرئيسها إلا أن يتخير من المواد المتجمعة لديه ما هو أخلق بالنشر من غيره . وله الحق فى أن يختار ما يشاء ويهمل ما يشاء ، وقد تضطره ظروف العمل إلى ذلك ، فيرى الذين لم يقدر لإنتاجهم النشر أن لا باعث لهم على الكتابة للرسالة ما دام نصيبهم الإهمال — كما يخيل إليهم — وغالبية الأدباء ، كما بلوتهم ، لهم مزاج لا يقوى على الاحتمال ، ويتأثرون لأوهى الأسباب .

فى الحجاز حركة أدبية طيبة ، وقد كانت هذه الحركة تتمثل فى جريدتى أم القرى وصوت الحجاز بمكة المكرمة ، وفى جريدة المدينة ومجلة المنهل فى المدينة المنورة . وانتشر الروح الأدبى بين الناس . فبرز بيننا أدباء جديرون بالإعجاب والتقدير ، ووجدت هذه الحركة عطفاً وتشجيعاً من حكومتنا السنية ، فحشدت كثيراً من الأدباء والشعراء فى دواوينها . وكان ولا يزال نائب جلالة الملك المعظم صاحب السمو الملكى الأمير فيصل يرعى الأدباء ويعطف عليهم ويأخذ بأيديهم ، فانتعشت الحركة الأدبية ، وافتتح لها سعادة الشيخ محمد سرور الصبان مدير المالية العام وكبير الأدباء قاعة فى إدارة الإسعاف للمحاضرات الأدبية ليجد فيها كل أديب جواً صالحاً للانتاج الأدبى القيم ، ثم أسس شركة للطبع والنشر لتقوم بنشر مؤلفات الأدباء على نفقتها ، وزود مقر الشركة بمكتبة قيمة ليسهل على الأدباء والمؤلفين مراجعة ما هم فى حاجة إلى مراجعته من الكتب وقتما يشاؤون

وحيال كل هذه المغريات نشطت عزائم الأدباء . فألقوا المحاضرات ، وكتبوا المقالات ، وألفوا الكتب . وشغف الناس بالقراءة . ولذتهم البحوث الأدبية مما دعا إلى مضاعفة الإنتاج الأدبى وإتقانه ومن ثم ألفت كتب جمة فاز بعضها بالنشر مثل كتاب « وحى الصحراء » لمؤلفيه الأستاذ المرحوم عبد المقصود والأستاذ عبد الله بلخير . وكتاب « محاضرات الإسعاف » ، وكتاب « المعرض » للأستاذ الكبير الشيخ محمد سرور الصبان ، وكتاب « أدب الحجاز » له أيضاً ، وكتاب « خواطر مصرحة » للأستاذ محمد حسن عواد ، و « كتابى » للأستاذ أحمد عطار ، وكتاب « محمد بن عبد الوهاب » للعطار أيضاً ، وكتاب « الأدب الفنى » للأستاذ حسن كتبى ، وكتب الأستاذ عبد القدوس الأنصارى وهى : التوأمان ، إصلاحات فى اللغة ، آثار المدينة المنورة ؛ وكتب أخرى لم تحضرنى أسماؤها الآن ، كما طبع بجانب هذه الكتب الأدبية كتب أخرى مدرسية وأخذت حركة الإنتاج الأدبى تنمو وتزدهر . ونبغ لدينا كتاب وأدباء وشعراء سنأتى على نماذج من إنتاجهم ليتبين لقراء الرسالة الكرام إلى أى حد من النضج بلغ الشعر والنثر عندنا

أما المؤلفات الأخرى والتى تكاد تكون قيمتها الأدبية أكبر من قيمة المؤلفات التى طبعت ، فإنها بقيت محفوظة فى مكاتب مؤلفيها ، لأن الحرب — خزبها الله — قامت فى هذه الأثناء ، وحلت ببلادنا أزمة الورق كما حلت فى البلاد الأخرى ، فتوقفت حيال ذلك الحركة الأدبية عن السير فى طريق الذيوع

والانتشار ، ولكن الأدباء لم يقفوا عن الإنتاج ، لأن الفورة الأدبية جياشة فى صدورهم بقوة ، فهم ما زالوا ينظمون وينثرون ويؤلفون ، وهم محتفظون بذلك كله إلى أن يأتى يوم السلم المنظور وتنحل أزمة الورق ، فإذا جاء ذلك اليوم وقد جاء ، فسوف يرى الناس أدباً حجازياً له سمته وله خصائصه ، وسيكون لبلادنا ذات التاريخ المجيد مشاركة أدبية فعالة فى بناء صرح الحضارة الإنسانية ، وستقوم بواجبها وتؤدى رسالتها بما يتناسب ومكانتها الدينية والأدبية فى تاريخها الماضى المجيد

والآن ، سأذكر النماذج الأدبية التى تكلمت عنها آنفاً ، وسأبدأ بنماذج شعرية ليرى القارئ العربى الكريم الشعر الحجازى فى ثوبه الجديد ، وللقارئ أن يحكم له أو عليه بما يستحقه . على ألا يغرب عن باله أننى لم أتخير فى سرد هذه النماذج الشعرية أحسن ما قيل ولا أروع ما نظم، بل ذكرت ماشاع على الألسن دون أن أتكلف عناء البحث والاختيار

قلت فى معرض كلامى إنه نبغ عندنا شعراء وأدباء جديرون بالإعجاب والتقدير ، وفى مقدمة هؤلاء كبير الأدباء وحامل لوائهم الأستاذ محمد سرور الصبان ، فمن شعره قوله يناجى الليل :

يا ليل صمتك راحة   للموجعين أسى وكربا
خففت من آلامهم   ووسعتهم رفقاً وحبا
أوما ترى حدث الزما   ن أمضهم عسفاً وغلبا؟

يا ليل إن بسم الخلى   وسادر لهواً ولعبا
فبجنبه يبكى الشجى   وربما لم يأت ذنبا
هذا ينعم باله   وأخوه يصلى النار غصبا

يا ليل فارق محدثاً   أخبارنا غبا فغبا
فلنا بذلك حاجة   إن تقضها فرجت كربا
وابدأ حديثك بالألى   عانوا من الآلام وصبا
فعسى بهم تأسو وعل   لنا بذلك منه طبا

يا ليل ما للبدر ي   رح فى السما شرقاً وغربا
يبدو فيضحك ساخراً   منا وطوراً قد تخبا ...
يعلو على متن السحا   ب يسوقها سرباً فسربا
أتراه يعبث كالولي   د فليس يخشى بعد عتبا

يا ليل ما شأن الغرا   نق سيرها تيهاً وعجبا
سكرى ترنح عطفها   دلا فلا يسطيع خبا
تخذت لها مهد السما   ء كمرقص فتدب دبا
طردت إليك بناتها   فضممتهن إليك ربا
تلك النجوم المشرقا   ت وجوهها بشراً وحبا

وهكذا يمضى — حفظه الله — فى القصيدة على هذا النمط المستعذب حتى يتمها .

ومن الشعراء الذين نفتخر بهم ذلك الشاعر المتصوف الأستاذ حسين سرحان ومن شعره قوله :

أثمت والإثم من طباعى   وأنت من طبعك الكرم
هبطت بى من ذرى ارتفاعى   يا موجد الروح من عدم

أوقفتنى عند حد نفسى   وقد تجاوزت حدها ...
والنفس مرهونة برمسى   إذا اقتفى الجزر مدها ...
فكان ما شئت من صراع   وزاد ما ذقت من ألم ...
ضحية أنت : لا تراعى   يا نفسى : فاستقرى الندم

الطين ما زال يحتوينى   يرد وثبى إلى الثرى
فشاهت الأرض من قرين   وساءت الأرض عنصرا
ردت سموى إلى اتضاع   وإن تعلقت بالقمم
ظلت على أمرها المطاع   ومانى الخصم والحكم

وشهوة سمها زعاف   تشب فى الروح والبدن
مكشوفة ما لها غلاف   وإن يكن ما لها ثمن ...
قد استجابت لكل داع   وأورث الجسم بالضرم
كأنها فى القطيع راع   فإن أبى أمرها انحطم

فى اللحم والعظم والحنايا   وفى عروق وفى عصب
تشف عن أخبث الدنايا   فإن تعجبت لا عجب
فإنها غاية المساعى   ومصدر الكون والأمم
لولاك يا رخوة القناع   ما جالت الروح فى نسم

إذا تخيلتنى عظيما   أوريتنى أننى سقط
سبحان من ينضر الهشيما   ويخرج الحق من غلط
يا خالط الوحل بالشعاع   ونافث السم فى الدسم

والانتشار ، ولكن الأدباء لم يقفوا عن الإنتاج ، لأن الفورة الأدبية جياشة فى صدورهم بقوة ، فهم ما زالوا ينظمون وينثرون ويؤلفون ، وهم محتفظون بذلك كله إلى أن يأتى يوم السلم المنظور وتنحل أزمة الورق ، فإذا جاء ذلك اليوم وقد جاء ، فسوف يرى الناس أدباً حجازياً له سمته وله خصائصه ، وسيكون لبلادنا ذات التاريخ المجيد مشاركة أدبية فعالة فى بناء صرح الحضارة الإنسانية ، وستقوم بواجبها وتؤدى رسالتها بما يتناسب ومكانتها الدينية والأدبية فى تاريخها الماضى المجيد

والآن ، سأذكر النماذج الأدبية التى تكلمت عنها آنفاً ، وسأبدأ بنماذج شعرية ليرى القارئ العربى الكريم الشعر الحجازى فى ثوبه الجديد ، وللقارئ أن يحكم له أو عليه بما يستحقه . على ألا يغرب عن باله أننى لم أتخير فى سرد هـذه النماذج الشعرية أحسن ما قيل ولا أروع ما نظم ، بل ذكرت ما شاع على الألسن دون أن أتكلف عناء البحث والاختيار

قلت فى معرض كلامى إنه نبغ عندنا شعراء وأدباء جديرون بالإعجاب والتقدير ، وفى مقدمة هؤلاء كبير الأدباء وحامل لوائهم الأستاذ محمد سرور الصبان ، فمن شعره قوله يناجى الليل :

يا ليل صمتك راحة　　للموجعين أسى وكربا
خففت من آلامهم　　ووسعتهم رفقاً وحبا
أوما ترى حدث الزما　　ن أمضهم عسفاً وغلبا؟

———

يا ليـل إن بسم الخلـــى　　وسادر لهواً ولعبا
فبجنبـه يبكى الشجـــى　　وربما لم يأت ذنبا
هــــذا ينعم باله　　وأخوه يصلى النار غصبا

———

يا ليـل فارق محدثاً　　أخبارنا غبا فغبا
فلنا بذلك حجـة　　إن تقضها فرجت كربا
وابدأ حديثك بالألى　　عانوا من الآلام وصبا
فعسى بهم نأسو وعل　　لنـا بذلك منه طبا
يا ليـل ماء للبدر ء　　رح فى السما شرقاً وغربا
يبدو فيضحك ساخراً　　منا وطوراً قد تخبا …
يعلو على متن السحا　　ب يسوقها سرباً فسربا
أتراه يعبث كالولي　　د فلبس يخشى بعد عتبا
يا ليل ما شأن الغزا　　لة سيرها تيهاً وعجبا
سكرى ترنح عطفها　　دلا فلا يسطيع خبا
تخذت لهـا مهد السما　　ء كمرقص فتدب دبا
طردت إليك بناتها　　فضممتهن إليك ربا
تلك النجوم المشرقا　　ت وجوهها بشراً وحبا

وهكذا يمضى — حفظه الله — فى القصيدة على هذا النمط المستعذب حتى يتمها .

ومن الشعراء الذين نفتخر بهم ذلك الشاعر المتصوف الأستاذ حسين سرحان ومن شعره قوله :

أثمت والإثم من طبـاعى　　وأنت من طبعك الكرم
هبطت بى من ذرى ارتفاعى　　يا موجد الروح من عدم

———

أوقفتنى عند حـد نفسى　　وقد تجاوزت حدها …
والنفس مرهونة برمسى　　إذا اقتفى الجزر مدها …

———

فكان ما شئت من صراع　　وزاد ما ذقت من ألم …
ضحية أنت : لا تراعى　　يا نفسى : فستقرى الندم

———

الطين ما زال يحتوينى　　يرد وثبى إلى الـثرى
فشاهت الأرض من قرين　　وساءت الأرض عنصرا

———

ردت سموى إلى اتضاع　　وإن تعلقت بالقمم
ظلت على أمرها المطاع　　ومانى الخصم والحكم

———

وشهوة سمها زعاف　　تشب فى الروح والبدن
مكشوفة ما لهـا غلاف　　وإن يكن ما لها ثمن …

———

قد استجابت لكل داع　　وأورث الجسم بالضرم
كأنها فى القطيع راع　　فإن أبى أمرها انحطم

———

فى اللحم والعظم والحنايا　　وفى عروق وفى عصب
تشف عن أخبث الدنايا　　فإن تعجبت لا عجب

———

فإنهـا غاية الساعى　　ومصدر الكون والأمم
لولاك يا رخـوة القناع　　ما جالت الروح فى نسم

———

إذا تخيلتنى عظيماً　　أريتنى أنى سقط
سبحان من ينضر الهشيما　　ويخرج الحق من غلط

———

يا خالط الوحل بالشعاع　　ونافث السم فى الدسم



١٠ – الفـــن

للكاتب الفرنسي بول جيزيل

بقلم الدكتور محمد بهجت

الفصل السابع — عن الأمس وعن اليوم

منذ بضعة أيام صحبت أوجيست رودان إلى متحف اللوفر إذ كان ذاهباً لمعاينة تماثيل أودون النصفية مرة أخرى . ولم نلبث أن وقفنا أمام تمثال فولتير Voltaire النصفي وعندئذ صاح رودان :



(تمثال ڤولتير للمثال أودون)

« يا له من أعجوبة ! إنه الخبث والدهاء بعينه . انظر ! إن نظراته الشزراء لتبدو كأنها ترقب خصماً . أما أنفه فأقنى مستدق كأنه أنف ثعلب ليخيل إليك أنه يتشمم المثالب والمعائب من كل ناحية . ولتستطيع أن تراه يدمع ... والفم ! يا له من فوز عظيم ! لقد حُدّ بخطين من القذع والهجاء ، ويلوح كأنه يغمغم بالتهكم والسخرية . ولا يسعك وأنت تنظر إلى فولتير هذا الذى يفيض نشاطاً وحيوية ، ويُغَص سقاماً ، والذى يعوزه الكثير من سمات الرجال — لا يسعك إلا أن تقول عنه إنه محدث بارع عجوز » . وبعد فترة من التأمل عاود حديثه قائلاً :

والعينان ! إنى لأرجع دواماً لمشاهدتهما . إنهما شفافتان ، مضيئتان .

« ولكنك تستطيع أن تقول مثل هذا عن كل تماثيل أودون Houdon .لقد أدرك هذا المثّال كيف يجعل حدق العيون أكثر شفافية من أى مصور . إنه يخرقها ويثقبها ويبرزها ، ويجعل بها معالى ومواطى بحيث تحدث تأثيراً فذاً عند ما يقع عليها الضوء أوينحرف عنها، ويقلد تلك اللمعة الحية التى بإنسان العين . وما أعظم ما تختلف التعابير التى بعيون كل هذه الوجوه ! إنها تدل على الخبث من فولتير ، وعلى الصداقة الطيبة فى فرانكلن ، والرقة المبهجة فى السيدة هودون ، وعلى المكر فى ابنته وفى طفلتى برونيار الجميلتين . ولقد تعدل اللمحة عند هذا المثال أكثر من نصف التعبير ، فهو يقرأ الأرواح من الأعين التى لا تخفى عليه سراً . ولهذا فلا داعى للتساؤل عما إذا كانت تماثيله مشابهة لأصحابها مشابهة تامة » .

وهنا استوقفت رودان سائلاً :

« إذاً أنت ترى أن المشابهة صفة هامة لازمة ؟ » .

« لا ريب فى ذلك فلا غنية عنها » .

ومع ذلك يزعم كثير من الفنانين أن بعض التماثيل والصور يمكن أن تبلغ حداً كبيراً من الجمال من غير أن يتوفر فيها شبه قوى . وأذكر بهذه المناسبة حادثاً نسب إلى المصور إينر Henner الذى شكت إليه سيدة من أن صورتها لم تأت شبهها . فأجابها بلهجته الإلزاسية :

« هيه ياسيدتى ! بعد ما تموتين سوف يحسب ورثتك أنفسهم

سعداء لأنهم يقتنون لوحة طيبة من ريشة إينر ، ولكنهم سوف لا يجهدون أنفسهم ألبتة ليتحققوا مما إذا كانت تشبهك » .

فقال رودان :

من المحتمل أن يكون المصور قال ذلك . وأغلب الظن أن هذا تسرع منه لا يمثل حقيقة أفكاره لأني لا أعتقد أن له مثل هذه الآراء الخاطئة في فن أبدى فيه براعة عظيمة وألمعية نادرة .

ولكن دعنا نتفهم أولا مدى التشابه المطلوب توفره في تمثال أو صورة ما .

« إذا قصر الفنان نفسه على إظهار القسمات السطحية كما هو الحال في الفوتغرافية ، أو إذا نسخ معالم الوجه تماماً كما هي من غير ما رجوع إلى الخُلق أو اعتباره فهو لا يستحق أي ثناء أو إعجاب . أما الشبه الذي يتحتم عليه إظهاره فهو شبه الروح . وهذا وحده بيت القصيد . وهو ما يجب على المثَّال أو المصور أن يبحث عنه تحت ستار القسمات . وقصارى القول يجب أن تكون كل القسمات حافلة بالتعبير أو بمعنى آخر تكون ذات فائدة في الإفصاح عن شعور باطن » .

« ولكن ألا يحدث في بعض الأحوال أن يكون الوجه مناقضاً للروح ؟ » .

« أبداً » .

« وهل نسيت نصيحة لافونتين التي تقول : « لا تحكموا على الناس من ظواهرهم ؟ » .

إن هذه النصيحة موجهة لأولئك الذين لا يتعمقون الأشياء ، إذ كثيراً ما تخدع الظواهر نظراتهم العجلى . ويكتب لنا لافونتين أيضاً عن الفأر الصغير الذي حسب الهرة أعظم الحيوان حدباً وعطفاً . ولكنه يتكلم عن فأر صغير أي عن عقل غر ضعيف تعوزه القدرة على التمييز . ولا يسع من يدرس الهرة بإمعان إلا أن يجد في ظاهرها ما يحذره من القسوة التي تستتر وراء تناومها وتكمن في وداعتها .

وفي مقدور من يستطيع قراءة الوجه أن يميز بين من يصطنع الحنان وبين من طبع عليه ، وإنه لمن أخص واجبات الفنان أن يكشف عن الحقيقة ولو من تحت المظاهر الخادعة .

ولتقرير الحقيقة أقول إنه لا يوجد عمل فني يحتاج إلى كثير من التعمق مثلما يحتاجه التمثال النصفي والصورة الإنسانية . وقد يقال أحياناً إن حرفة الفنان تتطلب مهارة يدوية أكثر مما تتطلب فطنة وذكاء . وما عليك إلا أن تدرس تمثالا نصفياً طيباً حتى تستطيع أن تدحض هذا القول وتصحح هذه الأغلوطة . إن عملا كهذا خليق بأن يترجم له . وأنت حين ترى تماثيل أودون مثلا تخالك تقرأ فصولاً من مذكرات مدونة ، فترى فيها العصر الذي عاشت فيه ، والحرف التي احترفتها ، والأجناس التي انتمت إليها وأخلاقها الشخصية ، ترى كل ذلك فيها واضحاً جلياً .

وها هو روسو قبالة فولتير . ترى في نظرته حذقاً وذكاء وفطانة بالغة . وهذه ميزة عامة امتازت بها شخصيات القرن الثامن عشر . كانوا نقدة . كانوا يناقشون ويجادلون في كل المبادئ والمعتقدات التي كان مسماً بها من قبل من غير ما تحقيق وتمحيص . كانت لهم أعين فاحصة باحثة نفاذة .

أما عن نشأته فهو من عامة السويسريين . كان سوقياً غير مثقف بقدر ما كان فولتير شريفاً نابهاً . وبينا ترى عظم وجنتيه البارز ، وأنفه القصير ، وذقنه المربعة تبين فيه ابن صانع الساعات والخادم الذي امتهن الخدمة من قبل .

وأما عن حرفته فهو الفيلسوف بجبهته المائلة المفكرة ، ينتمي لطراز قديم يتجلى في العصابة التقليدية التي تدور حول رأسه . زري الهيئة بشكل ظاهر متعمد ، أشعث أغبر مما يجعله قريب الشبه من ديوجنيس أو مِنِيبَس (Menippus)[1] هو البشر الذي يدعو للرجوع إلى الطبيعة وإلى الحياة البدائية الفطرية .

« وأما عن أخلاقه الشخصية فترى تجهما في وجهه ينم عن كراهية للنوع الإنساني ، وحاجبيه القطبين وجبهته المغضنة ، ترى فيه الرجل الذي يشكو بحق ويتذمر من الظلم والاضطهاد » .

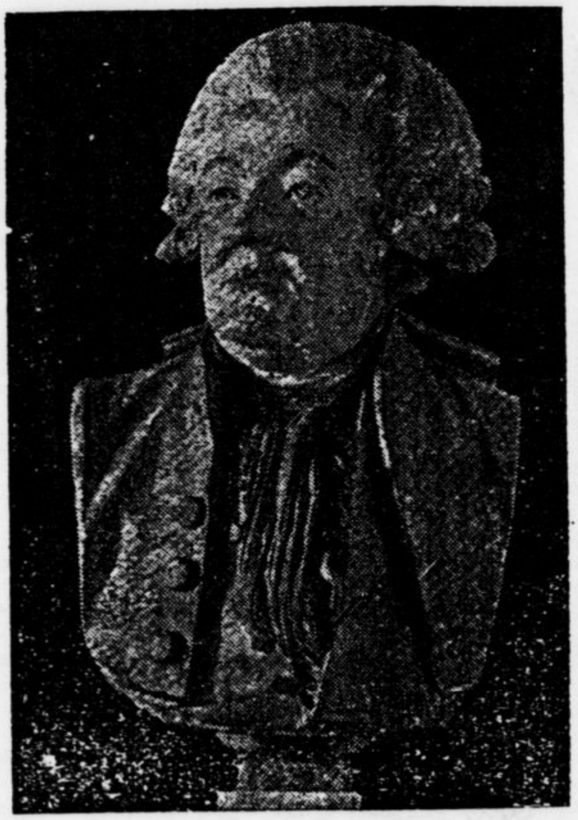
« قل لي بربك . أليس هذا التعليق على الرجل بأحسن وأدق من اعترافاته ؟

« ثم ها هو ميرابو (Mirabeau) . إنه عصر بأكله . يبدو بحالة تحد . شعره المستعار مشوش غير مصفف ، بزته غير حسنة ، وهيئته زرية ، وكأن ريحاً من عاصفة ثائرة تمر على هذا الوحش

(١) كاتبان إغريقيان أسلوبهما ساخر تهكمي

الكاسر الذي يهم بالزئير أو يرعد بجواب على سؤال يلقى إليه .

« ولنتقص نشأته الآن : نتوسم في طلعته المهيبة ، وحاجبيه الدقيقين المقوسين ، وجبهته المرتفعة المتعجرفة شريفاً كان في زمرة الأشراف ، ولكن ديمقراطية خديه الثقيلين المجدورين ورقبته الثائرة بين كتفيه جعلت الكونت دي ريكتي Comt de Riguetti — ميرابو — يجوز على تير (Thiers)(١) ويفوز بعطفه ومراحمه ومن ثم أخذ يدافع عنه .



(تمثال ميرابو للمثال أودون)

« ولننتقل إلى حرفته : إنه القاضي ، يبرز فمه إلى الأمام كأنه بوق على وشك أن ينفجر منه الصوت مجلجلا . يرفع رأسه عالياً لأنه قصير كما هو شأن جمهرة الخطباء . ونرى في مثل هذا الطراز من الرجال أن الطبيعة تزيد في قوة الصدر والأضالع على حساب الطول . أما العينان فلا تثبتان على شيء معين وإنما تدوران على جم غفير . يا لها من نظرة عظيمة غامضة ! ناشدتك الله خبرني أليس من أجل الأعمال وتمام الفوز أن يمثل في هذا الرأس وحده جمعاً حاشداً بل أمة بأسرها تصغي وتستمع ؟

ولنبحث بعد ذلك عن أخلاقه : لاحظ الشفتين الحساستين ، والذقن المزدوجة ، والمنخر المرتعد فترى الآثام والانغماس في الشهوات وطلب الملذات مرتسمة عليها جميعاً . نعم تراها كلها هناك . وإني لمخبرك بذلك .

وإنه لمن السهل الهين أن نقرأ في كل تماثيل أودون مختلف الأخلاق على هذا النمط .

وهنا أيضا تمثال فرانكلن : ترى فيه هيئة عظيمة ، وخدين ثقيلين متدليين فتقول هذا هو الصانع السابق . ثم الشعر الرجل الطويل الذي يشبه شعر الرسل ، وحب الخير والمعروف مرتسم فتقول هذا هو ، ريتشارد المهذب الطيب القلب .

ثم إن جبهته العالية المائلة إلى الأمام تتسم بالعناد وتنم عن الثبات والصبر الذي أظهره فرانكلن في تحصيل علومه ، وفي السمو بنفسه حتى أصبح معلماً نابهاً يشار إليه بالبنان ، وأخيراً إلى تحرير وطنه . ذكاء جم تفيض به العينان ويكمن في زوايا الفم . على أن أودون لم ينخدع بجسامته فأبان فيه مادية الرجل المالي الذي جمع مالا فأخلده ، ودهاء السياسي الذي استظهر بواطن السياسة الإنجليزية . فها هنا نرى أحد أسلاف أمريكا الحديثة على قيد الحياة

« عجباً ! ألا نرى في تلك التماثيل البديعة أخباراً متقطعة عن نصف قرن ؟ وأن أكثر ما يسر النفس من تلك المذكرات المتخذة من الصلصال والرخام والشبه كما هو الحال في أجمل القصص المكتوبة — هو جمال أسلوبها الناصع ، ورشاقة اليد التي دونتها وفيض تلك الشخصية الساحرة — الفرنسية لحماً ودماً — التي خلقتها . إن أودون هو سنت سيمون(١) لكن تنقصه نزعاته الأرستقراطية. هو في ذكاء سنت سيمون ولكنه أسمى منه عاطفة. آه يا له من فنان مقدس ! » .

دكتور محمد بهجت
قسم البساتين

(١) كاتب ، ومؤرخ ، وسياسي فرنسي ولد سنة ١٧٩٧ ومات سنة ١٨٧٧ .

(١) أحد أفراد أسرة سنت سيمون العظيمة وهو لويس دي روفري الكاتب والفنان الذائع الصيت ولد في سنة ١٦٧٥ ومات في سنة ١٧٥٥ م .

صدى الحوادث

مؤتمر سان فرنسيسكو

للأستاذ على الجندى

تجمعتم من كل جنس وأمة
ولون لنشر السلم ، هل نشر السلم ؟ !
وهل رفع الحق الذليل جبينه   وهل نحن بتنا لا يروعنا الظلم ؟ !
وإلا فما بال « الشآم » دماؤه   تسيل ، وأنتم عن مناحته صم !
ويطلب « ديجول » تراث « أمية »
وليس له فى الشام خال ولا عم !
سمعنا كلاماً لذ فى السمع وقعه   ورب لذيذ شاب لذته السم
أمانىّ كالأحلام زخرفها الكرى
وقلّ - على الأيام - أن يصدق الحلم
وحبر على القرطاس ليس بعاصم
ضعيفاً ، إذا همت به الغير الدهم
أرى الدول الكبرى لها الغنم وحدها
وقد عادت الصغرى على رأسها الغُرم
يخيل لى أن « الوفود » تفرقت
ولم يندمل من طيب الكلم الكلْم
إذا ساءت النيات كانت عهودكم
« قصاصات أوراق » وللغالب الحكم
مواثيق ، معناها يكذب لفظها   فظاهرها برٌّ ، وباطنها إثم
وتأويلها عند القوى ، فمن لنا
بأن نضمن الإنصاف ، والحكم الخصم
إذا حل منها الأقوياء نفوسهم   تقيدنا الأخلاق ، والشيم الشم
وفاء بدنيا — لا وفاء لأهلها —
به شقيت فى «شرقها» العُرب والعجم
هى الحال مازالت على ما عهدته   فويل لأقوام يغرهم الوهم
متى عفت الذؤبان عن لحم صيدها
وقد أمكنتها — من مقاتلها — البهم
ألا كل شعب ضائع حقه سدى
إذا لم يؤيد حقه « المدفع » الضخم

الحنين إلى الوطن (*)

للأستاذ علي أحمد باكثير

يا بلادى ! يا بلادى ! يا فراديس البحار !
أى ذكرى منك طافت بى وقد ولى نهارى ؟
فاستثارت لوعة حرى بقلبى المستطار
وحنيناً فى جنايا الصدر مشبوب الأوار
واشتياقاً جارفاً يصدع أركان اصطبارى
واستطارت زفرات كاللظى جد حرار
من فؤاد يتلوى من جواه المستثار
واستدرّت من جفونى أدمعاً جد غزار
يا بلادى ! يا جنان الشرق ! قد طال انتظارى
يا لأشواقى للقياك ! ويا نار ادكارى !
أى وجد يتلظى فى فؤادى ؟ أى نار ؟
كلما زار خيال منك مُغرًى بازديارى
أو بدا لى فى ثنايا الأفق طيف منك سارى
طيف أحباب وخلان وأهل وديار
وربا تفتر عن أزهارها أبهى افترار
وجنان باسقات الدوح غضات الثمار
وحقول قد كساها النبت أفواف النضار
ورياض يتوشّحن بأضواء النهار
يا بلادى ! يا جنان الشرق ! قد طال انتظارى
يا لأشواقى للقياك ! ويا نار ادكارى !
أين من عينى جنات وأنهار جوارى
وجبال بين وديان سحيقات القرار
وعيون فى اندفاق وزروع فى اخضرار
وطيور فى انطلاق وزهور فى ازدهار
وعذارى السَّرو يرقصن خليعات العذار
ونخيل الجوز يحملن رواقيد العقار
والقمارىّ يساوقن أغاريد الهزار
أين هن الآن منى ؟ يا فراديس البحار !
يا بلادى ! يا جنان الشرق ! قد طال انتظارى
يا لأشواقى للقياك ! ويا نار ادكارى !

(*) إحدى القصائد الفائزة فى المسابقة الشعرية التى نظمتها هيئة الإذاعة المصرية هذا العام



معجم الأدباء وهل هو لياقوت

سماه ياقوت فى مقدمته إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، ولكن ابن خلكان يسميه إرشاد الألباء إلى معرفة الأدباء ، ويقول بأنه يقع فى أربعة مجلدات كبار .

بقى من هذا الكتاب نسخة من جزأيه الاول والثانى رديئة الخط ترجع تاريخ نسخها إلى القرن السابع عشر حصل عليها من الهند الأرشيديكون بارنس ، كبير الشمامسة فى بومباى ، وبعد موته اشتراها من ورثته المستر و . ه . جى الوراق وهذا باعها إلى مكتبة بوريل فى جامعة أكسفورد سنة ١٨٨٢ فوضعتها تحت رقم ٧٢٣ مخطوطات بوريل [١] .

قام بنشر هذين الجزأين المستشرق «دافيد صامويل مرجليوث» بمساعدة إبرهيم اليازجى وقسطاكى الحمصى وجرجى زيدان [٢] . فتم طبع الجزء الأول سنة ١٩٠٧ ، والجزء الثانى سنة ١٩٠٩ على نفقة تذكار جيب بمطبعة هندية بالقاهرة [٣] وهذان الجزءان يشتملان على تراجم مشاهير الأدباء من القرن الرابع بعد الهجرة إلى أيام المؤلف أثبت سيرهم على سياق حروف المعجم من حرف الألف إلى حرف الجيم [٤] .

هذا ما صح عندى من تأليف ياقوت ؛ وأما باقى أجزاء الكتاب من الثالث حتى السابع التى نشرها مرجليوث فهى دخيلة على ياقوت لم يعمل فيها فكره وهذا ظاهر بين وأول حجة أستطيع أن أتمسك بها هى أن كتاب ياقوت أربعة مجلدات كما ذكر ابن خلكان فى وفياته فإذا بطبعة مرجليوث تبلغ سبعة مجلدات ، ولقد حرص من تمم الكتاب ونسبه إلى ياقوت أن ينقل من الكتب التى نقلت عن ياقوت ككتاب الوافى بالوفيات وفوات الوفيات وبغية الوعاة وغيرها .

(١) مقدمة الطبعة الأولى لكتاب معظم الأدباء نشر مرجليوث
(٢) مجلة الشرق السنة ١٢ ص ٦٢٨
(٣) كتاب المجمع العلمى العربى رقم ٥٣٢
(٤) مقدمة الطبعة الأولى لكتاب معجم الأدباء نشر مرجليوث .

ويسوءنى بل ويسوء الأدب أن ينشر الكتاب وينسب إلى ياقوت ثم يعاد طبعه فى القاهرة سنة ١٩٣٨ فى عشرين جزءاً دون أن يشار أقل إشارة إلى أن معظم الكتاب دخيل على ياقوت .

ويجدر بى أن أشير هنا إلى أن ما وجد من كتاب ياقوت ينتهى فى الصفحة ٢١٤ من الجزء السابع من طبعة سنة ٩٣٨ وهى آخر حرف الجيم .

ومن البديهى أن الواضع الذى يرغب فى أن ينسب قصيدة إلى شاعر أو مقالة إلى كاتب يعمد إلى فهم روح ذاك الشاعر أو ذاك الكاتب باطلاعه على قصائده وكتاباته ، فكيف بمن أراد أن ينسب تأليفاً أو يدخل مصنفاً .

نظر صاحبنا نظرة مقلوبة ، وهذه النظرة كانت جميلة عواقبها لتفضح أمره وترجع الحق إلى نصابه . عمد إلى كتب التراجم وشغله النسخ فأعماه عن فهم روح ياقوت أو تتبع أخباره ، عمد إلى فوات الوفيات وبغية الوعاة واليتيمة ونسى كتابه معجم البلدان ، أو قل أماله تصفح هذا الكتاب الضخم فرغب عنه لزهده فيه . فكان هذا الكتاب خير برهان أزاح الستار عن الخمسة أجزاء الدخيلة .

١ — أما البراهين فكثيرة ، ذكر ياقوت فى معجم البلدان كثيراً من الكتاب والمؤلفين فقال بأنه ذكر تراجمهم فى معجم الأدباء ، ومن جملتهم عين القضاة عبد الله بن محمد [١] ، وأبو بكر الأدفوى [٢] ، وأسعد بن على النحوى ، وابنه محمد النساد [٣] ، ولكنا إذا رجعنا إلى معجم الأدباء نراه خلواً من تراجم هؤلاء .

٢ — جاء فى أول نسخة خطية قديمة لكتاب الألفاظ الكتابية ترجمة مختصرة لمؤلف الكتاب عبد الرحمن الهمذانى نقلا عن معجم الأدباء ، ونرى أن لا أثر فى معجم الأدباء لهذه الترجمة

٣ — وأبلغ برهان ساطع ومضحك فى الوقت ذاته هو أن ياقوت ذكر فى معجم البلدان ج ٤ ص ١٢٥ قصيدة لأبى العيناء فى ديربا شهرا من رواية الشابشتى ولكنه أردفها بقوله : إن صح — أى شعر أبى العيناء — فهو عندى غريب لأن أبا العيناء قليل

(١) انظر معجم البلدان ج ٨ ص ٢٢٠
(٢) ج ١ ص ١٠٦
(٣) ج ٣ ص ١٥٦

الشعر جداً لم يصح عندى له شىء من الشعر ألبتة » وفى معجم الأدباء نرى لأبى العيناء تسع قطع من الشعر ، ولا يخفى أن ياقوتاً ألف معجم الأدباء قبل تأليفه معجم البلدان ، فهذا تناقض لا يمكن أن يصدر عن مثل ياقوت .

٤ — قال ياقوت فى مقدمة معجم الأدباء إنه جمع فيه من غلب عليه النثر والتأليف وأما من غلب عليه الشعر ولم يشتهر بكتابة الكتب وتأليفها فقد ذكره فى معجم الشعراء، وإننا لنرى فى الخمسة الأجزاء الأخيرة كثيراً من الشعراء والشاعرات الذين لم نعرف عنهم سوى بضع قطع وليس لهم فى عالم النثر والتأليف ذكر ، وهذا تناقض فى الكتاب نفسه .

والآن أستطيع أن أقول للكاتب السيد محمد فهمى عبد اللطيف الذى ركن إلى رأى المؤرخ ياقوت فى كيفية ضبط لفظ لقب « المبرد » فى الصفحة ٩١٦ من السنة الخامسة من سنى هذه المجلة ، أستطيع أن أقول له الآن إنه أجهد نفسه فى غير طائل لأن الضبط الذى وجده فى كتاب ياقوت لم يجر ياقوت فيه قلمه وإنما نقل إلى الكتاب حديثاً فى جملة ما نقل إليه من كتاب بغية الوعاة للسيوطى .

(حلب) آمد

جاء الإشكال من الإشكال

أشكل شطر ذاك البيت فى (إرشاد الأريب) بهذه الصورة :

حالى بحمدِ اللهِ حالٌ جيِّدهْ

فجاء الإشكال من الشكل أو من الإشكال ، وما كان لى أن يشكل علىَّ . والحق مع الأستاذ الفاضل الشيخ أحمد يوسف نجاتى فى الذى قاله فى الرسالة الغراء ٦٢٦ فى هذا الوقت .

محمد اسعاف النشاشيبى

تحية الى « الرسالة » وكتابها

أثلج منا القلوب ، وأبهج النفوس ، أن نرى « الرسالة » المجيدة فى أعدادها الأخيرة تفسح صدرها كله لأبحاث قيمة تمت إلى مأساة سوريا الشقيقة ، ومأساة لبنان من قبلها ، حتى أن الرسالة كانت أوسع الصحف والمجلات المصرية طراً للدفاع عن حقوقنا واستنكار اعتداءات فرنسا الشنيعة بين الآونة والأخرى على استقلالنا ، على الرغم من أن هذه المجلة أدبية قبل كل شىء .

ونحن لا ندخر وسعاً فى الثناء على موقف الصحافة المصرية بالإجمال ، اليومية منها والأسبوعية ، لما تلقاه بلادنا من عطف وحب ودفاع عنها ، فأحر بنا أن نخص « الرسالة الأدبية » بثنائنا وشكرنا وتحيتنا الخالصة أن تهتم لنا هذا الاهتمام البالغ ، وتمنى بأنبائنا هذه العناية ، فلقد كنا — والحق يقال — نتهافت على أعدادها الأخيرة لترضى — قبل كل شىء — عاطفتنا الوطنية الثائرة ؛ ولكن لم يكن ليغرب عن أذهاننا أن هذه المجلة العزيزة ترمى إلى تحقيق هدف سام يخيل إلينا أن الأدب العربى قصر حتى الآن فى السير إليه ، وأقصد به « الأدب القومى العربى » . فالرسالة تشعرنا اليوم أنها تقصد إلى إيقاظ هذه النزعة القومية العليا فى الأدب العربى ، فتزيد إلى صفاته لوناً جديداً يميزه كل الميزة ويبرز خصائصه إلى حد بعيد . وبذلك تحقق هدفين فى آن واحد : تشاركنا عواطفنا ووطنيتنا ، وتساعد على خلق الروح القومية فى الأدب العربى الحديث الذى يفتقر — ولا شك — لمثل هذه الروح . فشكراً لك أيتها « الرسالة » . وتحيتنا لكتابك الأفاضل

(بيروت) سهيل ادريس



من أروع القصص الانكليزى

مغامرات ممثـــل جوال

للكاتب الشاعر الانكليزى كولد سمث

بقلم الأستاذ يوسف روشا

ولد أوليفر جولد سمث فى ١٧٢٨ وتوفى فى ١٧٧٤ وكان أحد أعضاء « النادى الأدبى » الذى كان يرأسه الأديب الانكليزى الكبير الدكتور جونسون.

ولأوليفر جولد سمث أسلوب فى الكتابة يسيل رقة وعذوبة ، وان مؤلفاته على قلتها تعتبر من أروع الأدب الانجليزى

أنا شديد الكلف باللهو أنى وجدته ، وإن النكتة البارعة وإن ألقيت فى ثوب خلق ، فهى أبداً حبيبة إلى نفسى . ذهبت منذ بضعة أيام إلى متنزه « سانت جيمس » فى الوقت الذى يتركه زائروه لتناول العشاء . ولم يكن هناك سوى أناس قلائل ممن كانت تبدو على ملامحهم آثار الفقر والمسغبة ، فحططت نفسى على أحد المقاعد ، بينما جلس على الطرف الآخر من المقعد رجل فى ثياب رثة جداً

ظللنا نهمهم ونغمغم ونسعل كما هى العادة فى مثل هذه الحالة ، وأخيراً اجترأت على الكلام مخاطباً إياه : « معذرة يا صاحبى ، ولكن يخيل لى أنى رأيتك من قبل . إن ملامح وجهك ليست غريبة عنى » . فأجابنى قائلا : « أصبت يا أخى كبد الحقيقة . إن وجهى لا يكاد يجهله أحد ، كما يزعم أصدقائى ، وإن شهرتى فى جميع أنحاء انكلترا لا تقل عن شهرة الجمال والتماسيح . ولا يخفى عليك ياسيدى بأنى كنت طيلة الست عشرة سنة الأخيرة ، أقوم بدور البهلول فى فرقة تمثيلية . ولقد نشب بينى وبين أستاذى خلاف افترقنا على أثره فراح هو ليبيع أشياءه فى شارع «روزمارى» وأنا جئت لأموت جوعاً فى متنزه «سانت جيمس»

« يؤسفنى جداً يا سيدى أنك تعانى كل هذا الضيق ، وأنت على ما أنت عليه من نباهة الذكر وذيوع الصيت » . فرد على مواصلا الحديث : « نباهتى فى خدمتك يامولاى ، ولكن على الرغم مما أنا عليه من إملاق ، فإن ثمة قليلا من الناس هم أمرح منى نفساً ، فلو قدر أن يكون لى عشرون ألفاً من الدنانير لكنت من أسعد الناس . وأنا الآن ، والحمد للمقادير ، لا أملك فلساً واحداً . ومع هذا ، فإنى لا أزال سعيداً ، ذلك لأنى لا أقيم وزناً للمال . فهو عندى وسيلة لا غاية ، فإذا ما حرمته لا أجد غضاضة من قبول دعوة الكرماء إياى للطعام . والآن ما رأيك ياسيدى فى لحم حنيذ مع قدح من الشراب ؟ فإن أنت أطعمتنى اليوم ، فلسوف أطعمك يوماً من الأيام عند ما أجدك فى المتنزه وأنت أشد ما تكون رغبة فى الطعام ، وليس لديك من المال ما تدفع به ثمن العشاء »

ولما كنت لا أبخل أبداً بدريهمات أنفقها فى سبيل رفيق طروب قصدنا تواً حانة مجاورة ، ولم تمض سوى دقائق معدودات حتى كان الطعام والشراب مصفوفين على المائدة أمامنا . وإنه لمن العسير جداً أن أصف مبلغ طربه وانشراحه لرؤية الطعام والشراب فقال : « أنا استمرىء ياسيدى هذا العشاء لأسباب ثلاثة : أولا: لأنى أحب لحم البقر ؛ وثانياً : لأنى جوعان ؛ وثالثاً : لأنى أحصل عليه بلا ثمن ؛ إذ ليس هناك أشهى من اللحم الذى لا تدفع ثمنه »

لم ينته من كلامه هذا حتى أقبل على الطعام والشراب بنهم فائق ، فلما انتهى العشاء ، أشار إلى أن اللحم كان نيئاً ، ثم استطرد وقال : « ومع هذا فقد وجدته لذيذاً سائغاً ، ما أفسح حياة الفقير وما أعظم شهيته ! نحن معشر الشحاذين لقطاء الطبيعة نهيم فى كل سرح ، ونأخذ الحياة على علاتها . فإن هى أقبلت علينا فرحنا بها واغتبطنا ، وإن هى أدبرت عنا لم نشتك ولم نتذمر . أما الأغنياء ، فالطبيعة تعاملهم كما تعامل الربة أولاد زوجها ، فهم أبداً برمون بها ساخطون عليها ، أعطهم قطعة من غريض اللحم ، فإذا هى عندهم صلبة عسيرة الهضم ، أمزجها بالتوابل ، حتى التوابل لا تستطيع أن تشحذ شهيتهم ، على حين أن الطبيعة شديدة الحدب على الشحاذين ترعاهم بعنايتها

وتكلؤهم برحمتها . إن الخمر المعتقة لأحلى مذاقاً من الشمبانيا ... السرور ... السرور ... تلك هي فلسفتي في الحياة ، وهي قطعة من لحمي ودمي ، فإن فاض النهر وغرقت نصف أراضي « كورنوول » ألفيتني مطمئن النفس مرتاح البال ، إذ ليس لي أملاك هناك ، وإن ساءت أحوال السوق وتدهورت الأسعار ... نمت ملء جفوني ، فما أنا ممن تهمهم هذه الأمور ، إذ لست يهودياً » .

ولقد أغراني مرحه وخفة روحه ، على الرغم من فقره المدقع ، أن أعرف شيئاً من حياته ؛ فقلت ملتمساً منه تلبية طلبي فأجاب :

« بكل سرور يا مولاي ، ولكن على شريطة أن نشرب قليلا لندفع عن أعيننا النعاس . لنشرب قدحاً آخر قبل أن يهجم الكرى على أجفاننا ... آه . . ما أجمل منظر القدح وهو ملآن!

« يجب أن تعلم إذن أني أنحدر من أرومة طيبة وأن أسلافي قد أحدثوا بعض الضجة في العالم ، ذلك لأن أمي كانت تبيع « المحار » وأن أبي كان طبالاً . ولقد قيل لي إنه قد كان في عائلتي أيضاً بعض البواقين . فهل تراني بعد هذا مبالغاً إذا قلت إن قليلا من الأشراف من يضاهونني في الحسب والنسب ؟ ولما كنت الإبن الوحيد لوالدي فقد أرادني ، على أن أكون طبالاً مثله ، وعلى الرغم مما كان يبذله معي من الوقت والأناة ، لتعليمي الأناشيد العسكرية ، لم أتقدم خطوة واحدة ؛ ذلك لأني لم أكن ميالا إلى الموسيقى . فانخرطت في الجيش وأنا في الخامسة عشرة من عمري . ولم ينقض يوم واحد حتى تبين لي أن كراهيتي لحمل البندقية لم تكن لتقل عن كراهيتي لدق الطبل ، ذلك لأن الطبيعة قد أعدتني لأكون سيدا لا مسوداً . إن وجودي في الجيش يحتم على إطاعة أوامر رئيسي التي يفرضها عليّ ، وليست أوامره إلا ظلا لأهوائه ورغباته ، وإنه لمن الأجدى على الشخص أن يطيع رغباته لا رغبات سواه .

« لذلك لم يمض وقت طويل حتى أصبحت ضيقاً بحياة الجندية شديد المقت لها فعولت على الاستقالة ، ولكن الرئيس رفض استقالتي ، لأني كنت طويل القامة مفتول العضل ، فاسودت الدنيا في عيني ولم يبق أمامي إلا الاستنجاد بوالدي فبعثت إليه برسالة ، كلها شكوى واستعطاف ، طلبت فيها منه أن يجمع المبلغ الكافي لإخراجي من الجندية ولكن الرجل الطيب القلب كان شديد الولع بالخمر ، كما كنت أنا حينئذ ، (في خدمتك يا مولاي) وأن الذين هذا شأنهم لا ينتظر منهم أن يدفعوا رسم التسريح من الجندية — وقصارى الحديث ، لم يرد والدي على رسالتي ألبتة . ما العمل إذاً ؟ قلت لنفسي : لما كنت لا أملك المال الكافي لشراء حريتي فما عليّ إلا أن ألتمس وسيلة أخرى وهي الهرب ، وفعلا هربت .

وهكذا تخلصت من الجندية وبلائها فبعت ثيابي العسكرية واشتريت أسوأ منها وسلكت ما أمكن سبلا غير مطروقة . في أمسية يوم من الأيام ، بينما كنت أدخل إحدى القرى ، إذ أبصرت رجلا — علمت فيما بعد إنه قسيس القرية — قد وقع عن فرسه وغاص في الوحل . فتقدمت لمساعدته وانتشلته بمشقة فشكرني على صنيعي ، إلا أني لحقته إلى داره إذ كنت أحب دائماً أن يشكرني الناس عند أبواب دورهم ، فألقى على القسيس مائة سؤال وسؤال : ابن من أكون ؟ ومن أين جئت ؟ وهل أكون أميناً ؟ فأجبته كما يجب مؤكداً له بأني لم أذق الخمر في حياتي قط (لي الشرف يا مولاي أن أشرب نخب صحتك) ، وبأني من أتقى خلق الله نفساً وأرجحهم عقلا . وقصارى الكلام ، لقد كان بحاجة إلى خادم فاستخدمني ولكني لم أعش معه إلا شهرين ، ذلك لأنه يكن يحب أحدنا الآخر . فقد كنت أكولا وهو لم يكن يطعمني إلا ما يسد الرمق . وقد كنت مغرماً بالجواري الرعابيب على حين أن خادمته العجوز كانت شرسة الطباع قبيحة الصورة . ولقد تآمرا فيما بينهما على قتلي جوعا فعقدت العزم على أن أحول دون اقترافهما جريمة القتل . كنت أسرق البيض حال وضعه ، وكنت أفرغ في جوفي ما يتبقى في قناني الشراب التي تقع في يدي ، وكان كل ما أصادفه في طريقي من الأكل لابد أن يختفي في لمح البصر . وقصارى الحديث لقد رأيا أن لا فائدة من بقائي ففصلت صباح يوم من الخدمة ودفع لي ثلاثة شلنات وستة بنسات لقاء أجور شهرين كاملين .

« وبينما القس يعد الدراهم كنت أنا أتهيأ للرحيل . كانت ثمة دجاجتان تبيضان فدخلت عليهما كالعادة وأخذت البيضتين . ولقد عز على أن أفرق بين الأم وولدها فأخذت الدجاجتين أيضاً ووضعت الكل في حقيبتي وقفلت راجعاً لتسلم أجوري . فما

أزف الرحيل وقفت ، والحقيبة على ظهرى والعصا فى يدى ، أودع الشيخ والعبرات تنهمر من عينى . لم أبتعد عن الدار إلا خطوات حتى سمعت صوتاً من ورائى يصيح « اقبضوا على اللص » ولكن الصوت زاد فى سرعتى فانطلقت كالسهم ، وإن كنت أعلم علم اليقين أن الصوت لم يكن موجهاً ضدى . ولكن مهلا ... يخيل لى أنى قضيت ذينك الشهرين بلا شراب . هات ياصاح ، فإن الأيام عصيبة وليكن هـذا الذى أحتسيه سماً فى جوفى إن أنا قضيت شهرين آخرين من حياتى فى ورع مصطنع وزهد سخيف .

« لم أترك خدمة القس حتى أخذت فى التطواف ، وبعد أيام من تجوالى عثرت على جوقة من الممثلين المتجولين فما رأيتهم حتى هفا لهم قلبى ، ذلك لأن حبى للتشرد والمتشردين طبيعى لا تكلف فيه . كانوا منهمكين فى ترتيب حقائبهم التى انقلبت فى طريق ضيق فعرضت عليهم مساعدتى فقبلوها . وما أسرع ما تعارفنا وتآلفنا فأخذونى خادماً لهم . كانت الحياة مع هؤلاء جنـــة حقا فهم لا ينفكون يغنون ويأكلون ويقصفون ويطوفون فى آن واحد . وحياة الأنبياء ما كنت أحسبنى أعيش قبل ذاك ، فقد أصبحت من أمرح الناس طراً ؛ وكنت دائم الضحك لسبب أولغير سبب . ولقد أحبونى كما أحببتهم وكان لى ، كما ترى ، شأن كبير ولكنى على فقرى ، لم أكن معتدلا فى حياتى .

« إن حياة التشرد كما أسلفت أحب إلى من كل شىء فى العالم . فاليوم حر وغدا قر ، واليوم عسر وغدا يسر . آكل متى وسعنى الحصول على الطعام ؛ واشرب (القدح فارغ) متى وجدت الخمر إزائى . لقد وصلنا « تنتردن » ذلك المساء فاستأجرنا غرفة واسعة حيث عزمنا على إخراج رواية « روميو وجولييت » فقام بدور « روميو » أحد الممثلين من مرسح « درورى لين » وقامت بدور « جوليت » سيدة لم يسبق لهـا الظهور على المرسح ، بينما أخذت أنا على عاتقى إطفاء الشموع . كان التمثيل بالنسبة لنا ، رائعاً على الرغم مما كان ينقصنا من وسائل ، فإن الثوب الذى كان يرتديه « روميو » كنا نقلبه على بطانته الزرقاء فيصلح لباساً لصديقه « مركوتيو » وأن قطعة من « الكرب » كبيرة كانت تكفى فى آن واحـد فستاناً « لجوليت » وغطاء للنعش . ولم يكن لدينا ناقوس فاستعضنا عنه بهاون استعرناه من صيدلية مجاورة ثم جمعنا عائلة صاحب الدار فدثرناهم بملاءة بيضاء لإكمال الموكب . وقصارى القول ، لم يكن ثمة سوى ثلاثة ممثلين نستطيع أن نقول بأنهم كانوا يرتدون ألبسة لا غبار عليها وهم الممرضة والصيدلى الجوعان وأنا . كان التمثيل ، كما قلت ، رائعاً ؛ ولقد هتف لنا الجمهور طويلا ، ولا عجب ، فإن لسكان « تنترن » ذوقا .

« فإذا أراد الممثل الجوال لنفسه النجاح فما عليه — على حد تعبيرنا — إلا أن يبالغ فى محاكاة الشخصية التى يقوم بتمثيلها . ذلك لأن مراعاة الدقة فى الكلام والحركة ومحاولة إبراز الشخصية على صورتها الطبيعية لا يسمى تمثيلا ولا هو مما يأتى الناس لمشاهدته . أن الحوار الطبيعى الذى لا تكلف فيه هو كالسلاف الحلو المذاق ينحدر إلى الحلق بسهولة دون أن يترك وراءه طعماً ، على حين أن الإمعان فى المغالاة والمبالغة كالخل يثير الإحساس ويشحذ الذوق ولا يشعر به إلا شاربه . وعليه فإن رمت إرضاء الناس وجب عليك أن تصرخ وتتلوى وتتنطع بكلامك وتضرب جيوبك وتظهر أمام النظارة كأنك تعانى آلاماً مبرحة ؛ فإن أنت عملت كل هذا فزت باستحسان الناس وأصبحت ممثلا يشار إليك بالبنان .

« ولما كان التوفيق حليفنا كان من الطبيعى أن أعزو قدما من النجاح لنفسى . لقد أطفأت الشموع ؛ ودعنى أقول لك إنه لولاى لفقدت القطعة نصف رونقها .

« ظللنا نمثل على هذه الصورة أسبوعين كاملين كانت الدار فى أثنائها تكتظ بالنظارة . وقبل الرحيل بيوم واحد أعلنا على الملأ بأنا سنختتم موسمنا بأعظم رواياتنا التى سنبذل فى سبيل إخراجها كل ما لدينا من جهد ومال . ولقد كنا نعلق آمالا جساماً فضاعفنا الأجرة . وبينا نحن فى نشوة الأمل غارقون إذا بكبير ممثلينا يصاب بحمى صالب ؛ فذعرنا وشق ذلك على جماعتنا الصغيرة فقررنا الذهاب إليه جميعنا لتوبيخه وزجره لمرضه فى وقت غير مناسب كهذا ، وخاصة لابتلائه بمرض قد يحتاج لمعالجته مالاوفراً . فانتهزت أنا هذه الفرصة وعرضت نفسى لأحل محله فقبلونى ، فجلست تواً ، والدور فى يدى والكأس أمامى ، (نحب صحتك مولاى) أدرس الشخصية التى سأؤدى الامتحان عنها غداً وأقوم بتمثيلها بعد ذلك بقليل .

« ولقد وجدت أن ذاكرتى تسعفنى كثيراً وقت الشراب إذ تعلمت دورى بسرعة مدهشة فطلقت دور « إطفاء الشموع » منذ ذلك الحين لأن الطبيعة قد أعدتنى لوظيفة أسمى من هذه وأشرف ، ولقد قطعت على نفسى عهداً ألا أخيب ظنها بى .

« فلما كان الغد اجتمعنا لأجراء « البروفا » فأخبرت زملائى ، وقد كانوا أساتذتى بالأمس ، عن التغيير العجيب الذى طرأ على وقلت : ليطمئن المريض فى فراشه ولا يشقين نفسه فى أمر الشفاء فإنى سأقوم بدوره أحسن قيام ، وسيدهش الناس من براعتى ونبوغى وليمت إن شاء فإنى أعده بأنه سوف لن يفتقد .

« ابتدأنا بالبروفا ، فرحت أتبختر أمامهم وألغط بكلام غير مفهوم فيعج المكان بالتصفيق والاستحسان وسمعت ، أو يخيل لى أنى سمعت صوتاً يقول : « ها قد بزغ نجم متألق فى سماء التمثيل » فلم يعد السكون يسعنى فقررت بينى وبين نفسى على أنى لما كنت السبب فى استدرار المال على الجمعية فيجب أن يكون لى فى الربح نصيب . فأنشأت أخاطب الجماعة قائلا : « أيها السادة ، إن الذى سأقوله لكم ليس أمراً أريد فرضه عليكم كلا . فلست والحمد لله ناكراً للجميل إلى هذا الحد . ولكن لما كنتم قد تفضلتم على بنشر اسمى فى الإعلانات ، وتلك منة لن أنساها ما حييت ، فلا يسعكم والحالة هذه الاستغناء عنى . ولذلك فإنى أرجو أن تدفعوا لى جعلا أسوة بكم . وإلا عدت إلى دورى القديم وهو « إطفاء الشموع » . لقد كان هذا الاقتراح شديد الوطأة عليهم ، ولكن لا بد مما ليس منه بد ، فأذعنوا وأنوفهم فى الرغام . فلما حان الوقت ولجت المرسح فى ثياب الملك « بجازات » وحاجباى المقطبان قد شد طرفهما بجورب دس فى عمامتى ويداى المغلولتان تلوحان بالسلاسل . لكأن الطبيعة قد اختارتنى لهذا الدور فقد كنت مديد القامة جهورى الصوت . وإن مجرد دخولى المرسح آثار عاصفة من الهتاف والتصفيق ، فدرت بنظرى على الجمهور مبتسما وانحنيت أمامهم انحناءة كاد فيها رأسى يلمس الأرض ، فتلك عادة شائعة بيننا . ولما كان الدور عاطفيا للغاية ، فقد أنعشت نفسى بثلاث كؤوس ملآى (الكأس موشكة على النفاد) من الكونياك . لله ما أروع الدور الذى قمت به ! إن « تامرلين » يكاد يبدو تمثيلا بجانبى . وهو وإن كان صوته يرتفع أيضاً فى بعض الأحيان ، إلا أن صوتى كان يعلو عليه ، كان لى ثمة مواقف كثيرة مجيدة ، منها أنى كنت أطوى يدى هكذا فوق سرتى ، وهى عادة مستحبة فى « دروري لين » وإذا أنا رحت فى تعداد مزاياى لنفدت الكأس قبل أن أنتهى من سردها . وقصارى الكلام ، إن تمثيلى كان أعجوبة الأعاجيب مما جعل أعيان البلد من الرجال والنساء يتهافتون على بعد انتهاء التمثيل لتهنئتى على نجاحى الباهر ، فمنهم من مدح صوتى ، ومنهم من أثنى على قامتى ، ولقد سمعت امرأة العمدة تقول : « أقسم لكم بشرفى إنه سيصبح من أقدر الممثلين فى أوربا ، أقول ذلك عن علم ودراية ، وإن لى فى هذا الفن لذوقاً »

« إن المديح الذى يغمرنا به الناس فى أول عهدنا بالتمثيل شىء طبيعى ومقبول ولا يقصد منه سوى التشجيع ، ونحن نتقبله شاكرين ، ونعده فضلا منهم علينا ، أما إذا استمر المديح وكثر فنحن والحالة هذه نعتبره ديناً لنا عليهم نتقاضاه منهم بمقدرتنا ونبوغنا ، وعليه عوضاً عن أن أشكرهم كنت فى داخلى أثنى على نفسى . ولقد طلب إلينا الجمهور إعادة القطعة للمرة الثانية فأجبناه إلى طلبه ، وكان نصيبى من الثناء أكثر من ذى قبل

وأخيراً تركنا المدينة لنحضر سباقاً للخيل ، وسوف لا أذكر « تنتردن » إلا انهمرت من مآقى دموع الامتنان والاحترام ، ذلك أن السيدات والسادة هناك كانوا على جانب عظيم من الدراية بالتمثيل والممثلين . هات لنشرب ، نشدتك الله نخب صحتهم ؛ قلت تركنا المدينة ، ولقد كان ثمة فرق عظيم بين دخولى إليها وخروجى منها ، دخلت المدينة ممثلا حقيرا وخرجت منها بطلا كبيرا ، تلك هى الحياة ، تقبل يوماً وتدبر يوماً ، وإن شئت لتوسعت فى الموضوع ولذكرت لك شيئاً كثيراً عن تصاريف الزمان وتقلبات الأيام ، ولكن ما لنا ولهذا ، فإن فى إثارته ، إثارة لكامن شجوننا .

« انتهى السباق قبل أن نصل المدينة الثانية التى خذلتنا جميعاً ، ولكن ليس من السهل قهرنا ، ذلك أننا عزمنا على أن نجرب حظنا عسى أن نظفر منها ببعض الذى ظفرنا به فى المدينة الأولى . وقمت أنا بالأدوار الرئيسية وارتفعت فيها إلى الذروة كالعادة . وإنى لا أزال أعتقد لو أن مكانى أعطيت ما تستحقه من العناية

والرعاية لأصبحت اليوم من أبرز الممثلين فى أوربا ، إلا أن عاصفة هوجاء اقتلعتنى فى مهدى وردتنى إلى مستوى النوناء . كنت أمثل دور السير «هاردى ولدى» فأدهشت السيدات براعتى وأطربتهن . فإن أنا أخرجت علبة الشمع ضجت القاعة بالضحك ، وإن أنا لوحت بهراوتى فى السماء سرت فى النظارة قشعريرة الخوف والفزع .

«وكان ثمة سيدة سبق لها أن ثقفت فى لندن لمدة تسعة أشهر فأخذت تزعم لنفسها الإلمام بالمسائل الفنية مما جعلها قبلة الأنظار فى أى محفل حلت . وقد أخبروها عنى وعن موهبتى ولكنها رفضت ، أول الأمر ، الذهاب لمشاهدة تمثيلى ، زاعمة أنها لا تتوقع من ممثل جوال ضئيل الشأن مثلى أن يجيد التمثيل . ثم مالت بالحديث إلى الممثل الذائع الصيت «كاريك» فأطرته وعددت مزاياه وأدهشت السيدات بنبراتها العذبة وصوتها الرصين . ولقد أقنعوها آخر الأمر بمشاهدتى ، وترامى إلى سراً أن جهبذة من أبرز جهابذة العصر فى شئون المسرح ستحضر الحفلة المقبلة ، ولكن ذلك لم يخفنى فظهرت فى ثياب السير «هارى» واضعاً يداً فى جيب البنطلون والأخرى على صدرى ، كما هى العادة فى «دروري لين» .

إلا أن النظارة ، عوضاً عن أن ينظروا إلى ، اتجهوا بأنظارهم إلى السيدة التى قضت تسعة أشهر فى لندن . ليتلقوا حكمها الذى إما سيرفعنى إلى مصاف النابغين من الممثلين أو سيدفعنى إلى الحضيض . أخرجت علبتى ، فأخذت منها نشقة ، ولكن السيدة لم تحرك ساكناً وكذلك النظارة . فأخذت عندئذ هراوتى وأهويت بها على ظهر العمدة المهرب حتى تكسرت ، فما تململ أحد ، كأنما الوجوم قد نشر أطنابه على الحاضرين فدمدت السيدة وغمغمت وهزت كتفيها استخفافاً ، فحاولت بضحكى أن أفوز منهم ولو بابتسامة ولكن وجوههم الباسرة ازدادت إغراقاً فى العبوس ، فدارت بى الدنيا وأصبحت حركاتى مصطنعة وضحكاتى «هستيرية» . ومهما تكلفت إذ ذاك من المرح وخفة الروح ، فإن عينى كانتا تفيضان بما كان يجثم على صدرى من الهم والغم . وقصارى الكلام ، لقد حضرت السيدة وفى عزمها إيذائى وقد فعلت ، سامحها الله ، وهكذا انتفت شهرتى ونفد شرابى بينما أنا لا أزال ، كما ترى ، حياً أرزق .

يوسف روشا

إنه فى يوم ١١ أغسطس سنة ١٩٤٥ إبتداء من الساعة ٨ أفرنكى صباحاً والأيام التالية بورشة الخواجة أبادير بشاى بشارع الركبى نمرة ٥ بحوض الزهور قسم بولاق .

سيباع بالمزاد العلنى عدد ٤ ماكينة لعمل المسمار الابرة وعدد ١ مخرطة ٦ قدم وميزان طبليه مبينة الوصف بمحضر الحجز التوقع بتاريخ ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٤٤ ملك الخواجة ليون أبو العافية نفاذاً لحكم فى القضية رقم ٣٦٣٧ سنة ١٩٤٤ كلى مصر وفاء لسداد مبلغ ٢٦١ ج و٨٨٥ مليم قيمة المحكوم به والمصاريف وأتعاب المحاماه وأجرة النشر مرتين ورسم التنفيذ وكالة الرسم وما استجد من الإيجار لغاية أغسطس سنة ١٩٤٥ ورسم إعادة الاجراءات وذلك بعد خصم مبلغ الثلاثون جنيها مصريا المدفوعة عند البيع الأول .

وهذا البيع بناء على طلب الخواجة أبادير بشاى التاجر بشارع السبتية ن ١٤ بمصر والمتخذ له محلا مختاراً مكتب حضرة الأستاذ زكى أفندى ميخائيل المحامى بشارع شبرا ن ٤٧ بمصر .

فعلى راغب الشراء الحضور للمزايدة ما

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

عرض الاعلانات بالمحطات

لقد وجهت المصلحة كل عنايتها إلى المحطات فأقامت بها لوحات خشبية أعدت خصيصاً لعرض الإعلانات فضلا عن أنها تبذل مجهوداً صادقاً من وقت لآخر فى تجميل تلك المحطات حتى أصبح الإعلان فيها من أحسن وسائل الدعاية التى تنشدها كل من يرمى إلى التوسع فى أعماله وكل تاجر يسعى إلى رواج تجارته .

وتتقاضى المصلحة جنيهين مصريين عن المتر المربع فى السنة وهى قيمة زهيدة تكاد لا تذكر بجانب أهمية الإعلان الذى يتصفحه آلاف المسافرين فى اليوم الواحد .

وزيادة الاستعلام اتصلوا

بقسم النشر والإعلانات

بالإدارة العامة — بمحطة مصر

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦٢٩ — الاثنين ٢٣ يوليو ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

صفحة

٧ . ٢٥

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 629

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 23 - 7 - 1945

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الثالثة عشرة «القاهرة فى يوم الإثنين ١٤ شعبان سنة ١٣٦٤ — ٢٣ يوليو سنة ١٩٤٥» العـدد ٦٢٩

الصوت والشخصية

للأستاذ عباس محمود العقاد

بحث أصحاب الموسيقى فى الصوت الإنسانى من نواحيه الفنية فقالوا فيه كل ما يعنيهم أن يقولوه ، ولكننى لا أظنهم وفوه بحثاً من ناحية فيه جديرة بالدراسة الطويلة ، لأنها تفضى بنا إلى استطلاع أسرار النفس وتركيب الشخصية الإنسانية ، ونعنى بها ناحية العلاقة بين الأصوات والشخصيات

تلقى إنساناً فى الطريق فتتوقع أن تسمع له صوتاً معيناً يناسب ما رأيته من ملامحه الشخصية ، ثم يتكلم فتسمع منه ذلك الصوت الذى توقعته ، أو تسمع صوتاً لا يلفتك إلى غرابة فى التوفيق بين ما رأيت وما سمعت

وتلقى إنساناً آخر فيتكلم ، فإذا أنت قد فوجئت بصوت لا تنتظره ، ولا يبدو لك أنه يناسب تلك الشخصية فى جملة مظاهرها ، ولا يرجع الأمر إلى القوة والضعف أو الارتفاع والهبوط ، فقد يكون الصوت قوياً كما توقعته ، ولكنه من معدن غير معدن الشخصية التى وزنتها بالعين والبديهة والخيال

برزت هـذه المسألة عندى بروزاً واضحاً بعد انتشار الصور المتحركة الناطقة وظهور الساسة والعظماء فيها متحدثين أو خطباء أو منشدين ، ولم يلفتنى الأمر من جانب الممثلين والممثلات ، لأن الذين يختارونهم يتعمدون اختيارهم وفاقاً لوقع الصوت والمنظر فى نفوس الشاهدين ، وإنما لفتنى من جانب الوزراء والقواد والرؤساء ، لأن أصواتهم بعيدة من توفيقات ذلك الاختيار المقصود

فمن الأصوات التى قرأت عن أصحابها ورأيت صوراً لهم ، وعرفت أخباراً عنهم ، ثم سمعتهم فلم أشعر بالغرابة فيها ، سمعت صوت فرنكلن روزفلت رئيس الولايات المتحدة السابق وهو يخطب فى البرلمان ويتحدث إلى الصحفيين ، فلم يكن فى حديثه ولا فى خطابته يخالف ما توقعت من صفة الصوت ولا من نبرته وإيقاعه ، بل خيل إلى أن صوت روزفلت لا يمكن أن يكون إلا على هذه الصفة وهذا الإيقاع

أما الأصوات التى استغربت أن تكون لأصحابها ، فمنها صوت شرشل وصوت مصطفى كمال ، وليس ذلك لضعف فيهما أو مناقضة لصفات الرجلين الرفيعة ، ولكن لأنها من معدن لا يطابق ما ترتسم فى نفسك من صورة الشخصية كما تتخيلها وأنت تسمعها . ويزيد دلالة هذه الملاحظة أن الصوت ليس هو الشىء الوحيد الذى تستغربه من شخصية بطل الترك أو بطل الإنجليز ؛ فإن عزيمة شرشل الحديدية تتراءى لك كأنها فى قناع وراء ملامحه المزوجة بملامح الطفولة والوداعة ، وتتراءى لك طبائع مصطفى كمال الغلابة وكأنها

تتردد فى اتخاذ تلك المعارف الوجهية التى تطل منها فى بعض حالاته.

فإذا أردنا أن نقول إن العلاقة بين الصوت والشخصية لا تختلف عرضاً واتفاقاً وجدنا الشواهد على ذلك ماثلة فى أحوال الاتفاق وأحوال الاختلاف بين الأصوات والشخصيات

ومن المحقق أن قوة الصوت أو ضعفه لا ترتبطان بالحنجرة وحدها ، أو بأجهزة الصوت المحلية فى مجارى التنفس بين الحلق والرئتين . فإن هذه الأجهزة المحلية قد تكون على ضعف ظاهر من الوجهة الصحية ، ولكنها تعطيك صوتاً قوياً يروع السامع وينقل عن « شخصية » صورة تنم على القوة والتأثير . ولا شك أن مئات بين النساء أصح حنجرة وصدراً من مئات بين الرجال ، ولكنك تسمع هؤلاء الرجال وأولئك النساء ، فلا تخطىء الفارق بين قوة الأصوات هنا وقوة الأصوات هناك . ولعلك لا تخطىء الاستدلال على القوة من صوت المرأة نفسه إذا كانت على نصيب من قوة الشخصية وصدق العزيمة . مما يوحى إلينا أن الرخامة لا تحرم الصوت مزية التعبير عن الصفات الشخصية ، حيث تغلب الرخامة على أصوات النساء

وعندك أناس تنطمس فيهم معالم الشخصية . فلا تستغرب لهم صوتاً من الأصوات كائناً ما كان ، ولكنك لا تحس أمامك شخصية واضحة المعالم إلا قرنتها بصوت تتوقعه واستغربت أن تسمع لها صوتاً آخر غير الصوت الذى يناسبها فيما يبدو إليك . ودع عنك دلالة الصوت على التهذيب والتربية ، فإن هذا قد يرتبط بأداء المعانى وانتقاء الكلمات وصقل المخارج والعبارات ، ولكنك إذا أغضيت النظر عن هذه العوارض التى تكسب بالتعليم بقيت للصوت صفة أصيلة تنم على العقل ولا يسهل أن تختلط فيها أصوات العارفين وأصوات الجهلاء ، أو أصوات العقلاء وأصوات المجانين

والمسألة فيما أراه قابلة للتعميم فى أوسع نطاق ، فإن ارتباط الصوت بالخصائص البدنية والخلقية يعم سائر الأحياء ولا ينحصر فى الإنسان وحده ، بل ربما تجاوزنا الأحياء إلى كل كائن من الكائنات له صوت معروف ومعهود

ما قولك مثلا إذا سمعت زئير الأسد من الحصان ؟ أو سمعت مواء الهرة من الخروف ؟ أو سمعت عواء الذئب من الثعبان ؟

ليس من اللازم أن يكون صوت الأسد مطابقاً للزئير الذى عرفناه وعهدناه ، غير أننا إذا سمعنا الزئير من الحصان وسمعنا الصهيل من الأسد شعرنا بالغرابة ولا مراء ، وشعرنا بين الصوتين والحيوانين باختلاف يحتاج إلى تصحيح ، ويبدو لنا أننا نشعر بهذا الاستغراب وإن سمعنا الصوتين لأول مرة بمعزل عن أثر العادة وطول التمييز بين مصدر الزئير ومصدر الصهيل

ولماذا مثلا لم توهب ملكة التغريد إلا للمخلوقات التى تطير فى الهواء ؟ ولماذا كانت هذه الملكة فى تلك المخلوقات وقفاً على الطيور الصغيرة الوديعة دون الطيور الكبيرة الكاسرة ؟ ولماذا هذا الاختلاف بين النسور والبلابل ، أو بين الصقور والقمارى ، أو بين العقبان والعصافير ؟

إن الخلائق التى تمشى على الأرض تعبر عن خوالجها ببعض الأصوات المعهودة ، ولكنها لا تحسب من قبيل التغريد والغناء ، وكذلك النسور والصقور والعقبان تدلك بأصواتها على رضاها وغضبها وعلى مناجاتها ونداءاتها ، وتقصر عن تمثيل تلك الأصوات فى أنغام كأنغام الطيور التى تحسن الصفير والهديل . فهناك ارتباط وثيق إذن بين تكوين الجسم كله وتكوين الخلق فى صميمه ، وبين طبيعة الصوت وقدرته على ترجمة « الشخصية » لمن يصغى إليه .

وليس اتفاقاً ولا خلواً من المعنى أن يغنى البلبل والعصفور ، ولا يغنى الأسد والثعلب ، وأن يكون التغريد على العموم مرتبطاً بالقدرة على الطيران ، فإن الصوت هنا ترجمان صادق يلخص لنا كثيراً من الخصائص المتفرقة التى تتغلغل فى طبيعة البيئة وطبيعة البنية وطبيعة الشخصية فى أوسع حدودها ، وتلهمنا المعانى التى يمكن أن نستخرجها من تحقيق العلاقة بين أصوات الناس ومعالم الشخصيات ، فتفتح لنا فتحاً موفقاً فى عالم النفس وأسرار الأخلاق ، وتنشىء لنا فراسة جديدة تنم على السريرة بالسماع

ومن الأصول التى يعتمد عليها البحث فى هذا الموضوع أننا كما قدمنا نربط بين الصوت والشخصية ونتوقع من كل شخصية معروفة صوتاً يناسبها ويعبر عنها ، وإن اتفاق الصوتين بين الآدميين

فى إرشـــاد الأريب
إلى معرفة الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ٩ —

* ج ٧ ص ٨ :

لا زال شكرى لهما مواصلا دهرى أو يعتاقنى صرف المنا

قلت : البيت من (المقصورة) المشهورة ، وقد حرص ابن دريد على أن تشمل جميع المقصور . و (الفنا) هنا — وهو من الممدود (الفناء) لا من المقصور — إنما هو (المنى) أى القدر كما فى الصحاح . وفى شرح المقصورة (طبعة الجوائب) : « المنى بفتح الميم المقدر ، قال :

ولا تقولن لشىء سوف أفعله حتى تبيّن ما يَمنى لك المانى

أى حتى تعرف ما يقدر لك المقدر . وفى هذه الطبعة (ممدودة) منسوبة إلى ابن دريد مطلعها :

لا تركنن إلى الهوى واحذر مفارقة الهواء

ومنها :

وأرى الغنى يدعو الغنى (م) إلى الملاهى والغناء

* ج ١٦ ص ٣١١ :

فى موقف يسلب الأرواح سالبها

حيث المواضى قواض والقنا سَلَبَ

قلت : جاءت (سلب) بفتح السين واللام وهى (سُلُب) بضم الأول والثانى جمع سلوب أى مستلبة للنفس كما فى (المخصص) وبيت القطامى [1] :

ومن ربط الجحاش فإن فينا قنا سلباً وأفراساً حسانا [2]

يروى على وجهين : قال التبريزى فى (شرح الحماسة) : فالسلب بكسر السين الطويل صفة الواحد ، وقد يوصف الجمع بصفة الواحد إذا كان على بنائه ، وسُلُب جمع سلوب أى تسلب الأنفس .

قلت : وهذا ما قصده (القاسم بن على الواسطى) فى بيته . والسلب بالتحريك ما يسلب أى الشىء الذى يسلبه الإنسان

(١) بفتح القاف وضمها ، وفى إحدى مقالاتى (فى العقد) فى الرسالة ٤٠٢ بحث فى هذا الاسم .

(٢) يقول : من ربط الحمر واقتناها وكان عيشه منها فنا أرباب الغزو (التبريزى) .

أندر من اتفاق الوجهين ، وهو خلاف المشاهد بين الأحياء الدنيا التى تكاد تتشابه فى أصواتها ولا يشذ منها واحد فى العشرات أو المئات ، ومعنى ذلك أن المسألة أقرب إلى العلاقة النفسية أو العلاقة المعنوية منها إلى العلاقة الجسدية ، لأن الاختلاف الجسدى قوة وضعفا وصحة ومرضاً ، موجود بين الأحياء الأخرى ، فلو كان هو المرجع فى اختلاف الصوت لكان التفاوت فى الصهيل بين مئات الخيل كالتفاوت فى نغمة الصوت وإيقاعه بين مئات الآدميين ، وإنما يقع هذا التفاوت البعيد بين الشخصيات الآدمية من جانب الفوارق العقلية والنفسية وفوارق الملكات والأخلاق ، فإذا استطاع باحث من علماء الصوت وعلماء النفس معاً أن يعقد الصلة بين مقومات الشخصية ومقومات الصوت الإنسانى ، فقد ترجم الإنسان للآذان، فضلاعن ترجمته أوتفسيره للبداته والأذهان وهذه دائرة من دوائر البحث الفنى أو العلمى تتسع لمن يشاء من المعنيين بالأصوات أو بالحقائق النفسية ، فليس منا إلامن يقابل أناساً يسمع أصواتهم ويستغرب بعضها أو يمر به بعضها الآخر مرور المألوفات التى لا غرابة فيها ، فإذا شغل نفسه قليلا بتفسير أسباب الموافقة والمخالفة بين الشخصيات وأصواتها ، فلا شك أنه مهتد إلى شىء يفيده فى هذا الباب ، وإذا تجمعت هذه الملاحظات وحسن التعقيب عليها والاستخلاص منها ، فقد تتقرر بها بعض القواعد التى تقيم لنا علماً صحيحاً عن العلاقة بين الصوت الإنسانى والشخصية الإنسانية ، وييسر لنا البحث فى هذا الصدد أننا نعيش فى عصر المذياع والصور المتحركة ، ونستطيع أن نمتحن الفراسة بسماع الصوت دون رؤية الشخصية أوبتغيير الأصوات والشخصيات بالحيل الفنية المعروفة ، وليس فى المباحث النفسية أو الموسيقية ما هو أحق بالعناية من هذا البحث الطريف

عباس محمود العقاد

من الغنائم ويتولى عليه كما فى التاج . قال أبو تمام فى البائية العبقرية :

لم ينفق الذهب المربى بكثرته على الحصى وبه فقر إلى الذهب
إن الأسود أسود الغاب همتها يوم الكريهة فى المسلوب لا الساب

* ج ١٢ ص ٨٥ : وذكره (أى ابنَ جنى) أبو الحسن على بن الحسن الباخرزى فى (دمية القصر) فقال : ليس لأحد من أئمة الأدب فى فتح المقفلات ، وشرح المشكلات ما له ، فقد وقع عليها من ثمرات الأعراب ، ولاسيما فى علم الإعراب . ومن تأمل مصنفاته ، وقف على بعض صفاته .

قلت : هذا ما جاء فى الدمية بعد (ما له) : « ولا سيما فى علم الأعراب فقد وقع عليها من ثمرة الغراب » .

قلت : والصواب : « .. ما له ولا سيما فى علم الإعراب فقد وقع منها على تمرة الغراب » بالتاء لا بالثاء . والقول من المثل : « وجد تمرة الغراب » قال الميدانى فى (مجمع الأمثال) : يضرب لمن وجد أفضل ما يريد ، وذلك أن الغراب يطلب من التمر أجوده وأطيبه[1] . وضمير منها يعود إلى المشكلات والمقفلات .

* ج ٦ ص ١٦ : وأنت ما لك والغناء ، وما يدريك ما هو؟

قلت : جاءت (والغناء) مجرورة وحقها النصب ، والقاعدة معروفة . ومن أبيات (الكتاب) والشعر لمسكين الدارى :

فما لك والتلدد حول نجد وقد غصت تهامة بالرجال[2]

قال الشنتمرى : الشاهد فيه نصب التلدد بإضمار الملابسة إذ لم يمكن عطفه على المضمر المجرور .

* ج ٣ ص ٤٣ : إنى أخاف عليه لَقْعة العين .

قلت : لقعة العين ، بالقاف لا بالفاء . فى الأساس : لقعه بعينه إذا عانه . وفى اللسان : فى حديث سالم بن عبد الله (بن عمر) أنه دخل على هشام بن عبد الملك ، فقال : إنك لذو كِدْنة ، فلما خرج من عنده أخذته قفقفة أى رعدة ، فقال : أظن الأحول لقعنى بعينه أى أصابنى بعينه يعنى هشاماً ، وكان أحول .

(١) الأساس : وجد عنده تمرة الغراب أى ما أرضاه . التاج : وجد تمرة الغراب وذلك أنه يتبع أجود التمر فينتقيه . قلت جاءت تمرة والتمر فى التاج بالثاء ، وهما بالتاء .

(٢) يقول : مالك تقيم بنجد وتتردد فيها مع جدبها وتترك تهامة وخصبها . والتلدد الذهاب والمجىء حيرة وأصله من اللديدين وهما صفحتا العنق (الشنتمرى) .

والكدنة كثرة الشحم واللحم ، غلظ الجسم وكثرة اللحم كما فى التاج . وفى الكامل : نظر أعرابى إلى رجل جيد الكدنة فقال : يا هذا ، إنى لأرى عليك قطيفة[1] من نسج أضراسك .

* ج ٢ ص ٢٨١ : قال جحظة : دعوت فُضَيلا الأعرج ، وكان عندنا جماعة فكتب إلينا :

أنا فى منزلى وقد رزق الله (م) نديماً ومُسمعاً وعُقارا
فاعذرونى بأن تخلفت عنكم شغل الحلىَ أهلُه أن يعارا

قلت : لا مسمّى بفضيل — كسميع — عندهم . هناك فضل وفُضَيل وفضالة — كسحابة ويضم — و (شغل الحلىُ أهلَه أن يعار) برفع الحلى ونصب أهله ، وهو من أمثالهم[2] .

* ج ١٧ ص ٢١٠ :

يا عجباً لشيخنا الأهوازى يُزهى علينا وهو فى هَوَانِ

وجاء فى الشرح : الهوان : الذل .

قلت : (يا عجبا) غير منون لأنه ينادى عجب نفسه ، لا عجبا نكرة غير مقصودة ، والأصل (يا عجبى) أبدلت أو قلبت ياء المتكلم ألفاً . وقد تكررت الكلمة بذلك الضبط فى الكتاب . و (هوان) هو (هوّاز) بالزاى . يُزهى علينا وهو جاهل ، مبتدئ ، فى الهجى . والبيت لابن الأشرس فى أبى الحسن الأهوازى .

* ج ٤ ص ١٥١ : ... ثم ضرب الدهر مَن ضَرَبَهُ فرأيت ابن تَوابة قد دخل إلى أبى الصقر بواسط فوقف بين يديه .

قلت : (ضرب الدهر مِن ضَربِه) فى النهاية : فضرب الدهر من ضَرَبانِه ويروى من ضربه أى مر من مروره وذهب بعضه . وفى التاج : وضرب الدهر ضربانه : أحدث حوادثه . ومن سجعات الأساس : لحا الله تعالى زماناً ضرب ضربانه ، حتى سلط علينا ظَربانه . وقد منع (واسط) من الصرف هنا وفى مواضع كثيرة من الكتاب . وسيبويه يقول : وأما واسطٌ فالتذكير والصرف أكثر .

(١) دثار مخمل .

(٢) أى أهل الحى احتاجوا أن يعاروه على أنفسهم فلذلك لا يعيرون ، وهذا قريب من قولهم : شغلت شعابى جدواى . يضربه المسئول شيئاً هو أحوج إليه من السائل . الجدوى : العطاء أي شغلتني النفقة على عيالى عن الأفضال على غيري (الميدانى) .

* ج ١٩ ص ١٨٩ :

قد قلت إذ مدحوا الحياة فأكثروا   للموت ألف فضيلة لا تعرف

منها أمان بقائه بلقائه   وفراق كل معاشر لا ينصف

وجاء فى الشرح : كانت هذه الكلمة بقائه (لقائه) . قلت : « الحياة فاسرفوا » « فى الموت » « منها أمان لقائه بلقائه » كما روى الثعالبى فى « الإيجاز والإعجاز » والبيتان لمنصور بن اسماعيل المصرى الفقيه الضرير . ذكره ابن خلكان وسرد شيئاً من أخباره ، منها أنه أصابته مسغبة فى سنة شديدة القحط فرقى سطح داره ، ونادى بأعلى صوته فى الليل :

الغياث الغياث يا أحرار   نحن خلجانكم وأنتم بحار

إنما تحسن المؤاساة فى الشدة (م) لا حين ترخص الأسعار

فسمعه جيرانه ، فأصبح على بابه مئة حمل برّا (قمحا) قلت : فى الأساس : وأطعمنا ابن بُرّة وهو الخبز .

* ج ١٤ ص ٢٤٦ : ولقى (على بن محمد بن دينار) المتنبى فسمع منه ديوانه ، ومدحه بقصيدة أولها :

ربَّ القريض إليك الحل والرَّحَلُ

ضاقت على العلم إلا نحوك السبُلُ[(١)]

تضاءل الشعراء اليوم عند فتى   صعاب كل قريض عنده ذُلُلُ

قلت : الرَّحَلُ جمع رحلة .

* ج ٧ ص ٢٠٠ : وله (لجعفر بن محمد الموصلى) :

وما الموت قبل الموت غير أننى   أرى ضرعاً بالعسر يوماً لذى اليسر

قلت : ربما كان الأصل بهذه الصورة :

وما الموت قبل الموت عندىَ غير أن

أرى ضرعاً بالعسر يوماً لذى اليسر

* ج ١٦ ص ٤٤ : وتصدر (ابن العديم) وألقى الدرس بجنان قوى ولسان لوذعى فأبهر العالم ، وأعجب الناس .

قلت : الظن أن (العالم) هى (العلماء) و (أبهر) إنما هى (بهر) وهذه تتعدى و (أبهر) فعل لازم . فى اللسان والتاج : أبهر الرجل : جاء بالعجب ، وأبهر إذا تلون فى أخلاقه دماثة مرة وخبثاً أخرى . وأبهر إذا تزوج بَهيرة مهيرة[(١)] ...

* ج ٢ ص ١٣ : وأنشدنى أبو البركات لوالده :

أنا ابن سادات قريش وابن من   لم يبق فى قوس الفخار منزعا

وابن علىّ والحسين وهما   أبر من حج ولبى وسعى

من كل بسام المحيا لم يكن   عند المعالى والموالى ورعا

طابت أصول مجدنا فى هاشم   فطال فيها عودنا وفرّعا

قلت : ضبطت (ورعا) بكسر الراء ، وإنما هى بفتحها هنا . والورع بالتحريك الجبان والورع بكسر الراء الرجل التقى كما فى الصحاح . والفعل للتقى ورع يرع رعة وورعا . والفعل للجبان ورع يوْرُع وُرْعا بالضم ساكنة الراء .

* ج ١٦ ص ١٤ :

سقت عهودهم غداء واكفة   تهمى ولو أنها من أدمعى تكف

وجاء فى الشرح : الغداء : الغادية وهى السحابة تنشأ غدوة .

قلت : الغادية كما فسرت . ولم أقف على الغداء فى معجم أو كلام . وعندى أنها (عزّاء) . فى اللسان : العز المطر الكثير ، أرض معزوزة أصابها عز من المطر . والعزاء : المطر الشديد الوابل .

* ج ١٦ ص ١١٦ : وإنما كان مقصودى أن أدعك تعيش خائفاً فقيراً ، غريباً مُمجّجاً فى البلاد : وجاء فى الشرح : ممججاً أى مشرداً .

قلت : مُمَمِّجا . فى التاج : أمجّ الفرس جرى جرياً شديداً ، وأمج زيد ذهب فى البلاد ، وأمج إلى بلد كذا انطلق . وهذا ما قاله (التاج) فى مَجّج : (ومجج تمجيجاً إذا أرادك بالعيب) هكذا فى سائر النسخ (نسخ القاموس) ولم أدر ما معناه ، وقد تصفحت غالب أمهات اللغة وراجعت فى مظانها فلم أجد لهذه العبارة ناقلاً ولا شاهداً ، فلينظر .

* ج ٥ ص ٦٢ :

لو كان ينطق قال من تحت الثرى   فليحسن العمل الفتى ما استطاعا

قلت : (ما اسطاعا) للضرورة ولأن ذلك جائز ، حذفت التاء لمقاربتها الطاء فى المخرج ، فاستخف بحذفها كما استخف بحذف أحد اللامين فى ظَلْت .

---

(١) قلت : حكم المقصور عليه بألا أن يؤخر تالياً لها وقد جوزوا التقديم وجاء فى أشعارهم . وأما (إنما) فتأخير المقصور عليه معها واجب ، ولا يجوز تقديمه .

(١) البهيرة — كسفينة — السيدة الشريفة ؛ والبهيرة الحرة والجمع البهائر وهى الحرائر وهى ضد السرارى (التاج) .

على هامش « حادث الشام »

نحن المذنبون !...

للأستاذ على الطنطاوى

— ١ —

اهتزت الأرض لما كرث دمشق ، وزلزلت الدنيا لما أصابها ، وانبرت أقلام بواتر تناصرها فى محنتها ، وازدلفت إليها الوفود تمسح جراحها ، وتلعن جراحها ، ولم تبق فى الشرق والغرب صحيفة لم تتل أخبارها ، وتصف حريقها ودمارها ، وأنا فى فراشى قد ملكتنى الحمى فلم أشارك قومى فى جهاد ، ولم أبذل لهم (وطالما كنت باذلا) فمى هذا الضعيف ولسانى .

وكنت أطل من شباكى على دمشق (ودارى كما يعلم من يعلم من القراء تعلو عن دمشق ضاربة فى الجبل مائتى متر) فأرى مساقط القنابل . وأشاهد مواقع القذائف ، وأبصر النار تأكل بلدى الحبيب . والرصاص يحصد حصداً قومى ، فأحس فى أعصابى فوق الحمى حميات ، ولكنى لا أقدر على شىء .

ولم أقرأ فى هذه البرهة الطويلة مجلة ولا أبصرت (رسالة) ، ولا رأيت ممن وفد على دمشق من (الإخوان) الكرام أحداً ، ولا حضرت (وقد دعيت) لتكريمهم احتفالا . قد قيدنى المرض بفراشى فلا أستطيع له براحا ... وهذى أول ساعة أقدر فيها على القلم ، وأتمكن من خطامه ، رأيت فرضاً علىّ فيها فرض الاعتراف والوفاء ، أن أكتب للرسالة التى أحببتها محبة العاشق ، لا أصبر على فراقها ، ولا أطيق هجرها . وأحببت صاحبها وأجللته قبل أن أراه ، فلما رأيته بعد اثنى عشر عاماً تشرفت فيها بمراسلته والكتب فى رسالته ، وحضرت مجلسه ، ورتعت شهرين فى جنة نبله وفضله ، وأخذت من ماله ومن أدبه ، ازددت له حباً وإجلالا . وما رأيت فى مصر أديباً ، هو أعرب عربية ، وأنقى طوية ، وأقل لمصر عصبية ، وأخلص لبلاد العرب كلها نية ، من الثلاثة الأخيار : الزيات وعزام وخلاف . وإن فى مصر لكراماً كثيرين وأدباء عرباً مخلصين ، وما شحت مصر بالرجال ولكنى أشهد بما رأيت .

* * *

جلست لأكتب فى محنة دمشق ، فرأيتها قد سارت بحديثها الركبان ، وامتلأت بها الآذان ، ومشت على كل لسان ، فكدت أدع القلم ، ثم قلت لنفسى ، لئن تأخرت اليوم فلقد كنت يوماً سباقة . يوم هوت تحت السنابك (باريس) ، وقام كتاب (منا ...) يبكونها ، وما يبكون إلا لذات لهم فيها محرمة فقدوها ، ومفاسق خسروها ، وكناوكان سيف فرنسا العادية مسلولا علينا ، فكتبت فى الرسالة (٣٦٨) فى ٢٢ يولية ١٩٤٠ كلمة قصيرة ولكنها كسنان الرمح لايضره مع مضائه قصره ، صغيرة ولكنها كالقنبلة إذا تفجرت دمرت ، ولقد شرقت شظاياها وغربت فأصابت فيمن أصابت مستشار المعارف الفرنسى ، حملها إليه بعض (الأذناب ...) ممن تبدل اليوم لأن الدهر تبدل ودار . فدعانى وكان بينى وبينه كلام لو أنا نشرته خفت ألا يصدقه من لا يعرف قائله ، من القراء . لا أقول ذلك فخراً ولكن ليعلم الناس ، أنا — بنى الشام — ما ذللنا قط ولا خنعنا ، ولا أخافتنا فرنسا يوم كانت فرنسا وكان لها فى الأرض سلطان ، وبين الأعزة الأقوياء مكان !

* * *

ولئن فاتنى الكلام فى (حادث الشام) فما فاتنى أن أكتب (على هامشه) ، وإن لدىّ صوراً ، وإن فى يدى عبراً ، إذا وفق الله وواليت نشرها فى الرسالة ، اجتمع منها كتاب . ولست أعيد ما قاله الكتاب ، ولا أحب أن أعرّف المعروف . ولقد فرغ الناس من الحكم على فرنسا ومدنيتها ، وخرست ألسن كانت تسبح بحمدها ، وتمجد حضارتها ، وما تحمد منها (وآباء القراء) إلا مطارح الهوى الفاجر ، ومسارح الفن الداعر ، وجفت أقلام كانت فى أرضنا « جيشاً خامساً » وما حديث الجيش الخامس ببعيد ... فلم يبق إلا أن نسوق صوراً لا يراها إلا القريب المشاهد ، وعبراً لا ينتبه لها إلا الرقيب المفكر ، وأن ننذر قومنا يوماً أشد ، وخطباً أعم ، إذا لم يقطعوا أسبابه ، ولم يغلقوا بابه ...

وإن أول ما ينبغى أن نخرج به من هذا الذى كان أن نعلم

إن الله عادل لا يصيب قوماً إذا بما قدمت أيديهم ، وإن من بديع صنعه لهذه الأمة أن يبعث لها هذه الشدائد تنبهها من غفلتها كلما غفلت ، وتوقظها إذا نامت ، وإن من أسرار هذه العربية أن الابتلاء هو الامتحان ، وأن الله يمتحننا ليرى أنفوز في الامتحان أم نكون من الخاسرين ... فتعالوا يا إخواننا نحاسب أنفسنا وننظر من أين أُتينا ؟

أما أنا فلقد فكرت فرأيت أن الذنب ذنبنا ما هو بذنب الفرنسيين ، وأنك إن عانقت الحية فلدغتك فما تلام الحية بل تكون أنت الملوم ، إن الفرنسيين قد جروا على سنتهم ، واستجابوا لطبيعتهم ، ففاض إناؤهم بالذي فيه ، وما فيه إلا الطيش والحرق والغرور والتبجح وعشر أخر من هذه الصفات ، ولقد بلوناهم ربع قرن فما رأينا من حضارتهم إلا البارود والنار وآلات القتل والدمار ، ولا أبصرنا من فنهم إلا الفسوق والعري والاستهانة بالعرض وإضاعة الذمار ، ولا شاهدنا من قوتهم إلا العدوان على الأطفال والنساء والعجائز الكبار ، ولقد طالما تبدلت علينا الوجوه ، ولكن السنّة السنّة ، والطبع الطبع ، كل فى الحماقة سواء .

ولكنا مع ذلك والينا هم وقد نهانا الله عن موالاتهم ، وقلدناهم وقد منعنا ديننا من تقليدهم ، وتركنا بياننا لرطانتهم وفضائلنا لأزيائهم ، وشريعتنا لقوانينهم ، ومساجدنا لملاهيهم ، والقادسية لأوسترلتز ، وعمر لنابليون ، ومكة لباريس ؟

نحن أعطيناهم هذا السلاح الذي قاتلونا به : جاؤونا بالخمور تهري أمعاءنا ، وتمزق أكبادنا ، فشربناها ودفعنا الثمن . وجاؤوا بالكتالوجات فيها الأزياء العارية التي تذهب فضيلتنا ، وتفسد شبابنا وبناتنا ، فعملنا بها وتركنا لها قرآننا ودفعنا الثمن . وجاؤونا بالأرتستات يخربن بيوتنا ، ويمرضن جسومنا ، ويسممن أرواحنا ، فهبطنا على أقدامهن ودفعنا الثمن ، وجاؤونا بكل بلية فيها الأذى وفيها الهلاك ، فدفعنا الثمن ، فأخذوه فجعلوا منه دبابات وطيارات ثم أتوا فقالوا هذا لجيشكم السوري . أليس جيشكم قلنا : بلى ، وهل في ذلك شك . قالوا : هاتوا ثمنه فدفعناه مرة ثانية ، فقاتلونا بسلاح شريناه نحن ودفعنا ثمنه مرتين !

نحن أعطيناهم الجنود الذين حاربونا بهم : أبناؤنا ، قلنا لهم خذوهم وخذوا بناتنا فعلموهم في مدارسكم ، ونشئوهم على مبادئكم ، واستعمروا عقولهم كيف شئتم ، فجعلوا من أبنائنا عدواً لنا ، يا أيها القراء ، في مشارق الأرض ومغاربها اعلموا أن الذي ضرب الشام بالمدافع (بإذن أوليفا روجه وأمره) إنما هو رجل شامي ومسلم وابن شيخ واسمه (علاء الدين الإمام) !

* * *

فهل استيقظنا ؟ إذا لم توقظنا هذه المدافع المدوية ، إن لم ينبهنا لذع النار . فما والله يوقظنا شيء ؟

هل علمتن يا آنساتي ويا سيداتي الآن . أن هذا (الكتالوج) إنما هو (ديناميت) إن لحتفظتن به في دوركن دمر الدور وأهلها ؟ وإنكن حين تكشفن عن شيء من مواطن الفتنة في أجسامكن إنما تكشفن للعدو قلعة من قلاع الوطن . لأن كشفها يفسد أخلاق الشباب فتذهب رجولتهم ويفقدهم روح الكفاح ، ويشغلهم عن الحرب بالحب ؟ وأن هذا الأحمر على خدودكن وشفاهكن إنما هو دم الشهداء ، لولاه ولولا أشباهه ما تمكن العدو منا ، وما كان ليغلبنا لولا أن أضاع علينا أخلاق صحرائنا ، وشغلنا عنها بكن ، وشغلكن بهذا الأحمر عن كل واجب عليكن ؟

هل علمتم أيها الآباء أن من يضع ابنه في مدرسة عدوه ، إنما يخون وطنه ودينه وربه ؟

وهل سمعتم أيها القراء اللعنة التي أطلقها في الشام ، خطباء على المنابر ، وأئمة في المحاريب ، فتجاوبت بصداها الأودية والشعاب : ملعون كل من ينسى ما صنع بنا الفرنسيون ، ملعون كل من يحب فرنسياً أو يتزوج بعد اليوم فرنسية ، أو يشتري بضاعة فرنسية ، ملعون من يدخل ابنه أو بنته مدرسة فرنسية ، ملعون كل شركسي أكل خبزنا وحاربنا ، ملعون كل سوري أعان على بلده عدواً ، ملعون علاء الدين الإمام ، لعنة مجلجلة صارخة مستمرة متجددة ، متنقلة في البطون ، ماشية في الذراري ، لعنة الأم التي فجعها الفرنسيون بوحيدها ، واليتيم الذي أفقدوه أباه ، والزوجة التي أيموها بعد زوجها ، والأسرة التي قتلوا ربها وخربوا دارها ، والتاجر الذي أحرقوا دكانه وسرقوا متاعه ، لعنة مغموسة بالدم ، مغسولة بالنار ...

(دمشق) **علي الطنطاوي**

المنطق الوجدانى والعقيدة

للأستاذ سيد قطب

— ٢ —

آ لبداهة والبصيرة طريق الإيمان ، والمنطق الوجدانى أداته فى القرآن ، كما أقول أنا ؟ أم الذهن المجرد طريقه ، والمنطق الذهنى أداته ، كما يقول الأستاذ عبد المنعم خلاف ؟

أحب قبل أن أمضى فى البحث أن أقرر : أنه لا يجوز أن يجرفنا الجدل إلى تقسيمات جدلية حاسمة لطرق الإيمان وأدواته فى النفس البشرية ؛ فإننا لن نجد حالة نفسية واحدة تتم بهذه السذاجة فى التقسيم . وأبسط الحالات النفسية الساذجة معقد كل التعقيد ، ولا بد فيه من شتى الاحتمالات

وليست المسألة بينى وبين الأستاذ عبد المنعم قضية جدلية على طريقة المناظرات ؛ إنما هى حقيقة نود تجليتها . وإنه ليسرنى من غير شك أن ألتقى بالصديق فى الطريق

لذلك أحب — قبل كل تعليق — أن أستعرض ما قلته أنا فى كتابى « التصوير الفنى فى القرآن » عن المنطق الوجدانى ؛ وما قاله الأستاذ عبد المنعم فى مقاله الأخير عن « المنطق الذهنى » ، فمن يدرى ، فلعلنا متفقان فى جوهر الموضوع ولبه ، وإن اختلفنا فى التعليل وتقرير المصطلحات ، وإن يكن يبدو لى أن الخلاف فى أساسه خلاف طبيعتين وطريقتين فى الإحساس !

* * *

استغرق فصل « المنطق الوجدانى » من كتابى عشر صفحات ، ووردت فيه هذه الفقرات فى مواضع متفرقة :

١ — « لقد جاء القرآن لينشئ عقيدة ضخمة — عقيدة التوحيد — بين قوم يشركون بالله آلهة أخرى ، ويكون من العجب العاجب عندهم أن يقول لهم قائل : إن الله واحد : « أجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ إن هذا لشئ عجاب ! وانطلق الملأ منهم : أن امشوا واصبروا على آلهتكم ، إن هذا لشئ يراد ، ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة ، إن هذا إلا اختلاق ! »

٢ — « كانت وظيفة القرآن إذن أن ينشئ هذه العقيدة الخالصة المجردة . وموطن العقيدة الخالد هو الضمير والوجدان — موطن كل عقيدة لا العقيدة الدينية وحدها — وأقرب الطرق إلى الضمير هو البداهة ، وأقرب الطرق إلى الوجدان هو الحس . وما الذهن فى هذا المجال إلا منفذ واحد من منافذ كثيرة ؛ وليس هو على أية حال أوسع المنافذ ولا أصدقها ولا أقربها طريقاً .

« وبعض الناس يكبرون من قيمة هذا الذهن فى هذه الأيام ، بعدما فتن الناس بآثار الذهن فى المخترعات والمصنوعات والكشوف ، وبعض البسطاء من أهل الدين تبهره هذه الفتنة فيؤمن بها ، ويحاول أن يدعم الدين بتطبيق نظرياته على قواعد المنطق الذهنى ، أو التجريب العلمى !

« إن هؤلاء — فى اعتقادى — يرفعون الذهن إلى آفاق غير آفاقه . فالذهن الإنسانى خليق بأن يدع للمجهول حصته ، وأن يحسب له حسابه . لا يدعو إلى هذا مجرد القداسة الدينية . ولكن يدعو إليه اتساع الآفاق النفسية ، وتفتح منافذ المعرفة . « فالمعقول » فى عالم الذهن ، أو « المحسوس » فى تجارب العلم ، ليس هو كل « المعروف » فى عالم النفس . وما الفكر الإنسانى — لا الذهن وحده — إلا كوة واحدة من كوى النفس الكثيرة ؛ ولن يغلق إنسان على نفسه هذه النافذ ، إلا وفى نفسه ضيق ، وفى قواه انحسار ، لا يصلح بهما للحكم فى هذه الشؤون الكبار .

« فلندع الذهن يدبر أمر الحياة اليومية الواقعة ، أو يتناول من المسائل ما هو بسبب من هذه الحياة . فأما العقيدة ، فهى فى برجها العالى هناك ، لا يرقى إليه إلا من يسلك سبيل البداهة ، ويهتدى بهدى البصيرة ، ويفتح حسه وقلبه لتلقى الأصداء والأضواء .

« ولقد آمن بالبداهة والبصيرة — وما زال يؤمن — العدد الأكبر من المؤمنين بكل دين وعقيدة فى الوجود ؛ ولقد ظل علماء الكلام فى الإسلام قروناً كثيرة ، يبدئون ويعيدون فى الجدل الذهنى حول مباحث التوحيد ، فلم يبلغوا بذلك شيئاً مما بلغه المنطق القرآنى فى بضع سنين » ...

٣ — « لقد عمد القرآن دائماً إلى لمس البداهة ، وإيقاظ

الإحساس ، لينفذ منهما مباشرة إلى البصيرة ، ويتخطاها إلى الوجدان . وكانت مادته هى المشاهد المحسوســة ، والحوادث المنظورة ؛ أو المشاهد المشخَّصة والمصائر المصوَّرة . كما كانت مادته هى الحقائق البديهية الخـالدة ، التى تتفتح لها البصيرة المستنيرة ، وتدركها الفطرة المستقيمة »

٤ — « كانت المشكلة الأولى التى واجهها الإسلام — كما قلنا — هى مشكلة التوحيد مع جماعة تنكر هذا التوحيد أشد الإنكار ، وتعده إحدى الأعاجيب الكبار . فلننظر كيف حاجّهم فى هذه القضية المعقدة :

« لقد تناولها ببساطة ويسر ، وخاطب البداهة والبصيرة ، بلا تعقيد كلامى ولا جدل ذهنى : (أم اتخذوا آلهة من الأرض هم يُنشِرون ؛ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا . فسبحان الله رب العرش عما يصِفُون ؛ لا يُسأل عما يفعل وهم يُسـألون . أم اتخذوا من دونه آلهة ؟ قل : هاتوا برهانكم هذا ذكر من معى وذكر من قبلى . بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون) أو : (ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه إلـه . إذن لذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض)

« هكذا فى بساطة البداهة التى لا ترى فى السموات والأرض فسادا ، إنما ترى نظاماً محكما ، لا يكون إلا حين يكون المدبر واحداً قادراً عالماً حكيما .

« وهذه الصورة التى يخيلهـا — لو كان هناك آلهة — « إذن لذهب كل إلـه بما خلق » وإنها لصورة مضحكة : أن ينحاز كل فريق من المخلوقات إلى إلـه ، وأن يأخـذ كل إلـه مخلوقاته ويذهب . إلى أين ؟ لا ندرى ! ولـكننا نتخيل هذه الصورة فنضحك من فكرة تعدد الآلهة إذا كانت نتيجتها هى هذه النتيجة ! »

وهكذا وهكـذا إلى آخر ما ضربت من الأمثلة ، على سائر ما واجه الإسلام من مشاكل العقيدة ، وطريقته فى مواجهتها ...

***

أما الأستاذ عبد المنعم فيناقش المسألة على النحو التالى ، الذى تثبته فقرات من مقاله ننقلها هنا :

١ — « كل ما فى القرآن من « منطق ، الوجدان فى إثبات عقيدة التوحيد أنه ساق القضايا العقلية بتعبير جميل أخاذ حرك به الوجدان والمشاعر مع تحريك الذهن والحكم لصلب كل قضية ، ولم يسقها بأسلوب جاف كأسلوب المناطقة الرياضيين الذى تتزاحم فيه المعانى فى ألفاظ ضيقة . وأى كلام اعتمد على « الحقائق البديهية الخالدة » وعلى مقدمات ونتائج صحيحة ، سواء أكانت محسوسة ومنظورة أم غير محسوسة ومنظورة ، فهو منطق ذهنى . فإذا جمع إلى صحة المقدمات والنتائج جمال التعبير وروعة الأسلوب وإشراق الطلعة فهو منطق « وجدانى » كذلك . منطق الوجدان — وإطلاق « المنطق » هنا تجوز فى التعبير — هو الذى يتأثر بالخطابيات والشعر والموسيقى وغير أولئك من ألوان الفن التى لا تعتمد على الحقائق الثابتة ، « ونقط الارتكاز الواضحة فى عالم البداهة و « الحكم العقلى » . والتأثر بهـذا المنطق تأثر وقتى لا يترك رواسب فى الذهن ، ومقاييس تملأ اليد ، يستطيع الفكر أن يتحاكم إليها ، ولأنها ألوان وظلال ونغمات وأعراض غير مـلازمة تنفعل لها النفس انفعال الانقباض أو الانبساط وقتا ، ثم يزول تسلطها عليها .

« وليست هـذه الأعراض هى طريق إقرار « العقائد » ودعائم الفكر والحياة عند الراصدين المتيقظين الواعين . وخصوصاً الدعامة الأولى ، والقضية الـكبرى ، قضية « التوحيد » التى هى قضية الـكون كله وأعظم شئونه ! إن الوجدانيات من الخطابيات والشعر والموسيقى وسائل إقناع وقتى للبسطاء ، وليست وسائل يقين ثابت للذين يبحثون لعقولهم عن عواصم تستند إليها من طوفان الأهواء والنوازع والوجدانات المتقلبة ... وما كان للقرآن وهو يتصدى لإثبات القضية الـكبرى أن يعتمد على « المنطق » الوجدانى . وإنى أرى الذهن فى إثبات العقائد وخصوصاً « التوحيد ، هو أوسع المنافذ وأصدقها وأدقها »

٢ — « قلنا إن مسألة المسائل التى دار عليها أكثر جدل القرآن هى عقيدة التوحـيد . وأنسب الآيات التى تناولت هذا الموضوع هى آيات سورة الأنبياء ، وقد ساقها المؤلف كدليل على ما ذهب إليه ، فلنقرأها معاً (وذكر نص الآيات المذكورة هنا فى هذا المقال) ثم قال :

« فهل ترى هذه الآيات تركت حجة « ذهنية » يمكن إيرادها لنكر على مزاعم القوم ثم لم تفعل ؟ « أم اتخذوا آلهة

من الأرض هم ينشرون » فالإله هو وحده الذى يخلق ويحيي وينشر الخلائق من الأرض ، فهذا مقطع من مقاطع الاستدلال بكلمة واحدة يدور بها الذهن فى استعراض سريع للأرض وكائناتها للبحث عن حى مخلوق واحد لغيرالله فلايجد . وإنه للدليل الاستقرائى بعينه ! ذلك الذى بنى عليه (بيكون) الفلسفة الاستقرائية الحديثة . وإنه للدليل المفضل عند المربين وعلماء النفس»

« لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » ، وهذا مقطع آخر من مقاطع الاستدلال فى كلمة واحدة أيضاً... وإنه للدليل التطبيق بعينه ! أحد ضروب الأدلة الكبرى ، يطبق فيه العقل فى ظروفه المتسعة ، ما يدركه من لوازم تعدد الرياسات وفساد الأمور إذا تولتها أيد متعددة سيكون بينها بالطبع ما يكون بين المتعددين ، ولايمنع خلافهم وتحاسدهم أنهم آلهة فى طباع مختلفة عن الآدميين . فإن التصور البشرى لايستطيع أن يجرد الآلهة من صفات الناس لأنه لا يملك غير منطقه فهو معذور ! »

« فسبحان الله رب العرش عما يصفون » ! ذلك موقف وجدانى فيه انفعال وتقزز من تلك الدعوى ، وتنزيه لله عما وراءها من أزمات ومحرجات . وهو موقف معترض للاسراع بالتنزيه تعود الآيات بعده إلى الاستدلال : « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » وهذا مقطع آخرفيه ضرب عظيم من ضروب الاستدلال هو الدليل العملى الواقعى ، وهو كذلك أحد ضروب الأدلة الكبرى ، وله فى الفلسفة العصرية المقام الأول ، إذ به تسير الحياة العملية ، وهو محور الاجتماع ...

« فما دام الواقع أن جميع الآلهة المزعومة مَلَكَ الناسُ أن يواجهوها بالمسئولية والمحاكمة ، فلا يصح أن تكون آلهة مادامت تقع عليها الدينونة ... ولكن الذى خلق السموات والأرض ، لا يملك عابد له أن يرفع عينه إليه بمسئولية ، بل ليس له إلا التسليم والإذعان ما دام عاجزاً عن الهرب من أقطار السموات والأرض »

« أم اتخذوا من دونه آلهة ... قل هاتوا برهانكم ! » ...

« هذا ذكر من معى وذكر من قبلى » وهذا مقطع عظيم أيضاً من مقاطع الاستدلال هو ما يسمونه « الدليل التاريخى » إذ أن التاريخ لم يثبت حياة رسول جاء قومه بغير الوحدانية ... إذا فقد سد القرآن مجالات القول والاستدلال أمام المشركين حتى أثبت أنهم لا يستندون فى دعواهم إلى أى حق ، وإنما إلى التكبر والجهل والإعراض . وكان هذا الختام « بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون » نتيجة منطقية ذهنية واضحة لمقدمات واضحة أخذت بضروب الأدلة جميعاً ولم تترك مفراً لجدل مجادل »

* * *

١ — وبعد : فلا بد أن يكون القارئ قد لاحظ اختلافاً فى تعريف « المنطق الوجدانى » حسبما بسطته وعنيته ، والتعريف الذى يضعه له الأستاذ عبد المنعم ليبنى عليه اعتراضاته . ولا شك أننى غير ملزم بتعريف الأستاذ ، فأنا لم أترك الاصطلاح الذى وضعته بلا شرح معيّن ، وعلى هذا الأساس يجب أن تدور المناقشة .

فهو يعرفه بأنه « الذى يتأثر بالخطابيات والشعر والموسيقى وغير أولئك من ألوان الفن التى لا تعتمد على الحقائق الثابتة ونقط الارتكاز الواضحة فى عالم البداهة والحكم العقلى » .

بينما أنا قد أسلفت أنه يعتمد — فيما يعتمد عليه — على الحقائق البديهية الخالدة ، التى تتفتح لها البصيرة المستنيرة وتدركها الفطرة المستقيمة . كما كررت أنه يلمس البداهة ويوقظ الحس ، ليتصل منهما بالضمير وبالوجدان .

فالأستاذ عبد المنعم يرتب مثالبه كلها للمنطق الوجدانى على أساس صورة خاصة فى تعريفه لهذا المنطق غير التى عنيتها بوضوح . ولست أنا المسئول طبعاً عن ترتيب الأمور على هذا النحو الذى يبدو واضحاً عند الموازنة بين ما قلت هنا وما قال !

على أننى أحب أن أقول له هنا : إن الشعر والموسيقى والفنون ليست خواء كلها من الحقائق الخالدة — كما يصورها — ولوخلت من هذه الحقائق ما عاشت وما حسبت فناً صادقاً ، فنحن فى حاجة إلى أن نوسع آفاقنا عند النظر للفن الصادق ، فنجده يلتقى فى النفس بينابيع العقيدة على نحو من الأنحاء ، وإلا كان فناً مزيفاً لا يعيش ، وزخرفاً ظاهراً تزيفه الحياة

٢ — وأما الاستدلال المنطقى كما أورده فى الآيات ، فأحب أن أقول عنه : إن القرآن كان أعرف بالنفس البشرية من الأستاذ عبد المنعم ، فلم يسق الأدلة كما ساقها هو ، وإلا لكانت متهافتة من وجهة المنطق الذهنى نفسه . فهى فى سياق القرآن شيء يتصل

بالفطرة على استقامتها ، فترفض الأوجه المنطقية الزائفة ، وتؤمن بالوجه الواحد الصحيح منها إيمان اقتناع وتسليم ، وهى فى سياق الأستاذ عبد المنعم محاولات ذهنية لا تستقيم على الجدل كما يأتى :

(ا) يقول الأستاذ عن مقطع الآية الأول : « فالإله الواحد هو وحده الذى يخلق ويحيى وينشر الخلائق من الأرض . الخ » أفلا يعلم أن قضية البعث كانت من القضايا الكبرى التى تولى القرآن إثباتها لهؤلاء القوم . فكيف يجعل منها دليلا على وحدانية الله هنا — ولو كان منطق الذهن الجدلى هو المحكَّم — بينما هى نفسها موضع جدل طويل، وليست لإحداهما سابقة على الأخرى بل هما مظهران لقضية واحدة تثبت بطرفيها ، أوتتهافت بطرفيها.

(ب) ويقول عن فساد الأرض لو تعدد الآلهة : « فإن التصور البشرى لا يستطيع أن يجرد الآلهة من صفات الناس لأنه لا يملك غير منطقه هو فهو معذور » ... أفلا يعلم أن القرآن ذاته قد كلف التصور البشرى أن يؤمن بأن الله « ليس كمثله شىء » ! فكيف كان يكلفه هذا لو لم يكن فى طاقة الإنسان أن يتصوره بوسيلة من الوسائل ، وإنه ليؤمن بهذا لا عن طريق المنطق الذهنى ، ولكن بالبداهة ، وبالصلة الخفية بين الإنسان المحدود والإله غير المحدود . تلك الصلة التى يعتمد القرآن على إيقاظها فى الحس كالومض السريع فيؤمن المؤمن ويستريح ! ولو عهد بها إلى الذهن لما استطاع تصورها كما يعترف الأستاذ عبد المنعم .

(ح) وعن مسئولية الآلهة . أفلا يرى الأستاذ أن كلامه لا يثبت شيئاً ولا ينفيه ، فمسئولية الآلهة أمام عبادها هى مسئولية نظرية من جانب واحد ، لا تحفل بها الآلهة ولا تجيب سائليها . وكثير من الناس يحاكم الله مثلها — والله تعالى عنها — ولم يذكرها القرآن للجدل هنا . ولكن ذكرها للتقرير والتأثير الوجدانى بهذا التقرير .

(د) ثم الدليل التاريخى كما يراه فى « هذا ذكر من معى وذكر من قبلى » فلو سرنا فى الاستدلال على طريقة الأستاذ عبد المنعم لقلنا : إن هؤلاء القوم لم يؤمنوا إلا بهذا الذكر ولا بذكر من قبله . فكيف يحاسبون بما لم يؤمنوا به ، وهو نفسه موضع الجدل ؟

إن القرآن ياسيدى لم يرد الأمر على النحو الذى تريد ... وإنه لأفطن للنفس البشرية وأعرف بدروبها ومسالكها ، وإنه ليأتى هذه النفس من منافذها الواسعة جميعاً ، لا من كوة الذهن المحدود وحدها عمدا ، الذهنِ الذى يعجز عن تصور صفات الإله لو عهد بها إليه ! وإن فى كل نفس بشرية — ما لم تفسد فطرتها — لمنافذ ومسارب تصلها بالحقيقة الأزلية الكبرى ، والأديان وحدها هى التى تلتفت لهذه المنافذ والمسارب جميعاً ، فتصل الناس بالخالق فى يسر جميل ، معتمدة على البداهة والبصيرة والحس والوجدان وسائر القوى الإنسانية ومن بينها الذهن الذى هو إحدى هذه القوى وبعدها جميعا فلا نكبر من قيمة هذا الذهن المحدود ، ولا نتجاوز به الحدود ... والسلام :

سيد قطب

***

الأذان في الاســـلام

للدكتور جواد على

تتطلب بعض الأديان من المرء الحضور إلى المعبد لتأدية فريضة الصلاة مع إخوانه المؤمنين؛ والصلاة فى هذه الحالة « صلاة جماعة ». وإلا لن تتقبل له صلاة . ولم تشترط الديانة اليهودية هذا الشرط فى أداء صلاة « التفيلة » . واليهودى مخيّر بين أداء هذه الصلاة فى بيته أو فى حديقته أوفى العراء أوفى أى مكان آخر، وبين أدائها جماعة فى « الـكنيس »[١] مع إخوانه وأبناء دينه[٢] . على أن من المستحب فى الديانة اليهودية حضور المؤمن صلاة الجماعة لما فى ذلك من ثواب عظيم وأجر عند الله كبير[٣] .

وقد حثت البركه الثامنة من البركات الثمانى عشرة[٤] المؤمنين من الإسرائيليين على حضور صلاة الجماعة فى الـكنيس « توراة » « Thora » جاء « من قرأ التوراة وقام بالأعمال الحسنة المحبوبة ، ومن أدى الصلاة جماعة اعتبره الله فى جملة عبيده وخدمه وفى جملة أولئك الذين يساعدون أبناءه فى الخلاص من أيدى أبناء الشعوب الأخرى »[٥] وجاء فى الحديث المأثور « من أحجم عن زيارة كنيس مدينته عدّ جار سوء لهذا الـكنيس »[٦] .

أما فى الإسلام فالمسلم مخير بين أداء صلاته جماعة وبين أدائها منفرداً فى أى مكان شاء . وقد راعت من هذه الناحية الحـكمة العملية التى تتطلب التساهل فى هذا الباب . ولـكنها حثت من جهة أخرى على صلاة الجماعة ورغبت المسلمين فى ثوابها وفى التسابق إليها[٧]

(١) الـكنيس ومعناها المجمع أو المجلس وهو المحل الذى كان يجتمع فيه اليهود لدراسة الـكتاب المقدس والقيام بواجب العبادة بعد خراب المعبد على يد الامبراطور الرومانى « تيتوس » فصار اليهود يجتمعون فى محل واحد فى المدن الـكبرى . « مدراش » .

(٢) راجع mittwoch. P, 21 . راجع دائرة المعارف اليهودية فى مادة « Prayer » .

(٣) mittwoch P, 21 .

(٤) بركوت شموتة عشرة : mixhnà Beràkhòth .

(٥) Beràkhàth. 8 a mittwoch. P, 21 .

(٦) راجع wittwoch. P , 21 Beràkhoth. 8 a .

(٧) راجع كنز العمال جـ ٤ صـ ١١٨ نمرة ٣ ٤ ٠ ٢ ١ ٢ mittwoch .2P,2

واعتبرها الفقهاء « فرض كفاية »[١] و « فرض الـكفاية » غير « فرض الوجوب أو العين » طبعاً

ولا تقام صلاة الجماعة عنـد اليهود إلا بشروط ، ومن جملة هذه الشروط هو « العدد القانونى » أو « نصاب الجماعة » ، ولا يتم « نصاب صلاة الجماعة » إلا بحضور عشرة رجال بالغين ، وهذا هو الحد الأدنى ، ومتى كمل هذا العدد جاز أداء الصلاة جماعة[٢] . ولم يشترط المسلمون فى صلاة الجماعة أى شرط من هذا القبيل فما زاد على الواحد عدّ جماعة وجازت لذلك صلاة الجماعة إلا فى صلاة الجمعة إذ جعل العدد أربعين فما فوق وهى صلاة جماعة طبعاً[٣] .

ويحتاج المصلون فى صلاة الجمـاعة إلى إمام يؤم المؤمنين فى الصلاة . ويطلق المسلمون عليه كلمة « إمام » أو « إمام الجماعة » ويطلق اليهود عليه لفظة « شليح صبور » أو « حزان » ومعنى الـكلمتين « المندوب عن الجماعة »[٤] . وليست الإمامة فى الصـلاة عند اليهود وظيفة دينية رسمية فى الأصل ؛ إذ يستطيع أى مصل من المصلين إمامة إخوانه فى الصلاة إذا كانت له المؤهلات الـكافية والصفات التى يجب أن تتوفر فى الزهاد والمؤمنين[٥] . ثم خصصت الإمامة « شليح صبور » (حزان) فى أشخاص معينين يمارسون هذه المهمة ويقومون بتنفيذ طقوس الصلاة . وهـذا التخصيص هو من قبيل العرف والعادة فقط إذ لا يتيسر فى الغالب لجميع المؤمنين معرفة قواعد الديانة ولاسيما بعد القضاء على المملكة اليهودية وبعد تشتت شمل اليهود وتكلمهم بلغات جديدة هى لغات البلاد التى رحلوا إليها وإغفالهم أمر اللغة العبرية حتى غدت لغة غريبة بالنسبة لأكثر العبرانيين الذين ارتحلوا إلى البلاد الأجنبية فاحتاج اليهود بحكم الضرورة لا بحكم الدين إلى « إمام » يحسن اللغـة العبرية القومية ويحفظ القطع المقدسة التى تتلى فى الصلاة وأصبح هؤلاء الذين لم ينسوا لغتهم وأمور دينهم بمرور الزمن أئمة ورجال دين .

(١) راجع الـكتب الفقهية . أيضا Juynboll. P 81 mittwoch. P, 21

(٢) mittwoch. P, 21 . راجع تاريخ اليهود فى فصل School and Synagogue. Vol. 2 P. 44 .

(٣) راجع الـكتب الفقهية فى بحث الصلاة . أيضا mittwoch. P, 21

(٤) راجع mittwoch. P. 22 أيضا كرائتس: تاريخ اليهود فى فصل School and Synagogue. Vol P, 44 وفى The Priesthood P, 3, 7

(٥) mittwoch. P, 22

وهذا هو عين ما حدث فى الإسلام . فالديانة الإسلامية لم تعين مبدئياً طبقة خاصة لتقوم بواجب « الإمامة » فى الصلاة . ولم تعترف بطبقة « كهنوتية » تحتكر لنفسها تعليم الدين وإقامة شعائره من دون سائر الناس . ولا إمامة الناس فى الصلاة دون سائر المؤمنين المصلين . وقد كان النبى (ص) نفسه يأتم بغيره كما كان الصحابة يأتم بعضهم ببعض . نعم قد كان الرسول ينص على صحابى معين بإمامة الناس فى الصلاة ؛ ولكن ذلك لا يعنى حصر الإمامة فيه ما دام حيًّا بل كان ذلك فى ظروف خاصة وأحوال معينة . جاء عن مالك بن الحويرث أنه قال : « أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فى نفر من قومى فأقمنا عنده عشرين ليلة ، وكان رحيما رفيقاً ؛ فلما رأى شوقنا إلى أهالينا قال ارجعوا فكونوا فيهم وعلموهم وصلوا ؛ فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم »[1] .

وحدث مثل ذلك من الخلفاء الراشدين : كانوا يعينون رجلا بعينه مع الأمير أو القائد لإقامة الصلاة . أو كانوا ينصون على الأمير نصاً بإمامة الناس فى الصلاة . غير أن ذلك لا يعنى كما قلنا آنفاً أن الأمامة مرتبة من المراتب الدينية أو وظيفة معينة لا يتقلدها إلا بعض الأشخاص من ذوى الرتب والدرجات الروحية . وإذا كانت الإمامة فى المساجد اليوم تعيينا — فى بعض البلاد الإسلامية فإن ذلك لا يعنى شرعاً أن الإمامة فى المساجد لا تكون إلا لهؤلاء الأئمة فقط ، بل من الجائز لأى شخص آخر ولو كان من غير رجال الدين أن يؤم المسلمين فى نفس ذلك المسجد . وتعيين هؤلاء الأئمة ليس إلا ضماناً لإمامة المصلين فى الصلاة حين خلو المسجد ممن يحسن قواعد الصلاة وأمورها كما يجب وفق أحكام الشرع .

* * *

ولتسهيل تعيين مواقيت الصلاة ولدعوة الناس إلى عبادة ربهم فى الأوقات الخاصة اتخذت الأديان طرقا مختلفة للدعوة إلى الصلاة . من هذه دق الناقوس أو التبويق أو إشعال النار إلى آخر ما هنالك من علامات . وقد شعر المسلمون بهذه الحاجة حينما تكاثر عددهم وتزايد جمعهم حتى شمل أكثر أهل المدينة . وشعر النبى (ص) نفسه بهذه الحاجة ، وتشاور مع أصحابه فى المسألة فقيل له « انصب راية عند حضور الصلاة فإذا رآها الناس آذن . فلم يعجبه ذلك ؛ فذكر له بوق اليهود ويقال له الشبور أو القبع وهو القرن الذى يدعون به

(١) راجع التجريد الصحيح لأحاديث الجامع الصحيح . ج ١ ص ٥٥ .

لصلاتهم ؛ فقال هو من أمر اليهود . فذكر له الناقوس الذى يدعو به النصارى لصلاتهم فقال هو من أمر النصارى . فقالوا لو رفعنا ناراً فإذا رآها الناس أقبلوا إلى الصلاة ، فقال ذلك للمجوس »[1] .

وجاء فى الأخبار أيضا أن الرسول (ص) قال : « أولا تبعثون رجلا ينادى بالصلاة ؛ ففعلوا ذلك »[2] وكان اللفظ الذى ينادى به بلال قبل رؤيا عبد الله : « الصلاة جامعة »[3] وجاء أيضاً : « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناقوس فنحت ليضرب به للمسلمين للصلاة . فبينما هم على ذلك إذ رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه أخو بلحرث بن الخزرج النداء ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا رسول الله إنه طاف بى هذه الليلة طائف : مر بى رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوساً فى يده ؛ فقلت له يا عبد الله أتبيع هذا الناقوس ؟ قال وما تصنع به ؟ قلت ندعو به إلى الصلاة . قال أفلا أدلك على خير من ذلك ؟ قلت وما هو ؟ قال تقول : الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله . حىّ على الصلاة ، حىّ على الصلاة ، حىّ على الفلاح ، حىّ على الفلاح ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله . فلما أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنها لرؤيا حق إن شاء الله . فقم مع بلال فألقها عليه فليؤذن بها فإنه أندى صوتا منك . فلما أذن بها بلال سمعها عمر بن الخطاب وهو فى بيته ، فخرج إلى رسول الله وهو يجر رداءه وهو يقول : يا نبى الله ! والذى بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذى رأى . فقال رسول الله فلله الحمد على ذلك »[4] .

تلك هى قصة الأذان فى الإسلام . وهى قصة تناقض رأى من قال من المستشرقين بأن الأذان فى الإسلام إنما هو ترديد لأذان اليهود أو لأذان النصارى وهو دق الناقوس[5] .

أما فى مكة وقبل الهجرة فلم تكن هنالك ضرورة للأذان ، لأن الحكم كان للوثنية ، ولأن الجماعة الإسلامية لم تكن سوى أقلية لا قبل لها بالتظاهر أمام الوثنيين . فلما استقر النبى (ص) فى المدينة وتكاثر عدد المسلمين أصبح الأذان ضرورة لا بد منها ، ولم تعد

(١) السيرة الحلبية ج ١ ص ٤٨٢ .
(٢) التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح . للحسين بن المبارك الزبيدى ج ١ ص ٥٤ .
(٣) السيرة الحلبية ج ١ ص ٤٧٢ .
(٤) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٠٦ فى باب خبر الأذان — السيرة الحلبية ج ١ ص ٤٨٠ . الطبقات ج ١ ص ١٦٠ .
(٥) mittwoch. P, 22

كلمة « الصلاة جامعة » تكفى لأداء وظيفة إسماع الناس فى أقاصى المدينة وكل المسلمين شوق لأداء الفرائض مع النبى (ص) فصار بلال يدعو إخوانه من عل إلى الصلاة بالشكل المعروف . واقتصرت كلمة « الصلاة جامعة » على صلاة العيدين حتى ينادى بها إلى اليوم [١]

وكانت هنالك كلمة أخرى بسيطة يرددها المسلمون قبل معرفتهم الأذان ؛ والظاهر أنها كانت أبسط شكل من أشكال الأذان هى « الصلاة . الصلاة » [٢] ولعلها أقدم عهداً من كلمة « الصلاة جامعة » وهذا الشكل البسيط من الدعوة إلى الصلاة كان يردده الخلفاء أنفسهم حين مجيئهم إلى المسجد صباحا على الأخص لتنبيه النائمين . وطالما قرأنا فى كتب التاريخ كلمة « الصلاة . الصلاة يرحمكم الله » لتنبيه الغافلين إلى الصلاة ولا زالت مستعملة إلى الآن فى صلاة الصبح جماعة على الأخص .

ويتألف الأذان الذى أقره الرسول (ص) من سبع فقرات، السادسة منها تكرار للأولى . وتردد العبارة الأولى أربع مرات متتاليات ، والمالكية ترددها مرتين ، كما تردد كل عبادة من العبادات الأخرى مرتين ما عدا العبادات الأخيرة فينادى بها مرة واحدة فقط . وبعد أن يؤذن بالعبارتين الثانية والثالثة مرتين يرفع الصوت بها عند المرة الثالثة. وقد أوصى بهذا الترجيع الشرع . أما الحنفية فترفضه . ويضاف إلى أذان الصبح عبارة « الصلاة خير من النوم » عند أهل السنة ، وتردد مرتين « تثويب » بين العبارة الخامسة والسادسة [٣] .

ويتفق المسلمون جميعاً على صيغة الأذان ؛ وهذا يدل على أنه كان على هذه الصورة منذ عهد الرسول . غير أن هنالك خلافاً بسيطاً بين أهل السنة وبين الشيعة فى عبارة « أشهد أن علياً ولى الله » [٤] التى تردد مرتين بين الفقرتين الثالثة والرابعة ؛ وفى عبارة « حىّ على خير العمل » التى تردد مرتين بين الفقرتين الخامسة والسادسة [٥] .

(١) mittwoch. P, 26 الام . ص ٢٠٨ ويرد أيضاً إلى الصلاة . أو هلم للصلاة .

(٢) كنز العمال ج ٤ ص ٢٦٥ (نمرة ٥٤٦٩) . mittwoch. P, 25

(٣) راجع دائرة المعارف الاسلامية . الترجمة العربية ج ١ ص ٦١ فى مادة الأذان .

(٤) راجع الكتب الفقهية الشيعية مثل شرح اللمعة ومن لا يحضره الفقيه .

(٥) Snuk Hergronie mekka. Vol. 1 P, 63 De Sacy Grest Arab Vol 1 P. 160 — 169 .

ويعاد الأذان فى داخل المسجد بصورة مختصرة إذ تذكر عبارات الأذان مرة واحدة قبل المباشرة بالصلاة ، ويطلق على هذا الأذان كلمة « إقامة » [١] .

فالأذان كما رأيت ضرورة من الضرورات التى اقتضتها الظروف الاجتماعية والسياسية التى نشأت فى المدينة . ويقول المستشرق بيكر « Beckar » : « الأذان فى الإسلام لا يمثل فكرة الدعوة إلى الصلاة ، أو بتعبير آخر: الاذان تماماً لأن عناصر الدعوة إلى الصلاة فيه قليلة أو تكاد تكون معدومة ؛ فهى لا تتمثل فيه تمام التمثيل [٢] . وليس الأذان على رأيه إلا قطعة من القطع الكنائسية التى يرددها الكاهن والشماس حيث الترجيع الدينى بين الاثنين . يقوم الإمام فى الإسلام مقام الكاهن؛ أما المؤذن فيؤدى واجبات الشماس [٣] .

وهذه النظرية خاطئة طبعاً ؛ فالأذان وإن كان يعيده الإمام إقامة . فإن المصلين يعيدونه أيضا. ولا وجه للشبه أبداً بين الترجيع الدينى فى الكنائس وبين الأذان عند المسلمين [٤] .

وذهب المستشرق اليهودى ميتوخ إلى أن الأذان فى الإسلام مأخوذ من الأذان عند اليهود . وحجته فى ذلك هو دعوة المؤذن « اللاويين » إلى الصلاة وعادة النفخ فى الصور (البوق) . تلك العادة التى لا زال اليهود يمارسونها حتى اليوم فى طقوسهم الدينية فى نهاية السنة ، والتى كانوا يمارسونها سابقاً فى عهد الهيكل لإعلان أوقات الأضحية ، وفى أيام الجمع قبيل قدوم المساء لإعلان قدوم السبت إلى الجمهور . وفى عهد التلمود المتأخر [٥] .

أما حجته فى أن اليهود يدعون طبقة اللاويين إلى أخذ محلاتهم قبل البدء فى الصلاة وتلك الدعوة هى علامة الأذان أو الأذان بعينه ، فإن تلك الدعوة هى دعوة خاصة فى داخل « الكنيس » بينما الأذان دعوة عامة لجميع المصلين السامعين . وعبارات الأذان الإسلامى تختلف كل الاختلاف عن عبارات دعوة اللاويين . وإليك هذه الدعوة : أيها الكهنة استعدوا لأعمالكم . أيها

(١) mittwoch. P, 26

(٢) Becker Kultus. P, 387 wittwocp. P, 23

(٣) نفس المصدر .

(٤) mittwoch. P, 23 f. .

(٥) mischna Sukkà. 5, 5 m ttwocp 23.

سيباى الكافلى

آخر نائب للمملكة المصرية بالشام

للأستاذ أحمد رمزى

تتمة ما نشر فى العدد الماضي

كان سيباى من تلك الزمرة الممتازة من الرجال الذين تملأ قلوبهم الدوافع النفسية للعمل والحركة ولا ترضى بغير المعالى والقيادة والسيادة، وكان شجاعاً إلى أقصى حدود الشجاعة لا ترهبه الأخطار، وصريحاً إلى أقصى حدود الصراحة لا يبالى بما تأتى به صراحته من خير أو شر، ما دام فى ذلك إرضاء لنفسه. فكان لا يلين إذا قام عالم من الناس يحاربه أو يؤذيه أو يحط من قدره. ولا يهمه إذا وجد نفسه وحده، يدافع ويناضل عما يقول مادام الحق فى جانبه.

وبهذا وحده يمكن تفسير مواقفه مع الغورى ورسائله إليه وصراحته؛ فلولا قوة أخلاقه وجرأته لأظهر ليناً وسياسة وكياسة ولانطوى انطواء الغزالى وخير بك وغيرهما وترك العاصفة تمر وا كتفى بفتات الموائد؛ ولكنه كان قوة والقوة تنتصر ولا تلين.

ولم يكن ينقصه شىء من الذكاء والنجابة ليحل المكانة الأولى بين رجال الدولة المصرية. ولو قدر لها وعاشت لكان لبطلنا شأن فيها ولذكر اسمه فى التاريخ بين الخالدين من رجالنا.

ولم تحرمه الدنيا فى السنين التى قضاها فيها من شىء، فقد أوتى من الهيبة والقوة والنفوذ والاحترام والعلم الشىء الكثير، كما ابتلته الأيام فلم يسلم من كيد الناس ودسهم ولا من نكد الدنيا ومقارعة الزمن وكان فى كلتا الحالتين صبوراً:

وقد أجمع المؤرخون على أنه رجل يعد برجال.

* * *

أصل سيباى من رجال قايتباى وأعتقه وجعله من أمراء جند مصر، ثم أخذ يرقى إلى أن تولى وظيفة كافل الممالك الحلبية وهى بدرجة أمير ألف، وذلك فى عهد الغورى. وكان الآتابكى قيت[١] الرجبي يوم بويع الغورى بالسلطان أمير سلاح، وهو الذى تقدم ومعه الأمير مصرباى وأخذا بيد السلطان بالبيعة ونادبا باسمه وهو يمتنع، فبايعه الأمراء والقضاة وغيرهم[٢] — فحدثته نفسه بعد حين أن يتسلطن، وكتب إلى نواب مصر بالشام، وإلى سيباى بحلب. فاشتبك الأخير مع نائب القلعة وحاصره وقاتله فاحترقت بسبب الحصار المدرسة الظاهرية الشهيرة بالسلطانية وقتئذ، فنذر سيباى أن يبنى مدرسة مثلها. وقدر بوعده وبنى جامعه الذى زرناه. فى إبان هذه الفتنة تغير قلب الغورى من جهة سيباى فعزله ثم عاد فضمه إليه وأنعم عليه بأمرة السلاح بالقاهرة.

وفى شوال ٩١١ عين سيباى ثانياً بالشام، وكان الغورى فى نفسه أشياء منه؛ فهو يعلم بأنه بطل من أبطال الحروب لا يخطر الموت على باله، علاوة على أنه من أشجع فرسان مصر وأنجبهم

(١) كان قيت الرجبي فى حملة الأمير أزبك الأتابكى ضد العثمانيين سنة ٨٩١ هجرية فى عهد قايتباى وبا يزيد وهو الذى حمل أخبار انتصار الجيش المصرى وجاء بالأعلام التى أخذت ودخل بها العاصمة وسط أفراح الشعب.

(٢) إبن إياس طبعة استامبول حوادث ٩٠٦ هجرية

اللاويون قفوا فى مصاطبكم. أيها الاسرائيليون خذوا مواقعكم»[١]

وهذه الفقرات هى فقرات خاصة بطبقة كما ترى.

وأما قضية «التبويق» فقد رأيت أن النبى (ص) كرهها كما كره استعمال الناقوس. وليس هنالك بين الأذان وبين التبويق أى وجه من أوجه الشبه، اللهم إلا الفكرة والفكرة عامة فى جميع الأديان.

يقول المستشرق ميتوخ: «يظهر من عبارة وردت فى كتاب المقريزى[٢] أن الأذان إنما كان تنبيها للرسول عليه السلام وإخباره بحلول وقت صلاة الجماعة، كما كان تنبيهاً لخلفائه من بعده بحلول وقت الصلاة[٣]. وقد نبه إلى هذه الفكرة المستشرق بيكر أيضا. وأما الإقامة فأنها علامة لبدء الصلاة أو مقدمة قصيرة للصلاة[٤].

جواد على

(١) راجع التلمود (تاميد) عن هذه العادات .The Priesthood. P, 207. School and Synagogue. uol 2 P, 44 Life nnder the Law Vol 2 P, 96.

(٢) mittwoch P' 2, 1 الخطط جـ ٢ ص ٢٦٩.

(٣) mittwoch. P ,45

(٤) mittwoch. P, 25 عن الأذان فى كتب الفقه المختلفة mischcat mosabih — ul — masabip Vol 1 P, 141 دائرة المعارف.

ومن ذوى العزم الشديد[1] ولكنه كان يتخوف منه ويخشاه ولذلك رسم له أن يتوجه إلى دار الأمير أزدمير الداودار وأن يقابله هناك أمير المؤمنين الخليفة المستمسك بالله يعقوب والقضاة الأربعة وبعض الأمراء ، فإذا انعقد المجلس أخذوا عليه المواثيق والأيمان بالطاعة لسلطانه ؛ وقد تم ذلك . ثم لبس الخلعة وخرج بموكب من القاهرة وهو يحمل التقليد بنيابة دمشق .

ويرجع ذلك الشك لأمرين ماسبق من تحالف سيباى وانضمامه لحركة قيت الرجبى الطالب بالعرش ، وبما اتصل إلى علم الغورى من بعض المنجمين من أن الذى يلى الحكم بعد الغورى يبدأ اسمه بحرف السين . فأخذها السلطان على سيباى وتطير من اسمه ، وأصبح لا يأتمنه ولا يصغى لنصائحه ولا يأخذ بأقواله .

***

ولما تولى سيباى النيابة عن مصر بالشام واضطلع بالأمور حتى علم بما بين خير بك نائب مصر بحلب والسلطان سليم العثمانى من اتصالات مكتومة وبالمكاتبة ، فأبلغ الخبر فوراً إلى بلاط القاهرة ؛ ولكن الغورى لم يأخذ الأمر جدياً بل اعتمد على قوة المصريين فى الحروب وثقته بما سبق أن أبدوه من البسالة فى حروبهم أيام قايتباى وانتصاراتهم المتتالية بقيادة (أمير الجيوش) أوزبك أتابك العساكر المصرية . ثم لعدم ارتياحه لكل مايأتى من حامل حرف السين . وأخيراً لأن خير بك نائب حلب وسيباى كان يشغل هذا المنصب قبله ولا بد أن بين الأميرين أشياء .

ولم يكن ذلك من المصلحة لأن التغاضى عن نائب حلب جرأ الغزالى نائب حماه الذى قلد زميله فى الشمال ولم يحدث طول تاريخ مصر أن تجرأ العمال والنواب على الاتصال بالأعداء كما حدث فى تلك الأيام ، بل يذكرنا التاريخ بعض الأمراء الذين حاولوا شيئاً من ذلك فعوقبوا بما يستحقون .

***

وقد ظهر علمه وفضله أيام نيابته بالشام ، فكان يجمع العلماء عنده فى كل ليلة جمعة يتذاكرون بين يديه فى أنواع العلوم والفقه وأعدَّ لهم سماطاً كبيراً . ولما توترت العلائق مع العثمانيين كان من رأيه ألا يخرج السلطان من مصر ، بل يبقى بها يمد الجيوش وهو فى مأمنه حتى لا تتعرض البلاد للأخطار . وفى سبيل ذلك تحمل الكثير ، وجاءت النتائج محققة لظنه مؤكدة حسن فراسته وبعد نظره ، ولو أخذ برأيه لما وقعت الكارثة ولما زالت عظمة مصر والشام من التاريخ

وقد ذكر ابن إياس وغيره شيئاً من ذلك فقال إنه بعث إلى الغورى برسالة جاء فيها: « يامولانا السلطان، إن الغلاء شديد بالبلاد الشامية وفيها نقص العليق والتبن ، والزرع فى الأرض لم يحصد ، وليس ثمة عدو متحرك فلا يترك السلطان سره ولا يسافر ، وإن كان ثمة عدو فنحن له كفاية » فلم يلتفت السلطان لكلامه واستمر على رأيه

ولم تكن القاهرة مرتاحة لخروج السلطان ، فأخذوا يعيبون عليه أنه خالف ما اعتاد عليه الملوك السابقون فى أشياء كثيرة من ترتيب الجيوش وجمعها . وأخيراً قالوا إنهم كانوا يخرجون فى فصل الربيع والوقت رطب . أما الغورى فقرر سفره فى فصل الصيف والجو فى شدة حرارته . ثم أذاعوا أن الملوك إذا ذهبوا للجهاد كانوا يخرجون من الجهات النائية ولا تشعر القاهرة بمواكبهم إلا فى عودتهم من ميادين القتال . وقد خالفهم الغورى فى ذلك فشق العاصمة بموكبه عند سفره[1] .

ولكن السلطان لم يكن ليلتفت لشىء من ذلك بل بقى متمسكا برأيه فى جميع الأمور ونفذ ما يريد .

***

وتحرك ركاب آخر سلاطين مصر والشام ومعه الجيوش المصرية فى يوم الجمعة ٢٠ ربيع الآخر سنة ٩٢٢ هـ قاصداً الشام عن طريق الريدانية فسرياقوس ثم الصالحية فقطيا إلى غزة التى أقام بها ثلاثة أيام .

ويقول الحلى : « ولما كان السلطان فى غزة وردت إليه مكاتبة من الأمير سيباى يذكر فيها[2] : الذى يعرضه المملوك على المسامع العالية أعلاها الله تعالى وأدامها أن العبد سمع بأن السلطان يريد السفر لقتال ابن عثمان، وأن المملوك يقوم بهذا الأمر ويكون السلطان مقيماً بمصر ويمد المملوك بالعساكر المنصورة . والذى يعلم به مولانا السلطان أن خير بك ملاحى علينا ومكاتيبه لا تنقطع من عند ابن عثمان فى كل حين » فرد عليه الغورى ها نحن قد جئنا كم بأنفسنا . ثم أمر برحيل الجيوش والعساكر وهم يموجون كالبحر الزاخر .

***

فى يوم الإثنين ١٨ جمادى الأولى سنة ٩٢٢ استقبلت دمشق

---

(١) أحمد بن سنبل

(١) تجد تفاصيل خروج الغورى فى ابن إياس

(٢) عن تاريخ حلب للطباخ

العاصمة الثانية الملك الأشرف أبا النصر قانصوه الغورى ، وقد حفظ لنا التاريخ وصف ذلك اليوم الخالد فقالوا : إن موكبه دخل من باب النصر وشق المدينة وخرج منها إلى ناحية القابون العليا ، حيث كان معسكر الجيش وأقام تسعة أيام بمصطبة السلطان . ولم يتفق مثل موكبه لسلطان من سلاطين مصر بعد الأشرف برسباى سنة ٨٢٦ هجرية فدقت البشائر بقلعة دمشق — وكانت عامرة — وزينت المدينة أجمل زينة وفرشت شقق الحرير تحت أرجل خيله ابتداء من جامع سيباى ، ويذكر ابن إياس أن قنصل الفرنجة بدمشق وتجارهم اشتركوا مع الأهلين فى الترحيب بملك مصر ونثروا دنانير الذهب عليه وجاء رئيس دار الضرب بدمشق المحروسة المعلم صدقة الإسرائيلى ، فنثر نقوداً من الفضة جديدة ضربت لهذه المناسبة السعيدة

وكان سيباى قد خف إلى ناحية سعسع[1] على طريق مصر ، وقيل إلى طبرية لاستقبال الغورى ، ولما دخل دمشق كان بجوار السلطان يحمل له القبة والجلالة ، كما جرت بذلك المراسم المعتادة للملوك المصريين

وسار الغورى إلى حلب ومعه سيباى وأمراء الشام ، وهناك تجمعت جيوش ممالك مصر والشام وحلب استعداداً ليوم مرج دابق — وليس هنا موضع درسه ولا بحثه — وإنما نذكر حادثة وقعت هناك إن دلت على شيء فهو جرأة سيباى وصراحته المتناهية ، وهى أن والى عينتاب[2] ، وكانت من أعمال مصر ، انضم إلى العثمانية ، فلما رأى أهبة المصريين ندم على ما فعله ، وجاء إلى السلطان منضما إليه تائباً ، فلم تجز عليه حيلته ، وأعدم لتسليمه المدينة ، وكان ذلك بحضور الأمراء والنواب والأعيان ، فقام من بينهم سيباى وقبض على خير بك نائب حلب وجره بين يدى الغورى وقال : « يامولانا السلطان إن أردت أن ينصرك الله على عدوك فاقتل هذا الخائن » فقام الغزالى وقال « يامولانا لا تفتن العسكر ونبدأ فى قتال بعضنا بعضاً : وتذهب أخباركم إلى عدوكم ويزداد طمعه فيكم وتضعف شوكتكم والرأى لكم ! »

والتفت السلطان نحوهم وطلب إليهم « بأن يتحالفوا ثانياً ، وألا يخون منهم أحد ، والخائن يخونه الله تعالى وعليه لعنة الله » ثم أمر بأن ينادى بالرحيل ، وتحركت القوى إلى حيث

(١) اسمها الحالي حازى عينتاب وهى داخل الأراضى التركية التى كان جزء كبير منها داخل الأراضى المصرية أيام الغوري .

(٢) بلدة على الطريق .

تلتقى جموع العثمانيين فى شمالى حلب على بعد ثلاثين كيلومتراً فى وسط سهل مرج دابق ليوم من أيام مصر السود ، وهو يوم الأحد ٢٥ رجب سنة ٩٢٢ ، وهناك كان مثوى ملك الأمراء سيباى آخر من حكم دمشق باسم مصر

* * *

فى يوم شديد الحر وقد انعقد الغبار حتى صار لا يرى القاتلون بعضهم بعضاً خطت الأقدار حكما ضد مصر وجندها فخسروا المعركة بعد يوم لعبت فيه البطولة والخيانة وعظمة النفس مع الكيد وسوء الظن معاً ، وكان على رأس جند الشام سيباى فى ميمنة الجيش يقاتل قتال المستميت ، ويصادم مع أمراء مصر لكسب معركة خاسرة . قال المحلى : « ولكنهم مع قلتهم أوقفوا هذا الجيش العظيم ولم يقدر أحد منهم أن يتقدم » . وفى مواجهة العدو وتحت لأمة الحرب سقط أمير الأمراء سيباى الكافلى مع من استشهد فى وطيس ذلك النهار

ماذا كان من أثر ذلك اليوم ؟ كان أن أصبحت مصر العظيمة[1] تحت الجزية بعد أن أمضت القرون تفرض الجزية على غيرها

وفى حارة من حارات دمشق على رأس شباك من زاوية يطلق عليها اسم زاوية السلطان عمر بن عبد العزيز أبقى الزمن هذا المرسوم بالخط النسخ المملوكى منقوشاً على الحجر

« مما رُسم بالأمر الكريم العالى المولوى السيفى سيباى مولانا ملك الأمراء ، كافل الشام المحروسة أعز الله أنصاره بأبطال المظلمة المحدثة على حارة القنوات بسبب واقع فى النهر وبأبطال الجبايات والحماية وشيخ الحارة » . تلك تحية من الزمن لمصر الخالدة !

* * *

أين عظامه ؟ أين تراثه ؟ أين الأوقاف التى أرصدها على مدرسته بدمشق ؟ أين آثاره بحلب ؟ كل ذلك ذهب مع الريح !

لا لم يذهب شيء ، إن سيباى وغيره باقون مع الزمن ، لأن الدروس التى نتلقاها من الموت والهزيمة أقوى وأشد وقعاً من دروس النصر والغلبة ، وراحة البال والطمأنينة .

احمد رمزى

القنصل العام السابق لمصر بسورية ولبنان

(حاشية) : سقطت كلمة الأستاذ إمام كرد على ، وهو العالم الكبير ذى الفضل العظيم فى العدد السابق .

(١) هكذا ورد رثاء أورشليم فى العهد العتيق .

هذا العـــالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

الفيتامينات تغذى عقلك أيضا

سمعت طبعاً عن الفيتامينات وضرورتها للحياة السعيدة وللصحة الجيدة . وعرفت أن الجسم الذى يعانى نقصاً منها يعانى من الآلام والعلل ما لا يتيح له مواصلة الحياة . ولكنك لم تعرف أن العلماء اكتشفوا أخيراً أنها غذاء العقل أيضاً . وأن نقصها يؤدى إلى حالات مختلفة من الاضطراب العقلى فيصاب الإنسان بالقلق وضعف الذاكرة وسرعة التعب وعدم الرغبة فى العمل كما يحس بآلام خفية فى مفاصله وظهره ويفقد شهيته .

وقد يكون الضعف التناسلى نتيجة لنقص أحد أنواع الفيتامينات المتعددة . بل هناك نوع من الفيتامين ينظم قدرة الإنسان الجنسية . وأولئك الذين يعانون نقصاً فى الفيتامينات هم فى الواقع أقل قدرة على مواجهة الحياة وأكثر تعرضاً للفشل لأنهم محرومون من صحة الجسم وسلامة العقل .

ولكى ندرك تأثير الفيتامينات على العقل يجب أن نعرف عملها فى الجسم . فالفيتامينات إحدى الهبات التى نجدها فى منتجات الطبيعة من الأغذية والخضروات التى نأكلها مثل البيض والكبد واللبن والقمح والطماطم والفواكه وغيرها . وتيسر منذ سنوات قلائل الحصول على هذه المواد بالطرق الصناعية فانتشرت مركباتها فى الصيدليات كحبوب أو كحقن تستخدم لعلاج حالات نقصها أو للتغلب على بعض الأمراض الناشئة .

ولا يحتاج جسم الإنسان إلى مقادير كبيرة من هذه المواد الضرورية فما نحتاجه من فيتامين (ب) المعروف باسم الثيامين لا يتجاوز جزءا من ألف من الأوقية فى اليوم الواحد ، أى أن أوقية واحدة من الفيتامين تكفيك ثلاث سنوات أو تكفى ألف شخص ليوم واحد .

وعمل الفيتامينات فى جسم الإنسان أنها تساعد على تحويل المواد الغذائية التى تتناولها إلى نشاط جسمانى وعقلى . وبغيرها لا يستفيد الجسم شيئاً من المواد التى نأكلها . وقد اكتشف الطب والكيمياء عشرة أنواع من الفيتامينات مرتبة على الحروف الهجائية تبعاً لوقت اكتشافها . ولا يزال العلماء منهمكين فى اكتشاف أنواع أخرى منها .

وأكثر الفيتامينات تأثيراً على العقل هو فيتامين ب بأنواعه الستة ، ولاثنين منها تأثير خاص على العقل وهما الفيتامين والنيكوتين . وتوجدان بكثرة فى الخمائر والكبد والبيض . وأيسر طريق لتعاطى هذين النوعين هو الإقبال على حبات الخمائر المجهزة المعروفة فى الصيدليات ، فإن تعذرت فعليك بإحدى خمائر الأفران الأفرنجية أذبها فى قليل من الماء المحلى بالسكر واشربها فى الصباح وفى المساء فتحصل على كمية وافرة من الفيتامينات التى يحتاج إليها جسمك وعقلك .

وظواهر نقص الفيتامين تبدو من تنمل الأطراف ، فإن كانت الحالة حادة شعرت بألم فى يديك وقدميك . ويبدو هذا الألم فى الغالب كأنه التهاب لا تعرف سببه . وأحياناً يخطىء فيظنه نوعا من الروماتزم . ويلاحظ فى الوقت ذاته أن الإنسان يحس بالتعب السريع والضعف إن هو أجهد نفسه .

ومن نتائج نقص الفيتامين أيضاً المرض المعروف بالنورستانيا . وظواهره مختلفة متباينة من ميل إلى الخمول أو فقدان الشهية والذاكرة والأرق ، كما يبدو الإنسان مغموماً ورأسه مثقل بالهواجس ، ولا تكون هذه الظواهر شديدة حادة ولكنها تكفى لأن يشعر الإنسان أنه مريض أو متوعك المزاج .

فإن أقبل المريض على تعاطى نوع جيد من مركبات الخمائر فأنه لن يلبث أن يدهش للتقدم السريع الذى يحصل عليه فى أيام قلائل فأنه سيحس بانتعاش عاجل ، وبتطور غريب يعيده إلى حالته الطبيعية .

وثانى أنواع الفيتـامين تأثيراً على العقل هو المعروف باسم حامض النيكوتين وتركيبه الكيماوى قريب من نيكوتين التبغ . وقد تكلمنا عن نقصه فى مقال سابق عن البلاجرا وذكرنا مدى انتشارها فى بلادنا .

ولم يكشف العلم الغطاء تماماً عن أسرار فيتامين حامض النيكوتين وإن كانت ظواهر البلاجرا من إسهال وميل إلى النحافة وظهور الالتهابات الجلدية وغيرها من الآلام التى يعانيها الجسم من النتائج الثابتة لنقصه .

ولا يعنينا فى هذا المقال أن نتحدث عن الظواهر الجسمانية بل إن ما يهمنا هو الظواهر العقلية التى يحس فيها المصابون بقلق

وعدم اطمئنان فهم يخشون شيئاً لا يعرفون ما هو ويغلب عليهم الاضطراب والميل إلى التقلب وصعوبة التفاهم ولا يستطيعون السيطرة على عواطفهم، فما أسرع ما تبكيهم وما أسرع ما تضحكهم، تغضبهم ضوضاء حركة المرور، وإقفال الأبواب بعنف. وقد يثيرهم سماع الراديو ويتعب أنظارهم الضوء الوهاج.

فإذا كانت الحالة حادة أوجدت فيهم استعداداً للجنون فلا مفر من نقلهم إلى المستشفيات العقلية. وعلاج هذه الحالة إذا لم تؤد إلى حالة أخرى هو طبعاً تعاطى فيتامين حامض النيكوتين.

والمواد الكحولية والمسكرات تؤدى إلى نقص الفيتامينات فى الجسم لأن المعدة تستهلك كمية أكبر لتوازن كيماويات الكحول ولتعادل تأثيرها فضلا عن أن الجسم نفسه يحتاج إلى مقدار أوفر من فيتامينات ب. فإن وصلت حالة النقص إلى تأثيرها الحاد اختلط العقل ورأى المصاب أشباحاً وحيوانات مخيفة تسبح فوق رأسه وتكتنفه من كل جانب، ومن الضرورى فى هذه الحالة حقن المصاب بكميات كبيرة من فيتامينات ب. وهذا العلاج فى الغالب يؤدى إلى تحسن ملموس.

ومن الخطر أن يهمل الإنسان نفسه إن أحس بنقص هذه المواد الحيوية لأن النتائج تكون فى الغالب وبيلة. وقد تنفع فى علاجها فى أول الأمر بضع حبات من الفيتامين المطلوب فإن أزمنت فإنها ستنقلب إلى أمراض أخرى يتعذر شفاؤها ولا سيما أن الأمراض العقلية من أعسر الأمراض علاجاً، وقال بعض الإخصائيين إن علاجها ليعود الإنسان إلى الحالة الطبيعية لا يتجاوز الثلاثة فى المائة.

الأشرطة السينمائية واختبار نجاحها

توصل الدكتور جورج جالوب إلى اختراع آلة تسجل استجابات الجمهور من نشوة أو ابتهاج أو استسخاف حيال مسرحية أو شريط سينمائى وتسجل هذه الآلة إحساسات كل فرد من المشاهدين على لوحة من الورق حيال كل منظر من مشاهد الشريط. وبتطبيقها على مفتاح للشريط يعرف منتجوه أى أجزائه حاز القبول أو الاستهجان.

وبعد انتهاء عرض الشريط أو المسرحية تجمع الآلة استجابات الجمهور وتوضحها فى خمس درجات وهى «مقبول» و«مقبول جداً» و«محايد» و«سخيف» و«سخيف جداً».

وطريقة استخدام هذه الآلة أن يجلس الجمهور فى الحفلات الأولى كالمعتاد ويمسك كل مشاهد بيده آلة صغيرة متصلة بالآلة الكبيرة فتسجل إحساسه فى كل مشهد يراه على شريط من الورق. وتعتمد الآلة فى تسجيل هذه الإحساسات على اهتزازات الإنسان المختلفة حيال المشاهد المختلفة، فللفرح هزته، وللانتعاش هزته أيضاً.

وقد توصل العلماء الأمريكيون من زمن إلى تحليل ظواهر الإحساسات النفسية. ويقسم الدكتور جالوب رواد الملاهى أيا كانت ثروتهم أو فقرهم إلى ٤٢ قسما من مختلف الأعمار والميول.

ويتوقع أصحاب الملاهى لهذه الآلة مستقبلا باهراً كما يتوقعون انتعاشاً كبيراً لأعمالهم فعلى هديها يتاح لهم أن يقدموا للجمهور ما يحتاج اليه من متع. وغنى عن القول أن هذه الآلة سوف تطلعهم على مواطن الضعف فى مباهجهم فيعدلونها بما يناسب طلبات الجمهور وذوقه.

وقد اختبرت هذه الآلة حتى الآن ٤٥ شريطاً سينمائياً. وصححت بعض الأشرطة بعد اختبارها بهذه الآلة فارتفعت من مرتبة ضعيف جدا إلى نجاح كبير.

فوزى الشتوى



١١ - الفـــن

للكاتب الفرنسى بول جيزيل

بقلم الدكتور محمد بهجت

عن الأمس وعن اليوم (تابع)

فقلت وأنا أطبق ما شرحه صديقى على التماثيل التى أمامنا :

« لابد وأن يكون صعباً على المرء أن ينفذ إلى أعماق نفوس الآخرين على هذا النحو » .

« نعم لاريب فى ذلك » ثم عاود حديثه فى شىء من التهكم :

« ولـكن أكبر الصعاب التى تصادف الفنان الذى يمثل تمثالا أو يصورصورة لا تأتى من ناحيته ولـكن من ناحية العميل الذى يعمل له الفنان . إن الإنسان الذى يطالب الفنان بعمل مثال له يشابهه تمام المشابهة لهو الذى يعنت الفنان عنتاً شديداً بقانون عجيب قاتل . إذ قلما يستطيع امرؤ أن يرى نفسه على حقيقتها ، وإن هو استطاع ذلك فإنه يأبى على الفنان أن يظهره على تلك الحقيقة . بل يريد منه أن يظهره بمظهر مبتذل تافه . إنه يود أن يبدو كاللعبة التى تحركها الخيوط ، يسره أن يظهر بالوظيفة التى يؤديها أو بالمركز الذى يشغله فى الهيئة الاجتماعية ، وأن يمحى الرجل الذى فيه محواً تاماً . فيرغب الحاكم فى أن يرى ثوبه المنمق ، والقائد عباءته الموشاة بالذهب ولـكن قلما يعنى أحد منهم بأن تُقرأ أخلاقه ونفسيته من صورته .

وفى هذا ما يفسر نجاح الـكثيرين من أوساط المصورين والمثالين الذين يقنعون بإبراز المظهر الذى لا يدل على شخصية عملائهم كملابسهم المزخرفة وهيئاتهم الرسمية . أولئك هم الفنانون الذين لهم الحظوة الـكبرى لدى الجمهور لأنهم يسدلون على مُثلهم سُتراً من العظمة والأبهة . وكلما زادت تهاويل الصورة وتزايينها كانت أقرب إلى اللعبة الجامدة المزوقة ، وازداد ارتياح العميل إليها .

ربما لم يكن هذا كذلك فى كل الأحوال . إذ يظهر أن بعض سادة القرن الثامن عشر مثلا كانوا يطربون لرؤية أنفسهم مصورين على هيئة ضباع أو نسور على ظهر أنواط من تلك التى كان يصنعها بيزانللو . كانوا ولا شك فخورين بشخصياتهم أو بالحرى كانوا قد أحبوا الفن وأجلوه ، واستساغوا صراحة الفنان الجافة النابية كما لو كانت جزاء موقعاً من رئيس روحى .

لم يتردد المصور تيتيان فى إظهار أنف البابا بولس الثالث على هيئة فنطيسة ابن عرس ، ولم يحجم عن إيضاح غطرسة شارل الخامس الجافية ، أو عن تبيان شهوانية فرانسوا الأول . ومع كل ذلك لم يفقد مكانته أو شهرته لديهم . كذلك كان شأن فلاسكويز الذى لم يملق الملك فيليب الرابع فصوره كرجل غفل خامل برغم ما يبدو عليه من الظرف وحسن الشمائل ؛ ولم يتحرز من إظهار فكه المتدلى ، ومع ذلك استبقى حظوته لديه فاستحق بذلك الملك الإسبانى الإجلال والإكرام من الأجيال القادمة لأنه كان نصير العبقرية وملاذها .

أما رجال اليوم فقد أصبحوا يخشون الحق ويحبون الـكذب . ويبدو منهم أنهم يمقتون رؤية أنفسهم على سجيتها فى الصور والتماثيل . كلهم يريد أن تـكون عليه سيما التجمل والتزين .

حتى أكثر النساء جمالاً ممن لهن قسمات مليحة ممتازة يستبشعن جمالهن وينكرنه عند ما يبرزه مثال نابه . فتراهن يضرعن إليه أن يجعلهن دميات بأن يضفى عليهن ملامح كالتى تبدو على عرائس الأطفال ودماهم .

وعلى ذلك ، فعلى المثال الذى يشرع فى عمل تمثال أن يخوض غمار معركة طويلة مضنية . وكل ما يهم فى الأمر ألا ينكص على عقبيه أو يضعف أو يهن بل يظل ثابتاً مخلصاً لنفسه . فإذا ما رفض عمله زاد الطين بلة . وربما كان الخير فى ذلك لأنه غالباً ما يكون لذلك العمل مزايا عظيمة .

أما العميل الذى يقبل قطعة طيبة على غير مشتهاه ورضاه ، فإنه لايلبث أن يغير شعوره نحوها عندما يمتدحها الهواة ، وينتهى به الأمر أخيراً إلى الإعجاب بها ، وبعد ذلك يعلن فى صراحة أنه كان يحبها ويقدرها دائماً

وفضلا عن ذلك يلاحظ أن أروع التماثيل وأجملها هى ماصنعت للأهل أو للأصـدقاء بلا مقابل ، وليس ذلك لأن الفنان يعرف مثاله معرفة طيبة من طول النظر إليه ومحبته له فحسب ، بل لأن مجرد شعوره بإهداء عمله إليه يطلق له عنان الحرية فى العمل

ومع ذلك فقد رفضت أحسن التماثيل عندما وهبت للأصدقاء بغير مقابل ، وعلى الرغم من أنها قطع خالدة ، فقد أعدت إهانة للمهدى إليهم . ينبغى على الفنان أن يسير فى طريقه قدماً ، ويجد تمام لذته وحسن جزائه فى أن يقوم بعمله على خير الوجوه وأحسنها »

لقد تابعت باهتمام كبير نفسية الجمهور الذى يتصل به الفنان ولـكن يجب على أن أثبت هنا أن كثيراً من المرارة كانت تمازج تهكم رودان ، قلت له :

« ولـكن يظهر يا أستاذ أنك أغفلت تجربة من تجارب حرفتك ، وهى أنك تصنع تمثالا لعميل لا يحوى رأسه تعبيراً ما أو ينطوى على غباوة ظاهرة . فضحك رودان من قولى ثم أجاب :

« هذا لا يمكن أن يحسب فى عداد التجارب . ثم لا يجب أن تنسى مبدئى الذى أستمسك به دائماً وهو : أن الطبيعة جميلة أبدا . وليس علينا إلا أن نفهم ما تظهره لنا . إنك تتكلم عن وجه بلا تعبير . وفى الواقع لا يوجد مثل هذا الوجه لدى الفنان الذى عنده أن كل رأس يدعو إلى الاهتمام . دع مثالا يلحظ وجها غفلا ساذجا ، أودعه يظهر لنا معتوهاً منصرفاً إلى العناية بظاهر دنياه فترى منه تمثالا جميلا رائعاً .

« ثم ان ما يسمى (بالسطحية) غالباً ما يكون شعوراً غير مكتمل بالنسبة لنقص التعليم والتهذيب وفى تلك الحالة يتخذ الوجه مظهراً غامضاً جذابا لعقلية تبدو كأنها مقنعة بقناع شفاف » .

« وأقول أخيراً — ولا أدرى وايم الله كيف أفصح عما أريد أن أقول — إن أحقر الرءوس شأناً ، وأقلها خطراً ما هو إلا مستكن لتلك القوة السحرية العجيبة — الحياة . وعلى ذلك فهو معين لا ينضب لعمل الطرفة الفنية الفذة » .

شاهدت بعد عدة أيام بمرسم رودان فى ميدون صبائب لكثير من تماثيله البديعه . وهناك انتهزت الفرصة وسألته أن يوقفنى على الذكريات التى تبعثها تلك التماثيل . كان هناك تمثال فيكتور هوجو — غارقا فى بحار التأمل ، جبهته المجعدة كأنها البركان ، وشعره الأشعث كأنه ألسنة لهب أبيض تندلع من جمجمته …

إنه تمثيل صادق للشعر الغنائى الحديث من حيث عمقه واصطخابه .

قال رودان :

« إن صديق بازير Bazire هو الذى قدمنى لفيكتور هوجو وعرفنى به . وكان بازير كاتم سر جريدة المارسييز ثم جريدة الانترانسيجان فيما بعد . وكان يعبد فيكتور هوجو . وكان أول من فكر فى عمل حفل سنوى للشاعر العظيم بمناسبة عيد ميلاده الثمانين . وكان الحفل كما تعلم هادئاً رائعا . فقد أشرف الشاعر من شرفة منزله يحيى الجماهير الغفيرة التى قصدت منزله تطلب مشاهدته . فكان كأنه البطرق يبارك شعبه . ومن أجل ذلك اليوم احتفظ هوجو بامتنان عظيم لذلك الرجل الذى دعا إلى الحفل ونظمه . وهكذا استطاع بازير أن يقدمنى إليه فى غير مشقة . ولسوء الحظ كان فيكتور هوجو موتوراً من مثال وسط إسمه فيلان Villain اضطره إلى جلوس ثمان وثلاثين جلسة أخرج له بعدها تمثالا رديئاً . ولهذا فإنى عندما تقدمت إليه متعثراً بأذيال الخجل ، مبدياً له رغبتى فى تخليد قسمات مؤلف « التأملات » قطب حاجبيه الأولمبيين وقال : « أنا لا أستطيع أن أمنعك من العمل ، ولـكنى أصارحك القول إننى سوف لا أجلس إليك وسوف لا أبدل عادة من عاداتى من أجلك ، فدبر أمرك وتخير أداتك .

(يتبع) **دكتور محمد بهجت**

قسم البساتين

من وحي انجلترا (1)

نهر الجمال

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

في مقاطعة دفونشير الجميلة بانجلترا مفاتن من الجمال الطبيعي ؛ وأحد هذه المفاتن نهر « الأكس » الذي ينبع من مرتفعات ديفون مارا بمدينة إكستر . وهنا يناجيه الشاعر بهذه الأبيات : —

ألفيتُ في واديك أُنسا ... وصفاء عيش ليس يُنسى
أمسٌ طوته يدُ الغيو ... بِ فمن يردُّ إليَّ أمسا ؟
أودعتُ تلك الذكريا ... تِ لديك بالكتمان رمسا
فاحفظْ وديعتك التي ... خُلِسَت من الأيام خلسا ..

خلتُ الحياةَ على ضفا ... فك لا تزولُ ولا تضيعُ
فإذا الحياةُ قصيرةٌ ... وإذا البطيءُ بها سريعُ ..
وإذا الليالي الذاهبا ... تُ لديك ليس لها رجوعُ
لا دامَ يا نهرُ الشتا ... ءُ بها . ولا بقيَ الربيعُ

سِيَّانِ منبعكَ الموشَّى ... بالبدائع أو مصبُّك
أين الذي روَّيته ... ماءَ الحياةِ ولا يحبُّك ؟
وعلى ضفاف النيل ظمـ ... ـآن مُناهُ لو يعبُّك !
القلبُ باحَ بسرِّه ... أفهل يبوحُ اليومَ قلبُك ؟

تلك الهضابُ الحانيا ... تُ على ضفافك لا تزال ؟
وعلى صحيفتك المُضيـ ... ـئة لم تزل تلك الظلالُ ؟
وهل الليالي المُقمِرا ... تُ هناك يُحْييها الوصال ؟
حيث القلوبُ تشبُّ جذ ... وتها ويستعرُ الخيال ؟

أين الطيورُ الرائحا ... تُ على مياهك والغوادي ؟
تلهو الصغارُ بها وتُطْـ ... ـعمها الوليدةُ بعضَ زادِ
هي آمناتُ السرب تمـ ... ـرح تحت أكناف العباد
هل فرَّقتها اليومَ غا ... راتُ الوحوش على البلاد ؟؟

هل ظلَّ منبعك الغزيـ ... ـر من الشمال كما رأينا ؟
وهل المصبُّ كما افترقـ ... ـنا في رُباه أو التقينا ؟
والصخرة الحمراء هل ... بقيتْ كما كانت علينا ؟؟
أين السبيلُ إليك يا ... نهر الأحبة أين أينا ؟؟

محمد عبد الغني حسن

(1) من ديوان للشاعر تحت الطبع بهذا العنوان .

يا شعر !

للمرحوم أبي القاسم الشابي

يا شعر ! أنت فم الشعور ، وصرخة الروح الكئيب
يا شعر ! أنت صدى نحيب القلب ، والصب الغريب
يا شعر ! أنت مدامع علقت بأهداب الحياة
يا شعر ! أنت دم تفجر من كلوم الكائنات
يا شعر ! قلبي — مثلما تدري — شقي مظلم
فيه الجراح النجل يقطر من مغاورها الدم
جمدت على شفتيه أوزار الحياة العابسه
فهو التعيس ، به مرارات القلوب البائسه
أبداً ينوح بحرقة بين الأماني الهاويه
كالبلبل الغريد ما بين الزهور الذاويه
كم قد نصحت له بأن يسلو وكم عزيته
فأبى وما أصغى إلى قولي ، فما أجديته
كم قلت : صبراً يا فؤاد ! أما تكف عن النحيب !
فإذا تجلدت الحياة تبددت شعل اللهيب
يا قلب . لا تجزع أمام تصلب الدهر المصور
فإذا صرخت توجعاً . هزئت بصرختك الدهور
يا قلب ! لا تسخط على الأيام ، فالزهر البديع
يصغي لضجات العواصف قبل أنغام الربيع
يا قلب لا تقنع بشوك اليأس من بين الزهور
فوراء أوجاع الحياة عذوبة الأمل الجسور
يا قلب لا تسكب دموعك بالفضاء . فتندم
فعلى ابتسامات الفضاء قساوة المتهكم

لكن قلبي وهو مخضل الجوانب بالدموع
جاشت به الأحزان إذ طفحت بها تلك الصدوع
يبكي على الحلم البعيد بلوعة لا تنجلي
غرداً كصداح الهواتف في الفلاة يقول لي :
طهر كلومك بالدموع وخلها وسبيلها .
إن المدامع لا تضيع حقيرها وجليلها
فمن المدامع ما تدمع جارفاً حسك الحياة
يرمي لهاوية الوجود بكل أشواك الطغاة
فارحم مضاضته ونح معه على أحلامه
فلقد قضى الحلم البديع على لظى آلامه
ردد على سمع الدجى أنات قلبي الواهيه
واسكب بأجفان الزهور دموع قلبي الداميه
فلعل قلب الليل أشفق بالقلوب الباكيه !
ولعل جفن الزهر أحفظ للدموع الجاريه !
كم حركت كف الأسى أوتار ذياك الحنين
فتهاطلت أحزان قلبي في أغاريد الأنين
ولكم أرقت مدامعي حتى تقرحت الجفون
ثم التفت فلم أجد قلباً يقاسمني الشجون
فعسى يكون الليل أرحم فهو مثلي يندب
وعسى يصون الزهر دمعي فهو مثلي يسكب
قد قنعت كف السماء الموت بالصمت الرهيب
فغدا كأعماق الكهوف بلا ضجيج أو وجيب
يأتي بأجنحة السكون كأنه الليل البهيم
لكن طيف الموت قاس والدجى طيف رحيم
ما للمنية لا ترق على الحياة النائحه ! ؟
سيان أفئدة تئن أو القلوب الصادحه ؟
يا شعر ! هل خلق المنون بلا شعور كالجماد ؟
لا رعشة تعرو يديه إذا تملقه الفؤاد ؟
أرأيت أزهار الربيع وقد ذوت أوراقها
فهوت إلى صدر التراب وقد قضت أشواقها ؟
أرأيت شحرور الفلا مترنماً بين الغصون
جمد النشيد بصدره لما رأى طيف المنون ؟
فقضى وقد غاضت أغاريد الحياة الطاهره
وهوى من الأغصان ما بين الزهور الباسره
أرأيت أم الطفل تبكي ذلك الطفل الوحيد
لما تناوله بعنف ساعد الموت الشديد ؟
أسمعت نوح العاشق الولهان ما بين القبور
يبكي حبيبته فيا لمصارع الموت الجسور ؟
طفحت بأعماق الوجود سكينة الصبر الجليد
لما رأى عدل الحياة يضمه اللحد الكنود
فتدفقت لحناً يردده على سمع الدهور
صوت الحياة بضجة تسمى على شفة البحور
يا شعر ! أنت نشيد أمواج الخضم الساحره
الناصعات ، الباسمات ، الراقصات ، الطاهره .
السافرات ، الصادحات ، مع الحياة ، إلى الأبد !
كعرائس الأمل الضحوك يمسن ما طال الأمد
ها إن أزهار الربيع تبسمت أكمامها
ترنو إلى الشفق البعيد تغرها أحلامها
في صدرها أمل يحدق نحو هاتيك النجوم
لكنه أمل ستلحده جبابرة الوجوم
فلسوف تغمض جفنها عن كل أضواء الحياة
حيث الظلام مخيم في جو ذياك السبات
ها إنها همست بآذان الحياة غريدها
فتلت عصافير الصباح صداحها ونشيدها
يا شعر ! أنت نشيد هاتيك الزهور الباسمه
يا ليتني مثل الزهور بلا حياة واجمه
إن الحياة كئيبة مغمورة بدموعها
والشمس أضجرها الأسى في صحوها وهجوعها
فتجرعت كأساً دهاقاً من مشعشعة الشفق
فتمايلت سكرى . إلى كهف الحياة ولم تفق
يا شعر ! أنت تحيها لما هوت لسباتها
يا شعر ! أنت صداحها ، في موتها ، وحياتها
يا شعر ! يا قيثارة الأحلام يا ابن صبابتي
لولاك مت بلوعتي وبشقوتي وكآبتي
فيك انطوت نفسي وفيك سكبت كل مشاعري
فاصدح على قمم الحياة بلوعتي . يا طائري

أبو القاسم الشابي



فى (طبيعى لا طباعى ولا طبعى)

جاء فى (اللسان) : « والطباع واحد طباع الإنسان على فعال مثل مثال »

وقد ضبطت (طباع) الثانية فى هذا الكتاب بالكسر ، فتوهني هذا الضبط ، وظننت اللفظة المفردة جمعاً ، فقلت فى كلمتى (طبيعى لا طباعى ولا طبعى) : « والأزهرى أو غيره يقول : — كما نقل اللسان والتاج — الطباع واحد طباع الإنسان على فعال قلت : فهوعنده كهجان وهجان ودلاص ودلاص » . وقد أخطأ ضابط الطباع هنا بالكسر، وأخطأت أنا فى ظنى أنها جمع، ومن دأب (اللسان) تكرير العبارات التى ينقلها دون تبيين كاف ، والصواب هوضبط (الطباع) الثانية بالضم ، وهى تفسير لقوله (الطباع واحد) ، فليست الطباع فى هذه الجملة جمعاً .

محمد اسعاف النشاشيبى

بيمارستان قلاوون

فى الأسبوع الماضى أقام اتحاد خريجى الجامعة فى ناديهم حفلة تأبين للدكتور الراحل محجوب ثابت ، وقد قام أصدقاء الفقيد وزملاؤه وطلبته يعددون مآثر الفقيد ويترحمون عليه بما هو أهل له . ولست بصدد الكلام عن الحفلة ، بل أقول إن الكلمة الختامية لهذه الحفلة كانت للأستاذ عبد العزيز عبد الحق أستاذ التربية بكلية الشريعة ، وقد بين فيها ما كان للفقيد من مشروعات وبرامج إصلاحية من الوجهة التعليمية ، وذكر منها : أن الفقيد كان يرمى إلى إنشاء كلية إسلامية للطب يكون مقرها مستشفى قلاوون (البيمارستان) ، تلك المستشفى التى زارها كثيرون من الأجانب ، والتى وعت كتب التاريخ عنها الشيء الكثير ، فقد ذكرت أن الذى كان يقوم بالتدريس فى هذا البيمارستان شيوخ معممون من الذين تشبعوا بالثقافة الشرعية والعلوم الإسلامية، وتكون تلك الكلية تابعة للأزهر ، وهو بذلك العمل يريد أن يعيد لذلك البيمارستان ما كان له من المجد الغابر والمكانة العظيمة أيام المماليك

تلك بعض معلومات تناولها الأستاذ عبد العزيز فى كلمته

ولما كان بعض القوم ليس لهم علم بهذا المشروع ، وتساءلوا عنه حين سمعوه ، وود البعض الآخر لو يعرفه حق المعرفة ، ويفهم مراميه حق الفهم ، فإننا نتقدم إلى الأستاذ راجين منه أن يوضح لنا هذا المشروع الذى خفى على بعضهم ، والذى أنتجته رأس مفكرة ، وقريحة متقدة قبيل الوفاة !

حسين عبد اللطيف السيد

الماركسية والحرية الفردية

يقول الأستاذ العقاد فى مقاله « السلفية والمستقبلية » إن الحرية الفردية والتبعة الشخصية هى مقياس التقدم التاريخى ، وأن الماركسية تقضى على هذه الحرية كما تقضى على التبعة الشخصية ، وهو اتهام قديم طالما وجه إلى الماركسية . فالماركسية لا تنفى الفردية وإنما تنفى الانفرادية ، وهى لا تهدم الشخصية ولكنها تهدم الانعزال . والانفرادية معناها تجريد الفرد من المجتمع ، وعزلته عن الجماعة التى يعيش بين ظهرانيها ، ومعناها إنكار أثر المحيطات والظروف الاجتماعية فى حياة الفرد ، ومعناها أن الدوافع الحقيقية التى تسيطر على الإنسان تظل مجهولة له ، فيتخيل دوافع زائفة أو ظاهرية ، ليست فى الحقائق المعقولات ، ولكنها المثاليات التى يحتفظ بها لا بلا شعور ، ولكن بشعور زائف . وعند ما تقول الماركسية بأثر التطور فى وسائل الإنتاج فى التطور التاريخى وفى الروابط القائمة بين بعض الأفراد ، وبين الطبقات وبعض ، أو على الأصح بين الطبقتين اللتين يتكون منهما المجتمع ، فإنها تبنى هذا القول لا على تضارب الترهات، وإنما تبنيه على أن الطبيعة ليست أحداثاً فجائية ، لا رابطة تقوم فيها بين الشيء والظاهرة ، ولكنها كل مرتبط ببعضه ، فيه الأشياء والظواهر مرتبطة حيوياً ارتباطاً يجعل كلا منها أساساً للآخر ومعتمداً عليه ومكيفاً له ، وعلى هذا لا يمكن تجريد أى شىء فى الطبيعة وأخذه لبحثه فى ذاته ، وعلى هذا فالانفرادية شىء يتعارض مع قوانين الطبيعة

والماركسية تؤكد الشخصية والفردية ، كما تؤكد الحرية

حين تقول إنها تقدير الضرورة ، وحين تقول إن الضرورة عمياء ما دامت غير مفهومة ، وحين تبنى التحول فى فهم ماهية الأشياء من كونها ذات قيمة ذاتية إلى كونها ذات قيمة لنا ، وحين تقول إن الحرية الفردية إذا لم يدعمها استقلال مالى ، ومستوى معيشة مرتفع ، وإلغاء للملكية الفردية لوسائل الإنتاج ، ولاستغلال اقتصادى ، تصبح لا قيمة لها . وحين تعمل على دعم الحرية بعناصرها الحقة ، فإن تساوى الفرص وتكافؤها هى عنصر الحرية الأول . أما الانفرادية البرجوازية ، انفرادية الأبراج العاجية والأرستقراطية الفكرية والجهل المطبق بروح الجماعات وميزات الشعوب ، وأما الاستقلالية البرجوازية ، استقلالية الاستغلال والرجعية ، وأما الحرية البرجوازية حرية الأقلية فى سلب الأغلبية ثمار عملها ، هذه الانفرادية ، وهذا الاستقلال ، وهذه الحرية ، هى التى تنادى الماركسية بهدمها وتكافح لإلغائها ، لأنها تتعارض مع اجتماعية الإنسان .

إبراهيم عامر

إلى الدكتور مأمون عبد السلام

أعجبنى مقالك فى الرسالة (البحث العلمى) بقدر ما أفادنى . إنها ملاحظات عميقة وإرشادات سديدة لا غنى عنها لكل باحث متتبع . ولا سيما تلك الشروط الحكيمة التى لو سار عليها العلماء والمتعلمون فى بلادنا لتقدموا فى مضمارى العلم والعمل على سواهم .

ذلك قولك : (فإن كشف فى بحثه نقطة تخص أحدهم فليبادر بأطلاعه عليها لأن التعاون من روح العمل . وإن عثر على كتب أو نشرات تفيد أحدهم وجب إرسالها إليه لأن ذلك يبعث على توثق العلاقة ومحو التنافر وغرس المحبة والوئام بين أفراد يجب أن يكونوا أدعى الناس إلى التضامن فى خدمة العلم والإنسانية) .

من ذلك المقال النفيس زدتنى تفاؤلا بعدم انعدام الإنسانية وكونها فى نفوس لا تزال نبراساً يستضاء به ، وبلسماً للجروح المتسممة وعوناً على نهوض الضعفاء والعاجزين ...

(ثمانية) **عبد الجبار محمود**

جائزة (الكاتب المصرى) للقصة

قررت إدارة (الكاتب المصرى) للطبع والنشر التى يشرف عليها الدكتور طه حسين بك من الناحية الثقافية إنشاء جائزة سنوية للقصة قدرها مائة جنيه .

وهى تدعو الكتاب والمؤلفين إلى الاستباق لنيل هذه الجائزة . وستحكم بين المستبقين لجنة مكونة قوامها خمسة من كبار الأدباء الممتازين فى مصر — وقد حددت آخر موعد لتقديم القصة يوم ٣١ يناير ١٩٤٦ .

وهذه هى أصول المسابقة .

١ — المسابقة مفتوحة للكتاب العرب جميعاً على اختلاف الأقطار العربية فى الشرق والغرب .

٢ — الكاتب حر فى اختيار الموضوع الذى يكتب فيه لا يقيد بزمان ولا مكان ولا بيئة ولا اتجاه .

٣ — يجب أن تمتاز القصة بالابتكار وقوة الخيال وجمال اللغة العربية فى الشرق والغرب .

٤ — القصة التى تظفر بالجائزة ملك لشركة الكاتب المصرى — إدارة الطبع والنشر تطبعها وتذيعها على أن تحتفظ لصاحبها بحق المؤلف وقدره عشرون فى المائة من ثمن البيع الفعلى بعد الخصم — وهذا الحق مستمر مهما تتعدد الطبعات . وكل ذلك يجرى طبقاً للنظام المعمول به فى شركة الكاتب المصرى والذى يستطيع كل كاتب أن يطلع عليه .

٥ — يجوز لشركة الكاتب المصرى أن تطبع القصة الثانية إذا أوصت بذلك لجنة التحكيم وقبله صاحب القصة فى حدود النظام الذى أشير إليه فى البند السابق .

٦ — يرسل الكاتب نسختين من قصته مكتوبة على الآلة الكاتبة بعنوان شركة الكاتب المصرى ٢٦ شارع جلال — القاهرة — إدارة الطبع والنشر — ولا تقبل أى قصة تصل بعد تاريخ ٣١ يناير ١٩٤٦ .



أُمّ ...

للكاتب النمسوى « فنستر شيافكى »

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسى

[هذه قصة أم — فرقت عن زوجها — فخاولت وجاهدت وضحت فى سبيل رفع ولدها إلى ذروة المجد ... فهل وفقت ؟ ... ذلك ما أبانه « فنستر شيافكى » فى سياق هذه القصة ، وهى من روائعه . وبعد « شيافكى » من كتاب « النمسا » المبرزين فى فن القصة ، إذ يمتاز بطلاوة أسلوبه وصدق وصفه وسمو معانيه] (مصطفى)

فى ضحوة يوم رائع من خريف سنة ١٨٤٤ وقفت سيدة فى نافذة دارها المعروفة باسم « ستاج هوس » فى حى « ليبولد ستادت » تانى بنظرات حائرة قلقة إلى الطريق ؛ وكانت تبدو فاتنة حسناء على الرغم من أنها تدنو من عقدها الرابع ... أما وجهها فكان مجالاً لانفعالات شتى تعانيها امرأة طلقها زوجها ، فاضطرت إلى إعالة بنيها ... وأخذت على عاتقها تربيتهم وتنشئتهم ...

ويغلب على أخلاق تلك السيدة - وهى من الطبقة المتوسطة - الرَّزانة والتواضع والهدوء ... ومع بساطة ثوبها شاعت فيه الأناقة والبهاء ... وينبعث من عينيها شعاع يعبر عما تستران من قلق ، ويجول فيهما التوسل إذا ما انحسرت أهدابهما ...

حانت ساعة الغداء فطُرِح على المائدة خوان ناصع نظمت فوقه ست صحاف — صنعت فى « فينا » — وتوسط المائدة زهرية محلاة بالزخارف وصفت فى أنحاء الغرفة أريكة وستة مقاعد — كسيت بالمخمل — وقام فى أحد جوانبها صوان بأدراج نحاسية الحلقات ... استقرت فوقه ساعة فوق قاعدة من الرخام أما فى الجانب المقابل فصوان آخر عليه صليب غطى بزجاج — رسمت عليه بعض الطيور المائية والبرية — ويوجد فى ركن متطرف « بيانو » وضعت عليه زهرية فيها زهور ذابلة أما جدران الغرفة فزينت باللوحات الزيتية ... والصور التذكارية ...

جلس فى الحجرة التالية غلام فى السادسة عشرة : باهت الوجه ، يعلوه الشحوب ... مكباً على لوحة للرسم وقد انصرف إلى عمله بكل حواسه . بينما جلست على مقربة منه فى النافذة فتاتان تحيكان فى صمت ، وبعد هنيهة اندفع طفل فى الثامنة من عمره إلى أمه ودفن رأسه بين ثنايا ردائها ... وراح يئن ويصيح : « إنى جائع يا أماه » فقالت الأم فى تهكم وقد أضجرها بنواحه : تناول شيئاً من الملح فسوف تغدو عطشان أيضاً ... » وراحت تحدث نفسها : « لست أدرى ما الذى يفعله إلى الآن ، وهو يعلم أنى سأقدم إليه اليوم « طبقه المحبوب » . لابد أن شيئاً مهماً عاقه عن العودة ... »

وفى هذه اللحظة دخلت خادمة العائلة العجوز « وابى » تحمل باقة من الزهور وضعتها على المائدة ، فسألتها سيدتها فى دهشة :

— من ذا الذى بعث بتلك الزهور الجميلة ؟ !

— إنها من لدنى ياسيدتى ، وسأهديها إلى سيدى « جونى » ... فاليوم من أدق أيام حياته ، ولكنى متأكدة من رضائه ... لقد قال لى عند ما تركنا هذا الصباح « انظرى يا بتى » فهو ينادينى « بيتى » لا « وابى » كالآخرين ، فهو طيب القلب ... قال : « انظرى يا بتى » إذا عدت بأقدام ثابتة راسخة وفى سترتى زهرة فاعلمى أنى نلت ما كنت أطمع إليه ، وإذا كانت ساقاى متخاذلتين والزهرة فى قبعتى ... فهذا معناه الفشل والإياب بخفى حنين ... » .

فقالت سيدتها : « ولكنه لم يطلعنى على شىء مما تقولين ... يا إلهى لو أنه نال الإذن الذى يودّه ! إنى لخائفة من رفض طلباته لأنى سوف أكون الملومة ، فقد كنت أستحسنه وأقف إلى جانبه ضد أبيه ... »

— انت مخطئة فى زعمك ... فسوف يجاب إلى طلبه وينال بغيته .

— إنى لست خائفة من ذلك ، فهو لا يهتم بالجيش كاهتمامه بتكوين فرقة موسيقية ... ولكن .. ماذا سيؤول إليه أمره

إن هو فشل ؟ سوف يفقد آماله فى العثور على وظيفة فى الجيش ... ويعود إلى البحث عن عمل موسيقى حقير فى المطاعم ... وهذا النوع من الأعمال ... آه طالما حذره والده من ذلك ... إن تلك الأعمال شاقة جداً وأفقها ضيق ، فواحد فى المائة هو الذى ينال مآربه ويرتقى إلى ذروة المجد ... » فقاطعها يوسف بعد أن ترك لوحة الرسم قائلا :

— ولكن جونى سيكون ذلك الشخص ... فهو عبقرى ... وقد عزف لى لحنه « الولس » الجديد البارحة ... ولم أسمع من قبل شيئاً يسيطر على النفس ويملك الفؤاد كذلك اللحن ...

— أصبت يا بنى ، فهذا اللحن جعلنى أضحك وأبكى فى آن واحد ... إنه ليذكرنى بلحن أبيه ... ولكن لحن جونى يداخله شىء من الحرارة ... شىء من — لا أدرى بماذا أعبر . من المؤكد أنى لم أكن مخطئة عند ما تشاجرت مع أبيه فى هذا الشأن ... لأنى أعتقد أن جونى لايقل عن أبيه عبقرية ونبوغاً ... إنى أعرف بعض الشىء عن هذا اللحن ؛ لأن أباك كان يعزف لى أحياناً أنغامه الجديدة فى ركن من الحديقة عند ما خطبنى ... كنت أصاحبه بالعزف على قيثارتى ... وكان يرجّع تلك الأنغام ويعيدها حتى تبلغ شأو الإتقان .

— لست أدرى سبباً لتلك القسوة التى يصبها والدنا على « جونى » ! ؟

— ليس من شأنك أن تتحدث عن أبيك أيها الأحمق ... ربما كان على حق ؛ ولكن قلبى لا يدعنى فى سلام . إن ذلك يعنى كل السعادة لذلك الفتى . فهذا يخبرنى قلبى ... » فصاحت « وابى » فى اضطراب .

— هه ... ها هو سيدى جونى ينحدر إلينا فى الطريق ... ولكن لا أستطيع أن أتبين إن كانت الزهرة فى سترته أوفى قبعته ! »

فقالت الأم فى مرح :

— إنها لا شك أنباء سارة ... فها هو يشير بيده إلى .

— الزهرة ؟ ! أين الزهرة ؟

— إنها من المؤكد فى سترته ...

وبعد لحظات هرول « جونى ستروس » وهو شاب فى التاسعة عشرة ذو قوام نحيف وشعر أسود وعينان براقتان ...

وصاح وهو يمسك بورقة فى يده : « نلته ... نلت الإذن .. » فقالت الأم وهى تتهالك على مقعد :

— « شكراً ! شكراً يا إلهى ... » فركع جونى إلى جانب كرسيها ... وراح يعطر يديها بالقبل . وصاح فى حماسة :

— آه يا أماه ... إن ذلك كله يرجع إلى فضلك أنت ... أيتها الأم العزيزة . سترين كيف أنى سأشرف لقب العائلة ... إنى لتجرى فى عروق دماء آل « ستروس » إن رأسى يموج بالأنغام ، منها ما يحزن ومنها ما يفرح ... إن عائلة ستروس ستفخر بى ... ولن تهدأ ثائرتى حتى أضيف إلى مجدها التالد مجداً طريفاً ...

— « إذن فقد نلت الإذن للظهور أمام الجمهور ... » ولكن ما لبثت الأم أن قالت فى لهجة حزينة : « لست أدرى كيف يتلقى أبوك ذلك النبأ ! » فأجاب جونى فى غير مبالاة :

— ليس هناك من يكترث لما يقوله أبى ... كم كنت حزيناً عند ما أخبرونى أنه يجب أن أحوز موافقة والدى ... لولا أن السيد « بال » ذلك الحاكم الطيب جعل الأمر فى غنى عنها ... والآن ليس هناك ما يعوق ظهورى أمام الجمهور مديراً لإحدى الفرق الموسيقية ... أتعلمون ما الذى سيعود علىّ من ذلك ؟ ! الحرية ... الشهرة ... المجد ، حياة ترفع الإنسان فوق ذلك العالم الخامل . وداعاً أيتها السجلات ... لقد حطمت قيودى بعزمى الراسخ واعتدادى بنفسى ... ضعونى على منصة الدير ودعونى أنصت إلى التصفيق ... ثم استمعوا إلى تلك الألحان العذبة الشجية التى ستنساب فى تسلسل ... »

وأخذ — فى نشوة تلك الحماسة — يراقص والدته ثم خادمته العجوز « وابى » .

خيّم الصمت على الجميع حول المائدة ما عدا جونى الذى طفق يتحدث عن مشروعاته : —

سأطلق على لحنى الجديد إسم « قلب أمّ » وسنعزفه فى صالة « دمرير » ذلك المطعم الشهير ... والكل يدرك ماذا أعنى بذلك الإسم ... إنه أنت ... أنت وحدك يا أمّاه ... يامن عاونتنى على صعود أولى درجات المجد ... ولكن والدته كانت فى شغل عنه ،

متجهة بتفكيرها إلى والده ، وانتبهت واقترحت على جونى أن يسمى اللحن الجديد « الأمر بالمعروف »

***

وأخيراً حل اليوم الخامس عشر من أكتوبر ، وعلم الجمهور من الإعلانات الضخمة مدار الحديث في الأندية والحوانيت والمقاهى ... أدرك أن « جونى ستروس » كوّن فرقة موسيقية يديرها لعزف لحنه الجديد فى صالة « دمرير » فى « هترنج » ...

واجتمع جميع أهالى « فينا » لمشاهدته : إمّا نصراً يسمو إلى أوج المجد ، أو فشلاً يهبط إلى الحضيض ... وبلغت حالة التوتر أقصاها بين ذلك الجمع الحاشد ، ... وكان لظهور ذلك الفتى الفتّان بمظهر الفنّان بتجاعيد رأسه وبريق عينيه أجمل وقع متباين فى النفوس ... وتمت النساء وقد استخفهن الإعجاب فرحن يهتفن ويشدن بعبقرية ذلك الفنان ... بينما جعل فريق المعضدين يصفقون ويصفرون ... وقوبل لحن القدمة بشىء من الفتور وتصفيق ضئيل خلو من حرارة الإعجاب ...

وجلست فى المطبخ — المجاور للصالة — امرأة تحاول أن تسيطر على أعصابها التى شملها الاضطراب ... فقالت « وابى » العجوز - وكانت جالسة بالقرب منها : « ما هذه إلا القدمة ... ولحننا هو التالى ... »

وكانوا إذ ذاك قد بدأوا فى عزفه ... وانتهى لحن « الأمر بالمعروف » ... انقضت لحظة من الصمت ... لحظتان ... ثلاث ، ثم إذا بعاصفة من التصفيق ترجّ أنحاء الصالة ... وكان ذلك باعثاً على تورّد وجنتى الأم بعد أن علاها الشحوب ... كانت تقدّر مبلغ الإخلاص الذى يقابل به الجمهور لحن ولدها ... وفجأة سكنت الضجة وأعيد عزف اللحن من جديد وعادت عاصفة التصفيق أشد من الأولى ... كانت تزيد كلما أعيد عزف اللحن حتى لكأن ليس لها نهاية ...

جلست الأم فى مكانها الخفى — وقد ارتضته لنفسها — ترجف من الابتهاج ... وأبكاها الفرح فعجزت عن النطق ... وكانت نيران المطبخ تلقى على وجهها ظلالاً أرجوانية ... وبغتة اندفع « جونى » إلى ذراعيها واحتضنته ، وتدفقت دموع الفرح على وجنتيها فى انفعال ظاهر ... فصاح جونى : —

أسمعت يا أماه ؟ ! لقد كنا على حق دائماً ... والآن يجب أن نعمل على إغاظة ذلك الرجل العجوز ... والدى ... »

واندفع خارجاً ... وبُدىء فى عزف لحن « لوريا ولس » الذى ألّفه والده ... فثار الجمهور وأخذ يصيح ويطلب إعادة لحن « الأمر بالمعروف » فكان هذا فوزاً له ... وانتصاراً على أبيه .

وتنهدت « وابى » العجوز واغرورقت عيناها بالدموع وقالت « آه ... لو يرتد لى شبابى وأعود جميلة ... لقبّلت سيدى جونى مراراً ، وتكراراً ... »

***

وفى طريق العودة فى عربتهم ... مالت الأم على ولدها وطبعت على جبينه قبلة مترعة بالحنان ... وقالت :

جونى ... إن هذه ساعة حزنى وسعادتى التى لا تقدر يابنى ... إنى لأشعر كأنى ولدتك من جديد ... »

وكانت هذه هى الكلمات الحقة التى قدّر لأم أن تعثر عليها ... أم ضحّت بنفسها فى سبيل ولدها ... تجلّدت أمام المشقات وذلّلت ما عرض لها فى سبيل تحرير عبقرية ولدها من الاندثار ...

(طنطا) **مصطفى جميل مرسى**

مركز مديرية الغربية

يعلن عن توريد خامات المؤسسات
(جلود — خيزران — حدايد وبويات)
وتطلب الشروط على عرضحال دمغه مرفقاً
به إذن بريد بمبلغ ٢٠٠ مليم وتقدم
العطاءات لغاية يوم ١٨ (ثمانية عشر)
أغسطس ١٩٤٥ ٣٨٥٨

مصلحة الأملاك الأميرية

تشهر للبيع بالمزاد العلني والشروط
الموضوعة لذلك مواشي (أثوار وبغال وحمير
وخيول وأغنام) وذلك بالجلسات العلنية
التي ستعقد بديوان التفاتيش حسب
الموضح بعد ابتداء من الساعة الحادية عشرة
١ — جلسة ٢٨ ـ ٧ ـ ١٩٤٥
بديوان تفتيش دسوق . محطة القصابي دلتا
٢ — جلسة ٢٩ ـ ٧ ـ ١٩٤٥
بديوان تفتيش بلقاس . محطة بسنديلة
وتطلب الاستعلامات اللازمة من
مصلحة الأملاك الأميرية بمصر أو التفاتيش
المذكورة . وللمصلحة الحق في قبول
أو رفض أي عطاء بدون إبداء الأسباب
٣٨٤٦

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦٣٠ – الاثنين ٣٠ يوليو ١٩٤٥ – السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٢٥٠٩

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 630

Lundi - 30 - 7 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٣٠ «القاهرة فى يوم الإثنين ٢١ شعبان سنة ١٣٦٤ — ٣٠ يوليو سنة ١٩٤٥» السنة الثالثة عشرة

أحمـــد محرم (*)

لصاحب المعالى إبراهيم دسوقى أباظة باشا

أيها السادة الأماثل :

حياكم الله ، فلقد اجتمعتم فى هذا الحفل الحاشد لتكريم سيرة راحل خالد كنت أحب أن أشاركم فى الاحتفاء بها ، فأحضر بنفسى لأرد بعض الصنيع الأدبى الذى علىّ لفقيد الشعر العربى المغفور له الأستاذ أحمد محرم ؛ فكم له من أياد خالدات على مصر والمصريين ، سوف يذكرها له تاريخ الأدب الحديث . فقد أضاف الشاعر الكبير ثروة ضخمة إلى تراثنا الأدبى كنا فى أمس الحاجة إليها منذ أن ألقى سامى باشا البارودى بأعنة القيادة إلى خلفائه الفحول : شوقى وحافظ ومحرم ومطران والكاشف . رحم الله من رحلوا ، ومتع الباقين بالصحة والعافية

كان شاعرنا الكبير أحمد محرم بين هؤلاء الأعلام علماً بارزاً ساهم بأوفى نصيب فى بناء صرح الشعر الحديث ، فتجاوبت أرجاء وادى النيل بأصداء قصائده الجياد قرابة نصف قرن ، وشعره يعتبر سجلا زاخراً بشتى ألوان السياسة والاجتماع ، لم يفرط فى صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها من شئون القومية الصادقة والوطنية الكريمة العاملة

وشىء واحد أريد أن أقرره لشاعرنا الكبير ، كثيراً ما دار بخلدى ، ولعله من خصائص شاعريته — رحمه الله — وهو بهذا الشىء يقف وحده بين سائر أئمة الشعر العربى الحديث ، ذلك أنه شاعر الإسلام غير منازع فى عصرنا هذا

فلقد توفر منذ حداثته على دراسة آثار الإسلام من علوم ومعارف ، ولم يدرج فى بيئة دراسية توجهه وتبصره بمناحى الدراسة والتحصيل

... فلم نسمع أنه درس فى الأزهر أو أى معهد آخر ، بل عكف وحده على المنابع الثرة للغة العربية من كلام الله وكلام العرب ، يهديه وحى الفطرة النقية ، وتدفعه نوازع المواهب الأصيلة ، فشب نبتاً كريماً رويه هذا الورد المورود حتى أينع وأخرج شطأه واستوى على سوقه

وكان لكل ذلك أعمق أثر اضطرب فى نفس شاعرنا الكبير مما حداه فى أخريات أيامه إلى نظم ملحمته الكبرى (الإلياذة الإسلامية) التى عارض بها (إلياذة هوميروس) ، وهو بهذا العمل المجيد الذى جاء نتيجة موفقة لنشاط المواهب التى استوعبت أمجاد الإسلام ومفاخره وأزهى أيامه وعهوده ...

(*) ألقيت فى الاحتفال الذى أقيم بدار سينما بلدية دمنهور لتأبين الشاعر الكبير المغفور له الأستاذ أحمد محرم يوم الثلاثاء ٢٤ـ٧ـ١٩٤٥

هو بهذا العمل يقف وحده فى الطليعة بين قادة الشعر الحديث .

وليس هذا المجهود على ضخامته وفخامته لشاعرنا فحسب ، بل أذكر أننى قرأت له فى إحدى المجلات الأدبية الكبيرة ثلاث قصائد فى موضوع واحد وغرض واحد متباينة فى سمو معانيها ، وصفاء ألفاظها ، ودقة أساليبها ، فلا تكرار فى المعانى ، ولا تشابه فى الأساليب والألفاظ ... تلك قوة منقطعة النظير ، لا تواتى إلا من هو فى مواهب شاعرنا الممتازة ، وعبقريته النادرة ، التى تعاونت فى تكوينها أسباب الثقافة الإسلامية ، ولكن ذلك الموضوع الذى أحدثكم عنه هو (غزوة بدر الكبرى)

تلك ناحية باقية تكفى وحدها لتخليد ذكره بين عظماء الفكر الحديث ، فهو الشاعر الإسلامى العربى فى كل ما ينتجه ذهنه الخصب وخياله الواسع

ديباجة مشرقة ، وأداء محكم ، وأسلوب أنيق ، كل ذلك يصدر عن طبع أصيل فى نفس شاعرة تستلهم أصدق مصادر الشعر العربى ، وكان يتجلى ذلك حينما تستثار شاعريته الفياضة فى موضوع يتصل بمذخوره العربى الخالص

فمشاهد الحركة الإسلامية الأولى ومجالى طبيعتها الشاعرة فى عصورها الناصعة تسيل لها نفسه معانى وأخيلة فى كثير من الدقة والجمال . تلكم الصحراء ، يزورها الشاعر مع رفقة من أصدقائه وأحبائه ، فتجرى على لسانه قصيدته البارعة الرائعة التى حلت بها جريدة الأهرام جانباً كبيراً من صفحتها الأولى استهلها رحمه الله بقوله :

هى الدنيا التى تسع الجبالا فسر إن شئت أو ألق الرحالا
هى الدنيا التى وسعت خيالى مررت بهـا فظنتنى خيالا

هذا ، ولقد مر شاعرنا الكبير يعبر دنياه كما يقول كالخيال الخاطف ، لم يخلف من آثاره العديدة شيئاً مذكوراً ، وأرجو أن أوفق فى رجائى زميلى صاحب المعالى وزير المعارف ليصدر أمره بطبع أثره الفنى القيم الماثل فى (الإلياذة الإسلامية)

وبذلك تكون الحكومة قد أدت بعض الحق للشاعر الكبير المغفور له الأستاذ أحمد محرم ، عوض الله اللغة العربية عنه خيراً ، وأجزل له بقدر ما أدى إلى وطنه العزيز فى نهضته الفكرية الحديثة إنه سميع مجيب .

إبراهيم دسوقى أباظة

عم يتســاءلون ؟

الأستاذ أحمد رمزى

إن الذين رأوا حربين عالميتين ، أطلقوا على الأولى « الحرب العظمى » ، وعلى الثانية « الحرب العالمية » ! يتساءلون اليوم عما يأتى به الغد لهذا البلد الأمين

لقد تبلورت أمانينا عند نهاية الحرب الماضية فى كلة « الاستقلال التام » ، نخيل إلينا أنها سلَّم النجاة ، وتلقينا من قادتنا أن علة بلادنا هى سيطرة الغالب على مرافق الحياة فيها ، وأن العلاج الشافى هو « الاستقلال » !

وها نحن أولاء اليوم — كما بدأنا بالأمس فقط — تغير الاسم ، فأصبح « الأمانى القومية » بدل عنوان « الاستقلال » ، ولكن هناك فارق ، ففى الماضى كنا نصدق ونؤمل وننتظر . كنا ننظر إلى القادة نظرة ملؤها الإجلال . أما اليوم ، فإننا نجر وراءنا ربع قرن من التجارب القاسية ، والأحلام الضائعة ، والآمال التى لم تتحقق . فهل لدى هـذا المجموع اليوم من القوى الروحية الواقعة ما يجعله يترقب طلوع شمس الحقيقة ، كما تطلع إليها الجيل السابق وعمل للوصول إليها ؟

من واجب الجيل الناشئ والمخضرمين أن يوجهوا هذا السؤال إلى أنفسهم أولا ، وأن يعلموا يقيناً أنه قد يسهل تحريك الشعور الوطنى أو القوى أو العاطفى ، كما حدث عام ١٩١٩ ، ولكن لا نريد أن تتكرر أخطاء ٢٥ عاماً مرة أخرى ، فما العمل ؟

يجب أن نعرف مقدار ما لدينا من عوامل البناء قبل أن نحرك القوى الدافعة ، لكيلا تعرض مشروعاتنا دائماً للفشل والتراجع كما حدث فى الماضى ، وكما يحدث فى الوقت الحاضر

ولنا أن نتساءل : إلى أى مدى يمكن أن تسير بنا القوى الروحية والمقاييس العليا والسياسة العاطفية ؟ ولماذا تتبخر هذه القيم وتفنى لدى الصدمة الأولى ؟

إذا عدنا إلى أنفسنا وجدنا أننا نشأنا على النمط الذى وجدنا عليه آباءنا من قبل ، فحملنا أخطاءهم ومزاياهم ، وجاء التعليم

الحديث الأوربى ، فتعلمنا على القدر الذى سمح لنا به ، كما صيغت نفوسنا فى القالب الذى أراد واضعو هذا التثقيف أن نصاغ عليه ، فما ذا كانت النتيجة ؟

جاءت أذواقنا مختلفة ، وثقافتنا واهية ، ونظرتنا للأشياء ناقصة ، وهذه مجتمعة علة هذا التبلبل والتفكك القائم اليوم

واكتفينا بالسير على قدر ، والنوم على الأمجاد الماضية ، وكانت الوعود غير المعقولة تغذينا ، والعبارات المسجعة تشبعنا ، وطالما خدرتنا الألفاظ والمقالات المنمقة ، فلهونا بالمظهر عن الجوهر وعما ينفع الناس ويمكث فى الأرض ؟

وأخوف شىء على مستقبل هذه الأمة أن تنشئ الجيل الجديد على هذا النسق ، فهل لدينا من الشجاعة والإخلاص الصحيح ما يدفعنا إلى إنقاذه وحمايته من الأقدار التى لم تنصفنا ؟

سؤال تصعب الإجابة عليه ، ولكن فلنجتهد أن نواجه أكبر أزمة مرت بالبلاد منذ قرون طويلة ، ذلك لأننا نعيش فى عالم يتطور بسرعة غريبة لم نعهدها من قبل ، وسيصيبنا منه الكثير من الخير والشر معاً

أضف إلى ذلك أن القيم الروحية والقيود الخلقية التى عشنا أجيالا تحت أكنافها ، قد أخذت تنهار ولم تترك ما يحل مكانها ، ورأينا فى خمس سنوات الحرب ، وهى تعدل خمسين عاماً تقدماً مادياً يكاد يكون خاطفاً ، وتسابقا إلى إحراز الغنى والثروة فى أى طريق ، ويصحب كل هذا تدهور أخلاق ، وفقدان للثقة ، وسخرية من كل من يؤمن بالصالح العام ، أو يدعو إليه

وأمامنا جيل ناشئ يرجو لأمته حياة أرقى وأعلى وأسعد مما نعيش عليه الآن ، وهو جيل سيحاسب ويناقش ، وبما أنه إنسانى ، فمن الطبيعى أن يتعجل الخطوات ، بل يخلق الظروف لاستعجالها ، وسيتوهم فى نفسه القوة والمقدرة ، وسيكافح إلى مدنية جديدة أقرب إلى أحلامه وأكثر طلاوة ونفعاً مما الفناه ، وسيقول : إنى أريد أن أحيا حياة أقرب إلى حياة البشر . فما ذا أعددنا لهذا اليوم ؟

أنا لست بمتشائم ، ولن أحاول أن أقلل من طاقة مصر ، أو من قيمة القوى الإنشائية والخلقية ، ولكنى أخشى الأخطار التى تواجه هذا الجيل ، وأولها الغرور الذى يتملك الأفراد والجماعات على السواء ، وقد أصبح علة من علل المجتمعات الشرقية الناشئة .

إننا ندعوه أن يتعرف على نفسه ، فإذا عرف ما ينقصه أسرع إلى استكماله ، وإذا اكتشف نواحى القوة الكامنة التى لديه أخذ فى تقويتها . ثم ليعرف تماماً أن مقدرات هذا الوطن ليست ملكا له وحده ، بل هناك من الآباء والأعمام والأخوال والأخوة من لهم الحق معه ، وهناك قوى أخرى غير ظاهرة لها وزنها .

وليعلم أيضاً أن المسائل السياسية إذا حلت على حسب رغباته فإنها لا تكفى لإسعاد الأمة ، بل إن العمل بعد تصفيتها أخصب فى المطالبة بها : لأن قدرة هذه البلاد محدودة ، وقوة الأفراد الإنشائية ومقدرتهم على التنظيم محدودة ، فلا يمكن أن نبالغ فيما يمكن عمله ، وما يمكن أن نصل إليه

احمد رمزى

طلائع المجـــد الطريف

فى أفريقيا الشمالية

ماذا فعلنا من أجلهم ؟

للأستاذ توفيق محمد الشاوى

دعك من حديث ماضينا المجيد الخالد ، فإن التاريخ الأمين لن ينسى هذه القرون الطويلة التى حملنا فيها لواء الحضارة ، ورفعنا راية الإنسانية السامية ، وانتقل معى إلى حديث طريف ، لا نذكره للتاريخ فحسب ، ولكن ليسمع كل عربى يؤمن بقوميته وعروبته ، وكل مسلم ثابت على عقيدته ورسالته ، فينفض عن نفسه غبار الذلة ، ويلحق بركب المجاهدين فى سبيل دينهم وقوميتهم ، قبل أن يسجل التاريخ علينا معرة التفريط والعجز .

هذه صورة مجيدة من صور الجهاد العربى ، فى شمال أفريقية ، ثغر العروبة وحصنها الغربى ؛ على سفوح جبال الجزائر الشماء ، حركة دائبة ، تجمع فيها أسود العروبة وأبطال الكفاح يرقبون مطلع نجم جديد ، يسمونه نجم أفريقيا الشمالية ، اتخذوه شارة لوحدتهم ، وعلامة لاستقلالهم ؛ وقد علموا أنه لا يشرق إلا مخضباً بالدماء ، ولا يسبح إلا فى مجرة من نور التضحية والاستشهاد . من حولهم مدن الجزائر المحبوبة لا يكدر صفوها إلا عبث هؤلاء المستعمرين مستكلبين على شهواتهم ، مغرورين بسلطانهم ، يحتفلون بما يسمونه يوم « النصر » ، النصر الذى لم يستحقوه بجهادهم ، ولم ينالوه بتضحياتهم ، ثم أبوا إلا أن يحتفلوا به أسبوعاً كاملاً أرادت فرنسا أن تبيح لشعبها فيه ما شاءت من طعام وشراب لا تملك منه شيئا ، فبعثت وكلاءها وأذنابها يغتصبون طعام العرب فى شمال أفريقية مستعملين فى ذلك أساليبهم الاستعمارية الرجعية ؛ كما أنهم عادوا إلى سياستهم العتيقة لمحو القومية العربية ومحاربة عناصرها من دين ولغة وآداب وتقاليد ووحدة ، حتى نفد صبر العرب المجاهدين . وهاهم أولاء يبدأون كفاحهم فى يوم « النصر » حاملين سلاحهم العزيز ، كما حمله أسلافهم من قبل أمثال عبد القادر وابن عبد الكريم . وهذا سيلهم ينساب على مراكز المستعمرين ومراتع لهوهم وعبثهم ، فألقوا عليهم درساً جديداً فى بطولة العرب وإبائهم ، وشجاعتهم وثباتهم ، وذكروهم بأن حرية العربى أغلى من أن تختلس فى غفلة ، وأن دمه العزيز لا يهدر إلا فى ميادين القتال فداء الوطن والدين ...

ولا يزال صدى هذه المعارك يرهب الفرنسيين ويقض مضاجعهم ، وقد جعلهم يفكرون مرتين قبل أن يقدموا على ما أرادوه من استئناف سياسة الاستعمار الوحشية البالية ، وزاد غيظهم أنهم لم ينالوا من المجاهدين نيلاً يروى حقدهم ، فسلطوا فلولهم — التى فرت من ميدان الكفاح الشريف أمام الألمان — على المدن الآمنة والسكان المسالمين فضربوهم بمدافعهم وطائراتهم وقتلوا آلاف المدنيين الذين لا ذنب لهم ، وانجلت الثورة عن هالة حمراء من دماء العروبة الزكية أطل منها النجم المرتقب ، نجم المجد العربى الطريف ، نجم وحدة أفريقيا الشمالية واستقلالها يرقب من بعيد هلال الوحدة العربية فى الشرق ، لعله يستجيب فتجمعها جامعة العروبة وروح الإسلام فى سماء العزة والسيادة .

ونحن فى المشرق ، ما ذا فعلنا من أجل هذا النجم العزيز وهذا الأمل المشترك ؟ هل مددنا أيدينا إلى هؤلاء العرب المجاهدين فى المغرب لنربط جهادنا بجهادهم ، ونشد أزرهم فى كفاحهم ؟ ستجيب « الجامعة العربية » عن ذلك ؛ ولكنى أسائل المصريين الكرماء الذين ساعدوا منكوبى الإنسانية من كل جنس ولون : من الحبشة إلى اليونان إلى اليوغوسلاف والهولنديين والبلجيكيين بل والروسيين فى ستالينجراد ، ألم يعلموا أن هذه الثورة العظيمة فى الجزائر قد أسفرت عن منكوبين لا يقلون عن خمسة آلاف وأسرهم ، بين قتيل وجريح وسجين باعتراف الحكومة الفرنسية نفسها ، وإن كانوا لا يقلون عن ثلاثين ألفاً فى تقدير المصادر المحايدة ؟ فأين ذهبت النجدة والكرم ، وأين حكومتنا التى تدفع الملايين من الجنيهات لتعمير بلاد أوربا « المحررة » أليس من الأولى أن نفكر فى تحرير أوطان العروبة المستعمرة ، أو إنقاذ إخواننا المنكوبين فى تلك البلاد الشقيقة ؟

توفيق محمد الشاوى

مدرس بكلية الحقوق — بجامعة فؤاد

فى إرشـــاد الأريب
إلى معرفة الاديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ١٠ —

* ج ١٧ ص ٢٦٠ : وله (للأبيوَردى) :

ما للجبان ألان الله ساحته ... ظن الشجاعة مرقاة إلى الأجل
وكم حياة جبتها النفس من تلف ... ورب أمن حواه القلب من وجل
فقتَ الثناء فلم أبلغ مداك به ... حتى توهمت أن العجز من قِبلى
والعى أن يصف الورقاء مادحها ... بالطوق أو يمدح الأدماء بالكَحَل [(١)]

وجاء فى الشرح : ألان الله ساحته : أى سهل الله حياته (جبتها) : جمعتها ، وهى فى الأصل (حبتها) تحريف

قلت : (ما للجبان ألان الله جانبه) ذلله . و (كم حياة جنتها النفس من تلف) جنى يجنى . و (بالطوق أو يمدح الأدماء بالكحل) .

* ج ١٤ ص ١٩٩ : ومن مستحسن شعره (يعنى أبا الفتح ابن العميد على بن محمد) :

عودى وماء شبيبتى فى عودى ... لا تعمِدى لمقاتل المعمود [(٢)]
وصليه ما دامت أصائل عيشه ... تؤويه فى فىء لهـا ممدود
ما دام من ليل الصبا فى فاحم ... رجْل الذرا فينان كالعنقود [(٣)]

(١) الأدماء : السمراء . اللسان : الأدمة فى الانسان السمرة . فى التهذيب : السمرة لون الأسمر ، وهو لون يضرب إلى سـواد خفى ، وفى صفته (صلى الله عليه وسلم) كان أسمر اللون . السمر ظل القمر والسمرة مأخوذة من هذا .

(٢) العميد والمعمود : الذى بلغ به الحب مبلغاً . وقلب عميد هده العشق وكسره (اللسان) .

(٣) شعر رجل — بفتح الجيم وكسرها وسكونها — بين السبوطة والجعودة ، وفى صفته (صلى الله عليه وسلم) كان شعره رجلا أى لم يكن شديد الجعودة ولا شديد السبوطة بل بينهما (اللسان) .

(فينان) له أفنان كأفنان الشجر ، وقد منع الشاعر صرفه وهو مصروف كما قال سيبويه ، رجل فينان وامرأة فينانة .

قتل الزمان فطارقات جنوده ... يبدلنه يققاً بأربد سـود

قلت : فى اليتيمة ، ومنها نقل ياقوت :

قتل المشيب فطارقات جنوده ... يبدلنه يققاً بسُحْم سـود

والخصومة اليوم بين الشاعر وبين الشيب [(١)] ، وهو إنما يدعو عليه . والمعروف قولهم : شعر أسحم — والأسحم الأسود — لا شعر أربد . والربدة هى نحو الرمدة وهى لون الرماد كما فى الأساس . أو نحو الطُّحلة وهى بين الغبرة والبياض بسواد قليل ، وهو طحِل والأربد نحوه كما فى المخصص . قال الحماسى (بكر بن النطاح) :

بيضاء تسحب من قيام فرعها ... وتغيب فيه وهو وَحْف أسحم [(٢)]
فكأنها فيه نهار ساطع ... وكأنه ليـل عليها مظلم

وقال أبو الطيب :

راعتك رائعة البياض بعارضى ... ولو انها الأولى لراع الأسحم [(٣)]
ولقد رأيت الحادثات فلا أرى ... يققاً يميت ولا سواداً يعصم [(٤)]

وقال الأبيوردى :

لكِ من غليل صبابتى ما أضمر ... وأسر من ألم الغرام وأظهر
وتذكرى زمن العذيب يشفنى ... والوجد ممنوٌّ به المتذكر [(٥)]
إذ لمتى سحماء مد على النقا ... أظلالها ورق الشباب الأخضر

وقد ذكرنى بيت ابن العميد وقوله فيه : (بسحم سود) بنكتة مهمة لغوية فى (المخصص) وهى هذه :

فأما قوله تعالى : ومن الجبال جدد [(٦)] بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ... فلا أعلم لأحد فيه مزيداً على أن سماه تأكيداً ؛ والتأكيد ساذَجاً غيرَ مزيد عليه لا يُقر عين الفهم بالنظر إليه ، بل هو فرع دانى الجناة ، وشرط يدركه طالبه

(١) بين تكرير مع الظاهر كما تكرير مع المضمر ، وقد أخطأ الحريرى وغيره فى تخطئة ذلك .

(٢) شعر ونبات وحف ، وقد وحف — بضم الحاء — وحافة : كثف واسود (الأساس) .

(٣) لا يرعك شيبى فلو كان أول لون الشعر بياضاً ثم اسود لراعك الأسود إذا ظهر ، فلا تراعى للبياض فانه كالسواد (العكبرى) .

(٤) أبيض يقق : شديد البياض .

(٥) منى بكذا : بلى به ، وهو ممنو به (الأساس) .

(٦) ومن الجبال طرائق وهى الجدد وهى الخطط تكون فى الجبال بيض وحمر وسود كالطرق واحدتها جدة (الطبرى) .

بالتؤدة والأناة . فنحن نلتمس له طبيعة تمده ، ومعنى يجلو من صدئه فيَسحده ، إلا أن تدفع داعية الضرورة ، إلى أن يكون بخلاف هذه الصورة . فأما ونحن نجد عن ذلك متندحاً عريضاً ، ومنفسحاً أريضاً ، فإنا لا نفرغه ، من فائدة تمرنه وتسوغه . وهذا التأكيد الذى فى هذه الآية مما يقبل التعليل ، ويسع التأويل ، فلا تقبلنه ساذجاً ، ولا تستعملنه خارجاً ، فأقول : إن فى هذه الآية ثلاثة أنواع من اللون محمولة بالاشتقاق على موضوعاتها ، وهو الأبيض والأحمر والأسود ، ولهذه الأنواع الثلاثة فى هذه اللسان العربية أسماء مستعملة قريبة ، وأخر بالإضافة إليها وحشية غريبة ، لا تدور فى اللغة مدارها ، ولا تستمر استمرارها ، ألا ترى أن قولنا أبيض وأحمر وأسود من اللفظ المشهور ، وقد تداولته ألسنة الجمهور ، وقولنا فى الأبيض ناصع ، وفى الأحمر قمد ، وفى الأسود غربيب ، من الأفراد التى رفعت عن الابتذال ، وأودعت صواناً فى قلة الاستعمال ، مع أنك لا تجدها فى غالب الأمر إلا تابعة للألفاظ المشهورة ، يقولون أبيض ناصع وأحمر قمد وأسود غربيب ، وإن كان قد يستعمل مفرداً كقوله : (بالحق الذى هو ناصع) و (يعصر منها مُلاحىّ وغربيب) و (بقمد كسائل الجريال) لكننى إنما قلت بالأغلب والأذهب . فلما ذكر تعالى هذين النوعين المشتقين بالإسمين المشهورين الأبيض والأحمر ، وشفعهما باللفظ الغريب الذى لا تكاد تراه إلا تابعاً وهو الغريب قرنه بالإسم المشهور الذى هو الأسود ، وصار بمنزلة صفة .

قلت : وابن جرير الطبرى فى (جامع البيان) وهو تفسيره المشهور يقول : وجعل السواد ههنا صفة للغرابيب .

* ج ١٨ ص ١٧١ : الله المستعان ، أساء سمعاً فأساء إجابة .

وفى الحاشية : فى الأصل فأساء جابة . قلت : الأصل صحيح . وهذا من أمثالهم . وقد رواه الصحاح والأساس واللسان والتاج ، وقال الجوهرى : هكذا يتكلم بهذا الحرف ، وقال الزمخشرى : أى إجابة كالطاعة والطاقة . وفى (مجمع الأمثال) فى شرحه : يقال : أجاب إجابة وجابة وجواباً وجيبة ، ومثل الجابة فى موضع الإجابة — الطاعة والطاقة والغارة والعارة[١] .

(١) اللسان : العارية منسوبة إلى العارة ، وهو اسم من الأعارة تقول أعرته الشيء أعيره إعارة وعارة ، قال ابن مقبل :
فأخلف وأتلف إنما المال عارة وكله مع الدهر الذى هو آكله
وفى الصحاح : العارية بالتشديد كأنها منسوبة إلى العار لأن طلبها عار وعيب

* ج ١٣ ص ٢٨٩ : قال (على بن عبد الله بن وصيف الناشئ[١]) لما وفدت على سيف الدولة وقع فى أبو العباس النامى[٢] [٣] ، وقال : هذا يكتب التعاويذ . فقلت لسيف الدولة : يتأمل الأمير فإن كان يصلح أن يكتب مثله على المساجد بالزاج فالقول كما قال . وأنشدته قصيدة أولها (الدهر أيامه ماض ومرتقب) وقلت فيها :

فارحل إلى حلب فالخير منحلب
من نيل كفك إن لاحت لنا حلب

فقال : يا أبا الحسين ، بيت جيد لكنه كثير اللبن ...

وجاء فى الشرح : الريج فى الأصل الدبخ . والريج والرويج : الدرهم الصغير الخفيف .

قلت : (يكتب مثله على المساجد بالزاج) فى التاج : والزاج ملح معروف ، وقال الليث : يقال له : الشب اليمانى ، وهو من الأدوية وهو من أخلاط الحبر . وفى (الألفاظ الفارسية المعربة) : الزاج تعريب زاك أى ملح يصبغ به .

* ج ٣ ص ٢٥١ : والمنجم أبو الفتح أحد من سلك سبيل آبائه فى طرق الآداب (واهتدى بهديهم فى تلك إلى الفضائل من كلٍّ) روى عنه أبو على التنوخى فى نشواره فأكثر ، ووصفه بالفضل وما قصّر .

قلت : ربما كانت الجملة التى وضعتها بين قوسين بهذه الصورة : واهتدى بهديهم من تلك الفضائل إلى كل باب .

* ج ١٧ ص ١٦١ : أحسنت والله يا أبا الندى ، وأحسنت .

قلت : وقد وردت هاتان الجملتان أنفسهما فى ص ١٦٢ من هذا الجزء ، ومعهما هذه الواو العاطفة ، واليقين أنها من زيادة الناسخين ، إذ بين الجملتين كمال الاتصال ، وهو مانع من مثل هذا العطف .

* ج ١٧ ص ١٦١ :

يا قبر نجدة لم أهجرك مَقلِيةً ولا جفوتك من صبرى ولا جلدى

قلت : مقلية — بفتح الميم لا ضمها كما ضبطت فى الكتاب —

(١) الأصغر ، والناشئ الأكبر عبد الله بن محمد .
(٢) فى وفيات الأعيان كنيته أبو الحسن .
(٣) احمد بن محمد الدارى من فحولة شعراء عصره وخواص مداح سيف الدولة وكان عنده تلو المتنبي فى المنزلة والرتبة (ابن خلكان)

وليس فى العربية أقلاه حتى تجىء مقلية . فى اللسان : قليته قِلى وقِلا ومَقلية : أبغضته . وفى الأساس : وهو بقليه وبقلاه ، وفعل ذلك عن قلى ومقلية .

* ج ٢ ص ٦٣ : وله (للصابى) :

وجع المفاصل وهو أيسر (م) ما لقيت من الأذى
جعل الذى استحسنته والناسَ من حظى كذا
والعمر مثل الكأس يرسب (م) فى أواخرها القذى

وجاء فى الشرح : من حظى متعلق باستحسن ، و كذا إشارة إلى وجع المفاصل ، والناس ترفع عطفاً على فاعل استحسن وبنصب مفعولاً معه وهو أرجح :

قلت : والناسَ بالنصب عطفاً على الذى ، و (كذا) كناية عن حالته هنا .

* ج ١٦ ص ١٦٥ : لا تتصدَّر إلى فائق أو مائق .

قلت : (لا تتصدَّ لفائق أو مائق) لأن الأول يغلبك والثانى يتعبك .

* ج ١٥ ص ٦٩ : ومن كتابه[1] (كتاب سرعة الجواب ومداعبة الأحباب) أنشدنا الإمام أبو الحسن على بن أبى زيد فى المذاكرة وقد رُقى إليه كلام قبيح عن بعض أصدقائه فقال مستشهداً :

إنى إذا ما الخليل أحدث لى صَرماً ومل الصفاء أو قطعا
لا أحتسى ماءه على رنق ولا يرانى لبينه جزعا
اهجره ثم ينقضى زمن الهجران (م) عنا ولم أقل قذعا
احذر وصال اللئيم ، إن له عَضْها إذا حبل ذكره انقطعا

وجاء فى الشرح : عضها أى تمزيقاً وتفريقاً .

قلت : الأبيات للمتوكل الليثى فى (الحماسة) وفيها (غُبّر الهجران[2]) مكان (زمن الهجران) و (حبل وصله انقطعا[3]) .

* ج ٧ ص ١٥٨ : ومن شعر (جعفر بن أحمد السراج البغدادى) :

دع الدمع بالوكف يُنكى الخدودا فإن الأحبة أضحوا خمودا

وجاء فى الشرح : من نكأ الرجل القرحة: قشرها قبل أن تبرأ.

قلت : (تنكى) بفتح التاء ، نكاه ينكيه لا أنكاه ، ولم يكن قبل البكاء فى الخدود قرحة حتى يدعو الدمع إلى نكئها . وإنما يدعوه اليوم إلى نكايتها : إلى جرحها وتعذيبها ...

* ج ١٨ ص ١٤٣ : وقال ابن دريد فى النرجس :

عيون ما يلم بها الرقاد ولا يمحو محاسنها السهاد
إذا ما الليل صافحها استهلت وتضحك حين ينحسر السواد
لها حدق من الذهب المصفى صياغةَ من يدين له العباد
وأجفان من الدر استفادت ضياء ، مثله لا يستفاد
على قضب الزبرجد فى ذراها لأعين من يلاحظها مُراد

قلت : (مراد) بفتح الميم هنا لا ضمها . أى مجال . فى الأساس : وراد رَوَداناً : جاء وذهب ، وراد النعم فى المرعى : تردد ، وهى فى مرادها . وفى التاج : مراد الريح : حيث تجىء وتذهب .

***

فى الرسالة ٦٢٥ فى القسم — ٦ — يروى البيت الآتى بهذه الصورة :

بل ثياب القين بزكم وثياب القين مشتهره

بيت أبى تمام فى القسم — ٨ — فى آخره ، هذه روايته :

يحميه لألاؤه ولوذعيته من أن يذال بما أو ممن الرجل

ولم يجىء (فى طبعة إرشاد الأريب) بيتاً وإنما جاء كلاماً منثورا .

---

(١) الحسن بن جعفر بن عبد الصمد .

(٢) الغبر : البقايا واحدتها غبرة (التبريزى)

(٣) يقول : احذر مواصلة اللئيم ومؤاخاته لأنه إذا انقطع حبل وصله تكذب عليك وتخلق من الافك فيك ما لم تكسبه . ويقال : عضهته إذا رميته بالزور ، وعضه الرجل أتى بالعضيهة وهى الافك (التبريزى) .

محالفة ثلاثية ضد العالم

للأستاذ نقولا الحداد

بعد أول اجتماع بين تشرشل وروزفلت ألقى تشرشل خطبة فى مجلس العموم ، قال فيها إنهما اتفقا على أن يكون فى العالم هيئتان دوليتان كبريان تحلان محل جامعة الأمم المرحومة : الأولى غربية لجميع دول أوروبا وأميركا . والثانية شرقية على مثالها . والهيئة الأولى تؤلف من روسيا وانجلترا والولايات المتحدة كدول أساسية ، ثم تنضم إليها الدول الأخرى تابعة أو ثانوية لها. ولم يقل شيئاً عن الشرقية .

ووافق ستالين على هذا .

ومن ثمّ نشأت عبارة « الأقطاب الثلاثة » فقلنا حينئذ إن هذا النظام هو تحالف ثلاثة ضد العالم كله لأنه فهم من نحو تلك الخطبة أن الكلمة النافذة فى تلك الهيئة الغربية هى لهذه الدول الثلاث وأن للدول الصغرى رأياً استشارياً فقط . فما تقرره دول الأقطاب ينفذ .

ولما صدر ميثاق سان فرنسيسكو الأخير وفيه دستور « مجلس الأمن » ظهر أيضاً أن الرأى الأول الأعلى هو لهؤلاء الدول الثلاث . وأما سائر دول الاتحاد الدولى وعددها ٤٨ دولة فتعتبر ثانوية ورأيها ثانويا . وقد أضيف إلى الدول الثلاث الرسمية فرنسا والصين . وبهذه الإضافة سقط مشروع « الهيئة الدولية الشرقية » التى نوه بها تشرشل فى خطبته المشار إليها . وكان يظن أن الصين تكون رئيسة هذه الهيئة الشرقية .

وقد ألحقت الصين وفرنسا بهذا المجلس كدولتين دائمتين كدول الأقطاب الثلاثة لا لأنهما دولتان كبريان فلابدّ من أن يحسب حسابهما إذا اختلفت دولات الأقطاب فتعدّلان الميزان — ليس لهذا السبب فقط ، بل لأن فرنسا المخلّفة التى قوّمتها انجلترا على قدميها ، وهى على أنف ألمانيا من جهة الغرب ، لازمة لكل من الدولتين روسيا وانجلترا اللتين تخشيان مناوءة ألمانيا لهما إذا استطاعت أن تعود إلى المناوءة.. ولهذا تجاذبتها روسيا من ناحية وانجلترا من ناحية أخرى كل منهما تخطب ودها . فغريبٌ أن قوتين تتنافسان فى الالتجاء إلى ضعيفة . فمن حسنات الخلاف القائم الآن بين الأقطاب أو من مساوئه أن الضعيفة استقوت وتدلّلت وعادت تشمخ بعد أن تمرّغ أنفها فى حمأة الذل والهوان .

وأما الصين فتجاذبتها دول الأقطاب جميعاً لأنها المرعى الخصيب للاستعمار التجارى فلابدّ من التملق لها . على أن النفوذ الأول والآخر لدول الأقطاب الثلاثة أولا وآخراً .

وكان من مناقضات الديموقراطية أو مفارقاتها فى « مجلس الأمن الدولى » السانفرسيكى أن المجلس يرفض أية شكوى من أية دولة صغيرة أو ثانوية ضد دولة كبرى رئيسية إذا كانت واحدة من الدول القطبية ترفضها — هذا بحسب دستور المجلس المذكور .

وقيل إن سبب هذا الرفض المخالف للعدل والحق والديمقراطية أن الدولة الرافضة قد تطلب النزال إلى الميدان . فتحاشيا للجنوح إلى الحرب سنّ هذا القانون الغريب العجيب . وهو موافقة الدول الكبرى للدولة الرافضة على الرفض حتما .

إذاً لا ينظر مجلس الأمن فى شكوى دولة صغيرة من دولة كبرى بل ينظر فقط فى شكوى صغيرة من صغيرة . والدولة الكبرى فوق القانون أو فى حصانة القانون .

إذن فمجلس الأمن هذا هو مجلس تحكّم الأقوياء بالضعفاء . هو محالفة ثلاثية قوية ضد جماعة من الدول الصغرى . ولا يؤمن ظلم هذا المجلس إلا إذا وقع خلاف شديد بين الأقطاب الثلاثة أو الأقطاب الخمسة . فأين الأمن الذى ينتمى له هذا المجلس القطبى العظيم ؟ وكيف يطمئن العالم إلى أمن دولى يترنّح بخيطٍ واهٍ فى الهواء ؟

إذا كان لمجلس الأمن شأن فى فض مشاكل الدول فما معنى أن يجتمع الأقطاب الثلاثة الآن لكى يفضوا مشاكل الأمم الشرقية: طنجة ، والدردنيل ، وأردهان ، والبلقان ، وسوريا ، ولبنان ، وفلسطين الخ فضلا عن مشاكل أوروبا نفسها ؟ إذن ما هى وظيفة « مجلس الأمن » الذى يحسبونه أعظم نتاج لمؤتمر سان فرنسسكو إذا لم يكن من شأنه أن ينظر فى هذه المشاكل ؟

نرى أن مصالح العالم كله أصبحت رهن قرارات مؤتمر الأقطاب الثلاثة . ومن يدرى أن هذا المؤتمر الثلاثى لا يعقد كل حين بعد آخر لتسوية مشاكل الأمم ما دام أعضاؤه متفقين . فيكون أمره الأمر .

تطور بلاد العرب الشمالية (*)
وتأثير ذلك فى علاقاتهم الخارجية

الميجر ج . ب . كلوب

ترجمة الأستاذ جميل قبعين

أريد أن أقسم موضوع مقدار الرقى والتغير فى بلاد العرب الشمالية إلى قسمين : أولا بحث الموضوع من الوجهة الجغرافية ؛ ثانياً بحث قابلية سكان تلك الأقطار للرقى . وفى النهاية نستخرج خلاصة هذين القسمين فى نتيجة لنكون لنا فكرة عن المستقبل .

العوامل الجغرافية الخارجية

يجدر بنا عند بحث الوجهة الجغرافية أن نقسمها إلى فصلين : عوامل خارجية وأخرى داخلية . إن أول ما يلفت نظر الإنسان فى بحث أهمية الأقطار العربية فى السياسة الدولية من وجهة جغرافية خارجية هو كونها ممراً بين أوربا وآسيا . وإذا ما رجعنا إلى الوراء نجد أنه منذ بدء التاريخ لم توجد طريق بين الهند والشرق الأقصى وبين أوربا — طريق يمكنها أن تحتل بالفعل مكانة الطريق التى تمر من الأقطار العربية . ويرجع ذلك لكون بلاد فارس والأناضول تحتل جانباً من جانبى هذه الطريق ، والسودان والحبشة والصحراء الكبرى تحتل الجانب الآخر . ونظرة إلى الأناضول وبلاد فارس ، وهما بلدان جبليان ، وإلى الحبشة والسودان والصحراء وهى بلاد صحراوية ، ترينا أنهما يشكلان حاجزين فى طريق الشرق وبينهما مصر وسوريا الطريق الوحيد للشرق . لقد حفرت قناة بين النيل وبين البحر الأحمر لتحمل التجارة منذ زمن الفراعنة . وعند قيام البتراء كانت البضائع تحمل على الجمال على طول الشاطئ الحجازى لتوزع على الإمبراطورية الرومانية ، كما نقلت التجارة على الفرات قاطعة بادية الشام إلى تدمر . وفى زمن النبى (صلعم) كانت لمكة أهميتها التجارية الخاصة إذ كانت

(*) محاضرة ألقاها الميجر ج . ب . كلوب فى تشاتام هاوس بلندن فى اجتماع ترأسه السير رونالد ستورس .

لسنا والله على أمل ورجاء فى الأمل والسلام إذا كان الأقطاب يضطرون أن يجتمعوا لكى يدبروا أمور الأمم حسبما يروق لهم وحسبما تقضيه مصالحهم من غير اعتبار للعدل والحق . وقد صدر قانون مجلس الأمن باستهلال نذير بأنه ليس إلا ألعوبة سخرية أو مهزلة تمثيلية لأنه فى ساعة ما كانت فرنسا توقع على ميثاق الأمن والسلام كانت تغدر بسوريا وتنكل وتفظع فيها بلا حياء ولا خجل وهى عزلاء . فإذا كانت فاتحة نظام الأمن هكذا فأى مهزلة أقبح من هذه المهزلة ! وما قيمة هذا الميثاق إذا كان أحد أركانه وقطب من أقطابه يفتتح العمل به ، بهذا التمثيل والتفظيع .

وإذا كان مجلس الأمن يؤلف من خمسة أعضاء دائمين وستة ينتخبون بالتناوب ، وإذ كان فصل الخطاب للدائمين والطاعة العمياء للستة المتجددين ، فأين الديمقراطية وأى قضاء هذا ؟ وكيف يكون عادلا ؟ هل قضاته ملائكة فى السماء لا مطامع لهم على الأرض ؟

وما معنى أن يقتصر مؤتمر الأقطاب على الثلاثة فقط ولا يشمل الأقطاب الخمسة جميعاً ؟ هل العضوان الآخران « طرطوران » ؟ لم نخطىء فى قولنا أن مصالح العالم كله أصبحت فى أيدى ثلاثة رجال فقط وهو أمر من أغرب أمور التاريخ الجديد .

ترانا أمام عدة هيئات :

١ — الأقطاب الثلاثة .

٢ — الأقطاب الخمسة .

٣ — مجلس الأمن ذى الأقطاب الأحد عشر .

٤ — جمعية الدول العمومية ذات الـ ٥١ عضواً .

فبأى هذه الهيئات يتعلق مصير الأمم الصغرى يا ترى ؟ وأيها أحق بفض مشاكل الأمم وأصلح لها ؟

نرى أننا فى فوضى من الأنظمة الدولية المتضاربة المتعاكسة المنذرة دائماً بالاضطراب العالمى . الأمن فى يدها تحت خطر .

أضف إلى ذلك خوف العالم من عقبى اختلاف الأقطاب . وهو شر نذير بالخطر المخيف . فإذا اختلفوا يحتدم الخطر ويقع القضاء والقدر . اللهم انقذنا من اقتداح الشرر ، حسبنا ما كان وما غبر .

نقولا الحداد

البضائع تحمل على الجمال وتقطع الحجاز إلى الأمبراطورية الرومانية ليستفيد الرومان منها دون الاضطرار إلى مرورها بالمناطق الفارسية. وقد حاول البرتغاليون فى القرون الوسطى تأسيس مراكز تجارية فى الخليج الفارسى والبحر الأحمر ثم فى عدن — كما أن البريطانيين اتخذوا الفرات لتأسيس مصلحة مراكب تجارية تنحدر من سوريا الشمالية عليه . وفى هذه الفترة حفرت قناة السويس فعادت طريق التجارة إلى مصر . ومن الحرب الكبرى نرى أن سيارات الصحراء والمواصلات الجوية حولت قسما من التجارة إلى سورية وفلسطين والعراق . ولكن مهما تأرجحت طريق التجارة نجدها دائماً بين أيد عربية — مصر من جانب ، وبلاد الرافدين (الجزيرة) من جانب آخر .

إن أهمية البلاد العربية لا تنحصر فى كونها ممراً بين أوربا والشرق فحسب ، بل لأنها أيضا الجسر البرى الوحيد إلى أفريقيا . ولقد مر كثير من الجيوش المغيرة عن طريق سورية ـ فلسطين ـ سينا إلى أفريقيا . لقد حاول الفراعنة احتلال سورية عن هذه الطريق ، ومنها انحدر الاسكندر الكبير لاحتلال مصر ، والرومان يوليوس قيصر — أوغستين مرا من هذه الطريق . ومنها خرج العرب إلى أفريقيا بعد قطع سينا وسار الصليبيون إلى مصر ، كما أن حملة أخرى منهم نزلت مصر للسير منها إلى فلسطين . وقد هاجم نابليون مصر لفتح آسيا . وفى الحرب العالمية السابقة نرى كيف سار الأتراك لمهاجمة مصر ، وكيف دخل الانكليز فلسطين عن طريق سينا . إن الأقطار التى نتحدث عنها حافظت على أهميتها الدولية السياسية أكثر من أى قطر آخر فى العالم . لهذا يمكننا القول بأن أهمية هذه الأقطار ترجع لكونها الممر إلى الشرق الأقصى أولا ، ولأنها الجسر البرى الوحيد لإفريقيا ثانياً .

العوامل الجغرافية الداخلية

إن جغرافية هذه الأقطار الداخلية لا تقل أهمية عن جغرافيتها الخارجية. وعند ما أتكلم عن البلاد العربية الشمالية أعنى (سورية وشرق الأردن وفلسطين والعراق . والنصف الشمالى من جزيرة العرب) فإذا ألقينا على خريطة هذه البلاد نظرة نجدها تشكل مثلثاً رأسه حلب ويخترق ضلع المثلث سورية وشرق الأردن وفلسطين وشمالى الحجاز ، كما يخترق الضلع الآخر العراق حيث ينتهى برأس الخليج الفارسى ، وتمتد قاعدته من البحرين حتى المدينة المنورة . أما قلبه فهو الصحراء . إن القسم الأهم من تاريخ هذه الأقطار يرتكز على هذا التكوين الجغرافى الخاص فضلا عن كون الصحراء فرقت هذه البلاد ، فقد وضعت سورية والعراق على اتصال بالبلدان الخارجية (استعمل الآن كلمة سورية لأعنى الأقطار المعروفة الآن بسورية وفلسطين وشرق الأردن) ، وهذا ما جعل هذين القطرين عرضة للمؤثرات الخارجية ، وبقيت حضارة نجد والحجاز — فقط — حضارة عربية محضة . وكانت نتيجة هذه الحضارات المتباعدة أن نرى الحجاز ونجدا عربيتين فى حضارتهما ، بينما نرى أن أوربا وبلاد فارس والأناضول ومصر قد أثرت على حضارتى جانبى المثلث الشماليين .

الهجرة من وسط الجزيرة العربية

بينما نجد بادية الشام التى تشكل قلب المثلث تكون حاجزاً فى طرق المواصلات بين سوريا والعراق ، نراها واسطة الإتصال والنقل لسكان نجد أو البلاد السعودية . وأن تلك البقعة الممتدة من الحجاز إلى الخليج الفارسى آهلة بقليل من السكان يعيشون على زراعة النخيل فى واحات متفرقة ، وهم على الأرجح ينتمون إلى شعوب ما قبل التاريخ . وبالرغم من معيشتهم فى أراض زراعية نراهم يجوبون الصحراء ويقطعونها ، وبالعكس نرى أن أهالى سوريا والعراق الذين يعيشون فى مناطق مملوءة بالسكان لم تبق لهم حاجة لقطع الصحراء لاستقرارهم فى البلدان التى يقطنونها. وهكذا نجد أن الصحراء التى تقف فى طريق المواصلات بين سورية والعراق هى طريق المواصلة بين سكان قلب الجزيرة وبين الأقطار الشمالية ، وهى بالنسبة لهم كالبحر بالنسبة إلى الشعوب البحرية .

توجد مقابلة شيقة بين بادية الشام وبين القسم الشرقى من البحر الأبيض المتوسط . توجد على شواطىء الجانب الشرقى من البحر الأبيض المتوسط موانىء تحمل كلها طابعاً مدنياً واحداً. فإذا سرت من الاسكندرية إلى حيفا فبيروت فأزمير فالقسطنطينية تجد شبهاً كبيراً بين هذه المدن ؛ مع أن هناك بونا شاسعاً بينها وبين المدن الداخلية . إن مصر وبلاد العرب وتركيا واليونان

بلدان مختلفة ولكن ثغورها متشابهة . كما أن العرب قطعوا الصخراء وأنشئوا مدناً هى عمان ودمشق وحماه وحلب ، وهى تحمل المدنية والطابع العربى . ولذلك فإن الإنسان يقدر أن ينظر إلى بادية الشام كبحر يقابل البحر الأبيض المتوسط الذى تحمل ثغوره مدنيته الخاصة ، تقابلها مدنية عربية محضة على أطراف المثلث المحيط ببادية الشام أو الصحراء السورية .

الصحراء كحاجز حربي

إن هذه الصحراء التى رأيناها فى بحثنا واسطة اتصال — نوعا ما — لسكان قلب الجزيرة العربية ، نراها تقف حجر عثرة فى سبيل الأعمال الحكومية أو العسكرية ؛ فبينما نجد أن سوق جيش من الأناضول إلى سورية أو العراق سهل ، نجد الصعوبة كلها فى سوق جيش من قلب الجزيرة يقطع مئات الأميال من القفار . وإذا ما ألقينا نظرة إلى تاريخ سورية والعراق نجد أنها من بدء الميلاد حتى سنة ٦٥٠ للميلاد حكمها الرومان والفرس . ومع أن الهجرة الفردية من الجزيرة إلى هذين القطرين لم تنقطع فقد كانت تقوم صعوبات جمة فى وجه أية حملة حربية يراد سوقها من الجزيرة إليهما . هذا فضلا عن سهولة الاحتفاظ بسوريا على الرومان من آسيا الوسطى ، وبالعراق من إيران على الفرس .

لقد كان سكان تلك الأقطار عربا ، وبالرغم من حكم الرومان والفرس فقد كانت ثقافتها عربية محضة ؛ وقد قامت فيهما إمارات عربية صغيرة كأمارات الغساسنة فى سوريا واللخميين على الفرات . إن ثقافة بلاد العرب كانت مستمدة من الجزيرة ، وكانت القوة السياسية والحربية مستمدة من الأناضول وإيران . وهذا الموقف الذى لم يتغير أبداً يتلخص فى أن العرب أقوياء بثقافتهم ضعاف بقوتهم الحربية ، وهذا أمر يعزى أكثره إلى جغرافية الصحراء السورية

لقد غير الإسلام الوضعية ، وذلك بتأثير الروح التى أثارها فى العرب ، فتمكنوا من التغلب على هذه الصعوبات وفتحوا سورية وإيران ، ولكن لم تنقض فترة حتى ظهرت هذه الصعوبات مرة ثانية . لم يتمكن الخلفاء من البقاء طويلا فى الحجاز واضطروا عند قيام الأمويين لنقل عاصمة ملكهم إلى دمشق ، وعند قيام العباسيين الذين لم يرضوا ببقاء العاصمة فى دمشق نقلت إلى بغداد[1] وهكذا نجد أن العرب عند ما كانوا حاكمين على المثلث بأجمعه ، وعند ما كان الإسلام فى القمة عملوا على مقاومة هذه الصعوبات الجغرافية ، أى الصحراء التى تلتف البلدان العربية الهامة حولها

رأس حلب

عند سقوط الامبراطورية العربية وقيام الأتراك ظهرت حقيقة أخرى تتعلق بالمثلث ، وهى ما يمكننا أن نسميه « رأس حلب » إن جانبى المثلث (جانبى العراق وسورية) يلتقيان فى حلب ، فإذا ما أراد أحد هذين القطرين مساعدة الآخر وجب عليه قطع الممر الضيق المأهول بالسكان حول حلب ، إذ لا طريق غيره — خلا طريق الصحراء — وبذلك نرى أن أى قوة حربية تنحدر من الأناضول إلى حلب يمكنها قطع خط المواصلة بين القطرين ، أو أن أى قوة حربية يمكنها الدفاع عن حلب تقدر أن تقطع خط الرجعة على أى جيش يسير من سوريا إلى العراق وبالعكس . ومن المؤكد أن الهجوم على جانبى المثلث واحتلالهما من قبل قوة تعسكر شمالى حلب ، أسهل بكثير من سوق قوة من العراق إلى سورية أو بالعكس للدفاع عن أحد هذين الجانبين

وإذا لاحظنا أن الأتراك حكموا البلاد مدة تزيد على ٦٠٠ سنة نرى أن الأثر الذى أبقوه وراءهم بسيط جدا ؛ إذ لم يتمكنوا من التأثير على الثقافة العربية — وبالرغم من مرابطة الفيالق فى أكثر المراكز الهامة ، ومن وجود موظف أو موظفين كبيرين من الأتراك فقد كان أكثر الموظفين الصغار عربا وكانت أكثرية أهل البلاد يحكمهم الزعماء لا الحكومة ؛ هذا عدا عن بقاء اللغة العربية اللغة المستعملة فى البلاد . وهكذا نضطر أن نعود إلى معادلتنا الأولى وهى أن العرب ضعفاء بقوتهم الحربية أقوياء بثقافتهم .

أرجو إن سمحتم لى أن أعدد نتائج العوامل الجغرافية التى وصلنا إليها مرتبة كما يلى

---

(١) أن نقل العاصمة إلى دمشق كان لسبب آخر وان جاء موافقاً لما أورده المحاضر لقد نقل معاوية العاصمة إلى دمشق لأنها كانت معقل الأمويين ومصدر دعوتهم ؛ ونفس السبب دفع العباسيين لنقل مركز الدولة إلى بغداد . (المترجم)

العوامل الجغرافية الخارجية

١ — إن بلاد العرب ممر بين أوربا وآسيا يحيط به بلاد فارس والأناضول من جهة ، والصحراء الكبرى والسودان من جهة أخرى .

٢ — إن البلاد العربية هي الجسر البرى الوحيد بين أفريقيا وبين بقية أقطار العالم الأخرى

٣ — إن بلاد العرب نقطة الاتصال بين ثلاث قرات ، وهي قلب العالم القديم

العوامل الجغرافية الداخلية

١ — إن بلاد العرب تكوّن مثلثاً تتوسطه بادية الشام

٢ — إن بادية الشام فرقت بين الأقطار العربية ، كما أن سورية والعراق اتصلتا بحكم مركزهما الجغرافى بالأناضول ومصر وإيران وأوروبا ، وهذا الاتصال جعل لهما ثقافة خاصة تختلف عن ثقافة قلب الجزيرة العربية

٣ — إن بادية الشام هي طريق الاتصال لسكان قلب الجزيرة العربية الذين ما زالوا على اتصال بالأقطار الشمالية ، والذين حافظوا على ثقافتهم العربية

٤ — بينما نجد بادية الشام واسطة نقل وبث للثقافة العربية نراها تقف حجر عثرة فى سبيل الأعمال الحربية ، ولذا نرى أن العرب وجدوا من الصعب حينما تولوا الحكم أن يحكموا سورية والعراق وقلب الجزيرة العربية من عاصمة واحدة

٥ — إن التقاء جانبى المثلث فى رأس حلب يجعل أية قوة حربية فى الأناضول قديرة على مهاجمة كل من سورية والعراق دون أن تتمكن إحداها من مساعدة الأخرى

قابلية العرب للرقى

إن بحثنا عن قابلية العرب للرقى أعمق وأصعب من بحثنا عن الموقع الجغرافى الذى يمكن تحديده إذا ما نظر الإنسان إلى الخريطة والذى يتلخص فى سرد الحقائق . وتزداد الصعوبة على الأخص عند ما نرى أنفسنا مضطرين أن نخمن درجة قابلية العرب للرقى بالوقت الحاضر ، ودرجة استعدادهم وقابليتهم مستقبلا ، لأن كلا منا متأثر بعقائده ودراساته الخاصة ، وقد يكون متأثراً بدرجة قابليته بنفسه . وعلى كل حال فإذا لم أتمكن من إقناعكم بعقائدى فلعلى أتمكن من فتح باب للمناقشة بإعطائكم آراء جديدة .
وقبل الدخول فى بحث استعداد العرب للرقى علينا أن نعرف ونحدد الرقى . أظن أن الرجل الأوربى ينعت الرقى بالنجاح المادى ، وقد ينعته بالنجاح الفكرى إذا ما طلب إليه تعريفه ، ولكن النجاح الفكرى يتوقف على النجاح المادى الذى نتمكن بواسطته من تأسيس جامعات ومختبرات تساعد على تهذيب الإنسان ، ولذلك يمكننا فى بادئ الأمر أن نعرّف الرقى بأنه القوة والثروة والاستقلال السياسى والمؤسسات الحكومية الأخرى كمصالح الصحة والمعارف والأشغال العامة الخ . ولهذا أرى أن أضع سؤالا فى الصيغة التالية : « هل يمكن أن يصبح العرب القاطنون فى البلاد العربية الشمالية ، وهل يريدون أن يكونوا فى عداد الأمم الأوربية الحديثة ؟

الديانة

سنتناول فى البحث عن هذه المسألة مظهراً أو مظهرين كلا على حده . أولهما : هل يؤمن المسلمون والمسيحيون حقاً بتعاليم أديانهم أم لا ؟ كلنا يعلم بطبيعة الحال أن أدياننا أثرت فى حياتنا الاجتماعية وطرق معيشتنا ، ولذلك فإن العلاقات بين الإسلام والمسيحية تدخل فى موضوع بحثنا . ولا أدرى إن كنتم تعرفون أن الإسلام والمسيحية متقاربتان كل التقارب برغم ما قام بينهما من نزاع فى الماضى . وهذه الحقيقة يؤكدها المسلمون أكثر من المسيحيين . ويعتبر المسلمون من زمن النبى (صلعم) إلى يومنا الحاضر أن المسيحيين أقرب إليهم أكثر من أتباع أى دين آخر .
إن العقائد الروحية السامية المتشابهة بين الديانتين كثيرة ، فكلتاها أسستا على اليهودية ، أو بالأحرى إن الإسلام أسس على اليهودية والمسيحية ، وكلا الإسلام والمسيحية خرجا من بلد واحد ولهما نفس الأنبياء . وكلاهما يعترف بالعهد القديم « التوراة » ، وقد حدثنى قس مسيحى عمل فى بلاد العرب سنين عديدة قائلا : إن الإسلام شكل من أشكال المسيحية باستثناء الاعتقاد بالعجائب . وقد اتضح لى أن هنالك مظهراً آخر للتشابه بين الديانتين ، وهو

الأدب العربي في الهند

للأستاذ محمد يوسف البنورى

ربما يظن أن تقدم الهند فى صناعة الأدب العربى والشعر ليس كتقدمهم فى علوم الحديث والفلسفة ، والمنطق ، والرياضة ، والطب ، وما إلى ذلك من الفنون العقلية

حقيقة أن تقدمهم فى كثير من العلوم العقلية القديمة قد أصبح منذ عهد قديم ، بحيث لا يبارى ولا يجارى ، وأضحت عبقريتهم فى علوم الحديث مثلا فى العهد الحديث منذ أوائل القرن العاشر للهجرة حين سرى الوهن فى المجتمعات العلمية الدينية فى البلاد العربية ، غير أن ميزتهم الأدبية وبراعتهم فى الشعر العربى على رغم أن البلاد أعجمية قد خفيت على كثير من رجال الادب فى البلاد العربية ، مع أن مآثر نهضتهم الراقية المزدهرة فى خدمة اللغة العربية وتاريخ اللغة العربية ، والأدب العربى لا تنكر ومقامهم فيها مشهود .

ومن العجيب أننا مهما حدثنا أحداً منهم بشئ عن رقيهم الحاضر فى اللغة العربية والأدب العربى ، سمع ذلك وهو فى حيرة مطبقة يكاد يسرع إلى الرد بالنفى لو لم تحل دونه رزانة العقل

وما من شك فى أن العصبية القومية إذا حلت مكاناً رحلت عنه فكرة الوحدة الإسلامية ، فإذا بانت آراء قوم مقصورة على مفاخر قومهم ولم تعد مطالعة مزاياهم الخاصة ، وعرتهم غفلة أو غفوة من أن يقفوا على مزايا إخوانهم فى البلاد ، انقطعت صلة الأخوة العالمية ، ورابطة الوحدة ، وتفككت عرى المواساة .

ففكرة العروبة التى نشأت حديثاً فى الأفكار ، وتتجلى بين حين وآخر على صفحات المجلات ، كما أنها تنتج فوائد خاصة ، تمنع كذلك من ناحية أخرى فوائد هامة بلاد العروبة أحوج إليها منها إلى تلك الفوائد الضئيلة أمامها ؛ فلا يستتب نظام عام بين الأمم الإسلامية المبثوثة فى أنحاء البسيطة الذى جاء به سيدنا المرسل إلى كافة الناس عجمهم وعربهم صفرهم وبيضهم عليه أزكى صلوات وتحيات مباركة . فمن الحتم اللازم أن يكون هناك نظام آخر يلوذ إلى كنفه وأحضانه سائر أقوام الأمة الإسلامية

إصرار كل من المسلمين والمسيحيين على ضرورة الإيمان بحوادث تاريخية معينة ، كما وإن لكل من الديانتين شعائر وقواعد يجب إعادتها كل يوم ، ونحن قد اعتدنا هذا المظهر من الإيمان فى الدين ، حتى إنه لم يعد يخطر لنا ملاحظة أهمية ذلك بالنسبة إلى الإسلام والمسيحية .

أنا لست ثقة فى البوذية أو الكنفوشية أو الهندوكية ، ولكنى أرى وأتصور أنهم لا يتشددون فى أهمية الإيمان ، كما يتشدد المسلمون والمسيحيون ، وأرى أن هذا المظهر الذى اتخذته الديانتان أوجد شبهاً كبيراً بين الأمتين

كثيراً ما نسمع أن الإسلام عائق لرقى العرب ، وبدون شك وجد كثير من المسلمين الذين اعتقدوا بأن الأرض منبسطة ، وبأن الاختراعات العلمية من عمل الشيطان ، ولكن يجب أن لا يغرب عن بالنا بأن كثيراً من المسيحيين اعتقدوا نفس الشيء ، وكانوا هم الذين أجبروا غاليلو على التراجع عند ما قال إن الأرض تدور حول الشمس . ومن الإنصاف أن أقرر أن الإسلام دين عملى أكثر من المسيحية من جهات عديدة — فالمسيحية هى التى نطقت بعدم جمع الثروة وفرضت حياة الزهد والتقشف ، ولذلك فإننا نجد قول المسيحيين بأن الإسلام دين غير عملى للأثرياء غريباً — وإذا نظرنا إلى مبادئه الأولية يظهر لنا أنه دين عملى أكثر من المسيحية ، لأن المسيح (عليه السلام) لم يتفق والدرهم أبداً

المناخ

كثيراً ما يكون هواء البلاد وحالتها الجوية مفتاحاً لمعرفة أخلاق السكان ، وإذا نظرنا إلى مناخ بلاد العرب نتحقق أنه لا يمكن أن ينبت أمة خاملة . ولا مراء فى أن مناخ الشواطئ الشرقية للبحر الأبيض المتوسط هو مناخ البحر الأبيض المتوسط ، ولكن إذا ما تجاوزت الشواطئ إلى شرق لبنان والأردن تجد الجو بارداً جداً ، ويشاهد الثلج والصقيع بكثرة فى أماكن عدة ، كما أن الجو غير رطب فى الصيف ، فهو بالعكس يلتهب حرارة ، ومثل هذا المناخ يحتاج لأمزجة متينة وأجسام قوية لمقاومته

(البقية فى العدد القادم)

جميل قبعين

على حد سواء ، حتى تمنح بلاد العروبة فوائد عظيمة وتنتظم قوى الأمة فى الأنحاء قاطبة ، فتصبح الأمم كأمة واحدة ، وتدعم أركانها بدعائم الأخوة الموطدة كبنيان مرصوص لا يتزعزع بالقواصف الهوجاء والعواطف النكباء

ويكاد يكون عدم وقوفهم على الأدب العربى فى الهند أثرا من آثار هذه الفكرة أو مثلها . كنت أردت أن أكتب كلمة فى الموضوع هذا منذ نزلنا القاهرة من نصف عام ، بل أكثر ، ولكن حالت دونه الأمور التى لأجلها امتطينا صهوة الرحيل إلى مصر ، وكتبت شيئاً فى بعض المجلات والجرائد عن الحركة الدينية والنهضة السياسية فى الهند ، فوددت أن تكون رسالتى هذه إلى إخواننا المصريين وطلبة الأدب موضوع مقالتى فى مجلة «الرسالة» الزهراء ، وقد أزفت ساعة تقويض خباء الإقامة ، فتكون مقالتى هذه فى الرسالة رسالة وداع ، والأمر كما قال النابغة :

أفد الترحل غير أن ركابنا لما تزل برحالنا وكأن قد

لست أريد فى هذه النهزة ذكر الأدباء والشعراء فى الهند ، أو سرد تآليفهم فى الأدب وتاريخ الأدب العربى وسمو مكانتهم فى التفكير الأدبى ، أو البحث عن شعر نوابغ الشعراء منهم ، والموازنة بين أشعار هؤلاء وهؤلاء فى هذا الصدد ؛ فإن ذلك يستدعى نطاقاً أوسع مما عندى ، غير أنى أذكر شيئاً من شعر بعض علماء المعهد الدينى القديم فى الهند ، وأم المعاهد الدينية فيها (أريدبهادار العلوم) بديوبند بالقرب من عاصمة الهند « دهلى » .

إن هذه الجامعة العربية الدينية ، كما أصبحت مثلا أعلى فى نهضة الدين والعلوم الشرعية ، كذلك أصبحت قدوة فى الحركة الأدبية وثقافة اللغة العربية ، فظلت بقعة ديوبند ، تلك الأريضة الطيبة ، مرتعاً خصباً لطلبة الأدب ، ونبغت فيها نوابغ الأدب وجهابذة اللغة ورجال الشعر . وكثير من السياحين الناطقين بالضاد والزائرين لهذا المعهد من علماء البلاد العربية ، لما نزلوا هناك شاهدوا للأدب فيه وجوهاً باسمة ، وطلعات وسيمة ، ورأوا فيه للشعر العربى ارتياحاً ، ولاقوا فى ترحيبهم نغمات ترق لها قلوب من قصائد عربية أنطقتهم بكلمات طيبة تبدى شعورهم وتأثر نفوسهم بتأثرات دقيقة نحو هذه النهضة

وأخيراً ، هذه البعثة الأزهرية قوبلت هناك بحفاوة واحتفال هز أعطافهم ، وقام خطيبهم رئيس البعثة ، فأثنى جميل الثناء على ما شاهد من نهضتهم وأبدى إحساسه العميق نحوهم على الرغم مما أبداه فى تقرير البعثة لمصالح سياسية أدركناها

هذا المعهد العظيم بلغ شعره ألوف الأبيات عالم من علمائه فى شتى نواحى الشعر ، وهو إمام العصر الأستاذ المحدث الشيخ محمد أنور الكشميرى رحمه الله . ومن الغريب أن هذه الناحية لم يتخذها كلا علمياً عكف عليه طول عمره ، أوعرف به ، لا بل مزيته هذه لا تعد مزية إلى ما خصه الله بجلائل النبل وآيات الفضل التى أصبح فيها نسيج وحده . ومع هذا له شعر بارع مطبوع عليه أبهة الشعر القديم بمتانة وفخامة مع انتقاء فصح الكلمات بانسجام رائق ، مصوغ فى قالب بديع ، فترى له روعة وجمالا فى حسن السبك ، وصياغة الألفاظ ، وأبعد به عن ركاكة فى اللفظ ، أو سماجة فى التعبير ، أوتفكيك فى التركيب والنسق ، أو اختلال فى النظم والانسجام

نعم ، إن شعره ترى فيه بريقاً يتألق من الشعر القديم ، ولمعة من شعر المخضرمين ، وربما تبدو فيه آثار من كلام المولدين مع نخافة فى اللفظ وجزالة فى المعنى

أجل ، إنما الشعر لوعة فكر ، ولمعة خيال ؛ ولكل فكر منزع ، ولكل خيال مذاق ، وذلك أمر لا مندوحة عنه . ومن خصائص شعره أنه قلما تخلو قصيدة له عن عواطف حزينة تثير فى القلوب رقة ، كأن نفسه تذوب حسرات ، ولا بدع ، فكان عميق الشعور ، دقيق القلب ، ومن ثم نجد أكثر شعره وألطف شعره فى الرثاء والبكاء ، فكان كما قال شاعر النيل حافظ ابراهيم :

إذا تصفحت ديوانى لتقرأنى وجدت شعر المراثى نصف ديوانى

لا يتسع النطاق لذكر سائر النواحى من شعره إلا أنى أقدم هنا شيئاً من شعره فى الرثاء وغيره لتنم نفحاته المسكية على حديقته الزهراء . قال رحمه الله فى رثاء شيخه الإمام الأستاذ محمود حسن الديوبندى المعروف بشيخ الهند .

قفا نبك من ذكرى مزار فند معا
مصيفاً ومشتى ثم مرأى ومسمعا
قد احتفه الألطاف عطفاً وعطفة
وبورك فيه مربعاً ثم مربعا

إلى أن قال :

وكان حشا أذنىّ دَرّا وحكمة … فتخرج من عينىّ دمعاً مرصعاً

وقال :

فوافيت دهراً ثم دهراً بعنيتى … وألفيت عمراً ثم عمرا ممتّعاً

وقال :

فلله دَرّ الحبّ حتى أقامنى … أقول وأحكى أن فى المض مطمعاً (١)

وقال :

وأذكر أيام المزار وأنثنى … على غصص فى القلب حتى تصدّعا

وقال :

بضيق نطاق فى المراثى لحقّها … وثمّ مجال كيفما شئت فاصنعا

وقال فى مطلع قصيدة عصماء له فى مدح رسولنا العربى الهاشمى عليه صلوات الله وسلامه :

برق تألق مَوْهِناً بالوادى … فاعتاد قلبى طائف الإنجاد (٢)
أسفاً على عهد الحمى وعهاده … تُولى على الإبراق والإرعاد (٣)
رِهَمٌ تناوح تارة ديم لها … حتى غدا الأيام كالأعياد
هبّ النسيم على الربى فتضاحكت … بشرى العميد عرارها والجادى
سنح الظباء فكاد يهلك مغرم … حور العيون وعطفة الأجياد
وأكاد أشرق بالدموع إذا بدا … هجر فتبكى الورق بالأسعاد
أسقى التلول وأستحثّ ركائبى … وجدا على التأويب والإسآد

ومن شعره :

إمن عهد ربع طالما كان أبكما … أجبت بدمع حين حيا وسلما
ووجد تراه زورة بعد زورة … على غصص الأزمان نادى وأبرما
وقفت بها صحبى وجددت عهدهم … عسى إن عهداً ناء أن يتوسما
تهلل وجه الصبح يفتر ضاحكا … عن الثغر حتى كاد أن يتكلما
تباشير صبح أو تباشير مبسم … تنفس عن روح وبشر تنسما
وما ثم إلا من حديث قديمه … وتحديث أشجان ووجد تكلما
وربع قواه كاد مما أبثه … وأسقيه دمع العين أن يتبسّما
فقدت به قلبى وصبرى وحيلتى … ولم ألق إلا ريب دهر تصرّما
ومن عبرات العين ما لا أسيغه … ومن غليات الوجد ما كان همهما
ومن نفثات الصدر ما قد بثثته … ومن فجعات الدهر ما قد تهجما
فأذكر أزمان الرفاق وأنثنى … على كبدى من خشية أن تحطما
تكففت دمعى أو كففت عنانه … وصار يجارى الدهر حتى تقدما
فهل ثم داع أو مجيب رجوته … يجاملنى شيئاً دعا أو ترحما

وأظن ، أن فى هذا القدر الآن كفاية للبصير . وقد عزم « المجلس العلمى » بالهند أن يجمع كلام إمام العصر المرحوم ويرتب ديوانه ويطبعه نرجو الله له التوفيق .

ومن فحول شعراء هذا المعهد العظيم الشيخ حبيب الرحمن المرحوم مدير المعهد وله شعر رقيق اللفظ منسجم رائق جزيل المعنى . ومن العجيب أنه كان شديد الاشتغال بشئون المعهد الإدارية ولكن مع هذا له شعر غزير يربو على أربعة آلاف بيت فى غاية من اللطافة وحسن السبك ودقة النسيج وحلاوة اللفظ يكاد يظن أنه طول عمره كان عاكفاً على الشعر العربى ، ويمتاز شعره عن شعر إمام العصر المذكور بالرقة والانسجام ، وشعر إمام العصر يمتاز بالجزالة وفخامة الأسلوب ، وشعره أقرب إلى شعر المولدين ، كما أن شعر إمام العصر يشبه كلام المخضرمين . وأرى نفسى موفقاً فى الفرق بين شعرهما إن قلت إن الشيخ المدير كان بحترى عصره ، وإمام العصر فرزدق وقته . وديوان شعره مطبوع وإن لم تحل أشغالى دون مرامى عسى أن أنتهز فرصة وأقدم شيئاً من شعره لأخوان القاهرة والله الموفق .

محمد يوسف البنورى
الأستاذ بالجامعة الاسلامية بالهند .
وعضو « المجلس العلمى » نزيل القاهرة

(١) المض حكاية صوت يراد بها الانكار ومع هذا لا ينقطع به الطمع فى الاجابة ومن هذا يقال فى المثل « إن فى مض لمطمعا » .

(٢) الموهن : منتصف الليل الاعتياد : الانتياب . الطائف الخيال . الانجاد : الذهاب إلى نجد الجادى : الزعفران .

(٣) الرهمة : المطر الضعيف الدائم . العهاد : أول المطر « تولى » « من الولي » المطر بعد المطر . العميد : الحزين التأويب : سير النهار كله الإسآد سير الليل كله .

محرم الحكيم الاجتماعى

بمناسبة مرور الأربعين على وفاته

للأستاذ ابراهيم عبد اللطيف نعيم

هى سنة واحدة قضاها احمد محرم فى المدرسة ، أو على الأدق فى مدرستين : العقادين الابتدائية ، فمدرسة الجيزة بالقاهرة ، بعد أن تلقى مبادئ القراءة والكتابة فى مكتب قرية الدلنجات من أعمال مديرية البحيرة وحفظ القرآن الكريم فى الثانية عشرة من عمره .

وبعد هذه السنة جاءه أبوه التركى المرحوم حسن افندى عبدالله بطائفة من علماء الأزهر يدرسون له النحو والعروض وسائر علوم العربية ، وعكف من ثم على التراث الأدبى العربى فى مختلف عصوره دارساً وحافظاً . هذه هى دراسة الشاعر الأولى ، أو هذه هى مدرسته الأولى التى هيأته للشعر بقوله ... ومنها انتقل إلى المدرسة الأخرى ، مدرسة الحياة الكبرى التى كونته حكيماً اجتماعياً إلى أن انتقل إلى العالم الباق ...

وللحكمة فى قيثارة الشاعر وتر واحد ، عن هذا الوتر تصدر الحكمة والاجتماعيات فى نغمة واحدة أو فى أنغام مختلفة ... سهمان ينطلقان إلى هدف واحد ، هو تعمق الحكيم وشمول نظره ، وما يكون المرء اجتماعياً إلا لأنه حكيم ، وما يكون حكيما إلا لأنه اجتماعى .

وفى المدرسة الكبرى ، مدرسة الحياة راح الشاعر — من جديد — يدرس ويتعلم بالكثير من راحته ، وسكون نفسه واطمئنان باله ، وينفذ وراء بصره إلى أعمق ما تعرض الحياة من قضايا ، وما تكن زوايا البشر من خبايا ... كانت هذه الدراسة ، وهى قطعة من حياته ، أو هى حياته كلها — تأملاً ، وشعوراً يستحيل عند فيضانه إلى تعبير جلى قوى تتمشى الحرارة فى ثناياه ، وتنبض الروح بين طواياه ...

وكان جل ما تعرض عليه الحياة ، تحت شجرة إلى جانب مقهاه الأثير فى دمنهور أمام المحكمة الأهلية ، حسبه منها ، ومن الحياة ، أن تنوء عليه ظلها ساعات فى الصباح ، ومثلها فى المساء .

لم يكن يحتمل جو المقهى إلا ريثما يأخذ الصحف والبريد بنظرة خاطفة ، يهتز بعدها من الضيق فيحمل كرسيه ويطلب إلى الانتقال إلى « شجرة العرش » باسما !

وننتقل إلى ظلال « شجرة العرش » لتراجع النفس فيما سمعنا ورأينا وعلمنا ، ثم لنسكت ، أنا فى شأنى ، وهو فى تأمله الهادئ العميق .

وكثيراً ما كنت أستحضر فكرة ما — فى موضوع الساعة ، لأحدثه بها ، فأتعقب ما لا أرى ببصرى فى الأرض وفى السماء . فكان يهز رأسه ويقول : قيدْ ما يحضرك . فإنه يقرها ساكنة ، حتى تطلبها فتجدها فى مكانها « مقيدة » !

ورغم ذلك فقد كان رحمه الله على قوة فى الإرادة ، ونفاذ فى البصر ، ويقظة فى الشعور ، إلى درجة تريح نفسه من العمل بهذه النصيحة ، فكان أبدا على ثقة من العثور على « الفكرة » أو قل من « اصطيادها » أسمن وأغنى مما كانت حين سنحت له وخلاّها ...

فى ظل هذه « الشجرة » وهى كالمرصد للفلكى ، والمعمل للكيمائى ، جعل الشاعر « يصطاد » عناصر حكمته الاجتماعية ، ويتأمل فى هذا النبع الفياض ، من نفسه ومن الحياة ويشعر به شعوراً قوياً جياشاً ، ثم يسوق تأمله وشعوره فى حكمة هى الشعر ، وفى شعر هو الحكمة ، فيتقدم على كثير من الشعراء ، — أمام الناس جميعاً ، حكيماً اجتماعياً يضع أصبعه على أخطر الأدواء ، ويصف بالساحر من بيانه أنجع الدواء ...

وما أريد أن أعود بالقراء إلى يومه الأول لأعرض عليهم فنون حكمته فيه ، فلذلك مكانه من الكتاب إن شاء الله . وإنما أريد أن أعرض عليهم أبياتاً من قصيدة حديثه ، هى قصيدة العصر ، أو هى آلامه وآماله . .

وسبب هذه القصيدة — ومعذرة إلى القراء — مناظرة على صفحات « البلاغ » الأغر فى حياة صاحبها المغفور له عبد القادر حمزة باشا عليه رحمات الله ورضوانه — بينى وبين صديقى الأستاذ محمد السوادى فى « العبقرى ، فى الثراء ، والزواج ، والحب » من هو العبقرى ، وما شأنه ؟ قلت يومذاك إنه رجل طليق ، فى الثراء والزواج والحب والحياة كلها ... أو أنه بشر فوق البشر ...

ورمى الشاعر ببصره فماذا وجد ؟ وجد الوسط الأدبى فى مصر يزخر بطوائف من المخبولين والممرورين والحالمين ... هذا يستنشق الأثير ، وثان يكرع الخمر الرخيص ، وثالث يتعاطى الأفيون ، ورابع يدخن الحشيش، وخامس يتمرغ فى أوحال الرذيلة ، وسادس وسابع . باسم العبقرية ، أو وراء «أشباح العبقرية» كما يسميها جورج دهامل يجرى كل هؤلاء المرضى والضعفاء . ولم يقل أحد إن العبقرية صحة ، وصحيح — كما يقول المدافع عن الأدب — أن هذه السموم تولد عند آلاف البؤساء شعوراً ذاتياً بالعبقرية ، ولكنها لم تهب العالم البشرى كتاباً واحداً ممتازاً .

العبقرية تصيح كل يوم : « رباه ! رباه ! ... لم تركتنى وحيداً » ! ؟

هذا هو العبقرى فى رأى جورج دهامل الأديب الفرنسى ، وهذا هو أسلوبه ، فانظر إلى العبقرى فى رأى شاعرنا الحكيم المصرى ، وهذا هو بيانه :

يقول القوم هذا عبقرى وذاك مثقف وأقول : واها !
عيوب العبقرية من قضاها وآثام الثقافة من جناها ؟
وهذا النور كيف تراه عينى ظلاماً يسلب الدنيا سناها ؟

بهذا البيان نفى حكيمنا الاجتماعى احمد محرم ، من العبقرى والمثقف ما يحاول الجهل أو الخبل أن يلصقه بهما من عيوب وآثام ...

ولم يقف عند هذا الحد ، فنظر إلى الشعوب ماضياً وحاضراً ومستقبلا نظرة هذه ترجمتها فى الحكمة شعراً :

أرى ملك الشعوب يقوم فيها على أخلاقها ، وعلى نهاها

ولنمض مع الشاعر إلى ما مضى إليه ... هى فكرة قرنها إلى فكر ، وحقيقة صارخة تصيدها فقيدها بحقائق أخرى . قال :

رأيت نساءكم غلبت عليكم فأمسى الخزى قد وسم الجباها
عجبتَ لذى الحليلة راودته عن الشرف الرفيع ، فما عصاها
وللأب مال بابنته هواها عن السَّنن السوىّ فما نهاها

إهابة جازع على أول وأهم ركن فى المجتمع ... وأى خير فى الأسرة إذا كان هذا حالها ، أو إذا انتهت إلى هذه الحال ؟ ولماذا لا ينعى دولة الرجال فيقول مقرراً فى أسف وألم لا يحس بهما غير الرجال :

وما عند الرجال قضاء أمر إذا قضت النساء على لحاها

وماذا بعد هذا مما يرضاه الحكيم الاجتماعى ؟ لا شىء إلا أن يقول :

رثت إلى المروءة من بلاد تبلد شيخها ، وغوى فتاها

ولكن هذا هو الداء ، فما هو الدواء ؟ هو أن :

أعيدوا الدين سيرته وشدّوا عرى الأخلاق إذ وهنت عراها
وردوا بالزواجر كل غاد إذا وضحت له المثلى أباها

فبهذه الوسائل مع الدين ، أو فى الدين تعاد إلى الرجل دولته ، وتحل المرأة فى محلها ، ويساق الأبناء إلى الجادة فى أثرهما ...

ولكن كيف ذلك وهو يقول ولا ينكر عليه أحد ما يقول :

لبئس القوم ما حفظوا كتاباً ولا عرفوا رسولا أو إلها

ولم يكن يقصد مصر وحدها ، فالعروبة كلها قصده ، وهذا العالم الإسلامى المترامى هو — كقصيدته — مجال آلامه وآماله ... لذلك يتساءل بعد هذا كله ولكل جوابه عليه :

وما تبغى العروبة من شعوب إذا ذكرت لشاعرها بكاها ؟

***

هذا هو « محرم الحكيم الاجتماعى » فى أبيات من الشعر ، و« لشاعر العروبة » قصة أليمة ، محيرة ، فى ديوانه « مجد الإسلام » نرجو أن نقدمها إلى الرأى العام فى فرصة أخرى إن شاء الله .

(دمنهور) ابراهيم عبد اللطيف نعيم

هذا العـــالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

أعصابك ولماذا تثور ؟

كيف تنشأ إحساساتنا المختلفة من حب وحقد وغضب أو قلق واضطراب ؟ كل هذه الإحساسات منشأها تكوين المخ ، ففى وسطه فص صغير فى حجم البندقة اسمها السلامى . وهى قديمة جداً فى تركيب أجهزتنا العصبية ورثناها فيما ورثنا عن أجدادنا الأول الذين كانوا يعيشون بشريعة الغاب .

ويقابل السلامى فى المخ ويحاول السيطرة على إحساساتها قشرة رفيعة تغطى المخ وفصوص صغيرة موزعة خلف الجبهة ، وهذان الجهازان حديثان فى التركيب العصبى للانسان . وبهما نفكر وتتنبأ وتتغلب على إحساسات السلامى التى وهبتنا إياها الطبيعة فى بدء الخليقة لتكون بمثابة جرس الإنذار ينبهنا إلى الخطر أو الجوع .

والسلامى دائمة الطلبات فهى تدعوك دائما إلى الإقبال على الخمر والميسر أو ما يطابق طبيعة الغاب الأولى من تخلص من القيود ؛ فإذ طلبت السلامى كأس خمر تصدت لها قشرة المخ وفصوص الجبهة قائلة حذار فإنك تعرف أن الخمر منكر وأنك تفقد وعيك وترتكب أعمالا شائنة إن سكرت .

وإن أغلق الباب بعنف وأنت فى ظلام الليل الرهيب صرخت السلامى « عفريت قادم لقتلك » ، فتجيبها الأخريان : « كلا ... إن هذا إلا ريح عاصف » وهكذا دواليك ؛ فالسلامى تدفعك إلى عالم الخيال والخزعبلات ، بينما قشرة المخ وفصوص الجبهة تعيدك إلى عالم الحقيقة والمنطق .

ويقول العلماء إن الموسيقى تخفف من حدة السلامى وتهدىء إحساساتها ؛ ولهذا فإن الأنشودة العاطفية تثير فينا إحساسات الحب والصداقة بينما الأنغام العسكرية القوية تثير فينا الشجاعة والتضحية . وهذه الإحساسات تظل مسيطرة إلى أن يعيدها إلى الواقع شىء من منطق القشرة وفصوص الجبهة .

دراسة تربة النيل

تجرى كلية العلوم بإشراف بعض إخصائييها دراسة تفصيلية لتربة قاع نهر النيل وشواطئه ، واستلزم الحصول على عينات من النهر سفر الدكتور رشدى سعيد فى باخرة خاصة مسافة عشرة آلاف ميل إلى أعالى النيل حصل منها على ٤٠٠ عينة من مختلف أنحائه ، واستغرقت الرحلة ٤٥ يوماً

والطريقة التى اتبعها هى الحصول على عينة من قاع النهر بأدوات خاصة ، ثم عينة أخرى من الشاطئ . وفى المناطق الهامة كان يأخذ عينة كل خمسة كيلومترات ، وبالأخص كلما تغير شكل التربة

والغرض الأساسى من هذا البحث معرفة الزمن الذى فيه اتصل نهر النيل بمنابعه فى أعالى السودان ، فإن علماء الجيولوجيا يقولون : إن منابع النيل فى أوغندا والسودان كانت منفصلة عن النهر ، ولعوامل جيولوجية خاصة التقى المجرى المقبل من الحبشة بزميلة المقبل من السودان

وتفرع عن هذا البحث دراسة أخرى ، فإن إحدى شركات الأراضى الكبيرة فى الصعيد المصرى تملك قطعة أرض مساحتها عشرون ألف فدان . لوحظ أن مستوى الماء فى باطنها يرتفع ويفسد الزرع ، وأجرت الشركة عدة مشروعات لتصريف المياه ، فلم توفق، وظلت الأرض تفقد حيويتها حتى قدرت الخسارة فى السنوات الأخيرة بمائة ألف جنيه

واستعانت الشركة بأحد الإخصائيين ولكنه امتنع عن إبداء رأيه حتى يحصل على دراسة تفصيلية لتكوين هذه الأرض الجيولوجى .

سيشمل إجراء هذه الدراسة والغرض منها معرفة خير الوسائل لتصريف الماء من باطن الأرض . وهل هذه المياه متسربة من النيل أو من مياه الأمطار أو الآبار ؟

وستحلل عينات الأرض والنهر لمعرفة تركيبها الكيماوى وصلة الواحدة منها بالأخرى . وينتظر أن يكون لهذه الدراسة بجوار أهميتها العلمية فائدة عملية لأنها تؤدى إلى تحسين الزراعة ووسائلها .

ديدان الأرض تضاعف منتجاتها

عرف داروين منذ قرن مضى أن ديدان الأرض تقويها على إنتاج المحاصيل الزراعية . وقد تيسر أخيراً استخدام هذه الديدان فى تقليب التربة . وينتظر باحثو هذا الموضوع أن يتضاعف محصول الأرض من مرة إلى ثلاث مرات .

وقد وجدوا بالتجارب أن القدم المربع يحتاج تقليبه إلى عشرة ديدان أى أن الفدان يحتاج إلى مليون دودة تقلب من أرضه ما يقدر بمائتى طن من التربة الجافة التى تساعد على تهوية جذور النبات . وهى تضيف إلى فائدة التهوية فائدتين أخريين ، لأن تأكل الجذور الميتة كما تبتلع البقايا النباتية والحيوانيــة المختلفة تعطى الأرض كمية طيبة من السماد العضوى بما تفرزه فى الأرض من بقاياها مما يغذى النبات ويزيد نموه .

ويقول الدكتور توماس بارت إن الفلاح يستطيع الحصول على عدد وفير من هذه الديدان بتوليدها . وليبدأ أولا ببعضها فى صندوق صغير ، فعند ما تبيض الدودة يستمر بيضها من ١٤ يوماً إلى ٢١ ثم يفرخ وهذه الأفراخ بدورها تبيض فى فترة تتراوح بين ٦٠ و ٩٠ يوماً .

ويقول هذا الأخصائى فى الديدان الأرضية أن تزويد الأرض بها يفيد صاحبها فوائد جزيلة . وقد اهتم بعض التجار فى الريف بهذا الديدان وجعلوها من المواد التجارية التى تباع وتشترى مثل ديدان القز .

ذكاء طفلك وموعد حمله

أثبتت الاختبارات التى أجراها بعض العلمـاء أن النظرية القائلة أن الأطفال الذين يتم بهم الحمل أثناء فصول الشتاء أكثر ذكاء ممن تم بهم الحمل فى فصول الصيف .

وفى مدينة باث اختار العلماء ٣٣٦١ طفلا من طلبة المدارس وأجروا عليهم تجارب الذكاء وفحصوا أحوالهم فوجدوا أيضاً أن الأطفال الذين يتم بهم الحمل فى الشتاء أقل أخوة أو أخوات من الذين يتم حملهم فى فصل الصيف .

وكتب الدكتور فريزر روبرت مدير مصلحة الأبحاث الطبية فى المجلة الطبية البريطانية فقال إن الأبحاث أثبتت أن الوالدين الأكثر ذكاء أكثر ميلا إلى الحمل أثناء فصول الشتاء ، وأن الوالدين الأقل ذكاء أكثر ميلا إلى الحمل أثناء فصول الصيف .

أحدث أنباء العلوم والمخترعات

قد لا ينتهى هذا العام ، حتى تنتهى هـذه الحرب ، ويبدأ العالم ثورته الاجتماعية والاقتصادية ، ويقفز بنا تقدم العلوم والمخترعات إلى بيئات جديدة ، ويفتح لنا مجاهل لم تطرق من قبل

وهدف هذا الباب من « الرسالة » اطلاع القارئ العربى على آخر أنباء تقدم العلوم والمخترعات التى نجزم على ضوء ما عرفناه عنها أننا مقبلون — بعد الحرب — على عالم جديد يختلف كل الاختلاف عن العالم الذى عرفناه

والعالم العربى بحكم مركزه الجغرافى يربط ثلاث قارات تعتبر من أهم مراكز النشاط فى العالم كله ، فجدير بالعالم العربى أن يدرك الانقلاب المقبل ويستعد له

سيارة بدون سائق

يستطيع سائقوا السيارات إذ انتشر الطراز الجديد من السيارات الأميركية أن يتركوا سياراتهم تسير وهم نيام فى الطرق القليلة الزحام . فإن أحد المخترعين تمكن من تجهيز السيارات بآلة كهربائية تسيطر على عجلة القيادة

وهذه الآلة عبارة عن عينين كهربائيتين تصحح وضع السيارة إذا انحرفت عن الخط الأبيض الذى يرسم عادة فى منتصف الطريق ، فإن أراد السائق التخلص من سيطرة هذا الجهاز فى الطرق المزدحمة فإنه يضغط على زر صغير أمامه ليسير سيارته كما يريد

عصا تكشف ملكة النحل

اخترع أحد مهندسى محطة الإذاعة البريطانية عصا سحرية يسهل بها العثور على ملكة النحل ، ولو كانت مختفية بين ٥٠ ألف نحلة ، كما اخترع أيضاً جهازاً يعرف به أن خلية نحل على وشك التمرد وهجر مسكنها ، فيقودهم إلى خلية أخرى

وسر هذين الجهازين مادة خاصة كثيرة النشاط يصبغ بها ظهر الملكة فترسل إشعاعاً غير منظور ، فإن أردت العثور على ملكة النحل وإخراجها من جموعه قربت العصا المجهزة بأدوات كهربائية خاصة من جموع النحل ، حتى تسمع صوتاً قوياً يرشدك إلى مكانها ، فإن أرادت الملكة هجر الخلية تحركت من مكانها ، فتسمع أجراس الإنذار المعدة لذلك

فوزى الشتوى



۱۲ – الفن

للكاتب الفرنسي بول جيزيل

بقلم الدكتور محمد بهجت

عن الأمس وعن اليوم (تابع)

«وعلى ذلك ذهبت عنده وعملت منه عدة دراسات سريعة بالقلم الرصاص ليسهل على عمل التمثال فيما بعد . ثم أحضرت منصتى وشيئاً من الصلصال . ولما كان من عادة الشاعر أن يجلس فى البهو مع أصدقائه كان من الطبيعى ألا أجد مكاناً سوى الشرفة أضع فيه تلك الأدوات القذرة . وإنك لتستطيع أن تدرك صعوبة واجبى . كنت أدرس الشاعر العظيم فى انتباه كبير وأحاول أن أطبع شخصه فى ذاكرتى ثم أجرى فجأة إلى الشرفة لأطبع فى الطين ما لاحظته والتقطته ذاكرتى من هنيهة . ولكن كثيراً ما كانت تخبو ذاكرتى وأنا فى طريقى إلى الشرفة . فإذا ما وقفت أمام المنصة لم أجد فى نفسى القوة على لمس الطين . وكان يتحتم على أن أقفل راجعاً إلى مثالى مرة أخرى . «وعند ما قاربت النهاية من عملى سألنى دالو (Dalou) أن أقدمه إلى فكتورهوجو : فأجبته إلى ذلك فى حينه . ولم يعش الرجل العظيم الهِمُّ بعد ذلك كثيراً. وما استطاع دالو أن يبلغ غايته إلا من صبيبة أخذت للشاعر بعد موته » .

قادنى روادن وهو يتكلم إلى ظرف من الزجاج بداخله قطعة واحدة من الحجر . إنه الحجر الأوسط من عقد ، الحجر الذى يضمه المهندس وسط العقد ليدعم به منحناه . نحت على واجهته قناع مربع من ناحية الخدين والصدغين ، متمشياً فى ذلك مع شكل الحجر المربع . رأيت ثمت وجه فيكتور هوجو . وعند ذلك قال المثال الكبير : « كثيراً ما أتخيل مثل هذا الحجر يتوسط بناء يوهب للشعر»

وكان من السهل على أن أتخيل ذلك . فإن جبين فكتورهوجو وهو يدعم فى ذلك الوضع حنية تذكارية فكأنما يرمز بذلك إلى العبقرية التى ارتكزت عليها آراء وجهود عصر بأكمله . ثم عاود روادن حديثه قائلا :

إنى لأعطى هذه الفكرة أى مهندس يستطيع أن يخرجها إلى حيز التنفيذ » .

وقريبا منا قام التمثال النصفى لهنرى روشفور ، وهو معروف تمام المعرفة ؛ فرأسه رأس ثائر تعلوه خصله شعثاء من الشعر تموج كأنها شارة التسليم ، وبجبينه عجر كثيرة كأنه جبين طفل مشاغب ، دائم الشجار مع أترابه ، له ثغر قلصته السخرية ، ولحية نافرة صاخبة . إنه ثورة لا تهدأ ، وروح النقد والكفاح بعينها . إنه قطعة فنية رائعة نستطيع أن نرى فيها ناحية من نواحى ذهنيتنا المعاصرة . وهنا قال رودان:

« وكانت معرفتى بهنرى رشفور عن طريق بازير أيضا ، فقد كان رئيساً لتحرير الجريدة التى يعمل بها . ورضى هذا الناظر الشهير أن يجلس إلى . كان ذا روح مرحة حتى ليحس المرء منه السحر عندما يصغى إليه وهو يتكلم . ولكنه ما كان يستطيع الجلوس ساكنا لحظة واحدة . وكان يؤنبنى فى رفق لأنى أنصرف بكليتى إلى مهنتى ؛ حتى لقد قال لى مرة وهو يضحك إنى قضيت جلسة بأكملها فى إضافة قطعة من الطين إلى التمثال ، وجلسة أخرى فى رفعها عنه .

« وفيما بعد ، عندما رأى أن تمثاله حظى باطراء ذوى الذوق الرفيع وثنائهم جاراهم فى ذلك الاطراء غير متحفظ ، ولكنه ما كان يعتقد أن تمثاله ظل على حاله الأولى من ساعة أن حملته من منزله ، وكان يكرر ويعيد على هذه العبارة : « لقد أعملت يدك فيه كثيراً . هذبته تهذيباً . وحقيقة الواقع أنى لم أمسه حتى بظفرى » .

وعند ذلك أخفى روادن خصلة الشعر باحدى كفيه واللحية بكفه الأخرى ثم سألنى عما يمكن أن يشبهه إذ ذاك » . فقلت :

« تستطيع أن تقول عنه إنه قيصر من قياصرة الروم »

« هذا ما أردتك أن تقوله تماماً ، إذ أني لم أستطع أن أجد الطراز اللاتيني القديم نقياً خالصاً كما وجدته في روشفور »

وإذا لم يدر عدو الامبراطورية الألد للآن وجود تشابه بين وجهه ووجه القياصرة ، فإني أراهن أن مجرد علمه بذلك سيبعثه على الابتسام

وعند ما تكلم رودان من لحظة عن دالو ، صورت في مخيلتي تمثاله الذي صنعه لذلك المثال والمودع الآن بمتحف اللوكسمبورج إنه رأس متكبر عات يقوم على رقبة رفيعة معروقة كأنها رقبة طفل . له لحية كثة كأنها لحية صانع ماهر ، وجبهة مغضنة متجهمة ، وحاجبان أشعثان كأنهما حاجبا شيوعي قديم ، وهيأة متكبرة محمومة ترى فيها الديمقراطي الذي لا يحول . أما العينان الكبيرتان والتقعر البسيط الذي بالصدغين ، فتنم كلها عن الشغف العظيم بالجمال

سألته عن هذا التمثال فأجابني بأنه عمله عند ما عاد دالو من انجلترا بعد أن شمله العفو السياسي وقال :

« إنه لم يأخذه قط ، لأن علاقتنا انصرمت من بعد أن قدمته لفيكتور هوجو بقليل .

كان دالو فناناً عظيما ، ولكثير من أعماله قيمة زخرفية رائعة تجعلها من أجمل مجموعات القرن السابع عشر . ولو لم تتملكه شهوة الحصول على وظيفة حكومية لكان كل ما أنتجه قطعاً خالدة ؛ ولكنه جهد ليكون لوبران جمهوريتنا ، وليكون زعيما لكل فنانينا المعاصرين . لقد مات قبل أن تتحقق أمنيته ؟

« إنه ليستحيل على المرء أن يمتهن مهنتين في وقت واحد . فكل الجهد الذي بذله لكسب أنصار وأعوان يركن إليهم ، وفي محاولته أن يكون ذا شأن وخطر — كان كل هذا خسارة للفن . ليس أصحاب الدسائس أغراراً مغفلين ؛ فعند ما يريد الفنان مناهضتهم أو يبهز معهم بدلوهم فإن عليه أن يكيد لهم بقدر ما يكيدون ، وبذلك لا يبقى له وقت ينصرف فيه لعمله .

« ومن يدري فلو كان دالو لزم مرسمه دواماً ومضى في سبيل فنه هادئاً وادعاً لأنتج روائع يخطف جمالها الأبصار ، ولربما أجلسه الإعجاب العام على عرش الفن وتوجه ملكا على الفنانين — وذلك هو الذي بذل في سبيله كل ما في وسعه لتحقيقه ، ولكن في غير طائل .

ومع كل ذلك لم يذهب طموحه سدى ؛ لأن نفوذه وحظوته في الأوتيل دي فيل [١] كانا سبباً في إخراج قطعة خالدة من أعظم قطع عصرنا الحاضر . فهو الذي مكن پوفي دي سافان من أن ينال الإذن بزخرفة جانبي السلم بمدخل الأوتيل دي فيل ، وذلك رغم مناهضة أعضاء اللجنة الإدارية مناهضة علنية وأنت تعرف بأي شعر سماوي أنشأ المصور العظيم حوائط البلدية » .

وقد استرعت هذه الكلمات انتباهي إلى تمثال پوفي دي شافان Buvis de Chavanres الذي قال عنه رودان :

« لقد رفع رأسه عالياً . أما جمجمته فصلبة مستديرة وكأنما خلقت لتلبس خُـوذَة . وأما صدره المقوس فيظهر كأنه اعتاد لبس الدروع . ولقد يسهل على المرء أن يتصوره في بافيا [٢] يحارب ذياداً عن شرفه إلى جانب فرنسيس الأول » .

ترى في التمثال أرستقراطية شعب قديم . فالجبهة والحاجبان المرتفعان تدل على الفيلسوف . وتشف النظرة الهادئة التي تشمل أفقاً كبيراً بعيداً عن ذلك المزخرف العظيم والمصور الطللي [٣] السامي . هذا ولا يوجد فنان معاصر يمكن له رودان من التقدير والإعجاب بقدر ما يكنه لمصور القديسة جنيفيف . ثم صاح رودان:

« أكان هذا الرجل يعيش بيننا ويخالطنا ، أكان هذا العبقري الخليق بأزهى عصور الفن يتكلم معنا ! وإنني شاهدته ووضعت يدي في يده ! ليخيل إليّ أنني صافحت يد نيقولا پوسان Nicholas Poussin [٤] »

(يتبع)

دكتور محمد بهجت
قسم البساتين

---

(١) دار البلدية بباريس

(٢) بلدة بمقاطعة لمباردیا بشمال إيطاليا .

(٣) الطلل الحسن المعجب من كل شيء كالمنظر والماء ونحوه وقد استعملت هـذه الكلمة لتؤدي معنى الكلمة الانجليزية lan dscape والفرنسية paysage . فاذا أقرها اللغويون كان بها وإلا فنحن في مسيس الحاجة إلى كلمة خاصة تؤدي هذا المعنى .

(٤) مصور فرنسي عظيم ولد في سنة ١٥٩٤ وتوفي سنة ١٦٦٥

على الشاطئ . . .

للأستاذ مصطفى على عبد الرحمن

أى سحر يفيض من ناظريك   حبس الفكر والفؤاد عليك
روعة تسلب العقول هداها   فتذيب القلوب فى عينيك
ملأ الشط فتنة وحياة   رائع اللمح من سنا وجنتيك
وأشاع الضيا، والبشر نور   من شعاع الخلود فى شفتيك
عالم أنت من فتون وسحر   لهفات القلوب جُنّتْ لديك
قد حسدت الرمال تحنو عليك   وحسدت النسيم يهفو إليك
وحسدت المياه والموج يسعى   يقبل الشط لاثماً قدميك
عبد الحسن فيك قلبى وعينى   أحرام أن ترحمى عابديك

آه لو تصدق الأمانى يوماً   والأمانى عصيها فى يديك

مصطفى على عبد الرحمن

الظــــلام* . . .

للأستاذ أحمد مخيمر

الظلام العظيم يهبط فى بطء   ، ويلقى عصاه فوق الروابى
زاحفاً للوهاد كاليم ما جــــف بدفق ولا انطوى بانسكاب
الذرى فيــه مغرقات تبدى   بعد حين فى وحشة وا كتئاب
كسهام إلى السموات تعلو   وقفت فى الهواء دون السحاب
ما لها كلما نظرت إليها   أنذرتنى برحلة واغتراب ؟
أترى لست بالغريب...ونفسى   شرهتها خطوبها فى اليباب
لم تجد فى الأنام خلاً فلاذت   بقلال الربا ، وشم الهضاب
يا لها من حمامة ذات حسن   هجرت عشها لوكر العقاب !
وحياتى ـ يا للأسى! ـ فى يد الأقــدار كنز تسوقه للتراب
إنما الموت كان أجمل لولا   ماطوى القلب من رفيع الرغاب
أنا يقظان كالنجوم ، عميق   كالظلام العميق، رحب الجناب
تتمشى بى السكينة كالجد   ول زحفاً بين الغصون الرطاب
وتغنى بكل قلــبىَ أشوا   ق بلحن مزمجر صخاب
جائشات جميعها بفؤادى   جيشة الموج واصطخاب العباب
ليس إلا الظلام تسكن فيه الـــروح مما تحس من أوصاب
فيـه ترقى إلى معارج حب   لم تنلها قبلى يد الأحباب
تكشف الحسن والحقيقة والغيــــب وتسرى وحيدة فى الشعاب
وتلبى النــــداء تحمله الريـــح ، نناى الرعاة بين الغاب
جلسوا القرفصاء حول لهيب الـــنار يشدون فى حنين عجاب
ويبثون للظلام أقاصيـ   ـص ، طوتها سريرة الأحقاب
وحفيف الظلام والريح والغا   ب رهيب ينساب أى انسياب
يترك الجالسين فى شبه حلم   وحنين خاف إلى الغياب
ويطيل السكون فيهم إلى النا   ر ورقص اللهيب رقص السراب
يقلبون اللظى بعود ، وفيهم   تقلب الروح ذكريات الشباب
والقطيع الوديع يمضغ فى النا   ب نديّاً من ناضر الأعشاب
مصغياً للرعاة ، ذهلان ، تبدو   فى محياه نشوة التطراب
ساهماً كالغريق فى ذكر المر   عى مطلا فى هدأة وا كتئاب
ناظراً فى الظلام للأفق النا   ئى وللمسكن فى طريق الذئاب

إيه يا ليــل لو دعيت نجاتى   حين يسرى ولو رثيت لما بى
أنا فى هـــذه الحياة غريب   ووحيد الأشواق بين الصحاب
غربة ما يزال دمعى منها   فى جفونى مرقرقاً لانسراب
وأمانى فى الضلوع صبيا   ت إلى الورد عاريات الإهاب
خافقات وما خفقن بريب   هاتفات وما هتفن بعاب
دائرات يلهبن من طول ما ذقــــن من الشوق لانسكاب الشراب
بذراعين خشنتين سأصـــعد للنبع فى الصخور الصلاب
إنما النبع فى القلال فمن يبـــغ يجده وراء ألف حجاب
ثم يخطو إليــه ألف سبيل   حين يخطو محفوفة بالصعاب
إيه يا ليــل كل سر سرى فيـــك مطل بعينـه لاقترابى
قد حملت الأجيال يا ليل فاحمل   هتفات الأجيال فى محرابى
وافتح اليوم شاطئيك لقلبى   إن كل الحياة بين ثيابى ... !

أحمد مخيمر

(*) هذا هو نشيد عاشر من كتاب « أحلام نبى » المعد للطبع وهو قصة فى أناشيد متسلسلة وضعت على لسان نبى من الأنبياء .



من وحي المرأة

أخي صدق ...

... إنك لتعلم رأيي في دموعك هذه التي نظمتها قصائد. تعلمه من هذه الانفعالات التي كنت أحاول أن أخفيها عنك فتظهر، وأنت تسمعني هذه القصائد قبل نشرها فأسمع، وأنا أحس أنك تعيش في أثناء قراءتها وتتألم!

ولقد كنت أستزيدك منها كلما هممت أن تطوى أوراقك الحبيبة في صدرك، وأنت تضمها إليك ضمة الحب والأسى، ربما تردد عيناك دمعة ندت، فلم تشأ أن تطلقها على سجيتها، لأننا لسنا وحيدين، بل حولنا الناس في المقهى أو في الطريق!

كنت أشفق عليك أن تقرأها، وكنت أستزيدك من قراءتها... لأنني أعلم — وقد جربت من قبل تجربة شبيهة بتجربتك في الأم الصديقة — أن هذا الألم النبيل الكريم الذي تحسه وأنت تستعيد هذه الصور العزيزة، هو ألم كذلك عزيز مريح!

والألم النبيل الكريم يا صديقي نادر في هذه الدنيا الحافلة بشتى الآلام! وما أحوج الإنسانية إلى مثل هذا الألم بين الحين والحين، يطهرها وينقيها، ويرفعها من ثقلة الأرض، ويطلقها ترفرف في السماء

ولكن الذين يعرفون مثل هذا الألم ويقدرونه نادرون مثله في هذا الوجود. وأنت الذي تقول في صدق مفجع حزين:

كأنيَ بالأحزان غيّرنَ طابعي ... وأن بوجهي ما تجن أضالعي
ظلال جحيم من دخان ولاعج ... وأشباح تعذيب دوامٍ دوامع
وإلا فما للناس يجتنبونني ... وقد كنت منشوداً بتلك المجامع؟
وإني لألقاهم كعهدي مرحباً ... وأبسط كفي في سلام مسارع!
أفرّج ما بين الشفاه تبسما! ... وأدعو أساريري وأجلو مطالعي!
وأضحك أحياناً وأظهر ناجدي! ... وآخذ في أسمار غرّ وخالع!
فما لهم لا يطمئنون؟ ما لهم؟ ... وضحكى عالٍ مسمع ذو قعقع
أبشريَ غير البشر في عين ناظر!
أضحكيَ غير الضحك في سمع سامع؟

أجل صدقوا، مذ متّ يا مرّ فرحتي
طبعتُ كتمثالٍ على الحزن فجع

أجل يا صديقي، لأن الناس في هذا الزمان يريدون أن يضحكوا دائماً، ويا ليتهم يعرفون كيف يضحكون!

أما أنا فلست بناصح لك أيها الصديق — كما لم أنصح لك في فورة الألم — أن تتسلى. فما أرخص السلوى في الحياة، وما أعز الألم الصادق النبيل؟ وما أفدح الخسارة حين نمسي ونصبح، فإذا أيدينا خالية من هذا الألم الذي يربطنا بأعز أحبابنا، ويصلنا بذلك الماضي الذي لن يعود

وإنني لأقرأ ثم أقرأ في احترام بالغ قصيدتك «تساؤل»:

أتغلبني هــــذي الحياة على حزني
فأصبح مثلوج الحشى ضاحك السن؟
أيأتي زمان تخطرين بخاطري ... فلا يسبق الدمع الهتون إلى عيني؟
أيجري لساني باسمك الحلو صادحاً ... مبيناً فلا يومي إليه ولا يكني؟
وقد كان في حلقي يجف ويلتوي
ويهمس مبحوح الصدى مجهش اللحن!
أيحلو لطرفي أن يطالع صـــورة
لحسنك من بعد القجيعة في الحسن؟
وقد كنت أخفيها وكانت بناظري
إذا عرضوا عفوا — كغاشية الدجن
أيخلو مكان من خيالك ماثلا
بكل مكان — أينما سرتُ — أو ركن؟
ويطغى على نفسي شــعور وفكرة
ولم تشركيني في شعوري وفي ظني؟
ويشغلني شيء ولو بعض ساعة ... فلا أنت في قلبي ولا أنت في ذهني؟
نشدت زماناً يورث الناس سلوة ... ليكفيني برد السلو ويستأني
بديلي منك الحزن لم يبق غيره ... فلا حبذا السلوان غبناً على غبن
وإني لأستحييك إن غب مدمعي ... وأحزن يوماً إن غلبت على حزني

إنك لغني يا صديقي بهذا الكنز من الألم الرفيع النبيل، فكن أميناً عليه، فمثله نادر في هذا الوجود!

سيد قطب

كلمة هادئة - إسكان أواخر الكلمات

ألمع ابن خلدون في مقدمته الشاملة إلى اقتراح إسكان أواخر الكلمات تخلصاً من حركات الإعراب فقال: (ولعلنا لو اعتنينا بهذا اللسان العربي لهذا العهد — عهد ابن خلدون — واستقرينا أحكامه نعتاض من الحركات الإعرابية في دلالتها بأمور أخرى).

وقال أيضاً: (ولم يفقد منها — أي من لغة مضر مقارنة بلغة

عهد ابن خلدون — إلا دلالة الحركات على تعين الفاعل من المفعول فاعتاضوا منها بالتقديم والتأخير وبقرائن) . ومن الملاحظ أنه لم يشرح شيئاً من « الأمور الأخرى » فى قوله الأول ولا شيئاً من « القرائن » فى قوله الثانى بحيث لا يمكننا أن نستنبط منهما وسيلة تنفيذية إلا التقديم والتأخير أى تقديم الفاعل وتأخير المفعول مثلا للتمييز بينهما وأظن أنها وسيلة غير كافية لأن اللغة ليست قاصرة على حالتى الفاعلية والمفعولية وليست قاصرة على حركتى الرفع والنصب وليس حتما أن تشتمل الجملة على اسمين اثنين لا غير

مع هذا لا يزال ينادى بهـذا الاقتراح الطريف باحثون معاصرون يرون فى اللغات الأوروبية المسكنة الأواخر برهاناً تطبيقياً نافذاً .

والذى يخيل إلى أنهم لم يبحثوا الموضوع على الأقل من الناحية الشكلية التى يبدو فيها خلاف كبير بين اللغة العربية واللغات الأوروبية يستعصى معه إتباع هذا الاقتراح .

فأولا : صلب اللفظ العربى يحتاج إلى ضبط كامل لا يفيد معه إسكان الآخر لأنه يتكون من حروف ظاهرة فى الكتابة وحروف أخرى تظهر فى النطق . ولا زلت أذكر قصة لأحد الظرفاء، إذ شاهد مع بعض ضيوفه من الريف حيواناً عجيباً فى حديقة الحيوان فسألوه ما هذا ؟ فحار فى قراءة كلمة (النبر) على قفصه لا لجهله بحركة آخرها طبعاً بل لجهله بحركات سائر الحروف .

وثانياً : استقلال اللفظ . فنجد أن اللفظ فى اللغة الأوروبية منفصل قائم بذاته فى كل معانيه بينما هو فى العربية خاضع لغيره أو متصل به . فنحن نقول : كتابهما — كتابهم — كتابهن... فأين الحرف الذى يسكن ؟ الأخير أصلا أم الأخير رسماً ؟ اللفظ الأصيل ! كتاب وآخره الباء فحينما أسند إلى غيره تغير آخره بالاندماج فيه . بينما الإنجليز مثلا يقولون : Their book لهذه الحالات الثلاث . ولست بصدد القول بأن أساليب التعبير عندنا أدق وأوفى وهذا ربح لا يهون بجانب تسهيل النطق عندهم .

وثالثاً : حركة الآخر ليست خاضعة لاتصال اللفظ بغيره اتصالا مباشراً فحسب بل أيضاً تخضع للاتصال غير المباشر بالألفاظ المجاورة . فإسكان الأواخر يكثر من « التقاء الساكنين » أو تعذر النطق لتعاقب حركتين.. فإذا تعمدنا الوقوف عند كل كلمة قطعنا فى النطق تقطيعاً مضحكا مرهقاً وإذا استرسلنا بغير ضوابط خرجنا على القاعدة خروجاً همجياً ، وإذا اعتمدنا على التقديم والتأخير أخفقنا فى الجمل المتشابهة الكلمات والجمل التى تتكرر فيها كلمات معينة .

ورابعاً : كثير من الألفاظ ساكن ما قبل الآخر . فإسكان الآخر أيضاً ثقيل جداً . وهو بالغ الثقل عندما نصل مثل هذه الألفاظ بألفاظ ساكنة الأول أو طيعة الأول على الأصح .

وخامساً : بعض الألفاظ مبنى على حركة تدل دون غيرها على معنى خاص . مثل : أنتَ — أنتِ فإسكان (أنت) يحرمنا من فهم المعنى إلا بالسياق والإطناب حيث يغنى الإيجاز .

إلى غير ذلك من الأحوال الخاصة بطبيعة لغتنا وحدها .

والعجيب أن اللغات التى تلائم طبيعتها قاعدة إسكان الآخر قد تجنح إلى أدوات شاذة لتعذر إطرادها . مثل إقحام حروف غريبة لا تمت إلى الأصول والأصلاب بصلة ما كالحرف T فى il — T — ya أى : (هل هناك...؟) والجواب : il ya بلا وجود للحرف T الذى وجد لتحاشى التعقيد بالتخلص من تعاقب a ، i . ولا أعرف لذلك ضريباً إلا فى لغة بعض قبائل النوبيين فهم يقولون مثلا : (إِتْرَكِ اكَرِى) (إتر : طعام — اكرى : هات — الكاف : زائدة لهذا الغرض . وللنوبيين عذرهم فى لغة لا تكتب ولا تطرد لها قواعد مدونة .

وعلى العموم فإن إسكان الآخر عامل من عوامل إضعاف اللغات . حتى الأوروبية بدليل الاختلاف بين سماعها وقراءتها إلى حدما . فمعظم حروف الآخر فيها صامتة مثل : beaux — perè وسيؤدى ذلك مستقبلا إلى ضمورها كما أدى تمهيداً إلى انقطاع الصلة بين المكتوب والمنطوق . لذلك يلتزم بعض الفقهاء فى فن القراءات ضرورة الاتكاء على الحرف الأخير فى حالة السكون بالقلقلة والغن والتنوين حتى لا يعتريه ضمور أو إبهام أو إضغام .

وهب أننا سنهتدى إلى قواعد للغة المقترحة فلا بد من بذل مجهود ضخم فى تعليم العامى أن كلمة (مستأبل) خطأ وأن صوابها (مستقبل) بإسكان الآخر وأنها تقدم فى حالة الرفع وتؤخر فى النصب . بمثل هذا المجهود تقريباً يمكن تعليمه أن الصواب (مستقبلٌ) ، (مستقبلا) . والفرق بين المجهودين بسيط لأن القواعد التى تسرى على كلمة واحدة تسرى على أشباهها جميعاً .

وليس الإعراب بهذه الوعورة التى تنتهى بنا إلى القنوط . والذين لا تحتمل عقولهم بعض القيود المادية كالإعراب لا يرجى أن تحتمل آراء وعلوماً وفنوناً .

عبد الفتاح البارودى



ابن . . .

للأستاذ لبيب السعيد

كان ذلك فى مطالع شبابى غب تخرجى فى مدرسة التجارة ، حين آثر أبى أن ينشئ لى متجراً ، وكان هو وجدى وقتئذ يرعيان تجارتى الناشئة ، ويقضيان معى الساعات ، يوجهان العمال ، ويشاركان فى استقبال الحرفاء ، وينيران لى فى كل مناسبة طريقى الجديدة . وكنت يومئذ شديد الرغبة فى النجاح ، فكنت أستدفع الضجر ، وأطامن من اعتزازى بآرائى ، وأتقبل توجيهات أبى وجدى راجياً أن أتنور على هديهما مقصدى

وكان أبى لا ينفك يوصينى بألا أبيع بالنسيئة أبداً ، ويقول لى : يا بنى ! خير لك أن تبقى بضاعتك أمام عينك من أن تعطيها الناس ثم تظل فى انتظار ثمنها يدفع أو لا يدفع . وكنت أعرف ما جرته النسيئة على أبى من متاعب ، فبدا لى أن أتخذ وصاته مبدأ أساسياً لمتجرى لا أنحرف عنه

ووقفت عصر يوم بجانب مكتبى النصف دائرى ، وأنا جذلان بنظام محلى ووفرة محتوياته وبشائر النجاح بادية فى إقبال الحرفاء ورضاهم ... وقفت أقبض أثمان المبيعات ، وأوجه للعمال أمراً بعد أمر ، وأنطلق بين لحظة وأخرى مع مرسلات الأمانى . وفيما أنا كذلك ، إذ أقبل علىَّ شيخ حطمه الشلل يتحامل على عصا غليظة ، وعليه ملابس بلدية موشكة على البلى وإن تكن فاخرة الصنف ، وفى صحبته طفل فى نحو الخامسة يلبس جلباباً قصيراً خفيفاً ، ويحمل وجهه سمات حزن لا يكون فى أمثاله

وقال الشيخ فى لهجة عزيزة ومنكسرة معاً : « أعطنى يابنى عشر أقات دقيقاً » ، فهتفت حالا بالعامل القريب : « زِنْ لحضرته ما يطلب وخذ منه ثلاثين قرشاً » ؛ وأجاب الرجل وهو يتكلف الابتسام : « بل زن المطلوب ويكتب علىَّ ثمنه » ، فما أسرع ما اندفعت قائلا فى تصميم قطع : « مستحيل هذا » ؛ وابتسم الرجل ابتسامة واهنة ، وقال وهو يتلفت كأنه يتحرى ألا يسمعه أحد : « بل ليس مستحيلا ، ولا تمنع عمك أحمد الناجى ما يطلب ، لا ضاعت الأيام » ، ولكنى نظرت إليه نظرة لا رفق فيها ، وقلت كأنى أستعجله مغادرة المتجر : « مستحيل جداً يا عمى ، وبالله دعنا فى شغلنا »

ونظر الشيخ إلىَّ ثم إلى طفله نظرات المغضب المغلوب المتحسر فكدت لفرط ما تأثرت بهذه النظرات أستجيب لطلبته لولا أن ذكرت أن الأمر أمر مبدأ ، وإنى إن بذرت اليوم للنسيئة حبة فسأبذر غيرها غداً ، وإذن فسأجنى الثمرة المرة التى جناها أبى ، والتى حذرنى منها تحذيرا . واستدار الرجل فى صعوبة وهو يتكئ ببدنه كله على عصاه ، وجر رجليه جراً إلى الطريق ومعه طفله الذى كان يحكى هزاله وحقارة ملبسه حكاية البؤس مؤثرة وجيعة

ونزل جدى فى هذا الوقت من عربته يصلح وضع مُطرَفه ، ويلقى السلام على جيران المحل ، وما بصر بالشيخ حتى وقف يصافحه بحرارة مبادلا إياه تحيات أيدتهما لى كشقيقين على صفاء ومحبة ، وأسرعت فقدمت لجدى كرسياً ، ولكنه قدمه إلى الشيخ فى اهتمام وهو يقول : « أيها الأخ ! إنى سائل عنك ، قلبى معك » ونادى صبياً يعمل فى المتجر أن يحضر قهوة للشيخ . وإذ رأيت عواطف جدى نحو الشيخ تولانى خجل شديد لما فعلت معه ، ولكن تولانى أيضاً خوف من أن أورط فى هذه العشر الأقات

. وتحدث جدى مع الشيخ لحظات فى صوت خفيض ، فما لبث جدى أن صاح بى فى لهجة ناهرة : « أهكذا يا محمد تفعل مع الشيخ ؟ ! زِنْ له عشرين أقة » وصدعت بالأمر كارهاً !

أمر جدى أحد العمال بنقل الدقيق إلى بيت الشيخ الذى علا البشر صفحته ، والذى قال وهو قائم يخطو إلى الشارع : « أكتب عندك ستين قرشاً على أحمد الناجى » ؛ وانطلق متحاملا على نفسه وأنا أتبعه بنظراتى غضبان أسفاً لكسر مبدئى التجارى ، وأهمس لعامل قريب معرضاً بجدى : « شيوخ طيبون ، يصدقون كل شىء ، ويدخل الاحتيال عليهم »

وقعد جدى يردد أدعية بالستر الجميل له ولذريته ، ثم قال مسمعاً إياى والأسف ظاهر فى وجهه : « إنها الدنيا ! الشيخ أحمد الناجى تعوزه أقات من الدقيق ! الشيخ الناجى الذى كان يتصدق بالقمح أرادب ! قضاء الله ! ضاعت أمواله الضخمة ، وأصابه الكبر والشلل ، وتخطف الموت امرأته وهو أحوج ما يكون إليها ، وله كما رأيت طفل ضعيف تعوزه التربية ! »

وجعل جدى يحرك قبضة عصاه فى شبه حركة عصبية ، وهو يبدئ ويعيد فى الحديث عن صديقه الشيخ مظهراً غضبه منى إذ لم

أسارع إلى تنفيس ضائقته ، ولم أقدم إليه من الاحترام ما هو كفاء منزلته وعرلقته

وجاءنى أبى مساء ، فحدثته بالذى كان ، وكأنما كنت أريد أن أقول له : أنظر ما ذا فعل أبوك ! فكان يضحك للهجتى ، ولكن وجهه كان ينم عن تأثره لمأساة الشيخ الناجى ، ومضى يحكيها لى مفصلة وهو يحوقل ويسترجع ، على أنه ما لبث أن قالهابينة صريحة : « ومع ذلك فلا تعط أحداً بعدها شيئاً بالنسيئة »

ومرت أيام ، فجاء الشيخ الناجى بوجه فيه الأسى ، وكعهدى به اتخذ من عصاه رجلا بعد رجل ، وتكلف لى ابتسامة جاءت خجلى منكمشة وقال : لا تضق بى يا بنى ، إن لى إليك رجاء يسيراً ... أتأذن بقرش حلاوة لهذا الصغير ؟ (مشيراً إلى ولده).

وعض الحزن على قلبى للطفل الشاخص ببصره إلى الحلاوة ، واستحييت لكرامة جدى ، فأسرعت بنفسى وقدمت إلى الطفل قطعة من الحلاوة ، ثم التفت إلى الشيخ أسأله مجاملا : ثم ماذا ؟ فأجاب : « لا شىء ، جعلك الله من السعداء »

وجلس على كرسى وأمارات التعب الساغب عليه ، واحتضن ولده فى حنان وأسف وهو يقول له بنبرة حزينة : يابنى المسكين ! تأكل مما يقترض أبوك ؟ !

وسمعت عاملين يتهامسان بما ينقض عوز الشيخ ، وبأنه يقول ما يقول ليسرق عطفى . ولينفى عنى كل شك ، فهمت نفسى بتصديقهما لولا أن ذكرت تفاصيل ما قصه على أبى وجدى

ومضى الشيخ يجرجسمه وطفله . وانقضت أشهر وأنا لا أراه حتى كان يوم وردت فيه جنازة إلى المسجد القريب من المتجر ليصلى عليها ، ووقف المشيعون ينتظرونها عن كثب من المحل ؛ وقال قائل : يرحم الله الشيخ أحمد الناجى ! وقال آخر : ياما أحرز! فقال ثالث : ويا ما أضاع !

وسعى أمامى الركب الذى لا يعود صاحبه ، وأنا أتمتم فى غير اكتراث كبير : « الله يرحمه ... ويعوض على ما فى ذمته ! »

وغبرت سبع سنين ورد فيها جدى حياض المنون ، ولم يفسح بعده لأبى فى رحاب العمر ، بل عاجله الأجل العارم ، وتحلبت على أموالنا أشداق الطامعين من الأقارب والأباعد ، حتى ليخيل إلىّ أن لو كنا نؤكل ما عفوا ولا شبعوا .

وكنت رشيد إخوتى فألقيت على كتفى أثقال الأسرة . وكان أمدح هذه الأثقال أن أسترد ما لأبى وأقضى ما عليه . لقد كان أبى يكره أن يستدين أو يدين ؛ ولكن التجارة أركبته رحمه هذا المركب

واتصلت بالمدينين فهالنى الأمر . هذا معدم يقول : كان يودى ... ؛ وهذا منكر يقول : أمامك المحاكم ... ؛ وهذا مخاتل يكتب أملاكه لزوجه فراراً من العدل . فأما الموسر ذو التقوى فيريد أن يدفع المائة الجنيه عشرين . فأما الدائنون ، فقد حسروا لنا اللثام عن بطش وكيد . فإنذاراتهم ما تنفد وعنتهم ما ينتهى .

ودخلت المحاكم فكم أموال أنا فى حاجة إليها أخذتها منى ، وكم قال لى المحامون : هات .

وأدركنى اليأس من طهارة الذمم ، وروعنى خراب الضمائر ، وثقلت علىّ وطأة الحياة ، وأصبحت لا أتبين فى غمرات المظالم طريقاً

وقعدت يوماً فى متجرى أرسل فكرى فى ظلمات الأحداث المحدقة ، وأنى متوجعاً على المحيط الذى أنا فيه خلوه من رجل يستوحى الضمير ويقدر الشرف ، وأدير عينى فى مكان أبى وجدى فلا أراهما ، وغشينى همّ أذهلنى عما حولى فترة ، فما نبهنى غير صوت غلام فى نحو الثانية عشرة يلبس جلباباً قذراً وطاقية رخيصة ويحمل علبة صفيح صدئة يقول لى وهو يمد يده إلى بالعلبة : ياعمى محمد ! خذ حقك واحداً وستين قرشاً . قلت مستغرباً : أى حق يابنى ؟ قال : حقك ... ثمن الدقيق الذى اشتراه أبى أحمد الناجى ، وثمن الحلاوة الطحينية التى أعطيتنيها .

وغمرتنى الدهشة ، فقد طوى النسيان صاحبه منذ سنين على احمد الناجى ، ولكنى سرعان ما ذكرته . ذكرت لهجته ، وذكرت فقره ، وذكرت جدى وأبى وما قالا فى شأنه وما فعلا ، وذكرت الدقيق والحلاوة ، وذكرت قوله لابنه وهو يحتضنه فى حنان وأسف : يا بنى المسكين ... تأكل مما يقترض أبوك .

ذكرت هذا كله ، وتفكرت فيما أرى من الغلام ، فهزنى هذا التصرف الكبير منه ، وكأنى أمام حادثة من خيال الشعراء ، وقلت جاداً : خل هذا المبلغ لك يا بنى ؛ فأجاب فى تمرد وقد اربد وجهه : أتريد أن يدخل أبى النار ؟ ... لقد قال لى وهو فى أشد التعب قبل أن تصرخ عمتى بأنه مات بوقت قصير ، قال لى : يا علىّ ! إذا أراد الله لك أن تشب وتجتاز السنين وتكسب شيئاً فلا تنس أن تسدد ثمن الدقيق والحلاوة . وما دمت كبرت واشتغلت فى مصنع السجاد بخمسة قروش فى اليوم فلا بد أن أقضى دين أبى ليدخل الجنة ...

وأشرق وجه الغلام وهو يضع النقود على مكتبى فى عزم وإصرار ، وابتسم ثغره ثم مضى فى قوة شامخة .

لبيب السعيد

الكتب

الترجمة وأثرها في النهضة الفكرية

[تصدير معالي الأستاذ مصطفى عبد الرازق باشا لكتاب « المدخل لدراسة الفلسفة الاسلامية » ترجمة الأستاذ محمد يوسف موسى ، وسيظهر هذا الأسبوع]

لقد كانت الترجمة — وما تزال — دعامة من دعائم النهضات الفكرية والثقافية للشعوب ، وبالترجمة بدأت النهضة الثقافية في عصور الإسلام الأولى ؛ إذ أدرك الخلفاء المسلمون حاجة الأمم إلى استتمام غذائها الفكرى من كل سبيل ، فتدفقت إلى النهر العربى وديان من مختلف الثقافات العالمية ، وظهر من بينها هذا اللون العربى الإسلامى على خير ما يكون الاستواء .

وعند ما نهضت أوربا من سباتها ، ونفضت الكرى عن عيونها ، رأت أن أقوم وسيلة لانتعاشها أن تنحو نحو الترجمة ، فاندفع الناقلون يترجمون أمهات الكتب اللاتينية واليونانية ، وتناولت أيديهم وأقلامهم كذلك أصول الكتب العربية التى عملت على ازدهار الثقافة الأوربية الحديثة .

وحين أسفر فجر هذه النهضة المصرية ، وأدرك رجل مصر الحديثة رأس الأسرة المالكة محمد على باشا ، ما للترجمة من أثر فعال فى إنعاش البلاد وإحيائها ، هداه نظره الثاقب إلى إرسال البعوث العلمية إلى أوربا ، لنقل معارف الأوربيين وثقافتهم إلى مصر باللغة العربية ، فأرسل ثلاثة بعوث علمية فى أزمنة مختلفة ، كونت ثلاث طبقات من العلماء والأطباء والضباط والمهندسين ، فنقلوا إلى العربية مئات من الكتب فى العلوم والمعارف المختلفة . ولقد كان لذلك — بلا ريب — أثره الملموس فى اللغة العربية والثقافة العربية .

ومما هو قمين بالذكر أن كل المدد الذى استمده محمد على باشا لتلك البعوث لم يكن إلا من الأزهر ، تلك الجامعة التى نشرت النور والمعرفة فى أرجاء العالم الشرقى . وكان من أظهر هؤلاء الأزهريين وأبعدهم صوتاً ، المرحوم رفاعة بك الطهطاوى ، الذى عهد إليه برياسة الطلبة المبعوثين إلى باريس ، فقام بهذه المهمة خير قيام ، واتصل فى فرنسا برجلين عظيمين هما السيو جومار [1] والبارون ده ساسى [2] ، فأفاد من صحبتهما خيراً كثيراً ، واستقدمه محمد على إلى مصر فى سنة ١٢٤٦ هـ وعينه مترجماً فى مدرسة طرة ، ثم وكل إليه إدارة مدرسة الألسن ووضع نظام لها ؛ وكان لتلك المدرسة فضل فى نبوغ جماعة من فحول المترجين .

وكان المرحوم رفاعة بك بطبعه ميالاً إلى الترجمة ، فعرب مدة إقامته بباريس وبعد رجوعه منها كثيراً من الكتب والرسائل ؛ منها تعريب قانون التجارة ، وتعريب القانون المدنى الفرنسى ، ورسالة المعادن ، والمنطق وهو ترجمة لكتاب دومرسيه ، وهندسة سانسير ، وغيرها ، حتى ليقال إنه ترجم بنفسه وبإشرافه ما يربو على سمائة كتاب .

على أن هذه النهضة التعريبية التى كان زعيمها رفاعة بك ، سرعان ما سلط على دوحتها أعاصير من جو السياسة عبثت بأصولها ، وأصابتها بما أوقف نموها واطرادها ، وهى بين الفينة والأخرى ما تزال بين النماء والذبول ، إلى أن استقر أمرها فى وقتنا الحاضر عا نرجو له دوام الإطراد والتقدم والتحرر ، بفضل جهود العاملين على رفع مستوى الثقافة من رجال العلم ورجال الحكم .

لقد خطر لى أن أتحدث عن رفاعة بك هذا الحديث الذى أسجل به فضله وسبقه ، عند ما أردت أن أقدم هذا السفر النفيس الذى وضعه المستشرق الفرنسى الأستاذ جوتييه ، وقام بترجمته الأستاذ الشيخ محمد يوسف موسى . لقد سرنى أن يصل هذا الأستاذ الأزهرى ما بين ماضى رجال الأزهر وحاضرهم فى تعريب الثقافات الأوربية التى نحن فى أشد الحاجة إليها وإلى من يحسن نقلها ، وأعجبنى أن ينهض الأستاذ بإكمال ما بدأ به رفاعة بك . وعسى أن يكون فيما أدرك من نجاح وتوفيق فى تعريب هذا الكتاب حافز له ولأمثاله من نابهى رجال الأزهر ، على إتمام تلك السلسلة

---

(١) Jomard (٢) Sylvestre de Saçy

من رسالة إلى صديق

ساعات بين الكتب

[للأستاذ العقاد]

للأستاذ حسين الغنام

عندما زرت أخي الأستاذ الأديب محمد محمد يوسف وهو مريض ، لم يمنعه مرضه أن يسألني عن الكتب الجديدة ما ظهر منها وما قرأته ، فلما آنست فيه قدرة على القراءة بعد مرضه ارسلت إليه كتاب العقاد مع رسالة جاء فيها عن هذا الكتاب الجديد مايلي : —

تذكر يا أخي الدراسة المطولة التي كتبتها عن رسالة العقاد « مجمع الأحياء » ، عند ما قرأتها لك ، وتذكر الجزء الذي نشرته منها في مجلة « الرسالة » وقلت فيه : « كان فرحي بظهور هذا الكتاب فرحاً عظيما ، لأن إعادة طبعه كانت رغبة ، بل أمنية ، اشتهيتها منذ بضعة عشر عاماً ، وظهوره في طبعته الثالثة يسد نقصاً في المكتبة المصرية »

وهذه الأمنية وهذا الكلام ينطبقان على كتاب العقاد الجديد وهو الجزء الثاني من « ساعات بين الكتب » ، حتى لقد هممت — كما تعلم — مرات عديدة أن أكتب إلى العقاد ليجمع تلك المقالات وينشرها في كتاب ، في زمن كادت تنعدم المقالة فيه ، إلا بعض مقالات للعقاد نفسه ، وللزيات ، ولطه حسين ، ولآخرين قليلين

والذي طالع الجزء الأول من كتاب العقاد « ساعات بين الكتب » ، طالع فيه جديداً ، ولا شك في الأدب العربي ، حتى أن الكثيرين من الكتاب أخذوا يقلدونه ، ولكنهم عادوا فانصرفوا عنه يائسين !

وهذه الدراسات التي جمعها العقاد مما نشر في البلاغ الأسبوعي والضياء ، والدستور ، وطبعها في كتاب ، فصارت أشبه بالجامعة التي تفرقت كلياتها ثم اجتمعت في بقعة واحدة !

وفي الحق أن مقالات العقاد ، أو كتبه ، هي مدارس أو كليات قائمة بذاتها ، ففي كل مقالة منها ، وفي كل رأي له ، درس جديد ....

وكتابة العقاد تمتاز بميزات كثيرة ، أولها :

١ — الثقافات الواسعة المهضومة على تعددها ، مع استقلال الرأي

٢ — التركيز والإلمام بالموضوع من أطرافه

٣ — نفاذ البصيرة وإشاعات الذكاء العبقري

٤ — قوة التركيب ومتانة الأسلوب وحلاوته

هذه هي الخصائص الأولى في كتابات العقاد ، وهذا مايطالع القارئ في هذا الكتاب ، وهذا ما سوف يطالعك عند قراءته !

***

وإذا كان لي أمنية أخرى ، فهي طبع المقالات العديدة المتفرقة للعقاد ، في الرسالة وغيرها من المجلات ، ثم تدريس هذه المقالات المستقلة لطلبة الجامعتين المصريتين ، فإن فيها فناً أدبياً قائماً بذاته ، ولا نظن أحداً يستطيع أن يجاري العقاد فيه ...

التي صاغ حلقتها الأولى سلفهم الكريم .

إني إذ أهنئ الأستاذ بإخراج هذا الكتاب في ثوب عربي فائق ، لأهنئه أيضاً بحسن اختياره للموضوع ؛ إذ أن كتاب الأستاذ جوتييه هذا يعد من الكتب ذوات الخطر في دراسة الفلسفة الإسلامية .

ولقد كان من حسن حظ هذا الكتاب أن يجد من أبناء العربية رجلا فاضلا مثل الأستاذ المعرب ، له من الإلمام الواسع بالعلوم الفلسفية ما مكنه من أن يحسن عمله ، فيستحق منا ومن قراء العربية شكراً موفوراً .

إعلان

كتاب مدخل إلى دراسة الطب التجريبي .

قامت وزارة المعارف العمومية بتعريب وطبع الكتاب المذكور الذى ألفه بالفرنسية (كلوديرنار) وذلك جريا على الخطة التى انهجتها فى نقل طائفة من عيون الكتب الأجنبية إلى اللغة العربية لتيسر على الراغبين فى الاستفادة من قراء العربية الاطلاع على أحدث الآراء الغربية وهذا الكتاب معد الآن للبيع وثمن النسخة منه ٦٠ مليما (ستون مليما) ، ويمكن الحصول عليه من المخازن العامة بديوان الوزارة بشارع الفلكى ومن مخازن الوزارة الفرعية بالأسكندرية طنطا ، الزقازيق ، بنى سويف ، أسيوط قنا . ٣٨٨٨

إدارة البلديات العامة ـ تنظيم

تقبل العطاءات بمجلس طوخ البلدى حتى ظهر يوم ١٥ ـ ٨ ـ ١٩٤٥ عن توريد ١٢٠ أردبا من الشعير ويجب أن ترفق العطاءات بتأمين ابتدائى قدره ٢ ٪ من قيمتها . ٣٨٧٠

مجلس مديرية الغربية

يعلن عن توريد خامات المؤسسات (جلود ـ خيزران ـ حدايد وبويات) وتطلب الشروط على عرضحال دمغه مرفقا به إذن بريد بمبلغ ٢٠٠ مليم وتقدم العطاءات لغاية يوم ١٨ (ثمانية عشر) أغسطس ١٩٤٥ ٣٨٥٨

نشر بالعدد ٦٢٩ بالإعلان ٣٨٥٨ « مركز مديرية الغربية » والصواب : « مجلس مديرية الغربية »

محكمة ههيا الجزئية الأهلية

إعلان بيع عقار نشرة أولى فى القضية ن ١٠٧٨ سنة ١٩٤٣

أنه فى يوم الثلاثاء ٤ سبتمبر سنة ١٩٤٥ من الساعة ٨ أفرنكى صباحا بقاعة البيوع والمزايدات بسراى المحكمه الموافق ٢٧ رمضان سنة ١٣٦٤

سيباع بطريق المزاد العلنى العقار الآتى بيانه بعد والمملوك إلى / ١ على محمد خليل من الرباعى مركز كفر صقر وغير معلوم له محل إقامة بالقطر المصرى / ٢ نبوية محمد خليل من الناحية المذكورة بصفتهما وارثين لأخيهما المرحوم السيد أحمد خليل / ٣ محمد رجب محمد خليل بصفته وارثا لوالده المرحوم رجب محمد خليل الوارث لأخيه المرحوم السيد أحمد محمد خليل ومقيم بحارة الشرابية جامع أزبك ن ١١ بركة الفيل قسم السيدة زينب ن ٤ محمد محمد خليل بصفته وارثا إلى أخيه المرحوم السيد أحمد محمد خليل من الابراهمية مركز ههيا شرقية .

وهذا البيع بناء على طلب الحاج محمود منصور بسيونى من الابراهمية مركز ههيا شرقية ـ وفاء لمبلغ ٥ ج م ٧٤٠ مليم بثمن أساسى قدره ٥ ج ٥٠٠ مليم وما يستجد من المصاريف :

بناء على حكم نزع الملكية الصادر من محكمة ههيا الأهلية فى ٢٠ ـ ٣ ـ ١٩٤٥ ومسجل فى ٢٧ منه ن ١٣٢ تسجيلات الزقازيق الكلية

بيان العقار

٨٧ سنتى و٤٣ متر بحوض أم الرقيص قسم ثانى ن ٣ ضمن القطعة ن ٢٣٧ هذا القدر عبارة عن أودة مبنية بالطوب الأخضر ومؤسسه بالطوب الأحمر كاملة الأبواب والعروشات والشبابيك وبينها فضاء من بحرى شارع ص ٢٣٧ وطوله ٦ و٧٥ متر وغربى باقى ملك محمود منصور بسيونى ص ٢٣٧ وطوله ٦ و٥٠ متر وقبلى كذلك ص ٢٣٧ وطوله ٦ و٧٥ متر وشرقى بعضه ورثه نفيسة خليل قطورة وبعضه خديجة عبد الغفار سيد أحمد ص ٢٣٧ وطوله ٦ و٥٠ متر

٨٧ و٤٣ فقط ثلاثة وأربعين متر وسبعة وثمانين سنتى بناحية الابراهمية مسكنة ههيا

فعلى راغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان الموضحين للمزايدة ومن رسى عليه آخر عطاء يدفع بالجلسة عشر الثمن والمصاريف ورسم مرسى المزاد ويقوم بدفع الباقى فى الميعاد القانونى وإذا تأخر يعاد البيع على ذمته ويلزم الفرق . وشروط البيع وجميع الشهادات مودعه بملف الدعوى بقلم الكتاب لمن يريد الاطلاع عليها

كاتب البيوع

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦٣١ — الاثنين ٦ أغسطس ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

١١ ، ٢٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 631

Lundi - 6 - 8 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٣١ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٨ شعبان سنة ١٣٦٤ — ٦ أغسطس سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

دفـــاع بليـــغ

للأستاذ عباس محمود العقاد

عرف الأستاذ صاحب « الرسالة » ما يعنيه بالبلاغة تعريفاً بليغاً حين قال فى كتابه الجديد الذى جمع مقالاته فى الدفاع عن البلاغة : « إنما هى البلاغة التى لا تفصل بين العقل والذوق ، ولا بين الفكرة والكلمة ، ولا بين الموضوع والشكل ، إذ الكلام كائن حى ، روحه المعنى وجسمه اللفظ ، فإذا فصلت بينهما أصبح الروح نفساً لا يتمثل والجسم جماداً لا يحس »

وليس بهذا التعريف من ضير فى معناه لأنه بليغ ، وليس به من تقصير فى الإفادة لأنه جميل ، وليس به من نقص ، لأنه زاد على الغرض منه أنه أدى هذا الغرض فى نسق سائغ وبيان رائق . فما ذنب البلاغة إذن عند من ينكرونها ، لأنهم كما يزعمون يدينون بمنفعة الكلام ، ولا يدينون بالزخرف المضاف إليه ؟

إن جماعة « النفعيين » فى مذاهب البلاغة العصرية يدعون أن العصر عصر سرعة ، وأن الزمن الذى تمتطى فيه السيارة غير الزمن الذى تمتطى فيه الإبل والخيل ، فمن أجل هذا ينبغى أن يكون له كلام غير كلام الأقدمين ، وبلاغة لا تجرى على أسلوب البلاغة قبل ألف عام

وهذا قول صحيح فى كل شىء إلا فى النتيجة التى يسحبونه إليها سحباً وهو كاره شديد التبرم والالتواء . فإن عصر السيارة الذى يعرفون به لم يعلمنا شيئاً إن لم نتعلم منه أن الفائدة لا تغنى عن الجمال ، لأنه لا يصنع السيارة للسرعة وكفى ، ولا يصنعها للراحة دون غيرها ، ولا يصنعها للمتانة ثم لا يبالى بما عداها ، بل يصنعها أول ما يصنعها لجمال المنظر وأناقة الصورة والافتنان فى النموذج ولطف الحركة والأداة . وما من معمل فى الأرض يزاحم غيره فى سوق السيارات إلا جعل الزينة مقدمة على الغرض المفيد كما يسمونه ، وهو غرض السرعة فى الانتقال أو الراحة التى يستمتع بها المنتقلون . ولا تنزل المصانع إلى التزام المنفعة دون غيرها إلا فى أحط السيارات وأقربها إلى الابتذال ، وهى السيارات التى يعدونها لنقل الحجارة والتراب ، أو نقل البضاعة على أحسن احتمال ، وإنها مع ذلك لتنتقل إلى الحوذى الأنيق فيزينها ببعض الأصباغ والتعليقات ، ويدل بذلك على ذوق فى الحياة أرفع من ذوق البلاغة العصرية والبلغاء العصريين

فالسيارة ، أو عصر السيارة ، يعلمنا أن الفائدة ليست هى كل ما نتوخاه من الكلام ، وأنه إذا وجب على الإنسان وهو ينتقل من مكان إلى مكان فى عصر السرعة أن يزيد شيئاً على فائدة المركبة المقصودة ، فأحرى به أن يصنع ذلك وهو يمثل ذوقه وفكره وشعوره وجملة قدرته على التعبير ، لأنه قد ينتقل فى سيارة شائهة المنظر ، وهو مضطر إلى ركوبها كما قيل إن المضطر يركب

الصعب من الأمور ، ولـكنه لا يضطر يوماً من الأيام إلى إهمال مزاياه التى يتفاضل بها المعبرون فى الإبانة والجلاء والتأثير

ولقد تحدث أولئك البلغاء المصريون عن بلاغتهم العصرية ، فإذا بهم كالذى يتحدث عن السيارة فيعيب على الناس أن ينتقلوا فى مركبة غير مركبة الحجر أو مركبة التراب ، لأن الغرض المفيد من صنع المركبات هو الانتقال السريع ، فما لهم إذن لا يجتزئون عن النماذج الفاخرة بهذه النماذج المبذولة ، وهى أقل فى الثمن وأيسر فى التكاليف ؟

لو كان هذا الكلام معقولا لكان تصرف الإنسان كله فى تاريخه القديم وتاريخه الحديث غير معقول ، لأنه لا يكتفى بالفائدة فى مطلب من المطالب ولا فى عمل من الأعمال ، ولا يزال ينسى الفائدة فى سبيل الجمال

وأغلب الظن أن تعريفات هؤلاء البلغاء العصريين للبلاغة لا تنتهى فى حقيقتها إلا إلى تعريف واحد يصدق عليهم وعلى ما يلفقون من ذلك اللغط الرخيص ، وهو أن البلاغة هى ما يستطيعونه ولا يعجزون عنه ، فما استطاعوه من كلام ، فهو بليغ مقبول ، وما عجزوا عنه فهو من البلاغة السلفية ولو دارت ألفاظه وعباراته على أحدث الآراء

وستمضى العصور وراء العصور ، وتنتقل الكتابة من أسلوب إلى أسلوب ، ومن موضوع إلى موضوع ، ولكن العصور كلها عصر واحد فى هذه الحقائق التى لا تقبل الشك ولا تأذن بالتبديل

وهى « أولا » أن الكلام الجميل مطلوب كما يطلب الجمال فى كل غرض من أغراض الإنسان

وهى « ثانياً » أن البشر لن يستغنوا فى زمن من الأزمان عن لغتين إحداهما تحتاج إلى درس وتعليم ، والأخرى تكتسب بالتلقين من الأفواه ، وإحداهما تصلح للتعبير عن معانى العلوم ولطائف الذهن وبدائع الخيال ، والأخرى لا تصلح لغير البيت والسوق

وهى « ثالثاً » أن التراث الأدبى تراث باق يتجاوز عمر الجيل والجيلين والثلاثة الأجيال ، وما كان كذلك لا يكتب باللهجة التى تتبدل كل جيل وتختلف من بلد إلى بلد ، وتستخدم بغير قاعدة ولا أصل تتفق عليه

ومتى كانت هذه الحقائق من وراء الشك والجدل ، فالدنيا لن تخلو من لغة خاصة ولغة عامة ، أو من لغة المفكرين وأصحاب القرائح والأذواق ، ولغة الجهلاء الذين لا يخلقون الصور الذهنية ولا يحسنون فهمها إذا خلقها لهم الآخرون

وإنه لأرحم بالناس وأكرم لهم أن يتعلم العامة كيف يفهمون الخاصة من أن يحرم على الخاصة أن يكتبوا شيئاً يعلو على مدارك العامة . إذ الواقع أننا لو استطعنا أن نكتب العلم والفلسفة بلغة السوق والبيت لم نرفع الصعوبة التى تحول بين الجهلاء وبين فهم تلك الموضوعات كائناً ما كان أسلوب الكتابة فيها

وأعجب العجب أن يقال أن الإنسان يتعلم ليحسن الطبخ واللبس والركوب ، ولا يتعلم ليحسن فهم جلائل الأفكار ومحاسن القرائح وروائع الفنون ، بل يخلق مستعداً لفهمها بما تلقاه من لهجات البيوت والأسواق

ويخطئ من يعتقد أن العامة من الأعراب كانت تفهم أقوال البلغاء ولا تتكلف دراسة لفهمها والنفاذ إلى معانيها ؛ فإن الذين فهموا تلك الأقوال البليغة كانوا أناساً يتعلمون ويحفظون الأمثال ويروون السير والأخبار ، ويعرفون الأنواء والنجوم ، ولا فرق بينهم وبين متعلمى العصور الحديثة ، إلا أن هؤلاء يتلقون دروسهم مكتوبة ، وكان أولئك يتلقونها منطوقة لا تثبت فى كتاب . أما الذين لم يتعلموا على هذا النمط ، فقد كان يفوتهم فهم الشعر السهل فضلا عن الشعر البليغ ، ومن أمثلة ذلك تلك الأعرابية التى لامت زوجها على مدح الناس والترفع عن مدحها والتشبيب بها فقال :

تمت عبيدة إلا من محاسنها
فالحسن منها بحيث الشمس والقمر
قل للذى عابها من عائب حنق
أقصر فرأس الذى قد عبت والحجر

ففرحت بهذا الهجاء ، وحسبته من أجمل المدح والتشبيب ، وهكذا يفهم مثلها من تسمعه أبياتاً من الزجل السهل ، وهو عيى الفهم ردئ المزاج ، فإن العامية لا تنفعه فى فهم ما ينظم بها من زجل ، ولو كان قريباً إلى الأذهان

* * *

ولقد أصاب الأستاذ الزيات كل الإصابة حين أبطل قول المتحدثين عن البلاغة المصرية إنهم يدعون إلى مذهب جديد؛ فقال: « وربما يزعم زاعم أن هذه العامية الأدبية ترجع إلى مذهب من مذاهب الكتابة دعت إليه حال وبعث عليه تطور. فإذا جاز أن يكون هذا الزاعم، فالغالب فى الظن أنه لا يعلم إذا كان يجدّ، أو لا يجد إذا كان يعلم. ذلك لأن المذهب الكتابى والشعرى، إما أن يكون مرحلة تطور لمذهب يتقدم به مبتدعوه، وإما أن يكون رد فعل لمذهب يغلو فيه متبعوه ... »

وليس فى دعوة البلغاء العصريين إلى اللغــة العامية أو إلى ما يسمونه بالأسلوب التلغرافى فكرة تسمى مذهباً أو تطوراً لمذهب، بل ربما كان التطور الذى حدث فى العصور الأخيرة من أسباب سقوط الدعوة والعدول عنها إن كانت قائمة قبل ذلك، لأن العامة يتعلمون فى العصــور الأخيرة بعد أن كان التعليم فى العصور الغابرة وقفاً على السراة وذوى الأموال، فلا حاجة إلى الإســفاف باللغة من أجل العامة كما يزعمون، لأنهم فى طريق المعرفة إن لم تتم لهم المعرفة جميعاً فى هذه الآونة، وأياً كان الزمن الذى ينقضى قبل شيوع المعارف الأدبية بين سواد الناس، فما نعلم من أحد من أولئك القائمين القاعدين باسم أولئك السواد يمشى حافياً اليوم، لأن فقراء العامة يمشون حفاة، وينقضى زمن قبل أن يتوافر لهم جميعاً لبس الحذاء!

فالتطور الذى أشار إليه الأســتاذ الزيات يرتد على البلغاء العصريين، ولن يزال مرتداً عليهم فيما يلى من السنين، وكلما ازداد نصيب العامة من العلم والدراسة قلت اللغة العامية وقل البلغاء العصريون وازدادت البلاغة التى دافع عنها صديقنا صاحب الرسالة فأحسن الدفاع

لقد كان دفاعاً جميلا، فلم يضره الجمال ولم يصبه من ناحية الإفادة والإقناع. وقد دافع أناس عن بلاغتهم العصرية، فإذا هو دفاع غير جميل وغير مفيد، وإذا بهم يتكلمون باسم العصر وهم لا يفهمونه ولا يفهمون عصراً من العصور التى سبقته، لأن العصر الحاضر لم تعجله السرعة عن طلب الجمال، بل هو يسرع ويغلو فى سرعة ليدرك الجميل ولو تيسر له المفيد

عباس محمود العقاد

عم يتســـاءلون؟

الأستاذ أحمد رمزى

مشاكل العالم الجديد — حواجز اللون

فى برقية من لندرة خبر سار يتلخص فى أن بعض الجمعيات وجهت نداء قوياً يدعو لإزالة حواجز اللون فى المستعمرات، وفى ذلك بشرى للأمم المهيضة الجانب، المغلوبة على أمرها

وإنا معاشر المصريين، كأمة عربية، مهما قيل فى أنسابها وأحسابها — نفرح ونتهلل لهذا النبأ إن صدق ما يدعون — نفرح لأننا من أنصار الحرية، ومن عشاق المساواة بين الأجناس، ونتهلل لأننا من دعاة الحق، ومن العاملين على نصرة الأمم المضطهدة، ورفع الحيف والظلم عنها

فنحن نعضد هذه الحركة، ونعدها من بشائر الدنيا القادمة، ونرى فى نجاحها دعامة من دعائم إنشاء العالم الجديد، وندعو لها بالنجاح، ونصادق كل من يقول بها، ويكافح من أجلها، ويدعو بقلمه ولسانه إليها

لقد قرأنا الكثير مما كتب عن الشعوب الملونة، وضرورة إخضاعها لسلطان الأمم المتمدينة، وخلصنا بنتيجة هى أن تقسيم العالم وشعوبه إلى أبيض وأسود وأسمر، وإقامة الحواجز بينها، وحرمان الإنسانية من مجهود بعض الشعوب، إنما هو من عمل الإنسان وحده، ولا شأن للقوانين الطبيعية فيه

وإن النظريات التى تدعو إلى وضع فريق من البشر، فى وضع لا يليق بالإنسان، مقضى عليها بالفشل، لأنها من بقايا عصور قد انتهت ...

ولا محل لها فى العالم الجديد، الذى قيل عنه لنا، إنه يسير نحو الديمقراطية والتفاهم والتعاون، وإن الإنسانية تتقدم فيه نحو التساوى فى إعطاء الفرص، للفرد وللجماعة بل وللشعوب، بدون نظر إلى جنس أو لون أو دين — فلا فضل لمسيحى على مسلم، ولا مزية لأوروبى على أسود

فهل سيقدر النجاح لهذه الدعوة الصالحة؟

هذا ما ستظهره الأيام فى المستقبل ، وإن شك الكثيرون فى ذلك ، وجاهروا بأن ظروف العالم وما يحيط بنا من دلائل ، تجعل الشك أقوى من الأمل ، ولكن المؤمنين بالمساواة يقولون بأن الظروف السائدة ليست بدائمة ولا هى أبدية ، بل كل ما عليها يتحرك ويتطور : حتى إذا سلمنا بضعف أنصار الفكرة وقلتهم ، وإذا تطرق الشك إلى قلوبنا وقلنا إن الملأ قد يجاهرون ويتظاهرون بما ليس فى قلوبهم ؛ فإن الفكرة فى حد ذاتها سامية ، ولها من حيويتها ومنطقها وقوة تأثيرها ما يجعلها من ألزم ضرورات هذا العصر ، بل تحمل وحدها ما يهيئ لها النجاح …

ولقد دعا الإسلام إليها ، وكانت إحدى دعائم القوى التى قام عليها ، حينما كانت المثل العليا للاسلام ظاهرة واضحة ملموسة ، لا يطمسها جمود رجال الدين وتشاغلهم بأمور الدنيا .

ولقد عجبت كيف يمر هذا الخبر على المسلمين فلا يتحرك منهم عالم أو كاتب أو مجاهد ، فيقول فيه قولا يتفق مع تقاليد السلف الصالح وحميتهم — ومصر التى ورثت الشافعى وحملت أرضها طائفة من علماء الدين ، كانت عزائمهم تهز الدنيا ؟ لِمَ لا تتكلم بما أنزل الله ؟

أما نحن ، فواجبنا فرض كفاية علينا أن نعطى فكرة مهلة ، تثير فى النفس رغبة الاستزادة فى المعرفة والسعى وراء الحقيقة ، وغايتنا أن نضع المتناقضات ملموسة أمام نظر القارئ الواعى ، ولذلك نتساءل :

هل صحيح أن بعض الحكومات تفرض على ذوى اللون قيوداً لا يحتملها الأوروبى ، فتضع فريقاً من بنى آدم فى موضع المنبوذين ؟

أحق ما يقال من أن فى القارة الأفريقية ملايين من الناس محرومون من حق الملكية الفردى والإجماعى فى أراضى بلادهم ، وبعد مضى قرن ونصف على إعلان حقوق الإنسان ؟

أصحيح أن حريات السكان الوطنيين ومساكنهم ومعابدهم لا يحميها القانون العام فى بعض المستعمرات ، فيحرمهم الحماية التى يتمتع بها بقية السكان ؟

إذا كان هذا من المبالغة فى القول كما يدعون ، فهل الحرية الشخصية وما يتبعها من حرية التملك والعبادة والتعليم والثقافة وتعاطى المهن وحق الانتقال ، أمور معترف بها للجميع فى القوانين المعمول بها للبيض والسود والسمر على السواء ؟ أم هناك تفاوت فى المعاملة ؟

هذه أسئلة عارضة يزيد من أهميتها ما أذيع أخيراً من أن فى القارة الأفريقية مساحات شاسعة من الأراضى ، منها ما هو خاضع للدول الأنجلوسكسونية ، وما هو مملوك لدول أخرى ، وأن المعاملة السيئة التى يلقاها سكان المستعمرات الأفريقية ، أو التى تحت الانتداب لدى هذه الدول الأخرى ، أثارت اشمئزاز رجال الاستعمار الأنجلوسكسونى وسخطهم ، فهل هذا صحيح ؟

إننا نتساءل عن هذا ، وبقدر ما تزداد رغبتنا فى التأكد ، بقدر ما تنكشف لنا بعض الحقائق الكونية ، وإلا فما هى هذه الحواجز التى تتحدث عن إزالتها تلك الجمعيات المحبة للخير والإنسانية؟

أيتها الشعوب الغالبة التى سكرت بخمر انتصاراتها : اعلمى أن السلم العالمى لن يتحقق لغير العدالة ، ولا عدالة مع بقاء حواجز اللون ، وإلا فقد ذهبت سدى أرواح ثلاثين مليوناً من ضحايا الحرب العالمية الثانية ، أو كجزية أولى للحرب العالمية الثالثة !

احمد رمزى

المراجع Stoddovd

1 — The Revolt againsr Civilisation
The Menace of the Undesman.
2 — The Rising Tide of Colour against white World - Supremacy.
3 — Le Crepuseie dés hateins Blauehes Hawice Hweh.

الاستعمار الفرنسي في الجزائر

للأستاذ حسن أحمد الخطيب

الأمة الفرنسية – منذ ثورتها الكبرى قبيل نهاية القرن الثامن عشر – تدعى أنها الحفيظة على الحرية البشرية ، وواضعة الحقوق الإنسانية ؛ بذلت فى سبيلها أغلى المهج والأرواح وسطرتها بدماء أبنائها الأحرار ، وأعلنتها ديناً ومذهباً فى فرنسا ، وبشرت بها فى سائر الأمم الغربية وغيرها ، وزعمت أن غراس الحرية نبت فى بلادها ، ثم زكا وترعرع ، حتى استوى شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، تؤتى أكلها كل حين ، فيقطف منها الناس جميعاً دانى الثمر وطيب الجنى

ولقد غلت فى حبها وأفرطت فى تقديسها ، حتى اتخذها مفكروها محوراً لتفكيرهم ومصدراً لوحيهم وإلهامهم ، وتغنى الخطباء والكتاب والشعراء بالحرية والإخاء والمساواة شعار الثورة ودثارها ، ودين فرنسا الجديد وإنجيلها ! !

فهل كان ذلك حقاً ؟ هل كان ذلك ناجماً عن خليقة مستعدة للخير وطلب الكمال ، أو نحيزة تحفز لرعاية الفضائل ، أو قلب مؤمن بأسمى المبادئ ، أو عقيدة دفعت المصلحين إلى نقض بناء الظلم وتقويض دعائم الجور والثورة على القاسطين ، وتطهير الأرض من الظالمين ؟ ؟

نقول – والأسف يملأ جوانحنا – إن موقدى الثورة وحاملى بنودها والداعين إلى مبادئها ، لم يكونوا مؤمنين بها ، فلم تخالط بشاشتها قلوبهم ، ولم تمتزج بها نفوسهم ، إنما هى شقشقة هدرت ثم قرت ، وصيحة دوت فى الجو برهة ثم لم تنشب أن ذهبت أدراج الرياح ، ولم يلبث كبراء فرنسا وحكامها أن عادوا إلى سابق عهدهم ، وثابوا إلى ما كانوا عليه من استبداد ظالم ، وغشمرية يختفى فيها الحق ويضيع فيها الضعفاء ، ورجع الأقوياء فيها أشد صيالا ، وأقوى طماحاً . وإلا فما بال الفرنسيين رضوا بنقض عهد الثورة وميثاقها فى أنفسهم ، وفى أبناء البلاد التى وقعت فى حبائلهم ، فأذاقوهم عذاب الهون ، وصبوا عليهم صواعق غضبهم وهم ما اجترحوا سيئة ، ولا ارتكبوا أمراً إدًّا

ومَن هم أولئك الذين يُسامون هذا الخسف ويعانون هذا الظلم من مصادرة للحرية ، وإنكار للحقوق الشرعية ، وهدم لاستقلال البلاد ، وإضاعة لمعالم العدل والمساواة ؟

هم عرب المغرب ومسلموها فى الجزائر وغيرها . هم أنسال أولئك الأمجاد الذين وطنوا بهذه البلاد وبالأندلس منذ آماد طويلة ، فنشروا فيها مبادئ العدل والحرية ، والمساواة والتسامح ، وحملوا لواء العلم والعرفان ، وأرسخوا فيها دعائم المدنية وأركان الحضارة

هم سلالة أولئك الهداة والرائدين من عرب المغرب والأندلس الذين علموا أبناء فرنسا وغيرهم من أمم أوروبا ، وأيقظوهم من سباتهم العميق ، وأخرجوهم من ظلمات الجهل والجور إلى نور العلم وضياء الحرية يوم أن كانوا يهيمون على وجوههم يتخبطون فى دياجير الجهل ، ويرزحون تحت آصار الجنف والاستبداد

لقد شهد المنصفون من علماء أوروبا ومؤرخيها بعدل العرب وإحسانهم ، ورحمتهم وتسامحهم ، حتى قال جوستاف لوبون : «ما رأيت فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب» ، كما اعترفوا بأن نهضة أوربه إنما نبعت من معين العرب ، وشيدت بطلبة البعوث العلمية الذين ارتووا من مناهل علومهم ومعارفهم فى طليطلة وقرطبة واشبيلية وغرناطة ومراكش وصقلية وغيرها . كذلك اقتبسوا من محاسن عاداتهم وقوانينهم ، وانتفعوا بما شاهدوه من زراعتهم وصناعاتهم ، وتنافسوا فى ذلك تنافساً عجيباً ، حتى انتشرت هذه المعارف والعلوم ، وبزغت شمسها فى أوروبا ، ولا سيما فرنسا وإيطاليا وجرمانيا وانجلترا ، وذلك فى القرون الوسطى ، فنقلوا عنهم الفلسفة والهيئة والطبيعيات والبصريات والرياضة والكيمياء والطب والصيدلة والزراعة ، وتعلموا منهم الفروسية ، وأخذوا عنهم عمل الورق والبارود ، ونسج كثير من المنسوجات وكثيراً من الحبوب والأشجار

جاء فى صحيفة مدرسة أدنبره :

« إنا لمدينون للعرب كثيراً ، فإنهم الحلقة التى وصلت مدنية أوروبا قديماً بمدنيتها حديثاً ، وبنجاحهم وسمو همتهم تحرك أهل أوروبا إلى إحراز المعارف ، واستفاقوا من نومهم العميق فى الأعصار المظلمة ، ونحن مدينون لهم بترقية العلوم الطبيعية والفنون النافعة

فى إرشـــاد الأريب

إلى معرفة الاديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

— ١١ —

* ج ١٨ ص ١٦٨ :

لو سعت بقعة لإعظام أخرى   لسعى نحوها المكان الجديب

قلت : (لو سعت بقعة لإعظام نُعمى) والبيت لأبى تمام من قصيدة فى محمد بن عبد الملك الزيات ، وقبله :

ديمة سمحة القيـاد سكوب   مستغيث بها الثرى المكروب

وبعد ذاك البيت :

لذَّ شؤبوبها وطاب فلو تَسْـطيع (م) قمت فعانقتها القـلوب

* ج ١٩ ص ٢٠٨ : قال المؤيد الألوسى فى صفة القلم :

ومثقف يغنى ويفنى دائماً   فى طورَى الميعاد والإيعاد

قلم يفل الجيش وهو عرمرم   والبيضَ ماسُلّت من الأغماد

وُهِبَتْ به الآجام حين نشابها   كرم السيول وهيبة الآساد

قلتُ : (والبيضُ) وهذا ظاهر.

(وهَبَت له الآجام حين نشابها) وقد جاء (الألوسى) بفتح الهمزة فى الكتاب ، وهو بضمها كما ورد فى (وفيات الأعيان) . قال ابن خلكان : هذه النسبة إلى ألوس ، وهى ناحية عند حديثة عانة على الفرات . وفى (معجم البلدان) : (ومهفهف[1]) مكان (ومثقف) وفيه وفى (الوفيات) : (يغنى ويقنى) ويقنى مثل يغنى ، وعندى أن الأصل (يقنى ويفنى) قال ابن خلكان : ولقد رأيت هذه الأبيات منسوبة إلى غيره (إلى غير المؤيد) ولم يقل فى القلم أحسن من هذا المعنى

ولبعضهم فى القلم أيضاً وهو من هذا المعنى :

وأرقش مرهوب الشباة مهفهف   يشتت شمل الخطب وهو جميع

تدين له الآفاق شرقاً ومغرباً   وتعنـو له ملاكها وتطيع

حمى الملك مفطوماً كما كان تحتمى   به الأسـد فى الآجام وهو رضيع

(١) فى الشرح فى الكتاب (إرشاد الأريب) ذكرت هذه الرواية .

وكثير من المصنوعات التى نفعت أوروبا كثيراً علماً وتمدناً »

وقال المؤرخ الفرنسى لافاليه فى وصف مدنية العرب والمسلمين:

« إنهم فى جميع الفنون فاقوا المسيحيين ، وبلغوا الدرجة القصوى فى الحضارة ، حينما كان أقرانهم من الأوروبيين هائمين فى أودية الجهالة والوحشية ، فكانوا فوقهم فى العلم ومثلهم فى البأس ، وكانوا حكماء فى المجالس أشداء فى المآزق »

فكيف يجوز لفرنسا أن تعامل فى القرن العشرين أمة ماضيها المجيد حافل بالمكرمات والمآثر معاملة العبيد الأرقاء ، وقد كان أسلافها بالأمس معلميها ومعلمى سائر الأمم ، كما كانوا ناشرى لواء الحرية والعلم فى أوروبا وسائر أنحاء الدنيا ؟ وكيف سمح لها ضميرها الحى ووجدانها اليقظ أن تنكل بالجزائر فى شهر مايو الماضى فتضرب أبناءها ومدنها وقراها بمدافع الطائرات ، وتصب عليها من سفنها الحربية وابلا من النيران وحمما من سعير الجحيم ، وتسوق الأحرار من بنيها إلى المحاكم فتحكم عليهم بالفناء والموت الزؤام!

ما ذا صنع أولئك المساكين ؟ وما ذا نقم منهم الفرنسيون ؟ لم ينقموا منهم إلا أنهم آمنوا بحقوقهم وشعروا بالظلم الفادح ينقض ظهورهم ويثقل كواهلهم ، فرغبوا فى حريتهم وفى حياة الكرامة والاستقلال ، وأبوا حياة الضيم والهوان ...

يا فرنسا : خفضى من غلوائك ، واذكرى ما كنت فيه بالأمس القريب يوم الاحتلال الألمانى ، واعلمى أن فى بلاد المغرب بسلاء ، لا ينامون على ضيم ، قد انحدروا من سلالة شرف ومجادة ، وجرت فى عروقهم دماء سُلاَّفهم الأولين الذين جاهدوا فى سبيل إعلاء كلمة الحق وتوفير العزة للمؤمنين

يستعذبون مناياهم كأنهمُ   لا ييأسون من الدنيا إذا قتلوا

لا جرم أنه من الخير لفرنسا أن تنظر فى سياستها الاستعمارية القديمة فتتنكب سبيلها ، وترد إلى تلك الشعوب حقوقها ، فبذلك وحده تبقى السلم ، ويعم العالم الأمن ، وإلا فبواعث الحرب قائمة ، ونذرها ماثلة ، ولن تكف الشعوب المهتضمة عن المطالبة بحقوقها ، ولن تنى فى الجهاد والاستشهاد فى سبيل حريتها

إذا غامرت فى شرف مروم   فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت فى شىء حقير   كطعم الموت فى شىء عظيم

حسن أحمد الخطيب
المفتش العام بوزارة المعارف

قلت : فى (حياة الحيوان الكبرى) للدميرى : (مرهوف الشباة[1]) وهى أصح ، وكانت (ملا كها) فى طبعة (الوفيات) (أفلا كها) .

* ج ١٠ ص ٧٧ :

عناء مُعِنٌ وهو عندىَ راحة وسم زعاف ، طعمه فى فمى حلو

قلت : (مُعَنٍّ) وهو من (عنّى يعنّى) فى القاموس فى (عنى) : وعناء عانٍ ومُعَنٍّ مبالغة . وفى اللسان : وعناء عانٍ ومعن كما يقال : شعر شاعر وموت مائت ، قال الأعشى :

لعمرك ما طول هذا الزمنْ على المرء إلا عناء مُعنْ

والبيت الواوى هو لصاحب اللامية التى يقول فيها :

وإنما رجل الدنيا وواحدها من لا يعول فى الدنيا على رجل

* ج ٤ ص ٥٤ : وله (لأحمد بن على الأسوانى) تآليف ونظم ونثر التحقق فيها بالأوائل . قتل ظلماً وعدواناً فى محرمٍ سنةَ اثنتين وستين وخمسمائة : وله تصانيف معروفة لغير أهل مصر ، منها كتاب مُنْيَةِ الألمعى وبُلْغَةِ المدعى : تشتمل على علوم كثيرة .

قلت : فى الصحاح : والمحرم أول الشهور . وفى المصباح : أدخلوا عليه الألف واللام لمحاً للصفة فى الأصل ، ولا يجوز دخولها على غيره من الشهور عند قوم وعند قوم يجوز على صفر وشوال . وفى شفاء الغليل : محرم بدون الألف واللام نصوا على أنه ممنوع لأنه علم بالغلبة فتلزمه اللام أو الإضافة واستعمله ابن الرومى مضافاً فى قوله (محرم الحول فى تقدمه) .

وكتاب الأسوانى اسمه (أُمنيّة الألمعى ومَنِيَّة المدعى) وهو مقامة طويلة وصف فيها منشيها عشرين علماً وشرحها[2] . وقد « اختصر هذا الشرح من الأصل مع زيادات فى بعض المواضع » العلامة الكبير المصلح الأستاذ الشيخ طاهر الجزائرى .

* ج ١٧ ص ٩١ : أنشدنا (المحسن بن الحسين العبسى الوراق) لنفسه فيه (فى مبارك الكاتب) :

مباركٌ بورك فى الطول لك فأصبحت أطول من فى الفلك

ولولا انحناؤك نلت السما ء ولكن ربك ما عدّلك

قلت : مبارك — بضمة واحدة وهو منادى — والوزن ، والهمزة فى أول العجز فى البيت الثانى ، مكانها فى الصدر فى السماء .

* ج ١٨ ص ١٣١ : كان ابن دريد قد أملى الجمهرة فى فارس ثم أملاها بالبصرة وببغداد من حفظه ... فلذلك قلما تتفق النسخ ، وتراها كثيرة الزيادة والنقصان ، ولَمّا أمَلّه بفارس غُلامُه تَعَلَّمَ من أول الكتاب ، والنسخة التى عليها المعول هى الأخيرة .

قلت : ولِما أمله[1] بفارس عَلامةٌ تُعَلِّمُ من أول الكتاب .

* ج ١٦ ص ١٨٤ : وللفتح بن خاقان (وزير المتوكل العباسى) :

أيها العاشق المعذب صبراً فخطايا أخى الهوى مغفوره

زفرة فى الهوى أحط لذنب من غزاة وحَجّة مبروره

قلت : حجة بالكسر فى الفصيح والصحاح واللسان والقاموس . وفى اللسان : روى عن الأثرم وغيره : ما سمعنا من العرب حج حَجة . وروى عن الكسائى مثل ذلك . وفى النهاية : الحجة بالفتح المرة الواحدة على القياس . وقال الجوهرى الحجة بالكسر وهو من الشواذ . وفى التاج : فتبين أن الفعلة تقال بالوجهين الكسر على الشذوذ . وقال القاضى عياض لا نظير له فى كلامهم ، والفتح على القياس .

قلت : الكسر خير .. وقد قال الأثرم والكسائى ما قالاه . ثم استغفر الله من رواية البيتين .

* ج ٤ ص ٢٣١ : تقدم رجلان إلى القاضى أبى أحمد بن أبى علان — رحمه الله — فادعى أحدهما على الآخر شيئاً فقال المدعَى عليه : ما لَه عندى حق . فقال القاضى من هذا ؟ فقالوا : ابن هارون النحوى العسكرى . فقال القاضى : فأعطه ما أقررت له به ...

قلت : (ما لُه عندى حق) بضم اللام ، وقد قالها عامية ، فورّط المسكين نفسه فى بلية . وما كان له — وهو العالم اللغوى النحوى — أن ينطق بغير صحيح . وإنى لأتيقن أنه راح يردد

---

(١) رهف السيف كمنع يرهف رهفاً رققه كأرهفه فهو مرهوف ومرهف (التاج)

(٢) الكتاب مخطوط فى (المكتبة الخالدية) فى بيت المقدس كتبت سنة ٨٩٤ وطبع مع شرحه المختصر و « تتمة تكمل بها أمنية الألمعى وتشتمل على مسائل » سنة ١٣٢٠

(١) قال الفراء : أمللت لغة أهل الحجاز وبنى أسد ، وأمليت لغة بنى تميم وقيس ، ونزل القرآن العزيز باللغتين معاً

— وهو يحمل تسجيل القاضى — هذا المثل : « إن البلاء موكل بالمنطق » ويلعن لغة العَامة ودعاتها — إن كان لها فى ذلك الزمان دعاة ... — لعناً كبيراً .

* ج ٤ ص ٦٨ : ولم أزل منذ حرمت التشرف بخدمته أنطوى على مبايعته ، وأنلظى شوقاً إلى التسعد بخدمة حضرته التى هى مجمعُ الوفود ، ومطلعُ الجود ، وعصره المحمودِ .

وجاء فى الشرح : (المحمود) فى الأصل المنجود ، فأصلحت إلى ما ذكر .

قلت : وعصرةُ المنجود . فى اللسان : قال أبو زُبيد :

صادياً يستغيث غيرَ مغاث ولقد كان عصرة المنجود

أى كان ملجأ المكروب . وفى الأساس : هو منجود : مكروب . وتقول : عنده نصرة المجهود ، وعصرة المنجود .

و (التسعد) طلب مرعى السعدان . فى اللسان : خرج القوم يتسعدون يطلبون مرعى السعدان ، وهو نبت ذو شوك ، وهو من أطيب مراعى الإبل ما دام رطباً . وفى المثل مرعى ولا كالسعدان .

فهل قاس الكاتب وهو « أحمد بن على الصفار من فضلاء خوارزم » التسعد على التشرف أم كان الأصل (التيمن برؤية حضرته) أو الاستسعاد أو ما شابه ذلك .

* ج ١٧ ص ٢٥١ :

فأبيتُ مُختَـضَر الجوى قلق الحشا
وأظـل أعذِر فى هواكَ وأُعذر

وجاء فى الشرح : مختضر أى كالمحتضر القريب من الموت ، وأعذر : أى أقبل عذرى فى هواك ، واعذر مجهول : يقبل منى العذر .

قلت :

فأبيت محتضِنَ الجوى قلق الحشا
وأظـل أعذَل فى هواك وأعذَر

* ج ٥ ص ١١٤ : قال أبو العباس : هذا خطأ ألبتة .

وجاء فى الشرح : فى الأصل بتة فجعلتها ألبتة .

قلت : بتة صحيحة . فى الصحاح : لا أفعله بتة ولا أفعله ألبتة لـكل أمر لا رجعة فيه ، وفى النهاية : يقال : بتة وألبتة . وفى المقامة الرملية :

طيرى متى نقـرت — عن نخلة وطليقها بتــة بتله

وفى إرشاد الأريب (ج ١٤ ص ٢٢٠) ولئن استفتى الفقهاء لم يكن عندهم منه إلا التعجب . واقتصر المصباح على بتة . ونقل اللسان والتاج كلام الصحاح ولم يدفعاه ، وذكرا قول سيبويه : « قعد ألبتة مصدر مؤكد ، ولا يستعمل إلا بالألف واللام[١] » ولم يؤيداه .

* ج ١٧ ص ٢٧٣ : ومن شعر (محمد بن أحمد بن حمزة شرف الـكتّـاب)

أما والعيونُ النجل تُصمى نبالُها
ولـمـعُ الثنايا كالبروق تخالها
ومنعطفُ الوادى تأرج نشره
وقد زار فى جُنح الظلام خيالها[٢]
وقد كان فى الهجران ما يَزع الهوى
ولـكن شـــديد فى الطباع انتقالها

قلت : (أما والعيونِ النجل تصمى نبالها) (ولمعِ الثنايا كالبروق تخالها) (ومنعطفِ الوادى تأرج نشره) (لقد كان فى الهجران ما يزع الهوى) . فالواو واو القسم .

* ج ١٦ ص ١٢٦ : أبو القاسم (محمود بن عزيز العارضى) الخوارزمى الملقب[٣] شمس المشرق كان من أفضل الناس فى عصره فى علم اللغة والأدب لـكنه تخطى إلى علم الفلسفة فصار مفتوناً بها ممقوتاً بين المسلمين . وكان سكوناً سكوتاً وقوراً يطالع الفقه ويناظر فى مسائل الخلاف أحياناً . وكان الزمخشرى يدعوه الجاحظ الثانى لـكثرة حفظه وفصاحة لفظه . أقام مدة بخوارزم فى خدمة خوارزم شاه مكرماً ، ثم ارتحل إلى مرو فذبح بها نفسه بيده فى أوائل سنة إحدى وعشرين وخمسمائة ، ووجد بخطه رقعة فيها :

---

(١) فى الاقتضاب فى شرح أدب الـكتاب : عول ابن قتيبة فى هذا الذى قاله على قول الفراء فلذلك قال : بتة بغير ألف ولام ، وكان سيبويه يقول لا يجوز إلا البتة ، وذكر الفراء أنهما لغتان ، وقد جاء ذلك فى بعض ما خرجه مسلم فى الصحيح .

(٢) جنح : بالـكسر وضم

(٣) فى كتب اللغة : (لقبه بكذا فتلقب به) وكتاب السير مثل ابن خلكان وياقوت وطائفة من الأدباء يجردون الثانى كثيراً من تاءه .

(هذا ما عملته أيدينا فلا يؤاخذ به غيرنا) .

قلت : وكان سا كناً سكوناً وقوراً ، فى الأساس : فلان سا كن وهادئ ووديع . و (سكون) لم أجدها فى مكان . وليس هناك إلا (السكون) حيّ من العرب كما قال التاج .

ذ كرتنى قصة (شمس المشرق) بهذين الخبرين .

جاء فى (المقابسات) لأبى حيان التوحيدى :

شاهدنا فى هذه الأيام شيخاً من أهل العلم ساءت حاله ، وضاق رزقه ... فلما توالى عليه هذا دخل يوماً منزله ، ومد حبلا إلى سقف البيت واختنق به ، وكانت نفسه فى ذلك . فلما عرفنا حاله جزعنا وتوجعنا وتناقلنا حديثه ... فقال بعض الحاضرين : لله دره ! لقد عمل عمل الرجال . نعم ما أتاه واختاره . هذا يدل على عزازة النفس وكبر الهمة . لقد خلص نفسه من شقاء كان طال به ... مع فاقة شديدة ... ووجه كلما أمه أعرض عنه ، وباب كلما قصده أغلق دونه ، وصديق إذا سأله اعتل عليه . فقيل لهذا العاذر : إن كان قد تخلص من هذا الذى وصفت على أنه لم يوقع نفسه فى شقاء آخر أعظم مما كان فيه وأهول ... فلعمرى نعم ما عمل ! لله أبوه ! ما أحسن ما اهتدى إليه ، وقوى عليه . وينبغى لكل عاقل أن يدفع إلى ما دفع إليه ... وإن كان قد سمع بلسان الشريعة ... النهى عن هذا وأشباهه فقد أتى بما عجل الله به العقوبة والعار ... سبحان الله أما كان يسمع من كل عاقل ... ومن كل من يرجع إلى مسكة ... النهى عن مثله والزجر عن ركوب ما هو دونه بكثير . فكيف لم يتهم نفسه ، ولم يتعقب رأيه ، ولم يشاور نصيحاً له ... لأنه أمر متى ركب بالظن والتوهم اللذين لم يؤيدا ببصيرة من عقل ولا عرضا على عاقل ، ثم استبان له فى الثانى ... خطأ ما عمل فاته التلافى ولم يمكنه الاستدراك ... وقد قضى العقل قضاء جزماً ، وأوجب النظر إيجاباً حتماً ، أنه يجب ألا يفرق الإنسان بين هذه الأجزاء الملتحمة والأعضاء الملتئمة ، وليس هو رابطها ، ولا هو على الحقيقة مالكها ، بل هو ساكن فى هذا الهيكل لمن أسكنه فيه ، وجعل عليه أجرة السكنى بعمارة المسكن وحفظه وتنقيته وإصلاحه وتصريفه على ما يعينه على طلب السعادة فى العاجل والآجل . وكان سعيه مقصوراً على التزود إلى مبوّأ صدق ، ولا بد له من المصير إليه والمقام فيه ... على خير عام وراحة متصلة وغبطة دائمة ، حيث لا آفة ولا حاجة ولا أذى ولا حسرة ... فأما إذا كانت الحال على خلاف هذا ، فالشقاء الذى يتردد فيه .. يكون فى وزن ذلك ومقابله .

وجاء فى (يتيمة الدهر) لأبى منصور الثعالبى :

لما عاود أبو أحمد بن أبى بكر الكاتب بخارى من نيسابور ... وقاسى من فقد رياسته وضيق معاشه قذاة عينه وغصة صدره استكثر من إنشاد بيتى منصور الفقيه :

قد قلت إذ مدحوا الحياة فأسرفوا
فى الموت ألف فضيلة لا تعرف
منها أمان لقائه بلقائه
وفراق كل معاشر لا ينصف

وقال فى معناهما :

من كان يرجو أن يعيش فإننى
أصبحت أرجو أن أموت فأعتقا
فى الموت ألف فضيلة لو أنها
عرفت لكان سبيله أن يعشقا

وواظب على قراءة هذه الآية فى آناء ليله ونهاره : (وإذ قال موسى لقومه : يا قوم ، إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل ، فتوبوا إلى بارئكم ، فاقتلوا أنفسكم) . فقال بعض أصدقائه : إنا لله ! قتل أبو أحمد نفسه . فكان الأمر على ما قال ، فشرب السم فمات[1] ! !

قلت : مقالة (الإسلامية) فى الانتحار والمنتحرين بليغة . روى محمد بن اسماعيل فى جامعه :

« من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً فيها أبدا . ومن تحسى سماً فقتل نفسه ، فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً . ومن قتل نفسه بحديدة ، فحديدته فى يده يجأ بها بطنه فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبدا[2] »

والقوم فى الغرب فى هذا الأمر مختلفون ، فمنهم من يجبّن المنتحر ويضعفه ويتنقص خليقته ويعده مسيئاً إلى المجتمع وإلى

---

(١) قال الثعالبي فى حقه : كان أبو أحمد ربيب النعمة ، وغذى الدولة ، وسليل الرياسة ، ومن أول من تأدب وتظرف وبرع وشعر بما وراء النهر ، وحذا فى قرض الشعر حذو أهل العراق ، وسار كلامه فى الآفاق..

(٢) كان فى الجاهلية الاعتقاد « وهو أن يغلق الرجل بابه على نفسه فلا يسأل أحداً حتى يموت جوعاً قال محمد بن أنس : كانوا إذا اشتد بهم الجوع أغلقوا عليهم باباً وجعلوا حظيرة من شجر يدخلون فيها ليموتوا جوعاً ، ولقى رجل جارية تبكي فقال لها : مالك ؟ قالت نريد أن نعتفد » (اللسان)

تطور بلاد العرب الشمالية
وتأثير ذلك فى علاقاتهم الخارجية

للميجر ج . ب . كلوب

ترجمة الأستاذ جميل قبعين

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

الوجهة التاريخية :

عند انتقالنا من بحث النظريات المتعلقة بالوجهة الدينية ومناخ البلاد لبحث الوجهة التاريخية – يحسن بنا أن نبدأ بحثنا منذ حكم الرومان والفرس أى من السنة الأولى للميلاد حتى سنة ٦٥٠ منه . وإن من الخطأ كله الظن بأن العرب قبل الاسلام كانوا قوماً متوحشين . إن موقف العرب فى ذلك الوقت كان صعباً جداً حيال أكبر امبراطوريتين عرفهما ذلك العصر . وموقفهم هذا جد شبيه بموقف جرمانيا فى القرن السابع عشر أو الثامن عشر عند ما كانت بين الامبراطورية الفرنسية والامبراطورية النمساوية . ان اضمحلال هاتين الامبراطوريتين مكن جرمانيا من الاستقلال والوحدة كما أن نفس السبب أى اضمحلال الامبراطوريتين الرومانية والفارسية مكن العرب من تأسيس وحدتهم عند ظهور الاسلام[1] واننى لا أظن بأن أحداً يحلم بأن يقول إن الجرمان لم يتمكنوا من الاستقلال قبل ذلك الوقت لأنهم شعب منحط . ولذلك يجب أن نعترف بأن العوامل الجغرافية قدرة على تأجيل اتحاد واستقلال أمة ما مدة طويلة .

بظهور الاسلام فى القرن السابع ابتدأ الفتح الاسلامى العربى الذى اجتاح أكثر البلدان المعروفة فى ذلك الزمان بمدة تقل عن مئة سنة . كما أن العرب تمكنوا من فتح بلاد وجد فيها أوربيون مثل شمال أفريقيا حيث سكن الوندال ، وأسبانيا حيث سكن القوط . ان هذه الفتوح التى تعتبر من أعظم الأعمال التى عرفها التاريخ أدت إلى تأسيس امبراطورية دامت ٣٠٠ سنة ؛ وقد حافظت على كيانها بالرغم من انقسامها فيما بعد وبقيت قوية وعمّرت أكثر من الامبراطورية البريطانية الحالية .

عند قدوم العثمانيين بعد سنة ١٣٠٠ للميلاد لم يبق للعرب تاريخ[1] ولكن هنا نقطة واحدة يجدر بنا بحثها لتعلقها بسؤالنا حول قابلية العرب للرقى .

إن العرب لم يعيشوا فى خلال السبعمائة سنة الماضية فى جو مثبط للعزيمة أو فى عصر مدنية راقية وقصروا عنها حتى يمكننا القول بأن طينتهم فسدت وفقدوا مزاياهم . ان الاتراك استولوا على الوظائف الرئيسية ابان حكمهم وقطعوا صلات العرب بالعالم الآخر ومع ذلك يصح أن أقول إن العرب الذين نراهم اليوم عاشوا مئات السنين الماضية نفس المعيشة التى عاشها الأشخاص الفاتحون الذين قاموا بتأسيس تلك الامبراطورية الكبرى – طبعاً هم جهلة ومتأخرون لحد ما – ولكن لا يوجد شىء يجعلنا نعتقد بأنهم فقدوا صفات الشجاعة والذكاء التى مكنتهم من القيام بفتوحهم وتأسيس امبراطوريتهم العظيمة .

حيوية العرب العصريين :

دعنا ننتقل الآن برهة وجيزة لبحث حيوية العرب العصريين . وبما أن الوقت لا يتسع لبحث هذه القضية بحثاً واسعاً فسأقصر كلامى على وجهة أو وجهتين بالنسبة للوضع الحاضر .

إننى لم أصادف فى تجاربى وأعمالى ما يحملنى على الاعتقاد بأن العرب غير قادرين على تيسير الأمور من وجهة حكومية أو إدارية

(١) الاسلام هو الذى وحد العرب ومكنهم من اكتساح الامبراطوريتين الرومانية والفارسية . (المترجم)

(١) استولى السلطان سلم العثمانى على البلاد العربية سنة ٩٢٢ هـ — ١٥١٦ م بعد أن انتصر على الملك الأشرف قانصوه الغورى فى وقعة مرج وابق قرب مدينة حلب . (المترجم)

نفسه ، ومنهم من يراه مسيئاً إلى المجتمع أو الدولة لا إلى نفسه ، ومنهم من يشجع على الانتحار ، ويرى أن المرء إنما يكون عرضاً ولا يكون قصداً ، فالأمر فى نفسه له .

وروى أرثر شوبنهور فى كتابه (فى الدين) لأحد حكماء الإغريق ستوبى Stobée هذا القول :

على الأخيار أن يعتزلوا الحياة إذا اشتد شقاؤهم ، وعلى الأشرار أن يفارقوها إذا عظمت سعادتهم ...

كالحكام الاعتياديين فى أوربا أو الاضطرابات والقلاقل التى تقوم عادة عند استقلال أى بلد عربى أمر طبيعى كما حدث فى سوريا أو العراق عند انتقال الإدارة من السلطات الأوربية إلى السلطات العربية. وهنا أحب أن أذكر نقطتين: الأولى ان انتقال الإدارة من يد إلى أخرى لابد أن يوجد فترة عدم استقرار؛ فعند ما تسلم البريطانيون والفرنسيون إدارة هذه البلاد من الأتراك حدثت اضطرابات أعظم من هذه ودامت سنين عديدة؛ ولكن الآن وبعد مضى هذه المدة الطويلة على حكمهم يمكنك أن تجد إدارة منظمة كالآلة وموظفين قديرين. الثانية، وربما كانت الأهم أن أهل البلاد التى تحت انتدابنا يعرفون أن من وراء كل بريطانى أو فرنسى قوة عسكرية عظيمة، ومهما حاولنا أن نخدع أنفسنا بقدرتنا فعلينا أن نعترف بأن كثيراً من أعمالنا لا يعزى إلى شخصياتنا بل إلى القوى البرية والجوية التى تزيد من هيبتنا. فاذا ما أخذ عربى مسؤلية الحكم عرف الجميع بأن لا قوة ولا أساطيل وراءه تحميه.

سأقدم إليكم مثلا من وجهة ثانية على قدرة العرب العصريين فى تطبيق النظم الفنية والعلمية الحديثة والاستفادة منها. وبهذه المناسبة سأذكر عملا أشرفت عليه بنفسى: عند ما أنشأت قوة البادية حاولت أن يكون أفرادها من البدو الرحل — وهذه الفئة من العرب أجهلها — ولكن بعد مضى أربع سنين أو خمس تمكن هؤلاء الجهلاء من القيام بقسم النقل الميكانيكى لتأمين مواصلات القوة كما تعلموا استعمال المدافع الرشاشة؛ وهم الآن يتدربون على إجراء المخابرات اللاسلكية. إن عدداً من هؤلاء أرسل إلى مشغل فورد بالاسكندرية ودرسوا جنباً لجنب مع إيطاليين ويونان ومصريين وجنسيات أخرى وعادوا يحملون كغيرهم شهادات فنية فى «الميكانيك». ولقد قرأت حديثاً فى كتاب أن البدوى يذبل ويموت — كالهنود الحمر — عند احتكاكه بالمدنية. فعدا عن خطل هذا الرأى أقرر بأن البدوى — إذا ما أعطى الفرصة — يمكنه أن يصبح متحضراً ومدنياً بكل ما فى هاتين الكلمتين من معان.

انقسام الشعوب العربية:

إن الصعوبة التى يواجهها العرب الآن هى عدم التجانس. وقد سبق أن قلت إن سوريا والعراق معرضتان للمؤثرات الخارجية من جهة، وللتأثير العربى الخالص من جهة أخرى. وقد كانت تقوم فى أواسط هذه الأقطار وعلى الأخص سوريا وفلسطين وشرق الأردن منافسة شديدة بين ثقافات متباينة. وقد ظهرت هذه المنافسة جلية واضحة بسبب تشدد الأمم الأوربية فى مسألة القوميات.

لقد كان ظهور القومية فى أوربا سبباً فى ظهور القومية العربية. ومثل هذه الفكرة كانت مفقودة فى زمن الامبراطورية العثمانية عند ما كان العرب لايعرفون قضية كهذه قبل ٥٠ سنة. لقد كان الولاء زمن الامبراطورية العثمانية ولاء دينياً لشخص الخليفة أو للامبراطورية نفسها التى كانت خليطاً من أجناس متعددة. وقد كان العرب لا يهتمون بالقضية القومية حتى احتكوا بالأقوام التى حافظت على قوميتها فقاموا ينادون بأنهم أمة واحدة ذات قومية خاصة. وقد كان عرب فلسطين وهم مختلفو الجنسية والدين — لا يعرفون القومية حتى احتكوا باليهود والانكليز فقاموا ينادون بأنهم عرب وأتحدوا [1]. ومن ثم بعد أضحوا يفهمون القومية شعروا باشمئزاز مما يتخيلونه أو يتحققونه من استخفاف الشعوب الأخرى بأمرهم — والخطوة التى تلت ذلك أن الشباب المتعلم قام يعمل ليتعرف إلى الأسباب التى مكنت الأوربيين من حكم بلادهم فوجدها العلم والمال والقوة، أو بالأحرى ما هو عليه المجتمع الأوربى الحالى، فقام يقتبس كل ما هو أوربى ويعمل على السير وأوربا فى مضمار واحد. إن أمام هذه الفئة طريقين مختلفين: الأول أن تجرب أن تعلم العامة فتسير الأمة وتنهض كلها دفعة واحدة. وتطبيق هذا عملياً جد صعب — والثانى أن يقتبس المتعلمون وحدهم كل ما هو أوربى — وهذا ما فعلوه — فيتركون بذلك طبقة العامة من الأمة — وهم الأكثرية — وراءهم وبذلك يفتحون ثغرة واسعة بين طبقات الأمة. وأرى أن هذا سبب ضعف كبير.

---

(١) لقد عرف العرب القومية ونادوا بها منذ فجر تاريخهم، وقد كانت حرب ذى قار بين العرب والفرس زمن الجاهلية مظهراً عظيما من مظاهر العروبة. وما قضايا العرب والموالى ودعاة الشعوبية (الأقوام غير العربية من المسلمين) إلا قضايا العروبة والعجمة. وقد جاهر ونادى العرب بعروبتهم منذ بدء الفتح العثمانى أيضاً حتى نهاية الحرب الكونية. وما الثورات العديدة التى قامت بجبل الدروز واليمن والحجاز على الحكم التركي إلا مظاهر رائعة من مظاهر العروبة. وقد استمرت هذه الثورات حتي الحرب الكونية حيث شنق جمال السفاح كثيراً من العرب لأنهم كانوا ينادون بعروبتهم وبحقهم فى حكم أنفسهم بأنفسهم. (المترجم)

التطورات الحديثة

رأينا فى بحثنا عن قابلية العرب للرقى أن الإسلام لا يقف حجر عثرة فى سبيل رقيهم ، وأن جو بلادهم لا يوجد أمة خاملة ، بل على العكس رأينا أنهم شعب قوى حيوى شديد المراس ، وأن تاريخ بلاد العرب الشمالية يرينا أنهم أهل عزم وقوة ، وقد قاوموا جغرافية بلادهم الشاذة التى جعلت أقطارهم الهامة على الأطراف وأوجدت بادية الشام فى الوسط فاصلة أقطارهم عن بعضها البعض — ورأينا كيف أنهم قديرون على الحكم والاستفادة من العلوم والفنون الحديثة كما وجدنا الروح القومية تساعدهم وتسيطر عليهم ولكنها لا تزال الآن محصورة فى طبقة خاصة كما أن الأمة غير متجانسة .

علىّ أن أذكر تحت هذا العنوان نقطتين وهما الموارد المعدنية وتحسين طرق المواصلة الحديثة . لقد سبق أن قلت إن أمماً كثيرة حاولت أن تحكم البلاد العربية الشمالية ولكن لم يكن القصد من ذلك استثمار موارد البلاد الطبيعية نفسها ولكن لأنها الممر إلى الشرق والجسر البرى الوحيد لأفريقيا .

وقد بقيت أواسط الجزيرة العربية حرة فى كل أدوار التاريخ إذ كان يظن أنها فقيرة لدرجة أنها لا تساوى كلفة فتحها . لقد اكتشف النفط ـ البترول وزيوته ـ فى عدة مواضع من هذه الأقطار ، ولكن لم تعرف مناطقه وكميته بوجه التحديد . وكذلك يظن وجود بعض المعادن الثمينة فيها ، ولكن لا يمكن لأحد أن يتكهن الآن عما ستكون نتائج هذه الاكتشافات — فهى إما أن تدر الثروة — التى هى أساس القوة فى العالم على البلاد وإما أن تنبه أطماع الأمم الأوروبية .

بقيت هناك قضية طرق المواصلات الحديثة . لقد سبق أن تكلمت بهذه المناسبة عن صعوبة اتحاد الأقطار العربية ثقافياً أو إدارياً أو عسكرياً بسبب الصحارى التى تباعد بينها ، وقد استغرقت رحلة قمت بها قبل ١٥ سنة على ظهور الجمال من العراق إلى شرق الأردن ثلاثة أسابيع ، ولكن قطع هذه المسافة الآن لا يستغرق أكثر من ٢٠ ساعة بالسيارة أو ساعتين ونصف ساعة بالطائرة . يجوز أن يكون للتحسين الذى طرأ على طرق المواصلات أثر بعيد فى توحيد الثقافة بأقطار كالأقطار العربيـة التى تعد صعوبة المواصلات بينها من أكبر الموانع للقيام بأى عمل من الأعمال . ويجوز أن يقضى هذا التحسن على أهمية مركز حلب الحربى قضاء كلياً — فقد سبق أن تعرضت بكلامى لهذا الموضوع وقلت إن من يتمركز فى حلب يمكنه أن يعزل سوريا عن العراق عزلاً تاما — ولكن إذا أمكن تعبيد طرق جيدة وكثيرة فى وسط البادية فإن أهمية هذا المركز تزول .

وأخيراً أرى من الأهمية بمكان أن أذكر شيئاً عن الإذاعة واللاسلكى — مع العلم بأن هذين الفنين متأخران فى الأقطار العربية . لا ريب أنه سيكون للاذاعة واللاسلكى أثر بعيد فى تقدم التهذيب السياسى بين الشعوب المتأخرة كما أن الإنسان يمكنه إهمال إرسال الجرائد لأناس أميين ويمكنه أيضاً الاستغناء عن البريد ولكن من السهل عليه أن يبث أية آراء سياسية بين سكان أقصى واحة من واحات الجزيرة مهما بلغ سكانها من الجهل وذلك بواسطة الإذاعة اللاسلكية .

هذه نهاية ما أردت أن أقوله وأحب إن سمحتم لى أن أقرأ عليكم قبل الختام النتائج التى وصلنا إليها فى بحثنا .

١ — إن موقع بلاد العرب الشمالية وتكوينها الجغرافى ، كممر إلى الشرق وجسر برى يؤدى إلى أفريقيا جعلها عظيمة الأهمية — وستبقى على الأغلب كذلك مستقبلاً .

٢ — إن تباعد الأقطار العربية الشمالية وتكوينها مثلثاً تتوسطه الصحراء جعل الاتحاد السياسى والعسكرى بينها صعباً جداً

٣ — إن البلاد المجاورة للصحراء من سوريا والعراق وشرق الأردن كان يؤمها ويتوطنها العرب النجديون على مر العصور بينما نرى بلدان الساحل من سوريا وفلسطين — وحديثاً — المدن العراقية خاضعة للتأثير التركى والأوروبى وبذلك وجدت ثقافات متباينة فى البلاد .

٤ — إن روح القومية التى اكتسحت أوروبا خلقت مثلها فى الأقطار العربية وقد غذيت هذه الروح باتباع نفس الطرق التى اتبعتها أوروبا للحصول على القوة ونتج عن ذلك أن الفئة الراقية من العرب التى أرادت أن تجارى أوروبا بسرعة لم تتمكن من النهوض بسواد الشعب الجاهل مما سبب حدوث فروق ثقافية واسعة بين طبقات الشعب .

لا يا معالى الوزير . . .

لقد أخطأك التوفيق !

للأستاذ سيد قطب

فى جلسة مجلس النواب التى نظرت فيها ميزانية وزارة الشئون الاجتماعية وقف النائب المحترم عبد الفتاح عزام ليقول :

« إننا فى حاجة إلى حماية أخلاق أبنائنا وبناتنا مما تحمله إليهم الإذاعة فى بيوتهم من عبارات جارحة من « ياحبيبى » و « ياروحى » ويجب أن نحذف اعتماد الإذاعة ، ما لم تكف عن هذا الذى تذيعه ولا نستطيع حماية بيوتنا منه ... »

ووقف معالى وزير الشئون الاجتماعية ليقول :

« إن فى كلام حضرة النائب المحترم مبالغة ، وإن هذا الذى يشكو منه له نظائره فى بلاد العالم المتمدن ... »

أما أنا فأكاد أجزم بأن معالى الوزير لايستمع لكل ما تذيعه محطة الإذاعة ، وإلا لكان رده على النائب المحترم غير هذا الرد . فما يستطيع إنسان سليم الفطرة أن يستمع لهذا الذى يذاع ، ثم لا يدركه شعور الاشمئزاز ، حتى ولو كان لا يقيم وزناً للأخلاق !

وأحب قبل كل شىء أن أقرر أن الأخلاق التى أعنيها ليست هى الأخلاق التقليدية التى يتحدث باسمها بعض الجامدين والتقليديين ، والتى لا تتعدى ظواهر السلوك ، وشكليات التقاليد ... إنما أعنى بالأخلاق ذلك الشعور الطبيعى السليم الذى ينفر من التخنث كما ينفر من الفحش . وهذا الشعور فى أبسط صوره هو الذى يخدشه ما تذيعه محطة الإذاعة المصرية فى أغلب الأحيان

والحب الإنسانى الرفيع ليس عيباً ، والتعبير عنه ليس عاراً .. ولكن الحب — كما يبدو فى محطة الإذاعة — هو حب التخنث مرة ، وحب التهتك مرة ، وكلاهما ليس هو الحب الفطرى السليم الذى يقوم بين الرجل والمرأة لتبنى عليه دعائم الحياة

ولعل أشنع بدعة تكثر منها المحطة فى الأيام الأخيرة خاصة ، هى الإذاعة من الصالات والإذاعة من الأشرطة السينمائية . وهو تصرف غير مفهوم ، ما لم يكن القصد هو ملاحقة الناس فى بيوتهم بما يقال فى أوساط وأماكن يعف كل إنسان مهذب عن الذهاب إليها ، ويعف بصفة خاصة أن يسمح لبناته وأهل بيته بمشاهدتها.

وكلنا نعرف رواد الصالات ، ونعرف ما يجرى داخل هذه الصالات ... نعرف أن جماعة غير مهذبين يرتادون هذه الأماكن ، وقد استعدوا للسهرة بالخمر كيما تنطلق فى أجسادهم أقصى حيوانيتها ، وكيما يستثير حيوانيتهم ما سيشاهدونه من اللحم الرخيص فى هذه الصالات ... ثم هذا اللحم الرخيص يعرض فى أضواء حمراء مهيجة على أوضاع لا يرضاها إلا « الرقيق الأبيض » الذى يقتات

---

٥ — بعد درس مناخ وتاريخ وديانة ونفسية سكان الأقطار العربية الشمالية يمكننا أن نقرر بأن ليس فى الإمكان وضعهم فى عداد الأمم غير القابلة للرقى ؛ فقد ظهر لنا جلياً أن العرب يملكون كل المؤهلات التى تمكنهم أن يكونوا شعباً عاملا كأى شعب أوروبى .

٦ — إن وجود النفط ومعادن أخرى فى بلاد العرب أوجد احتمالات لا يمكن التكهن بنتائجها فقد تدر الثروة على العرب فيضحون قوة عالية أو تكون مرتعاً جديداً لأطماع الأمم القوية الأخرى .

٧ — إن صعوبة المواصلات كانت تقف فى وجه الوحدة العربية ولكن استمرار تحسين طرق المواصلات الحديثة قد يساعد فى وصول البلاد العربية إلى اتحادها ونهائياً إلى وحدتها .

المستقبل :

يمكننا حصر منهج الرقى فى البلاد العربية بما يلى .

١ — ستمضى برهة غير قصيرة حتى يتمكن سكان الأقطار العربية الشمالية من الحصول على تجانس سياسى وثقافى ويجوز أن تعجل طرق المواصلات الحديثة إنجاز هذا العمل .

٢ — إن وسائل الدفاع عن الأقطار المذكورة صعبة ولكن تحسين طرق المواصلات فى البادية قمين بتخفيف هذه الصعوبة .

٣ — إن العرب يملكون المؤهلات الكافية لصيرورتهم أمة عصرية هامة ولكنهم لا يقدرون على السير وحدهم الآن .

٤ — يتوقف الاستقلال السياسى فى كثير من الأحوال على العوامل الخارجية ولذلك لايمكن التكهن من الآن عن الوقت الذى يمكن للعرب فيه أن يصلوا إلى وحدتهم وينالوا استقلالهم السياسى .

المترجم

جميل قبعين

من هذه الموائد القذرة ... ثم يهيج السمار الحيوانى ... يهيجه النور الأحمر، والرقص الخليع، والكلمات المكشوفة، والحركات الداعرة، والنبرات المتخلعة، ويهيجه السُّكْر المسرف، والدم التنزى فى أجسام جائعة ... فينطلق ذلك كله فى جو معربد صاخب داعر تشمئز له الفطرة السليمة

... ثم تأتى محطة الإذاعة — الإذاعة الحكومية — فتنقل ذلك كله إلى البيوت الطاهرة ... إلى الزوجات الفاضلات، وإلى العذارى، ونحب أن نقول للمحطة: (إنه لا يزال هناك عذارى ولو قليلات ...!) وإلى الصبية والأطفال والمراهقين، وإلى جميع أولئك الذين عفّوا عن مشاهدة هذا الفحش الداعر فى مكانه، فانتقل إليهم فى بيوتهم، وتسور الجدران عليهم، لا لذنب جنوه إلا أنهم يقتنون جهازاً للاستقبال، وأن محطة الإذاعة الحكومية تريد لهم هذا الفحش الذى يفرون منه، فيلاحقهم إلى البيوت!

فأما الأشرطة السينمائية، فلا نستطيع الحديث عنها، فأصحابها يملكون من السلطة فى الدوائر الرسمية ما يسمح لهم بأن يخرجوا لنا ألسنتهم إذا نحن حاولنا مقاومة الفساد النفسى والخلق الذى يبثونه فيها، من ذلك الغزل المخنث يتطرى به رجل رقيع فى أغانيه، أو ذلك الفحش الواطى تتخلع به امرأة هلوك فى نبراتها ... ثم يدعون ذلك حباً ...!

وإنه لحب، ولكنه ليس حب الرجل السليم الفطرة للمرأة السليمة الطبع ... هو حب المخنثين والسواقط من الرجال والنساء. ذلك الحب الذى تعرفه المواخير ولا تعرفه البيوت، بل لا تعرفه الشوارع ذات الهواء الطلق. فما يتم حب من هذا الذى تعرضه الأفلام فى الهواء الطلق ... إنما يتم فى جو راكد حبيس يغشيه دخان النرجيلة، وسرحان الأفيون فى ماخور ...

ومع هذا كله، فنحن لا نطمع فى أن تراقب هذه الأشرطة قبل إخراجها، ليحذف منها ما يخدش الطبع السليم، حتى لا نصور الحب — وهو عامل البناء والخلق فى هذه الحياة — تلك الصورة المريضة المتخاذلة الرخوة الرقيعة ...

لا نطمع فى هذا لأننا نعرف مدى نفوذ أصحاب هذه الأشرطة فى الدوائر الرسمية وغير الرسمية! ولكننا نطمع على الأقل فى أن تصان أسماع البقية القليلة الباقية فى البيوت من العذارى والسيدات عن أن تلوث وتخدش بالأغانى المائعة الهابطة الداعرة المخنثة، يتطرى بها رجل رقيع، أو تتخلع بها امرأة هلوك ... وذلك أبسط مظاهر الحماية لمن يعفّون عن مشاهدة هذه الأفلام واستماع هذه الأغانى، فإذا بها تتسور عليهم الجدران خليعة ماجنة مخنثة، فى حين لا يملكون لأنفسهم منها حماية، لأنهم إن أغلقوا جهازهم الخاص حملتها إليهم أجهزة الجيران!!

وكل ما يحتج به مروجو هذا «الأفيون» الخطر الذى يقتل فى الشعب كل شعور فطرى سليم، ويحيله جماعة من مخنثى الشبان، ومبتذلات الفتيات، وداعرات النساء ... كل ما يحتج به تجار هذه «المخدرات» أن الشعب يقبل عليها، فهى إذن تلبى رغباته الحقيقية

الشعب يقبل عليها ... هذا صحيح، لأن الحيوان الهائج كامن فى كل إنسان، فإذا نحن ظللنا دائماً نهيج سعار هذا الحيوان، ولم نحاول مرة أن نرتفع به إلى مستوى الآدميين، فلا بد أن يأتى اليوم الذى لا يبدو فيه إلا هذا السعار

والناس يقبلون على «الأفيون» وسائر المخدرات، ولكن السلطات تكافح الأفيون وسائر المخدرات ... ذلك أن هناك رجلا إنساناً فى حكمدارية القاهرة قد آمن بفكرة المكافحة وأصبحت جزءاً من دمه — (وهو أجنبى، وأنا لا أستريح لبقاء الأجانب فى وظائفنا الكبرى ... ولكن الحق حق)!

فهل يتاح لمصر من أبنائها رجل يؤمن بخطر مثل هذه الأفلام والأغانى التى تأكل نفوس الشعب؟ كلا، وتفسد فطرته الإنسانية، بل تفسد فطرته الحيوانية، حين تصور له الحب فى ذلك المظهر المترهل الدميم؟

هل يتاح لمصر ذلك الرجل الذى لا تخدعه كلمات «العالم المتمدين» عن الشعور الفطرى السليم، والذى يرصد لمكافحة هذا «الأفيون» الخطر جهده وقواه؟

على أية حال هذه أمنية لا نخدع أنفسنا بتحقيقها، ولكننا نقنع فقط بأن نطلب لأنفسنا الحماية من محطة الإذاعة الحكومية على النحو الذى اقترحه النائب المحترم، أو على نحو سواه

وهذا الذى نطلبه هو أضعف الإيمان!

سيد قطب

الحياة الأدبية فى الحجاز

للأستاذ أحمد أبو بكر إبراهيم

كتب الأستاذ « إبراهيم هاشم فلالى » مقالا تحت هذا العنوان فى عدد سابق من « الرسالة » عرض فيه صوراً جميلة من الأدب الحجازى الحديث ، فرأيت إتماماً للفائدة أن أتبع مقاله بكلمات عن النهضة الحديثة لهذا الأدب حتى يدرك قراء الرسالة شيئاً من أسباب هذه النهضة والاتجاهات الأدبية فى هذه البلاد المقدسة .

ولست أريد فى هذه الكلمات أن أتتبع النهضة من لدن وجودها فى الحجاز على يد أحمد بن زينى دحلان المتوفى سنة ٨٨٦ م ولكنى سأكتفى بالنهضة السعودية القائمة فإذا ما انتهيت من عرضها بسطت الكلام فى الشعر والنثر وبينت خصائصهما واتجاهاتهما .

النهضة السعودية

الحجاز الحديث قطر متوثب للرقى مؤمن بقدمه العريق وواثق بالنجاح ؛ فهو يبذل الجهد ويواصل العمل لمسايرة الأمم العربية التى سبقته فى النهضة . وقد بعث فيه هذا الروح القوى ملك عربى واسع الآمال يجيد العربية ويطرب للشعر البارع والنثر البليغ ويستحث الأدباء للاجادة ويدفعهم إلى العناية ، فهو يكافئهم على إحسانهم ويحلهم من نفسه منزلة سامية ، ويكفى أن يقرأ الزائر لهذه البلاد ثبتاً بأسماء المستخدمين فى الإدارات والمصالح ، فيؤمن بعد ذلك أن الحكومة السعودية لم تخترهم عبثاً وإنما كشفت فيهم البراعة فى الأدب فأرادت أن تكافئهم عليها بهذه المناصب ليعيشوا راضين مطمئنين منصرفين إلى الإجادة والإنتاج : فالشيخ محمد سرور الصبان ، والغزاوى ، وعلى حافظ ، وعبد القدوس الأنصارى . كل أولئك وغيرهم من الأدباء يتولون كثيراً من مناصب المملكة وينهضون بأعبائها وينالون فوق ذلك عطف جلالة الملك وإحسانه ، ولهذا وغيره من الأسباب الثقافية والقومية رأينا الأدب الحجازى فى هذه الفترة الوجيزة من الزمان يثب وثبة توشك أن تكون طفرة .

ومن أسباب النهوض فى العهد السعودى العناية بالقومية العربية بعد أن أغفل الناس شأنها ردحاً طويلا من الزمان ؛ فقد جاء العهد الجديد يحمل الطابع العربى الخالص من كل شائبة ودخيل ، ويحمل القوم على التعصب لكل مظاهر العروبة حتى لا تفنى شخصيتهم وتتضاءل ذاتيتهم ، عندئذ أدركوا أن فى الحياة الجديدة مغزى سامياً لم يدركوا إلا أوائله فى الثورة الحجازية ، ولا شك أن ارتباط الأدب بهذه القومية ارتباط متين فهو يقوى بقوتها ويضعف بضعفها . ويكفى أن يشعر الناس أن مليكهم معنى بنهضة عربية تعيد إلى الحاضر سيرة عهود أجدادهم السابقين ؛ حينئذ يعملون جاهدين لينسجوا على منوالهم ويتأثروهم فى كل شىء : فى أخلاقهم ولغتهم ومظاهر حياتهم .

والقارىء للشعر الحجازى فى النهضة السعودية يجد ظاهرة التعصب للقومية العربية واضحة جلية : فالشعراء كثيراً ما يذكرون ما كان للشرق والعرب من مجد سابق ويتحسرون على هذا المجد الذى ضاع واندثر وحل محله التأخر والجمود . وفى هذه المعانى يقول الشاعر الغزاوى شاعر الملك ابن السعود :

أجلْ . تقهقر هذا الشرقُ فانغمزَتْ ... قناته بعد أن صالت بها الأممُ

واندكّ مجدُ بنيه منذ أن غفلوا ... عن الحياة وزلّتْ منهمُ القدمُ

وخالفوا فطرة الأخلاق واختلفوا ... فسامهم كلَّ خسف من رقى بهم

وهو يقول أيضاً فى موضع آخر مبيناً أن العرب قد عرفوا الحضارة وسبقوا إلى النهضة قبل الغربيين :

هل كان للغرب المصوّتِ نأمةٌ ... أيام كان الشرق لا يستنمْ

أو كان للغرب المدل بعلمه ... بصرٌ بما أمسى به يتنعمّ

فى هذه الأبيات وأمثالها نرى اعتداداً بالمجد التليد الذى تركه العرب باقياً على الزمان كما نرى اعتزازاً به وحرصاً على إعادته ففيه البطولة وفيه المجد والمعانى السامية . وقد قال أحدهم وهو عبد الوهاب آشى فى هذا المعنى :

بلادٌ سمتْ بالأُلى عرفوا ... طريقَ المعالى ومضمارَها

سمى المجدُ طوعا إلى بابهم ... وأولتهم الأرضُ أمصارها

إذا جَد جِدُ الوغى يمموا ... ميادينها وجلوا عارها

وما عن ونى يؤثرون السلام ... ولكن يريحون ثوارها

بهذا الإيمان الصادق بمجد الأسلاف يتدفق شعر الحجازيين المحدثين ويرون أنهم لن ينجحوا فى حاضرهم إذا لم يقتفوا آثار السابقين ويعملوا على غرارهم فإذا فعلوا ذلك كان المجد قريباً منهم لأنهم أهل له من قديم الزمان وفى ذلك يقول عبد الله بلخير :

بوركتَ يا عزم الشباب وقُدستْ
روحُ الشجاعة فيــك والإقـدامُ

أملُ الجزيرة قد أنيط بعزمكم
بغـدادُ ترقب نورَه والشامُ

متطلعين إلى الحجاز فإنه
فى كل عصرٍ قائدٌ وإمامُ

ومن الخير فى هذا المقام أن ننقل إلى القارىء ما كتبه معالى الدكتور هيكل باشا فى نهضة الحجازيين عن طريق الالتفات إلى الماضى والاعتزاز بالقومية العربية فهو يقول : « وما دام شباب العرب قد بدأوا نشاطهم الفكرى على هذه الصورة الواضحة فى (أشعارهم) فمن حقهم وحق كل عربى أن ينفسح أمامهم ميـدان الأمل فى المستقبل ، فالأدب نواة كل عمل وكل حياة بل هو رحيق الحياة وروحها ، والروح ما قويت قديرة على كل شىء ، ولقد أتيح لى أن أتعرف إلى كثيرين (منهم) فرأيت فيهم طموحا وأملا وحرصاً على تحقيق هذا الأمل ، أما وهذا شأنهم وهذه عزيمتهم الصادقة فلهم أن يصوروا مستقبل بلادهم كما يشاءون ، فإذا جاء الوقت الذى تدوى فى العالم صيحته كان هذا طليعة العظمة العربية المقبلة وكان التقدم الذى يسير فى أثر أمجاد أبناء أمجاد يعيدون لبلادهم عظمتها ومجدها »

والحجازى خليق ببلوغ هذه الغاية التى يسعى إليها لأنه جلد صبور ، قد أوحت إليه الحياة الخشنة فى الصحراء كثيراً من أخلاق الصرامة والثبات والعمـل المتلاحق الذى لا يدركه فتـور ولا كلال .

ولا شك أن هذا الاتجاه العربى القوى قد أفاد اللغة والأدب أجل الفوائد ، ولا شك كذلك أن هذه الآمال التى استمدوها من الماضى العريق قد دفعت الأدب دفعاً قوياً ظهرت ثمراته فى عهد قليل ، ولن يتوانى هذا الأدب عن تقدمه السريع وإمعانه فى التجديد والرقى ما دامت القومية العربية طابعه وفسحة الآمال تستحثه وتنهض به . وتاريخ الآداب فى الأمم المختلفة يوضح لنا هذا القول ؛ فما قوى أدب أمة من الأمم إلا فى ظلال قوميتها وعلى أساس من آمالها المتوثبة الجريئة ، وما ضعف إلا فى العهود التى تخاذل فيها الناس وتناسوا قوميتهم وفقدوا آمالهم ، لأن الأدب يتمشى مع القومية والآمال ويستمد منهما معانى الحياة الباقية الخالدة

الثقافة

الثقافة عماد الأدب ومادته ولا ينهض أدب فى أمة من الأمم ما لم يتهيأ لها من وسائل العلم ما يقدرها على إدراك الحق والجمال ، وبهذه الثقافة يتسع أفق الأديب فإذا ما تناول موضوعاً تناوله عن بصر به وعلم بدقائقه ونواحيه المختلفة .

وقد منيت الثقافة فى الحجاز فى العهد العثمانى بما جعلها ضئيلة متأخرة ومحدودة تافهة لا تغنى ولا تنفع فى إعداد الأديب المثقف ؛ فقد اقتصر التعليم فى ذلك العهد على التعليم الابتدائى وهو كما نعلم لا يعد شاعراً ولا يخرج كاتباً ، فإذا عرفنا مع هذا أن العناية باللغة التركية قد فاقت العناية باللغة العربية وأن المواد المختلفة فى هذه المدارس كانت تدرس بالتركية ؛ أمكننا أن ندرك إلى أى حد ضعفت العربية فى هذه البلاد .

نعم كان فى الحجاز الحرمان الشريفان يقوم فيهما العلماء بتدريس الدين واللغة العربية على الطريقة التى كانت تتبع فى الأزهر الشريف وهى طريقة لم يظهر فضلها إلا فى حفظ العلوم اللسانية والدينية من الضياع ولكنها لم تجد فى تخريج الأدباء والشعراء .

لهذا كله أشفق المصلحون فى الحجاز من ذوى المروءة على اللغة العربية ومصيرها فهبوا لإنشاء المدارس التى تنهض بالدين والأدب وكان أسبقهم إلى هذا العمل السيد محمد زنيل فقد أنشأ مدارس الفلاح فى جدة ومكة سنة ١٣٢٦ للهجرة وجاهد فى سبيل نهضتها وبقائها على الرغم مما أثير حولها من الشكوك والأوهام ، وكان لهذه المدارس الحرة الفضل الأكبر فى تخريج طائفة من الشبان هم الآن حملة لواء النهضة الأدبية والفكرية فى البلاد الحجازية .

(البقية فى العدد القادم)

أحمد أبو بكر ابراهيم

النظــــام الزراعى

في بلاد السوفييت

للدكتور محمد مأمون عبد السلام

اتساع الروسيا وأثره فى الزراعة

ليس فى العالم دولة باتساع الروسيا ، فمساحتها ٨٫٧٦٤٠٠٠ ميل مربع ممتدة من أواسط أوربا غرباً إلى المحيط الهادى شرقاً ، ومن المنطقة المتجمدة الشمالية شمالا إلى البحر الأسود وبحر الخزر والقوقاز وإيران والصين جنوباً . فبلاد مثل هذه تختلف أجواؤها من البرد القارس فى الشمال إلى الحر اللافح فى الجنوب ، ومن غزارة الأمطار وما يتبعها من الرطوبة إلى الجو الصحراوى الجاف ذي الرياح الحارة . فتكاد تكون روسيا سلسلة من السهول المتسعة الأرجاء تفصلها سلاسل من الجبال وعدة من الأنهار ، فالزراعة فيها إذن تمثل زراعة المناطق شبه الحارة ، وكذلك الزراعة الصحراوية الجافة ، وزراعة المناطق المعتدلة الرطبة والمناطق الباردة الثلجية . وكان يسكن هذه البلاد نحو ١٧٠ مليون نسمة منهم نحو ٨٠٪ من الفلاحين المسخرين لأسيادهم من أسرة القياصرة والنبلاء والأشراف الذين كانوا وحدهم يمتلكون الأرض

حالة الفلاح قبل عهد السوفييت

نعم كان هؤلاء الفلاحون عبيداً أرقاء ينتقلون من سيد إلى سيد ، وكان الفلاح يسمى « موجيك » ، وهى تصغير كلمة « موج » أى الإنسان بالروسية . ومعنى ذلك أن الفلاح الروسى كان فى نظر مستعبديه فى عهد القياصرة مخلوقاً أدنى من الإنسان كالمنبوذين فى الهند ، فلا عجب أن وصموه بما يوصم به الفلاح المستعبد فى أى بلد آخر بالوحشية والقسوة والكسل واللصوصية والنفاق والغش وغير ذلك من الصفات المنفرة ، ونسوا ما وضعه الله فيه من المحاسن الخلقية التى برزت فى أوضح شكل بعد نيله حريته . فالفلاح الروسى كغيره من أبناء الطبيعة ماهر فى الاستفادة من كل ما حوله فتراه فى الغابات الشمالية الروسية يصنع قوارير السوائل من قلف الأشجار ، ويجدل الألياف الداخلية لهذا القلف ويصنع منها أحذيته. وتراه فى بلاد أكرانيا ، حيث تنعدم الأشجار الخشبية يبنى أكواخه من قصب الغاب والطين . وترى الفلاح الروسى يصنع سروج خيله بنفسه من الجلود التى يدبغها ، فهو لا يترك من منتجات بيئته شيئاً إلا استغله لمصلحته

حالة الفلاح فى عهد السوفييت

فلما نشر السوفييت حكمهم فى هذه الامبراطورية الواسعة الأرجاء ، حرروا الفلاح من عبوديته ، وعاملوا كافة الشعوب والجنسيات التى كانت تحت حكم القياصرة على قدم المساواة ، فجعلوا الامبراطورية الروسية القديمة التى تضم ١٨٠ جنسية فى إحدى عشرة جمهورية وطنية و ٢٢ جمهورية مستقلة لكل منها دستورها الخاص مع تمتعها بكامل استقلالها وحريتها ومساواتها مع كافة جمهوريات الاتحاد السوفيتى الأخرى ، ولكل من هذه الجمهوريات مطلق الحرية فى الانفصال عن الاتحاد السوفيتى متى شاءت . فالاتحاد السوفيتى إذن عبارة عن مجموعة من الأمم المستقلة المرتبطة برباط الثقافة والمصلحة الاقتصادية ، وهذه الجمهوريات هى جمهوريات الاتحاد الروسى فى أوروبا ثم أكرانيا وبيلوروسيا وكاريليا الفلندية ومولدافيا ولتوانيا ولاتفيا والجمهوريات الاستونية واذربيجان وجورجستان واريفان أى أرمينيا وتركمنيان والأزبك والتادجيك والقازاق والكرغز ، وذلك عدا القاطعات المستقلة داخل هذه الجمهوريات التى تمثل نحو أربعين جنسية تتمتع كل منها بكامل حقوقها فى إدارة نفسها بنفسها

استصلاح الأراضى والتوسع فى الزراعة

مساحة الأراضى المزروعة

كانت مساحة الأراضى المزروعة فى الروسيا القيصرية (فى سنة ١٩١٣) ٢٥٢ مليون فدان . فلما تولى السوفيت الحكم رأوا أن السكان فى الروسيا يزيدون سنة عن سنة حتى أن تعدادهم بلغ فى يونيو (سنة ١٩٤١) ١٩٠ مليون نسمة فعملوا على استعمار الموات من الأراضى باستصلاحها ونشر الزراعة شمالا وشرقا فى مساحات هائلة لم تمسها يد الزارع من قبل فبلغت مساحة الأراضى الزراعية بجهودهم (فى سنة ١٩٢٩) ٢٨٣ مليون فدان وبلغت

٣١٧ مليون فدان فى سنة ١٩٣٥ أى بزيادة قدرها نحو ٦٥ مليون فدان . وقد استصلح السوفيت فى ثلاث سنوات من سنة ١٩٣٣ إلى سنة ١٩٣٥ خمسة ملايين فدان كانت من قبل مستنقعات ، وأربعة ملايين فدان أخرى فى سنة ١٩٣٦ . وقد استمروا فى التوسع فى الزراعة فى المناطق الشمالية النائية ، وفى الشرق فى الأراضى شبه الجافة حتى بلغت مساحة الأراضى الزراعية فى سنة ١٩٣٧ (٤٢٨ مليون فدان) أى أن مساحة الأراضى الزراعية زادت فى حكمهم عما كانت عليه فى سنة ١٩١٣ (١٧٦ مليون) فدان أى بزيادة نحو ٧٠ ٪ وقد ازدادت المحصولات بهذه النسبة وكانت الزيادة واضحة بصفة خاصة فى المحصولات الصناعية كحاصلات الألياف مثل القطن والكتان والقنب والرامى وغيرها، وفى حاصلات الزيت كالسمسم والفول السودانى وعباد الشمس والسلجم والخروع وبذر الكتان والقرطم وغيرها وفى بنجر السكر . وقد اهتموا بصفة خاصة بالتوسع فى الخضروات فزادوا مساحتها بنحو ضعفين ونصف ، وبمحصولات العلف إذ ازدادت مساحتها بنحو أربعة أضعاف ، وأدخلوا محصولات منها جديدة مثل حشيشة السودان وأنواع من الخندقوق والقضب (البرسيم الحجازى) والفصفصة والجلبان وحشيشة التيف وأنواع مختلفة من البرسيم والحشائش النجيلية .

إلغاء الزراعة الفردية وإنشاء الزراعة التجمعية

وقد وضع السوفيت نظامهم الزراعى على أساس جعل موارد الإنتاج ملكا للدولة ، وهم ينفذون إصلاحاتهم طبقاً لمشروعات موضوعة لصالح الشعب عامة لا لمصلحة طبقة خاصة على حساب باقى الطبقات، وبرامجهم موضوعة بحسب الأصول العلمية الحديثة ؛ ولكن مشروعاتهم تتبدل وتتغير طبقاً لتبدل الظروف والأحوال . كما أنهم لا يتقيدون لإتمامها بميعاد خاص ، فهم بذلك يتبعون تعاليم زعيمهم لينين الذى قال : « ليست تعاليمنا قانوناً ثابتاً فستعلمنا الحياة والتجربة لنهتدى إلى الطريق المستقيم ، فخبرة الملايين من الناس وهم يسمون ويعملون تنير لنا الطريق » .

وقد وضعوا نظامهم الزراعى على أساس إلغاء الزراعة الفردية لأنها لا تتفق مع التقدم الزراعى الميكانيكى الحديث ولا تصلح لبلاد متسعة الأرجاء مترامية الأطراف مختلفة الأجواء كالروسيا وعلى إحلال نظام الزراعة الواسعة بالآلات الميكانيكية الحديثة محلها .

وقد دخل السوفيت فى تجارب قاسية لبلوغ هذه الغاية كلفت البلاد الروسية عشرات الملايين من الضحايا وأموالا لا تحصى . فبنوا سياستهم الزراعية على إلغاء الملكية الفردية واستبدالها بإنتاج تجمعى لكيلا يضيعوا المجهود الآدمى من غير مبرر فى الزراعات الفردية الصغيرة . فأنشأوا المزارع الحكومية الواسعة والمزارع التجمعية ومحطات للجرارات والآلات الزراعية لتقوم بجميع العمليات الزراعية .

المزارع الحكومية (مزارع السوفهوز)

رأى السوفيت أن ازدياد مساحة الأراضى وامتداد الزراعة فى المناطق النائية لا يتأتى إلا بإنشاء المزارع الحكومية الواسعة التى سموها باسم «سوفهوز» ، وقد بدأوا إنشاءها من مبدأ حكمهم فبلغ عددها فى سنة ١٩٢٢ ألف مزرعة تقريباً . ومن سياستهم أن يعمل فيها العمال الزراعيون كموظفين بمرتب ثابت ، وكونت حكومة السوفيت لجنة للحبوب غرضها تنمية مزارع الحبوب الحكومية للحصول على كميات من الحبوب تزيد قليلا فى السنة عن مليون ونصف طن، فأنشأوا ١٥٠ مزرعة حكومية جديدة مساحة أراضيها ١٢ مليون فدان فى جمهورية قزاقستان ، وفى الفولجا الأوسط والسفلى وفى الأورال وشمال القوقاز واوكرانيا وجمهورية البشكير وأنشأوا بعض المزارع الكبيرة فى المناطق الجافة وشبه الجافة ، وكانت أراضى هذه المزارع قبل الانقلاب الزراعى الميكانيكى فى الروسيا لا يمكن الانتفاع بها فى الزراعة .

وتعتبر هذه المزارع محاولة من حكومة السوفيت لاستعمار هذه المناطق التى كانت فيما سبق مراعى طبيعية للخيل والأغنام ، ولكى ينتفع بهذه المساحات الهائلة من الأراضى التى طردت منها الأغنام والخيل اعتمد السوفيت اعتماداً كلياً على استعمال الآلات فى الزراعة ليتجنبوا بذلك فعل الرياح الحارة الجافة المحرقة للمحصولات . ولا جدال فى أن رى هذه الأراضى إذا أمكن يأتى بالفائدة المطلوبة ، ولكن هناك صعوبات تجعل ريها باهظ التكاليف ، لذلك اعتمد السوفيت فى سقيها على ثلوج الشتاء ، فهم يحرثونها بعد إزالة المحصول الصيفى ، ثم يزرعونها فى الربيع بعد ذوبان الثلج زراعات متعاقبة من القمح . وقد أنتجت هذه

الأراضى البكر محصولا فاق كل متوسط فى الأراضى الروسية الأخرى .

وقد بلغ عدد العمال الزراعيين فى هذه المزارع الحكومية فى موسم سنة ١٩٣٤ ثلاثة ملايين نسمة فيما يزيد قليلا عن أربعين مليون فدان زرع ثلاثة أرباعها حبوباً . وبلغ عدد المزارع عشرة آلاف مزرعة مساحتها ٢٨ مليون فدان منها مساحات كبيرة لم تزرع بل تركت للرعى

وتتبع المزارع الحكومية أكثر من عشر من الإدارات الحكومية المختلفة ؛ لذلك اختلفت طرق إدارتها والنتائج المتحصلة منها ، فكانت مصلحة المزارع الحكومية تدير ١٧٣ مليون فدان لا يزرع غير تسعها فقط ، وتدير قومسيرية الزراعة ٥٣١ مزرعة مساحتها ١٧ مليون فدان يستغل ثلثاها فى تربية الخيل وكذلك لإكثار التقاوى ولزراعة القطن والكتان والقنب والحاصلات البقولية والأرز ونباتات المناطق شبه الاستوائية وتربية الحرير والماشية والأغنام والماعز، ويتبع قومسيريات الزراعة فى جمهوريات الاتحاد السوفيتى المختلفة ٦٠٠ مزرعة للخضروات والدجاج والفواكه وكروم العنب ؛ ولقومسيرية صناعات الأغذية نحو هذا العدد من مزارع بنجر السكر والخضروات والبطاطس والدخان والدجاج والخنازير والزيوت العطرية عدا مساحات هائلة من الصوبات الزجاجية . وقد أعطى السوفيت عناية خاصة لصناعة الزيوت العطرية التى تستعمل فى الروائح العطرية تخصص لزراعة محصولاتها ٦٠٠٠ فدان فى سنة ١٩٣٦ ولا يقوم بهذه الزراعة والصناعة إلا النساء .

وكان لقومسارية التجارة الخارجية ٢٨ مزرعة مساحتها ٧٫٠٠٠٫٠٠٠ مليون فدان خصصت لتربية الثعالب الفضية والأغنام الفارسية والأرانب وحيوانات الفراء المختلفة .

وكانت قومسارية الصناعات الثقيلة تزرع المحصولات التى يستخرج منها المطاط فى مساحة ١٣٠ ألف فدان موزعة فى مناطق واسعة وخاصة فى مناطق قازاقستان وبحر أزوف والبحر الأسود .

وكان ١٣ مليون فدان تتبع ست قومسريات مختلفة لتمد هيئات مختلفة تعاونية وغير تعاونية مثل مطاعم المصانع والحوانيت ولتزويد المصالح الحكومية الأخرى المختلفة باحتياجاتها من المواد الخام ، ولم تتعد مساحة الأرض المزروعة فى المزرعة الواحدة ألفى فدان

وقد راعت حكومة السوفيت أن تجعل مساحة المزارع الحكومية (السوفهوز) كبيرة جداً لتخفض بذلك نفقات الإنتاج فكانت تتراوح مساحة المزرعة بين ٨٠ — ١٠٠ ألف فدان ولكن منها ما كان أكبر من ذلك كثيراً مثال ذلك المزرعة المسماة Gigant أى الضخمة ومساحتها ٦٠٠٫٠٠٠ فدان .

ولكن نظام مزارع السوفهوز أخذ يظهر عيوبه ابتداء من سنة ١٩٣١ فقد اتضحت خطورة الاعتماد على نظام زراعة محصول واحد والتمسك به تمسكا شديداً ولذلك عدل باتباع دورة زراعية منظمة . وقد اتضح أيضاً أن مزارع الحبوب متسعة جداً لدرجة يصعب معها إدارتها إدارة ناجحة . لذلك خفضت مساحة المزرعة الواحدة منها فى سنة ١٩٣٢ بحيث لا تزيد عن ١٠٨٫٠٠٠ فدان على أن تقسم داخلياً إلى عدة مزارع صغيرة يدير كل منها مساعد مدير . وقد نتج عن إنشاء مزارع تربية الحيوان العظيمة الاتساع أن الحيوانات كانت تتجمع فى قطعان كبيرة مما ساعد على انتشار الأوبئة بينها ، فقد كانت مساحة مزرعة تربية الماشية ٦٣ ألف ميل مربع ومزرعة تربية الأغنام تزيد عن ٤٦ ألف ميل مربع فقسمت هذه المساحات الهائلة إلى مساحات أصغر منها لتسهل إدارتها . وكان من أكبر الأخطاء التى ارتكبت أن استولى عمال الحكومة على الماشية قبل أن تنشأ لها الحظائر اللازمة لإيوائها ويعين لها الكلافون اللازمون للعناية بها . وقد عاقبت حكومة السوفيت الموظفين المسئولين عن هذه الأخطاء بإعدام ثلاثين منهم .

وقد اتضح فى النهاية أن تجربة إقامة مزارع السوفهوز قد فشلت تماماً فأعلن ستالين فى سنة ١٩٣٣ أنها لا تغطى نفقاتها فيما عدا بضع عشرات منها . وفى نهاية سنة ١٩٣٥ أعلنت الحكومة السوفيتية حل عدد كبير منها وإضافة أراضيها إلى المزارع التجمعية ، ولم يستبق من مزارع السوفهوز غير التى رأوا ضرورة إبقائها للاستغلال على أساس تجارى ، وقد وضعت تحت إدارة ثلاث قومسيريات هى : قومسيرية المزارع الحكومية ، وقومسيرية صناعة الأغذية وقومسيرية الزراعة .

(البقية فى العدد القادم)

دكتور محمد مأمون عبد السلام
وكيل قسم أمراض النباتات بوزارة الزراعة المصرية

التعليم ووحدة الأمة

للأستاذ عبد الحميد فهمى مطر

— ٧ —

يَسُر الباحث فى مسائل تربية الجيل الجديد وتعليمه أن يرى آراءه التى يدلى بها بين آن وآن موضع عناية وتقدير من الجهات ذوات الشأن ، فإن التصريحات التى فاه بها معالى وزير المعارف عن مشاكل التعليم الأصيلة والمؤقتة ، وعن الخطوط الأولى للسياسة التعليمية العامة ، وعن ضرورة توحيد المرحلة الأولى فى التعليم العام ، وعن العمل لتحسين حال المعلمين ورفع الغبن عنهم . وأن ما قرأناه فى الصحف عن التفكير فى ضم طوائف المعلمين بعضها إلى بعض ، وتوحيد صفوفها لتدل كلها دلالة واضحة على صحة الاتجاهات التى اتجهنا إليها فى إثارة هذه المسائل وبحثها .

كما وأن ذلك مما يشجعنا على المضى فى بحوثنا عسى أن نساعد على إنارة الطريق أمام العاملين على النهوض بالتربية والتعليم عندنا وعند الأمم العربية الشقيقة التى قد زادت رابطتنا بها وبنهضتها وبثقافتها هذه الجامعة العربية الفتية . وعسى أن يمكن ذلك من إيجاد أسس قوية موحدة فى بناء نهضة هذه الأمة ، وتوحيد صفوفها ، ورفع شأنها بين الأمم عن طريق العناية بناشئتها ، وتسليحهم فى مستقبل حياتهم بأسلحة العلم الحديث والتفكير السليم مع تقوية أسباب التناصر والتعاون بينهم آملين ألا يمضى وقت طويل حتى تجتمع لجنة الثقافة فى الجامعة العربية لبحث هذه المسائل الهامة ، كما اجتمعت لجنتا الزراعة والاقتصاد فإن توحيد الثقافة هو أساس التفاهم والتعاون كما أنه هو أساس التكوين والتدعيم .

إن اتجاهات الإصلاح التعليمى فى مصر لم تتناول فى مختلف أطوارها مع الأسف التفكير الجدى فى تنشئة المعلم وتكوينه واختياره والعناية به إلا فى حدود ضيقة جداً ؛ فقد اعتدنا الا نفكر فيه إلا إذا اضطرتنا الحاجة الملحة إلى ذلك التفكير ولم توضع سياسة ما من قبل لإعداد المعلمين المتآخين المتحابين المتجانسين المتعاونين وتنشئتهم بل كان أمر إعدادهم يتبع ظروف إنشاء المدارس الجديدة أو فتح فصول فى القديمة ، فإذا وجدنا ضغطاً فى هذه الناحية قمنا على وجه السرعة بإيجاد معهد ما لتخريج عدد من المعلمين ، ثم لا نلبث أن نستغنى عنه ، ونغلق أبوابه إذا ما خف الضغط وقل الطلب ، ولذا نرى معاهد ومدارس لتخريج المعلمين كثيرة وُجدت ثم أغلقت حسب الظروف . ومن هنا نشأت هذه التشكيلة المختلفة من المعلمين فى التعليم العام التى لا نظير لها فى تعدادها وتفاوتها وتنافرها وقلة انسجامها وعدم تعاونها فى أى بلد آخر من بلاد الله مما كان له الأثر الملموس فى جمود المدرسة وخمود روحها ، وضعف أثرها فى أبنائها ، وانعدام روح التعاون بينهم مع ضعف الروح العلمية ، وقلة الإقبال على الاستزادة من العلوم والفنون إلا ما كان خاصاً بالامتحان وضعف روح الإقبال على العمل الحر المنتج إذا ما انتهوا من الدراسة وحصلوا على الأجازة التى تسلمهم إلى الوظيفة خصوصاً بعد أن وضعت لها التسعيرة الجديدة المغرية .

فإذا كان معالى وزير المعارف قد ذكر فى بياناته أن نجاح المشروعات الجديدة فى التعليم يتوقف أساسياً على المدرس فإن هذا هو الحق لا ريب فيه . ولذا فقد ذكر معاليه أنه قد عُنى عناية شديدة بأمور المعلمين ، ولديه مشروعات عديدة لترقية معاهد إعداد المعلمين ، وتهيئة الوسائل لتكميل ثقافة الحاليين منهم ، وأنه حفظه الله يعمل على إزالة الشعور بالغبن المستولى على نفوسهم . وإن فى هذا كله ما يدل على الروح الطيبة المحبة للأصلاح والخير التى أملت على معاليه هذه العناية وهذا التقدير وهذا الاتجاه المستقيم . فما أقسى هذا الشعور بالغبن الذى يحز فى نفوسهم . وما أشد أثره فى أعمالهم ومسئولياتهم ! وما أعمق تأثيره فى الرسالة الملقاة على المدرسة وواجباتها ! وإذا كان معاليه قد سبق أن قسم مشاكل التعليم إلى أصيلة ومؤقتة ؛ فإن مشاكل المعلمين وهى فرع هام من مشاكل التعليم فيها كذلك الأصيلة وفيها المؤقتة ، فأما مشكلتهم الأولى الأصيلة فى رأينا فقد سبق أن تناولناها بالبحث وهى تنحصر فى تعدد طوائفهم ، واختلاف ثقافاتهم ، وتباين تفكيرهم ، وتنوع نظراتهم إلى واجباتهم وأعمالهم وإلى

الحياة العامة كلها ، ولعل هذا هو السبب الأساسى فيما نلمسه من انعدام فكرة التعاون فى المدرسة ، ومن جمود فى حركتها ومن انحطاط فى روحها ، ومن خمود فى اتباع أساليب التربية الحديثة فيها . ومن تجاهل لرسالتها الحقيقية التى لاتتعدى النجاح فى الامتحانات والعمل لها .

من أجل ذلك سرنا ذلك الاتجاه الجديد الذى أخذت الوزارة فى بحثه وبدت بشائره على صفحات الجرائد من الميل إلى ضم طوائف المعلمين بعضها إلى بعض فى اتحاد واحد ثم ظهر أثره فعلا فى ضم نادبى دار العلوم وتوحيدهما فى ناد واحد . ولعل هذه الخطوة الطيبة تتبعها خطوات أجرأ منها وأعظم فى وضع أساس الوحدة المنشودة التى يجب أن تمتلئ بالإيمان بها قلوبنا وعقولنا ، والتى بها نستطيع أن نرفع مستوى المدرسة رفعاً يليق بكرامتنا ونهضتنا .

لهذا نرى أن من واجبنا الأول أن نضع فى رأس سياستنا التعليمية الجديدة توحيد معاهد تخريج المعلمين لأننا نؤمن أن فى هذا التوحيد الخير كل الخير لمعاهدنا العلمية .. فإذا كنا قد آمنا بأن التوحيد ضرورى وأنه لازم لمدارس المرحلة الأولى من التعليم الإلزامى والأولى والابتدائى فإنه لاشك ألزم لمعاهد المعلمين المكلفين بالسهر على تكوين النشء وتثقيفهم حتى تتركز فى تضافر المعلمين وتآزرهم وتعاونهم تلك المعانى السامية العظيمة التى ننشدها فى مدارسنا ومعاهدنا وأبنائنا بل وفى وحدتنا العامة وجامعتنا العامة وأخوتنا العامة .

أما المشكلة الأصيلة الثانية فى تكوين المعلم فتنحصر فى العمل الجدى على تقوية روحه وشخصيته وخلقه وضميره والسمو بها جميعاً إلى المكانة التى تشعرها حقاً بجليل رسالتها وعظيم مسئوليتها أمام الله وأمام الوطن وأمام الأمة جمعاء . ولن نتمكن من السمو بالمعلم هذا السمو المنشود إلا بتمهيد السبيل الحق إلى انتقائه من بين الصفوة الممتازة بخلقها وبحبها الحقيقى للمهنة ، ولن نستطيع أن نصل إلى هذه الأمنية مطلقاً إلا إذا سوينا على الأقل بين المعلمين وبين زملائهم وإخوانهم من رجال القضاء والمهندسين والأطباء وغيرهم من أرباب المهن المحترمة الأخرى . صحيح أن هذا سيكلف الدولة بعض المال ولكنه فى الوقت ذاته كفيل برفع مستوى المعلمين رفعاً يؤثر فى الجيل الناشئ تأثيراً كبيراً لأن هؤلاء المعلمين الذين يلجون المهنة حباً فى المهنة والذين نختارهم من الصفوة سيدفعهم حبهم لعملهم دوماً إلى بذل الجهود الحقة فى تنشئة الجيل الجديد على المبادئ السليمة التى تنشئ أبناءها عليها الأمم القوية العزيزة فيكون مكسبنا من وراء عملهم مكسباً لايقدر بمال ، فعلينا أن نبنى سياستنا الجديدة على تكوين هؤلاء الرجال حتى نضمن لمصر والأمة العربية كلها نهضة رائعة تعيد إليها سالف مجدها وغابر عزها .

هاتان هما المشكلتان الأساسيتان من مشاكل التعليم والمعلمين وحلهما كفيل برفع مستوى المعاهد الدراسية وبحل مشكلة تكوين الجيل الجديد . فإذا عملنا حقاً على حلهما فقد ضمنا لهذه الأمة حياة مستقبلة سعيدة وقوة حافزة جديدة تضعها فى مصاف الأمم المحترمة العزيزة ، أما المشاكل المؤقتة فى حياة المعلم فسنفرد لها مقالا آخر إن شاء الله .

عبد الحميد فهمى مطر

عود على بدء

الفردوس المفقـــود

للأستاذ عبد الرحمن صدقي

[أصدر الشاعر منذ شهر وبعض شهر ديوانه الذى أسماه « من وحى المرأة » لأنه — كما قال الأستاذ العقاد — لم يكن إلا وحياً فاض به حزنه على زوجته الفقيدة ، فخرج في جملته منظوماً كأنه لا يحتاج إلى نظم ، وجاء فيه بقصائد ومقطوعات ستبقى فى عداد الشعر الخالد ، سواء منه ما نظم فى هذا الموضوع أو غير هذا الموضوع . ويبلغ الديوان نحو الألف بيت . وقد جاءتنا من الشاعر القصيدة التالية — ولم يسبق نشرها — وهى فى الموضوع نفسه ، يذكر فيها كمهده شريكة حياته ورفيقة دراساته] .

بحبّىَ وحـــدى كان قلبُك يهتف
ولى كان منـــكِ الناظرُ المتشوّف[1]

وبى دون أهـل الأرض أُنسُك كلُّـه
كأن رحابَ الأرض دونىَ صفصف[2]

فخورٌ على الدنيــا بأنك زوجتى
وما أنا قارونٌ ولا أنا يوسف[3]

تصبّاكِ منى ما يُخيِّب ذا الهــوى
ويَزْوِى قلوبَ الغانيات ويصدف[4]

تصبّاك أنى ذو حـــديث وأنه
علومٌ وفنٌّ لا مجونٌ وزخرف

وأنك قـــد طالعتِ أسفار مكتبى
إذا لىَ فيها حيث وقّفتِ موقف

(١) المشوف المتطلع .
(٢) دونى أى من غيرى . الصفصف الفلاة .
(٣) يقال « قارون » و « قارونا » ، والنصب على أن « ما » عاملة عند الحجازيين ، والرفع على أنها غير عاملة عنـد غيرهم ، وفى البيت إشارة إلي غنى قارون وجمال يوسف
(٤) تصبى المرأة استمالها وفتنها . زوى أبعـد ونحى . يصدفه يصرفه ويرده .

نظرتِ إشاراتى هنـــاك وها هنا
تحدث عن أغوار نفسى وتكشف

لدى كلّ تعقيبٍ وكلّ إشــارة
تصافح روحانا فكان التعرف

وعهدى للأنثى مــدارٌ ، وللفتى
مدارٌ ، ولولا النسلُ ما كان مألف

فوافرحتا أن قـــد تعانق عالمى
وعالمها ، فالشمـــل نَظْمٌ مؤلف

ويا فرحتا أُطلقتُ من سجن وحدتى
فروحى مـــع الروح الأليف ترفرف

نحلّق فى الآفاق طـــوراً ، وتارة
نسِفُّ إلى روض الغـــرام فنقتطف

نضاعفُ بالكتب الحيـــاة ، فحظنا
من الحسّ والتفكير حظٌّ مضعّف

ونَعرض للمعقـــل الفنونَ فتنجلى
وندرس بالقلب العــلومَ فتلطف

نمارس هــذا العيشَ بالقلب والحجى
معاً ، مثلما طابت على المزج قرقف[1]

حبيبان بين الكتب عشٌّ غرامنا
نديمان فى حضن الهـوى نتفلسف

نذوق كطعم الخـــلد أعيت صفاته
بيانى ، وطعم الخلد هيهات يوصف

فواحسرتا أن قد خـــلدنا هنيهةً
هى الخلد لكن من سنا البرق أخطف[2]

ويا حسرتا أنى إلى سجن وَحدتى
رجعت ، وذكرى الخلد بالقلب تعنُف

فلا القلب عن ذكرى هواكِ بمُرْعِو[3]
ولا الدمع عن سُقْيا ثراك مكفكَف

(١) القرقف من أسماء الخمر (٢) أخطف : أسرع
(٣) مرعو من ارعوى أى كف .

نهاية المطاف ...

للأستاذ سيد قطب

تنشد السلوان من حب عقيم   وتروم البرء من داء قديم
ها هو السلوان فانظر : أترى   شارة الموت على تلك الرسوم ؟

شاه في خاطرك الكون ومات   وتخلت عنك أحلى الذكريات
وبدا العمر حزيناً عاطلاً   كامد السحنة مجفو السمات

قد مضى الحلم ، تحقق في العيان   هل ترى إلا خواء في الزمان ؟
وتهاويل الرؤى ... يا ويحها !   غالها الصحو فماتت منذ كان !

نم قرير العين إن كنت تنام   لفك الصمت وغشاك الظلام
يأمن الدنيا ويخلو للكرى   معدم الكفين مفقود الحطام !

قد خلا الهيكل من وحي الصنم   وغدا معبودك الأسنى حطم
أتطيق الآن تحيا ملحداً   أم ترى تخلو لشيطان الندم ؟

ضقت بالخوف ودنيا الاضطراب   أترى الأمن هنا بين اليباب ؟
أيها المنكوب في أحلى المنى   الحياة الحب والحب العذاب !

ضقت بالقيد ! فها أنت طليق !   ما يباليك إذن حادي الرقيق !
فهو يخلي في الفيافي كل من   لا يساوي ثمن القيد الوثيق !

عمرك الفارغ . كالثقل زهيد   ليس فيه من طريف أو تليد
وهي الأيام تقضي مثلما   تنقضي أيام مأجور شريد

أين أحلامك بالعش الجميل ؟   أين آمالك في الظل الظليل ؟
قد مضى الحلم وولى موهناً   فاركن الآن إلى الصحو الطويل !

نم يا منكود ما كنت تروم   ومشى السلوان في الحب القديم
نم قرير العين واهنأ بالكرى   الكرى الميت في القلب العقيم !

يا رمال الشط ...

للأستاذ مصطفى عبد الرحمن

يا رمال الشط بالله أجيبي ؟   أين غاب اليوم عن عيني حبيبي
يا رمال الشط ... ...

جئت والبسمة تعلو شفتيا   لأرى بسمة آمالي عليك
لم أجد يا شط من يهفو إليا   مثلما أقبلت لهفان إليك
غير موج يتلوى لبكائي
كلما رددت في الشط ندائي
يا رمال الشط بالله أجيبي   أين غاب اليوم عن عيني حبيبي

ها هنا يا رمل كان الموعد   ما الذي أنساه صفو الموعد
إنني وحدي غريب مبعد   هائم بالغائب المبتعد
جئت ألقاه . فلم ألق سوى
خافق يهتف من مر الجوى
يا رمال الشط بالله أجيبي   أين غاب اليوم عن عيني حبيبي

أترانا نلتقي قبل الرحيل   نستقي الفرحة فيما نستقي
ونرى الدنيا سنا صبح جميل   ليت أنا يا ليالي نلتقي
طال شوقي وحنيني فأتيت
لم أجد أحباب قلبي فهتفت
يا رمال الشط بالله أجيبي   أين غاب اليوم عن عيني حبيبي

أيها الرمل إذا مر حبيبي   كالندى في ومضة الفجر الرطيب
سله عن أمسي وأفراحي وكوبي   وارو عن يومي وحدث عن نصيبي
كل من حولي يلهو ويغني
وأنا من ذا الذي يسأل عني
يا رمال الشط ... ...



حول ترجمة كتاب :

نقل الأستاذ محمود محمود للعربية كتاب « وسائل وغايات » لألدوس هكسلي ، وهو اختيار موفق وجهد مشكور ، فالكتاب من أجل كتب الفكر والمؤلف في طليعة مفكري هذا العصر . ولكني لا أريد هنا أن أتكلم عن الكتاب نفسه ولا عن مؤلفه ، وإنما يدعوني للكتابة أمر هام يتعلق بمبدأ من مبادىء الترجمة حقيق بالعناية والرعاية ، خصوصاً ونحن بصدد نهضة الترجمة آخذة بأسباب التعضيد والقوة والانتشار . أعني بهذا المبدأ روح الأمانة التي ينبغي أن يأخذ المترجم بها نفسه متوخيا الدقة البالغة في نقل روح المؤلف وأفكاره كي يحسن التعريف بالمؤلف وكتابه ويعطي القارىء حقه من الثقافة والاحترام . هذا مبدأ هام لا يجوز أن يغيب لحظة واحدة عن انتباه المترجمين ، فليس المترجم مطلق الحرية في التصرف فيما يترجم . حقاً هو حر فيما يختار من المؤلفين والكتب كيفما تراءى له وجه الحق والفائدة ، فإذا اختار فلا معدى له عن أداء الأمانة لأهلها وإلا صار عمله افتئاتاً وتشويهاً وعبثاً بالمؤلف والقارىء على السواء . خطر لي أن أقول هذا عندما قرأت ما كتبه الأستاذ محمود محمود في مقدمة كتابه إذ يقول : « ... وقد عرضناه على القارىء العربي مسهبين حيناً وموجزين أحياناً . وقد أوجزت بصفة خاصة في الفصول الأخيرة من الكتاب التي بحث فيها هكسلي المعتقدات والأخلاق لأنه كان فيها هداماً أكثر منه منشئاً » . فعلمت محزوناً أنه أباح لنفسه أن يوجز وأن يسهب ، وأن يوجز بصفة خاصة في الفصول الأخيرة من الكتاب لأن المؤلف — على حد قوله — كان فيها هداماً . عجبت أيما عجب وساءلت نفسي مغيظاً محنقاً إذا كان المؤلف هداما فكيف يتحايل المترجم لتقديمه للقراء منشئاً أو شيئاً بين المنشىء والهدام ؟ إذا أراد الرجل أن يعلن نفسه للعالم هداما فكيف تداري أنت صفته وتقدمه في صورة أخرى ؟ هذا كما قلت عبث ، وفيه روح استعلاء توهم المترجم بأن له حق الوصاية على القراء ، فمتى يحق لجمهور القراء — وقراء مثل هذا الكتاب من المثقفين عادة — أن يطلعوا على الحقائق كما هي ! وحتام يعاملون معاملة الأغرار ؟ !

ويزيدني أسفاً أن مؤلف الكتاب يقول في نهاية الفصل الأول « ... ولذا فقد بدا لي من الضروري أن أختم كتابي هذا الذي أقترح فيه علاجا عملياً لأمراض المجتمع ببحث في المبادىء الأساسية والمعتقدات . فالفصول الثلاثة الأخيرة قد تكون أكثر فصول الكتاب خطراً ، بل إنها من ناحية عملية بحتة قد تكون أهم ما فيه » . فترى من ذلك أن المترجم قد استباح التصرف في أخطر فصول الكتاب بحكم المؤلف نفسه ، وأن ترجمته لم تعد بمغنية عن الأصل بحال ، وأن تعبه يوشك أن يكون مجهوداً قليل الثمر .

فماذا نقول بعد ذلك ؟

كلمة واحدة . فإما ترجمة صادقة ، أو لا ترجمة على الإطلاق . ولتمحق عهد الوصاية إلى الأبد .

نجيب محفوظ

الترتيب التاريخي للزوميات المعري

كتب إلينا من بيروت الدكتور عمر فروخ رسالة مطولة حول هذا الموضوع يقول فيها :

طالعت المقالات التي كتبها الدكتور عبد الوهاب عزام عن لزوميات المعري وعن ترتيبها التاريخي في مجلة الرسالة الغراء ، ولقد لفت نظري أمران :

أولهما — أن الدكتور عزام قال في آخر المقال الثالث : « هذا ما بدا لي في تاريخ اللزوميات وترتيبها ، فمن بدا له ما يؤيد رأيي أو بنقضه ، فليتفضل مشكوراً بالإدلاء برأيه والإبانة عن حجته » ومعنى ذلك أنه أول من فعل ذلك

وثاني الأمرين — أنني وجدت شبهاً عظيما بل تطابقاً بين الأسس التي اتخذها الدكتور عبدالوهاب عزام لترتيب اللزوميات وبين الأسس التي كنت قد استخرجتها ثم جعلتها أساساً لكتابي « حكيم المعرة » الذي صدر في بيروت في فبراير من عام ١٩٤٤ أي منذ عام ونصف عام ، وذلك لمناسبة مرور ألف عام على ولادة أبي العلاء المعري (٣٦٣ — ١٣٦٣ هـ)

فى هـذا الـكتاب عنيت عناية بالغة بوضع أسس لترتيب اللزوميات ، إذ أننى كنت أحاول حل قضية معقدة ، هى ما ينسبه بعض الـكتبة المتأدبين الذين يتعرضون لمعالجة الموضوعات الثقافية من التناقض إلى حكيم المعرة . وبعد تدبر هذه القضية بدا لى أن ذلك راجع إلى أن ترتيب اللزوميـات على حروف الروى ليس الترتيب التاريخى لها مما بسطته فى موضعه ، وليس هذا موضعه . ولقد كانت دراستى كلها مبنية على هذه الفكرة الأساسية .

ثم ذكر الدكتور فروخ طريقته فى ترتيب اللزوميات ترتيباً تاريخياً ...

وخرج من ذلك إلى أن الدكتور عزام قد اطلع على كتابه الذى نشره منذ عام ونصف واستفاد من طريقته ونتيجته ، ثم لم يشر إلى ذلك فى بحثه ، والقارئ المنصف لا يرى فى ذلك التشابه مظنة للاختلاس أو الاقتباس ، إذ ليس من البعيد أن يقع كاتبان فى موضوع واحد على نتائج متشابهة إذا كان البحث قائماً على الاستنباط والاستنتاج من نصوص واحدة . وترتيب اللزوميات ترتيباً تاريخياً يقتضى النظر فى تتبع حوادث التاريخ وتحقيق أقوال الناظم ، فلا بد أن تتقارب النتائج ما دام النظر سليما ، والبحث قويما ، والغاية واحدة

عمر فروخ

حول « أصداء بعيدة »

قرأت فى « الرسالة » كلمة عنيفة وجهها إلىَّ صديقى الـكاتب الأديب الأستاذ ثروت أباظة لمناسبة صدور ديوانى الجديد « أصداء بعيدة » ؛ ولست أدرى ما الذى دفع صاحبنا إلى كتابة ما كتب ولا أود أن أقول « من الذى » ، فأنا أثق فى نزاهته واستقامة فطرته الأدبية

وفى ديوانى مقال طويل عن فنى فى الهجاء وبراعتى فى ذلك الفن ، واستقامة الفكرة والتعبير بين يدىّ ، وسهولة النظم وعذوبة العبارة مما أوشك أن يذهب بشعرى كله مذهب السهل الممتنع

أتدرى — أيها القارئ الكريم — من الذى كتب ذلك التمجيد ؟ إنه ثروت أباظة بعينه ...

قال صاحبنا : إن فى الديوان إسفافاً وسقوطاً ... ثم أخذ القارئ ليضرب له مثلا ، مثلا على الإسفاف والسقوط ... فما ذا صنع ، وعلى أى شىء وقع ؟ وقع على الأبيات الآتية ، وهى من قصيدة فى الهجرة المحمدية :

فتح القفر روحه للصديقيـــن فأمسى باديه كالبستان
أيما ذرة من الرمل غنت ولكادت تهم بالطيران
حدثت أختها وفيها دبيب وهى نشوى بمقدم نشوان

وأول ما ألاحظه عليـه أنه روى البيت الأخير خطأ فقال « بمقدم النشوان » ، ولعل له غرضاً فى إيراده على تلك الصورة !

وثانياً : رواها وصمت ... فلم يبين لنا مواضع الإسفاف الذى ادعاه ، وإنى أشكره أن هيأ لى فرصة بيان معنى هذه الأبيات

أقول : إن القفر الجديب تلقى الصديقين المهاجرين تلقى الشوق ، ففتح لهما روحه ، ونسمت عليهما منه نسمات لا تهب إلا من أعطر الرياض وأندى البساتين ، فهما إذن فى بستان معطار وليسا فى بطائح ولا قفار ... والرمل ... إنه ابتهج بهذا المقدم السعيد ، حتى لـكأن ذرات الرمال أمست تغنى فرحاً بالضيفين العظيمين ، واستولى على تلك الذرات شعور الفرح والغبطة ، فكادت تطير ! !

وتحدث الرمل ، معجباً ، مزهواً ، بأن يكون موطئ قدم ذلك النبى العبقرى وصاحبه ، وأخذته نشوة بذلك المقدم النشوان!

أفهمت يا صاحبى ثروت ما وراء هذه الأبيات من معنى ضخم وخيال واسع ؟ !

وينصحنى أخيراً بالتروى ليبرر ما كتب ، ولعله لا يعلم أننى معجب غاية الإعجاب بموهبتى فى سرعة النظم ، وقد نص معالى والده الشاعر دسوقى باشا على إعجابه بهذه الموهبة فى المقدمة القيمة التى كتبها لهذا الديوان عنى كما شاركه هذا الإعجاب معالى الدكتور هيكل باشا ، الذى تفضل فسطر هـذا الإعجاب فى تقديم لفنى وشاعريتى إلى جمهور القارئين بالعربية فى مصر وفى غير مصر كما يقول معاليه

هذه كلمة هادئة أرجو أن تنال من ضميره النزيه قبولا

(مصيف أبى قير) **العوضى الوكيل**



قصة مصرية

راهبـــة بلا دير

للأستاذ إدوار حنا سعد

كان ظهور حمدى فجأة فى أفق حياة سنية إعصاراً مدمراً قلب كل شىء، وجعلها تضيق بحياتها وتسأل نفسها فيمَ إصرارها على العزوبة وفيمَ تحاشيها للرجال . وأخذت تستعرض صور حياتها التى تجردت من كل ما يبعث فى النفس البهجة ، وأطياف ماض كان حافلاً بالأسى والحزن .

إنها عندما وُلدتْ ووطأت قدماها الصغيرتان شاطىء الحياة أقلعت سفينة الموت تحمل أمها بين الراحلين ، والذين حضروا ساعة الميلاد ورأوا أضواء الحياة ترقص فى عينى الطفلة البريئة وظلال الموت تجثم على وجنتى الأم الشهيدة ، أحسوا فى بكاء الطفلة رثاء لأمها وندباً لحظ وضع عليه اليتم ميسمه .

غير أن السماء لم تكن قد أرادت بسنية يتماً كاملا ، فقد أبقت لها أباها العطوف وجعلت من شقيقتها الكبرى (إنعام) ملاكا حارساً يملأ بنور الحنان لياليها ويجمل بزهر العطف أيامها وينسيها ما استطاع مرارة اليتم وشقوة الحرمان . وكانت إنعام تحس — وهى ترعى شقيقتها الطفلة — زهو الأمومة المبكرة وسعادة الوفاء بالجميل نحو أمهما التى كانت دنيا من الشباب والحسن والعطف فلم يبق منها إلا صورة معلقة على جدار ، وقبر نائى المزار ، وذكرى ما تزال تغدو فى خيالها وتروح .

وتوالت مواكب الأيام ومرت على البيت الصغير وسنية سادرة فى غى الطفولة وإنعام حالمة أحلام الشباب ، وأبوهما منصرف إلى عمله الذى يستغرق سحابة أيامه وصدر لياليه .

وأخذت الطفلة تنمو وتترعرع وبدأت الغشاوة تنجاب عن عينيها وعرفت أن إنعام ليست أمها بل شقيقة وافرة الحنو . على أن ذلك لم يقلل من حبها البنوى لهـا ، بل لعله زاد عنفاً واتسع أفقاً ، وأصبح نوعاً من العبادة الصامتة وعرفان بالجميل وأخذ يطغى عليها الشعور بالرغبة فى خدمتها وتوفير الراحة لها .

***

إن سنية الآن عذراء وافرة الأنوثة قد لمس الحب قلبها لأول مرة ، وإنها لتستعرض حياتها الجرداء التى ولت هباء لم يورق فيها الحب من قبل ، وتذكر أنها كانت فى الثانية عشرة من عمرها حين تقلدت الدار عقود الزهر ورفرفت عليها الأعلام وتوافد الناس وعزفت الموسيقى معلنة أن حياة إنعام قد ارتبطت بحياة رجل كان غريباً فأضحى أقرب إليها من كل قريب . ثم هى تذكر أنها كانت فى الثالثة عشرة من عمرها حين اتشحت الدار بالسواد وتوافد الناس وتعالت الأصوات بالندب والبكاء معلنة أن الأب الحزين قد لحق بالزوجة الراحلة .

ومنذ ذلك الحين أقامت سنية بصورة مستمرة فى بيت إنعام وأخذت عيناها تتفتحان على أمور كثيرة غريبة . رأت سامى زوج أختها قد أشهر الحرب على زوجه وساقه إلى ذلك طمعه فى الميراث الضخم الذى خلفه أبوها وأطمعه فيها ضعفها وقلة حيلتها وانفرادها ، فما كان لها من الأقارب إلا عم يقيم فى السودان . وكانت إنعام مضطرة إلى مداراته وإعطائه ما يطلب ، وأسرف فى شرب الخمر وساءت أخلاقه وزاد طلبه للمال ، والمال كماء البحر كلما شرب منه الإنسان زاد عطشه وكانت الزوجة البائسة تسرف فى البكاء والتفكير إسرافها فى منحه المال ، وكانت تشحب وتزداد نحولاً بالرغم من تأكيد الطبيب بأن ضعفها يضر بالجنين الذى كان يتحرك فى أحشائها .

وعلى صدر سنية كانت تنهدات إنعام تترامى فى يأس مرير فتجد لها فى ذلك الصدر الشفوق صدى وبلسما ؛ ولطالما مرَّ الليل أوائله وأواخره على الشقيقتين كبراهما تقول بشجوها وتبكى ، والصغرى تحاول أن تمسح بيد العزاء أحزاناً قاسية حتى إذا أجهدها ذلك فيئست أخذت تبكى فعانقتها أختها وتعانق الدمع فوق خدود لم تخلق للدموع .

وكانت إنعام تزداد نحولا ، وسنية تزداد بغضا لسامى وللرجال على وجه العموم ، وساعد على ذلك أنها لم تكن قد خبرت من الرجال إلا أباها ، وكان على حنانه كثير الانصراف إلى عمله ، وإلا هذا الرجل النذل الذى استغل ضعف امرأتين فأقبل يسرقهما كلما طاب له أن يسرق ، وساء ظنها فى الرجال ، ولم تكن هى الملومة على أية حال .

وتتابعت أمواج الذكريات على خيال سنية وهى ساهدة تفكر وتذكرت كيف أبى القدر إلا أن يكرر المأساة فى هـذه الأسرة للمرة الثانية فى تاريخها القصير، فعندما أنجبت إنعام ضيفاً جديداً فى ذلك المنزل، غادرته هى على الأعناق، وكان هذا المولود فتاة هى عدالات.

* * *

تولى الأستاذ عبد المجيد القلينى المحامى الكهل الشهير، شؤون الوكالة عن سنية وإدارة أملاكها، وكان رجلا أميناً، وزاد من عطفه عليها عرفانه بجمالها وصداقته القديمة الوطيدة لوالدها. وتفرغت هى إلى تربية عدالات والقيام بذلك الواجب المقدس نحو أختها والوفاء بذلك الدين القديم.

إن التاريخ قد أعاد نفسه سريعاً والحنان الذى شربته سنية من يدى إنعام قد عادت تسقيه إلى ابنة إنعام، وأضحت لها هذه الطفلة الجميلة بمثابة الكأس والخمر والحلم والنور الذى أفلت من يد الحزن وكف القدر لكى تعيش على ضوئه ذكريات تلك الشقيقة الراحلة.

وكأن الطفلة كانت قد سرقت من أمها وهى تموت كل جمالها: شعرها الكستنائى وعينيها المعسولتين، وذكاءها الوقاد وروحها الخفيفة ونظراتها الحالمة، وغدت سنية تشرب هذا الحسن فى كأس القبل وتخال أنها تقبل الإبنة والأم معاً.

والشقة التى كانت تسكنها فى أحد البيوت التى تملكها، قد غدت صومعة أقامتها لتتعبد فيها ذكريات إنعام ولتحرق لابنتها حياتها بخوراً وتقضى العمر فى هذه العبادة.

والبسمة البريئة على ثغر عدالات والنظرة الشاكرة فى عينيها واللثغة الساحرة فى شفتيها كانت العزاء الوحيد للحسناء الزاهدة فى متع الحياة.

وكان الأستاذ عبد المجيد المحامى الذى يحضر ليعطيها نصيبها من إيراد الأملاك، وسامى زوج أختها الذى نسى زوجه وتزوج من أخرى والذى يحضر ليرى ابنته حيناً ولكى يقترض منها النقود أحياناً ولم يفكر فى رد ما اقترض ولن يفكر فى ذلك على التحقيق. هذان كانا الرجلين الوحيدين اللذين تطأ أقدامهما هذه الصومعة.

وظل نهر الأيام يجرى وعلى صفحته تسبح سنية وعدالات، وكانت الأخيرة تتفتح كالزهرة وتنمو كالغصن النضير وسنية تظللها وتحنو عليها كالسرحة الزكية وتتعجل الأيام كى تراها عروساً ذات بعل وأماً لأولاد.

وحين بلغت عدالات السادسة عشرة، وانقطعت عن الدراسة أضحت الثياب الأنيقة والعطور الغالية من نصيبها، ولطالما تمنت على خالتها أن تشاركها استعمال العطور أو أن تجاريها فى أناقة الملبس فكانت تبتسم لها وتقول: «لقد كبرت يا بنيتى العزيزة» فتضحك عدالات وتقول: «حقاً، لقد نسيت إنك هرمت وبلغت الثلاثين».

* * *

كان بين سكان «العمارة» التى تسكنها سنية مهندس أعزب يدعى حمدى، يقيم مع أمه العجوز وخادم، ولم تكن سنية قد رأته لأنها كانت قليلة الفضول قليلة الزيارة لجيرانها.

وذات مساء سمع رنين الجرس فى مسكن سنية وفتحت الخادم الباب فوجدت حمدى أمامها يطلب مقابلة «الهانم» باعتبارها المالكة ليشكو إليها سوء أدب البواب فى معاملة والدته المريضة، وترددت سنية هل تسمح له بالدخول أم لا؟ ووجدت من الأذوق أن تستقبله فإنه جارها وهو فيما تعلم رضى الخلق.

ووطأت قدما هذا الرجل الغريب بيت الأنثى الزاهدة ورأت سنية أمامها شاباً طويل القامة قوى الجسم فتان الطلعة جرىء النظرات يناهز الخامسة والثلاثين ويبدو عليه عدم الاكتراث بشىء ما. ومدت يدها تصافحه فضغطها فى كفه الغليظة كأنما يصافح رجلا، وجلس قبل أن تسأله أن يجلس وخلع طربوشه ووضعه على مقعد بجانبه فتهدلت خصلة من شعره الفاحم السبط فوق جبينه الأسمر العريض، ووضع ساقاً فوق أخرى وأشعل سيجارة ونفث دخانها عقداً فى الهواء وبدأ يتكلم، وأخذت سنية تصغى لكلامه ثم تعلقت نظراتها بشفتيه الممتلئتين الحمراوين تلتقيان وتنفرجان وهو يتكلم ولم تعد تنصت إلى الألفاظ أو تتفهمها ولكنها غرقت فى بحار من التيه عميقة وكانت ألفاظه تنساب كأصابع رفيقة تمزق عن ذاكرتها ستار الإهمال والكبت وتعرض عليها أحلام الشباب وتعيد إليها الشعور بتفاهة حياتها وحاجتها إلى الحياة الحافلة المليئة بحنان امرأة وعطف رجل.

وشعرت بالخجل واحمر خداها وخشيت أن يكون قد اطلع على مجرى أفكارها ولكنه كان ما يزال يتكلم وينفث الدخان من أنفه الجميل وفمه الممتلىء بعد أن يكون قد ملأ به صدره العريض وأحست أنها رأته قبل ذلك، من سنين عديدة بل من أجيال عديدة، إن صوته ليس غريباً عنها، وهذه الملامح طالما رسمتها يد

المنى على لوح خيالها . وعادت تنظر إلى شفتيه تنفرجان وتلتقيان وخيل إليها أنهما فى كل انفراجة والتقاء إنما تتهيآن لقبلة أو تفرغان من قبلة . وكبحت جراح نفسها وأنصتت إلى كلامه وسمعته يسألها هل يرضيها ما فعله البواب ، ولم تكن قد فهمت شيئاً مما قال . ولكنها وعدته بأنها ستنزل به العقاب ؛ ونهض قائماً وهو يعتذر من إزعاجه إياها ، ولكنها أكدت له العكس ورجته أن يبلغ تحياتها وأسفها وتمنياتها إلى والدته . فى تلك الليلة لم تنم ، بل عادت بذاكرتها إلى حياتها كلها الفارغة من المتع وظلت تستعيد منظر الشفتين الممتلئتين والعينين اللامعتين الواثقتى النظرة . إن عينيه تلقيان بذور الهناءة فى حقل عمرها الأجرد ، وشفتيه ترسمان بحركتهما السريعة خطوط حياة راقصة سعيدة تتمناها . لماذا ولدت ولماذا تعيش ؟ لقد طالما حيرها هذا السؤال فكانت تجيب بأنها تعيش لعدالات . أما الآن فقد اهتدت إلى الجواب الصحيح . لقد قرأته فى عينيه وسمعته فى رنين ألفاظه ، إنها خلقت له وإن حياتها وجدت لكى ترتبط بحياته .

واندفعت إلى خاطرها صور كثيرة ، إن نظراته إليها كانت أكثر من مجرد نظرات ، كان فيها توسل وأمر ، وطاعة وعصيان ، ومنى وأمل ، وفيها دليل هوى ونجوى غرام . وسألت نفسها هل يتزوجها ، وضغطت قلبها أصابع الفرح حين طاف به هذا السؤال وأجابتها نفسها : ولم لا ؟ لعله لم يحضر إلا ليراك ، وقد اتخذ من قصة البواب ذريعة لذلك . تذكرى نظراته وابتسامته وضغطه يده على يدك وعادت تتساءل « وهل أرضى به » فأجابتها نفسها « نعم ، أتظلين عانساً طول العمر ؟ أم هل تظنين أن كل الرجال أدنياء كسامى زوج إنعام . أما تتوقين إلى رؤية أطفال لك يملأون بيتك بهجة . « ولكن أهذا هو الحب من أول نظرة » فوجمت نفسها قليلا وأجابت « نعم . بل كلا . هذا ليس حبا . إنه اللهفة التى تغمر الظمآن إذا أشرف على النبع الفرات ، والنشوة التى تعمر قلب الضارب فى الصحراء إذا اهتدى إلى الواحة ، والراحة التى تفيض على الساهد إذا أوشك الكرى أن يغمض جفنيه . « وعدالات ما يكون شعورها إذا تزوجت ؟ » وللمرة الأولى تغيرت نظرتها إلى عدالات . لماذا تحطم هى حياتها لكى تسعد عدالات ؟ إن إنعام لم تظل عانساً وهى تربيها ، فلماذا تبقى هى عانساً من أجل ابنة إنعام ؟ يكفى عدالات ما رأت من حنان ، ويكفيها أنها ستظل لها كما كانت دائما ولكنها لن تحرم نفسها ليشبع الآخرون ، ولن تكون الشمعة التى تحترق وعلى نورها تنصب العناكب شباكها وفى نارها تموت الفراشات الراقصة . وأغمضت عينيها ونامت ورأت نفسها فى المنام تزف إلى حمدى .

* * *

وتكررت زيارات حمدى تصحبه والدته ، فتجلس الجميع ومعهم عدالات يسمرون ويتحدثون . وأخذت سنية تبالغ فى التأنق وامتلأت ثقة بنفسها فتوردت وجنتاها وزاد نشاطها والتماع عينيها الجميلتين وطفقت تلقى على حمدى نظراتها الحنون وتوسد نظراته إليها أجفاناً ذابلة يقظة . وكأنت تتلقى ضغطة يده على كفها كأنها تأكيد لعهدهما وميثاق أبدى .

وفى ذات أصيل جاءت أم حمدى بمفردها وحيت وقالت : إن حمدى يسره أن يصاهر أسرتها الكريمة . فتوردت وجنتا سنية وخفق قلبها وكادت تثب من الفرحة الكبرى التى غمرت كيانها وواصلت أم حمدى الحديث قائلة «وهو لذلك يطلب يد عدالات» .

ووجمت سنية وأصابها تبلد غريب ، ولأول مرة أحست أن عدالات الطفلة النادرة قد أصبحت مزاحمة خطيرة . وعجبت من نفسها كيف قابلت النبأ بهدوء ، وكيف ودعت الضيفة فى ثبات ووعدتها وعداً جميلا بعد أن تخاطب أبا عدالات فى الأمر . وعادت إلى غرفتها وسبحت فى يأس مرير . إنها تمنت أن تعيش بين يديه فكيف فرمنها إلى طفلتها الصغيرة ؟ أتكون عدالات زوجة أفضل منها وهى الفتاة الطائشة الرعناء وكبحت جماح غيرتها العنيفة أن شقيقتها إنعام قد أطلت من وراء الغيب تتسألها الرفق بابنتها وتنهدت سنية وملأ رأسها عزم جديد .

« لقد تمنيت أن أرى أولاده منى ، وقد استجاب الله نصف الأمنية . إن أبناءه من عدالات سيكونون أبنائى ، وسأشرف على تربيتهم كما أشرفت على تربية أمهم »

« ما الذى تغير فى حياتى ؟ سأعيش بقربه ، وسأراه دائماً ، وسأحنو عليه حنوى على عدالات . إن الحجر الصغير الذى ألقى فى نهر حياتى الهادى ، قد انداحت له الدوائر ، ولكن سطحه سرعان ما عاد إلى هدوئه وسيظل يجرى فى الصحراء التى قدر له أن يجرى فيها حتى المصب » . « لقد عشت شبابى زاهدة ، وكثيرات غيرى قد فررن من مثل هذا الألم إلى الدير ، فلم لا أصبح راهبة بلا دير ؟ »

(إسكندرية) **إدوار حنا سعد**

محكمة ميت غمر الأهلية

إعلان بيع . نشرة ثانية فى القضية المدنية ن ١١٢٧ سنة ١٩٤٥

فى يوم الاثنين ٣ سبتمبر سنة ١٩٤٥ من الساعة ٨ أفرنكى بسراى محكمة ميت غمر الأهلية سيباع بطريق المزاد العلنى العقار الآتى بيانه ملك إبراهيم السباعى عباس من بشلا مركز ميت غمر دقهلية وفاء لمبلغ ٢٠ و ٧٦٤٠ قرشاً صاغ وما يستجد من المصاريف بثمن أساسى قدره ٢٠ جنيه مصرى بخلاف ما يستجد من المصاريف وقدرها ٦ جـ و ٢٠٠ مليم

وهذا البيع بناء على طلب الشيخ إسماعيل محمد وحسن من بشلا مركز ميت غمر وتنفاذا لحكم نزع الملكية الصادر من هذه المحكمة بتاريخ ١٣ ابريل سنة ١٩٤٥ ومسجل بمحكمة المنصورة الكلية الأهلية بتاريخ ١٨ ـ ٤ ـ ١٩٤٥ ن ١٨٥ جزء ٨٤ . وهذا بيان العقار الكائن بزمام بشلا مركز ميت غمر ٤٠ دار السياحة ش ٣ ص ١٧٤ على الشيوع فى منزل مسطحة ٨٩ متر مربع بزمام بشلا مركز ميت غمر يحد من بحرى محمود سعيد سليمان وشرق أحمد لطف الله وقبلى شارع خصوصى وغربى شارع وفيه الباب ٤٠ متر فقط أربعون متراً لاغير على الشيوع فى المنزل السالف الذكر

فعلى راغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان المحددين أعلاه وشروط البيع وجميع الأوراق مودعة بملف القضية لمن يريد الإطلاع

كاتب البيوع

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦٣٢ – الاثنين ١٣ أغسطس ١٩٤٥ – السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

١٣ • ٢٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 632

Lundi - 13 - 8 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٣٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٦٣٢ « القاهرة فى يوم الإثنين ٥ رمضان سنة ١٣٦٤ — ١٣ أغسطس سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

روسـيا والشرق

فى السياسة الدولية

للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

إن لآسية شأناً عظيما فى حياة أوربة التى تنتفع بثروات هذه القارة وتعرف قيمتها ؛ ولذا كثرت مسائل الشرق الأدنى والشرق الأوسط وتشابكت ، وأصبح فهمها على حقائقها وإدراك أخطارها يوجبان النظر فى أصلها القديم وفى ما يؤثر فيها من عوامل لمنافع الدول المستعمرة المختلفة ومصالحها ومطامعها وتنافسها ، وفى تعارض مساعى هذه الدول أو توافقها فى مواقف السياسة الدولية تبعاً للأحوال والضرورات

فما يقع فى هذين الشرقين من الحوادث السياسية ليس يتبين على حقيقته كلها للنظر السطحى فى صورته الظاهرة المزخرفة بألوان من الدعايات ومن وحى الأغراض أو الأهواء أو المحازبات أو المسايرات . ولا بد لمعرفة الحقيقة المنشودة من تأمل هذه الحوادث فى ضوء ينشره عليها البحث فى الدوافع الطبيعية وفى تنافس المستعمرين ومصالحهم الأساسية

يزحف الأسيويون إلى الغرب والغربيون إلى الشرق من القدم . ولهذا التزاحف أسباب طبيعية وفطرية ، ودواع من مصالح أساسية حيوية وراء العلل الظاهرة والحجج السياسية .

ومن هذه الأسباب والدواعى والعلل نشأ ما سموه مسألة الشرق . ويمكن رد نشأتها إلى العصر العهيد الذى وقعت فيه حرب طروادة ، وقد اختلفت أوضاعها فى مجرى التاريخ ، وهى من أجل مسائل السياسة الدولية شأناً منذ فتح العثمانيون قسطنطينية عام ١٤٥٣ . وكان موضوع المسألة فى ذلك العهد دفع العثمانيين عن أرض أوربة إلى آسية ، فلما بدأ ضعف امبراطوريتهم صار موضوع المسألة : لمن يكون إرث استنبول العظيم ؟

أهمت مسألة الشرق فى أول الأمر دول النمسا وروسيا والفاتكان، ثم أخذت من صدر القرن التاسع عشر تهم فرنسا وانجلترا رأساً ، فقد قوى موقف النمسا أمام العثمانيين فى الثلث الأول من القرن الثامن عشر ، ونالت منهم روسيا فى ذلك القرن منافع كبيرات ، فصار موضوع المسألة : هل تحفظ أوربة كيان الدولة العثمانية أو تتركها للتهديم ؟ لأن التهديم معناه الانتهاب وطغيان المنتهب وسيادته ، أو خطر الاختلاف فى الاقتسام . وقد عظم شأن هذا الأساس من المسألة بالتضاد الدائم بين الترك والعناصر المسيحية البلقانية التى كانت خاضعة لحكمهم ثم حررت تباعاً ، وبالنزعة الروسية إلى الاستيلاء على استنبول

فمن المأثور عند الروس ما يجعل لهم هذه النزعة المزمنة إلى الاستيلاء على استنبول ، وأقدم حججهم فى ذلك أن بوزنطة آلت إليهم بالإرث ، وأن روسيا الأرثوذكسية هى حامية الأرثوذكس: لأن إفان الثالث غراندوق روسيا [1] تزوج عام ١٤٧٢ الأميرة

(١) أما لقب قيصر ، فان أول من اتخذه فى روسيا إفان الرابع

سوفى بليلوج ابنة أخى قسطنطين آخر أباطرة قسطنطينية العاصمة الأرثوذكسية ؛ ولما تزوج إفان هذه الأميرة ادّعى للساعة أنه وارث هؤلاء الأباطرة ، واتخذ النسر ذا الرأسين شعاراً له ، وأعلن أنه سينتقم من الترك للأرثوذكسية ، وبهذه الصورة بدت مسألة الشرق المشهورة فى صدر التاريخ الحديث . والحقيقة أن استنبول فى موقعها الجميل وصلة كبيرة الشأن بين أوربة وآسية ، وإن من أكبر مصالح روسيا الوصول إلى البحر المتوسط ، لأن منافذها الشمالية إلى البحار تجمُد ثمانية أشهر فى العام . ولكن الدول الغربية ، وخصوصاً انجلترا حالت دون وصول الروس إلى استنبول والبحر المتوسط . والسبب هو أن زحف دولة كروسيا فى البلقان وامتلاكها مفتاح هذا البحر يردّانها دولة بحرية ويزيدان شوكتها وسيادتها ، وقد تتوغل بعد ذلك فى الأنضول ووادى الفرات . وتصل إلى الخليج الفارسى ، وفى هذا كله خطر على الهند وشرق البحر المتوسط ، وطرق الامبراطورية البريطانية

وقد طرحت مسألة الشرق مراراً من أوائل القرن السابق ، وخفف من خطرها تقرير الدول مبدأ حفظ كيان الامبراطورية العثمانية وقيام دويلات البلقان حواجز بين النمسا وروسيا وتركيا . لكن المسألة لم يزل خطرها ، بل ظل كامناً يبدو بين حين وحين

ولما هزمت الدولة العثمانية فى الحرب الكبيرة الماضية ، واحتلت انجلترا مع حلفائها استنبول انعكس وضع المسألة : إذ لم يبق الغرض إخراج الترك من أوربة ، بل عاد إبقاؤهم فيها لصيانة حرية المضايق تحت حكمهم — مع بعض الضمان منهم — ومنعاً لدولة عظيمة أن تتسلط ، مباشرة أو بوساطة ، على العالم بأسره

من ذلك الماضى تسلسلت مسألتا تراقية وأرمينية ، ومسائل سورية وغيرها من بلاد الشرقين الأدنى والأوسط

وحقيق بالذكر ههنا أن مسألة الشرق جاوزت حدود أوضاعها المتقدم بيانها ، إذ « كانت منذ انتهاء القرن الثامن عشر كأنها مسألة اقتسام الدول الأوربية لآسية واستعمارهذه القارة ؛ فصارت بعد قهر اليابان لروسيا عام ١٩٠٥ مسألة ثورة آسية على سادتها الأوربيين . فلم يكن الشأن هزم اليابانيين للروسيين ، أو كسر دولة لدولة ، بل كان شيئاً عظيما غريباً هو انتصار عالم على عالم آخر، وثأرا بالإذلال الذى أريدت آسية أجيالا مديدة على احتماله ، وأول أمل الشعوب الشرقية » . وقد أفاضت الصحف اليابانية يومئذ كلامها فى هذا المعنى حتى قالت إحداها : « كان المسلم به حتى الأمس القريب أن مسألة الشرق يجب ألا يحلها سوى الأوربيين أو الأمريكيين ، ونحن نعرف من الآن فصاعداً أن اليابان يحلها والأوربيون والأمريكيون ملازمون المقام الثانى »

ذهبت الدول فى الاستعمار إلى البلاد النائية . أما روسيا ، فإن محلها الجغرافى جعلها تستعمر ما يجاورها متدرجة من بلاد جار إلى بلاد جارة ، متجهة بحسب تقاليدها إلى الشرق الأسيوى وإلى الجنوب ، ولم يعترض هذا التوسع عائق ذو شأن جدى حتى أوائل القرن التاسع عشر

كان الذى يهم امبراطورية القياصرة ، قبل كل شىء ، هو الزحف التقليدى إلى قسطنطينية ، وكان يبدو أن انتصاراتها على العثمانيين تضمن لها الفوز فى نهاية الأمر بتركة الرجل المريض[1]، فظنت روسيا بعيد منتصف القرن الماضى أن الفرصة سانحة وأثارت حرب القرم ، لكن انجلترا وفرنسا اعترضتا لها ، فتقهقرت وانقطع عليها أحد سبيليها القديمين

ذلك سبب الجهود المتواصلة التى بذلتها روسيا فى دعم سيادتها نهائياً على آسية الوسطى القريبة من الهند ، لتحتفز وتتوثب على عدوتها انجلترا ، وفى توطيد سلطانها على القوقاز القريب من آسية التركية ليقصر طريق غزوها . ولما خابت الجامعة الصقلبية فى البلقان اتجه الاستعمار الروسى إلى إيجاد جامعة أسيوية ليعتز بوحدة من القوميات ، ثم ترددت روسيا بين أن تفتح نوافذها فتحاً تاماً على أوربة وأن تتوغل فى آسية ، وعالجت أن تقوم بالأمرين ، فصادفت فى زحفها إلى الشرق الأقصى خصما جديداً هو اليابان ، على حين أخذت المنافسة الإنجليزية الروسية فى الهدوء ، حتى سكنت بعد انتصار اليابان على الروس ، فجاءت معاهدة عام ١٩٠٧ التى قسمت إيران ثلاث مناطق : واحدة شمالية للنفوذ الروسى ، وأخرى جنوبية للنفوذ الإنجليزى ، والثالثة حيادية فاصلة بينهما ، والنفط فى كل منهما ، وكان ذلك تأميناً لحدود الهند واستعداداً لمواجهة الألمان قبل الحرب الكبيرة الماضية التى جاء بنذرها منطق الحوادث الدولية ، ثم دخلت روسيا تلك الحرب إلى جانب الحلفاء لقمع الجرمان

وقد ورد فى مذكرات السير بكنان سفير انجلترا فى روسيا يومئذ أن الملك جورج الخامس قال فى ١٢ نوفمبر عام ١٩١٤

(١) الرجل المريض استعارة عنى بها اسكندر الثانى الدولة العثمانية المستضعفة

للكونت بركندورف السفير الروسي : « يجب أن تكون استنبول لكم » Constantinople must be yours ، وإنه على رفاق مع وزرائه في ذلك

وهذه كلمة توافق حلم الروس الدائم ، وتشجعهم وتقوى ثقتهم بحلفائهم ، وكان الإنجليز قد عزموا على اقتسام الامبراطورية العثمانية والحصول منها على نصيب الأسد بسبب انضمامها إلى الألمان في الحرب ونفوذ هؤلاء فيها وبينهم في بلاد الرافدين التي تغنيهم إن هم استعمروها وتدنيهم من الخليج الفارسي والهند ، فوافق الإنجليز على تحقيق أمنية الروس ، وشرطوا لذلك إنشاء دولة عربية إسلامية كبيرة ، أو جامعة دول عربية إسلامية يقيمونها في الشرق الأدنى صيانة بمعاونتهم للطرق إلى الهند وسداً ، في زعمهم ، أمام الترك على حين يعترض الروس باستنبول في طريق زحف الألمان إلى الشرق العربي ، بل سداً أمام الروس أنفسهم في حقيقة الأمر ، لأن ذلك الاقتسام يحصر الترك في منطقة على البحر الأسود تحدق بها أنصبة المقتسمين

لكن حدث في فبراير عام ١٩١٥ أن تردد في لندن وباريس كلام في صلح منفصل مع تركيا ، وقيل في الدوائر المياله للجرمان في بتروجراد بشأن مشروع حملة الدردنيل أن الغرض منها إنما هو التفادي من وقوع المضايق في قبضة روسيا ، فرابها ذلك كله ، وزاد ارتيابها أن فنزيلوس عرض على انجلترا وفرنسا استعداد اليونان للمعاونة في الحملة ، فأخبر سزانوف وزير خارجية روسيا السير بكنان بأنها تعارض في قبول العون اليوناني ، وأبلغ الملك قسطنطين أن روسيا لا تسمح في أية حال بدخوله استنبول على رأس جيشه ، وعرفت ألمانيا هذه الأمور فعرضت على روسيا صلحاً منفصلا مقابل إعطائها استنبول والمضايق — كأن هذه المنطقة الحيوية ليست ملك الدولة العثمانية المحاربة في جانب الألمان .

أصبح الحلف الثلاثي حينئذ في خطر حقيقي حتى أن الأمير تروبتسكي قال لسزانوف : « يجب أن نملك المضايق ، فإذا أمكن أن نحصل عليها مع انجلترا وفرنسا ضد ألمانيا ، فهذا حسن ، وإلا كان الأجدر أن نقبلها من ألمانيا ضدهما » ؛ ولذا طلبت روسيا إتمام الاتفاق مع حليفتيها على اقتسام الامبراطورية العثمانية طبقاً للأسس التي كانوا ارتضوها باتفاقات ومذكرات دبلوماسية متبادلة بينهم ؛ وأكدت أن كل حل للمسائل المتعلقة بالاقتسام سيكون مزعزعاً إن لم يدخل في نصيب روسيا : استنبول وضفة البسفور الأوربية وبحر مرمرة والدردنيل وتراقيا الجنوبية إلى خط يمتد في شمالها بين إينوس وميديا ؛ وكذلك جزء من الضفة الأسيوية بين البسفور ونهر سقاريا وموقع يعين بعد خارج الدردنيل ؛ ثم جزر بحر مرمرة وجزيرتا إمبروس وتنيدوس ، إذ لا غناء لروسيا في زعمها عن هذا كله من الجهة الاستراتيجية

قبل كل من انجلترا وفرنسا إتمام الاتفاق ورفضتا العون اليوناني في حملة الدردنيل التي أخفقت في النهاية

ثم سلم كل من الدولتين ، بعد المفاوضة ، بسائر طلبات روسيا أمام خطر التطور في الرأي الروسي بسبب خيبة الأمل في بتروجراد لإخفاق جميع المحاولات الإنجليزية الفرنسية في الدردنيل .

وقد أظهر الروس غيظهم من توقع الجلاء عن شبه جزيرة غاليبولي ، وسمع في بعض البيئات الروسية تلميح إلى أن الجيوش المسكوفية سوف لا تجلي بعد الحرب عن الأراضي التي كانت تتأهب يومئذ لغزوها في أرمينية وجهة الموصل ، وهي من بلاد البترول

ومما شرطته روسيا في اتفاقاتها مع حليفتيها أن تضم مناطق ارضروم وفان وبتليس ، حتى أردو على شاطئ البحر الأسود غربي طرابزون ؛ وتضم قسما من أرمينية وقسما من كردستان .

هذا ، وفي ٨ مارس عام ١٩١٤ صرح نقولا الثاني وسزانوف لموريس بمبار سفير فرنسا بأن روسيا تترك لها حرية التصرف في سورية وقيلقية ؛ ولكنها لا تترك أبداً لدولة غير أرثوذكسية أن تجعل تحت حمايتها القدس والجليل والأردن وبحيرة طبرية

وقد تم اقتسام الامبراطورية العثمانيـة بين الحلفاء في ثلاثة أعوام هي ١٩١٥و١٦و١٧ ، ولم يتركوا لتركيا غير أرض شكلها شبه منحرف رؤوس زواياه أردو على البحر وسيواس وافيون قره حصار وبرصة ، ومنه قوس تمتد حول ركن البسفور ، ولولا الثورة الروسية ، ثم الثورة الكمالية ، لنفذت الاتفاقات التي تضمنت هذا الاقتسام . ولقد أسفت انجلترا لتركها استنبول لروسيا ساعة الخطر ، لكن حكومة الثورة الروسية أرضت انجلترا إذ وعدتها بالعدول عن طلب استنبول

***

بعد الثورة الروسية أصبحت السلطة كلها في يد حزب واحد يتولاها لنفعه ، وكانت من قبل بيد طبقة تباشرها في سبيل مصلحتها . أما الحرية ، فلم تكسب شيئاً ولم تخسر شيئاً في روسيا بانتقالها من القيصرية إلى الشيوعية ، وقد اتجهت سياسة التوسع

الروسية إلى البحث عن الأربح للاتحاد السفيتي من الأسواق في اذخار المواد الأولية وترويج مصنوعات بلاده

بحث الاتحاد عن هذه الأسواق في آسية وفي أوربة ، نجزء ذلك إلى إخفاء دعايته السياسية الشيوعية . وإلى الوقوف في العلاقات الدولية موقف دولة كالدول الأخر قدرة على تدبير شؤونها تدبيراً برجوازياً . ولقد أهمل الشيوعيون عدداً من مثلهم العليا التي أحدثوا ثورتهم باسمها ، ومن أعلى ما أهملوا المبدأ المسالم المضاد للنظم العسكرية والمبدأ المجد لاشتراكية دولية على حساب الوطنية . وروسيا اليوم أكثر الدول اعتماداً في نظامها السياسي على الجيش . وحكامها الشيوعيون محتفظون بما كان للقياصرة من أقوى روح وطني في العالم

ومن أقوى أسباب التطور السفيتي خيفة الحرب مع ألمانيا واليابان التي انتهزت فرصة ضعف روسيا العسكري بعد ثورتها وقبل استعدادها ، فغزت مندشوريا شيئاً فشيئاً ، وهذه داخلة كالوتد بين ثغر فلادفستوك وشرق منطقة بايكال ، ثم أعلنت اليابان استقلال مندشوكو وأرغمت موسكو على الاعتراف به ، وهدد تقدم اليابان منغوليا التي يحميها السوفيت ، حتى توترت العلاقات بين الدولتين عام ١٩٣٤ ، وبدا أن نشوب الحرب بينهما كرة ثانية وشيك . لكن الاتحاد سلم مرة أخرى وترك اليابان تعمل ما تشاء في مندشوريا ، على أنه أنشأ جيشاً خاصاً للشرق الأقصى وقاعدة جوية قوية في فلادفستوك يقي بهما ولايته البحرية القصية من طمع اليابان

عاد الاتحاد السفيتي في ميدانه الأسيوي إلى العمل بالمأثور عند الروس ، فشابه حكومة روسيا القيصرية المقدسة في أمانيها وطمعها بإيجاد جامعة أسيوية تتحد فيها الشعوب الصقلبية والشرقية لتصبح مجموعاً عظيما أوربيا أسيوياً سمى أوراسيا Eurasie

وقد قال لنين في مؤتمر الشعوب الصقلبية والشرقية الذي عقده في باكو عام ١٩٢٠ : « إنكم بالشرق تبلغون الغرض من الغرض »

وجملة القول أن الاتحاد السفيتي الوارث لمذهب آل رومانوف السلطي قد استأنف الزحف إلى الشرق والتصوب إلى الجنوب منتظراً أن تمكنه الأحوال من العودة إلى محاولة نشر الشيوعية في العالم

لقد وصل الاتحاد إلى برلين واحتل جزءاً عظيما من أوربة ، وإن أتيح له الاستيلاء على استنبول وما حولها ، فقد يحاول الزحف إلى العراق ومصر والهند ، لكنه كمن سبقه يحتك في الشرق والجنوب بمنافسين وخصوم لم تخمد حماستهم ، والجامعة الأسيوية السفيتية تتهيأ إذن للهجوم أو لصد هجمات عنيفة

فهل يواجه الاتحاد خصومه في آن معاً ، أو يساوم كل خصم في الاستعانة ببعضهم على بعض ، أو يؤثر التسويات مؤقتاً مسترسلا في سياسة فتح الأسواق وادخار المواد ريثما يستجمع له الأمر لقهر الغرب بالشرق والشرق بالغرب ؟ وما ذا تهيئ له الأقدار ؟ أخيراً أم شراً ؟

ويأمل أناس كثيرين أن يجمع الأقطاب في بتسدام على أساليب عملية ينفذون بها النظام الموضوع في سان فرنسيسكو ، ولكن هذا الإجماع معلق بالطبع على التوفيق أولا بين مصالح دولهم الحيوية . ومثل هذا التوفيق ، إذا تيسر ، إنما يكون اقتساماً للبلاد يقال أن شعوبها سينعم عيشهم في ظله ، وتسعدهم سياسة الجوار الحسن التي ابتدعتها أمريكا بديلا من الامبراطورية ، فتتعاقب أجيال الإنسانية سامية في بلهنية إلى ذروة مثلها الأعلى من السلام الأبدي إن شاء الله !

محمد توحيد السلحدار

الفلسفة الاسلامية المتأخرة

للدكتور جواد على

— ١ —

يختتم أكثر المستشرقين بحوثهم عن الفلسفة الإسلامية بفلسفة المؤرخ والفيلسوف العربى ابن خلدون (١) ، كما فعل المستشرق دى بور « de Boer » فى كتابه « تاريخ الفلسفة فى الإسلام (٢) » وهو كتاب سلس سهل بسيط لا يوجد مثله فى البساطة والسهولة فى اللغات الأوربية (٣) . وكما فعل أغلب من بحث فى هذا الموضوع إذا ما استثنينا كتاب المستشرق ماكس هورتن « Max Horten » عن « الفلسفة فى الإسلام » وهو كتاب لا يستعرض الفلسفة الإسلامية عرضاً تأريخياً بل يتتبع الترتيب الفلسفى، ويعالج المواضيع معالجة خاصة لا تخلو من نواقص وهفوات (٤) .

على أن هنالك طائفة غير يسيرة من الفلاسفة ظهرت بعد ابن خلدون تركت تراثاً فلسفياً مهماً وآثاراً خالدة فى عالم الحكمة نبعت فى أرض الشرق الأدنى ، وفى القرن الحادى عشر الهجرى وما بعد كونت جيلاً خاصاً عليه طابع فلسفى خاص .

وفى طليعة أسماء رجال هذا الجيل عربى سورى من جبل عامل هو الشيخ محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثى الجباعى العاملى المعروف « بالشيخ البهائى »(٥) « المتوفى عام ١٠٣٠ للهجرة و ١٦٢٢ للميلاد »(١) والمير باقر الداماد « المتوفى سنة ١٠٤١ للهجرة و ١٦٣١ — ١٦٣٢ للميلاد » والحكيم الشهير الملا صدرا « المتوفى سنة ١٠٥٠ للهجرة و ١٦٤٠ — ١٦٤١ للميلاد » والملا محسن فيضى « المتوفى حوالى سنة ١٠٩١ للهجرة ١٦٨٠ للميلاد » والملا عبد الرزاق اللاهيجى والحاج ملا هادى السبزوادى « المتوفى سنة ١٢٩٥ للهجرة و ١٨٧٨ للميلاد »(٢) .

وتغلب على فلسفة هذا الجيل الفلسفة الإشراقية الصوفية ، ولذلك عدهم العلماء فى عداد الفلاسفة الصوفيين الذين جمعوا بين الرياضة والمجاهدة وبين الحكمة الإشراقية التى ينسبها المسلمون عادة حين ينسبون هذه الفلسفة إلى أفلاطون(٣)

والإشراقيون هم أتباع المذهب القائل بحكمة الإشراق من تلاميذ المتصوف الإسلامى الشهير السهروردى المقتول عام ١١٩١ للميلاد ؛ غير أن الفلسفة الإشراقية تسبق عهد السهروردى بزمن طويل(٤) . وهذه الفلسفة « هى فلسفة روحانية لها فى نظرية المعرفة مذهب صوفى وتعبر عن الله وعالم العقول بالنور . والمعرفة الإنسانية فى هذا المذهب عبارة عن إلهام من العالم الأعلى يصلنا بواسطة عقول الأفلاك . وأكبر أصحاب هذا المذهب هم : هرمس وأجاثوديمن وانبدوقليس وفيثاغورس وغيرهم . ولأفلاطون صلة بهذا المذهب أكثر من صلة أرسطو به . وهؤلاء الفلاسفة يوصفون غالباً بأنهم أنبياء أو حكماء ملهمون . وقد تأثرت الفلسفة الإسلامية بهذا المذهب منذ نشأتها إلى وقتنا الحاضر تأثراً كبيراً . وأتباع مذهب المشائين فى الإسلام متأثرون بالفلسفة الإشراقية بعض الشىء . وربما كان أقلهم تأثراً بها الفيلسوف ابن رشد »(٥) .

نبغ رجال هذا الجيل فى عهد الدولة الصفوية . والدولة الصفوية دولة قامت على أسس صوفية ؛ ولذلك راج التصوف فى هذا العهد رواجاً عظيما واكتسب صبغة رسمية ! فلا عجب أن رأينا

---

(١) ولد ولى الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون بتونس عام ٧٣٢ للهجرة ١٣٣٢ للميلاد وتوفى بالقاهرة سنة ٨٠٨ للهجرة ١٤٠٦ للميلاد .

(٢) راجع De Boer - History of Philosopfy in Jslam ترجمه إلى الأنجليزية E. R. iones ونقله إلى العربية محمد عبد الهادى أبو ريده وطبعه سنة ١٩٣٨ بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

(٣) راجع Brown-A. Literary History of Persia Vole. 4 1928 P, 425 .

(٤) راجع Phlosophy of islam max Harten

(٥) عن العاملى راجع روضات الجنات ج ٤ ص ٥٢٢ وفى Brown literary history ef Persia. Vol. 4 P, 425. Sir John Malcolm History of Persia ed 1815 Vol 1 PP, 559 - 9.

(١) نفس المصادر أيضاً كتاب عالم أراى عباسى فى بحث شاه عباس .

(٢) Brown Vol 4 PP, 425 .

(٣) عن الحكمة الشرقية راجع كتب ماكس هورتن عن السهروردى وعن الشيرازى وكذلك بحث Carra de Vaux فى المجلة الأسيوية المجموعة التاسعة ج ١٩ (١٩٠٢) ص ٦٣ .

(٤) راجع كتبه وتراجمه فى طبقات الصوفية .

(٥) نقلا عن دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية) ص ٢١٢ عدد ٣ مجلد ٢ .

فلاسفة هذا العهد فلاسفة صوفيين يأخذون بطريقة الإشراقيين ويروّجون الفلسفة الإشراقية التي هي أقرب فلسفة إلى مذاق وعقول المتصوفين[(١)] .

أما أولئك الذين حملوا البذرة الأولى للحركة العلمية والفلسفية إلى هذه الدولة فقد كانوا من العلماء العرب من سوريا ومن العراق ومن البحرين لاقوا ترحاباً والحكومة في حاجة إلى أنصار يؤيدون حركتها ووجدوا تشجيعاً في كل مكان ومقام . وكان على رأس من هاجر من سوريا إلى إيران الشيخ الحسين بن عبد الصمد بن شمس الدين العاملي الحارثي من قبيلة بني همدان . هاجر على عهد الشاه طهماسب الصفوي فأسند إليه منصب «شيخ الإسلام»[(٢)] والشيخ زين الدين علي العاملي المعروف بعنشار[(٣)] وكان على رأس من جاء من البحرين الشيخ ماجد البحراني المشهور في علم الحديث والفقه[(٤)] .

درس على أيدي هؤلاء العلماء جماعة من المهاجرين العرب ، ومن الوطنيين الفرس . وانتشرت بفضل هؤلاء الكتب العربية وتوسعت حركة التأليف بلغة القرآن . وظهرت طبقة فاقت مشائخها في العلم والشهرة على رأسها الشيخ بهاء الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد العالم السوري المعروف المتوفى سنة ١٠٣١ للهجرة[(٥)] . ورث هذا العالم من أبيه الميل إلى التصوف والرياضة حتى عد في قائمة المتصوفين . ونبغ في العلوم الشرعية وفي الفروع الفلسفية على الأخص[(٦)] . وكتب في المعارف الإنسانية التي كانت شائعة في ذلك الوقت فهو دائرة معارف عامة جمعت كل فن وموضوع .

والبهائي صاحب الكشكول وإن كان حكيماً ومتصوفاً إلا أنه لم ينصرف إلى معالجة الفلسفة وقضايا التصوف انصرافاً كلياً بل عالج المسائل معالجة « الأنسكلوبيدى » الذي يهتم بكل شيء ويبحث عن كل شيء . لم يفعل ذلك في معالجة القضايا الفلسفية والمسائل الصوفية فقط، بل كان ذلك شأنه في كل المواضيع تقريباً « ولذلك كانت كل طائفة من طوائف المسلمين تنسبه إليها »[(١)] « تراه يعظم كثيراً من الصوفية الأغوياء والملاحدة الأشقياء في جملة من مؤلفاته »[(٢)] مثل مدحه الحسين بن منصور الحلاج وجماعة من المتصوفة الذين تحوم حولهم الشبه . وهذا ما جعل بعض المتعصبين المحافظين أمثال المحدث الشيخ عبد الله ابن صالح البحراني والعلامة المجلسي وفيض الله التفرشي وأمثالهم يضعّفونه في كتبهم ولا يأخذون بروايته[(٣)] . ويغمزون في بعض ميوله ولا سيما في ميوله إلى المتصوفة والتصوف[(٤)] . على أن الرجل ثقة جليل القدر ولا يشك في وثوقه أكثر العلماء[(٥)] .

أما المير محمد باقر الاسترآبادي المعروف بالداماد وهو لقب ورثه من أبيه السيد محمد الذي تزوج من ابنة العالم العربي السوري الشيخ علي بن عبد العال الكركي فعرف به ومعناه « الصهر » فهو فيلسوف عميق التفكير قوي العقل تدل أبحاثه في كتابه « القبسات »[(٦)] على علم غزير في الحكمة والفلسفة ومواضيع علم الكلام[(٧)] .

أما فلسفته فهي فلسفة إشراقية وقد عرف لذلك «بالإشراق» أو « الإشراق » وأما أشعاره فهي مشرقة الديباجة مسبوكة

---

(١) عن الفلسفة الاشراقية راجع كشاف اصطلاحات الفنون الشيخ محمد علي التهانوي في Bibliothic Indica nr 88. 1854 A. Spreoger Dictionary of the Tecbnical Terms Vol 1. P, 371.

(٢) روضات الجنات ج ١ ص ١٩٤ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) روضات الجنات ج ١ ص ١١٥ .

(٥) راجع عنه روضات الجنات ج ٤ ص ٥٢٣ وما بعد .
Dwight Donaldson The Shi'ite Religion London 1933 P 300
Brown A Litarary History of Persia Vol 4 P, 424 Sir Jobu malcslm Histoy of Persia Vol 1 PP, 558 - 559.
عن كتبه راجع روضات الجنات ج ٤ ص ٥٣٢ وبراون طبع بطهران سنة ١٣٢١ .

(٦) الكشكول طبع بمصر سنة ١٣٠٥ ولكن حذفت منه الأشعار الفارسية .

---

(١) راجع روضات الجنات ج ٤ ص ٥٢٣ وهذا القول يمثل وجهة نظر بعض الأشخاص وقد ذكرها مؤلف كتاب روضات الجنات .

(٢) كذلك نفس المصدر .

(٣) كذلك .

(٤) كذلك أيضاً Brown Vol 4 P, 424 .

(٥) روضات الجنات ج ٤ ص ٥٣٥ . راجع رجال التفرشي .

(٦) راجع كتابه وقد طبع بطهران سنة ١٣١٤ طبعة حجرية وقد تم تأليفه في عام ١٠٣٤ للهجرة سنة ١٦٢٥ للميلاد راجع أيضاً الكنتوري ص ٢٢ و ٥٩ روضات ج ١ ص ١١٦ .

(٧) Brown Vol 4 P, 428 عن كتبه راجع روضات الجنات ص ٣٣١ أيضاً المقال الذي كتبه أبو عبد الله الزنجاني في مجلة المجمع العربي سنة ١٩٢٩ المجلد التاسع ج ١١ — ١٢ ص ٦٦١ وما بعد بعنوان صدر الدين الشيرازي .

الأسلوب على طريقة الصوفيين الإشراقيين(١) . وقد أثرت هذه الفلسفة على نفسية تلميذه الشهير المعروف بالملا صدرا وهو صدر الدين محمد بن ابراهيم الشيرازى أعظم الفلاسفة المتأخرين(٢) .

يقول صاحب كتاب روضات الجنات عن الملا صدرا « كان الملا صدرا فائقاً على سائر من تقدمه من الحكماء إلى زمن الطوسى منفخاً أساس الإشراق ومفتحاً أبواب الفصيحة على طريقة المشائين والرواقيين »(٣) . ويقصد صاحب روضات الجنات بالمشائين الفلاسفة الأرسطو طاليسيين(٤) ويمثلهم كما يقول المستشرق الإنكليزى براون ، ابن سينا خير تمثيل . وعلى هذا فتكون فلسفة الملا صدرا فلسفة معاكسة لفلسفة أرسطو وابن سينا كل المعاكسة(٥) . أما المستشرق الفرنسى كوبينو « Gobineau » فكان قد ذكر عنه أنه كان من الفلاسفة الذين استمدوا فلسفتهم من الفلسفة الأرسطوطاليسية ومن فلسفة ابن سينا الفيلسوف الذى كان بارعاً فى هذه الفلسفة دارساً لها وإن لم يكن مقلداً لها تمام التقليد(٦) .

والحقيقة أن رأى كوبينو الذى انتقده المستشرق براون هو المذهب الصحيح . فقد استمد الملا صدرا من المنبع الأرسطوطاليسى ومن فلسفة ابن سينا ما شاء أن يستمد ؛ وقد سعى فيما بعد لبث فلسفة ابن سينا التى كانت قد اندثرت وماتت فى نواحي إيران حتى وجه أنظار الطلاب والباحثين إليها(٧) . وقد كان أستاذه المير باقر الداماد من الحريصين على هذه الفلسفة فلا يستبعد أن يكون هذا الحب الذى نجده فى كتب الملا صدرا من أثر ذلك التوجيه الذى رسمه أستاذه فى كتبه ولا سيما فى كتابه الفلسفى الشهير « القبسات »(١) . يستمد الملا صدرا فلسفته فى الواقع من منابع كثيرة أهمها آراء اليونانيين ولا سيما آراء أرسطو وتلميذه ابن سينا ومن أفكار المتصوف الشهير محيى الدين بن العربى ومن تعاليم الدين الإسلامى . من القرآن والحديث والسنة النبوية وما جاء عن الأئمة من أقوال(٢) .

ولابن عربى المتصوف الشهير وصاحب الآراء المعروفة فى عالم التصوف مثل رأيه فى « وحدة الوجود » وأفكاره الأخرى التى تعارض ظاهرها الشريعة الإسلامية(٣) منزلة عظيمة فى نظر الملا صدرا وفى نظر الفلاسفة الآخرين من أهل هذا الجيل . وقد تكون وحدة الرأى ووحدة المشارب والأفكار هى التى جمعت بين الاثنين بين محيى الدين بن العربى وبين الملا صدرا فى المذهب الصوفى على تباعد الشخصين . وقد اتهم الملا صدرا نفسه بمثل ما اتهم به ابن العربى ؛ فى كتاب « الأسفار » وهو من أهم كتبه فى الفلسفة « كلمات لا تلائم ظاهر الشريعة »(٤) . وقد دافع عنه أتباعه وأنصاره بمثل ما دافع أتباع محيى الدين بن العربى وأنصاره عنه(٥) .

(يتبع)

جواد على

(١) نفس المصادر .

(٢) المجمع العلمى المجلد التاسع سنة ١٩٢٩ عدد ١١ — ١٢ ص ٦٦٣ .

(٣) روضات الجنات ص ٣٣١ .

(٤) Brown Vol 4 P, 428 .

(٥) نفس المصدر .

(٦) Gobineau Les Religius et les Philosophies etc
Brown Vol 4 P, 431. Igbal, أيضاً ، 1966 PP, 80 — 92
Development of meta physics of muslim Philosophy London
Lumjoc 1908 P, 75

(٨) مجلة المجمع العلمى العربى ج ١٢ ص ٨٠٧ .

(١) راجع كتاب القبات المطبوع سنة ١٣١٤ بطهران الفصول الأولى — القبات الالهية .

(٢) مجلة المجمع العلمى العربى المجلد التاسع عدد ١٢ ص ٨٢٨ .

(٣) عن ابن عربى راجع الكتب المؤلفة فى التصوف لاسيما كتاب المستشرق الأنجليزى « نيكلسون » عن التصوف الاسلامي ودائرة المعارف الاسلامية فى مادة « ابن عربي » وكتب التصوف . وكان معاصر لشيخ عبد القادر الجيلانى له خصوص الحكم والفتوحات المكية ومواقع النجوم . ومشكاة الأنوار فيما يروى عن الله سبحانه وتعالى من الأخبار الخ . روضات ج ٤ ص ١٩٣ .

(٤) روضات ص ٣٣٢ .

(٥) روضات الجنات ص ٣٣١ .

إعجـــاز القرآن
والمقاييس البشرية

للأستاذ عبد المنعم خلاف

طال الجدل بيني وبين الأستاذ سيد قطب في مسألتي التصوير الفني في القرآن، واستخدام المنطق الوجداني في إقرار عقيدة التوحيد

وأنا من زمن أعلنت أني أكره الجدل العلني في الصحف، ولا أرتاح إلى نتائجه على النفس والحق، لأنه كثيراً ما يجر إلى مواقف لايدفع إليها إلا التبرير الجدلي وحب انتصار الشخص لا انتصار الحق

وقد أثرت هذين الموضوعين في نقدي لكتاب الأستاذ سيد برفق وهوادة؛ فقلت بعد أن وفيته حقه من الثناء: « غير أنني أخشى أن تكون قد أفلتت لفظة أو اثنتان من قلم المؤلف في أهم فصل من فصول الكتاب خرجت بهما فكرته الأساسية في جو من المبالغة والتعميم » . هكذا أثرت هذا النقد بهذا التعبير المتواضع الذي يكاد يكون استفهاماً، حتى أجنب الموضوع مزالق الجفوة، ولا أجره إلى بعض النوازع النفسية التي لا تتصل به، إذ الجدل في المسائل العلمية خاصة يجب أن يكون خالياً كل الخلو من الملابسات الغريبة، وأن يكون العقل في بروده وصرامته وحيدته هو المتكلم وحده

ولكن انظر أيها القارئ كيف انتهى جدل الأستاذ سيد معي في المقال الأخير حين يقول: « وأما الاستدلال المنطقي كما أورده في الآيات (آيات سورة الأنبياء « أم اتخذوا آلهة من الأرض ...» الخ) . فأحب أن أقول عنه: إن القرآن كان أعرف بالنفس البشرية من الأستاذ عبد المنعم، فلم يسق الأداة كما ساقها هو، وإلا لكانت متهافتة من وجهة المنطق الذهني نفسه، فهي في سياق القرآن شيء يتصل بالفطرة على استقامتها، فترفض الأوجه المنطقية الزائفة، وتؤمن بالوجه الواحد الصحيح منها إيمان اقتناع وتسليم، وهي في سياق الأستاذ عبد المنعم محاولات ذهنية لا تستقيم على الجدل » . « إن القرآن يا سيدي لم يرد الأمر على النحو الذي تريد » . « فالأستاذ عبد المنعم يرتب مثالبه كلها للمنطق الوجداني »

ألا يشعر القارئ أن عنصراً دخيلا يتطرق إلى طريقة الجدل فيرفع حرارة المجادل ويفسد هدوء المناقشة ؟

لا يا أستاذ سيد ! أنا غير مستعد أن أسير في هذا الطريق ... وقد سرني كثيراً أن أقرأ من قولك في مقدمة مقالك الأخير هذه العبارة: « وليست المسألة بيني وبين الأستاذ عبد المنعم قضية جدلية على طريقة المناظرات، وإنما هي حقيقة نود تجليتها، وإنه ليسرني من غير شك أن ألتقي بالصديق في الطريق »

سرني هذا، ولكن ساءني ذاك، لأنه لا يعين على تجلية الحقيقة كما نود ...

ولولا أن الموضوع يتصل بإعجاز القرآن من جهة، وبتجديد الدعوة الإسلامية والدينية الصحيحة عامة لنفضت يدي من هذا الجدل في الصيف، ولآثرت أن أترك لك الكلمة الأخيرة تدافع بها عن رأيك بأي الأساليب تختاره، ولكن الموضوع موضوع قضية إعجاز كتاب الإسلام والعربية، وقضية أساس الفكر الإسلامي والديني الصحيح عامة، بل قضية الكون كله وأعظم شئونه ! قضية الوصول إلى عقيدة التوحيد...فلا عجب ولا ضير أن يطول الجدل بيني وبينك في هذا الشأن الخطير ما دمنا نحتفظ فيه بالهدوء وضبط الكلمات حتى لا تشذ كلمة جارحة ...

— ٢ —

أما القضية الأولى، وهي قضية « التصوير هو الأداة المفضلة في القرآن » ، فقد وصل الحديث فيها بيننا إلى غايته بعد تكرار الأستاذ سيد اقتناعه برأيه فيها مرة ومرة، وبعد عجزي طبعاً عن نقل كثير من الشواهد هنا للاستشهاد بها، كما فعلت بنقل النصوص التي وجهت نظره إليها، وأنا بالطبع ما أردت محاكمته إلى تلك النصوص وحدها، وإنما أحاكمه إليها وإلى أمثالها، وأمثالها هي الأكثر في القرآن

أما الربط بين « التصوير الفني » ، سواء كان هو القاعدة العامة أم لم يكن، وبين سر الإعجاز في تعبير القرآن، فهو مكان الخطر في هذه القضية، لأنه يفسر إعجاز القرآن بأمور في مستوى الصنعة البشرية التي واتت وتواتي كثيراً من عباقرة البيان الذين يستخدمون التصوير الفني في مستوى رفيع فيه الوحدة والتناظر

والتناسق وتقسيم الأجزاء وتوزيعها فى الرقعة المعروضة ، إلى آخر ما هنالك من سمات الطريقة ، ولأن الربط بينه وبين سر الإعجاز يؤدى حتما إلى القول بأن المواضع الخالية من استخدام التصوير ، سواء أكانت هى الكثيرة أم القليلة فى القرآن ليس فيها إعجاز ! ذلك مفهوم كلام الأستاذ سيد ، وهو مفهوم خطر !

ولا يقولن رداً على هذا : « أحسب أن ليس هكذا تكون مقاييس الفنون ! » كما قال إزاء الأمثلة التى ذكرته بها ، لأننا لسنا أمام « كتاب فنى » يقدر بمجموعه لا بأجزائه . بل أمام كتاب يتحدى بسورة واحدة منه « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله »

وليس بذى خطر فى الموضوع أن يكون التصوير هو القاعدة العامة أو لا يكون ، فإنه إذا صح فلن يضير القرآن ، وإذا لم يصح فلن يضير . ولكن الخطر الذى يضير ، هو ذلك الربط بينه وبين سر الإعجاز ، فواجب الأستاذ سيد كما أرى — وله رأيه — أن يراجع هذا الموضع ، ويحذف كلمة « الإعجاز » من الجملة الأخيرة من صفحة ٣١ ، ويضع بدلها كلمة أخرى مناسبة

* * *

سيقول الأستاذ سيد فى الرد على التعليل الأول لرفض الربط بين سر الإعجاز وبين التصوير ما قاله سابقاً « إن العبرة ليست باستخدام التصوير ، ولكن بمستوى هذا التصوير من التناسق والحياة ... »

وأرد عليه بما قاله الأستاذ الكبير العقاد فى مناسبة شبيهة بهذه المناسبة ، حينما كان ينقد كتاب المرحوم الرافعى « إعجاز القرآن » قال[1] :

« وإنما الأساس فيها (المعجزة) ، والحكمة الأولى أنها تخرق النواميس المعروفة وتشذ عن السنن المطردة فى حوادث الكون ، وعلى هذا الوجه يجب أن يفهمها المؤمنون بها والمنكرون لها على السواء ، فيخطئ المؤمن الذى يحاول أن يفسر المعجزة تفسيراً يطابق المعهود من سنن الطبيعة ، لأنه بهذا التفسير يبطل حكمها ويلحقها بالحوادث الشائعة التى لا دلالة لها فى هذا المعنى ، أو بأعمال الشعوذة والتمويه التى تظهر للناس على خلاف حقيقتها »

والأستاذ سيد يحاول أن يفسر سر الإعجاز فى تعبير القرآن بهذا التصوير الفنى فيطابق بهذا التفسير بين القرآن وبين المعهود من سنن الطبيعة فى البلاغة البشرية العبقرية ، ويلحق القرآن بالآثار البلاغية الشائعة

(١) أنظر (ساعات بين الكتب) الجزء الأول .

وما أشبه ما حاوله فى بيان الإيقاع الموسيقى فى القرآن على أنه لون من ألوان التصوير الفنى الذى يرتبط به إعجاز القرآن بما حاوله الرافعى فى فصل « الكلمات وحروفها » . وقد علق الأستاذ العقاد على هذا النحو الذى نحاه الرافعى فى هذا الفصل بقوله : « هذا نموذج من شواهد الرافعى بنصه ترى أنه قد علق فيه بلاغة القرآن على شىء هيهات أن يكون مقصوداً أوساريا فى كل آية على النحو الذى يحكيه ، وإلا فما يقول الرافعى فى هذه الآية التالية من سورة هود « قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم »

« فإن كانت بلاغة الكتاب الكريم مرتهنة بذلك النسق الذى تصوره الأديب ؛ فهل يناقض البلاغة فى رأيه توالى الميمات الكثيرة والنون والتنوين فى هذه الكلمات المتعاقبة ؟ أو يظن الرافعى هذه الآية بدعاً من الكتاب ؟ »

* * *

ما أردت بنقل هذين النصين وخصوصاً النص الثانى من كلام الأستاذ العقاد الذى يجل آراءه الأستاذ سيد ونجلها جميعاً ، إلا أن أبين أن السر فى إعجاز القرآن لا يمكن أن يخضع لمقاييس شائعة ، ولا لقواعد بشرية يتناولها الجهد البشرى بالتعديل والتغيير والتنقيح والنقد والرفض

فالحيرة القديمة التى كانت تمتلك عقول القدماء فى فهم سر الإعجاز القرآنى لا تزال تتجدد وتمتلك عقول المحدثين ، ولن تزال كذلك ما دام القرآن معجزاً ، وما دام الشرط فى المعجزة أن تكون شاذة عن حوادث الكون الشائعة ولا يستطاع تفسيرها .

وحسن جداً من الأستاذ سيد ، وتوفيق يهنأ عليه أن يكشف عن معالم للجمال الفنى فى القرآن يجليها وأن يصف آثارها فى النفس وعجبها منها وانفعالها لها ، ولكن من غير الحسن فيما أرى أن يربط بينها وحدها وبين سر الإعجاز

وموعدنا المقال الآتى فى الرد على اعتراضات الأستاذ سيد على ما أسماه « المحاولات الذهنية » التى حاولت بها أن أكشف ما فى آيات الوحدانية بسورة الأنبياء من استخدام ضروب الأدلة الذهنية جميعها . وأشكر الأستاذ سيد أن أتاح لى فرصة الكشف عنها صدفة لأول مرة فيما أعلم ، لتضاف إلى أسرار القرآن الكثيرة التى تكشف عنها الأيام فيما تحت « سطحه التعبيرى »

عبد المنعم خلاف

الحياة الادبية فى الحجاز

للأستاذ أحمد أبو بكر إبراهيم

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

ظل حال التعليم هكذا حتى تولى أمر الحجاز عاهل الجزيرة العربية الملك عبد العزيز فعمل جاهداً على نشر الثقافة فى هذه البلاد لتساير النهضة القوية فى البلاد العربية الشقيقة ، وقد استطاع فى هذه الفترة الوجيزة من الزمان أن يخلق فى الحجاز جواً علمياً حديثاً يغبط عليه الحجاز الآن فهو يبشر بمستقبل قريب محقق .

والذى يدعو إلى الغبطة أن التعليم الأساسى (الأولى) والتعليم الابتدائى قد أديا رسالتهما فى الحجاز فى المدن على الوجه الأكمل حتى إنك لتجد الكثرة الغامرة من البنين والبنات فى هذه المدن يجيدون القراءة والكتابة ، فإذا نحن تجاوزنا هذا النوع من التعليم إلى ما هو أرقى منه وجدنا ابن السعود يجاهد فى إحيائه ويعمل على نشره ليخرج من الحجازيين صفوة صالحة تبنى الحضارة الجديدة على أسس صالحة قوية ، وقد عارض فى هذه السياسة الحازمة الرشيدة فى بادئ الأمر المغرضون من أهل نجد ، ولعل جلالة الملك قد لقى فى هذا الصدد ما لاقاه محمد على باشا فى بداية النهضة المصرية حينما كان يحمل الناس على التعليم حملا فيلاقى منهم انصرافاً وإعراضاً .

ومن ثم صار فى الحجاز فى العهد السعودى مدارس ثانوية متعددة تسير مناهجها على غرار المناهج المصرية وتعد الطلبة للحاق بالجامعتين المصريتين ، ويقوم بتدريس بعض المواد فيها أساتذة مصريون ليوحدوا بين الثقافتين ويؤلفوا بين الاتجاهين حتى إذا ما وفد الطلبة الحجازيون إلى مصر وجدوا أنفسهم بين إخوان لهم قد اتحدت ثقافتهم وتقاربت مداركهم .

وفى الحرمين الشريفين الآن تدريس للعلوم الشرعية واللسانية ينهض به علماء مصريون وحجازيون ونجديون وعلماء من شنقيط ويسير التدريس فيهما على نظام الحلقات حيث يلتف الطلبة حول أستاذهم يستمعون إليه وهو يلقى درساً فى الحديث أو التفسير أو الفقه أو النحو والصرف . وهذا اللون من التعليم يكاد يكون عاماً شاملا لأهل مكة والمدينة ، وينتظم فى الحلقة الواحدة الكثير منهم على اختلاف أسنانهم وتباين أعمالهم ؛ فتجد تلميذ المدرسة بجانب التاجر أو العامل قد أصغى كل واحد فى اهتمام إلى ما يلقيه الأستاذ فى وقت الفراغ من العمل . والجميل فى هذا النوع من التعليم أن الحجازى لا يحجم عن الانتظام فى سلكه مهما تقدمت به السن ، وهو كذلك يتعلم رغبة فى العلم ، وطلباً لإدراك أسراره ولا يريد من وراء ذلك عملا ولا شهادة .

والنقص الظاهر فى علوم الحرمين خلوها من الآداب فليس من بينهم من يتصدى لتدريس النقد والسرقات أو تاريخ الأدب والنصوص حتى يأخذ بيد المتعلمين إلى فهم الأدب وتذوق أسراره ومعرفة مواطن الجمال فيه .

ومن هنا نستطيع أن نقول إن التعليم على اختلاف أنواعه فى الحجاز يخرج علماء حفظة ، ولا يخرج أدباء قادرين .

فكيف إذاً استطاع أدباء الحجاز أن ينهضوا هذه النهضة وأن يبلغوا هذه المنزلة فى الشعر والنثر ؟

إن الفضل الأكبر فى ذلك راجع إلى الاطلاع الحر والمجهود الذى يبذله الأديب معتمداً على نفسه فى قراءة الكتب التى تحلو له وتتفق وذوقه . وهذا المجهود ملحوظ ظاهر فى ناشئة الحجاز إذ لا يكاد الطالب فى المدارس الابتدائية وغيرها ينال قسطاً من التعليم حتى تتوق نفسه إلى الاستزادة من الأدب العربى والثقافة العامة الواسعة ، وغاية ما يأمل الشادى فى الأدب منهم أن يستطيع بعد القراءة الدائمة أن يصل إلى نظم الشعر ليلقى فى المحافل أو كتابة النثر فى الجرائد فإذا ما وصل إلى هذه الغاية تجددت له آمال أخر فواصل القراءة ودأب على التحصيل حتى يصبح من الشعراء المعدودين فى هذه البلاد .

هذا الروح وهو الاطلاع الحر ولده فى الحجازيين إكبارهم لماضيهم وعنايتهم بمجدهم السابق وأملهم الواسع العريض فى أن يعود ذلك المجد قوياً ثابتاً كما بدأ فى هذه البلاد ، فقد علموا أن أقرب طريق يوصلهم إلى بغيتهم إنما هو طريق الاعتماد على النفس فى استيعاب الآداب القديمة والحديثة والمعارف المنقولة إلى لغاتهم .

ولعل الذى مهد لهم سبيل الاطلاع ، فراغهم فى كثير من

الأوقات ، وبخاصة فى غير موسم الحج — عندئذ يجدون عندهم الوقت متسعاً للاستزادة واستيعاب ما حوته الكتب . وثمة سبب ثالث هو خلو بلادهم مما يشغل الناس فى الأقطار الأخرى من ضروب اللهو ومفاتن المدنية ؛ فأعمال الحجازى مقسمة بين العمل والعبادة والتعلم .

والكتب التى يطلع عليها الحجازيون كثيرة متنوعة : فهم يقرءون الكتب العربية القديمة ليتأثروا صياغتها وأساليبها ويجدون هذه الكتب هناك فى المكتبات العامة التى احتوت على كثير من الكتب وبعضها فريد نادر ، وهم كذلك مولعون بشراء ما يطبع منها فى بلادهم وفى الأقطار الأخرى .

غير أن عنايتهم بالكتب الحديثة تفوق عنايتهم بالكتب القديمة ؛ فهم يقرءون كل ما يصدر منها فى مصر والشام والعراق وأمريكا وإقبالهم على هذه الكتب بالغ حد الإعجاب ؛ فلا تجد هناك شادياً فى الكتابة ولا بادئاً فى الشعر إلا وهو يعلم عن أدبائنا المصريين ما يجهله كثير من المصريين المتعلمين ، ثم هو يحيط بإنتاجهم ومؤلفاتهم إحاطة وافية ويدرك منازعهم وطرائقهم : فليس منهم من يجهل مؤلفات الدكتور طه حسين بك ، والدكتور هيكل باشا ، والأستاذ العقاد ، والأستاذ أحمد أمين بك ، والأستاذ « الزيات » ، والدكتور زكى مبارك وغيرهم . بل ليس منهم من يجهل أسلوب كل واحد من هؤلاء وخصائصه والموضوعات التى أجاد فيها وهو يحدثك عن كل أديب حديث الواثق الملم بما يقول . ولا تقف معرفتهم هذه عند حد الإعجاب بالأدب : فهم يختلفون إزاءه أحزاباً ؛ هذا يفضل أسلوب الزيات لروائه ورونقه ، وبراعة تصويره ؛ وذلك يفضل أسلوب العقاد لدقة تعبيره ، وتسلسل معارفه وقوة حجته ، وآخر يتحيز لأسلوب الأستاذ أحمد أمين بك لعمق الفكرة والاستقصاء ، والدقة فى الأداء ، وغيره يؤثر أسلوب الدكتور طه حسين بك معجباً بسهولته وتجليته للحقائق . وهكذا ، وقد يتخذون من أدب هؤلاء وغيرهم مجالا للنقد والتحليل فتزخر صحفهم ومجلاتهم بنقدهم الأدب المصرى . وما قلناه فى تأثرهم بالأدب المصرى نرى مثله فى تأثرهم بالأدب الشامى والعراقى ، وأدب المهجر بأمريكا .

ولكن أى هذه الآداب أشد تأثيراً فى أدب الحجازيين ؟

يقول الدكتور هيكل باشا : « إن عنايتهم بالأدب المصرى تفوق عنايتهم بالآداب الأخرى » .

وهذه العناية التى يذكرها هيكل باشا لم تكن إلا فى السنين القليلة الأخيرة حينما فاقت مؤلفات المصريين مؤلفات غيرهم فى بلاد الحجاز وحينما راجت صحفهم هناك ، ولكن الأساس الذى بنى عليه الحجازيون أدبهم والمعين الذى استمدوا منه مناهجهم إنما هو أدب المهجر ؛ ولذلك نراهم إلى الآن متأثرين أشد التأثر بأساليب هذا الأدب وطرائقه وإن مالت طائفة منهم إلى اتباع طريقة المصريين وفى بيان هذه الحقيقة يقول الأستاذ أحمد العربى : « أما أدب اليوم فهو وإن كان أدبا فنيا ما يزال فى الطور الأول من أطوار نموه ونضوجه ، فهو ماض فى طريقه إلى الأمام ، سائر بخطوات ناجحة موفقة لا يسع المنصف تجاهلها أو الغض من شأنها . ويرجع الكثير من الفضل فى ذلك إلى آثار أدباء العربية العصريين التى تجاوب صداها فى الشرق العربى فكان لها أحسن الأثر فى توجيه الأدب العربى وتلقيحه بلقاح الحياة والطرافة والتجديد ، وقد كان أثر أدباء المهجر من السوريين أقوى وأظهر فى أدبنا الحديث حتى عهد قريب . أما الآن فقد بدأ يتحرر قليلا من قيود التقليد وأخذ يستد ساعده وإن كنا نجد لنفثات أقلام الأدباء المصريين أثراً متميزاً فى هذه السنوات الأخيرة » ومع أن ثقافة الحجازيين لا تعدو الثقافة العربية ، لأنهم لم يختلطوا بالأوروبيين كما اختلط غيرهم إلا أنهم فى العهد الأخير قد استطاعوا أن يستوعبوا الكثير من ألوان هذه الثقافة استيعابا يغبطون عليه : فهم يقرءون الكتب المترجمة عن هذه اللغات ، وهم يقرءون إنتاج المتأثرين بالثقافات الأجنبية من أدباء مصر والشام والعراق وأمريكا فى شوق وعناية ، وقد استطاعوا باطلاعهم الحر على هذه الثقافة أن يثبوا وثبة فكرية موفقة بدت آثارها فيما يكتبون ويشعرون .

وإلى عهد قريب لم يكن لتعليم اللغات الأجنبية نصيب فى مناهج التعليم الحجازى ، فأحس الأدباء حاجتهم إلى معرفة هذه اللغات ليتصلوا بالنهضة المتوثبة فى بلاد الغرب . ويعبر عواد عن هذه الحاجة قائلا : « كم هى شديدة حاجتنا فى الحجاز إلى اللغة الإنجليزية خصيصاً وإن علينا لعولا ضخما فى استعمال العلاقات

عم يتســاءلون ؟

الأستاذ أحمد رمزى

مشاكل العالم الجديد — التوازن بين الكتل الثلاث الكبرى التى تسيطر على العالم — نظرة شرقية ...

حينما ندرس حالة العالم بعد هذه الحرب يتبين لنا بوضوح أن تاريخ الإنسانية لم يعرف عهداً مملوءاً بالانقلابات المتتابعة والتغييرات السريعة التى تتميز بخروجها عن كل قاعدة ، ومخالفتها المألوف والمعهود مثل ما نراه أمام أعيننا اليوم

فهل بوسعنا أن نستخلص ، بعض القواعد العامة ، أو الاتجاهات ؟ أو نضبط شيئاً من العلائق التى تربط بين الأسباب وبعضها ، أو بين الأسباب والظواهر ؟ أو نستبق الحوادث فنكتشف شيئاً مما قد تأتى به الأيام المقبلة ؟

يصعب ذلك علينا نظراً لتتابع الحوادث ، ولكن الظروف التى مرت بالعالم بين حربين ، والدروس التى ألقاها علينا تاريخ المائة سنة الماضية ، قد تمهد لنا الطريق ، وتسهل لنا السبل لتكوين فكرة تقرب من الصواب ، بل يمكن أن تساعدنا على تحديد بعض النتائج التى حصلت عليها الإنسانية بعد خروجها من حربين عالميتين

كانت المائة سنة التى سبقت الحرب الماضية مملوءة بالحوادث الكبرى ، فهذه الفترة التى تقع بين ١٨١٥ — ١٩١٤ ، أى بين مؤتمر فينا وإعلان الحرب العظمى الأولى ، فترة فذة فى تاريخ البشرية : لأنها بدأت بتأكيد مبدأ القوميات والمناداة بتحرير الشعوب واستقلالها ، ثم خضعت لفكرة حفظ التوازن بين الدول الكبرى الأوروبية ، وكانت هذه المائة سنة فترة الثورات التى نقلت أوروبا من عهد الإقطاع وبقايا القرون الوسطى ، إلى عهد الصناعة الآلية وما يلازمها من تنازع الطبقات وتضخم المدن ونمو الرأسمالية وبروزها كعامل أساسى فى حياة الشعوب الأوربية

كانت هذه الفترة كل هذا ، ولكن ما هو أكبر مظهر لهذه المائة سنة ؟

لا يتردد الآن أى مخلوق فى أن يعترف أن هذه الفترة من الزمن كانت عصر التوسع الاستعمارى الجارف

وما معنى هذا ؟ الذى يبدو لنا فى سنة ١٩١٤ ويمكن إبرازه ظاهراً ملموساً هو ما يأتى :

إن الدول التى توسعت فى أملاكها وازدادت علاقاتها بالأمم

بيننا وبين هذا الشعب الإنجليزى الهائل ، فيجب أن نفهم كيف نستفيد من تلك العلاقات على اختلافها وتنوعها وكيف نستخدمها فى مصالحنا فردياً وأمميا .

إلى أن يقول : من العبث أن يستغنى الحجاز عن رواج اللغات الأجنبية ولا سيما الفرنسية والإنجليزية فى مدارسه ومجتمعاته ونواديه رواجا لا كرواج العربية لغة حياتنا الأولى ، لغة سيرنا إلى الأمام وإنما أقول : لنتكلم اللغة العربية ولكن لنتعلم اللغة الأجنبية أيضا لنستفيد منها حضارة وعلوماً وأفكاراً » وقد تعلم بعض الحجازيين فى العهد الأخير بعض هذه اللغات ولكن هؤلاء لا يزالون أقلية ، وقد اعتمد كثير منهم فى تعلم اللغة الإنجليزية على السفر إلى الهند والإقامة هناك ، كما أن أهل المغرب الذين استوطنوا الحجاز حديثاً يعلمون اللغة الفرنسية إلى درجة يستطيعون بها الترجمة عن هذه اللغة .

وقد جعل جلالة الملك عبد العزيز تدريس اللغة الإنجليزية من منهجه الإصلاحى فاستقدم المدرسين المصريين لتدريس هذه اللغة بمدارس الحجاز ، واستطاع الطلبة هناك أن يعلموا منها ما يعلمه الطلبة المصريون فى المدارس الثانوية . ولكن هذا كله لا يعدو فى حاضره البذرة التى ستنمو وتثمر فى مستقبل الأيام ، ولم يظهر لتعلم هذه اللغة أثر يذكر فيما نحن بصدده وهو نقل الثقافات الأجنبية إلى اللغة العربية نقلا يتجلى فيه الإلمام والبراعة ، ولذا نستطيع أن نقول : إن ثقافتهم الأجنبية لا يقومون عليها بأنفسهم ولكنها تصل إليهم فى الكتب المصرية وغيرها . وسوف ينهض بهذا العمل الخطير فى المستقبل أعضاء البعثات الحجازية بعد أن يعودوا إلى بلادهم ، فيتحقق بذلك للبلاد المقدسة أملها البعيد ورجاؤها المحبوب

(الفيوم الثانوية) **أحمد أبو بكر ابراهيم**

المحكومة ، قد أخذت تتحول من دول أوروبية إلى دول ذات صبغة عالمية !

كيف تم هذا التحول ؟ وكيف دخلت الدول الكبرى ميدان الاستعمار فأصبحت غير قادرة على التراجع والانكماش بعد أن ذاقت طعم حلاوته ؟ كل هذا يمكن درسه وبحثه إذا عرفنا شيئاً عن أثر المائة سنة الماضية وتطوراتها

فمن المسلم به أن بعض الدول كانت تملك المستعمرات ، وكانت تعرف طريقة الاستغلال — قبل المائة سنة التي أشرنا إليها — ولكن نشاطها كان محدوداً ، وفي دائرة ضيقة ، ولم يكن اتصال هذه الدول بمستعمراتها أو اعتمادها عليها بالقدر الذي وصلت إليه في الفترة الأخيرة ، بل حصل ما هو أكثر من ذلك ، إن البشرية لم تعرف زمناً ، في كل عصورها السالفة بلا استثناء . خضعت فيه شعوب العالم المختلفة بمدنياتها وتقاليدها ، بل وبمعاشها لحكم الأوربيين مثل العهد الذي جاء بين ابتداء القرن التاسع عشر وابتداء القرن العشرين

ففي هذه اللفتة من الزمن ، اشتد التنافس والتسابق والتزاحم بين دول أوربا الكبيرة والصغيرة ، القديمة منها والناشئة ، لدرجة أن وصل إلى المناطق المتجمدة والصحارى القاحلة ، فأصبح الجليد والصخر والرمال ميداناً لكل هذا

فكل بحث أو دراسة لشئون العالم ، وكل قاعدة نستخلصها يجب أن يسبقها تعرف هذا التوسع وأثره وأهميته ، ولكي تعرف بالضبط العلاقة بين الشعوب المحكومة والحاكمة ، ولكي نحدد مركزنا وموقف الأجيال القادمة من هذه السيطرة وعلاقتها بآمال الشعوب ومقدراتها ومستقبلها

فلنتساءل عن أول أثر لهذا التحول أو التطور العالمي الذي أوجد أمماً قوية سائدة وأمماً ضعيفة خاضعة ؟

كان من أثر هذه السيطرة الأوربية أن فنيت بقايا المدنيات القديمة التي حملتها أراضي الشرق الأوسط والأدنى والأقصى ، بل اندثرت وتلاشت أمام مدنية الأوربيين وتفوقهم المادي والعسكري

هذا هو الأثر السلبي ، أما الإيجابي ، فقد كان من أثر هذه السيادة أن ازداد سكان المعمورة ، لأن سكان المستعمرات قد تكاثروا وتناسلوا فكثر عددهم وأصبحت هذه الزيادة في السكان مظهراً من مظاهر هذا الاستعمار الأوروبي ، والذي يدعو للدهشة أن هذه الزيادة في السكان لم تعرفها الإنسانية من قبل في أي عصر من عصورها السالفة

ثم كان من نتيجة هذه السيطرة وما تبعها من تنافس وتصادم أن ارتبطت أنحاء العالم بطرق مواصلات سهلة تعذر القيام بالثورات ، كما أثر على علاقات الشعوب المحكومة ، لأن هذه الأمم التي جهلت نفسها ، وجدت أمام سهولة الانتقال والتعارف في مركز يسمح لها أن تستعيد العلاقات والروابط التي كانت قائمة بينها ثم انقطعت

ولما استقرت سيادة الاوربيين وسيطرتهم على أنحاء الدنيا وأمنوا أن تقوم الشعوب ضدهم ، وظهر التفوق العسكري ، وعرفوا طريقة تجنيد المرتزقة وكتائب الجنود الملونة ، فألقى عليها عبء القتال واستتباب الأمن ، انتقل الاستعمار من ميدان الفتح واستعمال العنف إلى ميدان جديد : نعم اتجهت في النصف الثاني من القرن الماضي إرادة الدول المستعمرة إلى الاستعانة بالعلم والاقتصاد على تنظيم استغلال ثروات ومرافق هذا الكوكب الأرضي ، واقترن ذلك باندفاع نحو السير بهذا التطور الجديد نحو أهداف عالمية ، أي اتجهت هذه الحكومات وهيئاتها الاستعمارية إلى تحقيق فكرة سيطرة الإنسان على أفق الحياة وإخضاع الطبيعة لسلطانه وإرادته بكل ما في العلم من قوة ثائرة وما في الاقتصاد من قوة منتجة

أما من الناحية السياسية ، فقد أخرج القرن الماضي لدى الدول التي تقدم لديها الوعي الاستعماري نشاطاً أشد خطراً وأعمق أثراً وهو الدراسات العلمية والنفسية وتطبيقها على إدارة المستعمرات وفي حكم الشعوب المغلوبة على أمرها

لقد أصبحت هذه الدراسات أقوى دعامات سيطرة الأوربيين ودليل تفوقهم ، بل برهان تمكنهم من قيادة الشعوب التي يحكمونها ، أو كأحدى مظاهر الطبيعة التي ألانوا قناتها وأخضعوها لمشيئتهم في عالم الجماد والحيوان

(للكلام بقية)

احمد رمزي

النظام الزراعي

في بلاد السوفييت

للدكتور محمد مأمون عبد السلام

بقية ما نشر في العدد الماضي

المزارع التجمعية

كان تسعة أعشار الروسيين إلى عهد قريب فلاحين ، وفى سنة ١٩٤١ كان الثلثان من سكان الروسيا السوفييتية يعيشون فى القرى ، وكان أكثر من نصف السكان يعيشون على فلاحة الأرض ، فالزراعة فى الروسيا كما فى غيرها من البلاد سبيل للحياة لا وسيلة للعيش فقط كما يقول بذلك بافلوفسكي المؤرخ الزراعى الروسى ، وقد استمرت الزراعة فى الروسيا وسيلة لعيش ملايين من الخلق وسبيلا لحياتهم . أما الحياة الصناعية فإنها لا تزال وسيلة إضافية

وكان الفلاح الروسى قبل الثورة عبداً مسخراً لطبقة النبلاء والأشراف ، فحرره السوفييت ووضعوه على قدم المساواة بسكان البنادر ، ولايزال الفلاح الروسى العمود الفقرى للهيكل الاقتصادى السوفييتى ، فهو الذى يدفع نحو ثلاثة أسباع مصروفات الدولة غير ما يدفعه من الضرائب غير المباشرة ، وقد ضمنت له الحكومة مقابل ذلك حقوقه كاملة فى نظام المزارع التجمعية التى هو عضو فيها ، وفتحت له أبواب الفرص على مصراعيها لتثقيف نفسه وأولاده وأبعدت عنه مشاق العمل الجسمانى المضنى فى الزراعة بإدخال الزراعة الآلية الحديثة ونظمت له الإدارة تنظيما جعله يستفيد من أوقات فراغه الكثيرة بالثقافة الريفية العامة والتعليم الزراعى . فالفلاح فى نظر السوفييت عامل كعامل المصنع لا يختلف عنه فى شىء إلا فى كونه يعمل فى الهواء الطلق على نظام حساب القطعة فيختلف ما يتقاضاه من الأجر باختلاف مقدرته على الإنتاج .

وغرض السوفييت من إلغاء الزراعة الفردية التى كانت من خصائص النظام القديم القيصرى وتحويلها إلى النظام الزراعى التجمعى هو أن تحول المزارع إلى مجموعة من مصانع زراعية يعمل فيها العمال تحت قبة السماء . وهذا النظام الجديد إنما هو وليد عبقرية مبتدعة لأنه نظام يجمع بين قوة الفردية ومزايا الاشتراكية ، وهو نظام غير ثابت فى تفاصيله لأنه يتكيف حسب نتيجة التجارب والتعلم من الأخطاء طبقاً للعقيدة السوفيتية المشهورة المحببة إليهم . وقد استفاد السوفييت من المفعول السحرى للألقاب على عقول الجمهور فاستبدلوا بألقاب الفلاحين التى كانت تشعرهم بالمهانة والتحقير أخرى ترفع نفسيتهم وتشعرهم بعزة النفس والأنفة ؛ فسموا « كلاف الخنازير » باسم « خبير الخنازير » ولقبت زوجته « باللبانة » وسمحوا لها بالالتحاق بالمجموعة النسوية فى المزرعة التجمعية . ويعتبر السوفييت المزارع التجمعية فى حرفة الزراعة كاتحادات العمال فى الصناعة ؛ فهى عبارة عن هيئة تنظيم الفلاحين وتوحدهم لمصلحتهم ؛ وهى فضلا عن كونها هيئة تعاونية للانتاج فإنها تعمل فى الوقت نفسه لمصلحة أعضائها من الفلاحين فتزودهم بإعانات أثناء مرضهم ، وبمعاشات عند بلوغهم السن ، وبالتعليم المجانى وتنظيم ساعات فراغهم من حيث الانتفاع بها فى النوادى والرحلات والسياحات ، وتحصل لهم على خدمات خاصة من الحكومة كتعليم الأطفال والعناية بصحتهم وإنشاء مدارس الحضانة ورياض الأطفال وبيوت المساحات وإعطائهم أجازات سنوية أسبوعين فى السنة بأجر كامل والقيام بجميع التأمينات لهم مجانا . ولا يشتغل الفلاح فى هذه المزارع التجمعية أكثر من ثمانى ساعات فى اليوم .

أشكال المزارع التجمعية

والمزارع التجمعية على ثلاثة أشكال ، أبسطها ما كان عبارة عن شركة لزراعة الأرض أو رعى الماشية وتربيتها كما هو موجود فعلا فى مناطق البدو فى جمهورية قازقستان وفى بعض مناطق شمال القوقاز .

وأعقدها هى المزارع الشيوعية الكاملة التى تكون فيها الأرض والآلات والماشية وكافة المنشئات مندمجة فى بعضها البعض ومشاعا بين أعضائها فيعيش الكل فيها معيشة شيوعية فى مبان شيوعية ويأكلون من مطبخ واحد وفى غرفة طعام واحدة ، وليس لأحد منهم شىء خاص يمتلكه لنفسه اللهم إلا حوائجه الشخصية .

ولا تزيد عدد هذه المزارع الشيوعية المطلقة عن ١٠ ٪ من المجموع الكلى للمزارع التجمعية . أما النوع الثالث وهو يكون الأغلبية الساحقة من المزارع التجمعية فهو المسمى « كلهوز » وفيها يحتفظ الأعضاء بمساكنهم الخاصة لكل عائلة بيتها وقطعة أرض ملحقة به تزرعها العائلة لحسابها وتربى فيها الدواجن والحيوانات الصغيرة لا يشاركهم فيها أحد ؛ وبذلك تحافظ كل عائلة على استقلالها فى

معيشتها . أما ما يتبقى من أرض المزرعة وحيواناتها فتستغل على الشاع فيعطى كل فرد حقه من الإنتاج حسب مقدار عمله . وفى هذا النوع الأخير من المزارع التجمعية تظهر فردية المزارع وشخصيته ومقدرته على أوضحها . ويسمى السوفييت هذا النوع من المزارع التجمعية باسم « كلهوز » ومعناه بالروسية منشأة أو مزرعة اقتصادية تجمعية ، ويدل هذا التعريف على أن المزارع التجمعية ملك للدولة ولكن لأعضائها حق الانتفاع الدائم بها فى حدود قيامهم بالالتزامات التى يحتمها عليهم الدستور والقانون .

وقد بدأ عهد المزارع التجمعية فى سنة ١٩٢٩ ولم يمض عليه ثلاث سنوات إلا وأصبح ٦١٫٥ ٪ من الأراضى الروسية مزارع تجمعية وفى سنة ١٩٣٨ ارتفعت هذه النسبة إلى ٩٩٫٣ ٪ إذ بلغ عدد المزارع التجمعية فى جمهوريات الاتحاد السوفييتى ٢٤٢٫٠٠٠ مزرعة . وقد أصبحت بلاد السوفييت فى بدء هذه الحرب أكثر بلاد العالم مساحة فى الأراضى الزراعية وأعظمها تقدماً فى وسائل الزراعة الآلية الحديثة وذلك بفضل نظام الزراعة التجمعية . كما ازدادت بفضله مساحة ما يخص العائلة من أرض الزراعة من نحو ١٧ فداناً فى المتوسط فى العهد القيصرى (مع مراعاة أن نحو ٥٠ ٪ من فلاحى ذلك العهد لم يخص العائلة الواحدة منهم أكثر من ٢٫٥ إلى ٥ فدادين) إلى متوسط ٤٨ فداناً فى عهد المزارع التجمعية وإلى نحو ١٢٠ فدانا فى بعض المناطق مثل سيبيريا العربية .

وتختلف مساحة مزرعة الكلهوز كثيراً من منطقة لأخرى ، فتبلغ مساحة الأرض المزروعة فيها أقل من ٦٠٠ فدان فى المناطق الشمالية وفى روسيا البيضاء والقوقاز وآسيا الوسطى الإسلامية . وتزيد عن ١٣٠٠ فدان فى أكرانيا وتبلغ نحو ستة آلاف فدان أو أكثر فى حوض الفولجا . وعلى العموم تبلغ مساحتها فى المتوسط نحو ١٦٠٠ فدان . ومتوسط عدد بيوتها أى عائلتها ٩٥ بيتاً ولكنها تكون أقل من خمسين بيتاً فى الشرق الأقصى والمناطق الشمالية النائية و١٣٣ فى أكرانيا و٥٢، فى شمال القوقاز

وقد زادت مساحة الأراضى المزروعة فى بلاد الاتحاد السوفييتى بفضل هذا النظام بمقدار ١١٠ مليون فدان فى سنة ١٩٤٠ عما كانت عليه فى العهد القيصرى فى سنة ٩١٣، وهذه الزيادة تشمل نحو ٤٠ مليون فدان من الغلال ونحو ١٨ مليون فدان محصولات صناعية ونحو ١٥ مليون فدان بطاطس وأكثر من ٣٨ مليون فدان من محصولات العلف .

ويتراوح عدد بيوت (أى عائلات) المزرعة التجمعية الواحدة بين ٥٠ بيتا فى الشرق الأقصى والمناطق الشمالية النائية و١٣٣، بيتا فى أوكرانيا و ٥٢، بيتا فى شمال القوقاز . ولكن متوسطها كان قبل هذه الحرب ٧٨ بيتا وعدد أعضائها ٣٤٢ شخصا منهم ١٤٩ من العمال الشغالين الذين لا يقل عمر الواحد منهم عن ١٦ سنة

ويعمل عمال المزارع التجمعية فى نظام يشبه نظام عمال المصانع ؛ فمواعيدهم محددة ، ولكل فرقة رئيسها . ويعاقب المذنب بعقوبات تتناسب مع جرمه وذلك طبقا لأوامر الحكومة الصادرة فى أبريل سنة ١٩٣٨ التى تنص على أن أى عامل ذكراً كان أو أنثى يرتكب ما يخل بالنظام الداخلى للمزرعة يعاقب بالتوبيخ العلنى أو بالتشهير بكتابة اسمه على السبورة السوداء ، أو بتغريمه ، أو بإنزاله إلى عمل أدنى من عمله ، أو بتشغيله مدة معينة بدون أجر . أو بالطرد من المزرعة بعد موافقة جمعيتها العمومية بأغلبية ثلثى الأعضاء .

وتقبل المزارع التجمعية النساء فى عضويتها على قدم المساواة مع الرجال على أن يقمن بالعمل الذى يتفق مع طبيعتهن وأن يرتقين كما يرتقى الرجال وأن تقبض المرأة أجرها بنفسها ، فترتب على إعطاء الحرية للمرأة الفلاحة الروسية عدم تقيدها بقيود المعيشة المنزلية فأنشئت من جراء ذلك المطاعم العامة الشيوعية والمغاسل العامة وبيوت الحضانة ومعاهد الأطفال للعناية بهم أثناء عمل أمهاتهم فى النهار وأنشئت مدارس للأولاد الأكبر سناً .

وتدفع المزارع التجمعية ضريبة دخل للحكومة، ولكن الضريبة الحقيقية هى ما يعود على الخزانة من البيع الجبرى لمحصولاتها ومنتجاتها. والواقع أن الفلاح الروسى يدفع الآن ضريبة مباشرة للحكومة بين ١٥ ٪ و ١٨ ٪ من مجموع محصولاته عدا الضريبة غير المباشرة التى يدفعها بالنسبة لاستهلاكه. وتجبى الحكومة الضريبة المباشرة عيناً فترتب على ذلك أن أنشأت الحكومة أهراء (Silo) للغلال التى تجبيها ليس لها مثيل فى العالم . ولا تمكن لأى دولة غير شيوعية أو اشتراكية أن تشيد مثلها . وأقامت الحكومة السوفييتية وسائل ومصانع للانتفاع بالمحصولات المختلفة الأخرى التى تجبيها عيناً كالألبان مثلا ؛ فأنشأت مصانع هائلة الألبان ومشتقاتها فى مناطق تربية الماشية ومصانع السكر فى مناطق زراعة البنجر وهلم جرا .

من هذا يتضح لنا أن نظام الزراعة التجمعية يتطلب دقة فائقة وعناية للانتفاع بمحصولات البلاد على أكمل وجه وتوزيعها توزيعاً اقتصاديا يعود بالنفع على كل فرد من أفراد الأمة . كما أنه تمكن

البلاد من الانتفاع بفضلات المحصولات انتفاعاً علمياً . والدليل على ذلك أن قومسارية الأغذية تنتفع بفضلات المحصولات إلى أقصى حد فى صناعة الأغذية فتحسنت بسبب ذلك حالة الأغذية فى المدن بعد سنة ١٩٣٣ .

ولا جدال فى أن جباية الحكومة ضريبة عينية من اللبن عن كل بقرة قد أدى إلى اهتمام الفلاحين بتحسين البقر الحلوب وإيجاد عشرات منه أكثر إدراراً. كما أن ازدياد حاجة الزراعة إلى الأسمدة أدى إلى الإكثار من الماشية وإلى إنشاء مصانع الأسمدة الكيميائية على نطاق واسع .

وقد أدت طريقة دفع الأجور على حساب القطعة إلى تسابق الفلاحين فى العمل ومباراتهم فى ابتداع الوسائل الكفيلة بسرعة إنجازه وإتقانه فزادت غلة المحصولات فى كثير من الحالات زيادة مدهشة

وقد أقام السوفييت فى سنة ١٩٣٩ — ٤٠ معرضا زراعيا عاما فى موسكو استعرضوا فيه أوجه نشاط المزارع التجمعية وإنتاجها ودرجة تقدم الحياة الاجتماعية فيها فاتضح منه جليا أن المزرعة التجمعية وحدة زراعية نموذجية للانتاج كاملة بعمالها وآلاتها الزراعية ومبانيها ومواشيها فهى تضم كل مستحدث فى الفنون الزراعية مما يسهل العمل لعمالها ويجلب الراحة والهناء والسعادة والرخاء والصحة لهم . وقد بلغ عدد حظائر تربية الماشية التابعة للمزارع التجمعية عند بدء الغزو الألمانى لبلاد السوفييت ٦١٨٠٠٠ حظيرة تحوى نحو ١٨ مليون من حيوانات الفصيلة البقرية و ٧ ملايين خنزير و٣٣ مليون من الغنم والماعز . وفى كل مزرعة مهندس زراعى وخبير للتقاوى وخبير لتربية الماشية وطبيب بيطرى وخبير لفلاحة البساتين وميكانيكيين ، وقد بلغ عدد المتخصصين تخصصاً عالياً فى فروع الزراعة المختلفة فى المزارع التجمعية ببلاد السوفييت ٣٢٢٠٠٠ من مهندسين زراعيين وخبراء فى شتى شؤون الزراعة وبيطريين

وليس أدل على نجاح نظام المزارع التجمعية مما وصل إليه رخاء أعضائها . فقد وصل دخل الفلاح السنوى فى بعض المزارع التجمعية إلى ٢٤٠٠ روبل علاوة على ثلاثة أرادب مصرية وثلث أردب من القمح و ٦٠٠ رطل من الخضروات و ٣٠٠ رطل من البطاطس و ٣٠ لتر من الخمر بخلاف ما يحصل عليه من مزرعته الخاصة الملحقة ببيته وما يكسبه من إيوائه فى بيته للنزلاء الذين يفدون إلى الريف طلباً للنزهة والراحة .

ومما يدل على رخاء الفلاحين فى المزارع التجمعية نوع البضائع التى تعرض فى المخازن التعاونية فى القرية مثل : الجوارب والأحذية وأحمر الشفاه ، واسطوانات الجراموفون ، وساعات الحائط ، والدراجات ، والراديوات وغير ذلك من الكماليات التى لم يسبق للفلاح الروسى أن تمتع بها من قبل .

ويرجع رخاء الفلاح السوفييتى إلى عدة عوامل أخرى نذكر منها زيادة مساحة الأراضى الزراعية بالنسبة لعدد السكان ، وزراعة محصولات أخرى أكثر ربحاً ، وزيادة المنتجات الحيوانية ، وتحسن التسويق ، ونظام الأسواق ، وازدياد الدخل من موارد غير زراعية ، ونقص أثمان البضائع المصنوعة مقدرة على أساس أثمان المحصولات الزراعية ، ونقص الضريبة المفروضة على الفلاح وتخلصه من أثقال الربا وإيجارات الأرض والوصول إلى طريقة تقلل الفقد فى المحصولات فى عمليات الضم والدراس والتخزين وغيرها فقد أمكنهم باستعمال آلة الضم والدراس المزدوجة أن يقللوا الفقد فى محصول الحبوب بنسبة قد تصل إلى ٣٣ ٪ فى القمح

وقد أثرى الفلاحون فى المناطق الشمالية الوسطى من إنشاء مصانع الألبان ، ومن زراعة الخضروات والبطاطس والمحصولات الصناعية . كما أنهم استفادوا من امتداد منطقة زراعة القمح شمالا فى أراض كانت تعتبر فى الماضى غير صالحة لإنتاج المحصولات الغذائية

ويدل ما تخطه أقلام الكتاب السوفييتيين على أن الفلاح الروسى قد أصبح سيد نفسه له حق التمتع بما تنتجه عبقريته ويداه لا يشاركه فى إنتاجه أحد . فقد كتب بوريسوف عن الفلاح وهو يخاطب القديس نقولا العجائبى : « لمن أيها القديس العزيز يجب أن تكون الأرض والحقول والقرى » فأجابه القديس نقولا : « إليكم يا إخوتى وإلى أبنائكم ، نعم إليكم دون غيركم ».

ويقول الكتاب الروس بلسان رجل المستقبل وهو يخاطب الشعب : « أنا لا أتكلم إليكم عن الجنة التى وعدكم بها المسيح بل أكلمكم عن جنة الدنيا التى هى للجميع ماعدا ضعفاء النفوس »

ويقول الكتاب بلسان الفلاحين الروسيين : « نحن الذين لم نكن شيئاً فأصبحنا الآن كل شىء » . ويقولون أيضاً : « الأرستقراطية الحديثة هى أرستقراطية العمال المهرة الفنيين ، فهؤلاء هم الذين يجب أن يتمتعوا بحقهم من الراحة والرياضة والتعليم والعناية بهم وبأطفالهم » .

محطات الجرارات والآلات الزراعية M. T. S.

رأى السوفييت أن تقدم الزراعة ووصولها إلى الذروة العليا

التى يرمون إليها لا يتم فى بلادهم المتسعة الأرجاء الفسيحة السهول بغير استعمال الآلات الزراعية الميكانيكية الحديثة ، ولذلك أنشأت الحكومة نظام محطات الجرارات والآلات الزراعية (M. T. S.)

وتتوقف طبيعة المحطة على نوع المحصول الأساسى لكل منطقة سواء كان من الغلال أو القطن أو بنجر السكر أو غير ذلك . ولما بدأت الحكومة السوفيتية التحول الجبرى فى سنة ١٩٣٠ من الزراعة الفردية إلى النظام التجمعى كان فى الروسيا ١٥٨ محطة من هذه المحطات ملكا للحكومة و ٤٧٩ محطة تعاونية وكان عدد الجرارات فى الروسيا أربعين ألف جرارة صالحة للأعمال الزراعية منها عشرة آلاف جرارة تابعة لمحطات الآلات الزراعية الحكومية . وهى صالحة لفلاحة المزارع التجمعية التى أنشئت فى البلاد حديثاً .

ومن الدوافع الأساسية التى حدت بالسوفيت إلى تعميم نظام المزارع التجمعية هو جعل الزراعة بالآلات الميكانيكية الحديثة ممكنة واقتصادية ، ولذلك أنفقوا ملايين الجنيهات فى بناء مصانع إنتاج هذه الآلات التى خرجت من طور التجربة إلى الإنتاج فى نهاية سنة ١٩٣٣ إذ كان لديها مائة ألف جرارة . وجميع هذه المحطات حكومية تؤدى جميع ما يطلب منها من العمليات الزراعية فى المزارع التجمعية التى أصبحت تعتمد عليها فى ذلك فهى تقوم بالحرث والضم والحصاد والدراس وغير ذلك مقابل نسبة مئوية من محصول المزرعة تتراوح بين ١٠ — ٢٠ ٪ حسب قلة المحصول أو وفرته .

وقد كان نصف العمل الزراعى قبل الهجوم الألمانى فى الحرب الأخيرة يؤديه الخيل والنصف الآخر تؤديه الآلات . وقد بلغ عدد الخيول فى المزارع التجمعية ٨ر٥ مليون حصان بمتوسط ٢٥٠ حصانا للمزرعة ، ولكل حصان ٢٩ فدانا ، ولكل مائة فدان من الأرض الزراعية ١٢ عاملا زراعياً عضواً فى المزرعة التجمعية. وفى سنة ١٩٣٥ أصبحت محطات الآلات الزراعية تخدم نحو ثلاثة أرباع المساحة المزروعة فى الاتحاد السوفيتى .

وقد بلغ عدد محطات الآلات الزراعية M. T. S. فى بلاد السوفيت فى سنة ١٩٤٠ مقدار ٦٩٨٠ محطة خدمت نحو ٩٤/٥٪ من الأراضى المزروعة بالمزارع التجمعية ، وقد وفرت بعملها عمل ١١ مليون عامل . وقد بلغ عدد الجرارات فى سنة ١٩٤٠ فى الزراعة السوفيتية ٥٢٣٠٠٠ جرارة وآلات الضم والدراس المزدوجة ١٢٨٠٠٠ . وقد تمكن السوفيت بفضل محطات الآلات أن يدربوا فى المدة بين سنة ١٩٣٣ — ١٩٤٠ عدد ٦٠٢٠٨ ميكانيكى و ١٠٦٣٠٢ رؤساء فرق سواق الجرارات و ١١٧ر٣٦٥ر٢ سواق جرارات و ٥٦٢ر٣٠٥ سواق لآلات الضم والدراس و ٢٦٨ر١٦١ر٢ مساعد سواق و ١٩٦٣٢٣ ميكانيكى لآلات الضم والدراس و ٢٠٧٢١ سواق أتوموبيل ، وقد التحق كثير من هؤلاء بالفرق الميكانيكية فى الجيش السوفيتى خلال هذه الحرب وكانوا من أقوى العوامل فى النصر

والسبب فى تركيز الآلات الميكانيكية الزراعية فى محطات هو سبب اقتصادى ، لأن إدارة هذه الآلات وصيانتها تتطلب خبرة ومهارة خاصة لا تتوفر إلا فى أناس يتخصصون لها ويكونون خاضعين لسلطة واحدة مكلفة بهذا العمل ومسئولة عنه فى كل منطقة زراعية ويكون فى متناولها كل وسائل إصلاح الآلات وصيانتها ، وهذا من مستلزمات الاقتصاد فى المال والوقت والمجهود . وإشراف الحكومة الأشراف الكلى الكامل على كافة الأعمال الزراعية فى البلاد لأن هذه المحطات ملك للحكومة وهى التى تقوم بجميع العمليات الزراعية فى كافة البلاد مقابل جزء معين من المحصول يذهب طبعاً إلى الحكومة .

ونقطة الضعف الوحيدة فى نظام محطات الآلات هى تأثر زراعة المنطقة تأثراً يتمشى مع سوء إدارة محطة الآلات فى المنطقة .

. وجميع سائق الجرارات وميكانيكى الآلات المزدوجة للضم والدراس هم غالباً من الأعضاء العاملين فى المزرعة التجمعية تدربهم محطة الآلات ليقوموا بالعمل فى اشتداد الموسم ، وبهذه الطريقة تمكنت حكومة السوفيت من غرس العقلية الميكانيكية فى الفلاح الروسى الذى أخذ ينظر إلى جرارته نظرة صوفية لأن عليها رزقه كما ينظر الفلاح المصرى إلى ماشيته . وقد علمت التجارب حكومة السوفيت أن من الأفضل لها اتباع سياسة المكافأة لكل عمل حسن يقوم به العامل بدلا من التهديد عن كل عمل ردىء يقوم به ولكنها لا تغفل فى الوقت نفسه عن معاقبة المهمل والمخطىء والمذنب فى كل ما يعرض زراعة الدولة للخطر . فنى نهاية السنة يمنح مدير المحطة رؤساء العمل فيها مكافآت تتراوح من شهر إلى ثلاثة شهور ماهية إذا كانوا قد نفذوا مشروعهم وكان محصول المزرعة التى اشتغلوا بآلاتهم فيها قد وصل إلى معدله أو زاد عنه .

الدكتور محمد مأمون عبد السلام
وكيل قسم النباتات بوزارة الزراعة المصرية

الشرق كما يراه الغرب

المـــوالد المصرية

للأستاذ أحمد أبو زيد

كتاب الموالد الذى نلخصه لقراء الرسالة كتاب طريف وجليل يتناول ناحية طريفة وجليلة من حياتنا الشعبية . ومؤلف هذا الكتاب اليمباشى ما كفرسون أمضى ما يزيد على ربع قرن فى مصر تقلب خلالها فى عدة مناصب إدارية ، فاشتغل زمناً بوزارتى المعارف والزراعة ، ثم انتقل إلى وزارة الداخلية وشغل منصب (مأمور ضبط) برتبة بمباشى ، وظل فى هذا المنصب عدة سنين. فهو إذن بحكم السنين الطويلة التى أمضاها فى مصر ، وبحكم منصبه فى البوليس على الخصوص من أفضل من يمكنهم الكتابة فى موضوع الموالد

وينقسم الكتاب إلى قسمين : فى القسم الأول تناول المؤلف الموالد على العموم ، فتكلم فى نشأتها ومصادرها ومظاهرها الدينية والدنيوية وما إلى ذلك . أما القسم الثانى ، فقد تكلم فيه المؤلف عن بعض الخصائص التى يتميز بها كل مولد على حدة ، وينفرد بها دون غيره من الموالد

ولكن الكتاب على قيمته لا يخلو من بعض العيوب ، وأظهر هذه العيوب هو عدم تسلسل أفكار الكاتب تسلسلا منطقياً ، فنجده ينتقل من فكرة لأخرى بدون سابق تمهيد ، ثم ما يلبث أن يعود ثانية إلى الفكرة الأولى مما قد يوقع القارئ فى شيء من الاضطراب . كذلك يكثر من الاستطراد والتكرار فى ثنايا الكتاب ، وقد يبلغ أحياناً إلى حد الإملال . ويأخذ عليه الأستاذ إيفانز بريتشارد أستاذ علم الاجتماع السابق بجامعة فؤاد الأول — وهو الذى كتب مقدمة الكتاب — أن المؤلف لم يلتزم فى كتابه أصول المنهج الاجتماعى الدقيق الذى يوجب على الباحث أن يكتفى بوصف ما يقع أمام ناظريه وصفاً دقيقاً دون أن يجعل شعوره الخاص يطغى على ما يكتب ويوجه كتابته ناحية معينة ، وألا يسمح لنفسه بالحكم على الظواهر الاجتماعية التى يراها حكما أخلاقياً ، فيصفها بالخير أو الشر ، بالصحة أو الخطأ ، كما حاول ما كفرسون أن يفعل وخاصة فى الفصول الأولى ، ولكن مهما يكن من شيء ، فإن هذا الكتاب يسد فراغاً هائلا فى دراسة مظاهر الحياة الشعبية عند المصريين المحدثين

— ١ —

يرى ما كفرسون أن الموالد ظاهرة اجتماعية عريقة فى القدم ، ترجع أصولها إلى احتفال المصريين القدماء بأعياد آلهتهم — مثل أوزيريس وعيد عروس النيل وغير ذلك من الأعياد السنوية التى يمكن اعتبارها موالد من باب التجوز . إنما ظهرت الموالد — بمعناها المتعارف عليه الآن — فى مصر الإسلامية فى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) ؛ وقد كانت فى أول أمرها احتفالات دينية شعبية محضة ، ثم أخذت تكتسب الصفة الرسمية بعد ذلك شيئاً فشيئاً ابتداء من القرن التاسع الهجرى حتى لم يعد يباح الآن الاحتفال بمولد أحد الأولياء إلا بعد الحصول على ترخيص خاص من وزارة الداخلية (وزارة الشئون الاجتماعية الآن) ؛ بل أخذت الهيئات الحاكمة ذاتها تشارك الشعب فى هذه الاحتفالات — وخاصة الاحتفال بمولد النبى (صلعم) إذ يشترك فيه رجال الإدارة ويحضره الملك نفسه أو من ينوب عنه . ومن هنا يتضح أن الموالد مظهر شعبى عظيم يمثل ناحية هامة من الحياة الروحية عند الشعب المصرى . ولكن مع أهمية هذا المظهر الذى يطبع مصر بطابع خاص فريد نجد أن هناك بعض حركات مضادة ترمى إلى القضاء على الموالد ومنع الاحتفال بها .

ولعل أكبر حركة ضد الموالد هى الحركة التى يقوم بها جمهرة المتعلمين فى مصر ممن تشبعوا بروح الثقافات الأوربية المختلفة حتى أضلتهم وأعمتهم عن مظاهر الحياة الشرقية وما هى عليه من روعة وجلال ؛ فشوهت نظرتهم إلى الموالد حتى اعتبروها مظهراً من مظاهر الحياة البدائية المتأخرة التى يجب أن تتخلص مصر منها سريعاً إن أرادت لنفسها أن تساير ركب الحضارة الحديثة ولا تتخلف عنه . وينعى ما كفرسون على المتعلمين هذه النظرة الخاطئة المشوهة ، فالموالد قبل كل شيء وعلى الرغم مما قد يشوبها من ضروب الرقص وأفانين الشعوذة البدائية تمثل ناحية لها خطرها من حياة الشعب وأفكاره وأعياده ، تنفرد بها مصر دون

غيرها من الأمم — حتى الأمم الإسلامية نفسها التى لا تتمثل فيها الموالد بمثل هذه الروعة التى تظهر بها فى مصر . أضف إلى ذلك أن هذه الموالد ليست بدعة جديدة فى مصر حتى نقضى عليها ونستريح منها ، إنما هى — كما ذكرنا من قبل — أعياد قديمة تمت إلى تاريخ مصر القديم بصلة قوية ، فهى بالتالى جزء جوهرى من مقومات الروح المصرية ، وعلى ذلك فلا شك أن مصر لابد أن تخسر خسراناً مبيناً وتفقد جزءاً هاماً من ملامح حياتها الشعبية التى ينبغى أن تتمسك بها فى عزة وفخر لو أنها تابعت تلك الحركة الهوجاء التى يقودها المتعلمون .

وهناك فريق آخر من المتزمتين الرجعيين ، يتخذ من اسم الدين سلاحاً لمحاربة الموالد ؛ ويحتجون بأن الرسول (صلعم) لم يحتفل قط بمولد أحد من الصحابة ولم يأمر غيره بذلك ، وكل ما لم يأمر به الرسول فهو بدعة وضلالة يجب محاربتها حتى توأد . — ولكن ما كفرسون يرى أن هذه الحجة لا تكاد تقوى على الوقوف على قدميها حتى تتهافت ، فالمسلمون اليوم يحيون حياة لم يحيها الرسول العظيم ولم يأمر الناس بأن يحيوها ؛ والمسلمون اليوم يتخذون كثيراً من وسائل الحضارة الأوربية الحديثة لم يتخذها الرسول قط ، ولم يأمر الناس بأن يتخذوها . فماذا يكون من أمر المسلمين إذن لو أنهم نفضوا أيديهم من كل ما يباشرونه اليـوم من أعمال ، وما يتخذونه من وسائل للحياة لم تكن على أيام (الرسول) ؟ لاشك أن طائفة الرجعيين الذين يهاجمون الموالد بهذه الحجة هم من أبعد الناس عن أن يفكروا فى نبذ وسائل الحياة الحديثة التى لم يأمر الرسول بها ويعيشوا عيشة العرب على أيامه (صلعم) . وإذا كان أنصار الرجعية هؤلاء يحتجون أيضاً بضرورة القضاء على الموالد نظراً لما تحويه من ضروب الإغراء والإغواء من رقص وموسيقى وغناء وما إليها ، فإن ما كفرسون يرى أن هذه الجوانب لا تمثلها إلا ناحية واحدة من الموالد لا يقاس ضررها إلى ما يلحق مصر من ضرر لو أنها منعت الاحتفال بالموالد أصلا . ويضيف ما كفرسون إلى ذلك أن الرقص والموسيقى والغناء كانت دائما عناصر جوهرية من عناصر الدين فى كل عصوره ، فالنبى داود كان ينشد الأناشيد ويعزف على المزامير ؛ والمسيحية لا تزال تعتمد فى كنائسها على أنغام الموسيقى لإثارة كوامن الشجن فى قلوب الناس ؛ ولا يزال هناك بعض الصبية يرقصون فى دير سانت كاترينا فى شبه جزيرة سينا ؛ فالصلة بين الدين والموسيقى صلة وثيقة فى الواقع على عكس ما يظنه بعض الناس — ونحن هنا نجد أن ما كفرسون لم يفهم طبيعة الشريعة الإسلامية حق الفهم ويخلط بين تعاليم الدين الإسلامى وغيره من الأديان والملل ، فتعاليم الإسلام تنهى صراحة عن الرقص والموسيقى والغناء إذا ترتب عليها مفسدة أو شغلت القلوب بغير ذكر الله .

وهناك أخيرا حركة ثالثة يقوم بها العلماء والفقهاء ضد الدراويش ؛ وأصل هذه الحركة هو اختلاف فهم العلماء عن فهم الدراويش للدين ؛ فالعلماء يأخذون الدين على أنه مجموعة القوانين والشرائع التى جاء بها القرآن الكريم والسنة ، وبذلك يعتبرون أعمال الدراويش أنها نوع من الدجل والشعوذة . والواقع غير ذلك ؛ فإن للدين مظهرين : مظهراً خارجياً أوظاهرياً هو الذى يتمثل فى الشرائع ومختلف الأعمال التى يقوم بها الإنسان باسم الدين ، وهذا هو المظهر الصورى الذى يتخذه العلماء لأنفسهم ؛ ومظهراً باطنياً داخلياً يعتمد على حال القلب والوجدان فى التقرب إلى الله ، وهذا المظهر يتخذه الدراويش . والمظهران فى الواقع متكاملان ؛ فالدين حالة عاطفية فى القلب ، كما هو أوضاع ظاهرية تظهر فى مختلف العبـادات ، وفى ذلك يقول بليس Blies : « إن الدراويش يبحثون عن الله فى قلوبهم ، أما العلماء فإنهم يبحثون عنه فى نصوصهم » . فأعمال الدراويش ليست إذن بعيدة تماماً عن الدين كما يزعم الفقهاء ، وإلا فبماذا نفسر سكوت الخلفاء وسكوت نقباء الأشراف — ومنهم نقيب الأشراف الحـالى — طيلة القرون الماضية على أعمالهم لو لم تكن من الدين ؟

وعلاوة على ذلك ، فإن للمـوالد فائدة أخرى توجب على المصريين أن يحافظوا عليها ويتمسكوا بإقامتها دائما ، وهى فائدة اجتماعية سياسية لهـا أهميتها القصوى فى بلد مثل مصر بلغ فيه مستوى المعيشة حدا من الانحطاط لا يبشر بخير لو لم يكن هناك ما ينفس عن الشعب الفقير المحروم بعض ما يعانى من ألم الفاقة والحرمان ويدخل عليه شيئاً من السعادة . إن الروح المصرية روح مرحة بطبيعتها تميل إلى الانطلاق واللهو والعبث . والموالد هى الفرصة الوحيدة التى يتاح فيها لعامة الشعب الفقراء أن يتناسوا

همومهم وضيقهم من حياتهم الحالكة . فمنع الاحتفال بالموالد ليس من الحكمة فى شىء إذن ، لأنه سيحرم الشعب مصدر سروره وبذلك يزيد من ثقل وقع الفقر على نفوسهم ويشعرهم بوطأة الحرمان مما قد يدفع بهم إلى الثورة على حكامهم الذين جمعوا فى أيديهم كل الثروة وتركوا لهم الفقر كله . وفى التاريخ شواهد كثيرة على أن الأعياد الشعبية كانت أبداً عاملا يلطف حدة وقع الظلم على نفوس الطبقات الدنيا ، وأن منع الاحتفال بهذه الأعياد ساعد على انفجار مشاعر الحقد الدفينة ؛ ومن أكبر الأمثلة على ذلك الثورة الفرنسية الكبرى .

وعلى العموم فإن ماكفرسون يرى أن الحكمة تقضى على المصريين بأن يحتفظوا بأعيادهم وبمظاهر حياتهم الشعبية الأخرى ويعتزوا بها كل الاعتزاز ويضنوا بها عن أن تضيع وتتلاشى من موجة الحضارة الأوربية الجارفة ؛ فإن هذه المظاهر تبين تماماً خصائص الروح الشرقية ، فلو أن المصريين سمحوا بضياعها وتلاشيها لكان ذلك نذيراً بضياع مصر وتلاشيها كدولة عريقة لها خصائصها ومميزاتها الذاتية التى تطبعها بطابع خاص يميزها عن غيرها من الدول .

— ٢ —

للمسلمين والنصارى فى مصر موالدهم الخاصة ؛ إلا أن كلمة (مولد) تنطبق على أعياد المسلمين الدينية أكثر مما تنطبق على أعياد المسيحيين ؛ لأن المسلمين يهتمون فى الواقع أكبر الاهتمام باليوم الذى ولد فيه (الولى) ، ويعتبرونه حادثاً جليلا يستحق التمجيد والاحتفال بعكس المسيحيين الذين يهتمون بيوم الوفاة ويعتبرونه يوم الميلاد الأبدى .

ولم تظهر الموالد الإسلامية — كما قلنا من قبل — إلا فى القرن السابع الهجرى بعد موت السيد أحمد البدوى . وقد كان السيد البدوى ولياً من أشهر أولياء مصر ، عُرف بكراماته الباهرة حتى اعترف له أولياء مصر لعهده بالزعامة عليهم . وقد كان للسيد البدوى شهرة مدوية ليس فى مصر وحدها بل فى سائر البلدان الإسلامية الأخرى ، وخاصة البلدان التى زارها ؛ فقد جاب السيد شمال إفريقية ، ورحل إلى مكة وأمضى هناك عشرين عاماً يعظ الحجاج ويهديهم سواء السبيل ؛ ثم سافر إلى العراق فالتف الناس حوله وأحاطوه بمظاهر الإجلال والإكبار حتى كان بعضهم يعده فى منزلة الأنبياء . ولما رجع السيد إلى مصر ومات بها شاع خبر موته فى أرجاء العالم الإسلامى ، فتوافد الناس على مصر من جميع الأنحاء . وفى طنطا احتفلوا بجنازته احتفالا رهيباً ؛ وفى العام التالى ، بدلا من أن يحتفلوا بذكرى وفاته احتفلوا بيوم مولده . ولقد كان لاحتفال أهالى طنطا بمولد السيد أثر عظيم فى نفوس أهالى دسوق ودمنهور ، فأثار فيهم شيئاً من الغيرة مما دفعهم إلى الاحتفال بمولد وليهم « سيدى ابراهيم الدسوقى » ، على غرار ما فعل أهل طنطا . وبهذه الطريقة انتشرت الموالد من مكان لآخر حتى عمت مصر كلها وخاصة القاهرة .

وتعتبر القاهرة أسعد مدن مصر ، بل أسعد مدن العالم الإسلامى أجمع نظراً لكثرة ما تضمه من رفات الأشراف والأولياء من نسل النبى (صلعم) وغيرهم ؛ فالقاهرة فى ذلك لا يضارعها حتى مكة نفسها؛ ففيها يوجد رأس الحسين ورأس ابنه زين العابدين ورفات فاطمة وسكينة ابنتى الحسين أيضاً ، ورفات السيدة زينب شقيقته ، وجثمان السيدة فاطمة النبوية وأختها عائشة بنتى الإمام السادس جعفر الصادق ، ورفات السيدة نفيسة حفيدة الإمام الحسن (وقد أمضت السيدة نفيسة ستة أعوام فى القاهرة قبل أن تنتقل إلى الرفيق الأعلى) ؛ كما يوجد بها أيضاً قبر سيدتنا رقية وسيدى هارون ، والشيخ عبد الله الحجر من نسل الحسين ، وغير هؤلاء كثيرون من نسل النبى (ص) . ولقد كان للفاطميين (الذين حكموا مصر من القرن السابع الهجرى إلى القرن السادس) اليد الطولى فى العناية بمقابر آل البيت ومخلفاتهم بعد أن أسسوا القاهرة وجعلوها عاصمة ملكهم ، وبذلك صار للقاهرة مكانة ممتازة فى العالم الإسلامى كله . ويحتفل المسلمون فى مصر اليوم بأعياد كل هؤلاء الأشراف وغيرهم لتمجيد ذكراهم واكتساب رضوانهم وشفاعتهم فى الآخرة .

فالدافع الأول إذن على الاحتفال بالموالد كان فى الأصل دافعاً دينياً بحتاً الغرض منه تمجيد ذكرى أولياء الله الصالحين ، ولكن لم تلبث أن داخلتها بعض المظاهر الدنيوية ، وشابتها بعض عناصر اللهو والتسلية ، وأخذت تتغلغل فيها شيئاً فشيئاً حتى أصبحت الموالد احتفالات شعبية أكثر منها دينية ، وأخذ الشعب كله يشارك فيها على اختلاف طوائفه الدينية ، فيشترك الآن بالاحتفال بالموالد الإسلامية كثير من غير المسلمين من أقباط مصر ويهودها

بل ومن الأجانب أيضاً ؛ كما أصبح المسلمون يشتركون مع المسيحيين فى أعيادهم (وموالدهم) مثل عيد القديسة تيريزا فى شبرا ، وعيد الشهيد مارجرجس وغيرهما . ولا شك أن هذه الظاهرة الجميلة ترجع إلى ماعرف بين المصريين من روح التسامح وعدم التعصب الدينى وروح الصداقة التى يحسونها نحو النصارى كما أمرهم القرآن الكريم .

— ٣ —

من أصعب الأمور على المرء أن يحاول تحديد مواعيد الاحتفال بالموالد فى مصر تحديداً دقيقاً ؛ وتزيد هذه الصعوبة بالنسبة للأجنبى عن البلاد الذى لا يعرف أصول التقويم القمرى الذى يسير عليه المسلمون . فالسنة القمرية تقل عن السنة الشمسية بأحد عشر يوماً، والموالد الإسلامية تتبع التقويم القمرى ، وذلك يستدعى وجود تغير كل عام فى موعد الاحتفال بالنظر إلى التقويم الشمسى . واتباع التقويم القمرى يحدث أحياناً شيئاً غير قليل من الالتباس على الأجانب على الخصوص . ومن ألطف ما حدث فى هذا الصدد أن الجرائد طلعت على الناس (فى عام ١٩٤٩) بأن مصالح الحكومة ودواوينها سوف تعطل يوم الثلاثاء ١٢ ربيع الأول الموافق ٣ مايو بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوى ؛ وفى اليوم المذكور توجهت جماعات كبيرة من نزلاء مصر من الأجانب للاشتراك فى الاحتفال ولمشاهدة (الزفة) ولكنهم لم يجدوا شيئاً ، لأن (الزفة) كانت قد تمت فى مساء اليوم السابق (الإثنين ١١ ربيع) ؛ وأخيراً عرفوا أن المسلمين يعتبرون الليل — وليس النهار — هو بداية اليوم الجديد ؛ فمساء يوم ١١ ربيع يعنى يوم ١٢ ربيع !

وتواريخ الموالد ذاتها تواريخ فضفاضة متذبذبة وعرضة للمد والجزر بشكل غريب بحيث يكاد يستحيل على الإنسان أن يضع تاريخياً صحيحاً ثابتاً لأحد الموالد ؛ بل إن شيخ الجامع نفسه لا يستطيع أن يحدد التاريخ بالضبط . والظاهر أن ذلك يرجع — كما يظن ماكفرسون — إلى عدم التثبت من يوم ميلاد الولى مما يدعو الناس إلى اختيار أى يوم كان . بل إن ذلك اليوم الذى يختارونه اعتباطاً يخضع هو أيضاً للتغيير إذا طرأ طارئ مثل موت أحد كبار المحسنين أو عدم جمع المال الكافى لإقامة الحفلات والزينات وغير ذلك من الأسباب التافهة . ويذكر ماكفرسون أنه فى عام ١٦٣٨ منعت الحكومة الاحتفال بمولد الشيخ مظلوم لأن يوم الاحتفال كان يوافق ذكرى المغفور له الملك فؤاد[١] .

ويقص الناس حكاية عن أن الشيخ مظلوم استاء من فعل الحكومة أبلغ الاستياء فتراءى فى المنام لبعض ولاة الأمور وهددهم بالويل والمصائب إن لم يحتفلوا بمولده كما جرت العادة ؛ وقد كان للشيخ ما أراد !

إلا أن بعض الموالد تتبع الآن التقويم الشمسى أو التقويم القبطى دون التقويم القمرى ؛ ومن هذه الموالد مولد السيد البدوى نفسه إذ يقام فى شهر بابه دائماً (اكتوبر) ومولد سيدى ابراهيم الدسوقى ، وسيدى البيومى ، وسيدى الامبابى وغيرهم ؛ ومع ذلك فأن هذه التواريخ ذاتها تتعرض للتغير كل بضع سنوات ، ذلك لأنه لما كان التقويم القمرى يفترق عن التقويم الشمسى بأحد عشر يوماً فى كل عام ، فإنه يحدث أن يأتى عام يصادف وقوع الاحتفال فيه بالمولد وجود شهر رمضان ؛ وفى شهر رمضان لا يحتفل المسلمون بأى مولد من الموالد ، وبذلك لا يكون ثمة مندوحة عن تغيير تاريخ المولد ! — أما موالد المسيحيين فى مصر فلعلها أكثر ثباتاً من موالد المسلمين لأنها تتبع دائماً التقويم القبطى ؛ فمولد مارجرجس يحتفل به دائماً فى برمودة (ابريل) عند الكاثوليك ، وفى بشنس (مايو) عند الأرثوذكس ؛ ومولد ستنا دميانة يحتفل به دائماً فى بشنس ، ومولد ستنا مريم فى مسرى (أغسطس) ومولد سيدى برسوم العريان يحتفل به فى توت (سبتمبر) وهكذا .

ولكن الموالد الإسلامية مع تعرضها لتغير تاريخ الاحتفال بها ، تتم دائماً فى يوم معين بذاته من أيام الأسبوع دون أن تحيد عنه قط . فمولد السيدة فاطمة النبوية مثلا يتم دائماً فى يوم الإثنين (وفى العادة يكون يوم الإثنين الأخير من ربيع الأول) ، ومولد السيدة فاطمة النبوية بنت جعفر الصادق يقام دائماً يوم الثلاثاء (أى يوم ثلاثاء من شعبان) وكذلك يحتفل بمولد سيدنا الحسين يوم الثلاثاء دائماً (آخر يوم ثلاثاء من ربيع الآخر فى العادة) ويقام مولد السيدة زينب فى يوم الثلاثاء أيضاً (أقرب ثلاثاء من منتصف رجب) وهكذا . فليس هناك إذن أى تغير أو اختلاف فى يوم المولد ذاته على الرغم من تغير التاريخ .

(يتبع) **أحمد أبو زيد**

---

(١) ويذكر ماكفرسون أن من أسباب تغير تاريخ الموالد هو أن وزارة الداخلية كثيراً ما تعين بنفسها يوم الاحتفال حسب أهوائها .



١٣ – الفــن

للكاتب الفرنسي بول جيزيل

بقلم الدكتور محمد بهجت

يا لها من إشارة بارعة ! أيمكن أن يكون ولاء أعظم وأوقع في النفس من أن يرجع بمعاصر إلى طيات الماضي حيث يقرنه إلى رجل من رجالاته الأفذاذ الذين لمع نجمهم وتألق تألقاً فريداً ثم يبلغ منه التأثر لمجرد شعوره بالاتصال الحسي بهذا العبقري الشبيه بأنصاف الآلهة (بوسان) . وعاود رودان حديثه قائلا :

لم يرض بوفي دي شافان عن التمثال الذي عملته ، وكان ذلك من أمرٍ ما غصني في حياتي الفنية . لقد ظن أني صنعت له تمثالا مسخاً . ومع هذا فأني مؤمن أني أودعت في التمثال كل الحماس والإجلال الذي شعرت به نحوه » .

ودفعني بوفي دي شافان إلى التفكير في تمثال جان بول لوران Jean Paul Tauren الذي يوجد بالمكسمبورج أيضاً .

إنه ذو رأس مستدير ووجه يهم بالحركة ، ويفيض منه الحماس بكاد لايتردد فيه نفس — إنه من مواطني الجنوب ، عتيق غير مصقول تظهر عيناه كأنهما مأهولتان بأخيلة بعيدة — ذلك هو مصور العصور التي كانت أدنى إلى الهمجية حيث كان الرجال أقوياء زاخري العواطف . قال رودان :

« كان لوران من أقدم أصدقائي . وقفت له كتمثال لواحد من الميروفيين[1] الذين كانوايعاونون ساعة موت القديسة جنيفياف ، وذلك بلوحته الموجودة الآن بالبانتيون « كانت محبته لي خالصة على الدوام . وهو الذي تحصل لي على الأذن بعمل رهائن كاليه . ومع أن الصفقة لم تعـد علي بنفع مادي إذ أني قدمت ستة من التماثيل المعدنية بالثمن الذي عرض لواحد منها فقط ، فإني مدين له بالامتنان العظيم العميق لأنه حفزني لخلق عمل من أجل أعمالي .

« وكم كان سروري عظيما بأن أعمل له تمثالا . ولكنه عتب علي عتابا رقيقاً لأنني أظهرته بفم مفتوح ، فأجبته بأني رأيت من تصميم جمجمته أنه ربما انحدر من سلالة القوط الأسبان . وأن هذا الضرب من الناس يمتاز بكبر الفك الأسفل . وإنني لست على بينة مما إذا كان اقتنع بصحة ملاحظتي العلمية التي ترتكز على علم الأجناس » .

وأبصرت في تلك اللحظة بتمثال لفا لجويير Falguière أنه متوقد ، ذو خلق ثائر ، بوجهه كثير من التجاعيد والعجر كأنه أرض اجتاحتها العواصف . أما شاربه فشارب امرئ متذمر ، وأما شعره فـكث قصير . قال عنه رودان إنه كان ثوراً صغيراً . لاحظت فيه غلظ الرقبة حيث تبدو أثناء الجلد وتضاعيفه كأنها غبب الماشية ، وكذلك جبهته المربعة . أما رأسه فمائل عنيد ، على وشك أن يشيح بحركة إلى الأمام . حقاً إنه ثور صغير !

كثيراً ما كان رودان يتمثل بتشبيهات من المملكة الحيوانية . فمثلا إذا كان الإنسان ذا رقبة طويلة وحركات آلية فهو الطائر يتذبذب يمنة ويسرة ، وإذا كان جد ظريف كثير الحركات الرشيقة فهو كلب الملك شارل وهكذا . ومن شأن هذه التشبيهات أن تسهل العمل لمن يبحث وفي تقسيم سحن الناس وسيماهم أقساماً عامة . ثم طفق رودان يشرح لي الظروف التي أدت به إلى فالجويير قال :

« كان ذلك عندما رفضت جمعية الآداب قبول تمثالي « بلزاك » أصر فالجويير الذي تولى عمل تمثال آخر لبلزاك من بعدي على أن يبين لي بحافز من صداقته أنه لم يضلع بتاتاً مع أولئك الذين أرادوا الغض من قدري وسمعتي . فدفعني حدبه إلى عمل تمثال له . وعند ما انتهيت منه ورآه قدّره تقديراً وعدّه فوزاً عظيما . وإني لأعلم أنه كان يدفع عنه نقد الناقدين في حضرته . وفي مقابل ذلك عمل لي تمثالا بدوره فجاء جد ظريف » .

[1] (١) نسبة إلى ميروفث إسم مؤسس أول أسرة حكمت دولة الفرانك غرباً في القرن الخامس .

وعنـد ما كنت أهم بالانصراف وقعت عينى على نسخة شبهية (١) لتمثال برتلو (Berthelot) الذى عمله رودان قبل وفاة السكيميائى العظيم بسنة واحدة فقط

كان العلامة الكبير يبدو كأنه مطمئن إلى تأدية رسالته . إنه يتأمل . إنه منطو على نفسه ، وحيداً يواجه العقائد البالية المتداعية ، وحيدا قبالة الطبيعة التى نفذ إلى بعض أغوار أسرارها ولـكنها ما زالت جد غامضة ؛ وحيداً على حـدود الآفاق الغير محدودة . جبينه معذب ، وعيناه المسبلتان مليئتان بالهموم وكأن هذا الرأس الجميل رمز للفـكر المصرى وقد ازدحم بالعلم والمعرفة وأضناه التفكير ، ينتهى به الأمر إلى التساؤل « وما جدوى كل ذلك » .

احتشدت برأسى الآن كل تلك التماثيل التى كنت أعجب بها والتى كان يتكلم عنها رودان ، وقد بدت لى كأنها وثائق قيمة عن عصرنا الحاضر ثم قلت :

« إذا كان رودون كتب مذكراته عن القرن الثامن عشر ، فقد كتبت أنت مثلها عن أواخر القرن التاسع عشر . أما أسلوبك فأخف وأغلظ من أسلوب سلفك ، وأما تعابيرك فأقل رشاقة ، ولـكنها طبيعية صادقة — إذا جاز لى أن أقول ذلك إن الشك والإلحاد الذى كان واضحاً بيناً فى القرن الثامن عشر ، والذى كان مليئاً بالتهكم والسخرية أصبح فيك اليـوم عنيفاً حاداً . كانت أشخاص أودون أميل إلى الاجتماع والتمازج والتنادر ، أما أشخاصك ، فأكثر انصرافاً إلى أنفسهم . كانت أشخاص أودون تنتقد عورات أنظمة الحكم ، أما أشخاصك فيظهرون كأنهم يتساءلون عن قيم الحياة الإنسانية نفسها ويشعرون بالآلام والرغائب التى لم تتحقق »

فأجابنى رودان رداً على ذلك :

لقد بذلت كل ما فى وسعى ، لم أكذب ولم أغرر بمعاصرى قط . لم ترق تماثيلى فى أعين الناس ، لأنها على جانب كبير من الإخلاص ، ولـكن مما لا ريب فيه أن بها حسنة واحدة هى الصدق ، فليعوضهم هذا من الجمال »

(انتهى)

دكتور محمد بهجت
قسم البساتين

(١) نسبة إلى الشبه أو الشبه وهو ضرب من النحاس المخلوط .

اللحن الحـــزين !

للأديب إبراهيم محمد نجا

[قيلت فى رثاء فقيد العروبة والاسلام الأستاذ أحمد محرم بمناسبة مرور أربعين يوما على وفاته] .

نبأ ألمَّ فهاج كامن دائى   إذ كنت أستشفى من الأدواء

متعزيا بمواجعى ، متفرداً   بمدامعى ، متوحداً بعنائى

نبأ به تدمى النفوس ، وإنما   تدمى النفوس بفاجع الأنباء

قالوا لقد ذهب الردى بمحرم   فى غير ما ريث ولا إبطاء

عَجِلا به إذ كان يحمل مهجة   كالشمس قرب سنًى وبعد سناء

والأهل يبكون الفقيد ، وإنما   يبكون خير مشيَّع ببكاء

ما بال هذا النعش يسرع بالخطى   فى لهفة محفوفة برجاء ؟

كمسافر نِضو السُّفار بدت له   وقت الهجيرة واحة الصحراء

والناس أنضاء الحياة ، وإنما   تلك المقابر واحة الأنضاء

ما بال هذا الجمع يرجع مطرقا   فى وحشة وكآبة خرساء ؟

أين الفقيد ؟.. لقد نأى متغربا   وا رحمتاه للغريب النائى

تركوه فى قلب الثرى متفرداً   إن التفرد شيمة الشعراء

* * *

يا شاعراً عرف الحياة مآسياً   مصبوغة بمدامع ودماء

يا شاعراً عرف النفوس وما بها   من جامح النزعات والأهواء

ورأى الزمان وكيف يخترم الورى   بفواجع النكبات والأرزاء

ورأى الفناء حقيقة عُلْويَّة   ورأى البقاء ضلالة الأحياء

فأتى بصور فى القصائد ما رأى   ببراعة عزت على النظراء

فى كل طارقة ، وكل مُلِمَّة   غراء تخلب أنفس الفصحاء

معنى كنور الشمس ... فيه من السنى   روح الحياة ، وجوهر الأشياء

يوحى إلى النفس العلاء ، وإنما   تعلو النفوس بقوة الإيحاء

وكريم لفظ صيغ من محض الشذى   ومن السنا والطل والأنداء

طوراً كرقراق النسيم ، وتارة   كالعاصفات يثرن فى البيداء

وخيال منشور الجناح محلِّق   كالنسر فوق القمة الشماء

شعر يخلَّد فى الصدور ، وغيره   يفنى كما يفنى حَباب الماء

أبقى لنا الصوت القوى ، وغيره   لم يُبق إلا خافت الأصداء

وهدى إلى سبل السلام مباركا   كمنارة فى ليلة ظلماء

والشعر مثل النفس ... منه مظلم   يعمى القلوب ، ومنه ذو أضواء

يا شاعراً مسَّ القلوب بشعره   فإذا بها تصحو من الإغفاء

كالغيثُ باكر فى الصباح سباسباً   فتألقت برياضها الغناء

شعر كما تهوى النفوس ، موكل   بالنفس يكشفها لعين الرائى

أبصرت فيه سرائرى فعشقته   عشق النفوس لغادة حسناء

وجعلته سلوى حياتى كلها   وملاذ أحلامى ، وحصن رجائى

من أى شىء صغت شعرك ، إنه   طب الجراح وبلسم الأدواء ؟

إنى عرفتك فى الحياة مجاهداً   بعزيمة وقادة ومضاء

تمضى على الأحداث تدفع موجها   عن منكبيك بهمة قعساء

ولقد أراك — وأنت نَهْبٌ للأسى —   تخفى الهموم ببسمة غراء

كالسيف يبدو فى غبار عجاجة   متألقاً كالكوكب الوضَّاء

ماهنت يوماً فى الحياة ، وإن تكن   قد عشت بين براثن اللأواء

يا للحياة ، وما يكلِّف حبُّها   من جمل مكروه ، وبذل فداء

عجباً لنا نهوى الحياة ، وإن تكن   بالغدر مولعة وبالإيذاء

كالغادة الحسناء تذكى حبَّها   فى القلب بالهجران والإقصاء

سيان فى حب الحياة منعَّم   جمُّ الثراء ، ومعدم البؤساء

سيان فى شرع الحياة وذنبها   حزن الشقى ، وفرحة السعداء

وإذا طلبت من الحياة عدالة   فلقد طلبت قلائد الجوزاء

ما العدل من شيم الحياة ، وإن تكن   تخفى مظالمها على الفطناء

* * *

إيهاً فقيد الشعر فى البلد الذى   لم يرْعَ حق الشعر والشعراء !

وأساء عيش ذوى البصائر والنهى   حسداً ، وأحسن عيشة الدهماء !



إلى الأستاذ العقاد

أستاذي الكبير :

قرأت كتابكم الأخير « في بيتي » ، وأنا أقرأ كتبكم لأفيد منها علماً بالحياة وبالنفس الإنسانية ، ومتعة فنية عظيمة . وقد وجدت العلم والمتعة في كتابكم هذا كما وجدتهما في كتبكم الأخرى

ولكن ليسمح لي الأستاذ أن أخالف رأيه الذي جاء في الكتاب عن القصة ، فقد جاء في ص ٢٧ ما يأتي :

« ثم راح (الصديق) يجول ببصره (في رفوف المكتبة) وهو يقول : ما أصغر نصيب القصص من هذه الرفوف !

« قلت : نعم . وإنه لو نقص بعد هذا لما أحسست نقصه ، لأنني — ولا أكتمك الحق — لا أقرأ قصة حيث يسعني أن أقرأ كتاباً أو ديوان شعر، ولست أحسبها من خيرة ثمار العقول»

ولا شك عندي في أن الشعر فن أرقى من القصة ، لأنه تعبير جميل عن النفس الإنسانية في أصفى حالاتها ، بل أنا أحب أن أزيد يقيناً بذلك ، لا إيماناً بالفن الرفيع فحسب، ولكن اعتزازاً كذلك بما أكتبه من الشعر بين الحين والحين !

ولكني أخالف الأستاذ في قوله : إنه لو نقص ما نقرؤه من القصة لما أحسسنا بهذا النقص ، فالقصة دراسة نفسية لا غنى عنها في فهم سرائر النفوس ، وليس الشعر أو النقد أو البيان المنثور بمغن عنها ، لأنها في ذاتها أحد العناصر التي يحتاج إليها قارئ « الحياة »

وقد قرأت « سارة » ، وقرأت في الديوان ما يقابلها من شعر ، وهو شعر جيد رفيع ، ولكني لا أستطيع مع ذلك أن أقول إنني استغنيت به عن قراءة « سارة » ، أو إن « سارة » ليس فيها جديد مفيد من الدراسات النفسية العميقة فوق أنها من خيرة ما أخرجه الأستاذ ، ولكني أقول إن هذا طعم وذلك طعم آخر ، وكلاهما جيد مفيد

ويقول الأستاذ — في تقليل شأن القصة — « فكلما قلت الأداة ، وزاد المحصول ، ارتفعت طبقة الفن والأدب ؛ وكلما زادت الأداة وقل المحصول مال إلى النزول والإسفاف

« وما أكثر الأداة وأقل المحصول في القصص والروايات ! إن خمسين صفحة من القصة لا تعطيك المحصول الذي يعطيكه بيت كهذا البيت :

« وتلفتت عيني فذ بعدت عنى الطلول تلفت القلب».

ثم أورد الأستاذ أمثلة أخرى من الشعر

ولكني أحسب أن « التركيز » ليس في كل الحالات خير ما في الأدب ، وأنه لا يغني في كل حالة عن التفصيل والتطويل ، وليست التفاصيل الدقيقة التي تعرضها القصة لغواً باطلا يمكن الاستغناء عنه ، أو أنها « كالخرنوب الذي فيه قنطار خشب ودرهم حلاوة » ! فهي تؤدي مهمة فنية كبيرة ، هي إعطاء صورة حية مفصلة من الحياة الإنسانية

والعقل يشبه الجسم في تمثيله للغذاء واستفادته منه ، والجسم حين يقدم له من الطعام ما يمضغه ، ثم يبتلعه ، ثم يهضمه ، ثم

ويموت فيه الماجدون فيحتمي بالسيئتين : الصمت والإغضاء!

ما أنصفوك من الزمان إذا هموا جعلوا نصيبك منه حفل رثاء

هل ينصفونك في الممات ، وإنهم
ما أنصفوك وأنت في الأحياء ؟

جهلوك إذ كانت حياتك بينهم والدر مجهول من الدأماء

لا تعتبن على الزمان وأهله ما دمت لا تحظى بطول بقاء

وكفاك أنك قد فرغت من الأسى
وسلمت من حسد ومن بغضاء

وخلصت من قيد السنين ، وإنه صنع الحياة ، ومن قيود الداء

ولقيت ربك ذا الجلال ، وعنده ما شئت من أجر وحسن جزاء

ثم في رحاب الخلد ، وانعم بالرضى
في ظل تلك الجنة الفيحاء

واذكر مريديك الذين تركتهم حتى يكون الموت يوم لقاء

(دمنهور) إبراهيم محمد نجا

يمثله ، ثم ينقى ما فيه من فضلات غير نافعة ، يكون أنشط وأكثر استفادة مما لو أخذ مادة هذا الطعام بعينها «مركزة » فى قرص صغير

والأستاذ يشير إلى مثل هذا المعنى حين يقول :

ليست خلاصة كل شيء غنية عنه ولو كانت خلاصة ماهر

ثم أحسب أن الأستاذ يكاد يستدل على إسفاف القصة بأن قوماً كالشيوعيين قد استغلوها فى دعوتهم إلى أقصى حدود الاستغلال ، وقالوا إنها أشرف أبواب الأدب

ولكن الشيوعيين قد استغلوا كل أنواع الأدب ومن بينها الشعر ، وهذا شاعرهم الكبير « بوشكين » شاهد على ذلك ، فلا يقال إن الشعر أو القصة فن غير رفيع لأن الشيوعيين قد استغلوه ، وإنما يقال بحق إن القصة فى إنتاج ما بعد الثورة قد هبطت كثيراً عما كانت عليه أيام تولستوى ودستيوفسكى لأنها اتخذت مظهر الدعاية وحادت عن الأدب الرفيع

ولا شك فى أن القصة تستطيع أن تسف أكثر مما يستطيع الشعر أو غيره من الفنون الرفيعة ، ولكن ذلك لا يعنى أن القصة الجيدة ليست فناً رفيعاً ، أو أنها لا تحتل مكانة عالية بين الفنون الإنسانية الكبيرة

وليس دفاعى عن القصة ومكانتها اندفاعاً مع العصر الحديث ، فإن هذا العصر قد بالغ فى شأنها أكثر مما ينبغى ، ولكن إذا كانت مهمة القراءة كما قال الأستاذ فى كتابه هى « الاستزادة من الحياة » ، فإن القصة الجيدة كالشعر الجيد والفنون الأخرى ضرورية لتلك الاستزادة لا يغنى عنها وغيرها من الفنون

محمد قطب

خادمك المليونير

[للاستاذ عثمان نويه]

هى قصة تجمع بين الجد والفكاهة فى أسلوب رشيق ، وعبارة أنيقة ، وهى أيضاً تحليل عميق لشخص غريب الأطوار ، هو مادة الفكاهة فى القصة ، وهو فى الواقع مورد للفكاهة لا ينضب

ولا تخلو القصة بعد هذا من ناحية الجد ، إذ نجد أنها تتناول شخصية شاعر حساس ، يصارع موجة من الحب العنيف العفيف ونشهد نحن هذا الصراع ، متنقلين مع الشاعر فى جولاته وخطراته إلى أن ينتهى هذا الصراع ... ينتهى فلا يموت الشاعر ، ولا تموت الحبيبة ، ولا تفصم عراهما ، بل ينتهى بكل ما تريده النفس الطيبة ... نعم ، لم يركن الكاتب إلى الدرامة العنيفة ، أو النهاية المؤلمة التى يقصد إليها الآخرون لوجه الإيلام فحسب ، وإنما نجده يركن إلى الصفاء والسرور والمرح ... وما أحوجنا فى هذه الأيام إلى الصفاء والسرور والمرح ! وحبذا لو جرى الجميع على هذا النهج ... حبذا لو عرفوا أن السرور يهز المشاعر كما تهزها الفجيعة تماماً ... مع الفرق الشاسع بعد هذا بين السرور والفجيعة

وكاتب هذه القصة فنان مطبوع ، يتحامل على نفسه ، فيرى الحسن فى كتابه سيئاً ، ولا يرضى عنه إلا بعد أن يصير إلى أحسن

ولكن لى على الكاتب نقداً أرجو أن يتقبله هادئاً كما عهدته ؛ ذلك أنه يختم الحلقة الثالثة من عمره ، وروايته هذه هى أول مؤلفاته ، ومعنى هذا أنه قضى هذه الحلقات الثلاث فى إحدى اثنتين : إما أنه كان يحشد نفسه لهذه الرواية ، وإما أنه كان يهمل الكتابة طول هذه المدة ، وفى كلتا الحالتين يكون قد أساء إلى الأدب كثيراً ، وفى كلتا الحالتين يكون أنانياً لا يحب إلا نفسه ، فهو يقرأ ويقرأ ولا يكتب ، فيسر هو وحده ، دون أن يتيح للقراء أن يسروا بما ينفحهم به من ثمرات قلمه ، التى عرفنا قيمتها فى (خادمك المليونير)

لعل الأستاذ عثمان يصلح ما قد جنته أنانيته فيطالعنا دائماً بمثل هذه الرواية الممتعة

ثروت أباظة

إلى الأستاذ العوضى الوكيل

يظهر أن الأستاذ العوضى الوكيل قد كتب مقاله هذا بنفس السرعة التى ينظم بها قصائده ، أرجو أن يقرأ مقالى مرة أخرى .

ثروت

الترتيب التاريخى للزوميات

وُضع سهواً اسم الدكتور عمر فروخ فى ذيل الكلمة التى نشرت تحت هذا العنوان فى بريد العدد الماضى ، لأن التلخيص والتعليق (للرسالة)



الخطيـــب ...

لأنطون تشيكوف

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسى

« كتب هـذه القصة الممتعة أنطون تشيكوف أمير القصصيين فى روسيا ، منذ حوالى نصف قرن ... ويسرنا أن نقدمها إلى قراء الرسالة مثالا للحياة الاجتماعية فى ذلك العهد المظلم ... ولعل تلك القصة من القلائل التى أجاد فيها قلم تشيكوف الفكاهى فى أسلوب ممتع ومعنى طريف ، يتخللها نقد صريح للتقاليد والعادات التى كانت تغل الناس فى ذلك الحين ... »

مصطفى

... فى صبيحة يوم مشرق كان « كيريل ايفانفتش بيلونوف » كاتب الجامعة على وشك أن يُدفن ، وهو رجـل مات متأثراً بالآفتين الشائعتين فى بلادنا : زوجة سيئة الخلق ، وإدمان للخمر

وبينما كان موكب الجنازة يجتاز الطريق إلى المقبرة قفز أحد رفقاء المرحوم ويدعى « بيلافسكى » إلى عربة ، وراح يركض بها منقباً عن « جرجورى بتروفتش زبوكين » ، وهو رجـل — مع حداثته — يتمتع بهيبة ومحبة من معارفه ، ويحيط بقسط وافر من العلم — كمعظم قرائى — وقد خلع الله عليه موهبة نادرة فى ارتجال الأحاديث التى ينطلق لسانه بها فى الأعراس والأعياد والجنازات ، وفى قدرته أن يتحدث كيفما وحيثما يشاء...فى نومه ، فى خواء معدته ، عند ما ينتشى لكثرة ما نهل من الخمر ، عندما تعتريه الحمى فتسيل الألفاظ من فمه فى سلاسة ولطف كما تنساب المياه فى الجداول ، ويعج قاموسه الخطابى بكلمات لا تدانيها « صراصير » المطاعم فى الغزارة والوفرة . أما أسلوبه ففصيح بليغ يفيض بالإطناب والإسهاب ، ولذا يلجأ القـوم — فى بعض أعراس التجار — إلى الاستعانة بالشرطة لإيقاف ذلك السيل المتدفق ...

وابتدره بيلافسكى حينما عثر عليه فى داره قائلا : « لقد أتيت فى طلبك — أيها العجوز — هيا ارتد قبعتك وسترتك على عجل واصحبنى ... فقد مات أحد رفقائنا ونحن على وشك أن نشيعه إلى الآخرة ، ولذا وجب عليك أن تودعه بكلمة من كلماتك الرائعة فأنت أملنا الوحيد ، ولولا أن ذلك الفقيد له مقام فى المجتمع ويستحق ما يقال فى تأبينه لما أتعبناك وأزعجناك ، ولكنك تعلم أنه كاتب الجامعة وناموسها والدعامة الراسخة التى كانت تعتمد عليها الإدارة ، فينبغى أن نشيعه ولو بحديث لائق ...» فقال زبوكين بغير اكتراث :« هه ... كاتب الجامعة ! أتعنى ذلك الرجل السكير ؟ ! »

— « نعم . سيكون ثمت فطائر وغـذاء ، وستنال أجرة العربة ... هيا ، عجّل يا عزيزى ، يكفيك أن تلقى ببعض الألفاظ الحزينة عند القبر كما كان يفعل سيكرو العظيم ... آه كم ستحوز من الشكر والثناء ! »

فوافق « زبوكين على الفور وراح يعبث بغدائر شعره وجعل على سحنته مسحة كآبة وحزن ، وانطلق فى الطريق بصحبة « بيلافسكى » ، وقال وهو يهم بركوب العربة : « إنى أعلم من هو كاتبكم هذا ... رجل شرير خبيث ، وحش لم أصادف نظيره فى حياتى ... فليكن الله فى عونه » .

— « آه ... « جريشيا » هيا معنا فليس من العدل أن نسىء إلى رجل ودع الحياة » .

— « لا مجال للشك فى ذلك : « فما يُذكر للميت سوى حسناته » ولو كان شريراً ... » .

وأدرك الرفاق الثلاثة موكب الجنازة ، وراحوا يسيرون معه . أما النعش فكان يتقدم وئيداً وعلى مهل حتى أنهم استطاعوا — قبل وصولهم إلى المقبرة — أن ينسلوا ثلاث مرات إلى حانة خمر وينهلوا بعض الأقداح « نخب » حياة الراحل « الكريم » .

وفى المقبرة راح الجميع يصلون إلى جانب اللحد ... أما حماته وزوجته وأختها فأخذن يذرفن الدمع — مراعاة للتقاليد والعادات — وعندما واروا النعش فى التراب صرخت الزوجة فى لوعة وأسى « دعونى أرحل معه » ولكنها لم تصحب زوجها إلى القبر فقد تذكرت ما ستنال من معاش الفقيد ...

ولبث « زبوكين » حتى خيّم الصمت على الجميع ... فخطا إلى الأمام ... وراح يقلب طرفه فى الحاضرين ... وبدأ يقول :

« أأصدق ما تراه مقلتاى ، وما تسمعه أذناى ؟.. لا . إنْ هـذا إلا أضغاث حلم مزعج ... هذا القبر ، هذا الدمع الذى يتألق على الوجنات ... هـذه الأنات وهذه الزفرات ... أهذا كله وهم ؟ لا وا أسفاه ما هذا بحلم ... إنما هى الحقيقة وأعيننا لا تخدعنا ... لقد قضى نحبه من كان بيننا منذ لحظات ، من كان أمام أعيننا كالنحلة الدؤوب ... لا يقرّ قرارها حتى تخرج العسل شهياً لصالح الخلية الاجتماعية ... لقد ارتد الآن إلى التراب ... إلى التراب الخداع ، لقد اختطفته يد المنون القاسية الجبارة فى لحظة كان يفيض فيها — مع تقدمه فى العمر — بالحياة والقوة والطموح . إنها لعمرى خسارة لا تعوض ... ترى من سيخلفه فى منصبه ، لا شك أن فى حوزتنا من هو كفء لها ، ولكن « بروكوفى اسبتسن » معدوم النظير ... لقد كان منصرفاً إلى تأدية واجبه بما وسع مقدوره ... لم يضنّ بقوته بل كان يجهد نفسه فى العمل إلى لحظات متأخرة من الليل ... كان مثلا عالياً للقلب الطيب والضمير المنزه عن الرشوة ، كم كان يحتقر أولئك الذين يأكلون مال الناس بالحق وبالباطل ... لا يفتأون يحللون له الضلال ليحيدوا به عن السبيل السوىّ ... نعم أمام أبصارنا « بروكوفى اسبتسن » الذى يجود براتبه لإخوانه التعساء ... كم ستطرق آذاننا تلك الأنات التى تطلقها الأرامل واليتامى بعد أن قضى نحبه من كان يحسن إليهم ، من كان منصرفاً إلى أعمال البر وإلى تأدية واجبه ... من كان عزوفاً عن ملذات الحياة وبهجتها ... من نبذ سعادة هذا المجتمع ... بل نبذ الزواج وجانب النساء إلى آخر أيامه .. مَن ذلك الذى فى قدرته أن يخلفه كرفيق جُبِلْنا على حبه ... وكأنى أنظر إلى وجهه الحليق تعلوه الرحمة يلتفت إلينا وعلى ثغره ابتسامة مشرقة ... وكأنى أنصت إلى صوته الحنون الشفيق . أسأل الله أن يشملك برحمته يا بروكوفى أسبتسن فقد كنتَ شريفاً أميناً مع ما فى ذلك من عناء ... » .

وواصل زبوكين حديثه ... بينما شاع الهمس بين المنصتين ، لقد أرضى حديثه الجميع . بل وجعل بعض الدموع تنهمر من المآقى ... ولكن بدت معظم الفقرات الخطابية غريبة ؛ فأولا : لم يدركوا السبب الذى دعا الخطيب من أجله الفقيد باسم « بروكوفى اسبتسن » مع أن اسمه « كيريل ايفنفتسن » . ثانياً : أن الجميع يعلم ما كان ينشب بين الراحل وزوجته من الشجار . فمن المؤكد إذن أنه لم يكن أعزب كما نعته « الخطيب » . ثالثا : كان ذا لحية كثّة حمراء ، وهـذا يتنافى مع قول الخطيب من أنه كان « حليق الوجه » . ولهـذا أعجز الجميع فهم معظم أقوال الخطيب ... وعلا وجوههم الوجوم ، وبهتوا وأخذ يتلفت بعضهم إلى البعض ، بينما راح فريق منهم يهزّ أكتافه فى ملل وضجر .

واستمر الخطيب فى خطبته — وقد اتخذ فى وقفته هيئة الحزن . فقال : « بركوفى اسبتسن ... لقد كان وجهك وضاحا مع أنه قبيح ... كنت عبوساً مقطب الجبين ، ولكن كلنا يدرك أن تحت هـذا المظهر الخارجى قلباً يغلب عليه الشرف والشفقة والحنان ... » . وفجأة لحظ المستمعون أن الخطيب نفسه بدأ يعتريه شىء من الاستغراب كان يتفرّس فى جهة معينة من الجمع الغفير . ولم يلبث أن كفّ عن الحديث وفغر فاه فى دهشة ... ثم مال على صديقه بيلافسكى وقال وهو يحملق فى فزع « هه . لقد رأيته ... إنه ما زال على قيد الحياة ؟ ! » .

— « من هو الذى لا زال على قيد الحياة ؟ ! » .

— « بروكوفى اسبتسن !! ها هو قائم عند حجارة القبر !! »

— « إنه لا زال على قيد الحياة ... إنما الذى مات كيريل ايفانفتسن أما بروكوفى اسبتسن فقد كان كاتب الجامعة منذ حين وقد نُقِل إلى المنطقة الثانية رئيساً للمكتبة ... » .

— « يا للشيطان الذى أوحى إلى بذلك ! » .

— « لِمَ وقفت عن الحديث ... انطلق عجباً ! ! إنك مضطرب » . والتفت زبوكين إلى القبر ، وفى فصاحته المعهودة تابع حديثه . أما بروكوفى اسبتسن كبير المكتبة الكهل ذو الوجه الحليق فقد كان قائماً حقاً قرب حجارة القبر ... كان ينظر إلى الخطيب شزراً ... وقد انتابته موجة من الغضب .

أخذ رفقاء زبوكين يتغامزون عليه فى عودتهم « هه ... هه ... يا لك من غر ! عجباً ! أتود أن تدفن رجلا وهو يفيض بالحياة ؟ » ودنا منه بروكوفى اسبتسن وراح يقول فى تذمر : هذا لا يليق أيها الشاب ، إن حديثك هذا له قيمته إن كان فى رجل قد ودع الحياة ، أما إذا كان يمت إلى رجل حى فهو كلام فارغ وتهكم واستهزاء ... كم تحدثت طويلا عن روحى وعن نفسى ! أيها الأبله ! ماذا كنت تقول ؟ ! مثلا عالياً للقلب الطيب والضمير المنزه عن الرشوة .. إنها كلمات تقال للأحياء على سبيل التهكم ، ومع ذلك من الذى دعاك إلى التحدث بإطناب عن وجهى ؟ ! قبيح عبوس ، ولنفرض أنه كذلك ، ما الذى عاد عليك أيها الأبله من وصف محياى على ذلك الملأ ... إنها والله إهانة لن أغفرها لك

مصطفى جميل مرسى

وزارة المعارف العمومية

إدارة التوريدات

المناقصات العامة

إعلان مناقصة

تقدم العطاءات بعنوان حضرة صاحب العزة وكيل المعارف المساعد بشارع الفلكى بمصر بالبريد الموصى عليه أو بوضعها باليد بمعرفة مقدميها فى داخل الصندوق المخصص لذلك فى إدارة المحفوظات بالوزارة لغاية الساعة العاشرة من صباح يوم ٢٩/٩/٩٤٥ عن توريد أدوات ألعاب رياضية لازمة لمدارس البنين والبنات لسنة ٤٥ و١٩٤

ويمكن الحصول على شروط وقائمة المناقصة المذكورة من إدارة التوريدات بشارع الفلكى بمصر نظير دفع مبلغ ١٠٠ مليم ٣٩٢٣

إعلان بيع

فى يوم الأحد ٢ سبتمبر سنة ١٩٤٥ من الساعة ٨ أفرنكى صباحا بادمو مركز ومديرية المنيا وفى يوم الثلاثاء ٤ سبتمبر سنة ١٩٤٥ من الساعة ٨ أفرنكى صباحا بسوق دمشير سيباع بالمزاد العلنى زراعة ٢٢ ط و٤٤ ف ذرة صيفى المحجوزة تحفظياً بتاريخ ١٥ / ٨ / ١٩٤٤ و٥٦ ف قمح وفدان شعير و٢ ف حلبة وفول و٨ ف ربيع و٤ ف ربيع المحجوزة تحفظياً بتاريخ ١٩ / ٤ / ٩٤٤ و٣٠ ف قمح و١٠ ف فول و١٠ ف حلبة المحجوزة تنفيذيا بتاريخ ١٨ / ٣ سنة ١٩٤٥ وعدد ١٠ أرادب فول وحمارة ركوب وبقرة صفراء ودكتين خشب عادة وعدد ١ جرن قمح مدروس محصول ٣٠ ف ثلاثين ملك أحمد عبد الله عبد الله المقيم بناحية أدمو مركز ومديرية المنيا

نفاذا للحكم الصادر من محكمة مصر فى القضية ن ٢٥٣٧ سنة ١٩٤٤ كلى وفاء لمبلغ ١٢١٠ ج و١٠٦١ مليم من المحكوم به والمصاريف

وهذا البيع بطلب حضرة صاحب العزة الأستاذ عبد القادر بك فؤاد الناسترلى ناظر وقف المرحوم حسن باشا فؤاد الناسترلى ومحله المختار مكتب إدارة الوقف رقم ٤٦ بشارع القصر العينى بمصر ومكتب حضرة الأستاذ أحمد مختار حسين المحامى بشارع عبد العزيز ن ١٥ بمصر

فعلى راغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان الموضحين بعالية

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

نشر الاعلانات فى الرسائل البرقية

إن الاعلان فى الرسائل البرقية المتداولة بين سكان القطر المصرى باجمعه هو دعاية هامة واسعة النطاق قد هيأتها المصلحة للمعلن الذى يرمى إلى رواج أعماله وللتاجر الذى يبغى التوسع فى تجارته .

وقد راعت المصلحة أن تكون أجور النشر فى هذه الرسائل زهيدة وفى متناول الجمهور فجعلت كل مائة ألف إعلان بثلاثين جنيها مصرياً وكل ربع مليون بسبعين جنيها وكل نصف مليون بمائة وعشرين جنيها فضلا عن تخفيض معين فى المائة إذا بلغ المراد نشره مليونا أو أكثر من الاعلانات .

انتهزوا هذه الفرصة ولا يفوتكم أن تحجزوا من الآن القدر اللازم لكم من هذه الرسائل .

ولزيادة الاستعلام اتصلوا — بقسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة — بمحطة مصر

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦٣٣ — الاثنين ٢٠ أغسطس ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

١٥ ٥ ٢٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 633

Lundi - 20 - 8 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر المالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الثالثة عشرة «القاهرة في يوم الإثنين ١٢ رمضان سنة ١٣٦٤ — ٢٠ أغسطس سنة ١٩٤٥» العدد ٦٣٣

الحرية والقنبلة الذرية

للأستاذ عباس محمود العقاد

ختمت الحرب بالقنبلة الذرية

فعسى أن يبدأ بها عهد سلم موفور الأمن ، مكفول الحرية

ولست ضعيف الأمل في بلوغ الغاية من هذه الطريق المرهوبة ، لأن الاستعمار والاستغلال هما آفة هذا العصر في علاقات الدول وعلاقات الأفراد . ولا بد أن يتأثر الاستعمار والاستغلال معاً بعد انطلاق قوة المادة من خزائنها التي كانت محبوسة فيها . فنرجو أن يكون التغير المنظور للتحسين لا للتسوئة ، فإن التسوئة لا تنفع أحداً من المستعمرين ولا المستغلين ، وفيها ضير محقق عليهم أجمعين

ينشأ الاستعمار من الحاجة إلى الخامات والوقود والأسواق ، ومن أجل هذه المطالب تسيطر الدول الكبرى على سبل المواصلات وتحتل المسالح البعيدة وتجور على سيادة الأمم الضعيفة بما تشاء من المعاذير والتعلات

وينشأ الاستغلال من احتكار أصحاب الأموال الوافرة لموارد الصناعة والوقود ، وقدرتهم على تسخير الأيدي العاملة في صنع أدوات المعيشة بأرخص الأجور

فإذا استغنت الدول عن النفط والفحم وسائر أنواع الوقود ، أو خفت حاجتها إليها ، وإذا أمكن تحويل العناصر بالطاقة الهائلة التي تنطلق من خزائن الذرات على اختلافها ، وإذا تيسر استبدال بعض المزروعات ببعض المصنوعات ، أو تيسر الحصول على المزروعات بجهد قليل ونفقة أهون من نفقتها اليوم ، وإذا صحب هذا الانقلاب ما سيصحبه حتما من تغير العلاقات بين الأمم ، فهل نغلو في الرجاء إذا قلنا إن الأقوياء يستغنون يومئذ عن التحكم في الضعفاء ، وإن الاستعمار ينقضي شيئاً فشيئاً ، لأنه عدوان لا تدعو إليه الضرورة ولا يساوي ما فيه من عنت وما يدور حوله من نزاع ؟

كذلك نرجو أن يبطل الاستغلال إذا أمكنت إدارة المصانع بغير الحاجة إلى رؤوس الأموال الكبيرة ، أو بغير الاعتماد على شركات الاحتكار والاغتصاب . فلا حاجة إذن إلى إرهاق العمال في استخراج الثمرات والمصنوعات ، ولا حاجة بالعمال أنفسهم إلى العناء الشديد لاستحقاق الأجور الكافية لتحصيل أسباب المعيشة الرخية ، فقد تتيسر الأشياء لطالبيها بأرخص الأثمان وأيسر الوسائل ، لأن الطاقة الذرية كفيلة بتيسيرها من غير إرهاق في العمل ولا إغلاء للتكاليف

نعم ، إن فلق الذرة لا يزال وديعة مكتومة بين أيدي فئة قليلة من رجال الدولتين الأمريكية والبريطانية ، ولكنه سر

الحكومات والعلماء وليس بسر المحتكرين وأصحاب الأموال ، ولا مصلحة لحكومة من حكومات هذا العهد في تسليم هذا السر إلى شركات الاحتكار لاستخدامه في تسخير الملايين من الصناع والأجراء ، وإذا تسرب السر إلى الصناعات السلمية ، فلا موجب لانحصاره في أيدي أصحاب الأموال وأنصار الاستغلال ، لأنه قد يتاح لأصحاب الأموال القليلة كما يتاح لأصحاب الأموال الكثيرة ، وقد ينتفع به الأفراد كما ينتفع به كبار المساهمين في الشركات .

ولا شك أن تكاليف العدد والأجهزة التي تستخدم في شق الذرة ستنقص مع الزمن وتدخل في متناول العدد الأكثر فالأكثر من المنتفعين بها ، وبخاصة إذا تعدى الأمر معدن الأورانيوم إلى غيره من المعادن التي قد تجدي في توليد الطاقة وإن لم تبلغ في قوتها مبلغ هذا المعدن المزور

ونود أن نتفاءل ولا نود أن نتشاءم ، لأن التشاؤم هنا عبث ضائع على كل حال ، فمتى وقعت الطامة الكبرى التي لا طامة مثلها ولا طامة بعدها ، فإن غناء الباكيات قليل كما قال الشاعر القديم

* * *

وللقنبلة الذرية علاقة أخرى بقضية الحرية غير هذه العلاقة ، وهي توكيد العقم الذي تصاب به العقول المنتجة في بلاد الاستبداد ، أو في غير البلاد الديمقراطية على الإجمال

فليس أكثر من معامل التجربة في ألمانيا وإيطاليا واليابان وروسيا الشيوعية ، وبعض الحكومات التي تخضع للحكومة الإجماعية

وليس في العالم دولة تهتم باختراع الأسلحة الجائحة كما تهتم بها دول المحور ولا سيما الألمان واليابان

كل جهود هذه الدول منصرفة إلى استكمال العدة بكل وسيلة من وسائل الغلبة وكل حيلة من حيل العلم والصناعة

والعلم الإنساني بين أيديها كما هو بين أيدي الأمم الديمقراطية في الولايات المتحدة أو في بلاد الإنجليز

وربما استطاعوا أن يحيطوه بالأسرار ويهيئوا له جو البحث في أمان من عيون التجسس والاستطلاع ، ولم يتيسر ذلك بمثل هذه السهولة في بلاد البحث الحر والصحافة المطلقة والمناقشات التي لا تنقطع في الأندية العامة والمجالس النيابية

وكان فلق الذرة عند الألمان واليابان مسألة حياة أو موت ، لأنهم لا ينتصرون بغيره كما ظهر من وقائع الحرب التي شهدوها قبل أن نشهدها ، ولم يكن فلق الذرة مسألة حياة أو موت عند الديمقراطيين ، لأنهم قد انتصروا بغيره أو انتصروا قبل القنبلة الذرية وتلقوا عروض الصلح من اليابان قبل استخدام القنبلة الأولى ببضعة أسابيع

ومع هذه الضرورة الملحة ، وهذه العناية البالغة ، وهذه اللهفة العاجلة ، حصرت العقول في بلاد الاستبداد فلم تصنع شيئاً في هذا الباب ولا قريباً من شيء ، وعمل الديمقراطيون للحرب بعدهم بسنوات ، فإذا بهم يستعدون لها بهذا السلاح ويشهرونه على أعدائهم وهو عندهم فضول وعند أولئك الأعداء طريق النصر — بل طريق النجاة الوحيد .

لم خابت عقول المخترعين في بلاد الاستبداد وأفلحت في بلاد الحرية ؟ ألاختلاف في طبائع العقول ؟ أهناك تفاوت في مواهب الأجناس ؟

كلا ، لأن العلماء الذين عملوا لفلق الذرة منهم ألمانيون وروسيون وإيطاليون ودنمركيون ، ومنهم من بدأ البحث ومن تقدم به إلى ختامه الموفق ومن كان له فضل الاقتراح الناجح منذ سنوات .

فليس المرجع في هذا إلى اختلاف في طبائع العقول ، أو تفاوت في مواهب الأجناس ، ولكنما المرجع فيه إلى سبب واحد جامع شامل وهو جناية الاستبداد على العقل البشري بجوه الخانق وسيطرته القاشمة وسوء التوفيق بينه وبين الكرامة الفكرية التي يشعر بها المخترع ولا غنى له عنها في معرض من معارض التفكير .

ولم يكن هذا المخترع فلتة أو مصادفة بين المخترعات الأخرى حربية كانت أو سلمية ، ولازمة كانت في موعدها المطلوب أو غير

لازمة ... لأن القاعدة مطردة بغير استثناء يذكر فى مخترع واحد من مخترعات هذا الزمن الحديث . وحسبنا أن نلحظ الفارق بين الطائرات الألمانية أو الإيطالية وبين الطائرات الأمريكية والإنجليزية مع استغناء الإنجليز والأمريكيين بالأساطيل البحرية واعتماد الألمان على الطائرة والغواصة لمقاومة المدرعات والسفن الكبيرة . فإن الديمقراطيين دخلوا ميدان الاستعداد متأخرين فبلغوا بالطائرات على اختلافها أقصى حدود الإتقان فى وقتنا هذا ، وأصبحت قاذفاتهم ومقاتلاتهم وحارساتهم وناقلاتهم راجحة فى مجال العمل على أمثالها عند المحوريين كل الرجحان .

وما من شيء سمعناه عن أخبار الأمم التى لا تدين بالديمقراطية يدل على كساد العقول فى ظل الاستبداد كما تدل عليه تلك الأخبار التى ينشرونها عن ملايين الكتب والتصانيف التى تطبع بالملايين وتوزع كما يقولون بين الملايين . فإن تلك البلاد كانت تنجب النوابغ النابهين فى العلوم والآداب ولم يكن يطبع فيها عشر معشار هذا المقدار . فإذا توافر الغذاء وساءت « الصحة العقلية » فالجو إذن هو المسئول عن هذا الهزال ، وعليه اللوم وحده وليس اللوم على القرائح والعقول .

***

على أن القنبلة الذرية ستخدم الحرية الديمقراطية من طريق غير هذه الطرق التى قدمناها . لأنها ستحطم مذهب « كارل ماركس » كما تحطم الحصون والمعاقل التى تنقض عليها ، وهو أخطر المذاهب التى تناضل الديمقراطية فى عهدها الأخير .

ولسنا نعنى بذلك أن الديمقراطيين يحاربون الماركسيين ، وإنما نعنى به أن ظهور هذا العامل الجديد فى أطوار الصناعة يقطع السلسلة التى صاغ كارل ماركس حلقاتها وجعل الحلقة الأخيرة منها اجتماع الثروة كلها فى أيدى ملوك الصناعة واصطلاح الفاقة كلها على العمال .

قال : ومتى صار العمال إلى هذا المأزق الضنك فلا مناص لهم من الموت جوعاً أو الثورة الدموية على ملوك الفحم والحديد وأشباه الفحم والحديد .

فأقل ما تصنعه القنبلة الذرية أنها تقطع هذه السلسلة قبل حلقاتها الأخيرة ، لأنها توهن قبضة المحتكرين على عناصر الصناعة الكبرى وتخلق لهذه الصناعة عنصراً غير الفحم والحديد وغير العناصر التى يقوى على احتكارها أولئك المستغلون .

فما أضخمها من قنبلة تلك القنبلة التى نجمت من أصغر الأشياء فى هذه الدنيا .

إنها قنبلة ناسفة عاصفة ولكنها فى عالم الأفكار والآراء أفعل ما تكون ؛ لأنها إذا فعلت فعلها فى آراء الناس وأخلاقهم لم يقف لها عائق ولم يكن تعويقها من المفيد ، ولكنها إذا أرادت أن تفعل فعلها فى عالم الأجساد وقف الناس لها أجمعون أو وجب عليهم أن يقفوا لها هناك ... وإلا فهى القيامة لا مراء .

عباس محمود العقاد

الفلسفة الإسلامية المتأخرة

للدكتور جواد علي

- ٢ -

وكتاب الأسفار من الكتب الفلسفية المهمة، وقد أكسب مؤلفه شهرة عظيمة جعلته في عداد كبار فلاسفة الإسلام. فإنك إذا ما قرأت الكتاب شعرت بأهمية المؤلف وبالمسائل العويصة المدونة فيه. وبالأفكار والنظريات الفلسفية العويصة المسطرة في صحائف السفر العظيم. تذكرك بكتب ابن سينا أو محي الدين بن العربي أو الطوسي وبأمثالهم من فلاسفة المسلمين. وقد غلط المستشرق كوبينو « Gobineau » في ترجمة عنوان الكتاب إذ توهم فظن أن المقصود من «الأسفار» السياحات ولذلك اختار كلمة «Voyage» والحال أن مقصود المؤلف من كلمة « أسفار » جمع «سفر» ومعناها الكتاب. ومقصود المؤلف من « الأسفار الأربعة » الكتب الأربعة لا السياحات الأربعة كما ظن ذلك هذا المستشرق المذكور[1]

راجت كتب الملاصدرا رواجاً عظيماً وشرحت عدة شروح وظلت آراؤه فيما وراء الطبيعة تحتل مكاناً بارزاً في عالم الفكر الإسلامي حتى اليوم. ولا زالت كتبه تستعمل في الجادة القديمة لمن تقدم في موضوع الفلسفة كما تستعمل كتب ابن سينا أو ابن رشد. وقد أثرت آراؤه هذه على الأخص في الهند وإيران والأفغان فأوجدت بعض المذاهب الإسلامية التي لم تلبث أن أصبحت مذاهب دينية ذات مناهج مستقلة مثل مذهب « الشيخية » المنسوب إلى الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي المتوفى سنة ١٢٤٣ للهجرة ولسنة ١٨٢٧ — ١٨٢٨ للميلاد[2].

تأثر الشيخ أحمد الإحسائي بآراء الملاصدرا كثيراً فشرح بعض كتبه مثل كتاب «الحكمة العرشية» وكتاب «المشاعر»[1] وهو عيال على الملا صدرا على الأخص في موضوع ما وراء الطبيعة. وبالنظر إلى ما كان يظهره من غلو في بعض الآراء نفر الناس منه والتمس الشيخ حامياً له ومعيناً، وكان ذلك الحامي هو الأمير محمد علي ابن فتحعلي شاه حاكم مدينة « كرمانشاه ». ولما توفي هذا الحاكم اضطر إلى مغادرة إيران والالتجاء إلى « الحائر » المقدس في العراق حيث ألف كثيراً من كتبه وشرح ما راقه من كتب الملا صدرا المهمة وبعض الكتب الأخرى[2]. وقد عرف إتباع الشيخ أحمد باسم « الشيخية » وهم جماعة خاصة ظهرت في جماعات الشيعة في إيران. تزعمهم تلميذ الإحسائي ومنظم صفوف الشيخية « السيد كاظم الرشتي » أبرز تلاميذ الإحسائي على الإطلاق[3]. (توفي سنة ١٨٤٤ م). وكان هذا السيد من أردبيل ملجأ الشيخ صفي الدين الأردبيلي المتصوف المشهور وجد الأسرة الصفوية والذي ينسبه الكتاب إلى الإمام موسى الكاظم الإمام السابع على ترتيب الشيعة الأثني عشرية من آل البيت[4].

يروي عن الشيخية أن الإمام تجلى للسيد كاظم الرشتي في ليلة من الليالي وكان عمره إذ ذاك اثني عشر عاماً وأشار عليه بوجوب الذهاب إلى مدينة « يزد » إحدى مدن إيران والالتحاق بحاشية الشيخ أحمد الإحسائي الذي كان يعظ ويدرس في تلك المدينة. وقد اتبع السيد أمر الإمام وذهب إلى المدينة وأصبح من تلاميذ الشيخ وأصحابه ومن أقرب الناس إليه[5]. ولما غادر الإحسائي إيران ثم ترك العتبات المقدسة في العراق لأداء فريضة الحج توفي في الحجاز ودفن بالمدينة في جوار قبور الأئمة بالبقيع سنة ١٢٤٣ للهجرة[6]. وأصبح السيد كاظم الرشتي خليفة الإحسائي والنائب

---

(١) راجـع Brown Vol 4 P, 430 Gobineau Rel' et. les Philos. 1866 P, 81. كذلك مجلة المجمع العلمي العربي عدد ١١ — ١٢ مجلد ٩ ص ٦٠٣ وما بعد.

(٢) عن الشيخ أحمد الاحسائي راجع روضات الجنات جـ ١ ص ٢٥ وما بعد — أيضاً رجال النيسابوري. وكان النوري ينكر فضله. nicolas, Essai sur le Cheikhisme, Port 1, P 60, Port 2 PP, 32 — 36.

cl. Huart, in the Encyclopaedia of Islam Vol 4 P, 279.

---

(١) Donaldson, The Sbi, ite Religion PP, 360 — 361 .

(٢) روضات الجنات جـ ١ ص ٢٥ — ٢٧ . Brown Vol 4. PP, 410. Brown Travelleis narrative PP, 197 — 8 PP, 278.

(٣) نفس المصادر. Donaldsou The shi'ite Religion P, 361. Huert. Art Shaibhis Vol 4 P, 279.

Harten The Philosophi of islam P, 142.

(٤) Donaldson The Shi'ite Reli PP, 278 .

(٥) راجـع nicolas Essai sur le cheikhisme Part, 22, PP, 32 — 36.

Donaldson the Shi'ite Religion P, 361.

(٦) راجع روضات الجنات جـ ١ ص ٢٥ — ٢٧ Brown P, 410 .

منا به فى الأمور . فنظم شئون « الشيخية » وألف فى الدفاع عن عقيدة أستاذه وفى توضيح قواعد المذهب الجديد إلى أن توفى بمرض أصابه ببغداد دون أن يتمكن من النص على تعيين شخص يكون خليفته من بعده وزعيم الشيخية الدينى المطاع بالنص والتعيين[(١)].

فانصرفت جماعة منهم إلى الميرزا على محمد الشيرازى (ولد سنة ١٨٣٠ م — قتل سنة ١٨٥٠ م) الذى جاء بتعاليم جديدة تلتقى فى الفكرة التى استقى منها الملا صدرا تعاليمه والشيخ أحمد الإحسائى والبابية عيال على الشيخية فى آرائها وفى أفكارها المغالية ولا سيما فى نظرتها إلى الإمام المهدى وعلاقة الإمامة بالإنسان[(٢)]

ومن أقوال الإحسائى فى الحشر والمعاد قوله « إن هذا البدن المحسوس المركب من العناصر الأربعة يفنى ويزول ولا يعود والمحشور فى القيامة هو البدن النومى الذى تراه فى منامك . كما يقول إذا دخلت فى النوم خلعت الجسد العنصرى وبقيت فى الجسد الهور قليانى وجميع أجسام الجنة والنار من قبيل الصور النومية[(٣)]

وقد أنكر معراج النبى بالبدن العنصرى البشرى المحسوس «مستدلا بأن الصعود بهذا البدن يلزم منه الخرق والالتئام تبعاً للفلاسفة»[(٤)] وفسر المعراج تفسيراً يختلف عن التفاسير المألوفة التى تحاول التوفيق بين العقل والنقل .

وينسب إليه الغلو فى الأئمة حتى إنه أشركهم مع الله فى الخلق وفى القدرة وفى مسائل أخرى هى من صفات الألوهية والربوبية ؛ لذلك حكمت عليه طبقة العلماء بالكفر والخروج عن الدين وكتبت بذلك وثيقة وضعتها فى كربلاء إحدى المدن المقدسة فى العراق[(٥)] .

ولم يكتب الرواج للمذهب « الشيخى » على عكس « البابية » التى نشأت فى أحضان « الشيخية » ونمت بتربتها . والظاهر أن للتنظيم وقدرة زعماء البابية على إحكام أساليب الدعاية وتوجيه أنظارهم نحو العالم الخارجى المتعطش لكل فكرة غريبة هى التى

---

(١) نفس المصادر Huort, Shaikpis Ency of islam Vol 4 P, 279

(٢) راجع Donaldson The Shi'ite P, 363 Brown Vol 4. 421 Travelelr PP, 197. 310 — 312. راجع الكتب المؤلفة عن البابية .

(٣) راجع رسالة كشف خطأ الخونسارى فى معرفة الاحسائى ١٣٢٤ .

(٤) نفس المصدر .

(٥) راجع روضات الجنات جـ ١ ص ٢٥ - ٢٧ .

دعت إلى رواج هذا المذهب الغريب . أما المذهب « الشيخى » فلم يظهر فى وسطه زعيم قوى بعد وفاة خليفة « الإحسائى » السيد كاظم الرشتى يستطيع الاستمرار على دعاية ذلك المذهب على الرغم من الجهود التى بذلها بعض علمائهم من أمثال الحاج محمد كريم خان الكرمانى والملا محمد المامقانى (Mámaqàni)[(١)] .

ومع ذلك فلا زالت هنالك جماعة صغيرة مشتتة بين العراق وإيران وسواحل الخليج تنتمى إلى مذهب الإحسائى ولكنها لا تتظاهر بذلك ولا تجهر به .

وأكثر الكتب المؤلفة فى عقائد «الشيخية» هى من تأليف الشيخ أحمد الإحسائى نفسه الذى كان مؤلفا وكاتباً نشطا فى التأليف ، ومن تآليف تلميذه وخليفته السيد كاظم الرشتى والكرمانى والمامقانى ومن ظهر من رجالهم . وقد طبع بعضها ولاسيما كتب الشيخ أحمد الإحسائى فى إيران والهند . ولدى الأستاذ المؤرخ المحامى عباس العزاوى وهو عالم ومن الهواة فى جمع الكتب مجموعة مهمة من كتب الشيخية منها ما هو بخط الإحسائى نفسه ، ومنها ما هو بخط السيد كاظم الرشتى أو بخط الزعماء الشيخيين[(٢)] .

حاول الملا صدرا كما حاول جماعة إخوان الصفاء ، وبقية الفلاسفة الإسلاميين وقبلهم الفلاسفة المسيحيون التوفيق بين الفلسفة والدين ، وبين العقل والنقل ، وبين فلسفة اليونان وبين دين الإسلام . والملا صدرا ميال إلى آراء اليونانيين بل هو مؤمن بها إيماناً كلياً ولكنه مسلم من جهة أخرى ، وفى محيط إسلامى كانت الصوفية فى ذلك الوقت تتحكم فيه . هو صوفى فى التفكير والحياة والميول . ويذهب مذهب محى الدين بن العربى فى آرائه ولا سيما فى فكرة « وحدة الوجود »[(٣)] .

ولعل وحدة المزاجين مزاج ابن العربى ومزاج الملا صدرا هى التى جمعت بين الملا صدرا وبين المتصوف الشهير على تباعد الوقت واختلاف العقيدتين — وهى التى جمعت بين الملا صدرا وبين بقية المتصوفة عموماً . والظاهر أن الملا صدرا كان يؤمن بعقائد ابن

---

(١) Brown Vol. 4 P, 422 Traveller's narrative pp, 278 .

(٢) عن كتب الشيخ أحمد الاحسائى راجع روضات الجنات جـ ١ ص ٢٥ — ٢٧ ، أيضاً Brown Vol 4 p, 421 و Donaldson pp, 360 nicolas, Essai Sur le cheikhisme part 1. p, 60

(٣) روضات الجنات ص ٥٤٢ ، وكتبه المختلفة

العربى وبآرائه إيمان المقلد المعجب تراه يقتبس كلمات ابن العربى وأمثاله وأفكاره ويبثها فى كتبه كما لو كان يقتبس من كتاب من الكتب المقدسة السماوية . ويدل ذلك فى الوقت نفسه على اطلاعه الواسع على كتب ابن العربى ومؤلفاته على غموض العبارة وصعوبة الافكار والأسلوب (١) . وابن العربى من مبدعى مذهب « وحدة الوجود » فى الإسلام والملا صدرا ممن يعتنق هذا المذهب ويدين به . يروى عن ابن العربى أنه كان يقول « كفر النصارى ليس بقولهم إن المسيح هو الله بل كفرهم لقولهم إنه ابن الله » (٢) .

وقال صدر الدين فى أول رسالته سريان الوجود « ثم اعلم أن ذلك الارتباط كما مرّ ليس بالحالية ولا بالمحلية بل هى نسبة خاصة وتعلق مخصوص يشبه نسبة المعروض إلى العارض بوجه من الوجوه وليس هى بعينه كما توهم . والحق أن حقيقة تلك النسبة والارتباط وكيفيتها مجهولة لا تعرف » (٣) . وقال « الأقرب فى تقريب تلك النسبة أعنى إحاطته ومعيته بالموجودات ما قال بعضهم من أن من عرف معية الروح وإحاطتها بالبدن مع تجردها وتنزهها عن الدخول فيه والخروج عنه واتصالها به وانفصالها عنه عرف بوجه ما كيفية إحاطته تعالى ومعيته بالموجودات من غير حلول واتحاد ولا دخول واتصال ولا خروج وانفصال وإن كان التفاوت فى ذلك كثيراً بل لا يتناهى ولهذا قال من عرف نفسه فقد عرف ربه » (٤) .

وما الناس فى التمثال إلا كثلجة وأنت لها الماء الذى هو فيه (٥)

فالملا صدرا على جادة ابن عربى فى «وحدة الوجود» ويشاركه فى آرائه الصوفية الأخرى . ولكنه كان من جهة أخرى حذراً جداً فى كلامه لبقا فى أساليب التعبير . وكان إذا أراد البحث فى قضية من القضايا الحساسة تعمد التعقيد والأبهام والإجمال خوفاً من الاصطدام بطبقة « المجتهدين » الذين ناهضوا التصوف والفلسفة والمتفلسفين واستحوذوا على الشاه وعلى بطانة الشاه .

استحوذ رجال الدين و « أصحاب الاجتهاد » على الرأى العام وتدخلوا فى شؤون الحكومة حتى أصبحت الحكومة لهم والحكم فى القضايا المدنية إليهم . وتغلبوا شيئاً فشيئاً على أصحاب الذوق وعلى رجال التصوف الذين استأثروا بالحكم فى بادىء الأمر حين تشكلت الدولة الصفوية ، تلك الدولة التى نشأت على أسس صوفية وعلى دعوة منظمة سياسية تسترت باسم التصوف والدروشة وذكر الله العظيم . ولكنها كانت تبث الدعوة وتوجه الأنظار سراً إلى عمل سياسى منظم قام به أبطال صفى الدين الأردبيلى الصوفى والزاهد المشهور وجد السلاطين الصفويين (١) .

ومما ساعد تفوق رجال الدين على طبقات المتصوفة الفوضى الأخلاقية التى انتشرت فى نوادى المتصوفة وأوكارها من « تكايا » و «خانقاه» وفى صفوف « القلندرية » و « الدراويش » إذ تحول « الذكر » الدينى إلى رقص إيقاعى خليع ، وتحول « الغزل الإلهى » إلى غزل شهوانى مبتذل حتى اضطر المتصوفة أنفسهم إلى مكافحة هذه الطرق فيها كما فعل الملا صدرا نفسه وهو فى عداد المتصوفة فى رسالته « كسر أصنام الجاهلية » (٢) .

وصبغ متصوفة إيران ممن سبقوا الملا صدرا أو ممن جاءوا من بعده ابن العربى وإخوانه المتصوفة بصبغة شيعية فجعلوه من كبار المجاهدين فى خدمة التشيع وآل البيت وأحاطوه مع أمثاله كما أحاطه متصوفة السنة بهالة من التبجيل والتقديس . وكان الأحرى بهؤلاء أن يعدوه مع إخوانه فى قائمة خاصة لا هى سنية ولا هى شيعية ، قائمة يسجل فيها مع أهل الباطن وأهل الآراء الخاصة على أن أهل الفقه من رجال الدين ممن اشتركوا فى محاربة التصوف ورجاله لم يرضوا عن ابن العربى ولا عن زملاء ابن العربى ولم يخفوا حنقهم عليه . وقد حار الترجمون فيما بعد واضطروا إلى نقل الرأيين المدح والذم على الجمع بين الضدين فى مكان واحد (٣) .

(يتبع)

جواد على

---

(١) روضات الجنات ص ٥٤٢ ، وما بعد . iqbal Development of metaphysics in persia London Luwoe 1908

(٢) مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ج ١٢ ص ٧٢٩ بقلم الشيخ أبو عبد الله الزنجانى .

(٣) مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ج ١٢ ص ٧٤٠ .

(٤) نفس المصدر ج ١٢ ص ٧٤١ .

(٥) نفس المصدر ج ١ مجلد ١٠ ص ٣٠ .

---

(١) توفى سنة (٧٣٥ هـ — ١٣٣٤ م) راجع Donaldson p, 262. Browne persian Literatwre in modern Tines p, 33 ff صفوة الصفا طبعة بومى سنة ١٣٢٩ هـ - ١٩١١ م .

(٢) Brown Vol 4 p, 430 عن كتبه راجع أيضاً مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ج ١١ — ١٢ . روضات الجنات ص ٥٤٢ .

(٣) راجع كتب التراجم مثل روضات الجنات ، وقصص العلماء ؛ حيث تجد أسماء المتصوفة فى ضمن أسماء الشيعة . وفى المدح والذم .

القضاء في الاسـلام

قطعة من محاضرة ألقيت في دمشق سنة ١٩٤٢ ولم تنشر

للأستاذ علي الطنطاوي

[مهداة إلى الرجل الذي أرانا في شخصه صفحة حية من أمجاد قضاتنا الأولين ، وفخر به عصرنا العصور السالفات ... عارف النكدي]

يا سادتي ! أحب أن أكون هذه العشية مؤرخاً لا شاعراً ، وأن أعرض عليكم حقائق ثابتة بأسلوب هادئ ، فلا أفخر ولا أبالغ ، ولا أملأ الآذان إغراقاً وتهويلا ، فإذا سمعتم مبالغة فاعلموا أن الواقع هو الذي يبالغ ، وما هو ذنبي إذا كان قضاتنا الأولون قد نظموا بأعمالهم قصائد دونها في الفخر معلقة ابن كلثوم ، وجعلوا من مناقبهم مفخرة خالدة لكل من قال « أنا عربي » ، أو قال « أنا مسلم » ... وكانوا أعلام الهدى في طريق العدالة ، وكانوا الدراري في سماء القضاء ، قد بذوا كل سابق وفاتوا كل لاحق ، وما كان مثلهم ، ولا أحسبه يكون !

إني والله آخذ تاريخهم فأختصره وألخصه وأعرضه عليكم ، وربما أشرت إشارة عابرة إلى القصة لو سمعتموها على أصلها مادريتم لفرط مايخالطكم من السمو والزهو وهزة الطرب وأخذة العجب! أفي أرض أنتم أم في سماء ... لا تعجبوا ، ففي تاريخنا من الأمجاد ما لو أفيض على أفراد البشر لجعلهم كلهم عظماء !

وبعد ، يا سادتي ، فإن القضاء أعلى درجة استطاع البشر الارتقاء إليها . ارفعوا القضاء من تاريخ الإنسان يهبط إلى درك البهائم ، ويأكل القوى من بني آدم الضعيف ، وإن معنى الإنسانية وحقيقتها في الحياة المجتمعة الهادئة الآمنة ، التي لا يطغى فيها أحد على أحد ، والتي تصان فيها الحيوات والحريات ، وتحفظ الدماء والأعراض ، ويتحقق فيها التعاون على جلب المصالح ودرء المفاسد ، ولا يكون ذلك كله إلا بالقضاء.

والقضاء — عند المسلمين — أقوى الفرائض بعد الإيمان ، وهو عبادة من أشرف العبادات ، لأنه إظهار للعدل ، وبالعدل قامت السموات والأرض . وصف الله به نفسه إذ قال (فالله يحكم بينهم) و (إن ربك يقضي بينهم) ، وأمر به نبيه فقال (وإن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم) ، وجعل أنبياءه قضاة بين خلقه (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون) ، وبه أثبت الله اسم الخلافة لداود حين قال له (يا داود ، إنا جعلناك خليفة في الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى) .

والقضاء أول ما تعقد عليه أمة خناصرها ، إذا عددت أمجادها ومفاخرها . وإذا استدل بفرد على سلائق جيل ، كان القاضي العالم العادل أظهر دليل على مكارم شعبه ونبل أمته . وإذا كان بين الشعوب اليوم من يفخر باستقلال قضائه ، وعزته ومضائه ، ففاخروه يا شبابنا بقضائكم يكن لكم الفخار ، وتعقد على جباهكم تيجان (الغار) ، ولكن لا تناموا على هذا المجد التليد ، بل انهضوا فصلوه بمجد لكم جديد !

* * *

يا أيها السامعون ! إني لا ألقي خطابيات ، ولكن أسرد حقائق: هذا قضاؤنا ، فمن عرف قضاء أشد منه استقلالا ؟ هل نال قاض في أمة من الحرية مثل ما كان لقضاتنا ؟ لم يكن القاضي مقيداً بمذهب بعينه لا بد له في مخالفته ، ولا مربوطاً بقانون بذاته لا يملك الخروج من ربقته ، وليس لخليفة عليه في حكمه سلطان ، ولا لأمير معه في قضائه كلام ، تبدلت على المسلمين دول ، واختلفت حكومات ، وقام قاسطون ومقسطون ، وخيّرون وشريرون ، والقضاء في حصن حصين ، لا تبلغه يد عادل ولا ظالم ، ولا يمسه خليفة حق ولا سلطان جائر ... القاضي واجتهاده ، مرجعه كتاب الله وسنة نبيه ، ورقيبه ضميره ودينه ، ووازعه إيمانه ويقينه . وسيأتي الكلام في صفات القاضي ، وأن الأصل فيه أن يكون من أهل الاجتهاد لا من المقلدين . ولقد رأيت في تراجم بعض القضاة أنهم كانوا يرجعون إلى الخلفاء يسألونهم ويستفتونهم ، وإن من الخلفاء من كان يذيع من (البلاغات) ما ظاهره إلزام القاضي بقول أو مذهب . وتحرير الكلام في هذه المسألة أن من أعمال الخلفاء الاجتهاد والفتوى والقضاء وقيادة الجيوش وسد الثغور ، ومن شرائطهم العلم ، فإذا رجع القضاة إلى الخلفاء ، فإنما يرجعون إليهم لعلمهم وفقههم لا لسلطانهم

ومنصبهم ، وأكثر ما رأيت من السؤال إنما هو لعمر بن عبد العزيز وأمثاله . ولقد كانوا يقولون : « العلماء عند عمر بن عبد العزيز تلامذة » ... ولم يكن القضاة ملزمين بالعمل بجواب الخليفة أو بلاغه . ولقد رد القاضي المصري بكار بن قتيبة بلاغ الموفق العباسي ، لما ثبت عنده أنه مخالف للحكم ، مناهض للدليل وأسقط العمل به[1]

ولعمر الحق ما فرط قضاتنا بهذه الأمانة ولا أضاعوها ، بل كانوا أمناء عليها ، قائمين بحق الله فيها ، لا يعرفون في الحق كبيراً ولا صغيراً ، يقيمونه على الملوك قبل السوقة ، ويأخذون للضعيف الواني من القوي العاتي ، لم تكن تنال منهم رغبة ولو جئتهم بكنوز الأرض ، ولا تبلغ رهبة ولو لوحت لهم بالموت منشورا ، بل كانوا في الحق كالجبال هيبة وثباتاً ، وفي إنفاذه كالصواعق مضاء وانقضاضاً ، وسيأتيكم حديث محمد بن عمران قاضي مكة ، الذي ادعى لديه جمال على أمير المؤمنين ، العظيم المخيف ، أبي جعفر المنصور ، فبعث إليه (مذكرة جلب) ، فجاء به في خف وطيلسان ما عليه من شارات الإمارة شيء ، حتى وقفه بين يديه مع الجمال . وشريك قاضي الكوفة حين ادعت لديه امرأة مجهولة على الأمير الخطير ابن عم الخليفة وثاني رجل في الدولة بعده عيسى بن موسى ، فحكم عليه حكما غيابياً ، فامتنع الأمير من إنفاذه وتوسل إليه بكاتبه ، فحبس القاضي الكاتب لأنه مشى في حاجة لظالم ، فاستعان عليه بجماعة من وجوه العراقيين من إخوان القاضي ، فساقهم جميعاً إلى الحبس ، فغضب الأمير وبعث من أخرجهم . عند ذلك — أيها السادة — عصفت نخوة الشرع في رأس القاضي ، وأخذته عزة الإيمان فقال : « والله ما طلبنا هذا الأمر (يعني المنصب) ، ولكنهم أكرهونا عليه ، وضمنوا لنا فيه الإعزاز إذ تقلدناه لهم » . ثم ختم قمطره ، وجمع سجلاته ، واحتمل بأهله ، فتوجه نحو بغداد ، ووقعت الرجفة في الكوفة حين مشى فيها خبر خروج القاضي ، حتى خاف الأمير على سلطانه ، فلحق بالقاضي يناشده الله أن يرجع ، فقال القاضي : « لا والله حتى يرد أولئك إلى الحبس ، فما كنت لأحبس أنا وتطلق أنت » ؛ فبعث الأمير من يرجعهم إلى الحبس ، والقاضي واقف ينتظر حتى جاءه الخبر بأنهم قد أرجعوا ، فقال القاضي لغلامه : خذ بلجام دابة الأمير وسقه أمامي إلى مجلس الحكم ، إلى المسجد ، أيها السادة ، وهناك أجلسه بين يديه مع المرأة ، فلما انتهت المحاكمة وحكم لها عليه ، نهض إليه فسلم عليه بالإمارة وقال له : هل تأمر بشيء ؟ فضحك الأمير وقال : بماذا آمر؟ وأي شيء بقي؟ قال له شريك : أيها الأمير ، ذاك حق الشرع ، وهذا حق الأدب . فقام الأمير وهو يقول : من عظم أمر الله ، أذل الله له عظماء خلقه !

هذا قضاؤنا ، فهل سمعتم عن قضاء أنه بلغ في التسوية بين الخصوم مبلغه ؟ لقد سووا بينهم في المجلس والخطاب والبشر ، واللفتة العارضة ، والبسمة البارقة ، بله الحكم . وقد بلغ التدقيق في تحقيق هذه التسوية مبلغاً لا غاية وراءه ، فاقترن في هذه المسألة العلم بالعمل ، وحقق القضاة ما دوّن الفقهاء ، فافتحوا أقرب كتاب فقه إليكم تروا ما ذا دوّنوا ...

وقف بين يدي المأمون وهو في مجلس المظالم رجل يتظلم منه نفسه ، فترادا الكلام ساعة فما اتفقا ، قال المأمون : فمن يحكم بيننا ؟ قال : الحاكم الذي أقمته لرعيتك يحيى بن أكثم ، فدعا به المأمون فقال له : اقض بيننا ؛ قال : في حكم وقضية (أي في دعوى) ؟ قال : نعم ؛ قال القاضي : لا أفعل . فعجب المأمون وقال : لما ذا ؟ قال يحيى : لأن أمير المؤمنين لم يجعل داره مجلس قضاء ، فإن كانت له دعوى فليأت مجلس الحكم (أي المحكمة) ؛ قال المأمون : قد جعلت داري مجلساً للقضاء . قال : إذن فإني أبدأ بالعامة ليصح مجلس القضاء (وتكون المحاكمة علنية) ؛ قال المأمون : افعل ؛ ففتح الباب ، وقعد في ناحية من الدار ، وأذن للعامة ، ونادى المحضر ، وأخذت الرقاع (أوراق الدعوة والإعلان) ، ودعى الخصوم على ترتيبهم حتى جاءت النوبة إلى المتظلم من المأمون ، فقال له القاضي : ما تقول ؟ قال : أقول أن تدعو بخصمي أمير المؤمنين المأمون . فنادى المحضر : « عبد الله المأمون » ! فإذا المأمون قد خرج في رداء وقميص وسراويل في نعل رقيق ومعه غلام يحمل مصلى حتى وقف على يحيى ، ويحيى جالس ، فقال للمأمون : اجلس ! فطرح الغلام المصلى ليقعد عليه ، فمنعه القاضي حتى جاء بمصلى مثله ، فبسط للخصم وجلس عليه ، والقصة طويلة عجيبة ، تتمتها أعجب من فاتحتها ، فاقرؤوها في (المحاسن والمساوئ)

(١) راجعوا الكندي وذيوله

للبيهقى ، الجزء الثانى الصفحة ١٥١ ، وإنكم لتحارون بعدُ بِمَ تعجبون : من جرأة الرجل ، أو من صلابة القاضى ، أو من أخلاق المأمون !

ومن قبله غضب علىّ — كما قيل — حين كانت له دعوى مع اليهودى ، لأن القاضى ناداه : يا أبا الحسن ، ودعا اليهودى باسمه ، فرأى فى ذلك تعظيماً له وإخلالا بالمساواة بين الخصـوم ، والله أعلم بصحة ما قيل . ونزل ضيف بخير بن نعيم قاضى مصر فأطعمه وأكرمه ، ثم علم أن له خصومة لديه ، فتركه فى الدار ، وذهب يفتش عن خصمه حتى جاء به فأجلسه معه على المائدة . وقد حدثنى عمى القاضى النزيه صلاح الدين الخطيب عن عمه قاضى يافا فى زمانه للعالم الجرئ المشهور صاحب النوادر الشيخ أبى النصر الخطيب بمثل هذه القصة ... وما كان الخير لينقطع فى أمة محمد إلى يوم القيامة !

هذا قضاؤنا ، فهل سمعتم أن قضاء أسرع فى إحقاق الحق منه ، وأبعد عن التعقيد والالتواء والتسويف والتأجيل ؟ إن الحق اليوم لا يكاد يصـل إليه صاحبه حتى تتقطع دونه الأعمار ، وما جدى حق يأتى من دونه المدى الأطول ؟ لقد كانت بيننا وبين آل الصلاحى فى دمشق دعوى على أرض لبثت فى المحاكم ثلاثاً وثمانين سنة وخمسة أشهر ... أقامها على جدهم جدى الذى قدم من (طنطا) ، وانقرض منـا ومنهم بطنان والدعوى قائمة ، وقد خسرناها أخيراً . وصدقونى إذا قلت لـكم إنى لم أدر إلى الآن مع من منا الحق ، ولم أفهمها . وكيف أدرس ملفاً فيه من الأوراق المـكتوبة بالعربية والتركية والفرنسية أكثر مما فى تاريخ بن جرير الطبرى ؟ أما قضاؤنا ، فكان يبت فى القضـية مهما عظمت فى جلسة أو جلستين ، لا يعرف هذا التطويل وهذا التأجيل . ولقد حكم قاضى مصر محمـد بن أبى الليث فى دعوى بنى عبد الحـكم المشهورة بمبلغ مليون وأربعمائة وأربعة آلاف دينار ذهبى فى جلسة واحدة يوم السبت ٨ جمادى الأولى سنة ٢٣٧ ﻫ ، ورضى بحكمه الفريقان . روى ذلك الـكندى

وهل مثل قضاتنا فى التنزه عن كل ما يقدح بحشمة القاضى ووقاره ، وفى التحرز من أدنى التهم ، وأضعف الميل؟ وهل للقضاة فى أمة اليوم مثل ما كان لقضاتنا من رفيع الشأن وعظيم القدر ؟ يا أيها السادة ! اذهبوا إلى سوق الـكتب فاطلبوا كتاب « الخراج » الذى ألفه القاضى الإمام أبو يوسف للرشيد واقرؤوا مقدمته ، واذكروا عظمة الرشيد وكبر نفسه وجلال ملكه ، ثم انبشوا تواريخ الأمم الماضية وأخبار الأمم الحاضرة ، وانظروا .. هل تجدون قاضياً ، أو عالماً ، يقول لملك دون الرشيد بمائة مرة مثل هـذا الـكلام أو قريباً منه : « الله الله ، إن البقاء قليل ، والخطب خطير ، والدنيا هالـكة وهالك من فيها ، والآخرة هى دار القرار ، فلا تلق الله غداً وأنت سالك سبيل المعتدين ، فإن ديان يوم الدين إنما يدين العباد بأعمالهم ولا يدينهم بمنازلهم ، وقد حذرك الله فاحذر ، فإنك لم تخلق عبثاً ، ولن تترك سدى ، وإن الله سائلك عما أنت فيه ، وعما عملت به ، فأعد يا أمير المؤمنين للمسألة جوابها ، فإن ما عملت قد أثبت فهو عليك غداً يقرأ ، فاذكر كشف قناعك فيما بينك وبين الله فى مجمع الأشهاد »

أيها السادة ، هـذا بعض ما خاطب به أبو يوسف القاضى هارون الرشيد أمير المؤمنين والحاكم المطلق فى ست عشرة حكومة من حكومات هذه الأيام !

على الطنطاوى

العلمية الاجتماعية

التاريخ ... ما هو؟

« إذا أراد العالم أن يكون مؤرخاً،
فعليه أن يكون رجل اجتماع ... »

للأستاذ فؤاد عوض واصف

التاريخ ... ما هو؟ عنوان سبقنا إليه العلامة الألمانى لامبرشت؛ فلعله كان من بين الذين أثارهم ذلك التضارب المثير والاختلاف الكبير بين اتجاهات التاريخ المختلفة، حتى لقد احتار طلاب العلم ولم يدروا، أهو أنف كليوباترا الدقيق الذى غير مجرى التاريخ المصرى القديم، أم هى عوامل طبيعية وجغرافية لم يكن لسحر كليوباترا وجمالها دخل فيه، أم هو الشعب أقام التاريخ المصرى القديم كما أقام كليوباترا وأقعده كما أقعدها؟

التاريخ ... ما هو؟ هل هو الإنسان بما ركب فيه من ميول ونزعات تنمو تارة فيزدهر التاريخ، وتضمحل أخرى فتضيع أصداؤه؟ أم هى الطبيعة بجبالها وأنهارها بغاباتها وأشجارها، ينمو التاريخ فى أحضانها مزوداً بأعاصيرها ورياحها بثورتها وهدوئها، أم هو المجتمع يتمخض عنه التاريخ «كما يتمخض الناتج الكيميائى عن مزيج من العناصر»، دون أن يكون للفرد فيه أو للعوامل الطبيعية غير دور ثانوى؟ ...

التاريخ ... ما هو؟

***

كان التاريخ فى عهوده الأولى عبارة عن مقطوعات نثرية لا تقرر الواقع، وكانت أغلب القصص التى تروى فى ذلك الحين مختلفة، وكانت المعابد مكاناً تسجل فيه بعض الأحداث ومعجزات الآلهة. أما فى روما، فكان أكثر ما يشغل الشعب الأخبار السياسية، ولذلك كانت تدون على جدران المعابد

وجاء المؤرخون الأول من بلاد أيونا، واشتهروا بأسفارهم ورحلاتهم العديدة التى كانت عمادهم فى جمع الأخبار وتسجيلها. ومن هؤلاء هيرودوت أبو التاريخ الذى طاف بعدة بلاد، وزار مصر حيث تعرف إلى كهنتها، فكانوا له أكبر العون، وأمدوه بالقصص المختلفة وأخبار الآلهة ووقائع الحروب. وجاء بعد هيرودوت توكيديدس واكزنوفان وغيرها، ومجموع ما خلفه لنا هؤلاء، وإن يكن يحوى الكثير من الحقائق، فإن الطابع الأدبى والشعرى غالب عليه(١)

وفى القرون المسيحية الأولى كان التاريخ مقصوراً على مجرد ذكر الوقائع والأخبار المسيحية المختلفة، وحتى القرن الثالث عشر الميلادى كان التاريخ فى معظمه وقائع وأخباراً دينية، وكان غرض المدرسين أن يبينوا كيف أن الأحداث التاريخية تتابع فى نظام إلهى؛ فالحياة الإنسانية سلسلة عجائب ومعجزات إلهية، هى تجليات لله فى خيرها، وتجليات للشيطان فى شرها(٢)

والنهضة الأدبية التى ظهرت فى القرن الثالث عشر قادت إلى الكشف عن كثير من النصوص المفقودة، وأمدت التاريخ بعناصر جديدة، فظهرت لأول مرة مؤلفات تاريخية منظمة مثل مؤلفات مكيافيلى

وفى القرن السادس عشر أصبح المؤرخ بعد حركة الاكتشافات الكبيرة، على علم ببلاد جديدة وشعوب جديدة؛ فتسعت بذلك معلوماته واتجه إلى البحث فى فروع جديدة من أفرع التاريخ كاللغة والديانات وغيرها ...

وبعد الثورة الفرنسية ظهرت القوميات فكانت دافعاً كبيراً للبحث عن منابع التاريخ القومى لرغبة الناس فى التغنى بماضى أوطانهم وتفوق عناصرهم، فظهرت الكتب التاريخية حافلة بالوقائع الحربية وتراجم مشاهير الرجال. ولا يزال التاريخ يتقدم حتى بلغ المرحلة التجريبية؛ وظهرت الخطوط الأولى لهذا التقدم الهائل فى مؤلفات بارتسولدنيبورر الذى يعد واضع منهج التأريخ العلمى، ومن عهده أصبح التأريخ يستند إلى مناهج شبيهة بمناهج العلوم الطبيعية، وأصبح المؤرخ يتخذ من نفسه موقف الباحث العلمى الذى يبحث عن الوقائع مجرداً عن كل غاية، وانحصر عمل المؤرخين فى هذا الدور على جمع الوقائع والأخبار وتحديدها تحديداً

---

(١) Encyclopoedia Britannica : History .

(٢) The Spisituel interpretation of History : mathews p. 11.

علمياً وتنسيقها فى مجموعات منظمة ؛ ولم يكن المؤرخ يرمى إلى تفسير الوقائع أو بيان الرابطة العلية التى ترتبط بها الأحداث التاريخية لرغبته فى الابتعاد كل البعد عن النزعة الذاتية

ولكن هل من الممكن أن تكون هذه المجموعة الكبيرة من الوقائع المحددة تحديداً علمياً دقيقاً ، هى كل عمل المؤرخ ينتهى عندها نشاطه ؟ لا بد للمؤرخ من أن يخطو خطوة أخرى حتى يجعل من الوقائع حقائق يقبلها العقل ، ذلك لأن الواقعة التى تريد أن تؤكد نفسها من غير تفسير أو علة ، لا يمكن أن تكون حقيقة مقبولة ، لأنها وهى تقرر وجودها تنكر شرطاً أساسياً للوجود الحقيقى [1] . إن الوقائع المنفصلة — كما يقول كروتشه — جافة وثقيلة ، ولا بد للفكر من أن يغمرها بقبسه حتى تكتسب الصفة العقلية : « إن الوثائق والآثار تعود إلينا رجالها ، فنتمثلهم أحياء عاملين منفعلين ، نتمثلهم بأصواتهم وهيئاتهم وعاداتهم ، وكأنهم عابرو سبيل التقينا بهم منذ فترة قصيرة ... ولكن تبقى خطوة ثانية ، هى البحث عن الرجل الخفى وراء الرجل الظاهر ، البحث عن المركز ومجموعة الأعضاء والعوامل الداخلية التى كانت علة حدوث الوقائع ... تلك هى الدراما الداخلية ، شىء يختلف عن جمع الأخبار »[2] . والقاعدة الأساسية التى يعرفها المؤرخ الآن « اجمع الأخبار ثم اربطها علمياً وفسرها »[3]

الخطوة الأولى إذا فى العمل التاريخى هى جمع الأخبار وتحديدها تحديداً علمياً دقيقاً . والخطوة الثانية ، وهى التأريخ بمعناه الحقيقى تتجه إلى تفسير الوقائع والكشف عن الروابط العلية التى ترتبط بها الأحداث التاريخية

ولما كانت عملية التفسير التاريخى عملية ذاتية Subjective تعددت النظريات واختلفت الاتجاهات ، ومن هنا جاءت كتب التاريخ مصبوبة فى قوالب مختلفة وفى كثير من الأحايين متناقضة والذى نبغيه من هذا البحث العلمى هو تحديد هذه الاتجاهات المختلفة ، وبيان أوجه النقد فيها ، ثم نحاول أن نكشف عن هذا الاتجاه الجديد الذى يمكن رد الأبحاث التاريخية فتسلم من وجوه النقد . وسنرى أن هذا الاتجاه هو علم الاجتماع الحديث ، فموضوع التاريخ وعلم الاجتماع واحد ، وهو الإنسان فى نشاطه الاجتماعى .

***

والاتجاهات المختلفة فى التفسير التاريخى يمكن أن تنقسم إلى قسمين :

١ — نظريات متيافيزيقية أوميتافيزيقية مقنعة بحجاب علمى

٢ — نظريات علمية

أولا : النظريات الميتافيزيقية

١ — النظرية الدينية : تتلخص فى القول بوجود علة متعالية هى رائدة الأحداث التاريخية تحددها وتقودها نحو غاية يعلمها الله . وهذا التفسير لا يزال له أنصار معاصرون مثل لورنت البلجيكى وروخول الألمانى وفلنت الإنجليزى ؛ فعند هؤلاء علة الوقائع التاريخية هى إرادة الله ، والتاريخ سلسلة من معجزات الله

٢ — النظرية العقلية : تتجه هذه النظرية فى تفسيرها لعلل الوقائع التاريخية اتجاهاً يرمى إلى القول بأن هذه الوقائع تتم تبعاً لنظام عقلى مرسوم ، وكل واقعة تاريخية لها غرض وجودى ، ومن شأنها أن تحدث تقدماً فى المجتمع

ولإثبات خطأ هذه النظرية يكفى أن نقول إن الأبحاث التاريخية العديدة تثبت لنا أن الوقائع التاريخية تتم فى أغلب الأحايين إن لم يكن فى كلها بعكس ما تزعمه هذه النظرية . فليست الصفة العقلية بملازمة للوقائع التاريخية ، فالمؤسسات وغيرها لا تقوم فى الغالب إلا لإشباع رغبة منشئيها وأصحابها ، وإن الحصر ليقصر عن تعداد الأحداث التاريخية التى كانت سبباً فى تأخر المجتمع لا فى تقدمه تبعاً للصفة العقلية التى تزعمها هذه النظرية

٣ — النظرية الهيجلية : وهى نظرية الأفكار التى تلاحظ من خلال[1] الشعوب كرائدة وقائدة لها . وقد ظهرت هذه النظرية فى ألمانيا بشكل « الرسالة » Beruf التى توكل إلى الشعوب والأفراد فيكون الزمام بأيديهم فتحقق الأحداث التاريخية تبعاً لمشيئتهم وتوجيههم

---

(١) Reasorn in politics : K. B. smellie p. 175 .

(٢) History and Historiography : B. Croce p 66 .

(٣) Ibid p. 72

(١) Intraduction ta the Study of hiotory : Langlais Seignodos p. 286.

وهذه النظرية شبيهة بالنظرية السابقة ، لأنها تفترض أن الأحداث التاريخية تتحقق بطريقة عقلية ومن شأنها تقدم المجتمع ، فما قيل فى نقد النظرية السابقة يمكن أن يقال فى نقد هذه النظرية

٤ — نظرية التقدم المستمر والضرورى للانسانية ، وقد اعتنقت هذه النظرية من بعض الوضعيين وترد إلى العلامة سبنسر. فسبنسر فى كتابه « مبادئ علم الاجتماع » يزعم أنه بدراسته للأحداث التاريخية قد استنبط قوانين عامة تتحكم فيها وتعمل باستمرار على تقدم الإنسانية ورقيها . وفى نظره أن الإنسانية تتقدم من البسيط إلى المركب ، ومن المتجانس إلى اللامتجانس ، وإنها تتطور أيضاً من الحالة الأنانية إلى الحالة الغيرية

ولكن البحوث الحديثة قد أثبتت خطأ نظريات اسبنسر كلها ، فالأنانية موجودة فى عصرنا الحالى ، وفى كثير من الأحايين لا تختلف عن أحط أنواع الأنانية الموجودة فى الشعوب البدائية ؛ وحسبنا ما هو مشاهد فى استراليا من قيام بعض الجماعات الأوربية بصيد الزنوج فى عطلة الآحاد كأنهم يتصيدون حيوانات لا حق لهم فى الحياة . فالأنانية والغيرية موجودة فى الشعوب البدائية والحديثة بدرجة تكاد تتشابه فى كثير من المواطن [١]

٥ — النظرية الحيوية : هذه النظرية استعارت تفسيرها من عالم الكائنات الحية ، فقد أراد أصحابها أن يدرسوا فروع التاريخ المختلفة من لغة وقوانين وعادات ... إلخ . كما لو كانت كائنات عضوية حية تملك قوة وراثية كامنة فيها هى علة النشوء والتطور فيها . ونضرب مثلا لنظرية التطور الحيوى Entuickelung بأبحاث برونتيير فى تاريخ الأدب ، وهى أبحاث شهيرة استعارت تفسيراتها من عالم الكائنات الحية

وسينوموس يرد على هذه النظرية بالقاعدة الآتية : « إذا أردت أن تبحث عن علل حادث تاريخى فابدأ بتفسيرها تجريبياً ، وإذا أردت أن تستعمل تجريدات بعد ذلك فابتعد عن كل مجاز يظهر هذه العلل فى صورة موجودات حية ... »

هـذه هى أهم النظريات الميتافيزيقية والشبه ميتافيزيقية التى تناولت تفسير الأحداث التاريخية والكشف عن عللها بوجهات نظرها المختلفة . وقد بينا وجوه النقص فى هذه النظريات المختلفة وقصورها الواضح فى بيان التفسيرات الصحيحة للأحداث التاريخية ...

ثانياً : النظريات العلمية

١ — النظرية الجغرافية والظروف الطبيعية المحيطة بالإنسان : ترتبط الوقائع التاريخية تبعاً لهذه النظرية ارتباطاً علمياً يقوم على الظروف الإقليمية والاختلافات الجغرافية والطبيعية . فعند راتزل ، الجبال والأنهار والبحار وغيرها من العوامل الجغرافية هى العلة المباشرة للوقائع التاريخية . فمثلا متشنيكوف يقول : « إذا تساءلنا عن العامل الذى كان سبباً لأن تصل الدنية إلى درجة النضوج فسيكون الجواب : إنه المكان الذى هيأ أكثر من غيره مجالا لتكاثف الناس » [١]

والآنسة سمبل تقول : « إن انتقال المخترعين الأول من الشرق إلى الغرب إنما كان للتخلص من كلاب جيرانهم ونباحهم المزعج » [٢]

وهذه النظرية شائعة فى الكتب التاريخية إلى حد كبير ، وتحمس لها الكثيرون من أئمة التاريخ كونتسكيو [٣] وابن خلدون [٤] . والواقع أنه إذا كان للظروف الجغرافية والطبيعية الأثر الذى لا ينكر ، فإن الإنسان بما امتاز به من قوة فكرية يخضع فى الطبيعة فى أغلب الأحايين ويسيطر عليها ، وهذا ما جعل كلود برنارد يقول عن الإنسان : « إنه السيد الآخر للطبيعة » Le contremaitre de le nature [٥].

٢ — النظرية المادية التاريخية : هذه النظرية تنظر إلى الحياة الاقتصادية كعلة للوقائع التاريخية . فالطاحونة التى كانت تدار بالهواء

---

(١) L' Origine et le deueloppemenl desidées morales : E. Weslermarcq Tome I (hommicide) .

(١) The new History and Sociol Studies : H. E. Barnes p. 48

(٢) The Spirituel interpretation of history : Mathews p. 18

(٣) راجع كتابه « روح القوانين » : Léspril des Lois .

(٤) راجع محاضرات الأستاذ على عبد الواحد وافى للسنة الثالثة فلسفة بجامعة فؤاد الأول .

(٥) Intrsduction à l'étude experimentale de la medecine : C. Bernard p. 25.

قد أوجدت مجتمعاً « يتحكم فيه أمراء الأقطاع »، وأما الطاحونة التى تدار بالبخار فقد أوجدت مجتمعاً رأسمالياً » ؛ فالتحول الاجتماعى من النظام الأقطاعى إلى النظام الرأسمالى يرجع إلى تحول الطاحونة التى تدار بالهواء إلى طاحونة تدار بالبخار(١) ...

وأهم من قال بهذه النظرية هو كارل ماكس . فكارل ماركس جعل الحياة الاقتصادية هى العامل المحرك للحياة الاجتماعية والأحداث التاريخية وموقف الإنسان ما زاد الحياة الاقتصادية موقفاً « سلبياً Passif » .

وهذه النظرية برغم شهرتها حافلة بالأخطاء النظرية والعملية . فأتباع كارل ماركس أنفسهم فى عصرنا الحالى فى روسيا وإن اتفقوا مع أستاذهم فى كون العامل الاقتصادى هو أهم العوامل الاجتماعية ، فهم يخالفونه فى نظرته إلى الإنسان باعتبار موقفه من الحياة الاقتصادية موقفاً سلبياً ؛ فالاشتراكية الحديثة تقرر أن الإنسان عامل إيجابى actif وأن الحياة الاقتصادية ترتد إليه ، فهو الذى ينميها ويوجهها سواء السبيل(٢) .

وإن المقام ليضيق بنا إذا أردنا تعداد الأخطاء النظرية والعملية من النظرية المادية التاريخية التى سلبت الحياة والفكر من الإنسان الناطق وأعطته للمادة الصماء ...

٣ — النظريات النفسية : أهم هذه النظريات بالنظريات بالنسبة للتاريخ نظريتان :

(١) نظرية التقليد . (ب) نظرية الدوافع .

(١) نظرية التقليد : أول من قال بهذه النظرية جبرائيل تارد وتتلخص فى أن ظهور فرد قوى أو قائد شجاع يكون عاملا على انبثاق حضارة جديدة . فنظرية تارد تنسب كل الأحداث التاريخية إلى أفراد وهم الرجال العظماء « The great men » ، فتراهم يقولون « نابليون فعل كذا وكذا ... » . والعلة التى جعلت انجلترا فى عهد الملكة (أنا) تختلف عن انجلترا فى عهد الملكة اليزابيث ، والتى جعلت جامعة هارفرد اليوم تختلف عنها منذ عشرات السنين إنما ترجع إلى أفراد « إنه الفرد منبع الأفكار الجديدة ، والاختراعات والقواعد القضائية وغيرها من عوامل الإصلاح ... »(٣) .

(١) The Spirituel interpretation of history : mathews p. 33

(٢) political Theories : Barnes Bolhhevism .

(٣) The new History and Sscial Saenees : Barnes p. 104

وظاهرة التقليد عند تارد تقوم على ثلاثة عناصر :

١ — التكرار .

٢ — المعارضة .

٣ — القبول .

وتكون هذه العناصر الثلاثة حلقة دائرية ، تبدأ محدودة ثم تأخذ فى الاتساع بسرعة وبدون توقف . وعنصرا التكرار والقبول هما العنصران البارزان فى هذه العملية ، وعنصر المعارضة يهيأ ، فى هذه الحركة الدائرية لظهور عباقرة مخترعين . ويمكن أن تفهم العلاقة بين هذه العناصر الثلاثة عندما تعتبر أن عنصر التكرار المستمر يعمل بنفسه على مضاعفة القبول وازدياده ، وفى حالة المعارضة يعمل على ظهور وسائط أخرى من شأنها أن تحدث اتجاهات جديدة وتضاعفها بدورها ...(١)

ولعل نظرية التقليد هى أكثر النظريات العلمية شيوعاً فى مناهج البحث التاريخى ، مع أن التقليد كما يقول العلامة دركيم « هو توليد أوماتيكى ناتج عن فعل بدون أن يتدخل فى هذا الفعل أية عملية عقلية واضحة أو غير واضحة »(٢) فانتشار عادة من العادات فى مجتمع ما لا ترد إلى تقليد الأفراد الذين بدأوا بممارسة هذه العادة تقليداً إرادياً كما يزعم تارد ، وإنما يرجع انتشار العادة إلى الشعور الجمى المتولد والذى كان هؤلاء الأفراد أول من استجاب له » فالتقليد هنا بمعنى آخر تماماً غير هذا الذى يعنيه تارد .

(ب) نظرية الدوافع : يقول ميرفى ونيوكمب فى كتابهما « علم النفس الاجتماعى التجريبى » ، إنه إذا كانت ظاهرة التقليد قد حظيت بالأنصار العديدين فى أواخر القرن التاسع عشر وأواخر القرن العشرين ، فإنه لم يعرف حتى الآن انتصار لنظرية كذلك الذى حظت به نظرية الدوافع التى كان أول من قال بها ماكدوجل الأمريكى . فماكدوجل يقول « إن مظاهر الأفراد بعضهم مع بعض فى المجتمعات ، ترجع بعد تحليلها إلى الدوافع الفطرية » ، وهذه الدوافع عند ماكدوجل أربعة عشر أهمها الجوع والعطش والغريزة الجنسية وغريزة الأمومة(٣) .

(البقية فى العدد القادم)

فؤاد عوضه واصف

(١) Ibie p. 174 .

(٢) L' annèe Sociologique I p. Durkhein .

(٣) Ekperimental Social psychology : murphy and neuwmb p. 9

الحديث المحمــــدى

لمغز من تاريخ

للأســتاذ محمود أبو رية

[عن لنا أن نبحث عن تاريخ الحديث ، وبعد درس طويل تهيأ لنا من هذا التاريخ كتاب سنقدمه للطبع وهذه كلمة صغيرة عنه]
« أبو رية »

لما أنشأت أدرس ديني درس العقل والفكر بعد أن أخذته تلقيناً من نواحي العاطفة والتقليد رأيت أن أرجع إلى مصادره الأصلية ومراجعه الأولى ، ولما وصلت من دراستي إلى كتب الحديث كنت أجد فيها بعض أحاديث لا تسكن نفسي إليها ولا يطمئن قلبي لصحتها ، ذلك بأنها تحمل من المعاني ما لا يتقبله عقل سليم أو يقربه علم ثابت أو يؤيده حِسّ ظاهر أو كتاب متواتر [1] ، وكنت أجد مثل ذلك في كثير من الأحاديث التي شحنت بها كتب التفسير والتاريخ وغيرها .

وكان أكثر ما يثير عجبي أني إذا قرأت كلمة لأحد أجلاف العرب أهتز لبلاغتها وتعتريني أريحية من جزالتها ، وإذا قرأت بعض ما ينسب إلى النبي من قول لا أجد له هذه الأريحية ولا ذلك الاهتزاز . وكنت أستبعد أن يصدر مثل هذا الكلام المغسول من البلاغة عن النبي الذي كان أفصح من نطق بالضاد . وما كان عجبي هذا إلا لأني كنت أسمع من شيوخ الدين عفا الله عنهم : أن كل الأحاديث التي وردت في كتب السنة قد جاءت بألفاظها ومعانيها ، وإن على المسلمين أن يسلموا بكل ما حملت ولو كان فيها ما فيها .

ولما قرأت حديث « من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » غمرني الدهش لهذا القيد الذي يبعد أن يأتي من رسول جاء بالصدق وأمر به ، على أن الكذب كما قال الحافظ بن حجر [2] : « هو الأخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه سواء أكان عمداً أم خطأ » .

ظللت على ذلك زمناً طويلا إلى أن حفزني حب عرفان الحق إلى أن أنقب عن تاريخ الحديث من مصادر الدين الصحيحة ، والأسانيد التاريخية الوثيقة لعلي أقف على شيء يذهب بما في صدري من حرج ويصرف ما بنفسي من ضيق ، وذلك لأن هذا الأمر الجليل لم يفرد من قبل بالتأليف المستقصى أو التدوين المستفيض .

ولبثت في البحث والتنقيب زمناً طويلا إلى أن انتهيت من أمر (الحديث المحمدي) إلى حقائق غريبة ونتائج خطيرة ، ذلك أني وجدت أنه لا يكاد يوجد في كتب الحديث كلها ما سموه صحاحاً وما سموه سنناً حديث قد جاء على حقيقة لفظه ومحكم تركيبه ، حتى لقد قال الإمام الشاطبي في الاعتصام [1] : « أعوز أن يوجد حديث عن رسول الله متواتر » ووجدت أن الصحيح منه على اصطلاحهم إن هو إلا معان مما فهمه الرواة من أقواله صلى الله عليه وسلم . وقد يوجد بعض ألفاظ مفردة قد بقيت على حقيقتها في بعض الأحاديث ولكنك لا تجد ذلك إلا في الفلتة والندرة ؛ ومن أجل ذلك جاءت أحاديث الرسول وليس فيها من نور منطقه ، أو ضياء بلاغته إلا شعاع ضئيل .

كان أول ما انكشف لي من هذه الحقائق أن النبي (ص) لم يجعل لحديثه كتاباً يكتبونه عند ما كان ينطق به كما فعل ذلك بالقرآن ، وبذلك تفكك نظم ألفاظه وتمزق سياق معانيه من أذهان السامعين . ولم يدع الأمر على ذلك فحسب بل نهى عن كتابة غير القرآن أو تدوينه فقال : « لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن ؛ فمن كتب عني غير القرآن فليمحه » رواه مسلم وغيره ، ثم اتبع أصحابه طريقه وأطاعوا أمره فلم يكتبوا أقواله كما كتبوا القرآن . ولم يقف أمرهم عند ذلك بل ثبت عنهم أنهم كانوا يرغبون عن رواية الحديث وينهون الناس عنها ، وينتقد بعضهم بعضاً فيما يأتي منها ويتشددون في قبول أخبارها حتى لقد كان عمر رضي الله عنه لا يقبل الخبر من أي صحابي إلا إذا جاء بشاهد يشهد أن النبي قاله .

(١) الكتاب المتواتر هو القرآن .

(٢) قصدنا أن نأتي بتعريف الكذب الذي وصفه ابن حجر لأنه شيخ رجال الحديث وإذا ذكرت لفظة الحافظ فلا تنصرف إلا إليه .

(١) ص ٣٥ ج ١

رواية الحديث بالمعنى

ولما رأى بعض الصحابة أن يرووا من أحاديث نبيهم ووجدوا أنهم لا يستطيعون أن يأتوا بأصل الحديث كما سمعوه على لفظه، كما نطق النبي الكريم به، وإن الذاكرة لها حكم يجب الأذعان له والنزول عليه أباحوا لأنفسهم أن يرووا على المعنى. ثم سار على سبيلهم كل من جاء من الرواة بعدهم فيأخذ المتأخر عن المتقدم ما يرويه عن الرسول بالمعنى ثم ينقله إلى غيره بما بقى فى ذهنه من هذا المعنى. وهذا أمر معلوم بينهم حتى لقد قال وكيع كلمته المشهورة: (إذا لم يكن المعنى واسعاً فقد هلك الناس) وهكذا ظلت المعانى تتوالد والألفاظ تختلف باختلاف الرواة، وفيهم الأعاجم وغير الأعاجم ممن ليسوا بعرب. ولا يخفى ما فى ذلك من ضياع معالم المعنى الأصلى وزوال شىء كثير منه. ومن العجيب أن رواية الحديث بالمعنى قد سارت على هذا النهج قروناً إلى أن خرج الحديث فى صورته الأخيرة التى حملتها كتب السنة وخرجت بها فى القرن الثالث وما بعده. وقد قال البخارى المتوفى سنة ٢٥٦هـ وكتابه كما يقولون أصح كتاب بعد كتاب الله: «رُبَّ حديث سمعته بالبصرة كتبته بالشام، ورب حديث سمعته بالشام كتبته بمصر، فقيل له بكماله؟ فسكت»[(١)].

ولقد كان لرواية الحديث بالمعنى ولا جرم ضرر كبير سواء أكان من الناحية الدينية أم من الناحية اللغوية والبلاغية، وبعد أن أباحوا الرواية بالمعنى استجازوا لأنفسهم أن يأخذوا بالحديث إذا أصابه اللحن أو اعتراه الخطأ أو اختلف نظم عقده بالتقديم أو التأخير؛ وكذلك قبلوا أن يأخذوا ببعض الحديث ويتركوا بعضاً.

الموضوعات

وإن أشد ما مُنى به الحديث ولا جرم إنما كان منها (الموضوعات) التى اختلطت به وتدسست إليه فكانت مصدر بلاء كبير للمسلمين فى كل العصور، وقد تولى كبر هذه الموضوعات فريقان:

أحدهما: أحباء الإسلام من مختلف الفرق والمذاهب وأصحاب الأهواء حتى الصالحين وأهل العبادة، أولئك الذين قال فيهم يحيى بن سعيد القطان: «ما رأيت الصالحين فى شىء أكذب منهم فى الحديث» ولقد كانوا يسوغون افتراءهم بقولهم: (إنا نكذب له لا عليه) ولكى يشدوا عملهم هذا بما يؤيده وضعوا أحاديث على النبىّ تجيّز لهم هذا (الوضع) مثل ما رووا «إذا لم تحلوا حراماً ولم تحرموا حلالا وأصبتم المعنى فلا بأس».

ثانيهما: أعداء الإسلام من الزنادقة وغيرهم من دهاة اليهود والنصارى الذين أظهروا الإسلام وأضمروا دينهم، فاغتر الصحابة وتابعوهم بإسلامهم، وأخذوا من غير بحث عنهم. ولقد كان مما وضعوه، تلك الأحاديث التى جاءت فى فضل الشام الذى كان فى عهد بنى أمية قاعدة الحكم ومصدر السلطان، وكذلك وضعوا أحاديث فى أنّ (الأبدال) المعروفين عند الصوفية سيظهرون فى الشام!

ولئنّ كان قد كذب على النبى بعد وفاته فقد كذب عليه وهو حى، ولا غرو فإن الكذب عريق فى الإنسانية لا يخلو منه زمان ولا مكان.

الإسرائيليات والمسيحيات

وقد عقدنا فصلا للاسرائيليات تحدثنا فيه عما صنعه كهان اليهود فى حديث رسول الله وأثبتت فى كتب السنة وفى التفاسير ومصادر التاريخ وغيرها أمثال: كعب الأحبار، ووهب ابن منبه وغيرهما. وبينا كيف استحوذ هؤلاء الكهان على عقول المسلمين حتى وثقوا بهم ورووا عنهم، وعرضنا لأمر مؤامرة قتل عمر التى اشترك فيها كعب الأحبار، وقصة الصخرة، وبينا كيدهم السياسى الذى قام به عبد الله بن سبأ وأردفنا هذا الفصل بفصل آخر عن المسيحيات وما صنعه مثل تميم الدارى الذى كان مسيحياً وأسلم.

كثرة الأحاديث المروية

ولما كان التدوين قد تأخر وما جاء عن الرسول من قول غير القرآن قد فاته الإحصاء والتقييد ولم يرتبط فى زمن النبى وصحابته بالتدوين، فإن الرواية قد اتسعت واستفاضت، وكلما امتد الزمن زادت الرواية حتى صارت الأحاديث المنسوبة إلى النبى تعد بمئات الألوف. وقد نقلوا عن احمد بن حنبل أنه قال: صح من الحديث

(١) ص ١١ ج ٢ من تاريخ بغداد للخطيب البغدادى.

٧٠٠ ألف حديث وأكثر ، وأن أبا زُرعة قد حفظ ٧٠٠ ألف حديث .

ولما طلب إسحاق بن راهويه من تلاميذه وفيهم ـ البخاري ـ أن يجمعوا مختصراً لصحيح سنة رسول الله . ونهض البخاري لتحقيق رغبة أستاذه قال :

« إني أخرجت كتابي من زهاء ستمئة ألف حديث » ونقل عنه أنه قال : احفظ مئة ألف حديث صحيح ومئتي ألف حديث غير صحيح ! على أنك لو نظرت إلى عدد ما اختاره في كتابه لوجدت أنه لا يزيد عن ٢٥١٣ كما حرر ذلك الحافظ ابن حجر فأين ترى قد ذهبت هذه الثروة الهائلة من الأحاديث !

أبو هريرة

ولما كان أبو هريرة أكثر الصحابة رواية عن رسول الله في حين أنه لم يصاحب النبي إلا ثلاث سنين فحسب ، وكذلك كان أكثر من نقل عن هؤلاء اليهود فقد أفردنا له ترجمة خاصة تحرينا فيها وجه الحق ، وحق العلم ، وأوردنا فيها ما له وما عليه بغير أن نخشى أحداً في إظهار الحق أو نتحرج من شيء في بيان العلم ، وكيف يصدنا تحرج أو يمنعنا خوف وقد انتقده الصحابة أنفسهم وردوا كثيراً من رواياته ، وكذبه عمر وعثمان وعلي وعائشة وغيرهم ، بل قد ضربه عمر بالدِّرة وحذره الرواية عن النبي أو ينفيه إلى بلاده حتى لقد كان بذلك أول راوية اتهم في الإسلام .

حديث من كذب على

أما حديث من كذب عليّ (متعمداً) فقد عُنيت بالبحث عن حقيقته عناية كبيرة حتى وصلت من بحثي إلى أن كلمة (متعمداً) هذه لم تأتِ في روايات كبار الصحابة ومنهم ثلاثة من الخلفاء الراشدين : عمر وعلي وعثمان ، وأن الزبير بن العوام ـ وهو حواري رسول الله وابن عمته ـ قد قال عنها : « والله ما قال متعمداً » ولعلها قد تسللت إلى الحديث من سبيل الأدراج المعروف عند رجال الحديث ليتكئ عليها الرواة فيما يروونه عن غيرهم على سبيل الخطأ أو الوهم ، أو الغلط أو سوء الفهم حتى يدرأوا عن أنفسهم إثم الكذب ولا يكون عليهم حرج في الرواية لأن المخطئ غير مأثوم ومن أجل ذلك وضع الرواة قاعدتهم المشهورة : إنما الكذب على من تعمده ؛ أو أن هذه الكلمة قد وضعت ليسوغ بها الذين يضعون الحديث حسبة عن غير عمد عملهم كما كان يفعل الصالحون من المؤمنين ، ويقولون : نحن نكذب له لا عليه . ومن العجيب أنهم قد جعلوا هذا الحديث من المتواتر بلفظه ومعناه في حين أنه قد ورد بصيغ كثيرة كل صيغة منها تخالف الأخرى .

تدوين الحديث

ومما كشف عنه البحث أن تدوين الحديث لم يقع إلا في القرن الثاني أي بعد انتقال النبي إلى الرفيق الأعلى بأكثر من مئة سنة . ولم يكن ذلك بدافع من الرواة ، وإنما كان بوازع من الولاة ! وبدا أول ما بدا غير كامل ، ثم تقلب في أدوار أربعة ، فكان في أول أمره مشوباً بأقوال فقهاء الصحابة في التفسير وغيرها من مسائل دينية أو طرف أدبية أو أبيات شعرية أو ما إلى ذلك مما كانوا يعنون بجمعه وتدوينه من غير ترتيب ولا نظام إلى أن جاءت طبقة[1] ابن جريج والربيع بن صبيح وحماد بن سلمة وغيرهم في منتصف القرن الثامن وما بعده ، فوضعوا كتباً في الحديث ولكنهم مزجوا أقوال الرسول بفتاوى الصحابة والتابعين كما تجد ذلك في موطأ مالك[2] .

وبعد انقضاء مئتي سنة من الهجرة جرد العلماء ما كان ينسب في هذا العهد إلى النبي من أحاديث ودونوه في مسانيد بغير أن يخلطوا به شيئاً من فتاوى الصحابة والتابعين مثل مسند الإمام أحمد[3] وغيره .

وفي منتصف القرن الثالث وأول القرن الرابع وما بعد ذلك ظهر التدوين في صورته الأخيرة ، فاختار البخاري وغيره من الأحاديث التي كانت منتشرة في زمنهم وخرجوا منها كتبهم .

علماء الأمة إزاء الحديث

ولأن الحديث لم يبدأ تدوينه إلا في القرن الثاني وكتبه المعتمدة بلا خلاف بين المسلمين وهي : البخاري ومسلم وأبو داود

(١) الطبقة في اصطلاح المحدثين عبارة عن جماعة اشتركوا في السن ولقاء المشايخ توفي ابن جريج سنة ١٥٠هـ والربيع سنة ١٥٠هـ وحماد بن سلمة سنة ١٧٦هـ .

(٢) توفي مالك سنة ١٧٩هـ

(٣) توفي أحمد بن حنبل سنة ٢٤١هـ

والترمذى والنسائى[1] لم تظهر إلا فى القرنين الثالث والرابع ، وكانت روايته قد جاءت بالمعنى من طريق الآحاد التى لا تعطى إلا الظن – والظن لا يغنى من الحق شيئاً ، فإن علماء الأمة لم يتلقوه بمحض التسليم والإذعان كما تلقوا ما جاءهم من محكم القرآن ولا اعتبره من الأخبار المتواترة التى يجب الأخذ بها ولا يجوز لأحد أن يختلف فى اتباعها وإنما اختلفوا طرائق قدداً فيه اختلافاً بيناً لم يستطع أحد إلى اليوم تلافيه

المتكلمون وعلماء الأصول

أما المتكلمون وعلماء الأصول فإنه لما كان (الخبر) عندهم ينقسم إلى – متواتر وآحاد ؛ والمتواتر إنما يعطى العلم اليقينى ، والآحاد لا يعطى إلا الظن ، ولم يجدوا فى كتب الحديث خبراً متواتراً تكون دلالته يقينية بل إنه قد جاء من طريق الآحاد التى دلالته ظنية – والظن لا يغنى من الحق شيئاً – فقد ردوا كل حديث لا يتفق مع ما يذهبون إليه من الأصول التى اتخذوها لهم. ومن القواعد التى اتفق عليها جميع النظار أن أحاديث الآحاد لا يؤخذ بها فى العقائد .

الفقهاء

وأما الفقهاء فقد كبلهم التقليد فلم يعنوا بكتب الحديث ولم يعطوها حقها من البحث والدرس كما أعطوا كتب شيوخهم ، ولم يجعلوها بعد كتاب الله من مصادرهم التى يأخذون منها أحكام دينهم ، – وإنهم عفا الله عنهم لم يتفقوا على الأخذ بالراجح من الأدلة فترى كل فريق قد ذهب فى طريق يغاير الآخر – وإذا وجد من الأحاديث حتى الواهية ما يتفق ومذهبه أخذ به – وقد يأخذ ببعض الحديث ويدع بعضه ، أما ما يخالف مذهبه ولو كان مما رواه الجماعة[2] فإنه يرفضه ولا يرتضيه وبهذا الصنيع كثر اختلافهم وتعددت مذاهبهم ، ومن أجل ذلك وقف سير الفقه وسكنت حركته ، ولقد أعانهم على عملهم هذا أن أحكامهم مبنية على ما غلب على الظن صدقه ولكل أحد أن يأخذ من الأدلة بما يطمئن به قلبه ، وأن أئمتهم قد ماتوا قبل ظهور كتب الحديث المشهورة[1] وأن هؤلاء الأئمة أنفسهم قد كانوا مختلفين فى الأخذ بما جاء عن الرسول من احاديث فما يأخذ به هذا يدعه ذاك وهلم جرا .

ولو أنت رجعت إلى كتب العلماء المحققين وبخاصة كتاب أعلام الموقعين لابن قيم الجوزية لوجدت فيها أحاديث كثيرة جداً لم يأخذ علماء الفقه بها ولم يخالفوا مذاهبهم من أجلها ، وبذلك أصبحت كتب الحديث فى ناحية الإهمال منهم ، وإذا ما رجعوا إليها فإنما يكون ذلك للتبرك بها أو لدفع النوازل بأسرارها[2] ، ومن عجيب أمرهم أنهم وقد جعلوا حديث الرسول وراء ظهورهم لا يزالون يقولون بأنه الأصل الثانى من أصول دينهم .

علماء النحو

وأما أئمة النحو فلم يجعلوا الحديث من النصوص التى يستشهدون على قواعدهم بها لأنهم قد استيقنوا أن رواية نصوص الحديث الصحيحة قد انتثر عقد تركيبها ولم تأت عن النبى بحقيقة لفظها ولا يعلم أحد على التحقيق ما هى الصورة الصحيحة التى نطق بها وقاعدتهم التى اتفقوا عليها أنهم لا يستشهدون إلا باللفظ المتواتر والنص الصحيح ، وعلى أنهم قد تركوا الاستشهاد بالحديث الذى جاءهم عن نبيهم فإنهم يأخذون بكلام الأعراب الذين يبولون على أعقابهم .

ولما انكشف لى ذلك وغيره مما لم أذكره هنا وبدت لى حياة (الحديث المحمدى) واضحة جلية أصبحت على بينة من أمر ما جاء عن الرسول من أحاديث فآخذ منها ما آخذ وقلبى مطمئن وأدع ما أدع ونفسى راضية . ولا على مما أدع شىء ؛ وصرت متابعاً للأستاذ الإمام محمد عبده فيما يقول : « لا أومن بحديث تعرض لى شبهة فى صحته » وللسيد رشيد رضا فى قوله : لا أعتقد سند حديث ولا قول عالم صحابى يخالف ظاهر القرآن وإن وثقوا رجاله ؛ فرب راو يوثق للاغترار بظاهر حاله وهو سيء الباطن » . ولا يتوهمن أحد أن هذا بدع فى الدين فإنهم قد جعلوا من قواعدهم

---

(١) توفى البخارى سنة ٢٥٦ هـ ومسلم سنة ٢٦١ هـ وأبو داود سنة ٢٧٥ هـ والترمذى سنة ٢٧٩ هـ والنسائى سنة ٣٠٣ .

(٢) الجماعة هم أحمد والشيخان (البخارى ومسلم) وأبو داود والنسائى والترمذى

(١) مات أبو حنيفة سنة ١٥٠ هـ ومالك سنة ١٧٩ هـ والشافعى سنة ٢٠٤ وأحمد سنة ٢٤١ هـ .

(٢) من معتقداتهم أن وجود نسخة من البخارى فى البيت تمنع عنه الحريق وغيره ، وكان شيوخ الأزهر عند ما ينزل بالبلاد نازلة يجتمعون لقراءة البخارى لكى يدفع الله عن البلاد ببركته ما نزل بها وكذلك يقرأون البخارى فى الأماكن المدفونة (بالمقارى) ليستنزلوا به الرحمة على الأموات وينالوا به عند الله أرفع الدرجات .

معاهدة عربية سودانية

بين والى مصر عبد الله بن سعد بن أبى سرح وقلدروت ملك السودان فى سنة ٣١ هجرية – ٦٥٢ ميلادية

للأستاذ المبــارك إبراهيم

ما كاد العرب يدخلون أرض مصر فاتحين بقيادة السياسى العربى الداهية عمرو بن العاص ، وما كاد يستتب لهم الأمر فيها ويبسطون سلطانهم الدينى عليها ، وما كاد يدين لهم المصريون بالطاعة عام ٢٠ للهجرة[١] على أكثر الروايات شيوعاً[٢] ... ما كاد يتم كل هـذا حتى اتجه نظر ابن العاص رئيس الحكومة العربية المصرية الجديدة فى فسطاط مصر صوب القطر السودانى ابتغاء فتحه وضمه إلى خريطة الامبراطورية العربية الناشئة . وكان ذلك فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

(١) يوافق عام ٦٤٢ للميلاد .
(٢) فى رواية أن الفتح العربى لمصر تم فى ١٨ هجرية

ففى عام ٢١ للهجرة أعد والى مصر عمرو بن العاص جيشاً مؤلفاً من عشرين ألف مقاتل ، وسيره لفتح السودان تحت إمرة القائد العربى الشهور عبد الله بن سعد بن أبى سرح

على أن هـذا الجيش الغازى لم يستطع التوغل فى الأراضى السودانية ، وذلك لوعورة المسالك ، وللمقاومة الشـديدة التى صادفها من جيش حكومة السودان التى كان مقرها يومئذ « دنقلة العجوز » أى القديمة

ويؤخذ من رواية ابن الأثير أن هـذه الغزوة العربية الأولى للقطر السودانى لم تكن موفقة كل التوفيق ، إذ لم يتعد الفتح العربى فيها بلاد الشلال التى تقع على التخوم . ثم إن عبد الله بن أبى سرح ، ما لبث أن انسحب بجيشه عائداً أدراجه إلى مصر بناء على أمر تلقاه من ابن العاص ، وكان ابن أبى سرح قد هادن أهل البلاد المفتوحة على دفع الجزية فكانوا يدفعونها

وقد روى ابن الأثير أن عدداً لا يستهان به من المحاربين العرب قد عادوا إلى مصر وهم مثخنون بالجراح فاقدو الأحداق لكثرة ما نالهم فى أبصارهم من نبال الجيش السودانى . ولذلك كان المحاربون العرب يسمون المحاربين السودانيين برماة الحدق

***

ثم دارت عجلة التاريخ دورتها ، فعزل ابن العاص عن ولاية مصر فى عهد خلافة عثمان رضى الله عنه ، فآلت ولاية مصر إلى قائدنا عبد الله بن أبى سرح ، وعبد الله هو من ذوى قرابة ابن عفان ، بل ويعد أخاً له فى الرضاعة

وفى عام ٣١ الهجرى الموافق ٦٥٢ للميلاد أعاد ابن أبى سرح الكرة وهو والى مصر ، فسار فى طليعة جيشه معتزماً فتح السودان مهما كلفه الأمر . وكان السودانيون حينذاك قد نقضوا عهد الهدنة ، ورفضوا دفع الجزية وصاروا يشنون الغارة على سكان الحدود المصرية من العرب وأبناء الصعيد ، ويوسعونهم نهباً وتقتيلا منتهزين فرصة انشغال رجال الحكومة العربية فى المسائل الداخلية التى تلت مقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وأقصت ابن العاص عن مصر ، وغير ذلك من الشاكل العربية الخامنة

***

الشهورة : إن من علامة الحديث الموضوع مخالفته لظاهر القرآن أو القواعد المقررة فى الشريعة أو للبرهان العقلى أو للحس والعيان وسائر اليقينيات .

ومن قواعدهم كذلك[١] :

« ليس كل ما صح سنده يكون متنه صحيحاً ولا كل ما لم يصح سنده يكون متنه غير صحيح » .

« من بلغه حديث وثبت عنده وجب عليه العمل به ومن خالف بعض الأحاديث لعدم ثبوتها عنـده أو لعدم العلم بها فهو معذور .

« وقال حجة الإسلام الغزالى : إن من يعمل بالمتفق عليه كان مسلماً ناجياً » .

(المنصورة) **محمود أبو رية**

(١) لك قواعد كثيرة غير هذه القواعد أوردناها فى كتابنا . (أبو رية)

هذا ، وبعد حروب طاحنة[1] بين جنود ابن أبى سرح وجنود قلدرون ملك دنقلة ، تمكن الفاتح العربى من احتلال دنقلة — وكانت عاصمة السودان يومذاك — بعد أن حاصرها ورماها بالمنجنيق ، ولم يكن استعماله معروفاً عند الجيش السودانى

وقد قال أحد الشعراء العرب الذين اشتركوا فى معركة دنقلة الفاصلة راجزاً :

لم تر عينى مثل يوم دنقله   والخيل تعدو بالدروع مثقله !

* * *

أما المعاهدة العربية السودانية التى حررت دليلا على المهادنة والصلح بين الفريقين فاليك نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

عهد من الأمير عبد الله بن سعد بن أبى سرح لعظيم النوبة « السودان » ولجميع أهل مملكته من حد أرض أسوان إلى حد أرض « علوة » : وهى على بعد ١٥ ميلا من الخرطوم

إن عبد الله بن سعد جعل لهم أماناً وصدقة جارية بينهم وبين المسلمين ممن جاوروهم من أهل صعيد مصر وغيرهم من أهل الذمة

إنكم معاشر النوبة « السودان » آمنون بأمان الله وأمان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ألا نحاربكم ولا ننصب لكم حرباً ولا نغزوكم ما أقمتم على الشرائط التى بيننا وبينكم

على أن تدخلوا بلدنا مجتازين غير مقيمين فيه ، وندخل بلدكم مجتازين غير مقيمين فيه ، وعليكم حفظ من نزل بلدكم أو يطرقه من مسلم أو معاهد حتى يخرج عنكم ، وإن عليكم رد كل آبق خرج إليكم من عبيد المسلمين حتى تردوه إلى أرض الإسلام ، ولا تستولوا عليه ولا تمنعوا منه ، ولا تتعرضوا لمسلم قصده وجاوره إلى أن ينصرف عنه

وعليكم حفظ المسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم « دنقلة » ، ولا تمنعوا منه مصلياً ، وعليكم كنسه وإسراجه وتكريمه

وعليكم فى كل سنة ثلثمائة رأس وستون رأساً تدفعونها إلى إمام المسلمين من أوسط رقيق بلدكم غير المعيب يكون فيها ذكران وأناث ، ليس فيها شيخ هرم ولا عجوز ولا طفل لم يبلغ الحلم ، تدفعون ذلك إلى والى أسوان

(١) ممن أصيبوا فى عيونهم من رجالات العرب الشهير يوم دنقلة معاوية بن خديج . وأبرهة ابن الصباح

وليس على مسلم دفع عدو عرض لكم ، ولا منعه عنكم من حد أرض علوة إلى أرض أسوان

فإن أنتم أويتم عبداً لمسلم ، أو قتلتم مسلماً ، أو معاهداً ، أو تعرضتم للمسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم بهدم أو منعتم شيئاً من الثلثمائة رأس والستين رأساً ، فقد « برئت » منكم هذه الهدنة والأمان ، وعدنا نحن وأنتم على سواء حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين

بذلك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ولنا عليكم بذلك أعظم ما تدينون به ، والله الشاهد بيننا وبينكم على ذلك[1]

* * *

هذا ، وتحفظ لنا كتب التاريخ الشىء الكثير من الحوادث والأخبار عن العهد الذى عقب توقيع هذه المعاهدة العربية السودانية

(أم درمان — سودان)   **المبارك إبراهيم**

(١) كتبه عمرو بن شرحبيل فى رمضان سنة ٣١ هجرية

ذرة لا تميزها العين

[كادت تجارب الذرة أن تجعل الأرض كرة ملتهبة من الغازات]

للأستاذ فوزى الشتوى

لدمار العالم أم لعمرانه ؟

قبل أن تنشب الحرب بفترة وجيزة وقف لفيف من العلماء أمام مدفع تحطيم الذرة فى جامعة كولومبيا يستعدون لأخطر تجربة. ومن يدرى بما سيحدث لو انطلقت آلاته ؟

استولى الرعب على كثير من العلماء فقالوا : إنه دمار العالم . فلن تمضى دقائق أو ثوان حتى تكون الأرض كلها كرة غازية ملتهبة لا أثر فيها لإنسان ولا لحيوان ولا نبات ولا جماد . ولكن العلماء لا يريدن إلا تحطيم ذرة واحدة من معدن الأورانيوم . ولكنهم يخشون القوة المنطلقة من هذه الذرة فتفجر ما حولها من ذرات وهذه تفجر ما يليها من أجسام وهكذا دواليك فى سلسلة تكتنف الكرة الأرضية كلها وتبيد كونها .

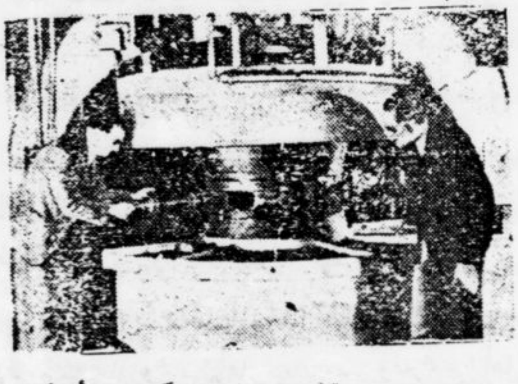
وتمت التجربة وسلمت الأرض ؛ فإن سلسلة الانفجارات الذرية لم تحدث . وربما تكون قد حدثت ولكنها لم تستمر أكثر من واحد على مليون من الثانية . أما السبب فكان عدم الدقة فى إجراء التجربة . ولو كانت دقيقة لأبيد العالم كله ولتفجرت كل ذرات قطعة الاورانيوم فانسابت قوتها تفتك بالعالم .

الذرة

فما هى الذرة وعلى أية قوة تسيطر ؟

فأما الذرة فهى وحدة الجزىء . وهو بدوره أصغر وحدة فى المادة ، وهى شىء نظرى لا وجود له فى الواقع الملموس وأصغر مادة تراها بعينك تتألف من ملايين الذرات . وهى فى جميع المواد التى تضمها مجموعة من الكهارب بعضها موجب وبعضها سالب . ويسمى الكهرب الموجب بروتون ومنه تتألف نواة الذرة . وحول هذه النواة كهارب سالبة تسمى ألكترون .

ويترتب على عدد هذه الكهارب خواص المعدن إن كان حديداً أم نحاساً أم ذهباً . فالكهارب واحدة ولكن اختلاف عددها هو الذى يحدد نوع المعدن . ومن ثم نشأ الاعتقاد العلمى بإمكان تحويل الحديد أو القصدير إلى ذهب . وقد فشلت جميع التجارب فى هذا السبيل لأن العلماء فشلوا حتى الآن فى التغلغل فى الذرة وزيادة كهاربها أو تقليلها .



(شكل ١) مدفع تحطيم الذرة فى جامعة كولومبيا بأمريكا
وفى فراغها الداخلى أجريت تجارب تحطيم الذرة

والبروتونات أو الكهارب الموجبة التى تؤلف نواة الذرة أثقل من كهاربها السالبة وإن كانت أصغر منها فى الحجم . ويساوى وزن بروتون واحد وزن ٨٤٥، الكترون ، وفى المنطقة الخارجية مجموعة من الكهارب السالبة الدائمة الحركة حول النواة . وإذا زاد عدد الكهارب السالبة أو الموجبة فى الذرة فإنه يسمى أيونا .

مائتا مليون فولت

وقدرت جامعة كولومبيا فى أمريكا ، وهى المعهد الذى تولى القيام بهذه التجربة ، مقدار الطاقة الذرية التى نتجت عن تجربتها بمائتى مليون فولت أو ما يكفى لإضاءة مدينة كاملة جزء من الثانية ، كما أن قطعة الأورانيوم وهو من أصلب المعادن المعروفة تفتتت إلى ثمانى عشرة قطعة صغيرة .

والطريقة التى اتبعتها جامعة كولومبيا فى تجربتها هى استخدام كهارب خاصة اسمها (النيوترون) تنطلق من مصادرها على مركز الذرة فتخترق تحصيناتها وتستقر فى نواتها (الكهارب

الموجبة) وعندئذ يبدأ الاضطراب فى الذرة وتصبح مثل أنبوب من المطاط والينا ملئه بالهواء فوق طاقته فيجب أن يتخلص من بعض محتوياته أو ينفجر وهو ما يحدث فى الذرة التى ترسل طاقتها .

وربما كانت سرعة الطاقة المنطلقة هى السبب الذى أنقذ الأرض من الدمار فى هذه التجربة ؛ فإن النيوترون الأصلى الذى يحطم الذرة يسير بسرعة أقل من السرعة التى ينطلق بها نيوترون الذرة المحطمة ، ولهذا فإن الأخير يمر على الذرات الأخرى ولا يفجرها وهو فى ذلك مثل حبة الحصى التى يريد طفل أن يدخلها فى حفرة على الأرض . فإن قذفها بقوة مرت من فوق الحفيرة حتى لو أجاد التصويب . ولكنه لو دحرجها بلطف فإنها تستقر فيها .

معادن جديدة ؟

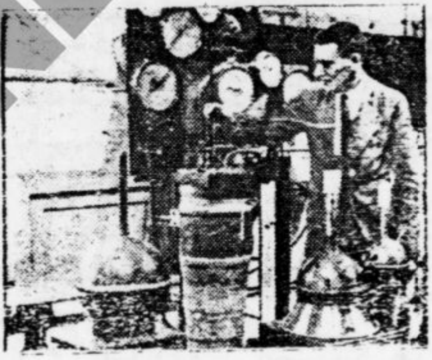
وأثبتت التجارب أن النترونات مهما كانت ضعيفة فإنها تستطيع فجر أقوى الذرات وأثقلها لأن كهاربها الموجبة والسالبة متعادلة .

وفحص العلماء بقايا قطعة الأورانيوم التى فجرت فى كل اتجاه فوجدوا أن وزنها الذرى تغير مما يدل على أن عنصراً جديداً طرأ على ذراتها وأنها أصبحت معادن أخرى ؛ فبعد أن كان وزنها الذرى ٢٣٨ (وزن الأورانيوم) أصبح وزن بعضها الذرى ١٣٧ و ٢٢٠

ولسنا نستطيع التكهن بما اكتشفه العلماء بعد ذلك من خطوات حتى توصلوا إلى القنبلة الذرية ؛ ولكن الثابت أن تجربة جامعة كولومبيا وما وليها فتحت آفاقاً واسعة أمام العلم ومهدت لاكتشاف القنبلة الذرية التى نرى من المعقول جداً ألا يتجاوز حجمها حجم البيضة لتدمر بضعة أميال من سطح الأرض .

وإن كبرت القنبلة عن ذلك فى مظهرها الخارجى فإنه فى الغالب حجم الغلاف الذى يجب أن تتوفر فيه أدوات خاصة لإجادة التصويب ولمقاومة طبقات الهواء وتياراته وأداة فجر القنبلة نفسها . ومجرد فجر مجموعة من الذرات يحدث درجة حرارة بالغة الارتفاع تحدث ضغطاً جوياً عظيما يدمر كل ما حوله ، فضلا عن إشعاله للنيران فى المواد القابلة الالتهاب ولو كانت خشباً .

وربما كان اكتشاف القوة التدميرية للذرة هو أبسط أسرارها . والمهم أن يعرف العلماء كيف يسيطرون على هذه الطاقة ويستخدمونها فى أعمال منتجة . وقد قال أحد العلماء : إن مصنعاً واحداً لإنتاج الطاقة الذرية يكفى لتغذية بريطانيا بكل ما تحتاج إليه من وقود وقوى محركة .



(شكل ٢) جزء من أجهزة تحطيم الذرة فى جامعة كمبردج وتقدر القوة التى تتولد فى الجهاز الصغير بما يكفى لإضاءة مدينة واحد إلى مئة من الثانية

ولقد فتح هذا الكشف آفاقاً بالغة السعة أمام العلم . وسنسمع فى كل سنة اكتشافات متعددة تؤسس كلها على الذرة وأسرارها ؛ فأمام العلماء شعب لا حد لها وأولاها السيطرة على الطاقة الذرية وتوجيهها . وثانيها خواص الذرة نفسها مما سيؤدى إلى تحويل معدن إلى معدن آخر . ومن يدرى ، فقد تستغل الكهارب الجوية فى صنع المادة ؛ فالعالم كله مجموعة من الذرات .

فوزى الشتوى

في ليلة من ليالى الربيع

للأستاذ سيد قطب

فى الجو رائحة توسوس فى الحنايا والصدور
نشوانة خدرت، يعاودها التوثب والفتور
فتهيم كالشوق المجنح فى متاهات الضمير
وكأن رائحة الحياة تدب فى عبق مثير

* * *

وأحس بالنغمات سارية ترقرق فى الدماء،
كهتاف مشتاق توله لا يكف عن الدعاء،
الأرض تفتنه ويرنو فى ابتهال للسماء !
والصمت يغمره وفى الأحناء وسوسة الغناء !

* * *

والحب والأشواق والظمأ المنفعل للحياه
وهواتف الدنيا إلى القبل المسيحة فى الشفاه
وترقرق الحرقات فى شغف يهيم إلى مداه
وتطلع الصوفى فى شوق إلى ذات الإله !

* * *

هو ذا الربيع وإنه لهو الهواتف والحنين
أبداً يهيج إلى عوالم نائهات لا تبين
ويهدهد الأحلام والذكرات شتى والفتون
فإذا الحياة هوى يرف وفتنة وشجى دفين

عزلة ...

للشاعر الانجليزي بوب

سعيد من تكون أمنيته وحرصه
قليلا من الأفدنة الموروثة عن الآباء ، قانعاً أن يستنشق هواء بلده على أرضه ؛
يمده قطيعه باللبن ومزرعته بالخبز ،
ويغزل من وبر أنعامه فيكتسي .
يتفيأ ظلال أشجاره فى الصيف ويوقد منها مدفأته فى الشتاء

* * *

ما أسعده ... إنه يجد من غير عناء
ان الساعات والأيام والسنين تمر هادئة
وهو صحيح الجسم سليم العقل ؛ يجد الهدوء بالنهار وينام ملء جفنيه بالليل ... والتأمل والهدوء
إذا ما اجتمعا ينتجان انتعاشاً جلواً وبراءة ... يسعدان دائماً بالتفكير العميق
لذلك ... دعني أعش غير مرئي وغير معروف
ولأمت غير مأسوف على . اختلس فرص الحياة وليس من حجر يحدث أين أرقد ؟ !

سليمان بخيت

فى المصيف

للأديب محمد طاهر الجبلاوى

أنا هنا فى جوار البحر ظمآن ... لا أرتوى ونسيم البحر ريان
أزاهر من رياض الصيف يانعة ... تهفو فيهفو لها قلب ووجدان
من كل مفتونة بالبحر فاتنة ... لها من الموج أكناف وأحضان
يضمها منه صدر جائش أبدا ... كأنه مغرم بالحسن لهان
تخفى وتظهر فوج الموج لاعبة ... الموج يحبو إليها وهو جذلان
أعارها البحر من أخلاقه سمة ... فلا يزال بها لين وطغيان
وهز عطفاً روياً من محاسنه ... كأنه بنسيم البحر نشوان
يا فتنة فى حمى نبتون[1] أيقظها ... موكل بقلوب الخلق يقظان
أوفى على عرشه العاتى فصيره ... ملاعباً بفنون الحب تزدان
والبحر خلق عظيم فى تصوره ... فكيف يركبه باللهو غزلان ؟
سجا وأسلس فى رفق وفى دعة ... فليس يحفزه للشر عدوان
وافتر تحت جناح الشمس ناجذه ... كأنه والد لاقاه ولدان
يا رفقة الصيف عيشوا فى مراتعه ... فإنكم لكريم البحر ضيفان
أبوكم البحر لا يألوكم مرحاً ... وروضه بفنون اللهو فينان
نعم البديل إذا عهد الربيع مضى ... عهد المصيف ودنيا الحسن ألوان

(١) نبتون: إله البحر



ملاحظة وتصحيح :

جاء في (العدد ٦٣٢) من « الرسالة » بالصفحة ٨٥٨ ، ضمن مقالة « روسيا والشرق » كتبنا مندشوريا ومندشوكو . والملاحظ أنهما اسمان لمسمى واحد يسميه الروس بالأول واليابانيون بالثاني .

وورد في هامش (الصفحة ٨٥٦) إسم اسكندر الثاني ، عن سهو ، بدلا من إسم نقولا الأول قيصر روسيا .

ولا بأس في هذه النهزة بزيادة بيان . ذلك أن نقولا الأول احتج بالنزاع الطويل بين اللاتينيين الكاثوليك واليونانيين الأرثوذكس في شأن الأماكن المقدسة وهو يحاول تحقيق طمعه ببلاد الدولة العثمانية ؛ ولكن السلطان عبد المجيد أحيا في عام ١٨٥٢ امتيازات فرنسا الخاصة بحماية الكاثوليك وبكنيسة قبر المسيح وغيرها ؛ فعرض نقولا الأول على انجلترا ، بعد ذلك بعام ، أن يقتسما الامبراطورية العثمانية من غير إشراك فرنسا في الغنيمة ؛ وقال يومئذ كلمته المشهورة : « على سواعدنا رجل مريض ، مريض في خطر ، وإذا لم يكن بد من أن يُفلت منا قبل أن تؤخذ العدة الضرورية كان ذلك بؤساً عظيما » . ورفضت إنجلترا فزحف جيش نقولا إلى الأراضي العثمانية في مايو عام ١٨٥٣ ، ونشبت حرب القرم في العام التالي . ثم مات القيصر عام ١٨٥٥ ، فخلفه اسكندر الثاني وعقد الصلح عام ١٨٥٦ .

محمد توحيد السلحدار

إلى الأستاذ العقاد :

قرأت « في بيتي » لأستاذنا الكبير فرأيت هذه الأبيات في الصحيفة الثانية :

النور سر الحياة النور سر النجاة
أنعم به بالروح لا نعم العيون الحواة
ما تبصر العين من معناه إلا أداة

وهذه الأبيات من البحر المجتث وقد أدركت بداءة أن صدري البيتين الثاني والثالث خارجان من البحر وأنهما لا يصحان على وجه من الوجوه ثم بحثت الأمر لأتأكده فظهر لي ما أدركته أولا .

ولما كان الروي هو التاء المكسورة وكان الوقف لا يصح عليها لأن « القصر » لا يدخل البحر المجتث ظهر لي أن في البيت الثالث إقواء فكلمة أداة في البيت لا يصح جرها بحال .

(والعيون الحواة) في البيت الثاني الرأى فيها أنها الحاوية أو الحاويات .

محمد العزازي
مدرس بمعهد قنا

حول ترجمة كتاب

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ نجيب محفوظ في العدد ٦٣١ من مجلة الرسالة نقداً لترجمة كتاب « الوسائل والغايات » لمؤلفه أولدس هكسلي . وهو ليس نقداً لترجمة هذا الكتاب وحده ، بل لكل الكتب التي تترجم على غراره ، وعلى المبدأ الذي توخيناه ولم يرض عنه

يرى الناقد أن الترجمة إما أن تكون حرفية ينقل فيها المترجم الأصل عبارة عبارة وإلا باتت عديمة الفائدة ؛ ولست أوافقه على هذا الرأي ، فمن الكتب ما ينبغي أن تنقل حرفاً حرفاً ، ومنها ما يُغني تلخيصها عن ترجمتها ، وللناقل عند التلخيص حق التصرف في الإيجاز والإسهاب حسبما يرى ، وليس بمخطئ في هذا ما دام لا يحيد عن أصل الفكرة وروحها ولا يزعم أنه ينقل الكتاب كلمة كلمة ، والمفروض أن الناقد مشبع بروح الكتاب عالم بالمواطن المهلهلة التي يمكن اختصارها ، وهو ناقل أمين ما دام يشير إلى خطته في الترجمة ولا يخفيها ، وبخاصة إذا كان الاختصار مما تقتضيه الضرورة كتحديد الحيز الذي يصدر فيه الكتاب المترجم ، أو عرض الفكرة على طائفة خاصة من القراء ، وهذا ما فعلت عند ترجمة كتاب « الوسائل والغايات » ، فقد كنت مضطراً لإخراجه فيما لا يزيد عن مائتي صفحة ، فعرضت بعض فصول الكتاب عرضاً مسهباً ، وأوجزت في بعضها الآخر ، وأشرت إلى ذلك في مقدمة الكتاب

إننا إذا أخذنا برأى الأستاذ نجيب محفوظ ما أبحنا لأنفسنا أن نترجم فصلا من كتاب ، أو جزءاً من مقال ، فأما فصول الكتاب كلها والمقال بأسره أولا ترجمه على الإطلاق ، ولست أحسب أنه هو نفسه يوافق على ذلك . والمترجمون الإنجليز كثيراً مايتبعون طرقاً مختلفة فى النقل ، فقد قرأت عيون الأدب اليونانى كلها ملخصة فى مجلد واحد وأفدت منها الكثير ، وقرأت كتباً أخرى اجتزئ فى ترجمتها ببعض فصول الكتاب دون البعض الآخر ، ووجدت فيها متعة وفائدة ، فالتلخيص جائز فى الترجمة معروف فى اللغات الأخرى ، ومن حقنا أن نستعمله فى العربية إذا اقتضتنا الضرورة ذلك

محمود محمود

بين القصة والشعر

قرأت كتاب (فى بيتى) للكاتب الكبير الأستاذ « العقاد » ولعله من أعمق ما كتب ، غير أنه لفت نظرى فيه الموازنة بين القصة والشعر . فالقصة عنده دون الشعر فى المرتبة ، وهى أهون عليه من أن يضيع فيها وقتاً يمكن أن يقرأ فيه ديواناً من الشعر ، وله فى هذه المفاضلة مقياسان يحدثنا عنهما فى كتابه فيقول : « غير أنى أعتمد فى ترتيب الآداب على مقياسين يغنيانى عن مقاييس أخرى ، وهما الأداة بالقياس إلى المحصول ، ثم الطبقة التى يشيع بينها كل فن من الفنون .

فكلما قلت الأداة وزاد المحصول ارتفعت طبقة الفن والأدب ، وكلما زادت الأداة وقل المحصول مال إلى النزول والأسفاف . وما أكثر الأداة وأقل المحصول فى القصص والروايات ؟ إن خمسين صفحة من القصة لا تعطيك المحصول الذى يعطيكه بيت كهذا البيت :

وتلفتت عينى فمذ خفيت ... عنى الطلول تلفت القلب

أو هذا البيت :

كأن فؤادى فى مخالب طائر ... إذا ذكرت ليلى يشد به قبضا

أو هذا البيت :

ليس يدرى أصنع إنس لجن ... سكنوه أم صنع جن لإنس

أو هذا البيت :

أعيا الهوى كل ذى عقل فلست ترى ... ألا صحيحاً له حالات مجنون

أو هذا البيت :

وقد تعوضت عن كل بمشبهه ... فما وجدت لأيام الصبا عوضا

لأن الأداة هنا موجزة سريعة والمحصول مسهب باق ، ولكنك لا تصل فى القصة إلى مثل هذا المحصول إلا بعد مرحلة طويلة فى التمهيد والتشعيب ، وكأنها الخرنوب الذى قال عنه التركى — فيما زعم الرواة — إنه قنطار خشب ودرهم حلاوة !

أما مقياس الطبقة التى يشيع بينها الفن فهو أقرب من هذا المقياس إلى أحكام الترتيب والتمييز . ولا خلاف فى منزلة الطبقة التى تروج بينها القصة دون غيرها من فنون الأدب ، سواء نظرنا إلى منزلة الفكر أو منزلة الذوق أو منزلة السن أو منزلة الأخلاق . فليس أشيع من ذوق القصة ولا أندر من ذوق الشعر والطرائف البليغة ، وليس أسهل من تحصيل ذوق القصة الشعرى الرفيع حتى بين النخبة من المثقفين » وهذان المقياسان — كما يبدو — ليسا بالحكم الفصل فى موضوع خطير كهذا .

فالمقياس الأول تحدث عنه علماء البلاغة والنقد ، فكانوا يرون أن خير الكلام وأبلغه ، ما جمع المعنى الكثير فى اللفظ القليل ، وهذا المقياس ، وإن صلح للمفاضلة بين عبارة وعبارة أو بين بيتين من الشعر ، أو قطعتين من النثر ، فى موضوع واحد ، فإنه لا يصلح للمفاضلة بين القصة والشعر ، وذلك أن فائدة القصة ليست مقصورة على الغرض الأساسى الذى وضعت من أجله ، ولم تكن خمسون صفحة فى قصة ما ولو بلغت الطبقة الدنيا فى القصص تمهيداً لفائدة تقال فى سطر أو سطر ، ولكن هناك التصوير الرائع والوصف الدقيق ، لحركات الأحياء ، ونوازع النفوس وهناك النقد اللاذع لأوضاع المجتمع ، وهناك الحديث الممتع الرفيع عن المشاكل السياسية والاجتماعية فى أسلوب قوى أخاذ ، وحسبنا هو من كاتب عبقرى ، ففى كل سطر بل فى كل عبارة لذة ومتعة ربما لا نجدهما فى أبيات كثيرة من الشعر ، وقيمة الأسلوب فى الآثار الأدبية ليست بالقيمة الهينة التى لا يحسب لها حساب ، وقد تكون متعة القارىء بالأسلوب وفائدته منه ، ومن هذه الأشارات العارضة فى ثنايا القصة أجل وأرفع من الفائدة الأساسية التى تهدف القصة للوصول إليها .

ولم أفهم قط المفاضلة بين بيت من الشعر وبين خمسين صفحة من قصة ، فإنه إذا كان الأثران صادرين عن نابغتين ، فلا شك

أن خمسين صفحة من قصة تعطينا من الفوائد أبلغ وأكثر مما يعطينا بيت أو أبيات كثيرة ، وإن كانت القصة ضعيفة ركيكة فلا يصح وزنها ببيت عبقرى ، ولا وجه للمفاضلة حينئذ ، على أنه إذا كان المرجع إلى الفوائد معدودة محسوبة ، فإن الخمسين الصفحة قد تعطينا أكثر من البيت الواحد مهما بلغت من الضعف

أما المقياس الثانى . فأحسبه ليس كذلك فاصلا ، فالطبقات الدنيا فى الثقافة أو فى الأخلاق لا تروج عندها إلا أنواع خاصة من القصص ليست هى التى يفاضل بينها الكاتب وبين الشعر ، وكما يروج عندهم نوع من القصص رخيص ، كذلك يروج عندهم أنواع من الشعر رخيصة ، على أننا نجد أن ميل العامة ليس دائماً إلى القصص ، فهناك من الأمم ما يميل عامتها وخاصتها إلى الشعر ويروج عندهم ، وهناك أمم يميل عامتها وخاصتها إلى القصص ؛ فميل الطبقات الدنيا ليس حكما فى المفاضلة بين نوع من الآداب ونوع آخر ، وإنما الحكم الفصل فى طبيعة الآداب أنفسها ، ولعلنا نظفر من الكاتب الكبير إلى بيان شاف فى هذا الموضوع الخطير

على العمارى

المدرس بالأزهر

ملك من شعاع

ظاهرة طيبة ، ولا ريب ، بدأنا نلحظها أخيراً ، إذ شرع الكتّاب يولون وجوههم شطر مصر القديمة ، ويمدون أبصارهم إلى تاريخها الغابر ، ينهلون منه أدباً جيلاً وقصصاً بارعة ، وأخذوا يستغلون هذا المنجم الذهبى البكر ، ويفرغون كنوزهم فى قوالب تتيح لأهل البلاد وجيرانهم أن يشاركوا الفراعين الأمجاد فيما خلّفوه من تراث أبقى على الدهر من تراث الذهب والمال .

فأصدرت سمو الأميرة شيوه‌كار قصة مصرية عنوانها « نفرورس أس » ، وكتب الأستاذ عبد المنعم محمد عمر أمين دار الكتب مسرحية عنوانها « إيزيس وأوزريس » ، وكتب الأستاذ عادل كامل قصة « ملك من شعاع » ، وأخرج الأستاذ على أحمد باكثير مسرحية « الفرعون الموعود » فضلاً عن « أحمس » للأستاذ عبد الحميد جودة السحار وو ...

وكتاب « ملك من شعاع » الذى نحن بصدده ، وضعه الأستاذ عادل كامل المحامى واتخذ موضوعه سيرة حياة أخناتون ، أسبق الناس إلى الاعتراف بوجود إله واحد ينبغى أن يعبده الجميع ، وأول من بشر بأن الله الذى خلق الكون وأبدع صوغه لا تنظره العين البشرية المجردة ، وإنما يدركه العقل ويؤمن به القلب . وكان أخناتون أول من جرؤ على هدم الأصنام والتماثيل وتحطيم معابدها ، وجاهد ليحمل شعبه القصير النظر على اعتناق دينه والخروج من أفق الملموسات الضيق إلى عالم اللامرئيات الفسيح . كان أخناتون فرعون مصر عبقرياً يعيش فى عصر لا يؤمن إلا بالحجر والشمس والنجوم ، وكان عليه أن يكافح كفاح الأبطال ليقنع القوم بما يعسر على العقل القاصر إدراكه ، ويعصى على العين رؤيته ، فوفق فى هذه المهمة أولا . ولكن الشعب سرعان ما تألب عليه بإيعاز من كهنة الأصنام وانقلب عليه يطلب دمه ويحكم عليه بالموت ، وينعته بالخيانة وبيع الوطن ، ولكن المنيّة عاجلت أخناتون فمات حتف أنفه مغضوباً عليه من شعبه الذى أحبه وأخلص فى خدمته ، مطعوناً فى نزاهته من أصدقائه المقربين ، وعلت شفتيه وهو مسجى فى الفراش هامداً بسمة هادئة عذبة إن عبرت عن شىء فإنما تعبر عن راحة قلبية واطمئنان إلى عدالة القضية التى نافح لنصرتها .

وقد أجاد الأستاذ عادل تحليل التطور الفكرى لأخناتون ، وبيّن الخطوات التى استطاع أن يصل بها إلى الحقيقة التى غابت عن أذهان معاصريه والسالفين له . وساق القصة ، وهى مزيج نادر من الفلسفة والأدب والمنطق فى أسلوب جميل أخاذ فضلا عن أن المؤلف ضمنها دروساً فى السياسة والاجتماع فقال عن الحرب : « إنها العمى والعرج والبتر والكساح - إنها الأرملة فقدت زوجها والأم ثكلت ولدها والأخت تبكى أخاها والفتاة تندب حبيبها ... إنها المناحة العظمى تعم أرجاء الوطن ، والشقاء والحزن يخيمان على كل منزل ... إنها المجاعة والذلة والمرض ، حين تخلو الحقول من حارثيها والبيوت من عائليها ، وتنتشر القاذر والخبائث فى كل مكان ... فليست الحرب هى الشرف ، بل هى الغدر والاغتيال والخديعة . أما الوطن فإن من أحبه حقاً كره الحرب . فمن يحب وطنه يسئه أن يسلب وطن غيره ، كما أن من يحب زوجته لا يرنو إلى زوجة جاره » .

إنه كتاب جليل ، ولا غرو ، فقد فاز بالجائزة الممتازة فى مسابقة وزارة المعارف . وقد أحسنت لجنة النشر للجامعيين بنشر هذا الكتاب لأنه سد فراغاً طالما استشعرناه .

وديع فلسطين



جـــريز يلدا

للقصصى الايطالى بوكاشيو

بقلم الأستاذ فخرى شهاب السعيدى

كانت عداوة المركيز جواليترى الشاب أمير مقاطعة سالوزو للنساء سافرة ، يجاهر بها هو ، ويعرفها هن ، لأنه ما كان مؤمناً يوماً بوجود امرأة وفية برة تصدق العهد وترعى الذمة والميثاق ! !

وكان ذلك سبب ابتعاده عنهن وانصرافه إلى ضروب من اللهو بين وحوش الفلا وأزاهير الرُّبى فى عيش رقيق الحواشى ندى الظل ، وغبطة تسرى فى جوانحه وتشيع فى محياه

وإذا كان هذا رأيه هو ، فلم يكن هذا رأى شعبه ، لأن الشعب لم يكن مجمعاً على خيانة المرأة ، ولأن الشعب يريد من يتولى الأمر بعد حاكمه ... هذا إذا جرى قضاء الله عليه فدرج فمات ! لذلك هب أبناء شعبه يطالبونه بالزواج فى إلحاح عليه شديد !

وتقدم إليه فريق من وجوه القوم بأسماء الحسان من بنات الأشراف ليقول كلمته فى إحداهن ، وألحفوا عليه فى ذلك ، فكان جوابه :

— إنه وحده صاحب الحق فيمن يختارها زوجاً لنفسه ، وأما لولى عهده ، وإذا كان للشعب أن يطالب حاكمه بولى من بعده ، فليس له أن يتحكم فى التى يختارها لهذا الخلف أماً !

... ثم اتفق معهم على أن يكون أمر اختيار زوجه له ، لاحق لأحد أن يعارضه أو يناقشه فيه ، وهكذا كان :

فإن المركيز لخارج من قصره إلى قرية قريبة منه يختال على جواده ، إذ بصر بقروية من بنات الرعاة تحمل الماء من بئر قريبة إلى دارها فى وداعة أخاذة استوقفته قليلا ، ثم اقترب منها يسألها من عساها تكون ؟ !

— اسمى جريز يلدا يا سيدى !

ووقف المركيز الشاب أمام جريز يلدا هذه دهشاً قد علق قلبه ، وذهل لبه ، واشتغل خاطره ، وأراد أن يكاشفها بدخيلة أمره ، وأنه يرغب فى أن تكون زوجه ، ولكنه ما استطاع ثم حمل نفسه على أن يصارحها برغبته فقال :

— إننى يا جريز يلدا أبحث عن زوج برة مخلصة لينة القيادة ، قريبة الارتياد ، خلقها دمث ، وطاعتى عليها فرض تتقبله فى سرور أفأجد فيك التى أنشد ؟ !

— يا سيدى ، أرجو أن تكون قد وفقت إلى اختيار من تريد !

ثم تم الزواج — كما أراد المركيز أن يكون — فى فخامة وبهاء ، وجاءت الفتاة القروية إلى قصر الأمير لتبتدئ حياة أرستقراطية غريبة عنها وعن قريتها التى أسلمتها إلى هذا القصر المنيف ...

* * *

كانت الفتاة وفية حقاً للمركيز : تتحرى رضاه فتعمل به ، وتتوخى هواه فتقصد إليه ، وتقضى حق النعمة عليها بشكر أياديه وفضله ...

وكانت برة به كما أراد ، مخلصة له كأفضل ما تمنى ... تعمل على إسعاده ، ولو كان فى ذلك شقاؤها ، وتتمنى له الخير ، ولو كان فيه أذاها ... !

وكانت قد وهبته قلبها : فهى أبداً حريصة على رضاه ، حريصة على إسعاده ، حريصة على أن يكون زوجها أسعد الناس حياة ... !

وكان شعب « سالوزو » يبصر هذا من الفتاة الكريمة ، فيعجب بما يرى ، ويغتبط بما يجد أميره من إكرام وحب ووفاء من بنت القرية « جريز يلدا » ... وقد كان هذا الإعجاب الشديد سبب حب الفتاة فى قلوب أهل « سالوزو » أجمعين !

وما لبثت جريز يلدا أن وضعت بنتاً ...

فرق الخبر إلى شعب سالوزو ، وابتهج الشعب لهذا وفرح ؛ وأعلن عما فى نفسه من أسباب الفرح والحبور بالاحتفالات يقيمها ، والمآدب يولمها ، والتهانى يرفعها إلى أميره ...

ولكن الأمير لم يُثلج بالأمر صدره غبطة ـ كما توقع الشعب ذلك منه ـ بل كان فى نفسه ما يحز فيها حزاً من سوء الظن الأثيم ! ... فإن الرجل قد خيل إليه أن من وراء هذا الذى تبديه له زوجه من الحب والوفاء ـ خيانة مستترة ـ لايعلمها هو . ولكن وجدانه ينبئه ... ولا يعرف عنها شيئاً ، ولكن حسه يوقظه ... وتتعاظم هذه الخواطر فى نفسه فتطغى على كل شعور ... وإذا ما كان فى نفسه عن المرأة قد عاد إليه ... وهل تكون « جريز يلدا » هذه إلا امرأة ؟ !

وإذاً فليتغلغل إلى دخيلة نفسها ليعرف الحق ، وليمتحنها ليطّلع على ما عند المرأة من خيانة وفجور ...

... وأرسل إليها يطلب منها ابنتها معلناً أن شعبه لا يرضى أن تكون ولية العهد بنتاً من أم وضيعة الأصل ، حقيرة البيت ، من أهل القرى ...

وفهمت هذا الذى كان يدور بخلده ـ وما كان ذلك ليخفى عليها ـ وأدركت أنها مفارقة ابنتها البريئة ، ثمرة إخلاصها ووفائها وتفانيها فى الحب لمولاها وزوجها المركيز ـ فراقاً لا تعلم مداه ... بل قد لا يكون له مدى يقدر ، أو نهاية تعرف !

... وألم بالمسكينة الجزع فى شكل التسكل ، وملكتها غموم الوالدة تفقد وحيدها ، فاشتملت عليها ، وتشعبتها آلام الفجيعة فى شكل مريع ... ولما رأت أن الأمر قد تعقد وأعضل ، ودعت ابنتها فى لوعة مريرة ويأس ... ثم تقدمت بها إلى الرسول .

* * *

ومضت بعد ذلك أعوام طوال كانت « جريز يلدا » معزوجها على سيرتها الأولى : من طاعة وحب ووفاء ... وصبر على ما تلقاه منه من مكروه ! ثم قدر الله فوضعت ولداً ...

وكان لهذا الوضع أثره فى نفسها المحزونة ، فقد أملت منه خيراً يأتيها به أبوه ... وقالت فى نفسها : إن الشفاعة من ولى العهد ولا شك ، وكيف تشك وها قد وضعت ذكراً ينوب فى حكم الشعب مناب أبيه ؟ وكيف تشك وهذه أمنية المركيز التى يطلب ، ومراده الذى يبتغى ـ هو ومن ورائه شعب « سالوزو » الكريم ؟ !

ولم يدعها المركيز « جو التيرى » تحلم ... وتبتعد فى حلمها عن الواقع المقدر لها ولابنها هذا ... فقد بعث بطلبه كما بعث من قبل بطلب أخته !

وتكرر فصل « المأساة » ولكن فى مظهر أروع ، وأعيد الحزن إلى قلب المسكينة ولكن فى شكل أقسى ؛ وقدمت المسكينة طفلها هذا كما قدمت أخته من قبل إلى الرسول !

وإذا كان جرو السبع لا ينفعه رضاع الشاة ... وإذا كان النبت لا يُقوّم اعوجاجه حين يشتد عوده ويستأسد ، فإن المركيز لم يكن ينفعه تفانى المرأة فى إخلاصها وإظهار طاعتها له ... والطباع إذا كان فيها عوج متأصل ، لا تفيدها كل أنواع المقومات !

... وكذلك صبرت « جريز يلدا » على الخسف ستة عشر عاماً طوالا ، كانت خلالها مثال العفة فى الخدمة ، والشرف فى أداء حقوق الزوج ، صابرة على ما تلقاه من هذا الذى يدعونه زوجها ، وليس فى قلبه من معانى الزوجية التى تعتمد على الشرف والإخلاص شىء !

وعلى أن الحزن الممض لا يقوى على احتماله بشر له قلب وشعور ، فإن « جريز يلدا » كانت تحتمل ما تلقاه فى جلد واحتمال عجيب ، كأن ما تراه من عقوق ، هو عين الحق الذى يجب أن تُعامَل به الوفيات أمثالها ...

ولكن زوجها المركيز لم يرضه هذا ... بل عمد إلى طردها من قصره إلى حيث كانت فى كوخها الريفى الحقير ...

وخرجت « جريز يلدا » فى أطمار بالية من القصر كما دخلته من قبل ؛ ورجعت إلى كوخها وليس معها من آثار النعمة التى كانت فيها غير ... أسوأ الذكريات ، وغير ما فى قلبها المكلوم من حزوز ...

ولكنها لا تكاد تستقر فى دفيها حتى يأتيها رسول « المركيز » يأمرها بالرجوع إليه .

لِتُسعِدَ قصره الذى رحته لزواج جديد ! ! من حسناء من بنات الأشراف ...

ونزل عليها الخبر كالصيبة تنال المرء بعد كثير بن أمثالها ؛ لا تكاد تستقر واحدة حتى تتلوها الأخرى أشد إيلاماً وأفجع !

... ورجعت إلى القصر وإن قلبها لجازع من هذا الذى يرى ؛ ولكن ستاراً من الابتسامات العذاب كان ينسدل على ذلك القلب الكسير فيخفى ما به من آثار اللوعة والشقاء ...

وتمّ إعداد القصر للزواج الجديد ...

وتمت دعوة الأشراف والنبلاء إليه فى ليلة الزفاف ...

فكان القصر ليلتئذ بحسناواته ومظاهر المسرة فيه جذوة من اللهب تتقد فى قلب جريز يلدا التى كانت تتغشى طمراً أبلاه الدهر وأخلقه ... قابعة فى زاوية من زوايا القصر ، خانسة ، فكأنها فى ذلك القصر المائج بالغيد الفاتنات تمثال البؤس الذى يتحاشى المترفون النظر إليه ... أن يشقيهم أو يكدر صفو حياتهم التى يحيون ! !

* * *

ورفعت «جريز يلدا» عينيها إلى العروسين الداخلين فاحتارت مما رأت ... لقد كانت ، فى يوم من الأيام ، كهذه الحسناء التى تتيه بجمالها الفتان وتزهى ... لقد كانت يوماً قبلة الأعين تستجلى جمال وجهها الباهر السنى فى إعجاب شديد !

... وجاء « المركيز » إلى زوجه القديمة البائسة يسألها رأيها ـ على ملأ من الحاضرين ـ فى عروسه الحسناء ؟ ! فأجابت :

إن فى منظرها ـ يا سيدى ـ لحسناً ... وأرجو أن يكون لها مثل ذلك فى مخبرها عند الامتحان ... ثم توسلت إليه أن يكون منصفاً لهذه الفتاة يعاملها فى رفق وإحسان ... وأردفت ذلك بجمل الدعاء والتوفيق لهما ... ولعلها ساعتئذ كانت أصدق ما تكون ...

قال المركيز :

ـ « ولكن اغتفرى لى يا « جريز يلدا » هذا الذى رأيته منى من جور وكفران ... لم أكن معك يافتاتى من المنصفين ... لقد كنت أتهم وفاءك ، خائفاً أن تكون وراءه خيانة أو ريبة ... ولكنك الآن أمامى مجلوّة مثل كرائم الأحجار ...

« دعينى — يازوجى البرة — أقدم إليك هذه التى تحسبينها عروسى كما يحسبها غيرك من الحاضرين ـ على أنها ... ابنتك التى انتزعتها منك منذ أمد بعيد ... وهذا يا جريز يلدا المحبوبة ولدنا العزيز الذى أرسلت إليك فى طلبه كما أرسلت من قبل على أخته ... ضميهما إليك ... إلى صدرك ... لتقرى بذلك عيناً ولتكونى من الفرحات الناعمات ... لقد حُرِمتِهما حيناً من الدهر طويلا ... فانعمى بعد ذاك الحرمان الطويل ... أقبلى عليهما التمسى العزاء عندهما عما مضى وكونى ـ كما عهدتك ـ تصفحين عن الإساءة وتتقبلين منى كل شىء بالصدر الرحب ، والغفران »

(بغداد) فخرى شهاب السعيدي

افتتاح الموسم الجديد لسينما ستوديو مصر

حالياً

ستوديو مصر يقدم

عقيلة راتب أنور وجدى فى قصة الشباب

الحيـــاة كفاح

مع

سليمان نجيب — علوية جميل — زكى رستم

إخراج كمال مدكور

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦٣٤ — الاثنين ٢٧ أغسطس ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

١٧ ، ٢٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 634 — Lundi - 27 - 8 - 1945

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٣٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٦٣٤ «القاهرة في يوم الإثنين ١٩ رمضان سنة ١٣٦٤ — ٢٧ أغسطس سنة ١٩٤٥» السنة الثالثة عشرة

عم يتســاءلون ؟

للأستاذ أحمد رمزى

مشاكل العالم الجديد — التوازن بين الكتل الثلاث الكبرى التى تسيطر على العالم — نظرة شرقية ...

كان النظام السائد فى عالم الاقتصاد فى المائة سنة الماضية التى أشرنا إليها فى مقالنا السابق ، هو نظام الباب المفتوح ، وهو يتلخص فى حرية التجارة والتكافؤ فى المعاملة . فالبوارج الحربية التى فتحت موانى الصين واليابان من مختلف الجنسيات ، كانت تفرض نظام الباب المفتوح ، واعتراف الدول بحماية فرنسا على مراكش المستقلة ، كان يتضمن بقاء سياسة الباب المفتوح — وفى مصر كان تساهل الدبلوماسية الأوروبية لبقاء الاحتلال البريطانى يلازمه اشتراط العمل بسياسة الباب المفتوح ، وبأخذ الضمانات على الإنجليز « ألا يكون لهم مركز ممتاز » ، أو أكثر رعاية من غيرهم . ولذلك بقيت حرية الحكومة المصرية فى زيادة الضرائب الجمركية مقيدة كما كانت طول عهد الدولة العثمانية برغم وجود العامل الجديد ، وهو الاحتلال البريطانى .

وقد بقيت سياسة الباب المفتوح معمولا بها طوال القرن الماضى ، وكانت إحدى دعامات القوة البريطانية ، ولكن حينما تقدمت الدول الأوروبية فى طرق استغلال أراضيها بالمستعمرات ، تطورت علاقاتها مع ممتلكاتها إلى إيجاد نوع من الوحدة الاقتصادية بين الدولة الأوروبية وما تملكه فى القارات الأخرى . وأخذت كل وحدة تسير نحو الاستكفاء بما لديها — فالميزان التجارى الذى كان يعتمد على حرية التجارة ، خضع لمقدرة كل دولة واستعدادها لتصريف الفائض من منتجاتها فى المستعمرات التى تملكها — كما أن المواد الأولية التى كانت تحت تصرف الدول الأخرى ، أخذت تنحصر رويداً رويداً بيد رجال الدولة الحاكمة ، وتصبح مع مرور الزمن محتكرة وفوق متناول يد الدول الأخرى

ولما كان كوكبنا الأرضى محدود المساحة ، ولم تبق بقية من أنحاء العالم خالية ، لايرفرف عليها علم أحمر أو أزرق أو أخضر ، ولم يبق شعب من الشعوب إلا وخضع لحكم الأوروبيين ، كان من الطبيعى أن تتلاقى القوى على حدود مناطق لا تتعداها ، وإلا تصادمت مع قوة لا تقل شأناً عنها

* * *

ولقد انتهى كل هذا إلى تنافس بين الدول الاستعمارية ظهرت بوادره منذ بداية القرن الماضى ، فشكلة فاشودة بين فرنسا وبريطانيا واتفاق سنة ١٩٠٤ بين الدولتين ، وهو الذى جعل مراكش من حصة الأولى ، وجعل مصر من نصيب الثانية ، جاء ليحد من أثر التنافس ، وليوجد حلا للمشاكل الاستعمارية بين الدولتين ،

كذلك كان اتفاق سنة ١٩٠٧ بين بريطانيا والروسيا ، جاء ليقسم إيران ، وليسد الباب على هذا التلاحق أو الاحتكاك بين قوتين تخشيان التصادم

ولقد وصل هذا التنافس بين المستعمرين إلى مداه قبل قيام الحرب العالمية الأولى ، أى فى سنة ١٩١٤ ، وكثر التحدث عن احتلال المراكز التجارية والمواقع الاستراتيجيكية التى تسيطر على طرق الملاحة والمواصلات

***

ولما قامت الحرب العظمى الأولى ، كانت أوروبا فى عنفوان قوتها ومجدها وسلطانها ، وقد ورثت الأرض ومن عليها ، وكانت حرباً قاسية ضروساً تحملتها أوروبا واشتركت المستعمرات فيها بأموالها ورجالها ، وكان الدور الذى لعبته الهند وأفريقيا الشمالية وغيرها هاماً ، فبقدر أهمية الخدمات التى أدتها المستعمرات ، بقدر ما زاد واستوثق اتصال الدولة الحاكمة بالبلاد الخاضعة لسلطانها ونفوذها

***

نتساءل بعد ذلك عما كان من أثر الحرب العالمية الأولى ونتائجها ؟

ظهر جلياً بعد الحرب أن أوروبا تحطم فيها أكثر ما خلفته المائة سنة الماضية من أنظمة اجتماعية وسياسية واقتصادية

فلو قدر لمترنخ الوزير النمساوى أو لغيره من أساطين وغمارة الرجعية الذين خيل إليهم أن الاقدار بيدهم يوماً ما

نعم ، لو قدر لهم رؤية أوروبا عام ١٩٢٠ لصعب عليهم أن يجدوا أثراً من الأنظمة التى فرضوها على الشعوب فى مستهل هذا القرن الماضى

ولكن أوروبا التى تحررت من آثار القرن التاسع عشر ، عرفت – لأول مرة – عهداً من الفقر المادى والمعنوى ، ودخلت فى طور جديد من المشاكل ، إذ كانت العشرين سنة التى أعقبت الحرب العظمى ، كشريط سينمائى للحوادث ، استمر يعرض علينا مشاكل الحدود والأقليات والثورات المتتابعة ، ومسائل التسليح ومقاعد عصبة الأمم – فكانت ما أثارته الحرب من المشاكل والشكوك والريب والأطماع أضعاف ما عرفته أوروبا قبل قيامها ، بل استمرت هذه المتاعب تعمل فى أوروبا وجراحها بعد لم تلتئم ، فكان من الطبيعى أن يلجأ السياسيون لكل الوسائل التى اعتادتها الدبلوماسية الصامتة من قبل بأساليبها الملتوية

ولقد كانت أكبر متاعب أوروبا مسببة من الشعوب الصغيرة التى أوجدتها معاهدات الصلح بدون أن تستند على أسس تاريخية راسخة – فهذه الدول المرتجلة ، أمضت العشرين عاماً ، تتأرجح بين التيارات المختلفة ، فلم تثبت على مبادئ واحدة ، ولم تنهج خطة معينة ، وكان تنازعها على مقاعد عصبة الأمم مضحكا ، كما كان اجتماع مجلس التحالف الصغير المكون من تشيكوسلوفاكيا ويوجوسلافيا ورومانيا للتدخل فى الشؤون الداخلية للمجر يدل على مهارة ، ولكن تفكك هذا المجلس وانكماشه أمام المصاعب الكبرى مثل مهاجمة النمسا واحتلال تشيكوسلوفاكيا كان يدعو إلى السخرية والتهكم

فهذه الشعوب والدول الصغرى كانت تسبب الكثير من الضجيج ، ولكنها لم تكن يوماً ما مستقلة فى سياستها ، أو مخلصة للمواثيق والعهود التى قطعتها على نفسها ، بل كانت أكثر الوقت ألعوبة فى أيدى الدول الكبرى التى كانت تحركها

***

وفى وسط هذه الفوضى الأوروبية كانت الدول الكبرى تسير بخطوات واسعة نحو تدعيم مستقبلها بالاعتماد على عوامل عالية أو كونية أكثر منها محلية أو أوروبية – وكان التفوق الصناعى والمقدرة الرأسمالية والإنتاج الواسع كلها تمهد لهذا الاتصال أو الارتباط وتسير بالدول الاستعمارية وأراضيها ومناطق نفوذها نحو التركيز الاقتصادى ، أو نحو إيجاد نوع جديد من الكتل الاقتصادية ، أو الوحدات المكونة لمجموعة من الدول والأمم التى إن لم تكن مرتبطة سياسياً ، فهى مرتبطة اقتصادياً ومادياً ، وهذه كانت أول خطوة نحو ظهور الكتل الكبرى التى نراها اليوم

***

ولم يكن هذا التوجيه فى حلم أحد من الناس ، بل هو النتيجة الطبيعية للعوامل التى سببها هذا التوسع الاستعمارى الجارف وهذا التطور الذى صحب العالم – وبينما هذه الدول تسير بخطوات واسعة نحو تأكيد سيطرتها معتمدة على تفوقها – أى بينما هذا

التحول فى الحلقة الأولى من حياته — ظهرت التناقضات والشروخ فى هذه الأنظمة الاقتصادية

فالنظام الرأسمالى الذى بلغ أوجه ، لم يكن يفكر فى شىء من الانهيار والتفكك حينما دهمته أزمة سنة ١٩٣٠ وما بعدها ، ولم تكن هذه الأزمة أوروبية حتى يمكن تلافيها ، بل كانت عالمية ، فهى أشبه الأشياء بالسنوات العجاف التى تحدثت عنها الكتب المقدسة .

كانت هذه الأزمة الواقعة بين حربين امتحاناً قاسياً للأنظمة الاقتصادية ولقوة المقاومة بين الدول الكبرى ، وكانت أكثر من ذلك ، كانت الدافع الديناميكى الطبيعى الذى أقنع الكتلتين الكبيرتين الأنجلوسكسو بأن مستقبل العالم يتطلب تفاهما وتعاوناً وارتباطاً بين أمريكا الأنجلوسكسو وبريطانيا الأنجلوسكسونية

***

ويحسن بنا قبل التكلم عن أثر هذه الأزمة أن نعطى فكرة أولى عن أحوال العالم الاقتصادية ، أو نظرة لرجل على ربوة رصد يسجل حوادث تمر أمامه :

كان يبدو للناظر أن الدنيا يغمرها طوفان أو فيض هائل من خيرات الله ، فلم يحدث فى العالم أن وصلت مستخرجات المواد الأولية إلى الملايين من الأطنان من كافة الأصناف التى وصلت إليها فى العشر سنوات الواقعة بين ١٩٢٠ — ١٩٣٠ وما يقال عن المواد الأولية ، يقال عن المنتجات الزراعية والصناعية ، ولكن يقابل هذا الفيض من الخيرات حالة أخرى بين سكان الأرض : فقد ذكرنا فى البحث السابق كيف ازداد عدد سكان المستعمرات . وكيف أصبح ملايين من الناس يسكنون جهات لم تكن مسكونة ومأهولة . وهذا القسم من الإنسانية امتاز بشىء واحد اسمه « الحرمان » ، أى أن الفقر والفاقة ، وأحياناً المجاعات والأوبئة اختصت بأجزاء من الإنسانية قد تقرب من نصف المجموع الآخر إن لم تزد عليه

***

فى الوقت الذى كانت فيه ثروات العالم وخاماته تنتقل بانتظام على البواخر بين القارات ، وفى الوقت الذى وصل فيه استغلال الشعوب الأسيوية والأفريقية بل والأمريكية إلى درجة لم تعرف من قبل — كان سكان هذه المناطق أو غالبيتهم لا يصيبهم سوى النزر اليسير إن لم يكن أقل من اليسير من الفيض الذى تخرجه أراضى بلادهم ، فهم يصدق فيهم أكثر من غيرهم قول الشاعر العربى :

كالعيس فى البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

ولعل أكبر التناقضات التى عرفتها البشرية منذ خلق الإنسان على الأرض ، والتى لم يعرفها الحيوان فى حياته قط هو ما يأتى :

إذا كان سكان العالم يقدرون بـ ٢٠٠٠ مليون نسمة ، وإذا أخذنا معدل المستوى فى بلد أسيوى أو أفريقى ، فلا أقل من نصف العدد من هم ونساؤهم وأطفالهم فى حاجة للكساء ، بل يمكن نصفهم عراة ، ففى الوقت الذى فيه نصف ، أو قل ربع الإنسانية عارٍ ، كانت ملايين الأطنان أو آلاف الأطنان من القطن الخام يحرق فى مزارعه . لماذا يحرق ؟ من أجل نصف ريال يرتفع به سعر القطن ليدخل فى جيوب المنتجين !

هذه إحدى التناقضات ، فلننظر إلى مثل آخر :

لا تزال مشكلة الغذاء تشغل العالم ، وهى مشكلة مخيفة إذا علمنا أن عدد سكان مصر فى القرون الوسطى هبط إلى النصف وأحياناً إلى الثلث من أثر هذه المجاعات . أما قلة الغذاء ونقصه ، فيعرفها أهل مصر أكثر من غيرهم ، فإذا كانت مشكلة الغذاء نعرفها هنا ، فما رأيك بملايين من بنى آدم فى بعض الجهات لايلقون سوى وجبة واحدة وضئيلة فى اليوم الواحد ، أى مكونة من قليل من الأرز والماء ، فى عالم فيه الإنسان محتاج لشىء من العطف والرحمة ، أو لقليل من الوعى الإنسانى ولشىء من التنظيم والصبر . نعم فى هذا القرن العشرين كانت ملايين من المواد الغذائية التى تصلح لتكون غذاء . أى نعم كانت تحرق فى القاطرات أو البواخر ... لماذا ؟ لكى لا يخسر زارعوها ربع ريال فقط !

***

هذه صورة الدنيا وهى لعمر الحق سوداء ، حينما قامت الدعوة لمؤتمر اقتصادى عالمى يلتئم فى مدينة لندرة ، ولم يكن اجتماعهم إلا بعد أن توالت النكبات ، وتفاقمت الأزمات ، وشعر الرأسماليون بنقص فى الأموال ، وضعف فى الأنفس ، وإفلاس فى بيوتاتهم ،

فقرروا أن يتجمعوا وأن يتداولوا وأن يتحادثوا ، وأن يراجعوا الأرقام ويقارنوا الإحصائيات ، وكان معهم الخبراء وغير الخبراء ، وما التأم شملهم حتى أخذ كل فريق يكيل الاتهام لغيره ويحمل الأخطاء على كتف سواه !

وتعود بى الذاكرة لبعض ما وعته نفسى : فإنى برغم جهلى بالتفاصيل المملة وعدم إيمانى بعبقرية الاقتصاديين والخبراء ، وعيت ما ذكره بعض غلاة الرجعية فى إذاعاتهم : أن بقاء روسيا تحمل وحدها سبع المعمورة قد أخل بالتوازن الاقتصادى العالمى ، فهى السبب الأول للأزمة ؛ وقال آخرون : إن علاج الأزمة هو رفع مستوى الجماعات البشرية وإعطاؤها الفرص لكى تبيع وتشترى ، وكثرت المقترحات وتفرعت اللجان ، ثم توزعت الأعمال ، فكان المؤتمر كسوق قامت ثم انفضت، فقط لم يربح أحد فيها، وخسر فيها العالم كل شىء ، إذ خرج وهو مريض وقد اشتد مرضه ، وتسابقت الدول إلى التسليح ، لأن مؤتمر لندرة لم يحل مشكلة المواد الأولية ، فبقيت المواد الأولية وأصحاب المواد الأولية ، أى سكان البلاد الأصليين ، على الحالة التى وجدهم المؤتمر عليها ، أى ينتظرون تنفيذ أحكام الأقدار فيهم !

* * *

أما الأقدار ، فكانت فى شغل عنهم ، لأن الأقدار تخالف القوانين الطبيعية الملازمة لطبيعة الأشياء . نعم كانت فى شغل عن تقارير المندوبين والخبراء ، كان عملها بسيطاً يتلخص فى نتيجة منطقية : إن الفريق الغالب فى عالم الاقتصاد هو الذى يملك من القوى الإنشائية والدعامات الاقتصادية أكثر من غيره ، وهو الذى يزحزح الضعيف من طريقه وينتهى بأن يجذبه إليه ، فإما أن يندمج فيه أو يزداد ضعفاً على ضعف

وكان أن خطوات التكتل التى بدأت بعد الحرب قد أخذت تسير بسرعة عقب مؤتمر لندرة ، فهولندة والبرتقال أخذت كل منهما تتجه نحو المجموعة التى تلائمها ، وجمهوريات أمريكا الجنوبية أخذت تلتئم فى النظام الاقتصادى للولايات المتحدة . وفى وسط هذا التنازع السلمى أخذت تظهر على العالم قوات متكتلة تختلف قوة وضعفاً وهى :

١ — بريطانيا العظمى وامبراطوريتها وأصدقاؤها وحلفاؤها
٢ — الولايات المتحدة وممتلكاتها وأصدقاؤها وحلفاؤها
٣ — روسيا فى أوروبا وآسيا
٤ — فرنسا وامبراطوريتها تحاول أن تستكمل
٥ — اليابان والشرق الأقصى
٦ — إيطاليا وامبراطوريتها فى المهد

أما بقية العالم ، فاستمر حائراً ينظر إلى المستقبل بأساليب القرن الماضى . ألمانيا تحلم بمستعمراتها ، وأسبانيا تؤمل فى أيام الإرمادا ، وإيطاليا تتحدث عن الامبراطورية الرومانية ، والتشك واليوجوسلاف يحاربون مشروع عودة النمسا والمجر ، وكل بما لديهم فرحون ، حتى دهمتهم الحرب العالمية الثانية ، وسنرى ما كان من أمرها إن شاء الله

(يتبع) **احمد رمزى**

القنصل العام السابق لمصر بسورية ولبنان

معركة إنسانية خالدة

في أفريقيا الشمالية العربية

للأستاذ توفيق محمد الشاوي

لا شك في أن جهاد العرب والمسلمين في سبيل حريتهم وسيادتهم ضد الاستعمار الأوربي في هذا العصر هو معركة من أروع معارك التاريخ وأبقاها أثراً ، لا لأنها معركة عنيفة جبارة يصلى نارها ملايين من البشر ، ويمتد ميدانها إلى جميع أنحاء الوطن العربي الإسلامي فحسب ، ولكن لأنها معركة فذة في أسلحتها ، خطيرة في نتائجها وآثارها . أما أسلحة المستعمرين فهي أسلحة فتاكة مادية ، لا تقتصر على الجيوش وسلاحها الذي يقتل الآمنين المسالمين قبل المجاهدين المحاربين ، ولكنها تشمل « السياسة » بما تستخدمه من أحط الوسائل في محاربة أخلاق الأمة بالفساد والانحلال ، ووحدتها بالتفريق والشقاق . وشجاعتها بالقتل والنفي والسجن والتجويع ، وإنسانيتها بمصادرة الحريات وسلب الحقوق وانتهاك الحرمات . وأما هدفهم ، فهو السلب المنظم والسرقة الصريحة باسم التعمير والاستقلال ، والهدم والإفناء باسم « التمدين » و « الإنشاء » .

أما الجانب المشرق في هذه المعركة الخالدة فهو جهاد العرب والمسلمين وثباتهم في ميدان الشرف والكفاح في سبيل أسمى غاية ، في سبيل الحرية الإنسانية وحقوقهم الطبيعية ، وفي سبيل المبادئ الإنسانية السامية التي تكفل لهم حقوقهم وحرياتهم . وسلاحنا في ذلك الكفاح هو قوميتنا ومثلنا الروحية العليا التي عوضتنا عن أسلحتهم المادية أسلحة روحية سامية ، هي الإيمان بالحق الذي نكافح من أجله ، وحب الموت والتضحية في سبيله ، واحتقار للحياة المادية الشهوانية التي تستسيغ الذلة والعبودية ، أسلحة قوية سيكون لها النصر رغم طول الكفاح ، وشدة البلاء ، وكثرة التضحيات .

تأمل هذه الحقائق ناطقة في معركة إفريقيا الشمالية بين العرب والمستعمرين من الفرنسيين والأسبانيين والإيطاليين وأشباههم . وخاصة في الجزائر وشقيقاتها حيث يتكلم الفرنسيون عن « مشكلة » إفريقيا الشمالية ، وكلمة « مشكلة » إنما تدل على أزمة حادة تصيب سياستهم الاستعمارية وفشل خطير يهددها ، فما الذي أصابهم بهذا الفشل ورماهم بتلك الأزمة ؟ لقد صرح أحد زعمائهم في الجمعية الاستشارية بالحقيقة مستورة ملفوفة حين قال « إن مجهود فرنسا الاستعماري تعترضه صعوبات « خطيرة » أهمها الوحدة العربية ، والمجاعة ! أما الوحدة العربية فتشير إلى القومية العربية بكل خصائصها وأسسها ، وخاصة أساسها الروحي وهو الدين بمبادئه ومثله العليا التي يتسلح بها المسلمون في كفاحهم ، فأي اعتراف بقوة هذه الأسلحة و « خطورتها » أبلغ من هذا ؟ ليس ذلك فقط ، ولكن بجانب هذا اعتراف آخر بفشل أسلحتهم الاستعمارية الوحشية التي عبر عنها بكلمة « المجاعة » ، لأن المجاعة هي النتيجة الطبيعية للسياسة الاستعمارية الغاشمة ، والاعتراف بها أبلغ رد على ما يسمونه السياسة الإنشائية والعمل التمديني الذي قامت به فرنسا والذي انتهى بعد قرن من الزمان بالمجاعة ، لأنه ليس في حقيقته إلا استغلالا همجياً حقيراً .

ونحن العرب والمسلمون نلمس من هذه الاعترافات بشائر نصرنا في هذه المعركة الإنسانية الخالدة التي ستكون نقطة التحول في الحضارة الإنسانية من المبادئ الأوربية المادية الاستغلالية الاستعمارية الهمجية ، إلى مبادئ قوميتنا وحضارتنا الإسلامية الروحية السامية التي عبر عنها أبلغ تعبير عالم الجزائر ورئيس جمعية علمائها المسلمين بقوله : « إن الأمة الجزائرية يجب عليها بحكم دينها أن تحيا مع كل من يساكنها حياة الإحسان والخير والرحمة فتحسن وتطالب بالإحسان ، وتبذل الخير والرحمة وتطالب غيرها بالخير والرحمة ، وإذا قامت بواجب حيوي مشترك كان من الإنصاف لها أن تتمتع بالحقوق الحيوية المترتبة على ذلك الواجب ، وأن تساوى غيرها في الحياة كما ساوته في الواجب ، مع الاحتفاظ التام بمقوماتها الطبيعية التي هي : الإسلام والعروبة وشخصيتها كأمة مستقلة ، وهذا هو ما تقتضيه قواعد الإنسانية وقوانين العدل والإنصاف ، هذا هو إيماننا العميق بمبادئنا الإنسانية السمحاء ، وهو الذي سيكفل لنا النصر القريب الحاسم ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله

توفيق محمد الشاوي

مدرس بكلية الحقوق بجامعة فؤاد

الفلسفة الإسلامية المتأخرة

للدكتور جواد على

— ٣ —

ترك الملا صدرا طائفة من الطلاب والمتعلمين كان أبرزهم تلميذه الملا محسن فيض الكاشانى وهو محمد بن مرتضى المعروف بمحسن فيض (توفى سنة ١٠٦١ هـ)[١]. درس على الشيخ ماجد بن على بن مرتضى البحرانى المتوفى سنة (١٠٢٨ هـ) والشيخ ماجد عالم مشهور وشاعر معدود تخرجت عليه طائفة من علماء إيران والعراق اشتهر بالفقه والحديث والأصول[٢]. ودرس على الملا صدرا وعلى نفر من العلماء البارزين.

غلبت على الفيض نزعتان النزعة إلى الفلسفة العالية والنزعة إلى التصوف. فدرس كتب الفلاسفة وأصبح فيلسوفاً من كبار الفلاسفة ومارس التصوف حتى أصبح صوفياً من جماعة المتصوفين فاتهم لذلك بنفس التهمة التى اتهم بها أستاذه الملا صدرا من قبل. « فنسب إليه الشيخ على الشهيدى العاملى فى ذيل رسالته فى تحريم الغناء وغيرها كثيراً من الأقاويل الفاسدة والآراء الباطلة العاطلة التى تفوح منها رائحة الكفر »[٣].

وقد ذهب مذهب أستاذه فى تقديس ابن العربى والثناء عليه والنقل من كتبه[٤]. وهذا ما أهاج رجال الدين عليه. وهو صوفى بالطبع ومشربه يشبه مشرب أبى حامد الغزالى وقد توصل إلى نفس ما توصل إليه هذا العالم الأخلاقى الكبير[٥] ولكنه غالى فى التصوف وفى الدفاع عن عقائد المتصوفة حتى تسمى « بالشيخ والدرويش » وحتى انتسب إلى « القلندرية » وقال « بوحدة الوجود »[١]. وكتب أكثر كتبه على طريقة المتصوفة والمتفلسفة حتى تلك الكتب التى ألفها فى الفقه والأصول والتفسير[٢] يقول عنه صاحب روضات الجنات « ولاشتهار مذهب التصوف فى ديار العجم وميلهم إليه بل غلوهم فيه صارت له المرتبة العليا فى زمانه والغاية القصوى فى أوانه وفاق عند الناس جملة أقرانه حتى جاء على أثره شيخنا المجلسى، فسعى غاية السعى فى سد تلك الشقاشق الفاغرة وإطفاء نائرة تلك البدع البائرة »[٣].

والمحسن فيض فيلسوف صوفى، فمن المعقول إذاً أن يكون لسلطان العقل عنده المقام الأول بالنسبة إلى سلطان النقل. على أننا لا نلاحظ ذلك عنده لا فى كتاباته ولا فى تفكيره. نراه يقدم الأخبار على الرأى ويأخذ بالحديث بدلا من الاجتهاد. ويتهجم على « الأصولية » القائلين بمبدأ الاجتهاد فى الفقه وأصوله. وقد كان « إخبارياً صلباً كثير الطعن على المجتهدين ولا سيما فى رسالته سفينة النجاة حتى أنه يفهم منها نسبة جماعة من العلماء إلى الكفر فضلا عن الفسق »[٤].

والأخبارية على نقيض « الأصولية » تعتقد بالأخبار الواردة عن الرسول والأئمة الاثنى عشر المعصومين على رأى الشيعة الاثنى عشرية وتقدم الخبر مهما كانت درجته على الدليل العقلى وحجتهم فى ذلك أن الاجتهاد رأى والرأى لا يجوز فى الدين. ولذلك لم يعترفوا إلا بالكتاب وبالأخبار المروية عن النبى والأئمة واختلفوا عن الأصولية فى درجات الحديث، أما الأصولية فأخذت بالأدلة الأربعة: الكتاب والسنة والإجماع ودليل العقل[٥]. وقد رفضت القياس لأن القياس فى نظرها رأى والرأى لا يجوز فى

---

(١) روضات الجنات ص ٥٤٢ — ٥٤٩ قصص العلماء. رياض العارفين ٢٢٥ — ٢٢٦ Brown. Vol 4 p, 432. مجالس الفصحاء. ج ٢ ص ٢٥ — ٢٦.

(٢) عن الشيخ ماجد راجع روضات ج ٤ ص ٥٤١.

(٣) راجع رسالة تحريم الغناء. وروضات الجنات ص ٥٤٣.

(٤) نفس المصادر.

(٥) روضات الجنات ص ٥٤٣. له ما يزيد على الثمانين كتاباً.

---

(١) نفس المصدر Brown p, 432.

(٢) راجع قائمة كتبه فى المصادر المذكورة. وله كتاب « الوافى » فى ١٤ مجلداً وهو جامع الكتب الأربعة فى الحديث. وله كتاب « الصافى » فى تفسير القرآن وينهج فى التفسير مذهب الأخباريين حيث يكثر من الحديث طبع بطهران سنة ١٢٧٦ راجع عنه شتروتمان فى كتب الأباحية نمرة ١٣

(٣) روضات الجنات ج ٤ ص ٥٤٦ ويلاحظ أن الشيخ على الشهيدى العاملى وهو صاحب هذه الكلمات التى نقلناها عن روضات الجنات من المتحاملين جداً على الفلاسفة والمتصوفة وكان محافظا جداً فى آرائه بالنسبة إلى هؤلاء.

(٤) روضات الجنات ج ٤ ص ٥٤٣، ٥٠٥.

(٥) عن الخلاف بين الأصولية والأخبارية راجع روضات الجنات ج ٤ ص ٥٦٩ حيث تجد الخلاف بالتفصيل و ص ٥٤٤ Horten Akhbatti.

العبادة والدين(١). ونسب إلى المحسن فيض القول «بوحدة الوجود» وقيل إنه ألف رسالة فى هـذا الموضوع(٢). ولـكنه من جهة أخرى يتحامل على الدراويش والصوفية تحاملا قاسياً وله «مقامات» على طريقة مقامات الحريرى فى وصف حالة زمانه وأوضاعه السياسية وقد تحامل فيها على المتصوفة وأصحاب الطرق تحاملا شديداً يكاد يجعله فى عداد القاومين للصوفية على أنه نفسه من المتصوفة. غير أن تصوفه من قبيل تصوف الملاصدرا بلا ذكر ولا ملابس وعلامات(٣).

ومن الذين تأثروا بمدرسة الملاصـدرا عالم آخر وفيلسوف صوفى هو الملا عبـد الرزاق بن على بن الحسين اللاهيجى المتكلم الشاعر وصاحب التصانيف فى الحـكمة والـكلام(٤). وكان كالمحسن فيض صهراً للملا صدرا وخليفة من خلفائه فى الفلسفة الأشراقية وله فى هذه الفلسفة كتاب «شرح الهياكل فى حكمة الأشراق» وكتاب «الشوارق فى الحـكمة»(٥) تلك الفلسفة التى ارتبطت بالصوفى الشهير السهروردى على الأخص والتى أصبحت ذات لون إسلامى خاص — والظاهر أنه لم يصـل إلى مرتبة الفلاسفة المتقدمين بدليل ما قاله البعض عنه «من أنه كان قلندراً قبل أن يكون فيلسوفاً»(٦).

أما الحاج ملا هادى السبزوادى (ولد سنة ١٧٩٧/١٧٩٨م وتوفى سنة ١٢٩٥هـ) فقد كان آخر رجل من هذه الزمرة وهو شاعر فيلسوف طبعت أكثر كتبه فى إيران. مثل مدرسة الملا صدرا خير تمثيل(٧).

رفض الملا هادى مبدأ «الاتحاد» أى اتحاد الله فى المخلوقات وفرق بين الاتحاد والحلول. فسر فكرة الاتحاد تفسيراً جديداً. إن «عقلى كل» «العقل الـكلى» معناه اتحاد «الموضوع بالمحمول» ويتمثل الله الذى هو «العقل الـكلى» فى «العقل» الذى يشع

(١) نفس المصادر.
(٢) وروضات الجنات ص ٥٤٥ وما بعد.
(٣) راجع مقامات المحسن فيض. وروضات الجنات صـ ٥٤٦.
(٤) Brown Vol 4 p, 435.
(٥) Brown Vol 4 p, 435 روضات صـ ٣٥٢ — ٣٠٣، ٣ قصص العلمـاء. رياض العارفين صـ ١٦٥ — ١٦٦ مجمع الفصحاء. Donaldson p, 303.
(٦) Brown Vol 4 p, 435 — 1 أيضـاً Shea an Troyeos, Dabistan. 1843 Vol 1. pp, 140 — 1. كتبه جوهرى مراد. مرماى إما،
(٧) Brown Vol 4 p, 436.

من نور «المبدأ» أو «العقل الـكلى» فالعقل الـكلى هو «العقل» أو «الـكون» بنفس الوقت. ولـكن ذلك لا يعنى على رأيه بأن الـكون ذاته هو «الله». ولا يمكن أن يكون الـكون بجملته شيئاً يقابل «العقل الـكلى»(١).

إن الله بحد ذاته لم يتحد بهذا العالم اتحاداً تاماً ولم يحـل فيه لأن الله مستقل بذاته والـكون مستقل بذاته ولـكنه لا شىء بالنسبة إلى ذات الله. إن الـكون حجاب «Maya» لا يمثل الحقيقة والحقيقة هى الله والله هو أساس المخلوقات ولولاه لـكان الـكون لا شىء — ولـكن الله يرسل نوره على هذا العالم فيشع عليه ويشرق الـكون ولا يكون هنالك «إشراق» لولا «النور» الذى هو الله(٢).

وقد مزج الملا هادى على ما يظهر بين فلسفة الأشراقيين وبين فـكرة «المـايا — Maya» البراهمية وتكوّن من هـذا المزيج فلسفته الخاصة. فالـكون على نظرية البراهميين خداع فى حد ذاته يظهر لنا كأنه الستار المنقوش على المرسح الذى يرى المناظر من بعيـد كأنها أشياء واقعية، وبفضل «المـايا» التى هى إسم آلهة من آلهة البراهميين التى تشرق بالمعارف على العالم تتم معارف الإنسان(٣).

إن النفس الإنسانية واحدة وقديماً قال البراهمة بوجود نفس عامة للعالم من إشعاع تكون نفوس الأفراد(٤).

وقد فسر ابن رشد نظرية أرسطو طاليس عن «النفس الـكلية» نفس هـذا التفسير(٥). فمن النفس الـكلية تتشعب النفوس الجزئية. وقد أيد السبزوادى هـذا الرأى وصرح به أن المادة هى التى تتجزأ فى الأفراد أما الروح أو النفس فإنها «كلية» عامة وهى وحدها التى تتصف بهذه الصفة، صفة العموم(٦).

(انتهى)

جواد على

(١) راجع max Harten p, 142 Bektaschijje Jacob 56. 4.
(٢) max Harten p, 142 راجع الفلسفة الأشراقية وفـكرة «المـايا» فى الفلسفة البراهمية.
(٣) عن «المـايا» راجع Smitt Hsnd Book of Pbilosophi. Art. wajá. أيضاً النصوص البراهمية.
(٤) Haten p, 142. a'denberg Brahmen Texts 1919.
(٥) وقد نادى بهـذه الفكرة بعض الفلاسفة المتأخرين أمثال: بولـسن — Paulsen «، Kulpe وأمثالهم.
(٦) Harten p. 142.

المستقر العقلى لعقيدة التوحيد

للأستاذ عبد المنعم خلاف

أود قبل كل شيء أن أنبه الأستاذ سيد قطب إلى أني قلت إن الذهن هو أوسع طريق لإثبات عقيدة التوحيد بوجه خاص. وعقيدة التوحيد واحدة من عقائد الإسلام والدين الصحيح عامة، ولم أقل إنه طريق الإيمان في الأديان الأخرى التي ليس لها أسس عقلية والتي تدين بها ملايين كثيرة من البشر.

وهذا التوضيح قد يفيدنا في تحديد نقطة الخلاف وينهي هذا الجدل الذي طال.

وأنا حين رأيت الأستاذ سيد يقول مقالته عن طريقة القرآن في إثبات عقيدة التوحيد بالمنطق الوجداني وحده خشيت أن يكون قد اتبع المقالة العامة التي شاعت في العالم غير الإسلامي - لأن عقائده لا يسعفها الاستدلال العقلي - وانتقلت إلى العالم الإسلامي حديثاً، وهي أن الدين أمور لا يمكن إثباتها من طريق الفكر والمنطق وإنما من طريق الوجدان والعواطف التي تستمد من خوف المجهول. وطبيعي أن يستتبع ذلك نفرة كثيرين من العلماء والمفكرين أن يسلكوا أنفسهم في هذا السبيل، وأن يربأوا بعقولهم أن تأخذ شيئاً من غير طريق الإثبات والحكم العقلي.

وما كان للقرآن وهو يعلم أنه سيجابه هؤلاء أن يغفل هذا الميزان الفكري ويتجاهله وقد جاء لعصور فيها رشد الإنسان ونضج قواه الفكرية جميعها.

وإذا كان الأستاذ سيد يفهم من الوجدان أنه يعتمد على « الحس والبداهة والحقائق الخالدة » فالخلاف حينئذ يكون بيننا على الاسم، ولا فرق حينئذ بين المنطق الوجداني، والمنطق الذهني الذي يعتمد هو أيضاً على الحس والبداهة والحقائق الخالدة، ويكون الاسمان لمسمى واحد. فلا داعي إلى أن نقول إن القرآن لم يعتمد على « الذهن » في إثبات عقيدة التوحيد.

ثم ننتقل إلى المثال الذي استشهد به الأستاذ سيد على إثبات القرآن لعقيدة التوحيد بلا جدل ذهني، والذي بينت ما فيه من ضروب الأدلة الذهنية التي أسماها الصديق « محاولات ذهنية » ووصفها بالتهافت. والمثال هو آيات التوحيد في سورة الأنبياء.

وقبل كل شيء أحب أن أسأل: هل حين يقول القرآن أو أي قائل لمعارضيه: « قل هاتوا برهانكم » يكون جدله خالياً من الحركة الذهنية؟ ألا يكون المقام كما قلت سابقاً بهذا الخصوص « مقام جدل كبير يتسع للرد وقرع الحجة بالحجة وتشقيق الدليل وراء الدليل، وليس مقام تسليم بوجدان عن طريق « تعريض الحس والقلب للأصداء والأضواء » والخطابيات والشعريات والنغمات؟

أظن أن هذا التحدي بطلب البرهان يكفي لإثبات أن الفكر هنا هو الأداة الأصيلة، وأن الحركة الذهنية حاضرة لاستعراض القضية وأدلتها.

وقد أغفل الأستاذ سيد استشهادي بهذا المقطع من الآية حينما سرد كلامي تمهيداً للتعقيب عليه، وما كان له أن يغفله عامداً وهو يعلم ما فيه!

يقول الأستاذ: « إن القرآن كان أعرف بالنفس البشرية من الأستاذ عبد المنعم فلم يسق الأدلة كما ساقها هو ... »

أما أن القرآن أعرف مني بكل شيء فذلك ما لا جدال فيه. وما زعمت لنفسي غير هذا وما غيرت سياق القرآن، وإنما شرحت ما فهمته من أدلته شأني شأن أي مفسر آخر. بل شأني شأن الأستاذ سيد نفسه حين أباح لنفسه أن يفهم في هذا الآية كما شاء. ولما اعترضت على فهمه لم أسلك هذا السبيل الذي سلكه هو في بيان خطئي، وإنما بينت رأيي وتركته له وللقراء، ولعلي مخطئ، وما زعمت لنفسي أني بهذا التفسير أحدد معاني القرآن وأحمله على ما أريد، فإني أعلم أن من إعجاز القرآن أنه يرضي العقول والعصور جميعاً لأنه حجة الله عليها جميعاً...

ولنأخذ في سرد اعتراضات الأستاذ والرد عليها:

(١) يقول الأستاذ في الاعتراض على قولي: « فالإله [الواحد] هو وحده الذي يخلق ويحيي وينشر الخلائق من الأرض »: [أفلا يعلم أن قضية البعث كانت من القضايا الكبرى التي تولى القرآن إثباتها لهؤلاء القوم، فكيف يجعل منها دليلا على وحدانية الله - ولو كان منطق الذهن الجدلي هو المحكم - بينما هي نفسها موضع جدل طويل، وليست لإحداهما سابقة على الأخرى، بل هما مظهران لقضية واحدة تثبت بطرفيها أو تتهافت بطرفيها].

وفي هذا القول ثلاثة مواضع للرد:

١ - أنه زاد كلمة [الواحد] من عنده فقد قلت: « فالإله هو وحده هو الذي يخلق ويحيي وينشر الخلائق » ولم أقل فالإله

الواحد . وفرق واضح بين المعانى مع هذه الكلمة وبدونها ؛ ولا داعى لشرح هذا الفرق ، ولست أدرى لم يزيد الأستاذ سيد هذه الكلمة هنا، وينقص الجملة الأخرى عند «قل هاتوا برهانكم»؟

٢ — أنه فهم من كلمة (يُنشرُون) أن الإنشار هو البعث فقط ، وليس الإحياء والخلق بوجه عام بينما المادة تفيد الإحياء عموماً ، ابتداء واستئنافاً ، وحينئذلا يكون البعث ـ وهو قضية دينية أخرى تحتاج إلى إثبات ـ مسوغاً لإثبات قضية التوحيد . وأنا قد وضحت (ينشرون) بهذا المعنى العام حين قلت : « فلإله وحده هو الذى يخلق ويحيى وينشر الخلائق من الأرض ... »

وما كان للقرآن أن يثبت « التوحيد » بالبعث مع أن الأخير لم يثبت بعد ولن يثبت فى هذه الدنيا ولم يره المعارضون حتى يساق كدليل عليهم .

٣ — قول الأستاذ : « وليست لإحداهما (قضيتى التوحيد والبعث) سابقة على الأخرى بل هما مظهران لقضية واحدة تثبت بطرفيها أو تتهافت بطرفيها » قول غريب ! فإن قضية التوحيد وقضية البعث كلتاهما مستقلة عن الأخرى . فبعض الأديان الوثنية الداعية إلى آلهة متعددة يدعو إلى الإيمان بالبعث ومصير آخر ...

وبعض مقالات المؤمنين بالتوحيد لا يحتم البعث على الله بل ترى أن ذلك محض رحمة منه تعالى ومساوقة لحكمته . « كتب ربكم على نفسه الرحمة : ليجمعنكم إلى يوم القيامة ... »

فعقيدة التوحيد هى القضية الأولى فى الإسلام ، يثبتها العقل الكامل مستقلة عما عداها ولا يقبل منها بديلا . وهى قضية لا يعتمد فى إثباتها على شىء غير هذا الكون الموجود الآن الذى يثبت ما فيه من تناسق وانسجام أنه من صنعة يد واحدة هى التى خلقت العين فى جوف الرحم باستعداد ترى معه نور الشمس فى السماء حينما تولد، وليس « البعث »من أدوات إثباتها هنا ، لأن له كوناً آخر تبدل فيه الأرض غير الأرض والسموات .

وقضية البعث قضية تتصل بالمنطق الوجدانى كما تتصل بالمنطق العقلى ، لأنها من جهة قضية « سماعية » أتى بها الدين . وأعظم أدواتها هو التعلق المشبوب بالحياة والقيمة السامية للانسان ، وانتظاره دائماً لمصير أكمل يتمتع فيه بالوجود الكامل الذى يرضى ما فيه من آمال السيطرة والكمال والخلود ، وإنصاف الخير من الشر ومجازاة المحسن والمسىء ، ومن جهة أخرى هى قضية عقلية تقتضيها حكمة الله وتنزيهه ، والذى يرى أن الخير جزاؤه فيه والشر جزاؤه فيه فى الدنيا قبل الآخرة لا يرى حتما على الله أن يبعث الناس فى حياة أخرى ليجزيهم ، بل يرى ذلك رحمة منه وتكرماً . وحسب الله فى استحقاقه للعبادة أنه خلقنا من العدم لهذا الوجود ، وأرانا هذا العالم العجيب ، وأدخلنا إلى هذه الدار لحظة سواء كتب لنا الحياة ثانية أم ردنا وزج بنا إلى الفناء المطلق من غير رجعة !

فها نحن نرى أن قضية البعث لون آخر غير لون قضية التوحيد الصارمة التى لا تحتمل هذا الجدل . لأنها تستمد مقدماتها من هذا الكون المحسوس الملموس ومن الطبيعة البشرية المستقيمة التى تستجيب فى يقين واقتناع لهذا الكون الواحد .

فالقول بالتسوية بين القضيتين فى الثبوت أو التهافت قول غريب حقاً ...

(ب) يقول الأستاذ سيد معترضاً على قولى إن التصور البشرى لايملك أن يجرد الآلهة من صفات الناس فى الخلاف بين الرياسات المتعددة « أفلا يعلم أن القرآن ذاته قد كلف التصور البشرى أن يؤمن بأن الله « ليس كمثله شىء » فكيف كان يكلفه هذا لو لم يكن فى طاقة الإنسان أن يتصوره بوسيلة من الوسائل » .

وهنا أمر واضح فى الفرق بين المسألتين : إذ أننا حين نثبت (الإله الواحد) يجب أن نعتقد أنه ليس كمثله شىء ، وحين نرى أنه لا مانع من تعدد الآلهة نكون بالطبع قد قبلنا جواز أن يكون له مثل وشبيه ، لأن الآلهة المتعددة أمثال وأشباه .

وحين يكلفنا القرآن أن نعتقد أن الله ليس كمثله شىء ، لا يكون قد كلف التصور البشرى أن يتصور الله بوسيلة من الوسائل كما يقول الأستاذ ؛ لأن هذا تكليف باعتقاد سلبى تجريدى مطموس الصور ، والمؤمن العالم ليس فى ذهنه مطلقاً صورة ما عن الله وإلا دخل فى دائرة التشبيه والتجسيم المؤدى حتما إلى الكفر والجهل . وإنما فى ذهنه إثبات الصفات الحسنى لله . استنبطها من هذا الكون البديع ، وقال إن خالقه لا بد متصف بها . أما كيف تتعلق هذه الصفات بذات الله فذلك ما ليس للعقل البشرى سبيل إلى تصوره لأنه محدود رهين بقيود التجسيم والتشبيه ، « وكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك » .

وإذا رفض الأستاذ سيد تفسيرى لدعوى القرآن بفساد العالم حين تتعدد الآلهة فكيف يفسرها هو : أيفسرها معتمداً على تلك « الصلة الخفية البديهية التى يعتمد القرآن على إيقاظها فى

الحس كالومض السريع فيؤمن المؤمن ويستريح ! » وإذا كنت أمام غير مؤمن ، فكيف يرى هذا الومض إن لم تضاعفه له حتى يصير شعلا تضيء له السبيل؟ أوعلى الأقل تقيم عليه الحجة عريضة مستعلنة لا لبس فيها ولا خفاء؟

إن المؤمن الوثني المشرك أيضاً مستريح لومض آخر في وجدانه ، فكيف تقيم عليه الحجة والتذكرة ؟ أليس بالبرهان المحسوس المستمد من استعراض الكون كله بما فيه التجربة الأزلية بفساد الأمور حينما تتعدد الرياسات وتتلاقى الأشباه والأمثال من الآلهة الذين لهم الذكاء والمهارة والقدرة وحبهم لعلو بعضهم على بعض كما يقول القرآن : « ولعلا بعضهم على بعض » ؟

(ح) يقول الأستاذ سيد : « أفلا يرى الأستاذ أن كلامه « في مسئولية الآلهة » لا يثبت شيئاً ولا ينفيه ؛ فمسئولية الآلهة أمام عبادها هي مسئولية نظرية من جانب واحد لا تحفل بها الآلهة ولا تجيب سائليها وكثير من الناس يحاكم الله مثلها ... »

كأن الأستاذ سيدفرض جدلا أن هناك آلهة أخرى فوق تناول الإنسان لها بالمسئولية ، وفرض أنها في مستوى من القدرة والعقل لا يمكن الإنسان من محاكمتها ، ولذلك رتب اعتراضه على ماقلته ... ولكن الأمر غير هذا في الواقع : فالآلهة التي عبدها أكثر البشر ، وخصوصاً العرب آلهة كانت في متناول أيدي الناس يخلقونها بأيديهم ويسألونها عن قرب ويحاكمونها وقد يأكلونها وقد يضربونها ويجعلونها جذاذاً وقد يصلبونها إذا كانت من البشر الخ . فهي كما قلت تقع عليها التبعة والدينونة « أتعبدون ما تنحتون » « كانا يأكلان الطعام » . أما الله تعالى فلا تقع عليه المسئولية حتى لو وجهت إليه لأن هؤلاء الحسيين يرون الآلهة المجسمات المزعومة ، فيحاكمونها ولا يستطيعون أن يحاكموه تعالى ويسألوه لأنهم لا يرونه ولا يدركونه ولا يحيطون به فهم يحسون أمامه أنهم أمام فراغ مطلق لا يقبض عليه !

والجدل القرآني هنا يخاطب تلك الحلوم البشرية الصغيرة الطفلية التي لا تحيط فكراً بما تقدم عليه ، ولا بد له أن يذكرها بصغاراتها وضآلة تفكيرها في معاملتها لآلهتها .

(د) أما اعتراض الأستاذ على الدليل التاريخي في (هذا ذكر من معي وذكر من قبلي) بأن القوم لم يؤمنوا بذكر من معه وذكر من قبله حتى يحاسبوا به . فأقول رداً عليه : إن الدليل التاريخي قد لا يخضع للمنطق العقلي ، وإيراده للاستدلال به يكون لاستيفاء ضروب الأدلة واستيفاء الحالات السلبية التي تستعرض لإثبات قضية إيجابية .

فالرسول يقول للمشركين : ما كنت بدعاً من الرسل حينما أدعوكم إلى الوحدانية . ولستم أنتم معتمدين على كتاب منير أو أثارة من علم في دعواكم تعدد الآلهة . ولو كان في رسالات هؤلاء الرسل الذين يدين لهم العالم المتمدن حولكم ما يفيد تعدد الآلهة ، إذاً لكان لكم عذركم في اعتناق التعدد . فأنتم لا تتبعون إلا الهوى والظن والجهالة . فسواء أكانوا مؤمنين بذكر من معه وذكر من قبله ، أم لم يكونوا مؤمنين فإن الدليل التاريخي قد قام على أنهم لا يعتمدون في التعدد على شيء محترم لدى موازين الآراء والمعتقدات التي كانت في العالم المتحضر حولهم . ولا يطعن في صحة الدليل أن المعارض لا يؤمن به ما دام عدم إيمانه بغير دليل

وقد كان يصح الاعتراض السابق من الأستاذ سيد على هذا الدليل لو لم يسبقه الدليل الاستقرائي والدليل التطبيقي اللذان هما جماع القياس الذهني في إثبات صلب هذه القضية بالحكم والتمييز والإدراك . ولكنه أتى بعدهما وبعد الدليل العملي ، فكان إيراده للاستيفاء الذي يسد مسالك الجدل على المعارضين .

ولست أدري ما الذي يستطيع أن يقوله الأستاذ في تفسير هذه الآيات غير ما قلت ؟ أيقول : « إنها شيء يتصل بالفطرة على استقامتها فتؤمن بالوجه الواحد الصحيح منها إيمان اقتناع وتسليم بدون أسباب وتعليل ؟ » .

أم يكون القرآن قد ساقها هكذا اعتباطاً فاستشهد بالبعث على قضية التوحيد وهو لا يعلم أن البعث نفسه محتاج إلى إثبات قبل الاستشهاد به ؟ ! ويكون قد قال « لفسدتا » هكذا مع أنه يعلم أن الآلهة عقلاء هادئون متعاونون لا يختلفون فيفسدوا العالم بخلافهم ! ؟ ويقول : « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » مع أنه يعلم أن مسئولية الآلهة أمام عبادها هي مسئولية نظرية من جانب واحد لا تحفل بها الآلهة وكثير من الناس يحاكم الله مثلها ! فهو أيضاً مسئول وأنه ذكرها للتقرير « وللتأثير الوجداني » فقط ! فهي دعوى بغير دليل ، وتقرير لا يقره الواقع ! وهو يقول : « هذا ذكر من معي وذكر من قبلي » فيحاكم المددين إلى ما لم يؤمنوا به فيكون في هذا مغالطة أو غفلة ؟ !

الحق أنني لست أدري : أيعترض الأستاذ سيد على أقوالي التي ما عدوت بها شرح ما يستفاد من هذه الآيات ولم أغير

على هامش «حادث الشام»

دموع ... ودموع !

يا أيها العرب جميعاً !
خلدوا (يوم ٢٤ تموز) ، فإنه كان
لنا يوم البؤس ، وإنه كان لنا يوم النعيم !

للأستاذ على الطنطاوى

كنت تلميذاً فى الصف الأدنى من المدرسة الثانوية ، وكان لى رفاق لهم على حداثة أسنانهم قلوب فيها إيمان وفيها حماسة وفيها وطنية ، وكنا نحس وقد ولى حكم الأتراك ، وغاب عنا شبح الذعر والهول : جمال باشا ... واختفت المشانق ، وبطل الهمس ، والتلفت كلما ذكر هذا الاسم المرعب ، وجاء الشريف فيصل ، وجاءت معه الأفراح ، وقامت الأعراس ، ودقت طبول البشائر...

كنا نحس أننا نعيش فى دنيا من الأحلام ، فى أيام كلها أعياد ، وكنا إذ نجول كل خميس فى المدينة ننشد (مرسلييز العرب) :

أيها المولى العظيم فخر كل العرب
ملكك الملك الفخيم ملك جدك النبى

فيردده معنا التجار فى دكاكينهم ، والباعة من وراء دوابهم ، والمارة فى دروبهم ، وتردده منازل دمشق ودورها ، ومساجدها وقصورها ، وقلعتها وسورها ، وتردده الأرض والسماء ... أو هكذا كان يخيل إلينا ، فيشد هذا الخيال من عزائمنا ، فننتفخ ونتطاول ، ونمد أصواتنا ونقويها لنشعر أنفسنا أننا صرنا رجالا ، وصرنا جنداً كالرجال الذين كنا نراهم يصرخون فى المظاهرات ويلوحون بالسيوف والبنادق ، ويطلقون النار من مسدساتهم كما أخذت منهم الحماسة وهزهم الطرب ، بعد أن مضت علينا أيام ما كنا نرى فيها فى دمشق رجلا إلا فاراً من الجيش مختبئاً يمشى مشية المذعور ، يخاف أن يلمحه رسول الموت (أبولبادة) فيقول له الكلمة التى حفظناها ، ونحن صغار لا ندرى معناها ، ولكنا ندرى أنها كانت تخيف وترعب ، ويصفر منها الوجه ، وترجف الأضلاع ، كلمة : (زرده وثيقة) ؟

***

وإنا لسادرون فى أفراحنا ، ممعنون فى مسراتنا ، مزهوون باستقلالنا ، وإذا بنا نسمع الصريخ يصرخ فى الحى ، ونرى الخطباء يقومون فى الأسواق ينذرون الناس خطباً داهماً ، وشراً مقبلا ، ولم ندر نحن الفتية الصغار ما ذا جرى ؛ فسألنا : هل عاد جمال باشا ؟ هل رجعت مشانقه ؟ قالوا : لا ، جاء ما هو شر منه وأمر ، غورو ؛ قلنا : وما غورو ؟ قالوا : الأعور ... فاعتقدنا أنه الأعور الدجال الذى يظهر فى آخر الزمان !

بها سياق القرآن ، أم يعترض على القرآن ذاته ! ؟

وكأنه يريد أن يأخذ ما فى هذه الآيات فى سهولة ويسر واقتناع وتسليم بدون فكر ومناقشة لأنه يراها لا تنهض ولا تستقيم على الفكر والجدل والمناقشة !

ولست أدرى ما هو « الوجه الواحد الصحيح » الذى تؤمن به النفس فى هذه الآيات إيمان اقتناع وتسليم ، وترفض بعده الأوجه المنطقية الزائفة ؟

أيكون القرآن قد عجز عن إقامة دليل ذهنى واحد على أكبر قضية من قضاياه ، قضية التوحيد ؟ !

ولست أدرى لم يسلك الأستاذ سيد الإسلام مع غيره من الأديان موحدة ووثنية ومعددة فى تلك الطريق التى ليس فيها هدى من نور العقل ، مع أن الفرض أنه يعلم أن القرآن له تفرد خاص وأنه لو لم يكن ديناً موحى به لكان المذهب العقلى الطبيعى الوحيد الذى يثبت الموجود الواحد الكامل الأزلى الأبدى كما أثبته « كانت » ونوه به الأستاذ الكبير العقاد فى كتابه « عبقرية محمد » وكما قرره فى كتابه الأخير (فى بيتى) الملخص لفلسفته وآرائه ؟

وبعد فإنه ليس وراء ما وضعنا القرآن عليه من أعماق الكون مستقر آخر يصح أن نتعمق إليه ونستقر عليه .

وليس مذهب هناك من مذاهب الفكر الخالص يستطيع أن يأخذنا إلى غير ما أخذنا به القرآن فى الطبيعة وما بعد الطبيعة .

إنه أحال كل قضايا الإلهية وكمالاتها إلى قوة الحكم العقلى وحده . فكان لقاء بديع بين الدين والعقل ، وهو لقاء تحتاجه البشرية مسيس الاحتياج .

عبد المنعم خلاف

ورأينا الدنيا تقوم وتقعد ، ففي كل مكان حشد ، وعلى كل منبر خطيب ، وعجت الشوارع بالناس ، ولم نكن نفهم ما يجرى من حولنا ، وإن كنا نسعى في أعقاب الناس متسائلين مشاركين ما استطعنا ، ثم رأينا الجموع تمضي إلى النادي العربي ...

النادي العربي الذي كان مثوى الوطنية ، وكان لنا نحن الصغار المنار الهادي ، من خطبه تعلمنا الخطب ، ومن بيانه قبسنا البيان ، ومن رجاله عرفنا الرجال ، هذا النادي الذي خان أهله عهده ، وهدروا مجده ، وقعدوا به بعد العز ، ونسوه بعد أن كان هو الذي يذكرهم أوطانهم ، فغدا ويا خجلتاه حانة ، أو شيئاً يشبه الحانة ، يقال له شهر زاد !

مضت الجموع إلى النادي يموج بعضها في بعض ، ومضينا نتبعهم ، حتى إذا وقفوا أطل عليهم من شرفته أخطب خطيب عرفته ، وأطلقه لساناً ، وأشرفه بياناً ، وأشده على القلوب سلطاناً شيخنا وأستاذنا الشيخ عبد الرحمن سلام البيروتي الشاعر الفقيه رحمه الله وسيّر في الناس طيّبةً ذكراه ، أطل على بحر من البشر يزخر بأقوام برزوا للموت ، يدفعون المغير عن الحمى ، ويحمون الذمار ، فامتلأ بهم ما بين المستشفى العسكري ، ومحطة الحجاز ، وميدان الشهداء ، وحديقة الأمة ، ولم يبق في تلك الرحاب كلها موطئ قدم ، أطل فلما رأى الناس استعبر وبكى ، وخطب خطبة إذا قلت قد زلزلت القلوب أكون قد أقللت ، وإن قلت ألهبت النفوس لا أكون قد بلغت ، خطبة لو كانت بلاغة بشر معجزة لكانت من معجزات البلاغة ، خطبة ما سمعت مثلها ، وقد سمعت ملوك القول ، وفرسان المنابر ، حملتني هذه الخطبة إلى آفاق المستقبل ، فنسيت أني تلميذ صغير ، ورأيتني رجلا ، ثم صبت البطولة في أعصابي ، فأحسست أني كفولنورو ، وجيشه العادي أرده وحدي ، وكبرت في نفسي حتى صغر هذا الأعور الدجال ، الذي خافوه وخوفونا منه ، فلم يعد شيئاً ، وإني لا أزال أحفظ منها قوله عليه رحمة الله ، وقد سكت لحظة وهو يخطب ، وسكت الناس حتى لو أنك ألقيت إبرة على بساط لسمعت لها صوتاً ، ثم ولى وجهه تلقاء المغرب ، وصرخ من قلبه الكبير صرخة لا تزال إلى اليوم تدوي في مسمعي : « غورو ! لن تدخلها إلا على هذه الأجساد » ! وأعقبها صرخة أخرى ، تقلقل لها الفلك ، ورجف الكون ، تكبيرة واحدة انبعثت من أربعين ألف حنجرة مؤمنة !

ومضى الناس قدماً إلى ميسلون !

أما نحن فمضينا إلى بيوتنا ، فما كان فينا من بلغ سن القتال

* * *

ولم يكن إلا يوم وبعض يوم حتى رأينا الدنيا تتبدل غير الدنيا وأبصرنا كل شيء قد تغير ، وإذا الناس في جمود كأنهم في مأتم ، وإذا الخطباء الذين كانوا ملء الأسماع والأبصار قد اختفوا ، وإذا الأعلام ذوات الألوان الأربعة قد طويت ، وإذا فيصل الذي كنا نهتف باسمه ونعتزبه ، ويشعر كل واحدمنا أنه يملك فيه ملكا إذ يكون له مَلكا ، قد سافر وخلا منه قصره في (العفيف) ، فاحتله عدوه ، ونام فيه على فرشه ، واستوى على عرشه ، فخرنا وسألنا : ما ذا جرى يا ويحكم حتى انهار الصرح في يوم واحد ، وضاع البِشر ، ، وتبدلت الدنيا ، قالوا : اذهبوا لا تسألوا ، إننا خسرنا ، ورجعنا من (ميسلون) ، وقد خلفنا فيها استقلالنا الوليد ، وقائدنا الشهيد ، وصارت الغلبة لهذا العادي العاتي الذي اقتحم علينا البلد اقتحام الغاصب ، غورو ! قلنا : الأعور الدجال ؟ قالوا : اسكتوا ، اسكتوا ، لا يسمعكم أحد

وذهبنا نستطلع حقيقة الخبر ، فقادتنا الخطا إلى (الثكنة الحميدية) ، فوجدنا عندها جنداً غرباء عنا ، سوداً برابرة ، وسمراً مغاربة ، وشقراً فرنسيين ، وإذا هم يخفضون علمنا ، ويلقونه ويرفعون علماً فيه ثلاثة ألوان ... وتلفت فإذا رجال منا واقفون ورائي ، ودموعهم تسيل على خدودهم في صمت وحرقة وألم خفي يأكل الأكباد ، وكان ذلك يوم ٢٤ تموز سنة ١٩٢٠ ، وكانت تلك هي (الدموع) الأولى !

* * *

ومر ربع قرن ، خمس وعشرون سنة كاملة لا تنقص يوماً ولا تزيد يوماً ، حملنا فيها ألوان الأذى ، وذقنا فيها الموت من كل طبق ، وعلى كل خوان ، ورأينا النار تأكل دورنا ، والقنابل تهدم على رؤوسنا منازلنا ، فهدمت بيوت من أبهى وأغلى وأحلى بيوت دمشق ، وقضى فتية من أجل وأكمل وأنبل فتيتها ، وأبصرنا أياماً سودا ، ومصائب شدادا ، ولكنا ما جبنا ولاخفنا ، وكنا عزلا أقلة ، وكانت قريعتنا فرنسا القوية العظيمة ذات الحول والطول ، فقارعنا فرنسا ، ولقينا بصدورنا الرصاص ، وهجمنا بالخناجر على الدبابات ، وقابلنا بالحجارة الرشاشات ، وصبرنا فانتصرنا

. وكان يوم ٢٤ تموز سنة ١٩٤٥ ، ورأيت بعيني العلم ذا الألوان الأربعة يرتفع مرة ثانية على (الثكنة الحميدية) في دمشق ، ورأيت

فى بيتى ...

أحدث كتب العقاد

للأستاذ عبده حسن الزيات

هذه سياحة فى مكان واحد تحققت فيها وحدات « أرسطو » الثلاث فلم نتجاوز بيت أستاذنا العقاد ، ولم نعدُ شطراً معيناً من نهار ، وانحصر نظرنا فى مشهد واحد هو مشهد الحوار بين العقاد وصاحبه ، فجاءت سياحة فريدة فى بابها وكأنما حسب المؤلف أن تحتاج إلى دفاع فقال : « إن السياحة ياصاحبى لها حجتها الناهضة فما هى بحاجة منا إلى حجة جديدة . ولكن المكث فى المكان الواحد أيضاً له حجته التى تضارع حجة السياحة ولا تقصر عن شأوها ، فاذا كانت مشاهدة الأمصار ومداولة الديار تعلمنا الحكمة وتبصرنا بألوان الحياة فاعلم ياصاحبى أننى لا أعرف شيئاً ينفذ بنا إلى حقائق الآمال والمخاوف ، وبواطن الأفراح والأحزان ، كراسنا لها فى المكان الواحد الذى يقل فيه التغيير » .

ولكنها فى الواقع لم تكن محتاجة إلى هذا الدفاع فهى سياحة حقيقية فى معارض الآراء والفلسفات ومسارح الأذهان ومحافل الموسيقى ، ومواقع المذاهب ، ومعانى البطولة ، ومجالى الشعر ، ومنافى الصور . ولم يكن العقاد فيها سائحاً بقدر ما كان ملاحاً وأستاذاً فى جامعة من هذه الجامعات التى حدثونا أن السفينة جدرانها ، والأفق العريض سبورتها ، وأمواج البحور مدرجاتها ؛ رحلة دسمة زاخرة بالمشاهد لا أدرى كيف استطاع هذا النوتى الماهر أن يطويها فى هذا الزمن القصير وهو ١٣٢ صفحة من ورق « اقرأ » ، وذلك فى طمأنينة مريحة لم تشعر السفر بدوار ولا تركتهم يحسون إحساس المعجل عن التقصى وملء النفس من روائع الجزر والمرافئ .

* * *

فى هذه الرحلة أو فى هذا الكتيب تعرض على القارئ أمور كثيرة منها : النور والتملى فيه وسيلة وغاية ، الروح والمادة والشأن العملى لبحوث ماوراء الطبيعة ، فلسفة النسك ، مذاهب السخط والتشاؤم وبيان ما فيها من هدم وبناء ، نقد المذاهب الشيوعية والنازية والفاشية ، الموسيقى وتصوير المعانى والنسبة بين الموسيقى الشرقية والغربية ، آداب الطرب ، الموازنة بين عظماء الفنون وعظماء الدعوات العملية ، الموازنة بين جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وسعد زغلول ، فلسفة التغذية وعلاقة الأطعمة برقى الأمم ، شرح بعض الصور العالمية مثل « شالومة » للفرنسى بروسيير و « الزهرة » للأسبانى فلاسكيه ، الفنان والعصبية القومية ، وحدة الخلق وتلاحم سلسلة المخلوقات ، البومة وشهرة الشؤم ، ابن الرومى ونحسه ، تقدير الموهبة التصويرية فى شعره ، الإلمام بصور بعض المصورين المصريين المحدثين ، تقدير القصة وبيان مكانها بين سائر ألوان الأدب ، السيكولوجية والقصة ، الشيوعية والقصة ، التماثيل والأخلاق الخ .

* * *

وقد كنت أحب أن أعرض رأى المؤلف فى هذه الامور جيماً ولكنه عمل فوق طاقة نقد قصير معجل فحسبى أن أسجل بعض الخواطر التى قامت فى نفسى إثر القراءتين الأولى والثانية لهذا الكتاب النافع الممتع .

رجالا يبكون ، ولكنهم يبكون هذه المرة من الفرح ، وكانت تلك هى (الدموع) الأخرى !

* * *

اللهم لك الحمد أن أحييتنى حتى رأيت هذا المشهد ، اللهم لك الحمد فما أبالى بعد اليوم أن أموت ، لقد أبصرت وطنى حراً مستقلا له راية ترفرف ، وعلم يخفق ، وجيش كان عليه فصار له ، وجند كانوا يحاربونه فصاروا يحمونه ، لقد غدوت الآن أقدر أن أقول مباهياً مفاخراً : إن لى وطناً !

اللهم علم قومى كيف يحفظون استقلالهم ، وسدد خطاهم نحو وحدتهم ، التى لا حياة لهم إلا بها ، ولا اعتماد بعد الله إلا عليها !

اللهم وارحم أولئك الأبطال الذين سقوا بدمائهم هذه النبتة الكريمة حتى صارت دوحة ، شهداء الاستقلال من لدن يوسف العظمة شهيد ميسلون ، إلى حسن الخراط شهيد الغوطة ، إلى أخى ورفيق مدرستى شهيد الواجب ، الطبيب مسلم البارودى ، الذى أقبل أمس يسعف الجرحى من أبناء الوطن ، فقتله أعداء الوطن ... رحمة الله على الجميع

علی الطنطاوی

— ١ —

تجلت ملكات العقاد الأصيلة أو تجلى كثير منها ، فى هــذا الـكتيب بصورة أخاذة رائعة ؛ وإنى أصارح القارىء أنى سألت نفسى هل انطلق قلم العقاد على سجيته أو رسم له صاحبه رسماً معيناً واختط شرعة وبذل بعض الجهد لتحقيق هــذه الغاية ؟ تساءلت ولم أقطع بجواب لأنى حين رأيت الشعر المنثور الترقرق يزكى الفرض الأول ، رأيت الجـدل العلمى الدقيق المستند إلى الحجج المنطقية والمادية يؤيد الفرض الثانى :

نعمت بهذا الشعر المنثور المؤثر فى مطلع الـكتاب :

«قلت لك يا صاحبى إننى أحب مدينة الشمس لأننى أحب النور أحبه صافياً وأحبـه مزيجاً ، وأحبـه مجتمعاً وأحبه موزعاً ، وأحبه مخزوناً كما يخزن فى الجواهر ، وأحبه مباحاً كما يباح على الأزاهر ، وأحبه فى العيون وأحبه من العيون ، وأحبه إلى العيون !

ويوم سكنت فى هــذا المكان ، ونظرت من هذه النافذة ، أعجبنى أننى أفتحها فلا أرى منها إلا النور ... والفضاء .

والحق أنه لا فضاء حيث يكون النور .

وكيف يكون فضاء ما يملأ العينين ويملأ الروح ويصل الأرض بالسماء ؟

قلت لك يا صاحبى إننى أحببت النور فسكنت فى مدينة النور!

فإننى لا أحبه لأنه يرينى الدنيا وما فيها أو لأنه هو واسطة الرؤية وأداتها ، ولـكننى أحبه لأراه ولو لم أر شيئاً من الأشياء .

وقديماً كنت أقول إن الأرواح تخف فى النور كما تخف الأجساد فى الماء ، كأنما هى تسبح وتطفو عليه » . ثم نعمت واغرورقت نفسى رقة لقوله فى ختام رحلته :

« إذا وجل القلب فهذا الـكرسى يعلمنى أن الخوف عبث وأن الذى أخافه قد يخطئنى ويسبقه إلى الذى أرجوه ، فـكم من مرة جلست عليه أطيل النظر فى أعقاب الأمور وأقلب الظنون فى كل وجه من الوجوه ثم جاء الوقت المحذور ولم يجىء معه ما حذرناه !

وإذا تقطعت النفس حسرات على نعمة من نعم العيش فهذه الشرفة تقول لى : بل انتظر طويلا أو قصيراً فسترى كما رأينا وستعلم كما علمنا أنك ستعيش بغير هذه النعمة التى كنت تقرنها بالحياة .

... وهــذا المسكن قد صعدت سلالمه ثلاثاً ثلاثاً ثم صعدتها اثنتين اثنتين ثم أصعده درجة درجة على غير عجلة ولا اكتراث ، وهذا المسكن قد زلت به والشعرات البيض يتوارين فى السواد ، وما زلت أزل به والشعرات السود يتوارين فى البياض ... »

ولـكن هـذا الشعر المنثور وما استدعاه المقام أحياناً من الاستشهاد بشعر منظوم بعضه من شعر المؤلف القديم ، ليسا إلا « نثارة » وسط ذخائر من المناقشات الحادة والبحوث الجادة تنتظمها دفتا « السفينة » أو دفتا الـكتاب :

انظر إلى هذه المناقشة لما قرره « أرثر بلفور » من نفى الصلة بين عالم المادة وعالم الروح واقرأ هذه المحاجة الدقيقة الصلبة الناعمة :

« إنما ساء فهم المادة والروح معاً من تصور الأقدمين هذه وتلك إذ وضعوهما موضع النقيضين وجعلوا المادة كثافة لا حركة فيها وجعلوا الروح حركة لا كثافة فيها . إنك حين تضرب الأرض بقدمك فتزعم أنك صدمت الحقيقة التى لا تقبل المراء إنما تصدم شيئاً غير الـكثافة أو الجرم الذى يحسب عند بعض الناس وجوداً لا يقبل الإنكار . فإنما الوهم كل الوهم هذه الـكثافة ، وإنما الوجود الحق هو ما وراءها من قوة تصدم القوى فتصدم الحواس . هذه الـكثافة المادية لا شىء يا صاحبى لولا القوة التى تـكمن فى أطوائها ... وإن شئت مصداقاً لذلك فافرض أن يدك التى تقف عند هذه الخشبة قد زادت قوتها ألف ضعف أو عشرة آلاف ثم عد إلى لمس الخشبة بتلك القوة المضاعفة فهل تقف عندها ؟ كلا إنها لا تقف عندها بل تعبرها كما تعبر الماء أو كما تعبر الهواء ، أو تعال إلى الماء والهواء ، وهما مثال التخلخل فى تلك الـكثافة المادية فادفع الماء بقوة من بعض العيون ... إنك إذن لتضربه بالسيف القاطع فلا يمضى فيه ... فليست الـكثافة المادية هى الحقيقة التى لا مراء فيها بل القوة هى الحقيقة الـكامنة فى تلك الـكثافة وفى كل مادة ملموسة أو محسوسة » .

ثم نطوى نحو ثلث الـكتاب لنقابل بحثاً أعمق فى الميتافيزيقا وسر الوجود : « إن الفلسفة تعلمنا أن العدم معدوم ، والوجود موجود . موجود بلا أول ولا آخر لأنك لا تستطيع أن تقول : كان العدم قبله أو يكون العدم بعده ! وموجود بلا نقص ، لأن النقص يعترى الوجود من جانب عدم ولا عدم هناك ... موجود بلا بداية ولا نهاية ولا نقص ولا قصور ... والوجود الـكامل الأمثل هو الله »

(البقية فى العدد القادم) عبده حسن الزيات

العلية الاجتماعية

التاريخ ... ما هو ؟

« إذا أراد العالم أن يكون مؤرخاً ، فعليه أن يكون رجل اجتماع ... »

للأستاذ فؤاد عوض واصف

[بقية ما نشر فى العدد الماضى]

وقد ظهر تأثر التأريخ بهذه النظرية فى عدة كتب لمشاهير المؤرخين ، فعند كوجنوزوفسكى الروسى ارتفاع درجة الكثافة فى سكان أمة ما يرجع إلى نشاط الغريزة الجنسية والعكس بالعكس[١] . وهكذا ترد العلية فى الأحداث التاريخية إلى هذه الغرائز والدوافع . وفى حين ترد نظرية التقليد الأحداث التاريخية إلى النفس الواعية Consciente تردها نظرية الدوافع إلى النفس غير الواعية inconsciente .

غير أن نظرية الدوافع هذه لا تلقى كبير تأييد من الأوساط . فقد انتهى علماء الأحياء وعلماء النفس إلى نظرية علمية جديدة تعارض نظرية الدوافع كل المعارضة ونعنى بها « نظرية مرونة الإنسان — The Thcory of human plasticity » . وتبعاً لهذه النظرية الجديدة ، الحياة الروحية والعقلية هى المسيطرة على الغرائز والميول والنزعات وهى الموجهة لها . وقديماً قال ابن باجة فى رسالته « تدبير المتوحد » إن الإنسان يمتاز عن سائر الكائنات بقوة فكرية من شأنها أن تخضع النفس البهيمية لأوامرها فلا تعاندها « والواقع أن اتجاه العلم الحديث فى أيامنا رفض كل الرفض نظريات من شأنها أن تجعل الإنسان عبداً لعامل فسيولوجى أو عامل طبيعى

٤ — النظرية الفسيولوجية : تزعم هذه النظرية وجود اختلافات وراثية بين الأجناس المختلفة ؛ فكل جنس يولد مزوداً بصفات وراثية خاصة به تتحدد الأحداث التاريخية تبعاً لها . وأهم من قال من بهذه النظرية سنيوبوس ch Seghobos من جامعة السوربون[١] وجوستاف لوبون I. Le Bon[٢] . سنيوبوس يقسم الأجناس البشرية إلى ثلاثة أقسام الأبيض والأسود والأصفر ويقول إن الجنس الأسود لم ينتج أى حضارة فى حين أن الجنس الأبيض أبو الحضارة .

والواقع أن النظرية الفسيولوجية أبعد ما تكون عن النظريات العلمية برغم ادعاء أصحابها[٣] وفى أغلب الأحايين تقوم على نزعات قومية تعصبية .

* * *

تلك هى أهم النظريات العلمية التى تناولت تفسير الوقائع التاريخية بوجهات نظرها المختلفة ، وقد تبين لنا بوضوح وجلاء أنها أبعد ما تكون عن طبيعة التاريخ نفسه ، ولذلك لم تسلم نظرية منها من وجوه النقد وأثبتت كل نظرية قصورها عن تفسير التاريخ ووقائعه وأحداثه . وفى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ظهرت مدرسة جديدة زعم أنصارها أن دراسة العلية فى التاريخ يمكن أن تخضع لمنهج علمى دقيق يجمع بين طائفة من النظريات السابقة وبمقتضاها يكون موقف المؤرخ من تفسير الوقائع التاريخية كموقف عالم الطبيعة من تفسير الوقائع الطبيعية[٤] ولقد عرفت هذه المدرسة بالمدرسة المنهجية الحديثة .

وقواعد المدرسة المنهجية حتى أيامنا هذه هى رائد المؤرخين فى أبحاثهم عن علل الوقائع التاريخية ، ومعظم الكتب التاريخية التى تدرس فى المدارس والجامعات موضوعة حسب قواعد هذه المدرسة .

ولكن أحدث الدراسات العلمية قد تبينت فى قواعد المدرسة المنهجية أمرين :

١ — اعتبارها العلية التاريخية كالعلية العلمية .

٢ — قصورها عن إعطاء تفسيرات صحيحة للعلل التاريخية .

أولا : العلية التاريخية تختلف تمام الاختلاف عن العلية العلمية

---

(١) محاضرات علم الاجتماع للسنة الثانية قسم الفلسفة بجامعة فؤاد الأول سنة ١٩٤٢ .

(١) راجع كتابه «introduction to the Study of History»

(٢) راجع كتابه Barnes : new history and Social studies .

(٣) مقدمة كتاب introduction to the Study of History : Langlois.

(٤) : Bulletin de la Sociéte Française de Philosophie Sasnde mai 1906.

فالتاريخ يتكون من وقائع حدثت مرة واحدة وإلى الأبد ، فى حين أن العلوم الطبيعية تتكون من وقائع تتكرر باستمرار . والقاعدة الأساسية فى العلوم الطبيعية أن نفس العلة تنتج نفس المعلول :

$\frac{1}{2}$ + ١ يعطينا دائماً $\frac{3}{2}$ ١ . أما فى التاريخ فنفس العلة لا تتكرر أبداً . فالخلاف بين العلية التاريخية والعلية العلمية ، خلاف ينشق عن طبيعة العلمين المختلفين(١) .

ثانياً : إذا كانت المدرسة المنهجية تدعى أنها تعطى تفسيرات صحيحة للوقائع التاريخية لا تقبل النقد ، فإن البحث الدقيق فى كتب المنهجية يكشف عن أخطاء كبيرة وعديدة .

ففى كتاب « التاريخ السياسى لأوربا المعاصرة » لسنيوبوس أحد أعلام المدرسة المنهجية ، من الأخطاء ما يجعل المؤرخ الحق يرفض قواعد هذه المدرسة فى البحث التاريخى .

فى صفحة ٢٥٨ من هذا الكتاب يقول سيبوبوس : « إن جريمة الزنى التى ارتكبها بارنيل مع السيدة أوشيعه كانت علة لتخلخل الطائفة الأرلندية وضعف مركزها فى مجلس النواب » . هذا التعليل خطأ ، فجريمة الزنى فى كثير من المجتمعات لا تحدث ذلك الأثر العظيم الذى أحدثته جريمة بارنيل مع السيدة أوشيعه ، وإنما التعليل الصحيح يرتد إلى الاتجاه الجمعى ضد هذه الجريمة ، هذا الاتجاه هو الذى يفسر الأثر الذى أحدثه بارنيل بجريمته(٢) .

وفى صفحة ٣٣ من نفس هذا الكتاب يقول المؤلف : « الثورة الفرنسية بما أثارته من الخوف والفزع فى الطبقات صاحبة الامتيازات ، قد حالت بينها وبين القيام بأى إصلاح خلال ثلاثين عاماً ... » والعلامة سيميان يكشف لنا عن هذا الحكم التعسفى ، فالدراسة الحقيقية للظروف المحيطة بالطبقات صاحبة الامتيازات تجعلنا نتحقق من علل أخرى لعل أقلها أهمية الخوف والفزع . وفى مكان آخر من نفس هذا الكتاب : « إن قيام الصناعات الكبيرة قد ضاعف فى عدد العمال ، وكان نتيجة ذلك أن ازدادت الشقة بعداً بين طبقة الأغنياء والفقراء ... » فهذا التعليل لا يرمز إلى الحقيقة بحال من الأحوال(١) .

والأمثلة على أخطاء المنهجية عديدة وهى من ذلك النوع من الأحكام التعسفية البعيدة كل البعد عن روح البحث العلمى ...

* * *

رأينا إذاً إخفاق المدرسة المنهجية فى أبحاثها عن العلل التاريخية . وقد رأينا من قبل إخفاق النظريات الشائعة المختلفة فى توجيه الأبحاث التاريخية . ذلك لأن هذه النظريات المختلفة قد بحثت فى التاريخ قبل أن تبحث عن طبيعة التاريخ ... بحثت فى الوقائع قبل أن تبحث فى طبيعة الوقائع ، ومن هنا كان إخفاق المؤرخين وإخفاق أبحاثهم .

ولو أن المؤرخ عنى بالبحث عن طبيعة التاريخ قبل البحث فى وقائعه ، لوجد أنه الإنسان : هذا الكائن الاجتماعى .

أجل ، إن الحياة الاجتماعية هى وحدها القادرة على تفسير الأحداث التاريخية وهى علة هذه الأحداث . ويرجع تنبه المؤرخين إلى هذه الحقيقة إلى السنوات الأخيرة فقط ، فقد نشر الأستاذ جيدنجز الأمريكى فى سنة ١٩٠٣ رسالة عنوانها : « نظرية فى العلية الاجتماعية » رد فيها التاريخ كله إلى مجال علم الاجتماع . وقد قال فى هذه الرسالة : « إنه إذا كانت الصفات الفردية والخاصة للوقائع التاريخية — وهى المحددة بزمان ومكان — لا تتكرر بل تحدث مرة واحدة وإلى الأبد ، فإن هنالك اطراداً فى بعض العناصر التاريخية العامة . ولما كان العلم يعين بالاطراد والتكرار لأنه لا يستطيع أن يدرس ظاهرة لا تتكرر ، فكذلك التاريخ إذا أراد أن يكون علماً بالمعنى الصحيح فلا بد له من دراسة العناصر العامة المطردة فى الوقائع التاريخية وبعبارة أخرى : إذا أراد العالم أن يكون مؤرخاً فعليه أن يكون رجل اجتماع »(١) .

ولئن كان بعض المؤرخين المنهجيين يدافعون عن نظرتهم التقليدية بقولهم : « إن التاريخ علم لا يستطيع أن يتجنب الاتجاه الزمنى وإن الطابع المميز للمعرفة التاريخية هو اتصالها الأساسى بالزمن ، وعلم الاجتماع كسائر العلوم الطبيعية يدرس الوقائع خارج الزمن فلا يمكن رد التاريخ إلى علم الاجتماع »(٢) فمن السهل أن نرد على زعم هؤلاء المنهجيين بقولنا : « إن هذه الحقائق الجزئية

---

(١) نفس المصدر .

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

(١) The hew History and Social • Saènces : Barnes P. 333 — 334.

(٢) Reason in Politics : K. B. Smellie P. 175

التى يعنون كل العناية بالكشف عنها تظل غامضة وتافهة إذا لم ترتبط بقانون معين يوضحها ويجلو قيمتها »(١) . ومن العجيب حقاً أن أكثر ما يعنى به المؤرخ حتى أيامنا هذه فى أبحاثه عن بعض المؤسسات كالمعابد الدينية مثلا ، هو وصف هذه المعابد بأصحابها وهيئاتها ووصف من أمر بإقامتها ... الخ دون أن يعنى أقل عناية بالكشف عن القوانين التى يرتبط بها تطور المعابد الدينية والتى وحدها يمكن أن تفسر لنا علة قيام هذه المعابد أو تلك فى هذا العصر أو ذاك(٢) . نحن لا ننكر أن البحث فى الوقائع الجزئية فى التاريخ على جانب عظيم من القيمة العلمية ، ولكننا ننكر كل الإنكار أن هذا البحث وحده يمكن أن يقدم لنا تفسيرات هذه الوقائع الجزئية . فلا بد من أن يلجأ المؤرخ إلى الصفات العامة فى الوقائع التاريخية ويستخلص منها القوانين التى يمكنها أن تفسر الوقائع التاريخية ، والتى يمكننا على أساسها أن نجعل من التاريخ علماً . فلا بد أن يلجأ المؤرخ إلى القوانين الاجتماعية وهى العناصر العامة المطردة فى الوقائع التاريخية ؛ وبهذا يستطيع أن يقدم لنا حقائق علمية .

ولنفترض أن أمامنا مؤرخا يبحث عن تاريخ الأزمات الاقتصادية ويقف فى بحثه عند أزمة فينا سنة ١٨٧٣ والتى بلغت نهايتها العظمى سنة ١٨٧٤ ، فيسترعى التفات المؤرخ فى وصفه لهذه الأزمة ازدياد نسبة الانتحار وارتفاع عدد المنتحرين ارتفاعاً كبيراً ، ولنفترض أن هذا المؤرخ من المدرسة المنهجية فإن التعليل الوحيد الذى سيعلل به ازدياد نسبة الانتحار فى إبان أزمة فينا هو الفقر والجوع . ولا يكون المؤرخ قد قدم لنا فى هذه الحالة إلا أوصافا أبعد ما تكون عن الصحة وعن الطابع العلمى . ذلك لأن الواقع كما يقول العلامة دركيم فى كتابه عن الانتحار(٣) هو أن الأزمات الاقتصادية كثيراً ما تنتج تأثيراً عكسياً فى نسبة الانتحار كما هو مشاهد فى إيرلندا مثلا، فعلى الرغم من هذه الأزمات الاقتصادية التى يعانيها الفلاح الإيرلندى فإنه قلما يقدم على الانتحار. ولو أن هذا المؤرخ الذى قرر أن الفقر الذى أحدثته أزمة فينا سنة ١٨٧٣ هو علة ازدياد نسبة الانتحار ، كأن قد درس ظاهرة الانتحار وقوانينها الاجتماعية العامة ، وأبعد نفسه قليلا عن حادث فينا الخاص ، لوجد تفسيراً آخر لازدياد نسبة الانتحار عامة وليس فى حادث فينا الخاص فقط . وهذا التفسير نجده فى قانون الانتحار الذى استخلصه العلامة دركيم من دراسته لهذه الظاهرة(١) . وقد ربط به عدة قوانين أخرى . وخلاصة هذا أننا فى حالة التاريخ لا يجدينا البحث عن الوقائع إلا بقدر ارتباطها بقوانين عامة .

***

وقد تقدم العلامة سيميان فى سنة ١٨٠٦ إلى الجمعية الفلسفية الفرنسية برسالته الشهيرة : « العلية فى التاريخ » أوضح فيها اتجاه التاريخ الحديث نحو علم الاجتماع . وقد عدت رسالته ثورة فى الأبحاث التاريخية وأشاد بها كثيرون من علماء فرنسا فى ذلك الحين من أمثال : لاكمب وبوخ ولالاند .

ولقد أراد العلامة سيميان برسالته تلك أن يتقدم بمنهج نظرى وعملى فى الوقت نفسه . فوضع للأبحاث التاريخية عن العلل أربعة قواعد شكلية تكون بمثابة منهج تطبيقى للمؤرخ الحديث . وقد أراد بهذه القضايا الشكلية أن يجعل من التاريخ فرعاً من فروع علم الاجتماع ؛ فهو يرى أن العلمين يتفقان كل الاتفاق فى موضوعهما وطبيعتهما ... ولا بد لنا من أن نعرض لهذه القضايا لأنها المنهج الاجتماعى فى الأبحاث التاريخية .

القضية الأولى : « يجب تفسير الواقعة التاريخية فى حدود عامة » . أعنى أن نربط الواقعة الجزئية بقانون عام يفسرها ؛ فمثلا فى وصفنا لبناء معبد دينى ، يجب أن نربط وصفنا هذا بقانون عام يفسر التطور الدينى الذى انتهى إلى بناء هذا المعبد ...

القضية الثانية : هى توكيد التفرقة بين العلل والوسائط وتصاغ هكذا : « من بين الأسباب المختلفة لظاهرة تاريخية ، نعتبره علة ذلك السبب الذى يكون مرتبطاً بالظاهرة التاريخية بواسطة الرابطة الأكثر عمومية » . والواقع أن الخلط بين العلل والوسائط شائع فى التاريخ إلى أبعد حد فلا يجب أن نعتبر فولتير وروسو ومونتسكيو عللا مباشرة للثورة الفرنسية بما أذاعوه من

(١) Bulletin de la Société Française . . Seance 31 mai 1206

(٢) Ibid .

(٣) راجع كتابه Le Suicide : Emile Durkheim .

(١) وراجع أيضاً L' annèe Sociologique I P. 397 : Durkheim.

هذا العـــالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

جراحة القلب ومعجزتها

هى معجزة جديدة فى عالم الطب . فلم يعد الرصاص الذى يصيب القلب من العوامل التى لا علاج لها . وقد تمت المعجزة خلال الحرب ، وصقلت تجاربها على قلوب الجنود الذين كانوا ينقلون بالعشرات إلى المستشفيات ، وفى قلب كل منهم أو فى رئتيه رصاصة أو شظية . كان الطبيب فى الماضى يكتفى من مجرد رؤياها بأنه لا أمل فى حياة المصاب .

أما الآن فتيسر للأطباء إنقاذ مئات الأرواح التى كان الطب القديم يفقد الأمل فى حياتها . وهؤلاء الأفراد الذى استخرجت الأجسام الصلبة من قلوبهم أو من رئاتهم يعيشون فى أتم صحة ويواصلون حياتهم كأن رصاصة لم تخترق قلوبهم أو تمزق أنسجة رئاتهم .

وليست معجزة اليوم جراحية فى كل تفاصيلها فجزء كبير منها من عمل المريض نفسه ، ومن المعونة التى يلقاها الطبيب من المصاب ذاته . فعند ما تخترق إحدى الرئتين مادة غريبة تتوقف هذه الرئة عن العمل . ويعيش المريض فترة يتنفس برئة واحدة . وهى سنة طبيعية فى الإنسان تمنع عنه الإحساس بالألم المبرح .

فإذا أزيل الجسم الغريب من الرئة فواجب المريض أن يتعلم كيف يحرك ذلك الجزء الذى توقف عن أداء عمله . وهى مسألة لا يتيسر لى أو لك إنجازها ، فهى تحتاج إلى بعض المران الذى عرفه الأطباء لتحريك تلك الرئة المضربة عن العمل ، فإن هى إلا فترة حتى يتعلم المصاب كيف يعيدها إلى سابق واجبها .

وعمليات القلب الجراحية من العمليات الدقيقة الشاقة فيتحتم أن يحدد الطبيب مكان الجسم الغريب من القلب تماماً حتى يصل إليه مشرطه ويقبض عليه ملقاطه من أصغر فتحة . ويستلزم هذا أن يجرى للمصاب كشف بالأشعة فى عـدة أوضاع قد تصل إلى العشرة وعلى ضوء هـذه الصور يحدد الجراح موقع الجسم الغريب وحجمه بالضبط .

ووصف أحد الكتاب إحدى العمليات التى شاهدها لاستخراج رصاصة من عيار ٣٠ ملليمترا من قلب أحد الجنود فأدهشه ما بدا

التعاليم والمبادىء ، وإنما هؤلاء الرجال وسائط فحسب ؛ بحيث أنه إذا لم يكن هؤلاء الرجال قد وجدوا فإنه لمن المؤكد أن وسائط أخرى كانت ستتولد من خميرة الثورة الكامنة فى الشعب الفرنسى . فيجب على المؤرخ أن يحترس من الخلط بين العلل والوسائط . والعلل تكون دائماً قوانين عامة .

نتيجة أولى : « يكون من الضرورى دائماً تفسير السبب المباشر (العلة) » . أعنى أن القضيتين السابقتين ستفرضان على المؤرخ أن يحلل السبب المباشر للواقعة التاريخية تحليلا وقتياً حتى يكون تفسيره تفسيراً علمياً صحيحاً .

نتيجة ثانية : « الوصول فى أبحاثنا عن العلل التاريخية إلى قضايا تكون الرابطة بينها صحيحة دائماً » . وهذا ما ينتهى إليه البحث العلمى وهو اكتشاف القوانين الصادقة دائماً .

***

تلك هى قواعد سيميان الأربع الشكلية ، وضع اثنتين منها على صورة قضايا واثنتين على صورة نتائج لتأخذ قواعده الطابع العلمى الرياضى .

وبهذه القواعد يكون للمؤرخ منهج عملى فى أبحاثه ؛ ويكون موقفه من التاريخ هو موقف العالم الاجتماعى .

***

التاريخ : ما هو ؟

سؤال افتتحنا به هذا البحث ؛ والآن نعلم أن التاريخ ليس شيئاً آخر غير الإنسان : هذا الكائن الاجتماعى . ولست أزعم أننى فى بحثى هذا ـ رغم ما كلفنى من مشقة ـ قد أحطت إحاطة تامة بكل تفاصيل هذا الموضوع ، ولكن لعلها محاولة أرجو أن تتيح لى الأيام فرصة مواصلتها لتحقيق تلك الصلة الوثقى بين علم التاريخ وعلم الاجتماع .

فؤاد عوض واصف
ليسانسيه فى الفلسفة

علية من هدوء وثقة برغم أنه كان يعرف ما سيحدث له فلما نقل إلى غرفة العمليات حقنته الطبيبة المختصة بالمخدر فلم يلبث أن راح فى سبات عميق . وعندئذ أعمل الجراح مبضعه لمدة ساعة ونصف ساعة استخرج خلالها الرصاصة وما صحبها من أنسجة القماش التى غاصت فى القلب معها .

وأتم الجراح عملية التنظيف ثم طهر كل جرح بالبنسلين قبل تضميده وإعادته إلى أصله .

وتلق أطباء آخرون المصاب يزودونه بما يحتاج إليه من دم جديد بدل الذى فقده ويعالجونه بالأكسوجين لكى يفيق وغير ذلك من الوسائل التى تحتفظ بجسمه فى حالة جيدة ، فمن العوامل الهامة أن يتمتع المصاب بحالة نفسية هادئة وقوة بنية تساعده على مغالبة إصابته . فلو توافر هذان العاملان فإن المصاب لا يلزم الفراش أكثر من يوم واحد يسمح له بعده بالتنزه فى الحديقة حتى يتم شفاؤه .

وعندما تنتهى العملية الجراحية تبدأ عملية التنفس ، وقد درب الأطباء عدداً كافياً من الجنود لكى يتولوا تدريب المصابين الجدد فيعلمونهم كيف يوقظون الاجزاء المصابة ويرسلون فيها الحركة والحياة

وتخصص فى عمليات الصدر بكافة أنواعها عدد من الأطباء والطبيبات الأمريكيين تحول إليهم جميع إصاباته فتشغلهم طول وقتهم . وقد مضت عليهم عدة شهور فلم تفشل معهم حالة واحدة بل دخل المستشفى آلاف الجنود الفاقدى الأمل فى الحياة فخرجوا منه ممتلئين بالصحة والعافية .

أما مبدأ أطباء ذلك المستشفى فكما قال الجراح هاركن « كان هدف جراحة الصدر فى الحرب الماضية إنقاذ الأرواح فحسب أما هدفنا ، فهو معرفة أحسن السبل لكى يعود المصابون إلى الحياة وهم على أحسن حال وفى أقصر وقت » .

وعلى ضوء هذا المبدأ سار الأطباء فى تجاربهم ونجحوا فى تأدية واجباتهم دون أن يصيبهم ملل أو كلل وكانت أول واجباتهم رفع الروح المعنوية فى المصابين واستغلال حبهم فى الحياة لكى يصلوا إلى الشفاء من إصاباتهم المميتة ودخلت الجراحة فى مرحلة جديدة وهى جهد المريض نفسه .

تخرج معدتها لتأكل :

من الحيوانات الغريبة نجمة البحر ولكن الأغرب هى الطريقة التى تتغذى بها لأنها لا تأكل بفمها بل تخرج معدتها للحصول على طعامها .

وعند ما تجوع نجمة البحر تزحف فى قاع البحر إلى أن تجد حيوانا يسهل عليها التهامه . ومن هذه الحيوانات المحار بأصدافه القوية . ولكن نجمة البحر تلتف حول الصدفتين ، وتثبت أقدامها بعصاصاتها على كل منها وتجذب الصدفتين لتفتحهما وتلتهم ما فى الداخل . ويصر المحار طبعا على أن لا يأكل ولكن المقاومة ترهقه بعد حوالى ٣٠ دقيقة وتنفتح الصدفتان .

ولنجمة البحر فم ولكنه صغير جدا بالنسبة المحار فتخرج النجمة معدتها وتدخل فيها لحم المحارة وتتركها خارج فمها لحظة حتى يتيسر للافرازات المعدية تفتيت لحم المحار وتحويله إلى سوائل يسهل تسربها إلى داخل جسم النجمة . وعندئذ تعود معدة النجمة إلى داخل جسمها لتبحث لها عن فريسة أخرى .

مكافحة السل :

تيسر لأطباء السل سرعة الكشف على مرضاهم بفضل الجهود التى بذلها بعض المهندسين إذ أتاحوا لهم الحصول على ست صور مختلفة للصدر فى الدقيقة الواحدة أى ضعف العدد الذى كان متاحا لهم بالأجهزة القديمة . وبذلك سهل على الوحدة الطبية الواحدة الكشف على ألف مريض كل يوم وفحصه فحصا جيداً .

ولا يعجب القارىء إذا عرف أن السل وانتشاره من الأمراض التى تهدد الدول الغربية . فإن الحرب ونقص الأغذية عرضت أكثر من ٧٠ ٪ من أفراد الشعوب للاصابة بهذا المرض مما دعا المهتمين بالشئون الصحية إلى اعتبار مكافحة السل من أول أهداف البلاد القومية .

وتتلخص هذه الطريقة فى عكس صور الصدر على لوحة باستخدام عين كهربائية تضبط كية الضوء المطلوب بطريقة آلية ويحدد التعديل الجديد أيضا زمن عرض اللوحة الحساسة للضوء

أيا كان حجم جسم الريض وأيا كانت الأجسام الغريبة أو المعتمة داخل صدره .

وتمتاز هذه الطريقة برخصها وكمال وضوحها برغم صغر الصور التى تنتج عنها .

تجارب على البنسلين :

توالى الهيئات الطبية فى الخارج تجاربها لاستخدام البنسلين فى علاج الأمراض أيا كان لونها . وقد أجرى معهد ميو الطبى تجربة جديدة على الأمراض الخطيرة التى تنتقل إلى الإنسان من الحيوان عن طريق الميكروب المعروف باسم انثرا كس . وهو من الجراثيم القوية التى لم يفلح فى للقضاء عليها كثير من العقاقير المعروفة مثل السلفا وسم الميكروب نفسه .

ويحمل هذا الميكروب عادة فى فراء الحيوانات ثم ينتقل منها إلى الإنسان فيصيبه بعدة أمراض خطيرة عجز الطب فى كثير من الأحوال عن شفائها .

وقد جرب البنسلين على الفيران فوجد أنها تكتسب المناعة ضد الإصابة بأمراض الانثرا كس القتالة . وأثبتت التجارب أن الفيران تحتفظ بصحتها نسبيا إذا حقنت بجرعات قتالة من الانثرا كس ثم عولجت بالبنسلين ولو بعد إصابتها بست عشرة ساعة فإن تلقت العلاج سريعاً بعد ساعة واحدة من الإصابة فإن نجاتها تكون أكيدة واستعادتها لصحتها كاملة .

وجرب استخدام البنسلين فى علاج الضعف والالتهاب الرئوى فشفى بعض المصابين بعد عشرة أيام من بدء العلاج .

ولا يعطى البنسلين فى هذه الحالة كما هو بل يصحن إلى ذرات متناهية الدقة على ألواح زجاجية . فإن الذرات الكبيرة يتعذر توغلها فى أجسام المرضى فلا تصل إلى الميكروبات وتقتلها .

إرسال الخطابات بالكهرباء

اكتشفت إحدى شركات الكهرباء طريقة حديثة لإرسال الخطابات من مدينة إلى أخرى فى أقصر وقت وبغير أن تقع عليها عين إنسان لأنها ترسل على الموجات الكهربائية . فعند ما يتناول مكتب البريد الراسل الرسالة يضعها داخل آلة ضاغطة من المطاط ترسل إلى المحطة المرسل إليها علامات بيضاء أو سوداء تعكس بآلات خاصة تحل رموزها وتكون الرسالة الأصلية بالشكل الطبيعى .

وليس لهذه الرسائل غلاف منفرد بل غلافها وخطابها واحد على مثال الأشكال المعروفة الآن التى تطبق وتلصق فتكون الرسالة والخطاب .

وعند ما تصل الرسالة إلى مكتب البريد المختص وتحل رموزها يتولى عامل البريد العادى إيصالها إلى أصحابها . وتمتاز هذه الطريقة عن البريد المصور بأنها لا تحتاج إلى أفلام تطبع وترسل . وهى ليست أيضاً بالراديو المصور لأن أدواتها أقل منه دقة وإن كانت تستعمل فى الغالب أكثر نظرياته .

ويتوقع مديرو الشركة التى توصلت إلى هذا الاكتشاف صقلها وتيسير استعمالها فى التجارة فى أمد قريب حتى تكون عملية الإرسال بسطة يستطيع الموظف العادى أداءها .

سر حياة النبات

يخطو العلم خطوة جديدة لكشف أسرار الحياة النباتية بدراسة ما يحدث من تطورات داخل البذرة ، ويتولى هذا البحث أحد المعامل فى جامعة كورنل بمعالجة سر الحياة النباتية بوسائل خاصة تكشف نموها وتغيرها .

وتوصل العلماء خلال دراساتهم من اكتشاف عامل يوقف نمو النبات ويجعله فى شبه حالة نوم . وهذا العامل مقيم فى الأنسجة التى تغذى الجسم الحى من النبات . وتمكنوا أيضاً من قتل هذا العامل فأدت أبحاثهم إلى نتائج ذات أهمية كبيرة . ففى بعض البذور تيسر لهم الإسراع بإنماء النبات بأن فصلوا العامل الذى يعمل على توقف الإنبات فى بعض فترات السنة .

ويعمل هؤلاء العلماء على فحص هذا العامل فى مختلف النباتات ، ومدى تأثيره على نموها ، وطرق القضاء عليه بغير أن تتأثر الأجزاء الحية من البذور . وتشمل التجارب الذى يؤديها العامل الآن على ٥٠٠ بذرة .

فوزى الشتوى

السراب الثاني

للدكتور ابراهيم ناجي

لاالقوم راحوابأخبار ولاجاءوا   ولا لقلبك عن ليلاكَ أنباء

جفا الربيع ليالينا وغادرها   وأقفر الروض لا ظل ولا ماء

ياشافيَ الداءقد أوْدى بىَ الداء   أمـا لذا الظمأِ القتال إرواء

ولا لطائر قلب أن يقر ولا   لمركب فزع فى الشط إرساء!

عندى سماء شتاء غيرُ ممطرة   سوداء فى جنبات النفس جرداء

هوجاء آونةً خرساء آونةً   وليس تخدع ظنى وهى خرساء

فكم سجا الليل إلاهامس قلق   كأنه نفسٌ فى الليـل مشّاء

أأنت ناديتِ أم صوتٌ يخيّل لى ؟

فـلى إليكِ بأُذْنِ الوهم إصغاء

لبيكِ لو عند روحى ما تطير به   وكيف ينهض بالمجروح إعياء

لمنْ قِيامى وبمثى هذه صورٌ   لا تصطبى وتماثيلٌ وأزياء

ومعرضٌ أجوف المعنى وأسماء   مذ آذنَتْنا بهذا البين أسماء

ياليل! كل نهار ميّت فإذا   ناديتِ قام كما للبعث إحياء

وليس يبلى نهار فى هواكِ مضى   هيهات ينسيه إصباح وإمساء

طاب اللقاء به لاثنين فانفردا   فـتى به سقم بادٍ وحسناء

جمالهـا توبة الدنيا وغُرتها   كفارة عن ذنوب الدهر بيضاء

وشعرها الفاحم انسابت جداوله   تكاد تسطع حسناً وهى سوداء

نامت به خُصلٌ واسترسلت خصل

لهـا وللعاج خلف الليـل إغراء

توهجتْ شمس ذاك اليـوم واتقدت

كأنها شـعلة فى الأفق حمراء

تفرق الناس حول الشط واجتمعوا

لهم به صخبٌ عالٍ وضـوضاء

وآخرون كسالى فى أماكنهم   كأنهم فى رمال الشط أنضاء

تحلّلوا من قيود العيش وانطلقوا

لا هُمْ أسـارى ولا فيهم أرقّاء

تنزّل الدهر يوماً عن مشيئته   وحكمه فلهم فى الدهر ما شاءوا

همُ الورى قبل إفساد الزمان لهم   وقبل أن تتحدى الحب بغضاء

لم يُخلقوا وبهم من نفسهم عِلَلٌ

لكن حضارة هـذا العالم الداء

ضاقت نفوس بأحقاد وقد سلمت   لو أنها كسماء البحر روحاء

ما لى بهم أنتِ لى الدنيـا بأجمعها

وما وعتْ ولقلبى منـكِ إغناء

لو كان لى أبدٌ ما زاد عن سنةٍ   ومُدّة الحلم بالجفنين إغفـاء

أرنو إليك وبى خوفٌ يساورنى   وأنثنى ولطرفى عنـكِ إغضاء

إذا نطقتُ فمـا بالقول منتَـفَع   وإن سكت فإن الصمت إمشاء

أحبك القلب حباً ما هتكت له   سرّا ولا مستطاعٌ فيـه إخفاء

وأيمـا خطرة فالريح ناقلةٌ   والروض حاكٍ لها والأيك أصداء

ياليل! مَنْ علّم الأطيار قصتنا   وكيف تدرى الصَّبا أنا أحباء

لما أفقْنا رأينا الشمس مائلة   إلى الوداع وما للبين إرجاء

شابت ذوائب وانحلت غدائرها   شهباء فى ساعة التوديع صفراء

مشى لهـا شفقٌ دام تخضّبها   كأنه فى حواشى الشعر حِنّاء

يا من تنفس حرّ الوجد فى عنق   كما تنفّسُ فى الأقداح صهباء

ومن تنفّستُ جر الوجد فى فمه   فما ارتويتُ وهذا الرىّ إظماء

ما أنتَ عن خاطرى بالبعد مبتعد

ولن تُواريك عن عينىّ ظلماء

ناجى

السعادة

للمرحوم أبي القاسم الشابي

ترجو السعادة يا قلبى! ولو وجـدت

فى الكون لم يشتعل حزن ولا ألم

ولا استحالت حياة الناس أجمعها   وزلزلت هاته الأكوان والنظم

فما السعادة فى الدنيا سوى حلم   ناء تضحى له أيامها الأمم

ناجت به الناس أفهام معربدة   لمـا تغشتهم الأحلام والظلم

فهب كل ينـاديه وينشده   كأنما الناس ما ناموا وما حلموا

* * *

خذ الحياة كما جاءتك مبتسما في كفها الغار أم في كفها العدم
وارقص على الورد والأشواك متئداً
غنت لك الطير أو غنت لك الرجم
واعمل كما تأمر الدنيا بلا مضض والجم شعورك فيها ! إنها صنم
فمن تألم لم ترحم مضاضته ومن تجلد لم تهزأ به القسم
هذى سعادة دنيانا ! فكن رجلا
إن شئتها — أبد الآباد يبتسم !
وإن أردت قضاء العيش في دعة شعرية لا يغشى صفوها ندم
فاترك إلى الناس دنياهم وضجتهم
وما بنوا لنظام العيش أو رسموا
واجعل حياتك دوحاً مزهراً نضرا
في عزلة الغاب ينمو ثم ينعدم
واجعل لياليك أحلاماً مغردة إن الحياة وما تدوى به حلم !

أبو القاسم الشابي

علي الشاطئ

حمام الشمس

للأستاذ إدوار حنا سعد

قف بشط الجمال واحسد رماله عانقت جسمها وضمت ظلاله
إنها كالربيع حساً ومعنى شابهت سره وحاكت جماله
غادرت ثوبها ولم تبق منه فوق بعض الأعطاف غير فضاله
وتعرت كالورد حان قطافاً أو جنى الروض إذ يوافى كماله
وتهادت بالشط تصلى العذارى غيرةً مرةً وتصمى رجاله

سكر الموج من صبا وجمال فلوى قيده وفك عقاله
يتبارى للشط سبقاً إليها وهى تلهو لم تحسن استقباله
لاطمٌ بعضه من الشوق بعضاً ساكبٌ في هديره إعواله
كلما شارف الحبيبَ وأوفى في حماه الرحيب بنى رحاله
خانه صبره وخارت قواه فتولى مجرجراً أذياله
لست أدرى أمن ونىً وتوانٍ أم لفرط التقديس هاب وصاله

قد أطلت التحديق في حسنك العا رى كما حاط ناحتٌ تمثاله
وبكرمى أهواك هل في فؤادى فلذة تجهل الهوى ونصاله ؟
فاعذريني فقد أضعت شبابى شاعراً يتبع المنى وخياله
همت والقلبَ بالجمال نغنى وعرفنا الغرام في كل حاله
فسئمنا صدوده ووصاله ومللنا وفاءه ومطاله
ويحَ قلبى إذا صبوت تجنى وإذا ما اعتزلت مل اعتزاله
حينما هزه الصبا وجمالٌ عبقرى لم نرتقب أمثاله
سكنت نفسه وقرت مناه وجفا نسكه وعاف احتماله

هاك صدرى أحنى من الرمل صدرى
آه لو ذقتِ صفوه وخلاله
إن فيه حرارة الشمس والرمـ ـل وليلا مغرداً وهلاله

(الأسكندرية) **ادوار حنا سعد**



قصة مصرية :

حزن وسرور ...

للأستاذ نجيب محفوظ

كانت أسرة هانئة البال ، يرعاها فتى فى الخامسة والثلاثين، وتتعهدها بالعناية والتدبير أم حنون ، وتعيش فى كنفها أخت فى مراق الشباب الأولى . لم تكن من الثروة فى شىء ، فمرتب الفتى لا يجاوز الخمسة عشر جنيهاً وهو كل مالها . ولا كانت غفل الزمان عنها ، فقد فقدت راعيها الأول الأب والابن فى المراحل الأولى من التعليم الثانوى وأخته فى مدارج الطفولة ، فلاقت متاعب شديدة من الحاجة والضنك قبل أن بلغت بر الاستقرار والأمان . إنها كانت تعودت الشدة والبؤس على عهد الكفاح الذى أعقب وفاة الأب ، فانتقلت بتوظيف الابن إلى حال من اليسر لم تكن — على بساطتها — تحلم بمثلها ، وصارت أسرة هانئة البال ، ودام لها هذا الحال خمسة عشر عاماً ، حتى آذنت مظاهرها بما هى مقبلة عليه حتما من التغيير والتطور وفق ما تقتضيه طبائع الأشياء وسنن الحياة . ففتاها بلغ حداً من العزوبة لا يجوز أن يتعداه ، وإحسان أوفت على العشرين ، فبات زواجها ينتظر اليوم أو غداً ، وبدت الأم فى شيخوختها تحث الخطو فى مفترق الطرق. حقاً إن كل شىء ينذر بالتغيير وغداً تنقسم هذه الخلية الواحدة فتصير خليتين ، وتأخذ كلتاهما نصيبها المستقل من الحياة والنمو المتكاثر . وجاء الغد ولكن بما لم يكن فى حسبان . فقدت هذه الأسرة الشاخصة إلى الأفق بعين الرجاء عاهلها الأوحد ... ذهب الرجل بأسرع مما يخطر على بال فى عزة الشباب وعنفوانه . فما كان إلا أن وجد دملا فى ساقه اليسرى ، وأهمله أياماً فبرز وغلظ ثم عالجه بإبرة محماة ففتحه . ولكنه لم يوله ما هو أهل له من العناية والتنظيف ، فورم مرة أخرى وامتد ورمه شيئاً فشيئاً ، وسرى الألم فى الساق كلها ، فمضى يتصبر على أمل أن تزول تلك الأعراض وحدها ، حتى أقعده الألم عن الحركة ، واستدعى عند ذلك الطبيب فأشار فى الحال ببتر الساق ... وحمل إلى المستشفى وأجريت العملية فانتهت بغير السلامة ، وأسلم الروح ومضى بصحته ورجولته ونفعه . وأوشكت الأم العجوز أن تجن . كانت تطمع أن يواريها فى التراب بعد عمر طويل ، فوارته فى التراب هى بعد عمر قصير . وكانت ترجو أن تودعه وهو سعيد بأسرته الجديدة ، فودعها وقد تركها للوحدة والقنوط . أما إحسان ، فكانت أشقى أخت وأشقى فتاة ، فقدت — أوهكذا خالت — الأمل الحاضر والأمل المتخايل فى غضون المستقبل . وترك الرجل معاشاً جنيهين وربع جنيه ، ولكنه أورثهما مدخره مائة وخمسين جنيهاً التى كان أعدها لنفقات زواج إحسان وزواجه هو فيما بعد . ولبست الأسرة الحداد وباتت فى حزن أليم . إلا أن الله الذى لا يرد قضاؤه خففه باللطف والرحمة . فقد كان لإحسان عمة عاقر على جانب من الثروة فآوت الشابة وأمها ، وكانت إحسان فتاة عليلة وقعت منذ الصغر فريسة لمرض عصبى طال أمده فاستفحل بالإهمال — إذ كان أخوها كأمه ضعيف ثقة بالطب — وكانت إلى هذا حولاء ، فاختفى حسنها وراء إهاب شاحب وجسم هزيل وحول ذميم : وربما أدرك الناظر إليها أن شبابها غير عاطل من جمال ، ولكنه جمال مختنق تأبى عليه آثار العلة والحول أن يترعرع ويزدهر ، فجسمها لطيف التكوين ، إلا أنه ذابل ، ووجهها مستدير حسن القسمات ، إلا أنه مصفر عليل ، وعيناها صافيتان واسعتان ، ولكن قبحهما الحول وأخفى نظرتهما الحنون . ثم جاء موت أخيها علة على علة فانهارت قواها وغلبها الحزن ، فازدادت ضعفاً على ضعف وشحوباً على شحوب ، وأوفت من مرضها على نهاية خطيرة . ذلك كانت حالها حين فتحت لها صدرها عمتها ، ثم أخذ كل شىء يتغير من بعد ذلك ، بدأ هذا التغير فى الأشهر الأولى التى أعقبت الوفاة ، ثم صار طابع الحياة الجديدة وأملها الموموق ، ووجدت الفتاة عناية لم تكن تجدها من قبل ، فأقبل آلها يدعون لها ويقولون لأمها « ربنا يفرحك بإحسان » ، وغمروها بالعطف والحب والدعاء ، ومنحتها أمها جامع قلبها وكان

لها نصفه أو أقل قليلا . أما الذى فازت به حقاً ، وكان فوزها به عظيما ، لأنه بعثها بعثاً جديداً ، فهو قلب عمتها ، تلك المرأة الطيبة المحبة التى تتفجر نفسها رحمة وحناناً ، أحبتها كما كانت تحبها ، وأحبتها كما كانت تحب أخاها ، وأحبتها كما كانت تود وتتمنى أن تحب أمثالها من الذرية التى حرمتها ، فمن آى هذا الحب أن قبلتها يوماً وقالت لها :

— لا تستسلمى للحزن رحمة بنفسك ورحمة بأمك المحزونة

وقالت لهـا مرة أخرى وقد آلمها ما تراه فى وجهها من الشحوب والذبول

— لا يرتاح لى بال إذا تركت هذا المرض يهتصر شبابك الغض ...

ومضت بها إلى الطبيب ، وتفحصها الرجل بعناية ووصف لها حقناً ونصحها بتبديل الهواء ، فأحضرت المرأة الحقن ، ثم شـدوا الرحال جيماً إلى بلبيس — بلدة العمة — وهناك بين أحضان الريف الحنون وهدوئه الشامل فى الهواء النقى والشمس الصاحية سارع إليها البرء ومشى فى أعصابها الشفاء ، فانتهت النوبات التى كانت تعتريها ، ونجت مما كان يشقى حياتها من القلق والمخاوف ، وسرعان ما امتلأ جسمها الهزيل واعتدل قدها وجرى فى وجهها ماء الشباب ورونق الصبا وجاذبية الأنوثة . وسرت العمة بمارأت ، وكأنها بستانى يجنى ما غرست يداه لأول مرة ، وأطمعها هذا الظفر بالمزيد ، فحدثت نفسها : « آه لو يذهب هذا الحول ... فأى عينين تكونان ! » ولكن ما الذى يمنع هذه الأمنية من أن تتحقق ... لقـد سمعت أن من أطباء العيون من يعالج الحول ويرد البصر سـالماً . ولم يقعدها التردد فقفلت هى وأسرتها الجديدة إلى القاهرة وقصدت إلى كبير من أطباء العيون فأملها خيراً وأجرى العملية فنجحت نجاحاً باهراً فاق كل تقدير . واستوت عينان فطرتا على الميل والانحراف ، وأخلى الحول مكانه لحور فاتن ، ونظرة حلوة تقطر ملاحة ، ونظرت إحسان فى المرآة فرأت وجهاً جميلا لا عهد لها به ، يحسد على ما حبته الطبيعة من الحسن والجمال ، فانبهرت الفتاة ، واستخفها السرور ، وتناست أحزان الماضى وهمومه ، وتفتح صدرها للحياة كما تتفتح الزهرة عانقها أول شعاع لشمس الربيع ، وابتاعت لها عمتها أبهى حلل وأليقها بجسمها اللدن ، فتبدت فى ثوبها الأسود النفيس فى بهاء العاج ورونقه ، وأبرزتها من خدرها فقدمتها إلى أبهاء الاستقبال فى بيوت المعارف والجيران ، وكانت تقول لها وهى ترمقها بعين الحب والإعجاب :

— لكم يشرح صدرى ويسر قلبى إذا جاءنا العروس المدخر غداً ... !

ولم يتثاقل هذا الغد ولا تأخر العريس طويلا ، فجاء يطلب يدها البضة ، ولما علمت الأم سر فؤادها المكلوم ، ودارت دمعة ترقرقت فى عينيها حين ذكرت ما ادخره الفقيد من مال لهـذا الزواج ولزواجه هو أيضاً

وباتت إحسان تلك الليلة فى سرورعظيم بل كانت أسعد لياليها

وعندمارنق النوم بجفنيها فى ساعة متأخرة ، رأت فيمايرى النائم حلماً مؤثراً ، رأت أنها عادت إلى الشقة التى كانوا يقيمون بها قبل وفاة شقيقها ، وأنها فى حجرته بالذات وعلى فراشه ، ورأت فى وسط الحجرة نعشاً ملفوفاً فى الحرير الأبيض ، يجلس على رأسه شيخ كبير فى عباءة سوداء وعمامة بيضاء ، وكانت تبكى وتكابد ضيقاً يكاد أن ينشق به صدرها ، وكأنما الشيخ رق لها فوجه إليها الخطاب متسائلا :

— لـما ذا تبكين ؟

فقالت وقد أثر فيها عطفه فانهالت مدامعها :

— أخى ... إنى أبكى أخى ...

فأومأ الشيخ إلى النعش وقال بهدوء :

— إنه يرقد ها هنا

فخنت رأسها حتى تساقط الدمع على حجرها وقالت بصوت تخنقه العبرات :

— أعلم ذلك وا أسفاه

فسألها مبتسما :

— أتحبين أن يعود إليك ؟

فنظرت إليه بعينين لا تصدقان وقد كفت عن البكاء وتساءلت :

— أتستطيع ذلك حقاً ؟

— نعم بغير شك

فقالت بلهفة ورجاء :

— رد إليه الحياة ... أعده إلينا

ولم تمالك نفسها ، فنهضت قائمة يلعب بفؤادها الأمل ؛ فقال الشيخ بهدوئه الذي لا يفارقه :

— ليس الأمر باليسر الذي تتصورين ، فلا بد من ثمن يؤدى

— أي ثمن ... وهل يغلو ثمن لقاء أن يعود أخي ؟ !

فهز الرجل رأسه المعمم وقال :

— إذا رد إلى الحياة ، وهذا على هين ، فستردين أنت إلى حالتك الأولى ، يعاودك المرض ويعتريك الذبول والاصفرار والحول ، ولا يلبث حتى يسترد ماله فتفقدى خطيبك !

وعلاها وجوم ، وشعرت بثقل الكابوس على صدرها ، فرشح جبينها عرقاً وزاغ بصرها . فابتسم الشيخ وسألها كالمتهكم :

— إيه ... هل أعيده إليك حقاً ؟

رباه ... ما ذا تقول ؟ هل يمكن أن تنكص عن الجواب ؟ وقالت وهي تزفر :

— نعم أعده

وتغير وجه الرجل ، فلاح فى محياه الجد والاهتمام ، ووثب قائماً ، ثم تحول إلى النعش يفك أربطته ويرفع غطاءه دون تردد وألقت الفتاة ببصرها إلى النعش لتستقبل العائد العزيز... ولكن اشتدت وطأة الكابوس وثقله ، ورأت نفسها تتغير فى مثل لمح البصر فترد إلى حالتها الأولى ، فاستردت صورتها العليلة وبشرتها الشاحبة وعينيها القبيحتين ، وغابت كل المسرات : فلا نضارة ولا شباب ولا مال ولا زواج ... وشعرت بإعياء وخور فلم تعد قدماها بقادرتين على أن تحملاها ، فسقطت جاثية على ركبتيها ، وعيناها لا تتحولان عن النعش ... ثم غلبها البكاء ، واستيقظت عند ذاك ، فرفعت رأسها عن الوسادة ، وتحسست يداها وجهها والفراش ، لتتأكد من أنها يقظة ، وأن ما كانت تكابده حلماً من الأحلام ، وكان قلبها يدق بعنف اضطرب معه ما فوق القلب من قميصها الأبيض ، ثم أسلمت رأسها مرة أخرى إلى الوسادة وهي تتنهد تنهداً عميقاً ، وما لبثت أن أجهشت فى البكاء ، لا لأنها مسخت فردت إلى حالتها الأولى ، ولكن لأنها ذكرت أخاها الراحل ، فثارت كوامن أشجانها ...

نجيب محفوظ



أربعـــة كتب

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

الحياة الروحية فى الاسلام — الملامتية والصوفية وأهل الفتوة — نظرات فى الحياة والمجتمع — الانكليز كما عرفتهم …

١ — الحياة الروحية فى الإسلام

[للدكتور محمد مصطفى حلمى]

فى هذه الفترة المادية التى نعيش فيها على سمع التاريخ الحديث وبصره ، وفى هذا الجو المختنق بأبخرة المادة الكثيفة التى تكاد تغشى القلوب . وفى وسط هذا الصراع الجبار بين الرغبات المادية الجامحة نقرأ هذا الكتاب الذى تجد فيه النفس اطمئنانها إلى حياة الروح فى الإسلام .

ويظهر أن المؤلف نفسه — على غير معرفة لنا به — فيه نزعة من هذه الحياة الروحية النبيلة التى تعلو عن المادة ؛ ويتبين ذلك من سطور كتابه ومن المقدمة الواضحة التى قدم بها بين يدى الكتاب . فهو لا يرمى إلى كشف النقاب عن الحياة الروحية فحسب ، ولكنه يرمى أن يكون وراء الكشف عنها « ما يعين على كبح جماح الشهوة ، وكسر حدة المادة ، وتمكين الخلف من الاستجابة لهذا الدعاء الروحى الصادق الذى ردده السلف » .

وواضح من هذا الكلام أن للمؤلف غرضين : الغرض العلمى الذى كان موفقاً فى إبرازه والنهج به على أقوم سبيل ؛ والغرض الخلقى ، وهو غرض نبيل صرح به فى المقدمة فكشف لنا عن روح نبيل فى تناول الموضوعات العلمية .

والحق أن العلم وحده لا ينفع ما لم يعن على إشاعة الخلق الجميل . ولا تكفى دراسة النظريات وتحديد المنهج والمعرفة بأصول البحث ما لم يكن هناك هدف سام من الأخلاق . وهنا تظهر القيمة العملية لدراسة العلوم .

ويرد المؤلف بدء الحياة الروحية فى الإسلام إلى تحنث محمد عليه السلام فى غار حراء قبل أن ينزل عليه الوحى — أى قبيل الإسلام — وكأنه بذلك يريد أن يجعل بذور التصوف والروحانية الإسلامية نابتة فى قلب الجزيرة العربية وفى صميم كهوفها وأغوارها . ولست أرى بأساً أن تختلف مصادر الحياة الروحية فى الإسلام ما دامت الأديان كلها تهدف إلى غرض واحد هو صفاء الروح .

وفى الكتاب فصول عن النساك والزهاد والعباد والتصوف ونشأته والنزاع بين الصوفية والفقهاء ، والغزالى وطريق المعرفة عنده ، وما إلى ذلك من الأبحاث التى تدل على أن المؤلف دارس لموضوع الروحية الإسلامية دراسة سعة وشمول .

وأسلوب الكتاب واضح ينساب فى سهولة ويسر ، وبذلك حقق غرض الجمعية الفلسفية المصرية من تبسيط هذه الموضوعات لجمهور القارئين ، إلا أن فيه تكراراً فى بعض المواطن وخاصة فى الفصل الثانى من الكتاب . وعندى أن التكرار لا يملح من كل كاتب ، فخير للمؤلف الفاضل لو أنه استقل بأسلوب يكون هو صاحبه ولا يكون فيه من المقلدين .

٢ — الملامتية والصوفية وأهل الفتوة

[للدكتور أبو العلا عفيفى]

وهذا كتاب آخر من كتب الجمعية الفلسفية المصرية التى يشرف على إصدارها الأستاذان الجليلان الدكتور على عبد الواحد وافى والدكتور عثمان أمين ؛ وهما من أكثر رجالنا نشاطاً فى التأليف وأشدهم انكباباً على العلم . والكتاب لأستاذنا الدكتور أبو العلا عفيفى أستاذ الفلسفة بجامعة فاروق الأول . وهو من سبيل الكتاب الأول ومن بابه : فلحياة الروح فيه مجال كبير . وقد وفق المؤلف فيه إلى حد كبير . فقد أزاح الستار عن طريق « الملامتية وأهل الفتوة » ورجع فى ذلك إلى طائفة من كتب التصوف بعضها بالعربية وبعضها باللغات الأجنبية .

والكتاب قسمان : قسم عن مذهب الملامتية ونشأته فى الإسلام والصلة بين تعاليم الملامتية وتعاليم الصوفية وأهل الفتوة . والقسم الثانى نص رسالة الملامتية التى ألفها أبو عبد الرحمن السلمى من العارفين بأسرارهم .

وفى القسم الأول تحقيق كثير لا يصدر إلا من رجل كالدكتور أبى العلا عفيفى له فى البحث العلمى مقام محمود . والحق أنه وفّى الكلام عن هذا المذهب التصوفى توفية منعه تواضعه من أن يعلى من قيمتها . فقد أشار فى المقدمة إلى أن الصورة العامة التى صور بها هذا المذهب «قد يعوزها الكثير من التفاصيل »

وخير فصول الكتاب هو الفصل الخاص بالتحليل النقدى لأصول الملامتية . فقد تكلم عن فلسفتهم فى النفس ومحاربتهم للرياء ، واتهام النفس ولومها ، والرياء فى الأعمال والأحوال والعلم . وهو كلام يدل على فهم صحيح للمذهب وطول تتبع له ووصول إلى أعماقه .

وإذا كان المستشرق الأستاذ ريشارد فون هارتمان قد سبق الدكتور عفيفى إلى البحث فى رسالة السلمى نفسها فإن أستاذنا المصرى قد تناول فى رسالته القيمة المذهب الملامتى نفسه والفرق بينه وبين تعاليم الصوفية ، وتاريخ هذه الفرقة ونشأتها .

وهى أبحاث تدل على سعة فى العلم وعلى صبر فى البحث وعلى قراءة كثيرة لكتب التصوف والمذاهب التى خرج منها المؤلف بهذا المحصول العظيم .

مات الإمام المراغى

فى ليلة الأربعاء الماضى استعز الله بالإمام الأكبر الأستاذ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر ، فكان نعيه الفاجئ حدثاً بارزاً فى الأحداث العالمية هفت له القلوب جزعاً ، والتاعت له النفوس حسرة . والأسى على فقد الأستاذ المراغى عِدْل ما يعرفه العالم الإسلامى عنه من رسوخ القدم فى العلم ، وعلو المكانة فى الأدب ، وثقوب الفكر فى الإصلاح ، ونفوذ الكلمة فى الدولة . والحق أن المراغى كان عالم جيله إذا أردنا من العالم الدينى أن يكون عليما بأحوال العصر ، خبيراً بسير الزمن ، بصيراً بطبائع الناس ، يوفق بين الدين والعلم فى قصد ، ويجمع بين الشريعة والمدنية فى حكمة . وقد هيأه لهذه المزايا بعد الاستعداد الطبيعى فيه عوامل اجتماعية أهمها اتصاله المباشر بالموظفين الإنجليز فى السودان أيام كان صاحب القضاء فيه . والموظفون الإنجليز فى مصر والسودان كانوا الصورة الحقيقية لمدنية الغربية فى سمو الخلق وحسن النظام وحرية الفكر وسداد المنهج ، كما كانوا فى الإدارة والسياسة الكمال الذى يظهر لك النقص واضحاً فى شتى النواحى الاجتماعية المصرية ؛ فكان من الطبيعى أن يطمح إلى هذا الكمال من طريق الإصلاح الدينى والاجتماعى بحكم منصبه . كما فعل الإمام محمد عبده حين اتصل بالفرنسيين فى المنفى وبالإنجليز بعد الاحتلال

ولقد كان موقفه فى الإصلاح الدينى من شيخه الإمام محمد عبده ، كموقف اسماعيل فى الإصلاح الدنى من جده محمد على : كان موقف المتبع من المبتدع ، والمقلد من المجتهد ، والحائر المتردد من الزميع المصمم .

وكان الظن بالفقيد الكريم وقد ورث أكثر خصائص الأستاذ الإمام أن يؤدى رسالة الإصلاح على الوجه الذى يرتضيه العلم ، ويقتضيه العصر ، ويرتجيه الناس ؛ ولكن الأسباب المعوقة من مهاواة السياسة ، ومصانعة المعارضة ، ومماطلة الحزم ، واضطراب السلام فى الخارج ، وانقطاع الوئام فى الداخل ، حالت بين الشيخ وبين ما يريد حتى أتاه اليقين وهو على شك من استعداد النفوس لفكرة الإصلاح .

تغمده الله برحمته ، وجزاه أحسن الجزاء على حسن نيته ، وأخلف بالخير على أسرته وأمته .

— ٣ —

نظرات فى الحياة و المجتمع

[للأستاذ على أدهم]

مؤلف هذا الكتاب أديب يمتاز بمزايا كثيرة لابد منها لمن يريد أن يكون فى عالم الأدب أصيلا لامتبعاً . فهو يقرأ كثيراً فى الأدب العربى والغربى ؛ وهو يهضم قراءاته ويحسن هضمها لأن معدته الأدبية صحيحة موفورة العافية ؛ وهو قادر على معالجة الأدب المقارن بحسن إدراك وصحة فهم وقوة أسلوب .

أما إدراكه فيظهر من رءوس الموضوعات التى يتناولها والتى يحسن الكلام فيها فينتقل بك من فكر إلى فكر ، ومن موضوع إلى موضوع حتى يأتى على البحث إلى آخره ولا يدع فى نفسك شهوة لاستزادة . وأما أسلوبه ففيه من القوة

ما يؤدى به الأغراض أحسن أداء ، فلا تحس ضعفاً هنا ولا ليناً هناك . ولكنك ترى الكلام مستوياً مع الغرض علواً واتساقاً.

وتقرأ الموضوع الواحد لعلي أدهم فتراه طائفاً معك من أبي تمام إلى المتنبي إلى فرويد من غير أن تحس تكلفاً فى الانتقال ؛ لأنه يصدر عن طبع وإحاطة .

ويغلب على كتابته ناحية الفكر والفلسفة . فهو أديب الفكرة لا أديب العبارة . وإن كانت عبارته فى مكانها العلي من لغة العرب لأنه يقرأ كما قلت لك كثيراً ويُفيد مما قرأ كثيراً

وفى موضوعات على أدهم لذة ؛ لأنه يعرف كيف يختارها ويعرف كيف يعرضها ؛ ويعرف فى النهاية كيف يقنعك برأيه ويكسبك إلى صفه . وتحس وأنت تقرؤه أنك تقرأ أفكار الحكماء مجموعة فى كتاب ومضمومة فى إهاب ، وهو مع ذلك متواضع ، لا يدعى أنه من العلماء المختصين ولا من الحكماء الموهوبين « ولكنى أحب أن أسير فى آثار هؤلاء الهواة الذين راقهم أن يعرفوا أشياءعن الطبيعة الإنسانية، وشاقهم حب التطلع والاستبانة» وهو فى النهاية ليس خيالياً ولا « يوتوبياً » . ولكنه واقعى يصف الواقع ويعلل له .

٤ — الإنكليز كما عرفتهم :

[للاستاذ أمين المميز من رجال السلك السياسى العراقي]

تفضل الأستاذ الكبير الزيات فأعارنى هذا الكتاب لقراءته والحديث عنه . ثم تفضل المؤلف الفاضل نفسه فأهدى إلى نسخة منه عن طريق صديقنا الأديب الوفى السيد محيي الدين رضا ، فأتيحت لى بذلك فرصتان لقراءة هذا الكتاب الطريف المفيد الممتع

ولقد عشت فى انجلترة حقبة من الزمان ، فما أزعم لنفسى أننى عرفت من أحوال القوم وأمورهم وألوان الحياة عندهم ما عرفته من هذا الكتاب

وكان مصدر المؤلف فى كتابه شيئين : التجربة والقراءة فقد عاش فى أنجلترة مدة وخالط أوساطها الراقية بحكم منصبه ، كما خالط أخلاطاً من القوم دون ذلك بحكم نيته فى التأليف . وقرأ كثيراً عن الإنجليز وبلادهم وتاريخهم وعاداتهم مما كتبه الإنجليز أنفسهم ، أو مما كتبه عنه غيرهم

ومن هنا كانت مراجع الكتاب كثيرة تبلغ بضع عشرات من الكتب لبضع عشرات من الكتاب أمثال بايكر وبرادلى وهاملتون وروم لانداو وموروتون وغيرهم

وفى الكتاب فصول عن الرجل الإنجليزى والمرأة الإنجليزية وحياة الإنجليز السياسية والاجتماعية ، فإذا شئت أن تعرف شيئاً عن الدستور الإنجليزى والوزارة والميزانية ووزارة الخارجية ومجلس العموم ومجلس الأعيان والأحزاب الإنجليزية والامبراطورية والدومنيون ، فارجع إلى الفصل الثالث

وإذا شئت أن تعرف شيئاً عن نظام الطبقات فى انجلترة والثروة والمهرجانات العامة وقصور العائلة المالكة والأعياد الدينية والوطنية والنادى وحياة الشوارع والملبس وآداب المعاشرة وغيرها فاقرأ الفصل الرابع

وليس الكتاب رحلة عابرة فى بلاد الإنجليز ، ولكنه دراسات علمية تاريخية بذل المؤلف فيها كثيراً من الجهد فى المطالعة والقراءة والرجوع إلى المصادر ، كما بذل كثيراً من الدقة فى الملاحظة والمشاهدة والمعاشرة ، حتى خرج الكتاب مرجعاً من أوفى المراجع العربية عن حياة الإنكليز وتاريخهم

وإذا كان سبيل التقارب بين الشعوب هو حسن التفاهم بينها ، فإن ذلك لا يكون إلا عن فهمها ، فمتى صح الفهم صح التفاهم

ولا شك أن كتاب الأستاذ أمين المميز هو خطوة فسيحة موفقة فى سبيل فهم الإنجليز ، وبالتالى فى سبيل التفاهم معهم

فأهنئه وأشكره على هديته ، وأرجو له التوفيق فى إخراج الجزء الثانى من كتابه الذى وعد به فى هذا الجزء النفيس

محمد عبد الغنى حسن

افتتاح الموسم الجديد لسينما ستوديو مصر

يوم الإثنين ١٣ أغسطس

ستوديو مصر يقدم

عقيلة راتب . أنور وجدي . في قضية الشباب

الحيـــاة كفـــاح

مع

سليمان نجيب . علوية جميل . زكى رستم

إخراج كمال مدكور

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦٣٥ – الاثنين ٣ سبتمبر ١٩٤٥ – السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

١٩ ، ٢٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

إعلان

تعلن وزارة الشئون الإجتماعية عن طرح مناقصة عامة لتوريد الأصناف اللازمة لقسم الفرش بالمعهد الإصلاحى الإجتماعى بالمحلة الكبرى وقد تحدد ظهر يوم ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٤٥ آخر موعد لتقديم العطاءات .

وترسل العطاءات برسم حضرة صاحب السعادة وكيل وزارة الشئون الإجتماعية داخل مظروفين مختومين بالشمع الأحمر ويكتب على الظرف الخارجى منهما اسم المناقصة وموعدها وتطلب الشروط من قسم المشتريات بالوزارة على ورقة تمغة فئة الثلاثين مليما نظير مبلغ خمسون مليما .

ويراعى تقديم تأمين مؤقت قدره ٢ ٪ من قيمة العطاء .

٤٠٢٨

13 me Année No. 635

Lundi - 3 - 9 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٣٥ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٦ رمضان سنة ١٣٦٤ — ٣ سبتمبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الشعر والقصـــة

للأستاذ عباس محمود العقاد

حين يقول القائل إن الذهب أنفس من الحديد يقرر شيئاً واحداً ، وهو أن الحديد لا يدرك ثمن الذهب فى سوق البيع والشراء ، ولكنه لا يقرر إلغاء الحديد ولا استخدام الذهب فى المصانع والبيوت بديلا منه ، ولا يعنى أن الذهب يغنى عن الحديد أو عن غيره من المعادن فى غرض من أغراضه

كل ما يقرره شىء واحد وهو أن سعر الذهب أغلى من سعر الحديد ، ولا لوم عليه فى ذلك ، وإن قيل له إن الحديد أنفع وأشيع من معادن الزينة والتجميل

ونحن قد فضلنا الشعر على القصة فى سياق الكلام عليهما من كتاب « فى بيتى » ، فكل ما قلناه إذن هو أن الشعر أنفس من القصة ، وأن محصول خمسين صفحة من الشعر الرفيع أوفر من محصول هذه الصفحات من القصة الرفيعة

فلا يقال لنا جواباً على ذلك إن القصة لازمة ، وإن الشعر لا يغنى عن القصة ، وإن التطويل والتمهيد ضرورتان من ضرورات الشرح الذى لا حيلة فيه للرواة والقصاصين

ويستطيع الأديب الأستاذ محمد قطب أن يقرر كما قرر فى (الرسالة) : « أن القصة دراسة نفسية لا غنى عنها فى فهم سرائر النفوس ، وليس الشعر أو النقد أو البيان المنثور بمغن عنها ، لأنها فى ذاتها أحد العناصر التى يحتاج إليها قارئ الحياة »

يستطيع الأديب هذا كما يستطيع أن يقول : « إن الحديد معدن نافع لا غنى عنه فى تركيب الآلات وبناء البيوت ، وليس الذهب أو الفضة أو الجوهر النفيس على اختلاف بمغن عنها ، لأنه فى ذاته أحد المعادن التى نحتاج إليها فى الحرب والسلم وفى الصناعة والتجارة »

ولكنه بعد كل هذا يذهب إلى السوق ليشترى الحديد ، فلا يبذل فيه ثمن الذهب والفضة ، ولا ينكر على التاجر أن يزن له درهماً من النقد برطل من الحديد المفيد

وقد قلنا فى كتاب « فى بيتى » إن القصاص قد يرجح الشاعر فى الملكة الذهنية والقريحة الفنية ، ولكننا لا نفضل القصة على الشعر من أجل ذلك كما لا نفضل الجميز على التفاح ، لأن الأرض التى أثمرت الجميز كانت فى حالة من الحالات أخصب وأجود من الأرض التى أثمرت التفاح

وينفعنا مثل الجماد هنا كما ينفعنا مثل النبات ، فإن تاجر الحديد قد يكون أغنى وأقدر من تاجر الذهب ، وقد يكون المنجم الذهبى أقل ربحاً ومحصولا من المنجم الحديدى فى حالة من الحالات ، ولكن تقويم المعدنين لا يتوقف على تقويم التاجرين

أو المنجمين ، لأنهما لا يرجعان إلى نوع واحد من التقدير والحساب

ويقول الأستاذ محمد قطب : « قرأت سارة وقرأت فى الديوان ما يقابلها من شعر ، وهو شعر جيد رفيع ، ولكننى لا أستطيع مع ذلك أن أقول إننى استغنيت به عن قراءة سارة ، أو إن سارة ليس فيها جديد مفيد من الدراسات النفسية العميقة ... »

فالذى نقوله إن الأستاذ غير مطالب بأن يقول هذا فى باب الموازنة بين الروايات والقصائد ، لأن موافقته على رأينا فى الشعر والقصة لا تقتضيه أن يمحو القصة وأن يثبت الشعر وحده ، وإنما يبقيهما ويبقى معهما الترجيح بينهما ، ويقدم الشعر على القصة فى هذا الترجيح

ولا حاجة به إلى جهد طويل للتسليم بفضل الشعر على القصة فى هذه الموازنة ، لأنه ينتهى إلى هذه النتيجة إذا سأل نفسه : أيهما أوفر محصولا من الشعور والثروة النفسية ؟ ألف صفحة من الشعر المنتقى ، أو ألف صفحة من الرواية المنتقاة ؟

أما أنا فجوابى على ذلك جزماً وتوكيداً أن صفحات الشعر أوفر وأغنى ، وأن معدن الشعر من أجل ذلك أنفس وأغلى من معدن الرواية

فإذا كان هذا رأيه فقد اتفقنا

وإذا لم يكن رأيه ورأيى متفقين فى ذلك ، فهـذا هو الجمل وهذا هو الجمال كما يقولون فى أمثالنا الوطنية : هات ألف صفحة من رواية أو عدة روايات ، وخذ ألف صفحة من الشعر الرفيع ، وارجع إلى حكم القراء فيما شعروا به بعد قراءة القصائد وقراءة الحكايات ، أو قدر ما يشعرون به على سبيل الظن والتخمين ، واحتفظ برأيك بعد ذلك كما تشاء

إننى لم أكتب ما كتبته عن القصة لأبطلها وأحرم الكتابة فيها ، أو لأننى أنها عمل قيم يحسب للأديب إذا أجاد فيه

ولكننى كتبته لأقول « أولا » إننى أستزيد من دواوين الشعر ، ولا أستزيد من القصص فى الكتب التى أقتنيها . وأقول « ثانياً » إن القصة ليست بالعمل الوحيد الذى يحسب للأديب ، وإنها ليست بأفضل الثمرات التى تثمرها القريحة الفنية ، وإن اتخاذها معرضاً للتحليل النفسى أو للإصلاح الاجتماعى لا يفرضها ضربة لازب على كل كاتب ، ولا يكون قصارى القـول فيه إلا كقصارى القول فى الذهب والحديد : الحديد نافع فى المصانع والبيوت ، ولكنه لا يشترى بثمن الذهب فى سوق من الأسواق

***

وكتب العالم الفاضل الأستاذ على العمارى المدرس بالأزهر يعقب على القياسين اللذين ذكرتهما فى الكتاب للمفاضلة بين الشعر والقصة ، وهما « أولا » أن القصة كثيرة الأداة قليلة المحصول ، و « ثانياً » أن الطبقة التى تروج بينها القصة لا ترتقى فى الثقافة والذوق والتمييز مرتقى الطبقة التى تفهم الشعر وتشعر بمعانيه

وقد قال الأستاذ : « فالمقياس الأول تحدث عنه علماء البلاغة والنقد فكانوا يرون أن خير الكلام وأبلغه ما جمع المعنى الكثير فى اللفظ القليل ، وهذا المقياس — وإن صلح للمفاضلة بين عبارة وعبارة ، أو بين بيتين من الشعر ، أو قطعتين من النثر فى موضوع واحد ، فإنه لا يصلح للمفاضلة بين القصة والشعر . وذلك أن فائدة القصة ليست مقصورة على الغرض الأساسى الذى وضعت من أجله ، ولم تكن خمسون صفحة فى قصة ما ولو بلغت الطبقة الدنيا فى القصص تمهيداً لفائدة تقال فى سطر أو أسطر ، ولكن هناك التصوير الرائع والوصف الدقيق لحركات الأحياء ونوازع النفوس»

والذى نقوله للأستاذ الفاضل إن الموازنة بين الشعر والقصة لا تكون إلا بذلك الميزان الذى قال إنه لا يصلح للمفاضلة بينهما .

لأنك إذا قلت إن هذه القصيدة أبلغ من تلك لجمعها المعنى الكثير فى اللفظ القليل ، فإنك لا تفاضل بين فنين أحدها قاصر بطبيعته عن مرتبة الفن الآخر ، ولكنك تفاضل بين كلامين أحدهما فاضل فى الفن نفسه والآخر مفضول فيه

أما إذا قلت إن الشعر أفضل من القصة ، لأن الشعر من شأنه أن يجمع المعنى الكثير فى اللفظ القليل ، فتلك هى المفاضلة بين طبيعة الشعر وطبيعة القصة ، وإن بلغت فى بابها غاية الإتقان

ونرجع إلى التمثيل بالذهب والحديد فنقول : إن ترجيح ذهب على ذهب بخفة الوزن يدل على أن أحد الذهبين ذهب ناقص وأن الذهب الآخر ذهب كامل ، ولا يفيدنا شيئاً فى الموازنة بين هذا المعدن وغيره من المعادن

ولكننا إذا قلنا إن قليل الذهب أغلى من كثير الحديد ، فلا يلزم من ذلك أن الحديد ناقص فى صفاته المعدنية ، لأنه قد يكون فى بابه على غاية من الجودة والمتانة ، وإنما يلزم منه أن معدن الذهب أغلى من معدن الحديد

وهذا بعينه الذى قصدنا إليه حين قلنا إن قليل الشعر يحتوى من الثروة الشعورية ما ليست تحتويه الصفحات المطولات من الروايات ، فإن احتياج القصة إلى التطويل لبلوغ أثر الشعر الموجز هو وحده الذى يبين لنا أن قنطاراً من القصة يساوى درهماً من الشعر ، وإن القصة فى معدنها دون الشعر فى معدنه ، لأن النفاسة هى أن يساوى الشيء القليل ما يساويه الشيء الكثير

أيقول الأستاذ إن خمسين صفحة من القصة لازمة للتصوير والحوار الذى يتحقق به سياق القصة ؟

حسن . فهذا اللزوم نفسه هو الذى ينزل بها دون منزلة الشعر فى متعة الذهن والخيال ، لأن الشعر بغير حوار وبغير تمهيد من أمثال تلك التمهيدات القصصية يعطينا فى خمسين صفحة أضعاف ما نعطاه فى تلك الصفحات ، بل هى لا تعطينا فى القصة شيئاً إلا إذا وصلت بعد التمهيد والحوار إلى مادة الشعر فى لبابها : وهى التصوير والخيال

وقال الأستاذ عن المقياس الثانى : « أما المقياس الثانى فأحسبه ليس كذلك فاصلا ، فالطبقات الدنيا فى الثقافة أو فى الأخلاق لا تروج عندها إلا أنواع خاصة من القصص ليست هى التى يفاضل بينها الكاتب وبين الشعر ، وكما يروج عندهم نوع من القصص رخيص كذلك يروج عندهم أنواع من الشعر رخيصة ، على أننا نجد أن ميل العامة ليس دائماً إلى القصص ، فهناك من الأمم ما يميل عامتها وخاصتها إلى الشعر ويروج عندهم ... »

ونقول نحن إن ميل بعض العامة إلى الشعر صحيح ، ولكن حين يكون الشعر قصة ، وحين يكون الشعر من قبيل ملاحم الهلالى والزير سالم . أما حين يكون الشعر وصفاً كوصف ابن الرومى أو البحترى ، وحكمة كحكمة أبى الطيب وأبى العلاء ، وفخراً كفخر الشريف وأبى فراس ، فالعامة لا تفضله على القصص التى تفهمها ، وإن أسفت غاية الإسفاف

ومما لا شك فيه أن عدد النسخ التى تصدر من ديوان المتنبى فى الطبعة الواحدة أقل من عدد النسخ التى تصدر من ألف ليلة وليلة ، أو من الروايات العصرية التى تتداولها الأيدى مرة فى كل شهر أو مرة فى كل أسبوع ، وهذا مع إقبال القراء على ديوان المتنبى لغرض غير لذة المطالعة ، وهو غرض الدرس أو المحاكاة ، ومهما يكن من طبقة القراء الذين يقبلون على تلك الدواوين وتلك الروايات ، فلا نزاع فى أن الروايات إنما تروج لأن تحصيل لذتها أسهل وأقرب من تحصيل لذة الدواوين ، وليس لارتفاعها عليها فى طبقة الفن وملكة التأليف

وقد يأكل الفقير اللحوم ويأكل الغنى البقول ، ولكننا لا نستطيع أن نقول من أجل ذلك إن البقول طعام الأغنياء ، وإن اللحوم طعام الفقراء

وكذلك قد يوجد من العامة من يقرأ الشعر حتى الرفيع منه ، كما يوجد من الخاصة من يقرأ القصة حتى الوضيع منها ، ولكننا لا نستطيع أن نقول من أجل ذلك إن الشعر هو قراءة الجهلاء ، وإن القصة هى قراءة المثقفين

عباس محمود العقاد

مراكش العربية تستصرخ

للأستاذ حسن أحمد الخطيب

مَنْ كان يظن — فى أثناء الحرب العالمية الثانية — أن هؤلاء الغربيين الذين ملأوا الدنيا صياحاً ، ورفعوا عقائرهم بالحرية والعدالة والمساواة ، وبحقوق الأفراد والأمم ؟ مَن كان يظن أنهم يجيئون فى أعقاب حرب ضروس وهيجاء طاحنة ، قد ضريت وشبّ ضرامها ، وأتت على الملايين من البشر قتلا وأسراً وتشريداً ، فلا يكون لهم منها عبرة ولا مزدجر ، ولا تؤثر فيهم المثلات ، فيسلطون جبريتهم على الأمم الضعيفة التى منيت باستعمارهم وابتليت بدائهم ، ويحكمونها بما استطاعوا من قوة الباطل وأساليب الظلم التى لا تعرف الرحمة الإنسانية ، ولا الشفقة التى يجب أن تكون بين بنى الإنسان ! !

بالأمس رأينا كيف بطش الفرنسيون بأهل الجزائر فى شهر مايو الماضى ، فضربوا البلاد ببوارجهم الحربية وطياراتهم المدمرة ونكلوا بالأحرار من أبنائها

واليوم نقرأ فى إحدى الصحف اليومية [1] أن الحكومة الإسبانية تنهج نهج الفرنسيين وتسير على غرارهم فى التنكيل بمراكش التى أصيبت بالاستعمار الإسبانى ، كأنها سياسة مرقومة وخطة مرسومة من المستعمرين لا محيد لهم عنها ولا محيص ، وهو أن يسلطوا قوتهم الغاشمة على من يقع فى حبائلهم من الأمم الضعيفة حتى تُخبِتَ وتخشع وتُضرب عليها الذلة والمسكنة ، فلا يرتفع لها صوت بحق ، ولا تجأر بدفع ظلم ، فأين مبادئ الحرية والعدالة التى أعلنها أقطاب الأمم المنتصرة ؟ وأين الوصايا الإنجيلية التى نشروها فى الخافقين ؟ بل أين الحريات الأربع التى بشروا بها العالم الجديد وزعموا أنها تكفل تحقيق عهد يسوده السلام والأمن والحرية والعدل ؟ !

إن الحكومة الإسبانية قد فتحت باب الهجرة على مصراعيه للاسبانيين يتدفقون منه على مراكش العربية الإسلامية ، ومنحتهم من وسائل التيسير والإغداق ما يمكن لهم فى أرضها ، ويجعلهم يتحكمون فى رقاب أهلها ، وما يُصيّرهم بعد قليل من الزمن أكثر عدداً من أبناء البلاد ، وأقوى عدة وأكثر مالا ، وأعز نفراً ، وبذا يتسنى لهم جعلها جزءاً متمما لإسبانيا ، وإقليماً من أقاليمها ، كما تحاول ذلك فرنسا فى الجزائر ، وليس أقوى دليلا ولا أصدق شاهداً على ذلك من أن الإسبانيين قبل الحرب الأهلية لم تكن نسبتهم فى مراكش تعدو ٧٪ من سكانها ، فأصبحوا بعد سبع سنين قد ذرّفوا على ثلث أهلها : سياسة ما أشبهها بسياسة الصهيونيين فى فلسطين ، يقصدون من ورائها التغلب على أبناء البلاد بما يكون لهم من كثرة العدد وقوة الحكم والاستعمار ، ويقصدون إلى قهر العرب والمسلمين بحملهم على التجنس بالجنسية الإسبانية مكرهين ، أو بطردهم من البلاد صاغرين !

ولكى ينفذ الإسبان تلك السياسة الباطشة ، ويحققوا مآربهم الظالمة ، ويسيروا فى سبيل الإثم والعدوان بنجوة من الرقباء ، ومنأى من الأحرار الذين يغضبون للحق ، ويثورون على الظلم — أحاطوا بالمراكشيين ، وأخذوهم بأساليب العنف والاستبداد ، وسلطوا عليهم وسائل الإخافة ، واسترهبوهم وجاءوا بأمر عظيم ، فاعتقلوا الزعماء فى بيوتهم ، ونفوا الأحرار إلى بلاد غير بلادهم ، ثم عمدوا إلى الصحف فعقلوا ألسنتها ، وحطموا أقلامها ، وقضوا على حريتها ، ثم أمعنوا وعتوا عتواً كبيراً : فألغوا كثيراً من الوظائف الشرعية ، ومنعوا الاجتماعات والمحافل العامة ، حتى المحاضرات العلمية ذادوا الشعب عنها وحالوا بينه وبين الاستماع إليها

ظلم عبقرى ، وجور ليس له ضَحىً ، لا يصدر إلا عن نفوس قد تجردت من نوازع الخير ، وقلوب قد ران عليها ما اكتسبت من الإثم والعدوان ، وحيل بينها وبين خلال البر والرحمة والإحسان

ألم يحدثكم التاريخ — معشر الإسبان — بأن أسلاف أولئك المراكشيين من العرب والمسلمين قد فتحوا بلادكم فأنقذوكم من ظلم الونداليين ، وجور القوطيين ، ثم أظلوكم بلواء العدل والرحمة ونشروا بينكم المبادئ السامية والعلوم النافعة ، وكان شعارهم فى حكمهم : « لأهل الذمة ما لنا وعليهم ما علينا » ، فلم يستبيحوا

(١) المصري فى ٢٠ أغسطس سنة ١٩٤٥

بعد عيد وفاء النيل

متى نتحكم فى نهرنا ؟

للأستاذ وديع فلسطين

قديماً قالوا « مصر هبة النيل » ، وما كانوا بذلك يمزحون أو يلقون الكلام على عواهنه ، وإنما قرروا حقيقة أثبتت الأيام صوابها ، وهى أن ماء النيل أثمن شىء فى مصر ، أثمن من حديدها ومعادنها وذهبها وزيتها .

وما فتئنا نسمع من ربع قرن من الزمان أحاديث تستطيبها الأذن عن مشروعات النيل وضبط مائه والانتفاع بكل نقطة منه واستغلاله فى زراعة الصحراوات وو ... مما يروق لذوى الخيال الواسع أن ينساقوا وراءه . ولو أننا حولنا بصرنا إلى غيرنا من الدول الزراعية ودرسنا أساليبها فى الزراعة وضبط الماء ، وقلدناهم فيما نجحوا فيه لكان لنا اليوم أن نفخر بنهر أصبحنا أسياده بعد ما كان سيدنا ، وتحكمنا فيه بعد ما ظلّ أربعة آلاف من السنين أو يزيد يشمخ بتحكمه فينا .

وقد احتفلت مصر فى الأسبوع الماضى بعيد وفاء النيل . وجدير بنا فى هذه المناسبة أن نعرض صفحة مما نهضت به دولة زراعية ، فرفعت مستوى المعيشة فيها وأصلحت أراضيها وزعمت الأمم الزراعية قاطبة .

***

هذه قصة نهر عظيم فى الولايات المتحدة يدعى نهر تنيسى Tennessee استطاع الأمريكيون أن يتحكموا فيه بعد ما كان يكتسح المحصولات والغابات ويخرب البيوت ، فأمكن الانتفاع به إلى أقصى حد ممكن ودرء خطره الذى كان يهدد الدور والحقول على ضفتيه .

يمتد نهر تنيسى من الشرق إلى الغرب فى المنطقة الوسطى من الولايات المتحدة ، وهو لا يبلغ فى طوله مبلغ نهر النيل لأن طول النهر الرئيسى ١٠٤٠ كيلو متراً بينما يزيد طول النيل على ستة آلاف من الكيلو مترات . غير أن الأراضى الصالحة للزراعة فى وادى تنيسى تبلغ مساحتها ١٠٥٫٠٠٠ كيلو متر مربع فى حين أن مساحة الأراضى الصالحة للزراعة فى مصر لا تزيد عن ١٣٫٦٠٠ ميل مربع . ونهر تنيسى ، على النقيض من نهر النيل الذى يخلو مجراه فى مسافة طولها ١٫٦٠٠ كيلو متر من الأنهار الفرعية ، غنىّ بمئات من الأنهار الصغيرة التى ترتفع فى الجبال فى هذه المنطقة من الولايات المتحدة . وحينما يهطل المطر الغزير

لأنفسهم أن ينتهكوا حرماتكم أو يسلبوكم حقوقكم ، أو ينتزعوا منكم دياركم وأموالكم ، بل عشتم وإياهم إخواناً متساوين فى الحقوق والواجبات ، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى أو بعمل صالح .

لقد شيد العرب والمسلمون فى الأندلس حضارة قامت على دعائم الحكم الصالح والعلم النافع ، حتى صارت المنارة التى يشع منها نور المدنية والعرفان فى أسبانيا وسائر أنحاء أوربة ، فلم تنكرون عارفهم ، ولم تجحدون فضلهم وهم أساس نهضتكم وقوام حضارتكم ؟

ألا فاتركوا للمراكشيين بلادهم ، وارفعوا عنهم نير استعبادكم ، واعلموا أنهم أباة أحرار لن يكفوا عن الجهاد ، ولن يرتضوا باستقلال بلادهم وحريتها بديلا ، ولسوف يبذلون كل مرتخص وغال ، ويجاهدون بأموالهم وأنفسهم حتى ينالوا حقوقهم ويكتب لهم النصر المبين

وللحرية الحمراء باب . بكل يد مضرجة يدق

وعلى الجامعة العربية أن ترفع الصوت عالياً بالدفاع عن العروبة والإسلام فى تلك البلاد ، فإن حقوق العرب والمسلمين لا تتجزأ ، وهى واحدة فى كل مكان ، فمراكش والجزائر وغيرهما من البلاد المهيضة الجناح يجب أن تدخل فى نطاق الجامعة لترعى حقوقها وتذود جور القاسطين عنها ليكون التعاون شاملا ، وعمل الخير عاماً يشمل العرب والمسلمين أجمعين

« ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »

حسن أحمد الخطيب

فى الربيع ، تمتلئ هذه الفروع وتفيض على شطآنها . وكما أن نهر النيل يخلف وراءه مقادير وافرة من الغرين يغذى التربة ويعززها ، فإن أنهر وادى التنيسى تخلف وراءها كذلك غريناً يهب الحياة للنباتات والغابات .

وكان موضوع ضبط نهر تنيسى والروافد التى تصب فيه أساساً لمشروع كبير يعرف اليوم باسم « إدارة وادى تنيسى »[1] وقد بلغ فى مايو الماضى العام الثانى عشر من حياته . وفى الواقع أن « الإدارة » مصلحة تابعة لحكومة الاتحاد . غير أنها تختلف عن سواها من المصالح الحكومية فى الولايات المتحدة لأن سلطتها تمتد إلى منطقة معينة من البلاد ، لا إلى البلاد بأسرها . والوادى الذى يشق نهر تنيسى طريقه فيه يقع فى أجزاء لسبع ولايات فى الجزء الأوسط من ولايات أمريكا المتحدة . وتلك الولايات هى : نورث كارولينا وفرجينيا وجورجيا وآلاباما ومسيسبى وكنطكى وتنيسى . وما مشروع وادى تنيسى إلا لاستثمار موارد منطقة كانت الأمطار الغزيرة تفسدها وكانت الفيضانات الكثيرة لأنهر كثيرة تصب فى وادى تنيسى فتخر به وتزيل معالمه .

وفى مستهل المدة الأولى لرياسة الرئيس الراحل المستر فرنكلن روزفلت ، أثنى الرئيسى على مشروع إنشاء إدارة وادى تنيسى وقال فى رسالته إلى الكونجرس فى ١٠ إبريل ١٩٣٣ : « إذا وفقنا فى هذا ، استطعنا أن نسير خطوة خطوة فى سبيل تحسين الموارد الطبيعية الأخرى الكبيرة داخل حدود بلادنا » . وبعد ثلاث سنوات من ذلك التاريخ ، وضع المستر روزفلت ستة مشروعات مماثلة لمشروع وادى تنيسى .

وتقوم مشروعات روزفلت السبعة جميعاً على مبدأ مشترك وإن اختلفت فى كيفية تطبيق هذا المبدأ فى المناطق المختلفة . ويتلخص المبدأ فى أن يطبق على مجال واسع وتتولى إدارته هيئة عامة تهدف إلى استغلال الموارد البشرية والطبيعية دون أن تتأثر بالميول الحزبية .

ويجرى نهر تنيسى وكمبرلند فى منطقة مساحتها ١٠٥٫٠٠٠ كيلو متر مربع ، وعند منبع فى جبال سموكى وبلورج Smoky and Blue Ridge يصب نهر تنيسى من ارتفاع ٩٠٠ متر عن سطح البحر فى نقطة تنخفض إلى ٩٠ متراً فى ولاية كنطكى حيث يتصل بنهر أوهايو . ويصب نهر أوهايو بدوره فى نهر المسيسبى . ويقدر معدل هطول الأمطار فى السنة فى الوادى بنحو ١٣٢ سنتيمتراً ويبلغ الهبوط السنوى فى بعض الجهات ٢٠٠ سنتيمتر .

وفى يوم ١٠ ابريل ١٩٣٣ ألقى الرئيس روزفلت خطاباً فى الكونجرس ـ وقد أسلفنا الإشارة إليه ـ لخص فيه المزايا المنتظرة لمشروع وادى تنيسى فقال : « إن المشروع إذا نفذ بكليته سيؤدى حتما إلى فوائد جمة ؛ فتروى الحقول التى تصل إليها مياه الفيضان ، ويمنع تآكل التربة وتعاد زراعة الغابات ، ويؤدى إلى عدم إهمال زراعة الأراضى المتطرفة كما يؤدى إلى انتشار الصناعة وتنوعها . وبالإجمال فإنه يؤدى إلى استغلال جميع مرافق الولايات المتحدة لمصلحة الملايين من الأهالى فى جميع الولايات . كما أنه يبعث الحياة فى جميع مظاهر الحياة وكل ما يهم الإنسان » .

واقترح الرئيس لإنشاء إدارة وادى تنيسى إصدار تشريع لتأليف « هيئة لها سلطة كسلطة الحكومة وتتمتع بميزتى المرونة والتوثب شأنها فى ذلك شأن الهيئات الأهلية » . وقد وافق الكونجرس على مشروع قانون تأليف إدارة وادى تنيسى يوم ١٧ مايو ١٩٣٣ وذيله الرئيس روزفلت بامضائه .

ونص فى ديباجة قانون إدارة وادى تنيسى على أهداف المشروع . ومن تلك الأهداف تحسين حالة الأراضى الزراعية والتحكم فى فيضان نهر تنيسى وإعادة زراعة الغابات واستغلال الأراضى المتطرفة فى الوادى وتحسين حالة الزراعة والصناعة فيه . وخولت لها سلطة نزع ملكية الأراضى لبناء السدود والخزانات ومحطات توليد القوى وغيرها من المنشآت . وخول لإدارة وادى تنيسى الحق فى بيع ما يفيض من القوة الكهربائية إلى الشركات والأفراد والهيئات المختلفة فضلا عن الولايات والمقاطعات ومجالس البلديات . وتكون الأولوية فى الشراء للولايات والمقاطعات ومجالس المديريات .

ويستخدم فى الوقت الحالى ٢١ سداً لضبط الماء فى نهر

(١) Tennessee Valley Ruthovity .

تنيسى . وقد نجحت تلك السدود فى جعل المنطقة مقراً لثانى محطة لإنتاج القوة فى الولايات المتحدة . وتتمتع ٨٥٫٠٠٠ مزرعة بمزايا الكهرباء ، أى بنسبة مزرعة واحدة تضاء بالكهرباء فى كل خمس مزارع ، وأصبح سكان الوادى يعيشون عيشة جديدة نسبة لاستعانتهم بالكهرباء . فأصبحت المزارع تستخدم المضخات الكهربائية بدلا من رافعات الماء الفطرية : (كالساقية والشادوف ...) وأصبح السكان يتمتعون بمزايا آلات تجفيف الطعام والثلاجات وتوفرت لهم آلات قطع الخشب وطحن البقول للماشية . وأصبح اللبن يوضع فى ثلاجات حديثة . وأضحى أعداد اللحوم وطهى الطعام لا يستغرق وقتاً طويلا . وأصبحت ربات المنازل يستطعن استخدام المدفآت الكهربائية وآلات كى الملابس الكهربائية وغيرها من الأدوات التى توفر الوقت والجهد والمال .

ولم تتجل آثار إدارة وادى تنيسى فى أى ميدان من ميادين الحياة كما تجلت فى ميدان الزراعة . فقد أمكن للادارة – بالتحكم فى مياه الفيضان والتغلب على تآكل التربة وتوفير مواد الفوسفات للتسميد – أن تجعل المزارع فى حالة رخاء لم يسبق لسكان الوادى عهد بها ، وأخذت المحصولات التى تسمى فى الولايات المتحدة « محصولات الزراعة » كالطباق والقطن والذرة مثلا أخذت تفسح المجال للبرسيم وفول الصويا وهما من المحصولات التى تكسب التربة غنى فى المواد العضوية . وأصبح من المألوف حرث الأراضى بالآلات التى تحرثها حرثاً منتظما يعمل على توقى تآكل التربة . وأخذ الفلاحون يقومون أفراداً بفلاحة سفوح التلال وإصلاح الأراضى البور . واستطاعت إدارة وادى تنيسى بمعاونة الهيئات الأخرى المتصلة بها أن تقنع الفلاحين فى الوادى بالإكثار من زراعة أنواع شتى من الخضروات لزيادة دخلهم وتمكينهم من شراء مزيد من الملابس وغيرها من ضرورات الحياة . واستطاع الفلاحون فى منطقة وادى تنيسى أن يستخدموا الكهرباء فى إدارة الآلات التى توفر العمال والوقت والمال . وشرعوا يتعلمون كيف يستطيعون توليد سلالات أفضل من الماشية وإنتاج أنواع ممتازة من الفاكهة والخضروات ، وهى جهود تهدف إلى إنتاج مواد منوعة غنية بالفيتامينات تقوّم صحة الفلاحين وعائلاتهم ، وتكسبهم مناعة وجلداً .

وانتشرت الصناعة فى الوادى بفضل إدارة وادى تنيسى . وزاد إنتاج الألومنيوم والمطاط والدقيق والمواد الكيميائية اللازمة للحرب كنترات النوشادر وهى مادة هامة فى صناعة المفجرات القوية ، واستغل فى أثناء الحرب الأخيرة ٧٥ فى المائة من قوى إدارة وادى تنيسى فى إنتاج المواد الحربية .

وأنشئت إلى جانب هذا المشروع الضخم مشروعات أخرى تتصل بالحياة اليومية لسكان هذه المنطقة فضلا عن مشروعات توفر قوى كهربائية رخيصة وتحسن وسائل الزراعة والإنتاج الصناعى ، وشيدت آلاف من المنازل الرخيصة وانتشرت المعاهد واتخذت وسائل مكافحة الملاريا ، ونظمت الهيئات الجماعية للتسلية ، وأسست هيئة كبيرة للعناية بصحة سكان الوادى عناية تامة .

وأصبحت إدارة وادى تنيسى نموذجاً حياً للتنظيم الإقليمى ولفتت أنظار العالم كله . فزارها رجال من جميع بلدان العالم من مزارعين ومهندسين جاءوا ليتخصصوا فى أعمال الإدارة . وسعى مهندسو إدارة وادى تنيسى إلى بلدان أخرى ليقيموا فيها مشروعات مماثلة أو ليعاونوا فى حل مشكلات الزراعة وتوليد الكهرباء فيها .

وفى يونيو ١٩٤٣ كتب المستر جوليان هكسلى العالم البريطانى والكاتب المعروف مقالا قال فيه : « إن فكرة إدارة وادى تنيسى على أساس إقليمى — كاستغلال نهر فى واد مثلا — أصبحت فكرة يدين بها العالم أجمع . وإن آراء الإدارة ووسائلها تعمل على إرشاد هيئات جديدة مماثلة ونحوها ... وأجريت دراسات لتمكن تنفيذ مشروع مماثل على نطاق دولى بدلا من النطاق الوطنى الضيق ، ومن شأن هذا المشروع الدولى أن يحد من سلطة دول العالم شأنه فى ذلك شأن إدارة وادى تنيسى التى تحد من سلطة الولايات وخاصة فيما يختص بالحقوق والحدود » .

وجاء فى ختام تقرير خاص يبحث فى موضوع الإدارة : « إن بيت القصيد فى مشروع وادى تنيسى ، أنه يوفر للرجال وسائل جديدة واقعية لاستخدام الموارد الطبيعية . كما أنه يهيئ لنا طريقة جديدة لمعالجة المشكلات المرتبطة بعضها ببعض الخاصة باستغلال الموارد الطبيعية التى تهم الجميع » .

وديع فلسطين

١ ـ نظرات
في دائرة المعارف الإسلامية[١]
الترجمة العربية

الأستاذ كوركيس عواد

تمهيد :

حينما يريد المؤرخ الأمين المنصف عرض أهم المصنفات المنقولة إلى العربية فى عصرنا الحاضر ، واستقصاء أنفس ما طبع منها ، يجد فى طليعتها « دائرة المعارف الإسلامية »[٢] التى اضطلع بترجمتها من أصولها الفرنجية لجنة عاملة ، قوامها أربعة أساتذة وهبهم الله مزايا وخلالا حسنة كالصبر والمثابرة وبعد الهمة واستسهال الصعب

وإذا ما قيل « دائرة المعارف الإسلامية » ، فذلك يعنى مجموعة كبيرة من المباحث ادخرت كنوزاً من العلم بشؤون البلدان العربية والإسلامية وبشعوبها وأديانها ولغاتها ورسومها ومشاهير رجالها وأهم أحداثها التاريخية وأحوالها الاجتماعية والاقتصادية والدينية . وبعبارة أخرى إن هذه الدائرة احتوت على كل مايحسن الوقوف عليه فى هذه النواحى الخطيرة الشأن ، فهى وحدها خزانة شرقية حافلة تشهد لمؤلفيها — وهم أقطاب الاستشراق فى هذا العصر — بالاطلاع الواسع على ما يتعلق بالشرق وبالبراعة فى الجمع والتأليف والدقة فى التبويب والتصنيف

ولا مراء أن الإقدام على ترجمة سفر كبير كهذا يكون محفوفاً بصعاب لا يدرك مداها إلا من يعانى أمر الترجمة . وفى تذليل أغلب تلك ، تبات ما يحملنا على الإقرار بفضل هؤلاء الأساتذة المترجمين والاعتراف بما أفرغوه من جهد محمود فى إتقان عملهم والسير به إلى الأمام ما وسعهم ذلك

بيد أنه لترامى أطراف الموضوع وتشعب مناحيه لا مناص من أن يحصل هنا وهناك بعض الهفوات ، أوتقع العين على ألفاظ مصحفة أو عبارات تفتقر إلى إيضاح أو تعقيب . وهذا كله لا يحط من قدر الترجمة ولا يغض من جهد المترجمين فى شىء

وقد كنا وما زلنا نترقب صدور أجزاء هذه الدائرة الواحد تلو الآخر فنتلقفها ونطالعها بشوق . وكنا نعنى بوجه خاص بالمباحث العراقية المنثورة فيها ، فنعلم على المواطن التى تحتاج إلى تأمل أو إعادة نظر فى ترجمتها . ولما اجتمع لدينا من هاتيك الملاحظات ما يؤلف مقالا رأينا أن نستأذن المترجمين الكرام فى نشرها اليوم إظهاراً للحقيقة التى هى رائد كل نفس كبيرة وإفادة لمن يملك نسخة من هذه الدائرة بترجمتها العربية

وقد صنفنا ملاحظاتنا هذه فجعلناها على أبواب خمسة وهى : أعلام الناس ، الأمكنة والبقاع ، الكتب والمراجع ، الأعداد ، الملاحظات المتفرقة . وسنسير فى إيرادها وفقاً لسياقة المجلدات والصحائف ومن الله التوفيق

أولا : أعلام الناس

ورد فى ١ : ٨١ ب ١٥[١] معن بن صاعدة . وصوابه معن ابن زائدة

وفى ١:٨٢ ا ٧ البيروتى (بالتاء) وصوابه : البيرونى (بالنون) . وهذا من أوهام الطبع

وقد تصحف اسم القس ميخائيل «الغزيرى» اللبنانى المارونى (١٧١٠ — ١٧٩٤ م) غير مرة إلى « كازيرى » (انظر مثلا ١ : ١٢٠ ا ٧ ؛ ١ : ١٥٢ ا ٦ و ١٩ ؛ ١ : ٢٤٥ ب ٧) وذلك لأن اسمه يكتب باللاتينية هكذا Casiri . وللوقوف على ترجمة الغزيرى نحيل القارئ إلى مراجعة : الآداب العربية فى القرن التاسع عشر للأب لويس شيخواليسوعى (١ : ١٨) ، وما كتبه

---

(١) يرى بعض علماء اللغة فى عصرنا ، وفى مقدمتهم العلامتان الأب أنستاس مارى الكرملى وأحمد باشا تيمور ، أن لفظة (معلمة) أكثر موافقة للمطلب من « دائرة المعارف » وبهذا الوجه يقال « المعلمة الاسلامية » راجع مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق (٣ [١٩٢٣] ص ٥٦ ـ ٥٨ و١١٦ ـ ٢١)

(٢) ظهر من هـذه الترجمة العربية حتى كتابة هذه السطور ، اربعة مجلدات كاملة وعشرة أعداد من المجلد الخامس ، تسلسلت المواد فى مطاويها من « ا » إلى « تفليس » والعمل ما زال جاريا

(١) نريد بذلك : رقم المجلد ، فالصفحة ، فالحقل ، فالسطور ؛ من الترجمة العربية لدائرة المعارف الاسلامية .

الأب بولس مسعد فى مجلة المشرق (٣٤ (١٩٣٦)) ص ٦٠١— ٦٠٤) .

وفى ١ : ٦٣، ب ٢٥ أبرديصان . والصواب : برديصان

وورد فى السطرين الأخيرين من ١ : ١٦٣ ب ما هذا نصه : « كان أبوه (أبو برديصان) يدعى نهامة وأمه تدعى نهشيران » والصواب : « كان أبوه يدعى نوحاما وأمه تدعى نحشيرام » . ونوحاما لفظة إرمية معناها البعث والنشور

وفى ١ : ٢١٧ ب ٩ عطاء مالك الجوينى . والصواب : عطاء ملك الجوينى ، على ما هو مشهور فى المظان التاريخية

ومن الغريب أن اسم الإمام أبى منصور « الثعالبى » قد صحِّف إلى « الثعلبى » فى غير موطن (انظرمثلا ١: ٢٢٣ب ١٩؛ ٣ : ٤٧٣ ا ٥ ؛ ٣ : ٤٧٣ ب ١)

وفى ١ : ٢٥٥ ب ٢ ذكر « سوش الرسى » ، ولكن هذا الإسم ورد بصورة « سوسن الرسى » فى معجم البلدان (١ : ٧٢٣ طبعة وستنفلد ؛ مادة : بلغار) .

ومن هذا القبيل تصحيف اسم صدرالدين محمد « الخجندى » الى « الخوجندى » فى ١ : ٢٩١ ب ٢٤ . والخجندى (بخاء معجمة مضمومة ثم جيم مفتوحة وسكون النون ودال مهملة) نسبة الى خجندة ، مدينة بما وراء النهر على شاطىء سيحون (راجع معجم البلدان وكتب الانساب) .

وفى ١ : ٣٠٧ ا ٢٢ ذكر « بنى كشير » . وصوابها « بنى قشير » راجع : أخبار النحويين البصريين للسيرافى (ص ١٥ طبعة كرنكو) ونزهة الألباء فى طبقات الأدباء لابن الأنبارى (ص ٧ من طبعة سنة ١٢٩٤ هـ) .

وذكر فى ١ : ٣١١ ا ١ عن أبى بكر بن سعد بن زنكى أتابك فارس أنه من الأسرة « السلغورية » . قلنا : الصواب أن تكتب « السلغرية » (بحذف الواو) وهم على ماجاء فى الكامل لابن الأثير (١٠ : ٢٣٨ طبعة تورنبرج ، حوادث سنة ٤٩٥ هـ) قبيل من التركمان يقال لهم سلغر.

ومن الأعلام الشرقية التى أصابها التصحيف غير مرة (انظرمثلا ١: ٣٢٤ ا ١٦ ؛ ١: ٣٢٤ب ٢، ٤: ٥٧ ا ٣ و ٢٢ و٢٧) هو هرمزد « رسام » الموصلى ، المتوفى سنة ١٩١١ ، الذى نزح الى انكلترة وأحرز شهرة بعيدة بين علماء الآثار العراقية ، وألف تصانيف مختلفة بالانكليزية (راجع ترجمته فى تاريخ الموصل لصائغ (٢ : ٢٧٤—٢٧٦) . قلنا : هذا الرجل الذى يكتب اسمه بالانكليزية H. Rassam قد تصحف فى الدائرة الى « رسم » وذلك فى المواطن المشار إليها أعلاه .

وفى ١ : ٣٣٥ ا ١٣ لابن حيان . وصوابه : لأبى حيان . وكأن هذا من أغلاط الطبع .

وفى ١ : ٤١٣ ب ٩ ؛ ١ : ٤١٥ ا ٣ ديوان أبى نواس طبعة آصف . والذى نرى على غلاف الطبعة المذكورة من الديوان : آصاف

وقد وقع نظرنا فى ١ : ٤٢١ ا ٢٥ على اسم « منيلوس » . قلنا : عرف اسم هذا العالم الرياضي اليونانى فى المراجع العربية القديمة بصورة «منالاؤس» أو«منالاوس» راجع: الفهرست لابن النديم (ص ٢٦٧ طبع ليبسك أو ص ٣٧٤ طبع القاهرة) ، وأخبار الحكماء للقفطى (ص ٣٢١ طبع ليبسك) وتاريخ مختصر الدول لابن العبرى (ص ٦٤ طبعة صالحانى) ، وكشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون للحاج خليفة (١ : ٢٩٠ طبعة ليبسك ، أو ١ : ١٣٤ طبعة استانبول الأولى ، أو ١ : ١٤٣ طبعة استانبول الثانية) .

وفى السطر الأخير من ١ : ٥٠٤ ب ورد اسم « البرازلى » وصوابه : البرزالى . وغالب الظن أنه من أوهام الطبع .

وقد وجدنا طائفة من أسماء المؤلفين الفرنج قد أصابها التشويه من ذلك (١ : ٥٣٠ ا السطر الأخير) ريتر O. Ritter والصواب روتر O Reuther وكذلك (١ : ٥٣١ ا ١٨) Neibuhr صوابه Niebuhr .

ومن الأعلام الشرقية التى لم تسلم من التصحيف ما ذكر فى ١ : ٥٤٨ ا ٥ باسم « جبريل سيونيتا » وصوابه : جبرائيل الصهيونى ، وهو كاهن مارونى من قرية اهدن فى لبنان . عاش سنة ١٥٧٧—١٦٤٨ م . وقد ترجمه الأب أغناطيوس طنوس ، فى المشرق (٣٨ « ١٩٤٠ » ص ٢٥٣ _ ٣٠٤) .

ونظيره فى إبعاده عن اسمه الحقيق « يوحنا الحصرونى » (نسبة الى حصرون من قرى لبنان) المتوفى سنة ١٦٣٢ م ، فقد

تصحف اسمه فى الدائرة (١:٥٤٨|٦١) الى « جون هسرونيتا » .

وفى ١ : ٥٧١|١٦—١٨ وردت العبارة التالية : « كما انه حكمها (حكم مدينة إربل فى العراق) ابان الساسانيين حكام استطاعوا أن يستقلوا بحكمها فى فترات متفاوتة ، نذكر منهم قودغ الذى اتخذ حصن ملقى القريب من إربل مقراً لهم » .

قلنا : الصواب فى «قودغ» ان يكتب « قرداغ » وهو أحد مشاهير شهداء المشرق فى العهد الساسانى ، قتل سنة ٣٥٩ م . والوقوف على ترجمته وأخباره يرجع الى المؤلفات التالية : أعمال الشهداء والقديسين (بالإرمية ٢ : ٤٤٢—٥٠٦ طبعة بيجان فى ليبسك) ؛ وشهداء المشرق لأدى شير (١ : ٣١١—٣٤٥) ؛ وتاريخ كلدو واثور لأدى شير أيضاً (٢ : ٨٧—٨٨) ؛ ويزداندوخت لصائغ (ص١١١_١٢٤،١٩٢_٢٠٢،٣٠٠_٣٠٨) و Duval: La Litterature Syriaque (P. 138) و Labourt: Le Christianisme dans L'empire Perse Sous La Dynastie Sassanide 224 - 632 (P. 49) .

وفى ١ : ٥٧١ ب ٧ مظفر الدين قكبرى . وهو تصحيف ظاهر . والمشهور فى الكتب التاريخية : مظفر الدين كوكبورى فقد ضبطه ابن خلكان (وفيات الأعيان ١ : ٦٢٤ طبعة بولاق الأولى) بضم الكافين بينهما واو ساكنة ثم باء موحدة مضمومة ثم واو ساكنة وبعدها راء ، وقال إنه اسم تركى معناه بالعربى ذئب أزرق . ولم ينفرد ابن خلكان بهذا الضبط ، بل تابعه فيه غير واحد من المؤرخين ، راجع فى ذلك : تاريخ أبى الفداء (٤ : ٣٩٨ طبعة ريسكى، أو ٣ : ١٥٣ طبعة الحسينية بالقاهرة) والنجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة لابن تغرى بردى (٥ : ٣٧٨ و ٦ : ٢٨٢ طبعة دار الكتب المصرية) ، وشذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى (٥ : ١٣٨) .

على ان هذا الاسم ورد فى بعض المراجع الأخرى بحذف واوه الثانية ، فقيل « كوكبرى » . راجع : فهارس الكامل لابن الأثير وتاريخ مختصر الدول لابن العبرى (ص٤٠٤) والحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة لابن الفوطى (ص ٤٤ طبعة الدكتور مصطفى جواد) ، والبداية والنهاية فى التاريخ لابن كثير (١٣ : ١٣٦) والسلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزى (١ : ٢٤٧ طبعة الدكتور محمد مصطفى زيادة) .

وقد قرأنا فى ١ : ١٠|١٧٥٣—١٥ ماهذا نصه : « وهناك مصنف يتعرض لأهمية إربل فى تاريخ بلاد الشام (كذا) الدينى قبل الاسلام ، صنفه كنسى من أسقفية إربل ، ونشره منجانا A. Mingana فى Sources Syriagues جـ ١، ليبسك ١٩٠٨ ودرسه ساخو Sachau فى Abh. der Berl. Akad. D. wissensch ص ١٩١٥ رقم ٦ » انتهى .

قلنا : فى هـــذه الأسطر المنقولة أمور تحتاج الى تعديل أو إيضاح .

فلفظة « بلاد الشام » لامعنى لها هاهنا ، وهى فى الأصل الفرنسى La Syrie وهى على مايبدو لنا مصحفة عن L' Aassyrie أى بلاد آثور ، فهو مطابق للمطلب .

أما هذا الرجل « الكنسى » الذى صنف الكتاب المشار اليه ، فقد ذهب ناشره الى انه « مشيحا زخا » النسطورى ، ولكن بعض الباحثين من المستشرقين شكوا فى صحة أدلته فلم يوافقوه على رأيه .

وأما « منجانا » فمحرف أيضاً . واسمه الصحيح القس (ثم الدكتور) ألفونس « منكنا » ، وهو امرؤ عراقى ولد فى قرية شرانش من أعمال الموصل فى شمالى العراق ، وبعد أن أنهى دروسه فى الموصل وعاش فيها مدة ، نزح الى انكلترة فلبث هنالك حتى توفى سنة ١٩٣٧ .

والمصنف التاريخى المشار إليه لم ينشر فى ليبسك كما ورد فى الدائرة ، انما نشر (بنصه الإرمى منقولا الى الفرنسية) فى مطبعة الدومنكان بالموصل وأمره مشهور . كما ان سخو Sachau لم يدرس هذا الكتاب فحسب ؛ بل نقله أيضاً الى الألمـانية بعنوان Chronik von Arbela . أما الرقم ١٩١٥ المذكور فى الفقرة المنقولة أعلاه ، فلا يدل على الصفحة ، إنما يدل على سنة طبع تلك الترجمة الألمـانية .

(يتبع) كوركيس عواد

في بيتي ...

أحدث كتب العقاد (١)

للأستاذ عبده حسن الزيات المحامي

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

فإذا سأله صاحبه وهو يحاوره — وأكبر ظني أن هذا الصاحب ليس إلا العقاد نفسه أو شخصية اختلقها من خلقه على غرار ذاته —: « وكيف توفق بين الوجود الأمثل وبين الشرور والآلام في هذه الحياة ؟ » انفلت من هذا المأزق بقوله : « هذا سؤال غير يسير ، لأننا نحن الفانين لن نرى إلا جانباً واحداً من الصورة الخالدة في فترة واحدة من الزمان ، ومن يدرينا أن هذا السواد الذي يصادفنا هنا وهناك هو جزء لازم للصورة كلزوم النقوش الزاهية والخطوط البيضاء ؟ بغير الألم والخسارة ما الفرق بين الشجاع والجبان وبين الصبور والجزوع ؟ » فإذا حلّق عليه مجادله بهذا السؤال المحير الخالد : « أليس عجزاً أن نشقى وفي الوسع ألا نشقى ؟ أليس عيباً أن نقصر عن الكمال وفي الوسع أن نبلغ الكمال؟ » لاذ المؤلف بإجابة صوفية « كلامية » فقال : « وكيف يكون في الوسع أن يكمل المتعددون ؟ إنما يكون الكمال للواحد الدائم الذي لا يزول » ولكن صاحبه يضيق ذرعاً ويثور ثورة الإنسان في ضعف إنسانيته : « قل ماشئت ، فليس الألم ممايطاق ، وليس الألم من دلائل الرحمة وآيات الخلود الرحيم » . فيطامنُ المؤلف من ثورته ويسكب عليها شآبيب الهدوء : «إن هذا لصحيح إذا كانت حياة الفرد هي نهاية النهايات ، وهي القياس كل القياس لما كان وما يكون . لكن إذا كانت حياة الفرد عرضاً من الأعراض في طويل الأزمان والآباد — فما قولك في بكاء الأطفال؟ إن الأطفال أول من يضحك لبكائهم حين يعبرون الطفولة ، وإنهم أول من يمزح في أمر ذلك الشقاء ، وليس أسعد الرجال أقلهم بكاء في بواكير الأيام ... يا صاحبي هذا كون عظيم ، هذا كل ما نعرف من العظم ، فإذا لم نسعد به فالعيب في السعادة التي ننشدها ، ولك أن تجزم بهذا قبل أن تجزم بأن العيب عيب الكون وعيب تدبيره وتصريفه وما يبديه وما يخفيه . ولك أن تنكر منه ما لا تعرف ، ولكن ليس لك أن تزعم أنه منكر لأنه مجهول لديك»

(١) ظهر للعقاد بين كتابة هذا المقال ونشره كتاب جديد عن بلال

وعلى هذا النحو الصعب الذي يثير ملكات التفكير والنقد يقطع السائح أكثر رحلته وراء « ريس » معتز بقدرته ، واثق من نفسه ، يأبى إلا أن يقتحم قلل الصخور اقتحاماً ، ولو كانت عنها ندحة من طريق سواء وسط ريح رخاء . على هذا النحو يعرض لفلسفة النسك ، ويعرض للماركسية ودعوتها العامية ، ويعرض للنازية والفاشية والشيوعية ، ثم يضرب بسهم واحد هذه الفلسفة الماركسية وهذا المذهب الشيوعي حين يقول : « فإن كان للنبوءات الماركسية فضل بعد هذا في ثورة الروس ، فذلك هو الفضل المعكوس ، لأن المؤمنين بها حاولوا تطبيقها كما آمنوا بها ، فضيعوا عشرين سنة في هذه التجارب المخيبة ، وضاعت معها ملايين الأرواح التي فنيت بالسلاح أو فنيت بالقحط والوباء ، ثم آل بهم الأمر إلى إقرار ما أنكروه وحاربوه وقتلوا الملايين من أجله ، وهو اقتناء الملك وإيداع المال في المصارف وتوريث الأبناء وإباحة الفروق في المعاش وإعلان العصبية الوطنية »

ولا يلهيه هذا عن التنديد بالجشع الذي يتملك بعض الرأسماليين وينهى إلى التبشير بالتعاون ترياقاً وحيداً ، وهو « التعاون بين الأمم كبارها وصغارها ، والتعاون بين الطبقات غنيها وفقيرها ، والتعاون بين السلطات والتعاون بين الأفراد » . ومن قبل رأينا العميد « ديجي » يعتنق مذهب التضامن الاجتماعي ويتخذه أساساً لكل تشريع ، ولا يرى للفرد إلا حقاً واحداً ، هو أن يمكن من أداء واجبه في تحقيق هذا التضامن

وبمثل هذا الدرس والتقصي يعالج العقاد مذاهب التصوير ، ويتناول الإحساسيين باللوم المرير ، وهذا إن لم تخني الذاكرة رأي له قديم سبق أن أبداه منذ نحو خمس عشرة عاماً في بعض « ساعاته بين الكتب » أو « مطالعاته »

— ٢ —

وثانية الملاحظات التي أحب أن أدونها أني شعرت وأنا أقرأ هذا الكتاب شعوراً قوياً بأن العقاد محام من الطراز الأول لمحامي المذكرات المتفوقين ؛ وقوته في المحاجة ، ومصارعة الخصم تظهر على أتمها في القضايا الصعبة حين يكون مركزه أضعف المركزين ، أو حين تكون النقطة التي يدافع عنها دقيقة مفتقرة إلى مجهود جبار في التجلية والبيان . إنه لم يحتج إلى عناء كثير لكي ينتصر

على الدعوة الماركسية والمذهب الشيوعى ، ولا احتاج إلى عناء كبير لكى يبرهن على الفشل الختامى للطريقة التى اتبعتها النازية والفاشية لحل أزمة البطالة بإنشاء طوفان من صناعات الحرب ، ولكنه كان محتاجاً إلى قوته الجدلية « فوق العادية » فى مواقف أخرى كموقفه من أسئلة صاحبه المحرجة عما وراء الطبيعة وسر الوجود ، وموقفه فى الدفاع عن البومة المسكينة التى ظفر لها لأول مرة فى التاريخ بحكم البراءة من تهمة النحس اللاصقة بها على الأجيال ، وموقفه إزاء اعتراض صاحبه حين استمع إلى المفاضلة بين جمال الدين ومحمد عبده : قال العقاد إن الأول أعظم أثراً وإن الثانى أعظم نفساً . فسأله صاحبه بمَ ، فأجاب «بالإيثار» فقال مدهشاً : « ومحمد عبده الذى تسنم المناصب ولم يحرم نفسه متعة الأبوة والزواج أعظم إيثاراً من جمال الدين ؟ » إن الاعتراض قد أصاب المحز وظن القارئ أن المحامى قد أسقط فى يده ، ولكن المحامى القدير مستعد بالجواب : « قلت : قد تكون العزوبة مزيداً من الاعتداد بالشخصية ، وقد تكون الأبوة مزيداً من الإيثار »

— ٣ —

وإذا كنت قد أحسست فى بعض المواضع أنى أمام محام قدير فإنى قد أحسست فى مواضع أخرى أنى أمام قريحة فقهية متمكنة ، فإن من خير مزايا الفقيه أن يميز بين المتشابهات ، فلا تنبهم عليه الأمور حين تتشاكل . هذا الإحساس الدقيق بالفروق الناعمة ثم هذه القدرة الجبارة فى تجلية الفروق و « تجنيب » كل مشتبه على حدة ، هما أمران يطالعاننا فى مواضع كثيرة من الكتاب وحسبى أن أسوق أمثلة وأشير إلى أخرى : اسمع إليه حين ينحى صاحبه باللائمة على الموسيقى الشرقية لأنها لا تصور المعانى ويندفع إلى حيث يقول : « إنما يسوغ التعبير الموسيقى فى معانى المذاهب الفلسفية عند طبائع الغربيين ولا يسوغ عند طبائعنا نحن الشرقيين » . فيجيبه العقاد : « لا أحب أن أظلم الطبائع الشرقية ولا أود أن أفرد الطبائع الغربية دون سواها بتلك الفضيلة ، فإن الموسيقى الغربية لم تكن ممن قديم الزمان على هذا الطراز الذى نسمعه من بتهوفن وأمثاله . ولعلنا نقترب إلى الإنصاف وندنو من التحقيق حين نقسم الموسيقى إلى منهجين يختلفان باختلاف الذوق والبديهة ولا نقسمها إلى إقليمين جغرافيين بين أناس فى الشرق ، وأناس فى الغرب ، أو أناس فى الشمال ، وأناس فى الجنوب » .

ثم استمع إليه يبين فضل عظماء الموسيقى إلى جوار عظماء السياسة والاجتماع : « لا تحسبنه حتماً لزاماً أن يكون زعماء الاجتماع أو السياسة أعظم من زعماء الفنون ، لأن المعول على الكفاءة اللازمة للعبقرية لا على أثرها فى مواطن الجاه والسلطان ، وليست حاجة الناس إلى الشيء هى مقياس العظمة فيه لأن الناس يحتاجون إلى سنابل القمح ويستغنون عن اللؤلؤ والزمرد » .

ثم تأمل حواره مع صاحبه فى دلالة المطبخ على الأخلاق والتمييز بين « المطبخ الذى يستخدم للغذاء والذى يستخدم للذة الطعام » وتأمل تحديده لكنه التعصب الوطنى المقبول من الفنان وتمييزه بين التشاؤم البانى والتشاؤم السلبى الهدام .

— ٤ —

ومما يأخذ نظر القارئ لهذا الكتاب وفرة الصور المادية التركيبية التى يستغلها المؤلف للإيضاح والإقناع كقوله : « أليس الذين يتعجلون النعم ، فيخيل إليهم أن ازدحامها خير من تفرقها وأجمع لمحاسنها يخطئون كما يخطئ الذين يتعجلون النغم فيحسبون أن مائة لحن فى وقت واحد خير من اللحن الفرد وأوفى ؟ شيء واحد فى وقت واحد ، وجميع الأشياء فى جميع الأوقات ، وهذا هو نظام العيش وقوام الجمال فى كل نفع وكل سرور » .

ومن هذا القبيل قوله فى معرض الفصل بين عبقرية كاتب القصة أو « الرواية » على حد تعبيره المستحدث وبين مقدار محصوله فى الرواية : « إن الحديقة التى تنبت التفاح لا يلزم أن تكون فى خصبها ووفرة ثمراتها أوفى من الحديقة التى تنبت الجميز أو الكراث ، ولكن الجميز والكراث لا يفضلان التفاح وإن نبتا فى أرض أخصب من الأرض التى تنبته وتزكيه » .

ونشير إلى مثل ثالث دون أن نقتبسه وهو مثل القطار المندفع إلى هاوية يصلها بعد زمن محسوب . وقد مثل بهذه الصورة للنتيجة الحتمية التى زعمها المذهب الماركسى ، ولكن فى هذا المثل تهكما عقادياً لاذعاً وسخرية قاتلة نقابلها مرة أخرى فى هذا الحوار الخيالى البديع الذى افترض الكاتب وقوعه بين خريستوف كولمبوس ، وبين موظف المكتب الشيوعى حين يستأذنه فى

الخروج لرحلة الكشف .

— ٥ —

ولكنى أتأمل فيما كتبت فلا أجد إلا مدحاً وتقريظاً . ولقد عرف قاسم أمين قضاة حكموا ظلماً ليشتهروا بين الناس بالعدل فإن ركبت شيئاً من الحيف فليس طلباً لسمعة العدل وإنما هروباً من تهمة المحاباة . فلتدقق إذن عين النقد لعلها أن تظفر ببعض اللُّـقَى :

ا — لقد عرض المؤلف لقدرة الأمم على العمل والقول وقرر بحق أنه « لا تناقض بين القدرتين » ثم أرسلها قضية عامة حاسمة فقال : « إنه لم توجد قط أمة عرفت كيف تعمل إلا عرفت كذلك كيف تقول » فهل النسبة محفوظة دائماً بين القوتين ؟ ولقد ضرب الأستاذ مثلا من أمة الإنجليز فقال إنهم فى العصور الحديثة أطبع الأمم على مِراس الواقع والعناية بالفكر العملى والخلائق العملية » ومع ذلك « فليس هناك أمة من جيرانهم ومنافسيهم سبقتهم فى مضمار الشعر ، وأنجبت نصف من أنجبوه من عباقرة الشعراء » .

ولا اعتراض لى على هذا المثل ولكن ما الرأى فى أمة اليابان ؟ أترى عندها من « منتجات القول » ما يتكافأ وما عندها من منتجات العمل ؟ وإذا وازنا بينها وبين الصين والهند من هذه الناحية فهل نصل إلى حل يعزز الأمثلة التى أوردها الأستاذ ؟

ب — وأمر آخر : لقد سبق إيراد المفاضلة بين الأفغانى ومحمد عبده ، ولكن المؤلف لم يقم الحجة فى كتابه على هذا الترجيح أى ترجيح الثانى من جهة العظمة النفسية ، وحين سيق إلى المؤلف اعتراض صاحبه الوجيه تخلص منه بمجرد تخلص بارع ولكنه لم يهدم قوة الاعتراض . وأنا أعلم أن الرحلة سريعة وأن حيز الكتاب ضيق ، وأن الأستاذ المؤلف يود أن يخرج كتاباً مطولاً عن محمد عبده ، — ولكنى أرى بالرغم من ذلك كله أن واجب الإنصاف لشخص جمال الدين كان يقتضى المؤلف الإدلاء بحجته ما دام قد عرض للأمر وأدلى فيه بحكم .

ولم يفضّل المؤلف محمد عبده من هذه الناحية على الأفغانى فقط ، ولكنه فضله كذلك على سعد زغلول . وإنى لأحس فى دخولى بين سعد والعقاد فضولا فحسب؛ والعقاد كتابه الخالد عن سعد ، ولكنى مع ذلك ظللت من الوجهة العلمية جاهلا بحيثيات الحكم فغيرَ مسلم به . هل يكتب لهذا الاعتراض أن يكون استحثاثاً للأستاذ الكبير أن يسرع فى إخراج كتابه عن الأستاذ الإمام فنقرأ فيه بيان هذا التفضيل ؟

حـ — وعرض الأستاذ للتفسير السيكولوجى لمؤيدى الشيوعية فرد تأييدهم إلى الحسد والحقد وفسّر بذلك أن « يكون فلان من الشيوعيين وهو سليل بيت قديم وصاحب مال موفور فإنه يحسد أمثاله وينقم على الدنيا لأنه لا يحسب فيهم حين يحسب ذوو الكلمة أو ذوو الرأى أو ذوو المنصب والجاه » — وهذه نظرة صائبة دقيقة ولكنها لا تفسر لنا شيوعية بعض الناجحين الذين طالوا من المجد والمال وبعد الصوت والنفوذ ما يحسدهم عليه أناس أجدر منهم ، ثم لا يكون الحاسد شيوعياً ، ويكون المحسودون شيوعيين . وأغلب الظن أن هؤلاء يتاجرون ليصبحوا أدنى إلى أفئدة الجماهير ومهوى قلوب وأصوات الجماعات فهى نزعة ديماجوجية يراد بها مزيد من الشهرة وفضل جديد من السلطان .

ء — وقد سبق إيراد المثل الخاص بسنابل القمح واللؤلؤ . ولكن نفاسة اللؤلؤ ليست نفاسة ذاتية وإنما هى نفاسة نسبية وعرضية مردها الندرة ؛ فلو أصبح اللؤلؤ فى كثرة السنابل فما أظنه يحتفظ بنفاسته الحالية ، ولو أصبحت السنابل فى ندرة اللؤلؤ لجاز أن تظفر بمثل نفاسته .

هـ — ونعى على القصص والروايات قلة محصولها مع كثرة أداتها ، ومثّل ببعض الصور الرائعة التى تضمنها بيت واحد من الشعر « وأن خمسين صفحة من القصة لا تعطينا مثل محصوله » .

وليس لى ما ألاحظه فى هذا الشأن إلا أنه غير منطبق على نوع خاص من الأقاصيص يضخم مغزاه ويكثر محصوله فى حين أن أداته قصيرة قليلة كخرافات « إيزوب » و « لافونتين » .

و — وهذا الانتقاد الختامى لا أعرف إلى من أتوجه به ، فإن الأخطاء المطبعية كثيرة وقد أصبحت كالبقعة وسط هذا الكتاب القيم النفيس ووسط هذا الورق الأنيق ؛ لقد أحصيت بين صفحتى ٩٠ و ١٣٢ نحواً من اثنتى عشرة غلطة ، وليس هذا نقصاً كمراً ولكنه نقص فى حق القادرين على التمام .

عبده حسن الزيات
المحامى

القصة عنـــد العقاد

للأستاذ نجيب محفوظ

الفن – أياً كان لونه وأياً كانت أداته – تعبير عن الحياه الإنسانية ، فهدفه واحد وإن اختلفت كيفية التعبير تبعاً لاختلاف الأداة ، وكل فن فى ميدانه السيد الذى لا يبارى ، ففى عالم اللون التصوير سيد لا يعلى عليه ، وفى دنيا الأصوات الموسيقى سيد لايدانى وهكذا ، فالفنون جميعاً تتفق فى الغاية وتتساوى فى السيادة كل بحسب مجاله ، وهى فى مجموعها تكون دنيا الأفراح والمسرات والحرية ، حيث يعيش أبناؤها على وفاق ومحبة وتعاون ، لا يكدر صفوهم مكدر إلا أن يتصدى رجل كبير كالعقاد لدنياهم المطمئنة ، فيرمى بحيرتها الساجية بحجر ثقيل يطين رائقها ، ويبعث الثورة فى أطرافها ، فيقول : إن هذا اللون من الفن راق وذاك منحط ، هذا عزيز وذاك مبتذل ، يقول هــذا وهو أعلم الناس بالفنون ، وأحبهم لها ، وأحقهم بأن يعرف لكل قدره ومنزلته . ولن يفيد الفن شيئاً من تحقيره لبعض أنواعه ، إلا أن يغضب قوماً أبرياء يحبون الحق كما يحبه ويولعون بالجمال كما يولع به ، ويبذلون فى سبيل التعبير عنه كل ما فى طاقتهم من قدرة وحب . وعسى أن يقول قائل : إن العقاد ما قصد التحقير ، ولكنه مفكر وله الحق كل الحق أن يرتب الفنون عامة أو فنون الأدب خاصة كيفما يرى . وهذا حق فى ذاته ، ولكنى فى هذه القضية رأيت العقاد الخصوم يتغلب على العقاد الناقد . انظر إليه وقد لاحظ حواريه « فى بيتى العقاد » صفر نصيب القصص من مكتبته فأجابه قائلا : «... لا أقرأ قصة حيث يسعنى أن أقرأ كتاباً أو ديوان شعر ، ولست أحسبها من خيرة ثمار العقول » . فالرجل الذى لا يقرأ قصة حيث يسعه أن يقرأ كتاباً أو ديوان شعر ليس بالحكم النزيه الذى يقضى فى قضية القصة . والرجل الذى يلاحظ على مكتبته صفر نصيبها من القصة ينبغى أن تكون القصة آخر ما يرجع إليه فى حكم يتصل بها . بل إنه يفضل النقد – لا الشعر والنثر الفنى وحسب – على القصة . والمعروف أن النقد ميزان لتقويم الفنون ، فكيف يفضل على أحدها ؟ ! وهل تنزل القصة هذه المنزلة عند شخص إلا إذا كان لها كارهاً وعليها حاقداً ؟ ! فحكم العقاد على القصة حكم مزاج وهوى لا حكم نقد وفلسفة . بيد أنى أريد أن أتناسى ذلك ، وأريد أن أنظر نقده بعين مجردة ، لأن لكلام العقاد قيمة خاصة عندى ، ولو كان مصدره المزاج والهوى

قال العقاد لصاحبه وهو يحاوره : « ... إننى أعتمد فى ترتيب الآداب على مقياسين يغنيانى عن مقاييس أخرى ، وهى الأداة بالقياس إلى المحصول ، ثم الطبقة التى يشيع بينها كل فن من الفنون ... ما أكثر الأداة وأقل المحصول فى القصص والروايات؟ إن خمسين صفحة من القصة لا تعطيك المحصول الذى يعطيكه بيت كهذا البيت :

وتلفتت عينى فذ بعـدت   عنى الطلول تلفت القلب

إلى أن قال : « أما مقياس الطبقة ... فلا خلاف فى منزلة الطبقة التى تروج بينها القصة دون غيرها من الفنون الخ »

هذان هما المقياسان اللذان قضى بهما العقاد على القصة بالهوان وما هى القصة ؟ هى سيدة فنون الآداب دون منازع لثلاثة قرون خلت من أزهى عمر البشرية ، هى الفن الذى جذب إليه أكبر عبقريات الأدب فى جميع الدنيا المتحضرة المثقفة . فما حقيقة هذين المقياسين ؟

أما عن الأداة والمحصول ، فالحق أنهما شىء واحد فى كل فن رفيع ، ففى الشعر الجيد كما فى القصة الجيدة تتحد الأداة والمحصول ، وهذا يتفق ومعنى البلاغة الذى يقول فيه الزيات : « إنها هى البلاغة التى لا تفصل بين العقل والذوق ولا بين الفكرة والكلمة ولا بين الموضوع والشكل » . ذلك المعنى الذى أعجب به العقاد أيما إعجاب (الرسالة رقم ٦٣١) . ففى الفن الجيد – قصة كان أو شعراً – ينمحى التنافر بين الأداة والمحصول ، فإذا زادت الأداة على المحصول فذلك شاهد ضعف أو ركاكة قد يعتوران الشعر كما قد يعتوران القصة ، ولكنه ليس صفة ملازمة للقصة دون غيرها من فنون الأدب ، فهذا القياس نافع للتمييز بين الجيد والردئ من آيات الفن الواحد ، لا للموازنة بين الفنون المختلفة ، لأن كل فن فى ذاته يشترط الانسجام الكلى بين أداته ومحصوله . إذاً كيف يرى العقاد كثرة الأداة وقلة المحصول صفة ملازمة للقصة ؟ ! لا أجد لذلك تفسيراً إلا إذا كان العقاد يعد التفاصيل فى القصة زيادة فى

الأداة ، وإلا إذا كان يعتبر القصة عملا أدبياً مطولا ذا مغزى يمكن تلخيصه فى بيت واحد من الشعر . وهذا تفسير عجيب إن صح . فالقصة لا ترمى لمغزى يمكن تلخيصه فى بيت من الشعر ، ولكنها صورة من الحياة ، كل فصل منها يمثل جزءاً من الصورة العامة ، وكل عبارة تعين على رسم جزء من هذا الجزء ، فكل كلة وكل حركة تشترك فى إحداث نغمة عامة لها دلالتها النفسية والإنسانية ، وكل جملة — فى القصة الجيدة — تقرأ وتستعاد قراءتها ولا يغنى عنها شىء من شعر أو نثر . ولا تحسبن التفاصيل فى القصة مجرد ملء فراغ ، ولكنها ميزة الرواية حقاً على فنون القصة الأخرى وفنون الأدب عامة . وهى لم توجد اعتباطاً ولكنها جاءت نتيجة لتطور العصر العلمى العام ، فالعلم هو الذى وجه الانتباه للأجزاء والتفاصيل ، بعد أن ركزته الفلسفة طويلا فى الكليات . اكتشف العلم لكل جزء من أجزاء المادة — حتى الذرة — حياة وأهمية ، وبدت آثار هذه النزعة العلمية فى عالم الآداب فى عناية الرواية بالتفاصيل ، لم يعد الأدب يكتفى بتحضير الأقراص المركزة ، وأدرك أن التفاتة أوفلتة لسانية أوحال إنسان وهو يتناول طعامه ، كل أولئك أمور لها دلالتها النفسية وتعبيرها الصادق عن الحياة . ومن عجب حقاً أن العقاد يعلم ذلك كله ، وأنا أذكر أنه كتب مرة — لا أدرى متى ولا أين — عن توماس مان ، فأشار إلى تفاصيله الدقيقة فى رواياته وبراعتها فى الدلالة والتأثير ، فكيف يساوى بيت من الشعر خمسين صفحة من قصة ؟ بل هل نغالى إذا قلنا إن صفحة من قصة تحتاج لعشرات البيوت من الشعر لتحيط بدقائقها وجمالها ؟ ! خذ مثلا هذا البيت من الشعر الذى استشهد به العقاد « وتلفتت عينى ... » ولنفرض أننا نريد أن نستوحيه أقصوصة ، فما ذا نصنع ؟ أما الشاعر فقد تصور المعنى وليس هو بالبعيد المنال وصبه فى هذا القالب الجميل . أما القاص فينبغى أن يتصور إلى ذلك ذكراً وأنثى ، ويتخيل لكل منهما نموذجاًبشرياً خاصاً ، وعليه أن يصور زماناً ومكاناً ، وموقف وداع ، تارة محسوس تلتفت فيه الأعين ، وتارة معنوى يتلفت فيه القلب . فليس هذا العرض هو نفس البيت ولا أكثر ، ولكن العلاقة بينهما كالعلاقة بين الشجرة النامية ذات الزهر والثمر والبذرة الضئيلة . لقد رمى بعض المتعصبين للأجناس العرب بضعف الخيال والعجز عن الإبداع والتحليل والتفصيل والاكتفاء بتصور المعانى وتركيزها ، فهل يريد العقاد أن يؤيد هذه الأقوال الجائرة ؟ ! والواقع أن الإبداع الفنى لا يتمثل فى عمل أدبى كما يتمثل فى أدب القصة . ولذلك اتخذ أغلب السفر الخالد صورة من صور القصة كالملحمة والتمثيلية . هذا بعض ما يقال فى المقياس الأول

وأما المقياس الثانى ، فهو مقياس الطبقة ، يريد العقاد أن يقول : إن القصة تنتشر فى طبقة لا يتنازل إليها الشعر ، وإذاً فالشعر أرقى من القصة . وهذا قول وجيه من الظاهر ! ولكنه لا ينطوى على شىء خطير ، فمجرد انتشار فن فى طبقة لا يدل على شىء ما لم نبحث أسباب انتشاره . فالموسيقى تنتشر فى جميع الطبقات حتى بين الأميين ، فهل يقال إن النحت مثلا أرقى منها لأنه لا يكاد يتذوقه إلا رواد المتاحف ؟ ! ثم ما هى القصة المنتشرة حقاً ؟ أليست هى قصة الجريمة والمخاطرة والغرام المبتذل ؟ وكل أولئك ليس من القصة الفنية فى شىء . القصة الفنية — كما يعلم الدارسون لهذا الفن — حكاية تروى كالقصة المبتذلة ، إلا أنه يشترط فيها أن تعرض فى ثنايا روايتها قيمة إنسانية أو أكثر كتصوير الشخوص وتحليل النفس والشاعرية والفكاهة والمعانى الفلسفية والآراء الاجتماعية ، بل من القاصين المحدثين من يستهين بالحكاية ويقنع بالقيم ، فإذا خلت القصة من هذه القيم ، فهى حكاية وليست قصة فنية ، ولا يجوز لمنصف أن يحكم بها على هذا الفن وإلا جاز لنا أن نحكم على الشعر ببعض الأزجال الجنسية التى يحفظها العوام .

أجل إن القصة لا تزال أعظم انتشارا من الشعر ولكن أكان ذلك لسيئة فيها أم لحسنة ؟ إن الخاصة التى تقرأ الشعر الرفيع وتتذوقه تقرأ القصة الرفيعة وتشغف بها ، وإذا كان العقاد لا يقرأ القصة إلا مضطرا فطه والمازنى والحكيم وايزنهاور يقرءونها بغير اضطرار . ولئن انتشرت القصة فى طبقات أخرى فما ذلك لسيئة بها ولكن لحسنتين معروفتين : سهولة العرض والتشويق . فانتشار القصة الجيدة بين قوم لا يهضمون الشعر الجيد مرده الى أن القصة فى ظاهرها حكاية تروى يستطيع أن يستمتع بها القارىء العادى لسهولتها وتشويقها . وليس بالسهولة من عيب يجرح الذوق السليم . ولا بالتشويق من انحطاط يؤذى الفهم الرفيع

الشرق كما يراه الغرب

٢ - المـــوالد المصرية

للأستاذ أحمد أبو زيد

قلنا إن المولد فى أصله احتفال دينى بعيد أحد الأولياء ... ولا تزال الموالد حتى الآن — على الرغم مما طرأ عليها من التغير وما داخلها من عناصر اللهو — تحتفظ بالكثير من الملامح الدينية التى تتمثل على الخصوص فى شدة إقبال الناس على ضريح الولى صاحب الاحتفال للتبرك به والطواف حوله واتخاذ ذلك وسيلة للتزلف والتقرب إلى الله ... ومن الناس من ينتبذ من المسجد جانباً يخلو فيه لنفسه ، يرتل القرآن ، أو يتوجه بالدعاء إلى الله ؛ ومنهم من يشترك فى حلقات الذكر التى تقام كل ليلة من ليالى المولد فى المسجد ؛ ومنهم من يتخذ الإحسان وسيلته إلى الله . والموالد سوق رائجة للاحسان يدلى فيها كل محسن محب للخير بدلوه حسب قدرته وطاقته ؛ فأغنياء الحى الذى يقع فيه ضريح الولى ينحرون الذبائح ويولمون الولائم ويوزعون الطعام والملابس والصدقات على الفقراء والمعوزين — وما أكثرهم فى مصر !.. ومن هم دون ذلك قدرة وثراء من أوساط الناس يسلكون سبلا غريبة للاحسان ؛ فبعضهم يشترى قربة ماء ليسق الناس ، أو يشترى (دورقا) من التمرهندى أو العرقسوس ، أو (الدندرمة) يوزعها عليهم ، وهم يبتغون من ذلك رضا الولى ومرضاة الله .

ومن الطرق الغريبة التى يلجأ إليها الناس فى مصر للاحتفال بالموالد أن الحلاقين — مثلا — يتبرعون بإجراء عملية الختان لأطفال الحى الفقراء بالمجان أو بأجر زهيد جداً لا يتجاوز بضعة قروش . ويعلق كل « حلاق » من هؤلاء لوحة كبيرة على واجهة حانوته كتب عليها (الطهارة للفقراء مجاناً) ، وإلى جانبها يعلق صورة تمثله وهو يختن أحد الأطفال . ويزين الحلاقون لهذه المناسبة حوانيتهم بالمصابيح الكهربائية الملونة والأعلام الزاهيـة لكى يجذبوا إليهم أنظار الناس . ويذهب بعض الحلاقين إلى أبعد من ذلك ، إذ يعدون لأنفسهم حوانيت متنقلة ينتقلون بها من مولد لآخر ، بل ومن بلدة لأخرى ، لكل من يتقدم من الفقراء .

ومن الظاهرات الشعبية ذات اللون الدينية الخطابة الدينية فى الشوارع . فكثيراً ما يقوم بعض المشايخ من رجال الدين ، أو حتى بعض المتحمسين من عامة الشعب فيخطبون الناس على قارعة الطريق ، يحثونهم على الفضيـلة ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر ، وهم فى ذلك يصدرون عن قوة إيمانهم وشدة غيرتهم على الدين . ومن هنا كانت خطبهم تأتى فى أغلب الأحيان قوية حارة عنيفة صادرة عن القلب وتجد طريقها إلى قلوب السامعين

وهى بعد ذلك تحوى قيما إنسانية كالشعر الرفيع يتذوق كل قارىء منها على قدر استعداده . وحسب القصة فخرا أنها يسرت الممتنع من عزيز الفن للافهام جميعا ، وأنها جذبت لسماء الجمال قوما لم يستطع الشعر على قدمه ورسوخ قدمه رفعهم إليها ، فهل يكره العقاد ذلك أو أنه يحب كأجداده كهنة طيبة أن يبقى فنه سرا مغلقا إلا على أمثاله من العباقرة ! !

ولعله توجد أسباب أخرى تفسر لنا انتشار القصة هذا الانتشار الذى جعل لها السيادة المطلقة على جميع الفنون الجميلة ، ولعل أهم هذه الأسباب ما يعرف بروح العصر . لقد ساد الشعر فى عصور الفطرة والأساطير ، أما هذا العصر ، عصر العلم والصناعة والحقائق ، فيحتاج حتما لفن جديد ، يوفق على قدر الطاقة بين شغف الانسان الحديث بالحقائق وحنانه القديم الى الخيال ، وقد وجد العصر بغيته فى القصة ، فاذا تأخر الشعر عنها فى مجال الانتشار فليس ذلك لأنه أرقى من الزمن ولكن لأنه تنقصه بعض العناصر التى تجعله موائما للعصر ، فالقصة على هذا الرأى هى شعر الدنيا الحديثة . وسبب آخر لا يقل عن هذا فى خطره هو مرونة القصة واتساعها لجميع الاغراض ، مما يجعلها أداة صالحة للتعبير عن الحياة الانسانية فى أشمل معانيها . لذلك توجد قصة عاطفية ، وقصة شعرية ، وقصة تحليلية ، وقصة فلسفية ، وقصة علمية ، وقصة سياسية ، وقصة اجتماعية . ولعل الشمول فى التعبير يكون مقياسا أصدق من المقياسين اللذين يقترحهما الأستاذ الكبير ، ودلالته واضحة فى أن القصة أبرع فنون الأدب التى خلقها خيال الانسان المبدع فى جميع العصور .

نجيب محفوظ

فى غير مشقة ولا عسر . ويخص ما كفرسون بالذكر شيخاً أعمى يدعى الحاج حسين له مقدرة خطابية فائقة وقدرة عظيمة على اجتذاب الناس إليه . ويذكر ما كفرسون أنه شاهده مرة فى مولد السلطان الحنفى يخطب الناس والمطر ينصب من فوقهم انصبابا ، والشيخ مع ذلك ماض فى خطابته لا يتريث ولا يتـوقف ، والناس منصتون إليه لا يفكرون فى الانفضاض من حوله .

ومن هذه الظاهرات أيضا إقبال الناس على اقتناء الأحجبة والطلاسم والرقى ابتغاء التبرك ودفع الشر والأذى . والدراويش هم الذين يقومون بكتابة هذه الأحجبة لمن يطلبها من أفراد الناس . ويشهد ما كفرسون بأن الدراويش يقومون بذلك العمل رغبـة منهم فى فعل الخير فحسب ؛ فهم لا يتخذون من غفلة الناس وسذاجتهم وسيلة لجمع المال ، إذ أن كثيرين منهم يرفضون أن يأخذوا أجراً على ما يكتبون ، والبعض الآخر لا يتناولون إلا أجراً قليلا تافها ؛ ومنهم من يقنع بكتابة عدد معين من الأحجبة لا يتعداه بأى حال ومهما اشتد عليه الإقبال .

ولـكن كل هذه الظاهرات ، على جلال معناها الدينى — ليست هى الظاهرة المميزة للموالد ؛ إنمـا الظاهرة الأساسية التى تمتاز بها الموالد هى سلسلة الحفلات الدينية التى يقوم بها كل ليلة من ليالى المولد جماعة الصوفية والدراويش . وهذه الحفلات يشرف عليها أحد مشايخ الطرق ؛ ويكون فى الغالب من نسل الولى نفسه . وقد يكون أحد تلاميذه الروحيين ؛ فإن تعذر ذلك عهدت الحكومة بهذه المهمة إلى أحد كبار العلماء .

ونظام الدراويش نظام قديم من نظم الصوفية كان موجوداً فى أيام أبى بكر صهر الرسول (ص) ؛ فهو بعيد كل البعد عما يلحقه النـاس إليه من ضروب الشعوذة وفنون الدجل . ونظام الدراويش نظام متماسك له تعاليم متوارثة ؛ لأن الدرويش لا يصبح درويشاً حتى يمر بمراحل معينة ؛ فهو يكون فى الأصل طالب ثم يرتقى إلى درجة أعلى فيصبح مريداً يتلقى العـلم الروحى على يد مرشد يلقنه الأوراد والأذكار حتى يحصلها جميعاً فيسلمه (سنداً بسلسلة) والسند عند الصوفية بمثابة شهادة تشهد بأن السلسلة (وهى رمز التسلسل الروحى الذى يربط الدراويش بمؤسس الطريقة ثم بالنبى عليه الصلاة والسلام) وحدة لا تنقطع — ولـكن مع أن نظام الدراويش يرجع إلى أيام الإسلام الأولى ، فإن تنظيمهم ذلك التنظيم الرائع الذى ظلت عليه طول هذه القرون ، يرجع الفضل فيه إلى سيدى عبد القادر الجيلانى (من رجال القرن السادس الهجرى) . ومن هنـا كانت الطريقة القادرية هى الطريقة الأصلية ، وعنها تفرعت طريقتان رئيسيتان هما السعدية والرفاعية . ويشهر رجال الطريقة الأخيرة بوسيلتهم الغريبة فى التغلب على الآلام وقهرها ، إذ يمشون على النـار ويلتهمون الجمر ويأكلون الزجاج ويبتلعون الحيوانات السامة وما إلى ذلك دون أن يصيبهم أدنى ضرر أو أذى .

فهذه الطرق الصوفية وغيرها (وفى مصر حوالى مائة طريقة) هى التى تحتفل فى الواقع بالموالد احتفالا دينياً له صبغته الخاصة ، وهى التى تضفى على الموالد ثوباً رائعاً مميزاً . ففى كل ليلة من ليالى المولد تتوجه بعض هذه الطرق إلى المسجد فتعقد حلقات الذكر والإنشاد حتى ينقضى شطر كبير من الليل ؛ ويستمر ذلك طيلة المدة المرخص بها للاحتفال — وهى أسبوع فى العادة — حتى تأتى الليلة الأخيرة — أو ليلة الخاتمة — وهى الليلة التى يفترض أنها ليلة ميلاد الولى ، فتتجمع الطرق الصوفية كلها فى إحدى الساحات أو الميـادين ثم تنتظم على شكل (زفة) يتقدمها رجال البوليس وفرق الموسيقى ، وينتظم فيها (أولاد أبو الغيط) وهم يرقصون رقصاتهم الجميلة ، والدراويش بملابسهم الملونة الزاهية (وطراطيرهم) الخضراء ، كما يسير فيها أيضاً بعض الحواة والمشعوذين ... وتتقدم كل طريقة البيارق (جمع بيرق) التى تدل عليها ، وقد نقش عليها أسماء النبى (ص) والخلفاء الراشدين ، أو اسم الطريقة واسم مؤسسها والطرق الصغيرة المتفرعة عنها . وتسير الزفة — وقد توسطها الخليفة — متجهة نحو ضريح الولى فى ضجة كبيرة تختلط فيها أنغام الموسيقى بقرعات دفوف الصوفية وأصوات (الـكاسات) و (النقارات) بنغمات الأرغول و (الزمارة) وغير ذلك من الآلات الموسيقية التى يستخدمها الصوفية والدراويش . ويتوقف موكب الزفة من آن لآخر فى الطريق كى يتسنى للناس فى المنازل التفرج والمشاهدة ؛ وبعد لأى تصل (الزفة) إلى المسجد ... وهكذا يختتم المولد وتنتهى لياليه ، ويصبح الصباح فإذا الزينات ومعالم الأفراح قد زالت وعاد كل شىء إلى ما كان عليه .

غير أن الناس قد يستمرون فى احتفالاتهم ومباهجهم أسبوعا

الحياة الادبية في الحجاز

نهضة الشعر

للأستاذ أحمد أبو بكر ابراهيم

كان الشعر الحجازى قد أصابه الركود كما أصاب غيره فى الأقطار الأخرى ، وقنع شعراؤه بتقليد ضعاف الشعراء فى عصور الاضمحلال الأدبى ؛ فوقفت المحسنات البديعية فى طريق تجويدهم وإبداعهم ، وأضاعوا وقتهم واستنفدوا مجهودهم فى التشطير والتخميس ، وظل الشعر على هذه الحال حتى هزته ثورة التجديد فتخلص من هذه القيود التى كبلته الزمان الطويل ، وقد وصف الأستاذ أحمد العربى حال الشعر الحجازى قبل نهضته فقال : « لم يكن الأدب الحجازى سوى بضع منظومات وكتابات سقيمة المعنى واهية السبك ملتوية الأسلوب يدور أكثرها فى نطاق ضيق من المديح السخيف والغزل والتشطير والتخميس على نمط ليس له من مبرر سوى ذلك العقم الأدبى الذى منيت به الأفكار فى تلك الحقبة المشئومة ، وإلا فأى إنتاج ينتجه أولئك الذين يتناولون بيتين أو أكثر من الشعر بالتشطير والتخميس ، فيعمدون إلى تمطيط معناها وتفكيك أواصرها وحشوها بما يناسب وما لا يناسب من الألفاظ المترادفة والتراكيب المرصوفة ... الخ »

وما كاد الحجازيون يتذوقون المناهج الحديثة فى الشعر حتى حملوا على عشاق القديم حملة عنيفة ليردوهم عن التقليد ويوجهوهم إلى الغاية التى يرجونها للشعر ، وقد جاء فى مقال للأستاذ عواد ينتقد فيه المقلدين : « ... نعم الشعر جميل ، ولكن أين الشعر الذى تنظمونه أو تروونه ؟

أألتمسه فى تخميس :

« تتيهُ علينا مـــذ رُزقت ملاحةً »

أم تشطير : « إذا كان لى أهلان أهلٌ ترحلوا »

أم فى مشجر : « على جيد هـذا الظبى فلينظِم الدرُّ »

أم فى تخميس آخر مطلعه :

« أنيرى مكان البدر إن فقد البدر »

أم فى مدحة أنشدت للحسين فى يوم عيد مطلعها :

« سَلْ ما لسلْمى بسوق النحس تشرينى »

أواه ! كل هذه أيها المتشاعرون صديد فكرى وقيوء (باللغة التى تفهمونها) لو أنفق العمر بأجمعه فى مثلها لما وصل الناظم إلى الشعر . الشعر جميل أما أمثال هذا فلا ... »

وبدهى أن ثورة التجديد فى الشعر الحجازى لا يمكن أن توجه الشعراء جميعاً إلى وجهة واحدة ؛ إذ لا بد له من زمن طويل يشتط فيه المجددون ويسرفون فى التجديد ، ويشعر القدامى بتأخرهم فيقتربون منهم شيئاً فشيئاً ، ويعود المسرفون فيهدئون من ثورتهم ليلتقوا بإخوانهم القدامى الذين تخلفوا عنهم وحينئذ يجتمع فى الشعر محاسن الطريقتين ، ويستقر فى طريق له معروفة مرسومة لا تكون عرضة لزعازع التغيير والتبديل الفجائيين .

حدث هذا الصراع فى الحجاز منذ أن قام الشعراء بنهضتهم الحديثة ؛ فقد حمل المجددون على الجمود والخمول وتناولوا عشاق القديم بالنقد اللاذع فأثر فيهم هذا النقد ، ولم يعد الآن فى الحجاز من يطرب للتشطير والتخميس أو يهتز لألوان البديع ، واتجهوا جميعاً إلى أغراض الحياة يسطونها فى أشعارهم ويجلونها فى بيانهم وإن كانت ظاهرة الاختلاف لا تزال قائمة ؛ فشعراء الحجاز الآن طائفتان : طائفة مجددة ولكنها متئدة متمهلة تعنى بالديباجة القوية وتبقى على كثير من الأغراض القديمة . وطائفة متوثبة مسرفة فى التجديد قد استطاعت أن تقطع صلتها بالقديم إلا فى الألفاظ والتراكيب .

آخر زيادة على المدة المصرح بها رسميا ؛ ويذكر ما كفرسون أنه كان يعجب أشد العجب ويتساءل عن الداعى لذلك ، وهل هو شدة حب الناس وتعلقهم بأوليائهم ، إلى أن جاءه الجواب أخيراً بعد انتهاء مولد السيدة فاطمة النبوية بنت جعفر الصادق ... يقول ما كفرسون « ولدهشتى البالغة سمعت شيخاً يقف إلى جانب ضريحها (ضريح السيدة فاطمة) وهو يقول : إننا نحتفل بأسبوع الطفل بعد سبعة أيام من مولده ، فلم لا نحتفل بأسبوع هذه السيدة الجليلة أيضاً ؟ فلم أتمالك من أن أغمغم وراءه بصوت خفيض : نعم لم لا يكون ذلك » .

(يتبع) أحمد أبو زيد

ولعل الحجازيين عند ما إنفسح أمامهم طريق الرقى الأدبى وجدوا أنفسهم متأخرين ؛ وجدوا مصر والشام ثم العراق قد قطعت فى ميدان التقدم شوطاً بعيد المدى فهالهم الأمر وأرادوا اللحاق بهم ؛ فلم يكن هناك بد من أن يسرعوا الخطا ويغذوا السير فى حركة الواثب المتحفز الذى لا يبقى ولا يذر . فماذا وجدوا أمامهم ؟

رأوا دواوين الشعر القديم قد ملأت الأسواق ورأوا أدباء مصر والشام قد أنتجوا المعجب فى الأدب ، ورأوا غير هاتين الناحيتين أدبا آخر هو الأدب العربى فى أمريكا ، وهو أحدث هذه الآداب وأقربها إلى الأدب الأجنبى .

وجدوا كل هذا فمال الكثيرون إلى الآداب الحديثة وبخاصة أدب المهجر وتعشقوها وجاهدوا فى تقليدها كأنهم رأوا فيها الخلاص من الجمود والتأخر ؛ فاستطاعوا فى زمن وجيز أن يباعدوا بين مناهجهم ومنهاج من سبقوهم ؛ حتى ليخيل إليك عدم الارتباط والصلة بين الأدبين .

وأما الآخرون – وهم أقلية – فقد آثروا الاعتدال والتمهل والتفتوا إلى الأدب القوى القديم يقرءونه ويحاكونه فى بلاغته ورصانته ، ومالوا إلى الأدبين المصرى والشامى ينهجون منهجهما ويلائمون بينهما وبين حياتهم ، ولم يتركوا من أدب المهجر ماراقهم من موضوعاته ومعانيه . وإنك لتلمس فى الأبيات الآتية وهى « للغزاوى » تأثراً بالأدب العربى القديم فى أساليبه ومعانيه وتجديداً فى قليل من الأخيلة والمعانى :

حمائم الأيك إن أبكاك ذو شجن ... أصفيته الحبَّ إسراراً وإعلانا
وبتَّ فيه على ذكرى وموجدة ... تذرين دمعك أسجاعاً وألحانا
وظل دأبك فى الأسحار أغنيةً ... يخالها السمع بالتوقيع عيدانا
فما بنفسى مما تشتكى حُرَقٌ ... ولا تعشقت آراماً وغزلانا
لكن سكبت دمى دمعاً على وطنى ... قد كان فى المجد والتاريخ ما كانا

على أن تأثر هذه الطائفة بالشعر القديم يبدو فى طريقة الشعر نفسه فالغزاوى فى قصيدة له عنوانها « منازه الطائف » يملؤها بذكر الأمكنة على طريقة الأقدمين فى ذكر الديار والأطلال فهو يقول فيها:

وتهفو بنا النسمات حين هبوبها
إلى فرص اللذات تحت الكواكب
(بوجٍّ) وفى وادى (العقيق) ودونه
وفى (ليةَ) أو بين (قرن) النجائب
وفى (الوَهطِ) الخضر أو فى (وهيطه)
وفوق (الشفا) أو فى أديم السحائب

ويقول :

ولا أنس (بالمثنات) ليلات أنسنا
وبين (المهدى) أو فى جوار (الكباكب)

وهكذا يسير الشاعر فى قصيدته معددا الأماكن التى ألفها وأقام بها . ولكن هذا التقليد للأقدمين لا يعدو الطريقة ؛ فإن الشاعر متأثر بهذه الأماكن وله فيها ذكريات ، ولا يعاب عليه أن يذكرها فى شعره ؛ لأنه ذكر العالم بها المتأثر بما فيها .

أما المدرسة المسرفة فى التجديد فقد تعلقت بالثقافة المنقولة عن الغرب ومالت إلى أدب أدباء المهجر من أمثال جبران والريحانى وأبى ماضى وفرحات وغيرهم ؛ وذلك لأن شعراء هذه المدرسة لمسوا فى أدب المهجر ثورة على القديم وجرأة فى التجديد وصراحة فى الحق ، فعكفوا على هذا الأدب لأنهم وجدوا فيه غذاء حركتهم الناشطة ومشعلا يضىء لهم جوانب الحياة التى يرجونها وهى التجديد السريع .

وجد شعراء هذه المدرسة جبران ينعى على التقليد ويحط من شأنه حين يقول : « ... ليكن لكم من مقاصدكم الخصوصية مانع عن اقتفاء أثر المتقدمين ؛ نخير لكم وللغة العربية أن تبنوا كوخاً حقيراً من ذاتكم الوضيعة من أن تقيموا صرحاً شاهقاً من ذاتكم المقتبسة . ليكن لكم من عزة نفوسكم زاجر عن نظم قصائد المديح والرثاء والتهنئة ، نخير لكم وللغة العربية أن تموتوا مهملين محتقرين من أن تحرقوا قلوبكم بخوراً أمام الأصنام والأنصاب . ليكن لكم من حماستكم القومية دافع إلى تصوير الحياة الشرقية بما فيها من غرائب الألم وعجائب الفرح ؛ نخير لكم وللغة العربية أن تتناولوا أبسط ما يتمثل لكم من الحوادث فى محيطكم وتلبسوها حلة من خيالكم من أن تعربوا أجل وأجمل ما كتبه الغربيون » .

(البقية فى العدد القادم)

أحمد أبوبكر إبراهيم

إلى شقيقي إبراهيم

أهكذا تمضي ...؟

للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

تساءل البلبل عن صنوه   في الروض ، فاستبكى عيون الزهور
وغصّ مما هاج من شجوه   بزفرة بين التراقي تمور
من صرَف الشاعر عن شدوه   ولفه بالصمت صمت القبور
وما الذي كدر من صفوه   حتى جفا الوكر وعاف الطيور

ألم يكن والروض خصب مريع   منعما بالعيشة الراضيه
بين سنى يطفو وعطر يشيع   وبهجة غامرة ضافيه
يصبي الفراشات بشدو بديع   تظل من أنغامه الشاجيه
ترف كالزهر حباه الربيع   أجنحة موشية حاليه

وطاف بالروض حزيناً لهيف   يبحث عن شاعره في الشجر
لعله في ظل دوح وريف   يرتشف الطل ويرعى الزهر
يلف عطفيه وشاح شفيف   تنسجه في الليل أيدي القمر
ويبعث اللحن رفيقاً رهيف   محبب الوقع ، مرِن الوتر

وحين لم يلق أخاه الحبيب   ولم تع الأذن أغاريده
حط على غصن أراكٍ رطيب   ومد من عليائه جيده
وأرسل الشدو حنيناً مذيب   يهز في الأيك أماليده
وودّع الروض بقلب كئيب   إذ لم يجد في الروض غِرّيده

أهكذا تمضي مضيّ الحلم   طافت سراعاً وتلاشت رؤاه؟
أهكذا تطويك أيدي العدم   في عمر الزهر وفجر الحياه
ألم تكن نجماً سما واضطرم   يشع في الأفق فيهدي سناه ؟
ألم تكن شعراً على كل فم   منسجم اللحن ، حبيباً صداه

أي لحون رعن سمع الزمن   بعثتها من خفقات الفؤاد
أودعتها الروح تناجي الوطن   فيها فتهتز الربى والوهاد
ثم ترامیت صريع الوهن   مخضب الجرح ، سليب الضماد
وامتنع الشدو كأن لم يكن   وجذوة القلب استحالت رماد

إذا سجا الليل فقرت عيون   وأسعد الساريَ نجم بدا
تلفت القلب وفيه شجون   مسائلا عنك ، ولكن سدى
لأذرفن الدمع شعراً حزين   مرجع الأنات ، شاجي الصدى
من نور عينيّ ، وخفق الوتين   حتى توافيني عوادي الردى !

قرد وحمار

للأستاذ محمود عزت عرفة

كنت أشهد في بعض قرى الصعيد فتى ريفياً يقتاد حماراً أسود قميئاً قد علمه بعض الأضاحيك ولقبه « ظريفاً » . وكان يومئ إليه فيلتبط بالأرض في سكون ، ثم يبدأ يعرض عليه العروض فيقول : تتزوج من جرجا ؟ تتزوج من البلينا ؟ تتزوج من سوهاج ؟ تتزوج من النخيلة ؟ تتزوج من أبو تيج ؟ تتزوج من أسيوط ؟ ... كل هذا والحمار يرفض في إباء ، ويؤكد رفضه بهزات من رأسه حاسمة . فإذا عرض عليه الأمنية النفيسة وقال : تتزوج من مصر ؟ — وثب من رقدته مرحاً خفيفاً وهو يهز رأسه علواً وسفلا علامة القبول !

كنت أعجب بحركات هذا الحمار ، لكن لا أعجب بفكرته — وهو صعيدي — من إيثاره بنات مصر على بنات موطنه الصعيد ... ثم أقول : لا جرم إنه حمار ...

وأخيراً تحقق لديّ صدق حكمي على عقلية هذا الحمار ، إذ قرأت عن قرد حاذق قص حديثه القاضي التنوخي في كتابه « نشوار المحاضرة » رواية عن ابن عباس الذي حكى أنه « رأى في شارع الُخلد قرداً معلماً يجتمع الناس عليه فيقول له القراد : تشتهي أن تكون بزازاً ؟ فيقول : نعم ، ويومئ برأسه ، فيقول : تشتهي أن تكون عطاراً ؟ فيقول : نعم — برأسه — فيعدد الصنائع عليه فيومئ برأسه ، فيقول له في آخرها : تشتهي أن تكون وزيراً ؟ فيومئ برأسه « لا » ، ويصيح ويعدو بين يدي القراد فيضحك الناس

كلا الرجلين يمزح في فعله ، ويحاول أن يتفكه ويفكه معه



حول الترتيب التاريخي للزوميات المعري

قلنا فى عدد مضى من الرسالة إن الدكتور عمر فروخ أرسل إلينا كتاباً مطولا حول هـذا الموضوع يتهم فيـه الدكتور عبد الوهاب عزام بكيت وكيت ، ثم لخصناه وعلقنا عليه بما رأينا أنه الحق . وفى يقينى أن الدكتور فروخاً لو عرف الدكتور عزاماً أكثر مما عرف لاستبعد عليه أن يسرق بحثاً من بيروت ليقرأه فى مهرجان المعرى بدمشق . ولـكن الدكتور لم يرضه تلخيصنا لـكتابه ولا تعليقنا عليه ، فبعث إلينا بكتاب آخر يرمينا فى مقدمته بالتعصب للدكتور عزام والتستر على (جريمته) والخوف من (نفوذه) ، ويوعد بأنه سيطلب حقه من الدكتور عزام ومنى بما طلب به المتنبي حقه فى بيته المعروف ، فرأينا تكذيباً لظنه وتبديداً لوهمه أن ننشر كتابه بنصه . قال عافاه الله بعد (الديباجة) :

« طالعت المقالات التى كتبها الدكتور عبد الوهاب عزام عن لزوميات المعرى وعن ترتيبها التاريخى فى الأجزاء ٦٢٤ — ٦٢٥ ٦٢٦ من الرسالة الغراء ، ولقد لفت نظرى أمران :

أولهما : أن الدكتور عزام قال فى آخر المقال الثالث : « هذا ما بدا لى فى تاريخ اللزوميات وترتيبها ، فمن بدا له ما يؤيد رأيى أو ينقضه ، فليتفضل مشكوراً بالإدلاء برأيه والإبانة عن حجته » ومعنى ذلك أنه أول من فعل ذلك

وثانى الأمرين : أننى وجدت شبهاً عظيما ، بل تطابقاً بين الأسس التى اتخذها الدكتور عبـد الوهاب عزام لترتيب اللزوميات وبين الأسس التى كنت قد استخرجتها ثم جعلتها أساساً لـكتابى « حكيم المعرة » الذى صدر فى بيروت فى شباط (فبراير) من عام ١٩٤٤

فى هذا الـكتاب عنيت بوضع أسس لترتيب اللزوميات ، إذ أننى كنت أحاول حل قضية معقدة ، هى ما ينسبه بعض المتأدبين ، من التناقض إلى حكيم المعرة . وبعد تدبر هذه القضية بدا لى أن ذلك راجع إلى أن ترتيب اللزوميات على حروف الروى ليس الترتيب التاريخى لها مما بسطته فى موضعه

واستطعت بعد الدراسة والمقارنة أن أضع أسس ترتيب اللزوميات على خمس قرائن (حكيم المعرة ص ٢٤ — ٣٤) :

أولا : إشارة المعرى نفسه إشارة عامة إلى نظم اللزوميات وترتيبها (ص ٢٤ — ٢٥ من حكيم المعرة)

ثانياً : الإشارات التاريخية وأشهرها قصة صالح بن مرداس (٢٦ — ٢٨)

ثالثاً : إشارة المعرى إلى سنى عمره فى أثناء نظم اللزوميات (ص ٢٨ — ٢٩)

الناس — استدراراً لعطاياهم — باتخاذ أمثال هذه الألاعيب . ولـكن للفكاهة المستحبة مظهر من الجد ، ومرمى غامض من العبرة والموعظة بدونهما تكون عبثاً لا طائل تحته

ونظرية هذا القرد صائبة — أعنى نظرية صاحبه — إذا نحن تأملنا منصب الوزير على عهدها ، وما كان يتهدد الوزراء يوم ذاك من خلع وقتل وحبس واستصفاء ، فما وجه نظرية حمارنا — أو حمَّارنا — فى الزواج ؟ !

الحق أن هذا الفتى الريفى وحماره يعبثان بقدر ما كان الشاطر البغدادى وقرده يجدان ؛ وفرق ما بين الأولين والأخيرين هو فرق ما بين المسلمين اليوم وأسلافهم فى القرون الخوالى ... هو فرق ما بينى أنا — عربى القرن الرابع عشر — والتنوخى ناقل القصة وعربى القرن الرابع .. هو فرق ما بين دولة نفضت يدها من المجد أو كادت ، ودولة كانت تأخذ من المجد بأوثق أسبابه . فليذهب القراد والحمار جميعاً إلى الجحيم ، فما كان لهذه المقارنة العابرة بينهما أن تريبنى فى مستقبل الإسلام والعرب ، ولـكنى مع ذلك رجل مؤمل ومشفق معاً ، أخاف مثلما أرجو ، وأتشاءم لقاء ما أتفاءل . وأحب أن نكون — حتى فى مزاحنا — جادين فلا تشغلنا القشور عن تعرف اللباب ، أو يصرفنا الغلاف عن تصفح الـكتاب ...

ومن يدرى بعد ، فلعل قرويَّنا معذور فى فعله ؟ بل لعله حكيم ثاقب الفكرة ، أليس يقدم لنا مزحته الجوفاء ، وما تنطوى عليه من فـكرة حمقاء ، على يدى حمار أسود قمىء ؟ !

رابعاً : الإشارة إلى تقدم سنه من غير أن يذكر السنوات صراحة كأن يتكلم على شبابه وشيبه وملله من الحياة وحبه لمفارقة الدنيا ... الخ (٢٩ — ٣٠)

خامساً : تطور أسلوبه فى نظم اللزوميات من حيث النضج والقوة (ص ٣٠ — ٣١)

* * *

وجاء الدكتور عبد الوهاب عزام فسلخ القرائن الأربع وذكرها على التوالى الذى اخترته ، إنما بعد أن حذف القرينة الخامسة ، لأن البحث فى الأساليب أصعب من البحث فى غيرها . ويدهشك فوق ذلك كله أننى اعتبرت القرينة الأولى (أعنى إشارة المعرى نفسه إلى نظم اللزوميات وترتيبها) مقدمة لا غير ، لأنه لا يجوز أن أنسب إلى نفسى استخراج أساس أشار صاحبه إليه إشارة واضحة . ولقد فعل الدكتور عزام ذلك مثلى تماماً ، ثم بدأ بالإشارات التاريخية الخ على الترتيب نفسه لم يغير منه شيئاً

على أن هذا لايمكن أن يكون توارد خواطر ، لأن الخواطر قد تتوارد فى بيت من الشعر أو فى رأى أدبى عارض ، أما فى بحث علمى طويل ذى فصول وفروع وتقسيم واستنتاج وشواهد وأمثلة فأمر مستحيل وخصوصاً إذا اتبع المتأخرُ المتقدمَ

ولقد كان توارد الخواطر ممكناً فى زمن تقطع بين أرجائه الصحارى والمدى البعيد ، أما اليوم فى عصر السيارات والطيارات والبريد السريع ، فأى عذر ينهض بالمتأخر إذ ادعى أن خاطره وخاطر المتقدم قد تواردا ؟

بقى على الدكتور عزام أن يدعى أنه لم يطلع على كتابى ، وهذا مردود من وجهين :

أول ذينك الوجهين أن كتابى صدر قبل عام ونصف عام من صدور بحثه ، وأن الناشر فى بيروت قد أرسل نسخ كتابى إلى العالم العربى ، وأرسلت أنا إلى ناشر فى لندن عدداً كبيراً . ولقد نقدت كتابى المجلات ، وبعضها أشار إلى هذا الترتيب التاريخى .

وثانى الوجهين أن العالم الحقيقى لا يهجم على عمل مثل هذا إلا بعد أن يتقصى المكاتب ويفتلى الكتب والمجلات ، وخصوصاً إذا خطر له موضوع ذو خطر

* * *

وهناك أدلة أخرى على أن الدكتور عبد الوهاب عزام أخذ البحث عنى ولم يبدأه بنفسه ، منها أن نماذجه التى يدعى أنه استخرجها من اللزوميات لا تسند نظريته المدعاة ، فليس كل بيت فيه ذكر للسن راجعاً إلى سن المعرى . وكذلك ذكر الدكتور عزام فى الإشارات التاريخية أسماء « محمود ومسعود » ، وقد ذكرت أنا ذلك ولكن فى باب آخر (راجع ص ٩٤ من حكيم المعرة) للدلالة على أن عمر الخيام كان شديد التأثر بلزوميات المعرى ، فيما ذكرت من أدلة ذلك

عمر فروخ

وقد اطلع الدكتور عزام على ما نشرته مجلة (الأديب) وكتبته مجلة (الرسالة) ، فأرسل إلينا الكتاب الآتى :

الأستاذ الجليل صاحب الرسالة

السلام عليكم . وبعد ، فقد اطلعت فى العدد الأخير من مجلة الأديب التى تصدر فى بيروت على كلمة عنوانها « إلى الدكتور عبد الوهاب عزام » وتوقيعها « قارئ » . وخلاصتها أن هذا القارئ أدرك تشابهاً بين مقالاتى التى نشرتها فى « الرسالة » عن لزوميات المعرى وبين بحث فى كتاب للدكتور عمر فروخ اسمه « حكيم المعرة » . وظن القارئ ، وبعض الظن إثم ، أنى أخذت « الفكرة والترتيب والأدلة والنماذج » من هذا الكتاب

وقد أرسلت إلى مجلة الأديب مبيناً أنى لم أطلع قط على بحث فى هذا الموضوع للدكتور عمرفروخ ولا لغيره قبل كتابة مقالاتى ولا بعدها . ولم أستطع أن أتكلم فى هذا التشابه بين البحثين حتى أطلع على الكتاب

ثم اطلعت اليوم فى الأسكندرية على العدد ٦٣١ من الرسالة — وقد فاتتنى قراءته حين صدوره — على كلمتكم التى نقلتم فيها نبذاً من رسالة الدكتور عمر فروخ إليكم ، وأبديتم رأيكم فى الموضوع

وقد أخذت من هذه الكلمة أن بحث الدكتور عمر الذى وقع التشابه بينه وبين بحثى يرجع إلى ترتيب اللزوميات فحسب .

ومن قرأ بحثى فى « الرسالة » يعلم أن موضوعه : متى نظمت اللزوميات وكيف رتبت ؟ فهو قسمان : الأول : تحديد الوقت الذى نظم فيه المعرى لزومياته ؛ والثانى : بيان أن ترتيب اللزوميات على الروى يوافق الترتيب الزمانى أولا . والبحث الأول هو الذى

كلفني قراءة اللزوميات كلها واستخراج الحوادث التي ذكرت فيها ، والرجال الذين ذكرهم الشاعر وتأريخ هذه الحوادث وهؤلاء الرجال واستقصاء الأبيات التي ذكر فيها المعرى سنه ، والتي ذكر فيها سواد شعره ومشيبه ...الخ ، وقد انتهيت إلى أن الكتاب نظم بين سنتي ٤٠٠ و ٤٢٠ من الهجرة

وأما البحث الثاني المتضمن أن ترتيب اللزوميات غير مساير للتاريخ ، فالأمر فيه أمم ، والفصل فيه يسير بعد الفراغ من البحث الأول

فهل يدعى الدكتور عمر التشابه بين كلامي وكلامه في البحث الأول أو في البحث الثاني ؟ الذي يؤخذ من الكلمة التي نشرتها الرسالة أنه يجادل فيما يتصل بالترتيب التاريخي وحده ، وكل من قرأ بحثي يعلم يقيناً أن كلامي في هذا لا يمكن أن يؤخذ إلا من بحثي في القسم الأول ، فهو نتيجة محتومة لي ، وهو ليس بذي بال بعد البحث الأول ، ولا يقتضى الباحث عناء ولا تعمقاً ، فليس معقولا أن أنقله عن غيري بعد أن فرغت من البحث الأعمق الأشق الذي بينت فيه متى نظمت اللزوميات

ومهما يكن ، فإني أعيد ما أرسلته إلى مجلة الأديب ، أني إلى هذه الساعة التي أكتب فيها هذه الكلمة لم أطلع على بحث لأحد في هذا الموضوع ، ولا رأيت كتاب الدكتور فروخ

ولو كان الفصل في ترتيب اللزوميات وتبيين أنها ليست مرتبة على التاريخ يعد فتحاً في الأدب ما أجزت لنفسي أن أنتحل فيه كلام غيري ، وأن أسوم نفسي ما لم تعوده من الاتكال على أبحاث الناس ، بله النقل أو السرقة

إن هذا البحث وما هو أعظم منه وأشق وأجدى ، ليس عظيما من رجل مثلي يقرأ اللزوميات كلها قراءة فاهم ناقد

وكان خيراً للدكتور عمر ولمن كتب في مجلة الأديب أن يرسل إليّ الكتاب ويسألني رأيي ، فإن المسارعة إلى اتهام مثلي بنقل كلام الناس لا يليق بالأدباء ، ولا يلائم تثبت العلماء

وأرجو أن تنشروا هذه الكلمة مشكورين . والسلام

(الأسكندرية ٧ رمضان) **عبد الوهاب عزام**

ملاحظة وتصحيح :

اطلعت في البريد الأدبي بالرسالة تحت هذا العنوان على نقد للأبيات التي وردت في كتاب « في بيتي » للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد ، وقد أشار فيه الكاتب إلى أن صدري البيتين الثاني والثالث خارجان عن البحر ، وأنهما لا يصحان على وجه من الوجوه . قال : ثم بحثت الأمر لأتأكده فظهر لي ما أدركته أولا ، كذا !

ولما كان الروى هو التاء المكسورة ، وكان الوقف لا يصح عليها ، لأن (القصر) لا يدخل البحر المجتث ، ظهر لي أن في البيت الثالث إقواء ، فكلمة « أداه » في البيت لا يصح جرها بحال

وأحب أن أعفى الأستاذ العقاد من الرد على هذا النقد ، فقد كان في استطاعة الكاتب أن يرجع إلى هذه الأبيات في ديوان « وحي الأربعين » ، ليرى أن الشاعر قد وضع علامة السكون على القافية ... وكان في حل من وضع هذه الإشارة ، لأن القوافي ليست من حركة واحدة . . ويحسن بي أن أطلع القارئ على هذه الأبيات كاملة كما قرأتها في « وحي الأربعين » ليصدر حكمه عليها:

النور سر الحياة	النور سر النجاة
النور وحي النهى	النور وحي الصلاة
النور شوق الفتى	النور شوق الفتاة
إلمحْ بالروح لا	لمح العيون الخواة
ما تبصر العين من	معناه إلا أداة
هذا سبيل الهدى	لا ما افتراه الهداة

ويتبين من هذه الأبيات أن وزنها :

مستفعلن فاعلن   مستفعلن فاعلان

بسكون التاء في القافية ، وإذ كانت الموسيقى هي رائد الشاعر في كل ما ينظم ، فمن واجب الناقد أن يحلها المحل الأول حين يعرض لهذه الناحية من الكلام ، فقد يعن للشاعر أن ينظم على وزن جديد ، أو أن يأتي بنظام لم يسبق إليه ، وهو بعد صحيح سليم تتقبله الأذن وتستطيبه النفس

فمن الحجر على الشعر والشعراء أن نقول لهم : قفوا عند حدكم ، فإن الأقدمين قد وقفوا عند هذا الحد . هذا لغو وجمود لا أحب أن يبتلى به الشعراء في القرن العشرين

والمطلع على أبيات الأستاذ العقاد يجدها سليمة من ناحية الوزن قوية من ناحية الموسيقى فضلا عما بها من المعاني السامية ، ولا يطالب الشاعر بأكثر من ذلك

محمد طاهر الجبلاوي



تـــوان
أو
عند ما تسيطر المرأة

[إلى الحزب النسائي مع تحياتي]

للـكاتب الفرنسي جي دي موبسان

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسي

جرى على لسان كل من كان يعيش على مبعدة سبعة فراسخ من حانة « التورنفان » اسم صاحب الحانة « انتوان ماشبل » ... وقد تعددت الأسماء التي يدعوه بها رفقاؤه وخلانه ، فتارة يطلقون عليه « باتوان » وطوراً « فيَـفْ ستار توان » وحيناً ينادونه « جود أولد بنسن » ...

وكان لتوان الفضل في الشهرة التي نالتها حانة « تورنفان » ... فقد ذاع صيتها مع أنهـا لا تزال مزرعة فقيرة تقع في كنف متطرف من الوادي الذي يشرف على البحر ؛ وقد أُحيطت ببعض الجواسق التي يتخذها نفر من أهالي « نورمنديا » مقطناً لهم ... فغرسوا ثمت الأشجار السامقة ، وأقاموا السدود ، وقد جثمت تلك القرية على جدول تخالط ماءه الرقراق خضرة النبات الذي ترعرع على شفا الجدول ... وهو ينحدر من الأكمة والتلال التي أوحت باسم « التورنفان » .

ويخيل إلى الإنسان الذي ينظر إلى تلك الجواسق في كنف الوادي ، أنها بعض الطيور وقد أوت إلى ثلم ، عند ما تعصف الرياح والأعاصير البارقة التي تـكتسح ما على شاطئ « نورمنديا » من الدور الصغيرة . وقد زادت عنهـا السدود والأشجار ، وهذه العواصف تأتي على كل شيء فتجعله قاعاً صفصفاً ... أما المزرعة الفقيرة فـكان يمتلكها « انتوان ماشبل » وأحياناً « جود أولد بنسن » وأحياناً أخرى « فيَـفْ ستار توان » أما اللقب الأخير فلعله صدى لتلك العبارة التي كان يفوه بها نادراً « إن خمر « فيَـفْ ستار » لهو أجود ما يجده المرء في فرنسا ... »

لقد ظل قرابة العشرين عاماً ينقع غلة القرويين بسلافه العذب المعتق ... وما من قادم يسأله : « ما الذي تستحسنه اليوم ، يا توان ؟ » فيجيب في غير تلعثم أو تردد « قدح من راووق المعتق يا بني ... يبعث الدفأ في جوفك ، والسكينة إلى نفسك ، وهو خير ما يرجى لصحتك » وينادي توان كل إنسان « يا بني » مع أنه لم يرزق ولداً لا في الحلال ولا في الحرام

عُرِف توان بأخلاقه الطيبة ، وخلاله الفضلى ... ولو أنه كان حادراً زهماً ، حتى أنه كان أكثر الريفيين شحماً ، هذا إن لم يكن قد فاق أهل نورمنديا قاطبة .

وكان كوخه — على النقيض من ذلك — صغيراً ضيقاً .. فمن يره وهو قائم على باب داره حيث يقضي طيلة يومه ... يتوله العجب عند ما يفكر كيف يتخطى ذلك البـــاب الضيق المنخفض إلى صحن الدار ... يقف توان على قارعة الطريق يدعو كل من يتوسم فيه الأناقة والثراء إلى حانته حيث يقدم إليه بعض الخمر على سبيل التجربة والقياس . وقد علق على واجهة حانوته لوحة سطر عليها « حانة الصداقة » . وكان هشاً بشاً لـكل من جاوره وأمّه ...

وقد يفد عليه خلق كثير من إقليمي « فيكامب » و « مونت فليير » وغايتهم أن يروا توان ، ويتندّروا بفـكاهاته المستملحة ومزاحه العذب الذي يُضحك الحجر الصلد ... لقد أوتي القدرة على أن يشيع المرح حوله دون أن يضجر من يجالسه ؛ والقدرة على أن يخبط ساقه في حركة تنتزع الضحك من فيك — شئت أو لم تشأ — ، والقدرة على أن يجعل حاجبيه يعبران بما لا يستطيعه لسانه ... إن منظره وهو ينهل الراح ليبعث وحده الضحك والسرور إلى العيون الساهمة الحزينة ...

وقد يجرع توان كل ما يقدم إليه من أنواع الشراب كلها ، فيلمع في عينيه بريق الخبث ... وتتألق مقلتاه بالابتهاج الذي يجعلك تقدم إليه المزيد من الشراب . وطالما كان يسأله مواطنوه : « لم لا تلعق من ماء البحر ما يشبع شراهتك هذه ؟ » فلا يسمع إلا أن يجيب في عُنف : « ثمت سببان . فأولا : ماء البحر أُجج

تعافه النفس ؛ وثانياً : ينقصنى تلك المدة التى يمكنها أن تسع ذلك الماء الطيسَل » .

***

عند ما ينقلب توان إلى زوجته ، تدور رحى الشجار بينهما فيبدأ فصل روائى لا يقل عن الفصول المسرحية روعة وبراعة ... لقد انصرمت على زواجهما ثلاثون عاماً ، لم ينقض يوم واحد منها إلا والشجار حليفه ... والذى باعد شقة الخلاف بينهما هو الفرق البين بين روحه المرحة الطروب ، ونفسها الصاخبة الصلفة.

كانت امرأة ريفية فارعة الطول تسير فى خطوات طوال كأنها البجعة ، وقد منحها الله سحنة مقطبة عبوسة كالبومة ، راحت تمضى وقتها بين دجاجها تعنى به وترعاه فى قفصه خلف الحانة ... وقد ذاعت مهارتها فى تربية الدجاج بين جيرتها . وكانت تتطفل على الولائم دون دعوة أو خشية لائم ... ولا تجدها إلا حانقة صاخبة ساخطة على العالم بأجمعه ... أما فى الفينة الأخيرة فكل سخطها تركّز على بعلها . . كانت تحقد عليه لبشاشته ومرحه ، لشهرته وصيته ، لصحته ورهله ... وطالما نعتته « بالماجن المحظوظ » لأن المال يأتيه طواعية دون كد أو جد فى طلبه ... أو « الخنزير السمين » لأنه يأكل قدر ما يتناوله اثنا عشر رجلا ... وقلما ينقضى يوم دون إثارة انفعالها وحنقها ...

ابتدرته يوماً صائحة : « انظر أيها النهم الشره ... انظر إلى نفسك وأنت تسير كالكتلة البشرية ... سوف تلتهم الطعام التهاماً حتى يحل ذلك اليوم الذى تنفجر فيه بطنك كالحزمة من القمح ، وقد انقطع رباطها ... » فانطلق توان يقهقه وهو يربت على بطنه فى رفق وهوادة ، وما لبث أن قال وهو يلوح بذراعه : « آه ... أيتها « العصا الرفيعة » لست أدرى ما الذى يمنعك من أن تسمنى نفسك كما تفعلين مع دجاجك ... أنى لأتوق وأنت تقومين بذلك أيتها المرأة » وردّدت الجدران بعد ذلك صدى الضحك الذى انبعث من أفواه الحاضرين ... وقد جلسوا إلى الموائد الخشبية ، فيوغر ذلك صدر المرأة بالغيظ والحنق فتندفع قائلة : « تباً لكم أيها الكسالى ... فما يرجى منكم نفع ولا ضر » ثم تغادر الحجرة شامخة بأنفها ، مصعّرة خدها ، مشيّعة بضحكات السخرية والاستهزاء ...

يبدو أن كل من كان على شاكلة توان ، وقد حباه الله جسداً حادراً أو كان ضيق الصدر لا يلبث أن يداعبه الموت مداعبة القط للفأر ، ولا يلبث بعد هذه الضخامة أن يذبل عوده ، ويسرى الهلاك رويداً فى بدنه ، ويتسرب الموت إلى نفسه كما يسير اللص فى هدأة الدجى ... فيطوّح أولا بذلك الشعر المجعد ، ويثنى إلى الأعضاء الزائدة ... ثم لا يلبث أن يذهب بما بقى ... هذا ما يجعلنا نفغر أفواهنا دهشاً لنقول : « يا إلهى ! أيطوح الموت مثل هذا الحجم ! »

ولكن المنية غفلت عن توان ... غفلت عن منظره الضخم المثير للضحك ... بل حبته صحة وقوة ... حبته طلعة مبهجة مؤنسة ، فكان ذلك يثير حنق زوجته فتصيح : « رويدك أيها الرجل ، فسوف يأتيك منجله من حيث لا تدرى ... »

***

ألمّت بتوان صدمة خلّفته قعيد الفراش ، مصاباً بالفالج ، ولزم المارد العجوز فراشه فى غرفة صغيرة خلف الحانة ... حيث كان فى مقدوره أن يحس ويسمع ما يدور حوله ، وأن يتبادل الحديث مع خلانه وراء الحائط ... وعلى الرغم من أن جسده كان مقضياً عليه بعدم الحركة ، فقد ظلت روحه الطروب على مرحها وسرورها . وكانوا جميعاً يأملون فى أن تسترد أعضاؤه القدرة على الحركة والتنقل ولكن آمالهم ذهبت أدراج الرياح ... فحكم القدر على توان أن يمضى وقته فى فراشه لا يغادره ... ولم يحاول أن ينتقل من مضجعه إلا مرة واحدة ، حيث استطاع بمساعدة اثنين من جيرته النهوض مستنداً إليهم ... لتبدّل زوجته فراشه بآخر .

لم يكن يفارق مرحه وبشاشته إلا فى حضور زوجته ، فإنه كان يبدو وديعاً رزيناً كالطفل ... كانت تقول له على الدوام « انظر إلى نفسك ... انظر إلى تلك الكتلة العديمة النفع . آه ! أنت تجلس فى الفراش مستريحاً ، وعلىّ أن آتيك بما تود ... » فلا يسمعه غير الصمت ، وإغضاء طرفه ، ويتحامل على نفسه لكى يجلس فى فراشه . وكانت الحركة الفريدة التى يأتيها هو أن يتقلب ذات اليمين وذات اليسار ... راح يستمتع بالإنصات إلى لغط

القوم فى غرفة الشراب ، وإذا ما تعرف على صوت صاحب له صاح يناديه : « ألست « سلستن » ؟ ! إنى هنا يا بنى » فيجيبه سلستن « أنا ذا يا توان . أما تستطيع أن تنهض وتأتى إلينا ؟! » فيقول توان ثانية : « ليس فى طوق أن أنهض ... ولكننى فى صحة جيدة . ولم أفقد عقلى بعد » وبعد هنيهة يدعو أصدقاءه القريبين إلى غرفته . ويتمتع برفقتهم حيناً ، ولو أن منظرهم وهم يجرعون الخمر دونه يثير كوامن نفسه ... وينغصه بعض الشيء . فيقول فى تذمر : « أف لهذا الداء ، فهو الذى يمنعنى أن أتناول قطرة من راحى المعتق . يا لتعاستى » .

وتظهر زوجته بغتة من النافذة فتصيح : « انظروا إليه ... انظروا إلى « الماجن المحظوظ » لقد أخذت على عاتقى أن أطعمه وأصنع ثيابه ... وأنظفه وهو جالس كالخنزير » وعند ما يغيب وجه زوجته من النافذة ، يقفز إلى حافتها بعض الدجاج حيث يأخذ فى الصياح والتقاط فتات الخبز . ويبادره أصدقاؤه بعد أن يعدوه بالحضور فى عصر كل يوم للتندر معه ، ويستمعون إلى قعيد الفراش وهو يلقى عليهم فكاهاته التى تجعل الشيطان عينه ينطلق ضاحكا ...

وظل ثلاثة من أصدقائه يختلفون إليه على الدوام وهم : « سلستن مالويسل » وهو رجل معروق قصير كساق شجرة التفاح . و « بروسبر هورسلافيل » وهو رجل دعوب ذو أنف محدب ، خصه الله بخبث الثعلب ولسان لاذع متهكم ، و « سيزار بومال » الذى لاينبس ببنت شفة ، ولكن يلذ له أن ينصت إلى توان . وكانوا يحضرون معهم لوحة خشبية يطرحونها على السرير ليمضوا الوقت فى لعبة النرد ... ابتداء من العصر حتى الساعة السادسة مساء ... لم تكن زوجة توان تطيق أن ترى بعلها مبتهجاً مستغرقاً فى اللعب ... فكانت كثيراً ما تهبط عليهم فجأة فتقلب اللوحة ، وتصيح أنها لا تطيق رؤية ذلك النفر من الخنازير لا يجدون شاغلا سوى الحضور إلى دارها للترفيه عن زوجها « خنزيرهم الأكبر » وكأنه الأمير لا يعفر قدميه فى العمل الشاق الذى تقوم بإنجازه سحابة يومها ... فيحنى كل من : « سلستن مالويسل » و « سيزار بومان » هامته أمام العاصفة ، أما « بروسبر هورسلافيل » فيأخذ فى إثارتها ، فكانت تصب عليه جام غضبها وحنقها ...

قال لها « بروسبر » يوماً وكانت فى سورة سخطها : « رويدك يا سيدتى أتدرين ما الذى أصنعه لو كنت مكانك ؟ » فتوقفت برهة عن السب واللعن ، وصوبت إليه نظرة حادة — كنظرة البومة — فواصل حديثه قائلا : « إن حرارة هذا الطفل العجوز كأنها الأتون المستعر . هذا ما أراه يا سيدتى ؟ انتفعى من هذه الحرارة بجعله « يفرّخ البيض » ! » ففغرت المرأة فاها من العجب وراحت تفكر ، ثم عاودت النظر إلى بروسبر ـ ذلك الثعلب الماكر ـ فعاد يقول : « نضع تحت ذراعه خمس بيضات ... وخمساً تحت ذراعه الأخرى ـ كما تضعين البيض تحت الدجاج ـ وعند ما يفرّخ ، نأخذ الفراريج وندعها لدجاجة ترعاها كما لو كانت فراريجها . ومن ثم يمكنك أن تحشدى قفصك بالدجاج . أما هذا بصحيح ؟ ! » فقالت المرأة وقد عراها الذهول : « أو تظن أنها ستفلح يابروسبر ؟ ! » فأجابها على الفور : « دون شك ، فكما يفرّخ الدجاج فى قفصه يستطيع زوجك أن يفرّخ فى سريره ... »

كان لإيحاء بروسبر أثره الفعال ... فبعد أسبوع حملت زوجة توان عشر بيضات فى فضل ردائها إلى زوجها القعيد ... وقالت : « لقد أرقدت الدجاجة الصفراء على عشر بيضات ، وها هى عشر بيضات أخرى لك ، فحاذر أن تحطمها ... » فقال توان بعد أن أفاق من وقع هذه الصدمة : « يا لله ! ما هذا ؟ ! أأصاب عقلك لوثة من الشيطان ؟ ! » فأجابته زوجته : « عليك بتفريخ هذه العشرة كما تفعل الدجاجة أيها الأبله » فراح يضحك ، ولكن عند ما أحس لهجة الإصرار فى صوتها لم يلبث أن ثار غضبه لامتهان عزته وأخذ يلعنها ، ويعارضها فى أن تتخذ من ذراعه مصنعاً للتفريخ . فجن جنون المرأة وصاحت فى عزم وحزم : « إذن لن تعرف للطعام سبيلا ما دمت لن تفرخ البيض ... ضعها ثم دعنا ننظر يازوجى العزيز » فراح يهددها بتحطيم البيض إن هى أدنته منه ، فنأت عنه ... حتى دقت الساعة معلنة الثانية عشرة فصاح : « ويحك ! علىّ بالغداء أيتها المرأة ! » .

— « ليس هناك غداء لك ! أيها الخنزير العجوز » وخيل إليه أولا أنها تمزح فمكث غير طويل ... ثم ما لبث أن راح يصب لعناته عليها وعلى النساء اللائى يتسيطرن على أزواجهن

فيجعلن منهم لعبة فى أيديهن ... وأخيراً راح يتوسل إليها وهو يتلوى ذات اليمين ، وذات اليسار . بيد أنه لم يجد فى النهاية بداً من أن تضع خمس بيضات فى الفراش لصق ضلوعه اليسرى . وحينئذ أمكنه أن يتناول غذاءه ... وفى المساء حضر إليه الأصدقاء ؛ فكان مسلكه غريباً حيالهم وكأن المرض يعتريه ، ولم يجدوا منه إقبالا وبهجة للعب ، فقد كان يضع يده فى حذر إلى جانبه عند ما تعنّ له الحركة . فسأله هورسلافيل : « ماذا دهاك ؟ ! أذراعك يؤلمك يا توان ! ؟ » فأجاب توان : « يخيل إلى ذلك كأنما أصاب أكتافى النقرس » وفجأة سمعوا لغط حاكم الدينة ووكيله يلجون الحانة ، ويطلبون قدحين من الخمر ، ثم راحا يتحدثان فى شئون البلدة .

وبينما هما يتحاوران فى لهجة قانونية ، مد توان أذنيه إلى الحائط ليتمكن من الإصغاء ، وقد سها عن البيض . وتحرك إلى اليسار قليلا حركة جعلت البيض يصير « كالعُجّة » . فتنهد توان فى كآبة وكدر وهو يشمّ النازلة . واندفعت زوجته إلى الغرفة ورفعت أغطية السرير . ووقفت تحدق هنيهة فى ذهول نحو الخليط الأصفر الذى أخذ يسيل من ضلوع زوجها ، ثم انهالت فى ثورة الجنون على الرقيد المفلوج لكما وضرباً فى حرارة ونشاط ... أخذت يدها ترتفع وتنخفض ، وتُيسّر وتُيمّن فى ضربات قاسيات تهبط على بطن زوجها المنتفخ كأنها الأرنب يعمل يديه حفراً فى الأرض ... وعلا هذه الضجة جرس القهقهة التى أخذ يطلقها رفقاؤه ، فى رنة فرح وابتهاج ، وحاول الزوج المنكود أن يتقى ذلك السيل من الخبط ، وقد انهمر عليه فى قسوة فحطم الخمس بيضات الأخرى مما زاد الطين بلة ...

***

عاش توان بعد ذلك يعمل للتفريخ فقط ... فحرمت عليه زوجته اللعب مع رفقائه ، لكى لا يأتى أى حركة طفيفة تحطم البيض فيتعرض لقسوتها فقد كانت تحرمه من وجبة الطعام إذا ما شرخ بيضة واحدة . فاضطجع فى فراشه عاجزاً عن الحركة ، تحدق عيناه فى سماء الحجرة . وقد ضم يديه إلى ضلوعه مرغماً ليجعل الدفء والحرارة تسرى إلى البيض ذى الكرفْ الأبيض الهش ، لا يرتفع صوته إلا بالهمس ... فقد كان يخشى الضجيج خشيته من الحركة ...

وبعد فترة من الزمن أخذ يركز اهتمامه على الدجاجة الصفراء فى محضنها وطالما سأل زوجته فى قلق « أتناولت طعامها اليوم »

وزعت المرأة العجوز وقتها بين زوجها وفرختها وأملها الذى راودها أن ترى أفراخاً تتنسم الحياة سواء أفرخ زوجها فى الفراش أو دجاجتها فى القفص ... وذاع الخبر فى طول الريف وعرضه ، وأخذ الناس يفدون على « حانة الصداقة » من كل فج عميق ، وهم تواقون إلى رؤية توان « راقداً على البيض » . كان يتجهون إلى غرفته بأطراف ساهمة ـ شاع فيها الجد ـ وكأنهم يدلفون إلى غرفة مريض :

— « كيف أصبحت اليوم يا سيد توان ؟ ! » فيجيب : « على ما يرام لولا أننى أخشى الحركة فأحطم البيض الذى يلتصق بضلوعى » .

هرولت الزوجة ذات يوم إلى توان وهى تصيح : « لقد أفرخت الدجاجة الصفراء سبعة فراريخ ، ومذرت الثلاثة الباقية » فتسارع الدق فى قلب توان وهو يتبصر فى العدد الذى سيفرّخه هو ! وقال فى صوت شاع فيه قلق المرأة حين ولادتها « أحسب أن نوبتى قد حانت !» فرددت المرأة فى اضطراب « أحسب ذلك »

وما كاد يذاع أن ساعة توان قد أزفت حتى توافد عليه الزوار من كل صوب وحدب ليشاركوه سعادة الفوز ، وطفق الريفيون يتحدثون عن توان ويطرقون الأبواب ليعلنوا أحدث الأنباء ... وعند الساعة الثالثة مساء غفى توان قليلا كعادته ... وفجأة استيقظ على أصوات غريبة ، وأخذ يحس نقراً تحت ذراعه الأيمن ، فد يده اليسرى ، وأخرج مخلوقاً دقيقاً ، كُسى زغباً أصفر ، وراح يتلوى بين أنامله ، وكم كانت بهجة توان عندما صاح بأعلى صوته وأطلق الفرّوج على صدره ، وسرعان ما اكتظت الغرفة بالقوم أحاطوا به إحاطة النظارة ببطل من الأبطال ، وما كادت زوجته تقف إلى جانبه حتى أمسكت بالفروج الذى أوى إلى لحية توان العجوز ... وتقاطر العرق على جبينه من الحيرة والعجب ، وهو يرتعد تحت تأثير شعور عميق ، وفاجأهم ثانية وهو يدمدم : « هه ! ها هو فروج آخر تحت ذراعى اليسرى ! » نخفّت يد المرأة تلتقطه من تحت الغطاء ... وفى حذر ومهارة القابلة أخرجت يدها بالفروج الثانى ... فتجمهرت الجيران حولها ، وأخذوا ينقلونه من كف إلى كف ، وهم يتطلعون إليه كأنه إحدى عجائب الطبيعة !

مضت عشرون دقيقة دون أن يحدث شيء ، ثم أخذت أربعة فراريخ تنقر كرقيء بيضها ، وراحت صيحات العجب تتوالى من حين إلى آخر ، وتوان يزهو بقدرته الفائقة بين نظرات الإعجاب ، وراح يقول مداعباً : « لقد أفرخت ستة فراريج ، فلي إذن كلمة « التعميد » ... » . فانطلقت عاصفة الضحك من أفواه الحضور ، وامتلأت الغرفة على آخرها بالريفيين ، فظل معظمهم قائماً عند الباب ، وكل من يحضر يسأل فى لهفة :

— كم أفرخ إلى الآن ؟

— ستة فقط !

حملت زوجة توان « الأسرة الجديدة » إلى قفص الدجاجة الصفراء ، حيث جعلت هذه تحبوها — مع أفراخها — بعطفها وتكلؤها بعنايتها ، وتنظف ريشها ، وتضمها تحت جناحها لتذود عنها غائلة المعتدى !

ثم لم يلبث توان أن صاح : « هه ! هذا فروج آخر » . ولم يكن هذا فروجاً واحداً ، بل ثلاثة فراريج مما جعل الحاضرين يسبغون على توان عبارات الإطراء والثناء ، أما الفروج العاشر والأخير ، فقد نقر بيضته فى الساعة السابعة تماماً ، وبذلك قدر لتوان أن يجوز ذلك الامتحان القاسي بنجاح باهر فاق فيه الدجاج نفسه ، فلم يسعه إلا أن يقبّل الفروج الأخير فى رفق وحنان ...

وبينا هو فى نشوته يعجب من قدرته على إظهار هذه المخلوقات إلى حيز الكون ، لم تمهله زوجته العجوز ، بل قوضت عليه صرح هناءته « بمولوده السعيد » ... والتقطت منه الفروج لتضمه إلى « باقى الأسرة »

انحل عقد المتفرجين ، وأخذوا يتفرقون إلى دورهم مبتهجين معجبين بتوان وقدرته . وكان آخر من غادر الغرفة « بروسبرهورسلافيل » فسأل توان فى خبث شاع فيه شيء من التهكم : « هه ! استدعونى عند ما يسلق أول فرّوج ويُقدَّم طعاماً على المائدة ! » فأجابه توان ضاحكا : «بلى ... وعلى الرحب والسعة يا بنى »

(طنطا) **مصطفى جميل مرسى**

سكك حديد الحكومة المصرية

خط مصر — بور سعيد

يتشرف المدير العام باعلان الجمهور أنه ابتداء من ٣١ أغسطس ولغاية ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٤٥ تسير عربة ديزل علاوة (دوجة أولى وثانية) بين القاهرة وبورسعيد كالمبين بعد : —

١ — يغادر الدور رقم ٩٤١ القاهرة فى الساعة ٥٠ ١٤ ويصل إلى بورسعيد فى الساعة ٥٠ ١٨

٢ — يغادر الدور رقم ٩٣٨ بورسعيد ٠٠ ٧ ويصل إلى القاهرة فى الساعة ٥٠ ١٠ وذلك وفقاً للمواعيد الآتية : —

المحطات		٩٤١ عربة ديزل درجة ١ و ٢	المحطات		٩٣٨ عربة ديزل درجة ١ و ٢
مصر	قيام	٥٠ ١٤	بورسعيد	قيام	٠٠ ٧
بنها	وصول	٣١ ١٥	الاسماعيلية	وصول	٢١ ٨
	قيام	٣٣ ١٥		قيام	٢٣ ٨
الزقازيق	وصول	٠٦ ١٦	الزقازيق	وصول	٣٢ ٩
	قيام	٠٩ ١٦		قيام	٣٤ ٩
الاسماعيلية	وصول	١٨ ١٧	بنها . . .	وصول	٠٧ ١٠
	قيام	٢٠ ١٧		قيام	٠٩ ١٠
بورسعيد	وصول	٥٠ ١٨	مصر	وصول	٥٠ ١٠

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦٣٦ — الاثنين ١٠ سبتمبر ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٢١ ، ٢٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 636 — Lundi - 10 - 9 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٣٦ «القاهرة في يوم الإثنين ٤ شوال سنة ١٣٦٤ — ١٠ سبتمبر سنة ١٩٤٥» السنة الثالثة عشرة

تنافس المستعمرين

في الشرقين الأدنى والأوسط

للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

من توخى أن يعرف الحقيقة كلها في حوادث هذين الشرقين السياسية استدعى هذا الغرض النبيل أن يرجع صاحبه ولو قليلا إلى التاريخ: لأن الزمن سلسلة متصلة الحلقات يرتبط فيها الحاضر بالماضي ارتباط المسبب بالسبب، ويرتبط بالمستقبل ارتباط السبب بالمسبب؛ ويستدعي هذا الغرض أيضاً كل الالتفات إلى عوامل المصالح الاستعمارية والسياسة الدولية في الشرق

ومهما يكن شأن التطورات الاجتماعية والانقلابات السياسية المختلفة، وشأن التوازن الجديد بين الدول العظمى التي تتوزع بأعيننا وأسماعنا أقطار هـذه الكرة الأرضية وشعوبها؛ ومهما يكن لتقدم العلم والفن ولتطبيقاتهما العملية من أثر في النفوس والعقول، يبق التاريخ بأنواعه الشتى مرآة الحياة البشرية، ونبراساً ينير البصائر لبقاء السنن الأساسية العاملة في البشر ما بقيت جبلتهم على ما هي عليه منذ نشأة الإنسان الأول. وليس يوجد سبب غير وهمي، وإن صدق أفراد فضلاء في تمجيد المثل العليا، وفي اعتقادهم سمو الإنسانية نحوها، يثبت أن القوى سوف لا يستغل الضعيف ولا يحاول أن يبقيه مقيما على الضعف بالنسبة إليه ليحفظ قدرته ومصلحته بالقوة أو بالتمويه والرياء

***

فمن التاريخ أن الاسكندر الذي مزق امبراطورية الفرس لم تدم فتوحاته، ولكن كان من نتائجها أن عرف العالم الغربي طرقاً إلى الغزو، وقد التفت إليها نابليون وهو يضع مشروعاته المختلفة لمحاربة الإنجليز في الهند. أما الرومان فقد أظهرت معاركهم في الشرق الأدنى قيمة دجلة والفرات من حيث هما طريق إلى غزو فارس والخليج الفارسي والهند. وأدركوا أن الثروات الأسيوية لم تكن في جزيرة العرب ولا في أثيوبيا، بل كانت تنقل من الهند فاتجهت جهودهم إلى التسلط على شواطئ هذه الجزيرة

قام اليونان والرومان وحدهم في أيامهم بالتوسع الأوربي في الشرق الأدنى. على أن أمم أوربة الغربية كانوا متصلين بآسية منذ عهد قديم بوساطة المسيحيين الكثيرين الذين ظلوا يحجون الأماكن المقدسة. ولما جاءت الحروب الصليبية نشأت إمارات مسيحية في سورية ومملكة في القدس. وكان لفرنسا شأن كبير في هذه الحروب، وهي تعد هذا الشأن أصل ما تدعيه سياستها من ذكرى وآثار تتعلق بآسية الصغرى وسورية وفلسطين ومصر، ودخلت تلك الدويلات المسيحية في معاملات تجارية، فأخذ تجار جنوة والبندقية وبيز ومرسيلية يتاجرون في الثغور السورية

ثم جاء استيلاء العثمانيين على قسطنطينية ضربة شديدة في تجارة جنوة. ولم تكن فرنسا ولا انجلترا ولا هلانده ولا البرتغال

قادرات يومئذ على منافسة البندقية فى الشرق ، فاحتكرت هذه الجمهورية التجارة فى جميع البحر المتوسط احتكاراً عملياً . وقد أيد ثراء البندقية العظيم أحاديث عجائب أذاعها رجال الدين والتجار الذين حملوا أنفسهم على أخطار التوغل فى آسية من مفتتح الحروب الصليبية ، ووصفوا الوفر من الثروات فى بعض جهات القارة الأسيوية ، فحاول شعوب أخر أن يستدركوا ما أصبح عليه البنادقة من احتكار التجارة الشرقية ؛ ولذا عالجوا افتتاح طريق جديد إلى الهند من الشرق أو من الغرب . وأحدثت سياحة فسكوده جامه انقلاباً تاماً فى علاقات أوربة بآسية ، فقرر البرتغاليون أن يحتكروا كل تجارة فارس والهند وأرخبيل الملايو احتكاراً عملياً بتحويلها إلى لشبونة من طريق رأس الرجاء الصالح الجديد ، ولما ضمت أسبانيا البرتغال انتقلت تجارة المحيط الهندى شيئاً فشيئاً إلى الهلانديين ، ولم يلبث الإنجليز والفرنسيون أن نافسوهم فى الخليج الفارسى ، ثم تنافس الفرنسيون والإنجليز من ذلك العهد على طرق الشرق الأدنى التجارية

إن آسية وأفريقية أوسع ميادين الاستعمار ، وهما أسواق ومستغلات ، والهند أعزها لدى انجلترا ، وقد وضعت مشروعات فرنسية لغزوها على عهد بونابرت وقبله . فأصبحت الهند فى القرن التاسع عشر العامل الموجه للسياسة البريطانية فى الشرق الأدنى . كانت بريطانيا تخشى على الهند غزوات المستعمرين من طرق سورية وقزوين ونهر أكسوس ، فلم تنتفع قبل الحرب الكبيرة الماضية إلا بالطريق البحرى ؛ وظلت مدة ضعف الدولة العثمانية وطيلة القرن التاسع عشر تحول دون الانتفاع بالطرق الأرضية : إذ اجتهدت فى إبعاد فرنسا عن مصر وسورية وبلاد العرب ، وفى منع روسيا من تثبيت قدمها على الخليج الفارسى ، ومن الاستيلاء على إيران والأفغانستان وبلوخستان ، ونحت بعزم كل دولة منافسة عن هذا الخليج . وكانت فى آخر القرن الماضى قد أتمت احتلالها المواقع الحربية فيه : فجعلت خمسة عمال سياسيين من إنجليز الهند ساهرين منذ تلك الأيام على المصالح البريطانية فى مسقط والكويت والبحرين وبندر عباس وبندر بوشير ، وسلطة هؤلاء العمال تعتمد على أسطول صغير قوى وفرقة من الجنود الهندية معسكرة فى جسق بمدخل الخليج الذى ردته بذلك بحيرة انجليزية ، فصار ميسوراً على الدوام أن يجتازها حملة انجليزية تسرع من الهند صوب شط العرب لتنقض من خلف وجنب معاً على كل جيش يقصد الهند من طريق الفرات . وقد حصلت انجلترا من تركيا بالمعاهدة السرية المعقودة فى ٤ يونية عام ١٨٧٨ على حق الحلول بقبرص ، وهـذه الجزيرة موقع حربى من الطراز الأول يسمح لها بمراقبة طريق الفرات والإشراف على خليج الإسكندرونة وصد الروس عن طريق فلسطين ، إذ كان المثلون الروسيون يطلبون حماية الأرثوذكس فيها برغم معاهدة عام ١٨٥٦ التى ختمت حرب القرم

طال عهد التنافس بين انجلترا وفرنسا فى الشرق الأدنى ، ولم ينته فى مصر إلا بالاتفاق الودى عام ١٩٠٤ ، لكن هـذا الاتفاق لم يحدد مصالح الدولتين فى سورية . لذا ظل رجال الاستعمار البريطانى والموظفون الإنجليز فى مصر يعدون أن سورية سوف تصير ملحقة بمصر . وقد كانت سياحة السير ألدن غورست عام ١٩٠٩ فى سورية المطموع فيها سبب إشاعة اضطرت فرنسا إلى طلب بيان عنها من انجلترا . واتفق الدولتان فى ديسمبر عام ١٩١٢ ، على مصالحهما فى ذلك القطر ، وحصلت فرنسا بعد من تركيا على امتيازات أزعجت بعض الإنجليز ، فقام السير مارك سايس فى مجلس العموم يشكو من تأمين فرنسا باتفاق عام ١٩١٢ ، ومن الطريقة التى أولت بها هـذا التأمين . فأجاب وزير الخارجية البريطانية بأن الحكومة باقية على سياسة حفظ كيان الامبراطورية العثمانية ، وإن ذلك التأمين إنما كان تهدئة لفرنسا ، ولم يقصد به غير مصالحها الاقتصادية فيما يتعلق بالسكك الحديد ، ولم يكن فى الأمر تعيين مناطق نفوذ ؛ وإن الحكومة لم تفعل ذلك إلا تكذيباً لشائعة أراد بها ناشروها أن يثبتوا أن سعى بعض الموظفين البريطانيين مآله ضم سورية إلى مصر

ويوم نهضت ألمانيا نهضتها لم تلبث أن نظرت بعين الاستعمار إلى الشرق ، خصوصاً بعد مؤتمر برلين لعام ١٨٧٨ ، حيث أيدتها انجلترا ، إذ كانت مشغولة بإبعاد روسيا عن استنبول قبل كل شىء . وسرعان ماوضعت ألمانيا برنامجها لتحقيق أطماعها على مبدأ « الزحف إلى الشرق » Drang Nach Osten . وهو برنامج بدأ يتضح منـذ حصلت على امتياز السكة الحديد البغدادية .

لم تدرك ألمانيا اقتسام أفريقية ، فاتجهت إلى آسية حيث أرادت أن تتخذ مناطق امبراطورية ، أو شبه هند ألمانية تجعل الأنضول وقيلقية وما بين النهرين جميعاً أرضاً جرمانية ومستعمرة عظيمة للاسكان يمكن أن تنتشر فيها الثقافة الألمانية ، وأن تصير أيضاً أسواقاً كبيرة الشأن لمصنوعات ألمانيا . وقد كانت مصانعها راغبة فى إنتاج أطنان من القضبان والمواد المختلفة لإنشاء سكة حديد عظيمة تخترق آسية الصغرى إلى الخليج الفارسى ، وترسل فروعها إلى البحر المتوسط والقوقاز وإيران

رأت ألمانيا ، فى سبيل تنفيذ برنامجها ، أن توحى إلى السلطان عبد الحميد أنها صديقته الوحيدة ، وأن مستقبل دولته فى البلاد العربية وفى ظل الخلافة ، إذ كان يومئذ يشعر بانهيار نفوذه فى أوربة ، ويجد أن كل دولة غربية اقتطعت حصة من امبراطوريته فسعت ألمـانيا فى أن تجعل نفسها الحامية المتعينة للامبراطورية العثمانية ، وأن تجتهد فى توطيدها بتشجيع الجامعة الإسلامية ، وإعادة تنظيم الجيش التركى وإسداء المشورة للسلطان فى سياسة سكك حديد الغرض منها تسهيل التعبئة واحتشاد الجنود فى مكان الحاجة

أما الأمانى الروسية ومصالح انجلترا وفرنسا المستديمة منذ أجيال فى الشرق الأدنى ، فلم تكن نية الألمان أن يصدموها رأساً ، ولذا لم يذكروا الاستعمار ولم يكن فى كلامهم الرسمى سوى إحياء الموات فى أملاك عثمانية وتحويل ذلك القواء الفسيح ، بعد خصب وا كتظاظ بالسكان إلى أراض اقتصادية ، فتستفيد حينئذ مصالح الجميع من عمل ألمانيا . ومتى يمتد الاستعمار الألمانى من بعد إلى سهول ما بين النهرين الكائنة ، وتصل السكة الحديد إلى الخليج الفارسى ينادى القيصر يومئذ بأنه السيد الحقيقى للامبراطورية العثمانية ويعلن حقوقه فى آسية الوسطى

غير أن انجلترا لم يكن فى استطاعتها أن تقبل مد السكة الحديد من بغداد إلى الخليج الفارسى ، وهى تجتهد منذ قرن فى أن تجعله بحيرة انجليزية ، ولم تكن فى غناء من جهة أخرى عن الأشراف على مصب شط العرب لضرورة أن تمر به السكة الحديد التى كانت تحلم بمدها إلى الهند . من أجل ذلك حالفت الشيخ مبارك ، شيخ الـكويت ، فنزل لها سراً عن خور عبد الله . ولما كانت ألمانيا تريد أن تبلغ البحر بأى ثمن ، فقد أوعزت إلى تركيا أن توطد سيادتها الفعلية على الـكويت بمساعدة ابن الرشيد . وبالغ السلطان عبد الحميد فى تقدير التأييد الألمانى له ، فحاول عام ١٩٠٠ أن يثبت سيادته عملا بتلك المشورة . لـكن انجلترا كانت ساهرة ، فاضطرت الطوابير التركية إلى الانسحاب بأمر من قائد أسطول الخليج الفارسى ، وبقيت الحال على ما كانت عليه ، وعادت تركيا عام ١٩٠٢ ، فاحتلت جانباً من الشاطئ شمالى الـكويت ، فقابلت انجلترا ذلك عام ١٩٠٣ بإعلان حمايتها لهذا الثغر ، وعينت وجهة نظرها بالدقة تلقاء المطامع الألمانية ، إذ قال اللورد لانسداون فى ٥ مايو عام ١٩٠٣ بمجلس اللوردات : « إنى أقول غير متردد إننا نعد قيام دولة أخرى بإنشاء قاعدة بحرية أو ثغر محصن فى الخليج الفارسى تهديداً خطيراً للمصالح البريطانية ، ونحول دونه حقاً بكل ما لدينا من وسائل »

ثم عقدت انجلترا اتفاقاً مع تركيا فى الربيع من عام ١٩١٤ عين البصرة مكاناً تنتهى فيه السكة الحديد البغدادية ؛ وشرط الاتفاق أن يكون لانجلترا فى مجلس الإدارة بشركة هذا الخط عضوان يشرفان على كل ما يتعلق بإدارة مرحلته بين بغداد والبصرة ؛ واعترفت انجلترا فى الاتفاق بسيادة تركيا على ثغر الـكويت بشرط أن يحترم السلطان ما يتمتع به شيخه من الاستقلال الذاتى ، ويحترم أيضاً ما بين الشيخ وحكومة لندن من الاتفاقات ؛ ونزلت تركيا عن حقوقها على جزر البحرين وشبه جزيرة قَطَر ، وأراضى عُمان حتى مسقط ؛ وشرط الاتفاق أيضاً لانجلترا حرية الملاحة على دجلة إلى بغداد ، وحق الإنارة ووضع علامات المخاطر ، وحق القيام بأعمال البوليس أى حفظ النظام والأمن ، وذلك كله فى النهر وفى الخليج جميعه

ولمـا أوضحت الاتفاقات الدولية الموقف إيضاحاً كافياً رأت الحكومة الإنجليزية أنها أصبحت بعد ذلك على استعداد لمباحثة الحكومة الألمانية رأساً ، ورغبت فى عقد اتفاق مع ألمـانيا ، فكلفت هذه البرنس لِخْنوفسكى سفيرها فى لندن أن يفاوض السيرجراى ، وتقارب وجهتا النظر قبيل الحرب الـكبيرة الماضية

تقارباً يفتح باباً للأمل فى عقد اتفاق شرقى ومعاهدة استعمارية بين ألمانيا وانجلترا. وقد عقدت هذه المعاهدة فى ١٥ يونية عام ١٩١٤ وأشار إليها السيرجراى فى مجلس العموم فى ٢٩ من الشهر عينه، وسميت معاهدة بغداد. وقد اعترفت فيها انجلترا لألمانيا بامتيازات عظيمة، إذ أصبح لها حرية التصرف فى السكة الحديد الأنضولية وسكة بغداد، مع احتفاظ انجلترا بجميع حقوقها السابقة فى هاتين المنطقتين. لكنها نجحت فى إبعاد منافستها إبعاداً مؤقتاً على الأقل عن شواطئ الخليج الفارسى. فكان من الممكن إذن أن تنجح يوماً فى تحقيق مشروعاتها المتعلق بإنشاء سكة حديد امبراطورية انجليزية تصل بور سعيد بالكويت، ثم تمتد على الشواطئ الإيرانية إلى الهند. ويقول البرنس لخنوفسكى فى مذكراته: « كان الغرض من هذه المعاهدة فى الواقع تقسيم آسية الصغرى « مناطق نفوذ »، غير أنه كان واجباً أن نتفادى من استعمال هذه العبارة بأعظم عناية مراعاة لحقوق السلطان »

ولا شيء أدل من اعتراف البرنس لخنوفسكى هذا على ما يجب أن يعرف الشرقيون من معنى صداقة الدول المستعمرة ومعنى التصريحات السياسية المتعلقة بحفظ كيان الامبراطورية العثمانية كتصريح وزير الخارجية البريطانية فى مجلس العموم بشأن تأمين فرنسا فى اتفاق عام ١٩١٢ المتعلق بسورية؛ وليس أوضح من ذلك الاعتراف فى بيان ما يجب أن يفهم الشرق من معانى الاستقلال وما شاكل هذه الكلمة على ألسنة السياسات الاستعمارية

ولا شك فى أن الاتفاق الثلاثى بين فرنسا وروسيا وانجلترا جعل غليوم الثانى على يقين من أنه لا يستطيع تحقيق أطماعه فى الشرق بغير التجاء إلى القوة، لكنه مع عزمه على الحرب كان راغباً فى تأجيل موعدها إلى اليوم الذى تصبح فيه قوة الأسطول الألمانى مساوية قوة الأسطول الإنجليزى. أما الاتفاقات الشرقية التى قبل أن يعقدها، فكان غرضه منها تأخير أجل الحرب على أمل أن يفك عرى ذلك الاتفاق الثلاثى بسياسته. بيد أن الحرب البلقانية الثانية انتهت بمعاهدة بخارست المعقودة فى ١٠ من أغسطس عام ١٩١٣؛ وقد وزعت معظم الأراضى العثمانية فى أوربة على أكبر دول البلقان شأناً، خصوصاً سربيا واليونان، فسببت بذلك اندفاع ألمانيا فى سبيل الحرب وانجرار امبراطورية النمسا والمجر معها: فقد كان الامبراطوران يتوقعان أن يسحق الترك سربيا واليونان، فإذا بهاتين الدولتين تصبحان سداً أمام ألمانيا فى طريق الشرق وأمام امبراطورية النمسا والمجر فى طريق سلانيك وازدياد قدرة سربيا يمنع تنفيذ برنامج التوسع الجرمانى بالحيلولة دون كل وصلة تجتاز البلقان بين أوربة الوسطى والامبراطورية العثمانية. من أجل ذلك لم يكن فى وسع الامبراطوريتين الجرمانيتين أن تعدا معاهدة بخارست نهائية، فلم يبق بد من الحرب فى أجل قريب. ولذا اتخذتا حادث سرجيفوحجة لإشعالها، لأنهما كانتا متأهبتين لها. ويقول السفير مُرجَنتو فى مذكراته عام ١٩٠٩: « الآن يعرف العالم إن لم يعرف عام ١٩١٤ أن ألمانيا تعجلت الحرب لتهدم سربيا وتتولى الإشراف على الأمم البلقانية وتحول تركيا إلى دولة تابعة لها، وبذا تبتنى امبراطورية شرقية واسعة، لو بنيت لكانت أس سيادة عالية لا حد لها »

محمد توحيد السلحدار

أول صلاة فى الاسلام

صلاة الركعتين

للدكتور جواد على

جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان يخلو وحده بغار حراء شهراً فى السنة وكانت هذه الخلوة أحب شىء إلى نفسه[(١)] . « يتعبد فيها الليالى ذوات العدد ثم يرجع إلى أهله فيتزود لمثلها حتى لجاءه الحق »[(٢)] . ونزل عليه الوحى . وهى عادة على ما يظهر كانت معروفة عند المتدينين من عرب الجاهلية .

ولم تعين كتب السير والأخبار نوع تلك العبادة ولا كيفيتها ولم ترسم صورة واضحة لتلك العبادة التى كان يقوم بها الرسول فى ذلك الغار . « ولم يجىء فى الأحاديث التى وقفنا عليها كيفية تعبده عليه الصلاة والسلام »[(٣)] والظاهر أنها خلوة ينقطع فيها النبى عن الناس ويقل اختلاطه فى أثنائها بأهله وكانت هذه أحب شىء إلى نفسه لينصرف بدون إزعاج مزعج إلى التفكير فى خلق السموات والأرض وحل لغز هذا الوجود »[(٤)] .

ونزل عليه الوحى وهو بهذا الغار وفرضت عليه الصلاة مع نزول الوحى عليه مباشرة على رواية أو بعد ذلك بأيام أو بمدة على رواية أخرى[(٥)] . قال ابن إسحق « إن الصلاة حين افترضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو بأعلى مكة فهمز له بعقبه فى ناحية الوادى فانفجرت منه عين فتوضأ جبريل عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه ليريه كيف الطهور للصلاة ، ثم توضأ رسول الله كما رأى جبريل توضأ ، ثم قام به جبريل فصلى به وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاته ثم انصرف

(١) سيرة أبن هشام جـ ١ ص ١٥٠ (الطبعة المصرية) .

(٢) ابن الأثير جـ ٢ ص ٢١ . راجع كتب الآخرة مثل الطبرى . واليعقوبى والمسعودى . وابن كثير وابن خلدون وغيرها وكتب الحديث .

(٣) راجع السيرة الحلبية جـ ١ ص ٢٢٦ .

(٤) راجع السيرة الحلبية جـ ١ ص ٢٢٣ وما بعد .

(٥) راجع كتب الحديث والسير .

جبريل فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة فتوضأ لها ليريها كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل فتوضأت كما توضأ لها رسول الله عليه السلام ثم صلى بها رسول الله عليه السلام كما صلى به جبريل فصلت بصلاته »[(١)] .

وهذه الرواية هى رواية ابن إسحق — ولا يفهم منها بأن الصلاة فرضت بنزول الوحى على الرسول مباشرة أى فى اليوم الأول من نزول الوحى كما يفهم ذلك من رواية أخرى ، وقد أجملت ذكر الصلاة فلم تفصل كما فصل ذلك نافع بن جبير . وقد ذكرت الوضوء وهذا يخالف ما ذهب إليه العلماء من أن الوضوء لم يفرض مع الصلاة مباشرة كما أنه لا يتفق مع وقت نزول الآية التى شرعت الوضوء وهى آية « يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين ، وإن كنتم جنباً فاطهروا ، وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً ، فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ، ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون »[(٢)] وهذه الآية هى مدنية ، ومعنى ذلك أن الأمر بالوضوء إنما وقع ذلك فى المدينة أى بعد الهجرة . وهذا مالا يتفق ورواية ابن إسحق كما سترى ذلك فى بحث الوضوء والطهور .

وترى الرواية الثانية أن الصلاة إنما فرضت بنزول الوحى مباشرة أى فى اليوم الأول من أيام الوحى . « جاء فى سيرة الحافظ الدمياطى ما يفيد أن ذلك كان فى يوم نزول جبريل عليه الصلاة والسلام له « باقرأ باسم ربك »[(٣)] حيث قال بعث النبى صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين وصلى فيه وصلت خديجة آخر يوم الإثنين . ويوافقه ظاهر ما جاء : أتانى جبريل فى أول ما أوحى إلى فعلمنى الوضوء والصلاة . فلما فرغ الوضوء أخذ غرفة من الماء فنضح بها ... ... الخ »[(٤)] .

وليس هنالك أى دليل قوى يقوى رواية من يقول بأن فرض

(١) ابن هشام جـ ١ ص ١٥٥ . الحلبية جـ ١ ص ٢٥٥ ابن الأثير جـ ٢ صـ ٢٢ .

(٢) سورة المائدة رقم ٥ آية ٦ .

(٣) سورة العلق رقم ٩٦ آية ١ .

(٤) السيرة الحلبية جـ ١ صـ ٢٥٢ .

الصلاة كان فى اليوم الأول من نزول الوحى والحديث المشهور عن كيفية نزول الوحى على الرسول ثم ذهابه إلى خديجة وانطلاق خديجة به إلى ورقة بن نوفل لا يؤيد هذه الرواية[1] ولو كان فرض الصلاة فى هذا اليوم لوجب نزول الوحى بذلك ؛ وكل الآيات القرآنية التى تشير إلى الصلاة هى متأخرة بالنسبة إلى نزول الوحى . وفى سورة اقرأ (العلق) وهى أقدم سورة من سور القرآن ولا شك ذكر للصلاة حيث ورد « أرأيت الذى ينهى عبداً إذا صلى »[2] ولكن الذى نزل فى غار حراء من هذه السورة هو إلى « علم الإنسان ما لم يعلم »[3] أى إلى الآية الخامسة ، وأما ما بعد ذلك فقد نزل متأخراً فتكون الآية السابقة متأخرة إذاً ، ومعنى هذا أن الأمر بالصلاة لم ينزل فى غار حراء أى يوم نزول الوحى على الرسول

إذاً فنحن لا نعرف أول يوم نزل فيه الوحى بالصلاة على وجه التأكيد . ثم إننا لا نعرف كيف بدأت الصلاة . نعم هنالك روايات ولكنها متناقضة وتحتاج إلى بحث عميق . ويجب الرجوع قبل كل شىء ، ولاشك إلى القرآن الكريم . وإلى ما كتب حوله من تفاسير ومعرفة أسباب النزول وترتيب النزول والناسخ والمنسوخ وتمييز الآيات المكية من الآيات المدنيـة ، ووضع تواريخ ثابتة لأوقات نزول السور والآيات .

أما القرآن الكريم فكتاب سماوى مثل سائر الكتب السماوية جاء بأحكام أساسية عامة وشرعاً للناس . أحكامه أساسية عامة شرحها النبى لأصحابه وسأل الصحابة الرسول عن الآيات ومفردات الكلمات . وقد رتبه وجمعه نفر من الصحابة . لذلك كان على المسلمين معرفة ترتيب النزول . ولم يتعرض القرآن فى أى مكان منه إلى تفصيل كيفية الصلاة وعددها فى اليوم ، وقد أجهد المفسرون أنفسهم لشرح ذلك وتفسيره تفسيراً يظهر منـه عدد الصلاة فى اليوم وكيفيتها ، ولكننا لا نستطيع فى هذا اليوم أن نقول بأنهم نجحوا فى ذلك ، لأن القرآن الكريم يترك أمر الشرح والتفسير إلى الرسول . وعقول الصحابة مختلفة فى الوعى والفهم والقرب من الرسول لذلك كانت شروحهم مختلفة وتفاسيرهم متباينة فى بعض المواقف وهذا مما يزيد فى موقف المؤرخ فى هذا اليوم صعوبة وحرجاً .

جاء عن نافع بن جبير بن مطعم وكان نافع كثير الرواية عن ابن عباس أنه قال « لما افترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام فصلى به الظهر حين مالت الشمس ، ثم صلى به العصر حين كان ظله مثله ، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس ، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق ، ثم صلى به الصبح حين طلع الفجر ، ثم جاءه فصلى به الظهر من غد حين كان ظله مثله ، ثم صلى به العصر حين كان ظله مثليه ، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالأمس ، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل الأول ثم صلى به الصبح مسفراً غير مشرق »[1]

والذى يفهم من رواية نافع هـذه أن الصلاة حينما فرضت فرضت خمس مرات فى اليوم رأساً وأن جبريل عين للرسول أوقاتها ، أوائلها ومنتهاها ، كما عين ذلك الفقهاء فيما بعد ولم تعين الرواية الوقت الذى فرضت فيه هـذه الصلوات الخمس وهى رواية تخالف رواية حديث الإسراء . تلك الرواية التى تكاد الأخبار الإسلامية تجمع عليها ؛ فلو حملنا رواية نافع هذه على محمل خبر الإسراء وافقت هذه تلك الرواية وإن كانت تخالفها أيضاً فى المعنى ، ففى رواية الإسراء أن الرسول حين انتهى إلى السماء السابعة فرض الله عليه خمسين صلاة كل يوم ، ثم إن الرسول سأل ربه أن يخفف عن أمته فخفف عنه وعن أمته حتى أصبحت خمس صلوات فى اليوم[2] .

فليس لجبريل فى حديث الإسراء بالنسبة إلى الصلاة مقام وليس فى هذه الرواية تحديد وقت ولا ذكر للوضوء الذى جاء متأخراً بالنسبة إلى الصلاة . وتظهر رواية نافع ضعيفة تجاه الشروح والتفاسير والأخبار التى تناولت هذه القضية .

إن أول إشارة إلى الصلوات الخمس هى تلك الإشارة التى وردت فى حديث الإسراء . جاء فى هذا الحديث أن الرسول لما انتهى إلى السماء السابعة « فرض الله عليه خمسين صلاة كل يوم ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبلت راجعاً فلما مررت بموسى بن عمران

---

(١) عن الحديث راجع التجريد ج ١ ص ٥ وسائر كتب الحديث والسير .

(٢) سورة العلق (اقرأ) ٩٦ آية ٦ ـ ١٠ .

(٣) تفسير الجلالين ج ٢ ص ٢٤٩ .

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٥٦ . ونافع أحد الرواة المكثرين فى الحديث عن ابن عباس .

(٢) راجع التجريد الصريح ج ١ ص ٣٤ وكتب الحديث والسير .

ونعم الصاحب كان لكم سألنى كم فرض عليك من الصلاة فقلت خمسين صلاة كل يوم ، فقال إن الصلاة ثقيلة وإن أمتك ضعيفة فارجع إلى ربك فاسأله أن يخفف عنك وعن أمتك ، فرجعت فسألت ربى أن يخفف عنى وعن أمتى فوضع عنى عشراً ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لى مثل ذلك فرجعت فسألت ربى أن يخفف عنى وعن أمتى فوضع عنى عشراً ، ثم رجعت فمررت على موسى فقال لى مثل ذلك فرجعت فسألته فوضع عنى عشراً ، فمررت على موسى ثم لم يزل يقول لى مثل ذلك كلما رجعت إليه قال فارجع فاسأل حتى انتهيت إلى وضع ذلك عنى إلا خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، ثم رجعت إلى موسى فقال لى مثل ذلك فقلت قد راجعت ربى وسألته حتى استحييت منه فما أنا بفاعل ؛ فمن أداهن منكم إيماناً بهن واحتساباً لهن كان له أجر خمسين صلاة »[(١)]. وهذه الرواية هى رواية عبد الله بن مسعود[(٢)] وأنس بن مالك وعبد الله بن عباس وأبو حبة الأنصارى[(٣)].

وتختلف هذه الرواية فى تعيين منازل الأنبياء وأماكنهم فى السموات السبع حين مر النبى عليهم عن الترتيب المألوف فى سلسلة الأنبياء . يلاحظ أن الترتيب فى هذه الرواية على اختلاف الروايات لم يراع فيه ترتيب النبوة وسلسلة أوقات الأنبياء ، إذ جعلت مكان آدم فى السماء الأولى ثم انتقلت رأساً إلى عيسى مع أنه آخر الأنبياء قبل محمد فجعلته فى السماء الثانية وكان الأولى أن يكون فى السماء السابعة أو السماء الأولى إن روعى فى ذلك آخر السلسلة ، وجعلت مكان يوسف بن يعقوب فى السماء الثالثة وإدريس فى السماء الرابعة ثم هرون بن عمران فى السماء الخامسة مع أنه لم يكن نبياً من الأنبياء ، وجعلت فى السماء السادسة موسى بن عمران وفى السماء السابعة إبراهيم .

ويلاحظ أيضاً أن الرسول حينما هبط من السماء السابعة بعد أن كلف بخمسين صلاة فى اليوم لم يتكلم مع إبراهيم وهو أول نبى يمر عليه الرسول بضرورة الترتيب بل كان كلامه مع موسى وهو فى السماء السادسة كما رأيت وهو الذى أشار على الرسول بالرجوع

(١) ابن هشام جـ ١ ص ٢٤٧ .
(٢) ابن هشام جـ ١ ص ٢٤٦ .
(٣) راجع التجريد جـ ١ ص ٣٥

ليسأل الرب عن التخفيف . والظاهر أن سبب جعل ابراهيم فى السماء السابعة هو لكونه صاحب الديانة الحنيفية التى كان يدين بها من رفض عبادة الأصنام من العرب .

وقد كان الرسول يدين بدين ابراهيم « ملة أبيكم ابراهيم » وابراهيم أبو المستعربة جاء فى هذه الرواية حينما سأل النبى جبرائيل عن الشخص الذى رآه لأول مرة فى السماء السابعة « هذا أبوك ابراهيم »[(١)] .

وأما تخصيص موسى بالكلام فالظاهر أن ذلك كان لما عرف عن بنى إسرائيل من عقوق . ولما خالفوا به أوامر أنبيائهم كما هو معروف فى التوراة ولكثرة الصلوات عند اليهود[(٢)] .

وأما رواية أنس بن مالك فتختلف عن رواية ابن مسعود بعض الاختلاف فى قضية ترتيب الأنبياء ، ولكنها تتفق بعد ذلك فى قضية إشارة موسى على الرسول بطلب التخفيف .

وفى هذا الحديث أول إشارة إلى الصلوات الخمس فى الإسلام ، وقد حدث الإسراء بثلاث سنين أو سنتين أو بسنة قبل الهجرة[(٣)] أو بست ونصف ، إذاً فتكون الصلوات الخمس قد فرضت فى هذا الوقت فى الإسلام[(٤)] ويستند قولنا هذا على حديث الإسراء طبعاً أما فى القرآن الكريم فلم يرد فى الإسراء طبعاً شىء عن الصلاة . وأما الآية الكريمة التى ذكرت الإسراء فقد تناولت الإسراء بصورة عامة ولم تتعرض إلى كل ما ذكر فى حديث الإسراء مما حدثه المحدثون ، والحديث يحتمل التصديق ويحتمل التكذيب وليس بشىء تجاه القرآن .

يقول المستشرق ميتوخ « أما متى بدأ الرسول بأول صلاة من صلواته ثم متى أصبحت الصلاة واجبة فى الإسلام فإن الإجابة على ذلك إجابة تاريخية صحيحة إن لم تكن مستحيلة فإنها صعبة حتى الآن . غير أن الرأى الإسلامى هو أن الصلوات الخمس إنما فرضت فى ليلة الإسراء أى قبل سنة ونصف من الهجرة »[(٥)] .

وقد بذل المفسرون جهوداً عظيمة لتفسير الآيات القرآنية

(١) ابن هشام جـ ١ ص ٢٤٧ .
(٢) الخازن جـ ٣ ص ١٤٦ .
(٣) السيرة الحلبية جـ ١ ص ٣٤٨ .
(٤) و (٥) mittwoch q . 9.

التى ورد فيها ذكر للصلاة وللتوفيق بين هذه الأبيات وبين الحديث بدون أن يتوصلوا إلى نتائج مقبولة ليس للحمل ولا التأويل فيها مقام . وذلك لأن الصلوات اليومية الخمس لم تذكر فى أى مكان ما من القرآن ذكراً صريحاً[١] فصار المفسرون يجهدون أنفسهم لتأويل الآيات تأويلا يفهم منه بأن المقصود من الآيات التى نوه فيها بذكر أوقات الصلاة الصلوات اليومية الخمس .

على أننا إذا ما قرأنا الآيات القرآنية ودققنا فى الحديث كحديث عائشة وهو : « فرض الله تعالى الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين فى الحضر والسفر فأقرت صلاة السفر وزيد فى صلاة الحضر »[٢] . نتوصل إلى شىء آخر ، نتوصل إلى أن الرسول كان يصلى قبل الإسراء حتما وأن صلاته كانت ركعتين فقط فى كل صلاة[٣] . وأنه كان يصلى مرتين فى اليوم ، مرة فى الغداة ومرة فى العشى[٤] . كما يفهم ذلك من الآية : « يا أيها الذين آمنوا ليستئذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ، ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم »[٥] .

فجاء فى هذه الآية اسم صلاتين هما صلاة الفجر وصلاة العشاء . وتؤيد هذه الآية الروايات التى وردت فى الحديث والسير من أن الرسول كان يصلى مرتين فى اليوم مرة عند بدء النهار ومرة فى آخر النهار[٦] .

والظاهر أن الرسول كان يتعبد طويلا فى الليل فى أيام بعثه الأولى وأنه كان « يتهجد » فى الليالى يدعو الله ويصلى إليه[٧] وكان يقرن ذلك بقراءة القرآن . وقد كانت قراءة القرآن وقت الفجر من القراءات المحببة إلى الرسول « أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل . وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهوداً[١] » .

أخذت عبادة الليل وقتا طويلا من أوقات النبى حتى اجهدته . جاء فى الاخبار « لم يكن قبل الاسراء صلاة مفروضة لا عليه ولا على أمته إلا ما وقع الأمر به من صلاة الليل من غير تحديد بقوله تعالى « ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى ، وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله ، وآخرون يقاتلون فى سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا ، وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً ، واستغفروا الله إن الله غفور رحيم[٢] » . وهو الناسخ لما قبل ذلك من التحديد فى أول السورة الحاصل بقوله « يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا . نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا[٣] » . وقد نسخ قيام الليل بالصلوات الخمس ليلة الاسراء[٤] .

وجاء « أول ما فرض عليه الانذار والدعاء الى التوحيد ثم فرض عليه قيام الليل المذكور فى أول سورة المزمل ثم نسخ بما فى آخرها ثم نسخ بالصلوات الخمس[٥] » . وبعد افتراض الصلوات الخمس اقتصر العباد والزهاد من الصحابة على التهجد وقيام الليل تقربا إلى الله وتطوعا منهم وقربة .

كان « التهجد » إذاً عبادة ليلية يقوم بها الرسول « ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً[٦] » . مقرونة بتلاوة ما تيسر من القرآن . وهو عبادة اختيارية طبعاً يقوم بها الانسان تقربا إلى ربه لا يحاسب الانسان فيما إذا أهملها لأنها غير مفروضة كما رأيت .

(البقية فى العدد القادم) **جواد على**

(١) تاريخ القرآن لنولدكه ج ١ ص ١٥١ .
(٢) التجريد ج ١ ص ٣٤
(٣) mittwoch p , 10 .
(٤) الحلبية ج ١ ص ٢٥٤ .
(٥) سورة النور ٢٤ آية ٥٨ .
(٦) كتب السير والحديث .
(٧) تجريد ج ١ ص ٧٨ وما بعد .

(١) الاسراء سورة ١٧ آية ٧٨ .
(٢) المزمل ٧٣ آية ٢٠
(٣) المزمل ٧٣ آية ١ — ٤ .
(٤) الحلبية ج ١ ص ٢٥٤ .
(٥) الحلبية ج ١ ص ٢٥٤ — ٢٥٥ .
(٦) الاسراء سورة ١٧ آية ٧٩ .

حديث المـــائدة

للأستاذ زكي نجيب محمود

رحم الله يوماً كانت فيه النفس ساذجة يافعة ، تسير مطمئنة فى طريق لا تلتوى وسبيل لا تجور ، وتثب إلى الإيمان بما يروى أو يذاع وهى آمنة فى حصن منيع من الرضى ، لا تنفذ خلاله خلجة من الشك أو نزعة من الجحود والإنكار

ولعن الله يوماً أزيل فيه ما ران فوق البصيرة من غشاء ، فقد ودعت النفس عندئذ تلك الطمأنينة الراضية ، واستقبلت شكا ملحاً مضنياً يمقت راحة التصديق ، ويأبى هدوء الإيمان ، ولا يطمئن إلى ما تواضع الناس عليه ، لا يفرق فى ذلك بين معقول ومنقول ، فقد غدا كل شىء موضعاً للتفكير وخاضعاً للشك والرفض والإنكار

قال ذلك صاحبى وهو يتحدى أن يكون فى العالم حقيقة واحدة تبلغ حداً من التعيين يستعصى على الشك ولا يلين للنقد والرفض ، ويهزأ بتلك البداءة التى نزلت عند الناس منازل الإيمان . وكان يسائلنى فى شىء من السخرية : هل يمكن أن تكون للعقل كرامة موفورة فى الاستسلام والرضى ؟ ! فهو يستمرئ مرارة الشك ، ولا يعدل بعبثه المضنى جنات عرضها الأرض والسماء ، ولو أنه كان يود أن لم يكن ذلك الشك ، وأن لم تزل تلك السذاجة البريئة المطمئنة الراضية

قال محدثى : قد تظن أنك تعلم طائفة من المعارف لا يحدها حصر ولا عدد ، تبلغ ألوف الألوف ، بل ألوف الملايين ، كلها ثابت لا تزعزع يقينه عواصف الشك مهما بلغت من قوة وبأس . انظر ! هذا مقعد ، وتلك مائدة تنتثر عليها طائفة من الكتب ، وهذه نافذة تستطيع أن تشهد خلال زجاجها شمساً ساطعة وسماء زرقاء ، وسحباً وكفاء تسير الهوينا مع الريح... نعم ، وها أنت ذا تصيخ فتسمع صوتاً ينبعث هنا وجلبة تضطرب هنالك ، هذه أبواق سيارات تصيح فيتبينها سمعى وسمعك على السواء ، وذاك صراخ أطفال يلعبون ويمرحون ... هـذه أصابعك تنزلق فوق المائدة فتصادف جسما صقيلا ناعماً ، ثم تمر على شعرات الفرجون فلا تشك فى خشونتها ... نعم ! لقد يخيل إليك أنك تعلم هذا كله ، وتعلم آلافاً من أشباهه علم اليقين ، بل وتعلم فوق هذا كله طائفة من الحقائق المركبة المعقدة ، أفلا تعلم أن الشمس تكبر الأرض ، وأنها تشرق كل صباح وتغرب كل مساء لدورة الأرض حول محورها مرة فى كل يوم ، وأنها ستمضى فى الشروق والغروب ما بقيت الأرض أرضاً والسماء سماء ؟ إنك لا تشك فى صحة هذه الحقائق ، ولعله لا يرضيك أن تراها يوماً موضعاً لشك ، ولكنك يا صاح لا تكاد تصوب نحو أى منها أشعة التفكير ، حتى يتبدد ذلك اليقين هباء ، ويندك من أساسه حيث يسلم بناءه لمعول الشك يعمل فيه ، فلا يرتفع عنه إلا وهو أنقاض لا تغنى ولا تفيد .

وضرب صاحبى بقبضة يده فوق المائدة وقال : خذ هذه المائدة مثلاً ! أفتشك فى أنها مصنوعة من خشب قد طليت باللون الأصفر ، وأنها مستطيلة الشكل ناعمة الملمس ؟ فناظراك ينقلان إليك لونها وشكلها ، وأناملك تحس نعومة صقلها ، وأذناك لا يخطئان رنين الخشب إذا ما نقرت ظهرها بأصبعك ، ومن تلك الحقائق الجزئية التى سلكت إلى ذهنك هـذه الطريق أو تلك تكونت فى نفسك صورة للمائدة قوية واضحة ، تستطيع أن تستعيدها على صفحة الذاكرة كاملة ، إذا ما حال بينك وبينها حائل

ولكن من أدراك ياصاح أن هذه المائدة موجودة فعلا ؟ أفلا يجوز أن تكون الحواس خادعة تبدع لك وجوداً من عدم ؟ هل يبعد أن يكون اللون من خلق البصر ، بل وأظنه كذلك عند العلم والعلماء ، الذين يستمع إلى قولهم إذا قالوا ، فهم لا يعترفون بأكثر من موجات ، تطول حيناً وتقصر حيناً ، فتتلقاها العين ثم تأخذ فى ردها إلى هذا اللون أو ذاك ، وإذن فالعلم — وهو جهينة هذا الجيل — ينكر أن يكون للون وجود فى الواقع . . . وقل مثل ذلك فى صوت هذه النقرة التى بلغت أذنيك فأنبأتك بأنها للوح من الخشب ، فهى الأخرى موجات صامتة فى الواقع ، صائتة فى أذنك أنت ! ... وهكذا تستطيع أن ترد ما تنقله إليك الحواس جميعاً عن حقيقة المائدة ، وإذن فهى وهم تآمرت على نسجه الحواس ، ليس له وجود حقيقى فى العالم الخارجى

وهبها حقيقة موجودة لا شك فى وجودها ، فهل تراك تعلم

من أمرها شيئاً ؟ أنعم النظر فى لونها الذى خيل إليك للنظرة الأولى أنه أصفر ، ألا ترى أشعة من الضوء تنعكس على سطحها الصقيل ، فانقلب فى بعض المواضع أبيض أو قريباً من الأبيض ؟ در حول المائدة ينتقل موضع الضوء ، وإذن فلون المائدة يختلف باختلاف موقفك ، فلو جلس حول المائدة عشرون شخصاً ، وأمسك كل واحد لوحة ينقل فوقها المائدة بلونها كما يراها ، لاجتمع لديك عشرون رسماً لا يشبه بعضها بعضاً ، فأين الحقيقة بين هذه العشرين ؟ إنى لأرى شفتيك تفتران عن ابتسامة ساخرة من هذا الهراء ، أو ما تحسبه أنت هراء ، ولكنه حق لا شك فيه ، فلو رضت عينك على النظر إلى الأشياء بحيث ترى ما يقع عليها من مختلف الألوان ، إذن لرأيت لكل شىء عشرات وعشرات من الألوان المتباينة ، لا يأبه لها النظر السريع ، ويدركها الرسام فى جلاء ووضوح ... لقد شاهدت مرة فى معرض أقامه مصور فنان ، لوحة تصور منظراً للنيل عند أنس الوجود ، فوجدته قد خلع على الماء مجموعة من ألوان لا تراها العين ، أو على الأصح يخيل إلى العين أنها لاتراها — فسألته : أين رأيت هذه الألوان التى صبغت بها لوحتك ، فأجاب : رأيتها على صفحة الماء ، وهو صادق فيما يقول

فليس لون المائدة أصفر وإن شبه لك أنه كذلك ، لأنه يختلف مع الضوء وحدة البصر ، كما ينعدم فى حلكة الليل ، وإذن فليس هو صفة لازمة للمائدة فى كل وقت وعند كل عين ، إنما يتوقف على موقف الرائى والضوء الساقط ، كما يتوقف على المائدة نفسها

دع اللون وابحث فى نعومة السطح ، فعينك المجردة العارية قد تراه صقيلا لامعاً ، لا غضون فيه ولا التواء ، فإذا ما نظرت إليه خلال المجهر ، رأيت سهولا وحزوناً وهضاباً ونجاداً ، وكلما ازداد المجهر حدة ازداد السطح تغضناً وخشونة ، فأين حقيقة السطح إذن ؟ أهو وعر كثير المسالك كما يبدو خلال المنظار ؟ أم مستو صقيل كما تراه العين المجردة ؟ لا أحسبك تستطيع أن تقطع فى هذا بقول صحيح !

ثم انتقل إلى شكل المائدة وحدثنى ما هو ... وإن زعمت أنه مستطيل فمن ذا أنبأك بهذا ؟ انك لا ترى استطالة السطح إلا فى موقف واحد ، وهو أن تنظر إليه من أعلى نظراً عمودياً لا يميل ، وقل أن يحدث هذا ... خذ قلما وقرطاساً وحاول أن ترسم سطح المائدة وسترى عجباً ، فلن يبدو لك السطح مستطيلا كما تظن بل ستراه يضيق من ناحية ويتسع من ناحية أخرى ، وكلما نزل مستوى بصرك أو صعد تغير الشكل المنظور ، وكلما تحركت قيد شبر واحد تغير شكل المائدة ... فلو وقف فى الحجرة ألف شخص ورسم كل واحد منهم المائدة كما يراها ، كان لديك ألف شكل لا يشبه واحد منها الآخر ، فهل لشكل المائدة حقيقة واحدة أم الف من الحقائق ؟ !

ثم تعال معى نختبرها من حيث الصلابة والليونة ... اضغطها بين أصبعيك فماذا أنت واجد ؟ لا أحسبك شاكا فى صلابتها ، فهذا ما تحسه يداك ، كما يحسه كل إنسان آخر ، ولكن هب أن الله قد أمدك بقوة تساوى ألف مثل من قوتك ، فهل ترى صلابة المائدة تظل بين أصبعيك كما هى لا يطرأ عليها التغيير والتبديل ؟ كلا ! فكلما ازدادت قوة الضغط ، قلت نسبة الإحساس بالصلابة ، فهى أصلب فى ملمس الطفل منها فى ملمس الرجل ، وهى أصلب فى ملمس الرجل منها فى مخلب الأسد ! فهل ترى من حق الإنسان أن يكون حكما يقضى لهذه بالصلابة ولتلك بالرخاوة ، وهو لا يعبر إلا عن شعوره الخاص ؟ ... اقرع المائدة باصبعك تسمع لها صوتا تعهده للخشب ، فتظن أن للخشب صوتا يلازمه فى كل ظروفه ، وأنه لازمة من لوازمه ، ولكنك ترفض هذا حين تعلم أن له رنيناً آخر إذا نقرته بمفتاح مثلا ، وثالثاً إذا ضربته بمحجاة وهلم جرا ...

إذن ليس لون المائدة أصفر على وجه اليقين ، وليس السطح مصقولا على وجه اليقين ، وليس الشكل مستطيلا على وجه اليقين وليس الخشب صلباً على وجه اليقين ، وليس له صوت بعينه ... وإذن فما نقلته اليك عيناك مشكوك فى أمره ، وما نقلته اليك أذناك مطعون فى صحته ، وما نقلته إليك أصابعك موضع للاخذ والرد ، فماذا بقى لك من مائدتك التى عهدتها وما شككت يوما فى يقينها ؟ أفلا ترى الآن أن صورة المائدة فى ذهنك قد تنقص عن الواقع ، وقد تزيد على الواقع ، وقد لا يكون لها واقع على الاطلاق ؟ !

الحياة الأدبية في الحجاز

نهضة الشعر

للأستاذ أحمد أبو بكر ابراهيم

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

سمع هؤلاء الشعراء هذه الصيحة التى صاح بها أدباء المهجر فى وجه التقليد فاستجابوا لها لأنهم وجدوا فيها دعوة إلى الصراحة والتعبير عن النفس فى وضوح وجلاء ؛ والعربى أقرب الناس إلى هذه الصراحة ، كما وجدوا فيها خروجاً على التقليد الذى قعد بهم عن الرقى الزمن الطويل ، ولهذا صاح كثير منهم فى الحجاز فى وجه التقليد ودعوا إلى مثل هذه الدعوة التى دعا إليها جبران فقال أحدهم : « بعض من شباننا الأدباء وبعض من قراء (الكتب القديمة الجامدة) يقرض القطع الشعرية البديعة الناصعة ، ناصعة والحق يقال . ولكن ما ذا يضمنها من الأفكار ؟

ينظمها فى الخمريات وفى الغزل وفى المديح وفى الحماسة وفى الحكمة ، وكل هذه من الأفكار الميتة التى دفنت مع عصور ... فلا تصلح لنا...

وقال : « أمامنا الوطن ، أمامنا العادات والأخلاق ، أمامنا الحرية بأنواعها ، أمامنا الشرق الكسول ، أمامنا التغنى بأمجاد الشرق ، أمامنا العرب بمحالتهم السياسية ، أمامنا الغرب باختراعاته »

هذا هو الروح الجديد المتوثب الذى سرى فى شباب المدرسة الحديثة فى الحجاز . ولعل القارئ يدرك التشابه بين هذا الروح واتجاه أدباء المهجر ، بل لعله مدرك التشابه فى الأسلوبين وطريقتهما.

ولما كان أدباء المهجر أحراراً فى كل شىء ، متمردين على القيود القديمة والأغلال المتوارثة ، فقد بدأ هذا التحرر فى القافية وطريقة الوزن الشعرى والموضوعات والمعانى والأخيلة ، ومن ثم تابعهم شعراء الحجاز المجددون فى كل هذا : فالكثرة الغامرة من قصائدهم لا تتبع قافية واحدة ، والمربعات والمخمسات والدوبيت والموشحات تفوق عندهم القصائد وتربى عليها . ونحن نسوق هنا مثلا من الطرق التى يتبعونها فى قافيتهم . فما جاء من ذلك مناجاة « لحسن فقى » يناجى فيها القمر ومنها :

حسبى من الدنيا الحقيرة أن أراك لدى المساء
تلقى بنورك فى القلوب كبلسم يزجى الشفاء
فأعود بالذكرى إلى عهد اللذاذة والهناء
وأبث ما يجد الجنان

حسبى من الدنيا بقاؤك ساطعاً فوق الهضاب
مترنحاً من نشوة الحسن المسيطر والشباب
متطلعاً من عرشك العالى إلى أسرى العذاب
ترنو إليهم فى حنان

بل إن الشاعر هنا لا يريد أن يعترف بشطرى البيت فساقه جملة كما يفعل شعراء المهجر أيضاً .

ومن الطرائق التى يتبعونها فى القافية أن يغير الشاعر القافية فى كل بيت ، ولكنه يذيله بكلمة متحدة القافية مع الكلمات الأخرى وفى هذا النوع يقول الشاعر « عمر عرب » فى قطعة عنوانها « عصر الشباب » .

حدثينى عن الصبا والشباب عن زمان الهناء بين الصحاب
حدثينى
حدثينى عن الهوى يا مهاتى إن هذا الحديث يحيى رفاتى
حدثينى

ويقول :

لست أسلو هواك ياهند يوما لا ولم أخش فى عذابك لوما
صدقينى

أخشى أن ينتقل بنا الحديث من المائدة إلى مشكلات فلسفية عميقة ، فهى توشك أن تفتح أمامنا أبواب بحث جديد ، جدير بالتفكير . هل هناك مادة فى الوجود كما يبدو أم هى بدعة أنشأها الفكر البشرى إنشاء وخلقها من العدم خلقاً ؟! ... هل تدل مظاهر الأشياء على حقائقها وتنطبق عليها انطباق المثال على المثال أم تختلف عنها اختلافا بعيداً أو قريباً ؟! ...

ثم وضع صاحبى كفه القوية فوق كتفى ، وقال فى عطف ونصح : فكر فى كل شىء ، وستشك فى كل شىء ! !

زكى نجيب محمود

ذكريني بذلك العهد هند   كيف نلنا الآمال والعيش رغد

ذكريني

وهكذا يحاول شعراء المدرسة الحديثة أن يتخلصوا من قيود القافية ؛ حتى ليسوق إليك بعضهم كلاما يخيل إليك بادىء الأمر أنه نثر ، فإذا أطلت النظر فيه وجدته شعرا ونثرا ؛ قد التزم فى بعضه الوزن وأطلق الآخر حراً دون قيد ، ومن ذلك كلمة للأديب « عزيز ضياء » عنوانها « عيد » يقول فيها بعد كلام طويل وصف فيه مغيب الشمس قبلة ليلة العيد ...:

ثم لما ابتلعها لحدها وغيبها دهرها

صاح فى الروض طير

لقد ماتت ذكاء

فكان يوم قديم قد مر وكان شهر قديم قد انقضى

وجن جنون السحاب الحزين

فناح نواحا يثير الحنين

وراح يناجى الربى والحزون

يمزق فوق الربى وجهه

ويهرق فوق الثرى دمعه

ولم يرث قلب لتلك الدموع

ففاض المحب بأنفاسه

وراء الجبال وراء الحبيب ... الخ

فلعلك مدرك بعد هـذا أن الأديب هنا قد جمع بين الشعر المنظوم والشعر المنثور وأن الفقرة التى أولها « وجن جنون السحاب الحزين » شعر موزون من بحر المتقارب ولـكن الأديب لم يلتزم فيه قافية متكررة . على أنك واجد فى بقية القطعة تحرراً من الوزن والقافية معاً .

ويجب أن يستقر فى أذهاننا أن تقليد الحجازيين المتشدين منهم والمتوثبين تقليد قوى لا تغنى فيه شخصياتهم وإنما يقلدون غيرهم فى الطرائق والمناهج ويصورون بعد ذلك عواطفهم وبيئتهم ، فهم متأثرون بهذه البيئة أشد التأثر : متأثرون بطبيعة أرضها وعادات أهلها وآمالها وعقائدها .

والشاعر إذا شعر تجد فى ثنايا شعره كل هذه الاتجاهات واضحة جلية :

يقول معالى الدكتور هيكل باشا : « ثم إن الأدب يتأثر دائما بالبيئة التى تحيط به كما يتأثر بأحداث الزمان ، وإذا كانت هذه الأحداث قد بعثته فى الحجاز ، حتى جعلت أهله يتطلعون إلى غيرهم من الأمم المجاورة لهم ، فان البيئة العربية الصحيحة التى لم تتغير ، قد بقى لها أثرها فى هذا الأدب ، شأن كل بيئة فى أية أمة من الأمم ، ولعل أثر البيئة الطبيعية أكثر وضوحا فى شعر أدباء الحجاز منه فى نثرهم .. »

ونحن إذا أردنا أن نلتمس الدليل على ذلك وجدناه واضحاً جلياً ، فهم مع اطلاعهم على الآداب الأخرى لم ينسوا أن يصفوا جبالهم وهضابهم وما ينبت فى أرضهم من أثل وأراك ، فعبد الوهاب آشى يقول :

بلاد حبتها الطبيعة ما   يحبب للقلب أدوارها

جبال تناطح جون السحاب   وتوحى إلى النفس أفكارها

تنائف تمرح فيها الوحوش   تساجل فى الدوح أطيارها

ومشتبك الأثل فى غابها   كما جارة عانقت جارها

إذا الليل أرخى ستائره   أرتك الكواكب أنوارها

وفى الأبيات الآتية ما يصور للقارىء ناحية من نواحى الحياة بالجزيرة حيث يقام استعراض عام للجيوش ، فتبدو الخيل صاهلة والإبل ترغو والأعلام خافقة ، وقد قيلت فى الاستعراض الذى أقيم احتفالا بنجاة جلالة الملك ابن السعود من حادث المطاف ١٣٥٣ هجرية :

فى موكب (العرضة الكبرى) وقد لعبت

فيها الرماح وقامت ترقص القضب

والخيل تصهل والأعلام خافقـة

والأسـد تزأر والآفاق تصطخب

والابل ترغى وأصوات البنـادق

كالرعد المدمدم تروى رجعها السحب

ولما كان اتصالهم بالثقافة الحديثة اتصال الدائب المجد ، اتصال الذى لا يترك كتابا ظهر فى عالم التأليف حتى يأتى عليه ، لما كان هذا فقد رأيناهم يعالجون الموضوعات النفسية ويأتون ببعض من المعانى الفلسفية التى تتصل بالروح والحيـاة والغرائز البشرية ، فأحمد قنديل يناجى الحياة فى قصيدة طويلة جاء فيها :

أنا بين ماضى المنير وحاضرى الد اجى وتحت غمامة المستقبل

متفائل متشائم فى فكرى الد امى عراك هائل لا ينجلى

أبداً أظل برحلتى كالهائم الد اعى إليك بحيرة وتأمل

لا تصطفين سوى محب حام حو لك هائم متعززلا يستكين

ولثمت فاك فكان خمرى اللمى حلو الرحيق

لكن نشدت الطهر فيك فما وجدت له عبوق

إلى أن يقول :

من أنت ؟ بل قولى بحقك : من أنا ؟ فأنا الصديق

المكره الصادى الفؤاد ، أنا الأسير أو الرقيق

أنا من ولدت مزوداً بهواك يجرى فى العروق

سأظل حولك ساخراً دهشا بذياك البريق

متصابياً أسقى الرضا حيناً وأشوى بالحريق

حتى إذا انكشفت ستارتك الصفيقة فى المضيق

سأكون ويلك مع ضحاياك الرقود بذى الشقوق

وأعود فى كنف الخلود أو السما روحا طليق

وقد اتفقت كلمة شعراء الحجاز من المدرستين على أن يطرقوا من موضوعات الشعر ما يلامس الحياة الواقعة ، ويتصل بآمالهم وما ربهم ، فهم يتناولون الموضوعات القومية والاجتماعية التى يحتاجون إليها فى مجتمعهم ؛ فالشيخ محمد سرور الصبان يقول فى الوطن :

أنا لا أزال شقى حبك هائماً فى كل واد

زعم العواذل أننى أسلو واجنح للرقاد

كذبوا وحقك لست أقدر أن أعيش بلا فؤاد

ولسوف أصبر للمصا ئب والكوارث والبعاد

حتى أراك ممتعاً بالعز ما بين البلاد

ويقول الأستاذ احمد العربى فى قصيدة له عنوانها « أيها العيد »

أيها الموسرون رفقا وعطفاً وحناناً بالبائس المحزون

ربما بات جاركم طاويا جو عا بتم تشكون بشم البطون

ربما ظل طيلة العيد يستخفى من الصحب قابعاً كالسجين

يتوارى من سوء منظره المزرى ومن حاله الكريه المهين

أى فضل للعيد يستأثر المثرون فيه بالطالع الميمون ؟ !

والفقير الكئيب يرجع منه بنصيب المرزأ المغبون ؟ !

وشعراء الحجاز منذ أن تفتحت أمامهم نواحى النهضة الحديثة يعالجون بشعرهم الموضوعات السياسية ويرون أن النهضة لن تكون إلا إذا تعاون العرب جميعاً فى أقطار الأرض . وفيما يلى ابيات للأستاذ الغزاوى يخاطب فيها مصر :

يامصر أنت وقد دأبت منارة للمهتدين وسميك المترسم

* * *

يا مصر ما أولى بنيك بقومهم فعلام يوغرك الخلاف المبهم

يا مصر قد أغضيت عمن ليلهم فيك السهاد وفى جمالك تيموا

يا مصر يا أم الحضارة والنهى مهلا فحبك فى الجوانح مدعم

يامطمح الأمل العتيد وعزة الماضى المجيد وما أظل ويقدم

يا ربة الأهرام والمجد الذى ما زال فى أمم البسيطة يكرم

إلى أن يقول :

ردى على تحيتى فلا متى قلب عليك مع العتاب متيم

ويقول الأستاذ عواد من قصيدة يصف فيها جندى الديموقراطية فى ميادين القتال :

يستثير المجد فى عمل هائل المغزى يعظمه

حيث موسيقا الخلود إذا طوحت بالجبن تحطمه

والصدى كالصوت صاعقة والصفوف السود ترجمه

يسأل الأقدار هل يده تغسل العدوان أو دمه ؟

فاذا بالكون ليل أسى تتهاوى فيه أنجمه

وإذ الأصداء قائلة : قول صدق لا تجمجمه

أيها التاريخ ذا بطل فعله للخلد مسلمه

ومن الأغراض التى نالت حظا من الرقى « الغزل » فقد اتجه الشعراء فيه إلى ذكر الهوى والشوق وتوجع الصبابة وفى وفى الأبيات الآتية وهى « لمحمد حسن فقى » ما يدل على صدق العاطفة وتدفق الشعور :

لا أنت يا قلب بالسالى فتهجره ولا الوصال بميسور ولا دانى

عش هكذا خافقا ياقلب مكتئبا فليس حزنك بعد اليوم بالفانى
أواه ! إن جحيم الحب يصهرنى فما الذى بجحيم الحب أصلانى ؟!
لا آخذ الله من أصمى بمقلته قلبى وغادرنى نهبا لأشجانى
إليـه أبعث أناتى مؤججـة ومنه أقبس أشعارى وألحانى
وفيه ألتذ بالبلوى وأحمدها إن كان يرضيه تعذيبى وهجرانى

وليس عجيبا أن يجيد العربى ذكر الهوى والغرام ؛ فهو عفيف لم تلوثه المدنية بآثامها ، ولم يسلس قياد المرأة له حتى تنطفى. جذوة غرامه وتخبو حدة حبه . فلا تكاد فتاة المدن فى الحجاز تتجاوز عهد الطفولة حتى تحتجب عن الأنظار ويضرب الحجاب بينها وبين الشبان ، ويصبح من المحال أن يلتقى شاب بفتاة أو أن يختلس منها نظرة عابرة .

وفى الشباب الحجازى عاطفة متقدة ، أملتها عليه طبيعة هذه البلاد المتقشفة ، فهو إذا تحدث عن الهوى كان حديثه حديث من حدت شهواته ، فخرجت أبياته زفرات وآهات ملتهبة . قال الأستاذ حمزه شحاته :

بعد صفو الهوى وطيب الوفاق عز حتى السلام عند التلاقى
يامعافى من داء قلبى وحزنى وسليما من حرقتى واشتياقى
هل تمثلت ثورة اليأس فى وجهى وهول الشقاء فى إطراقى
أى سهم به اخترقت فؤادى حين سددتها إلى أعماقى
إذ تهاديت مبدلا نظرة العطف بأخـرى قليلـة الإشراق
مسرعا فى المسير تنهب الخطو فهل كنت مشفقا من لحاق
وتهيـأت للسلام ولم تفعـــل فأغريت بى فضول الرفاق الخ

أما سوق المدح فى الشعر الحجازى فهى نافقة رائجة ، ولهذا الغرض شعراء من المدرسـة المتشددة قد أجادوا فيه وأكثروا ، ولعل الذى جعلهم يجيدون ويطيلون ماوجدوه فى جلالة ابن السعود من معان تستأهل المدح وتستحق الإطراء والثناء ؛ فهو الذى أمن البلاد بعد خوفها ، وهو الذى بعث الحياة فى نواحيها فشاد دور العلم واستحث الهمم للنهوض ، وهو الكريم الذى يولى الهبات وهو الشجاع الذى أسس الملك على أساس من القوة .

ولا يقتصر المادحون على مدح الملك وإنما يمدحون أبناء الأمجاد فيجدون عندهم من الحفاوة والتكريم ما يرضى نفوسهم ويحملهم على المزيد . قال الغزاوى يمدح جلالة الملك بعد الحلف الذى أبرم بين الحجاز واليمن :

وأنت الذى أعلى بك الله صرحها وأرشدها للعرف بعد التناكر
فأما بنوك الصيد فالدهر شاهدى لديك بما قد قلدوا من مفاخر
أصاب ولى العهـد أبعد غاية تسامت فأعيت بالثنا كل شاكر

وقال أيضاً فى قصيدة طويلة يهنىء بهـا سمو الأمير فيصل بعودته من رحلة له فى أوروبة سنة ١٣٥١ هجرية :

بدر تم يتجلى أم فلق أم شعور فاض فاستهوى الحدق
أم هو الفيصل ألقى ضوءه يغمر الشعب ويستبق الرمق

* * *

أيهـا القادم من أقصى الورى قد ملأت اليوم بالبشر الفلق
قد شهدت الشيخ فى حبوته والفتى الناشىء بالحب فهق

إلى أن يقول :

فإذاً ما قلت شعبى مخلص للمليك قالت الدنيـا صدق
أى أمن نرتجيه ومنى ونعيم فوق ما فينا بسق

ولا ضير علينا بعد الذى فصلناه فى باب الشعر أن نقرر أن الشعر الحجازى قد تقـدم فى هذه الفترة القصيرة : فى أغراضه ومعانيه واستطاع أن ينأى عن التلاعب بالألفاظ وألوان الزينـة . ولـكن ذلك لا يمنعنا أن نقول ، إن الحجاز مهـد الأدب شعره ونثره لا يزال يتطلب من شعرائه المزيد وبخاصة فيما يتصـل بقوة الأساليب ورصانتها ؛ فإن الـكثير منهم مع إجادته لا يهتم أحيانا بجزالة الأسلوب وزصفه شأنه فى ذلك شأن شعراء المهجر أولئك الذين يقول فى أدبهم الأستاذ العقـاد : « وبين محتويات هذه المجموعة « مجموعة من أدبهم » ما يسمو معناه إلى درجة رفيعة فى البلاغة والذكاء وفيها من الابتـداع ما يقل مثله بين آيات أدباء الغرب العصريين ولا يؤخذ عليها إلا ما يؤخذ عادة على كتاب العربية فى أمريكا : تساهل فى قواعد اللغة ، وضعف فى أساليب التعبير بها ، وما عدا ذلك فطرفة تستحق الثناء »

أحمد أبو بكر إبراهيم

البـــــلاغة العربية

للاستاذ نقولا الحداد

البلاغة فى اللغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته . والفصاحة هى سلامة الكلام من التنافر والتعقيد ومن الألفاظ المهجورة والوحشية . واللغة العربية لا تختص بهذا التعريف وحدها ، بل هو تعريف البلاغة فى كل لغة ، لأن البلاغة عمل عقلى أكثر مما هى أداة كلامية . وهى منطق أكثر مما هى فن تعبير . بل هى فلسفة أكثر مما هى قاعدة بيان

إذن فأركانها صحة العقل وصفاء الفكرة وجمال الذوق واتساع المعرفة وطاعة الكلم للسان والقلم . فاذا اجتمعت هذه فى القائل أو الكاتب فى أية لغة كان كلامه بليغاً

أما صحة العقل فأساس المنطق لتطبيق القول على المعنى المراد بغية إقناع السامع أو القارىء بصواب القول وارتياح النفس إليه

وأما صفاء الفكرة فأساس البيان لأنه لا يمكن أن تقيم بناء بيان على فكرة مضطربة مقلقلة ، ولا يمكن أن يفهم السامع أو القارىء ماذا يعنى القائل بكلامه المضعضع . ولا يمكن أن يتم الاتصال بينهما على وثيقة

وجمال الذوق لابد منه لتبليغ الكلام البليغ إلى ذهن القارىء أو السامع أو إغرائه بمعناه وتغذية العقل بمعرفته . فاذا خلا البيان من الذوق الجميل كان منفراً . وإذا غنى به كان جذاباً ساحرا . وإن من البيان لسحراً

والمعرفة مادة الكلام . هى الجواهر التى يصاغ منها الكلام البليغ . فالكاتب الذى يكتب فى موضوع بضاعته فيه قليلة أو ضئيلة أو سقيمة لا يصوغ إلا فقاقيع زبد لا تلبث أن تذهب أمام استكناه معناها ذهاب الرغاوة مع الريح . يجب أن يلم الكاتب إلماما كبيراً بما يكتب لكى يستطيب القارىء بلاغته وإلا مله لأول فقرة ونبذه

بقى أنه لا بد للكاتب أو المتكلم أن يكون قائماً على كتب اللغة وأن تكون الكلم الفصاح فى متناول يده يختار منها أليقها لمكانها فى الكلام وأوقعها فى المسامع وأدمثها للأذهان ، ويجب أن يعلم الكاتب أن لكل مقام مقالاوأن لكل قوم كلاما موموقا. وأن لكل زمان ألفاظا مأنوسة . فما أقبح أن يخاطب المتكلم أو الكاتب أناساًبألفاظ غريبة عنهم أوناشزة فى مسامعهم أو بعبارات معقدة تستكد أذهانهم

هذه بعض أوليات البلاغة . وقد تبسط فيها الأستاذ البليغ أحمد حسن الزيات صاحب الرسالة فى كتابه « دفاع عن البلاغة » ، ومباحثه فى هذا الكتاب طريفة ؛ فهو يعطى للبلاغة صفة الفلسفة ويكتب فيها كفيلسوف مركبا فى فصل آلة البلاغة ، ومحللا فى فصل الذوق ، ومركباً ومحللا معاً فى فصل الأسلوب . وهو الفصل الذى أفاض فيـه بتبيان صناعة القلم من جميع وجوهها .

ولا بدع أن تكون البلاغة ضرباً من الفلسفة ، لأن المعنى واللفظ متلازمان ملتحمان، الثانى صورة للأول، والأول نتاج العقل، فبراعة الكاتب تظهر فى استطاعته أن يلائم المادة بالعقل وأن يلبس المعنى الثوب اللفظى الأنيق اللائق على قدره لا أضيق ولا أوسع

ولأن البلاغة ضرب من الفلسفة فهى فى رأى الأستاذ الزيات كسائر الفنون طبيعيّة موهوبة لا صناعة مكسوبة . ولعله تطرف فى هذه العقيدة أو غالى فى قصرها على الفن ؛ لأن هناك ضرباً من الكلام مكان الفن فيه قليل أو عديم . إذا كتبنا عن سر القنبلة الذرية لا نجد موضعاً للفن إلا إذا كتبنا عن تأثيرهـا فى الحرب أو الاجتماع . يكفى أن نحسن كشف السر وبسطه من الناحيـة العلمية لكى نجلوه للقارىء جيداً . فالبلاغة فى هذا المجال صناعة مكسوبة أكثر مما هى فن موهوب . وفى كلتا الحالتين لا غنى عن القواعد للايضاح والاحتراز من اللبس

إن تطبيق اللفظ على المعنى هو غاية البلاغة القصوى سواء كانت فنا أو صناعة . والأستاذ الزيات قد أجاد كل الإجادة فى فلسفة البلاغة وضرب بكل سهم فى مذاهبها . فهو إذن نبراس الهدى لأهل البراعة .

***

فى حين أن ظهر كتاب « دفاع عن البلاغة » ظهر كتاب « البلاغة العصرية واللغة العربية » للاستاذ سلامه موسى . وهو كتاب طريف الباحث أيضاً . لا أظن أحداً خاض فيهما قبله أو سبقه إليها . هو فلسفة الكلام أو الكلمات . أو لك أن تقول

هو فلسفة تطبيق اللفظ على المعنى بمقتضى حاجة العصر . العصر يتغير والمعانى تستجد . فبالأحرى أن تتغير الألفاظ وأن تستجد . وبالأحرى أن تلاحق الأقلام هذا التجدد والتجدد ضربة لازب للتطور . ولا يحدث تطور إلا إذا لم يعزل القديم إلى «الانتكخانة» المتحف ويؤتى بالجديد . فقطار العمران اليوم غير قطار البادية منذ قرون . وطائرة هذا القرن غير الأطيار التى كنا نحسدها على ملكية الجو . فلكل زمن تفكيره وتعبيره . ولا مناص من تغيير التعبير إذا تطور التفكير .

نحن اليوم فى جيش لجب من الأدوات والآلات . ولا غنى لنا عن أسماء لها انظر كم أداة فى الأوتوموبيل وفى المطبعة ولا سيما مطبعة الروتاتيف وفى الباخرة والبارجة والقاطرة الخ . لكل هذه الأدوات أسماء وضعها لها مخترعو الأدوات . ولم يكن عند أسلافنا لاأوتوموبيل ولا مطبعة ولا بارجة ولا قاطرة . إذاً فليس فى لغتنا أسماء لهذه الأدوات . فاذا بحثنا فى لغتنا عن لفظة تليق للاوتوموبيل كسيارة مثلا فنكون قدغيرنا معنى السيارة القديمة كما أننا غيرنا معنى القطار القديم . فالتغيير لابد منه للتطور ولذلك يعد الجديد عن القديم وصار لكل زمان لغته .

إذا كنا كلما استجد معنى استعرنا له لفظاً فى القديم التبس جديدنا بقديمنا ولا سيما إذا كان المعنى القديم نفسه قد وضع على الرف .

اللولب فى الـ دُم اللولبية أو الحلزونية الشكل يستعمل بدل البرغى ، هذا جديد وذاك قديم ولكن هذا درج على الألسن وذاك أهمل . والبرغى حاموله . فإذا سألنا اللغوى أن يأتينا بلفظ عربى للحامولة فماذا يختار .

أجل لغتنا غنية بالكلم . غنية جداً . ولكنها كانت لغة العرب منذ عشرين أوأربعين قرناً فلم تعد تسعنا الآن . لغتنا غنية بالكلمات الصالحة للادب والشعر ولكنها فقيرة جداً بالكلمات الصالحة للعلوم العملية الحديثة كالكيمياء والبيولوجيا وما تفرّع منها والصالحة للفنون الآلية . فإذا أصررنا على اختيار لفظ لكل ما جد فى هذه وهو لا يحصى بالألوف بل بمئات الألوف كنا نفصل أثواب المعانى القديمة القليلة ألوفا من الملابس للمعانى الجديدة . وهو مستحيل لأننا نرى حينئذ القديم والجديد كليهما عاريين .

إذاً فلابد من أن نقتبس الكلمات الأجنبية الجديدة للاشياء التى اقتبسناها . ويكفى أن نطوعها للصياغة العربيسة ما أمكن . فنقتبس كلمة الاسبيرين كما أخذنا الاسبيرين من الغرب . ونقبل كلمة ياقة التى درجت على ألسنتنا لأن كلمة طوق لا تقوم مقامها لأنها تلتبس بالقلادة .

أعنى لابد من توسيع صدر اللغة لقبول بعض الكلمات الأجنبية التى جدت لأشياء جديدة لكى تجارى روح العصر . وإذا أخذنا نبحث فى لغتنا عن كل كلمة قديمة لكل معنى أو شىء جديد كنا لا نزال نلتفت إلى الوراء ونتمسك بأهداب القديم ونصر على البقاء حيث كان السلفاء . إذاً فلا نلوم الغربيين إذا استغلوا تأخرنا هذا .

هذا شىء من وحى كتاب الأستاذ سلامه موسى ولا يمكن استيفاء جميع مباحثه إلا إذا نقلنا الكتاب برمته إلى هذه العجالة فخير للقارىء الذى تطيب له هذه الأبحاث أن يطالع الكتاب نفسه

أوافق الأستاذ سلامه على مشروع تبسيط قواعد اللغة العربية لكى نقتصد بالوقت والجهد فى دراستها ونأمن الخطأ فى استعمالها لأنها كثيرة متشعبة ويستغرق وقتاً طويلا فى حفظها . ولا يمكن أن يدرس معها الكثير من علوم العصر وفنونه . يمكن تبسيطها واختصارها جداً من غير أن يثلم التعبير بها . وإلا نفر العدد الأكبر من طلابها منها كما هو حادث اليوم .

ولكنى لا أوافق الأستاذ على تنقيح الحروف العربية ولا إبدال الحروف اللاتينية بها . فحروفنا أفضل من كل حرف أجنبى يبدل به لها . لأنها فى القرون التى مرت انصقلت وصارت كأنها الخط المختزل . نعم إن لكل حرف صورتين أو ثلاثة . ولكن هذه الصور لا تجعل الحروف أزيد من ١٥٠ حرفاً . ومن يتعلم ٢٨ حرفاً يستطيع أن يتعلم ١٥٠ كما تعلمناها وما عانينا وتعلمها الأجانب وما تذمروا .

بقيت مسألة الحركات التى يتخذها دعاة الحرف اللاتينى سبباً لابدال الحروف . فهذه يمكن الاستغناء عنها فى كثير من مواقفها . ففى الأفعال الثلاثية لالزوم لها إلا على عين الفعل ماضياً ومضارعاً . ويستغنى عنها فى جميع مشتقات الأفعال الرباعية والخماسية والسداسية ومصادرها ، ولا حاجة لها إلافى اسم المفعول

منها لأنها كلها معلومة النطق عند من تعلمها . وهناك كثير من الصيغ القياسية يستغنى فيها عن الحركات .

وأما أن نستعمل الأحرف الصوتية اللاتينية بدلها فى استعمال الحرف اللاتينى فنزيد الكتابة تطويلا وتعقيداً لأننا نحتاج الى ثلاثة أحرف صوتية بدل الحركات علاوة على أحرفها . فلأجل فعل ضرب نضطر أن نستعمل ستة أحرف . ولا محل هنا للتوسع فى هذا الموضوع وإنما لدى البحث الدقيق نجد أن استعمال الحرف اللاتينى لا يحل لنا مشكلة بل يزيد المشكلة تعقيداً .

نقولا الحداد

---

٢ - نظرات
في دائرة المعارف الاسلامية
الترجمة العربية
للأستاذ كوركيس عواد

ونضيف الى ما تقدم بيانه ، ان « تاريخ إربل » هذا ، نقل أغلبه الى العربية ، ونشر هذا المنقول فى مجلة « النجم » الموصلية فى أعداد سنواتها الثلاث الأوليات (١٩٢٩ — ١٩٣١) .

كما أن المستشرق زورل F. Zorell اليسوعى، نقله إلى اللاتينية بعنوان Chronica Ecclesiae Arbelensis (Roma, 1927) .

وفى ١ : ٥٧٤ ا ٦١ قرأنا إسماً شرقياً بأحرف غربية هكذا (Jabalaha III) . قلنا : الجاثليق النسطورى « يابالاها الثالث » المتوفى سنة ٧١٧ هـ (١٣١٨ م) وإسمه إرمى يعنى « هبة الله » أو « عطاء الله » . وترجمته واردة فى كتاب « أخبار فطاركة كرسى المشرق » من كتاب المجدل لعمرو بن متى (ص١٢٣ — ١٢٥ طبعة جسمندى فى رومية) ، وذخيرة الأذهان فى تواريخ المشارقة والمغاربة السريان لنصرى (٢ : ١٢ — ٢٢) ، وسيرة مار يابالاها (النص الإرمى ، نشره بيجان فى باريس سنة ١٨٨٨ ثم سنة ١٨٩٥) . وقد ترجمها المستشرق شابو J. B. Chabot إلى الفرنسية بعنوان :

Histoire de Mar Jabalaha II [Revue de L'Orient Latin. Vol I, 1893 pp. 50 -61?, Vol II, 1894 pp. 73-143, 235-.0.].

ثم نقلها منتكومرى J. A. montgomery إلى الانكليزية بعنوان The History of Yaballaha III Nestorian Patriarch. (New York, 1927.)

وفى ١ : ٦٨٠ ب ٣ تصحف اسم شرق مشهور ، فقيل فيه « أسمانى » وصوابه « السمعانى » وهو يوسف سمعان السمعانى المارونى ، رئيس أساقفة صور ، المتوفى سنة ١٧٦٨ م ، صاحب التآليف الشهيرة ، وبالأخص تأليفه العظيم الذائع الصيت الموسوم بـ « المكتبة الشرقية » Bibliotheca Orientalis (4 vols, Rome, 1719 - 1728)

وفى ١ : ٦٨٠ ب ٩ ورد ذكر البطريق سيمون السكلدانى وصوابه : البطريرك شمعون السكلدانى .

وفى ١ : ٦٨٠ ب ٢٣ و ٢٨ الرهبان اللازاريون وكان الأحسن أن يقال الرهبان العازريون ، نسبة إلى « العازر » المذكور فى إنجيل يوحنا (١١و١٢ : ١ — ١١) .

وفى ٢ : ٩٨ ب ٦ و ٨ ثابت بن قره . والصواب : ثابت ابن قرة (بضم القاف وتشديد الراء وفتحها وفى آخرها هاء منقوطة).

وفى ٢ : ٢٢٣ ا ٧ شور بن العطاف . قلنا : الذى فى تاريخ الطبرى (١ : ٤٤١ طبعة دى غويه) : شمر بن العطاف .

وفى ٢ : ٢٢٣ ا ١٥ و ١٨ ورد ذكر دنهه . وصحة هذا الاسم « دنحا » وهو الجاثليق النسطورى المتوفى سنة ١٢٨١م . وترجمته فى كتاب المجدل لعمرو بن متى (ص ١٢١ — ١٢٢) . وقد فسر أبو الريحان البيرونى لفظة « دنحا » بقوله إنه « عيد الدنح نفسه ويوم المعمودية الذى صبغ فيه يحيى بن زكرياء المسيح وغمسه فى ماء المعمودية بنهر الأردن عند بلوغ ثلثين سنة من عمره » (انظر : الآثار الباقيـة عن القرون الخالية ، ص ٢٩٢ س ٣ — ٤ طبعة سخو) . وتفسير البيرونى لهذا الاسم يتفق وما ورد عنه فى المعاجم الإرمية المختلفة .

وفى ٣ : ١١ ا ١٢ و ٢٣ ؛ ٣ : ١٤ ب ١٨ ورد اسم « سيمون » مصحفاً من « شمعون » وقد مر بنا مثل ذلك آنفاً .

وفى ٣ : ١٤ ا ١٨ جاءت هذه العبارة: « وكذلك تفسير الإنجيل لداذيشوع[١٣] Dadiesu (وردهذا الاسم Jesudad) ، انظر Duvat ... » انتهى

قلنا : لا معنى للرقم ١٣ المحصور بين قوسين ، وفى الأصل

الفرنجى وضع بين القويسين إشارة الاستفهام هكذا (؟) .

ثم إن « يشوعداد » و « داديشوع » هما بالحقيقة إسم إرمى واحد ، بتقديم أحد شطريه على الآخر . فعنى يشوع : يسوع ، أى يسوع المسيح ، ومعنى داد : حبيب أوصديق . كما أن Cuvat صوابه Duval وهو المستشرق الفرنسى الشهير روبنس دوفال ، المتوغل فى الآداب السريانية .

وفى ٣ : ٢٤٨ | ٤ ستحاريب . صوابه : سنحاريب .

وكذلك فى ٣ : ٢٤٩ ب ٢٥ ابن الفداء ، والصواب : أبو الفداء . ولعل هذا الوهم والذى قبله ناشىء عن الطبع .

وفى ٣ : ٢٦٤ ب ٨ خسرو أنو شروان . والمشهور فى المراجع العربية القديمة : كسرى أنو شروان .

ومن الأوهام التى تسترعى الأنظار ، ماورد فى ٣ : ١٣٤٤ | ١ حيث ذكر هناك اسم يوسفوس وكتب بازائه بالفرنجية Eusébe قلنا : الصواب فى Eusébe إنه « أوسابيوس » وهو رجل نصرانى كان أسقفاً على قيسارية من بلاد الروم ، صنف تاريخاً كنسياً نفيساً عرف بـ « تاريخ أوسابيوس القيسرى » أو القيسرانى . وقد عاش سنة ٢٦٧ — ٣٤٠ م .

أما يوسفوس الذى يكتب اسمه بالفرنجية Josephe أو Josephus فمؤرخ يهودى ، دون تاريخ اليهود ، عاش سنة ٣٧ — ٩٥ م . فأين هذا من ذاك ؟

ومن التصحيفات الظاهرة للعيان ، ما ورد فى ٣ : ٣٥٩ ب ٩ و ١١ فقد كتب هناك « مردويج بن زياد » . والصواب إنه « مرداويج بن زيار » (الديلمى) على ماهو مسطور فى كثير من المراجع التاريخية . انظر مثلا : صلة تاريخ الطبرى لعريب بن سعد القرطبى (ص ١٥٤ طبعة دى غوية) ، وتجارب الأمم لمسكويه (٥ : ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ٢٢٨ ، ٣١٠ — ٣١٥ طبعة امدروز) وغيرهما .

وفى ٣ : ٤٢٩ | ١١ نبوشادنزر . والمشهور أن اسمه نبوخذ نصر . فقد ورد ذكر هذا الملك البابلى فى مواطن عديدة من التوراة (راجع مثلا : سفر الملوك والأيام ،وعزرا، ونحميا،واستير وارميا ولا سيما فى دانيال . كما أن العرب عرفوه باسم بختنصر . قال الطبرى (١ : ٦٧١) : فأقبل برخيا من نجران حتى قدم على بختنصر ببابل ، وهو نبوخذ نصر ، فعربته العرب » .

وفى ٣ : ٤٧٣ | ٢٤ الهمزانى . وصوابه الهمدانى (بالدال المهملة)

ومن الأعلام التى استوقفتنا أثناء المطالعة ماجاء فى ٣ : ٦٨٣ | ٢١ ـ ٢٢ حيث قال : « ووصفها نيرش Nearch ... » والذى يبدو لنا أن اللفظة الفرنجية مختصرة من Nearchus نرخس أحد قادة جيش الإسكندر المقدونى فى حملته على بلاد الهند ، فانه قاد الأسطول اليونانى سنة ٣٢٥ ق‌م من نهر السند إلى البحر الهندى ميمماً شطر السواحل الفارسية حتى بلغ مصب دجلة فى الخليج الفارسى . ثم إنه طاف حول البلدان العربية حتى بلغ برزخ السويس . وقد أودع حديث بعثته البحرية هذه فى كتاب وقفنا على ترجمته الانكليزية التى نقلها W. Vinsent من المصادر الإغريقية ، بعنوان : TheVoyahe of nearchus from the Indus to the Euphrats. (London, 1797)

وقرأنا فى ٣ : ٦٩٠ | ١١ هذه الكلمة « وفهارس Chiha » وكأن هذه التسمية خفيت على اللجنة ، فأبقت على أصلها الفرنجى . والحال أنه يقصد به « حبيب شيحا » وهو رجل سورى الأصل ، أقام ببغداد مدة ، ووضع لها تاريخاً بالفرنسية وأخبار أسرة شيحا فى مجلة الآثار الشرقية (٤ «١٩٢٩» ص ٤١٨ و ٤٧٠) .

وفى ٣ : ٦٩٢ | ٧ Layand وصوابه Layard .

وفى ٤ : ١٥ | ٢٤ بكر صبيحى . والصواب : بكر سوباشى راجع تفسير لفظة « سوباشى » فى مقال للأستاذ المحقق يعقوب سركيس (مجلة غرفة تجارة بغداد ٥ (١٩٤٢) ص ١٦٩ـ١٧٠) .

وفى السطر الأخير من ٤ : ١١٦ وكذا فى بعض حواشى هذا البحث ، تصحف اسم عبد الرازق الحسنى إلى الحسينى .

وفى ٤ : ١٤٠ | ٢١ زين الدين على كوجوك بن بكتكين . والذى فى الكامل لابن الأثير (راجع الفهارس) : زين الدين على كوجك بن بكتكين .

ومن الأوهام التى جاءت من الأصل الفرنجى اسم سلمنصر الثانى (٤ : ١٥٧ | ٤ و ٢١) وصوابه : شلمنصر الثالث . راجع بهذا الشأن .

L. W. Kinc: Bronze Reliefs from the Gates of Shalmaneser King of Assyria B.C. 860-825 London 1915 p. q.

(يتبع) كوركيس عواد

جزر الهند الشرقية

للأستاذ سوكارنو الصغير

نحاول فى هذه الأسطر أن نصور الحياة الحديثة فى جزر الهند الشرقية ليطلع القارىء على حياة أمة شرقية يبلغ عددها سبعين مليونا ، تجمع شملهم وحدة الآمال والمقاصد نحو حياة حرة ! ...

يطلق التاريخ الحديث على مجموع الجزر المنتشرة بين آسيا واستراليا ـ اندونيسيا ـ وهى كلمتان ركبتا تركيباً مزجياً . الكلمة الأولى (Indos) وهى بمعنى الهنـد ، والكلمة الثانية (Nesos) بمعنى الجزائر . وفى الاصـطلاح السياسى ، تطلق على المستعمرات الهولندية سابقاً . وأشهر الجزائر الأندونيسية : جاوا وسومطرة ، وبورنيو ، وسيليبيس ، وبالى ، وسمباوا ، وغينيا الجديدة ، وجزائر الملوك . وهناك جزر تعد بعشرات المئات ، ويبلغ سكان أندونيسيا سبعين مليونا .

سكن الشعب الأندونيسى هـذه الجزر قبل ميلاد المسيح بخمسة آلاف سنة . شيدوا فيها حكومات ذات حضارة ومدنية ؛ وكانت ديانته البوذية التى جاءته من جنوب الهنـد . ويرجح المؤرخون أن سكان اندونيسيا أتوا من الهنـد ، إذ أن الجزر الجـزر الأندونيسية الدانية من البر الأسيوى كانت متصلة به . وبقوة الأمواج المتلاطمة على السواحل الأسيوية انفصلت قطع منهـا وتكونت عدة جزر . واللغة الجامعـة للتفاهم هى اللغـة السنسكريتية . وتوجد للآن فى جزيرة جاوا آثار قديمة من العهد الهندوكى ، أشهرها (بوروبودور) وهيا كل المعابد البوذية ، وتماثيل بوذا . وقد نقبت البعثات الغربية فى جزيرة جاوا فوجدت فيهـا آثار أقدم انسان نشرتها الصحف بوقتها . ومن أعظم الحكومات التى أسسها الشعب الأندونيسى ، امبراطورية مجافائيد وامبراطورية سريويجايا وتعدان بالنسبة للظرف الحاضر من كبريات الدول ذوات الاستعمار ! ولما بدأ الانحلال الشرق وأفل نجمه الساطع بعد قرون زاهرة بالعلوم والآداب والحضارة والمدنية أصيبت أندونيسيا بالانحلال والضعف أيضاً . وبدأ دور الغرب فى احياء العلوم وانشاء حضارة مؤسسة على المادة ! فرحل اليها الأوربيون للتجارة عن طريق رأس الرجاء .

وينقسم التاريخ الأوروبى فى أندونيسيا الى قسمين :

ا ـ العصر البرتغالى والأسبانى من ١٥٠٠ — ١٦٠٠ م .

ب — العصر الهولندى ـ من عهد الشركة الشرقية الهندية (V. O. C.) ١٦٠٠ — ١٨٠٠ ثم عصر الاستعمار من ١٨٠٠ — ١٩٤١ م .

ثم توحدت الشركات الهولندية فى شركة واحدة بأمر من السلطات العليا فى هولندا لأسباب أهمها : ـ

١ ـ افساح المجال للشركة فى انماء تجارتها والقضاء على التنافس الفردى .

٢ — التضييق على الشركات البرتغالية والانكليزية .

٣ — مقدمة لاستعمار اندونيسيا .

٤ — القضاء على الشركات الوطنية .

وتكونت الشركة كما ذكرنا باسم (شركة الهند الشرقية) وهى الدعامة الأولى فى هيكل الاستعمار الهولندى ، والعامل الأساسى فى اتساع نفوذه فى الشرق الأقصى ! ...

وفى القرن التاسع عشر فرضت السلطة الهولندية نفوذها السياسى باستعمار البلاد سياسياً ، وأصبحت مستعمرة هولندية . وسارت اندونيسيا فى طريق محدودة رسمتها السياسة الهولندية وسنت نظما وقوانين تحد من سلطة الشعب ، وتضيق ميدان حياته فأمسى الشعب عاجزا عن الدفاع عن سلامة وطنه . وبرغم التضييق الشديد حدثت عدة ثورات لتحرير البلاد من النفوذ الهولندى ؛ ففى عام ١٨٢١ قام الزعيم المسلم أمام بونجول فى جزيرة سومطرة بثورة رهيبة لازالة الحكم الأجنبى عن اندونيسيا . وذهب ضحيتها عشرات الألوف من الأندونيسيين ، كما خسرت السلطة الحاكمة ما يضاهى خسارة الوطنيين . ودامت الثورة حتى عام ١٨٣٧ لوقوع مشعل نار الثورة فى يد الحكومة ، ثم نفته الى جزيرة تيمور وتوفى بهـا . أما نتائج الثورة فهى اشعار الهيئة الحاكمة أن الشعب الأندونيسى المغلول الأبدى ، يستطيع أن يتحرك ليجاهد دفاعاً عن كرامته وشرفه ووطنه .

وفى عام ١٨٢٥ اشتعلت نار ثورة أخرى بقيادة زعيم آخر ، هو الأمير ديفاينغورو ، وكان الشعب الأوندونيسى يعتقد أنه منقذ أندونيسيا من السيطرة الأجنبية ، وقد عصفت هذه الثورة بهيكل النفوذ الهولندى وكادت تقلعه من جذوره لولا سرعة تموين الحكومة الهولندية لجيوشها المنتشرة بالذخائر ، واستولى الثوار على بعض مقاطعـــات ، وأدارتها الادارة الوطنية للثوار . وفى نهاية عام ١٨٣٠ قذفت السلطة الهولندية بجيوشها الى ميادين القتال وزودتها بذخائرها الكافية ، فدارت معارك حامية كان الثوار يحاربون بالسلاح الأبيض أو بما غنموه ... ونجحت الحكومة فى اخماد الثورة وبلغت خسائرها خمسة عشر ألف جندى وعشرين مليون ربية . وأما ضحايا الثوار فبلغت ضعفى خسائر الحكومة .

وفى عام ١٨٧٣ حدثت ثورة رهيبة فى جزيرة سومطرة بمقاطعة آجيه . وهذه المقاطعة معقل الاسلام فى أندونيسيا ، وسكانها قوم عاشوا على الحروب والقتال كالأمة العربية . ولما حدثت الثورة امتشق الحسام كل فرد منهم ذوداً عن كرامة الدين الإسلامى وحفظاً لشرف البلاد . والزعيم الذى قاد هذه الثورة هو (تونكو عمر) . ولم تستطع السلطة الهولندية منذ استعمرت أندونيسيا أن تخضع هذه المقاطعة لشدة شوكتها ؛ وكان يحكمها أمير وطنى له السيادة التامة عليها . وفى عام ١٩٠٤ استطاع الهولنديون التغلب عليها بالقضاء على الثورة وإخمادها بعد أن ضحوا تضحيات هائلة . كما ضحى الوطنيون أضعاف ما ضحاه الهولنديون . ثم أديرت المقاطعة من قبل أمرائها تحت مراقبة السلطة الهولندية فى الأمور التى لها مساس بمصالحها .

الحركة الحديثة

فى ٢٠ مايو ١٩٠٨ تأسس أول حزب سياسى هود بودى أوتومو (Boedt oetomo) أى النزعة الفاضلة برئاسة الدكتور وحيدين . وبعاونه فى إدارته ونشر مبادئه وتحقيق غايته طلبة الطب بمدينة بتافيا . وانضمت إلى عضوية الحزب الطبقة المثقفة والأسر الراقية . وقام بالدعاية له فى غرب جزيرة جاوا الدكتور رادين ستومو ، وفى شرقها الحاج شكرو أمينوتو وكلاهما من رجالات أندونيسيا البارزين .

ولتحقيق غاية الحزب أنشأ هيئات أولية للاشراف على تنفيذ برامجه الإصلاحية وأهم برامجه :

١ — إصلاح حالة الأمة الثقافية ؛ فنشر المدارس والمكاتب وبعث لجانا صغيرة تجوب المدن والقرى لمساعدة المعلمين الصغار ، وإرشادهم إلى الطرق التى يلزم أن يسلكوها فى أداء رسالتهم الثقافية .

٢ — إصلاح الحالة الاقتصادية ، فأنشأ بنوكا ومحلات تجارية لمساعدة التجار والزراع الوطنيين وإرشادهم إلى أقوم السبل إلى استثمار أموالهم وزراعة أراضيهم

٣ — إصلاح الحالة السياسية ، فأنشأ النوادى والصحف . وأقام المحاضرات فى المحلات العامة لارشاد الشعب إلى سير الحالة الخارجية وتطور السياسة العالمية وعلاقة البلاد بالحكومة الهولندية

ولما كانت الأداة الحكومية فى يد الموظفين الهولنديين سعى الحزب إلى اشتراك الأمة فى أدارة شئونها ، فتعين كثير من الرجال المثقفين والشبان فى عضوية المجالس البلدية والمحلية وفى المحاكم وفى إدارة الشئون المالية والثقافية والصحية والمواصلات والتعدين . وطالب الحزب بانشاء مجلس نيابى ، ولكن السلطة الهولندية رفضت طلبه بدعوى أن الجو مكفهر فى ابتداء الحرب العالمية الأولى ، ومضطرب لاشتداد الأزمة السياسية العالمية . وبعد مضى الحزب فى عمله أصبح الشعب كالبركان الثائر يطالب بحريته التامة !

نمت الروح القومية وانتشرت انتشارا رائعاً ، وكان أقوى عامل لنموها هو شعور الأندونيسى بالحب العميق لأندونيسيا الحديثة ؛ أندونيسيا الكلمة الساحرة التى جذبت سبعين مليونا من النفوس نحو حبها ! فسعوا بجد نحو إعادة ماضيها على أساس الحياة الحديثة . وتفرق الشعب فى طرق متعددة للوصول إلى الهدف القومى . وهناك فى ميادين الثقافة والاقتصاد والتجارة والملاحة والزراعة فرق ترشد الجماهير إلى أحسن الطرق لاصلاح حالتها العامة ، وقد أنشأت الحكومة الهولندية مدارس عالية ومتوسطة وابتدائية ، ولكنها لا تكفى لارواء ظمأ شعب يلح فى طلب الحرية المؤسسة على العلم والعرفان . وفى أندونيسيا

كليات أسستها الحكومة الهولندية، وهى كلية الطب ، وكلية الحقوق ، وكلية الهندسة ، وكلية التجارة ، وأكاديمية حربية ، وإزاءها مدارس عالية أهلية أسستها الجمعيات والأحزاب . وأشهر المؤسسات القومية التى قامت بالاصلاح الدينى والاجتماعى والثقافى مؤسسة المحمدية والعائشية وأساسها دينى قومى ، ثم مؤسسة (تامن سيسوا) (Taman Siswa) وأساسها قومى ، ومؤسسها البروفيسوركى هاجر ديوانتارا ، ونال لقب الأستاذية من أكبر معهد للتربية فى الولايات المتحدة فى عام ١٩٣٨ ويبلغ عدد المدارس التابعة للمحمدية والعائشية ثلاثة آلاف مدرسة ما بين عالية وثانوية وابتدائية ورياض للاطفال . ولها أيضاً مكاتب عامة ومساجد ومستشفيات وفرق كشافة تدعى باسم (حزب الوطن) ثم أبدل فى السنوات الأخيرة باسم (شباب المحمدية) . وللجمعية المحمدية والعائشية فروع كثيرة منتشرة فى كل مدينة وقرية فى أندونيسيا . وفى عام ١٩٣٨ طلبت المحمدية من السلطات الهولندية السماح لها بشراء باخرتين لنقل الحجاج الأندوسيين إلى الحجاز ، ولكن السلطات المحلية رفضت طلبها ! وتأسست هذه الجمعية فى عام ١٦١٢ بمجهود الحاج أحمد دحلان . وللجمعية أيضاً جريدة ومجلة لسان حالها . وهما (عادل) و (صوت المحمدية) وتنعقد الجمعية مؤتمراً سنوياً فى كل مدينة فى أندونيسيا ، يحضره مندوبون من جميع فروعها . ويستمر فى الانعقاد أسبوعا كاملا تستعرض الجمعية خلاله أعمالها الماضية ثم درس الاقتراحات والقوانين المقدمة من فروعها . وعقد المؤتمرات السنوية سنة اتبعتها الأحزاب السياسية والجميات المختلفة المقاصد . وأما مدارس تامن سيسوا فيبلغ عددها الألف . وكانت أكبر خطر على السياسة الاستعمارية كما صرح بذلك البروفيسور جب الهولندى فى كتابه (وجهة الاسلام) إذ أن هذه المدارس مؤسسة على القومية . والتعليم فيها على أحدث المناهج الغربية . وتبعث تامن سيسوا بعض متخرجيها الى الولايات المتحدة وفرنسا وهولندا والفلبيين والهند لإتمام دراساتهم العالية فى جامعتها . وتصدر مجلة شهرية تعبر عن آرائها باسم (العائلة)

وأشهر الأحزاب السياسية التى ظهرت بعد حزب (بودى أوتومو) حزب الشركة الاسلامية فى عام ١٦١٢ بزعامة الحاج صكرو أمينوتو . وانتشرت فروعه فى المدن والقرى . وفى أثناء سير الحزب رفضت السلطة المحلية الاعتراف بفروعه ، لتستطيع إيجاد الخلاف بين الحزب وفروعه . ومنعت السلطة أيضاً قبوله أعضاء جددا . وتجاه هذه السياسية المحلية أضافت إدارة الحزب كلمة واحدة الى اسم الحزب وهى (سنترال) وأصبح الحزب يدعى باسم (سنترال الشركة الاسلامية) وبذلك اعترفت السلطة بفروع الحزب

وأما برامج الحزب فهى :

١ — الدفاع عن كرامة الدين الاسلامى واشتراك الشعب الأندونيسى فى تخفيف الالام والمحن النازلة بالأمم الاسلامية .

٢ — نشر الثقافة الاسلامية والعمل بأحكام القرآن مع الاقتباس من القانون الدولى لمسايرة التطور العالمى .

٣ — إيجاد حياة اقتصادية ليستطيع الشعب أن يعيش بها فى مركز متوسط يستغل موارد البلاد .

٤ — تربية الشعب تربية سياسية حتى يستطيع أن يدير أموره بنفسه . وكون هيئات تشريعية وتنفيذية وقضائية من أعضاء الحزب البارزين . ويعتبر هذا الحزب أكبر حزب سياسى إسلامى فى جزر الهند الشرقية ، وبلغ عدد أعضائه بعد الحرب العالمية الأولى مليونى عضو .

ولما سمحت السلطة الهولندية بعقد الاجتماعات والاشتغال بالسياسة تحت شروطها المعينة ، ظهرت على المسرح السياسى الهولندى الاندونيسىّ أحزاب كثيرة كلها ترمى إلى تحرير البلاد . وفيما يلى نضع للقارىء أهم الأحزاب التى ظهرت وتواريخ ظهورها بصورة مختصرة :

١ — الحزب الوطنى الديموقراطى برئاسة الدكتور دويزديكر فى عام ١٩١٢ .

٢ — حزب فاسوندان فى عام ١٩١٤ .

٣ — الحزب الشيوعى الأندونيسى بزعامة الدكتور سمون فى عام ١٦٢٠ .

٤ — هيئة ائتلاف الأحزاب السياسية الوطنية برئاسة المستر تمرين فى عام ١٩٢٧ .

٥ — الحزب الوطنى الأندونيسى برئاسة المهندس سوكارنو فى عام ١٩٢٧ .

٦ — حزب الشعب الأندونيسى بزعامة المستر محمد طبرانى فى عام ١٩٣٠ .

٧ — اتحاد الشعب الأندونيسى بزعامة الدكتور رادين ستومو فى عام ١٩٣٠ .

٨ — الحزب الأندونيسى برئاسة المستر مرتونو فى عام ١٩٣١

٩ — حزب التربية الأندونيسية بزعامة الدكتور محمد حتى فى عام ١٩٣١ .

١٠ — حزب أندونيسيا الكبرى بزعامة الدكتور رادين ستومو ، وهو مكون من حزب بودى أوتومو وحزب اتحاد الشعب الأندونيسى فى عام ١٩٣٥ .

١١ — حزب النهضة الأندونيسية برئاسة المستر أمير شرف الدين فى عام ١٩٣٦ .

١٢ — الحزب الإسلامى الأندونيسى برئاسة المستر ويبوهو النائب بمجلس النواب فى عام ١٩٣٦ .

١٣ — رابطة الأحزاب السياسية الأندونيسية (GAPI) فى عام ١٩٣٩ .

والأحزاب التى استطاعت أن تصمد أمام التيار ، وتقف كالصخرة الصماء لا تزحزحها العواصف ولا الرياح هى :

١ — حزب الشركة الإسلامية الأندونيسية .
٢ — حزب أندونيسيا الكبرى .
٣ — حزب النهضة الأندونيسية .
٤ — الحزب الإسلامى الأندونيسى .
٥ — رابطة الأحزاب السياسية الأندونيسية .

الحكومة الذاتية و البرلمان

منذ ابتدأت النهضة الأندونيسية بنمو الروح القومية فى عام ١٩٠٨ ، طالبت الأحزاب السياسية الحكومة الهولندية بإنشاء حكومة ذاتية ومجلس نيابى . وكانت أهداف الحركات القومية الوصول إلى تحرير البلاد مبدئياً عن سبيل بحث حكومة ذاتية بمجلس نيابى ، ففى أوائل الحرب العالمية الاولى طالبت الأحزاب السلطة المحلية بإنشاء مجلس نيابى أندونيسى ، ثم أجل الطلب إلى ما بعد الحرب . ولما وضعت الحرب أوزارها أنشأت الحكومة الهولندية مجلساً نيابياً مختلطاً من الوطنيين والهولنديين والأجانب واستاء الشعب من هذه السياسة . وأعلنت الأحزاب الوطنية السياسية اللاتعاونية ، وكان تأسيس المجلس النيابى المختلط (Volksraad) فى عام ١٩١٨ .

وفى عام ١٩٣٧ قدم النائب المستر سو ترجو العضو بالمجلس النيابى مذكرة إليه باعطاء أندونيسيا استقلالا كاستقلال الحكومات الدومنيونية فى الإمبراطورية البريطانية ، وقام بصدده مباحثات طويلة بين رجال الأمة والحكومة الهولندية ، وأخيراً رفض الطلب بدعوى أن الشعب لم ينضج سياسياً !

وفى شهر مايو ١٩٣٩ تكونت رابطة الأحزاب السياسية ، وكان أول ما قامت به هو الدعاية بين طبقات الأمة وفى دوائر السلطات الهولندية بانشاء برلمان وطنى بمعناه الصحيح ، كما قامت واللجنة الأندونيسية الوطنية ، بالمجلس النيابى الدعاية للبرلمان بين أعضاء المجلس ... وفى ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٣٩ أذاعت (رابطة الأحزاب السياسية) بياناً إلى الأمة تدعوها إلى بذل جهودها وإعطاء ثقتها للرابطة لإنشاء برلمان وطنى، وفيما يلى خلاصة البيان :

« منذ تطورت الأزمة العالمية ، والرابطة الوطنية تخطو خطوات موفقة نحو رفع مستوى البلاد السياسى وإشعار العالم الخارجى أن الشعب الأندونيسى يرنو إلى حياة حرة تحت ظل حكومة وطنية متمتعة باستقلالها التام . وإن الرابطة تسعى سعياً قوياً لتحقيق مطالب الشعب الرئيسية . وهى تنظر إلى الحركات الأوروبية بعين اليقظة والحذر . وإن الظرف الحاضر الدقيق حيث يضطرب حبل السياسة العالمية يدعو الرابطة أن تضحى بمجهودات عظيمة فى سبيل تحقيق البرلمان وانشاء حكومة وطنية مسئولة أمامه

إن الرابطة تدعو كافة الجمعيات والأحزاب والمؤسسات القومية وطبقات الشعب إلى تمضيدها فى مطالبها فى إنشاء برلمان للشعب الأندونيسى المجيد ، للوطن الأندونيسى الواحد ! »

وفى ٢٣ ديسمبر ١٩٣٩ أقامت الرابطة مؤتمراً شعبياً باسم المؤتمر القومى الأندونيسى بمدينة بتافيا عاصمة أندونيسيا ، للبحث عن الأسس الأولية لانشاء البرلمان ورفع مذكرة إلى الحكومة الهولندية بتأسيس البرلمان حسب رغبات الشعب . وقد حضر

الشرق كما يراه الغرب

٣ - المــــوالد المصرية

للأستاذ أحمد أبو زيد

تضم الموالد — علاوة على الناحية الدينية — بعض عناصر اللهو وضروب التسلية التى اشتهر بها المصريون . بل إن جميع الاحتفالات الدينية فى مصر وفى غير مصر ، وفى الأزمان الحديثة والقديمة على السواء — لم تكن احتفالات دينية بحتة ، بل كان يداخلها دائماً شيء من اللهو والعبث . فهوميروس مثلا يذكر لنا الشيء الكثير عن الألعاب الشعبية ، وأنها كانت تؤلف قسما هاماً من أعياد اليونان الدينية . والمصريون معروفون بروحهم المرحة التى تحب الانطلاق ، فهم لا يتركون فرصة تمر أمامهم حتى يغتنموها ويطلقوا أنفسهم العابثة على سجيتها ، ويملأوا الدنيا لهواً وعبثاً ، ويثيروا حولهم أكبر ضجة مستطاعة ، كما هى عادتهم فى المناسبات وفى غير المناسبات.

وجو الموالد جو صاخب ، كله ضجيج وترتفع فيه الأصوات المتنافرة من كل جانب . ولكنها على تنافرها يقوم بينها نوع من الائتلاف والانسجام يجعل لها وقعاً غريباً فى النفس ، ففى ناحية نجد مشارب (البوظة) تنبعث منها أصوات الغناء السودانى :

أيوه أيوه من السودان :

سرجوا الصندوق يا محمد لكن مفتاحه معايا .... الخ

يصحبه توقيع جميل منتظم على الصناجات ، ولكنه يضيع ويتلاشى أمام دوى موسيقى غريبة صاخبة منبعثة عن (شخشاخة[1]) كبيرة ، ويصحب ذلك الرقصة السودانية المعروفة باسم الرانجا أو الرانجو[2] ؛ ومن ناحية أخرى ترتفع أصوات باعة الليمونادة والتمر هندى والعرقسوس والشربات وباعة السجاير ومن ورائهم (جامعو الأعقاب) ؛ ومن هنا وهناك ترتفع أصوات باعة (عرائس المولد) يتغنون بمزايا عرائسهم ويعددون صفاتها وجمالها ، وقد زينوها بأجمل زينة ، ووضعوا إلى جانبها خليطاً كبيراً من الأرانب والكلاب والدجاج والبط (وكل ذلك مصنوع من الحلوى بلا ريب) . ويتفنن باعة العرائس فى عرض عرائسهم ، وهم فى الغالب لا يكتفون بعرض العرائس وحدها ، بل يأتون لكل عروسة منها (بعريس) ويسكنان الاثنين معا فى حجرة صغيرة بها مخدع ومرايا وما إلى ذلك ... وكثيراً مايستوحى باعة العرائس القصص الشعبية مثل عزيزة ويونس أو قصة أبى زيد الهلالى أو قصة (أبو على سرق المعزة) فى عمل بعض النماذج الطريفة ... وفى هذا الجو الصاخب الرائع تنتشر روائح قوية نفاذة مستطابة وخاصة عند الاجانب ... تلك هى روائح الطعمية والفول المدمس والكفتة والشواء والارز وغيرها من الاطعمة الوطنية الطيبة النكهة .

وتنتشر المسارح و (التياترات) بكثرة فى الموالد ؛ وبعض

(١) يرى ماكفرسون أن الشخشاخة فى الأصل من اختراع المصريين القدماء ، وانها انتشرت بانتشار عبادة إيزيس ، وهى لاتوجد اليوم إلا فى جنوب مصر ولا يستعملها فى القاهرة إلا السودانيون

(٢) الرنجو فى الأصل اسم آلة موسيقية وترية ، ثم أطلقت بعد ذلك على الرقصة كلها : ويرى حسن أنيس باشا ، وهو من علماء الموسيقى فى مصر — أن الرانجو تمت إلى الموسيقى البدائية بصلة وأنها قريبة كل القرب من موسيقى الجاز عند الأوربيين

المؤتمر مندوبون من كافة الأحزاب والجمعيات الوطنيـة . ورجال السياسة والصحافة والأدب والأعمال . ودام المؤتمر لنهاية يوم ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٣٩ . ثم رفعت الرابطة مذكرتها الى السلطات الهولندية بأندونيسيا ومنها أرسلت إلى الهيئات العليا بهولندا لدراستها . وبعد دراسات دقيقة أشعرت الحكومة الهولندية رابطة الأحزاب بتأجيل الطلب لأن الشعب لم ينضج سياسياً أيضاً . فضلا عن أن الحرب العالمية الثانية دائرة رحاها .

ولعلنا فى هذه الكلمات الموجزة استطعنا أن نعطى القارىء صورة مصغرة مختصرة عن الحياة الحديثة فى جزر الهند الشرقية أو إندونيسيا ، وهى حياة أمة شرقية تعدادها سبعون مليوناً . لا نستطيع أن نغضى الطرف عنها وهى همزة وصل بين استراليا وأمريكا وبين آسيا وأفريقا وأوربا ، ووجودها ضرورى لتحفظ توازن القوى فى الشرق الأقصى !

سوطارتو الصغير

هذه المسارح تطلق عليها اسم (مسرح) من باب التجوز فقط لصغر حجمها ، كتلك (المسارح) الخاصة بالأراجوز وخيال الظل التى لاتزيد أجر الدخول فيها على مليمين ، ويجلس المتفرجون فى (الصالة) على مقاعد خشبية ليشاهدوا (العرض) ويستمعوا إلى الموسيقى . بيد أن هناك مسارح أكبر من هذه يعرض فيها شيء لابأس به من التمثيل والرقص . وفى خارج هذه المسارح توجد منصتان على جانبى باب الدخول ، تحتل إحداهما فرقة موسيقى نحاسية (تشنف) آذان الجمهور والمارة بنغماتها المدوية ؛ أما المنصة الأخرى فيخرج اليها من آن لآخر — خلال فترة الاستراحة — بعض الممثلين والراقصات ليعرضوا على الجمهور فى الخارج شيئا من بضاعتهم الفنية عسى أن يثيروا فيهم الرغبة والشوق للدخول . ويعمل فى هذه المسارح — علاوة على الممثلين والراقصات — نفر من الرجال قد تخصصوا فى (تحريك العضلات) ، كما نجد فيها أيضاً بعض الراقصين من الرجال يأبون أن يرقصوا إلا فى ملابس النساء وفى زينتهن . ومن أشهر هؤلاء الراقصين راقص اسمه حسين فؤاد ، يوزع على المتفرجين — بعد العرض — بطاقة عليها صورته فى زى امرأة وقد كتب تحتها : ـ الراقص المصرى الشهير حسين فؤاد .

وللمصريين ولع شديد بمشاهدة ألعاب القوى ، ولذا لايخلو أى مولد من وجود بعض خيام صغيرة تعرض فيها هذه الألعاب من مصارعة ورَبْع ، ومن أشهر الذين يعرضون هذه الألعاب عملاق ضخم الجثة يسمى نفسه (الأستاذ شوال) ولهذا الأستاذ شوال (جوقة) تضم بين أفرادها قزما صغير الجسم كريه المنظر ولكنه مع ذلك يتمتع بقوة جسدية هائلة بحيث أنه يستطيع أن يرفع بسهولة رجلا يكبره بثلاثة أضعاف حجمه .

ومن الألعاب الطريفة المستحبة عند المصريين فى الموالد لعبة (أبوفيران) . والأدوات المستخدمة فى هذه اللعبة منضدة صغيرة مستديرة مثبت على حافتها منازل صغيرة لكل منها فتحة (أو باب) تكفى لمرور الفأر ، ولكل بيت رقم خاص . ويتراهن المتراهنون على أى البيوت سوف يدخلها الفأر ، ويضع كل منهم نقوده على البيت الذى يختاره . ثم يخرج (أبو فيران) فأره الأبيض الصغير من جيبه ويطلقه يرتع ويجرى على المنضدة كيف شاء ؛ فالبيت الذى يدخله الفأر يربح صاحبه الرهان ، وقد شاهد ماكفرسون صبيا صغيراً بارعا كان يكسب الرهان دائماً دون أن يفقد نقوده قط ، فراقبه خلسة حتى عرف السر فى ذلك ؛ إذ كان الصبى الصغير يغافل من حوله ويضع قطعة من الجبن فى البيت الذى يختاره ؛ وكانت رائحة الجبن كفيلة بجذب الفأر إليه .

ولكن ، مهما كثرت الألعاب الشعبية فى مصر ، ومهما تعددت مظاهر اللهو والمرح ـ فانها واحدة لاتتغير فى جميع الموالد ؛ فما نراه فى موالد الوجه البحرى نجده فى موالد الوجه القبلى دون أدنى تغيير . والأعجب من ذلك أن نفس الوجوه تظهر فى كل الموالد وخاصة وجوه الممثلين والأراجوزات والحلاقين الذين يختنون الفقراء مجاناً . والواقع أن هناك فريقاً كبيراً من هؤلاء يقفون حياتهم على التنقل بين البلدان للتكسب من الموالد .

* * *

ونحب فى النهاية أن نكرر ماسبق أن قلناه من أن كتاب ماكفرسون سد فراغا كبيراً وأسدى خدمة جليلة لدراسة الحياة الشعبية فى مصر الحديثة ، فالواقع أن هذه الناحية لم تحظ بكثير ولاقليل من الدراسة والعناية الجديرة بهما ، وعسى أن يقوم بعض علمائنا ممن يعنون بدراسة (الفوكلور) بمتابعة الخطوات التى خطاها ماكفرسون وغيره من أمثال إيفانز بريتشارد والأستاذ هوكارت وبذلك يقدمون أجل الخدمات للعلم ويؤدون بعض مايجب عليهم نحو وطنهم .

(انتهى) **أحمد أبو زيد**

هذا العـــــالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

ملابسك من الفول السودانى :

ولا تعجب . فيستطيع علم الكيمياء الآن أن يحـول كل ما يقع تحت حسك من مواد إلى مواد جديدة لا تتصور نشوءها منها . وقد لا يطول الزمن أيضا حينما يتحقق حجر الفلاسفة فيحول الكيماويون الرصاص أو القصدير وربما التراب إلى ذهب . فلم يعد علم الكيمياء الآن ينظر إلى مظاهر المواد بل إلى خواصها وجواهرها .

والحرير والصوف اللذان تشاهدهما كل يوم ليسا إلا أنسجة زلالية أى أن أساسها مثل زلال البيض الذى لا ترى بينه وبين الصوف أية صلة . وقد ظهرت فى الأسواق التجارية منسوجات صناعية . ولا تمر شهور حتى تكون بعض ملابسك من هذه المواد وأحدها النسيج الحديث المعروف باسم « الأرديل » الذى يصنع من زلاليات الفول السودانى .

وأول نسيج صناعى ظهر فى المجال التجارى من أصل زلالى هو القماش المعروف باسم « لانيتال » وهو يشبه الصوف فى كثير من خواصه وساعد على رواجه وصقل صناعته حرب إيطاليا والحبشة وتوقيع العقوبات الاقتصادية على الأولى وحرمانها من الخامات والمواد الأولية وقد استخرج هذا النسيج من اللبن بعد عدة عمليات كيماوية تعرف باسم عملية فيرتيتى .

واشتدت الحاجة بإيطاليا إلى المنسوجات لتزويد جنودها بالملابس فسعى علماؤها إلى صنعها من « شرش » اللبن . ولا سيما أن حرمانها من تصدير الجبن وفر لديها مواد اللبن مما شجع على صقل صناعة اللانيتال .

ولفتت هذه المغامرة الإيطالية أنظار علماء العالم فعرض كورتولد فى عام ١٩٣٨ فى أحد معارض مانشستر أنسجة صناعية . وظهرت فى أمريكا أنسجة عرفت باسم « أرلاك » .

أما نسيج الأرديل فيرجع أول عهد التفكير العلمى فيه إلى عام ١٩٣٠ حين قال الدكتور أوستبورى من جامعة ليدز بأنه من الميسور تحويل زلاليات الفول السودانى إلى أنسجة ؛ وقد أيده فى قوله البروفسور سيبنل من جامعة كمبردج وكان مشهوراً بسعة معارفه عن خواص زلاليات النباتات .

وبدأت سلسلة من تجارب لإذابة زلاليات البذور واستخلاص الألياف منها حتى تكللت التجارب بالنجاح وحصلوا على ألياف تشبه الصوف فى كثير من خواصها .

وانتقلت عـــدوى البحث إلى معهد الصناعات الكيماوية الامبراطورى وبدأ تجاربه بطرق مثالية يختبر صلاحية البذور المختلفة ليدرس كمية الزلاليات التى تصلح فى كل منها لإنتاج الألياف المرموقة .

واستمرت التجارب فترة تيسر فيها فصل مواد الفول السودانى وأتيح منها الحصول على الألياف المطلوبة وعلى استخراج نوع من زيت الأراشيس الذى يصلح فى عمل المسلى الصناعى . ووجد أنه يحتوى على ٢٨ ٪ من وزنه من الزلال ومن ٤٨ إلى ٥٠ ٪ من زيت الأراشيس وعلى ١١ ٪ من مواد نشوية وسكرية .

ومعنى هذا أنه يمكن استغلال كل مادة الفول السودانى لأن المواد النشوية والسكرية غذاء جيد لكافة الحيوانات كما أن الطن من الفول يصلح لإنتاج ٥٠٠ رطل من ألياف الأرديل فى لون « كريم » .

واختبرت خواص الألياف الناتجة فوجد أنها تمتص الرطوبة مثل الصوف ولها قدرته على التدفئة وغيرها من الخواص التى تميز الصوف عن غيره من الألياف .

وانتقلت التجارب إلى مرحلة صنع القماش من الألياف الجديدة فأثبتت أن أفضل طريقة لاستخدامها هى خلطها بمقدار مساو لها من الصوف وعلى هذا الأساس يتعذر على أى إنسان أن يفرق القماش الجديد من قماش الصوف الصافى وإن كان فى الواقع يفضله لأنه أرخص منه فى أسعار الإنتاج .

واتجهت تجارب الأمريكيين إلى ناحية أخرى فأقبلوا على دراسة زلاليات الذرة التى تعد قليلة القيمة من الناحية الغذائية .

ومن ثم تفرعت الأبحاث فى كل اتجاه وهدفها استغلال المواد القليلة الاستغلال وخاصة المواد التى تعتبر عديمة المنفعة مثل التالف من الصوف والحرير والجلود وجلود الحيوانات وريش الطيور وكل ما يحتوى على مواد زلالية .

والمعروف أن العلماء توجهوا من زمن بعيد إلى البحث عن ألياف تصلح للنسج من المعادن وهو ما يعرف « بالنيلون » وهو

يختلف عن البحث الذى نحن قبله بأن بحثنا نباتى محض .

واتجه البحث فى ألمانيا قبل نشوب الحرب إلى ناحية أخرى إذ جرب العلماء استخراج ألياف مشابهة للصوف من السمك . وكانت خلاصة أبحاثهم الحصول على خليط من الزلال والسيلولوز .

ومن الطبيعى أن جميع المواد الغذائية التى تتناولها تصلح مادة جيدة لهذه التجارب وخاصة اللحوم ؛ كما حاول بعض العلماء فى النمسا . ولكن بعيدى النظر يفضلون الاقتصار فى تجاربهم على المواد القليلة القيمة الغذائية أو البقايا التى يتخلص منها الإنسان .

على أنه من الثابت أن المنسوجات الصناعية التى تستخرج من هذه المواد التالفة ستكون بالغة الأثر فى الميدانين الاقتصادى والتجارى نظراً لرخص أسعارها ، وفى كثير من الأحوال لجمال مظهرها وقابليتها لإظهار مودات جديدة .

زرع بدون تربة

لم تعد رمال الصحراء عديمة الفائدة من الناحية الزراعية . فبفضل الأبحاث الكيمائية الزراعيــة الأخيرة التى أجرتها بعض المعاهد الأمريكية تيسر الاستغناء عن التربة وزرع المنتجات الزراعية فى الصخر على أن تغذى البذور بالمواد الكيماوية الضرورية لحياتها .

وظهرت هــذه الحاصلات بكثرة ساعدت كثيراً على توفير المواد الغذائية للقوات المحاربة. وطريقة الزراعة الكيميائية هى نثر البذور فى طبقة من الحصى والرمال والأحجار سمكها عشرة سنتيمترات تمهد مائلة وتنتهى مساحات أرضها بمجموعة من الحفر تزود بالطلمبات التى تمتص محلولها المحمل بالمواد الكيماوية اللازمة ثم ترسلها فى أنابيب تفرغها فى أعلى المنحدر الزراعى فتأخذ منه البذور كفايتها ثم يعود البــاقى إلى الحفر ليعاد امتصاصه وتفريغه على البذور عدة مرات كل يوم .

لا حرث ولا عزق

ومن فوائد هذه الطريقة الاستغناء عن حرث الأرض وعزقها كما أنها تعرض جذور النبات للهواء فيحصل على مقــدار وافر منه وتقل فى حقول النباتات الكيميائية الحشرات الضارة .

وأنتج الفدان الواحد من الأرض بهذه الطريقة ٢٥٠ طناً من الطماطم و ٥٠٠ بوشل من البطاطس ووفرت عشرة فى المائة من النفقات الزراعية التى تتكلفها الأرض العادية .

وأجريت التجارب التحليلية لمعرفة المحتــويات الغذائية للحاصلات المزروعة بالطريقة الكيميائية فظهر أن كمية الفيتامينات الموجودة فى السبانخ والطماطم توازى ثلاثة أضعاف الكمية الموجودة فى مثيلاتها من مزروعات التربة .

وبتحليل مائة رطل من التبن وجد أنها تحتوى على ١٢ رطلا من البروتينات و ٤٠ من الكربونات و ٢٠ من السيلولوز و ١٠ من الفورفورال و ٨ من اللجنين و ١٠ من الهومس وثمن هذه المواد يوازى أربعة أضعاف ثمن التبن كله .

ويسرت هــذه الطريقة على رجال الصناعة فى أمريكا سبيل الحصول على كثير من المواد الصناعية كالبترول والمطاط وغيرهما من المواد الضرورية التى ما زال أمر الحديث فيهــا من الأمور العسكرية. على أن طريقة الزراعات الكيميائية ستحدث انقلابا كبيراً فى عالم الزراعة والصناعة بعد الحرب كما ستخفض ثمن المواد الغذائية تخفيضاً كبيراً .

فوزى الشتوى



لؤلؤة الحب

للكاتب الانكليزى هـ . ج . ولز

بقلم الاستاذ عيسى حليم

من رأى الباحثين فى علم الأخلاق أن اللؤلؤة هى أقرب الحجارة الكريمة المتبلورة إلى النفس ، لأنها أثر من آثار الألم لكائن حى ، وليس فى طاقتى التعليق على هذا القول ، لأن سحر الجواهر لا يحرك أى وتر من أوتار روحي ، وبريقها الرجراج لا يؤثر فى على الإطلاق ، كما أنه ليس بوسعى أن أقطع برأى حول ذلك الجدال المتطاول : هل لؤلؤة الحب أشجى القصص ، أم هى خرافة شائقة عن خلود الجمال ؟

إن دارسى النثر الفارسى فى العصور الوسطى قد ألفوا هذه القصة والجدال الدائر حولها . والقصة قصيرة ، إلا أن تفسيرها يشغل حيزاً كبيراً فى أدب تلك الحقبة . فلقد عدت قطعة شعرية كما يجوز اعتبارها كناية تشير إلى هذا أو إلى ذاك . وساهم رجال الدين بنصيب وافر فى تأويلها ، وعنوا بها بوجه خاص كقصة تلقى ضوءاً على بعث الأجسام بعد الموت ، ويضرب بها المثل أولئك المشتغلون بالفن والجمال ، وكثيرون يعتبرونها مجرد تعبير جرى عن حقيقة بسيطة

جرت حوادث القصة فى شمال الهند ، وهى أصلح تربة للحب السامى فى جميع بقاع العالم ، فهى بلاد الشمس الوهاجة والبحيرات والأدغال الكثيفة والتلال والأودية الخصبة ، وهناك توشك الجبال الشاهقة أن تنطح قبة السماء ، أجل هناك القمم والأخاديد حيث الثلج الدائم الصعب المنال . فى هاتيك الربوع كان يعيش أمير فى مقتبل العمر يطيعه الجميع . وفى يوم ما التقى بفتاة طلقة المحيا ، جمالها قيد النواظر بحيث يعجز عنه الوصف ، فجعلها ملكته واضعاً قلبه عند قدميها . كان الحب الوثيق متبادلا بينهما ، مليئاً بالمسرات وبالسعادة لدرجة لم يحلم بها أحد من قبل . ومكثا يتفيآن ظل الهناءة ، موفورى السعادة لمدة سنة وبضعة شهور ، ثم ... فجأة ماتت بلدغة سامة ، بينما كانت تطوف فى أرجاء إحدى الخمائل ... !

أجل ، ماتت ... ولبث الأمير حيناً مسجى فى حالة هامدة صامتة من جراء الحزن البالغ واللوعة الحرّى ، حتى إن البعض خشى عليه أن ينتحر، مع العلم بأنه معدوم النسل والأخوة ليخلفوه. واستمر يومين منقطعاً عن الأكل مكباً على وجهه عند أرجل السرير الذى أضجع عليه جسدها الفاتن ، ثم نهض وأصاب شيئاً من الطعام ، وانطلق فى سكون انطلاق من آلى على نفسه أن يعمل عملا عظيما ، وأمر أن يوضع جسدها فى نعش من الرصاص الممزوج بالفضة ، وأن يوضع هذا بدوره فى نعش آخر من أغلى الأخشاب التى تعبق بالعبير ، وأن يُكسى بالذهب ، وأن يكون حول ذلك كله نعش من الرخام المعرق المرصع بالزبرجد . وبينما كان العمل جارياً ، دأب على قضاء معظم أوقاته بجوار الغدران ، وفى المنازل ذات الرياض ، وفى الخيم والغابات ، وفى غرف القصر تلك التى شاهدت مراتع فتونهما ، متأملا فى حسن تلك التى فقدها ، ثم إنه لم يمزق ثيابه ولم يحث الرماد على نفسه ، ولم يتشح بالحداد كما كانت العادة ، لأن حبه كان أسمى من أن يتسع لهذا الشطط ، وأخيراً عاد إلى مستشاريه وإلى شعبه ، وأدلى إليهم بما كان مزمعاً أن يفعله

قال إنه لم يعد بمقدوره أن يقرب امرأة ، بل إنه لا يحتمل حتى التفكير فى النساء ، ولذلك سيحاول إيجاد فتى لائق ليتبناه وليدربه كى يكون خلفاً له ، وإنه سيواصل القيام بأعباء الإمارة كما يليق به ، على أنه سيركز فؤاده بقدر استطاعته ، وسيخصص جميع ثروته وكل ما بمكنه حشده ، ليشيد ضريحاً لمالكة فؤاده الغالية التى لا مثيل لها ، وستكون بناية ذات حسن مكتمل

وجمال بالغ، بحيث تفوق أية بناية أخرى شيدت فى الماضى أوستشاد فى المستقبل ، ولتكون أعجوبة إلى الأبد ، وليحتفظ بها البشر كنزاً ثميناً ، حتى تتناولها الألسن بالإطراء ، وتشتد الرغبة فى مشاهدتها ، ولتكون نجعة الرواد من جميع أطراف الأرض ، فيظل اسم معبودته وذكراها حيين ماثلين للعيان ، وأضاف أن هذه البناية سيطلق عليها اسم « لؤلؤة الحب »

وقد رضى مستشاروه وشعبه بأن يفعل هذا وقد فعله !

وتتابعت السنون وهو قاصر نفسه على تشييد « لؤلؤة الحب » لحفر لها أساس شق بين صخور فى مكان تلوح للناظر منه الثلوج المخيفة التى تكلل الجبال ... وعلى مقربة كانت تظهر بعض القرى والتلال ونهر كثير التعاريج ، وبعيداً قامت ثلاث مدن عظيمة . وضع النعش الرخامى المعرق فى بناية شيدت بمهارة وأحيطت بعمد من حجارة جميلة غريبة المنظر، وبجدران تجلى فيها النقش ، لكنها لم تلق قبولا لدى خيال الأمير الآخذ بالاتساع ، فأمر بهدمها

فالأمير لم يعد باليافع الرشيق الحركة الذى أحب مليكته الصبية ، فقد أضحى الآن رجلا عبوساً لايستوطئ راحة ، منكباً على بناء « لؤلؤة الحب » . وأخذت السنوات المليئة بالعناء تكسبه خبرة فى فن البناء ... ورهف ذوقه للألوان ، وغدا قليل الاهتمام للتزويق والتزيين ، وكنت تسمعه يردد : « هذه أشياء كانت بديعة » . وشاهد الناس « لؤلؤة الحب » تعلو من طور الإنشاء إلى علو شاهق فى عظمة وأبهة وجلال ، فهم لم يكونوا يعرفون ماذا يتوقعون ، لكنهم على كل حال لم يتوقعوا أن يشاهدوا مثل هذا السمو، وكانوا يقولون هامسين : « غريبة تلك العجائب التى يبدعها الحب » ! وأحبت جميع نساء العالم الأمير لولائه العميق ولوجده الدفين

ولم يأل الأمير جهداً فى التبديل والتجميل ، وإنما كان هناك شىء من النشوز فى التابوت ، إنه لم يكبر منذ الأيام الأولى للكارثة ، فبان أشبه بمستطيل صغير يجثم دون تناسب وسط « لؤلؤة الحب » الهائلة . وفى ذلك التابوت كانت علبة الرصاص والفضة الكبيرة الحاوية لجسد من أوحت بهذا الفن

وقف الأمير طويلا يتأمل وينعم النظر ، ولكن أحداً ما كان ليدرك ما ذا يجول بفكره ، وما ذا يستقر فى خياله ؟ !

وأخيراً ... تكلم مشيراً إلى « لؤلؤة الحب » وقال : اهدموها !

(بيت لحم — فلسطين) **عيسى سليم**

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦٣٧ - الاثنين ١٧ سبتمبر ١٩٤٥ - السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٢٣ و ٢٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

إعلان عن موضوعات كتب السلسلات الثلاث التى أعلنت عنها وزارة المعارف العمومية

موضوعات لمكتبة الأطفال

١ – العلوم والمعارف العامة

(١) قصة الكون وكل عوالمه العجيبة وكل قواه وطرائق استخدامها

(٢) أسرة الأحياء فى الأرض والبحر والهواء

(٣) قصة النباتات وعجائبها وأطوارها

(٤) معلومات عن أطفال العالم وعن شعوبه ونبذ من حياتهم

[فى أسلوب سهل مشوق]

٢ – الفنون

(١) قصص وتعريف بالأشياء الجميلة فى كنوز العالم من الصور والتماثيل والنقوش والآثار مع العناية بالآثار المصرية

(٢) قطع من آداب العالم وقصص مناسبة للأطفال

٣ – التاريخ

(١) عرض تاريخ أبطال العالم إسلاميين ومصريين وغربيين فى قالب قصصى جذاب

(٢) عرض فترات النهوض فى التاريخ المصرى والعربى فى صورة قصصية

(٣) عرض قصة الإنسانية من عصر البربرية إلى المدنية الحاضرة عرضاً سريعاً مشوقاً

٤ – من كتب الرحلات

(١) تبسيط أخبار الرحلات فى الآداب العربية والأفرنجية وصياغتها فى أسلوب مشوق

(٢) عرض كتب عجائب البحر والبر فى الأدب العربى والغربى مع التعليق عليها بما ينمى معلومات التلاميذ

٥ – من الأدب العربى القديم

(١) نوادر الأذكياء والظرفاء والبخلاء مبسطة فى قالب قصصى مشوقة

(٢) أشهر الأمثال ومواردها وما يدور حولها من نوادر وطرائف وحوادث فى قالب مناسب للأطفال

(٣) نصوص أدبية نثرية وشعرية مما يناسب عقلية الأطفال موضوعاً وتعبيراً على أن تساق فى ثنايا قصة أو سياق مشوق مفسر لمعانيها الإجمالية

٦ – من الأدب الشعبى القديم والحديث

(١) قصص من ألف ليلة وليلة معروضة عرضاً جديداً يناسب خيال الأطفال فى أسلوب سهل

(٢) قصص من الأبطال الأسطوريين فى الأدب الشعبى كأبى زيد وعنترة والظاهر بيبرس وغيره

(٣) القصص الشعبية المتداولة مصوغة فى قالب أدبى بسيط

(٤) الأساطير العربية والعالمية والقصص الشعبية فى العالم

٧ – موضوعات لمكتبة الآباء والأمهات

(١) معلومات عن حياة الطفل وطبيعته وأطوار نموه وغرائزه وصحته

(٢) عرض لمشاكل الأطفال والمراهقين وتجارب عائلية فى معالجتها

(٣) مشكلات الأسرة قبل الزواج وبعده على ضوء الواقع فى الحياة المصرية والشرقية واقتراحات لعلاجها فى صورة قصصية أو تحليلية

(٤) صور من حياة الأسرة فى أمم العالم المختلفة

(٥) تطور الأسرة فى المجتمع من العصور الهمجية إلى العصر الحاضر

٨ – موضوعات للسلسلة الثقافية العامة

(١) الأبحاث الاجتماعية التى تعالج شتى الاتجاهات فى العالم وفى مصر

(٢) القصص الاجتماعية مع توافر الشرائط الفنية والمستوى الأدبى المناسب

(٣) البحوث التى تتناول النقد الأدبى وتاريخه ومذاهبه

(٤) المباحث العلمية والأدبية والجغرافية والتاريخية على اختلافها على أن تكون فى متناول المثقف العادى

(٥) بحوث عن الفنون : النحت ، والتصوير ، والموسيقى ، والمسرح ، والسينما ؛ مبسطة ومفهومة للمتعلم العادى

(٥) التاريخ السياسى والاجتماعى المصرى والإسلامى الذى يصور حياة الشعب متصلة الحلقات إلى العصر الحديث

(٧) صور من حياة الأمة المصرية والشعوب الشرقية فى فترات نهضتها

(٨) البحوث السياسية والاقتصادية مبسطة

(٩) البحوث الفلسفية العامة فى أسلوب قريب المتناول

13 me Année No. 637

Lundi - 17 - 9 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٦٣٧ « القاهرة فى يوم الإثنين ١١ شوال سنة ١٣٦٤ — ١٧ سبتمبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

درسان من دروس الحياة

للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازني

من أول ما تعلمته فى حياتى أن الدنيا لى ولغيرى ، وأنى لم أُعطها وحدى ، ولا أُعطيها سواى ملكاً خالصاً له ، ونحن جميعاً شركاء متكافئون فى الحقوق ، وعلينا من أجل ذلك واجبات متماثلة . وما دمنا شركاء إلى حين ، وما دام أن المقام فى الدنيا على كل حال قليل ، فإن من الحماقة أن ننغّص على أنفسنا هذه الحياة القصيرة بالعنت ، أو أن نؤثر التى هى أخشن على التى هى أحسن فى سيرتنا ، وقد كنت أحمق الحمق فى صدر حياتى ، وما زالت بى بقية غير هينة من الحماقة ، فما انفكت الدنيا تنفضنى كما ينفض الأسد فريسته ، وتشيلنى وتحطنى ، وترجنى وترمينى من هنا وههنا ، حتى فاءت بى إلى الرفق والهوادة فأرحت واسترحت

أى نعم ، تتسع الدنيا لى ولغيرى ، وتستغنى عنا جميعاً ! وليس أضل رأياً ممن يتوهم أن الحياة لا تطيب له إلا إذا خلا طريقه فيها من الناس . وما أحكم قول الإنجليز فى أمثالهم : « عش ، ودع غيرك يعش » ! وما على المرء إلا أن يفكر فيما عسى أن تخسر الدنيا إذا هى خلت من الناس وعادت خراباً يباباً ؟ لا شىء ! لن يكف الفلك المسيّر عن الدوران ، ولن يعوّق الشمسَ شىء عن الطلوع والأفول ، ولن تعدم الحياة على الأرض مظهراً آخر تتبدّى فيه كما تبدّتْ فينا نحن بنى آدم ! وهل نحن إلا صورة من صور الحياة ؟ وهل أعظم غروراً أو أقل عقلا ممن يكبر فى وهمه أن الحياة تنعدم إذا انقرض الإنسان وتقلّص ظله عن الأرض ؟

ولا يتوهم أحد أن هذا كلام زاهد أو متزهد ، فما أنا بهذا ولا ذاك ، وإنى لمن أشد الناس رغبة فى الحياة الرضية ، ونشداناً للعيش الرغيد ، وطلباً لأطايب الدنيا ، وعكوفاً على متعها المشتهاة ، وكل ما فى الأمر أنى لا أرى أن فوزى بما أبغى لا يستوجب أن يُحرم الناسُ غيرى ما يطلبون ، أو أن يخيبوا ويخفقوا . وأى دنيا تكون هذه إذا كان نجاح فرد فيها وتوفيقه فى إدراك آرابه لا يتسنى إلا بخيبة الباقين ؟ ثم إنى لا أحس أن الناس ينافسوننى أو يزحموننى أو يضيقون علىّ المجال ، فإن الأرض رحيبة ، ومجالاتها لا آخر لها ، وما رأيتنى عجزت قط عن اختراع طريق بكر ، أو الاهتداء إلى ميدان جديد ، إذا شعرت بالحاجة إلى ذلك

وصحيح أن الحياة جهاد - جهاد مع الطبيعة ومع الإنسان - ولكنا لسنا من الحيوان ، فنضالنا لا ينبغى أن يكون بالأنياب والمخالب ، بل بالعقول . ونضال العقول متعة ، وليس يعيى به أو يستثقله أو يضجر منه إلا من لا يصلح لغير حمل الأثقال كالدواب . وليس أمر الدنيا إلى هؤلاء المساكين المستضعفين الذين يساقون ويسخرون ، بل إلى أصحاب العقول . حتى حين تقوم الثورات لا تكون الثورة فى حقيقة الأمر من الجمهور الأكبر والسواد الأعظم الذى يسفك الدماء ويعيث بالخراب والدماء ، بل ممن يدفعونهم إلى ذلك ويغرونهم به ويحضونهم عليه صراحة وتلميحاً ، وعفواً أو عن عمد ، أى من أصحاب العقول . ولست

تستطيع أن تعطل عقول الناس أو تعقل ألسنتهم . وخير وأرشد — لك وللناس — أن لا تفعل حتى إذا استطعت . وتصور دنيا ليس فيها من يفكر بعقله وينظر بعينه غيرواحد ليس إلا ! أى مزية يستفيدها هذا الفرد؟ وأى متعة أونعيم له فى حياته مع أشباه البهائم؟

إنما المتعة والنعيم فى هذا النضال الذى تتصفح فيه عقول منافسيك وتضيفها إلى عقلك ، وأنت بذلك تكسب أبداً ولا تخسر ، وتضم كل يوم ثروة ذهنية إلى ما أوتيت من ذلك ، وتمنع عقلك أن يصدأ ، لأنك لا تنفك بفضل النضال الذى لا مهرب لك منه ، تجلوه وتشحذه وترهفه

ولكن المرء لا يستطيع أن يناضل بعقله الفطرى . وأعنى بالفطرى الذى لا زاد له من العلم ، ولا مدد من المعرفة . وشبيه بذلك أن تقاوم مقذوفات المدافع بالحجارة . فلا معدى لنا عن تعهد ملكاتنا وتزويدها بالأداة التى تجعلها أمضى وأكثر غناء

وعلمتنى الحياة الابتسام ! وإنه لعجيب أن يحتاج المرء أن يتعلمه ! ألم يقل بعضهم فى تعريف الإنسان إنه حيوان يبتسم ؟ وأدعى إلى العجب من ذلك أن تكون المحن والشدائد هى التى علمتنيه وعودتنيه ! إى والله ! فقد كان صدرى يضيق ومرارتى تكاد تنشق ، من الغيظ ، وكنت أجزع إذا حاق بى ما أكره ، وأقنط من قدرتى على اجتياز المحنة ، حتى تلفت أعصابى واسودت الدنيا فى عينى ، بل كاد نور عينى يخبو وينطفئ لفرط ما كنت أعانيه من الاضطراب والألم والكمد ، ثم لطف بى الله فتمردت على نفسى ، وصرت إذا عرانى ما كان يعرونى من الجزع أو الخوف أو الاضطراب أقول لنفسى : قد جربت مثل هذا من قبل ، وعرفت بالتجربة أنه كله يمضى ولا يخلف أثراً ولا يورثنى إلا الأسف على ما أنهكت من أعصابى فى احتماله ، وقد لدغت آلاف المرات ، فلا يجوز أن ألدغ بعد ذلك أبداً ، وخليق بى أن أتلقى كل ما يجىء — لا بالصبر والتشدد ، فقد كان ذلك ما أفعل ولم يكن يكفى — بل بالسخرية والتهكم — سخرية العارف وتهكم المدرك للقيم الحقيقية للأشياء — وبالابتسام الذى يهون كل صعب ويحيل كل جسيم ضئيلا .

وإذا بالابتسام له فعل السحر بل أقوى . تفتح حنكك ربع قيراط ، وتكلف عينك أن تومض قليلا فتتغير الدنيا كلها ! تجف الدموع إذا كنت تبكى ، وينضب معينها ، وينشرح صدرك إذا كان منقبضاً ، وتشعر بخفة فى بدنك بعد أن كان على كاهلك وقر ترزح تحته ، ويزايلك ما كنت تحاذر كأنما كان ظلا ارتمى عليه نور فنسخه ، ويتجدد الأمل الذى كان قد استحال إلى يأس ، وتنشط للعمل والسعى والجهاد وأنت مفعم بالرجاء ، بعد أن كانت رجلاك كأنما شدتا إلى قنطارين من الحديد ، ولا تعود تبالى أنك فى ضيق ، أو أنك عاطل ، أو مريض ، أو أنك فقدت عزيزاً ، أو أن تجارتك بارت وخسرت ألف ألف جنيه ! كل ذلك الكرب الممض يصبح غير ذى قيمة لا لشىء سوى أنك استطعت أن تتبسم ! ولست أتمنى للقراء إلا الخير محضاً ، ولكنه ما من حياة تخلو من دواعى الانقباض أو الألم أو الحزن ، فليجربوا الابتسام إذا مر بهم — لا قدر الله — شىء من ذلك ، وليتأملوا فعل سحره ، فقد وجدته فى كل حال وصفة نافعة .

وليس الابتسام سهلا فى مثل هذه الحالات ، فإنه مغالبة للنفس ، ومغالبتها تتطلب جهداً عظيما ، ولكن الثمرة تستحق العناء ، والمثوبة على قدر المشقة . وأول ما يكون على المرء أن يتغلب عليه ، هو الاستحياء من أن يتبسم فى موقف حزن أو كرب شديد مخافة أن يقول الناس إنه يسرف فى التكلف . وما من شك فى أنه لا يتأتى فى أول الأمر إلا بتكلف شديد ، ولكنه لا يلبث بعد أن ينجح فى تكلفه أن يصبح طبيعياً ، لأن مجرد الابتسام يفجر ينابيع البشر فى النفس فتفيض

ولأن يتكلف المرء الابتسام خير — وأسهل أيضاً — من أن يحتمل ما هو فيه من الآلام ، وما يساوره من المخاوف والوساوس والأوهام

ومتى ابتسم المرء فى الشدائد والمحن ، فإن الميزان يعتدل من تلقاء نفسه ، فيفطن المرء إلى القيمة الحقيقية — لا المتوهمة — لما هو فيه أو لما يخشى أن يكون . فتراه يقول لنفسه إذا كان قد فقد عزيزاً : « لقد مات ، وكان لا بد أن يموت يوماً ما ، وسنموت جميعاً متى وافانا الأجل ، فلا حيلة فى هذا . وصحيح أنه مات فى وقت أنا أحوج ما أكون فيه إليه وإلى عونه ، ولكن إطالة عمره لم تكن فى يدى ، واستغراق الحزن لى ليس من شأنه أن يجعلنى أقدر على النهوض بالعبء الذى انتقل إلى كاهلى »

وكان قبل أن يبتسم يقول : « يا ويلتاه ! وا مصيبتاه ! ماذا أصنع الآن ! لقد فقدت المعين ، فأنا ضائع لا محالة ! وكيف تطيب الحياة لى بعده ؟ الخ الخ » . نعم ، هو سحر ، ولكنه سحر فى وسعنا جميعاً أن نعالجه ونوفق فيه . وكل شىء فى مبتداه عسير ، ثم يهون بالدربة والمرانة ويصبح عادة وأشبه بالطباع ، ويكسب المرء مناعة وحصانة ، فلا تعود صروف الأيام قادرة على تقويض كيانها ونقض بنيانها . فجربوا هذا كما جربته ، واشكرونى

المازنى

أول صلاة في الاسلام

صـــلاة الركعتين

للدكتور جواد علي

(تتمة مانشر في العدد الماضي)

والتهجد عبادة اختيارية فى الأديان الأخرى وكذلك عرف عند اليهود والمسيحيين. كان نساك اليهود يتعبدون ليلا ، يقيمون الصلاة تضرعاً إلى الله وخيفة ، ويقرأون شيئاً من التوراة « Thora » وكانت لهذه القراءة منزلة خاصة فى قلوب اليهود لما لها من ثواب عظيم . جاء فى المزامير : « فى منتصف الليل أقوم لأحمدك على أحكام برك[١] » . وجاء عن النبي داود أنه كان ينام إلى منتصف الليـل ثم توقظه جرادة كانت تأتى فراشه بتأثير هبوب الرياح الشمالية فيستيقظ ويفيق ويقضى النصف الثانى فى القراءة وترتيل أناشيد الرب وذكر اسم الله العظيم[٢] .

وعرف عن رهبان النصارى مثل ذلك ، كانوا يتهجدون ليلا ويقضون جزءاً من الليل فى العبادة ، وفى تاريخ الأديان كفاية لمن أراد المزيد .

والآن فما دامت الصلوات الخمس لم تفرض إلا ليلة الإسراء فكيف كان يصلى الرسول ؟ وهل كانت للرسول ولأصحابه صلاة خاصة ؟ اختلف الفقهاء فى الجواب ؛ وذهب أكثرهم إلى أنه كان يصلى وإن « أول ما افترضت الصلاة على النبي ركعتين ركعتين كل صلاة ، ثم إن الله أتمها فى الحضر أربعا وأقرها فى السفر على فرضها الأول ركعتين[٣] » .

وذهب جمع إلى أنه لم يكن قبل الاسراء صلاة مفروضة لا عليه ولا على أمته إلا ماوقع الأمر به من صلاة الليل من غير تحديد[٤] « وفى كلام ابن حجر لم يكلف الناس إلا بالتوحيد فقط ثم استمر على ذلك مدة مديدة ، ثم فرض عليهم من الصلاة ما ذكر فى سورة المزمل ، ثم نسخ كله بالصلوات الخمس ، ثم لم تكثر الفرائض ولم تتابع إلا بالمدينة . ولما ظهر الإسلام وتمكن فى القلوب كان كلما زاد ظهوراً وتمكن ازدادت الفرائض وتتابعت[١] » .

وبعد فهذه آراء فى الصلاة قبل الإسراء متباينة . أما مابعد الإسراء فالإجماع حاصل على أنها خمس لاشك فى ذلك . ولم يتمكن المفسرون على الرغم من الجهود التى بذلوها من تعيين آية صريحة فى القرآن الكريم تشير بصراحة إلى الصلوات اليومية الخمس وتذكرها عداً دون تفسير ولا تأويل[٢] .

ويظهر من أقدم الآيات والسور القرآنية أن النبي وأصحابه كانوا يصلون بين البعث والإسراء ، ففى سورة العلق وهى من السور المكية ومن أول ما نزل من القرآن : « أرأيت الذى ينهى عبداً إذا صلى »[٣] مما يدل على أن المسلمين كانوا يصلون . وفى الأخبار أن الرسول بعد أن صلى الصلاة الأولى أتى خديجة بنت خويلد فتوضأ وتوضأت وصلى وصلت كما صلى الرسول ؛ ثم رآه على بن أبى طالب ففعل كما رآه يفعل[٤] مما يدل على أن الصلاة كانت معروفة قبل الاسراء بزمن ؛ فالمعروف أن وفاة خديجة كانت قبل الهجرة بثلاث سنين أى فى السنة العاشرة من البعثة وهى أول من آمن به من النساء كما هو معلوم . ومن المعروف فى كتب السير أيضاً أن « الرسول كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة وخرج معه على بن أبى طالب مستخفياً من أبيه أبى طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه فيصليان الصلوات فيها ، فاذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك ماشاء الله أن يمكثا . ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ابن أخى ماهذا الدين الذى أراك تدين به ؟ قال : أى عم ! هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم[٥] . وكانت وفاة أبى طالب قبل الاسراء فى العام الذى توفيت به خديجة[٦]

---

(١) mittursch. p, 11 المزامير ١١٩ آية ٦٢ :

(٢) mittursch. p, 11

(٣) ابن هشام ج ١ ص ١٥٥ الحلبية ج ١ ص ٢٥١ ، ٢٥٤

(٤) الحلبية ج ١ ص ٢٥٤ .

---

(١) الحلبية ج ١ ص ٢٥٥ .

(٢) تاريخ القرآن إلى نولدكه ج ١ ص ٥١ . mittursch p, 9

(٣) سورة العلق (اقرأ) ٩٦ آية ١٠ .

(٤) اليعقوبي ج ٢ ص ١٦ وسائر الكتب .

(٥) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٥٧ .

(٦) السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٢٩ .

فلو أخذنا بهذا الخبر وجب علينا إذاً أن نعترف بأن الصلاة كانت مفروضة منذ أيام الوحى الأولى .

إذاً كيف بدأت الصلاة وهل كانت على الطراز الذى نقوم به فى الوقت الحاضر ؟ لا . كانت تختلف بعض الاختلاف عن الصلوات الخمس ، كانت ركعتين ركعتين[١] أى أن كل صلاة هى ركعتان فقط كما هو فى صلاة الصبح فى الوقت الحاضر أو فى صلاة المسافر . وقد اختلفوا فى أول صلاة صلاها الرسول : يقول أحمد بن واضح اليعقوبى : « وكان أول ما افترض عليه من الصلاة الظهر ، أتاه جبريل فأراه الوضوء فتوضأ رسول الله كما توضأ جبريل ثم صلى ليريه كيف يصلى فصلى رسول الله[٢] » وقد ذهب هذا المذهب نفر من الرواة أيضا[٣] .

والذى أراه أن الرواية ضعيفة لما ذهب إليه بعض المفسرين من أن صلاة الظهر هى « الصلاة الوسطى » التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين »[٤] . فاذا كانت صلاة الظهر هى الصلاة الوسطى فيجب أن تكون وسطا بين صلاتين ، وهذا مما يتعارض وكونها أول صلاة صلاها الرسول ؛ لأن كونها صلاة وسطى يستوجب وجود صلاة أولى وصلاة أخرى . ثم إن العقل لا يؤيد أن أول صلاة هى صلاة الظهر ؛ لأن الصلاة فى أكثر الأديان هى فى الصباح والمساء نظراً لسهولة معرفة الوقت ؛ فلا يعقل أن تكون صلاة الظهر هى الصلاة الأولى » ثم الآيات القرآنية السابقة لا تؤيد الرواية المذكورة أبداً ، وكذلك الآيات القرآنية التى نزلت بمكة كما سترى .

والرواية التى تقول بأن أول صلاة صلاها الرسول هى صلاة الظهر هى رواية نافع ، ورواية نافع هذه تحتمل الرفض وتحتمل القبول ، ونافع كثير السقطات فى الأخبار . على كل فقد ذهب بعض المفسرين إلى أن المقصود من الصلاة الوسطى صلاة الفجر[٥]

(١) راجع سيرة أبى هشام ج ١ س ١٥٥ . الحلبية ج ١ س ٢٥٢ يعقوبى ج ٢ ص ١٦ وسائر الكتب الأخرى
(٢) اليعقوبى ج ٢ س ١٦ طبعة النجف
(٣) رواية نافع فى سيرة أبى هشام .
(٤) البقرة سورة ٢ آية ٢٣٨ الخازن ج ١ س ١٨٥ .
(٥) تفسير الخازن ج ١ س ١٧٩ . إبن أبى زيد رسالة س ٢٣ .

وذهب بعضهم إلى أنها صلاة العصر[١] . وحتى إذا ذهبنا هذا المذهب لا نستطيع الجزم بأن صلاة الظهر هى أول صلاة صلاها الرسول .

ولكن الذى يستنتج من مختلف كتب السير والأخبار أن الصلاة قبل الإسراء كانت فى وقتين فقط وبركعتين : صلاة بالعشى وصلاة بالغداة[٢] وهذا مايؤيد كون الصلاة الوسطى هى صلاة الظهر . ويؤيد هذه النظرية ما ورد فى القرآن الكريم « يا أيها الذين آمنوا ليستئذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ، ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم »[٣] وروى عن مقاتل بن سليمان أنه قال : « فرض الله الصلاة فى أول الإسلام ركعتين بالغداة أى قبل طلوع الشمس وركعتين بالعشى أى قبل غروب الشمس[٤] » .

وهذا هو الرأى المعقول ؛ لأن وقت الغروب ووقت الشروق علامتان يمكن إدراكهما بسهولة بدون حاجة إلى تعيين وقت ولاحساب . وأكثر الصلوات فى هذين الوقتين ، حتى الوثنيين والأقوام البدائية تتخذ هذين الوقتين للاحتفالات الدينية ولإقامة الصلوات والطقوس .

ومما يؤيد هذا الرأى قوله تعالى : « وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها » وقوله : « وسبح بالعشى والأبكار » وذهب نفر إلى أن صلاة العشى كانت قبل صلاة الغداة ، ثم حدثت بعد ذلك صلاة الغداة[٥] » .. وكان الرسول يخرج إلى الكعبة فى أول النهار فيصلى صلاة الضحى وكانت صلاة لا تنكرها قريش ، وكان هو وأصحابه إذا جاء وقت العصر تفرقوا فى الشعاب فرادى ومثنى فيصلون صلاة العشى[٦] » ويظهر من هذه الرواية الأخيرة

(١) نفس المصدر وكتب التفاسير الأخرى
(٢) تاريخ الخميس للديار بكرى ج ١ س ٣١٧ الحلبية ج ١ س ٢٥٢
(٣) سورة النور ٢٤ آية ٥٨
(٤) الحلبية ج ١ س ٢٥٤ . الديار بكرى نقلا عن فتح البارى ج ١ س ٣١٧ .
(٥) نقلا عن السيرة الجلبية ج ١ س ٢٥٤ .
(٦) الحلبية ج ١ س ٢٥٤ .

أن صلاة الضحى كانت وقت الضحى لا قبل الشروق »[١] .

من الممكن إذاً تعيين صلاتين قبل فرض الصلوات الخمس : صلاة الغداة وإن شئت فسمها « صلاة الصبح وهى صلاة كان يؤديها النبى حين قيامه من الفراش وقبل شروق الشمس ، وصلاة العشى وإن شئت فسمها صلاة الغروب وهى قبيل غروب الشمس .

وإذا ما وافقنا أكثر المفسرين على رأيهم من أن صلاة الظهر هى الصلاة الوسطى وهى وسط بين صلاتين فنكون بذلك قد عينا ثلاث صلوات هى الصلوات الأولى فى الإسلام . ولا شك فى أن الصلاة الوسطى وهى صلاة الظهر متأخرة نوعاً ما بالنسبة إلى الصلاتين .

قلنا إن الصلاة الوسطى هى صلاة الظهر « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين »[٢] ولكن سورة البقرة وهى السورة التى ذكرت فيها هذه الآية مدنية إلا آية ٢٨١ فإنها نزلت بمنى[٣] وهذا مما لا يتفق وما ذهبنا اليه ؛ لأن ذلك يدل على أن فرض « الصلاة الوسطى » كان بالمدينة أى بعد الاسراء ؛ فاما أن تكون الآية مكية ولكنها حسبت مدنية وتكون الصلاة الوسطى حينئذ قد فرضت بمكة فلا تحتاج المسألة عندئذ إلى تفكير ، وإما أن تكون مدنية فتحمل الآية حينئذ محمل الأمر والتذكير بشىء سابق لا نستطيع تعيينه بالضبط .

ذكر المفسرون بأن المقصود من الآية « حافظوا على الصلوات » الصلوات الخمس ، وهذا طبعاً هو تفسير المفسرين لأن الآية صريحة كل الصراحة لم تعين العدد . وإنما ذكروا العدد ليوفقوا بين حديث الاسراء وبين هذه الآية ، ولكن ما الذى يمنع إذا ذهبنا مذهباً آخر جديداً هو أن الصلوات الخمس لم تتم بهذا الشكل المألوف إلا فى المدينة وإلا بعد الهجرة ، ولأن كثيراً من الأحكام لم تأخذ شكلها النهائى إلا فى المدينة ؛ وبذلك يتيسر لنا شرح الآية بدون حاجة إلى تأويلات بعيدة لا طائل تحتها كما حاول ذلك المفسرون الذين حاروا فى تعليل العطف الذى جاء بعد « حافظوا على الصلوات » فبعد أن قالوا إن المقصود من الصلوات ، الصلوات

(١) الحلبية جـ ١ ص ٢٥٤

(٢) البقرة ٢ آية ٢٣٨ .

(٣) راجع السورة وكتب التفسير

الخمس اعترضهم اعتراض هام هو أن الصلاة الوسطى هى صلاة مهما قيل فى المقصود منها فإنها واحدة من الصلوات الخمس ، إذاً فما معنى العطف فى قوله تعالى : « والصلاة الوسطى » بعد أن ذكر الصلوات كلها ؟ عللوا ذلك بقولهم إنه تعالى : « أفردها بالذكر لفضلها[١] » .

ثم ذهبوا مذهباً بعيداً للتفتيش عن ذلك الفضل . ولو ذهبنا نحن إلى أن الصلوات لم تكن كاملة إلى أن هاجر الرسول إلى المدينة ثم كمل ذلك فيما بعد لما احتجنا إلى كل هذه الاحتمالات . وخبر الإسراء خبر وما جاء فيه لم يذكر فى القرآن .

ولليهود فى القديم صلاتان : صلاة عند الصباح وصلاة عند المساء وتعرف عندهم باسم « شماع » أو « سماع » « Sch'ma' » تقرأ فى الصلاتين وصية إسرائيل « اسمع يا إسرائيل ، الرب إلهنا رب واحد . فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك . ولتكن هذه الكلمات التى أنا أوصيك بها اليوم على قلبك[٢] » وتقرأ عند المساء والصباح من كل يوم « وقصها على أولادك وتكلم بها حين تجلس فى بيتك وحين تمشى فى الطريق وحين تنام وحين تقوم[٣] » .

وفى الديانة الفارسية القديمة صلاتان : صلاة فى الصباح عند النهوض ، وصلاة فى المساء قبيل الذهاب إلى الفراش[٤] وهى تشبه صلاة « الشماع » عند اليهود . والغرض من الصلاتين التوسل إلى « مزدا » « Mauzdâh » لطرد الأرواح الخبيثة والأنفس الشريرة . وفى وسع المؤمن طرد الشيطان « Druy » بالصلاة عند الصبح ، فبعد النهوض من الفراش يتجه الإنسان إلى « Asem vohu » فيصلى له الصلوات الثلاث ثم يذكر اسم « Humatanam » مرتين واسم « Huxsathrotemai » ثلاث مرات واسم « Ahuva vairya » أربع مرات ثم يصلى الى « Yenhe—hatâm » فتهرب الأرواح الخبيثة من الإنسان ولا تمسه بعدئذ بسوء[٥] وقد نشأت من

(١) تفسير الجلالين جـ ١ ص ٣٥ .

(٢) الثنية الاصحاح السادس آية ٤ وما بعد .

(٣) الثنية الاصحاح السادس آية ٨ .

(٤) Scheielowiz. p, 22

(٥) Scheltelouiw p, 23 yesua 33,4 Q-ud 18,49 Qeud 10 .

القطبان الارضيـــــيان والاسكيمو

الأديب محمد وحيد الدين المعرى

الانسان وفطرة الاكتشاف

خلق الانسان بفطرته وغريزته محبا للاطلاع والتنقيب ، وهذه الفطرة والغريزة تنشآن لديه منذ ولادته ، فإذا رأى الطفل شيئا تراه يسعى لمعرفة كنهه ومحتوياته ؛ فان كان مثلا ألعوبة آلية يسعى ليطلع على أسرارها . وكثيراً ما يكسرها ليرى السبب الذى جعلها تقوم ببعض الحركات أو تحدث بعض الأصوات ... وهذه الغريزة ضرورية للانسان إذ لولاها لعاش عمره ينظر إلى الطبيعة نظرة باقى الحيوانات لا يفكر فى أمرها بل ولا فيما يختص بذاته . ولو بقى على هذا الوضع لعاش حياته عيشة بهيمية يندفع للقيام ببعض الحركات أو الأعمال الضرورية كالطعام والشراب والنوم والخوف والدفاع عن النفس وغير ذلك بدافع خارجى لا علاقة لتفكيره فيه كالجوع والعطش والنعاس والألم وغيره ، إذاً فالأنسان عاقل ، وعقله دفعه للتفكير، وتفكيره دعاه للاطلاع والتنقيب والاكتشاف والاختراع ، لذلك فكر بادىء ذى بدء فى نفسه ثم فيما جاوره من الأشياء وفيما رآه قريباً منه وكذلك فقد تأمل فى هذه الأرض التى يعيش عليها وباقى المخلوقات كالكواكب والنجوم وغيرها .

العرب وكروية الأرض:

فكر الانسان فى هذه الارض التى يعيش عليها ويتنقل فيها ثم طاف بها إلى مسافات بعيدة علِّه يصل إلى آخرها ولكن عبثاً ماحاول ، فأينما سار وجد الطريق أمامه مفتوحة إن كان براً أو كان بحراً فاعتقد بلا نهائيتها وبأنها مسطحة لا أول لها ولا آخر، وبقيت أمامه هذه العقبة الكأداء زمناً طويلا طلسما مجهولا ولغزاً صعباً لا يستطيع حلهما . وجاء الإسلام بكتابه المجيد فنقض كثيراً من النظريات البالية التى استصعب حلها زمناً طويلا فقال: «وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب» . ثم ازدهر مجد العرب وأسسوا مدنيتهم الزاهرة وقام فيهم العلماء المتعددون ، ودرسوا ما وضع السالفون من النظريات الفلسفية ووافقوا على ماساير العقل ونقضوا كثيراً من النظريات الأخرى التى تخالفه ، وساير دينهم العلم والعقل جنباً إلى جنب ، فأسسوا مدنية خاصة بهم تختلف عن باقى المدنيات وطبعوها بطابعهم الخاص واستطاعوا أن يثبتوا فى العصر العباسى فساد الكثير من النظريات كنظرية انبساط الأرض ولا نهائيتها ، وقالوا إن الأرض كرة مستديرة تسبح فى الهواء شأن باقى الكواكب والنجوم المنثورة فى الفضاء . وأمر الخليفة المأمون ببناء مرصد فلكى فوق جبل قاسيون فى دمشق ، وبقيت آثاره حتى دخول الحلفاء إلى سوريا عام ١٩٤١ ، إذ خربته القنابل أثناء ضرب المراكز العسكرية فوق هذا الجبل ، كما أمر بعض الرياضيين بحساب طول محيط الأرض ، وقاس هذا المسافة الواقعة بين عاصمة الملك ببغداد ومصيف الخلفاء — الرقة — واستنتج منها طول المحيط. وأنكر أقوام وعلماء آخرون صحة هذه النظرية ، فقال بعضهم ببطلانها وانبساط الأرض

ذلك تعاويذ خاصة يقرؤها الإنسان لطرد الخبائث والشياطين عنه[1]

وقد انتقلت مثل هذه الأفكار البدائية إلى اليهود أيضاً . فكان يوشع بن لاوى يشفى الأمراض بقراءة بعض الآيات من الزمور الحادى والتسعين ، ولكن كان من المحرم قراءة شىء من التوراة على المرضى[2] .

وذكر عن « هونا » « R. Huna » عن « يوسف » « R. Josef » أن الإنسان يصلى صلاة « الشماع » لطرد الأرواح الخبيثة ولأبعادها عن المصلى »[3] . وقد استخدمت المسيحية قراءة الكتاب المقدس لغرض إشفاء المرضى وكذلك الصلاة[4]

أما صلاتا الصبح والعشاء والصلوات الأخرى فى الإسلام فإنها لم تتخذ لهذا الغرض بل جعلت واجباً دينياً على المسلم كسائر الواجبات .

جواد على

(١) Scheltelouiw.

(٢) Scheltelouiw p, 23 Schelu ot 15 b Jelawedcuu.

(٣) Jer. Berahot 1,1 Jeish Encycl 3 P,202 ff 10 P,204 ff.

(٤) Schefte'owiz P, 23 Schurer Husto cf the Jeuisb. natation 3 P, 4 of.

التى تنتهى شمالا بجبال « قاف » ، تلك الجبال التى كثر حديثهم عنها ، ولعلهم يقصدون بها جبال « قوقاسيا » ، لأنها وقفت أمامهم كالحصن المنيع تحول دون أطماعهم فى الفتوحات الشمالية لارتفاعها أو لكثرة الهوام والحيوانات المتوحشة فيها

وفتح العرب الأندلس وأسسوا فيها مدنيتهم الزاهرة التى ضاهت مدنيتهم فى الشرق ، وأخذ عنهم الغرب العلوم والفنون ، فاستنارت أفكارهم بعدما كانت فى ظلمة دامسة ، وقام منهم الفلاسفة الكثيرون بعضهم يدعى كرويتها والآخر ينكره ، وقاسوا فى سبيل ذلك مر العذاب ، لأن ذلك كان ينافى التعاليم الكنسية التى تؤمن بيسطها ، وحبطت الفكرة زمناً طويلا ، وحكم على الكثيرين بالموت جزاء لمروقهم من الدين ، ولكن بعض الشباب آمنوا بما آمن به أساتذتهم العرب بكرويتها وقاموا بالدعاية الواسعة لها ، وكان على رأسهم كريستوف كولومبس الذى استطاع أن يقنع الملك فرديناند وزوجته الملكة إيزابيلا بما مناها من الفتوحات العظيمة التى ترفع شأن مملكتهما الفتية وبالسيطرة على طريق الهند التى يسيطر عليها أعداؤهما المسلمون فيما إذا لاقى مشروعه النجاح . فأقدم هذان الملكان على تجهيزه بما يلزمه من السفن وتزويده بالمؤن والرجال من المحكوم عليهم بالإعدام أو السجن المؤبد طمعاً فى إعلاء اسمهما فى الوقت الذى كان فيه الاعتقاد السائد بأن هذه الطريق البحرية الذاهبة إلى الغرب ستؤدى حتما إلى جهنم حيث تنام الشمس فى مهدها . وبعد جهد وعناء وصل كريستوف الهند المزعومة وسماها « جزائر الهند الشرقية » ، وعاد منها موقراً بالهدايا الغريبة والنفائس النادرة من حلى وذهب وديكة هندية وإنسان أحمر وغيرها مما لاشى العقائد الفاسدة البالية ، ثم وشى الوشاة عند الملكين بكريستوف ، فزج فى السجن حيث قضى نحبه . وذهب رحالة إلى هذه الهند يدعى أمريكو حيث قام بالتجول فى ربوعها وأثبت أن هذه البلاد ليست سوى عالم جديد لم يكن معروفاً من قبل فسميت باسمه أمريكا ، وقام ماجلان برحلته الاستكشافية الشهيرة[1] فطاف حول العالم ذاهباً من الغرب آيباً من الشرق ، عندها تلاشت نظرية انبساط الأرض وذهبت إلى الأبد

قمت الدول تتسابق فى الاكتشاف والاستيلاء على البلاد والجزر المجهولة ، حتى كادوا يأتون عليها كلها ، فعمدوا إلى اكتشاف القطبين الأرضيين الشمالى والجنوبى ، ولاقوا فى سبيلهما الأهوال لشدة الصقيع وهبوط درجة الحرارة إلى ما لا يحتمله الجسم البشرى حتى وفقوا إلى ذلك فى أواخر العصر المنصرم .

اكتشاف القطبين الشمالى والجنوبى

لما كان القطب الشمالى قريباً من البلاد المتمدنة كان غاية المستكشفين وهدف الدول الكبرى التى أحبت أن تستأثر بالفخر دون غيرها ، فهبت تتسابق إليه ولاقت فى سبيله من المشاق والمتاعب ما لا يوصف . ابتدأت الرحلات منذ نهاية القرن السادس عشر ، وبعد جهد وعناء كبيرين وعلى يد الأميرال الانكليزى «روبرجان لهميزوريه Robert Gean le Mésurier» (المعروف بـ — ماك كلور Mac—Clore المولود سنة ١٨٠٧ — ١٨٧٣) تم اكتشاف الطريق الأول الشمالى الغربى (بين خليج هدسن Baie d' Hudson ومضيق بيرنغ Litroit de Béring) بين سنة ١٨٥٠ و ١٨٥٤ م . وعلى يد الرائد الرحالة الطبيعى السويدى نلس آدولف إريك Nils Adolf Eric (المعروف بـ — نوردانشولد Nordnshjœld المولود فى هيلسينغفورس ١٨٣٢ — ١٩٠١) تم اكتشاف الطريق الثانى الشمالى الشرقى بين سنة ١٨٧٨و١٨٧٩ م . وفى هذا القرن بدأ العلماء بتشكيل بعثات علمية غايتها اكتشاف القطبين توسيعاً لعلم تقويم البلدان (الجغرافيا) فأرسلت انكلترا بعثات اكتشفت بعض الجزر القطبية شمال كندا ، ثم كثرت الهيئات التى تقصد القطبين إلى أن خرج الدكتور « فريد جوف نانسن Fridtjof Nansen » الرحالة الطبيعى (المولود فى ستورفرون Store-Froen ١٨٦١ — ١٩٣٠) مع اثنى عشر رجلا فى سفينة سماها (فرام Fram) صنعت خصيصاً لهذه الغاية ، فسار أولا فى الطريق الشمالى الشرقى واشترى من سواحل سيبيريا عدداً من كلاب الجليد وسار نحو

---

(١) اقرأ فصلا فى مجلة المختار — عدد ١٣ تحت عنوان « فاتح البحار »

الشمال حتى بلغ ٤َ ر٨٤° حيث اضطر إلى قضاء فصل الشتاء ؛ ثم ترك سفينته وواصل السير مع أحد رفاقه مشياً على الأقدام تصحبهما الزحافات والكلاب وبعض الآلات الفنية حتى بلغا عرض ١٣َ و ٨٦° ثم رجعا حتى وصلا أرض «فرانسوا جوزيف» حيث قضيا فصل الشتاء ؛ وهناك التقيا بسائح انكليزى اسمه « جاكسون » فتعرفا إليه وركبا معه فى سفينته حتى وصلا بلاد النرويج ، أما سفينة فرام فقد عادت بعد أن تخلصت من الجليد الذى كان محيطاً بها . وفى سنة ١٨٩٩ سافر الدوق « ده زابرزو Duc des Abruzzes » الإيطالى فدخل أرض فرنسوا جوزيف وسار فيها بالزحافات حتى وصل عرض ٣٣َ ر٨٦° متقدما نانسى بعشرين دقيقة أى ما يعادل ٣٧ر٠٣٧ كيلومترا . وفى سنة ١٩٠٥ سافر الضابط الأميركى « بيارى Beary » (المولود فى كريسون سبرينغ Creson Springh سنة ١٨٥٦ — ١٩٢) نحو القطب ماراً ببحر بافن إلى أن وصل إلى شمالى غروتلنده فنظم هناك بعثة مؤلفة من أمريكيين وأقزام سار بهم ومعهم الكلاب والزحافات مدة شهر كامل ، ثم تقدمهم بخمسة من أشجع رجاله حتى وصل القطب فى مايو ١٩٠٩ ورفع عليه العلم الأمريكى . وفحص تلك الجهات فوجدها بحراً تكسوه الثلوج عمقه ٣٠٠٠ متر . وأهم الأراضى التى اكتشفت فى هذا القطب هى جزر فرنسوا جوزيف ، وزامبل الجديدة ، وسبيتزبوغ فى شمالى أوربا ، وجزر سيبريا الجديدة ورانجل فى شمالى آسيا ، وأراضى غروئنلنده وبافن غرانت والبرنس دوكال والملك غليوم وفيكتوريا وآلبيروبانكس وملفيل وبارى فى شمال أمريكا .

أما القطب الجنوبى فكان الكابتن « كوك Cook » الانكليزى أول من اجتاز مدار القطب الجنوبى أثناء بحثه عن قارة جنوبية فوصل سنة ١٧٧٤ إلى عرض ١٠َ ر٧١° حيث منعه الجليد عن التقدم . ثم أرسلت روسيا بعثة برئاسة « بلنغهاوزن Bellingshausen » فى أوائل القرن التاسع عشر فاجتازت مدار القطب الجنوبى واكتشفت أرض الاسكندر الأول (باسم القيصر) وفى سنة ١٨٣٨ اكتشف « دومون دورفيل Dumont d' urvile » الفرنسى أرض لويس فيليب (باسم ملك فرنسا) وبعد سنتين اكتشف أرض آديلى . وفى سنة ١٨٤٠ اكتشف (جمس روس James Rose) الانكليزى أرض فيكتوريا ذات البراكين المتعددة ووصل بعد سنتين إلى عرض ١٠َ ر٧٨° . وفى سنة ١٩٠٠ سافر من انكلترا « سكوت Scout وشاكلتون Chakleton » واكتشفا أرض إدوار السابع وواصلا السير بالزحافات إلى عرض ١٧َ ر٨٢° حيث مكثا يستكشفان ثلاث سنوات . وفى سنة ١٩١٠ سافر « آموندسن Amunden » (المولود فى بورج — فى النرويج Börje سنة ١٨٧٢ — ١٦٢٨) فى سفينة اسمها « نانسن » نحو الجنوب مخترقا بحر روس ؛ وقد اضطر إلى أن يقيم فى كوخ خشبى فوق أرض جليدية مدة الشتاء ؛ ثم أخذ أربع زحافات وكلابا ومؤنا تكفيه أربعة أشهر واتجه نحو القطب إلى أن وصله فى ديسمبر سنة ١٩١١ . وفحص تلك الجهات فوجدها أراضى جبلية بركانية ارتفاعها ٣٠٠٠ متر وهى أشد برداً من المنطقة الشمالية تهب عليها الرياح الغربية القارسة وينزل فيها الثلج أكثر أيام السنة حتى لوحظ أنه نزل فيها أكثر من ٣٠٠ يوماً فى السنة . وأهم الأراضى التى اكتشفت فى هذا القطب هى أراضى الاسكندر الأول وغراهام ولويس فيليب وجزر جوانفيل وآنفرس وشتلاند الجنوبية وأوركارد الجنوبية — جنوب أمريكا ، وأراضى آندربى جنوب أفريقيا ، وأراضى آديلى وفيكتوريا وإدوار السابع جنوب أستراليا

الأقزام الإسكيمو Esquimaunx : يطلق هذا الاسم على الأقوام التى تقطن منطقتى القطبين الشمالى والجنوبى . ومعنى كلمة « اسكيمو » فى اللغات الغربية « آكل اللحم النىء » ويسمون أنفسهم بالرجال ونسميهم بالأقزام لقصر أجسامهم التى لا تتجاوز الستين سنتيمترا ، وهم بُدْن ذوو عضلات قوية وسواعد مفتولة وأرجل غليظة معوجة ، لونهم أسمر ورؤوسهم كبيرة مستديرة مغطاة بشعر أسود غليظ وأنوفهم عريضة وعيونهم سوداء صغيرة وأفواههم واسعة وشفاههم غليظة فى داخلها أسنان بيضاء لامعة وجلودهم ناعمة الملمس ، ولباس الرجل شبيه بلباس المرأة ؛ لذا كان التمييز بينهما صعباً . والفرق بينهما أن النساء يمشطن شعورهن . ثم يعقدهن تيجانا والرجال يدعونها على طبيعتها ولكنهم يقصون الغرة كيلا تحجب العيون .

بيوت الإسكيمو : فى بعض البلاد مثل شمالى سيبريا وجنوب غربى غروئنلندة تبنى قبائل الاسكيمو بيوتا من الحجر والطين ، أما فى

الأصقاع القطبية فلتعذر وجود هاتين المادتين فإنهم يسكنون بيوتا من الثلج تتسع لثلاثة أو أربعة أشخاص تقام جدرانها على جانب حفرة من الأرض ذات باب صغير يضطر الداخل إليها أن يحبو على أربعة ، وهى معتمة تتصبب بللا من حرارة ذبالات المصابيح التى يشع منها قبس ضئيل من النور توقد بزيت الحيتان وشحوم الدببة ، ولذا كانت كريهة الرائحة لا يستطيع الإنسان البقاء فيها لقذارتها ولكثرة الأكوام اللاحمية المتجمدة المكدسة فيها ، ولكونهم يبولون فيها ويضعون الجلود وما يصطادونه بها . وبفضل التضافر والتعاون بين عائلات هؤلاء الأقوام فإن أكبر قصر يمكن أن يشاد بسويعات قليلة ، فترى قوما ينشرون الجليد وآخرون يجمعون شتات النشارة وقطع الثلوج الصغيرة ، والبناء يتناول الحجارة ويضعها فى المكان المخصص لها ويثبتها بهذه النشارة بدلا من الطين ولا تلبث بعد أن تتعرض للصقيع قليلا أن تصبح قطعة واحدة . وهذه البيوت عند ما تكون جديدة تبقى جميلة ومغرية بلونها الرخامى الفاخر ثم لا تلبث بعد قليل من سكناها حتى تصبح أنتن من أختها .

والأقزام لا يعرفون الزراعة ولا الصناعة اللهم إلا فيما ينحصر فيما يصطادونه من الحيوانات البرية والبحرية ، يأكلون لحما طريا من الحيتان المتنوعة وعجول البحر والفوك والمورس وأنواع مختلفة من الأسماك ، فتراهم جثاة على ركبهم وجذوعهم مائلة إلى الأمام لا يبدون حراكا إلا من أيديهم النهمة وأمامهم طست هائل ملوء قطع كبيرة من اللحم يقبض كل منهم بيديه وأسنانه القاطعة قطعاً كبيرة من اللحم يعالجها حتى يقطعها ولا يكاد يلتهمها حتى تسرع يداه إلى قطعة غيرها . ومما يؤثر عن طعامهم هذا أنه لا يعتبر صالحاً للأكل إلا بعد أن يكدس بعضه على بعض مدة طويلة من الزمن ريثما يتفسخ وتظهر رائحته النتنة الشهية وفى هذه الحال ينشر الحرارة الكافية فى الجسم أكثر مما لو كان طريا .

والصيد هو عملهم الأول الذى يتوقف عليه مدار معيشتهم واكتساؤهم بالألبسة الفرائية المتنوعة ؛ ولهم فيه فنون وحيل لا يضارعهم فيها إنسان آخر . وكيفيته أن يأتى الصياد (وكثيراً ما يكون طفلا صغيراً لم يتجاوز الخامسة أو السادسة من العمر) ويحفر بحربته الطويلة المسنبة المربوطة من أسفلها بحبل طويل الجليد الساتر تحت سطح البحر ولا يجهد نفسه كثيراً حتى يبلغ الماء فيبدأ بتوسيع الحفرة ويقف بجانبها وقفة الهر على أبواب جحر الفأر حتى إذا ما سمع صـوت سباحة طريدته انتصب قائماً ورفع بيده إلى الأعلى وسدد السهم نحوها حتى إذا ما مرت قذفها قذفة قوية تخترق أضلاعها ، وهناك تقع الواقعة الكبرى فالحيوان يجذب الصياد تارة والصياد يجذبه أخرى ، وكثيراً مايتغلب الحيوان عليه فيجذبه نحو الحفرة ، وعندها يأخذ فى الصياح الذى يدوى فى الآفاق فيتراكض القوم رجالا ونساء لنجدته ، ولا يكادون يخرجون الفريسة خارج الحفرة حتى يستل كل منهم مديته ويغرسها فى جلد الفريسة وهى حيـة دلالة على مشاركته إياهم فى صيدها . وهذه العملية تخوله حق المشاركة فى لحمها فيقطع قطعة كبيرة منها ويقذفها فى فيه وبعد مضغ طويل يبتلعها ثم يربطونها بحبالهم ويسحبونهـا حتى يصلوا إلى بيوتهم فيقتسموها . وإذا جاء الشتاء وجمد الماء صادفوا عجول البحر وقد أحدثت فى الجليد ثغراً وطلعت تستنشق الهـواء فيصوبون إليها حرابهم ويرمونها وقد يترقبون ظهورها من هـذه الثغرات حتى إذا ما خرجت اقتنصوها . وكذلك يصطادون الطيور المائية المختلفة ويقتلون ذوات الفراء من الثعالب والدببة القطبية البيضاء إلا أن هذه تقطع قلوبهم من الرعب لشراستها .

* * *

التجارة عنـد الأقزام محدودة تقتصر على بيع جلود الحيوانات والفراء والعظام وعاج المورس ؛ ويبيعون هذه المحاصيل إلى البلاد المجاورة كسواحل أمريكا الشمالية وروسيا وسيبريا وهى تدر عليهم أرباحا طائلة يشترون بها ما يلزمهم من المواد الأولية كالحبوب والمقددات والسكر والشاى والقهوة والكاكاو وغير ذلك من المواد التى لا تتأثر بطول العهد ، والألبسـة الصوفية والقطنية الجاهزة وبعض الآلات الحديثة كالحاكى والألاعيب الصبيانية وغيرها . ويندر تعاطيهم التجارة فيما بينهم لعدم وجود ضرورة للمبادلة . وينقلون هذه المتاجر من وإلى البـلاد المتعددة بواسطة الزاحفات فى الأصقاع المتجمدة والزوارق فى البحار المائعة. ويعودون أولادهم منذ نعومة أظفارهم على الأسفار والأعمال الشاقة فهم يضعون القوارب الصغيرة من جلد المورس وعظام الحيوانات

فى أيام الصيف ويسابقون بها الريح فى جريها حتى إذا ما وصلوا البر سحبوها معهم وتركوا عندها نفراً منهم يحرسها ، وكذلك الزحافات التى تجرها الكلاب فوق الأراضى المتجمدة .

***

انقطاع الأقزام فى بلادهم النائية عن العالم المتمدن ، وانزواؤهم فى الأصقاع الجامدة وتعذر الانتقال بين بعضها وبعض إلى مسافات بعيدة بالسرعة التى تقتضيها الحياة العصرية ، وعدم سلوكهم فى الارتزاق مسلك الأمم الباقية بتبادل المحصولات الزراعية والحيوانية والمعدنية وغيرها مما قد يوجد فى قسم من البلاد ويندر فى غيرها لعدم حاجتهم إلى ذلك ولتساوى أراضيهم فى منتجاتها التى تنحصر فى صيد الحيوانات البحرية والبرية والاكتساء بجلودها والتقوت بلحومها ، جعلهم يقنعون بما رزقهم الله ولا يطمعون فى الحصول على ما فى أيدى الغير من بلاد ومتاجر أو سلع وغيرها ، وجعل منهم الأمة العاملة المجدة التى تسعى للحصول على قوتها الضرورى بهمة لا تعرف الكلل دون الاعتماد على سواعد الآخرين . لذلك لا يعرفون رابطة قومية أو دينية ولا تجمعهم عصبية أو جنسية ، هذا التفكك القومى نراه ظاهراً حتى بين أفراد الأسرة الواحدة فإذا بلغ أحد أفرادها سن الكبر أو أصيب بمرض أو عاهة تمنعه من القيام ببعض الأعمال الضرورية بحيث يصبح عالة على غيره حق للأولاد والأفراد الآخرين أن يأخذوا هذا المسكين إلى مكان بعيد مرتفع ثم يجردونه من لباسه ويتركونه عرضة للرياح القارسة إلى أن يموت . وليس هناك قيود عائلية أو زوجية قوية كما بين باقى الأمم ، بل هى شكلية من حيث المأوى والاشتراك فى الأعمال المنزلية وتربية الصغار وأعمال الصيد وغيرها . والغريزة الجنسية يمكن أن تقضى بين أى فرد من أفراد العائلة أو غيرها ، بين الجار وجارته وبين الأخ وزوجة أخيه والأخ وأخته حتى بين الأب وابنته والولد وأمه . ويمكن أن يجرى هذا العمل بحضور الزوج الأصيل وعلى مرأى منه دون أن يبدى أى اهتمام (بشرط أن يأذن بذلك) إلا أن هذه الأعمال البهيمية آخذة فى الزوال بعد اختلاطهم بالأقوام المتمدنة وخاصة بعد ما توافدت عليهم البعثات الدينية التبشيرية وبعد أن صاروا يسافرون لبيع متاجرهم إلى غرونتلنده وشمال أميركا وآسيا وهم آخذون فى الرقى والتمدن تدريجا .

أما لغتهم فإنها ضيقة محدودة بحدود المناطق التى يتجولون فيها فهى قليلة الكلمات كثيرة المعانى ، تفيد الكلمة الواحدة منها معنى عشر كلمات أو أكثر من اللغات الأخرى . لذا وضعت فى جملة اللغات الجامدة التى يحق أن تكون مثلها الأعلى فى الجمود ، وهم أميون ولا كتابة للغتهم

طبائعهم وعاداتهم : إن القزم بعضلاته القوية وساعديه المفتولين وساقيه الأعوجين يستطيع بكل سهولة أن يصعد أشهق الجبال دون أى جهد أو كثير عناء ، فيقذف بحبله على صخرة عالية حتى إذا ما علق بها جربه مراراً ، فشده بقوة وتعلق به ، فإذا تأكد من ثباته لف طرفه على ساقه وصعد عليه بسرعة ، فلا تكاد تراه فى أسفل الوادى حتى تراه يتراكض فوق قمة الجبل ، ثم ينزل ويضرب حبله حتى يسقط فيأخذه وينصرف . وهم ذوو شجاعة وصبر ورأى سديد ونفوس أبية وقلوب رحيمة شفيقة يكرمون الضيف ويؤثرونه على أنفسهم . وهم فطريون يميلون إلى النكتة واللهو والضحك والفكاهة ، فيخزون بعضهم ويتثرثرون ويسحبون الزحافات إلى الخلف أثناء مسيرها ويقهقهون ، أما الكذب والمكر والخداع والبغض والضغينة ، فلا أثر لها لديهم ألبتة ، وهم يحبون استماع الحاكى التى يعيدونها كلما انتهت مراراً ، ويجلسون فى بيوتهم الجليدية المعتمة إلى جانب بعضهم وبين أيديهم الجلود والعظام والشحوم ، فهنا امرأة تلين نعل زوجها المتقلص من شدة البرد بدهنه بالشحم والشمع وبشده بأسنانها وتساعده بلبسه وشده على ساقه ؛ وهنا أخرى تعهدت المصباح تنظفه وتمده بالشحوم ، وثالثة تنظف ولدها وتمشطه بمشط مؤلف من عظم الفوك وشعر الدب ثم تبيد القمل الناتج عنه بأسنانها ثم تلحس جسمه وتدهنه بالشحوم ، وأخرى تنظف وتلين الفراء وتصنع الحراب العظمية للصيد والدفاع عن النفس ضد الحيوانات المفترسة . وهناك زوجة تمد زوجها بالطعام كلما نفد من فيه وهو مستلق على ظهره . ومما يؤثر عنهم أنهم يحيون بعضهم بحك أنوفهم ببعضها ويقال إن هذه العادة المضحكة أصبحت لا تشاهد إلا عند الأقوام النائية .

(حلب)

محمد وحيد الدين المعرى

رسالة لبنان خلال العصور

للأستاذ توفيق حسن الشرتونى

لا جدال فى أن موقع لبنان الجغرافى يجعل منه بلداً متعدّد الرسالات . فهو قائم فى جبهة الشرق الأدنى على مفرق الطرق بين الشرق والغرب . تمتد سواحله المستطيلة على شاطىء هذا البحر الأبيض المتوسط ، بحر الحضارات والمدنيات العريقة التى تعاقبت على الجنس البشرى منذ فجر التاريخ .

وهذا يعد بالحق من أجمل بقاع الأرض ، خلعت عليه الطبيعة أبهى الحلل ، وكست ربوعه بمختلف المحاسن والمغريات ، فأضفت على جباله الشامخة روعة الجمال والجلال ، تكلل نواصيها لألىء البرد وبريق الثلج ، وتجلل آكامها نواتى الصخور وبواسق الشجر ، وتتفجر فى جنباتها أنهار وجداول تتدفق باللجين المصفى وتنساب بين الصخور والمروج فى أودية رهيبة أخاذة كثيرة التعاريج فتانة الصور تبهر العين وتسحر اللب ، وتأخذ بمجامع القلب .

ولبنان فوق ذلك ، بلد معتدل المناخ طيب الهـواء والماء ، يتسربل بأروع المشاهد فى مختلف فصوله : صيفه روح للب وراح للقلب ، وخريفه بهجة للنفس وغبطة لها ، وشتاؤه شلال زاخر وثلج مندوف باهر ، وربيعه رمل مخضوضر ورجاء عابق بالشذا ، ومدنه وقراه جنان متنوعة الأشكال ، بعضها قائم على الشواطىء يهدهدها البحر ويداعبها بكرّه وفرّه . وبعضها منتشر بين السفوح والتلال انتشار النجوم فى الفضاء تحيطها هالة من الرياض الغناء المثقلة بأزكى الأثمار وأندى الأزهار .

كأن العناية الربانية قد أبدعته درة يتيمة فى جبين المشرق وجعلته قبلة للمصطافين ومحطاً لرحال الرواد والمترحلين .

أما آثاره القديمة فترجع إلى أقدم العهود ، وكلها تدل على الدور العظيم الذى لعبه لبنان فى مجرى التاريخ البشرى ، وتعبر بأجلى بيان عن الرسالة الإنسانية البارزة التى يحملها بين جوانحه وينشرها على توالى الأجيال فى أصقاع المعمور .

وقد كانت أولى رسالاته فى عصر الظلام المطبق رسالة الدعوة إلى قدح زناد الفكر وتشغيل الذهن لأجل تمييز الإنسان عن الحيوان وتبديل حياته الوحشية بحياة أقل همجية وأكثر ائتلافاً . فأبدع أبناؤه فى العصر الحجرى فى اختراع أداتهم الصوانية وفى صنع كهوفهم وستر عريهم وجمع شتات شملهم .

وكانوا السباقين أيضاً فى عهدهم الفينيقى إلى وضع أول حجر فى بنيان الحضارة الراهنة . فهم أول من اخترع حروف الهجاء ونشروا رسالتها بين الأمم ، وحملوا مشعلها الساطع فى متون البحار ومجاهل البوادى والقفار ، فخلقوا بها العلم خلقاً ، وأسسوا بها للمدنية أساساً مكيناً .

وهم أيضاً أول من أنشأوا السفن ومخروا عباب اليمّ ، فربطوا العالم القديم برباط تقايض السلع والمتاجر وتبادل الأفكار والآراء ، وتقارب الشعوب بعضها إلى بعض بالصلات السياسية والاجتماعية وغيرها .

وكانت مدن لبنان من أمهات مدن العالم فى العهد القديم ، تصدر أرجوانها وأصباغها ونتاج صناعها الحاذقين كما تصدر آدابها ومعارفها إلى مختلف أنحاء الأرض .

فتاريخ صيدا وصور وجبيل حافل بالعظائم . وقد أنشأ لبنان أيضاً فى عهده الفينيقى عدة مستعمرات فى أفريقيا وجنوبى أوروبا ، غير أنه كان يرمى من انشائها إلى توطيد أسس التجارة وتعزيز تبادل المنافع بين الأمم ، لا إلى الفتح والاستئثار بحرية الآخرين كما تفعل أمم اليوم . فلبنان لم يكن فى عهد من العهود دولة مجتاحة قائمة على السيف والمدفع والقوة الغاشمة بل كان ولم يزل بلداً مسالماً حاملا رسالة العلم والأدب ناشراً لواء الصناعة والتجارة فى كل صقع وناد .

وفى العهد الرومانى لبث لبنان محافظاً على رسالتـه الأدبية فـكانت بيروت عاصمته اليوم تلقّب بمدينـة الشرائع والنواقيس يؤمها الطلاب من جميع أنحـاء الامبراطورية الرومانية الفسيحة الأرجاء . وفى العصر البيزنطى ثار لبنان على الجور والظلم وسجل أبناؤه الأشاوس فى تاريخ الحرية الإنسانية صفحة مجيدة حتى إنهم لقبوا بالمردة لشدة تمردهم وقوة شكيمتهم وانتقامهم .

وفى أوائل العهد العربى دخل لبنان أفخـاذ من بعض القبائل العربية ومعظمهم يدينون بالنصرانيـة ونشروا بين ظهرانيه لغة الضاد ، فاعتنقها أهل لبنان عامة لأنها شقيقة لغتهم الآرامية السـريانية تقرب منها حروفاً وصـوراً ، ولأنهم أيضاً يمتّـون

بأنسابهم السامية إلى تلك القبائل التى أنزلوها بينهم على الرحب والسعة . فاستعرب لبنان سهلا وجبلا مندفعاً لا مرغماً . وأصبحت العربية لغته الوحيدة . أما السريانية فانكمشت ضمن جدران الكنائس والمعابد ، تستعمل فى بعض الطقوس الدينية كما تستعمل اللاتينية فى الغرب .

وكان لبنان فى خلال الحكم العربى ملتقى الشرق والغرب ، وصلة وصل بين أممهما فى عهد البيزنطيين والصليبيين . فاجتمعت فيه الحضارتان وتمانق الدينان دين الإنجيل ودين القرآن .

ولما انقرضت دولة العرب وخلفهم العثمانيون فى الحكم دانت لهم البلاد العربية من أقصاها إلى أقصاها إلا لبنان فظل وحده محتفظاً باستقلاله الداخلى يحكمه أمراؤه ومقدموه . وبقيت اللغة العربية الشريفة زاهية زاهرة ضمن جدران أدياره ومعابده وفى ظلال خلواته ومساجده ، لم تتسرب إليها العجمة والرطانة كما تسربت إليها بين اقحاح العرب أنفسهم ، حتى الحجاز واليمن وهما منبع العروبة ومعقلها لم تسلم لغتهما من حوشى التركية وغريب ألفاظها .

وقد بلغ لبنان فى عهد الأمير الكبير فخر الدين المعنى مكانة رفيعة ، فهابه السلطان العثمانى وخطب وده بعض ملوك الفرنجة وأكبروا شأنه وشأن وطنه الصغير فتبادل معهم الرسل والهدايا وحالفهم محالفة الند للند، وزار إيطاليا فقوبل بمقابلة أصحاب التيجان، واختلط بسكانها واستوعب حضارتهم . ثم آب إلى وطنه يعمل على تمكين الصلات الروحية والمادية بين الشرق والغرب ، فأوغر صدر الترك عليه وأصلوه حرباً ضروساً أقضت مضجعه وأبادت أحلامه وأمانيه . فاستسلم مرغماً إليهم وقضى نحبه شهيداً فى عاصمتهم .

وحذا خلفاؤه المعنيون والشهابيون حذوه فى العناية بلغة الضاد ، لغة الوحى والنبوة . فلم تصب بالتشويه ولم تفقد نقاء أسلوبها وصفاء بيانها ، لأن اللغة التركية لم يسعدها الحظ طوال الحكم العثمانى فى بلاد العرب بأن تخطو خطوة فى لبنان أو تعبر قدما . بل ظلت خارج حدوده عاجزة عن اجتياحه . وظل لبنان مضطلعاً أيضاً برسالته الإنسانية المجيدة رسالة تتبادل المنافع بين الشرق والغرب وتمازج حضارتيهما .

وقد شعر العالم اليوم بعد طول المحن والتجارب بأن رقى البشر وسلامهم لا يأتيان بدون تزاوج الحضارتين وتوائم الثقافتين .

وعاد لبنان إلى سابق عزه وازدهاره فى عهد الأمير بشير الكبير حليف عاهل مصر الأكبر محمد على باشا رأس الأسرة العلوية الملكية سعيداً فى وادى النيل .

فوقف الأمير بجانب إبراهيم باشا فى حملته المشهورة على ربوع الشام ، وأمده بالرجال والمؤن ، فازدادت العلاقات الودية بين الكنانة ولبنان وتمكنت الصلات الأدبية والمادية بين شعبيهما تمكناً وثيقاً . والصلات بين القطرين الشقيقين قديمة العهد ترجع بجذورها البعيدة إلى الفراعنة والفينيقيين ، غير أنها بعثت بعثاً جديداً فى زمن هذين العاهلين الكبيرين .

وقد استقدم محمد على باشا الكبير بعض الأسر اللبنانية إلى مصر لإنشاء صناعة الحرير وغيرها . ثم شرع أحرار اللبنانيين منذ ذلك العهد يهبطون مصر زرافات ووحدانا فيلقون من أسرتها المالكة كل عون وتشجيع وفى شعبها الضياف كل عطف وترحاب . فاشتغلوا فى حقل الصحافة والأدب ونشر لواء العلم ، وكانوا المجلين فى هذا المضمار يشهد لهم كبار رجالات هذا القطر الشقيق وصفوة علمائه وأدبائه البارزين . وبلغوا فى حقل الزراعة والتجارة والصناعة مبلغاً مرموقاً وفى ميادين المهن الحرة والوظائف الحكومية منزلة سامية . فخدموا مصر خدمة صادقة منزهة عن الهوى .

ولما انطوى حكم الأمراء فى لبنان بعد الحوادث المشؤومة عام ١٨٦٠ صغر حجمه وانكمش فى جباله من جراء النظام الجديد الذى أعده له الداهية العثمانى فؤاد باشا بالإتفاق مع أقطاب الدول الأوروبية الكبرى . فضاق على سكانه فى عهد المتصرفين فكثرت هجرتهم إلى مصر لقربها من وطنهم وقديم صلاتهم بها . فأصبحوا فيها جالية وافرة العدد تنعم بالثروتين ، ثروة الأدب وثروة النسب .

ثم شرع اللبنانيون يهاجرون إلى العالم الجديد وذلك منذ سبعين عاماً على وجه التقريب ، فنزلوا فى شتى أقطاره مجاهدين فى سبيل الحياة ، ورأس مالهم شباب وثاب ، وذهن وقاد ، وعزم قدَّ من جلاميد جبالهم وشوامخ أرزهم ، فلم يلبثوا طويلا حتى كثر عدد جالياتهم فى مختلف الجمهوريات الأميركية ، وبلغوا فيها شأواً لا يستهان به فى عالمى الصناعة والتجارة ، ونبغوا فى المهن

الحرة وفى حقل السياسة والعلم والاجتماع ، وفى إجادة لغات الأمم التى نزلوا بين ظهرانيها . وانشأوا الصحف والمجلات فى لغتهم العربية وكانوا وما برحوا فى طليعة الحاملين لواء التجديد بين أدبائها والناشرين كنوزها فى أقطار المعمور .

وهبطوا أفريقيا وامتدوا فى أصقاعها النائية امتداد النيل فى أرجاء الكنانة . وجابوا أوروبا وأرجاء الشرق وسروا فى أقاصى الأرض مجاهدين سريان الدم فى الشرايين . فأصبحوا خارج بلادهم أوفر عدداً وثروة ، وأعز نفوذاً وجاهاً ، وأرق أدباً وعلماً منهم فى بلادهم .

فانشطر لبنان شطرين ، لبنان المغترب المنتشر تحت كل سماء ، ولبنان المقيم الرابض فى بطون أوديته ومشارف جباله .

ولا أغالى إذا قلت إن لبنان المغترب قد سجل صفحة مجيدة فى التاريخ الحديث ، فأظهر أبناؤه المشتتون فى بقاع الأرض أنهم أعلام فى كل علم ، أكفاء فى كل فن ، أقطاب فى كل صناعة ، وأنهم متى فسح لهم المجال يجارون أرقى الأمم فى جليل المآثر وغرر الأعمال .

وقد برهنوا فى هذه الحرب أيضا أنهم شعب مقدام حى جدير بالتقدير والإعجاب لم يتلكأوا عن القيام بواجبهم نحو الحرية التى يقدسونها والديموقراطية التى يتعشقونها . فتجندوا بالألوف فى صفوف الحلفاء ، وأبدوا فى ساحات الحرب شجاعة وبأساً وفى مصانع الأسلحة والمختبرات ذكاء وعلماً . فهم فى هذه الحرب قد حاربوا فى كل الجبهات متطوعين فى جحافل الأمم المتحدة بين الإنكليز والفرنسيين والكنديين والأميركيين والأستراليين والنيوزلنديين والهنود والأفريقيين وغيرهم . لقد صح فيهم المثل العربى القائل : فى كل واد أثر من ثعلبة . أجل فى كل جيش من جيوش الحلفاء مفرزة من لبنان تساهم فى إحقاق الحق وإزهاق الباطل ، كما أن فى كل قطر من أقطار المعمور تقع العين على جالية لبنانية عزيزة الجانب جليلة المفاخر .

ولم ينس المهاجرون وطنهم لبنان ، فهم يساهمون على الدوام فى مساعدة أهله وتدبير عمرانه . فلهم فى كل بقعة من بقاعه آثار مخلدة ومكرمات لا تحصى . لقد أقالوا عثرته وانتشلوا أبناءه من وعثاء الفاقة والجهل ، وشيدوا فى مختلف مدنه وقراه أجمل المنازل وأفخم القصور ، فأصبح لبنان بفضلهم بلداً ديموقراطياً عامراً ، لا أمية فى أهله ولا أرستوقراطية مستأثرة فى ربوعه .

أما لبنان المقيم فهو على الرغم من رقيه الأدبى والعلمى وتقدمه الصناعى والتجارى لا يزال دون لبنان المغترب تقدماً وطموحاً ، لضيق نطاقه ، وضآلة حجمه ، وعدم اتساعه لاستثمار شتى القوى والمؤهلات الكافية فى صدور أبنائه ، ولارتمائه أيضاً فى أحضان الطائفية واشتغاله بالسياسة .

فدستور لبنان المعمول به حتى اليوم ما برح مؤسساً على الطائفية البغيضة . فالمقاعد النيابية والوزارات والوظائف الحكومية كلها موزعة على الطوائف حسب تعدادها كأن لبنان شركة استثمارية يتقاسم ريعها المساهمون لا وطناً موحداً مجموع الكلمة ، يعمل بنوه لإعلاء شأنه وإنماء موارده ويحكمه منهم من يستحق الحكم وينوب عنهم من يستأهل النيابة دون نظر إلى المذهب الذى يدين به والطائفة التى ينتمى إليها .

أما السياسة فهى داء العالم أجمع لا علة لبنان وحده ، غير أنها أمست اليوم متفشية بين سكانه تفشياً ينذر بأوخم العواقب ؛ ولبنان بلد صغير لا يتسع لميدانها ولا يتحمل مشاكلها وآفاتها . والسياسة بؤرة فساد ما دخلت أمة إلا هتكت حجابها ، وما ملكت شعباً إلا فرقته شيعاً تتنافر وأحزاباً تتقاذف وتتباغض .

إن رسالة لبنان الموروثة هى غير رسالة السياسة أو رسالة التمسك بأهداب الطائفية . هى رسالة عالية صرفة ، تشمل العلم والعمران ، وتستهدف الحضارة المتصلة بالمادة والروح المشعة فى جوانح الشرق والغرب ، المنبعثة فى الوجدان الحى فى الإنسان ، لا من الشيطان المتحفز فى غريزته .

فليس للبنان المقيم أى مستقبل مجيد بدون نبذ السياسة والطائفية معاً وبدون اهتدائه إلى حكومة رشيدة تعمل فى حقل العلم والعمران دون سواهما .

فلبنان فى الشرق كسويسرا فى الغرب بلد اصطياف واستشفاء ، ووطن علم وثقافة ، يحتاج إلى تحريج جباله ، وتجميل مدنه وقراه ، وتعبيد طرقه ، وتوفير الرى فى بقاعه ، وتعميم الفنادق الحديثة الطراز فى مصايفه ، ونشر العلم فى ربوعه .

وهو بلد عربى الوجه واللسان ، غربى الفكر والثقافة يرتبط بالشرق بروحانيته وعروبته ويتصل بالغرب بعلومه وفنونه .

وما أجمل هذا الاتصال والارتباط حيال الوحدة العالمية التى ينشدها الإنسانيون ويحلمون بتحقيقها!

توفيق حسن الشرتونى

٣ - نظـــرات

فى دائرة المعارف الاسلامية

الترجمة العربية

للأستاذ كوركيس عواد

ومن الأعلام التى تصحفت ، وقد ينشأ عن ذلك التباس ، ماورد فى ٤ : ٢٨٠ ا ٢٤ باسم « بابويه » وكان الأحسن أن يقال فيه « بابوى » (٨١، م) وهو الإسم الذى اشتهر به فى كثير من المظان التاريخية ، انظر مثلا : المجدل لمارى بن سليمان (ص ٤١ — ٤٣ طبعة جسمندى فى رومية) ، والمجدل لعمرو بن متى (ص ٢٦ — ٣٤) والتاريخ السعودى (٢ : ٧ — ١٠ طبعة أدى شـــير فى باريس ضمن الباترولوجية الشرقية) ، وأعمال الشهداء والقديسين (بالإرمية ٢ : ٦٣١— ٦٣٤ طبعة بيجان فى ليبسك) وشهداء المشرق (٢ : ٣٨٠_٣٨٤) وتاريخ كلدو واثور (٢ : ١٤٢—١٤٦) ، ولابور Labourt (ص ١٢٩ _ ١٢٠ ، ١٤٢ — ١٤٣) .

وفى ٤ : ٣٥٤ ب ٦ بهرام كور . والمشهور فى التصانيف العربية الموثوق بصحتها : بهرام جور . راجع مثلا : الأخبـار الطوال للدينورى (ص ٥٧ — ٦١ طبعة جرجاس) وتاريخ اليعقوبى (١ : ١٨٣طبعةهوتسما) والمسالك والممالك لابن خرداذبه (ص ١١٨) وأحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للبشارى المقدسى (ص ٣٣٨) وتاريخ الطبرى (١ : ٨٥١) ومروج الذهب للسعودى (٢ : ٥٧، طبعة باريس) وتاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء لحمزه الأصفهانى (ص ٢٢) والكامل لابن الأثير (١ : ٢٨٧— ٢٩٢) إلى غيرهما مما لا يمكن حصره .

وفى ٤ : ٣٧٨ ا ٢٦ بهنود بن سهوان . والذى يقـرأ فى مختلف طبعات كليلة ودمنة : بهنود بن سحوان .

وفى السطر الأخير من ٤ : ٣٧٨ ا على بن الشاة الفارسى . صوابه : على بن الشاه الفارسى (راجع طبعات كليلة ودمنة .

وفى ٤ : ٣٩١ ب ١٣ يوشع الاسطوانى Joshua Stylites وكان الأحسن أن يقال : يشوع العمودى وقد عرف بهذه النسبة أيضاً مار سمعان العمودى St. Simeon Stylites

وفى ٤ : ٤٠٠ ا ٢٣ ظاهر الدين البيهق ، صوابه ظهير الدين البيهق ، وهو الإمام ظهير الدين أبو الحسن على بن أبى القاسم زيد البيهق ، المتوفى سنة ٥٦٥ هـ ، صاحب التصانيف المختلفة ، كتتمة صوان الحكمة (المطبوع فى لاهور) ، وتاريخ بيهق ، ووشاح دمية القصر الخ ...

وفى ٤ : ٤٩٤ ا ١٠ (كتاب) الاكليـــل للحمدانى . والصواب للهمدانى ، نسبة إلى همدان من بلدان اليمن .

وفى ٤ : ٥٠٤ ا ٢٣ ابن العادم . صوابه : ابن العديم . وهو المؤرخ الحلبى الشهير المتوفى سنة ٦٦٠ هـ مؤلف كتاب بغية الطلب فى تاريخ حلب ، وغيره .

وفى ٤ : ٦١٥ ا ١ سيد إعجاز حسين القنتورى . والذى يقرأ على غلاف كتابه« كشف الحجب والأستار عن أسماء الكتب والأسفار » المطبوع فى كلكته سنة ١٣٣٠ هـ : الكنتورى (بالكاف) .

وقدجاء (٥ : ١٣ ب ١٩) اسم بلينى Pliny العالم الطبيعى الرومانى مصحفا إلى Bliny .

ثانيا : الأمكنة والبقاع

قرأنا فى ١:١٧١ ا ١ أن ابن جزلة الطبيب « كان يعيش فى محلة الكرخ ببغداد » . والصواب فى محلة الكرخ (بالكاف .

وجاء فى ١ : ١٦١ ب ١٩ « قتل ابن الدمينة فى السوق بمدينة الأبلاء » والصواب «العبلاء» (راجع الأغانى ١٥ : ١٤٧ من طبعة الساسى) .

وفى ١ : ٢٥٥ ب ٢٢ وجدنا مكتوباً بالحروف الفرنجية لفظة Itil وكان يجدر ذكر إسم هذا النهر العظيم بالعربية ، فهو معروف فى كتب البلدان القديمة باسم « إتل» (وزان إبل) أما اليوم فيسمى نهر الفلجا Volga .

وفى ١ : ٢٥٥ ب ٢٢ باشغرد (بالغين) . وبعضهم يقول : باش جرد (بالجيم) أو باش قرد (بالقاف) راجع معجم البلدان (١ : ٤٦٨ ؛ مادة : باشغرد) .

وفى ١ : ٢٧١ ب ٧ جند يشاهبور . والأشهر فى المراجع العربية : جند يسابور (راجع هذه المادة فى معجم البلدان) .

وفى ١ : ٣٨٢ ١٦١ الفانيكان . صوابه : الفاتيكان . وعندنا أن هذه من أغلاط الطبع .

وقال فى ١ : ٢٩٤ ب ٢٥ « دور بنى أوقر ، وهى محلة على بعد خمسة فراسخ من بغداد » . ولو إنه قال « وهى قرية » بدلا من « محلة » لأصاب المرمى . فقد ذكرها ياقوت (معجم البلدان ٢ : ٦١٥ — ٦١٦) بقوله : « وفى عمل الدجيل قرية تعرف بدور بنى أوقر ، وهى المعروفة بدور الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة ، وفيها جامع ومنبر . وبنو أوقر كانوا مشايخها وأرباب ثروتها . وبنى الوزير بها جامعاً ومنارة ، وآثار الوزير حسنة . وبينها وبين بغداد خمسة فراسخ ... » اهـ

وفى ١ : ٣٣٣ ب ١٥ نيشابور (بالشين المعجمة) . والمشهور فى التصانيف العربية . نيسابور (بالسين المهملة) . راجع هذه المادة فى معجم البلدان .

وفى ١ : ٤٥٤ ب ١٢ ورد اسم أشرسنة . والمعروف فى المراجع القديمة أشروسنة . (بواو بعد الراء) راجع مثلا فهارس تاريخ الطبرى ، وفهارس الكامل لابن الأثير ، والأنساب للسمعانى (مادة : الأشروسنى) ومعجم البلدان (فى هذه المادة) .

وفى ١ : ٥٣٠ ١٢١ ورد اسم « شفاتيه » . قلنا : هذا من تصحيفات العوام ، نظــير قولهم شفاثة . والصواب فى ذلك « شفاثا » وقد ورد ذكرها فى غير مرجع قديم ، من ذلك معجم البلدان (٣ : ٧٥٩ مادة : عين التمـر) والكامل لابن الأثير (٩ : ٤٢٣) ومراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لابن عبد الحق (٢ : ٢٠١٤ طبعة جوينبول فى ليدن سنة ١٨٥٣ ، مادة عين التمر) . وقد وقفنا على بحث للأستاذ كاظم الدجيلى فى مجلة لغة العرب (٣ « ١٩١٣ » ص ٢٥ — ٣٦) بعنوان « رحلة إلى شفاثا وقصر الأخيضر وأحمد بن هاشم » .

وفى ١ : ٥٦٤ ب ٢ ترجم إسم نهر Araxes بـ « نهرأرس » فى حين أنه معروف عند كتبة العرب باسم « الرس » . راجع : أحسن التقاسيم للبشارى المقدسى (ص ٣٧٩) والأعلاق النفيسة لابن رسته (ص ٨٩) والبــلدان لليعقوبى (ص ٣٦٤ طبعة دى غويه) والتنبيه والإشراف للمسعودى (ص ٦٢ طبعة دى غويه) ومعجم البلدان (٢ : ٧٧٩) وتقويم البلدان لأبى الفداء (ص ٥٩ — ٦٠) .

وفى ١ : ٥٧٠ ب ١٢ ؛ ١ : ٥٧٥ ب ١٦ ؛ ١ : ٥٧٦ ١ ١٩ ألتن كوپرو . والمعروف عندنا فى العراق أنها « ألتون كوپرى » أى جسر الذهب . وفى مجلة لغة العرب (٨ « ١٩٣٠ » ص ٧٢٧ — ٧٣٠) مقالة رائعة بعنوان « التون كوپرى فى التاريخ » للأستاذ يعقوب سركيس .

ومن أعلام المواقع التى تصحفت غير مرة (١ : ٥٧١ ١ ١٠ و ١١ ؛ ٥٧٢ ب ٢٦ ؛ ١ : ٥٧٣ ١ ٢) اسم حدياب » . فقد كتب تارة أديابين Adiabene وطوراً حديب (عند أهل الشام) . وحدياب هى المنطقة الممتدة فى شرق دجلة بين الزاب الأعلى والزاب الأسفل (أنظر كتابنا : أثر قديم فى العراق . ص ٧٠ حاشية ٢) .

ووردت العبارة التالية فى ١ : ٥٧١ ب ٢٢ » الجزء الأسفل من إربل الواقع فى سفح الجبل الذى يقوم عليه الحصن » والحقيقة هى انه ليس هنالك من جبل ، إنما هو تل ترابى .

وفى ١ : ٥٧٤ ١ ١٥ — ١٩ ورد اسم « اينكاوو » والصواب فى اسم هــذه القرية العراقية : « عين كاوا » أو عينكاوا » . وأهلها ليسوا نساطرة على حد ما ورد فى الدائرة ، إنما هم كلدان .

أما « امكاباذ » فمصحفة من « عمكاباذ » على ماجاء فى التاريخ المدنى السريانى لابن العبرى (ص ٥٥٧ طبعة بيجان) أو من « عمكاوا » على ماجاء فى سيرة يابالاها الثالث (ص ١٧٣ و ١٧٦ طبعة بيجان) .

وفى ١ : ٥٧٥ ب ٢٢ — ٢٣ تصحف إسم كوى سنجق أو كويسنجق تصحيفاً ظاهراً إلى سنجق خوى .

وفى ١ : ٥٧٦ ١ ٢١ شملك . صوابها : شمامك ، على ماهو مشهور بين العراقيين فى تلك الأنحاء .

وفى ١ : ٦٨٠ ب ١٠ خسروه . صوابها : خسراوه . وهى من أعمال سلماس فى بلاد إيران .

وفى ٢ : ٧٩ ب ١٤ ؛ ٢ : ٨٠ ب ١٨ حصن كيفى . والمشهور فى المراجع العربية الموثوق بها : حصن كيفا .

وفى ٢ : ٢٢٢ ب ١٨ رواندز . والأحسن من ذلك أن يقال : راوندوز (راجع : مفصل جغرافية العراق لطه باشا الهاشمى ، ص ٥٥٤) .

ولا نظن قوله فى ٣ : ١ ب ٢١ إن مدينة الأنبار « فى الشمال الشرقى للعراق » صحيحاً ، ولو قال إنها فى الشمال الغربى منه لأقترب من الحقيقة .

وفى ٣ : ٣ | ١٣١ ورد اسم « كورة العلى » وهى ظاهرة التصحيف ، فقد ذكرها ياقوت (معجم البلدان ٤ : ٨٤٠) .

ونظير ذلك ما ورد فى ٣ : ٢٥٠ | ١٦١ باسم كوثا . والأولى أن تكتب كوثى ، كما جاء فى مسالك الممالك للاصطخرى (ص ٨١ ، ومعجم البلدان (٤ : ٣١٧) وغيرهما من كتب التاريخ والبلدان .

وفى ٣ : ٢٦٠ ب ١٩ عمر خان . صوابها : عمر كان .

وفى ٣ : ٢٦٠ ب ٢٠ بشبيثا . صوابها . باشبيثا ، وهى تسمية إرمية معناها : بيت السبى أو مكان السبى .

ومن التصحيفات البارزة للعيان ، ما ذكر فى ٣ : ٢٦٦ | ١٤ باسم « نهر السراة » . وصوابه نهر الصراة (بالصاد المهملة) على ما هو مشهور فى أكثر المصنفات القديمة فى هذا الباب . راجع مثلا : كتاب صورة الأرض لابن حوقل (ص ٤٢، طبعة كريمرز) ، ووصف ما بين النهرين وبغداد لابن سرابيون (ص ٢٤ طبعة لسترنج) وعجائب الأقاليم السبعة لسهراب (ص ١٣١ طبعة مزيك . ويلاحظ أن ما نشره لسترنج باسم ابن سرابيون هو قطعة من طبعة مزيك) ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى (المقدمة ، ص ٦٦ طبعة باريس أو ١ : ١١٢ طبعة القاهرة) ، ومعجم البلدان (٣ : ٣٧٨ مادة : الصراة) ، ومناقب بغداد المنسوب لابن الجوزى (ص ١٨) .

ولها لا يقل شأنا عن التصحيف المار الذكر ، قوله فى ٣ : ٢٧١ ب ٧ ؛ ٤ : ٥٠ ، | ٢٦ جبل « سنجر » . وصوابه جبل « سنجار » المسمى باسم بلدة سنجار فى شمال غربى العراق وأمر هذه البلدة ذائع فى كتب البلدان والتاريخ مما لا حاجة إلى ذكره .

وفى السطر الأخير من ٣ : ٣٢٤ | ١ وجدنا لفظة خنص . والوجه الصحيح أن تكتب خنس . أنظر مقالتنا « الآثار فى خنس وبافيان » فى مجلة « النجم » الموصلية (٥ « ١٩٣٣ » ص ٣٠٩ — ٣١١) .

ودونك العبارة التالية الواردة فى ٣ : ٣٢٤ ب ١ — ٥ « وقرية باويان فى مقاطعة الكرد المازورية ، بين ناحية نوكر فى جبل مقلو بالقرب من الموصل وناحية عمادية ، المشهورة بالنقوش السريانية التى توجد على الصخور الموجودة فى خانق خازر القريب منها » اه .

قلنا فى هذه العبارة وحدها ثمانية تصحيفات ظاهرة وضعنا خطاً تحت كل منها . واجه فى قراءتها ما يلى :

« وقرية بافيان فى منطقة الكرد المزورية ، بين ناحية النافكر فى جبل مقلوب بالقرب من الموصل وناحية العمادية ، المشهورة بالكتابات الأشورية التى على الصخور الموجودة فى خانق الخازر القريب منها » .

وقال فى ٣ : ٤٣٣ ب ٢ — ٣ « ودفن (جبرائيل بن بختيشوع الطبيب) بدير سرجيوس فى المدائن » . وكان الأصح فى هذه التسمية أن يقال « دير مار سرجس » فى المدائن ، وهى التسمية المشهورة فى المراجع العربية ، أنظر : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة (١ : ١٠٥) وأخبار الحكماء للقفطى (ص ١٤٢) .

وفى ٣ : ٣٤٣ب ١١ ورد اسم « بشن » . والذى رأيناه فى الترجمات العربية المختلفة للكتاب المقدس : باشان للدكتور جورج بوست ١ : ٢٠٦) .

وفى ٣ : ٤٨٣ب٢ باب بصره . والوجه فيه : باب البصرة .

وفى ٣ : ٥٢٧ | ١٩ ؛ ٣ : ٥٢٧ ب ٢٤ دياله . وقد كتب اسم هذا النهر فى المراجع العربية : ديالى . راجع : معجم البلدان (٢ : ٦٣٨) ومراصد الاطلاع (١ : ٤٢٠ — ٤٢١) .

وفى ٣ : ٣٥٧ ب ٢٥ بوسبه . والصواب : بوزسيبا .

(يتبع) **كوركيس عواد**

الزندقة

في عهد المهدي العباسي

للأستاذ محمد خليفه التونسي

لم تكن حرية الرأي في أوائل الدولة العباسية مكفولة في كل النواحي الفكرية كما كانت الحال في الدولة الأموية ؛ فلم يكن الأمويون يعاقبون ، إلا فيما ندر ، رجلا بالقتل أو غيره لأنه يرى رأيا يخالف آراءهم في الحكومة أو السياسة أو الدين أو الاجتماع ما دام لا يحاول الانتقاض على الحكومة أو يخل إخلالا عمليا بنظام من نظم الدولة . لم يكن الأمويون يفعلون ذلك إلا نادرا ، وإلا فان عصرهم بل عصر الإمام على لم يخل من مؤاخذة بعض المخالفين في الرأي واضطهادهم وعقابهم بالقتل أحيانا .

لكن موقف الأمويين من المخالفين وإن شابه إلى حد بعيد موقف العباسيين من مخالفيهم ، لا يشابهه إلا في الظاهر ، ولكنه يختلف عنه في الحقيقة كل الاختلاف من حيث المبدأ والتنفيذ كما سنبين ذلك في مكانه من هذا البحث .

ولقد حاول العباسيون منذ قامت دولتهم وفي أول قيامها خاصة أن يضعوا للفكر حدودا في بعض النواحي التي يتناولها ، ومنعوه من أن يتعداها ، وإلا عرض صاحبه للعقاب ، كما حاولوا بالترغيب والترهيب أن يصبغوا العلوم على اختلاف أنواعها صبغة خاصة ، فنجحوا في بعض محاولاتهم وخابوا في بعض ، ونصروا بعض المذاهب الفكرية وحاربوا البعض الآخر مما يوقع الباحث في هذا العصر في كثير من الحيرة والاضطراب .

ورأى مؤسسو الدولة العباسية أنفسهم مكرهين على التزام هذا التدخل بين المذاهب ، والحجر على الناس في كثير مما يقولون ويعملون مما لم يكن له نظير قبلهم ، ومرجع ذلك إلى أن الدولة الأموية التي قامت دولتهم على أنقاضها ظلت قرابة قرن من الزمان (٤٠ — ١٣٢ هـ) مسيطرة على العالم الإسلامي فتغلغل سلطانها في جوانبه وألف الناس منها قواعد ونظما خاصة في الحكومة والسياسة والاجتماع وغير ذلك فحاولوا أن يستأصلوا من العالم الإسلامي الذي اغتصبوه كل ما بذر فيه الأمويون من قواعد ونظم ، ويستبدلوا بها قواعد ونظما خاصة بدولتهم تحفظ عليها هذا الملك المترامي الأطراف الذي استحوزت عليه بالقوة حينا والدهاء حينا ، وكان خلفاؤها — والأولون منهم خاصة — يعرفون أنهم لم يصلوا إلى ما وصلوا إلا بعد أن خاضوا إليه أنهارا من الدماء ، وعبروا له على جسور من الجماجم والأشلاء ، بل كانوا يعرفون حق المعرفة أنهم لن يستطيعوا الاحتفاظ بدولتهم إلا بالسير على الطريقة التي ساروا عليها حتى صاروا خلائف في الأرض .

كان الأمويون في ملكهم يعتمدون على العرب ويسيئون الظن بالفرس ، ويلقونهم بكثير من ألوان المهانة والاضطهاد مما أحفظ الفرس عليهم بل على العرب جميعاً لأن هؤلاء العرب فتحوا بلادهم وثلوا عرشهم واتخذوهم موالي يمتهنونهم ويرون أنفسهم أكرم منهم عنصراً وأرفع مقاماً . ولقد ظهر حقد الفرس على العرب منذ فتحوا بلادهم في عهد عمر بن الخطاب فالتاريخ يحدثنا أن الهرمزان حين وقع أسيراً في يد أبي موسى الأشعري عند فتح تستر أرسله إلى الخليفة عمر ليحكم فيه حكمه فكان ما كان من إبقاء عمر عليه وإسلامه وحياته في المدينة كما تحيا العامة ، وأنه كان ، حين تأتيه في المدينة ، أخبار فتوح العرب لفارس وهزائم الفرس ، يتميز من الغيظ ، وإن حقده قد زاد لما كان يراه من وفود أبناء جنسه أسارى إلى المدينة واتخاذ العرب إياهم موالي وخدماً ، فلما كان وفود سبي جلولاء كان الهرمزان يمسح رؤوسهم ويقول : « أكل كبدي عمر » مما يدل على أن النعرة الفارسية ظهرت منذ فتح العرب بلاد فارس ، وما كان قتل عمر إلا مؤامرة فارسية لكيد العرب نفذها أبو لؤلؤة وظل الفرس ينقضون على الدولة الأموية كلما أمكنتهم الفرصة حتى كانت ثورتهم الكبرى باسم العباسيين تحت قيادة أبي مسلم الخراساني فدكتها دكا .

وإذا كان الخليفة عمر ومن بعده عثمان وعلي قد أحسنوا السيرة فيهم اتباعاً لأوامر الدين مما خفف عن الفرس ما كان يعتلج في قلوبهم من الحقد والضغينة — فإن الخلفاء الأمويين لم يساووهم بالعرب كما أمر الدين بل كانوا يحتقرونهم وينزلونهم منزلة العبيد بالرغم مما عرفوا لهم في أيام استقلالهم وفي أيام الأمويين أنفسهم من حضارة ورقي في جميع مرافق الحياة والفكر حتى في الدين الإسلامي واللغة العربية .

كان الأمويون برغم كل الاضطرابات التى تكبدوا مشقاتها يثقون بالعرب كل الثقة فبالعرب أقاموا دولتهم ، وبهم حافظوا عليها من العرب والفرس جميعاً .

أما العباسيون فلم يظفروا باطمئنان كاطمئنان الأمويين وثقتهم بعنصر يعتمدون عليه إزاء ما يكر بهم من الخطوب فى نضالهم عن دولتهم ، بل فى إقامتها قبل أن تكون .

كان العلويون والعباسيون وهم آل البيت النبوى قد قاسوا زمن الدولة الأموية ألوانا قاسية من الظلم والاضطهاد ، وكان نصيب العلويين من ذلك أوفى نصيب ، فكانوا يلعنون على المنابر طيلة العهد الأموى إلا نحو عام فى عهد عمر بن عبد العزيز الأموى ، وكانوا يراقبون فى كل حركاتهم وسكناتهم ، ويقابلون كلما رفعوا رءوسهم بقتل الرجال وسبى النساء والأطفال ، مع اعتقادهم أنهم أولى من الأمويين بخلافة النبى عليه السلام ، وكان العرب يشهدون هذه الشنع دون أن ينصروهم على هؤلاء المغتصبين بل كانوا يعينون المغتصبين على ظلمهم وقتلهم والتمثيـــل بهم ، وتشريدهم فى الآفاق جزاء ما كان الأمويون يبذلونه لهم من العطايا السخية .

ولقد كان كل أولئك مما أحفظ آل البيت على العرب ، وأيأسهم منهم ، فلما آلت إلى العباسيين قيادة الدعوة السرية لدك الدولة الأموية كانوا يحملون فى قلوبهم للعرب كل حقد وضغينة ، وليس أدل على يأس العباسيين من العرب مما أوصى به محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، أول من آلت إليه قيادة الدعوة السرية من العباسيين ، حين وجه دعاته إلى الأمصار ، قال لهم : « أما الكوفة وسوادها فشيعة على وولده ، وأما البصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكف تقول : كن عبد الله المقتول ، ولا تكن عبد الله القاتل ، وأما الجزيرة فحرورية مارقة وأعراب كأعلاج ومسلمون فى أخلاق نصارى ، وأما أهل الشام فليسوا يعرفون إلا آل أبى سفيان وطاعة بنى مروان وعداوة راسخة وجهل متراكم ، وأما مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر ، ولكن عليكم بخراسان فان هناك العدد الكثير والجلد الظاهر ، وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تتقسمها الأهواء ، ولم يتوزعها الدغل ، وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولحى وشوارب وأصوات هائلة ولغات فخمة تخرج من أجواف منكرة ، وبعد فإنى أتفاءل إلى المشرق ، وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق [1] » .

وهذا كلام رجل أقل ما يقال فيه إنه يتكلم عن فهم عميق واستقراء شامل ، فهو يائس من نصرة كل الأقطار التى سكانها أو معظمهم من العرب ، ولا أمل له إلا فى خراسان الفارسية .

وليس أدل على بغض العباسيين للعرب وحقدهم عليهم من أن إبراهيم بن محمد بن على السابق ذكره — لما آلت إليه القيادة بعد وفاة أبيه محمد بن على — قال لأبى مسلم الخراسانى حين أمره على خراسان : « يا عبد الرحمن ، إنك رجل منا أهل البيت فاحفظ وصيتى ، وانظر هذا الحى من ربيعة فاتهمهم فى أمرهم ، وانظر هذا الحى من مضر فإنهم العدو القريب الدار ، فاقتل من شككت فيه ، ومن كان فى أمره شبهة ومن وقع فى نفسك منه شىء ، وإن استطعت ألا تدع بخراسان لسانا عربيا فافعل ، فأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله [2] » .

وقامت الدولة العباسية ولكن لا بقوة العرب بل برغم أنوف العرب ، فزاد ذلك العباسيين حقداً وضغينة عليهم ، وأحسوا بما يحسه كل مظلوم نحو من ظلموه بعد أن انتصر عليهم ، أحسوا نحو الأمويين خاصة والعرب وهم معاونوهم فى ظلمهم عامة أنهم أعداؤهم الذين لا يجوز لهم أن يراقبوا فى الثأر منهم إلا ولا ذمة ، ولا ينبغى أن يرعوا لهم حرمة فأسرفوا فى سوء الظن وأسرفوا فى القتل وانتهاك الحرمات وإهدار الحقوق ، وأحلوا بينهم وبينهم الجفوة محل المودة ، والقطيعة محل التواصل .

ولقد يروق لبعض المؤرخين أن ينسبوا إلى العباسيين أنهم إنما اعتمدوا على الفرس بعد نجاحهم ثقة بهم أو مثوبة لهم على معونتهم ، وليس هذا من الصدق فى شىء فما كان اعتماد العباسيين على الفرس قبل قيام دولتهم إلا تجنبا للعرب بعد أن

---

(١) محاضرات الخضرى بك والدولة العباسية — الطبعة الرابعة — ص ١٤

(٢) المصدر نفسه ص ٢١ ، وتاريخ الطبرى — ج ٩ ص ٧٦ وتاريخ ابن الأثير ج ٥ ص ١٤٠

يئسوا منهم كما يظهر من كلام محمد بن علي الذي نقلناه آنفا ، وإلا خوفا منهم وريبة فيهم كما يظهر من وصية ابنه إبراهيم الإمام لأبي مسلم الخراسانى ، وما اعتمد العباسيون على الفرس بعد نجاح الدعوة ثقة منهم بهم أو مثوبة لهم بل خوفا من العرب وريبة فيهم أيضا ، وهذا ما أدى إلى ضياع العرب فى الدولة الجديدة ، وما وثق العباسيون بالفرس ولا أرادوا مثوبتهم حين قربوهم فى دولتهم بل كانوا يحذرونهم كما يحذرون العرب ويرقبون الشرور منهم كما يرقبونها من العرب ، وإن كانوا لا يطيقون إبعاد الفرس كما أطاقوا تنحية العرب . وأعتقد أن هذا لم يكن يخفى بحال على مؤسس الدولة العباسية فما كان أبو مسلم الخراسانى – كما يظهر من حوادثه – بالرجل الزاهد فى السلطان ، وإعادة دولة الفرس متى أتيح له ذلك ، وما تكبد للعباسيين ما تكبد حبا فيهم ولا إيمانا بوجوب نصرتهم ، ولا ابتغاء وجه الله ورضا محمد عليه السلام ، فلم يكن العباسيون كما لم يكن الأمويون عند أبى مسلم بأحق بالخلافة من العلويين مادام الأمر أمر قرابة من النبى ، وإنما نصر العباسيين دون العلويين لأن هدم أولئك أيسر من هدم هؤلاء . والحجة التى أمكنته أن يتذرع بها لخلب ألباب الجيوش حتى هدم الدولة الأموية حجة لا تزال ناهضة تجاه العباسيين ومن اليسير أن يتذرع بها لهدمهم . تلك الحجة هى أن العلويين أمس رحما بالنبى من العباسيين ، فالعباسيون والأمويون جميعهم غاصبون .

وأعمال أبى مسلم تدل على أنه كان تواقا إلى الملك ، فالتاريخ روى أنه خطب أمينة بنت على عمة السفاح والمنصور فردعها [1] وأنه كان فى رسائله يقدم اسمه على اسم الخليفة على غير ما جرت به العادة فى التراسل بين الخلفاء وغيرهم [2] ، وأنه لما أراد القدوم من مرو إلى السفاح كتب إليه يستأذنه فى الحج أميرا على الناس سنة ١٣٦ هـ فاعتذر إليه بأن أبا جعفر سبقه بالاستئذان ليكون أميراً على الحجيج ، وأمر السفاح أبا جعفر بأن يطلب ذلك فطلبه فوافقه عليه مما أثار اشمئزاز أبى مسلم حتى رووا أنه قال لبعض

(١) ، (٢) تاريخ الطبرى ج ٩ ص ١٦٧

خاصته : « أما وجد أبو جعفر عاما يحج فيه غير هذا ؟ » [1] . ودلت سيرته فى ذهابه وإيابه من الحج على كثير من مطامعه من وراء ابتغاء كسب القلوب فى إظهار القوة والكرم بالأموال [2] ، والتقدم فى الطريق على أبى جعفر [3] .

ولقد أدى ذلك وغيره إلى حسد أبى جعفر لأبى مسلم وتوجس من مطامعه حتى طلب من السفاح أخيه أن يقتاله وألح فى الطلب حتى كاد السفاح ينفذه لولا أنه خاف من جيوش خراسان التى تأتمر بأمر أبى مسلم وتتعصب له فاضطر مرغما إلى الأناة والمهادنة [4] .

وما إن صار المنصور خليفة وفرغ من عمه عبد الله بن على حين خرج عليه حتى قتل أبا مسلم ، وأرسل إلى قواده جوائز فاخرة ، وأعطى الجند حتى أمنهم من أن يثوروا للأخذ بثأره .

قامت الدولة العباسية على القوة والدهاء ، وكان ديدن رجالها المؤسسين الحذر المفرط من العرب والفرس جميعا ، وضرب هؤلاء بهؤلاء للتمكن من السيطرة على الفريقين ، وهذا ما جعل المنصور حين رأى رجاحة الخراسانيين على العرب يصطنع كثيرا من رجال العرب لقيادة الجيوش وولاية الأقطار ، ومن هؤلاء عيسى بن موسى ومعن بن زائدة وعمر بن العلاء والهيثم بن معاوية ويزيد بن حاتم ومحمد بن سليمان بن على وغيرهم .

وكان شعارهم كلمة إبراهيم الإمام لأبى مسلم « أيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله » فكانوا عاملين على توطيد ملكهم بكل الوسائل المحللة والمحرمة .

من أجل ذلك كله حاول العباسيون أن يعظموا الخلافة فى قلوب الناس وعيونهم ، وقتلوا بالشبهة كل من ظنوا به خروجا على الدولة ، أو توهموا أن فى وجوده خطراً عليها ، فأمر السفاح أبا مسلم بقتل أول وزرائه أبى حفص سلمة الخلال الذى كان يلقب وزير آل محمد [5] ، وقتل أبو جعفر قائده ومؤسس ملكه أبا مسلم الخراسانى [6] ، ولما قتل أبو حفص سلمة الخلال استوزر السفاح

(١) ، (٢) ، (٣) تاريخ الطبرى ج ٩ ص ١٥٩ ، ومحاضرات الخضرى بك ص ٥٢

(٤) تاريخ الطبرى ج ٩ ص ١٥٣ ، ومحاضرات الخضرى بك ص ٥٢

(٥) تاريخ الطبرى ج ٩ ص ١٤١

(٦) الطبرى ج ٩ ص ١٥٩

خالد بن برمك ، فكان يكره أن يسمى وزيرا تطيرا من قتل أبي حفص [١] ، ثم أعفاه المنصور فى خلافته وولى أبا أيوب سليمان ابن مخلد الموريانى فكان إذا دعاه المنصور خشيه حتى يشحب لونه وترتعد فرائصه ، ثم قتله . وفى رثائه يقول أحد شعراء ذلك العهد [١] :

قد وجدنا الملوك تحسد من أعـ ... ـطته طوعا أزمة التدبير
فإذا ما رأوا له النهى والأمـ ... ـر أتوه من بأسهم بنكير
شرب الكأس بعد حفص سليما ... ن ودارت عليه كف المدير
ونجا خالد بن برمك منها ... إذ دعوه من بعدها بالأمير
أسوأ العالمين حالا لديهم ... من تسمى بكاتب أو وزير

ولما قتله المنصور بعد تعذيبه واستصفاء أمواله حبس أخاه وبنى أخيه سعيداً ومسعوداً ومخلداً ومحمداً ، فكانت وزارته نكبة ماحقة عليه وعلى أهله . ولما جاء المهدى استوزر يعقوب بن داود ١٦١ هـ ، ثم نكبه وحبسه سنة ١٦٦ هـ ، فظل فى السجن حتى أخرجه الرشيد .

وقد ادعت الدولة العباسية لنفسها حقاً لم تدعه الدولة الأموية إذ أقامت الخلافة على أصل من الدين — كما زعم كثير من الملوك لملكيتهم ذلك فى العصور الوسطى الأوربية ، فالخليفة مصدر السلطات وإرادته فى الأرض ظل إرادة الله فى السماء ، فهو حامى حمى الدين وله بذلك أن يقضى فيما يشاء ومن يشاء كما يشاء . فحرموا على الناس أن يتناولوا أعمالهم بالنقد أو التجريح كما حرم المنصور الطعن فى الخلافة ، وطلب من الناس ، إذا رأوه يضيق عليهم فى الرزق ، أن يدعوا الله أن يوسع المنصور عليهم لأنه هو مفتاح أرزاقهم .

ومن الحق أن المنصور برغم تشدده فى سياسة الدولة وتضييقه على أفكار الناس فيما يتعلق بأمور الحكومة ونظمها حتى ليحاسب الناس على ما فى ضمائرهم ، ويعاجل بالقتل كل خارج عليه بل كل من كان وجودُه خطراً عليه ولو لم يكن يستحق القتل ، وكان فضله على الدولة عظيما — بالرغم من كل ذلك كان جشعا للمعرفة إلى حد كبير فكان يحتضن الأطباء والمنجمين ويرعى ما ينقلون من الكتب العلمية والحكمية ، ومن أجل ذلك كان مؤسس حركة الترجمة عن اللغات السريانية والفارسية واليونانية ، كما كان يرعى إلى حد ما بعض العلوم الأخرى . كان توطيد الدولة همه فلم يكن يبلى فى هذا السبيل بل فى بعض شئونه الخاصة عهداً قطعه ولا يبال أمور الدين وما جرت عليه العرب قبله فى أخلاقها وتقاليدها .

فلما جاء ابنه المهدى سنة ١٥٨ هـ كانت الخلافة قد استتبت له فلم يكن يخشى ما خشى والده من الفتن على الدولة . لكن عهده لم يكن خالياً من فتن ذات طابع خاص يميزها من الفتن التى قامت فى عهد أبيه ، وقد جعلته هذه الفتن يتجه إلى الحجر على الحرية الفكرية فى عهده ولا سيما الزندقة . إذا كانت الزندقة طابع هذه الفتن وعنوانها ، وهذا ما جعله دقيق الإحساس من ناحيتها ، كلِفاً بمعاقبة من يُتَهَمُون بها إن صدقاً وإن كذباً ، جاداً فى البحث عن أتباعها فى كل مكان ، فإذا وجدهم حاسبهم حتى على ما فى ضمائرهم وعاقبهم بالظنة كأبيه ولو لم يجد من أعمالهم ولا أقوالهم مستندا للتهمة فضلا عن مبرر للتعذيب والقتل ، أما فيما عدا الزندقة فكان المهدى حياله سمحاً حليما ، ولذلك تفصيل سيأتى بيانه إن شاء الله .

محمد خليفة التونسى

(١) محاضرات الخضرى بك ٧١

في الصحراء

للأستاذ سيد قطب

[فى ليلة من ليالى الخريف المقمرة ، الراكدة الهواء ، المحتبسة الأنفاس ، وفى صحراء جبل المقطم الموحشة ، وبين هذا القفر الصامت الأبيد — كانت تتراءى نخلات ساكنات فى وجوم كئيب ومن بينهما نخلتان : إحداهما طويلة سامقة ، والأخرى قصيرة قميئة .

بين هاتين النخلتين دار حديث . وكانت بينهما همسات ومناجاة !].

الصغيرة :

ما لنا فى ذلك القفر هنا ما برحنا منذ حين شاخصات ؟
كل شىء صامت من حولنا وأرانا نحن أيضاً صامتات ! ؟
تطلع الشمس علينا وتغيب
ويطل الليل كالشيخ الكئيب
والنجوم الزُّهرُ تغدو وتئوب
وهجيرٌ وأصيلٌ وطلوع وأفول ثم نبقى فى ذهول ساهمات !

***

أفلا تدرين يا أختى الكبيرة ما الذى أطلعنا بين اليباب
أيّما إثمٍ جنينا أو جريرة سلكتنا فى تجاويف العذاب
قد سئمتُ اللبث فى هذا المكان
لبثة المصلوبِ فى صلب الزمان
أفما آن لتبديل . . . . أوان ؟
حدثينى كم سنشقى ؟ حدثينى كم سنلقى ؟ حدثينى كم سنبقى ؟ واقفات ؟

الكبيرة :

أنا يا أختاه لا أدرى الجواب ودفين السرّ لم يُكشفْ لنا
منذ ما أطلعتُ فى هذا الخراب وأنا أسأل : ما شأنى هنا ؟
فيجيب الصمتُ حولى بالسكون!
وأنا أخبط فى وادى الظنون
لست أدرى حكمة الدهر الضنين
غير أنا حائرات والليالى السادرات تتجنى ساخرات لاهيات !

***

ربما كنا أسيرات القدَرْ تسخر الأيامُ منا والليالى !
تضرب الأمثال فينا والعِبَرْ وإذا نشكو أذاها لا تبالى !
ربما كنا مساحيرَ الزمنْ !
قد مُسِخنا هكذا بين القُنَن
فى ارتقاب الساحر المحيى الفطن!
فإذا كان بعودْ فكَّ هاتيك القيود فرجعنا للوجود طافرات !

***

أو ترانا نسلَ أربابٍ قُدامى قد جفاها وتولّى العابدونْ !
جفت الكأس لديها ، والندامى غادروا ندوتها تنعى القرونْ
أو ترانا مَسخَ شيطان رجيم !
صاغنا فى ذلك القَفر الغشوم !
وتولى هارباً خوف الرّجوم !
فبقينا فى العراء يجتوينا كل راء وسنبقى فى جفاء شاردات !

***

لست أدرى : كل شىء قد يكون فتَلَقّى كلَّ شىء فى سكون
وإذا ما غالنا غولُ المَنونْ فهنا يغمرُنا فيضُ اليقينْ !
ثم ساد الصمتُ كالطيف الحزين
وتسمَّعْتُ لأقدام السنين
وهى تخطو خُطوةَ الشيخ الرزين
هامسات فى الرمال منشدات فى جلال كلُّ شىء للزّوال والشتات !

(حلوان) سيد قطب

من الالياذة الاســـلامية

قصة أم المؤمنين السيدة عائشة

للمرحوم الأستاذ أحمد محرم

(سيِّد الرسل) و (أمّ المؤمنين) ... بشر الأبطال بالنصر المبين
خرجت فى الجيش ترجو ربّها ... عصمةَ الراجى ، وعونَ المستعين
ينصر الحق ، ويقضى أمره ... إن رماه كل أفَّاكٍ مَهين
اصبرى إن جلّ أمرٌ إنها ... يا (ابنة الصديق) دنيا الصالحين
أرأيت الأرض لمّا رجفت ... إذ هوى عقدك ؟ بل لا تشعرين
اقشعرّت ، وتمنّت لو هوى ... كل عالٍ من رواسيها مكين
أنتِ فى شأنكِ إذ تبغينــــه ... وهىَ فى همّ وغمّ وأنين
سوف يُبدى الخطب عن روعته ... بعد حينٍ ، فاصبرى حتى يحين
رفعوا الهودج ، والظنُّ بها ... أنها فيـــه ، وساروا مُدلجين
وانجلى الليل عن الخطب الذى ... غادر الأصباح مُسْوَدَّ الجبين
أين غابت ؟ أىّ أرضٍ نزلتِ ... كيف غم الأمر، هل من مستبين ؟
يا (رسول الله) صبراً إنها ... فى ذمام الله ربّ العالمين
يا (أبا بكرٍ) رويداً إننا ... لنراها فى حمى (الروح الأمين)
رجعت والليـــل فى بردته ... دائم الأطراق كالشيخ الرزين
ذهب الجيش ، وأمست وحدها ... غير أصداء من الوادى الحزين
خطرت فى الجوّ من أنفاسها ... خطرات للأسى ، ما ينقضين
ماج كالبحر طغت أثباجــــه ... وارتمت أهواله حول السَّفين
نام عنها الهمُّ لما رقدت ... فهو فى الأحشاء مكتوم دفين
وأتى (صفوان) ما يبــدو له ... غيرُ شىء ماثل للنــاظرين
يرسل الطرف ، ويمشى نحوها ... مِشيةَ المرتاب فى رفق ولين
عرف الخطب ، فما أصدقَهُ ... حين يدعو دعوة المسترجعين
دعوةٌ رنّت ، فلو قيل : اسمعوا ... لسمعنا اليوم ترداد الرنين
أيقظت (عائشةً) من نومها ... مثلما يوقظها صوتُ الأذين
جفلت منــه ، فغطت وجهها ... وهىَ فى سترين من عقل ودين
يصرف اللحظ كليـــلاً دونها ... خاشع القلب ، كدأب المتقين
قرّبَ النـاقة منها ، ودعا ... اركبى أمّاهُ ، يا أمَّ البنين
أخـــذ المقودَ يمناً ، ومضى ... يتبع الماضينَ من أهل اليمين
يتمى[1] (يثرب) بالنور الذى ... يملأ الدنيا ، ويعمى المطفئين
نشروا الإفك فساداً وأذى ... وعلى الله جـــزاء المفسدين
لا ينـــال الحقّ فى سلطانهِ ... كذب الحمقى ، وإفك المرجفين
يا لهـــا من عصبةٍ فاسقةٍ ... هاجها للشر (شيخ الفاسقين)[2]
وجدت فيـــه زعيماً حاذقاً ... وإماماً بارعاً للمفـــترين
هكذا يا (ابنَ أُبَىٍّ) هكذا ... لا يكن شأنك شأن المسلمين
انفثِ السُّمَّ ، وخُضْها فتنةً ... تتلظى نارها للخائضـــين
يا (ابنة الصديق) صبراً ، ليته ... ألمُ المرضَى ، وهمُّ الموجعين
يا لهـــا من علةٍ لو تعلمين ... إنها أبرح ممـــا تشتكين
أعقبَ البشرَ عُبوسٌ وبدا ... من (رسول الله) ما لا ترتضين
كيف تيكم ؟ ليس من عاداته ... كيف تيكم ؟ يا لهم من مجرمين
غيَّروه ، فَلَوى من عِطفهِ ... وطوَى من لطفهِ ما تعهدين
وهو يخفى لكِ ما لا ينقضى ... من هوى صاف، وشوق وحنين
سجن السرَّ ، وكم من روعةٍ ... لك يا أمَّاه فى السرّ السجين
أنصتى ، فالليل مُصغ ، أنصتى ... وقع الخطبُ ، فما تصنعين
جاشت النَّفسُ ، ولجت رعدة ... لم تدع فى القلب من ركن ركين
(مسطح) لا قَرَّ عيناً (مسطح) ... شبها نارا تهـــول المصطلين
فضحته عثرةٌ من أُمّهِ ... فانظرى كيد ذويك الأقربين
لا تلوميهـــا إذا ما غضبت ... إنها تعـــلم ما لا تعلمين
أرسلتها دعوةً واحـــدةً ... ليتها زادت على حَدّ المئين
تعِسَ (الثعلبُ) ما أخبثه ... فدعى (بدرا) و (آسادَ) العرين
رجعت فى غمرةٍ من همِّها ... لم تبت منها بليل الراقدين
لوعـــة مشبوبةٌ فى سَقَم ... فى شآبيب من الدمع السخين
يا (رسول الله) هل تأذن لى ؟ ... إن بيتى بعصابى لقمين
مُرْ ودع همى لأمى وأبى ... إنما استأذنتُ خير الآمرين
بان حسن الصبر، والعزم انطوى ... وأرى السُّقمَ مقيماً ما يبين

(١) يقصد .
(٢) عبد الله بن أبى

قال : ما شئت . هلمي فافعلي   لك يا صاحبتي ما تؤثرين
ذهبت ، يحزنها إن لم تكن   طوّح الدهر بها في الذاهبين
ثم قالت وهي تبكي : عجباً   لك يا أماه ، ماذا تكتمين ؟
أفلا نبأتني ما زعموا ؟   ويحهم : ما حيلتي في الزاعمين ؟
ظلموني ، ما رعوا لي حرمةً   ربّ كن لي ما أقلّ المنصفين
جزع (الصديق) مما نابه   إنه خطب يهول الأكرمين
قال : أفّ لكِ من داهيةٍ   ما رُمينا بكِ في ماضي السنين
أفلمّا زاننا دين الهدى   ساءنا منكِ حديث لا يزين ؟
(كيف تيكم ؟) يالها صاعقة   أُرسلتْ من فم (خير المرسلين)
كيف تيكم ؟ كيف تيكم ؟ كلما   جاء ، إن الله مولى الصابرين
اصبري يا (ربة العقد) الذي   زينَ من عينيك بالدرّ الثمين
أوجعتها من (عليّ) شدة   هي من دأب الأباة الأولين
سلّطَ الضربَ على مولاتها   أيُّ سرٍّ عندها للضاربين ؟
أقسمت صادقةً ما علمت   غير ما يدفع دعوى الواهمين
التُّقَى والبرُّ في تاجيهما   هل رأى التاجين أعلى المالكين ؟
مرحباً بالحق ، يحمي جُندُه   ما استباحت ترهات المبطلين
مرحباً بالوحي ، يجلو ما طوت   ظلمات الشك من نور اليقين
مرحباً (بالروح) يلقي من عل   رحمة الله ، تغيث المؤمنين
فتنة جلت ، فلما انكشفت   أزلفوا الشكر ، وراحوا راشدين
وتجلت غمرة (الهادي) فلا   ريبة تغشى ، ولا ظنّ يرين
يا (ابنة الصديق) طيبي وانعمي   ذاك حكمُ اللهِ خير الحاكمين
ضرب القوم بماضٍ مِخذم   من مواضيه ، فولوا مدبرين
سقطوا صرعى ، عليهم غبرة   من قتام البغيِ تخزى الظالمين
أمسك (الصديق) من معروفه   ينكر الغدر ، وينهى الغادرين
وطوى عن (مسطح) نعمته   ليرى حق الكرام المنعمين
عاله دهراً ، فلما خانه   راح يجزيه جزاء الخائنين
سُنَّة العدل ، قضاها من قضى   سنة الرحمة بين الراحمين
نزل (الذكر) بها قدسيّةً   فعفا الناقم ، وارتاح الضنين
إجعل الخير قريناً إن أبى   كلّ غاوٍ ، إنه نعم القرين
جلّ ربي وعلا ، كل امرىء   بالذي يكسب من أمر رهين

أحمد محرم

العلمـــاء

يتعلمون من المشعوذين

الأستاذ فوزى الشتوى

القتل بغير تسمم

منذ قرون بعيدة وكهان الطب ومشعوذوه فى غابات المناطق الاستوائية فى أمريكا الجنوبية يعمدون إلى بعض الأعشاب يطبخونها بطريقة خاصة وفى وسط مراسيم دينية . حتى إذا تمت الطقوس عمدوا إلى عيدان رفيعة غمسوا أطرافها فى المادة المطبوخة . واحتفظوا بها حتى إذا خرجوا إلى الصيد أطلقوها بدفع الهواء بأفواههم على الفرائس ولا يكاد العود يخترق الجلد ويسرى السم فى دم البقرة أو الوعل حتى تتوقف عضلات المعدة والقلب والتنفس عن الحركة فيخر الحيوان ميتا .

وليس من الضروى أن يصاب الحيوان فى مقتل ، فالمهم أن يصل السم إلى الدم فى أى جـــزء من الجسم ليشل أعضاء الحيوان الداخلية والخارجية عن الحركة .. ولا يفسد لحم الحيوان بل يحتفظ بجودته فيقبل عليه صيادوه يلتهمون لحمه النقى الذى لايبدو فيه أى أثر للتسمم .

هذا السم الغريب هو مدار البحث والتجربة الآن عند فريق من الأطباء والجراحين الامريكيين . لأنهم يعالجون به كثيراً من الأمراض المخيفة المستعصية . ويعجلون به شفاء عدد من الأمراض العقلية المحيرة .

من أحاديث الخرافات

أما كيف حدث اكتشاف هذه المادة فأمر يوشك أن يكون من أحاديث الخرافات والقصص الخيالية ولكن الأطباء يوردون آلاف الحوادث والحالات التى شفت هذه المادة أصحابها والتى يطلقون عليها إسم كورا راى . وهو ذات اللقب الذى يسميه به سكان القبائل البدائية فى مناطق أمريكا الجنوبية الاستوائية .

وليس عهد العلماء حديثاً بهذه المادة الغريبة ، فمنذ أربعة قرون أحضر السر والتر راى الرحالة الانجليزى عينات منها استعملها العلماء فى القرن السادس عشر فى علاج بعض الحالات . ولكن الكمية كانت محدودة فلم تتح لهم مواصلة تجاربهم وأوشك اسم الكورا راى أن يزول من رؤوس الباحثين .



(شكل ١) يستطيع هذا الهندى أن يقتل أى حيوان من بعد ٨٠ ياردة بقذفه بسهم الكوراراى من غابته الطويلة

وأريد لهذه المادة الحياة مرة أخرى على يدى مستكشف ناشىء مارس حياة الغابات منذ ١٩٣٠ واسمه ريتشارد جيل . وفى خلال الأعوام التى عاشها فى غابات أمريكا الجنوبية تعرف إلى مشعوذيها واكتسب صداقتهم وإعجابهم فأطلعوه على طقوس الكوراراى وطريقة تحضيره والأعشاب التى يستمد منها فأقام فى الغاب سنوات طويلة وهو يقتنص صيده بواسطته ويأكل لحمه . ولكنه لم يدرك أهمية المادة للعالم المتمدن .

المرض المحير

وجمح به حصانه مرة فسقط على الأرض وأصيب بالشلل . ونقل إلى مستشفيات أمريكا ففحصه الأطباء من قمة الرأس إلى أخمص القدم فلا يجدون به علة ولا يعثرون فى أعضائه على عطب . ولكنه كان لايقوى على الحركة . بل إن شعوره كان منهما غامضا

لا يحس حتى بالألم فأفتى أطباؤه بأنه ربما كان فريسة الشلل التشنجى .

والمصابون بهذا المرض تتولاهم هزات عضلية قاسية تنشأ من تيبس العضلات . وأخطره الطبيب بأن عـلاج حالته غير معروف . ولم يعرف الطب إلا مادة واحدة لا سبيل إلى الوصول إليها لأنها من مواد الغابات الإستوائية وهى الـكورارای .



(شكل ٢) مادة الـكورا راى التى يغمس فيها الهنود أسهم صيد الحيوانات وقتلها بغير إفساد لحمها

وسمع جيل الإسم المألوف لديه فسرى فى جسده كتيار كهربائى ساحر . فتلك المادة التى توفرت لديه فى الماضى مطلوبة الآن ليجرب بها الطبيب طريقة لعلاج علته ، وتناوشته الأفكار والآراء وعصفت به نفسه ، وهو يرى بصيص الأمل ويعرف طريقه ولـكنه لا يقوى على السعى إليه .

إنه يعرف هنود تلك المناطق ومشعوذيها . ويعرف كيف يستحضر مادة حياته . ولـكنه سجين بين جدران أعضائه النائمة . أنه يعرف الطـــريق لانقاذ آلاف الناس وإبراء ملايين العلل ولـكنه لا يقوى على الحركة .

كفاح اليائس :

وكانت الإرادة ، وكان الصبر . وكان الـكفاح . فأمضى الساعات الطوال وهو يدرب عضلاته على الحركة بمختلف الوسائل وبما أثير فى نفسه من دوافع العزم على الحياة . فلم تمض شهور بارز فيها مع أطبائه ومستشاريه العلة حتى تغلب عليها وغادر مستشفاه .

ومضت أعوام أربعة حتى استطاع زيارة مناطق خط الاستواء على رأس بعثـة خشى أن تفشل . إذ توهم أن سحرة الهنود قد ينكرونه أو ينسون أمره . ولـكنه ما كاد يقابلهم حتى استقبلوه بترحاب وتقدير .

ومن هناك سارت عشرات القوارب ومئات الحيوانات فى الأنهار وفى الأدغال لتنقل إلى الطب تلك المادة الثمينة النادرة . وعاد جيل وقد حرص هذه المرة على التقاط أشرطة سينمائية تبين جميع مراحل تحضير الـكورا راى .

ولم يكن الطب مؤمناً كل الإيمان بفعله فسخر منه ولـكن أحد أطباء كلية نبراسكا احتضن البحث وأقبل على تجربته واحتضنته إحدى الشركات أيضا فحضرته مركزاً ونقيا ووزعت عيناته مجاناً على الباحثين ليجروا عليه تجاربهم ولم تمض فترة حتى ظهر فى الأسواق التجارية . واقتنع الأطباء بأنهم يستطيعون التعلم ولو من متوحشى الغابات ومشعوذيها .

سلامة الجسم أم العقل :

وواجه الأطبـاء فى تلك الفترة معضلة خطيرة ، فقد وفق بعضهم إلى علاج بعض الأمراض العقلية بأحداث صدمات عصبية فى المرضى تؤدى فى الغالب إلى الشفاء . ولـكنها تؤدى أيضاً إلى تشنجات عضلية حادة تضر أعضاء المصابين الداخلية ، وتحطم عظامهم فى بعض الأحيان . فهل لمثل هـذا العلاج أن يستمر ؟ وهل يجوز أن يكون شفاء العقل على حساب تحطيم الجسم ؟

وحل الـكورا راى الأشكال وأجاب على السؤالين حينما عرف العلماء كيف يستخدمونه لأنه أتاح للطبيب إحداث الصدمة الطبية بغير أن يتعرض المريض إلى خطر تحطيم عظام جسمه ، وكان الطبيب بنت من جامعة نبراسكا أول من سلك الطريق فأجرى تجاربه على الأطفال المصابين بالشلل التشنجى .



(شكل ٣) سيقان النباتات التى يستخرج منها المخدر وإلى جوارها السهام المسمومة وفوق السيقان بعض مصنوعات الهند

يريح العضلات :

ودلت الأبحاث على الحيوانات أن الـكورا راى يريح العضلات إذ يصيب وصلات الأعصاب المحركة لهـا بالشلل ، أو



الحـــذاء ...

لأنطون تشيكوف

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسى

قال « مركين » — ضابط البيان — وهو رجل ذو وجه حليق شاهب ساهم ، وأنف ملوث بالسعوط ، وأذنين محشوتين بالقطن ... صاح فى صوت أصحل وهو يغادر غرفته بالخان ، وبطؤ أرض البهو :

— « سميون ... أيها الساق » . ولو أن إنساناً لمح وجهه المتقع فى تلك اللحظة لظن أن نظره وقع على شبح يتراقص فى غرفته . وما كاد يبصر الخادم يخف مقبلا عليه حتى قال فى هيمة وفزع :

— « سميون ... بالله ما ذا تعنى بذلك ؟ إنى رجل منهوك ، مصاب بالنقرس المزمن ، وقد جعلتنى أسير حافى القدمين ... أين حذائى ؟ ولِمَ لمْ تأت به ؟ ! »

فولج سميون غرفة مركين ، وراح يحملق فى المكان الذى اعتاد أن يترك فيه الحذاء بعد تنظيفه ... ثم جعل أنامله تعبث بشعر رأسه : فقد اختفى الحذاء ! وأخذ يردد فى صوت خافت :

— « كيف تأتّى لتلك الأشياء اللعينة أن تختفى ؟ ! يخيل إلى أنى نظفتها فى المساء ، ووضعتها هنا ... هه ! إنى لأصرح أنى نهلت بعض الخمر البارحة ، فلعلى تركت الحذاء فى غرفة أخرى ، وربما كان فى غرفة « أفاناسى بجورتش » . لقد كان أمامى كومة من الأحذية ... تباً للشيطان الذى يزين للانسان الشرب ، ثم يجعله بعد ذلك يفعل ما ليس يدرى ... سيدى ، لا بد أن حذاءك فى غرفة السيدة التى تليك ... الممثلة »

« والآن تدفعنى « سيادتك » إلى إقلاق سيده من أجلك ... أأوقظ سيدة فاضلة لغباوتك وحماقتك ؟ » ..ودنى مركين من باب الغرفة التالية وهو يتنهد ويسعل ... ثم طرق الباب فى حذر ... وبعد هنيهة سمع صوت امرأة تقول « من ... هناك ؟ » فراح مركين يقول فى توسّل ، وقد اتخذ فى وقفته هيئة الفارس الذى يخاطب سيده أرق منه طبقة «معذرة لإقلاقك يا سيدتى ... ولكنى رجل منهوك ، مصاب بالنقرس المزمن ، وقد أشار علىّ الطبيب بتدفأة قدمىّ ... هذا إلا أنه علىّ أن أذهب فى الحال لضبط بيان قرينة الجنرال « شفليتسين » ولا يمكننى الذهاب حافى القدمين » .

— « ولكن ماذا تبغى ؟ أى بيان ؟ ! » .

— « ليس بيان يا سيدتى ... إنما أشير إلى حذائى . فإن سميون — ذلك الخادم الغبى — نظفه وتركه خطأ فى غرفتك . فاشفقى على ضعفى وناولينى حذائى » ثم تلا ذلك صوت حفيف ، ثم نهوض من الفراش ووطىء نعال ، وبعد ذلك انفرج الباب قليلا ، وألقت يد نسائية مكتظة زوجاً من الأحذية إلى مركين . فشكرها « ضابط البيان » وانطلق إلى غرفته . ولكنه ما لبث

يعزلها عنها فيمتنع تهيجها . كما ثبت أنه من الميسور استخدام الكورارای فى معالجة الإنسان . وتدل التجارب الأولى على نجاحه لأن المخدر كان يمتص الصدمة العضلية فيستلقى المريض مسترخياً أثناءها بدل أن تتقلص عضلاته ويتحرك فى موجات بالغة العنف .

ومع أن الكورارای لا يفقد المريض شعوره بالألم فقد وجد فيه علماء التخدير مادة ثمينة لأنه خفف مهمة الجراحين إذ جعل المرضى يسترخون فى راحة مما يزيل كثيراً من المضاعفات التى تنتج من حركة المريض ، مما ينبىء لهذا المخدر الجديد بمستقبل جيد فى عالم الطب .

ويرى الأطباء فى هذا المخدر أنه خير علاج لمرض خطير يصيب الشبان فيشل أعصابهم وشفاؤه بالراحة التامة والاستجمام وهو ما يفعله الكورارای فى المريض ويسميه الدكتور بنت بأنه «أقوى وأكمل مخدر عرف لإراحة العضلات وانبساطها » وكلما زدنا علماً بخواصه زدنا استخداماً له فى علاج علل الإنسان .

فوزى الشنوى

أن دمدم وهو يدخل قدميه فى الحذاء : « عجباً ... يخيل إلىّ أن هذا ليس بحذائى ... ومع ذلك فكلا الحذاءين لا يصلح إلا للقدم الشمال ... سميون ما هذا بحذائى ... فحذائى ذو لسان أحمر ... وليس به ثقوب ... أما هذا فخال من الألسنة الحمراء كما أنه ملآن بالثقوب ! » فالتقط سميون الحذاء ، وأخذ يقلبه فى كفيه أمام عينيه ... ثم لم يلبث أن قطّب ما بين حاجبيه وقال فى تذمر هذا حذاء « باڤل ألكسندرتش »

— « أى باڤل الكسندريسن ؟ ! » .

— « الممثل ... إنه يحضر هنا كل ثلاثاء ... لابد أنه تحذى حذاءك بدلا من حذائه ... وأحسب أنى وضعت حذاء كل منكما فى غرفة الآخر » .

— « وعلىّ بعد ذلك أن أغيره !. أليس هذا ما ترى إليه ... أيها الأبله ؟ » . فقال سميون فى سخط « أصبت ... إمضى واسترد حذاءك إذاً ... ترى أين يكون الآن ؟ لقد خرج منذ حوالى ساعة .. ومن العبث أن نبحث عنه ... » . فقال مركين « ألا تدرى أين يسكن ؟ ! » .

— « ومن الذى يمكنه أن يدلك على ذلك ؟ إنه يأتى إلى هنا كل ثلاثاء . ولست أدرى أين يقطن ... إنه يمكث هنا ليلة واحدة ... فما من مندوحة سوى أن تنتظر حتى الثلاثاء القادم » . فتحوب مركين قائلا « هنا أتقول هذا أيها الوحش ؟!!. ما عساى أصنع الآن وقد أزف الموعد الذى يجب أن أكون فيه بحضرة قرينة الجنرال « شفليتسين » ؟ . أفقهت أيها الحقير ؟ . آه تكاد قدماى أن تتجمدا ... » .

— « يمكنك أن تستعيد حذاءك قبل ذلك ... احتذى هذا الزوج . وامض به حتى المساء ، ثم اذهب إلى المسرح ... واسأل عن الممثل « بليستوف » وإذا لم تسارع بالمضى إلى المسرح فعليك بالتلبث حتى الثلاثاء القادم إنه لايحضر إلا كل ثلاثاء ... » فالتقط مركين الحذاء وأخذ يتساءل وهو ينظر إليه باشمئزاز ونفور « ولكن كيف تعلل أن كلا الحذاءين لا يصلح إلا للقدم الشمال » .

فقال سميون وقد نفد صبره :

« أى قدر قذف بذلك الممثل ؟ إنه لأفقر خلق الله قاطبة ... وقد قال لى « أين الممثل الذى يمكنه أن يبتاع حذاء » فقلت له « ولكن من العار يا باڤل ألكسندرتش أن تحتذى ما لغيرك » فراح يصيح « أمسك لسانك ولا تجعلن أبطش بك ... ألا تدرى أنى أقوم بتمثيل الأمراء والعظماء » . ثم انصرف فى حذائك ... إنها لعمرى شرذمة من الطغام ... أولئك الممثلين ... آه لو أنى الحاكم بأمره أو أى شخص ذو سلطة « لجمعت هؤلاء الممثلين ... وزججت بهم فى أعماق السجون ... » .

وبين الزفير والأنين ... التقط مركين الحذاءين الشماليين ولبسهما ... ونهض وهو مقطب الجبين ، كاسف البال يعرج فى خطوته إلى دار الجنرال « شفليتسين » ... وأمضى يومه جُلّه فى المدينة ينتقل فى أنحائها لضبط بيان كل من يود . وكان يتوهم أن الجميع يتطلعون إلى حذائه الذى عَفَى عليه الزمان . بلى كعبه ، وذهب لونه ... وقد أُصيبت قدماه بالورم من جراء ما كان يعانيه من آلام شتى قاسية ...

***

وما كاد المساء يشمل الكون ، حتى أسرع مركين إلى المسرح حيث كانت تمثل رواية « الطائر الأزرق » . وكان التمثيل يشرف على النهاية ... فاتصل مركين بعازف الناى فى الجوقة الموسيقية — وكانت بينهما صداقة — ليعينه على التسلل إلى ما خلف المناظر المسرحية . ثم لم يلبث أن دَنَفَ إلى « غرفة ثياب الممثلين » حيث وجد بعضهم يغير أرديته ، والبعض يدهن وجهه ، والباقى ينفث دخان لفائفه ...

ووقف الطائر « الأزرق » يعرض على « الملك بوبتس » غدارة فى يده ويقول :

— « يجمل بك أن تشتريها ، فقد ابتعتها من « كيرسك » كرهينة بثمانية « روبلات » ، ولكنى سوف أدعها لك نظير ست فقط ... إنها رائعة بلا شك » .

— « حذار ... فهى محشوة بالبارود كما تعلم »

اقترب مركين فى تؤدة وقال :

— « هل لى أن أتشرف بمحادثة السيد بليستنوف ؟ ! »

فالتفت إليه « الطائر الأزرق » وقال :

— « أنا ذا ! ما ذا تبغى ؟ ! »

فأخذ ضابط البيان يقول فى صوت شاع فيه التوسل :

— « معذرة لإزعاجك يا سيدى ، ولكن صدقنى ، فأنا رجل منهوك مصاب بالنقرس المزمن ، وقد أشار على الطبيب بتدفئة قدمى »

— « ولكن أين ما تريد ! »

فقال مركين يخاطب « الطائر الأزرق » :

— « ألست تذكر ... أنك أمضيت الليلة البارحة فى خان « بهتياف » فى الغرفة رقم ٦٤ » ... فانفجر « الملك بوبش » صائحاً فى غضب كالح: « هه ! ما ذا تقول؟ إن زوجتى فى الغرفة ٦٤ فابتسم مركين : « زوجتك يا سيدى ، هذا يسرنى ، إن زوجتك طيبة قد أشفقت على ضعفى ، وناولتنى حذاء ذلك الرجل السمث ، وبعد أن مضى ذلك الرجل » . وأشار مركين إلى بليستنوف : « تفقدت حذائى ، ولم أعثر عليه ، فاستدعيت الساقى وسألته عن الحذاء ، فأجابنى إنه تركه فى الغرفة المجاورة خطأ على أثر ما جرعه من الخمر . تركه فى غرفتك ٦٤ يا سيدى » . ثم التفت مركين موجهاً حديثه إلى بليستنوف : « وعندما خلفت زوجة هذا ذلك الرجل الطيب لبست حذائى » . فصاح بليستنوف وقد اجتاحه الغضب : « عم تتحدث ؟ أأتيت هنا لكى تخيل على وتتهمنى بافتراء باطل لا ظل عليه من الحقيقة ؟ »

— « لا ... لا ... يا سيدى ! حاش لله ، لقد أسأت فهمى ، لست أتحدث عن شىء سوى الأحذية ... ألم تمض ليلتك فى الغرفة ٦٤ ؟ خبرنى ألم تفعل ذلك ؟ »

— « متى ؟ » . فقال مركين : « ليلة أمس »

— « ما الذى جعل ذلك يدور بخلدك ؟ أأبصرتنى هناك ؟ »

فجلس مركين وأخذ ينزع الحذاء من قدمه ، ثم قال فى اضطراب وتلعثم :

— « لا يا سيدى ... لم أرك هناك ، ولكن زوجة هذا السيد الفاضل ألقت إلى بحذائك بدلا من حذائى »

— « ما الذى يثبت زعمك هذا وافتراءك ؟ لن أقول شيئاً عن نفسى ، ولكنك تمس عفاف سيدة شريفة بالقذف والتجريح وفى حضرة زوجها أيضاً »

وارتفع من خلف المناظر المسرحية عجيج وضجيج ... لقد أهوى « الملك بوبش » الزوج الجريح فى شرفه ، وقد علا سحنته اللون القرمزى ، بقبضته على المنضدة فى وقت بلغ من شدته أن ممثلتين فى « غرفة ثياب الممثلات » سقطتا فى غيبوبة ... صاح الطائر الأزرق :

— « أو صدقته ؟ أوصدقت ذلك الصعلوك الحقير ؟ ! أتود أن أبسط به الأرض ؟ أترغب فى أن أصرعه أمامك كالكلب ؟ آه ... سأجعل جسده كشرائح اللحم ... سأهشم رأسه ! »

* * *

راح كل من كان يسير فى منتزه المدينة ذلك المساء بالقرب من « المسرح الصيفى » يذكر كيف أنه قبيل الفصل الرابع شاهد رجلا حافى القدمين، شاحب لون الوجه ، تختلج عيناه بالرعب والهلع ، وهو يهرول خارجاً من المسرح منطلقاً ، يركض فى الطريق الرئيسى ، وكان فى أثره شخص آخر مرتدياً ملابس الطائر الأزرق يحمل فى يده غدار ... ولم ير أحد ما حدث بعد ذلك

ولكن شاع بعد فترة من الزمن أن مركين « ضابط البيان » التزم فراشه لا يغادره مدة أسبوعين بعد أن قابل بلستنوف فى المسرح الصيفى ... وكذلك أضاف إلى عبارته المعهودة : « أنا رجل منهوك ، مصاب بالنقرس المزمن » . جملة جديدة : « كما أنى جريح منخوب الفؤاد » ...

(طنطا) مصطفى جميل مرسى

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦٣٨ — الاثنين ٢٤ سبتمبر ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

صفحة

٢٥ و ٢٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 638

Lundi - 24 - 9 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٣٨ « القاهرة في يوم الإثنين ١٨ شوال سنة ١٣٦٤ — ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

أهدافنا القومـــية والقضـــايا العربية

للأستاذ توفيق محمد الشاوي

أمة تكافح في سبيل حريتها ومجدها ، لا يكفي لكي تحقق هذه الأهداف إيمانها بحقوقها فحسب ، بل لا بد لها من الإيمان برسالة إنسانية عالية تؤديها ، وبقدرتها على انتزاع حقوقها وأداء رسالتها ، ذلك الإيمان الذي تبعثه العزة ويغذيه الطموح .

ذلك شأن شعب مصر المجيد الذي علم التاريخ في جميع العصور أن مجده لا يعرف الحدود ، وأن رسالته عالية لا تحدها الأقطار متى نهض للسيادة واستيقظ للكفاح ؛ فكيف يقنع في هذا القرن العشرين بأمل لا يتجاوز القنال ، ومجد يقتصر على ما يسمونه « الاستقلال » ؟ وقد علمته تجارب العصر أن عهد الأمم الصغيرة قد زال وانقضى عصر الدول ، وأصبحنا في عصر « الاتحادات » و « الكتل » ، ولم تعد دولة واحدة تستطيع أن تقف على قدميها وحدها ، إلا إذا احتمت بمجموعة من الدول تشاركها في المصلحة والغاية إن لم تشترك معها في الوطن أو العنصر .

هذه حقائق لا تمر بخاطر طائفة من القاعدين المثبطين ، دأبوا على نقد كل عامل والسخرية بكل داع ؛ قالوا : كيف تشغلون هذا الشعب بقضايا العروبة في فلسطين والشام والمغرب ، وكيف تطالبونه بالجهاد في سبيل هذه الشعوب ، وفي سبيل العروبة والإسلام في كل مكان ، وهو لا يكاد يطيق الجهاد في سبيل استقلاله المحدود ؟ إنكم بذلك تشغلونه عن « أهدافه القومية » بأحلام بعيدة المنال !

تلك والله آفة العاجزين المتخاذلين — يعجزون عن العمل ويجبنون عن الجهاد ، فلا يرضيهم أن يعمل المؤملون أو يتقدم القادرون . ويأبون مواجهة الناس في صورة الجبناء الضعفاء ، فيلبسون لهم مسوح الناصحين ، ويحدثونهم بلهجة الواعظين ، ويرمون سواهم بدائهم ، يزعمون أننا خياليون ، وهم هم الواهمون المتخيلون إذا كانوا يظنون أنه يتحقق لهم « استقلال » في القاهرة إذا بقي الاحتلال في القدس أو الخرطوم أو بنغازي .

كلا والله ، إنها أمة واحدة ، جمعها التاريخ المجيد والعنصر الكريم والقومية العربية ، وجمعتها رسالتها العالية الروحية . وإنه لوطن واحد مهما تعددت أقطاره من عراق أو شآم أو حجاز أو مغرب أو سودان أو سواها . وإنها لقضية واحدة ، قضية الحرية الإنسانية ومبادئ الأخوة والسلام والعدل التي تمثلها حضارتنا المشتركة . فليسترح دعاة التفريق والتمزيق ، وليكفوا عن مواعظهم ، فإنما هي رقى الاستعمار ودعوة الاستعباد

ونحن المؤمنين بحقوق هذا الشعب ، المؤمنين أيضاً بقوته

على هامش (الحادث)

كلمة إلى الجنرال ديجول !

للحقيقة وللتاريخ لا للتشفي والهجاء . . .

للأستاذ على الطنطاوى

رأيت فى سينما ديانا بالقاهرة منذ شهور جريدة الأخبار الفرنسية تعرض صوراً من انهيار ألمانيا ، فترى المهاجرين من النساء والعجائز هائمين مشردين ؛ ثم تعرض منظراً مثله كان فى فرنسا يوم انهزمت فرنسا ، ويعقب المذيع فيقول بصوت خافت رهيب : « إن فى الكون عدلا ! » وترى المدائن المخربة ، والذعر البادى ، والدمار الشامل ، ثم تعرض مثل ذلك مما كان فى فرنسا ويعقب المذيع فيقول : « إن فى الكون عدلا » !

نعم ، يا جنرال ، إن فى الكون عدلا ! ولكن قومكم ما استوفوا بعد قسطهم من عدل الله ، وآية ذلك أنكم أصبتم فبكى لكم أعداؤكم ، ورحمكم خصومكم ، وكنتم عند الناس ضحية القوة العاتية ، وشهداء العدوان المجرم ، وكنت تثير الدنيا على الألمان أن حاربوا قومك ، وقومك هم أعلنوا الحرب ، وهم تقدموا إليها ، وهم (زعموا) بنوها ، قد غذوا بلبانها ، وربوا فى ميدانها ؛ فلما نبت ريشك ، ورُدّ عنك عدوك ، وأغضى عنك الدهر إغضاءة ، نسيت كل ما كنت فيه ، وما كنت تقوله وتخطب به ، وأقبلت تجرب سلاحك فينا ، فأخذتنا على ساعة غرة بحرب ما آذنتنا بها ، ولا أعلنتها لنا ، فسخرت لقتالنا مدافعك وطياراتك ، ويا ليته كان سلاحك يا أيها المحارب الظافر، ولكنه سلاح أعطيته عارية لتحارب به عدو صاحبه وعدوك ، فحاربت به قوماً آمنين ! حاربت يا أيها البطل النساء فى الخدور ، والأطفال فى المدارس ، والمرضى فى المستشفيات ... وما هابك النساء ولا الأطفال ولا المرضى ، ولا رفعوا مثل العلم الأبيض الذى رفعه قومك حين كان لهم سلاح ، وكان لهم خط ماجينو ؛ لأن لهم من إيمانهم حصناً لا تهدمه قنابلك ، ولا تحرقه نارك !

وهذا الجيش (يا جنرال) الذى عقدت له اللواء ، ورفعت فوقه العلم ، وائتمنته على شرف فرنسا وتاريخها ، قد أهوى باللواء ، وطوّح بالعلم ، وعبث بالأمانة ، حين سطا على المخازن ، فكسر أقفالها وفتح أبوابها ، وأخذ ما فيها ، وذلك فعل اللصوص لا الجنود !

ثم عاد فأوقد فيها النار ، فأحالها إلى جهنم الحمراء ، ليخفى باللهب سرقته ، وذلك صنع المجرمين لا المقاتلين !

ثم وقف بتربص ، فكلما أقبل من يطفئ النار ، وينقذ الأطفال رماه فأصماه ، وذلك عمل القتلة السفاكين ، لا الأبطال المحاربين !

جيشك هاجم المستشفى الوطنى ، وسلط ناره من أفواه رشاشاته ومدافعه على الجرحى والمرضى ست ساعات متواصلات متتاليات ، ولم يقدر بعد ذلك إلا على أربع ممرضات شوابّ أخذهن «سبايا»!

جيشك يا رجل الديمقراطية ، يا سليل من أعلنوا حقوق الإنسان ، هاجم البرلمان وفعل به الأفاعيل ، ومثل بشرطته فبقر بطوناً ، وسمل عيوناً ، وقطع أطرافاً ، وها هو ذا البرلمان تركناه ليشهد عليكم أبداً ، فتعال تر الدماء على جدرانه المصدعة ، وأبوابه المخلعة . ولقد وجدوا صندوق البرلمان وفيه المال ... وجدوه بعد ذلك فى دار القيادة الفرنسية ، وهم طبعاً لم يسرقوه ، ولكن أخذوه ليحفظوه !

جيشك رمى قنابل الطيارات على السجون ، حيث لا يملك

وحيويته ومجده ورسالته لا نفتأ نذكره بمجده العظيم الذى يعشقه ويصبو إليه ، ونذكره بقضايا الوطن العربى الواسع الذى نزيد انساعه قوة وأملا ، وندعوه المرة بعد المرة لإنقاذ إخواننا المجاهدين فى كل قطر ، واثقين من قدرته على استعادة مجده وأداء رسالته بفضل حيويته وتضامنه مع الشعوب العربية الأخوى ، موقنين أننا إنما نعبر عن روحه الوثابة التى أنشأت امبراطورية عربية عظيمة فى بضعة أعوام فى عهد عاهله العظيم « محمد على » ، عالمين أن « الاستقلال » هو أول الأهداف لا نهايتها ، وبدء الجهاد لا غايته التى تتسع لكل ما يصبو إليه العرب والمسلمون من عزة وسيادة ووحدة ، وما ينتظره العالم منهم من رسالة إنسانية سامية خالدة

تلك هى « أهدافنا القومية » ، فمن كان يقنع بما دونها فليس من سلالة الفراعنة ، ولا من روح العرب ، وليس له إلا أن يفسح الطريق لركب المجاهدين الطامحين العاملين لعزة العروبة ورسالتها .

توفيق محمد الشاوى

مدرس بكلية الحقوق — بجامعة فؤاد

من فيها فراراً ، فجعل السجن لمن فيه قبراً !

المستشفى العسكرى يا جنرال جعله جيشك قلعة فيها مدافع الهاون ، ومنه أحرق سوق صاروجا هذا الحريق الذى أكل ثلاثاً وتسعين داراً ... ومدرسة الفرنسيسكان كان فيها الرشاشات ، تطلقها بأيديها الطاهرات ، الراهبات المتبتلات ، ذوات الرحمة المسالمات !

نسخة التوراة التى سرقت من سنوات ، وهى أقدم نسخة فى العالم ، وجرت لها تلك المحاكمة المشهورة ، وقضى على طائفة من الأطناء بأشد العقاب ، وجدت فى دار المستشار الفرنسى لما كبست بعد الحادث داره ، ويقدر ثمنها بنصف مليون فرنك !

القاضى الفرنسى الذى جئتم به إلى المحكمة المختلطة ، لأن قضاتنا فى دعوا كم لا يُطمأن إلى علمهم ونزاهتهم ، المسيو سيرو ، وجد فى داره رشاش كان يقتل به الناس فى تلك الأيام السود ، وهو الذى جئ به ليقضى على القتلة والمجرمين !

إن بطريرك موسكو وكل الروسيا ، كان فى فندق الشرق (أوريان بالاس) يوم الحادث ، يوم عصفت هذه العاصفة فى رأس قائدك أوليڤاروجه ، فنسى كل ما يعتز به البشر من فضائلهم — فلبث فى الملجأ المظلم تحت الأرض ليلة كاملة ، قال لما انقضت : « لقد كنت فى ستالينغراد يوم ضربها الألمان ، فما رأيت أكثر مما رأيت الليلة » !

ولما قدمت دمشق زوجة رئيس الجامعة الأميركية فى بيروت السيدة دودج ، ورأت آثار العدوان ، قالت : لقد قتل ابنى الوحيد فى فرنسا ، فكان يصبّر النفس عنه أنه مات فى سبيـل الحق والإنسانية ، أما الآن ، فواطول حزنى وكمدى ، لقد أيقنت أن ابنى مات فى سبيل (لا شئ) !

* * *

يا جنرال ! لما ذهبت أزور القلعة بعد الحادث بأيام لم أستطع أن أدنو منها من رائحة الموت ، إذ تفوح من آلاف الجثث ، جثث الأبرياء التى كانت بالأمس رجالا كراماً ، كانوا ملء الدنيا حياة ونشاطاً ، وكانوا ذخر عائلاتهم وبلادهم ، فصاروا ... أكواماً من اللحم العفن الذى يؤذى العين والأنف !

لم ينج من شر جيشك الأحياء ولا الأموات . ولقد أبصرت فى (الدحداح) قبوراً قد نبشها القنابل ، وقذفت رممها ، أفإن عجزت عن حرب أعدائك الأقوياء ، جئت تحارب موتانا ؟

لقد كان ذلك كله ، وكان أكثر منه ، أفهذا من العدل الذى تهتف به ؟ لا يا جنرال ، إن كلمة « العدل » أكرم من أن تمر على لسان مر منـه ذلك الأمر الهمجى بضرب دمشق أقدم مدينة عامرة على ظهر الأرض بلا استثناء ، وأكاد أقول أجملها . إن الشفاه التى تعرف كلمة « العدوان » ، لا يمكن أن تألفها كلمة « الحق والعدل » !

* * *

ولـكن « فى الـكون عدلا » ! نحن نقولها الآن ! وإن من عدل الله أن جعل صبرنا نعمة علينا ، وعدوانكم وبالا عليكم !

لقد انتهت الرواية ، وأسدل الستار ، فتعال ننظر ما ذا ربحنا وما ذا ربحتم ؟ لقد خسرنا منازل من أحسن منازلنا ، ورجالا من أكرم رجالنا ، وملايين من حرّ أموالنا ، ولـكنا ربحنا الخلاص منكم ، والاستقلال عنكم ، وسنبنى الدور ، ونلد الرجال ، ونعوّض المال ، فما ذا ربحتم أنتم ؟ ما ذا ؟ يا من كشفت للناس عن حقيقتك ، وأنك ما خلقت لتسوس الأمم ، ولا لتحكم الشعوب ، ربحت بغضاء لا تمحى . لقد أسأت إلى التاريخ الفرنسى والثورة الفرنسية والأدب الفرنسى ، ولطخت بالوحل أسماء كانت فينا لامعة نظيفة ، وكان لها فى النفوس مكان ، وسيتوارث العرب كلهم والمسلمون هذه البغضاء بطناً بعد بطن ، وستزيد وتعظم ، وتغدو تراثاً مقدساً ، لا يشذ عنه إلا هؤلاء النفر من الأدباء الذين باعوا دينهم وإخوانهم بذكريات غرام لهم هنـاك ... وهؤلاء ليسوا منا !

لقد أثمرت هذه البغضاء باكورتها ، فلم يبق فى سورية كلها لوحة عليها حرف فرنسى يقرأ فى طريق ، ولا كتاب فرنسى يدرس فى مدرسة ، ولقـد كان مهرجاناً قومياً يوم أحرقت فيه الـكتب الفرنسية فى مدن الشام !

وبعد يا جنرال ، إن فى الوجود شيئاً أعظم من الدبابات والطيارات والقنابل الذرية ، هو حب الموت !

فالذى لا يخاف الموت لا تخيفه آلاته مهما جلت وعظمت ، فمن يطلب الموت فهو أكبر من الموت ، لأنه أكبر من الحياة ، ونحن قوم علمنا نبينا محمد ألا نخاف الموت فى سبيل الحق . فلن يخيفنا شئ فى الدنيا !

(دمشق) **على الطنطاوى**

قاضي

قبل الكارثة :

اليـــابان الغامضة

[صورة لحياة هؤلاء الذين أقاموا أحد شعبين من أعظم شعوب العالم تعصباً]

للأستاذ ويلارد بريس

لعل أهم مايميّز اليابان عنا معرفتها إيانا وجهلنا بها ، فإن من أهم مبادىء الحرب هى « أن تعرف عدوك » كما أنه من ضروريات العالم فى زمن السلم هى « أن تعرف جارك » . فاليابان هو القطر الذى لا تستطيع أبصارنا أن تنفذ إليه ، وكلما مددنا البصر نحوه لم نر غير صـورة مصغرة منا ، ولعل هـذه الحال قد جاءت من خلل فى المرآة التى تعكس صورتها لنا ، أو لعلها من خداع أبصارنا . فقد تتلمذ اليابانيون علينا واستمدوا منـا وسائلنا وأخـذوا عنا طرقنا ويخيّل إلينا أنهم قد أخذوا عنا كل ما يعرفونه .

إن سر اليابان يحجبه عنا تلك المرآة التى خاتلتنا وعبثت بنا ، فقد بذل اليابانيون جهداً حثيثاً فى سبيـل منعنا من التسلل إلى شعاب حياتهم ومعرفة شىء عن دنياهم الغريبة . فاليابانيون لا يسمحون إطلاقاً للأجانب بأن يتسللوا إلى بيوتهم أو يتعرفوا حياتهم الخاصة ، ومهما تكن العـلاقة طيبة فإن الزائر يشعر دائماً بأن هناك حـداً لا يستطيع أن يتعداه . وقد تزوج بعض الأجانب بامرأة يابانية وعاش حياة يابانية فى منزل يابانى وكتب كتباً شائقة عن اليابان ، ولـكنه مع ذلك يعترف فى النهاية بجهله باليابانيين ، فقد جاء فى آخر كتبه عن اليابان ما نصه : « منذ زمن بعيد قال لى أطيب وأعز أصدقائى من اليابانيين قبيل وفاته ... عند ما تشعر فى خلال السنوات القادمة أنك لم تستطع أن تفهم اليابانيين إطلاقاً ، حينئذ تكون قد ابتدأت تفهم شيئاً عنهم » .

واللغة اليابانية تجعل التفاهم عسيراً ، فقد استطعنا خلال خمس سنوات قضيتها فى اليابان مع زوجتى أن نتكلم اللغة اليابانية بقدر ولـكن لم نستطع قط أن نقرأها أو نكتبها ؛ هذه الحقيقة تتمثل عند معظم الأجانب . وقد طلب بعض الأجانب من عميد أمريكى لإحدى جامعات طوكيو — وقد كان فى اليابان منذ ثلاثين عاماً — أن يكتب مذكرة له باللغة اليابانية ، فنظر إليه بدهشة ثم قال : كمن ساءه توجيه مثل هذا السؤال « إنى لا أكتب اليابانية .. نحن نتكلمها ولـكننا لا نكتبها » ثم تركه واتجه نحو حجرة الدراسة ليحاضر طلبة يابانيين باللغة اليابانية .

ومن بين الصعاب التى تواجهنا أن نجد رجالا من بنى جنسنا قد تملكوا ناصية اللسان اليابانى حقاً ولا يتسرب الشك فى إخلاصهم ، وقد زار أحـد الإحصائيين فى كاليفورنيا اليابان فى فترة مضت فسألته عن عـدد الأمريكيين الذين صادفهم ممن استطاع أن يستوعب اللغة اليابانية ... وبعد أن أعمل فـكره قال إنه يعرف ثلاثة منهم . ومن الطبيعى أن يكون هناك فى الولايات المتحدة أكثر من ثلاثة أفراد يتقنون اللغة اليابانية ، ولـكن يبدو أن هذا العدد لاحساب له إذا ما قورن بعدد اليابانيين الذين يتقنون اللغة الإنجليزية .

وقد تساءل أحد الطلبة اليابانيين فى عجب إذا لم تكن اللغة اليابانية تدرس فى المدارس الأمريكية . وقد بدت هـذه الفكرة مضحكة للوهلة الأولى ، فكرة تدريس اللغة اليابانية فى المدارس الأمريكية ، ولـكن بعد تدقيق النظر يبدو أنها لم تكن كذلك .

ويظهر أن للمعلومات الإنجليزية شأناً كبيراً فى الحياة اليابانية ، فهم يعتصرون من حضارتنا كل ما من شأنه أن يفيدهم . وقد رأينا كثيراً من الـكتب الإنجليزية مكدسة فى نواحى غرف الدراسة فى إحدى جامعات الامبراطورية أمثال « الذوق الأدبى لأرنولدبنيت » و« بيجماليون لبرناردشو » و« دكتورجيكل والمسترهايدلستيفنسون » وقد يستطيع أصغر التلاميذ سناً فى المدارس الابتدائية اليابانية أن يكتب عن حياة وشنجتون أو اديسون أو فورد ، وإنك لترى الـكثير من حيطان غرف الدراسة خالية إلا من صورة للرئيس لنـكولن .

لم تعد اليابان بعد فى عزلة عن العالم فهى الآن تنظر إلى العالم كله وتحتاج إليه ، ولم يكن لمحاكاة اليابانيين لنـا فى البداية أى ضرر . فقد مدحنا وكان لنا فيما وقع لبعض صغار اليابانيين من سهو تفكهة وتسرية لنا ، فعند ما سارت القطر الحديدية فيها للمرة الأولى وأخذوا يدفعون إلى ركوبها كانوا يتركون أحذيتهم على رصيف القطار لأنهم تعودوا ألا يدخلوا بيتاً قط وأحذيتهم فى أقدامهم . وقد حطموا زجاج النوافذ عنـد ما أخذوا يطلون برؤوسهم منها

غير منتبهين إلى طبيعة الزجاج الشفافة ، فكان لزاماً إذن أن يُخط عمود أبيض على لوح الزجاج حتى يشعروا بوجود شيء صلب ، كما علقت لوحات كبيرة على وجهات المحلات كتب عليها « هذا زجاج » . وكانوا يراقبون أسلاك التلغراف محاولين رؤية الرسالة وهى تسير خلال السلك ، وقد قال بعضهم إن السلك لابد أن يكون مجوفا ، وقال البعض الآخر إنه لابد أن يكون متحركا ، أما أهل القرى فقد قالوا إنه من عمل الشيطان . وعند ما أدخلت المسرات لأول مرة قيل عنها إنها السبب فى انتشار مرض الكوليرا الذى ينتقل من المتكلم إلى السامع . وقد ارتكب اليابانيون أخطاء كثيرة عند ما حاولوا أن يقلدوا آلاتنا . وقد ساد الشعور بأن اليابانيين قد أصبحوا صورة لنا ولكنها صورة شاحبة جداً ، ومع ذلك فقليل من يدرك أن هـذه الصورة الفطرية الأولى قد تغيرت إذا نظرنا إلى ما طرأ على الحياة اليابانية الصناعية من تطور .

وقد عَلَّم صناع القطن فى منشستر اليابانيين كيف يغزلون القطن ثم يبيعونه ، وسرعان ما استطاع اليابانيون أن يصنعوا منه أقمشة قطنية ويرسلوها حول نصف العالم ثم يبيعوها بثمن أقل مما تباع به تلك التى صنعت فى منشستر ذاتها ... ولكن ليس هذا أسوأ ما فى الأمر ، فقد اخترع اليابانيون نولا أوفر إنتاجا بجهود أقل ، فبينما نرى فى مصانع لانكشير فتاة واحدة تباشر ثمانى آلات نجد فى مصانع اليابان أن فتاة واحدة تباشر ستين آلة . وقد أبت لانكشير أن تصدق ذلك إلا بعد أن غمرت المنسوجات القطنية اليابانية أسواق العالم جميعه بأثمان تتراوح بين الثلث والعشر من أثمان المنسوجات القطنية المصنوعة فى لانكشير .. ومن ثم تحول قطب الصناعة القطنية فى العالم إلى اليابان حتى أن رجال الصناعة فى لانكشير قد انتقلوا إليها ليدرسوا الصناعة القطنية فيها : وفى هذه المرة دفعوا مليون ين فى سبيل الحصول على حق استخدام الأنوال اليابانية فى مصانع لانكشير .

وفى نفس الوقت الذى بدأ فيه الإنجليز يستخدمون الأنوال الجديدة أخذ المهندسون اليابانيون يبذلون جهدهم فى سبيل تحسين أنوالهم وتصميمها بحيث يجعلونها أعظم كفاية ، ويتمثل مبلغ نجاحهم فى الحقيقة العجيبة الآتية ، فقبل أن توقف الحرب الحالية حركة التجارة كانت تشترى اليابان قطنها الخام من الهند ثم تدفع مصروفات شحنه إلى اليابان ثم تصنعه وترسله مصنوعاً إلى الهند وتدفع تكاليف شحنه إليها كما تدفع ضريبة الجمرك ، ومع ذلك كله فقد كانت تبيع إنتاجها منـه فى الهند بأقل من أثمان تلك المنسوجات القطنية التى كانت تصنع فى الهند ذاتها . وفى منافسة اليابان للانكشير حيث مستوى أجور العمال ومعيشتهم عالٍ شيء ، ومنافستها للهند حيث مستوى المعيشة والأجور منخفض حتى عنه فى اليابان شيء آخر ، فإن هـذا يهدد الصناعة القطنية فى جميع أنحاء العالم .

وقد احتلت اليابان منذ زمن بعيد الصدر فى صناعة الحرير إذ كانت تنتج أكثر من ٧٠٪ من إنتاج العالم فى الحرير ، وليس هذا لملاءمة جو اليابان لصناعته فحسب ، بل لأن اليابانيين أحدثوا من الوسائل وأدخلوا من الآلات الحديثة ما مهد لهم سبيل السبق فى هذا المضمار . وقد بحث الغربيون عن وسيلة يستطيعون بها أن ينالوا من اليابان شيئا فى هـذا السبيل فأنشأوا صناعة « الحرير الصناعى » ، ومن ثم رأت اليابان أن صناعتها الحريرية قد أصبحت مهددة ، ولكن سرعان ما استطاعت أن تنافسهم وأن تصدر من الحرير الصناعى أكثر مما يصدره أى قطر فى العالم ، أما تطور صناعة الجوت فى اليابان فهو يصور ناحية مدهشة لمدى البحث العلمى فيها .

وإنه لتبدو لك فكرة واضحة عن صناعات اليابان إذا ما حلقت بين طوكيو وكوبى فوق العمود الفقرى للصناعات اليابانية ، وقد أطلقوا عليها « حلم قاذف القنابل » ، فليست هناك صناعات حربية لأمة من الأمم أوضح هدفاً وأسهل منالا للغارات الجوية مما هى فى اليابان ، ففى خلال ثلاث ساعات قد تستطيع قاذفة قنابل سريعة أن تصيب أهم أهدافها ، ولكن من الخطأ أن نعتقد أن سقوط بعض القذائف فوق طوكيو قد تلحق بها أضراراً بعيدة المدى ، فإنك إذا نظرت إليها من علٍ وأنت فى طائرتك علمت ما إذا كان الأمر غير ذلك ، فسترى شيئاً أشبه برقعة الشطرنج فيما عدا أن كل مربع يفصله عن المربعات التى تجاوره طرق فسيحة أو قنوات ، فإذا سقطت القذيفة فوق إحدى هـذه المربعات امتد فيها اللهب جميعاً ولكن تظل المربعات الأخرى المجاورة فى مأمن منها . وقد لجأت اليابان إلى هـذه الخطة على أثر زلزال عظيم لكى تحد من ضرر الحرائق وتحصرها فى نطاق ضيق . وعلى كلٍ فإن طوكيو ليست أفضل أهداف قاذف القنابل ، ففيها حقاً مصانع كثيرة

ولكنها متفرقة ، ولكن هذه الحال تختلف فى ناجويا وأوزاكا وكوبى حيث تتجمع وتتكتل الذخائر والمؤن الغذائية والطواحين ومصانع الحديد وأحواض السفن مما لا يترك مجالا للشك فى أن تصيب القذيفة هدفاً حيويا ، وحيث يبدو للملاحظ الجوى أن كل هذه المنشئات الصناعية اليابانية الحديثة هى بنات أفكار الغرب قد انتقلت إلى اليابان واستحالت إلى صورتها الراهنة فى أقل من ثمانين عاماً .

ويشتهر عن اليابانيين أنهم يقلدون كل شىء ولكنهم لا يبتكرون شيئاً ، هذه الصفة الشائعة هى نصف الحقيقة فقط ، فهم يخترعون بالقدر الذى يقلدون به ، ففى المكتب الامبراطورى لمنح رخص الامتياز يشتغل نحو من ٨٠٠ خبير يتسلمون كل عام نحوا من مائة ألف طلب لمنح رخص الامتياز ، وفى كل عام يمنح نحوا من عشرين ألف رخصة امتياز ، وإن مصانع أوربا وأمريكا لترقب باهتمام الاختراعات اليابانية وتقتبس كثيراً منها .

وإنه ليخيل إلينا أن آلاتنا الكاتبة تلك التى تحول ستة وعشرين حرفاً إلى كلمات معجزة من معجزاتنا ، فما ظنك إذن بالآلة الكاتبة اليابانية التى تتجمع فيها مجموعة من الرموز لآلاف الحروف ؟

وكان من بين ما عرض فى أحد معارض الاختراع هذه المخترعات : آلة للصور المتحركة للاستعمال المنزلى ، جهاز للتلفزيون يستخدم فى البيت ، سيارة تستطيع أن تنحرف بسرعة فى شتى الاتجاهات ، آلة تختبر بها البيضة إذا ما كانت طازجة دون أن تفتحها ، مادة للبناء مصنوعة من قشر الأرز المهمل ، آلة متحركة للتصوير تستطيع أن تلتقط ٦٠٫٠٠٠ صورة فى الثانية وهى سريعة بحيث تصور حركة الموجات الصوتية .

وهناك جمعية غريبة ليس غرضها تعليم الفنون وإنما غرضها الرئيسى الابتكار والاختراع . وقد أخذتنى الدهشة عندما دخلت بعض الدور حيث كانت تجرب وتختبر بعض الاختراعات الحديثة ؛ فهنا أحد الباحثين الذين يبحثون فى تركيب المطاط ، وباحث آخر يجرب دهاناً للتلوين لا تكون له قشرة ، وثالث يختبر مادة من الأسمنت لا تتشقق ، ورابع يجرب عضواً آليا يتحرك بنفسه دون أن يمسه أحد ، فقط إذا ما مر به أحد يده خلال الهواء . وقد دخلنا مخزناً يشبه الثلاجة كانت درجة حرارته ٤٠° فرنهيت تحت الصفر فتساءلت عن الفكرة فى ذلك فعرفت أن الغرض من ذلك هو إيجاد جو يشبه شتاء منشوريا نجرب فيه مدى تحمل بعض المواد فى مثل هذا الجو ، وقد دخلنا غرفة أخرى كانت حرارتها عالية تبلغ ١١٠° ودرجة رطوبتها ٨٥ ٪ وهى تمثل المناخ المدارى داخل أربعة جدران ، وإنك ترى أن اليابان قد امتدت إلى المنطقة المدارية . ومن يدرى لعلها تمتد فى أحد الأيام إلى المنطقة الحارة . وعلى كلٍ فيجب علينا أن نستعد علميا لذلك اليوم إذا ما جاء ، ولذلك فقد أنتجنا مواد للبناء وأطعمة وملابس وأدوية تلائم مثل هذه الجواء ، ثم ذهبنا إلى أحد أقسام الهندسة حيث كانت تمارس بعض التجارب لبناء منازل من الحجر والصلب تتحمل هزات الزلازل وضربات القنابل ، فإننا نعلم أن اليابان معرضة للغزو من الجو ولكن سيذهل العدو حينما يحس بالمقاومة العجيبة لمنازلنا الحديثة وهو فوق كبرى مدننا .

ويبدو لنا أن كل يابانى ينظر بإحدى عينيه إلى الآلة التى فى يده وبعينه الأخرى إلى السياسة الدولية ؛ فقد قال الدكتور « كيفوشيتا » نحن نحب اليابان أولا ثم العلم ثانيا . هذه هى أعظم نواحى اليابان العلمية خطراً ذلك أن يقتصر العلم على نفع اليابان دون العالم ، فالعالم الحقيقى هو الذى يصادف انتشار المعرفة الإنسانية هوًى فى نفسه ولذة دون أن يحسب حسابا للحدود السياسية ، ولكن لشد ما يدهشك من العالم اليابانى أنك تراه يعتقد بهذه الأسطورة الخيالية التى تشير بأن الامبراطور هو من سلالة آلهة الشمس ، ولذلك فهو يستمد حقه الإلهى فى حكم الأرض .

وقد أرهقت الحرب قوة الاختراع فى اليابان ، فقد تفادوا النقص فى الحديد بصنع الراديو والمفصلات وقبضات أيدى الأبواب بالورق المضغوط ، واستعاضوا عن اللبد بمادة مصنوعة من عشب البحر والأصداف ، وأنتجوا من قشرة السمك جلوداً يستعيضون بها عن النقص فى الجلود ، ولنقص الصوف صنعوا شيئاً يماثله من مادة السوياتين ، ولحاجتهم لإبر الفونوغراف استعاضوا عن الصلب فى صنعها بمادة البامبو ، وصنعوا الدراجات من الورق القوى بدلا من الحديد ؛ وقد أنشأوا سيارات تسير بفحم الحطب بدلا من الجازولين .

والبحث عن اللآلىء هو أعظم أعمال اليابانيين مهارة ، وفى العادة قد توجد فى كل بضعة مئات من ألوف الصدف صدفة واحدة

تحوى لؤلؤة ، وإنه لأيسر أن نبحث عن إبرة فى كومة من القش عنه فى بحثنا عن لؤلؤة فى داخل صدفة ، وإنها لخبرة مسلية أن تزور إحدى مناطق اللآلى ، حيث ترى الفتيات يغصن لمسافة عشرين قدما فى قاع البحر ليجلبن الأصداف التى توضع فى قصعة ثم تؤخذ إلى المعمل لفحصها .

وقد كان منزلنا المصنوع من الورق على شاطىء البحر فى هياما منزلا جميلا ولكنه لم يكن مريحاً ، وكان علينا أن نعيش فيه عاما على أقل تقدير تلك الحياة التى يعيشها اليابانيون لنستطيع أن نفهمهم حق الفهم ، ولكننا أحضرنا فى نهاية ذلك العام بعض وسائل الراحة كالأسرّة والمناضد والكراسى والمدافىء . ولتتخيل معى ليلة من ليالى الشتاء الرطبة فى بيت بابه من الورق خال من المواقد اللهم إلا من موقد مملوء بالرماد الذى يعلوه بعض حطم الفحم الملتهب . ولا يمكننا أن نشعر بالدفء إلا إذا اقتربنا من اللهب ؛ فصفير الهواء لا ينقطع من خلال شقوق المنافذ ، وفى هذه الحال يمكنك أن تغلق النافذة الخشبية الخارجية ، ولكن سرعان ما يسود الغرفة بذلك ظلام حالك . ومع ذلك يظل الهواء البارد نافذاً إلى الغرفة من خلال أرضيتها . ولكى تدفأ فعليك إما أن تنام أو تظل فى حركة مستمرة ؛ ولكن الإنسان لا يستطيع أن يظل فى فراشه طويلا ، وعلى ذلك يصبح الرد الطبيعى هو العمل . وقد يكون هذا هو أحد الأسباب التى يعزى إليها نشاط اليابانيين الدائم ، فخير للياباني أن يحرث ويزرع فى الحقول الملأى بالطين من أن يستكن فى منزله ، ولكن لسوء الحظ ليس لديهم حقول يزرعونها . وإن النتيجة الطبيعية لهذه الحياة الصعبة أن العسكرى اليابانى أصبح لا يحس فى الميدان ذلك الإرهاق والضيق اللذين يحسهما الجنود الذين تعودوا حياة أرقى فى مستواها .

وفضلا عن ذلك فإن اليابان يعوزها تقدير الحياة البشرية ؛ فنحن نؤمن بأن نعيش لوطننا ولكن اليابانيين يؤمنون بالموت فى سبيل وطنهم ، فهم يتعلمون منذ نعومة أظفارهم بأن الفرد لا قيمة له . ولا يؤمنون بمذهب الفردية بل بمذهب الجماعة ، فاليابانيون يميلون إلى العمل الجمعى وقد برعوا فيه . ولا يحكم اليابان دكتاتور بل يحكمها جماعة من الأفراد ، وامبراطورها يمثل رمزاً مقدساً . وإذا ما علا صيت أحد أفراد الحكومة أو علت منزلته فإنه كثيراً ما يغتال . ويستذكر الطلبة دروسهم جماعة . وهناك مثل يابانى يقول : « إن يابانياً واحداً غبى واثنين غبيان » ، وتتكتل جيوش اليابانيين جماعات ، وهذه أحد الأسباب التى يعزى إليها بطولتهم فى الحروب . وتبدو مهارة الطيار اليابانى عندما يعمل مع سربه ولكنه حينما ينفرد يفقد ميزته كطيار ولكنه قلما ينفرد فى حرب الجو أو فى البحر والبر لأنها جميعاً تتطلب العمل الجمعى .

والانتحار شائع بينهم بكثرة ، لأن الفرد يعتقد أنه لا يستحق وجوده أو يستأهل حياته إذا لم يحتفظ بنفسه كريمة بين أقرانه . وإن من المبالغة أن نذكر أن الجندى اليابانى يرغب فى الموت ، بل إنه يفضل أن يعيش ، ولكنه قد أشرب دمه فلسفة الموت تماماً . ولم يعلَّم حكمة البقاء التى تتيح له أن يحارب مرة أخرى فى يوم آخر ، فالجيوش اليابانية لم تدرب على خطط الانسحاب ، لأنه لا يدور بخلدهم أن ينسحبوا . وقد صدرت التعليمات إلى الجنود بأن خيراً لهم أن يموتوا من أن يقعوا أسرى حتى لا تلحق رعاياهم الحطة والمذلة إذا ما أسروا ، ولكن أى فخر قد يصيبهم عندما تعود أشلاؤهم إلى الوطن ، حيث تأله فى معبد «ياسوكونى» المقدس الذى يتوجه إليه الإمبراطور بنفسه ، لينحنى أمامه على روح هؤلاء الجنود الشهداء الذين ضحوا فى سبيله .

عمر رشدي

نظرية كونفوشيوس الدينية

للأستاذ أبو بكر هوغانجين الصينى

١ – هل كونفوشيوس نبي ؟

اعتقد الشعب الصينى فى ذات كونفوشيوس منذ قدم الزمن اعتقاداً جازماً ما اعتقده اليهود فى موسى والمسلمون فى نبيهم محمد عليه الصلاة والسلام وعظموه تعظيما لا يقل عن تعظيم النصارى لذات المسيح والبوذيين لذات بوذا ، فأقاموا له الهياكل والمعابد يتقربون إليه فى أعياد ميلاده ووفاته ، ونصبوا له التماثيل والنصب والأخشاب التى كتب عليها اسمه يقدسونه ويعبدونه ، وخصوصاً فى الأيام الملوكية . قبل ثلاثين سنة كان الأطفال والتلاميذ الشباب يذهبون إلى المدرسة القديمة الطراز ويركعون له ركعات ويطلبون منه التوفيق والإلهام ، كما فعله المتدينون لإلهم المقدس بديع السموات والأرض ومابينهما . ولكن الواقع لم يكن كونفوشيوس نبياً مرسلا بمعنى أنه يوحى إليه بالحق ليبلغه الناس ، ولم يدع ذلك بل أنكر أن يكون نبياً وذا مروءة . قال فى الفصل السابع من كتاب الحوار :

« أما الأنبياء الحكماء وذوو المروءة ، فكيف أجترئ على ادعاء رتبتهم ؟ وغاية ما يجوز أن يقال فى هى أننى رجل يعمل جهده من غير ملل ، ويعلم غيره من غير تعب . فقال كونغ اسى هوا (أحد تلاميذه) : وهذا هو الذى لايمكن أن نتعلمه »

غير أن المسلمين ما داموا اعتقدوا أن هناك أنبياء لم يقصص الله علينا أخبارهم ، كما نص القرآن الحكيم ، وما داموا اعتقدوا أن لكل أمة نبياً أو أنبياء يرشدونها إلى سواء السبيل ، وما داموا اعتقدوا أن الأنبياء يزيدون على مائتين وعشرين ألفاً ، فإن كونفوشيوس قد يكون منهم ، لأنه يعرف الإله مدبر الكون ، وإن لم يتصد لتعليمه الناس ، ولأنه يقيم نفسه للحق ينشره بين الناس ليرجعوا إليه فى كل معاملاتهم ، ولأنه يبين لهم الآداب الفاضلة ليتخلقوا بها ، والأعمال الفاسدة الرذيلة ليتجنبوها ، فهو مصلح للأمة متدرج من الأفراد والأسر إلى المجتمعات ، وليس كالسياسى يعالج أمراض الأمة الظاهرة من الخارج لا من الأساس ، فهو نبى من الأنبياء ، قد عمل أعمالهم وأدى واجبه كما أدوا ، بقطع النظر عن تعظيم الشعب الصينى له وإجلالهم إياه فوق ما يجب

٢ – هل الكونفوشيوسية دين ؟

اختلف العلماء فى هذه المسألة ، فقال فريق : إن التعاليم الكونفوشيوسية هى دين كسائر الأديان فى العالم ، لأنها لا تخلو عن الإرشادات القيمة التى تحض الإنسان على عمل الخير ، وترك الشر ، والتى تدعوه إلى الحياة السعيدة الهنيئة بالتحلى بالفضائل ، والتخلى عن الرذائل ، وهى تأمر الناس بالمعروف ، وتنهاهم عن المنكر ، وهى النصيحة عينها . وهذه الأشياء من خصائص الدين وغاياته ، فهى دين بلا شك ، وهذا الفريق هو الذى يريد أن يجعل الكونفوشيوسية ديناً رسمياً للحكومة الصينية والشعب الصينى

يقول الفريق الآخر : إن التعاليم الكونفوشيوسية إنما هى فلسفة عالية وحكم غالية كسائر الفلسفات فى الأخلاق والسياسة وليست ديناً ، لأنها لم تبحث عن الإلهيات كوجود الإله وصفاته وأفعاله ، ولا المغيبات كالجنة والنار والثواب والعقاب ، ولا الصلة بين الله والإنسان ولا بينه وبين الموجودات . يقول تس كونغ أحد تلاميذه النوابغ :

« يمكن أن تسمع أحاديث الأستاذ فى الفضائل والآداب ، ولا يمكن أن تسمع أحاديثه فى النفس الإنسانية والسنة السماوية [1] » . الفصل الخامس من كتاب الحوار : « كان الأستاذ قلما يتحدث عن المنفعة والقضاء والقدر والمروءة » . التاسع من الكتاب .

« كان الأستاذ لايتحدث عن العجائب والقوى والاضطرابات والآلهة » . السابع منه

---

(١) السنة السماوية هي سنة الله .

يقول بعض الشراح : إن هذه الأشياء غامضة جد الغموض ، فسكت عنها الأستاذ العظيم كونفوشيوس . ويقول البعض : كان الأستاذ لا يحدث عنها إلا للنوابغ من تلاميذه ، وقد سمع تلميذه هذا ، وذاق حلاوة الأحاديث فى هذه الأشياء ، لكنه يأسف لتأخر سمعه وقلة التحدث له وعدم التحدث للتلاميذ كلهم .

فما دام كونفوشيوس لم يتحدث عن هذه الأشياء التى هى من مهمات الدين وميزاته ، أو قلما يتحدث عنها ، فكانت تعاليمه ليست بدين ، بل هى فلسفة بلا شك ، وهو فيلسوف كأفلاطون وكانت وغيرهما .

وعلى كل حال ، فإن التعاليم الكونفوشيوسية مزيج من الإثنين لاهى بالمبادئ الدينية المحضة ، ولا الآراء الفلسفية البحتة ، وشأنها شأن الفلسفات القديمة التى تبتدئ بالخرافات والأساطير ، ثم تمتزج بالحكم الدينية

٣ — دين الصين القديم

إذا كانت التعاليم الكونفوشيوسية مزيجاً من الدين والفلسفة فلابد أن نعرف حقيقة الدين الصينى القديم الذى قبل كونفوشيوس حتى نتبين هل نظريته الدينية كلها نظريات قديمة أو عقائد قديمة أم للفيلسوف كونفوشيوس رأى خاص أو نظرية خاصة غير العقائد التى اعتنقها السواد الأعظم من الشعب الصينى فى تلك الأزمان الغابرة ؟

يعتقد قدماء الصينيين أن السماء جوهر حى عليم قادر مدبر الكون نافذ الإرادة فى النفوس وسائر الكائنات ، واعتقدوا القضاء والقدر وقالوا إن العاصفة والطوفان والقحط والزلزال والمجاعة كلها آيات السماء تنذر بها الملوك إذا جاروا على الرعية أو قصروا فى حقوقهم وعبادة السماء خاصة للملوك ولا تتعدى غيرهم .

يعتقد قدماء الصينيين أن للكائنات السماوية والأرضية آلهة أو ملائكة أو أرواحا تدبرها وتصرفها كيفما تشاء ، فالشمس والقمر والسحاب والمطر والجبال والأنهار وما شاكلها من الكائنات يكون لكل واحد منها إله أو ملك أو روح يعبده الناس ، ولكن عبادة آلهة الأرض والجبال والأنهار مخصوصة للأمراء وحدهم .

وكذلك يعتقدون أن فى المنزل آلهة للغرف وأرواحا للأموات ، ويزعمون أن روح الإنسان تبقى فى الدنيا بعد موته ، وتشتاق إلى العودة إلى أسرته والعيش مع أفرادها فى الغيب ، فهم يعبدونها ويقدسونها ويقدمون إليها القرابين ، وهى عبارة عن أنواع الأكل والشرب المشتهيين على مائدة منسقة ، وهذه العبادة يشترك فيها الشعب والملك والأمراء لا فرق بينهم إلا بالكثرة والقلة .

والصينيون القدماء لا يعتقدون الجنة والنار ، وإنما يعتقدون الجزاء فى الدنيا إن خيراً فخيرا وإن شراً فشر . وقد يتعدى جزاء شخص إلى أبنائه أو أحفاده والكل يرجع إلى السعادة والشقاوة فى الحياة الدنيا

٤ — نظرية كونفوشيوس فى الآلهة والأرواح :

قبل أن نتكلم عن نظريته فى الآلهة والأرواح يجب أن نبين للقارئ أن المصدر والمرجع فيما نقول منحصر فى كتاب الحوار الذى ألفه تلاميذه أو تلاميذ تلاميذه ، لأن الكتب التى صححها الفيلسوف كونفوشيوس ، ولخصها ورتبها بنفسه ، وإن كانت فيها نظريات فلسفية قيمة فى مبدأ الكون ومصيره والإله وأفعاله ، كتب قديمة لايعتمد عليها فيما إذا بحث عن آرائه الخاصة وأفكاره الشخصية ، وأما كتاب الحوار ، فإنه مشتمل على أقواله وأفعاله واعتقاداته ، فإذا بحث عن نظرياته الخاصة يجب الاعتماد عليه

يعترف كونفوشيوس ببقاء الأرواح بعد خروجها من الأجساد ووجوب تقديم القرابين إليها ، فلذلك كان « إذا دخل الهيكل العظيم سأل عن كل شيء » الفصل العاشر من كتاب الحوار

« كما دخل الأستاذ الهيكل العظيم سأل عن كل شيء . قيل : من ذا الذى يزعم أن ولد الرجل المنسوب إلى بلدة تساو يعلم الآداب ؟ كما دخل الهيكل العظيم سأل عن كل شيء . فلما سمع الأستاذ هذا التهكم قال : هذا من الآداب أيضاً » . الثالث من الكتاب .

« كان الأستاذ يقدم القرابين إلى أرواح آبائه وأجداده كأنهم حاضرون ، ويقدم القرابين إلى الآلهة كذلك كأنهم حاضرون . قال الأستاذ : إذا قدم القربان أحد غيرى نائباً عنى فكأنه لم يقدم قط » . الثالث من الكتاب

وكان يصوم قبل تقديم القربان

« وكان إذا صام لبس ثياباً من الكتان نظيفة بهية وغير طعامه ومجلسه فى الغرفة » . العاشر منه

« وكان مما يحتاط فيه الأستاذ الصيام والحرب والمرض » . السابع منه .

(البقية فى العدد القادم)

أبو بكر هوغانجين الصينى

الشــعلة المنقذة

لمكسيم جوركى

الأستاذ محمد خليفة التونسى

[إلى الأبطال الذين يضحون بأنفسهم فى الوقت المناسب ليصونوا قومهم من الانهيار : أهدى هذه القصة آية تقدير وإعجاب] (م . خ ١ .)

منذ عهد سحيق كانت إحدى القبائل الرحالة تضرب خيامها فى بقعة مجهولة تحدق بها غابات ألفاف ، لكنها تنحسر عن هذه البقعة فى جهة من جهاتها ، فتمتد أمامها فى تلك الثغرة سهول فسيحة .

كان أفراد تلك القبيلة يمتازون بالقوة والبسالة ، كما يمتازون إلى جانب ذلك بالقناعة ، فأقاموا ما أقاموا فى تلك البقعة وهم ينعمون ببسطة العيش ورغده . وذات يوم هاجمتهم قبائل أخر أقوى منهم بطشاً وأشد عتياً ، فأجلتهم عن منازلهم إلى غابة هى أكثف الغابات ، وآسنها ماء ، وأحلكها ظلاماً . فقد كانت فروع الأشجار فى تلك الغابة التى نزحوا إليها قد مرت عليها العصور تلو العصور وهى تمتد وتتشابك حتى حجبت ما بين الأرض والسماء ، حتى أن الشمس كانت إذا طلعت عليها لم تنفذ منها إليها إلا أشعة ضئيلة ، وكانت هذه الأشعة إذا هبطت على المستنقعات نفثت أبخرة قاتمة كأنها السموم .

تتابعت النكبات على القبيلة ، فكان أفرادها يتساقطون تحت أثقالها هالكا إثر هالك ، ودب الملل إلى نفوس النساء والولدان ، وران الألم على قلوبهم فضجوا بالشكوى والبكاء مما هم فيه ، وتنادوا إلى الآباء والأزواج أن يخرجوهم من هذه الغابة النكودة التى تورطوا فيها مؤثرين الموت خارج الغابة على الموت انتظاراً فيها

كانت عزائم الرجال منحلة ، وقلوبهم قد أشربت اليأس بما تتابع عليها من الأرزاء ، ففقدوا كل أمل فى النجاة من مصيرهم المشئوم . ولقد فكروا ثم لم يقعوا على وسيلة للنجاة ، وكانت نهاية الإغراق فى التفكير أن وجدوا أمامهم منفذين عقباهما الفناء المحتوم ، فإما أن يعودوا إلى منازلهم الأولى التى أجلاهم عنها أعداؤهم فيكروا عليهم ويقاتلوهم ليخرجوهم منها كما أخرجوهم ، ولكنهم رأوا أنهم لا قبل لهم بأعدائهم ، فلا جدوى من العودة ، وإما أن يخرجوا من الغابة إلى مكان آخر ، ولكنهم رأوها متشابكة حصينة لا سبيل إلى النفاذ منها ، فلا جدوى من محاولة الخروج

لم يجدوا بداً من البقاء حيث هم ، فأقاموا فى شرحال ، وكانوا يتهاوون تحت الآلام كما تتهاوى الأصنام فى جمود أخرس كئيب ، وكانوا إذا جن الليل أوقدوا النيران لتدخل إلى قلوبهم شيئاً من الأنس والسكينة ، فلا تزيدهم إلا وحشة واكتئاباً ، فتثقل عليهم الذكريات القديمة يوم كانوا ينعمون بالطلاقة والعيش الرغيد فى جنبات السهول الفسيحة المترامية الآفاق ، وفى ظلمات الليل كانت الأعاصير تعصف بأصواتها الرهيبة المنكرة ، فتملأ جوانحهم هولا ورعباً .

إنهم لم يفروا أمام أعدائهم لنقص فى شجاعتهم ولا الجهل منهم بأساليب القتال ، بل إنهم آثروا الانسحاب حتى لا يستأصلهم الأعداء استئصالا ، فيفنى بفنائهم تراث أسلافهم لو أنهم استمروا على الحرب . لقد سحقتهم النكبات سحقاً ، غير أنهم لم يستطيعوا أن يسلوا ما نعموا به من رغد وحرية ، فأرقتهم الهموم الثقال ، وكانوا يقطعون الليالى بطيئة وهم ساهرون مفكرون فيما آل إليه حالهم من تعاسة وعذاب ، وكانت الغابات من حولهم تتجاوب بالعزيف والعويل ، وأشباحهم تتراقص حول النيران ، وتتصاعد مع الأدخنة الملتفة كأنها أرواح شريرة ، فتنخب فى عزائمهم وتوهن من شجاعتهم ، فتنطلق ألسنتهم بالسب والتجديف دون حساب . وفى نوبة من النوبات التى يطبق فيها اليأس على القلوب فيأخذ بمجامعها تشاور أفراد القبيلة ، ثم قرروا أن يرجعوا إلى أعدائهم الذين أجلوهم عن منازلهم ، ليستسلموا إليهم متنازلين عن حظهم من الحرية والكرامة ، مفضلين الموت بأيدى أولئك الأعداء القساة عن حياة الأسر فى الغابة .

وإذ ذاك برز من بين الصفوف شاب باسل وسيم كان القدر قد هيأه لهذه الساعة الحرجة كى ينقذ القبيلة من مصيرها التعس! كان اسم ذلك الشاب « دنكان » ، وكانت تلوح على وجهه علائم البسالة والعزة والصرامة ! نهد ذلك الشاب واقفاً أمامهم وخطب فيهم قائلا :

« أيها الرفاق ! إن مشكلتنا لعسيرة ، ولن يحلها التفكير العقيم ، ولن تفتح لنا الثرثرة سبيل النجاة ، ولن تجدى الشكوى والدموع شيئاً لرفع ما نحن فيه من البلاء . حذار أن تسرفوا فى التفكير الأجوف ، والثرثرة الفارغة ، فتذهب قوتكم ، ويضيع وقتكم سدى . لنستجمع شجاعتنا وقوتنا ، ولنتهيأ للضرب فى غياهب هذه الغابة حتى نجتازها إلى نهايتها . إنها لا بد منتهية ، لأن لكل شىء فى الكون نهاية . أيها الرفاق الأمجاد ! عليكم بالصبر والإخلاص والشجاعة ، ولا سيما فى المراحل الأولى ! ولتكن عزائمكم راسخة ، وخطاكم ثابتة جبارة !

كان أفراد الغابة مقبلين بفتور عندما وقف « دنكان » ليلقى فيهم خطابه القوى . ثم رأوا فى وجهه وفى نبرات صوته آيات الثبات والإخلاص والبسالة ، فسرى فيهم الإخلاص والحماسة ، فآمنوا أنه أفضلهم وأقدرهم على قيادة القبيلة فى طريق الخلاص ، حتى أنه لم يكد يفرغ من خطابه حتى صاحوا : امض بنا راشداً فنحن على آثارك مقتدون !

حينئذ سار « دنكان » مؤمناً بالفلاح والظفر والخلاص ، واتخذ أفراد القبيلة طريقهم من خلفه وفى قلوبهم من الإيمان مثل ما فى قلبه . لم تكن الطريق بالممهدة ولا المأمونة ، بل كانت عقباتها كثيرة ، وأوحالها عميقة ، يمكن أن تبتلع فى كل خطوة بضعة أشخاص ، وكانت تعترضها الأشجار الكثيفة التى تسبح فوقها الحيات صاعدة هابطة ، وهى ترسل عليهم من فوق رءوسهم فحيحها الرهيب .

كانت جلودهم تنضح بالعرق ، وجروحهم تسيل بالدماء ، وأعصابهم وعضلاتهم تفيض بالكلال والإعياء ، ومع ذلك استطاعوا أن يقطعوا مسافة طويلة دون ضجر ولا استياء .

ولكن الأيام تتابعت فازداد بتتابعها وقع المتاعب على النفوس والأجسام ، وأحس أفراد القبيلة بخور فى عزائمهم وتهافت فى قواهم ، فتناسوا ما عاهدوا « دنكان » عليه ، وأقبلوا إليه يزفون وقد ملئت صدورهم ضغينة وحقداً ، وصاحوا فى وجهه : « أيها الشاب الطائش ! لقد انتهى بنا حمقك إلى الخراب ، فليتنا ما سمعناك وما أطعناك ! »

لكن « دنكان » رغم سخطهم عليه ولومهم إياه وضيقهم به لم يهن ولم يفتر ، بل بقى كما كان ، عامر القلب بالأمل والإيمان ، وسار يقود الصفوف الثائرة بعزيمة وطيدة وخطاً راسخة .

ثم أقبلت أمسية ! كانت الغابة فى تلك الأمسية رهيبة قاسية ، فقد تعالى فى جنباتها هزيم الرعد ، وأطبقت عليها الظلمات الحالكة ، وقد تراكم بعضها فوق بعض كأنما احتشدت فيها الليالى جميعاً بظلامها منذ كان العالم . كان القوم التعساء فى تلك الأمسية يسيرون فى سكون كئيب ، فيتعثرون حيناً ، ويتصادمون حيناً ، وقلما كانوا يستقيمون ، وكان الخوف قد أزاغ قلوبهم ، وجمد الدماء فى عروقهم ، وخيل إليهم أن فروع الأشجار المعترضة فى طريقهم إنما هى أيد عارية تمتد إليهم فى الظلام لتختطفهم عن أيمانهم وعن شمائلهم .

وضاقوا أخيراً بما حاق بهم من كلال ولغوب ، فأقبلوا على « دنكان » يوسعونه سباً وشتما حتى لا يعترفوا بالضعف على أنفسهم وقالوا له : « أيها الشاب الأحمق ! لقد خدعت نفسك وخدعتنا ، وإنا لنراك فينا ضعيفاً ، وما أنت بالزعيم الذى يصلح لقيادتنا والإمرة علينا »

ثم وقفوا حيث انتهوا وقد طفحت قلوبهم بالحقد والموجدة على « دنكان » ، وكانت الظلال تتراقص فى الغابة حول القوم ، والأشجار تردد أناشيد الفوز والشماتة ، بينما انصرف القوم لمحاكمة « دنكان » على ما غرر بهم ، وكبدهم من مشقات ، ثم أفضوا إليه بحكمهم قائلين : « إنك لغادر أثيم ! وقد ثبت لنا أنك امرأ سوء بما أوردتنا من موارد التهلكة ، فجزاؤك أن تموت ! »

وأمنت أصداء الغابة وقصف الرعد وحفيف الأشجار على حكم القوم قائلة : « جزاؤك أن تموت ! » فى تلك الآونة الرهيبة الحرجة وقف « دنكان » أمام القوم فى شجاعة واطمئنان ، وكشف عن صدره ، وصاح فيهم قائلا : « يا رفقائى : لقد طلبتم إلى أن أكون دليلكم فكنته ، وإن لدى من القوة والجرأة ما يهيئنى لقيادتكم ، ولقد أردتم منى أن أسير أمامكم فسرت ، وكنت لكم مرشداً وعليكم حفيظاً ، ثم سرتم ورائى كما تسير قطعان الغنم وراء دليلها دون أن تكون لديكم مسكة من صبر وجلد ... »

ولم يتركوه ليكمل حديثه إليهم ، بل صاحوا فى وجهه

حانقين : « لا بد أن تموت ! لا بد أن تموت ! »

كان « دنكان » ينتظر من قبيلته أن يوفوا بعهدهم الذى عاهدوه ، وأن يعرفوا له فضله ونبل مقصده ، وما كان له أن ينتظر منهم هذا الجزاء السيئ الذى يدل على منتهى الكفر والكنود . لقد محضهم حبه ونصيحته ، ومن أجلهم غامر بحياته ، وضحى براحته وقوته ، ثم ها هو ذا يرى نفسه فيهم وحيداً مخذولا مذموماً وهم به محدقون يطالبون بدمه دون أمل فى عدل ، ولا طمع فى رحمة . وهاج « دنكان » ولكنه سرعان ما سكن وأناب ، إذ كان ما يزال حفيظاً على حبهم حريصاً على سعادتهم ، رغم أنهم يهمون بقتله ، فتحرك حبه وإيمانه ، وبرقت عيناه بالجرأة والثبات حتى لقد ظنوا بريق عينيه آية جنونه ، فأقبلوا عليه فى قسوة وضراوة ليشدوا وثاقه ، ولاح واضحاً « لدنكان » ما يكنون له من ضغينة وبغض رغم ما يذخر به قلبه من الحب والإخلاص لهم فتهيأت له فكرة أزمع على إنفاذها

فى تلك الآونة طفقت جنبات الغابة المترامية الحالكة تردد أناشيد الموت ، وأخذت العواصف تزأر والرعود تجلجل والأمطار تهمر فى أصوات هائلة منكرة ، غير أن « دنكان » صاح صيحة مروعة غطت على جميع الأصوات فى الغابة قائلا لقومه : « لقد عرفت الآن واجبى نحوكم ، وسأعمل حالا على إنفاذ رغباتكم ، فكونوا راضين » !

وأقبل بكلتا يديه على صدره فمزقه تمزيقاً ، ثم انتزع قلبه ، وحمله بيده فوق رأسه ، ودهش قومه حين رأوا الدماء المتفجرة من قلبه قد حالت أنواراً متوهجة كأنها الشمس ، فبهرت كل ما تضم الغابة ، حتى لقد أصيب كل ما فيها بالصمت والسكينة . وخر الرجال جثياً كما تخر الصخور ، فصاح «دنكان» فيهم صيحة أخرى قائلا : « أيها الرفاق ! سأمضى أمامكم ، فانطلقوا من خلفى صابرين ، وأشفقوا على كما كنت عليكم شفيقاً ! »

وانطلق « دنكان » أمام القوم ، فساروا وراءه فى صمت وذهول ، وكان ما يزال قابضاً على قلبه الذى اندلعت منه الأنوار فهتكت حجب الظلام وأنارت الطريق للسارين من خلفه . كانت الغابة ما تزال يتردد فيها زئير العواصف وهزيم الرعود وخرير الأمطار ، لكن وقع أقدام السارين كان يطغى على كل أصوات الغابة . لقد كان القوم منطلقين إلى الأمام ، وقد سحرتهم الأنوار الساطعة من ذلك القلب المشتعل . وكانوا يتساقطون موتى كما تتساقط الأوراق الجافة دون تذمر ولا عويل .

وما زال « دنكان » منطلقاً أمام القوم والأنوار تتفجر من قلبه الذى صار شعلة حتى بلغوا نهاية الغابة !.

وهناك ... هناك انفتح أمامهم منفذ فسيح ، فنفذ إليهم النور الباهر والهواء الطلق ، بعد أن لبثوا ما لبثوا غرقى فى المطر المنهمر والظلام الكثيف . وأداروا عيونهم عندئذ إلى الوراء ، فرأوا الغابة يطبق عليها الظلام ، ويجلجل فيها الرعد ويلمع البرق . ثم التفتوا أمامهم حيث انتهوا ، فرأوا أمامهم الشمس تسكب أشعتها على سهول فسيحة معبدة قد وطئت لهم ، تتخللها الأنهار التى تترقرق فيها أمواهها الفضية الصافية .

كانت الشمس عندئذ توشك أن تغيب ، وعند ما انحدرت أرسلت أشعتها الصفر على المياه المترقرقة ، فلاحت كأنها الدماء الدافقة من الجرح المنفتح فى صدر « دنكان » الجسور . وعندئذ رفع « دنكان » رأسه فى إباء ، وأجال نظره فى السهول الممتدة أمامه ، وقد تملكته نشوة غبطة ورضا وخيلاء . وخر فى تلك اللحظة صريعاً على الأرض ، وقبل أن يطلق نفسه الأخير هتف قائلا : « ما أشهى الموت فيك يا أرض الحرية والكرامة ! »

وكأنما روحه القوية حلت فى الغابة ، فارتجفت حينئذ أشجارها وسمع لها أنين وعويل

وانتشى القوم غبطة بالخلاص فى نهاية الرحلة ، حتى لقد نسوا « دنكان » وفضله عليهم ، فلم يسؤهم موته ، ولم يأبهوا حتى بقلبه الذى كان فى تلك اللحظة يشرق عليهم ويباركهم وهو مطروح بجانب جثته الساكنة الخرساء ، لولا أن واحداً منهم دلف إليه فى خوف وحذر ، وأرسل يمينه نحو ذلك القلب المشتعل ، وما قارب يمسه بإصبعه حتى انفجرت تلك الشعلة ، ثم تلاشت أنوارها فى الفضاء ....

لقد أدت الشعلة واجبها ، ثم صعدت لتستريح فى السماء !

محمد خليفة التونسى

٤ ـ نظـــرات
في دائرة المعارف الاسلامية
الترجمة العربية

للأستاذ كوركيس عواد

وجاء فى ٣ : ٥٠٨ ا قوله : « الخترانية نسبة إلى الطسّوج الذى كان موجوداً بين برس وبابل وحلة » . قلنا : لا يعرف طسّوجٌ بهذا الإسم . وإنما ذُكرت « الخُطَرْنِيَّة » وقد قال فيها ياقوت (معجم البلدان : ٤٥٣) إنها ناحية من نواحى بابل العراق .

وفى ٣ : ٥٥٥ ا ١٥ كرنيكا . وكان يحسن أن يقال فيها : « القَسْيَرُوَان » فهو الإسم العربى لتلك البقعة .

وفى ٣ : ٦٨٣ ا ٨ ورد قوله : « وقد وُجد فى قيونلك نقش بارز » . قلنا : الصواب « قوينجق » وهو تلٌ عظيم مرتفع فى شرقىّ مدينة الموصل ، فى بقعة نينوى . بدأ علماء الآثار ينقبون فيه منذ عهد بعيد ، أى منذ مائة سنة (١٨٤٢ م) وظلوا يعملون فيه سنين عديدة كانت خاتمتها سنة ١٩٣١ .

ومما قرأناه فى ٣ : ٦٨٣ ب ١٧ قوله : « ومن الواضح أن هذا الخور هو عين أغما ربتا . وهى كلمة آرامية معناها البطيحة الكبرى » . ولو قال : «الأجمة الكبرى» لطابقت الترجمة اللفظة الإرَمِيَّة التى ذكرها .

وورد فى ٣ : ٨٦، ٢١ — ٣ قوله : « واسط وموقعها الآن كوت الحىّ ؟ » هكذا بوضع إشارة الاستفهام . وكان يحسن التعليق على هذه العبارة البعيدة عن الصحة .

وفى ٣ : ٦٨٤ ا ٢٥ غفج . صوابها : عفج (بالعين المهملة) .

وفى ٣ : ٦٨٦ ا ٢٦ ؛ ٣ : ٦٨٦ ب ١ و ٢ ؛ ٣ : ٨٩، ا ٥ و ١٢ و ٢٢ وَرَدَ إسم « ناحية الملون » و « بطائح الملون » . والصواب فى كليهما ، على ما أفادنى الأستاذ المحقق يعقوب سركيس « الملوم » بميم فى الآخر . وهذا التصحيف من كاتب المقال الأصلى لا من المترجم .

وفى ٣ : ٦٨٨ ب ١١ و ٢٣ عمارة . والأحسن أن تكتب العمارة (بزيادة أل التعريف) . وهى مدينة عراقية مشهورة فى وقتنا .

وكذلك جاء فى ٣ : ٦٩١ ا ١٠ كوت العمرة ، وصوابها : كُوت العمارة .

ونعلق على ما وَرَدَ فى الحاشية ٢ من ٤ : ٣ ا إنه لم يتحقق أن لفظة بغداد إرَمِيَّة الأصل ، فالمسألة ما زالت موضوع بحث بين العلماء .

وفى ٤ : ٤ ب ٦ الجِرّ . صوابها : الخِرّ (بالخاء المعجمة) .

وفى ٤ : ٦ ا ١٨ محلة المخرّم . قلنا : ضَبَطَها ياقوت الحموى (معجم البلدان ٤ : ٤٤١) بكسر الراء وتشديدها ، أى المخرِّم .

ووردت العبارة التالية فى ٤ : ٢٠ ب ١ « ويخترقها (يخترق بغدادَ) دجلة ، كما كانت فى السابق ، فيشطرها شطرين ، يسمى الأيمن منها بالرصافة ويدعى الثانى بالكرخ » . قلنا : الصواب بعكس ذلك ، فإن الايمن (الجانب الغربى) هو الكرخ والأيسر (الشرقىّ) هو الرصافة .

وفى ٤ : ١٢١ ا ١٠ قوله : « وبعض غرفٍ من قصر المأمون (ببغداد) فى القلعة المدفعية » . قلنا : كان يحسن القول إن نسبة الغرف إلى قصر المأمون من أوهام العامة ، وإلا فإنه لم يثبت حتى الآن فى التاريخ ، صحّة نسبة تلك البناية إلى مشيدٍ معلوم .

وفى ٤ : ٢٥٠ ا ٢٥ وادى الزرم . صوابه : وادى الرزم (بتقديم الراء على الزاى) .

وفى ٤ : ٢٥٣ ا ١ — ٢ جرذاقيل وزوزانه . صوابهما : جُرْذَقِيل والزَّوْزَان .

وفى ٤ : ٢٨٠ ا ٥ و ٦ و ٢٧ بيث وأزيك . صوابها : بيث وازيق (بالقاف) وهو ما يطابق التسمية الإرَمِيَّة لهذا الموقع .

وفى ٤ : ٢٨٠ ا ١١ طهران . صوابها : الطيرهان . وشتان ما بين الموطنين . فأولهما مدينة فى إيران ، والثانى بلدة كانت على دجلة بالعراق قرب تكريت ، وهى اليوم مندرسة .

ثالثا : الكتب والمراجع

كان ابتداء المستشرقين بتأليف دائرة المعارف الإسلامية سنة ١٩١٣ ، وابتداء اللجنة بترجمتها إلى العربية سنة ١٩٣٣ ،

أى بعد ذلك بعشرين سنة . ومعنى هذا أن طائفة حسنة من المصنفات القديمة قد تمّ نشرها أو أُعيدطبعها خلال تلك المدة . فكان حرياً باللجنة أن تشير فى تعليقاتها إلى ما طبع منها عند التعرض لها فى المتن ، ليكون القارى على علم وثيق بما ظهر منها ، وليكون عمل المترجم جزءا مقما لعمل المؤلف ، وهو غاية ما يبتغى فى هذا الميدان .

وسنذكر فيما يلى بعض ما وقفنا عليه عرضاً ، مما قد يكون فى إضافته أو تعليقه فائدة ، فنقول :

فى ١ : ١١٧ ا ١٠ يضاف إلى المراجع المذكورة بعد ترجمة أبان بن عبد الحميد : كتاب الأوراق للصولى ١ : ١ — ٥٢ .

كما أن بعض مؤلفات ابن أبى الدنيا ، المذكورة فى ١ : ٧٢ — ٧٣ قد نشرت ، نذكر منها : كتاب من عاش بعد الموت (القاهرة ١٣٥٢هـ) وكتاب الشكر (القاهرة ١٣٤٩هـ) .

وفى ترجمة ابن طيفور ١ : ٨١ ب ٥ تضاف المراجع التالية :

١ — تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (٥ : ٢١١ — ٢١٢) .

٢ — معجم الأدباء لياقوت الحموى (١ : ١٥٢ — ١٥٧ مرجليوث) .

وفى ١ : ١٩٥ ا ٦ كتاب روضة الجنات . صوابه : روضات .

وفى ١ : ١١٩ ا ٢١ — ٢٦ ليت المترجم قال إن كتاب النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى طبع فى دمشق سنة ١٣٤٥ هـ .

وفى ١ : ١١٩ ب ١٤ كتاب منجد المقربين ومرشد الطالبين وصوابه . منجد المقرئين الخ . وكان مفيداً أن يذكر بأنه طبع فى القاهرة سنة ١٣٥٠ هـ .

ومما كان يجدر ذكره فى ١ : ١٢٠ ا ١٠ أن كتاب ابن جزلة الطبيب ، الموسوم بـ « تقويم الأبدان فى تدبير الإنسان » قد طبع فى دمشق سنة ١٣٣٣ هـ ، بعد أن أضحت طبعته القديمة فى ستراسبورج سنة ١٥٣٢ م أعزّ من بيض الأنوق .

وفى ١ : ١٢١ ا ١٢ ذكر لابن جزلة كتاب « منهج البيان فيما يستعمله الإنسان » . والمعروف أنه « منهاج البيان الخ » وهو لم يطبع . ونسخه الخطّية كثيرة فى خزائن الشرق والغرب ، وكلّها مجمعة على العنوان الذى ذكرناه .

وفى ١ : ١٠٣ ا ١ — ٢ كان من المفيد أن يذكر ما طبع من مؤلفات ابن جنى : كالخصائص (القاهرة ١٩١٤) والتصريف الملوكى (بون ١٨٨٥ والقاهرة ١٣٣١ هـ) والمبهج فى تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة (دمشق ١٣٤٨ هـ) والمقتضب (ليبسك ١٩٠٤) .

وورد فى ١ : ١٣٢ ب ٣ — ٤ اسم كتاب « الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة » لابن حجر العسقلانى . وكان ضرورياً للغاية أن يقال فى الحاشية إنه طبع فى أربعة مجلدات (حيدر آباد ١٣٤٨ — ١٣٥٠ هـ) .

ومثل ذلك ورود اسم كتاب « اللمحة البدرية فى الدولة النصرية » للسان الدين ابن الخطيب ، فى السطرين الأخيرين من ١ : ١٥١ ب ، فقد كان مفيداً أن يقال إنه طبع فى القاهرة سنة ١٣٤٧ هـ .

وفى ١ : ١٥٩ ب ١٦ كان من الواجب النصّ على أن كتاب « الجمهرة » لابن دُرَيد قد طبع فى أربعة مجلدات كبيرة (حيدر آباد ١٣٤٤ — ١٣٥١ هـ) .

وفى ١ : ١٦٤ ب ٦ يضاف إلى المراجع عن « ابن ديصان » :

١ — تاريخ كلدو وآثور لأدّى شير (٢ : ٢٠ — ٢٠) .

٢ — برديصان والبرديصانية ليوسف غنيمة (المشرق ١٨ (١٩٢٠) ص ٦٧٧ — ٦٩٢) .

وفى ١ : ٢٢٨ ا ٢٠ وردت العبارة التالية : « ولهذا الكتاب (كتاب القصص المضحكة) ترجمة عربية لم تصل إلينا عنوانها كتاب دفع الهم » . قلنا : هذه القصص وصلت إلينا ، وقد نشرها الأب لويس شيخو اليسوعى بعنوان « الأحاديث المطربة لابن العبرى » فى مجلة المشرق « ٢٠ (١٩٢٢) ص ٧٠٩ — ٧١٧ ، ٧٦٧ — ٧٧٩ » ، ثم على حدة ضمن مجموعة أربع رسائل لقدماء فلاسفة اليونان ولابن العبرى » (بيروت ١٩٢٠ — ٩٢٣ ؛ ص ٣٩ — ٦٠) .

ومما وَرَدَ فى ١ : ٢٦١ ب ٣ — ٤ قوله : « وهو (كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة) فى عشرة أجزاء ، نشر الأجزاء الأربعة الأولى منه بروكلمان » . وكان جديراً باللجنة أن تعلق فى الحاشية أن هذا الكتاب الجليل قد عُنيت دار الكتب المصرية بنشره كاملا سنة ١٩٣٥ — ١٩٣٠ فى أربعة مجلدات .

وفى ١ : ٢١١ ب ٨ — ١١ ذكر « كتاب الشراب » لابن قتيبة والأصح أن يكتب عنوانه « كتاب الأشربة » على ما هو مشهور معروف (راجع : العقد الفريد لابن عبد ربه ٤ : ٣٣٠ طبعة الأزهرية ، وكشف الظنون ٥ : ٤٣ لندن أو ٢ : ٢٦٢ استانبول) وكان يحسن القول فى الحاشية ، إن هذا الكتاب لم يظهر جميعه فى المجلد الثانى من المقتبس ، لأننا قابلنا ما نشر منه على نسخة خطية عندنا ، فوجدناه يبلغ نحواً من ثلثى الكتاب . وقد لاحظنا أن المنشور فى المقتبس ظهر فى أربعة أقسام ذكرت الدائرة الأول والثانى والرابع منها وأغفلت ثالثها المنشور فى ص ٤٣٠ — ٤٣٦ من المجلد المذكور .

وفى السطرين الأخيرين من ١ : ٢٦٠ ب يضاف فى الحاشية أن كتاب « المسائل والأجوبة » لابن قتيبة نشرته مكتبة القدسى بالقاهرة سنة ١٣٤٩ هـ .

وفى ١ : ٢٧١ ب يبدو لنا أنه سقط سطرٌ بين السطرين ١٧ و ١٨ قوامه ما يلى : « عيون الأنباء ١ : ١٧٥ — ١٨٣ (٣) القفطى » .

وفى ١ : ٢٧٧ ب ١٩ — ٢٢ وجدنا العبارة التالية : « وألف (مسكويه) كتاباً فى التاريخ عنوانه تجارب الأمم ، نشرة كيتانى L. Caetani بتمامه فى مجموعة جب التذكارية . جـ ٧ » . قلنا : لنا على هذه العبارة ملاحظتان . الأولى : إنه كان يحسن القول فى الحاشية ، إن ما نشره كيتانى لم يكن سوى قسم من هذا التاريخ ، أى أنه نشر (بالفتغراف) الجزء الأول والخامس والسادس . أما سائر الأجزاء فلم يتعرض لها . والملاحظة الثانية ، هى أنه كان مفيداً جداً أن ينوَّه بأن المستشرق آمدروز H. F. Amedroz قد نشر منه فى القاهرة الجزءين الخامس والسادس مع « الذيل » على تجارب الأمم للوزير أبى شجاع . وأن مرجليوث D. S. Margoliouth نقل هذه الأقسام إلى الإنجليزية ، فصار قوام المتن والترجمة والفهارس سبعة مجلدات (القاهرة — اكسفورد سنة ١٩١٤ — ١٩٢١) .

وفى ١ : ٢٨٠ ا ١١ نقول إن كتاب « فصول التماثيل فى تباشير السرور » لابن المعتز طبع فى القاهرة سنة ١٩٢٥ .

وفى ١ : ٢٩٨ ا ٢ من المهم ذكره فى الحاشية أن كتاب « التيجان فى ملوك حِمْيَر » لابن هشام ، طُبع فى حيدر آباد سنة ١٣٤٧ هـ .

وفى ١ : ٣١١ ب ١ وَرَدَ ذكر كتاب جلستان . والصواب كلستان (راجع كشف الظنون ٥ : ٢٣٠ طبعة لندن أو ٢ : ٣٢٧ استانبول) .

وفى ١ : ٣٢٤ ب ٢٢ ذكر المترجمون « سفر إسحق » من أسفار التوراة . وقد استغربنا صدور هذا القول من اللجنة ، فليس فى التوراة كلها سفرٌ بهذا العنوان . والصحيح أنه « سفر اشعيا » وسبب وقوع هذا الغلط ، أن الأصل الفرنجى من دائرة المعارف الإسلامية يتخذ رموزاً مختصرة عند ذكر أسفار التوراة ، وذلك أمرٌ شائع بين المستشرقين والباحثين ، متعارف بينهم منذ عهد بعيد . فهم يرمزون لسفر اشعيا بهذا الاختصار .Is فظن المترجمون أنه اختصار Isaac بما هى اختصار Isaiah ؛ وليت شعرى ألم تكن نظرة سريعة فى فهرست أسفار التوراة كافية للتخلص من مثل هذا الغلط ؟

وفى ١ : ٣٢٣ ب من المفيد أن يقال فى الحاشية ، إن كتاب « الأضداد » للسجستانى نشره هفنر A. Haffner فى بيروت سنة ١٩١٢ ضمن « ثلاثة كتب فى الأضداد » (ص ٧١ — ١٦٣) .

ونظير ذلك ما كان يستحسن تعليقه على ١ : ٣٣٤ ب ١٣ من كتاب « المقابسات » لأبى حيان التوحيدى ، قد نشره حسن السندوبى (القاهرة ١٩٢٩) .

وفى ١ : ٣٨٦ ا ١ تضاف المراجع التالية بعد ترجمة أبى العيناء .

١ — طبقات الشعراء لابن المعتز (ص ١٦٦ — ١٩٧) .
٢ — معجم الشعراء للمرزبانى (ص ٣٨٤) .
٣ — مروج الذهب للمسعودى (٨ : ٢٠ ، — ١٢٥ طبعة باريس) .
٤ — كتاب الديارات للشابشتى (مخطوط . وقد حققناه وأعددناه للنشر) .
٥ — تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (٣ : ١٧٠ — ١٧٩) .
٦ — المنتظم لابن الجوزى (٥ : ١٥٦ — ١٦٠) .
٧ — معجم الأدباء لياقوت (٧ : ٦١ — ٧٣ مرجليوث) .
٨ — نكت الهميان فى نكت العميان للصفدى (ص ٢٦٥ — ٢٧٠) .

(البقية فى العدد القادم)

كوركيس عواد



من الحياة والفن

قصـــة صورة

للأستاذ نصرى عطا الله سوس

يشارك العمل الفنى الخالد الحياة فى خلودها وعمقها وتجددها ، وتعدد الآراء فيها واختلاف وجهات النظر اليها ، غير أن العمل الفنى يمتاز على الحياة باشتماله على عناصر لا تستمد من الطبيعة الخالقة الموجبة ، بل من شخصية الفنان وعبقريته . فالعاطفة الزاخرة التى تحتضن الأكوان ، والخيال المتوفز المتقد الذى يبدع من صور الجمال ما لا وجود له فى الطبيعة ، والعقل النفاذ الذى يعاون العاطفة والخيال ... كل هذه عناصر إنسانية يشتمل عليها العمل الفنى الممتاز ولا وجود لها فى الطبيعة — وسر خلوده هو أنه خلاصة فترة من حياة رجل عظيم استطاع أن يسبر من أغوار الحياة ما لم يستطعه الناس ، رجل يتيح لهم — بفنه — مشاركته عواطفه وخيالاته وأحلامه . ونحن حين نتأمل عملا فنياً كبيراً نحس أننا فى صحبة إنسان كبير يقود خطانا نحو أقاليم شاسعة لم نرها ، ويفتح عيوننا على صور من الحق والخير والجمال لم نعرفها من قبل . فالعمل الفنى الكبير يفضل الحياة لأنه منبع السرور الإنسانى النبيل فى كل حين ، والحياة تسر حيناً وتحزن أحياناً .

... ذلك هو الخاطر الذى جال بنفسى عند ما أردت أن أكتب عن « الجيوكانده » أو « موناليزا » أقيم أعمال الفنان الخالد « ليوناردو دافنشى » وأكثرها دلالة على شخصيته ونهجه فى الانتاج .

ولقد كان ليوناردو (١٤٥٢ — ١٥١٩) نجماً لامعاً من نجوم النهضة الأوروبية فى القرن الخامس عشر ، ونستطيع أن ننحى التاريخ جانباً ونقول إنه أحد الأفذاذ القلائل والعبقريات الضخمة فى تاريخ البشرية كله ، لم يجد معاصره « فاسارس » وصفاً يصفه به إلا قوله إنه قدس وإنه فوق مستوى البشر ، وقال عنه نيتشه « إن فيه شيئاً صامتاً أعلى من مستوى الروح الأوروبية ، وهذه خاصية رجل تكشفت له الحياة عن محيط واسع جداً من الخير والشر » وقال هافلوك إليس : « عندما يلعب خيالنا بفكرة السوبرمان يرد لوناردو على خاطرنا كمثل من أمثلته المتقدمة »



موناليزا — متحف اللوفر

عبر لوناردو مراحل المعرفة البشرية وقد وسعها عقله الكبير المتقد شغفاً بالحياة وكلفا بأسرارها ، ووقف عند تخوم المجهول يحدق فى ظلامه وخوافيه ويرسل عليه من نور عقله وإلهام قلبه محاولا ارتياد بعض أراضيه البكر التى لم يحلق فوقها فكر أو يشرئب نحوها فؤاد ... وكان تلميذ الحياة ، الحياة كلها : خافيها وظاهرها ، نظر إلى المعرفة البشرية فى شتى فروعها وصورها نظرته الى بعض من كل ، لا يجوز الوقوف عنده والاكتفاء به ، فكان مصوراً وموسيقياً وعالماً ومهندساً وشاعراً وفيلسوفاً وفى كل حالة كان رائداً مستكشفاً . ودأب الفنان أو المفكر العبقرى أن يجعل من عقله وقلبه « حقلا للتجارب » . إن الكون العظيم أمامه فلم يعمد إلى معرفته عن طريق أفكار الناس وعواطفهم مهما عظم شأنهم ؛ إن به حاجة

للحياة فلم لا يعيش ويجرب ويتأمل ويدرك الحقائق عن طريق إحساساته ومشاعره وفكره ؟ وهكذا كان لوناردو ...

ولقد كان يؤمن كما آمن سبينوزا بعده أن الحقيقة والكمال شيء واحد . وقال مرة « إن العبقرية الإنسانية لن تستطيع أن تستنبط شيئاً أكثر بساطة وأكثر وفاء بالغرض من الطبيعة »

وأحرى بمن ينظر الى الحياة هذه النظرة ، أن ينظر إلى الإنسان نفسه نظرة عميقة فاحصة ، وجدير بمن يتأمل ذاته ويدرك ما تنطوى عليـه النفس من أسرار وما يحتويه القلب من آماد لا يرتادها إلا العباقرة الأفذاذ ، ألا يقنع عند ما يعمد إلى رسم صورة إنسان بتسجيل الملامح والسمات وما قد يرتسم على صفحة الوجه من انفعالات سطحية عابرة ... إن الإنسان يولد فى الكون الرحب الفسيح وفى فؤاده كون آخر قد يكون أرحب آمادا وأبعد أغواراً من الكون المنظور ، ولكنه يعيش فى الظلام صادفا عن الكون الذى حوله والكون الذى فى نفسه ، سادرا فى التفاهات معنيا بنوافل الأمور ، ولكن هو الذى يستطيع أن يسبر الأغوار لم لا ينتشل من الأعماق بعض المعانى والأسرار التى تحفل بها النفس وتبقى دائما كالنبع المطمور الذى تمر به الأجيال غير عابئة ولا ترسل له من ينقب عنه ويرفع الأستار . ولقد قال « إن فن التصوير نوع من الإبداع أتخذه وسيلة لتطبيق الأفكار والتأملات الفلسفية على خاصيات الأشكال طبيعية أو بشرية ، فرسم صورة لم يكن لديه إلا رحلة استكشاف فى مجاهل وخبايا الطبيعة الإنسانية ، وفى مثل صوره نطالع القوى والقيم الإنسانية التى قلما نحسها أو نحفل بها لأن حياتنا السطحية الرخيصة لا تستجيشها أو تهزها من رقادها .

ولقد وهب لوناردو حياته كلها لشيئين : الحق يلتمسه من كل طريق ويضنى نفسه باحثا عنه ، والجمال ينشده ويرجوه ويتبعه ، وهام أشد الهيام بشيئين هما حركة الحياة الجارية ، وبسمات الغيد . وكأنه رأى فيهما معانى تفكيره وتأملاته وأحلامه ، أو اعتبارهما فيهما رمزا للحياة وما تجيش به من معلوم ومجهول . والمياه الجارية ، كالأنهار والبحار ، حين ترفرف عليها روح الفنان وتناجيها تقول كثيراً وتفضى بأحاديث طويلة قد يفهمها القلب ولا يفهمها العقل ، ذلك لأنها لا تتكلم إلا بلغة الأبد ، إنها تلغز وترمز ولا تفصح أبداً .

... إنها ساكنة مرة وفى سكونها وداعة ، ساهمة مرة ، وفى سهومها وجوم وإطراق مثقل بالمعانى ، مترعة فى بشاشة وحبور أحياناً ، مرغية مزبدة فى ثورة وعنف أحياناً أخر — وهى سافرة فى الفجر ، يتكئ النور الوليد على صدرها مغمغما فى شوق وحنان ، متلألئة فى الضحى تتقبل قبلات الشمس فى حبور ، باكية فى المساء مع الشفق ، وقد تتدثر فى الليل قناعاً كثيفاً من الظلام ، وتتلو صلواتها فى رهبة ووجل مما يخبئه الظلام ، وقد ترتدى غلالة شفافة من ضوء القمر وتغنى جزلة طروبة — وفى كل حال لها حديث ، وفى كل مرة لها مناجاة ... وما أحلى حديثها الحافل بالأحاجى والأسرار !

وبسمات الغيد ... ؟

بسمات العذارى والفتيات فيها خلاصة الحياة كلها عند ما تصفو الحياة من الأكدار وتترفع عن التفاهة والدنايا والصغار ، لأنها رمز للمرأة فى حالة الإقبال والصفاء ، وإذا أقبلت المرأة أقبلت الحياة ، وسخت بكل غال نفيس !

فى الشفاه والوجنات بهجة الربيع ونضرته ، وتفتح وروده وأزاهيره ، وحرارته الحلوة التى تبعث الحياة من جديد وتشعل الحيوية الراكدة

وفى العيون تحتشد الأسرار العميقة المتلاطمة التى لا يسبر لها غور ...

وفيها السحر الذى يستبينا ، ونرى فيه لمحة مما وراء الوجود من خفايا وأسرار ، وفيها الحلاوة العذبة التى ترقينا ، وفيها القوة الآسرة التى تستبد بنا

ومن معانى الابتسامة الحنان ...

والحنان آصرة تآلف وامتزاج

وأسمى لحظات العمر عند الفنان — وعند الإنسان عامة — هى تلك التى يخرج فيها عن حدود ذاته ليمتزج بقوة أخرى ويصبح بعضاً منها ، ويمتلئ خاطره ووجدانه بالمعانى المستمدة من معانيها .

ومن معانى الابتسامة الفرح ، والفرح معدن الحياة الأصيل ، وهو الإحساس الذى يتوج أعمالنا وأفكارنا عندما يسيران وفق قانون الحياة ، وهى دليل السعادة ، والسعادة قبلة الحياة !

وفى الابتسامة شعاع من نور من لدن العلى القدير فاطر الحسن وبارئ آياته يشعر الإنسان أنه على مقربة من السماء مصدر الصفاء والضياء

إن ابتسامة المرأة — أحياناً — أكبر من المرأة ومن الحياة!

***

وكان لوناردو لا يرسم صور الأشخاص إلا فى الضوء الباهت الخافت عندما تكون السماء غائمة ، أو قبيل الغروب حين يمتلىء الجو بالإيحاءات المبهمة والنغمات الصامتة التى تغلف عواطفنا بسحابة رقيقة من الصوفية الغامضة المشوقة إلى المجهول وتكتسى الوجوه بذلك السر الذى يكسبها سحراً وحلاوة . وكان لا يتعجل ولا يعمد إلى الرسم فى كل حين ، بل كان ينتظر صابرا تلك اللحظات التى تتفتح فيها بصائرنا ونعيش فى عالم أكبر وأحفل بالإحساسات من العالم الذى نعيش فيه عادة ، كان ينتظر تلك اللحظات ، لحظات الـ bien etre وعندئذ لا يبخل بالمجهود ولا يضن بالمشقة حتى إذا كان بعيدا عن مكان عمله . وكثيرا ما كان يقطع المسافات الطويلة ليصل إلى ذلك المكان وليعمل دقائق قليلة فقط ! وفى هذه الدقائق كان الفنان يضيف إلى عمله جديدا يعتد به .

***

ترى لم اختار لوناردو « مونالنزا » ليجعل من صورتها رمزاً لذلك اللغز الخالد الذى نسميه المرأة ؟

هذا ما لا ندريه .

كانت « لنزا جيرالدين » إحدى بنات الطبقة الممتازة فى فلورنسا وقد تزوجها « فرنسسكو دل جيوكندو » عام ١٤٩٥ ، ولم تكن على درجة رائعة من الجمال أو على شىء من الامتياز فى بيئتها .

وعندما شرع لوناردو فى رسم صورتها كانت فى ربيعها الرابع والعشرين ولم ينته منها إلا عندما قاربت الثلاثين !

ولعله لم يعتن بعمل من أعماله الفنية مثلما اعتنى بهذه الصور .

وواظبت لنزا على الحضور إلى مرسم الفنان كل هذه السنوات لتجلس أمامه جلستها الخالدة ؛ وكان هو يجلب إلى مرسمه الموسيقيين والشعراء ليسمعوها أطرف ألوان الموسيقى وأبدع قصائد الشعراء حتى ينضح وجهها بذلك التعبير العبقرى الذى حفظته لنا هذه الصورة الفريدة .

والصورة تمثل لنزا جالسة أمام شرفة رخامية وقد تجردت من كل الحلى والزينة ، مرتدية ثوباً بسيطا وعلى رأسها غطاء خفيف شفاف . وقد وضعت يدها اليمنى — وهى أجمل يد رسمت فى تاريخ فن التصوير كله — فوق يدها اليسرى ومما يلاحظ خلو عينيها من الأهداب والجفون .

ونرى خلفها منظراً من مناظر الطبيعة فى جبال الألب قوامه الصخور والينابيع الجارية — وهذا المنظر فى حد ذاته لا يقل حيوية وحرارة عن الصورة نفسها وكأن لوناردو قد أراد أن يجمع كل شىء هامت به روحه فى صورة واحدة . وقد وفق ، فالصورة فيها تلك البسمة الخالدة . وما توحيه من معان، وفيها المياه الجارية وما تثيره فى النفس من إحساسات .

وكان لوناردو مشغولا بأعمال أخرى كثيرة إلى جانب صورة « لنزا » ولكن هذه الصورة وحدها كانت تستبد باهتمامه وكان يعود إليها كما يعود المتعب المجهد إلى ملاذه الذى يجد فيه الراحة بعد العناء ، والسعادة بعد الشقاء ، والعزاء بعد الخيبة واليأس .

ولم يفرغ منها إلا بعد خمس سنوات . وقد اعترف أنه لم يفرغ منها تماماً .

ومنذ ذلك الحين و « الجيوكانده » نبع وحى وإلهام لا يغيض، فكم تحدث عنها واستوحاها الشعراء والفنانون والكتاب ، وكم سجل عنها الأدب والشعر من روائع باقية ، وما زالت « لنزا » توحى المعانى والأخيلة إلى عشاقها وعشاق الفن والجمال ... ولعلها — إذا أبقى عليها الزمن — ستظل مصدراً من أخصب مصادر الوحى والخيال .

ذلك لأن صورة « لنزا » خلاصة عناصر كثيرة : كان لوناردو عند ما يجلسها أمامه يستنهض كل إحساساتها ويستجيش أنبل عواطفها ومشاعرها وأفكارها عن طريق ما كان يسمعها من موسيقى وشعر .

وأغلب الظن أنه لم يتقيد بالطبيعة تقيداً مطلقاً بل أضاف إلى ملامحها وتقاطيعها شيئاً من عنده ضنت به الطبيعة على « لنزا » . والآلهة تحنو دائما على كل عمل فنى كبير فتنفح الفنان بعضا من روحها وتهبه من سرها .

وصورة « لنزا » جمعت هذه العناصر على خير مثال .

إنها ليست صورة امرأة تعيش بعقلها وعواطفها وغرائزها فى دنيا الناس الحافلة بالصغائر — أنها امرأة ولكنها ليست كالنساء يستغرق العيش فى صورة المادية الخامدة الخاملة كل قوى الحياة فى نفسها . إنها صورة امرأة تحررت وخرجت من الوجود الضيق لتعيش فى الكون الكبير فاستيقظ كل ما فى نفسها من

عناصر وملكات ، وغدت نفسها مرآة للكون الكبير .

أترى لوناردو أراد أن يجعل منها رمزاً لخلاصة ما يعتمل فى نفسه من معان ، وبدلا من أن يكتب كتابا يضمنه فلسفته رأى أن يرسم صورة ولم يجد خيراً من ملامح « ليزا » وتقاطيعها لإبراز ما تجيش به نفسه الكبيرة من معان وأحاسيس ؟ قد يكون ...!

فقد كان لوناردو كما قلنا ملاحاً متقحما يجوب بحار الحياة التى لم ترها من قبله عين ، وكان يعيش دائماً فى المنطقة الدقيقة التى تفصل بين المعلوم والمجهول يفعم قلبه الشوق وحب الاستطلاع ويبهر عقله وعينه ما يتكشف له من عظمة وجلال وجمال .

ولقد أفلح لوناردو فى أن يحيط « ليزا » بمثل هذا الجو ويثير فى نفسها كل عوامله عن طريق ما كان يسمعها من شعر وموسيقى والنتيجة هى أن ارتسم على وجهها كل معانيه : فالتعبير الذى ينطق به وجهها فيه كثير من اليقظة والحيوية ولكن فيه أيضا شىء من الدهشة كأنها تحيا حياة غريبة لا تستطيع فهمها ولكنها حياة فاتنة فيها نوع من السحر الخفى . وفى عينيها شىء من الفتور كأنها متعبة ، ولكن فيها أيضا شىء من العزم والمضاء كأنها — رغم التعب — لم تمل ، وكم تحتوى هاتان العينان من أفكار غريبة وأحلام آبدة وإحساسات رقيقة غامضة .

وكم فيهما من سخرية وترفع ، وكم فيهما من الانطواء على النفس ورباطة الجأش كأن صاحبتهما تعيش « فوق المعركة » ...

ذلك بعض ما توحيه الجيوكانده ، وهو نفسه ما توحيه حياة لوناردو . ولكم سخر « تيوفيل جوتييه » من المرأة وشخصيتها وجمالها فى قصته « مدموازيل دى موبان » ولكنه وقف أمام الجيوكانده وقفة العابد المتأمل وقال : « من أى كوكب وفد ذلك الكائن الغريب ذو النظرة التى تعد باللذات المجهولة وذو التعبير القدسى السخرية ؟ إن لوناردو يضفى على أشخاصه طابع سمو يجعلنا نحس بالارتباك فى حضرتهم . إن الضوء الخافت فى عينيها العميقتين يخفى أسراراً محرمة على الغافلين ولفة شفتيها الساخرتين تلائم الآلهة الذين يعرفون كل شىء ويحتقرون فى رفق غلظة البشر .

« أى إصرار مقلق وأية سخرية مترفعة فى هاتين العينين الداكنتين وهاتين الشفتين المتموجتين كقوس الحب بعـــد إطلاق سهمه » .

« إن جبينها يشع ذلك الصفو الذى تحسه امرأة موقنة أنها أبدية الجمال ، وأنها أبعد شأوا من كل مثل الشعراء والفنانين »[1] .

وقال عنها الناقد الإنجليزى ولتر باتر ما معناه « إن فى وجهها خلاصة أفكار وتجارب الدنيا : فيه حيوانية اليونان ، وشهوانية الرومان ، وصوفية العصور الوسطى وما فيها من طموح روحى وعشق خيالى ، وفيه ردة الوثنية وخطايا آل بورجيا . إنها أوغل فى القدم من الصخور التى تجلس بينها . وكأنها قد ماتت وبعثت عدة مرات وعرفت أسرار القبر وغاصت فى البحار العميقة ، واحتفظت لنفسها بسرها ، وساحت مع تجار الشرق سعيا وراء المنسوجات الغريبة . ولقد كانت — مثل ليدا — أما لهيلين الطروادية ، ومثل القديسة آن أما لمريم . ولم يكن كل هذا لديها إلا نغمات القيثار والناى وما فعلته بقسماتها وأجفانها ويديها[2] »

تلك هى قصة الجيوكاندة . فيالها من درس أحفل بالمعانى من أضخم الكتب ! إنها تجعلنا نؤمن بعظمة الإنسان ومجده إذا خلص من الدنايا وشغل نفسه بالمعانى السامية التى تحفل بها الدنيا ... إنها تعلمنا إلى أى آماد تستطيع أن ترقى المرأة .... من منا يعيش مع « مونا ليزا » أياماً أو ساعات ولا يتبدل مثله الأعلى فى المرأة والجمال : إنها تسمو بأفكارنا وعواطفنا وتدخل على قلوبنا الفرح وتهز من قوى الحياة فى نفوسنا ما يجعلنا نستمرى طعم العيش ونمجد قوى الحياة . وما يلبث أن يهتف فى نفوسنا هاتف يقول : لم لا نلتمس فى الحياة نفسها ماعثرنا عليه فى الفن؟ وهكذا يوجه الفن أبصارنا إلى أعلى ويعلمنا الإحساس بالجمال والتماسه فلا نقنع بما تقنع به النفوس الخاملة المستغلقة .

ولقد آلت هذه الصورة إلى الملك فرنسوا الأول واحتفظ بها فى فنتنبلو . ثم نقلت إلى قاعة لويس الرابع عشر فى قصر فرساى ثم استقر بها المطاف فى متحف اللوفر . وهناك سرقت مرة ثم أعيدت .

وآخر أخبار «الجيوكاندة» أن الهر هتلر قد نقلها إلى قصره الريفى فى برختسجادن وأنه — برغم متاعب الحرب والسياسة — يجلس أمامها كل يوم ساعات متـــأملا مستوحيا ولعلها تلهمه بعض العزاء .

نصرى عطا الله سوس

---

(١) ترجمة بتصرف . (٢) ترجمة بتصرف

أشواق إلى الحرية ...

للشاعر عبد الرحمن الخميسي

هتفتُ : يا حُريتى ضُمِّينى !
هُمْ فى ظلام العيش قيَّدونى
لكنهم لن يُطفِئوا يقينى
فرفرفى سناكِ فى عيونى !

إنى وراء هذه القضبانِ
أرنو إلى رحابةِ الأكوانِ
أسألها عنكِ وعن هوانى !
والقيدُ يا حريتى يُدْمِينى

أنا لكِ العصفورُ يا سمائى
أعتصرُ الأشواقَ من دمائى
أغرودةً وقمعها شقائى
على ربابى الشاكلِ الحزينِ

قد طالَ يا حُرِّيةُ اشتياقى
إلى عبورى مسبح الآفاق
يملأنى الحبورُ فى انطلاقى
حتى إلى مجاهلِ المنونِ !

أضأتِ يا حريتى تفكيرى
فأيقظى بما أرى شعورى
هاتى جناحى ! أفسحى مطيرى !
لبيكِ يا عقيدتى ودينى !

هذا أنا أحطمُ الأغلالا
مُعتنقًا حريتى ، مختالا
مبتهجًا أقتحم الأهوالا
مغردًا للحقِّ واليقينِ

أنتِ التى أوسعتِ لى حياتى
أشعرتنى بأننى لِذاتى !
أقسمتُ ليس تنحنى قناتى
لغير خالقى الذى يُغنينى

أيتُها الحريةُ الحسناء
ترخص فى سبيلكِ الدماء
وتلتقى الحياةُ والفناء
عندكِ يا أنشودةَ السنينِ

يا قوةَ التحريكِ والتحريرِ
لو كنتِ قد نبضتِ فى الصخورِ
انتفضتْ كالحىِّ بالشعورِ
حتى ... لِوَقْعِ النورِ والدجونِ !

لولاكِ لم ينطلقِ الهواء
ولم يطُفْ حول الدنى ضياء
ولم يكُ الوجودُ والأحياء
سوى طلول عالم سجين

يا فرحةً موصولةَ الخلودِ !
بروحكِ المقدَّسِ السعيد ،
يهبُّ طيرُ مُلْهَمُ النشيد
إلى سماء طلقةِ الجبينِ

يا ثورةً تطاردُ الهوانا
وتهلكُ الطغاةَ والطغيانا
وتمنح استقلالَهُ الإنسانا
وتبسطُ العدلَ مدى القرونِ

أبانَ قامَ شرعُكِ الحبيبُ
تساوت الأفرادُ والشعوبُ
تخفق فى صدورها القلوبُ
بريئة من سُحُبِ الشجونِ

يا هبةَ الإلهِ للمخلوقِ
يسركِ المهيمنِ الطليق
تقطعُ بى هناءتى طريقى
إلى خفايا السحرِ والفتونِ

حريتى أمستْ أعزَّ مالى
بها أحسُّ فتنةَ الجمالِ
ولا أرَى بدونها كمالى
نشأها الرحمن فى تكوينى !



إلى الأستاذ الجليل صاحب « الرسالة »

كتبت الكلمة التي نشرت في العدد الأخير من الرسالة حين اطلعت على تلخيصكم كتاب الدكتور عمر فروخ . ثم اطلعت في هذا العدد على كتابه بنصه فعرفت أن الكاتب يدعي ، والله يشهد أنها دعوى غير صادقة ، أني سلخت من كتابه أربع قرائن : إشارة المعرى إلى نظم اللزوميات ، والإشارات التاريخية وأشهرها قصة صالح بن مرداس ، وإشارة المعرى إلى سنه ، وإشارته إلى شيخوخته دون ذكر السن .

فأما الأولى فهي في كلام المعرى نفسه في مقدمة كتابه ولا يحتاج قارىء اللزوميات أن ينقلها عن أحد . وأما قصة صالح فيعرفها كل من قرأ تاريخ المعرى . وقد ذكرها الدكتور طه حسين في كتابه ذكرى أبي العلاء قبل ثلاثين عاماً ، وفصّل القول فيها عبد العزيز الميمني في كتابه عن أبي العلاء ، وذكرت في كتب أخرى . وأما ذكر المعرى سنه وشيخوخته فكل من قرأ اللزوميات وفهمها يستطيع أن يتتبع الأبيات التي تحدث فيها المعرى عن عمره ؛ فإن كان الكاتب يجادل في أني قرأت اللزوميات فمن شاء الجدال جادل ، وإن كان يصدق أني قرأت اللزوميات فهل يصدق أني أمر بهذه الأشياء فلا أدركها وإنما أقرأ اللزوميات قاصداً تأريخها ؟ ليعلم الدكتور عمر أني كتبت عن أبي العلاء رسالة قبل خمس وعشرين سنة وأني أكاد أحفظ اللزوميات حفظا .

ثم قد فطنت في بحثي إلى ما هو أدق وأخفى من هذه القرائن التي يدعي الدكتور عمر أني سلختها من كتابه ؛ فطنت إلى ما خفي عليه ودق على فهمه ، فعرفت إشارة المعرى إلى وفاة الحاكم الخليفة الفاطمي ، وإشارته إلى وفاة الوزير المغربي ، وبينت مَن محمود ومسعود اللذان ذكرهما ومَن آلك المذكور في قوله :

« سيموت محمود ويفنى آلك » . وفطنت إلى ترتيب الأوزان في اللزوميات ، وهذه هي الدقائق التي تحتاج إلى علم بالتاريخ والأدب واستنباط .

فهل يدعي أني أخذتها عنه كذلك ؟ أو هل يظن أن الذي استخرج هذه الخفايا دون سلخ من كتابه يعجز عن إدراك القرائن الواضحة التي ذكرها ؟

وقد تكلم عن توارد الخواطر . وليس الأمر من باب توارد الخواطر ؛ بل هي معان ماثلة وعبارات واضحة في شعر المعرى يدركها كل أديب . وليس فيها خواطر أو هواجس .

وقد قلت إني لم أطلع على كتاب فروخ قط ، وقال هو إن كتابه أرسل إلى العالم العربي وإلى لندن ، وأن « العالم الحقيقي لا يهجم على عمل مثل هذا إلا بعد أن يتقصى المكاتب ويفتلي الكتب والمجلات » .

فأما إرسال كتابه إلى لندن أو إلى الصين فلا ينفي ما قلته صادقاً ، إني لم أطلع حتى هذه الساعة على كتابه . وأما أن العالم ينبغي أن يتقصى المكاتب فقد أردت أن أستخرج من لزوميات أبي العلاء تاريخها فلم يكن لي مصدر سواها . وإن كان جهلي كتاب عمر فروخ عيباً فأنا لا أخفي عيبي وأقول خجلا : إني والله أجهل عمر فروخ أيضاً . وأقر بهذا الذنب ، فليغفرلي ولا غضاضة عليه في هذا فقد جهلني هو فلم يعرف أخلاقي وسيرتي .

وبعد فقد كان حسب الدكتور عمر أن يقول رجل مثلي إنه لم يطلع على كتابه . كان هذا حسبه لو كانت أخلاقنا تستعظم أن يكذب باحث دينه طلب الحق مخلصاً . لو كان لنا نصيب من أخلاق العلماء لكان قولي فيصلا في القضية .

وأختم كلامي في هذا الموضوع بأن أقول : إني أرى من هواني على نفسي وضياع وقتي ، أن أشغل نفسي بجدل ابتدأه صاحبه بهذا العدوان وهذا الافتراء وهذا التسرع . فلن أكتب من بعد في هذا الموضوع حرفاً . فمن شاء أن يجادل بالباطل ليعرّف بنفسه فلا حيلة لي فيه .

عبد الوهاب عزام

المعرى وعين سلوان :

أبو العلاء المعرى (نابغة الأدب العربي) أعجوبة من أعاجيب الزمان ، فقد كان وهو منقمع قابع في حجرته يطل على الدنيا فيعلم مجهولا ، ويرى خفياً .

هذه عين سلوان ، قلّ من يعرف من أهل القدس خاصتهم

وعامتهم – وسلوان قرية تجاورهم – أن ماء تلك العين يقارب في ملوحته ماء زمزم .

إن أبا العلاء قد عرف ذلك ، وذكر الماء وعينها في شعره فقال في لزومية :

وبعين سلوان التي في قدسها طعم يوهم أنه من زمزم

وقال في لزومية أخرى :

سيحان للروم عذب ، ليس مورده
ملحا كزمزم أو عين بسلوان

هذا المعري الضرير ، في قلبه ألف عين .

(الوحدة) « السهمي »

رسالة إلى (الرسالة) :

عاد من رحلته إلى فلسطين صديقنا الكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد ؛ وقد كان في هذه الرحلة القصيرة موضع التعظيم والتكريم والأستاذية : يُدعى فيجيب ، ويُستفاد فيفيد ، ويُستفهَم فيُفهم ؛ وفي العدد القادم سننشر أولى مقالاته بعد عودته وعنوانها : « رسالة إلى (الرسالة) » .

عتاب

قرأت بحثاً قيما للأستاذ فؤاد عوض واصف في العددين ٦٣٣ و ٦٣٤ من مجلة الرسالة تحت عنوان « التاريخ ما هو » استعرض فيه علم التاريخ وما دار حوله من نظريات منذ العصور الأولى حتى العصر الحاضر وحاولت عبثاً أن أجد ولو كلمة عابرة عن جهود العرب وخدماتهم في كتابة التاريخ وتطوره فلم أظفر بطائل ، ولعلَّ ذلك راجع إلى أن الأستاذ اعتمد في كتابة بحثه على مؤلفات أجنبية تغفل في أكثر الأحيان فضل العرب والمسلمين . وإذا أجمع علماء الغرب مع الأسف على أمر خطأً لا يعني ذلك أنه صار صواباً ، وإذا كانت أوربا العصور الوسطى مظلمة تمزقها منازعات الملوك والأمراء ، وتفتك بها حروب دينية شعواء لا يعني ذلك أن أوربا هي العالم وأن تاريخها تاريخ العالم ، لأن العالم الإسلامي في ذلك الوقت كان يغمره النور ويسوده الأمن والسلام ، وإذا تعامى الغرب عن هذا النور فما أجدرنا أن ننبه أنفسنا وأولادنا والدنيا إليه .

جاء في المقال الأول « وحتى القرن الثالث عشر الميلادي كان التاريخ في معظمه وقائع وأخباراً دينية » وهو قول ينطبق على مؤرخي أوربا المسيحية ولا ينطبق على مؤرخي العرب أمثال ابن جرير والمسعودي وابن الأثير وغيرهم كثير لأن مؤلفاتهم ليست في معظمها أخباراً دينية ، إنما كانت تسرد أخبار الدول وأسباب قيامها وسقوطها ووصف البلاد مع صحة الأخبار ودقة الوصف ولا سيما ما اختص بالدول التي نشأت بعد الإسلام . كما أنه لم يشر إلى ابن خلدون شيخ مؤرخي العرب الذي قال عنه بحق الأستاذ « فلنت » الإنجليزي إنه « واضع علم التاريخ » مع أنه ذكر مكيافلي « واضع علم الغدر السياسي » الذي ذاق منه العالم ولا يزال الشيء الكثير . أشكر الأستاذ على بحثه القيم الشامل وآمل ألا ينسى أجداده العرب حينما يمرون به في أبحاثه المقبلة لأنهم أهله وعشيرته وموضع فخره وعزته .

(غزة – فلسطين) حلمي أمان

تحية الشعر :

[مهداة إلى الطبيب الأديب الدكتور مصطفى الديواني مؤلف « صديق العائلة »]

سألتك يا مصطفى فلتجبني كتابك من أي سحر وفنّ ؟
كتابك علمٌ وشدوٌ معاً فهل كنت تكتبه أم تُغنّي ؟
كتابك في الضاد حلم الزمان تحقق للناس بعد التمني
بلغت به منزلاً في الخلود يزيد على كلّ وهم وظن
وأقسم من يهتدي بهداه فقد لاذ من كل سقم بحصن
ومن عجب أن يصوغ الطبيبُ كتاباً أراه عن الطبّ يُغني !

(المنصورة) علي متولي صلاح

وطرابلس الغرب أيضاً :

قرأت ما سجلته مجلتكم الغراء في عددها ٦٣٥ للأستاذ حسن أحمد الخطيب بعنوان « مراكش العربية تستصرخ » فله خالص الشكر على هذه الروح العربية التي نتمنى أن نلمسها في كل كاتب .

وأحب أن أقول : إن بلادنا طرابلس الغرب التي تتاخم مصر من الغرب لها نفس هذه الاستغاثة وهي تطلب من جميع رجالات العروبة ومن جميع من يهمهم شأن البلاد العربية المقسمة بين الدول العظمى أن يلتفتوا إلى هذا الجزء من البلاد العربية التي تعتبر

وحدة لا تنفصم ، وأن يعيروه بالغ اهتمامهم وأن رقبوا بعين ساهرة متيقظة ما يجرى فى هـذه الأيام حول بلدنا المسكين من مساومة وجذب إلى اليمين وإلى اليسار ، وأن يعلموا أنه قطر مستقل استقلالا تاماً بمقتضى المعاهدة التركية الإيطالية سنة ١٩١٢ ، غير أن إيطاليا أضاعت ذلك الاستقلال وأبعدت ذلك القطر من المحيط العربى ، ويطلبوا — والحق يؤيدهم — إرجاع ذلك القطر العربى إلى ما كان عليه من الاستقلال .

وإن جميع الطرابلسيين لينظرون بتلهف إلى مجهود هؤلاء الرجال الذين نستطيع بمساعدتهم وحسن مسعاهم أن نشق طريقنا ظافرين منتصرين وهذا هو وقت العمل فإلى الأمام جميعاً .

(رواق المغاربة — الأزهر) **على محمد المسلاتى**

أول وزير

كتب الأستاذ محمود عزت عرفة فى عدد (الرسالة ٦٣٥) كلة تحت عنوان « قرد وحمار » ، ونقل فيها حكاية تروى عن ابن عباس من كتاب « نشوار المحاضرة » للقاضى التنوخى ، وفيها كلام عن الوزارة والوزير (وما كان يتهدد الوزراء يوم ذاك من خلع وقتل وحبس واستصفاء)

وقد تكون هـذه القصة صحيحة ، ولـكن روايتها عن ابن عباس بعيدة كل البعد ، ذلك أن ابن عباس رضى الله عنه توفى فى النصف الثانى من القرن الأول ، وأذكر الآن أنه توفى فى حدود الثمانين ، وقد حضر مقتل عبدالله بن الزبير فى سنة ٧٣ من الهجرة وكان قد كف بصره فى ذلك الحين ، وأن أول من لقب بالوزارة أبو سلمة الخلال وزير عبد الله السفاح فى سنة ١٣٢ من الهجرة ، على أن ما كان ينال الوزراء من حبس وقتل واستصفاء لم يشع إلا فى القرن الثالث والرابع ، وإن كانت قد وقعت حوادث قبل ذلك لم تبلغ حد تبغيض الوزارة إلى الناس ، كما حدث مع أبى سلمة هذا ، ومع أبى مسلم الخراسانى ومع البرامكة

ومثل هذه الحكايات والأضاحيك التى تروج بين العامة إنما تتناول أمراً مشهوراً واضحاً بارزاً

فلعل الأستاذ أخطأ فنسب الرواية إلى ابن عباس ، أو لعله غفل عن خطأ صاحب « نشوار المحاضرة »

(بناقادن) **على جلال الدين شاهين**

من هو ابن الحنفية ؟

قرأت كتاب « على ضفاف دجلة والفرات » للأستاذ طاهر الطناحى ، غير أنه لفت نظرى قول الأستاذ فى صفحتى ١٥ و١٠١ أن محمد بن على بن الحسين هو المعروف بابن الحنفية ، ولم أفهم حتى الآن أن محمد بن على بن الحسين عرف بهذا اللقب ، غير أننى أعرف أن ابن الحنفية هو « محمد بن على بن أبى طالب »

(الكويت) **فاضل خلف**

الشيخ ثابت فرج الجرجاوى

فى ضحوة يوم الأحد الثانى من سبتمبر الجارى ، توفى المغفور له الشيخ « ثابت فرج الجرجاوى » وقد جاء فى نعيه الموجز أنه ... عالم جليل وخطيب مفوه ووطنى صادق ... ولـكن قليلا من القراء من حملت إليهم هذه النعوت معنى خاصاً عن حياة الفقيد ، أو سجلت فى خواطرهم صورة واضحة من حاضره وماضيه .

عكف الفقيد منذ فجر حياته على الدراسة بالأزهر الشريف ، حتى أحرز فيه العالمية الأهلية ؛ ولـكن حماسته الفطرية ، وتحفزه ونشاطه اللذين لازماه إلى آخر أيام حياته ، ثم موهبته الخطابية الممتازة ، ونعرته الوطنية الصادقة ، الجارفة ... كل هذه الخلال دفعت به إلى الانغمار فى تيار السياسة ، انغماراً نبـّه من ذكره ورفع من شأنه ، وكشف للناس عن ينبوع ثر من عبقريته ومواهبه .

وقد اعتقل الفقيد بين من اعتقلوا فى حوادث عام ١٩١٩ ، ثم نفى إلى مالطة فى ركاب الزعيم الخالد سعد زغلول ، وكان هذا الحادث أنصع نقطة فى صفحة حياته ، كما كان يقول — غير مرة — عن صدق ويقين ، ولما استقرت الأمور فى نصابها وعاد إلى وطنه ، كان أحد أولئك الذين لم يلتمسوا من وراء جهادهم الثروة أو الجاه ، وإنما اندمج فى سلك التعليم يؤدى رسالته ساكناً متواضعاً ، حتى انتهى به المطاف بعد سنين إلى نظارة مدرسة أولية فى بلدته جرجا

وهنا تبدأ صفحة أخرى من حياته كان فيها رجلا « اجتماعياً » من الطراز الأول ؛ فما تأسس ببلده مشروع ، ولا دُعى إلى

مصلحة عامة ، إلا كان أول ملبٍّ وأسبق مؤيد ومؤازر . خطب فى مئات الحفلات ، ورثى وكرّم ، وودع ووعظ ، وصنع على يده وعينه جيلاً من الشباب كلهم يسلك نهجه ويأتم بهداه .

وكان شعر الشيخ ثابت متوسطاً فى الجودة[1] ، ولكنه كان يضفى عليه الجمال كله بحسن إلقائه وتدفق بيانه . وكان إذا اعتلى المنبر شاعراً أو ناثراً ، يهدر هدير الفنيق ، ويزأر زئير الأسد ، فترجف حوله القلوب ، وتُشد إليه المسامع والأبصار . كان رجلا فحلا فى قوله وعمله وأخلاقه ... بل وفى منظره ، فهو ابن الثورة وربيبها ومذكى ضرامها حقاً . وكان — على هذا — رقيق العاطفة حلو الدعابة بارع النكتة ، سمحاً نقى السريرة لا يكنّ لمخلوق عداوة ؛ ولقد شهدته غير مرة ينشج بالبكاء فى مواقف الرثاء ، بل وفى بعض مواقف التوديع !

(١) له ديوان قديم يضم قصائده فى الوطنية والسياسة ، ومجموعة أخرى حديثة تشمل ضروباً من شعره أكثرها فى المراثى والاجتماعيات والاخوانيات .

ومن شعره الذى يدور على الألسنة منذ عهد الثورة قصيدته التى يقول فى مطلعها :

وطنى عزيز لا أروم سواه مهما تسوّرت العدى مناه

ولا تتسع هذه المجالة لإيراد شىء من كلامه ، وإنما نختمها بالإشارة إلى مبلغ نشاطه حتى فى آخر لحظات حياته ؛ فقد كان رحمه الله — على إصابته بالفالج الجزئى منذ سنوات — يشغل منصب النظارة فى مدرسة أولية كما ذكرنا ، وكان وكيلا ومدرساً بالمعهد الدينى المنشأ حديثاً فى جرجا ، ومدرساً بجمعية المحافظة على القرآن الكريم ، ورئيساً لرابطة التعليم الأولى والإلزامى ، ورئيساً لجمعيتى نهضة القرى ومنع المسكرات بجرجا . والغريب أن جميع هذه المنشآت يكاد يرجع إليه وحده فضل إنشائها !

تلك نبذة موجزة عن حياة الشيخ ثابت فرج نؤدى بها حق الوطن والتاريخ . والله يرحمه ويحسن جزاءه ...

(جرجا) محمود عزت عرفة



من الفن القصصي الحديث

حينما كان طبيباً ! . . .

للكاتب الفرنسي هنري افراد

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسي

قالت مدام « دى برسى » وهى تحاور زوجها : « إذا كنت تبغى أن تلم بهذا الشأن ، فألزم أذنك الإصغاء ... فسرده يعوزه الهدوء ريثما آتى عليه ... »

فنبس زوجها فى لهجة فيها شىء من الجفاء : « كشيشتك ... إنى إذن صاغ إلى حديثك ! »

فعاد صوتها يرن ، وقد شابه الارتجاف كأنما ينم عن نفس مضطربة ، قالت : « حسن! ... إن الحياة معك لايمكن أن تدوم ، وسأتجلد حتى الصباح ... إنك رجل شريف ، لا شك فى ذلك ، ولا يمكننى أن ألصق بك عيباً ، فأنت لم تعمل يوماً على المخاتلة والخداع ... أما أنا فلا أقل عنك إخلاصاً ووفاء مذ ذلك اليوم الذى وقفنا فيه أمام القس يعقد لنا ... ولكنا أحسسنا بعد ذلك أن مشاربنا متباينة ، وإنى لأعلم أن ثمت أناس لا يقلون عنا تبايناً واختلافاً ... بيد أن حالتنا لا تطاق ، فكل إيماءة منى تكدر صفاءك ، وإنى لموقنة أن هذا الشعور متبادل بيننا : عندما أتحدث يزعجك ذلك ، وإذا ما ضحكت أنت تثير حنقى ، وكذلك صمتنا يموج بالحقد والبغض ...

هذا أمر لا يحق إغفاله ، فأنت تود ما لا أستطيعه ، وإنى لا أجد فيك بغيتى ومرامى ، لأنك بهلق ، لا تثبت لحديثى ولا تستملح إشارتى ، بل تعتقد أننى أنغص عليك عيشك فى كل عمل آتيه ، حتى وقع أقدامى وارتداء ثيابى ! أليس هذا هو عين الحق؟ إنى لألمح فيك — وأنا أتحدث الآن — نزعة إلى أن تهيم بإلقائى من النافذة »

فقال زوجها فى غمغمة : « حسن-! ما ذا أيضاً ؟ ! »

— لقد انتهى بى الفكر إلى أنه يجب علينا أن يعيش كل منا على حدة ... ليس هذا بخطئى ولا بخطئك ... إنه خطؤنا معاً ... وعلى كل حال فهذه هى الحقيقة العارية عن كل لبس وريب ، فكلانا لم يخلق لصاحبه ، وربما كانت السعادة إذا ما انفصلنا ... ليس هناك ما يمنع من انفصالنا كأصدقاء ... فما رزقنا الله طفلا نتنازع عليه ، وكل منا له دخل يغنيه عن صاحبه

— لن أنحى باللائمة عليك ، فهذا هو السبيل الذى سلكه كل فرد من أهلك « آل برسى » من الأب إلى الإبن ، وكان والداك — كما أنبأتنى — على غير وفاق ، لم يفلحا فى العيش معاً أكثر من أسبوعين ، وهذه هى العلة فى أنك الإبن الوحيد لهما ... وأخيراً يجب علينا أن نقلب أوجه الرأى فى الطريق اللائق إلى الانفصال!

وكان « مسيو دى برسى » يتلقى ذلك السيل الجارف بهدوء وسكينة ، ويهز كتفيه من حين إلى حين ، أو يقلب شفتيه فى زفرات تنم عن نفس مضطربة أو قلب مكلوم ... راح يقطع الغرفة فى خطوات واسعة ، ويداه معقودتان خلفه ، كما كان يفعل « نابليون بونابرت » عند ما تسير الأمور بما لا يشتهى ... وإذا ما كفت زوجته عن الحديث واجهها ، وأخذ يصمّد فيها طرفه فى اضطراب من جرحت كبرياؤه ومست كرامته قائلا : أأفرغت جعبتك؟ »

— بلى ، لقد أتيت على كل ما كان يجيش فى نفسى

— إذاً ، كما تودين يا عزيزتى ... أنت ترغبين فى الانفصال . وسأجيبك إلى طلبتك ، وسيعيش كل منا فى عزلة عن الآخر

— أنت حرى بأن تفعل ما تراه !

— شكراً ... ولكنى أمنعك من الاتصال بغيرى

— إن هذا لا يدور بخلدى ... إذا ما انفصلنا فسأعيش لنفسى ، ولن أجد فى طلبة غيرك ... لقد كنت مخلصة لك فى زواجى ، وسأظل على إخلاصى فى عزلتى ... أليس هذا ما ترمى إليه ؟ !

— لا ، ليس هذا كل ما أود ، فينبغى أن يعرف كلانا مصير صاحبه !

— مصير صاحبه ! إننا نعلمه جيداً ، راحة وهدوء ، ثم طعن في العمر ، وأخيراً إلى المقبرة حيث المثوى الأخير !

— ليس هذا ! دعيني أتحدث ! كل منا حر في اختيار مصيره ، ولكن هناك أمر يجب ألا نغفله ، فيحسن بنا أن نجعل هذا الانفصال بيننا فقط ، ونخيل إلى أنك تحبذين ذلك !

— حسن . ولكن هذا السر لا يلبث أن يذاع في النهاية !

— ليس طفرة واحدة ، فيخف وقعه ووطأته ، ولهذا يجمل بي أن أقول : إنه ينبغي أن نذر الرماد في أعين الأصدقاء ، لكي لا ندع لهم مجالا للظنة والريب ؟ فقالت الزوجة وقد اعتمدت رأسها بين يديها : « وكيف السبيل إلى ذلك ؟ ! »

— ما دمت قد صممت على الرحيل في الغد ، فلا يحسن بك أن تذهبي إلى أصحابك وأترابك في الريف أو في الخارج . إرحلي إلى بريطانيا ... هه ... ارحلي إلى « مينو » فامكثي هناك فترة لا تجد الضجر فيها إلى نفسك سبيلا ... إلبثي شهرين إذا أمكنك ذلك ... و « مدام بنارد » — مديرة قصرنا الريفي الذي نشأت فيه أن خلقني والداي — ستقوم على خدمتك والعناية بأمرك ما وسعها ذلك ... أرجو أن تخبريها بحضوري على الدوام

— وهذا لا تفكر في أن تأتيه ؟ ...

— بلى . ولكن يجب أن تخبريها ، وهذا المكان يشيع فيه الجمال والإبداع في التنسيق على مبعدة فرسخين من « جوراند » وعاصمة « باتز » ... وأعتقد أن قدميك لم تطآ هذه البقاع ... إنها مدرج طفولتي ومهد صباي ... إنها تفوق بريطانيا حسناً وروعة ... فلا تجعلي هذه الفرصة تمضي دون انتهازها !

— لقد حدثتني في لباقة وهدوء ، وإني لا أود أن أغادر بيتك هذا على سوء ... أبرق إلى « مدام بنارد » ، فسأرحل إلى « مينو » وسأمكث شهرين !

— شكراً ... سعدت مساء !

— لا . بل قل وداعاً ... إنه فراق بيني وبينك !

ولم يرتعد صوتهما في هذا الوداع الأخير ... ولكن قلبيهما ... قلبيهما المعذبين ... كانا يخفقان ويرددان : « أهذا حق ؟ ! هل قطعت كل رابطة بيننا ؟ أيفارق كل منا صاحبه ؟ سنرى أيتها الفتاة ... سنرى أيها الفتى !

* * *

أقبل شهر مايو ، وهبت نسمات الربيع على الكون رخاء سجسجاً ... واتخذت « مدام دي برمي » أهبتها للرحيل إلى « مينو » في غدوة يوم أضحيان ... والشمس تدلف في خمول ، ولم تبلغ حرارتها أوجها بعد ... بدا الساحل في فتنة وروعة لا تدانيها روعة ... كأنه يبتسم لشعاع الشرق والصبح الوليد ... والأمواج تداعب بنانه في رقة وهي تتسابق إليه كالطفل يهرع متعثراً إلى ذراعي أمه ... وتناثرت الخضرة في كل مكان ... والرمال تبرق صفحتها كالدر المنثور ... أنه لجو صحو يحلو لمن يبغي الهدوء والجمال ...

قضت « مدام دي برمي » أيامها الأول في تعرف محيطها الجديد . كانت سكناها في حجرة ذات جدر مكسوة بستائر صفراء مزركشة ... وتطل هذه الحجرة على مناظر رائعة ... فإلى اليمين السهل الفسيح وقد تناثرت فيه الصخور والنواتيء ... والشجيرات ذات العطر والبهاء ... وإلى اليسار يبصر المرء دغلاً من الأشجار « الصنوبرية » السامقة تصفر بين جذوعها الريح فكأنها عزيف الجن بالأرض العراء ...

أرسلت « مدام دي برمي » طرفاً شارداً إلى أمتعتها المبعثرة وإلى تلك الحجرة المنسقة ... فراحت تفكر جاهدة في تدبير غرفتها على نسق يلذ لها أن تراه ...

إن الطبيعة لتُقدِّم إلى أولئك اللائي يجتزن — مثل « مدام دي برمي » الأزمات الزوجية أجل المنافع ... فالهدوء والسكينة والطمأنينة تعيد إلى نفوسهن شيئاً من المحبة والشوق إلى أزواجهن بعد انفصالهن ، وتُسكن في قلوبهن ذلك الخاطر الحزين الذي طالما يطوف بهن ...

جلست « مدام دي برمي » تطوف الخواطر بخيالها ... وتعود الذكريات إلى نفسها ... فراحت تذكر أيام الطفولة البريئة الطاهرة ولعبها العديدة ، ثم عندما بدأت عيناها تنظر إلى الحياة ... وأول ثوب طويل لها ... وأول رقصة رقصتها ... ثم عندما كانت عذراء قبل زواجها ؛ وأخيراً تلك الحياة الزوجية ... كانت حياتها تنساب في غير تعثر ، فما كانت تحفل بالقصص والفجاءات ، ولا الحزن والمرح ... وإنما كانت تسير سيراً عادياً تحدده عناية الله .

ومذ تسع سنوات كانت تأوي إلى مضجعها والأمل يداعب نفسها للغد القريب ... وغابت التسع سنوات سراعاً ، وها هي ذي تعاني المرارة والألم ... كانت تبغض زوجها وكذلك هو . وكثيراً ما كانت تُبْدي هذا البغض في أعمالها ... أما هو فكان يبدي استياءه

عنـد سيرها ... أو ينفر من حديثها ... بل يتبرم به ... كانت أخلاقهما متباينة متنافرة ...

ما كان زوجها بالرجل المرح الذي تصبو إليه النساء ... بل كان جامداً عزوفاً عن المجتمع ... ولكن فيه فطنة وحدة ذكاء مع سمو في الخلق وجلال في الخلال ... ذو قلب مخلص حنون هادئ ... بيد أنها تأبى أن تعاشره لاعتزاله المجتمع ونفوره منه ، بينما كان في ريعان الحياة ... وكانت تحس أن السعادة ستواتيها رويداً في عزلتها هذه ...

رضيت « مدام دي برسي » بصحبة « مدام بنارد » المدبرة الكهلة التي أقامت في القصر منذ بنائه ... وكانت موضع تبجيل الجميع ... فلم تكن بالخادمة ... لقد ربّت « مسيو دي برسي » وعنيت بنشأته ... وما لبثت أن توثقت عروة المودة بين « مدام دي برسي » وبينها ... لأن هذه العجوز كانت مع شعرها الأبيض وثوبها البسيط الأسود ذات روح طيبة مرحة ونفس مجربة مدبرة ...

***

نهضت « مدام دي برسي » مع السيدة العجوز للتجوّل في أنحاء القصر فقادتها إلى غرفة بالطابق الثالث ... وقالت وهي تدفع بابها : « إني أرجو أن أطلعك على كل ما كان يمت إلى زوجك العزيز « مسيو دي برسي » في صباه ؛ فهذه هي غرفة لعبه ونومه » وجذبت باباً لصوان عتيق مكتظ باللعب المختلفة وقالت : « هذه كانت لعبه عند ما كان لا يزال دارجاً صغيراً » .

ثم راحت تستعيد أغوار الماضي السحيق وتقول في صوت خفيض : « انظري ، ياسيدتي ... لقد كانت له عروس صغيرة يعبث بها ويقبلها ويقول: سيأتي اليوم الذي أتزوجك فيه ياعروستي. لقد كان على خطأ بلا شك ، فعنده اليوم زوجة ما كان يخطر له أن يقترن بها » فلم تنبس « مدام دي برسي » ببنت شفة !.. وعادت « مدام بنارد » تقول « إن هذا يثير كوامن نفسك بلا شك ! »

— « نعم ... يا مدام بنارد ! » فتمادت السيدة العجوز في عرض كل ما كان يخص « مسيو دي برسي » في غرفة نومه ... وكانت كثيراً ما يتشعب بها الفكر فتذكر اسمه القديم «لويس» فتعجبت « مدام دي برسي » من جهلها بهذا الإسم مع زواجها بصاحبه .. ثم شاهدت غرفة دراسته وكتبه وكراساته ، وتناولت « مدام دي برسي » إحداها من المرأة العجوز التي كانت تقول في شوق وشغف « انظري ! .. كم كان خطه جميلا عندما كان صبياً ... »

وقرأت « مدام دي برسي » في إحدى الصفحات عبارة بخط كبير « أين هو الحب ؟ ! » ثم قالت « أود أن أخرج لأنسم الهواء ، فإني أشعر بدوار ... » .

مضتا في صمت إلى الحديقة ... وكان نسيم البحر يلطف من جوها ويصفر في أنحاء الغابة الصنوبرية . وراحت السحب تمضي على مهل في صفحة السماء ...

بلغت المرأتان شفير بحيرة تسبح في مائها الأزرق الساجي بجعتان ناصعتا البياض تسميان : « جوبتر » و « جنو » ...

فغمغمت مدام بنارد قائلة : « هذه هي البحيرة التي كان يقطعها سابحاً بزورقه ... عندما كان صبياً ... وقد كادت أن تطويه يوماً في مائها ... إني لأذكر هذا اليوم طيلة حياتي » ...

وأدركتا نهاية المزرعة حيث كان ثمت مقعد قديم دارس نمت عليه الحشائش وكسته الأزهار ... قالت مدام بنارد : « هذا مقعده حيث كان يجلس للقراءة ... » .

وفي جولتهما مرتا بفسيح من الأرض الخضراء ، فارتفع صوت « مدام بنارد » قائلة : هذه هي الحديقة التي كان يفضلها ويقوم فيها برياضته ... » .

وعندما مرتا باصطبل للخيل ... علقت فيه السروج والأوتار والسموط قالت مدام بنارد : « كان يقطن هنا بونيفاك ! » .

— « ومن بونيفاك هذا ! ؟ . »

— « فرسه الصغير ... »

وتنقلا من مكان إلى آخر حتى أتمتا سياحتهما وشاهدتا صحن الدار والحدائق والأدغال والريف المحيط بالقصر والطريق وفروعه وكل ما كان يخصُ « لويس » من أماكن كان يرتع فيها لاعباً أو لاهياً ، ويجلس فيها قارئاً أو كاتباً ...

كانت آثاره في كل مكان ... فما تقدمت مدام دي برسي خطوة حتى بصرت بأثر جديد ينم عن زوجها إبان صباه ... وقد لوّحته الشمس ودرّسه صرف الدهر ...

فلما انقضت الجولة وآوتهما الدار من جديد ... قصدا البهو حيث جلستا في فرجة شرفة تطل على البحر بأمواجه الراقصة ...

وراحت مدام بنارد تسرد قصة « مسيو دي برسي » في

طفولته وصباه فى لهجة صادقة مخلصة : « لعلك تدرين أن والديه كانا على قسط وافر من الغرابة ... ولكنى أدرى منك بذلك ... فلما اتفقا على شىء ... ولم يكن أحدهما غريباً عن الآخر ، ولكن أخلاقهما كانت غريبة حتى أنهما عاشا منفردين طيلة زواجهما الذى لم يجتمعا فيه إلا أياماً معدودة ... فإذا حضر الوالد إلى هنا ، كان على المرأة أن تغادر القصر على الفور ... كان كل منهما مشغوفاً بسيدى « مسيو لويس » فهو ابنهما الوحيد ... ففضلا أن يدعاه هنا فى كنف ... فقمت أرعاه وأحدب عليه ما وسعنى ... فكان لى كل شىء فى هذه الدنيا ... وقضى والداه نحبهما وما زال فى المهد صبياً ... تحزن عليهما هذا التعس الشقى وكأنه يعرفهما حق المعرفة ، ولو أنى قضيت لما بكى علىّ بكاءه عليهما مع أنى ربيته ورعيته

إنى أحيطك علماً بذلك يا سيدتى لكى تكونى على بينة من الأمر إذا لم يكن قد أفضى إليك به ... وينبغى عليك أن تشفقى عليه فهو شقى تعس ، وأحياناً تضطرب أعصابه فيثور ويهيج ويخرج عن طوره وهدوئه ؛ وما هذا بذنبه ... ولكن يرجع إلى والديه ، وإسراع المنية إليهما وهو لا يزال المهد ... فلو أنه عاش فى طفولة غير هذه الطفولة ... لكان رجلا آخر ... » .

طفقت هذه الذكريات تنساب من ثغر مدام بنارد فى إسهاب وإطناب ... حتى أقبل المساء إلى السكون ، وأخذ الشفق ينشر فى الأفق رداءه الأرجوانى الرائع ... وحينئذ سألت « مدام دى برسى » عن مصباح يمزق تلك العتمة التى بدأت تثقل وتقتم ... أما « مدام بنارد » فلم تمح تلك الدمعات التى تألقت على وجنتى مدام دى برسى لخففتهما فى سكون ...

وأخيراً وجهت « مدام دى برسى » الحديث إلى المرأة العجوز وهى تنهض قائلة « يسرنى ويبهجنى ما تحدثت به عن زوجى العزيز يا مدام بنارد ... » وضغطت على يدها فى تأثر ... فعجبت مدام بنارد لهذا التأثر ، ولم يكن هذا آخر عجبها إذ أن « مدام دى برسى » بعثت معها ببرقية لترسلها من مكتب « جوراند » إلى باريس ...

ولم تكن تدرى ما احتوته هذه البرقية ... ولكن علمت أنها وصلت باريس هذا المساء وحضر « مسيو دى برسى » فى اليوم التالى

(طنطا) **مصطفى جميل مرسى**

العدد ٦٣٩ — الاثنين أول أكتوبر ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٢٥ . ٢٧

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ولدك الذى لم يولد

أتستطيع أن تعرف جنس الولد قبل أن يولد؟ ما أمل الطفل فى الوسامة والجمال، إن كان الوالدان غير جميلين. منذ أجيال. وجميع الوالدين يسألون مثل هذه الأسئلة — ويظفرون بالأجوبة الخاطئة. أما الآن فقد كشف العلم الستار عن الحقيقة؛ مقال فاتن فيه الأجوبة الصحيحة عن الأسئلة التى تسأل دائماً عنها عن «الولد الذى لم يولد» (صفحة ٥٣)

وفى هـذا العدد أيضا

القنبلة الذرية

انفجارات زلزلت الأرض. طاقة انفجار اليورانيوم تفوق حدود التصور، وتقتضى إعادة النظر فى أساليب الحرب، ووسائل الدفاع، وسياسات الأمم، وتحتم على الإنسانية أن تسعى لتظفر فى السباق بين الحضارة والكارثة، وهى حقيقة رائعة، وليس ثم ساعة واحدة يجوز إضاعتها، ولا يوم واحد يبدد.

اقرأ:

القنبلة الذرية. طبيعتها، أثرها فى المستقبل (صفحة ٧٢)

هذا سر السعادة

ليس يكفى المرء أن يحيا وحسب، بل إننا نحتاج إلى تذوق لذة الحياة.

نأخذ هنا من العالم العظيم مؤلف كتاب، «الإنسان ذلك المجهول» — القواعد الصحية والعقلية والنفسية التى تجعل حياتك نضرة ممتعة، وعملك لذيذاً موفقاً ودنياك مشرقة مقبلة.

اقرأ:

أتعرف كيف تعيش؟ للدكتور الكسيس كاريل (صفحة ٣٧)

تشخيص المرض

ما سبب الصداع الذى تصاب به هذه السيدة؟ لماذا كان وقاد القاطرة يصاب بالإغماء كلما بلغ القطار منحنى فى الطريق؟ نوادر عجيبة من مذكرات مشاهير الأطباء.

اقرأ:

فن تشخيص الأمراض (صفحة ٢٢)

13 me Année No. 639

Lundi - 1 - 10 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مص
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

السنة الثالثة عشرة — « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٥ شوال سنة ١٣٦٤ — أول أكتوبر سنة ١٩٤٥ » — العـدد ٦٣٩

رســـالة إلى « الرسالة »

للأستاذ عباس محمود العقاد

فى رحلتى إلى السودان ، سمعت حديث « الرسالة » فى أول مكان طرقته من السودان ، وسمعته فى الساعة الأولى بعد الفراغ من مراسم الجوازات وتسجيلات الوصول

ثم لبثت أسمعه فى أندية البلاد كلما دار الكلام على الأدب والأدباء ، ولا سيما الأدب العربى وأدبائه المعاصرين

ولم تتغير العادة فى فلسطين

فقد سمعت حديث « الرسالة » فى كل ناد من أندية الأدب ، وحمّلت إليها رسالة علنية فى أحفل جلسة من الجلسات الأدبية شهدتها فى مدينة يافا ، وهى مركز الحركة الصحفية والكتابية فى شواطئ أرض الميعاد

كانت الدعوة باسم اتحاد الأندية فى المدينة ، وهى تتسع منها لسبعة على ما أعلم ، تختلف أغراضها بين الثقافة والرياضة البدنية ومطالب الإصلاح والاجتماع

وكانت الدعوة إلى سهرة فى الهواء الطلق بفناء النادى الأرثوذكسى ، وهو على ما سمعت أوسع فناء للأندية هناك

واتفقنا على أن تدور السهرة على المساجلة بالأسئلة والأجوبة فى الموضوعات التى يعنى بها الأعضاء ، وكلهم من الشبان المتعلمين أو الشابات المتعلمات

ويظهر أن الأديب الموكل بأمانة الاتحاد قد بسط على الأسئلة شيئاً من الرقابة الفكرية التى تخليها من كل شائك أو محرج من موضوعات الجدل والخلاف . فمرت الأسئلة الأولى بين سؤال لى عن أحب كتبى إلىّ ، أو سؤال عن الفرق بين فلسطين كما رأيتها فى زيارتى الأولى ، وفلسطين كما أراها فى زيارتى الآن ، أو أسئلة متعددة من هذا القبيل

ثم انتهت الأسئلة المكتوبة وبدأنا فى الأسئلة المرتجلة ، فما شككت فى أننى سأسمع على الأقل سؤالا عن الحب وسؤالا عن المنافسات الأدبية فى الأقطار العربية ، لأن الشبان كانوا أصحاب الكثرة الغالبة على الاجتماع

فأما السؤال عن الحب ، فقد كان محرجاً بعض الإحراج ، لأنه كان يتناول « الحب العذرى » ورأيى فيه ، وكان فى الجمع سيدات وآنسات ، وكان فيه شيوخ من رجال الدين ، لهم وقارهم المرعى فى كل مكان

قال السائل : يعتقد صديقك المازنى أن الحب العذرى غير موجود وغير معقول ، فما اعتقادك أنت فى هذا الموضوع ؟

فأردت التخلص وأحلت السائل إلى واجب الصداقة الذى يأبى علىّ أن أعرض لرأى أخينا المازنى بتفنيد أو تجريح ! وقلت له

فى عجلة ولهوجة : إن الحب الجنسى ينتهى إلى غاية جنسية ، وأما ما عدا ذلك من ضروب الحب فليس لها غاية غير الصداقة والولاء

ثم جاء دور المنافسات الأدبية فى البلاد العربية . فكان لها نصيب فى أكثر من سؤال واحد ، وكان أهم الأسئلة فيها رسالة إلى « الرسالة » ، أو عتباً على المجلات المصرية — وفى مقدمتها « الرسالة » — لأنها تضن بالنشر والتنويه على القصائد والفصول التى تأتيها من أدباء فلسطين

وكان صاحب السؤال خطابياً فى لهجته ، عنترياً فى حماسته ، مؤمناً بصوابه فى عتبه ، ولعله كان ينطق بألسنة غيره ممن يعتبون مثل عتبه ، ويؤمنون مثل إيمانه

فأردت أن أصحح هذا الوهم الذى يغلو فيه بعض الدعاة إلى التفرقة من أذناب الدول الأجنبية فى الأقطار العربيــة ، وقلت ما أعتقد فى هــذا الصدد ، وهو أن الديار المصرية — بقرائها وأدبائها ومجلاتها — أبعد الناس عن الأثرة العنصرية فى مسائل الثقافة ، أو مسائل المفاضلة بين الأدباء والمؤلفين ، وذكرت للسامعين شاهداً من الشواهد التى يلمسونها فى فلسطين ؛ وهو تفضيل « مفكرات دجاجة » للأديب الفلسطينى الدكتور إسحق الحسينى على سائر الأجزاء التى ظهرت من سلسلة « إقرأ » لكثير من الكتاب المصريين ، وهى لم تنل هذا التفضيل بأصوات القراء من أهل فلسطين نفسها ، ولا بأصوات القراء من أبناء البلدان العربية الأخرى ، وإنما نالتها بألوف الأصوات التى وردت من البلاد المصرية ، وهى تربى فى عدتها على كل ماعداها من الأصوات

ثم قلت : إن الديار المصرية هى الميدان الذى اشتهرت فيه مؤلفات اليازجى وصروف وزيدان والشدياق والحداد وأديب إسحاق والمعلوف وغيرهم من فضلاء سورية ولبنان والعراق ، وإنها هى الميدان الذى طبعت فيه — أو راجت فيه — مؤلفات الريحانى ونعيمة وجبران ، وسائر كتاب العربية فى المهاجر الأمريكية . فليس أسرع من المصريين إلى تقدير الأدب العربى الذى يصل إلى أيديهم وأسماعهم ، وليس عليهم من عتب إذا قامت العوائق دون وصول هذا الأدب إليهم ، فقد يكون المرجع فى ذلك إلى نظام النشر والتوزيع

ثم أردت القضاء على مظنة الأثرة العنصرية فقلت : وبعد هذا ينبغى أن نذكر أن نصيب الأدباء المصريين والأدباء السوريين من تنويه الصحافة العربية فى مصر سواء ، وإن كثيراً من الصحف العربية فى مصر يديرها أناس من السلالة السورية ، فلا يتهمون فى هذا الصدد بالإجحاف والمحاباة

ولاح لى أن السامعين عارفون بمكان الصدق والصواب من هذا الجواب على ذلك السؤال ، ولكن صاحبنا السائل الخطابى لم يقلع عن عتبه ، ولم يزل مصراً على حقه هو فى نشر كل مايبعث به إلى « الرسالة » و« الثقافة » من المنظوم والمنثور ، فعاد يقول: إننا هنا لا نحفل بصحف الأخبار ولا بآراء الدهماء ، ولكننا ننتظر من أمثال الأستاذ الزيات والأستاذ أحمد أمين غير ما ننتظره من أصحاب تلك النشرات

وختمت الجواب واعداً بالتبليغ ، مزكياً موقف « الرسالة » و « الثقافة » فيما تنشران ، معتذراً من توجيه العتب إليهما فيما لم تنشراه ، لأننى لم أقرأه ولم أعرف مدى حقه من النشر والإهمال . فلعل اللوم على المرسل لا على المرسل إليه ! ... ولعل الصحيفتين المنصفتين قد أخلصتا للقراء فاستهدفتا لهــذا العتب من بعض الكتاب !

وانتهت السهرة بحادثة طريفة لا تخلو من دلالتها الأدبية . فإننا خرجنا من النادى بعد ختام الأسئلة والأجوبة ، فإذا بسيارة من السيارات التى وقفت على بابه ضائعة ، وإذا بها سيارة الكاتب المعروف الأستاذ عيسى العيسى صاحب جريدة فلسطين وشيخ الصحافة الفلسطينية

قال الأستاذ : سأعود عليك بطلب التعويض ، لأنك أنت المسئول عن ضياع السيارة ، فقد ترك السواقون سياراتهم ودخلوا النادى ليسمعوك ، وكانت سيارتى مطلقة الدواليب ، فوقع عليها اختيار اللصوص دون غيرها من السيارات

قلت : بل أنت المسئول عن محبة اللصوص إياك ، واختصاصك أنت بالسرقة دون سواك ، فلعلهم طمعوا فى مالك إكراماً لأدبك ، ولعلهم كافأوك بما استطاعوه على تعصبك للأدب ، حتى فى اختيار السواق !

وبلطف الله بعض اللطف في مشكلة التعويض ، كائناً من كان المطالب بالعوض ، لأن الشرطة عثرت على السيارة في اليوم التالي مزوية في بعض الطريق ... ولكن بغير إطارات

* * *

ومما يذكر لفلسطين بالحمد والرجاء أن السياسة لا تشغلها كل الشغل عن مطالب الأدب والثقافة في وقت من الأوقات

فهي اليوم لا تني تتحفز وتتطلع ولا تكف عن التدبر في مصيرها المنظور بعد الحرب العالمية : بين الصهيونية والانتداب والاستقلال والوحدة العربية ، وقلما تغشى مجلساً من المجالس لا يدور فيه النقاش على مسألة من هذه المسائل ، ولكنهم لا يستغرقون وقتهم في مسألة منها إلا وجدوا بين نجواها متسعاً لحديث اللغة العربية والأدب العربي والأدباء العرب في مختلف الأقطار، وما إخالهم يبعدون الشقة بين موضوعات اللغة وموضوعات السياسة ، فإنما مستقبل فلسطين مستقبل العربية على أية حال

كنا نتحدث عن تقرير المصير وحرية الاختيار في السياسة الوطنية ، فقلت : إن الله الذي حباكم بحرية الاختيار في الجو والمناخ كفيل بأن يحبوكم بحرية الاختيار في الحكم وشئون السياسة :

إننا في مصر ننتظر الربيع أشهرا ، حتى نصل إليه ، ولكنكم هنا لا تنتظرونه غير ساعة واحدة تنقلكم حين تشاءون من قيظ الصيف إلى نفحات الربيع

عندكم « أريحا » التي تذكر الناس بالمظلات في صبارة الشتاء ، وعندكم رام الله التي تذكرهم في لياليها بالمعاطف ، ولو كانوا في أيام المصيف

وكنا في طريق « رام الله » هذه حين استطرد بنا حديث المصير إلى حديث المصيف ، فسألنا : أي معنى يا ترى لهذا التركيب الذي لا نعرف معناه بالعربية ؟ أهي كلمة عبرية أم آرامية ؟

ورجح الأستاذ السكاكيني أنها مخففة من « رام اللات »

وقال الأستاذ عادل جبر : إنهم جمعوا رامة على رام وأضافوها إلى الله ، وكأنها بذلك عربية أو آرامية تشبه العربية

والرامة في اللغة العربية معروفة للمكان الذي يجتمع فيه الماء ، ولا سيما الروابي والهضاب ، وعندهم اليوم في طريق بيت المقدس مواقع على هذه الصفة تعرف بالرامة على ألسنة السواد

بقي أنهم يعرفون الجمع في الآرامية كما يعرف العرب جمع ساحة على ساح وراحة على راح وساعة على ساع وحانة على حان .

أما الدكتور موسى الحسيني ، فيرجح — على ما أذكر — أن أصل الكلمة « رام ايل » ، ثم تداولتها الألسنة العربية حتى صارت في اللفظ الشائع « رام الله »

وهو رأي راجح ، لأن المواقع التي تنسب إلى « إيل » هناك غير قليلة ، ومنها « بيت إيل » الذي ينطقه العرب اليوم بيتين .

وكان القول الفصل أننا نستطيع أن نرجئ البت في هذا الخلاف دون أن يفوتنا شيء من متاع الهواء الطلق والأصيل الجميل في رام الله ! !

فأرجأنا البت في الخلاف على ثقة من ذلك ، وتركناه حتى يفصل فيه أصحاب اللغات السامية ، إن راقهم أن يفضوه ولا يعلقوه مع غيره من أوجه الخلاف المعلقة في أرض الميعاد

عباس محمود العقاد

(الرسالة) : لنا جواب عن هذه الرسالة في العدد المقبل

الفيلسوف أمين الريحانى

قولان له فى البـــــــلاغة

الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

أبعث إلى الفيلسوف الأستاذ أمين الريحانى بكتابى « كلمة فى اللغة العربية » ، وهو الخطبة التى خطبتها فى (دار الرابطة الشرقية) فى القاهرة فى اليوم الأول من ذى القعدة سنة ١٣٤٣ ، فتجيئنى منه رسالة فى يناير سنة ١٩٢٦ (٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٤) يقول فيها :

« سيدى الأستاذ إسعاف النشاشيبى (دام فضله)

وصلنى كتابك (كلمة فى اللغة العربية) ، قرأت (الكلمة) كلها متنها وشرحها تخيل إلى وأنا فى رباضها وأدغالها ، وأغوارها وأنجادها ، ودهنائها ومفاليها (اللفظة بدوية وأظنها صحيحة)[1] أنى أعيد السياحة فى البلاد العربية . وما وجه الشبه ؟ إن الجمال اللغوى جمالك لمثل الجمال البدوى ، وإن الفخامة فى ألفاظك لمثل الفخامة فى صوت ابن البادية ، وإن الروح فى مقاصدك لمثل العظمة فى خطواته . وكلها يا سيدى فى الكتاب وفى البادية مثل الوجوه (حال يحول) . نعم ، إن هذا الأسلوب فى الأدب مثل ذاك البدوى فى الحياة ، هو مظهر عجيب يسترعى الأنظار ، فيدهش ، ويطرب ، ويحزن معاً . ولماذا ؟ لأنه زائل . أحببت البدوى (والله) ، وكنت معجباً به ، ولكنى لا أستطيع ولا أحب أن أكون مثله . وأحببت (كلمتك) ، وكنت وأنا أطالعها معجباً بها . ولكنى لا أستطيع ، ولو أحببت ، أن أكتب مثلها . لو كان لى أن أسوح فى البلاد العربية بعد خمسين سنة لما عرفت ، على ما أظن ، صديق البدوى وقد تحضر أو تمصر . ولا أظن أن هذا الأسلوب أسلوبك يكون مألوفاً أو معروفاً بعد خمسين سنة . والحكم للمستقبل ، فقد يحكم لى وعليك معاً . ولكننا فى غير الأسلوب متفقان . إنى مكبر أدبك ، محترم علمك ، محبذ دعوتك للمحافظة

(١) قلت : بدوية عصرية ... وفى رسالة الأستاذ ألفاظ تركت كما وردت .

على روح اللغة والصيغة العربية فيها . وأظن أنى من المحافظين ، رغم تجددى المخيف ، إذا اتخذت من ابن الأثير[1] ، وهو اختيارك ، مثالا أنسج عليه . ولكنك غاليت فى حب القديم ، غاليت يا رجل ...

إذا كان المثل الأعلى الذى تنشده يقطع الحبل بيننا ف (هنريك ابسن ونيتشه[2]) بصلانه وبوثقان العروة فيه .

والسلام عليك من (القابع[3]) فى داره ، البعيد عن (شجرة البغى[4])

المخلص

أمين الريحانى

ثم نتجادل بعد رسالته هذه فى شهر رمضان سنة ١٣٤٤ فى جريدة (الميزان) ، وهى صحيفة أدبية كان الأديب النابغ الناقد الأستاذ أحمد شاكر الكرمى — رحمة الله عليه — ينشرها فى دمشق :

« زين الشباب أبو فراس لم يمتع بالشباب »

ولقد فقد الأدب بغيبة أحمد شاكر الكرمى خيراً كثيراً كان يرتجيه من ذاك النبوغ[5]

أخبرنى مدير مدرسة فى مدينة الناصرة أنه سأل الأستاذ الريحانى حين مر بها عن سبب (المناظرة بينه وبين النشاشيبى) ؟ فقال : « أردنا أن نعلم الناس كيف يتناظرون » . ولهذا الجواب قصة أدع ذكرها اليوم ، وفى الطبعة الأخيرة للريحانيات إرشادة إلى شىء منها . وهذه نتف مما قلته فى الجدال :

« دع ذا ، وجىء الآن إلى قول الأستاذ : إن الإنشاء فن ،

(١) يشير إلى قول له فى كتابه (المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر) أوردته فى (الكلمة) .

(٢) يشير الأستاذ الريحانى إلى أشياء رويتها لفريدريك نتشه وإلى مقالات كتبتها فى سيرة هنريك ابسن وآرائه سنة ١٩١٣ م فى جريدة (المهذب) لصاحبها الخورى يونس الكفوري (رحمه الله) وكانت هذه الجريدة تنشر الأقوال النشوئية والحرة وما زاد على ذلك ..

(٣) يشير إلى قول لشاعر الجرمان الأعظم (غوته) رويته فى (الكلمة) وهو : من أراد أن يكون حراً فليقبع فى بيته .

(٤) يشير إلى مثل رويته فى (الكلمة) وهو : (الناس شجرة بغي) قال الميدانى : وإنما جعلهم شجرة البغى إشارة إلى أنهم ينبتون وينمون عليه .

(٥) كان المأسوف على شبابه وآدابه قد بعث إلى من دمشق سنة ١٩٢٢ م برسالة مشتملة على قول فى البلاغة بليغ مبين . وسأتحف الأدباء بها إن شاء الله تعالى .

والإفراط فى الكلف بالفن خسران . وإن اللغـة ذريعة واتخاذ الذريعةِ المقصدَ المنشود — ضلال . وقل له بعد تحية ثانية :

الحق أن اللغة لم تك إلا ذريعة ، وما هى إلا ابنة لغة الذى هو اليوم أدنى من الإنسان (وإن لم يرأدِ سن الإنسان أعلى منه[1]) ولـكن المرء قد تفنن فى هذه الذريعة (كما تفنن فى ذرائع الشر ...) فجاء منها الفن : جاء الشعر ، وجاء النثر ، وجاءت تلك الصفحات العبقرية . وراح ذاك الفن يتهادى مع سائر إخوته من الفنـون الفتانة . والرقص من هذى الفنون . وإن الرقص لفاتن ، إن الرقص لفتنة ، وقد أضاف الدين كاتب أفرنجى ملعون إلى تلك الفنون ..

فإن قلنا : إن من اللغة فناً وجب أن نحتفظ بذاك الفن ، وأن نعنى به عنايتنا بغيره من الفنـون ، وأنه لأحق بالترجيب والاهتمام به من غيره . وإن كان فن الموسيقى أو المصور مما يهذب نشء الأمة فالنثر القرآنى أعنى النثر العبقرى والشعر العُلْوى[2] أثرهما فى تهذيبهم أكبر

وإن عددنا الفن (كما عده كاتب أفرنجى يوم هاجت سرقة تلك الصورة La Joconde قومه) سخافة أو هذراً ، ورحنا نقول مع الزمخشرى : (الفنون جنون والجنون فنون) . جاز لنا أن نعد كل شىء فى الوجود سخيفاً ، وألاّ نجد لهذا الـكون معنى، ولزمنا أن نبادر إلى الانتحار ، وندع الدارتنى من بناها... لا ، لا ... إن هذا الحسبان خسران ، والرأى الحكيم الرصين أن نرى الجيد جيداً والجميل جميلا وأن نبتهج بمشاهد الـكائنات مع المبتهجين معرضين عن مقالات شـوبنهور وسائر المتشائمين منشدين فى كل حين :

« تمتع من الدنيـا فإنك فانِ »

« تمتع من شميم عرار نجد »

و (الدنيـا — كما قال جار الله — عُمرى[3] ولا خلود إلا فى الأخرى) .

(١) يقول ادسن : إن الإنسـان لم يزل فى الأفق الشنبزى ...

(٢) قال الزمخشرى : غنى النعمان بشىء من دالية النابغة فقال : هذا شعر النابغة ، هذا شعر علوى أى عالى الطبقة ، وقيل من عليا نجد .

(٣) من أعمره الدار إذا قال هى لك عمرك ثم هي لى (الأساس) .

فمن اللغة فن ، فى الإنشاء فن ، فلا تسألنَّ الفصيح البليغ فى المقال أن يذر فصاحته وبلاغته وذا الفن أن يهجرفنه ، وينزل من عليائه إلى فنائه ، ويزايل عزلته ، ويماشى جماعته ، ويتبذل أسلوبه وهو يستطيع صيانته ، ودعه يفتن فى الإنشاء كيف شاء .

إن المتفنن فى الناس قليـل ، وقد مات بالأمس (أناطول فرنس) ولا خليفة فى قومه له . وهذى حالة لا يصل إليها كل ساع فلا تخف من أن يكثر المتفننون ... وهؤلاء الرهط[1] فى الأمم هم سلوى المـكروبين ، ومهذبو الطالبين ، وهداة التأدبين ، وموقظو الهاجدين ، وقائدو الثائرين ، وبكلامهم تصقل الـكتاب قرائحها » .

« كانت اللغة فجاء منها فن ، وهو لا يكون فى كل ضرب مما تخطه الأقلام ولن يكون . وأهله اثنان: الشاعر والأديب ولا ثالث لهما ، فدعهما يحدوان مع الحاد ، ويهيمان فى كل واد .

وفضـيلة كلام (الشاعر والأديب) أو هـذين المتفننين أوالفنانين[2] هوهذا الجمال الذى تلاقيه فيه ، ومع الجمال الوضوح كل الوضوح ، بل ليس الحسن إلا الوضوح . فمرغبى ومرغب كل من يتراءى برأيى أن نصون هذا الرونق أوهذه الديباجة كما يصون الـكريم ديباجتيه فلا يبذلها ... وقد أعلن الأستاذ الريحانى فى مقاله أنه يهوى الديباجة ، ولا ريب فى ميله هذا ، فـكل شىء تنوقت الطبيعة فى تجويده يستهوى العاقل . ولن ننشد إن شاء الله فى يوم بيت المتنبى الذى أومأ الأستاذ إليه فى كتابه :

زودينا من حسن وجهك مادام (م) فحسن الوجوه حال تحول

فلن يحول جمال العربية ، ولن تزول ديباجتها ، وإذا استطاع القوم

(١) فى التاج : الرهط عدد يجمع من ثلاثة إلى عشرة أو من سبعة إلى عشرة . قال ابن دريد وربما جاوز ذلك قليلا . وفى الصحاح الرهط ما دون العشرة من الرجال لا تكون فيهم امرأة ..

(٢) مبالغة بنيت من فن ، وفى اللغة فن وتفنن وافتن وقد ظن أحد الفضلاء أن ليس فى العربية تفنن لأن المجد (رحمه الله) لم يذكرها فى (القاموس) وهى فى كلامهم وفي (اللسان والتاج) وفن فى (الفائق) ولم يؤخذ (الفنان) من الذى له فنون فى العدو الركض ... وهبه أخذ منه فهل فى الأمر من حرج ؟ وخطب (الفنان) أهون من خطب (السيد) وأصل هذه اللفظة فى اللغة معلوم ، ولا أحب ذكره اليوم هنا حتى لا يبرطم مبرطمون . . إن الناس ليسخطون ويلعنون حين يبحث الباحثون — والعلم الحق لا يرأف — فى أصول الآدميين وأنسابهم وأصول مقالاتهم ولغاتهم . .

(البرطم) المقطب المتغضب لـكبره المتخاوص فى النظر .

فى الغرب أن يحمّلوا بالكهربا الشنيمات ، فلن نعجز فى الشرق عن الاحتفاظ ببهجة المليحات ... »

« يحمل مقتبس علم غربى يترجم مبحثاً أو يلفق قولا وهو لم يتخرج على أستاذ قادر ، ولم يقرأ كتاباً واحداً ، ولم يعرف أسلوب علمه اللغوى ، ولم يقف على ألفاظه ولا على بعض ألفاظه ، وتلفيه يَزحر[1] وهو يكتب زحيراً ، ويلعن العربية التى جهلها لعناً كبيراً ، ثم يطرح بجهيض[2] يعمى الناظرين ، فإذا عيَّيتَ جهيضه لا حالٌ ، وتهدَّم على اللغة بالتنقيص »

« الأستاذ الريحانى فاضل نابغة تنكب عن طريق التقليد ، وأنكرت نفسه الرق العقلى فكدحت فى تحريرها ، فلما حررها لم يستبد بخيره ، وأراد أن يشركه فى الخير غيره ، فدعا قومه إلى حريته ، وانتحال عقيدته . ثم أبصر الأستاذ الغرب يطير ارتقاء وقومه العرب قد ألفوا الحضيض « آلف للحضيض فهو حضيض » كما قال أبو تمام ، فشق عليه أن يشهد ذل جهلهم وقد اعتز بالعلم خصمهم وآكلهم ، وتحقق أن الذى أقعد فى العلياء الغرب هو علم الغرب فنادى إلى إيثار ذلك العلم ، وأشفق أن يعوقهم الاهتمام بالمهم أو غير المهم عن طلب الأهم فقال لهم : اجتزئوا من المؤنة اللغوية بزاد المسافر ، فلن يعدل وهذا قصده . والحق الذى يدريه الأستاذ الريحانى ، ولكن حرصه على الذى رآه أحق بالتقديم قد حمله على أن يتناساه هو أن الانتباه الأدبى فى الأمم يسبق الانتباه العلمى ، فهذا بناء وذاك أساس . وإن الأمم العربية اليوم هى فى وقت الترجمة . وعند الغرب علوم كثيرة ومباحث فيها دقيقة . وفرضُ عين أن تنقلها العربية وأن يفقهها نشؤها ، ولن تفهم ولن تفيد حتى تصح ترجمتها ، ولن يستطيع احتواء تلك العلوم ومعانيها إلا اللغة القرآنية العلمية ، إلا اللغة الصحيح تركيبها الكثير لفظها التى ظل العلم القديم يلينها ويوسعها ويصقلها أحقاباً . وإذا لم توصل لغة علم اليوم بلغة علم الأمس ويستظهر بهذه فلا علم فى هذا الزمان عند العرب . ومن ظن أن اللغة العامية وهذه التى هى فوق العامية تقدران أن تعيا علوم الغرب وتضم عباراتهما تلك المعانى الحديثة أو الجديدة فظنه (والله) عجيب ! »

* * *

(١) زحر وتزحر وهو اخراج النفس بأنين

(٢) أصله الولد السقط .

ثم أبعث إلى الفيلسوف بكتابى « البطل الخالد صلاح الدين والشاعر الخالد أحمد شوقى » وقد طبع سنة ١٣٥١ ، فتجيئنى منه رسالة فى ٢٦ شباط سنة ١٩٣٣ ، وقد ظهرت فى (الرسالة الغراء) ٢٦٩ فى ٣ رجب سنة ١٣٥٧ فى الصفحة ١٤١١ من السنة السادسة

ومن قرأ رسالة الأستاذ الريحانى الثانية رأى أنه (قد استطاع أن يكتب عربياً عبقرياً ويجارى البلغاء) ، وأنه قد آمن بـ (بالكلمة) وصدَّق بالبلاغة وفضيلتها وجمال القول وجودته وبكلام الإمام الرازى : « رب كلمة حكيمة لا تؤثر فى النفوس لركاكة لفظها » ، فنسخ المذهب الجديد للفيلسوف مذهباً قديماً . ولو لم تفجع به العربية — وأعظم بفجيعتها بـ (بالأمين) — وعاش حتى اطلع على « دفاع عن البلاغة » لازداد إيمانه ويقينه ، وأيد (صاحب الرسالة) تأييد أنصاره .

* * *

(الزيات) إذا نثر، مثل (شوقى) إذا شعر . ولقد أعطى الله مصر فى هذا العصر إمارة الشعر وإمارة النثر . ولو بعثت (فلوبير) القائل: (أهونُ على المرء أن يُقنطر[1] ، وأن يسكن فى قصر بندقىّ (فنيسىّ) منجّد من أن ينشئ صفحة واحدة عبقرية) وحذق العربية ، لأضاف إلى قوله هذا هذه الكلمات : (مثل الصفحات التى ينشئها الزيات) .

محمد إسعاف النشاشيبى

(١) قنطر الرجل ملك ما لا كثيرا كأنه يوزن بالقنطار .

من أحاديث الحنين

الموسيقى العـــاشق

للأستاذ على الطنطاوى

قال لى أمس صديق حسنى : إنى لأعلم شغفك بالموسيقى ، وحبك الفن القديم ، فهل لك فى سماع رجل هو أحد أعمدة هذا الفن فى دمشق ومن أساطينه ، وهو هامة اليوم أو غد ، فاذا انهار أوشك ألا يقوم مثله أبداً ؟

قلت : ما أحوجنى إلى ذلك ، فمن هو هذا الموسيقى الذى لا أعرفه إلى اليوم على ما ذكرت من إمامته وتقدمه ، وعلى معرفتى بأرباب هذا الفن ؟

قال : هو (ش) بك رجل تركى ، كان من موسيقى القسطنطينية أيام السلطان عبد الحميد ، وانتهت إليه رياسة (العود) فيها ، وله اسطوانات هى عند الموسيقيين ، كرسائل الجاحظ عند جماعة الأدباء ، واسمع فعندى واحدة منها

وقام إلى (الحاكى) فأداره ، ووضع اسطوانة عتيقة ، فسمعت شيئاً ما حسبت مثله يكون ، وبدا لى كل ما سمعت إلى اليوم من ضرب الموسيقيين كأنه إلى جانبه لعب أطفال ، وخرشة مبتدئين

قلت : ويحك قم بنا إليه الآن

فقمنا وأخذنا معنا شيخ الموشحات فى دمشق الشيخ صبحى واثنين من مجودى المغنين ، وذهبنا إليه

* * *

ضربنا فى الجبل حتى جاوزنا الدور الفخمة والقصور العامرة ، ووصلنا إلى طائفة من المساكن هى أشبه بأكواخ ، قد بنيت من الطين وقامت دُوَيْن الصخر ، فوقفنا عند واحد منها ، وقرع الباب دليلنا حسنى كنعان ، ففتح لنا رجل طوال ، عريض الألواح ، حليق الوجه محمرّه ، ولكن الكبر ظاهر عليه ، قد جعّد وجهه وإن لم يحن ظهره ، ولم يهصر عوده ، ورحب بنا على الطريقة التركية ، يخفض يده ، ويلوّح بها على أسلوب معروف ثم يمس بها طرف ذقنه ويرفعها إلى جبهته ، كأنه يقول : إنى آخذ ذيل أحدكم فأقبّله وأضعه على رأسى ، وبالغ فى الترحيب بنا ودعانا إلى الدخول فدخلنا ، فإذا رحبته نظيفة ولكنها خالية من الأثاث ، ما فيها إلا أشباه كراسى ، وسدة من الخشب مفروشة ببساط هى السرير وهى المجلس ، وإذا الفقر باد ، ولكن مع الفقر ذوقاً ونظافة ... فقعدنا ، وحلفنا عليه ألا يصنع لنا شيئاً ، فما نريد إكرامنا منه إلا بأسماعنا ضربه ...

أخذ قيثارته (كمانه) وقسّم (تقاسيم) هزت حبة قلبى ، فأحسست بلذة ما عرفتها من قبل ، ومع اللذة شىء من السحر ، يجعلك تتطلع إلى المجهول ، وتسمو إلى عالم الروح ، ويوقظ فيك ذكرياتك وآمالك كلها دفعة ...

فلما انتهى ، عرض عليه حسنى العود ، فأبى واعتذر وقال : إنه لا يضرب عليه ...

قال حسنى : كيف وأنت سيّد من جس عوداً ، وأنت إمام الضاربين !

قال : إنى لا أستطيع !

فلما ألحفنا وألححنا قال : إن لذلك قصة ما قصصتها على أحد ، فاسمعوها ، ولو أنى وجدت ما أكرمكم به لما قصصتها عليكم ، ولكنى لا أملك شيئاً ، ولن أجمع عليكم حرمان السماع وكتمان السبب ... !

* * *

وهذه هى القصة مترجمة إلى لغة القلم :

قال : كان ذلك منذ أمد بعيد نسيه الناس وأدخلوه فى منطقة التاريخ المظلمة ، فلا يرون منه إلا نقطاً مضيئة مثلما يرى راكب الطيارة من مدينة يمر بها ليلا ، أما أنا فلا أزال أحس به بجوارحى كلها ، ولا يزال حياً فى نفسى ، بل أنا لا أزال أحيا فيه ، وما عشت بعده قط إلا بذكراه . لقد مر على قصتى زمن طويل عندكم لأنكم تقدرونه بعدد السنين ، نصف قرن ... أما أنا فأقدره بذكراه الحية فى نفسى فأجده ساعة واحدة ... لحظة ... إنى أنظر الآن إلى عينيها ، وأشم عطرها ، وأجلس فى مجلسها ... إن ما أراه حولى ظلال ، وتلك المشاهد هى الحقيقة . أفعلمتم من قبل أن ذكرى قد تَضِحُ وتظهر حتى تطمس المرئيات ، وتغطى على الحقائق ، هذه هى ذكرياتى ...

كان أبى من الباشوات الكبار المقربين من السلطان ، فلما علم أنى اشتغلت بالموسيقى ، كره ذلك منى ، وصرفنى عنه ، وعاقبنى عليه ، فلما أصررت عليه ، أهملنى واطرحنى ، وطردنى من داره ، فلبثت أتنقل فى بيوت أقربائى وأصدقاء أبى ، أمارس تعلم الموسيقى لأبناء الأسر الكبيرة ، وكان (فلان) باشا من الآخذين بأسباب الحياة الجديدة ، يحب أن يقبس عن أوربة طرائقها فى معيشتها ويقلدها فى السير عليها ، فدعانى لأعلم ابنته ، وكنت يومئذ فى الثلاثين ، ولكنهم كانوا يقولون عنى : « إنه أجمل شاب فى حاضرة الخلافة » ... وأحسب أنى كنت كذلك ، ولكنى — ولست أكذبكم — ما عرفت طريق الحرام ، ولا الحلال استطعت سلوك طريقه !

قابلت الباشا ، فأدخلنى على ابنته لأعلمها ، فنظرت إليها ، فإذا هى ملتفة بـ (يشمق) من الحرير الأبيض ، لا يبدو منه إلا وجهها ، وإنه لأشد بياضاً وليناً من هذا الحرير ، لا البياض الذى تعرفونه فى النساء ، بل بياض النور ، لا ، لم أستطع الإبانة عما فى نفسى ، إنه ليس كذلك ، هو شىء ثمين عذب مقدس ، يملأ نفسك عاطفة لاشهوة ، وإكباراً لاميلا ، وتقديساً لارغبة ، وكانت عيناها مسبلتين حياء وخفراً ، تظهر على خديها ظلال أهدابها الطويلة فلم أر لونها ، وكانت فى نحو السادسة عشرة من عمرها ، مثل الفلة الأرجة إبان تفتحها ...

وانصرف أبوها بعد ما عرفنى بها وعرفها بى ، وبدأ الدرس على استحياء منى ومنها ، ورفعت عينيها مرة ، فمشى بى منهما مثل الكهرباء إن لمست سلكها ... عينين زرقاوين واسعتين ، فيهما شىء لا يوصف أبداً ، ولكنك تنسى إن رأيتهما أن وراءك دنيا ... إنها تصغر دنياك حتى تنحصر فيهما ، فلا تأمل إن رأيتهما فى شىء بعدها ... العفو يا سادة ! أنا لست أديباً ، ولا أحسن وصف الكلم ، ففسروا أنتم كلامى ، وترجموه إلى لسان الأدب ، وأين الأديب الذى يملك من الكلام ما يحيط بأسرار العيون ؟ إنه لعلم أوسع وأعمق من الفلسفة والكيمياء والفلك ... أعندكم فى وصفها إلا أن تقولوا : عينان سوداوان أو زرقاوان ، واسعتان أوضيقتان ، حوراوان دعجاوان ، وتخلطوا ذلك بشىء من تشبيهاتكم؟ اعرضوا عيون الفتيات تروا أنكم لم تصفوا شيئاً ، هاتان عينان متشابهتان فى سعتهما ولونهما وأهدابهما ، ولكن فى هذه الجمال الوادع الحالم ، وفى تلك الجمال الشرس الأخاذ ، وفى أخرى العمق والرهبة ، وفى هذه الأمل ، وعين فيها فتنة ، وعين فيها خشوع ، وعيون فيها شىء لا تعرف ما هو على التحقيق ، ولكنه يبدل حياتك ، ويقلب عليك دنياك باللمحة الخاطفة !

ولما تكلمت سمعت صوتها كأنما هو ... مالى وللتشبيهات التى لا أحسنها ؟ وأين ما يشبه به صوتها ، وفيه الخفر وفيه الرقة وفيه فتنة وفيه رفاهية ؟ لا تعجبوا فإن من الأصوات الصوت المهذب والصوت الوقح ، والصوت المرفه ، والصوت البائس ؛ وصوتاً خليعاً وآخر صيّناً . إن الصوت لينطق من غير حروف . ورب ناطقة بلا إلـه إلا الله ، وصوتها يدعو إلى الفحشاء ! وقائلة كلمة الفجور وصوتها ينهى عنه ! وإنك لتستطيع أن تتخيل المرأة من صوتها . ولم يكن فى زماننا هذا الهاتف (التلفون) ولكنى أعذر من أسمع عنهم أنهم يعشقون بالتلفون . فالأذن تعشق قبل العين أحياناً .

لم أجاوز الدرس ولم أقل فوقه كلمة واحدة . وكنت أشد منها حياء وخجلا ، ولم يكن أبناء زماننا أولى وقاحة وجراءة كهذه الجراءة التى تراها اليوم ، وندر فيهم من كان مثل (الباشا) يسمح لابنته الناهد أن تتلقى العلم عن الرجال — وهو يعلم أن الشاب والشابة فى الطريق أو المدرسة يتخاطبان بلغة العيون خطاب الرجل والمرأة ، قبل أن يتحرك اللسانان بحديث المعلم والتلميذة . وانقضى الدرس بسلام ، ولكنى لما فارقتها رأيت كل شىء قد تبدل ، فقد تعلقت بالحياة وكنت بها زاهداً ، ورأيت ضوء الشمس أشد نوراً ، وأحسست بالوجود من حولى وقد كنت أنظر إليه غافلا ، وكان لى أصحاب لم أكن أعدل بمجلسهم وصحبتهم شيئاً ففارقتهم تلك الليلة وهربت منهم ، وذهبت إلى غرفتى فلم أطق فيها قراراً ، ولا اشتهيت طعاماً ولا شراباً ، ووجدتنى أخرج على الرغم منى ، فأؤم دارها ، فيردنى بابها فأهيم حولها أوغل السير فى التلال الشجراء عند (بيوغلى) لا أستطيع النأى عن دارها . صارت هى كونى ودنياى ، قد تبدلت قيم الاشياء فى نظرى ، فعزّ ما كان منها أو مت بصلة إليها ، وهان كل شىء سواه ، وانطويت على نفسى أفكر فيها وأتصور أدق حركة أو سكنة منها . وكلما ذكرتها

يهز شيء قلبي فيخفق كجناح طائر علقت رجله بالفخ ، ثم يندفع الشيء إلى عيني فيفيضان بالدمع. ولا أدرى كيف أمضيت ليلتى، حتى إذا أزف موعد الدرس الثانى شعرت كأنى عدت إلى جنتى التي خرجت منها، وعشت ساعة فى لذة لو جمعت لذاذات الأرض كلها ما بلغت نقطة من بحرها . وعندما ودعتها نظرت إلى نظرة شكت (وحرمة الحب) كبدى وزلزلتنى زلزالا ، وكدت من سرورى بها أطير فوق رؤوس النـاس خفة وفرحاً ، فقد علمت أن لى عندها مثل الذى لهـا عندى ، على أنى ما كلمتها فى غير موضوع الدرس كلمة ولا لمست طرف ثوبها ، وما هى إلا نظرة واحـدة ولـكنها قالت فأبلغت ، وحدثت فأفهمت !

* * *

وسكت الموسيقى وجال الدمع فى عينيـه ، ثم قال وهو يكاد يشرق بدمعه وقد ضاع فى رنة البكاء صوته :

أتدرون ما عمرى اليوم ؟ أنا فوق الثمانين ، وقد مر على هذا الحب دهر ، ولـكنى أراه كأنه كان أمس ، وأنى لا أزال شاباً ينطوى صدره على قلب صبى . ولقد حسبت أنى أستطيع أن أتحدث عنه كما يتحدث الشيوخ عن ماضيات لياليهم — فوجدتنى لا أستطيع، لا أستطيع فاعذرونى إن هذه الذكرى قد خالطت شغاف قلبى ، ومازجت لحمى وعظمى ، وإنى لأحس وأنا أحدثكم أنى أمزق جسدى لأستل منه هذه الذكريات !

قلت : فاخبرنا ماذا كان بعد ذلك ؟

قال : كان ما أخشى التحدث عنـه ، إنى لا أحب الذكرى وأثيرها ، إنكم لا تدرون ما ذا تصنع بى ؟ إنها تحرقنى ، تنتزع روحى ...

كان ياسادة : أنى تدلهت بحبها ، وهمت بها ، وجعلتها هى كل شيء لى ، إن كنت معها لم أذكر غيرها ، وإن فارقتها ذكرتها وفـكرت فيها . فهى ماضى وحاضرى ومستقبلى ، وهى ذكرياتى كلها وآمالى ، أراها طالعة على من كل طريق أسير فيه ، وأرى صورتها فى صفحة البدر إن طلع على البدر ، وفى صحيفة (النوطة) إن جلست إلى (البيان) ، ومن سطور الـكتاب إن عمدت إلى القراءة فى كتاب ، فإذا جلست إليها والعود فى حجرى ، وعيناها فى عينى ، وأذناها إلى عودى ، تخيلت أنى معانقها هى لا العود ، وغبت عنى ، وسمت روحى إلى عالم أعرفه ولا أعرف ما اسمه ، فرجعت منه بالسحر فجرت به يدى على العود ، فمن هناك تلك (الاسطوانات) التى كنتم تعرفونها لى .

لا ، لا تلحفوا على (سألتكم بالله) ، لن أذكر لكم هذه التفاصيل، إنى انتزعها من لحمى ودمى ، فدعو هالى ، إنها حظى من حياتى أتعلل بها وحدى . لا أحب أن تلوكها الأفواه ويتلهى بها قراء المجلات . لقد كانت الخاتمة أن أصدقاء أبى عطفوا على ، فخطبوها لى وكان العقد وصارت زوجتى ، ولـكن الله لم يشأ أن تتم سعادتى فرضت ثم ...

وغلب عليه البكاء ، فلم يستطع أن يخرج الـكلمة ، فأداها بإشارة مبتلة بالدمع ، محروقة بأنفاس الألم !

* * *

وسكتنا — فقال بعد هنيـة :

وقد ذهبت أودعها — فأخـذت يدها بيدى ، وكانت تلك أول مرة وآخرها ، كأنى أنازع الموت إياها — وأسحبها منه :

— إنك غداً ، تحب غيرى وتضرب لها على عودك .

قلت . لك على عهد الحب ، لا نظرت بعـدك إلى امرأة ، ولا أجريت يدى على عود .

وسكت ، ونظر إلى العود كأنه يريد أن يعتنقه لينطقه بالمعجزات ، ويترجم به عن لواعجه ، ثم غلبه البكاء مرة ثانية فقام ، وانسللنا نحن واحداً بعد واحد ، وأغلقنا الباب ونحن نسمع نشيجه !

(دمشق) **على الطنطاوى**

من وحى جويو

الحيــــاة ...!

للأستاذ زكريا إبراهيم

هؤلاء الفلاسفة الذين طالما عنينا أنفسنا بدراسة آثارهم وتتبع أفكارهم ، مابالهم قد حدثونا عن كل شىء إلا الحياة ؟ لقد ملأوا أسماعنا بأحاديثهم عن الفكر والوجود والعلة والقوة واللذة والغريزة ولكن أحدا منهم لم يحدثنا عن الحياة حديثاً شاملا مفصلا . أتراهم قد توهموا أن الحياة ليست شيئاً أكثر من الغريزة ، أو من حساب اللذات (على طريقة بنتام) ، أو من الأنانية وتقديس الذات (على طريقة نيتشه) ؟ ... ولكن ، لا ؛ إن الحياة شىء أكثر من هذا كله ، لأنها فى جوهرها فيض وتوسع وامتداد . فإذا كان أبيقور يقول : « إن الكائن يمضى حيث تدعوه لذته » فإن فى استطاعتنا أن نرد عليه بان نقول : « كلاً ، بل إن الكائن ليمضى مدفوعا من تلقاء نفسه ، ثم يجد اللذة فى الطريق . فاللذة ليست هى الشىء الأول ، وإنما الشىء الأول والأخير هو الحياة » . والحياة تسير دون حاجة إلى قوة أعلى منها ، لأنها بذاتها حركة وقوة وإندفاع . فليست الحياة حساباً للذات ، كما زعم بنتام ، بل هى فعل ونشاط وفيض مستمر .

أجل ، إن الحياة لتنطوى فى صميمها على مبدأ الامتداد والتوسع والخصب والانتشار . فالوجود الحقيقى إنما هو ذلك الذى يتمثل فى تلك الحياة الخصبة الممتلئة ، التى لا تألو جهداً فى أن تفيض على الآخرين ، وتبذل من نفسها للآخرين ، وتشرك نفسها مع الآخرين . والكائن الحى ، إذا بلغ درجة كبيرة من الرقى ، فإنه يكون أشد نزوعا إلى حياة الجماعة ، لأن فى هذه الحياة فيضاً وتوسعاً وامتداداً

والحياة لا يمكن أن تكون أنانية خالصة ، حتى إذا أراد المرء ذلك ؛ فإن ثمة ضرباً من السخاء يلازم الوجود دائماً ، وبدونه يموت الكائن الحى أو تذبل نفسه . فإذا أردنا أن نستبقى حياتنا كان علينا دائما أن نزهر ؛ ومازهرة الحياة الانسانية إلا الايثار والتضحية وبذل الذات

إن الذات التى يزعمون أنها مغلقة ، هى فى الحقيقة مفتوحة ، وهى على إتفاق بالفطرة مع الذوات الأخرى ؛ بل إنها لتنفتح شيئاً فشيئاً ، وأكثر فأكثر . وإذن فالامتداد نحو الآخرين ليس معارضاً لطبيعة الحياة — كما توهم بعض الفلاسفة — وإنما هو على العكس من ذلك موافق للطبيعة ، بل شرط ضرورى للحياة المليئة الخصبة . — والواقع أن محبة الآخرين لا تفترق أبداً عن الحياة الحافلة الفائضة ، لأن مثل هذه الحياة مثل الأمومة الواسعة التى لا تستطيع أن تقف عند حدود الأسرة . « إن ثدى الأم (كما يقول جويو) فى حاجة إلى الشفاه النهمة التى تلتهمه وترتشف رحيقه الثر ؛ كذلك قلب الكائن الإنسانى حقاً ، هو فى حاجة أيضا إلى أن يرتمى الآخرون فى أحضانه ، لكى يجدوا فيه الغوث والنجدة . بل إن فى قلب المحسن نزوعا باطناً ، وميلا دفيناً ، نحو أولئك الذين يتجرعون مرارة الألم » .

أليست الحياة إذن إيثاراً وتضحية وبذلا للذات ؟ أليس جويو على حق حين يقول : « لى يدان : واحدة أصافح بها من أسير معه فى طريق الحياة ، والأخرى أنهض بها من يعثر . وفى استطاعتى أيضاً أن أمد كلتا يدى لهؤلاء . . » ؟ أليست الحياة العليا إنما هى تلك التى لا تألو جهداً فى أن تفيض على الآخرين ، كما سبق لنا القول ؟

إن اللذات الدنيا هى وحدها التى تتسم بطابع الأنانية . فحينما لا تكون هناك غير قطعة واحدة من الحلوى ، نجد أن الطفل يريد أن يستأثر بها . أما اللذات العليا فانها بطبيعتها لذات ليس فيها من الأنانية شىء .

قد يشعر الانسان بلذة فنية ، فهنا نراه لا يريد أن يستمتع بها بمفرده ، بل يريد أن يشعر الآخرين أنه يستمتع ويتذوق . فعند اللذة الفنية يريد المرء دائماً أن يعرف الآخرون أنه حى ، وأنه يشعر ، أو أنه يقاسى أو أنه يحب . إنه يريد أن يمزق نقاب الفردية .

والفنان الحقيقى لا يريد أن يكون بمفرده عند مشاهدته لشىء جميل أو عند اكتشافه لشىء عليه مسحة الصدق ، أو عند شعوره بعاطفة نبيلة .

أليس الفن للحياة وبالحياة فكيف لا يظهر فيه طابع الحياة مع أنه هو المعنى الباطن للحياة ؟ ألم يقل جويو إننى حينما أبصر الجمال ، فهناك أود أن أكون اثنين (لا واحداً) » ؟ إذن فكيف

من الأدب القومي :

يوم ... ويوم ... !

للأستاذ شكري فيصـــل

[إلى الذين يتساءلون : أين أنا ؟ ... إلى الذين عشت معهم ، في غفلة الدنيا ، على مقاعد الجامعة ورحابها ...]

— ١ —

شهدتك ، أيها الخفاق ، تتعالى فوق الثكنات الكبرى التي تحتاط دمشق ... واكتحلت عيناي بالأمل المزدهر على نسمات الريح وخفقات القلوب ... واستمعت إلى حفيفك الناعم يقص حديث السنين الخوالي ... ولم تتمالك عيناي ، أيها الخفاق ، أن تفترا عن الدمعات المندية التي لمحت من وراء غشائها الرقيق مراحل قصتك الدامية ... لقد ذكرت فيصلاً والملك ، والفرنسيين والهلك ، والصفحات الحلك السوداء التي جللت ثرى الوطن فاستعبرت ... والعبرات ، يا علمي ، العبرات التي كانت تنفر كالعزم الحديد في عيون الآلاف المتحلقة من حواليك كل ما ملك الناس في أصيل الرابع والعشرين من تموز

— ٢ —

وأين يوم من يوم ، أيها الخفاق ، منذ خمسة وعشرين عاماً آب الناس إلى بيوتهم تقطعهم الحسرات : الشهادات على أفواههم ، والجراحات في أجسادهم ، والدماء من خلفهم ومن بين أيديهم ، ومُلك فيصل النضير يجتاحه الغزاة العتاة كما يجتاح الزوبعة الروض المرع ... واليوم ، بعد هذه السنين الطوال العجاف ، لا تظل البيوتات رجلا أو امرأة ، شاباً أو فتاة ... لقد خرج الناس تهزج لهم المنى ، وتغني لهم الأحلام : الزغردات على أفواههم ، والعزمات ملء برودهم ، ومجد أمية من وراء العصور يتلألأ في أذهانهم ... ومضوا يملأون الطرقات إلى الثكنة العسكرية الكبرى ، إلى ثكنة « الحميدية » ، وانتشروا يتدفقون على عرض الدروب ، ويتدافعون على حفافي الشوارع ، ويتزاحمون على أطراف الأرصفة !

إنه يومك ، يا علمي ، كانت انتزعتك اليد الغاصبة لتحيل ألوانك ، وتخنق لمانك ، وتمزق عروتك الوثقى ... ولكن من دمائنا بعض ألوانك ، يا علمي ، ففديناك ... ومن بريق أعيننا لمانك فحفظناك ... وعلى عُراك هذه الوثقى تآلفت قلوبنا والتقت أفئدتنا ... فكنت خفقتها التي لا تني ، ونهضتها التي لا تفتر ، وعزمتها التي لا تكل !

— ٣ —

وحين وقفت هذه الجموع المؤلفة ، يا علمي ، كنا نحن ... هؤلاء الشباب المتفتحين على عبوس الأيام ، والمتقلبين في كالحات الليالي ... نرمق ساريتك القائمة كالساعد المفتول ... إنها وحدها هي التي كانت قيد نواظرنا فلم نتحول عنها ... لم تأسرنا روعة المكان ، ولم تأخذنا ضخامة البنيان ، ولم تلهنا الآلاف المتدفقة ، فلقد استحال كل شيء في نفوسنا بسمة تحييك ، وخفقة تناجيك ، وذكريات تواكبك ... وركزت أبصارنا في شرفتك العريضة في نظرات من الرجاء العريض ، والرغبات المستوفزة ، والأمل الوثاب ... ولم نعد نحن ... نحن الذين تعاورتهم السنون بالجدب ، وتعاهدتهم الحياة بالمصاعب ، وإنما رحبت بنا مطارح الأحلام ، وسمت بنا واسعات الأماني ، وبُدلنا دنيانا بدنيا أخرى ... فشهدنا في نشوة لذة الأطلال الخرائب جنة ممرعة ، والأسى الغالب فرحة محققة ، والأحزان المقيمة بهجة مونقة ... لقد تفتح لنا المستقبل عن وطن مهاب ، تملك ، أنت وحدك يا علمي ، أرفع ذراه ، وتتوسد أعلى رباه ، وتقف في شم صخوره وشوامخه ، وتمر بك نسماته تضمخها بالمجد وتعطرها بالإباء ، وتبعث بها إلى هؤلاء

لا يكون الفن في جوهره مشاركة وتوافقاً ؟

إن الحياة الخصبة الحافلة هي أولا وبالذات حياة اجتماعية ؛ فأينما فتشت عن الحياة ، وجدت الإيثار والتضحية وبذل الذات والأنانية هي سلب للحياة نفسها ، وإنكار لكل خصب وامتلاء ؛ لذلك كانت الحياة الفائضة الطافحة ، هي تلك التي تمثل الوجود الحقيقي .

وبعد هذا كله ليس في وسعنا إلا أن يقول كل منا مع جويو : « أنا لست مالكا لنفسي ، فإن كل موجود بدون الكل لا شيء ! » والإنسان لا يمكن أن يحيا أو يفكر أو يعمل ، إلا إذا كان ذلك للآخرين وبالآخرين ، ومع الآخرين !

(مصر الجديدة) **زكريا ابراهيم**

الذين يفتدونك طاهرة لم تلوثها خفقات غاصب ولا نفثات دخيل!

— ٤ —

وحين دخلنا ، يا علمى ، باب الثكنة الكبرى ، كانت محاجرنا تفيض بالدموع ، ومن خلال ألقها الصافى كانت تنسحب الذكريات الحلوة المريرة : أولئك الذين استشهدوا على حفافى الوادى فى ميسلون ، وفى ثرى النوطة فى دمشق ، وأرباض الجبل فى أرض بنى معروف ، ومعاقل الشمال فى حلب ... وهؤلاء الذين ذهب بهم الغدر فى الطرقات ، واستبد بهم اللؤم فى الشوارع ، وانتزعهم السلاح المعربد من فرشهم ... وجماعات وأفراد كانت السجون قبورهم ، والكهوف لحودهم ، والمنافى آخر عهدهم بالحياة ... وأمهات سبق إليهن الثكل ، وأطفال عدا عليهم اليتم ، وأسر باكرها الخراب ، وبيوت سطا عليها العذاب ... أولئك جميعاً كانوا كأنما تتمثل لنا مصارعهم فى سبيلك ، يا علمى ، فلا يبكينا الأسى ، ولا تنال منا الأحزان ، وإنما يبكينا أن تلفهم الأكفان الحمر قبل أن يشهدوا سناك الزاهى ، وجبهتك الناصعة ، ورفرفتك التى تحدث حديث المجد ، وتقص سيرة الكرامة ، وتروى نبأ الأبطال والبطولات !

— ٥ —

وفى الساحة الكبرى ، وقفنا نشهد — أيها الخفاق — ظفر الحق ، وانتصار العقيدة ... لطالما وقف فى هذه الساحة طغاة يرطنون ويعجمون ، ويصيحون ويصرخون ... لطالما جلدوا الأبرياء ، وأهانوا الأحرار ، ونكلوا بالمستضعفين ... لا النبل يهزهم ، فقد ذاب فى صدأ نفوسهم جوهر النبل . . ولا الشرف يردعهم ، فقد ذهبت يد الظلم بحلية الشرف ... ولا المشاعر الإنسانية تختلج فى أفئدتهم ، فلم يبق فيهم أفئدة تختلج فيها مشاعر ، وإنما هى مغاور تنفث السم ، وتتلظى بالكيد ، وتتوسل بالانتقام ...

واليوم ، اليوم يا علمى ، تشهد الساحة الكبرى خلقاً آخر وحفلا جديداً ... إنها لا تحس وطء الأقدام ، ولا ثقل النفوس ، ولا حلكة الظلم ... إنها لا تجد زمجرة الانتقام ولا استطالة البغى ، وليس عليها الساعة أوداج تنتفخ بالغيظ ، وعروق تتغزز بالحقد ... إنها تذكر ماضيها ، وتدرك أنها تعود للشعب الخيّر ، والجماعة النبيلة ... إن رمالها تتراقص ، وإنها لتتناغى فرحة طروباً كأنما تغنى معها الريح أروع الأناشيد : أنشودة الأرض حين تظفر بأبنائها الطيبين ... !

— ٦ —

... لن أنسى ، يا علمى ، هذه اللحظات الخاطفة ، حين امتد الزمان ، فغطى دمشق : ربيبته التى عمته الخلود ، بالصمت اللذ الناعم ، ونشرعليها رداء من السكون الهادئ العميق ... ثم بعث فيها صوتاً واحداً ، فيه الحياة عريضة كريمة ، وفيه الأمل ريّان مخضلا ، وفيه الفرحة قوية عميقة ... وأثار فى ذراها خفقة عنيفة نشيطة ، خفقت معها قلوب ، وعاشت معها نفوس ، وازدهرت بها أمانىّ ، ما كان أقربها إلى الذبول ... فأما الصوت فصوت البوق البشير ، وأما الخفقة فتجاوبك مع الريح ، يا علمى الحبيب!

والآن ... حين أمضى أيها الخفاق ، فى هذا الشارع النضر المتسع الرحاب ، فى طريق « كيوان » و « الربوة » تتسق بى الخطى مع طائفة من رجالنا المخضرمين ... إنهم شهدوا فى مثل هذا اليوم وهذه الساعة وهذا الطريق ، الجيوش المعتدية الظافرة تدخل دمشق دخول الجبارين ، فأغمضوا أعينهم على القذى ، وشدوا قلوبهم على الألم ، وانطووا فى نفوسهم على حرقة لاذعة !

واليوم ... اليوم تكتحل أعينهم بالموقف الخالد ، فيشهدون الفرق الوطنية الظافرة تحفظ على دمشق جبروتها وكرامتها وعزتها . إنهم ليستعبرون عَبرة الفرح ، وتتفتح قلوبهم على شذى « الغبطة » وتعود إليهم نفوسهم راضية جذلة ...

يا ما أمتع حديثهم ، يا علمى ، إنه حديث الصبر المظفر ، والعقيدة المنتصرة !

***

لعينيك ، يا علمى ، لألوانك الزاهية ، ونجومك الزاهرة ، وبريقك الحلو ... هذه العزمات المتدفقة كهذا النهر ، النقية كهذه السماء ، الرائعة كهذا المساء !

إنك بضعة قلوبنا ، يا علمى ، فاخفق فى ذرى الوطن حارساً وأميناً . . ولتتحدث نسائمك إلى شهداء ميسلون تحمل لهم الحياة والفرحة ... !

(دمشق) **شكرى فيصل**

حاشية : هذا مقال كتبته وطويته ، وإنما نشره مقال الأستاذ الطنطاوى فى العدد (٦٣٤) من الرسالة الغراء .

العـــلاقة اللغوية

Linguistic Relatonship

بقلم الأستاذ عمر رشدى

إن السؤال الذى غالباً ما يعنى الباحث الجنسى هو : هل لهذه اللغة علاقة بتلك أم لا ؟ ونقصد بالعلاقة هنا وحدة الأصل مثلما يجىء شقيقان من أب واحد ، فإذا ما اتضح أن هناك لغات واحدة المصدر كانت الشعوب التى تتخاطب بها — فى وقت ما — تكوّن شعباً واحداً . ومن ناحية أخرى إذا ما كانت لغات شعبين جد مختلفة يتحدان من الناحيتين : الجنسية والثقافية ، كما هى الحال فى المجر وجيرانهم ، فإنه يبدو أن عنصراً من هجرة متقطعة له علاقة بذلك ، فقد يضطر جزء من مجموعة جنسية أصلية إلى إدخال بعض التعديلات فى لغته تحت تأثير المعرفة أو الحاجة أو الهجرة أو أى حادث تاريخى آخر مما يدعو إلى استبدال هذه اللغة بأخرى . وربما يكون العكس صحيحاً أيضاً ، إذ تكون المجموعتان متميزتين فى الأصل كل التميز ولكن تختلط ثقافتهما وتمتزج على أثر تجاورهما وتزاوجهما حتى يصبح الجنسان الطبيعيان جنساً واحداً بينما تظل اللغات منفصلة متباينة . والإصلاح الذى يدل على أن لغتين أو أو أكثر لها أصل واحد وليس لها علاقة ما بلغة أخرى من اللغات هو « العائلة اللغوية Linguistic Family » كما أن كلمة « الكتلة اللغوية Linguistio Stock » تستخدم مرادفة لها .

هذا هو الأساس الجوهرى فى تقسيم اللغات ، واللغات التى قد يكون فيها تشابه ما فى الأسلوب أو فى البناء كالتصريف مثلا يجب أن توضع فى عائلة واحدة . والذى يعنينا هنا هو أن يستعمل اصطلاح « العائلة اللغوية » أو مرادفه « الكتلة اللغوية » للدلالة على أن مجموعة من اللغات موحدة الأصل ، أما المجموعات الأخرى فيشار إليها بعبارات أخرى .

لكى نتعرف العلاقة بين اللغات نلجأ إلى طريقة المقارنة ، فإذا تشابهت أساليب أو قواعد أو كلمات لغتين إلى الحد الذى لا يظن فيه أنه حدث لمجرد المصادفة ، فليس من شك فى أن هذه الكلمات المتشابهة ترجع إلى أصل واحد . وإذا لم يظهر بالمقارنة علاقة فيجب أن تصنف اللغات فى عائلات متميزة . وليس من الضرورى أن يدل عدم وجود العلاقة والتشابه بين لغتين على أنهما ليستا من أصل واحد ، لأن توالى الأزمنة كفيل بتغييرها تغييراً يمحو أى تشابه بينهما ؛ وللخبير وحده أن يتبين العلاقة بينهما . وقد يبدو لنا أن بعض اللغات لا تتشابه مع أننا لو عدنا بالماضى القهقرى اتضح لنا وحدة أصلها ، وقد يرجع هذا إلى عدم معرفتنا تاريخ هذه اللغات أو كيف نحللها ونكتشف العلاقة بينها . وكثيرا ما يظهر — بعد الدراسة الدقيقة — أن مجموعة من اللغات ليس بينها تشابه ترجع إلى أصل واحد ، فى مثل هذه الحال ما كان يعتبر عائلات لغوية متعددة هو فى الواقع عائلة لغوية واحدة .

ولكى نقدر التشابه بين اللغات فإن الكلمات التى نتخذها برهاناً يجب أن يتوافر فيها شرطان : أولا التشابه فى اللفظ ، وثانياً التشابه فى المعنى ، فالكلمة الإنكليزية eel والكلمة الفرنسية ile يتشابهان فى اللفظ ولكنهما يختلفان فى المعنى ، بحيث لا يمكن أن نرجعهما إلى أصل واحد ، فكلمة ile مشتقة من الكلمة اللاتينية insula بينما كلمة eel تمت بصلة إلى الكلمة الألمانية aal . وهاتان الكلمتان insula و eel تختلفان فى اللفظ والمعنى فلا يمكن إرجاعهما إلى أصل واحد . وإذا فرض أن ضاع الأصل اللاتينى والألمانى ولم يكن يعرف شىء عن تاريخ اللغتين الإنجليزية والفرنسية ، ولم يكن معنى ile جزيرة بل سمك أو ثعبان الماء ... حينئذ يمكن أن نقول بوجود علاقة بينهما .

وهذه الحالات المشكوك فيها ناتجة عن أن تلك اللغات لم تدون عند بعض الشعوب . ففى لغة أهل كاليفورنيا القدماء الذين يطلق عليهم اسم « يوكى Yuki » نجد كلمة Ko بمعنى go ، و com بمعنى come ولكن البحث أثبت أنه لا توجد علاقة ثابتة بين اللغة الإنجليزية ولغة كاليفورنيا ، فلا يدل وجود التشابه بين بعض الكلمات قطعاً على وجود علاقة بين اللغتين ، فكثيرا ما يصادف أن تشابه بعض الكلمات كلمات لغة أخرى فى اللفظ والمعنى ، وقد يرجع هذا إلى أن بعض اللغات تستعير كلمات لغة أخرى كما هى الحال فى اللغة الإنجليزية إذ نجد بها بعض كلمات فرنسية ولاتينية .

* * *

إن عدد العائلات اللغوية — من الناحية النظرية — ليس

أمراً مهماً فإن هـذا العدد لا يمكن أن يحدد ، وكلما تقدمت بنا المعرفة والعلم بدت لنا قوانين جديدة تعمل على توحيد تلك الكتل التى تبدو لنا الآن منفصلة . وفى كل من آسيا وأوربا اللتين تعتبران — من هذه الناحية — وحدة واحدة ، لا يتعدى فيهما عدد العائلات اللغوية أربعا وعشرين ، وأهم تلك اللغات باعتبار عدد الذين يتكلمونها هى « الإندو الأوربية » Indo European أو الإندو الألمانية Indo Germanie أو الآرية Aryan Family وهذه تنتشر فى جنوب غربى آسيا ، ومعظم — إن لم يكن — كل أوربا . وأهم فروع اللهجات الآرية هى الهندية والسلافية والألمانية واللاتينية . واللغات الأخرى هى : الإيرانية والأرمنية واليونانية والإغريقية ، والألبانية ، والبلطية والسكلتية .

وقد انتشرت فى هذه العصور الحديثة من أوربا العائلة الآرية كاللغة الإنجليزية والأسبانية والفرنسية والروسية إلى أقاليم أخرى مثل استراليا وأمريكا حيث يقطن معظم أراضيها شعوب تتكلم هذه اللغات . ويمتد توزيع اللغات الآرية على شكل حزام من غرب أوربا إلى شمال شرق الهند ، ولا يعترضها فى الطريق سوى آسيا الصغرى التى حلت اللغة التركية فيها محل اللغات الآرية . كذلك احتلت اللغات التركية المنطقة التى فى شمال بحر بلطق . ومما يضاهى اللغة الآرية من حيث عـدد الذين يتكلمونها اللغات الصينية Sinitic التى تنتشر فى الصين الأصلية ، واللغات الألتية Altaic Stock التى تتمثل فى اللغات التركية والمغولية والمنشورية وهـذه تنتشر فى شمال ووسط آسيا وبعض جهات أوربا .

أما شرق أوربا وشمال غرب آسيا فهو موطن اللغات الأورالية Uralic ولغـات الفينو Finons والهنغارية المجرية Magyars Hungarian . ويوحد معظم العلماء هذه الفروع الأورالية الثلاثة مع الفينو والساموبد ويضمونها فى عائلة أورالية ألتية واسعة .

ومن العائلة السامية اللغة العربيـة ، وهى من أعظم اللغات السامية حياة وتمثيلا ، وتشبهها — كنصف شقيقة لها — اللغة الأمهرية فى الحبشة . وكثير من الشعوب القـديمة كانت تتكلم اللغات السامية مثل البابليين والأشوريين والفينيقيين والقرطاجنيين والعبرانيين .

ومن اللغات الهامة لغة الدرافيدا فى جنوب الهند ويبلغ عدد الذين يتخاطبون بها نحو من خمسين مليوناً ، وكذلك من اللغات الهامة لغة اليابان ولغة كوريا ، وقد تكون لغة أنام مستمدة من اللغة الصينية ولـكنها تعتبر إلى حد ما مستقلة عنها .

(مترجم بتصرف)

عمر رشدى
ليسانسيه فى العلوم الجغرافية
من جامعة فؤاد الأول

على هامش الشعر السياسى

للأستاذ عبد القادر القط

لهذا الكتاب الذى أخرجه الأستاذ أحمد الشايب قيمة خاصة ، فؤلفه أستاذ بكلية الآداب — ومؤلفات الأساتذة فى جامعاتنا تأخذ فى أذهان الطلبة صفة المقررات ، يحتذون منهجها فيما يكتبون من أبحاث ، وينظرون إلى حقائقها نظرة فيها كثير من الإيمان بصدقها وسلامتها . وهذا ما حفزنى للكتابة عنه قبل أن يبدأ العام الجامعى الجديد .

والشعر السياسى كغيره من ضروب الشعر فن من فنون القول ، له طابعه الخاص ومقوماته البيانية التى تميزه وتكسبه صفات ليست لسواه من فنون الشعر الأخرى . فإذا ألف مؤرخ أدب كتابا عن الشعر السياسى فإن من الطبعى أن يتحدث عن هذا الفن وكيف أثرت السياسة فيه وقادته إلى صور من التعبير ينفرد بها ، وجعلت أصحابه ذوى طابع فنى واضح يعرفون به دون سائر الشعراء أو يعرف به شعرهم السياسى دون بقية شعرهم .

ولكن الأستاذ عكس الآية — كما يقولون — فتحدث عن السياسة والخلفاء والولاة والأيام والأحداث وأفاض فى ذلك كله حتى خرج كتابه تاريخاً لا يمت إلى الأدب بسبب سوى أن رجال هذا التاريخ كانوا يقولون الشعر .

وقد تفاءلت خيراً حين قرأت له فى المقدمة « أما المنهج العام لهذه الفصول فقد قام على أصلين أحدهما سياسى والثانى فنى » ثم عدت فتوجست شراً حين رأيته يسهب فى هذه المقدمة عن الأصل الأول ويقتضب الكلام اقتضابا عن الأصل الثانى ، وما لبث هذا الشر أن طالعنى فى كل صفحة من صفحات الكتاب

وحسب القارئ أن يعلم أن المؤلف قد كتب فصلا طويلا عن الشعر السياسى فى الجاهلية شغل به خمساً وستين صفحة ثم لم يكتب عن جانبه الفنى إلا هذه العبارة « والوصف العام لهذا الشعر أنه شعر العاطفة الصادقة والمعانى القريبة والخيال البسيط الجميل والعبارة السهلة الخالية من التعقيد ، مع حسن اختيار البحور العروضية» . أما كيف كانت هذه العاطفة الصادقة والمعانى القريبة ، وأما مظهر هذا الخيال البسيط الجميل وهذا الاختيار الحسن للبحور العروضية فشىء لا يعنى المؤلف فى كثير ولا قليل !

وحسب القارئ أن يعلم مرة أخرى أن فصلا ملأ سبعين صفحة من الكتاب قد ختمه المؤلف فى حديثه عن الصفات الفنية للشعر السياسى فى صدر الإسلام بقوله : « أما عبارات الشعر وصياغته الفنية فقد اضطربت بين القوة والضعف لأن الشعراء الذين شغلوا هذه الفترة مخضرمون أو مغمورون — والأولون تغير عليهم الجو فلم يستطيعوا مجاراته دائماً ، ومنهم من انصرف عن الشعر إلى القرآن ، والآخرون قالوه قطعاً فى مناسبات شتى ، على أن تأثير القرآن تأخر إلى الجيل الجديد » . أما كيف كان ذلك فلا يجيب الأستاذ عنه بزعم ولا يقين .

وأستميح القارئ أن يعلم للمرة الثالثة والأخيرة ختام فصل طويل عن شعر الخوارج : « ... وكان جديداً فى أساليبه الرقيقة السلسة الجزلة التى تعتمد على القرآن الحكيم كما رأينا قبلا لعمران ابن حطان حين قال :

فنحن بنو الإسلام والله ربنا وأولى عباد الله بالله من شكر

مضمناً قوله تعالى : إن أكرمكم عند الله أتقاكم . وقول عيسى ابن فاتك الحبطى :

هم الفئة القليلة غير شك على الفئة الكثيرة ينصرونا

فهذا معنى قوله تعالى : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله»

وإذا كان هذان البيتان — فى ذوق المؤلف — جديدين فى أسلوبهما « الرقيق السلس الجزل » ، فقد فهمنا لماذا يتنكب الحديث عن الجانب الفنى ويقتضبه فى عبارات مرقمة ؟! وما أيسر أن يقول المرء : هذا جديد ، وهذا قديم ؟ وما أيسر أن يأخذ من هذه الأحكام الشائعة فيقرر أن الأدب الجاهلى أدب الفطرة السليمة وأن أدب الشيعة أدب حزين ، وأدب الخوارج أدب رصين . ذلك كله شىء ميسور ، ولكن مناقشة هذه الآراء وبسط هذه الأحكام ومعالجتها بالذوق المرهف والإحساس اليقظ فشىء لا يتيسر لكثير من المؤلفين . واقرأ له قوله فى « تلخيص » مذهب ابن قيس الرقيات تجد مصداق ما نقوله : « (٣) وبجانب ذلك تسود شعره السياسى عاطفة حزينة تشبه عاطفة الشيعة ولكنها لا تماثلها ، إذ كان حزنه على قومه وعصبته العامة ، وكان حزنهم على أنفسهم وعصبتهم الخاصة » . فقد حكّم المنطق حين كان يجب أن يحكم الذوق ، فأسلمته مقدماته الخاطئة إلى نتيجة خاطئة ؛ ولو قد قرن بين شعر ابن قيس وشعر الشيعة مقارنة فنية صحيحة لأدرك أن فن ابن قيس يفيض بالحزن الصادق واللوعة المريرة فى رثائه صرعى وقعة الحرة ، وفى بكائه أمر قريش وقد تفرق ، ولأدرك أنه فى ذلك يفوق بكثير شعراء الشيعة . ولكنه المنطق ، والمنطق الجاف !

فليس الشعر إحساساً نفسياً فحسب ، ولـكنه تعبير فنى عن هذا الإحساس . وقد لا يكون الشاعر أرهف الناس شعوراً ولا أعمقهم حساً ، ولـكنه بموهبته يستطيع أن يحمل الألفاظ من الإيحاء ما لايمكن أن يحملها إياه من هم دونه فى الملكة والبراعة وإن كانت قلوبهم تتفتت من الحزن ! فليبك الشيمة أنفسهم ، وليبـك ابن قيس قومه ، فذلك لا ينقص ولا يرجح فى ميزان الفن ، وإنما يكون الترجيح بمقدار ماوفق الشاعر إليه من الإبانة عن فـكره وعاطفته ، وما بثه فى فنه من صور بيانية وعبارات موحية . وليس السبيل إلى هذا الميزان الصادق أن يقول المؤلف فى الحـكم على فن ابن قيس : « يمتاز أسلوبه بالجزالة فلم يكن رذلا ولا سفسافاً على الرغم من إقامته بتكريت ومن طعن اللغويين على شعره ورفضهم الاحتجاج به » . فذلك أشبه بهذه العبارات التى سئمنا سماعها من قولهم : « كثير الماء ، مشرق الديباجة ، حسن السبك » .

لقد رفض اللغويون الاحتجاج بشعر الشاعر ، فقد كان فى شعره إذن خروج على ما ألفه اللغويون من الأساليب ، ورفضت أنت حكم هؤلاء اللغويين ؛ أفما كان لنا أن نسمع فى إسهاب رأيك ورأى هؤلاء ؟ ! وما الذى أخذوه عليه ، وما الذى أعجبك منه ؟ ولـكن الأستاذ يكتب عن الفن فى عبارات مرققة !

ولما كان المؤلف أستاذاً فى الجامعة كما بدأنا القول ، فذلك يمضى بنا إلى الحديث عن دراسة الأدب العربى فى كلية الآداب ، فالـكتاب تنقيح لما ألقى المؤلف من محاضرات فى هذا الموضوع

والأدب فى قسم اللغة العربية بكلية الآداب يدرس على أنه وثائق تاريخية تصـور ما كان فى المجتمع العربى من أحداث . لذلك يختار الأساتذة أحفل الموضوعات بهذه النواحى التاريخية من أمثال الشعر السياسى ونقائض جرير والفرزدق ، ويغفلون موضوعات لا تقل عنها شأناً وخطراً ، ولعلها تفوقها بياناً وفناً ، وتفتح للحديث عن مشاكل الشعر الفنية آفاقاً أرحب وأوسع . غاية الجهد أن يقسم الأستاذ النقيضة إلى أغراض: نسيب وفخر وهجاء. ثم يتحدث عما فى هذه الأغراض من معان ويقارن بينها وبين ما ورد فى القصيدة المناقضة ، كل ذلك فى منطق جاف ، ونظرة عقلية محضة ، وعبارات مرققة ، لا يعرض لصور بيانية ولا لفظ جميل أو قبيح ، ولا يصف إحساساً صادقاً أو زائفاً ، ولا يوضح تقليداً ولا تجديداً

والطلبة يستمعون إلى هذه الدروس الجامدة فى ضيق وملل ، وينظرون فإذا إخوانهم فى الأقسام الأخرى يتلقون دراسة حية للأدب تعنى أكبر العناية بالفن ومظاهره ، وتقارن مقارنة دقيقة بين الشعراء ، وتطلع على ما تصدره المطبعة كل يوم من كتب جديدة . ينظر الطلبة إلى هذه الدراسة الحية فى الأقسام الأخرى ، ثم ينظرون فإذا الأدب فى قسمهم وثائق تاريخية ، وإذا دراسة النقد الأدبى تقصرعلى طلبة الامتياز ابتداء من السنة الثالثة ليتلقوا نظرات جزئية فى تاريخ النقد عند العرب تبدأ أولاها بأن النقد مشتق من نقد الدينار ، أى اختبره ليتبين أزائف هو أم صحيح ؟

ويشتد ضيق الطلبة بهذا الجمود ، فيؤلفون من بينهم جماعات تدرس الأدب المصرى الحديث وتراقب المطبعة العربية فيما تخرج من كتب ، يلقى أحدهم بحثاً ويناقشه إخوانه فيه ، ثم لا يجدون من أساتذتهم عناية ولا رعاية ، ولا يكلف الأساتذة أنفسهم مشقة الاستماع إلى مثل هذه المحاضرات من تلاميذهم ، بل إنهم ليوجسون خيفة من هذه المحاضرات ، ويعتقدون أنها تصرف الطلبة عما ينبغى لهم من جد وما يجب عليهم من إخلاص نحو دراسة الشعر السياسى ونقائض جرير والفرزدق ! راجت بينهم خرافة أن كلية الآداب تخرج علماء لا أدباء ، وفاتهم أن عالم الأدب لا بد أن يكون فى قرارة نفسه أديبا ، ولا بد أن يتابع الآداب فى نموها وتطورها ، ويربط قديمها بحديثها ، حتى يستطيع الحـكم ببصيرة نافذة وإحساس صادق على ما يقرأ . راجت بينهم هـذه الخرافة ، فهم لا يطمئنون كل الاطمئنان إلى الطلبة الذين يبدون ميلا إلى دراسة الأدب الحديث أو المشاركة فيه بالإنشاء ؛ تماما كما كان ينظر علماء الأزهر القدماء إلى الشيخ المرصفى وتلاميذه على بعد بين ما كان يدرسه تلاميذ المرصفى وما يدرسه الآن طلبة كلية الآداب . ولن يطمع طالب أن يستطلع رأى أستاذ فى قصيدة نظمها أو قصة كتبها أو نقد لـكتاب مما يقرأه الناس . لن يطمع طالب فى ذلك ولئن فعل فلن يجد اهتماما ، ولئن وجد اهتماما فلن يجد غناء !

إن أمثال هـذه الدراسات الجافة المربكة التى يمثلها كتاب « تاريخ الشعر السياسى » لتصرف الناس عن قراءة الأدب العربى القديم وتزهدهم فيه ، وخير لأساتذة الجامعة أن يروضوا أنفسهم على إرضاء النزعات الحديثة فى نفوس طلابهم ، فذلك ينفض عن الأدب العربى القديم ما أورثته هذه الدراسات من جمود

عبد القادر القط

٥ - نظـــــرات

فى دائرة المعارف الاسلامية

للأستاذ كوركيس عواد

(تتمة)

ونذكر تعليقاً على ما وَرَدَ فى ١ : ١٩١٤١٢ — ٢٣ أن كتاب « حلية الأولياء » لأبى نعيم الأصفهانى ، طبع فى عشرة مجلدات « القاهرة ١٩٣٢ — ١٩٣٨) . وكذلك كتاب « صفة الصفوة » لابن الجوزى طبع فى أربعة مجلدات (حيدر آباد ١٣٥٥ — ١٣٥٧ هـ) .

وفى ١ : ٥٧٢ | ١٧ كان مفيداً أن يشار إلى كتاب «الحوادث الجامعة» لابن الفوطى . ففيه تفصيل وافٍ عن مجىء المغول إلى إربل .

وفى ٢ : ١٩١٨٠ يضاف فى الحاشية أن الدكتور فيليب حتى نشر كتاب « الإعتبار » لأسامة بن منقذ (برنستن ١٩٣٠) وهى طبعة تفوق طبعة درنبرج التى تقدمتها .

وتعليقاً على ما ورد فى الأسطر الأربعة الأخيرة من ٢ : ٨٠ ب نقول إن الأستاذ أحمد محمد شاكر نشر كتاب « لباب الآداب » لأسامة بن منقذ (القاهرة ١٩٣٥) .

وفى ٢ : ٩٨ ب ١٣ يضاف فى الحاشية أن كتاب « العبارة » (بارى أرمينياس لأرسطوطاليس ترجمة إسحق بن حُنين) نشره بولاك J. Pollak فى ليبسك سنة ١٩١٣ .

ونقول تعليقاً على ما ورد فى ٢ : ٢٦٤ | ٢ أن النصف الأول من « كتاب الزهرة » لأبى بكر محمد بن داود الأصفهانى ، نشره نيكل A. R. Nykl وابراهيم عبد الفتاح طوقان فى بيروت سنة ١٩٣٢ بنفقة جامعة شيكاغو .

أما رحلة أبى الثناء الآلوسى (المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ) المذكورة فى ٢ : ٦٠٢ | ١٣ — ١٩ ، المسماة « نشوة المدام فى العودة إلى مدينة السلام » فقد طبعت فى مجلد واحد مع رحلته الأولى المسماة « نشوة الشمول فى الذهاب إلى اسلامبول » (مطبعة الولاية ببغداد سنة ١٢٩١ و ١٢٩٣ هـ) .

ونعلّق على ما وَرَدَ فى السطرين الأخيرين من ٢ : ٦٠٢ ب أن الكتاب الذى نال فيه السيد محمود شكرى الآلوسى جائزة ملك السويد هو « بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب » . وقد طبع مرتين ، الأولى فى بغداد (١٣١٤ هـ) ، والثانية فى (القاهرة ١٩٢٤ — ١٩٢٥) كل منهما فى ٣ مجلدات .

وفى ٢ : ٦١٩ | ١٩ كان مفيداً أن يقال إن كتاب « المؤتلف والمختلف فى أسماء الشعراء » للآمدى ، نشره كرنكو F. Krenkow مع كتاب « معجم الشعراء » للمرزبانى (القاهرة ١٣٥٤ هـ) .

وفى ٢ : ٦٥٩ ب ٦ — ٨ ورد قوله : « ومما صنّفه (أمين ابن حسن حلوانى المدنى ، المتوفى سنة ١٣١٦ هـ) مَطَالع السعود بطيب أخبار الوالى داود ، وهو كتاب فى تاريخ داود باشا » . قلنا : إنه لم يصنّفه بل اختصره . فالأصل لعثمان بن سَنَد البصرى المتوفى سنة ١٢٤٦ وهو لما يطبع ، إنما طُبع مختصره لأمين حلوانى المدنى فى بومبى سنة ١٣٠٤ هـ .

وفى ٣ : ٥ | ١٩ قرأنا قوله : « ورسالة (من تآليف أبى البركات الأنبارى) تسمى الزهور ، ذكرها عبد القادر البغدادى فى كتابه خزانة الأدب ، بلاق ١٢٩٩ ج ٢ ص ٣٥٢ س ١٤ » انتهى .

قلنا : ولما راجعنا خزانة الأدب فى الموطن المشار إليه ، وجدناه يسميها « الزاهر » وهو ما يشاهَد أيضاً فى كشف الظنون (٣ : ٥١٩ لندن ، أو ٢ : ٣ استانبول) .

ونزيد على الأسطر الثلاثة الأخيرة من ٣ : ٤١ | ما يأتى : وتلاهُ ليفى بروفنسال E. Lévi - Provençal فوضع قائمة أخرى بهذا العنوان أيضاً ، وصف فيها طائفة من مخطوطات الاسكوريال » .

ومما قاله فى ٣ : ٣٢٤ ب ١٩ — ٢٠ ولم يؤخذ صورٌ فوتوغرافية لهذه النقوش (يقصد نقوش بافيان فى شمالى العراق ، وقد مرَّ بنا ذكرها فى بعض ملاحظاتنا) بعدُ » . قلنا : كان يمكن أن يذكر فى الحاشية ما يلى : بل إنها صُوِّرت بإتقان . وللاطلاع على تلك التصاوير راجع :

Bachmann : Fels eliefs in Assyrien. Bawian, Maltai und Gundük. (Leipzig 1927, PP. 1 — 22 ; PL. 1 — 17) .

Jacobsen and Seton Lloyd : Sennacherib's Aqueduct at Jerwan. (Bhicago 1935, PP. 44 – 49 ; PL. 13, 31 – 35) .

وفى ٣ : ١١٤٣٠ نقول إن قصة إشتر هى — على ما فى التوراة — قصة أو سفر استير .

وفى ٣ : ٨١٤٩٠ كتاب التنبه (للمسعودى) صوابه : التنبيه .

وفى ٤ : ١٣٩٩ ، كتاب الجواهر فى معرفة الجواهر . والصواب كتاب الجماهر فى معرفة الجواهر (وقد طبع فى حيدر آباد سنة ١٣٥٥ هـ) .

وفى ٤ : ١٧١٤٩٢ كتاب مغارة الكنز . صوابه : مغارة الكنوز .

وذكر فى ٤ : ٥٠٤ ب ٧ أنه « قد حال كبر حجم مؤلف الصفدى (كتاب الوافى بالوفيات) دون طبعه إلى الآن » . قلنا : نشر المستشرق ريتر H. Ritter الجزء الأول منه فى استانبول سنة ١٩٣١ .

وفى ٤ : ٥٨٨ ب ١٠ كان يحسن أن يقال فى الحاشية إن كتاب « الإشارة إلى محاسن التجارة » لجعفر بن على الدمشقى قد طبع فى القاهرة سنة ١٣١٨ هـ .

وفى ٥ : ١٣ ب ٢٠ ورد ذكر كتاب Hist. Mat وصوابه Hist. Nat وهو كتاب التاريخ الطبيعى الشهير تأليف بلينى .

رابعا : الأعداد

وَرَدَ فى ١ : ١١٦ ب ٨ « وتوفى (سبط ابن الجوزى) عام ٦٤٤ هـ » . والصواب ٦٥٤ هـ راجع : البداية والنهاية لابن كثير (١٣ : ١٩٤) والسلوك للمقريزى (١ : ٤٠١) والنجوم الزاهرة (٧ : ٣٩) وشذرات الذهب (٥ : ٢٦٦) .

وفى ١ : ١٤١١٥٠ قال : جـ ١ وصوابه : جـ ٦ .

وفى السطر الأخير من ١ : ١٣٢٤ ذكر عام ١٨٥٤ والصواب : أنه عام ١٨٩١ .

وفى ١ : ١٩١٣٨٩ قال : جـ ١ وصوابه : جـ ٥٠ وقد نشأ هذا الوهم من أن الرقم كُتِب فى الأصل رومانياً هكذا L ، فظن المترجمون أنه I .

ومما لفت نظرنا بوجه خاص قوله فى ١ : ٥٧٠ | ١٩ — ٢٠ « وهى (يقصد مدينة فى العراق) قرية صغيرة يبلغ عدد سكانها ٣٧٥٧ نسمة » . قلنا : هذا الرقم بعيد عن الحقيقة ، ولعل كاتب المقال نقل ذلك عن كتاب كوينه Cuinet المطبوع سنة ١٨٩٢ بعنوان Turquie d' Asie ويؤخذ من الإحصاءات الأخيرة أن نفوس إربل يبلغون ١٩٠٠٠ نسمة (راجع جغرافية العراق الثانوية لطه باشا الهاشمى . الطبعة الثانوية ، بيروت ١٩٣٩ ، ص ١٢١) . أما دائرة المعارف البريطانية (الطبعة الرابعة عشرة، سنة ١٩٣٧ ، مادة إربل) فتقول إن نفوس هذه البلدة ٢٥٠٠٠ نسمة .

وفى ٢ : ٧٦ ب ١٨ ذكر سنة ٤٥٤ هـ . وصوابها : ٥٨٤ هـ .

ومثله قوله فى ٣ : ٣١٦٢٩ سنة ١٨٩٦ م وصوابها ١٨٧٦ م .

ومما دوّنه فى ٣ : ٦٧١ ب ٢٥ — ٢٧ هذه العبارة : « ويتراوح عدد سكان هذه المدينة (مدينة البصرة) وفقاً للتقديرات المختلفة بين ١٨ ألف و٦٠ ألف نسمة ، والراجح أن التقدير الأقل هو الأصح » . قلنا : كان ينبغى التعليق على هذا القول الذى لا يحصّل منه حقيقة يركن إليها . وعندنا أن سكان هذه المدينة يبلغون الآن زهاء ٨٥٠٠٠ نسمة وهم فى تزايد مستمر .

وفى ٤ : ٢٣١٣ قرأنا باستغراب قول القائل « أما العراق ، فقطر مساحته ١٤٣٠٠٠ كيلو متر » . وهذا وهم . والصواب : أن مساحته ١٤٣٢٥٠ ميلا مربعاً ، أى نحو ٣٧٥٠٠٠ كيلو متراً مربعاً (راجع : مفصل جغرافية العراق لطه باشا الهاشمى . بغداد ١٩٣٠ ، ص ٥٥٢) .

وفى ٤ : ٥٧ ب ٢١ ذكر ص ٢٩٦ . وصوابها : ص ٢٠٦

وفى ٤ : ٥١٤٩٣ قوله : الطبرى المتوفى سنة ٢١٠ هـ . والصواب : سنة ٣١٠ هـ .

وكذلك ذكر فى ٤ : ٤٩٩ ب ١٨ أن وفاة الشابشتى سنة ٣٣٨ هـ . والصواب : أنها سنة ٣٨٨ هـ إذا أخذنا برواية ابن خلكان (وفيات الأعيان ١ : ٤٨١ بولاق الأولى) .

خامسا : الملاحظات المتفرقة

قال فى ١ : ١٥١١٤٧ — ١٧ « فرغب الخليفة المقتدر فى العام التالى فى إقصائه وإحلال ابن أبى البغل حاكم الفارسية مكانه » .

ويلاحظ أن لفظة « الفارسية » فى هذه العبارة تقابل لفظة Fars فى الأصل الفرنجى . قلنا : الذى فى تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء لهلال بن المحسّن الصابىء (ص ٣٤٠) أن « محمد بن أحمد بن أبى البغل ... كان يتقلد فارس » .

وكثيراً ما استعملت اللجنة (انظر مثلا ١ : ٢٢٧ ا ٥ و ٩ ؛ ١ : ٢٢٧ ب ٢٣ ؛ ١ : ٢٨١ ب ٤ ؛ ١ : ٢٨٢ ا ٦ و ٧ و ٨) لفظة « البطريك » فى محل « البطرْيَرْك » أو إحدى اللغات الواردة فيها كالبطريق أوالبطرك أو البترك أو الفطرك أو الفطريك أو الفطريرك . فلو اتخذت أحد الألفاظ لأصابت كبد الحقيقة فى تعريبها لفظة Patriarch الدالة على الرئيس الدينى الأعلى عند النصارى . بخلاف البطريق Patrician التى تدل على رتبة شرف عسكرية عند الرومان .

وقد وقفنا فى هذه اللحظة على نبذة ثمينة كتبها العلامة الأب أنستاس مارى الكرملى فى مجلة الثقافة (العدد ١٩٣ ص ٩٩١ — ٩٩٢) أوضح فيها الفرق بين إلبطريرك والبطريق .

وفى ١ : ٣٧٧ ب ٢٥ وَرَدَ قوله : « وقد حاول أبو العتاهية أن يجد حلاً لمعضلة الأثنينية » . وهذه الكلمة الأخيرة تعريب اللفظة Dualisme الواردة فى الأصل . قلنا : عرف الأقدمون من كتبة العرب هذه اللفظة ، فقالوا فيها « الثنوية » . راجع : الآثار الباقية للبيرونى (ص ٢٠٧) والملل والنحل للشهرستانى (١ : ١٨٨ طبعة كيورتن فى لندن سنة ١٨٤٢) واعتقادات فِرَق المسلمين والمشركين للرازى (طبعة على سامى النشار ص ٨٨ — ٨٩) .

وقال فى ٢ : ٢٦٤ ب ١٤ « وجعله (هرون الرشيد جعل الأصمعى) مؤدباً للأمير » . قلنا : الذى فى الأصل الفرنجى « وجعله مؤدباً لابنه الأمين » .

وقد وجدنا المعلومات الواردة فى ١ ٥٧٤ ب ١٤ — ١٦ قديمة لا يمكن أن يؤخذ بها ، وكان يحسن التعليق عليها بما يقربها من الحقائق المعروفة فى وقتنا .

وفى ٣ : ١١١٢ ا ٥ الخفيض . صوابها : الحضيض وهو من أوهام الطبع .

وقد لاحظنا فى ٣ : ٢٠٠ — ٢٠١ نقصاً ظاهراً بين هاتين الصفحتين فى سياقة المتن الوارد ، فلعله سقط شىء من العبارات .

وفى ٣ : ٣٠٧ ا ١١ الثقاة . صوابها : الثقات . ولعل هذا من غلط الطبع .

وفى ٣ : ٣١٠ ا قرأنا موضوعاً بعنوان « بالية » . والذى فى الملل والنحل للشهرستانى (٢ : ٤٤٠ كيورتن) : « البَـلِيَّـة » .

وفى ٣ : ٤٥٠ ا ٣ وردت لفظة بدرى . والمشهور أنها بادرى .

وفى ٣ : ٦٨٨ ا ٢٣ النديان . والصواب : أن يقال فيها الندائية .

وفى ٣ : ٦٨٨ ا ٢٤ ورد اسم « الصُبَّـاء » . وكان يليق القول إن هذه التسمية من تصحيفات العوام فى العراق ؛ أما فى المراجع القديمة فقد عُرفوا باسم « الصابئة » .

وفى ٤ : ٣٩٠ ب ٢٠ ضُبِطت لفظة كلَّك بتشديد اللام . والصواب بالتخفيف وزان حَلَب .

وقال فى مادة « التجارة » ٤ : ٥٨١ ا ٥ : « انظر اللفظتين السريانيتين[1] تكرا و » وقدسها عن ذكر اللفظة الثانية ، وهى على ما فى الأصل : تا كراً .

الختام

هذا أهم ما تراءى لنا مصحفاً أو مفتقراً إلى تعليق وإيضاح . وهنالك عدد لا يحصى من أغلاط الطبع ، تسربت إلى الألفاظ العربية والفرنجية ، ضربنا عن ذكرها صفحاً لضيق المقام ولعدم خفائها على أكثر القراء .

وإظهاراً للحق نقول إن ما أوردناه ليس إلا هنات هينات بالقياس إلى الأتعاب الكثيرة التى بذلها المترجمون الأفاضل والعناية الفائقة التى صرفوها فى إبراز هذه الترجمة بثوبها القشيب ، ذلك على كثرة ما يعترضهم فى هذا السبيل من العقبات وثقل التكاليف . ونحن نسأل الله أن توفق اللجنة لمواصلة هذا العمل الجليل فنراه يوماً ما — وهو ليس ببعيد — قد أوفى على التمام والكمال ، وأضحى مرجعاً ثميناً ومنهلا عذباً لطلاب البحوث الشرقية .

(بغداد) **كوركيس عواد**

---

(١) هما فى الأصل بالارمية ، لكننا كتبناهما هنا بالعربية ، ظنا منا أن الحروف الارمية غير متيسرة فى مطبعة الرسالة .

نظرية كونفوشيوس الدينية

للأستاذ أبو بكر هو غانجين الصيني

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

وكان يعيب على من قدم القرابين إلى أرواح غير آبائه . يقول في الفصل الثاني من كتاب الحوار :

« من قدم القرابين إلى الأرواح التي لا تستحقها فهو متملق، ومن رأى الصالحات ولم يعملها فهو جبان » . وكان يقدم الآلهة والأرواح على نفسه ويفاخر بمن عمل بهذا المبدأ . يقول في الفصل الثامن من الكتاب :

« ما عرفتُ في الملك يُو مثلبة فإنه كان يتناول من المطعم والمشرب الشيء البسيط ويقدم إلى الأرواح والآلهة ما هو في غاية اللذة ، وكانت بذلته ثياباً أخلاقاً وكانت ملابسه الخاصة بالشعائر والطقوس في غاية الجمال ، وكان يسكن في بيت حقير ويبذل قصارى جهده في حفر الترع والخنادق . ما عرفتُ فيه مثلبة .

لكن كونفوشيوس لا يحب أن يتملق الإنسان أرواح الأموات والآلهة بكثرة القرابين وشدة التقرب إليها بل يجب الابتعاد عنها :

« سأل فان جيه أحد تلاميذه عن الحكمة فقال له الأستاذ : الحكمة هي القيام بالواجبات للمجتمع الإنساني والاحترام لأرواح الموتى والآلهة مع الابتعاد عنها » . السادس من الكتاب .

وكان يرى تقديس الآلهة بالإخلاص والامتثال لأوامرها بالتحلي بالفضائل والاجتناب عن نواهيها بالتخلي عن الرذائل :

« لما اشتد مرض الأستاذ طلب منه تس لو (أحد تلاميذه) أن يسترحم له الآلهة فقال الأستاذ هل في ذلك أصل ؟ فأجابه : نعم ، لقد ذكر في كتاب التكهن القديم : « أسترحمُ لك آلهة السماء والأرض . قال الأستاذ : لقد استرحمتُ منذ زمن بعيد » أي بالفضائل والآداب التي يتخلق بها (السابع من الكتاب) .

وكان يرى احترام الموتى كاحترام الأحياء بل احترام الأحياء أوجب وألزم من احترام الأموات :

« سأل جي لُو (أحد تلاميذه) عن خدمة أرواح الموتى فقال له الأستاذ : لم نقدر على خدمة الأحياء فكيف نقدر على خدمة الأموات ؟ وقال جي لو : أسأل حضرتك مجترئاً عن الممات . قال الأستاذ : لم نعلم الحياة فكيف نعلم الممات ؟ » الحادي عشر من الكتاب .

٥ — نظرية كونفوشيوس في الإله الأعلى : السماء :

يحكي كونفوشيوس عن نفسه أنه يعرف قضاء الله وقدره وهو ابن خمسين (الفصل الثاني من كتاب الحوار) فكانت أعماله حينئذ لا تخرج عن أوامر الله وحدوده أبداً ، وكان يقدسه أعظم تقديس ويتقيه أشد تقوى ، وكان يتخلق بأخلاقه ويمثل صفاته في حركاته وسكناته ، وكان الله مثلا أعلى في أعماله في حياته ، وكان كل تعاليمه مبنية على معرفته في السماء معرفة تامة واعتقاده فيها اعتقاداً جازماً ما كان يتصدى لتعليم الناس ونشر الحق في العالم ، فالله مصدر علمه وغايته الأسمى :

« قال الأستاذ : أريد ألا أتكلم . قال تس كونغ . إن لم تكلم حضرتك فماذا نروى عنك نحن معشر التلاميذ ؟ قال : هل تتكلم السماء ، إنما تتعاقب الفصول الأربعة وتنشأ الأشياء متوالية ماذا تقول السماء ؟ » السابع عشر من الكتاب .

« قال الأستاذ : والهفاه ! لا يعرفني أحد . فقال تسُ كونغ : ماذا تعني حضرتك بعدم معرفة أحدٍ لك ؟ قال الأستاذ : لا أتذمر من السماء ولا أتفجر بالناس وإنما أدرس الأمور السلفية لأصل بها إلى الأمور العلوية لعل الذي يعرفني هو السماء! » الرابع عشر منه .

يسعي الفيلسوف كونفوشيوس لتعليم الناس وهو يعلم أنه لا يعرفه إلا الله فلا يجزع ولا يغضب إذا قامت العراقيل في نشر الحق ولا يتأخر في ذلك ما دام الله معه .

تأسف كونفوشيوس كثيرا جداً حينما توفي يِين يُونْ نابغة تلاميذه يقول : وا أسفاه لقد توفتني السماء ! لقد توفتني السماء ! وإنما قال ذلك لأن الحق قد فقد أحد ناصريه وأشد دعاته وأقوى ناشريه وأصدق عامليه لكنه يستسلم لقضاء الله وقدره لا يجزع ولا يفزع يقول في الفصل العشرين من كتاب الحوار :

« من لم يعلم القضاء والقدر لا يمكن أن يصبح رجلا كامل الخلق » .

« يقول تسى هسيا : إننى قد سمت أن الحيـاة والممات كلها بالقضاء والقدر ، والمال والجاه كلها فى يد السماء » . الثانى عشر من الـكتاب .

يعتقد كونفوشيوس بوجود الله القادر المريد الذى قدر الأشياء فى الدنيا لا يغيرها إلا هو :

« قال الأستاذ : إن انتشرت سنتى كان ذلك من القضاء والقدر وإن ضاعت سنتى كان ذلك من القضاء والقدر ، فماذا يستطيع كُونْغ بَىْ لِيُو[١] أن يعمله مع القضاء والقدر ؟ » الرابع عشر منه .

ويعتقد الأستاذ أن الإنسان الصالح يجب أن يتقى قضاء الله وقدره ، ومعنى ذلك أنه لا يعصى أوامره ولأجل أن أقوال الأنبياء والـكبار مبينة لأوامر الله كانت الأقوال يجب أن يعمل بها أيضاً :

« قال كونفوشيوس : للرجل الـكامل الخلق مخافات ثلاث : مخافة القضاء والقدر ، ومخافة كبار الدولة ، ومخافة أقوال الأنبياء . وأما الرجل النـاقص الخلق فلا يعرف القضاء والقدر ولا يخافه ويزدرى بكبار الدولة ويستهزىء بأقوال الأنبيـاء » السادس عشر منه .

٦ — صفات الله في نظر كونفوشيوس

إذا دققنا البحث فيما اعتقده كُونفوشيوس فى الإلـه الأعلى — السماء — فيما يحتويه كتاب الحوار وجـدناه يصف الله بالصفات الآتية :

(١) يعتقد أن الله قادر مدبر جبار عزيز لا يغير إرادته أحد ولا يقدر أحد على مخالفة القدر والقضاء :

« قال الأستاذ : قد خلقت السماء فى نفسى هذه الفضائل فأى شر يمكن أن يريده بى هوان طى[١] ؟ » السابع من الـكتاب .

« لما وقع الأستاذ فى الخوف من أهل كوانغ[١] قال :

ألم تكن الثقافات والآداب عندى هنا بعد أن توفى الملك ون ؟ إن كانت السماء تريد أن تضمحل هذه الثقافات والآداب ما كان لى نصيب منها وإن لم تكن تريد أن تضمحل هذه الثقافات والآداب فماذا يمكن أهل كوانغ أن يعملوا بى ؟ » .

(١) كونغ بى ليو وهوان طى وأهل كوانغ أعداء كونفوشيوس وتلاميذه الذين يعرقلونهم فى سبيل نشر الحق والعدل .

تبين مما سقناه أن كونفوشيوس كان مضطهداً لأعدائه أعداء الحق لـكنه يعرف أن الله معه وأن الحق لابد أن يظهر وإن كره الـكافرون المنكرون ، وأن ما أراده الله وقدره لا يمكن أن يتغير ويتبدل ، وأن قوة الإنسان وإن بلغت أشدها لا يمكن أن تحول إرادة الله وقدره أبداً ، وهذه العقائد راسخة فى نفس كونفوشيوس دافعة إلى العمل من دون جزع ولا خوف وهى عقائد دينية متينة .

(٢) يعتقد أن الله عليم بكل شىء لا ينخدع ولا يغتر :

« لما اشتد مرض الأستاذ جعل تس لو يمثل تلاميذه خدماً له رسميين . ولـما تناقص مرضه قال : طالما يخدع تس لو . ليس لى خادم رسمى فإن تظاهرت بأن لى خدماً رسميين فمن ذا الذى أخدعه ؟ هل أخدع السماء ؟ » التاسع من الـكتاب .

(٣) يعتقد أن الله يجزى الأعمال إن خيراً فخير وإن شراً فشر . وإن كانت الأعمال موافقة لأوامر الله وإرادته كانت خيرا وإلا كانت شراً فيجزى الأولى بالسـعادة والنعيم فى الدنيا والثانية بالعذاب والشقاوة فيها :

« لما زار الأستاذ الأميرة نانْ تس (المشهورة بفسادها) سخط تس لو فخلف الأستاذ قائلا : لو ارتكبت ما لا يليق غضبتْ علىَّ السماء ! غضبتْ علىَّ السماء ! » السادس من الـكتاب .

هذا الـكلام إنما يدل على أن الأمور المنكرة يجزيها الله بالعذاب والشقاوة ويقطع دابر فاعلها .

« سأل وانغ سون قائلا : ما معنى هـذا المثل : التملق لإلـه التنور أفضل من التملق لإلـه الزوية الغربية الجنوبية من البيت ؟ قال الأستاذ : كلا ! من أجرم نحو السماء فلا محل له بالدعاء[١] » . الثالث من الـكتاب .

يدل هذا القول على أن السماء لها الحق فى الجزاء بالخير والشر ، وأنها تجزى الأعمال السيئة التى تخالف أوامر السماء وإرادتها بالشر والعذاب وأنه لا يستخيرها من يخالف أوامرها ولا يستغفرها

(١) كان وانغ سون جيا وزيراً مستبدا شبه نفسه بإله التنور وشبه أميره بإله الزاوية الغربية الجنوبية للمنزل الذى لا شأن له في أمور الدولة ومراده أن يقول لـكونفوشيوس تملق لى إن أردت الوظيفة لأن أمور الدولة كلها فى يدى ولا تتملق للأمير الذى ليس له شأن فى الدولة فقال له كونفوشيوس : كلا ! إن الأمور كلها فى يد السماء (أى فى يد الملك) لا فى يد غيرها

ولا يطلب منها رحمة ولا نعمة .

« لما اشتد مرض الأستاذ طلب منه تس لو أن يسترحم له الآلهة . فقال الأستاذ : هل فى ذلك أصل فأجابه نعم ! لقد ذكر فى كتاب التكهن القديم : أسترحم لك آلهة السماء والأرض . قال الأستاذ : لقد استرحمت منذ زمن بعيد » . السابع من الكتاب

يدل هذا الكلام على أن الأمراض عذاب الله الذى يجزى به الأعمال الفاسدة ، كما انتشرت هذه الفكرة عند قدماء الصينيين ، وكذلك استرحام آلهة السماء والأرض عند المصائب عادة من عاداتهم القديمة . لكن كونفوشيوس يعرف أنه على حق فى كل أعماله لم يخرج عن حدود الله ولم يخالف أوامره أبداً فلذلك أجاب تلميذه بقوله : لقد استرحمت منذ زمن بعيد . لأنه ينكر فائدة الاسترحام للعاصى والشرير الذى لا يمتثل بأوامر الله ولا يجتنب عن نواهيه وهو معتقد اعتقاداً جازماً أن الاسترحام إنما بالأعمال الصالحة والأفعال الحسنة لا بالعبادة ولا بالقرابين . يقول جوانْ تسْ أحد العلماء المعاصرين لكونفوشيوس : « مرض كونفوشيوس فأراد تس كونغ أن يتكهن له فقال له كونفوشيوس : على رِسْلِكْ ! إننى لا أجترىء ولا أتقدم فى مجلس وكان اعتكافى وحياتى كما إذا كانت فى أيام الصوم وكان طعامى وشرابى كما إذا كانا للقربان فقد تكهنت منذ زمن بعيد » . هذا الكلام قريب مما فى كتاب الحوار أتينا به ليوضح المعنى الذى نحن بصدده .

٧ — الخاتمة

هذه هى خلاصة مذهب الكونفوشيوسية فى الآلهة والملائكة والأرواح والإله الأعلى وهو السماء ، وهذا المذهب ليس بجديد بالنسبة إلى عقائد القدماء الصينيين بل هو عينها ولم يكن كونفوشيوس بمجدد للدين القديم لأهل تلك الأزمان الغابرة بل هو قاص لما يحتويه وحاكيه على ضوء من العلم الذى يعرفه فى ذلك الوقت وقد قال بنفسه :

« إنى راوية غير منشىء ومصدق للسلف ولذا أشبه نفسى مجترئاً بصالحنا القديم بانغ » . السابع منه .

فهو فى هذه الناحية من المحافظين على التقاليد القديمة والمقلدين لما عليه الآباء .

والمذهب الكونفوشيوسى منتشر فى أنحاء الصين كلها معمول به إلى الآن ؛ وهو الذى يسمى بالديانة الكونفوشيوسية وهو فى الحقيقة الدين الصينى القديم كما بينا .

والآن قبل أن نختتم هذه المقالة يجب أن يدرك القارىء العزيز ثلاثة أمور متصلة بالموضوع وهى :

(١) أن ما لخصنا من المذهب الكونفوشيوسى فى الإله والآلهة كله من كتاب الحوار الذى دونه تلاميذه أو تلاميذ تلاميذه . وأما الكتب القديمة التى لخصها الأستاذ الفيلسوف كونفوشيوس فقد ذكرت فيها هذه النظريات وزيادات كثيرة تبين صفات السماء وغيرها من الآلهة أكثر وأوضح ، فإذا سنحت لى الفرص فقد أكتب عنها مقالة أخرى إن شاء الله تعالى .

(٢) نظرية ألوهية السماء موجودة فى الأمم القديمة ، وكذلك نظرية وجود إله أعلى خالق الكون ومدبره موجودة فى الأديان المنتشرة ، ليست الصين هى التى تتكلم عنها وحدها ولا كونفوشيوس ينشرها وحده . لقد وجدت أيام كونفوشيوس فلاسفة كبار فى الصين وغيرها يبحثون عن هذه المسألة فإذا أتيحت لى الفرصة فسأكتب عن فلسفة لَوْزْ فى نظرية الإله الظاهر بنفسه المتبين بأفعاله وهو الطبيعة نفسها ونظرية مَيْزْ فى الإله الكامل الصفات الفاعل الأفعال العليم القدير الذى يشبه ما جاء فى الإسلام كثيراً جداً وآراء الفلاسفة الصينيين الآخرين إن شاء الله تعالى .

(٣) النقطة الأخيرة التى أريد أن أبينها هى أن عبادة الكونفوشيوسيين وصيامهم ليستا كما جاء فى الدين الإسلامى فهم يعبدون الآلهة والأرواح بثلاث سجدات مع ركعة واحدة أو تسع سجدات مع ركعات ثلاث وهم يصومون عن أكل اللحوم والأفعال الفاحشة والأقوال الكاذبة لابسين لباساً وقوراً بعد غسل جديد معتكفين فى المنزل وقتاً من الزمن ثم يعبدون فى المنزل أو المعبد بعد صيام ساعات أو أيام ويقدمون القرابين وهم فى ذلك كله كالبوذيين الذين يعبدون الأصنام مع فرق أن الأولين ليست لهم التماثيل وقد ينصبون النصب الخشبية التى كتبت عليها أسماء الذين يعبدونهم أو نقشت عليها كلمة « عرش السماء والأرض والملك والآباء والأساتذة » ويعبدونهم كأنهم حاضرون .

أبو بكر هوغانجين الصينى

لا تحـزن . . . !

[مهداة إلى صديق متشائم ...]

للدكتور عبد الوهاب عزام

هذه أبيات لحافظ الشيرازى الشاعر الفارسى ترجمتها نظماً. وحافظت فيها على وزن الأصل وقافيته لأجعلهما مثلا لما فى الشعر الفارسى من أوزان وقواف :

فأما الوزن فهو الرمل المثمّن أى ذو التفعيلات الثمان . والمعروف فى العربية أن الرمل لا يزيد على ست تفعيلات . وأما القافية فهى المردوفة : والرديف فى العروض الفارسى كلمة ، وكلمات تكرر فى أواخر الأبيات فيلتزم قبلها روىّ يعتمد عليه النظم :

يوسف المفقود فى أوطانه ، لا تحزن
عائد يوماً إلى كنعانه ، لا تحزن
بيتُ الأحزان تراه عن قريب روضة (١)
يضحك الورد على بنيانه ، لا تحزن
رأسك الأشعث يوماً سوف يلق ذنبه
ويُفيق القلبُ من أحزانه ، لا تحزن
هـذه الأفلاك إن دامت على غير المُنَى
لا يدوم الدهر فى حدثانه ، لا تحزن
أيها البلبـل يأتيـك ربيع ناضر
تستظل الورد فى أغصانه ، لا تحزن
لست تدرى الغيب فى أسراره لا تيأسَن
كم وراء السِرّ من ألوانه ، لا تحزن
وإذا جُزت إلى الكعبة يوماً مهمها
فدهاك الشوك من سَعدانه ، لا تحزن
ومُحيل الحال يدرى حالنا بين العدى
والهوى والحبّ فى هجرانه ، لا تحزن
يا فؤادى إن يسِل بالكون طوفان الفنا
فُلك نوح لك فى طوفانه ، لا تحزن
منزلٌ جِدّ مخوف ومراد شاحط
لم يدُم فجّ على ركبانه ، لا تحزن
حافظٌ ! ما دمت فى الفقر وليل حالك
فى دعـاء الله أو قرآنه ، لا تحزن

(١) بيت الأحزان : بيت اتخذه يعقوب ليعتكف فيه حزناً على يوسف.

السراب الأخير . . .

للدكتور ابراهيم ناجى

يا سجين الحياة أين الفرار ... أو صدّ الليـل بابه والنهار
فَلِمَن لفتةٌ وفيم ارتقاب ... ليس بعد الذى انتظرت انتظار
والتَّعِلاتُ من هوى وشباب ... قصةٌ مُسدلٌ عليها الستار
وَهَب السجن بابه صار حراً ... لك ، لا حائلٌ ولا أسوار
وعفا القيد عنك كفاً وساقاً ... فإذا الأرض كلها لك دار ...
أينَ أين الرحيل والتسيار ... بَعُدت شقةٌ وشط المزار
والخطى المثقلات باليأس أغلا ... لٌ لساقيك والشيب عثار
دون ما تبتغى دماءٌ وشوكٌ ... والسراب الذى ترى والقفار
ما الذى يصنع العليل المسجَّى ... قد تولى العـوّاد والسمار
طال ليـل الغريب ، وامتنـع الغمـ ... ـض وفى المضجع الغضى والنار
ما انتفاع الفتى إذا عصفت الجنـ ... ـة واجتاح دوحها الإعصار !
عشت حتى أرى خمائل حبى ... تتهاوى كشامخ ينهـار
تحت عينى ! ويذبل الحسن فيها ... ويموت الربيع والأنوار . . .
ما انتفاعُ الفتى بموحش عيش ... بقيت كأسه وطاح العقار
وبقاء البساط بعـد الندامى ... كأس سُمٍّ بها يطوف البوار
كل ما سرّ مرّ مختصراً ... كالظل أوقاته قلال قصار
واستمرّ المرير دون اختصار ... كيف يرجى لما يسوء اختصار
ما انتفاعى وتلك قافلةُ اليأ ... ـس وفى ركبها الظما والدمار
الدمار الرهيب والعدم الشا ... مل واللفـح واللظى والأوار
يا ديار الحبيب هل كان حلماً ... ملتقى دون موعدٍ يا ديار !
يا عزيز الجنى عليـك سلام ... كيف جادت بشملك الأقدار
بوركَ الكَرْم والقطـوف وأوقا ... تٌ كأن العناق فيها اعتصـار
كلما أطلقتك كفى استردتك ... كما يحفزُ الغـريمَ الثأرُ

في العـــــربة ...

للأستاذ أحمد أحمد العجمي

ركبتها فقمت أسـعى إليها　　وتهادت ونحن فى جانبيها
ومضت تنهب الطريق وتختا　　ل عليه مثل اختيالى عليها
لم لا أزدهى وعن جانبى شمـ　　ـس كأن الشموس ملك يديها
أشرقت بالجمال فى وجنتيها　　وبسحر الدلال فى مقلتيها
وتجلت كربية الحسن ما أحـ　　ـلى فتوناً يطل من ناظريها !

ومضينا وللعيون حوالَيْـ　　ـنا نطاق كأننا ما مضينا !
فى طريق تسابق الدوح صفَّيْـ　　ـن إلينا بالظل يحنـو علينا
ونسيم يسيل كالعـطر حينًا　　نابه النهر وهو يجرى الهوينى
وأصيل كوجهها خجل يفـ　　ـترُّ بالحسن عسجداً أو لُجَيْنا
فتذكرت ما مضى من غرامى　　أين يا قاب ما مضى أين أينا ؟

قلت مرحى يا أجمل الغادات　　ألف بشرى بأجمل الساعات !
ما تزالين يا ملاكى خيالا　　نابضا فى دمى بغـير أناة
أشتهى أن أراك يوماً بعينى　　وفؤادى يراك ملء الحيـاة
والتقينا وتلك أعجب لُقْيا　　جمعتنا فى أعجب العَرَبات
خطرت كالنسيم حيناً وكالإعْـ　　ـصار طوراً وكالرُّؤى الباسمات

والجواد الهزيل ذاك الذى شا　　رَفَ عمرا قاسى به ألف عمْرِ
خفَّ يجـرى كالسهم تلمحه العيْـ
ـنُ سريعا ولم يكن قط يجرى !
استخفَّته نشـوة فتصابى　　مثلما راعنى الجمـال المغرى
فتمنَّيْتُ لو أعانقها شوْ　　قا إليها وإن تكن ملء صدرى
أمرَتْنِى بحسنها ، ونهتنى　　بعفاف ، فضاع نهيى وأمرى !!

يا فتـاتى ! أتذكرين صبيًّا　　أنت عـلَّمْـتِه غرام الغوانى ؟
كان يلقاك فى حياءٍ غرير　　حالم بالجمـال هشّ الأمانى
يعشق الورد فى الغصون ويغضى　　خجلا منـه فى خدود الحسان
ثم أصبحت من شبابى وأشجا　　نى كأنى أعش فى بركان !
الصبا كالندى — سلام عليه !　　والشباب العنيفُ كالطُّوفان

سألتنى : ألسْتَ أنتَ فتانا　　بعد ما كان من هواك وكانا ؟!
أو لست الذى تغنى بنجـوا　　نا وصاغ البيان فينا جمانا ؟
قلت : لولاك ما نظمت أغاريـ　　ـدى وزقزقت هـذه الألحانا
أين أيامنـا وأين ليـاليـ　　ـنا وأين المنى وأين هوانا ؟
وصِبانا والدَّهر وقفٌ علينا　　ونعيم الحياة خلف خطانا ؟

وغدا الدهر شارداً معجل الأو　　قات يجرى مثل الجواد الجموح
وقفةً يا جوادُ إن لهيب الشـ　　ـوق يغـلى به دمى وجروحى
وقفةً وقفةً أهَدْهِدُ أحشا　　ئى بريَّا هذا الجمال الصَّبوح
لم لا ترتوى به كَبِدٌ حَرْ　　ى وقلب كالطائر المجروح ؟
ثم عانقتهـا وقبَّلتها عشْـ　　ـراً كأنى قد انتقمت لروحى !!
وانتشينا وقلت للنفس غـنِّى　　وافترقنا فقلت للنفس نوحى



حنين الزوج — من قصص جحا

[للأستاذ كامل كيلانى]

. صفحة مختارة من المخطوط الجحوى النفيس الذى عثرت عليه ولعله مكتوب بخط صاحبه أو أحد معاصريه .

قال : « أبو النعصن عبد الله دُجَين بن ثابت » الملقب « بجحا » :

« لم يلبث الظلام أن خيم على المدينة وساكنيها ، وأطفئت الأنوار ، وسكنت الجلبة والضوضاء ، وساد الصمت ، وتلألأت النجوم فى السماء ، ورددت الكلاب نباحها كلما طرق آذانها صَوت ، أو أحست نأمة أوشعرت بقادم

أماييت « أبى الغصن جحا » ، فقد أوحش (أى : خلا من ساكنه) ، فجلست « ربابة » زوجه ، أمام مِغزلها — بعد أن نام ولداها وجارتها — تفكر فى ذلك الغائب الذى كان يملأ بيتها بهجة وسعادة . وظلت تغزل وهى تسلى نفسها بالأنشودة القديمة التالية :

يا طير ، يا أشجار ، يا روضة   فيها من الفردوس أزهارُ
يا خيط ، يا إبرة ، يا مِغزَلى ،   يا نجم ، يا كوكب ، يا دار
يا نحل : طنى واملئى مِسمعى ،   وحدثى قلبى: « متى ساروا ؟ »
سافر ربُّ الدار عن داره ،   وقد خلت من أنسه الدار

* * *

عنـاية الله ، وتوفيقـه   ولطفه ، صحب وسمـار
والشمس والبـدر ونجم السما   تحوطه منهن أنوار
يا نحل طنى واملئى مسمعى   وحدثى قلبى : متى ساروا ؟
سافَر رب الدار عن داره   وأوحشت من بعده الدار

* * *

يا ورد ، يا ريحان ، يا نرجساً   يحفـه نور وأنوار
يا ملء دارى وفؤادى معاً   قد فرقتنا عنـك أقدار
يا نحـل طنى واملئى مسمعى   وحدثى قلبى متى سـاروا
سافر رب الدار عن داره   وأظلمت من بعده الدار

* * *

عاد فراغا كل شىء هنا   منذ ترامت بك أسفار
متى يرى الدار وسكانها ؟   متى تراه هـذه الدار ؟
يا نحـل طنى واملئى مسمى   وحدثى قلبى متى ساروا ؟
سافر رب الدار عن داره   فهل تسـلى عنه ذيَّار ؟

كامل كيلانى

خطأ شائع :

جاء فى (الرسالة ٦٣٧) فى مقالة «القطبان الأرضيان والإسكيمو» ما نصه :

« وأمر الخليفة المأمون ببناء مرصد فلكى فوق جبل قاسيون فى دمشق ، وبقيت آثاره حتى دخول الحلفاء إلى سوريا سنة ٩٤١»

وهذا خطأ شائع تلقيناه قديماً عن معلمينا ، واشتهر على ألسنة عامة أهل الشامَ وخاصتهم ، وقد فتشت عن سند له من رواية ثابتة أو نقل يعتمد عليه فلم أجد ؛ والصواب ما ذكره ابن طولون مؤرخ الشام فى كتابه « تاريخ الصالحية » ، وهو من أجل مخطوطات المكتبة الظاهرية فى دمشق قال عند الكلام على هذه القبة :

« وهى من بناء نائب الشام برقوق الذى دخل دمشق فى ٧ جمادى الأولى سنة ٨٧٥ دخولا عظيما ، ثم خرج لقتال سواربك فأخذه غدراً وعاد إلى دمشق ١٣ صفر ٨٧٧ وبنى هذه القبة وسماها « قبة النصر » . (أقول : وبقى ذلك اسمها إلى أن هدمت من ثلاث سنين) . وكان برقوق هذا سفاكا فتاكا مات فى ١٢ شوال سنة ٨٧٧ هـ وصُبِّر [1] وحمل إلى مصر فدفن فى القاهرة قرب الرميلة كما وصى » اهـ

وهذه القبة كانت على ظهر جبل قاسيون تعلو سطح البحر بنحو ألف ومئتى متر ، وكانت علم دمشق يراها القادم على البلد من مشارف حوران

* * *

(١) صبر : أى حنط ، وهذه الكلمة العربية باقية فى ديارنا الشامية تستعمل فى هذا المعنى (ناجى)

وفى العدد (٣٨٠ من الرسالة) سؤال عن هذه القبة ، والقبة الأخرى القائمة على الجبل المطل على وادى الربوة فى دمشق ، ولم يجب عليه أحد ، وهذا الجواب .

أما القبة الثانية المسماة (قبة السيار) ، فهى من بناء الأمير سيار الشجاعى

(دمشق) **ناجى الطنطاوى**

ابن عياش لا ابن عباس :

الاستدراك الذى أخذه علينا الأديب الفاضل على جلال الدين شاهين صحيح ومقبول ؛ ولكن منشأ اللبس يعود إلى تصحيف وقع فى كلتنا ولم نتكلف تصحيحه . والقصة التى سجلها صاحب نشوار المحاضرة ، عن قرّاد شارع الخلد ببغداد ، إنما تنسب إلى « ابن عياش » لا ابن عباس . وإلا فأين يقع زمن هذا الأخير أو مكانه ، من بغداد وشارع الخلد على عهد العباسيين ؟

وابن عياش كان من رجال الدولتين : ولد فى أيام سليمان بن عبد الملك (عام ٩٧ هجرية) وتوفى قبل وفاة الرشيد بشهر (عام ١٩٣ هـ) . وهو المحدث الثقة أبو بكر بن عياش الكوفى . اختلف فى اسمه ، وأشهر ما قيل فى ذلك «شعبة» ثم «مطرّف» وكان من أصحاب عاصم والكلبى ، ومن رواة شعر الفرزدق وذى الرمة ، روى عنهما شعرهما سماعاً

وامتداد الحياة بابن عياش إلى آخر عهد الرشيد لايوجد شكا فى أنه شهد بعينيه ما كان يجرى على الوزراء فى ذلك العهد من نكبات الزمان ، مع الإقرار بأن هذه الحوادث كانت لا تزال آخذة بسبيل التزيد والانتشار ، حتى لم تبلغ ذروتها ، وتستكمل صورتها البشعة إلا فيما تلا ذلك من عصور

فقصة القراد البغدادى غير مستبعدة على هذا الوجه ، ولاسيما إذا ذكرنا أن ابن عياش كان من ثقاة المحدثين ، الذين لا يفترون ولا يفترى عليهم ، وقد وثّقه أحمد بن حنبل . كما كان من أهل الوقار والهيبة حتى لقالوا : إن الاختلاف فى اسمه يرجع إلى كف الناس عن سؤاله تهيباً له .

هذا ، ودقة العبرة ولطف المغزى فى القصة يجعلنا لا نستبعد نسبتها إلى ابن عياش ، إذ كان الرجل من أهل الفكرة العميقة ، الذين يتلمسون من صغائر الحوادث جلائل العبر . وكان لايستنكف أن يستقصى أنفه الأمور ، ويتتبع أضيق المسالك فى سبيل الوصول إلى حقيقة صغيرة يضيفها إلى ما تستوعبه نفسه من مباهج العلم ومفاتن المعرفة . حدث أبو هاشم الدلال قال : رأيت أبا بكر بن عياش مهموماً ، فقلت له : مالى أراك مهموماً ؟ قال : سيف كسرى لا أدرى إلى من صار ! !

محمود عزت عرفة
المدرس بقوص الأميرية

من الشعر الضائع لحافظ ابراهيم

عثرت فى بعض أوراق القديمة على هذه الأبيات نقلا عن بعض الصحف القديمة لتشابه الفكرة بينها وبين ما قاله برنارد شو عن الهرم وأبى الهول . وقد راجعت الديوان فلم أجدها ، لذلك أثبتها هنا فى مجلة (الرسالة) التى تحفظ الأوابد :

فوق شط النيل تبدو كالعلم	سخر العـلم لبينى آية
عابس الوجه إذا الذكر ابتسم	هى ذكر خالد لكنه
أنها قبرٌ لجبار حُطِمْ	كل ما فيها على إعجازها
من قوىّ فى غير تقديس الرمم	ليته سخّر ما فى عهده
وعلوم عندها الفهم وجم	من فنون أعجزت أطواقنا
أوجه العـذر لعباد الصنم	وبنان مبدعات صورت
وعلى أسرارها الدهر ختم	أبدعت ما أبدعت ثم انطوت

عبد القادر محمود



دوامة الحيـــاة

للكاتب الأمريكي الكبير أ. هنرى [(١)]

بقلم الأستاذ وديع فلسطين

عند باب مكتبه جلس « بناجا ويدپ » ، القاضى ، يدخن غليونه الضخم ويرسل نظراته إلى جبال كمبرلند التى كساها ظلام الأصيل لوناً أغبر يميل إلى الزرقة . ومن الطريق العام المنحدر بالمقاطعة ، جاءت دجاجة رقطاء تختال وتصيح صياحاً أحمق .

وانبعث من أعلى الطريق صوت صريف عجلات ، وامتلأ الجو بغبار حجب ما وراءه من مشاهد الطبيعة ومجاليها ، ثم بدت مركبة يجرها بغل تحمل «رانسى بلبرو» وزوجته . وقفت المركبة بدار القاضى ، فترجّل عنها الرجل وزوجه . وكان رانسى أهيف القدّ ، شاحب البشرة داكنها ، ذهبى الشعر ، يبلغ طول قامته ستة أقدام ، تجلله مهابة سكان الجبال فتضفى عليه كساء شبيهاً بحلة من حلل الحرب المدرّعة . وكانت المرأة ساذجة ضجرة ، تخامرها رغبات غامضة لا تنفك تضايقها ولا تفتأ تقض مضجعها . وبدا من خلال تصرفاتها نوع من الاحتجاج الطفيف على الشباب الزائف الذى تفطن إلى فقدانه . وبسرعة دسّ القاضى قدميه فى نعليه ليزداد وقاراً ؛ ثم تحرّك ليفسح لهما الطريق . وقالت المرأة بصوت كصوت الريح حينما تداعب فروع الأشجار : « نريد الطلاق » . ثم رمقت رانسى بنظرة فاحصة لتتبين هل لاحظ فى تصريحها هذا عيباً أو غموضاً أو مراوغة أو تحيزاً أو مشايعة لنفسها فأومأ رانسى برأسه مؤكداً وردد : « طلاق ... لم نعد نستطيع أن نعيش معاً ، الحياة فى الجبال مقفرة وتقتضى أن يعنى كل من الرجل والمرأة بشؤونهما . ولكن متى شرعت المرأة تموء كالقط الوحشى ، وتنعق كالبومة النمس فى كوخ زوجها ، فلن يجد الرجل سبباً يحمله على معاشرتها » .

وقالت المرأة دون اكتراث : « حين لا يعبأ الرجل بنفسه ويقضى وقتـه فى شرب الخمور واحتساء الويسكى ومعاشرة مقطريها ، ويعنى فضلا عن ذلك بعدد من كلاب الصيد ... » . فقال رانسى : « حين أن تدأب المرأة على أن تبعثر أغطية الطعام ، وعلى صب الماء على أحسن كلب فى كمبرلند ، وعلى إعادة طهى مأكولات زوجها ، وحمله على السهر ليلا متهمة إياه بتهم شتى ... ..! » . « حين يدأب على تبديد دخله والتمتع بسمعة رديئة فى الجبال والسهر ليلا ... » ، فانصرف القاضى إلى مهامه . وقدّم مقعده الوحيد وكرسى مطبخ إلى زائريه . ثم فتح كتاب الأحوال الشخصية على المنضدة وألقى نظرة على محتوياته ومسح منظاره وأزاح المحبرة . ثم قال : « القوانين والأحوال الشخصية لا تقول شيئاً فى شأن موضوع الطلاق . هذا فيما يتعلق باختصاصات هذه المحكمة . ولكن العدالة والدستور والقانون الذهبى تنطوى جميعها على مساومة من ناحية واحدة فقط . فبدهى أن القاضى الذى يستطيع أن يزوّج رجلا وامرأة يستطيع أن يطلقهما ، وهذا المكتب هنا سيصدر شهادة طلاق تقرها المحكمة العليا » . وأخرج رانسى بلبرو من جيب سرواله علبة طباق صغيرة ونثر منها ورقة من فئة الخمسة دولارات على المنضدة وقال : « لقد بعت جلد حيوان وفراء ثعلبين بهذا الثمن ، وهو كل ما أملك » .

فقال القاضى : « إن الرسوم العادية للطلاق فى هذه المحكمة هى خمسة دولارات » وتنـاول الورقة المالية ودسّها فى جيب الصديرى المنسوج فى المنزل ، وتصنّع عـدم المبالاة . وكتب شهادة الطلاق على نصف ورقة فولسكاب ثم أعاد كتابتها على النصف الآخر ، وبلغ فى هذا جهد جسمياً كبيراً وتفكيراً ذهنياً مبرحاً . وأنصت كل من رانسى بلبرو وزوجته إلى تلاوته للوثيقة التى سوف تمنحهما الحرية : قال : « ليعلم الناس جميعاً بمقتضى هذه الشهادة أن رانسى بلبرو وزوجته أريلا بلبرو حضرا اليـوم إلىّ شخصياً وتعهدا ابتداء من اليوم بأنهما لن يحبا أو يحترما أو يطيع أحدهما الآخر سواء أكان ذلك للخير أم للشر . وأقرّ بأنهما يتمتعان بجسم وعقل سليمين وأنهما قبلا شروط الطلاق حسب

(١) O. Henry

نظام الولاية ووقارها . فلا تعثرا وليعينكما الرب ... الإمضاء ... بناچا ويدب القاضى لمقاطعة بيد مونت بولاية تنيسى ومن أهلها »

وهمّ القاضى بتسليم إحدى الوثيقتين إلى رانسى حينما ارتفع صوت أريلا . فنظر كلٌّ من الرجلين إليها وفوجئا بما لم يكونا يتوقعان منها . فقد قالت : « مهلا يا سيدى القاضى ، لا تسلّمه هذه الورقة . لم نُسَوِّ كل شىء بعد . ينبغى أن أنال حقوقى أولا . يجب أن أحصل على نفقتى أولا ، ليس هذه هى طريقة طلاق رجل من امرأته دون أن يترك لها ما لا تعيش به . إننى سأذهب إلى أخى « إيد » فى جبل هوجباك ، وأريد أن أشترى زوج حذاء وبعض الأشياء الأخرى ، وإذا كان رانسى يقدر على طلاق ، فدعه يقضى لى نفقتى » . فصُعق رانسى بلبرو وتملكته الحيرة ولم يتكلم . فلم يشر من قبل إلى موضوع النفقة . ومن عادة النساء أن يثرن مسائل عجيبة غير مدروسة . وأحسّ القاضى بناچا ويدب أن المسألة تحتاج إلى قرار قضائى . والتزم الطرفان الصمت فى موضوع النفقة ، غير أن قدمى المرأة كانتا حافيتين والطريق فى جبل هوجباك صخر وعر . فسأل القاضى فى أسلوب رسمى : « يا أريلا بلبرو — كم يعوزك من النفقة فى القضية المنظورة أمام المحكمة ؟ » .

فأجابت : « أريد أن أبتاع حذاء ، فيلزمنى نحو خمسة دولارات ليست هذه نفقة كبيرة ، ولكنى أعتقد أنها تكفى لأتوجه إلى منزل أخى « إيد » ... » . فقال القاضى : « المبلغ معقول يا رانسى بلبرو ، المحكمة تأمرك أن تؤدى إلى المدّعية خمسة دولارات قبل أن يصدر قرار الطلاق » . فتنفس رانسى بصعوبة وقال : « ليس لدى مال ... وقد أديت إليك ما كان معى » . فحدق القاضى من وراء منظاره ، وقال بعنف : « وإلا فأنت تزدرى بالمحكمة » .

واستأنف الزوج قائلا : « أعتقد أنه يمكنك أن تقرضنى المبلغ وسأرده إليك غداً بأى كيفية ... فإنى لم أتوقع قط أنى سأطالب بنفقة » . فقال القاضى بناچا ويدب : « أجلتُ القضية إلى الغد حينما تأتيان إلىّ معاً وتمتثلان لأوامر المحكمة . وعقب ذلك سنصدر الطلاق » . ثم جلس إلى جانب الباب وأخذ يحلّ رباط حذائه ...

فقال رانسى : « يمكننا أن نذهب إلى منزل « العم زيا » لنقضى الليل فيه » ثم ركب المركبة من ناحية وركبتها أريلا من الناحية الأخرى . وشدّ اللجام فتحرّك البغل البنّى اللون ببطء ثم أخذت العربة تنهب الأرض حتى اختفت وسط الغبار المتصاعد .

وأشعل القاضى بناچا ويدب غليونه العتيق . واشترى جريدته الأسبوعية ، فقد أوشك النهار أن ينقضى ، وشرع يقرؤها حتى طمس الظلام سطورها . ثم أشعل قنديله على المنضدة ، وأخذ يقرأ حتى طلع القمر مؤذناً بحلول موعد العشاء . وكان يسكن كوخه الخشبى فى المنحدر على مقربة من الغابة . وفى طريقه إلى منزله اجتاز منطقة تظللها أشجار الغار المتشابكة . وإذ ذاك برز من بين الأشجار شبح ملثم وسدد إلى صدره غداره ، وهو يقول ، « أريد أموالك . لا أريد كلاماً . إنى عصبى وإصبعى على زناد الغدارة ... » .

فقال القاضى متلعثما : « ليس معى سوى خمسة دولارات » .

ثم أخرجها من جيب الصديرى . وصدر الأمر إليه : « إطوها وضعها فى فوّهة الغدارة » . وكانت الورقة المالية جديدة رقيقة . غير أن الأصابع المرتخية المرتعشة وجدت بعض العناء فى طيّها ووضعها فى فوّهة الغدارة » . فلما تم هذا مال اللص : « الآن تستطيع أن تمضى » . فسار القاضى مهرولا ، لا يلوى على شىء .

* * *

وفى اليوم التالى جاء البغل البنّى الصغير يجرّ المركبة ووقف بباب المكتب وكان القاضى بناچا ويدب منتعلا حذاءه ، إذ كان يتوقع زيارةً . وترجّل رانسى بلبرو وزوجه ، وقدم إليها فى حضرة القاضى ورقة بالية من فئة الخمسة دولارات . فحدقت عينا القاضى فى الورقة ، وكانت مطوية كما لو كانت منتزعة من فوّهة غدارة . غير أن القاضى التزم الصمت لأنه ليس ثمة ما يمنع من أن تطوى أى ورقة مالية . وسلم كلا منهما نسخة من شهادة فى الطلاق . ووقف كل منهما صامتاً يطوى قسيمة الحرية على مهل . وحدجت المرأة رانسى بنظرة خجولة مفعمة بالعواطف ، وقالت له : « أعتقد أنك سيتعود إلى الكوخ بالمركبة . ستجد الخبز فى العلبة الصفيح الموضوعة على الرف . ووضعتُ الدهن فى إناء الغلى حتى لا تصل إليه الكلاب . لا تنس أن تملأ ساعة الحائط الليلة » .

واستفهمها رانسى فى شىء من الإهمال : « وأنتِ ، هل تذهبين ! إلى منزل أخيكِ « إيد » ؟ » .

— كنت أنوى أن أذهب إليه قبل حلول المساء . لن أقول ، لأنى سأزعج أهل أخى ، وأحملهم على الترحيب بمقدمى ، ولست أعرف مكاناً آخر أقصده . على كل حال من واجبه أن يرحب بى إنى ماضية . هل أقرئك السلام يا رانسى هذا إذا لم تمانع ؟ » .

فأجاب رانسى بلهجة الرجل الذى ذهب ضحيــة : « ولِمَ لا أقرئك السلام ، إلا إذا كنتِ تواقة إلى الفرار منى دون انتظار

تحية ما » . فالتزمت أريلا الصمت . وطوت الورقة المالية من فئة الخمسة دولارات وقسيمة الطلاق ووضعتهما فى صدر ردائها . وراقب بناجا ويدب الورقة المالية وهى تختفى بعينين حزينتين تطلان من وراء زجاج منظاره . وهنا قالت أريلا : « ستكون وحيداً الليلة فى الكوخ يا رانسى » . وحدق رانسى ببلبرو بعينيه فى الأفق إلى جبال كمبرلند ، فرآها وقد كساها ضوء الشمس لوناً أزرق فاتحاً ؛ ولم ينظر إلى أريلا وقال : « لا ريب فى أنى سأكون وحيداً ، ولكن ما العمل وقد ركب الجنون عقل البعير وطلب الطلاق ؟ لا سبيل إلى حمل البعير على البقاء » . فقالت أريلا وعيناها إلى كرسى المطبخ : « إنما طلب الطلاق غيرى . وليس هناك من لا يرغب فى البقاء » — « لم يقل ذلك أحد قط » .

— « أعتقد أنه يحسن أن أذهب لزيارة أخى إيد » .

— « ولكن أحداً لا يستطيع أن يملأ ساعة الحائط ؟ » .

— « هل تريدنى أن أعود معك فى المركبة لأملأ الساعة يا رانسى ؟ » . وكانت ملامح رجل الجبال برهاناً ضد عاطفته . غير أنه مد يداً ضخمة إلى أريلا وقبض بها على يدها الرقيقة الداكنة . فانفرجت أسارير وجهها العبوس مرة ثانية .

وقال رانسى : « لن تعود الكلاب إلى إزعاجك . فقد أدركت أنى كنت سافلا دنيئاً . ستملأين تلك الساعة يا أريلا » .

فهمست له : « إن قلبى يدق فى هذا الكوخ يا رانسى . هيا معك . لن أعود إلى جنونى ثانية . دعنا نرحل يا رانسى حتى نبلغ البيت قبل مغيب الشمس » .

وتدخل بناجا ويدب القاضى لما رآهما يتأهبان للرحيل وقد نسيا وجوده فقال : « باسم ولاية تنيسى أمنعكما جميعاً من العبث بقوانينها ونظمها . إن هذه المحكمة على استعداد كبير ، بل ويسرها أن ترى سحابات الخصام وسوء التفاهم وقد انقشعت من قلبين شابين يتبادلان الحب ، ولكن من واجب المحكمة أن تحرص على الأخلاق وعلى الاستقامة فى الولاية . وتذكركما المحكمة أنكما لم تعودا رجلا وزوجته ، وإنما أنتما مطلقين بقسيمة رسمية ، فلستما إذن أهلا للتمتع بمزايا الشركة الزوجية » . ومضى القاضى فقال : « غير أن المحكمة على استعداد لأن تلغى القيود التى فرضتها قسيمة الطلاق . فالمحكمة على استعداد لأن تعترف بمراسيم الزواج الشريفة السامية التى يبغيانها . ورسوم مراسيم الزواج قدرها فى هذه الحالة خمسة دولارات

وتبينت أريلا فى حديثه وميضاً من الأمل . فأسرعت بوضع يدها فى صدر ثوبها وألقت بالورقة المالية على منضدة القاضى . وتلون خداها الشاحبان وقد وضعت يدها فى يد رانسى ينصتان لحديث الملقيا . ثم ساعدها رانسى على ارتقاء المركبة ، وركب جوارها ، ودار البغل البنى الصغير مرة أخرى ، واتخذ وجهته شطر الجبال وقد التقت كفاهما وتعانقتا . وعاد القاضى بناجا ويدب إلى الجلوس عند باب مكتبه ، وخلع نعليه . ثم تناول الورقة المالية مرة أخرى ودسها فى جيب الصديرى . ودخن غليونه العتيد مرة أخرى . وللمرة الثانية جاءت من الطريق العام المنحدر « بالمقاطعة »[١] دجاجة رقطاء تختال وتصيح صياحاً أحمق .

وديع فلسطين

---

(١) يلاحظ هنا أن كلمة مقاطعة لها أكثر من معنى واحد . وفى الانجليزية Sehlement ولها كذلك أكثر من معنى واحد (وديع)

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦٤٠ – الاثنين ٨ أكتوبر ١٩٤٥ – السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٢٩ . ٢٥

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 640

Lundi - 8 - 10 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٤٠ «القاهرة في يوم الإثنين ٢ ذو القعدة سنة ١٣٦٤ — ٨ أكتوبر سنة ١٩٤٥» السنة الثالثة عشرة

مشـــقة التحصيل

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازني

منذ ربع قرن تقريباً ، زارني شاب في جريدة الأخبار وشكا إليَّ المرحوم شوقي الشاعر وقال : إنه ذهب إليه يستشيره فيما يحسن به أن يقرأ من الكتب العربية ، فأشار شوقي عليه بدرس كتابين وجدهما الشاب من كتب النحو وفقه اللغة ، فاعتقد أنه أضاع ماله ، وأن شوقي أخطأه التوفيق . فقلت له : إن شوقي لم يخطئ ، فإن النحو والصرف وما يجرى هذا المجرى لا بد منه ، ولا غنى عنه ، ولكل لغة قواعدها وأصولها وأحكامها وفقهها ، والإحاطة بهذا كله واجبة إذا كنت تريد أن تتخذ هذه اللغة أداة للكتابة ، وإلا فكيف تكتبها وأنت لا تعرف قواعدها ؟ وصحيح أن الكتب العربية القديمة تحتاج إلى تيسير مطلبها ، ولكن التيسير ليس معناه الإلغاء ، فاعرف لغتك أولا ، وادرس أدبها ، ثم عالج بعد ذلك ما شئت من فنون الكتابة ، واعلم أنه لا مطمع لأحد في بلوغ مرتبة ملحوظة من مراتب الأدب إلا بالاطلاع الوافي ، ولما كانت لغتُنا العربية ، فهي أداتنا التي لا أداة لنا سواها ، ولا سبيل لنا إلى البيان إلا بها ، فلا مهرب لنا إذن من تحصيل هذه اللغة والتوفر على درسها

وقد حدثت شوقي — رحمه الله — بهذا ، فقد كنا نلتقي في « الأخبار » ، ونتذاكر على الرغم من رأيي المعروف في شعره ، فقال لي : يا أخي لقد كنت في بداية عهدي بالشعر ، بعد أن عدت من أوربة ، ألحن وأخطئ فيسلقني الناقدون بألسنة حديدة ، فالآن أنصح للشبان المبتدئين أن يعرفوا لغتهم فيشكونني ويعيبونني بذلك !

وقد قلت أيضاً لذلك الشاب المتذمر : إني لا أرى الاقتصار على درس اللغة العربية وآدابها ، فإنه لا يكفي طالب الأدب ، بل لا بد من التوفر على درس الآداب الأخرى ، ولا سيما الغربية منها . وحسب طالب الأدب لغة واحدة كالإنجليزية مثلا ، فإن براعات الآداب الأخرى مترجمة إليها ، وقد كان العرب حصيفين حين عنوا بنقل الفلسفة الإغريقية فاتسعت آفاقهم . ولسنا نستطيع في عصرنا هذا أن ننقل خارجيات الغرب في الأدب والفلسفة ، فإنها شيء لا آخر له ، ولكن في وسعنا أن نطلع عليها ونلم بها إلماماً كافياً بإحدى اللغات الغربية ، ونحن نلقح الشجر ليثمر ، ونطعمه ليؤتينا ما هو أطيب ، ويجنينا ما هو أشهى ، فلنلقح عقولنا ولنطعمها بما عند الغرب ، ليعود أوفر إنتاجاً وأحلى جنى . ونحن آدميون ، والشجر نبات ؟ ولكن سنة الحياة واحدة ، وقانونها لا يختلف ، وهو واحد في كل مظاهر الحياة على السواء ، وما

يصير به النبات أقوى وأزكى ، يصير بمثله الحيوان — ونحن منه — أقدر على معاناة الحياة وأصلح لها وأنجب . وليس مما يصح فى الأفهام أن نكون فى القرن العشرين ، ونقنع بأن نعيش بمقول القرون الخالية . وأخلق بهذا الكسل أن يحيلنا خلقاً — متخلفاً من الأزمنة البائدة ، وأن يجعلنا غير صالحين للزمان الذى خرجنا فيه

وأنا أعرف أن فى هذا مشقة عظيمة ، ولكن الثواب على قدرها ، والحياة نفسها لا متعة ولا نزهة ، بل كد ونضال وكفاح وما يبلغ المرء فى دنياه غاية أو يدرك شيئاً إلا بالكفاح وعرق الجبين المتفصد ، فلما ذا نستثنى الأدب وراه أهون شأناً وأيسر مطلباً من أن يحتاج إلى عناء ؟

وليعذرنى القراء الأفاضل إذا رأونى ألح على شباننا أن يعكفوا على التحصيل ويجدوا فيه ويشقوا أيضاً ، فقد رأيت شباناً كثيرين فى مصر أكبر ظنى أن لهم أنداداً فى غيرها يستثقلون الطلب ويستطيلون مدته ويستكثرون الجهد الذى يقتضيه ويستخفون بالأمر كله ويحاولون أن يرقوا بغير سلم ، وأن يبلغوا الغاية بدون أداة أو وسيلة ، فلا يأتون إلا بأغث الغثاثة وأسخف السخف ، ثم يروحون يتذمرون ويجأرون بالشكوى ويزعمون أنهم مغبونون مغموطو الأقدار، وأن الشيوخ يأخذون عليهم متوجههم ويعترضون سبيلهم حسداً ، إلى آخر هذا الهراء . وتقول لهم : إن كل علم وفن مثل الطب والهندسة والتصوير والموسيقى ، إلى آخر ذلك يحتاج إلى درس طويل وتحصيل واف ، فإن الملكة وحدها لا تكفى ، والاستعداد بمجرده لا غناء له ، ما لم تؤازره المعرفة الصحيحة ، فلما ذا يعدون الأدب بدعاً ويرونه مما يمكن الاستغناء فيه عن الآلة والأداة ؟ فلا يقتنعون ، أو على الأصح ، لا يستطيعون أن يروضوا أنفسهم ويوطنوها على احتمال المشقة

وأوثر أن أكون صريحاً فأقول : إن هذا تطرف لا يعجبنى ، وكسل لا أراه بشيراً بخير ، فيحسن أن أورد طائفة من الأمثلة تبين أى مشقة احتملنا ، وأى عناء صبرنا عليه ، وأى جهد تكلفناه فى حداثتنا وصدر حياتنا قبل أن نتطلع إلى منازل الأدباء . وقبل ذلك أقول : إن مما نفعنى وأغرانى برياضة نفسى على التشدد والتجلد كلمة قرأتها ومنظر رأيته ، فأما الكلمة ، فقول كوبيت فى كتابه « نصيحة إلى الشبان » إن على الشباب إذا أراد أن يكون رجلا كاملا لا نصف رجل أن يحلق ذقنه كل صباح بالماء البارد فى الشتاء ، وجو انجلترا من أقسى الأجواء . فقلت لنفسى : إن مصر جوها معتدل ، فأنا أولى بهذه النصيحة وأقدر على العمل بها . وتوخيت بعد ذلك أن لا أستعمل إلا الماء البارد فى كل حال فنفعنى هذا وقوانى على احتمال المؤثرات الجوية وإن كان بدنى خرعاً . وأما المنظر ، فكان شاباً من العمال راقداً على الحجارة فى وقدة الظهر وشمس الصيف تضربه ، وكنت يومئذ فى السابعة عشرة من عمرى ، فقلت لنفسى : أنا أتململ لأن وسادتى ليست محشوة بريش النعام ، ومجادتى ليست من صنعة العجم ، وهذا الغلام ينام على الحجارة ولا يتأفف ولا يشكو ولا تمنعه خشونة المضجع أن ينام ملء جفنيه ... أما والله لا اتخذت بعد اليوم شيئاً وثيراً ! وما زلت إلى اليوم أوثر الخشن على الرقيق ، وليس فى بيتى كرسى مريح أو فراش لين ، لأنى أخجل أن أكون مترفاً .

ورضت نفسى على الجلد ، فاتفق فى أول عهدى بدرس الأدب أن وقعت فى يدى نسخة من ديوان « الشريف الرضى » مطبوعة فى الهند ، ليس فيها بيت واحد يسلم من التحريف ، فما استطعت أن أفهم شيئاً ، وكدت أيأس ، ولكنى تشددت وأقبلت عليه أعالج تصحيحه ، وقضيت فى ذلك قرابة عامين وأنا أوفق قليلا وأخفق كثيراً ، حتى هدانى الله إلى ديوانه المطبوع فى بيروت ، وهو أصح وأسلم من الخطأ ، وإن كان لا يخلو منه ، فتنهدت واسترحت .

وحبب ابن الرومى إلىَّ ما قرأته له مبعثراً فى كتب شتى ، فطلبت ديوانه ، فلم أجد إلا مخطوطاً — أعوذ بالله منه — فى دار الكتب المصرية ، وكان فيها مخطوطان آخران ، ولكنى لم أعط إلا أسوأ الثلاثة وشرها ، فاستنسخته وعكفت عليه سنوات طويلات المدد أحاول التصحيح والضبط ، فلم أبلغ من ذلك ما أريد ، ولكنى بذلت غاية ما يدخل فى الوسع

وكان من أول ما اقتنيت ، الأغانى طبع الساسى ، وهى نسخة

في إرشـــاد الأريب

إلى معرفة الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ١٢ —

* ج ١٦ ص ١٩٨ :

وإذا بلوتُ طبــــاعه فالماء يشرب وهو عَذْب
وقصارى وصـــفى أنه فيما أحبّ كما أحبْ

قلت : (فالماء يشرب وهو عذبُ) ليكون الضرب مرفلاً ، لأن الضرب فى البيت الثانى لا يجىء بالسكون — إن فرض أن (أحب وأحب) ماضيان — إلا من الصحيح ، فيختلف الضربان . والفعلان إنما هما ها هنا مضارعان : (فيما أحبُّ كما أحبُّ) فالشاعر يصف حال صاحبه كما يراها هو ، ولا يقصد ما يشا كل معنى القائل : « كأنك قد خلقت كما تشاء » .

و (قصارى) فى البيت هى (قصار[1]) لأجل الوزن ، واللفظتان بمعنى واحد ، ومثلهما (قَصرك و قُصيراك) . وقد جاءت (قصار) فى كلام مأثور مشهور مظلم النسبة .

قال الزمخشرى فى شرح مقاماته : ومن توقيعات عبد الله بن طاهر فيما سمعته من أبى : « غرك عزك ، فصار قصار ذلك ذلك ، فاخش فاحش فعلك ، فلعلك بهذا تهدأ » .

وقال ابن خلكان فى الوفيات : كتب إلىّ عضد الدولة أبو منصور أفتكين التركى متولى دمشق كتاباً مضمونه أن الشام قد صفا وصار فى يدى ، وزال عنه حكم صاحب مصر ، وإن قويتنى بالأموال والعدد حاربت القوم فى مستقرهم . فكتب عضد الدولة جوابه هذه الكلمات وهى متشابهة فى الخط لا تقرأ إلا بعد الشكل والنقط والضبط وهى (غرك الخ) ولقد أبدع فيها كل الإبداع .

وفى (التاج) : وروى عن على (رضى الله عنه) أنه كتب إلى معاوية : (غرك الخ) وهى رسالة تصحيفية غريبة فى بابها .

(١) بفتح أوله وبضم . فى التاج : أى جهدك وغايتك وآخر أمرك وما اقتصرت عليه .

محشوة بالغلط ، ففككت الأجزاء « ملازم » ، وجعلت أحمل الملازم معى واحدة واحدة إلى دار الكتب فى أوقات فراغى ، وأراجع النصوص نصاً نصاً ، وبيتاً بيتاً ، وأدون التصحيح . أو التكملات على ورق أبيض أعددته لذلك ، وصرت ألصق الورق المكتوب بين الصفحات المطبوعة ، حتى إذا انتهيت من جزء جلدته وانتقلت إلى ما يليه . وهكذا حتى أتممت الكتاب كله ، فصار ضعفى حجمه الأصلى . وحدث لسوء حظى فى أيام الحرب الماضية أن رقت حالى فجأة ، واحتجت إلى مال ، وأنا امرؤ ربتنى أمى — رحمها الله — على الاعتماد على النفس والاستغناء عن الناس ، وبغضت إلى الاستدانة وكل ضروب الاستعانة بالغير فلم أجد لى حيلة إلا أن أبيع ما اقتنيت من كتب ، ورأى بعضهم عندى نسخة الأغانى هذه ، فألحف فى طلبها ، فأبيت أن أبيعها ، فلم يزل يزيد فى الثمن ويرتفع به ، حتى أغرانى ، وما كاد يخرج بها ، حتى طار عقلى ، وندمت أشد الندم ، فإنها ثمرة تعبى سبع سنوات ، ولكن أمى فاءت بى إلى السكينة وقالت لى : « ألست قد قرأتها ؟ انتهينا إذن ولا داعى للأسف » ! فجعلت بعد ذلك أعزى نفسى بقولى : إن فائدة القراءة كفائدة الطعام ، والمرء يأكل ليصح بدنه ، ولو أنى نسيت اليوم ما أكلت فى أمسى ، لما منع ذلك أن الفائدة قد حصلت ، وأن جسمى انتفع بما طعمت وكذلك العقل : يقرأ المرء ليستفيد علماً ويقوى مداركه وينمى ملكاته ، ولا يمنع حصول الفائدة أنه نسى ما قرأ أو أن الكتاب غير موجود .

وحسبى هذه الأمثلة القليلة ، والحقيقة أننا أعطينا الحياة لنحياها ، لا لننعم بها أو نسعد ، ومعنى أن نحيا أن نعمل ، ومؤدى العمل أن نكدح ونتعب ، والأدب مطلب كسائر المطالب له وسائله ، فلا معدى عن العناء فى سبيله .

ابرهيم عبد القادر المازني

* ج ١ ص ٤٦ : وأطوف على مصنف فيهم يشفى العليل ، ويداوى لوعة الغليل .

قلت : عندى أن الأصل : (يشفى العليل ، ويروى الغليل) أو يروى غلة الغليل .

والغليل العطشان ، والغليل حرارة العطش مثل الغلة . فى اللسان : الغُل والغُلة والغَلل والغليل كله شدة العطش قل أو كثر . رجل مغلول وغليل ومغتل بيّن الغلة .

* ج ١ ص ٤٨ : ... والإخباريين .

قلت : والأخباريين . فى التاج : والأخبارى المؤرخ نسب للفظ الأخبار كالأنصارى والأنماطى وشبههما .

* ج ١٢ ص ٧٧ :

وذاك آخر عهد من أخيك إذا ما المرء ضمّنــهُ اللحدَ الخناشير

« الواحد خنشير والجمع الخناشير ، ويقال الخناشرة وهم الذين يتبعون الجنازة .

قلت : الخناسير بالسين . فى التاج فى (خسر وخنسر) : الخناسير ضعاف الناس وصغارهم ، قال شيخنا : ووقع فى شعر حريث بن جبلة العذرى : (وذاك آخر عهد البيت) قال أبو حاتم : الخناسير الذين يشيعون الجنازة ، ونقله البغدادى فى شرح شواهد المغنى .

وفى اللسان : خناسر الناس صغارهم والخنسر اللئيم . ولم يذكر فى (خشر) إلا الخاشرة والُخشار : السفلة من الناس .

وبيت (الخناسير) هو فى أبيات رواها ياقوت فى (الإرشاد) وروى الحريرى ستة منها فى (الدرة) وذكرا قصة لها :

قال عبيد بن شرية : مررت ذات يوم بقوم يدفنون ميتاً لهم ، فلما انتهيت إليهم اغرورقت عيناى بالدموع فتمثلت بقول الشاعر :

وبينا المرء فى الأحياء مغتبط إذ صار فى الرمس تعفوه الأعاصير
يبكى الغريب عليه ليس يعرفه وذو قرابته فى الحى مسرور (١)

فقال لى رجل : أتعرف من يقول هذا الشعر ؟ قلت : لا . قال : إن قائله هذا الذى دفناه الساعة ، وأنت الغريب الذى يبكى عليه ، ولست تعرفه . وهذا الذى سار عن قبره هو أمس الناس رحماً به وأسرهم بموته ...

(١) قال الحريرى فى الدرة : ويقولون : هو قرابتى والصواب أن يقال : ذو قرابتى كما قال الشاعر : يبكى الغريب الخ .

* ج ١ ص ٤٨ : وكنت مع ذلك أقول للنفس مماطلاً وللهمة مناضلاً : رب غيث غب البارقة ، ومغيث تحت الخافقة .

وجاء فى الشرح : الخافقة واحدة الخوافق ، وخوافق السماء : مهب الرياح الأربع .

قلت : الخافقة هنا هى الرايات أو الأعلام . فى الأساس : وخفق العلم ، وأعلامهم تخفق وتختفق . وفى اللسان : وتسمى الأعلام الخوافق والخافقات . والمغيث هنا هو المغيث وقت القتال . والبارقة السحابة ذات برق ، والبارقة السيوف على التشبيه بها لبياضها . وفى حديث عمار (رضى الله عنه) الجنة تحت البارقة أى تحت السيوف .

* ج ١ ص ١٩٢ : قال (جرير بن أحمد بن أبى دؤاد) : كان ابراهيم (بن العباس الصولى) أصدق الناس لأبى فعتب على ابنه أبى الوليد فى شىء ، فقال فيه أحسن قول : ذمه فمدح أباه . وما أحسن هذا من جهة جرير ! :

عفت مساو تبدت منك واضحةً على محاسن نقاها أبوك لكا
لئن تقدمت أبناء الكرام به فقد تقدم آباء الكرام بكا

قلت (ذمه ومدح أباه) أى جمع بين الأمرين .

و (عفت مساوى تبدت منك ، واضحةٌ) برفع واضحة وإن جاز نصبها . وقد خفف مساوىْ وقدّر .

و (نقاها) هى (أبقاها) وعجز البيت الثانى هو (لقد تقدم آباء اللئام بكا) وهنا النكتة ، وهنا الذم البليغ .

والقاضى أحمد بن أبى دؤاد هو الذى يقول حبيب فيه :

لقد أنست مساوىء كل دهر محاسنُ أحمد بن أبى دؤاد

ولما ذكر الصفدى فى كتابه (الغيث الذى انسجم فى شرح لامية العجم (١)) « الذين رزقوا السعادة فى أشياء لم يأت بعدهم من نالها » قال فى أحمد : « القاضى أحمد بن أبى دؤاد فى المروءة وحسن التقاضى » .

وقال ابن خلكان فى سيرته فى كتابه : « كان معروفاً بالمروءة والعصبية » يعنى العصبية العربية .

* ج ١٤ ص ٢١٧ : ... فألّب الأولياء على ابن عباد حتى كثر الشغَب ، وعظم الخطْب ...

قلت : (الشغب) بالتسكين لأجل الخطب . والمجانسة بين القرائن فى السجع مطلوبة . والفتح لغة وليس بخطأ كما قال

(١) تراجم الرسالة ٦٠٧ ص ١٨١

الطهارة والوضوء

للدكتور جواد علي

الطهارة ركن من أركان الصلاة عند جميع الأديان . وتشمل طهارة الجسم ، وطهارة الثياب ، وطهارة الأرض . فاشترطت الديانة الرومانية على المصلي لبس الملابس النظيفة « فيلبس المستغيث ألبسة نظيفة لما وقر في الأذهان من أن الأرباب يرغبون في النظافة »[1] . واشترطت مثل هذه الشروط سائر الأديان القديمة مثل الديانة البابلية والمصرية والهندية . ويلعب الغسل دوراً هاماً في طهارة الجسد وفي بعض الطقوس ولا سيما في الديانات التي نشأت على مقربة من الماء[2] .

وجعل الغسل العام أو الغسل الموضعي كواجب من الواجبات الشرعية حتمت الديانة « البارسية » الفارسية القديمة على الفارسي عند نهوضه من نومه صباحاً وجوب غسل وجهه وعينيه ويديه وقدميه ثلاث مرات . ويستعمل لذلك مادة « Kuhurin » وهي مادة طاهرة مقدسة تستخرج من عصير الأثمار وتستعمل بعد الغسل بالماء[3] . ويجوز استخدام الحشائش الجافة لمسح أجزاء الجسم . أما الحشائش المبتلة فلا يجوز استخدامها لأن الماء طاهر ومقدس لا يجوز تنجيسه[4] .

وإذا ما ابتدأ الإنسان بغسل وجهه وعينيه ويديه وقدميه ثم أعوزه الماء ، وجب عليه « التيمم » بالرمل فيمسح بالرمل تلك الأجزاء لأن الرمل مادة طاهرة مطهرة مالم تدنس[5] . وقد ورد مثل ذلك في الشريعة الاسرائيلية ، فعلى اليهودي إذا ما استيقظ في الصباح أن يغسل وجهه وعينيه ويديه ، وإذا ما أعوزه الماء جاز له التيمم أيضاً[6] .

(1) شارل سنيوبوس تاريخ الحضارة ترجمة محمد كرد على سنة ١٩٠٨ ص ١٢٧ .

(2) راجع Hastings Ency of Art and Reli وكتب تاريخ الأديان .

(3) Scheftelowitm The old Persian Rel p, 129 .

(4) Saddar c. 50 Vend 1٩, 21 p, 129 .

(5) Saddar C. 50. 74 Vend 18, 21 .

(6) Sehulkan cAruk, Orah Hajjiw, 4, Sib, 3, 592

الحريري في (الدرة) وليس هو من كلام العامة كما ذكر ابن الأثير في النهاية .

* ج ٣ ص ١٣١ : ... فقال (أبو العلاء) لي (للتبريزي) قم وكمله ، فقلت : حتى أتمم السياق فقال : قم وأنتظر لك .

وجاء في الشرح : السياق في الأصل : السيق :

قلت : في (الصبح المنبي عن حيثية المتنبي) : (حتى أتمم السبق وأنا أنتظرك) وضبط اللفظة — كما جاءت في الصبح — الفضلاء[1] الذين جمعوا وحققوا كتاب (تعريف القدماء بأبي العلاء) وقالوا في الشرح : السبق بالتحريك يراد به الدرس وهذه الكلمة لم ترد في المعاجم بهذا المعنى ، وشاعت في الفارسية بمعنى الدرس نقلاً عن العربية .

* ج ١٣ ص ٢٨٥ : كان (علي بن عبد الله بن وصيف الناشئ) شيخاً طويلاً جسيماً ، عظيم الخلقة ، عريض الألواح ، موفر القوة ، جهوري الصوت ، عمر نيفا وتسعين سنة لم تضطرم أسنانه ، ولا قلع سناً منها ولا من أضراسه . وكان يعمل الصفر ويخرّمه ، وله فيه صنعة . ومن عمله قنديل بالمشهد بمقابر قريش مربع غاية في حسنه .

وجاء في الشرح : (لم تضطرم) في الأصل تضطرب .

قلت : (الاضطرام) الاشتعال ، و (الاضطراب) التحرك والاختلال ، وهذا أقرب إلى المراد . وربما كان الأصل (لم تنفض أسنانه) ونفضت الثنية أو السن : تحركت واضطربت .

كان الناشئ ذا هزل ومجون في المناظرات وغيرها ومن مجونه — كما روى ياقوت — « حكايته المشهورة مع الأشعري الذي ناظره فصفعه فقال (الأشعري) ما هذا يا أبا الحسين ؟ فقال : هذا فعل الله بك ، فلمَ تغضب مني ؟ فقال : ما فعله غيرك ، وهذا سوء أدب وخارج عن المناظرة . فقال : ناقضْتَ . إن أقمت على مذهبك فهو من فعل الله ، وإن انتقلت فخذ العوض . فانقطع المجلس بالضحك وصارت نادرة » .

« قال عبيد الله الفقير إليه تعالى مؤلف هذا الكتاب : لو كان الأشعري ماهراً لقام إليه وصفعه أشد من تلك ثم يقول له : صدقت . تلك من فعل الله بي ، وهذه من فعل الله بك ، فتصير النادرة عليه لا له » .

(1) الأساتذة : طه حسين ، مصطفى السقا ، عبد الرحيم محمود ، عبد السلام هارون ، ابراهيم الأبياري ، حامد عبد المجيد .

ويبتدى المرء بالغسل عند «الفرس» باليد اليمنى وبالنصف الأيمن من الجسم دائماً . وإذا أراد لبس حذائه بدأ بالرجل اليمنى ونجد مثل هذه التعاليم عند اليهود أيضاً [١].

وتتناول الطهارة طهارة الجسم من الأدران وطهارة الملابس وطهارة الأرض أو الموضع الذى يصلى عليه المؤمن . ويجب أن يتم ذلك قبل الشروع فى الصلاة وإلا عدت الصلاة شرعاً باطلة .

وتختلف قواعد الطهارة طبعاً باختلاف الأديان وباختلاف وجهات نظر الشعوب . إلا أنها تتفق عموماً فى أساس الفكرة وهى فساد أية صلاة إذا كان المصلى على نجاسة . ولذلك وجب على المصلى إزالة كل أثر من آثار النجاسات .

ونجد مثل ذلك فى الشريعة الإسلامية ، فالطهارة فى الإسلام شرط مبدئى من شروط صحة الصلاة . وعلى المسلم إزالة كل أثر من آثار النجاسة عليه الغسل إن كان ذلك واجباً عليه . وعادة الغسل من الجنابة عادة كانت معروفة فى الجاهلية وقد أقرها الإسلام . وعليه فضلا عن ذلك أن يتوضأ قبل البدء بالصلاة — والوضوء ضرب من ضروب الطهارة — وإلا لن تصح له صلاة .

وقد نص القرآن الكريم على كيفية الوضوء والتيمم . وفصلت كتب الفقه ذلك تفصيلا . وبحثت بحثاً مستفيضاً فى الماء والغسل والنجاسات . وقد توسعت الكتب فى هذا الباب وتفننت كلما تقدم المسلمون فى الحضارة وأمعنوا فى المدنية . وتكاد تتقارب أفكار اليهود بالنسبة إلى الطهارة والنجاسة مع أفكار المسلمين تمام التقارب . على أن اليهود وإن تساهلوا فيما بعد فى الشروط التى تجب فى المصلى بالنسبة إلى الطهارة ، وفى كثير من القيود الثقيلة التى كانت عندهم فى عهودهم الأولى . غير أن كتبهم الدينية كانت قد امتلأت بهذه القيود . وفى « المشنا » [٢] وهو الكتاب الجامع لأحكام اليهود ومعظم فقههم والمفسر لكثير من قواعد التوراة « Tarah » وتعاليم المعلمين « Tannaim » . والذى بدأ به « هيليل — Hillel » اليهودى البابلى فصول طويلة عن شرائط الطهارة فى الصـــلاة أهملت فيما بعد وسقطت عملياً من الاستعمال [١] . سقطت هـذه قبل ظهور الرسول بزمن طويل . وأغلب الظن أنها تركت بعد سقوط الهيكل بأيدى الرومان إذ تسامح اليهود منذ ذلك الحين فى كثير من أحكام دينهم الصعبة . وإن كان المستشرق اليهودى المرحوم « ميتوخ » يؤكد أن يهود جزيرة العرب ويهود الحبشة ظلوا مخلصين لهـذه التعاليم مطيعين لها حتى زمن ظهور الرسول [٢] وغرضه من ذلك على ما يظهر هو البرهنة على أن النبى كان قد اقتبس من تعاليم هؤلاء اليهود . وقد عرفنا رأى هذا المستشرق فى الموضوع .

ويقول هذا المستشرق أيضاً « وأما الشروط التى نصت على أن الصلاة يجب ألا تقام فى محل نجس ، أو فى محل قذر ، وأن الملابس يجب أن تكون وفقاً للأحكام التى حددتها والمقاييس التى وضعتها بحيث لا يجوز ظهور جزء من الجسم الذى يعتبر فى حدود العورة فإن المسلمين فى هذا الباب هم كاليهود تماماً » [٣] .

أمر القرآن بالوضوء وقد ورد ذلك الأمر فى سورة المائدة [٤] وسورة المائدة من السور المدنية إلا الآية الثالثة فإنها نزلت بعرفات فى حجة الوداع . ومعنى هذا أن الأمر بالوضوء إنما كان بعد هجرة الرسول إلى المدينة . أى أن الوضوء لم يكن مفروضاً بمكة ؛ وهذا ما يتعارض مع الأحاديث المعروفة والأخبار الكثيرة التى تنص على أن الوضوء قد فرض مع الصلاة .

ففى كتب السير « أن الصلاة حين افترضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو بأعلى مكة فهمز له بعقبه فى ناحية الوادى فانفجرت منه عين فتوضأ جبريل عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليـه ليريه كيف الطهور للصلاة ، ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رأى جبريل توضأ ثم قام به جبريل فصلى به وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاته ثم انصرف جبريل ... » [٥] وهو خبر مشهود .

---

(١) Scheftelowitm p, 129 The old Persi Reli and The Jsra Rel.

(٢) عن المشنا « misehnā » راجـــع Cohen, Everyman's Telmue Introduction p, 22.

(١) Cohen Cveryman's Talmud p, 2? Intr mittwoch. p, 14 B'rākhoth, 3, 4. G'mārā, 21 b.

(٢) mittwoch p, 14 .

(٣) mischnā, Be'rahhoth, 3, 5 mittwoch, p, 15 .

(٤) سورة المائدة ٥ آية ٦ .

(٥) راجع سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٥٥ السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٥١ لا نجد هذا الخبر فى الطبقات لابن سعد ج ١ ص ١٧٨ .

ويفهم من هذا الخبر أن الأمر بالوضوء إنما كان بمكة مع الصلاة . فى حين أن النص القرآنى وهو نص مدنى يأمر بالصلاة فى المدينة بعد هجرة الرسول . وهذا يعنى أن الأمر بالوضوء لم يكن قد نزل إلا بعد نزول الأمر بالصلاة بزمان . ويترتب على ذلك أن صلاة الرسول من حين أمر بالصلاة إلى حين نزول الآية كانت بغير وضوء .

وجاء فى السيرة الحلبية « ومشروعية الوضوء كانت مع مشروعية الصلاة التى هى غير الخمس وأن ذلك كان يوم نزول جبريل باقرأ ، وهو مخالف لقول ابن حزم لم يشرع الوضوء إلا بالمدينة . ومما يردّ ما قاله ابن حزم نقل ابن عبد البر اتفاق أهل السير على أنه لم يصلّ قط إلا بوضوء »[١]

والذى يفهم من قول صاحب السيرة أن العالم ابن حزم كان يعتقد بأن فرض الوضوء كان بالمدينة لما يعرف من أن الآية مدنية . وقد انتبه العلماء إلى ذلك . ويخيل إلى أن ذلك كان متأخراً . فحاول أكثرهم التمسك بالخبر والتوفيق بينه وبين الآية وتحايلوا فى التأويل والفرضيات ليبرهنوا على أن صلاة الرسول الأولى لم تكن بغير وضوء . فقالوا « إنه لم يشرع وجوباً إلا فى المدينة وإنه كان قبل ذلك مندوباً وهو قول بعض المالكية . أى أنه مكىّ بالفرض مدنى بالتلاوة[٢] واعتمدوا فى تأويلاتهم هذه على بعض الأخبار الغامضة وهى فى حدّ ذاتها أخبار لا قيمة لها بالنظر إلى نص القرآن .

قالوا بأن « مشروعية الوضوء كانت مع مشروعية الصلاة التى هى غير الخمس وإن ذلك كان يوم نزول جبريل باقرأ »[٣] ثم تراهم يقولون « بأن الغسل كان واجباً عليه لكل صلاة فنسخ بالحدث الأصغر تخفيفاً فصار الوضوء ثم نسخ الوضوء لكل صلاة »[٤] . وهذا ما يتعارض مع قولهم السابق بالطبع إذ يعنى هذا أن النبى كان يغتسل أولا للوضوء ولما شق عليه ذلك خفف عنه بالوضوء بالنسبة للحدث الأصغر . وظل الغسل مشروعاً بالنسبة للحدث الأكبر فقط وعلى المسلمين حتى اليوم .

(١) السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٥٣ .
(٢) السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٥٣ .
(٣) نفس المصدر .
(٤) راجع السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٥٣

ومعنى هذا أيضا أن الوضوء لم يكن مفروضاً مع الصلاة مباشرة ، بل كان النبى يغتسل أولا لكل صلاة ، ثم خفف ذلك عنه بالوضوء . وقد كان هذا الغسل بمثابة طهارة عامة للجسم قبل الشروع فى الصلاة . وكان عرب الجاهلية يفعلون ذلك قبل الطواف بالبيت[١] . ثم نسخ الغسل بالوضوء . والظاهر أن هذا النسخ كان بالمدينة ، فأصبح النبى والمسلمون يتوضأون من حين نزول الآية بدل الغسل .

وعند ما نزلت الآية كان النبى وأصحابه يتوضأون لكل صلاة وقد شق عليهم ذلك فيما بعد ، فلما كان يوم الفتح صلى الرسول الصلوات الخمس بوضوء واحد « فقال سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه : فعلت شيئاً لم تكن تفعله ، فقال عمداً فعلته يا عمر للاشارة إلى جواز الاقتصار على وضوء واحد للصلوات الخمس »[٢] . ثم خفف الوضوء بالتيمم عند فقدان الماء . وقد نص على ذلك القرآن الكريم . فترى من ذلك إذاً أن الأحكام الإسلامية كانت تسير من عسر إلى يسر ، ومن صعب إلى سهل ، حسب مقتضيات الظروف والأحوال .

وتشبه قضية الوضوء قضية قراءة سورة الفاتحة فى الصلاة . إذ الفاتحة فى الصلاة ركن من أركان الصلاة على أكثر الأقوال لحديث عبادة بن الصامت « لا صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب »[٣] ولحديث أبى هريرة « من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهى خداج ... »[٤] وما دامت الفاتحة ركناً من أركان الصلاة فقد وجب أن يكون نزول الفاتحة مع نزول الأمر بالصلاة فى يوم واحد . والحال أن نزول السورة كان بعد ذلك بمدة .

فسورة الفاتحة مكية وقيل مدنية[٥] وقيل مكية مدنية ، وعلى كل فهى سورة متأخرة عن الصلاة . ولا يعقل أبداً أن تكون ركناً من أركان الصلاة قبل عهد النزول ، إذاً فالفاتحة ركن منذ

(١) راجع ولهوزن عن بقايا الوثنية العربية والكتب الباحثة عن عرب ما قبل الاسلام .
(٢) الحلبية ج ١ ص ٢٥٤ .
(٣) الخازن ج ١ ص ٢٠ .
( ) تفسير الخازن ج ١ ص ٢٠
(٥ الخازن ج ١ ص ١٢ .

القضاء في الاسلام

قطعة ثالثة من محاضرة ألقيت في دمشق ولم تنشر

للأستاذ علي الطنطاوي

ولقد اشترط القانون اليوم فيمن يولى القضاء سناً معينة لابد من إكمالها وامتحانا مسلكيا . والشرع لم يشترط إلا البلوغ . ولما قلد المأمون يحيى بن أكثم قضاء البصرة وكان ابن ثماني عشرة تكلم بعض الناس فيه لحداثة سنه ، فكتب اليه المأمون : كم سن القاضي ؟ فكتب في جوابه : أنا على سن عتاب بن أسيد لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة قاضياً وأميراً . فسكت عنه المأمون وأعجبه

والامتحان المسلكي معروف عندنا ، وقد دعا عمر قاضياً كان في الشام حديث السن فامتحنه بالعلم فقال له : بم تقضي ؟ قال : أقضي بما في كتاب الله . قال : فان لم تجد ؟ قال : بما قضى به رسول الله . قال : فان لم تجد ؟ قال : بما قضى به أبو بكر وعمر . قال : فان لم تجد ؟ قال : اجتهد رأيي . فقال له عمر : أنت قاضيها . ورده إلى عمله . وحديث عمرو بن العاص لما جربه النبي صلى الله عليه وسلم واختبره عمليا ، معروف معلوم

والقاضي الشرعي اليوم لا يجرب ولا يدرب ، كما يدرب (حاكم الصلح) إذ يعين عضواً ملازما ثم يبعث حاكما . بل إنه يستقل بالحكم من أول يوم . وهذا مما ينبغي النظر فيه . وليس يجوز أن ينفرد القاضي بالحكم حتى يتمرس به ويتمرن عليه مدة في محكمة من المحاكم ، فاذا استأنس المفتي رشده ولمس مقدرته على القضاء ، ورآه أهلا له ، قيل له ، اعل قوس المحكمة ، وتوكل على الله ، وكذلك في مصر يصنعون ، على ان القضاء الشرعي فيها (إلا الجزئي منه) قضاء جماعة ، فكيف وهو عندنا قضاء فرد ، وان وظائف القاضي من قضاتنا في أنأى محاكم الجزيرة أوحوران وسلطانه كسلطان قاضي دمشق أوحلب ينظر نظره في كل دعوى ، ويحكم حكمه في كل خلاف . والقضاء في مصر على درجتين يؤمن معهما الغلط ، وهو عندنا على درجة واحدة ، ما فوق القاضي إلا محكمة التمييز (النقض والإبرام) وهي تعنى بالشكل لا بالأصل وتنقض حكم القاضي ولكنها لا تحكم في الدعوى .

* * *

هذا وإمام المسلمين مأمور بأن لا يقلد أحدا شيئاً من عمل المسلمين إلا إذا علم صلاحه له . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «من قلد رجلا عملا وفي رعيته من هو أولى به منه فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين» .

وكان الخليفة هوالذي يقلد القضاء ، وربما قلده الوزير أوالأمير إذا ولاه الخليفة وصرح به في عهده ، لأن القضاء في الأصل من حق الخليفة ، وقد قضى النبي صلى الله عليه وسلم واستقضى ، وقضى الخلفاء الراشدون من بعده واستقضوا . وفي تاريخنا أسلوب بارع لتقليد القضاء ، هوأن يدعوالخليفة أو الامير مشيخة العلماء وكبار القوم ويأمرهم أن يعرضوا عليه أسماء من يصلح للقضاء ، ويذكروا لكل عيوبه ومزاياه ، ثم يختار من تجمع عليه الكلمة أو من يظهر فضله على غيره ظهوراً لا خفاء فيه ، وأكثر ما رأيت هذا الأسلوب في قضاة مصر . ولقد كان تقلد عيسى بن المنكدر

عهد النزول . وكذلك كان الوضوء . فأهمل الفقهاء ذلك والمحدثون ، وتصور الناس أن ذلك كان منذ أقدم عهود الصلاة . وهنالك إشارة وردت في الاتقان هي «أن جبريل حين حولت القبلة أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الفاتحة ركن في الصلاة»[1] . ونحن نعرف أن تحويل القبلة كان بالمدينة بعد الهجرة بستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً[2] . فإذا صح قول صاحب الاتقان وجب أن يكون ذلك في المدينة وبعد الهجرة كما رأيت . ولذلك فلا عبرة لكلام من قال «لم يحفظ أنه كان في الإسلام صلاة بغير فاتحة»[3] . ترى من ذلك أن كثيرا من الأحكام المعروفة لم يفحص حتى الآن فحصاً تاريخياً . والحق « إن الإسلام كان كلما ازداد ظهورا وتمكن في القلوب ازدادت الفرائض وتتابعت إلى أن تمت بآخر آية من آيات القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو فوق كل مرجع آخر في الإسلام .

جواد علي

(١) الحلية ج ١ ص ٢٥٥
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٦ .
(٣) الحلية ج ١ ص ٢٥٥ .

وأبى الذكر محمد بن يحيى بالانتخاب ، ولما كان وفد مصر فى العراق عند المنصور وجاءه نعى قاضى مصر ، قال لهم : أعظم الله أجركم فى قاضيكم أبى خزيمة . ثم التفت إلى الربيع فقال له : أبغنا لأهل مصر قاضياً ، فقال له ابن حديج (وكان فى الوفد) : ما أردت بنا يا أمير المؤمنين ؟ ! أردت أن تشهرنا فى الأمصار بأن بلدنا ليس فيه من يصلح لقضائنا حتى تولى علينا من غيرنا . قال المنصور فسمّ رجلا . فقال : أبو معدان اليحصبى . فقال : إنه لخيار ولكنْ به صمم ، ولا يصلح الأصم للقضاء . قال : فعبد الله بن لهيعة . فقال : فابن لهيعة .

انظروا أيها السادة إلى معرفة المنصور بأهل العلم من رعيته على بعد ما بين العراق ومصر ، ورجوعه عن أمره الذى أمر به الربيع لما بدا له الحق فيما قال ابن حديج . واختياره الصالح للعمل بعد الاستشارة والسؤال . وتوليته إياه القضاء من غير طلب له ولا سعى منه إليه . ولولا حق المجاملة وإنى ربما نشرت هذه المحاضرة فى الرسالة ، لقلت انظروا إلى حبّ أهل مصر بلدهم وقديم عصبيتهم له !

***

ونص الحنفية على أنه يجوز تقلد القضاء من السلطان العادل والجائر ، وإنما يجوز تقلد القضاء من السلطان الجائر إذا كان يمكنه من القضاء بحق ولا يخوض فى قضاياه بشر ولا يتداخل فى أحكامه ، ويجوز التقلد من أهل البغى كل ذلك لأن القضاء فريضة محكمة والقاضى إذا حكم بالحق فقد أقام الفريضة ، وضرر تقلده من السلطان الجائر ، أو الغاصب الباغى لا يعدل ضرر تعطيل القضاء وترك أمور الناس فوضى !

وكان أبو حنيفة يرى ولاية القاضى سنة واحدة يعزل بعدها ليعود إلى الاشتغال بالعلم فلا ينساه ، وكأن أبا حنيفة ينظر إلى ما وراء القرون فيرى هذا الزمان الذى فيه العلماء ينصرفون عن العلم إذا ولوا الولايات فكيف وقد كثر ما يتولاها الجاهلون ...

وكان طلب الرجل العمل قادحاً فى صلاحه ولم يكن الخلفاء يولون الأعمال طالبها . كان ذلك والإسلام إسلام ؛ والناس ناس ، فرحمة الله على أولئك الناس .

***

وكانت وظيفة القاضى (أى مرتبه) أجزل الوظائف ورزقه أكثر الأرزاق ، ففى العهد الذى كان عمر يلبس فيه الثوب المرقع ويقنع بالزيت ، وكان علىّ تجزئه قصعة ثريد . كان مرتب شريح القاضى خمسمائة درهم فى الشهر ، وكان مرتب ابن حجيرة الأكبر كما ذكره الكندى ، ألف دينار فى السنة فلا يحول عليه الحول وعنده منها شىء ، بل كان ينفقها على أهله وإخوانه وفى وجوه البر . وكان مرتب ابن لهيعة ثلاثين ديناراً فى الشهر . وأجرى مثل ذلك على القاضى المفضل به فضالة . وجعل عبد الله بن طاهر راتب القاضى عيسى بن المنكدر أربعة آلاف درهم فى الشهر ، وراتب الفضل بن غانم مائة وثمانية وستين ديناراً فى كل شهر ، وكان راتب أبى عبيد القاضى الفقيه مائة وعشرين ديناراً فى الشهر ، وكان يقول : مالى وللقضاء ؟ لو اقتصرت على الوراقة ما كان خطى بالردىء !

وقد نقل الكندى فى تاريخه صورة براءة (سند راتب) من أيام مروان بن محمد فيها : (بسم الله الرحمن الرحيم من عيسى بن أبى عطاء إلى خزان بيت المال . فاعطوا عبد الرحمن بن سالم القاضى رزقه لشهر ربيع الأول وربيع الآخر سنة إحدى وثلاثين ومائة عشرين ديناراً واكتبوا بذلك البراءة . وكتب يوم الأربعاء لليلة خلت من ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين ومائة) . وهى تبين لنا أن الرواتب قد تدفع سلفاً (وهى كذلك اليوم فى بلاد الشام) وتكشف عن ناحية من الأسلوب المالى لدفع المرتبات .

نظر خلفاء المسلمين بنور الله فدفعوا إلى القضاة المال الوفير ، والرزق الكثير ، لتعفّ نفوسهم عن حرامه اكتفاء بحلاله ، وذلك ما تفعله أرقى الأمم فى زماننا وأقومها سيرة فى القضاء ، على أنهم لو تركوا قضاتنا إلى دينهم لوزعهم ، ولو خلوا بينهم وبين نفوسهم لقمعوها بخوف الله ، وأزاحوا شهوتها بانتظار جنته وخشية ناره . ولقد كانوا على هذا المرتب الكثير ، والعطاء الجزل ، أولى تقشف وزهد ، ينفقون المال يشترون به الجنة ثم يعودون إلى زهادتهم وقناعتهم : حدث إبراهيم بن نشيط قال : دخلت على القاضى ابن حجيرة الأصغر (وكان قد تغدى) فقال : أتتغدى ؟ قلت : نعم . قال : أعيدى عليه الغداء ياجارية . فأتت بعدس بارد على طبق خوص وكعك وماء . فقال : ابلل وكل ، فلم تتركنا الحقوق نشبع من الخبز !

وأى حقوق هي يا سادة ؟! حقوق الله ، حقوق الشرف والنبل والكرم . حقوق المسلمين . ابلل وكل يا إبراهيم ! هـذه لعمرى أعظم وأجلّ من موائد الملوك :

واسمعوا تتمة القصة تعلموا ما هذه الحقوق ؟ قال : وأتاه رجل يسأل حاجة . فقال : ليرجع . وسأل عنه وحقق عن فقره ، فلما عرف فاقته . أعطاه ثمانية عشر ديناراً .

هذه هي التي تركته لا يشبع الخبز !

ولقد كانوا يغرمون الغرامات فى أموالهم : كان القاضى أبو زرعة كثير الشفقة رقيق القلب ، يغرم عن الفقراء والمستورين إذا أفلسوا ، حتى كان بعضهم إذا أراد أن يتكسب أخذ بيد رفيقه فادعى عليه عند القاضى ، فيعترف ويبكى ويدعى أنه لا يقدر على وفائه فيغرم عنـه . وحصلت لبعض الشاميين إضاقة (والشامى ولا مؤاخذة بصير باصطياد الدراهم) فقال لبعض أصدقائه : قدنى إلى القاضى فلعله يعطيك عنى شيئاً أنتفع به ، ففعل وقال : أيد الله القاضى : لى على هذا الرجل ستون درهماً . قال : ما تقول؟ فأقر. فقال : أعطه حقه . فبكى وقال : ما معى شىء ، فقال للمدعى : إن رأيت أن تنظره . قال : لا . قال : فصالحه . قال : لا . قال : فما الذى تريد ؟ قال : السجن . قال : لا تفعل . وأدخل يده تحت مصلاه فأخرج دراهم فعد منها ستين درهماً فدفعها إلى الرجل .

قال صاحب القصة : وآليت ألاّ أعود لمثلها !

وكان بمصر أخوان توأمان تكهلا ولا يفرق بينهما من رآهما من قوة الشبه بينهما فوجب على أحدهما دين فحبسه القاضى أبو عبيد ، وكان أخوه يجىء زائراً له فيجلس مكانه فى الحبس ويتوجه الأول . وشاع ذلك حتى بلغ القاضى فأحضرهما وقال : أيكما فلان؟ فقال كل واحد منهما : أنا ! فأطرق القاضى . ثم طلب الغريم فدفع إليه الدين من ماله فراراً من الغلط فى الحكم . فهل سمعتم فى قضاة أمة بمثل هذا ؟

على أن فى القضاة من كان يقضى بالمجان . قال ابن خذام: ما أخذت على القضاء شيئاً إلا جوزتين فلما صرفت تصدقت بهما !

وقريب من هذا ما صنعه القاضى بكار بن قتيبة لما هم ابن طولون بخلع الموفق من ولاية العهد ، وأجابه القضاة كلهم إلا بكارا ، فطلب أن يلعنوا الموفق فامتنع بكار فألح عليه فأصرّ على الامتناع حتى أغضبه ، فقال له : أين جوائزى ؟ وكان يصله كل سنة بألف دينار ، فقال : هى على حالها ، هناك ، فنظروا فإذا هى ملقاة بأكياسها فى دهليز منزله . فبعث أحمد فقبضها .

* * *

على أن الغنم بالغرم . وإذا كثرت مرتبات القضاة فلقد كثرت تكاليفهم وازدادت الواجبات عليهم ، وإذا كان العرف اليوم على أن الموظف إذا قام بعمله كان حراً فى نفسه ووقته . وهو لعمر الفضيلة عرف أشبه بالنكر ، وإذا كان القانون اليوم لا (يكاد) يؤاخذ قاضياً على فسـوق فى نفسه أو عصيان لربه ما لم يتصل بعمله ، فلقد كان القاضى يؤاخذ على الصغيرة والكبيرة وتطلب منه أخلاق الملائكة ، وشمائل الصديقين ، قد بوبت فى ذلك الأبواب ، وصنفت فيه الكتب ، وشاع واشتهر ، وأغنى الخبر فيه عن الخبر ، ولم يبق للكلام فيه مجال ، ولا لقائل مقال . وإنى لأسرد طائفة من ذلك على سبيل التمثيل عليها ، والإشارة إليها ، لا أريد المتعلق منها بالمحاكمة وأصولها فسيأتى الكلام فى ذلك ، ولكن أريد شمائل القاضى وآدابه فى نفسه ، وملاكها استعمار التقوى ، وإدامة المراقبة لله عز وجل . وقد امتحن على رضى الله عنه قاضياً فقال له : بم صلاح هذا الأمر ؟ قال : بالورع . قال : ففيم فساده ؟ قال : بالطمع . قال : حُق لك أن تقضى . ونصوا على أن من آكد الواجبات على القاضى ألا يحفل بالنـاس ، ولا تأخذه لومة من لائم ، وأن يقيم الحق ، ولو أغضب الحق أقواماً . قيل لشريح : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت وشطر الناس على غضبان .

وهذه يا أيها السادة مزلة أقدام القضاة ، ولا سيما فى أيامنا ، لأن القاضى اليوم لا يعدم فى كل قضية شفاعة ووساطة ، فإذا أمضى الحق لم يحفل بالشفاعات ولا الوساطات ، لم يخل من أعداء يشون به إلى أولى أمره ، ويسودون ما بينهم وبينه ، فيسوء رأيهم فيه ، ويطول عتبهم عليه ، ويؤخرون ترفيعه ، وربما احتالوا على قانون حصانة القاضى فنقلوه إلى مكان سحيق ، لأن العرف الحكومى اليوم أن الموظف الصالح هو الذى يألف ويؤلف ، ويرضى عنه من حوله ، ولا تثور عليه ثائرة ، ولا تضج ضجة . وهل ينال ذلك قاض نزيه لا يعرف من الطرق إلا الصراط المستقيم . وليس له

ســـجون بغداد

زمن العباسيين

للأستاذ صلاح الدين المنجد

- ١ -

تمهيد

ما نحسب أن أحداً من المتقدمين أو المحدثين ، بحث فى السجون على التفصيل . فهذا مبحث بكر طريف ؛ سنحاول فيه أن نقدم إليك صورة واضحة تبين لك سبب السجن، وتريك أنواع السجون وضروب السجنى ، ثم تطوف عليهم ، فترى ما يأكلون وما يلبسون ؛ وكيف يفرّون ومتى يخرجون . فإذا فرغنا عقدنا فصلاً خاصاً بأدب السجون ، فأسمعناك طرفاً من الشعر المشرق الذى قيل فى السجن المظلم . ثم استدركنا ما فاتنا من الحوادث والأخبار المتعلقة بهذا الموضوع .

أسباب السجن

يتساءل الإنسان عند البحث فى هذا الموضوع ، عن الأسباب التى كان الناس يساقون بها إلى السجن . أفكانوا ينهجون نهجاً أو يتبعون شريعة إذا خرج عنها واحد ، عوقب بالسجن ؟ الحق أنه لم يكن شىء من هذا ، فقد كان يكفى أن يقول الخليفة أوالأمير أو صاحب الشرطة « الحبس » حتى يُودعوا من لُفظت بسببه المطبق[١] . فقد كان الحبس سلاحا فى يد الخلفاء والوزراء ، وقوة يكيدون بها للمتمردين والعاصين والأعداء ، ويهددون مخالفيهم فيما يشتهون ويحبون .

على أننا إذا استقرينا النصوص والأخبار ، نجد أسباب السجن تتلخص فيما يلى :

(١) الوزارة سبيل السجن

ومن العجب أن نرى أن الوزارة كانت سبيلا يوصل إلى السجن فى غالب الأحيان . وندر مَنْ نجا من الوزراء ، ولم

(١) كتاب الديارات (مخطوط) انظر مثلا دير مديان

إلا وجهه الواحد الذى ركبه الله له . ولسانه الفرد الذى وضعه فيه ، وما معه إلا قانون واحد يسوق بعصاه الوجيه والخامل ، والكبير والصغير .

وقديماً نال بعض قضاتنا أذى كبير من أجل إقامة العدل ودحض الظلم ، والصدع بالحق ؛ ولكنهم صبروا فأعزهم الله بصبرهم وأظهرهم وأعلى أمرهم . هذا الحارث بن مسكين قاضى مصر يحمل إلى المأمون أيام المحنة ، محنة الدين والخلق التى جربت فيها صلابة الرجال ، وقوة العزائم ففاز فى هذا الامتحان أقوام وخسر أقوام . وكان إمام الفائزين أحمد بن حنبل — فيظل الحارث على ما يرى أنه الحق — ما لانت له عزيمة ولا وهت له قوة . وهـذا عمر بن حبيب القاضى لا يسعه أن يسمع الطعن على أبى هريرة ويسكت فيحتسب دمه عند الله ويرد رأى الخليفة العظيم الذى قال للغمامة أمطرى حيث شئت فسيأتينى خراجك : هارون الذى أباد البرامكة فى ساعة وكانوا أعزة الأرض وكرام الناس ، يرد عليه فيغضب ويعرضه على السيف والنطع ، فيغلب حقه وثباته عليه ، بطشة الرشيد البطاش ، فيلين ويعفو ويكافىء ويشكر .

* * *

أو سمعتم قصـة سلطان العلماء العز بن عبد السلام القاضى ، أحد أفذاذ البشر علماً وحزماً وإيماناً ومضاء ، لمـا صح عنده أن المماليك لم يفارقهم الرقّ وهم حق لبيت المال ، والمماليك يومئذ هم الملوك يا سادة ! هم أصحاب الدولة والسلطان ، فنادى ببيعهم فقاموا عليه قومة رجل واحد ، وقام معهم كل متزلف من الناس لذوى الإمارة ، وهددوه وسعى ساعيهم بالسيف إلى باب داره ، فنزل إليه فأطفأ بهيبة إيمـانه شعلة غضبه ، وفلّ بعزيمته حدّ سيفه . وبقى على موقفه منهم حتى باعهم فى سوق العبيد وقبض أثمانهم .. يا أيها السادة . إن منّا قضاة كانوا يبيعون الملوك[١] !

(دمشق) **على الطنطاوى**

(١) اقرأوا ترجمة هـذه القصة إلى لغة الأدب عند إمام البلغاء صاحب (وحى القلم) .

يسجن . وربما قتل ولم يحبس ، وربما صابه الأمران معاً . فقد سُجن يعقوب بن داوود وَزير المهدى [١] ، وجعفر بن يحيى وزير الرشيد ، ويحيى بن خالد وابنه الفضل [٢] وسجن محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم والواثق بعد أن صودرت أمواله ، ونهبت دوره ، وضُمّت إلى القواد ضياعه [٣] . وسجن ابن الخصيب وزير المستعين ونكب [٤] . كما حبس أبو الصقر وزير المعتمد ، وقتل [٥] . ولم ينج محمد بن عبيد الله من السجن ، فقد عزله المقتدر من الوزارة وحبسه معَ ابنه [٦] .

وسبب ذلك أن الخليفة كان يستمع إلى أقوال المنافسين ، ويصغى إلى مقالة الحاسدين ، فيأمر بعزل وزيره وسجنه . فإذا لم يسجن ، جاء خلفه فسجنه انتقاما منه ، وخشية أن يشغب فيبعده عن السلطان .

(ب) مناوئو الخلافة

أما مناوئو الخلافة ، والشاغبون عليها ، فكان مثواهم السجن . فقد سُجن عبد الملك بن صالح وقد سُعي به عند الرشيد بطلب الخلافة [٧] ؛ وسُجن العباس بن المأمون عند ما دعا إلى نفسه ، فمات فى الحبس [٨] . وحُبس الإفشين لما شق عصا الطاعة على الخلافة ، ولم يجدوا بداً من اتهامه بالزندقة ليقتلوه [٩] .

(ج) الديون والمصادرات

وكانت الديون والمصادرات تودى بصاحبها إلى السجن . وكثار من صودرت أموالهم وأودعوا السجون ، ثم أتى بهم فنوقشوا الحساب ، وطُلب منهم رد الأموال . حدّث سليمان ابن وهب قال : « كنت أنا والعباس بن الخصيب ، مع خلق من العمال والكتاب معتقلين فى يدى محمد بن عبد الملك فى آخر وزارته للواثق ، نُطالَب ببقايا مصادرات فقُبض علىّ وأودعت الحبس . فسمعت ليلة صوت الأقفال تفتح فلم أشك فى أنه القتل وفُتحت الأبواب ... وحملنى الفراشون لثقل حديدى وحُملت إلى اسحق بن ابراهيم ، وكان صاحب الشرطة ، فإذا فيه صاحب ديوان الخوارج ، وصاحب ديوان الضياع ، وصاحب الزمام ، وبعض الكتاب . فطُرِحت فى آخر المجلس . فشتمنى اسحق ابن ابراهيم أقبح شتم ، وقال : « يا فاعل ويا صانع تعرّضنى لاستبطاء أمير المؤمنين ؟ أين الأموال التى جمعتها وحُبست بسببها ؟ فاحتججت بنكبة ابن الزيات . فقال لى صاحب ديوان الضياع : أخذتَ من الناس أضعافَ أضعاف ما أدّيت ، وعادت يدك إلى كتبة إيتاخ فأخذت ضياع السلطان وأقطعتها لنفسك وحزتها سرقة إليك ، وأنت تستغلها ألفى ألف درهم ، وتتزيّا بزىّ الوزراء » [١] .

وقد ذكر التنوخى كثيراً من أحاديث هؤلاء المسجونين لديون ومصادرات فليرجع إليه .

(د) الزندقة ، الشعوبية ، القرامطة ، الملاحدة ، الرافضة :

وكان الزنادقة يقتلون طوراً ويسجنون طوراً . وربما اتخذوا الزندقة سبيلا للقتل أو السجن . وكان الزنادقة يودعون سجناً خاصاً فى المطبق . ذكر أبو نواس قال : كنت أتوهم حماد عجرد إنما يُرمى بالزندقة لمجونه فى شعره ، حتى حبست فى حبس الزنادقة فإذا حماد عجرد إمام من أئمتهم ، وإذا له شعر مزاوج بيتين بيتين يقرأون به فى صلاتهم [٢] .

وقد سجن أبو نواس متهماً بالزندقة ؛ وكان قد عرّض بالأمين (صاحب التاج) وأعتقد أن تعريضه هو سبب سجنه ، وأنهم جعلوا الزندقة سبباً . فقد قال :

أرانى أغناهم وإن كنتُ ذا فقر   وقد زادنى تيهاً على الناس أننى
فمى عن جميع الناس حسبى من فخر   فلو لم أنل فخراً لكانت صيانتى
ولا صاحب التاج المحجب بالقصر   فلا يطمعن فى ذاك منى طامع

فقال له الأمين وقد أُتى به « أبلَغَ بك الأمر إلى أن تعرّض بىَ فى شعرك يا ابن اللخناء ...؟ » ثم اتخذوا عليه حجة أنه زنديق؛

(١) الفخرى ص ٢٢١
(٢) العقد الفريد ج ٣ ص ٢٧٠
(٣) الطبرى حوادث سنة ٢٣٣
(٤) العقد الفريد ج ٣ ص ٣٠٥
(٥) الآداب السلطانية لابن طباطبا : ص ٣٠٠
(٦) المنتظم لابن الجوزى : ج ٦ ص ١٢١
(٧) الطبرى حوادث سنة ١٨٧ : ١١
(٨) البدء والتاريخ للبلخى : ج ٦ ص ١١٤
(٩) ابن الأثير : ج ٦ ص ١٩٠ ، والبلخى ج ٦ ص ١٢١

(١) الفرج بعد الشدة للتنوخى ج ١ ص ٤٣ .
(٢) الأغانى ج ١٣ ص ٧١ .

قد شرب ماء المطر مع الخمر ، وقال : ها أنذا أشرب الملائكة ، فإن مع كل قطرة ملكا ... »[١] .

ومن الطريف أن نتابع القصة : فقد ذكروا أن خال الفضل ابن الربيع كان يتعهد المحبوسين ويسأل عنهم . وكانت فيه غفلة . فدخل على أبي نواس فقال : ما جرمك حتى حبست في حبس الزنادقة ؟ أزنديق أنت ؟ فقال : معاذ الله ! قال أتعبد الكبش ؟ قال : ولكني آكله بصوفه ! قال : أفتعبد الشمس ؟ قال : والله ما أجلس فيها فكيف أعبدها ؟ قال : أفتعبد الديك ؟ قال : لا والله ، بل آكله ... ولقد ذبحت ألف ديك لأن ديكا نقرني مرة ، فحلفت ألا أجد ديكا إلا ذبحته . قال : فلأى شيء حبست ؟ قال : لأني أشرب شراب أهل الجنة ، وأنام خلف الناس . فقال : وأنا أيضاً أفعل ذلك . فخرج خال الفضل إلى الفضل وقال له : ما تحسنون جوار الله ! تحبسون من لا ذنب له ؟ سألت رجلا في الحبس عن خبره ، فقال كذا وكذا ، وعرّفه بما جرى بينهما ، فضحك ودخل على الأمين فأخبره الخبر ، فأمر بتخليته[٢] .

وكان الشعوبيّون يسجنون لتهجمهم على العرب ، وقد سجن الرشيد أبا نواس لقصيدة قالها وهجا العرب بها[٣] .

وحُبس فيما بعد ، محمد بن هارون الورّاق الملحد ، ومات في السجن ، وطُلب ابن الراوَنْدى الملحد لسجنه ففر[٤] .

وسجن المقتدر رجالا كثاراً من الدُّعاة إلى القرامطة والذاهبين مذهبهم ، وسجن جماعة من الرافضة ، كانوا يجتمعون في مسجد لسب الصحابة والخروج عن الطاعة[٥] .

(هـ) مخالفة رأى الخليفة ، ادعاء النبوة

وكان مخالف رأى الخليفة أو الوزير معرّضاً للسجن . وقد سُجن ألوف وقتل ألوف في محنة خلق القرآن : وكان أحمد بن حنبل ، الذي لم يقل بخلق القرآن ، أحد من سجنوا[٦] .

وكان المتنبئون يسجنون إن لم يقتلوا . وقد كثر التنبؤ في عصر بني العباس وكان لأصحابه مع الخلفاء نوادر وأحاديث[٧] .

(١) الطبرى حوادث سنة ١٩٨ ج ١١ ، والملح والنوادر ص ١٣٥ .
(٢) الملح والنوادر للحصرى ص ١٣٤ - ١٣٥ .
(٣) حديث الأربعاء : ١١٣ .
(٤) المنتظم لابن الجوزى : ج ٦ ص ١٠٢ .
(٥) المنتظم لابن الجوزى ج ٦ ص ٣١٧ .
(٦) البدء والتاريخ للبلخى ج ٦ ص ١٢١ .
(٧) مروج الذهب للمسعودى ج ٢ ص ٣٣١ ، وتاريخ بغداد لابن طيفور ص ٦٥ .

(و) المجون ، الفسق ، الشراب

وكان المستهترون والفسّاق يسجنون حتى ينالهم العفو . وذكر بن المعتز أن إسحق بن إبراهيم لما بلغه ما فيه أبو العبر من الخلاعة والمجانة أمر بحبسه . فكتب إليه أبو العبر رقعة يذكر أنه تائب ، ويسأله أن يخرجه من الحبس حتى يعلمه رقية العقرب فأحضره وقال : هات علمنا . فقال : إذا رأيت العقرب فتناول النعل واضربها ضربة شديدة فإنها لا تعود تتحرك ...

فضحك وقال والله إنه لا يفلح أبداً[١] .

وأمر المهدى إبراهيم الموصلي ألا يشرب ولا يتبذل ولا يغني ، فغنى إبراهيم عند إخوانه وتبذل وشرب ، فضربه ثلاثمائة سوط ، وقيده وحبسه[٢] .

ووجد العسَس أبا دلامة زيد بن جون سكران في بعض الليالى فقبضوا عليه ، وأخذوه فخرّقوا ثيابه وساجه وحبسوه . فلما أفاق قال أبياتاً وأرسلها إلى المنصور منها :

أمير المؤمنين فدتك نفسي	علام حبستني وخرقت ساجي
أمن صهباء صافية المزاج	كأن شعاعها ضوء السراج
وقد طُبخت بنار الله حتى	لقد صارت من النُّطف النضاج
أقاد إلى السجون بغير جرم	كأني بعض عمّال الخراج[٣]

(يتبع)

صلاح الدين المنجد

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ١٦٣ .
(٢) الأغاني ج ٥ ص ٥ .
(٣) ثمار القلوب للثعالبي ص ٢٠ .

الفســـطاط

كيف اختير مكانها ؟ ولم سميت بهذا الاسم ؟

للأستاذ جمال الدين الشيال

يستطيع القارئ لأخبار الفتح العربي لمصر أن يلمح في يسر ووضوح أن الحرب لم تكن قائمة إلا بين العرب والروم ، وأن القبط قد وقفوا من الجيشين موقف المحايد ، وإن كانوا في سرائرهم يتمنون النصر للعرب لما سمعوه عنهم من حسن السياسة وطيب المعاملة ، ولهذا استمر الروم يدافعون عن مصر وراء حصن بابليون سبعة أشهر طوالا ، والعرب يستمدون من الحماسة الدينية والإيمان قوة لا تأبه للعقبات ، وصبراً لا يعرف الملل .

ولما سقط هذا الحصن في أيدي العرب زالت من طريقهم أكبر عقبة من عقبات الفتح ، وتراجع الروم إلى الأسكندرية فتبعهم المسلمون وحاربوهم حتى استولوا عليها ؛ وبسقوط العاصمة الرومانية في أكتوبر سنة ٦٤١م . تم فتح العرب لمصر فانتشروا في ربوعها حتى وصلوا إلى الشلال الأول ، وبذلك أصبحت مصر ولاية من ولايات الخلافة الإسلامية .

عمرو يريد أن يتخذ لمصر عاصمة

روى ابن عبد الحكم عن يزيد بن أبي حبيب أن عمرو ابن العاص لما فتح الأسكندرية ورأى بيوتها وبناءها مفروغاً منها ، همّ أن يسكنها وقال : « مساكن قد كفيناها » . فكتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستأذنه في ذلك ، فسأل عمر الرسول : « هل يحول بيني وبين المسلمين ماء ؟ » قال : « نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل » ، فكتب عمر إلى عمرو : « إني لا أحب أن ينزل المسلمون منزلا يحول الماء بيني وبينهم فيه شتاء ولا صيفا »[1]

قد تبعث هذه الرواية على التساؤل : لم كان عمر يخشى الماء ؟ يقول بعض المؤرخين : إن العرب لم تكن أمة بحرية ، وبذلك أبى بعد النظر على عمر أن يلقى بجنود المسلمين في مكان يفصل بينه وبين المدينة ماء ، حتى لا يكون هذا الماء إذا حزبهم الأمر حائلا بينهم وبين الوصول إلى مركز قوتهم ، وإذا أراد الخليفة أن يبعث إلى جنده بمصر مدداً لم يكن هناك ماء يعترض سبيل هذا المدد ويمنع وصولهم .

وقد ذكر السيوطي في حسن المحاضرة أن ابن عبد الحكم قد أخرج عن يزيد بن حبيب أيضا أن عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن أبي وقاص وهو نازل بمدائن كسرى وإلى عامله بالبصرة وإلى عمرو بن العاص وهو نازل بالأسكندرية : « أن لا تجعلوا بيني وبينكم ماء متى أردت أن أركب إليكم راحلتي حتى أقدم عليكم قدمت » . فتحول سعد من مدائن كسرى إلى الكوفة ، وتحول صاحب البصرة من المكان الذي كان فيه ، فنزل البصرة وتحول عمرو بن العاص من الأسكندرية إلى الفسطاط »[1]

من هذا نرى أن رغبة عمر في أن لا يحول بين المسلمين وبينه ماء لم تكن قاصرة على مصر ، بل كان يريدها أن تتوافر في كل الأمصار التي فتحها العرب ؛ ويقول فريق آخر من المؤرخين ، ومنهم المستشرق الإنجليزي Lane Poole في كتابه The Story of Cairo إن عمر لم يكن قد رسم لنفسه بعدُ خطة ثابتة لتكوين امبراطورية إسلامية واسعة ، ولذلك كان يريد أن يكون على اتصال دائم بجيوشه التي خرجت للفتح ، وإذ كان الطريق بين بلاد العرب والاسكندرية قابلا للانقطاع في زمن الفيضان فينقطع بذلك سبيل الاتصال بينها وبين المدينة عاصمة الخلافة فقد كتب عمر إلى عمرو يأمره أن يتخذ له حاضرة أخرى غير الاسكندرية .

ويبدو عند مقارنة هذين الرأيين — أحدهما بالآخر — أنه ليس للرأي الثاني من القوة والصحة قدر ما للرأي الأول ، وذلك لأن النشاط الذي أبداه عمر منذ ولي الخلافة وإرسال الجيوش تلو الجيوش إلى الشام وفارس ومصر ، كل هذا يثبت بالبرهان القاطع أن المستشرق الإنجليزي لين بول إنما قال ما قال من باب التعليل والاستنتاج العقلي فحسب .

لهذا أعرض عمرو عن الاسكندرية وولى وجهه شطر الفسطاط ؛ ولنا أن نتساءل مرة أخرى : لمَ اختار عمرو هذا المكان دون غيره لبناء مدينة الفسطاط ؟ وهنا تتشعب الآراء

(١) انظر المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ص ٧٥ — ٧٦ .

(١) المرجع السابق ص ٧٦ .

وتتعدد ، ولكنها برغم تشعبها وتعددها لاتصل بنا إلى رأى حاسم معقول ، فغالبية المؤرخين المصريين كابن عبد الحكم وابن دقاق والمقريزى وأبى المحاسن والسيوطى وغيرهم يروون حادث اليمامة على أنه السبب الأساسى لاختيار عمرو لهذا المكان ونزوله وجيشه بين ربوعه ؛ وغالبية المؤرخين الفرنجة : كبتلر ، ولين بول ، وكازانوفا وغيرهم ؛ لا يهتمون بمناقشة الأسباب التى دعت عمراً لاختيار هـذا المكان دون غيره قدر ما يهتمون بمناقشة الآراء المختلفة فى سبب تسمية هذه الحاضرة بالفسطاط .

وبرغم أنهم يستطرفون قصة اليمامة فأنهم يرجعون هذا الإسم إلى الكلمة الإغريقية Fossatum (أى المدينة) ويقولون بأن العرب نقلوها عن الروم الشرقيين عند اتصالهم بهم فى حروب الشام . غير أننا نحب أن نعنى بالأمرين جميعا لما لكل من الأهمية ، ولذلك سنحاول :

أولا — مناقشة الأسباب التى دعت لاختيار هـذا المكان ليكون حاضرة الديار المصرية بعد إتمام الفتح العربى .

ثانيا — مناقشة الأسباب التى دعت لتسمية هـذا المكان بالفسطاط .

١ — أسباب اختيار المكان :

أما عن الأمر الأول فيقول المقريزى فى خططه : « اعلم أن موضع الفسطاط الذى يقال له اليوم مدينة مصر كان فضاء ومزارع فيما بين النيل والجبل الشرقى الذى يعرف بجبل المقطم ليس فيه من البناء والعمارة سوى حصن يعرف اليـوم بعضه بقصر الشمع وبالمعلقة ينزل به شحنة المتولى على مصر من قبل القياصرة ملوك الروم عند مسيره من مدينة الاسكندرية يقيم فيه ما يشاء ثم يعود إلى دار الإمارة »[١] .

من هذا يبدو أن العرب قد أنشأو مدينتهم « الفسطاط » فى الفضاء المجاور لحصن بابليون — مقر الدفاع الرومانى — ؛ وهنا نجد اختلافا آخر بين المؤرخين بشأن كلمة « بابليون » فالبعض يطلقها على الحصن فحسب والبعض الآخر يقول بوجـود مدينة

(١) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ص ٥٩ مطبعة النيـل بالقاهرة سنة ١٣٢٤ هـ .

حول الحصن كانت تسمى بهذا الإسم ، وزعيم الفريق الثانى هو الدكتور بتلر ، وقد لخص رأيه فى هذه الفقرات .

١ — كانت تقوم فى زمن الفراعنة مكان مصر القديمة (الفسطاط) مدينة ذات شأن يدل عليها وجود بعض التماثيل المصرية مثل « سرية أبى الهول » the Doxy of the Sphinx ؛ وأن بعضاً من هذه التماثيل بقى حتى زمن الخليفة الحاكم الفاطمى[١] .

٢ — وفى القرن السادس قبل الميلاد اتخذ البابليون لهم فى هذا المكان معسكراً حربياً وأنشأوا هناك حصنا على المرتفعات الصخرية التى سماها العرب فيما بعد « الرَّصَد » .

٣ — ومن هـذا المعسكر انتشر اسم « بابليون » حتى شمل الإقليم المجاور وأصبح الإسم المميز لمدينة عظيمة تمتد بعيداً شمال الرصد حتى تتصل بأطراف المدينة القديمة العظيمة المنحلة وتدعى « هليوبوليس أو عين شمس » .

٤ — وعندما أراد تراجان أن يعزز قوته عنـد رأس الدلتا واعتزم أن يبنى حصناً قوياً كقلعة لبابليون ، ترك حصن الفرس القائم على الرصد وأنشأ قلعته على شاطىء النيـل وذلك ليضمن وجود المـاء بالقرب من حاميته ولتستطيع تلك الحامية الاتصال — بوساطة النيل — بسائر جهات القطر المصرى وسمى هـذا الحصن بحصن بابليون (أى حصن مدينة بابليون) أو قلعة مصر Castle of Khêmí وقد حرّف العرب هذا الإسم فيما بعد فسموه قصر الشمع .

٥ — وبذلك هجر حصن الرصد الفارسى واستولت عليه عوامل الانحلال والنسيان ، حتى إذا كان الفتح العربى بعد ذلك بخمسة قرون ونصف قرن كانت الأخبار عن وجوده عامة لا تكاد تذكر .

(١) يذكر ابن دقماق فى كتاب « الانتصار لواسطة عقد الأمصار » ج ٤ ص ٢١ — ٢٢ بولاق ١٣٠٩ هـ عند كلامه عن الأزقة التى كانت بالفسطاط « زقاق الصنم » ويقول انه سمي بهذا الاسم لوجود صنم به كان يسمى سرية أبي الهول وقد هدمه الأمير بلاط سنه ٧١١ هـ ؛ ويؤيد بتلر فى رأيه أيضاً ما رواه ابن الفقيه فى كتابه البلدان ص ٦٠ عن وجود تمثال آخر من الحجر لامرأة كان بالفسطاط ؛ وما رواه المقـدسى فى كتابه « أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم » ص ٢١١ ليدن سنة ١٨٧٧ إذ يقول « وفى الفسطاط عند قصر الشمع امرأة ممسوخة على رأسها سفرة من حجر ... الخ هذا وقد عثر أخيراً علي قطع من الحجر فى حفائر الفسطاط مكتوب عليها بالخط الهيروغليفى وقد نقلت إلى دار الآثار المصرية .

٦ — أن اسم بابليون الذى وجده العرب عند قدومهم يطلق على مدينة مصر قد تلاشى بمرور الزمن وحل مكانه الإسم العربى الجديد « الفسطاط » حتى إذا ابتدأ مؤرخو العرب يدونون كتبهم كان اسم « بابليون » قد أصبح يطلق على قصر الشمع فحسب بعد أن انتزع من المدينة التى أصبحت بعد اتساعها ونموها تسمى بالفسطاط .

٧ — ولكن هذا الاستعمال المحدود للاسم ابتدأ كذلك يتلاشى فى مصرف الأزمنة الحديثة وغادر الإسم الأنقاض الباقية من قصر الشمع ؛ وتضاءل حتى غدا يطلق على دير قبطى صغير يقع عند البوابة الجنوبية من الحصن ويسمى « دير بابليون » وعند ذلك الدير الصغير استقر ذلك الإسم التاريخى القديم بعد أن خلفه فى تسمية المدينة « لفظ الفسطاط » وبعد أن خلفه فى تسمية الحصن لفظ « قصر الشمع »[1] .

ونحن لا يهمنا من هذا التحليل كله لتطور استعمال كلمة بابليون إلا أن نعرف أن المكان الذى أنشئت عليه الفسطاط كانت تشغله منذ أيام الفراعنة مدينة كبيرة ذات شأن ؛ اتخذها البابليون مكاناً لاستقرارهم ثم اتخذها الرومان مقراً لدفاعهم يصلون به الوجهين البحرى والقبلى ويدفعون منه كل مغير على مصر .

وهذا ما يؤيد الرأى الذى نريد أن نذهب إليه من أنه كان فى مصر وقت الفتح مدينتان هامتان : إحداهما الاسكندرية وتعتبر العاصمة الأولى وذلك لقربها من الدولة الرومانية الشرقية صاحبة السيادة وقتذاك ، ولإشرافها على البحر الأبيض المتوسط ، وبابليون أو « مصر » وتعتبر العاصمة الثانية وذلك لموضعها من رأس الدلتا بحيث تشرف على الوجهين القبلى والبحرى ، ولوقوعها على شاطىء النيل بحيث تكون سهلة الاتصال — بوساطة هذا النهر — بكل أطراف القطر المصرى ، ولتوسطها بين النيل غربا (وهو مورد من الماء لا ينفد) وبين جبل المقطم شرقا — وهو حد طبيعى لحمايتها — ؛ ولهذا نلاحظ أن المصريين منذ القدم كانوا يختارون هذا المكان مقراً لحكمهم للأسباب المتقدم ذكرها[2] فاتخذوا منف عاصمة لهم مدة ليست بالقليلة ، وكانت هليوبوليس (عين شمس) كذلك حاضرة لمصر مدة طويلة[1] ، وبابليون كما ترى تقع بين المدينتين[2]

ويؤيد هذا الرأى القائل بوجود هذه المدينة أيضا قول المقريزى : « وكان بجوار هذا الحصن (بابليون) من بحريه وهى الجهة الشمالية أشجار وكروم وصار موضعها الجامع العتيق ، وفيما بين الحصن والجبل عدة كنائس وديارات للنصارى فى الموضع الذى يعرف اليوم براشدة ، وبجانب الحصن فيما بين الكروم التى بجانبه وبين الجرف الذى يعرف اليوم بجبل يشكر حيث جامع ابن طولون والكبش عدة كنائس وديارات للنصارى فى الموضع الذى كان يعرف فى أوائل الإسلام بالحمراء »[3] ؛ وقول ابن سعيد فى كتابه المغرب : «وأما فسطاط مصر فإن مبانيها كانت فى القديم متصلة بمبانى عين شمس ، وجاء الإسلام وبها بناء يعرف بالقصر حوله مساكن »[4] لأننا نعرف أن المعابد عامة — من هياكل وبيع وكنائس وأديرة ومساجد — منذ أقدم العصور إلى اليوم لا تبنى إلا فى المدن أو الأماكن الآهلة بالسكان ؛ فوجود هذه الكنائس والديارات فى الأماكن التى يذكرها المقريزى يثبت إثباتا قاطعا وجود مساكن آهلة ومبان عامرة فى هذه المدينة القديمة وقت الفتح ؛ وقول ابن سعيد لا يحتاج إلى هذا الاستنتاج إذ يقول فى عبارة واضحة لا لبس فيها ولا إبهام « وجاء الإسلام وبها بناء يعرف بالقصر حوله مساكن » .

من هذا كله نرى أن اختيار عمرو لهذا المكان لم يقع اعتباطاً ، بل كان اختياراً طبيعياً ؛ كان عمرو يريد أن يتخذ له حاضرة يستقر فيها غير أنه ما كان يريد أن يبذل جهداً جديداً فى إنشاء هذه الحاضرة بدليل رغبته فى اتخاذ الاسكندرية حاضرة ، وبدليل تعبيره عن هذه الرغبة بقوله : « مساكن قد كفيناها »[5] ؛ ولكن عُمَر قد أمره أن يتحول عن الاسكندرية ، فكان لزاماً على عمرو

---

(١) Butler, Babilyon of Egypt, P. P. 62, 93. , 1914 .

(٢) يقارن هذا بما ذكره ابن خلدون فى مقدمته صـ ١٩٠ — ١٩١ القاهرة سنة ١٣٢٢ هـ عما « تجب مراعاته فى أوضاع المدن » .

---

(١) وقد بنيت العواصم المصرية الأخرى كلها شمال هذا المكان : (العسكر سنة ١٣٣ هـ والقطائع سنة ٢٥٦ هـ والقاهرة سنة ٣٥٨ هـ)

(٢) يعين ابن الفقيه فى كتابه (البلدان) موقع الفسطاط (بابليون) بالنسبة للمدينتين القديمتين فى قوله « وعين الشمس علي ٣ فراسخ من الفسطاط ، ومنف مساكن بينها وبين عين شمس ٣ فراسخ » ؛

(٣) المقريزى . المرجع السابق ص ٦٠ .

(٤) نفس المرجع صـ ٦٢ .

(٥) نفس المرجع صـ ٧٥ — ٧٦ .

أن يحول وجهه شطر العاصمة الثانية وقتذاك وهى « بابليون » أو « مصر »[١] فذهب إليهـا واتخذ الفضاء المجاور لها مقراً له ولجنوده .

هذه هى الأسباب الطبيعية التى دعت عمراً لاختيار هذا المكان غفل عن ذكرها مؤرخو العرب ، ولم يعرها اهتماماً مؤرخو الفرنج

١ — لم سميت المدينة بهذا الإسم :

أما عن الأمر الثانى وهو الأسباب التى دعت لتسمية هـذا المكان بالفسطاط فإن الآراء فيها وإن اختلفت وتشعبت فإنها كذلك لا تصل بنا إلى حد حاسم معقول .

أما مؤرخو العرب فيعتمـدون جميعاً على قصة اليمامة ، وأما مؤرخو الفرنجة فتقول غالبيتهم بأن كلمة الفسطاط قد أخذت عن الكلمة الإغريقية Fosstatum أى المدينة وأن العرب نقلوها عن اليونان عند اتصالهم بهم فى حروب الشام . غير أنا نرى أن قصة اليمامة مع طرافتها قد تبعد عن الصحة وذلك لأنهم يقولون أن عمراً قد أوصى أحد المصريين فى رواية ، أو صاحب القصر فى رواية أخرى بالمحافظة على الخيمة « الفسطاط » حتى تفرخ اليمامة وتطير صغارها ، وأنه عند رجوعه وجد الفسطاط فى مكانه فنزل هو وجنده بجواره ؛ ونحن نشك فى صحة هذا الخبر لأن عمراً ولو أنه كان قد استولى على حصن بابليون فإن مصر لم تكن قد خضعت كلها لأمره ، ولذلك لا يعقل أن ذلك الرجل المكلف بالمحافظة على الفسطاط يبقى على عهده ويحافظ على وعده مع رجل فاتح لم يثق بعد أنه قد أصبح الحاكم على مصر حتى يخشاه ويحافظ على حراسة فسطاطه من أجل يمامة طول ذلك الوقت الذى استنفده عمرو فى فتح الاسكندرية ، وما بين بابليون والاسكندرية من مدن

ويدفعنا أيضاً إلى الشك فى صحة هذه القصة ما هو معروف مشهود عن الطيور المختلفة وخاصة الحمام واليمام من أنهـا تتخير لأعشاشها وبيضها وفراخها الأماكن المنعزلة المهجورة البعيدة عن أن يطرقها إنسان أو تنالها الأيدى صوناً للأعشاش وحفظاً للبيض وإبقاء على الصغار .

فهل من المعقول إذن أن تترك هذه اليمامة المصرية تلك الأماكن الآمنة لتضع بيضها فى معسكر دائم النشاط دائب الحركة وفى خيمة القائد وهى أنشط أماكن المعسكر بالحركة وأعمرها بالوافدين ؟

وإذا كانت هذه القصة صحيحة ففى أى مكان من الخيمة تبنى اليمامة عشها ؟ والخيمة كما نعرفها جميعاً مصنوعة من قماش أملس وهى منحدرة الجوانب إذا نصبت[١] .

كل هذا يؤيد شكنا فى صحة هذه القصة وكونها أصلا للتسمية

أما الرأى الثانى فيبدو كذلك بعيداً عن الصحة وذلك لأن ابن قتيبة يروى فى كتابه غريب الحديث حديثاً للرسول نصه : « عليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة »[٢] ؛ ونحن إزاء هذا نجد أنفسنا أمام احتمالين : إما أن يكون الحديث صحيحا فيبطل الرأى القائل بأن العرب أخذوا كلمة الفسطاط عن الروم عند اتصالهم بهم فى حروب الشام لأن حروب الشام واتصال العرب بالروم كان بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وبالتالى بعد ذكره لهذا الحديث ؛ وإما أن يكون الحديث غير صحيح وبذلك يحتمل أن يكون رأى مؤرخى الفرنجة صحيحا .

غير أنا نحب أن ندلى برأى يخالف هذين الرأيين وقد يكون أقرب منهما إلى الحقيقة : وذلك أن كلمة الفسطاط كلمة عربية معناها المدينة ، فإننا إذا رجعنا إلى قاموس المحيط وجـدنا أن « الفسطاط » بالضم « مجتمع أهل الكورة » ووجدنا أن الكورة هى « الصقع أو المدينة » وبذلك تكون الفسطاط هى مجتمع أهل المدينة .

ويقول ابن قتيبة تعقيبا على الحـــديث السالف الذكر « والفسطاط المدينة »[٣] . وينقل عنه القريزى أيضا فى الخطط

---

(١) زيادة فى الايضاح انظر St. Lane - Poole ، Ahistory of Ehypt in the middle Ages, P. 3, London, 192.

(١) يذكر هذه القصة بالتفصيل مؤرخو العرب جميعاً ؛ انظر مثلا : القريزى . المرجع السابق ص ٧٦ ، وابن دقاق المرجع السابق ص ٢ ، ومراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، ابريل سنة ١٨٤١ ، ج ٢ ص ٣٥٤ ، وأبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ج ١ ص ٦٤ — ٦٥ ، القاهرة سنة ١٩٢٩ ... الخ غير أنه يتضح بعد مناقشتها أنها من وضع هؤلاء المؤرخين كغيرها من القصص التى تنسب لعهد الفتح وخاصة قصة الفتاة التى كانت تقدم ضحية ليفيض النيل والخطاب الذى أرسله عمر ليلقى بدلا من الفتاة .

(٢) انظر أيضاً ياقوت ، معجم البلدن .

(٣) ابن دقاق ، الانتصار ج ٤ ص ٢ .

ما يلى : «قال ابن قتيبة كل مدينة فسطاط» ، ويقول المقريزى بعد هذا : «وأخبرنى أبو حاتم الأصمعى أنه قال حدثنى رجل من بنى تميم ، قال قرأت فى كتاب رجل من قريش : هذا ما اشترى فلان بن فلان من عجلان مولى زياد اشترى منه خمسمائة جريب حيال الفسطاط يريد البصرة»(١) ويشبه هذه الرواية الأخيرة ويؤيدها قول ابن الفقيه : «وإنما سميت البصرة فسطاطا على التشبيه بفسطاط مصر»(٢) ، وقريب من هذا المعنى قول المقدسى : الفسطاط هو مصر فى كل قول»(٣)

فالراجح عقلا بعد ذكر هذه الآراء جميعا أن كلمة «فسطاط» كلمة عربية خالصة معناها «المدينة» .

وخلاصة القول الذى نريد أن نذهب إليه أن العرب اختاروا هذا المكان اختياراً للأسباب السابق ذكرها وأنهم سموه «الفسطاط» أى «المدينة» أو «مجتمع أهل المدينة» يقصدون بذلك المكان الذى يجتمعون فيه حول جامعهم وحول منزل قائدهم .

جمال الدين الشيال

(١) المقريزى ، المرجع السابق ج ٢ ص ٧٥ — ٧٦ .
(٢) ابن الفقيه ، كتاب البلدان ص ٦٧ .
(٣) المقدسى ، المرجع السابق ص ١٩٧ .

عرب السودان والصحراء الشرقية

للأستاذ حسن أحمد حسين خليفة

كتب جماعة من المستشرقين وبعض الكتاب كتابة خاطئة عن أنساب بعض عرب السودان والصحراء الشرقية ، فجاء فى محاضرة دخول العرب للسودان التى ألقيت فى الجمعية الجغرافية الأسيوية منذ سنوات قليلة ما ملخصه : «إن معظم سكان الجزء الشمالى من السودان على منفاف النيل يدعون أن نسبهم يتصل ببنى العباس ، غير أن هذا محض ادعاء لم تثبت حقيقته بعد»

وزعم نعوم بك شقير صاحب كتاب «تاريخ السودان» : «إن انتساب عرب السودان للأصول التى ينتمون إليها ، لا ثبت له عندهم إلا ما حفظوه أو لفقوه من القصص الخرافية» .

ونسب المستشرق شوينفرث فى كتابه «طرق مصر المهجورة» العبابدة والشكرية وغيرهم من قبائل الصحراء الشرقية للبجة ؛ وقال : «إن العبابدة تعربت كثيراً والشكرية تعربت»

ونسب البستانى صاحب دائرة المعارف ، والمستشرق بروس العبابدة للبجة ، وزاد نعوم بك شقير على ذلك بقوله : إن فى تقاليد العبابدة أنهم قوم الزبير بن العوام ، ولعل قوم الزبير اختلطوا بهم فكانوا رؤوسهم . وإلى هنا نكتفى بهذا القدر من مزاعمهم ونرد عليها : بأن من الثابت فى التاريخ أن فريقاً من بنى العباس هاجروا من الديار المصرية إلى السودان فى القرن الثامن الميلادى(١)

وإذا كان من صفات عرب شمال وشرق السودان والصحراء الشرقية تلفيق الأنساب ، فإن فيهم الجباب(٢) من نسل أبى لهب والزيديين(٣) من نسل اليزيد ، فكان أحرى بهؤلاء أن يلفقوا لهم نسباً غير نسبهم

أما تلك القبائل التى نسبوها للبجة ، فهى قبائل عربية صميمة فالعبابدة فى الأصل فرع من الكواهلة بنى محمد الكاهل بن عبد الله المكنى بأبى بكر بن حمزة بن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدى القرشى . ويحدثنا الرحالة ابن بطوطة فى كتابه «تحفة النظار وعجائب الأمصار» أنه رأى فى نحو سنة ٧٥٧ هـ حياً من العرب بصحراء عيذاب (عتباى) على بعد يومين من رأس دواير يعرفون بأولاد كاهل مختلطين بالبجاة عارفين بلسانهم ا هـ

وإن كاهلا الذى أشار إليه ابن بطوطة هو محمد الملقب بكاهل الذى يرجع إليه العبابدة وقبائل أخرى فى نسبهم .

وجاء فى كتاب «صبح الأعشى» للقلقشندى ، و«البيان والإعراب» للمقريزى من مؤرخى القرن التاسع الهجرى ما ملخصه : «إن السيدة فاطمة بنت القاسم بن محمد بن جعفر بن أبى طالب التى أمها السيدة أم كلثوم بنت السيدة زينب بنت الإمام على بن أبى طالب هى أم يحيى وأبى بكر بنى حمزة بن عبد الله بن

(١) كتاب قبائل العرب فى مصر للأستاذ أحمد لطفى السيد .
(٢) المقصود بهم قبيلة الجباب التى تقيم فى جهات طوكر وعقيق وعدوبنة ورأس كسار وقارورة وأرتاريا .
(٣) المقصود بهم اليزيديون من بنى اليزيد بن معاوية وهم جماعة متفرقة فى بعض بلاد الرباطاب والجعليين .

الزبير بن العوام وأم ابراهيم بن طلحة الجود ، وإن السيدة زينب ولدت لعبد الله بن جعفر أولاداً عرفوا بالزبانية هم جعافرة الصعيد ، ومن هذه الأخوة كانت بنوطلحة وبنوالزبير والجعافرة يداً واحدة فى صعيد مصر » . وها أنت ترى اليوم فى القرن الرابع عشر الهجرى العبابدة بنى عبدالله المكنى بأبى بكرالزبيرى يقيم أكثرهم مع الجعافرة فى صعيد مصر بمديريتى أسوان وقنا ، ومختلطين معهم فى جميع سبل الحياة كما كانوا فى القرن التاسع الهجرى

أما ذلك الحى من أولاد كاهل الذى رآه ابن بطوطة فى رحلته بالصحراء الشرقية ، فيلوح لنا أنه رحل من صعيد مصر إلى تلك الصحراء عند تفرق العرب عقب حوادث سنة ٦٥١ هـ التى حصلت بين حصن الدولة الجعفرى زعيم العرب بالقطر المصرى ، والملك المعز ايبك أول ملوك دولة المماليك البحرية كما تراه مفصلا فى كتاب السلوك للمقريزى

ورب قائل يقول : إن بعض مؤرخى القرن التاسع الهجرى بينوا فى مؤلفاتهم أسماء القبائل العربية وأماكنها بالديار المصرية فى عصرهم ولم يذكروا العبابدة . فجوابنا على ذلك هو أنهم لم يشتهروا باسمهم الحالى إذ ذاك[1] ؛ وقد اشتهروا به فى القرون الأخيرة كما اشتهر فى القطر المصرى والسودان وغيرهما من الأقطار عدة قبائل عربية بأسماء غير التى كانت تعرف بها أصولها فى القرن التاسع الهجرى وما قبله من القرون ، ومن المعلوم أنه كلما مر الزمن كثرت القبائل وتعددت أسماؤها

والشكرية عرب من خيار العرب ، وهم من آل شكر بن إدريس ، ويتصل نسبهم بالسيد عبد الله الجواد ، كما جاء فى نسخة خطية منسوبة للامام السمرقندى

ومن المعلوم أن كثيراً من العرب الذين ينتمون إلى تلك الأصول التى ينتمى إليها عرب السودان والصحراء الشرقية وبلاد النوبة أتوا إلى القطر المصرى عند الفتح الإسلامى وفيما بعده من العصور ، وإن الكثير منهم هاجر إلى الصحراء الشرقية وبلاد النوبة والسودان ، وخصوصاً فى زمن حكم المماليك الذين أذلوا العرب واضطهدوهم فى الديار المصرية

(١) اشتهروا أخيرا بهذا الاسم نسبة إلى جدهم عباد الصغير الذى يتصل نسبه بالزبير بن العوام فى الجد الرابع عشر .

وإن عرب السودان والصحراء الشرقية وبلاد النوبة يحفظون أنسابهم التى توارثوها عن أسلافهم . وقد جاء فى القول المأثور : « إن الناس مصدقون فى أنسابهم » . وهذا نص كاف لهم ، وعلاوة على ذلك فإنهم يتكلمون باللغة العربية إلا بعض قبائل فى الصحراء الشرقية ، وبلاد النوبة تعد على أصابع اليد ، اتخذت البجاوية أو النوبية لغة لها بحكم البيئة التى وجدت فيها

ومما نأسف له أن بعض كتاب مصر النابهين ممن ظهروا أخيراً وهم أحق بمعرفة السودان وسكانه من أولئك المستشرقين وغيرهم كتبوا عن أنساب قبائل السودان والصحراء الشرقية وبلاد النوبة متأثرين بأقوال المستشرقين والسوريين الخاطئة ، لا كتابة من يعرف سكان تلك الجهات معرفة درس وتمحيص أعمق وأصح من الأساطير والمعلومات المتناثرة التى وضعها المستشرقون وكتاب سوريا ، وهى أقوال لا تستند إلى أى ثبت وإقامة تلك القبائل فى إقليم كان يسكنه فى القرون السحيقة أقوام ليسوا من العرب ، وإليك نبذاً من أقوال بعض كتاب مصر فى هذا الموضوع :

قال على باشا مبارك فى الخطط التوفيقية : « يظن أن عرب العبابدة من البجة » . وقال الأستاذ البتنونى فى كتاب « الرحلة الحجازية ما ملخصه : « يقال إن البهجة من عرب البربر ومنهم العشاباب ، وهم فخذ من العبابدة ، ويقيم أناس من العشاباب فى اللقيطة بين قفط والقصير » . وقال الدكتور مأمون عبد السلام فى مقالة نشرتها له جريدة الأهرام فى سنة ١٩٣٩ م ما ملخصه : « إن جغرافيى العرب وصفوا الصحراء الشرقية وتكلموا عن سكانها من البجاة ، وهم البشاريون وأقرباؤهم العبابدة ، فذكرهم المسعودى وابن الأثير والمقريزى » اه

وأقوالهم هذه لا صحة لها ، فالظن ليس حجة ، وإن عبابدة عرب البربر هم فخذ من قبيلة هواره ، وقد ذكرهم القلقشندى فى كتابه « صبح الأعشى » ، ويقيمون فى الوجه البحرى بالديار المصرية ، ولا تربطهم أى صلة نسب بالعبابدة بنى الزبير ممن يقيمون بصعيد مصر والصحراء الشرقية والسودان . وإن جغرافيى العرب الذين أشار إليهم الدكتور مأمون عبد السلام لم يذكروا البشاريين والعبابدة بين قبائل البجة التى ونحوها فى مؤلفاتهم التى اطلعنا عليها

ومما لا شك فيه أن هناك من تعرب من سكان السودان والصحراء الشرقية وبلاد النوبة القدماء ، واندمج اندماجاً كلياً في العرب ، وأنه تجرى في عرب هذه الجهات حفنة من دم غير عربى ، لأنه من عادة العرب أن يتزوجوا من أهل البلاد التى يحلون فيها ويتسرون ، وهذا لا يؤثر فى عروبتهم ، لأنه من عاداتهم أيضاً أن لا يزوجوا بناتهم لغير بنى جلدتهم ، مع أن سكان الأقطار الأخرى لا يتمسكون بهذه العادة ، وليس عرب السودان وحدهم الذين تجرى فى عروقهم حفنة من دم أجنبى ، فإن عرب الأقطار الأخرى هم بالمثل تجرى فى عروقهم دماء غير عربية ، وقل أن يوجد الآن على وجه الأرض أمة لم تختلط أصولها ، إذ لا جدال فى أن شعوباً غيرعربية وجدت أومرت بسوريا وفلسطين والعراق واليمن ووادى النيل فى القرون الخالية ، ولكن بمرور الزمن صهرت بقاياهم فى بوتقة العروبة ، وذابت فى الأمة العربية الحديثة ، وهذا لا يضيرهم فى عروبتهم ، فإن كل من كان لسانه عربياً فهو عربى وقد منح الإسلام الجنسية العربية لكل من تكلم بالعربية ، فقد روى الحافظ ابن عساكر قال : جاء قيس بن مطاطية إلى حلقة فيها بلال الحبشى وصهيب الرومى وسلمان الفارسى فقال : الأوس والخزرج قاموا بنصرة هذا الرجل (يعنى أنهم نصروا النبى لأنهم قومه) . فما بال هذا وهذا ؟ ... فسمع النبى صلى الله عليه وسلم بمقالته ، فقلم مغضباً يجر رداءه حتى أتى المسجد ، ثم نودى الصلاة جامعة (فاجتمع الناس) . وقال محمد صلى الله عليه وسلم : « يا أيها الناس ، إن الرب واحد ، والدين واحد ، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وإنما هى اللسان ، فمن تكلم بالعربية ، فهو عربى »

أما قبائل البجة التى ذكرها جغرافيو العرب كالمسعودى والمقريزى وغيرهم فهى :

البازه والباريه والخاسه والحدارب[1] والزنافج .

وإن منطقتهم كانت تمتد قديماً فى شرق أفريقيا من صحراء قوص بالقطر المصرى إلى بلاد الحبشة ، وعاصمتهم كانت مدينة هجر[2] ، وفى وقتنا الحاضر يقيمون فى القسم الجنوبى من تلك المنطقة

(١) الحدارب : هم صفوة القوم

(٢) هجر : جبل شاهق جداً فيه كهوف ومغاور لا تحصى ، وهو على مسيرة يومين من مدينة « كرن بارتريا »

ومما جمعناه من المعلومات الصحيحة فى مدة إقامتنا عدة سنوات بالسودان الشرقى وجبال بنى عامر ، إنه لما كثر العرب من بنى الزبير بن العوام بصحراء مصر الشرقية فى القرون المتأخرة وقويت شوكتهم وكثرت أنعامهم ، ضايقوا البجة فى أماكنهم بتلك الصحراء[1] بسبب شح الأمطار وقلة المراعى التى لا تكفى هناك لسائمتهم جميعاً ، فاضطرت البجة تحت ضغطهم للرحيل إلى الجنوب شيئاً فشيئاً ، وأقامت فى الجبال التى حول سواكن ، وبعد ذلك حاربها الحدندوة وقتل رئيسها أحمد باركوين : شكتيل ملك البجة ، وهو من قبيلة بلى العربية ، إذ كانت رئاسة البجة لبلى وتسميهم البجة بلويب ، ويقال لهم حدارب ، وإن وجود بلى فى الصحراء الشرقية يرجع إلى زمن بعيد ، فإن التاريخ يحدثنا أن قبيلة بلى كانت تقيم فى شمال منطقة البجة على عهد ظهور النصرانية بالقطر المصرى ، حيث يقيم الآن بعض عرب العبابدة ، وتدل القرائن التاريخية أن بلى هى أول قبيلة عربية خالطت البجة ، لأنك إذا سألت البجاوى : هل تعرف العربية أجابك (بلويه كاكا) أى لا أعرف لغة بلى ، وكان الحدارب يتولون التجارة بين السودان الشرقى والحجاز واليمن ، فزاحمتهم قبيلة الارتيقة[2] فى التجارة ورئاسة القوافل ، وانتزعتهما منهم فى الخمسة قرون الأخيرة ، وأصبح اسم حدربى خاصاً بالارتيقة .

ولما قتل شكتيل ملك البجة المار ذكره دفن فى شمال مدينة سنكات بالجبل المسمى باسمه ، وعلى أثر ذلك رحلت البجة من الجبال التى حول سواكن ، وأقامت مع بقية البجة فى المنطقة من عند مدينة طوكر شرقاً ، حتى قرية الشيخ الإمام بديار الحبشة غرباً . وجبل هجر ونهر عنصبا (عين سبأ) بارتريا جنوباً . وشمالا بخور بركه الذى يروى أراضى طوكر

وإن قبائل البجة التى تقيم الآن فى السودان المصرى الإنجليزى هى :

اللبت والكربكناب والسنكاتكنات[3] ، وفريق من الخاسه

(١) قسم الشمالى من منطقة البجة .

(٢) وهم من الحضارم الذين هاجروا الى السودان عن طريق البحر الأحمر .

(٣) وهم الذين كانوا يسمون قديماً بالزنافج .

هـــذا العالم المتغير

كثرة الأكل قد تسبب السرطان

للأستاذ فوزى الشتوى

منذ ٣٠٠٠ عام :

يفتك مرض السرطان بستين فى المائة من ضحاياه فى أرقى الأمم التى تهتم بعلاجه ودراسته . أما فى مصر فلا يعرف عدد المصابين به إلا الله . فإن لم يكن الطبيب على شىء من البراعة فربما اعتبره نوعاً من الأورام. تستطيع أن تتعقب المرض إلى ٣٠٠٠ سنة ، ومع ذلك فما يقال عنه ضرب من الفروض والتخمينات ، برغم ما يبذل من المال لدراسته ، وبرغم الإخصائيين الذين وقفوا حياتهم وخبرتهم لكشف سره

فإن أردت أن تعرف مدى سبر غور العلم لطلاسمه ، فلست أجد أوفق مما كتب الدكتور هارولد رش مدير معهد أبحاث السرطان فى إحدى كليات الطب بأمريكا حين قال : « ليس لدينا علاج محقق للسرطان . وليس فى جعبتنا واحد يفكر فى تنفيذه وإن كنا نتوق إلى ما يضىء لنا الطريق ، وكل عملنا يتجه إلى دراسة المظاهر الأساسية والعوامل التى يحتمل أن تغير مجراه »

« ومع هذا فقد ظفر بتقدم واسع شامل ، فعرفنا عدة وسائل لإحداث السرطان فى المعمل فى أى وقت نشاء ، وعرفنا أيضاً بعض التحولات التى تطرأ على أنسجة الجسم العادية حين تصاب بالسرطان »

يبدأ كرأس الدبوس

وليس معنى هذا أن الطب يقف أمامه مكتوف اليدين، فأربعين فى المائة من مرضاه تعالج بالعمليات الجراحية وبأشعة إكس وبالراديوم وبغير هذه العلاجات يقضى بالموت على كل المصابين به ، فهو ذلك المرض الغريب الذى يبدأ بورم صغير كرأس الدبوس . ثم ينمو

ويتبعون فى وقتنا الحاضر لنظارة بنى عامر . ويوجد من بقايا البجة أقليات فى قبائل عرب البشارين والأمرار والهدندوة والحباب ، وهم معروفون لتلك القبائل

ويتكلم عرب البشارين(١) والأمرآر(٢) والهدندوة(٣) والحلنقة(٤) بلغة البجة(٥) بتأثير البيئة ، لأنه لما نزل فى إقليم البجة العرب الذين تكونت منهم تلك القبائل ، اضطرت بحكم الجوار والإقامة بين البجة لمخالطتها فى جميع سبل الحياة ، وزد على ذلك أنهم كانوا يتزوجون من البجة فينشأ أولادهم وبناتهم على لغة أمهاتهم ، فتغلبت البجاوية مع مرور الزمن على العربية كما تغلبت اللغة النوبية على العرب والترك الذين أقاموا بجهات دنقلة وشمالها. وتتكلم قبيلتى بنى عامر(١) والحباب(٢) بلغة يسمونها الخاساويه . وهى خليط من لغة التقرى الحبشية واللغة العربية . ولم يبق لهذه القبائل العربية الأصل ما تختلف فيه عن قبائل البجة إلا العادات ، ولذلك يحسبهم بعض المستشرقين والكتاب بجاة لتكلمهم بلغة البجة وإقامتهم فى إقليمهم . وهذا خطأ لا يتنبه إليه إلا من يتصل بهم ويجتمع بمن له معرفة منهم بحوادث قبيلته التاريخية ولا تخلو قبيلة من هؤلاء

ولا يفوتنا أننا لم ندل بمعلوماتنا هذه إلا إظهاراً للحقيقة ، فالناس كلهم سواء ، وإن التفضيل بينهم بالفضل والتقديم بالفعل : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم »

(بربر بالسودان)   **حسين أحمد حسين خليفة العبادى**

(١) يرجع نسب قبيلة البشارين إلى محمد بن وراق من نسل مصعب بن الزبير بن العوام .

(٢) يرجع نسب قبيلة الأمرآر إلى محمد بن وراق من نسل مصعب بن الزبير بن العوام ويرجع نسب بعضهم إلى العبد لاب القواسمة .

(٣) يرجع نسب قبيلة الهدندوة إلى بنى العباس وأبى بكر الصديق والتكارنة .

(٤) ويرجع نسب قبيلة الحلنقة إلى قبيلة هوازن .

(٥) من القبائل العربية التى أثرت فيها البيئة وأصبحت تتكلم بلغة البجة قبيلة الأرتيقة وهم من عرب حضرموت . وقبيلة الكميلاب وهم من بنى مصعب بن الزبير . وقبيلة ادقى وهم من بنى العباس وبعض الأشراف الذين يقيمون فى شرق السودان والصحراء الشرقية

(١) يرجع نسب قبيلة بنى عامر إلى الجعليين وأبى بكر الصديق وهذه القبيلة تضم الكثير من البجة .

(٢) يرجع نسب قبيلة الحباب إلى أبى لهب

ويتشعب وينتشر حتى يفسد الجسم كله . ويتفق الأطباء والجراحون على أنه كلما بكر المريض بعلاجه كان النجاح أكثر ضماناً

أما سر التبكير فى العلاج فيرجع غالباً إلى طبيعة المرض الذى يتكون من خلايا حية تختلف عن الخلايا العادية فى أنها حرة طليقة لا يحد من نموها أى ضغط . وعند ما توجد خلية سرطان فى جسم الإنسان أو الحيوان فإنها تنقسم وتتوالد فى سرعة فائقة لا تحدها أية عقبة . فإن كثر عدد الخلايا وكبر حجمها انقسمت وسبحت شظاياها فى جسم العائل لتكون كل منها مستعمرتها الخاصة ، وعندئذ يتعذر على الطبيب إجراء العلاج

فما هى الخلية السرطانية ؟

سؤال يعز على العلم الجواب عنه ، وكل ما يقول إنها أصغر من أن يراها المجهر . وبواصل العلم جهوده ليعرف هذه النكبة التى لا يراها المجهر ، وليدرك كيف تتكون فى الجسم

وتنقسم دراسة السرطان فى إحدى الهيئات التى وقفت جهودها ومالها على إزاحة الغطاء عنه إلى ثلاث شعب :

أولا : تأثير الغذاء على السرطان فى نموه أو عرقلته

وثانياً : تأثير التهيج المزمن على تكوين السرطان

ثالثاً : خواص الخلية السرطانية

وفى عام ١٩٤٠ بدأ العلماء يدرسون الصلة بين التغذية وتكوين الخلايا السرطانية على الفيران ، فلاحظوا ظهور أورامها فى حالات كثيرة فى الفيران التى يحتوى غذاؤها على نسبة كبيرة من الدهن

ولكى يحددوا بالضبط تأثير التغذية على قابلية الفيران للاصابة بالمرض أحضر العلماء بضع مئات من الفيران وقسموها إلى فريقين فيعطى الفريق الأول غذاء يولد نسبة مرتفعة من الوحدات الحرارية (يتحول كل غذاء يتناوله الكائن الحى إلى وحدات حرارية هى فى الواقع الوقود الذى يسير أجهزته وتختلف القيمة الحرارية باختلاف ألوان الطعام)

حذار النهم :

ويعطى الفريق الثانى وجبات غذائية مماثلة لوجبات النوع الأول ، ولكن كميتها الحرارية تبلغ ثلثى وجبات الفريق الأول . وكان الفريقان يعرضان للأشعة فوق البنفسجية للاسراع فى تكوين الخلايا السرطانية وتحديد مؤثراتها

وبعد تسعة شهور من التجارب أجرى الكشف الطبى على الفيران ، فوجدت الأورام السرطانية منتشرة فى الفريق الأول بنسبة ٨٦٪ ووجدت فى الفريق الثانى بنسبة ٧٪ فقط

ويقول الدكتور روش إن هذه النتيجة تتفق مع أبحاث الهيئات الأخرى ، إذ ظهرت الإصابات السرطانية فى صدر الفيران التى تتغذى بكميات مطلقة بنسبة ٦٧٪ ، ولكنها لم تظهر بتاتاً فى الفيران المحدودة الوحدات الحرارية فى الغذاء .

ويعلل هذه النتيجة بقوله : « عند ما يحتفظ الجسم بمستوى مرتفع من الغذاء ، فإنه يتيح الفرصة للخلايا السرطانية الكامنة لكى تظهر وتنمو ، بخلاف حالات قلة الغذاء التى تعد غير مناسبة لبدء حالة التورم السرطانى ولا تعطيها الفرصة لكى تبدأ عملها ، وبمجرد ظهور الخلايا السرطانية وبدئها عملها ، فإن قلة الغذاء أو كثرته تكون عديمة القيمة ولا تحد من نشاطها وتكاثرها » .

ولا يدل نجاح هذه التجارب على الفيران أنها ستؤدى إلى ذات النتيجة فى الإنسان ، ولكن الدكتور روش يرى ما يؤيد هذه النظرية فى ارتفاع نسبة إصابة الإنسان بالسرطان فى المناطق الوافرة التغذية وبين الأشخاص الثقيلى الوزن والأكولين

تأثير الفيتامينات

وتجرى الآن التجارب لمعرفة تأثير الفيتامينات من حيث القلة والكثرة على الخلايا السرطانية . كما يجرون تجارب التهيج المزمن ، ويفحصون تأثيره على ظهور عوارض هذا المرض . والمعروف أنه توجد علاقة بين تكوين الخلايا السرطانية وبين التهيج

ودلت التجارب الأخيرة على أن التهيج لا يؤدى إلى إحداث السرطان إلا إذا حدث فى المناطق التى تحتوى على خلايا سرطانية كامنة

ويفهم من التجارب التى أجريت على السرطان أن عدة عوامل متباينة تلعب دورها فى نشوئه ، فالنهم وحده لا يسببه ، ولكن هناك أفراد لديهم استعداد للاصابة به . وهو كامن فيهم سواء بالوراثة أو بعوامل أخرى لا تزال مجهولة ، والإكثار من الأكل عند أولئك الناس يعطى المرض فرصة الظهور

تثبيت المرض

والخلاصة التى وصل إليها الباحثون فى الكشف عن أسرار هذا المرض الخبيث أنه يحتاج إلى عدة عوامل متباينة متآزرة ، تعمل كلها فى وقت واحد ، فالنهم يجب أن يصحبه الاستعداد للمرض . والتهيج يجب أن يحدث فى أجزاء بها خلايا كامنة ،

حلم قديم . . .

للأستاذ سيد قطب

طاف بى مستطلعاً حلمى القديم
فتطلعت إليــه فى وجـوم
قلت : من أنت ؟ فأغضى خجلا
قال لى : حلمك فى العهد الوسيم !

قلت : يا حلمُ . متى عهدىَ ذاك ؟
منذُ كم يا حلمُ قد طافت رؤاك
قال : لم يبعُدْ بأطيافى المـدى
قلت : ما أبعـد ما مرّت خطاك

شدّ يا حلمىَ ما قد حالَ حتى ؟
شدّ يا حلمىَ ما أنكرت نفسى !
أترى ذاك الذى تعرفــه ؟
قال : ما تبصر عينى غير رمس !

ومضى عـنى فى يأسٍ عقيـم
سادرَ الخطوة فى الأرض يهيـم
قلت : يا حـلمىَ تمضى مفرداً
ليس فى الرَّمْسِ سوى قلب رميم !

وبغير هذا التعقيد فإن هذا المرض كان جديراً بأن يبيد العالم كله منذ زمن بعيد .

ونجح العلماء أيضاً فى الوصول إلى علاج لسرطان الجلد ، إذ وفق الدكتورموهز إلى ربط العلاج الكيميائى بالجراحة ، فأمكنه أن يثبت المرض فى بقعته فلا يزوغ من بين يدى الجراح عند ما يحاول إزالته بمشرطه كما هى العادة ، فالسرطان من الأمراض التى يعز على الأطباء حصرها لكثرة حركته

وخير نصيحة يوجهها الدكتور روش إلى الناس ليتقوا هذا المرض الخبيث المجهول الأصل والنشأة : « أن نكون سليمى البنية ، نقتصر على طعامنا الضرورى ، مبتعدين عن التهيج ، على أن لا ننسى فحص أجسامنا فحصاً تاماً فى كل فترة

فوزى الشتوى

أطيـاف . . . !

للأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى

« لا تفتأ هذه الأطياف تخادع أوهام الشاعر فترده إلى الماضى البعيد يحلم ؛ ويأمل ؟.. ولـكن هيهات ؟ ؟ »

حالمٌ بالمـنى ؛ تُراهُ يُفيقُ وَيحه لَقّهُ سُبات عميق ؟!
غفوةُ الحلم ، يقظة الأمس ولّى موعداً يُرتجى ، وذكرى تشوق
طالَ فى ظلمة من الشكّ نومى فمتى يمسحُ الظلامَ الشروق

أشرقى تُشرق الحياة ، وتصفو ن دُجاها ويستبينُ الطريق
أنا أشتاق ومض عينيك تسرى فى دمى صَيْحةٌ لهُ وخُفوق
أين همسُ الجفون وهى غوافٍ طالمَا هزّنى بهنّ بَريق ؟
أين مِنى الحديثُ نجوى شفاهٍ تَتلظّى كما تلظّى الحريق ؟
أين منى التِفَاتَةٌ ، من معانى العُجْب فيها ، معنى كريم عريق !
أين منى انثناءةٌ تبهر العين ؛ وفى الغُصْن سرُّها مرموق
أين أيامُكِ التى قد تولّتْ بِمعَانٍ من الحياةِ تروق ؟

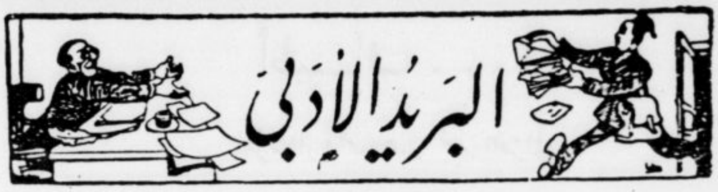
لا تظُنّى الأيامَ تمضى بعهدى ستطولُ الأيامُ ، وهو وثيق
كلمّا مرّتِ اللّيالى عليه كانَ كالخمر زانها التعتيق

أشرقى تُشرق الحياةُ ، وتصفو من دُجاها ؛ ويستبين الطريق
فَرَغَتْ كأسِى التى ملأتْها فرحةُ الأمس هل لديك رحيق ؟!
بين عينيْكِ خمرتى ؛ فأطلّى أين منى صبوحُها والغَبوق [1]
ذبلتْ جنتى ، وأضحَتْ صحارى غاضَ نَبْعِى بها وجفّ الوريق
فاخْطُرى بينها ترفُّ زُهوراً فى رُباهُنّ جَدْولٌ مدفوقُ

صمتَ الطائرُ المغرّدُ بالأمس (؟) فأين الغنــاء والتّحليق
أطلقيه فى الروض بين الأقاحى هو بالرّوض والزُّهور خليق
لا تنحّيه عن زهورك هذى مَسُّهُ للزُّهور مَسٌّ رفيق
وإذا شئتِ فاسميه يُغنّى إنه ذلك المغنّى المشوق

---

(١) كناية عن حظوة اللقاء صبحاً ومساء .



جواب (الرسالة) عن الرسالة :

فى عددنا الماضى نشرنا (الرسالة) التى تفضل بتبليغها صديقنا الأستاذ العقاد عن بعض إخواننا الأدباء فى فلسطين ؛ وهم — كما علمتَ — يعتبون على (الرسالة) أنها تضن على قصائدهم وفصولهم بالنشر والتنويه . ومثل هذا العتب طالما تردد على بعض الأفواه فى سائر البلاد العربية ، وفى مصر نفسها ؛ فالرسالة هناك متهمة بإيثار مصر ، وهى هنا متهمة بالإيثار على مصر . وفى التهمتين — علم الله — مباينة لوجه الحق ، ومماراة فى حقيقة الواقع . ولعل الذين يتولون كبرهما من الأدباء هم الذين لم تسعد (الرسالة) بتسجيل آثارهم لأسباب ليس منها الصلة الشخصية ولا الأثرة الإقليمية على أى حال

ولقد كان بحسْب (الرسالة) فى الاحتجاج لنفسها أن ترجو المتهمين أن يفتحوا عيونهم على مجلداتها العشرين ليروا أسماء كتاب العرب فى جميع بلاد العرب مسجلة بالحق فهارسها الحافلة ؛ ولكن عاتب فلسطين الفاضل لا يريد أن يرى إلا اسمه ؛ فإذا رأى أسماء : النشاشيبى وطوقان وحمدان ورشدان ومخلص ، حسبها من أسماء الدلتا أو الصعيد ، وأكرمْ بها لو كانت !

إن (الرسالة) بشهادة الواقع مجلة الأدب العربى فى جميع أقطاره . لا تؤثر قائلا على قائل إلا لإجادته ، ولا تنشر مقالا دون مقال إلا لجودته . لها مستوى لا تنزل عنه ، ومقياس لا تتسامح فيه . وهى لذلك لا تؤمن بتشجيع الضعيف ، ولا تقول بمجاملة القوى . وفى سبيل هذا المبدأ السليم القويم تعرضت لمكاره الحق ، من جفاء الكريم وسفه اللئيم وصلف المغتر . و(الرسالة) بعد ذلك تشهد الله وتقسم به أنها فى مدى حياتها الصحفية لم تغفل أدباً يستأهل النشر ، ولا أديباً يستحق التنويه .

من قصص جحا للأطفال

٢ – نشيد النوم

[للأستاذ كامل كيلانى]

« صفحة مختارة من المخطوط الجُحَوِىّ النفيس الذى عثرت عليه ، ولعله مكتوب بخط صاحبه « أبى الغُصْن عبد الله دُجَيْن بن ثابت » الملقب بجحا أو بخط أحد معاصريه :

* * *

« ... اعتذر « دُجَيْنُ بن ثابتٍ » لضيفه « أبى شَمْشَعٍ » عن حقارة البيت الذى ضيَّفه فيه ، ولكن « أبا شمشع » قال له : « إن القليل الذى يبذله الفقير خير من الكثير الذى يبذله الغنى . لأن الأول يجود بما يحتاج إليه ولا يستغنى عنه ، على حين يجود الآخر بما لا يحس فقدانه ، ولا يبالى ضياعه » .

وما زال « دجين » وصاحبه يسمران حتى قضيا من الليل أكثره ، ثم بسط النَّوْمُ على المدينة جناحيه الكبيرين ، فاستسلما للرقاد هانئَين ، وقد أنسَتهُمَا لذَّة الكرَى ما مرَّ بهما من أحداث الزمن ومصائبه ، ومدهشات الدهر وعجائبه .

* * *

وأعدت « رَبابة » حُزَماً من قش الذرة لينام عليها صاحب الدار وضيفه الذى اشتعل رأسه شيباً فأكسبه ذلك مهابة وجلالا . ثم أقامت لولديها « جَحْوانَ » و « جُحَيَّةَ » أرجوحة جِىء بها من بلاد الهند ، كانا يستعملانها فى أسفارهما ورحلاتهما ، فأسرع الطفلان إليها لينا ما فيها .

ولو رأيتهما لخيل إليك لوفرة نشاطهما وصغر جسميهما ، أنك ترى قردين صغيرين وقد اشتبكت أذرعهما ليندمجا فى الأرجوحة الصغيرة حتى تتسع لنومهما .

واستأذنت « زبيدة » جارتها فى الذهاب إلى بيتها . ثم جلست « رَبابة » على خشبة صغيرة أمام الأرجوحة وظلت تهزها فى رفق وانتظام ، وتغنى طفليها بصوت يفيض حناناً وحباً :

نأما — حبيبىَّ — نأما واستقبلا الأحــلاما
نورا وحُسْنا ورَوْضا مُعَطَّراً بسَّـاما

تخايلَ الوردُ مُعجباً | وفتّـــح الأكماما
والطـــير أنشد لحناً | فأبدَع الأنغـاما

* * *

ناما هنيئـــاً ، وقوما | متى إذا الطـــير قاما
عيشا بأســعد عيش | رَغادةً[1] وســلاما
سنين عشراً ، وزيدا | عاما ، وتسعين عاماً
ونصف عام ، وشهراً | ونصــف شهر تماما
وبعــده أســبوع | نزيــده أيامــاً
وســاعة من نهار | تَسرُّ قوماً كراماً
تَتلُو دقائق عــشرا | هنــاءةً وابتساما
زادت ثوانِيَ خمساً | فاغتنماها اغتنــاما
وأتبِعاهــا ثلاثاً | ثوالثــاً ، ثم ناما

وعلى هـذه الأغنية الجيلة نام الطفلان ، ثم نامت « رَبابة » على أثرهما ، ونام كل من فى الدار .

عبد الله جحا
(وفق الأصل)
كامل كيلانى

رابطة الأدباء :

اجتمع أعضاء رابطة الأدباء وتم انتخاب الدكتور إبراهيم ناجى رئيساً ، والأساتذة : وديع فلسطين وكيلا ، وخليل جرجس خليـل سكرتيراً عاماً ، ومصطفى محمد مصطفى أميناً للصندوق ، والدكتور محمد يسرى أحمد ، وسليمان نداعضوين فى مجلس الإدارة .

أما حضرات الأدباء الذين اتصلوا بالرئيس من قبل فينبغى أن يتوجهوا بطلبات الانضمام من جديد إلى سكرتير الرابطة ، ص : ب ٤٦٦٠ القاهرة .

مجلة الكاتب المصرى

صدر العدد الشهرى الأول من مجلة (الكاتب المصرى) التى تصدر عن (دار الكاتب المصرى بالقاهرة) ، ويرأس تحريرها الدكتور طه حسين بك . والعدد متقن التحرير ، مونق الطبع ، متوسط الحجم ، يقع فى مائة وثمان وعشرين صفحة اشتملت على أربع عشرة مقالة لصفوة من أعيان الأدب نذكر منها : (الأدب العربى بين أمسه وغده) لصاحب العزة رئيس التحرير ، و(تكافؤ الفرصة) لصاحب السعادة نجيب الهلالى باشا ، و (الخلق فى الفن) للأستاذ توفيق الحكيم ، و(القنبلة الذرية وانعدام الذرة) للدكتور محمد محمود غالى ... فنرحب بالزميلة الكريمة ، ونرجو لها حسن التوفيق واطراد التقدم

مجلة السوادى :

رخصت وزارة الداخلية لزميلنا الكاتب المعروف الأستاذ محمد السوادى مدير شركة الصحافة المستقلة وناقد البلاغ البرلمانى بإصدار مجلة سياسية أسبوعية مصورة باسم (مجلة السوادى)

وقد قررت الشركة أن تبدأ بإصدار أول عدد من هذه المجلة فى صباح الإثنين ١٥ أكتوبر إن شاء الله وإصدار أختها (مجلة الخبر) بعد صدور الأولى بوقت قصير .

فى قصة « لؤلؤة الحب »

قرأت فى (الرسالة) قصة «لؤلؤة الحب» للكاتب الإنكليزى هـ . ج ويلز ترجمة الأستاذ عيسى حليم ؛ فلفت نظرى أن فى ترجمة الجملة الأخيرة خطأ غير سياق القصة . فقد جاء فيها :

« وأخيراً ... تكلم مشيراً إلى « لؤلؤة الحب » وقال : اهدموها ! ... »

ويفهم من ذلك أن الأمير الهندى عجز عن بناء شىء يليق بعظمة التـابوت المحتوى على رفاة زوجته . بينما الأصل وترجمته كما يلى :

« وأخيراً... قال مشيراً إلى التابوت : أزيلوا هذا الشىء! »

ومعنى ذلك أن الأمير بعـد أن مارس فن البناء وألم بجميع فروعه من هندسة وزخرف طوال السنوات العديدة التى تم فيها بناء « لؤلؤة الحب » ... طغى حبه للؤلؤة الحب على حبه لزوجته ورفاتها البالية ، ورأى أن بقاء التابوت وسط هذا البناء الفخم نشوز لا يقبله الذوق السليم ... وشتان ما بين النهايتين .

(الموصل) **الدكتور عبد الهادى الفاعانى**

تصويب :

وقع فى الفقرة الأخيرة من مقال العلامة النشاشيبى المنشور فى العدد الماضى خطآن مطبعيان نصححهما فيما يأتى :

الخطـــأ	الصـــواب
ولو بعثت (فلوبير)	ولو بعث
وحذق العربية لأضاف	ولو حذق العربية لأضاف

---

(١) رغادة العيش : طيبه واتساعه .



من الأدب القصصي الروسي

في الظـــلام ...

للكاتب الروسي أنطون تشيكوف

بقلم الأستاذ مطفى جميل مرسى

السكون غارق فى السكون ... والفضاء العريض يعوج فى رهبة ، وقد هجع كل حى إلى مضجعه يتقلب فى جنوبه ... والطير قابعة فى أوكارها تحتضن صغارها ... حتى من وُكِلَ إليه الأمن قد سرت سنة من النوم إلى جفونه فراح يغطُّ فى خفقة وسُبات .

ولف ظلام السحر كل شىء سوى غَلَس الصبح الوليد فى الشرق وهو يتجلبب بصفرة شاحبة ... وعلى حين فجأة ولجت ذبابة أنف « جاجن » مساعد المحصل ... لعلَّ حب الاستطلاع أو نزق الطيش هو الذى دفعها إلى ذلك العمل ، أو لعلها الصدفة المحضة ...

بيد أن خياشيم الأنف ساءها ذلك الدخيل فانفكَّت تعطس وتعطس ... فأفاق « جاجن » إبان هذه الموجة الحادة من العطس وقد بلغ من حدتها أنها كانت ترجّ الفراش رجاً عنيفاً ...

أما زوجة « جاجن » وتدعى « ماريا ميلوفا » — وهى امرأة مفَاضَةٌ فارعة حسناء الوجه — فهبّت فى هيعة وفزع ، وقلبت طرفها يضرب فى حلكة الظلام الدامسة ، وحملقت فينة ثم انطرحت على جانبها الآخر . ولم تلبث بعد فترة وجيزة أن عادت إلى ما كانت عليه ، وأرخت أهدابها عسى النوم يدبّ فى عينيها ثانية ... ولكن هيهات فقد سرى السهاد إليهما فلم يغمض لها جفن ...

نهضت من فراشها ، واحتذت نعليها وقامت إلى النافذة حيث تجوّل بصرها فى أكناف ذلك الليل البهيم ... وقد بدت فيه سامقات الشجر كأنها عمالقة من الشياطين ... وندّت عن «ماريا» صيحة فيها عجب وفيها فزع قطعت الصمت الذى شاع فى ثنايا الظلام . كانت تحملق أمامها وقد ثبت بصرها على شبح يتسلل فى رفق وحذر إلى صحن الدار ... فدار بخلدها أنه ربما كان جواداً نافراً ، ولكن مقلتيها ما لبث أن وضح لهما ذلك الشبح فإذا به رجل يتشح بالظلام . وأومض بعقلها أنه لص فى سبيل السرقة . فاكتسى وجهها شحوباً أضفاه عليه الذعر وصفرة الغلس ...

وفى لحظات نشط ذهنها يصوّر بيراع الخيال أوهاماً وأوهاماً . قوامها سيدة تعيش فى الريف ، ثم سارق يتلصص خفية إلى حجرة المطبخ ... ومن المطبخ إلى حجرة الطعام ... وثمت الأشياء الفضية من ملاعق وقواطع ... وبعدئذ إلى مخدع النوم وفى يده فأس حيث يعثر على الحلى والنقود ... ولم تلبث أن هوت ركبتاها ، وسرت رعدة من أم رأسها إلى أخمص قدميها ...

راحت تهز زوجها وتهتف فى هلع « ڤاسيا ... باسيل ... انهض ... آه يا إلهى لكأنه فارق الحياة ... استيقظ أيها الرجل باسيل أتوسل إليك ... انهض ... » فقبع مساعد المحصل فى فراشه ، وقال فى صوت شابه اضطراب فى قرارة نفسه « حسناً ! » .

— « بالله أفق ... هناك سارق تسلل إلى المطبخ ، لقد كنت قائمة عند النافذة ، عند ما لمحته يختفى فى نافذة المطبخ ... إنه بلا ريب سيجتازه إلى غرفة الطعام حيث الملاعق فى الصوان .. باسيل ! ألا تدرى أنهم هاجموا «ماڤرا يجروڤنا» فى العام الماضى ؟!»

— « هه ... ما الذى حدث ؟ ! » .

— « آه ! .. يا للسماء . إنه لم يدرك بعد ما أنطق به ... انصت أيها الأبله ، هناك لص ولج نافذة المطبخ ، وسوف ينخلع فؤاد « بلاجا » فزعاً وفرقاً ... هذا مع أن الأشياء الفضية فى الصوان بغرفة الطعام ... » .

— « هذا حديث لَغَبٌ ؟ .. » .

— «باسيل ... لا أطيق ذلك ... أخبرك بالخطر الجاثم ، وأنت تفحفح فى نومك غير ذى بال ؟ ! ما الذى ترجو من وراء ذلك ؟ ! أتشاء أن نجرّد من أموالنا وحاجياتنا ؟ » .

فثاب مساعد المحصل إلى نفسه وقام من فراشه يملأ صدره بنسيم السحر المنعش . ثم تثاءب فى تؤدة ومَهَل ... وراح يتمتم :

— « ليس ثمت من يقف على سريرة تلك المخلوقات الضعيفة العجيبة ··· النساء .

سوى الله !. أما بمقدورك أن تترك الإنسان يغمض جفنيه جنحاً من الليل لا تزالين تهزينه حتى يستيقظ ، فتطرق سمعه بهذا اللغو ! » .

— « ولكن أقسم يا باسيل أنى لمحته وهو يداف إلى حجرة المطبخ ! » .

— « وما الذى يثير عجبك من ذلك ؟! إنه بلا شك الجندى الذى يعشق « بلاجا » وتعشقه ··· ويسرى إليها على الدوام فى هزيع الليل ··· » .

— « هه !.. ما الذى تفوه به ؟!. » .

— « ··· إنه الجندى الذى يعشق « بلاجا » ··· » فصاحت « ماريا ميلوفنا » فى زحير .

« علة أقبح من العذر ··· إن التلصص أخف وطأة منها ··· لست أرضى عن هذا الفاسق بدارى ··· » .

— « عجباً ··· إننا طهيرا الثوب عفيناه ··· فما الذى يضيرنا من وجود هذين الفاسقين ؟! وماذا نفيد من تدويم هذه الكلمات الجوفاء ؟ يا فتاتى إنها الحياة ··· وهكذا جبل الخلق منذ فطر العالم وما هذا الجندى بملاك يعف عما درج عليه غيره ··· » .

— « كلا يا باسيل ··· فهذا ما لا يتفق وهواى ··· إنى لا أكاد أتصور أن مثل هذا !. هذا !. يحدث فى عقر دارى ··· ينبغى عليك أن تهمّ إلى المطبخ ، وتطرد هذا الفاسق شر طردة وفى الغداة سأنهى إلى « بلاجا » أنها ستفقد عملها إن هى عادت فسلكت هذا السبيل الشائن ، وحين أغادرك إلى ظلمة القبر وأودّع الحياة ··· فافعل ما يحلو لك ··· ولكن إياك أن تأتى ذلك ، وأنا على قيد الحياة ··· باسيل ! أتوسل إليك أن تقوم إليهما ···» ، فقال « جاجن » فى تهيم وتذمر :

« عليك لعنة الله ··· بالله تدرى بمنظارك النسائى الضعيف : ما الذى أفعله لهما ؟ ! » .

— « باسيل ! . إنى لأحس أن الإغماء يغشينى ··· » .

فعجل « جاجن » بوضع قدميه فى نعليه ··· وراح يهمر لعناته فى سبيله إلى المطبخ ···

وكان الظلام يطوى كل شىء تحت مطارفه السود ··· فراح مساعد المحصل يتلمس طريقه فى حذر ··· واتخذ وجهته نحو غرفة الأطفال ، وأيقظ الحاضنة قائلا فى محيط :

« لقد أخذتِ معطفى لتنظيفه مما علق به !. فأين هو [illegible] يا « فاسيليا » ! » .

« لقد ناولته « لبلاجا » لتنظفه ··· يا سيدى ! » .

— « يا للعبث ··· أنت تأخذينه ثم تردينه !.. ماذا اطرح على جسدى الآن ؟ ! » .

* * *

وما كاد يصل إلى المطبخ حتى اتخذ سبيله إلى ركن قام فيه صندوق من الخشب رقدت عليه الطباخة « بلاجا » ··· فقال وهو يتحسس كتفيها ، ويهزهما فى عنف « ··· بلاجا !.. بلاجا !.. لا تدعى النوم أيتها الخبيثة الماكرة ··· من الذى ولج غرفتك منذ برهة وجيزة ؟ ! » .

— « سى !. سى !. سيدى ! عم صباحاً : من الذى يجرؤ على ولوج غرفتى ؟ ! » .

— « آه ··· دعينا من هـذا النفاق والإنكار فليس هناك مجال لتصديقهما . انهضى ··· لقد أسرى ذلك الشرير إلى غرفتك ، وأنت راضية عن ذلك !. ألا تسمعين ؟ وليس هناك ما يدعوه إلى إلى الحضور سوى أنت ! » .

— « هه !. سيدى ··· أمسّتك لوثة من الشيطان ، فتقذفنى بهذا الهذيان ؟ !

رحماك يا رب ··· أظننتنى بلهاء ساذجة ؟. أشقى هنا سحابة يومى ولا أركن للراحة ولو لحظة ··· وتأتى فى هزيع الليل فتحدثنى هكذا !. ولا أتقاضى عن كدى وإخلاصى فى خدمتكم سوى أربع روبلات فى الشهر ··· إنى لأرغب العيش عند تاجر من التجار على أن أقابل بمثل هذا الجحود والإهانة ! » .

— « انهضى !. انهضى .. لا سبيل إلى التنصّل بالشكوى والتذمر ··· آه ··· لابد أن يغادر عشيقك هذه الغرفة فوراً ..! أوعيتِ ما أقول ؟!. » .

فقالت « بلاجا » وقد هدجت من صوتها بوادر الدمع :

« لابد أن هذا يخجلك يا سيدى !. أهكذا تفعلون معشر المتعلمين ؟ أتسمح لكم أنفسكم أن تتهمونا وتقسوا علينا بدلا من أن ترفهوا عنا ، وتفرجوا عن أنفسنا ؟! نعم من السهل عليكم أن تهينونا ..

فليس هناك من ينبرى لنصرتنا ويقف إلى جانبنا » . وانفجرت الدموع من عينيها فراحت تنوح وتنهنه ...

— « هيا ... انهضى ... فما يجوز علىّ هذا الخداع ... لقد أرسلتنى سيدتك لأخبرك أنها رأت شريراً يدلف إلى غرفتك ! » ولكن « بلاجا » راحت تديم نواحها ونشيجها ... فلم يجد « جاجن » بدا من أن يعترف من قرارة نفسه أنها مظلومة طاهرة وقد ألصق بها هذه التهمة الشنعاء إفكا وبهتاناً ...

وهمّ بالعودة إلى زوجته وهو يقول : « بلاجا ... لقد أخبرتنى «فاسيليا» أنها ناولتك معطفى لتنظيفه مما علق به فأين وضعتيه ؟!»

— « آه ... معذرة يا سيدى ... لقد غفلت عن وضعه على مقعدك ... إنه معلق هناك على المشجب القريب من الموقد ! » .

فطرحه « جاجن » على منكبيه ، ومضى فى هدوء إلى غرفة زوجه ...

* * *

أما « ماريا ميلوفنا » ، فلبثت تنتظر بعلها فى قلق وهى تهس وتهجس :

— لقد مضى منذ حين ولم يؤب ! لعل ذلك الجندى الشرير لبط به الأرض ... لعل ... لعل ...

وعادت تصور بيراع الخيال صورة لزوجها ، وهو يمضى فى ظلام المطبخ ... ضربة على أم رأسه من فأس ... موت بلا نبس ، ودم يتدفق من جروح مثخنة ... وانقضت إثر ذلك خمس دقائق فى إثرها خمس ... ثم نصف ساعة ... وأخيراً ها هى ذى الساعة قد بلغت السادسة ودقاتها ترن فى جوف الليل البهيم فتزيده رهبة وجلالا ... فتبلبل جبينها بعرق بارد وهى غارقة فى فراشها ، وصاحت على غرة : « باسيل ... باسيل ... » فأجابها صوت زوجها على مقربة : « ما ذا دهاك ؟ ! لم تصرخين هكذا ؟ ها أنذا ... »

— أأصابك سوء ؟ !

— سوء ؟ كلا ...

ومضى إلى حافة الفراش وهو يقول :

— « ليس هناك أحد على الإطلاق ! إنها أوهامك وقسوتك على هاته المخلوقات ... إن بلاجا لا تقل عنك عفافاً وصوناً ... كم أنت حمقاء !. كم أنت ... » .

وراح ذلك السيل من السباب واللعن يتدفق من فم «جاجن» لقد داعب الأرق جفونه فعبثاً يحاول النوم ثانية ... فقال وهو يضحك :

إنك لواهمة ، مجهدة الأعصاب ... ويعوز نفسك المضطربة فترة من الراحة ... يجمل بك أن تذهبى فى الغداة إلى الطبيب فتخبريه بهذه الأوهام والخيالات ... فيتبصر فى حالتك ويصف لك ما يريح أعصابك المكدودة » ...

فقاطعته زوجه قائلة :

— « ما هذا ! ! رائحة ... قطران ! ! أو شىء آخر كالثوم أو البصل إن هذا يتخلل أنفى فى حدة ... » .

— « نعم ! ثمة رائحة غريبة ... لست بنائم ... سأشعل الشمعة ، أين أعواد الكبريت ... آه تذكرت ، سأعرض عليك صورة لمحصل قصر « جستيل » العظيم ... فقد أعطى كل من كان فى المكتب نسخة من صورته عندما ودعنا البارحة ... » .

أشعل « جاجن » الشمعة وقبل أن يخطو خطوة لإحضار الصورة رنّت فى أذنه صرخة ندّت عن زوجته ... فلما التفت إليها رآها تحملق فيه وقد اتسعت مقلتاها واستقرت عليه ... يطل منهما الفزع والهلع والعجب والسخط فى آن واحد ...

صاحت زوجته وقد علا وجهها الشحوب : « أتناولتَ معطفك من المطبخ ؟ ! » .

— « لِمَ ؟ ! » .

— « انظر إلى نفسك ! » .

وما كاد يبصر « جاجن » ما على جسده حتى راح يحدق فى عجب وذهول ... لم يكن مطروحاً على كتفه معطفه بل معطف الجندى الشرير ... ماذا أتى به إلى هنا ؟ ! ! وبينما كان يوجه إلى نفسه هذا السؤال ... قالت زوجته فى غمغمة تنم عن سخرية وسخط «أتقول؟ إن (بلاجا لا تقل عنى عفافاً وصوناً) ... أيها الخنزير الأبله»

ثم غرقت فى شعاب الفكر وعاد يراع الخيال يرسم صورة مخيفة : ظلام ... هدوء ... همس !.. و !..

(طنطا) **مصطفى جميل مرسى**

استدراك :

حدث خطأ مطبعى فى عنوان قصتنا التى نشرت فى العدد (٦٣٨) وهو « حينما كان طبيباً » والأصل « حينما كان صبياً » فبذلك يستقيم معنى العنوان مع سياق القصة .

محكمة المنزلة الأهلية

إعلان بيع فى القضية المدنية نمرة ٥٢٤ سنة ١٩٣٥

إنه فى يوم الأحد ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٤٥ من الساعة ٨ أفرنجى صباحا وما بعدها بسراى المحكمة : سيصير إشهار مزاد العقار الأتى بيانه بعد المملوك إلى حسين حسن عزام من المطرية مركز المنزلة دقهلية .

وهذا البيع كطلب مصلحة الأملاك الأميرية وبناء على حكم نزع الملكية الصادر من هذه المحكمة بتاريخ ١١ يونية سنة ١٩٤٤ ومسجل بمحكمة المنصورة فى ١٧ـ٦ـ١٩٤٤ ن ٣٣٤ جزء ٣٣ وفاء لسداد مبلغ ١١٦ جنيه ١٤٧ مليم بثمن أساسى قدره ٩١ جنيه ٦١٤ مليم خلاف المصاريف .

بيان العقار

س	ط	ف	
٢٣	٠	١	قطعة ضمن ١ حوض ن٢١
٨	٠٠	٣	» » ١١ » ٢»
١	٤	١	» ضمن ٢٧
١٩	١١	٠٠	قطعة ضمن » ٢٦ بحوض ن٤،٢١
٢٠	١٩	١	قطعة ضمن ن ١٠» ن٥ و٢١
٠٠	٠٠	١	» » ن٦ » ن ٦ ٢٣
١٢	٩	٢	» ن٩ » ٢٧ و ٢٢
١٠	١٩	٣	مكلفه ضمن ١ بحوض ن ٨ و ن ٢٢
٢١	١٧	١٤	فقط أربعة عشر فدانا وسبعة عشر

قيراطاً وواحد وعشرون سهماً بزمام الصلاحات مركز دكرنس .

فعلى من يرغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان المحددين أعلاه

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦٤١ — الاثنين ١٥ أكتوبر ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٣١ ، ٢٥

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 641

Lundi - 5 - 10 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٤١ « القاهرة في يوم الإثنين ٢ ذو القعدة سنة ١٣٦٤ — ١٥ أكتوبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

بول فالـــيرى

للأستاذ عباس محمود العقاد

كان كاتب الخاصة ، لأنه لم يكن كاتب العامة وأشباه العامة

وهو لم يكن كاتب العامة وأشباههم ، لأن هؤلاء يطلبون السهولة في التعبير والتفكير ، وليس هو بسهل في تعبيره وتفكيره ، بل كان لا يخلو من الغموض والتعقيد ، ولا يهبط في أسلوبه عن مرتبة الجزالة والإتقان

والعامة وأشباههم ينساقون لشيء من الرعونة والهوج في بدعة من البدع أو دعوة من الدعوات ، وليس هو بصاحب رعونة أو هوج ولا بصاحب بدعة تصدع الأسماع أو دعوة تخلب العقول وتهييج الخواطر ، بل كان أكثر ما يكون موفور الجد والرصانة ، مكبوح العنان

والعامة وأشباههم ينقسمون بين المعتركات والميادين ، وليس هو من رواد المعتركات والميادين ، بل كان كريماً على نفسه وعلى صحبه مؤثراً لعزلة الفكر وعزلة المقام

ولا أحسب أن نصيراً من غلاة أنصاره يدعى له مزية الخصب والإشراق في نتاجه ، ولكني كذلك لا أحسب أن مخالفاً من مخالفيه ينكر عليه مزية المتانة والسداد في جملة آثاره من شعر ونثر ومن قصة ومقال . فهو متين سديد رصين ، وإن لم يكن باللامع ولا بالمخصب أو المرتفع في الآفاق

ذلك بول فاليرى فقيد الأدب الفرنسي في أواخر هذا العام ، بعد أن فقد في أوائله رصيفه رومان رولان

***

والخاصة التي أعنيها هنا هي الخاصة الاجتماعية ، وليست بالخاصة الفكرية أو الفنية

وشأن هذه الخاصة الاجتماعية في فرنسا ليس بالقليل ، فهي حتى اليوم صاحبة الكلمة التي لا تجهل في نصيب القادة العسكريين والقادة الفكريين . وفي الترشيح لرئاسة الجمهورية وللمجامع العلمية والأدبية ، وهي بقية من بقايا النبلاء على عهد الامبراطورية قد تنزوى عن الأنظار ، وقد تغض الصوت حيناً بين جلبة السواد وصيحة المغرقين في التجديد ، ولكنها رابضة أبداً في مكمنها للوثوب إذا حانت لها فرصة الوثوب ، ولعل وثبة بيتان باسم المحافظة على القديم لم تكن إلا رجعة من رجعات هؤلاء الخاصة الاجتماعيين في عاصمة الفرنسيين

هؤلاء الخاصة الاجتماعيون « سلبيون » في أكثر الأذواق والآراء ، ولم تبق لهم قدرة قوية على الإيجاب والأنجاب

فهم مثلا لا يعجبهم ما يعجب الدهماء والأوساط من الخفة والاندفاع ، وهم لا يشاركون الجماهير في أذواق البدع وبهارج

الحداثة ، وهم لا ينطلقون فى الضحك ولا فى الحزن ولا فى الغضب ولا فى الهياج إلا بمقدار ما يسمح لهم أدب الصالون وشعائر النبل والوقار

أما إنهم يرتفعون إلى الأفق الأعلى فى التفكير والتقدير فليس ذلك عندهم بمضمون ، وقد يضحون بالجمال الحى الرفيع أحياناً فى سبيل الجمال الذى توحى به التقاليد

وهذه كلها خصال ترشح « بول فاليرى » عند هذه الطبقة للقبول والظهور ، ويزيده قبولا عندها أن تعلو فى سماء الأدب الفرنسى نجوم باهرة لا تلتزم ذلك السمت الصحيح أو السمت المصنوع .

***

لم يقصد بول فاليرى أن يكون على شرط هـذه الطبقة فى الأساليب ، ولا أن يكتب وفاقاً لمزاجها الذى تروضه على السمت أو تصطنع فيه الوقار . ولـكنه لو قصد هذا لما كان أقرب إلى مزاج تلك الطبقة مما كان ، لأنه طبع على الرصانة وجاءه التعليم يرفد منها بتمم ما جادت به الطبيعة عليه . فقد تعلم الرياضة ونشأ على نظام رجال البحر وقرأ الحـكمة وشغف بأسلوب الأقدمين ، فجنحت به السليقة والنشأة إلى ذلك السكون ، وأصبح كاتب العلية الاجتماعية ، شاء ذلك أو أباه ، واستفاد عند غير هذه الطبقة كرامة ومحبة لا كلفة فيها ، لأنه لم يكن يخاصم أحداً على سمعة أو شهرة ، ولم يكن يبالى الخصومة إذا عرضت له معتدية عليه !

إلا أنه كان يشعر بصفاته هذه ولا ينساها حين يقيم الموازين للشعر المأثور والأدب النفيس ، فلم يكن يغفل عن شرط « الـكبح » والاحتجاز فى تعريفاته الفنية ، ولم يكن يأبى الغض من مزية التدفق والإفاضة ، لأنها تلتبس أحياناً بالتفيهق والثرثرة فى غير جدوى

فإذا عرف الشعر قال : « إنه ينبغى أن يكون عيداً للذهن ، ولا ينبغى أن يكون شيئاً غير ذلك »

ولـكنه يعود فيقول : « عيد أى فرح . ولـكنه رصين ، ولـكنه مرتب ، ولـكنه ذو مغزى . أو هو صـورة لغير هذه المطروقات الشائعة ، أو صورة للحالات والمساعى التى تقبل الانتظام والاتزان ... »

ولا يستثنى من ذلك الشعر الغنائى الذى هو أدنى أبواب الشعر إلى الطلاقة والجموح ، فهـو عنده « هتفة » ، ولـكنها متطورة أو « مشغولة » بصناعة الفنان

ويقول فى التفرقة بين الملـكات الـكامنة والملـكات المـكشوفة:

« فى طبع كل منا حماقة الخطأ بين المفارقة والاكتشاف ، وبين الصورة المجازية والبرهان ، وبين سيل دافق من العبارات وينبوع يفيض بالحقائق الـكبرى ، وبين ما نحسه نحن وما ينطق به لسان الغيب ... »

وقد كان مزاجه من طبيعة العزلة والانطواء فيه ، فـكان لانطوائه على نفسه ينتزع من أحوالها القواعد والأحكام ، ويعطيك الشواهد على سرائره الشخصية من معظم ما كتب بعد الروية والتفكير ، فلا أعرف فى المحدثين كاتباً تظهر أسبابه الشخصية فى أسبابه الفكرية كما تظهر فى هذا الـكاتب على التفكير

رجعت إلى بعض آثاره التى عندى بعد السماع بنعيه فقرأت منها مقاله القيم عن الإنسان الأوربى وهو من تحفه المعدودة التى يقل فيها التعقيد والغموض ، وقد بدأه بكلمة عن « الإنسان » عامة قال فيها : إنه هو المخلوق الذى ينفرد بين سائر المخلوقات ، ويعلو على سائر المخلوقات بالأحلام ، وإنه أبداً مصروف عما هو كائن بما لم يكن بعد ، أو بما يرجو أن يكون ، وإن الخلائق الأخرى تطيع التغيير الذى يطرأ عليها من خارجها ، وهو وحده يطوّع تلك العوامل المتغيرة بما توحيه إليه بواطنه وخفاياه

ثم استطرد من هذه المقدمة إلى حصر الإنسان الذى ينشئ الأحلام فى الزمن الحديث بين سكان قارة واحدة هى القارة الأوربية ، وإلى حصر المشخصات التى خلقت قوام ذلك الإنسان فى ثلاثة مراجع ، وهى رومة أو نظم الدولة الرومانية ، والمسيحية التى ورثت كل شىء من رومة لا من بيت المقدس ، ونموذج العلم النظرى الذى يتمثل فى الهندسة الإغريقية ... »

ولا يعنينا هنا أن نناقش هذه الفلسفة من جانب النقد أو جانب الوقائع التاريخية ، وإنما يعنينا أن نعقد الصلة بينها وبين مزاج الانطواء والعزلة « والتفكير الذاتى » الذى انطبع عليه بول فاليرى

فهناك بول فاليرى الذى يتغنى بالأوربية كما تتغنى بها جميع أقوام القارة التى ضاعت عليها فرصة التغنى بمجدها القوى منذ زمن بعيد أوقريب . فهم يذكرون دائماً أنهم أوربيون حين يذكر الألمان أنهم آريون ، أو يذكر الإنجليز أنهم من سلالة الإنجلوسكسون ، أو أنهم بريطان « غير قاريين »

وهناك بول فاليرى الذى يرجع بكل شىء فى أوربا وفى المسيحية إلى رومة لأنه جاء من أب فرنسى وأم إيطالية ، وكلاهما من عنصر اللاتين .

وهناك بول فاليرى الذى يجعل الهندسة الاغريقية نموذج العلم الإنسانى لأنه هو درس الهندسة واستوعب الكثير من آثار حكماء اليونان .

وهذه هى بعض دلائل المزاج التى تنطوى بين السطور ، فضلا عن دلائله التى تبدهك منه بغير تنقيب طويل .

* * *

لست أنسى خيبة الأمل التى خابنى بها بول فاليرى فى أول عهدى بالمطالعة الفرنسية ؛ فإننى تعلمت الفرنسية فى السجن فاستطعت بعد أربعة أشهر أن أقرأ أناتول فرانس وبيير لوتى واندريه موروا بغير مشقة أو رجوع كثير إلى المعجمات الميسورة ؛ فخيل إلى أننى قد استغنيت عن الترجمات فى قراءة الأدباء الفرنسيين من محدثين وأقدمين . ثم جربت هذه المعرفة بعد خروجى من السجن فى اندريه جيد وبول فاليرى فاذا بى أرجع إلى الترجمات الإنجليزية ولا أزال أرجع إليها حتى اليوم .

وأحب أن أقول إننى أرى فى أدب « بول فاليرى » رأيا لا يمتزج بمرارة تلك الخيبة لأنه لم يذهلنى عن محاسنه ولم يحملنى على المبالغة فى عيوبه .

فالرجل لا شك مثل معدود من أمثلة الثقافة الفرنسية فى القرن العشرين ، وله ولا شك رأى رجيح وقول رصين وتفكير قويم ، ولكننى لا أذكر أننى اطلعت فى كلامه الذى قرأته — وهو غير كثير — على فكرة رائعة أو غوصة عميقة أو نفحة تتجاوز طاقة الأوساط من الكتاب ، فهو متين راسخ على وجه الغبراء ، ولكنه لا يحسب بين أصحاب الأوج ولا بين أصحاب الأعماق .

وله نظرات فى نقد الأدب والأدباء يقرأها القارئ ، فيقول صحيح صحيح ! أو جميل جميل ! ... ولكنه لا يراع بها ولا يفاجأ بها ولا يخرج بها عن الجادة المطروقة إلى معرج غير مطروق .

ومن الأمثلة الصادقة لاسلوبه فى النقد وصفه لاناتول فرانس — وقد خلفه فى المجمع الفرنسى — فقال عن كسله الحالم « إنه كسل نجم من القراءة الواسعة التى يصعب التفريق بينها وبين الدرس والاستقصاء . أو هو كسل كراحة السائل الموقر بخيراته وبركاته يليح لك فى سكونه ببلورات على أحكم ما تكون من كمال التركيب ... »

وأنت تقرأ هذا وتقرأ أمثاله فى كلامه على الأدب والأدباء فتقول صحيح صحيح ! جميل جميل ! ... ولكنك لا تقف فى طريقك مرة لتقول : آه . ويح الكاتب الساحر . . ! من أين له هذا الكلام ؟

عباس محمود العقاد

ليذكر الأسبان

الأستاذ توفيق محمد الشاوى

لعل الشعب الأسبانى هو آخر شعب يحتاج إلى من يثبت له عظمة العنصر العربى وسمو الحضارة الإسلامية ، لأن وجوده ونهضته التى سبق بها جميع الشعوب الأوربية ، وكانت رائد النهضة الأوربية الحالية هى ربيبة تلك الحضارة الإسلامية العربية التى نعمت بها الأندلس زمنا طويلا ، وعاشت فى ظلها عصراً ذهبيا سجل التاريخ مفاخره برغم تداول الأيام وانتقال السلطان .

لكن أسبانيا قد انساقت فى هذا العصر فى تيار الاستعمار الأوربى ، وسيطرت على قادتها المادية الاستغلالية ، وآثرت أن تنسى التاريخ ، وأن تدفن الماضى ، وأن تشترك فى الغارة الأوربية على أجزاء الوطن العربى ، فسلم لها شركاؤها الاستعماريون جزءاً هاماً من وطننا الأفريقى فى المغرب ، سارت فيه على خطة جارتها فرنسا ، فحاولت أن تحطم القومية العربية بكل الوسائل الاستعمارية الوحشية ، غير عابئة بمبادىء الإنسانية والمدنية . علمت أن العربى لا يقيم على الذل ولا يصبر على الضيم ، فسول لها شياطين الاستعمار أن أسهل الطرق هو إفناء هذا الشعب الأبى العنيد ، وليقل التاريخ ماشاء بعد ذلك .

ثم جاءت النتيجة المحتومة للتكالب النفعى الأوربى ، أن انقلب الماديون على أنفسهم ، وأغرى الجشع بعضا ببعض ، فتفرقت الطبقات ، وتقابلت العصابات ، واشتعلت الحرب الأهلية الاسبانية ، فاستعان الجنرال فرانكو بعرب المغرب ، وبذل لهم وعوداً خلابة ، ومناهم بالاستقلال الذى جاهدوا له . ولم يقصر دعايته على المغرب ، فأرسل إلى رئيس المؤتمر الإسلامى الذى عقد بالقاهرة فى ذلك الحين ، الدكتور عبد الحميد سعيد ، خطاباً تاريخيا مؤيداً لوعوده وتصريحاته « بأنه عندما تثمر شجرة السلام فسيقدم للمغرب العربى منها أطيب الثمار » ... وظن العرب أن الواعد عربى يعرف معنى الشرف ، ويحترم قدسية العهود ، ونسوا أنه رجل أوربى ينسى كل شىء فى سبيل مطامعه وأهوائه . جاءه النصر بفضل مساعدة العرب وانتظر العرب والمسلمون طويلا تحقيق الوعود والعهود ، فإذا سياسة الاضطهاد تستأنف وتزيد ، وخطة الأفناء الوحشية تبدأ من جديد ، وإذا الشرف يتوارى وتحل محله « المصلحة » ، تتذبذب السياسة بين الشدة واللين بحسب ما توحيه ظروف السياسة ومصلحة الاستعمار . وآخر ما سمعناه أن أسبانيا لم تعد تطيق كلمة « العروبة » فهى تحاربها فى كل ناحية تتوهم أنها تذكيها ، حتى إن أعضاء البعثة المغربية فى جامعات مصر قد عادوا إلى بلادهم هناك ، فوجدوا أبواب السجون مفتحة لهم ، وسبل العمل موصدة فى وجوههم ؛ وكل ذنبهم أنهم عرب تعلموا فى مصر ، وأن مصر تحمل لواء العروبة وأن العروبة شجى فى حلق الاستعمار .

أيها الأسبان ! تستطيعون أن تتناسوا عهودكم ومواثيقكم التى بذلها زعيمكم وارتبطتم بها ، وتستطيعون أن تنسوا مبادىء المدنية التى تحمى حقوق الأمم وحريات الشعوب ، وأن تنسوا التاريخ وما سيكتبه عن استعماركم الوحشى الغاشم ، وأن تنسوا أيضا ما للعرب عليكم وعلى أوربا من فضل بما علموكم وبما هذبوا من نظمكم وآدابكم ... تستطيعون أن تنسوا كل هذا ، ونستطيع نحن أن نصدق أنكم نسيتموه مادمتم تتوهمون مصلحتكم فى هذا النسيان ، ولكن شيئاً واحداً لا نظنكم تستطيعون أن تنسوه ، هو قوة هذا الشعب العربى الأبى وبطولته ، واستبساله فى الدفاع عن كرامته وحريته . تذكروا أن ضربات ابن عبد الكريم لا زالت جراحها فى كل بيت من بيوتكم وكل أسرة فى بلادكم ، وتذكروا أن ابن عبد الكريم لا يزال حيا ، وإذا مات فإن الشعب الذى أنجبه لا يزال حيا قويا قادراً على استئناف جهاده وتضحياته .

أيها الأسبان ! تذكروا مرارة قتال العرب وما يكلفكم من ثمن ، وأن فرنسا التى أنقذتكم من ابن عبد الكريم قد تعجز عن انقاذكم مرة أخرى ، وأن للعالم اليوم أذنا تسمع وعينا تبصر ، فلن تسكت على وحشية الاستعمار التى تتلحفون بها لستر ضعفكم وجبنكم . تذكروا كل ذلك لا لوجه الإنسانية

على هامش « الحادث » :

دفاع عن الأدب

الأستاذ على الطنطاوى

لقد كانت معركة (عين جالوت) مثلا ، أجل خطراً ، وأعظم أثراً ، وأبرك على الحضارة ، وأجدى على الإنسانية ، من موقعة (الحدث) ، ولكنها لم تجد الشاعر المارد الجبار الذى ينهض بها ، ويرفعها بيمينه يلوح بها فى طريق التاريخ ، ليراها الناس أبداً ، أمة بعد أمة ، وجيلا عقب جيل ، كما صنع المتنبى بوقعة (الحدث) حين فتح لها فى الشعر فتحاً ولا فتح سيف الدولة فى بلاد الروم ، وبنى لها فى البلاغة صرحاً ولا ما بناه الحمدانى (فأعلى والقنا يقرع القنا ، وموج المنايا حوله متلاطم)، بنى هذا البيت وإنه لقلعة باقية، على حين قد خرب الدهر تلك القلعة ، فكان من معجزات الشعر (وإن فى الشعر لإعجازاً) أن خلدت هذه الموقعة ، وحمت وملأت الأسماع والأفواه والقلوب ، ونسيت مواقع أعظم منها ، ولولا قصيدة ابن الحسين ما عرفت طريق الخلود .

ولقد كان فتح عمورية عظيما فى الفتوح ، ولكن فتح حبيب فى بائيته أعظم منه . ومن قبل خلدت بلاغة هوميروس بطولة القوم فى طروادة ، ولولاه لضاعت فى ظلام ما قبل التاريخ . وإنى لأكرم القراء أن أسيء بهم ظنى فأرى بهم حاجة إلى سرد الأمثلة ، وإقامة البينات ، على أمر ما بهم جهله ولا نكرانه ، فلولا الأدب ما خلدت المكرمات ، ولا ذكرت البطولات . ورب قصيدة تجيش بها نفس شاعر منكر مجهول ، قد شغل الناس عنه سناء الأمير ورواؤه ، أبقى على الدهر من هذا السناء وهذا الرواء . وربما جاء زمان نسى الناس فيه الأمير نفسه ، فغاص فى هذا النهر البشرى الذى يجرى أبداً من المهد إلى اللحد ، يولد أهله ويعيشون ويموتون ولا يدرى بهم أحد ولا يذكرهم إنسان — ولم يمسه من الخلود إلا النفحة التى ينفحه بها الشاعر .

هذا حق لا يجهله أحد إلا ذوى السلطان منا ، وكانوا هم أولى بمعرفته والاستفادة منه ، والأحداث تدعوهم إلى ذلك ولكنهم لا يجيبون . وها هو ذا حادث الشام القريب ، أحبوا أن يدونوا تاريخه ، ويعرفوا صوره ، ويعرفوا به البعيد النائى ، ويذكروا به القريب الرائى ، فأجمعوا أمرهم على إخراج (الكتاب الأسود) فى وصف هذا الحادث ، وسموا له رجالا ، طيبين ممتازين ، غير أنهم ليسوا من ذوى الأقلام ، ولا من الأدباء ، وإن فى دمشق (لو كانوا يعلمون) أقلاما حداداً ، إذا انتضتها الحكومة قطت بها وقدت وفرت ، فإلام تدخر هذه الأقلام إن لم تستل فى هذا اليوم الأسود ؟ ومن يعرض على الدنيا كلها حديث (الحادث) إذا أهملت هذه الأقلام ، ونسيت وتركت تصدأ فى أغمادها ؟ أيعرضه صحفى بمقالة تعيش ما عاش (العدد) الذى تنشر فيه ، أم موظف بتقرير أسلوبه لعنة للبلاغة فى عليائها ؟

والمدنية ، ولا خشية التاريخ وحكمه ، ولا حرصاً على العهد وتمسكا بالشرف ، فهذه لغة قد لا تفهمونها الآن ... ولكن اذكروه لمصلحتكم أنتم ، فإن نسيانه سيكلفكم من الضحايا عدداً لا تستطيعون تقديره ، وسيكون النصر أخيراً للحق والمدافعين عن حقوقهم وحرياتهم .

أيها الأسبان ! تذكروا أن الجشع الاستعمارى الذى يسيطر عليكم ليس إلا عرضا من أعراض الكلب المادى الذى أصيبت به أوربا ، وأنكم إن لم تقضوا عليه فسيقضى عليكم ، وقد بدرت بوادر الشقاق والجنون النفى الذى سيحطم أركان حضارتكم إن لم تنقذوا أنفسكم منه . تذكروا أن القدر قد يلقى عليكم درساً عاجلا فى احترام الحقوق والحريات ، وأن هذا الدرس قد يكون على أيدى العرب ، أساتذتكم وأساتذة أوربا منذ عرفتم النور ما ؟

توفيق محمد الشاوى

مدرس بكلية الحقوق — جامعة فؤاد

ثم استلمنا الجيش وعرضه رئيسنا فكان يوماً أغرّ محجلاً فى عمر الشام ، فمن يمسك هذا اليوم ألاّ يهوى فى وادى النسيان ؟ من يحفظ له جلاله وجماله وعظمته غير الأدباء؟ فما لأولى الأمر دعوا له كل قاص ودان إلا أهل الأدب الحق ؟ أهل البلاغة ، ما دعوهم ولا سألوا عن مكانهم ولا ذكروهم ، ولو دعوا أديباً لصنع لهم بمقالة واحدة شيئاً يبقى إذا ذهب كل هذا الذى أعدوه .

وفى كل يوم تنبت أقلام غضة فلا يتعهدها أحد بسقى ولا رعاية فتجف وتموت . وتحطم عواصف الأيام وأرزاؤها أقلاما متينة كأشجار السنديان طالما أظلت وبسقت فلا يبكى عليها أحد . وتزهر أقلام ثم تؤتى أكلها ثمراً ناضجا حلواً نافعا فلا يستبشر بها أحد ، ويقولون بعد ذلك لماذا لا ينتج الأدباء ؟ لماذا لا يخلدون أيام الوطن ؟ يا ويحكم ! إننا والله لا نعرف أيام الوطن إلا على السماع ، والفضل لنا إذا استطعنا أن نكتب عنها سطراً واحداً .

قال لى أديب أعرفه بليغا مبينا له قلم ماضى السنان :

« لقد أردت أن أدخل القلعة غداة يوم الحادث ، وأن أجول خلال الحرائق ، وألج البرلمان ، فمنعنى جنود لا يعرفوننى ولا يفهمون عنى بلسانى ، ولو تركت ألج ورأيت بعينى ما أصفه الآن على السماع لكتبت لكم شيئا يبكى المحب ليلة الوصال ، والعروس ليلة الزفاف ، ويرقق قلب الموتور ساعة الانتقام . ولو أشهدت هذا العرض لكتبت لكم قصيدة مجد تكون للأعصاب ناراً تشعلها حماسة ، وللقلوب خمراً تميلها طربا ، ولهذا الجيش جيشا آخر . ولو أحضرت حفلة رفع العلم على الثكنة الحميدية لكتبت غير ما كان نشر فى الرسالة[1] ، لأن الذى يتخيل ويكتب بارد الدم هادىء الأعصاب ، غير الذى تمشى الكهرباء فى أعصابه فتهزها هزاً ، فيمسك قلمه ويدع روحه تملى عليه .

ولست — علم الله — أريد مالا من أولى الأمر أو عطاء ، ولا أبتغى من مجالستهم شرفاً ، فعندى من المال مايسد حاجتى ، ومن الشرف ما يكفينى ، وإنما آسف على قوة فىّ ، وفى أمثالى من حملة الأقلام ، تذهب هدراً ، وتضمحل ، والوطن يحتاج إليها ، وهى تستطيع أن تكسبه مجداً لا ينال بغيرها » ... انتهى كلامه .

***

فيا أيها الحاكمون! اذكروا أنكم تحتاجون إلى الأدباء ليكسبوكم الخلود ، وليفيضوا على أمجادكم الحياة ، أما هم فلا يحتاجون إليكم ، لأنهم يستطيعون أن يخلقوا بأدبهم ملوكا وأبطالا ، وينشئوا عالماً ، ويقيموا لأنفسهم وللناس دنيا ، إن تكن من الوهم ، فرب وهم أفعل فى نفس صاحبه من الحقيقة ، وأثبت من الواقع . ورب شخص (روائى) خرج من خيال أديب ، أحيا حياة ، وأظهر وجوداً من أشخاص اللحم والدم ، أسمعتم بعطيل ودون جوان وآرباجون ؟

وبعد فهذا دفاع عن الأدب ، لا عن الأدباء ، فاقبلوه أو لا تقبلوه ، إنما علينا أن نقول ، وقد قلنا .

على الطنطاوى

(١) بعنوان (دموع ودموع) العدد ٦٣٤ .

اللغة العـــــربية

الأستاذ وليم مارسيه

رئيس المعهد العالى للدراسات التونسية

كان لجزيرة العرب فى شعرها الجاهلى أدب من هذا النوع الذى نسميه كلاسيكياً ، وذلك منذ القرن السادس المسيحى، فى عصرلم تكن كبريات لغاتنا العصرية قدتجلت فيه بعد خصائصها. وإنما أعنى بالأدب الكلاسيكى مجموعة من الآثار الأدبية تبدو لك معبرة عن قصد سام بعينه ، وعن موقف خاص من مشكلة الحياة ومصير الإنسان ، وعن ضرب من الشعور والفهم فى لغة أحاطت بها كل العناية لوضع صناعة دقيقة راقية تامة الشروط . وكان أصحاب تلك القصائد القديمة ينطقون أحياناً بالحكم ؛ لكنهم قليلا ما كانوا يفكرون التفكير المنطقى أو يستنتجون ، بل تميل نفوسهم إلى الفوران مع شرارات متتابعة من الصور الخيالية والأمثال ، ومن صيحات الحب أو الغضب التى امتزج فيها العطف بالقساوة واقترن العطف بالعنف ، وإنما يجرى تنسيق الألفاظ فيها طبق نظرية خاصة للجمال الفنى يعتبر الإيجاز من أهم قواعدها . وأسمى غايات الشاعر أن يكون لكل بيت من أبياته من التفوق فى إيجاز العبارة ومتانتها ما يجعل قوله تسير به الركبان فيصبح كالمثل عند قومه والناطقين بلغته ، ومع ذلك فلم تكن تلك القصائد الشبيهة فى قوة طابعها بضرب النقود خالية من بعض الغموض ؛ إذ لكل لغة سرها الخاص بها . بفضله لا يخلو شعرها من هـذه الميزة والطابع الخاص ...

أما فى العربية ، فللعبارة من المتانة ما لا يبقى معه شىء يحجب مصدرها عن الناطق بها أو المستمع إليها ، وبذلك كان اللفظ فى اللغة العربية يذكرك بالأرومة التى اشتق منها . ولعل هذا الشعور العميق بالمصدر يفوق شعورك باللفظ عينه

فالعبارة العربية إذن كالمزهر ، إذا نقرت أحد أوتاره رنت لديك كل الأوتار ، وخفقت وهى تبعث فى نفسك زيادة عما لها من صدى خاص ، جميع الأصداء الخفية لكل ما ينتسب إليها من مفردات أو يلتحق بها ، ثم تحرك فى أعماق النفس من وراء حدود المعنى المباشر موكباً من العواطف والصور . وإذا نحن نظرنا إلى العربية من حيث الصناعة أدركنا فى غير عناء أن مسبك اللغة العربية فيه للشعر ومادته كنوز زاخرة لا تحصى وموارد ، فلقد كان نشوء هذه اللغة وتطورها مبنياً فى أعظم قسط من مفرداتها على التداول بين المقاطيع المقصورة والمقاطيع الممدودة

وإذن يجوز لنا القول بأن اللغة العربية ذات مقاطيع شعرية فى ذاتها ، فلا غرابة إذن أن يكون واضع علم النحو هو الذى ضبط تلك المقاطيع . أما الأوزان والتفاعيل الشعرية ، فإنها مؤلفة من مجموعة متأثرة بالصيغ الصرفية . وإن لهذا الاستعداد الشعرى العظيم آثاره القوية فى توجيه الآداب العربية ، فالرأى الغالب عند جميع الناطقين بالضاد فى سائر العصور أن الأدب شعر قبل كل شىء . لذلك كان مؤرخو الآداب العربية ونقادها يقتصرون من آثارها على فن الشعر أو يكادون ، فلئن كان قدامة قد أطلق على أحد كتبه اسم « نقد النثر » ، فهو على ذلك لم يعالج فى ثلاثة أرباعه غير الشعر . وهل الجاحظ قد روى معظم كلامه الذى استشهد به فى كتاب « البيان والتبيين » إلا عن الشعراء أو عن إخوانهم الخطباء ؟ وإذا كان بديع الزمان قد تردد فى الإذعان لما للجاحظ من فضل فى الميدان الأدبى ، فما ذلك كما قال ، إلا لأن الجاحظ وإن كان ناثراً بارعاً لم يكن إلا شويعراً ، وإذن فمن الواضح أن الذى لم تكن له الأسبقية فى صناعة الشعر ليس على حسب نظرية بديع الزمان برجل الأدب حقاً . وعلى ذلك فقد أحرز النثر فى القرون الثلاثة الأولى من الإسلام مكانه اللائق به ، ووافق ظهوره — مثل ما هو الشأن عند سائر الأمم — ما حصل من تقدم فى التفكير وطرائق البحث فى المواضيع العلمية .

وفى الواقع كان أهل صناعة التفكير المنطقى الاستنتاجى والفقهاء والمشرعون على اختلاف مذاهبهم ، هم الذين سبقوا غيرهم من الكتاب بتطور النثر على أيديهم . ويحكى أن « بلزاك » كان يحمل نفسه على مطالعة كتاب « القانون المدنى » ، فيراه على أسلوب لا يجارى فى الوضوح والاقتصاد والدقة . ولا أظننى مخطئاً إن قلت : إن عدداً لا يستهان به من رجال الشرع الإسلامى وأئمة الدين كانوا فى عدد كبار الكتاب . ألا نجد مثالا من ذلك عند الجاحظ ، وهو أكبر كتاب القرن الثالث الهجرى بلا منازع ؟

فليس من شك أن الجاحظ كان قبل كل شيء من رجالات الفقه الإسلامي ، فلقد انصرف فيما لا يقل عن نصف تآليفه إلى البحوث الدينية . وهل ينكر أحد أن كتاب « الحيوان » ، وهو أكبر تصانيف الجاحظ ، خاضع في جملته لشئون توحيدية ، إذ كان مصنفه يريد أن يستخلص من درس الطبيعة وبالخصوص من النظر في شؤون الحيوان ما يقوم حجة ناهضة لتأييد مذهب الاعتزال .

ومهما يكن من الأمر ، فلا مندوحة من الاعتراف بأنه قد تكون في القرن الثالث للهجرة نثر عربي يتصف بغزارة المادة وتنوع الأسلوب ، صالح للرواية وللجدال النظري معاً ، قادر على تتبع الفكرة والالتصاق بها في كل منعرجاتها ، وعلى أداء جميع دقائق المعنى . ولم تمض مائة سنة حتى زال هذا اللون من النثر العربي المتصف بانتقاء اللفظ واختياره وبانسجام عدد النغمات ، وقام مقامه النثر المسجع .

وفي الحقيقة لم يكن هذا النوع من النثر المسجوع زائراً جديداً في اللغة العربية ، بل كان عندها أسلوباً قديماً مألوفاً يرجع عهدها به إلى العصر الذي كان النثر فيه خطابياً أو شفاهياً على أقل تقدير إذ كان موجهاً في الحقيقة إلى السمع لا إلى النظر .

ويظهر أن هذا اللون من النثر المسجع قد قطع ثلاثة القرون الأولى من الإسلام يحيا حياة فاترة محدودة النطاق ، فلم يكن يستعمله إلا نفر قليل من الدعاة ، ولا تجد له من وراء ذلك أثراً إلا السجعة أو السجعتين يضيفها مشاهير الكتاب إلى جملهم المرسلة

فإذا ما حل القرن الرابع للهجرة أصبح هذا اللون من النثر هو الغالب وطغى على غيره وعم . وإذا به مستعمل في مواضيع من الأدب وأبواب لم يكن قد طرقها من قبل ، بل هو يمتد إلى ما وراء المواضيع ويقتحم إلى ما أبعد من الأبواب فيصبح متصرفاً في كامل الآداب النثرية أياً كان لونها ومهما كان غرضها سواء أكانت من آداب الخيال والقريحة ، أم من آداب التراسل ، أو من كتب الأخلاق ، أو من آداب الدواوين ، أو في المواضيع التاريخية ...

ولعل السبب في هذا التغلب القاهر راجع إلى ما كان مشهوراً في سائر الأوساط الأدبية من تفوق الشعر على النثر . وكان نثر ابن قتيبة ، وقد ظهر منبسطاً منسجم المفردات مرسلا ينظر إليه عند المولعين بفن الشعر كما ينظر إلى فتاة الأسطورة الفرنسية « ساندريون » ، فقد كانت تفوق أخواتها وأترابها جمالا وذكاء نفس ؛ إلا أن بساطة أخلاقها وتواضعها كانا يظهرانها في مظهر الفقر والخصاصة فكانت لذلك منبوذة . وقد بدا للمغرمين بالشعر أن هذا النثر المنبسط المرسل في حاجة إلى زينة وحلى ، وهكذا جعلوه نثراً مسجعاً

ومع ذلك ، فإنه يجمل بنا ألا نشدد الحكم على النثر المسجوع فهو الذي أمد العربية بعدد من جواهرها الأدبية ، وهو الذي أكسبها آثاراً فيها من جودة الصناعة ودقة النقش ما يجعلها مثالا تطبيقياً لقاعدة الفن المطلق الخالص ، أو ما يعرف عندهم بالفن للفن ... ولا يمكن مع ذلك نكران العراقيل الخطيرة التي انجرت من هذا النثر للعبارة الصحيحة الكاملة الموفية بحق المعنى بالقياس للنثر وجوهره . ولا يمكن أن نغفل عما كان لهذا النثر من سيء الأثر على الأسلوب ، فلقد جر له الفقر وحمل الكتاب على الاقتصار من أساليب الكتابة على الجمل القصيرة من شتات السجع ، فأفضى بعدد منهم إلى التضحية بالمعاني واللب في سبيل العناية بالشكل والأسلوب .

ولكن هذا النوع من النثر قد انقضى اليوم عصره وزال سلطانه . فلقد عادت الحرية المطلقة إلى النثر بفضل نهضة الآداب العربية التي بدأت منذ ثلاثة أرباع قرن تقريباً

وفي هذا الباب ذكر بعضهم مراراً عديدة ما للتأثيرات الأجنبية من فضل على هذه النهضة سواء من حيث الأسلوب وفن التعبير ، أو من حيث تجديد اللون الأدبي في ذاته ، واختيار المواضيع ، وهي عوامل لا يمكن نكرانها ، ولكنها لم تكن لتؤثر لو لم تصادف رغبة دفينة في الانبعاث ، وشوقاً إلى إحياء تراث عظيم قد وقف سيره: تراث القرنين الثاني والثالث من الهجرة. ذلك أن البشر والشعوب لا يقبلون من التأثيرات والعوامل في باب العبقرية إلا ما كان ملائماً للخلاصة الخالصة من عقليتهم مسايراً لما لها من حركة وتوثب . وباختصار لا يقتبس الناس من غيرهم ولا الشعوب من بعضها إلا ما كان حياً في قرارة أنفسهم متوثباً للوجود

٢ - الزندقـــة
فى عهد المهدي العباسى

« أيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله »

(من وصية إبراهيم الامام العباسى لأبى مسلم الخراسانى)

للاستاذ محمد خليفه التونسى

عرضنا فى المقال الماضى (الرسالة : العدد ٦٣٧) عرضا موجزا يسيرا ما كان من موقف الأمويين إزاء مخالفيهم فى الرأى والسياسة ، وعارضناه بموقف مؤسسى الدولة العباسية إزاء مخالفيهم فى الرأى والسياسة ، وبينا وجوه الخلاف بين الموقفين ، كما أوضحنا موقف هؤلاء وأولئك من العرب والفرس وما كان من اطمئنان الأمويين إلى العرب وحذر الآخرين من العرب والفرس معا وضرب كلا العنصريين بالآخر لسوء ظنهم بهما معا ، وأوضحنا أن

وها هو ذا اليوم النثر العربى قد تهذبت حواشيه واتضحت آياته وتم تجديده على أيدى الجيلين الأخيرين من الكتاب ، وبفضل ما بذله هؤلاء من جهود متواصلة ، وما صبروا عليه من جد وعمل ، فأصبح هذا النثر أهلا لأن يكون أداة تعبير لحضارة عصرية . وبلغ هذا المستوى من الرقى الذى به يتم تأليف الآثار الفنية الخالدة . وإنما نعنى بالآثار الفنية الخالدة آثاراً لها من قوة السبك ومن الامتلاء بالحقائق البشرية ما لا تنال منه الترجمة إلى اللغات الأجنبية أو تذهب به ؛ « فدون كيشوت » لمؤلفه « سرفانتاس » وكتاب « الحرب والسلم » لـ « تلوستوى » ، وكتاب « كيم » لـ « روديارد كبلنغ » كلها كتب قد حافظت فى نصوصها الفرنسية على أوفر قسط من جمالها وروعتها

وإنى أؤمل بكل قوة أن يأتى اليوم الذى يوجد فيه تصنيف لمؤلف عربى من المعاصرين ينقل إلى اللغات الأوربية فيقيم لأبناء الغرب الدليل على أن أبناء عدنان وقحطان قادرون مرة أخرى على تنمية كنز الفكر البشرى

وليم مارسيه [عن نشرة الدراسات العربية بالجزائر. ترجمة الزيات]

النعرة الفارسية ظهرت منذ فتح العرب فارس فى عهد عمر الذى لم يكن قتله إلا مؤامرة فرسية لكيد العرب ، وما كان من خوف تسلط الفرس على مؤسسى الدولة العباسية فدفعهم إلى الإفراط فى الاتهام والقتل لمجرد الشبهة ، وما كان من طموح الفرس إلى الاستقلال وتطلع أبى مسلم إلى السلطان حتى قتله المنصور ، وسوء ظن العباسيين حتى بوزرائهم وقتل كثير منهم مما أدى بخالد بن برمك إلى كراهة أن يسمى وزيرا تطيرا من القتل كما قتل قبله أبو سلمة الخلال ، وما كان من إسراف العباسيين فى الحجر على الحرية الفكرية خوفا على دولتهم من الانهيار ، وأن المنصور كان يحجر على حرية الرأى فى كل ما يمس الحكومة ونظمها ليس غير حتى ليحاسب الناس على ما فى ضمائرهم ويعاجل بالقتل كل خارج عليه ، بل كل من كان وجوده خطرا عليه ولو لم يكن يستحق القتل وما كان من عدم مراعاته فى ذلك حدود الدين ولا قواعد العرف العربى ولا العهود التى قطعها على نفسه . وقلنا فى ختام المقال : « فلما جاء ابنه المهدى سنة ١٥٨ هـ كانت الخلافة قد استتبت له فلم يكن يخشى ما خشى والده من الفتن على الدولة ولكن عهده لم يكن خاليا من فتن ذات طابع خاص يميزها من الفتن التى قامت فى عهد أبيه ، وقد جعلته هذه الفتن يتجه إلى الحجر على الحرية الفكرية فى عهده ولا سيما الزندقة ؛ إذ كانت الزندقة طابع هذه الفتن وعنوانها ، وهذا ما جعله دقيق الإحساس من ناحيتها ، كلفاً بمعاقبة من يتهمون بها إن صدقا وإن كذبا ، جدا فى البحث عن أتباعها فى كل مكان ، فإذا وجدهم حبسهم حتى على ما فى ضمائرهم وعاقبهم بالظنة كأبيه ، ولو لم يجد من أعمالهم ولا أقوالهم مستندا للتهمة فضلا عن مبرر للتعذيب والقتل ، أما فيما عدا الزندقة فكان المهدى حياله سمحا كريما ، ولذلك تفصيل سيأتى بيانه إن شاء الله » .

ولتفصيل ذلك لا بد من بيان الحوادث التى حملت المهدى على تشدده فى عقاب الزنادقة ، وبيان صفاته النفسية والفكرية التى جعلته يتخذ أسلوباً خاصاً فى النظر إلى هذه الزندقة وهؤلاء الزنادقة . ولابد من عرض بعض المحاكمات التى جرت بينه وبين كبار الزنادقة والتهم التى وجهت إليهم أثناءها حتى قضى فيها بالقتل أو بغيره . ولابد لنا مع هذا كله من أن ننظر نظرة ربط إلى أمرين مترابطين بوجودهما هما الزندقة والشعوبية أو الوطنية الفارسية إذ لا حيلة لنا فى فهم

الزندقة فهما صحيحا ما لم ننظر إليها مرتبطة بهـذه الشعوبية الفارسية التى كانت السبب الأهم فيما قام فى فارس من ثورات على الخلفاء من العرب أو حروب استقلالية ، فلم تـكن تلك الفورات المتتابعة إلا لطلب استقلال الفرس الذى انتزعه العـرب منهم ، ومحاولة التخلص من السيطرة العربية ولا سيما بعـد أن زاد الاضطهاد ورأى الفرس بأعينهم أنهم قادرون على هزيمة العرب بما جرى بين الفريقين من وقائع انتصر فيها الفرس على العرب ومنها المعـارك التى كانت بين الجيوش الخراسانية وجيوش الأمويين وانتصار الأولين وهم فرس على الآخرين وهم عرب ، ولقد كان ما كان من ضياع أمل الفرس فى العباسيين بعد أن مكنوا لهم دولتهم ، وجحودهم الذى ظهر فى قتـل المنصور أبا مسلم ، وإخماده ثورة تلميذه سنباذ الذى ثار للمطالبة بثأره حين ثار عليه فى سنة ١٣٧ ﻫ وهى سنة مقتله[١] ، وما كان من قمع المنصور الراوندية حـين خرجوا عليه لقتله فى الهاشمية سنة ١٤١ ﻫ وقد كانوا على رأى أبى مسلم فى زعمـه تناسخ الأرواح ، وادعوا أن ربهم الذى يطعمهم ويسقيهم هو المنصور ، وأن الهيثم بن معاوية أحـد ولاته هو جبريل[٢] ، ولا بد لنا من النظر بعد ذلك فى عقائد فارس المانوية والمزدكية لفهم الآراء التى كانت تتوج هذه الفتن ولا سيما فتنتى الزنادقة المحمرة والمبيضة فى عهد المهدى ، وتحديد معنى الزندقة كما تآراها المهدى والمعانى الآخر التى كانت ذائعة فى ذلك العصر لـكلمة الزندقة وكانت تطلق على كثير ومع ذلك ظـلوا بعيدين عن العقاب بل ظلوا فى كنف الدولة ينالون خيراتها ويحتمون بها بل يلون ولاياتها من الخلفاء ويقودون جيوشها مع الثقة والتقدير ، ولا بد من الإشارة إلى دسائس البلاط ومكايد السياسة والتنافس بين رجال البلاط وما كان لـكل ذلك من الخطر فى إشاعة التهمة بالزندقة والعقاب عليها على ما سنفصله إن شاء الله .

ونـكتفى فى القول فى ثورات الزنادقة بعرض موجز لأخطر ثورتين ظهرتا فى عهدى المهدى : إحداهما ثورة الزنادقة المبيضة فى خراسان وقـد ظلت نحو عامين[١] وثانيتهما ثورة الزنادقة المحمرة بعدها وقد تم إخمادها بسرعة ويسر ، فقد كانت هاتان الثورتان هما اللتين وجهتا نظر المهدى إلى الزندقة وجهة خاصـة وصبغتا عهده بها صبغة خاصة مما لم يكن له قبله مثيل . وها نحن أولاء نلخص أخبارهما مما كتب كل من الطبرى وابن الأثير فى تاريخه : ظل المنصور يدبر ملـكه قرابة اثنتين وعشرين سنة[٢] (١٣٦ — ١٥٨ ﻫ) وقد توفى فى يوم السبت سادس ذى الحجة سنة ١٥٨ ﻫ ببئر ميمون محرما وهو يقوم بشعائر الحج[٣] وقـد تولى الخلافة بعده ابنه المهدى ولم تمض بضعة أشهر من سنة ١٥٩ﻫ أو من خلافة المهدى حتى فوجىء بثورة سوان فى خراسان هى ثورة الزنادقة المبيضة فاضطرب لها ملـكه وزلزل زلزالا شديدا[٤] . ذلك أنه خرج فى خراسان فى هذه السـنة (١٥٩ ﻫ) رجل من الفرس يسمى هاشم بن حكيم وهو المعروف فى التـاريخ بالمقنع الخراسانى لأنه كان يضع على وجهه قناعا من الذهب ليخفى به دمامة وجهه ولم تـكن ثورته كثورة غـيره انتقاضا على الدولة لاستبدال خلافة بخلافة أو الثأر لقبيلة من قبيلة أو نصر جيل على

---

(١) الطـبرى ج ٩ ص ١٦٩ ، وابن الأثـير ج ٥ ص ١٩٥ ، والخضرى ص ٥٦ — ٦٠ ، ودائرة المعارف الاسلامية : المادة : أبو مسلم وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى ج ١٠ ص ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١١ .

(١) الطبرى ج ٩ ص ٧٣ — ١٧٥ ، وابن الأثير ج ٥ ص ٢٠٣ والخضرى ص ٧٥ .

---

(١) لم أجد من حملها غير ذلك وإن اختلف فى وقتها فهو عـند الطبرى من سنة ١٦١ إلى ١٦٣ وعند ابن الأثير من ١٥٩ إلى ١٦١ ﻫ وعند حسن خليفه فى كتابه : الدولة العباسية من ١٥٨ إلي ١٦٠ ﻫ .

(٢) الطبرى ج ٩ ص ٢٩٣ ، وابن الأثير ج ٦ ص ٦ ، والخضرى ص ٨٥ ، وتاريخ بغداد ج ١ ص ٦٥

(٣) الطبري ج ٩ ص ٢٩٢ — ٢٩٣ ، وابن الأثير ج ٦ ص ٦ ، والخضرى ص ٨٥ ، والأستـاذ حسن خليفه : الدولة العبّاسية ـ قيـامها وسقوطها (الطبعة الأولى) .

(٤) يبدأ الطبرى بذكر هذه الثورة فى أخبار سنة ١٦١ ﻫ وينتهى بذكرها فى أخبـار سنة ١٦٣ ﻫ (الطبرى ج ٩ ص ٣٣٨ ، ٣٤٣) ويبدأ ابن الأثير بذكرها فى أخبار سنة ١٦ ﻫ (ابن الأثير ج ٦ ص ١٤ ١٨ ، ١٩) وقد سكت الخضرى عن توقيتها عند كلامه فيها (الخضرى ص ٨٨) ويذهب الأستاذ حسن خليفة فى كتابه (الدولة العباسية ص ٥٤) إلى أنها كانت بين سنتى ١٥٨ و ١٦٠ ﻫ ، وقد رجحت رأى ابن الأثير على رأى الطبرى لأن المهدى بدأ بالعقاب على الزندقة فى أوائل سنة ١٦٠ ورجحته على رأى الأستاذ حسن خليفة لأن المهدى ولى الخلافة فى ذى الحجة سنة ١٥٨ ﻫ ، ولم يذكر الأستاذ مصدره الذى نقل عنه هذا التوقيت ، ولهذا كان التسليم برأى ابن الأثير أسلم وأوفق للوقائع بين المهدي والزنادقة حتى كما رواها الطبرى والخضري وابن الأثير نفسه

جيل[١] بالقوة فحسب ، بل كانت إلى جانب محاولة التخلص من الحكم العربي لفارس ثورة ذات آراء خاصة فى الدين والكون : كانت نزعة عنصرية فارسية بدليل أنها قامت فى خراسان ، والقائمين بها من الفرس ، وكانت ترمى لأخذ الثأر من الخليفة والعرب جميعا : فقد كان المقنع يقول بتناسخ الأرواح وأن روح الله ظهرت فى آدم ثم انتقلت إلى نوح وهكذا إلى أبى مسلم[٢] ثم المقنع نفسه ، فهو إذن يدعى الربوبية لنفسه[٣] ، وهذا ما لم يزعمه ثائر قبله لنفسه ، ومن أجل ذلك كانت ثورته ذات طابع خاص يميزها من الثورات التى تقدمتها وإن اتفقت معها فى كثير من الغايات . ومن أجل ذلك أيضا كان من الحزم والفطنة أن ينظر إليها الخليفة المهدى نظرة خاصة تمتاز عن نظراته إلى الخارجين عليه من طلاب الملك والمغانم وغيرهم .

نهض المقنع يدعو من حوله إلى الإيمان بربوبيته والأخذ بتعاليمه فى خراسان وما وراء النهر فاستغوى بشرا كثيرا من الصغد وبخارى وسمرقند وأتراك بحر قزوين ، وامتد نفوذه فى تلك البقاع النائية ونبه أمره ، وكان أتباعه يسجدون له من أى النواحى كانوا ، وكانوا يقولون فى الحرب : « ياهاشم أعنا » وتحصنوا فى قلعة بسيام وسنجردة وهى من رساتيق كش فيما وراء النهر[٤] ، وأعانه كفار الأتراك فأغاروا على المسلمين ، وكان يعتقد أن أبا مسلم أفضل من النبى عليه السلام ، ويدعى أنه يقتل قاتليه ، واجتمع مع من والوه بكش وغلبوا على بعض قصورها وعلى قلعة نواكث وحاربهم أبو النعمان والجنيد وليث بن نصر من ولاة المهدى فى إقليم خراسان وما وراء النهر مرة بعد مرة فلم ينالوا منهم شيئا ، وقتلوا حسان بن تميم ومحمد بن نصر وغيرهما من الولاة . وعندئذ لاح الخطر على الدولة للمهدى فعبأ جيوشه ووجه بها إلى المقنع يقودها أبرع قواده فعجزوا عن إخضاعه : ومن هؤلاء معاذ بن مسلم واليه على خراسان ومعه عقبة بن مسلم وجبرئيل بن يحيى وأخوه يزيد وليث بن نصر بن سيار مولى المهدى . ولقد اشتغل هؤلاء بقتال المقنع وزنادقته المبيضة الذين كانوا ببخارى فقاتلوهم أربعة أشهر فى مدينة بومجكت ونقبوها عليهم وقتلوا منهم سبعمائة ، ولكن منهزميهم لحقوا بالمقنع فكانوا له قوة ، ولقد تبعهم جبرئيل بن يحيى بعد أربعة أشهر فى القتال بلا جدوى . وكان ممن سيرهم المهدى إلى المقنع قائده أبوعون فلم يبالغ فى قتاله . واستمرت الحرب بين جيوش المهدى وجيوش المقنع نحو سنتين حتى عيل صبر المهدى ولقى المسلمون منه بلاء عظيما ، وكان المهدى أثناءها يبعث بقواده على جيوشه مجتمعين ، وفى نهاية الأمر أرسل معاذ بن مسلم وجماعة من القواد والعساكر وعلى مقدمته سعيد الحرشى ، وأتاه عقبة بن مسلم من زم فاجتمع به بالطواويس وأوقعوا بأصحاب المقنع ، وأتى معاذ بعد سعيد فحاربهم ، ولكن كل أولئك لم ينزل الهزيمة الساحقة بالمقنع وجيوشه . وجرت فى نهاية الأمر جفوة بين القائدين سعيد الحرشى ومعاذ بن مسلم فكتب سعيد إلى المهدى يقع فى معاذ ويضمن له أن يكفيه المقنع إن أفرده بالقيادة فأجابه المهدى إلى ما طلب ، فبدأ يطارد المقنع ويضيق عليه ويحاصره وإذ ذاك شعر المقنع بالخطر فبدأ يجمع الأقوات والأسلحة عدة للحصار ، ولكن سعيداً ضيق عليه الحصار حتى أيأسه من النصر والحياة والمقنع محصور فى قلعة كش ، فلما أحس بالهلكة شرب سما وسقاه نساءه وأهله فمات وماتوا جميعا ، ودخل المسلمون قلعته واحتزوا رأسه ووجهوا به إلى المهدى وهو بحلب .

ولقد عرف المقنع الخراسانى هاشم بن حكيم وأتباعه بالزنادقة المبيضة لأنهم اتخذوا اللباس الأبيض شعارا لهم[١] .

---

(١) الجيل هو الأمة فيقال الجيل العربى والجيل الفارسى بمعنى الأمة العربية والأمة الفارسية ، وليس معناه العصر

(٢) يلاحظ فى هذه السلسلة ظهور اسم أبى مسلم وهو فارسى ، ويلاحظ معه ما كان من مطامعه وقتل المنصور إياه ، فهذه الثورة كان المقصود منها التخلص من الحكم العربى ، والثأر لأبى مسلم

(٣) ذلك يدل على أن من أغراضها خلع الاسلام .

(٤) المراد به نهر جيحون أو أموداريا ، وكان هناك إقليم من أقاليم الدولة الاسلامية منذ ظهور العباسيين يسمى إقليم المشرق ، قسم منه شرق نهر جيحون ويسمى ما وراء النهر (بالنسبة لعاصمة الدولة : دمشق أو الهاشمية أو الكوفة أو بغداد أو هيطل) ، والثانى غربى جيحون ويسمى خراسان

---

(١) الطبرى ج ٩ ص ٣٣٨ ، ٣٤٢ ، وابن الأثير ج ٦ ص ١٤ ، ١٨ ، ١٩ ، ومحاضرات الخضرى بك ص ٨٨ وحسن خليفه فى كتابه : الدولة العباسية ـ قيامها وسقوطها ص ٥٤ ـ ٥٥ .

هذه هى الصدمة الأولى من صدمات الزنادقة التى أصابت الدولة العباسية فى عهد المهدى فاضطربت لها دولته جميعا وتتابعت لها الزحوف إثر الزحوف نحو سنتين حتى أخمدتها بعد لأى شديد وإسراف كثير فى الأرواح والأموال ، ولم يكن المهدى قبل ذلك إلا عالما أقوى العلم بخطر إقليم المشرق فمنه انبعثت الجيوش الخراسانية التى دكت المملكة الأموية دكا ، وأسلمت الخلافة للعباسيين ، وما كان المهدى ليجهل خطر الفرس وما أنزل بهم العرب من بلاء طوال مدة بقائهم فى الأقاليم الفارسية ، ولا حقد الفرس على العرب وتربصهم بهم الدوائر ، وما كان من قتل أبى مسلم ومطامعه وثورة تلميذه وتابعه سنباذ ثم ثورة الراوندية ، وما كان ليجهل الدوافع القريبة والبعيدة التى أثارت هذه الفتن ؛ ولم يكن ينقصه سوء الظن والدهاء وقد كان الأمران من أهم الأركان فى سياسة الدولة العباسية منذ عهد السفاح بل قبله إلى عهده هو (المهدى)[١]

أما الثورة الثانية فقد جاءت إثر الأولى بعام واحد تقريبا[٢] وإن لم تبلغ من القوة ما بلغت الأولى ولم تكلف المهدى من الأموال والأرواح والمتاعب ما كلفته تلك : قامت هذه الثورة فى المشرق أيضا (وهكذا المشرق دائما) فى ولاية جرجان شرقى بحر قزوين ، وكان القائمون بها يعرفون بالزنادقة المحمرة لأنهم اتخذوا اللباس الأحمر شعارهم ، ولا خلاف بين الطبرى وابن الأثير فى أن هذه الثورة كانت سنة ١٦٢ هـ[٣] ، بل تكاد كلمتاهما تتحد فى الرواية . قال ابن الأثير فى أخبار سنة ١٦٢ «وفيها خرجت المحمرة بجرجان عليهم رجل اسمه عبد القهار فغلب عليها وقتل بشرا كثيرا فغزاه عمر بن العلاء من طبرستان فقتله عمر وأصحابه[٤]»

وقد انتشرت تعاليم طوائف الزنادقة بين الناس فيما وراء النهر وخراسان والولايات الفارسية الغربية والشمالية ، وتسربت أيضا إلى العراق ، وكانت تعاليمها مزيجا من فلسفة مانى واشتراكية مزدك كما سنفصله إن شاء الله ، فهب علماء المسلمين ممن اشتغلوا بعلم الكلام يردون على هذه التعاليم . ولقد كان لتعاليم الزنادقة بعدئذ وقبلئذ أثر عظيم فى نظريات علم الكلام واتجاهاته بل اتجاه الفكر الإسلامى كله حينذاك وفى أقوال الشعراء الفرس ، حتى لا نستطيع أن نفهم بعض مذاهب المتكلمين وأقوال بعض الشعراء وبعض اتجاهات الفكر الإسلامى بل كلها فى ذلك العصر إلا إذا درسنا حركة الزندقة . ولا حيلة لنا كما قدمنا فى فهم معنى الزندقة بل معانيها المختلفة مالم ندرس حركة الشعوبية التى ظهرت كما قدمنا منذ وطئت أقدام العرب أرض فارس فى عهد عمر بن الخطاب ولم تظهر فى غيرها من البلاد التى فتحها المسلمون كمصر واليمن والشام وبلاد المغرب وموعدنا بذلك المقال التالى إن شاء الله .

محمد خليفة التونسى

تصويب :

فى مقالنا الأول (الزندقة فى عهد المهدى العباسى) المنشور بعدد الرسالة ٦٣٧ وقع خطأ فى إسم أبى سلمة حفص الخلال فكتب فى صفحة ١٠١٣ أبو حفص سلمة الخلال ، وفى صفحة ١٠١٤ أبو سلمة وصوابه – كما قلنا – أبوسلمة حفص الخلال كما يفهم من الأبيات التى نقلناها هناك ، ومنها :

شرب الكأس بعد حفص سليما ... ن ودارت عليه كف المدير

(١) راجع مقالنا الأول فى الرسالة – العدد ٦٣٧ وعنوانه (الزندقة فى عهد المهدي العباسى) .

(٢) و (٣) الطبرى ج ٩ ص ٢٤٢ ، وابن الأثير ج٦ ص ٢١ . وقد ذكر كلا المؤرخين هذه الثورة في أخبار سنة ١٦٢ هـ ، ولكن يلاحظ أن الطبرى – كما تقدم – يذكر أن ثورة الزنادقة المبيضة بدأت سنة ١٦١ هـ وانتهت سنة ١٦٣ هـ فعنده أن ثورة الزنادقة المحمرة قامت أثناء قيام ثورة الزنادقة المبيضة ، ويلاحظ أن ابن الأثير يذكر – كما تقدم – أن ثورة الزنادقة المبيضة بدأت سنة ١٥٩ هـ وانتهت سنة ١٦١ فعنده أن ثورة الزنادقة المحمرة بدأت بعد ثورتهم بسنة واحدة تقريبا ، وذلك ما أخذنا به ، لأنه لا مفر لنا منه بعد أن رجحنا فيما سبق رأى ابن الأثير على رأي الطبرى فى توقيت الثورة فجعلنا مبدأها سنة ١٥٩ هـ ونهايتها سنة ١٦١ كما رأى ابن الأثير

(٤) ابن الأثير ج ٦ ص ٢١ .

الشباب الخالد

توطئة دراسات فى الأدب والنقد

للأستاذ جورج سلستى

ليس شباب العمر ما أعنى ، وعمر الشباب كعمر الورود سرعان ما تبلوه الحياة بالأعاصير فيذوى !

ولا الربيع — شباب الطبيعة — وهو ما إن يرود رونقه النضر حتى تصوّحه لافحات السمائم !

ولا شباب الدول ذوات الحول والطول وهو مهما يطل لابد له أن يدول ! فالخريف كامن فى أعقاب هذه جميعاً وإنما ثمة شباب لا يدركه خريف : شباب لا يعروه الهَرَم ولا يدبُّ إليه وَهَن الكبير .

شباب غيسانى ، أبدى السنى والرواء ، دائم الوضاءة والحسن ، يعدو الزمن العصيب فما يطاوله بحدثانه ، ويدور الدهر الحريب فما يديل من ريعانه !

شباب يزدرى بسطوة العفاء ، ويهزأ بعاديات الفناء ، لأنه ينبض أبداً بمضاء القوة وعزة الحياة وزهو الخلود !

شباب شاخت الدول وباد منها ما باد ولم تدل دولته . واندرست جلائل المعالم كما عفت روائع الآثار وهو أبداً ريّق الصبا يطاول بعزته السماء ويتحدّى بخلوده الأزل !

ذلكم الشباب المؤبد هو شباب الفن الرفيع ، شباب الأدب : يَهرَمُ الكون وهو غضٌّ وتبلى جدَّةُ الدهر ، وهو زاهٍ نضيرُ ، وليس كالأدب ما يتخطى هامات الأجيال بأبهةٍ وجلال ، محتفظاً بسحره الأخاذ وروعته القدسية . وإن العلم ليتبدّل من حال إلى حال ، بل إن من نظرياته ما انقلب رأساً على عقب بتقدم العصر وارتقاء الفكر ، وإن ما كان يحسب فيه حقيقة ثابتة لا مراء فيها فى جيل ، نقضه الجيل الذى تلاه . وقد ينقض العلم غدا ما يبرمه العلماء اليوم ، فى حين أن نفثات هوراس وهوميروس وفرجيل ودانتى وملتون والمعرى وشكسبير وأترابهم من الشعراء والأدباء الأفذاذ لتجد فيها النفوس فى اليوم الحاضر ما وجدته من قبل نفوس الأمس البعيد الغابر من متعة ولذة وأنس ، ولسوف تتناقلها الأفواه فى مؤتنف الأيام كما كانت تتناقلها الألسن فى سالفات الأعوام ، ولسوف يظل يتلو الناس آيات الشعر والأدب ما دام فيهم من تستهويه لفتات الخاطر المشبوب، وومضات الذهن المتوقد ، وعذوبة المنطق المعسول، وستنشد أهازيج الهوى التى تغنى بها سليمان الحكيم كما تتلى غزليات ابن المعتز ووجدانيات ابن زيدون ؛ وإن العالم ليستمتع بها — على قِدَم العهد — كما يستمتع بروائع دى موسه، وبدائع لامرتين ، وطرائف الأخطل الصغير ، وستبقى أبدا نزهة الأرواح ومتعة النفوس ما دام للناس قلوب تخفق ، وأكباد تحن ، ومُهَج تتشوّق .

وتقدير الأدب ليس بالبدعة المستحدثة فى التاريخ ، فقد عرف الأقدمون له جلال القدر ورفعة المنزلة فبوّأوه حرمات التقديس . ومن البدائه المأثورة أن العرب فى الجاهلية كتبت على القباطى بماء الذهب مختاراتها من روائع الشعر الحى وعلقتها بالكعبة تقديرا لها وتعظيما .

وإن الأغريق قد كتبوا بالذهب على جدران معبد أثينا فى لنوس القصيدة العصماء التى قالها بندار زعيم الشعر الغنائى فى مدح دياجوراس (١)

وهل كان الملوك والأمراء يبذلون المال والهبات على الشعراء الأفذاذ بمثل ذيالك السخاء العظيم لولا طمعهم فى خلود الذكر فى القصائد الرنانة التى كانت على ألسنة الناس كالمثل الشرود ؟ !

وإنها والله لصفقة خاسرة للشعر أن تشترى روائعه الخالدات بمتاع منفوق .

يروى التاريخ عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه قال لبعض أولاد سنان ممدوح زهير بن أبى سلمى :

« أنشدنى بعض مدائح زهير فى أبيك » فأنشده . فقال عمر : « إنه كان ليحسن فيكم القول » فقال ابن سنان : « ونحن كنا نجزل له العطاء » . فقال عمر قوله المأثور الخالد : « قد ذهب ما أعطيتموه وبقى ما أعطاكم ! » .

ألا طيب الله ثراك يا أمير المؤمنين وكرَّم مثواك . فقد زكيت

(١) تاريخ الأدب العربى للأستاذ الزيات نقلا عن لاروس .

الفن الرفيع بشهادتك الخالصة التي أدَّبها لوجه الحق مختارا. فشتان بين ما يذهب كالزبد جفاء وما يمكث في الأرض ويبقى ما كرَّ الجديدان .

وبعد . فسرّ خلود الأدب قائم في كونه رسائل الأرواح في جلاء الحق والحب والخير والجمال، ومرآة تتجلى فيها سرائر النفوس ونزعات الأهواء ، فهو لذلك من خصائص كل أمة في كل جيل رهفت في بنيها الأحاسيس وذكت الخواطر ، وسمت الأرواح . وإن نفس كل امرىء لتظل تهفو إلى الأدب الماتع والفن الرائع ما دامت طليقة من إسار المادة وجشع الأثرة وعبودية الروح . وما ركود الأدب في عهد من عهود التاريخ إلا دليل على فقدان القيم الروحية لدى أبناء ذلك العهد المشؤوم . وما ازدهار الأدب في حقبة من الحقب إلا دليل الشعور بالكرامة ، وصقل النفس ، ورهف الحس ، وسمو الروح والتقرب من بلوغ الكمال . فإن أعوز المصلح أن يتعرف إلى مقدار التهذيب عند شعب من الشعوب ، وأين هو من كرم الخلق فليسبر مدى تذوق بنيه للأدب الرفيع ، فقد كان الأدب الرفيع وسيبقى أبد الدهر مقياس الرقى عند الأفراد والأمم على السواء .

ولئن كانت النفوس تنزع بطبيعتها للشرور وتميل للغرور فإن الفنون — على أنواعها — كفيلة بالتلطيف من حدة النزوات وقمينة بتنمية الفضائل ، وإن الأدب من الفنون بنوع خاص يصقل النفوس ، ويرهف منها الأحاسيس ويحبب إليها الشهامة والإباء والعزة والنبل .

ولقد كان الخلفاء في الإسلام كما كان الملوك والأمراء في الجاهلية يوصون الآباء بتثقيف البنين الشعر والأدب لتسمو أخلاقهم وتدمث طباعهم . وقد بلغ من إعجاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب « بلامية العرب » للشنفرى الشاعر العدّاء المشهور أن قال :

« علموا أولادكم لامية العرب فإنها تعلم مكارم الأخلاق » .

وقال أيضاً رضى الله عنه :

« تعلّموا الشعر فإن فيه محاسن تبتغى » .

ولله درّ من قال :

وما هو إلا القول يسرى فتغتدى   له غُرَرٌ في أوجه ومواسمُ
ولولا خلال سنها الشعر ما درى   بناةُ المعالى كيف تُبنى المكارمُ

وقال الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه :

« الأدب حلى في الغنى ، كنز عند الحاجة ، عون على المروءة ، مؤنس في الوحدة ، تعمر به القلوب الواهية وتنفذ به الأبصار الكليلة ويدرك به الطالبون ما يحاولون » .

وقال معاوية بن أبى سفيان :

« اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر دأبكم فما حملتني على الإقامة ليلة الهدير بصفين وأنا أريد الهرب لشدة البلوى إلا أبيات عمرو بن الأطنابة التي يقول فيها :

أبت لى همتى وأبى بلائى   وأخذى الحمد بالثمن الربيح
وإقحامى على المكروه نفسى   وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت   مكانك تحمدى أو تستريحى
لأدفع عن مآثر صالحات   وأحمى بعد عن عرض صحيح

وهل الأمجاد لولا الأدب الحى إلا أطلال ؟

فلقد مرت بتاريخ البشرية عصور يذكر فيها الفاتح واللعنة في أثر اسمه على الأفواه ، والحاكم الداهية وبسمة الامتعاض والاشمئزاز تعلو الثغور ، والسياسى الأريب وأمارات النفور تبدو على الأسارير ، وذلك لأن أمجاد هؤلاء جميعاً لم تقم إلا على الدم المطلول أو الوعد الممطول أو العرض المبذول ، ولقد دالت هاتيك الأمجاد ولم يبق إلا مجد الأدب . ألا رحم الله ابن الرومى القائل :

« أرى الشعر يحيى الناس والمجد بالذى   تبقيه أرواح له عطرات
وما المجد لولا الشعر إلا معاهد   وما الناس إلا أعظم نخرات »

تلكم هى منزلة الأدب في النفوس ومكانته في القلوب ، وذلكم أثره البعيد في الناس .

فلا غرو إذن أن يخلد على الدهر ولا بدع أن يسلم على الزمن ! وكيف لا يظل غض الإهاب بيان يستروح فيه الناس أعراف الجنة وأنسام الخلد ، ويرون فيه ربيعاً سرمدياً منضر الجنبات ، منور الحواشى ؛ بيان سمح ينفس عن القلب المكروب ، ويروح عن الفكر المجهود ، ويمتع النفس اللاغبة ، ويسمو بالروح من حضيض الغبراء إلى ذرى الجوزاء ويحلق بها في دنيا غير الدنيا وعالم غير هذا العالم . دنيا زاخرة بأطياف الأمانى الغرر والأحلام الوضاء . وعالم رحب الأجواء ، نير الرؤى ، رخى النفحات ، عباق النسمات

ســــجون بغداد

زمن العباسيين

للأستاذ صلاح الدين المنجد

- ٢ -

(ز) العيارون ، اللصوص ، المجرمون

وكان العيارون واللصوص وقطاع الطريق يودعون السجن [(١)] وقد سجن المأمون نفراً منهم كبيراً . وقتل آخرين [(٢)] ، وذكر ابن المعتز أن إسحق بن خلف ، وكان أحد الشطار الذين يحملون السكاكين قتل غلاماً فحبس بذلك ؛ فما فارق الحبس حتى مات [(٣)] .

(١) آدم متز : ج ٢ ص ١٦٥

(٢) تاريخ بغداد لابن طيفور ص ١٧٨

(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ١٣٨ .

وذكر ابن الجوزي أن المعتمد حبس ثلاثة من الجند لأنهم سرقوا [(١)] . وأنه وجدت في خلافة المطيع امرأة قد سرقت صبياً ، فشوته في تنور وهو حي ، وأكلت بعضه ، وأقرت بذلك ، وذكرت أن شدة الجوع حملها على ذلك . فحبست مدة ، ثم ضربت عنقها [(٢)] .

وكان الأطباء الذين يغلطون فيودون بحياة الناس يحبسون . فقد حبس الطبيب النصراني خصيب لأنه سقى محمد بن أبي العباس السفاح شربة دواء فمرض منها ومات وبقي في حبسه حتى مات [(٣)] .

(ط) الشعر ، الضحك ، الغناء

وقد يسجن الإنسان لأسباب حقيرة لا شأن لها . فتحدثنا كتب الأدب أن أبا العتاهية سجن مرة لأنه قال :

(١) المنتظم لابن الجوزي ج ٥ ص ١٢٤

(٢) » » » ج ٦ ص ٣١٧

(٣) عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ص ١٤٨

بالأرج المحيي والشذى المعطار .

وهل الدنيا إلا صحراء لاهبة واحتها المخضلة هبات الفن السامي ونتاج العبقرية الخلاقة ؟ !

وهل العيش لولا تلكم النفثات العذارى التي يطرف العالم بها أرباب الفن وعباقرة الأدب إلا الشقاء الحرور ، والعناء الفادح والوصب الممض ؟ !

كان الحسن البصري يقول ما مؤداه :

الدنيا كلها ظلمة إلا مجالس الأدباء ، ومساجلات العلماء ، ومطارحات الشعراء .

ألا قدّس الله سرك يا حسن ، يا مجتلي النور في البيان السمح والمنطق المعسول .

« اسمعوا أيها الناس وعوا » على حد تعبير خطيب العرب وحكيمها وحكمها قس بن ساعدة الأيادي .

إنما الأدب عصارة القرائح وفيه تتجلى خلاصة الثقافات ، وإنه لمستودع الحكمة والحكمة يا كرام الناس كرسالات الأنبياء من وحي السماء وما توحيه السماء لا يموت . وهل تعوزكم الأدلة والبينات وبين أيديكم الكتب المنزلة تهتفون بآياتها الساحرة آناء الليل وأطراف النهار ؟

تلك الآيات التي تخشع عند تلاوتها النفوس خشعة الإكبار والإجلال والتقدير لهيمنتها على المشاعر واستحواذها على العقول والألباب حتى لكأنها السحر ، بل إنها لكذلك وإن من البيان لسحراً .

سبحان رب العرش وتعالت كلمتك . ما كان قولك الحق ليحتاج إلى الأيمان البالغة تؤيده لولا أن في الناس أدعياء مارقين كالوليد بن المغيرة ينكرون نعمتك ويكذبون آياتك ويقولون عنها ضلة وزيفاً « إنها أساطير الأولين » فأقسمت -- وبالرهبة القسم العظيم « ن ، والقلم وما يسطرون » . تثبيتاً لبيانك الخالد وتنويهاً بالقلم وبأربابه رافعي علم حكمتك السامية بين الناس . وحكمتك هي الحق اليقين التي بها يهتدون .

أشهد اللهم أنك أنت الشاعر الأعظم ، وأن أنبياءك المرسلين الأطهار أئمة الشعراء ، والأدباء أجمعين .

وأشهد أن للفن شباباً غضيراً يتحير في قسماته النورانية ماء الخلود .

(بيروت)

جورج سلستي

ألا إن ظبياً للخليفة صادني وما لي عن ظبي الخليفة من عذر[١]

وسجن مرة ثانية لأن الرشيد أمره أن يتغزل وهو معه في الرقة ، فأبى[٢] وكان معه إبراهيم الموصلي ؛ وكان قد أمره أن يغني ، وقد مات الهادي فأبى أيضاً ، فحبسه وقال: لا يخرجان حتى يغني هذا ويشعر ذاك[٣] .

ويذكر الشابشتي صاحب كتاب الديارات خبراً يدعو إلى العجب والإعجاب في آن معاً . قال : خرج إسحاق بن إبراهيم من عند المأمون ، حتى إذا صار إلى الدهليز الثاني وقف ، ووقف القواد والناس لوقوفه . ثم قال : أين خليفة علي بن صالح ؟ وكان على ذلك الوقت صاحب أمر الدار والمرسوم بالحجبة . فأتى خليفته فضربه مائة مقرعة . ثم قال : الحبس . ثم قال : هاتوا خليفة صاحب البريد ، فأتي به ، فضرب مائة مقرعة . ثم قال : الحبس. ثم دعا بعلي بن صالح ، وبصاحب البريد ، وقال لهما : تقلدان خلافتكما في دار الخلافة من يضيع الأمور ويهملها ... كنتما بهذا الأدب أحق من هذين ! فقالا : وما كان من أمرهما الذي أنكرته أيها الامير ؟ قال : صاحب بريد ، يقعد في دار الخلافة فيضحك ويقهقه ، وصاحب الدار جالس لا ينكر ... ! »[٤] .

وفي جميع هذه الأسباب ذكرت كتب الأدب أخباراً أخرى أخذنا منها ما يقوم به الدليل على ما ذهبنا إليه ، ولم نعمد إلى التطويل .

أنواع السجون

نستدل مما اطلعنا عليه من النصوص أنه كان في بغداد أنواع منوعة من السجون . فهناك المطبق وهو حبس مظلم كبير ، كان المنصور قد بناه بين طريق البصرة وطريق باب الكوفة . وباسمه سمي الشارع الذي يقع هذا السجن فيه . وكان متين البناء قوي الأساس . وبقي أهم سجون بغداد حتى عهد المتوكل »[٥] . وكان فيها سجن آخر عند باب الشام ، إذا ذكروه قالوا : السجن الذي عند باب الشام وكان يهاجم دائماً . وكان عليه عثمان بن نهيك ، وقتل في فتنة الراوندية[١] فلما كان زمن المعتصم أمر أن يبني حبس في بستان موسى ، كان القيم به مسروراً مولى الرشيد . يقول التنوخي « وكان هذا البناء يرى من دجلة إذا ركبها المرء وكان كالبئر العظيمة ، قد حفرت إلى الماء أو قريب منه ، وفيها بناء على هيئة المنارة مجوف من باطنه ، وله من داخله مدرج قد جعل في مواضع من التدريج مستراحات ، وفي كل مستراح شبيه بالبيت ، يجلس فيه رجل واحد ، كأنه على مقداره ، يكون فيه مكبوباً على وجهه ، وليس يمكنه أن يجلس ولا يمد رجله[٢] » .

ثم بنوا سجناً آخر سموه السجن الجديد . وكان موضعه إقطاعاً لعبد الله بن مالك[٣] وبقي حتى جاء معز الدولة فهدم سوره سنة ٣٥٠ ، ونقل آجره إلى داره وبنى به[٤] ، وفي سنة ٣٥٥ كتب إلى طاهر بن موسى أن يبني موضع الحبس المعروف بالجديد مارستاناً[٥] .

ولا نستطيع وصف ما فيها على التفصيل ؛ وإنما نعلم أنها كانت ذات أقسام ، فحبس للزنادقة ، وحبس للعوام ، وحبس للنساء ، و ...

وكان في المطبق الغرف الواسعات والضيقة . وكان فيه الآبار يسجن فيها . حدث يعقوب بن داود وزير المهدي قال حبسني المهدي ، وذلك في المطبق . فدليت بحبل في بئر مظلمة لا أرى فيها الضوء[٦] قد بنيت عليها قبة ، فكنت فيها خمس عشرة سنة[٧] .

وربما سجنوا في أماكن ومحال أخرى . فقد سجن سليمان ابن وهب في كنيف قال : فأخذني اسحق (بن ابراهيم ، صاحب الشرطة) وحبسني في كنيف ، وأغلق على خمسة أبواب . فكنت لا أعرف الليل من النهار[٨] ، وسجن المحسن بن أبي الحسن بن الفرات في كنيف داخل الحجرة ، ودلوا في بئره رأسه

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٢٧٦
(٢)و(٣) الأغاني : ص ٤ ، ٥ ج ٥
(٤) الديارات للشابشتي (مخطوط) : دير مديان .
(٥) بغداد في عهد الخلافة العباسية : لسترانج ص ٣٤ .

(١) ابن خلدون : ج ٣ ص ١٨٦
(٢) الفرج بعد الشدة للتنوخي ج ١ ص ١١٩
(٣) تاريخ بغداد للخطيب ص ٨٧
(٤) المنتظم لابن الجوزي ج ٧ ص ٢
(٥) المصدر السابق ج ٨ ص ٣٣
(٦) الفخري ص ٢٢١
(٧) الفرج بعد الشدة ج ١ ص ١٤١
(٨) المصدر السابق ج ٧ ص ٣٤

بعد أن قيد وألبس جبة صوف غمست بالنفط[١] . وربما سجنوا في الحجر الضيقة المظلمة ، حدث أبو الحسن بن أبي الطاهر قال : قبض محمد بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب في وزارته للقاهر بالله ، على أبي وعليّ معاً فحبسنا في حجرة من دار ضيقة ، وأجلسنا على التراب[٢] .

وكان الحبس الذي سجن فيه المهدي إبراهيم الموصلي مكاناً شبيهاً بالقبر مملوءاً بالأفاعي والبق[٣] . ولما سير المنصور جماعة من أبناء علي إلى الكوفة حبسوا في سرداب تحت الأرض ، لا يفرقون فيه بين ضياء النهار أو سواد الليل[٤] .

وربما سجنوا في دار منفردة ، كما فعلوا بأبي العتاهية لما طلب إليه الرشيد أن يتغزل فأبى ومنعوا دخول من يريد إليه .

ويذكر ابن الجوزي أن القاهر بنى المطامير ليحبس الجند فيها[٥]

***

وأناس آخرون كانوا لا يسجنون في هذه المحال . فقد كانوا يحبسون من يخافون عليه عند الوزراء . كما سجن عبد الملك بن صالح عند الفضل بن الربيع لما غضب الرشيد عليه[٦] ، وكما سجن ابراهيم بن المهدي بعد القبض عليه وقبل العفو عنه ، عند أحمد ابن أبي خالد[٧] . وربما أودعوا عند من يثق الخليفة به ، كما فعل الرشيد عند ما سجن موسى بن جعفر بدار السندي بن شاهك[٨] .

وكانوا يتخذون قصور الخلفاء سجوناً في بعض الأحايين . فقد حبس المستعين بن المعتصم ، المعتز والمؤيد ابني المتوكل في حجرة من حجرات الجوسق الكبير[٩] . ويقول استرانج إن الخلفاء « اتخذوا دار الشجرة التي شيدها المقتدر ، حبساً رسمياً ، وضموا فيه أقرب أقربائهم احتياطاً من أعمالهم . وجعلوا في خدمتهم عدداً من الغلمان والخدم . وجهزوه تجهيزاً تاماً بوسائل الرفاهية والنعيم ، ومنعوهم من تخطي أسواره[١] .

ويذكر ابن الجوزي أن القاهر حبس في دار السلطان مدة إحدى عشرة سنة ، من (٣٢١ – ٣٣٣) ، ثم أخرج إلى دار ابن طاهر ، فكان يحبس تارة ويخلى تارة[٢] .

ومنذ القرن الرابع أخذوا يسجنون عند القهرمانات . فقد سجن ابن الفرات عند زيدان القهرمانة[٣] ، وسلم إليها أيضاً الامير الحسين بن حمدان ، والوزير علي بن عيسى[٤] .

في السجن

لا نعلم الكثير من أحوال السجناء في بدء العصر العباسي ؛ على أننا نورد لك ما كتبه أبو يوسف للرشيد عن المساجين لنصور لك ما كانوا عليه . فقد طلب أبو يوسف أن يؤمر بالتقدير لهم ما يقوتهم في طعامهم وأدمهم ؛ وأن يصيّر ذلك دراهم تجرى عليهم ، وتدفع في كل شهر إليهم « فإنك إن أجريت عليهم الخبز ذهب به ولاة السجن والقوّام والجلاوزة . وول ذلك رجلا من أهل الخير والصلاح يثبت أسماء من في السجن ممن تجرى عليهم الصدقة ، وتكون الأسماء عنده . ويدفع ذلك إليهم شهراً بشهر . يقعد ويدعو باسم رجل رجل ، ويكون الإجراء عشرة دراهم في الشهر لكل واحد ، وليس كل من في السجن يحتاج أن يجرى عليه » . ثم طلب أن تكون كسوتهم في الشتاء قميصاً وكساء ، وفي الصيف قميصاً وإزاراً ، وأن يجرى على النساء مثل ذلك ، وهذا يدلنا على سجن النساء ، وكسوتهن في الشتاء قميص ومقنعة وكساء ، وفي الصيف قميص وإزار ومقنعة .

(يتبع) صلاح الدين المنجد

(١) تاريخ الوزراء للصابيء : ص ٢٤٣
(٢) الفرج بعد الشدة : ج ١ ص ٥٢
(٣) الأغاني : ج ٥ ص ٥
(٤) مروج الذهب : ج ٢ ص ٢٠٠
(٥) المنتظم لابن الجوزي ج ٦ ص ٢٦٤
(٦) الطبري حوادث سنة ١٨٧ ج ١١
(٧) تاريخ بغداد لابن طيفور : ص ١٨٥
(٨) الفخري لابن طباطبا : ٢٣٣
(٩) الطبري حوادث سنة ٢٤٨

(١) بغداد في عهد الخلافة العباسية : استرانج : ص ٢٢٠
(٢) المنتظم ج ٦ ص ٢٦٥
(٣) كتاب الوزراء للصابي ص ١٠٥
(٤) آدم متز ج ١ ص ٢٤٣ نقلا عن العيون والحدائق (مخطوط ص ١٨٥ . برلين رقم ٩٤٩١

العالم الجديد

للأستاذ زكريا إبراهيم

عصرنا الحاضر عصر مضطرب ثائر ، لا نكاد نجد له مثيلا فى التاريخ الغابر . فنحن نواجه اليوم حالة لم تعرفها الأجيال الماضية لأننا نحيا فى عالم جديد يعج بالمشاكل المعقدة والمسائل الصعبة . وهذه الحالة التى تفرضها علينا مقتضيات هذا العصر ، هى وليدة التطور الذى لحق الحضارة الإنسانية الحديثة . فليس من شك فى أن علينا أن نكيف أنفسنا مع العالم المتغير الذى نحيا فيه ، على ضوء المعارف التى نحصلها من الحركة العلمية المستمرة . والمعرفة هى — وحدها — التى استطاعت أن تغير معالم الكون ، فلابد لنا إذن أن نعتمد على المعرفة ، حتى نستطيع أن نحقق التوافق بيننا وبين البيئة الجديدة التى نعيش فيها .

غير أن الخوف قد يقف حائلا دون مواجهة الموقف الحاضر فى صراحة وقوة ؛ فإننا نخشى أن تقتادنا النظرة الجديدة للكون إلى الخروج عن معتقداتنا المألوفة وأفكارنا السابقة ، ولكن هذا الخوف نفسه دليل قوى على أننا نشك فى صحة تلك الأفكار والمعتقدات ، ومن ثم فإننا نخشى أن نفحصها على ضوء الحقائق الجديدة والمعارف الحديثة . وإذن فالخوف ليس إلا مظهراً للشك والجهالة ، وبالتالى فإن من واجبنا أن نطرحه جانباً إذا أردنا أن نكون مخلصين لروح العصر .

لقد أصبحت الشجاعة أول ضرورة من ضرورات هذا العصر فإن قيام العالم الجديد رهن بما أوتينا من شجاعة وقوة وإقدام . وليس من واجب المفكر أن يرتد فزعاً أمام تلك التيارات الرجعية التى قد تثور فى وجهه ، بل إن عليه أن يجهز بكلتا يديه على تلك الجِيَف الحية ، لكى يقذف بها فى زوايا التاريخ !

وإنها لمسئولية خطيرة تلك التى تقع على عاتقنا اليوم ؛ فقد مضى ذلك العصر الذى كنا فيه نعتمد على القوى المجهولة والمصادر الخفية فى استقاء معارفنا ومعلوماتنا . وليس علينا الآن إلا أن نعتمد على نفوسنا ونفكر لذواتنا ، فى كل المسائل التى تواجهنا ؛ وما أكثر هذه المسائل !

إن أسلافنا كانوا يتوهمون أنهم قد عرفوا كل شىء منذ الولادة حتى ما بعد الموت ؛ أما نحن فقد أصبحنا لا ندرى ماذا يحدث بعد الغد ! ومما لا ريب فيه أن للحرية الفكرية تكاليفها ؛ فإنها ترفع تلك اليد التى تقود زمامنا ، لكى تسلمنا إلى أنفسنا ، وهنا يكون علينا أن نبحث كل شىء من جديد ؛ ولكن لا كما يبحث الأعمى الذى يمسك بيده آخر ، بل كما يبحث المبصر الذى يتحقق من كل شىء بنفسه .

ولن يكون فى وسعنا أن نحل المسائل كما كان يحلها أسلافنا لأننا لن نطمئن إلى تلك الحلول السريعة التى تثب إلى المطلوب دون بحث واستقصاء . بل إن حلاًّ ما ، مهما كان من صحته ودقته لن يكون حلا نهائيا حاسماً ، ما دامت معارفنا فى تزايد مستمر وتقدم دائم …

أما النزعة اليقينية التوكيدية ، فإنها لن تجد موضعاً فى العالم الجديد … وكيف يمكن أن توجد مثل هذه النزعة فى عالم يرى أناسه الحقائق كما هى ، لا كما يقول بها مذهب معين أو رأى خاص ؟

إن العالم الجديد هو عالم الفكر الحر ، والبحث النزيه ، والخير العام . فلن يشهد فجر الغد حجراً على التفكير ، أو ميلا إلى الطعن والتشهير ، أو سعياً إلى الخراب والتدمير — وما دامت تلك الأصنام التى طالما تنابذ الناس من أجلها ، لا بد أن تندك يوماً ، كما اندكت عروش أصحابها ، فلا بد أن يأتى ذلك اليوم الذى يشرق فيه فجر الحضارة الإنسانية الصحيحة

ومن واجبنا الآن أن نعمل على هدم تلك الأصنام التى تعوق مجىء ذلك اليوم . حقاً إن الإنسانية طالما حرقت البخور لها ، وعفرت الجباه أمامها ، ولكنها قد أخذت تدرك اليوم أن من واجبها أن تهوى بمعولها على تلك الأصنام جميعاً ، فتأتى عليها عن آخرها — وما هذه الأصنام إلا الجهل ، والتعصب الذميم ، والنعرات القومية الفاسدة !

ولن يقوم فى العالم سلام ، إلا إذا كان ذلك فى أرجاء الأرض قاطبة ، ولن يكون ثمة رخاء ، إن لم يكن ذلك رخاء عاماً ، ولن يشرق فجر العالم الجديد ، إذا لم يعم نوره الشرق والغرب والشمال والجنوب !

فليعلم إذن أولئك الذين يرجون قيام عالم جديد تسود فيه الحرية والطمأنينة والرخاء ، أن عليهم أولا أن يقوضوا تلك الأصنام القديمة ، حتى يقيموا على أنقاضها بنيان العالم الجديد المنشود !

زكريا إبراهيم

من قصص جحا

٣ـ الغريق الناجي

للأستاذ كامل كيلاني

« صفحة مختارة من المخطوط الجحوى النفيس الذى عثرت عليه ، ولعله مكتوب بخط صاحبه « أبى الغصن عبد الله دجين ابن ثابت » الملقب بجحا أو بخط أحد معاصريه » .

« ... منذ مائتين وألف من السنين كان « عبد الله دجين ابن ثابت » يسير خارج المدينة وقد ساد الظلام السكون ، فكاد يحجب الطريق عن العيون ، لولا بصيص ضئيل من ضياء النجوم ، كانت ترسله السماء إلى الأرض ، كما يرسل الرجاء نوره إلى ظلمات النفس ، فيكشف من يأسها الحالك ، ويفتح لها طريقا نيراً تسلكه فى ظلمات الحياة .

وساد الصمت وخيم السكون لولا نقيق الضفادع المرحة ، منبعثا من ضفة النهر . وجلس « عبد الله دجين » هادىء النفس مطمئنا ، برغم ما لقيه فى ذلك اليوم من الكوارث والأحداث . ولولا أن بعض ما حل به من المصائب قد أصاب غيره لما وجد العزاء إلى نفسه سبيلا ، ولضاقت عليه الدنيا بما رحبت ، ودارت به الأرض قائما .

تسألنى ماذا لقى « دجين » من النكبات . فاعلم — حفظك الله ورعاك وسلمك من كل سوء — أن بعض الأشرار قد أحرق بيته . وأن الزمن تنكر له فاستهدفت أسرته للجوع والمرض . ولم يكد أصحابه يرون ما حل به من الملمات حتى هجروه وابتعدوا عنه بعد أن كانوا يتوددون إليه ويلتمسون معونته . وانقبضت أيديهم عنه بعد انبساطها ، فلم تمتد إليه بالمساعدة يد واحد من أصدقائه وأصفيائه الذين كان يدخرهم للنوائب ويستبقيهم للشدائد ولم يكن ينقصه شىء ليكون أتعس خلق الله إنسانا .

ولولا عطف جارته « زبيدة » المحسنة على زوجه وولديه لهلكوا جوعا ، ولكن الله لطف بهم فسخرها لهم لتتعهدهم فى أيام النحس والشقاء .

وقد لقى « دجين » تلك الخطوب والنكبات باسم الثغر وضاح الجبين ، مملوء القلب بنور اليقين . ولعلك تدهش إذا قلت لك إنه كان يشعر فى تلك الليلة بطمأنينة وثقة لا حد لهما .

وكانت الضفادع قد سكتت حين رأته قدما عليها ، فلما استقر به الجلوس على ضفة النهر ، عاودتها الشجاعة ، فأنست به واطمأنت إليه ، وأقبلت عليه وقد استولت عليها البهجة فراحت تقفز فى الفضاء وترفع أصواتها بما تملكه من قبيح الغناء .

وأحس « أبو الغصن » صوت جسم يسقط فى الماء ، وسمع استغاثة خافتة ضعيفة تنبعث فى أثر الصوت طالبة النجدة والغوث .

فخف « دجين » إلى النهر ، واندفع إلى مكان الغريق حتى إذا داناه ، أسرع اليه ، فألقى بنفسه إلى الماء فى غير تردد ولا وجل ، وما زال يسبح جاهدا حتى عثرت يداه بطرف ثوب فأمسك به وجذبه إليه . وما زال به حتى أنقذ صاحبه من الغرق وحمله إلى الشاطىء .

وما كاد يتأمل وجه ذلك التاعس المشرف على الغرق ، بعد أن كتب الله سلامته على يديه ، حتى أبصر شيخا زرى الهيئة مغمى عليه . وما لبث الشيخ أن أفاق من غشيته فشخص إلى « دجين » بعينين صغيرتين يظللهما حاجبان كثيفان ، ثم قال له بصوت متهدج يكاد يختنق من البكاء :

« شكرا لك يا أخى ، على ما أسديته إلى من صنيع ، لقد خاطرت بحياتك لتنقذ حياتى ولولا ذلك لكان الهلاك نصيبى .

على أننى لا أدرى — على التحقيق — أجميلا صنعت معى أم قبيحا ؟ ولا أعلم اليقين من أمرى : أخيراً صنعت بى أم شراً ؟ »

فقال « دجين » : « أكنت تقصد عامدا إلى إغراق نفسك هذه الليلة ؟ »

فقال الشيخ : « أستغفر الله ! ذلك ما لا يدور ببال عاقل كريم ! لقد زلت قدمى وأنا أمشى على الجسر فهويت إلى النهر ، وحملنى التيار فى ظلام الليل الحالك ، فكنت لولاك من المغرقين »

فقال « دجين » : فما بالك تندم على نجاتك ، ولا تحمد الله على سلامتك ؟ »

فقال الشيخ فى أسلوب حزين يفيض مرارة واكتئابا : الحمد لله على كل حال ! فإن كل ما ينالنا من خير أو شر مقدر

علينا لا حيلة لنا فى دفعه ، ولا سلطان لنا عليه » قال « دجين » « فما يحزنك من الدنيا ؟ »

قال الشيخ : « مثل لنفسك شيخا مثلى ماتت أسرته جميعا : زوجه وأولاده وبناته وإخوته وعشيرته ، وأقاربه الأدنون والأبعدون ، فأصبح فى شيخوخته يعيش بلا أسرة ، ولا يجد فى العالم كله قلبا يهفو إليه أو يعطف عليه ، ولا يظفر بمورد يعيش منه ، وقد حمل من أعباء السنين سبعين . كيف يكون شعور مثل هذا الرجل الفانى إذا هيأت له المصادفة أن يغرق ، ثم كتبت له السلامة مرة أخرى ؟ أتراه يسعد بذلك أم يشقى ؟ وهل يبتهج باسترداد حياته ؟ أم يأسف لخلاصه ونجاته ؟ إن للفتى والشاب — من أمثالك — آمالا كباراً يسعيان إلى تحقيقها والظفر بها فإذا بلغا ما بلغت من السنين وذرف (أى : زاد) على السبعين فأى أمل يبقى لهما فى الحياة ، وأى مطلب يسعيان له ويتمنيانه ؟

فقال « دجين » يناجى نفسه فى صوت خافت : « ما بال هذا الشيخ يستنكر البقاء ويلعن الحياة ! »

وكان سمع الشيخ مرهفاً ، فلم تفلت منه تلك الهمسة ، فقال لدجين قولة الواثق المتثبت مما يقول : « كلا — ياصاحبى — لا تسىء ظنك بى فما أنا بمبغض للبقاء ولا كاره للحياة ! كلا لا أستنكرها كما ظننت ، ولا ألعنها كما توهمت ! بل أنا أحتقر من يفعل ذلك أشد الإحتقار . وقد عشت طول حياتى مؤمنا بالله مستسلما لقضائه وقدره ، مفوضاً أمرى له . يقبض روحى متى اقتضت إرادته ذلك . ولم يمنعنى ذلك عن السعى فى مناكب الأرض فى طلب الرزق . ولكنها تأوه محزون ، وكلمة حمقاء سبقت إلى لسانى فنطق بها فى ساعة يأس ، دون أن يتدبر عقلى مغزاها ، أو يتثبت فكرى من معناها !

ثم أطرق الشيخ ، وكأنه خجل مما فاه به لسانه من كلمات الخور والضعف فطأطأ رأسه برهة . ولكن « دجينا » قطع صمته عليه حين سأله :

« من الرجل ؟ » فقال : « أنا لعلع بن دعدع » وكنيتى « أبو شمشع » . خبرنى أنت ما بالك منفردا فى مثل هذا الوقت وفى مثل هذه الصحراء الموحشة ؟ وما بالك تؤثر العزلة والانفراد فى ظلام الليل ، كأنما تفر من أبناء جنسك ! ولئن صحت فراستى فما أنت بسعيد فى حياتك قط » . فقال « دجين » : « كلا — يا صاحبى — فإن السعادة لم تفارق نفسى قط ، وما أذكر أنى شعرت بالتعاسة يوما واحدا طول عمرى ، على كثرة ما أصابنى من المحن والمصائب والآلام ؛ فإن الحزن والسرور — فيما أرى — يتعاقبان على الإنسان كما يتعاقب عليه الليل والنهار .

ولو أردنا أن نستديم السرور أو الحزن لعجزنا عن ذلك كما يعجز من يحاول أن يستديم الليل أو النهار . ألا ترى كيف تتعاقب علينا الفصول الأربعة فى أثناء السنة : فتمر بنا صيفا يتلوه خريف ، وشتاء يتلوه ربيع ؟

كذلك يتعاقب علينا الحزن والفرح ، والانقباض والانبساط ، واليأس والرجاء ، والشدة والرخاء ، والعسر واليسر ، والفقر والغنى ، والظلمة والنور ، والمرض والصحة » .

فقال الشيخ : « ما سمعت فى كلامى أحسن من حديثك ، ولا أحكم من رأيك . ولئن صح ظنى ليكونن لك شأن عظيم فى حياتك وبعد مماتك . فمن تكون أيها السيد الكريم ؟ » .

فقال : « أنا عبد الله دجين بن ثابت » ، وكنيتى : أبو الغصن ، ولقبى : جحا » .

فقال لعلع : « وما صناعتك ؟ »

فقال دجين : « كنت بالأمس ، تاجرا كبيرا يشار إليه بالبنان ، ولكن حريقا شب فى بيتى ومخزنى — منذ أيام — أتى على كل ما أملك من أثاث وبضائع ، فلم يبق لى — مما ملكت — كثيرا ولا قليلا . ولقد تداركنا الله بلطفه ورحمته ، فسلم كل من فى الدار : سلمت زوجى وولدى وابنتى . فشكرا لله على لطفه بنا . ولقد كدنا نهلك جوعا لولا جارتنا الكريمة التى مدت إلينا يد المعونة ، وتكفلت بإطعام زوجى وولدى .

أما الجانى الذى أوقد النار فى بيتى ومخزنى فقد فر ، ولم يقف له أحد على أثر :

فقال الشيخ لعلع : « لقد أنستنى مصائبك — ياأبا الغصن — كل ما لقيت فى حياتى من أحداث وآلام . ثم ارتعش جسم الشيخ ، فقال وهو يصرف نابه[1] : « كيف تكون الدنيا

---

(١) أى يحك ضرسه فيسمع له صوت

إذا خلت من أهل المساعدة والعون من كرام المحسنين » .

فظن « دجين » أن الشيخ يتحف مثله ألما . لالتصاق ثيابهما المبتلة بأعضاء جسميهما . وحسبه يستجديه المعونة فقال : « دعنا من حديث الأحزان ، فليس منه فائدة ، وسينقضي وقت الشدة — إذا صبرنا لها — ثم يعقبها وقت الرخاء ، فتنسينا بهجته جميع ما كابدناه من مصائب وآلام ، ومتى صبر الإنسان لجهد نازلة أصابته ، ووطن نفسه على احتمالها وابتسم للكوارث والنكبات غير هياب ولاوجل ، لم تلبث أن تنجلي عنه وينساها كما نسي غيرها من المصائب والآلام . والعاقل هو من يرضى بأحكام القضاء ، فلا يستسلم للضعف ، واثقا أن لكل شدة مدة ثم ينقضي معها ، فإذا صمد لها غلبها وانتصر عليها . ثم صمت قليلا ، واستأنف حديثه قائلا : هلم يا أبا شمشع فتبعني إلى داري فإنك واجد فيها — على ضيقها — مكانا تأوي إليه ، وسنحضر لك بعض الحشائش والأعشاب توقدها لتجفف ثيابك المبتلة .

فأطرق « لعلع » لحظة ، ثم قال لدجين « قبلت ضيافتك ، يا أبا الغصن ، ولعل الله — سبحانه — يوفقني ذات يوم إلى أداء هذا الدين الجميل إليك » .

فقال « دجين » : « إن في صنع المعروف لذة يتضاءل أمامها كل جزاء مهما عظم ، وتصغر بالقياس إليها كل مكافأة مهما جلت . وحسبي سرورا أن يمكنني الله من القيام بواجب الضيافة ، دون نظر إلى جزاء أو شكر .

إن خير ما يكافأ به المحسن — ياسيدي — هو شعوره بأنه أدى واجبه ، وفرحه بقدرته على فعل الجميل ، وحسب الطيب مكافأة له أنه طيب . هلم فاعتمد ذراعي واتكىء عليها لتساعدك على السير » .

فقال « لعلع » : « ما أبعد نظرك ، وأحكم رأيك ، وأصدق نيتك ، وأسلم طويتك ! إني لأتنبأ لك بالفوز والفلاح في الدنيا والآخرة . وسيتولى الله — سبحانه — حمايتك ، ويخلد على مر الزمان اسمك وسمعتك ، ويسخر لك الإنس والجن لمعاونتك وخدمتك ، ويجعلهم طوع مشيئتك ، ورهن إشارتك » .

ثم مشى كلاهما في ضوء النجوم المتألقة في السماء ، يلفهما ظلام الليـل ، ويؤنسهما نقيق الضفادع ، ويحوطهما الله برعايته ، ويكلؤهما بعنايته .

كامل كيلاني

الحـكاية الأزليـــة

للأستاذ إيليا أبو ماضي

[أخرج الأستاذ نجدة فتحي صفوة مدرس اللغة العربية بكلية بغداد ، الحلقة الأولى من سلسلة الشعراء المعاصرين التي اعتزم صياغتها ، وهي كتاب لطيف الحجم في (إيليا أبو ماضي والحركة الأدبية في المهجر) ألم فيه إلمامة بليغة حسنة بأدب إخواننا العرب المهاجرين إلى أمريكا ، ونوه بمزاياه وخصائصه ، ثم دل على مكانة أبي ماضي منه ، وذكر طرفاً من حياة الشاعر وطرفاً من أدبه في أسلوب بليغ وعرض مشوق . وقد ختمه بهذه القصيدة الجديدة لأبي ماضي ، كما افتتحه بمقدمة نفيسة للأستاذ روفائيل بطي عميد الصحافة العراقية في وجوب العناية بتراجم المعاصرين وتسجيل أخبارهم وآثارهم . والكتاب ومقدمته من خير النماذج لأدب العراق الحديث] .

نوطئة

كان زمان ، لم يزل كائنا وحالة . ما برحت باقيه

مل بنو الإنسان أطوارهم وبرموا بالسقم والعافيه

فاستصرخوا خالقهم واشتهوا لو أنه كونهم ثانيه

وبلغت أصواتهم عرشه في ليلة مقمرة صافيه

فقال : إني فاعل ما اشتهوا لعل فيه حكمة خافيه

وشاهدوه هابطاً من علٍ فاحتشدوا في السهل والرابيه

من القرى الكئيبة العارية والمدن الضاحكة الزاهيه

تألبوا من كل صوب كما تجتمع الأمطار في الساقيه

يسابق الصعلوك رب الغنى والأبله الباقعة الداهيه

ويدفع الشيخ التوق عوده وصار مثل الرمة الباليه

فتى مضى الفجر ولما تزل روعته في وجهه باقيه

وتزحم الحسناء ممكورة خلابة كالروضة الحاليه

دميمة تشبه في قبحها مدينة مهجورة عافيه

فقال رب العرش : ماخطبكم ، ما بالكم صرخاتكم عاليه ؟

هل أصبحت أرضكم عاقرا أم غارت الأنجم في هاويه ؟

أم أقلع الماء فلا جدول وماتت الطير فلا شاديه ؟

أم فقدت أعينكم نورها أم غشيت أرواحكم غاشيه ؟

أين الهوى ، إن لم يكن قد قضى فكل جرح واجد آسيه

الفتى

قال الفتى : يا رب إن الصبا ... مصدر أحزانى وآلامى
ألبستنيه مونقاً بعد ما ... أبلاه أخوالى وأعمامى
وصار فى مذهبهم عصره ... فترة زلات وآثام
فاختلفت حالى وحالاتهم ... كأننى فى غير أقوامى
وصرت كالجدول فى فدفد ... أو شاعر ما بين أصنام
والأخضر المورق فى يابس ... أو مثل صاح بين نوام
دنياهم دنياى ... لكنما ... أعلامهم ليست كأعلامى
عندهم الروضة أشجارها ... والروض عندى الزهر النامى
والطير لحم ودم عندهم ... وليس عندى غير أنغام
سكرى بها أو بالندى والشذى ... وسكرهم بالخمر فى الجام
يسخر قلبى بلياليهم ... ويسخر الدهر بأيامى
كأننى جئت لتبكيتهم ... كأنما جاءوا لإيلامى
عبء على نفسى هذا الصبا ... الجائش المستوفز الطامى
يزرع حولى زهرات المنى ... وشوكها فى قلبى الدامى
فان ... له فى كل فان هوى ... فان ... ولا ينجو من الذام
خذه ... وخذ قلبى وأحلامه ... فإننى أشقى بأحلامى
ومر يمر الدهر فى لحظة ... كانطيف ... أو كالبرق قدامى
وازرع نجوم الشيب فى لمتى ... فينجلى حندس أوهامى
وأبصر الحكمة فى ضوئها ... إنى إليها جائع ظامى

الشيخ

وجاء شيخ حائر واجف ... مشتعل اللمة بالى الإهاب
كأنما زلزلة تحته ... لما به من رعشة واضطراب
فصاح : يا رباه خذ حكمتى ... واردد على عبدك عصر الشباب
إن أمانى الروح أزهارها ... وإن روحى اليوم قفر يباب
لا جدول لا بلبل منشد ... بلى . بها الوحشة والاكتئاب
تلك الأمانىُّ ... على كذبها ... لم تكن اللذة فيها كذاب
زالت وما زلت ... وإن الشقا ... أن تطمس الآى ويبقى الكتاب
وتسلب السرحة أوراقها ... ولم تزل أعراقها فى التراب
قيل لها فى البحر كل المنى ... فلم تجد فى البحر إلا الضباب

كنت عنياً فى زمان الصبا
وكنت صفر الكف صفر الوطاب
صحوت من جهلى فأبصرتنى ... كأننى سفينة فى العباب
نأت عن الشط ولم تقترب ... شبراً من السر الذى فى الحجاب
ولو ترجى أوبة لاشتفت ... لكنما عز عليها الإياب
مر تقف الأيام عن سيرها ... فإنها تركض مثل السحاب
وضع أمامى لا ورائى المنى ... وطوّل الدرب وزد فى الصعاب
ما لذتى بالماء أروى به ... بل لذتى فى العدْ وخلف السراب

الحسناء

وقالت الحسناء : يا خالق ... وهبتنى الحسن فأشقيتنى
وجهى سنى مشرق إنما ... مرعى عيون الخلق وجهى السنى
حظى منه حظ ورد الربى ... من عطره الفواح والسوسن
ومثل حظ السرو من فيئه ... والطير من تغريدها المتقن
ومثل حظ النجم من نوره ... فى الحندس المعتكر الأدجن
للقائل الفىء ... وللسامع ... التغريد ... والزهرة للمجتنى
والنور للمدلج والمجتلى ... والدر للغائص والمجتنى
كم ريبة دبت إلى مضجعى ... مع الجمال الرائع المكمن
إن عشقت نفسى فويل لها ... والويل لى إن زجل حبى
السم والشوك وجمر الغضا ... أهون من كاشحة الألسن
كم تقتفينى نظرات الخنا ... وبلى من خائنة الأعين
لم يبق فى روحى من موضع ... يا رب لم يخدش ولم يطعن
إن الغنى فى الوجه لى آفة ... فليت أنى دمية ليتنى

الجارية

وسكتت ... فصاحت الجاريه ... باكية من بؤسها شاكيه :
ذنبى إلى هذا الورى خلقتى ... فهل أنا المجرمة الجانيه ؟
إن أخطأ الخزاف فى جبله الـ ... طين ، فأى الذنب للآنيه ؟
أليس من يسخر بى يزدرى ... بالقوة الموجدة البارية ؟
لو كنت حسناء بلغت العلى ... فللجمال الرتبة العاليه
وبات من أسجد قدامه ... صاغرة يسجد قداميه
فإننى فى ملأ ظالم ... أحكامه جائرة قاسيه
ليس لذات القبح من غافر ... وفيه من يغفر للزانيه ...

نفسى جزء منك يا خالق   وأنها عاقلة راقيه

أليس ظلماً وهى بنت العلى   إن تك بالقبح إذن كاسيه ؟

فليكن الحسن رداء لها   ترفل به أو فلتكن عاريه

الصعلوك

وأقبل الصعلوك مسترحما   فى مقلتيه شبح اليأس

يصرخ يا رباه حتى متى   تحكم الموسر فى نفسى

وتضع التاج على رأسه   وتضع الشوك على رأسى

ويشرب اللذات من كأسه   وأجرع الغصات — من كأسى

وتنجلى النجوم فى ليله   ضاحكة كالغيد فى عرس

ويتوارى فى نهارى السنا   أو يتبدى حانق الشمس

يا رب لا تنقله عن أنسه   ولكن انقلنى إلى الأنس

فإن تشأ ألا يذوق الهنا   قلبى فجردنى من الحس

لو لم يكن غيرى فى غبطة   ما شعرت روحىَ بالبؤس

الغنى

وقال ذو الثروة : ما أشتهى   لا أشتهى أنىَ ذو ثروة

أنفقت أيامى على جمعها   وخلتنى أدركت أمنيتى

فاستعبدتنى فى زمان الصبا   وأوقرت بالهم شيخوختى

قد ملكتنى قبلما حزتها   وملكتنى وهى فى حوزتى

كنحلة أمسكها شهدها   من الجناحين فلم تفلت

حسبتها تكسبنى قوة   فافترست قوتها قوتى

جنت على نفسى وأحلامها   جناية الشوك على الوردة

ينمو فتذوى فهى عليقة   يحذرها الطائف بالروضة

من قائل عنى لمن خالنى   امرح من دنياى فى جنة

لا تنظر الأضواء فى حجرتى   وانظر إلى الظلماء فى مهجتى

ولا يغرنك قصرى فما   قصرى سوى سجن لحريتى

إنى فى الصرح الرفيع الذرى   كطائر — فى قفص — ميت

كم فى عباب البحر من سابح   قد مات ظمآنَ إلى قطرة

موت الطوى شر ولكنما   أفظع منه الموت بالتخمة

إن مبهر العاشق من لوعة   أو مبهر المحزون من كربة

فالشوق كالحزن له آخر   وينقضى فى آخر المدة

أما أنا فقلقى دائم   ما دمت فى مالى وفى فضتى

والخوف من كارثة لم تقع   أمض من كارثة حلت

كم من فقير مر بى ضاحكا   كأنما يسخر من غصتى

رأيته بالأمس من كوتى   فخلتنى أنظر من هوة

وكنت كالحوت رأى موجة   ضاحكة ترقص كالطفلة

أو حية تدب فى منجم   ترنو إلى فراشة حرة

قد اختفت ذاتى فى بردتى   فما يرى الخلق سوى بردتى

فهم إذا ما سلموا سلموا   على خيوط البرد والجبة

رباه أطلق من عقال الغنى   روحى فإنى منه فى محنتى

وانزع مع الدينار من قبضتى   صلابة الدينار من سحنتى

وحول المال إلى راحة   وحول القصر إلى خيمة

الأبله

وصرخ الأبله مستفسراً   ما القصد من خلق .كذا والمراد؟

ألم يكن يكمل هذا الورى   إلا إذا أوجدتنى فى فساد ؟

لى صورة الناس وحاجاتهم   من مطعم أو مشرب أو رقاد

لكن لبى غير ألبابهم   فإنه مكتنف بالسواد

يعجزنى إدراك ما أدركوا   كأن عقلى فحمة أو رماد

إن كنت إنساناً فلم يا ترى   لست بإدرا كى كباقى العباد ؟

أو لم أكن منهم فمرنى أكن   جرادة أو أرنبا أو جواد ،

فالند لا يعدم من نده   ذريعة للسلم أو للجهاد

لا تسخر النملة من نملة   وليس يزرى بالقراد القراد

أم أنت كالعقل على رغمه   ينمو مع الحنطة فيه القتاد

النابغة

وجاء بعد الأبله المستريب   الألمعى العبقرى اللبيب

فقال : إنى تائه حائر   أنا غريب فى مكان غريب

أبحث عن نفسى فلا أهتدى   وليس يهدينى إليها أريب

أنا عليم حيث لا عالم   أنا لبيب عند غير اللبيب

لو أننى كنت بلا فطنة   سرت ولم تكثر أمامى الدروب

وكان عقلى كعقول الورى   وكان قلبى مثل باقى القلوب

وصار عندى كالنجوم الورى   فلا عدو فيهم أو حبيب

ولم أجد فى ضحكهم والبكا   شيئاً سوى الضحك وغير النحيب



رأى عظيم فى (دفاع عن البلاغة) :

[أرسل إلينا حجة الفقهاء، وعمدة القضاة الأستاذ عبد العزيز فهمى باشا رأيه فى (دفاع عن البلاغة) نسجله شاكرين فى (الرسالة) إجلالا لتنويهه واعتزازاً بتوجيهه] :

تفضلت فأهديت إلىّ كتابك القيم (دفاع عن البلاغة) فقرأت نصفه فى مجلس واحد ، ثم قرأت نصفه الآخر فى صباح اليوم التالى ، وخرجت من قراءة هذا الكتاب الممتع بأن دراسته لا تصلح للمبتدئين ولا لأنصاف المتعلمين ، لأنه مقارنة قوية لبلاغة العربية ببلاغات اليونانية واللاتينية والفرنسية وغيرها ؛ ودراسة هذه المقارنة إنما تصلح للمتخصصين فى علوم العربية ، ويسرنى أن أسمع يوماً أن إدارتى جامعتينا قد قررتا تدريس هذا الكتاب لطلاب التخصص فى اللغة العربية ؛ فإنهم بالمقارنة بين ما قاله علماؤنا وبين ما قاله العلماء الأجانب قديماً وحديثاً يستطيعون أن يحددوا مركز علمائنا السامى بين رجال البلاغة فى كل بلد ، وأنت سيد العارفين بأن هذه المقارنة تفتق الأذهان وتوسع الآفاق ؛ وهى خطوة لابد منها لشرقنا حتى يستطيع الناقص أن يتم ، والتام أن يكمل ، والكامل أن يكون على بينة من كماله .

وكتابك هذا باكورة خير ظهر معها كتاب آخر أطلعنى بعضهم عليه وهو كتاب (التصوير الفنى فى القرآن) للأستاذ سيد قطب الذى ينم عن تحرر فى العقل لم يتفق أن سمعنا بمثله من قبل . وكتابك وكتابه كوكبان يضيئان الأفق لمن يتلهف مثلى على الرؤية فى وضح النهار .

عبد العزيز فهمى

التاريخ القومى فى المدرسة الابتدائية

وزعت وزارة المعارف جدول الدراسة فى المدارس الابتدائية هذا العام على أساس ست وثلاثين حصة بدلا من تسع وثلاثين .

ولا يعنينا أمر هذا العدد فى ذاته ، ولكن الذى يعنينا أمره كثيراً هو أن الوزارة قد حذفت — فيما حذفت — حصة التاريخ الوحيدة التى كان يتلقاها تلاميذ السنة الثانية فى كل أسبوع .

وقد كان موضوع هذه الحصة قصصاً عن حياة قدماء المصريين وبعض الفراعنة المشهورين مثل بناة الأهرام وامنحعت وحتشبسوت ... الخ .

وكانت هذه القصص على ضآلتها وتفككها هى الخيط الوحيد الذى يربط التلاميذ بتاريخهم القومى المظيم ، والصورة الوحيدة التى تعرض عليهم من عصر كان أزهى العصور فى تاريخ العالم كله يوماً من الأيام .

فاليوم تريد وزارة المعارف أن تقطع هذا الخيط الضئيل وتطمس تلك الصورة الباهتة : وكان واجبها يقتضى أن تقوى كل ما يربط التلميذ بقوميته وأن تؤكده توكيداً وتلح على التلاميذ فى استيعابه بأن تخلق له الفرص خلقاً فى كل درس وفى كل مناسبة ؛ لا أن تلغى الفرصة الوحيدة التى كانت متاحة للتلاميذ .

وقد كان للوزارة مندوحة عن إلغاء هذه الحصة فلديها وفر من حصص اللغة الانجليزية التى ألغتها مشكورة لتوفر على التلاميذ الجهد وتتيح لهم الفرصة ليتعرفوا على لغتهم القومية وكيانهم القومى !

أسائل كوكباً طالعاً لماذا تبدو ، ولماذا تغيب ؟
ولم أقف فى الروض عند الضحى يذهلنى لون وشكل وطيب
ولم أقل ما كنت من قبلما
كنت ، ولا ما فى سجل الغيوب ،
ما العقل يا رب سوى محنة لولاه لم تكتب على الذنوب

الخاتمة

لما وعى الله شكايا الورى قال لهم : كونوا كما تشتهون
فاستبشر الشيخ وسر الفتى والكاعب الحسناء والحيزبون
لكنهم لما اضمحل الدجى لم يجدوا غير الذى كانا
هم حددوا القبح فكان الجمال وعرفوا الخير فكانا الطلاح
وليس من نقص ولا من كمال فالشوك فى التحقيق مثل الأقاح
وذرة الرمل كمثل الجبال وكالذى عز الذى هانا

إيليا أبو ماضى

أجل ! ما كان أجدر رجال التعليم أن يستغلوا بعض هذه الحصص الزائدة فى تقوية الروابط التى تربط التلاميذ بوطنهم وقوميتهم وتنمية البذرة التى تنشىء فى المستقبل جيلا ممتزا بوطنه حريصاً على وجوده .

وبدل أن تحول اثنتان من هذه الحصص الزائدة إلى « قصص » عام لا هدف له ، كان الأولى أن تكون هاتان الحصتان أو إحداها على الأقل قصصاً قومياً يهدف إلى غاية وطنية نبيلة . وخاصة حين نعلم أن الوزارة تنوى — فى النظام الجديد — أن تجعل السنة الثانية الابتدائية نهاية لمرحلة تعليمية . فلا يجوز أن تنتهى تلك المرحلة دون أن يعرف التلميذ فيها شيئاً عن أحد المقومات الضرورية لشخصيته .

ولا أحسب أن حذف هذه الحصة أمر مقصود لذاته وإنما هى ضربة من ضربات « المقص » جاءت على غير هدى !

ولكنى أرجو وزارة المعارف أن توازن جداولها على حساب أى شىء إلا الكيان القومى للتلاميذ .

محمد قطب

بين الأستاذين قطب وخلاف :

نشرت مجلة « الرسالة » الغراء فى أعدادها السابقة مناقشات علمية طيبة فى موضوع على جانب كبير من الخطورة والإجلال ، هو موضوع إعجاز القرآن بين الأستاذين الفاضلين خلاف وقطب — وكنت متتبعاً باهتمام بالغ ما كتب الأستاذان ، غير أنى لحظت أموراً فيما كتبا . ذلك أن كلا منهما قرر حقاً لا مراء فيه سوف أنبه إليه والعجب أن كليهما أخذ على صاحبه ذلك الحق وماری فيه ، دون مبرر لذلك إلا شدة الحرص على الرأى الفردى من غير نظر أو اعتبار لرأى الآخر ؛ وهذا إسراف منهما .

١ — الأستاذ سيد قطب يقرر فى كتابه أن « التصوير الفنى » جانب كبير اعتمد عليه القرآن الكريم فيما ساق من وجوه الاستدلال فى بيان أن ديكتاتورية الأولين من الشعوب الغابرة — لم يكن نصيبها إلا الانهيار ، فهذا القصص البارع فى معرض العظة والاعتبار بمن غبر من الأمم ، وهذا الحوار التمثيلى الذى دار بين الخضر وموسى فى سورة الكهف ، والذى ساقه الله بين موسى وفرعون فى سورة الشعراء ؛ كل أولئك تصوير فنى بارع معجز لأمراء البيان فى جميع العصور الغابرة « ماضية أو آتية » ؛ وإذن فهذا وجهٌ آخر من وجوه إعجاز القرآن دون ريب ، يضاف هذا الوجه الذى زاده الأستاذ سيد إلى وجوه الإعجاز الأخرى التى دونها العلماء — وهذا سداد فى الرأى وتوفيق نهنئه عليه .

أنكر الأستاذ خلاف أن يكون التصوير الفنى وجهاً غالباً من وجوه الإعجاز — واحتج لذلك بقوله لأنه « أى الربط بين التصوير وسر الإعجاز » يفسر إعجاز القرآن بأمور فى مستوى الصنعة البشرية » . فالتصوير الفنى فى نظر الأستاذ خلاف سبيل مألوفة للأدباء من البشر ، وأسلوب من أساليبهم من الممكن أن يسلكوه وهنا كما يقول الأستاذ الخطر كل الخطر ، ثم راح الأستاذ خلاف يؤيد إنكاره بكلمة للأستاذ العقاد رداً على الأديب الفذ المرحوم الرافعى قال « وإنما الأساس فيها المعجزة ، والحكمة الأولى أنها تخرق النواميس المعروفة »

والأستاذ خلاف فى هذا الإنكار مسرف ، مجانب للحق والصواب — فليس ثمت خطورة كما يقول بل الأمر الذى أدرك منه خطورة ، وهو كون التصوير الفنى طريقاً مألوفة للبشر — ولفصحاء العرب وأبنائهم أن يستخدموه فى مستوى رفيع فيه الوحدة والتناظر » أقول هذا الأمر الذى خشيه هو الشرط الأساسى فى الإعجاز — وذلك أن القرآن نفسه جاء من جنس كلام العرب ، ومن لغتهم وعلى طرق من القول صرفها لهم ، وطائفة من الأمثال ضربها فيهم ، ومن المقطوع به ألبتة أنهم كانوا يعلمون هذه الطرائق التى سار فيها القرآن لغة ومعنى وأسلوباً وخيالا ولو من طريق الإجمال — أو قل على حد تعبير المناطقة إنهم كانوا يعلمون هذا بالقوة ، ولكنهم لا يعلمون ، هذا بالفعل ، ولعل هذا ما جعل النظام يرى أن العرب أو الناس صرفوا عن الأتيان بمثله ومن هذا يبين ويضح أن القرآن فى إعجازه البشر وتحديه سلك طرائق مألوفة معهودة لهم . وهذا ضرورى حتى يكون التحدى ، وحتى يكون الإعجاز ، إذ لا معنى فى أن أتحداك أو أعجزك فى لغة أو شىء ما لا تعرفه ، بل يجب أن يكون موضوع التحدى والإعجاز مألوفاً معروفاً لك حتى يتم معنى الإعجاز والتحدى ؛ وإذن فلا ضير ولا خطر أن يكون التصوير الفنى فى مستوى الصنعة البشرية ثم

هو بعد وجه من وجوه الإعجاز على هذا النحو المبتدع الذى نحاه القرآن — بل هو غاية فى الإعجاز وحماداه .

أقول وإذا كان التحدى من طريق ممكنة معهودة للمخاطبين كان أدخل ، وأمعن ، وأبلغ فى باب الإعجاز .

وإذا كانت المعجزة يجب أن تخرق النواميس الطبيعية ، وأن تشذ عن السنن المطردة فى حوادث الكون كما يذكر الأستاذ العقاد — فهذا المعنى موجود ملحوظ فى الأمور التى يتحدى للاعجاز كهذا الذى نحن بسبيله — فالشذوذ هنا والخرق لناموس الطبيعة أنهم عجزوا من حيث لا ينبغى أن يعجزوا .

٢ — يرى القارى الفاضل مما تقدم أننى انتصرت للأستاذ قطب — وأعود الآن فأنتصر للأستاذ خلاف فى البيان الذى سلكه فى الآيات الكريمة : « أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون ... الخ آيات سورة الأنبياء التى جاءت فى هذا المعرض فإن الأستاذ الفاضل نهج فى تحليلها نهجاً لم يسبقه إليه أحد من المفسرين . ذلك أنه حلل الآيات إلى مقاطع وجمل محدودة — كل مقطع فيه استدلال خاص — قد استوفت فيه الآيات أنواع الاستدلالات المنطقية والوجدانية — ولم تترك مؤثراً يؤثر فى العقل والعاطفة إلا تناولته ، لو كان هؤلاء يعقلون . ومن الأسراف والشطط ألا يقر الأستاذ قطب هذا التفسير العلمى الحديث ، فما لا ريب فيه أن القرآن سلك فى طرائق الاستدلال صوراً من المنطق فطرية سهلة تتناسب والعقلية العربية يومئذ .

(الاسكندرية)

أحمد الامبابي
مدرس بالليسيه فرانسيه

اليهود والعرب :

تطالعنا الصحف كل يوم بما يقوم به اليهود من أعمال العنف لجعل فلسطين وطناً قومياً لهم ، وقد وصلوا فى ذلك إلى حد لا يقره تاريخهم الذليل ، ولعل من أعجب ما قرأت فى هذا الشأن ما نشرته بعض الصحف من أن عدداً كبيراً من اليهود اجتمعوا فى جنوب إيطاليا ، وهم مصممون على دخول فلسطين

وقد لفتت هذه الجملة الأخيرة نظرى ، ورجعت بفكرى إلى عهد بعيد يوم ضاعت جهود النبي الكريم موسى بن عمران سدى فى حمل بنى إسرائيل على دخول الأرض المقدسة

ذكرت ما قصه علينا القرآن الكريم فى هذا الشأن ، وما سجله عليهم من الخزى والضعف والجبن ، وكيف أنهم خافوا من سكانها الجبابرة وقطعوا على أنفسهم عهداً مؤكداً أنهم لن يدخلوها ما داموا فيها : « وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم ، إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين ، يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين . قالوا : يا موسى ، إن فيها قوماً جبارين ، وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فإن يخرجوا منها ، فإنا داخلون . قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما : ادخلوا عليهم الباب ، فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ، وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ؛ قالوا : يا موسى ، إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا ههنا قاعدون » . وكتب الله عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله

ثم ذكرت مواقف البطولة التى وقفها أجدادنا العرب مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فآزروه ونصروه وما وهنوا فى موقف من المواقف وما ضعفوا وما استكانوا ، وكيف أنهم وهبوا لدعوته أنفسهم فكانوا يقولون له : والله لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك ؛ ولا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا ههنا قاعدون . ولكنا نقول : اذهب أنت وربك فقاتلا ، إننا معكما مقاتلون !

ذكرت هذا وذكرت ذاك ، فأيقنت أن الفوز للعرب ، وأن اليهود سيجبنون كما جبن آباؤهم من قبل ، فإن دماء الآباء لا تزال تجرى فى عروق الأبناء ... !

على محمد حسن
مدرس بالمعهد الأزهرى

حول شعر حافظ الضائع

قرأت بالعدد الماضى كلمة للأديب عبد القادر محمود عن شعر حافظ الضائع ، التى أثبتها فى الرسالة صوناً لها من الضياع ، ولكن هذه الأبيات السبعة ، نشرها الأستاذ حسين المهدى الغنام ضمن مقالات له عن حافظ إبراهيم ، فى جريدة كوكب الشرق ، وهذه الأبيات بالذات نشرت فى أحد أعداد شهر يونيو سنة ١٩٣٣ ، مع قصيدة أخرى طويلة من نفس البحر والروى .



١ – خان الخليـــلي

[للأستاذ نجيب محفوظ]

٢ – سعد بن أبي وقاص

[للأستاذ عبد الحميد جودة السحار]

للأســتاذ وديع فلسطين

– ١ –

الأستاذ نجيب محفوظ – كما يعرفه قراء « الرسـالة » الزاهرة – شاب أوتى خيالا خصباً ، وعيناً نافذة ، وقلماً طيعاً ، ومداداً وفيراً ، فسخر هذه جميعاً فى كتابة القصة وتصوير الحياة الواقعية بما تنطوى عليه من نزعات متضاربات .

ومن أحدث ما جذ به قلم الفتى كتاب « خان الخليلى » الذى أصابه فيه توفيق كبير . وقد نهج فى كتابة قصته الضافية الذيول النهج الذى التزمه الكاتب الكبير الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى فى « ابراهيم الكاتب » . فالكتاب مقسم إلى خمسين فصلا ، كل منها صورة أحسن رسمها ، فلم تغب فى إحداها خفقة قلب أو طرفة عين أو حركة لسان أو بسمة شفتين أو زفرة نفس ، لأن الأستاذ محفوظ سكب نفسه فى كتابة كل منها سكباً ، وعاش فى روايته فعرف شخوصها معرفة قرب ، وزامل أفرادها ففهم كلا منهم على حقيقته وأدرك ما انطوت عليه نفسه وما أسفرت عنه مظاهره . وربط بين فصولها بإحكام حتى لا ينفلت أحدها من القلادة المتعددة الحلقات التى وصلت بينها وأخرجت من مجموعها صورة نابضة بالحياة تنطق صريحة سافرة بأحوال حى من أحياء القاهرة القديمة يتردد عليه الأجانب للمتعة والمصريون للتبرك « بالحسين » .

والقصيدة الثانية ، والأبيات السبعة التى ذكرها الأديب عبد القادر ، موجودتان كذلك فى كتاب الأستاذ الغنام عن حافظ إبراهيم فى الصفحات ٥٥ – ٥٧ . وهذا الكتاب صدر بالاسكندرية سنة ١٩٣٥ .

فهذه الأبيات وإن لم تجمع فى ديوان حافظ ، لم تضع . وقد نشر الأستاذ حسين غنام فى كتابه كثيراً من شعر حافظ لا تجده فى جزءى ديوانه .

عوض الله فوزى اسكندر

من السيدة وداد سكاكينى إلى الأستاذ وديع فلسطين :

حضرة الأديب الفاضل :

بعد التحية . تلقيت « مسرحيتك »[1] القيمة بسرور وإعجاب ، وقرأتها متملية بدقة تعبيرك وبراعة ترجمتك ، وقلت : هذا أول قطرك فكيف بغيثك ؟

أرجو أن يكون لك فى دنيا الأدب منزلة تليق بنبوغك ، فإن فتى يبنى أدبه كما تبنى خليق بالمجد والإكبار .

وتقبل تهنئتى الخالصة بباكورة آثارك مقرونة بتحيتى وشكرى وإعجابى .

مخلصة

وداد سكاكينى

تصويب :

إنى برغم جزعى من (التطبيع) . وجزعى كلما بعثت بمقالة مقابلتها على الأصل ، حتى كاد ذلك الرجاء يكون روسماً (كليشيه) دائما ، فقد وقع فى مقالتى (الموسيقى العاشق) فى العدد (٦٣٩) من الرسالة ، هنات ، هذا تصويبها ، وإن تكن هينات :

ص	ع	س	خطأ	صواب
١٠٥٧	٢	٢	رحبته	رحبة
١٠٥٨	١	٥	تعلم	تعليم
«	١	١٩	أهدابها – لونها	أهدابهما – لونهما
١٠٥٩	١	١٢	لا أحب الذكرى	لا أحب أن أهيج الذكرى
«	٢	١	غبتَ	غبتْ

أما الذين ذهبوا يسألون عن (ش) بك هذا ، ويفتشون عن داره ... هل حسبونى أكتب تاريخاً ؟ إنما هى قصة ...

على الطنطاوى

---

(١) مسرحية الأب تأليف الكاتب السويدى أوجست ستريندبرج وترجمة وديع فلسطين – لجنة النشر للجامعيين .

إنها قصة عائلة مصرية متوسطة ، فزعت من الغارات الجوية فانتقلت إلى حى خان الخليلى وأمضت فيه دورة كاملة من دورات الأرض حول الشمس ، شهد أفرادها فيها عجباً . فالإبن الكبير — أحمد عاكف — الذى كان يركن إلى مكتبته يقلب كتبها ويدرب نفسه عبثاً على درسها وهضمها ؛ طابت له عشرة أهل الحى والسهر معهم فى قهوة الزهرة ، وخفق قلبه للحب وهو بعد كهل فى الأربعين ، ولكن المقادير شاءت ألا ينعم بالفتاة التى يهوى والأليف الذى استحوذ على عواطفه وملك جنانه . ورشدى — الإبن الأصغر — شاب حديث العهد بالتخرج فى الجامعة ينقاد وراء دوافع بدنه فيغترف من اللذاذات غير عابىء بصحته التى ناءت بهذا الحمل وأخذت تتهالك تحت الضغط الشديد الذى يفرضه عليها . ولم يكتف بالحب الآثم ، بل سولت له نفسه الفتية أن يسطو على الفتاة التى كادت تصبح من نصيب أخيه أحمد ، ولكنه ظل سادراً فى غيه ، سائراً فى طرق ضلاله ، فأصيب بداء الدرن الرئوى وقضى نحبه — وهو الشاب المرح المفعم بالنشاط الدائب الحركة — ولم يستطع أبواه أو أخوه ، ولم يفلح الطب أن يحفظ زهرة حياته التى ما شرعت تتفتح حتى قطفت من كمها وطمرت بين أطباق الثرى .

والقصة التى دبجها الأستاذ نجيب محفوظ تمتاز بمزيتين عدا مزية الرواية نفسها . ففيها وصف رائع لليالى رمضان فى حى خان الخليلى ، وفيها وصف للغارات الجوية التى تعرضت لها قاهرة المعز من ثلاثة أعوام ، وهى حقبة من الزمن لم يسبق لها مثيل فى تاريخ مصر الغابر ، وعسى أن لا تتكرر فى ما يجىء من السنين . والمؤلف قدير على جلو المعانى ، خبير بخوالج النفس ، استطاع أن يجعل من كتابه تزاوجاً بين السخرية والتهكم من ناحية ، والجد من ناحية أخرى . وجمع بين اللهو والمزاح والعبرة والدروس . وهو فى هذا وذاك لا يخلو من فكاهة مستملحة ودعابة طريفة .

إنها الحياة فى « خان الخليلى » كما هى بلا « رتوش » .

— ٢ —

أصدر الأستاذ عبد الحميد جودة السحار كتاباً مُترع الفصول عن « سعد بن أبى وقاص وأبطال القادسية » تتبع فيه سعداً منذ ما كان حدثاً يبرى النبل حتى انطلقت روحه إلى بارئها وقد أشرف على الثمانين أو نحوها .

سيرة رجل كفاح ورجل حرب ، قاد جيوش المسلمين فى معارك طاحنة فدمر الأعداء ، ودخل إيوان كسرى دخول المظفر المنتصر بعد ما هزم مملكة الفرس وأنزل بها أقسى الدمار . واستطاع سعد أن يتصدى لجيوش قوية بعضها معزز بعدد من الفيلة الضخمة ، وبعضها تتقدمه الأسود الضاريات ، غير أنه ما تهيب ولا جزع ، بل هجم عليها وبددها ، فسرت روح الهزيمة والهلع بين جنود العدو وردوا على أعقابهم مخذولين .

وسعد علاوة على ذلك ابن بار بوالدته مخلص لدينه الجديد . وعلى الرغم من أن أمه لم ترض له الخروج على دين آبائه وأجداده وهددته بالصوم عن الطعام إذا أوغل فى « غيه » وتبع الدين الجديد ، إلا أنه استطاع بلباقة وحصافة أن ينتزع من بين حنايا أمه غضبها ، ويوفق بين شئون الدين والدنيا .

ثم هو صديق صدوق ، لطيف المعشر ، يوثق به ويعتمد عليه . شجاع لا يهاب القوة ، ولا يخشى الضيم ، سبّاق إلى المكرمات ، عدّاء فى ميادين البطولة ، لا تلين له قناة ولا يفتر له عزم أو يصدُّ عن قرار اتخذه . وفىّ لخلانه وصحبه حتى إنه نهر معاوية لأنه شرع يسبّ علياً ، وأقسم يميناً مغلظة ألا يدخل داره مدى الحياة .

هذه الشخصية الفذة التى شهدت مولد الإسلام وعاصرت فتوته وأرست دعائمه وساهمت فى نشر رسالته فى بلدان شتى ، وهذا البطل المقدام الذى رضى طوعاً بالجهاد والنضال والصراع والتشريد والتجريح والتعرض للأخطار ، وهذا المؤمن الذى لم يدخر وسعاً فى البدن أو المال أو الوقت إلا أوقفه على خدمة دينه ، جدير ولا ريب بأن تسرد سيرته مفصلة ، وتنشر فى أسلوب عربى بليغ وإحكام روائى صادق ، وتبويب زمنى مرتب ، على أحفاد العرب الأولين .

وقد بلغ الأستاذ عبد الحميد السحار القمة فى تبيان مناحى شخصيته الفريدة ووصف ميادين الوغى وأساليب القتال ومصارع الرجال . وفى ختام كتابه أورد السحار خلاصة وافية لحياة سعد ابن أبى وقاص عرضت فى ذهن الشيخ سعد كما يعرض الشريط السينمىّ على الشاشة البيضاء ، فأغمض عينيه وقد اكتحلتا بنشوة الماضى وذكريات الشباب وأحداث الصبى ومجد الظفر « وانبهرت أنفاسه وخرج نفس ما عاد غيره ، فقضى سعد نحبه فى قصره بالعقيق على مسيرة عشرة أميال من المدينة . ولما بلغ أهل المدينة خبر موته ، انطلق الرجال إلى داره وجهزوه ... وتوجهوا إلى البقيع ليقبروا آخر أهل الشورى ودمعهم جار وحزنهم عميق » .

وديع فلسطين

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦٤٣ — الاثنين ٢٢ أكتوبر ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٣٣ ، ٦٥

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

1

13 me Année No. 642

Lundi—22—10—1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ــــص
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٤٢ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٦ ذو القعدة سنة ١٣٦٤ — ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

بركة « الامام » . . . !

للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازنى

كان هذا منذ أكثر من ثلاثين عاماً ، وكنت يومئذ مدرساً للترجمة فى المدرسة السعيدية الثانوية ، وأقبل الامتحان العام — للبكالوريا والكفاءة — وعقدت له لجان شتى عُينت ، كغيرى ، مراقباً أو ملاحظاً فى إحداها ، وكان أخى طالباً ، وعليه أن يؤدى الامتحان فى إحدى هذه اللجان .

واتفق أن دعيت أسرتنا كلها إلى عرسٍ قريبٍ لنا ، بيته مجاور لبيت صهرى ، فذهبنا مغتبطين جذلين ، ولكنى كنت فى قرارة نفسى مشفقاً من سهر الليل ، وكيف يؤدى أخى امتحانه وهو لم ينم ؟ وكيف أقوى أنا على المراقبة والكرى مرنق فى عينى ؟ غير أنى لم أر لى حيلة ، فتركت الأمر للمقادير ...

وألفيت فى بيت قريبنا هذا نفراً من الإخوان ، فانتحيت بهم ناحية من الحديقة ، وجلسنا بين الخضرة والماء ، نسمر ونضحك ، والعريس وأبوه يلحان علينا أن نخرج فنكون مع الجمع الحاشد لنسمع غناء الشيخ يوسف المنيلاوى — بلبل زمانه — ونحن نأبى كل الإباء أن نتزحزح عن مكاننا لجماله ، ونطلب أن يقدم إلينا الطعام ، حيث كنا بلا كلفة .

وجاء — قبل الطعام — رجل من أهل طنطا لا أعرفه ، يرتدى جبة وقفطاناً وطربوشاً مثل طرابيشنا نحن « الأفندية » ، وعليه لفة مزركشة ، فحيا وقعد ، وكانت له معرفة ببعض الإخوان ، فصفق أحدهم ودعا بالقهوة — قهوة البن — فلما أقبل الخادم بإبريقها فى يد ، والفناجين فى يد ، وصب من ذلك فى هذه وناولنا ، مال أحد الإخوان على الرجل الطنطاوى وسأله : « معك خلطة ؟ »

ولم أكن أعرف ما « الخلطة » يومئذ ، فسألت عنها ، فقيل لى : إنها عنبر ومسك ... ولا أدرى ما ذا أيضاً ، قطرات منها تطيب بها القهوة ؛ فقلت : هاتوا إذن من هذا المسك والعنبر ، فأخرج الرجل زجاجة صغيرة ، ومددنا أيدينا بالفناجين ، فجعل يصب قطرات لكل واحد منا ، فنشكره ...

وكنا جلوساً على الحشايا والوسائد فوق سجادة على الخضرة ، فحسوت حسوة من فنجانتى ، فكرهت طعمها على لسانى ، فقد كانت كأنها زيتاً ثقيلا — أو هكذا خيل إلىّ — فأرقت ما بقى فى الفنجانة على الخضرة ، وصحت بالرجل الطنطاوى :

« ما هذا يا شيخ السوء ؟ متى كان العنبر والمسك شراً من زيت الخروع ؟ »

ومضمضت فمى بالماء ، وجىء بالطعام ، فأقبلنا عليه كأن لنا عاماً ما طعمنا فيه شيئاً ، وأكلنا ما لا يحسب الحاسب ، وما كنت أنهض عن المائدة حتى شعرت بكظة مزعجة ، فذهبت أتمشى بين

الشجر ، ولكني أحسست بدوار ، فعدت إلى مكانى وملت بشق على الأرض ، فإذا بها تدور كراسى ، وترقص أيضاً ، وتعلو بى وتهبط ، ففزعت ، وانتفضت قائماً ، وقد أيقنت أنى لا محالة ميت ما لم أفرغ ما فى جوفى ، وعبثاً حاولت أن أفعل ذلك ، على فرط اجتهادى ، فجزعت ، ولم يبق عندى شك فى أن الذى صبه لنا الرجل الطنطاوى على القهوة من هذه « الخلطة » ، ليس إلا نوعاً من المخدرات « كالمنزول » ، فآليت لأخنقنه قبل أن أموت ! وهممت به ، وأنا كالمجنون ، فحالوا بينى وبينه ، وصرفوه ، بالتى هى أحسن ، أو بالتى هى أخشن — لا أدرى — فما أخذته عينى بعد ذلك!

وجاءونى بليمون زعموا أن عصيره يفسد فعل هذه « الخلطة » فلم أنتظر حتى يعصروه ، وخطفته من أيديهم ، وجعلت آكله بجلده ، ثم قصدت إلى باب الحديقة وأشرفت على جشد المدعوين وتحت الشيخ يوسف ، وقلت أتسلى بالنظر والسماع ، ولكنى كنت لا أرى شيئاً واضحاً ، وكان « قوس » الكمان يبدو لى كأنه يرسم فى الجو دوائر ومربعات ومستطيلات ، وكان صوت الشيخ يوسف كالطبل فى أذنى . فعدت أدراجى وانطرحت على الأرض ، وكنت أغيب عن وعيى ثم أفيق ، والقوم حولى كأنهم أصنام ، لا ينطقون ولا يتحركون . فأدركت أنهم مثلى أو شر منى حالا ، سوى أنهم أقوى أجساماً أو أقدر على الاحتمال ، أو لعلهم اعتادوا هذه « الخلطة » فهم لا يتأثرون بها كما تأثرت!

ودعوت أحدهم — وكان أهل بيته مدعوين فى العرس فالبيت فارغ — أن يذهب بى إلى داره ، وأن يبعث فى طلب طبيب ، فهز رأسه وبقى حيث هو ، وعاودنى الإغماء لحظة ، فلما أفقت ورأيت أنى باق حيث كنت ، وتبينت أن لا أمل فى معونة من هؤلاء القوم ، أشرت إلى خادم لمحته خارجاً وطلبت أن يجيئنى « بخلطة » أخرى : سكر وخل ... فاستغرب ولكنه جاءنى بما أمرت ، فأذبت السكر فى الماء ، وخلطته بالخل ، وشربت وقمت أعدو إلى ركن فى الحديقة ، فكان الفرج ، فقد اضطربت نفسى ورمت ما فيها يتبع بعضه بعضاً ، حتى خفت أن لا ينقطع .

ونمت بعدها ساعات ، فلما كان الفجر ، قمت إلى بيت صهرى لأغتسل وأتهيأ للخروج إلى لجنة الامتحان ، ولأضمن أن لا يتخلف أخى عن امتحانه ، وخلعت ثيابى لأستريح قليلا .

وإذا بى أرى أخى كالمجنون يصيح بكلام غير مفهوم ، وكان رأسى لا يزال ثقيلا مما مر بى فى ليلتى ، فسألته عن الخبر ، فإذا هو مذعور ، ذلك أن خادماً فى بيت صهرى سرق سترته وحذاءه ، وسرق بنطلونى وطربوشى ، فصار من المستحيل علينا أن نخرج من البيت ، فما لنا فيه ثياب أخرى ، ولا جئنا إلا بما على أبداننا فما العمل ؟ لقد ذهب اللص بثيابنا ، وكأنما تعمد أن يسرق منها ما يكفى لمنعنا من الخروج . وكيف بالله يخرج أخى بغير سترة وحذاء ؟ وكيف أخرج بغير بنطلون وطربوش ؟

وأضحكنى هذا ، فإنه أشبه بالنكتة ، أو بما يسميه العامة « المقلب » .

ولم يبق إلا أن نحاول أن نستعير من بعض الجيران ثياباً نعود فيها إلى بيتنا ، وهناك نستطيع أن نرتدى غيرها ، ويذهب كل منا فى سبيله .

وفعلنا بعد عناء ، فقد كان الناس نياما بعد طول السهر ، فأزعجناهم وكلفناهم شططاً ، ولكن المضطر يركب الصعب .

وقد نسيت أن أقول إن بيت صهرى كان على « تخوم العالمين » وعلى مقربة من مسجد الإمام الليث بن سعد ، فارتدينا الثياب المستعارة ، وتوكلنا على الله ، ومررنا بالمسجد ، ووقف أخى يقرأ الفاتحة ، لعلها تنفعه فى « الامتحان » ببركتها ، وكنت أنا مغيظاً محنقاً ، فلم يخطر لى أن أقرأ لا الفاتحة ولا سواها ، وإنى لأتلفت وإذا بالخادم قاعد على باب المسجد . ولم أعرفه فى أول الأمر ، لأنه كان فى ثياب غير معهودة نكّرته فى عينى — ثيابنا المسروقة. فلما استثبت جذبته من ذراعه فنهض ، وعدنا به إلى البيت ، ونزعنا ما عليه من أشيائنا ، ثم سألناه : فاعترف أنه سرق — وهل كان ينقصنا أن يعترف ؟ — وقال : إنه لما بلغ المسجد أحس أنه مقيد ، وألقى نفسه يجلس على الباب ، ولم يستطع بعد ذلك أن يبرح مكانه !

فقال كل من سمع هذه القصة إنها بركة الإمام ؛ وقلت أنا فى سرى : لعل هذا هكذا ، فما أدرى ، ولكنى أحسب أن إيمان هذا الخادم بما لأولياء الله الصالحين من البركة والسر ، قد فعل فعله ، وكان له أثره حين مر بالمسجد ، فاضطرب وارتبك ، ولزم مجلسه حائراً ، وكبر فى وهمه أن « الإمام » قيده وأقعده عن الحركة .

وقد أصرت زوجتى يومئذ — رحمها الله — على أن تصنع « خبزاً وفولا » لفقراء « الإمام » ، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟ فلم أعترض . وكيف كان يقبل منى اعتراض ؟

ابرهيم عبد القادر المازني

في إرشـــاد الأريب

إلى معرفة الاديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ١٣ —

* ج ١٨ ص ٣٩ : قال محمد بن بركات السعيدى يخاطب أبا القاسم هبة الله بن على بن مسعود بن ثابت البوصيرى الأنصارى :

فله أوامر من حجاه حكيمة   وله زواجر من نهـــاه

يقظان من فهم لـكل فضيلة   بنباهة جلت عن الأشباه

عـلامة ما مشـكل مستبهم   خاف عن الأفهام عن أساه

وجاء فى الشرح : هكذا بالأصل وترى الشطرين الثانيين من البيتين الأول والثالث ليسا بالتامين إذ الأبيات من بحر الـكامل .

قلت : وله زواجر من نهاه نواه :

عـلامة ما مشـكل مستبهم   خاف عن الأفهام — عنه بساه

* ج ١٩ ص ٣٠١ :

وكنتَ كذئب السُّوء لـما رأى دما

بصاحبـــه يوماً أحال على الدم

قلت : فى اللسان والتاج : تقول : هذا رجل سَوء بالإضافة وتدخل عليه الألف واللام فتقول : هـذا رجل السَّوء ، قال الفرزدق بالفتح والإضافة : (وكنت كذئب السوء . البيت) ولا يقال : هذا رجل السوء بالضم لأن السوء بالضم إسم للضر وسوء الحال . وإنما يضاف إلى المصدر الذى هو فعله كما يقال رجل الضرب والطعن فيقوم مقام قولك : رجل ضراب وطعان ، فلهذا جاز أن يقال رجل السوء بالفتح ، ولم يجز أن يقال : هذا رجل السوء بالضم . والسَّوء مصدر سؤته أسوءه سوءاً ، وأما السُّوء فاسم الفعل .

قلت : ولبيت الفرزدق قصة ، إن صحت فقد حرمه الله إياه ؛ فى أغانى أبى الفرج : عن الوليد بن هشام عن أبيه قال : أنشدنى الفرزدق وحماد الراوية حاضر (وكنت كذئب السوء) فقال له حماد : أنت تقوله ؟ قال : نعم ، قال : ليس الأمر كذلك ، هذا لرجل من أهل اليمن ، قال : ومن يعلم هذا غَيرُك أفأردتَ أن أتركه-وقد نحلنيه الناس ورووه لى لأنك تعلمه وحدك ، ويجهله الناس جميعاً غَيرك .

* ج ١ ص ٢١٣ : ... والذى يأخذه من السلطان ينفقه فى أهل طرْسوس (المجاهدين) .

قلت : فى معجم البلدان : بفتح أوله وثانيه ولا يجوز سكون الراء إلا فى ضرورة الشعر لأن فعلول ليس من أبنيتهم .

قلت : قال المتنبى وقد سكن ضرورة :

صدق المخبر عنـــك ، دونك وصفه ،

مَـن بالعراق يراك فى طرْسوسا

قال لى الأديب الـكبير الأستاذ شفيق جبرى : (من بالعراق يراك فى طرسوسا) هـذا (شهود البعيد) الذى ابتدعه هؤلاء العفاريت فى هذا الزمان أو كما قال .

* ج ١٩ ص ١٤٩ : وله (لمظفر بن إبراهيم العيلانى) :

يا نائمـــا أسهرنى حبُّهُ   وعائداً أمرضـــنى طبُّهُ

وخادعا رقّ لحـــبى له   كلامــــه وقسا قلبـــه

قلنا على حسنك عينى جنت   جسمانى النـــاحل ما ذنبه ؟

قلت : إما (حبهُ وطبُّهُ) والبيت مصرع . وإما (حبهُ وطبهُ وقلبهُ وذنبهُ) .

وعجز البيت الثانى هو (كلامه لى وقسا قلبه) والشعر من بحر السريع .

* ج ١٦ ص ٣٤ : وجمع براوات الأقلام فيكتب بها تعاويذ للحمى وعسر الولادة فتعرف بركتها .

قلت : بَرْوات أو بُرايات . فى مستدرك التاج . البروة نحاتة القلم والعود والصابون ونحو ذلك . وفى اللسان : البُراية النحاتة وما بريت من العود .

* ج ٥ ص ١٩٩ : (أسامة بن مرشد بن منقذ) :

نافقت دهرى فوجهى ضاحك جـذل

طلق وقلـــبى كئيب مكمد باك

وراحـــة القلب فى الشكوى ولذّتها

لو أمكنت لا تساوى ذلة الشاكى

قلت : (فى الشكوى ولذّتِها) .

* ج ١٨ ص ١٢٣ : كان للرؤاسى (محمد بن الحسن) امرأة من أهل النيل[1] ، تزوجها بالكوفة وانتقلت إليه من النيل وشرطت عليه أنها تلم بأهلها فى كل مدة ، فكانت لا تقيم عنده إلا القليل ، ثم يحتاج إلى إخراجها وردها ، فملّ ذلك منها وفارقها وقال فيها :

بانت لمن تهوى حمولُ　　فأسفت فى أثر الحمولِ
أتبعتهم عينا عليهم (م) ما تفيق من الهمول
ثم ارعويت كما ارعوى　　عنها المسائل للطلول
لاحت مخائل خُلفِها　　وخلافُها دون القبول
ملّت وأبدت جفوة　　لا تَرْكَنَنَّ إلى ملولِ

قلت : بانت لمن تهوى حمولُ :

لاحت مخايل خلفِها　　وخلافِها دون القبول

* ج ١٦ ص ٢٤٩ : ... لكن الحوادث قلما توافقه ، والأيام تماكسه فى ذلك وتضايقه . وظنى بأن الله سوف يريك .

وجاء فى الشرح : تماكسه : تشاحه وتظلمه .

قلت : (وظنى بأن الله سوف يديلُ) الأساس : أدال الله بنى فلان من عدوهم : جعل الكرة لهم عليه . وفى الصحاح : الأدالة الغلبة ، اللهم أدلنى على فلان وانصرنى عليه ، و (تماكسه) : تشاكسه .

* ج ١٨ ص ١٤٤ : وكان شيلمة أولا مع العلوى صاحب الزَّنج ثم صار إلى بغداد .

وجاء فى الشرح : (الزنج) بضم الزاى مشددة : قرية من قرى نيسابور .

قلت : الزنج بفتح الزاى وكسرها — الجيل المعروف ، والعلوى المذكور هو على بن محمد الثائر على العباسيين فى خلافة المعتمد .

ذكره أبو العلاء فى (رسالة الغفران) فقال :

« وأما العلوى البصرى فذكر بعض الناس أنه كان قبل خروجه يذكر أنه من عبد القيس ثم من أنمار ، وكان اسمه أحمد فلما خرج تسمى عليا ، والكذب كثير جم ، وتلك الأبيات المنسوبة إليه مشهورة وهى :

أيا حرفة الزمنى ، ألمّ بك الردى
أمالى خلاص منك والشمل جامع ؟
لئن قنعت نفسى بتعليم صبية　　يد الدهر إنى بالمذلة قانع
وهل يرضين حر بتعليم صبية
وقد ظن أن الرزق فى الأرض واسع
وما أمنع أن يكون حمله حب الحطام على أن غرق فى بحر طام » .

وقد صِيغَ فى (النهج) فى (صاحب الزنج) هذا القول :

« يا أحنف ، كأنى به وقد سار الجيش الذى لا يكون له غبار ولا لجب ، ولا قعقعة لجم ولا حمحمة خيل ، يثيرون الأرض بأقدامهم كأنها أقدام النعام (قال الشريف الرضى أبو الحسن رحمه الله تعالى يومىء بذلك إلى صاحب الزنج ثم قال عليه السلام) ويل لسكككم العامرة والدور المزخرفة التى لها أجنحة كأجنحة النسور وخراطيم كخراطيم الفيلة من أولئك الذين لا يندب قتيلهم ، ولا يفقد غائبهم ... » .

قال ابن أبى الحديد فى شرحه :

قوله لا يندب قتيلهم ليس يريد به من يقتلونه بل القتيل منهم لأن أكثر الزنج الذين أشار إليهم كانوا عبيداً لدهاقين البصرة وبناتها ، ولم يكونوا ذوى زوجات وأولاد بل كانوا على هيئة الشطار عزاباً فلا نادبة لهم . وقوله ولا يفقد غائبهم يريد به كثرتهم وأنهم كلما قتل منهم قتيل سد مسده غيره فلا يظهر أثر فقده . فأما صاحب الزنج هذا فإنه ظهر فى فرات البصرة فى سنة (٢٥٥) رجل زعم أنه على بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب (عليه السلام) فتبعه الزنج الذين كانوا يكسحون السباخ فى البصرة[1] . وأكثر الناس يقدحون

---

(١) فى معجم البلدان : بكسر أوله ، فى مواضع ، أحدها بليدة فى الكوفة قرب حلة بنى مزيد يخترقها خليج كبير يتخلج من الفرات الكبير حفره الحجاج بن يوسف .

(١) قال الطبرى : ولم يزل ذلك دابه يجمع اليه السودان إلى يوم الفطر فلما أصبح نادى فى أصحابه بالاجتماع لصلاة الفطر ، فاجتمعوا ، وصلى بهم ، وخطب خطبة ذكر فيها ما كانوا عليه من سوء الحال وأن الله قد استنقذهم به من ذلك ، وأنه يريد أن يرفع من أقدارهم ، ويملكهم العبيد والأموال والمنازل ، ويبلغ بهم أعلى الأمور ، ثم حلف لهم على ذلك ، فلما فرغ من صلاته وخطبته أمر الذين فهموا عنه قوله أن يفهموه من لا فهم له من عجمهم لتطيب بذلك أنفسهم ، ففعلوا ذلك .

فى نسبه وخصوصاً الطالبيين . وجمهور النسابين اتفقوا على أنه من عبد القيس وأنه على بن محمد بن عبد الرحيم وأمه أسدية . ومن الناس من يطعن فى دينه ويرميه بالزندقة والإلحاد ، وهذا هو الظاهر من أمره لأنه كان متشاغلا فى بدايته بالتنجيم والسحر والاسطرلابات . وكان حسن الشعر مطبوعا عليه ، فصيح اللهجة ، بعيد الهمة ، تسمو نفسه إلى معالى الأمور ، ولا يجد إليها سبيلاً ، ومن شعره :

وإذا تنازعنى أقول لها قرى موت يريحك أو صعود المنبر
ما قد قُضى سيكون فاصطبرى له
ولك الأمان من الذى لم يقدر

ومنه :

إنى وقومى فى أنساب قومهم
كمسجد الخيف فى بحبوبة الخيف
ما عُلّق السيف منا بابن عاشرة
إلا وعزمته أمضى من السيف

وكانت بينه وبين عمال السلطان وقواده حروب عظيمة ووقعات كثيرة ، وكانت سجالا تارة له وتارة عليه ، وهو فى أكثرها المستظهر عليهم . وكثرت أموال الزنج والغنائم التى حووها من البلاد والنواحى ، وعظم أمرهم ، وأهم الناس شأنهم ، وعظم على المعتمد وأخيه أبى أحمد خطبهم ، واقتسموا الدنيا فكان على بن محمد الناجم صاحب الزنج وإمامهم مقيما بنهر أبى الخصيب قد بنى مدينة عظيمة سماها (المختارة) وحصنها بالخنادق . واجتمع إليه فيها من الناس ما لا ينتهى العد والحصر إليه رغبة ورهبة ، وصارت مدينة تضاهى سامرا وبغداد ، وتزيد عليهما ، وأمراؤه وقواده بالبصرة وأعمالها يجبون الخراج على عادة السلطان لما كانت البصرة فى يده إلى أن دخلت سنة (٢٦٧) وقد عظم الخطب وجل ، وخيف على ملك بنى العباس أن يذهب وينقرض ، فلم يجد أبو أحمد الموفق وهو طلحة بن المتوكل على الله بدا من التوجه بنفسه ومباشرته هذا الأمر الجلل برأيه وتدبيره وحضوره معارك الحرب . وكان أبو أحمد هو الخليفة فى المعنى وإنما المعتمد صورة خالية من معانى الخلافة لا أمر له ولا نهى ولا حل ولا عقد ، وأبو أحمد هو الذى يرتب الوزراء والكتاب ، ويقود القواد ، ويقطع الأقطاع ، ولا يراجع المعتمد فى شىء من الأمور أصلا . ويحق ما سمى المنصور الثانى ، ولولا قيامه فى حرب الزنج لانقرض ملك أهل بيته ولكن الله ثبته لما يريد من بقاء هذه الدولة » .

وكان (صاحب الزنج) مشعوذاً كبيراً . روى الطبرى فى تاريخه:

ذكر محمد بن الحسن أن محمد بن سمعان حدثه أن (صاحب الزنج) قال فى بعض أيامه لقد عرضتُ على النبوة فأبيتها . فقيل له : ولم ذاك ؟ قال : إن لها أعباء خفت ألا أطيق حملها ...

وذكر عنه أنه كان يقول : أوتيت فى تلك الأيام آيات من آيات إمامتى ظاهرة للناس ، منها أنى لُقيت سوراً من القرآن لا أحفظها فجرى بها لسانى فى ساعة واحدة ، منها (سبحان والكهف وصاد) ومن ذلك أنى ألقيت نفسى على فراشى ، فجعلت أفكر فى الموضع الذى أقصد له وأجعل مقامى به إذ نبت بى البادية ، وضقت بسوء طاعة أهلها ، فأظلتنى سحابة فبرقت ورعدت ، واتصل صوت الرعد منها بسمعى ، فخوطبت فيه ، فقيل : اقصد البصرة ، فقلت لأصحابى وهم يكنفوننى إنى أمرت بصوت هذا الرعد بالمصير إلى البصرة ...

وجاءه رجل يهودى خيبرى يقال له (ماندويه) فقبل يده ، وسجد له — زعم شكراً لرؤيته إياه — ثم سأله عن مسائل كثيرة فأجابه عنها ، فزعم أنه يجد صفته فى التوراة ، وأنه يرى القتال معه ، وسأله عن علامات فى بدنه ، فذكر أنه عرفها فيه . فأقام معه ليلته تلك يحادثه ...

لما كان فى شوال من هذه السنة (٢٠٧) أزمع الخبيث على جمع أصحابه للهجوم على أهل البصرة ، والجد فى خرابها ، وكان قد نظر فى حساب النجوم ، ووقف على انكساف القمر ليلة الثلاثاء لأربع عشرة ليلة تخلو من الشهر ، فذكر عن محمد بن الحسن بن سهل أنه قال : سمعته يقول . اجتهدت فى الدعاء على أهل البصرة ، وابتهلت إلى الله فى تعجيل خرابها ، فخوطبت فقيل لى : إنما البصرة خبزة لك تأكلها من جوانبها ، فإذا انكسر نصف الرغيف خربت

البصرة فولت انكسار نصف الرغيف انكساف القمر المتوقع فى هذه الأيام ، وما أخلق أمر البصرة أن يكون بعده .

قال محمد بن الحسن : ولما أخرب الخائن البصرة وانتهى إليه عظيم ما فعل أصحابه سمعته يقول : دعوت على أهل البصرة فى غداة اليوم الذى دخلها أصحابى، واجتهدت فى الدعاء، وسجدت، وجعلت أدعو فى سجودى ، فرفعت إلى البصرة فرأيتها ورأيت أصحابى يقاتلون فيها ، ورأيت بين السماء والأرض رجلا واقفاً فى الهواء قد خفض يده اليسرى ورفع يده اليمنى يريد قلب البصرة بأهلها ، فعلمت أن الملائكة تولت إخرابها دون أصحابى ، ولو كان أصحابى تولوا ذلك لما بلغوا هذا الأمر العظيم الذى يحكى عنها . وإن الملائكة لتنصرنى وتؤيدنى فى حربى ، وتثبت من ضعف قلبه من أصحابى ...

قال الطبرى : وكان خروج صاحب الزنج فى يوم الأربعاء لأربع بقين من شهر رمضان سنة (٢٥٥) وقتل يوم السبت لليلتين خلتا من صفر سنة (٢٧٠) فكانت أيامه من لدن خروجه إلى اليوم الذى قتل فيه أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وستة أيام . وكان دخوله الأهواز لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة (٢٥٦) وكان دخوله البصرة وقتله أهلها وإحراقه لثلاث عشرة ليلة بقيت من شوال سنة (٢٥٧) .

قلت : ومما قاله ابن الرومى فى خطب البصرة فى ميميته المشهورة :

ذاد عن مقلتى لذيذ المنام ... شغلها عنه بالدموع السجام
أى نوم من بعد ما حل بالبصرة (م) ما حـــل من هنات عظام
أى نوم من بعد ما انتهك الزنج (م) جهاراً محـــارم الإسلام
دخلوها كأنهم قطع الليـــل (م) إذا راح مـدلهم الظــلام
كم أب قـد رأى عزيز بنيه ... وهو يُعلى بصـارم صمصام
كم رضيع هنـاك قد فطموه ... بشبا السيف قبل حين الفطام
ما تذكرت ما أتى الزنج إلا ... أضرم القلب أيمـــا إضرام
رب بيت هنـاك قد أخربوه ... كان مأوى الضعاف والأيتام
رب قصر هنـاك قد دخلوه ... كان من قبل ذاك صعب المرام
عرّجا صاحبىّ بالبصرة الزهراء (م) تعريج مدنف ذى سـقام
فاسألاها ولا جـواب لديها ... لسؤال ومن لهـا بالكلام
أين تلك القصور والدور فيها ... أين ذاك البنيان ذو الأحكام
بدلت تلـكم القصـور تلالا ... من رماد ومن تراب ركام
بل ألمّا بساحة المسجد الجامع (م) إن كنتما ذوى إلمـام
فاسألاه ولا جـــواب لديه ... أين عبّاده الطوال القيام ؟
انفروا أيهـا الكرام خفافا ... وثقالا إلى العبيـــد الطغام
صدقوا ظن إخوة أملوكم ... ورجـوكم لنـــوبة الأيام
إن قعدتم عن اللعين فأنتم[1] ... شركاء اللعين فى الآثام

وقال البحترى فى مدح الموفق :

وما كان يدرى صاحب الزنج أنه ... إذا أبطرته غفلة العيش صاحبه
وكان شفاء صلبه لو تألفت ... له جثة يُرضى بها العين صالبه
تعجل عنه رأسه وتخلفت ... لطيتها أوصاله ومناكبه
جبابرة الأرض استكانت لضربة ... أرت قائمَ النهج الذى ذاق ناكبه[2]

محمد إسعاف النشاشيبى

(١) (ديوان ابن الرومى) « اختيار وتصنيف » الأستاذ كامل كيلانى .
(٢) (ديوان البحترى) « ضبطه بالشكل وعلق حوشيه » الأستاذ رشيد عطية .

قصة :

هـــذيان مجنون !

للأستاذ على الطنطاوى

ذهبت منذ أيام أزور (المستشفى الإسلامى) الكبير ، الذى تعاونت على إنشائه الجمعيات الإسلامية الأربع فى دمشق (الغراء، والهداية ، والشبان ، والتمدن) ، فوجدته شيئاً عظيماً يرفع الرأس ، بناء ضخماً يطل على الربوة من هنا ويشرف على سهل المزة من هناك ، قد قام حيث كانت تقوم تلك (القلاع العادية) ، فكان من تمام نعمة الله علينا به أن تخير له هذا المكان ، فأبدلنا بعمارات الموت ، وبنايات البلاء ، تلك القلاع ، هذا المستشفى ، بيت الصحة ، ودار الشفاء ...

وجعل المدير ، وهو شاب مسلم رضى الخلق ، واسع الخبرة ، يدور بى فى المستشفى ، ويمر بى على شعبه ، حتى إذا وصلنا إلى جناح الأمراض العقلية قال لى :

— إن ها هنا مريضاً يلح علينا أن ندعوك إليه ، وهو لا يفتأ ينادى باسمك ويرجو أن يراك ...

قلت : ومن هو ؟ وما شأنه بى ؟

قال : هو شاب مصاب بنوع من الهستريا (الجنسية) ، وهو يزعم أنه تلميذك ، وأنه وثيق المعرفة بك

فلم أحب أن أخيب رجاءه ، وإن كنت لا أدرى ما أصنع له ، وانطلقت مع المدير حتى دخلت عليه ، فإذا هو شاب حديث السن ، شاحب اللون ، بادى الضعف ، شارد النظرات مسجَّى ، لا يبدو منه إلا وجهه ، فتأملته ... فإذا هو قد كان تلميذاً لى ، وإذا أنا أعرفه ، فسلمت عليه فردّ السلام ، وابتدرنى فقال لى :

—أنت أستاذى، وإنى أرتقب مجيئك . إن لى إليك حاجة

قلت : مقضية إن كنت أقدر عليها

فظهر على وجهه خيال البشر ، ولاحت على شفتيه ظلال ابتسامة ... وقال :

— لقد نعشتنى وبشرتنى ، إن الذى أريده منك ، هو أن تعى حديثى وتنشره فى الناس ، أفلا تقدر على ذلك ؟

قلت : بلى ، أقدر إن شاء الله ...

* * *

قال : إنه خبر لا يكاد يصدقه أحد ، ولكنى أحلف لك أنه واقع ، وإذا شككت فاسأل القرية ، أتعرف قرية (الجالية) ؟

قلت : ما سمعت باسمها إلا الآن !

قال : لقد أردت أن أبتعد عن مرابع المصطافين ومواطن الازدحام إلى بلد أطلق فيه نفسى على سجيتها ، لا أقيدها بقيد عادة ولا واجب مجاملة ، فأممت بحيرة (العتيبة) ، ثم صعدت (جبل عيرام) ، حتى بلغت هذه القرية المختبئة فى كنف واد عميق لا يصل البصر إلى قراره ، يجرى فى بطنه نهر (العامون) متحدراً هائجاً يقفز من صخرة إلى صخرة ، فيكون له دوىّ وخرير ، ويعلوه الزبد فتراه من خلال الأشجار ، وأنت فى القرية ، كأنه البلور المذاب ، إذا كنت قد رأيت فى زمانك بلوراً مذاباً ؛ يحمى هذا الوادى المسحور جبلان عاليان تنطح ذراهما النجم ، وقد لبست سفوحهما وحدورهما ثوباً من الشجر أخضر ، توارت خلاله هذه القرية ...

واتخذت فيها داراً سلخت فيها شهراً من شهور الصيف ، لم أعرف السعادة إلا فيه ، ولم أدر حتى عشته ما لذة العيش وما الاطمئنان ، فلقد كنت أغدو مع النور فأصعد فى الجبل أحيى الشمس البازغة حين تشرق على الدنيا ، وأهبط الضحى إلى بطن الوادى فأتخذ لى مكاناً تحت صخرة عالية ، أو أقعد على حافة النهر الفياض . وكنت فى أكثر الأيام أضع طعامى فى سلة وأرتاد المرابع ، فحيثما استطبت المكان أقمت . وكنت أحمل معى كتاباً أقرأ فيه مرة ، وفى مصحف الكون أخرى ، فأمتع النظر بأعجب المشاهد وأبهى المرائى ، ثم أروح العشية إلى دارى ، وقد طفحت نفسى بصور الجمال ، وفاض جسمى بالعافية ...

... حتى جاء ذلك اليوم الذى صبّ فى كأس حياتى العلقم !

* * *

لقد صعدت فى الجبل على عادتى حتى جاوزت حدود القرية ، وقاربت ينبوع (البارة) ، وبلغت الغابة المهجورة التى تطيف به ، فما راعنى إلا الحجارة تتساقط حولى كأنها المنجنيق ، تنزل دراكا نزول رصاص الرشاشات ، فخرت لحظة ، ثم وليت هارباً أعدو ما أطقت العدو ، حتى وصلت إلى صخرة فاحتميت بها ، وجعلت

أنظر : ما خبر الحجارة ! فأسمع قهقهة مرعبة ... فأحسب أنها الجن تروعني ... ثم أرى امرأة تخرج من بين أشجار الغابة ، وتسير حذرة تتلفت ، فلما صارت قريبة مني، رأيتها وهي لا تراني، فإذا هي فتاة سمراء محلولة الشعر ، ذات جمال يروع الناظر ويأسر القلب ، لها عينان سوداوان واسعتان ... إذا نظرت بهما إليك أحسست بهما في الفؤاد ، وجسم ممشوق قد لوحته الشمس ، وما عليها إلا أسمال بالية لا تكاد تستر إلا الأقل منها ، فكأنما جسمها فيها البدر قد حجبته قطع من المزن الرقراق . لها كتفان مدورتان ممتلئتان ، وثديان ما فهمت قبل أن أراهما كيف يكون الثديان كالرمانتين حقاً ، وصدر رحب كأنه خلق مهداً للحب ، وساقان وفخذان لا أحب أن أوذيك بوصف فتنتهما وجمالهما ... !

وقد وقفت كالغزال المذعور ، لا أقولها كما يقولها الأدباء المقلدون ، بل أنا أعني ما أقول ، ولا أجد صفة هي أدنى إليها وأعلق بها... وجعلت تنظر حواليها... فلما اطمأنت ألقت حجارتها التي كانت تحملها ، وقعدت على الأرض . ونظرت إليها ، فإذا ذلك الغضب الفاتن يسقط برفق عن وجهها ويسدل عليه نقاب من الألم ، الألم العميق الذاهل ، فازدادت به جمالا حتى لقد تخيلتها في قعدتها تلك تمثالا للجمال الحزين قد افتنت فيه يدا عبقري وعقله ... فخرجت من مكاني وسرت إليها متلصصاً أسارق الخطو حتى إذا كدت أن أصل إليها وأضمها ، أحست بي فوثبت وثبة ابتعدت بها عني ، ثم عدت تلقاء الغابة ...

... وجعلت أرتاد هذا المكان كل يوم ، أفتش عنها وأطلبها حتى أنست بي واتصل بيننا الحديث ... فسمعت لهجة فتاة ليست من بنات القرى ، ولا من الجاهلات ، ولكن حديثها حديث المجانين ... !

* * *

سألتها ما شأنها ، وأحببت أن أعرف خبرها ، فكانت تجيبني بكلام لا يعقل :

قالت : إني أفتش عليه ، لقد دخلت المدن ، وولجت المدارس ، وبحثت في القصور ، وطفت الملاهي ، وتهت في البراري ، وضربت في الجبال ، وجست خلال الخرائب ، وسريت وحيدة ، حيث لا تجرؤ النسور أن تطير ... كل ذلك أملاً بلقائه !

قلت : بلقاء من ؟

قالت : بلقائه ... إني أحس بصوته أبداً يرن في أذني ، وأرى حينما سرت عينيه ، وألمس أبداً جلده الدافئ ، فأشعر كأن الكهرباء تسيل في عروق ، ويطفرشيء إلى عيني ولكنه يحتبس فلا أستطيع أن أبكي ...

قلت : منذ كم فارقته ؟ وهل مات أو سافر ؟

قالت : أنت مجنون ... ما فارقته قط ولا اتصلت به ، هو معي إذا نمت ، ومعي إذا نمت ، أبكي لآلامه ، ويبتسم هو للذيذ أحلامي ، ويغضب فيخفق قلبي ، ويأكل فتذهب جوعتي ، ولكني لا أقدر أن أضمه إليّ ، ولا أستطيع أن ألمسه بشفتي !

ولو لم تكن أعمى لرأيته ، إن رياه في عبق كل وردة ، وصوته في كل أغنية ، وصورته في صفحة البدر ، وصفاء الينبوع ، وخضرة الروض ...

قلت : فتى عرفته ؟

قالت : مذ كان لي قلب ، لقد همت به منذ وجدته في فكري ، وقد ملأ عليّ نفسي ، ولكني لا أدري أين يقيم ، إني أراه في اليوم على ألف شكل ، أرى في الرجل يمر بي عينيه ، وأرى في آخر قامته ، وربما استحال معنى من المعاني أحس به ولا أملك التعبير عنه ...

قلت : فمن يدلك عليه ؟

قالت : قلبي ، ألا تفهم ، أليس لك قلب ؟ يدلني على خفقانه ، هو الجمال كله ، فكل ما أرى من الجمال جماله ...

ثم سكتت وأرخت أهداب عينيها ، وغابت في ذهلة عميقة ، فدنوت منها وضممتها إليّ وأرحت ذينك النهدين على صدري ، فاستجابت لي وتعلقت بي ، ووضعت قلبها في شفتيها ، ووضعت قلبي على شفتي ، ثم ذقت منها قبلة ، ما أظن أن إنساناً ذاق مثلها. ولكنها انتفضت فجأة ، وألقت برأسي على صخرة ، فشجته وانطلقت لا تلوى على شيء ، ثم لم أرها ... وإن لم تغب خيالها عن عيني ...

* * *

ولما خرجنا من حضرة المريض قال لي مدير المستشفى : لا تصدق كلمة مما قال ، إنه هذيان مجنون لم يقع منه شيء !

قلت : إن آخر ما يهتم به الأديب ، أن يقع الحادث أو لا يقع ، أني أكتب قصة لا تاريخاً ، وحسبي ما في قصته من جمال الوصف ، وإن لم يكن لها مغزى ، وإن كانت هذيان مجانين ...

قال : شأنك ... أنت أدرى به !

علي الطنطاوي

الذرة في الصناعة (*)

للأستاذ خليل السالم

بعد انفجار القنبلة الذرية وحين كان صداه يرن فى الأسماع ، اتفق رأى الرجال الذين صفت نفوسهم ونبلت مقاصدهم بالإجماع على أن الأشياء يجب أن تنتظم لئلا يسمح لهذه الآلة المرعبة أن تستعمل فى الأغراض الحربية ؛ ومعنى هذا الحيلولة دون نشوب حرب جديدة . وفى الوقت عينه حارت الأسئلة على الشفاه : ماهى أغراض الخير فى الكشف الجديد ؟ وكيف تذلل الطاقة الكامنة فى نواة الذرة لتستغل فى الأغراض الصناعية ؟

يختلف انطلاق الطاقة الذرية كما أفضت إليه ابحاث العلماء عما تتطلبه الصناعة من ناحيتين: الأولى أنه أغفل حساب النفقات ، والثانية أن انبعاث الطاقة وقتى ومفاجىء جداً . فقد بلغت النفقات نحو نصف مليار جنيه ، واشتغل فى انتاج القنبلة (١٢٥) ألف عامل لا يزال فى العمل منهم (٦٥) ألفاً بينهم نفر كبير من أفضل الادمغة العلمية فى العالم . وإنه وإن كان تقدير الطاقة المتاحة متعذر لقلة الأرقام المرشدة إلا أننا سنعطى بعض التقديرات التقريبية .

تحطم نواة الراديوم تحطيما عضوياً تدريجياً ، وتمر بها ثمانية أدوار قبل أن تتحول إلى ذرة من الرصاص ، وتنطلق الطاقة الكامنة المخزونة فيها خلال هذه الأدوار فتساوى الطاقة المتحررة من أوقية راديوم الطاقة الناتجة من حرق ٣٠٠ طن فحم حجرى. قد تختلف هذه الطاقة عن طاقة أوقية من القنبلة الذرية ولكنها بدون شك من نفس الرتبة : فإذا فرضنا أن معامل القنبلة الذرية قد انتجت ١٠٠ باوند من العنصر الفعال تكون هذه المبالغ والجهود المنفقة قد قدمت لنا طاقة نصف مليون طن من الفحم الحجرى . وعلى هذا المعدل نخسر اقتصاديا كيفما كانت أشكال استثمار الطاقة . حتى لو كان تقديرنا بعيداً عن الدقة إلا إنه يضعنا أمام مشكلة اقتصادية حقيقية .

(*) عن مقال بالانجليزية للبروفسور أندريد عضو الجمعية الملكية .

ثم إن قوة القنبلة الذرية فى التدمير والتخريب تعود فى أقوى أسبابها إلى انطلاق الطاقة الفجائى . وقد لا تزيد هذه الطاقة عن طاقة بضعة ألوف من أطنان الفحم إلا أن ظهورها فى مكان واحد خلال جزء بسيط من الثانية يبعث فى الجو حرارة وضغوطاً موضعية هائلة تثير موجة عاصفة تكتسح كل ما يقف فى طريقها .

وليس شرطاً أن تكون الطاقة عظيمة ، فمثلها مثل الطفل الذى يحرك ذراعيه وساقيه عاماً بطوله ولا يكن أى خطر من بذل طاقته بهذا الشكل ، ولكن لو تركزت جميع حركاته فى ضربة واحدة لقتلت أقوى رجل على الأرض .

هذا التركيز فى الزمان والمكان الذى يساوق انطلاق الطاقة من القنبلة الذرية أمر مرغوب فيه عندما يقصد التدمير والهدم ، وهو سىء مزعج فى الصناعة ، فتنحصر مشكلة المستقبل إذن فى السيطرة عليه وضبطه .

ويجدر بنا قبل تناول هذه المشكلة بالبحث أن ننظر فيما حصله العلماء حتى اليوم :

أكتشف (بكرل) القوة الاشعاعية فى اليورانيوم سنة ١٨٩٦ وبعد ذلك ببضع سنوات استفرد آل كورى من اليورانيوم العنصر الأكثر فعالية وهو الراديوم . وسريعاً ما عرف أن الأخير يعطى قدراً من الطاقة ناقضاً بذلك كل النظريات القديمة ؛ وانتظر البحث حتى سنة ١٩١٠ عندما وضع رذرفرد نظرية جديدة عن بناء الذرة ، وبرهن بالتجربة على أن للذرة نواة صغيرة وصغيرة جداً بالنسبة للذرة نفسها التى لا تزيد ابعادها عن جزء من مائة مليون جزء من البوصة ، وتكمن فى هذه النواة كل كتلة الذرة وحولها تدور الكهارب (الالكترونات) . ففى الذرات الثقيلة ، كذرات الراديوم مثلا ، تنشطر الذرة من تلقاء نفسها ، أو تتحطم كما يقول العلماء ، وتقذف دقائق مع قدر من الطاقة المخزونة فى النواة .

فالراديوم يعطى الطاقة من تلقاء نفسه ولكن ببطء شديد . وليس لدينا إلا قدر ضئيل من العنصر نفسه .

أما الخطوة الثانية فقد خطاها رذرفرد وتلاميذه ، ونخص بالذكر العلامة السر جيمس شاذويك ، إذ تبين أن قذف نوى

العناصر بدقائق الفا السريعة يفلق النوى ويحولها إلى نوى لعناصر جديدة . فاستعملت قذائف أخرى ؛ وفى بعض الأحيان تحررت الطاقة النووية ؛ إلا أن طريقة رذرفرد هذه لم تؤثر إلا فى الذرات المفردة ، وتم العمل فى نطاق ضيق ، وحرارة الطاقة المنطلقة لم تزد عن حرارة شرارة . بعدها أصبح انطلاق الطاقة ممكناً نظرياً ؛ وبرغم أن فلق ذرات قليلة استلزم جهداً عظيما فإن لذة العلماء بالبحث كانت نظرية بحته أكثر منها عملية تطبيقية .

وفى سنة ١٩٣٩ أحدث العلماء نوعاً جديداً من التغير النووى . ولا يمكن أن يعزى الفضل إلى شخص واحد دون غمط حق الآخرين وفضلهم ... فكانت القذائف هى النيوترونات ... فانفلقت ذرة اليورانيوم إلى شطرين أو أكثر ، وسميت هذه العملية بالإنقسام النووى Nuclear Fission . ونتج عن الانشطار نيوترونات جديدة ظن أنها تستطيع تحت ظروف مناسبة أن تشطر ذرات أخرى ... فأى عدد ضئيل من الإنقسامات الأصلية سيفضى إلى سلسلة طويلة متتابعة تهشم كل ذرات الكتلة كالنار المشتعلة التى تلتهم كل ماحولها . وحققت الأبحاث الأخيرة هذا الظن وأثبتت التجارب صحته .

لم تنجح التجارب الأولى لأن اليورانيوم ثلاثة اصناء (جمع صنو) . خواصها الكيميائية متماثلة ولكنها تختلف فى أوزانها الذرية ، ويدعو رجل العلم هذه الأصناء « النظائر » . ولمحض الصدف اكتشف أن نظيراً واحداً مقداره أقل من ١ ٪ من اليورانيوم الطبيعى تتأثر ذراته ، أما ذرات النظيرين الآخرين فلا تتأثر ، وأكثر من هذا انها تقف فى طريق التفاعل وتقطع السلسلة . فكان الواجب الباهظ الملقى على أكتاف العلماء فى أمريكا هو عزل هذا النظير المطلوب (يورانيوم ١٣٥) .

وهكذا يتلخص تاريخ ما وصلنا إليه فى خطوات ابتدأت باكتشاف المواد التى تنقسم نواها من تلقاء نفسها ثم تهشيم بضع ذرات هنا وهناك فى مجموعة من ملايين ملايين الذرات ، ثم فلق النواة إلى شطرين يصاحبه تحرير الطاقة . ثم تحضير مادة ما يكاد يبتدىء انشطار الذرة فيها حتى يجرى سريعاً من ذرة إلى أخرى كالنار المندلعة فى مدينة خشبية .

وسريعاً ما يلحظ أنه لافرق كبيراً بين تحطيم بعض الذرات بعد بذل جهود مضنية كبيرة وتحطيم عدد كبير منها فى انفجار واحد متسلسل . فكأنه المتفجرات التى لا تتأثر إذا أصيبت برفق ، وتنفجر ملتهبة إذا أصيبت بعنف . ولكن لا تستطيع أن تفرض عليها الإحتراق البطىء لتعطى طاقتها بطريقة مضبوطة مقيدة

وحتى الآن لم يبذل أى جهد لحل المشكلة الماثلة . فلا يمكننا تخفيف نظير اليورانيوم ٢٣٥ من السيطرة على التفاعل كما يبدو لأول وهلة ، ذلك أن النظائر الأخرى تكبح انطلاق الطاقة الذاتى . وتقترح طريقة أخرى نفسها علينا : هى سحق اليورانيوم الفعال إلى حبيبات دقيقة ناعمة نعلقها فى الهواء أو فى سائل ما وعندئذ يقتضى ترتيب هذه الحبيبات لتنفجر واحدة أو قليل منها فقط فى آن واحد . وقد يستعصى امتلاك الطاقة فى هذه الحالة أيضاً . ذلك ان انطلاق طاقة يمكنها تبخير قدر كبير من الماء لحظة واحدة يضع فى وجه المهندس الفنى مشاكل معقدة متعددة . أضف إلى ذلك أن الإشعاعات التى تتحرر كما تتحرر الحرارة من ذبذبات الإنشطار المتكررة بين جزئى النواة مجهولة الأثر فى معدن الآلة التى تحتوى على العنصر الفعال .

تدور فى ذهنى مجالات استخدام الطاقة الذرية بعد السيطرة عليها فأرى منها تدفئة المنازل وتوليد البخار والحصول على انفجار معتدل فى إسطوانة كما فى آلة الإحتراق الداخلى ، واستعمال عاصفة القوة فى محركات الدسر أو تدوير المراوح ... وفى كل هذه الإمكانيات يجب الحصول على قدر ضئيل من العامل المتفجر ثم توزيع الطاقة الوضعية المنطلقة حتى يكون مقدارها عملياً فى حيز محدود دون أن تحدث كارثة .

ومن يدرى فربما يجىء استثمار الطاقة عن طريق أخرى . فمنذ ٣٠٠ سنة اكتشف البارود أول متفجر حربى ، وبذلت محاولات جمة لتشغيل آلة بقوته ولكنها فشلت ، غير أن هذا لم يحل دون أن يستعمل نوع آخر من المتفجرات لتسيير كل آلات الإحتراق الداخلى وهو مزيج من بخار البترول والهواء أو مايشبه المزيج لأننا نستطيع ضبطه والتحكم فيه بسهولة . فمن الممكن أو المؤكد ، كما يخيل لبعض الناس ، أننا سنكتشف تفاعلات ذرية تستمر وتمتد بنفسها وتكون السيطرة عليها والتصرف بها أكثر سهولة ويسراً .

الحديث المحمدى

تعقيب على مقال

للأستاذ محمد محمد أبو شهبة

قرأت بإمعان ذلك المقال الذى كتبه الأستاذ محمود أبو ريه بالرسالة العدد ٦٣٣ عن « الحديث المحمدى » ، وقد سرنى منه أنه أراد أن يدرس دينه بالرجوع إلى مصادره الأصلية . وقد ذكر أنه لما أخذ فى دراسة الحديث النبوى على هذا النحو ظهرت له حقائق وسرد بعضها ، وقد تتبعت الأستاذ فى حقائقه ، فوجدت أن منها ما يجافى الحقيقة ، ولم يكن مبنياً على دراسة عميقة راجعة إلى مصادر الحديث الأصلية :

١ — ذكر الأستاذ أنه لا يكاد يوجد فى كتب الحديث كلها حديث قد جاء على حقيقة لفظه ومحكم ترتيبه ، حتى لقد قال الإمام الشاطبى : « أعوز أن يوجد حديث عن رسول الله متواتر » ؛ ولا أدرى ما مبعث هذا الحكم : أهو نقل أم استقراء ؟ فإن كان الأول فليدلنا عليه ، وإن كان استقراء ، فالواقع خلاف ذلك ، ونحن لا نقول بأن الأحاديث كلها رويت بألفاظها ، وكيف ؟ وقد ثبت أن القصة الواحدة ، أو الواقعة ، رويت بألفاظ مختلفة ، وأساليب متباينة وإن كان المعنى واحداً ؟ ولا نقول بأن الأحاديث كلها رويت بالمعنى ، وكيف ؟ ومن الأحاديث ما اتفقت الروايات على لفظها — وإن لم تصل إلى درجة المتواتر — ومن الأحاديث ما لا يشك متذوق للبلاغة أنها من كلام أفصح العرب ؛ ومن قبل أدرك أئمة فى اللغة والبيان هذه الحقيقة ، فألفوا الكتب فى البلاغة النبوية

ولقد أدهشنى أن اتخذ كلمة الشاطبى مؤيدة لدعواه ، وأنا أقول للأستاذ : فرق بين عدم وجود حديث متواتر بلفظه ، وبين عدم وجود حديث بلفظه ، فقد ينتفى الأول ولا ينتفى الثانى ، لأن المتواتر نوع خاص « وهو حديث رواه جمع يحيل العقل تواطؤهم على الكذب » . وهو لفظى أو معنوى ؛ وقد بحث علماء الحديث عرضاً فى التواتر وفى وجوده ؛ وبعضهم — كابن الصلاح — حكم بندرته ، وبعضهم منعه ، وبعضهم حكم بكثرته[1] . ومع هذا لم يقولوا إنه لا يكاد يوجد حديث بلفظه . ومن يشك فى أن ما روى عن الرسول الكريم مثل « المسلم من سلم المسلمون من

(١) ظفر الأمانى بحث المتواتر ومقدمة ابن الصلاح ص ٢٢٦

نحن أمام كيمياء جديدة ستبتدىء . فالكيميا القديمة المعروفة فى الكتب المدرسية تبحث الذرات واتحاد الذرات كاملة غير مجزأة . أما الكيمياء الجديدة فستبحث نوى الذرات وبناءها وفلقها . ومع أن عدداً قليلا من الدقائق يكمن فى نوى الذرات إلا أن سلوكها فرع جديد من العلم . وسترى السنون القليلة المقتبلة نتائج مدهشة جديدة باهرة .

ليست مشكلة استثمار الطاقة الذرية جديدة إذ انطوت عليها أدمغة العلماء منذ أن بين رذرفرد وأتباعه أن النواة تخزن للطاقة ينتظر طرق التحرير المناسبة .

وفى سنة ١٩٢٧ كتبت « إن دراسة النواة كيمياء وفيزياء جديدتان نطرق بابهما اليوم ... حقيقة هذا العلم يبحث أصغر الأجسام التى يتصورها العقل . ولكنه سينتج منبعاً للطاقة يبذ كل مناجم الفحم فى العالم ... فهل نستطيع تحرير هذه الطاقة بكميات وافرة وافية ، وإذا استطعنا فهل نستطيع ضبطها والتحكم بها ؟ » لقد أجابت الأيام عن السؤال الأول بالإيجاب والثانى لا يزال بالإنتظار .

لقد انقضى خمسون عاماً قبل أن يتقدم العلم من كشف القوة الاشعاعية إلى العجيبة الحاضرة ، وانقضى خمسة وعشرون عاماً رأت تقدمنا من تحطيم نوى الذرات على نطاق ضيق إلى هذا التحطيم المريع الذى أذل اليابان وألقاها صاغرة راكعة . واليوم يقف تحصيلنا العلمى فى الذروة ، وتنتظم أعمال العلماء والفرق العلمية على أساس ثورى جديد . ولا يجسر أحد أن يرى بعد احتمال استعمال القوة الذرية فى المصانع بعد خمسة وعشرين عاما أو بعد عشرة أعوام ، وإننا لنرجو أن نستعملها لترفيه سعادة الجنس البشرى وزيادة رخائه وطمأنينته وضمانه الإجتماعى .

خليل السالم

لسانه ويده » و « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » « أرحنا بها يابلال » يعنى الصلاة . وغير ذلك كثير من كلام النبوة ، ومن ينكر ما فى هذا المنطق من نور وما فيه من بلاغة ؟ وحسب الأستاذ أن يخلو بنفسه وبكتاب كالبخارى ، وأنا واثق بأنه سيعدل عن فكرته .

٢ — تكلم الأستاذ عن الرواية بالمعنى ، وإن بعض الصحابة رأوا الرواية بالمعنى ، وكذا من جاء بعدهم ، إلى أن قال : « وهكذا ظلت المعانى تتوالد ، والألفاظ تختلف باختلاف الرواه » . وأقول « أما اختلاف الألفاظ ، فهذا ما لا ننكره ، وأما توالد المعانى ، والتزيد فيها والتبديل ، فهذا ما لا نقر الأستاذ عليه ، والصحابة الذين أجازوا الرواية ومن أخذ عنهم ، إنما أجازوها مع تحفظهم الشديد وتحوطهم البالغ فى المحافظة على المعنى . وكيف يغيرون فى المعنى ويتزيدون ، وهم كثيراً ما طرق مسامعهم قوله صلى الله عليه وسلم : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » ؛ ولهم من عربيتهم ودقة فهمهم للأساليب وإحاطتهم بالمعنى المراد مايحول دون ذلك ، ولا سيما وأن الرواية إنما تتصل بالحديث ، وللحديث فى نفوس الصحابة ومن بعدهم من القداسة والاحترام ما له . أليس الحديث هو الأصل الثانى من أصول التشريع ؟ الحق أنى كنت أحب من الأستاذ أن يقرأ فى كتب الرجال ، وبخاصة الصحابة والتابعين ليعرف ما خص الله هؤلاء القوم من حافظة قوية وذاكرة وقادة . وعلماء أصول الحديث بعد حينما تكلموا فى الرواية بالمعنى ، منهم من منع منها ، ومنهم من بالغ فى التثبت والتحوط ، فلم يجيزوا الرواية بالمعنى إلا لعالم بالألفاظ ، عارف بمقاصدها ، خبير بما يختل بها معانيها ؛ ولو أن تدوين الحديث تأخر قروناً معدودة ، لكان هذا الفرض قريباً ، ولكن التدوين بدأ فى أوائل القرن الثانى وازدهر فى القرن الثالث ، وخصائص العروبة متمكنة من الرواة ، ولم يكن لسان أهل العلم فسد بعد ، وإن تطرقت لوثة الأعاجم إلى العامة .

ولئن كان لرواية الحديث بالمعنى ضرر من الناحية اللغوية والبلاغية — كما ذكر الأستاذ — فلا ضرر من الناحية الدينية بعد ما بينا أن لا توالد فى المعانى ولا تزيد ومن علم مبلغ ما وصل إليه علم الرواية فى الإسلام وما امتاز به من التثبت والتحوط فإنه يستبعد ما قاله الأستاذ كل الإستبعاد وقد بلغ من يقظة أئمة الحديث أنهم كانوا يعلمون اللفظ الدخيل فى الحديث من أين أتى وكيف دخل

٣ — كتب الأستاذ كلمة عن الموضوعات وأنا أوافقه فيما قال وآخذ عليه قوله ولكى يشدوا عملهم بما يؤيده وضعوا على النبى أحاديث تجيز الوضع مثل ماروروا : « إذا لم تحلوا حراما ولم تحرموا حلالا وأصبتم المعنى فلا بأس » . وهذا الحديث بعضه لايدل على الوضع وأن فى قوله : « وأصبتم المعنى » ما يدل على أن الحديث قبل تجوزاً للرواية بالمعنى؛ وإلا فأى إصابة للمعنى النبوى إذا كان الكلام موضوعا وللحديث بقية تدل على ما سيق له . روى ابن منده فى معرفة الصحابة والطبرانى فى الكبير عن عبد الله بن اكيتمة الليثى قال : قلت يا رسول الله إنى أسمع منك الحديث لا أستطيع أن أؤديه كما أسمع منك يزيد حرفا أو ينقص حرفا ؟ فقال : « إذا لم تحلوا حراما ولم تحرموا حلالا وأصبتم المعنى فلا بأس [1] » . وكان الأجل أن يمثل بما روى زورا عن النبى صلى الله عليه وسلم : « إذا حدثتم عنى بحديث يوافق الحق فخذوا به حدثت به أو لم أحدث » فهذا يشد أزر الوضاعين .

٤ — ذكر الأستاذ حديث من كذب على متعمداً الحديث وأنه وصل به البحث إلى أن لفظ متعمداً لم تأت فى روايات كبار الصحابة وأن الزبير قال : والله ما قال متعمدا ، ورأى أنها تسللت إلى الحديث من سبيل الأدراج الخ ما ذكر . وأقول قد روى هذا الحديث من روايات عدة عن كثير من الصحابة حتى قد أوصلها بعض رجال الحديث إلى المائة بل إلى المائتين. والحق أن الحديث روى من طرق تصل به إلى درجة التواتر بهذا اللفظ. أما وصوله إلى هذا العدد الضخم فذلك فيما ورد فى مطلق الكذب لا فى هذا اللفظ بعينه ، وقد جاءت كلمة متعمدا من رواية الصحيحين وغيرهما من الكتب المعتمدة وطرق ذكرها أكثر من طرق تركها والقاعدة عند المحدثين إذا تعارضت الروايات رجح الأكثر والأقوى وهنا ترجح روايات ذكر اللفظ ويحمل

(١) مقدمة ابن الصلاح ١٨٦ هامش

المطلق على المقيد ، وأما تجوزه أن هذه الكلمة أدرجت فى الحديث ليتكئ عليها الرواة فيما يروون عن غيرهم على سبيل الخطأ أو الوهم الخ . فأقول رداً عليه إن رفع إثم الخطأ أو السهو ليس بهذه الكلمة وإنما ذلك بما ثبت من أدلة أخرى وتقرر فى الشريعة بأنه لا إثم على الخاطئ والناسى ما لم يكن بتقصير منه وسر الكلمة دفع توهم الإثم على الخاطئ والغالط والناسى .

وأما تجوزه أن هذه الكلمة قد وضعت ليسوغ بها الذين يضعون حسبة من غير عمد عملهم ؛ فلا أدرى كيف يجتمع الوضع حسبة مع عدم التعمد ، والوضع حسبة أن يقصد الواضع وجه الله والثواب وخدمة الشريعة — على حسب ظنه — بالترغيب فى فعل الخير والفضائل ، وهم قوم من الصوفية والكرامية جوزوا الوضع فى الترغيب والترهيب ، فكيف يجتمع — أيها الأستاذ — قصد الوضع طمعاً فى الثواب مع عدم التعمد ؟ وتفسير الحسبة بأنها عن غير عمد لم أقع عليه ولا أعقله

٥ — ذكر الأستاذ فى تدون الحديث أنه كان فى أول أمره مشوباً بأقوال الصحابة فى التفسير ، وغيره من مسائل دينية ، أو طرف أدبية ، أو أبيات شعرية الخ . فمن أين وصل إلى الأستاذ أن الحديث فى أول أمره كان ممزوجاً بالطرف الأدبية والأبيات الشعرية ، وأقدم كتاب وصل إلينا ممزوجاً فيه الحديث بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين موطأ الإمام مالك ، فأين ما فيه من طرف وشعر ؟ وإذا كان ذلك المزج قبل طبقة مالك ، فمن أى مصدر استقى الأستاذ هذه الفكرة ؟ والذى ذكره الحافظ فى مقدمة الفتح أن الجامعين للحديث كانوا يجمعون كل باب على حدة إلى أن انتهى الأمر إلى كبار الطبقة الثالثة ، فصنف الإمام مالك موطأه بالمدينة ، وابن جريج بمكة ، وعلى رأس المائتين جرد الحديث من أقوال الصحابة وفتاوى التابعين ، إلى أن جاء الإمام البخارى فميز الصحيح الخ ما ذكر .

٦ — ذكر الأستاذ أن الفقهاء كبلهم التقليد فلم يعتنوا بكتب الحديث ، ولم يعطوها حقها من البحث والدرس الخ ما قال

وكلمة الفقهاء شاملة للأئمة المتقدمين ، ومن بعدهم من استقل باستنباط الأحكام العملية والفروع الفقهية ؛ والثابت أن قدماء الفقهاء قد أحلوا السنة محلها الممتاز ، وجعلوها المصدر الثانى من مصادر التشريع ، وإنما اختلفوا فى الأخذ بها قلة وكثرة ، وما كان الفقيه ليصل إلى درجة الاجتهاد إلا إذا أحاط بالكثير من السنة رواية ودراية . والإمام أبو حنيفة — رحمه الله — مع التخرص عليه بقلة البضاعة فى الحديث — كان له سبعة عشر مسنداً ، أى كتاباً مؤلفاً على حسب أسماء الصحابة ، وتلميذه محمد اشتهر برواية الحديث عن مالك

وأقرب الظن أن الأستاذ أراد متأخرى الفقهاء الذين جعلوا همهم العصبية المذهبية ولم ينظروا إلى الحق فى ذاته ، وهم الذين كانوا فى عصور الجمود الفقهى

هذا ، وفى المقال بعض هنات تجاوزت عنها ، وحيث أن المقال ملخص كتاب سينشز ، فإنى لأهيب بالأستاذ أن يراجع نفسه فى بعض هذه الحقائق التى تكشفت ، وليكر على الكتاب من جديد بالتمحيص والتدقيق ، وعلم الحديث ليس بالأمر الهين والبحث فيه يحتاج إلى صبر وأناة وتمحيص وتدقيق ، ورحلة فى سبيله إلى من أحاط به خبراً ؛ وقصارى قولى : ليس الخاطئ من يظهر له الحق فيعود إليه ، وإنما الخاطئ من يظهر له الحق فيصر على الباطل .

محمد محمد أبو شهبة
عالمية من درجة أستاذ

قصة نجاة المعرى بالدعاء

هل هى خرافة ؟

للأستاذ برهان الدين الداغستانى

كتاب سر العالمين :

للامام أبى حامد الغزالى كتاب صغير الحجم يسمى « سر العالمين ، وكشف ما فى الدارين » رسم فيه سياسة وافية للفوز فى الدنيا والأخرة ، جاء فى أوله : « سألنى جماعة من ملوك الأرض أن أضع لهم كتاباً معدوم المثل لنيل مقاصدهم ، واقتناص الممالك ، وما يعينهم على ذلك » .

طبع هـذا الـكتاب لأول مرة فى بومباى سنة ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م) ثم طبع فى القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) .

وفى هذا الـكتاب ذكر الغزالى قصة نجاة المعرى بالدعاء ، ثم تناقلها المؤرخون ، والـكتاب جيلا بعد جيل وعصراً بعد عصر من غير نكير ولا شك ولا ارتياب .

ولعل مما جعل المؤرخين ينقلون هذه القصة من غير ارتياب فيها ويتقبلونها على ما فيها — لعـل من أسباب ذلك — فوق مكانة الغزالى فى قلوب العلماء على تعاقب الأجيال — قرب العهد بين المعرى والغزالى ، فقد ولد الغزالى بعيد وفاة المعرى والمسافة بين سنة ٤٤٩ وفاة المعرى وسنة ٤٥٠ ، سنة مولد الغزالى ليست بذات بال فى الحوادث التاريخية . فالغزالى على هـذا أول راو لهذه القصة والمصدر الذى استقى منه كل من أتى بعده من المؤرخين .

قصة نجاة المعرى بالدعاء :

بعد هذا التمهيد الوجيز نقدم للقارىء نص القصة كما ذكرها الغزالى قال :

حدثنى يوسف بن على بأرض الهركار ، قال : دخلت معرة النعمان وقد وشى وزير محمود بن صالح صاحب حلب إليه بأن المعرى زنديق ، لا يرى إفساد الصور ، ويزعم أن الرسالة تحصل بصفاء العقل . فأمر محمود بحمله إليه من المعرة إلى حلب ، وبعث خمسين فارساً ليحملوه ، فأنزلهم أبو العلاء دار الضيافة ، فدخل عليه عمه مسلم بن سليمان وقال : يابن أخى قد نزلت بنا هذه الحادثة : الملك محمود يطلبك ، فإن منعناك عجزنا ، وإن أسلمناك كان عاراً علينا عند ذوى الذمام ، ويركب تنوخاً العار والذلة ، فقال له : هون عليك يا عم ، فلا بأس علينا ، فلى سلطان يذب عنى ، ثم قام فاغتسل وصلى إلى نصف الليل ، ثم قال لغلامه : انظر ... أين المريخ ؟ فقال : فى منزلة كذا وكذا . فقال : زنه ، واضرب تحته وتداً ، وشد فى رجلى خيطاً ، واربط به إلى الوتد ، ففعل غلامه ذلك ، فسمعناه وهو يقول : يا قديم الأزل ، يا علة العلل ، ياصانع المخلوقات ، وموجد الموجودات ، أنا فى عزك الذى لا يرام وكنفك الذى لا يضام ، الضيوف ! الضيوف ! الوزير . الوزير ! ثم ذكر كلمات لا تفهم ، وإذا بهدة عظيمة ؛ فسئل عنها ، فقيل : وقعت الدار على الضيوف الذين كانوا بها ، فقتلت الخمسين ، وعند طلوع الشمس وقعت بطاقة من حلب على جناح طائر : لا تزعجوا الشيخ ، فقد وقع الحمام على الوزير . قال يوسف بن على : فلما شاهدت ذلك دخلت على المعرى ، فقال : من أين أتيت ؟ فقلت : من أرض الهركار ، فقال : زعموا أنى زنديق ، ثم قال : اكتب وأملى على :

أستغفر الله فى أمنى وأوجالى ... من غفلتى وتوالى سوء أعمالى (١)

قالوا هرمت (٢) ولم تطرق تهامة فى ... مشاة وفد ولا ركبان أجمال

فقلت : إنى ضرير والذين لهم ... رأى رأوا غير فرض حج أمثالى

ماحج جدى ولم يحجج أبى وأخى ... ولا ابن عمى ولم يعرف منى خالى

وحج عنهم قضاء بعد ما ارتحلوا ... قوم سيقضون عنى بعد ترحالى

فان يفوزوا بغفران أفز معهم ... أولا فإنى بناره مثلهم صالى

ولا أروم نعيما لا يكون لهم ... فيه نصيب وهم رهطى وأشكالى

فهـل أسر إذا حمت محاسبتى ... أم يقتضى الحكم تعناتى (٣) وتسآلى

من لى برضوان أدعوه فيرحمنى ... ولا أنادى مع الـكفار أمثالى (٤)

باتوا وحتى أمانيهم مصورة ... وبت لم يخطروا منى على بال

---

(١) رواية القفطى : أفعالى .

(٢) رواية سبط ابن الجوزى فى مرآة الزمان : هدمت .

(٣) رواية القفطى : تعناتى .

(٤) رواية هذا البيت فى القفطى هكذا :

من لى برضوان أدعوه أرحمه ... ولا أنادى مع الـكفار يا مال

وفوقوا لى سهاماً من سهامهم فأصبحت وقعاً منى بأميال
قالوا وهم كفيول فى كتائبهم ولا نجاح لأفيال كأفيال
لما هتفت بنصر الله أيدنى كأن نصرته بجبريل وميكال
وجاء إذ ذاك عزرائيل يغضب لى فيقبض الروح مغتاظاً بإعجال
فما ظنونك إذ جندى ملائكة وجندهم بين طواف وبقال
لقيتهم بعصا موسى التى منعت فرعون ملكا ونجت آل إسرال
أقيم خمسى وصوم الدهر آلفه وأدمن الذكر أبكاراً بآصال
عيدين أفطر من عامى إذا حضرا عيد الأضاحى يقفو عيد شوال
إذا تنافست الجهال فى حلل رأيتنى من خسيس القطن سربالى
لا آكل الحيوان الدهر مأثرة أخاف من سوء أعمالى وآمالى
وكيف أقرب طعم الشهد وهو كذا
غصب لمكتسب نحل ذات أطفال
نهيتهم عن حرام الشرع كلهم ويأمرونى بترك المنزل العالى
وأعبد الله لا أرجو مثوبته لكن تعبد إكرام وإجلال
أصون دينى عن جعل أؤمله إذا تعبد أقوام بأجعال

رأى الكتاب والمؤرخين فى هذه القصة

هذه هى قصة نجاة المعرى بالدعاء كما ذكرها الإمام أبو حامد الغزالى فى كتاب سر العالمين وكشف ما فى الدارين . ثم تتابعت الأيام ، ومضت السنون والأعوام والمؤرخون ينقلون هذه القصة لا يشكون فيها ولا يرتابون فى أمرها . فقد نقلها عن كتاب سر العالمين سبط ابن الجوزى —٥٨١— ٦٥٤ ﻫ فى كتاب مرآة الزمان .

ونقلها عن مرآة الزمان الصفدى —٦٩٦— ٧٦٤ ﻫ فى كتابيه : الوافى بالوفيات ، ونكت الهميان فى نكت العميان .

كما نقلها عن الغزالى أيضاً ابن أبى أصيبعة المتوفى سنة ٦٦٨ ﻫ فى كتاب عيون الأنباء فى طبقات الأطباء .

ونقلها عن ابن أبى أصيبعة كل من صاحب سكردان السلطان والشيخ العباسى المكى من علماء القرن الثانى عشر الهجرى فى كتاب نزهة الجليس .

وذكر ابن الوردى المتوفى سنة ٧٤٩ ﻫ فى تتمة المختصر ملخص القصة ، ثم قال : فمن الناس من زعم أنه قتلهم بدعائه وتهجده ، ومنهم من زعم أنه قتلهم بسحره ورصده .

كذلك نقل القصة أيضاً عن كتاب سر العالمين العينى —٧٦٢— ٨٥٥ ﻫ فى كتاب عقد الجمان .

والشيخ عبد القادر السلوى فى كتاب الكوكب الثاقب .

كل هؤلاء الأعلام من رجال العلم والأدب والتاريخ رووا هذه القصة كل على حسب مزاجه ورأيه من اختصار لها أو إسهاب فيها ولكن واحداً منهم لم يحاول إنكار الفكرة الأصلية فيها أبداً .

ولما كتب الدكتور طه حسين بك كتابه « ذكرى أبى العلاء » أنكر هذه القصة من أساسها لأن عم أبى العلاء مات قبل أبيه ! ، ولأن المعرى لم يكن ينتحل السحر ، ولا يعرف الطلسمات ! ولم يرض هذا التكذيب القاطع الذى لا يستند إلى سبب معقول مؤرخ حلب الشيخ محمد راغب الطباخ فذكر فى كتابه إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء (ج ٤ ص ١٦٣) سبباً جديداً معقولا لانكار هذه القصة . وهو أن محمود بن صالح تولى حلب بعد وفاة المعرى بنحو أربع سنوات . فكيف تحدث هذه القصة فى عهد محمود بن صالح ؟ .

وعن الشيخ محمد راغب الطباخ — فيما أعتقد — أخذ هذه الحجة الأستاذ الشيخ الميمنى وأثبتها فى كتابه عن المعرى . جازماً بها ، راضياً عنها .

وفى عدد الرسالة : ٦٢٥ ص ٦٧٥ قرر الدكتور الفاضل عبد الوهاب عزام عميد كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول : أن هذه القصة خرافة مروية . معتمداً فى ذلك على كتاب الأستاذ الميمنى عن أبى العلاء المعرى .

بقى أن نذكر أن عالماً فاضلا بحاثاً مدققاً هو المرحوم أحمد تيمور باشا ذكر فى كتابه الذى نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر بعد وفاته الخلاصة التى أوردها ابن الوردى ثم نقل تفصيل هذه القصة عن كتاب الكوكب الثاقب للشيخ عبد القادر السلوى ولم يحاول تكذيبها ولا الشك فيها ولكنه أراد استبعاد « رصد المريخ » لأن من يقف على كلام المعرى فى المنجمين ، وتقبيح أعمالهم يحكم بأن ذلك من الموضوع عليه .

وبعد فهذه هى قصة نجاة المعرى بالدعاء وهذه أدوارها التى مرت بها . فهل هى خرافة مروية حقاً .

رشاد الدين الراغستانى

سجون بغداد

زمن العباسيين

للأستاذ صلاح الدين المنجد

— ٣ —

ويمعن أبو يوسف فى تصوير هؤلاء العامة من السجناء فيقول: وأغنهم عن الخروج فى السلاسل يتصدق عليهم الناس؛ فإن هذا عظيم أن يكون قوم من المسلمين قد أذنبوا وأخطأوا، وقضى الله عليهم ما هم فيه فحبسوا، يخرجون فى السلاسل يتصدقون. وما أظن أهل الشرك يفعلون هذا بأسارى المسلمين الذين فى أيديهم، فكيف ينبغى أن يفعل هذا بأهل الإسلام؟ وإنما صاروا إلى الخروج فى السلاسل يتصدقون لما هم فيه من جهد الجوع.

ولقد بلغنى، وأخبرنى به الثقات، أنه ربما مات منهم الميت الغريب فيمكث فى السجن اليوم واليومين، حتى يستأمر الوالى فى دفنه، وحتى يجمع أهل السجن من عندهم ما يتصدقون، ويكترون من يحمله إلى المقابر فيدفن بلا غسل ولا كفن ولا صلاة [(١)] ».

وقد نجد فى كتب الأدب والتاريخ، نبذاً عما كان يفعل بخواص المسجونين إذا دخلوا السجن. كانوا ينزعون عنهم ثيابهم فيلبسون غيرها، ثم يقيدون، ويقدم لهم طعام خاص:

حدث ابن وهب قال: أخذنى اسحق (بن إبراهيم) فقيدنى بقيد ثقيل، وألبسنى جبة صوف. فأقمت كذلك نحو عشرين يوماً، لا يفتح على الباب إلا مرة واحدة فى كل يوم وليلة، ويدفع لى فيها خبز شعير وماء حار [(٢)] ».

وحدث سليمان بن وهب قال: « كنت فى يدى محمد بن عبد الملك يطالبنى وأنا منكوب، وكان يحضرنى كل يوم وأنا فى قيودى، وعلى جبة صوف [(٣)] ».

(١) كتاب الخراج ص ٨٨
(٢) الفرج بعد الشدة للتنوخى ج ١ ص ٤٣
(٣) « « ج ١ ص ٩٥

وذكر يعقوب بن داود قال: « حبسنى المهدى ... فى بئر ... وكان يدلى إلى فى كل يوم رغيف وكوز ماء [(١)] ... » ولما سجن ابن عبد الملك أمر بتقييده فقيد، ولم يأكل فى طول حبسه إلا رغيفاً واحداً. وكان يأكل العنبة والعنبتين [(٢)] ».

وقيد جعفر بن يحيى فى حبسه بقيد حمار قبل أن يقتل ثم ضربت عنقه [(٣)].

وسأل الرشيد جعفر بن يحى يوماً ما فعل بيحيى بن عبد الله؟ قال بحاله يا أمير المؤمنين: فى الحبس الضيق والأكبال [(٤)].

وقيد إيتاخ فى سجنه وصير فى عنقه ثمانون رطلا وقيد ثقيل [(٥)]. وكانت وظيفته رغيفاً وكوزاً من ماء.

ولما حبس إسحق بن إبراهيم عمر بن فرج ألبسه جبة صوف وقيده بالأكبال [(٦)].

وحبس بختيشوع المتطبب فى المطبق فضرب مائة وخمسين مقرعة وأثقل بالحديد [(٧)].

وقد كانت جبة الصوف تدهن أحايين كثيرة بالنفط أو بماء الأكارع [(٨)]، كما فعل بجبة ابن الفرات وغيره [(٩)]. أما القيد فربما بقيت آثاره بعد فكه. وهذا ما حدث لأبى العباس أحمد ... ابن الفرات، فقد علق بحبال فى يديه بقيت آثارها فيها مدة حياته [(١٠)]، وربما أصاب المسجونين الإهمال، فلم يكسوا أو يطعموا. وقد ذكر ابن المعتز أن الرشيد أرسل مسروراً الكبير إلى البرامك، وهم فى الحبس يتعرف حالهم. فصار إليهم فوجد الفضل ساجداً فهتف به فلم يجبه، فدنا منه فوجده نائماً يغط. وكان فى ثوب سمل، وذلك فى الشتاء والبرد شديد [(١١)].

(١) الفرج بعد الشدة ج ١ ص ١٤١
(٢) الطبرى فى حوادث سنة ٢٣٣ ج ١٢
(٣) « « « ١٨٧ ج ١١ ص ٦٧٨
(٤) « « « ١٨٧ ج ١١ ص ٦٧٠
(٥) « « « ٢٣٥ ج ١٢ ص ١٣٨٦
(٦) « « « ٢٣٣ ج ١٢ ص ١٣٧٨
(٧) « « « ٢٤٥ ج ١٢ ص ١٤٤٧
(٨) كتاب الوزراء الصابى ص ٢٩٨، ٢٩٩
(٩) « « « ص ١٠٤
(١٠) « « « ص ٨ و ٩
(١١) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ١٢١

فأنت ترى أن لباس السجناء جبة من صوف ، وأن طعامهم رغيف فى اليوم ، وشرابهم كوز من ماء ، وقيودهم السلاسل والأكبال .

وربما كان للسفهاء فى السجون العامة سيطرة وسلطان . نستدل على ذلك من أبيات قالها عبد الملك بن عبد العزيز وكان قد حبسه الرشيد ، وهى :

ومحلة شمل المكاره أهلها وتقلدوا مشنوءة الأسماء
دار يهاب بها اللئام وتتق وتقل فيها هيبة الكرماء[1]

ولم يكن يسمح للمحبوسين أن يقابلوا أحداً . وقد يكون ذلك بالرشى . حدث محمد بن صالح العلوى قال : « وجاءنى السجان يوماً وقال إن بالباب امرأتين تزعمان أنهما من أهلك ، وقد حظر على أن يدخل عليك أحد . إلا أنهما أعطتانى دملج ذهب ، وجعلتاه لى إن أوصلتهما إليك ، وقد أذنت لهما ، وهما فى الدهليز ، فاخرج إليهما ...[2] » .

ويقول ابن المعتز إن البرامكة كان يزورهم فى محنتهم من كان يألفهم أيام نعمتهم حتى أن الرشيد كان يقول لسعيد بن وهب « آنس القوم بحديثك ، وأكثر من زيارتهم[3] » .

***

وهنا قد يتساءل الإنسان : أكان السجناء يتعلمون فى السجن صناعة ما أو علماً ؟ ويذهب آدم متز[4] إلى أن المسجونين كانوا يشتغلون بنسج التكك ، مستنداً على بيت من الشعر قاله ابن المعتز ، لم نجده فى ديوانه ، وهو :

تعلمت فى السجن نسج التكك وكنت امرءاً قبل حبسى ملك

على أننا لا نستطيع أن نجزم بذلك . فابن المعتز سجن فى مكان خاص منفرد ؛ ولم تكن مدة سجنه طويلة حتى يتعلم ، على أنه إذا نفينا ذلك عن ابن المعتز ، فقد يكون للسجناء ، فى السجون العامة الأخرى .

ويحدثنا ابراهيم الموصلى أنه حبس أيام المهدى وضرب قال :

(١) اللطائف والظرائف للمقدسى ص ١٢٠
(٢) مهذب الأغانى ج ٩ ص ١٣١ ترجمة محمد بن صالح
(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز : ١٢١ — ١٢٢
(٤) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع للهجرة : ج ٢ ص ١٦٥

فحذقت الكتابة والقراءة فى الحبس . وليس فى هذا أيضا ما يوجب التعميم[1] .

***

وما كادت المائة الثانية من الهجرة تمضى ، حتى بدأت السجون تنال عناية من الخلفاء ؛ ولا سيما المعتضد . فقد أوقف لها الأموال الكبار لنفقات المحبوسين وثمن أقواتهم ومائهم وسائر مؤنهم . وقد جعل فى ميزانيته ألف وخمسمائة دينار فى الشهر لذلك[2] . ويحدثنا القفطى أنه عين لمن فى السجون أطباء أفردوا لذلك . فكانوا يدخلون إليهم ويحملون معهم الأدوية والأشربة ، ويطوفون على سائر الحبوس ويعالجون فيها المرضى[3] ، كما جعل للمحبسين ديوان خاص تكتب فيه قصصهم فى دفاتر خاصة يرجعون إليها دائماً[4] .

التعـــذيب

وكانوا يلجأون فى بعض الأحايين إلى تعذيب السجين تعذيباً مؤلماً . وقد يخص بالعذاب الوزراء والعمال . وسنعرض عليك ألواناً مختلفات من التضييق والتعذيب ؛ فقد كان سليمان بن وهب فى أول حبسه بالبئر « يأنس بالخنافس وبنات وردان ويتمنى الموت لشدة ما هو فيه[5] » .

وحبس محمد بن القاسم ... بن على بن أبى طالب فى الحبس الذى شيد فى بستان موسى « فلما أدخل إليه أكب على وجهه فى أسفل بيت منه . فلما استقر به أصابه من الجهد لضيقه وظلمته ، ومن البرد لندى الموضع ورطوبته ، ما كاد يتلفه[6] » .

أما الضرب والتعذيب فكثير : فقد ضرب بختيشوع المتطبب مائة وخمسون مقرعة[7] . وضرب يحيى بن خالد ، والفضل ابن يحيى[8] وسوهر محمد بن عبد الملك ، ومنع من النوم ، وكان

(١) الأغانى ج ٥ ص ٤
(٢) تاريخ الوزراء للصابى ص ٢١
(٣) القفطى : ص ٢٢١
(٤) الطبرى حوادث سنة ٢٤٩ ج ١٢ ص ١٥١٠
(٥) الفرج بعد الشدة للتنوخى ١ — ٤٣
(٦) الفرج بعد الشدة للتنوخى ١ — ١١٩
(٧) الطبرى فى حوادث سنة ٢٤٥ ج ١٢ ص ١٤٤٧
(٨) العقد الفريد ج ٣ ص ٢٧٢ ، والمحاسن والمساوى للبيهقى ٥٦٣

ينخس بمسلة « تؤلمه وتدمى جسده[١] » .

ولما سجن المعتز بعد خلعه دفع إلى من يعذبه ومنع من الطعام والشراب ثلاثة أيام ، فطلب حسوة من ماء البئر فمنعوه منها ، ثم جصصوا سرداباً بالجص السخين وأدخلوه فيه وأطبقوا عليه فأصبح ميتاً[٢] » .

وقد كان يحدث القتل وضرب الأعناق . وأورد التنوخى قصة قتل نوردها بكاملها ، قال : « حدثنى عبيد الله بن أحمد بن الحسن ... وكان خليفة أبى علىّ على الفتيا بسوق الأهواز بإسناده عن القاضى أبى عمر قال : لما جرى من أمر عبد الله بن المعتز ما جرى حبست وما فى لحيتى شعرة بيضاء ، وحبس معى أبو المثنى القاضى ، ومحمد بن داود بن الجراح فى دار واحدة ، فى ثلاثة أبيات متلاصقة . وكان بيتى فى الوسط : وكنا آيسين من الحياة . وكنت إذا جن الليل حدثت أبا المثنى تارة ، ومحمد بن داود تارة . وحدثانى من وراء الأبواب . ويوصى كل واحد منا إلى صاحبه ، ونتوقع القتل ساعة بساعة . فلما كان ذات ليلة ، وقد اغلقت الأبواب ، ونام الموكلون ؛ ونحن نتحدث من بيوتنا إذ أحسسنا بصوت الأقفال تفتح . فارتعنا ، ورجع كل منا إلى صدر بيته . فما شعرت إلا وقد فتح البواب على محمد بن داود ، وأخرج ، وأضجع على الذبح فقال : يا قوم ذبحاً كما تذبح الشاة ؟ أين المصادرات ؟ أين أنتم من أموالى أفتدى بها نفسى . فما التفتوا إلى كلامه ، وذبحوه وأنا أراه من شق الباب ، وقد أضاء السجن من كثرة الشموع ، وصار كأنه نهار . واحتزوا رأسه فأخرجوه معهم ، وجردوا جثته ، وطرحت فى بئر الدار وغلقت الأبواب . (قال) فأيقنت بالقتل ، وأقبلت على الصلاة والدعاء والبكاء ، فما مضت إلا ساعة واحدة حتى أحسست بالأقفال تفتح ؛ فعاودنى الجزع ، وإذا هم جاؤوا إلى بيت أبى المثنى ففتحوه وأخرجوه وقالوا له : يقول لك أمير المؤمنين ، يا عدو الله ، يا فاسق بم أستحللت نكث بيعتى وخلع طاعتى ؟ فقال . لأنى علمت أنه لا يصلح للامامة ! فقالوا : إن أمير المؤمنين قد أمرنا باستتابتك من هذا الكفر ، فإن تبت رددناك إلى محبسك ، وإلا قتلناك . فقال أعوذ بالله من الكفر ، ما أتيت ما يوجب الكفر . فلما أيسوا منه مضى بعضهم وعاد فأضجعوه وذبحوه وأنا أراه ، وحملوا رأسه وطرحوا جثته فى البئر . فذهب علىّ أمرى ، وأقبلت على الدعاء والبكاء والتضرع إلى الله . فلما كان وجه السحر سمعت صوت الأقفال ، فقلت : لم يبق غيرى وأنا مقتول . فاستسلمت وفتحوا الباب فأقامونى إلى الصحن ، وقالوا : يقول لك أمير المؤمنين : يا فاعل ويا صانع ، ما حملك على خلع بيعتى ؟ قلت : الخطأ وشقوة الجد . وأنا تائب إلى الله عز وجل من هذا الذنب ... فجاؤا إلى بخفى وطيلسانى وعمامتى ، فلبست ذلك وأخرجت ، فجىء بى إلى الدار التى كانت برسم ابن الفرات فى دار الخليفة . فلما رآنى ، أقبل يخاطبنى بعظم جنايتى وخطأى ، وأنا أقر بذلك وأستقيل وأتنصل فقال : « وهب لى أمير المؤمنين دمك ، وابتعت منه جرمك بمائة ألف دينار ، ألزمتك إياها[١] » .

وقد يعذبون بغير ما ذكرنا . فقد رؤى فى أيام المقتدر ، رجل فى المطبق مغلولا على ظهره لبنة حديد فيها ستون رطلا[٢] . ولما حبس إيتاخ أطعم كثيراً فاستسقى فمنع الماء فمات عطشاً[٣] .

* * *

على أن هناك صلة بين التعذيب عند العباسيين ، والتعذيب على أهل أوروبة فى القرون الوسطى . وإن كان التعذيب فى أوربة يفوق تعذيب العباسيين شدة وفظاظة . فلقد بلغوا فيه مبلغاً من القسوة لا يجاريهم فيه أحد . وقد ذهبوا فى الظلم والإرهاق مذاهب شتى ، وتنافسوا فى ابتكار أشد وسائل الإرهاب فى السجن فظاعة . من ذلك أن بعض السجون المظلمة التى كان يزج فيها السجناء كانت أشبه بمغاور تحت الأرض ، يوصل إليها بسلالم ، لا ينفذ إليها النور . وكانت السلالم مؤلفة من عدة درجات ، يختلف بعضها عن بعض فى حجمها وارتفاعها ، والغرض من جعلها كذلك تضليل النازل حتى تزل قدمه فيهوى إلى قاع السجن الرهيب .

(يتبع) صلاح الدين المنجد

(١) الطبرى فى حوادث سنة ٢٣٢
(٢) الطبرى فى حوادث سنة ٢٥٥

(١) الفرج بعد الشدة للتنوخى ١ — ١٠٨
(٢) الفرج بعد الشدة للتنوخى ١ — ١١١
(٣) الطبرى حوادث سنة ٢٣٥

الحياة الأدبية فى الحجاز

نهضة النثر

الأستاذ أحمد أبو بكر ابراهيم

أثرت العوامل الثقافية والقومية والسياسية فى النثر الحجازى كما أثرت فى الشعر، فتخلص من قيود القديم، ولم يعد الآن بين الكاتبين فى الحجاز من يصب على قوالب الأقدمين فيطرب للمحسنات أو يتحرى موضوعاتهم فى العتاب والشكوى والمقامات.

وإنك لتعجب لهذا الانقلاب السريع الذى طرأ على النثر الحجازى؛ فإنهم استطاعوا أن يغيروا اتجاهه فى فترة قصيرة من الزمان، ولعل الذى سهل لهم هذا الطريق هو ماسبق أن قررناه فى الشعر من أن الأديب الحجازى وجد نفسه - منذ أن تفتحت أمامه سبل النهضة - متخلفا عن الركب العربى فدفع بنفسه دفعة قوية آملا أن يصل إلى أقصى الغايات. ثم إنه وجد أمامه طريق التجديد سهلة معبدة قد سلكها غيره من أدباء مصر والشام والمهجر فلم يتعثر طويلا فى الطريق التى تعثروا فيها قبله وصاح صيحة قوية فى وجه التقليد ودعا فى حرارة وشغف إلى التعلق الجديد ومن قول عواد فى ذلك: « إذن فما لنا نرجع إلى الوراء حتى فى الأدب؟! جناية جناها على أفكارنا وأقلامنا الأقدمون نطأطأنا لها الرءوس.

كفى يا أدباء الحجاز، ألا نزال مقلدين حجريين إلى الممات! أقسم لولا حركة عصرية فى الأدب قائمة الآن فى الحجاز بهمة فيف من أحرار الأدب العصرى، لما عرف العالم شيئا فى الحجاز يدعى الأدب الصحيح ...

وفى الحجاز الآن مدرستان للنثر تقابلان مدرستى الشعر؛ فإحداهما متئدة وهى متأثرة أشد التأثر بأدب مصر والشام، والثانية مجددة ممعنة فى التجديد وهى متأثرة بأدب المهجر. وكان طبيعيا أن تقوم هاتان المدرستان فى النثر بجانب مدرستى الشعر لاختلاف المصادر التى يستقى منها التجديد أدباء الحجاز وانقسامهم فريقين يختار كل منهما ما يحلو له وما يغذى اتجاهه. وثمة سبب آخر لعله أوضح من سابقه فى ظهور هذين الاتجاهين فى الشعر والنثر معا وهو أن التخصص لم يظهر بعد ظهورا واضحا عند أدباء الحجاز فأكثر الأدباء عندهم شعراء وكتاب وخطباء ولو أننا عددنا كاتبين كالسباعى وزيدان لم يحاولا الشعر ولم يحفلا به لوجدنا بجانبهما عشرات من الكتاب الشعراء فعبد القدوس والنقشبندى وعلى حافظ ومحمد سرور وغيرهم يكتبون ويشعرون فكان طبيعياً أن تظهر نزعاتهم الشعرية فى نثرهم وأن ينهجوا منهجين فى النثر كما نهجوهما فى الشعر.

والنثر الجديد فى الحجاز يحمل طابع الشعر وخصائصه: ففيه خياله الفياض وحماسته المتدفقة، وفيه التعبير عن العواطف والأحاسيس حتى ليخيل إليك وأنت تقرأ نثر المجددين منهم أنك أمام شعر شاعر قد تزاحم خياله ودقت عواطفه؛ فساق إليك المعانى فى صور من الخيال مؤثرة، ولا تلحظ من الفوارق بين شعرهم ونثرهم إلا أن الأول موزون، والثانى غير موزون. فتأمل قول « عزيز ضياء » فى قطعة عنوانها « وطنى ».

أنت ياوطنى ينبوع تدفقت منه أنوار المدنية والحضارة والعلم.

من روابيك وربوعك، من جبالك وسهولك، من محاريبك وقفارك تعالى فيك صوت الدين الإسلامى الحنيف فسمعته الإنسانية؛ فاستيقظت فيها مواضع الإحساس وانبعثت فيها روح الحياة.

منك يا وطنى انبثق الفجر الذى بدد ليل الهمجية والوحشية الذى ظلت تتخبط فى دياجيره الإنسانية قرونا طوالا.

يا وطنى يا مهبط الوحى ومشرق الإصلاح.

يا منجم الأبطال الخالدين ومنبت العباقرة النابغين

يا مهد الحرية والعدالة والمساواة.

يا مهد طفولتى السعيدة، يا من استقبلت فيه وجه الحياة وعرفت فيه معنى الوجود.

يا جوهرتى الغالية يا كنزى الثمين ، يارمز مجد العالم ، ياشارة فخر الإنسانية .

أحبك ياوطنى .

أتفانى فى حبك كما يتفانى الفراش فى النور .

يلذ لى أن أحترق بخورا فى مجمرة الواجب الذى علىّ نحوك .

من ثدى أمى رضعت لبان حبك .

من حرارة شمسك استمددت حرارة إخلاصى .

من صفاء جوك اكتسب الصفاء ضميرى .

وسأظل يا وطنى .

سأظل وفيا مادامت لبان أمى تجرى فى دمائى .

وستظل حرارة إخلاصى ما دامت حرارة شمسك .

وسيدوم صفاء ضميرى ما دام صفاء جوك .

أحبك يا وطنى ... ... الخ »

ألسنا نرى فى هذه القطعة من الخيال وطريقة العرض ما يحملنا على القول بأنها شعر منثور قد توافرت فيه خصائص الشعر فى المعانى والأخيلة والأساليب وطريقة الأداء ؟ !

وقد يكون هذا الإمعان فى الخيال ناتجا من عدم تخصص أدبائهم فى صنعة من الصناعتين ، وقد يكون راجعا إلى قراءتهم أدب المهجر ، فإنك لا تكاد تظفر بكاتب من كتاب المهجر لا يقول الشعر ، بل إنهم ليحاولون دائما التقريب بين الشعر والنثر : فيخففون من قيود القافية ويتحررون من التزامها ، ولكنهم فى النثر يكررون بعض الجمل ويلتزمونها بل إنهم يسجعون أحيانا لا لأنهم يريدون السجع ولكنهم يرون مثل هذا فى قافية الشعر فيريدون التقريب بينهما لتزول الفوارق .

وهذه الظاهرة يجدها القارىء لنثر الحجازيين فهم خياليون فى نثرهم ، وهم يتخيرون الألفاظ الموسيقية التى تشبه ألفاظ الشعر وهم فوق هـذا وذاك يطرقون به أغراض الشعر العاطفية التى تتدفق حماسة وقوة . وهم كثيرا ما يفصلون الجمل فصلا كأن كل جملة من جمل النثر بيت من أبيات الشعر غير متصل بما بعده فى تركيبه وإن اتصل به فى معناه .

ومن الأمثلة الحديثة فى نثر الحجاز ما كتبه « حسين خزندار » بعنوان « ذراع الجبار » وقد أراد فى كلامه أن يصور بطولة جنـدى جاهد فى سبيل الواجب حتى قتل فهو يقول من كلام طويل :

أرأيت تلك السهول الفسيحة ؟

فهناك فى تلك الأكمة الخالدة .

وهناك حيث التضحية والشهامة .

تثوى عظام الجبار الخالد .

فهى رمز البقاء الدائم .

تنادى من أعماقها :

الحرية أو الموت .

* * *

تعالى يا فتاتى ولننشد نشيد السعادة .

مرددين مقطوعته العذبة .

الحرية أو الموت

فالحياة بدونها كابية كئيبة .

والحياة بدونها موحشة قد ارتدت سلاب الحزن .

فهى سر الحياة كالأرواح .

ومنبع الإحساس فى نفوس الأباة .

فإما الثريا وإما الثرى .

* * *

ولسنا نريد من هذا الكلام أن نقول : إن كل كتابة فى الحجاز تتبع الطريقة التى ذكرناها فإن المدرسة المتئدة تتأثر أدب مصر والشام فتتحرى الدقة فى التعبير وتحاول أن تخاطب العقل أكثر مما تخاطب العاطفة فى كلام مترابط متسلسل يتبع أساليب المنطق ، وقد رأينا من هؤلاء الأدباء « عبد السلام عمر ، وأحمد العربى ، وعلى حافظ ، وزيدان ، وأمين عقيل ، وعنبر وغيرهم » .

أما أحمد سباعى وهو أثبت الناثرين قدما فى الحجاز وأقوامهم قلما فإنه يتبع المناهجين ويسير على الطريقتين ، فتارة يكتب كما يكتب أدباء مصر وأخرى يسير كما يسير أدباء المهجر فى عرض

الموضوع وطريقة الأسلوب ، ومثــله فى طريقته الشيخ سرور الصبان .

قال السباعى من قطعة له بعنوان « حذار أن تكون ضعيفا » .

« ما رأيت كالقوة منعة تحصن جانب المرء وتعزز مكانته وتحفظ عليه كرامته ، وإنه يخيل إلى أن البسيطة بأهلها وأهلها بقواعدهم اصطلحوا على احتقار الضعيف وأطبقوا على الإستهانة به والسخرية منه ، لحذار يا صاحبى ، حذار أن تكون ضعيفا .

شهدت ضعيفا يدلج فى أحد الشوارع وعاصفة من الصفير تدوى فى أذنه وكوكبة من الأطفال تعبث به ، فقلت هو الضعيف ويله من الصغار والجهلاء !

وشهدت آخر تكالب جمع غفير على إيذائه ، هذا يصفعه ، وذاك يمتطى ظهره وغيره يدفعه ليغريه بالرقص واللعب ، وكانت زفرات المسكين تتصاعد فتتلاشى فى ضحك الضاحكين وقهقهة الصاخبين ، فقلت هو الضعيف ويله من غوغاء الشوارع وأوباشهـا ! ...

ويقول :

وسمرت ليلة فى جمع من أرباب الحجى وذوى الفضل ، فتصدرنا ضعيف أخذوه بيده إلى أرفع مجلس فأوهموه العظمة وراحوا على حساب ذلك يتغامزون ويعبثون . ومضت ليلة حسبت صاحبى سيقضى فى نهايتها كمداوها ، فقلت هو الضعيف ويله من أبناء الحياة صغارهم وكبارهم وغوغائهم وأشرافهم ! !

لحذار . حذار ياصاحبى أن تكون ضعيفا ... »

ومن هذا الكلام تستبين تأثر الكاتب بطريقة المنفلوطى كما تستبين حماسته التى استفادها من أدباء المهجر

والشعر الحجازى لا يزال أقوى من النثر ، ويظهر أن هذه حقيقة مقررة فى كل أدب ناشىء ؛ فإن الشعر دائما فى بداية النهضات يطغى على النثر حتى إذا ما توافرت أسباب النهوض ونمت دوحة الأدب تقدم النثر لاهتمام الناس به وتأخر الشعر عن منزلته شيئا فشيئا ، وقد حدث مثل هذا فى نهضتنا المصرية فى العهد الحاضر .

ويعالج النثر الحجازى فى الغالب الكثير النواحى الإجتماعية : فهو يتناول النواحى الخلقية يحاول إصلاحها وهو ينتقد ضعف الشباب وعدم طموحه ويرسم له المثل العليا ، وهو يتحدث عن المرأة الحجازية ليقوى مكانتها الإجتماعية فتصبح أماً صالحة تستطيع أن تربى أبناءها وتأخذ بأيديهم إلى طريق الفلاح وهكذا ... وهو يسوق ذلك كله فى طرائق مختلفة ، وأظهر تلك الطرائق التهكم من الحالة الإجتماعية القائمة والعرض القصصى والأسلوب الخيالى .

أما القصة المصرية عندهم فلا تزال مجهولة وذلك لأن إتقان القصة يحتاج إلى زمن طويل يتملأ فيه الأدباء مناهج الغربيين ويعرفون طرائقهم فيها ، وإذا كانت مصر إلى الآن لا تزال متعثرة فى فن القصص مع أنها بدأت تترجم هذا الفن عن الغربيين منذ عهد إسماعيل فما بالك بالحجاز ونهضته لا تعدو ثلاثين سنة .

نعم ، لقد بدأ بعض الحجازيين ممن يعلمون اللغات الأجنبية يترجمون بعضا من الأقاصيص الأوربية وينشرونها فى مجلاتهم ليربوا الذوق القصصى فى البلاد ، ولكن هذا العمل لا يزال فى البداية وسوف لا تظهر ثمرته إلا بعد وقت طويل من الزمان .

أحمد أبو بكر ابراهيم

من «لزوميات مخيمر»

[إلى هؤلاء الذين أرشدونى إلى ينابيع
نفسى : الشبيبى والزيات ، والباعي بيومي ،
والعقاد ، وهاشم عطية أهدى هذه اللزوميات]

للأستاذ أحمد مخيمر

ليلى

أتعلمُ ليلى بحبّى لهـا ... وما ذا فؤادىَ منـه خبأ
تشيّعنى بالخطوب الكبـا ... ر ، وتقتلنى قتلة لم تُـبأ[1]
وتُظمئنى ، وتُوارِى[2] الندا ... ءَ ، وتلحظ ظِمْئِىَ[3] بالمرْتَبأ[4]
وتذهبُ أنباء حبّى لها ... وما جاء من هواها نبأ
وما حفلتْ بسرايا الحنيـ ... ـن فؤادى لها من قديم عَبَأ
أرأرىء[5] فى شغف للمزا ... ر، فياليتنى كنتُ فيه الحبَأ[6]
سَنَشْبدُها بذلت مَخْضَهَا[7] ... لتسكر مِنَا،أم سقتنا الكَبَأ[8] ..

خلود ليلى

أتطمعنى فى الخلد وحدى! وإنما ... خلودى بلا ليلى خلودٌ مضلَّلُ
إذا أشرقتْ بين الجوانح شمْسُها ... مضى القلبُ خفّاقَ المنى يتهلّلُ
وخف به شوقان: شوق معَلَلٌ ... يُحَسُّ، وشوق دونه لا يعلّلُ
وأى بقاءٍ بعد ليـلى أريده ... وليلى خلودٌ بالنعيم مكلّلُ
أنازُع قلبى عند أبياتها الخطا ... فأمضى، ويمضى وحده يتسللُ .!

الدليل

إذا رمضَت أقدام روحى تفيأتْ ... ظلال حبيب ،أو فُيوء[9] خليلِ
وقد سرتُ فى وادٍ بحسنك عاطرٍ ... وعشتُ بأيكٍ من هواك ظليل
وما خفتُ يوماً أن تضلَّ مسالكى ... وأنتِ بصحراء الوجود دليلى
وكيف يخاف الفقر من كنت عونه ... وما بذلت عيناك غير قليل
طلعت فبدّدتِ الظلام بلامعٍ ... مهيبٍ ، ومعشوقٍ أغرَّ جليل
وكنتِ على الأيام راحةَ مُجهدٍ ، ... ونعمةَ محرومٍ ، وبرءَ عليلِ
وينبوعَ حب، كم أتحتِ لظامئٍ ... ملذَّةَ وِرْدٍ ، أو شفاءَ غليلِ
ألا كلَّ ليلى طاولتْكِ بحسنها ... هوتْ بجناح للتراب ذليل ..!

قمم النور

يا فرحةَ الحبِّ قد صعدنا ... إلى ذرا[1] النور ، وارتقينا
وقرّبتنا لها الليالى ... فى جيرةِ الخلْد فالتقيْنا
وهيّأت ظلّها فنمنا ، ... ومدّتِ النبْعَ فاستقيْنا
أىّ سرورٍ نريد منها ... وأىّ حزنٍ قد اتقينا ..!
قد عرضَتْ ذخرها فنلنا ... ما شاءت الروح ، وانتقينا

وحدة الخلود

ستخلد بى ليلى ، ويزخر قلبها ... بآباده ، ملآنَ بالنشواتِ
وما لحظات الأرض ، وهى قصيرة ... سوى زبدٍ طافٍ على السنواتِ
فيا أسفا إن رحتُ وحدىَ خالدا ... وطال اعتساف الروح فى الفلواتِ
وألقيت طرفى فى الوجود، فلم أجد ... وراء الدجى ليلاىَ والغدواتِ
وطال حنين القلب فى قبضة الأسى ... وفاضت دموع العين فى الخلواتِ
ستمسى حنايا النفس مغلقةَ الصدى ، ... مخوفَ الجُذا[2] ، مطويّةَ النزواتِ
تدلّى إلى مهوًى سحيقٍ قراره ... بعيد الحوافى، مظلم الفجواتِ ..
فلا تتركينى ليلَ وحدى ، فإنما ... لحسنك ما غنيت من صلواتِ
إذا فرقتنا بعد حين يد النوى ... فإن رحيلى عنك من هفواتى .!

(ادفو) أحمد مخيمر

---

(١) لم تؤخذ لها دية أو قصاص .
(٢) تخفى .
(٣) الاسم من الظمأ .
(٤) المرتفع وهو مكان الربيئة .
(٥) حرك الحدقة ونظر بحدة .
(٦) جليس الملك وخاصته .
(٧) لحمها .
(٨) اللبن .
(٩) جمع فئ .

---

(١) جمع ذروة .
(٢) جمع جذوة .



الشيخ أحمد ابراهيم بك :

من الطفولة حتى الشباب فى مراحل التعليم الثلاث ، وأنا أسعد بأستاذيته — رحمه الله — وقد كان لهذه الصلة فى نفسى منذ نشأت أعمق الأثر ، وكنت أشعر دائماً أن له على فضل التوجيه. وقد كان إكبارى له وإعجابى بعلمه وورعه ، وسمو نفسه وأسلوب تفكيره يحملنى على أن أحاول اتخاذه قدوة صالحة .

فما عرفت أدق منه فى سبر أغوار المشاكل العلمية ، فى يسر وسهولة ، ولا أحرص منه على شعائر الدين والتقوى ، فى نقاوة وورع ، ولا أسبق لمعانى الفضيلة ، فى جلال وجمال وروعة

ما عرفت من هو أوفر حظاً منه فى هذا كله ، نأى بجانبه عن كل ما يشوب كرامة العالم ، فأحاط نفسه بسور منيع حال بينه وبين الزلفى ، والعمل لغير وجه الله ، فى مراقبة شديدة لواجبه وضميره..

عف عن المادة فى مختلف مواطنها ، فما طلبها ولا سعى إليها ، وقد كانت سبلها ميسرة معروفة لمن يلتمس حطام الدنيا الفانية.

كرس حياته —رضى الله عنه — لاستنباط أسرار الشريعة السمحاء ، والكشف عن دقائقها ومميزاتها وذخائرها ، وما تمتاز به عن سائر الشرائع ، فكان يعنى بالمقابلات الطريفة والمقارنات الدقيقة بين المذاهب والآراء ، والعقائد وطرق التدليل والتفسير والتأويل التى تنطوى عليها مباحث علماء الإسلام ، ثم بين هذه وغيرها فى الديانات الأخرى ، كل ذلك فى تبسيط جم للمعقد ، وتذليل للصعب العسير من نظريات الشريعة ، فما كنا نلمح أثراً للجفاف الذى يبعدنا عن فهمها ، ونحن فى هذه السن الباكرة التى لا تقوى على استساغه هذه المقارنات المستفيضة الشاملة .

شغفنا بالبحث والقراءة ، وسكنا إلى هذه الدراسة على ما فيها من تشعب واسترسال بفضل معونة أستاذنا وتوجيهه — أثابه الله — وحبب إلينا درسه ، فما أذكر أننى تخلفت عنه يوماً ، ولا كانت لى رغبة ملحة ولهفة فى الإصغاء لأستاذ سواه .

طراز نادر بين الأساتذة والعلماء ورجال الدين ، ولعله كان المثل الأعلى والنموذج النادر بين هؤلاء جميعاً .

وفضيلة أخرى كانت من أخص فضائله — أكرم الله مثواه — تلكم هى الوفاء — هذه الصفة التى غاض نبعها فى نفوس الناس حتى الخلصاء منهم والأصفياء .

فلقد شاء كرم أبناء المعهد الكريم — دار العلوم — أن تقام لى حفلة تكريم منذ شهور فلم تحجزه العلة المعقدة عن الخطابة على ما كان يشعر به من ضعف وألم ، فأبحت لنفسى الكلام عنه وأنا العارف بزهده وبرمه — من أن يسمع الثناء عليه ، فسجلت فى كلمة الشكر ، ما أدين به ، وأعتقده فى شخصه الجليل ، ولست أرى ضيراً من أن أختم هذه الكلمة القصيرة بما جاء على لسانى إذ ذاك وأنا أنعم برؤيته بين المتكلمين الأجلاء ، ففيها ذكرى لحياة كانت حافلة بجلائل الأعمال ، والذكرى تنفع المؤمنين .

أما أستاذى المفضل فى سائر مراحل التعليم ، فهو العلامة الكبير والباحث المدقق أحمد بك ابراهيم ، فله على فضل الإرشاد والتوجيه والتعليم ، وقد كنت أحاول أن أتخذه قدوة ، ولواقتدى به سائر المصريين لما بكينا على العلم ، ولا على الأدب والدين .

ابراهيم دسوقى أباظة

(الرسالة) العاتبة و (الرسالة) المعتوبة

قرأنا (الرسالة) الفلسطينية العاتبة ، وقرأنا جواب (الرسالة) المصرية المعتوبة . وكانت أحكام الأولى جائرة جد جائرة ، وكانت أحجاج الثانية دامغة جد دامغة . فتلك زعمت أن مجلة (الرسالة) تؤثر الأدب المصرى فتنشره ، وتضن على الأدب الفلسطينى فتطويه . وهذا زعم — لعمر الحق — باطل . ولست هنا بصدد أن أدفع تهمة أو أرد شبهة ، ولكن العتاب الشديد والجواب السديد أثارا فى نفسى ذكرى تتعلق بأول قصيدة نشرتها لى مجلة (الرسالة) الزاهرة لا أرى بأساً فى تسجيلها على صفحاتها .

كان ذلك منذ سنوات سبع خلت ، يوم انتهيت من نظم قصيدة فى أبى الذى كان يرسف فى قيوده إبان الثورة الفلسطينية الخالدة . أخذت أنظر فى تلك القصيدة من وراء دموعى ، وكانت فى نظرى جيدة ، وأحببت أن أفاجئ بها شقيقى المرحوم ابراهيم

منشورة فى إحدى الصحف ، وكثيراً ما كان يحلو لى أن أفعل ذلك معه اعتزازاً وثقة بشعرى . ونزعت بى نوازعى إلى أن أبعث بها إلى مجلة (الرسالة) . ولكننى ترددت وجفلت ، إذ أين اسمى الخامد من تلك الأسماء الساطعة فى سماء الشعر ؟ ! وأخذت أقلب الرأى على وجوهه . وسولت لى نفسى أن أرفق القصيدة بتعريف بى يكتبه ابن عمى قدرى طوقان إلى صاحب (الرسالة) ، ولكن عزة الشعر، وللشعر والله عزة ، ربأت بى عن التوسل إلى نشر القصيدة بما يوهم معنى الالتماس ، وقلت لنفسى : وَىْ ! ما بالك يا هذه ؟ إن هذا هو الحمق بعينه ، وإذا كانت القصيدة جيدة حقاً ، فلن يحول اسمك المغمور دون إنصاف المنصفين فى الحكم لها . وبعثت بالشعر وثقتى بنشره بين بين .

وظهر الشعر فى (الرسالة) ، وقد فوجئ به شقيقى ابراهيم ، فكتب إلى يقول : « يا أم تمام — وكثيراً ما كان يناديني بهذه الكنية لما يعرف من حبى للشاعر أبى تمام ، ولكثرة ما أحفظ له — إن القصيدة لجميلة ، وقد حدثنى الأستاذ النشاشيبى بشأنها فأهنئك » . ولما التقينا أظهرته على ما خامرنى من شك فى نشرها لعدم معرفة الأستاذ الزيات لى . فقال : « يا أختى ، إن الشعر الجيد يعرّف بنفسه وبصاحبه عند المميز المنصف ، ولا يحتاج إلى من يعرف به » .

وكان هذا مما شد من عزمى وزادنى إيماناً بنفسى ، ولا والله ما أجحد يداً للرسالة علىّ ، ولا أنسى حقاً لها عندى

أجل ، إن (الرسالة) مجلة الأدب العربى فى جميع أقطاره ، فلا صلة شخصية هناك ، ولا أثرة إقليمية تغريان على نشر هذا وطىّ ذاك من الإنتاج الأدبى فى القطر المصرى وخارجه ، وهى — منذ كانت — ميدان للمجلّى والمصلّى من أدباء العربية على اختلاف أقطارهم ، وها هى بين أعيننا واضحة المذهب ، وقد أشهدت الله بحق : « أنها فى مدى حياتها الصحفية لم تغفل أدباً يستأهل النشر ، ولا أديباً يستحق التنويه » . وغفر الله لأخينا العاتب عتبه واتهامه ، فقد نكّب عن محجة الصواب حين أسرف فى هذا العتاب .

(نابلس) **فدوى عبد الفتاح طوقان**

أندونيسيا :

دخل الإسلام إلى أندونيسيا منذ قرون ، وظل يتوغل فيها توغلا قد لا تدانيه فيه أية بلاد إسلامية أخرى إذ أصبحت تعاليم الدين الإسلامى والتقاليد الإسلامية هى وحدها السائدة فى أمة بلغ عدد سكانها سبعين مليونا ، تسعون فى المائة منهم مسلمون .

والمسلمون الأندونيسيون أشد ما يكون تمسكا بدينهم الحنيف فلا عجب إذا كانت الروح الإسلامية هى السائدة فى علاقاتهم فيما بينهم وفى علاقاتهم بغيرهم من الأمم ولا عجب بعد ذلك إذا كانت الأمة الأندونيسية دائما تشعر بوثيق العلاقة بينها وبين الأمم الإسلامية . وقد ربطتها وإياها الرابطة الروحية وما أشدها رابطة قوة ومتانة .

كانت أندونيسيا فى اتصال وثيق بالعالم العربى الإسلامى قبل الحرب ولا أدل على ذلك من اشتراكها فى جميع المؤتمرات الإسلامية الهامة المنعقدة فى (مكة ومصر وفلسطين) كما كانت تراقب دائما الحركات السائرة فى هذا العالم فتسر لسروره وتتألم لألمه . ظهرت سياسة التنصير البربرى فى شمال أفريقا ، فقامت قيامة الصحف الأندونيسية تحتج على فرنسا . وقامت إيطاليا فى طرابلس ورقه بتطبيق سياسة الحديد والنار . ولعل أفظع مظاهرها شنق الشهيد عمر مختار — فقامت الأمة الأندونسية على بكرة أبيها تقاطع البضائع الإيطالية ، وبلغت شدة هذه المقاطعة أن حرق الأهالى الطرابيش على أنها صناعة إيطالية . ورمى أحدهم سيارة « فيات » الإيطالية فى قاع النهر .

اندلعت نار الحرب العالمية الثانية فانقطعت الأخبار عن هذه البلاد الإسلامية وما إن وضعت أوزارها إلا وقد زف إلى العالم العربى والإسلامى نبأ وأى نبأ ، نبأ إعلان أندونيسيا استقلالها وقيام الحكم الجمهورى فى ربوعها . لقد أثلج حقا هذا النبأ السار صدور المسلمين قاطبة ولم لا يطربهم هذا النبأ وقد قامت فى أقصى الشرق حكومة إسلامية قوامها ما يقرب من سبعين مليونا من المسلمين أقوياء الإيمان فزادت بذلك شوكة الإسلام ودانت إلى الوجود الجامعة الإسلامية القوية البنيان

على أثر ذلك سرعان ما أعلنت لجان استقلال أندونسيا فى « مصر والعراق والهند واستراليا وأمريكا وهولندة » ثقتها التامة فى الزعيم « سوكارنو » المحبوب عند شعبه رئيساً للجمهورية.

لقد شعر العالم بحق الأندونيسيين فى الاستقلال ، فبادر عمال استراليا ونيوزيلندة إلى تأييده عملياً ، فعم الإضراب فى موانى الشرق الأقصى ، وأيدت هذا الإضراب نقابات عمال الشواطئ الأمريكية كما أعلن وزير الحربية للحكومة البريطانية أن ليس فى نية القوات البريطانية التى نزلت الآن فى بتافيا مقاتلة الوطنيين الأندونيسيين فى سبيل هولندا كما نشرت كل الصحف فى حينها.

ومع ذلك لم تكن الروابط التى تربط الأمة الأندونيسية وهذه الأمم أية رابطة روحية أو مادية ، اللهم إلا شعورها واعترافها بحق هذه الأمة فى تقرير مصيرها.

والآن ، نوجه نحن الأندونسيين إلى العالم الإسلامى عامة ، وإلى العالم العربى خاصة نداء حاراً ، لكى تتذكر الشعوب الإسلامية قاطبة العلاقة الروحية القوية التى تربطها وهذه الأمة الإسلامية — وهى فى أدق مواقفها وأحرجها معاً — التى قد عاهدت الله والوطن على أن تدافع عن الاستقلال الذى أعلنته للعالم فى التاسع عشر من شهر أغسطس المنصرم بكل ما فيها من عزم وقوة ، فيؤيد موقف الشعب الأندونسى المشروع فى تقرير مصير نفسه بنفسه بجميع الوسائل التى ترى أنها أمضاها فى تحقيق هذا التأييد وتعترف حكوماتها بهذا الاستقلال ، فتمد بذلك إلى الحكومة الجمهورية الأندونسية الجديدة قوة فوق قوتها فتقنع هولندا المستعمرة بعبث محاولتها فى العودة إلى احتلالها بالقوة الشنيعة.

وإنا حين نتوجه بهذا النداء إلى الشعوب الإسلامية والعربية لعلى يقين فى أنها ملبية نداءنا . وإنها حين تؤكد الحركة الوطنية فى أندونيسيا ، وحين تعترف حكوماتها باستقلال أندونسيا لا تخدم القضية الأندونسية الحقة وحدها ، ولكنها تخدم كذلك نفسها بنفسها ، إذ بوجود حكومة إسلامية قوية فى الشرق الأقصى تتقوى مراكز جميع الحكومات الإسلامية والعربية كلها ، وتتحقق لكل منها أمانيها المشروعة . والحكومة الجمهورية الأندونسية لن تنسى أبداً ما تقدمه الشعوب الإسلامية والعربية من التأييد لها وما تفعله الحكومات الإسلامية من الاعتراف بها

جمعية استقلال أندونسيا

تصويب :

التطبيعات (الأخطاء المطبعية) قبيحة ، وأقبحها ما ابدل كلمة بكلمة . ظاهرها صحيح ولكنها تجيء فى غير موضعها ، فتفسد المعنى على القارىء ، وتضيع مقصد الكاتب ، وتقوله ما لم يقل ، وتحمله ذنبا لايدله فيه ، وقد كثر ذلك فى العددين الأخيرين من الرسالة ولم يكن فيها من قبل.

فمن ذلك كلمة (المفتى) فى مقالة (القضاء فى الإسلام) العدد (٦٤٠) الصفحة (١٠٨٦) العمود (٢) السطر (٩) وقد وقفت عندها — أنا كاتب المقالة — ولم أفهمها علم الله ، واتهمت نفسى حتى رجعت إلى الأصل فإذا هى (المفتش) . ومن ذلك هذه الجملة التى جاءت عجباً فى ركاكة الأسلوب ، وضعف التأليف ، فى ص (١٠٨٧) ع (١) س (٢٧) لسقوط كلمة منها وصوابها (هذا الزمان الذى نجد فيه العلماء) كما سقطت كلمة (ذلك) من ص (١٠٨٦) ع (٢) س (٢٥) وصوابها (إذا ولاه الخليفة ذلك) وأنكى من ذلك كلمة (استعمار) التى جاءت فى الصفحة (١٠٨٨) ع (٢) س (١٥) كأنها من لغة عرب مالطة وأصلها (استشعار).

هذا وقد نشرت هذه المقالة ، وهى القطعة الثالثة من المحاضرة قبل نشر التى قبلها.

وفى مقالة (الموسيقى العاشق) تطبيع آخر شنيع نسيت التنبيه إليه هو (وصف السكلم) فى ص (١٠٥٨) ع (١) س (١٧) والصواب (رصف السكلم).

* * *

فماذا كان يضر المصحح لو رجع إلى الأصل وقابل عليه ، وأراح الكتاب والقراء من هذا العناء الذى لا آخر له ، فيا أخى المصحح ... ارأف بنا وبنفسك ، فرب عجلة تهب ريثا ، ورب راحة تعقب تعبا طويلا !

وياسيدى الأستاذ الزيات ، إليك أشكو فأشكنى ، فإن ألمى لهذه التطبيعات أشد من فرحى بنشر المقالة ، وآثار الكاتب كولده يحبها مهما كانت — ولا يريد بها بديلا — مَن مِن الآباء يعطيك عينى ولده بعينى (بهيجة حافظ) ؟ فكيف ان أبدلته بهما عينى (الجاحظ) ! فكيف إن تركته له بلا عيون ؟ !

على الطنطاوى

الكتب

بحث وتحليل :

قضية الجمال والحب

[أول تآليف طلبة قسم النقد والبحوث الفنية بمعهد فن التمثيل العربي]

للأستاذ زكى طليمات

الحب والجمال قضية شغلت الإنسان فى مختلف مداركه منذ القدم ، وستكون شغله ما دامت النفس البشرية على ما هى عليه ، وذلك أن الجمال من عناصر الوجود ، نتصيد مظاهره فى المرئيات وما يقع عليه الحس ، كما هو كامن فينا بفعل الفطرة بدليل أننا نخلعه أحياناً على ما يحيطنا ، هذا والحب رباط الحياة وقوامها وسناد التجاذب الذى تقوم عليه غريزة حفظ النوع ، وهى أقوى ما ركبته الفطرة فينا ، لأنها أساس الحياة الدنيا وسر بقائها .

فإذا شغلت هذه القضية ذهن شاب فى العقد الثالث من عمره ، وفى هذا العصر الذى نعيش فيه ، عصر السرعة والآلة الذى يقوم على أثر حرب طاحنة ما زال انهيار الأنقاض فيها يسك مسامعنا إذا كانت تشغله هـذه القضية إلى حد إصدار مؤلف جديد يعالج دخائلها وشعابها ، فنى هـذا ما ينهض دليلا على أنها قضية خالدة لا تبلى جدتها أبداً .

فقد أصدر الأديب (حلمى عبد الجواد السباعى) مؤلفاً يحمل هذا العنوان تناول فيه : ماهية الجمال ، ووسائل الإحساس به ، ومظاهر تعبيره وذلك فى التصوير والنحت والرقص والموسيق والأدب ، ثم عرج على الحب فأحاطه به إحاطة كاملة فأوضح ألوانه ، وكما تحدث عن حب الله ، وحب الكرامة والواجب ، وحب القرابة ، فأنه أجرى قلمه فى الحب المألوف وحب الشهوة ، والحب الشاذ ، أجرى كل هذا فى لفتات سريعة تشهد له ببراعة فى الإنشاء الذهنى والأسلوب اللغوى .

وزهينى ، والمؤلف أحد طلاب قسم النقد والبحوث الفنية بمعهد فن التمثيل العربى ، أن أقدم كتابه إلى القراء ، وأن أقدمه متجرداً من عطف الأستاذ على التلميذ ، ومن هوى الزميل للزميل ، فى خدمة المبدأ والفكرة العامة .

إن المتصفح هذا الكتاب ، المتمعن عناوين أبوابه ، لا يلبث أن يحكم بأن المؤلف ما زال فى غمرة الشباب وأحلامه ، وأنه للجمال وللحب ، فإذا ما قرأ الكتاب انتهى إلى أنه لم يخطىء فى حكمه ، وأن للكاتب عرقاً فى الأدب يمتد إلى القديم والحديث والشرقى والغربى فى أخاتينه .

بيد أنه عرق ما زال رطب العود بدليل أن المؤلف ، وإن أحاط بما سبقت الإشارة إليه من مواضيع إحاطة شاملة تشهد له بالتقصى المحكم والاستقراء الحاذق فى الشائع من الأدبين العربى والأوربى ، إلا أنها إحاطة تكاد تخلو من كشف جديد فى أحكام قضية الحب والجمال ، وتكاد تقفر من اللفتات الأصيلة البارعة التى تشق للقارىء أفقا جديداً من التأمل .

وهذا مأخذ إذا سجلناه ، فلأننا ننفس بالمؤلف ، وهو نابه فى بدايته ، أن تقف جهوده عند السير فى السبل المعبدة المطروقة .

والمؤلف فى كتابه يوحى بظاهرة نفسية جديرة بالتأمل ، تراود الخاطر على استجلاء بواطنها ، فإذا أخذنا فى تحليلها ، برد الفرع إلى الأصل ، إذا تقصينا الحافز الباطنى الذى دفع قلم المؤلف إلى معالجة هذه القضية بهذا النفس الحار والنشوة البالغة التى لا تتوانى عن أن تمتد إلى القارىء اليقظ الوجدان ، إذا أخذنا بكل هـذا فسرعان ما يتضح لنا أن المؤلف يصدر فيما كتب عن كبت حسى ، كبت له طابع خاص ، إذا تعاونت على تصفيته وتهدئته وإلجام نزواته قيود تأصلت فى نفسه ، وثقافة أمدت صاحبها بما يجعله يغلب المعنويات على الماديات فى أحاسيسه فركبت فيه شاعرية حالمة تدخل فى نطاق الحديث الشريف « إن الله جميل يحب الجمال » .

المؤلف يكابد عقدة نفسية ، ومن منا ليست له عقد نفسية تسيطر على أعماله وسلوكه ، ولكن من لطف الله بالأستاذ المؤلف وبنا ، وبآنسات المعهد ، أن عقدته النفسية رهينة قيود لا تشكو أسرها ، جعلته للشباب فى أحلامه وتهاويله العذراء البكر ، وليس للشباب فى متطلباته العادية ، واستجابته لصوت الدم الدافىء ، فهنيئا له فقد كفاه الله شر القتال فى مجال قلما يكون الغالب فيه خيراً من المغلوب .

ولا يضير الأستاذ (حلمى) فى شىء أن يكون من هذه الفئة

نظرة فى كتاب :

حضارة العرب

تأليف الدكتور غوستاف لوبون

[الذى نقله إلى العربية الأستاذ محمد عادل زعيتر سنة ١٣٦٤ هـ سنة ١٩٤٥ م ، والتزمت طبعه ونشره دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابى الحلبى وشركاه] .

ظهر هذا الكتاب ، والشبيبة العربية حائرة ، لضعف فى إيمانها ، وعوج فى تربيتها ، ووهن فى ثقافتها ، وعجمة فى لغتها ، ويأس من أمتها ، وخجل من ماضيها ، وغموض فى حاضرها ، وخوف من مستقبلها . أجل ظهر هذا الكتاب النفيس ليقول — بلسان الأجنبى — لضعيف الإيمان هذا هو الصخر من عظمة الأجداد فابن عليه إيمانك الوطنى الضاوى الهزيل . ويقول للبائس ! من كان لأمته مثل هذا الماضى المشرق اللامع لا يمكن أن يتسرب اليأس فى قلبه ، إلا إذا كانت قد حقت عليه اللعنة ، ويقول للخجل من أمته الذى لا يحدثك إلا وهو يخلط العربية بألفاظ من لغات متعددة ، إنك من شعب لم تعرف البشرية أنبل منه ولا أشرف [١] ! وليقول للوجل من الحاضر الخائف من المستقبل « إن الخوف هو لعنة الحياة ! وإن الشك فى الانتصار هو الهزيمة العابسة النكراء ! » ...

(١) صفحة ٨٥ من الكتاب المبحوث عنه .

المحرومة من لذاذات الواقع ، الموفورة الحظ من متع الخيال وأفاويقه فإن كتابه جاء خالياً مما يسعر الحس ، ويدفع إلى مزالق الشهوات .

ولا يهمنا إذا كان المؤلف قد انتهى إلى هذا عن عجز فى الوسائل فهو مكره لا بطل ، أو عن تعفف القادر الصادف عن وحل البهيمية ، فللعبرة بالكتاب الذى أصدره وهو كتاب يصح أن يقرأه الجيل الشاب ليستبطن دخائل ما يختلج فى واعيته من إشعاعات الحس الفائر وموحيات الدم الشاب المستعر ، وليتبصر بها ، وقد عرضها الكتاب عرضا ينشط الإيحاء العفيف ، بعد أن أضفى عليها المؤلف من روحانياته مسحة أحالتها إلى متع ذهنية تضىء ولا تحرق .

زكى طليمات

مدير معهد التمثيل العربى

هذا السفر الضخم الذى يقع هو ومقدماته ، وفهرساه ، وثبت مصادره وتصحيح لتطبيعاته — وهى قليلة — فى ستمائة وخمسة وسبعين صفحة من القطع الكبير ، يسحرك ويستهويك فتمضى فى مطالعته لا تشعر بسآمة ولا ملل ، لا تحس إلا وقد قرأت آخر حرف فيه ، ولكم تتمنى وأنت تطالع الكتاب ، لو كانت أعصابك تسمح لك بقراءته فى جلسة مهما تطل .

حقا إنك لا تشعر إلا وقد اتجهت أفكارك إلى الدكتور جوستاف لوبون تحييه تحية المعجب بصدقه ، الممتن لإخلاصه وإنصافه . لأنك تجد فى الكتاب كل ما تريد أن تقول فى مثل هذه الأيام العابسة السود . فإذا اتهم قومك بالوحشية والتبربر ، وإذا أنكر فضل أمتك منكر ، وإذا قيل لك إنك من أمة ليس لها فى المدنية والعلم من أثر ، جاء الدكتور غوستاف لوبون بكتابه هذا يشهد للحق المهيض الجناح . وجاء قلم الأستاذ الزعيترى العادل ينقل تلك الشهادة لأبناء قومه بقلمه الساحر ، وأسلوبه الغض الناضر ، فإذا هو تحفة من التحف ، التى تستحق أن تقتنى بثقلها ذهباً ! لا أقول هذا مبالغة ، ولا أقوله إفراطاً منى فى تقدير مجهود الأستاذ العادل ، فأنا والله لا أعرف الرجل لكنى مجل لفضله ، محترم له لما خدم به قومه . فإذا قلت إن الكتاب يستحق أن يقتنى ولو بثقله ذهباً فما ذلك منى من الإفراط فى شىء ، فلقد كان عظماء العرب قبل اليوم يكافئون الشاعر المجيد بأن يملأوا فمه جوهراً [١] فأين أحلام الشعراء الذين يتبعهم الغاوون من الحقائق الملموسة التى توقظ فى النفس أنبل ذكرياتها ؟ !

ولو لم يكن الغرض من نشر هذا الكتاب باللغة المبينة أن يطلع عليه أعظم عدد ممكن من الناطقين بالضاد لقلت إن ثمنه نزر يسير . أما والغاية من نشره تعميمه فأقترح أن تتولى إحدى الهيئات الوطنية شراء هذا الكتاب وتخفيض ثمنه إلى أقصى حد ممكن ، حتى لا يظل بيت خالياً من نسخة منه لأنه من حق الرجل الذى أنصف العرب — يوم كان الإنصاف جريمة — من حقه أن ينشر كتابه أعظم نشر ، ومن حق المترجم الذى جعل الحقائق التاريخية الجافة — بما أضفى عليها من بيانه العذب — أنغاماً عذبة أن يروج كتابه أوسع رواج جزاء لجهوده الموفقة .

فالكتاب فى جملته وتفصيله لا غنى للأديب ، ولا للكاتب ، ولا للناشىء عنه ، وهو خير تحفة لأنه شهادة من عالم كبير يكاد

(١) راجع صفحة ١٢٧ من نخب الذخائر ، وصفحة ١٤٧ من الأغانى ج ١ وصفحة ١٧٤ ج ٦ وصفحة ١٢١ من التمدن الاسلامى ج ٥ .

قومه ينكرون على العرب كل فضيلة ، ولو لم يكن الأمر كذلك لكان فى الاطلاع على التمدن الإسلامى للمرحوم جرجى زيدان مايغنى عن هذا الكتاب ، ولكن أين شهادتنا لأنفسنا من شهادة الأجنبى لنا ؟ !

هذا ولئلا يكون كلامى مقصوراً على ناحية الجمال فى هذا الكتاب أرجو من الأستاذ الزعيترى النابه أن يقبل بعض الملاحظات التى تتعلق بألفاظ جرى فيها قلمه على طريقة المعاصرين من أبناء هذه اللغة الشريفة ، فجاءت بالنسبة إلى أسلوبه النضر كأنما هى الكلف فى وجه الغادة الحسناء . فمن ذلك قوله : الخطأ : البطرا . الصواب : بطرا ليس غير . أذكر أن العلامة المرحوم أحمد زكى باشا طلب منى فى كتابه المخطوط إلى فى سنة ١٩٣٤ أن أحقق هذه النقطة ، فوجدت أن فى شرق الأردن مواقع عدة خلط بينها الكتاب والمؤرخون خلطاً شنيعاً .

بطرا — وهى المعروفة بالعربية الحجرية ، وقد كان المرحوم صروف يكتبها البتراء وهو وهم ، وكتبها الحبر الجليل بولس سلمان رئيس أساقفة شرق الأردن (بطرى) وهو وهم انفرد به سيادته . أما البتراء — فماء يرده الكركيون فى شرق الأردن ، وأرض معروفة هناك . وخلطوا أيضا بين « بطرا » والرقيم — مع أن الرقيم شىء وبطرا شىء آخر ، فالرقيم موضع فى مساكن عرب المجارمة التابعة لقضاء مأدبا ، وخلطوا بينها وبين « الرجيب » والرجيب — تحريف لكلمة « الرقيم » لأن عربان بنى صخر ينطقون القاف جيماً والجيم باء فى بعض الأحيان ، والرجيب هذه موقع بالقرب من عمان حاضرة شرق الأردن . وخلطوا بينها وبين « بيتراس » وبيتراس آثار قرية فى جهات عجلون من أعمال شرق الأردن ، إذاً فالكلمة « بطرا » ليس غير . ويرى العلامة الكرملى أن كتابتها « بترآء » هى الوجه .

الخطأ : البحر الأبيض المتوسط .

الصواب : هو بحر الروم ، أو البحر المتوسط ، أو البحر الشامى ، أو بحر الشام . راجع صفحة ٢١ و ٩٩ و ١٣٥ و ١٣٦ من كتاب نخب الذخائر فى أحوال الجواهر تحقيق الإمام الكرملى المطبوع فى مصر سنة ١٩٣٩ . الخطأ : طيبة .

الصواب : طيبة المدينة المنورة ، أما المدينة المصرية (فطيوه) ليس غير . من كتاب مخطوط وجهه إلى الإمام الكرملى . الخطأ : أمريكه . الصواب : أميركة — راجع صفحة ١٦٧ و ١٠٢ و ١٥٣ و ١٩٩ و ٢٠٠ من كتاب بلوغ المرام فى شرح مسك الختام فى من تولى ملك اليمن من ملك وإمام ، تحقيق الإمام الكرملى طبعه فى مصر سنة ١٩٣٩ . الخطأ : الأطلسى .

الصواب : الأطلنطى ، أو الأتلنتى ، أو الأتلنتيكى ، راجع صفحة ٣٠ و ١٤٠ من كتاب نخب الذخائر المار ذكره . ومقدمة ابن خلدون طبعة بيروت الثالثة صفحة ٤٤ . الخطأ : الامبراطور

الصواب : الانبراطور — وهو اللفظ الذى نطق به العرب ، راجع مقدمة ابن خلدون طبعة بيروت غير المشكولة ص ٢٠٤ وص ٢٣٤ من طبعة بيروت المشكولة . وقالوا الانبريارين لنبات معهود ، والسبب أن العرب تضع نوناً ساكنة قبل الباء المتحركة ولا يرد على ذلك بأن هذه النونات فى مثل انبراطور ، وسبتنبر ، ونوفنبر ، وديسنبر تكتب ميمات فى اللغات الغربية ، لأنها تلفظ نونات فى تلك اللغات عينها ، عن رسالة مخطوطة ، إلى من الإمام الكرملى فى ١٩٤٠/١١/٢٥ .

وهنالك وهم شائع لا يكاد ينجو منه مؤرخ محدث وقد تردى فى هوته المؤلف نفسه وهو القول بأن الخليفة الأموى عبد الملك ابن مروان هو أول ضارب للنقود فى الإسلام .

ووجه الصواب : أن النقود ضربت فى الإسلام قبل عبد الملك بن مروان . فلقد ضرب خالد بن الوليد باسمه نقوداً فى طبريه سنة ١٥ أو ١٦ للهجرة . راجع التمدن الإسلامى ج ١ ص ١٢٠ نقلا عن الدكتور مولر ، وصفحة ٩١ من كتاب النقود العربية وعلم النميات تحقيق الأب الشهير انستاس مارى الكرملى المطبوع فى مصر سنة ١٩٣٩ . وضرب عمر بن الخطاب نقوداً حتى هم بأن يتخذ نقوداً من جلود الإبل . ص ١٧ و ١٨ من كتاب النقود العربية وعلم النميات ، وكان أول من ضرب النقود مستديرة عبد الله بن الزبير . راجع صفحة ٩٢ من كتاب النقود العربية . وضرب معاوية أيضاً دنانير عليها تمثال متقلداً سيفاً فوقع منها دينار ردىء فى يد شيخ من الجند فجاء به إلى معاوية وقال : يا معاوية إنا وجدنا ضربك شر ضرب . فقال له معاوية : لأحرمنك عطاءك ولا كسوتك القطيفة . صفحة ٢٣ من كتاب النقود العربية وعلم النميات . فمما تقدم نرى أن ضرب الإسلام للنقود سبق عبد الملك بن مروان اللهم إذا أردنا أن نقول : « ان عبد الملك بن مروان كان أول موحد للنقد المتداول فى البلاد العربية فيحق لنا ذلك » .

هذا وأسأل الله أن يكون ما قلته خالصاً لوجه العلم والحق .

القدس **العزيزى**

العدد ٦٤٣ – الاثنين ٢٩ أكتوبر ١٩٤٥ – السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٣٥ ، ٢٥

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 643

Lundi—29—10—1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـدد ٦٤٣ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٣ ذو القعدة سنة ١٣٦٤ — ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

العــدل الانسانى

فى جرائم الحروب

للأستاذ عباس محمود العقاد

كان بعض النقاد الأوربيين يكتبون عن حروب الإسلام الأولى فيذكرون منها فى معرض النقد أن النبي عليه السلام كان يأمر بعقاب المشركين الذين أساءوا إلى المستضعفين كلما ظفر بهم بعد معركة من المعارك ، ويحسبون أن عقوبة المقاتل لا تجوز لخصمه لأنه غير مسئول أمامه فى شرعة القانون.

ومن الواضح أن هؤلاء النقاد قد نسوا أو تناسوا أن الأنبياء مطالبون بإصلاح الفساد حيث كان وليسوا هم حكومة من الحكومات تحاط دعوتهم بالأقاليم والحدود ، فيجوز لهم على هذا الاعتبار ما ليس يجوز لساسة الدول وقواد الجيوش .

ولكن تشاء الأيام — بعد أربعة عشر قرناً — أن يأخذ الأوربيون بمبدأ معاقبة المقاتلين الذين يقترفون الجرائم سواء فى ساحة القتال أو فى غير ساحة القتال ، وأن يبنوا ذلك على قاعدة مقررة لا يكثر الخلاف عليها ، وهى أن الدول تسأل عن جرائمها وسيئاتها ، فلا موجب لأن يعفى أفرادها — أو أجزاؤها — من العقاب ، ولا يصح أن يخليهم من التبعة أنهم كانوا مأمورين مكرهين على الطاعة . فإن المتهم المكره لا يعفى من العقاب ، وإن جاز أن تلاحظ حالة الإكراه فى تقدير عقابه ، إذا ثبت أنه كان مسوقاً إلى الجناية بأمر رؤسائه وأصحاب السلطان عليه .

فالآن يجوز للخصم المقاتل الذى لا يطالب بما يطالب به الأنبياء من تعميم الإصلاح — أن يحاسب خصمه ويعاقبه على الجرائم التى تخالف القانون فى بلاده . فإن كان القانون فى بلاده لا يحرم الجرائم النكراء فقد سقط حقه فى حماية الإنسانية وحماية الشريعة ، وجاز أن ينال العقاب على هذا الاعتبار .

أما الجرائم التى يحاسب عليها المقاتلون فهى القتل والتحريض عليه ، والغدر فى طلب الإيواء أو اصطناع المرض والإصابة ، واستخدام السموم والأسلحة المتفق على منعها ، والإجهاز على الجرحى المستسلمين ، والقسوة على الأسرى والمصابين بالجروح والأمراض أو اختلاس أموالهم التى لا تعتبر من الأموال العمومية ، والتمثيل المعيب بجثث القتلى والأموات ، والاعتداء على المستشفيات والمعابد والمدارس ومخلفات الفنون والآثار ، وإغراق السفن المستسلمة وتخريب المدن المفتوحة التى لا يدافع عنها ، واتخاذ ملابس الجيش الآخر للغدر والتغرير ، ونقض العهود أو شروط التسريح .

هذه وأمثالها هى الجرائم التى تجيز الدول اليوم أن يساق مرتكبوها إلى القضاء ، وأن يتلقوا عليها عقاباً قد يصل إلى الموت

ولم يعرف عن النبي عليه السلام أنه عاقب أحداً من المشركين على جريمة غير هذه الجرائم وأمثالها ، ولا سيما الغدر ونقض الكلمة وتعذيب المستضعفين .

ونقول إن الدول الحديثة قد صنعت خيراً بتقرير هذا المبدأ السليم فى جرائم الحروب ، وأن العمل بهذا المبدأ سيفيد بعض الفائدة وإن لم تمتنع به الجرائم كل الإمتناع ، لأن الجندى الذى يستحضر هذه العقوبات وهو يحمل السلاح خليق أن يتورع عن العدوان مخافة القصاص عند الهزيمة ، وهو لا يأمن الهزيمة كل الأمان ولا يضمن النصر فى جميع الأحوال .

وليس من الظلم أن يحيق العقاب بمن يؤمر فيطيع ، لأن الرجل الذى يمثل بالأبرياء ويهتك الأعراض ويقترف المحرمات لأنه أمر بذلك فأطاع لا يعفى من العقاب فى وطنه ولا يخليه من التبعة أن يحيل الذنب على آمريه . فلا اختلاف فى الأمر إذا حمل السلاح وتجرد للقتال .

وإنما الظلم فى رأينا أن يقصر على المجرمين فى الأمم المهزومة دون المجرمين فى الأمم المنصورة ، لأن الذى يعاقب على الذنب أولى أن يتجنبه ولا يغضى عنه ، وإلا سقطت حجته فى الإدانة وتوقيع الجزاء .

نعم إنه منطق الواقع الذى تقرره القوة ، ولكن حكم القوة وحكم الشريعة لا يتفقان ، فلا شريعة حيث يفعل القوى مايشاء ، ولا قوة حيث يجرى العدل فى مجراه .

وربما تعذرت التسوية بين المهزومين والمنتصرين فى الوقت الحاضر أو فى وقت قريب ، لأننا لا نزال قريبين من أحكام الحرب التى لا تحرم على المقاتل وزراً يقترفه فى حق إنسان يناصبه العداء أو يلقى له يد السلم على ملأ من الناس .

ولكننا نرجو أن تبلغ الإنسانية هذه المرتبة الرفيعة بعد خطوات لعلها لا تطول .

وأول هذه الخطوات أن تقام فى بلاد المنتصرين أنفسهم محاكم مستقلة على مثال محكمة الغنائم التى تفصل فى المنازعات بين حكوماتها وبعض الأفراد المحايدين أو المنسوبين إلى الأعداء . فقد حدث غير مرة أن قضت هذه المحاكم المستقلة على حكوماتها بالغرامة والتعويض ، فكان فخر الحكومات بقضائها المستقل أنفع للأمة من كل مال تخسره فى ساحة القضاء .

فإذا قامت هذه المحاكم وجب أن يباح لكل إنسان فى أمة مهزومة أن يتقدم إليها بالشكوى من الجنايات التى اقترفها الجنود المنتصرون ، وأن يدان الجناة بالعقوبات التى يدان بها المهزومون ، متى ثبتت جناياتهم بالبرهان الذى لا يقبل المحال .

وموضع الصعوبة هنا أن تعتبر شهادة المنهزم لتأييد دعوى المهزوم وكلاهما موتور متهم النية والشعور ، ولكن الوقائع لا تثبت كلها بالشهادات ، وليست الشهادات كلها مع هذا بالتى يلتبس فيها الحق والباطل كل الالتباس .

والخطوة الثانية فى طريق العدل الإنسانى بصدد الجرائم التى تقترف أثناء الحروب أن يؤخذ حق القضاء من الدول المنفردة ويوكل إلى هيئة عالية يتبع فى تأليفها نظام لا تغيره الهزائم والانتصارات ، ويعرف أعضاؤها وأصول المقاضاة بين يديها قبل أن تعرف مصائر الحروب .

والخطوة الأخيرة — ولعلها لا تحسب من أحلام الخيال — أن تفلح الهيئات الدولية والمواثيق العالمية فى منع الحروب وفض الخصومات من طريق التحكيم ، فلا حروب ولا جنايات فى أثناء الحروب ولا محاكمات أو عقوبات من جراء تلك الجنايات .

فإذا كان هذا حلماً من أحلام الخيال فدونه فى الطمع أن تقع الحروب ولكن على الفيصل الواضح بين المحقين والمبطلين ، فيتسنى للعالم كله أن ينصر الحق على المبطل ، وأن يحصر شرور القتال فى أضيق الحدود .

منى إن تكن حقاً تكن أعذب المنى ! وإلا فهى على كل حال خير من اليأس الدائم من كل مصير .

عباس محمود العقاد

في إرشـــاد الأريب

إلى معرفة الاديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ١٤ —

* ج ١٣ ص ٣٠ :

غنينا بلا دنيا عن الخلق كلهم وإن ما الغنى إلا عن الشيء لا به

وجاء في الشرح : أن مخففة من إن ، إسمها محذوف والجملة بعدها خبر مفيدة للحصر .

قلت : وليس الغنى إلا عن الشيء لا به .

وقائل الشعر هو على بن الحسن القُهِسْتانى . قال ياقوت : كان يميل إلى علوم الأوائل ، ويدمن النظر فى الفلسفة ، فقُدِح فى دينه ، ومقت لذلك . . .

* ج ١ ص ٢٥٦ : كان (إبراهيم بن محمد نِفطويه) عالماً بالعربية واللغة والحديث ، أخذ عن ثعلب والمبرد . قال المرزُبانى فى المقتبس : وكان يخضب بالوَسْمة . وكان من طهارة الأخلاق وحسن المجالسة والصدق فيما يرويه على حال ، ما شاهدت عليها أحداً ممن لقيناه .

قلت : فى (الصحاح) : الوسمة بكسر السين العِظلِم يُختضب به ، وتسكينها لغة . وفى (التاج) : قال الأزهرى كلام العرب الوسمة بكسر السين . قاله الفراء وغيره من النحويين .

فى (الكامل) : قيل لأعرابى : ألا تخضب بالوسمة ؟ فقال : لم ذاك ؟ فقال : لتصبو إليك النساء . فقال : أما نساؤنا فما يردن منا بديلا ، وأما غيرهن ، فما نلتمس صبوتهن ...

* ج ١١ ص ٤١ :

أقلوا علىّ اللـــــوم فيها فإننى تخيرتها منهم زُبَيرِيّةً قَلْباً
أحب بنى العوّام طراً لحبها ومن حبها أحببت أخوالها كلباً

وجاء فى الشرح : ولهـا قلب كقلوب آل الزبير طهارة وحفاظ عهد .

قلت : فى الأساس : رجل قلب محض واسط وامرأة قلب وقلبة قلب عقيلة أقوام ذوى حسب ترمى المقانب عنها والأراجيل

وفى النهاية : كان على قرشياً قلباً أى خالصاً من صميم قريش .

وفى اللسان : يستوى فيه المذكر والمؤنث والجمع ، وإن شئت ثنيت وجمعت . قال سيبويه[1] : وقالوا هذا عربى قلب وقلباً على الصفة والمصدر ، والصفة أكثر .

الشعر هو لخالد بن يزيد بن معاوية فى امرأته رملة بنت الزبير ابن العوام . وهو مقطوعة روى المبرد منها ثلاثة أبيات (منها هذان البيتان) ثم قال : وزيد فيها :

فإن تسلمى أسلم وإن تتنصرى يعلق رجال بين أعينهم صلباً

فيُروى أن عبد الملك ذكر له هذا البيت ، فقال له : يا خالد ، أتروى هذا البيت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، على قائله لعنة الله ... ورواية الكامل (فلا تكثروا فيها الملام) (ومن أجلها أحببت)

* ج ١٨ ص ١٨ : أبو جعفر القاضى الزوزنى البحاثى ذكره عبد الغافر بن إسماعيل الفارسى قال : هو أحد الفضلاء المعروفين ، والشعراء المفلقين ، صاحب التصانيف العجيبة المفيدة جداً وهزلا ، والفائق أهل عصره ظرفا وفضلا ، المحترم بين الأئمة والكبار لفضله مرة ، وللتوقى من حَماةِ لسانه وعقارب هجائه ثانية . ولقد رزق من الهجاء فى النظم والنثر طريقة لم يسبق إليها ، وما ترك أحداً من الكبراء والأئمة والفقهاء وسائر الأصناف من الناس الاهجاه ... ومما حكاه لى (رحمه الله) أنه قال : ما وقع بصرى قط على شخص إلا تصور فى قلبى هجاؤه قبل أن أكله وأجربه أو أخبر حاله ...

وجاء فى الشرح : (حَماة) جمع حمة وهى الحية أو إبرتها التى تلدغ بها .

قلت : حُمات بضم الحاء وبالتاء المطولة جمع حمة كثُبة . وفى طبعة (القاموس) : « حماة » مثل قضاة بالهاء أو بالتاء المقصرة . وهو خطأ .

والحمة هى السم كما جاء باللسان . وفى الأساس فوعة السم

---

(١) قلت : هذا قوله فى (الكتاب) : وهذا شيء ينتصب على أنه ليس من اسم الأول ولا هو هو) وذلك قولك : هذا عربى محضاً وهذا عربى قلباً فصار بمنزله دنيا (بكسر الدال : هو ابن عمى دنيا) وما أشبهه من المصادر وغيرها . والرفع فيه وجه الكلام ، وزعم يونس ذلك ؛ وذلك قولك هذا عربى محض وهذا عربى قح ، ولا يكون القح إلا صفة .

وسورته . وفى اللسان : قال بعضهم الإبرة التى تضرب بها الحية والعقرب والزنبور ونحو ذلك أو تلدغ بها . وفى (أدب الكتاب) لابن قتيبة : ... حمة العقرب والزنبور يذهب الناس إلى أنها شوكة العقرب وشوكة الزنبور التى يلسعان بها وذلك غلط؛ إنما الحمة سمها وضرها . وفى (النهاية) : ويطلق على إبرة العقرب للمجاورة لأن السم منها يخرج .

* ج ١ ص ١٢٣ :

يا حيائى ممن أحب إذا ما قلت بعد الفراق إنى حييتُ
لو صدقت الهوى حبيباً على الصحة (م)
لـــا نأى لكنتُ أمـــوت

قلت : (إذا ما قال) (لو صدقتَ الهوى) (لكنتَ تموت) كما روى الخطيب البغدادى فى (تاريخ بغداد) ج ٦ ص ٣٨ ومثله ما رواه الخطيب وياقوت :

غابوا فصار الجسم من بعدهم ما تنظر العين له فيّا
بأى وجـــه أتلقـــاهمُ إذا رأونى بعدهم حيا ؟
يا خجلتى منهم ومن قولهم ما ضرك الفقد لنا شيا !

* ج ٩ ص ١٥٢ : ... وكان (أبو على الحسن بن محمد العسقلانى) يلقب بالمجيد ذى الفضيلتين ، أحد البلغاء الفصحاء الشعراء ، له رسائل مدونة مشهورة ، قيل : إن القاضى الفاضل عبد الرحيم بن البيسانى منها استمد ، وبها اعتد ، وأظنه كتب فى ديوان الرسائل للمستنصر صاحب مصر ، لأن فى رسائله جوابات إلى الفساسيرى ..

قلت : البساسيرى بالباء كما ضبط فى (الوفيات) قال ابن خلكان : أبو الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيرى التركى وهو الذى خرج على الإمام القائم بأمر الله ببغداد ، وكان قد قدمه على جميع الأتراك وقلده الأمور بأسرها ، وخُطب له على منابر العراق وخورستان ، فعظم أمره ، وهابته الملوك ثم خرج على الإمام القائم وأخرجه من بغداد ، وخطب للمستنصر العبيدى صاحب مصر ، فراح الإمام القائم إلى أمير العرب محى الدين أبى الحارث صاحب الحديثة وعانة ، فآواه وقام بجميع ما يحتاج إليه مدة سنة كاملة حتى جاء طُغْرُلْبك السلجوقى ، وقاتل البساسيرى وقتله ، وعاد القائم إلى بغداد ، وكان دخوله إليها فى مثل اليوم الذى خرج منها بعد حول كامل ، وكان هذا من غرائب الاتفاق .

وقال ابن خلكان فى سيرة المستنصر : وجرى فى أيامه ما لم يجر فى أيام أحد من أهل بيته ... منها قضية البساسيرى فأنه لما عظم أمره ببغداد قطع خطبة القائم وخطب للمستنصر وذلك فى سنة (٤٥٠) ودُعى له على منابرها مدة سنة . ومنها أنه ثار فى أيامه على بن محمد الصليحى وملك بلاد اليمن ، ودُعى للمستنصر على منابرها . ومنها أنه أقام فى الأمر ستين سنة ، وهذا أمر لم يبلغه أحد من أهل بيته ولا من بنى العباس . ومنها أنه حدث فى أيامه الغلاء العظيم الذى ما عهد مثله منذ زمان يوسف ، وأقام سبع سنين ، وأكل الناس بعضهم بعضا حتى قيل : إنه بيع رغيف واحد بخمسين ديناراً . وكان المستنصر فى هذه الشدة يركب وحده وكل من معه من الخواص مترجلين ليس لهم دواب يركبونها ، وكانوا إذا مشوا يتساقطون فى الطرقات من الجوع . وآخر الأمر توجهت أم المستنصر وبناته إلى بغداد من فرط الجوع وذلك فى سنة (٤٦٢) وتفرق أهل مصر فى البلاد وتشتتوا ، ولم يزل هذا الأمر على شدته حتى تحرك بدر الجمالى من عكا ، وجاء إلى مصر ، وتولى تدبير الأمور فانصلحت .

قلت : (انصلح) فى كلام المتأخرين فى الشعر والنثر كثيرة . أصلح الله الحال والأفعال والأقوال . . . !

* ج ٩ ص ١٧٥ : وكتب (الحسن بن محمد العسقلانى) إلى صارم الدولة بن معروف : أطال الله بقاء الحضرة الصارمية يجرى القدر على حسب أهويتها ، ويعقد الظفر بعزائم ألويتها ، وتحلى بذكرها ترائب الأيام العاطلة ، وتُنجز بكرمها عدات الحظوظ الماطلة .

قلت : الأهوية جمع الهواء ، واليقين أن العسقلانى لا يريد هذا المعنى بل يقصد الهوى (المقصور) ؛ ومن معانيه (مراد النفس) وهذا يجمع على الأهواء . وهو السجع ، وكم أضل ، وكم له من صريع . . .

* ج ١٥ ص ٢١٧ :

تلاحظ عن سحر ، وتسجر عن دجى
وتسفر عن صبح ، وتبسم عن عقد

وجاء فى الشرح : وشعرها المسجر ليل ، وشعر مسجر : مسترسل .

القضاء في الإسلام

قطعة أخرى من محاضرة ألقيت سنة ١٩٤٢ ولم تنشر

للأستاذ على الطنطاوى

القضاء ، أيها السادة ، مركب وعر ، ومسلك خطر ، وكيف لعمرى يستطيع بشر ، لا يعرف من الأمور إلا ظواهرها ، قد خفيت عنه البواطن ، وحجبت الأسرار ... كيف يستطيع أن يقيم حقيقة العدل ، ويصيب كبد الحق ، ويقوم مقام الرسل والأنبياء ، والرسل يتصلون بالسماء بالوحي ، ويسمون من المعصية بالعصمة ، وهم مع ذلك لم يؤتوا علم الغيب ، وإمام الأنبياء محمد يقول: إنما أنا بشر مثلكم ، وإنكم لتحتكمون إلىّ ، ولعل أحدكما ألحن بحجته من صاحبه فأقضى له ، فإنما أقضى له بقطعة من النار[1] — وكيف يهدأ له بال ، ويقر له قرار ، ويلتذ بطعم أو مشرب ، ويطرب ويلعب ، وهو يحمل أثقل عبء حمله إنسان : يريد أن يحقق العدل الإلهى بالوسائل البشرية ، ويقول كلمته هو ، فيسميها كلمة الشرع ، ويصفها بأنها حكم الله ؟

لذلك فزع الصالحون من القضاء ، وفروا منه فراراً ، ورضوا بالسجن ولم يرتضوه ، وصبروا على الضرب ولم يقبلوه . عرض على أبى حنيفة ثلاثاً ، وهو الإمام الأعظم ، فأباه ، فضرب على إبائه تسعين سوطاً وظل على الإباء . وقلد سفيان الثورى القضاء ، وشرطوا له ألا يعارَض فيه ، فألقى عهده فى دجلة واختفى . وطلب ابن وهب ليولى قضاء مصر ، فجمع إخوانه وأهله فشاورهم فقالوا: اقبله فلعل الله يحيى الحق على يديك ! فقال : أ كلة فى بطونكم ،

(١) أخرجه الستة ، وقد نقلته هنا بالمعنى .

قلت : (وتسحر عن دجى) استعمل تسحر استعماله تسفر ، والسحر قبيل الصبح آخر الليل ، فى الأساس : وإنما سُمى السحر استعارة لأنه وقت إدبار الليل وإقبال النهار فهو متنفس الصبح . فى التاج : السحر بفتح فسكون وقد يحرك ، ويضم : الرئة . وقيل هو كل ما تعلق بالحلقوم من قلب وكبد ورئة .

* ج ١٦ ص ٨٤ : ومن كلام الجاحظ : احذر من تأمن كأنك حذر ممن تخاف .

وجاء فى الشرح : « فى الأصل فإنك » .

قلت : الأصل صحيح .

* ج ١٢ ص ٢٤٨ : قال أبو مروان بن حيان ... وكان (ابن حزم) يحمل علمه هذا (فى مذهب أصحاب الظاهر[1]) ويجادل من خالفه فيه ... فلم يك يلطف صدعه[2] بما عنده بتعريض ، ولا يُرقّه بتدريج ، بل يصك به معارضه صك الجندل ، ويُنشقه مُتَلَقّعَهُ إنشاق الخردل ...

وجاء فى الشرح : المتلقع الذى يرمى بالكلام رمياً[1] .

قلت : (وينشقه مُتَعَقّبه) وتلقع فعل لازم ، وتعقب متعد . فى اللسان : واستعقبت الرجل وتعقبته إذا طلبت عورته وعثرته . وفى الأساس : وتعقبت ماصنع فلان : تتبعته ، ولم أجد عن قولك متعقبا أى متفحصاً يعنى أنه من السداد والصحة بحيث لا يحتاج إلى تعقب .

قال ابن خلكان : قال أبو العباس بن العريف : كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج بن يوسف الثقفى شقيقين . قال صاعد بن أحمد الجيانى فى كتاب أخبار الحكماء — كما روى ياقوت — : أخبرنى ابنه الفضل أن مبلغ تآليفه فى الفقه والحديث والأصول والنحل والملل وغير ذلك من التأريخ والنسب وكتب الأدب والرد على المعارض نحو (٤٠٠) مجلد ، تشمل على قريب من ثمانين ألف ورقة ، وهذا شىء ما علمناه لأحد ممن كان فى دولة الإسلام قبله إلا لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى . ولأبى محمد ابن حزم بعد هذا نصيب وافر من علم النحو واللغة وقسم صالح من قرض الشعر ، وصناعة الخطابة .

(١) مذهب داود بن على بن خلف الأصبهانى ومن قال بقوله من أهل الظاهر ونفاة القياس والتعليل (الجيانى) .

(٢) الأساس : صدع بالحق : جهر به وصرح مفرقاً بينه وبين الباطل (فاصدع بما تؤمر) .

(١) قلت : فى اللسان : اللقعة — كهمزة — الذى يتلقع بالكلام ولا شىء عنده وراء الكلام .

أردتم أن تأكلوا دينى ؟ ! ثم اختفى وجعل الوالى يطلبه فلا يقدر عليه ، فلما عجز عنه هدم بعض داره . وكان فى اختفائه يقول : يا رب ، يقدم عليك إخوانى غداً علماء حلماء فقهاء ، وأقدم قاضياً ؟ ! لا يارب ، ولو قرضت بالمقاريض !

ولم يكن الولاة يفعلون ذلك تشفياً وانتقاماً ممن أبى الولاية ، بل رغبة منهم فى صلاح الأمة بتولية خيارها قضاءها . ومن قبل هؤلاء فرّ إياس من القضاء ، فلما تعذر عليه الفرار ووقع ، نهض به نهضة جعلته علماً فيه شامخاً ، وجبلا باذخاً ، وجعلت المثل يضرب به فى إصابة قضائه ، وحدة ذكائه ، فيقول القائل : إياس ، ويكتفى

خوّفهم من القضاء أنه محنة لا يدرون ما مغبتها ، وبلاء لا يعرفون ما عاقبته ، أيفلحون فيه أم يخرجون منه وقد حبطت أعمالهم . وزاد خوفهم منه ما ورد فى أهله من الوعيد ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم شبه صاحبه بالمذبوح بغير سكين[١] ، وأنه جعل القضاة ثلاثة : قاضياً فى الجنة وقاضيين فى النار[٢]

* * *

نظر هؤلاء بعين الورع ، ونظر غيرهم بمنظار الشريعة ، فرأوه كما قال عمر بن الخطاب : فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، وعبادة من أفضل العبادات ، وطاعة من أجل الطاعات ، فرغبوا فيه ، وتقربوا إلى الله به . قال مسروق ، الإمام التابعى الثقة : لأن أقضى يوماً بالحق أحب إلى من أن أرابط سنة فى سبيل الله . واستدل على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم : عدل ساعة خير من عبادة سنة . وحديث ابن مسعود : إنه لا حسد (يريد لا غبطة) إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالا ، فهو ينفقه فى طاعة الله ؛ ورجل آتاه الله علماً ، فهو يعلمه ويقضى به . وقال مكحول فقيه الشام فى عصره : لأن أكون قاضياً أحب إلى من أن أكون خازناً . (قال السرخسى) : لأن الخازن يحفظ على المسلمين مالهم ، والقاضى يحفظ عليهم دينهم . وفسر على رضى الله عنه والعلماء من بعده حديث قاضيى النار أنهما : قاض علم علماً فقضى بخلافه ، وقاض جاهل يقضى بغير علم[٣] . وفسروا حديث المذبوح بغير سكين بأنه القاضى الجائر ، يدل على ذلك ما رووه من قوله صلى الله عليه وسلم: إن الله مع القاضى ما لم يجر، يسدده للحق ما لم يرد غيره[١].

وقد فصل الحنفية فذكروا أن القضاء من فروض الكفاية ، وأن طلبه تعتريه الأحكام الخمسة ، فيكون واجباً إذا لم يكن فى الأمة من يصلح له إلا واحد ، فطلب القضاء واجب على ذلك الواحد . ويكون مستحباً إن كان فيها صالحون ولكنه أصلح منهم ، ومباحاً إن كان صالحاً له ويصلح له غيره ، ومكروهاً إن كان غيره أصلح منه . وطلب القضاء حرام على من يعلم من نفسه أنه عاجز عنه ، وأن من طبعه الميل مع الهوى ، ومجاراة الناس ، واتباع المغريات .

* * *

وليس كل طالب للقضاء يولاه ، وما عمل من أعمال الدولة إلا لتوليه شروط ، ولأهله صفات ، باجتماعها تكون التولية ، وبانتفائها يكون الرد، يعملون بها اليوم فى بلادنا حيناً وتهمل أحياناً ، خطأ أو عمداً ، فتوسد الأعمال إلى غير أهلها ، ويدخل فيها غير مستحقيها . أما القضاء عندنا ، فباب الدخول إليه أضيق وشروطه أشد ، ولولا ثغرة كانت[٢] ، ربما ولج منها الضامر الهزيل الذى يمرّ من هذا الشق ، فإذا صار من داخل ترعرع وسمن وصار من أرباب المكان وخلاصة السكان ، فإذا عدونا ذلك لم نجد فى أصول تقليد القضاء عندنا مغمزاً .

وتعالوا قابلوا بين شرائط تقليد القضاء اليوم ، وقد نص عليها القرار ذو الرقم ٢٣٨ وبين ما اشترطه الفقهاء فى القاضى تروا أمرها من أمره قريب ، فقد شرط القرار أن يكون القاضى سورياً ، لأن القضاء مظهر من مظاهر السيادة ، وأداة من أدوات السلطان ، فهو يوسد إلى أبناء الأمة تثبيتاً لسيادتها وتقوية لسلطانها . وشرط الفقهاء أن يكون مسلماً ، لأن الجنسية عند المسلمين هى الدين ، وقد منعوا سماع شهادة غير المسلم على المسلم ، لأنها ولاية ، والله تعالى يقول : (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) ، والقضاء بذلك المنع أولى

(١) أخرجه أبو داود والترمذى .

(٢) أبو داود

(٣) وأخرج ذلك أبو داود مرفوعاً .

(١) كذلك جاء لفظه فى كتب الحنفية وأخرجه الترمذى بلفظ آخر وقال غريب .

(٢) وسدت وهي الجزيرة كانوا لا يشترطون فى القاضى يرسل إليها ما يشترط فى قضاة غيرها من ولايات الشام وبقى ذلك إلى سنوات خلت .

واشترط القرار ألا يكون القاضى محكوماً بعقوبة شائنة ، وأن يكون فاضل الخلق ، واشترط الفقهاء العدالة فيه ، وإن ذهب الحنفية إلى صحة ولاية الفاسق إن لم يجاوز فى أحكامه حد الشرع مع تأثيم من يولى فاسقاً

واتفق القانون والشرع على اشتراط صحة الحواس فى القاضى، لأن بها تمييز ما بين الخصوم ، وتمييز المحق من المبطل ، وعلى اشتراط الذكورة فى القاضى . ولم يجوز القانون تقليد امرأة القضاء بين الناس ، وقد قال أبو حنيفة رحمه الله بجواز تقليدها القضاء فيما تصح به شهادتها ، أى فى الشرعيات والمدنيات دون الجنائيات ، فمن لى بأفهام هؤلاء الذين يسمون أنفسهم أنصار المرأة أن الشرع أعطاها أكثر مما يطلبون لها ، وأن مذهبهم يقوم على واحد من شيئين : إما الغفلة وابتغاء ما لا يكون أبداً من تساوى المرأة بالرجل ، وإما المجانة واتخاذ هذه الدعوة مطية يبلغون بها حاجات فى نفوسهم

ولم يرو لنا التاريخ خلال هذه العصور الطويلة أن امرأة وليت القضاء ، ولا يكاد يسيغ العقل ذلك ولا الطبع يألفه ، وقد قال الله تعالى : (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض) ؛ وفسروا الفضل بأنه العقل والدين

واتفقت قوانين اليوم وأحكام الفقه على اشتراط العلم فى القاضى ؛ غير أن القانون أوجب نيله ليسانس الحقوق قاضياً شرعياً كان أو مدنياً

وأكثر الفقهاء شرطوا فى القاضى أن يكون من أهل الاجتهاد ، واحتجوا بحديث معاذ حين أرسله النبى صلى الله عليه وسلم إلى اليمن ، فقال له : بم تحكم ؟ قال : بكتاب الله . قال : فإن لم تجد ؟ قال : بسنة رسول الله . قال : فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيى ، فارتضى ذلك رسول الله ، وقال : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله إلى ما يرضى رسوله[1] ؛ واحتجوا بأنه عليه الصلاة والسلام كان يجتهد فيما لم يوح إليه حكمه ، ويقضى باجتهاده (ولكن الله لا يقره على الخطأ) ، وأن الاجتهاد كان جائزاً للصحابة فى حياة النبى عليه الصلاة والسلام

وجاء فى المبسوط : إن للقاضى أن يجتهد فيما لا نص فيه ، وإنه لا ينبغى أن يدع الاجتهاد فى موضعه لخوف الخطأ ، فإن ترك الاجتهاد فى موضعه بمنزلة الاجتهاد فى غير موضعه ، فكما أنه لا ينبغى له أن يشتغل بالاجتهاد مع النص ، لا ينبغى له أن يدع الاجتهاد فيما لا نص فيه

غير أن الحنفية ذكروا أن أهلية الاجتهاد شرط الأولوية لا شرط صحة التولية ، وأنه يصح قضاء المقلد إذا قضى بفتوى غيره (الهداية والهندية) ، أما المفتى ، فأجمعوا على اشتراط كونه من أهل الاجتهاد ، أو النظر فى الدليل . قال أبو حنيفة : لا يحل لأحد أن يفتى بقولنا حتى يعرف من أين قلنا . وهذا منتهى ما تصل إليه حرية البحث ، وما تبلغه الروح الاستقلالية فى العلم

قال فى المبسوط : « وإذا لم يكن القاضى من أهل اجتهاد الرأى ليختار بعض الأقاويل ، سأل المفتين (أى المجتهدين) ، ونظر إلى أفقههم عنده وأورعهم فقضى بفتواه ، وهذا اجتهاد مثله ، ولا يعجل بالحكم إذا لم يبن له الأمر حتى يتفكر فيه ويشاور أهل الفقه لأنه مأمور بالقضاء بالحق ، ولا يستدرك ذلك إلا بالتأمل والمشورة »

ومهما كان من أمر ، فالأصل فى القضاء الاجتهاد ، ولا يكون إلا كذلك ، لأن النصوص محدودة ، والوقائع لا حد لها ، ولا ينقطع الاجتهاد فى المسائل الجزئية أبداً ، ومن قال بسد باب الاجتهاد ، إنما أراد به الاجتهاد فى غير موضع الحاجة أو الاجتهاد المطلق ، أما الاجتهاد عند وقوع الواقعة لا بد من معرفة حكم الله فيها ، أو عند تبدل العرف الذى بنى عليه الحكم الاجتهادى ، فلم يمنعه أحد ولم ينقطع أبداً ، ولا يقلد فى هذا الموطن إلا عصبى أو غبى كما قال القاضى أبو عبيد على بن الحسين بن حرب :

قال الطحاوى (أبو جعفر الإمام الحنفى الكبير) ، وكان كاتب هذا القاضى : كان أبو عبيد يذاكرنى بالمسائل فأجبته يوماً فى مسألة فقال لى : ما هذا قول أبى حنيفة ، فقلت له : أيها القاضى ، أو كل ما قال أبو حنيفة أقول به ؟ ! قال : ما ظننتك إلا مقلداً ، قلت : وهل يقلد إلا عصبى ؟ قال لى : أو غبى . فطارت هذه الكلمة فى مصر حتى صارت مثلا ، وكان ذلك فى أول القرن الرابع

***

(١) أخرجه أبو داود والترمذى وقال لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده ليس بمتصل .

سمعتم خلاصة الخلاف في هذه المسألة ، وعلمتم أن العزيمة هي كون القاضي من أهل الاجتهاد ، والرخصة التي قال بها الحنفية هي جواز كونه مقلداً يا أيها السادة : إنهم كانوا يختلفون في القاضي هل يجوز له التقليد ، فلم يبق خلاف بيننا اليوم في أن القاضي لا يجوز له الاجتهاد !

ونقل الماوردي ، أن السلطان إذا قال للقاضي قد وليتك فلا تحكم إلا بمذهب فلان (من الأئمة) كان الشرط باطلا ، وكان له أن يحكم بما أداه إليه اجتهاده . ومن الاجتهاد اختيار من يفتى بقوله من المفتين كما جاء في المبسوط .

أما القضاء اليوم فالأهلي منه على مذهب (أئمة) الأفرنج ، كأننا أمة من البرابرة لا دين لها ولا فقه ، ولا كتاب . وقد بدت في سواد هذا الليل خيوط الفجر ، وأوشك أن يفيق النائمون .

وأما الشرعي فعلى مذهب أبي حنيفة ، إلا مسائل بأعيانها جرى العمل فيها (في مصر) على غيره ، منها ما عدل فيه إلى قول معتمد في أحد المذاهب الثلاثة ، ومنها ما خولفت فيه المذاهب الأربعة اجتهاداً ورجوعاً إلى دليل كمسألة طلاق الثلاث دفعة واحدة ووقوع طلقة واحدة به ، ومنها ما خولفت فيه بلا دليل شرعي كمنع سماع دعوى الزواج ممن لم تبلغ سنها السابعة عشرة أو ما لم تسجل في كتاب وقد مات أحد الزوجين — ولو أنهم اجتهدوا في مصر ونظروا في الأدلة لهان الخطب ، ولكن سبيلهم أن يهونوا حكما ، كتوريث ابن الابن مع الابن ، فيحتالوا عليه ، فيسموه وصية إجبارية ، أو يجدوا له مستنداً قولا لمجتهد من المجتهدين الأولين ولو كان مرجوحاً أو منقطعاً سنده ، فيأخذوا به ، وهذا ما سماه ابن عابدين في رسالته اتباع الهوى .

أما القضاء عندنا فليس فيه ابتداع أو مخالفة إلا في مسألة واحدة ولكنا خالفنا فيها ظاهر القرآن وثابت السنة والإجماع . لا تعجبوا يا سادة قبل أن تسمعوا البيان :

نصت المادة ٧ من قرار حقوق العائلة على أنه لا يجوز لأحد أصلا أن يزوج الصغير الذي لم يتم الثانية عشرة ولا الصغيرة التي لم تكمل التاسعة . ونص في المادة ٥٢ منه على أن هذا النكاح فاسد . وفي المادة ٧٧ على أن البقاء على الزوجية ممنوع في هذا النكاح فإذا لم يفترقا يفرق بينهما القاضي .

أما خلافها لظاهر القرآن (وظواهره حجة كما هو محرر في كتب الأصول) فلقوله تعالى : (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن[1]) . ففهم من ذلك صحة زواج المرأة وطلاقها قبل بلوغها سن الحيض . أما السنة فلزواج النبي صلى الله عليه وسلم بعائشة في السنة السادسة من عمرها ، والحديث (كما قال في فتح القدير) قريب من المتواتر . وقد انعقد الاجماع على أن حكمه عام وليس خاصاً بالنبي صلى الله عليه وسلم أو بعائشة . وقد زوج الزبير ابنته لقدامة بن مظعون يوم ولدت ، ولم ينكر عليه ذلك أحد من الصحابة مع علمهم به . أفنكاح قدامة بنت الزبير نكاح فاسد يا أيها السادة ؟ أم انه يجب التفريق بين محمد سيد النبيين وإمام المرسلين ، وعائشة أم المؤمنين ، لأن قرار حقوق العائلة يمنع بقاءها على الزوجية ؟ أم إنه يزعم أن أحكام الإسلام تتبدل ولو نطق بها القرآن وجاءت بها السنة المتواترة وانعقد عليها الإجماع ؟

سيقول قائل منكم أو من غيركم إن قانون العائلة وضعه فحول من العلماء ، وعرض على شيخ الإسلام وأمر به السلطان واستند فيه إلى اجتهاد ابن شبرمة وأبي بكر بن الأصم .

لا يا سادة ، إنه لا شيخ الإسلام ، ولا السلطان ، ولا مائة مجتهد يستطيعون مخالفة الكتاب والسنة والإجماع ، وما أحسب قاضياً يخاف الله ويعرف طرق العلم يحكم بغير ما أنزل الله فيصح فيه الوصف بالفسق والظلم والكفر ، وقد وصف الله بها من لم يحكم بما أنزل الله ، فكيف بمن يحكم بخلافه ؟!

وإني أحب أن أسركم فأخبركم بأن هذه المادة قد وضعت من أكثر من ثلاثين سنة ، ولكن قاضياً واحداً لم يقض بها ، فلم يبق منها إلا سواد الحبر في بياض الورق ، ذلك لتعلموا أن هذا القرآن قد تولى الله حفظه وحمايته « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » وإن قلعة يدافع عنها الله لا يستطيع أن يقتحمها بشر[2] !

علي الطنطاوي

---

(١) سورة الطلاق

(٢) ونحن مع ذلك ننصح الناس ألا يزوجوا الصغيرات حتى يبلغن ، ونؤخر عقودهن في المحكمة ، ولا نسجل عقداً إلا لبالغة مبلغ النساء ، ولكنا لا ننقض عقداً أبرمته الشريعة ، ولا نحرم ما أحل الله ، ولا يسوقن أحد ما في تزويج الصغار من مضرة يراها ، بل السبيل أن يسوق من شاء الكلام شرعياً أصولياً فينظر في الأدلة وقوتها وما يفهم منها ؛ فإذا صحت الأدلة وكان ذلك جائزاً في الشرع قبلناه لأن الشرع في نظر المسلم يكفل المنافع ويدرأ المفاسد كلها ، ولا يقر مفسدة ، والفرق واضح بين عدم تزويج الصغار ، وبين الحكم بفساد العقد بعد عقده ، لان التزويج للولي أو القاضي إن كانت الولاية إليه له أن يزوج أو يدع ، ولكن العقد إن أبرم لله لا ينقض إلا بموت أو طلاق أو تفريق أمر به الشرع .

ملحمة الحرب والسلام

دراسة تحليلية لفكرة الحرب وعواملها والسلام وأسسه

للأستاذ فؤاد عوض واصف

يكاد يكون الشعار الغالب فى حياة البدائى الأخلاقية هو أن يكون الإنسان سعيد الحظ فى الحرب يقتل من استطاع من الأعداء . وأنجح الكشوف هو ذلك الذى يهيىء للقبائل البدائية اقتناص أكبر عدد من الأجانب والعودة بجماجمهم ، يجمعونها فى حرز حريز لأنها الثروة التى بها يتفاضلون، وهى ضمان الشجاعة والشرف التى بها يتقدم البدائى إلى عروسه فى فخر وخيلاء[١] ...

فإذا انتقلنا إلى شعوب أكثر حضارة وجدنا أن الوحدة الاجتماعية تكبر وتتميز ؛ وكلما قويت الوحدة الإجتماعية ازداد الشعب استنكاراً لجريمة القتل ؛ إلا أن النظرة إلى الأجنبى تظل محتفظة بآثارها الموروثة عن القبيلة . فقوانين الملك iine تصور لنا كيف كانت حياة الأجنبى رخيصة فى بلاد اليونان فى العصور الأولى ، فلم يكن له أى حق قانونى . وكذلك كان الحال فى الشعوب الرومانية القديمة ؛ فالكلمة اللاتينية Hostis ومعناها عدو كانت تعنى الأجنبى أيضاً . فالأجنبى والعدو يدل عليهما بكلمة واحدة . والذى يدلنا على مدى نظرة هذه الشعوب — ومن شابهها فى درجة الحضارة — إلى الأجنبى ، تلك السهولة التى كانوا يقابلون بها حروبهم مع الأجانب . وفى التاريخ المصرى القديم لا نشاهد أية صيحة على الحروب وأهوالها ، وكأنما الحرب ضرورة مادام هنالك أجنبى . وكذلك الحال عند العبرانيين القدماء إذ كانوا يتصورون أن الحياة حق مقصور عليهم وعلى نسلهم . وعند العرب فى الجاهلية كانت القبائل تتحارب لأتفه الأسباب ، ومن ذلك ما يروى عن أيامهم ، فيوم النباج وتيتل مثلاً كان من الوقائع التى أثارها حب الغزو فحسب[١] .

وكل هذا يدلنا على أنه إذا كان نطاق القتل داخل البلاد قد ضاق كثيراً عنه فى الشعوب البدائية ، فقد ظل الأجنبى منظوراً إليه بنظرة لا تختلف عن نظرة الشعوب البدائية .

* * *

ولما دخلت المسيحية فى أوربا أشاعت احترام الحياة الإنسانية بدرجة لم تعرف فى العصور السابقة . وكان المسيحيون فى عصورهم الأولى يرون أن القتل فى جميع صوره خطيئة كبرى . وفى هذا يقول ترتيليو[٢] Tertulion : هل من الممكن أن يكون لنا حق امتشاق الحسام والسيد المسيح نفسه قد صرح لتلاميذه أن « ... كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون[٣] » .

ولئن كان السيد المسيح قد أمر بطرس بأن يرد سيفه إلى غمده عندما أراد بطرس أن يقاتل أعداء المسيح ، فإنما كان يعنى المسيح بهذا أن امتشاق الحسام محرم على كل جندى فى المستقبل .

وفى سنة ٣١٤ م صدر أمر بأن يحاكم كل جندى يترك سلاحه من أجل الدين ، وذلك لأن البلاد كانت مهددة بغارات الأعداء . وهكذا نرى أن فكرة الحرب بدأت تعود ، وأن آباء القرن الرابع والخامس الميلادى قد أخذوا يبررون امتشاق الحسام ؛ حتى إذا جاء القديس أوغسطين ذهب إلى أبعد من هذا حين أراد تفسير العهد الجديد تفسيراً لا يتعارض مع فكرة الحرب ، وعنده أن السيد المسيح عند ما أمر بطرس بأن يرد سيفه إلى غمده لم يكن يعنى كل جندى وإنما كان يعنى بطرس بالذات لأن امتشاقه الحسام لم يكن قانونياً . وينتهى أوغسطين من هذا بقوله : « إذا كان السلام هو الخير الأسمى وكانت مدينة الله قد أقيمت من سلام أزلى فإن الحرب فى بعض الأحايين ضرورة لهذا العالم الممتلىء بالخطيئة[٤] » .

نجد فى كلام القديس أوغسطين تحولا جديداً فى فكرة

---

(١) L,origine et le developpement des Idées Morales Westermarck Tomé 1 P. 340.

(١) كتاب العرب قبل الاسلام : جورجى زيدان ص ٢٢٧

(٢) L'origine - des idées Morales : Westermarck I p. 354

(٣) انجيل متى إصحاح ٢٦ آية ٥٢

(٤) L'origine- des Morales : Westermarck I p 356

الحرب عمل أتباعه على تدعيمه قائلين إنه ليس ثمة تعارض بين أن يكون الإنسان مسيحيًا وجنديًا فى الوقت نفسه . وانتهى الأمر بأن يتناول الفارس سيفه من القسيس الذى يباركه ويقول له تلك العبارة باللاتينية :

« Serve Christi, Sismiis, In Nomene iPatris Flii Ch Spiritus Sancti Amen » أعنى : فى خدمة سيدك المسيح تتناول حسامك أيها الجندى باسم الأب والابن والروح القدس آمين . وهكذا أصبح الجندى يمتشق الحسام باسم الله ، والحرب أصبحت قضاء من الله ، والنصر هبة من هباته .

وفى العصور الوسطى أيضاً كانت الحرب قضاء من الله . فاللورد بيكون يرى أن الحرب هى الوسيلة المثلى التى يتجلى بها الحق واضحاً ، إذ يحتكم الله عز جلاله بين الأمراء المتنازعين . ويقول لاهوتى فى هذا الصدد ، إن الحرب مرآة تقرب إلينا صورة الله « فليس كرائحة البارود عطر يستطيع من يتنسمه أن يتعرف الحق السماوى فى صورته العليا ... »

ولكن النزعة السلمية لم تعدم الأنصار فى أوربا فى تلك الآونة ؛ ففى القرن الرابع عشر ظهرت جماعة اللولارد Les Lollards وقالوا إن الحرب فى جميع صورها تتعارض مع تعاليم الإنجيل . وإن سلاماً غير عادل أكرم من حرب عادلة . ويقول « ارازم » إن الحرب ليست وحشية فحسب بل هى أكثر من ذلك ، لأن الإنسان القاتل أكثر وحشية من الوحش نفسه ، لأن الطبيعة إذا كانت قد هيأت الوحوش للحرب فإنها على العكس لم تهيىء الإنسان للحرب ؛ ومن ذهب إلى الحرب فليعلم أنه يمتشق الحسام ضد الطبيعة وضد الله وضد الإنسان ...

وجماعة الكويكرز ترى أن الحرب أيا كانت تتعارض مع تعاليم الكتاب المقدس ؛ وإذا كانت نهاية الإنسان هى الخلود فإن مستقبل فرد واحد فى الآخرة يفوق كل خير وقتى لأمة بأسرها ...

ومن هنا نرى أن الناس قد انقسموا أمام فكرة الحرب ، فى تلك الآونة ، إلى فريقين : فريق يرى أن الحرب مرآة فيها يتجلى الحق السماوى ، وفريق يرى أن الحرب تتعارض مع تعاليم المسيحية ، وأن سلاماً غير عادل أفضل من حرب عادلة .

***

وأما الحال عند العرب فقد عرفنا أن الإسلام قد أبطل الكثير من عاداتهم القديمة وجعل القتل جريمة كبرى . وقد نص القرآن الكريم على هذا بقوله : « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق » .

ولكن القرآن قد حث من جهة أخرى على مقاتلة الكفرة فى ظروف معينة إذ يحق للعرب أن يعتبروا « الجنة فى ظلال السيوف(١) » . وفى هذا يقول الله لنبيه : « يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا » وهكذا يكون الإسلام قد أجاز الحرب فى ظروف خاصة .

***

وفى القرن السابع عشر ظهرت فى أوربا طائفة الموسوعيين Encyclopedists وعلى رأسهم ديدرو الذى استطاع أن يجمع إليه عدداً من أشهر فلاسفة أوربا من أمثال فولتير وروسو . والفلاسفة — فى الانسيكلوبديا — وإن تباينت آراؤهم قد اتفقوا فى معاداتهم للمبادىء الكاثوليكية(٢) ولم تكن إذ ذاك سلمية . ولقد قام فلاسفة الانسيكلوبدية بدعوة سلمية معتدلة تختلف عن دعوة ارازم ، ففولتير وإن يكن يعترف بأن الحرب واجبة فى بعض الأوقات إلا أنه ينعى عليها شرورها ويقول إن الذى يجر الناس إليها طمع الأمراء وجشعهم .

ونحن نجد أيضاً عند فلاسفة النهضة الحديثة من أمثال كانت وبنتام وروسو نزعات معادية للحرب . ولكن ظهر رد فعل لهذه النزعات ، فى نزعة قومية زعم أنصارها أن وحدة عالمية ليست إلا حماً فظيعاً ؛ فليس ثمة ضمان للفضيلة عندهم إلا بوجود القوميات ؛ وهكذا أخذوا ينفخون فى نفير الحرب لأنها مقياس الحق ولأنها منبع ترتوى منه الفضيلة فيشتد عودها ويتقوى ساعدها . والحرب عند نيتشة قد جلبت للانسانية من الخيرات

(١) Ibid P. 347

(٢) تاريخ التمدن الحديث تأليف سنيوبوس وتعريب دار الهلال ص ٤٦

أضعاف ما جلبه الحب الإنسانى . وهى عند راسكين أم الفنون وجميع الفضائل الدنية . ولقد أصبحت الحياة عند هؤلاء حق يغتصبه القوى من الضعيف . وإن الصراع من أجل الحياة بين الأقوياء والضعفاء سيتمخض عن الإنسان الأعلى Superman الذى يعلو على أعقاب الضعفاء[1] ويقضى على جيلهم . ان فلسفة القوميات فى الواقع هى فلسفة قوة وحرب وسيطرة .

وبعد سقوط نابليون شاع فى العالم الرغبة فى سلام طويل . ولكنها كانت فترة قصيرة تلك التى شاع فيها حب السلام استيقظت بعدها صيحة القوميات وتعطشها إلى الحرب والسيطرة .

***

عرضنا فيما سبق استقراء عاماً لفكرة الحرب وتحولها فى أحقاب التاريخ . وإن نظرة واحدة إلى ما أمامنا من العناصر لكافية بأن تخرجنا بحقيقة أشبه بأن تكون يقينية ، إن كان هنالك ثمة يقين فى مجال العلم الحديث ...

لقد وجدنا أن فكرة الحرب من المعانى الخلقية التى لم تثبت على حال واحدة ، بل اختلفت وتبدلت باختلاف الشعوب والعصور؛ فبينا نرى الحرب فى بعض الأحايين خيراً أسمى بل وضماناً للفضيلة ، نراها فى أحايين أخرى شراً مستطيراً ، أولى بالحيوانات الكاسرة منها بالإنسان الأخلاق ...

هذا الاختلاف فى نظرة الإنسان إلى معين الحرب نتيجة لعوامل اجتماعية تشكل الوجدان الأخلاقى فتارة تغلب عليه فكرة الحرب فيراها الإنسان خيرا ، وتارة تغلب عليه فكرة السلام فتبدو الحرب للانسان شراً ليس بعده شر .

فكرة الحرب إذاً من المعانى النسبية ، تخضع لعوامل اجتماعية معينة تتولد منها وتزول بزوالها .

والتاريخ يدلنا على ألوان أخرى من القتال غير الحروب بصورتها الحالية وذلك مثل الحروب الخاصة Les gucrres privs والثأر للدم والمبارزة بين الأفراد وغيرها . وقد كانت هذه الأنواع من القتال تتولد تحت ظروف اجتماعية معينة ، وكانت تبدو للضمير الجمعى فى صورة بطولة وشرف . حتى إذا زالت العوامل الاجتماعية المولدة زالت معها أنواع القتال المختلفة ، وأصبحت نظرة الناس إليها غير تلك النظرة السابقة ...

لذلك ليس بصحيح ما يزعمه بعض العلماء من أن الحرب ضرورة فى فطرة الانسان ، فكما أن خلايا الجسم تتحارب فتتولد الحياة الفردية ، كذلك يتحارب الناس فتتولد الحياة الاجتماعية . إنما الحرب كما أثبت الاستقراء التاريخى ، نتيجة لعوامل اجتماعية خاصة قابلة لأن تزول ، وعندئذ تصبح فكرة الحرب من المعانى المجهولة ، كما أن الكثير من أنواع القتل كالمبارزة بين الأفراد أصبحنا نجهله كل الجهل .

وعند العلامة وسترمارك أن أنصار السلام يزدادون يوماً بعد يوم ، وهكذا عندما ننحسر موجة القوميات — وهى العوامل الاجتماعية المولدة للحروب فى عصورنا — ولا يعود الناس ينظرون إلى الحرب والسلام بالمنظار القومى ، فإن كل الدلائل تدل على أن الصيحة ضد الاستبداد المنبعثة من القوميات ستخفت ، كما خفت غيرها من صيحات الحروب الخاصة والثأر للدم ...

وإن لنا الدليل كل الدليل فى أن العالم يتجه نحو وحدة عالية ، تتلاشى عندها الدوافع القومية وتختفى معالمها ، وذلك فى روح المذاهب السياسية للدول المنتصرة فى هذه الحرب . فالديموقراطية تنعت بأنها مبدأ يعلو على القومية Snper-national وكذلك الاشتراكية الحديثة فى روسيا (البلشفية) ليست مبدأ قومياً ، وإنما هى ترى فى النهاية إلى وحدة عالية شأنها فى ذلك شأن الديموقراطية . فنى حين أننا نرى الفاشيستية والاشتراكية القومية (النازية) تنظران إلى وحدة عالية كحلم فظيع ، نرى أن الديموقراطية والبلشفية تتجهان فى جوهرهما إلى وحدة عالية يسودها الوئام والسلام ...

إن ملحمة الحرب ملحمة طويلة وحافلة ، ولكن لهـا — ككل قصة فى الحياة — نهاية وخاتمة ؟

فؤاد عوض واصف

ليسانسيه فى الفلسفة

(١) On ubir al meden Knouledc W. Rorc p. 36

رأى جديد في

حمـــــاد الراوية

للأستاذ السيد يعقوب بكر

١ — منهج البحث

لعل أهم ما أقصد إليه فى هذا البحث هو تمحيص رواية حماد (أعنى روايته للشعر) ؛ فقد أكثرت كتب الطبقات من ذكر أخباره والأحداث التى تقلبت عليه ، ولكنها لم تعرض لروايته كما يعرض العلماء لمواضيع بحثهم ، ولم تمحصها كما يجب أن تمحص الأشياء ، وكل ما فعلته أنها اتهمته بالوضع والانتحال وذكرت من أخبار انتحاله الشيء الكثير .

أقول : لعل أهم ما أقصد إليه فى هذا البحث هو تمحيص رواية حماد . ولكننى قبل أن أمحص هذه الرواية ، يجب على أن أعرض لحياة هذا الراوية فى عصره وللراوية هذا العصر ؛ فلعلنا كتناه حياته والرواية فى عصره يأخذ بيدنا عند تمحيص روايته ؛ ولعله يكشف لنا منها جوانب ما كنا لنفطن لها لولاه ؛ ولعله يكشف لنا عن الدواعى التى حدت به إلى أن يضع إن كان قد وضع حقا ، أو الدواعى التى جعلت الرواة يتحاملون عليه إن كان هو من الوضع براء .

هذا منهج من البحث لا أشك فى أنه سيصل بى إلى النتيجة الحق . ذلك لأنه منهج قائم على أساس صحيح ؛ فهو يربط بين حماد راوية وبينه إنسانا فى ذاته وإنسانا فى مجتمع ، وهو يربط بين روايته ومجرى الرواية فى عصره . والدراسات الأدبية لا يمكن أن تؤدى إلى الحقيقة مالم تربط بين من تدرسه وبين نفسه وبيئته .

٢ — حياة حماد

يقول ابن قتيبة[١] فى كتاب المعارف (ص ١٨٣) : هو حماد بن هرمز ؛ وكان هرمز من سبى مكنف بن زيد الخيل ، وكان ديلميا يكنى أبا ليلى . ويقول فى كتاب الشعر والشعراء (ص ١٥٧ M. I. De Goeie) : وحماد الراوية مولى مكنف .

(١) توفى سنة ٢٧٦ أو ٢٧١ أو ٢٧٠ هـ

وفى الأغانى[١] (ج ٥ ص ١٦٤ ط بولاق) أن الأصمعى سأل حمادا : ممن أنتم ؟ فقال حماد : كان أبى من سبى سلمان بن ربيعة ، فطرحتنا سلمان لبنى شيبان ، فولاؤنا لهم .

ويقول ابن النديم[٢] فى الفهرست (ص ٩١ ط فلوجل) إنه : أبو القاسم حماد بن سابور[٣] بن المبارك بن عبيد ؛ وكان سابور يكنى أبا ليلى ، من سبى الديلم ، سباه ابن عروة بن زيد الخيل[٤] ووهبه لابنته ليلى يخدمها خمسين سنة ، ثم ماتت ، فبيع بمائتى درهم ، فاشتراه عامر بن مطر الشيبانى وأعتقه .

ويقول ياقوت[٥] فى معجم الأدباء (ج ٤ ص ١٣٧ ط مرجليوث) إنه حماد بن ميسرة بن المبارك بن عبيد الديلمى ؛ مولى بنى بكر بن وائل ، وقيل مولى مكنف بن زيد الخيل الكوفى المعروف بالراوية

ويقول ابن خلكان[٦] فى وفيات الأعيان (ص ٢٤٠ ط باريس) إنه أبو القاسم حماد بن أبى ليلى سابور ، وقيل ميسرة ابن المبارك بن عبيد الديلمى الكوفى .

فظاهر من هذه الروايات الخمس أن حمادا ديلمى الأصل ؛ وأنه من الموالى ، وإن كان قد اختلف فى ولائه : لمن . على أن هذا اختلاف فى الظاهر . فنحن إذا أخذنا برواية ابن النديم استبان لنا أن ولاء حماد كان لابن زيد الخيل (ابن عروة كما يقول ابن النديم ، أو مكنف كما يقول ابن قتيبة وياقوت ، ثم كان لعامر بن مطر الشيبانى . وشيبان بن ثعلبة ، وثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر . وهكذا نفهم تردد ولاء حماد بين ابن زيد الخيل وبنى شيبان وبنى بكر بن وائل . ولكننا لا نجد بعد هذا تفسيرا لما يقوله حماد من أن أباه كان من سبى سلمان بن ربيعة ، فنحن لا نعرف من هم بنو سلمان هؤلاء .

والديلم — كما يقول هيار Huart فى كتابه : Littérature Arabe (ص ٥٨) — هم ذلك الجنس الهائل الذى كان يحتقر العرب ؛ والذى كان يسكن جبال جيلان الوعرة

(١) توفى أبو الفرج سنة ٣٥٦ هـ

(٢) توفى سنة ٣٨٥ هـ

(٣) فى الفارسية Shahpur

(٤) كان زعيما لطيء

(٥) توفى سنة ٦٢٦ هـ

(٦) توفى سنة ٦٨١ هـ .

مستقلا غير خاضع لسلطة ما ؛ والذى استولى على بغداد باسم بنى بويه ، فجرد الخلافة من سلطتها الزمنية ، ولم يبق لها إلا سلطة روحية محضا . وكان لحن حماد ينم عن أصله الأعجمى .

وظاهر من هذه الروايات أيضاً أن هنالك خلافاً حول اسم أبى حماد . فابن قتيبة يقول إنه هرمز ، وهو فى هـذا يوافق الجاحظ[1] فيما يحكيه عنه السيوطى فى المزهر (جـ ٢ ص ٢٠٦) وابن النديم يقول إنه سابور ؛ ويتابعه فى هذا هيار (ص ٥٨) ، وتشارلز ليـال Charles Lyall فى كتابه : Translation of Ancient Arabian Poetry (القدمة : هامش ص ٣٩) وفى مقدمته لترجمة المفضليات (هامش ص ١٣) : وياقوت يقول إنه ميسرة[2] ، وهو فى هذا يوافق الهيثم بن عدى فيما يحكيه عنه أبو الفرج فى الأغانى (جـ ٥ ص ١٦٤) والبغـدادى فى خزانة الأدب (جـ ٤ ص ١٢٩ ط بولاق) .

وقد ولد حمـاد بالكوفة . واختلف فى تاريخ ميلاده ؛ فهو عند ابن النديم (ص ٩١) سنة ٧٥ هـ ، وينقل عنه فى هـذا بروكلمان فى كتابه : Geoch. ol. a. Litt (جـ ١ ص ٦٣) وهو عنـد ياقوت (ص ١٤٠) سنة ٩٥ هـ ، ويتابعه فى هذا ابن خلكان (ص ٢٤١) . كذلك اختلف فى تاريخ وفاته ؛ فهو عند ابن النديم (ص ٩١) سنة ١٥٦ هـ ، وهو عند ياقوت (ص ١٤٠) وابن خلـكان (ص ٢٤١) سنة ١٥٥ هـ .

وحماد من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية . فتشارلز ليال يقول فى كتابه الأول : (المقـدمة ، هامش ص ٣٩) : « علا ذكر حماد الراوية بن سابور الفارسى الأصل وجامع المعلقات ومعظم شعر امرىء القيس فى دولة بنى أمية خاصة ، منذ عهد يزيد الثانى (يعنى يزيد بن عبد الملك) (١٠١ — ١٠٥) حتى سقوطها سنة ١٣٢ ، وبعد ذلك عاش فى عصرى المنصور والمهـدى » . فالذى يؤخـذ من قول هذا المستشرق أن حمـادا لم يدرك عصرا بعد عصر المهدى ، وهو فى هذا يتابع ما يرويه ابن خلـكان إذ يقول (ص ٢٤١) : « وقيل إنه توفى فى خـلافة المهدى » . على أننا نجد فى الأغانى (جـ ٣ ص ٨٠) هذه الرواية : « ذكر أبو أيوب المـدنى أن حمادا الراوية حدثه ، قال : رأيت عبد الرحيم الدفاف أيام هرون الرشيد بالرقة ... » ، وهى رواية صريحة الإشارة إلى أن حمـادا أدرك عصر الرشيد ، ولـكننا لا نستطيع بأى حال من الأحوال أن نرجحها على سائر الروايات التى تقف بحياة حماد قبل عصر المهدى ، أو عن هذا العصر ، بل إننا لا نظن حمادا قد أدرك عصر المهدى كما تقول الرواية التى أشار إليها ابن خلـكان . فحماد قد توفى سنة ١٥٦ هـ كما يقول ابن النديم ، أو سنة ١٥٥ هـ كما يقول ياقوت وابن خلـكان ؛ بينما أن المهدى تولى الخلافة سنة ١٥٨ هـ . والرواية التى يشير إليها ابن خلـكان غير صريحة النسبة ، وهى لا تذكر تاريخا معينا . وقد رجع تشارلز ليال عما قاله فى كتابه الأول (المقدمة ، هامش ص ٣٦) من أن حمادا توفى سنة ١٦٠ هـ ، وجعل يشك فى أن حمادا أدرك عصر المهدى ، وهذا فى مقدمته لترجمة المفضليات (ص ١٨) . ويبدو لنا أنه فى الـكتاب الأول قد أخـذ بمفهوم الرواية التى يشير إليها ابن خلـكان ، فافترض سنة ١٦٠ هـ تاريخاً لوفاة حماد ، أى بعد ولاية المهدى الخـلافة . وهذا افتراض محض ، لأن المراجع العربية لم تذكر هذا التاريخ .

وقال ابن النطاح (الأغانى جـ ٥ ص ١٧١ ، وخـزانة الأدب ص ١٣١) : « كان حماد الراوية فى أول أمره يتشطر ويصحب الصعاليك واللصوص ، فنقب ليلة على رجل فأخذ ماله وكان فيه جزء من شعر الأنصار ، فقرأه حماد فاستحلاه وتحفظه ، ثم طلب الأدب والشعر وأيام الناس ولغـات العرب بعد ذلك ، وترك ما كان عليه فبلغ فى العلم ما بلغ » . وهذه الرواية — إن صحت — تدلنا على طور من أطوار حياة حماد ، لا بد أنه خلف فى نفسه أثراً ، ولا بد أنه كيف مزاجه تـكييفا خاصا .

وكان خلفاء بنى أمية يقـدمون حمادا ويؤثرونه ، وكثيرا ما كانوا يستحضرونه لينشدهم وليسـألوه ، فـكان يفد عليهم فيجزلون صلته . ويروى أنه كان منقطعا إلى يزيد بن عبد الملك فى خلافته ، فأسخط هذا هشاما أخا الخليفة وولى عهده ؛ فلما تولى هذا الخلافة خاف حماد على نفسه ، فلزم بيته سنة لا يبرحه ؛ ولـكن هشاما لم يلبث أن استدعاه إلى دمشق ليسأله عن بيت من الشعر : من قاله ؟ فلما أجابه وأنشده أجازه وأحسن صلته . وهذه

---

(١) توفى سنة ٢٥٥ هـ

(٢) يبدو لتشارلز ليال فى مقدمته لترجمة المفضليات (هامش ص ١٣) أن ميسرة — وهو إسم عربى — قد أطلق على أبى حماد ، هرمز أو سابور ، حين ولائه .

القصة مذكورة فى معظم المراجع التى بين يدينا ؛ وهى مذكورة على سبيل المثال فى الأغانى (ج٥ص ١٦٦ ـ١٦٧)، وقد استغرق ذكرها جلّ ما كتبه صاحب نزهة الألباء عن حماد (ص ٤٤ — ٥٠) ، وذكرها السيوطى فى تحفة المجالس ونزهة المجالس (ص ٦٩ — ٧١ ط مطر السعادة) . ولكن الأستاذ أرندنك Arendonk ، كاتب مادة حماد الراوية فى الموسوعة الإسلامية ، يشك فى صحة هذه القصة فهو يرى أنها لا يمكن أن تقع فى مثل هذا التاريخ ، وأن سماتها تشبه سمات قصة تروى عن الوليد الثانى (يعنى الوليد بن يزيد) الذى كان خاصة يستمع إلى حماد كثيرا . ويشك أبو الفرج (ج ٥ ص ١٦٧) فى صحة جانب من هذه القصة ، وهو أمر هشام الجاريتين المذكورتين فى القصة بسقى حماد الخمر ؛ لأن هشاما — كما يقول أبو الفرج — لم يكن يشرب ولا يسقى أحدٌ بحضرته مُسكرا ، وكان ينكر ذلك ويعيبه ويعاقب عليه . كما أن ابن خلكان يشك فى جانب آخر من القصة ، وهو أمر هشام يوسف بن عمر الثقفى باستدعاء حماد ؛ فهو يقول (ص ٢٤١) : « وما يمكن أن تكون هذه الواقعة مع يوسف بن عمر الثقفى لأنه لم يكن واليا بالعراق فى التاريخ المذكور بل كان متوليه خالد بن عبد الله القسرى » . وفى اعتراض ابن خلكان تفسير للشطر الأول من اعتراض أرندنك .

ويبدو لنا أن قصة حماد مع الوليد بن يزيد التى يشير إليها أرندنك فى الشطر الثانى من اعتراضه هى التى رواها أبو الفرج فى الأغانى (ج ٦ ص ١٢٨) حيث قال : « ... قال (أى حماد) : دخلت يوماً على الوليد ، وكان آخر يوم لقيته فيه ، فاستنشدنى ، فأنشدته كل ضرب من شعر الجاهلية والإسلام ، فما هش لشىء منه ، حتى أخذت فى السخف فأنشدته لعماد بن ذى كنانة مجتبذاً ... فضحك حتى استلقى ، وطرب ودعا بالشراب ، فشرب ، وجعل يستعيدنى الأبيات ، فأعيدها ، حتى سكر ، وأمر لى بجائزة ، فعلمت أن أمره قد أدبر . ثم دخلت على أبى مُسلم ، فاستنشدنى ، فأنشدته قول الأخوة :

لنا معاشر لم يبنوا لقومهم

فلما بلغت إلى قوله :

تُهدى الأمورُ بأهل الرشد ما صلحت
وإن تولّت فبالأشرار تنقاد

قال : أنا ذلك الذى تنقاد به الناس ، فأيقنت حينئذ أن أمره مقبل » .

على أن هذه القصة غير صحيحة فيما يبدو لنا . فإن أبا مسلم الخراسانى لم يبرز إلى الميدان السياسىّ إلا سنة ١٢٩ هـ ، أى بعد وفاة الوليد بن يزيد بثلاث سنين . وأغلب الظن أنها من وضع دُعاة العباسيين وضعوها تشهيراً بالوليد وإظهاراً لما كانت عليه دولة بنى أمية من انحلال وما كانت عليه الدعوة العباسية من فتوّة . وهكذا يسقط الشطر الثانى من اعتراض أرندنك .

ومهما يكن من شىء ، فقد كان حماد ذا حظوة لدى يزيد ابن عبد الملك ، ثم لدى الوليد بن يزيد من بعده . وتفسير هذه الحظوة يسير . فقد كان الخليفتان يحبان اللهو والمجون ، وكانا يجدان فى حماد ما يوائم ذينك اللهو والمجون من شعر سافر ومذهب داعر .

على أنه لم يكن ذا حظوة لدى العباسيين . يظهر هذا مما يرويه أبو الفرج (ج١٢ ص١٠٢) إذ يقول : « ... كان مطيع بن إياس منقطعاً إلى جعفر بن المنصور ، فطالت صحبته له من غير فائدة ، فاجتمع يوماً مطيع وحماد عجرد ويحيى بن زياد ، فتذاكروا أيام بنى أمية وسعتها ونضرتها وكثرة ما أفادوا فيها وحسن ملكهم وطيب دارهم بالشام وما هم فيه ببغداد من القحط فى أيام المنصور وشدة الحر وخشونة العيش وشكوا الفقر فأكثروا ... » ؛ ومما يرويه أبو الفرج (ج ٥ ص ١٦٩ — ١٧٠) والبغدادى (ص ١٣٠ — ١٣١) من أن جعفر بن أبى جعفر المنصور المعروف بابن الكردية كان يستخف مطيع بن إياس ويحبه ، وكان منقطعاً إليه ، وله منه منزلة حسنة ، فذكر مطيع حماداً وكان صديقه وكان مطرحا مجفواً فى أيامهم ، فقال له : ائتنا به لنراه ، فأتى مطيع حماداً فأعلمه بذلك وأمره بالمصير إليه ومعه ، فقال له حماد : دعنى فإن دولتى كانت مع بنى أمية ومالى مع هؤلاء خير ، فأبى مطيع إلا الذهاب به ، فلما أتيا جعفر استنشد هذا حماداً فأنشده قصيدة جرير التى مطلعها :

بان الخليطُ برامتين فودّعوا   أوَ كلما اعتزموا لبيْن تجزعُ

فلما وصل إلى قول جرير :

وتقول بوزع قد دببت على العصا   هلا هزئت بغيرنا يا بوزع

أبدى جعفر نفوره من لفظ بوزع ، وأمر غلمانه بصفع حماد

وجرّ رجله . ويقول أرندنك إنه « كان أحد الشعراء الذين خرجوا عن بغداد فى عهد المنصور فى طلب المعاش فذهب إلى الكوفة[1] ؛ ولكن يُقال إن المنصور استدعاه ثانية إلى بغداد من البصرة » .

ومن اليسير علينا أن نفسر إعراض العباسيين عن حماد ورفاقه . فقد كان العباسيون فى أول أمرهم يأخذون الحياة مأخذ الجد ، ويصطنعون الصرامة والقسوة ، ويعملون على تدعيم ملكهم الوليد . وما كان لمثل هؤلاء أن يُقبلوا على حماد ورفاقه ، وأن يسوغوا لهوهم ومجونهم . هذا إلى أن حماداً ورفاقه كانوا من المقربين إلى بنى أمية ، وما كان للعباسيين أن يقربوا من كان هواهم مع أعدائهم .

وقد اشتهر حماد بمجونه واستهتاره وفسقه وسكره . ونجد فى الأغانى (ج ٥ ص ١٦٩) قصة من قصص استهتاره ، كما نجد صورة من صور فسقه فى (ص ١٧٠) .

ويقول ابن قتيبة فى الشعر والشعراء (ص ٣٠٢ المكتبة التجارية): « وكان بالكوفة ثلاثة يقال لهم الحمادون : حماد عجرد ، وحماد الراوية ، وحماد بن الزبرقان النحوى ؛ وكانوا يتعاشرون ، ويتنادمون ، وكانوا يرمون بالزندقة كلهم[2] ؛ وكان حماد بن الزبرقان عتب على حماد الراوية فى شىء فقال :

نعم الفتى لو كان يعرف قدرَه ... ويقيمُ وقتَ صلاته حمادُ
هدلت مشافره الدنانُ فأنفه ... مثل القدوم يسنُّها الحداد
وابيضّ من شُرب المدامة وجهُه ... فبياضُه يوم الحساب سواد »

على أن نسبة هذه الأبيات إلى حماد بن الزبرقان فى هجاء حماد الراوية يحوطها الشك ؛ فأبو الفرج (ج ٥ ص ١٧١) ينسبها وثلاثة أبيات أخرى بعدها إلى أبى الغول الطهوى فى هجاء حماد ، والبغدادى (ص ١٣٢) ينسبها — مغيَّرة قليلا — إلى أبى الغول الطهوى أيضاً ، وابن خلكان (ج ١ ص ٢٩٥ ط مصر) ينسب البيتين الأول والأخير منها إلى بشار فى هجاء حماد عجرد وكانا يتهاجيان ، والمرتضى فى أماليه (ص ٩٢ ط صبيح) يذكر رواية نؤخذ منها أن أبا الغول النهشلى قال هذه الأبيات — مع اختلاف فى صدر البيت الثانى — وبيتاً رابعاً فى هجاء حماد عجرد .

ولما توفى حماد رثاه محمد بن كُناسة[1] بقوله :

أبعدْتَ من نومك الفرارَ فما ... جاوزت حتى انتهى بك القدرُ
لو كان يُنجى من الردى حذرٌ ... نجّاك مما أصابك الحذر
يرحمك الله من أخٍ يا أبا ... القاسم ما فى صفاته كدر
فهكذا يفسد الزمان ويفنى الـ ... علم فيه ويدرس الأثر

وهذه الأبيات يذكرها ابن النديم (ص ٦٢) ، ويذكر ياقوت (ج ٤ ص ١٤٠ ط مرجليوث) وابن خلكان (ص ٢٤٢ ط باريس) الأبيات الثلاثة الأخيرة منها مغيّرة بعض التغيير .

(البحث بقية)

السيد يعقوب بكر

---

(١) يرجع أرندنك فى هذا إلى الأغانى (ج ٢ ص ٩١) .
(٢) تجد هذا الشطر من الرواية فى ياقوت فى ترجمة حماد عجرد (ج ١٠ ص ٢٥٠ ط المأمون) ، وفى الأغانى (ج ٥ ص ١٦٦ و ج ١٣ ص ٧٣) .

(١) عالم وشاعر كوفى ، جمع أشعار قبيلته أسد ، وامتدت حياته من سنة ١٢٣ هـ إلى سنة ٢٠٧ هـ .

حول مذهب الشيخية :

بيان حقيقة وإيضاح شبهة

للشيخ عبد الله بن على الموسوى

قرأت فى الرسالة المباركة عدد (٦٣٣) ما حرره الدكتور جواد على بعنوان (الفلسفة الإسلامية المتأخرة) فرأيته ، وفقه الله وسدده ، قد خالف الحقيقة فيما نسبه إلى الشيخية ورئيسها المرحوم الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائى ، فتعجبت غاية العجب وقلت يا سبحان الله ! إن مثل الدكتور جواد على المعروف بالتتبع والصدق والأمانة كيف يكتب خلاف الحقيقة ويسىء إلى التاريخ ويشوه سمعته حتى أنى ظننت أنه ، سلمه الله ، لم يطلع على كتب الشيخ أحمد بن زين الدين ولا على كتب واحد من تلاميذه وأتباعه وما كتبه قد أستقاه من عيون غير صافية . وها إنى أبين ما جاء فيما كتبه صواباً وخطأ .

أما قوله : إن الشيخية هم المنسوبون إلى الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائى فهو حق ، لأن الشيخية هم الذين يقلدون الشيخ أحمد ويأخذون فروع دينهم عنه كما هى سيرة الشيعة الإثنى عشرية إلى يومنا هذا . وأما قوله : إن الشيخ أحمد تأثر بآراء الملاصدرا كثيراً فشرح بعض كتبه مثل كتاب العرشية والمشاعر ، وهو عيال على الملاصدرا فهو مخالف للحقيقة ، لأن الملاصدرا يقول بوحدة الوجود كمحيى الدين بن عربى ، والشيخ أحمد عقيدته التوحيد الخالص ، وقد رد على الملاصدرا فى شرحه كتابيه : العرشية والمشاعر ، لا أيده ، والشرحان مطبوعان وبإمكان كل منصف طالب الحقيقة النظر فيهما ليعرف حقيقة الأمر ؛ كما أن الشيخ أحمد فى كتابه شرح الزيارة زيّف آراء محيى الدين وعقيدته فى وحدة الوجود ، تجد ذلك فى (صحيفة ٢٢) من كتاب شرح الزيارة طبع سليمان خاقان . فالقول بأنه عيال على الملاصدرا بعيد عن الإنصاف جداً .

قوله : وبالنظر إلى ما كان يظهره من غلو فى بعض الآراء نفر الناس منه فالتمس الشيخ أحمد حامياً له ومعيناً ، وكان ذلك الحامى هو الأمير محمد على بن فتح على شاه إلى آخر عبارته

(اعلم) أن الشيخ أحمد لاغلو فى آرائه ، وكانت آراؤه مستقاة من كتاب الله سبحانه وسنة نبيه وأحاديث آل البيت الإثنى عشر ، وتلك المصادر لا غلو فيها .

نعم إن الشيخ أحمد لما كانت له درجة رفيعة فى العلم وكان ورعاً تقياً زاهداً عابداً لا همة له سوى إرشاد الناس وصلاحهم صارت له لدى الملوك والأمراء منزلة لا بأس بها ، فأحب السلطان فتح على شاه إقامته فى طهران لما زارها وألح عليه فامتنع الشيخ أحمد عليه امتناعاً شديداً ورجع إلى يزد بعد أن زار خراسان ، ثم بعد ذلك عزم السفر إلى زيارة أئمة العراق ، ولما وصل إلى أصفهان أوفد الأمير محمد على جماعة إلى أصفهان يستقبلونه وكان إذ ذاك فى كرمانشاه والياً ، ولما قارب الشيخ كرمانشاه خرج الأمير وحاشيته وجنده ورعاياه لاستقباله وقد طلب من الشيخ الإقامة فى كرمانشاه فوعده بالإقامة بعد رجوعه من العراق ، وبعد أن رجع أقام فى كرمانشاه يدرس العلوم الدينية ويوضح الشريعة المحمدية .

هذه قصة الأمير محمد على ميرزا ومن أراد الاطلاع عليها أو على غيرها فعليه بكتاب هداية الطالبين المطبوع فى إيران .

قوله : يروى عن الشيخية أن الإمام تجلى للسيد كاظم الرشتى فى ليلة من الليالى وكان عمره إذ ذاك إثنى عشر عاماً وأشار عليه بوجوب الذهاب إلى مدينة يزد والالتحاق بحاشية الشيخ أحمد ، ما أدرى من أين أخذ دكتورنا هذه الرواية وعلى من اعتمد فى نقلها ومتى كانت الشيخية تعتمد على أمثال هذه المزخرفات وإن كان ما يرويه الدكتور جواد على حقاً فليذكر الكتاب الذى فيه هذه الرواية .

قوله : ولما غادر الأحسائى إيران ثم ترك العتبات المقدسة فى العراق لأداء فريضة الحج توفى فى الحجاز ودفن فى المدينة فى جوار قبور الأئمة بالبقيع سنة ١٢٤٣ ، الصحيح أنه توفى سنة ١٢٤١ لا سنة ١٢٤٣ للهجرة .

قوله : وأصبح السيد كاظم الرشتى خليفة الأحسائى والنايب منابه . نعم إن الشيخية لما فقدوا الشيخ أحمد ورأوا السيد كاظم الرشتى عالماً فاضلا ورعاً تقياً صادقاً أميناً قلدوه وأخذوا الأحكام الفرعية عنه ، حتى أن الشيخ أحمد الأحسائى خلّف ولدين وهما :

الشيخ محمد تقي والشيخ علي وقد كانا عالمين فاضلين إلا أنهما رحمهما الله لما لم تكن درجتهما العلمية في نظر الشيخية كدرجة السيد كاظم الرشتي قلدوه وأعرضوا عن تقليدهما ، وكذلك لما توفي المرحوم السيد كاظم الرشتي خلف ولده المرحوم السيد أحمد وكان أيضاً عالماً فاضلا وله من المال ما لا بأس به ، إلا أن درجته العلمية لما لم تكن موازية لدرجة المرحوم الحاج محمد كريم خان قلدوا الحاج محمد كريم خان ، وذلك دليل تدينهم وعدم تأثرهم بالماديات وغيرها وذلك لا عيب عليهم فيه .

قوله : إلى أن توفي الرشتي بمرض أصابه ببغداد دون أن يتمكن من النص على تعيين شخص يكون خليفته من بعده وزعيم الشيخية الديني المطاع بالنص والتعيين .

يا سبحان الله ما أعظمها من فرية ما أدري من أين اقترف الدكتور هذه التهمة التي اتهم بها الشيخية ، ومتى كانت الشيخية تعتقد بأن زعيمها الديني لا بد وأن يكون منصوصاً عليه من سابقه ؛ وفي أي كتاب من كتبهم اعتقدوا ذلك ، ولذلك فليحسن الدكتور إلى التاريخ وليوقفنا عليه من كتب الشيخية أنفسهم لا من أقوال المفترين نكن لسعادته شاكرين .

نعم عقيدة الشيخية في التقليد هي عقيدة المجتهدين من الشيعة الإثني عشرية فكل من رأوه فقيهاً عالماً عاملا تقياً نقياً قلدوه وأخذوا أحكام دينهم عنه ، وذلك ما نص عليه الإمام جعفر من آل البيت بقوله : أما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً هواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه ، ولا أمنع أنهم يختارون تقليد الأعلم .

قوله : فانصرفت جماعة منهم إلى الميرزا علي محمد الشيرازي إلى أن قال والبابية عيال على الشيخية في آرائها وأفكارها المغالية ولا سيما في نظرتها إلى الإمام المهدي وعلاقة الإمامة بالإنسان ؛ أظن أن الدكتور لم يطلع على كتب البابية وآرائها كما أنه لم يطلع على كتب الشيخية وعقائدها ، ولو اطلع على الكتبين والعقيدتين لما افترى على الشيخية ولما ألحق البابية بالشيخية ، فإن ميرزا علي محمد الشيرازي ادعى البابية للامام مرة ، وادعى أنه المهدي الذي يخرج بالسيف تارة ، ومرة ادعى أنه يوحى إليه وقد أنزل عليه بزعمه كتاب كالقرآن نعوذ بالله ، وتارة ادعى الألوهية ، ولولا الإطالة لسطرت من مزخرفاته التي أنزلت عليه في قرآنه بزعمه الذي سماه الذكر والبيان ما يهتدي به الطالبون ، وأن ميرزا علي محمد أنكر شريعة سيد المرسلين وأسقط عن أتباعه الصلاة والصيام والحج والزكاة كما في قرآنه المزخرف وغيره من رسائله ، وأول من زيف مزخرفاته ورد عليه وكفره بها هو زعيم الشيخية وعالمها المرحوم الحاج محمد كريم خان ، وقد كتب في ذلك رسائل عربية وفارسية ، وقد كان الميرزا علي محمد في قرآنه المزخرف يحرم على أتباعه النظر في كتب الشيخ أحمد والسيد كاظم وينهاهم عن مطالعتها ، منها قوله في أول سورة من مزخرفه : « من اليوم الذي قرئ عليكم كتاب ربكم كتاب البيان حرمنا عليكم يا حروف كلة البيان ومظاهر النقطة السارية في هويات الظهور إلى تفسير الزيارة وشرح الخطبة وكل ما كتب الأحمد بيمينه والكاظم بيمناه كما حرمنا على الذين من قبلكم النظر إلى عورات أمهاتكم وأن هذا من فضلنا عليكم وعلى الناس لعلهم يحذرون »

فهل يا ترى من الإنصاف لمتدين يدعي الإنصاف أن يتهم الشيخية بفكرة البابية ويجعل البابية عيالا عليهم ، وما أدري ما يجيب إذا سأله الله سبحانه يوم فصل القضاء عن ذلك فليستعد للجواب . وأما قوله : ولا سيما في نظرتها إلى الإمام المهدي ، فاعلم أن الشيخية لا عقيدة لهم في المهدي كعقيدة البابية ، بل عقيدتهم في الأئمة الإثني عشر عقيدة الشيعة الإثني عشر وهم : علي بن أبي طالب وولداه الحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي الباقر وجعفر بن محمد الصادق وموسى بن جعفر الكاظم وعلي بن موسى الرضا ومحمد بن علي الجواد وعلي بن محمد الهادي والحسن بن علي العسكري ومحمد بن الحسن المهدي فلا يغيرون ولا يبدلون ؛ فالشيخية إن اعتقدوا أنهم يزاد عليهم فيكونون ثلاثة عشر أو ينقص منهم فيكونون أحد عشر ، وكذلك إن اعتقدوا بأن المهدي ليس هو محمد بن الحسن وإنما هو نوعي فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

وإن افترى عليهم أحد بذلك فلعن الله من افترى ، وقد جاءت الرواية عن الرسول (ص) من طريق الشيعة وطريق إخواننا السنية بعددهم وأسمائهم وأسماء آبائهم في مائة وخمسة وستين حديثاً وقد رواها التوبلي في كتابه (غاية المرام) ، وإن كان ما يقوله

الدكتور حقاً فليوقفنا عليه من كتب الشيخية لا من كتب غيرهم فإن المرء يؤخذ بمنطقه .

قوله : ومن أقوال الإحسائي فى الحشر والمعاد إن هذا البدن المحسوس المركب من العناصر الأربعة يفنى ويزول ولا يعود . الشيخية يعتقدون بالمعاد الجسمانى وأن الجسم الذى عمل فى الدنيا خيراً أو شراً هو الذى يعود فى الآخرة ؛ إلا أن المسألة مسألة علمية وقد شرحها مشايخنا ولا سيما المرحوم الحاج زين العابدين خان الكرمانى فى كتابه إيضاح الاشتباه وهو موجود ومطبوع فى العراق وإيران .

قوله : وقد أنكر معراج النبي بالبدن العنصرى البشرى . الشيخية يعتقدون بمعراج النبى (ص) بروحه وجسمه كما أوضحه صاحب إيضاح الاشتباه الذى أشرت إليه .

قوله : وينسب إليه الغلو فى الأئمة حتى أنه أشركهم مع الله فى الخلق وفى القدرة وفى مسائل أخرى هى من صفات الألوهية والربوبية ، هذه فرية أخرى .

قال الشيخ أحمد فى كتابه حياة النفس الذى صنفه فى العقائد صحيفة (٤) اعلم أنه واحد فى أربعة مراتب لاشريك له فيها (الأولى) لا شريك له فى ذاته . قال الله سبحانه وتعالى لاتتخذوا آلهين اثنين إنما هو إله واحد (والثانية) لا شريك له فى صفاته قال الله تعـــالى : (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) . (والثالثة) لا شريك له فى صنعه ، هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه (والرابعة) لاشريك له فى عبادته فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحـداً . هذا مذهبه وهذه عقيدته ولا يضره كفر من كفره إن صح ما قاله الدكتور فإن من كفر مسلماً فقـد كفر . (قوله) أما المذهب الشيخى فلم يظهر فى وسطه زعيم قوى بعد وفاة خليفـة الإحسائى يستطيع الاستمرار على دعاية ذلك المذهب على الرغم من الجهود التى بذلها بعض علمائهم من أمثال الحاج محمد خليل خان الكرمانى والملا محمد الماقانى .

بينت فيما سبق أن الشيخية لا مذهب لهم غير مذهب الشيعة الأثنى عشرية ، ومن نسب لهم غير ذلك فقد بهتهم وافترى عليهم وظلمهم وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

وأما علماؤها فقد ملأوا الأصقاع والبقاع بتصانيفهم ومؤلفاتهم فى أغلب العلوم والفنون حتى أنها من زمان الشيخ أحمد الأحسائى إلى الآن تزيد على ألف مصنف ومؤلف . (قوله) ومع ذلك فلا زالت هنالك جماعة صغيرة مشتتة بين العراق وإيران وسواحل الخليج تنتمى إلى مذهب الأحسـائى ولكنها لا تتظاهر بذلك، ولا تجهر به

هذه النبذة الأخيرة التى سجلها الدكتور يقصد بها الازراء على الشيخية والطعن عليهم فى أنهم جماعة صغيرة فأراد أن يطعن عليهم بقلتهم مع أن المناط هو الحق فلا تجدى الكثرة نفعاً إن كان أصحابها مبطلين ، كما أن القلة ليست بضائرة إن كان معتنقوها محقين . وقد مدح الله سبحانه القلة فى مواضع كثيرة من كتابه كقوله : (قليل من عبادى الشـكور) وكقوله : (وما آمن معه إلا قليل).

(وأما قوله) سلمه الله : لا تتظاهر بذلك ولا تجهر به بينت مكرراً أن دين الشيخية دين المسلمين الذى أنزله الله سبحانه فى كتابه المبين وبينه خاتم الأنبياء والمرسلين والبارز والحمد لله بلاد مسلمة لا بلاد كافره ، والعدالة سائدة فيها ، فعلامَ لا تجهر به فتلك مساجد الشيخية والحمد لله فى جميع أنحاء العراق وفى جميع بلاد إيران وفى الإحساء والبحرين والكويت وغيرها من بلاد المسلمين معمورة بالأذان والعبادات ؛ والشيخية معروفة بالمحافظة على الصلوات وأداء الفرائض فى أوقاتها والصدق والأمانة وإن خفى ذلك على الدكتور فلا يخفى على غيره من المنصفين . وأنا أعلم أن ما كتبته الآن لا يجدى نفعاً لأن المسئلة لم تكن مبنيـة على الإنصاف :

وقد حكى أن رجلا دخل على الإمام جعفر الصادق فقال له الصادق من أنت قال : أنا رجل أحضر عند العلماء . قال له : أى شىء عندك من الأخبار ؟ قال : أخبرنى سفيان الثورى أن جعفر ابن محمد الصادق يقول : إن الله قاعد على العرش ففضل منه من كل جانب من العرش أربعة أصابع . فقال له الإمام : أخبرنى بغير هذا مما عندك فذكر له من هذا القبيل أموراً كثيرة وكلها ينسبها إلى

ســــجون بغداد

زمن العباسيين

للأستاذ صلاح الدين المنجد

– ٤ –

وكان فى نورمبرغ سجن يتناقل الناس أشد الأخبار هولا عما كان المسجونون يسامون فيه من البلاء ، وكان يعرف بالسجن الأحمر . وكانوا يقلعون أظافير السجناء ، ويفقأون عيونهم ، ويضغطون على عظامهم بآلات حديدية فتسحق وتهرس . أو يدفعونهم ليناموا فى أسرّة ذات مسامير محماة ، تنخزهم وخزاً مؤلماً فتسيل دماؤهم . وكان فى السجن نفسه كساء حديدى يُدخل فيه المسجون فيطبق عليه . وكان له من داخله مسامير حادة تنفذ فى الجسم ، فيقاسى الرجل أنواع الألم حتى يموت .

وكان فى مدينة لاهاى سجن يسمى « جيفا نجن بورث » كان المسجونون فيه يُصابون بالجنون قبل أن يموتوا لشدّة ما كانوا يعانون من العذاب كالكيّ بالحديد وقطع الأعناق بحز الرؤوس حزاً بطيئاً .

وفى مدينة هاليفكس كانوا يأتون بالمسجون وهو موثق اليدين والقدمين فتوضع عنقه تحت آلة قاطعة مدلاة مربوطة إلى السقف بحبل ، إذا انقطع سقطت الآلة الحادة على عنق الرجل فمات[١] .

وفى سجن ثمة سان ميشيل فى فرنسا كان السجناء يُدفعون إلى كهوف فى بطن الأرض فيها الأفاعى وضروب الحشرات وقد ملئت بالماء الراكد القذر فيموت المسجون موتاً بطيئاً ، وربما ضُرب أو عذب حتى يموت[٢] .

اللهــو

على أننا نرى من تمام البحث ، وقد أوردنا طَرَفاً من ألوان التعذيب أن نسوق طَرَفاً من اللهو الذى كان يتمتع به بعض المسجونين فى بعض السجون . حدّث أبو على بن مقلة قال « من ظريف ما اتفق لى فى نكبتى التى أدتنى من الوزارة ، أنى أصبحت وأنا محبوس مقيّد فى حجرة من دار ياقوت أمير فارس . وقد لحقنى من الأياس من الفرج وضيق الصدر ما أقنطنى وكاد يغلب على عقلى . وكنت أنا وفلان محبوسين مقيدين فى بيت واحد ، إلا أنا على سبيل ترفيه وإكرام . فدخل علينا كاتب لياقوت كان كثيراً ما يجيئنا برسالته ، فقال الأمير يقرأ عليكما السلام ، ويتعرّف أخباركما ويعرف عليكما قضاء أى حاجة لكما . فقلت : تقرأ على الأمير السلام وتقول له ضاق والله صدرى ، واشتهيت أن أشرب على غناء طيب . (قال) والمحبوس معى يخاصمُنى ويقول: يا هذا ، والله ما فى قلوبنا فضل لهذا . ثم مضى وعاد يقول : الأمير يقول حباً وكرامة لك ، أى وقت شئت ! قلت : الساعة ، فلم يمض إلا ساعة حتى جاءوا بالطعام والمشام والفاكهة والنبيذ . وصفف المجلس ، فجلست والمحبوس معى مقيّداً ، وقلت له تعال حتى نشرب ونتفاءل بأول صوت يغنى به لنا فى هذه الساعة . وجاءت المغنية ، وغنتنا غناء طيباً ، فقطعنا يومنا بين لهو وشراب وغناء ...[٣] » .

(١) انظر مقالة عن السجون فى العصور الوسطى فى الهلال ج ٩ ، لسنة ٣٩ ، آب سنة ٩٣١ ص ١٠٦٨ : ١٤٧٢ — ١٤٧٢ .

(٢) انظر كتاب : Funk Brextano: Les Prisons d' Antrefcis وخصوصاً وصف سجن châtelet حيث يوضع السجناء بين السراطين والجرذان ، والروائح الكريهة والحشرات : ص ٩١ وانظر صفة أقفاص الحديد ص ٢٦ ، والتعذيب ٣٠ و ٣١ .

(٣) الفرج بعد الشدة ١ — ٤٨ .

الإمام جعفر فقال له الإمام جعفر لما سمع منه كثيرا من الأكاذيب عليه يا هذا هل تعرف جعفراً إذا رأيته قال لا. فقال الإمام جعفر إذا أخبرك جعفر وقال لك إنى ما قلت كذا وأنا برىء من هذه الأكاذيب ما كنت تقول فى حق جعفر بن محمد ؟ قال أنكر عليه ولا أقبل منه وأقول له إن الذى أخبرنى أعدل منك ، فقضيتنا مثل هذه القضية وليس لنا إلا أن نفوض أمرنا إلى الله سبحانه ونتوكل عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل »؟

(البصرة) عبد الله بن على الموسوى

وحدَّث أحمد بن المدبر أنه « لما أمر محمد بن عبد الملك بحبسى ، أدخلت محبساً فيه أحمد بن إسرائيل وسليمان بن وهب . فجعلت فى بيت ثالث . وكنا نتحدث ونأكل جميعاً وربما أدخل إلينا النبيذ فنشرب ونلهو »[١] .

مدة السجن

ولم يكن للسجن مـدة خاصة ، ولم يكن لـكل جرم عقوبة ذات أجـل معروف . فقد حبس إسحق بن خلف القاتل حتى مات[٢] . وهذا ما يشبه السجن مدى الحياة فى أيامنا . وسجن يعقوب بن داوود خمسة عشر عاماً[٣] . وحبس رجل فى كساء بدرهمين سنتين[٤] ، وسجن أبو نواس ثلاثة أشهر[٥] ، وأبو دلامة ليلة واحدة[٦] ، وحبس الرشيدُ زلزلاً المغنى لوجد عليه عشر سنين[٧] ، وسُجن القاهر إحدى عشرة سنة[٨] ، فى حين سجن المتقى فى جزيرة بمقابلة السندية خمساً وعشرين سنة[٩] . وهذا ما يشبه السجن مع الإبعاد فى هذه الأيام .

فأنت ترى أن ليس للسجن أجل محدود وإنما كان الخروج منه منحصراً فى سبل خمسة سنذكرها فيما يلى .

الخروج من السجن

أما هذه السبل فهى : (ا) الفرار ، (ب) كسر السجن ، (ج) موت الخليفة ، (د) العفو ، (هـ) حيلة يُحتال بها .

ا — الفرار :

أما الفرار فحوادثه كثيرة نسوق إليك منها مثالا . حدَّث محمد بن القاسم وكان المتوكل قد قبض عليه وسجنه فى سجن منفرد قال : كنت أدبر أمرى فى التخلص منذ حبست . وكان فى البيت الذى حبست فيه خلاء إلى الغرفة التى فوقه وخلاء فى الغرفة إلى سطحها . وكنت قد أدخلتُ معى منذ حبست لبداً .

(١) الفرج بعد الشدة ١ — ١٤٩ .
(٢) طبقات ابن المعتز ص ١٢٨ .
(٣) الفرج بعد الشدة ج ١ ص ١٤١ .
(٤) تاريخ بغداد لطيفور ص ٢٥ .
(٥) الملح والنوادر للحصرى ص ١٣٤ .
(٦) ثمار القلوب للثعالبى ص ٢٠ .
(٧) الأغانى ج ٥ ص ٢٢ .
(٨) المنتظم ج ٦ ص ٢٦٥ .
(٩) المنتظم ج ٦ ص ٢٦٥ .

فكان وطائى وفراشى . وكنت أرى « بفرش » وهى قرية من قرى خراسان حبالا تُعمل فيها من لبود ، كما يفعل بالسيور ، فتجىء أحكم شىء . فسوّلت لى نفسى أن أعمل من اللبد التى تحتى حبلاً . وكان على باب البيت قوم وُكلوا بى يحفظوننى لا يدخل علىّ منهم أحد ؛ وإنما يكلموننى من خلف الباب ، ويناولوننى من تحته ما أتقوّمه ، فقلت لهم إن أظفارى قد طالت جداً ، وقد أصبحتُ إلى مقراض . فجاءنى رجل بمقراض وقلتُ لهم إن فى هذا البيت فيراناً يؤذوننى ويقذروننى إذا قربوا منى ، فاقطعوا لى جريدة من النخل تكون عندى أطردهم بها ، فقطعوا لى جريدة من بعض نخل البستان ، ورموا بها إلىّ . فأخذتُ أضربُ بها فى البيت وأسمعهم صوتها أياماً . ثم قشرتُ الخوص عنها ، وقطعتها على مقدار ما علمتُ أنها تعترض فى ذلك الخلاء إذا رميتُ بها . فضممتُ كل ما قطعته منها بعضه إلى بعض ، وقطعت اللبد ، وضفرت منه حبلاً على ما كنت أرى يُعمل بفرش ثم شددتُ ما قطعته من الجريدة فى رأس الحبل ، ثم رميت به فى الكوّة ، وعالجته مراراً حتى اعترض فيها . ثم اعتمدت عليها ، وتسلقتُ إلى الغرفة ، ومن الغرفة إلى سطحها ، وفعلت ذلك أياماً ، وشددت القيد مع ساقىّ . فلما كان ليلة العيد ، وقد شغل الناس وانصرف من كان على الباب صعدتُ بين المغرب والعشاء إلى الغرفة ، ومن الغرفة إلى سطحها ، ثم تدليت بالحبل إلى بستان مجاور ففررت ... »[١] .

صلاح الدين المنجد

(١) الفرج بعد الشدة ج ١ — ١٢٠ ، وانظر بقية الخبر هناك .

في الريف

غصون الصفصاف

للأستاذ إدوار حنا سعد

هدالك فاتن الورقات غض ... يرف نضارة ويميس لينا[1]

تدنى للمياه كأن ثغراً ... يقبل أوبهم بأن بيينا[2]

فقولى ، إن بى شجناً شبيهاً ... بأى هوى قديم تهمسينا

وما ألقى إليك الماء سمعاً ... يبادلك الحنان ولا جفونا

تتابع غير مكترث وولى ... وجفنك مظهر ألماً دفينا

إذا وهب الندى أجراه دمعاً ... شجياً فى تسلسله سخينا

فإن هب النسيم معطرات ... غلائله يمسن ويزدهينا

ومسك لهفة وحنا غراماً ... وأن بكل ناحية أنينا

ورقرق فى غدائرك النشاوى ... مع الهمسات عطر الياسمينا

رعشت للمسه ولويت عطفاً ... وعدت إلى نهيرك تهمسينا

فواها للحياة تعذبينا ... بحب خائب وتعذبينا

وما أشقى المحبين الحيارى ... إذا نكبوا بحب المعرضينا

* * *

وقفت إلى جوارك نضو هم ... غريب الدار أبكى الغائبينا

ترفرف ثم أطيار حيارى ... ملأن الجو ترجيعاً حزينا

نطالعنى الزوارق سابحات ... قبيل الأفق تملاه فتونا

يرف بكل سابحة شراع ... رفيق الخفق يستهوى العيونا

كأن السابحات إذا تلاقت ... حمائم قد هبطن ليستقينا

فإن لعبت بها النسمات حيناً ... وشتت شملها التيار حينا

تمثل لى شيوخ (فى مسوح ... طوال الردن بيض) راكعينا

وقد رفعوا أكفهم دعاء ... وقد غضوا النواظر خاشعينا

* * *

أبت الماء ما أوفى بنات ... بضفته ، وما أوفى البنينا

علوت وماشمخت عليه كبرا ... فعدت إليه تقضين الديونا

حنوت على وسادته مسجى ... وحيداً لا مهدهد أو معينا

لمست جبينه الساجى فأصنى ... وأشرق وجنة ورنا عيونا

فهل يرعى حقوق أب نبات ... ويتناهن بعض العاقلينا

إذا بلغوا رجولتهم وشبوا ... تغاضوا عن حقوق الوالدينا

غرام . . .

(أحبك حبين : حب الهوى) ... وحباً لأنك لم تخضعين

تزيدين سحراً بطول الدلال ... كما تعاليا على الظامئين

غزوت القلوب فما قاومت ... ولكن قلبك حصن حصين

أهاجمه فى صيال ملح ... وأحميه من كل واش ظنين

وإنى القنيص الذى تعرفين ... وإنى المحب الذى تجهلين[1]

عفيف الخلال وإن شمتنى ... عنيف النضال كنسر طعين

جمال الرجولة أن تستبد ... وسحر الأنوثة أن تستكين

وما هو ظن ولكنه ... يقين الجدود وإرث القرون

* * *

تجاريب آدم فى خاطرى ... فيا بنت حواء من تخدعين ؟

لبست الدلال ولاقيتنى ... لكى تستزيدى غرام الحنين

فتمشى إلى الحب مأسورة ... يثور هواك ويعنو الجبين

وما أعذب القنص بعد الصيال ... وأحلى اللقا بعد صبر السنين

* * *

غرامى طوفان شوق عنيف ... فلا تسخرى فتظنى الظنون

طحت بابن نوح وأودت به ... شكوك تمشت بنور اليقين

وقال سآوى إلى قمة ... فضل وكان من المغرقين

فإن ألك داء فإنى الدواء ... وإن ألك ماء فإنى السفين

وإلا فما لك من عاصم ... ولا مهرب من سمائى الهتون

(الاسكندرية) **إدوار حنا سعد**

---

(١) الهدال : — ما تهدل من الأغصان ، يقال أردية ذوات هدال .

(٢) تدنى : — أى دنا قليلا قليلا .

(١) القنيص هنا بمعنى الصائد .



بين ابن الزبير وتوفيق الحكيم :

قرأت في كتاب « محمد » للأستاذ توفيق الحكيم في صفحة ٢٥١ قوله :

« يحمى وطيس القتال ويثخن المسلمون أعداءهم قتلا وأسراً وسلباً . ويستلب عبد الله بن الزبير أدراع أحد القتلى ويأسر أمية ابن خلف وابنه » .

عبد الله بن الزبير (رافعاً سيفه) .

هذا أنت يا أمية بن خلف ! . . . الخ .

فعجبت وحق لى أن أعجب فإنى لأعلم أن عبد الله بن الزبير كان ابن سنة واحدة يوم غزوة بدر ، فكيف استطاع الأستاذ أن يجعل من ابن السنة مارداً يرفع السيف ، ويستلب الأدراع ، ويأسر الرجال ؟

إن الذى أسر أمية بن خلف هو عبد الرحمن بن عوف ، وكان صديقاً حميا له فى مكة قبل الإسلام ، وما شهدت مكة عبد الله بن الزبير بعد .

فأخذت أحقق هذه الواقعة ، فلم أجد مؤرخا واحداً ، ولا مرجعاً واحداً قد ذكر ما ذكره الأستاذ فأسفت فقد كنت أود أن أجد للأستاذ مخرجا ، وهاك ما أورده الطبرى فى حادثة أسر أمية بن خلف :

« ... عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف قال : كان أمية بن خلف لى صديقاً بمكة ، وكان اسمى عبد عمرو فسميت حين أسلمت عبد الرحمن ونحن بمكة ، فكان يلقانى ونحن بمكة فيقول : يا عبد عمرو أرغبت عن اسم سمّاكه أبوك ، فأقول : نعم . فيقول فإنى لا أعرف الرحمن ، فاجعل بينى وبينك شيئاً أدعوك به ، أما أنت فلا تجيبنى باسمك الأول ، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف . قال فكان إذا دعانى يا عبد عمرو لم أجبه فقلت اجعل بينى وبينك يا أبا على ما شئت قال : فأنت عبد الإله . قلت : نعم فكنت إذا مررت به قال : يا عبد الإله فأجيبه ، فأتحدث معه حتى إذا كان يوم بدر مررت به وهو واقف مع ابنه على بن أمية آخذاً بيده ومعى أدراع قد استلبتها ، فأنا أحملها فلما رآنى قال : يا عبد عمرو ، فلم أجب فقال : يا عبد الإله ، قلت : نعم ، قال : هل لك فىّ فأنا خير لك من هذه الأدرع التى معك ، قال قلت : نعم هلم إذا ، قال : فطرحت الأدرع من يدى وأخذت بيده وبد ابنه على وهو يقول: ما رأيت كاليوم قط، أما لكم حاجة فى اللبن . قال ثم خرجت أمشى بهما » .

من هذا يتضح أن عبد الله بن الزبير قد ولد فى السنة الأولى وأن غزوة بدر قد وقعت فى السنة الثانية ، وأن عبد الرحمن بن عوف هو الذى أسر أمية بن خلف . لذلك لزم التنبيه حتى إذا ما فكر الأستاذ فى إعادة طبع كتابه القيم ، عمل على إعادة ابن الزبير إلى مهده ، واستل منه سيفه الذى رفعه قبل أوانه .

عبد الحميد جودة السحار

خطأ تاريخي في كتاب (على ضفاف دجلة والفرات) :

قرأت فى كتاب (على ضفاف دجلة والفرات) لمؤلفه الأستاذ طاهر الطناحى قوله :

« وكانت الشيعة قد بايعت محمد بن على بن الحسين المعروف بابن الحنفية على طلب الخلافة بعد تنازل الحسن بن على عنها لمعاوية ابن أبى سفيان سنة ٤١ هجرية »[(١)] .

فوجدت فيه خطأين تاريخيين هما :

(١) إن محمداً المعروف بابن الحنفية لم يكن ابن على بن الحسين . بل هو ابن على بن أبى طالب « ع » نفساً وأخو الحسين بن على بن أبى طالب لأبيه .

(٢) لم تكن الشيعة قد بايعته ألبتة فى زمن الحسن بن على بعد تنازله عن الخلافة بل بايعت أخاه الحسين بعد وفاته وإذا نزلنا على قول المؤلف فعلى بن الحسين لم نعهد له ولداً فى ذلك الوقت بل لم يكن متزوجاً وإنما كان عمره لا يتجاوز الثلاث سنوات .

(الكويت) **عبد الصمد زكى الجعفرى**

---

(١) صفحة ١٥ .

توقيع عبد الله بن طاهر

في العدد ٦٤٠ من مجلة « الرسالة » الغراء لخاتمة المحققين ، وأديب العربية — غير مدافع — في فلسطين ، وأحد أفذاذها في العالم العربي الأستاذ الجليل محمد إسعاف النشاشيبي أمد الله في عمره ونفعنا به ، ما يلي :

قال الزمخشري في شرح مقاماته : « ومن توقيعات عبد الله ابن طاهر فيما سمعته من أبي غرك عزك فصار قصار ذلك ذلك ، فاخش فاحش فعلك ، فلعلك بهذا تهدأ .

أقول : يغلب على الظن أن هذه (الرسالة) من وضع علماء البديع ، فهم يقدمونها مثلا للجناس المصحف الذي تماثل ركناه وضعاً واختلفا نقطاً بحيث لو زال إعجام أحدهما لم يتميز من الآخر ، وفي اختلاف نسبتها إلى واضعها دليل على هذا ، والراجح أن واضعها ذهب في وصفها إلى ذكر ستة جناسات مصحفات لا أربعة ، وكتابتها على هذا تكون على الوجه التالي

(غرك عزك فصار قصار ذلك ذلك فاخش فاحش فعلك ، فعلك بهذا تهدا) مستبدلا بكلمة (فلعلك) : (فعلك) وبكلمة (تهدأ) كلمة (تهدا) دون همز ، تحقيقاً لما ذهب إليه واضعها من الجناس المصحف

وفي كلمة الأستاذ الجليل نفسها تحقيق في (حركة) (الشغب) قال : « والفتح لغة وليس بخطأ كما قال الحريري في (الدرة) ، وليس هو من كلام العامة كما ذكر ابن الأثير في (النهاية) » .

أقول : شيخ أدباء القدس اليوم من أعظم أساطين اللغة والأدب تعلقاً بشيخ المعرة وفيلسوفها في الأمس ، وهو من أكثرهم ارتياحاً لآرائه وأبحاثه وتحقيقاته ، وأنا — على هذا — مورد ما ذكره فيلسوف المعرة في (الشغب) هذا

جاء في كتاب « عبث الوليد » — وهو ما علقه أبو العلاء على ديوان الشاعر المطبوع أبي عبادة البحتري — في أثناء تعليقه على قصيدته التي مدح بها أبا عيسى بن صاعد ، والتي مطلعها :

كيف به والزمان يهرب به   ماضي شباب أغذذت في طلبه

والتي منها :

إحاطة بالصواب تومن من   لجاجه في المجال أو شغبه

قال رحمه الله :

« الاختيار عند أصحاب النقل الشغب بسكون الغين كما قال :

لقعقعة المفتاح في رائد الضحى
أحب إليكم من طعان ذوي الشَّغَب

وقد جاء شغب في بعض الكلام ، وقد شهر القول في أن الثلاثي ، إذا كان أوسطه حرفاً من حروف الحلق الستة أجاز الكوفيون فيه التحريك والإسكان »

قلت : وابن جني يرى في خصائصه هذا ولا يستثني

ولما كان (الشغب) من خصائص (الشعب) وتصحيفه حار في أمره العلماء وأرباب الفكر ، فرأوا أن (التسكين) ألزم من (الحركة) في هذا المعنى ، حتى ولو كان فيه استثقال في اللفظ والمبنى — والفتحة أخف الحركات — ولم يحركه إلا أهل الكوفة وليس بينهم في الشعب مِلْتَبٌ ، وجلّهم على السياسة والدولة شغبٌ قبل أن يكون على اللغة والنحو شغّابا ، فقد خذلوا علياً (كرم الله وجهه) وغرروا بأبنائه من بعده قبل أن يودوا بواضع (الكتاب) سيبويه

(فلسطين)   رامز فاهرة

أستاذ الأدب العربي في مدرسة غزة الثانوية



« عبث لطيف »

مسرحية فى فصل واحد

للقصصى نويل كوارد

للأستاذ أحمد فتحى عبد التواب

« ترفع الستار والمسرح مظلم . وتسمع أصوات ، ثم يدخل شاب تتبعه فتاة . يضىء الشاب الأنوار فيظهر كرسي ومائدة وأريكة ومكتبة بها كتب ودولاب وغير ذلك ... ثم بقايا نار متأججة فى المدفأة » .

هو : ألا تتفضلين بالجلوس ؟

هى: نعم أشكرك . (تدنو متباطئة ثم تجلس على الأريكة وتخلع معطفها)

— (بعد لحظة صمت) : حقا إن الجو قارس للغاية .

— (بجهد) : أليس كذلك ؟ إن الإنسان يحس الخريف فى الهواء .

— نعم ، هكذا يشعر الإنسان . (لحظة انتظار أخرى)

— (بازدراء) : إننى أحب لندن فى الخريف .

— (بنفس الازدراء) : وأنا أيضا .

— إنها تكون غاية فى الكآبة .

— نعم ، نعم ، غاية فى الكآبة ـ هكذا تكون .

— كم الساعة الآن .

— (ناظرا إلى ساعته) : الثانية عشرة ونصف .

— الوقت متأخر ، أليس كذلك ؟

— متأخر جدا .

— ما أجمل هذه الغرفة ! !

— نعم ، أعنى ، هل ترينها كذلك ؟

— أوه ، نعم ، إنها جميلة وفى غاية الأناقة والترتيب .

— إن ذلك ليسرنى .

— (تقف) : وكتب أيضا ! ! أتقرأ كثيراً ؟

— بين الفينة والفينة ، أعنى ـ أحيانا .

— (تقترب من المكتبة) كتب جميلة ، ولا سيما ذلك الكتاب

— أى كتاب تعنينه ؟

— ذاك : ستر ندبرج (Strindberg) .

— أوه ، ستر ندبرج ، إنه خامد العزيمة متشائم ، أليس كذلك ؟

— نعم ، ولكن الحياة ـ الحياة الحقيقية دائما ـ ليست عاطفة مزيفة و ... و ... ونفاق .

— أوه ، لا لا . وفى الحقيقة إننى لم أقرأ له كثيرا . وهذا المسكين ليس لى فى الواقع وإنما استعرته فقط .

— هذا ما يبدو لى (تجلس ثانية) .

— لم يمض على إقامتى فى هذا المسكن طويل وقت .

— إنه فى وسط المدينة .

— نعم ، هو كذلك (بعد سكوت قليل) ألا تشربين شيئا ؟

— (بسرعة) : أوه ، لا ، أشكرك (تصلح من شأنها) إنه ... عسى ... (بتصميم) نعم ، أشرب .

— أخشى ألا يوجد غير الوسكي والصودا . (يتوجه نحو المائدة)

— (بلا تكلف) : وسكي وصودا ! !

— نعم ، ألا توافقين ؟

— نعم ، بكل تأكيد .

— متى شربتيه من قبل ؟

— (بسرعة) : لم أشربه كثيرا ... قليلا جدا ... الآن ... فى ذلك الكفاية .

— (مقدما إليها الكأس عديم اللون تقريبا) : إنه ضعيف للغاية

— (مغمضة عينيها ورادة له الكأس) إذن . زده قليلا من الوسكي .

— (مأخوذاً بحدتها الفاجئة) أوه ، حسن جدا ، لك ما تريدين

— (تتناول الكأس) شكراً لك ... (ترتشف المشروب) أوه ، يا عزيزى ! !

— ما هذا ؟

— لا شىء .

(ولا يلحظ رجفة الامتعاض حينما تشرب الوسكي)

— (يجلس بجوارها على الأريكة) : لقد كان مضحكا أن أقابلك هكذا .

— (بضحكة عصبية) : نعم ، أليس كذلك ؟

— أقسم إننى رأيتك قبل ذلك فى مكان ما .

— لست موافقة لك على هذا .

— من الحماقة أن تفعلى . اسمعى ، إننى ...

— (قافزة صوب الباب) ماذا ؟

— أوه ، لاشىء .

— (بعد صمت قصير) : يسرنى ألا تنسى ذلك .

— نعم .

— (غاضة بصرها) أوه ، لاشىء .

— (بغتة) : لا فائدة ، لا يمكننى ...

— لا يمكنك ما ذا ؟

— لا يمكننى أن أذهب معك أكثر من هذا (بحدة) اسمعى ، لا يهمنى ما تظنينه بى ، لاشك أنك تضحكين منى طول الوقت ... ولكن هذا لايعنينى ... أعنى ... اسمعى ... ألا ترحلين !

— (ويدها فوق جبهتها) أتعنى ؟ ... أوه ، ياعزيزى (تسقط بين ذراعيه مغشيا عليها) .

— يا إلهى (يروحها) إنه مخيف ... مخيف ! ! تنبهى ، بحق السماء ... أوه ، إنه مرعب ! (يسندها بوسادة) .

— (تفتح عينيها) أوه ، ماذا صنعت ؟

— أغمى عليك .

— (تنفجر باكية) : أوه مخيف ... مرعب ... !

(تعتدل على حافة الأريكة وتدفن رأسها بين ذراعيها) .

— أريد أن أقول ، لم كل هذا ؟ ما قصدت أن أكون نظاً ... أقولها مخلصا ...

— (متنهد) : باللعار ... باللعار ...

— اشربى هذا (يقدم لها كأسها التى لم تذوقها بعد)

— (دافعة الكأس بعيداً) : خذها بعيدا ، إنها تتعبنى .

— حسن جدا ، أريد أن أقول ـ بكل أسف ... أرجوك أن تكفى عن الصراخ .

— اتركنى وحيدة ... دقيقة واحدة .

وبعدها أكون على ما يرام . (تجلس)

— إننى وحش .

— لست كذلك ... شكراً لله (تقف) يجب أن أرحل حالا .

— أين تسكنين ؟ — فى كنسنجتن .

— سأوصلك حتى المنزل .

— أوه ، لا ، أرجوك لا ... ليس من الضرورى ...

— سأحضر لك سيارة أجرة ، إذن .

— حسن ... أشكرك .

— انتظرى هنا (يذهب صوب الباب)

— قف .

— (بفزع) : ماذا حدث ؟

— من فضلك تعال واجلس برهة ... أريد أن أقول لك شيئا .

— ولكن ...

— أرجوك ... سأفعل حتا ... وبقولى الصدق سأخفف من شعورك بقسوتك ...

— يهمنى ألا أراك تعسة .

— (بحدة) تعسة ! ! إننى يائسة .. باللعار الأليم ... ألا أملك ذخيرة من الكلمات أعبر بها عن ازدرائى الكلى من نفسى .

— لم أفهم ! !

— أنا ، لست كما ظننت أن أكون بتاتا .

— (مرتبكا) : لقد تغير ظنى بعد الدقائق القليلة الأولى .

— ولهذا طلبت منى الخروج ؟

— لا ، ليس هذا بالضبط . أعنى ...

— أوه ، أشكرك كثيرا ... إنك عزيز ... إنه من حسن حظى ... إننى ...

— أقول ... من فضلك ...

— (مستجمعة قواها) . حسن جدا ... سوف لا أصرخ مرة أخرى ... يجب أن تعتقد أننى حمقاء ... إننى ... أسوأ من هذا بكثير . اصغ إلى ، إننى ، بالضبط ، فتاة عادية ... أسكن فى رتلاندجيت مع عمتى ، أذهب إلى الملاهى وأراقص وأتريض فى الحدائق وأساعد فى جمع الإحسان للمعوزين ...

— ولكننى ...

— لا تؤخذ هكذا ... فما يزيد الأمر صعوبة أن أخبرك بكل شىء ...

إن مشكلة المرأة فى العصر الحديث ، وحياتى المعقدة الكليلة التى أحياها ـ كحياة المرأة على العموم ـ دفعانى إلى قراءة مقدار وافر مما أنتجه جميع الكتاب المحدثين تقريبا . قرأت الرسائل والأبحاث التى تعالج شئون المرأة وتبحث فى المسائل الجنسية الحادة فشغلت نفسى ، وأهمنى هذا السؤال :

لم لا يكون للنساء من فرص التجارب ما للرجال ؟ ؟ فيحيون حياتهم ... ولا يخفى عليك ما أقصده طبعا ، وكنت أعتقد أننى

فتاة عصرية ماهرة أتمتع بالحرية المطلقة ، وعواطفي واضحة ولو أنها خامدة ... تأملني ... تأملني ... (تضحك ضحكة هستيرية)

ولقد رحلت عمتي أول من أمس إلى بورغوث لقضاء أسبوع وقد قررت أن أقوم بتجربتي ... لأرى الحياة ... الحياة الحقيقية العملية ... في الأحياء المغلقة ... فالشباب من الرجال مسموح لهم بالخروج أينما شاؤوا ليمتعوا أنفسهم ... فلم لا يتاح للشابات الفرص نفسها ؟ ؟

خرجت بالأمس وقصدت الملهى وحيدة ، وعزمت - بجسارة ملحة - على أن أعود إلى المنزل مشيا على الأقدام ، ولكن انهمر المطر غزيراً فأسرعت إلى السيارة حيث آويت إلى الفراش مباشرة والليلة أكدت العزم . فتناولت غذائي وحيدة في مطعم بشارع أكسفورد ، ثم سرت في ميدان بيكاديللي فهايماركت ثم على الشاطئ حيث عدت إلى ميدان ليستر ، وجلست على كرسي وسط الحديقة الصغيرة حتى أقبل رجل سكران قذر وجلس بجواري ، فقمت وعاودت السير متأملة الناس أجمعين . . . مئات بعد مئات منهم . . . يتدفقون خروجاً من الملاهي ويزحمون الأفاريز... فكان في الواقع شعوراً مثيراً... ولا تستطيع إدراك هذا الأمر - كما أعلم - لأنك رجل قضيت حياتك غير مراقب ولا مدلل ... بل شُجِّعْتَ على أن تكون طليقاً حراً... ولكن بالنسبة لي فقد هزني ذلك الأمر . وكنت وحيدة سيدة نفسي إطلاقاً ... وأدركت مبلغ جهدي وتعبي ، فعرجت على أحد الشارب وتناولت فنجاناً من الشكولاتة . وكان يشغل المائدة المجاورة لي سيدتان مزعجتان وشاب عليه سيماء المجد وقد بدأتا تعاركانه ، ولو أن ما قالتاه له كان من البذاءة بمكان إلا أنه كان مضحكا للغاية ، وفي النهاية خرجوا جميعاً وهم يتشاتمون كالمعتاد !! عندئذ خرجت ثانية وقد تبدل كل شيء ، فقد اختفى الزحام وهدأت حركة المرور اللهم إلا بضع سيارات تجري مسرعة ، فأسرعت الخطى - لأنني رأيت النساء حولي يتلكأن - قاصدة بيكاديللي . ولم أكد أحاذي بيركلاي حتى انفجر أحد المصابيح المعلقة في وسط الشارع فأزعجني وراعني انفجاره الفجائي فضحكت من نفسي وابتدأت أقلل من سرعتي وأخذت أراقب كل شيء حولي ،... فوجوه الناس من أغرب وأدهش ما لاحظت ... ثم ... ثم ... أوه يا عزيزي [تسبل جفونها متخيلة لمدة دقيقة] ثم ابتسم لي رجل ، وظننت لأول وهلة أنني أعرفه ، فتلفت حولي ولكنه بقي واقفاً مكانه ، ثم أخذ يتأثرني ، فأسرعت دقات قلبي وحاولت أن أستجمع شتات أعصابي النافرة عسى أن تخمد والتمس في هدوء نفسي طريق الخلاص ، ولكنني عجزت ، وعلى غير وعي مني جريت إلى الجانب الآخر من الشارع ، ومن المؤكد أنه سخر مني ، وفي شارع كرزن أخذت ألوم نفسي بعد أن استجمعت قواي... لقد كنت جبانة ... ضعيفة ... غبية ... وعلى ذلك ، وزيادة في معاقبة نفسي من أجل فقدانها الشجاعة والإقدام لا من أجل شيء آخر ، فكرت أن أستسلم لأي رجل كان ... أوه ، أنا أعلم أنه شيء مهين حقير ... لا تنظر إلى هكذا ... ولكن تذكر أن هذا كان نتيجة دراسة الشهور بل السنين الطويلة للآداب العصرية ، فرغبت في تجربة الحياة ، ولم أكن أخشى على نفسي من شيء ... فإنني قادرة كل القدرة على صيانة عفافي... وإنما أردت الاستطلاع ليس غير . . . وعند ما قابلتك في شارع داون كانت ثورة العزم مالئة جوانحي . أوه يا عزيزي ... أليس كل هذا مخيفاً ؟ [تتنهد] إنه مرعب للغاية حتى لأن يقال ...

— اسمعي ، إنها لم تكن — كما تعلمين . . ولن أفوه بكلمة .

— أعلم أنه لا يمكنك ... ولكن ... أشعر أنه لا يمكنني أن أنفي العار عن هذه التجربة .

— لا عار قط .

— كم أتمنى أن ألجأ إلى دير ، هذه اللحظة مباشرة .

— إنك تفكرين في الأمر على أنه محزن — بينما هو مضحك — حينما تحللينه .

— عند ما أتزوج ويتقدم بي العمر أستعيد ذكراها على أنها كانت فكاهة ، ولكن إلى ذلك الوقت ، سأخر راكعة على ركبتي كلما فكرت فيها .

— لم أزر لندن وحيداً حتى هذا الأسبوع . . . وطلب مني أحد الأصدقاء أن أقيم هنا في هذا الطابق وتركني منفرداً وذهب لقضاء بعض شئونه .

— هل هذا صحيح ... حقاً

— نعم... ولهذا السبب طلبت منك في المهدأ أن تخرجي... لأنني خفت الفساد .

— أحقاً ما تقول ؟

— نعم ... بكل تأكيد ، فقد ظننت أنك تضحكين مني وتهزأين بي .

— أهزأ ... يا إله السماء ! !

— نعم ... أليس من الحق أن يخشى المرء دائماً أن يكون

موضع سخرية ؟ والواقع أنه قلما يحدث هذا .

— أقل من أى شىء .

— جميع أصدقائى يقولون مثل هذا عند ما يقضون أوقات الخلاعة والسرور بالمدينة ... كما تعلمين .

— نعم .

— أفكر فى نفسى ، إنها لفرصة عجيبة ، أن أبقى وحيداً ... وكل شىء ...

— تماما مثلما أفكر .

— نعم بالضبط .

— كم عمرك ؟

— واحد وثلاثون عاما .

— وأنا أيضاً .

— إننى جد آسف إن كنت قد أقلقتك وسببت لك الفزع .

— لقد كنتَ شفوقا وحريصاً منصفاً . ولست أدرى ؟ ماذا كنت أفعل لو كنت مع غيرك .

— وأنا أيضاً ، لست أدرى .

— كم أود أن تريق هذا الوسكى ... فإننى أكره حتى رائحته .

— لست مولعاً به ... ألا نجهز شاياً ؟

— لا . بل يجب أن أذهب الآن ... حقيقة ...

— إن هذا ليسرنى ... أمتأكدة أنت ؟

نعم كل التأكيد ... يجب أن أذهب .

— حسن . (يذهب إلى النافذة) لا بد أن تكون مركبة فى الموقف . ما هذا ؟ إن المطر يهمر ...

— أوه ! ! ألا ترى مركبة هناك ؟

— (ينظر من خلال زجاج النافذة) : لا ... من سوء الحظ ...

— سأجد واحدة سريعا .

— لا – اسمعى – انتظرى قليلا حتى ينقطع المطر . ويمكننا تناول الشاى بعد كل هذا ...

— ولكن ... ولكن ...

— نحن أصدقاء ... ألسنا كذلك ؟ (ويمد يده)

— نعم – حسن – منذ فترة وجيزة . (يتصافحان)

— الأفضل أن تخلعى معطفك ثانية .

— حسن . (يساعدها فى خلع المعطف ويضعه على الكرسى)

— والآن فلنجهز الشاى

— أين الغلاية ؟

— فى المطبخ . سأذهب وأملؤها ونستطيع أن نغليها هنا ، فالنار فى المدفأة كافية . ويمكنك أن تخرجى فنجانين من الدولاب وكذلك بعض البسكويت .

— حسن .

(يخرج فتأخذ من الدولاب فنجانين وبعض البسكويت وتضعها على المنضدة) .

— (من الخارج) : كم ملعقة من الشاى أضعها فى الوعاء ؟

— (متجهة نحو الباب) : إثنين ونصف كما أعتقد .

— حسن . تذهب نحو المدفأة وتحرك النار . ويدخل حاملا صينية صغيرة عليها غلاية ووعاء للشاى)

لم أضع ماء كثيراً فى الغلاية حتى يغلى بسرعة (يضع الغلاية على النار)

— والآن علينا أن نأخذ أنفسنا بالصبر (نجلس على الأريكة)

— يمكننا أن لا نلقى بالاً إليها حتى ولو غلت .

— نعم ، أعتقد أن تلك هى الطريقة الوحيدة .

— ما اسمك ؟

— (مترددة) أوه ...

— (بسرعة) آسف جداً ... لقد نسيتُ ... إذا كان حريًّا بك تبدأينى بالسؤال ... اسمى هَجْ لومبارد .

— واسمى مارى چيفون .

— إنه اسم جميل .

— أفكر دائما فى أنه اسم إنجليزى فاتر ... ولكنه على ما ترى جميل ...

— أوه ، وقد دفعنى إلى حبه كونه إنجليزيا .

— وأخيراً ، يتلهف قلبى على شىء أجنبى ...

— أثراً بعيداً أحدثته الآداب العصرية فى الشباب .

— والآن ، لا تهزأ بى ...

— آسف .

— أنت تعلم من نكون ، أليس كذلك ؟

— لا ، مَنْ ؟

— إننا ضحايا التمدين .

— أنحن هكذا ؟

— نعم ، إننا ضحايا – ولو أننا – فى الحقيقة متوسطا التفكير عاديان ، إلا أننا غصنا إلى الأعماق ، ولكن كلانا حاول بمشقة جاهدة أن يحافظ على الأمان والسلام وسط هذه الحياة العصرية . فإن كنا قد تمادينا قليلا لكنا قد أجهزنا على فضيلتنا الحقيقية .

— أرى أنك جد ماهرة :

— (فجأة) أوه ، إياك ... إياك ...

— إياى ، ماذا ؟

— إياك أن تقودنى إلى الزلل ... سوف تقوض كل ما أسديته لى من معروف !

— المعروف الذى قمت به ؟ ؟ عما ذا تتكلمين ؟

— لقد فعلتَ كل طيبة فى العالم نحوى ... إنك أمين كل الأمانة ... ولطيف ... وفى الحقيقة لم أهز شعورك بقدر ما هزه إسمى

— لست أرى أى إحسان فى هذا ؟

— لقد أنقذتنى من نفسى — التى تدوى فى عواطفى الفائرة — ولكنها الحقيقة الكاملة .

— وهـذا عين ما فعلته نحوى — لقد جعلتنى أحس العار من نفسى — ولا سيما حينما صرختِ .

— إننى مسرورة .

— وكذلك أنا ... ولِمَ سألتِنى ألا أقودك إلى الزلل ؟

— (بخبث) لأننى كنت ماهرة ... وكنت مفكرة عصرية .

— لا ، لم تكونى كذلك ... ولكنكِ كنتِ جميلة .

— لا تكن أحمق .

— ولكنك كنتِ ... إنه مخيف ...

— (بحدة) لا تعد إليها مرة أخرى ... مطلقاً ، مطلقاً ، إياك

— إياى أن أعود لماذا ؟

— من الآن فصاعداً سأكون على حقيقتى ـ نفسى الحقيقية ـ لا أن أكون نسخة من شلسى .

— وأنا أيضاً ... لن أكون بعد الآن صورة لابن المدينة الشاب

— يا للبلهاء ! !

— لقد طرأت علىّ فكرة ...

— وما هى . . . ؟

— اصغى إلىّ ... لِمَ لا نكون ...

— الماء يغلى .

— أوه ... (ينهض) لا ... لم يغل بعد .

— رأيتُ بعض البخار يتصاعد من الغلاية .

— قليلا جداً . حينما يتصبب الماء يكون قد تم غليانه ...

— ماذا كنتَ تريد أن تقول ؟

— سوف لا أقولها ... بعد ذلك ...

— ولِمه ؟

— أخشى أن أهدم ما بنيتُ

— أوه ! ! (يصمتان قليلا)

— ألم ينقطع هطول المطر ؟ (تنهض وتتوجه إلى النافذة) .

— ألا تزال السماء تمطر ؟

— ليست من السوء كما كانت — ومن العسير أن نحكم ونحن هنا — وإنما يمكن المرء أن يبدى رأيه مما يرى من أوحال .

— (يقترب من النافذة بجوارها) ألا تلمع الأخاريز كالزجاج .

— حقاً ، بالضبط ... وإذا نظرت من الركن قليلا أمكنك أن تلمح المتنزه (تلصق وجهها بالزجاج) .

— نعم ، إن قربه مما يزيد البهجة ...

— من أى جهات الريف قدمتَ ؟

— من أجام كِنْت ...

— لا ! !

— ولماذا ؟

— إننى خبيرة بتلك الجهة ... بين راى وفولكستون ...

— بالضبط ... إيفيتشيرش ... إن منزلى لبالقرب من إيفيتشيرش .

— ما أحبها إلى نفسى ... بل ما أبهج شميم البحر ، ورؤية الآجام وحواجز الماء والفضاء هناك .

— كم أنا سعيد لأنك تعرفينها ... وتحبينها ...

— انظر . حقاً . إن الماء يغلى الآن .

— تعالى وامسكى وعاء الشاى .

(يتقدمان معاً بجوار النار . ويجهزان الشاى ثم يضعان وعاء الشاى على الصينية) .

لنشرب الشاى ونحن جلوس على الأريكة ... ويمكننا أن نضع الصينية على ركبتينا .

— حسن . سأجلس هنا ... ناولنيها ...

— جميل . البسكويت أولا ...

(يضع الوعاء على الأرض بجوار أقدامهما ، ثم يعطيها الصينية ويجلس بجوارها)

— كن على حذر .

— أليست جلسة مريحة ! !

— فى الحقيقة لم تستقر بعد ... ولكن لا بأس . (تصب الشاى)

— أظن أننى لم أحب إنساناً مثل هذا الحب ... وبهـذه السرعة ... من قبل .

— ما هذا الهراء ! ! ... أتريد سكراً ؟

— نعم ، من فضلك ... قطعتين .

— كان يخيل إلى منذ بضعة أشهر أننى أفضل الشاى ممزوجا بالليمون ... بدلا من اللبن .

— روسية صميمة ... كما يظهر ! !

— (مقهقهة) : بالضبط .

— إننى أود فى الحقيقة أن أقول لك شيئـا هاماً ... ولكنك تمنعيننى .

— أعرف ذلك .

— ماذا ... ؟

— لنفس الأسباب التى قلتها ... سوف تهدم كل شىء ...

— لا ... لم أفكر فى هذا ...

— دون أن تلجئنا إلى المجازفة ، بعد ؟

— (بكآبة) : لك ذلك ... (يرتشفان الشاى فى هدوء)

— ماذا تعمل ؟

— ماذا تقصدين ؟

— أعنى ما صناعتك ؟

— إننى مهيأ لأن أكون جنديا .

— أوه ...

— أسوأ ما فى الموضوع ... إذ معنى ذلك الهند ...

— أوه ، ما أعجب حياة هذا الصنف من الجنود .

— نعم ... الحياة وسط الأبهاء الفسيحة ، والراوح المعلقة فى الأسقف وهى تماوج ، وصليل الثلج فى الكؤوس ، والنساء الجميلات اللائى يتأودن فى مشيتهن كالهررة مرتديات أثوابهن البراقة اللامعة ...

— وارتداء السراويل (البنطلونات) البيضاء النظيفة ولعبة البولو والمفاجآت الشعبية والمحاورات التى تهز الشعور ... ألا ما أحب كل أولئك إلى نفسى ! ! !

— أتظنين أنك تحبينها ؟

— أى نعم ... ولو أنها فى البداية ... تبدو غريبة ...

— كم يسرنى أنك لم تكرهى الفكرة ...

— كم الساعة الآن ؟

— (واضعا فنجانه) : لم يتأخر الوقت ... انظرى ... (يريها ساعته)

— (تضع فنجانها بشدة فتسمع فرقعته) يجب أن أذهب الآن ... حالا ... يجب أن أذهب .

— أوه ...

— حتى ولو كانت تمطر سيولا جارفة ... (تتوجه نحو النافذة)

— بودى أن تنتظرى بعض الوقت .

— من الحمق أن أتمهل فى الخروج ... فاننى أحس تعبا مضنيا ، كما أعتقد أنك تعب أيضا ... ويجب أن ننام ونستريح . وقد سكن المطر تماما ... وأرى عربة منتظرة هناك ...

— فلتذهب تلك العربة إلى الجحيم !

— والآن .

— رغبت أن أرافقك فى السير حتى تجد أخرى .

— يمكنك أن توصلنى إلى الخارج .

— حسن .

— ساعدنى على ارتداء معطفى .

— لك ذلك .

(يساعدها على ارتداء معطفها ... ثم يأخذيدها بين يديه)

كم أنا مدين لك بالشكر ... على هذه الفترة السعيدة ...

— حقا ، ما أسعدنى بها ...

— دعينى أعبر لك ... الآن .

— عماذا ؟

— أتقبليننى زوجاً ؟

— لا تكن أحمق .

— لست أحمق . وإنما أعنى ما أقول .

— لم يختبر كل منا الآخر .

— بالعكس ... فقد خبر كل منا الآخر كل الاختبار .

— كلا ... لم يكن الوقت فسيحاً .

— لقد تولهت بك ...

— كلا ... بالتأكيد كلا ... إذ لا يمكنك ...

— ولم ؟

— لست أدرى .

— أتحاولين ؟

— (تطرق) : إياك ... وإلا فسأصرخ ثانية .

— ما أعزك إلى قلبى .

(يضمها إلى صدره ويهوى على شفتيها تقبيلا) .

— (مرتجفة) : والآن كادت تسقط قبعتى .

(يخرجان معاً وهو يحوطها بذراعه بحنان)

ستار ...

احمد فتحى عبد التواب

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦٤٤ — الاثنين ٥ نوفمبر ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٣٧ ، ٢٥

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

محكمة الأزبكية الجزئية الأهلية

إعلان بيع نشرة ثانية

فى القضية المدنية نمرة ٢٠٢٦ سنة ١٩٣٥

إنه فى يوم الاثنين ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٤٥ الساعة ٨ و٣٠ أفرنكى صباحا بقاعة المحكمة الكائن مركزها بشارع جزيرة بدران بشبرا مصر سيصير بيع العقار الآتى بيانه بعد وفاء لمبلغ ٦ جنيه و٥٣٠ مليم (ستة جنيهات مصرية و٥٣٠ مليم لا غير) بخلاف المصاريف وهذا العقار ملك سعيد رزق البقال بشارع نعوم بحارة القمرانى رقم ٨ قسم شبرا محافظة مصر .

وهذا بيان العقار

٦ ط ستة قراريط شائعة من منزل مكون من ثلاثه أدوار بمنافعهم كائن بحارة أحمد مصطفى رقم ٨ بشارع نعوم شياخة محمد عطية قسم شبرا محافظة مصر ومحدود بحدود أربع الحد الشرقى ملك الحاج حسان حسنين بطول ٧ مترا — والحد القبلى حارة أحمد مصطفى وفيها واجهه المنزل الثانية بطول ٢٠ و ١٢ مترا والحد البحرى ملك ورثه أحمد ابراهيم السيسى بطول ١١ مترا — والحد الغربى حارة القمرانى وفيها واجهة المنزل والباب بطول ٧ مترا وجميع مسطح أرض ذلك المنزل ٨٠ و٥٠ متراً مربعاً .

وهذا البيع بناء على طلب غريب محمد الغنام القبانى بسوق الخضار بالعتبة الخضرا ومقيم بشارع نافع بالمنزل ٣ بالبغاله قسم السيدة زينب بمصر .

وبناء على حكم نزع الملكية الصادر من هذه المحكمة بتاريخ ٢٣ / ٩ / ١٩٣٥ ومسجل بمحكمة مصر الأهلية بتاريخ ٣٠ / ١٠ سنة ١٩٣٥ وسيفتتح المزاد بثمن أساسى قدره ١٢ جنيه و٨٠٠ مليم (اثنا عشرة جنيها مصرياً و٨٠٠ مليما لا غير) بعد تنزيل الخمس بالجلسة السابقة بخلاف المصاريف .

فعلى راغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان المعينين بعالية للمزايدة وجميع الأوراق وشروط البيع مودعة بدوسيه القضية لمن يريد الاطلاع عليها .

كاتب المحكمة

13 me Année No. 644

Lundi—5—11—1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٦٤٤ « القاهرة فى يوم الإثنين ٣٠ ذو القعدة سنة ١٣٦٤ — ٥ نوفمبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

نـكبة فلسـطين

فى أيدى العرب سلاح ماض

للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازنى

نـكبت السياسة البريطانية فلسطين على الخصوص ، وبلاد العرب على العموم بوعد بلفور فى إبان الحرب العالمية الماضية ، ولم تحفل بالعهود والمواثيق التى أعطتها للمرحوم الملك حسين . وما كانت ثورة الملك حسين رحمه الله لتحرير الحجاز وحده ، ولو أن هذا كان كل ما يبغى ، لاكتفى بحصار الحامية التركية فى المدينة ، ولما كانت به حاجة إلى تسيير جيش كبير بقيادة ابنه الأمير فيصل (الملك فيصل فيما بعد) لم يزل يسير من نصر إلى نصر حتى دخل دمشق .

وقد ظهر من الصور الشمسية للمكاتبات التى تبودلت بين الملك حسين والسير هنرى مكماهون المندوب السامى يومئذ فى مصر — وقد وزعتها وزارة الخارجية البريطانية على الوفود العربية فى مؤتمر لندن الذى عقد فى سنة ١٩٣٨ من أجل فلسطين ، أن الملك حسين طالب باستقلال العرب فى سورية ولبنان وفلسطين والعراق وشبه جزيرة العرب ، وقد أجيب إلى ما طلب ، فى تحرز كان المراد منه إرضاء مطامع فرنسا فى لبنان ليس إلا ، أما فلسطين فلم يرد عليها أى تحفظ ، ومع ذلك لم تحجم السياسة البريطانية عن وعد بلفور المشهور ! ثم جاء الإنتداب البريطانى على فلسطين فى أعقاب الحرب مباشرة ، فأبى الملك حسين كل الإباء أن يعترف به ، فـكان هذا من أسباب تغيّر القلوب عليه فى بريطانيا .

على أن وعد بلفور ، على ما فيه من نـكث بالعهود ، ليس فيه أكثر من إقامة وطن قومى للصهيونية « فى » فلسطين . ولم يكن مقصوداً به قط أن يجعل فلسطين كلها وطناً قومياً للصهيونية . غير أن الصهيونيين الذين حاولوا أن يدركوا غايتهم فى العهـد العثمانى وأخفقوا ، أرادوا أن يكون وعد بلفور خطوة أولى فى سبيل الغاية التى كانوا يضمرونها ، وهى اجتياح فلسطين والاستئثار بها دون العرب ، ولو أن كل ما يبغون هو إنشاء الوطن القومى لقنعوا بما تم لهم من سنوات ، فقد أنشئ الوطن القومى ، وانتهى الأمر ، ولـكنهم أبوا أن يقفوا عند هذا الحد ، فجاءوا بالمهاجرين سراً وعلانيـة ، وراحوا يتوسعون فى شراء الأرض ويخرجون منها العرب ، فثار العرب ثورتيهم المشهورتين حتى كانت سنة ١٩٣٨ فدعت بريطانيا إلى عقد موتمر مزدوج — أو مؤتمرين على الأصح ، واحد بينها وبين ممثلى فلسطين والعراق والدولة السعودية ومصر ، وآخر بينها وبين ممثلى الصهيونيين . وعقد المؤتمران فى وقت واحد ولـكن فى مكانين مختلفين . وحاول ممثلو بريطانيا فى هذا المؤتمر أن يهتدوا إلى وسيلة للتوفيق بين الفريقين وإيجاد قاعدة للتعاون ، فتعذر ذلك ، فرأت بريطانيا أن تصدر كتاباً أبيض مبيناً لسياستها ، وكان من قواعد هذه السياسة

تحديد الهجرة الصهيونية فى خمس سنوات ، بحيث لا يتجاوز عدد اليهود فى فلسطين ثلث عدد السكان جميعاً أى نصف عدد العرب ، وأن يحظر بيع الأراضى فى مناطق ، ويباح فى مناطق ، ويجوز فى مناطق أخرى بإذن من المندوب السامى . ورأى العرب أن فى هذا بعض دواعى الاطمئنان فتقبلوا هذه السياسة الوقتية إلى أن يتسنى الفصل فى القضية على وجه حاسم . ثم كانت الحرب ، فأخلد العرب إلى السكينة حتى تضع أوزارها .

ولكن الصهيونيين لا يسكنون ولا يكفون عن السعى ، لأن لهم غاية أبعد من مجرد الوطن القومى الذى فازوا به ، وهى أن يستولوا على فلسطين كلها ويخرجوا العرب منها ، ويقيموا لأنفسهم فيها دولة . وحتى هذه ليست إلا خطوة ثانية فى سبيل غرض أكبر وأعظم ، فقد صرح مندوبوهم فى المؤتمر الصهيونى الذى عقدوه منذ بضعة شهور فى لندن ، بأن الشرق الأوسط كله « مجال حيوى لهم » كما كان هتلر يقول إن شرق أوربه وجنوبها الشرقى « مجال حيوى » للرايخ الثالث .

فالبلاد العربية كلها — لا فلسطين بمجردها — مهددة بالاجتياح والاستعباد الإقتصادى والسياسى إذا نجح الصهيونيون فى إقامة دولة لهم . ومن هنا كان إجماع البلاد العربية على الحيلولة دون قيام هذه الدولة ، دفاعاً واجباً عن الذات .

ولسنا ندرى هل اليهود جميعاً صهيونيون ، أو أن الصهيونيين جماعة منهم ليس إلا كما يزعم البعض ، وإنما الذى ندريه أن الصهيونيين يملكون كل وسائل الدعاية ، وإذا كان هناك يهود غير صهيونيين فإننا لا نكاد نسمع لهم صوتاً ، على أن هذا التمييز لا قيمة له ، والمهم أن الصهيونية قد استطاعت أن تحمل رئيس جمهورية الولايات المتحدة على مناصرتها ، فطلب من بريطانيا أن تأذن فى الهجرة لمائة ألف يهودى فى ألمانيا ، كأن أكثر من مائة مليون فى أوربه يعانون الفاقة والمرض لا يستحقون مثل هذا العطف . ثم إن المهم أن بريطانيا حائرة بين إرضاء أمريكا وإرضاء العرب ، وهى لا تستغنى عن أمريكا ، ولا يوافقها أن تغضب العرب عليها ، فإن بها حاجة إلى أسواقهم وبها حاجة إلى معونتهم إذا تأزمت الأمور وفسد ما بينها وبين روسيا . ثم هى تسعى للاقتراض من أمريكا لتفرج ما هى فيه من أزمة مستحكمة ، وتود أن تضمن عونها أيضاً حيال روسيا .

وهذه حيرة لا تبعث على الاطمئنان ، فيحسن بالعرب أن يتولوا بأنفسهم جميع أمرهم ، وأن لا يعولوا فى إحباط مساعى الصهيونية على أحد غيرهم ، فإذا أنصفتهم بريطانيا فبها ، وإلا مضوا فى سبيلهم حتى يقضى الله بينهم وبين الصهيونيين .

ودعوتى هى إلى المقاطعة التامة الجامعة المانعة لكل ما هو صهيونى ، لا فى فلسطين وحدها ، بل فى البلاد العربية جميعاً ، فقد غزا الصهيونيون أسواقها بسلعهم مغتنمين فرصة الحرب وقلة الواردات من الغرب . وليكن العرب على يقين جازم بأن هذا سلاح ماض ، وأنهم إذا نجحوا فى مقاطعة الصهيونية ، ارتحل القوم عنهم مؤثرين العافية .

ولا سبيل إلى نجاح المقاطعة إلا بالتنظيم وحسن التدبير ، فما تصلح الأمورفوضى . وأظن أن هذا سلاح تستطيع جامعة الدول العربية أن تشهره وتصيب به الصهيونية فى مقاتلها دون أن تحتاج إلى سلاح سواه ، ولن يلومها أحد فيه إذا هى استخدمته فإنه وسيلة سلمية للدفاع عن النفس ، وله مزية أخرى هى أنه يعلم الأمم الغربية أن العرب ليسوا كما مهملا يُقضَى فى أمرهم بغير رأيهم . والغرب يجيد فهم هذه اللغة — لغة المقاطعة — وهو أحرى بأن يكون أحسن فهماً لها بعد هذه الحرب التى هبطت بتجارته إلى الحضيض الأوهد ، وتركته أشد ما يكون حاجة إلى أسواق الشرق الأوسط خاصة .

وثم وسائل أخرى كثيرة ، ولكن هذه الوسيلة أول ما يجب البدء به ، ونجاحها مكفول فلنتوكل على الله ، فما زال صحيحاً أنه ما حك جلدك مثل ظفرك .

ابرهيم عبد القادر المازنى

من محاسن التشريع الاسلامي

الأستاذ حسن أحمد الخطيب

للتشريع الإسلامى مزايا ومحاسن ، جعلت شريعته أغنى الشرائع وأوفاها بحاجات الأفراد والجماعات ، وأ كفلها بتحقيق طمأنينة الأمم وسعادتها ، وقوتها وعزتها ، بل هى إذا اتبعت مع آداب الإسلام ووصاياه الأخرى كفيلة بتكوين أمة مثالية تجتمع فيها عناصر القوة والمنعة ، والحياة الصالحة والمدنية الفاضلة ، وتهيأ لها أسباب التقدم والنهوض إلى أرفع المراتب وأعلى الدرجات، وبها تستحق خلافة الله فى الأرض لتملأها عدلا وأمناً ، وإحساناً ورحمة .

وليس فى قدرتنا أن نحصى هذه المزايا لتنوعها وكثرتها ، فحسبنا أن نذكر بعض محاسنها ليكون شاهداً يكشف عما فيها من قوة الحياة ، ونصوع العدالة ، وسمو المبادئ ، ونبل المقصد ، وشرف الغاية ، فنقول :

١ — موافقة أحكام لمقتضى العقل

إن جميع أحكام الشرع الإسلامى جرت على مقتضى العقل ، وجاءت وفق الفطرة السليمة التى فطر الله الناس عليها قبل أن تفسدها الأهواء ، وتطغى عليها الشهوات : فما نصَّ عليه من الأحكام فى الكتاب والسنة معقول المعنى ، له حكم جليلة ، وأسرار تشريعية سامية ، حتى العبادات ، لها فى جملتها من الحكم والمنافع والآثار النفسية والتهذيبية والخلقية والاجتماعية ، ما لا يمكن أن يخفى على ذوى العقول السليمة ، ولا يضيرها أنها فى بعض تفصيلاتها قد يخفى علينا وجه الحكمة فيها ، فإن خفاءها لا ينفى وجودها ، وقد تكون حكمته فى العبادات اختبار قوة الإيمان فى العبد ، وامتحان طاعته وامتثاله لربه ، وما لم ينص عليه ، وهى الأحكام الاجتهادية المبنية على الرأى والقياس ، ومراعاة المصالح ، ودرء المفاسد — مصدره العقل وحرية الرأى التى لا تتقيد إلا بمراعاة العدالة ، وإقرار الحقوق ، وما ينبغى أن يراعى من أصول الاجتهاد الشرعى وقواعده .

فشريعة الإسلام شريعة العقل والفطرة ، وليس فيها شىء يخالف القياس الصحيح ، ولذا جاءت رحمة وحكمة ، ومصلحة ونعمة ، قال ابن قيم الجوزية فى كتابه الطرق الحكمية :

« ما أثبت الله ورسوله قط حكماً من الأحكام ، يقطع ببطلان سنته حساً أو عقلا ، فحاشا أحكامه — سبحانه — من ذلك ، فإنه لا أحسن حكماً منه سبحانه ولا أعدل ، ولا يحكم حكماً يقول العقل ليته حكم بخلافه ، بل أحكامه كلها مما شهد العقل والنظر بحسنها ووقوعها على أتم الوجوه وأحسنها ، وأنه لا يصلح فى موضعها سواها »

٢ — غاية تحقيق مصالح العباد

ومن محاسنه جعل غايته من التشريع تحقيق مصالح العباد فى المعاش والمعاد ، ودفع الضر والمفاسد عنهم ، وتحقيق العدالة المطلقة ، فما من حكم منصوص عليه ، أوحكم اجتهادى إلاروعى فيه تحقيق هذه الغاية . قال ابن القيم فى كتابه المذكور : « من له ذوق فى الشريعة ، واطلاع على كمالاتها ، وأنها لغاية مصالح العباد فى المعاش والمعاد ، وأنها جاءت بغاية العدل الذى يفصل بين الخلائق ، وأنه لا عدل فوق عدلها ، ولا مصلحة فوق ما تضمنته من المصالح ، وعرف أن السياسة العادلة جزء من أجزائها ، وفرع من فروعها ، وأن من له معرفة بمقاصدها ، ووضعها مواضعها وحسن فهمه فيها — لم يحتج معها إلى سياسة غيرها ألبتة » .

وقال فيها أحد كبار الكتاب فى هذا العصر : « الأمور الشرعية التى دونها الفقهاء المسلمون قبل نحو أحد عشر قرناً تبذ فى عدالة أصولها وسمو مستواها واتفاقها مع الحق الطبيعى جميع القوانين الوضعية حتى التى سنت فى القرن العشرين ، ثم قال : إن من يتأمل فى التشريع الذى استنبطه علماء المسلمين فى الرق والأرقاء ، وفى المرأة ، ومايتعلق بها من حقوق طبيعية وروحية ، وفى الأيتام والفقراء ، وفى حقوق المحاربين والمعاهدين ، والأجانب والذميين، وفى الشئون المدنية والجنائية ، وفى العقوبات والتعزير ... من يتأمل فى هذا كله يجد تفوقاً ظاهراً فى التشريع الإسلامى على التشريع الأوربى فى القرن العشرين » .

ولا شك أن ذلك هو الجدير بشريعة جاءت مكملة لما كان

في إرشـــاد الأريب

إلى معرفة الاديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ١٥ —

ج ١٦ ص ٢٠٠ .

ما أبو عامر سوى اللطف شيء إنه جملة كما هو روح
كل ما لا يلوح من سر معنى عند تفكيره فليس يلوح

وجاء في شرح (جملة) : الجالى من الرجال الضخم الأعضاء التام الخلق .

قلت : (فليس يروح) لا يذهب ، لا يعزب عن علمه بل يدركه ويذهنه .

ويعنى بقوله (جملة كما هو روح) أنك إن عددته إنسانا من الأناسى مؤلفا من لحم ودم أصبت ، وإن قلت : إنه روح من الأرواح كأنه ملك من الملائكة صدقت . وصدر البيت — وفيه اللطف — يساعد على هذا التأويل .

***

ج ٥ ص ١٦٨ : ودعا بقهرمانه :

قلت : ضبط اللسان (القهرمان والترجمان) بالفتح والضم .

وفى النهاية : هو كالخازن والوكيل والحافظ لما تحت يده والقائم بأمور الرجل بلغة الفرس .

وقد أخذت العربية ذات التقدم والشجاعة هذه اللفظة الأعجمية ، ثم اشتقت منها فعلا[1] . جاء فى تاريخ بغداد للخطيب (ج ٧ ص ٣٢٠) :

الحسن بن سهل بن عبد الله أبو محمد هو أخو ذى الرياستين الفضل بن سهل . كانا من أهل بيت الرياسة فى المجوس ، وأسلما وأبوهما فى أيام هارون الرشيد ، واتصلوا بالبرامكة ، وكان سهل (يتقهرم) ليحيى بن خالد بن برمك .

***

ج ١٧ ص ٢١٦ : قال (على بن محمد الجلابى الواسطى) : وأنشدنا (ابن بُشران) وقد انقطع النـــاس عن عيادته والدخول إليه :

مالى أرى الأبصار بى جافيه لم تلتفت منى إلى ناحيه
لاينظر الناس إلى الميت لا وإنمـا الناس مع العافيه

قلت : (لا ينظر الناس إلى المبتلى) والبيتان من مقطوعة عزاها أبو الفرج فى (بعض أخبار إبراهيم بن المهدى) إلى عُلَـيّة بنت المهدى . وقال : فى أخبار (علية بنت المهدى) : « الشعر لأبى العتاهية وذكر ابن المعتز أنه لعلية » وقد تمثل بالبيتين هذا العالم العظيم المحدود غير المجدود . قال ياقوت : ... صاحب نحو ولغة وأخبار ودين وصلاح ، وإليه كانت الرحلة فى زمانه ، وهو عين وقته وأوانه . وكان مع ذلك ثقة ضابطا محررا حافظا إلا أنه كان محدودا ... !

***

ج ٣ ص ١٠٠ : ... وضرب أعناقهم فيه ، وسار ، وأنكر الناس ذلك وتحدثوا به ، وتَجِبتْ قلوبهم منه .

وجاء فى شرح (تجبت) : اشتد عليهم الأمر .

قلت : (نخبت) : جبنت ، فزعت . فى الأساس : إنه لمنخوب ونخيب ونخب : لا فؤاد له . وقد نُخب قلبه ونَخِب كأنما نزع من قولهم نخبت الشىء وانتخبته إذا نزعته ، ومنه الانتخاب : الإختيار كأنك تنتزعه من بين الأشياء .

***

(١) لى مبحث فى هذا المعنى سأنشره فى (الرسالة الغراء) فى وقت من الأوقات إن شاء الله .

فى الشرائع قبلها من قصور أو نقص بعد أن استعدت أم البشر لتلقى هذا الكمال ، ونضجت لتقبل أسمى المبادئ وأشرف الغايات والمقاصد ، وهو ثمن بشريعة عامة جاءت لإصلاح البشر كافة بعد أن كانت كل شريعة قبلها خاصة بأمة معينة ومقصورة على زمن محدود : روى عن صاحب الشريعة محمد صلوات الله وسلامه عليه أنه قال : « مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى داراً فأكملها إلا موضع لبنة ، فكان من دخلها فنظر إليها فأعجب بها قال : ما أحسن هذه الدار إلا موضع هذه اللبنة ، فأنا اللبنة ، بىَ ختم الله الأنبياء والمرسلين »

(البحث موصول) حسن أحمد الخطيب

ج ٤ ص ٦٦ : أحمد بن على الأسوانى :

وتزلت مقهور الفؤاد ببلدة — قل الصديق بها وقل الدرهم !

فى معشر خلقوا شخوص بهائم — يصدى بها فكر اللبيب ويُبهَم

فالله يغنى عنهم ، ويزيد فى — زهدى لهم ، ويفك أسرى منهم

وجاء فى الشرح : يقال : صدى الرجل يصدى صدى : عطش ، أو هو شدة العطش ، كناية عن تبلد العقل .

قلت : (فالله يغنى عنهم) و (يصدى) هى (يصدأ) تخفف وهو مثل حبيب :

لم آتها من أى وجه جئتها — الا حسبت بيوتها أجداثا

بلد الفلاحة لو أتاها جَرْوَل — أعنى الحطيئة لاغتدى حراثا[1]

تصدا بها الأفهام بعد صقالها — وترد ذكران العقول إناثا[2]

وروى ابنْ قتيبة فى (عيون الأخبار) لبعض الشعراء :

إنى أجالس معشرا — نوكى أخفهم ثقيل[3]

قوم إذا جالستهم — صدئت بقربهم العقول

لا يفهمونى قولهم — ويدق عنهم ما أقول

فهمُ كثير بى وأعلم (م) — أننى بهم قليل

وللأسوانى هذا البيت من جملة قصيدة :

ومالى إلى ماء سوى النيل غلةٌ

ولو أنه (أستغفر الله) زمزمُ

***

ج ١٩ ص ٢٧٦ : هبة الله بن صاعد المعروف بابن التلميذ كان واحد عصره فى صناعة الطب متفننا فى علوم كثيرة ... وكان عارفا بالفارسية واليونانية والسريانية متضلعا بالعربية ، وله النظم الرائق والنثر الفائق .

قلت : (متضلعا من العربية) كما جاء فى (ج ١٩ ص ٢٨٢) وهو كلام مولد غير مستنكر . والذى قالته العربية الأولى هو ما جاء فى (المصباح) : تضلع من الطعام امتلأ منه . وفى النهاية

---

(١) قلت فى ج ١٠ ص١٣٥ : (أرض الفلاحة) وفى الديوان وغيره (بلد الفلاحة) .

(٢) يرى بعضهم أن يكتب مثل هذا الفعل (يصدأ) إذا خفف بالياء ، وأنا لا أرى هذا الرسم .

(٣) لك أن تحرك أو تسكن .

وفى حديث زمزم فأخذ بعراقيها[1] فشرب حتى تضلع أى أكثر من الشرب حتى تمدد جنبه وأضلاعه ، وفى حديث ابن عباس : أنه كان يتضلع من زمزم . وقال الاساس : « وأكل وشرب حتى تضلع » ولم يذكره فى مجازه . وفى مقدمة (القاموس) ... بما يتضلع منه (أى من علم اللغة) قال شارحه : قال ثعلب : تضلع امتلأ ما بين أضلاعه

***

ج ٦ ص ٦٠ : ... وكان (اسحاق بن إبراهيم البربرى المحرر ويعرف بابن النديم) يحرر الكتب النافذة من السلطان إلى ملوك الأطراف فى الطوامير[2] ، وكان فى نهاية الحرفة[3] والوسخ ، وكان مع ذلك سمحا لا يليق على شىء .

وجاء فى شرح (لا يليق) أى لا يمسك من جوده على شىء .

قلت : لا يبقِ على شىء أو لايليق شيئا . فى الأساس : فلان لا يليق بكفه درهم ، ولا تليق كفه درهما : لسخائه . وفى اللسان قال الأصمعى للرشيد : ماألاقتنى أرض حتى أتيتك يا أمير المؤمنين . الأزهرى : العرب تقول : هذا أمر لايليق بك ، معناه لا يحسن بك حتى يلصق بك . وقول الأصمعى الذى رواه اللسان هو فى هذا الخبرذى الفائدة ، وقد نقله ابن خلكان :

الأصمعى قال : دخلت على الرشيد هارون ومجلسه حافل ، فقال : يا أصمعى ، ما أغفلك عنا وأجفاك لحضرتنا !

قلت : والله يا أمير المؤمنين ما ألاقتنى بلاد بعدك حتى أتيتك . فأمرنى بالجلوس ، فجلست وسكت عنى . فلما تفرق الناس إلا أقلهم نهضت للقيام فأشار إلىّ أن اجلس ، فجلست حتى خلا المجلس ولم يبق غيرى ومن بين يديه من الغلمان فقال : يا أبا سعيد ،

---

(١) العراق جمع عرقوة الدلو وهي الخشبة المعروضة على فم الدلو ، وهما عرقوتان كالصليب ، وقد عرقيت الدلو إذا ركبت العرقوة فيها (النهاية) .

(٢) جمع الطامور والطومار : الصحيفة . فى التاج : ذكرهما ابن سيده ، قيل : هو دخيل ، قال : وأراه عربيا محضا لأن سيبويه قد اعتد به فى الأبنية فقال : هو ملحق بفسطاط . وفى (صبح الأعشى) : المراد بالطومار الكامل من مقادير قطع الورق أصل عمله ، وهو المعبر عنه فى زماننا بالفرخة . حكى الدورقي أن عمر بن عبد العزيز أتى بطومار ليكتب فيه فامتنع وقال : فيه ضياع الورق وهو من بيت مال المسلمين (ج٢ص٤٩)

(٣) الحرف — بالضم — الحرمان كالحرفة بالضم والكسر (التاج)

ما معنى قولك : ما ألاقتنى بلاد بعدك ؟ قلت : ما أمسكتنى يا أمير المؤمنين ، وأنشدت قول الشاعر :

كفاك كف ما تليق درهما
جودا وأخرى تعط بالسيف دما[1]

أى ما تمسك درهما . فقال : هذا أحسن . وهكذا فكن ، وقرنا فى الملا ، وعلمنا فى الخلا ، فإنه يقبح بالسلطان أن لا يكون عالما ، إما أن أسكت فيعلم الناس أنى لا أفهم إذ لم أجب ، وإما أن أجيب بغير الجواب فيعلم من حولى أنى لم أفهم ما قلت .

قال الأصمعى : فعلمنى أكثر مما علمته ...

***

ج ٩ ص ٢٣١ : (الرضى من قصيدة فى رثاء ابن الحجاج) :

لسان هـــو الأزرق القعضبىّ
تمضمض فى ريقـــه الأفعوانى

وجاء فى الشرح : القعضبى نسبة إلى قعضب وهو رجل كان يصنع السنان . الأفعوانى منسوب إلى الأفعوان وهو الثعبان فهو صفة لريق .

قلت : (تمضمض فى ريقة الأفعوان) . فى الصحاح : الريق الرضاب والريقة أخص منه . وفى (ديوان الرضى) : « من ريقة » و (فى) أصح من (من) .

***

ج ١٦ ص ١٥٠ : قال أبو العباس ثعلب : جمع الحسن بن قحطبة عند مقدمه مدينة السلام الكسائى والأصمعى وعيسى بن عمر ، فألقى عيسى على الكسائى هذه المسألة : (هَمُّكَ ما أهمَّك) فذهب الكسائى يقول : يجوز كذا ويجوز كذا . فقال له عيسى : عافاك الله : إنما أريد كلام العرب ، وليس هذا الذى تأتى به كلام العرب .

قال أبو العباس : وليس يقدر أحد أن يخطىء فى هذه المسألة لأنه كيف أعرب فهو مصيب . وإنما أراد عيسى بن عمر من الكسائى أن يأتيه باللفظة التى وقعت إليه .

قلت : هذا مما قيل فى المسألة ...

فى (التلويح فى شرح الفصيح) لأبى سهل محمد الهروى . والفصيح للامام ثعلب :

وتقول : (همُّك ما أهمَّك) فهمك مرفوع بالابتداء ، وما أهمك خبره ، وتقديره حزنك هو الذى حزنك ولم يحزن جارك ولا غيره من الناس . وأهمنى الشىء بالألف حزننى ، وهمنى بغير ألف أذابنى . (ص ٧٦)

وفى (المخصص) للامام ابن سيده :

(همَّك ما أهمك) يعنى أذابك ما أحزنك (ج ١٣ ص ١٣٨) .

وفى (مجمع الأمثال) للامام أبى الفضل أحمد الميدانى :

همُّك ماهمك ، ويقال همك ما أهمك . يضرب لمن لا يهتم بشأن صاحبه إنما اهتمامه بغير ذلك . هذا عن أبى عبيد . يقال : أهمنى الأمر إذا أقلقك وحزنك . ويقال : همَّك ما أهمك أى آذاك ما أقلقك . ومن روى همك بالرفع فمعناه شأنك الذى يجب أن تهتم به هو الذى أقلقك وأوقعك فى الهم .

وفى (لسان العرب) للامام أبى الفضل محمد بن مُكَرَّم المصرى :

قال أبو عبيد فى باب قلة اهتمام الرجل بشأن صاحبه : (همُّك ما همك) ويقال : همك ما أهمك جعل ما نفيا فى قوله ما أهمك أى لم يهمك همك . ويقال معنى ما أهمك أى ما أحزنك ، وقيل : ما أقلقك وقيل ما أذابك ...

***

ج ١٢ ص ٢٣٣ : كان ابن سيدة منقطعا إلى أبى الجيش مجاهد ...

قلت : فى (وفيات الأعيان) ابن سيده : بكسر السين وسكون الياء وفتح الدال وبعدها هاء ساكنة .

قال ابن خلكان : وكان ضريرا وأبوه ضريرا أيضاً . وكان أبوه قيما بعلم اللغة ، وعليه اشتغل ولده فى أول أمره .

ومن تصانيفه — كما ذكر ياقوت — (المخصص) وقد طبع و (المحكم والمحيط الأعظم) رتبه على حروف المعجم وهو اثنا عشر مجلدا . ومنه نسخة مخطوطة فى (دار الكتب المصرية) عمرها الله !

***

فى القسم — ١٢ — فى آخره : لم تنفض أسنانه وهى لم تنفض

---

[1] طارت الياء فى (تعطى) ضرورة .

الأجانب في البلاد العربية (*)

للدكتور جواد علي

فى الكتب اليونانية القديمة أسماء مستعمرات أنشأتها الجاليات الأجنبية فى البلاد العربية . تقع أكثرها على سواحل البحر الأحمر أو السواحل الجنوبية . وقد عنى المستشرقون بالبحث عن هذه المستعمرات وعن مواقعها وآثارها . ومن أشهر هؤلاء المستشرق النمساوى الشهير المرحوم كلاسر فى كتابه القيم «صورة تاريخ البلاد العربية وجغرافيتها(١)» .

وقد أنشئت هذه المستعمرات على ما يظهر لتموين القوافل البحرية ولحراستها من هجمات قرصان البحر ، ولإقامة البحارة والتجار . ولما ضعفت الأمم وهزلت ولم يعد فى إمكانها إمداد هذه المستعمرات بالمؤن والرجال استعرب من كان فى هذه الشكنات الحربية واندمج فى مجموعة القبائل العربية . وهذا ما يفسر لنا وجود بعض الكلمات الأجنبية فى اللغة العربية قبل ظهور الإسلام بزمان طويل ووجود بعض القبائل العربية ذات السحن الغريبة فى داخل شبه الجزيرة .

ومن جملة تلك المستعمرات مستعمرة «العيلاميين» Ailamiter المتاخمة لأرض المعينين وقد ذكرها المؤرخ « بلينيوس » Plinius الشهير فى جملة الأماكن التى ذكر أسماءها فى أرض المعينين(٢) .

ورأى المستشرق كلاسر أن هذه المستعمرة العيلامية هى من بقايا العيلاميين المعروفين سكنة عيلام « ailam » سكنوا فى هذه المنطقة بعد أن تمكن العيلاميون من الاستيلاء عليها وظلوا فيها بعد زوال دولة العيلاميين(٣) . ويأتى هذا المستشرق بدليل هو أن هذه المنطقة التى نتحدث عنها وجميع أرض عمان قد كانت فى عهد المؤرخ « بلينيوس » (Plinius) تحت سيطرة الإرشاكيين «Arsaciden» (١) وورد فى نص «Adules» الأكسومى (٢) إسم يشبه هذا الإسم هو «atalimu» «عظالم» من كلمة «عظم» (٣) . وقد وردت هذه التسمية فى كتاب «صفة جزيرة العرب» للعالم الشهير الهمدانى الإختصاصى فى تاريخ اليمن (٤) . فلا يستبعد إذاً أن تكون هذه الكلمة محرفة عن « Ailamite » التى ذكرت فى كتاب « بلنيوس » المذكور .

وتعرف المستشرق المذكور على مستعمرة أخرى هى «امبلونة» «Ampelone» وقد ذكرها بلنيوس أيضاً(٥) ويرجح أن سكانها من « milesier » اللاطين اليونانيين(٦) . وتقع فى المحل المعروف باسم وادى العمود على مقربة من السواحل التى اشتهرت بالذهب وهى بلاد العسير (٧) على رأى المستشرق شبرنكر « Sprenger » . غير أن أوصاف هذا المحل لا تنطبق على الأوصاف التى ذكرها المؤرخ بلنيوس تمام الانطباق (٨) .

والأرجح أن يكون هذا المكان فى الشمال بعيداً عن منطقة نفوذ السبئيين . وأحسن مكان يصلح لأن يكون محلا مناسباً لسكنى اليونانيين هو فى شمال الحجاز ، على سواحل البحر الأحمر حيث تبعد المنطقة عن سيطرة السبئيين وحيث يمكن الاتصال بمصر وفلسطين .

والظاهر أن سكان هذه المستعمرة من « Milethus » المكان الذى أنجب الفيلسوف طاليس « Thales » والفيلسوف انكسمندر «Anaximander» وانكسمانس « Anaximenes » وكان سكانه على جانب عظيم من الرقى والحضارة والذكاء . وقد ازدهرت فيه الحضارة فى القرنين السابع والسادس قبل الميلاد . غير أن الخزب دب إلى هذا المكان فيما بعد منذ سنة ٤٩٤ قبل الميلاد

(*) من كتاب « العرب قبل الاسلام » للدكتور جواد علي وهو كتاب لم يطبع بعد .

(١) Glaser kizze der Gesch und Geogr Arabi 1890.

(٢) راجع تاريخ بلنيوس المتوفى سنة ٧٩ بعد الميلاد , Pliny natural History BK VII 6 sprenger p, 95

(٣) عن العيلاميين راجع The historiaus hit, of the world فى القسم الخامس عن الفرس .

(١) راجع نفس المصدر .

(٢) Sprenger ski der ges p,96

(٣) نفس المصدر . راجع النصوص اليمنية القديمة والكتب المؤلفة عن جغرافية اليمن القديمة .

(٤) الحسن بن أحمد الهمدانى المتوفى عام ٩٤٥ للميلاد مؤلف كتاب الاكليل وكتاب « صفة جزيرة العرب » طبعة ملر Müller فى مدينة لايدن « Leyden » سنة ١٨٨٤ — ٩١ فى جزأين

(٥) راجع Glaser p, 95

(٦) نفس المصدر ص ٩٧ .

(٧) نفس المصدر ص ١٥٢ .

(٨) Sprenger Alte p, 291

فارتحل أهله عنه وهاجروا إلى شتى الأنحاء حتى نسى المحل تماماً فى عهد الإسكندر المقدونى الكبير [١].

واختارهؤلاء اليونانيون فرصة مناسبة هى فرصة انتقال الملك من المعينين إلى السبئيين . فنى هذا الوقت لم يكن شمال الحجاز كله بأيدى السبئيين ولم يكن لأهل اليمن أسطول قوى يسيطر على شمال البحر الأحمر فاختار اليونان ذلك المكان .

وليس من المستبعد ذلك فقد كان سكان « Milethus » قد أنشأوا حوالى الثمانين مستعمرة انتشرت فى ساحة واسعة على البحر الأسود وعلى بحر مرمرة وعلى سواحل البحر الأبيض . وأنشأوا لهم مستعمرة فى مصر فى عهد الفرعون « Psammetich » حيث ألفوا أسطولا قوياً دخلوا به نهر النيل وسكنوا فى أرض اختاروها سميت باسم مستعمرة نكراطيس « Naukratis » [٢]

فمن الجائز كما يقول المستشرق موريتس أن يلتجئ جماعة من هؤلاء إلى الفرس بعد تخريب مستعمراتهم التى أنشأوها فى مصر وأن يطلبوا حمايتهم ، وأن ينتقلوا إلى موضع آخر فاختاروا محلا لا يبعد كثيراً عن مصر ولا يعرضهم فى نفس الوقت إلى اضطهاد المصريين ، هو المكان الذى أسسوا فيه مستعمرة « Ampelone » [٣]

وورد فى تاريخ هيرودوتس « Herodotus » نقطة مهمة جداً تخص هذا الموضوع أثناء بحثه عن داريوس الكبير ملك الفرس ذكر أن هذا الملك حمل الملطيين « Milisiaus » معه أسرى إلى سوسه « Susa » حيث عاملهم معاملة حسنة ثم أسكنهم مدينة أمب « Ampe » التى أنشأها على سواحل بحر الإريتريا Erythiraean فى النقطة التى يلتقى فيها نهر دجلة بهذا البحر [٤] . أما المدينة نفسها مدينة ملطية « Miletus » فقد استولى عليها الفرس [٥] .

أما موقع مدينة « Ampe » على حد وصف هيرودوتس فيجب أن يكون على الخليج الفارسى حيث يصب نهر دجلة فيه لا على البحر الأحمر كما يظهر ذلك من وصف الرومانى بلنيوس « Plynius » إذ من المعلوم أن مصب نهر دجلة فى ذلك الخليج .

(١) على أثر الحروب فنقل أكثر السكان قسراً من هذا المحل . راجع الكتب الباحثة عن حروب الفرس واليونان .

(٢) Moritiz Arabien p, 100 Strabo XVII 27

(٣) Herodotus 20 ampe ق Moritnz p, 100

(٤) Herodotus 6 20 moritnz p, 101

(٥) راجع تفصيل ذلك فى تاريخ الملك داريوس الأول كذلك فى Herodotus 6. 20.

على كل فسواء كان موقع « Ampe » أو « Ampelone » على الخليج الفارسى أو على البحر الأحمر فإن النتيجة واحدة وهى أن اليونانيين كانوا قد سكنوا بمدينة أنشئت فى بلاد عربية وعاشوا فيها وتاجروا ، ثم اندمجوا بعد ذلك واختلطوا بالوطنيين .

والأرجح أن يكون محل تلك المستعمرة على سواحل البحر الأحمر فى شمال الحجاز. وفى أقوال ثيوفراستوس Theophrastus « ٢٨٨ ق.م » ما يؤيد هذا الرأى [١] . وأصبح هذا المحل فى عهد « بلنيوس » تحت سيطرة الحكومة السبئية . ولما ضعف نفوذ هذه الحكومة تغلبت القبائل المتوحشة على هذا المكان كما يظهر ذلك من أقوال مؤلف كتاب « Periples maris Erythraei » [٢] فصار التجار يتجنبون جهد الإمكان هذا المكان .

يقول المستشرق كلاسر : كانت هذه المنطقة ملتقى مختلف القبائل . نقطة يجتمع فيها التجار من كل مكان . وقد كانت معروفة عند الكتاب اليونانيين والرومانيين وقد ذكر بطليموس أسماء عدة قبائل نزلت هذا المحل [٣] .

وتحدث ديودورس الصقلى عن شعب دبن « Deben » كان يسكن على سواحل البحر الأحمر فى موضع يصح أن يكون فى عسير . وهذا الشعب لا يضيف أحداً من الغرباء إلا إذا كان الغريب من « Bootien » أو « Peloponnes » لاعتقاده وهذا يرجع إلى أسطورة قديمة إن هذه الشعوب الثلاثة ترجع فى النسب إلى جد واحد هو هرقل « Hercules » [٤] .

وفى العهد القديم اسم موضع دعى « ياوآن » « Jawan » [٥] ذكر فى جملة الأماكن التى كانت تتاجر مع مدينة صور [٦] . تدل القرائن على أن المقصود منه موضع من المواضع الواقعة فى جنوب البلاد العربية ولعل ذلك فى اليمن [٧] ، وقد يكون اسم قبيلة من القبائل العربية [٨] وتطلق كلمة « Jawan » فى أكثر آيات العهد

(١) Glaser p, 154 Theophrastus. Historia Plauta-um.

(٢) Glaser. p, 154. Ptolemy. Geographia ed. Carolus. F. -A voble.

(٣) نفس المصدر .

(٤) Glaser p, 154 Diodor. Histo. Bibli. 3, 43.

(٥) راجع حزقيال ٢٧ آية ١٩.

(٦) راجع نفس المصدر أيضاً قاموس الكتاب المقدس جـ٢ ص٤٩٣ Hastings. p, 427.

(٧) نفس المصادر .

(٨) نفس المصادر .

القديم على اليونانيين ، فهل يمكن أن نجد صلة بين الإسمين ؟

قال بعض المستشرقين : المعقول أن يكون هذا الموضع اسم مستعمرة كان اليونانيون قد سكنوا فيها بدافع التاجرة . لا سيا وقد ثبت عندنا أن الأجانب كانوا قد أسسوا لهم المستعمرات فى مختلف أنحاء شبه الجزيرة . فمن المعقول أيضاً أن يكون موضع تلك المستعمرة فى (جينة) الذى ذكره الهمدانى فى عداد الأماكن الواقعة فى أراضى «جهينة» الواقعة بين حرّة النار وبين الربذة[(١)] وقد ورد ذكره أيضاً عند البكرى فى جملة الأماكن التى مرّ بها الرسول حينما غزا بنى قريظة ثم بنى لحيان[(٢)] .

وذكرت أسماء مستعمرات أخرى أنشئت فى مختلف أنحاء بلاد العرب . مثل أريتوزا « Arethusa » ولاريزا « Larisa » ومستعمرة كلسيس« Chalcis »وغيرها[(٣)] . لم يذكر « بلنيوس» أماكنها بالضبط ولم يحدد مواقعها . فلا ندرى أكان يقصد من مدينة لاريزا « Larisa » مثلا مدينة لرسا « Larsa » أو لرسام « Larsam » التى ذكرت فى النصوص الأشورية ، أو أنه قصد محلا آخر . ولا ندرى أكان يقصد من أريتوزا « Arethusa » المحل الذى ذكره هو وهو بحيرة كان نهردجلة يموّنها بالماء[(٤)] أم لا.

على أن هذه الأسماء الثلاثة هى من الأسماء اليونانية التى طالما يتكرر ذكرها فى الشرق ، وهى أسماء مدن حديثة أنشأها اليونانيون فى الشرق لإعادة ذكرى المدن اليونانية القديمة . فهناك مدينة أريتوزا« Arethusa » وهى مدينة أنشئت فى سوريا قديماً بين حمص وحماة . وأطلق اكزينوفون « xenophon » اسم لاريزا « Larisa » على قسم من أقسام مدينة نينوى القديمة وربما عنى بذلك ريزن « Resen »[(٥)] وهنالك محل آخر عرف بهذا الإسم يقع فى منطقة أبامين (Apamene) فى الشمال الغربى من (حماة) (Hama)[(٦)] . وأما كلكيس « Chalkis » فهو الإسم القديم لمدينة « قنسرين » « Kinnesrin » فى جنوب حلب واسم مدينة أخرى تقع فى جنوب البقاع بيكا «Bika» يرى

اصطيفان البيزنطى «.Stephanus By.r.y» أن مؤسسها ملك يعرف باسم موفكسوس«Movixos » العربى ، وكان يطلق على هذا المحل « عين غار » وعرفت اختصاراً فى الأيام المتأخرة باسم « عنغار »[(١)]

واشهر أحد ملوك السلوقيين وهو نيكاطور السلوقى «Nikator Seleukus» ببناء المدن وقد بنى ثلاث مدن حديثة فى فلسطين حملت نفس الأسماء المتقدمة الثلاثة . ولا يستبعد أن يكون هذا الملك قد أنشأ ثلاث مستعمرات بهذه الأسماء على سواحل البحر الأحمر لحماية الخطوط البحرية ولتموين السفن . ولما انتزع البطالسة أرض فلسطين من خلفاء هذا الملك كانت هذه المستعمرات فى جملة ما أخذ منهم[(٢)] .

وورد فى النصوص اليونانية اسم « Insulae Dorical » أى جزيرة الدوريين . فهل لهذه الجزيرة علاقة باليونانيين الدوريين وهل حل هؤلاء فى شبه جزيرة العرب ؟

يقول المستشرق موريتس : لا نستطيع أن نقول شيئاً جازماً فى هذا الباب ، على أن هنالك جزيرة ورد اسمها فى نقشى رستم لداريوس باسم « Imykuduru »[(٣)] والظاهر أنها جزيرة سقطرة وهنالك جزيرة « Dioscorides » حل بها اليونانيون بقرون عديدة قبل الميلاد[(٤)] يرى أنها هذه الجزيرة نفسها فلا يستبعد أن تكون جزيرة سقطرة إحدى الجزر التى نزل بها اليونانيون[(٥)] . ويستشهد المستشرق بدليل ما ذكره المسعودى عن استيلاء الإسكندر المقدونى على هذه الجزيرة بإشارة من الفيلسوف المشهور أرسطو إليه[(٦)] . وما ذكره المسعودى أيضاً من وجود النصرانية فى هذه الجزيرة أيضاً ، وهو قول يؤيده بعض الكتبة اليونانيين حتى قيل إن اللغة اليونانية كانت معروفة فى هذه الجزيرة إلى القرن السادس الميلادى[(٧)] .

وورد فى « نقشى رستم » اسم محل دعى بوتا « Pûta » فى ضمن

---

(١) نقلا عن صفة جزيرة العرب ج ١ ص ١٢١ . Glaser. p,428

(٢) نقلا عن Glaser. p, 429

(٣) راجع maritnz p, 101 والمصادر التى تبحث عن المدن اليونانية

(٤) Glaser p, 157

(٥) Morituz p, 101

(٦) Moritnz p, 101 Xenophon ancle 3 4 7

---

(١) Moritny p, 101

(٢) نفس المصدر .

(٣) راجع نص « نقشى رستم » والكتب المؤلفة عن داريوس الكبير

(٤) Mortinz p, 102

(٥) نفس المصدر

(٦) Mortinz p, 102 . نقلا عن المسعودى ج ٣ ص ٣٦ ، ٣٧ الطبعة الأوربية .

(٧) نفس المصدر

جدول أسماء الأماكن التى خضعت لهذا الملك . يرى المستشرق كلاسر أنه مستعمرة من مستعمرات اليونان الأيونيين (Ionions) الذين كانوا يسمون بهذا الإسم أيضاً . وحاول التوفيق بين هذه الكلمة وبين كلمة فودا «Foda» التى وردت فى نص المؤرخ بلنيوس والتى عين محلها . وعلى هذه الفرضية تكون مستعمرة « Puta » مستعمرة يونانية من جملة المستعمرات التى أنشأها اليونانيون على سواحل البحر الأحمر (١) .

وفى « نقشى رستم » لداريوس أسماء أخرى كثيرة حاول المستشرق كلاسر أن يجد أماكنها فى شبه جزيرة العرب من كلمة اسبردا «Sporda» حتى كلمة بوتا «Puta» (٢) . وهو يجهد نفسه فى ذلك إجهاداً بيناً ، ويأتى باحتمالات قد تكون بعيدة لتأييد وجهة نظره. فيحاول مثلا أن يجد مناسبة بين عبارة «واليونانيين الذين يحملون على رؤوسهم غطاء مصنوعاً من الشعر » وهى عبارة وردت فى نص « نقشى رستم » وبين عبارة وردت فى كتاب « صفة جزيرة العرب » للهمدانى (٣) عن أهل مخلاف المعافر وما والاه من استعمالهم للسكينية فى الرأس (٤) .

كان اليونانيون على رأى المستشرق كلاسر وعلى ما يظهر من بعض الملاحظات الواردة فى المصادر اليونانية القديمة وفى جملتها « الأوديسة » (٥) على اتصال دائم بالعرب وذلك منذ أزمنة بعيدة قبل المسيح . والظاهر أن اتصالهم هذا كان عن طريق القوافل البحرية التى كانت تدخل فى المياه العربيـــة ، وقد تركت تلك الرحلات البحرية انطباعات مخيفة فى نفوس اليونانيين ظهرت فى الأساطير التى رووها عن بلاد العرب فيما بعد (٦) .

وفى المصادر العربية إشارات وردت عرضاً فيها تأييد لما تقدم . غير أن البحث لا يستقيم فى الوقت الحاضر إلا بعد زمان حينما يتسنى للعلماء إجراء حفريات علمية وتنقيبات أثرية فى أماكن مختلفة من الجزيرة العربية ، وبعد دراسة النصوص اليونانيـــة والرومانيـــة والفارسية والحبشية وتحليلها وتدقيقها تدقيقاً علمياً صحيحاً . وسيظهر للأمة العربية تاريخ جديد تماماً عن العهد المظلم الذى سبق عهد الإسلام والذى نجهله تمام الجهل .

قد يحل لنا هذا البحث مشكلة عويصة قديمة هى مشكلة وجود كثير من الكلمات اليونانية والفارسية والأكسومية (الحبشية) فى اللغة العربية قبل مجىء الإسلام (١) . وقد ثبت وجود ذلك ثبوتاً لاشك فيه ؛ ثم مشكلة تشابه بعض الأساطير والعقائد التى كان يدين بها العرب مع الأســاطير والعبادات المعروفة فى السابق عند اليونانيين والفرس (٢) .

ثم مشكلة أخرى هى وجود بعض القبائل العربيـــة القديمة التى كانت تمتاز من أغلب القبائل العربية بصفات ومميزات لا يمكن أن تكون من صفات ومميزات الجنس العربى ؛ مثل زرقة العيون وحمرة الوجه وبياضه ولون الشعر وشكل الأنف والجمجمة وطول القامة وغير ذلك مما ذكر عن بعض القبائل العربية القديمة وهى قبائل ربما كانت قد استعربت واندمجت فى العرب ونسيت أصلها والوطن الذى جاءت منه .

ثم مشكلة أسماء بعض القبائل وعاداتها وتقاليدها ثم أصنامها وما شاكل ذلك ؛ فكل هذه نقاط غامضة ستحل متى ما عرفنا بأن هنـالك جاليات أجنبية كانت تنزل فى بلاد العرب ولـكن سرعان ما تندمج فى هذا المحيط الجديد وتختلط بأهله وسكانه .

وفى التاريخ أمثلة ربما تؤيد هذا الرأى وتقويه ، فقبائل اليهود التى حلت فى خيبر ويهود بنو النضير وبنو قينقاع ثم قبائل اليهود التى نزلت فى اليمن بعد خراب المعبـد على يد الرومان ، ثم القبائل اليهودية التى نزلت على شواطىء الفرات والتى كونت مستعمرات « الـكالوته » هنالك وهى أشبه ما تـكون بحكومات المدن (٣) (City Kingsdoom) ثم القبائل السريانية المختلفة ؛ كل هذه استعربت وانتسبت إلى أصل عربى وافتخرت بالعرب مع أنهـا لم تكن من هذا الأصل .

وما بالنا نذهب بعيداً وعشائر « الصليب » أو « الصلبة »

(١) Glaser 337

(٢) نفس المصدر

(٣) راجع كتاب « صفة جزيرة العرب » طبعة D. H. Muller 2 vols Leyden 1884 — 91

(٤) Glaser p, 432 صفة جزيرة العرب ص ٩٩ س ١٣

(٥) Glaser p, 433 .

(٦) Glaser p, 159 نفس المصدر

(١) راجع الـكتب المؤلفة فى هذا الباب .

(٢) راجع كتاب ولهوسن Wellhaussen Rest Arab Hied

(٣) راجع Scheerer History of the Jews Dubnow Jewish history.

معلومات جغرافية عن :

الحبشة

للأستاذ عمر رشدى

الأمبراطورية الحبشية القديمة :

تحتل الأمبراطورية الحبشية ، فضلا عن الجزء الذى تحتله من حوض النيل ، أودية الهواش والأدمو والجوبا وخور الجاش وخور بركة ؛ وحوض النيل قوى الصلة ببلاد الحبشة القديمة التى يسكنها الشعب الحبشى والتى تقع فى الجزء الشمالى والشمالى الغربى من الهضبة ، وهذا الجزء الذى يرتكز على أعالى النيل الأزرق والسوباط والعطبرة هو النواة التى تكونت حولها الأمبراطورية الحبشية القديمة وتبلغ مساحته ٤٠٠٫٠٠٠ كيلو متر مربع . ومثل معظم الأقطار الجبلية الأخرى تقسم الظاهرات التضاريسية هذا الجزء إلى وحدات سياسية مستقلة أمثال تيجرى وجوجام وشوا وامهرا ، وهذه هى الممالك الأربع الحبشية الرئيسية ويحكم كل منها رأس ، وليس من السهل توحيد هذه الأقطار تحت سيادة ملك واحد كشأن الأقطار الجبلية عموما .

الحروب والرقيق وأثرهما فى اختلاط الشعوب :

هذا القطر الجبلى قد أصبح إلى حد ما ملجأ للعناصر المختلفة ، ولذلك نجد به صفات ثقافية وجنسية متعددة . وعلى الرغم من أن بلاداً جبلية كالحبشة تساعد على أن تحتفظ الوحدات الجنسية المختلفة بمميزاتها الثقافية وصفاتها الجنسية ، فإن هناك عوامل خاصة دعت إلى الاختلاط والامتزاج من أهمها الحروب الكثيرة وتجارة الرقيق التى كانت منتشرة فى الحبشة إلى وقت قريب جداً على نطاق واسع حتى أن الفرد لم يكن يحسب لدينه حسابا بقدر ما يحسب له إذا ما كان رقيقاً أو حراً . لهذا نجد الصفات الجنسية الخليطة بين الزنجية والقوقازية هى الصفات الغالبة فى الحبشة إذ تمثل نحواً من ٧٠٪ من السكان ، وهناك حوالى ١٥٪ من السكان من الزنوج الصرف كقبائل الشنجلة Shankala « بمعنى العبيد » التى توجد فى الجزء الجنوبى والجنوبى الغربى من الحبشة . هذا بالإضافة إلى الجماعات النيلوتية الموجودة فى غمبيلا من الأتراك ثم هناك حوالى ١٥٪ من السكان من الجماعات التى تغلب فيهم الصفات الجنسية القوقازية ، وهذه توجد فى الجنوب والشرق والشمال الشرقى . والصفات الجنسية الغالبة هى القامة المتوسطة والشعر المجعد واللون الأسمر القاتم والشفاه المعتدلة .

الهجرة السامية :

الهجرة السامية التى صبغت البلاد الحبشية بالصبغة السامية التى تتصف بها الهضبة الآن ، قد دخلت البلاد قبل الميلاد بعدة قرون « حوالى القرن الخامس » فقد سمع أهل اليمن عن بلاد الحبشة وما فيها من خير وفير ، وساعدهم تشابه بيئة الحبشة ببيئة بلادهم على عبور البحر الأحمر إليها واستيطان الجزء الشمالى منها ، وكانت هذه القبائل التى هاجرت من بلاد العرب الجنوبية تعرف باسم « حبشات » ولذلك أطلق على هذا الجزء الشمالى من الحبشة اسمها ، ومن ثم عمم العرب هذه التسمية فأطلقوها على البلاد كلها الواقعة بين خطى عرض ٤°، ١٥° شمالا .

اللغة الحبشية :

كانت الجماعات اليمنية التى هاجرت إلى هذه البلاد لا تتكلم بلهجة واحدة بل بلهجات متعددة ، وكانت اللغة التى تتكلم بها تعرف باسم « الجيز » التى لا تزال لغة المعابد هناك ، ولغة الجيز لا تستعمل الآن ولكن لهجات إقليم تيجرى قريبة منها . أما

وهى عشائر تتكلم العربية وتعيش عيشة بدو العرب فى البوادى[1] على رأى أكثر الباحثين من أصل لا يمت إلى العرب بصلة قد يكون من أصل مسيحى استعرب وتبدى . وقل مثل ذلك عن الفرس والأتراك الذين اندمجوا فى العرب ونسوا أصولهم وعدوا أنفسهم من أقحاح العرب .

جواد على

(١) راجع أبحاث العلامة الأب أنستاس و La Monde Oricnta عن الصليب .

اللغة السائدة الآن فهى اللغة الأمهرية وهى لغة سامية اختلطت بها بعض الألفاظ الحامية وتكتب بحروف تشبه الحروف اليمنية التى تكتب بها لغة اليمن والتي هى لغة حمير ، واللغة الأمهرية هى لغة التعامل والتخاطب ، ولا يزال هناك شعب الأمهرة الذى يحتل الجزء الواقع فى شرق بحيرة تانا وإلى الجنوب الشرقى منها وعاصمتهم أديس أبابا .

الديانة الحبشية :

كما أن بلاد الحبشة كانت ملتقى العناصر المختلفة من حامية وسامية فهى كذلك البقعة التى اجتمعت فيها شتى الديانات من مسيحية ويهودية وإسلامية فضلا عن الوثنية . وقد كان الدين السائد فيها هو الدين اليهودى الذى جاء من اليمن التى كان يسودها هذا الدين قبل انتشار الإسلام ، ولا يزال إلى الآن فى الحبشة جماعات تدين بالدين اليهودى وتعرف باسم « الفلاشة » ويسكنون إقليم سيمين الجبلى ، وإذا نظرنا إلى بيئتهم الجبلية المنعزلة استطعنا أن نفسر بقاءهم إلى وقتنا هذا بعيدين عن المؤثرات المسيحية التى سادت معظم تلك البلاد . ومن بين العشرة ملايين نسمة التى يتكون منها الشعب الحبشى نجد نحوا من ثلاثة ملايين يدينون بالمسيحية التى أدخلها المبشرون إلى البلاد فى القرن الرابع الميلادى وأصبحت دين الأسرة الحاكمة الرسمى سنة ٣٥٠ م عندما اعتنقها الملك « عزانا » ، أما البقية الباقية من السكان فكثرتها تدين بالإسلام ولا يقل معتنقوه عن خمسة ملايين نسمة .

وعلى الرغم من ظهور الإسلام ونفوذه فى الحبشة وقربه منها فقد ظلت الحبشة ملجأ للدين المسيحى وسط الوثنيين والمسلمين واليهود ، فتاريخ المسيحية هناك عبارة عن سلسلة متصلة الحلقات من الكفاح لتثبيت قدمها ومقاومة انتشار الإسلام . وفى الواقع يصطبغ هؤلاء المسيحيون بالوثنية القديمة أكثر منها بالمسيحية ، ويتمثل هذا فى بعض عاداتهم مثل تعدد الزوجات ، وأكل اللحم النىء ، ومع أن مسيحيتهم سطحية فاننا نجد حوالى ربع سكانهم من الرهبان ، والديانة السائدة فى الحبشة هى الديانة الأرثوذكسية .

الصلات بين اليمن والحبشة :

كانت هذه الصلات قوية فى أوائل العهد المسيحى وفى القرن السابق له مباشرة ، والدماء الحبشية متأثرة تأثرا كبيرا بدماء سكان بلاد اليمن القدماء . ومما يدل على وجود هذه العلاقة بين الأحباش والساميين تلك الأسطورة الحبشية القديمة التى تتصل عناصرها بقصة من قصص الكتاب المقدس والقرآن الكريم وهى قصة ملكة سبأ وسليمان ، فالأسطورة الحبشية تتحدث عن تنين عظيم كان يحكم البلاد قرونا طويلة وكان على جانب عظيم من البشاعة والشراهة إذ كان يفترس يوميا عددا كبيرا من الأبقار والثيران والماعز والضأن إلى جانب مايقدم إليه من العذارى حتى ضاق السكان به ذرعا فلجأ إلى شخص اشتهر بالقوة ليقتل التنين ويتولى الملك ففعل ، وأنجب ابنة هى التى عرفت فى التاريخ باسم ملكة سبأ ، ودخلت فى حرم سليمان وقد وضعت ولدا أطلقت عليه إسم سليا بن سليمان هو المعروف فى التاريخ الحبشى باسم « منليك الأول » الذى أسس الأسرة السليمانية التى جلست على عرش الحبشة من سنة ٩٥ ق . م إلى سنة ١٨٥٥ م .

شعوب الحبشة :

يتكون سكان الحبشة من شعوب مختلفة ، لا تختلف فيما بينها فى الجنس فحسب ، وإنما تختلف أيضا فى اللغة وفى الشكل وفى العادات وفى الدين . ويطلق خطأ على كتلة هذه الشعوب اسم « الأحباش » فهؤلاء لا يمثلون فى الواقع إلا جزءا من هذه الشعوب يبلغ ثلث عدد سكان الحبشة الذى يتراوح بين ٨ و ١٢ مليون نسمة على أرجح التقديرات . ويحتل الأحباش مقاطعتى تيجرى والأمهرة وشمال مقاطعة جوجام وجزءا من وسط مقاطعة شوا ، وتشمل هذه المقاطعات أكثر من ثلث مساحة الأقليم . ويتكون الجزء الأكبر من بقية السكان من فروع مختلفة من شعب الجلا العظيم الذى أخذ يغزو الأقليم منذ بدء القرن السادس عشر الميلادى واحتل جزءا كبيرا منه .

وتنتشر على طول الحافة الشرقية تلك القبائل المسلمة المعروفة باسم الدناقل Danakil والإيشا Issa والصوماليين ، وأخيراً توجد فى الجنوب الشرقى قبائل أوغادن . وتعيش على هامش هذه القبائل الرئيسية السابقة وفى ثناياها أخلاط غريبة من الشعوب التى تميزها صفات خاصة ، ولعل أكثر هذه الشعوب غرابة هى

الفلاشة اليهودية التى تحتل خاصة منطقة جبال سيمين شمال بحيرة تانا ، ثم الجوراج التى تعيش فى المنطقة التى تحمل هذا الإسم فى جنوب شرق أديس أبابا .

الأحباش :

الأحباش شعب محارب وهم على استعداد دائم للحرب ، إذ يحمل كل رجل منهم بندقيته باستمرار . وهم شعب فخور باستقلاله الذى تمتع به قرونا طويلة ، فخور بدينه الذى احتفظ به خلال ألف وخمسمائة عام، فقد ظلت الحبشة أربعة عشر قرنا ، وهى أرض المسيحية فى وسط هذه البحار من الوثنية . ومن صفاتهم المعيبة غلظتهم وقسوتهم الشديدة ولا سيما على الحيوان . ويحيط بالحاكم أو الرئيس أعداد كبيرة من الجند ، وهؤلاء فى العادة كسالى ولا نفع لهم . ولا تعنى الطبقات الفقيرة بالأخلاق ، فالخمور منتشرة والأمراض الخبيثة تفتك بهم فضلا عن أمراض الجذام والعمى ، ولعل ذلك يرجع إلى كثرة الذباب الذى ينقـــل جراثيم هذه الأمراض ، وإذا شعر الحبشى بالمرض يدب فى جسمه أيقن بأن نهايته قد دنت وفقد كل أمل فى الشفاء .

الجالا :

مجموعة الجالا هى أكثر المجموعات الجنسية عددا فى الحبشة ، وهى تسكن مساحات واسعة قد انتشروا عليها عند ما جاءوا إلى هذه البلاد فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى . ويبدو مع ذلك أنهم جنس مميز حامى الأصل قد تفرع الآن إلى فروع مختلفة على الرغم من أنهم يتكلمون لغة واحدة وأنهم قد جاءوا — حسب مايعتقدون — « عبر المياه » أى عبر البحر الأحمر أو ماهوا أكثر احتمالا عبر بحيرات أفريقيا الاستوائية الكبرى ، ولكن هذه المسألة لم تبحث بحثا وافيا . وهناك رأى يقول إنهم قد جاءوا من بلاد العرب فى زمن بعيد مضى مخترقين أفريقية الشرقية البريطانية ومهاجرين إلى الجنوب الغربى إلى البحيرات الكبرى ومن هناك يمموا شطر الحبشة شمالا مخترقين بورانا Borana ، وعندما جاءوا من الهضبة الوسطى استقروا فى المناطق الجنوبية والغربية وبعضهم استقر على الحدود الشرقية بين الحبشة وصحراء آثار .

والجلا رعاة يحبون الحرب وفيهم صفاتها ، وقد خضعوا أخيرا للامبراطور منليك وذلك لكثرة ما أمده به الفرنسيون من الأسلحة ، ومن ذلك الحين لم تجد هذه القبائل وسيلة لأشباع هذه الطبيعة فى نفسها إلا فى مقاتلة بعضها البعض الآخر ، أو فى شن الغارات على جيرانها ، ولكنهم مع ذلك لا يحتكون مع الأوروبيين أو مع غيرهم من الأجانب . والجلا عموما أكثر سوادا من الأحباش وأقل تقدما . وكلما بعدنا عن العاصمة بدت وحشيتهم التى تتمثل فتشاهد فى هيأتهم وعاداتهم خصوصا بين الجماعات الوثنية . وتوجد فى إقليم جيلى Gille أقذر جماعة رأيتها العين من الجلا ، فالسواد يغشى وجوههم وملابسهم وماشيتهم أيضا ، ويتخذون بيوتا أكواخا حقيرة محاطة بزريبة صغيرة حيث تساق إليها الماشية ليلا لحمايتها . ورائحة هذا المكان وقذارته لا يمكن أن توصف ، ويبدو أن الشمس تعمل كمطهر لهذه الأمكنة ، ولهذا السبب على مايظن لا تصيبهم الأمراض على قدر ما يحيط بهم من الأوساخ والأقذار . وجماعات الجلا التى تسكن أقليم شوا أقل توحشا ، فإن تدينهم بالمسيحية جعلهم يفقدون العادات الوثنية القديمة ، كما أن اقترابهم من أديس أبابا جعلهم يتصلون بالأحباش الغازين بطريق الزواج والاختلاط .

والجلا يلبسون ملابس بسيطة فيضع الرجال قطعة من الجلد على أكتافهم أو يلتفون بقطعة من القماش القطنية ، أما النساء، فيلبسن رداء من الجلد مكونا من قطعتين إحداهما أشبه «بالجونلة» والأخرى توضع على الأكتاف ، ويحلون بالأساور والعقود والخواتم المصنوعة من النحاس أو الحديد أو العاج . ويظهر أنهم يأكلون أى شىء تقع عليه أيديهم ، ويعتمدون فى غذائهم على ما يصيدونه من الحيوانات البحرية ، ويستعملون فى صيدهم للأسماك قوارب عجيبة لا تطفو فوق الماء بل تغطس تحته وبذلك يظل السمك طازجاً .

وللجلا طريقة عجيبة فى جمع هدايا الزواج ، فعند ما رغب

شاب فى الزواج ، يقوم والده بتوزيع بعض الهدايا كالماعز بين أقاربه لينال رضاهم ، وتأخذ المسألة هذا النحو عند ما تكون العروس المنتخبة لم تزل فى المهد صبية ، وعند ما تبلغ الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة يحدد يوم الزفاف ويذهب والد العروس إلى أصدقائه جميعاً لينتقى الهدايا ، ثم يعود إلى بيته ويصف للخادم هذه الحيوانات التى انتقاها ثم يكلفه بالذهاب لجمعها ، ويندر أن يخطىء الخادم فى معرفة هذه الحيوانات فإن ذاكرتهم قوية جداً . وعندما يتسلمها الأب يرسلها مع الفتاة كنوع من الصداق ، وهو يعلم تماما عند انتقائه لهذه الهدايا أنه سيجىء اليوم الذى يجمع فيه هؤلاء الأصدقاء هدايا لبناتهم ولذلك يختار هذه الهدايا بحذر .

وإذا ما هربت امرأة من منزل زوجها وأنجبت من رجل آخر مولوداً ذكراً فإن لزوجها الحق فى أن يعتبر هذا الولد ابناً له وكثيراً ما يحدث ذلك .

بعض عادات الأحباش :

هناك عادات كثيرة للأحباش تجعلهم يختلفون تماما عن معظم شعوب أفريقيا ، فعلى الرغم من أنهم يدينون بالديانة التى أدخلها اليهود الأول إلا أن كرههم لليهود ظاهرة تستحق النظر ، ولعل ذلك الكره ناشئ عن تلك الحروب التى استمرت خلال الفترة بين القرنين الرابع والعاشر بين هؤلاء الذين تحولوا حديثا إلى الدين المسيحى وبين هؤلاء الذين ظلوا يهودا . ومن عادات المهاجرين الأول من الأحبـاش عادة قطع اللحم وأكله من الحيوان وهو حى ، ويصف لنا « بردس » حادثتان من هذا النوع أولاهما : أن جنودا قادوا بقرة إلى مكان خال حيث أوثقوها وقطعوا منها قطعة من اللحم ثم وضعوا على الجرح بعض الطين ، أما الثانية فقد كانت فى وليمة حيث أحضرت فيها بقرة حية أخذ الضيوف يقطعون من لحمها ويأكلون إلى أن ماتت بعد وقت ليس بالقصير ، ولكن أهل البلاد الآن يتقون حدوث مثل ذلك .

والأحباش لا يدخنون على الرغم من أن الدخان ينمو بطبيعته هناك ، وقد كان الإمبراطور « يوحنا » يعاقب الذين يدخنون بقطع شفاههم ، ولعل هذا المنع جاء نتيجة لاعتقادهم بأن هذه العادة هى عادة إسلامية ، ولكل منهم زوجة واحدة لفترة ما ثم يعقبها زوجات أخر واحدة فواحدة . والطلاق هناك سهل وكثير ، وإذا ما طلقت المرأة مراراً رغب الرجال فى الزواج منها لكثرة ما تملكه . وللمرأة الحق فى تطليق زوجها بنفس السهولة التى يطلق بها الرجل المرأة . والنساء هناك لا يشتغلن بعمل ما فلا يحملن الماء ولا يغسلن ولا يصلحن من ملابس أزواجهن ولا يطهين . ونساء الطبقة العليا لا يخرجن إلا نادرا وإذا خرجن خرجن محجبات على ظهور البغال ويصحبهن حارس يسير إلى جوارهن .

عمر رشدى
ليسانسيه فى العلوم الجغرافية

من خواطر « جحا » :

غداً تقوم الساعة . . .

« مهداة إلى الذين يزنون الأخبار بميزان المصلحة والهوى »

للأستاذ كامل كيلانى

بهذه القصة النفيسة التالية وأمثالها ، افتتح خواطره « أبو الغصن جحا » ، وقد أهداها إلى ولديه « جَحوان » و « جُحيَّة » ، وما أجدرها أن تهدى إلى ساسة العالم وقادة الشعوب ، فى كل مصر وعصر . لما فيها من تذكرة وعبرة ، نقلا عن المخطوط الُجحوى النفيس الذي عثرت عليه . ولعله مكتوب بخط صاحبه أو أحد معاصريه . قال « أبو الغصن عبد الله دجين بن ثابت » الملقب « بجحا » :

« من الحقائق الثابتة عندى أن أكثر الناس قلما يعنيهم من الأخبار والأحاديث إلا ما يوافق أهواءهم ويلائم مصالحهم . وقد جروا على ذلك منذ بدء الخليقة ، وجاريتهم فى ذلك منذ بدء حياتى إلى اليوم . فعاملتهم بمثل حجتهم ، وأخذتهم بمثل منطقهم ، هربا من الاشتباك وإياهم فى أخذ ورد وتفاديا من التمادى معهم فى جدال عقيم .

فتم لى ما أردت ، وابتسمت لى الحياة فلم أدع للحزن سبيلا إلى نفسى : وإليكما — يا ولدىّ العزيزين — بعض ما حدث لى فى هذا الباب :

زارنى جماعة من أصحابى — ذات يوم — قبل أن تولدا بزمن طويل ، فرأوا فى دارى خروفا سمينا رائع المنظر . فتحلب ريقهم شوقا إليه ، وائتمروا بى ليأكلوه . وما لبثوا أن اجتمع رأيهم على أن يوهمونى بأنهم قد علموا من أوثق المصادر التى لا يتسرب إليها الخطأ ولا يتطرق إليها الشك أن يوم القيامة غداً . وما داموا واثقين من ذلك فما معنى الإبقاء على الخروف السمين ، ولماذا لا نسرع بذبحه وأكله قبل أن نفنى ويفنى العالم كله معنا .

فتظاهرت بتصديقهم وأعلنت الموافقة على اقتراحهم ، وقمت إلى الخروف السمين فذبحته ، وسلخت جلده ، بعد أن خرجنا معا إلى الهواء الطلق حيث أوقدت نارا عظيمة ، ثم ألقيته فيها حتى يتم شيه ونضجه .

وتخففت من ثيابى الخارجية واقتدوا بى فى ذلك . حتى لا تعوقنا الثياب عن الانطلاق والمرح والتمتع بالحياة قبل انتهاء الأجل . وتحينت فرصة انشغالهم باللهو واللعب فألقيت بثيابهم فى النار . وما كادوا يفطنون إلى فعلتى حتى انقلب فرحهم غما ، واستولى عليهم الغضب ، فصرخوا مغتاظين : « كيف تجرؤ على إحراق ثيابنا ، ما نحسبك إلا قد جننت ؟ » . فقلت لهم ضاحكا :

« ما دمنا واثقين من أن آخرة العالم غدا ، فما حاجتنا إلى هذه الثياب ! ؟ »

نقد :

النشـــيد السورى

للأستاذ على الطنطاوى

ناظم هذا النشيد أديب كبير ، وصديق كريم ، وهو يعلم أن ليس له عندى إلا الاجلال والتوقير ، وأن الشاعر (وإن نبغ) يسبق تارة ويقصر ، وإن النقد (وإن قسا) لا يصدر عن حقد ، ولا يرمى إلى تحقير ، وإن مصلحة الوطن بإصلاح نشيده تسوغ مفاجأة الصديق الكبير بنقد هذا النشيد . « على »

كانت نشأتنا الأولى فى عهد العثمانيين ، وكانت لهم أناشيد يلقونها علينا باللسان التركى ، لذا لم نكن نفهم معانيها الضخمة إلا بالترجمة ، والترجمة لا تحمل دائماً المعنى كله ، فلقد كانت تهزنا ألحانها القوية المثيرة التى وضعت لتكون لمشاة الجيش قوة وعوناً . وكنا إذا أنشدناها سائرين لا نستطيع أن نقف ، وإذا تلوناها واقفين سرنا ، وإن قرأناها قاعدين حركنا ، من غير قصد منا ، أيدينا وأرجلنا — وإنها لتحرك الحجر ! ثم جاء عهد فيصل ، وكان عهد ازدهار وحياة ، ونشاط بدا فى كل شىء ، فنشطت فيه الأناشيد العربية من عقالها ، فترجمت أكثر الأناشيد التركية ، فكان منها نشيد :

أنا أمى لم تلدنى إلا للحرب العوان

بنغمته القوية ، ولحنه العاصف — وكان أسير أناشيد ذلك الزمان وأشهرها نشيد : (أيها المولى العظيم) ، الذى اعتبر النشيد الوطنى السورى بل العربى ، على هلهلة أسلوبه ، وضعف معانيه ، يليه فى الشهرة والذيوع نشيد :

أنت سوريا بلادى أنت عنوان الفخامه
كل من يأتيك يوماً طامعاً يلقى حمامه

لفخرى بك البارودى ، وهو نشيد ضعيف النسج ، متهافت البناء ، لكن معانيه فى الذروة ، واشتهرت أناشيد أخرى منها نشيد : (سيروا للمجد طراً سيروا للحرب ، واستعيدوا بالمواضى دولة العرب) ؛ ونشيد طلاب المدرسة الحربية : (نحن جند الله شبان البلاد) ، وهو من خيرها لفظاً ومعنى ، وقد جمعها (الفلاح المزيلى) فى رسالتيه المعروفتين فى تلك الأيام .

ثم لما قضى الله قضاءه فينا فى (ميسلون) ، ووقعت الواقعة ، ودخل العدو ديارنا ، منعت هذه الأناشيد كلها ، إلا أن تردد همساً ، واشتهر يومئذ نشيد الأستاذ أديب التقى رحمه الله : (فى كل صوب حشدت عساكر مدججون) ، الذى يصور فيه موقعة ميسلون ، فكان ينشد وراء الأبواب ، وحيث لا يسمعه الغاصبون ، وهو نشيد جيد ، لحنه حزين مؤثر .

وانقطع بعد ذلك سيل الأناشيد الوطنية ، حتى قدم علينا من العراق الكشافون فى العهد الوطنى الأول (سنة ١٩٣٦) ، فأخذنا منهم نشيدين اشتهرا فينا وسارا بيننا ، حتى كان الطفل الذى لم يتعلم بعد الكلام يدير فى حلقه كلمات منهما ، وهما (هذا الوطن حق له أن يفتدى بالدما والمهج) و (نحن كشاف العراق) ، والشعر فيهما ليس بذاك ، واللحن فظيع هو أشبه بصراخ لا دلالة له ، منه باللحن الذى يؤثر فى الأعصاب ويحرك القلب ، ولكنهما مع ذلك نشيدان قويان

ووضعت على أثر ذلك أناشيد جيدة منها (نحن الشباب لنا الغد) ، ولكن يعيب لحنه هذه الصيحة المؤنثة فى آخر البيت ، عند تكرار (نحن الشباب) ، فهى صيحة عجوز ثاكل كان لها الأمس ، لا صيحة شباب لهم الغد ، والنشيد العظيم حقاً فى نظمه ولحنه ، ولفظه ومعناه ، نشيد : (موطنى) لفقيد الشعر ابراهيم طوقان — رحمه الله — ومن أجودها لحناً نشيد الأستاذ حسنى كنعان : (أيها الكشاف بادر وارتق أوج العلا) ؛ ولحنه نموذج للألحان الحماسية — نسجل هذا للتاريخ !

وصحت النية على وضع نشيد للجمهورية السورية ، وكانت مسابقة ، ولجنة ، وجائزة ، ثم عدل عن ذلك واختير النشيد الذى قدمه هذا الأديب الكبير ، فلما قرأناه علمنا أنه لوحظ باختياره اسم الشاعر ومنزلته ، وإنه لهما لا لبراعة الشعر فرض علينا هذا النشيد ، واحتملناه سنين ، غير أنه لا يصح أن نحتمله الآن ، وقد تم استقلالنا ، أو هو قد أشرف على التمام ، واستقبلنا عهداً من حياتنا جديداً ، ولا بد من بيان عيب هذا النشيد لنستبدل به :

* * *

الأصل فى النشيد الوطنى أن يكون على لسان التكلم ، لأن الأمة هى التى ترده وتنطق به ، وهذا النشيد موجه إلى حماة الديار ، مطلعه :

حماة الديار عليكم سلام
أبت أن تذل النفوس الكرام

فمن الذى يقول هذا الكلام ، ومن المخاطب به ؟ إن كان ينطق به الشباب وهم حماة الديار ، لم يعقل أن ينادوا أنفسهم ، ويسلموا عليها ، وليس هذا من (التجريد) الذى كان يألفه شعراء العرب ؛ وإن كان يقوله غير الشعب لم يكن مقبولا ، لأن النشيد يوضع ليقوله الشعب ، ويترجم به عن آماله ومطامحه .

ثم إن هذا السلام المنكَّر ، من منكر القول ، وهو بلهجة أروام الأسكندرية وأرناؤوط الشام أشبه ، وليس يليق بهذا المكان ، ولا محل له فى البلاغة ، هذا إذا كان للسلام ورده داعٍ ولا داعى له هنا أصلا .

ثم يقول بعد هذا :

عرين العروبة بيت حرام
وعرش الشموس حمى لا يضام

فلا يعرف السامع ما عرين العروبة هذا ، أهو الجزيرة أم مصر أم الشام أم العراق ؟ ولا يعرف المسلم (بيتاً حراماً) إنما يعرف البيت الحرام ، لا ثانى له ، فهذا التنكير أولا ، وابتذال اسم البيت الحرام فى كل مكان ثانياً ، كلاهما قبيح . وما هو هذا العرش ، والنشيد نشيد جمهورية ؟ أفنظمه ليكون النشيد الرسمى لبنى أميّة ، وأى شموس هذه؟ وما هذا الإبهام حيث لا يحسن إلا التصريح والتوضيح؟ يأتى بعد ذلك هذا المقطع العجيب :

ربوع الشام بروج العلاء
تحاكى السماء بعالى السناء
وأرض زهت بالشموس الوضاء
سماء لعمرك أو كالسماء

أما (بروج العلاء) هذه فتصح فى كل أرض يريد أن يبالغ فى مدحها القائل ، ولا تدل على ميزة للشام ولا تصفها بصفة فيها ، ولا تعرف بها الغريب عنها ، ولا تحببها إلى أبنائها ، فهى كراثى الأستاذ على الجارم التى تصلح لفازى وللاسكندر المكدونى وللشيخ المراغى ، لأنها تهد الجبال وتبكى السماء ، وتقيم القيامة ، أو ترسل على الدنيا قنبلة ذرية ، لا بحجم البيضة ، بل بحجم الفيل ، ثم لا تذكر المرثىّ بشىء مما كان عليه . وهذا استطراد نعتذر إلى الشاعر الكبير على الجارم بك منه ، فقد جرته المناسبة .

وما دامت الشام بروج العلاء ، وكان ذلك قد تقرر لدى السامع فما معنى كونها تحاكى السماء ، وبروج العلاء هى السماء فى أفهام الناس كلهم ، وهل السماء أسنى سنا من البروج ؟ المسألة تحتاج إلى خبير فلكى .

ثم إن الضياء هو السنا بالقصر ، أما السناء بالمد فهو الارتفاع ، ومن هنا أطلق على المجد مجازاً ، فصار معنى قوله (بعالى السناء) برفيع الارتفاع ، وهو الحشو نفسه ، وهو إذا قبل فى القصيدة لا يقبل فى النشيد ، لأن النشيد كمات معدودة وألفاظ محدودة ، لا يجوز أن يذهب لفظ واحد منها من غير أن يدل على شىء .

وهو بعد أن جعلها بروج العلاء التى تحاكى السماء ، عاد فهبط بها فجعلها (أرضاً زهت) ولكن بالشموس الوضاء ! وما فهمت إلى اليوم ما يريد بهذه الشموس التى يرددها ولا يشبع من ذكرها ، إن كان يريد الحقيقة فهى شمس واحدة ما خلق الله سواها ، وإن كان يقصد المجاز ، فليذكر ما يدل عليه ويصرف الفكر إليه ، وما كل سامع للنشيد أو تالٍ يستطيع أن يجد له التأويل ، هذا إذا كان لهذا الكلام العجيب تخريج أو تأويل .

وأعجب العجب ، وأقبح القبح ، أن يعود بعد كل ما مر ، فيجعلها سماء ، ثم ينزل بها فيجعلها كالسماء ، وهذا ضدّ ما عليه البلغاء فى كل عصر ، وفى كل أمة ، ولا أحسب ذوقاً فى الدنيا يسيغه ، عدا عن هذا الحشو فى كلمة (لعمرك) ، وعمر من هذا الذى يحلف به ؟ ولمن هذا الخطاب ؟ والمفروض فى النشيد كما بينت أن ينطق به الشعب كله ؟ !

وما هو مغزى هذا كله ، وما دلالته ، وأى مجد للشام يذكر ، وأى عاطفة تثير ؟ لا شىء ، إلا هذه المناقشة المزعجة فى الشام : هل هى بروج العلاء تشابه السماء برفيع الارتفاع ؟ أم هى أرض ولكن زهت بالشموس ؟ أم هى سماء (وحياة عمرك ...) أم

٣ - الزندقــــة
فى عهد المهدي العباسى
للأستاذ محمد خليفة التونسى

الشعوبية:

« أكل كبدى عمر »

« الهرمزان »

« وأبى كسرى علا إيوانه أين فى الناس أب مثل أبى »

« مهيار الديلمى »

« أنا ابن المكارم من آل جم وطالب إرث ملوك العجم »
« فقل لبنى هاشم أجمعين هلموا إلى الخلع قبل الندم »
« وعودوا إلى أرضكم بالحجاز وأكل الضباب ورعى الغنم »

« الموبذ »

« بهاليــــل غر من ذؤابة فارس
إذا انتسبوا لا من عرينة أو عكل [(١)] »

(١) عرينة وعكل قبيلتان عربيتان يرمز بهما الرستمي إلى الجيل العربي كله

هم راضة الدنيـــا وسادة أهلها
إذا افتخروا لا راضة الشاة والإبل »

« أبو سعيد الرستمى »

« عاج الشقى على ربع يسائله وعجت أسأل عن خمارة البلد »
« يبكى على طلل الماضين من أسد
لا در درك قل لى : من بنو أسد ؟ »
« ومن تميم ومن قيس ولفهما ؟
ليس الأعاريب عند الله من أحد ! »

« أبو نواس »

***

أشرنا فى المقال الأول (الرســـالة — العدد ٦٣٧) إلى أن كره الفرس العرب بدأ منذ وطئت أقدامهم أرض فارس فى عهد عمر بن الخطاب ، وأن الهرمزان كان — حين مقامه بعد الأسر فى المدينة — حاقداً على عمر ، وأنه حين وفد سبى جلولاء إلى المدينة كان يمسح على رؤوسهم ويقول : « أكل كبدى عمر »

وأشرنا فى ختام المقال الثانى [(١)] إلى أن هناك صلة بين الشعوبية والزندقة ووعدنا هناك ببيان هذه الصلة ، وها نحن أولاء نوفى بما وعدنا .

على أننا لسنا هنا فى صدد الكلام الفصل فى الشعوبية وكل ما يتصل بها ، بل همنا أن نعرض بالإيجاز لما يوضح لنا أسباب الزندقة فى عهد المهدى العباسى وآثارها وحقيقتها دون تعرض للشعوبية وما يتصل بها من سائر النواحى الأخر .

فى زمن النبى عليه السلام بدأ بتوجيه كتبه إلى الملوك والأمراء فى شبه الجزيرة العربية وفارس وبلاد الروم ، وفيه توجهت بعض البعوث لمحاربة بلاد غير عربية ، وفى زمن أبى بكر بعد انتهائه من حروب الردة انطلقت الجيوش العربية الإسلامية شرقاً وشمالا تطرق أبواب مملكة فارس والروم ، واستطاعت أن تستولى على بعض بلاد الدولتين ، وما كاد عمر يلى الخلافة حتى عبأ الجيوش وقذف بها الدولتين فدك مملكة فارس دكا ، وفيها انساحت جيوش قائده الأحنف بن قيس حتى بلغت نهر جيحون [(٢)] ، وكاد

(١) الرسالة : العدد ٦٤١

(٢) انظر فى بيان مواقع الأماكن التى ورد والتى سيرد ذكرها فى هذه المقالات — مصور الممالك الاسلامية والمعجم الذى وضع للكلام فى البلاد التى ذكرت فيه للاستاذ أمين بك واصف .

كالسماء ؟ هذه هى المشكلة الوطنية الكبرى ، ملأ النشيد بذكرها ، وهذه هى آمال الوطن ومطامحه ، والله المستعان !

***

وباقى النشيد لا يختلف كثيراً عما ذكرت منه ، على حين أن النشيد يجب أن يكون موضوعاً على لسان الشعب ، وأن يكون قوىّ العبارة ، خالياً من الحشو ، واضحاً كل الوضوح ، صالحاً لكل زمان ، معبراً عن آمال الشعب وآلامه ومطامحه ، مثيراً نخوته وحماسته ، مشيراً إلى ماضيه وأمجاده ، وجمال أرضه ودياره ، إلى غير ذلك مما يوصل إلى الغاية من وضع النشيد ، وهى إثارة العزة الوطنية فى النفوس ، وأن يختار له النغم القوىّ من غير خشونة ، العاطفى بلا ضعف . وحياة النشيد بلحنه وما يهز هذا اللحن من أوتار القلوب ، ويحرك من أعصاب السامعين ، فإذا كان لنا نشيد يشتمل على هذا كله ... وإلا فلا تقولوا : لنا نشيد ! !

علي الطنطاوي

يعبر النهر فى مطاردته يزدجرد ملك الفرس لولا أن نهاه عمر عن عبوره اتباعا لسياسته المشهورة التى تقضى ألا تكون بينه وبين جنوش المسلمين مياه ، وفتحت جيوش المسلمين فى عهده الشام ومصر وقد كان القطران خاضعين لمملكة الروم .

كان يسكن هذه البلاد أقوام من أجيال مختلفة لهم ديانات ونحل شتى وكان منهم من رضى عن الفتح الإسلامى لبلاده ، ومنهم من قابله بالحقد والكراهية ، فقد كان معنى هذا الفتح سيطرة الجيل العربى على البلاد التى فتحها ، وسيطرة الدين الإسلامى على أديان أهل هذه البلاد .

ومن الشائع أن المسلمين فى هذه الفتوح إنما كانوا يرمون إلى نشر الإسلام تنفيذاً لفريضة الجهاد فى سبيل الله ، ولكن هناك أمراً ليس بالشائع وإن يكن غرض آخر من الفتوح ، هذا الأمر هو التوسعة بهذه البلاد المفتوحة على سكان شبه الجزيرة من العرب : هو الهجرة من شبه الجزيرة إلى البلاد المفتوحة بعد أن ضاقوا به ، ونصيحة عمر بن الخطاب لجنوده الذين وجههم إلى الفرس تؤيد هذا الرأى ، فالفتوح كانت موجة من موجات الهجرة الكثيرة من شبه الجزيرة إلى ما جاورها من البلاد ، لكن هذه الموجة تمتاز بأنها تحمل ديناً وتدعو إليه .

ونحن حريون أن ننظر إلى هذا الفتوح من هاتين الناحيتين لا من ناحية واحدة ، وألا ندعى لأنفسنا من الفهم للاسلام والعصر الذى ظهر فيه أكثر من فهم عمر الذى كان من أقرب الصحابة إلى النبى وأعظمهم فهما عنه .

ولقد نظرت الأمم التى دانت للاسلام إلى الفتوح العربية على أنها فتوح أمة تنشد لنفسها السلطان على غيرها من الأمم ، وتنشد لدينها السلطان على غيره من الأديان : لم ينظر كثير منهم إلى أن هذه الأمة العربية قد جاءت بدين عام للعربى وغير العربى ، وأنها تفتح بلادهم لتدعو إليه ، بل رأوا أنها فتحت بلادهم للتسلط والاستعمار ، وإن كان حكمها خيراً من حكم سواها ، وأنها تقصد من الدعوة إلى دينها الدعوة إلى سلطانها الدنيوى .

ولقد ساء الفتح العربى كثيراً من الأقطار المفتوحة ، ولا سيما فارس ، ولذلك سببه الذى لا بد لنا أن نكشف عنه .

كانت بلاد الشام وبلاد المغرب تحت سيطرة الروم ، فلم يكن من نتيجة الفتح العربى إياها إلا أنها استبدلت سلطان العرب بسلطان الروم ، ووجدت تحت الحكم العربى من العدل والرغد ما لم تجد تحت حكم الروم ، فاستكانت إلى العرب واطمأنت إلى حكمهم حتى فقدت قومياتها ولغاتها .

وكانت فارس قبل الفتح العربى بلاداً مستقلة ذات سيادة وحضارة ومملكة ، وكان لها سلطان حتى على العرب ، وكانت تحكم قبل الإسلام بلاد اليمن والبحرين والعراق حتى أن كسرى أبرويز حين تلى عليه كتاب النبى الذى يدعوه فيه إلى الإسلام ، غضب ومزق الكتاب وكتب إلى عامله على اليمن (بازان) يأمره بأن يأتيه برأس هذا الرجل الحجازى ، وكانت فارس تستعين بقبائل الحيرة فى حروبها مع الروم ، وتستعين بقبائل العرب على صد المعتدين على حدودها من الروم والأعراب ، وعلى خفارة القوافل أثناء مرورها فى البلاد العربية ، بل لقد استعان بهرام جور برؤساء قبائل الحيرة فى الجلوس على عرش فارس بعد أبيه يزدجرد برغم أنوف المعارضين له من الفرس ، ولقد كانت لفارس ثقافة وحضارة ، وفى اللغة العربية كثير من الكلمات الفارسية دخلتها قبل الإسلام ، وفى سيرة ابن هشام أن النضر بن الحارث كان يقول لأهل مكة : « يحدثكم محمد بأخبار عاد وثمود ، وأنا أحسن حديثاً منه : هلموا إلى أحدثكم بأخبار رستم واسفنديار والأكاسرة » وقد عرف العرب المجوسية (الديانة الفارسية القديمة) ويقال إن بعض بنى تميم قد اعتنقوها .

ولم يكن لسلطان فارس مثيل قبل الإسلام إلا سلطان الروم ، وقد وقعت بين الدولتين حروب كثيرة شهد ظهور الإسلام أواخرها ، ويقول المقريزى : « إن الفرس كانت من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وصولة الخطر فى أنفسها بحيث أنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأسياد ، وكانوا يعدون سائر الناس عبيداً لهم ، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدى العرب ، وكان العرب عند الفرس أقل الأمم خطراً ، تعاظمهم الأمر ، وتضاعفت لديهم المصيبة »

ما من شك فى أن الفرس كان لهم قبل الفتح العربى سلطان واستقلال ومملكة ، وأنهم كانت لهم سيادة على بعض البلاد العربية ، وأنهم كانوا يحتقرون العرب ، وأن بلادهم هى البلاد

الوحيدة التي كانت تتمتع باستقلالها ومملكتها وحضارتها عند الفتح العربي ، فلما فتحها العرب سلبوا استقلالها ومملكتها ونظمها ،ومن أجل ذلك تعاظمهم — كما يقول المقريزي — الأمر ، وتضاعفت لديهم المصيبة ، وأي مصيبة أعظم من فقدان استقلالهم على أيدي أمة كانت أقل الأمم خطراً عندهم . ومن أجل ذلك لقي العرب في إخضاع الأمة الفارسية من المشقات ما لم يلقوا في إخضاع غيرهم من الأمم (١) .

ولقد بقيت فارس تتطلع إلى الاستقلال تحت الحكم العربي من أول يوم دخلت فيه تحته ، وظلت موطن كفاح دائم بين الفريقين ، واستعان الفرس في مناضلة العرب بجميع قواهم : فاستعانوا بقوة الجيوش مرارا فما أفلحوا ، وظل العرب قابضين على نواصيهم لقوة عصبيتهم ضد عصبية الفرس ، وشجاعتهم أمام شجاعة الفرس ، فلما خانتهم قوة الجيوش حاولوا التمسك بلغتهم وحضارتهم وديانتهم فخابوا بعض الخيبة وظفروا بعض الظفر : ذلك أن اللغة العربية غلبت على لغتهم لغناها ووجوب التعبد بها ، وغلب الإسلام ديانتهم بترك بعضهم دينهم خوفا من البطش أو تزلفا إلى الدولة الإسلامية أو إيمانا به ، ووهت ثقافة اللغة الفارسية كما وهت المجوسية ، وامتزجت الحضارتان ، وأناب كثير من العامة إلى الحكم العربي والدين الإسلامي الذي جاءهم به العرب واللغة العربية ، واختفت العصبية أول الأمر كثيرا ، ومما ساعد على اختفائها عندهم حسن سيرة الحكام في العهد الأول في الرعية وتنفيذهم أوامر الدين في معاملة المغلوبين بنصها وروحها ، فكان للمغلوبين ما للغالبين وعليهم ما عليهم فيما عدا الإدلاء ببعض المناصب ، ولكن العصبية لم تذهب — وإن اختفت — من رؤوس رؤسائهم وذراري ملوكهم بل بقيت متأججة يتناقلونها خلفا عن سلف ، وقد بدأ ظهورها يزداد منذ انقسام العرب بعضهم على بعض في أثناء الدولة الأموية ، وظهور العصبيات الجزئية القبلية التي اجتهد النبي وخلفاؤه ونجحوا في إخفائها ، وظهور التفرقة في المعاملة بين العربي وغيره ممن دخل في الإسلام عند الخلفاء والولاة ، واحتقار العرب الموالي عامة .

وأول ما بدأ ظهور العصبية الفارسية في فارس ، ففيها ضعفت أول ما ضعفت العصبية العربية لظهور العصبيات القبلية ، وقلة العناصر العربية فيها لقلة العرب واندماجهم مع الفرس بالتزاوج والتناسل واستقرارهم فيهم وبعدهم عن مواطنهم التي خرجوا منها .

ولقد ظهرت حاجة العرب إلى الفرس بعد الفتح العربي بقليل ، فقد انصرف العرب إلى الفتح والجهاد ، فغفلوا عما سواه ، كما يقول ابن خلدون في مقدمته ، وانصرف الموالي من الفرس إلى الأدب واللغة والفقه والنحو فأسدوا إلى هذه النواحي أعظم الخدمات ، وكانوا فيها المبرزين دون العرب ، ومما يؤثر عن الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦—٩٩ هـ) قوله : « ألا تتعجبون من هذه الأعاجم ! احتجنا إليهم في كل شيء حتى في تعلم لغاتنا منهم » وقوله : « العجب لهذه الأعاجم كان الملك فيهم فلم يحتاجوا إلينا ، فلما ولينا لم نستغن عنهم » .

ومما يحكى أن عربيا وفارسيا تناظرا بين يدي يحيى البرمكي ، فقال الفارسي للعربي : « ما احتجنا إليكم قط في عمل ولا تسمية ، ولقد ملكتم فما استغنيتم عنا في أعمالكم ولا لغتكم حتى إن طبيخكم وأشربتكم ودواوينكم على ما سمينا ما غيرتموه » .

(البقية في العدد القادم) **محمد خليفة التونسي**

(١) في خطاب الأستاذ عبد الرحمن بك عزام أمين الجامعة العربية الذي ألقاه في أول اجتماعات الجامعة منذ شهور تعليل آخر لهذا الاختلاف بين فارس وسائر البلاد التي فتحها المسلمون وما كان من سخط الفرس على عرب واستكانة غيرهم هذا التعليل هو أن بلاد فارس كان يسكنها فرس ، وسائر البلاد كانت فيها عناصر عربية هاجرت إليها من شبه الجزيرة قبل الاسلام بقرون ، فعنده أن سخط الفرس سببه اختلافهم عن العرب وأن رضا غيرهم سببه اتفاقهم مع العرب في العروبة ولم أدرسه .

سجون بغداد

زمن العباسيين

للأستاذ صلاح الدين المنجد

— ٥ —

ب — كسر السجن :

وكان يحدث كثيراً أن يكسر السجناء أو العامة السجن ويخرج مَنْ في السجون ، كلما غضبت العامة ، أو ثار الجيش ، أو قامت فتنة في البلد . وكثيراً ما نقرأ في الطبرى « وفى هذه السنة كسر العامة السجن ... » فمن ذلك أنه لما خرج الراوندية على أبى جعفر المنصور ، ، وكانوا قوماً يقولون بتناسخ الأرواح ، وأن ربهم الذى يطعمهم ويسقيهم هو المنصور [١] ، أخذ أبو جعفر رؤساءهم فحبسهم . فأقبلوا يطوفون حول قصر الخلافة وقد غضبوا . وأعدوا نعشاً ، وحملوا السرير ، وليس فى النعش أحد ، ثم مروا فى المدينة حتى صاروا على باب السجن ، فرموا بالنعش ، وشدّوا على الناس ، وكسروا باب السجن فدخلوا وأخرجوا أصحابهم [٢] .

ولما شغب الجند على الأمين نقب أهل السجون سجونهم وخرجوا منها فلم يحاجزهم أحد [٣] . وحاول أهل السجن أن يشغبوا زمن المأمون ، وأن ينقبوا السجن . فسدوا الباب من داخل ولم يدعوا أحداً يدخل عليهم ، وأخذوا فى نقب السجن . فلما كان الليل ، وعلا شغبهم وصوتهم ذهب المأمون ، فدعا بنفر من الشُطّار وأصحاب الشغب فى السجن ، فضربت أعناقهم ، وصُلبوا على الجسر [٤] .

وفى زمن المستعين سنة ٢٤٩ اجتمع العامة فى بغداد بالصراخ والنداء بالنفير ، وانضمت إليها الشاكريه ، ففتحوا سجن نصر ابن مالك ، وأخرجوا من كان فيه . وانتهب ديوان قصص المحبسين ، وقطعت الدفاتر وألقيت فى الماء [١] .

وفى زمن المهتدى (٢٥٥) اجتمع جماعة من الجند والشاكرية ومعهم جماعة من العامة ، حتى صاروا إلى سجن باب الشام ، فكسروا بابه فى الليلة الثالثة عشرة من رمضان ، وأطلقوا أكثر من كان فيه . ولم يبق من أصحاب الجرائم إلا الضعيف والمريض والمثقل [٢] .

وفى زمن المعتمد سنة (٢٧٢) نقب المطبق من داخله وفر بعض المسجونين [٣] .

وقبيل وفاة الموفق سنة ٢٧٨ قامت العامة فانتهبت دار إسماعيل ابن بلبل ، وفتحت الجسور وأبواب السجون ، ولم يبق أحد فى المطبق ولا فى الحديد إلا أخرج [٤] .

وفى سنة ٣٠٦ شغب أهل السجن الجديد ، وصعدوا السور فركب نزار بن محمد صاحب الشرطة وحاربهم وقتل منهم واحداً ورمى برأسه إليهم فسكنوا [٥] .

ويذكر الخطيب البغدادى أنه فى سنة ٣٠٧ كسرت العامة الحبوس فى مدينة المنصور ، فأفلت من كان فيها . وكانت الأبواب الحديد التى للمدينة باقية فغلقت وتتبع أصحاب الشرط من أفلت من الحبوس فأخذوا جميعاً حتى لم يفتهم منهم أحد [٦] .

وفى زمن المقتدر سنة ٣٠٨ غلت الأسعار ببغداد ، وشغب العامة ، ووقع النهب ، وركب الجند فيها ، وشتتهم العامة ، وأحرقت الحبس وفتحت السجون [٧] .

ولعلك لاحظت أن كسر السجون كان نتيجة الشغب والفتن وعصيان الجند ، وغلاء الأسعار ، واضطراب العامة . وهذه أمور كانت مما امتاز به العصر العباسى الثانى . وقد كان للأتراك الشأن الكبير فيها . ولن نورد كل ما ذكره المؤرخون فحسبنا ما ذكرنا .

(١) الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١٨٨ .
(٢) الطبرى حوادث سنة ١٤١ ج ١٠ ص ١٣٠ .
(٣) الطبرى حوادث سنة ١٩٦ ج ١١ ص ٨٦٧ .
(٤) تاريخ بغداد لابن طيفور ص ١٧٨ .

(١) الطبرى حوادث سنة ٢٤٩ ج ١٢ ص ١٥١٠
(٢) الطبرى حوادث سنة ٢٥٥ ج ١٢ ص ١٧٢٨
(٣) الطبرى حوادث سنة ٢٧٢ ج ١٣ ص ٢١٠٩
(٤) مروج الذهب ٢ــ٤٦٠
(٥) المنتظم لابن الجوزى ٦ــ١٤٦
(٦) تاريخ بغداد ١ــ٧٥ ، ولسترانج ص ٤٨
(٧) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٥٣

٣ — موت الخليفة :

وكانوا يطلقون السجناء لموت الخليفة أو عزل الوزير : حدّث التنوخى عن أحمد بن المدبر قال : « لما سجنت مع أحمد بن إسرائيل ، وسليمان بن وهب معاً ، قال لى سليمان ذات يوم : رأيتُ البارحة في نومى كأن قائلا يقول لى : « يموت الواثق إلى ثلاثين ليلة . فلما كان يوم الثلاثين ، وكان الليل ، لم نشعر بالباب إلا وقد دُقّ دقاً شديداً ، وصاح بنا صائح : البشرى ، قد مات الواثق فاخرجوا[١] » .

وربما أطلق الخليفة الجديد المسجونين زمن الخليفة السابق كما فعل المهدى . فقد أمر بإطلاق من كان فى سجن المنصور . إلا من كان قبله تباعة من دم أو قتل ، أو معروفاً بالسعى فى الأرض بالفساد . فأطلقوا من فى المطبق[٢] .

وأطلق المقتدر أهل الحبوس الذين يجوز إطلاقهم ، وأمر محمد بن يوسف القاضى أن ينظر فى ذلك[٣] .

وذكر ابن الجوزى أن الراضى لما ولى الخلافة أمر بإطلاق من كان فى حبس القاهر ، فأطلقوا جميعاً[٤] .

وربما يطلقون لعزل الوزير أو موته . حدّث محمد بن الحسن الكاتب صاحب الجيش قال : « قبض محمد بن القاسم بن عبيد الله ابن سليمان بن وهب ، فى وزارته للقاهر على أبى وعلىّ معاً . فحبسنا فى حجرة من دار ضيقة ، وأجلسنا على التراب ، وشدد علينا . فقال لنا الموكلون بنا ذات يوم : قد عزم الوزير على قتلكما الليلة ... فتغير حالى ، وقام أبى يدعو الله ويصلى ، فلما مضى ربع الليل سمعت الباب يدق ، فذهب عنى أمرى ، ولم أشك أنه القتل . وفتحت الأبواب ، فدخل قوم بشموع ، فتأملت فإذا فيهم سابور خادم القاهر . فقال أين أبو طاهر ؟ فقام أبىَ وقال ها أنذاك فقال : أين ولدُك ؟ قال : هو ذا . فقال انصرفا إلى منزلكما . وإذا هو قد قبض على الوزير محمد بن القاسم ، وأحدره إلى دار القاهر ، وانصرفنا . وعاش محمد فى الإعتقال ثلاثة أيام ومات[٥] .

(١) الفرج بعد الشدة ج ١ ص ١٤٩
(٢) الطبرى ، حوادث سنة ١٥٩ ج ١٠ ص ٤٦١
(٣) المنتظم لابن الجوزى ج ٦ ص ١٩
(٤) المصدر السابق ج ٦ ص ٢٦٦
(٥) الفرج بعد الشدة ج ١ ص ٥٢-٥٣

٤ — العفو :

وقد يطلق المسجون بعفو من الخليفة . مثال ذلك ما حكاه المسعودى ، قال : ذكر عبدالله بن مالك الخزاعى ، وكان صاحب شرطة الرشيد قال : أتانى رسول الرشيد فى الليل . فارتعت . فلما مثلت بين يديه ، قال : إنى رأيت الساعة فى منامى كأن حبشياً قد أتانى ومعه حربة ، فقال إن لم تخلّ عن موسى بن جعفر الساعة وإلا نحرتك بهذه الحربة فاذهب فخلّ عنه ، قال فمضيت إلى الحبس وأطلقته[١] .

ومن الطرافة أن تقرأ هذه المنامات ، وترى كيف يطلق السجناء بعدها . وقد سرد قسما كبيراً منها التنوخى فى الفرج الشدة[٢] .

٥ — الاحتيال :

وقد يحتال المسجون بحيلة لينجو . ذكر ابن طيفور أن طاهر بن الحسين كان يتعشق بخراسان جارية من جيرانه يقال لها « ديذا » وكانت توصف بجمال عجيب ، وكان يختلف إليها . ولما صار إلى مدينة السلام ، وقع فى سجنه جار لديذا بجرم خفيف ، وطال حبسه ، ولم يعرف أحداً يشفع فيه ، فاحتال لرقعة لطيفة ، أرسلها إلى طاهر ، وتوسل إليه بجوار ديذا فلما قرأها كتب فى ظهرها :

ويا جار ديذا لا تخف سجن طاهر
فوالِيك لو تدرى عليك شفيق
أيا جار ديذا أنت فى سجن طاهر
وأنتَ لديذا فاعلمن طليق[٣]

ولما سجن عزّ الدولة ، إبراهيم بن هلال الصابىء ؛ احتال هذا على الخروج بأن ألف له مصنفاً فى أخبار آل بويه وهو التاجى ، فخرج[٤] .

(يتبع) صلاح الدين المنجد

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٢٦٩
(٢) انظر الفرج بعد الشدة . ج ١ ص ١٤٠ ، ١٦٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ...
(٣) تاريخ بغداد لابن طيفور ص ١١٨ ، وانظر حادثة أخرى فيه ص ٢٥ .
(٤) تاريخ الحكماء للقفطي ص ٧٦ .

يا نسيم الخريف

للأستاذ أحمد أحمد العجمى

يا نسيم الخريف أحييت آما   لى بريَّاك يا نسيم الخريف
لك فى كل خطرة نفحات   من حنان الحانى وعطف الأليف
ولدى كل مهجة ذكريات   تجتليها الأحلام مثل الطيوف
أنت حققتها نجوماً وضاء   فى ظلام النسيان ذات رفيف
يا نسيماً تهلل الأيك نشـوا   ن طروباً يشدو له بالحفيف
وجرى النهر راقصاً يتهادى   صافحته يد النسيم اللطيف
يده تملأ الفضاء أريجاً   عبهرى الشذا كمسك مدوف
يا لذاك النسيم طلقاً عليلا   سار فى حيرة القوى الضعيف
فى سهول فيح وواد فسيح   ومروج خضر وريف وزيف
داعب الدوح باحتناق الأماليـ   ـد وشعر الصفصاف بالتصفيف
وخدود الورود بالقبل الريَّـ   ـا من الشوق والغرام العفيف
وقدود النخيل جشها ، يحـ   ـسب أن النخيل أعطاف هيف
حدباً حانياً كقلب عطوف   عجباً يا نسيم ما زلت تسعى
كم تفانيت فى التلطف حتى   قد وصلت الشتى بلطف المصيف
ووصلت الشتاء بالصيف والوحـ   ـشة بالأنس والربا بالكهوف
وجعلت الضحى أصيلا وحر الـ   ـقيظ برد المساء بالتلطيف
وبلغت الشطوط وهنان فاستلـ   ـقيت تغفى حيناً على كل سيف
ثم دوَّيت فى الفضاء دوى الر   عد فى ثورة القوى العنيف
بارداً تجمد الحرارة فيه   وهو ماض ببرده كالسيوف
نتمناه فى الهجير ونخشا   ه شتاء متى أتى كالحتوف
يا نسيم الخريف طابت لياليـ   ـك لقلبى طيب الجنى والقطوف
وليالى الخريف أنشودة الشا   دى وعيد المنى وحلم الريف
هى فى الخفة الطليقة برد   وسلام من الجمال الشفيف
كم غمام يختال فيها خفيفاً   فإذا ابرد لم يكن بخفيف
وسحاب كالبحر أسبح فيه   بخيال يجد فى التجديف
ونجوم تجلو الدجى لتراها   ولنصغى لهمسها المألوف
ولشدو الطنبور أدركه الأيـ   ـن فأصغى لأنه الشادوف
عجباً للطبيعة الحسن فيها   صور بالألوف بعد الألوف
كم لها من مناظر وشكول   وصنوف تجد إثر صنوف
هى حيناً تلوح فى نزق الغر   وحيناً فى حكمة الفيلسوف
وإذا ما تبرجت فكم استحـ   ـيت دلالا بوجهها المكشوف
كل ما فى الطبيعة المثل الأعـ   ـلى لنفس تحيا بحس رهيف
وأراها بمقلة الشاعر الشا   دى وقلب المتيم المشغوف
من يكن يعبد المحاسن طراً   فبحسبى هذا الجمال الريفى

يا شعب صهيون

[تحدى المؤتمر الصهيونى العام العرب فى بيانه الصادر من القدس]

الأستاذ حسن أحمد باكثير

ياشعب صهيون! الابطركم النعم   ولا نفوذ لكم تعنو له أمم
ولا يغرنكم مال لكم لبد   فالدهر يمهل حيناً ثم ينتقم
دعوا فلسطين وانأوا عن عرائنها   ففى عرائنها الآساد والبهم
إن صودقوا صدقوا أو سوبقوا سبقوا
أو هوجموا هجموا أو صودموا صدموا
لا تحسبوا أنها تغدو لكم وطناً
إذا ارتضت طغمة فى الغرب أو طغم
مصيرها فى يدى أصحابها فسدّى   ما ترجفون وما شدتم سينهدم
إن كان فى يدكم مال ففى دمنا   بأس ورثناه عن آبائنا حطم
بأس جرى فى دم الأجداد مضطرماً
ولم يزل فى دم الأحفاد يضطرم
إنى لألمح خلف الأفق عاصفة   عرباء لا تنقضى حتى يراق دم
وفتنة تتلظى فى جوانبها   حمر المنايا وتستشرى وتحتدم
أعيذكم أن تثيروها بباطلكم   فتندموا حين لا يجديكم الندم



البحترى وإسماعيل صدقى باشا ، رؤية المكان البعيد :

١ — رُوى لى أن الأستاذ اسماعيل صدقى باشا لما قابل (سعداً العظيم) بعد تلك الصدمات قال له : يا سعد كلما سعينا فى هدمك بناك الله . والبحترى (أحد الثلاثة) يقول :

كم حاسد لأبى العباس مشتغل بنعمة فى أبى العباس تشجيه
يروم وضعاً له والله يرفعه ويبتغى هدمه والله يبنيه

فإن كان الأستاذ اسماعيل صدقى باشا قرأ ديوان (الوليد) فإنه للمفتش المطلع ، وإن كان القول من عنده فلوذعيته هى معطيته . وقد سمعت شاعرنا الأستاذ محمد عبد الغنى حسن يذكر (صدقياً) بخير .

٢ — جاء فى إحدى المقالات التى تنشرها (الرسالة الغراء) فى عنوان (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) :

« قال الأديب الكبير الأستاذ شفيق جبرى : (من بالعراق رآك فى طرسوسا) هذا (شهود البعيد) الذى ابتدعه هؤلاء العفاريت فى هذا الزمان » .

وقد وجدت خبرا فى (طبقات الشافعية الكبرى) للعلامة عبد الوهاب السبكى فى (رؤية المكان البعيد) فرأيت روايته ، قال :

« التاسع عشر[1] رؤية المكان البعيد من وراء الحجب كما قيل : إن الشيخ أبا اسحاق الشيرازى كان يشاهد الكعبة وهو ببغداد » .

السهمى

إلى صاحب العزة الأمين العام لجامعة الدول العربية :

من أخبار بغداد الأخيرة نبأ مؤداه أن مجلس الوزراء العراق قرر منع طلبة البعثات العلمية العراقية من الزواج بالأجنبيات مدة دراستهم . .

ولما كان القرار بالشكل الذى نشر به فى الصحف مطلقاً غير مقيد فهو يذكر الأجنبيات دون تحديد أو تخصيص

ولما كان كثير من طلبة البعثات العلمية العراقية يدرسون فى البلاد العربية الشقيقة وخاصة مصر — فقد اختلفت الآراء فى تفسير المقصود من هذا القرار وبيان مدى تطبيقه . .

ومهما يكن من أمر فلا شك فى أن من سياسة جامعة الدول العربية تقوية الصلات وتنمية الروابط بين البلاد العربية بكافة الطرق والوسائل . كما لا نشك فى أن تزاوج الأفراد من مختلف البلاد العربية هو من أنجع الطرق فى تحقيق الوحدة القومية بين هذه البلاد إذ بالتزاوج والتصاهر تقوم علاقات لا يمكن أن تنفصم بين الأفراد والعائلات وتكون هذه العلاقات الشخصية الفردية أقوى دعامة للعلاقات العامة القومية فى بناء الوحدة العربية المنشودة . . . .

فإذا نظرنا على ضوء ما تقدم إلى قرار مجلس الوزراء العراق يكون شمول لفظ « الأجنبيات » لغير العراقيات عموما بما فيهن المنتميات إلى دول أعضاء فى الجامعة العربية موضوع نقد معقول لما فيه من تفويت للمصالح المشار إليها ومن تسوية بين رعايا الدول العربية ورعايا سائر الدول الأجنبية وهى تسوية يأباها روح ميثاق الجامعة العربية . بل ويأباه نصه الذى تناول مسألة الجنسية فيما تناوله من الأمور التى تهدف الجامعة إلى توحيدها بين الدول الأعضاء وقد خصصت لها فعلا لجنة من لجان الجامعة .

لهذا أتشرف بأن أقترح على عزتكم أن تقوم الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بمباحثة الحكومة العراقية فى إصدار تفسير للقرار سالف الذكر يتحدد به المقصود بلفظ « الأجنبيات » بما يخرج من مدلوله المنتميات لدولة من الدول الأعضاء فى مجلس الجامعة مراعاة لكل ما سلفت الإشارة إليه من الاعتبارات . .

وإنى لعظيم الأمل فى أن تنال هذه المسأله التى لا تنقصها الأهمية حسن الإلتفات والاهتمام وذلك لما نعهده فى عزتكم بصرف النظر عن مهام منصبكم السامى من إخلاص صادق لقضية العروبة واهتمام دائم بكل ما يخدمها من قريب أو بعيد .

محمد عبد الجليل

رئيس رابطة العروبة بجامعة فاروق

(١) النوع التاسع عشر من الكرامات .

رأى فى الشرط الرابع في عضو هيئة كبار العلماء :

يدور الآن بمناسبة تعيين شيخ للأزهر خلاف كبير فى الشرط الرابع فيمن ينتخب ضمن هيئة كبار العلماء ، وهو أن يكون قد اشتغل بالتدريس فى إحدى الكليات ، أو شغل إحدى وظائف الإفتاء أو القضاء الشرعى من درجة رئيس محكمة الخ الخ .

ففريق كبير من علماء الأزهر يرى أن المراد بالكليات التى يجب أن يكون قد اشتغل بالتدريس فى إحداها الكليات الأزهرية الثلاث : (كلية اللغة العربية ، وكلية الشريعة ، وكلية أصول الدين) لا غيرها من الكليات الأخرى .

وقد أفتت لجنة الفتاوى بوزارة العدل أنه يدخل فى الكليات الواردة فى هذا الشرط غير الكليات الأزهرية من الكليات ، مثل كلية الآداب ، وكلية الحقوق .

وإنى أرى أن هاتين الكليتين لا يمكن دخولها فى الكليات الواردة فى هذا الشرط بطريق النص كما أفتت هذه اللجنة ، وإنما يمكن دخولها فيها بطريق القياس للشبه بينهما وبين كلية اللغة العربية وكلية الشريعة ، فإذا اشتغل بالتدريس فيهما بعض علماء الأزهر ، جاز انتخابه عضوا فى هذه الهيئة ، وإنكار هذا القياس لا يصح بعد أن جاء الإسلام باعتبار القياس ، ولم ينكره إلا من لا يعبأ به من فرق الإسلام ، وهذا الشرط لا يقصد منه إلا إخراج مدرسى المعاهد الابتدائية والثانوية

وقد صار للأزهر أبناء لا يحصون يشتغلون بالتدريس فى غير المعاهد الدينية والكليات الأزهرية ، فلا يصح أن يحرموا من منصب شيخ الأزهر ؟

عبد المتعال الصعيدى

البعث :

قرأت أخيراً ديوان البعث للأستاذ الشاعر ابن محمود فوجدت فى الديوان رقة عذبة تنساب فى القصيدة التى أهداها إلى الآنسة أم كلثوم كما تظهر واضحة فى قصيدة « الإنطلاق » حيث يقول :

رب يوم أبصرتك العين فى الجو طليقا
تنشد الألحان ألوانا ، وفى الحب غريقا
ناعم البال بألف عزفى الأيك رفيقا
وهفت نفسى إلى عيشك فى شوق وحزن

أى عيش كان حلوا حينما كنت تغنى
غن لى يا طير غن ، أى لحن أى لحن

ترى معى أن الشاعر قد رق فى هذه الأبيات إلى درجة لا تملك معها إلا الإهتزاز والشوق إلى سماع هذا الطائر المغنى .

وكم سرنى أن وجدت الشاعر يبتسم للحياة ابتسامة نفتقدها على شفاه أغلب الشعراء فلا نجدها ، سرنى هذا وظلت به مسروراً إلى أن صادفته يتجهم للحياة مرة أخرى ويبرم بها فيقول : —

أنكر الناس حينما أنكروه فنأى عنهم بشتى المراحل
يا لقومى كم نابغ عبقرى فى حمى النيل ذكره اليوم خامل

أجل نجده يتابع الشعراء فى هذا المضمار ، وحبذا لو سلك الطريق المشرق الآخر . وعلام التجهم والحياة كلها لا تساوى هم ساعة ... ابتسم ياسيدى فستبتسم هى لك وتلفتك إلى أفراحها .

وأعجبنى الشاعر أيضا حينما تناول ناحية القصص وعالجها ، الشيء الذى لا نكاد نجده فى شعرنا ، وهو بهذا أجرى الشعر فى مضمار المجتمع خاصة فى قصيدته « عقبى الجهل » .

ولكن يظهر أن القافية كانت تتعب الأستاذ الشاعر بعض الشيء ويبدو هذا فى قوله :

يسطع البدر بينها كنار باهر الضوء بالسنى مستطار

وقوله فى قصيدة أخرى :

وعلى الدنيا وما أبهجها عالما يبهر أرباب العقول

ترى معى أن القافية مجهدة « فمستطار » كلمة أتى بها للوزن فحسب ، « وأرباب العقول » كلتان نسمعهما فى السوق ولا نقرأهما فى الشعر .

وكنت حينما تطول القصيدة ألمس الضعف فى الأبيات الأخيرة مع أن القصيدة قد تبتدىء قوية ثم تتدرج فى الضعف حتى تصل إلى آخرها فترى البون قد بعد بين مطلع القصيدة وختامها ولو أنها بترت لأصبحت كاملة معنى وليس بها ما يشوب ، ويبدو هذا المأخذ واضحا فى قصيدته « فى الزفاف الملكى » .

ولا بد للمتكلم عن هذا الديوان أن يذكر ما به من روح متوثبة قد تقعد بها فى بعض الأحيان وعورة اللفظ والقافية .

وأعتقد أن كل هذه المآخذ سهلة الاستدراك لو تفضل الأستاذ الشاعر وأولاها شيئا من التفاته .

ثروت أباظة

الكتب

هتاف الجماهير

للأستاذ عبد الحفيظ نصار

(هتاف الجماهير) للأستاذ أمين يوسف غراب ، ومجموعته تشتمل على خمسة عشر قصة لن يتسع لى المجال للتعرض لها كلها ، وأعتقد أن مجموعته فى الطليعة عند ما يصح أن نختار قصصاً نضعها بكل فخر جنباً إلى جنب مع القصص الأجنبية القوية ، كما أنها تتسم جميعاً بأسلوب بارع الوصف ، كما أن الكاتب متأنق فى اختياره لألفاظه أناقة محببة غير متكلفة ، ويأخذك من تعبيراته عطر قوى نفاذ . . . لعله عطر المرأة التى تأخذ دوراً هاماً فى أكثر قصصه .

وإليك قصة (طريق الدنس) وهى قصة امرأة ناضرة ناضجة شغل عنها زوجها بسهراته خارجا — فماذا قالت لنفسها وماذا قالت المرآة لها فى خلوتها ... فكرة بسيطة فى حوادثها .. ولكنى أؤكد أنها فى تحليلها لعواطف المرأة لا تقل عما يكتبه مارسيل بريفو ، وفى قوة وصفها تقف بكل فخار بجوار قصص موباسان . ليس فى القصة حوادث أو حركة كبيرة بل تعتمد على (الحركة النفسية) التى هى موضوع القصة . وذلك شأن القصص الروسية الخالدة التى نعتبرها مثالا فى القصص العالمية .

كذلك قصة (الأستاذه) وهى محامية كتبت عواطفها الحارة كامرأة ، وتجاهلت نضج ثمارها كشجرة يانعة ، فأخفت تلك العواطف وتلك الثمار ، تحت رداء المحاماة القاتم ، وتكلفت الجد الذى هو بعيد كل البعد عن طبيعتها المشرقة ومضت فى الحياة عاملة كرجل ... ولكن إلى متى يمكنها أن تمضى متجاهلة النداء ؟

وأما قصة (البلبل والحمامات السبع) فتصور حياة سبع مدرسات فى مدرسة إقليمية شاءت مديرتها أن تجعل منها ديرا منعزلا عن الحياة والأحياء — وعلى الأخص ذلك الجنس الآخر مصدر الشر وهو الرجال — فيعشن فى سلام معيشة الراهبات .

وليست العبرة عند الكاتب فى حوادث القصة . ولكنه يعالج فكرة قد تظهر بساطتها عند تلخيصها . ولكنك ترى عمقها فى تحليله وروعتها فى عرضه . كما أنه يرتفع فى وصفه فى هذه القصة إلى درجة عالية من البيان ، وقد وصف لنا الرئيسة محللا نفسيتها بأنها امرأة حلت الأيام مشاكلها مع الزمن على حسابها ، خلقة مشوهة دميمة وصوت أجش بغيض وعينان ضيقتان أكل الحقد أهدابهما ولم يبق منهما سوى نظرات نارية حادة لا تكاد تعكس مرئيات الأشياء على عينها أبدا وإنما تعكس صفحة وجهها المشوه على خاطرها فتراه دائما وتراه مقترنا بسلسلة تلك المصائب التى جرها عليها هذا القبح طيلة الأربعين سنة التى قضتها فى دنياها الشقية ..) فهى لا تكاد تطيق رؤية الفتيات السبع يخطرن أمامها فى مرح وسعادة ملء إهابهن الحب والأمل، ومن ذلك يفسر لك قسوتها عليهن وتزمتها فى معاملتهن وأخذهن بالتقشف الشديد المر حتى نسين الشباب والابتسام .

وأما (البلبل ...) فهو ذلك العامل الذى تضطر المدرسة الضرورة لاستدعائه من المدينة لبعض الاصلاحات لبضع ساعات ثم تحتال الحمامات على إطالتها إلى ليلة ... وقد تيقظ الفتيات كما تتفتح الزهرات لأنداء الربيع، حتى تلك الزهرة الذابلة .. الناظرة . . وإنى لأحس بأننى أظلم القصة عندما أحاول أن أعطى منها صورة فلا أستطرد فى ذكر ما كان . ولكن أحب أن أقول إنها ذكرتنى بقصة (ستة وعشرون رجلا وامرأة ...) لمكسيم جوركى . والبلبل هنا امرأة ، وعند قصاصنا فتى ، ولكنها لا تشبهها فى شىء من الحوادث أو طريق المعالجة ولكن فى بعض الخطوط الرئيسية فى الفكرة النفسية وهى شىء يتشابه فيه البشر فى كل مكان .

ولكن يختلف الكتاب فى تصويره . وله إلى هذا بعض قصص اجتماعية يصف فيها الريف بصميم تقاليده وعميق إحساس أفراده إلى بساطة وسذاجة هما طابع أهله ، وقد دل على معرفة ودراسة لأحوال الريف قلما تجدها صادقة فى غير تكلف كما تجدها فى قصص الأستاذ أمين . ومن هذه القصص (الفطائر الثلاث) . ومن أمتع قصصه (مفاتيح الأقفال) وإنه لعنوان رمزى لما استغلق من المرأة ، وما المفاتيح إلا الأنسان الذى جعلها تلبى نداءه فى أحضان الشيطان . وإنها لمأساة قد يخيل إليك أن الكاتب يصورها بألوان زاهية فاضحة . ولكنه فنان يعرف كيف يتصرف فى هدوء حتى بالألوان الحمراء ...

وقصة (هتاف الجماهير) ليست هى القصة الأولى فى المجموعة

كما اعتاد بعض كتابنا فى تسميتهم المجموعة بأعظم قصة فيها ؛ بل هناك قصص أخرى تعلوها . وهى مع هـــذا ذات نزعة رومانسية عنيفة وتجمع إلى هذا جانب التهكم اللاذع وعلى الأخص فى الخاتمة ، والخاتمة عند أمين كأبسط وأروع ما يمكن أن تكون التفاتة بسيطة ذات دلالة عميقة تكفى عنده لأن تكون عقدة القصة . وقصة (طريق الدنس) التى عرضنا لها تعتبر مثالا عاليا لذلك . وتوجـــد عنده عدة قصص يصور فيها شخصية (البروجوازى) كما يسميه الاشترا كيون ، أذكر له قصة اتفق لى أن قرأتها له فى إحدى المجلات ولا أدرى لماذا لم يضمها إلى هذه المجموعة وهى (الحلوى المسمومة) فقد صور فيها مدى استغلال البروجوازى لعماله . وقد تعدى ذلك لأعراضهم، وله فى تصويرهذه الشخصية فى هذه المجموعة قصة (صفقة رابحة) و (السيد) وإنه ليعطينا صورة لا تقل عظمة عن تمثيلية (السيد) لموليير وإن كان هذا نموذج للسيد المصرى وفرق كبير بين السيدين . أقلهما البيئة وعواملها مع المزاج والثقافة . كما يوجد فرق كبير بين الكاتبين فى طريق المعالجة .

ويصدر الأستاذ أمين مجموعته بقصة (أفراح السماء) ، وهى قصة إنسانية عالية تصف الطفولة وتشردها . قصة طفلة تتضور جوعا باحثة عن لقمة ، تهديها حاستها أو معدتها إلى بائع طعمية تقف أمام دكانه تستنشق رائحتها المحببة ، ولا تسل عن خواطرها حينئذ، ولا عن تصوير الكاتب لها، ولكنها أخيراً تتشجع وتطلب منه واحدة ؛ فإذا بصاحب المحل الرجل الضخم يجيبها بصفعة هائلة فلم تولول ولم تتألم طويلا فقد تعودت مثل ذلك وكان أن جففت دموعها ، ولصلحت أسمالها ، وابتعدت عنه قليلا حيث واراها الظلام ، وحيث أسندت رأسها المثقل جالسة على الرصيف بعد أن اطمأنت على مكان كوز أعقاب السجاير بين ركبتيها . وابتدأت قصة حـــلم رائع إذ تقدم منها شاب وسيم شكت إليه جوعها فحملها إلى أحد القصور التى يعلو وصفها على قصور ألف ليلة وليلة ، وكان أن رأت هناك استقبالا واحتفاء، ومأكلا ونعيما وسعادة بجوار ذلك الشاب الوسيم ما كانت لتحلم به أو لتفكر فيه يوما فتتمتم شاكرة له: إنك لملك كريم . وبعد فراغها من حلمها اللذيذ يكون قد جاء الصباح وعاد صاحب محل الطعمية جلادها بالأمس إلى محله ؛ فيجد هذه قريبة منه فتأخذه بها شفقة بعد أن تذكر ما كان منه بالأمس ؛ فيحركها موقظا لها فإذا بها جثة هامدة ! !

ترفرف روحها فى السماء . وهذه القصة تذكرنى بقصة (بائعة الثقاب) لهانس أندرسون الكاتب النمساوى ، وهى أيضا حلم طفلة تضورت طوال يومها جوعا فى البرد وفى ليلة عيد الميلاد ومع ذلك لم تبع شيئا من أعواد الثقاب التى تحملها فخافت أن تعود إلى أبويها ؛ فجلست بجوار جدار وجعلت تستنشق رائحة الأوزة التى تشوى خلف جدار ذلك المنزل وتركت خيالها يدور حول ما فيه من طعام ، وأخذت بوطأة البرد فجعلت تدفىء أطرافها بإشعال أعواد الثقاب ، وعلى ضوئه ابتدأت قصة حلمها فقد رأت جدتها الميتة التى كانت تحنو عليها وتحبها كل الحب وصارت تستنجد الجدة أن تأخذها عندها وأخيرا تستجيب لتوسلاتها . وفى الصباح ترى طفلة ميتة مرتكنة على جدار منزل ، وما برح شفتيها ابتسامة الرضى ؛ فقد كانت تنعم هناك قرب جدتها ، ومع تقارب الفكرة فى القصتين فلكل منهما طريقته وأسلوبه ولعل قصة أمين لا تقل روعة عن قصة هانس أندرسون

ولعل كاتبنا أبعد الكتاب تأثرا بالصور التى يأخذها للحياة عن طريق الثقافة بل يلجأ إلى الحياة نفسها ويتغمر بمشاعره بين شخصياتها إذ للكاتب معالجاته الكثيرة فى الحياة وصوره التى لا تنفد من فصولها ونماذجها الإنسانية التى تحس بحرارة حياتها ولفحات أنفاسها . بل تحس بأجوائه الشعرية العاطرة كأنك تعيش فيها .

بقى أن أقول إن مجموعته جديرة بأن يحتفل بها قراء العربية وأن كاتبها جدير بأن يحتفل به نقاد الأدب والقصة إذ فى إنتاجه دليل على حيوية فى القصاص المصرى ، وأمل كبير فى أن تزاحم قصصنا الإنتاج القصصى العالمى . وما أحسبنى مغاليا فيما أقول .

(دمنهور) عبد الحفيظ نصار



أهذه قصة ! ؟ . . .

سبيلك الجـــديد

للأديب عزيز الحاج

وأخيراً . . . مزقتها ثائراً ، ثم محوتها محواً بعود ثقاب ...

* * *

« مسكين أنت ! لا تعرف من الحب غيراسمه الساحر الخلاب ، تتوهم أنك فائز بأطايب الحب جميعاً وأنت محروم منها ، محروم . وكيف ترضى أن تكتفى من حبيبتك يبسمتها الوضاءة ، ونظرتها الحنون ، دون أن تهفو إلى ما وراء ذلك من المتع العذاب ! ؟

« لا ، يا صاحبنا ، لا ! أضرم ثغرها بالقبلات الملتهبات ، وضمها إليك ضماً يهدهد حواسك العطاش ، وانظر إليها نظرتك إلى أنثى ناضجة ، فاتنة ، لانظرتك إلى ملاك من نور » .

ويصغى صاحبنا إلى أحاديثهم منكراً لها ، مجدفاً بها ، حانقاً عليها ؛ ولكنه يضمر إنكاره ، ويخفى تجديفه ، ويكبت حنقه ، فيظنون أنه مقتنع ، راض ، ويتوهمون أنه سيلبى قريباً نداءاتهم المغريات ...

* * *

ويرحل الحبيب ، ويتصدع منه الفؤاد ، ولكن الرجاء يروح عنه . فهو يعرف أن الفراق لن يدوم ، وأن القطار الذى مضى بالتى يهوى سيرجع بها بعد أربعة شهور . فالنأى المروع ، إذن ، لا يبطن اليأس الدامس ، القتال ، وإن كان — مع ذاك — يوجعه ، ويبريه ، ويذيقه اللوعة المرة ، والهم الزعاف ...

ويجد أولئك « الأصدقاء » — وقد ظل وحيداً — مجالا أفسح ليرددوا نغمات « الوعظ » و « الإرشاد » ، ماضين فى ذلك دون أن يضجروا ، أو يملوا ، أو يضيقوا صدوراً بثباته العجيب وإخلاصه المكين .

« اهتد ، اهتد ، يا صاح . فما ذا تجنى من هذا الوفاء الصوفىّ غير الأشواك والسموم ! ؟ »

على أنه هو الآخر مصرٌ على الوفاء ، منطلق فى الاسترسال مع هواتف الحب ، واستحضار صورة الحبيب ...

* * *

ولكنه إنسان ! وإنسان يتعذب ويئن وينوح . فهو غير غنى عن السلوى والعزاء ، إن قلبه المصدوع سيودى به حتما إن لم يلتمس ألواناً من اللهو تذهله عن هواه ولو لحين . إن الوحشة السوداء تغلف لياليه والأيام ، وإن اللقاء الموعود لن يتم إلا بعد أسابيع طوال مضنيات ، فما أحوجه إلى العزاء — أى عزاء !

إنه لا يدرك كل ذاك ، وقد ينكره إن يجابه به ، ولكنه هو هو ما تهتف به نوازعه الخفية المبهمة ، وهو هو ما أخذ يهيمن شيئاً فشيئاً على خوالجه الباطنة العميقة ، وهو هو الذى مهد سبيل « المأساة » ...

* * *

أجل ! لقد ضللت ، ضللت أسبوعاً كاملا ، ما كنت أصغى فيه لغير نداء الجسد الحقير .

أبعدت الروح ، فقلت للشهوات الراقدات : « هبّى ! هبى ! » ؛ وخاطبت المتع الترابية مردداً : « ضمينى إليك ، عانقينى ... هكذا ! » ؛ ونصحت الجسد الظمآن قائلا : « اغرف من الينبوع ما طاوعتك قواك ، واحتس من الأباريق جهد المستطاع فمن يدرى ! لعل صاحبك يشمئز يوماً ما من هذه الحال ، فيرتد عن ضلاله المبين ، ويهتدى إلى الحظيرة من جديد »

* * *

سعال عنيف ، يتصاعد من صدر منهار ، وعلى الفراش ثمة إنسان شاحب ، هزيل ، أضناه السقام ، وشفه التبكيت ، فيا للمريض !

إنه ليزيد نفسه تعذيباً بقراءة اليوميات « العذرية » ، التى كان يخطها بدمعه الثر ، ودمه النزير ، قبل فترة « الضلال » .

إن قراءتها تجسم له خطيئته ، وتكبر زلته ، وتوحي إليه أنه دنيء دنيء ، فهو يتساءل متعجباً آسفاً ثائراً : « أأنا الذي فعلت ما فعلت ؟ ! أأنا — أنا الذي ما كنت أصبو إلا إلى السمو والتحليق — أمرغ نفسي في التراب المشوب والطين المهين ؟ !

« ويل لي ! ويل لي ! ويل لي من نفسي ! وويل لي من الحبيب الذي خنت ! وويل لي من الله ! »

أيها الجسد الظمآن : ألم أقل إن صاحبك قد يبصر بعد عماه ؟

* * *

... وهكذا مزقتك ثائراً ، أيتها الصفحات ، ثم محوتك محواً بعود ثقاب ، أوديت بك في لحظة من لحظات ثورتي على نفسي وعلى أصدقائي الذين أضلوني ؛ وفعلت ما فعلت دون تردد أو نكوص ، أحرقتك لكي تصفيك النار ، وتعيد إليك نقاءك المفقود ، فأنت أيضاً قد دنست ، وهم ، هم أيضاً الألى دنسوك ، لقد لطخوك كما لطخوا صاحبك المأفون ، الذي كان يقدمك إليهم بين أيام وأيام ، فيقرؤونك ساخرين ، صاحبك الذي أوحت إليه الغرارة والوهم أن المعفر في التراب قدير على فهم عاشق السماء

برغمي فارقتك ، وبرغمي قضيت عليك ، ولكن هيهات ، هيهات أن أنساك !

* * *

هذا أيها العاشق سبيلك الجديد : الصمت المطبق ، والسكوت التام .

احبس عواطفك في حناياك ، وأسدل بينها وبين الناس الحجب والأستار ، وعِ — واذكر ذلك أبداً — أن الجسد لا يريد أن يفهم الروح ، ولن يستطيع إن أراد

وأنتما ، يا قلمه ، ولسانه : صمتاً شاملا أبدياً كصمت القبر الرهيب في الليل البهيم ، فقد جنى « المسكين » من ثرثرتكما أفانين النكد وضروب العذاب ... ارحماه ! ...

عزيز الحاج
نزيل القاهرة

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦٤٥ — الاثنين ١٢ نوفمبر ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٢٥٠٣٩

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

محكمة طهطا الأهلية

نشرة أولى فى القضية المدنية رقم ٣٤٩٩ سنة ١٩٤١ م طهطا

إنه فى يوم الثلاثاء ١١ ديسمبر سنة ١٩٤٥ من الساعة ٨ أفرنكى صباحا بأودة المزايدات بسراى المحكمة .

سيباع علناً العقار الآتى بيانه المملوك إلى كل من

١ — جاب الله بدروس سعد من طهطا ن ٣ لطفى حنا عبد الملاك السمنتى بصفته الشخصية وبصفته ولى أمر أولاده حسنى وصبحى وكيله وتوحيده الوارثين عن المرحومة لوسيه بدروس سعد من طهطا ن ٤ شوقى نخلة فام بصفته وصى على قصر المرحوم كيرلس بقطر داود وهم كيل ورسمى وسمير ونعيمة المين وصى بدلاً من الوصية المتوفاه المرحومة ست بنت معوض من الشيخ زين الدين مركز طهطا ن ٥ صاباب كيرلس بقطر والغير معلوم لها محل إقامة ومعلنة للنيابة بطهطا نمرة ٦ سمنه بنت كيرلس بقطر بشارع الصبانه ن ٨ بمصر .

وبيان حدود العقار

٨٧ متر و٢٤ سنتى مربعاً عبارة عن منزل مبنى دورين كائن ببندر طهطا بدرب الشمله الحد البحرى ورثه خفاجى والحد القبلى شارع وفيه الباب يفتح والشرقى ورثة صالح فام والغربى ورثة أندراوس عبد الملاك .

٨٧ متر و٢٤ سنتى الجملة سبعة وثمانون متراً وأربعة وعشرون سنتيمتر نفاذاً للحكم الصادر من هذه المحكمة بتاريخ ٩ / ١٠ سنة ١٩٤٥ القاضى ببيع هذا العقار لعدم إمكان القسمة .

وسيكون البيع صفقة واحدة وبحسب الشروط المبينة بالعريضة وبثمن أساسى للمتر الواحد ٦٠ قرشاً ستون قرشاً بخلاف المصاريف وهذا البيع كطلب لطفى أفندى حنا التاجر بطهطا .

وشروط البيع والأوراق مودعة بملف القضية بقلم كتاب المحكمة لاطلاع من يريد الأطلاع عليها .

فعلى راغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان المحددين أعلاه م؟

كاتب البيوع

13 me Année No. 645

Lundi — 12 — 11 — 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٤٥ « القاهرة فى يوم الإثنين ٧ ذو الحجة سنة ١٣٦٤ — ١٢ نوفبر سنة ١٩٤٥ » . السنة الثالثة عشرة

الفـــن عام

نعم . ولكن بأى معنى ؟

للأستاذ عباس محمود العقاد

(سير كنيث ما كنزى كلارك) هو فى الوقت الحاضر أكبر النقاد فى فن التصوير بالبلاد الانجليزية .

وقد تولى إدارة المتاحف الوطنية الكبرى عدة سنوات وهو لم يتجاوز الثلاثين ، وبلغ هذه المنزلة الرفيعة فى عالم الفن ولما يتجاوز اليوم الثالثة والأربعين .

كتب هذا النقادة العالمى فى إحدى الصحف اللندنية بحثاً يدل عنوانه على فحواه وهو « أن الفن ليس لكل إنسان » .

ولا نطيل فى تلخيص آرائه لأننا قد نستغنى عن الإطالة فى تلخيصها بمثلين اثنين من أمثاله المتكررة فيهما الكفاية فيما أراد البيان عنه .

أحدهما أن المتحف الوطنى اشترى سنة ١٨٤٠ صورة لفان ايك بثلثمائة وثلاثين جنيها انجليزياً واشترى معها صورة لجيدو بألف وستمائة جنيه . . . والآن تقدر الأولى بثلثمائة ألف جنيه لو سمح ببيعها ، ولا تزيد قيمة الأخرى على الثلاثين .

أما المثل الثانى فهو نتيجة استفتاء لهواة الصور فى مجموعة من القطع الفنية الخالدة ومعها بعض القطع التى لا تعلو على طبقة الصور المعدة للاعلان وترويج البضائع .

بيع من هذه المجموعة ثمانون ألف نسخة ، وكان أربعة أخماس الصور المعروضة فيها من آيات الفن الكبرى ، وما بقى من المجموعة أخلاط وأوشاب .

والذين سئلوا عن رأيهم فى أبدع هذه الصور جميعاً هم بطبيعة الحال هواة الفن الذين يسهل على أحدهم بذل الثمن الغالى فى كتب التصوير .

ومع هذه أحصيت الأجوبة فإذا بالصور الست المفضلة كلها من غير الآيات الفنية الكبرى ، مع أنها تبلغ أربعة الأخماس من صور المجموعة وليست هى بالقلة التائهة بين زحام تضل فيه الأذواق والآراء .

ونعتقد أن المثلين يتكرران فى كل بيئة وفى كل فن من الفنون الجميلة ، وأن النتيجة لا تختلف عن هذه النتيجة كبير اختلاف .

وإنما يلفت النظر فى المثلين أن الغلطة فى المثل الأول غلطة نقاد مختصين بالتقويم والتقدير فى المتاحف العالمية المعدودة ، وأن الغلطة فى المثل الثانى غلطة جمهور غفير ولكنه هو جمهور الفن على كل حال .

فما الذى يفهم من هذين المثلين ؟

لا يفهم منهما أن ذوق الفن حظ شائع بين سواد الناس ، ولا أنه ذوق خاص بالعلية فى عصر واحد .

فكيف يقال إذاً إن « الفن عام » وإنه تراث عالمى أو تراث إنسانى يقاس بمقياس الإنسانية جماء ؟ .

إنما يقال هذا بمعنى واحد لا معنى سواه .

وهو أن الفن « عام » بمعنى أنه للخاصة فى جميع الأزمان وليس للخاصة فى زمن واحد أو بيئة واحدة .

فإذا كان كذلك كان « إنسانياً » وكان عاماً بهذا المعنى دون غيره ، لأن اتفاق الخاصة على استحسانه فى كل زمن هو الدليل على أنه قائم على المزايا الإنسانية التى تنال بالفطرة المهذبة ، ولا ترجع إلى الأسباب الموقوتة التى ترفع إلى منزلة الخاصة أحياناً فى بعض العصور من لا يستحقون التمييز والترجيح .

فإذا كان العمل الفنى يروق الخاصة فى بعض العصور ولا يروق الخواص فى العصور الأخرى فذلك هو الدليل القاطع على أنه لا يروقهم لمزية إنسانية باقية ، ولكنه يروقهم لسبب من سببين عارضين : أحدهما أن نزوة من النزوات التى تطغى على العقول والأذواق فى بعض الأحوال قد طغت على أولئك الخاصة فأضلتهم عن سواء السبيل ، والآخر أنها خاصة مزيفة قد صعدت إلى مكان العلية والسراة لعيب من عيوب المجتمع الذى برزت فيه .

فمن قال إن « الفن عام » لا يصح أن يعنى بكلامه هذا أنه خلق للعامة وكل من يعقل أو لا يعقل على السواء ، وإنما يستقيم كلامه على وجه واحد وهو أن الفن الرفيع إنسانى لأنه يعجب الممتازين من بنى الإنسان فى جميع العصور .

ونحن نقول العامة والخاصة فى مسائل الفن والأدب ، ونقصد بهما العامة والخاصة فى الأذواق والأخلاق والملكات ، ولا نقصد بهما عامة العرف الاجتماعى أو خاصة الأوضاع والتقاليد .

فالغنى قد يكون من أحقر العامة فى أذواقه وأخلاقه وملكاته ، والفقير قد يكون من أرفع الخاصة فى تلك المزايا الإنسانية العليا ، وقد يكون هو مبدع الآيات النوالى فى الأدب والتصوير والموسيقى والتمثيل كما حدث ويحدث إلى آخر الزمان .

بل نحن نرى أن العامية أوسع نطاقاً من فوارق الغنى والفقر والذكاء والغباء .

فقد يكون الرجل خاصة فى الهندسة وعامة فى الشعر والكتابة ، وقد يكون خاصة فى الأدب وعامة فى الموسيقى والتصوير ، وقد يكون خاصة فى فقه اللغة وعامة فى أذواق الفنون ، وقد يكون خاصة فى الخلق والإنتاج وعامة فى النقد والشرح والتفسير .

لأن الإنسان الذى يرتقى إلى مرتبة الخاصة فى جميع المحاسن الإنسانية غير موجود ولا يتأتى له وجود .

والمقصود على هذا بخواص الفنون والآداب هم أولئك الذين يحسنون فهمها ويملكون وسائلها وموازين الترجيح فيها .

وعلى هذا الاعتبار يصح أن يقال كما قال أناتول فرانس إن الجمال الفنى سهل وإنه على قدر سهولته يكون نصيبه من الجمال .

فأسهل الفنون هو أجمل الفنون .

ولكن ينبغى قبل ذلك أن نسأل : سهلٌ هو على أى الناس ؟

فلو كان المقصود أن يكون سهلاً على جميع الناس لخرج من الفنون العليا فن المتنبى وأبى العلاء وابن الرومى والبحترى وهومر وجيتى وشكسبير ، وارتقى إلى ذروة هذه الفنون كل نظام من سوقة الجماهير يطربهم بالأزجال والمواويل .

ولكن المقصود بالسهولة هم أولئك الذين استعدوا بفطرتهم وتهذيبهم لفهم الجمال الرفيع فى آيات مبدعيه والمعبرين عنه من الشعراء والأدباء والفنانين .

وعلى هذا المعنى أيضاً يقال إن « الفن عام » لأنه يعم كل من تهيأ له بفطرته وتهذيبه ، وكلاهما من صفات بنى الإنسان ، وليسا من الصفات المستعارة للآدميين من خارج الحياة الآدمية .

والأمر بعدُ أوضح من أن يحتاج إلى عناء فى إثباته وتمييز صوابه من خطئه .

لأن الحقيقة التى لا مراء فيها أن الأذكياء أكثر من الأغبياء ، وأن أصحاب الأذواق أكثر من المحرومين منها ، وأن دقائق البلاغة وأسرار الجمال أخفى من البلاغة الشائعة والجمال المبذول ، وأن الإنسان بالفطرة والتعليم معاً أرجح من الإنسان بالتعليم وحده أو بالفطرة وحدها .

ومع ثبوت هذه الحقيقة واستغنائها عن اللجاجة فى إقامة البرهان على صحتها لا تكون الدعوة إلى تجريد الفنون من الخاص والعام ، ومن الرفيع والوضيع ، إلا مسخاً للمزايا وهبوطاً للصاعدين وتسوية بين الذى هو أدنى والذى هو خير .

في إرشاد الأريب

إلى معرفة الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ١٦ —

ج ٢ ص ٢٢٧ : أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الخصيب كان بليغاً مترسلا شاعراً أديباً متقدماً فى صناعة البلاغة ، وكان بينه وبين ابن المعتز مراسلات وجوابات عجيبة . وهو القائل :

خير الكلام قليلٌ على كثير دليلُ
والعِيُّ معنى قصيرٌ يحويه لفظ طويل
وللبليغ فصولٌ وللعييِّ فضول

قلت :

خير الكلام قليلُ على كثير دليلُ
وللبليغ فصولُ وللعيي فضولُ

فالبيت الأول مقفى ، والبيت الثالث مصرع ، وليس البيتان بمصمتين[1] .

(١) التاج : واستدرك شيخنا البيت المصمت وهو الذى ليس بمقفى ولا مصرع بأن لا يتحد عروضه وضربه فى الزنة أى فى حرف الروى ولواحقه كما حققه العروضيون .

ج ١٨ ص ٢٣٨ : ابن التعاويذى :

وعلام أشكو والعهود نقضنها
بلحاظهن إذا لوين ديونى
هيهات ما للغيد فى حب امرىء
أرب وقد أربى على الخمسين
ومن البلية أن تكون مطالبى
جدوى بخيل أو وفاء خؤون
ليت الضنين على المحب بوصله
ألف السماحة عن صلاح الدين

قلت : (وعلام أشكو والدماء مطاحة بلحاظهن) كما رُوى فى (الوفيات) فى سيرة بطل المسلمين صلاح الدين . وقد يكون الأصل (والدماء مفاحة) وأفاح دمه هراقه كما فى (اللسان) .

وتخلص ابن التعاويذى هو من التخلصات المنكرة وإن لم يبلغ فى القبح ما بلغه قول شاعرنا المتنبي :

على الأمير يرى ذلى فيشفع لى
إلى التى تركتنى فى الهوى مثلا[1]

قال ابن الأثير — وقد روى البيت فى كتابه (المثل السائر) : والإضراب عن مثل هذا التخلص خير من ذكره ، وما ألقاه

(١) من روى فيشفع بالرفع عطفه على قوله يرى ومن نصبه جعله جواباً للتمنى كقراءة حفص عن عاصم «لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع» بالنصب (العكبرى) .

ولم نر قوياً وهب له الله الصحة يتمارض لأن فى الخلق مرضى وضعفاء .

ولم نر ذكياً رفيع الذهن يحرم على نفسه الارتفاع إلى ذراه لأن فى الخلق أغبياء لا يطاولونه إذا ارتفع ذلك الارتفاع .

ولم نر صحيحاً موفور الاشتهاء للمآكل يأكل أكل المعودين ، لأنّ المعودين لا يهضمون كل ما يهضم من الطعام .

فلماذا نحرم على النوابغ والموهوبين أن يفكروا فى شىء لا يقوى على التفكير فيه من حرموا النبوغ وهبات الخلق والابتكار ؟

ألأن الطعام أرفع وأكل من الذوق والفكر والشعور ؟ ألأن الارتفاع والامتياز حرام والشىء الوحيد المباح هو الانحدار والتساوى بين نزلاء الحضيض ؟

ليقل ذلك من ينفعه أن ينحدر الصاعدون ، وأن تخلو الدنيا من التفوق والرجحان .

وإذا قالوه فلا سبيل لهم إلى تحقيقه إلا بقوة الحيوان دون قوة الإنسان .

أما الإنسان فهو لا يقول هذا ولا يستريح إلى سماعه ، ولا يأبى أن يكون الفن عاماً لا يستأثر به أناس دون أناس بغير الحق والاستعداد ، ولكنه يأبى أن يعم ليسقط فيه الرفيع إلى منزلة الوضيع ، لأن زواله خير من بقائه على هذه الحال .

عباس محمود العقاد

فى هذه الهوة إلا أبو نؤاس فإنه قال :

سأشكو إلى الفضل بن يحيى بن خالد
هواكِ لعـل الفضـل يجمع بيننـا

وفى (معاهد التنصيص) هذا الخبر :

حدثت رابعة البرمكية قالت : كنت يوماً وأنا وصيفة على رأس مولاى الفضل بن يحيى بن خالد البرمكى وبيدى مذبة أذب بها عنه ، إذ استؤذن لمسلم بن الوليد الأنصارى، فأذن له ، فلما دخل عليه أعظمه وأكرمه واستنشده ، ثم خلع عليه وأجازه وانصرف، فما قلت إنه جاز الستر حتى استؤذن لأبى نؤاس ، فامتنع من الإذن له حتى سأله بعض من كان فى المجلس أن يأذن له ففعل على تكره منه ، فلما دخل سلم عليه ، فما علمت أنه رد عليه ولا أمره بالجلوس ولا رفع إليه رأسه ، فلما طال عليه الوقوف قال : معى أبيات أفأنشدها ؟ قال : افعل ، وهو فى غاية التكره والتثقل ، فأنشده إياها ، فلما بلغ إلى قوله (سأشكو البيت) قطب وجهه ، وقال : أمسك ، عليك لعنة الله ! اغرب ، قبحك الله ! وأمر بإخراجه محروماً فأخرج ، والتفت الفضل إلى أنس بن أبى شيخ وقال : ما رأيت مثل هـذا الرجل ولا أقل تمييزاً فى كلامه منه . فقال أنس : إن اسمه كبير !

فقال : عند من ويلك ؟ هل هو إلا عند سُقّاط مثله وخلق يشاكلونه . . . ؟

***

ج ١٨ ص ١٥٦ : وقد خدمت سيف الدولة — تجاوز الله عن فُرُطاته — وأنا ابن تسع عشرة سنة .

وجاء فى الشرح : الفرط : الظلم والاعتداء .

قلت : لا يقصد القائل — وهو الحاتمى اللغوى — بهذا الدعاء الظلم والاعتداء . فى الأساس : وتقول : اللهم اغفر فَرَطاتى ، ولا تؤاخذنى بسقطاتى . وفيه : ولا يخلو أحد من سقطة ، وفلان يتتبع السَّقَطات ويعد الفَرَطات ، والكامل من عدت سقطاته . وقد روى التاج هذا القول وقال : السقطة : العثرة والزلة .

***

ج ٦ ص ٢١٤ : قال (الصاحب بن عباد) : ما أفظعنى إلا شاب ورد علينا إلى أصبهان بغدادى ، فقصدنى فأذنت له ، وكان عليه مرقعة وفى رجليه نعل طاقٌ ، فنظرت إلى حاجبى ، فقال له وهو يصعد إلى : اخلع نعلك ، فقال : ولم ؟ ولعلى أحتاج إليها بعد ساعة ، فغلبنى الضحك ، وقلت : أتراه يريد أن يصفعنى ..؟

وجاء فى الشرح : يقال: أفظعه الأمر: اشتدت شناعته ، وجاوز قدره ، وأفظعه الأمر وجده فظيعاً . يقال : نعل طاق عطف بعضه على بعض ، وربما قيل طاق نعل ، من إضافة الصفة إلى الموصوف .

قلت : (ما أقطعنى) (وفى رجليه نعل مطرقة أو مطارقة) (أَتُراه يريد) .

فى التاج : ومن المجاز : قطع خصمه بالحجة . وفى الأساس : بالمحاجة غلبه وبكته كأقطعه .

وفى الأساس : ونعل مُطْرَقة ومطارقة : مخصوفة وكل خصفة طراق . وفى النهاية : طارق النعل إذا صيرها طاقاً فوق طاق وركب بعضها فوق بعض . وفى حديث عمر : فلبست خفين مطارقين أى مطبقين واحداً فوق الآخر . وروى بعضهم المطرّقة بتشديد الراء للتكثير ، والأول أشهر .

***

ج ١ ص ١٥٧ : الرجوع إلى الحق خير من التمادى على الباطل .

قلت : (خير من التمادى فى الباطل) فى الأساس : وتمادى فى الأمر : تمادّ فيه إلى الغاية . وفى اللسان : تمادى فلان فى غيه إذا لج فيه وأطال مدى غيه أى غايته . وفى (الكشاف) فى تفسير (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين)

فإن قلت : لم اختص بالذكر الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر ؟ قلت : اختصاصهما بالذكر كشف عن إفراطهم فى الخبث وتماديهم فى الدعارة لأن القوم كانوا يهوداً ، وإيمان اليهود بالله ليس بإيمان ، وكذلك إيمانهم باليوم الآخر لأنهم يعتقدونه على خلاف صفته ، فكان قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر خبثاً مضاعفاً ، وكفراً موجهاً [1] لأن قولهم هـذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق ،

(١) أى ذو وجهين كل كفر له وجه من قولهم كساء موجه : له وجهان (حاشية الجرجانى) .

وعقيدتهم عقيدتهم، فهو كفر لا إيمان ، فإذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين واستهزاء بهم ، وأروهم أنهم مثلهم فى الإيمان الحقيق كان خبثاً إلى خبث و كفراً إلى كفر .

***

ج ١٥ ص ١٩٦ : وكتب (على بن يوسف القِفطى يعرف بالقاضى الأكرم) إلى القاضى الفاضل رقعة وضمنها البيت المشهور :

نميل إلى جوانبه كأنا   إذا ملنا نميل على أبينا

قلت : الرواية (نميل على جوانبه) وبعده :

نقلبــه لنخبر حالتيه   فنخبر منهما كرماً ولينا

والبيتان لأبى الجهم العَدَوى يقولهما فى معاوية (رضى الله عنه). وقد رواهما ابن قتيبة فى (عيون الأخبار) فى (باب الحلم والغضب).

***

ج ١ ص ١٣٨ : تَنَسَّم أعلى السماء . قلت : تسنم أعلى السماء . فى التاج : تسنم الشىء تسنماوسنمه تسنيما علاه . وتنسم النسيم إذا تشممه كتنسم العليل والمحزون إياه فيجدان لذلك خفة وفرحاً .

***

ج ٦ ص ١٥ : ... قد والله زانيته دفعات .

وفى الشرح : فى الأصل زنيته فاصلحتها إلى زانيته بمعنى نسبته إلى الزنا ويقال أزناه نسبه إلى الزنا .

قلت : الأصل صحيح وياقوت هنا ينقل من الأغانى واللفظة فى كتاب أبى الفرج[١] هى كما جاءت فى (الإرشاد) فى الأصل . وفى (الأغانى)[٢] هذا الخبر :

المدائنى قال : قال عبدالله بن مِسْوَر الباهلى يوماً لأبى النضير وقد تحاورا فى شىء : يا ابن اللخناء ، أتكلمنى ولو اشتريت عبداً بمئتى درهم وأعتقته لكان خيراً منك ؟ فقال له أبو النضير : والله لو كنت ولد زنا لكنت خيرا من باهلة كلها . فغضب الباهلى ، فقال له بشار : أنت منذ ساعة تُزَنّى أمه ولا يغضب ، فلما كلك

(١) ج ٥ ص ٢٩٨ .

(٢) ج ٣ ص ٢١٢ .

كلمة واحدة لحقك هذا كله . فقال له : وأمه مثل أمى يا أبا مُعاذ ؟ فضحك ثم قال : والله لو كانت أمك أم الكتاب ما كان بينكما من المصارمة هذا كله .

وقد أورد اللفظة كما قُصد هنا الصحاح والأساس واللسان والتاج . وفى كتاب سيبويه ج ٢ ص ٢٣٥ : فأما خطّأته فإنما أردت سميتُه مخطئاً كما أنك حيث قلت فسّقته وزنيته أى سميته بالزنا والفسق كما تقول : حييتُه أى استقبلته بحياك الله .

***

ج ١٤ ص ١٠٧ : فدخلت عليه وهو جالس على كرسى ملوكى وعليه بغدادية مشهورة وعلى رأسه بَطيخية .

وجاء فى الشرح . يريد ثيابا بغدادية ، والبطيخية قلنسوة على شكل البطيخة .

قلت : (بِطيخية) فى المصباح : قال ابن السكيت فى باب ما هو مكسور الأول . وتقول هو البطيخ ، والعامة تفتح الأول ، وهو غلط لفقد فعّيل بالفتح .

***

ج ١٣ ص ٣٦ : وله (لعلى بن حسن الباخرزى) :

يروقك بشرا وهو جذلان مثلما   تخاف شباه وهو غضبان محنق

كذا السيف فى أطرافه الموت كامن   وفى متنه ضـوء يروق ورونق

قلت : (وهو غضبان محنَق) فى الأساس : مالك مغيظا محنَقاً . وفى السيرة لابن هشام وديوان الحماسة :

هل يسمعن النضر إن ناديته   أم كيف يسمع ميت لا ينطق

أمحمدٌ ولأنت ضنء نجيبة   فى قومها والفحل فحل معرِق[١]

ما كان ضرك لو مننت وربما   من الفتى وهو المغيظ المحنَق

فالنضر أقرب من أسرت قرابة   وأحقهم إن كان عتق يعتق

ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه   لله أرحام هنـاك تُشقق !

(١) نون الاسم المعظم (محمد) ضرورة . فى كتاب سيبويه : فلما لحقه التنوين اضطراراً (سلام الله يا مطر عليها) لم يغير رفعه كما لم يغير رفع ما لا ينصرف إذا كان فى موضع رفع ... وكان عيسى بن عمر يقول يامطراً يشبهه بقوله يارجلا يجعله إذا نون وطال كالنكرة . ولم نسمع عربياً يقوله وله وجه من القياس . جـ ١ ص ٣١٣ .

وهذه الأبيات من مقطوعة مصنوعة أوردها محمد بن إسحاق فى (السيرة) وقال : « وقالت قُتَيْلة بنت الحارث أخت النضر ابن الحارث تبكيه » وقد استجادها حبيب — وإنها والله لجيدة — فاختارها فى (حماسته) .

وابن إسحق هذا هو الذى يقول فيه ابن معين — كما جاء فى ميزان الاعتدال فى نقد الرجال — : « ما لابن إسحق عندى ذنب إلا ما قد حشا فى السيرة من الأشياء المنكرة والأشعار المكذوبة » وجاء فى الميزان : « قال أبو بكر بن الخطيب : روى أن ابن إسحق كان يدفع إلى شعراء وقته أخبار المغازى ويسألهم أن يقولوا فيها الأشعار ليلحقها بها » وقد ندد محمد بن سلاّم الجمحى فى (طبقات الشعراء) بابن إسحق ونقل طعنه فيه السيوطى فى (المزهر) .

والنضر بن الحارث أسر فى بدر وقتله على بن أبى طالب (رضى الله عنه) صَبراً[1] عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالصفراء وقيل بالأُثَيل . « وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش وممن كان يؤذى رسول الله وينصب له العداوة ، وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس وأحاديث رستم واسفنديار ، فكان إذا جلس رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مجلساً فذكر فيه بالله وحذّر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله خلفه فى مجلسه إذا قام ، ثم قال : أنا (والله) يا معشر قريش أحسن حديثاً منه ، فهلم إلى ، فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار » .

قال ابن هشام راوى خبر النضر :

« فيقال (والله اعلم) إن رسول (صلى الله عليه وسلم) لما بلغه هذا الشعر قال : لو بلغنى هذا قبل قتله لمننت عليه » .

قلت : إن الذى قيل هو من الأباطيل ، فما عملت قتيلة فى أخيها شعرا ، ولم يقل النبى ما عزى إليه ، وما كان النضر المحتشد المجتهد فى هدم ذلك البناء الإسلامى الإنسانى العربى حقيقاً بأن يمن ذلك البانى عليه .

---

(١) الصحاح : قتل فلان صبراً وحلف صبراً إذا حبس على القتل حتى يقتل أو على اليمين حتى يحلف . وفى اللسان : قيل للرجل يقدم فيضرب عنقه قتل صبراً يعنى أنه أمسك على الموت . وكل من قتل فى غير معركة ولا حرب ولا خطأ فإنه مقتول صبراً .

من خواطر جحا :

الغراب الطائر . . . !

للأستاذ كامل كيلانى

[مهداة إلى نقلة الشوائع والأخبار الذين عناهم الشاعر بقوله] :

« هم نقلوا عنى الذى لم أفه به
وما آفة الأخبار إلا رواتها »

يسرنا أن ننقل إلى القراء القصة البارعة التالية من القدمة الشائقة التى صدر بها « عبد الله جحا » خواطره وقصصه نقلا عن المخطوط الجحوى النفيس الذى عثرت عليه ، ولعله مكتوب بخط صاحبه أو أحد معاصريه .

قال «أبو الغصن عبد الله دجين بن ثابت» الملقب بجحا : « سمعت ذات يوم أن رجلا — فى أقصى المدينة — تقايأ غراباً ، ثم لم يلبث الغراب أن طار ، وغاب عن الأنظار . فسألت مخبرى عمن أخبره بهذا ؟ فقال : « فلان » ، فرحت إلى « فلان » أسأله جلية الخبر ، فقال : « لقد رويت لصاحبى هذا الخبر ، ولكننى لم أقل إن الغراب طار ، بل قلت إنه سارَ (أى مشى) ، فسألته عمن أخبره بذلك ؛ فقال : « فلان » ، فلما سألت فلاناً أخبرنى أن الغراب لم يسر ولم يطر ، ولكنه وقف ساكناً ، ثم مات بعد قليل . وسألته عمن أخبره بذلك فسماه لى ، ومازلت أتقصى الخبر من رواته — واحداً بعد الآخر — : هذا يخبرنى أنه سمع أنه لم يتقايأ غراباً ، بل طائراً يشبه الغراب . وما زال الخبر يتناقص كلما تتبعته وقربت من مصدره ، حتى لقيت صاحب القصة نفسه ، فلما أفضيت إليه بما سمعته ، وسألته عن جلية الأمر ، ضحك متعجباً من تحريف الأخبار ثم قال : « لقد تقايأت — منذ أيام — فقال أحد الحاضرين مداعباً : إن قيئك يشبه لون الغراب . ومازال الخبر ينتقل من واحد إلى آخر حتى زعم الزاعمون أننى تقايأت — كما سمعت — غراباً ، ثم لم يلبث الغراب أن طار ، وغاب عن الأبصار » ...

(وفق الأصل)

كامل كيلانى

التصوير الفني والعقيدة

فى القرآن

للأستاذ سيد قطب

طال الجدل بين الأستاذ عبد المنعم خلاف وبينى حول هاتين النقطتين منذ أصدرت كتابى « التصوير الفنى فى القرآن » ولم يكن بد من أن يطول ، فالموضوع فى ذاته خصب يحتمل الجدل الطويل ، والأمر بينى وبين الصديق فى هذا الجدل ليس فكرة عارضة ولا خاطرة سريعة ، إنما هما نظرتان مختلفتان للعقيدة بل للحياة . فما سجلته فى كتابى وما ناقشت به الأستاذ عبد المنعم هو خلاصة عقيدتى ورأيى وفلسفتى الخاصة المبنية على كل تجاربى النفسية والذهنية فى رحلتى على هذه الأرض . وما كتبه فى مناقشتى هو امتداد لآرائه فى كل ما قرأت له ، وبخاصة فى كتابه القيم « أومن بالإنسان » ، ذلك الكتاب الذى أقعدنى المرض أربعة أشهر عن أن أفرغ له بما يستحق من النقد والتنويه

* * *

وقد تشعب الجدل بنا فى تفصيلات وجزئيات لا مجال لإعادة الحديث فيها بعد هذا الأمد الطويل ، فأحب أن أرد المسألة إلى أصلها الواحد الكبير لتكون لدى القراء منها صورة كلية يشارك فى دراستها من يشاء

المسألة فى صميمها تتلخص فى كلمات :

أمن الممكن أن نعهد إلى الذهن وحده بأمر العقيدة ، وأن نقيم هذا البناء الضخم فى الضمير الإنسانى على أساس القوة الذهنية ومنطقها المعهود ؟

أما أنا فلا أتردد فى الإجابة بالنفى على هذا السؤال ، فأنا لا أثق بالذهن كل هذه الثقة ، ولا أعتقد أنه ينهض وحده لحمل هذه الأمانة ؛ وإنما قصاراه فى هذا المجال أن يكون منفذاً واحداً من منافذ العقيدة إلى النفس الإنسانية — وليس هو مع ذلك أقرب المنافذ ولا أصدقها — وإنه لن يصل إلى شىء يذكر إلا بوحى من البداهة وهدى من البصيرة ، البداهة التى تدرك الحقائق الخالدة فى هذا الكون منذ النظرة الأولى وبلا فلسفة ذهنية ولا قضايا منطقية ، والبصيرة التى تتصل مباشرة بالله فتدرك وجوده إدراكا كلياً قد يعجز الذهن عنه لو تركنا له وحده المجال . ومن هنا كان « المنطق الوجدانى » الذى يعتمد على هذه الحقائق الخالدة ، وعلى إدراك البصيرة لها وإقرار البداهة بها ، هو الطريق الذى سلكه القرآن فى تقرير العقيدة الإسلامية ، لأنها « عقيدة » ، وكل عقيدة مقرها الضمير الإنسانى الكبير لا الذهن البشرى المحدود الصغير

وأما الأستاذ عبد المنعم ، فيبدو أن ثقته بالذهن كبيرة إلى حد أن يعهد إليه بالأمر كله ، ويأتمنه عليه فى النهاية !

على أنه كان يكون هناك محل للجدل ، لو أننى أخرجت الذهن كلية من المجال ، ولكننى لم أرد هذا ، وليس فى كتابى ما يدل على أننى أردته ، وقد نقلت منه فى كلماتى الماضية نصوصاً كثيرة ، ثم لقد قرأه الكثيرون أيضاً ، ولست أعتقد أن أحداً من القراء قد فهم أننى أطرد الذهن من الحلبة ؛ إنما أنا أضع الذهن فى مكانه المناسب ، فلا أغفله إغفالا فى مجال العقيدة ، ولكننى كذلك لا أتجاوز به هذا المكان المحدود

وأحب أن أصحح هنا وهماً صححته من قبل فى الكتاب فى هذه الفقرات :

« كانت وظيفة القرآن إذن أن ينشئ هذه العقيدة الخالصة المجردة — عقيدة التوحيد — وموطن العقيدة الخالد هو الضمير والوجدان — موطن كل عقيدة لا العقيدة الدينية وحدها — وأقرب الطرق إلى الضمير هو البداهة ، وأقرب الطرق إلى الوجدان هو الحس . وما الذهن فى هذا المجال إلا منفذ واحد من منافذ كثيرة ، وليس هو على أية حال أوسع المنافذ ولا أصدقها ولا أقربها طريقاً .

« وبعض الناس يكبرون من قيمة هذا الذهن فى هذه الأيام بعد ما فتن الناس بآثار الذهن فى المخترعات والمصنوعات والكشوف وبعض البسطاء من أهل الدين تبهره هذه الفتنة فيؤمن بها ، ويحاول أن يدعم الدين بتطبيق نظرياته على قواعد المنطق الذهنى أو التجريب العلمى !

« إن هؤلاء — فى اعتقادى — يرفعون الذهن إلى آفاق

فوق آفاقه . فالذهن الإنسانى خليق بأن يدع المجهول حصته ، وأن يحسب له حسابه . لا يدعو إلى هذا مجرد القداسة الدينية . ولكن يدعو إليه اتساع الآفاق النفسية ، وتفتح منافذ المعرفة . « فالمعقول » فى عالم الذهن ، و « المحسوس » فى تجارب العلم ، ليس كل « المعروف » فى عالم النفس . وما الفكر الإنسانى — لا الذهن وحده — إلا كوة واحدة من كوى النفس الكثيرة . ولن يغلق إنسان على نفسه هذه المنافذ ، إلا وفى نفسه ضيق ، وفى قواه انحسار ، لا يصلح بهما للحكم فى هذه الشئون الكبار » .

والأمر الذى أريد أن أقرره ، وأصحح به وهماً قد يرد على بعض الأذهان : هو أن العقيدة أكبر من الذهن ، فلا يعيبها ألا تعتمد على الذهن وحده ، وأن يكون لها منافذ إلى الضمير الإنسانى غير هذا الذهن المحدود .

ولم يفتنى أن أشير إلى هذا فى ختام الفصل الذى عقدته فى الكتاب تحت عنوان « المنطق الوجدانى » فقد جاء فيه :

« لم يكن المنطق الذهنى ليصل إلى شىء لو اتبعه القرآن ؛ لا لأن ما فيه من حقائق لا يثبت لهذا المنطق ؛ ولكن لأن العقيدة لا ينشئها هذا الجدل . إنها دائماً فى أفق أعلى من هذه الآفاق . وما يعيب العقيدة أن يكون عمل الذهن فيها ضئيلا . فما الذهن إلا قوة صغيرة محدودة ، تتعلق باليوميات ، وما هو بسبب من اليوميات »

والذى أعتقده أن « المجهول » قسط أساسى من بناء كل عقيدة — ومن عقيدة الإسلام بالطبيعة — وحين تخلو العقيدة من روعة المجهول تستحيل رأياً ، ولا تملأ جوانب النفس الإنسانية جميعاً .

وما دامت للمجهول حصته فى العقيدة ، فهناك مجال لغير الذهن بكل توكيد . والعقيدة — أية عقيدة — كلٌّ لا يتجزأ فى داخل النفس ، وإن تجزأت قضاياها وتعددت أمام الذهن . والشك فى قضية منها معناه تخلخل جميع قضاياها

ويجهد الذهن ما يجهد فى فلسفة العقيدة فيكون له هذا ، ولكن بعد أن تكون العقيدة قد استقرت فى الضمير ، وسلكت إليه طرائق شتى ليس الذهن إلا واحداً منها ، لم يكن ذا أثر حاسم ولا أثر ظاهر فى عملية البناء .

وإنه لحسب الذهن أن تكون وظيفته هى تفسير هذه العقيدة بعد بنائها . تفسير ما يستطيع تفسيره منها ، أما ما لم يستطع ، فليقف على أبوابه هناك ، فقد استلهمته النفس من منافذها الأخرى التى لا شك فيها

أما الاستدلال بالآيات التى استدل بها الأستاذ على أن الذهن هو محور الإثبات فيها ، فلا أزال فيه عند رأيى الذى أبديته : وهو أن القرآن كان أعرف بالنفس الإنسانية من الأستاذ عبد المنعم فلم يسق الآيات سياقته لها ، بل تركها فى إجمالها الذى يخاطب قوى النفس جميعاً ، ولا ينفرد بالذهن المحدود فى نقاش جدلى قابل للردود الجدلية على طريقة الذهن المعهودة ...

على أن هناك واقعة تاريخية لا سبيل إلى الجدال فيها : هى أولئك الذين آمنوا ، أو كثرتهم التى لا يتخلف عنها إلا أفراد . وهؤلاء لم ينتظروا من يفلسف لهم الأدلة ، حتى يؤمنوا بالمنطق الذهنى ؛ إنما هم استراحوا إلى نصوع هذه العقيدة ونفاذها إلى نفوسهم من شتى منافذها ، فآمنوا مطمئنين !

* * *

أما القضية الأخرى التى يجادلنى فيها الأستاذ ، فهى قضية التصوير الفنى فى القرآن ... وهى أيسر وأوضح من القضية الأولى

فأما أنا ، فرأيى أن إدراك التصوير القرآنى فى هذا المستوى المعجز إدراك لسر الإعجاز فى تعبير القرآن .

وأما هو ، فيرى ألا أذكر كلمة الإعجاز هذه ، لأن هذا السر يجب أن يبقى مجهولا أبداً حتى يتحقق له وصف « الإعجاز »

ولقد قلت من قبل ، وأكرر اليوم : إنه ليس من الحتم أن يكون الأمر المعجز هو المجهول السر ، فيكفى ألا يستطيعه أحد مع التحدى . ولم يستطع أحد أن يرقى إلى مستوى التناسق الفنى فى هذا التصوير ؛ فإدراكه إدراك لسر الإعجاز — على الأقل فى هذا الأوان ، وليس ما يمنع من ظهور أسرار أخرى غير ما ظهر منها حتى الآن —

على أننى كنت دقيقاً فى التعبير ، فلم أقل سر الإعجاز فى

من التاريخ الإسلامى :

رجــــل وامرأة ...

للأستاذ على الطنطاوى

[يقولون : إن التاريخ يعيد نفسه
وربما كان صحيحاً هذا الذى يقولون]
« ع »

كان ذلك فى يوم من أيام سنة ٦٠٧ هـ وكانت دمشق تصارع دهرها المناشم الحرون ، الذى رمى بلاد الشام بقاصمة الأصلاب : الصليبيين ، فنزلوا على مدنه نزول البلاء ، وفشت أجنادهم فى نابلس وعكا وبلاد أخر فشوّ الطاعون ، وكان صبرها يزيد كلما زاد الكرب ، وحزمها ينمو كلما نمت المصيبة ، شأن دمشق فى كل عصر . وكأن طوفان المغيرين يمتد ويتسع ، يحمل الموت والدمار ، يأتى على البلاد والعباد ، يجتث الحضارة من أصولها ، وأهل الشام ينهضون له فلا يملكون له دفعاً ، حتى كادت الديار تخلو من شبابها ، ولا يبقى فيها إلا شيخ أو امرأة أو صبى ... أو قـعدى نسى واجب الجهاد !

... وقد ذهب فيمن ذهب إخوة (ميسون) الأربعة ، وبقيت من بعدهم وحيدة فى دارها لا يؤنسها إلا شبابها وجمالها وذكرى إخوتها ...

***

أصبحت ميسون مهمومة ، قد تقاسم فكرها العزيزان : وطنها وإخوتها ، فما تدرى ماذا جرى لهم ، وماذا يجرى عليه ، ولقف سمعُها طرفاً من أحاديث المارة ، فعلمت أنه قد اشتد الخطر ، ودنا الهلاك ، وأن هؤلاء (الواغلين ...) لا يفتأون يركبون جناح الليل الأسود ، إلى شاطىء فلسطين ، تحملهم المواخر الهاربة من عين الرقيب ، المتسللة من وراء الحرس ، فكلما دجا الظلام نزلوا إلى الشطّ أفواجاً فكانوا للغاصبين عوناً ، وعلى أهل البلاد حرباً ، وجعلت تفكر فى هـذه العصبة المجاهدة الكريمة ، ماذا تستطيع أن تصنع لها ؟ وكيف توقد النار فى أعصاب هؤلاء الذين لا يزالون يروحون ويغدون على متاجرهم وأعمالهم ، ويأخذون حظوظهم من مفاتن الطبيعة وجمال الكون ، وتنسيهم ملذاتُ

« القرآن » إنما قلت : سر الإعجاز فى « تعبير » القرآن . وفرق كبير مابين العبارتين . فالإعجاز فى القرآن شائع ، وشامل لتعبيره ومنحاه وقضاياه ... الخ

غير أن العجيب فى الأمر أن الأستاذ عبد المنعم الذى يريد أن يعهد إلى الذهن البشرى بقضية العقيدة كلها ، لا يأتمن هذا الذهن على إدراك سر من أسرار الإعجاز فى تعبير القرآن !

***

وكلمة أخرى تتصل بالجدل وإن تكن ليست منه :

لقد شكا الأستاذ عبد المنعم من عبارات جاءت من غير قصد فى ردودى ، فأحب ألا يكون فى نفسه منها أثر ، ليظل هذا الجدل العلمى المفيد بعيداً عن جميع المؤثرات

وبدورى أشكو إليـه كلمة ظالمة قالها عن كتابى ، تاركا ما عداها مما لو رحت أعده عليه ، لأربى على مواضع عتبه :

هذه الـكلمة الظالمة هى أن يقرن بين بعض عملى فى « التصوير الفنى فى القرآن » ، وبعض عمل المرحوم الأستاذ « الرافعى » فى « إعجاز القرآن » ، وإنه ليعلم ، وقراء الـكتابين يعلمون أنه ما من نقطة ارتكاز واحدة بين النهجين والطريقتين . بل لقد قرر بعض النقاد المنصفين أن طريقتى فى عرض الجمال الفنى فى القرآن غير مسبوقة فى كل ما كتب عن هذا الموضوع الخالد على الزمان

وكل ناقد منصف عليه أن يسجل أولا هذه الحقيقة . ثم ليكن له رأيه فى نقد هذه الطريقة وعيبها كما يريد ؛ فهى قابلة للنقد والعيب كـكل عمل إنسانى فى الوجود .

وعلى أية حال فللأستاذ عبد المنعم شكرى الخالص ، وإليه ثنائى الجم الذى أحسب القراء يشاركوننى فيه ، لإخلاصه فيما كتب وسلوكه طريق النقد الصحيح .

سيد قطب

أجسامهم ومرابعُ تجاراتهم ، هذا الخطر الذى عم البلاد ، والذى طال الزمان به ، ونشأوا عليه ، فألفوه ونسوا أيام الحرية والمجد ، وأن هذه البلاد بلادهم ، وأنهم سلائل الأبطال الفاتحين ، وحسبوا حكم هؤلاء (الواغلين ...) ضربة لازب ، وأن قضاء الله قد تم فيهم فلا ينفع معه سعى ، وأن أيام السعادة قد انتهت فلا تؤمل لها رجعة ، كيف لها وهى الفتاة المفردة بإيقاظ هذه النفوس التى امتد بها الهجوع حتى كاد يكون موتاً ؟ كيف تفهم هذه الشخوص التى تجىء وتذهب كشخوص من ورق فى ألعوبة (الكراكوز) ، أن الحياة ليست بطناً يملأ ، ولا شهوة تقضى ، ولا مالاً ينال ، ولكن الحياة المجد والتقى ، وجلائل الأعمال ، وأن يعرفوا للوطن حقه ، وأن يعلموا ، ويعلم كل عربى ، وكل مسلم ، أنه ما دام فى فلسطين (واغل ...) واحد من هؤلاء ، فحرام أن ينعم زوج بأهله ، أو غنى بماله ، أو يغلق جفن على لذيذ المنام ؟

وإنها لفى تفكيرها ، وإذا بالباب يخفق ، وإذا هو نعى إخوتها الأربعة ...

* * *

صعقت ميسون لهذا النبأ ، وعجز جسمها اللدن ، وقلبها الرقيق عن حمله ، فتضعضعت وانهارت ، ولكن الإيمان والشباب تنبها فى نفسها ، ونهضا من تحت أنقاض الصبر ، وخلال غبار المصيبة ، يوقظان اللبؤة للانتقام . لقد كان وِتراً واحداً فصارا وترين ، وكانت تطلب ثأر وطنها فلتطلب ثأر وطنها وإخوتها ، ووضعا البارود فى أعصابها كما يوضع فى المدافع ، ثم أرسلاها فى هذا الشعب الهاجع ، تقرع أذنه بالرعود فيفيق أو ينام إلى الأبد ...

وأحست ميسون أن فى عضلاتها القوة التى تهز دمشق هزاً ، وفى حنجرتها الصوت الذى يسمع الأموات ، وفى قلبها العزم الذى لا يكلّ ، والمدد الذى لا ينقطع ، والأيد الذى يفل الجيوش ، ويدك الحصون ؛ وكذلك الإيمان إن نزل بقلب امرأة جعل منها بطلا لا يغلب ، وما أعجب ما يصنع الإيمان !

* * *

وهمت ميسون أن ترتدى ثيابها ثم تطلب ميدان العمل ، وتلفتت حولها فلم تجد لها فى الأرض قريباً ، ولا ذا رحم ، فقطعت أسبابها من الأرض ثم وصلتها بالسماء ، فشعرت كأنها مؤيدة بقوة إلهية ، اصطفتها من دون الناس ، لتعلم ، وهى الفتاة الغريضة الناعمة ، لتعلم هؤلاء الرجال ، الرجولة كيف تكون !

ولم تعلم من أين تبدأ العمل ، وجعلت تفكر ، وهى تمرّ يدها على شعرها المنسدل حولها ، المتموج كالحرير يفتن العبّاد لو أرادت به الفتنة ويأسر قلوب الفرسان ، فسطعت لها الفكرة كما يسطع البرق خلال الظلام ، إن هذا هو سلاحها ، لتشدّن الرجال بهذا الشعر الناعم ، ثم لتقودنهم من أعناقهم إلى المعمعة الحمراء ، لتجعلن من ضعفه قوى تأكل القوى .

وذهبت فنادت جارات لها كن يقتدين بها ، ويسمعن منها ، فذكرت لهن مصابها فى إخوتها ، فحسبنها قد دعتهنّ ليواسينها ويخففن عنها ، ولكنها مضت فى حديثها مُصْعِدَةً ، حتى سمت إلى فلك التضحية ونسيان النفس ورفعتهن معها ، حتى إذا استوثقت منهن ، قالت : إننا لم نخلق رجالا نحمل السيوف ، ونقود الخميس ، ولكنا إذا جبن الرجال لم نعجز عن عمل ، وهذا شعرى أثمن ما أملك أنزل عنه ، أجعله قيداً لفرس تقاتل فى سبيل الله ، لعلىّ أحرك هؤلاء الأموات .

وأخذت المقص فجزت شعرها وصنع الفتيات صنعها ، ثم جلسن يضفرنه ليوم الكريهة ، لجماً وقيوداً لخيل المعركة العابسة ، لا يضفرنه ليوم الزفاف ، ولا لليلة العرس .

* * *

أرسلن هذه القيود واللجم ، إلى خطيب (الجامع الأموى) سبط ابن الجوزى العظيم ، فحمله إلى الجامع يوم الجمعة وقعد فى المقصورة وقد زلزلته الحماسة فما يستقر ، ونفد منه الصبر فما يدرى أيان يصعد المنبر ، فما آن الأوان حتى أسرع بالصعود وجلس وهذه اللجم وهذه القيود بين يديه ، والدمع يترقرق فى عينيه ، ووجهه ممتقع شاحب ، والناس يلحظون ذلك كله ، وينظر بعضهم فى وجوه بعض ، فلما انتهى الأذان قام فتكلم .

خطب خطبة حروفها من نار تلذع أكباد من يسمعها ، وكأنها سحر لم يدرِ هو مأتاه لأن قلبه كان يتلقاه من عالم مجهول ، فيقذف به على لسانه ، ولم يستطع أحد أن يرويها لأنها خطاب من الروح إلى الروح ، قد ذابت كلمتها فى معانيها ، ثم استحالت

معانيها إلى إيمان وتضحية وبذل ، فكانت إحدى هذه المعجزات البلاغية التي يهدر بها كل عصر مرة ، لسان محدَّث ، أو يمشي بها قلم مُلْهَم ، كرامةً من الكرامات ، وواحدةً من خوارق العادات ، يجعل الله بها الكلمات أحياء عظيمة لها روح يجذب الأرواح ، ويد تشدّ الأعصاب ، وعيون تبصّر العيون ... وإنما حفظوا منها جملاً ، نقلوها إلى لسان الأرض ، فجاءت كتمثال الحسناء ، جميل ولكنه من الشمع ... وكان مما حفظوا :

* * *

«يا من أمرهم دينهم بالجهاد حتى يفتحوا العالم ، ويهدوا البشر إلى دينهم ، فقعدوا حتى فتح العدو بلادهم وفتنهم عن دينهم ! يا من حكم أجدادهم بالحق أقطار الأرض ، وحُكِموا هم بالباطل في ديارهم وأوطانهم !

يا من باع أجدادهم نفوسهم من الله بأن لهم الجنة ، وباعوا هم الجنة بأطماع نفوس صغيرة ، ولذائذ حياة ذليلة !

يا أيها الناس :

ما لكم نسيتم دينكم ، وتركتم عزّتكم ، وقعدتم عن نصر الله فلم ينصركم ، وحسبتم أن العزة للمشرك وقد جعل الله العزة لله ولرسوله وللمؤمنين يا ويحكم أما يؤلمكم ويشجى نفوسكم ؟ مرأى عدوّ الله وعدوكم ، يخطر على أرضكم التي سقاها بالدّماء آباؤكم ، يذلكم ويتعبدكم وأنتم كنتم سادة الدنيا ؟

أما يهز قلوبكم ، ويُنْمي حماستكم ، أن إخواناً لكم قد أحاط بهم العدو ، وسامهم ألوان الخسف ؟! أما في البلد عربي ؟ أما في البلد مسلم ؟ أما في البلد إنسان ؟ العربي ينصر العربي ! والمسلم يعين المسلم ! والإنسان يرحم الإنسان ! فمن لم يهب لنصرة فلسطين ، لا يكون عربياً ولا مسلماً ولا إنساناً !

* * *

أفتأكلون وتشربون وتنعمون وإخوانكم هناك يتسربلون باللهب ، ويخوضون النار ، وينامون على الجمر ؟

يا أيها الناس ، إنها قد دارت رحى الحرب ، ونادى منادى الجهاد ، وتفتحت أبواب السماء ، فإن لم تكونوا من فرسان الحرب ، فافسحوا الطريق للنساء يدرن رحاها ، واذهبوا فخذوا المجامر والمكاحل ! يا نساء بعمائم ولحى ! أو لا ... فإلى الخيول . وها كم لجمها وقيودها ...

يا ناس . أتدرون مم صنعت هذه اللجم والقيود ؟

لقد صنعها النساء من شعورهن لأنهن لا يملكن شيئاً غيرها ، يساعدن به فلسطين ...

هذه والله ضفائر المخدرات التي لم تكن تبصرها عين الشمس صيانةً وحفظاً ، قطعنها لأن تاريخ الحب قد انتهى وابتدأ تاريخ الحرب المقدسة ، الحرب في سبيل الله ، وفي سبيل الأرض والعرض ، فإذا لم تقدروا على الخيل تقيدونها بها فخذوها فاجعلوها ذوائب لكم وضفائر ... إنها من شعور النساء ، ألم يبق في نفوسكم شعور !

وألقاها من فوق المنبر على رؤوس الناس ، وصرخ :

« تصدعي يا قبة النسر ، وميدى يا عَمَد المسجد ، وانقضّي يا رجوم ، لقد أضاع الرجال رجولتهم ... »

فصاح الناس صيحة ما سمع مثلها ، ووثبوا يطلبون الموت !

* * *

بلغت الحياة هذه القلوب فعاشت بحمية الإيمان ، وحماسة الشرف ، وعاش فيها إرث الجدود ، فهبت دمشق ، يستبق رجالها في طريق الجهاد ، وتوالت الأمداد على الملك المعظم في نابلس ، ونابلس دائماً مطلع شمس النصر ، ونابلس دمشق فلسطين ، وكانت هجمة الأسود على الأعداء (الواغلين ...) فطردوهم حتى التجأوا إلى عكا ، فحاصروهم فيها حتى أشرفوا على الهلاك ، فاستسلموا ...

وكذلك جاء النصر على يدى رجل وامرأة ، أما الرجل فقد أكرمه الله فجعله أحد العظماء الخالدين ، وأما المرأة فقد كافأها فردّ عليها إخوتها الأربعة سالمين مظفرين ، لم يصبهم سوء ...

وعلمت الدنيا أن أتباع محمد ، لايذلون ولايستعبدون ، ما بقى فيهم رجل واحد ، أو امرأة مفردة ، طوت صدرها على إيمان صحيح ، وأنهم قد ينامون ولكنهم لايموتون ، وأن (الواغلين ...) عليهم ، في فلسطين وغير فلسطين قد يقيمون حيناً ولكنهم لا يستقرون ولا يملكون !

علي الطنطاوي

من محاسن التشريع الاسلامي

المساواة فى التكاليف والأحكام

للأستاذ حسن أحمد الخطيب

— ٣ —

أحكام الشريعة الإسلامية ، وتكاليفها مبنية على مبدإ المساواة ، كلّف بها الأفراد والجماعات بلا تمييز : فأحكامه ، وعقوباته ، وحدوده لا يستثنى منها غنى واسع الثراء ، ولا أمير عريض الجاه ، ولا خليفة تدين له الخلائق بالطاعة والامتثال ، فالمسلمون كلهم متساوون فى الحقوق والواجبات ، وفى التكليف والأحكام والقوانين ، لا فرق بين عربى وعجمى ، ولا بين أبيض وأسود ، ولا بين حاكم ومحكوم ، تقرر هذا المبدأ من يوم أن بزغت شمس الإسلام ، وسطع النور المحمدى ، منذ نيف وثلاثة عشر قرناً ونصف

وهنا تغلبنا الدلائل والشواهد كثرة ، ولذلك سنجتزئ بذكر بعضها فنقول :

١ — من أصول التشريع الإسلامى — وهو من مميزاته كذلك — اعتبار النصوص الشرعية موجهة إلى الأمة كلها ، ما لم يدل دليل على الخصوصية ، ومن قواعد أصول الفقه عدم الخصوصية فى الأحكام التكليفية .

٢ — صاحب الشريعة صلوات الله وسلامه عليه وضع هذا الأصل ، وأقره عملا وقولا ، ودعا أمته إلى الأخذ به وعدم التهاون فيه ، فقد روى أنه عليه الصلاة والسلام دعا الأعرابى الذى خدشه غير متعمد ، فقال له : اقتص منى ، فقال الأعرابى : قد أحللتك بأبى أنت وأمى ، ما كنت لأفعل ذلك أبداً ، ولو أتيت على نفسى ، فدعا له بخير .

وفى خطبته فى حجة الوداع عرض لبعض ما كان يقترف فى الجاهلية ، فحكم بأنه موضوع بالنسبة لجميع المسلمين ، وخص بالذكر ذوى القربى لإدخالهم فى الحكم الذى يؤخذ به الجميع ، حتى لا يتوهم متوهم أن لهم مزية على من سواهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : « وإن ربا الجاهلية موضوع[1] ، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب ، وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب » ، وخرج مرة فى مرض موته ، فكان مما كلم به الناس قوله : «أيها الناس ، من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهرى فليستقد منى ، ومن كنت شتمت له عرضاً ، فهذا عرضى فليستقد منه ، ومن أخذت له مالا ، فهذا مالى فليأخذ منه ، ولا يخش الشحناء ، فهى ليست من شأنى » .

ومن ذلك أن الربيّع بنت النضير لطمت جارية فكسرت ثنيتها ، فطلب أهل الجارية القصاص . فأمر رسول الله به ، فجاء أخو الربيّع أنس بن النضر ، وكان من خاصة الصحابة ، فقال : يا رسول الله : لا والذى بعثك بالحق ، لا تكسر ثنية الربيع ، فقال الرسول : كتاب الله القصاص ، فلم يزل أنس يقول لرسول الله حتى جاء أهل الجارية راضين بدفع الأرش[2] ، فقضى رسول الله به

كذلك نسوق إليك قضية ، هى أروع ما يذكر فى هذا الباب : قضية المرأة المخزومية التى سرقت حليا فى زمن رسول الله ، وكانت من بيت مجادة وشرف ، فلما أراد الرسول إقامة الحد عليها عَظُمَ ذلك على المهاجرين ، وقالوا من يشفع لها عند رسول الله ؟ فقالوا من يشفع إلا أسامة بن زيد حِبّ رسول الله ، فتكلم أسامة مع الرسول ، فغضب وقال له : أتشفع فى حد من حدود الله ؟ ! ثم قال : إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

(ح) حدثنا التاريخ أن محمد بن عمرو بن العاص زمن ولاية أبيه على مصر — كان يجرى الخيل ، فنازعه أحد المصريين السبق ، فغضب ، ووثب على المصرى يضربه بالسوط ويقول له : خذها وأنا ابن الأكرمين ، فقدم المصرى إلى الخليفة عمر يشكو ، قال أنس بن مالك راوى القصة : فوالله ما زاد عمر على أن قال له :

(١) من وضع الجناية عنه : أسقطها .
(٢) الأرش : دية ما دون النفس .

اجلس ... ومضت فترة ، إذا به فى خلالها قد استقدم عمراً وابنه ، فقدما ومثلا فى مجلس القصاص ، فنادى عمر : أين المصرى ؟ دونك الدرة ، فاضرب بها ابن الأكرمين ، فضربه حتى أثخنه ، ونحن نشتهى أن يضربه ، فلم ينزع حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ما ضربه ، وعمر يقول : اضرب ابن الأكرمين، ثم قال : أجلها على صلعة عمرو ، فوالله ما ضربك ابنه إلا بفضل سلطانه ... قال عمرو فزعاً : يا أمير المؤمنين ، قد استوفيت واشتفيت ؛ وقال المصرى معتذراً : يا أمير المؤمنين ، قد ضربت من ضربنى ... فقال عمر: أما والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه ، حتى تكون أنت الذى تدعه ، والتفت إلى عمرو مغضباً ، وقال له تلك الكلمة الخالدة : « يا عمرو ، متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ » .

(د) كذلك حدثنا أن جبلة بن الأيهم آخر ملوك غسان حج بعد إسلامه ، فبينما هو يطوف بالبيت يجر ثوبه — وطئ رجل من فزارة ثوبه ، فلطمه جبلة فهشم أنفه ، وكسر ثناياه ، فاستعدى الفزارى عليه عمر بن الخطاب ، فقال له عمر : إما أن يعفو عنك الفزارى ، وإما أن يقتص منك . فقال جبلة : أيقتص منى وأنا ملك وهو سوقة ؟ قال عمر : قد شملك وإياه الإسلام ، فما تفضله إلا بالعافية والتقوى . قال جبلة : ما كنت أظن إلا أن أكون فى الإسلام أعز منى فى الجاهلية ؛ قال عمر : دع عنك هذا . فلما رأى جبلة حرص عمر على القصاص ، قال : أنظر فى أمرى الليلة ؛ ورحل بليل بخيله ورواحله ولحق بالشام ، ثم بالقسطنطينية فتنصر وبقى عند قيصر ، ومما يعزى إليه قوله فى ذلك سادما :

تنصرت الأشراف من أجل لطمة
وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفنى فيها اللجاج ونخوة
وبعت لها العين الصحيحة بالعور
فياليت أمى لم تلدنى وليتنى
رجعت إلى القول الذى قاله عمر

ولا يخل بمبدإ المساواة تخلفها فى بعض حالات قليلة محصورة لوجود مانع جبلى أو شرعى ، ولحكم ومصالح تقتضى ذلك — على ما هو مبين فى موضعه من كتب الفروع كعدم مساواة المرأة للرجل فى استحقاق النفقة عليها ، وعدم مساواته لها فى حضانة الأولاد ، وعدم مساواة المرأة للرجل فى تعدد الأزواج وفى مقدار ما يورث .

بهذا المبدإ العظيم عزت نفوس المسلمين فى صدر الإسلام ، وسمت هممهم ، وعظمت أخلاقهم ، وبرزت فيهم قوة الشخصية والمواهب ، ونجم فيهم رجال قادوا الأمة الإسلامية إلى أوج المجد والرفعة ، وساسوا العالم كله بالقسط والمعدلة ، والرفق والرحمة ، وتلك هى روح الإسلام التى بها دخل الناس فى دين الله أفواجا ، وكانوا له حماة وأنصارا : « يأيها الناس ، إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير » .

(يتبع) حسن أحمد الخطيب

جيوردانو برونو

لألفرد فيبر(*)

الأستاذ عبد الكريم الناصرى

ولد جيوردانو برونو Giordano Bruno فى مدينة « نولا » — القريبة من نابلى — سنة ١٥٤٨ . وقد انضم فى صباه إلى الأخـوة الدومنيـكية ؛ ولـكن شغفه العميق بالطبيعة ، وتأثره بكتابات « نيقـولا الـكوسى [١] » و « ريمومد لولوس [٢] » و « تيلسيو [٣] » سرعان ما حولاه عن حياة الرهبنة وعن المذهب الـكاثوليـكى . ثم ذهب مطوفاً فى الآفاق ، فزار جنيف وباريس ولندن ، وزار ألمانيا فشرّق فيها وغرّب . ولـكن البروتستانتية لم تقنعه أكثر مما أقنعه مذهب آبائه . وعند عودته إلى إيطاليا ألقى القبض عليه بأمر من محـكمة التفتيش ، وسجن عامين ، ثم أعدم حرقاً فى روما .

* * *

كان برونو أول ميتافيزيقى — فى القرن السادس عشر — قبل نظرية مركزية الشمس بلا تحفظ . وكان ينظر إلى أفلاك أرسطو وتقسيماته للعالم على أنها محض أوهام . فليس للمكان مثل هذه الحدود التى رسمها له أرسطو ، هذه الحواجز المنيعة التى تفصل عالمنا عن ملـكوت عـلوى خاص بالملائكة ، والأرواح المحضة ، والـكائن الأعلى . ما السماء إلا الـكون الذى لا حـد له ، وما النجوم الثوابت إلا شموس تحيط بها كواكب سيارة ، ترافقها توابع أو أقمار . والأرض كوكب من هاته الـكواكب ، ليس غير ، فما تشغل مكاناً مركزياً ممتازاً فى السماء . ومثل ذلك يقال فى شمسنا ، لأن الـكون نظام من أنظمة شمسية .

وإذا كان الـكون غير متناه فينبغى أن نقول : إنه لا يمـكن أن يكون ثمت لا نهايتان ؛ ولـكن وجود العالم لا يمـكن أن ينـكر ؛ إذن فالله والـكون شىء واحد . وبرونو — لأجل أن يتخلص من تهمة الإلحاد — يميز بين الـكون والعالم : فالله ، أو الموجود اللانهائى ، أو « الـكون » ، هو مبدأ « العالم » أو علته السرمدية : هو الطبيعة الطابعة (أو الطبيعة مصـــدراً Natura Naturanc) ؛ أما العالم فهو كلية معلولات الله أو ظواهره : هو الطبيعـة المطبوعة (أو الطبيعـة معـــلولا Natura Naturata) . وفيلسوفنا يرى أن من الإلحاد أن يعتبر الله والعالم شيئاً واحداً ، إذ ليس العالم إلا مجموع الـكائنات الفردية ، والمجموع ليس بكائن ، وإنمـا هو لفظ فحسب . فأما اعتبار الله والـكون شيئاً واحداً فليس بإنكار له ، وإنما هو ، على الضد من ذلك ، تعظيم له ، لأنه توسيع لفـكرة الـكائن الأعلى إلى ما وراء الحـدود التى يفرضها عليه هؤلاء الذين يتصورونه كائناً « بجانب » الـكائنات الأخرى : أى كائناً محدوداً .

(*) يعد « تاريخ الفلسفة » للعلامة الفلسفى الألمانى ألفرد ڤيبر (Weber) من أهم المصادر الباحثة فى موضوعه ، وقد ترجمه إلى الانجليزية « فرانك ثيلى » (Thilly) ، أستاذ الفلسفة بجامعة كورنل الأميركية .

وراجع الطبعات الأخيرة من الترجمة « رالف بيرى » (Perry) ، أستاذ الفلسفة بجامعة هارفرد ، وأضاف إلى الـكتاب تـكملة فى تاريخ الفلسفة منذ ١٨٦٠ (لأن كتاب فيبر ينتهى بشوبنهاور) . وهذا الفصل — الذى ترجمته عن الترجمة الانجليزية المذكورة ، والذى سأتبعه بفصول أخرى — هو الأول من (القسم الثالث) من الـكتاب ، وهو القسم الباحث فى « الفلسفة الحديثة » التى تبدأ ببرونو . وقد أضفت إلى المتن شروحاً تتعلق ببعض الفلاسفة أو المذاهب ، وبعض هذه الشروح مقتبس — باختصار — عن مواضع أخرى من الـكتاب ، ولـكنى لم أشر إلى ذلك ، مكتفياً بهذا التنبيه .

(١) أو الـكردينال نيكولاس كوسانوس ، إسمه الحقيق « كريبس » توفى سنة ١٤٦٤ . « كان يشتمل على سجايا برونو وديكارت ، وكان من الشجاعة بحيث ذهب ينتقد أخطاء الـكنيسة علناً . ويوصى بالرجوع إلى فلسفة أفلاطون ، التى كان يراها هى ونظرية فيثاغورس فى الأعداد شيئاً واحداً » ألف فى الفلك والرياضيات ، وأبحاثه فى هـذا الباب تشتمل على بدايات مذهب كوبرنيكوس وإصلاح التقويم ، كما أن له أبحاثاً فلسفية قيمة .

(٢) الدون ريموند لولوس (١٢٣٤ — ١٣١٥) من مدينة بالما « مزاج غريب من اللاهوتى والطبيعى ، من المبشر و (التروبادور) ؛ سعى إلى تبسيط علم العرب بواسطة منهج عام أسماه (ارس ماغنا أى (الصناعة الـكبرى) . وقد أكسبته تعاليمه — التى دونها فى تآليف عديدة — أتباعاً متحمسين فى خلال القرون التالية وكان همهم الأكبر اكتشاف حجر الفلاسفة وصنع الذهب » .

(٣) برنارد ينوتيلسيو (١٥٠٨ — ١٥٨٨) من كوسنزا مؤسس (الاكاديميا تيلسيانا) فى نابلى كان راسخ القدم فى (الانسانيات) . وهو فى تصوراته القوزمولوجية يقترب من المدرسة (الأيونية) ومذاهبها الطبيعية .

ومن هنا كان يحلو لبرونو أن يدعو نفسه « فيلوتيوس » أى « محب الإلهى » ، إرادة أن يميز فى وضوح بين تصوره لله وبين الإلحاد . بيد أن هذه الحيطة لم تجده نفعاً ، ولم تفلح فى تضليل قضاته .

والواقع أن إله برونو لا هو خالق العالم بل ولا هو محركه الأول ؛ وإنما هو « نفس العالم » . إنه ليس علة الأشياء المتعالية Transcendent والموقتة ؛ وإنما هو — على حد تعبير اسبينوزا — علتها الحالة Immanent ، أى الباطنة الدائمة . إنه مبدؤها المادى والصورى معاً ؛ إنه المبدأ الذى يحدثها وينظمها ويحكمها « من الداخل نحو الخارج » . إنه بالإيجاز جوهرها السرمدى . إن الموجودين اللذين يميز بينهما فيلسوفنا بلفظى « الكون » و « العالم » ليسا فى الحقيقة إلا شيئاً واحداً ، يعتبر حيناً من مقام « الواقعية » (بالمعنى المدرسى) وحيناً من مقام « الإسمية[1] » .

فالكون الذى يحوى ويحدث جميع الأشياء ماله من بداية ولا نهاية ؛ أما العالم — أى مجموع الموجودات التى يحولها ويحدثها — فله بداية ونهاية . ههنا — إذن — تحل فكرة الطبيعة والإحداث Production الضرورى محل فكرة الخالق والخلق Creation الحر ، وتعود الحرية والضرورة لفظين مترادفين ويرجع الوجود والقدرة والإرادة فى الله فعلا واحداً لا يتجزأ .

وإبداع العالم لا يكيف « الكون الإله » على أى نحو من الأنحاء ، وهو الكيان الواحد الثابت السرمدى اللامتناهى ، والممتنع على القياس والمقارنة . فإنه إذ يفض نفسه[1] يحدث مالا عداد له من الأجناس والأنواع والأفراد ، ومالا نهاية له من شتى القوانين والنسب (التى تقوّم حياة الكون وعالم الظواهر) من غير أن يصير هو نفسه جنساً أو نوعاً أو فرداً ، أو يخضع لأى قانون من القوانين ، أو يدخل فى أية نسبة من النسب . إنه وحدة مطلقة لا تقبل الإنقسام ، ولا شأن لها بالوحدة العددية . إنه فى كل شىء وكلٌّ شىء فيه . وليس من موجود إلا ويحيا ويتحرك ويتقوم فيه . إنه حاضر فى سنبلة القمح ، وفى حبة الرمل ، وفى الهباءة التى تسبح فى شعاع الشمس ، كما هو حاضر فى « الكل » الذى لا حد له — لأنه لا يقبل الإنقسام . وحضور (الواحد) اللانهائى فى كل مكان ، حضوراً جوهرياً طبيعياً ، يفسر — وفى الوقت نفسه يهدم — الإعتقاد الدينى بوجوده الفائق الطبيعة فى « الخبز المقدس » ، وهو الاعتقاد الذى يعتبره الدومنيكى السابق حجر الزاوية فى المسيحية . وبسبب هذا المحضر الحقيقى للكائن اللانهائى فى كل مكان ، كان كل شىء فى الطبيعة حياً ؛ فلا سبيل إلى إعدام شىء ؛ وما الموت نفسه إلا تحول فى الحياة من شكل إلى آخر ... إن مزية الرواقيين تستقر فى أنهم رأوا فى العالم موجوداً حياً ؛ ومزية الفيثاغوريين تستقر فى أنهم أدركوا ما تتسم به النواميس الحاكمة للخلق السرمدى من الثبات والضرورة الرياضية .

وبرونو يسمى « اللانهائى » أو « الكون » أو « الله » بالمادة أحياناً . وليست المادة عنده « اللاوجود » الذى قالت به المثالية اليونانية وقال به المدرسيون . فإنها عنده غير ممتدة ، أى « لا مادية » فى ماهيتها ، وليست تقبل وجودها من مبدأ إيجابى خارج عنها (الصورة) ، وإنما هى بضدذلك المصدر الحقيقى للصور كلها ، إذ هى تنطوى على أصول هذه الصور جميعاً ، وتبرزها بالتعاقب . فما كان أول الأمر بذرة يصير ساقاً ، ثم سنبلة ، ثم خبزاً ، ثم عصارة ، ثم دماً ، ثم نطفة ، ثم جنيناً ، ثم إنساناً ، ثم جثة ، ثم يعود إلى الأرض أو الحجر أو ما إلى ذلك من المواد ،

---

(١) المذهب الواقعى أو الشيئى (Realism) فى اصطلاح القرون الوسطى هو القول بأن الكليات أو التصورات العامة أو المثل (كالجمال أو الانسان مثلا) هى حقائق أو أشياء (RES) قائمة بذاتها مستقلة عن أفرادها ، وليست تجريدات عقلية مستفادة من الجزئيات والأفراد ، كما يرى الاسميون (Nominaliste) . فان هؤلاء لا يرون فى الكليات أكثر من أسماء معان أو جموع ، وتجريدات فى الذهن ليس غير . ومن هنا يتضح للقارىء أن الشيئية أو الواقعية فى عرف القرون الوسطى ترادف المثالية بالمعنى اليونانى ، وتقابل (أى تضاد) الواقعية بالمعنى الحديث أما الاسمية فهى ترادف الواقعية بالمعنى الحديث . وقد احتدمت المساجلات بداية من القرن الحادى عشر حول هذين المذهبين . لأنه إذا كانت الاسمية على حق ، « فالكنيسة » التى تعتبر نفسها حقيقة قائمة بذاتها فوق الكنائس الجزئية وفوق جماعات النصارى وأفرادهم ، ترتد مجرد إسم وتسكون فى المحل الثانى بالقياس إلى الأفراد .

(١) (Unsolda itself)

ليمر بعد بالمراحل نفسها من جديد . وهكذا نجد هنا شيئاً واحداً يتحول إلى كل شيء ، ويبقى مع ذلك واحداً في جوهره . ومن ثم تبدو المادة وحدها ثابتة سرمدية ، وجديرة بأن تدعى مبدأ . إنها — وهي المطلقة — تتضمن الصور والأبعاد جميعاً ، وتطور من نفسها ما لا حد له من شتى الصور التي تستعلن فيها وتظهر . ونحن حين نقول إن شيئاً قد مات ، إنما نعني أن شيئاً جديداً قد ولد ؛ فإن انحلال مركب من المركبات معنـــاه تكوين مركب جديد .

والنفس البشرية أعلى ما تتطور إليه الحياة الكونية ، فهي تنبثق من جوهر الأشياء كلها ، بفعل القوة نفسها التي تخرج السنبلة من حبة الحنطة . على أن لكل موجود في الكون جسما ونفساً ، فجميع الموجودات « مونادات » حيـة يستعلن فيهـا « موناد المونادات » أو « الكون الإله » في صورة جزئية وهيئة خاصة . والجسمانية هي الأثر الناشيء عن قوة الموناد التوسعية ، أو حركته نحو الخارج ؛ وفي الفكر ترجع حركة الموناد على نفسها . إن هذه الحركة المزدوجة ، من توسع وتمركز ، تقوّم حياة الموناد . وهو يدوم ما دامت هذه الحركة ، ويموت حين تقف ، ولكنه يختفي ليظهر وشيكا في صورة جديدة . وعلى هذا يمكن أن يوصف تطور الكائن الحي بأنه اتساع مركز حيوي ، وتوصف الحياة بأنها ديمومة الكرة ، والموت بأنه تقلص الكرة وعودتها إلى المركز الحيوي الذي انبثقت منه .

إننا سنصيب هذه التصورات كلها ، وخصوصاً (تطوريّة) برونو ، في أنظمة (ليبنتس) و (بونيه) و (ديدرو) و (هيجل) فإن فلسفة برونو تنطوي على أصولها البدائية البسيطة . هذا إلى أن هذه الفلسفة ، من حيث هي توفيق بين الوحدية والذرية ، والمثالية والمادية ، والنظر والملاحظة ، تعتبر المصدر المشترك للمذاهب الأنطولوجية الحديثة .

(بغداد) **عبد الكريم الناصري**

إعـــلان
وزارة المعارف العمومية

الإدارة العامة للثقافة

الموسم الثقافي الأثري لعام ١٩٤٥—١٩٤٦

تعلن الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف أنها رغبة في نشر الثقافة الأثرية وإيقاف الجمهور على مدى تقدم المصريين في ميادين الحضارة والفنون على اختلاف أنواعها وعصورها قد نظمت بالاتفاق مع الجهات المختصة برنامجاً يتضمن إلقاء محاضرات دورية في المتاحف والمباني الأثرية مصحوبة بزيارات تطبيقية وذلك على النحو الآتي :

١ — في المتحف المصري — أيام الجمعة — في الساعة العاشرة صباحا (باللغة العربية) وفي الساعة الثالثة بعد الظهر (بالانجليزية أو الفرنسية) فيما بين ٩ نوفبر سنة ١٩٤٥ و ٥ أبريل سنة ١٩٤٦ .

٢ — وفي دار الآثار العربية — في أيام الاثنين الأول والثالث من كل شهر في تمام الساعة الثالثة بعد الظهر فيما بين ٥ نوفبر سنة ١٩٤٥ و ٢٠ مايو سنة ١٩٤٦ .

٣ — وفي المساجد والأبنية الأثرية الهامة والمتحف القبطي — في مواعيد يعلن عنها في الصحف اليومية وهذه المحاضرات مجانية وحدد عدد الحاضرين في كل منها بخمسة وعشرين شخصا وتعطى التذاكر حسب أسبقية الطلب . أما البرنامج التفصيلي الذي يتضمن موضوعات المحاضرات وتواريخ إلقائها وأسمـاء المحاضرين فيمكن الاطلاع عليه عند أبواب المتاحف أو الحصول عليه من قسم المتاحف والمعارض بالوزارة .

أما بطاقات الحضور فيمكن الحصول عليها من المتحف المصري ودار الآثار العربية قبل موعد إلقاء المحاضرة بثلاثة أيام على الأقل . ٤٤٥٤

٤ ـ الزندقـــة

فى عهد المهدي العباسى

الأستاذ محمد خليفة التونسى

ولقد حاول الفرس مراراً الإستقلال عن العرب وطرح حكمهم ودينهم منذ ملكوهم ، وقد اختفت هـذه المحاولات أولا بعد خيبتهم فيها — كما قدمنا — ثم عادت إلى الظهور فى أواخر الدولة الأموية . والقارىء لتاريخ عمر وعثمان وعلى والدولة الأموية فى الكتب المبسوطة كتاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبرى والكامل لابن الأثير وكتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون وغير ذلك تهوله كثرة انتقاضات الفرس على العرب فى البلاد الفارسية ، مما يدل على أن الاستقلال كان وسواسا لازبا فى عقول سادة الفرس .

وما أظن أبا مسلم إلا بطلا فارسيا كان يرمى إلى هدم السلطان العربى والإسلام ، وما لسبب غير ذلك حول أبو مسلم الملك عن العلويين إلى العباسيين ليبقى فى يده ، إلى جانب قوة الجيوش ، قوة الحجة ضد العباسيين بأن العلويين أحق منهم بالخلافة مادام الأمر أمر قرابة من النبى [١] . وما ثار بعده تلميذه سنباذ وثارت الراوندية إلا لهذا الغرض ، وما أبرىء البرامكة من الطمع فى هذا الاستقلال مما دعا الرشيد إلى نكبتهم ، وما استعان العباسيون بهم إلا وهم يحذرونهم ، ويتخلصون منهم فى الآونة المناسبة ، ولا أهملوا العرب إلا بعد أن يئسوا منهم [٢] ، ومع ذلك قربوا العرب وأنهضوهم حين خافوا نزوات الفرس ليضربوا هؤلاء بأولئك ، وأولئك بهؤلاء حذرا من الفريقين . وما كان النزاع بين الأمين والمأمون إلا نزاعا بين الفريقين ، ولا كانت استعانة المعتصم ومن بعده بالترك إلا عن سوء ظن بهما معا مما أدى إلى ازدياد نفوذ الترك على نفوذهما .

غير أن الفرس لم ينوا فى طلب الإستقلال حتى ظفروا به على يد الدولة البويهية (٣٢٤ — ٤٤٧ هـ) فقد أكثر العباسيون طوال القرن الثالث الهجرى من إقطاع الفرس ولايات المشرق طعمة لهم ولأخلافهم ، وهب دهاة الفرس ينشئون فى فارس إمارات وطنية ، ولـكنهم حينما استعادوا بعض أملا كهم وجدوا الإسلام قد أتى على المجوسية ، واللغة العربية كادت تهزم الفارسية ، فأنابوا إلى الخليفة لأنه الحاكم الشرعى الذى تجب طاعته ، ودعوا إلى نصرته استدراجا للعامة تحت سلطانهم ، ومع غلبة الإسلام على مجوسيتهم لم يقض على عصبيتهم ، فلما استقلوا بالولايات شرعوا فى تجديد لغتهم ونقل الثقافة العربية إليها فنجحوا فى تجديدها كثيرا وخابوا فى نقل الثقافة إليها لأنها كانت قد انحطت بإهمالها زمنا طويلا .

ولقد كان الفرس البويهيون يحكمون بلاد الخلافة حتى بغداد عاصمة الدولة العباسية .

ويعنينا هنا أمر آخر أهم من كل ما تقدم هو أن العصبية الفارسية حملت الفرس على أن يحافظوا على كل ما هو فارسى ، ويؤثروه على كل ما هو عربى ومن ذلك دياناتهم المجوسية القديمة التى تفرقت إلى نحل مختلفة قبل ظهور الإسلام .

ما من شك فى أن كثيرا منهم قد دخلوا فى الإسلام مخلصين واعتنقوه عن إيمان ، واستطاعوا إلى حد بعيد أن يتخلوا عن دياناتهم القديمة ، ولـكن مما لا شك فيه أن كثيرا منهم أيضاً أبطنوا المجوسية وأظهروا الإسلام وأسباب ذلك كثيرة لا يعنينا هنا الـكلام فيها . وما من شك فى أن كثيرين دخلوا فى الإسلام مخلصين ولـكنهم لم يستطيعوا التخلى عن الميراث الذى تركته فى عقولهم الديانة القديمة ، وما من شك فى أن كثيرا منهم لم يكونوا يؤمنون بالإسلام ولا بالديانة القديمة فى قلوبهم ولـكنهم تمسكوا بالديانة القديمة لأنها ميراث لهم قديم يدفعهم وقوف العرب بمفاخرهم أمامهم إلى التمسك به ، فقد اعتبر العرب أنفسهم جيلا يمتاز على سائر الأجيال ، ووضعوا أنفسهم فى موضع سام ، ووضعوا كل من عداهم فى موضع وضيع ، وسموا أنفسهم العرب ، وسموا كل من عداهم العجم ، وأظهروا مفاخرهم يتحدون بها العجم جميعا ، وبرز لهم العجم فتحدوهم بمفاخرهم ، وكثر احتكاك هـؤلاء بهؤلاء فى كل مكان وامتدت الملاحاة والفاخرة حتى عاب العجم

---

(١) و (٢) انظر فى كل ذلك مقالنا « الزندقة فى عهد المهدى العباسى » الرسالة ٦٣٧ .

على العرب مثلا إمساك خطبائهم بالعصا ، ورد من كانوا فى صف العرب عليهم ذلك فعدوه مفخرة(١) ، وكثرت مجالس المناظرة بين العرب والموالى ولاسيا الفرس للأسباب السابقة ، ولما كان للفرس من سلطان فى أيام العباسيين وكان الفريقان يتبادلان الإحتقار والتفاخر ، وظهر ذلك على ألسنة الشعراء والعلماء ، فألف كثير من الفرس الكتب فى مثالب العرب ، وأول من شجع على ذلك الخلفاء والأمراء والعرب أنفسهم ، فنحن نعلم أن العصبيات القبلية العربية التى نجح النبى فى إسكانها قد بدأت تظهر بعده ولا سيا فى الدولة الأموية ، واستدعى هذا أن يطلب الخلفاء وأتباعهم من علماء الأنساب تأليف الكتب فى مثالب القبائل العربية التى كانت تناهضهم ، وكتب المفاخر فى مفاخر القبائل التى تناصرهم ، فلما برزت الشعوبية لمناهضة العربية وجدت فى كتب المثالب أصولا تحتذيها فى الطعن على العرب متفرقين ومجتمعين ، وإنا نجد فى كتب التراجم أسماء كتب فى مثالب العرب عامتهم أو قبائلهم لكبراء الرواة والأدباء والعلماء .

وقد شارك كثير من الشعراء الموالى قومهم فى ذكر مثالب العرب والتندر بهم حتى فى مجالس الخلفاء والأمراء العرب ، ومن ذلك ما ذكره أبو الفرج الأصفهانى ، قال : « دخل أعرابى على مجزأة بن ثور السدوسى ، وبشار عنده ، وعليه بزة الشعراء ، فقال الأعرابى : من الرجل ؟ فقالوا : رجل شاعر . فقال أمولى أم عربى ؟ قالوا : بل مولى . فقال الأعرابى : وما للموالى والشعر ؟ فغضب بشار ، وسكت هنيهة ، ثم قال : أتأذن لى يا أبا ثور ؟ قال : قل ما شئت يا أبا معاذ » فأنشأ يقول :

خليلى لا أنام على اقتسار ... ولا آبى على مولى وجار
سأخبر فاخر الأعراب عنى ... وعنه حين تأذن بالفخار
أحين كسيت بعد العرى خزاً ... ونادمت الكرام على العقار
تفاخر يا ابن راعية وراع ... بنى الأحرار؟ حسبك من خسار!
وكنت إذا ظمئت إلى قراح ... شركت الكلب فى ولغ الإطار(١)
تريغ بخطبة كسر الموالى ... وينسيك المكارم صيد فار
وتغدو للقنافذ تدريها(٢) ... ولم تعقل بدراج(٣) الديار
وتتشح الشمال(٤) للابسيها ... وترعى الضأن بالبلد القفار
مقامك بيننا دنس علينا ... فليتك غائب فى حر نار

فقال مجزأة(٥) للأعرابى : « قبحك الله ! فأنت كسبت الشر لنفسك وأمثالك(٦) » .

ولقد حذا أبو نواس حذو بشار فى التعصب للشعوبية والطعن على العرب ، وديوانه حافل بالسخر منهم . وما افتتاحه قصائده بمدح الخمر دون مناجاة الديار إلا تعصب للشعوبية وليس تجديداً كما زعم أكثر من أرخوا عصره أو كتبوا فيه ، فأطنبوا فى الإشادة به ، وفواتح قصائده تنبىء عن سخره من مناجاة الديار أو بوجه أعم من العرب جميعا ، وإليك مثلا من عشرات الأمثلة قوله :

عاج الشقى على ربع يسائله ... وعجت أسأل عن خمارة البلد
يبكى على طلل الماضين من أسد ... لا در درك ! قل لى : « من بنو أسد
ومن تميم ومن قيس ولفهما(٧) ؟ ... ليس الأعاريب عند الله من أحد(٨) ! »

---

(١) أنظر « كتاب العصا » من كتاب « البيان والتبيين » ج ٣ ص ٤ — ١٠ طبعة السندوبى ، وراجع فى الشعوبية هذا الكتاب ج ١ ص ٥٩ ، ٢٩٤ و ج ٢ ص ٤ ، ٣٨ و ج ٣ ص ٤ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٤ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٦٢ و « مجموعة رسائل البلغاء » جمعها الأستاذ محمد كرد علي ومنها « كتاب العرب » لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ص ٢٦٩ و ٢٩٥ وهناك أخبار منثورة فى كتاب « الأغانى » للأصفهانى « ومعجم الأدباء » لياقوت وكتب التاريخ المبسوطة .

(١) الاطار حفرة حول البيت يجتمع فيها الماء عند المطر : فهو يريد أن يقول للأعرابى : إنك تشارك الكلاب إذ تلغ مثله فى المياه الراكدة .

(٢) تدريها : تختلها وتخدعها لتصيدها .

(٣) يريد أنه لا يلحق القنافذ إذ يصيدها ، والدراج القنفذ .

(٤) الشمال : أكسية يتشح بها

(٥) أخطأ الأصبهانى فأسند القصة إلى مجزأة مع أن مجزأة استشهد فى فتح مدينة تستر قبل مولد بشار بنحو ستين سنة (إتمام الوفاء للخضرى ص ١٠٠ ويوافقه الطبرى وابن خلدون وابن الأثير) وكان مجزأة رئيسا لقبيلة بكر بأمر عمر بن الخطاب فلما استشهد جعلها أبو موسى الأشعرى والى البصرة فى عهده لخالد بن المعمر السدوسى ، ثم ردها عثمان بن عفان لشقيق بن مجزأة بن ثور (البيان والتبيين ج ٣ ص ٧٣ ، ٧٤ طبعة السندوبى) فلا بد أن القصة لشقيق لا لمجزأة .

(٦) أغانى دار الكتب ج ٣ ص ١٦٦ .

(٧) أى من ينتسب إليهما : وهو يقصد العروبة جميعا ، وقد عد الزمخشرى فى أساس البلاغة من المجاز « جاءوا ومن لف لفهم » واستشهد بقول الشاعر :

سيكفيكم أودا ومن لف لفها ... فوارس من جرم بن زبان كالأسد

(٨) ديوان أبى نواس ص ١٣٨ — ١٣٩ شرح وترتيب الأستاذ محمود كامل

فقوله : « ليس الأعاريب عند الله من أحد » طعن صريح في العرب جميعا : ولو مضينا في الاستشهاد بشعره على ما نقول لضاق المكان ، وما دمنا بصدد موضوع خاص فلنضرب صفحا عن الشواهد ، وحسبنا هذا الشاهد .

فهذا الطعن الصريح وغيره وليد العصبية الفارسية عند أبى نواس ومن عاصروه من الموالى ، وكان عصرهم عصر انتصار للفرس على العرب ، فتمكنوا من التصريح برأيهم حتى فى بلاط الخلفاء والأمراء العرب ، ووافق ذلك ميلا فى مزاج أبى نواس وأمثاله المستهترين الذى لا يحفلون بسنن العرف والأخلاق فجروا فى هذا المضمار شوطا بعيدا .

وأصرح من بشار وأبى نواس قول الموبد :

« أنا ابن المكارم من آل جم — وطالب إرث ملوك العجم
فقل لبنى هاشم أجمعين : — هلموا إلى الخلع قبل الندم
وعودوا إلى أرضكم بالحجاز — وأكل الضباب ورعى الغنم »

وقول أبى سعيد الرستمى :

« بهاليل غر من ذؤابة فارس
إذا انتسبوا لامن عرينة أو عُكْلِ
همو راضة الدنيا وسادة أهلها
إذا افتخروا لاراضة الشاة والإبل

ودون أولئك أبو الحسن(١) مهيار بن مرزويه الديلمى الذى أسلم على يد أستاذه الشريف الرضى فحسن إسلامه ، وظل بعد إسلامه حتى مات دون أن يظهر منه ما يدل على حنينه إلى ديانته القديمة (المجوسية) ؛ فهو — على الرغم من إسلامه ، وصلته القوية بالشريف الرضى — لم ينس أنه فارسى ، وأن قومه الفرس كان لهم مجد أعظم حتى من مجد العرب ، وأن ليس للعرب فضل إلا الدين ، وإليك أبياته المشهورة التى تغنى فى زماننا :

« أعجبت بى بين نادى قومها — « أم سعد » فمضت تسأل بى
سرها ما علمت من خلقى — فأرادت علمها ما حسبى
لا تخالى نسبا يخفضنى — أنا من يرضيك عند النسب
قومى استولوا على الدهر فتى — ومشوا فوق رءوس الحقب
عمموا بالشمس هاماتهم — وبنوا أبياتهم بالشهب
وأبى « كسرى » على إيوانه — أين فى الناس أب مثل أبى ؟
سورة الملك القدامى وعلى — شرف الإسلام لى والأدب
قد قبست المجد من خير أب — وقبست الدين من خير نبى
وضممت الفخر من أطرافه — سودد الفرس ودين العرب »

(١) وقيل : أبو الحسين (وفيات الأعيان لابن خلكان) وانظر ترجمته أيضاً فى « كتاب المنتظم فى تواريخ الملوك والأمم » لأبى الفرج الجوزى « ومعجم الأدباء » لياقوت ، مقدمة الجزء الاول من ديوانه (طبعة دار الكتب) للمرحوم أحمد نسيم

هذه صورة موجزة للشعوبية وبعض آثارها وأسبابها ، ولقد دفعت الشعوبية العجم جميعا ولا سيما الفرس على المحافظة على كل ما تستطاع المحافظة عليه من تراث فارس حتى المجوسية ، وقد أشرنا فى هذا المقال إلى الصلة بين الشعوبية والمجوسية ، وسنفصل إن شاء فى المقال الآتى القول فى هذه الصلة ، والقول فى المذاهب المجوسية التى أظهرها الزنادقة أيام المهدى العباسى ، وبيان أصولها القديمة عند الفرس القدماء ، لنعرف صلة مذاهب الزنادقة المحمرة والمبيضة بالمجوسية القديمة التى دان بها أهل فارس قديما ، ثم تفرقت مذاهب مختلفة ، وتطورت أطوارا جديدة على يد دعاتهم زرادشترا ومانى ومزدك .

محمد خليفة التونسى

ســـــجون بغداد

زمن العباسيين

للأستاذ صلاح الدين المنجد

— ٦ —

طرائف مختارة من أدب السجون

— ١ —

كتب يحيى بن خالد البرمكى إلى الرشيد من الحبس :

« ... إلى أمير المؤمنين ، من عبد أوبقته ذنوبه ، وخذله شقيقه ، ورفضه صديقه ، وزال به الزمان، ونزل به الحدثان، وحلّ به البــلاء بعد الرخاء ، وافترش السخط بعد الرضا ، وا كتحل السهود، وفقدالهجود ؛ ساعته شهر، وليلته دهر. قد عاين الموت، وشارف الفوْت : جزعاً يا أمير المؤمنين قدّمنى الله قبلك ، من موجدتك ، وأسفاً على ما حُرِمتُه من قربك . لا على شىء من المواهب ؛ لأن الأهل والمال إنما كانا لك ، وعارية فى يدى منك . والعــارية لا بد مردودة . فأما ما اقتصصته من ولدى فبذنبه ، وعاقبته بجرمه وجريرته على نفسه ؛ فإنما كان عبداً من عبيدك لا أخاف عليك الخطأ فى أمره . ولا أن تــكون تجاوزت به فوق ما كان أهله ، ولا كان مع ذلك بقاؤه أحب إلى من موافقتك . فتذ كر يا أمير المؤمنين ، جعلنى الله فداك ، وحجب عنى فقدك ، كبر سنى ، وضعف قوّتى ، وارحم شيبى ، وهب لى رضاك عنى . ولتَسِل إلى بغفران ذنبى . فمن مثلى يا أمير المؤمنين الزلل ، ومِن مثلك الإقالة . ولست أعتذر إليك إلا بما تحب الإقرار به حتى ترضى . فإذا رضيت رجوت أن يظهر لك من أمرى ، وبراءة ساحتى ، ما لا يتعاظمك معه ما منت به من رأفتك بى وعفوك عنى ، ورحمتك لى . زاد الله عمرك يا أمير المؤمنين ، وقدّمنى للموت قبلك :

قل للخليفة ذى الصنا   ئع والعطايا الفاشيــه
وابن الخلائف من قريـ   ـش والمــلوك الهاديه
ملك الملوك وخير مَنْ   ساس الأمور الماضيه
إن البرامكة الذين   رموا لديــك بداهيه
عمتهم لك ســخطة   لم تُبقِ منهم باقيــه
فكأنهم ممــا بهم ،   أعجاز نخــل خاويه
صفر الوجوه عليهمُ   خلع المــذلّة باديه
متفرقين مشتتين (م)   بكل أرض قاصيــه
بعــد الإمارة والوزا   رة والأمـور الساميه
ومنازلٍ كانوا بها   فوق المنازل عاليـه
أضحوا وجــلّ مناهمُ   منك الرضا والعافيه
فإذا رضيت فإن أنفســـهم بحكمك ، راضيــه
فاليوم قــد سلبَ الزما   ن كرامتى وبهائيه
واليوم قــد ألقى الزما   ن جرانه بفنائيه
يا من يود لى الردى   يكفيك ويحك ما بيه
يــكفيك ما أبصرت من   ذُلّى ، وذلّ مكانيه
يــكفيك أنى مستباح (م)   معشرى ونســائيه
ورزئت مالى كلــه   وفــدى الخليفة ماليــه
إن كان لا يُرضيك إلا (م)   أن أذوق حِماميه
فلقــد رأيتُ الموت (م)   من قبــل الممات علانيــه
وفجعتُ أعظم فجعةٍ   وفنيتُ قبــل فنائيه
ولبست أثواب الذليـــ   ـل ولم تــكن بلباسيَه
وعطبتُ فى سخط الإما (م)   م على رفيــع بنائيــه
فانظر بعينك هــل ترى   إلا قصوراً خاليــه
وذخائراً مقســـومة (م)   قُسِّمْنَ قبل مماتيه
وحرائراً من بين صا   رخــة علىّ وباكيه
ونوادبــاً ينــدبْننى   تحت الدجى بعكنائيه
يا با علىّ البرمــكىّ !   فـــا أجبت الداعيه
وبكاؤهن وقد سمعـ   ـتُ مقلقَلَ أحشائيه
أخليفــة الله الرضــا   لا تشمِتَنْ أعدائيــه
اذ كر عهودك لى وما   أعطيْتنى بوفائيــه
اذ كر مقاســانى الأمــو   ر وخدمتى وعنائيــه
ارحم ، جعلتُ لك الفدا   كِبرى وشــدة حاليه
ارحم أخاك الفضــلَ   والباقين من أولادِيه

فلقد دعوك ، وقد دعو ُتكَ إن سمعتَ دُعائيه
أخليفة الرحمن إنك لو رأيت بنـاتيـهْ
وبكاء فاطمة الـكئيبة والمـدامع جاريـه
ومقالهـا بتوَجـع وا شقوتا وشقائيـه !
مَنْ لى ، ولا مَنْ لى وقد قصم الزمان قناتيه
وعدِمتُ صفو معيشتى وتغـيَّرت حالاتيـه
من لى وقد غضب الزمان على جميع رجاليـه
يا عطفـة الملك الرضـا عودى علينـا ثانيـه (١)

— ٢ —

وقال مسجون (٢) :

إلى الله فيما نابنا نؤثر الشكوى
ففى يده كشف الضرورة والبلوى
خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها
فلسنا بن الأحياء فيها ولا الموتى
إذا دخل السجان يوماً لحاجة عجبنا ، وقلنا جاء هذا من الدنيا
ونفرح بالرؤيا ، فجُـلُّ حديثنا
إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا
فإن حسنت كان بطيئاً مجيئها
وإن قبحت لم تنتظر وأتت عجلى (٣)

— ٣ —

قال على بن الجهم من قصيدة يذكر محاسن الحبس (٤) :

قالوا حبست فقلت ليس بضائرى حبسى وأى مهند لا يغمد
أو ما رأيت الليث يحمى غيله كبراً ، وأوباش السباع تردد
والنار فى أحجارها مخبوءة لا تصطلى إن لم تثرها الأزند
والبدر يدركه السرار فتنجلى أيامـه ، وكأنه متجـدد ،
غـيَرُ الليـالى بادئات عوَّدُ والمال عارية يفـاد وينفد
ولـكل حال معقب ولربما أجلى لك المكروه عما تحمد
لا يؤنسنك من تفرج كربة خطب أتاك به الزمان الأنـكد
كم من عليل قد تخطاه الردى فنجا ومات طبيبـه والعوَّد
صـبراً فإن اليوم يتبعه غد ويد الخليفـة لا تطاولها يد
والحبس ما لم تغشه لدنيـة تزرى فنعم المنزل المتورد
لو لم يكن فى الحبس إلا أنه لا يستذلك بالحجاب الأعبد
بيت يجدد للـكريم كرامة ويزارفيه، ولا يزور ويحمد (١)

— ٤ —

فعارضه عاصم بن محمد الـكاتب لما حبس وقال :

قالوا حبست فقلت خطب أنكد أنحى على به الزمان المرصد
لو كنت حراً كان سربى مطلقاً ما كنت أوخذ عنوة وأقيد
أو كنت كالسيف المهند لم أكن وقت الشديدة والـكريهة أغمد
أو كنت كالليث الهصور لمارعت فىَّ الذئاب وجذوتى تتوقد
من قال إن الحبس بيت كرامة فكابر فى قوله متجلد
ما الحبس إلا بيت كل مهانة ومـذلة ومكاره لا تنفـد
إن زارنى فيه العدو فشامت يبدى التوجع تارة ويفنـد
أوزارنى فيه الصديق فوجع يذرى الدموع بزفرة تتردد
يكفيك أن الحبس بيت لا ترى أحداً عليه من الخلائق يحسد
عشنا بخير برهة فـكبابنا ريب الزمان وصرفه المتردد
فى مطبق فيه النهار مشا كل لليل ، والظلمات فيه سرمد
تمضى الليـالى لا أذوق لرقده طعماً، فـكيف حياة من لا يرقد
فتقول لى عينى إلى كم أسهرت ويقول لى قلبى إلى كم أكمد
وغذاى بعد الصوم ماء مفرد كم عيش من يغذوه ماء مفرد
وإذا نهضت إلى الصلاة تهجداً جذبت قيودى ركبتى فأسجد
فإلى متى هذا الشقاء مؤكد وإلى متى هذا البلاء مجدد (٢)

(يتبع) **صلاح الدين المنجد**

(١) المحاسن والمساوىء للبيهقى ٥٧٨ ، المحاسن الأضداد للجاحظ ٢٨ ، مروج الذهب ٢ـ٣٨٧ .

(٢) المحاسن والمساوىء ٥٨٠ ، المحاسن والأضداد ٢٩ .

(١) المحاسن والمساوىء للبيهقى ص ٥٧٥

(٢) نسبها المسعودى ٢ـ٢٩٥ إلى الفضل بن يحيى ؛ ونسبها الجاحظ فى المحاسن والأضداد إلى غيره .

(٣) المحاسن والمساوىء ٥٨١ .

(٤) فى اللطائف والظرائف ص١١٩ : قال الثعالبى : وهذه القصيدة من أحسن ماقيل فى السجن .

أشـــواق ...

للأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى

ارجعى قبل أن تشيب الأمانى   كرجوع الربيع فى الأغصان

صوّح الزهر ، فامنحيه رُواء   وغفا الطير ، فانفحيه الأغانى

أنا أحيا على الأمانى ، ولكن   أىُّ معنًى لها سوى الحرمان

طال فى ظلّها خداعى ، فحسبى   ذلك العمر فى خداع الأمانى

نفحة من شذاك .. تعبق نفسى   وسنًى منك .. تُبصر العينان

وهدًى منك .. يستفيق ضلالى   وادّكاراً لذلك النسيان

شاقنى وجهك العجيب وما فيه (م) من الفيْض عبقرىَّ المعانى

أنا من هزّةُ الحنينُ لِلُقْيا   يتحدّى بها غُرور الزمان

ألحنينُ الذى زلزل قلبى   هو منْ ذلك الهوى والهوان

أىُّ لمحٍ ذاك الذى يتجلّى   فى مُحيّاك سارياً بكيانى ؟ !

أى ومضٍ ترفُّ عيناك فيه   فيلجَّ الفؤادُ فى الخفقان ! ؟

أطفئى يا حبيبتى لهب الروح (م) وروّى لواعجَ الظمآن

فيك من سَطوة الجلال أفانينُ (م) أُعانى من أَسْرها ما أعانى

أُسكبى النور فى متاهات نفسى   وأجيبى هواتف الوجدان

أنا فى رحلتى إلى الغد أسعى   ويكاد الغـــد البعيد يرانى

قرّبيه إلىَّ ... رُبَّ زمان   قد تأبّى فعاد طوْعَ بنان

منك شكى ، وأنت إيمان قلبى   ليس للشك روعةُ الإيمان

إبعثى فى غدى مسرات أمسى   وأعيدى شباب هذا المكان

واجمعى السامر الذى كان يوماً   بين تلك الظلال والجدران

طاب فيه اللقاء فهو صفاء   ورخاء لخاطرى الولهان

كنتِ أنسَ الحياة فيه فلما   غبْتِ شاهت مجاليًا ومجانى

آن أن تُمْلأ الكؤوس ونُسقى   ضجت الخمرُ بين تلك الدنان

قلَّ منها النصيب إن لم تكونى   أنت راح الكؤوس والنشوان

فرحةٌ فى غدى تلوح لعينى   تلك زاد للمُجهَد الحيران

هو ذاك الغدُ البعيدُ المرجّى   رُبَّ ناءٍ محجَّبٍ وهو دانِ .

أحمد عبد المجيد الغزالى

الأعرابية الكادحة

للأستاذ محمد بهجة الأثرى

[قرأت لأعرابية قديمة قولها :

أظل أرعى وأبيت أطحن   والموت من بعض الحياة أهون

فقرأت فى إيجازه البليغ كتاب عيشها المفعم بالكدح والشقاء ، وألفيت فى وصفها لحياتها وصفاً صادقاً لحياة أعرابية اليوم هزنى هزاً فقلت :]

(أظلُّ أرعى وأبيت أطحن)   ليلى كَدْحٌ ونهارى شزَنْ[1]

يَطْوى حياتى بالشقاء الزمن   (والموت من بعض الحياة أهون)

يا ليت شعرى والورى تمتحن   تسوؤها الأيام ثم تحسن

أكلَّ دهرى أرتعى وأطحن ؟   يسلمُنى ذاك لذا ويَقْرِنُ

ما طلعت شمس ووافى مُدجن   أمَا بدهرى لىَ يومٌ أيمن ؟

لا أضطنى فيه ولا أمتهنُ ؟   أذوق فيه العيش وهو ليّن ؟

أقِيلُ فى هجيره وأسكن !   ويحتوينى الليل وهو محسن ؟

فيلقَ الراحة جسمى الضمن ؟   وتطعم السهاد منى الأجفن ؟

لُماظَةً تُريحنى يا وسن   ولَفْتَةً تُسعدنى يا زمن

لم أدر ما العيش ولا ما السكن   لكنه شىء روَتْهُ الألسن

جَهِلتهُ وإن وعَتْهُ الأذُنُ   هل لى أن أدرى ما لا أزكن ؟

سلنى عن البؤس ، فعندى العلن   من أمره والباطنُ المكتمنُ

إن فؤادى للهموم موطنُ   فَهْوَ بها مُحَنَّطٌ مكفَّنُ

ينحت جنبى الضحى والموْهن   كأن صرف الدهر بى مرتهن

كم أكلتْ قلبى الرحى إذ أطحن   وبَتَّ تأويبى هذا الشزَن![2]

عشيرى البَهم ودارى الدِّمن   وزادىَ الجشب وِردى الآجن .

ثوبىَ أسمالٌ وجسمى دَرِنُ   أرْحَضُهُ بعَرَقى فيأسَنُ ،

وأرفأ الجيب فيهرأ[3] الرُّدُنُ   لكن عرضى وافرٌ لا يمهنُ

---

(١) شدة الاعياء من الحفا .

(٢) بت : قطع . التأويب : سير النهار أجمع

(٣) بتسهيل الهمزة .



فلسطين والنشاشيبي :

أرادت (السياسة) أن تسلها وأن تسميها (فلسطين) فسلتها وسمتها ، وقالت : هذى (تخومها)[1] وماشاها القوم فى التسمية ، وفى غير التسمية ، وقالوا : « قضاء من الله العزيز أراده » وفى الضمير أن هذه الدعوة فلسطين سوف تمسى مملكة ، وسوف يؤمرون أو يوزرون يعودون (يصيرون) أوزارا[2] . وقال فريق : هل خلصنا من (اصطنبول) حتى نروح لـ (دمشق) تبعا . وأبى شخص أن يزل وأن يضل فيدين بما دان به غيره ، وصاح منذ أول يوم : يا قوم ، إن هى إلا أسماء سموها ما أنزل الله والعربية بها من سلطان ، وإن وراء الأكمة ما وراءها ، فاحذروا ثم احذروا ، لا تهتلكوا ، لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد[3]

(١) فى الحديث الشريف : « ملعون من غير تخوم الأرض » قالت (النهاية) : أي معالمها وحدودها واحدها تخم ، ويروى تخوم الأرض بفتح التاء على الأفراد ، وجمعه تخم بضم التاء والخاء .

(٢) أوزار جمع وزير ، وزر فلان للأمير يزر له وزارة .

(٣) أمرتهم أمرى : أى ماينبغى لى أن أقوله ، والبيت والذي يجى بعده لدريد بن الصمة . و« قضاء من الله الخ » ، صدر بيت للمتنبي ، والعجز « ألا ربما كانت إرادته شرا » !

أبيض لم تلث نقاءه الظنن[1]
حسب الحصان[2] أن تطيب الألسن
بها فلا تزنها[3] أو تطعن ! تجوع بنت يعرب وتغبن
وهى على لؤم الزمان تحصن ! رجنت يا ليل فلست تظعن[4]
قل لى متى أنت بصبح مؤذن ؟ أأنت دهر فى الظلام ممعن ؟
أم صبحك الشرق يوم أدفن ؟!

محمد بهجة الأثري

(١) لاث الثوب بالطين : لطخه به . نقاه : نقاءه ، نظافته ، خلوصه . الظنن : التهم . (٢) المرأة العفيفة .

(٣) فلا تتهمها . (٤) رجن بالمكان : أقام . ظعن : سار .

وذلك الشخص هو (محمد إسعاف النشاشيبى) وهو على ما عاهد الله عليه ، على ما واثق العربية عليه لم يتبدل ، ولم يتحول ، ولم يقل :

وهل أنا إلا من غزية ، إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

ولن يتبدل ، ولن يتحول

يقول العلامة الأستاذ الكبير الدكتور عبد الوهاب عزام عميد كلية الآداب فى كتاب (رحلاته) ص ٤ :

« ... وبينما نمنى أنفسنا بالمبادرة إلى الفندق للاستراحة إذا بوفد من كرام إخواننا المقدسيين ينتظرنا . أبصرنا فى مقدمة المستقبلين ذلك المحيا المحبوب المعروف أديب العرب إسعاف النشاشيبى . سارع الإخوان إلينا مسلمين وأخبرنا أن حفلا حاشداً ينتظرنا فى (روضة المعارف) فسارعنا إليها . نضر الله روضة المعارف وبارك فى أهلها الأمجاد ؛ لقد لقينا من حفاوتهم وإيناسهم ما هو جدير بنفوسهم الكريمة ... دخلنا الروضة والموسيقى تعزف بألحان مصرية ، ولقينا هناك جماعة من العلماء الأجلاء ، منهم الأستاذ الحسينى المفتى ورئيس المجلس الإسلامى الأعلى ، والشيخ الخالدى ، ولما اطمأن بنا المجلس خطب مدير الكلية مرحباً معرباً عما يكنه الشاميون (ولا أقول الفلسطينيون إرضاء للحق وللأستاذ النشاشيبى الذى لا يعرف إلا اسماً واحداً هو الشام لما يسمونه فلسطين وشرق الأردن وسورية ولبنان والعلويين) لإخوانهم المصريين من الحب والولاء والإكبار والإعجاب[1] ... » .

« السهمى »

كيف نحتفظ بأرضه فلسطين لأهلها :

ذكر الأستاذ الكبير ابرهيم عبد القادر المازنى فى مجلة الرسالة الغراء ، أنه يجب أن نقاطع التجارة الصهيونية حتى تكف عن أطماعها فى فلسطين ، وإنى أضيف إلى ذلك وسيلة أخرى لها شأنها فى قطع أطماع الصهيونية ، وهى أن يقوم كل فرد من أهل فلسطين بوقف ما يملك من عقار وقفاً أهلياً أو خيرياً ، حتى لا يصح فيه بعد ذلك بيع أو شراء ، وتقوم دول الجامعة العربية بدفع نفقات

(١) سنة ١٣٤٨ هـ (ديسمبر ١٩٣٠)

تسجيل تلك الأوقاف لكل فرد ، وبذلك تنقطع أطماع الصهيونيين في ملك تلك الأراضي ، فلا يهاجرون إلى فلسطين لتملكها ، ويستقر أهل فلسطين في بلادهم فلا يبيعون ما يملكون فيها ويهاجرون عنها ، وإذا كان في الوقف الأهلي بعض مضار ، فإنها لا تذكر بجانب حفظ أرض فلسطين لأهلها ، وقطع أطماع الصهيونيين فيها .

عبد المتعال الصعيدي

على هامش الأدب الحجازى :

فيما كتبه الأخ الأستاذ ابراهيم فلالى ، وفيما سطره الأستاذ الفاضل أحمد أبو بكر ابراهيم من حديث عن « الحياة الأدبية فى الحجاز » ما يعطى صورة مصغرة عامة عن الأدب الحجازى ، لكن لا يجوز لنا بحال أن نتخذها مقياساً صحيحاً لما هو عليه الأدب الحجازى اليوم

فالأول ، وهو حجازى ، قد سرد علينا قصائد ومقطوعات من هذا الشعر فى عجلة وبلا تحليل فنى يرتكز إليه القارئ المدقق ، وقد اغتفرنا له ذلك حملا على أنه فى مجال عرض لقضية الأدب الحجازى يستدعيه السرعة والارتجال ، وهو اغتفار — كما ترى — لغير النقد والمناقشة ، إذ كان الأقمن به أن يقتصر على بعض النماذج التى سردها مع تبيين القيمة الفنية لها

أما الآخر ، وهو مصرى كريم ، فقد أبت عليه أريحيته المشكورة إلا أن يعرض للأدب الحجازى منذ أدواره الأولى فى تعمق وفلسفة ، حتى الدور الذى يتمثل جله فى مجموعة « وحى الصحراء » ، فساق حديثاً عذباً طلياً ، إلا أنه انتهى إلى قوله : « ولاضير علينا بعد الذى فصلناه فى باب الشعر أن نقرر أن الشعر الحجازى قد تقدم فى هذه الفترة القصيرة فى أغراضه ومعانيه ، واستطاع أن ينأى بالتلاعب بالألفاظ وألوان الزينة ، ولكن ذلك لا يمنعنا أن نقول : إن الحجاز مهد الأدب شعره ونثره لا يزال يتطلب من شعرائه المزيد ، وبخاصة فيما يختص بقوة الأساليب ورصانتها ، فإن الكثير منهم مع إجادته لا يهتم أحياناً بجزالة الأسلوب ورصفه ، شأنه فى ذلك شأن شعراء المهجر ... »

هنا تختلف نظرتنا ، ولسنا متشيعين — عن نظرة الأستاذ الكريم ، ولكن للأستاذ العذر ، فلو قدر له الآن — لا منذ صدور وحى الصحراء — أن يدرس شاعراً كالفقى أو قنديل أو شحاتة أو عواد مثلا ، أو سوى هؤلاء من شعراء الشباب فى الحجاز — متوفراً على استيعاب أكثر شعر الشاعر الحديث ، متذوقاً أسلوبه الرائع الجديد للمس ما يطرب له ويعجب من أصالة الأفكار ونضجها والتماعها ، وروعة السبك وزخور الأسلوب بشتى الصور الشائقة الفاتنة ، ولكن أنى يتسنى ذلك للأستاذ الفاضل ، ونحن لم نر بعد شاعراً حجازياً واحداً قد أبرز ديوانه للقراء ، وما أظن ذلك بالعسير لو تضافر أدباء الحجاز على خدمة فنهم ، باذلين الجهد فى تذليل كل مشقة وعناء ليضموا إلى العربية من كنوز قرائحهم ما تظفر به وتفخر

أما النثر الحجازى ، فقد قطع مرحلة بعيدة وبلغ مستوى عصرياً عالياً ، وليس ببعيد إن شاء الله ذلك اليوم الذى تتشرف فيه صحف الحجاز الأدبية وتتألق فيه كتبه الحديثة ومنتجاته ، وحينئذ سيتذوق قراء العربية فى الأقطار الشقيقة ، ولا فخر ، من أدب إخوانهم هنا شهداً سائغاً مصفى ، يلذ لهم تناوله فى فرحة وإكبار

وبعد ، فلحضرة الأستاذ المفضال أحمد أبو بكر ابراهيم ، ولرصفائه من كرماء مصر الحبيبة ، ممن يعنون بأدب هاته البلاد ، مزيد التقدير والشكر والإعجاب ...

حسن عبد الله القرشى

عبد الله بن أبى بكر وهيكل باشا :

ذكر الدكتور هيكل باشا فى كتابه « الصديق أبو بكر » (الطبعة الثانية صفحة ٣٨٤) فى باب مرض أبى بكر ووفاته : « وضع الجثمان فى المسجد بين القبر والمنبر ، وتولى عمر صلاة الجنازة فكبر أربعاً ، ثم نقل الجثمان إلى القبر ، ودخل معه عمر وطلحة ، وعبد الرحمن بن أبى بكر ، وأراد عبد الله بن أبى بكر أن يدخل ، فقال له عمر : كفيت » . ومن هذا يفهم أن عبد الله بن أبى بكر قد حضر وفاة أبيه ودفنه ، وهذا لم يحدث ، والذى منع حدوثه أن عبد الله كان قد توفى قبل ذلك بعامين ، وقد ذكرت جميع المظان موت عبدالله فى خلافة أبيه ، وهاك ما ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب : « ومات ، أى عبدالله بن أبى بكر ، فى أول خلافة أبيه ، وكان قد ابتاع الحلة التى أرادوا دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها بتسعة دنانير ليكفن فيها ، فلما حضرته الوفاة قال : لا تكفنونى فيها ، فلو كان فيها خير كفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . ودفن بعد الظهر ، وصلى عليه أبوه ، ونزل فى قبره عمر وطلحة وعبد الرحمن أخوه » .

وقد ذكر الدكتور هيكل باشا نصاً فى الصفحة السابقة للصفحة التى أورد فيها النص الذى نحن بصدده ، لو أنه استقرأه ومحصه قبل أن يثبته لما وقع فى هذا الخطأ ، فقد ذكر حديثاً

على لسان الصديق إلى عائشة أم المؤمنين جاء فيه : « يا بنية ، إن أحب الناس غنًى إلىَّ بعدى أنت ، وإن أعز الناس فقراً بعدى أنت ، وإن كنت نحلتك أرضى التى تعلمين ، وأنا أحب أن تردّيها على فيكون ذلك قسمة بين ولدى على كتاب الله ، فإنما هو مال الوارث ، وهما أخواك وأختاك ، ولم يكن لعائشة غير أخت واحدة فسألت أباها فى ذلك فقال : « ذو بطن ابنة خارجة ، فإنى أظنها جارية » . وهذا الذى قاله الصديق يدل على أن لعائشة أخوين اثنين لا ثالث لهما هما : عبد الرحمن بن أبى بكر ، ومحمد بن أبى بكر ، الذى ولد فى حجة الوداع ، أما التى كانت حبيبة بنت خارجة بها حامل ، فهى أم كلثوم ، وقد ولدت بعد موت الصديق ، فلو كان عبد الله حياً لما قال أبو بكر : « ... وهما أخواك وأختاك »

وأظن أن الذى أوقع الدكتور هيكل باشا فى هذا الخطأ هو أنه وجد النص الآتى فى كتاب الطبرى : « ... أن أبا بكر حمل على السرير الذى حمل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل قبره عمر وعثمان وطلحة وعبد الرحمن بن أبى بكر ، وأراد عبدالله أن يدخل فقال له عمر : كفيت » .

هذا ما أورده الطبرى ، وقد أضاف الدكتور هيكل من عنده ابن أبى بكر بعد عبد الله ، فجاء هذا الخطأ ، وقد يكون عبد الله هذا الذى ذكره الطبرى هو عبد الله بن الزبير حفيد أبى بكر ، وهذا يجوز إذا أخذنا بالرأى الذى يقول : إن واقعة اليرموك قد حدثت فى أيام عمر ، لا فى أيام أبى بكر ، وعلى ذلك يصح أن يكون عبد الله بن الزبير فى المدينة لم يخرج مع أبيه بعد إلى اليرموك ليشاهد قتال الروم عن كثب ، وإلا فإن عبد الله الذى ذكره الطبرى هو أى عبد من عبيد الله خلاف ابن أبى بكر الذى كان قد قبر قبل ذلك بعامين

عبد الحميد جودة السحار

جائزة فاروق الأول للصحافة :

كان الأستاذ ادجار جلاد بك صاحب ومدير سياسة (الجورنال ديجيبت) قد تبرع بستة آلاف جنيه ترصد فائدتها لإنشاء جائزة سنوية باسم (جائزة فاروق الأول للصحافة) ، وتمنح للصحفيين فى البلاد العربية الذين لا تزيد سنهم على ثلاثين سنة والذين يتفوقون فى مهنتهم

وقد تقرر توزيع ربع هذا المبلغ فى هذه السنة وقدره ثلاثمائة جنيه على ثلاث جوائز على الوجه الآتى :

١٠٠ جنيه للصحفى العربى الذى يكون قد كتب أحسن مقالة فى موضوع وطنى .

١٠٠ جنيه للصحفى الذى يكون قد قام بأوفى تحقيق صحفى فى موضوع عام

١٠٠ جنيه للصحفى العربى الذى يكون قد كتب أحسن مقالة بلغة أجنبية (الإنجليزية أو الفرنسية) فى موضوع شرقى .

ويجب أن تكون هذه المقالة قد كتبت فى المدة من ١١ فبراير سنة ١٩٤٥ إلى أول يناير سنة ١٩٤٦

ويرسل منها ثلاث نسخ إلى إدارة (الجورنال ديجيبت) بالقاهرة وستؤلف لجنة من كبار الصحفيين للحكم فى هذه المباراة ، وتعلن النتيجة فى ١١ فبراير سنة ١٩٤٦ يوم عيد ميلاد حضرة صاحب الجلالة فاروق الأول ملك مصر . وحكم اللجنة غير قابل للاعتراض

مجلة « الكتاب » :

صدرت هذه المجلة الشهرية عن دار المعارف بالقاهرة يتولى رياسة تحريرها الأستاذ عادل الغضبان ، ويعاونه فى ذلك بعض الأقلام البارعة فى الأدب والفن . وهذه المجلة مثل عال للصحافة الشهرية فى جمال التبويب وحسن الترتيب وطرافة المادة وأناقة الطبع . فنرحب بالزميلة الجديدة ونرجو لها التوفيق فى خدمة العربية والعروبة .

١ — تصويب :

وقع فى مقالة (دفاع عن الأدب) تطبيعات هذا تصويبها :

صفحة	عمود	سطر	التطبيع	الصواب
١١١١	٢	٢٠	ويعرفوا	ويعرضوا
١١١٢	١	٢٧	من بمجالستهم	من مجالستهم (أو) بمجالستهم

٢ — الجيل :

جاء فى إحدى حواشى مقالة الزندقة (العدد ٦٤١) أن الجيل الأمة ، وليس معناه العصر . وإطلاق النى يوهم أن الجيل بمعنى القرن لا أصل لها ، مع أنها قد جاءت فى التاج فى مادة (جيل) ومرت على ألسنة بعض الفصحاء ، ولها مواضع لا يصلح لها غيرها .

على الطنطاوى



من الأدب القصصي الروسي :

عمـــــل شاق ...

للكاتب الروسي أنطون تشيكوف

للأستاذ مصطفى جميل مرسي

كانت ليلة من ليالي شهر مارس ، والسحب مدجنة مطلخمة ، وقد اسبطر الضباب فطوى الأرض والسماء في مطارفه . . حتى لا يكلف المرء نفسه الخطو خيفة العثر .. وهب الحارس فجأة وقد طرق أذنيه لغط وهسيس لبعض من الناس يمضي في مطارب المقبرة . وصاح في هيعة وتحوّب « من ثمت يسري ؟ » . ولكن دون مجيب . . فراح يرجّع صيحته وقد توجس همساً وهجساً « من ثمت يسري ؟! » فأجابه صوت مختلج لرجل هرم . « أنا ذا .. أيها الرفيق . »

— ولكن من أنت ؟!

— أنا رجل جوّال .

فصاح الحارس في صوت حاول أن يستر به رنة الفزع التي سرت إليه :

— أي شيطان رمى بك إلى هنا ؟! أتجوّل قدميك في المقبرة ليلا ؟ أيها الشرير الخبيث ! .

— وَيْ ! أتقول إن هذه مقبرة ؟!

— وما في ذاك ؟! إنها مقبرة .. ألا تلمح ذلك ؟.

فتنهد صوت الرجل الهرم قائلا : « آه .. يا للسماء . ما أقدر على إبصار شيء أيها الرفيق .. إن الظلمة لحالكة .. الظلمة .. فما يستطيع الإنسان أن يرى يده وهي أمام وجهه !

— ولكن من أنت ؟!

— أما قلت لك .. زائر .. أيها الصديق ، رجل جوّال . .

فنبس الحارس في يقين : « إلى الشيطان .. يا لكم من معربدين أيها الجوالون ، كل منكم يظل يجرع الخمر ، ويأتي إلى هنا يقلق راحتنا ويسبب متاعبنا ليــلا .. ولكن .. لقد سمعت أصواتاً تهمس معك فأين أصحابها ؟! .

— إني بمفردي ياصديقي .. إني وحيد ..آه يا إلٰهي

فدنا الحارس من العجوز ووقف إزاءه وسأله :

— كيف حضرت إلى هنا ؟ !

— لقد ضللت سبيلي يا سيدي بينا كنت أروم طاحونة « ميتريافسكي » ...

— وي ... أهذا طريق طاحونة « ميتريافسكي » ؟ أيها الشرير ؟ كان ينبغي أن تسري إلى يسارك ثم تُدوّم سيرك على استقامة ... يخيل إليّ أنك تناولت بعضاً من أقداح الخمر ، فتنكبت سبيلك !

— نعم ... لقد أتت يداي هــذه الخطيئة ، فما ثمت سبب للانكار . ولن أعود فأركب هذا المتن الخاطئ ثانية ... بالله أين الطريق الذي عليّ أن أسلكه ؟

— امض أمامك في هذه المطربة حتى تصل إلى باب المقبرة ، فافتحه ، وانطلق إلى حال سبيلك ... حاذر أن تعثر بالخندق فتتردى فيــه ... وستلاقي الطريق حيث يمكنك أن تصل إلى الطاحونة إن سلكته .

— أسأل الله أن يسبغ عليك وافر الصحة والخير ... أيها الرفيق ، ويطهرك من ذنوبك برحمته وغفرانه ... ألا يمكنك أن تصحبني حتى الباب ... فيضاعف ثوابك ، فما أكاد ألتمس طريقي في تلك العتمة ...

— كأني بك ترى عندي الوقت الذي أضيعه عبثاً في السير معك ... امض وحدك .

— كن رحيما يرحمك الله ... فسأصلي من أجلك . إني لا أكاد أرى طريقي فالظلمة حالكة ... بالله أرني الطريق .

— أيدور بخلدك أن وقتي متسع لصحبتك أيها الشرير الكهل !

— نشدتك الله ... قدني إلى الباب ... لا أقدر على إبصار شيء ، كما أنني أخشى هذه المقبرة وما يجول فيها من أرواح

وأشباح ... هيا معى يا سيدى ... بالله رافقنى ...

— ليس سبيل إلى الخلاص منك ومن ثرثرتك ، هيا إذاً معى أيها العجوز ...

ومضى الرجلان متلاصقين فى صمت رهيب ... وهبت الريح صرصراً تصطك منها الأسنان ، والأشجار ضاربة فى جو السماء تصفرفى رهبة كأنها صراخ الجن ... ويساقط منها الطلل والندى وقد تناثرت فى ساح المقبرة الناقع الضحلة ...

وبغتة قال الحارس بعد أن طال أمد الصمت بينهما :

— ثمت شىء يثير حيرتى وتساؤلى ! كيف تسنى لك أن تدلف إلى هنا مع أن الباب مقفل ؟! أتسلقت الحائط ! ؟ ما أظن ذلك فأنت هرم ، فأنت آخر من يأتى هذا العمل ! .

— لست أدرى ! أيها الرفيق ... لست أدرى كيف أتيت إلى هنا ... لعمرى إنها مشكلة ... رحماك يا رب ... لا بد أن الشيطان مس عقلى ، ألست حارس المقبرة أيها الرفيق ؟

— بلى ...

— أنت وحدك تقوم بحراسة كل هذه المقبرة ؟!

وارتفعت حينئذ ريح عاصف كادت أن تنتزعهما من مكانهما فلما هدأت حدتها عاود الحارس حديثه مجيباً :

— إنا هنا ثلاثة رجال : واحد مضطجع فى فراشه محموم ، والآخر مستغرق فى نومه ، ونحن الإثنين نتبادل الحراسة ...

— حسن ... آه ، يالها من ريح عاصف يكاد أن يسمع صفيرها الأموات فى قبورهم ... إنها تزأر كالوحوش الكاسرة ... آه ... آه ...

— ولكن من أين أتيت إلى هنا ؟

— كنت عند صديق فى اقليم « فولجدا » على مبعدة من هنا ... إنى أتجول من مكان إلى آخر حيث أصلى وأعظ ... اغفر لى يا إلهى ...

***

توقف الحارس هنيهة ليشعل غليونه ، وقام الرجل العجوز بينه وبين الريح ... وأبرق عود الثقاب على المطربة التى يسلكانها واستقر شعاعه على بعض أحجار القبر التى إلى جانبهما ؛ فأشعل العود الثانى فتألق ضوؤه ثم خبا على حين فجأة ... أما العود الثالث فألقى بشعاعه إلى اليمين وإلى الشمال ، فتمكن من إشعال غليونه

قال الرجل الغريب :

— إن الراحلين راقدون ... الراحلين الأعزاء ... إنهم يرقدون سواسية لافرق بين غنى وفقير ، حكيم وأحمق ، قوى وضعيف ، إنهم على حال واحد الآن ... وكذلك سيمكثون إلى أن ينفخ فى الصور وتبعث الأموات من القبور ... إن هذه الحياة الدنيا لفانية مضمحلة أما الحياة الأخرى فخالدة سرمدية . فقال الحارس فى جلال :

— نعم ... إننا لنسير فى هذا المكان الآن ، وبعد حقبة تطوينا هذه الأرض فنصبح نسياً منسياً ...

— لامجال للريب فى ذلك ... كلنا جميعاً ... جميعاً إلى هذا المصير سائرون . وليس ثمت من يخلد على أديم هذه الأرض ... أوّاه ... إن أفعالنا لآثمة ، وأفكارنا تطمح إلى آمال كالسراب . إن الخطيئة لتسيطر علينا وليس ثمت خلاص من قضاء الله سواء فى الدنيا أو فى الآخرة . إنى لغارق فى خطيئاتى كالحشرة تسعى فى جوف الأرض ...

— أجل ... ورب منيتك كانت قاب قوسين منك !

— إنك لعلى صواب وحق ، أيها الصديق ...

فقال الحارس وهما يحثان الخطا نحو الباب .

— إن الموت لأدنى إليكم معشر الجوالين منا نحن من نستقر فى الأرض على الدوام !

— إن هناك أنواعاً متباينة من الجوالين ياسيدى . فمنهم من أنزل الله السكينة على قلبه ، فراح يصلى ويعبد ربه . ومنهم من أصابه الفجور فراح يعربد ويأتى المنكرات وليس له رادع يردعه عن أفعاله . إن هؤلاء يجولون فى المقابر لتتصل أنفسهم بالشياطين . وهناك من فى مقدورهم أن يهووا بفأسهم على هامة رأسك فتخر وقد بت على شفا الموت ...

— هه ... عم تتحدث أيها العجوز ؟ !

— آه ... لا شىء ... يخيل إلى أن هذا هو الباب ... نعم إنه هو . أرجو منك فتحه ...

فتلمس الحارس طريقه وفتح الباب ، وقاد الرجل إلى الخارج من منكبه وقال :

— هذا هو منتهى المقبرة ... وعليك بالإنطلاق عابراً الحقول حتى تدرك الطريق ، وحاذر الخندق أن تتردى فيه . وإذا مالحقت بالطريق العام ، فانثن إلى يمناك وواصل سيرك حتى تصل إلى الطاحونة التى ترومها ...

فزفر العجوز بعد فترة صمت :

— هيه ... ولكن ما الذى يدفع بى إلى الذهاب إلى طاحونة « ميتريافسكى » إنى أفضل البقاء هنا على المضى إلى هناك ياسيدى ...

— وما الذى ترجوه من اللبث هنا ؟ !

— ستجد منى من يؤنس وحدتك ، ويفرج عنك كربك .

— الملك رجل لطيف المعشر ، حلو النكتة ؟ !

— بلاشك ياسيدى ... فستظل تذكرنى ... تذكر ذلك الجوال على الدوام ...

— ولم تظل ذكرى إنسان مثلك ببالى على الدوام ؟ !

قال العجوز فى صوت أصحل ساخر :

— هه ... اسمع ... إنك تمعن فى الجفاء ... وأنا أتبسط فى الحديث ... فما أنا بجوال كما أنبأتك !

— إذن من أنت ؟ !

— رجل ميت ! لقد خرجت الآن من لحدى ... ألا تذكر « جبرياف » القفال الذى شنق نفسه فى عيد « الكرنفال » .. حسن . إنه أنا « جبرياف » .

— بالله خبرنا بشيء غير هذا ...

لم يصدق الحارس لفظة مما قاله العجوز ، ولكن سرت قشعريرة الهلع فى جسده فراح ينتفض فرقاً ... ويسرع بالنأى عن الباب ، فقبض الرجل الغريب على كتفه وهتف قائلا :

— قف ... أتمضى وتدعنى وحدى أعانى مرارة الوحدة ...

فصاح الحارس وهو يحاول نزع ذراعه من براثن ذلك العجوز :

— دعنى أذهب ! دعنى أمض بسلام !

— قف ... إنى آمرك بالوقوف ، وستقف حتماً ... لاتناضل أيها الكلب الرعديد ... إن كنت تبغى الحياة . فقف حتى آذن لك ؛ هذا لأنى لا أود أن أسفك دماً حقيراً كدمك أيها الخنزير الجبان ... قف مكانك ...

وتهاوى الحارس ، وقد سرت عنه شجاعته فأغمض جفنيه وراح يرتعد ويرتجف وقد طارت نفسه شعاعاً ... إنه يستطيع الصياح والإستغاثة ولكن عبثاً يحاول ... فليس من حى تصل إلى أذنه صيحاته ...

قام الرجل الغريب إلى جانبه وساعده فى ثبات وقسوة ... وتقضت ثلاث دقائق والكون غارق فى صمت رهيب ... فعاد الغريب يقول :

— واحد مريض محموم ، والثانى غارق فى النوم ، والثالث يلتى الجوالين بجفاء وبرود ... ألا بالله خبرنى يا سيدى الحارس كيف تستحقون مرتباتكم ، إنكم كاللصوص ولكن فى الخفاء . قف مكانك ...

* * *

انقضت خمس دقائق ثم تلتها عشر والصمت لم ينفك مخيما على المقبرة ... وعلى حين غرة ... قطع هذا الصمت صوت صفير سرى فى جنح الليل ... فقال الغريب إثر ذلك وهو يطلق ذراع الحارس : « حسن ... الآن ... امض ... امض ، واذكر أن الله يرقب أعمالك الشائنة ... »

ثم أطلق صفيراً — يشابه الذى سرى مذ هنيهة — وانطلق خارجاً من باب المقبرة ... وسمعه الحارس وهو يجتاز الخندق قفزاً ووقف الحارس هنيهة جامداً لا يتحرك ... يرتعد فرقاً ... كأن الغريب ما زال ماثلا أمامه .

ولما انقلب عقبه فى المطربة طرق أذنه أصوات لأقدام تتسارع فى سيرها ، وسؤال يجرى على لسان يقول : « ألأنت « تيموفى » ؟ أين « ميتكا » ؟ » وابتعدت عنه الأصوات فراح يجد فى سيره حتى لمح شعاعاً يخفق فى الظلام ... فلما أمعن فى الدنو ، وضح له الشعاع فراح يردد :

— كأن النور يشع من الكنيسة ! . من أين أتى هــذا الشعاع يا إلهى ... فرّج كربتى . .

دار الحارس حول الكنيسة حتى وقف أمام نافذة محطمة فراح يحملق نحو المذبح ... فى هلع وفزع .. وكانت هناك شمعة خلفها وراءهم اللصوص تخفق فى رهبة ، وتلقى الظلال الدامسة فى الأرجاء ... وقلب الحارس طرفه فرأى الخزانة مقلوبة محطمة وقد فتحت على مصراعيها ، واختفى ما كان بهـا من كنوز وأموال ...

وكذلك ذهبت القرابين وغيرها . . وأدرك الحارس سر ذلك الرجل الغريب الذى راح يداوره ويبعده عن الكنيسة حتى يهيء الفرصة لزملائه اللصوص ...

ومضت برهة ، وعادت الريح تعصف وتصفر فى جنون وكأنها تسخر من ذلك الحارس المسكين ! ؟

مصطفى جميل مرسى

سكك حـــديد الحكومة المصرية

عيد الاضحى المبـــارك عام ١٩٤٥

يتشرف المدير العام باعلان الجمهور أنه بمناسبة عيد الأضحى المبارك عام ١٩٤٥ ستسير القطارات الإضافية الآتى بيانها فى التواريخ المحددة بعد وذلك تسهيلا لحركة سفر الركاب وستكون هذه القطارات مركبة من عربات درجة أولى وثانية وثالثة :

خط مصر — اسكندرية وخط مصر — سوهاج — الأقصر

١ — يوم الاثنين ١٢ نوفبر سنة ١٩٤٥

مكرر ٢٠ طنـــطا — مصر
« ١٩ مصر — اسكندرية
« ٢٤ اسكندرية — مصر
« ٨٨ مصر — سوهاج
« ٩١ الأقصر — مصر

٢ — يوم الثلاثاء ١٣ نوفبر سنة ١٩٤٥
(عيد الجهاد الوطنى)

مكرر ١٣ مصر — اسكندرية
« ١٤ اسكندرية — مصر
« ٢٠ طنـــطا — مصر
« ١٩ مصر — اسكندرية
« ٢٤ اسكندرية — مصر
« ٨٨ مصر — الأقصر
« ٨٣ سوهاج — مصر

٣ — يوم الأربعاء ١٤ نوفبر سنة ١٩٤٥
(الوقفة)

مكرر ١٣ مصر — اسكندرية
« ١٤ اسكندرية — مصر
« ٢٠ طنـــطا — مصر
« ١٩ مصـــر — اسكندرية
« ٢٤ اسكندرية — مصر
« ٨٨ مصـــر — الأقصر
« ٩١ الأقصر — مصر

٤ — يوم الخميس ١٥ نوفبر سنة ١٩٤٥
(أول أيام العيد)

مكرر ١٩ مصـــر — اسكندرية
« ٢٤ اسكندرية — مصر

٥ — يوم الجمعة ١٦ نوفبر سنة ١٩٤٥
(ثانى أيام العيد)

مكرر ١٩ مصر — اسكندرية
« ٢٤ اسكندرية — مصر
« ٢٠ طنـــطا — مصر

٦ — يوم السبت ١٧ نوفبر سنة ١٩٤٥
(ثالث أيام العيد)

مكرر ١٩ مصـــر — اسكندرية
« ٢٤ اسكندرية — مصر
« ٢٠ طنـــطا — مصر

٧ — يوم الأحد ١٨ نوفبر سنة ١٩٤٥
(رابع أيام العيد)

مكرر ١٣ مصر — اسكندرية
« ١٤ اسكندرية — مصر
« ٢٠ طنـــطا — مصر
« ١٩ مصـــر — اسكندرية
« ٢٤ أسكندرية — مصر
ملحق ٢٤ طنـــطا — مصر
مكرر ٩١ الأقصر — مصر

٨ — يوم الاثنين ١٩ نوفبر سنة ١٩٤٥

مكرر ١٩ مصـــر — اسكندرية
« ٢٤ اسكندرية — مصر

خط طنطا — المنصورة

مكرر لقطار ٥٤ من المنصورة إلى طنطا ومكرر لقطار ٥٧ من طنطا إلى المنصورة وذلك فى المدة من ١٢ نوفبر سنة ١٩٤٥ إلى ١٩ منه

وفى نفس المدة المذكورة (من ١٢ إلى ١٩ نوفبر سنة ١٩٤٥) ستستبدل العربة الديزل الشغالة بقطارى ١٦٨ / ١٦٧ من مصر إلى المنيا وبالعكس بقطار إعتيادى مركب من عربات درجة أولى وثانية وثالثة .

تنبيهات : ١ — للمصلحة الحق فى إلغاء أى قطار من القطارات الإضافية المبينة بعالية اذا لم يتوفر العدد الكافى من المسافرين لسيره .

٢ — المقصود بكلمة « مكرر » أن القطار المكرر يقوم قبل القطار الأصلى بنصف ساعة ويقف بمحطات وقوفه .

٣ — المقصود بكلمة « ملحق » أن القطار الملحق يقوم بعد القطار الأصلى بنصف ساعة ويقف بمحطات وقوفه .

ولزيادة الإيضاح — المرجو من الجمهور — الرجوع إلى المحطات للاستعلام منها عن المطلوب .

العدد ٦٤٦ — الاثنين ١٩ نوفمبر ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٤١ ، ٢٥

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 646

Lundi—19—11—1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٣٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٦٤٦ « القاهرة في يوم الإثنين ١٤ ذو الحجة سنة ١٣٦٤ — ١٩ نوفمبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

خـــواطر...

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازني

كتب إليّ بعضهم يستشيرني في العيد كيف يقضيه ! حتى عن هذا يسأل بعضهم ! وقد حرت كيف، وبماذا أجيب ؟ ثم خرجت من المأزق الذي زج بي فيه سؤاله بكتاب وجيز، هذا بعض ما فيه :

« والشرط في العيد أن يشترى لك سواك كسوة ، فإذا لم يوفقك الله لهذا ، أو كنت ممن يَشترون ولا يُشترى لهم ، فلا عيد لك . ويجب أن يكون مع الكسوة لعبة — أى لعبة — كرة ملونة مخططة ، أو زمارة ، أو حصان خشبي ، أو ما شئت غير ذلك ، على أنك سألتني فأنا أختار لك « البارود » إذا كنت غلاماً ، وإذا كنت لا تعرفه فاعلم أنه « فتيل » ملفوف عليه ورق أحمر ، وبعضه في سمك القلم ، والبعض أسمك من ذلك جداً ، والأول يُرَصّ في علبة ، والثاني يستعمل فرادى لضخامته . وإذا أشعلت النار في هذا أو ذاك ، انطلق منه مثل أصوات البنادق والمدافع . أما إذا كنت « بنتاً » فأنا أشير عليك بما يسمى « على لوز » وهو سكر يُحل ويُعقد ، ويزين باللوز والبندق والفستق ، وما إلى ذلك ، وتحمله الفتاة في طبق — بعد أن يبرد لئلا تحرق أصابعها الناعمة — وتدور به على الصبيان تبيعهم منه ، كل ملء ملعقة صغيرة بمليم ، وهذا هو السعر القديم ، وزيادته جائزة .

« واحرص على أن تُعطى في العيد بلا تقتير أو حساب ، فتأخذ باليمين لتنفق بالشمال ، وكلما فرغت يدك وذهب ما معك عدوت إلى أهلك تطلب منهم أن يعطوك ، وتبكي وتصيح وتدبدب برجليك — وبيديك أيضاً إذا شئت — وتتمرغ على البساط ، أو البلاط وهو أفضل — إذا أبطأوا وتلكئوا في العطاء ، أو بخلوا به . فإذا ملأوا جيوبك قروشاً ذهبت إلى الأراجيح ، وبعضها خيل تدور براكبيها حتى تدور رءوسهم ، والبعض « دكك » أربع كل اثنتين منها متقابلتان ، تدور كالساقية وأنت معها ، فتسر أو تخاف ، وتصرخ أو تغنى على هواك ، والدكك دائرة كالأيام ، صاعدة بك طوراً ، وطوراً هابطة ، لا تبالي — كالأيام أيضاً — أضحكت أم بكيت ، وفرحت أم جزعت . ومن الأراجيح أيضاً نوع لا أشير به عليك إذا كنت فتاة ، فإنه يعرّيك ويطير ثوبك عما تحته ، وهو عبارة عن لوح مشدود من الجانبين إلى حبلين معلقين ، يقف عليه الفتى ويمسك الحبلين بيديه ، ويروح يدفع اللوح بقدميه ، فيندفع من الخلف إلى الأمام ، ومن الأمام إلى الخلف ، فإذا كنت قوياً أو مدرباً ، بلغ بك علواً كبيراً .

« وإذا لم يعجبك هذا الذي أقترح فإنه لا يبقى لك إلا أن تذهب إلى القبور فتزور موتاك ، وتترحم عليهم وتستغفر لهم ، والسلام » .

وقد ندمت بعد أن وضعت الكتاب فى صندوق البريد ، لأنى خفت أن يصدر عن رأيى ، فيفعل ما أشير به ! ومن الغريب أن هذا هو الرد الوحيد الذى بعث به على ما جاءنى من الرسائل فى شهر كامل !

صدق من قال : يُثاب المرء رغم أنفه !

* * *

ما أعجب غرور الإنسان ! وما أحوج الإنسان إليه !

لى صديق — وفى هذا مبالغة قليلة ولكنه لا ضير منها — ليس بينه وبين النوريللا فرق ، وقد اعتاد أن يتخذ مكانه كل يوم على مقهى يكثر مرور الناس - رجالا ونساء - على رصيفه ، وهو على طريقى فى أغلب غدواتى وروحاتى . ومن عجيب أمره أنه شديد التأنق فى ملبسه ، كأن من الممكن أن يحجب حسن الهندام قبح الوجه وسخافة القوام . وكان أولى به فى رأيى أن يتوارى عن العيون فى مقهى فى زقاق ضيق إذا كان لا بد من الجلوس فى مقهى . وقد سألته مرة وقد ألح عليّ فى مجالسته : لماذا تؤثر هذا المكان والضجة فيه عظيمة !

قال « أتفرج على الناس »

قلت « أو يتفرجون عليك ! »

فلم يسؤه قولى بل ضحك وقال « لابأس : يتفرجون وأتفرج »

قلت «أواثق أنك تحمد العاقبة ! »

قال « لا شك ! أنظر إلى هذه الفتاة التى ترشقنى بنظرتها الحلوة »

فأحنقنى واستفزنى هـذا الغرور وقلت « لعلك تظن أنك فتنتها بجمالك ؟ »

فما انهزم والله ، بل قال « وهل فى هذا شك ؟ »

فلم أطق صبرا على هذا الغرور فانصرفت عنه ، وإنى لأدرى أن بالإنسان حاجة إلى قدر من الغرور يعوذ به ويعول عليه ، ويستمد منه القدرة على احتمال حياته : ولكن هذا قد جار على نصيب جيله كله من الغرور .

وقد تعجبت فى مستهل هذه الكلمة لغرور الإنسان ، وأنا أختمها بالتعجب من المرأة ؛ فقد رأيت أجمل امرأة أخذتها عينى فى حياتى ، تتأبط ذراع هذا النوريللا ، وتثنى إليه محياها الصبيح وهو ينضح بشرا وابتهاجا ، وفى عينيها وميض الحب ، وقد خيل إلى ، وأنا أنظر إليهما كأنها تشتهى أن تأكله !

وقد سلم على يومئذ بغير استخفاف ، وبغير احتفال كذلك . ولم يتمهل إلا ريثما يهز يدى ، ويسألنى عن صحتى ، كعادته كلما لقينى ، ولم يستعجل أيضا ، ولم أر على وجهه ولا فى سلوكه ما يدل على أنه مزهو بمصاحبة هذه الحسناء الفاتنة . فكأن هذا أمر عادى جدا ! فسبحان ربى القادر .

* * *

وعلى ذكر التعجب أقول إن عجبى لا ينقضى من عجز الإنسان وجهله . نعم استطاع أن يخترع اللاسلكى مثلا ، فهو يرسل الموجة من جهاز فتمضى فى الجو إلى أطراف المعمورة ، ويلتقطها جهاز آخر فتستحيل كلاما وغناء وموسيقى . وهذه الأجهزة مصنوعة من مواد يستخرجها الإنسان من الأرض التى يعيش عليها ، وهو أيضا مخلوق من طينها ، وفى بدنه كل عناصر هذه الأرض ، ومع ذلك لم يخطر له أن يحتال حتى يتخذ من بدنه جهازين للارسال والتلقى ، أو أن ينمى قدرته على ذلك ، فإن الناس يتفاهمون بالنظر إلى حد ما ، فماذا يمنع أن يتسع نطاق التفاهم حتى يشمل كل شىء ، فيستغنى الإنسان عن أداة اللغة التى قل أن يحسنها والتى هى عنوان العجز والقصور ؟

وأمر آخر : حطم الإنسان الذرة ، وهى لا ترى لا بالعين ولا بالمجهر . وأطلق بتحطيمها قوة مهولة مفزعة ، استخدمها أول ما استخدمها فى التدمير ، وسيستخدمها — إذا لم تقض عليه قبل ذلك — فى التعمير . وما من شك فى أن فى الإنسان طاقات محبوسة أو مستكنة أو راكدة لو أطلقت بحساب وقدر — حتى لا تعصف به — لبلغ من القوة والإقتدار درجة يعجز الخيال عن تصورها . ولكنه لا يفعل ، ولعل العلماء الذين حطموا الذرة لم يخطر لهم أن يعالجوا القيام بشىء من التحطيم فى جسم الإنسان ، وقد يحتاج ذلك إلى زمان طويل ، وقد يستغرق الاهتداء إلى وسيلة مأمونة لتحطيم ذرات الإنسان وإطلاق طاقاتها بقدر إلى قرن أو أكثر ، ولكن ما قرن إذا قيس إلى هذه الغاية التى تقلب الإنسان ماردا جبارا ؟

ابرهيم عبد القادر المازنى

من ماضى مصر

بين فرنسا وانجلترا

للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

إن ما يحدث فى الشرقين الأوسط والأدنى من الحادثات ، ويقع فيهما من تولية أو عزل للحكام والحكومات ، ويجرى من السياسات ، كل أولئك أمور يعتقد أناس كثيرون أنها جميعاً من تصرف الشرقيين وحدهم ، وأنها لا أثر فيها لنفوذ غيرهم أو لدس أو سياسة من سواهم ؛ لكنها أمور لا يستقل الشرقيون دائماً بالرأى فيها منذ ضعفت الدول الشرقية أو تخلفت ، بل يغلب أن تسببها وتلعب بها أيد صُنع أجنبية ظاهرة أحياناً وتارة خفية

وهذا مقال وجيز جاء بمثال أو أمثلة فى موضوعه ، فليس زعم أنه يبين جميع ما وقع لمصر مع فرنسا وانجلترا من جرّاء تعاديهما ، وطمعهما وتنافسهما الاستعمارى ؛ وإنما غرضه الإشارة الخفيفة إلى أثر ذلك التعادى والطمع والتنافس فى بعض حوادث هذا القطر المتصل بالشرق الأدنى ، والمنسوب إلى البلاد العربية بخِلط فى دم أهله ، وبلغتهم وتالد ثقافتهم .

***

طال العداء بين فرنسا وانجلترا دهراً تحاربتا فيه حرباً عواناً ، وخصوصاً لعهد حكومات الثورة الفرنسية الكبرى وامبراطورية نابليون ، بسبب المبادئ الثورية وأعمال أصحابها ، والسيادة الدولية والبحرية ، والتجارة والاستعمار . وقد ظلت انجلترا فى تلك الأيام تؤلب الدول الأوربية على عدوتها اللدود ؛ ودخلت الحرب فى الحلف الدولى الأول على فرنسا بعد أن أعدمت لويس السادس عشر سنة ١٧٩٣ ؛ ولم تكف انجلترا بعد انحلاله ، بل بقيت تحارب ، وألّبت الحلف الثانى الذى تحطم، ثم انتهت حربه سنة ١٨٠٢ بمعاهدة أميان Amiens بينها وبين فرنسا .

فكانت انجلترا فى حرب مستمرة مع فرنسا يوم نزلت حملة بونابرت بأبى قير عام ١٧٩٨ ، ويوم أبحر عائداً إلى فرنسا ، ثم تبعه الجنرال بليار Belliard بقسم من الحملة فى ٧ من أغسطس عام ١٨٠١ ، فتبعهما الجنرال منو Menou فى الشهر التالى بالقسم الباقى . وجاءت معاهدة اميان بعد ذلك بنحو نصف عام .

وكانت مصر على الدوام محسدة الدول التى سادت العالم القديم : لأنها كانت مركزه الجغرافى ، وإنها تمكن من السيادة على البحر المتوسط . ومفتاح هذه السيادة هو على الأصح تونس لوقوعها فى منتصف البحر وإشرافها على شقّيه الشرقى والغربى ، وعلى صقلية ومضيق مسّينا الفاصلين بينهما . بيد أن مصر أيضاً مشرفة على البحر المتوسط ومشرفة مع ذلك على البحر الأحمر ، وهى منفذ إلى الهند ووصلة بين أفريقية وآسية ، ومجاز إلى طرقها البرية . وقد اتجه نظر بونابرت إلى مصر منذ كان يحارب فى إيطاليا حيث انتصر وعد انتصاره طالع سعده ، ومنها كتب إلى تالّيران Talleyrand سنة ١٧٩٧ : « لن نلبث مليًّا حتى نُحِسّ أنه ليس بد من أن نمتلك مصر لتحطيم انجلترا » . ولما عهدت إليه حكومته فى الاستعداد لغزو الإنجليز شرع يستعد ؛ غير أنه وضع مشروعاً للاستيلاء على مصر ، وشرح لحكومته ما تجنيه فرنسا من الثمرات إذا هى استبدلته بغزو انجلترا فوكلت إليه قيادة الحملة وفتح القطر .

وملخص الأسباب التى شرحها بونابرت فى إيثار مشروعه أن مصر أخصب أرض وثروتها الزراعية والحيوانية عظيمة ؛ وإنها كانت هُرْى رومة وهى يومئذ هرى القسطنطينية ، ومجمع القوافل الأفريقية والأسيوية ، ومحل تبادل المتاجر الشرقية والأوربية ؛ فإذا قامت فيها إدارة فرنسية خمسين عاماً زيد عدد سكانها زيادة كبيرة ، وتصبح سوقاً ومصرفاً لمصنوعات فرنسا ؛ وإن حلول الفرنسيين بمصر يضر انجلترا ، ويمكنهم من السيادة على البحر المتوسط فيوطد الامبراطورية العثمانية ؛ وإذا كان الانهيار مقدّراً عليها أخذت فرنسا أحسن حصة من سلَبها ؛ فإذا استعمرت فرنسا مصر ، أو جعلتها مستودَعاً للمتاجر أو موثباً تنقض منه على مؤسسات الإنجليز فى الهند ، كان لها أن تستيقن بأنها سترد التجارة الكبرى إلى طرقها الطبيعية فتصل إلى الثغور الفرنسية ، لأن فرنسا أحسن الدول الغربية الكبيرة موقعاً بالنسبة إلى مصر

***

نزلت الحملة الفرنسية باسكندرية فى أول يولية عام ١٧٩٨ ،

وأعلن الباب العالى الحرب على فرنسا فى ٤ من سبتمبر من العام نفسه ، وأخذ يعبئ جيشين أحدهما فى سورية ، والثانى فى رودس لطرد الحملة . فرأى بونابرت أن نزول جيش رودس من البحر لا يتيسر إلا فى الصيف ، فآثر أن يفاجئ الجيش البرى قبل أن يتم احتشاده ليشتته فى سورية ويفتحها كما فتح مصر؛ ومتى يقهر الترك ويجمّع محاربين فى صفه بالتجنيد من المسيحيين المنتشرين فى تلك البلاد ، ومن الدروز وغيرهم تمتد الحركة إلى سائر العرب ويتسهل له إصلاح العلاقات بين فرنسا والباب العالى ، ثم يجتاز الصحراء زاحفاً إلى الهند . لكنه رجع إلى مصر مضطراً بسبب صبر عكا على حصاره وتفشى الطاعون فى عسكره وغير ذلك .

***

وجلت الحملة الفرنسية عن مصر ، لكن بونابرت المستعمد بجده وفرنسا التى اعتزت به ، فرنسا التى ما فتئت تدافع عن مصالحها فى الشرق لم ييأسا من إمكان فتح هذا القطر ثانية ، بل أرادا العمل على إحياء النفوذ الفرنسى فيه ريثما تتاح فرصة الاستيلاء عليه.

ففى محفوظات وزارة الخارجية البريطانية وثيقتان[1]: إحداهما مذكرة بمشروع لاستقلال مصر منسوب إلى المعلم يعقوب الذى ورد ذكره فى تاريخ الجبرتى — وليس فى كلام المؤرخ إشارة ما إلى أنه عرف شيئاً يتعلق بهذا المشروع ؛ والوثيقة الثانية كتاب من قائد سفينة حربية انجليزية أرسل معه المذكرة إلى حكومته عقيب نقله يعقوب من مصر . ولهاتين الوثيقتين علاقة بعمل فرنسا على إحياء نفوذها فى مصر .

فقد وجد رؤساء حملة بونابرت أن المعلم يعقوب رجل حرب وإدارة تحلى ذكاء ومكر ، فألحقوه بجيش الجنرال دُزِه Desaiœ مديراً للتموين ، فأثبت إخلاصه لهم وشجاعته . وبعد هزيمة المماليك فى الصعيد رجع فى أسيوط إلى عيشة الثراء بجوار قائده ، وعاشره هو وأركان الحرب من ضباطه وبعض أعضاء اللجنة العلمية الفرنسية ، وكانت المحادثات بندىّ القائد شائقة وسامية المعانى فى أكثر الأحيان . فلا غرو من أن تكون أرسخت الأفكارالجديدة فى أعماق ذهن المعلم . ثم عهد إليه كليبر Kleber فى تنظيم المالية المصرية ؛ ثم جعله رئيساً لفرقة عسكرية قبطية ؛ ورقاه خلف كليبر فى القيادة العامة إلى رتبة اللواء (جنرال) وعينه مساعداً للجنرال بليار فى دفع الجيوش الانجليزية والتركية عن القاهرة ، فعد هو وفرقته القبطية — عند استسلام العاصمة فى ١٧ من يونية عام ١٨٠١ — من الجند الموكول أمرهم إلى بليار وأبحر مع هذا القسم من جيش الحملة إلى فرنسا على تلك السفينة الحربية الانجليزية .

قال الجنرال يعقوب لقائد السفينة ، فى حَديث لم يحضره سوى رجل من أصل فرنسى اسمه لسكرى Lascaris جاء من مالطة مع الحملة التى استولت عليها فى الطريق إلى مصر: إنه يُعِد مشروعا لاستقلال مصر يريد من القائد أن يبلغه عنه سراً إلى الحكومة البريطانية . وخلاصته أن مصر إذا استقلت فإنما تكون فى حكم الخاضعة لانجلترا سيدة البحار ، ولن تكون أبداً إلا دولة زراعية غنية بأرضها الخصبة وبتجارة افريقية الوسطى ؛ وهذه الفوائد تغنى الأمة التى لها دائماً أعظم مصلحة فى تجارة مصر وبحارها ، بسبب الهند ؛ وهذا الاستقلال لا يكون انقلاباً أحدثه نور العقل أو قلق الخواطر بمبادئ فلسفية متناقضة ، بل يكون تغيراً سبّبه عمل قوة قاهرة فى حال أناس هادئين جهلاء ، لا يعرفون على التقريب سوى المنفعة والخوف ؛ فلا يكون فى استطاعة المصريين أن يحموا استقلالهم من الأوربيين قبل زمن مديد ، حين تنتظم القوة الأهلية وتصبح مهيبة ؛ أما حمايته من الترك أو المماليك فإن الدول الأوربية تستطيع أن تحرمهم كل اعتداء على مصر ، ويمكن أن يستأجر المصريون فرقة أجنبية مساعدة تجمع إثنى عشر ألف رجل أو خمسة عشر ألفاً ، فتكون نواة الجيش المصرى وتكفى لإيقاف الترك فى الصحراء وإبادة المماليك داخل مصر ؛ ومصر منقسمة طوائف وشيعاً يسهل ترجيها إلى الاختلاف لتتوازن ؛ وهو ومن معه من الأقباط وفد متصل بها جميعاً ، مفوض إليه من وجهاء الإخوان الأحرار أن يفاوض الدول فى الاستقلال (ولو فوضه أحد فى شىء من نحو ذلك لما خفى جلة الأمر على مثل الجبرتى) ؛ وغرضه أن يفاوض بطريقة تجعل فرنسا هى البادئة بطرح المشروع على انجلترا إذا أيقنت هذه الدولة بفوائده السياسية فعزمت على تأييده عند عودة السلام العام إلى أوربا فلا يتعرض الوفد لرفض مشروعه بسبب التنافر بين هاتين الدولتين الأوربيتين ،

(١) وزارة الخارجية ٧٨ ، مجلد ٣٨ (F. O. 78, vol. 38) .

أو حذر أن يكون حيلة من الجمهورية الفرنسية .

لم يكن الدين حائلا بين الفرنسيين والقبط ولم يكن بد من أن يحدث ضم يعقوب إلى الجيش الفرنسي ، قراب ثلاثة أعوام ، آثاراً عميقة في نفسه . فكان له أن يتوقع المكافأة الثمينة من بونابرت ، ولاسيما بعد إذ أصبح القنصل الأول في حكومة القنصلية وهو الذي لم يكن ليغفل عن الجزاء السخي على مثل ارتياح المعلم إلى خدمة الفرنسيين في جميع الأحوال ، واستسلامه لإرادتهم كل الاستسلام حتى جعلوه جنرالا فرنسياً . غير أن المعلم مات على السفينة الانجليزية عقيب الإفضاء بسره ، فكتب لسكرى المشار إليه آنفاً مذكرة بالمشروع هي التي أرسلها قائد السفينة مع كتابه إلى الحكومة الانجليزية . وكان يعقوب قبيل موته قد أبدى رغبته في أن يدفن بجانب (دزه) حباً فيه ، فلم تلق جثته في البحر بل حفظت في برميل روم Rhum إلى أن دفنت في مرسيليا .

وواضح من نص الوثيقتين برمته ، ومن سيرة صاحب المشروع في زمانه ومكانه ، أن فكرة هذا الاستقلال وليدة السياسة العليا ، وأن المعلم يعقوب تبناها تحت رعاية الحملة الفرنسية . ولو امتد بالجنرال يعقوب زمنه لأيدت فرنسا مشروع هذا القبطي الوجيه الثرى ، عند عقد معاهدة اميان ، ليخدم مصلحتها بنفوذه في مصر إذ كان أحد رؤساء طائفته وقد صيّروه شخصية كبيرة الشأن . لكنه مات فلم يبق في الفرقة القبطية من يصلح للحلول محله والمفاوضة في مشروعه .

***

لما عاد بونابرت من مصر إلى فرنسا وتولى رياسة الحكومة القنصلية أرسل ماتيو ده لسبس Mathieu قنصلا عاما إلى مصر ، وذلك في سنة ١٨٠٤ من أيام القلق التي كان جلاء الجيش الفرنسي عن القطر تركه فيها لنفوذ المماليك والفوضى . وكان من شأن المهمة الحقيقية المعينة لماتيو أن تعرضه للمخاطر في بهرة هذه الفوضى ، إذ كانت المهمة هي إعادة النفوذ الفرنسي إلى حاله السابقة ، وقد أداها بنجاح باهر : فإن البيانات والأوامر السرية التي أصدرها إليه تالران المشهور ، وزير الخارجية الفرنسية يومئذ ، أوجبت عليه أن يبحث في الجيش التركي الذي حارب الفرنسيين عن رجل مقدام ذي كفاية للحلول محل المماليك ؛ فاهتدى ماتيو بفراسة ذات بصيرة إلى محمد على (المغفور له محمد على باشا الكبير) ، وفاز بصداقته ، وساعده مساعدة فعالة في سبيل علوه ؛ فلم يلبث محمد على أن أصبح سيد البلاد وجعل المصريين ينادون به والياً على مصر ، ثم أباد المماليك — كما كان يحدث لو نفذ مشروع يعقوب .

ومشهور أن فرنسا أيدت المساعي التي نال بها محمد على فرمان الولاية عام ١٨٠٥ ؛ وقد جاءه بعد ذلك فرمان بنقله والياً على سلانيك ، لأن الحكومة البريطانية طلبت من الباب العالي أن يعيد السلطة إلى المماليك ضامنة له أمانة محمد بك الألفي — الذي كان الانجليز يؤيدونه إذ وعدهم وعوداً تعرض مستقبل مصر للخطر ، منها أنه سوف ينزل لهم عن الثغور المصرية الكبيرة . ثم نجحت مساعي فرنسا في استنبول ففاز محمد على بفرمانٍ أعاده إلى ولاية مصر من غير أن يبارحها . لكن الانجليز لم يرقهم نجاحه الملائم لسياسة فرنسا ونفوذها ، فأرسلوا حملة على مصر ؛ وكانت الخطة لدفع هذه الحملة الخائبة عن الاسكندرية من وضع دروفتي Drovetti قنصل فرنسا في هذا الثغر .

***

استتب حكم محمد على وغزا الشام — بعد أن قهر الوهابيين بنحو خمسة عشر عاماً . وكان لويس فيليب ، ملك فرنسا ، وحكومته والرأي العام الفرنسي ، شديدي الرغبة في أن ينفذ والى مصر ما عزم عليه وأن يوطد سلطته في الشرق إلى أقصى حدود الإمكان ؛ فلما خرج أحمد باشا القبطان بالأسطول العثماني من الدردنيل في سنة ١٨٣٩ ليسلمه إليه حقداً منه على عدوه الشخصي خسرو باشا ، الصدر الأعظم ، كان أمير البحر لالند Lalande يسد بالأسطول الفرنسي منفذ المضيق إلى البحر المتوسط ، فلم يبذل أي جهد ليمنع الأسطول العثماني من الخروج تنفيذاً للرغبة الدولية الأوربية مع علمه بنية أحمد باشا . بل أعانه على خدع الانجليز والتخلص إلى مصر . لكن انجلترا خشيت عواقب النصر الذي حازه محمد على الكبير فحالت دون غرضه من توحيد الشرق العربي تحت حكمه وإن أيدته فرنسا في المفاوضات الدولية الأوربية حتى كادت تحارب من أجله ، بل حرصا على نفوذ سياستها . وقد كتب بالمرستون ، وزير الخارجية البريطانية ، في ٤ من مارس عام ١٨٤٠ إلى جيزو ، رئيس الوزارة الفرنسية : « أما كانت

فرنسا تسر لو رأت فى مصر وسورية دولة جديدة مستقلة تؤسس فيهما وتكاد تكون من إنشائها فتصير بالضرورة حليفتها ؟ لكم الوصاية على الجزائر ، فماذا يبقى يومئذ بينكم وبين حليفتكم مصر ؟ هاتان الدولتان المسكينتان تونس وطرابلس ، وهما تكادان لا تكونان شيئا . وهكذا يصبح ساحل أفريقية كله وقسم من ساحل آسية على البحر المتوسط ، من مراكش إلى خليج الاسكندرونة ، فى قبضة يدكم وتحت نفوذكم . وهذا محال أن يكون من سبيلنا »

* * *

ضمن مانيو بجرأته فيما ابتدأ به عمله السياسى صداقة محمد على العظيم ، ووطد فى مصر نفوذ فرنسا لمدة مديدة ، ومهد من حيث لا يدرى لابنه فردينان طريقا قصدا إلى الاذن له فى إنشاء قناة السويس : فإن صداقة الوالى ، بعد إذ وصل إلى الحكم بمواهبه الفطرية وبتأييد من مانيو . كانت صداقة مضمونة بادىء بدء لفردينان . وقد أكد الوالى أمر ذلك التأييد من الأب وهذه الصداقة للابن تأكيدا علنيا يوم كان فى سورية بين قواده وحاشيته ورأى فيه فردينان أول مرة فقال له : « إن والدك هو الذى جعلنى ما أنا اليوم . فاذكر أنك تستطيع دائما أن تعتمد على » . ومن صداقة الوالى نشأت صداقة ابنه سعيد باشا لفردينان ، ولولاها لكان من الممكن جدا أن يخفق فى أمر القناة . وليس شك فى أن أحوال البيئة التى ظهر فيها محمد على ، ومنطق التاريخ فى زمانه وتصرفه بسياسة أثبت حكمتها علو شأنه ، أمور تؤيد هذه الحقائق. وإذا قال التاريخ بوقوع إرشاد له وإسعاد فإن هذا القول ليس يصغر من جلال عبقرية سمت بصاحبها إلى أوج سودده ومجده : إذ أنقذ مصر من الفوضى وأحياها ، ومنحها ملكا واسعا وعرشاً زعزع العرش العثمانى المجيد ، ولم يثبت أمامه سوى إجماع الدول العظمى .

* * *

ولما وقعت المذابح بسورية ، فى ٩ من يوليه عام ١٨٦٠ ، رفع الأمير عبد القادر الجزائرى العلم الفرنسى على داره بدمشق ، وحمى الفرنسيين هو ومن معه من أبناء الجزائر ، وأعاد النظام إلى المدينة فمنحه نابليون الثالث الوشاح الأكبر لجوقة الشرف ، وعظم أمل الفرنسيين فى الأمير حتى طلبت صحفهم إنشاء امبراطورية شرقية تضم جميع السكان العرب فى سورية ولبنان والعراق وشبه جزيرة العرب . وهذا المشروع الفرنسى لم يعقبه أى إجراء فيه . لكن الإنجليز وجسوا بسبب النفوذ الذى أصبح يومئذ للأمير الجزائرى فى سورية فراقبوا أعماله ومسالكه مراقبة دقيقة ؛ وكان شأنهم مع أولاده أن شغل أولئك الإنجليز واجسهم منذ أصبح الأمير رمز المصلحة الفرنسية فى الشرق حتى اجتهدوا ، عند انتهاء الحرب العالمية الأولى ، فى الحط من سمعة أمراء الجزائر لإبعادهم عن سورية حيث كانوا عقبة أمام السياسة الإنجليزية .

* * *

وكان من المشروط فى عقد الشركة التى حفرت قناة السويس أن تملك جميع الأراضى البور التى تحييها فى جانب القناة . وكانت نية دهلسبس أن يروى خمسة عشر ألف فدان من الصحراء فى جانبها الغربى بمياه ترعة من النيل ، وأن يستميل بدو سينا إلى سكناها ؛ وقصد أن يوجد الثقة فى قلوبهم بدعوته الأمير عبد القادر الجزائرى ، عام ١٨٦٧ إلى زيارة الأعمال الجارية يومئذ فى القناة ، وبتمليكه خمسمائة فدان فى بئر بلاح جنوبى نفيشه . وقد شرع الأمير يحث البدو على التجمع حول منشآت الشركة عازما على إسكان واحد من أبنائه بينهم ليعيش معهم ، ساعيا بوجاهته لإصابة الغرض . فوجس بالمرستون خيفة من هذا المشروع الذى يلائم مصلحة الشركة ويوائم السياسة الفرنسية فى آن معا : إذ رأى فيه نواة دويلة عربية تابعة لفرنسا قد تنشأ فى برزخ السويس وقد تسد ذات يوم طريق الهند . فتفادت انجلترا من هذا الخطر البعيد باستعانتها نخوة الخديو إسماعيل ، الذى كان يشغله ما حاز الأمير عبد القادر من الشهرة المتناهية ؛ فطلب الخديو من دهلسبس أن يعدل عن مشروعه . ولقد بحث الإنجليز يومئذ عن سبب يمكنهم من إيجاد طريق حربى يسلكونه إلى الهند رأسا إن أغلقت دونهم قناة السويس ، وينافسها فى كل وقت ؛ فكان مشروعهم هو حفر قناة من حيفا إلى البحر الميت ومنه إلى العقبة .

ودام تنافس الفرنسيين والإنجليز مؤثرا فى شؤون مصر ، آخذا فى الضعف رويدا حتى انتهى بالإتفاق الودى عام ١٩٠٤

محمد توحيد السلحدار

في إرشـــاد الأريب

إلى معرفة الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ١٧ —

ج ١ ص ١٨١ :

إذا ما الفكر ولد حسن لفظ	وأسلمه الوجود إلى العيان
ووشـاه فنمنمه بيان	فصيح فى المقال بلا لسان
ترى حلل البيان منشرات	تجلى بينها حلل المعانى

قلت : (تجلى بينها صور المعانى) كما روى أبو الفرج . وفى (أغانيه) : « فنمنمه مُسـدٍ فصيح » وأسد فى القول أصاب السداد ، والشعر لإبراهيم بن العباس الصولى

***

ج ١٩ ص ٢٠٩ : حدث أبو عبيدة أن يونس النحوى سئل عن جرير والفرزدق والأخطل أيهم أشعر ؟ فقال : أجمعت العلماء على الأخطل . قال أبو عبيدة : فقلت لرجل إلى جنبه : سله : من هؤلاء العلماء ؟ فسأله فقال : هم ميمون الأقرن ، وعنبسة الفيل ، وابن أبى إسحاق الحضرمى ، وأبو عمرو بن العلاء ، وعيسى بن عمر الثقفى . هؤلاء طرقوا الكلام وماثوه موثا لا كمن تحكون عنهم لاهم بديون ولاهم نحويون .

وجاء فى الشرح : (ماثوه موثا) هذا كناية عن بحثهم المتواصل واستقرائهم المتتابع كمن مات الشىء بالشىء إذا خلطه بحيث لا يتميز أحدهما من الآخر .

قلت : (ماشوه ميشا) فى الأساس : ومن المجاز : وتقول : هم نفشوا الكلام وماشوه وطرقوه للنحارير فى العربية .

فى التاج : ماش القطن يميشه ميشا : زبدَه بعد الحلج . وزُبد القطن نفش وجُود حتى يصلح لأن يغزل . وفى اللسان : طرق النجاد الصوف يطرقه طرقا ضربه ، واسم ذلك العود الذى يضرب به المطرقة .

لميمون الأقرن وعنبسة الفيل وسائر من ذكرهم يونس بن حبيب البصرى النحوى أن يقدموا ويؤخروا ، ويعلوا وينزلوا « فأما قدماء أهل العلم والرواة فلم يسووا بينهما (بين الفرزدق وجرير) وبين الأخطل ؛ لأنه لم يلحق شأوهما فى الشعر ، ولا له مثل مالهما من فنونه » كما قال أبو الفرج فى كتابه ، وقد أوردت قضاءه فى مقالاتى (خليل مردم بك وكتابه فى الشاعر الفرزدق) فى (الرسالة الغراء) فى سنتها السابعة ، وبينت هناك ما بينت .

وهذا قول لم أروه فى تلك المقالات وهو للأديب العظيم أبى بكر محمد بن يحيى الصولى فى كتابه الفائق (أخبار أبى تمام) :

كنت عملت (أخبار الفرزدق) وبدأت (به) وفى نيتى عمل أخبار جرير والأخطل بعده ، وإنما بدأت بالفرزدق لقوة أسر كلامه ، وكثرة معانيه ، وجميل مذهبه ، ولأنه يتقدم عندى الإثنين من طبقته فى شعره ، أعنى جريرا والأخطل ، ولا أعيب من يقدم عليه إذ كنا نجد أئمة من العلماء لهم فيهم آراء مختلفة ، وتقديم لبعضهم على بعض ، ولكننى فى حيز من يقدم الفرزدق . وابتدأت فى عمل أخبار جرير ، فبلغنى أن قوما تضمنوا عملها خلافا على وكياداً إلى ، فأمسكت عن إتمامها امتحانا لصدقهم ، فمات بعض وبقى آخرون ، ولم تعمل حتى الساعة ..

***

ج ٢ ص ٢٦٩ :

لو دام لى فى الورى خل وعانقة	لما حفِلت بذى قربى ولارحم
ولا بكَـرت إلى حُـلو لنائله	ولا التفت إلى شىء من النعم

قلت : (لما حفَـلت) حفل يحفل (ولا بكَـرت إلى خلق لنائله) بكر إلى الشىء — من باب قعد — أتاه بكرة أو فى أى وقت كان ، وبكر إلى الشىء كفرح عجل كما فى التاج . وخلق اسم ومصدر كما قال سيبويه فى (الكتاب) أو أصله مصدر كما فى الصحاح . وخلق هنا مثله فى قول المتنبى :

ولا تشـكً إلى خلق فتشمته	شكوى الجريح إلى الغربان والرخم

والعانقة فى الشعر — وهو لجحظة البرمكى — هى الخمر . والمعروف خمر عانق وعتيقة ومعتقة وعتاق . قال حسان (رضى الله عنه) :

نبلت فؤادك فى المنام خريدة	تسقى الضجيع ببارد بسام

كالمسك تخلطه بماء سحابة   أو عاتق كدم الذبيح مدام

***

ج ٩ ص ١٧٨ : فكم أهل هدته — نصر الله عزائمها — بعد الضلال ، وحر استنقذته من حبائل الأقلال ، ومرهق خففت عنه وطأة الزمن المتثاقل ، وطريد بوأته من حرمها أمنع المعاقل .

منازل عز لو يحل ابن مزنة   بها لسلا عماله من منازل

وجاء فى الشرح : ابن مزنة المطر . قلت : (فكم تائه أو حائر أو ضال أو ضليل أو مضلل هدته بعد الضلال) ؛ وابن مزنة هو الهلال .

فى الصحاح : ويقال للهلال : ابن مزنة قال :

كأن ابن مزنتها جانحا   فسيط لدى الأفق من خنصر

وقيل للهلال ابن مزنة لأنه يخرج من خلال السحاب ، حكى ذلك عن ثعلب كما فى التاج . ونسب البيت فى اللسان والتاج إلى عمرو بن قميئة . والفسيط هو القلامة ، فى الأساس : ما لفلان مقدار فسيط ، وأنشد يعقوب[1] : كأن ابن مزنتها البيت .

***

ج ١٥ ص ٢٠٧ : لأبى على المنطق :

فى البرق لى شاغل عن لمة البرق   بدا وكان متى ما يبد لى يشق

منفرا سرب نومى عن مراتعه   كأنما اشتق معناه من الأرق

أخو ثنايا التى بالقلب مذ ظعنت   أضعاف ما بوشاحيها من القلق

ما كان يسرق من حرز الجفون كرى

لو أنه من لماها غير مسترق

وجاء فى الشرح : البرق الأول مكان والثانى برق السحاب .

قلت : (فى البرق لى شاغل عن لمة البُرَق) (لو أنه من لماها غير مسترق) والبرق الأول هو البرق المعروف واللفظة الثانية هى جمع برقة .

فى اللسان : اللمعة الموضع الذى يكثر فيه الخلى ، ولا يقال لها لمعة حتى تبيض ، وقيل : لا تكون اللمعة إلا من الطريفة والصليان إذا يبسا ، تقول العرب : وقعنا فى لمعة من نصى وصليان أى فى بقعة منها ذات وضح لما نبت فيها من النصى وتجمع لُمعا .

(١) ابن السكيت .

والبرقة (وجمعها برق) ذات حجارة وتراب ، وحجارتها الغالب عليها البياض ، وفيها حجارة حمر وسود ، والتراب أبيض وأعفر وهو يبرق لك بلون حجارتها وترابها ، وإنما برقها اختلاف ألوانها وتنبت أسنادها وظهورها البقل والشجر نباتا كثيرا ، يكون إلى جنبها الروض أحيانا .

ومما رواه أبو الفرج فى هذا البرق الشائق قول أبى قطيفة :

إذا برقت نحو الحجاز سحابة   دعا الشوق منى برقها المتيامن

وقول ابن ميادة :

أرقت لبرق لا يفتر لامعه   بشهب الربى والليل قد نام هاجعه

أرقت له من بعد ما نام صحبتى   وأعجبنى إيماضه وتتابعه

وقول إبراهيم بن اليزيدى :

ماذا بقلبى من أليم الخفق   إذا رأيت لمعان البرق

من قِبل الأردنّ أو دمشق   لأن من أهوى بذاك الأفق

وروت هذين البيتين (نهاية الأرب) .

***

ج ٢ ص ٧٣ : وقال (الصابى) فى غلام له اسمه رشد أسود :

قد قال رشد وهو أسود للذى   ببياضه يعلو علو الخائن[1]

ما فخرخدك بالبياض وهل ترى   أن قد أفدت به مزيد محاسن

ولو أن منى فيه خالا زانه   ولو أن منه فى خالا شاننى

وجاء فى الشرح : ويروى بالبتيمة استعلى علو مباين .

قلت : (ببياضه استعلى علو الخائن) فى المقامة الثامنة والثلاثين المروية للحريرى : قال فقربه الوالى لبيانه الفاتن ، حتى أحله مقعد الخائن .

فى (نهاية الأرب) : قال بشار وأجاد :

يكون الخال فى خدنقى   فيكسبه الملاحة والجمالا

ويونقه لأعين مبصريه   فكيف إذا رأيت اللون خالا

فى (الوفيات) هذا الخبر البارع فى السواد :

قال إبراهيم بن المهدى : قال لى المأمون وقد دخلت عليه بعد العفو عنى : أنت الخليفة الأسود ؟ فقلت يا أمير المؤمنين ، أنا الذى مننت عليه بالعفو ، وقد قال عبد بنى الحسحاس :

إن كنت عبدا فنفسى حرة كرما   أو أسود الخلق إنى أبيض الخلق

(١) فى رواية : قد قال يمن .

فقال لى : ياعم ، أخرجك الهزل إلى الجد ، وأنشد يقول :

ليس يزرى السواد بالرجل الشهم (م) ولا بالفتى الأديب الأريب
إن يكن للسواد فيك نصيب فبياض الأخلاق منك نصيبي!

قلت : — ولا أقول إلا الحق — : إن السواد عند الله وعند الطبيعة والحقيقة هو كالبياض ، والبياض ند السواد ، والأحمر أخو الأصفر ، والبيئة — يا أخا العرب — هى التى قد لونت ، وهى التى قد شكلت ونوعت ، وصــورت ما صورت ؛ فلا يروق[1] ذو لون على ذى لون ، وليس فى الدنيا عبد وحر ، ولن يشين المرء لونه — يا أيها الغربى — لـكنه يشينه تلونه ...

فى (أساس البلاغة) لجار الله : ورجـل متلون : مختلف الأخلاق .

* * *

ج ٧ ص ٢٥١ : أبو محمد القـاسم بن أحمد الأندلسى قال : وجدت فى مسائل نحوية تنسب إلى ابن جنى قال : لم أسمع لأبى على (الفارسى) شعراً قط إلى أن دخل إليه فى بعض الأيام رجل من الشعراء ، فجرى ذكر الشعر ، فقال أبو على : إنى لأغبطكم على قول هـذا الشعر ، فإن خاطرى لا يواتينى[2] على قوله مع تحقق العلوم[3] التى هى من موارده . فقال له ذلك الرجل : فـما قلت قط منه شيئاً ألبتة ؟ فقال : ما أعهد لى شعراً[3] إلا ثلاثة أبيات قلتها فى الشيب ، وهى قولى :

خضبت الشيب لـما كان عيباً وخضب الشيب أولى أن يعابا
ولم أخضب مخافة هجر خل ولا عيباً خشيت ولا عتـابا
ولـكن المشيب بدا ذميماً فصيرت الخضاب له عقابا[4]

فاستحسناها وكتبناها عنه ، أو كما قال ، لأنى كتبتها عن المفاوهة ، ولم أنقل ألفاظها .

(١) راق عليه : تقدمه وعلاه فضلا ، قال ابن الرقيات :
راقت علي البيض الحسـا ن بحسنها وبهائها

(٢) قلت : فى (الوفيات) لا يوافقنى . فى التاج : آتيته على ذلك الأمر إذا وافقته وطاوعته والعامة تقول وآتيته كما فى الصحاح وقيل : هى لغة لأهل اليمن جعلوها واوا على تخفيف الهمزة ومنه الحديث : خير النساء المواتية لزوجها .

(٣) فى الوفيات (مع تحقيق العلوم) (ما أعلم أن لى شعراً) .

(٤) فى طبعة الارشاد والوفيات (ذميما) وعندى أن أبا على قال (دميما) .

وجاء فى الشرح : كانت (المفاوهة) فى الأصل «المفاوضة» .

قلت : الأصل صحيح ، ومفاوضة العلماء محادثتهم ومذاكرتهم ، والمفاوهة : المقاولة والمناطقة ، فهى تحكى المحادثة والمذاكرة .

وقد ضبطت (ألبتة) فى هذا الخبر وفى مواضع أخر فى الكتاب بهمزة مقطوعة أو بألف القطع ، وقد وجدتها فى البخارى والكامل وكتاب سيبويه والصحاح وغير ذلك بألف الوصل ، ولم أعثر على نص للأئمة القدماء فيها ، فمن وجده تقرب إلى العلم بنشره فى (الرسالة) مشكوراً . وهذا ما قاله التاج :

(ولا أفعله البتة) بقطع الهمزة كما فى نسختنا ، وضبط فى الصحاح بوصلها ، ونقل شيخنا عن الدمامينى فى شرح التسهيل : زعم فى اللباب أنه سمع فى البتة قطع الهمزة ، وقال شارحه فى العباب : إنه المسموع . قال البدر : ولا أعرف ذلك من جهة غيرهما ، وبالغ فى رده وتعقبه ، وتصدى لذلك أيضاً عبـد الملك العصامى فى حاشيته على شرح القطر للمصنف .

قال ابن خلكان : كنت مرة رأيت فى المنام سنة (٦٤٨) وأنا يومئذ بمدينة القاهرة كأنى قد خرجت إلى قليوب ، ودخلت إلى مشهد بها فوجدته شعثاً ، وهو عمارة قديمة ، ورأيت به ثلاثة أشخاص مقيمين مجاورين ، فـسألتهم عن المشهد وأنا متعجب لحسن بنائه وإتقان تشييده : ترى هذا عمارة من ؟ فقالوا : لا نعلم ثم قال أحدهم : إن الشيخ أبا على الفارسى جاور فى هـذا المشهد سنين عديدة ، وتفاوضنا فى حديثه ، فقال : وله مع فضائله شعر حسن ، فقلت له : ما وقفت له على شعر ، فقال : أنا أنشدك من شعره ، ثم أنشدنى بصوت رقيق إلى غاية ثلاثة أبيات ، واستيقظت فى أثر الإنشاد ، ولذة صوته فى سمعى ، وعلق على خاطرى منها البيت الأخير وهو :

الناس فى الخير لا يرضون عن أحد
فـكيف ظنك سيموا الشر أو ساموا

* * *

ج ١٨ ص ٢٨٦ : قال (الحميدى الحافظ المؤرخ الأديب) :

لقاء الناس ليس يفيد شيئاً سوى الهذيان من قيل وقال
فأقلل من لقاء الناس إلا لأخذ العلم أو إصلاح حال

من محاسن التشريع الاسلامي

للأستاذ حسن أحمد الخطيب

— ٤ —

حرصه على الأخلاق والفضائل :

من خصائص الشريعة الإسلامية التي امتازت بها على الشرائع الوضعية كلها أنها قامت على الأخلاق المرضية، والفضائل المرعية، وخشية الله، ومحاسبة الوجدان والضمير، في كل ما يصدر عن الإنسان، ألا ترى إلى قوله تعالى: «ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا، هو أقرب للتقوى»، وقال صلوات الله وسلامه عليه في الحديث المتفق عليه: «إنكم تختصمون إليّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن[1] بحجته من بعض فأقضي بنحو مما أسمع، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار[1]»، ويجتهد عمر رضي الله عنه في إبعاد الناس عما يغرس الأحقاد والإحن في النفوس، فيقول: «ردّوا الخصوم حتى يصطلحوا، فإن فصل القضاء يورث بينهم الضغائن»، ويشدد الرسول صلى الله عليه وسلم في النكير على من يخادع المسلمين ويغشهم، فيقول: «من غشّنا فليس منا» كما يقول صلوات الله عليه «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: رجل كان له فضل ماء بالطريق فمنعه من ابن السبيل، ورجل بايع إمامه، لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها رضى، وإن لم يعطه منها سخط، ورجل أقام سلعته بعد العصر، فقال: والله الذي لا إله غيره لقد أعطيت بها كذا وكذا فصدقه رجل — ثم قرأ — إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلا أولئك لاخلاق لهم في الآخرة، ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم».

وليست قوانين أفلاطون، ولا الشرائع الرومانية، ولا القوانين الغربية الحديثة بمستطيعة أن تجاري الشريعة

(١) أعرف بالحجة وأفطن لها.

(١) الحديث ورد بهذا النص في الطرق الحكمية.

قلت: (من قيل وقالٍ) (أو إصلاح حالٍ)

***

ج ١٩ ص ٢٠٢ :

كأن القلب ليلة قيل يغدى بليلى العامرية أو يراحُ
قطاة غرها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح[1]

قلت: (عزها شرك) كما روى الكامل والحماسة والأغاني وفسر التبريزي[2]. وقد نسب الشعر في الإرشاد والحماسة إلى نُصيب بن رباح. وقال صاحب الكامل: أحسبه توبة، وقال أبو الحسن الأخفش: يقال: إنه لمجنون بني عامر وهو الصواب، وعزى في الأغاني في موضعين إلى (المجنون) فضاع — والحالة هذه — قائله.

مما قيل في (مجنون ليلى) في (الأغاني):

عن الدائني عن ابن دأب قال: قلت لرجل من بني عامر: أتعرف المجنون وتروى من شعره شيئاً؟ قال: أو قد فرغنا من شعر العقلاء حتى نروى أشعار المجانين! إنهم لكثير؛ فقلت ليس هؤلاء أعنى، إنما أعنى مجنون بني عامر الشاعر الذي قتله العشق، فقال: هيهات، بنو عامر أغلظ أكباداً من ذاك، إنما يكون هذا في هذه اليمانية الضعاف قلوبها، السخيفة عقولها، الصعلة رءوسها، فأما نزار فلا.

عن أيوب بن عباية أن فتى من بني مروان كان يهوى امرأة منهم فيقول فيها الشعر، وينسبه إلى المجنون، وإنه عمل له أخباراً، وأضاف إليها ذلك الشعر، فحمله الناس وزادوا فيه.

(١) في الكامل: تعالجه وقد غلق الجناح، ويروى تجاذبه فهذا غاية الاضطراب، وقد قال الشعراء قبله وبعده فلم يبلغوا هذا المقدار.

(٢) قال: (غرها) في موضع الصفة لقطاة، يريد غلبها، وانتصب ليلة على الظرف مما دل عليه (كأن القلب) من التشبيه، ولا يجوز أن يكون ظرفا لقيل لأن ما بعده مضاف إليه، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف، وقوله (تجاذبه) المفاعلة تكون في الأكثر من اثنين، وإنما جاز ذلك لأنه جعل منع الشرك للقطاة من التخلص جذبا منه.

الإسلامية فى هذا السمو الخلق الذى بنيت عليه جميع التصرفات والمعاملات ، وما يصدر عن الإنسان من قول أو عمل .

— ٥ —

اقتصار تشريعه التفصيلى على الأمور الثابتة التى لا تختلف باختلاف الأمم والعصور ، أما الحوادث الجزئية ، والأحكام الفرعية التى تختلف باختلاف الأحوال والأمم فإنه لم يتناولها إلا بقواعد كلية ، ومقاصد عامة ، ليترك الباب مفتوحاً لأهل الاجتهاد من كل أمة ، وفى أى عصر ، ليستنبطوا من الأحكام ما يحقق مصالح العباد ، ويتفق مع حاجاتهم .

لذلك كان من خصائص هذه الشريعة التى امتازت بها على سائر الشرائع أنها قائمة على دعامة الاجتهاد ، من لدن أول مجتهد فى الإسلام ، وأعظم مشرع ، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم ، إلى مجتهدى الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم من العلماء المجتهدين فى كل عصر .

هذا الاجتهاد — فيما لا نص فيه — هو الذى يكفل تجددها على مدى الأيام ، ومسايرتها لتطورات الأمم والشعوب ، ويضمن قدرتها على وضع الأحكام لما يجد من الأحداث والوقائع ، وضروب المعاملات ، بل هو سر خلودها ، ودوامها وبقائها على وجه الدهر ، صالحة لكل زمان ومكان ، وليس ذلك ببدع ولا بعجب ، فإن أحكام الشريعة معللة ، لها أسرار وحكم ومنافع ، والنصوص معقولة المعنى .

وقد تضافرت الأدلة الشرعية ، والنصوص الدينية على أن الإسلام شرع الاجتهاد ودعا إليه فى وضع الأحكام عند عدم وجود النص ، فمن ذلك .

١ — أن النبى صلى الله عليه وسلم أقر معاذ بن جبل على اجتهاده برأيه فيما لم يجد فيه نصا عن الله ورسوله ، فإنه عليه الصلاة والسلام ، لما بعثه إلى اليمن — قال له : « كيف تصنع إذا عرض لك قضاء ؟ قال أقضى بما فى كتاب الله ، قال فإن لم يكن فى كتاب الله ، قال فبسنة رسول الله ، قال فإن لم يكن فى سنة رسول الله ، قال أجتهد رأيى لا آلو » ، قال معاذ فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدرى ، ثم قال : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضاه رسول الله » .

٢ — ما ثبت من أقوال بعض الصحابة من إقرار الاجتهاد بالرأى والقياس ، فمن ذلك ما جاء فى رسالة عمر بن الخطاب فى القضاء إلى أبى موسى الأشعرى « الفهم الفهم فيما تلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب ولا سنة ، ثم اعرف الأشباه والأمثال فقس الأمور عند ذلك ، واعمد إلى أقربها إلى الله ، وأشبهها بالحق » .

٣ — ما ثبت من أن كثيراً من الصحافة كانوا يجتهدون فى النوازل ، ويقيسون بعض الأحكام على بعض ، ويعتبرون النظير بنظيره ، ويرون استعمال الرأى عند عدم وجود النص ، ولعل عمر كان أظهرهم وأجرأهم فى هذا الباب ، متى بان له وجه الحق فيه ، فمن ذلك أنه رفعت إليه قصة رجل قتلته امرأة أبيه وخليلها ، فتردد عمر ، هل يقتل الكثير بالواحد ؟ فقال له على أرأيت لو أن نفراً اشتركوا فى سرقة جزور ، فأخذ هذا عضواً ، وهذا عضواً ، أ كنت قاطعهم ؟ قال نعم ، قال فكذلك ، فعمل عمر برأيه ، وكتب إلى عامله أن اقتلهما [1] ، وروى عن عمر أيضاً أنه لم يقطع يد السارق فى عام المجاعة ، وأوقع الطلاق الثلاث بلفظ واحد ثلاثا ، وقال إن الناس قد استعجلوا فى أمر كانت لهم فيه أناة ، فلو أمضيناه عليهم ، فأمضاه .

كذلك ثبت اجتهاد بعض الصحابة فى حياة الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — فى كثير من الأحكام ، فلم ينههم ولم يعنفهم ، فقد أمرهم يوم الأحزاب أن يصلوا العصر فى بنى قريظة ، فاجتهد بعضهم وصلاها فى الطريق ، وقال لم يرد منا التأخير ، وإنما أراد سرعة النهوض ، فنظروا إلى المعنى ، واجتهد آخرون ، وأخروها حتى وصلوا إلى بنى قريظة ، فصلوها ليلا ، فنظروا إلى حرفية النص ، واجتهد سعد بن معاذ فى بنى قريظة ، وحكم فيهم باجتهاده ، فصوبه النبى صلى الله عليه وسلم وقال : « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات » .

هذا هو حكم الاجتهاد فى شريعة الإسلام ، وهذا هدى السلف الصالح فيه ، أفما آن لنا أن نعد العدة ، ونأخذ الأهبة ، لنحيى هذه السنة ، ونقتفى أثر السالفين من علمائنا المجتهدين ؟ !

(يتبع) حسن أحمد الخطيب

(١) أعلام الموقعين لابن القيم .

من خواطر جحا :

معلم النباح

على هامش وعد بلفور

الأستاذ كامل كيلانى

« مهداة إلى الذين علموا أصحاب الديكى ، فنون النباح ، فراحوا يخلطون العواء بالنواح . وكانوا أول من تنكر لناصره ومؤيده ، ونبح فى وجه معلمه ومرشده . »

ننقل القصة التالية عن المقدمة النفيسة التى افتتح بها « أبو الغصن جحا » خواطره التى أهداها إلى ولديه « جحوان » و « جحية » وقد ضمها مخطوط جحوى نفيس ، لعله مكتوب بخط رجل من أصحاب جحا أو بخط أحد معاصريه . وما أجدر أن يعتبر بهذه القصة من يرسمون لغيرهم طرائق الاعتداء ومناهج الجور ، ويطول هتافهم وتصفيقهم لها ، واطراقهم وإعجابهم بها ، متى وافقت أهدافهم ، وأعانتهم على قضاء لباناتهم ، حتى إذا عارضت أهواءهم، واصطدمت بأنانيتهم، ضاقوا بتلك الطرائق ذرعا، ولاقوا من هذه المناهج أشد الويلات .

قال أبو الغصن عبدالله دجين بن ثابت الملقب بجحا رحمه الله :

قاتل الله الأثرة والأنانية — يا ولدى العزيزين — فإنهما تضلان الذكى ، وتلغيان عقله الراجح ، وتفسدان عليه منطقه السديد ، فلا يلبث أن يعميه الهوى ، وينسيه الغرض ما هو خليق به من القصد والاتزان ! وما أخلق الرجل العاقل بأن يعرف أن أكثر ما يشير به من الرأى إنما هو سلاح ذو حدين : أحدهما له والآخر عليه . ولا يجوز لمنصف بعد أن يتخير الرأى ويرتضيه أن يقبل منه ما هو له ويأبى منه ما هو عليه . وما أولاه أن يروض نفسه على احتمال عواقب مشورته ، فلا يوجه اللوم إلى غيره بعد أن يسر له سبيل الشر والأذية .

أقول هذا لكما بعد أن قص على بعض جيرانى فى هذا الصباح قصته شاكياً باكياً تكاد مرارته تتميز من الغيظ ، وهو يلعن أنانية صاحبه ، بعد أن رسم له طريقها ، ونهج له خطتها ، وزين تطبيقها وتحقيقها .

وفد على صاحبى « أبو عامر » عابس الوجه متجهماً فسألته : « ما خطبه ؟ »

فقال : « أتذكر صاحبنا أبا إسحاق ؟ »

قلت : أتعنى « رأس الوزة ؟ »

قال : « ما عنيت غيره ، يا أبا الغصن ! »

قلت : « فليس فى بلدنا أحد يجهله أو يجهل ما نزل به من كوارث وأحداث ! لطف الله به يا أبا عامر ! لقد سمعت أنه اختلط »

فقال : « هذا كلام يذاع ويملأ الأسماع ، وإن بعد عن الحقيقة البعد كله . إن رأس الوزة لم يختلط ؛ ولكنه رأى فى جنونه مهربا له من ديونه ، فلاذ به ، وتشبث بأذياله ؛ ولم تلبث حيلته أن جازت على كل من رآه . وليس هذا بمستكثر على مثله ، فهو آية من آيات الخداع والغدر والعقوق ! »

قلت : « ما علمت عليه من سوء ! فماذا بدر منه حتى ساء رأيك فيه ، وقسا حكمك عليه ؟ »

قال : « لقد أرهقته ديونه ، وألح عليه دائنوه ، فلم يجد له وسيلة غير الإختباء فى منزله ليهرب من إلحاف غرمائه ، وينجو من مضايقة دائنيه » .

وكنت قد سلفته — فيمن سلفه — دينا يسيرا .

ورأيت إمعانه فى الإحتجاب ، فما زلت أحتال عليه ، حتى وصلت إليه .

ولم يكد يرانى حتى تجهم محياه ، وظهرت الحيرة والارتباك على سيماه ، فهونت عليه الأمر ، وما زلت به حتى سكن روعه ، وسرى عنه .

وما عتم أن راجعه أنسه وبشاشته حين عرضت عليه وسيلة للخلاص من دينه ودائنيه والفكاك من أسره ، على أن يرد لى — إذا نجحت الخطة — ما أسلفته إليه من دين .

فتهلل بشراً وقال : « لك على عهد وميثاق إن أظفرتنى بذلك لأردن إليك ضعف دينك ، ثم لا أنسين لك صنيعك ما حييت » .

فقلت له : « افتح دارك — غداً أو بعد غد ، إن شئت — والبس أفخر ثيابك — وهيىء فى ساحة الدار أفخر مجلس تستطيع أن تهيئه لاستقبال عارفيك — دائنين وغير دائنين — ثم اجلس متكئا على أريكة تعدها فى صدر مجلسك . وتظاهر بالجد والوقار .

فإذا مر بك أحد فلا تلتفت إليه ولا تلق له بالا . فإذا حياك فلا تجب تحيته بغير النباح . فإذا أظهرلك دهشته فانبح ثانية وثالثة ، فإذا تمادى فى الالحاح ، تماديت فى النباح .

ثم اتخذ من النباح شعاراً لك بعد ذلك ، فلا تجب بغيره كل من حياك ، ولو كان أخلص عارفيك وأصدق محبيك وأقرب القريبين إليك من ولدك وأهلك . انبح ولا تكف عن النباح ، واعو ولا تقصر فى العُـواء ، حتى يضجروا بك فيرفعوا أمرك إلى والى المدينة .

فإذا مثـُلت بين يديه فاعتصم بالصمت . فإذا سألك عن جلية أمرك لم تُحر من جواب إلا أن تملأ أذنيه عواء . وحذار أن تغير من ذلك شيئاً أوتبدله حتى يَـقِرّ فى نفس الوالى أنك — فيما تأتيه — غير متصنع ولا متكلف .

فإذا اقتنع أن طائفاً من الجنون قد ألم بك ، لم يجد فائدة من حوارك ، فيدفعه اليأس منك إلى إطلاق سراحك ، ورد حريتك إليك ، وإعفائك مما عليك من دين !

أتعرف يا أبا الغصن كيف استقبل « رأس الوَزة » هذه النصيحة الغالية ؟ لقـد فاضت نفسه — حين سمعها — عرفاناً بالجميل . ولهِـج لسانه بأبلغ عبارات الثناء والشكرعلى ما يسرته له من أسباب النجاة من ورطته ، والخلاص من كُـربته . فلما جاء الغد نفّـذ الخطة وفق ما رسمتها له فى براعة وحذق !

قدم عليه زائر من جيرانه ، فلم يكد يراه جالساً حتى أقرأه السلام ، فكان رده عليه نباحاً . وأقبل ثان وثالث ورابع ، فلم يلقوا منه غير ما لقيه أول القادمين عليه .

ولم يمض زمن يسيرحتى ذاعت قصته فى المدينة ، فأقبل عليه دائنوه يتقاضونه ديونه ، فلم يلقوه إلا عاوياً . وراحوا يعنـّـفون به تارة ، ويلينون له تارة أخرى ، ثم يُسرفون فى وعيدهم حيناً ، وفى تلطفهم أحياناً ، فلم تُجْـدِ فى رده عن عوائه حيلة ولا وسيلة .

فلما يئسوا منه ، ذهبوا به إلى الوالى ، فسأله عن قصته ، فنبحه . فزجره وتوعده ، فوجده يسترسل فى النباح . وما زال بالوالى حتى أضجره ؛ فأمر بزجه فى السجن ، ووكل به من يراقبه عدة أيام ليختـُـبر أمره ، ويجلو سره ، فلم يظفر منه مراقبوه بشىء غير ما تواصل من نباحه

فأمر الوالى بإطلاق سراحه بعد أن بث له بعض العيون والأرصاد يكمنون فى غدواته وروحاته ، ليروا ما يصير إليه شأنه . فظلوا يتبعون ظله أياماً ، فلم يتحول عن حاله فتيلا . فأيقن الوالى حينئذ أنه لا بد قد أصابه لـَمَمٌ ، وأدركه من الخبال طرف .

فلم يرله حيلة فيه ، فقضى بإسقاط ديونه ، وأمر دائنيه بالإقلاع عن مطالبته بما لهم قِبـِلَهُ من الحقوق .

وهكذا خلص « رأس الوَزّة » مما ركبه من دين . وتبدّل خوفه أمناً ، وفزعه طمأنينة ، وأصبح يغدو ويروح حيث شاء ، دون أن يزعجه دائن أو ينغص عليه صفو عيشه غريم

أتعرف كيف جزانى على هذا الصنيع يا أبا الغصن ؟

فقلت له مبتسما ساخراً وقد امتلأت نفسى زراية له ونفوراً منه : « لا شك عندى فى أنه سار على النهج القويم الذى رسمته له فى اغتيال حقوق الناس ، فنبح فى وجهك كما نبح فى وجوه دائنيه ، ثم فى وجه واليه » .

قال « أبو عامر » :

ما أبدع ذكاءك وأنفذ فطنتك يا أبا الغصن : لقد جئته بعد أن هدأ باله وقـرّ قراره أذكره عهده ، وأستنجزه وعده ، فما زاد على النباح . فدهشت من جرأته ، وتملكتنى الحيرة من صفاقته . وقلت له : « لك أن تمثل هذا الدور مع كل إنسان إلا معى ، وأنا واضع خُـطّـته ، ومُبدع قصته . فتكلم ويحك ! » .

فأبى إلا عواء يتلوه عواء ، وكلما تماديت فى محادثته تمادى فى عوائه ، حتى نفدت حيلتى ، ودب اليأس إلى قلبى ، فغادرته محزون القلب مهيض الجناح .

ورجعت إلى دارى أفكر فيما انطوت عليه نفوس الناس من غدر ولؤم وفساد ، بعد أن رأيت من صاحبى ما لم يكن ليخطر لى على بال ، من فنون العقوق ، وسلب الحقوق .

ولـكن خبرنى بربك — يا أبا الغصن — كيف تبينت خاتمة القصة قبل أن أفضى بها إليك ؟ » .

فقلت له : « إن عجبى منك — لا منه — شديد . فليس عليه — فيما صنع — غبار : لقد رسمت له الطريقة واضحة جلية ، فسلكها مهتدياً بهديك ، فما تنكبها ولا حاد عنها . فمن تلوم ؟ ومم تشكو ؟

من التاريخ الإسلامي

هنــــد والمغيرة

للأستاذ على الطنطاوى

فى عشية (من عشايا سنة ٤١ للهجرة) ساكتة لا يسمع فيها إلا الصمت ، فى برية هادئة لا يُرى فيها إلا السكون ، كان يرى القادم على (الحيرة) إذا هو اجتاز بدير هند ، عند النخلة المتفردة التي قامت على الطريق ، عجوزاً طاعنة قد انكمشت وانطوت على نفسها وجلست صامتة وحيدة تجيل عينيها الضعيفتين فى هذه الدنيا الصامتة التى دارت من حولها ، فتبدل كل شيء وهى ثابتة : كانت نبتةً طرية مزهرة فى ذلك الروض ، فباد الروض كله وبقيت هى وحدها حطبةً يابسةً . وكانت كلمة فى كتاب الماضى ، فمحيت سطوره كلها وبقيت هى وحدها الكتابَ . هذه العجوز التى تراها فتحسبها قد فرغت من الهم ، واستراحت من الحزَن ، تطوى أضالعها على ذكريات ضخمة لعالم كامل أخنى عليه الدهر وأضاعه ، ولم يدع منه إلا هذه الذكريات تحفظها وتحملها وحدها . إنها لا تعيش فى دنيا الناس ولا يعيشون فى دنياها . إنها لا تعرف شيئاً مما يحيط بها ، ولا تنسى شيئاً من عالمها الذى افتقدته من زمان ، عالم الحيرة وعدىّ بن زيد والنعمان ، العالم الذى احتوى مسراتها وأحزانها وروحها ، فلما مرّ حمل ذلك كله معه فعاشت من بعده بلا حب ولا مسرات ولا أحزان ولا روح ، إلا هذه الذكريات التى تنقُر كل يوم نقرة فى قلبها ، فلو كان حجراً صلداً لتفتت فكيف وهو من لحم ودم ؟

لقد بنت هذا الدير وتوارت وراء جدرانه ، وعاشت منه فى المنطقة الحرام بين الحياتين ، فلا هى بحياة الناس الدنيا ، فيها متعها وملاهيها ومشاغلها ، ولا هى بالحياة الأخرى ، منطقة وراء الحياة ودون الموت ، هى معيشة الدير . وزادها ضيقاً وجوداً أنها فى الدير وحدها ، بَنَتْه لتأوى إليه تناجى فيه ذكريات حبيبها الذى فجعت به ، وعافت لأجله الأرض برحبها وسعتها ، وصبرت على هذا السجن الدهر الأطول ، لا تدرى مما وراء بابه إلا طرفاً مما

ألم تعلمه كيف يغتال حقوق الناس ؟ وهل أنت إلا واحد من الناس ؟ فكيف تريده على ألا يغتال حقك فيما يغتال ؟ ما أجدرك — يا صاحبى — أن تشكر لهذا الرجل أمانته فى الانتصار لرأيك ، والتحمس لخطتك ، والانتفاع بتدبيرك ومشورتك . لقد لقنته درساً فى الأثرة والأنانية فحفظه عنك ولم ينسه لك . وسننت له سنة من سنن العقوق والغدر ، فاقتفى آثارك ، وارتضى سيرتك . ولو حسنت له الوفاء ، ورسمت له طريقه لوفى لك دينك فيما وفى للناس .

ثم خبرنى بربك — يا أبا عامر — أتراك كنت شاكياً غدره وتفريطه فى رد الأمانات إلى أهلها لو أنه وَفى لك دينك وحدك ، ثم اغتال ديون غيرك ؟

أرأيت — يا صاحبى — لو سمعت أن رجلاً هدى الذئب إلى طريق الغنم بعد أن أخذ عليه ما شاء من عهود ومواثيق أن يعفى شاته من بينها جميعاً ، أتُراه كان فاعلا ؟

لقد علمته العواء فعوى ، وأرشدته إلى طريق الغواية فغوى !؟ واستباح من الحقوق ما استباح ، بفضل ما علمته من فنون العواء والنباح .

وليس هذا أول من نبح ، فكسب بنباحه وربح . وكم من الناس آثروا أن يبلغوا أهدافهم بالهراء ، ويتسنموا المجد بقول جفاء . فتصنعوا الجنون ليصبحوا أعزة ، بعد أن أعوزهم أن يظفروا فى ظلال العقل بالكرامة والعزة ، كما فعل صاحبك « رأس الوزة » .

فلترض ياصاحبى بهذا الجزاء العادل ، فما ظلم « رأس الوزة » ولا غبن ، ولكنك ظلمت نفسك بتلك المشورة فيمن ظلمت من الناس ، فلا تجزعن من سنة سننتها ، وخطة نهجتها . ذلك أسوة سيئة فى شبيهك الذى وصفه الشاعر حين قال :

وكنت إماما للعشيرة ، تنتهى
إليك ، إذا ضاقت — بأمر — صدورها

فلا تجزعنْ من سيرة أنت سرتها ،
فأول راض سنة من يسيرها

عبد الله حبها   ونق الأصل   كامل كيلانى

يحمله إليها رجال القوافل الذين كانوا يمرون بها ، وكان أقصى ما تصنعه إذا هى نشطت يوماً ، وأحبت أن تفارق مَنسكَها ، أن تسلك هذا الطريق الذى طالما مر عليه فاتحون ومنهزمون ، وسارت فيه الحضارة مُصْعدة وهابطة ، ومشى فيه ملوك وسوقة ، وسوقة وملوك ، ذهبوا جميعاً إلى حيث لا يؤوب ذاهب ، حتى تتعب من المسير ، فتجلس على رابية ، وتشرف على البلد الحبيب : الحيرة ، التى كانت يوماً موطن هواها ، وكان فيها الإنسان الذى أعطته قلبها وأعطاها متعة العمر ، فترى الحيرة لا تزال ترفل فى حلل الخزامى والأقحوان ، ولا تزال قصورها البيض تخطر تياهة بين البساتين ، ولا يزال نسيمها معطراً بأنفاس المحبين ، تطفو على وجهه وسوسات القُبَل وهمسات الغرام . ولكنها لم تكن تحيا فيها ، كانت تفكر فى ماضيها ، وما أصعب أن يعيش المرء فى الماضى ، ثم تذكر أنه لم يبق أحد من ناس بلدها الحبيب ، لقد ذهبوا ، ولا تدرى أين ذهبوا ، ولمَ بقيت هى وحدها من بعدهم ؟ وجاء هؤلاء ، ولا تدرى من أين جاءوا ، حتى تغرب الشمس وراء الأفق البعيد ، وتمشى الظلمة إلى الكون ، فتعود وفى قلبها ظلمة أخرى ، ولكنها لا تأمل أن يكر عليها فجر يوم جديد . لقد خلفت ضياء الفجر فى طريق العمر فلا تملك أن تعود إليه . لقد كتب عليها أن تعيش فى ليل دائم وصمت سرمدى هو صمت هذه الصحراء التى آوت إليها ، وآثرت سكناها ، الصحراء التى وسع صدرها أسرار الزمان ثم أغلق عليه إلى الأبد . كم بين ترابها ورملها ، كم تحت روابيها وقُبورها ، من بقايا قلوب كانت محبة وكانت محبوبة ، وأجسام كان فيها فتنة وجمال ! وما أقرب ما يصير قلبها هى (أيضاً) تراباً فيها تطؤه أقدام لا تعرف أصحابها ... فما الحب ، وما الجمال ، وما الدنيا ؟ إنها زوال فى زوال .

وقامت العجوز تجر رجلها إلى الدير لتبدأ ليلة مملة طويلة كآلاف الليالى التى مرت بها من قبل ، ليالى لا آخر لها ، ولا أمل يسطع من خلالها . إن السجين يأمل بالعفو ويرجو الحرية ، ويتسلى بحديث الرفاق ، ويأنس بأحداث السجن ، وهى لا ترجو شيئاً ولا تأنس بأحد ، ولا تتسلى بحادث . ولطالما أمضت ليالى قصيرة حلوة ، تلك هى ليالى الحب والوصال ، ليالى زوجها عدى فتى الفتيان ، وأبيها النعمان . إنها كلما فكرت فيها رأتها دانية منها ، قريبة كأنها لم يطلع لها صبح ، فأين ياتبصر [1] مكانها من الوجود ، أفنيت وعادت عدماً ؟ لا ، إن الفناء لايقوى عليها . إنها موجودة فى الكون كوجودها فى ذا كرتها . إن الفناء لا يدرك حقيقتها كما أن النسيان لا يقوى على محو صورها . إنها لا تشبع من الإيغال فى هذا الماضى ، لأنها كلما أوغلت فيه جَدَّت لها طرق ظليلة لا عهد لها بها ، قد أزهر فيها المجد وبدا السنا ، وربما على كل رابية فراش غرام مرشوش بالعطر والشعر ، ووجوه أحبة كانت تعيش بهم ولهم ...

ولطالما اجتوت (من محبتها هذا الماضى) حاضرَها نخامرتها فكرة الموت ، فمشت تقصد النهر حتى إذا أدنتها خطاها الواهنة من مائه ، ورأتها تمع كالمرآة ، أشفقت من الموت وهابته وارتدت عنه للمرة الخامسة بعد الألف . إنها لا تريد أن تموت ، ولا تزال متعلقة بحياة قد أقفرت من المجد والحب .

* * *

ولما دلفت إلى مخدعها فى الدير سمعت ضجة ، وقالوا لها ، إنه الأمير المغيرة بن شعبة يستأذن عليك . الأمير ؟ ما لها وللأمير ؟ ما شأنه بها ؟ ما يبتغى لديها ؟ أما تركت له ولقومه ملك أبيها فلم لا يترك لها ديرها ؟ وفكرت .. ثم أذنت له فدخل عليها فبسطت له مَسْحاً ، وسألته : ما جاء بك ؟ قال : جئتك خاطباً ؟

خاطباً ؟ إنها كلمة لم تسمعها من عمر طويل ، فلما طرقت سمعها هزت وتراً فى قلبها كان قد صدئ ، ونسيت ضيفها وقفزت إلى الماضى فغابت عن حاضرها ، وغرقت فى ذهلة عميقة امتدت أبداً . والمغيرة يرقب جوابها ولكنه كان أكيس من أن يفسد عليها أحلامها ، فانتظر صابراً ...

* * *

تخيلت أنها قد عادت فجأة تلك الفتاة التى كانت فتنة القلب والنظر ، وكانت مطمح الأنفس والفكر قد جمع الله لها المجد كله والجمال كله ، فهى عروس الزمان بهاء وحسناً ، وهى بنت النعمان أعز عربى عزاً ، وأمجده مجداً ، وإنها قد عادت أيام الحيرة ، ورجع

---

(1) إذا جاز أن نقول (يا ترى) فلم لا نقول (يا تبصر) فننجو من هذا الابتذال ونأتى بجديد والاعراب فى كليهما واحد فقدر ل (يا) منادى وخاطبه

الفصح والشمانين ، فخرجت إلى البيعة تتقرب فيها ، فلما احتوتها البيعة ، وأمنت الأنظار ، ألقت عنها خمارها ، وأخرجت هذه اللؤلؤة من صدفتها ، وأبدت ذلك الجسم الذى كانت تتقطع على الوصول إليه قلوب الرجال ، ولم تدر أن الزمان أراد أن يؤلف قصة حب تتلى بعد أربعة عشر قرناً ، فجاء بعدى بن زيد الشاعر الجميل ليختلس النظر إليها ، ويقع فى قلبه هواها ، فلما رأته استترت منه وسبت جواريها ، وظنت أن القصة ختمت قبل أن تفتتح ، لم تدر أنها قد سطرت منها الأسطر الأولى (لتكون سفر سعادتها العاجلة وشقائها الطويل) يدا (مارية) الجميلة الخبيثة ...

لقد كانت مارية تحب عديا ، ولا تجد إلى الوصول إليه سبيلا ، إلا أن تأتى بهند لتحلها مكان المحبوبة من قلبه ، ترضى بذلك حبها ونفسها ، وقد يفنى المحب فى الحبيب ، فيبنى مسرته على أساس من شقاء نفسه ، ومشت بين عدى وهند تدير خيط الحب من حولها ، حتى غدا سبباً قويا ، وجامعة لا تنقطع . لقد صبرت حتى مضى حول كامل على يوم الشمانين ونسيته هند ، فواعدت مارية عديا بيعة توما ، وأغرت هندا بزيارتها ، فاستأذنت أمها فأذنت لها وهنالك عرفت هند ما الغرام ، وذاقت غصصه ...

يا ويل مارية ! لقد جعلت هنداً مهراً لها لزواج ليلة[1] لقد تعرضت لعدى غداة يوم توما فهش لها وبش — وقد كان لا يكلمها — وقال لها : ما غدا بك ؟ قالت : حاجة ! قال : اذكريها فوالله لا تسأليني شيئاً إلا أعطيتك إياه .

قالت : أريد ... وسكتت ، وأدركها الخجل ، ونطقت عيناها وفهم عنها ، فأخذ بيدها إلى حانوت خمار فى الحيرة ... وكافأته بأن وعدته أن تحتال له فى هند ...

وتتالت الصور على قلب هند ، فذكرت ليالى زواجها بعدى ، فكانت لقوة الذكرى تحس على لسانها حلاوة تلك القبل ، وتجد على عنقها لذة ذلك العناق ، وعاد قلبها شابا ؛ على أن قلب المرأة والشاعر لا يفارقهما الشباب أبداً . ومدت يدها إلى المغيرة ، تحسب أنه لما طنى عليها من الخيال ، عدى الحبيب ، فلما أحس بها أجفل منها وانتفض ، فهاوى الحلم وتهافت ، وهبطت السكينة إلى أرض الحقيقة الصلدة ، فإذا هى لم تفارق أرضها ولم تطر فى سماء الأمانى

(١) لأنهم كانوا قوما نصارى تمهر نساؤهم .

وإذا هى تتحسس وجهها فتلقاه ذابلا ذاوياً ذا غضون . ولا تلق على لسانها من قبل الحبيب إلا مرارة الفقد ، ولا تجد فى قلبها إلا ذكرى الفاجعة التى تركت لأجلها دنياها وبنت ديرها فحبست فيه نفسها ، فماذا يريد منها هذا الرجل الذى اقتحم عليها معتزلها فى هذه العشية الساكتة ، أجاء يخطب عجوزاً قد بقيت وحدها إرثا من الدنيا التى فنيت واضمحلت : دنيا النعمان وكسرى ، للدنيا التى يظهر أنها لن تضمحل أبداً : دنيا محمد ؟ أيريد أن يتزوج ميتة تمشى ؟ لا . بل هو يريد ابنة النعمان ، ونسيت تطوافها الأليم بمرابع ماضيها ، وغاب عنها الحبيب الذى كان يتراءى لها من وراء حجب الزمان — وأدركها إرثها الماجد من حزم النعمان — فقالت للمغيرة :

« لو علمت أن فى خصلة من جمال أو شباب رغبتك فى لأجبتك ، ولكنك أردت أن تقول فى المواسم ، ملكت مملكة النعمان بن المنذر ونكحت ابنته ، فبحق معبودك هذا أردت » ؟ قال : « أى والله » قال : « لا سبيل إليه[1] » .

* * *

وخرج المغيرة ، وعادت العجوز إلى مكابدة الذكريات وحيدة فى لياليها الطوال ... وأعرض عنها التاريخ لا يلتفت إليها فيواسيها ، لأنه لم يتعود الوقوف إلا على أبواب الملوك ، وفى ساحات الحروب !

على الطنطاوى

(١) جمل من التاريخ ، والقصة على عهدة الشيخ الأموى صاحب الأغانى

توماسو كمبانلا

لألفرد فيبر

للأستاذ عبد الكريم الناصرى

إنا نصيبُ فى بحوث توماسو كمبانلا[١] — وهو كبرونو[٢] دومنيكى من جنوبى إيطاليا — ملامح من مقالات الإنجليز والألمان فى العقل الإنسانى ، أعنى من النقد الحديث[٣] . وُلِدَ هذا البطل الجرىء من أبطال الإصلاح الفلسفى والحرية الإيطالية بمقربة من « ستيلو » من أعمال كالَبْريا ، سنة ١٥٦٨ ، وتوفى فى باريس ، سنة ١٦٣٩ ، بعد أن أنفق سبعة وعشرين عاماً فى غياهب السجن بنابُلى ، بتهمة التآمر على الحكم الأسبانى .

وكمبانلا تلميذ من تلامذة الشُّكاك اليونان . وقد علمته هذه المدرسة أن الميتافيزيقا تقوم على الرمل إن لم تُبْنَ على أساس نظرية فى المعرفة . ومن ثمَّ تبحث فلسفته أولَ ما تبحث فى المسألة الصورية .

تنشأ معرفتنا من مصدرين : التجربة الحسية ، والاستدلال العقلى ؛ فهى إما « تجريبيّة » وإما « نظرية » .

هل المعرفة المحصَّلة بالإحساس يقينية ؟

يرى أغلب القدماء أن شهادة الحواس يجب أن تُغفل . ويلخص الشكاك شكوكهم فى الحجة التالية : ليس الموضوع الذى تدركه الحواس إلا تكيُّناً فى الذات ، وإن الواقعات (Facts) التى تحصل — فيما تخبرنا الحواس — خارج النفس ، إنما تحصل على الحقيقة فيها . الحواس هى حواسى ؛ إنهـا جزء منى ؛ والإحساس واقعة تحدث فىَّ ؛ وهى واقعة أعللها بعلة خارجية ، فى حين أن الذات المفكرة قد تكون علتها المعيّنة ولكن غيرَ الواعية ؛ فليس هذا التعليل بأعسرَ من ذلك . وإذا كان الأمر كذلك ، فكيف نستطيع أن نصل إلى علمٍ يقينىٍ بوجود الأشياء الخارجية وطبيعتها ؟ إذا كان الموضوع الذى تدركه حواسّى لا يزيد على أنه إحساسى ، فكيف أبرهن على أنه موجود فى الخارج ؟ يجيب كمبانلا : بأنى أُبرهن على ذلك « بالحس الباطن » . فالإدراك الحسى يجب أن يستمد صفة اليقين — التى لا يملكها فى نفسه — من العقل : فالعقل يحيله معرفةً . قد يشك الميتافيزيقىُّ فى صدق الحواسّ ، ولكنه لا يستطيع أن يتهم الحس الباطن . بيد أن الأخير يكشف لى عن وجودى بلا واسطة ؛ وبيقينٍ لا ظل من الشك فيه . إنه يكشف لى عن نفسى كائناً يوجد ، ويفعل ، ويعرف ، ويريد ؛ ولكن هيهات أن يفعل ويعرف كل شىء . إنه — بعبارة أخرى — يكشف لى عن وجودى وحدوده معاً . ومن ثم أستنتج بالضرورة أن هناك كياناً يحدُّنى ، أو عالماً موضوعياً يختلف عنى ؛ أو (لا أنا) . وهكذا أبرهن بالمنهج البَعْدى a poteriori على حقيقة فطرية ، أو قبلية a priori أو سابقة على كل تفكير : وهى أن وجود (اللا أنا) هو علة إدراكى الحسى .

أتدحض هذه الحجة مذهب الشك ؟ الحق أنها لا تبلغ من ذلك كثيراً ، وإن فيلسوفنا ليعترف بهذا ، ولايدعى لنفسه النصر والغلبة . فإن قولك إن الحواس صادقة فى إراءتنا الموضوعات الخارجية ، لا يلزم عنه بالضرورة أنها ترينا هذه الموضوعات على ما هى عليه . إن التطابق الذى تفترضه « التوكيدية »[١] بين نحوِ تصوُّرنا الأشياء ونحو وجودها إنما هو — فى رأى كمبانلا — نتيجة لتماثل (analogy) الموجودات ، وهذا بدوره نتيجة لحقيقة ممتنعةٍ على البرهان : وهى أصلُ الوجودات الموحَّد . ثم إنه لا يسلم أن لدى النفس الإنسانية علماً مطلقاً بالأشياء . قد تكون معرفتنا صحيحة ، ولكنها لن تكون تامة أبداً . وهى إذا قيست بمعرفة الله تافهة أشبه بلا شىء . وقد كنا خُلَقاء أن نعرف الأشياء على ما هى عليه ، لو كانت معرفتنا فعلاً محضاً : لو كان

(١) Tommaso Campanella

(٢) انظر العدد (٦٤٠) من « الرسالة » .

(٣) أسمى (لوك) و (هيوم) وآخرون بعض كتبهم (بالمقالات) . مثلا : « مقال في العقل الانساني » ، « مقال فى الطبيعة الانسانية » . وبعد (كانت) مؤسساً لفلسفة النقد ، أى نقد العقل والتحقق من حدوده وقواه ، وهل هو أهل لحل المشاكل الميتافيزيقية العليا . بيد أن أبحاث لوك وباركلى وهيوم مهدت لظهور فلسفة النقد وفهم هؤلاء الفلاسفة ضرورى لفهم كانت (المعرب) .

(١) Dogmatism — التوكيديون هم القائلون بامكان معرفة الحقائق القصوى (المعرب) .

إدراكنا خلقاً . إنا لأجل أن نعرف الأشياء على ما هى عليه ، أو بصورة مطلقة ، يجب أن نكون « المطلق » من حيث هو ، أى نكون « الخالق » نفسه . على أن معرفتنا وإن كانت مثلا أعلى لا يستطيع الإنسان تحقيقه — وهذا دليل بيّن على أن هذه الدنيا ليست بداره الحق — فإن من واجب المفكر أن يشتغل بالبحث الميتافيزيقى .

والميتافيزيقا ، أو الفلسفة الكلية ، باعتبار موضوعها ، هى علم مبادئ الوجود أو شروطه الأولى ؛ وهى ، باعتبار مصادرها وآلاتها ومناهجها ، علم العقل ، الذى يفوق العلم التجريبى يقيناً وسلطاناً .

والوجود أو الكينونة معناها الصدور من مبدأ والرجوع إليه . ترى ما هو هذا المبدأ ؛ أو بالأحرى ما هى هذه المبادئ ؟ فإن الوحدة المجردة شىء عقيم . وبعبارة أخرى : ما هى شروط وجود الموجود ؟ الجواب :

١ — أن يكون « قادراً » على الوجود .

٢ — أن يكون فى الطبيعة فكرة أو « مثال » ، هذا الموجود تحقيق له (لأن الطبيعة لا تحدث شيئاً بغير علم) .

٣ — أن يكون ثمّ « نزوع » إلى تحقيق المثال . فالقدرة والمعرفة والإرادة هى مبادئ الوجود النسبى . ومجموع هذه المبادئ ، أو (بالأحرى) الوحدة العليا التى تحويها ، هى الله . فالله هو القدرة المطلقة ، والمعرفة المطلقة ، والإرادة أو المحبة المطلقة .

وللمخلوقات أيضاً قدرة وإرادة وإدراك ، وحظوظها من هذه الصفات تتفاوت بتفاوت قربها من مصدر الأشياء . فإن الكون نظام متدرّج ، ينتظم العالم العقلى ، أو الملائكى أو الميتافيزيقى (الملائكة ، والنفس العامة ، والنفوس الخالدة) والعالم السرمدى أو الرياضى ؛ والعالم الزمنى أو الجسمانى . وكل هذه العوالم — حتى العالم الجسمانى نفسه — تشارك فى المطلق ، وتعكس عناصره اللاهوتية الثلاثة : القدرة والمعرفة والإرادة .

كل موجود فإنما يصدر عن الكائن المطلق ويسعى إلى الرجوع إليه . وبهذا المعنى يصحّ أن نقول إن الموجودات المتناهية كلها بلا استثناء « تحبّ » الله ؛ كلها دينّة ؛ كلها تسعى إلى أن تحيا حياة الخالق اللانهائية ؛ كلها تفزع من اللاوجود ، وبما أنها جميعاً تحمل فى نفسها اللاوجود بالإضافة إلى الوجود ، فكلها تحب الله أكثر من ذاتها إن الدين ظاهرة كلية ، مصدرها توقف الأشياء كلها على الكائن المطلق ؛ وإن علم الدين أو اللاهوت ليسمو على الفلسفة سمو الله على الإنسان .

بالرغم من كل هذا الذى سلمه كمبانلا للسكاثوليكية ، وبالرغم من رسالته الموسومة « بالإلحاد المنتصر » ، كانت محاولاته فى الإصلاح موضع ريبة الكنيسة ، فلم يتحقق منها شىء . وقد يئست الفلسفة بعده أن تظفر بمزيد من التقدم فى إيطاليا ؛ فنراها من ذلك الوقت تقيم فى البلدان التى أنارها أو حررها الإصلاح الدينى : فى إنجلترا ، وعلى ضفتى الراين[1] .

(بغداد) **عبد الكريم الناصرى**

---

(١) يعد چيوڤانى باتيستاڤيكو (Vico) — المتوفى عام ١٧٤٤ — أشهر الفلاسفة الايطاليين فى القرنين السابع عشر والثامن عشر . وقد عرف خصوصاً بكتابه « العلم الجديد » (نابلى — ١٧٢٥) وهو من أولى المحاولات لايجاد فلسفة التاريخ وقد حاول مفكرون محدثون قديرون من أمثال جالوبى ، وروسمينى ، وچيوبرتى ، ومامیانى ، وفرارى — أن يعيدوا إلى إيطاليا ما كانت تتمتع به فى عصر الاحياء من جاه فلسفى . انظر فى ذلك رفائيل ماريانو : « الفلسفة المعاصرة فى إيطاليا » :
Mariano: "La philosophie contemporaine en Italie," Paris, 1868
(المؤلف)

قصــــة بني إسرائيل

في القرآن الكريم

للأستاذ علي محمد حسن

[مهداة إلى يهود القرن العشرين الذين يريدون دخول فلسطين بالقوة بمناسبة وعد بلفور] .

أشرت في عدد سابق من الرسالة إلى بعض مواقف بني إسرائيل مع نبيهم القوي الأمين موسى بن عمران ، وعطفت بإشارة أخرى إلى بعض مواقف أجدادنا العرب في نصرة دينهم ، وميَّلت بين الشعبين ووزنت أقدار أولئك بأقدار هؤلاء فشالت كفة الإسرائيليين وخفت موازينهم .

واليوم أهدي إليهم قصة آبائهم مفصلة بعض التفصيل ، ولست أتجنى عليهم ولا أتزيد فإن الحقائق نفسها أعجب من سبحات الخيال . وسأكتفي — ما استطعت — بما جاء في كتاب الله الحكيم الذي جاء مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ولقد عني القرآن بأخبار الأمم السابقة لمكان العبرة فيها وموضع العظة « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ، ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون »[(١)] ولكنه عني عناية خاصة بأعاجيب بني إسرائيل ليهون على النبي صلى الله عليه وسلم ما يلقاه من يهود المدينة فهم — كآبائهم — أهل غدر وخيانة ، وطالما نكثوا عهودهم « الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون »[(٢)] وليُهددهم إذا استمرأوا هذا المرعى الوبيء واستعذبوا هذا الورد الآسن من الغدر والكيد والخيانة بأن مصيرهم كمصائر آبائهم ، كما حذر الله النبي والمؤمنين منهم « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا »[(٣)] ولقد صدق الله فبأيديهم فتح باب الشر على المسلمين . فتحه عبد الله بن سبأ فنفذ منه الناس ، إلى قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ومنذ ذلك الحين ومعاول الفتن تهدم في دعائم السياسة الإسلامية ، وبسوء دخائلهم اختلطت الخرافات والأساطير بالتراث الإسلامي فكدرت منهله الصافي ، وغبَّرت مناهجه الواضح ، ونالت من حقائقه السامية .

واليوم يتجلى لنا مصداق هذه الآية ، فنراهم مصدر قلاقل للعرب عامة وللمسلمين خاصة وإنا لعلى يقين أنه سيصدق فيهم قول الله عز وجل « وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب »[(١)] .

والعجب — بل ليس بعجيب لأن الأمم بأخلاقها — أن بني إسرائيل أعيوا جميع أنبيائهم ، حتى بلغ من كفرهم أن قتلوا بعضهم « ويقتلون النبيين بغير الحق »[(٢)] . شكا منهم موسى « رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين »[(٣)] وشكا منهم هرون « إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني »[(٤)] . وشكا منهم داود وزكريا ويحيى ؛ وأخيراً يسميهم الله بهاتين الآيتين ويصمهم بهما « لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون »[(٥)] ثم كانوا شوكة في جنب الدعوة الإسلامية ، فحاولوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ولكن الله الذي يعلم خبث نفوسهم عاجلهم بالعقوبة « هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين »[(٦)] .

* * *

نزل يعقوب وهو إسرائيل مصر في زمن ابنه يوسف عليه السلام وأعقب بنين اثني عشر كانوا فيما بعد فرقا سماهم القرآن أسباطا وتكرر ذكرهم فيه ، وظلوا ينعمون بخيرات مصر وأرزاقها زمنا طويلا حتى جاء (رعمسيس الثاني) فاضطهدهم وعاداهم عداء

(١) سورة يوسف الآية ١١١ .
(٢) سورة الأنفال ٥٦ . (٣) سورة المائدة ٨٢ .

(١) سورة الأعراف ١٦٧ . (٢) سورة البقرة ٦١
(٣) سورة المائدة ٢٥ . (٤) سورة الأعراف ١٥٠
(٥) سورة المائدة ٧٨ ، ٧٩ .
(٦) سورة الحشر ٢ .

شديدا وجعل يقتل أبناءهم ، وأراد الله أن يسبغ عليهم نعمه فنجاهم وأهلك عدوهم و (دللهم وأعطاهم حكم الصبي على أهله فأتاهم بالعجائب وفعل بالأمم الظالمة لهم الأفاعيل ، واحتمل صلفهم وطغيانهم ولم يترك وسيلة من وسائل استرضائهم إلا فعلها وهم لا يزيدون إلا عناداً ومخالفة عن أمره)[١] . جاء موسى إلى فرعون يدعوه إلى الله وحده لا شريك له ويستوهبه بنى إسرائيل ، ولكنه طغى واستكبر وقال أنا ربكم الأعلى ، فأوحى الله إلى موسى أن أسر بعبادى فرأوا فرعون يتبعهم ، فقالوا إنا لمدركون . قال كلا إن معى ربى سيهدين . وفرق بهم البحر الأحمر وعبروا فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل « وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم . وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون »[٢] . وكانت هذه نعمة عظيمة لو أنفقوا أعمارهم ساجدين لله شكراً ما وفوها حقها ، لكن نفوسهم الخبيثة أبت إلا أن تستعلن فما كادوا يعبرون البحر حتى نسوا ما كانوا فيه وجحدوا نعمة الله عليهم وطلبوا إلها غير الله يعبدونه « وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم، قالوا ياموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة »[٣] وعجبت لموسى أن يكون معهم هذه المرة لطيفاً هادئاً وأن يجادلهم بالمنطق ويدعوهم بالتى هى أحسن « قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين »[٤] وسكنوا إلى حين وخضعوا على دخن ، فلما سنحت لهم الفرصة نهزوها فما كاد موسى يذهب لمناجاة ربه حتى صنعوا من حليهم عجلا يعبدون ، وعبثاً حاول هرون أن يردهم قال « يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى . قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى »[٥] . « ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال بئسما خلفتمونى من بعدى ، أعجلتم أمر ربكم ، وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه ، قال ابن أم إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى ، فلا تشمت بى الأعداء، ولا تجعلنى مع القوم الظالمين » .

(١) قصص الأنبياء للمرحوم الشيخ عبد الوهاب النجار ص ٣٥٤ .
(٢) سورة البقرة ٤٩، ٥٠ (٣) سورة الأعراف ١٣٨ .
(٤) سورة الأعراف ١٤٠ (٥) سورة طه ٩٠ ، ٩١ .

وهنا نرى عجيبة من أكبر عجائبهم ، وذلك أن موسى نخلهم واختار منهم سبعين رجلا ليتوبوا إلى الله من عبادة العجل ، وكان الظن بهم أن يكونوا بررة أطهاراً ، ولشد ما دُهش موسى حينما قالوا له « لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة »[١] فندد بهم القرآن، وجعلها مخزاة فى أعقابهم « يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء، فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة »[٢] ووبخ العرب لما حاولوا أن يعنتوا مع النبى « أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ، ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل »[٣] ثم أخذ موسى يشرح لهم ما فى الألواح ويعرض عليهم شريعته ، ولكن رأى من كفرهم وعنادهم ما جعل الله تعالى يريهم آية من آيه « وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون »[٤] . وكان من شأنه بعد ذلك ما ذكرته فى (الرسالة) سابقاً من دعوة موسى لهم إلى دخول الأرض المقدسة ونكولهم عنها وخوفهم من سكانها فحرمت عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض. وهناك فى التيه أنزل الله عليهم المن والسلوى وظلل عليهم الغمام ولكنهم يئسوا من هذه النعم وملوها وقالوا يا موسى « لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها »[٥] . ومات هرون فى التيه ومات موسى ومات جيلهم القديم فلم يكن من الناشئة إلا كما كان من آبائهم ؛ أمروا أن يدخلوا (أريحاء) فدخلوها ولكنهم بدلوا قولا غير الذى قيل لهم .

ولعل من أولى مواقف بنى إسرائيل بأن نهديه إلى يهود اليوم ما كان منهم مع نبيهم صموئيل « ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله ، قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا؛ قالوا وما لنا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ؟ فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين »[٦] . ولو ذهبنا نتتبع جميع مساوئهم لطال بنا القول فنجتزىء بهذا القدر ففيه بلاغ . ولكن يبدو هنا سؤال وهو إذا كان بنو إسرائيل بهذه

(١) سورة البقرة ٥٥ . (٢) سورة النساء ١٥٣ .
(٣) سورة البقرة ١٠٨ . (٤) سورة الأعراف ١٧١ .
(٥) سورة البقرة ٦١ . (٦) سورة البقرة ٢٤٦ .

مين دى بيران
(١٧٦٦ - ١٨٢٤)

فيلسوف المذهب الروحى فى العصر الحديث

للأستاذ زكريا ابراهيم

مين دى بيران فيلسوف فرنسى ممتاز، أدرك الباحثون قيمته بعد وفاته، فاهتموا بنشر مؤلفاته، واعتنوا بدراسة فلسفته. وقد ذاعت شهرته على أثر ذلك، فاتى مذهبه رواجاً كبيراً بين الأوساط الفلسفية التى أقبلت على دراسته.

والفكرة الأساسية التى يقوم عليها مذهب « دى بيران » هى أن الحقيقة الجوهرية الأولى ليست سوى « الذات » باعتبارها مريدة، أى « الروح » باعتبارها فاعـلة. فما يكون جوهر الإنسان، إنما هو الإرادة. والإرادة هى التى تميز الإنسان عن الحيوان، لأن الإنسان لا يحيـا ويحس ويشعر فحسب، بل هو يفكر ويريد ويفعل. وإذا كان الإنسان يدرك ذاته، فإنه لا يدرك هذه الذات إلا باعتبار أنها علة، وقوة، وإرادة، وجهد، وفعل. ومعنى هذا أن نقطة البدء فى كل معرفة حقيقية، إنمـا هى تلك الواقعة الأولية للشعور أو الوعى الإنسانى، وهى الحس الباطن أو التجربة الباطنة. وفى هـذه البداية يتفق دى بيران مع فخته Fichte، اتفاقاً كبيرا، حتى لقد سمى كوزان فيلسوفنا باسم: « فخته الفرنسى ».

غير أن دى بيران يستبدل بفكرة فخته عن « الفعل » فكرة أخرى جديدة هى فكرة « الجهد ». فالواقعة الأولية عند مين دى بيران ليست هى « الإحساس المجرد » الذى يقول به كوندياك Condillac، وليست هى « الفكر » بالمعنى الذى قصد إليه ديكارت، بل هى « المجهود » الذى يقوم عليه إدراك الذات لنفسها.

ولما كانت الواقعة الأولية للذات « Le Fait primitif » هى إدراكها لنفسها، من حيث هى قوة حرة، تعمل وتشرع فى الحركة، بإرادتها الخاصة؛ فإن الصواب (فى نظر دى بيران) لا أن نقول (كما قال ديكارت): « أنا أفكر، فأنا إذن موجود » أو بعبارة أخرى: « أنا أدرك نفسى باعتبارى علة حرة، فأنا إذن علة موجودة بالفعل ». وفى موضع آخر نجد مين دى بيران يصحح مقالة ديكارت فيقول: « إذا كان ديكارت قد توهم أنه اهتدى إلى المبدأ الأول لكل علم حين قال: « أنا أفكر »، فأنا إذن شيء موجود، أو جوهر مفكر »، فإن فى استطاعتنا أن نقول — تصويباً لهذه العبارة — وبالإستناد إلى شهادة الحس الباطن التى لا ترد: « أنا أفعل، أنا أريد، أو أنا أتعقل الفعل فى ذاتى، فأنا إذن أدرك نفسى كعلة، وإذن فأنا موجود، أو أنا كائن باعتبارى علة أو قوة ».

هذه الحقيقة الأولى التى يؤكدها دى بيران بكل قوة (حين يقول إن الذات تدرك نفسها باعتبار أنها مجهود، وإرادة، وفعل) تدلنا على أن فيلسوفنا هذا كان المؤسس الأعظم للمذهب الروحى فى العصر الحديث؛ وهو المذهب الذى ساعد على تقدم علم النفس ونظرية المعرفة، والعلوم الخلقية على وجه العموم، فى نهاية القرن التاسع عشر. والواقع أننا إذا نظرنا إلى بيران، سواء من الناحية الذاتية أو من الناحية الموضوعية، فإننـا نجـد أنه من أعظم المفكرين الذين قادونا إلى الناحية الباطنة فى الإنسان[1]. بل ربما كان بيران أعظم فلاسفة المذهب الروحى فى فرنسا. وهو بالفعل قد توفر على التوسع فى المذهب الروحى الذى أقامه أستاذه « ليبنتس »، فأظهرنا على أن الإنسان (فى حقيقة الأمر) ليس ألعوبة فى يد الأقدار، أو عبداً ذليلا للضرورة المستبدة، بل هو ذات مريدة فاعلة، لا تستمد نشاطها وقدرتهـا على الفعل من الأشياء الخارجية، بل من جهدها الإرادى ونشاطها الذاتى، أعنى من الإرادة ».

والنفس الإنسانية — فى نظر بيران — لا تتمثل باعتبارها

(١) لا بد لنا أن نشير إلى أن الناحية الذاتية عند بيران، كما تكشف عنها مذكراته الخاصة « Journal intime » تتفق تمام الاتفاق مع الناحية الموضوعية عنده، كما يكشف عنها كتابه الموسوم باسم: « علم الانسان « Anthropologie ».

الأخلاق فكيف اختارهم الله؟ والجواب عند سيدنا موسى على ما ذكرته التوراة: لا تظنوا أن الله سيأتى بكم الأرض المقدسة بسبب قداستكم وطهارتكم وأنكم أفضل الناس فى طاعته. كلا. فإنه إنما يطرد الأمم أمامكم لرداءتهم ورجسهم العظيمين.

علي محمد حسن
المدرس بمعهد القاهرة

ذاتا فاعلة ، إلا بالممارسة المستمرة لقوتها الخاصة ؛ ما دامت هذه الممارسة حرة غير خاضعة لأية ضرورة أو قوة خارجية ، أى مادامت غير متوقفة على قوى الطبيعة الخارجية .

وقد فرق بيران بين الإنسان والحيوان من جهة ، وبين الإنسان والله من جهة أخرى . غير أنه لم يقصد بهذه التفرقة أن يقيم هوات غير معبورة بين الحيوان والإنسان ، أو بين الإنسان والله . وإنما الذى اهتم به بيران وقصد إليه فعلا ، هو أن يقرر تلك الحقيقة الهامة عنده ، وهى أن الحياة الإنسانية بمعنى الكلمة إنما هى تلك التى تعلو على المستوى الحيوانى . وما يميز الحياة الحيوانية (فى نظره) هو أنها تخضع للانفعالات العمياء ؛ أعنى أنها لا تتميز بالحرية والإرادة والإختيار . وعلى الرغم من أن بيران لا ينزل بالحيوان إلى درجة « الآلة » ، كما فعل ديكارت ، فإنه يعتبر أن الحيوان يحيا دون أن يعرف ما هى حياته ، ويشعر دون أن يعرف أنه يشعر ، أى بعبارة أخرى ليس لديه « ذات » أو « إنية » .

أما الحياة الإنسانية فإنها تبدأ حيث تنتهى الحياة الحيوانية ، أى حيث يبدأ الشعور بالذات ، أو التجربة الباطنة التى تدرك فيها الذات نفسها على أنها قوة فاعلة وإرادة حرة . وبعبارة أخرى فإن الإنسان لا يحيا حياة إنسانية خالصة ، إلا بقدر ما يتحرر من الضرورة العمياء ، والأهواء الأنانية . والحيوانية داخلة فى الحياة الإنسانية ، نظراً لأن الإنفعال موجود فى الإنسان إلى جوار الفعل ؛ ولكن فى استطاعة الإنسان أن يشارك فى حياة غير إنسانية ، هى حياة الروح التى تعلو على الحياة البشرية . وفى هذا الصدد يتفق بيران مع نيتشه الذى يقول : إن الإنسان وتر مشدود بين الحيوان والإنسان الأعلى . — وما يميز الحياة الإنسانية بالنسبة إلى الحياة الحيوانية والحياة الروحية ، هو النشاط والشخصية وحرية الفعل ؛ أعنى المجهود الذى يبذله الإنسان فى مقاومة الأهواء ، وتنمية قواه النفسية ، من أجل الوصول إلى حياة إنسانية بمعنى الكلمة . أما بالنسبة إلى ما هو دون الإنسان أو ما هو فوق الإنسان ، فليس ثمة جهاد أو صراع ، لأنه ليس ثمة جهد أو مقاومة — .

والحياة الإنسانية هى فى أعلى صورها تحرر من نير الأهواء والإنفعالات ، وتجاوز لمرتبة الحياة الحيوانية ، وارتفاع إلى مرتبة الحياة الروحية .

زكريا ابراهيم

مدرس الفلسفة بمدرسة السويس الثانوية

من وحى الصيف :

على جبل الرويس

للأستاذ حسن الأمين

سقياً لأيام الرويس فطالما … كانت لأدواء الفؤاد دواء
ناقى الجمال الغض فى ذرواته … وعلى السفوح الماء والخضراء
ويشوقنا الأصباح فى أفيائه … ونطيب حول كرومه إمساء
قد جئته قلباً ينوء بدهره … هماً ويرزح شقوة وعناء
عبست له الدنيا فلم ير باسماً … للناس إلا أن يكون رياء
رضى الشجون من الحياة صحابة … ومن الزمان همومه خلطاء
حتى إذا برز الرويس وأقبلت … دنياه تزخر متعة ورجاء
بعثت هوى القلب القديم وهيجت … للحب فيه الوجد والبُرَحاء
وجلت لنا الحسن الرفيع وأطلعت … فى كل أفق كوكباً وضاء
وطلعت يا ظمياء فى صرح الصبا … وجهاً أغر ومقلة نجلاء
ودعوت للحب المبرح والجوى … قلباً خلياً من هواك نجاء
أحببت أفياء الرويس وإنما … أحببت من حبى لك الأفياء
فالليلة القمراء فيه لم تكن ، … إلا بوجهك ليلة قمراء
والروضة الغناء ما كانت لنا … إلا بحسنك روضة غناء
لم يحل لولاك الرويس ولم يطب … أرضاً ولم يعذب لدىّ سماء
قد كنت بهجته وكنت رواءه … فسما بعينى بهجة ورواء
تمشين فى الأرجاء عاطرة الشذى … فتعطرين بعرفك الأرجاء
ويطل وجهك فى السجوف كأنما … ألق السعادة فى السجوف تراءى
وأراك فى غسق الزمان فأجتلى … نور الضحى من مقلتيك أضاء
يا أيها الجبل الأشم أسامع … نجوى يرددها الفؤاد وفاء
إنى لأطرح فى ذراك كآبتى … وأرد عن قلبى بك البأساء
وتهيجنى ظمياء فيك ملاحة … وتثير أشواقى لها إغراء
كانت ليالينا عليك ضواحكا … أبداً وأيام الهوى غراء
أرشفتنا العذب الزلال على الظما … ومنعتنا الأكدار والأقذاء
وعرفت فى واديك غر مباهجى … ولمست تحت ظلالك السراء
إن تحبُنى العيش الرغيد فلن أنى … أشدو بذكرك فى الحياة غناء
وأرتل الشعر الرقيق منمقاً … بجمالك الإنشاد والإنشاء

(بغداد) **حسن الأمين**



رأى الأستاذ عبد الرحمن الرافعى فى كتاب :

من يوميات محام

عزيزى الأستاذ عبده حسن الزيات

قرأت كتابك الجديد (من يوميات محام) فقضيت فى قراءته وقتاً غير قصير استوعبت خلاله ما جاد به قلمكم من سديد النظرات ، وبديع الأفكار والتأملات ، وصادق الأمانى والآمال وقضيت وقتاً آخر فى الإعجاب بالروح التى أملت عليكم هذا الكتاب . إنها روح الرغبة المتوثبة فى الإصلاح والنهوض القومى والبرم بما يعترض هذا الإصلاح من شتى العلل والعقبات . فياحبذا هذه الروح الطيبة ويّاحبذا الكتاب الذى يبرزها ويجليها !

رأيتك أيها الزميل تدون خواطرك وملاحظاتك اليومية عن المحاماة والحياة القضائية والاجتماعية عامة ، وما أحوجنا إلى أن نتعرف هذه الخواطر والملاحظات ، فإن المحاماة ما هى إلا الحياة الاجتماعية على حقيقتها فى معاملات الناس وعلاقاتهم بعضهم ببعض وما يتخللها من صدق أو غش ، ووفاء أو غدر ، وشجاعة أو جبن ، ونبل أو ضعة ، وفضيلة أو رذيلة . إننا نشهد فيها صورة متناقضة من الحياة . ولقد جلوت هذه الصور ، ومجدت النواحى السامية منها ، واستنكرت نواحى النقص والضعف الخلقى فيها فجاءت يومياتك خير دعاية للمثل العليا .

رأيتك فى كتابك تشرح بعض مواطن النقص من حياتنا القضائية عامة ، سواء فى دور المحاكم أو فى ملفات القضايا أو فى أقلام الكتاب والمحضرين ، ولم يفتك أن تأخذ على زملائك فى المهنة ما رأيت موضعاً للنقد . وفى الحق إنها لشجاعة أدبية تحمد عليها ، وإنها لملاحظات ومشاهدات جديرة بأن تكون أساساً للنهوض فى نواح عديدة من نظمنا القضائية والتشريعية ؛ فإن هذه النظم على أنها سائرة فى الجملة إلى الأمام فى حاجة إلى معالجة واصلاح مستمرين لا ينقطعان .

وفى كتابك ناحية أخرى جديرة بالإعجاب ، وهى أنك ما أردت منه إلا الخير والإصلاح ، وما قصدت إلا وجه الوطن ، وعند ما انتهيت من قراءته عدت إلى التأمل فى مقدمته التى تقول فيها:

« إلى مصر الخالدة ، التى عاهدت ربى أن أعيش من أجلها ، وأفنى فى سبيلها ، عزيزاً على عداتها ، ذليلا على حماتها ، سيداً حر الضمير فى خدمتها ، عبداً متقرباً إلى الله بطاعتها » . فعلمت وتحققت أن الكتاب يعرف من عنوانه .

فتقبل أيها الزميل الفاضل خالص تهنئتى على هذه التحفة الأدبية والاجتماعية والروحية التى أخرجتها لمصر وللناطقين بالضاد؛ وشكراً لك وألف شكر والسلام .

عبد الرحمن الرافعى

مكتبة الكيلانى للأطفال [١]

... وهكذا نجحت - يا أستاذ - فى أن تحبب إلى الأطفال مكتبتهم وتغريهم بالمطالعة[٢] . ولئن أدرك الأطفال — رياض الأطفال - مراداً بعيداً ، لقد فتحت لهم ، بمكتبة الأطفال - فتحاً جديداً . أدركت أرب نفوسهم ، وأبدلتهم أنساً من عبوسهم ، وهجت للمعالى أشواقهم ، وحسنت لغتهم وأخلاقهم[٣] . والأستاذ الكيلانى منشئ مكتبة الأطفال أديب عالى جدير بما يهدف إليه من نبيل الأغراض[٤] . وإنه ليسرنى - إذ أتابع مع التقدير هذا الجهد العلمى المتواصل - أن ألاحظ مقدار العناية التى تبذلونها فى هذا السبيل ، والفائدة التى تعود على النشء منه بتهيئة أذهان الأطفال وعقولهم لتقبل خير الأفكار والمعانى وتقديمها لهم على مثل هذه الصورة الطريفة[٥] . وإنى وقد تتبعت هذا المجهود القيم المتصل لا يسعنى إلا الإعجاب بما تساهمون به فى سد نقص يشعر به جميع الآباء فى تعليم أطفالهم[٦] . فنشكر الله لك ما هدفت إليه من تنشئة الطفل : مشبوب الشغف بالقراءة والدرس ، موفور الحظ من متاع الفكر ، مستقيم اللسان على نهج البيان[٧] . فهى

---

(١) نخبة من آراء حضرات أصحاب الرفعة والمعالى والسعادة مرتبة أسماؤهم على الحروف الهجائية

(٢) أحمد لطفى السيد باشا

(٣) أحمد نجيب الهلالى باشا

(٤) جعفر ولى باشا

(٥) على ماهر باشا

(٦) محمد بهى الدين بركات باشا

(٧) محمد توفيق رفعت باشا

تتمشى مع طباع الطفل الشرق وغرائزه حتى يترعرع ، وتجعل الحلقة متصلة بين المدرسة والبيت ، فى قصص مناسبة متماسكة مع نفسية الطفل وعقليته وبيئته وما يهوى سماعه أو يميل لوعيه بأسلوب صحيح فصيح ، إذا حفظه الصبى صغيراً نفعه كبيراً [١] . ومن ثم يشب الطفل ، وقد صحت ملكته ، وأشربت الفصحى فكرته [٢] .

إلى الأستاذ على الطنطاوى :

تفضلت أيها الأخ الكريم فكتبت كلمة جريئة موفقة فى نقد « النشيد السورى » ؛ ولقد أعجبنى هذا الشعور الوطنى الجميل الذى يدعوك إلى أن تجدد للوطن أناشيده وأهازيجه كما تجددت فيه روح الحرية والاستقلال ، ولكنى لاحظت أنك عندما تعرضت لنقد هذين البيتين :

حماة الديار عليكم سلام
أبت أن تذل النفوس الكرام

قد قلت : « ثم هذا السلام المنكر ، من منكر القول ، وهو بلهجة أروام الاسكندرية وأرناؤوط الشام أشبه ، وليس يليق بهذا المكان ، ولا محل له فى البلاغة » ... قرأت هذه الفقرة من حديثك فتوقفت ، وتفكرت ، فذكرت أن قول الشاعر « عليكم سلام » تعبير بليغ لا غبار عليه ، وقد اقتدى فيه صاحبه بالقرآن الكريم — المثل الأعلى لكل بليغ — ففى سورة هود « ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى ، قالوا سلاماً ، قال سلام » وفى سورة الذاريات : « هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين ، إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً ، قال : سلام » . ولا شك أن إبراهيم قد أراد أن يكون جوابه أبلغ من تحية الملائكة ، اقتداء بأمر الحق تبارك وتعالى : « وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها » فاستعمل الإسم المرفوع الدال على الدوام والثبوت ؛ ولذلك نرى الإمام جار الله الزمخشرى حينما تعرض لتفسير آية الذاريات السابقة يقول (م ٤ ص ٢٩ الكشاف) : (سلاماً) مصدر سادّ مسد الفعل ، مستغنى به عنه ، وأصله نسلم عليكم سلاماً ؛ وأما (سلام) فمعدول به إلى الرفع على الابتداء ، وخبره محذوف معناه عليكم سلام ، للدلالة على ثبات السلام كأنه قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به ، أخذا بأدب الله تعالى ، وهذا أيضاً من إكرامه لهم » !..

ومن هذا يتضح للأخ المفضال أن تعبيره السابق تعبير قرآنى بليغ ، ولولا أن نقد الأستاذ لتعبير الشاعر مس تعبير القرآن الكريم من قريب أو من بعيد لما قوى الداعى الذى دعانى إلى توجيه هذا الحديث ، وجل المتعالى عن النسيان !

أحمد الشرباصى
من علماء الأزهر الشريف

مجلة كلية البوليس :

صدر العدد الثالث من مجلة كلية البوليس الملكية ويشرف على تحريرها الأميرالاى على بك حلمى . وهى حافلة بالأبحاث القيمة المتصلة بحياة رجال البوليس وعلاقتهم بالمجتمع فضلا عما حوته من البحوث التشريعية والبحوث الإجتماعية الوثيقة الصلة بعمل البوليس . وقد اشترك فى الكتابة بها طائفة من كبار رجال القانون والإدارة ممن اشتهروا بضلاعتهم فى العلم واكتسبوا خبرة عظيمة فى شئون الأمن ، ولذلك فسحت المجلة صدرها لفريق من طلاب الكلية فظهرت بها آثار أقلامهم الناهضة .

ومن ذلك نرى أن هذه المجلة تعد نهضة ثقافية جليلة الأثر فى حياة الكلية . ومرد الفضل فى ذلك إلى مديرها الأميرالاى على بك حلمى الذى اشتهر بهمته فى كل ما يلى من عمل والذى عرف ببحوثه القيمة فى كثير من نواحى الإجتماع .

ونحن إذ ننوه بفضله نستحث رجال البوليس جميعا على الإفادة من هذا الأثر الطيب ، ونستزيد محررى هذه المجلة بحوثا جديدة فى الأعداد القادمة ، ونرجو لها التوفيق الدائم فيما ترمى إليه من غرض كريم .

م . ف

تصويب :

وقع (أيضا ...) فى مقالة (هذيان مجنون) فى العدد ٦٤٢ تطبيعات ، هذا صوابها :

صفحة	عمود	سطر	خطأ	صوابه
١١٤٢	١	١٦	برفق	برقعه
١١٤٢	٢	١٩	على خفقانه	عليه خفقانه

أما من ظن أنى أسخر بالجمعيات الإسلامية فليسأل الله أن يرزقه الفهم !

على الطنطاوى

---

(١) محمد حلمى عيسى باشا
(٢) محمد على علوبة باشا



أسطورة اسلامية من الأدب الروسى :

السلطان وولده ...

للكاتب الروسى مكسيم جوركى

للأستاذ مصطفى جميل مرسى

« يعد مكسيم جوركي — شيخ الأدب الروسى — قطباً من أقطاب الثورة البلشفية الذين مهدوا بما كانوا يسطرون لقيامها أمثال ليون تولستوى والامير كوزباتكين ولد جوركى فى سنة ١٨٦٨ ، ونشأ فقيراً يعانى شظف العيش وذاق مرارة الحياة بين تلك الطبقة السفلى من المجتمع . فكان لذلك أثر جلى فى طبع أدبه بطابع البؤس والشقاء . وفى هذا يصل مكسيم إلى ذروة فنه ، وقد لبث جوركي يقود الحركة الأدبية فى روسيا إلى أن وافته منيته سنة ١٩٣٦ بعد أن أخرج عدة كتب تعد من روائع الأدب الروسى ؛ منها « الأعماق السفلي » « The Lswer Depths » وكتاب « ذكريات الشباب » .

وفى هذه القصة التى نقدمها اليوم إلى قراء (الرسالة) نهج جوركى نهجاً جديداً ولكنه رائع ممتع ... نهجاً يتجلى فيه خيال جوركى الخصب ، وأفكاره البديعة ، ومعانيه الجليلة وأساليبه الرائقة .

وسيلمس القارئ الكريم ذلك بينا في هذه القصة » .

م . جميل

اعتمد « التتارى » الأعمى ظهره إلى جذع شجرة من أشجار التوت ، وراح يقص واحدة من تلك الأساطير التى سطرتها الذكريات فى عقله عن شبه جزيرة القرم ... والتف حوله حشد من « التتار » فى بردهم الموشاة المفوفة ، ومطارفهم الزاهية المخملة ... وقرت فوق رؤوسهم قلانس مطرزة بالذهب وقد جلسوا على أحجار دارسة ، وأطلال بالية ، كانت حينا قائمة فى جدران قصر فاخر لسلطان من السلاطين القدماء .

كانت الشمس تنحدر نحو مستقر لها فى البحر ، فتبعث أشعتها الجاهدة الكليلة وقد راحت تخترق ستور الظلام ... وتعبث بحلكته ، وتميس بين أوراق الطحلب فتخلع عليها روعة وبهاء ، وتسيطر على الأطلال فتبعث فيها شيئاً من الرهبة والرواء ...

وبرحت الريح رخاء تداعب غصون الأشجار ، وتصاول الأوراق فيسمع لها حفيف وزفيف ... وكأن صوت الرجل ينبعث واهناً فيه بعض من الاختلاج والاضطراب ؛ أما وجهه فكالصخر جامد لا ينم تجعده على شيء سوى الراحة والهدوء . وانسابت الألفاظ من لسانه حيناً ، ومن قلبه أحياناً تعيد لسامعيه صورة جلية للأيام الخالية العامرة بالهناء ...

ولم يلبث أن قال فى صوت جليل ، وجرس ندى :

« زعموا أنه عاش فى شبه جزيرة القرم سلطان يقال له ... « مسيلمة الأسراب » وكان له ولد يدعى « توليق الجلى » .

كان هذا السلطان كهلا ، بيد أن قصره ضم كثيراً من النساء اللائى عشقن السلطان الكهل ... فما زال جسده يمور قوة ونشاطاً ، ولا زالت نفسه تمور مرحاً وشباباً ... وما برحت النساء يعشقن ذا القوة والبأس . ! إذ يقال ان الجمال يكمن فى ثنايا القوة ... لا تحت الأظافر الناعمة والوجنات الأسيلة المخضبة ...

كن جميعاً يعشقن السلطان ، ولكن السلطان ينصرف عنهن إلى ظبية سباها فى حرب له مع « القوزاق » عند مروج نهر « الدنيبر » ... وكان يخص هذه الفتاة بجل حبه وعطفه وحنانه وينفر عن نسائه وجواريه وقد نيفن على الثلثمائة من كل فج وبلد . نسوة منهن العذراء والخود والبضة ، والمطبول والغيداء والغانية والرقراقة إلى غير ذلك ... كانت كل منهن على جمال رائع كالزهور، وقد تفتحت أكمامها فى صبيحة يوم أضحيان من أيام الربيع ...

لم يبخل السلطان عليهن بمال ... بل كان ينفق عليهن بسمة ويجلب لهن ما يوددن ... أتى لهن بالخمر الفاخرة ... وبما لذ وطاب من طعام وشراب . وكان يأذن لهن بالرقص واللهو كما يحلو لهن . ولكن إيثاره للفتاة القوزاقية بحبه كان ينغص عيشهن بعض التنغيص ...

كثيراً ما كان يدعو الفتاة القوزاقية إلى جناحه حيث يشرف

على البحر المسبطر إلى الأفق ... حيث أعد لهـا كل ما تطمح إليه نفس امرأة ويهفو نحوه فؤادها كى تلحقها السعادة فى الحياة ... الحلوى والفاكهة والشفوف والغلائل ... والقلائد من ذهب ، والأقراط من شذور ، والوشائح من زمرد ... وغت الطيور المنعلة بأغاريد عذبة ...

هذا غير ماميز به السلطان من لطف المعشر ودماثة وفتنة ... فى هذا الفردوس يقيم السلطان أياماً وليالى يمتع نفسه بهذا النعيم ويتذوق الراحة والسعادة وهى تسعى إليه بعد العناء الذى يلقاه من أعباء الحكم ... يقضى أيامه وقلبه آمن على ولده ... وقدرته فى أن ينهض بعظمة السلطنة إبان غيبته ... فهو يعلم كيف ينسل ولده إلى مروج الروس كالذئب فيغزوها ويغير عليها ... ثم يعود والنصر يعقد لواءه على رأسه ... فيكللها بآيات المجد والفخار ... يعود مثقلا بالغنائم والأسلاب ... والسبايا الفاتنة ... يعود بعد أن يخلف الذعر والإضطراب ... وفلول الأعداء ملوثة بالدماء والهزيمة ...

***

وحدث مرة أن عاد « توليق » من إحدى غزواته للروس فائزاً مظفراً ... فأقام حفلا دعى إليه الأمراء وعظماء الدولة ابتهاجاً بالنصر المبين ... وعقدت المباريات ومدت موائد الطعام ... وراح القوم يقذفون نبالهم على أعين الأسرى ليعرفوا من هو أشد الجمع ساعداً ، وأصوب رمياً ... وعادوا إلى الشراب ينهلون حتى أترعوا وهم بين ذاك وذاك يمجدون هذا الفوز والنصر الذى أحرزه بطلهم العظيم « توليق الجلى » ... ويشيدون بالخوف والهلع وقد خلفهما ينخران فى عظام أعدائه .

أما السلطان فكان سروره بفوز ولده لا يعادله سرور ... وكان يعتقد أنه إذا ما انتقل إلى السماء سيستوى على العرش من بعده سلطان قوى مرهوب الجانب ...

رغب أن يبدى لولده مبلغ حبه وإخلاصه له — على مرأى من شعبه ورعيته فهم والقدح فى يده وقال :

« بنى العزيز « توليق » ... فتح من الله ونصر مبين ... والنصر آية من آيات رسوله ونبيه ... »

فارتفع صوت الحشد يترنم بأنشودة حماسية تمجد نصر النبي ، ثم عاد السلطان فقال : « إن الله عظيم خبير ... لقد جدد قوتى ومضائى فى ولدى الأروع ... إنى لأبصر بعينى الفائزتين عندما يغيب شعاع الشمس عنهما إلى الأبد ، وعندما يدب الفناء إلى قلبى النابض وأقضى نحبى ... أنى سأحيا ثانية فى نفس أخرى ... فى نفس ولدى ... فسبحانك اللهم أنت الإله الأوحد الجبار ... لقد رزقتنى ولداً عظيما صلب الساعد ، ثابت الجأش رزين العقل . فاللهم إنى أشهد بوحدانيتك وقدرتك ، وأشهد أن محمداً رسولك ونبيك .

أُبَنَيّ توليق ... ماذا تبغى أن تقدم لك يد أبيك ؟ . اذكر ماتود ، وسأمنحك إياه . »

وخفت صوت السلطان رويداً حينما أخذ « توليق الجلى » يتأهب لإعلان رغبته ، وقد تألقت عيناه تألق البحر فى ضوء القمر ... عيناه اللتان كأنهما عينا النسر وهو يحوم بقلة الجبل .. قال أخيراً :

— مولاى وأبت ... امنحنى الفتاة القوزاقية ... »

وصمت الوالد ليهدىء من روعه ، ويسكن من نفسه المضطربة وفؤاده الجياش ... وبعد برهة رفع صوته ثابتاً لا ينمّ عما يعتمل بنفسه : « ... خذها ... عند ما يُختتم الحفل »

شملت البهجة والمراح قلب « الجلى » ... وتألقت عيناه النسريتان بدموع الفرح ... وقال لوالده السلطان فى حب وبر :

— أى والدى ومولاى ... إنى لأقدر مبلغ هديتك إياى .. إنى لأقدره حق قدره ... إنى ابنك بل قل عبدك المخلص لك .. خذ دمى ... قطرة فى كل لحظة ... سأموت أكثر من ميتة فداء لك ... يا أبت ويا مولاى ... »

فقال السلطان وقد طأطأ رأسه إلى الأرض — رأسه الذى طالما كلله النصر بآياته سنوات متتاليات — « إنى لأرغب عن كل شىء . »

***

آذنت الوليمة بالانتهاء ، فهمّ السلطان وولده يسيران من القصر إلى دار الحريم ...

وكانت السماء تغشيها السحب ، فطوت القمر والنجوم فى

حجب مغيبة . دام السير طويلا فى صمت وسكون .. وأخيراً قال السلطان « الأسراب » :

— ستفنى حياتى يوما بعد يوم ، وسيخفت قلبى فى خفقانه حيناً بعدحين ... وستخمد رويداً هذه الجذوة المستعرة فى جسدى ... جذوة الحياة . لقد كان الضوء الذى يشع لى فى حياتى ، والدفء الذى يبعث لى بالحرارة هى تلك الفتاة « القوزاقية » ... خبرنى بُنَىّ « توليق » ... خبرنى إن كنت حقاً فى حاجة إليها ... خذ مائة من حريمى ... خذهن جميعاً ... بدلا منها ... »

صمت « توليق الجلى » ... فعاد السلطان المتيم يقول :

— لقد تقضت حياتى ... ولن ألبث طويلا فوق أديم هذه الأرض ... فدعنى أنعم بحب هذه الفتاة ... إنها تعشقنى ... من ذا الذى سيحبنى بعد أن تنأى عنى ؟! يحبنى ... أنا يا من دبت فى جسدى الشيخوخة ... من ؟ ليست واحدة منهن يا توليق ... »

ولـكن « الجلى » لم ينبس ببنت شفة . « بالله ... كيف يتردد لى نفس ، وأنا أحسب أنك تعانقها ... وأنها تقبلك ؟ ... إذا كنا أمام المرأة يا توليق فلسنا والداً وولداً ... ليت جروحى — وقد تناثرت فى جسدى — نكأت فسال دمى حاراً دافقاً منها ... فهذا خير وأفضل من عيشى حتى هذه الليلة ... »

انتهى بهما المطاف عند باب الحريم ، فوقفا — وقد طأطأ كل منهما رأسه إلى الأرض — وشاع الصمت بينهما ، وشملهما الظلام . وفى السماء راحت بعض السحب تطارد بعضها والريح تميل الأشجار عن يمين وعن شمال ... وكأنها تترنم لها ...

قال « توليق » فى صوت هادئ رزين « يا أبت ... لقد أحببتها » فقال السلطان « أعلم هذا ... كما أنى أعلم أنها لا تحبك »

— إن قلبى لينفطر حينما أفكر فيها ..

— وإنى لأشد منك حباً لها ...

وعاد الصمت يحلق فوقهما ويرين عليهما ... فقال « الجلى » فى صوت فيه ألم ، وفيه عزاء :

— لقد أدركت الآن صدق الحكمة القائلة « المرأة خلقت لمتاعب الرجل » إن كانت حسناء راحت تغرى الآخرين ليتملقوها فتوقظ فى زوجها آلام الغيرة والحسرة ... وإن كانت قبيحة ، فزوجها يعانى من قبحها ويعانى آلام الحسد ومرارة الحقد على غيره ... وإن لم تكن بالجميلة ولا بالقبيحة راحت تتدلل على زوجها وتجعله يعتقد أنه لم يقم بواجبه نحوها ، فهى إذاً مصـــدر شقاء الرجل وتعاسته فى هذه الحياة ... »

فقال السلطان :

— ليست الحكمة دواء ناجعاً لشقاء القلب ! يا بنى

— يا أبت ... يجب أن يشفق كل منا على الآخر

فرفع السلطان رأسه ، وراح يحدق فى ولده ... فقال « توليق »

— يا أبت ... دعنا ... دعنا ... نقتلها

فشك السلطان غير طويل ثم قال فى تمتمة هادئة :

— إنك تحب ذاتك أكثر منها ومنى ؟!

— أجل ... وأنت الآخر!

فقال السلطان بعد هنيهة فى صوت شاع فيه الألم ، وشاع فيه الحزن حتى لكأنه ارتد صبياً

— نعم ، وأنا الآخر

— سوف نقتلها يا أبت

— لن أدعك تأخذها لنفسك ... لن أدعك

— لا أقدر على مجالدة هذا طويلا ... إما أن تمزق قلبى أو تتركها لى . فلم يقل السلطان شيئاً ... « أو دعنا نلق بها من شاهق إلى البحر فتتردى ... » فراح السلطان يردد هذه العبارة ، وكأنه رجع الصوت الذى أطلقه ولده ... وهو يهز رأسه فى شرود وألم

— دعنا نلق بها من شاهق إلى البحر فتتردى ...

دخلا الحريم ، واتخذا وجهتيهما حيث مرقدها فى فراش وثير ثمين ... فوقفا ساهمين ينظران ... وفى قلب كل منهما لهفة وشوق ... وألم

وانحدرت من مقلتى العجوز دمعات فسالت على وجنتيه ... ثم تألقت على لحيته ـ وقد حاكت الفضة فى لون شعرها ـ أما ولده فقد قام بعينين لامعتين ... يصر على أسنانه ليخفى ذلك الهوى الذى يضطرب بين جوانحه ... وقد راح يوقظ الفتاة « القوزاقية » ... أفاقت من نعاسها ، ففتحت عيناها على وجنتيها الورديتين فكأنهما زهرتان من أزهار الأقحوان ...

لم تبصر « توليق » ولكنها مدت شفتيها الأرجوانيتين إلى السلطان

— قبلني ، يا نسرى العزيز . فقال السلطان فى رقة :

— انهضى ... ينبغى أن تأتى معنا ...

ووقع طرفها على « الجلى » ، والدمع يتألق محبوساً فى عينيه فما أسرع ما أدركت ، وفهمت كل شىء ... وقالت :

— هه ... سآتى ... سآتى ... ليس لواحد منكما ... أليس هذا مبتغاكما ؟ وما قر عليه أمركما ... للقلوب القاسية أن تقرر وعلى النفوس الضعيفة الواهنة أن تطيع ... سآتى معكما ...

وانطلق ثلاثتهم شطر البحر فى صمت وسكون ... سلكوا فى سبيلهم مسالك ضيقة ، والريح لها صوت كعواء ابن آوى ...

كانت الفتاة نحيلة الجسد ، هيفاء القد ... فما أسرع ما أدركها الوهن والعناء ؛ ولكن كانت تعانى هذا فى صمت ، ولا يند عنها ما ينم عليه ... وإذ لمح ابن السلطان ما اعتراها — وكان يسير إثرها — أسر لها « أأنت خائفة ؟! »

فلمعت عيناها ، وأشارت إلى قدميها الداميتين ... فقال وهو يمد ذراعيه إليها « دعينى أحملك ! »

بيد أنها نفرت منه إلى عنق نسرها العجوز ... فرفعها السلطان كالريشة حاملا إياها ... بينما راحت هى تثنى أغصان الأشجار وتزيحها من أمام وجهه

وطال المسير ... وأخيراً طرق أسماعهم صوت البحر وهو يهدر ويزمجر على مبعدة منهم ... قال « توليق » موجهاً حديثه لأبيه « دعنى أمض أمامك » وإلا حدثتنى نفسى الأمارة بالسوء أن أغمد خنجرى فى ظهرك »

— امض ... كما تشاء ... إن الله سيغفر خطيئتك هذه ... ويعفو عن إساءتك ... فقد غفرت لك وعفوت عنك ، إنى لأعرف ما هو الحب يا بنى !

وأخيراً أبصروا البحر يجثم تحتهم ... كانت صخرتهم سامقة والظلام يسربلها ... الظلام الذى ليس له حد ولا نهاية ؛ وراحت الأمواج تهدر بألحان الموت وهو يسرى بين الصخور ... وقد أخفاها الظلام يحفه القر والخوف .

قال السلطان بعد أن طبع على ثغر الفتاة قبلة حارة : « وداعاً .

وقال « الجلىّ » وهو يحنى هامته لها « وداعاً ... » .

ألقت الفتاة بطرفها إلى ما تحتها حيث صخب الموج يردد ألحان الرهبة والجلال ... فضمت يديها إلى صدرها وقالت فى هلع وفرق « إقذفا بى ... » .

فمد « توليق » يديه إليها وهو يئن ويتأوه ... ولكن السلطان أخذها بين ساعديه وضمها إلى صدره وقبلها ثانية ... ثم رفعها فوق رأسه وألقى بها من الصخرة الشاهقة إلى واد سحيق ... وارتفعت ألحان الموج .. ألحان الموت .. أجل رهبة وأشد فزعاً .. ولم يُسمع للفتاة صيحة وهى تلق فى الماء ، أو تلق حتفها على الصخور .

وتهالك السلطان على نشز وراح يحملق فى الظلام يحاول بطرفه أن يخترق سجف الليل ... سجف الغيب ... وما برحت الأمواج تلطم الصخور فى جنون وهوج ... والريح تهب عاصفة فى أعقاب موكب الموت ... تعبث بلحية السلطان العجوز .

وجلس « توليق » جواره وقد دفن وجهه بين راحتيه ، لا يتحرك ولا ينبس ... وكأنه الصخر ...

وتقضّى الوقت والسحب يطارد بعضها بعضاً فى جو السماء ... شاعت الكآبة فى ثنايا الظلام الرهيب المهيب ، وكأنها تلك الأفكار التى راحت تطوف سوداء بخاطر ذلك السلطان العجوز ... وهو جاثم على هامة الصخرة السامقة ، ومن تحته البحر يهدر فى واد عميق ... قال « توليق » :

— « أبتِ ... دعنا نمض ... » .

فنبس السلطان همساً ، وكأنه يتوجس نبأة تسرى فى الهواء : « مهلاً » .

وعاد الوقت يمضى ، والأمواج تتلاطم فى عبث وجنون من تحتهما والريح تصفر بين الأشجار كعواء ابن آوى ... وعاد الابن يردّد عبارته ، فردّد السلطان إجابته ... وكان هذا الترداد مراراً ... كأن السلطان لا يبرح مكانه ... وقد قبر فيه بهجته ومراحه وأيامه الخوالى ...

بيد أن لكل شىء نهاية ، فلم يلبث السلطان أن قام نشيطاً ، ولكن عابس الوجه ، مقطب الجبين وقال فى صوت شاع فيه الجفاء :

— « هيا ... بنا ! »

وانطلقا ... ولكن لم يلبث السلطان أن وقف قائلا :

« لِمَ أنطلق معك يا توليق ... وإلى أين ؟ ! لِمَ أعيش بعدها ؟ ! لِمَ أعيش بعد أن ذهبت بعيداً عنى ... إنى عجوز ولن يهوانى أحد ثانية ... وإذا لم يهوك أحد فليس ثمت خير فى أن تعيش بهذا الكون ! » .

— « إنك ذو مال ! وذو مجد يا أبت ! » .

— « دعنى أرتشف من ثغرها قبلة من قبلاتها نظير هذا المال » ...

هذا المجد ... يا بنى . إن الناس جميعاً أموات فى هذه الحياة والحى منهم هو الذى يعشق النساء ... إن الحياة هباء بغير النساء ، يا بنى ... بارك الله فيك وفى ملكك ... فى حياتك وفى مماتك » .

واتجه السلطان شطر البحر ... فصاح « توليق » فى هلع « أبت ... أبت ... » . ولم ينطق بغير هذا ... لأنك لا تجد الكلمات تلفظها لرجل يلاقى حتفه باسماً راضياً ... رجل آيس من حياته

— « دعنى أرحل ... » فقال « توليق » : « الله يا أبت ... »

— « إن الله يعلم ، وسيغفر لى » وبخطا سريعة مضى السلطان إلى نهاية الصخرة ... وألقى بنفسه إلى أحضان الوادى ... لم يسمع شىء فقد عصفت الريح إثر موكب الموت وهو يمضى فى جلال وراحت الأمواج تدوّم هدرها ، وكأنها فى عراك عنيف مع الصخور ...

وأخذ « توليق » ينظر ويطيل النظر إلى حيث الهوة السحيقة .. إلى حيث الموت تحت قدميه ... ثم ارتفع صوته جليلا ورأسه إلى السماء : « يا إلهى ... أسألك أن تلهم قلبى الصبر والسلوان وأن تغفر لوالدى وتشمله برحمتك إنك غفور رحيم » .

ثم مضى عائداً إلى قصره والصمت يحف به ... حتى غيبه الليل فى مطارفه ... » .

مصطفى جميل مرسى

العدد ٦٤٧ — الاثنين ٢٦ نوفمبر ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٢٥ ، ٤٣

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 647

Lundi—26—11—1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٤٧ « القاهرة في يوم الإثنين ٢١ ذو الحجة سنة ١٣٦٤ — ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

في مصر فلســـفة

للأستاذ عباس محمود العقاد

نعم في مصر فلسفة

ونحمد الله على ذلك كما حمد فردريك الكبير ربه على أن في برلين قضاء

ولكننا نحن أولى بالحمد من فردريك الكبير ، لأن القضاء العادل ضرورة من ضرورات الحياة الاجتماعية يتفقدها الناس إذا فقدوها ، ويجدونها إذا طال تفقدها ، وكان بهم صلاح لوجودها.

أما الفلسفة فلا يبحث عنها من يفقدها ، لأن من يفقدها يجهلها ولا يحفل بها ، وقد يسخر منها إذا سمع بذكرها ، وقد يتفق أصدقاؤها وأعداؤها على أنها نافلة من النوافل وزيادة من الزيادات ، وإن قال الأصدقاء إنها نافلة الكمال ولا غنى عن الكمال ، وزيادة الفضل ولا تطيب للفاضلين حياة المفضولين

فإذا كان القضاء العادل ضرورة محسوسة فصناعة الفلسفة ليست بضرورة من ضرورات المعاش ، أو هي على الأقل ليست من الضرورات المحسوسات : تلك ضرورة وطن وزمن ، وهذه ضرورة لا يشعر بها الإنسان إلا إذا تجاوز نطاق الأوطان وأصبح نطاقه الكون كله ، في كل زمان

أو هي العلم الكلي كما قال المعلم الثاني أبو نصر الفارابي :
« فإن العلوم منها جزئية ومنها كلية ، والعلوم الجزئية هي التي موضوعاتها بعض الموجودات أو بعض الموهومات ... مثل علم الطبيعة فإنه ينظر في بعض الموجودات وهو الجسم من جهة ما يتحرك ويتغير ويسكن عن الحركة ، ومن جهة ما له مبادئ ذلك ولواحقه ... أما العلم الكلي فهو الذي ينظر في الشيء العام لجميع الموجودات مثل الوجود والوحدة ، وفي أنواعه ولواحقه ، وفي الأشياء التي لا تعرض بالتخصيص لشيء شيء من موضوعات العلوم الجزئية مثل التقدم والتأخر والقوة والفعل والتام والناقص وما يجري مجرى هذه ، وفي المبدأ المشترك لجميع الموجودات ، وهو الشيء الذي ينبغي أن يسمى باسم الله جل جلاله ... لأن الله مبدأ للموجود المطلق لا لموجود دون موجود . فالقسم الذي يشتمل منه على إعطاء مبدأ الموجود ينبغي أن يكون هو العلم الإلهي ، لأن هذه المعاني ليست خاصة بالطبيعيات بل هي أعلى من الطبيعيات عموماً . فهذا العلم أعلم من علم الطبيعة ، وواجب أن يسمى علم ما بعد الطبيعة ... »

وكلام صاحبنا الفارابي على تركيبته العربية أو عربيته التركية كلام صحيح في التعريف بفضل الفلسفة أو البحث فيما وراء المادة وما وراء الزمان والمكان ، ولكننا بعد ما قدمناه في موقع الفلسفة من الضرورة نعود فنقول : إنها ليست من البعد عن حياتنا الفردية أو حياتنا الاجتماعية بحيث تخرج من عالم الطبيعة إلى ما وراءها ،

وإن الإنسان ما عاش ولن يعيش بغير فلسفة حياة منذ بحث فى العلاقة بينه وبين العالم المنظور والعالم المحجوب ، ومرحلة الحياة كما قلنا فى بعض كتبنا الحديثة : « كجميع المراحل التى نقطعها من مكان إلى مكان ، لا تركب القطار حتى تحصل على التذكرة ، ولا تحصل على التذكرة حتى تعرف الغاية التى تسير إليها . غاية ما هنالك من فرق بين راكبين أن أحدهما يقرأ التذكرة والثانى لا يقرأها ، أو أن أحدهما يؤدى ثمنها من ماله والثانى يؤدى له الثمن من مال غيره ... »

والعجب أن بعض الفضلاء من طلاب الحقيقة لاينظرون إلى الفلسفة هذه النظرة ، ولا يحجمون عن نعتها باللغو الفارغ والهذر الذى ليس وراءه طائل ، وكذلك فعل الكاتب النزيه الأستاذ نقولا حداد حين جرى البحث على صفحات (الرسالة) عن وحدة الوجود ، فضرب المثل على سخف المذاهب الفلسفية القديمة بقول فيثاغورس إن العدد هو سر الوجود ، وإن النسبة بين الأشياء هى نسبة بين أعداد

قال فيثاغورس ذلك قبل خمسة وعشرين قرناً ، فكان فرضه هذا أقرب إلى الصدق من فروض علمية كثيرة فتن بها الناس إلى سنوات

وقاله فيثاغورس حين رأى أن الأوصاف كلها قد تفارق الموجودات من لون أو لمس أو صلابة أو ليونة أو وزن أو ما شابه هذه الأعراض الكثيرة إلا العدد ؛ فإنه ملازم لكل موجود ، فرداً كان أو أكثر من فرد ، وكاملا كان أو غير كامل ، وأن الفروق بين الأشياء هى فروق بين تركيب وتركيب أو فروق بين نسب الأعداد ، وأن الكون كله « دور موسيقى » هائل يدور على قياس منسجم كما يدير العازف الماهر ألحان الغناء

وأنشد الكون ألحانه التى لا عداد لها ، وتوالت الفترات التى نعدها نحن بالسنوات والقرون ، وظهر اليوم للباحثين أن الأجسام نسب بين أعداد ، وأن الفارق بينها فارق فى هذه النسب دون غيرها ، وأن التناسق فى هذه النسب أصدق من أجرام المادة الملموسة باليدين ، وأن الأصح فى تركيب الذرة أن يقال إنه « عددى » لا أنه « مادى » ملموس

وإذا قال فيثاغورس هذه المقالة قبل خمسة وعشرين قرناً ، فليس من حقه أن توصف مقالته بالفراغ وهى أملأ من فروض العلماء بعده فى معنى الوجود وفوارق الأجسام ، وهى على أضعف الأحوال أدق من قول بعض العلماء إن أصل المادة أثير

* * *

وكان الفلاسفة يبحثون فى العقل والمادة من عهد الفراعنة إلى عهد اليونان إلى عهد العرب إلى عهد الأوربيين المحدثين

يسأل سائل : أهما محدثان أو قديمان ؟

ويسأل آخر : وإذا كانا محدثين فمن الذى أحدثهما ؟

ويسأل غيرهما : وإذا كانا قديمين فكيف يتفق قديمان ليس لواحد منهما بداية ولا نهاية ؟

ويعود هذا السائل أو ذاك فيقول : وإذا كان أحدهما سابقاً للآخر وموجداً له فأيهما الأول وأيهما الثانى فى ترتيب الوجود ؟

ويفترق المجيبون فيقول فريق منهم : إن الحيوان ظهر بعد الجماد وإن الإنسان ظهر بعد الحيوان ، فالمادة إذن أسبق من العقل فى الترتيب

ويقول فريق آخر : إن فاقد الشىء لا يعطيه ، وإن العقل أشرف من المادة ، فهى لا تخلقه وهو أولى بأن يخلقها ويسبقها فى الوجود على الأقل سبق العلة للمعلول

أكلام فارغ هذا ؟

أهو كلام لا يعنينا ولا يدخل فى حسابنا ؟

كلا ... لأن التفسير المادى للتاريخ مذهب عملىّ فى الحياة الاجتماعية قام على القول بأن المادة هى القديمة وأن العقل هو الحديث ، وتوطدت عليه دعوة « كارل ماركس » التى فعلت بعد ذلك الأفاعيل فى مجرى السياسة العالمية وفى مجرى العلاقة بين الطبقات ، ولو استطاع فيلسوف أن يقنع الإمام وأتباعه بقدم العقل وحدوث المادة لتغير تاريخ الكرة الأرضية وتغيرت نظرات الملايين من الناس إلى الحياة

فهذه الصناعة التى تسمى بالفلسفة لا تغادر الطبيعة كل المغادرة ولا تنطلق منها إلى ما وراءها بغير رجعة إلينا فى حياة الغذاء والكساء

وإهمال هذه الصناعة غير مأمون على مهمليها ، لأن الفرق بين الفلسفة الصالحة والفلسفة الطالحة قد يكون فرقاً بين ثورة واستقرار ،

أو بين حرب وسلام ، أو بين هداية وضلال

ونحن حين نذيع البشارة بقيام الفلسفة فى مصر لا نذيع بشارة فى سماوات الخيال ، ولا ننسى الذين يعيشون ويعلمون أنهم يعيشون لأنهم يأكلون ويشربون ويلبسون ، أو لأنهم لا يطلبون من هذا الوجود مطلباً غير المأكل والمشرب واللباس

***

نعم فى مصر فلسفة

نعم وفيها عناية بالكتب الفلسفية

وآية ذلك أننا تلقينا فى عام واحد نحو عشرين رسالة فى المباحث الفلسفية وما إليها ، وعلمنا أنها تقرأ فى بيئة المتعلمين الذين يؤدون الامتحان الدرسى وتقرأ فى بيئة المطلعين الذين يقنعون بالاطلاع

من هذه الرسائل القيمة رسالة للأستاذ الجليل مصطفى عبد الرازق باشا عن فيلسوف العرب والمعلم الثانى والشاعر الحكيم وابن الهيثم وابن تيمية ، فيها أوفى تعريف ينال بمثل هذا الإيجاز

ومنها كتابا الأسرة والمجتمع والمسئولية والجزاء للدكتور على عبدالواحد وافى أستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب ، وقد نوهنا بالكتاب الأول فى (الرسالة) وثانيهما فى طبقة الأول من حيث الإفادة والتحقيق

ومنها كتب ثلاثة فى « الفلسفة الرواقية » وسيرة الإمام محمد عبده ، وشخصيات ومذاهب فلسفية للدكتور عثمان أمين ، وأولها أوفى كتاب بالعربية فى موضوعه ، ويضارع خيرة الكتب الأوربية فى هذا الموضوع ، وقد أنصف الأستاذ الإمام فى سيرته الوجيزة ، وصحح أوهاماً شائعة فى الشخصيات والمذاهب الفلسفية ، وأغنى المتطلعين إلى هذه البحوث عن كثير من المراجعات

ومنها التعليم عند القابسى للدكتور الأهوانى ، وهو بيان لفن من الفنون كان المظنون أن العرب أهملوه ، فألم الدكتور بتاريخه وشرح آراء القابسى فيه

ومنها كتاب التنبؤ بالغيب عند مفكرى الإسلام ، وكتاب الشعرانى إمام التصوف فى عصره ، وكتاب الأحلام للدكتور توفيق الطويل مدرس الفلسفة بجامعة فاروق الأول ، وكلها نمط واحد فى حسن التقسيم وتقرير المعلومات وفطانة التعقيب

وظهرت إلى جانب هذه الكتب القيمة والرسائل المسعفة مجلة مقصورة على علم النفس للأستاذين يوسف مراد ومصطفى زيور تعنى بأشرف البحوث المتخيرة فى موضوعها ، وتشغل مكاناً لم يكن بالجيل أن يفرغ بعد الآن فى اللغة العربية

ويجب أن نقرر هنا أننا أحصينا ما رأيناه ، ولم نحص كل ما صدر للجمعية الفلسفية أو لغيرها من دراسات الفلسفة والتصوف وعلم النفس وما إليها

وبعض هذا يكفل للمباحث الفلسفية حيزاً موقراً فى هذا البلد ويجيز لنا أن نقول : إن فى مصر فلسفة ، وإنها بشارة تذاع ، لأنها بعض الأدلة على انتقال المصريين من عالم الضرورة إلى عالم الحرية والاختيار ، ومن أسر الحاجة التى لا تخلو من عبودية إلى شرف الكماليات التى لا تخلو من عزة وارتفاع

وقد وددنا لو استطعنا أن نبسط القول فى كل كتاب من هذه المجموعة النفيسة ، لولا أنها حرب خاطفة تقابل بإشارات خاطفة ، وإذا بلغ بأصحاب الفلسفة أن يشكو الناس سرعتهم ونشاطهم ، فتلك علامة خير وحجة على من يحسبون الفلسفة قرينة للدعة والركون إلى السكون

لكن نشاطهم هذا يغرينى باقتراح عليهم أوجاه إلى تحديث مع أستاذ الجيل وكاشف أرسطو للعرب فى هذا الزمان العلامة الكبير أحمد لطفى السيد باشا مد الله فى عمره وأدام به النفع والهداية

فالأستاذ قد ترجم لأرسطو كتاب الأخلاق وكتاب الكون والفساد وكتاب السياسة ، وينوى أن يترجم له كتاب الروح أو كتاب ما بعد الطبيعة

وما ترجمه الأستاذ الجليل هو أصح ما نقل عن المعلم الأول إلى اللغة العربية ، وقرين فى الصحة والوضوح لأفضل الترجمات فى اللغات الأوربية

ولكن لا يزال الغلط البالغ محيطاً بالمنقولات الأخرى عن أرسطو منذ تصدى له النساطرة والإسرائيليون الأندلسيون ، لأن الجلة من أولئك المترجمين كانوا يجهلون معانى الفلسفة ويجهلون دقائق العربية ، ولا ندرى الآن مبلغ علمهم باليونانية ، وليس أولى بتصحيح أغلاطهم من عصرنا هذا الذى تيسرت فيه مراجع الفلسفة اليونانية وتيسرت فيه العناية بها والترجمة عنها

وقد خطر لى أن ترجمة أرسطو وأفلاطون عسيرة على الفرد

تطور الاتجاه نحو وحدة عالمية

[وهي محاضرة ألقاها معاليه بقاعة يورت التذكارية]

لصاحب المعالى محمد حافظ رمضان باشا

دعانى قسم الخدمة العامة إلى أن أفتتح موسمه الثقافى هذا العام عن تطور الاتجاه نحو وحدة عالمية . وإنى لأشكر للقائمين بالأمر فيه هذه الدعوة ؛ وإنى أتقبل بالسرور أن أساهم بنصيب فى نشر الثقافة العامة فى مصر . ومما يسعدنى أن المعاهد العلمية والدوائر السياسية فى هذه الأيام تبدى اهتماماً بدراسة مصير العالم من حيث ارتباط بعضه ببعض ، فإن الله قد بث أرواحنا فى هـذه الحياة كشعلات مضيئة تنمو بالمعرفة وتزداد نوراً بالتضامن ، وقد وضع فى قلوبنا بذور السعادة فلا محل لأن ننتزعها بالحرمان والتفكك بل يجب أن ندعو دائمـا إلى الحقائق العملية .

إن السلام العام لا يتم بترك الأمور تجرى فى طريقها ، فحوادث العالم وتاريخها وطبيعتها كلها تحملنا على القول بأن نار الحروب لن تخمد ، ولـكن جهود التخريب يمكن مغالبتها بالعمل على تحويل وجهة الحوادث ، وهذه المهمة تقع اليوم على عاتق الشعوب أكثر من غيرها . وهو أمر يتوقف على إرادتها الاجتماعية . وهذه الإرادة لابد أن توجه مجرى الحوادث إلى طريق وحدة عالمية للأمن والسلام

ولا ريب أن التطور الذى نشاهده اليوم نحو هذه الوحدة ليس وليد هذه الحرب بل قد بدأ منذ أواخر القرن الثامن عشر عندما اخترعت الآلات الصناعية وانتشرت فى مناطق الفحم والحـديد فتوجهت جهود الشعوب إلى ميدان الصناعة والاقتصاد وبدأ العالم يتجه نحو وحدة اقتصادية ؛ وإذا كان أساطين السياسة قد جهلوا أو تجاهلوا هذا التطور منذ بدايته مدفوعين بأغراض سياسية فإنهم اليوم يجهرون به ويعملون لتنظيم العالم تبعاً لمقتضياته .

وإذا كان مفهوماً أيها السادة فيما مضى مع تباعد الأمم وعزلتها أن يقوم للوطنية المبنية على وحدة الجنس واللغة وحدها قائمة فقد أصبحت حال شعوب العالم اليوم مرتبطا بعضها ببعض ، وأصبح القول بغير ذلك ضربا من الأثرة يرضى به كبار الساسة خيلاءهم .

ولا عجب فالعالم يتطور قطعا نحو وحدة عالمية. إذ قد ارتبطت أجزاؤه كلها برباط وثيق وأصبح ما يصيب أدناه يشعر به أقصاه شعوراً ليس مبناه العاطفة وحدها وإنما أساسه المنفعة . فما أحرى الناس أن يكونوا جميعاً فى الإنسـانية إخواناً يتميز الصالح بعلمه وعمله لا القوى ببطشه وجبروته ؛ وهى كلمة قالها الله تعالى فى كتابه : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وهكذا قالها الإسلام منذ أربعة عشر قرناً ولم يجعل للعرب فضـلا على من عداهم من الأمم بل سوى بين الجميع وجعل الأفضلية للتقوى وللعمل الصالح المفيد

سادتى :

قبل أن أتحدث إليكم عن أثر الواقع فى تطور العالم اليوم نحو وحدة عالمية يجدر بى أن أضع أمام أنظاركم صورة من هذا التطور فى القرن التاسع عشر فأروى لـكم ما تحدث به مستر كارول رايت الذى كان مديراً لمكتب العمل بالولايات المتحدة فى أحـد تقاريره من أنه كان يوجد صانع مسامير يدعى يوناتام فى ولاية ماسانشوسيت وقد رأى فى منامه فى ليلة من ليالى عام ١٨١٣ شبحاً يطلب إليه أن يرفع أجور عماله بمـا يوازى النصف وأن يخفض ثمن مبيعاته بمـا يوازى الثلث تقريباً ، فعجب يوناتام قائلا إنه بهذا يسير نحو إفلاس محقق ؛ ولـكن الشبح أخبره أن أرباحه ستتضاعف أضعافا

إذا استقل بها ، ميسرة للجماعة إذا تعاونت عليها ، فماذا على شباننا الفضلاء المتفرغين للفلسـفة بأنواعها لو تقاسموا بينهم آثار الحـكيمين جميعاً ففرغوا منها فى عام واحد أو عامين ؟

إن فى أرسطو وأفلاطون لمـا يصلح العقول ويقوّم التفكير حتى فى هذا الزمان ، وما تباعد فيه الخلف بين آرائهما وآراء عصرنا حقيق بالدراسة كتلك الآراء الخالدة التى لم يطرأ عليها الخلف والتغيير، لأن دراسته دراسة لعقل الإنسان ، وهو موضوع الدراسة فى كل أوان

وعمل الجمعية الفلسفية ناقص إذا بقيت اللغة العربية بين لغات الحضارة خلواً من ترجمة صحيحة للحكيمين الخالدين ، وظننا بها أنها قادرة على التمام

وطلب التمام على من يستطيعه فرض عين فى لغة الحـكماء ، وهى هنا قريبة من لغة المتصوفة ولغة الفقهاء

عباس محمود العقاد

مباغتة. واستيقظ يوناتام من رؤياه منزعجاً وهو يعجب لهذا الأمر. ولم يمض وقت طويل حتى قدم إليه بعض المهندسين بآلة صناعية تدار بالبخار تعمل المسامير؛ وما استخدمها يوناتام حتى تضاعف إنتاجه ونقصت أثمانه واتسعت تجارته وكثرت أرباحه وأصبح هو وأحفاده من أغنياء أمريكا.

يؤكد المستر كارول أيضاً أن هذه الرؤيا لم تكن خيالا وإنما كانت حقيقة واقعة، إذ أنه أجرى تحقيقاً دعمه بالأسانيد والأرقام فيما أنتجته الآلة البخارية التي استخدمها يوناتام من نتائج يستخلص منها أنه مع تضاعف أجور العمال قد تضاعفت الأرباح وتحقق للمستهلكين وفر كبير في أثمان المبيعات. وكذلك تحققت رؤيا يوناتام التي كانت في ظاهرها حلماً من الأحلام.

أيها السادة:

إن اختراع الآلة الصناعية يدل على مبلغ التطور الذي حدث للعالم ويؤيد أن صاحب العمل والعامل والمستهلك جعلهم جميعاً يستفيدون وكانوا قبل أن توجد خصوماً لا ينتفع أحدهم إلا على حساب الآخرين.

هذا هو حادث يوناتام عندما استعمل الآلة الصناعية، وتذكرون بجانبه ما كان من أمر الزعيم غاندي في الهند إذ دعا منذ سنوات إلى العودة لاستعمال مغزل القرون الوسطى فلم يصب طريقته النجاح في مزاحمة الآلة الصناعية، فاضطر الهنود بعدها إلى استخدام الآلات للغزل والنسج. ذلك لأن الحياة في هذا العصر غيرها في عهد القرون الوسطى، ولأن الآلات الصناعية حلت محل الأعمال اليدوية بسبب سرعة إنتاجها وقلة تكاليفها.

ويظهر من هذين الحادثين أن الآلة الصناعية جعلت من حلم يوناتام حقيقة ومن حقيقة غاندي حلماً لم يتحقق، والواقع أنه منذ اخترعت الآلة وسخرت لخدمة الانسان أحدثت انقلابا كبيراً في حياة الشعوب والأمم اقتصادياً واجتماعياً بل وسياسياً. وإذا كان هذا الانقلاب لم يتخذ شكلا ظاهراً منذ قرن كما هو واضح لنا الآن فما ذلك إلا لأن هذا التطور لم يحدث طفرة، ولأن ارتباط الشعوب إقتصادياً كان متمشياً مع انتشار الآلات وتحسينها تدريجياً وتخصص كل بلد بما اعتاد صناعته.

وإليكم ما حدث في انجلترا مثلا عندما استخدم رجال الصناعة آلة الغزل التي اخترعها هارجريفز « Hargreaves » في منتصف القرن الثامن عشر فإنهم لم يفكروا أصلا في غير أرباحهم ولم يخطر ببالهم أنهم — سيحدثون انقلابا عظيماً في حياة الأفراد — وفي علاقات الدول إذ أن الواقع أن انتشار صناعة الأقمشة الصوفية والأجواخ في انجلترا فتحت أمام نشاطها آفاقا جديدة فأوجدت لها أسواقا عالمية جعلت مقادير الصوف الخام — من الخراف الإنجليزية غير كافية لسد حاجات تلك الأسواق الكبيرة فولت الصناعة وجهها شطر أستراليا والأرجنتين وغيرهما لتستورد منها الأصواف فانتعشت بهذا تربية الأغنام في تلك البلاد النائية وأصبحت في انجلترا قاصرة على تحسين النسل، وبهذا اختصت انجلترا بالغزل والنسج، واختصت أستراليا والأرجنتين بتربية المواشي حتى قيل إن أجر جز الصوف في أستراليا يوازي ثمنه، وأن قطعة القماش من الجوخ المصنوع في انجلترا من صوف استراليا أقل ثمناً في سدني باستراليا من مثلها المصنوعة في استراليا نفسها؛ ذلك لأن كلا البلدين أصبح مع مرور الزمن إخصائياً في عمله لا يستطيع الآخر أن يزاحمه فيه.

وكان الحال كذلك في الأقمشة القطنية، فمنذ عرف أن المناخ الرطب في منشستر صالح لغزل ونسج الموسلين ونحن نشهد إقامة الأنوال والمناسج في انجلترا وأمريكا وغيرهما كما نشهد زراعة القطن في المساحات الواسعة في دلتا المسيسبي « Mississipi » ودلتا النيل وغيرهما.

وكل ما قيل بصدد الصوف والقطن يقال بالنسبة لباقي المصنوعات من آلات حتى المواد الغذائية وغيرها.

هذا ولا ريب أن نقل المواد الأولية من الأقطار البعيدة إلى الأقطار الصناعية ثم توزيعها مصنوعة إلى البلاد الأخرى يقتضي تحسين طرق المواصلات البحرية والبرية، ولهذا نرى منذ منتصف القرن التاسع عشر بناء السفن البخارية فضلا عن مد خطوط السكك الحديدية والخطوط التلغرافية كما ترون العمل على تحسين طرق المواصلات الجوية والوصول بها إلى أوجها — كل هذا جعل الكرة الأرضية معروفة اليوم بسكانها ومعادنها وحاصلاتها؛ فاذا بسطنا خريطة جغرافية رسمت قبل اختراع الآلات وجدنا مساحات واسعة مؤشرا عليها بما يدل على أنها مجهولة لنا كحوض الأمازون

ووسط إفريقيا واستراليا نفسها ، أما اليوم فقد اكتشفت الأرض جميع ما تملك وعملت على استغلال كل ما بها بل وأصبحت بلاد العالم مرتبطا بعضها ببعض وتتأثر بعض الأمكنة بما يحدث في الأخرى

فاذا ما ظهرت دودة القطن فى مصر ، أو نزل الصقيع على محصول بأمريكا ، أو حدث إضراب العمال فى المصانع الانجليزية هبطت أسهم شركات النسيج أو نقصت أثمان الصوف تبعاً لهذا .

كذلك إذا ما حدث اضطراب فى وسائل النقل اضطربت حياة الشعوب والأمم ، فقد رأينا كندا فى الحرب الماضية تستخدم القمح كوقود لأفرانها بينما كانت شعوب أوروبا لاتجد الخبز بغير البطاقات بشق الأنفس .

والخلاصة من هذا كله أن التطور الصناعى خلق أسواقا عالمية سواء لأجل استيراد المواد الأولية أو لتصريف المنتجات الصناعية وأن هذه الحالة تقتضى طبعا المزاحمة الأجنبية فلا يتسنى بسبب هذا الترابط الاقتصادى لأية أمة أن تستهلك وحدها كل محصولاتها أو كل منتجاتها فهى مضطرة أن تبحث عن أسواق للفائض عن حاجاتها وتتخذ لهذا الغرض إجراءات داخلية تأخذ شكل الحواجز الجمركية ، وإجراءات خارجية تأخذ شكل المعاهدات التجارية فى صيغة « أولى الدول بالمراعاة » فإذا ما تصادمت مصلحة دولتين فى كل هذه الميادين قامت بينهما حرب تجر وراءها بسبب الترابط الاقتصادى العالمى حرباً عالمية .

ولقد شهدنا فى مدى جيل واحد حربين عالميتين وعرفنا الفروق بين هذا النوع من الحرب والحروب الأخرى ، ففى العهود السابقة كانت الحرب موضعية تقع بين بلدين أو أكثر ولكنها لم تكن لتتعدى الجيوش المحاربة ، وكانت تبتدىء وتنتهى دون أن يشعر باقى الأهالى المدنيين الآمنين بأهوالها ، بل كانت أشبه شىء بعملية جراحية تلتئم جروحها سريعاً فى موضعها لتعود الحياة العادية كما كانت من قبل .

أما الحروب العالمية اليوم فهى حروب تجند من أجلها الشعوب فيرسل الشبان إلى ميادين القتال ، والشيوخ إلى مصانع الأسلحة والعتاد ، والنساء إلى المزارع والمستشفيات ؛ كذلك تجمع من أجلها القوات الزراعية والصناعية والمدنية والمالية ؛ وفوق ذلك فان ويلاتها وأهوالها تمتد من ساحة الوغى إلى ما وراء خطوط القتال فتخرب المصانع وتهدم المساكن وتدمر الطرق والجسور وتغرق البواخر وتقطع المواصلات البرية والبحرية كما تزهق أرواح الأبرياء من النساء والأطفال ثم تعقبها بعد انتهائها الثورات السياسية والأزمات الاقتصادية .

سادتى :

لقد احتمل العالم هذه الويلات زهاء أربع سنوات فى حرب سنة ١٩١٤ وست سنوات فى الحرب الأخيرة ؛ فاذا كانت المدنية الحاضرة لم تندثر معالمها وإذا صح أن يكون ذلك دليلا على ما للتلك المدنية الصناعية من قوة المقاومة إزاء هذا التدمير والتخريب فقد صح كذلك وجود عيوب فى نظام العالم الحاضر الذى لم يستطع أن يتفادى فى مدى جيل واحد حربين عالميتين من هذا النوع فى التدمير والتخريب الذى لا مثيل له فى تاريخ الانسانية .

وفى يقيننا أن هذه الحال لن تتغير وأن احتكاك الدول لن يتبدل مالم نعمل على أن ندخل فى نظام حياتنا العامة وعلاقاتنا الاقتصادية ما يضمن لنا الاستقرار والاطمئنان .

ولا ريب أن كل شىء فى هذا الوجود يولد ثم ينمو ويشب ثم يكبر ويهرم فيموت ؛ لذلك كان نظام الحكم وعلاقة الدول ببعضها من أكثر الأمور تطوراً لا فى المظاهر الشكلية بل فى جوهر الأمور وكيانها ؛ فان الخمسة والعشرين قرناً الماضية من تاريخ الإنسانية تشهد بأن نظام العالم قد انتقل من حكم أقوى العائلات إلى نظام الجمهوريات اليونانية القديمة ، إلى محاولة إيجاد الامبراطوريات العالمية فى عهد الإسكندر والدولة الرومانية ، إلى نظام الاقطاع فى القرون الوسطى ، إلى نظام الملكية المطلقة ، إلى الديموقراطية الحاضرة .

إن هذا التطور الدائم فى نظام الحكم جاء تبعاً لتطور الحياة الاجتماعية والسياسية فى تلك الأزمان الماضية .

كما لاريب عندنا فى أن العالم فى وقتنا الحاضر وهو تحت تأثير الاكتشافات العلمية واختراع الآلات الصناعية وإتقان طرق المواصلات بين أجزاء العالم قد تطور تطوراً خطيراً من شأنه أن جعل جميع الشعوب والأمم التى وصلت إلى درجة ما من المدنية مرتبطة ببعضها ارتباطاً اقتصادياً فلا يسع شعباً من الشعوب أن يستكفى وحده بكافة حاجاته من المأكل والملبس وغيرهما بل هو فى حاجة إلى تصدير الفائض ، وبجانب هذا فان العلاقات بين الدول كانت تتطور حتى أخذت شكل القانون الدولى الذى كان يتطور هو كذلك تبعا لمقتضيات الظروف بعد كل نزاع .

(البقية فى العدد القادم)

محمد حافظ رمضان

حول قضية فلسطين

أيهـــا العرب ...

استيقظوا واحذروا

للأستاذ سيد قطب

إن قضية العرب فى فلسطين تتأخر ولا تتقدم !

ويسوءنى أن أكون نذير سوء ؛ ولكن لأن نواجه الحقائق الواقعة ، خير من أن نستنيم للأحلام ..

حينما صدر الكتاب الأبيض الإنجليزى أعلن كل عربى مخلص أنه لا يرضى عن هذا الكتاب ، وأنه صدمة لآمال العرب بما تضمنه من استمرار الهجرة الصهيونية فترة أخرى ، وإن تكن موقوتة ، تصبح بعدها الهجرة مرهونة بمشيئة العرب ، إن شاءوا أمضوها ، وإن شاءوا لم يسمحوا من بعد بها .

واليوم يتمسك العرب بسياسة الكتاب الأبيض ، ويدعون انجلترا للمحافظة عليها ، وهم يرون فى تصريح « بيفن » الأخير نقضاً لها ، واستمراراً فى الهجرة إلى غير موعد !

إذن قضية العرب فى فلسطين تتأخر ولا تتقدم !

تتأخر ، فيصبح الكتاب الأبيض الذى كان بالأمس موضع شكوى العرب ، هو موضع رجائهم . وينقلب الحد الأدنى — أو ما هو دونه — حداً أعلى لآمال العرب أو الناطقين باسمهم فى هذه الأيام .

ألا إنها المحنة التى يجب أن تتفتح عليها الأبصار !

* * *

فلننظر فيم كان هذا الانقلاب ؟

صدر الكتاب الأبيض بالأمس ترضية للعرب الثائرين الساخطين ، فرفضوه واستصغروه . فلما سرى البرد إلى دمائهم الفائرة ، ودب الخدر إلى أعصابهم الثائرة ، رضوا عن الكتاب الأبيض ، ووقفوا ينتظرون ...

وألقى الكتاب الأبيض اليوم ترضية للصهيونيين الثائرين المعتدين ، وهم يرفضون إلغاءه ، ويستصغرون اقتراحات « بيفن » الأخيرة ، لأن العرب لا يزالون فى خدر لذيذ يستنيمون إليه .. ذلك أنهم يثقون بالضمير البريطانى !!!

ومن هنا نستطيع أن نعرف : متى يسترضينا الإنجليز ، ومتى يسترضون الصهيونيين ؟!

فلننظر إلام تؤدى اقتراحات « بيفن » الأخيرة ؟

ستفتح أبواب الهجرة الصهيونية بعيد إغلاقها ، وستؤلف لجنة تحقيق — لم تؤلف بعد — لتنظر فى قضية فلسطين وقضية اليهود عامة . وما دامت هذه اللجنة لم تنته من تحقيقاتها الواسعة المدى فسيظل سيل الهجرة يتدفق على فلسطين !

أهى سنة ؟ أم سنتان ؟ أم خمس سنوات ؟ أم هى التعلة الدائمة لاستمرار الهجرة إلى غير ميعاد ؟ فإن ضجر العرب يومذاك أو تبرموا كانوا قوماً عجلين ، لا يريدون أن تعمل اللجنة فى جو هادئ ، ولا يمكنون للحقائق فى الظهور !

ثم يوجد من العرب من يرى فى مثل هذه الاقتراحات أساساً صالحاً لقضية فلسطين .

ألا إنها المحنة التى يجب أن تتفتح عليها الأبصار !

* * *

للإنجليز أن يهللوا لاقتراحات «بيفن» الأخيرة . فهى انتصار للسياسة الإنجليزية التقليدية ... انتصار لها من شتى الوجوه :

١ — الانتصار الأول جر أمريكا لاحتمال التبعات فى فلسطين دون أن يكون لها شىء من المغانم ! ونصوير هذا بأنه استماع لصوت أمريكا فى حل القضية المعقدة التى استطاع الصهيونيون الأثرياء أن يحركوا لها « ترومان » وسواه . فإذا انتهوا إلى حل فلن تستطيع أمريكا رفضه وهى الشريكة فيه !

٢ — والانتصار الثانى تثبيت صفة الانتداب الإنجليزى على فلسطين باسم جديد هو « الوصاية » باعتراف من الولايات المتحدة فى هذه المرة . فلقد كان الانتداب من «عصبة الأمم» التى اعتزلتها الولايات المتحدة وكان المرجو هو استقلال فلسطين !

٣ — والانتصار الثالث هو « التأجيل » طابع السياسة الإنجليزية الأصيل . فالتأجيل وترك العقدة للزمن يحلها الحل المناسب هو الطابع الدائم للسياسة الإنجليزية ، وبخاصة مع الأمم

الصغيرة الثائرة لحقوقها المهضومة ... والزمن دائماً في صف الأقوياء لا الضعفاء — وهذه الاقتراحات الأخيرة تضمن للسياسة التقليدية أقصى مدى ، لأنها في أيدي لجنة تحقيق لا يجوز أن يستعجلها أحد عن استجلاء الحقائق ! وإلا كان متمتناً لا يريد للحقائق الظهور !

٤ — والانتصار الرابع هو التوفيق بين سياسة الأحزاب الإنجليزية كلها في علاج قضية خارجية . والانجليز يبتهجون لمثل هذا التوفيق لأنهم جميعاً انجليز !

للانجليز أن يهللوا لهذه التصريحات الأخيرة في صحفهم عامة ، ولكن ليس للعرب أن يخدعوا بهذا التهليل ، لأن لهم في القضية موقفاً آخر يستدعي التفكير المستقل عند النظر في الأمور . وقضية فلسطين قضية عادلة لا يضيرنا فيها التحقيق ؛ ولكن متى كانت عدالة القضايا الوطنية كافية لتقرير الحق في الأمور ؟

* * *

والآن ... ما هو طريقنا المأمون !

طريقنا ألا نثق بضمير أحد ، فما لأحد في العالم الغربي ضمير ! لقد برهنت هذه الحضارة الغربية على إفلاس في الضمير لا عهد للعالم به في جميع الحضارات السابقة .

وقبل أن نثق بالضمير الأوربي أو الأمريكي ، يجب أن نتذكر لفرنسا حوادث سوريا ولبنان — وهي قريبة لم تغب عن العيان — ويجب أن نذكر لانجلترا يوم ٤ فبراير الشنيع ؛ ثم موقفها في أندونسيا — وهو حاضر الآن — ويجب أن نذكر لأمريكا نداء «ترومان» ونصرته للصهيونيين !

طريقنا ألا نثق بضمير أحد ، وألا نستنيم لدعوة ما من دعوات الثقة بهذا الضمير .

وطريقنا ألا نستنيم لمخدرات التأجيل إلا إذا وقفت الهجرة وقفاً تاماً حتى يتم التحقيق . فلقد رأينا أن الزمن ليس في صالحنا. وإذا شاء أحد أن يستنيم فليتذكر متى صدر الكتاب الأبيض بوقف الهجرة الصهيونية في موعد محدد ، ولماذا صدر هذا الكتاب . ثم ليتذكر متى ألغي الكتاب الأبيض وأبيحت الهجرة من جديد . ولماذا كان هذا الانقلاب ؟

صدر الكتاب الأبيض ترضية للعرب الساخطين الثائرين ، وصدر التصريح يوم الأخير ترضية لليهود المعتدين الإرهابيين!

وطريقنا أن يرد زعماء الأمة العربية ما بأيديهم من السلطة إلى هذه الأمة نفسها لترى رأيها في الموقف الجديد ، فهي صاحبة الأمر قبل الزعماء أجمعين .

ولأطلقها صيحة صريحة قاسية :

أيتها الأمة العربية : احذري حتى رجال السياسة من أبنائك . لا لأنهم قد يخونونك أو يخدعونك ، ولكن لأنهم هم قد يخانون ويخدعون ! ولأن كراسي الحكم قد تكون في بعض الأحيان وثيرة إلى حد تستنيم له الأعصاب الثائرة وتخدر فيه الدماء الفائرة!

أيتها الأمة العربية : خذي الأمر في يديك من جديد ، فإني أرى الموقف يستدعي جهود الشعوب نفسها لا جهود الزعماء منفردين .

وما يخدعك أيتها الأمة — في كل قضاياك الوطنية لا في قضية فلسطين وحدها — إلا مخدوع يقصيك عن الأمر ويستنيم للوعود !!!

سيد قطب

من محاسن التشريع الاسلامي

للأستاذ حسن أحمد الخطيب

— ٦ —

اليسر ورفع الحرج

من أبين خصائص التشريع الإسلامى ، وأبرز محاسنه ومزاياه يسر أحكامه ، وسهولة تكاليفه ، ومسايرة أوامره ونواهيه للطبيعة البشرية ، والفطرة الإنسانية التى لم يمسسها دنس ولا رجس ، ليس فى ذلك شىء يعنتها ، ولا حكم يشق عليها : ولا غرو ، فهى شريعة الرحمن الرحيم ، وتنزيل من الخبير العليم ، ووحى وهداية من العزيز الحكيم ، وتفصيل وبيان من رسوله الصادق الأمين ، الذى هو بالمؤمنين رءوف رحيم .

والآيات القرآنية فى ذلك المعنى مستفيضة : قال الله تعالى « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » وقال : « يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر » ، ولما شرع الله — جلت حكمته — التيمم عند عدم وجود الماء أشار إلى حكمة ذلك التيسير والتخفيف فى قوله فى سورة المائدة : « وإن كنتم مرضى ، أو على سفر ، أو جاء أحد منكم من الغائط ، أو لامستم النساء ، فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا ، فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ، ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم ، لعلكم تشكرون » ، كذلك قال الله — جل شأنه — فى سورة الحج : « وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم ، وما جعل عليكم فى الدين من حرج » .

ومثل ذلك الأحاديث ، فإنها جمة متضافرة على هذا المعنى ، فمن ذلك ما رواه الإمام أحمد فى مسنده : « أحب الدين إلى الله الحنيفية » ، وفى شمائله صلى الله عليه وسلم : « ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ، ما لم يكن إثما » .

وحسبك فى ثبوت هذه المزية ، ورعاية الإسلام لها ، وانبناء كثير من الأحكام عليها أن عدت أساسا من أسس التشريع الاسلامى ، وقاعدة من قواعده ، التى عول عليها فقهاء الاسلام ، وعلماء تشريعه ، والقائمون بالاجتهاد فيه ، فراعوا اليسر ، ورفع الحرج فيما استنبطوه من الأحكام ، ووضعوا تلك القاعدة التشريعية التى جمعت بين وجازة اللفظ ، وإصابة المعنى ، واستحصاد الرأى ، وهى قولهم : « المشقة تجلب التيسير » .

بتلك القاعدة شرعت أحكام كثيرة ، روعيت فيها طبيعة الانسان ، وقوة احتماله ، وما يناسب غرائزه وجبلته وقدرته : فلم تجب الزكاة إلا إذا بلغ المال نصابا ، ولم يجب إلا جزء يسير منه كربع العشر ، وكره أو حرم الطلاق والمرأة حائض ، حتى لا تطول عليها العدة ، ووجب على الحائض قضاء الصوم دون الصلاة ، رفعا للحرج ، وفرض الحج فى العمر مرة : نقل العلامة أبو السعود عند تفسير قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » أن عليا رضى الله تعالى عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله كتب عليكم الحج ، فقام رجل من بنى أسد يقال له عكاشة بن محصن ، وقيل هو سراقة بن مالك ، فقال : أفى كل عام يا رسول الله ؟ فأعرض عنه ، حتى أعاد مسألته ثلاث مرات ، فقال رسول الله : ويحك ! وما يؤمنك أن أقول نعم ؟ والله لو قلت نعم ، لوجبت ، ولو وجبت ما استطعتم ... فاتركونى ما تركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بأمر فخذوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه[1] » . وعلى هذه القاعدة انبنت جميع رخص الشرع وتخفيفاته . وللكثرة الكثيرة المتفرعة عليها من أحكام الفقه ومسائله قيل إنه يرجع إليها غالب أبواب الفقه .

وقد ذكر العلماء للتخفيف أسبابا ، منها :

١ — المرض ، ومما يتعلق به جواز التيمم للمكلف عند الخوف على نفسه ، والقعود فى صلاة الفرض ، والفطر فى رمضان ، والإنابة فى الحج بشروطه ، وإباحة محظورات الإحرام فى الحج مع الفدية ، وإباحة النظر إلى العورة للطبيب .

٢ — السفر ، ومما يتعلق به قصر الصلاة الرباعية ، والفطر فى رمضان ، وترك الجمعة والعيدين .

٣ — العسر وعموم البلوى : كوجوب الصوم شهراً فى

(١) الجزء الثانى من تفسير العلامة أبى السعود طبعة سنة ١٩٢٨ .

رأى جديد فى

حمـــاد الراوية (*)

للأستاذ السيد يعقوب بكر

الرواية فى عصر حماد :

لن نتحدث هنا عن الرواية فى عصر حماد من حيث هى رواية مستقلة لها مظاهرها الخاصة ، وإنما سنتحدث عنها من حيث هى طور من أطوار الرواية العربية . ومعنى هذا أننا لن نفصل بينها وبين أطوار الرواية العربية قبلها ، وإنما سنتحدث عنها وعن تلك الأطوار معاً . ونحن نقصد من هذا إلى أن نفهم هذه الرواية على وجهها ، وأن نتفهم المقدمات التى أدت إليها .

بدأ العرب يدونون شعرهم فى أخريات القرن الأول للهجرة ؛ وليس معنى هذا أنهم كانوا يجهلون الكتابة قبل هذا التاريخ ، فقد كانت الكتابة معروفة لديهم قبل الاسلام بزمن طويل تدلنا على هذا تلك (المخربشات) Graffiti التى تسمى خطاً بالثمودية واللحيانية ، وتلك (المخربشات) التى عثر عليها فى الصفا بجوار دمشق ؛ وهى كلها مكتوبة بخط ينتمى إلى الخط العربى الجنوبى . ثم هناك نقش النمارا بسوريا ، الذى نجده على قبر امرىء القيس بن عمرو اللخمى ، والذى هو مكتوب بالخط النبطى المشتق من الأرامى ؛ وهو يرجع إلى سنة ٣٢٨ م . تدلنا هذه الآثار كلها على أن الكتابة كانت معروفة لدى العرب قبل الاسلام . لكن هذه الكتابة لم تكن صالحة لأن تدون بها الأشعار ؛ فقد كانت لا تعبر عن الحركات الممدودة ، كما كانت خالية من الإعجام . إنما أدخل الاعجام على الكتابة فى أيام الحجاج فانتقلت به الأبجدية من ١٥ حرفاً إلى ٢٨ حرفا ؛ كما أن نظام

(*) راجع فى هذا الموضوع : بروكلمان (Gesch der arab Litteratur جـ ١ صـ ١٦ — ١٧ ، وتكملة هذا الجزء صـ ٣١ — ٣٤) ونيكلسون (A Literary Hiotsry of the Arabs) Nicholson ، صـ ١٣١ــ١٣٤ . وتشارلز ليال (Translations of Ancicnt Arabien Poetry ، المقدمة صـ ٣٢ — ٤١)

السنة ، والحج فى العمر مرة ، ووجوب ربع العشر فقط فى الزكاة تيسيراً — على ما سبق ذكره — وأكل الولى أو الوصى من مال اليتيم بقدر أجرة عمله ، وإباحة النظر للمرأة عند الخطبة ، ومن ذلك مشروعية الطلاق لما فى البقاء على الزوجية من المشقة والعنت عند تنافر الأخلاق ، وتعذر المعاشرة بالمعروف ، ومشروعية الوصية عند الموت ليتدارك الإنسان ما فاته من البر فى حال حياته ، ونفذت فى الثلث دون مازاد عليه دفعاً لضرر الورثة ، حتى إذا لم يكن هناك وارث نفذت ولو كانت بكل المال . ومن التيسير فى عموم البلوى إسقاط إثم الخطأ عن المجتهدين ، والاكتفاء منهم بالظن ، إذ لو كلفوا الأخذ باليقين لشق عليهم الوصول إليه .

٤ — النقص ، وهو نوع من المشقة ، لأن النفس مجبولة على حب الكمال فناسب التخفيف فى التكليف . ومما ترتب على ذلك عدم تكليف المجنون والصبى ، وعدم تكليف المرأة بعض ما يجب على الرجل ، كالجهاد إذا لم يكن النفير عاماً (١) .

وفى معنى القاعدة المتقدمة قول الشافعى : « إن الأمر إذا ضاق اتسع » ، وقول أئمة الحنفية : التسهيل يراعى فى مواضع الضرورة والبلوى العامة .

هذا التيسير فى التشريع ، وهذه الرخص التى أتت بها الشريعة تخفيفاً على العباد فى مواطن الحرج والمشقة — إحدى مزايا الإسلام وتشريعه مما يعد آية على أنه جاء رحمة للعالمين .

— ٧ —

مراعاة مطالب الجسد والروح

كذلك من مزايا التشريع الإسلامى توفيته بمطالب الجسد والروح معاً فى حدود الاعتدال ، فهو وسط جامع لحقوق الجسد والروح ، ومصالح الدنيا والآخرة ، « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

فالإسلام بتعاليمه ، ووصاياه وتشريعه — جعل المسلمين وسطا بين الذين تغلب عليهم الحظوظ الجسدية ، والمنافع المادية ، وبين الذين تغلب عليهم التعاليم الروحية ، وتعذيب الجسد ، وإذلال النفس (١) ، كما يتجلى ذلك مما أسلفنا ذكره وبيانه فى الميزين الرابع والسادس ، وتلك مزية أخرى من مزايا الإسلام وتشريعه ، تشهد له بمراعاته الفطرة الإنسانية السليمة ، وبتحقيقه مصالح العباد ، وتهيئة أسباب السعادة لهم فى الدنيا والآخرة .

(يتبع) حسن أحمد الخطيب

(١) الأشباه والنظائر لابن نجيم .

(١) الوحى المحمدى ص ٢١٧ من الطبعة الثانية

الحركات لم يستقم إلا بعد أيام الحجاج بزمن طويل .

قلنا إن الكتابة العربية قبل الاسلام لم تكن صالحة لأن تدون بها الأشعار . ولكننا نجد الأستاذ بروكلمان (تكملة الجزء الأول من كتابه ص ١٣١ ١٣٢) يرى أن الخط النبطى الذى كتب به نقش النمارا ربما اصطنع فى أمور الحياة الخاصة ، وربما دونت به قصائد الشعراء النصارى بالحيرة ؛ ويصل من هذا إلى أن مرجليوث وطه حسين قد حادا عن الصواب حين أنكرا اصطناع الكتابة لدى عرب الشمال قبل العصر الاسلامى ، وحين انتهيا إلى أن الشعر الجاهلى منتحل كله .

يرى بروكلمان أن بعض الشعر الجاهلى قد دون فى الجاهلية ، وأنه لا سبيل إذن إلى إنكار الشعر الجاهلى كله . ونحن لا نستطيع موافقته على هذا الرأى ، أولا لما قدمناه من قصور الكتابة قبل الاسلام عن أن تدون بها الأشعار . وثانيا لأننا لا نعلم شيئا عن ذلك الشعر الذى دون فى الجاهلية . ومهما يكن من شىء ، فهو على حق حين يأخذ على مرجليوث وطه حسين إنكارهما اصطناع الكتابة قبل الاسلام ؛ ولكنه يحيد عن الحق حين ينتهى إلى أن بعض الشعر الجاهلى صحيح ، لأن اصطناع الكتابة ليس معناه تدوين الأشعار وحفظها من الخطأ .

على أن بروكلمان يعود فيقول إن تدوين الأشعار فى الجاهلية لم يغلب على روايتها شفاها ، وإنما كانت الرواية الشفهية هى الغالبة . وهو فى هذا القول يقترب كثيرا من الرأى الذى نأخذ به ، من أن الرواية الشفهية للأشعار كانت السائدة فى الجاهلية . بل إننا نرى أن الرواية الشفهية ظلت سائدة حتى أخريات القرن الأول للهجرة ، أى بعد كتابة القرآن بزمن طويل . ونحن نفسر هذا بأن للعادة سلطانها وغلبتها ، وأن العرب ظلوا على روايتهم الشفهية للأشعار جريا مع العادة ومسايرة لها . هذا إلى أن طبيعة الشعر العربى القديم ، وهى طبيعة غنائية ، من شأنها الترغيب فى الانشاد والرواية الشفهية ، لا الترغيب فى التدوين والنقل .

بدأ العرب يدونون شعرهم فى أخريات القرن الأول للهجرة . ومعنى هذا أن الشعر الجاهلى لم يتأد إلينا إلا بالرواية الشفهية . فهل من الممكن أن يكون هذا الشعر قد تأدى إلينا هكذا سالما ؟ وماذا يضمن لنا أنه ظل بعد تلك المدة الطويلة من الزمن على حاله التى صاغه فيها قائلوه ؟ ليس من ريب فى أن أبياتا كثيرة يقولها الشاعر فى الافتخار بقبيلته وهجاء أعدائها ، فيتناشدها قومه ويتناقلونها ، قد بقيت ولم تحل صورتها . ليس من ريب فى هذا ، ولكن هنالك قصائد طويلة كالمعلقات ما كانت لتبقى لو كان بقاؤها وقفاً على تناشدها وتناقلها . إنما هم الرواة الذين حفظوها لنا ، ونقلوها إلينا . فقد كان لكل شاعر راويته الذى يصحبه ، ويحفظ أشعاره ، وينقلها إلى الناس . وكان كثير من الرواة شعراء ، وكان كثير من الشعراء رواة . فامرؤ القيس راوية أبى دؤاد ، وزهير راوية أوس بن حجر وطفيل الغنوى ، والحطيئة راوية زهير ، وهدبة بن خشرم راوية الحطيئة ، وجميل عذرة راوية هدبة ، وكثير خزاعة راوية جميل . وكانت مهمة الراوية لا تقتصر على حفظ الأشعار ؛ وإنما كانت تجمع إلى حفظ الأشعار شرح ما فيها من إشارة ، وإيضاح ما فيها من ابهام ، وحكاية ما أحاطها من ظروف .

كانت رواية الشعر فى أثناء الجاهلية وفى خلال النصف الأول من القرن الأول هوية يقصد بها التلهى وتزجية الفراغ ؛ ولكنها أخذت بعد ذلك تصطبغ بصبغة المهنة ، وتلبس لبوس العمل الذى يرجى منه الكسب . وبعد أن كان كل راو مختصا بشاعر واحد فى أغلب الأمر ، يفرغ له ويعكف على شعره حفظا ورواية وشرحا ؛ أخذ الرواة يكونون طبقة خاصة ، تعنى بحفظ الكثير من الشعر القديم والمعارف المتنوعة . فلما بدأ تدوين الشعر فى أخريات القرن الأول للهجرة ، كان الكثير من أشعار الجاهلية وأخبارها دائرا على الألسنة والشفاه .

إذن فالرواة هم الذين حفظوا لنا الشعر القديم ، ونقلوه إلينا ؛ ولكن ليس معنى هذا أنهم قد أدوا إلينا كل هذا الشعر القديم . فقد امتدت يد الفناء إلى كثير من هذا الشعر [1] . ذلك لأن كثيرا من الرواة قتلوا فى الحروب ، أو توفاهم الله ، دون أن

(١) يقول ابن سلام الجمحى المتوفى عام ٢٣٢ هـ فى كتابه طبقات الشعراء (ط المطبعة التجارية ص ١٦) : « قال يونس بن حبيب ، قال أبو عمرو بن العلاء : ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير . ومما يدل على ذهاب العلم وسقوطه قلة ما بقى بأيدى الرواة المصححين لطرفة وعبيد » .

يخلفوا وراءهم من يصل روايتهم وينتهى بها إلى غايتها . هذا إلى أن قبائل كاملة ، ومعها رواتها ، قد انتشرت فى البلاد البعيدة بداعى الغزو والفتح ، فنسيت لغة صحرائها وأخبار جاهليتها وأشعار شعرائها الأقدمين . كذلك ليس معنى هذا أن ما وصلنا من الشعر القديم قد وصلنا سالماً صحيحاً . ذلك لأنه قد زيدت عليه أشياء ، وسقطت منه أشياء ، وأبدل فيه شىء من شىء ؛ وهو ما يرجع السبب فيه إلى طبيعة الرواية الشفهية وقصور الواعية الانسانية .

قلنا إن رواية الشعر كانت فى الجاهلية وصدر القرن الأول الهجرى هَـوِيّة يُقصد بها التلهى وتزجية الفراغ ، وإنها أصبحت بعد ذلك عملا يرجى من ورائه الكسب . ونقول الآن إن هذا التطور الذى لحق رواية الشعر ليس إلا صدى لتطور لحق الحياة والناس . ذلك لأن العصر الإسلامى الجديد لم يلبث طويلا حتى أتى بوجوه من الحياة جديدة ، وميول نفسية جديدة ؛ وحتى صرف معظم المسلمين عن الشعر القديم ، ذلك الشعر الذى أصبح يمثل روح الضلال والكفر ، إلى ما يعود عليهم بالخير فى الدنيا والآخرة ، ألا وهو القرآن والحديث . وهكذا أخذت صناعة الشعر كما يفهمها القدماء فى الاضمحلال والذبول وأخذت أشعار الجاهلية وأخبارها فى الاندثار والعفاء . لكن شيئاً حفظ على الرواية رونقها الذى كاد يبليه العصر الجديد ، وحفظ على الرواة مكانتهم التى كانت تريد أن تزول ؛ بل جعل من هؤلاء الرواة طبقة خاصة لا همّ لها إلا الرواية ، ولا شغل لها إلا ما أبقته الأيام من الشعر القديم والأخبار القديمة وتدوينها .

هـذا الشىء هو مساس الحاجة إلى تفسير القرآن وشرح الحديث ، ومن ثمّ إلى كتابة النحو وتدوين اللغة . ذلك لأن العرب حين انتشروا فى البلاد المفتوحة ، وامتزجوا بأهلها من الأعاجم ، وانتأوا عن الصحراء مهد لغتهم ، أخذوا يفقدون فصاحتهم الأولى ، وجعلوا ينسوْن بلاغتهم المأثورة . هنالك غمضت عليهم لغة القرآن والحديث ، وخفيت عليهم أسرارها . وهنالك مست الحاجة إلى تفهيم القرآن وشرح الحديث ، ومن ثم إلى كتابة النحو وتدوين اللغة . وكان الشعر القديم هو أداة هذا كله . فكان الفقهاء والعلماء يلتمسون البيت أو البيتين أو الأبيات عند الرواة ، ثم يثبتونها فى كتبهم . وكلما كان البيت أوغل فى القدم ، كان أوثق عندهم فى الاستشهاد .

كانت اللغة إذن تُدرس لا لذاتها ، ولكن لخدمة الشرع ؛ وكان الأدب يُدرس لا لذاته ، ولكن ليكون أداة لشرح الذكر الحكيم . ولكن لم تلبث الحال طويلا حتى فطن العلماء إلى أن فى الشعر القديم ما يصور نفوس الشعراء القدامى ، وإلى أن هناك أسباباً من اللذة والمتاع فى الأخبار القديمة . حينئذ أصبحت الحال غير الحال ، وأضحى الأمر غير الأمر ؛ فإذا بدراسة لغة القرآن تؤدى إلى دراسة الأدب نفسه ، وإذا بالدارسين يصبحون إنسانيين hnmanists بعد أن كانوا متكلمين theologiats .

حدث هـذا التطور العظيم فى أخريات عهد بنى أمية ، وفى عهد أبى العباس والمنصور والمهدى من خلفاء بنى العباس . فكان أبو عمرو بن العلاء ، وحماد الراوية ، والمفضل الضبى ، وخلف الأحمر ، أهم القائمين بجمع الشعر القديم وتدوينه ؛ وكان أبو عبيدة والأصمعى ، ومحمد بن السائب الكلبى ، وابنه هشام الكلبى ، وأبو عمرو الشيبانى ، وابن الأعرابى ، والسكرى ، والطوسى ، أهم القائمين بجمع الأخبار القديمة وتدوينها . وكان أعراب البادية يُدْعَوْن إلى الكوفة والبصرة ، ويسألون عما يحفظون من شعر وأخبار . ثم أصبح من دأب العلماء فيما بعد أن ينزحوا إلى البادية ، فيتنقلوا بين قبائلها ، ويستقوا من هـذه القبائل الشعر والأخبار .

تجمعت إذن لدى الرواة والعلماء طائفة عظيمة من الأشعار والأخبار ، ضمنوها ما خلفوه لنا من آثار . وهى طائفة فيها الدلالة كل الدلالة على نوع الحياة التى كان يحياها الجاهليون ، وعلى النزعات التى كانت تعمل فى نفوسهم . وليس من همنا هنا أن نفصل القول فى صحة نسبتها أو انتحالها ؛ إنما نرجع القارىء إلى ما قدمناه من أن طبيعة الرواية الشفهية وقصور الواعية الإنسانية قد أديا إلى زيادة أشياء ، وسقوط أشياء ، وإبدال شىء من شىء . أعان على هذا ما تمتاز به اللغة العربية من كثرة المترادفات ، وهو ما قد يؤدى إلى إبدال كلمات من كلمات . وأعان على هـذا أيضا أن القصيدة الجاهلية مهلهلة النسج مقلقلة الوضع ، وهو ما قد يؤدى إلى سقوط بيت أو جملة أبيات أو إلى وضعها فى غير موضعها . كذلك قد نجد فى قصيدة واحدة أبياتاً لشعراء مختلفين ، لم يؤلف

الوعود الثلاثة
في تاريخ فلسطين

وعد الله — وعد قورش — وعد بلفور

هل التاريخ يعيد نفسه؟

الأستاذ عيسى السفرى

إذا وقع حدث تاريخى هام ، ثم تكرر وقوع هذا الحدث ، أو ما يشبهه ، بعد مدة من الزمن[1] قالوا : « إن التاريخ يعيد نفسه »

ومن يراجع التاريخ ، قديمه وحديثه ، يجد إن الوعود الثلاثة التى حصل عليها اليهود بالعودة إلى فلسطين كانت كلها متشابهة بأسبابها ونتائجها .

فهل كان ما حدث من قبيل الصدف ؟ . أم أن هناك عوامل غائبة جعلت التاريخ يعيد نفسه ثلاث مرات متوالية ؟. هذا ما تجد الجواب عليه فى البحث التاريخى الآتى :

١ — وعد الله

(١) تمهيد: اليهود قبيلة سامية هاجرت (بزعامة ابراهيم) من أور[1] الكلدانيين فى العراق سنة ١٩٢١ ق. م بضغط من سكانه وتوطنت فلسطين أرض الكنعانيين[2] . ولكن الكنعانيين قاوموهم وأجاعوهم فاضطروا للهجرة إلى مصر . واضطهدهم المصريون بدورهم وأذلوهم فأجبروهم على العودة إلى فلسطين يقودهم موسى النبى . وكان ذلك سنة ١٤٩١ ق. م

وتاه بهم موسى فى برية سيناء أربعين سنة ليقضى على جرثومة الذل التى تأصلت فى نفوسهم ، ويجعلهم مستعدين لفتح فلسطين . وعبثاً كانت محاولته هذه ، فقد تمردوا عليه وأبوا أن يدخلوا فلسطين ، ذلك بأن فيها قوماً جبارين (هم الفلسطينيون)

«ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين . قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين ، وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فإن يخرجوا فإنا داخلون ... »

« قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها . فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون[3] »

وهكذا اضطر موسى أن يذهب بهم إلى فلسطين عن طريق

---

(١) المدة : المقدار من الزمن يقع على القليل والكثير .

(١) أور : كلمة كلدانية معناها مدينة .

(٢) كنعان معناها بالعبرية الأراضى الواطئة . وكانت سكانهم ، وقد هاجروا من جزيرة العرب سنة ٣٥٠٠ ق. م

(٣) سورة [illegible] آيات ٢٠ و٢١ و٢٣

بينها إلا اتفاق الوزن والقافية . هذه كلها وجوه لما لحق الشعر الجاهلى من زيادة وحذف وتغيير . ثم لا ننسى أن من الرواة من كان يتعمد الحذف والتغيير . ودليلنا على هذا قلة ما نلقاه فيما لدينا من الشعر من أسماء الآلهة الجاهلية ، وهى آلهة كانت تشغل جانباً من حياة الجاهليين ، وكان لها صدى ولا شك فى أشعارهم . ثم هناك من الرواة من كان يُصلح ما يصل إليه من أشعار ، ويزيد عليه مُكمِّلا . هذا إلى ما يقوله ابن سلام (ص ٢٢) من أنه لما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها ، استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم ؛ وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم ، وأرادوا ان يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار ، فقالوا على ألسن شعرائهم . وأخيراً نصل إلى من كان يقصد الخداع من الرواة ، فكان ينحل شعره الشعراء القدماء ، ليشتهر بين الناس بكثرة الرواية؛ ويقول فى هذا ابن سلام (ص٢٢ـ٢٣)

« ... ثم كانت الرواة بعد ، فزادوا فى الأشعار . وليس يشكل على أهل العلم زيادة ذلك ولا ما وضع المولدون ، وإنما عضل بهم أن يقول الرجل من أهل بادية من ولد الشعراء أو الرجل ليس من ولدهم ، فيشكل ذلك بعض الإشكال » . فهذه وجوه أخرى لما لحق الشعر الجاهلى من زيادة وحذف وتغيير وانتحال .

***

هذه صورة للرواية العربية قبل عصر حماد وفى أثناء عصره ؛ جهدنا أن تكون واضحة الخطوط ، بينة الملامح ، صادقة التعبير . وهى صورة ستعيننا دون ريب على تفهم رواية حماد الخاصة به ، وعلى بحثها البحث الصحيح القائم على أسس صحيحة ، وعلى الخروج من هذا بالنتائج الصحيحة التى إنما نكتب هذا البحث فى سبيل بلوغها .

(للبحث بقية) السيد يعقوب بكر

الجنوب الشرق ليتحاشى بأس الفلسطينيين سكان الساحل .

وصعد موسى إلى جبل نبو قبالة أريحا فأراه الرب أرض فلسطين وقال له :

« هذه هى الأرض التى أقسمت لإبراهيم وإسحق ويعقوب قائلا لنسلك أعطيها ، قد أريتك إياها بعينيك ولكنك إلى هناك لا تعبر»[١].

٢ — وعد الله

ومات موسى ، فتسلم يشوع بن نون القيادة من بعده . ونفذ (يهوه)[٢] وعده على يد يشوع[٣] . وفيما يلى نص هذا الوعد :

عبدى يشوع

قم الآن واعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التى أنا معطيها لهم أى لبنى إسرائيل . كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى ، من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات . تشدد وتشجع لأنك أنت تقيم لهذا الشعب الأرض التى حلفت لآبائهم أن أعطيهم[٤]

فى الشهر الأول من السنة ٢٥٥٤ للخليقة[٥] (...)

فكان هذا أول وعد أعطى لليهود بالعودة إلى فلسطين .

* * *

وكانت أوامر يشوع لجيشه ، عند ما فتح أريحا ، شديدة قاسية ، فقد حرّموا كل ما فى المدينة من رجل وامرأة ، من طفل وشيخ ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف . وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما فيها[٦]

وهذه القسوة الوحشية فى الفتح جعلت الكنعانيين وغيرهم من السكان يحقدون على اليهود الغاصبين ، ويتربصون الفرص للايقاع بهم . ومن حسن حظ اليهود ، لا بل من سوء حظ فلسطين ، أن كان الكنعانيون فى أواخر مجدهم وسلطانهم ، فمكن ذلك اليهود من الاستقرار إلى حين فى فلسطين .

على أن استقرار اليهود فى فلسطين لم يزد على ٦٤٥ سنة ، كانوا خلالها عرضة لغزوات أهل البلاد ، الكنعانيين فى الداخل والفلسطينيين فى الساحل . ثم دب الخلاف بينهم فانقسموا إلى فئتين : مملكة إسرائيل وقصبتها السامرة (نابلس) ، ومملكة يهوذا وقصبتها أورشليم (القدس) ولم تتعد حدود هاتين المملكتين المنطقة الجبلية فى فلسطين كلها ...

* * *

ولم يفعل اليهود المستقيم فى عينى الرب ، فتركوا عبادته وعبدوا تماثيل مسبوكة للبعليم[١] وذبحوا لها . حتى أن جميع رؤساء الكهنة والشعب أكثروا الخيانة حسب كل رجاسات الأمم ، ونجسوا بيت الرب الذى قدسه فى أورشليم[٢] ، وكانوا يهزأون برسل الله ، ورذلوا كلامه ، وتهاونوا بأنبيائه[٣] ، وأساءوا إلى الله الذى أحسن إليهم الإحسان كله ! ... وهو الذى أخرجهم من أرض مصر من بيت العبودية ، وأنزل عليهم المن والسلوى ، وجعلهم أمة بين الأمم .

وكانت أعمال اليهود المنكرة مثاراً لغضب الله . فأظهر شلمناصر ملك أشور على مملكة إسرائيل سنة ٧٢١ ق . م فأبادها وسبى شعبها إلى مملكته . كما أظهر نبوخذ نصر ملك بابل (بعد ذلك) على مملكة يهوذا سنة ٥٨٨ ق م فأبادها وقتل مختارى اليهود بالسيف فى بيت مقدسهم ، ولم يشفق على فتى أو عذراء ، أو شيخ أو أشيب . وأحرق بيت الله وهدم سور أورشليم ، وأحرق جميع قصورها بالنار ، وأهلك جميع آنيتها الثمينة ، وسبى الذين بقوا من السيف إلى بابل ، فكانوا له ولبنيه عبيداً[٤] ...

وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون[٥]

وهكذا كانت إرادة الله باليهود الذين اختارهم (كما تقول التوراة) من دون شعوب الأرض ليكونوا شعباً له مختاراً ، وبإرادته هذه انتهى الفصل الأول من رواية الوطن القوى اليهودى فى فلسطين !

٣ — وعد قورش

دام السبى البابلى مدة ٧٠ سنة . ثم ورث قورش ملك الفرس إمبراطورية الكلدانيين ، فأخذ اليهود ينوحون ويبكون ، يرجون ويستعطفون ، ويطلبون العودة إلى فلسطين !

(١) سفر التثنية ٣٤ : ٤ (٢) يهوه : إله إسرائيل

(٣) أعطى هذا الوعد لابراهيم ونفذ فى زمن يشوع

(٤) سفر يشوع ١ : ٢ و٣ و٤ و٦

(٥) الموافقة للسنة ١٤٥٠ ق.م

(٦) كتاب فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية لصاحب هذا المقال ص ٦٨ .

(١) البعليم بالعبرية جمع بعل أصنام أو معلون أوآلهة زور .

(٢) هو الهيكل الذى بناه سليمان فى القدس سنة ١٠١٢ ق . م .

(٣) سفر أخبار الأيام الثانى ٣٦ : ١٤ و١٦ .

(٤) « « « « ٣٦ : ١٧ — ٢٠ .

(٥) سورة البقرة الآية ٦٠ .

ولسياسة موضوعة ... سار قورش المجوسى من المؤمنين بإله إسرائيل ! ... فأطلق نداء فى كل مملكته ، فى السنة الأولى لملكه ، فقال :

«إن الرب إله السماء قد أعطانى ممالك الأرض ، وهوأوصانى أن أبنى له بيتاً فى أورشليم التى فى يهوذا . من منكم من جميع شعبه الرب معه وليصعد[1]»

ومات قورش فخلفه أرتحشستا ، وهذا نبت وعد قورش كتابة بالتصريح الآتى وهذا نصه :

من أرتحشستا ملك الملوك إلى عزرا الكاهن كاتب شريعة السماء قد صدر منى أمر أن كل من أراد فى ملكى من شعب إسرائيل وكهنته واللاويين أن يرجع إلى أورشليم فليرجع ، وأن يبنى بيت الرب إله إسرائيل . وليعلم أن جميع الكهنة واللاويين والمغنين والنثينيم[2] وخدام بيت الله هذا لا يؤذن أن يُلقى عليهم جزية أو خراج أو خفارة[3]

فى السنة السابعة للملك (529 ق . م) (التوقيع)

فكان هذا ثانى وعد أعطى لليهود بالعودة إلى فلسطين .

* * *

عاد اليهود إلى فلسطين ، بحسب منطوق هذا الوعد متحدّين إرادة الله وإرادة سكان البلاد . وبنوا الهيكل ورمموا أسوار المدينة (القدس) فكانوا باليد الواحدة يعملون العمل ، وبالأخرى يمسكون السلاح[4]

وكتب زعماء البلاد ، سنبلط الحورونى وطوبيا العبد العمونى وجشَم العربى ، إلى الملك محتجين وقائلين :

« فتّش فى سفر أخبار آبائك فتجد فى سفر الأخبار وتعلم أن هذه المدينة مدينة عاصية ومضرة للملوك والبلاد ، وقد عملوا عصياناً فى وسطها منذ الأيام القديمة ، لذلك أُخربتْ هذه المدينة . ونحن نُعلم الملك أنه إذا بُنيت هذه المدينة وأُكملت أسوارها لا يكون لك عند ذلك نصيب فى عبر النهر[5]...

وهكذا قام أصحاب البلاد بالواجب عليهم محذرين مملكة فارس من نتائج هذه السياسة ! ...

مرت سنون ، تناوب الحكم فى فلسطين اليونان والرومان[6] وظلت المدينة عاصية ، بالرغم مما عمله بيلاطس النبطى (عامل رومة على فلسطين) لليهود . فقد شيد بعض الحمامات فى السامرة (نابلس) وجلب الماء الكافى إلى أورشليم (القدس) من الينابيع الموجودة جنوبى المدينة : وأنشأ طريقين يؤديان إلى القدس من الشمال ومن الشرق ، فنشطت حركة التجارة وحركة الحجاج ، وهما مورد لا يستهان به لزيادة الدخل[1] .

وأعمال كهذه يقوم بها بيلاطس لخدمة اليهود تستحق منهم أن ينصبوا له تمثالا ! ... وفوق هذا كله فإن بيلاطس التعس[2] لم يسمح له قيصر بأن تنشب ثورات عنده ، وهو فى الوقت ذاته ممنوع من مكافحة التحريضات التى يقوم بها اليهود فى الجليل[3]

أما أشر المحرضين فلم يكونوا الكهنة ولا رجال الشرع أنفسهم ، وإنما كانوا الشبان الكثيرى الإدعاء ، ممن يحضرون خطبهم ومحاضراتهم . هؤلاء هم الذين يبثون فى الجمهور العادى روح التمرد والشغب[4] إنهم يهددون رومة وفى الوقت نفسه يساومون ! ... وقد علقوا لوحات ونشرات كبيرة على أسوار (أنطونيا) كتبت عليها جمل تحريضية فيها تشهير ببيلاطس وقيصر[5]

(5) خراب ودمار : وتمادى اليهود فى تمردهم وشغبهم حتى يئست حكومة رومة من إيجاد علاج لهذه الحالة . فأرسلت (تيطى) القائد الرومانى سنة 71 ميلادية ، فحاصر القدس ثم هدمها وهدم الهيكل إلى أساساته . فهلك من اليهود مليون ومائة ألف نفس بالجوع والنار والسيف ، ونحو 97 ألفاً بيعوا كعبيد ، ما عدا جوعاً لا تحصى هلكت فى أماكن أخرى فى اليهودية[6] ، وتم بذلك قول المسيح عليه السلام :

«يا أورشليم يا أورشليم ، ياقاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها . كم مرة أردتُ أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا . هو ذا بيتكم يُترك لكم خراباً[7]» .

وهكذا كانت إرادة الله ، وبإرادته هذه انتهى الفصل الثانى من رواية الوطن القوى اليهودى فى فلسطين ! ...

3 — وعد بلفور

ظل اليهود بعد ضربة تيطى مشتتين فى بقاع الأرض ، وحل

(1) سفر أخبار الأيام الثانى 36 : 23 .
(2) النثينيم : الموهوبون أو المعطون .
(3) عزرا 7 : 12 و13 و24 .
(4) سفر نحميا 4 : 17 . (5) سفر نحميا 2 : 19 .
(6) فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية لصاحب هذا المقال ص 67

(1) رسائل بيلاطس النبطى ص 77 .
(2) يقوم مقامه اليوم المندوب السامى .
(3) و(4) و(5) رسائل بيلاطس النبطى ص 26 و106 وأنطونيا قصر بيلاطس النبطى
(6) يوسيفوس المؤرخ اليهودى الشهير .
(7) متى 23 : 27 و28 .

الحكم العربى محل الحكم الرومانى سنة ٦٣٧ م . وقد فتحوا هذه البلاد فتحاً إنسانياً عادلا . تدل عليه الوصية الخالدة التالية[١]:

« لا تخونوا ولا تغدروا ، ولا تغلوا ولا تمثلوا . ولا تقتلوا طفلا ولا شيخاً كبيراً . ولا تقعروا نخلا وتحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً . وسوف تمرون بأناس قد فرّغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرّغوا أنفسهم له »

وهكذا كان الحكم العربى (الذى دام مدة ٨٨٠ سنة) نعمة كبرى للناس وبخاصة اليهود قلدت به أعناقهم . ثم انتقل الحكم إلى الأتراك العثمانيين سنة ١٥١٧ ميلادية ، وكان العرب شركاء لهم فى الحكم مدة ٤٠٠ سنة[٢].

***

وفى سنة ١٩١٧ احتل الإنكليز فلسطين وقام اليهود بالتجربة القاسية للمرة الثالثة . والسياسة موضوعة ... أصبح الإنكليز القيمين على راحة اليهود وطمأنينتهم ، فأعطوهم وعداً بالهجرة إلى فلسطين هذا نصه :

عزيزى اللورد روتشلد

يسرنى جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك بأن حكومة جلالته تنظر بعين الرضى إلى إنشاء وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين ، وتبذل الجهود فى سبيل ذلك . على أن لا يجرى شىء يضر بالحقوق الدينية والمدنية لغير اليهود فى فلسطين ، أو يضر بما لليهود من الحقوق والمقام السياسى فى غيرها من البلدان الأخرى .

اللورد بلفور
وزير الخارجية البريطانية

فى ٢ تشرين الثانى سنة ١٩١٧

وهكذا اختلف الناطقون بهذا الوعد باختلاف المكان والزمان . فمن وعد ينطق به الله ، إلى وعد ينطق به ملك ، إلى وعد ينطق به وزير ... وهو ثالث وعد أعطى لليهود بالعودة إلى فلسطين . .

وطمع اليهود بعد ذلك فى الوطن القومى بفلسطين كلها ... واحتج العرب أصحاب البلاد على ذلك ، وأنذروا بريطانيا من عواقب هذه السياسة الخاطئة .

وازداد تمرد اليهود وتحديهم لسلطة لندن حتى اعتدوا على رجالاتها المسئولين بالقتل والإرهاب[١] وأتلفوا الكثير من دوائر الحكومة وممتلكاتها ، ونسفوا مراكز البوليس بالديناميت ، وأتلفوا خطوط السكك الحديدية ، وتحدوا القانون بتهريب مهاجريهم غير الشرعيين ... واعتداءاتهم المتواصلة على رجال الأمن ، دون أن يسمح لهم بأن يطلقوا النار على المعتدين حتى ولو قتل هؤلاء إخوانهم[٢] ووزعوا المنشورات التحريضية المختلفة ، فيها تشهير بحكومة فلسطين وسلطة لندن !

وكما تحدى اليهود الإنكليز وأساءوا إليهم ، كذلك تحدوا العرب فى عقر دارهم بالسلاح وأساءوا إليهم ، وهم الذين أووهم فى بلادهم وكانت إمبراطوريتهم الواسعة فيما مضى الملجأ الوحيد لهم من الاضطهاد اللاسامى الذى أثاره عليهم الغرب !...

والإنكليز هم الذين مكنوا اليهود فى فلسطين ، وألقوا مقاليدها التجارية والمالية والاقتصادية بين أيديهم . وهم الذين سهلوا لهم (بجميع الطرق) استملاك الأراضى فى فلسطين لاستقرار مهاجريهم الشرعيين وغير الشرعيين فيها ، ووقفت جميع أسلحتها لحمايتهم ، وسخرت برلمانها لسماع أباطيلهم ! ...

وكان الواجب على اليهود أن يقبّلوا اليد التى أحسنت إليهم لا أن يحاولوا قطعها ، وأن يشكروا العرب جزيل الشكر على تمسكهم إلى الآن بأهداب الصبر الجميل ! . .

وما أشبه ثورة اليهود على الإنكليز اليوم بثورتهم على الرومان فى الماضى . والعالم أجمع يتجه بأبصاره نحو فلسطين ، ويرقب باهتمام نهاية الفصل الأخير من هذه الرواية المحزنة التى بلذ لرجال السياسة إعادة تمثيلها للمرة الثالثة !

والناس يتساءلون عن التاريخ هل يعيد نفسه ؟ ..... وهل يؤدى وعد بلفور إلى نفس النتيجة التى أدى إليها وعد الله ووعد قورش ؟ ...

إن النتيجة لا تزال فى ضمير الزمن ، والمستقبل القريب أو البعيد هو الذى سيقول ، فى الوطن القومى اليهودى ، كلمته الفاصلة ! وإرادة الله فوق الجميع ! ...

(يافا) **عيسى السفري**

---

(١) هي وصية الخلفاء الراشدين للقواد — ابن الأثير . قابلها بوصية يشوع بن نون !

(٢) فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية لصاحب هذا المقال ص ١٢ .

(١) أطلقوا النار على فخامة المندوب السامي السرهارولد مكمايكل فى القدس بتاريخ ٨ آب سنة ١٩٤٤ بقصد اغتياله . وقتلوا اللورد موين في القاهرة بتاريخ ٦ تشرين الثانى سنة ١٩٤٤ .

(٢) سؤال أثاره فى البرلمان اللورد ونترتون . قابل هذا بما كان يشكو منه بيلاطس النبطى .

المرأة والسـياسة (*)

الأستاذ سعيد الأفغاني

* يطيب لبعض الصحف والمجلات في هذه الأيام . أن تغرق في مجاملة المرأة الخارجة على أنوثتها ، الساخطة على الطبيعة التي فيها لكل كائن عمل خاص . وكان حق المرأة على هؤلاء أن يأخذوا بيدها إلى ما يسعدها من علم وخلق وإلى ما يعزها في المجتمع سيدة بيت ومربية أجيال وكان من حقها أيضاً على من يزعم نصرتها أن يمسكها عن أن يهوى بها الطيش في مكان سحيق وتفقد مالها من حرمة هي ملاك أمرها كله في المجتمع .

وآخر ما قرأت دعوة متطرفة تذهب إلى وجوب تولية النساء الوزارات والادارات ، نصيبها من ذلك نصيب الرجال سواء بسواء . والفكرة ظاهرة التهافت ، وقد سبق لأقلام بليغة في مجلتنا (الرسالة) أن أظهرت زيفها وبهرجتها فما بنا إلى معالجتها من عودة ، وإنما نذكر هنا نصيبها من ممارسة الشئون العامة في صدر تاريخنا ففي هذا النصب لها مجد وأمن واعتدال .

الحكم في هذه القضية لسنة الله في المرأة ، وما فطرها عليه من خصائص (فسيولوجية) وعاطفية وفكرية : خصائص قاهرة لا بد للانسان في تحويرها إلا حين يستطيع تحويراً في تركيب الدماغ وبنية خلاياه ، أو حين يبدل في وظائف الأعضاء .

إنها فوارق بين الرجل والمرأة أزلية أبدية ، اقتضتها الحكمة العميقة الطبيعية التي تعنى بالتمييز الدقيق عناية تتطلبها عمارة هذا الكون القائمة على تقسيم الأعمال والوظائف ، وتيسير كل من الكائنات إلى ما يلائمه وخلق له . وكل مجتمع يحاول بناته إلغاء تلك الفوارق الواضحة بين أعمال الجنسين ويجاهل السمات البينة ، فمصيره إلى الاضطراب والفساد : لأن في ذلك ثورة على الطبيعة ، وما كان ثورة على طبائع الأشياء فمنه الضرر كل الضرر ، ولا يرجى له دوام ، وإن خيل لبعض الأفراد والجماعات (سطحية في تفكيرهم أو تعصبا لمذهبهم) إمكان الاستمرار عليه .

والطبيعة في هذا حكمها واحد لا يختلف باختلاف الأمم ولا باختلاف الأعصار والأمصار ، ولا بتفاوت (البيئات) رقيا وانحطاطا ولا بتغاير الأفراد تربية وثقافة .

المرأة ربة أسرة وسيدة بيت ، فمهما احتلت لتخرجها عما خلقت له من رعاية أطفال وتسلية أزواج وتدبير منزل ... فإنما تحاول خرقاً لقانون طبيعي ، إن أنت وفقت إلى إطالة هذا الشذوذ أزماناً فلن يخرجه العهد الطويل ولا العرف المنحرف عن أن يكون شذوذاً يقذى العين ويصدم الفؤاد .

فمن البداهة إذاً أن تكون قيادة الجيوش وإدارة المصالح وتدبير الممالك وسياسة الناس ... فن الرجال الخاص ، كما أن الأمومة وتدبير المنزل فن نسوى محض .

ولئن حفظ التاريخ شواهد كثيرة في قيام المرأة بشؤون السياسة والإدارة ، إني لا أجد في هذه الشواهد كلها ما يمس هذه القاعدة ؛ بل أقرر أنها كلها تؤيدها . ولأي مثقف كان أن يسرد ما في ذهنه من ملكات أو قائدات أو زعيمات أو مدبرات ممالك ، أو نائبات في المجالس ... الخ ثم يستقرى أحوالهن واحدة واحدة ويمعن فيما حف بهن ... فسيدرك أن أكثرهن كن مسيئات بتصرفهن ، عدن على بلادهن بأسوأ العواقب .

« وإذا زعم بعضهم أن حكومات النساء في بعض ممالك أوروبا كانت أرقى من حكومات الرجال ، فذلك لأن حكومات النساء أدارها الرجال من وراء حجاب ، و (الأمر) على العكس في حكومات الرجال : كثرت فوضاها في بعض الأدوار لأن النساء كن يدرنها في غفلة عن الرجال ... وكن إذا تدخلن في أمور الدولة تميل إلى الإنحطاط ؛ ولذلك كان عقلاء الملوك يحظرون على نسائهم الاشتراك فيما لا شأن لهن فيه من أمور السياسة ... »

« وبعد فلماذا لم يقل لنا المنادون بإعطاء المرأة حقوقاً (سياسية) على مثال الرجال : كيف تمسى حال البيوت بعد انقلابهم الذى يتوقعونه ؟ لاجرم أن الشقاء سيخيم على كل أسرة يشتغل رباتها خارج بيوتهن ، اللهم إلا إذا كان في النية أن يعمدوا إلى دفع أولادهم إلى الحكومات تربيهم تربية مشتركة كأنهم بعض اللقطاء

(*) من كتاب نعده عن (عائشة والسياسة) يكشف أبلغ عبرة حواها تاريخنا ، وذلك حين همت المرأة أن تدس أنفها في السياسة ، وكان لنا من ذلك درس أليم فاجع لا ينسى ، إذ كلفنا دماء عشرات الألوف من رجالنا ، وقضى على خير العهود : عهد الراشدين .

من أولاد النفول : لا يذوقون فى هذه الملاجىء طعما لهناءة البيوت ولا يرون أثراً للروابط الروحية بين الأولاد والأبوين[١] » .

الحق أن الإدارة والسياسة تقتضيان بعداً فى التفكير ، وسداداً فى المنطق ، وحساباً دقيقاً للعواقب ، وصبراً مضنياً وضبطاً للعواطف وكبحاً للأهواء ... إلى صفات كثيرة كلها يعوز المرأة . فلا عجب أن كان اضطراب الأمور وتدخل المرأة فى السياسة قرينين فى التاريخ لا يفترقان إلا حين يدبر الأمور للمرأة وزراء حصيفون من وراء ستار . ومع هذا فقلما خلت امرأة — مهما حف بها من فحول محنكين — من طامع فيها مستغل لضعفها . وما أكثر ما حفظ التاريخ من عروش كان الغرام هو الحاكم فى ممالكها .

وهناك كلمة متداولة منذ القديم ، لا شك فى أنها عصارة التجارب على الزمن ، وهى قولهم : « المرأة ريحانة وليست بقهرمانة . »

ويعجبنى فى ذلك حكم ظريف أصدرته الكونتس أف أكسفورد :

« .. هل تستطيع أن ترى امرأة صائرة إلى منصب رئيس وزارة ؟ إنى لن أستطيع أن أتصور نكبة أعظم من وضع هذه « الجزر البريطانية تحت قيادة إحدى النساء فى شارع داوننج رقم ١٠ » [٢]

ولقد سارت أمم غربية راقية فى أوروبا وأمريكا خطوات فسيحة فى إنالة النساء حقوقاً سياسية ، فما أظفرها ذلك بطائل بل كانت نتيجة التجربة أن ضج عقلاؤهم من تلك الأوضاع الشاذة، الخارجة على الفطر السليمة .

وليس تاريخ العرب ببدع فى تواريخ الأمم ، فالحكم واحد كما أسلفنا ، فحيث رأيت انحطاطاً فى إدارتنا أو تقهقراً فى سياستنا ففتش عن المرأة .

وكتابنا هذا (عائشة والسياسة) فيه أكبر عبرة فى هذا الموضوع ، ولم ينجنا من العاقبة الوخيمة : عاقبة دس النساء فى السياسة ، أن كانت الزعيمة هنا متحلية بمزايا عبقرية قل أن يحوى مثلها رجال عديدون ، ولم ينجنا كذلك رغبتها القوية فى الإصلاح ولا انطواؤها على الخير للمسلمين .

والعرب يتداولون منذ فجر الإسلام حكمة الرسول عليه الصلاة والسلام : « لن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة . » [١]

***

إذا أنت جاوزت السياسة إلى الجهاد فى الإسلام ، رأيت المسألة تختلف بين يديك ، إذ تجد أنه ليس لأحد أن يحرم المرأة شرف الجهاد ، وأنها هى والرجل سواء فى المطالبة به ، كل بحسب استعداده واختصاصه : فالرجل للقتال والمرأة لتمريض الجرحى والعناية بشئون الجيش من نحو إسقاء وإطعام وغسل وخياطة ... ثم هى مع ذلك كله تحمس المقاتلين وتبصرهم العواقب السيئة التى تنتظرهم فى أنفسهم وحرمهم إذا هم تهاونوا فى الدفاع .

وللمرأة العربية فى هذا الميدان الموقف المحمود الذى لا يجارى ، كانت فيه مضرب الأمثال بشجاعتها وحسن بلائها وإخلاصها . وعلى هذا درجت فى جاهليتها من قبل أيضاً فكان إليها فى الحروب التمريض والعناية بالجرحى وسقى الماء وتحميس المحاربين[٢] .

جاء الإسلام ففتحت عينيها — لما أظلتها رايته — على رجال غير الرجال ، ومجتمع غير المجتمع ، ودين غير الدين ، فكأنها نشطت من عقال ، فشمرت عن ساعدها ، وأخذت من هذا الدين الجديد نصيبها الأوفى ، وكان شكرها لله على نعمته هذه شكراً عملياً :

قاست فى أوله ما قاسى الرجال من عذاب وهجرة واضطهاد وأذى ، ثم انتظمت فى صفوف المقاتلين إعلاء لكلمة الحق ، وذوداً عن دين الله وعن رسوله ، فقاسمت الرجل شرف الجهاد وآبت بثوابه وكرامته ، وليس بعد بذل الروح غاية فى الشكران[٣] .

صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء فى مغازيه ، وأبلين معه البلاء الحسن ، فكنّ نعم المعينات للمحاربين : يداوين

---

(١) مجلة المجمع العلمى العربى م ٢٠ ص ٢٩٢ — ٢٩٤ .
(٢) انظر العدد ٥٦٠ من مجلة الرسالة (ص ٣٦٦) .

(١) مسند أبى داود الطيالسى ص ١١٨ الحديث ٨٧٨ (الجزء الثالث) وانظر مسند أحمد ٥ — ٤٣ ، ٤٧
(٢) انظر كتابنا الاسلام والمرأة ص ٢٠
(٣) المصدر السابق ص ٣٢

جرحاهم(١) ويحملن الماء فى القرب يسقينهم ، ويتعهدن أطعمتهم وملابسهم وقربهم ، وكن حين الحاجة يمارسن القتال .

ثم تتابعت المواقف المأثورة للمرأة من بعد الرسول ، ولن ينسى أحد جهاد خولة بنت الأزور أخت ضرار فى فتوح الشام وحسن بلائها فى الروم ، ولا موقف الخنساء فى يوم القادسية وكانت واحدة من كثيرات :

ذكر الطبرى أن أم كثير امرأة همام بن الحارث النخعى قالت : « شهدنا القادسية مع سعد (بن أبى وقاص القائد العام) مع أزواجنا ، فلما أتانا أن قد فُرغ من الناس شددنا علينا ثيابنا ، وأخذنا الهراوى ثم أتينا القتلى : فما كان من المسلمين سقيناه ورفعناه ، وما كان من المشركين أجهزنا عليه ، وتبعنا الصبيان نولّيهم ذلك ونصرّفهم به »(٢) .

وإذا كانت هذه الوقعة من الخطر بحيث أنها هى الفاصلة بين العرب والفرس ، وأنها لها ما بعدها ، استعدت لها القبائل بكل ما تطيق ، حتى إن التاريخ ليذكر لقبيلتين من القبائل فخراً خالداً إذ أخرجتا نساءهما معهما ، فكان فى قبيلة النخع — على ما يذكر الطبرى — سبعمائة امرأة لا زوج لها ، وفى قبيلة بجيلة ألف امرأة ، تزوجن جميعاً فى هذه الحرب ، وكانت النخع تسمى : (أصهار المهاجرين)(٣) .

لقد شرع الرسول لمن بعده الاستعانة بالنساء فى الجهاد ، وأثابهن عليه من الغنائم ، ودرج خلفاؤه من بعده على سنته ، حتى إذا انقضى عهد الراشدين ، وخف علم الناس بالسنة ، شك بعضهم فى هذه الاستعانة ، فكتب نجدة بن عامر الحرورى إلى ابن عباس يسأله :

« هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو بالنساء ، وهل كان يضرب لهن سهماً ؟ »

فكتب إليه ابن عباس :

« كتبت إلى تسألنى : هل كان رسول الله يغزو بالنساء ؟ وقد كان يغزو بهن فيداوين الجرحى ويُحْذَيْن (يعطين) من الغنيمة »(١)

كل ما تقدم من استحباب خروج النساء ليشاركن الرجال شرف الجهاد وهو فى حال الفتح والهجوم ، حين يكون الجهاد فرض كفاية على الرجال أنفسهم ؛ فأما إذا انعكس الأمر وهاجم العدو بلاد المسلمين أو احتلها ، فحينئذ يصبح الجهاد فرض عين على كل مسلم ذكراً كان أم أنثى ، لا يستثنى من هذا الفرض صبى ولا امرأة ولا رجل .

ونصوص الفقهاء — إزاء هذه الحالة — متضافرة على أنه يجب على المرأة أن تخرج للقتال بلا إذن زوجها(٢)

وبذلك يصبح التكليف والوجوب بدرجة واحدة على الرجال والنساء والصبيان والأحرار والعبيد (يوم كان العبيد بعض الناس) لا يستأذن أحد أحداً فى تأدية هذا الواجب

***

من شأن السياسة المزالق الخفية والأخطار الكامنة ، فهى على المرأة حرام صيانة للمجتمع من التخبط وسوء المنقلب ؛ أما الجهاد فطريق لاحبة عواقبها مأمونة وفوائدها مضمونة ، فللمرأة أن تنال من هذا الشرف نصيبها الأوفى

ليتنا فى غمراتنا اليوم نسترشد بتجارب الماضى ، ونسير غير متخبطين : نبصر مواطئ أقدامنا ونتقى المزالق ونجد كلا فى ميدانه الذى لا يصلح لغيره . لقد تداعت علينا الأمم وطمع فينا حتى (الصهاينة) من شذاذ الآفاق ، وغزينا فى أخلاقنا وبلادنا وأموالنا ... وليس فى جهودنا فضل ننفقه فى رد العابثين عن عبثهم ، فليتق الله حملة الأقلام ، وليصونوا الشاردات عن القطيع وليرجعوا بهن عن طريق وضعن أقدامهن فى أوله ، وما آخره إلا مستقبل أسود حالك للأنثى أولا ، ثم خراب البيوت وهدم الأسر وارتكاس المجتمع ، وموت كل كرامة إنسانية !

(دمشق) سعيد الأفغانى

(١) أقام الرسول خيمة فى مسجده لرفيدة إحدى ممرضات الجيش وحمل إلى خيمتها سعد بن معاذ وهو مريض

(٢) تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٨٢ (مطبعة الاستقامة ١٣٥٨)

(٣) الصفحة نفسها من المصدر السابق .

(١) تيسير الوصول ج ٢ ص ١٠٣ .

(٢) انظر فى ذلك : باب السير أو الجهاد فى كتب الفقه مثلا : شرح الزيلعى على متن الكنز (٣ — ٢٤١) والحكم مشهور لأن الاسلام لا يقر احتلالا لأجنبى بحال من الأحوال ، ولا يرضى لأهله حياة ذليلة .

ســـجون بغداد

زمن العباسيين

للأستاذ صلاح الدين المنجد

— ٧ —

[تتمـة]

— ٥ —

ولعلىّ بن الجهم قصيدة أخرى قالها فى الحبس ، منها :

توكلنا على ربّ السماء   وسلمنا لأسباب القضاء
وَوَطَّنّا على غِيَر الليالى   نفوساً سامحت بعد الاباء
وأفنية الملوك محجّبات   وباب الله مبذول الفناء
هى الأيام تكلمنا وتأسو   وتأتى بالسعادة والشقاء
حلبنا الدهر أشطره ومدّت   بنا عقب الشدائد والرخاء
وجرّبنا وجرّب أوّلونا   فلا شىء أعز من الوفاء
ولم ندع الحياء لمس خيرٍ   وبعض الضرّ يذهب بالحياء
ولم نحزن على دنيا تولّت   ولم نسبق إلى حسن العزاء(١)

— ٦ —

ومن أروع وأرق ما قيل فى الحبس قول محمد بن صالح العلوى ، وكان خرج على المتوكل فظفر به وسيّره إلى سرّ من رأى فحبس .

طرب الفؤاد وعاده أحزانه ،   وتشعّبت شُعباً به أشجانُه
وبدا له من بعد ما اندمل الهوى   برق تتابع مَوْهناً لمعانُه
يبدو كحاشية الرداء ودونه   صعب الذرى متمنع أركانُه
فدنا لينظر أين لاح فلم يُطق   نظراً إليـه وردّه سجّانُه
فالوجد ما اشتملت عليه ضلوعه   والماء ما سحّت به أجفانُه
ثم استعاذ من القبيح وردّه   نحو العزاء عن الصّبا إيقانُه
وبدا له أن الذى قد ناله   ما كان قدّره له ديّانُه(٢)

— ٧ —

ولابراهيم بن المدبر فى حبسه أشعار حسان ، منها قوله فى قصيدة أولها :

أدمـــوعها أم لؤلؤ متناثر   يندى به ورد جنى ناضر

يقول :

لا تؤنسنك من كريم نبوة   فالسيف ينبو وهو عضب باتر
هذا الزمان تسومنى أيامه   خسفاً وها أنذا عليـه صابر
إن طال ليلى فى الإسار فطالما   أفنيت دهراً ليـــله متقاصر
والحبس يحجبنى وفى أكنافه   منى على الضرّاء ليث خادر
عجب له كيف التقت أبوابه   والجودُ فيـه والغمام الباكر
هلا تقطّع أو تصدّع أو وهى   فعذرته ، لـكنه بىَ فاخر(١)

— ٨ —

ولما غضب جعفر على ابن الزيات عذبه فى التنور . وكان قد حبسه قبل تعذيبه فى بيت . فوجد على الحائط قوله :

لعب البلى بمعالمى ورسومى ،   ودُفنتُ حياً تحت ردم غموم
وشكوت غمى حين ضِقت ومن شكا
كرباً يضيق به ، فغـير ملوم
لزم البلى جسمى وأوهن قوتى   إن البلى لموكل بلزومى
أبنيّتى قـلّى بكاءك واصبرى   فاذا سمعت بهـــالك مغموم
فانعى أباك إلى نساء واقعدى   فى مأتم يبكى العيون وقومى

وقال فى التنور الذى عُذّب فيه :

هيض عظمى الغـداة إذ صرت فيـه
إن عظمى قد كان غير مهيَّض
ولقـــد كنت أنطق الشعر دهراً
ثم حال الجريض دون القريض(٢)

— ٩ —

وبعث الإفشين إلى المعتصم من الحبس : « إن مثلى ومثلك يا أمير المؤمنين كمثل رجل ربّى عجلاً له حتى أسمنه ، وكبُر ، وحسُنت حاله . وكان له أصحاب اشتهوا أن يأكلوا من لحمه

(١) الأغانى : ترجمة على بن الجهم .
(٢) الأمالى والنوادر ج ٣ ص ١٨٣ .

(١) الأغانى ج ١٩ ص ١١٥ .
(٢) البيهقى ص ٥٧٠ .

هذا العالم المتغير

غذوا الارض تضاعفوا الانتاج الحيوانى

للأستاذ فوزى الشتوى

الحيوان وغذاؤه :

« لا تعلفوا الماشية بل اعلفوا الأرض » . بهذا رد العلماء الأمريكيون والمهتمون بزيادة الإنتاج الحيوانى من لحم ولبن وما يتفرع منهما . فلم تكن الثروة الحيوانية وتوفير أغذيتها من معضلات الشرق وحده بل امتدت إلى كل بلاد العالم . وظلت بضع سنوات مشكلة علماء الحيوان وموضوع بحثهم حتى حلت عن أيسر طريق فأزالت ما كان يهدد الصحة العامة من علل .

والفلاح عندنا يدرك أن الحشيش والبرسيم وحدهما ليسا من الأغذية الكافية لبقرته فيلجأ إلى علفها بالفول برغم ارتفاع ثمنه . ومع ذلك فلدينا نقص ملحوظ ، فكثير من الأبقار لا تلد وتنتج ذرية كالمعتاد .

ودرس العلماء ظواهر هذا الضعف وعزوه إلى سوء التغذية ومن ثم أقبلوا على أنواع الغذاء المختلفة ، فجربوا كسب القطن والفول وشتى أنواع الأغذية الحيوانية ؛ ولكن واحداً منها لم يوصلهم إلى هدفهم المنشود وزيادة وزن الحيوانات بما يتناسب وما تستهلك من طعام حتى تعادل النفقات الثمار .

الطبيعة أنسب :

وانتقلت التجارب إلى مرحلتها الكيماوية أيضا فأضيفت مواد الحديد والمنجانيز والكالسيوم إلى أغذية الحيوانات فلم تؤد إلى نتيجة سارة . واحتفظت الماشية بنحافتها وسوء تغذيتها . واستمرت التجارب وقتاً طويلا تقلب فيه العلماء بين شتى أنواع الأغذية الغالية والرخيصة فلاحظوا أن شهية الحيوان أقوى ما تكون إلى رعى الحشيش وليس إلى وسائلهم الصناعية . وأخيراً لجأ العلماء إلى تغذية قطعانهم بمركبات الفوسفور .

فعرّضوا له بذبح العجل فلم يجبهم . فاتفقوا جميعاً على أن قالوا له ذات يوم : ويحك ، ألم تر هذا الأسد وقد كبر ، والسبع إذا كبر رجع إلى جنسه ، فقال لهم : هذا عجل . فقالوا هذا سبع . سَلْ من شئتَ عنه . وقد تقدموا إلى جميع مَنْ يعرفه أنه إن سألهم عنه قالوا : هو سبع . فأمر بالعجل فذُبح . ولكنى أنا ذلك العجل ، كيف أقدر أن أكون أسداً ؟ الله الله فى أمرى ، فقد وجب حق . وأنت سيدى ومولاى » فلم يلتفت المعتصم إليه[1]

— ١٠ —

ومما نسب إلى ابن المعتز قوله :

تعلمت فى السجن نسج التكك ... وكنت امرأ قبل حبسى ملك
وقُيِّدت بعد ركوب الجياد ... وما ذاك إلا بدور الفلك
ألم تبصر الطير فى جوه ... يكاد يُلامس ذات الحبُك
إذا أبصرته خطوب الزما ... ن أوقعْنَه فى حبال الشرك
فها ذاك من حالق يُصاد ... ومن قعر بحر يُصاد السمك[2]

(١) البيهقى ص ٥٦٥ .
(٢) المحاسن والمساوىء ص ٥٧١ .

— ١١ —

وعقد الثعالبى فى اليتيمة لأبى إسحق الصابى فصلاً سمّاه « ما أخرج من شعره فى الحبس »[1] وأكثره فى الحكمة والشكوى وذم الدنيا . فمن ذلك قوله :

يعيّرنى بالحبس من لو يحله ... حلولى لطالت واشمخرّت مراكبه
وربّ طليق أطلق الذل رقه ... ومعتقل عانٍ وقد عزّ جانبه
وإنى لقرن الدهر يوماً تنوبنى ... سطاه ويوماً تنجلى بى نوائبه
ومن مدّ نحو النجم كيما يناله ... يداً كيَدى لاقته أيدٍ تجاذبه
ولابد للساعى إلى نيْل غاية ... من المجد من ساع تدب عقاربه
وما ضرّنى أن غاض ما ملكت يدى ... وفى فضل جاهى أن تفيض مذاهبه
ولى بين أقلامى ولبّى ومنطق ... غنًى قلَّما يشكو الخصاصة صاحبه[2]

صلاح الدين المنجد

(١) اليتيمة ج ٢ ص ٢٦٧ .
(٢) يتيمة الدهر ج ٢ ص ٢٤٨ .

والعظم كما تعرف من أغنى المواد بها فلوحظ تحسن ظاهر اكتسبت فيه الماشية لحما وتحسنا فى انتاجها وزيادة ذريتها .

وعندئذ عرف الباحثون أنهم وضعوا أصابعهم على مفتاح حل معضلتهم وبقى عليهم أن يجدوا الطريقة المثلى لتطبيقه فأى نسب الفسفور أجدى ؟ وكيف يطعم بها الحيوان بأرخص ثمن ؟

وأسفرت التجارب الطويلة عن اكتشاف الحل المرغوب وهو : « سمدوا الأرض بمواد فسفورية » ، وانطلقت على أثره الصيحة التى صدرنا بها المقال وهى أن : « اعلفوا الأرض ولا تعلفوا الماشية » .

تسميد الأرض بالفسفور :

أما كيف وصل العلماء إلى هذا المبدأ ، فإنهم قسموا ماشيتهم إلى خمسة قطعان يتراوح عددها بين ٤٠ و ٧٥ بقرة . اقتصرت تغذية القطيع الأول منها على الغذاء العادى .

وترك القطيع الثانى ليرعى حقلا نثرت على حشيشه مساحيق العظام والملح ليكون مقبول الطعم من الماشية . وأضيف أحد محاليل الفسفور إلى المياه التى يشربها القطيع الثالث . أما القطيع الرابع فخلط طعامه من كسب بذرة القطن بالفسفور .

وكان القطيع الخامس هو بيت القصيد ، فترك يرعى فى حقل سمدت أرضه بالفسفور قبل زرع حشيشه بمعدل ٧٧ رطلا للفدان الواحد . وكان ما يخص كل رأس من الماشية من أرض المرعى أقل من المعدل المعتاد .

ولوحظ عند بدء التجربة أن يكون وزن جميع القطعان متساويا بمتوسط ٧٠٠ رطل للرأس الواحدة . وبعد سنة من بدء التجربة ارتفع وزن كل بقرة من الماشية التى كانت ترعى الحشيش الذى سمدت أرضه إلى ١٠٣٦ رطلا بزيادة ٨٤ رطلا عن معدل الزيادة فى الأبقار الأخرى .

وكانت أقل القطعان فى تربية اللحم القطيع الذى عاش على وسائل التغذية العادية . وكان القطيع التالى هو الذى أضيف إلى غذائه مساحيق العظم .

٦٠ ./. زيادة

وثمة حقيقة أخرى أثبتتها تجارب العلماء . فإن الأبقار التى تغذت بحشيش الأرض المسمدة ولدت كل منها وتضاعف عددها ولم تمض شهور حتى وجد أن كل مائة رطل زادت فى هذا القطيع بمعدل ٦٠ ./. ما بين لحم زاد فى الماشية الأصلية وما بين مواليد حديدة أفادها المرعى المسمد بمحلول الفسفور .

وكانت كل أبقار هذا القطيع فى صحة جيدة بخلاف مثيلاتها فى القطعان الأخرى التى كانت عرضة لشتى أنواع الأمراض واقتضت من علماء الحيوان وأطبائه جهد العلاج ونفقات الدواء .

والسماد الفسفورى معروف فى كل مكان ورخيص القيمة يعرفه كثير من علمائنا ولكنهم لا يجرؤن على تجربته لا لأنهم يجهلون بل لأن عقولهم جفت فى الروتين الحكومى عن أى تفكير حتى فى أوقات الشدة . ومن واجبهم كاخصائيين أن يبحثوا لحل المشاكل ولكن هذا النجاح لن يأتى وهم جلوس إلى مكاتبهم .

إن العلم يتقدم بخطوات واسعة لحل جميع المعضلات الإقتصادية والتجارية وعن طريقه لم ينخفض مستوى التغذية ولم تتعقد الأمور فى أسوأ مراحل الحرب لأن علماءهم كانوا ساهرين على تعقب المشاكل وحلها .

فإن آثر علماؤنا البقاء فى غرفهم المزركشة فلا يعلم إلا الله إلى أى مركز ينكمش موقفنا الإقتصادى والتجارى

التليفون الآلى للعالم كله :

تستطيع بعد سنوات قلائل أن تدعو صديقك فى الإسكندرية أو أسوان إلى حديث تليفونى بغير تدخل السنترال بل بإدارة قرص التليفون كما تفعل حينما تتحدث إلى جارك .

والطريقة المتبعة الآن هى الاتصال بالمركز الرئيسى الذى يخلى لك الطريق ويوصلك بمن تريد فى أى بلدة أخرى . ولا تستطيع الإتصال به بغير هذه الطريقة وذلك لسببين : أولها قرص التليفون الذى يعجز عن احتمال آلاف الأرقام لآلاف البلدان . والثانية عملية التحويلات الكهربائية وما فيها من تعقيد فنى كبير .

وقد توصلت إحدى الشركات إلى استنباط طريقة تجعل بها هذا القرص الصغير يشمل ملايين الأرقام كما تيسر لها أيضاً اكتشاف وسيلة رخيصة أقل تعقيداً لنمو التحويلات الكهربائية وسهولة تنقلها بين الأرقام وفى المسافات المترامية ، ويتنبأ مهندسوها بأنه لن يمضى زمن طويل حتى تصقل الطريقة فتستطيع أن تخاطب نيويورك ولندن وربما طوكيو بمجرد إدارة القرص .

فوزى الشتوى

نور العـــروبة

للأستاذ إدوار حنا سعد

[مهداة إلى مجلس جامعة الدول العربية بمناسبة انعقاد دورته الثانية بالقاهرة ابتداء من يوم الأربعاء ٣١ أكتوبر سنة ١٩٤٥]

على الافق مجد مشرق ونشيد   وفجر أمانٍ ما لهن حدود
يحث الرعاة الصِّيد نحو ضيائه   خطاهم وتحدو القافلات وفود
مطالعُ أمجادٍ وحلم محققٌ   رؤاه، وسفرٌ في الحياة جديد
فيا شمس، تيهي بالضياء، ففي الربى
دعاء، وفي أرض الكنانة عيد
تعودين من حيث ابتدأت منيرة   ويبزغ فينا مجدنا ويعود
مضى الأمس إن نحمده فهو قد انقضى
بعيداً وإن نذممه فهو بعيد
مضى الأمس لم يورث ولا إرث في العلا
مِلاكُ المعالي عدة وعديد
بداية دنيا المرء إدراكه لها   وأول عزم المرء يوم يريد
فيا أيها الحشد الذي طافت المنى   عليه وأصغى في الخلود شهيد
رنا الشرق خفاق القلوب ورأرأت
حواضر ريا بالسرور وبيد
يراقبكم طلق الأسرة حامد   وينظركم شزر العيون حسود
منى قد غدت حقاً فما أعذب المنى   يغرد محياها ويورق عود
مخايلها الغراء أضحت شمائلا   تزود بها الأنوار حيث تزود
وقد وحدتنا في الشجون وفي المنى
جراح حملناها معاً، وقيود
وكم ريش من سهم فأمسك جنبه   قريبٌ إليه واستفِز بعيد
وإن مكان الجرح في الجسم واحد
فسيان صدر موجع ووريد
على كل أرضٍ قام حلف وعصبةٌ
تنافح عن شأن لها وتذود
وقد كان مدحاً أن يقال وحيد   فأصبح ذماً أن يقال وحيد
وما حسنٌ أن يغفل الشرق أمره   ويصحو بنو الدنيا ونحن رقود
إذا نام راعي الضأن عنها تيقظت   ذئاب قيام في الربى وقعود
وفي الشرق من نور الأخوة شعلة
تذوب لهـاوليها ظُبى وحديد
فمن رام بغيا سار في الأرز راسخ   وغامت غيومٌ في الكنانة سود
وثار عُرام الرافدين وأطلقت   بنجد شبالٌ مرة وأسود
وباتت ورود الشرق جمراً مضرجاً
وجُنّتْ طباق الأرض وهي تميد
ومن رام سلما أطلع التيه واحة   وضاء له حال ورف نضيد
فلسطين منا حبة القلب لم تزل   تبادهها أطماعهم وتعود
أقول — لمن أعنيه — اخترفاننا   جحيم تلظى أو ندى وورود
نطامن موج البحر رهواوأقبلت   رخاء رياح رفهة وسعود
رمينا لها صدر الشراع وقد دنا   إلى الركب شط بالوفاق سعيد
نضيء بفاروق دواجي سبيلنا   ويدنو قصي في المنى وفريد
ومن نعم الدنيا مليك ممجد   تتاه إلى الدنيا غطارف صيد
أقالوا عثار الشرق قدما ووجهوا
إلى الهدى ركب العرب وهو شريد
وشادوا لنا أساً فأعلى جداره   وللمجد منهم مبدئ ومعيد

إدوار حنا سعد

نفس . . .

للآنسة الفاضلة «دنانير»

وتساءلوا: ما بالُها عَقَلَتْ   ولطالما جُنّت بنا حبا
ولكم سقتنا من مودّتِها   صِرفاً وعاطتنا الهوى عَذبا
إنّا نرى من أمرها عجباً   مذ فارقتنا نافراً غضبى
هلاّ تعود لنا فنُعْتِبَها   ولها علينا الصدق في العتبى؟
أحبابنا... لا، لا، وحسبكم   تُرخون دون هناتكم حجبا
لا تطمعوا أن مس حبكم   قلبي الغرير وخالط اللبا
لكن لي نفساً تندّ إذا   مذَقَ الصديقُ الودَّ أو خبّا
تأبى سوى عرفان عزّتها   ولقد تجور فتُنكر القلبا
وهبُوا فؤادي من غوايته   يرضى الرجوع، فهذه تأبى
... ...
ما أبصرت عيناي قبلكم   قوماً غَلَوْا فاستقربوا الشهبا

(فلسطين)   (دنانير)



على هامش الأدب الحجازي :

تفضل الأستاذ الفاضل حسن عبدالله القرشي فأثنى على كلماتي المتواضعة التي نشرتها في مجلة الرسالة الغراء في موضوع « الأدب الحجازي » ، فنعتها بعمق البحث وطلاوة العرض ، وهو تفضل منه أعتدُّه فخراً ولا ينهض بحقه شكري

ولعل الأستاذ الكريم قد أدرك مما كتبت أنني معجب بنهضة الشعر الحجازي ، فقد ذكرت في غير موضع أن نهضته توشك أن تكون طفرة ، وأن كثيراً من الشعراء قد استطاعوا أن يجمعوا بين المعنى السامي والأسلوب الرصين ، وهي مرتبة لا تتهيأ للأمم في نهضاتها إلا بعد الزمن الطويل والدرس المستمر

وقد كان في وسعي أن أقتصر على هذا القدر من التقريظ والثناء ، لولا حرصي على تصوير حياة الشعر تصويراً يلم بنواحيه ويبرز معالمه ، ليتمثل لقراء العربية واضحاً جلياً ؛ فأشرت في موجز من القول إلى أن بعض الأشعار ينقصها جمال الأسلوب وحسن الرصف ، مع ما فيها من براعة في المعنى وتصرف في الأغراض ، وأعتقد أن مثل هذا النقد الهين لا يغض من سمو الشعراء ، ولا يضع من أقدارهم بعد الذي فصلته من براعتهم وبينته من فضلهم ، وحسبهم أن أعلام الشعراء في كل عصر من عصور الأدب لم يسلموا من النقد والتجريح

على أنني معترف مع هذا بأن الشعر الذي جادت به قرائحهم إبان الحرب الحاضرة لم يصلني منه إلا القليل ، وأرجو أن يوفقوا قريباً لطبع أشعارهم في دواوين يستمتع بها إخوانهم العرب في سائر الأقطار ، وعندئذ أسجل لهم معجباً فخوراً في كتابي « تاريخ الأدب الحجازي » ما بدا في أشعارهم من كمال وجمال — وإن كان هذا الإعجاب لم يفتني فيما كتبت إلى الآن

وأنا بعد هذا كله موقن — مع الأستاذ القرشي — بوثبة الشعر الحجازي ، متفائل له بمستقبل مرموق بعد الذي عرفته من أن شباب الحجاز يمتازون بالذكاء النادر والخيال الخصب والأمل الفسيح .

وإلى أخي الأستاذ حسن عبدالله القرشي جزيل شكري وجميل تقديري

أحمد أبو بكر ابراهيم

مكتبة الكيلاني للأطفال :

[رأى سمو سيف الاسلام الأمير الجليل :
عبد الله نجل جلالة الامام يحيى : ملك اليمن]

الحمد لله رب العالمين

حضرة الأديب الكبير العلامة الأستاذ كامل الكيلاني ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد ، فقد اطلعنا على مؤلفاتكم القيمة النفيسة في تعليم الأطفال فإذا هي مكتبة برأسها تستحق التقدير

وإني أعتقد أن الاستفادة بها في كل بلد عربي ، وكل قطر إسلامي ، أمر نافع جداً ، لسهولة أسلوبها ، وإتقان وضعها ، وفصاحتها التي يستفيد التلميذ منها بالتدرج الشيء الكثير في اللغة . وسنفتقي منها كمية يستفيد بها الأولاد في البلد

بارك الله فيكم ، وزادكم علماً ، ونفع بكم

عبد الله ابن أمير المؤمنين
سيف الاسلام

الطهر الخائن لشكسبير من رواية (كما نهواه أنت)

طهارةُ بعضِ الناسِ حربٌ عليهمُ
وفضلهم خصم لهم وغريمُ
وأنتَ من الأطهار ، والطُّهرُ خائنٌ
ينمُّ كما نمّتْ عليك خُصومُ

كامل كيلاني

١ — **هو عبد الله بن عمر :**

عبد الله الذي أراد أن ينزل في قبر أبي بكر ، فقال له عمر : كفيت ، ليس ابن أبي بكر كما قال هيكل ، ولا ابن الزبير كما ظن السحار (بريد العدد ٦٤٥) ، بل هو ابن عمر كما في كتاب

(أبو بكر الصديق) ص ٢٦٦

وهذا الكتاب المطبوع فى دمشق سنة ١٣٥٣ وقد نفدت نسخه وأخوه (عمر بن الخطاب) وهو فى ٨٠٠ صفحة ، بلغت مصادره ١٧٠ ، وما فيه فقرة إلا وقد عزيت إلى صفحتها من مصدرها ، هما أوثق المراجع وأجمعها فى سيرة العمرين ، ولولا أن أمدح نفسى لقلت : إنه لم يؤلف فى بابهما مثلهما ، ولكن مطبوعاتنا فى الشام لا حظ لها فى مصر ...

٢ — زناه فحده :

ذكرنى ما قال أستاذنا النشاشيبى فى العدد ٦٤٥ بالمثل المشهور عند الفقهاء (زنّاه فحدّه) ، وفيه شاهد للأستاذ فى أنها زنّاه لا زاناه ، وهو بعد مثل لمن يشرح كتاباً فيحرف الأصل ، ويقوّل المؤلف ما لم يقل ، ثم يعلق عليه التعليقات ، ويشرح الشروح

على الطنطاوى

هل هى جرها شرك كما يراها الرافعى رحمه الله :

عرض إمام العربية الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى فى تحقيقاته الفريدة لكتاب إرشاد الأريب إلى قول مجنون بنى عامر :

كأن القلب ليلة قيل يغدى ... بليلى العامرية أو يراح
قطاة غرها شرك فباتت ... تجاذبه وقد علق الجناح

فآثر حفظه الله رواية (عزها شرك) التى رويت فى الكامل والحماسة والأغانى على رواية (غرها) وقد كنت جنحت للأخذ برواية الكامل وغيره منذ أربع عشرة سنة ، ثم رأيت الاستئناس برأى الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعى رحمه الله فبعثت إليه بكتاب قلت فيه : ألا يصح أن نصحح غرها بعزها ؟ فأجاب طيب الله ثراه بقوله[1] :

« ... أما تصحيح غرها بعزها فلا قيمة له ، لأن الشرك لا ينصب للقطاة إلا وهو يغلبها ، إذ لا ينصب إلا لصيدها ! فليس هناك شرك يعزها وشرك لا يعزها . ويخيل لى أن صواب الكلمة جرها لأن الشاعر يقول: فأمست تجاذبه ، ويقول قبل ذلك :

كأن القلب ليلة قيل يغدى ... بليلى العامرية أو يراح

فكأن ذكر الرحيل يجر قلبه جراً فكيف بالرحيل نفسه ؟ وجرها تجعل المعنى أقوى وأفخم .

وأكثر النساخ حين ينسخون بطون الكتاب لمن يملى عليهم ، ومن السهل جداً انخداع السمع فى جرها فيسمعها الناسخ غرها ؛ ومثل هذا يقع فى التحريف كثيراً ، ومنه الكلمة التى انتقدتها على العقاد فى ابن الرومى « فرأى رجلا مضطرب العقل جاهلا » أملاها المملى (ذاهلا) فسمعها الناسخ جاهلا وكتبها كذلك ... »

وإنا نعرض ما رآه الرافعى رضى الله عنه من الصواب لهذه الكلمة ليرى الأدباء فيه رأيهم .

ولحجة العرب النشاشيبى — بهذه المناسبة — تحيتنا الطيبة وتقديرنا العظيم لما يبذله من جهد فى سبيل لغة العرب ، وما يمدها به كل يوم من غزير أدبه ، ومخزون تحصيله ، وواسع اطلاعه .

محمود البوريه

ذكرى الشاعرين :

نقرأ فى المجلات بين الفينة والفينة مقطوعة لشاعر النيل حافظ إبراهيم ، ينشرها العاثر عليها على أنها من شعره الضائع ، إذ ليست فى ديوانه المطبوع .

وآخر ما رأينا من ذلك مقطوعة عن الهرم نشرت فى الرسالة (العدد ٦٣٩) عثر عليها ناشرها منقولة عن بعض الصحف القديمة .

فاستغربت أن يخلو منها الديوان مع أن مرتبه ذكر فى جملة المصادر التى رجع إليها كتاب (ذكرى الشاعرين) وهو مصدر قيم عن حافظ وشوقى فيه أشتات شعرهما الحديث وبحوث الأدباء ودراسات الكتاب عنهما ومراثى الشعراء فيهما . والمقطوعة المذكورة هى فى الصفحة (٢٩٠) من (ذكرى الشاعرين) .

ونحن إذ نلفت الأنظار إلى هذا المصدر القيم ، لا يسعنا إلا شكر تلك الجهود الكريمة التى بذلها الأستاذ المدقق أحمد عبيد فى جمع المواد وتنسيقها وضبطها فجاء كتابه متقناً حافلا بالمتعة والفائدة ، فجزاه الله خيراً .

(دمشق) **(س)**

---

(١) من خطاب مؤرخ ١٤ إبريل سنة ١٩٣٢ .



نهاية الطريق (*)

للكاتب الأمريكي : نيوبولد نويز

بقلم السيد محمد العزاوى

هناك بين تلك الصخور التى تحف بحيرة « كومو » فتعقد حول مياهها الضاحكة سداً من ضباب ، وعلى شعاف جبل يرتفع عن البحيرة بثلاثة آلاف قدم ، تجثم كنيسة صغيرة عبثت بها عوادى الزمن ، وهى تشرف على قريتى « كادنابيا » و«مناجيو» . ويدور بكل ذلك محيط من جبال فارعة الذوائب سامقة القنن ، تتناهى سفوحها إلى جبال الألب العظيمة ، ويبعد أقصى منازل القريتين عن الشعب الذى يطوق الجبل بميلين كاملين

وقد كان القوم يحجون فى كل عام إلى الكنيسة مرة ، يبتهلون فيها إلى الله أن يكلأهم بعنايته ، فينزل عليهم الغيث حين الجفاف ، وفيما عدا ذلك فغباً ما كانت تزار

وقد كان «بلاجدن» يصعد فى طريق لاحب متمعج ، قد امتد لامعاً بين مجموعة من منازل ألبسها الماء ثياباً من زرقة صافية ، وكان الجو ساكناً ، لا تخفق فيه نسمة من ريح ، فتداعب أوراق الزيتون التى أكسبتها الشمس بريقاً فضياً بديعاً فى الجبل ، وكانت أشجار السرو تلقى على الهضاب ظلالها المستطيلة الوارفة ، بينا كان « بلاجدن » يتقدم فى طريقه صعداً شاعراً بكل ما يدور به من بدائع الحسن وآيات الجمال

وعند ما بلغ الكنيسة وولج الباب ، وجد من بردها وظلامها حائلين يقومان من دونه ، ولكنه تخطى الباب إلى الداخل ، ثم خطا بضع خطوات ، فكان لوقع أقدامه رنين كئيب قوى يطوف كل ربوع المكان ، وكان من العسير عليه أن يتبين فى تلك الكنيسة شيئاً بعد أن كانت الشمس فى الخارج تغمر ما يرى ، غير أنه ألف الظلمة بعد قليل ، وبصر فى الركن البعيد بأربع شمعات موقدات ، فاتجه نحوها بخطى وئيدة ، بينا يقعقع تحت قدميه هذا البلاط الذى تأكله الزمان

وتجلى للناظر فوق الشموع الأربع صورة لمريم فى إطار بسيط رخيص مذهب . وأدمن « بلاجدن » النظر فى الصورة مأخوذاً . فقد كانت تحفة من يد صناع بارعة . إذ تجسم فيها مثال رائع من جمال أنثوى رائع . ولعل العينين كانتا أبدع ما فى الصورة : كان يشع منهما بريق الإيمان والتفكير والرحمة

وكان الرسم طبيعى الحجم والخلقة ؛ يتجلى فى لون دخانى أزرق يوحى بالفكر ويبعث التأمل ، وقد أكسبها نور الشموع المتراقص تحتها سحراً وروعة ، وانجمدت على شفتيها بسمة تأمل ، فبدا الرسم فى بعض الأحيان حياً . ولكن ما هذا ؟ لقد انصدع صدر العذراء صدعاً ، وانشق عند القلب شقاً رفيعاً مستطيلا ؛ ثبت بأسفله خنجر دقيق ذو نصل رهيف

وانثنى « بلاجدن » إلى الخنجر ينزعه مفكراً ، ولكن انبعث من ورائه فى الظلام صوت يقول :

— أيها السيد ! ما أحب لهذا الخنجر أن يمس !

والتفت «بلاجدن» وراءه وجلا ، فإذا بشيخ يرتدى مسوح الرهبان ، وقد هزل جسمه ، وذبل وجهه ، وتهدل شعره الأشيب ، ولم يبق من ذلك الراهب إلا ذماء قليل وعينان مضيئتان أثارتا طلعة « بلاجدن » بتوقدهما الغريب ، وأما بقية وجهه فقد كان شبيهاً بوجوه الموتى

وسأله « بلاجدن »

— ولكن لماذا ؟

فخطا الراهب إلى الأمام فى ذلك النور الشاحب المتراقص ،

(*) نيوبولد نويز من الكتاب الأمريكيين الذين تأخر بهم العهد إلى أن شهدوا المذهب الواقعى Realism يغزو ميدانهم القصصى . ولكن ذلك لم يمنعه أن يتقدم إلينا بنوع قديم كانت له مكانة فى الربع الأول من القرن العشرين : وهو « قصص الحب Romance of Love » ولقد ثبت هذا النوع فى الميدان إلى أن عصفت به الواقعية بشروطها القاسية وقيودها المتعددة . و « نهاية الطريق » تعد من أروع ما كتب نويز فى هذا الباب . فإن تناهى القصة إلى غموض العاطفة الدينية ليكسبها نوعاً من جو صوفى رفيع ، فيسمو بها إلى أعلى درجات هذا الفن .

ثم رمق الشاب الواقف بإزائه برهة ، وتفرس فيه بعينيه الثاقبتين الباحثتين . وكأنما وجد شيئاً فى ملامح ذلك الوجه كان يبحث عنه ، فانطلق لسانه فى نبرات حنون عجب لها بلا جدن .

— سيدى ! إن لذلك قصة . فهل لك فى سماعها ؟

فأومأ بلا جدن أن نعم . فسارا فى الظلام حتى بلغا الصف الأول من مقاعد صغيرة واطئة ، وقد استوى أمامهما رسم العذراء وتواثبت عليه أضواء الشموع الأربع وظلالها ؛ وبدا الخنجر فى أسفله يعلوه التراب .

وشرع الراهب يتحدث ، وبلا جدن ينصت ، وبصره قد انتظم الرسم البديع .

« كان ذلك من أمد بعيد ، حين كانت « روزا » تعيش مع أبويها فى منزل صغير قائم فى مناجيو . وكانت ترعى للشيوخ عنزاتهم ، فتسبح كل يوم فى أشعة الشمس ما سمحت لها دورة الفلك ، وتغنى ما يطيب لها من فنون الغناء ، فينساب صوتها فى الجو كما تنساب مياه ضاحكة — كساها الظل — فى جوف غدير صغير !

« كانت تغنى دائماً وتطرب أبداً ؛ فقد كانت فتاة لم تبخل عليها الشمس بالسناء البهيج ، ولم ينقصها الله حظها من الجمال البديع

« وهناك كان « جيوفانى » ؛ فقد كان يغدو كل صباح على وكرها الجميل حيث تنمو الزهور الصفراء ذات القلوب الوردية ؛ فكانت دائماً ترشقه بأوراقها وقلوبها من وراء النافذة الصغيرة ؛ فيضنى الفتى فى الجد نفسه ، ويكلفها فى العمل شططاً . ولكنه كان يغنى ويغنى . أولم يكن كل ذلك من أجلها ؟

« وكثيرا ما كانت عنزاتها تعدو على كرمه وقت دلوك الشمس ، فيسوقانها أمامهما إلى المنزل وهما يضحكان وينشدان ، وقد أخذ كلاهما بذراع صاحبه ، والشمس قد أرسلت عليهما — من وراء الجبال — أشعتها الذهبية فانعكست على مياه البحيرة ، أو يسيران معاً وقد تلطفت أشعة الشمس من بعد توهج فيهيىء لها تاجا من الزهر مفتنا فى تنسيقه ، متأنقا فى ترصيعه ؛ فتتقبله وهى تضحك ضحكات مرحة .

« كانا كطفلين رعتهما العناية يا سيدى وغفل عنهما الدهر . فكثيرا ما كانا ينفقان الليل سامرين جالسين إلى البحيرة ؛ يناقلها أحلامه ، ويفضى إليها بأمانيه ؛ بينما تنثر ذوائب شعرها الجميل على خده الأسمر نسمات لطيفة وانية ، والقمر قد أرسل إليهما قبلاته ، وانتظمت أشعة البحيرة ، فبدا الماء طريقا من لجين يصل بين الشاطئين .

« وكان الناس يرددون من أمرهما أن زواجهما يتم فى موسم جنى العنب . وقد كان كذلك يا سيدى ، لولا أن بدت قوة جديدة فى أفقهما : تلك هى الكنيسة !

« وأكبر الظن أن ليس بين الناس من يدرى أنى تتحكم هذه القوة الطاغية فى قلب فتاة غضة الجسم ، ريقة الشباب . لقد هتكت صدرها رغبة ملحة أن تنضوى تحت لواء الكنيسة ، وتدخل ذلك الدير القائم خلف البحيرة ؛ تاركة دفء الشمس وراءها وضياءها .

« لم تكن تريد أن تذهب ! وكان هذا التناقض بديعاً أليماً فى وقت معاً . هذه الفتاة الغضة الحسناء ، تلوح كأنما هى جزء من ضوء الشمس ، وعبير الزهر ، وشدو الطيور ؛ كان عليها أن تجعل من دون ذلك حجابا كثيفاً فتوصد عليها باب الدير العتيق !

« أما جيوفانى فقد جن جنونه ، وطار عقله شعاعاً . ولا بأس عليه فى ذاك ولا جرم . فقد كان من القسوة أن تنتزع من بين شفتيه كأس نسج حولها وشى الأمانى ، وحاك مطارف الأحلام ... أخذ بين يديه يديها الناعمتين ، ثم جثا على ركبتيه ضارعاً ملتاعاً ، وقد غص بدمعه المتسايل على خده الأسمر . وبكت كذلك روزا . ولكنها ما استطاعت أن تجيبه إلى ما طلب ... لعلها كانت تحب الفتى يا سيدى ، ولكن شيئاً أعظم من حب فتاة ، وأعتى من غرام فتى !

« واستمهلته روزا ليلة أخرى ، كيما تقرر فيها ما تفعل . وقد أزمعت أن تأتى هنا إلى هذه الكنيسة فتبتهل إلى مريم أن تنير لها الطريق وتدعوها أن تهديها سبيل الرشاد . وقبل الفتى شفتيها الباردتين ثم ذهبت ... لقد كان طفلا حين ظن بأنها تؤثر ذراعيه القويتين !

« إلى هنا جاءت الفتاة لتجثو طوال الليل فوق هذا الصخر الجافى تبكى وتبتهل ، فقد كانت تحب الفتى حقا ، ولكن العذراء

رنت إليها من فوق الشموع الأربع واحتوتها بعينيها الحزينتين المفكرتين . وسريعاً ما امتزجت روح الفتاة بروحها … وما إن انبلج نور الفجر حتى عبرت البحيرة إلى الحيطان البيضاء ، دون أن ترى حبيبها مرة أخرى .

« ولعل الفتى — عندما انتهى الأمر — قد أصابه مس أو جنون . إذ خرج معلناً كرهه لله وللعالم . وانطلق فى ذاك الطريق الأبيض الصغير إلى حيث نحن الآن جالسان .

« وهنا استل هذا الخنجر الذى ترى ، ثم طعن به قلب العذراء وهو يتمتم بقسم خافت مبهم … ولهذا لم أدعك تلمسه .

وأومأ بلاجدن برأسه بينا صمتت العجوز هنيهة ، ثم عاد يقول :

« واختفى جيوفانى عن الناس يومين ، ثم عاد فظهر دون أن تمحى سيماء الجنون عن وجهه … وهناك على شعب الحدور قابلته جنازة بيضاء . حقا لقد كانت جنازة فتاته . فأهطع إليها ولكنهم أوقفوه . لم يؤنبه أحد على ما اجترم ؛ ولكن تنازع الناس حيال ذلك عاطفتان قويتان : خوف ورحمة .

« وكانت روزا قد ماتت فى الدير جاثية على ركبتيها فى نفس اللحظة التى طعن فيها جيوفانى صدر مريم . وقد أخبروه بعد مدة معدودة أن وجهها — حين ألفوها لدى الهيكل — كان يشبه وجه مريم إلى حد بعيد . ولم يكن لموتها من سبب معروف واضح ، وإنما هو سر غاب عن أذهان البشر ، ودق عن أفهام الناس ؛ ولقد أخبرته الراهبات أنها كانت إذ ذاك تبتهل إلى الله أن يمنحها من لدنه قوة .

« وتوقف الراهب عن الكلام ، فبقى الرجلان صامتين برهة طويلة ، يصعدان النظر معاً فى وجه جميل يشرف عليهما من فوق شموع أربع . وخيم سكون قطعه بلاجدن بقوله :

— وماذا تظنه قد حدث بعد ذلك ؟

— لا أدرى !

واتسل السكون فوق رأسيهما مرة أخرى ، فعاد بلاجدن يقول وهو يعرس عينيه :

— وعلى أية حال فقد أدت الفتاة دين الله عند جيوفانى .

فأجابه الراهب فى هدوء :

— هكذا يخيل إلى يا سيدى … فإنى أنا جيوفانى ! …

السيد محمد العزاوى

العدد ٦٤٨ – الاثنين ٣ ديسمبر ١٩٤٥ – السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٤٥ , ٢٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 648

Lundi—3—12—1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

السنة الثالثة عشرة «القاهرة في يوم الإثنين ٢٨ ذو الحجة سنة ١٣٦٤ — ٣ ديسمبر سنة ١٩٤٥» العـــدد ٦٤٨

فلســـطين

بين العرب والصهيونية

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازني

دخلت قضية فلسطين في مرحلة جديدة، أو كرت راجعة، على الأصح، إلى مرحلة قديمة. فما هذه بالمرة الأولى التي تؤلف فيها لجنة تحقيق، تبحث وتدرس وتقترح، وقد كان المأمول بعد أن تعددت اللجان، وصارت تقاريرها أكواماً أو تلالا، وصدر الكتاب الأبيض قبيل الحرب، أن لا يعاد فتح الباب على مصراعيه هذا الفتح التام كأنما هي مشكلة طارئة لا عهد لأحد بها ولم يسبق لبريطانيا نظر فيها وتدبر ودرس لها. وإنه لأمر محزن ولا شك أن يتكرر هذا كل بضعة أعوام وإن كان لا جديد هناك سوى أن الصهيونيين ضاعفوا نشاطهم ولجوا في العنف والعدوان وأغرقوا حتى وجب أن يحرموا كل حرمان. فانه إذا كان هذا مبلغ استخفافهم بدولة قوية المراس شديدة البأس مثل بريطانيا، فمن ذا الذي يستطيع أن يأمن شرهم إذا صارت لهم — لا أذن الله — في فلسطين دولة خالصة لهم؟ أليست الدول العربية المجاورة لفلسطين على حق جلي في مقاومتها لقيام هذه الدولة الخطرة؟

ويخطىء من يظن أن الصهيونيين تدرجوا في مطالبهم وتوسعوا فيها شيئاً فشيئاً، أو أنهم كانوا يخفون غايتهم في البداية، أو أن أطماعهم تفاقمت على الأيام. فليس مثل هذا الظن بصحيح، وتاريخ مساعيهم ينقضه. ولست أنوى أن أورد هذا التاريخ الطويل فما يتسع له هذا المقام، ولكني أذكر على سبيل التمثيل أن بريطانيا كانت قد عرضت على الصهيونيين في سنة ١٩٠٣ أن تسكنهم إفريقية الشرقية فأبوا هذا كل الإباء، وروت مترجمة اللورد بلفور — صاحب الوعد المشهور — أنه سأل الدكتور وايزمن (وهو بولندى الأصل) في سنة ١٩٠٥ عن السبب في رفض الصهيونيين أن يرحلوا إلى إفريقية الشرقية، فكان رد الدكتور وايزمن أن سأل بلفور:

«هل تقبل باريس بديلا من لندن؟»

فقال بلفور: «ولكن لندن بلدى!».

قال وايزمن: «وكذلك القدس!».

وفي سنة ١٩١٥ اقترح الصهيونيون على الحكومة البريطانية أن تعطيهم فلسطين على أن تكون تحت الحماية البريطانية، ولم تكن الحرب قد دارت دائرتها على الترك، وكان الإنجليز من ناحية أخرى يشفقون أن يأخذوا بهذا الإقتراح مخافة أن يغضب فرنسا ويثير أطماع الدول الأخرى. فكتب الدكتور وايزمن إلى اللورد بلفور يقول له ما معناه إنه إذا كانت بريطانيا لا تطمئن إلى وجود دولة غيرها في فلسطين، ولا تريد أن تبسط عليها حمايتها، فانها ستضطر إلى اتخاذ الحيطة خارج فلسطين، وهذا الإحتياط ليس أيسر كلفة من تولى الحماية. ومن أجل هذا يقترح الدكتور وايزمن أن يستولى اليهود على فلسطين فيقوموا لبريطانيا مقام الحارس!

فالغاية لم تكن خافية على أحد، ولا كانت مكتومة أو مجهولة.

وينبغي أن يقال هنا، إن هذه المباحثات بين الإنجليز والصهيونيين كانت تدور في الوقت الذي كان السير هنري ما كماهون المندوب السامي البريطاني في مصر في أثناء الحرب العالمية الأولى يكاتب المغفور له الملك حسين (وكان لا يزال الشريف حسين) بمكة. وقد انتهت المكاتبات بينهما بأن تعهدت بريطانيا بمساعدة العرب على الإستقلال والإعتراف لهم به من حدود تركيا إلى المحيط الهندي، ومن ساحلي البحر الأبيض المتوسط والأحمر إلى حدود إيران والخليج الفارسي، واستثنت بريطانيا ساحل لبنان ارضاء لفرنسا. ولكن فلسطين لم تكن مستثناة، بل كانت داخلة في البلاد التي تعهدت بريطانيا بالإعتراف باستقلال العرب بها ومساعدتهم على الفوز به. وكان ذلك كله في سنة ١٩١٥ أيضا وهذه المكاتبات التي انتهت إلى الإتفاق، وقام العرب بثورتهم المشهورة على أثرها، تعد معاهدة بلا مراء

ويعلل بعض الإنجليز هذا التناقض في سياسة بريطانيا بأن وزراء انجلترا كان بعضهم لا يدري بما يفعله البعض الآخر. وهو تعليل لا يقبل. لأنهم في الوقت نفسه كانوا يفاوضون الفرنسيين بواسطة لجنة «سايكس — بيكو» المشهورة، وقد جاءت هذه اللجنة الثنائية إلى مصر، وكان المندوب السامي البريطاني في القاهرة على علم بما تصنع وعلى اتصال بها

وهذا التناقض هو الذي اضطر الإنجليز إلى الإكتفاء في وعد بلفور «بانشاء وطن قومي للصهيونيين» في «فلسطين» والإختصار على ذلك حتى تتهيأ الوسيلة لإجابة الصهيونيين إلى ما يبغون، وهو إنشاء دولة لهم في فلسطين تكون لهم دون العرب. وكل ما قام به الصهيونيون في فلسطين بعلم الإنجليز وموافقتهم لم يكن إلا تمهيداً لقيام هذه الدولة.

وقد تنبه العرب وأدركوا مبلغ الخطر عليهم، ولست أعني عرب فلسطين فإنهم كانوا يدركون هذا الخطر من أول يوم، وقد قاوموه وكافحوه بكل ما يدخل في الطاقة، وإنما أعني عرب البلاد الأخرى المحيطة بهم، فقد كان بعضهم أحسن إدراكا للخطر العام، من بعض، وكان كل فريق منهم في بلاده مشغولا بقضيتها الخاصة، فالشام ولبنان في نضال مع الفرنسيين، والعراق ومصر في مع نضال الإنجليز، وفلسطين المجاهدة واقفة وحدها لا تلقى من العون إلا أيسره، ولا يجود عليها أشقاؤها إلا بالعطف على الأكثر، وإلا بقليل من العون لا يغني

أما الآن فنعتقد أن الخطر أصبح واضحا لاخفاء به. والفضل لعرب فلسطين في إيقاظ النفوس وتفتيح العيون على ما هو حائق بها، وما هي صائرة إليه لا محالة إذا لم يخف إخوانها إلى نجدتها. كما أن لهم الفضل أيضا في التنبيه إلى الخطر على البلدان العربية الأخرى

فليس يخفى الآن على أحد أن قيام دولة صهيونية في فلسطين يؤدي إلى ما يأتي: —

أولا — تفقد الجامعة العربية قيمتها، لأن فلسطين قلب البلاد العربية وقطب الرحى منها، فإذا ضاعت فلسطين ضعف الأمل في إمكان التعاون الوثيق بين البلاد العربية على نحو يثمر الثمرة المنشودة

ثانيا — هذه الدولة الصهيونية تهدد كل بلد عربي مجاور لفلسطين، بل تهدد الشرق الأوسط كله. والصهيونيون أنفسهم يجهرون بأن الشرق الأوسط بأجمعه «مجال حيوي لهم» وسلوكهم قوامه «العنصرية» البغيضة — كهتلر تماما — وما كانت «العنصرية» ولن تكون إلا بابا إلى النزاع

ثالثا — أقامت الصهيونية في فلسطين صناعات قد تثبت أو لا تثبت على المزاحمة الأجنبية، ولكنها على كل حال أضخم شأنا وأوسع نطاقا من أن تكون فلسطين وحدها هي المقصودة بها. وقد اغتنم الصهيونيون فرصة الحرب وانقطاع الواردات الأجنبية فغزوا بانتاجهم الصناعي أسواق الشرق كله، حتى كادت مصنوعاتهم تغرق هذه الأسواق وتقتل الصناعات المحلية. ويلاحظ — على الأقل في مصر — أنهم يسعون للسيطرة على صناعاتنا بشراء أسهم المصانع إذا تيسر لهم ذلك، وبالضغط الذي يتسنى لهم — حتى إذا لم يشتروا الأسهم — بفضل ما لهم من التحكم في الأسواق المالية والتجارية. ومن المشاهد المحسوس الملموس أن كل عمل تجاري له قيمة يخفق إذا لم يكن عن طريقهم، أو لم تكن لهم يد فيه. فاذا قامت لهم دولة في فلسطين، فلا شك في أن مركز الثقل المالي سيكون في تل أبيب، وأن بلاد العرب جميعا ستقع تحت السيطرة الإقتصادية الصهيونية، بل الاستعباد الإقتصادي

وقد حاولوا أن يسيطروا على صحف مصر ويتحكموا فيها. واتخذوا «الاعلانات» وسيلة إلى ذلك، ولكنهم أخفقوا في هذا، فلجأوا إلى إصدار الصحف وتأليف شركات النشر وفي مرجوهم أن يصعدوا من هذا الباب إلى التحكم في الأقلام، أي في الرأي العام. ولكن أملهم في النجاح هنا، بعد اليقظة العامة، عسير جداً

والموقف الآن هو موقف امتحان للعرب جميعاً — وموقف دفاع عن أنفسهم ، فاذا استطاعوا أن يجتازوا هذا الامتحان — واجتيازه بنجاح ميسور ، والوسائل متوفرة — فلن يبق للصهيونيين أمل . والمعول على العرب لا على غيرهم ، فأنه ما حك جلدك مثل ظفرك .

ابرهيم عبد القادر المازني

في إرشـــاد الأريب
إلى معرفة الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ١٨ —

ج ١٩ ص ٢٥٢ : البحترى :

ومشيت مشية خاشع متواضع لله لا يزهـــو ولا يتكبر

قلت : فى ديوانه وفى كثير من كتب الأدب (يزهى) .

فى الصحاح : « للعرب أحرف لا يتكلمون بها إلا على سبيل المفعول به وإن كان بمعنى الفاعل ، مثل قولهم : زهى الرجل ، وعنى بالأمر ، ونتجت الشاة والناقة وأشباهها . فاذا أمرت منه قلت : لتزه يا رجل ، وكذلك الأمر من كل فعل لم يسم فاعله ، لأنك إذا أمرت منه فانما تأمر فى التحصيل غير الذى تخاطبه أن يوقع به ، وأمر الغائب لا يكون إلا باللام كقولك : ليقم زيد ، وفيه لغة أخرى حكاها ابن دريد : زها يزهو زهوا أى تكبر [1] ، ومنه قولهم : ما أزهاه ، وليس هذا من زهى ، لأن ما لم يسم فاعله لا يتعجب منه . وقلت لأعرابى من بنى سليم : ما معنى زهى الرجل ؟ قال : أعجب بنفسه ، فقلت : أتقول : زها إذا افتخر ؟ فقال : أما نحن فلا نتكلم به » . والبيت من قصيدة جيدة مطلعها :

أخفى هوى لك فى الضلوع وأظهر
وألام من كمد عليك وأعذر [2]

وقد روى ابن خلكان منها سبعة عشر بيتا (فيها البيت المذكور) ثم قال : « وهذا هو السحر الحلال على الحقيقة ، والسهل الممتنع ، فلله دره ما أسلس قياده ، وأعذب ألفاظه ، وأحسن سبكه ، وألطف مقاصده . وليس فيه من الحشو شئ ، بل جميعه نخب » .

قال الصاحب بن عباد فى رسالته (الكشف عن مساوى شعر المتنبى [1]) : « جرى حديث أبى عبادة البحترى وهو — يعنى ابن العميد — يوفيه حقه الذى استوجبه لجزالة لفظه ، وبشاشة نسجه ، وغزارة طبعه ، وحلاوة شعره . وقال فى أثناء هذا المجلس : ما علمت أن فى طبع البحترى تكلفا إلى أن قرأت قصيدته فى صفة الإيوان (صنت نفسى عما يدنس نفسى) » .

قلت : إن العربية لتحمد الله كثيرا أن كان فى طبع البحترى تكلف — كما يقول الأستاذ الرئيس — حتى ينظم شاعرنا هذه القصيدة البارعة الباهرة العبقرية . ولو لم تتجل صفة الإيوان فى الديوان لخلا من درة يتيمة .

وأبو عبادة ثالث ثلاثة يرى ابن الأثير صاحب (المثل السائر) أنهم أشعر العرب ، قال :

« والمذهب عندى فى تفضيل الشعراء أن الفرزدق وجريرا والأخطل أشعر العرب أولا وآخرا . ومن وقف على الأشعار ووقف على دواوين هؤلاء الثلاثة علم ما أشرت إليه . وأشعر منهم عندى الثلاثة المتأخرون وهم : أبو تمام ، وأبو عبادة البحترى ، وأبو الطيب المتنبى ، فان هؤلاء الثلاثة لا يدانيهم مدان فى طبقة الشعراء » .

ووصف الثلاثة فقال فى البحترى :

« وأما أبو عبادة البحترى فانه أحسن فى سبك اللفظ على المعنى ، وأراد أن يشعر فغنى ، ولقد حاز طرفى الرقة والجزالة على الإطلاق ، فبينما يكون فى شظف نجد إذ تشبث بريف العراق . وسئل أبو الطيب المتنبى عنه وعن أبى تمام وعن نفسه ؟ فقال : أنا وأبو تمام حكيمان والشاعر البحترى . ولعمرى إنه أنصف فى حكمه ، وأعرب بقوله هذا عن متانة علمه ، فان أبا عبادة أتى فى شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء فى اللفظ المصوغ من سلاسة الماء ، فأدرك بذلك بعد المرام مع قربه إلى الأفهام » .

وقد نسب قول المتنبى الذى تفضل بايراده ابن الأثير إلى أبى العلاء . جاء فى (وفيات الأعيان) :

(١) روى هذا فى الجمهرة ج ٣ ص ٢٥٥ وجاء فى هذا الجزء ص ٢٢ : الزهو من قولهم زهى الرجل فهو مزهو إذا تكبر .

(٢) فى طبعة ديوانه : فى كمد

(١) نشرتها (مكتبة القدسي) فى القاهرة ، والرسالة جيدة مفيدة . وتعقب الصاحب أبا الطيب قد بينه الثعالبي فى أخبار المتنبى فى يتيمته ج ١ ص ٨٦ الطبعة الدمشقية

« ويقال : إنه قيل : لأبى العلاء المعرى أى الثلاثة أشعر أبو تمام أم البحترى أم المتنبى ؟ فقال : المتنبى وأبو تمام حكيمان ، وإنما الشاعر البحترى » .

وإنه ليستحيل أيما استحالة أن تفلت من الأحمدين هذه الفلتة ، أو أن يتحرك لسانهما بها فى المنام ، إنه كلام حاكه أديب ، ومشى هذا القول ، هذا النجل مجهول الناجل فى الورى ذا نسبتين .

إن المتنبى ما كان يرى غير نفسه ، وكان زهوه لا بعد الشعراء السابقين إلا قائلين صغيرين مبشرين بنبى فى الشعر يأتى من بعدهم اسمه (أحمد) .

هو فى شعره نبى ولكن ظهرت معجزاته فى المعانى[1]
وما تسع الأزمان علمى بأمرها
ولا تحسن الأيام تكتب ما أملى[2] !

وتعظيم أبى العلاء العجيب لأبى الطيب ثابت مشهور . جاء فى (أوج التحرى) :

« وكان أبو العلاء يفضل أبا الطيب المتنبى على غيره من الشعراء كأبى تمام والبحترى وابن الرومى وغيرهم . وإذا ذكر أحدا منهم أو أورد له شيئا يقول : قال أبو تمام ، قال البحترى ، قال ابن الرومى . وإذا أورد شيئا لأبى الطيب قال : قال : الشاعر[3] » :

ولم يكتف أبو العلاء بأن يقصر هذا الوصف على سميه بل ظلم الناس من أجله ، قال ابن خلكان :

« يقال : إن أبا العلاء كان إذا سمع شعر ابن هانى يقول : ما أشبهه إلا برحى تطحن قرونا لأجل القعقعة التى فى ألفاظه ، وزعم أنه لا طائل تحت تلك الألفاظ ، ولعمرى ما أنصفه فى هذا المقال . وما حمله على هذا إلا فرط تعصبه للمتنبى ... وليس فى المغاربة من هو فى طبقته لا من متقدميهم ولا من متأخريهم ، بل هو أشعرهم على الإطلاق . وهو عندهم كالمتنبى عند المشارقة ، وكانا

(١) أبو القاسم مظفر بن على الطبسى فى رثاء المتنبى وقبله :

لا رعى الله سرب هذا الزمان إذ دهانا فى مثل ذاك اللسان
ما رأى الناس ثانى المتنبى أى ثان يرى لبكر الزمان
كان من نفسه الكبيرة فى جيـ ـش وفى كبرياء ذى سلطان

(٢) المتنبى .

(٣) (أوج التحرى عن حيثية أبى العلاء المعرى) للبديعى . حققه ونشره الأستاذ إبراهيم الكيلانى .

متعاصرين ، وإن كان فى المتنبى مع أبى تمام من الاختلاف ما فيه » .

وإذا أجل نابغة الأدب العربى الطائيين ، وقال فيهما فى درعية :

مثل وشى (الوليد) لانت وإن كا نت(م)
من الصنع مثل وشى (حبيب)[1]

فإن الحسين عند المعرى فى مرتبة لا يقاعده فيها أحد .

وإذا قال أبو تمام وأبو الطيب أمثالا وحكما كما يقول البحترى (وما نرويه هو نموذج من كثير) :

لولا التباين فى الطبائع لم يقم بنيان هذا العالم المجبول
ولا تقل أمم شتى ولا فرق
فالأرض من تربة والناس من رجل
ولم أر أمثال الرجال تفاوتت
إلى الفضل حتى عد ألف بواحد[2]
نطلب الأكثر فى الدنيا وقد نبلغ الحاجة فيها بالأقل
ومن يعرف الأيام لا يرحففها نعمى ولا يعدد تصرفها بلوى
صعوبة الرزء تلفى فى توقعه مستقبلا ، وانقضاء الرزء أن يقعا
ينال الفتى ما لم يؤمل ، وربما أتاحت له الأقدار ما لم يحاذر
ومن الحسرة والخسران أن يحبط الأجر على طول العمل
إن الشيّع لا يبين عدوه حتى يكون مشيع الأصحاب[3]
أرى الحلم بؤسى فى المعيشة للفتى ولا عيش إلا ما حباك به الجهل
واليأس إحدى الراحتين ولن ترى
تعبا كظن الخائب المكدود
إن التنازع فى الرئاسة زلة لا تستقال ، وذلة لم تنصر[4] !

(١) قال شارح : أى هى فى اللين والرقة مثل شعر البحترى ، وفى الصنعة المحكمة مثل شعر أبى تمام .

(٢) فى مقدمة الكشاف : وإنما الذى تباينت فيه الرتب وعظم فيه التفاوت والتفاضل حتى تنبى لأمر بى أمد من الوهم متباعد . وترقى إلى أن عد ألف بواحد ما فى العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر . قال الجرجانى فى حشيته : (قوله إلى أن عد) ناظر إلى قول البحترى (البيت) وفى عد ألف بواحد مبالغة ليست فى عكسه حيث جعل الواحد أصلا قوبل به الألف مع أن لفظ العد بالكثير أولى .

(٣) المشيع : الشجاع .

(٤) وقبله :

تتجاذبون المجد جذب تعجرف وتعجرف الأمجاد بعض المنكر

وبعده :

ومن العجائب أن غل صدوركم لم يطف للحدث الجليل الأكبر

قلت : ليستظهر هذه الأبيات كل زعيم أو كبير فى قبيل عربى .

ما أضعف الإنسان لو همه ... في نبله أو قوة في لبه

وهل خلا الدهر أولاه وآخره ... من قائم يهدي مذ كون البشر

والعقل من صيغة وتجربة ... شكلان مولوده ومكتسبه

قسدره مرتفع عن حظه ... لا يرعك الحظ لم يؤخذ بحق

ليس بحلو وجودك الشيء تبغيه (م) التماسا حتى يعز طلابه

يعرف السيف بالضريبة يلقاها (م) ويبني عن الصديق امتحانه

لا أحفل المرء أو تقدمه ... شتى خلال ، أشفها أدبه

ولست أعتد للفتى حسبا ... حتى يرى في فعاله حسبه

وما سفه السفيه وإن تعدى ... بأنجع فيك من حلم الحليم

متى أحفظت ذا كرم تخطى ... إليك ببعض أفعال اللئيم[١]

وأرى الأملاق أحجى بالفتى ... من ثراء يطبيه بالملق

وأصوب رأي في الصنيعة ردها ... إلى رجل يغني غناء رجال

لنا في الدهر آمال طوال ... نرجيها وأعمار قصار

والشعر لمح تكفي إشارته ... وليس بالهذر طولت خطبه

إذا قال أبو تمام والمتنبي مثل هذه الأبيات الحكمية البحترية فهل يقال : (أبو تمام والمتنبي حكيمان وإنما الشاعر البحتري) وليس حبيب بن أوس وأحمد بن الحسين مثل صالح بن عبد القدوس في إكثاره في شعره من الأمثال « التي لو نثرها في شعره وجعل بينها فصولا من كلامه لسبق أهل زمانه » كما قال الملك الأديب عبد الله بن المعتز في كتابه (البديع)[٢] .

ويظهر مما نقل إلينا من أقوال المتقدمين في حبيب والمتنبي أن أكثرهم وفيهم ابن الأثير نفسه فارقوا الدنيا ولم يعرفوا هذين الشاعرين ، فليست براعة حبيب في أنه « غير مدافع عن مقام الإغراب الذي برز فيه على الأضراب » وليست فضيلة المتنبي في أنه « حظي في شعره بالحكم والأمثال ، واختص بالإبداع في وصف مواقف القتال » كما يقول ابن الأثير فيهما .

وللرضي هذا القول الموجز في شعر الثلاثة :

« سئل الشريف الرضي عن أبي تمام وعن البحتري وعن أبي الطيب فقال : أما أبو تمام فخطيب منبر ، وأما البحتري فواصف جؤذر ، وأما المتنبي فقائد عسكر » وقد روى القول في (المثل السائر) .

(١) وجدت هذين البيتين في كتب كثيرة منسوبين إلى البحتري .

(٢) شرحه وعلق عليه محمد عبد المنعم خفاجي بكلية اللغة العربية .

وللشيخ قول في حبيب في (رسالة الغفران) وهو « كان صاحب طريقة مبتدعة ومعان كاللؤلؤ متتبعة ، يستخرجها من غامض بحار ، ويفض عنها المستغلق من المحار » .

وقال القاضي الفاضل في المتنبي ، وقد روى قوله ابن الأثير في كتابه (الوشي المرقوم في حل المنظوم) : (إن أبا الطيب ينطق عن خواطر الناس » .

ومن أغرب ما يذكر في هذا المقام ما سطره ابن خلدون في الجزء الأول من (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ...) وهو المعروف بمقدمة ابن خلدون :

« كان الكثير ممن لقيناه من شيوخنا في هذه الصناعة الأدبية — يعني الشعر — يرون أن نظم المتنبي والمعري ليس هو من الشعر في شيء ! لأنهما لم يجريا على أساليب العرب ... » .

وقد نعيت في مقالتي (المتنبي) على ابن خلدون وعلى شيوخه إغلاتهم هذا القول أو افتلاتهم ، ومما قلت :

كلام هؤلاء الشيوخ (شفاهم الله ، وشفى ناقل قولهم معهم) ليس بشيء إلا شيئا لا يعبأ به ، فأساليب العرب متنوعة مختلفة ، وليس هناك أسلوب أوحد ، ولكل قبيل طريقة ، وللبدوي بلاغة ، وللحضري بلاغة ، وللإقليم أو المكان وللخليقة والمزاج أثر وسلطان ، ولكل قرن زي ولحن ، و « أحسن الكلام ما شاكل الزمان[١] » .

والدنيا في تبدل مستمر « وأحوال العالم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر[٢] » ، ولكل نابغة نهج معلوم . فتنكب المتنبي عما تنكب عنه ، وسلوكه السبيل الذي سلكه ما ناراه بل ظاهراه في إبداعه ونبوغه ، وكان ذلك على هذه الأمة من نعم الله .

وقد جاءنا في هذا الوقت العالم الفاضل (دكتور محمد كامل حسين أستاذ جراحة العظام بكلية الطب) بآراء في ابن الحسين وشعره في مقالة عنوانها (التعقيد في شعر المتنبي) في مجلة (الكاتب المصري) الغراء .

ونحن لا نجادله لكننا نسائله « إن على (عالمنا) أن نسائله » ؟ .

(١) المأمون . رواه الثعالبي في (الايجاز والاعجاز) .

(٢) الفيلسوف النابغة ابن خلدون في مقدمته العبقرية .

ألا يرى دكتور محمد — وقد عاود التفكير في بحثه — أن سبب التعقيد في شعر المتنبي — وكثير منه هو في قرزمته[١] — لم يكن كما فسر[٢].

وأن من أسبابه كون الرجل مولدا (قد تعلم العربية تعلما إياها في هذا الزمن) لا جاهليا أو إسلاميا يلهم تأليف القول إلهاما وأنه ما كان يفكر في القافية ليبني عليها البيت كدأب حبيب ، وأن كبرياءه كانت تأخذ ما يجيء في بعض الأوقات فلا يعنى بتقويمه ، وأنه كان يستعجل في النظم ، وقد أشار ابن جني في (الخصائص) ص ٣٣٢ إلى هذه السرعة . ثم إن المعاني الجديدة ليست كالمعاني المتعاورة المعهودة سهلة التبيين ، وانظر إلى ابن خلدون حين كتب وابن المقفع لما نقل . وإني لأذكر أن العلامة الدكتور طه حسين بك شبه في أحد مباحثه كلام ابن المقفع بكلام العربانيين (الفرنج المستشرقين) لاضطرابه واختلال نظامه . وعذر عبد الله وعبد الرحمن عند المنصفين ظاهر مبين .

هل يرى دكتور محمد أن مئات من الأبيات المعقدة والمهلهلة في طائفة من قصائد المتنبي — لا بضعة الأبيات التي أوردها أمثلة — يذهبن حسنات المقصدات ذوات الألوف من الأبيات المحكمة المحققة ؟

وإذا استبشع صورة هذا البيت في قصيدة ، والأذواق تختلف :

قد سودت شجر الجبال شعورهم فكأن فيه مسفة الغربان[٣]

فهل يستملح هذه الصورة في القصيدة عينها :

في جحفل ستر العيون غباره فكأنما يبصرن بالآذان[٤]

ألا يرى دكتور محمد أن السيفيات والكافوريات والعضديات قد اشتملن على معان متنوعة ، ومقاصد مختلفة ، وتجلى فيهن خيال صالح ، ووعين صورا رائعة للقارئين ، وأنه لم تسلم من العيوب قصائد يقدرها لشاعر من الشعراء أكثر من سلامتها . لنأخذ تلك القصائد ولنترك ما نظم الرجل من قبلها وإن كان تاليه يجد فيه شيئا عظيما باهرا .

ماذا يعزو دكتور محمد بقوله : « فاعجابنا بشعر المتنبي إعجاب عقلي محض أو بعبارة أخرى إعجاب بالصياغة » فان هاتين الجملتين متعاندتان لا تلتقيان . وإن قصد بالصياغة ما يعنيه مغزى الكلمة في هذا الباب فاعجاب العرب بشاعرهم لم يجيء من صوب صياغته ، ولو حاول أن يسير في تلك الطريق المتعبة لعاصاه مزاجه ، ولن يضع منه عندنا أنه لم يكن ذا صياغة . وإذا أعجبنا بقول حبيب الصائغ :

ما إن ترى الأحساب بيضا وضحا إلا بحيث ترى المنايا سودا

أيما إعجاب . فقد تقبلنا قول المتنبي :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى

حتى يراق على جوانبه الدم

خير تقبل . ومعنى البيت واحد . والصياغة البازعة المحيرة عند الغواص الصواغ في الأول ، والطبيعية البليغة الفصيحة مع المحلق في سماء القول في الثاني .

يقول دكتور محمد : « وهو من حيث الشعر العربي قد يكون عظيما ولكنه من حيث الشعر إطلاقا لا يمكن أن يكون ذا خطر » .

فمن أصحاب هذا الشعر من العرب أو العجم في مذهبه ؟

ما قوله في شكسبير شاعر الإنكليز ؟

ما قوله في غوته شاعر الجرمان ؟

ما فضيلة هذين الشاعرين عنده ؟

هل لدكتور محمد أن يروى لنا نموذجا أو نتفة من خير ما قال غوته أو من خير ما قال شكسبير أو من خير ما قال شاعر من أرباب (الشعر إطلاقا) ؟

دكتور محمد كامل حسين قد ظاهر في الفصل بين الدرعين ، وقد استبد بمنقبتين ، فنحن نستهدي علمه وأدبه ونستفتي غير

---

(١) القرزمة الابتداء بقول الشعر .

(٢) « ... أما النوع الثاني من تعقيد المتنبي فسببه أعمق وشرح ذلك أن كثيرين من الناس يحبون أن يضعوا صعوبات وهمية أمام أنفسهم يخادعون بها أنفسهم ليقنعوا بأنهم يستطيعون ما يريدون متى أرادوا . ومن ذلك أمثلة مضحكة ، منها الرجل الذي يسير على أفريز في الشارع متعمدا ألا يضع رجله على فاصل بين حجرين . هذا النوع من العمل له دلالة معينة ترد كثيرا عند التحليل النفسي ... فالتعقيد ظاهرة واضحة الدلالة على عقلية المتنبي ابان شبابه ، وهي دليل صريح على صغار في النفس وقصور في الهمة والكفاية وعلى تباعد ما بين غناء الفتى وآماله

(٣) العكبري : أسف الطائر دنا من الأرض في طيرانه . يقول لكثرة القتلى وطيران شعورهم على الأشجار اسودت بها فكأن الأشجار لسوادها بشعورهم قد دنت منها الغربان

(٤) هذا البيت اشتهي الناس أن يكون قد سبق المتنبي إلى معناه

أين أنت يا مصطفى كامل ؟ !

رد عار ٤ فبراير بمثل ما ردت عار دنشواى

للأستاذ سيد قطب

« إذا لم أعلم قبل الساعة السادسة مساء أن النحاس باشا قد دعى لتأليف وزارة . فإن الملك فاروق يجب أن يتحمل تبعة ما يحدث » .

« لورد كيلرن ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ »

هذه المجلة ليست مجلة حزب من الأحزاب ، إنما هي مجلة المثقفين من المصريين خاصة ومن العرب عامة ؛ فهي بهذا ترتفع على الأحزاب ، وتتوجه بجهودها إلى معنى أخلد وأسمى

وهذا القلم ليس لحزب من الأحزاب ، فقد بات صاحبه لا يرى في الأحزاب إلا أقزاماً بعد ما خلا الميدان من كل جبار ؛ فهو بهذا يتوجه إلى وجه مصر الخالد وهي أخلد وأسمى .

لقد أميط اللثام منذ أسبوعين عن أشنع مأساة لقيتها مصر في تاريخها القديم والحديث ، المأساة التي داست كرامة كل فرد ، ومست شرف كل مواطن ، وأذلت كبرياء كل كريم ، ومرّغت في الوحل تاريخ المصريين ...

المأساة التي كشفت الستار عن الضمير البريطاني ، فإذا هو ضمير لا يصح الارتكان إليه ، ولا يجوز الثقة به ، ولا يؤمن التعاقد معه ، لأن الأقوياء يستطيعون في لحظة واحدة أن ينقضوا كل ما أبرموا ، وذلك الضمير هادئ مستريح ! !

ولا أحب أن أسترسل في التنديد بهذه المأساة ، فسرد حوادثها وحده يكفي ، وهو أشنع وأدمى من كل تعليق

وها هو ذا نقلا عن « أخبار اليوم » :

« في يوم ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ اعتدى الإنجليز على استقلال مصر أشنع اعتداء ، فأحاطت الدبابات الإنجليزية بقصر عابدين وصوبت إليه مدافعها ، وحوصر قصر الملك فاروق بألوف الجنود البريطانيين وهم في ملابس الميدان ... وتقدمت دبابة انجليزية فحطمت الباب الملكي ودخلت حرم القصر ... ودخلت وراءها سيارة تحمل اللورد كيلرن السفير البريطاني ، والجنرال ستون قائد القوات البريطانية في مصر

« حدث كل هذا في الساعة التاسعة مساء في الظلام الدامس لأن الجرائم عادة لا ترتكب إلا في الظلام

« ووقفت سيارة السفير البريطاني أمام الباب الملكي ، ونزل منها السفير وقائد القوات البريطانية يتقدمهما ثمانية ضباط يحملون المسدسات في أيديهم

« وتقدم رجل التشريفات يسألهم : إلى أين هم ذاهبون ؟ . فدفعه السفير البريطاني بيده وقال له :

« — أنا أعرف طريقي !

متمثلين بما قال الصاحب للقاضي الجرجاني صاحب (الوساطة بين المتنبي وخصومه) :

إذا نحن سلمنا لك العلم كله   فدع هذه الألفاظ تنظم شذورها

وأقول في ختام هذا الحديث المختصر :

لو لم يكن — يا شيوخ ابن خلدون — أحمد الأول وأحمد الثاني اللذان « ليسا من الشعر في شيء » كما لقنتم قولكم لخسر الأدب العربي أيما خسران . وإذا استغنى الإنكليز عن شكسبيرهم — وكارليل يقول « لا غنى لنا عن شكسبير[1] » — واستغنى الجرمان عن غوته ، وغوته[2] — كما رووا — نبيهم في الأدب ، كلامه قرآنهم ، فالعربيون محتاجون كل المحتاجين إلى أبي الطيب وإلى أبي العلاء . ولن يزهدهم فيهما مزهدون ، ولن يلفتهم عنهما لافتون ، وكلما تقدم العربيون وعلموا ، وازدادوا علما « قل : هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » « وقل : رب زدني علما » عرفوا من فضائل الأحمدين وسائر شعرائهم وأدبائهم وعلمائهم ما كانوا يجهلون ، وإنهم — وكتابهم القرآن وقائدهم محمد (صلى الإله على محمد) — لناشون في هذا الوجود اليقدمية فلن يتقهقروا ، ولا يقفون

(١) الأبطال تأليف الفيلسوف الأكبر توماس كارليل عربه الكاتب الكبير محمد السباعي . —

= (٢) في مقالتي (شاعر الجرمان الأعظم) في : (الرسالة الغراء) ٤٣١ بينت مكانته وأوردت شيئا من أخباره . وقد روى الراوون أنه قرزم وهو ابن ست سنين « يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا » واسم الرجل في الفرنجي جون أو حن أي يحيى

« وفى هذا الوقت هجم الجنود البريطانيون على حراس قصر عابدين فجردوهم من السلاح ، وحاصروا القشلاق الملكي . وأراد أحد الحراس أن يقاوم القوة بالقوة ، فتكاثر حوله الجنود الإنجليز وأصيب بكسر في يده أثناء المقاومة

« وفى هذا الوقت نفسه كان الجنود الإنجليز قد حاصروا جميع ثكنات الجيش المصرى ، وصوبوا إليها المدافع ، واستعدت الطائرات البريطانية لنسف جميع ثكنات الجيش المصرى إذا هو قاوم !

« وحاصر الجنود الإنجليز كذلك مراكز البوليس ... وقطعوا جميع الأسلاك التليفونية الموصلة إلى القصر الملكى ! ! وحاصروا أيضاً محطة الإذاعة !

« كل هذا لكى لا يعرف الشعب ماذا يجرى فى قصر مليكه ! »

هذا هو الوصف المادى المحسوس للمأساة . يفور له الدم فى العروق ، وتهتاج له الأعصاب فى الأجسام ، وينبض له كل قلب بالنقمة والغضب والحماس ...

فكيف تلقته الصحافة الحزبية فى مصر الممثلة للأحزاب المصرية فى عصر الأقزام ؟ راحت الصحف الوزارية تتهم النحاس باشا بالخيانة الوطنية ، دون أن تمس السادة الإنجليز إلا فى حذر ومن وراء ستار !

وراحت الصحف النحاسية تتهم الوزاريين بالتلفيق والتزوير ، وتنتحل للسادة الإنجليز كل عذر فى موقفهم هذا الغشوم . فهم قوم فى حرب حياة أو موت ، وهم يريدون الاطمئنان إلى أنهم لن يطعنوا فى ظهورهم ، وهم قوم محرجون ، معذورون فيما صنعوا ، مبرأون فيما يصنعون !

وا سوأتاه !

أين أنت يا مصطفى كامل ؟ !

أين أنت لتعلم هؤلاء وهؤلاء كيف يردون العار الذى لطخ جبين الوطن فى يوم ٤ فبراير ؛ كما رددت الظلم الذى حاق بمصر فى يوم دنشواى ؟ !

* * *

لقد يكون مفهوماً بعض الشيء أن تقف الصحف النحاسية هذا الموقف من الحلفاء الذين أرسلوا للملك بهذا الإنذار ... أما غير المفهوم ، فهو موقف الصحافة الوزارية على العموم !

إنهم يحرصون فيما يقال على صفاء الجو بيننا وبين السادة الانجليز ونحن على أبواب المفاوضات أو المحادثات !

أية مفاوضات وأية محادثات ، مادام هؤلاء السادة يملكون فى كل يوم وفى كل وقت أن يرسل « سفيرهم » — لا معتمدهم ولا مندوبهم السامى — بإنذار إلى « الملك » يقول فيه : « إذا لم أعلم قبل الساعة السادسة مساء أن هيَّان ابن بيَّان قد دعى لتأليف وزارة فإن الملك يجب أن يتحمل تبعة ما يحدث » ثم يحضر بعد ساعات بدباباته فيحطم باب الملك كما حطمه فى يوم ٤ فبراير لتنفيذ هذا الانذار . ثم يجد من « هيَّان ابن بيان » كل قبول ؟!

وبعد هذا كله ، وبعد أن تنشر أخبار المأساة يبقى السفير البريطانى سفيراً فى بلاط هذا الملك الذى حطم باب قصره بالدبابات ؟ !

إن المعتمد الانجليزى لم يبق بعد حادثة دنشواى فى مصر ، وهى أهون ألف مرة من حادث ٤ فبراير . وهذا هو الفرق الحاسم بين الأمس واليوم . والمعتمد الانجليزى إذ ذاك هو لورد كرومر أحد بناة الامبراطورية كما يصفه تاريخ الاستعمار الغشوم .

وا سوأتاه

أين أنت يا مصطفى كامل ؟

أين أنت لتعلِّم زعماء اليوم كيف يردون العار الذى لطخ جبين الوطن فى يوم ٤ فبراير ، كما رددت الظلم الذى حاق بمصر فى يوم دنشواى ؟

لقد كان مصطفى كامل طليق اليد واللسان لأن أبهة الحكم لم تكن تداعب خياله ، ولأن ألجمة الحكم لم تكن تلجم بيانه . ولأنه لم يكن يؤمن بضمير أحد ولا يثق إلا بمصر الخالدة على الأزمان .

أما اليوم فنحن نثق بالضمير البريطانى فنعاهده ، ونؤمن بالشرف البريطانى فنركن إليه !

أيها المصريون ... أيها العرب أجمعين ...

إن مأساة ٤ فبراير هى مأساة الضمير البريطانى . ومأساة الثقة العمياء بهذا الضمير .

أيها المصريون ... أيها العرب أجمعين ... إن مأساة ٤ فبراير يجب أن تنقش بحروف من نار لتبقى فى قلوب الأبناء والأحفاد تذكرهم بمأساة الضمير البريطانى ، ومأساة الثقة العمياء فى هذا الضمير .

وهذا ما يجب أن تكتبه الصحف عامة ولو أغضبت جميع الأحزاب فى عصر الأقزام !!!

سيد قطب

تطور الاتجاه نحو وحدة عالمية

لصاحب المعالى محمد حافظ رمضان باشا

[بقية ما نشر فى العدد الماضى]

فلما نشبت الحرب العالمية الأولى واضطربت المواصلات بين الدول والشعوب شعر سكان العالم جميعاً بما أصابهم من الضيق والعوز فى مأكلهم وملبسهم وسائر حاجياتهم وظهر لكل إنسان أن شعوب العالم مرتبطة وأنها تتبادل الحاجيات بحكم الترابط الاقتصادى الذى نشأ بسبب اختراع الآلات الصناعية وسهولة المواصلات ، وفى هذا الوقت الذى كان فيه العالم يرسل كل ما عنده من الاحتياطى من الرجال والعتاد فى أتون الحرب ثبت عند الرئيس ولسون تفكير جديد بضرورة التعاون بين الشعوب ، فبعث فى ٨ يناير سنة ١٩١٨ برسالة إلى الكونجرس الامريكى تتضمن شروط الصلح التى قضى فيها على كل فكرة فى تقسيم الغنائم أو فرض الغرامات أو ضم المستعمرات أو غير ذلك مما كان معروفاً قبل هذه الحرب ، كما أشار إلى إلغاء الحواجز الجمركية وتقرير حرية التجارة وحرية البحار وحق الأمم فى تقرير مصيرها ووضع نظام دولى فى صورة عصبة الأمم لفض كل خلاف .

وإذا كان ناقدو الرئيس ولسون قالوا عنه إنه خيالى فإننا نعتقد أنه أول من جرؤ أن يعلن حقيقة التطور فى العالم الذى أصبح وحدة اقتصادية عالمية والذى يجب أن يكون نظامه على أساس من التعاون المتبادل لا السيطرة والسيادة ، وأن كل خطأ الرئيس ولسون إن كان هناك خطأ آت من أنه فهم حقيقة الواقع بينما كان غيره لا يزال معتصما بأهداف النظم القديمة والتى أصبحت لا تلائم تطور العالم فى الوقت الحاضر .

وعلى أى حال فإذا كانت عصبة الأمم وهى وليدة الحرب الماضية قد قيدت بقيود جعلتها عديمة الجدوى فإنها كانت أشبه شىء ببذور ألقيت على أرض بكر لابد أن تثمر عاجلاً أو آجلاً . ففى عام ١٩١٩ انتهز بعض رجال العمل فى أمريكا اتصالهم برجال الأعمال من الانكليز والفرنسيين والايطاليين وغيرهم واتفقوا على إنشاء غرفة تجارية دولية . كذلك أدخل فى معاهدة فرساى فى الباب الثالث عشر نظام إنشاء مكتب العمل الدولى .

ولا ريب أن هاتين المنشأتين وهما تبحثان عن العلاقات التجارية بين الدول وعن نظام العمل وقوانين العمال فى جميع البلاد مع ما فيها من نقص وعيوب إنما هما على أى حال دليل قاطع على التطور الذى حدث بعد الحرب العالمية الأولى نحو الوحدة الاقتصادية العالمية .

غير أن هذا الاتجاه نحو الوحدة العالمية قد ظهر بوضوح أثناء الحرب العالمية الأخيرة وبعدها ؛ فلقد شاهدنا والحرب الأخيرة ناشبة أظفارها أن المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية والمستر تشرشل رئيس وزراء بريطانيا يصدران ميثاق الأطلنطى فى ١٤ أغسطس سنة ١٩٤١ ونقرأ فى البند الرابع والخامس منه أنهما سيجتهدان فى تمتع كافة الدول كبيرة كانت أو صغيرة غالبة أو مغلوبة فى الحصول على التجارة والمواد الخام العالمية اللازمة لرخائها الاقتصادى ، وأنهما يرغبان فى تحقيق أتم التعاون بين كافة الأمم فى الميادين الاقتصادية وذلك بغية ضمان الوصول إلى مستوى أفضل فى العمل والتقدم الاقتصادى والأمن الاجتماعى وأنهما يأملان فى وضع سلم يمكن جميع الشعوب من الحياة فى مأمن داخل حدودها ويبعث الطمأنينة لكافة الناس فى العالم أجمع حتى يعيشون عيشة راضية بعيدة عن الخوف والعوز ، ومن الميثاق الأطلنطى هذا يمكننا أن نستنتج أمرين جديرين بالعناية أولهما : أن مهمة الحكومات قد تخطت واجباتها المعروفة من قبل إلى واجبات جديدة وهى العمل على أن يعيش الناس بغير خوف ولا عوز ، ومن هنا ظهرت الحريات الأربع . وثانيهما أن أن ميثاق الأطلنطى الذى انضم إليه بعد ذلك الأمم المتحدة الأخرى دليل آخر على تطور الاتجاه نحو الوحدة الاقتصادية العالمية . وأن الواجب أن يوضع للعالم نظام يحقق التعاون بين كافة الأمم فى الميادين الاقتصادية .

وإننا نشاهد كذلك غير هذا الميثاق مؤتمرات دولية تجتمع بين آن وآخر وكلها ترمى إلى التعاون العالمى بين جميع الشعوب فى نواح مختلفة من الحياة العامة كمؤتمر التغذية ومؤتمر النقد وغيرهما وكلها تدل على اتجاه الفكر دائما نحو الوحدة العالمية

ومن الدلائل على هذا التطور والتوجيه نحو اعتبار العالم وحدة لا انفصام لها مشروع التعمير للأمم المتحدة والذى أنشأ إدارة من تلك الأمم ترمى إلى تنظيم أعمال المساعدة والتعمير التى تسدى إلى البلاد التى تخربت بسبب الحرب الأخيرة ، ويحسن بى فى هذا المقام أن أشير إلى ما صرح به المغفور له الرئيس روزفلت فى ١٧ ديسمبر سنة ١٩٤٠ أمام الصحفيين حيث قال ما معناه : افرضوا أن النار أشعلت فى منزل جارى وأننى أملك طلمبة ماء يمكن استخدامها فى إطفاء هذا الحريق فإن واجبى الأول أن أعطى تلك الطلمبة فى الحال دون أن أساوم هذا الجار فيما يدفعه لى من ثمن أو أجرة لأن تلك المساومة ليست هى أساس واجبى وإنما واجبى أن أتعاون مع جارى فى إطفاء هذا الحريق .

ضرب المغفور له الرئيس روزفلت هذا المثل عند وضع قانون الإعارة والتأجير ، وإذا كان الغرض من هذا القانون هو الوصول إلى النصر النهائى فإن المثل الذى ضرب من أجله يدل على رابطة المصالح وعلى ضرورة التعاون حتى لا تمتد النار من جار إلى جار ، فإذا صح هذا بالنسبة لأفراد الجيران المقيمين فى قرية واحدة أفلا يكون الأجدر بالدول والممالك أن يوجد بينهم هذا التعاون وقد ارتبطت مصالحهم الاقتصادية وأصبح كل منهم لا يستطيع الاستغناء عن غيره بسبب الترابط الاقتصادى الذى جاء تبعاً للتخصص فى كل منها .

هذا التطور الذى حدث فى الانسانية منذ أكثر من قرن من الزمان بسبب تقدم العلم واختراع الآلات .

إن قادة الشعوب والأمم يدركون اليوم حقيقة التطور الذى وصل إليه العالم فى عصرنا الحاضر وأنهم يعملون لإيجاد أداة دولية تستخدم فى ترقية الشئون الاقتصادية والاجتماعية للشعوب جميعها وإنقاذ الأجيال المقبلة من ويلات الحروب وأن تعيش جميع الأمم فى سلام وحسن جوار . ولقد ساعد على توجيه هذا التفكير ما قاساه العالم من الويلات فى الحرب الأخيرة وما قد يقاسيه فى المستقبل من الأهوال بسبب ما اكتشفه العلم من آلات التخريب والتدمير كالقنبلة الذرية وما سيكتشف فى المستقبل من أشعة الموت وغيرها .

وهاهوذا آخر تصريح جديد للرئيس ترومان يذيعه على الملأ بالراديو فى ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٤٥ من واشنجتون ويبين فيه تفصيل القواعد التى تقوم عليها السياسة الخارجية للولايات المتحدة فيقول إننا لن نوافق على تغييرات أو تعديلات إقليمية فى أى مكان فى العالم تربطنا به علاقات ودية إلا إذا كانت هذه التغييرات مطابقة لرغبات الشعوب التى يهمها الأمر ، وإننا نعتقد أن من حق جميع الشعوب المستعدة للحكم الذاتى أن يسمح لها بأن تختار بحرية نظام الحكم فيها وهذا ينطبق على أوربا وآسيا وأفريقيا مثل ما ينطبق على نصف الكرة الغربى ، وإننا نؤمن بأن من حق الأمم كافة التمتع بحرية البحار وأن جميع الأمم متساوية فى الاتجار والحصول على ما فى العالم من مواد أولية ، وإننا نعتقد أن التعاون الاقتصادى الكامل بين جميع الأمم كبيرها وصغيرها ضرورى للنهوض بأوضاع المعيشة فى أرجاء العالم كافة ولتحقيق التحرر من الخوف والعوز والفاقة ، وإننا نعزز حرية القول والرأى وحرية العبادة فى كافة البلاد ، وإننا مقتنعون بأن صيانة السلم بين الأمم تستلزم وجود هيئة للأمم المتحدة لها أن تستخدم القوة عند الاقتضاء لتستخلص السلم ، ولا ريب أن أقوال الرئيس ترومان هى توجيه لتاريخ الإنسانية كما لا ريب عندنا أن الأحداث العالمية تدلنا على اتجاه الفكر الإنسانى نحو توطيد العلاقات الطيبة نحو الوحدة العالمية ، كما نعتقد أنه لا يعوق هذا التفكير والتوجيه غير ما تأصل فى النفوس وتركز فى العقول من النظم البالية المؤسسة على الأنانية والمزاحمة بين أمم العالم قبل أن تقوى الروابط بينها وقبل أن يتم تطور هذا الترابط الاقتصادى الحاضر .

لهذا نرى الإنسانية اليوم فى مفترق الطريق بين النظم القديمة والتطور الحديث فى حياة الأمم .

وكذلك نرى بعض العيوب فى ميثاق الأمم المتحدة الذى تم وضعه فى سان فرنسيسكو بتاريخ ٢٦ يونية سنة ١٩٤٥ ومحكمة العدل الدولية . غير أن هذه العيوب لا تحجب عنا إدراك الخطوات الواسعة فى توجيه الدول المتعاقدة نحو الوحدة العالمية وضرورة تأمين الشعوب وسلامتها .

ويجمل بى قبل أن أترك هذا المنبر أن أشير إلى أننى لم أقصد بتوجيه الفكر نحو الوحدة الاقتصادية العالمية الرغبة فى إيجاد

امبراطورية عالية لأن تاريخ العالم يشهد بفشل كل محاولة نحو هذا الاتجاه فلم تنجح محاولة الاسكندر ولا الدولة الرومانية فى إنشاء تلك الامبراطورية العالمية فلـكل شعب ثقافتـه ولغته وتاريخه ، وإنما قصدنا بالترابط الأقتصادى أن نضع حدا بين السياسة والاقتصاد ، فلـكل شعب أى يختار شـكل حـكومته ولـكنه يـكون عضوا فى النظام الدولى الذى يوضع على أساس أن العالم من تلك الناحية وحـدة اقتصادية اجتماعية يجب أن توضع لها أداة تفض مشاكلها دون الالتجاء إلى القسر والقهر حتى يتم لسكان الأرض جميعاً السعادة والرفاهية فى ظـل التعاون بين الشعوب اقتصادياً ومالياً واجتماعيا . كما يجب أن توجه جهودنا الفردية والجماعية ومشروعاتها نحو غاية واحدة هى الحياة القومية — فلا نقصر هذا المجهود على نيل الحرية الخارجية بل نرى إلى تحرير أفراد الأمة من القيود الداخلية وتوفير أ كبر قسط من السعادة لها وإكمال حياة الأفراد فى حدود العدل والنظام وأن يرتفع الناس بنفوسهم ويتغلبوا على شهواتهم لتزدهر الحضارة بسمو غاياتها والسلام .

محمد حافظ رمضان

على هامش المناظرة بين خلاف وقطب

العقيدة بين العقل والعاطفة

للأستاذ على الطنطاوى

ذهبت مرة أزور أستاذنا « الزيات » فى دار الرسالة ، وكانت زيارته أحبّ شىء إلىّ وأنا فى مصر ، وكانت دار الرسالة أقرب الأمكنة فى القاهرة إلى قلبى ، فلذلك كنت أؤمها كل يوم ، ولولا خوفى من ملل الأستاذ ما كنت لأفارقها ... أقول إنى ذهبت أزوره مرة فوجدت عنده شاباً أسمر اللون لطيفاً هادئاً تبدو عليه سيما المسالمة والموادعة والإيناس ، فقال لى إنى أعرفك بالأستاذ سيد قطب ، وأحلف أنى شدهت ، وكنت أرتقب أن يكون هذا الشاب أى إنسان فى الدنيا إلا سيد قطب ، وكنت أستطيع أن أتخيل سيد قطب على ألف صورة إلا هذه الصورة ، وازددت يقيناً بأن من الخطأ البين أن تحكم على شخص الـكاتب بكتابتـه ، أو تعرف الشاعر من شعره ، وفوجئت مرة أخرى بما لا أرتقب حين تفضل فأهدى إلىّ كتابه « التصوير الفنى فى القرآن » . لأنى لم أتخيل سيد قطب إلا مقارعاً محارباً ، ولم أعرفه إلا كاتباً مجادلا مناضلا ، يهاجم مهاجماً ومدافعاً ومعايداً .. وذهبت فقرأت الـكتاب فوجدت فتحاً والله جديداً ، ووجدته قد وقع على كنز كأن الله ادخره له ، فلم يعط مفتاحه لأحد من قبله حتى جاء هو ففتحه ، وشعرت عند قراءته بمثل ما شعرت به عند قراءة « دفاع عن البلاغة » لسيد البلغاء الزيات ، وجربت أن أكتب عنهما فما استطعت ، إكباراً لها وإعظاماً لشأنهما ، وكذلك الأثر الأدبى إذا هبط إلى قرارة الفسـاد أو سما إلى ذروة الجودة ، أعجز النقاد وابتلاهم فى الـكتابة عنه بأصعب التكاليف ، فأنا أقر بالعجز عن نقد هذين الـكتابين ، وعن نقد (شعر ...) بشر فارس أو أبحاث سلامة موسى ، لأن من تحصيل الحاصل أن تقول للجيد لا شك فيه ، هو جيد ، وأن تقول للفاسد المتفق عليه هو فاسد ، لأنك كالذى يقول للشمس أنت مضيئة ، ولليل أنت مظلم !

وكتب عنه أخى وصديقى الأستاذ عبد المنعم خلاف صاحب الـكتاب العبقرى (أومن بالإنسان) ، وردّ الأستاذ وكانت هذه المناظرة التى رأيت أن أدخل نفسى فيها لأقول كلة على (هامشها ...) ، وهذه هى المرة الثانية أتطفل فيها على مناظرات الأستاذ قطب ولـكن ليطمئن القراء ، فما هى كالأولى ولا هى منها فى شىء ، وأنا فى هذه المرة مؤيد له وقد كنت فى الأولى عليه ، وهذه مناظرة هادئة باسمة ، وقد كانت تلك معركة صاخبة مجلجلة كالحة الوجه عابسة ، وأنا أعرف الآن الأستاذ قطب وكنت أتخيله تخيلا ، والأستاذ خلاف أخى حقيقة ، والأستاذ قطب رفيقى فى دار العلوم سنة ١٩٢٨ على ذمة الأستاذ اللبابيدى الفاسطينى الذى نشر ذلك فى الرسالة إبان المعركة الأولى (معركة الرافعى والعقاد) ، فأنا لست إذن غريباً عن المتناظرين .

* * *

لخص الأستاذ قطب الخلاف بينه وبين الأستاذ خلاف ، فى كلمات هى أنه (هل من الممكن أن نمهد إلى الذهن وحده بأمر العقيـدة ، وأن نقيم هذا البناء الضخم فى الضمير الإنسانى على

أساس القوة الذهنية ومنطقها المعهود) ؟ وأجاب عليها بالنفى .

وأنا أجيب كذلك بالنفى ، ولكنى أمهد لذلك بتحديد معنى الذهن أو العقل (كما أفهمه أنا) ، ومعنى العاطفة ، وهذه طريقة علمائنا فى الجدل ، إذ ربما اختلف اثنان، وما اختلافهما فى الحقيقة إلا على معانى الألفاظ ، فكل يريد بها شيئاً ، وليس بينهما لفظ جامع يرجعان إليه ، ويستقران من بعدُ عليه .

وأعترف بأن هذا التحديد لا يمكن أن يكون تاماً ، ولا نستطيع أن نضع لكل من العقل والعاطفة التعريف الجامع المانع ، أو (الحد) الذى يريده أهل المنطق ، لأن مدلول كل لفظ يدخل فى مدلول الآخر ، فهما كدائرتين متقاطعتين ، فى كلٍّ قسمٌ متميز مختص بها ، ولكن فيهما قسماً لا يدرى أهو منها أم هو من الأخرى ، ثم إنه لا يصدق التشبيه ولا يكمل إلا إذا تصورت فى الدائرتين حركة دائمة كحركة المد والجزر ، فهما لا تسكنان أبداً .

على أن الأمم كلها قديماً وحديثاً قد فرقت بين العقل والقلب ، وجعلت القلب (هذا العضو الذى لا يشتمل إلا على الدم) مقر العواطف ومكان الحب ، وأقامت على ذلك ألسنتها ولغاتها ، ونطق به شعراؤها فقالوا للمحبوب ، أنت فى قلبى ، وقلبى عندك ، وجرحت قلبى ، وأحرقت قلبى . ومزقت قلبى ، وأنت قلبى ، يستوى فى ذلك الأولون والآخرون ، والعرب والعجم ، ولقد فكرت فى ذلك طويلا ، فتراءى لى أن منشأه ، أن الإنسان الأول لما بدأ يضع لغته ، ويحرك بالكلمات لسانه ، نظر فرأى أنه إذا طلع عليه الحبيب أو أبصر الجميل ، أو خاف أو ارتقب شيئاً ، خفق قلبه واضطرب فى صدره ، وإذا فكر فأطال التفكير أحسّ بألم من رأسه ، فاستقر فى وهمه أن الرأس مكان الفكر ، وأن الصدر محل العاطفة والحبّ ، والله أعلم !

ولما سمت البشرية ووضع علم النفس ، أقاموه على التفريق بين الحياة الإنفعالية القائمة على اللذة والألم ، والحياة العقلية المبنيّة على المحاكمة ، والحياة الفاعلة المعتمدة على الإرادة ، وليس معنى هذا أن لكل من هذه الحيوات حدوداً تحدها ، ومنطقة هى لها لا تتخطاها ، لا وليس هنالك عاطفة خالية من العقل ، أو عقلا لا عاطفة معه إنما نسمى كلًّا بالغالب عليه والظاهر فيه ، فالقضية المنطقية (المحاكمة) من العقل ، الإنسان حيوان ، وسقراط إنسان ، فسقراط حيوان ، هذه مسألة عقلية ، لكنك قد تصل بها إلى نتيجة موافقة ، تأتى بعد طول بحث عنها فتقترن بها لذة ، واللذة مسألة عاطفية — واللذة بالشعور بالجمال مسألة عاطفية ولكنها لا تخلو من محاكمة — خفية هى أن كل جميل يلتذ به وهذا جميل فهذا يلتذ به ، أو أن المنظر الفلانى لذنى لأنه جميل ، وهذا قد لذنى ، فهذا جميل .

وإذا نحن فرقنا بين العاطفة والعقل بهذا الإعتبار . وجعلنا كل حادثة نفسية تقوم على اللذة والألم من العاطفة ، وكل حادثة تعتمد على المحاكمة من العقل ، وجدنا أعمال الإنسان كلها تقوم على عواطف ، ووجدنا العقل ، أعنى المحاكمة المنطقية الواضحة لا الخفية أضعف الملكات الإنسانية وأحقرها وأقلها خطراً فى نفسها ، وأثراً فى حياة صاحبها ، وليعرض كل قارئ أعمال حياته يجدها كلها عواطف تسيّره ، ووجد أنه قل أن يعمل عملا ، أو يسير خطوة بهذا العقل المنطقى الجاف .

ولا بد بعد من تحديد معنى (الذهن) ، فماذا يريد به الأستاذ قطب ؟ أما أنا فأطلق العقل وأريد به القضايا العقلية المسلمة المتفق عليها ، كاستحالة اجتماع النقيضين ، وكمبدأ أن الشىء هو ذاته ، فهذه البديهيات هى أول ما يراد بالعقل ، ومن هنا نقول مثلا إن ديننا الإسلامى لا يناقض العقل ولا يخالفه ، أما الذهن فأفهم منه أنا العقل الفردى ، وليس كل ما تعقله فى ذهنك يجب أن يكون صادقاً أو صحيحاً ، لاحتمال الخطأ فى الاستدلال ، ولاختلاف الذهنين فى القضية الواحدة ، مع ادعاء كل منهما أن حكم العقل معه .

ولا بد أيضاً من التفريق بين خيّر العواطف وشريرها ، فالشفقة على الفقير ، والإقدام على إنقاذ الغريق عاطفة خير ، ولكن الغضب المؤدى إلى العدوان ، والحب الموصل إلى الرذيلة عاطفة شرّ .

* * *

ولندخل الآن فى موضوع المناظرة ، هل يكفى الذهن وحده ، أى المحاكمة المنطقية الجافة ، للايمان ؟ الجواب (لا) ممدودةً مؤكدة مكتوبة بالقلم الجليل لا الثلث !

الإيمان محله القلب لأنه أكبر من أن تتسع له هذه (المحاكمة) وأعلى من أن ينضوى تحتها ، هذا العقل إنما يعتمد على الحواس ، وحكمه مستمد من مجموع المحسّات ، فإذا جاوزها إلى ما وراء المادة لم يكن له حكم ، وهذا أمر تواردت عليه الأحاديث النبوية وأبحاث أكابر فلاسفة الأرض ، قال عليه الصلاة والسلام « إذا ذكر القضاء فأمسكوا » أو ما هذا معناه ، لماذا ؟ لأن مسألة القضاء والقدر ، ما خاض فيها العقل إلا كفر ، لا لأنها مناقضة له بل لأنها أوسع من طاقته ، وهذا عقلى يحاول أن يورد علىّ الآن اعتراضات كثيرة فلا أصغى إليه ، وأذكر (ولا يحضرنى هذه الساعة المرجع) أن بعض الصحابة شكا إلى النبي صلى الله شكوكا يجدها ، قال ، أوجدت ذلك ؟ قال ، نعم ، قال ، استعذ بالله . ولم يأمره بإعلانها والبحث فيها – وهاك الفيلسوف الأكبر كانت يؤلف كتاباً برأسه هو (نقد العقل) فى إثبات هذا الأمر ، ويبطل فى كتابه الآخر (مقدمة لكل علم ميتافيزيك) علم ما وراء الطبيعة ، وجرى على ذلك إمام الفلاسفة الوضعيين أوغست كونت .

فالعقل إذن قاصر حكمه على ما يدرك بالحس ، وليس عنده إلا مجموعة تجاربه الحسية ، فإذا جاوزها كان كالعدم ، وحسب العقل هواناً فى المجرّدات ، أنه ينكر أقدس شيئين فى الوجود ولا يستطيع أن يفهمهما : الحب والإيمان .

سل العقل ، ما الحب ؟ ينبئك بأنه جنون ! وما الفرق عند العقل بين ليلى ولبنى وسلمى وأى امرأة أخرى ، ما دامت الغاية عنده الحمل والولد وبقاء النسل ؟ ومن يقدم فى الحرب على الموت ، هل كان يقدم لو نزعت الحماسة من نفسه وهى عاطفة وتركته لعقله ولما يحسن العقل من محاكمات جافة ؟ هل يجود لولا هزة الأريحية جواد بنوال ؟ هل يقبل إنسان على تضحية أو بذل لولا العاطفة ؟ هل يعرف العقل إلا المنفعة ؟ لقد أحسن التعبير عن العقل المتنبى حين قال :

الجود يفقر والإقدام قتال .

***

سيقول قائل ، إن أساس الإيمان ، الاعتقاد بوجود الله ، فهل هو غريب عن العقل ؟ لا ، إن الاعتقاد بوجود الله من بدهيات العقل ، فلا يعيش عقل بلا اعتقاد بإله كما يقول (دوركيم) ، والإنسان بهذا المعنى حيوان ذو دين ، وذلك لأن تجارب العقل ومحسّات الحواس التى يستند فى حكمه إليها ، توصل حتما إلى الاعتقاد بوجود إله ، وسواء كان منشأ هذا الاعتقاد الخوف أو التطلع إلى المجهول ، كما هو مبين فى كتب الميتافيزيك ، فلا شك فى أنه بديهى ، أما ما عداه من شعب الإيمان وأركانه ، كمعرفة صفات الله ، والإيمان بالمغيبات ، والقضاء والقدر ، فلا يستطيع العقل أن يقيم الدليل على نقضها ولكنه لا يستطيع أبداً فهمها ، ولا أظننى بحاجة إلى بيان الفرق بين الاعتقاد بوجود شىء وبين فهمه ومعرفة حقيقته ، هذا وليس من مصلحة الدين ولا المتدينين أن نخلى بين العقل وما يجب الإيمان به ، بل المصلحة بالاطمئنان العاطفى والتصديق القلبى وما يعقبه من اللذة والاطمئنان .

وهؤلاء العلماء المتكلمون الذين كانوا من رأى الأستاذ خلاف والذين حاولوا أن يجعلوا الإيمان إيمان عقل ، عادوا كلهم وأنابوا واعترفوا بأن الإيمان بالقلب ، هذا (ابن رشد) وناهيك به ، عاد فقال فى تهافت التهافت (الذى رد به على الغزالى فى كتابه تهافت الفلاسفة) : لم يقل أحد من الفلاسفة فى الإلهيات شيئاً يعتد به . وهذا (الآمدى) وقف فى المسائل الكبار وحار ، و (الغزالى) انتهى إلى التصوف والتسليم ، وهذا (الفخر الرازى) قال بعد تلك المؤلفات الطوال :

« نهاية إقدام العقول عقال — وغاية سعى العالمين ضلال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا — سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

ولقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفى عليلا ولا تروى غليلا ، ورأيت أقرب الطرق طريق القرآن ، اقرأ فى الإثبات ، الرحمن على العرش استوى ، واقرأ فى النفى ليس كمثله شىء ، ومن جرب مثل تجربتى عرف مثل معرفتى » انتهى كلامه ... وكلامى !

وعلى الأخوين الكريمين خلاف وقطب تحيتى وسلامى .

على الطنطاوى

من محاسن التشريع الاسلامي

للأستاذ حسن أحمد الخطيب

— ٨ —

تتبعه بواعث العمل ونية العامل

لا يقتصر التشريع الإسلامى فى أحكامه على أعمال الإنسان الظاهرة، وارتباطها بغيره، ولا يكتفى بأثر التشريع الدنيوى، ولا بالحكم المنصوص عليه فى القانون الواجب التطبيق فى الظاهر كما هو الشأن فى القوانين الوضعية عامة — بل يتتبع بواعث العمل ونية العامل، فيحكم عليه حكما أخرويا، يناسب النيات، والبواعث الباطنية من مثوبة، أو عقوبة أخروية، وهذا شأن التشريع الكامل الذى يقصد إلى الإصلاح الحقيقى المؤدى إلى إصلاح القلوب، وتهذيب النفوس، فتجرى المعاملات بين الناس على أساس صالح من مراعاة العدل والحق.

إنه بذلك يجعل الإنسان — فى كل ما يصدر منه — تحت رقابتين: الخشية من الله والضمير، ثم الخشية من أحكام القانون؛ ولتوضيح ذلك نذكر — على سبيل المثال — أن عقد الزواج له حكمان إذا وقع مستوفياً أركانه وشروطه:

أحدهما: أثره المترتب عليه، وهى تلك الحقوق والواجبات التى تثبت لكل من الزوجين على الآخر.

وثانيهما: وصفه الشرعى الذى يرجع إلى نية العاقد، والباعث له على الزواج، فقد يكون هذا الزواج حراماً، يُعاقب المتزوج عليه فى الآخرة إذا تيقن ظلمه لزوجته، أو نوى بزواجه الإساءة إليها، أو لذوى قرباها، لأن الزواج إنما شرع لتحصين النفس وبقاء النسل، وتحصيل الثواب، وهو بالجور يرتكب المحرمات فتفوت المصلحة التى من أجلها شرع الزواج لرجحان المفاسد الناجمة من الجور عليها. وقد يكون فرضاً، يثاب فاعله، ويعاقب تاركه إذا كان الزوج مع قدرته على واجبات الزوجية يتيقن الوقوع فى الزنا إذا لم يتزوج، ويكون سنة مؤكدة حال الاعتدال، فيأثم بتركه، ويثاب إن نوى تحصيناً وولداً (١)

(١) براجع فتح القدير ورد المحتار فى فقه الحنفية.

— ٩ —

اتساع باب التعزير فيه

من أبين الدلائل، وأقوى الحجج، وأسطع الآيات على أن الشريعة الإسلامية سمحة موطأة الأكناف، خصبة، أقرت حرية الرأى والاجتهاد فى التشريع، ما روعيت أصوله، وتحققت دعائمه وشروطه — اتساع باب العقوبات وتعدد وجوه التعزير فيها: فإن العقوبات إن كان مقدرة من الشارع على الجرائم المجترحة سميت حدوداً، وهى التى وردت فى التشريع القرآنى فى حد الزنا والقذف والسرقة وقطع الطريق.

أما إذا كانت غير مقدرة فهى التى تسمى تعزيراً، فهو تأديب بعقوبة غير مقدرة من الشرع، ويجب بارتكاب معصية من المعاصى التى لا حد لها، كشهادة الزور، وإيذاء مسلم أو ذمى بقول أو فعل، ومنه سب المحصن بغير الزنا، والنظر إلى الأجنبية، والخلوة بها، وسرقة ما لا قطع فيه.

وتقدير العقوبات على المعاصى والمحرمات، أو ترك الواجبات التى لم يرد فى النصوص الشرعية عقوبة معينة لها — يرجع إلى اجتهاد الأئمة وأولى الأمر فى كل زمان ومكان، وتختلف باختلاف أحوال الجرائم، وكبرها وصغرها، وبحسب حال المذنب نفسه. ولذلك كان التعزير من أوسع الأبواب فى الشريعة الإسلامية. واختلف المجتهدون فيه، وفى تحديد عقوباته اختلافاً كثيراً.

والتعزير منه ما يكون بالتوبيخ والزجر بالكلام، ومنه ما يكون بالحبس، ومنه ما يكون بالنفى عن الوطن، ومنه ما يكون بالضرب. وقد يكون بالقتل إذا لم تندفع المفسدة إلا به مثل قتل المفرق لجماعة المسلمين والداعى إلى غير كتاب الله وسنة رسوله، كما يجوز قتل الجاسوس المسلم إذا اقتضت المصلحة قتله على رأى مالك وبعض أصحاب أحمد، واختاره ابن عقيل، ومثل ذلك التعزير بالعقوبات المالية: فإنه مشروع فى مواطن مخصوصة فى مذهب مالك وأحمد وأحد قولى الشافعى، وجاءت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن أصحابه بذلك فى مواضع، منها أخذه شطر مال مانع الزكاة، وإضعافه الغرم على سارق مالا قطع فيه، ومثل تحريق عُمر وعلىّ المكان الذى تباع فيه الخمر،

ونحريق عمر قصر سعد بن أبى وقاص لما احتجب فيه عن الرعية — قال ابن رشد فى كتاب البيان : لصاحب الحسبة الحكم على من غش فى أسواق المسلمين فى خبز أو عسل ، أو غير ذلك من السلع بما ذكره أهل العلم فى ذلك ، فقد قال مالك فى المدونة إن عمر بن الخطاب كان يطرح اللبن المغشوش فى الأرض تأديباً لصاحبه ، وقد روى عن مالك أن المستحسن عنده أن يتصدق به إذ فى ذلك عقوبة الناشّ بإتلافه عليه ، ونفع الفقراء بإعطائهم إياه ولا يهراق .

ولأن التعزير راجع إلى اجتهاد الفقهاء — اختلفوا فيه على أقوال أربعة :

الأول : أنه لا يزاد فيه على عشرة أسواط . وهو أحد الأقوال فى مذهب أحمد وغيره .

الثانى : أنه لا يبلغ بالتعزير أدنى الحدود : إما أربعين ، وإما ثمانين ، وهذا قول بعض أصحاب الشافعى ، وأبى حنيفة ، وأحمد

الثالث : أنه لا يبلغ بالتعزير فى معصية قدر الحد فيها . فلا يبلغ بالتعزير على النظر والمباشرة حد الزنا ، ولا على السرقة من غير حرز حد القطع ، ولا على الشتم بدون القذف — حد القذف . وهو قول طائفة من أصحاب أحمد والشافعى .

الرابع : أنه بحسب المصلحة ، وعلى قدر الجريمة ، فيجتهد فيه ولى الأمر ، ويبدولنا أنه أعدل الأقوال ، وأولاها بالقبول (١)

ومع سعة التشريع الإسلامى ومرونته ، وتركه تقدير العقوبات على الجرائم للاجتهاد بحسب المصلحة ، واختلاف الأزمنة والأحوال — فيما عدا الحدود — تجرأ بعض الولاة والحكام ، وكثير من الحكومات الإسلامية فى عصور مختلفة ، وفى عصرنا هذا على وضع القوانين مقتبسة ومأخوذة من القوانين الأوربية متوهمين أن الشرع ناقص لا يقوم بمصالح الناس ، ولا بسياسة الأمة ، فتعدوا حدود الله ، وخالفوه فى كثير من أحكامه وأوامره ، وهو خطأ — لعمر الحق — عظيم ، فإن الله تعالى أوجب على الحكام القيام بالقسط مع مراعاة ما بينه من كليات الشريعة ، ومبادئها وأصولها ، فحكمه دائر مع الحق ، والحق دائر مع حكمه أين كان ، وبأى دليل صحيح كان ، كما قال ابن قيم الجوزية ، فليتدبر هذا أولو الأمر من الحكومات والعلماء . وليعلموا أن الشريعة الإسلامية تسع كل ما يقر العدالة ، وينشر ظلالها على الناس ، فوجب جعلها الدعامة الأولى ، والأساس الأول فى تشريع القوانين ، مدنية كانت أو جنائية من غير أن نحظر فى الأحكام الإجتهادية الإقتباس من القوانين الحديثة . مما يناسب أحوالنا وأخلاقنا ، ولا يخالف أصول شريعتنا . والله الموفق للسداد ، والهادى إلى سبيل الرشاد

(يتبع) حسن أحمد الخطيب

(١) راجع فى مبحث التعزير والعقوبات الطرق الحكمية مطبعة الآداب والمؤيد ص ١٠٥ و١٠٦ و٢٤٤ و٢٤٥ و٢٤٦ و٢٤٧ .

الحرب الخاطفة

فى الحروب النبوية

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

يتردد فى الحروب الحديثة إسم « الحرب الخاطفة » ، على أنها مما ابتكره قواد هذا العصر فى أساليب الحرب ، واخترعوه فى نظام القتال ، فهى منقبة من مناقبهم ، ومفخرة لهم لم يسبقهم أحد إليها ، وليس هذا من الحق فى شىء ، لأن نبينا الأعظم محمداً صلى الله عليه وسلم هو الذى ابتدع هذا النظام فى القتال ، وكان عنده سُنَّةً متبعة فى حروبه ، وتقليداً يأخذ به فى الهجوم على أعدائه ، لأن هذا النوع من الحرب لا يكون إلا فى الحروب الهجومية ، فهى التى يمكن أن يؤخذ فيها العدو على غِرّة ، وأن يقتحم عليه داره قبل أن يستعد للقتال ، فيستولى عليه الدهش ، ويأخذه الرعب والخوف ، ولا يكلف الجيش المهاجم عناء فى القتال ، ولا تضحية فى الجنود ، ولا يشترى النصر فيه بالثمن الفادح ، ولا ينال بالدماء الغزيرة ، فيشاب الفرح فيه بالحزن ، ويعكر صفوه بالثمن الفادح الذى اشترى به .

والحرب تتبعها حروب ، فإذا لم يقتصد القائد فى دماء جنوده ، وإذا لم يختر الأسلوب الذى يشترى فيه النصر بأقل ثمن ، وإذا جازف بدماء جنوده ولم يحسب فيها حساباً للمستقبل ، لا يلبث أن يأتى عليه يوم تنهك فيه قواه ، ويخسر فيه ما ربحه من النصر فى حروبه .

ولهذا كله آثر النبى صلى الله عليه وسلم هذا النوع من الحرب ، حرصاً على أصحابه أن تستأصلهم تلك الحروب المتوالية ، وكانوا بين أعدائهم كقطرة فى بحر ، وكان لهم أباً رحيما ، وصاحباً رؤوفاً (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عَنِتُّمْ حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) ولم يكن بالقائد الذى يرى أن يأمر فيطاع ، وينظر إلى جنده نظرة الرئيس إلى المرءوس ، لا نظرة الأب الرحيم إلى أبنائه ، والصاحب الرؤوف إلى أصحابه .

ولا غرو أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم مبتدع هذا النوع من الحرب ، لأنه كان يجمع العظمة كلها فى شخصه الكريم ، فكان الرسول الأعظم بين الرسل عليهم الصلاة والسلام ، والقائد الأعظم بين قادة الجيوش ، والبطل الأعظم بين أبطال الحروب ، والمصلح الأعظم بين رجال الإصلاح ، والمشرع الأعظم بين رجال التشريع ، بلغ الغاية فى كل نواحى العظمة ، ولم يصل إلى درجته فيها عظيم من العظماء .

وهذه كانت سُنَّتُهُ فى حروبه كما ذكرها أصحاب السير ، ذكروا أنه كان إذا أراد غزوة وَرَّى بغيرها ، فيقول مثلا إذا أراد غزوة حُنَيْنٍ : كيف طريق نجد ومياهها ؟ ومن بها من العدو ؟ ونحو ذلك .

وكان يقول : الحرب خدعة .

وكان له عيون وأرصاد بين أعدائه يأتونه بأخبارهم أولا بأول ، فإذا بدرت منهم بادرة حرب كان خبرها عنده قبل أن يتهيأوا لها ، وإذا بجيشه قد أتاهم من حيث لا يشعرون ، وأحاط بهم من كل ناحية ، وكان يستحب القتال أول النهار وهم لا يزالون فى غفلتهم ، فإذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى زوال الشمس ، وتهب الرياح ، فيأوى السكان إلى منازلهم ، ويأخذهم أيضاً فى هدوئهم وغفلتهم .

وتلك هى الحرب الخاطفة بعينها ، وذلك هو أسلوبها الآن فى الحروب الحديثة ، أسلوب المفاجأة ، ومداهمة بلاد العدو وهو فى غفلة ، وإخفاء مقصد الجيش المهاجم حتى يصل إليه قبل أن يعلمه أحد ، والتهويل فى قوته حتى يملأ الرعب منه كل نفس ، ويأخذ الخوف منه قلوب الأعداء .

ومن أظهر الحرب الخاطفة فى الحروب النبوية حرب الفتح الأعظم ، وهو فتح مكة موطن المسجد الحرام ، فقد أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يأخذها بحرب خاطفة يباغتها فيها مباغتة ، ويدركها قبل أن تحشد له الجيوش ، وتجمع له حلفاءها من القبائل ، فيستولى عليها من غير أن يقيم فيها حرباً ، أو يسفك فيها دماً من أصحابه أو من أهلها ، لأنها بلد مُقَدَّس لا يحل فيها سفك الدم إلا بقدر الضرورة ، وفيها الكعبة ، والمسجد الحرام ، والحرب إذا اشتدت قد تصيبهما بتخريب أو ضرر .

فتجهز النبى صلى الله عليه وسلم للسفر ، ولم يخبر أحداً بقصده إلا أبا بكر رضى الله عنه ، ووضع حراساً على رؤوس الطرق الموصلة إلى مكة ، يسألون من يسافر فيها عن مقصده وغايته مبالغة فى الاحتياط ، وقد كان لأهل مكة جواسيس وأنصار فى المدينة من المنافقين ، فوضع الحراس على تلك الطرق حتى لا يمكن أحداً

منهم أن ينقل خبر ذلك الاستعداد لهم ، فلم يكن يؤذن بالسفر فيها إلا لمن يوثق فيه من المؤمنين المخلصين ، ومن لا يرى أنه جاسوس إذا سافر فيها واصل السفر إلى مكة ، وقد أقام النبي صلى الله عليه وسلم عمر رضى الله عنه مراقباً على أولئك الحراس ، يتعهدهم وقتاً بعد وقت ، حتى يقوموا بحراستهم على أكمل وجه ، ولا يغفلوا عنها أو يتساهلوا فيهـا ، وقد اختير عمر لذلك لما عرف عنه من الشدة واليقظة ، فكان خير من يعهد إليه في القيام بذلك الأمر على أكمل وجه ، والإتيان بتلك الحراسة في غاية ما يكون من الدقة .

وقد قام الحراس بما عهد إليهم خير قيام ، ولم يمكن أحداً من جواسيس قريش في المدينة أن يفلت منها إلى مكة ، اللهم إلا جاسوسة واحدة كانت جارية لحاطب بن أبي بَلْتَعَة ، وكان من المؤمنين المخلصين ، ولكنه كان له أهل ومال بمكة ، فأراد أن يتقرب إلى أهلها ليحافظوا على ماله وولده فكتب إليهم كتاباً يخبرهم فيه باستعداد النبي صلى الله عليه وسلم للغزو ، وأنه ربما يقصدهم به ، وقد أوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأمر تلك الجاسوسة ، فانتدب لها ثلاثة من كبار أصحابه اهتماماً بأمرها ، ليدركوها قبل أن تصل إلى مكة ، وهم : على بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، والمقداد ابن الأسود ، فانطلقوا مسرعين حتى أدركوها بروضة خاخ ، وقاموا بتفتيشها حتى عثروا على ذلك الكتاب في عقاصها ، فرجعوا بها إلى المدينة ، وقضوا على هذه المحاولة التي أفلتت من تلك الحراسة .

وتم تجهيز الجيش الذي أعده النبي صلى الله عليه وسلم لفتح مكة ولم يعلم أحد ماذا أُعدَّ له ، وكان عدده عشرة آلاف ، ثم سار به حتى وصل مَرَّ الظَّهْرَان ، فأمر بإيقاد عشرة آلاف نار ، مبالغة في تهويل أمره ، وإلقاء للرعب في قلب من يراه ليلا ، وكانت قريش قد بلغها أن محمداً زاحف بجيش عظيم لا تدرى وجهته ، فأرسلت أبا سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبُدَيْل بن ورقاء يلتمسون خبر ذلك الجيش ، فلما وصلوا مر الظهران ورأوا تلك النيران قال أبو سفيان : ما هذا ؟ لكأنها نيران عرفة . فقال بديل بن ورقاء : هي نيران بني عمرو . فقال أبو سفيان : بنو عمرو أقل من ذلك .

ثم رآهم نفر من حرس المسلمين فأتوا بهم النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم أبو سفيان . وقد أوقفه عند خَطْم(١) الجبل ، وجعل الجيش يمر عليه كتيبة بعد كتيبة ، ليرى عظمته وقوته وحسن نظامه ، وينظر من اجتمع فيه من القبائل التي لا تحصى ولا تعد ، ويخبر أهل مكة بما رأى من ذلك ، فيملأ الرعب قلوبهم ، ولا يجدوا فائدة في مقاومة ذلك الجيش ، ثم قسم الجيش إلى قسمين ، وأمر خالد بن الوليد أن يدخل من أسفل مكة من كُدَى ، ودخل هو آمن من أعلاها من كَدَاء ، ولم يشعر أهل مكة إلا وجيش المسلمين يحيط بهم من كل جانب ، وأصوات الأمان تتجاوب من هنا وهناك : من دخل داره وأغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن . ويسمع أهل مكة أصوات الأمان فتأخذ بهم إلى الاستسلام ، ويدخلون دورهم فيغلقونها عليهم . ومن لا يدخل داره يدخل المسجد أو دار أبي سفيان ، وتفتح مكة عاصمة الحجاز في لحظات ، ولا يذهب في فتحها إلا ما لا يذكر من الدماء ، وما كان أحد يظن بعد تلك الحروب الطويلة أن تفتح بهذه السهولة ، ولكنها الحرب الخاطفة التي ابتدعها النبي صلى الله عليه وسلم .

عبد المتعال الصعيدي

(١) خطم الجبل : أنفه ، وهو شيء يخرج منه يضيق به الطريق .

على ضوء الفلسفة :

الأفعال الانسانية

للأستاذ زكريا ابراهيم

من الحقائق المسلم بها أن الإنسان مضطر إلى أن يعمل وهو إذ يعمل ، ينتشر فيما حوله بتأثير أفعاله . فنحن لا نستطيع أن نتحرك ، أو أن نتنفس ، أو أن نحيا ، أو أن نفكر ، دون أن نسجل طابعنا فى الخارج . ومن المشاهد أن جو الفردية هو بطبيعته محدود ضيق النطاق . فكل فعل يصدر عن الإنسان لا يلبث أن يصبح هو نفسه كائناً حياً له طابعه الخاص الذى يدل على حياة شخصية معينة . ولهذا فإن ثمة إشعاعاً ذاتياً يسم بطابعه الخاص كل حركات الشخص وأقواله . فالفعل يعبر عن فردية صاحبه ، أى عن ذاتيته الخاصة ، لأنه عبارة عن نية الشخص وهى فى سبيل التحقق

ومن مظاهر النشاط الإنسانى تلك الرغبة الملحة التى يجدها الناس ، فى أن يؤثروا بأفعالهم فى الآخرين ، فيطبع كل منهم صورته فى الآخرين ، ويسمهم بطابعه الذاتى ، وبذلك يحيا مع الآخرين بحيث يكونون له شهوداً وشركاء ومعاونين ومقلدين .

وليس الفعل عبارة عن عمل خاص يتصل بصاحبه فحسب ، وإنما هو عمل كلى يتصل بالآخرين جميعاً . وتتمثل هذه الصلة فى التأثير الذى يحدثه العمل الواحد فى نفوس الآخرين بعد أن يتحقق فى الخارج ؛ وهذا هو ما يعطى الأفعال الإنسانية كل قيمتها ، لأن هذه الأفعال هى عبارة عن نيات متجسدة ، وقيم أخلاقية متحققة ، ومثل عليا متجسمة ؛ وهى تقوم بدور المؤثر الفعال فى المجتمع ، لأن الأفراد يستطيعون أن يفهموا معنى تلك الأفعال ، ومن المحتمل أن يقعوا تحت تأثيرها .

وللفعل الواحد قدرة غير محدودة على الانتشار ، على الرغم من أن ثمة أفعالا قد تبدو لنا تافهة لا معنى لها . فلو ضربنا صفحاً عن تلك الأفعال التى لا تدخل ضمن ما يعمله الإنسان فى سبيل تحقيق غايته ، أمكننا أن نقول : إنه لا يمكن أن يوجد فعل إنسانى بمعنى الكلمة هو عديم القيمة بالنسبة إلينا .

وما عمله الإنسان بنفسه ، أو بالاشتراك مع غيره ، لا يمكن أن يكون خاصاً به وحده ، أو بمن شاركه وحده ؛ وإنما هو عمل خاص بالجميع ، بل إنه — منذ لحظة تحققه — موجه للجميع ، فنطاقه واسع ، وهو للأفراد الآخرين ، كما هو بالنسبة إلى صاحبه تماماً . ومعنى هذا أننا لا نعمل أبداً لنفوسنا فحسب ، فضلا عن أننا لا يمكن أن نعمل بمفردنا فحسب . ونحن لا نستطيع ، بل على الأحرى لا نريد ، أن نحتبس حياتنا داخل ذواتنا ، ولذلك فإننا نعمل ، وعملنا لا يتم إلا بمعاونة الآخرين ، كما أنه لا يتحقق إلا فى الخارج ، أعنى فى وسط يضم كثيراً من الأفراد الذين يستطيعون أن يتأثروا بذلك العمل .

والفعل الواحد يقدم للآخرين أفكارنا ، فهو أداة للترابط الاجتماعى ، وهو روح الحياة الجمعية . وليس فى استطاعة الفرد أن يعتزل وينطوى على نفسه ، بل هو مضطر إلى الاتصال بالآخرين ، وأفعاله تكون الوسط الذى تنشأ فيه وتصدر عنه أفعال أخرى كثيرة . ففى تربة أفعالنا ، تنبت نيات أخرى كثيرة ، وتزهر أفعال جديدة متنوعة !

ومن الخطأ أن نتصور أن من الممكن أن يخطىء الفرد الواحد دون أن يسىء إلى الآخرين ؛ فإن كل فعل من أفعالنا يمتد فى دوائر لا نهاية لها ، ولا بد أن نستتبعه نتيجة تلحق بالآخرين . بل إن الفعل الواحد كثيراً ما يكون نقطة تحول فى التاريخ كله! فعلى الإنسان إذن أن يعمل ، وكأنما هو يتحكم فى العالم بأجمعه ، ويوجهه التوجيه الخاص الذى يريده هو ! وقد يتقبل الآخرون أدنى منحة تقدم لهم ، أو أقل فكرة نعرضها عليهم ، فالفعل الواحد — مهما بدا يسيراً — قد تترتب عليه نتائج لا تخطر لنا على بال .

وليس من الضرورى أن يشعر الإنسان بكل النتائج التى يمكن أن تترتب على فعله ، أو كل المعانى الكامنة فى هذا الفعل ، بل قد تترتب على الفعل الواحد نتائج عظيمة ، دون أن تكون لدى الإنسان فكرة واضحة عن ذلك . ولهذا فإن من الواجب أن نتخذ الحيطة فى كل عمل نعمله ، أو كل قول نقوله ، لأن أدنى خطأ نقع فيه ، قد يؤثر تأثيراً سيئاً فى حياة الآخرين . وليس أخطر

من مهمة أولئك الذين يتصدون للتربية والتعليم ، لأن مسئوليتهم خطيرة فى كل مايقولونه ، وما كان يمكن أن يقولوه ، وما لم يقولوه حين كان من الواجب أن يقولوه ! وكل نقطة غامضة كثيراً ما تكون مثاراً لـكثير من التأويلات الفاسدة والآراء الخاطئة ، والتطبيقات الـكاذبة .

وما دامت الأفكار تنفذ إلى الإنسان من الخارج ، فلا بد أن تتعرض لخطر التشويه أوالتحريف أو سوء الفهم . أما إذا أدخلت تلك الأفكار فى تيار الحياة نفسها ، أعنى إذا جعلناها تنبع من الأعماق الباطنة التى تتكون فيها الحقائق الشخصية اليقينية ، فإنها تصبح عندئذ أفكاراً حية حقيقية .

ومن الضرورى أن يكون تأثير المدرس (مثلا) تأثيراً خفياً يسرى فى نفوس التلاميذ دون أن يشعروا بذلك . فالفعل الحقيقى هو الذى يتحقق دون أن يشعر به الآخرون شعوراً مباشراً .

ولا بد من اتخاذ الحيطة فى هذا الفعل ، حتى إذا كنا على ثقة مما نقوله ، وكل ما نعمله ، لا بد من أن نحترس ، حتى إذا اعتقدنا أننا على حق . وليس أشق من فن « التطعيم العقلى » على كل من يمارس مهنة الفعل والتأثير « Action »

والفعل الحقيقى هو الذى يتم فى صمت ، وإن التربية لهى مدينة فى تأثيرها وقوتها إلى ذلك الإيحاء الصامت الذى يمارسه المدرس ، فيوجه به التلميذ التوجيه الذى يريده ، فى الوقت الذى يعتقد فيه التلميذ أن أفكاره إنما هى وليدة تفكيره الخاص ، وأن أفعاله إنما هى نابعة من ذات نفسه ! ولـكن ما أعظم مسئولية المدرس إذا أساء استعمال سلطته ، فأدخل فى عقل التلميذ أفكاراً غيرناضجة ، أو أوحى إليه بأفعال غير مثمرة !

أما المثل الأعلى للمدرس ، فهو أن يعرف كيف يجعل نفسه سلبياً خالصاً ، فيختفى هو وراء الستار ، لـكى يكتشف الطفل نفسه ما يتعلمه ، وبذلك يكون المدرس تلميذاً لتلميذه !

زكريا ابراهيم

مدرس الفلسفة بالمدارس الثانوية

رأى جديرني

حمـــاد الراوية

للأستاذ السيد يعقوب بكر

٤ – رواية حماد

(ا) اشتهاره بكثرة الحفظ والرواية

اشتهر حماد بكثرة حفظه وروايته ، حتى لقد سُمِّى حمادا الراوية . ونحن لا نظن أنه سُمِّى هكذا تمييزاً له من معاصريه : حماد عجرد وحماد بن الزبرقان ، فقد كان يمكن أن يُسمَّى حماد ابن ميسرة[1] . وفى الأغانى (جـ ٥ ص ١٦٥) أن الهيثم بن عدى قال : ما رأيت رجلاً أعلم بكلام العرب من حماد . وجاء فى خزانة الأدب (جـ ٤ ص ١٣٩) وفى غيرها من كتب الطبقات أنه كان من أعلم الناس بكلام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها .

وترد فى كثرة حفظه أخبار كثيرة . فى الأغانى (مرة فى ص ١٦٤ — ١٦٥ ، ومرة أخرى فى ص ١٧٤) ، وفى معجم الأدباء (جـ ٤ ص ١٣٧) ، وفى وفيات الأعيان (ص ٢٤٠ ط باريس) ، وفى خزانة الأدب (ص ١٣٩) ، وفى تحفة المجالس ونزهة المجالس للسيوطى (ص ١٠٢)[2] ، أن الوليد بن يزيد قال لحماد : بم استحققت هذا اللقب ، فقيل لك حماد الراوية[3] ؟ قال : لأنى أروى لكل شاعر يعرفه أمير المؤمنين أو سمع به ، ثم أروى لأكثر منهم ممن تعترف بأنك لا تعرفهم ولا سمعت بهم . ثم لا أنشَد شعراً لقديم أو محدث إلا ميزت القديم منه من المحدث . قال : إن هذا العلم وأبيك كثير ، فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال : كثير .

(١) فى الأغانى (جـ ١٦ ص ١٤٨ — ١٤٩) وفى أمالى المرتضى (جـ ١ ص ٩٠) ، قول الجاحظ يرد فيه ذكر حماد بن أبى ليلى الراوية . فاطلاق الجاحظ هنا لفظ الراوية على حماد لا يراد به تمييزه من حماد عجرد وحماد بن الزبرقان ، ولكن يراد به تمييزه بكثرة الرواية .

(٢) وكذلك ورد هذا الخبر مختصراً فى بلوغ الأرب للألوسى (جـ ١ ص ٤٠) .

(٣) فى هذا السؤال دليل على ما قلناه فى صدد لفظ الراوية .

ولكنى أنشدك على أى حرف شئت من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية . قال : سأمتحنك . وأمره الوليد بالإنشاد ، فأنشده حتى ضجر الوليد ، ثم وكل به من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفى عليه ؛ فأنشده ألفى قصيدة وتسعمائة قصيدة للجاهليين ، وأخبر الوليد بذلك ، فأمر له بمائة ألف درهم .

وفى الأغانى (ص ١٦٤) أن مروان بن أبى حفصة الشاعر قال : دخلت أنا وطُريح بن إسماعيل الثقفى والحسين بن مُطير الأسدى فى جماعة من الشعراء على الوليد بن يزيد وهو فى فُرُش قد غاب فيها ، وإذا رجل عنده كلما أنشد شاعر شعراً وقف الوليد ابن يزيد على بيت من شعره وقال : هذا أخذه من موضع كذا وكذا ، وهذا المعنى نقله من موضع كذا وكذا من شعر فلان ، حتى أتى على أكثر الشعر ؛ فقلت : من هذا ؟ فقالوا : حماد الراوية .

ويقول أبو الفرج (ص ١٧٣) : « قال حماد الراوية : أرسل إلىَّ أمير الكوفة فقال لى : قد أتانا كتاب أمير المؤمنين الوليد ابن يزيد يأمرنى بحملك . فحملت ، فقدمت عليه وهو فى الصيد ، فلما رجع أذن لى ، فدخلت عليه وهو فى بيت منجد بالأرمنىّ أرضه وحيطانه . فقال لى : أنت حماد الراوية ؟ فقلت له : إن الناس ليقولون ذلك . قال . فما بلغ من روايتك ؟ قلت : أروى سبعمائة قصيدة أول كل واحدة منها : بانت سعاد . فقال : إنها لرواية » . وواضح أن هذه القصة وقعت قبل تلك القصة التى كانت لحماد مع الوليد أيضاً ، والتى تقدم ذكرها . وقد قدّمنا تلك القصة على هذه لاشتهارها وورودها فى معظم كتب الطبقات .

فقد كان حماد إذن مشهوراً بكثرة الحفظ والرواية . وهى شهرة هو جدير بها وحقيق . فليس عهدنا بالمعاصرين أن يتزيدوا على المرء بالفضل والسبق ، إنما عهدنا بهم أن يحطوا من قدره ويهوّنوا من أمره .

(ب) جمعه المعلقات السبع[1] وروايته معظم شعر امرئ القيس

فى نزهة الألباء للانبارى (ص ٤٣) وفى معجم الأدباء

(١) أى معلقات امرئ القيس ، وطرفة ، وزهير ، ولبيد ، وعنترة ابن شداد ، وعمرو بن كلثوم ، والحارث بن حلزة .

(ص ١٤٠)، وفى وفيات الأعيان (ص ٢٤٠) أن أبا جعفر أحمد ابن محمد النحاس ذكر أن السبع الطوال من جمع حماد الراوية ؛ وفى نزهة الألباء ومعجم الأدباء وحدهما أنه لم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة على الكعبة.

أما أن العرب الجاهليين لم يختاروا المعلقات ولم يفضلوها على غيرها من الشعر، فهذا ما لا نستطيع الأخذ به. ذلك لأننا لا نرى مانعاً من ذلك. فالعرب الجاهليون قوم شغلوا بالشعر، فقالوه، ورووه، وأقاموا الأسواق لإنشاده ونقده. وقوم هذا شغلهم بالشعر لا يصعب عليهم تفضيل بعضه على بعضه واختيار بعضه دون سائره.

فالمعلقات إذن قد تكون من اختيار العرب القدماء. وهو ما لا يراه ابن النحاس النحوىّ المصرى. ويؤيدنا فى رأينا هذا ما يقوله ابن النحاس نفسه من أن حمادا الراوية، لما رأى قلة من يعنون بالشعر، جمع هذه القصائد السبع. وحثّ الناس على درسها، وقال لهم: هذه هى المشهورات. ولفظ المشهورات هنا هو بيت القصيد. فهو يدل على أن القصائد السبع كانت، قبل أن يجمعها حماد، مفضلة على غيرها، وهو فضل يرجع فى أغلب الظن إلى اختيار العرب الجاهليين إياها.

وأما أن العرب الجاهليين لم يعلقوا القصائد السبع على الكعبة، فهو ما نوافق ابن النحاس عليه. فقد بينا فى الفصل السابق من هذا البحث كيف أن الكتابة العربية قبل الإسلام لم تكن صالحة لأن تدون بها الأشعار. ونقول هنا (مستندين إلى ما يقوله المرحوم الأستاذ طه أحمد ابراهيم فى كتابه تاريخ النقد الأدبى عند العرب ص ٢٣) إن ابن عبد ربه، وهو أندلسى من رجال أوائل القرن الرابع الهجرى، أول من ذكر تلك القصة، قصة تعليق القصائد السبع على الكعبة؛ وإن إغفال المشارقة قبله هذه القصة كابن سلام وابن قتيبة والجاحظ والمبرد، وكتبهم من أمهات كتب الأدب، تجريح لها وإغراء برفضها.

فخلاصة رأينا هى أن المعلقات السبع من اختيار العرب القدماء فى أغلب الظن، وأن حماداً هو الذى جمعها بعضها إلى بعض وجعل منها جملة معروفة، وأن تسميتها بالمعلقات لا تعنى أنها علقت على الكعبة أو فى داخل الكعبة.

فاذا سئلنا عن معنى كلمة المعلقات، أجبنا أنها تدل على الجودة والنفاسة، وأنها هنا على المجاز لا على الحقيقة. ومثلها فى هذا كلمة السموط التى تطلق أيضا على السبع الطوال. وهذا الإطلاق المجازى فى غير حاجة إلى الشرح. وقد تكون كلمتا المعلقات والسموط من إطلاق العرب القدماء؛ كما قد تكونان من إطلاق حماد، كما يرى نولدكه Noeldehe فى كتابه Beiträge zur Kenntniss der Poesie der alten Araber (ص ٢٢). ويرى هيار (ص ٩) وتشارلز ليال فى كتابه: Tranolations of Ancient Arabian Poetry (المقدمة، ص ٥٤) أن كلمة المعلقات من إطلاق حماد. ثم إن للسبع الطوال اسماً آخر هو المذهبات، قد يكون من إطلاق القدماء، وقد يكون من إطلاق حماد. وواضح أن القصة التى يذكرها ابن عبد ربه من أن العرب كتبوا السبع الطوال بماء الذهب فى نسيج من صنع أقباط مصر وعلقوها بأستار الكعبة، واضح أن هذه القصة إنما نشأت من تسمية هذه السبع الطوال بالمعلقات أو المذهبات، ثم أخذ هذه التسمية على وجهها الحقيقى لا المجازى.

والآن، وقد بسطنا رأينا فى المعلقات: اختيارها، وجمعها، وتسميتها، نعود فنناقش مقالة بعض المستشرقين فى اختيارها، ونبين ما تنطوى عليه من زيف وخطأ.

يقول نولدكه فى بحث له عن المعلقات (الموسوعة البريطانية، المجلد ١٥): «لم يكن من المتيسر للعرب القدماء إطلاقا أن يختاروا هذه القصائد السبع. وأكبر الظن أننا مدينون بهذا الإختيار لأحد العلماء المتأخرين ... وقد كان حماد (الذى امتدت حياته فى الأرباع الثلاثة الأولى من القرن الثامن الميلادى) المتفرد فى عصره بحفظ أغلب الشعر العربى. وكان عمله رواية الشعر. فاختيار الشعر مما يصح من راوية مثله من كل الوجوه[1]. ثم إن هناك حقيقة أخرى يبدو أنها تؤيد جمع حماد المعلقات. فقد كان فارسى الأصل، ولكنه كان مولى لقبيلة بكر بن وائل العربية. ونحن نظن أن هذا حدا بحماد إلى ألا يقتصر على ضم قصيدة لطرفة الشاعر المشهور، فضم قصيدة بكرى آخر، هو الحارث، الذى كان زعيما شهيرا، وإن لم يكن شاعرا مبرزا؛ وإنما ضم قصيدته لأنها تصلح لمعارضة قصيدة أخرى فى المجموعة؛ هى تلك الأبيات المشهورة التى قالها معاصره عمرو، زعيم قبيلة تغلب، منافسة أختها بكر ...».

(يتبع)

السيد يعقوب بكر

(١) أورد نولدكه هذا الرأى أيضا فى كتابه السابق الذكر (ص ٢٠)

المختار

فى كل عدد ثروة عظيمة من القراءة الممتعة النافعة ، والتــوجيه السـديد إلى النجاح والرضى فى الحياة

موضوعات مختار ديسمبر

رحلة سعيدة

بدأت تنزل الدرج فى طريقها إلى ما كانت تصبو إليه — الرحلة حول العالم ، فعثرت وأخذها الشلل . قصة ملهمة لامرأة شجاعة مشلولة ، ظلت أربعين سنة تجوب آفاقاً لا تنتهى دون أن تخطو من دارها خطوة واحدة .

رأيت الروس فى بلغاريا

هــذا مقال يفسّر سبب امتناع الحكومتين الأمريكية والبريطانية ، عن الاعتراف بنتائج الانتخابات فى بلغاريا — كما روَت البرقيات .

القصة التى اشتهى أن يكتبها

كان رجلا عظيما ، وكان يطوى جوانحه على مطمع لم يقض من إدراكه وطراً — هو أن يكتب قصة بوليسية . فمن هو الرجل ؟ وما هى القصة ؟

على هامش زواج سعيد

« ليس فى فسحة الحياة المنبسطة أمامنا شىء أجلُّ شأناً من هذا الزواج ، ولن نسمح لشىء كائناً ما كان أن يفسدهُ علينا » — هذا هو المبدأ ، وهنا تجد التطبيق .

حكومة العمال البريطانية

ما مؤدى قيامها ، فى سياسة بريطانيا الداخلية مما يهمّ العالم ، وفى سياستها الخارجية وبخاصة ما كان منها ذا صلة بنهضة الاقتصاد العالمى من عثاره ؟ وهل هى أجدى على العالم من حكومة محافظة ؟

سر مع العالم

صفحة من الحقائق الغريبة .

ليلة من الأهوال

وصف يستأثر بالخيال وبروعه ، لعاصفة ثارت فى سنة ١٩٢٨ فأسفرت عن ليلة لاينسى هولها ، ولا تنسى أيضاً ضروب الجرأة والشجاعة التى تجلت فيها .

مادة عجيبة فى الدم

رويت روايات مفزعة كثيرة عن مادة تجعل دمَ الأم يقتل جنينها . مقال يميط اللثام عن سرّها ويدلك كيف يستعين الأطباء بما يعرفونه عنها على وقاية الحامل من أن تسقط أو تلد الجنين ميتاً .

من صميم الحياة

أسلوب عظيم فى إصلاح ذات البين ، يجنّب المتنازعين ذلة التسليم . قصة وقعت .

انقلاب فى زراعة القطن

آلة جديدة تجنى القطن جنياً متقناً ، جدّدت أمل أرض القطن فى استرداد رخائها — ولـكنها أثارت مشكلات كثيرة جديدة . موضوع يهمُّ جميع الزرّاع .

هذه هى طبائع البشر

قصص قصيرة تدل على أن طبائع البشر هى هى فى جميع الأقاليم والأجواء على السواء .

خلف تشرشل

كليمنت أتلى رئيس الوزارة البريطانية رجلٌ غير متكلف ولـكنه قوى الخلق ، وهو نقيض تشرشل فى خلائقه ، ولـكن كلاهما نموذج للانجليزى .

أنهار ميتة وأنهار تموت

ما يجرّه تلويث الجداول والقنوات الصافية من وبال على

الصحة العامة ، وكيف يعالج حتى يصلح الأمر وينتفع الناس

مطاردة جاسوس

كيف حلّ رجال المباحث أغمض لغز من ألغاز الجاسوسية فى الحرب العالمية الثانية ، وكيف كشفوا رجلا فرداً عادياً بين ثمانية ملايين ، لا يعلمون ما شكله أو اسمه ، ولا ما يعمل ، ولا أين يسكن ؟

هذا ما كان

كلمة السرّ التى تفتح القلب المغلق .

عالم الكنار

للطير طبائع كطبائع الناس ـ فهذا كنار متصف بـ « شعور الزعامة » ـ وهذا آخر عاشق مزواج ـ وهذه أسرة كاملة من طير الكنار تغرّد تغريداً عجيباً من أجل التغريد ، وتبدع فى تغريدها الجمال المطلق .

البحث عن الكواكب

ما سرّ نجاح كواكب السما ؟ أهو الجمال ؟ أم هو الشخصية ؟ وكيف يختارون ؟ وكيف يمتحنون ؟ هنا وصف للبحث المتصل عن الكواكب الذى تتولاه هوليوود .

علموا أولادكم الحياة

خمس حلقات أخرى ممتازة ، فى سلسلة ظفرت بإعجاب جميع القراء ، وبخاصة الآباء والمدرّسين

أجور العمال فى روسيا

بيان صريح يهدم الاعتقاد الشائع عن دخل العمال فى روسيا . لماذا يسمح ستالين لمديرى المصانع بمرتبات عالية ، ولماذا نجد الفرق بين مرتباتهم وأجور العمال ، أعظم فى روسيا منه فى البلاد الرأسمالية .

سعادة عميقة الينابيع كالدموع

قصة مؤثرة لطفل عليل ، ووالدين ذاقا السعادة الكبرى ، بعد أن ذاقا الأمرّين ، حين تعلما أن المتاعب الصغيرة لا تعدّ شيئاً إذا قيست بالألم الأكبر

السبيل الى الصحة فى الريف

يمكن أن ينال الريف خير عناية من الطب الحديث إذا ما أنشئت عيادات ريفيـة على نمط العيادة التى نروى قصتها فى هذا المقال .

ما نستفاد من الطير

قصة وقعت فى حديقة حيوان تبين ما بين الطير والناس من مشابه .

كما تكونون تكون بلادكم

« ما من أمة أو مدينة ، إلاّ وهى كما يصوغها أبناؤها ، وهؤلاء الأبناء ينبغى أن يصاغوا وينشأوا » ، وهذا ما فعلته « جمعية الإصلاح العام » فى جمهورية بجنوب أمريكا لحدّدت حياتها وجعلتها زاخرة بالخير والصحة والجمال .

هل بين جنبيك قلب مهذب

إنك تصنع المعروف ، فهل توخيت أن تصنعه على وجهه ؟ فصاحب القلب المهذّب يصنع الصنيع بأسلوب جميل مستملح . وفى هذا المقال إرشاد رفيق إلى سرّ الإرضاء والرضى فى الحياة

رياح تهب مصعدة إلى فوق

تيارات الهواء ، التى لا تهبّ شرقاً ولا غرباً ، ولا شمالاً ولا جنوباً ، بل تصعد فى جو السماء ، فتفسر بها كثيراً من غرائب الأحوال الجويّة

باب الرواية : صديقى فليط

مختصر القصة التى جعلت فلماً ذاعت شهرته . فتى روّض أشدّ الأفراس جموحاً ، بما استكنّ فى قلبه من حب وإخلاص ، وكاد يهلك فى سبيل إنقاذ فرسه من الهلاك

❊ كلّ كلمة تتعلمها تزيدك قدرة على التعبير

❊ نبذ كثيرة ، من نوادر وحكم غربية وشرقية ، تستمتع بتلاوتها وروايتها .

رحيـــــل ...

للأستاذ فريد عين شوكة

كرهتُ عجيجك يا (قاهرهْ) وضقت بعيشتك القاترهْ
وشاه بعيني فيك الزحام يزيد على الحشر في الآخره
ملايين مانحةٌ بالنهار وفي الليل صاخبةٌ ساهره
تضيق بها سبلك الواسعات وأبياتك الرحبة الزاخره

* * *

صحبتك في الحرب حتى المدى فكنت بك الصفقة الخاسره
وعانيت فيك الغلاء العضوض وذقت تباريحه القاسره
وقاسيت فيك اضطراب المقام لما فيك من كوّة شاغره
أروح هناك وأغدو هنا كرحالة لم يرح خاطره
وألقى المتاعب في فندقٍ تضيق به نفسي الحائره
فأمضي إلى الريف عند المساء وألقاك في الغدوة الباكره
وكم ذقت فيك عذاب الطريق وما فيه من نُوَبٍ كاشره
أسير أحاذر من مصرعي بصدمة سيارة سادره
وأسعى كأني بها طائر تطارده الأنسر الكاسره
وإما ركبت .. فإني على شفا حفرة للردى فاغره
فحيناً على جنبات الترام وحيناً على سلم القاطره
وطوراً بسيارة يحشرون بها الناس كالسلع البائره
إذا أحسنتْ عطّلتْ رَكْبها وإن جمحت فهو في الحافره

* * *

هي الحرب يا منيتي شوهت محاسن أيامك الغابره
أحالتك مثل لهيب اللظى وقد كنت كالسرحة الناضره
صبرنا لعلك عند السلام تعودين فتانة ساحره
فننعم في ظلك المشتهى ونستاف أنسامك العاطره
ولكنه ... أمل ضائع وأمنية نفرت ساخره
فعذراً إذا ما رغبتُ القرى أريح بها مهجتي الثائره
فلن تستقر لديك الحياة وأنت على الحالة الحاضره

من صور الحيـــــاة

للدكتور عبد الجبار جومرد

ساءها أن بدا على شحوب وكسا جانب الشباب مشيب
وغضون تقاطعت بين عيني كما لاح غامض مكتوب
عهدتني فتى طروباً وهل يبقى على حالة شجٍ أو طروب
طوحت بي شواسع فإذا ما جئت أهلي ظننت أني غريب
وبلوت الأيام حتى بدا من أسهم الدهر في فؤادي ندوب
ربما أنت في ربيع شباب شبت فيه وجرحتك الخطوب
مثلما تعبث الأعاصير بالزهر فيذوي والغصن غض رطيب
كلما كنت مرهف الحس نا بتك من البث والهموم ضروب
فالسعيد الذي يعيش بليداً والرقيق المعذب المسلوب
وحياة الأديب حرب وفيها قلما يربح الصراع الأديب
كم من الخالدين في صفحة المجد قضى وهو بائس محروب
فإذا كان للزمان ذنوب فمن الناس قد تجيء الذنوب
إنما الناس في الحياة وحوش ضاريات والفاتك المرهوب
فكثير من النفوس وضيع وقليل منها الرفيع النسيب
لا يغرنك مظهر من وجود إنما ظاهر الوجود كذوب
فلقد يسحر العيون جبين تحته من شراسة الطبع ذيب
ولقد تبسم الشفاه وفي الصدر من اللؤم في الضلوع دبيب
قلما يصنع الجميل فتى ما لم يكن في جميله مطلوب
لا تكن مسرعاً بحكمك في النا س فما كل نائح منكوب
كم غني يشكو من الشح عدماً وعديم فيه سماح وطيب
وكثيراً ما يعدم النوم مسرور ويغفو في حزنه مكروب
وتخال الشوهاء حيناً ملاكاً من جمال وحسنها مجذوب
منظر يضحك العيون ويبكيها أسىً لو سرها المحجوب
ينهب البعض لو أتيح له البعـــض وكل من غيره منهوب
ملأوا جانب الطريق شباكاً حولها ألف مرصد منصوب
نصبوها وكلهم واقع فيها ولم ينج مائق أو أريب
وأضافوا على الحقيقة ألواناً فجاءت ووجهها مقلوب
فالذي يحسن النفاق يسود القوم وهو المكرم المحبوب
والذي يعشق الصراحة في مسعاه يرتد خاسئاً ويخيب
أنت في الناس رابح إن ترفعـــت وإلا فخاسر مغلوب



الدين والوحي والإسلام

لمعالى مصطفى عبد الرازق باشا

من المباحث الشائكة ؛ الحساسة ؛ التى تلقى فى روع المتصدى للخوض فى غمارها شيئاً كثيراً من الهيب والتوقير لما تنطوى عليه من دقة ؛ وما يلابسها من الشعور بالقداسة نحوها ؛ تلك التى تدور حول الدين والوحى والإسلام ؛ وحسبك أنها الدعائم التى تنهض عليها الحياة الروحية للإنســـانية ؛ وقد وفق — الوزير الفيلسوف — فى جلائها ؛ والكشف عنها بهذا المنطق الرزين ؛ الحصيف ؛ وهذا الأسلوب المشرق الأخاذ ؛ وهذا الإيجاز المركز ؛ فهو يتناول الموضوع ويسلسله فى كل الأطوار التى اجتازها ؛ والمراحل التى قطعها ؛ حتى يتسنى عرضه فى مختلف الصور التى تبدى فيها ؛ ثم يعقب بما يراه ؛ فإذا أخذ فى الكلام عن الدين عرض لك تحديد الدين وبيان أصله فى نظر الفرنجة ؛ ثم بداية الاهتمام بهذا المبحث ؛ وصلة ذلك بتكون علم اللغات ؛ ومعانى الكلمة الأوربية ؛ ومذاهب علماء النفس والاجتماع فى أصل الدين ؛ ومناقشة التعاريف المختلفة للدين ؛ ثم ينتقل إلى الدين فى النظر الإسلامى ؛ فيعرض لكلمة دين العربية ؛ وأصل المادة ؛ ومعانيها ؛ ثم يعرض لهما فى لسان القرآن والشرع وعند الفلاسفة الإسلاميين ؛ والفرق بين الدين والفلسفة ؛ حتى إذا استوفى الكلام على الدين اتجه إلى الوحى ؛ فبين معانيه فى اللغة والقرآن والسنة ؛ وعرض أهم النظريات فى تفسير الوحى ؛ فيعرض لمذاهب المتكلمين والفلاسفة والصوفية ؛ ومذهب ابن خلدون ؛ والوحى عند المسلمين فى العصور الحديثة ؛ ثم ينتهى بالإسلام ؛ فيعرض للنظريات المختلفة فى العلاقة بين المعنى اللغوى والشرعى لكلمة إسلام ؛ ثم يستخلص الرأى الراجح فى هذا الموضوع ؛ بهذا الأسلوب العلمى الدقيق درس هذه النواحى دراسة متقنة جيدة ؛ وبيبيانه الرصين أحكم صوغها ؛ مما جعل القارئ يقبل على هذه الأبحاث الجافة فى شوق ، ويستمرئها فى عذوبة .

محمد عبد الحليم أبو زيد

على هامش مؤتمر التعليم بالقاهرة :

فى حديث الدكتور مشرفة دعوة حارة للسمو بالتعليم فوق الحزبية والأحزاب . وإذا تم هذا فسيكون حقاً من أهم العوامل التى تساعد على تحقيق الأهداف التعليمية .

لكن سمو التعليم فوق هذه التيارات السياسية أو الأحزاب السياسية معناه أن تسمو الجماعة التى تعنى بهذه الشئون التعليمية .

وهذا يتصل بالناحية الاقتصادية اتصالا وثيقاً .

فالضغط الاقتصادى كثيراً ما يملى على الأفراد والجماعات نوعاً من السلوك والأخلاق .

ووضع البلاد السياسى الآن يتطلب إلى حد كبير مجهوداً غير عادى لتحسين الناحية الاقتصادية أو على الأصح لا يساعد على تحقيق الرغبة الصادقة فى التحسين الاقتصادى المنشود . فالسمو بالتعليم فوق الحزبية أو التيارات السياسية مرتبط تماماً بالناحية الاقتصادية للبلاد .

فكلما اتسع نطاق الفقر عجزت الجماعة وخضعت تحت الضغط الاقتصادى لنوع من السلوك والأخلاق ، واستطاعت الجماعات الحزبية أو السياسية أن تجد المقومين لهذه الأحزاب وهؤلاء هم المادة التى يرتقى عليها القادة السياسيون .

وإذاً فمن الناحية العملية أو الواقعية لا ينبنى سمو التعليم إلا على سمو الاقتصاد فى بلد ظروفها كظروف مصر الآن .

تقرير اللجنة :

وجاء فى تقرير اللجنة أن هناك وسائل لتحقيق الأهداف التى منها خلق روح الاعتماد على النفس وما إلى ذلك .

ولكن إذا استطاعت المدارس أن تحقق هذا فى محيطها مما يتصل بهـــا مثل أوجه النشاط المدرسى المختلفة . فالطلبة أو التـــلاميذ يحيون فى داخل دورهم العلمية مع أساتذتهم كمن يحيون فى المدينة الفاضلة . ثم إذا ما خرجوا إلى المجتمع أو معترك الحياة ، وجدوا مجتمعاً كبيراً لا يعرف هذه المدينة الفاضلة ، بل ينكرها ويكفر بكل مبادئها .

فلم يكن بد من أن يسعى صاحبنا أو أصحابنا الطلاب لأن يلائموا بين أنفسهم وبين المجتمع الذى تفرض عليهم ضرورة الحياة الاتصال به .

الكتب

المسئولية والجزاء

للدكتور على عبد الواحد وافى

بقلم الأستاذ سعيد زايد

أستاذنا الدكتور على عبد الواحد وافى عميد علم الإجتماع فى مصر بلا منازع ، فهو قد درس مسائله دراسة وافية دقيقة تبين للمتأمل فى كتبه القيمة والمستمع لمحاضراته فى كلية الآداب .

وعلم الإجتماع الصحيح — وأقصد به التابع للمدرسة الإجتماعية الفرنسية — علم حديث فى مصر لم يخلص بعد من التيارات المنازعة أو بمعنى أصح من المخالفين لمهجه ، وهم على وجه العموم يتبعون المدارس الإنجليزية والأمريكية ، وتنحوا المدارس الأولى منحى بيولوجيا بينما تنحو الثانية منحى عمليا ، وأغلب الظن أن معارضة المعارضين للمدرسة الفرنسية إنما ترجع إلى عدم الفهم الصحيح للأسس التى تضعها لعلم الإجتماع ، ولسنا هنا فى مقام سرد حججهم والرد عليها ، ولكنا نحب أن نقول إنه من حسن الحظ أن قيض الله للمدرسة الفرنسية عالما فهم دقائق علمها وأخرجه لقراء العربية واضحا لا يحتاج إلى جهد كبير فى الفهم ، وسيأتى اليوم الذى يميز فيه الناس بين الخبيث والطيب ، ويتحقق البقاء للأصلح .

الكتاب الذى بين أيدينا أحد مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية . وموضوعه المسئولية والجزاء ، ويتكلم فيه الأستاذ عن الأسس التى تقوم عليها المسئولية كلام عالم استوعب جميع الجزئيات فأتت أحكامه عامة شاملة لا يتطرق إليها النقص ، وهو وإن أملى عنيه تواضعه بأن يقول بأنه اعتمد كثيرا على مؤلف أستاذه فوكونيه Fauconnet فى المسئولية إلا أن الأخير لم يدرس الناحية الإسلامية ولم يحاول بالتالى أن يتكلم عن مظاهر المسئولية فى المجتمعات الإسلامية ، بينما نرى هذه الناحية لم تغب عن ذهن أستاذنا فأدخلها ضمن مؤلفه القيم ، فموقفه يتلخص فى أنه فهم منهج علم الإجتماع على يدى علماء المدرسة الفرنسية الإجتماعية فهما صحيحا . ثم استطاع أن يطبقه على دراسة أية ناحية من نواحى المجتمعات المختلفة ، وحبذا لو فهم جميع علمائنا الآخذين من

لذلك أرى من الوسائل التى تساعد إلى حد ما على تحقيق الأهداف وتساعد على التوفيق بين المثل العليا المنشودة وبين الحياة الواقعية ما يأتى :

١ — أن تتجه السياسة التعليمية إلى محاولة جعل التعليم أهلياً أكثرمنه حكومياً مع قيام الإلتزامات الحكومية التى لا بد منها كما هو الشأن فى بعض البلاد المتقدمة .

٢ — ألا تكون قبلة الطلاب أو المتخرجين الحكومة ، وهذا لايتحقق مطلقاً إلا إذا كثرت المشروعات وقامت المؤسسات المركزة وخضعت المؤسسات الأجنبية لما تتطلبه مصلحة البلاد .

إذاً لايقع اللوم حقيقة على هؤلاء الذين أهملوا دروس الاعتماد على النفس وما إليها .

فالمسؤولية الاجتماعية موزعة وكل هيئة أو جماعة لها واجبها . فجماعة المعلمين إذا أعدوا الطلاب من جانب ، لا بد أن تكون الصلاحية فى الحياة من جانب آخر .

فالشبان لم ينجحوا فى أوربا أو غيرها لأن المدرسة قد وفقت فى خلق روح الاعتماد على النفس والقدرة على التصرف فى الحياة فحسب ، ولكنهم نجحوا لهذا ، ولأنهم وجدوا الصلاحية فى الحياة .

فالهيئات الأخرى قد قامت بواجبها ، ولأن المجتمع هناك لم ينكر مبادىء المدرسة فضلا عن الكفر بها .

فالبيئات الاجتماعية متشابهة متعاونة لا يهدم عمل بعضها البعض الآخر .

٣ — هذه الأندية السياسية البانية الهادمة ، إذا رغب القادة من الساسة فى أن يساهموا فى بناء المجتمع من الناحية الخلقية ، ألا تقبل هذه الأندية السياسية من الطلاب إلا هؤلاء الذين أكملوا دراستهم الثانوية واتصلوا بالمعاهد العالية ، أو هؤلاء الذين عدلوا عن مواصلة الدراسة ، فاتصلوا بالمجتمع اتصالا فعليا وكانوا فيه من الأعضاء العاملين .

بيت السودان بالدقى — محمد أحمد باجى

الثقافة الغربية مناهج علومهم فهما صحيحا ثم حاولوا بعد ذلك أن يدرسوا نواحى جديدة وهم مسلمين بأسس الدراسة الصحيحة ، إذن لظهرت ذاتيتهم ورأينا مؤلفات تقف بجانب مؤلفات الغربيين فى ميدان التفاخر لا كما نرى الآن صورا مشوهة من مؤلفات الغربيين

نقول إن أستاذنا قد استوعب جميع النواحى حين أراد أن يكتب مؤلفه . وتسلح بالمنهج الصحيح لعلم الإجتماع وهو منهج ذو شعبتين : الشعبة الأولى تتناول الظاهرة الإجتماعية من الناحية الوصفية فتبين تاريخها وتطورها وخصائصها وأشكالها ، والشعبة الثانية تتناولها من الناحية التحليلية فتحاول على ضوء الدراسة الوصفية تحليل ما بها من حقائق ، وتوازن هذه الحقائق بعضها ببعض إلى أن تصل إلى بيان دعائمها العامة ، وبالتالى إلى كشف القوانين التى تخضع لها . فكشف القوانين هو غاية العلم ، ولقد التزم أستاذنا الدقة فى تطبيق هذا المنهج فى مؤلفه الذى بين أيدينا ، فتكلم فى الفصل الأول عن أهلية الشخص للمسئولية فبين أنه ليس فقط الإنسان الحى العاقل الرشيد الذى لا يكون شخصا معنويا كما تقول بذلك قوانيننا الحديثة ؛ بل إن هناك مسئولية لغير الإنسان مثل الحيوان والنبات والجماد ومسئولية الشخص المعنوى ، فالمجتمع لا ينظر فى تقدير الجزاء وأهلية الكائن نفسه ، بل إلى الجريمة ومدى قوتها ومبلغ اعتدائها على نظمه الأساسية وأثرها فى حياته العامة . وفى الفصل الثانى يتكلم عن الحالات المولدة للمسئولية ، فبين أن المسئولية لا يشترط فيها كما تقول القوانين الحديثة أن يرتكب الكائن جرما ماديا وأن يكون هذا الجرم المادى قد حدث عن قصد وإرادة . بل إن هناك مسئولية تنشأ عن عمل نفسى بحت وأخرى عن عمل مادى بحت وثالثة عن عمل لم يقصده الكائن ولم يصدر عنه بالملابسة بل بالإنتقال ، ويخلص من هذا الفصل بحقيقتين : إحداهما أن المسئولية الفعلية وما يترتب عليها من جزاء يتولدان عن حدوث ما يرى المجتمع أنه لا يصح حدوثه بقطع النظر عن الصورة التى حدث بها الجرم . والثانية أن المسئولية الفعلية وما يترتب عليها من جزاء لا تقعان إلا على كائن يمت إلى الجريمة بصلة ما سواء قصدها وأحدثها ، أو قصدها فقط ولم يحدثها ، أو أحدثها ولم يقصدها أو انتقلت إليه من كائن يمت إليه بصلة ما ... وفى الفصل الثالث يتكلم عن نظريات المسئولية والجزاء ويناقشها ، ولا يتسع المقام هنا لإعطاء صورة هذا النقاش ولكنا نحب أن نذكر أن أستاذنا قد فند القول بالنظريات الفلسفية والنظريات التاريخية وخلص من ذلك إلى الدعائم الصحيحة للمسئولية والجزاء وهى التى تكلم عنها فى الفصل الرابع ويلخصها فى أن سبب المسئولية هو حدوث ما يرى المجتمع أنه لا يصح حدوثه ، وأن العقوبة تتجه نحو الجريمة نفسها والمجتمع فى إصابته للمجرم إنما يتجه نحو الجريمة نفسها وأن الوظيفة الإجتماعية للمسئولية والجزاء هو أن تصان حياة المجتمع وتظل حدوده بمأمن من الاعتداء ، ولكل مجتمع منهجه الخاص فى تحقيق هذه الوظيفة .

هذه خلاصة — لا أزعم أنها وافية — لفصول الكتاب ، ولا أدعى أنها تغنى عن قراءته ، وضح لنا منها أن المسئول ليس الشخص الذى تعرفه قوانيننا الحديثة بأنه الحى العاقل ... الخ بل إن بعض المجتمعات قد أوقع مسئولية على الجماد والحيوان الميت ... الخ ولا غضاضة فى ذلك فلسنا هنا بصدد أحكام قيمية ولكنا بصدد تسجيل ظواهر ارتضاها العقل الجمعى فى وقت من الأوقات . فنظم المسئولية والجزاء — كغيرها من النظم الإجتماعية — ليست من صنع الأفراد ولكنها « تنبعث من تلقاء نفسها من العقل الجمعى واتجاهاته وتخلقها طبيعة الإجتماع وظروف الحياة ، وتتطور وفق نواميس عمرانية ثابتة لا يستطيع الأفراد سبيلا إلى تغييرها أو تعديل ما تقضى به ، وإن القادة والمشرعين ليسوا من هذه الناحية إلا مسجلين لاتجاهات مجتمعاتهم ومترجمين عن رغباتها وما هيئت له فإن انحرفوا فى هذا السبيل كان نصيبهم الإخفاق البين » .

بقى سؤال وهو : هل القول بالعقل الجمعى يتضمن القول بالجبرية المطلقة وبذلك يتعذر الإصلاح ؟ كلا إن « مجال الإصلاح فى هذا النظام أوسع منه فى أى نظام آخر » ولا شك أن إصلاحا يقوم على فهم لميول المجتمع ورغباته ويسير به سيرا حثيثا إلى الرقى لهو أنفع وأجدى من إصلاح جل همه التقليد ثم الإرتجال بدون دراسة لعقليات المجتمع ويكون مصيره الفشل . فعلماء الإجتماع لا يقفون بعلمهم موقفا عقيما لا يقصدون به سوى الدراسة واستخلاص القوانين ، بل إنهم فى دراستهم هذه إنما يدعون القادة والمشرعين والمصلحين إلى التعمق فى معرفة عقلية المجتمع وميوله ومقدار استعداده لتقبل الإصلاح وإلا ذهبت جهودهم أدراج الرياح

وبعد ، فان كتاب المسئولية والجزاء خليق بأن يقرأ وبأن يكون هدى وتبصرة لمن يريدون الاصلاح المنتج .

سعيد زايد

ليسانسيه فى الفلسفة والاجتماع

خان الخليلي

للأستاذ نجيب محفوظ

بقلم السيدة وداد سكاكيني

من خصائص هوجو فى قصصه أنه كان طويل النفس فى إنشائها، مسترسل الوصف لشخوصها، إنه ليفيض فى تصوير الشاعر كرنكوار أحد أبطال رواياته فلا ينتهي من وصفه بصفحات إذ يبدأ رسمه من قمة رأسه إلى أخمص قدميه، فذكرتني بهذا الفن المسهب قصة جديدة للأديب الموهوب نجيب محفوظ، سماها « خان الخليلى » وقد عجبت لفن فتى اكتمل قبل الكهولة، إنه ليصف لنا أحمد عاكف بطل قصته، فيصوره من طرة طربوشه إلى كتابة نعليه، وكأن بقلمه تلاوين الرسامين. على أن القاص لا بد أن يوطد قدمه على مثل هذا الإمعان فى التصوير والتحليل، لا سيما إذا كانت روايته تقع فى نحو من خمسين فصلا، وكذلك كان هوجو فى روايتيه البؤساء ونوتردام دوبارى.

وقد كان من نهضة الفن القصصى فى بلاد الغرب أن رأينا أدباء مبرزين فى آثارهم التى كتبوها مستوحاة من آفاقنا وأساطيرنا، فأديب البؤساء، الذى كتب « الشرقيات » له أنداد من قومه شغفوا بالقصص عن الشرق والشرقيين، فرومان دورجليس حين زار بلاد الشام أوحى إليه فيها العربى أن يكتب روايته المشهورة « قافلة بغير جمال » وقد غفل أدباؤنا عن هذا الفن الخصيب فبقيت أقلامهم مكفوفة عن ذخائرنا حتى يأتيها كاتب غربى فيثير كوامنها ويستخرج لآلئها، ولكن عزائى اليوم فى زهادة أدباء العرب بفن بلادهم، أن رأيت مؤلف « خان الخليلى » وهو مصرى صميم، تتكشف له مصر فى عراقتها وشرقيتها عن مكامن فن أخاذ، فراح يغمس فيه قلمه، ويتطلع من خلاله إلى بلده، فيصور أهل حى شعبى من أحيائها الخافقة بالناس، وكأن دروبه عروق تنبض بالإنسان فى جسم القاهرة، فوصف القاص حياة موظف من هؤلاء الموظفين الذين لا يهمهم إلا الغدو على عملهم الراتب، وترجية الشهر استهدافاً للمرتب والدرجة، وفى تضاعيف القصة صوّر لنا حياة أسرة مصرية تركت سكنها القديم وجاءت خان الخليلى خشية الغارات الجوية التى أصابت القاهرة فى هذه الحرب

كانت حياة بطل القصة وهو الموظف مثل بركة ماء بقيت هادئة إلى أن اضطربت من تأثير الغارات ثم سكنت بعد تغيير السكن، وما لبثت أن ثارت بها عاصفة من عواصف الحياة التى لا تترك غصناً حتى تهزه ولا ورقة عليه حتى تسقطها، تلك عاصفة الحب، ولقد كان هذا الموظف كهلا خاملا، فاستحيا من هذا الحب، وهاهنا تظهر براعة القصصى فى تصوير العواطف المكبوتة التى كانت نائمة مخدرة فى نفس أحمد عاكف حتى أطلت بترددها وقلقها حين عدا عليه فى حبه أخوه رشدى فانتزع منه برحه ومغامرته تلك النبتة التى عاهد النفس على تعهدها بالإرواء.

وغدا هذا الأخ الطياش مصدوراً، فهو على مشارف الردى وقد ضاع من صدر عاكف كل تذمر وخشية منه لمزاحمته على حبه، وتضاءل وجده على الفتاة المحبوبة بوجده على المريض الذاوى، فهمّ يفديه بالروح وبذل العناية حتى قضى نحبه، فجثم الأسى على بيت عاكف بعد أن عصف الحب بالأخوين حيناً من الدهر، حتى احترقا به معاً واستقر الحداد بعينه على الأبوين، ولم يكن أشق لهذه الأسرة المنكوبة من أن تبارح « خان الخليلى » وتلجأ إلى ضاحية من ضواحى القاهرة.

حبّبت هذه القصة إلى نفسى أن أزور « خان الخليلى » وأنا فى مصر، لأملأ العين من حى سيدنا الحسين، فأرى بالنظر ما توهمته بالخيال فى قصة الأستاذ نجيب محفوظ الذى وصف مقاهى الحى البلدى وندواته الشعبية وأسواقه وسكانه العاكفين على خبزهم اليومى، فجاءت قصته ذات روح مصرية خالصة بشخوصها وحوادثها، فأذكرنى إحسان محفوظ لفنه الشرقى المحوض إساءة بعض الأدباء بسطوهم على آثار غربيـة نحلوها أدبهم وزوروها، فبدت فيها طوابع إقليمهم زائفة شافة عن تمرد فيها وقلقه، ولا على كاتب « خان الخليلى » أن يكون تعبيره فى قصته سهلاً ليناً، فإن شخوصها يتحاورون، ومن التحذلق أن يجرى على ألسنتهم أساليب البلاغة الالتزامية

وبعد فهذا الأثر الطريف للأستاذ نجيب محفوظ ثمرة طيبة فى فن القصة المعاصرة ومن قطوف لجنة النشر للجامعيين.

القاهرة

وداد سكاكيني

العدد ٦٤٩ – الاثنين ١٠ ديسمبر ١٩٤٥ – السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٢٥ . ٤٧

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

[illegible]

13 me Année No. 649

Lundi — 10 — 12 — 1945

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
ـــ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الثالثة عشرة « القاهرة فى يوم الاثنين ٥ محرم سنة ١٣٦٠ — ١٠ ديسمبر سنة ١٩٤٥ » العــدد ٦٤٩

الفلســـــفة مأمونة

للأستاذ عباس محمود العقاد

« أئمن الله على الخطر ؟ ... إن الفلسفة خطر على أصحابها وخطر على عقول العامة ، لأنها ما زالت منذ كانت تثير الظنون وتعرض المشتغلين بها للقيل والقال ... »

قرأت هـذا فى كتاب غفل من الإمضاء ، فكان فى ذلك بعض الدليل على أن اتهام الفلسفة بالخطر فى زماننا هذا هو الخطر الذى يستتر منه الناس .

وأبادر فأقول لصاحب الخطاب ومن على رأيه إن الكتب الفلسفية التى أشرت إليها فى مقالى السابق بالرسالة ليست من الكتب التى يختلف فيها قولان ، لأنها تتناول المباحث التى يتفق على دراستها رجال الدين ورجال العلم ولا يتحرج من قراءتها أصحاب رأى من الآراء .

ونحن مع هذا فى زمان غير الزمان الذى كان يخشى فيه على الفلاسفة والمتفلسفين .

وبودى أن أقول بعد هذا وذاك إن الفلسفة مظلومة فى تلك الأزمنة التى كانت تتخذ فيها ذريعة للتنكيل بمن أصابهم التنكيل من جرائها أو من جراء الانتساب إليها .

فقد ظلموها والله حين أصابوا باسمها من أصابوه ، فإنما كانوا يحسدون الفيلسوف على مكانة مرعية أو ينغصونه لعلة ظاهرة أو خفية ، فيظلمونه ويظلمون الفلسفة معه ، ويجهل الأمر من يجهله فيقول إن هؤلاء الظالمين منصفون لأنهم عاقبوا من يستحق العقاب ولم يأخذوه بغير جريرة ولم يختلقوا عليه الذنوب !

ولو كانت الفلسفة هى العلة الصادقة لأصابت النكبات كل فيلسوف يبحث فيما وراء الطبيعة ويتصدى للكلام فى أصل الوجود أو أصول الموجودات .

ولكنهم لم ينكبوا من الفلاسفة فى الواقع إلا من كان ذا منزلة محسودة ومقام ملحوظ ، وإلا من دخل معهم فى مشكلات السياسة ومطامع الرئاسة ، أو كانت لهم عنده ترة يتمحلون الأسباب لمجازاته عليها ، فيرجعون بها إلى هذه الفلسفة المسكينة ، وهى غنية بالعلل والأسباب !

وإلا فما بالهم لم ينكبوا الكندى والفارابى ونكبوا ابن سينا الوزير وابن رشد قاضى القضاة ؟

فالكندى كان رجلا ميسور الحال موفور المال ولكنه اعتزل الناس ولم يشترك معهم فى مطامع الرئاسة فتركوه يتفلسف كما يشاء ، وكان قصارى ما أصابه من ألسنتهم أنهم تندروا ببخله وزيفوا الاحاديث عن عشقه وغرامه ، وسلم له رأسه إلا مما سرى إليـه — فيما قيل — من وجع فى الركبة قد استعصى على العلاج

والفارابى نظر إلى محيط السموات وأعرض عن الأرض ومن عليها وقال فى رياضته الهندسية ورياضته النفسية :

وما نحن إلا خطوط وقعـ ـن على نقطة وقع مستوفز
محيط السموات أولى بنا ففيم التزاحم فى المركز !

فقالوا له : دونك وما تشتهى من محيط السموات ، ودعنا وما نتزاحم عليه من هذه المراكز والنقاط !

أما ابن سينا فقد زج بنفسه بين المتنازعين من الأمراء والرؤساء فزجوه فى السجن وألجأوه إلى النفى وضيقوا عليه المسالك وعلموه طلب السلامة فى زوايا الإهمال .

قال تلميذه ومريده أبو عبيد الجوزجانى « ثم سألوه تقلد الوزارة فتقلدها . ثم اتفق تشويش العسكر عليه وإشفاقهم منه على أنفسهم ، فكبسوا داره وأخذوه إلى الحبس وأغاروا على أسبابه وأخذوا ما كان يملكه وسألوا الأمير قتله فامتنع منه ، وعدل إلى نفيه عن الدولة طلباً لمرضاتهم ، فتوارى فى دار الشيخ أبى سعد ... » إلى أن عاد .

فالعلة فى الأرض لا فى السماء .

والمصيبة من « الطبيعة » لا مما وراء الطبيعة .

وآفة الرجل أنه أراد أن يكبح السلاح بالحكمة ، ولو استطيع ذلك لاستطاعه أرسطو فى سياسة الأسكندر . . وهيهات .

ثم مات الرجل فى داره حينما زالت عنه رهبة السلطان ولم يمت فى الحبس كما وهم بعضهم فى قول بعض حاسديه :

رأيت ابن سينا يعادى الرجا ل وبالحبس مات أخس الممات
فلم يشف ما ناله بالشفا ولم ينج من موته بالنجاة

وإنما كان « الحبس » فى اصطلاحهم بديلا من داء « الإمساك » فى اصطلاح هذا الزمان !

وقد صدق هذا الحاسد الشامت حين رد البلية كلها إلى معاداة الرجال لا إلى معاداة الله أو معاداة رسل الله .

وابن رشد جمع على نفسه بين حسد الوجاهة والنباهة وبين سخط العظماء ونكاية ذوى السلطان .

شرح كتاب الحيوان لأرسطو وهذبه وقال فيه عند ذكره الزرافة « رأيتها عند ملك البربر » ... وكان إذا حضر مجلس المنصور وتكلم معه أو بحث عنده فى شىء من العلوم يخاطب المنصور بأن يقول : تسمع يا أخى ! ولا يخاطبه بألقاب الملوك والخلفاء .

فجزاه « ملك البربر » دقة بدقة ونكاية بنكاية ، ورآه يستكثر عليه أن ينسب إلى العرب أو يسمى بخليفة المسلمين فقال له : بل أنت الدخيل على أمة العرب وملة الإسلام فيما صح لدينا من الأنساب التى لا تقبل الكلام !

وهكذا أصبحنا « خالصين » ! ...

وأصبح « محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد » يستر وراء هذه الأسماء سلسلة من أسماء بنى إسرائيل ، ونفوه إلى محلتهم فى جوار قرطبة لأنه دسيسة على المسلمين من سلالة اليهود الذين يفتنون أتباع محمد بفلسفة اليونان !

ولولا تلك المقابلة فى الإساءة والانتقام لجاز أن يلصق هذا الظن بالرجل وإن لم يقم عليه دليل أو قام الدليل على نقيضه ، لأن أعدى أعدائه الشامتين به فى نكبته قد نفى هذه الدسيسة عن نسبه وشهد لجده بالتقوى والصلاح حيث قال :

لم تلزم الرشد يا ابن رشد لما علا فى الزمان جدك
وكنت فى الدين ذا رياء ما هكذا كان فيه جدك !

ومَن قائل هذه الشهادة فى جده ؟ هو الحاج أبو الحسين بن جبير الذى جمل من أهاجى ابن رشد أغنية يرتلها ويعيد ترتيلها على اختلاف القوافى والأوزان . فقال فى تلك الأهاجى الكثيرة !

الآن قد أيقن ابن رشد أن تواليفه توالف

وقال :

كان ابن رشد فى مدى غيه قد وضع الدين بأوضاعه

وقال يحرض على قتله :

وقد كان للسيف اشتياق اليهمُ ولكن مقام الخزى للنفس أقتل

ولو رجعنا إلى سر هذه البلية كلها لوجدنا أن « علا فى الزمان جدك » هى تفسير هذه الأبيات أو تفسير تلك النكبات ، وإن الزرافة التى عند « ملك البربر » هى التى أدخلت نسب الرجل فى سلالة بنى إسرائيل .

فالخطر يا صاحبى على الفلاسفة من الدنيا لا من الدين ، ومن الخاصة الحاسدين لا من العامة الغافلين

العـــرب (١)

للدكتور جواد على

للمؤرخين والرواة في تفسير كلة « العرب » و « عرب » أقوال وروايات لا تخرج أكثرها عن دائرة التفسيرات اللغوية المألوفة في تفسير كل كلة عويصة وكل إسم من الأسماء القديمة . وعلى أكثر هذه الأقوال طابع التكلف والوضع .

وأنت إذا ما أردت نموذجاً من تلك التوضيحات والروايات فاقرأ ما دوّن عن هذه الكلمة في كتاب « التيجان في ملوك الحميرين[٢] » مثلا وهو رواية وهب بن منبه المتوفى بصنعاء حوالى سنة ٧٢٨ للميلاد وهو إسرائيلى يمانى يرجع في الأصل إلى نسب اليهود الفرس ثم أسلم . وإلى الروايات الأخرى المدوّنة في كتب التاريخ والأدب . ولا يهمنا نحن في هذا الباب البحث عن أسباب تلك التسمية ولا عن الدوافع التى دفعت القوم على وضع تلك القصص والحكايات ، وكلها مدونة معروفة ؛ وإنما الذى يهمّنا في هذا الفصل هو تاريخ هذه الكلمة والوقت الذى ظهرت فيه .

عرف المستشرقون في جملة ما عرفوه من النصوص القديمة نصاً آشورياً يعود عهـــده إلى الملك شملنصر الثالث (Salmanassar. 3.)[١] تحدث فيه الملك عن معركة سميت باسم معركة « قرقر » « qarqar » وهى معركة هامة حدثت في حوالى سنة ٨٥٣[٢] قبل الميلاد بين الأشوريين وبين حلف من الأمارات والمشيخات التى كانت تكره الأشوريين . وقد ذكر النص في جملة ما ذكره من أسماء الذين انضمّوا إلى هذا الحلف إسم إمارة عربية إسمها «عربى» « Aribi » انضم أمير هذه الدويلة العربية

(١) فصل من « كتاب العرب قبل الاسلام » للدكتور جواد على وهو لم يطبع بعد

(٢) راجع كتاب « التيجان » لوهب بن منبه ص ٢٩ وما بعد طبعة حيدر أباد سنة ١٤٤٧ للهجرة .

(١) وفى بعض المصادر شلمنصر الثانى راجع Margoliouth p, 3

(٢) Erich ebeling and Bruno meissuer Rea. Assyr 1928 vol 1 p, 125

وما خطب العامة والفلسفة وهى لا تصل إليهم وهم لا يصلون إليها ولا تنعقد بينهم وبينها علاقة نظر ولا علاقة سماع ؟

فاذا تحرك العامة فابحث عن « الصلة » بينهم وبين القضية فلن تجدها في أكثر الأحوال إلا نكاية حاسد أو وشاية حاجد أو حجة ظالم يستر ظلمه للفلسفة بدعوى الإنصاف للدين ، وإن الدين منه لبراء .

واعلم يا صاحبى أن العامة في كل زمان وحش محبوس لا ينال فريسته إلا بعد تحريش وانطلاق ، وإن الذين يحرشونه ويطلقونه هم أصحاب الدنيا وعروضها وليسوا بأصحاب العقائد وفروضها . إلا في النادر الذى يحسب من الاستثناء .

وما أصدق المعرى حين قال متسائلا : ما للناس ولى وقد تركت لهم دنياهم !

فانه قد لمس الداء في أصوله حين حسب أن ترك الدنيا بتركه في أمان ، وقد تركه فعلا في أمان إلا من القيل والقال ، وهو أهون ما يمر بالرجال .

تفلسف يا صاحبى كما تشاء ودع الناس يتفلسفون كما يشاءون فما دامت فلسفتك لا تصيب أحداً في دنياه ولا تفيد أحداً في دعواه ، فأنت ظافر برضوانهم وظافر عندهم برضوان .

أما إذا أصبت دنياهم ونقضت دعواهم فياويلك إذاً من الأرض والسماء ، ويا سوء ما تلقاه من العلية والدهماء ، ولو زكاك النبيون وشهد لك الأولياء ، ولزمت الصلاة والدعاء في كل صباح ومساء .

ومالك تذكر الخطر على الفلاسفة ولا تذكر الخطر على حماة الدين من الأنبياء والمرسلين ؟ فهم الذين علموا الناس الأديان وهم الذين يثار الناس باسمهم حين يثارون على الفلاسفة ومن يزعمونهم من أهل النكران والجحود ، ولو وزنت حظوظهم من البلاء والاستهزاء ، ووزنت معها حظوظ الفلاسفة والمتفلسفين ، لما حارت « شركات التأمين » بين أصحاب اليسار وأصحاب اليمين .

هى الدنيا يا صاحبى تظلم الدين كما تظلم الفلسفة بما تدعيه عليه وعليها ، وأحسبنى قد باكرت هذا المعنى القديم حين قلت قبل نيف وثلاثين سنة :

لو كان ما وُعدوا من الجنات فى ... هذى الحياة لسرهم من يكفر

فدع دنياهم وتفلسف على بركة الله ، وأنت في أمان من الله ومن عباد الله .

عباس محمود العقاد

إلى الحلفاء، وأمدّهم بنحو ألف جمل وبعدد من رجاله الذين قاتلوا الجنود الأشوريين .

أماذلك الأمير العربي الذي قاتل الأشوريين فكان «جندب» (جنديبو) « Gindibû »[١] ولا نعرف اسم أبيه إذ لم يتعرض النص لذلك . والظاهر أنه كان معروفاً عند الأشوريين فلم يجدوا ثمة حاجة تدعوهم إلى ذكر اسم أبيه . وهذا الملك هو أول ملك عربي ولا شك يذكر إسمه فى النصوص التاريخيـة المدونة فى ملوك العرب الشماليين .

وقد تغلب الأشوريون على ما يذكره النص الآشورى على رجال الحلف ونكلوا بهم تنكيلا شديداً[٢] ويظهر بصورة عامة من النصوص الأشورية أن العرب كانوا يعاكسون السياسـة الأشورية . ويهددون طرق مواصلات هـذه الامبراطورية فى مختلف الأوقات والعهود .

وفى عهد الامبراطور تغلا تبليسر الثالث (Tiglatpilser III) اضطر الملك إلى إرسال عدة حملات تأديبية لإخضاع القبائل العربية . والظاهر أنها لم تتمكن من النجاح فى مهمتها نجاحاً تاماً حتى اضطرت أخيراً إلى اتباع سياسة استرضاء رؤساء القبائل وشراء قلوبهم بالمـال . فانتخبت أحد الأمراء العرب (arubu) من المعروفين بميلهم إلى الأشوريين ومن المؤيدين لهم وعينته حاكما عاماً وأميراً مفوضاً عليهم[٣] .

ولـكن القبائل العربية على مايظهر لم تغير من جفائها بالنسبة إلى الأشوريين ولم تبدل سياستها العدائية نحو هذه الامبراطورية بدليل ماقام به الملوك الذين جاءوا من بعد هذا الامبراطور بارسال حملات على العرب بصورة متوالية .

وقد وردت لفظة « عرب » فى هذه النصوص الأشورية بهذه الصور « aribi » و « عَرُبو » « arubu » و « عُربى » « urbi » و « عربى » « arabi » و « عريبى » « irebi »[٤] ولا تزال هذه الـكلمة الأخيرة مستعملة فى بعض جهات العراق

(١) James A. montonghmery Arabia and the Bible p,58

(٢) Luckeuleill vol 1p,611 ff margolioth. The Relations between Arabs aud Israelites Prior to the Rise of Islam p,3.

(٣) Meissuer Reall p, 155

(٤) Meissuer. Reall p, 125

كاسم علم يطلق على الأشخاص . وتطلق كلمة « أعربى » « u'rubi » و « عُربى » « urbi » فى العراق على البدوى الذى لم يزل على درجة من البداوة .

وذهب بعض المستشرقين إلى أن المقصود من « urbi » «عربى» الأعراب أى سكان البادية . وأما البادية التى هى موطن العرب فيطلق الأشوريون عليها « aribi » « عريبى » وهى الصحراء الواسعة التى تفصل العراق عن الشام والتى تمتـد حتى تصل حدود نجد[١]

وهنالك اصطلاح آخر ورد فى النصـوص الأشورية وهو « ماتو عربتى » « matu arbaai » ومعـنى « ماتو » أرض فيكون معنى ذلك « أرضى العرب » وقد وردت هذه التسمية فى نص يرجع عهده إلى القرن الثامن قبل المسيح[٢] وقد استعمل البابليون هذه الـكلمة أيضاً على نحو ما كان يستعملها الأشوريون ثم دخلت الـكلمة إلى اللغة الفارسية فاليونانية[٣] .

ومن الشعوب القديمة التى كانت على اتصال دائم بالعرب « العبرانيون » فقد كانت بين العرب وبين العبرانيين حدود مشتركة وصلات تجارية قديمـة كما كانت بينهم أيام سلم وأيام حروب . لذلك تعرضت النصوص العبرانية لذكر العرب مراراً وتحدثوا عنهم فى مناسبات عديدة . تدل لفظة « arab » فى جميع فروع اللغة السامية على مدلول واحد تقريباً وهو « البداوة » وسكنى الصحراء، — « فـكانت كلمة عَرَبْ مستعملة فى اللغة العبرية القديمة لتدل على أهل العَرَبَة الصحراء أى لنوع خاص من قبائل الجزيرة العربية فى حين كان لأهل المدن والعمران أسماء أخرى جاءت فى كتب اليهود القديمة[٤] » . وقد وردت هذه التسمية فى عدة مواضع من العهد القديم جاءت تارة بمعنى «بداوة» وتارة أخرى بمعنى الفقر والجفاف والخراب والوحشة كالذى يفهم مثلا من الآية الثالثة عشرة من الاصحاح الحادى والعشرين من

(١) Hitti p. 39

(٢) Margaliouth p, 2 f. Winckler. A. O. F. vol 2 p,465 weber mitt. v g 7 58

(٣) راجع Margoliouth p, 2 f

(٤) من كتاب « تاريخ اللغات السامية » لاسرائيل ولفنسون Margoliouth p, 46 . ١٦٤

أشعيا[١] وهى تقابل كلمتى « wast » و « desalation » الانكليزيتين[١].

وجاءت فى التوراة فقرة هى massa ha arab وهى من عهود التوراة المتأخرة على رأى هاستنك المختص بأبحاث التوراة وقد فسرت فى اللغة اليونانية القديمة بمعنى « بلاد العرب » وأصبحت ترجمة الآية بكاملها باللغة العربية بهذه الصورة « وحى من جهة بلاد العرب وفى الوعر فى بلاد العرب تبيتين يا قوافل الددانيين[٣] » وقد خصصت هذه الكلمة فى هذه الآية أما قبل ذلك فكانت تعنى البداوة والإمعان فى العيش فى البادية[٤] » .

وتدل لفظة « عرابة » Arabah التى وردت فى العهد القديم بصورة التثنية على ما ذكرناه سابقا « عربة » غير أن « ها — عرابة » Ha - arabah المسبوقة باداة تعنى الوادى العميق الممتد من جبل الشيخ إلى خليج العقبة وفيه الجولة وبحر الجليل وبحر الملح أو البحر الميت[٥] . وقد يختص هذا الإسم بالغور بين البحر الميت والبحر الأحمر[٦] وقد يدل على الغور شمالى البحر الميت[٧].

ولا يعرف على وجه التأكيد ما يقصد من كلمة Arabi الواردة فى الآية ٢٠ من الاصحاح الثالث من ارميا هل يراد من ذلك « اعرابى » أى أحد الأعراب من سكان البادية أو « عربى » . وعلى كل فإنه إن قصد الأول اتجهت الفكرة رأساً إلى « بدوى » وان قصد الثانى اتجه الفكر إلى عربى من أهل القرى والمدن والأراضى[٨] .

ومما يلاحظ أن صيغة Arabi هى صيغة ارآمية أكثر من كونها صيغة عبرية Arbi[٩] وأما الجمع وهو arbim من arbi im ورد فى مواضع من التوراة ؛ فانه أقرب إلى العبرية منه إلى الآرآمية[١٠] . وأما الصورة التى وردت عليها هذه اللفظة فى الآية

(١) يرى هاستنك أن أصحاح أشعيا لم يكتب من أشعيا نفسه بل من قبل شخص متأخر عنه . راجع Hasting p, 45

(٢) Haoting Dictionary of the Bible p, 45 .

(٣) راجع أشعيا ١ : ١٣ من ترجمة جمعية التوراة الأمريكانية

(٤) Hastings p, 46 . قاموس الكتاب المقدس ج ٢ ص ٢٢

(٥) قاموس الكتاب المقدس ج ٢ ص ٨٨ . يشع ١٨ : ١٨ Hastings p, 45

(٦) نفس المصدر . (٧) نفس المصدر .

(٨) Hastinhs p, 45 (٩) نفس المصدر .

(١٠) نفس المصدر .

الحادية عشرة من الإصحاح السابع عشر من أخبار الأيام الثانى فانها غير أصلية على ما يظهر لأنها صيغة غير مألوفة « عربان »[١]

ان أول من استخدم كلمة Arab « عراب » فاسم علم فى العهد القديم على وجه التأكيد هو النبى ارميا وتقع نبوته بين ٦٢٦ — ٥٨٦ قبل الميلاد إذ جاء we eth kol malhe arab ومعناها « وكل ملوك العرب » وأما العبارة الآتية we eth kol malke ha-'ereb فانها شرح صرف لما تقدم لأجل التوضيح ولا قيمة معنوية لها غير ذلك ؛ فمعنى كلمة ha 'areb إذاً « العرب »[٢] ولا شك من أن قصد النبى ارميا من تعبيره « وكل ملوك العرب » أمراء ومشائخ العرب الذين كانوا يسكنون فى البلاد العربية الشمالية وفى صحراء بادية الشام[٣].

ويشك Hastivg هاستنك فى أن مقصود النبى من « العرب » قبيلة معينة أو جماعة معلومة تختلف عن القبائل والجماعات الأخرى من العرب بعض الاختلاف . والظاهر أن النبى ارميا لم يكن يحيط علماً بالقبائل البدوية وهى كثيرة وبالفروع التى تشعبت منها . وكيف يحيط النبى علماً بها ولم تكن لدى الاسرائيليين معلومات صحيحة واضحة حتى ذلك العهد عن العرب . وكل ما كانوا يعرفونه عن العرب لم يكن إلا من قبيل المعلومات الإبتدائية الغامضة المبهمة[٤] .

والحق أن العبرانيين لم يتصلوا بالعرب اتصالا تاماً ولم يكونوا لهم فكرة واضحة عن القبائل العربية إلا بعد تدهور القبائل الإسماعيلية « اسماعيل » Ishmael وإلا بعد ضعف المدينين والعماليق « العمالقة » . حينئذ اتصل العرب بالإسرائيليين اتصالا مباشراً وعندئذ احتك الإسرائيليون بالعرب احتكاكا شديدا فى خلال أيام السلم وفى أثناء أيام الحروب[٥] .

ومهما يكن من شىء فان هنالك صعوبات كبيرة تاريخية فى تعيين مدلول كلمة ereb « عريب » الواردة فى العهد القديم هل تعنى

(١) نفس المصدر .

(٢) راجع Hastings p, 46 والترجمة العربية للكتاب المقدس ارميا ص ٢٤ وحزقيال ٢٧ : ٢١ والنصوص الأصلية القديمة

(٣) Hitti p, 41

(٤) Hastings p, 46

(٥) نفس المصدر .

« البداوة » أو تعنى البلاد العربية كلها أو جزءاً معينا من الأجزاء التى سكن فيها هذا الشعب ؟ ولما ذكر النبى ارميا الأسماء التى ذكرت مع هذه الكلمة لم يرتب الأسماء ترتيباً جغرافيا منتظماً فبعد أن ذكر ereb[1] « عريب » و « كل اللفيف » قال : « وكل ملوك أرض عوص ، وكل ملوك أرض فلسطين ، واشقلوة وغزه وعقرون وبقية أشدود وادوم وموآب وبنى عمون وكل ملوك سور وكل ملوك صيدون وملوك الجزائر التى فى عبر البحر وددان وتيماء وبوز وكل مقصوصى الشعر مستديراً وكل ملوك العرب وكل ملوك اللفيف الساكنين فى البرية »[2] .

نرى مما تقدم أن من الصعب تعيين المكان الذى سكنه العرب بالضبط . وقد ترجم مارتن لوثر « وكل ملوك العرب » ترجمة تختلف قليلا فى المعنى فقال « وكل الملوك الذين فى البلاد العربية » فقصد البلاد العربية لا الشعب العربى كشعب « أعراب » Arab ونجد هذا الإلتباس فى الترجمات الأوربية ereb و Arab أو ARabia[3] .

ومنذ القرن الثالث قبل المسيح أصبحت كلمة « عرب » نوعا ما عامة تطلق على مختلف القبائل التى انتشرت فى شبه الجزيرة فأطلقت على العرب الذين كانوا يجاورون « الكوشيين » وهم « الأحباش » على أكثر الاحتمالات .Elhiopians[4] وذكرت قبيلة جشم geshem و gashmu أو gushamu فى مجموعة القبائل العربية أشار إلى ذلك « نحميا » فى ذكرياته[5] . وهذه القبيلة هى من القبائل الشمالية .

ومما يجب التنويه عنه هو أن لفظ « عرب » مهما قيل فيه فانه لا يعنى ما يعنيه فى الوقت الحاضر من شعب واحد كان يسكن شبه الجزيرة برمتها بل كان يشمل نوعاً خاصاً من القبائل وهى القبائل التى كانت تتنقل فى البادية من مكان إلى مكان طلباً للكلا والماء ومنابت الأعشاب »[1] .

« وأما ما يقال فى المعاجم العربية من أن هناك فرقاً بين كلتى عربى وأعرابى وتخصيص الأولى بسكان المدن والثانية بسكان البادية فلم يحدث إلا فى عصور قريبة من ظهور الإسلام . أما قبل ذلك فلم يكن هناك فرق مطلقاً ، بل كان كل من الكلمتين يدل على سكان البادية فحسب : أما سكان المدن والأمصار فكانوا ينسبون إلى قبائلهم أو يعرفون بمناطقهم »[2] .

ويقال بأن « بنى قديم » « B 'ene Kedhem » الواردة فى العهد القديم والتى تعنى « أبناء الشرق » أو « الشرقيين » يقصد منها القبائل العربية التى كانت تسكن شرق فلسطين أو حوالى البحر الميت . ولعلها القبائل التى كان يطلق عليها إسم « القبائل الإسماعيلية » « Ishmaelire Arabs » ويقول أحد المستشرقين وهو إيوالد « evald » بأنه « قدمونى » « qadmoni » ترادف « بنى قديم » « B 'ene qedhem » وهى تسمية عامة تطلق على جميع القبائل التى انحدرت من نسل « قطورة »[3] زوجة إبراهيم على حد تعبير نسابى اليهودى « Keturahite Tribes »[4] .

وأما الأراضى التى أقام فيها العرب وحلوا بها فقد أطلق عليها الأشوريون والبابليون « ماتو أربائى » « Matu Arbaai » ومعناها « أرض العرب »[5] وقد انتقلت هذه التسمية من البابليين إلى الفرس ومن الفرس إلى الكتبة اليونانيين[6] .

وعرف هؤلاء الكتبة شيئاً من أحوال العرب دونت فى كتبهم ؛ إذ ذكر Aeshylus مثلا إسم عربى اشترك مع من اشترك فى معركة « سلاميس » « Salamis » . وذكر هيرودوتس شيئاً لا بأس به عن العرب وعن البلاد العربية وعلى الأخص العرب

(١) راجع Margoliouth p, 47

(٢) راجع ارميا اصحاح ٢٥ آية ٢٠ وما بعد أيضاً قاموس الكتاب المقدس .

(٣) Margoliouth p, 47

(٤) راجع Hitti p, 41 . سفر التكوين الثانى ٢١ : ١٦ أيضاً مادة (Cush) فى Hastings p, 254 ذكرت مقارنة لبلاد مصر . لعلها السودان .

(٥) راجع Hastings p, 40 . نحميا ٢ : ١٩ ، ٦ : ١ — ٢ وقد ورد اسم جشم العربى الذى اتفق مع سنبلط وطوبيا على مقاومة نحميا إذ كان يبنى سور أورشليم . راجع أيضاً قاموس الكتاب المقدس ج ١ ص ٣٢٧ وجشم (بالضم) اسم قبيلة عربية معروفة .

(١) تاريخ اللغات السامية ص ١٦٤

(٢) نفس المصدر .

(٣) وهى زوجة ابراهيم راجع تكوين ٢٥ ، ١ — ٤ راجع أخبار الأيام الأولى ١ ، ٣٢ . ومن هذه القبائل مدين سبا ، وددان وتوجد قبيلة على مقربة من مكة عرفت باسم قتـ ودا . (قطورة) . (قطوراء) Hastings 514

(٤) Hastings p, 512

(٥) Margoliouth. The Relations p, 3

(٦) نفس المصدر .

الذين كانو فى المنطقة الواقعة بين سوريا ومصر أى فى صحراء سينا وفى المناطق المتصلة بهذه الصحراء، والتى كانت لها روابط وصلات بالعبرانيين[١] .

وأطلق اكسنوفان « Xenophan » إسم « Arabia » على نفس المنطقة التى سمّاها داريوس « Arabàya » ويعنون بها الصحراء التى تفصل أرض بابل « Babylonia » عن منطقة « mesopotamia Propor »[٢] وهى نفس المنطقة التى ظل الكتبة السريان المتأخرون يطلقون عليها إسم « Arabs » وقد استوطنت فى هذه المنطقة قبائل عربية كثيرة[٣] .

وقسم كتبة اليونانيين البلاد العربية « Arabia » ومعناها «العربية» إلى أقسام مثل «العربية السعيدة» « Arabia Felix » و « العربية الصخرية » « Arabia Petraea » و « العربية الصحراوية » « Arabia Deserta » وأقسام أخرى مثل « Arabia Eudoiwon »[٤] .

وعرف العرب بتسمية أخرى هى « Saracens » وهى تسمية شاعت بين الكتبة اليونانيين . ويستفاد مما كتبه بطليموس أن « السرسانيين » « Saracens » كانوا يقيمون فى منطقة شبه جزيرة سيناء وأنهم كانوا من أتباع الامبراطورية الرومانية وأنهم كانوا يتعرضون للقوافل التجارية ويأخذون المكوس الفاحشة من القوافل التى كانت تمر بأراضيهم[٥] .

وأطلق الأراميون على العرب إسم « Sarkaje » ونجد هذه اللفظة فى المناظرة « الديالوك » « Dialogue » التى كتبها أحد تلاميذ برديصان « Bardesanes » حوالى سنة ٢١٠ للميلاد . وقد شاعت هذه اللفظة وأصبحت تطلق على العرب عامة منذ هذا الوقت لدى السريانيين واليونانيين . ثم انتقلت إلى اليونانيين فبقية الشعوب الأوربية[٦] .

وأما لفظة « Taits » فالظاهر أنها مأخوذة كلمة «طى» وهى إسم القبيلة المشهورة التى كانت تسكن شمال نجد ثم ارتحلت إلى البادية الشمالية وإلى مختلف أنحاء شبه الجزيرة . وقد اكتسبت هذه القبيلة شهرة واسعة وخافتها الشعوب المجاورة حتى أطلقوا على جميع القبائل العربية لفظة « Taits » من باب إطلاق الجزء على الكل[١] .

وهكذا شاعت هذه الكلمة وغطت ما دونها من كلمات . فأطلق الأراميون فى العصور المسيحية لفظة « Tayayo » على العرب ونقل الفرس هذه الكلمة بصورة محرفة تحريفاً يلائم لغتهم فقالوا « تاجك » « Tadjik » أو « Tawik » و « Tawi » فى العهد الأخير[٢]

قد خافت الشعوب التى تاخمت قبيلة طى منها كثيراً والظاهر أنها كانت قوية شديدة المراس فقد أجمع الكتبة من يونان وسريان أنها كانت على جانب عظيم من الغلظة والخشونة وأنها كانت بدوية . ويقول يوحنا العمودى بأن أكثر قبيلة « Taito » لا يعرفون الخبز[٣]

أما النصوص القديمة التى عثر عليها فى البلاد العربية الجنوبية فلم تذكر سوى كلمة « أعراب » ومعناها البدو والقبائل المتنقلة على نحو ما جاء فى القرآن الكريم[٤] . وقد كان السبأيون والحميريون يميزون بين الحضر من أهل المدن وبين سكنة البادية وهم « الأعراب » .

فكانوا يسمون الحضر بأسماء الأماكن التى يسكنونها أو بأسماء أجدادهم وقبائلهم فيقولون « بنو فلان » . وأما سكنة البادية فكانوا يطلقون عليهم بصورة عامة « أعراب » وينسبونهم إلى المحل الذى يقيمون فيه فيقولون « أعراب تهامة » و «أعراب مأرب » وما شابه ذلك[٥] .

---

(١) Hastiugs p, 46

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

(٤) Diodorus 2 p, 48

(٥) Ptolemy p, 5, 16

(٦) راجع Cureton Spicilegium Syriacum 16 ult

---

(١) Alios musil, The northern Higas p, 4 margo liouth p, 57

(٢) Blois musil. The northern higas .P, 4 margoliouth. P, 54.

(٣) A. Musil. The northern Higas p, 4

(٤) القرآن الكريم ٩٨،٩ ثم ٤٩ ، ١٤ كذلك ٩ ، ٩١، ٩٠، ٩٩، ١٠٠، ١٠٢، ١٢١، ثم ٣٣، ٢٠ كذلك ٤٨، ١١، ١٦ .

(٥) راجع النصوص السبائية والحميرية Margoliouth, p, 4 Glaser ur 554 2 mitt. 4 p, 7 C T H

وبالنظر إلى عدم العثور على نصوص غربيـة قديمة كثيرة نستطيع بواسطتها معرفة آراء العرب أنفسهم فى هـذه التسميات فاننا لا نستطيع إبداء رأى حاسم فيما ذكرناه من تسميات أطلقها الأجانب على العرب . وعلى كل فإن هذه التسميات على ما يظهر كانت خاصة بعرب الشمال الذين كانوا بطبيعة الحال على اتصال مباشر بتلك الشعوب الغريبة . فهى علامات فارقة كانت تميز تلك القبائل عن القبائل السامية الأخرى[1] .

إن القبائل البدوية والقبائل التى هى على شىء من حياة البداوة لا تعرف عادة من معانى القومية والجنسية إلا معنى القومية القبلية . فالقبيلة فى نظر البدوى هى الحكومة وهى القومية وهى الجنس وهى كل شىء . والأرض التى تقيم فيها القبيلة هى الوطن يرتبط به ما دامت القبيلة فيه فإذا انتقلت القبيلة إلى أرض أخرى كانت الأرض الجديدة هى الوطن الجديد الذى يدافع عنه ويجود بنفسه فى سبيله . ورابطة القبيلة هى الجنسية الوحيدة فيما بين القبائل وهى التابعية . وعلى قدر منزلة القبيلة تكون منزلة التابعية وقوة نفوذها فى عالم القبائل السياسى[2] .

وعلى الرغم من اشتباك القبائل فى وحـدة الجنس ووحدة الأصل فإنها لم تكن تشعر فى معاملاتها الخاصة هـذا الشعور . فكانت تنظر الواحـدة إلى الأخرى نظرتها إلى شعب غريب فتتحارب وتتقاتل فيما بينهـا وترتبط مع الأجانب وتحـارب معهم ضد قبيلة أخرى من أبناء جنسها . ولـكن ضرورة التنقل من مكان إلى مكان أجبرت القبائل القريبة على تـكوين حلف فيما بينها وعلى الارتباط برباط العصبية . فصار هنالك حلف القبائل

وهذا الشعور هو الذى ألف فيما بين القبائل وجعلها كتلة قوية تصد عادية المتمدن . فظهر امرؤ القيس بن عمرو الذى ورد ذكره فى حجر نمارة (Namàro) النفيس فى الجنوب الشرقى من دمشق والمؤرخ فى عام ٢٣٨ للميلاد الموافق ليوم ٧ بكسلول من سنة ٢٢٣[3] .

(١) Hastings d, 46
(٢) راجع Hastings Dictionary of the Bible p, 46
(٣) راجع Lidzbarski Ephemeris vol 2 p, 35

إن نص النمارة هو أول نص عربى يشير إلى ملك « ملك العرب كلهم والذى حاز التاج وملك الأسدين ونزاراً وملوكهم رهزم مذحجاً وجاء إلى نزجى (أو يزجى) فى جبج نجران مدينة شمر وملك معداً ونزل بنية الشعوب ووكله الفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه[1] .

يظهر من كل ما تقدم أن كلمة « عرب » و « العرب » لم تطلق فى العصور التى تقدمت المسيح على العرب عامة وإنما كانت كلمات تدل على قبيلة معينة هى قبيلة شمالية . وأما عرب الجنوب فكانوا يسمون « معونيم » مثلا أى معنين أو سبئين ثم حميرين وقبائل أخرى . واستعملت « عريب » عند العبرانيين للدلالة على البداوة : وكذلك استعملت عند عرب الجنوب .

والظاهر أن كلمة « العرب » كجنسية تشمل جميع سكان شبه الجزيرة العربية لم تظهر إلا قبل الإسلام بزمن يظهر أنه لم يكن طويلا يمكن أن يعود إلى القرن الثالث أو الرابع للمسيح . ولم تطلق هـذه الكلمة على سكان بلاد العرب الجنوبية الذين كانوا يختلفون فى أنسابهم عن عرب الشمال ولذلك فرق النسابون بين الجماعتين .

جواد علي

(١) راجع نص النمارة Lidzbarski Ephemeris vol 2 p,35

في إرشـــاد الأريب

إلى معرفة الاديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ١٩ —

ج ١٧ ص ٣٠ : ما أحسن قول العتابى وأحكمه ! :

لوم يعيذك من سوء تقارفه أبقى لعرضك من قول يداجيكا

وقد رمى بك فى تيهاء مُهلِكة من بات يكتمك العيب الذى فيكا

قلت : (مهلكة) بفتح الميم ، ولامها مثلثة ، وهى المفازة ، والجمع مهالك .

* * *

ج ١٣ ص ٣٦ : قد وهبناه منك وصفحنا عن ذنبك .

قلت : قد وهبناه لك . قال سيبويه ج ١ ص ١٦٠ : ولا تقول وهبتك لأنهم لم يعدوه ولكن وهبت لك .

فى اللسان : حكى السيرافى عن أبى عمرو أنه سمع أعرابياً يقول لآخر : انطلق معى أهبك نَبلا .

وإن جاز قول الاعرابى فعنده نقف . والأعلى هو قول (الكتاب) المعجز : « رب ، هب لى حكماً » « فوهب لى ربى حكماً » .

والحكم : الحكمة ، « وهو أعم منها — كما قال الراغب فى مفرداته — فكل حكمة حكم ، وليس كل حكم حكمة ، فان الحكم أن يقضى بشىء على شىء فيقول : هو كذا أو ليس بكذا[1] » .

* * *

ج ٦ ص ٢٧٥ : قال الأمير أبو الفضل الميكالى : كتب عامل رقعة إلى الصاحب فى التماس شغل ، وفى الرقعة : إن رأى مولانا أن يأمر بإشغالى ببعض أشغاله فعل . فوقع الصاحب تحتها : من كتب لإشغالى لا يصلح لأشغالى .

وجاء فى الشرح : يريد أن كسر الهمزة خطأ ، وكان يريد أن يقول شغلى ، وفى القاموس يقول : إن أشغل لغة جيدة أو قليلة أو رديئة .

قلت : (من كتب إشغالى) كما روت اليتيمة ج ٣ ص ٣٨ ومراد الصاحب أن المجرد من هذا الفعل هو الجيد ، والمزيد ردىء . فى التاج « شغله كمنعه شغلا — بالفتح — ويضم وهذه عن سيبويه . وأشغله ، واختلف فيها فقيل هى (لغة جيدة أو قليلة أو رديئة) قال ابن دريد : لا يقال : أشغلته ، ومثله فى شروح الفصيح وشرح الشفاء للشهاب والمفردات للراغب والأبنية لابن القطاع[1] ، ولا يعرف لأحد القول بجودتها عن إمام من الأئمة ، وكتبه بعض عمال الصاحب له فى رقعة فوقع عليها : من يكتب إشغالى لا يصلح لأشغالى . قال شيخنا : فإذاً لا معنى لتردد المصنف[2] فيها . قلت : ولعله استأنس بقول ابن فارس حيث قال فى (المجمل) لا يكادون يقولون أشغلت ، وهو جائز فتأمل ذلك » .

* * *

ج ٧ ص٢٥٢ : جحظة :

أناخلو من المماليك والأملاك(م) جلد على البلا وصبور

قلت : جلد على البلاء صبور

* * *

ج ١٦ ص ٣٢٠ : وحق له التأسى على المفقود .

وجاء فى الشرح : التأسى : الحزن .

قلت : (وحق له الأسى على المفقود) والأسى هو الحزن ، وأما التأسى فهو التعزى . فى التاج : أساه بمصيبته تأسية فتأسى أى عزاه تعزية فتعزى ، وذلك أن يقول له : مالك تحزن ؟ وفلان أسوتك أى أصابه ما أصابك فصبر ، فتأس به .

وفى ديوان الخنساء :

---

(١) النهاية : إن من الشعر لحكما أى إن من الشعر كلاماً نافعاً يمنع من الجهل والسفه وينهى عنهما ، قيل : أراد بها المواعظ والأمثال التى ينتفع بها الناس ، والحكم : العلم والفقه والقضاء بالعدل .

(١) ومثل ذلك فى الصحاح

(٢) صاحب القاموس .

ومايبكين مثل أخي ولكن أسلي النفس عنه بالتأسي

وقال البحتري في السينية العبقرية :

عمرت للسرور دهراً فصارت للتعزي رباعهم والتأسي

* * *

ج ٤ ص ١٨٣ : وكان محباً لإسداء العوارف والاصطناع ، وجذب الباع .

قلت : (وجذب الأتباع) في الأساس : وهو له تبع وهم له تبع لأنه مصدر وهم أتباعه وتُبّاعه .

* * *

ج ١٩ ص ١٩٦ :

وما لك غيرُ تقوى الله زاد إذا جعلت إلى اللهوات ترقى

قلت (غيرَ) وهو إن لم يكن الأصح فهو المختار .

قال ابن يعيش في شرح المفصل ج ٢ ص ٧٩ : وإنما لزم النصب في المستثنى إذا تقدم لأنه قبل تقدم المستثنى كان فيه وجهان البدل والنصب فالبدل هو الوجه المختار ، والنصب جائز على أصل الباب فلما قدمته امتنع البدل فتعين النصب . وبيت المفصل :

ومالى إلا آل أحمد شيعة ومالى إلا مشعب الحق مشعب

وبيت (الكتاب) وهو لكعب بن مالك (رضى الله عنه) يخاطب (النبي صلى الله عليه وسلم) :

الناس ألب علينا فيك ليس لنا

إلا السيوفَ وأطراف القنا وزر

ومثله قول الكميت الذى حرم الرواية الصحيحة في هذا الزمان وقد بينتها في الرسالة الغراء في هذه السنة :

وإن لم يكن إلا الأسنةَ مركبٌ

فلا رأى للمحمول إلا ركوبها[1]

وفي (الكتاب) : « وحدثنا يونس أن بعض العرب الموثوق بهم يقولون مالى إلا أبوك أحد » ولم يذكر شاهداً .

(١) في إحدى الملحمات في (جمهرة أشعار العرب) والبيت « من أمثال الكميت السائرة في أبيات قصائده » كما قال الثعالبي في (الايجاز والاعجاز) وروايته فيه (إذا لم يكن — فلا رأى للمضطر .

قال ابن عقيل وأعربوا الثاني بدلا من الأول على القلب . وفي (همع الهوامع) ج ١ ص ٢٢٥ : قال ابن عصفور : (ولا يقاس على هذه اللغة) وقد قاسه الكوفيون والبغداديون وابن مالك ، ومن الوارد منه :

فانهم يرجون منه شفاعة إذا لم يكن إلا النبيون شافع

قلت : « قال محمد هو ابن مالك » :

وغير نصب سابق في النفي قد يأتي ولكن نصبه اختر إن ورد

* * *

ج ١٦ ص ٣٠٣ .

فان قلتمُ إنا ظلمنا فلم نكن بدأنا ولكنا أسأنا التقاضيا

قلت (فلم نكن ظلمنا ولكنا أسأنا التقاضيا[1]) والبيت في مقطوعة للشميذ الحارثي من شعراء الحماسة ومطلعها .

بني عمنا لا تذكروا الشعر بعد ما

دفنتم بصحراء الغُمَير القوافيا[2]

* * *

ج ١٩ ص ٤٦ : وتغير ذهنه بآخِرِه . وفي هذا الجزء ص ٥٥ : وانتقل بآخِره إلى غرناطة .

قلت : في الصحاح : جاء فلان بأخَرَة بفتح الخاء وماعرفته إلا بأخرة أي أخيراً . وفي النهاية : كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، يقول بأخرة إذا أراد أن يقوم من المجلس كذا وكذا أي في آخر جلوسه ويجوز أن يكون في آخر عمره ، وهي بفتح الهمزة والخاء .

وجاء في اللسان والتاج . « وجاء بآخرةٍ بالمد » وشكلت الخاء بالفتح ولم يضبطها التاج .

* * *

ج ٧ ص ١٠٩ : حدث المبرد عن المازني قال : كنت عند أبي عبيدة فسأله رجل فقال له : كيف تقول : عُنيت بالأمر ؟

(١) التبريزي : فيه قولان : أحدهما القتل بعد أخذ الدية والآخر قتل جماعة بواحد .

(٢) التبريزي : لا تفتخروا في شعركم أبداً فقد دفنتم القوافي بهذا الموضع لسوء بلائكم .

قال : كما قلت : عُنيت بالأمر . قال : فكيف آمر منه ؟ قال (المازنى) فغلط وقال : أعنُ بالأمر . فأومأت إلى الرجل ليس كما قال . فرآنى أبو عبيدة فأمهلنى قليلا فقال : ما تصنع عندى ؟ قلت : ما يصنع غيرى . قال : لست كغيرك ، لا تجلس إلى ، قلت: ولم ؟ قال : لأنى رأيتك مع إنسان خوزى سرق منى قطيفة. فانصرفت وتحملت عليه بإخوانه ، فلما جئته قال لى : أدب نفسك أولا ثم تعلم الأدب . قال المبرد : الأمر من هذا باللام ، لا يجوز غيره لأنك تأمر غير من بحضرتك كأنه ليفعل هذا .

قلت : (أعنَ بالأمر) بفتح النون لا ضمها[1] . وما ذهب إليه أبو العباس هو الأكثر . فى اللسان : قال البطليوسى : أجاز ابن الأعرابى عَنيت بالشىء أعنَى به فأنا عانٍ وأنشد :

عانٍ بأخراها طويل الشغل   له جفيران وأى نبل

وفى التاج : عنى فلان بحاجته بالضم أى مبنياً للمفعول عناية بالكسر ، وهذه اللغة هى المشهورة التى اقتصر عليها ثعلب فى

(١) لأنها من عنى يعنى لا عنا يعنو .

فصيحه ووافقه الجوهرى وغيره ، ويقال أيضاً : عنى بحاجته كرضى وهو قليل ، حكاه جماعة منهم ابن درستويه وغيره من شراح الفصيح والهروى فى غريبه قاله شيخنا .

قلت : قال شيخنا فى المقامات العلائية (الفصول والغايات[1]) عبقريته النثرية ص ٣٠ :

أعْنِنى[2] رب ، وأعنِّى واعنَ بى حتى تغنى عن أمى وأبى »

وقد اقتضى التلاؤم أو الموسيقية — كما يسمى ذلك العلامة الأستاذ أمير النثر[3] — أن يؤثر نابغة الأدب العربى القليل فى الاستعمال فى هذا المقام على الكثير ، وللموسيقية هى فى اللفظة وفى الجملة . وأبو العلاء أدرى الناس بصحة الألفاظ واعتلالها .

فى القسم — ١٧ — رويت قول حسان : (تسقى الضجيع ببارد بسام) كما نقلوا ، وعندى أنها (تشفى) لا تسقى .

(١) ضبطه وفسر غريبه ونشره الأستاذ الشيخ محمود حسن زناتى . وقد ذكرت شيئاً من مكانة هذا الكتاب وعظم تحقيقه وضبطه فى مقالتى الرسالة ٢٥٠ ص ٦٥٥ .

(٢) أصل التعنين والأعنان حبس الفرس بالعنان .

(٣) (دفاع عن البلاغة) ص ١٠٢

رأى جديد فى :

حمـــاد الراوية

للأستاذ السيد يعقوب بكر

— ٥ —

يقول نولدكه إن حماداً هو الذى اختار المعلقات ، وهو فى هذا يتابع ما قاله ابن النحاس فى أوائل القرن الرابع الهجرى ، وليست بنا حاجة هنا إلى أن نعيد ما قلناه فى صدد رأى ابن النحاس. إنما نكتفى بنقد ما يستدلّ به نولدكه من أن حماداً أقحم قصيدة الحارث بن حلزة ممالأةً منه لمواليه بنى بكر ، ودفعاً منه لقصيدة عمرو بن كلثوم فى الافتخار بتغلب . فنولدكه يرى فى هذا دليلاً على أن حماداً هو الذى اختار المعلقات . وهو دليل لعمرى ضعيف. فقد كان يستطيع حماد ألا يختار قصيدة عمرو، لو كان هو الذى اختار المعلقات . ولكنه لم يغفلها أو لم يسعْه إغفالها ، لأنه كان يجمع مشهورات القصائد ، أى القصائد التى اختارتها العرب وفضّلتها ، وفيها قصيدة عمرو بن كلثوم . وهكذا يكون دليل نولدكه دليلاً عليه لا له . وأما ما يقوله من أن الحارث بن حلزة لم يكن شاعراً مبرزاً ، وأن حماداً أقحمه بين أصحاب المعلقات إقحاماً ، فنحن نورد عليه اعتراضين : الأول أن ابن سلام الجمحىّ صاحب طبقات الشعراء يجعل عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وعنترة بن شداد فى طبقة واحدة ، هى الطبقة السادسة من طبقات الشعراء الجاهليين ؛ والثانى أن الحارث بن حلزة كان زعيم قومه كما كان عمرو بن كلثوم زعيم قومه ، وأن قصيدتيهما استفاضتا بين العرب لهذا السبب . وليس فى الاعتراض الثانى مطعن فى شعر الشاعرَين ، وإنما نريد به الدلالة على أن مكانة القائل تغنى عن جودة القول فى مجال الشهرة والذيوع .

فالحارث إذن من شعراء المعلقات أصلاً . ويؤيد هذا ما يقوله نولدكه نفسه من أن ابن عبدربه ، وابن النحاس (فيما يقوله القدماء) ، قد قبلا المعلقات السبع كما جاء بها حماد ، ولم يُبدلا فيها شيئاً من شىء . ومعنى هذا أنهما لم يجدا مطعناً فى جمع حماد المعلقات ، ولم يريا ما يراه نولدكه من أنه أقحم الحارث بن حلزة إقحاماً . وهما من رجال أوائل القرن الرابع الهجرى ، كما سبق ذكره ؛ فهما إذن قريبا عهد بعصر حماد (المتوفى سنة ١٥٥ أو ١٥٦ هـ) . وأما ما يذكره صاحب جمهرة أشعار العرب من أن المفضل قال : « القول عندنا ما قاله أبو عبيدة فى ترتيب طبقاتهم ، وهو أن أول طبقاتهم أصحاب السبع معلقات ، وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة والأعشى ولبيد وعمرو بن كلثوم وطرفة بن العبد » ، ومن أنه قال : « هؤلاء أصحاب السبع الطوال التى تسميها العرب بالسموط ، ومن زعم غير ذلك فقد خالف الجمهور » أما ما يذكره صاحب جمهرة أشعار العرب من قول المفضل هذا ، فلا يمكن الاعتماد عليه ، لأنه ظهر — كما يقول نولدكه نفسه — أن صاحب الجمهرة غير ثقة ، وأنه إنما انتحل اسم أبى زيد القرشىّ ليخدع الناس عن نفسه . فالمفضل وأبو عبيدة ، وهما معاصران لحماد ، لم يخالفاه إذن فى شعراء المعلقات ولم يجعلا النابغة والأعشى مكان عنترة والحارث بن حلزة ؛ أو لم يثبت أنهما خالفاه .

فقد استبان إذن زيفُ رأى نولدكه ؛ واستقام لنا ما قلناه من أن العرب القدماء هم الذين اختاروا المعلقات وفضلوها على غيرها ، وأن حماداً هو الذى جمعها بعضها إلى بعض وجعل منها جملة معروفة متداولة . وما قلناه فى رأى نولدكه يمكن أن نقوله فى آراء من شايعه من المستشرقين ، أمثال أرندنك (الموسوعة الإسلامية ، مادة حماد الراوية) وبروكلمان (كتابه المشهور ، جـ ١ ص ١٨ ، وتكملة جـ ١ ص ٣٤) وغيرهما .

جمع حماد المعلقات إذن . بل إنه جمعها كما سمعها ، فلم يصح عنه فيها انتحال .

كذلك روى حماد معظم شعر امرىء القيس . ففى المزهر (جـ ٢ ص ٢٠٥) أن الأصمعى قال : كل شىء فى أيدينا من شعر امرىء القيس فهو عن حماد الراوية ، إلا شيئاً سمعناه من أبى عمرو ابن العلاء .

(جـ) اشتهاره بالانتحال :

اشتهر حماد بالانتحال ، وهو ما سنناقشه فى الفصل الآتى من البحث . إنما نكتفى هنا بحصر الأقوال والأخبار التى توردها كتب القدماء فى صدد انتحاله ، لتكون هذه الأقوال والأخبار موضع تمحيصنا فيما بعد .

أقوال العلماء فيه:

١ — فى الأغانى (جـ ٥ ص ١٧٢) ومعجم الأدباء (ص ١٤٠) وخزانة الأدب (ص ١٣١) أن المفضل الضبى قال : قد سُلّط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبداً ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ أيخطىء فى روايته أم يلحن ؟ قال : ليته كان كذلك ، فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب ؛ لا ، ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله فى شعره ، ويُحمل ذلك عنه فى الآفاق ، فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد ، وأين ذلك ؟

٢ — وفى الأغانى أيضاً (ص ١٧٤) أن خلف الأحمر قال : كنت آخذ عن حماد الراوية الصحيح من أشعار العرب وأعطيه المنحول ، فيقبل ذلك منى ويدخله فى أشعارها .

٣ — وفى الأغانى أيضاً (ص ١٦٤) ومعجم الأدباء (ص ١٤٠) أن الأصمعى قال : كان حماد أعلم الناس إذا نصح (يعنى إذا لم يزد وينقص فى الأشعار والأخبار) .

٤ — ويقول ابن سلام فى طبقات الشعراء (ص ٢٣ — ٢٤) ، وينقل عنه السيوطى هـذا فى المزهر (جـ ١ ص ٨٧) ، إنه سمع يونس بن حبيب يقول : العجب لمن يأخذ عن حماد ، كان يكذب ويلحن ويكسر .

٥ — وفى المزهر (جـ ٢ ص ٢٠٥) أن أبا حاتم قال : كان بالكوفة جماعة من رواة الشعر مثل حماد الراوية وغيره ، وكانوا يصنعون الشعر ويقتنون المصنوع منه وينسبونه إلى غير أهله .

٦ — ويقول ابن سلام (ص ٢٣) ، وينقله عن السيوطى فى المزهر (جـ ١ ص ٨٧) : وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها حماد الراوية ؛ وكان غير موثوق به ، كان ينحل شعر الرجل غيره ويزيد فى الأشعار .

أخبار انتحاله :

١ — يذكر أبو الفرج (ص ١٧٢ - ١٧٣) ، وينقل عنه البغدادى (١٢٨ — ١٢٩) ، أن أمير المؤمنين المهدى دعا المفضل الضبى وقال له : إنى رأيت زهير بن أبى سلمى افتتح قصيدته بأن قال :

* دع ذا وعدِّ القول فى هرم *

ولم يتقدم قبل ذلك قول ، فما الذى أمر نفسه بتركه ؟ فقال له المفضل : ما سمعت فى هذا شيئاً ، إلا أنى توهمته كان فى قول يقوله أو يروّى فى أن يقول شعراً قال : عد إلى مدح هرم دع ذا ، أو كان مفكراً فى شىء من شأنه فتركه وقال : دع ذا أى دع ما أنت فيه من الفكر وعدِّ القول فى هرم ؛ وأن المهدى دعا بعد ذلك حماداً وحده ، فسأله عن مثل ما سأل عنه المفضل ، فقال : ليس هكذا قال زهير يا أمير المؤمنين ، قال : كيف ؟ فأنشده :

* لمن الديار بقنة الحجر *

الأبيات الثلاثة .

* دع ذا وعدِّ القول فى هرم *

البيت ؛ وأن المهدى أطرق ساعة ، ثم أقبل على حماد ، فاستحلفه على هذه الأبيات ومن أضافها إلى زهير ، فأقرّ له حينئذ أنه قالها ، فأمر فيه وفى المفضل بما أمر به من شهر أمرهما وكشفه .

٢ — وفى الأغانى (ص ١٧٤ — ١٧٥) ، وخزانة الادب (ص ١٣١ — ١٣٢) أيضا أن الطرماح بن حكيم قال : أنشدت حماداً الراوية فى مسجد الكوفة ، وكان أذكى الناس وأحفظهم قولى :

* بان الخليط بسُحرة فتبددوا *

وهى ستون بيتاً ، فسكت ساعة ولا أدرى ما يريد ، ثم أقبل على فقال : هذه لك ؟ قلت : نعم ، قال : ليس الأمر كذلك ، ثم ردها على كلها وزيادة عشرين بيتاً زادها فيها فى وقته .

٣ — وفى الأغانى كذلك (ص ١٧٠) أن حماداً قدم على بلال ابن أبى بردة البصرة ، وعند بلال ذو الرمة ، فأنشده حماد شعرا مدحه به ، فقال بلال لذى الرمة : كيف ترى هذا الشعر ؟ قال : جيدا وليس له ، قال : فمن يقوله ؟ قال : لا أدرى إلا أنه لم يقله ؛ فلما قضى بلال حوائج حماد وأجازه ، قال له : إن لى إليك حاجة ، قال : هى مقضية ، قال : أنت قلت ذلك الشعر ؟ قال : لا ، قال : فمن يقوله ؟ قال : بعض شعراء الجاهلية ، وهو شعر قديم وما يرويه غيرى ، قال : فمن أين علم ذو الرمة أنه ليس من قولك ؟ قال : عرف كلام أهل الجاهلية من كلام أهل الإسلام .

عالم ما بعد القنبلة

للأستاذ نقولا الحداد

بعد ساعة أو بضع ساعات من سقوط القنبلة الذرية على هيروشيما كان الجنس البشرى كله مدهوشاً من هذا الحادث الهائل الفاجئ — أجل مفاجئ — من ألوف الطائرات ترمى ألوف الأطنان من المتفجرات فتدك أحياء المدن حياً حياً إلى طيارة واحدة ترمى قنبلة واحدة تزن رطلا واحداً ، فتدك مدينة واحدة عظيمة فى لحظة واحدة دكًّا فظيعاً — خبر لا يكاد يُصدَّق . ولكن العالم كله صدقه ، لأن هوله لمع فى جميع البلدان وأقام البرهان وحتَّم الإيمان وضعضع البهتان . والمرء يجزع من خوارق الحدثان التى تمثل فى مخيلته قصص الجان .

يقيناً انتقل العالم من عناء مناوشة المتفجرات إلى تحت سلطان الذرة الحاسم ؛ بكلمة واحدة من لسان الأورانيوم خرَّت اليابان على ركبتيها ضارعة مستغيثة تلتمس الرحمة والرفق .

لو توفق مخترعو قنبلة الذرة منذ شرعوا فى محاولة صنعها لخرت ألمانيا ساجدة منذ سنة ١٩٤٠ وحُقِنت دماء كثيرة .

أصبح البشر الآن خائفين على مدنيتهم أن تبيد بتاتاً ، وعلى حسهم أن ينقرض كما انقرض قبله الدينوسور وحيوانات أخرى

صار الناس يحسبون حساب المستقبل الجديد — نعم سيكون المستقبل كله جديداً . وسيصبح حاضرنا كأنه ماضى ما قبل التاريخ كما كان العصرى الحجرى بالنسبة إلى عصرنا ما قبل التاريخ .

عصر مجد الكيمياء انقضى وجاء عصر سؤدَد الذرة الكهربى . وأصبح اكتشاف الكهربائية درجة للصعود إلى عالم الذرة ، كما صار عصر البخار كالحمار لدى عصر الطيار .

القنبلة الذرية لم تفتح فصلا جديداً فى كتاب العلم بل فتحت دائرة معارف جديدة ، وفتحت فصلا جديداً فى الثقافة ، سيضاف إلى مناهج الدراسة فى الجامعة منهاج جديد للتخصص فى « علم الذرة » .

فى عام أو بضعة أعوام سيرى طلبة الطبيعة والكيمياء لديهم كتاباً مطولا فى علوم الذرة — بناؤها وتركيبها وتحليلها ووظائف

---

٤ — وفى طبقات الشعراء (ص٢٣) ، والأغانى (ج ٢ ص ٥٠ - ٥١ ، وج ٥ ص ١٧٢) ، والمزهر نقلا عن ابن سلام (ج١ ص٨٧) ، أن يونس بن حبيب قال : قدم حماد البصرة على بلال بن أبى بردة ، فقال : ما أطرفتنى شيئاً ؟ فعاد إليه . فأنشده القصيدة التى فى شعر الحطيئة مديح أبى موسى ، فقال : ويحك ! يمدح الحطيئة أبا موسى ولا أعلم به وأنا أروى للحطيئة ؟ ولكن دعها تذهب فى الناس .

٥ — وفى المزهر (ج ١ ص ٨٧) أن عمرو بن سعيد الثقفى قال : كان حماد الراوية لى صديقاً ملاطفا ، فقلت له يوما : أمل على قصيدة لأخوالى بنى سعد بن مالك ، فأملى على لطرفة . . . وهى لأعشى همدان[1] .

٦ — وفى المزهر أيضا (ج ٢ ص ٢٠٥ — ٢٠٦) أن سعيد ابن هُرَيْم البرجمى قال : حدثنى من أثق به أنه كان عند حماد حتى جاء أعرابى ، فأنشده قصيدة لم تُعرف ولم يُدْرَ لمن هى ، فقال حماد : أكتبوها . فلما كتبوها وقام الأعرابى قال : لمن ترون أن نجعلها ؟ فقالوا أقوالا ، فقال حماد : اجعلوها لطرفة .

* * *

فهذه أقوال ستة وأخبار ستة توردها كتب القدماء فى صدد انتحال حماد ، وهى كل ما وجدناه فيها . ونحن نضيف إليها هنا ما يقوله صاحب العقد الفريد (ج ٤ ص ٤٠٢ — ٤٠٣ ط المطبعة الأزهرية) : « ... وكذلك كان يفعل حماد الراوية ، يخلط الشعر القديم ويقول : مامن شاعر إلا قد حقّقت فى شعره أبياتا فجازت عنه إلا الأعشى ، أعشى بكر ، فإنى لم أزد فى شعره قطغير بيت ... قيل له : وما البيت الذى أدخلته فى شعر الأعشى ؟ فقال :

وأنكرتنى وما كان الذى نكرت
من الحوادث إلا الشيب والصلعا »

(للبحث بقية أخيرة)

السيد يعقوب بكر

---

(١) تفسير ما كان من صداقة بين حماد وعمرو بن سعيد أن حماداً بكرى الولاء ، وأن أخوال عمرو بن سعيد هم بنو سعد بن مالك (بن ضبيعة ابن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر) . فكلا الرجلين بكرى الهوى . وبنو سعد بن مالك هم رهط طرفة الشاعر (انظر نسب عدنان وقحطان للمبرد ، وهو من تحقيق الأستاذ الدقق عبد العزيز الميمنى ، ص ١٦) .

أعضائها وقواها ومفاعيلها إلى غير ذلك . ولا بد من دراستها ، لأنها ستصبح السبيل الوحيد لفهم الإلفة الكيمية والتيار الكهربائي ولتبسيط الكيمياء والكهرباء . وسيلقب الناجح في علم الذرة بكلوريوس الذرة ، أو أستاذ الذرة ، أو دكتور الذرة ، وأخيراً فيلسوف الذرة .

مسكين طالب العلم في العصر الجديد ، سيمتد عمر دراسته عاماً أو عامين أو أكثر ... لا تجزعنَّ يا بنيَّ ، لأن الحقائق التي وضحت سهلت الدراسة

لا يصح أن نسمي هذا العصر الجديد عصر الأورانيوم ، لأن تحطيم الذرة لاستخراج الطاقة منها لن يقتصر على الأورانيوم وحده ، بل سيتناول العناصر الأخرى الواحد بعد الآخر . اليوم تحطم الأورانيوم وبعده الرصاص ، ثم الحديد ، ثم الكربون ، وربما تحطم الهيدروجين أخيراً .

ستتحطم ذرات القلم الذي في يدي ، وذرات الورق الذي بين يديك ، وذرات الكرسي الذي تقعد عليه . ستكون كل ذرة في الكون قابلة التحطيم ، كما أن ذرات عناصر الشمس متحطمة تباعاً ومنتثرة حطامها في الفضاء فوتونات أي ضوئيات . ولولا حطام ذرات الشمس المنتثرة في الفضاء لما رأينا نوراً ولا دفئنا بحرارة . لسوف تذوب الشمس حطام ذرات في الفضاء ، كما يذوب الشمع أمام النار . وكذلك سيكون مصير جميع الأجرام تتناثر كلها فوتونات في الفضاء اللامتناهي . هي من الأثير وإلى الأثير تعود . وربما تجدد تكون الكون بعدئذ في دورة أخرى ، والله أعلم .

سيصبح تحويل معدن إلى معدن أسهل من تحويل اللبن إلى كوتشوك ، والقطران إلى روائح وألوان . ثم تكون القوة أطوع ليد الإنسان من الكلب الأمين أو الحصان الودود . قد يمكن الإنسان أن يطير حول الكرة الأرضية تحت شمس الظهر ، ويبقى تحت شمس الظهر حتى يجد نفسه قد عاد إلى مطاره ولا يخزن معه من القوت إلا قدر الحمصة في علبة سيجارة . وكذلك يستطيع زورقه أن يمخر البحار الخمسة بقوة هذه الحمصة ، ويطوف جميع بقاع الأرض في سيارته بقوة هذه الحمصة

وسيرى حصات الأورانيوم أو الراديوم أو غيرها تدير معامل الصناعات على اختلاف أنواعها . نعم سيرى الإنسان نفسه سيد الطبيعة بالفعل — يهيج البحار ويسكنها ، ويجري الأنهار ويحبسها ، ويستنزل الأمطار ويكفها — يتصرف بالطبيعة كما يشاء .

ولكن وا أسفاه سيبقى هناك شيء لا يستطيعه الإنسان . يسيطر على الأورانيوم ويتسلط على المعادن ويعتقل القوة العظمى ولكن هناك شيئاً لا يستطيعه ، لا يستطيع أن يملك عنان الطبع البشري ! يستطيع أن يقهر قوات الطبيعة ، ولكنه لا يستطيع أن يقهر شهوته . يستطيع أن يكبح جماح الحر والبرد والريح والبحر والعاصفة ، ولكنه لا يستطيع أن يكبح جماح رذيلته وشروره .

يكون سيد المادة ، ولكن شهوته تبقى سيدته !

يشمخ على عوامل الطبيعة ، ولكن نزعاته تشمخ عليه !

يركب متن الطاقة الذرية ، ولكن شيطان أهوائه يمتطيه !

يحطم الذرة ، وأخيراً الذرة تحطمه !

أصبح الإنسان الحيواني عند مفرق طريقين : إما أن يعقل ويعتقل القوة الذرية فيستخدمها لمتعته ، أو أنه ينتحر بها .

المدنية الآن في نشوة من خمرة انتصارها على الطبيعة . فإن استطاعت أن تصحو من هذه النشوة قبل أن تهوى إلى هاوية الفناء ، وأن تجعل النظم الاجتماعية والسياسية علماً بقواعد وأصول لتسير عليها ، كما جعلت السنن الطبيعية علوماً لها ، نشطت مدنية جديدة في فردوس من السعادة لا يفرغ منها

نقولا الحداد

جمعية المعارف المصرية

[لجنة لاحياء الكتب العربية فى القرن التاسع عشر رعاها ولى عهد الخديو (محمد توفيق باشا)]

للأستاذ محمود الشرقاوى

كنت أبحث عند بعض الوراقين الذين لم يعد يقصدهم أحد سوى القليلين من عشاق القديم الذين أصبحوا ندرة غريبة فى مصر فعثرت عند كتبى بجاور الأزهر على جزأين قديمين من كتاب « أسد الغابة فى معرفة الصحابة » للامام على بن الأثير فاشتريتهما .

وعند المطالعة استوقف نظرى ما كتب فى ختام الجزء الرابع وهو : « بعون الله وتوفيقه تم الجزء الرابع من أسد الغابة فى عاشر رمضان سنة ١٢٨٦ يتلوه الجزء الخامس وبه إن شاء الله تعالى يتم الكتاب وأوله حرف النون المطبوع على ذمة جمعية المعارف المصرية البالغ أهلها الآن تسعمائة وثمانين » .

فما هى جمعية المعارف المصرية هذه ؟ ..

لم أستطع بوسائلى المحدودة سوى معرفة شىء قليل عن هذه الجمعية التى أعتقد أنها كانت لجنة خاصة لإحياء ونشر الكتب العربية القديمة وأنها كانت موجودة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى . وكان لهذه اللجنة نظام خاص يجعل للمشتركين فيها أو (لأهلها) على حد تعبير الفقرة المذيل بها الجزء الرابع من أسد الغابة حقاً فى شراء مطبوعاتها بقيمة التكاليف فقط، وأن أعضاء هذه الجمعية بلغوا تسعمائة وثمانين فى سنة ١٢٨٦ هجرية وهى تقابل سنة ١٨٦٩ ميلادية .

وكانت جمعية المعارف المصرية هذه تطبع أمهات الكتب العربية القديمة وتبيح لأعضائها شراء نسخة واحدة منها (بأصل المصروف) كما تبيح لهم شراء ما يشاءون من النسخ بثمن يزيد عن أصل المصروف ولكنه ينقص عن الثمن الذى يشترى به من ليس عضواً فى الجمعية . وهى إلى جانب ذلك تبيع مطبوعات غيرها وتبيعها لأعضائها بثمن أقل مما تبيعها به لغيرهم .

ويستطيع القارىء أن يقدر ما فى ذلك من التنظيم والروح التعاونى والترغيب فى عضوية الجماعة إلى جانب ما فيه من روح التسامح والرغبة فى نشر المطبوعات ولو لم تقم هى بطبعها ، وما فيه أيضاً من الروح التجارى السليم . هذا كله فوق هدف الجمعية الأساسى وهو طبع أمهات الكتب العربية القديمة ونشرها . وقد نشرت الجمعية فى ملحق خاص فى الجزأين الرابع والخامس من أسد الغابة (بيان الكتب التى تم طبعها على ذمتها إلى الآن) . ومنها ما هو خاص بعلوم اللغة والأدب مثل تاج العروس وألف باء ، ورسائل بديع الزمان ، وعنوان المرقص والمطرب . ومنها ما هو خاص بالتاريخ مثل الفتح الوهبى شرح تاريخ العتبى المشهور باليمينى ، وتتمة المختصر فى أخبار البشر لابن الوردى . ومنها ما هو خاص بتراجم الصحابة مثل أسد الغابة . ومنها ما هو خاص بالشعر مثل التنوير شرح سقط الزند للمعرى ، وديوان ابن خفاجة الأندلسى وشرح الشيخ خالد الأزهرى على البردة . ومنها ما هو خاص بالفقه مثل حاشية أبو السعود على منلا مسكين .

ومن مراجعة الملحق الذى نشرته الجمعية فى ختام الجزء الخامس من أسد الغابة ومقارنة بعضه بالبعض الآخر يصل الباحث إلى حقائق جديرة بالذكر والتأمل . فهى تذكر أولا (أثمان الكتب التى تباع لمن يرغب من أهل الجمعية فى أكثر من النسخة التى يأخذها بأصل المصروف) فتذكر أثمانها وتوقيتاً لهذه الأثمان يتصاعد معه الثمن كلما أبطأ المشترى فى الشراء . فمثلا رسائل بديع الزمان تباع لأهل الجمعية بخمسة عشر قرشاً لغاية ذى الحجة سنة ١٢٨٦ ثم يزيد قرشين لمن يشترى فى شهر محرم سنة ١٢٨٧ وقرشين آخرين لمن يشترى فى شهر صفر الذى يليه ثم يزيد بعد ذلك إلى خمسة وعشرين قرشاً لمن يتأخر فى الشراء لغاية ربيع الأول . وهذا الكتاب نفسه يباع (لمن يرغب وهو خارج عن جمعية المعارف) بسبعة عشر قرشاً لغاية ذى الحجة المذكور ثم يزيد قرشين عن كل شهر من الشهرين التاليين له ثم يباع بثلاثين قرشاً لمن يتأخر بالشراء منهم لغاية ربيع الأول . وكتاب ألف باء يباع لأهل الجمعية فى الشهر الأول بخمسين قرشاً ثم يزيد خمسة قروش عن كل شهر بعده لغاية صفر ، ويباع للخارج عن جمعية المعارف بستين قرشاً فى الشهر الأول ثم يزيد عشرة قروش عن كل شهر بعده لغاية صفر وهكذا

ثم يلى ذلك بيان (أثمان الكتب المطبوعة على ذمة أربابها وتباع لمن يرغب من أهل جمعية المعارف) وبيان آخر (بأثمان الكتب تعلق جمعية المعارف وتباع لمن يرغب وهو خارج عن جمعية المعارف) وبيان أخير (بأثمان الكتب المطبوعة على ذمة أربابها وتباع للخارج) وفى هذه البيانات كلها مراعاة أهل الجمعية والسابقين بالشراء . ونص على سعر خاص مخفض (لمن يكتب ورقة بأنه التزم بأخذ نسخة أو أكثر ويدفع الثمن عند استلامها) .

هذا شيء عن مطبوعات الجمعية ونظامها فى البيع لأعضائها وغيرهم وقد بلغ عددهم كما ذكر فى ختام طبعتها للجزء الرابع من أسد الغابة تسعمائة وثمانين وهو عدد لا شك فى ضخامته . وكان مقرها القاهرة . وذكر فى ختام الجزء الخامس من الكتاب . وهو الأخير أنه [طبع فى المطبعة الوهبية بتصريح الراجى فضل ربه الوهبى مصطفى وهى فى أواسط ذى الحجة سنة ألف ومائتين وثمانين] وهذا التاريخ ليس هو تاريخ إنشاء الجمعية بل من المقطوع به أن إنشاءها سابق له . فقد كانت فى هذه السنة (١٢٨٦ هـ . ١٨٦٩ م) أتمت طبع طائفة من الكتب يبلغ عددها عشرة ظهرت فى اثنين وعشرين جزءاً مما يحتاج إنجازه إلى زمن قد يمتد إلى سنين إذا راعينا أحوال ذلك الزمان والوقت الذى يحتاجه فيه الطبع والتصحيح والإخراج . ولا أدرى هل كانت المطبعة الوهبية هذه مطبعة خاصة بالجمعية أم لا ... ؟ ...

أما قيمة جمعية المعارف المصرية فيمكن تقديره بذكر ضخامة الرقم الذى سبق ذكره عن عدد أعضائها ويمكن تقديره أيضاً إذا ذكرنا هذا النص عن رياستها ووكالتها (... جمعية المعارف المتشرفة بحماية الشهم الهمام ، والأمير الساطع لألاء كماله فى الأنام ، نور حديقة الدهر والزمان ، و نور حديقة العصر والأوان . صاحب المجد والسعد ، المتحلى بحلية ولاية العهد ، المؤيد بعنايات ذى القول والتنسيق ، قطب فلك السعادة والدولة محمد باشا توفيق ، أدام الله إجلاله وزاد قبوله وإقباله . والمشكلة بهمة وكيل تلك الجمعية ، الباذل جهده فى نشر الفضائل السنية ، ونفع الأنام بكل تحفة بهية ، المتسم بنيما المعارف والعوارف ، محمد باشا عارف) وهذا النص مكتوب فى ختام الجزء الأخير من أسد الغابة ...

* * *

هـذا شىء قليل عن جمعية المعارف المصرية التى ألفت فى القرن التاسع عشر فى مصر برعاية ولى عهدها محمد باشا توفيق (الخديو توفيق فيما بعد) وهـذا بعض جهدها ونظامها لإحياء التراث العربى القديم ونشره .

وهـذا بحث أعتقد أنه محتاج إلى كثير من التوسع والاستيفاء أرجو أن أوفق لها فى مقبل الأيام .

محمود الشرقاوى

في الأدب الانكليزي

ماثيـــو ارنولد

Mathew Arnold

بقلم الأستاذ خيري حماد

مقدمة :

لقد كان القرن التاسع عشر بثوراته المختلفة ونهضاته العديدة باعثاً عدداً من الرجال الذين اشتهروا فى شتى مناحى الحياة من سياسة واقتصاد ، وفلسفة وتشريع، وأدب وحرب . ولكل دولة من الدول الأوربية عدد من الرجال الذين تفاخر بهم غيرها من سائر أمم الأرض . فظهر فى بريطانيا فى هذا القرن طائفة من عظام الرجال فاقوا أقرانهم فى مختلف الميادين وأخص بالذكر منها ميدان الأدب .

بزغ نجم كثير من الشعراء والروائيين والنقاد والفلاسفة الذين رفعوا إسم انكلترة عالياً فى ميدان العلم والأدب فرأينا بيرون وشلي وكيتس وتنسون وبراوننج يسعون فى رفع شأن الشعر واعلاء شأوه . وشاهدنا أوستن واليوت وريشاردسون وستيفنسن وسكوت وهاردى ينهضون بالقصة نهضة لا مثيل لها فى تاريخ الأدب الانكليزى . وطالعنا المقالات النقدية العديدة التى كان يكتبها عدد من مشاهير النقاد أمثال هازلت وجفريز وكارليل وأرنولد . وأما الفلسفة فقد تناولها نفر من كبار المفكرين الإنكليز أمثال كارليل وداروِن وارنولد .

لم تكن قريحة ارنولد مقتصرة على الشعر بل تعدتها إلى المقالات والفلسفة والتربية والنقد . ولا غرو أن يحسبه الكثيرون خير ممثل فى إنكلترة فى القرن التاسع عشر :

ولقد ظهرت هناك منذ وفاته كثير من الكتب التى درسته درساً مسهباً . أضف إلى ذلك المقالات الجمة التى تناولت كل ناحية من نواحيه المختلفة فبدأت شهرته بالإزدياد وتفوقه يظهر على سائر أقرانه منذ أن ووري فى التراب فأصبح الآن معروفاً لدى جميع الأدباء والكتاب من سائر أمم الأرض المتحضرة .

حياته :

ولد ماثيو ارنولد فى مدينة ليلهام (Laleham) من ولاية مدلسكس (Midlesex) فى اليوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر سنة ١٨٢٢ ، وكان والده الدكتور توماس ارنولد الذى اشتهر برآسته لمدة طويلة مدرسة ركبي (Rugbuy) وكان ماثيو ارنولد البكر من تسعة أطفال أحبهم والدهم الحب الجم لإشتغاله فى عالم التربية والتعليم مدة ليست بالقصيرة. أما والدته مارى بنروز (Mary Penrose) فقد عاشت ثلاثين سنة بعد وفاة زوجها . وكانت على جانب عظيم من الثقافة والعلم مما قربها إلى ولدها النابغة فظل على ولائه لها وحبه إياها طوال حياته الكثيرة الشاغل .

وفى سنة ١٨٢٦ انتقلت العائلة إلى (ركبى) وظل ارنولد فى ليلهام يتتلمذ على خاله القس المحترم جون بكلند (john Buchland) ولم يكن الدكتور ارنولد ميالا إلى الضواحى التى تحيط بمدينة ركبى ، ولذلك ابتاع منزلا فى تكس هاو (Toxhou) حيث كان يقضى أيام الآحاد والراحة بين زوجته وأولاده . وكان لقربهم من المدينة التى عاش فيها وليم ورد زورث أثر عظيم فى حياة الطفل ماثيو .

وفى سنة ١٨٣٦ أرسل ماثيو إلى مدينة ونيشستر حيث درس على الدكتور موبرلى (Moberly) ولكن لم تنقض سنة واحدة على سكناه هذه المدينة حتى أرسل والده فى طلبه وأدخله مدرسة ركبي حتى يكون تحت رعايته وإشرافه . وقد بقى فى هذه المدرسة حتى أتم دروسه فيها ؛ فأرسله والده إلى أكسفورد سنة ١٨٤٦ ليتم تحصيل علومه العالية هناك .

وتوفى الدكتور ارنولد سنة ١٨٤٢ بينما كان ولده الشاب يقضى أيام شبابه فى جامعة أكسفورد بين أصدقائه وخلانه كلكوردج وشارب . وكان له ميل شديد نحو الطبيعة وجمالها فيقضى بين خمائلها الساعات الطوال حالما فى أشياء كثيرة لا حد لها . وقد نال بين زملائه وأساتذته سمعة حسنة وذكراً طيباً وحسبه الجميع نابغة الجامعة وعلمها الفذ .

وفى سنة ١٨٤٣ نال جائزة شعرية بقصيدة نظمها يتحدث فيها عن كرمويل ، ولم تكن هذه القصيدة خير قصائده فى هذا

العصر بل ظهرت له أشعار أخرى كانت أكثر بلاغة وأوسع خيالا؛ ولو قارنلها مع قصيدته (الريك في رومه Aiaric At Rome) لغدت من سقط المتاع . وقد نظم هاتين القصيدتين على وزن واحد هو ما يسمونه في الإنكليزية (Heroic Couhrlet) الذي اشتهر أمره في العصر الكلاسيكي فنظم فيه (بوب Poqre) وتلامذته من بعده ، وفي كلتا هاتين القصيدتين نرى سلاسة وعذوبة يندر أن توجدا في شعر شاب لم يتجاوز العشرين من عمره .

ونعرف من مصادر عدة أن ارنولد كان عضوا في جمعية جدال ونقاش تدعى (جمعية العصر Decade) . ولم يكن في صفه من المبرزين على أقرانه بل عد من الطبقة المتوسطة من الطلبة . ولكنه ما كاد ينال شهادته حتى منحته الجامعة حق المجاورة في كلية اورل سنة ١٨٤٥ التي كانت تعد من أعظم الجوائز التي تقدمها الجامعة إلى النابهين من طلبتها .

وبعد أن انتهى من دراسته في جامعة أكسفورد نراه ينتقل إلى مدرسة ركبي ليدرس فيها العلوم والآداب القديمة من اغريقية ولاتينية ، ليصبح سكرتيرا للمركيز لا نسدون الذى كان يعد من أكبر رجال السياسة في عصره ، وله الفضل كله في إصلاح ذات البين بين صفوف حزب الأحرار . وفي تموز سنة ١٨٤٩ ظهرت أولى أناشيده في مجلة (الاكزامنر Exminer) حيث انتشرت انتشاراً عظيما . وقد أهدى هذه القصيدة الرائعة إلى الشعب المجرى . ولم تمض بسنة واحدة بعد ظهور هذه الأغنية حتى أخرج ديواناً شعرياً لم ينل من النجاح القسط الذى كان يتوخاه مؤلفه .

وفي الرابع عشر من شهر نيسان سنة ١٨٥١ نصب ارنولد كفتش لمدارس المعارف ، وكان هذا التعيين نتيجة للمساعي التي بذلها صديقه المركيز . ولم يكن ثمة رجل يستطيع أن يقوم بأعباء هذا المنصب كما قام به شاعرنا ارنولد فقد كان بغريزته ميالا إلى الأطفال ، فهو لذلك جد قادر على التعامل معهم ، ناهيك عن اطلاعه الواسع على قوانين علم التربية وأصوله . مما جعله يفكر في القيام بمشاريع عدة لترقية علم التربية في المدارس التي كان يقوم بالإشراف عليها . وسنتناول الإصلاحات العديدة التي قام بها في عالم التربية والتعليم عندما نبحث نظرياته فيهما .

وقد تزوج من فرانسيس وايتمان سنة ١٨٥١ بنت أحد القضاة الشهيرين في عالم القضاء . وكانت حياته الزوجية مثلا أعلى للحياة السعيدة الدائمة . فقد ظل وزوجه ترفرف عليهما أعلام السعادة والهناء حتى آخر أيامهما . وفي سنة ١٨٥٧ انتخب أستاذاً للشعر في جامعة أكسفورد . وكان ينافسه في نيل هذا المنصب القس المحترم جون أرنست بود مؤلف كتاب : (مقطعات هيرودتس) وفي الحق أن نيله لهذا المنصب كان أعجوبة في حد ذاتها إذ أن جميع من تبوأوه من قبل كانوا من رجال الدين وحماة اللاهوت يلقون محاضراتهم باللغة اللاتينية .

ولم تكن الرواتب التي تدفعها الجامعة للأساتذة ذات قيمة كبيرة فما ازداد راتبه في السنة عن المائة جنيه، ولكن مشاغله في الجامعة لم تكن بنفس الوقت على جانب عظيم من الكثرة . فكان يلقي محاضراته في اللغة الانجليزية بأسلوب كلاسيكي جذاب ، وقد انحصر موضوعه في عوامل الأدب الحديث إذ جعل للادب اليوناني في عصر بركليس صلة وثيقة بالأدب الانجليزي في عصره . وقد طبعت أولى محاضراته في سنة ١٨٦٩ .

ونراه في بدء سنة ١٨٥٨ يبتاع منزلاً صغيراً في ساحة ستنشر حيث يسكن للمرة الأولى في منزل ثابت . ولكن الظروف لم تكن لتتيح له أن يهدأ ويستقر فكانت وظيفته كمفتش للمعارف تقتضى كثرة الترحال والسياحة ، ومن أسفاره العديدة سفرته الى برنجهام حيث سمع (جون برايت) يلقى احدى محاضراته فكتب ارنولد إلى صديق من أصدقائه « إن برايت محاضر من الطبقة الاولى يمتاز بارتفاع صوته ورباطة جأشه ولكن السهولة لم تكن من صفاته المميزة ، فهو لا يتوقف ولا يتلعثم ، بل لا يندفع الاندفاع الذى أرغبه في الخطباء أمثاله . ومع ذلك كله فهو أخطب بكثير من غلادستون » (١)

هجر أرنولد الشعر وأخذ يهتم بالنثر والكتابة فظهر أول مؤلفاته في شكل رسالة سياسية طبعها سنة ١٨٥٩ وأسماها « انكلترة والمشكلة الايطالية » وفي هذه السنة نفسها انتدبته الحكومة لدراسة أنظمة التعليم في الممالك الاوربية حيث زار فرنسا

---

(1) Matheu Arnold . By - Poul . P. 56

وبلجيكا ، وهولندا وسويسرا وبدمنت . وقد أعجب بفرنسا الإعجاب كله . وكانت مدينة باريس أحب الى فؤاده من جميع المدن التي زارها حيث شعر بالراحة والدعة . وهناك اجتمع بلورد كوبى مدة لا تقل عن ثلاثة أرباع السنة بحث أثناءها كثيراً من الأمور ختمها بقوله : « لقد شاركنى اللورد فى الإعتقاد بأن الفرنسيين يتفوقون على جيرانهم الألمان فى كل أمر يتنافسون فيه[1] » .

ولما رجع إلى إنكلترة انضم إلى زمرة متطوعى الملكة . ولكنه لم يكن قط ميالا إلى استخدام البريطانيين فى الجيش والجندية . وكانت نظريته فى الجندية غريبة كل الغرابة لا تنطبق على الحقيقة ، إذ أنه كان لا يعتقد بوجوب المساواة فى الجيش ، فالطبقة الوسطى يجب أن تمنع من الإختلاط بسائر الطبقات الأخرى .

ونراه فى سنة ١٨٦٤ يجتمع بمستر دزرائيلى السياسى البريطانى المشهور فى قصر البارون دى روتشيلد . وكان هذا الداهية البريطانى يميل كل الميل إلى الأدباء ويحترمهم احتراماً كليا . ولذا عامل ارنولد بلطف زائد وخاطبه بقوله : « إن لك مستقبلاً باهراً تناله بجدارة واستحقاق[2] » .

وفى سنة ١٨٦٧ استقال ارنولد من منصبه فى جامعة أكسفورد حيث خلفه السير فرانسيس دويل الشاعر الإنكليزى المعروف . وكان ارنولد مشغوفاً جداً بهذا المنصب الذى تخلى عنه ، ولذا نراه شديد الأسف لاضطراره للاستقالة من عمل أحبه كل الحب .

وفى سنة ١٨٦٥ انتدبته الحكومة مرة أخرى للتفتيش على المدارس الأوربية المختلفة . وكان يقابل هذه المهام بفرح وسرور زائدين مما جعل زملاءه يختارونه لكتابة التقارير عن رحلاتهم وعما يشاهدونه فى المدارس المختلفة فى فرنسا وإيطاليا وألمانيا وسويسرا . وكان لعدم إلمامه بفن الرسم والبناء أثر فى تقاريره فنراه غير معجب بإيطاليا كما كان ينتظر منه . وفى مدينة فلورنسه ينتقد الإيطاليين لتقليدهم الفرنسيين تقليداً أعمى

وفى أكتوبر سنة ١٨٦٥ نراه فى مدينة زوريخ حيث سمع لأول مرة بوفاة لورد بلمرستون فكتب رسالة إلى والدته يطلعها على أفكاره السياسية وعلى تحيزه الشديد لحزب الأحرار ، فيقول فى رسالته هذه إن اللورد بلمرستون لا يصلح مطلقاً لقيادة الأمة التى تسلم قيادتها كبت أو لبول أوبيل ، فوفاته لا تحسب خسارة وطنية كبرى للأمة والشعب .

وفى نفس السنة نراه يتقدم لطلب وظيفة (مندوب الإعانات) ولم يكن فى بريطانيا كلها من هو أجدر منه بهذا المنصب ، ولكن العادة جرت أن تسند هذه المهمة إلى أحد رجال القانون . وكان الرجل المكلف له بانتخاب أحد المتقدمين لهذا المنصب صديق من أصدقاء ارنولد ومحبيه ؛ ولكن تدخل غلادستون فى الأمر حرمه هذه الوظيفة لمخالفته إياه فى آرائه السياسية . وقد لازمه سوء حظه فى السنة التالية حين تقدم لوظيفة خازن المكتبة فى مجلس العموم البريطانى يؤازره نفر غير قليل من كبار الساسة كدزرائيلى وغيره . ولكنه فشل للمرة الثانية لمعارضة دينسون رئيس المجلس ومقاومته .

وفى سنة ١٨٨٣ نراه يغادر انكلترة إلى أمريكا ليلقى بضع محاضرات طلب الإمريكيون إليه إلقاءها . وكانت شهرته فى هذه السنوات قد ازدادت وعمّت العالم الأوربى كله . وقد أم الناس على اختلاف طبقاتهم هذه المحاضرات فجمع قدراً غير يسير من المال ساعده على ترفيه نفسه والإعتناء بحياته بشكل جدى . وحين كان فى أمريكا ذهب الرئيس برانت رئيس الجمهورية الإمريكية للاستماع إلى إحدى محاضراته حيث لم يع شيئاً مما قاله الخطيب . وكان ارنولد فى الحقيقة خفيف الصوت تعوزه القدرة الخطابية ولذلك ذهب إلى جامعة بوستن ليدرس هناك فن الخطابة فلم يلق نجاحا يذكر .

وفى خريف سنة ١٨٨٥ انتدبته الحكومة مرة ثالثة لدراسة أنظمة التعليم الابتدائى فى ألمانيا وفرنسا وسويسرا . وكان الغرض الأساسى من رحلته هذه الاطلاع على المصروفات التى يدفعها الآباء عن أبنائهم ، وعن مقدار المساعدة التى تقدمها البلديات للحكومة للقيام بهذا الأمر الحيوى . فكتب تقريراً ضافياً بلغة أضعف من اللغة التى كتب بها تقاريره السابقة .

وفى هذه السنة نفسها استقال من منصبه الحكومى طلباً

---

(١) Arnold's Letters. Vol. I. P. 96

(٢) Matheu Arnold. Paul. P. 72

من أدب الرومانه :

مذهب الصداقة
عند شيشرون (*)

للأستاذ منصور جاب الله

فى أعقاب غزو قيصر لبريطانيا ، ضرب الدهر رجلا من أنبل رجالات روما فى ابنته الواحدة ، فعقد الحزن سحابه فى بيته ، وجاشت أفكار الرجل محلقة فى سماء تسمو على هذه الأرض المليئة بالرزايا ، المشحونة بكل ما هو موجع أليم .

ذلكم هو شيشرون خطيب روما الأعظم الذى مات فى نهايات عام ٤٣ قبل الميلاد ، وكانت حياته حجة للعالمين على إدراك جمال الصداقة وما تُوحى به من السعادة الدنيوية ، فلقد كتب شيشرون أجل وأوقع وأبلغ ما كتب عن الصداقة على وجه الزمان ، وإذ قضت ابنته كانت سنه تتزيّد على الستين وكان قد شهد جميع المنافسات والمنازعات السياسية ، وتذوق لذاذات الحياة جميعاً .

وكان يعرف قيمة المال والثراء والصيت الذائع ولكنه لم يجعل لها الكفة الراجحة فى ميزانه ، وكانت الفلسفة التى استمدها من تجاريب حياته إبان المحنة تحتبس فى هذه العبارة : « ضع الصداقة فوق كل الاعتبارات الإنسانية » .

وعلى هذه الفقرة تفرعت كل كتاباته ، فوصف فضائل الصداقة ومنافعها وحاجة كل إنسان إليها ، والأسباب المؤدية إلى فقدانها . ولقن ذلك الأديب الرومانى « جايوس ليليوس » .

(*) ولد شيشرون فى إيطاليا قبل مولد يوليوس قيصر بأربع سنين ، وتمرس بالمحاماة ، ولما بلغ الخامسة والأربعين انتخب قنصلا وكان أحد حاكمى روما اللذين انتخبا لمدة عام ، ثم صار حاكما لاحدى المقاطعات فى آسيا الصغرى وبعد مصرع قيصر عارض شيشرون مارك أنطونى فصار رجلا ممتازاً . وقبض عليه وهو يحاول الفرار وقتله قاتل مأجور فمات بالغاً من العمر الثالثة والستين . وعلق رأس خطيب روما العظيم فى إحدى الأسواق العامة ، وكانت زوجة أنطونى تكرهه ، فانتزعت لسانه البليغ من فمه وجعلت تخزه بدبوس ذهبى . وكان شيشرون ذا تأثير قوى فى مستمعيه حتى ليستدر دموعهم ويحملهم على الرضوخ لرأيه .

للراحة . فكافأته الحكومة البريطانية جزاء ألقابه الكثيرة براتب سنوى كبير . وكان فى هذا الحين قوى البنية سليم التركيب مما جعله يكثر من الكتابة فى المواضيع السياسية التى تشغل أهل عصره . وفى سنة ١٨٨٨ نراه يرحل رحلته الأخيرة إلى ليفربول للقاء ابنته العائدة من أمريكا حيث قضى نحبه بينما كان يعدو للحاق إحدى عربات الترام .

وقد أسف الناس لفقده أسفاً شديداً نظراً لهذه الخاتمة المحزنة التى لم يكن يتوقعها الناس لقوة بنيته وسلامة تركيبه .

فنه :

إن من الصعب علينا أن نتناول فى هذه المقالة فن هذا الكاتب العبقرى دون أن نلم بالنواحى العديدة التى نبه اسمه فيها ، فقد كان حقاً رجلا جامعاً لجميع فنون الأدب ونواحيه . وللبحث فيه بحثاً سهلا علينا أن نرسم شخصياته المتعددة ونحللها على ضوء النقد والأدب فنراه كناقد بارع ، وكشاعر رقيق ، وكناثر سلس ، وكسياسى حاذق ، وكفيلسوف دينى شديد الغموض . ولنبدأ فى بحثه كناقد أدبى فنرى أثره العظيم فى عالم النقد

نقده :

كان نقده شديد الغموض والاشكال ، وكانت مقالاته فى النقد التى ظهرت سنة ١٨٦٥ العامل الأول فى ظهور أمره كناقد أدبى وكأديب لم يرتفع اسمه فى عالمى الشعر والنثر كما ارتفع فى عالمه الثالث . وفى هذا الكتاب نراه يبحث أبحاثاً طريفة أحبها جميع قرائه ، فطالعوها بشغف وإمعان . ومن المسائل الكثيرة التى بحثها فى كتابه هذا مشكلة المجمع العلمى وهل من الفائدة فى شىء أن تشاد مثل هذه المؤسسة فى إنكلترة كما شيدت فى فرنسا من قبل . لم يبين وجهة نظره فى المسألة بل أخذ النقيضين ودافع عن كل منهما دفاعاً شديداً أخطأه الناس فحسبوه يبحث فيهما بحثاً جدياً خالياً من الفكاهة والدعابة ، وبدأوا ينظرون إليها نظرة الفاحص الخبير ليروا ما يمكن الحصول بواسطتها على نتائج باهرة وفوائد مجدية .

(يتبع)

صبرى حماد

ولكن ليس من ريب فى أن الفلسفة النبيلة الأصيلة عن الصداقة إنما هى من بنات أفكار شيشرون .

* * *

يتساءل شيشرون عمن يمكن أن يكونوا صُدقاناً وأخلاء . ثم يجيب بأن الصداقة تكون بين الطيبين الأبرار . فإذا أنت استطعت أن تقنع نفسك بأن لك صديقاً ، فأنت قد تحسب نفسك رجلا طيباً أو امرأة طيبة ، وليست الصداقة لهؤلاء الذين ليسوا « طيبين » .

ولكن من هم الطيبون البررة ؟

هنالك مقياس اجتماعى يقيس به شيشرون مقدار « الطيبة » إذ يقول « هؤلاء الذين يعملون ويعيشون ليعطوا برهان الإخلاص والاستقامة والصفاء والكرم ، هم الذين يتحررون من كل الأهواء والمواجد والسَّفه ، وإن لهم قوة خلقية عظيمة » .

ثم كتب عن اصطناع الصاحب ، والأمور التى يُختبر بها الصديق ، والجمال الذى يستحسن فى الصداقة والأمور التى لا بد من عملها لاصطناع الأصدقاء ، فذهب بادئ الرأى إلى أن الصديق هو الفرد الذى لا يحتجن الإنسان من دونه سراً من الأسرار ، ويضع فيه أسباب الثقة ، ويرى ألا يخشى الصديق من الإفضاء لصديقه ببعض الذى يطويه بين جوانحه من سر مكبوت قد يكون كتمانه مما يؤذى ويضر .

كيف يتسنى أن تكون حياة تلك التى يقول عنها (أنيوس) « الحياة تستحق العيش » إذا لم تعتمد على إرادة طيبة متبادلة مع صديق ؟ ماذا يكون أحلى من أن يكون لديك امرؤ تجسر على مناجاته فيما تزوّر به نفسك ، كما تناجى نفسك ؟ » .

ثم يستطرد إلى القول بأن الصديق هو الشخص الذى لا تتملقه مطلقاً .

« فى الصداقة ، ما لم تظهر قلباً خالصاً لا تستطيع أن تكون مخلصاً ولا راضياً بالحب ولا بالمحبوب ، والتملق الذى أتحدث عنه إنما هو كفاح ، وقد لا يقوى على النيل من أحد سوى الذى يتقبله ويغتبط به . وعلى ذلك لا توجد صداقة فيها جانب لا يروم سماع الصدق ، وجانب مستعد للكذب » .

والصديق هو الإنسان الذى يتمثل فيه الإنسان الشفقة والرحمة ويتبادلها وإياه ، ويحنو القلب على القلب ، وتمتزج النفس بالنفس ، فتنطاد بالقداسة إلى علو السماك ، ويرى شيشرون فى هذا التبادل المطلق حجر الزاوية فى الصداقة وقاعدتها وركازها .

« ولم يزل الحب أبعد قوة بالتعاطف وبالبرهان على عناية الآخرين بنا ، وبالإلف الشديد نتوثب للحب ، وتتألق المعجزة » .

والصديق هو الشخص الذى نحب سواء استطعنا الحصول عليه أو عجزنا دونه . يقول شيشرون « نحن نعتقد أن الصداقة مرغوبة لا لأننا متأثرون بالأمل فى الربح ، ولكن لأن ربحها الكامل فى الحب ذاته . والحب ليس شيئاً آخر سوى الاحترام العظيم وشعور الميل الذى ألهم هذه العاطفة ، وليس يبحث عنها لأنها حاجة مادية أو بمقصد الكسب المادى .

وأكثر الناس لا يعترفون بشىء مهما يكن أثره فى التجربة الإنسانية ما لم يؤد إلى بعض الكسب ، وينظرون إلى أصدقائهم كما لو كانوا ينظرون إلى قطيعهم — أو إلى مصالحهم كما ينبغى أن نقول — وهكذا يخفقون فى الحصول على أجل شىء : تلك الصداقة الذاتية المرغوبة فى نفسها ولنفسها » .

والصديق هو المرء الذى تسر لنجاحه سروراً حقيقياً .

« كيف يمكن أن يكون سرورك فى أويقات النجاح عظيما إذا لم يكن لديك من يكون حبوره عَدل حبورك ؟ والرزية لا بد أن تكون صعبة الاحتمال ، فبغير الصديق تنوء بالثقل . فالصداقة تضفى بهاء لامعاً على النجاح ، وتختزل من وقع البلية بالمشاطرة فيها »

والصديق هو الشخص الذى تعامله معاملة الندّ فى كل الأحوال ولو كنت تختلف عنه فى نظر الناس .

« وأكبر شىء فى الصداقة أن الأعلى درجة والأحط درجة لا بد أن يقفا موقف المساواة ... ولذا فإن الأخير لا يحزن إذ يفوقه الأول ويبرعه فى الذكاء أو فى الثراء أو فى المنصب ، ولزام عليك أن تبذل إلى صديقك ما قدرت عليه من المعونة .

والصديق هو الشخص الذى لا نشعر من نحوه مطلقاً بشبهة ، ولا نشعر من نحوه باستخفاف .

« التباين والاستخفاف هما تجربتا الصداقة ، وهما ينتجان كثيراً من أسباب الشدة أو الإهانة التى يكون من بعد النظر فى بعض الأحيان تجاهلها ، وفى بعض الأحيان شرح أسبابها ، ثم

احتمالها فى كثير من الأوقات

« هناك أناس يصيِّرون الصداقة كريهة بحسبانهم أنفسهم مستهترين ، وندر ما يحدث هذا — فيما خلا حالة الناس الذين يستأهلون الاستخفاف حقيقة — بيد أنه ينبغى لهم أن يتخلصوا من هذه الأفكار ليس بالكلام وحسب وإنما بالعمل .

« من سجايا الإنسان الطيب الذى يجب أن أسميه أيضاً الإنسان العاقل ، أن يتمسك بهاتين القاعدتين فى الصداقة . الأولى : ألا يدع هناك ادعاء أونفاقاً ، والثانية : ألاينبذ الوشايات التى يفضى بها شخص آخر فحسب ، وإنما يجانب هوأيضاً الشبهة والاعتقاد بأن صديقه يجترح خطيئة ما .

« لذلك ينبغى أن تضفى بشاشة أكيدة من الكلام والأخلاق التى تمطى للصداقة نكهة مستساغة »

ولزام أن نعمل عملا شاقاً لخلق الأصدقاء والحفاظ عليهم كما نعمل عملا شاقاً فى أشغالنا .

ولقد اعتاد (شيبيو) أن ينهى شكواه بقوله إننا نألم لكل شئ إلا للصداقة . وإن كل واحد يستطيع الإخبار بما عنده من الغنم والمعز ، ولكنه غير مستطيع الإخبار بعدد أصدقائه ، وذلك لأن الناس يلاقون المشاق فى الحصول على الأولين ، ولكنهم لا يبالون باختيار الأخيرين »

غير أنه قبل أن تعاهد صديقك يجب أن تكون حريصاً عليه « تستطيع أن تحب صاحبك بعد ما تمدحه ، ولكن لا تثن عليه بعد أن تبدأ فى حبه »

ثم ماذا يقول عن أصدقاء المدرسة وعهد الطلب والتلمذة ؟

والقاعدة فى الصداقة أنها تكون بعد استقرار القوة وثباتها فى السن والعقل ، حتى الرجال الذين كانوا يكرسون حياتهم للصيد واللعب لا يحتفظون بأخلائهم فى ذلك الطور إلا لأنهم مغرمون باللعب معهم »

وهب أن الرجل الذى تصاحبه يبدو فى طور لا تستطيع معه أن تعايشه طويلا .

« روابط مثل هذه الصداقة لا بد أن تنحل بارتخاء تدريجى فى التوادّ — والانحلال أولى من التمزق . ولزام أن تتخذ الحيطة لئلا يظهر أن الصداقة لا تطرح جانباً فحسب ، وإنما تنمو مكانها العداوة الصريحة ، ذلك لأنه ليس شئ أشد خزياً من أن تكون فى حرب مع الشخص الذى قضيت معه مرة أويقات ود وصفاء »

ومع كل أخطار الإختيار الأرعن كانت نصيحة شيشرون « داوم على اصطناع أصدقاء جدد » ويتساءل : « هل الأصدقاء الجدد الذين يستحقون الصداقة يكونون مفضلين فى أى الأوقات على الصدقان القدامى ؟ » وهنا يشبّه الصديق القديم بالخمر المعتقة التى تحسن مع الزمن ، « والصداقة القديمة لا بد أن تكون أعظم إسعاداً ، على أن الصداقة الحديثة لا تحتقر إذا هى أبدت الأمل فى طلع نضيج ، كالعساليج الخضر التى لا تخفق فى إظهارنا على أوان الحصاد »

أما هؤلاء الذين يظنون أنهم يستطيعون العمل بغير صداقة أو مودة ، أو يقدرون على السير على طول الطريق اعتماداً على مجرد المعرفة فيقول لهم شيشرون : « إذا كان واضحاً فى بعض أنواع الحيوان أنها تتوق للبحث عن حيوان آخر من فصائلها — وهذا الذى تفعله فى حنين يحاكى إلى درجة ما الحب الإنسانى — فكيف يكون مقدار ذلك من حب الإنسان الذى يحب نفسه ويستعمل أسبابه فى البحث عن شخص آخر تمازج روحه بروحه لتكون روحاً من روحين »

تلك هى فلسفة الصداقة عند شيشرون العظيم ، ويا لها من فلسفة ثمينة بالاعتبار فى هذا الزمان الذى هوت فيه الماديات بالمثل العليا حتى ما كادت تبقى على شئ .

* * *

فى متحف اللوفر « لوحة الصداقة » وهى إحدى روائع الفن القديم ، ترى فيها « رُوث » تعتنق حماتها « ناعومى » وتأبى فراقها إذ قضت بذلك الأقدار ، ثم تناجيها بصوت حنان خفيت ، حلو النبرات رقيق : « تالله لا أفارقنك ولا أعودن بعدك ، فحيثما تذهبى أذهب ، وحيثما تسكنى أسكن ، فأهلك سيكونون أهلى ، وإلهك سوف يكون إلهى ... »

وتلك صورة مؤثرة تثير الشئون ، وهى خير تعقيب على مذهب الصداقة عند شيشرون العظيم .

(الرمل) **منصور جاب الله**

ربيع شاعر

للأستاذ مصطفى عبد الرحمن

يا ربيعى ما لأزهارك تذوى   قبلما تشهدُ أنوار الحياه
وأرى أوراقك الخضراء تهوى   ثم لا تملك نفسى غير آه
أنا روَّيتك من كاسات خمرى
ووهبتُ الزهرَ أنفاسى وعِطرى
يا زهرى ... ما الذى صوَّح زهرى
ورَماهُ قاسِياً حين رماه
وأنا ما زلت فى فجر الحياه

ها هى الأطيار فى الروض تغنى   غير طير ضلَّ عن سرب الطيور
يعرف الدمع الذى قرَّح جفنى   وأسى نفسى فيأسى للمصير
أنا أحيا فى خريف من شقاء
أسرعت أوراقُه نحو الفناء
ولقد هبَّتْ أعاصيرُ الشتاء
ما بقائى أيها القلبُ الكسير
فى حياةٍ كل ما فيها مرير
جفت الكأس فما فى الكأس رىٌّ   يطفئ الغُلة أو يشفى الصدور
وتولى الأملُ الحلوُ الندىُّ   وانطوت فى النفس أعلام السرور
وتلاشى حولى عينىَّ الضياء
وتساوى الصبحُ عندى والمساء
ثُرْ كما شئت وحطم يا فناء
لا يهاب الموت أو يخشى القبور
قلبى الزاهدُ فى طول المسير

عند ما يحملُ إعصار المنون   ما تراه من بقايا بدنى
ثم تروى ذلك الشعر السنون   وتغنى بنشيد الفِتَن
فترى الروعة والحسن البديعا
وجمالاً يملأ الدنيا جميعاً
سوف أحيا فيك يا شعرى ربيعا
خالداً إيقاعه فى كل أذنِ
رائعاً إشراقه فى كل عينِ

من وحى العيد

يقظة الشرق

للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

إيه يا شرق أى نور جديد   لاح فى دهمة الليالى السود
لف شم الجبال والسهل والحز   ن وهام الربى ورمل البيد
وإذا أنت يفتح النور عيني   ك فتصحو على الضياء الوليد
وتمطيت من طويل خمود   ومسحت الجفون بعد هجود
وتطلعت فى حماك ، حمى الأمج   اد ، ربع العروبة الممدود
عجباً ! أين أين ما وطدوه   من صروح شم وملك عتيد
وتلمست يا أبا الصيد فيه   أوجه الغر من بنيك الصيد
الميامين من بواتق « المثنى »   «والمعنى» فى فيلق «ابن الوليد»
تتساق الحتوف دون حماها   وتهز السيوف تحت البنود
وإذا أنت لا ترى غير عانٍ   وطليح بجرح ، وشهيد
البنون البنون صرعى الزوايا   يا لقلب الأبوة المفؤود

* * *

يا لها الله صرخة منك دوت   فى شعاب وأغور ونجود
يالها صرخة أهابت فأحيت   عزمات ، وطوحت بقيود
نفخت فى بنيك فانطلق المانى   وهب الكابى وحىَّ المودى
وتداعوا من ههنا وهنا وانتظ   موا تحت بندك المعقود
ما تراهم تسايلوا بين عيني   ك خفافاً ، من قاحم ونجيد
نفروا نفرة الأبى وقد ض   يم ، وهبوا بعزمه المشدود
بعث الهامدون ، آمنت بالبعث   بآيات يومه المشهود
يا بنى الشرق ، يمن الله يوماً   قمتم فيه من هوان القعود
أنتم الطيبون صيَّابة العُرب   حماة الحمى ، بقايا الجدود
هو ذا العيد أقبل اليوم محد   وًّا بروح فى بردتيه جديد
فيه شىء من اهتزاز قديم   عرفته له خوالى العهود
يوم للعُرب مقعد فى النجوم الزهر ، يزهو بركنه الوطود
فى فؤاد القدس الجريح اهتزاز   لكم ، رغم جده المنكود
انثنى مرهفاً على الجرح يشدو   ويحيى أفراحكم فى العيد
قام يزجى لكم عذارى القوافى   راقصات ، موقعات النشيد
قدس الشعر ، انما الشعر   أنات شق أو أغنيات سعيد

أى شىء أفتقد ؟!

الأستاذ عبد القادر القط

أىُّ إحساس بصدرى يتنزّى
أى أخلاطٍ بنفسى تضطرب
ومعانٍ أوسعت روحىَ وخزًا
وأمانٍ كالأُتونِ الملتهب

ثائراً يزفُرُ من تحت الدخان
لست أدرى ما الذى يوقد نارَه
غير أنى أكتويه كل آن
وأذَكّى من دم القلب أواره

لست أدريه ولكنى أحسه
فى سياط من حنين قانيات
ويجنى مستطار طال حَدْسُه :
أىُّ ماض يشتهيه ؟ ! أىُّ آت !

أى شىء فى حياتى قد فقدته
أى معنى من زمانى أبتغيه
كلما خُيِّل لى أنى وجدته
قَذَفَ التنور بالنيران فيه

كل شىء فى حياتى كالضباب
لست أدرى ما مداه إن قصدته
وطريق ذو دروب وشعاب
يقتضينى كل درب لم سلكته

إن أدرت المجد طافت بى رؤاه
ألف رؤيا يغتلى فيهن ربى
أو أردت الحب أولتنى دماه
حيرة تغتال ما يزنو بقلبى .

ليس مجداً أو غراماً ما أريد
ليت شعرى أى شىء أفتقد
أى شىء ؟ ! كل شىء فى الوجود
آه لو تجمع يوما فأجد

ظمأ يشوى لهاتى حره
فإذا قاربت ينبوعاً خمد
ونداء من رغابى سحره
كلما ملت إليه لم أجد

ها هنا روح ولكنى ملول
ها هنا راح ولكنى قلق
كل قصر تحته سفع الطلول
كل صبح فيه أسداف الغسق

سأم ينفث فى الكون السأم
ليس يرضى عن مكان أو زمن
ينشد الجدة حتى فى الظلم
ليس يعنيه قبيح أو حسن . . .

أى شىء فى حياتى قد فقدته
أى معنى من زمانى أبتغيه
كلما خيل لى أنى وجدته
قذف التنور بالنيران فيه .



غرها فجرها :

كتب الأستاذ الكبير محمود أبو ريه يقول إن أديب الجيل الأستاذ مصطفى صادق الرافعي كان يرى — رحمه الله — أن تكون الرواية — جرها شرك — فى قول مجنون بنى عامر :

كأن القلب ليلة قيل يغدى بليلى العامرية أو يراح
قطاة جرها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح

والواقع أن جرها يستقيم معها المعنى وتلائم قول الشاعر — فباتت تجاذبه كما تلائم صورة المشبه ، والتحريف بعد هذا يتسع لأن تكون غرها وليدة جرها . ومع إجلالى لرأى أستاذنا الرافعى أرى أن غرها رواية صحيحة صريحة وأنها أبرع فيما يقصد إليه الشاعر من التشبيه كما أنها تتفق مع الواقع ، لأن العادة جرت أن يوضع فى الشرك ما يغر الطائر من حب وغيره فإذا دنا الطائر من الشرك علق به ، وهذا العلوق يختلف باختلاف موقع الطائر من الشرك . والشاعر هنا يقول إن الذى علق هو الجناح وهنا تنتهى بنا غرها إلى جرها لأن المعنى والتصوير يقتضيان ذلك .

وغرها حينئذ أنسب لما فيها من المعنى الذى يتصل بنفس الشاعر أولا وليكون — الجر — مما يلحظ بالذهن ثانياً . وفى هذا من الحسن ما لا يخفى .

أما عزها فيكفى فى نقضها ماقاله أستاذنا الرافعى طيب الله ثراه .

محمد العزازى
مدرس بمعهد قنا

الى الاستاذ حسن أحمد الخطيب

تحية وسلاما : وبعد فقد قرأت فى العدد ٦٤٥ المؤرخ فى ١٢ نوفمبر ١٩٤٥ من الرسالة الغراء كلمة للأستاذ حسن أحمد الخطيب (من محاسن التشريع الإسلامى) أورد فيها قضية وهى : « أن الربيع بنت النضر لطمت جارية فكسرت ثنيتها ، فطلب أهل الجارية القصاص . فأمر رسول الله به ، فجاء أخو الربيع أنس بن النضر وكان من خاصة الصحابة فقال: يارسول الله ، والذى بعثك بالحق لا تكسر ثنية الربيع ، فقال رسول الله: كتاب الله القصاص . فلم يزل أنس يقول لرسول الله حتى جاء أهل الجارية راضين بدفع الأرش فقضى رسول الله به » .

هذه هى قضية الأستاذ الفاضل التى لم أكد أقرأها حتى استغربت ذكرها كقضية مسلم بها يحسبها الأستاذ حسنة من محاسن التشريع الإسلامى ، إذ أننى أعتقد جازماً بأن هذه القضية مدسوسة فى ثنايا قضايا التشريع وهى عنه جد بعيدة ، إذ ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضع حقاً من حقوق الله ، والقصاص كما هو معلوم من حقوق الله وليس من حقوق العبد حتى يضعه ، وعليه فإن رضاء المعتدى عليه بالأرش أو الدية لا يسقط القصاص عن الجانى .

وقد ذكرتنى هذه القضية قضية أخرى مماثلة لها أوردت بحضرة النظام شيخ المعتزلة ، وهى أن جارية سرقت فأراد الرسول قطعها ، فوضع أهل المسروق حقهم عليها فوضع الرسول القصاص عنها ، غير أن النظام كذبها بشدة ونفى صدور هذا الحكم عن الرسول إذ أن القطع كما قلت من حق الله — الحق العام — وليس من حق المسروق منه .

لذلك جئت بكلمتى هذه راجياً تنبيه الأستاذ الخطيب إلى أن استيفاء الأرش أو الدية ورضاء المجنى عليه لا يسقط حق القصاص .

(بغداد) **حقوقى**

عالم يعض كلباً !!

كان أنحى من أخذ عن الفارسى أبى على ، وأرواهم لشعر شاعر ، حتى قال له الفارسى يوماً : « ما بقى شىء تحتاج إليه ، ولو سرت من الشرق إلى الغرب لم تجد أعرف منك بالنحو »

وكان أحسن ما كتب ، وأجدره بالتقدير ، شرح كتاب سيبويه ، إلا أنه غسله ، وذلك أن طالباً نازعه فى مسألة ، فقام مغضباً ، وأخذ هذا الشرح ، وجعله فى إجانة ، وصب عليه الماء ، وجعل يلطم به الحيطان ، ويقول — تعريضاً بالطالب — « لا — والله — لا أجعل أولاد البقالين نحاة . »

وكان مبتلى بقتل الكلاب ، وكسر سوقها .

وكان يحضر درسه من الأكابر وعلية القوم من يقدرون فضله ، ويغضون عن سقطاته ، فاستتم الدرس ذات يوم ، وقال لجود ، فلما هم القوم بالإنصراف استأناهم ، وسألهم أن يمضوا معه على خيولهم ففعلوا ، وهو سائر على قدميه يأبى أن يركب ، فلما بلغوا ما شاء وقف عند إحدى الخرائب ، وأطل من بعض الكوى ، ونظر الجماعة فاذا أستاذهم يواثب كلبا ، والكلب يواثبه تارة ويهرب منه أخرى حتى أعياه ، فعاونوه ، وأمسكوا الكلب . فجعل يعض الكلب عضاً شديدا ، والكلب يعوى ويتململ ، فما تركه حتى اشتفى

ثم نظر إلى الجماعة وقال : هذا عضنى بالأمس ، فأردت أن أخالف فيه قول الأول :

شاتمنى كلب بنى مسمع ... فصنت عنه النفس والعرضا
ولم أجبه لاحتقارى له ... من ذا يعض الكلب إن عضا ؟

هأنذا أعض الكلب إن عض !

ذلك هو على بن عيسى الربعى المتوفى سنة ٤٣٠ هـ .

كامل السيد شاهين

حول نشر تراث المعري :

قابلت البيئات الأدبية والفلسفية مشروع — نشر تراث أبى العلاء — مفخرة الفكر العربى — بكل ما يستقبل به العمل الواجب المثمر من حفاوة وتشجيع ؛ فلم يعرف التاريخ الاسلامى شخصية دق حسها وعمق تفكيرها واتسع نطاق ذهنها وغزرت معارفها وكثر محصولها من اللغة : فقهاً ونحواً وصرفاً وعروضاً كتلك العبقرية النادرة ؛ ولكنه وياللأسف قد لعبت أيدى الإهمال بهذا الكنز الثمين الحافل فاستتر عن الأعين بعضه ولم يسلم ما تبقى من عبث التشويه والتحريف مما جعل استثمار هذا الإنتاج عسيراً شاقاً ؛ فما كاد يذاع نبأ جمع هذا التراث وتنظيمه وتنسيقه وتقديمه نقياً من الشوائب حتى استبشرت النفوس وأثلجت الصدور لبعث أبى العلاء — كما يجب أن يكون فى تلك البيئات ؛ وتسابقت الآمال للأخذ من مناهل — الشيخ — وقد طهرت مواردها ، وأشرأبت العيون إلى إنقاذ آثار زعماء الفكر العربى . حتى قال الأستاذ — أحمد أمين بك — يجب أن نعرج على — ابن خلدون — بعد تقديم — أبى العلاء — فانتظرنا طلوع فجر ذلك اليوم الذى نحظى فيه بأولى ثمرات هذا الجهد الخصب ؛ واليد التى ستظل أبد الدهر وضاءة ناصعة ؛ وبعد لأى أعلن البشير صدور التعريف بأبى العلاء فذهبنا نستبق فما وجدنا إليه سبيلا ؛ فعللنا الأنفس بأن لا حاجة ملحة بنا الآن إلى التعريف به ؛ فقد كفانا مؤنة ذلك المحدثون ؛ ولم نلبث طويلا حتى عاد البشير يعلن قدوم — سقط الزند — ويطنب فى جماله وأناقته وإتقانه ؛ فلما حاولنا الحصول عليه امتنع علينا ما ابتغيناه ؛ وحتى هذا الأستاذ الذى يقوم بتدريس الفلسفة فى كلية الآداب يعوزه ما يعوز غيره من مريدى الثقافة العامة . وهذا آخر يدرس الأدب العربى فى أحد معاهد الأدب العالية أضناه البحث ، وقعد به القنوط ؛ فياليت شعرى إذا عز تراث فيلسوف العرب على أستاذ الفلسفة واستحال تراث هذا الاديب الحجة على أستاذ الأدب ، فأى إنسان هان وسهل عليه ذلك الذى بات فوق متناول هؤلاء الأساتذة ؟ أغلب الظن أنه هان وسهل ؛ بل استذل وصغر على تلك المناضد التى يطرح فى زاوية من زواياها غير مكترث به ، ولا منظور إليه ، ألا ليت الأستاذ — أحمد أمين بك — يعلم أن هذا التراث الذى تبذل فى إخراجه الجهود وتنفق الأموال ، قد بات فوق متناول الأساتذة المختصين فضلا عن القارىء العادى الذى يجب أن نمده بكل ما من شأنه أن يسمو بفكره ويندى عواطفه ويقوى خلقه . ألا ليت الدكتور طه يعلم أن سبيل لمعاهد الأدب إلى — أبى العلاء — ألا ليت وزارة المعارف تعلم أن هذا الانتاج قد غدا لا يعرفه الأساتذة إلا عن طريق التصور والسماع .

محمد عبد الحليم أبو زيد

جائزة ألف جنيه لتيسير الكتابة باللغة العربية

يعلن مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، أنه قد خصص جائزة مقدارها ألف جنيه تمنح لأحسن اقتراح فى تيسير الكتابة العربية على ألا يكون لأعضاء المؤتمر الحق فى دخول المسابقة ، وقد تحدد آخر أكتوبر سنة ١٩٤٦ موعداً لقبول المقترحات ، وترسل باسم المجمع بعنوانه شارع قصر العينى رقم ١١٠ بالقاهرة . وسيطبع المجمع كل ما قيل حول تيسير الكتابة فى مؤتمره الذى انعقد سنة ١٩٤٤ ، ويتخذ الوسائل لنشره .

مسابقة فاروق الأول للقصة المصرية

كانت حضرة صاحبة العصمة السيدة الجليلة هدى هانم شعراوى قد تبرعت بجائزتين للقصة المصرية ؛ وقد فرغت لجنة الأدب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية من الحكم على ما لديها من القصص ، فنالت قصة « لقيطة » للأستاذ محمد عبد الحليم عبدالله جائزة قدرها خمسة وثلاثون جنيها ، ونالت قصة « فى ربيع الحياة » للأستاذ محمد أحمد قمر جائزة قدرها خمسة وعشرون جنيها مصريا

كتاب « أمريكا » لستيفن فنسنت بنيه

إن هذا الكتاب الذى وضعه بالإنجليزية المستر ستيفن فنسنت بنيه ، ونقله إلى العربية الأستاذ عبد العزيز عبد المجيد ، إنما هو رحلة زمنية فى تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية ، تسلسلت أحداثه منذ أن وطأت أقدام الأوربيين أرض الدنيا الجديدة ، ثم ساير نهضة الوطن الأمريكى من بدء الهجرة العظيمة ، إلى عهد الثورة والإنفصال عن إنجلترا ، وتحدث عن الدستور الأمريكى الأول وما دخله من تعديلات فى عهود مختلفة ، ثم وصف الجمهورية الناشئة وبناتها ، ثم ساق الكلام عن ابراهام لنكولن أحد قادة الحرية فى العصر الحديث ، وأتى بوصف شائق للحرب الأهلية بين الولايات الشمالية والولايات الجنوبية وما أعقبها من سياسة شاملة للانشاء والتعمير ، ويتصل السياق بالكاتب إلى عهد أمريكا التى يعرفها الناس جميعا ، فيجلو صورة فنية رائعة لبلد الصناعة والمال ، وأخيرا يتحدث عن ميثاق الاطلنطى والأمل المنشود فى عالم ما بعد الحرب .

والكتاب نسيج وحده بين الكتب الموضوعة عن أمريكا ، فليس هو كتاب دعاية عمياء تطلع القارئين على تزويقات بلاغية حتى إذا تحسسوها من ناحية الحقيقة لم يجدوها شيئا ، وإنما هو سفر يلخص تاريخ أمة ، ويصور حياة وطن ، ويرسم طريق كفاح . فأمريكا « ليست فردوسا أرضيا ، ولا جنة كجنة عدن ، ولا هى قد بلغت نهاية الكمال ، وقد أخطأت فى الماضى فى إدارة أمورها الداخلية كما أخطأت فى الأمور العالمية . ولكنها مع ذلك تتطلع دائما إلى المستقبل ، مستقبل يعيش فيه الرجال والنساء أحرارا ، يتوافر فيه الغذاء والعمل ، وتتوافر فيه الطمأنينة والحرية لبنى الإنسان

تلك هى الروح التى تسيطر على الكتاب ، وهى وإن كانت لا تنقصها الصراحة الصادقة ، إلا أنها مشربة بالاعتداد بالنفس والثقة بمستقبل الأمة والتفاؤل بمصير الإنسانية

ولا يتناول الكاتب الحديث عن جورج وشنطن دون أن يتملكه — كأمريكى — فيض من الشعور بالزهو والخيلاء بهذا البطل الذى لم يعرفوا كيف يصغرون اسمه تحببا لأن معانى العظمة فيه لم تسمح بمثل هذا التدليل ، فهو لم يقبل الرشوة ، ولم يأخذ أجراً مقابل قيادته الجيش زهاء سبع سنين ، ولم يهن حيال أعدائه وشاطر جنوده الضراء ، وكابد معهم تباريح الجوع وأوصاب المرض ولفحات البرد القاسى .

وإذا جاء دور الدستور الأمريكى ، عرضه الكاتب على القارىء عرضا لبقا ، فاذا هو نصوص لا تحوطها القداسة ، ولا يتناهى عنده حبل الإشتراع ، وإنما هو مواصفات قانونية مرنة تتكيف حسب الأجيال ، وتتبلور وفق أقضية الناس ومشكلاتهم .

وحين يعرض المؤلف مذهب مونرو لا نرى فيه تلك الوثيقة الجافة التى طالما قرأناها فى كتب التاريخ والسياسة ، وإنما نرى فيها صورة حية من صور الحرية الإنسانية ، تلك الحرية التى حفزت ابراهام لنكولن على إلغاء الرقيق وإعلان الحرب على الولايات الجنوبية التى أبت إلا أن يبقى رقيق الأرض على حاله ، وكان أن لقى الرئيس الأمريكى نفسه بعد ما تحقق له النصر أو كاد .

فاذا تركنا الجانب السياسى من الكتاب وتلفتنا إلى الجانب الإجتماعى فيه ، وجدنا المؤلف يتحدث بصراحة محببة عن الأغنياء الأنانيين الذين لا همّ لهم سوى احتجان الأموال واكتنازها ، بيد أنه لا يدع القارىء يمعن فى تخيلاته ، حتى يبدهه بأسماء أولئك الأثرياء الإنسانيين فى بلاد العام سام من أمثال كارنيجى الذى أنفق معظم ثروته ليساعد على إنشاء دور الكتب العامة المجانية ليتيح للفقراء أن يثقفوا أنفسهم ، وروكفلر صاحب المؤسسة العظيمة التى عادت أبحاثها فى الطب والعلم على الناس جميعا بالخير العميم وغيرهما ممن يضيق دون ذكرهم المقام .

ويختم المؤلف كتابه بقوله إن العلم الأمريكى « يرمز للحرية ويرمز للرجاء ، إنه يرمز لحسن الجوار لا للسيادة على الآخرين ، إنه يرمز إلى أن يقرر الناس مصيرهم ويحكموا أنفسهم بأنفسهم ، إنه يرمز إلى أناس يحبون السلام ، فاذا اعتدى على بلادهم هبوا يقاتلون المعتدين . إنه رمز لأمة وشعب يؤمنون بالإنسان . ويؤمنون بمستقبل الإنسان ، وبالعالم الحر الذى يستطيع الإنسان أن ينشئه »

وبعد ، فان هذا العرض الموجز لبعض موضوعات هذا الكتيب الأنيق لا يغنى كل الغناء دون قراءته واستيعاب ما فيه من كل شائق وطريف .

منصور جاب الله

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦٥٠ – الاثنين ١٧ ديسمبر ١٩٤٥ – السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٢٥٠٤٩

مجلة إسبوعية للآداب والعلوم والفنون

محكمة إمبابة الوطنية

بنشرة بيع فى القضية المدنية ن ٢٧١٠ سنة ٩٣٣

إنه فى يوم الثلاثاء ٨ يناير سنة ١٩٤٦ الساعة ٨ أفرنكى صباحا بقاعة المزادات لسراى المحكمة الكائنة بشارع السلام بامبابة .

سيباع بالمزاد العلنى منزل كائن بناحية حوض اللبن مركز إمبابة جيزة ملك محمد ابراهيم الشافعى يبلغ مسطحه ٥٢ متر و٦٠ ديسى بالقطعة ن٢ بحوض الخمسين القبلى ن١٠ المحدود بحدود أربع البحرى أبو السعود محمد والشرقى بعضه حارة وفيها الواجهة والباب وبعضه منزل فاطمة محمد والقبلى منزل مصطفى خليفة والغربى القطعة ن١٥٣ بحوضه ملك محمد وفا بثمن أساسى قدره ١٢ جنيه اثنى عشر جنيها بعد تنقيص الخمس — وفاء لسداد مبلغ ١٥ جنيه و٦٦٠ مليم وذلك بناء على حكم محكمة إمبابة وتنبيه نزع الملكية المعلن بتاريخ أول مارس سنة ٩٣٤ ومسجل بمحكمة مصر الأهلية ن ١٢٥١ سنة ١٩٣٤ وحكم نزع الملكية الصادر من هذه المحكمة فى ٢٢ / ١٠ سنة ٩٣٤ ومسجل بمحكمة مصر الأهلية فى ٢٤ / ١٠ سنة ٩٣٤ ن١٨١٦ سنة ١٩٣٤

وهذا البيع بناء على طلب نبوية على برعى وشقيقه على البرعى وعباس عبد المجيد دعبس الوارث لوالدته حضرة على البرعى من حوض اللبن مركز إمبابة ومحلهم المختار مكتب حضرة الأستاذ فيكتور جرجس المحامى بامبابة .

فعلى راغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان المحددين عاليه .

كاتب البيوع

إدارة البلديات العامة — تنظيم

يطرح مجلس شبين القناطر البلدى فى المزاد بطريقة المظاريف بيع ٢٥٠ متراً مكعباً من السماد العضوى وقد تحدد ظهر يوم ٥ يناير سنة ١٩٤٦ لفتح العطاءات بديوان المجلس ويجب أن ترفق العطاءات بتأمين ابتدائى قدره ٢ ٪ من قيمتها .

٤٦٣٢

وزارة المعارف العمومية

المراقبة العامة للتعليم الفنى

(التعليم الصناعى)

تعلن الوزارة عن حاجتها لمعلم فى صناعة البناء باليومية بمدرسة الصناعات المعمارية بالعباسية ومقرها مدرسة الهندسة التطبيقية العليا ويشترط للتعيين ما يأتى : —

١ — الإلمام بالقراءة والكتابة والرسم وكذلك بصناعة البناء على اختلاف أنواعها مع مزاولة هذه الصناعة لمدة لا تقل عن عشرة سنوات .

٢ — سيعقد امتحان مسابقة بين المتقدمين بدار المدرسة المذكورة فى ٢٥ ديسمبر ١٩٤٥ فى الساعة الثامنة صباحا فى صناعة البناء والرسم .

٣ — من تتوفر فيه هذه الشروط يمنح أجراً يومياً يتناسب مع كفائته .

٤ — تقدم الطلبات بعنوان حضرة صاحب العزة المراقب العام للتعليم الفنى بوزارة المعارف العمومية فى ميعاد لا يتجاوز يوم ٢٢ / ١٢ / ١٩٤٥ .

٤٦٣٥

13 me Année No. 650

Lundi — 17 — 12 — 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٥٠ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٢ محرم سنة ١٣٦٥ — ١٧ ديسمبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

مؤلف العباســـة

بكرم صاحب الجلالة الفاروق

ربما كان صاحب (الأنات الحائرة) مثلا فريداً فى تاريخنا الأدبى كله : أبدر قمره وهو هلال يلوح ، وأينع ثمره وهو زهر يفوح ، واكتمل شعره وهو قصيد ينوح ؛ فلم نكد نرى الشاعر وجدانياً يرجّع الأنات على قبر (زين)، ويوقع الذكريات على ضريح (خديجة)، حتى رأيناه روائياً يحتجب وراء الأستار، ثم يقول قول الفلاسفة، ويفعل فعل الآلهة ، فيبعث الأموات ، ويخلق الأشخاص ، ويعيد الأحداث ، ويصور الأخلاق، ويمثل العواطف ، ويفلسف الحياة ، ويرسم البيئة ، ويستخلص العبرة ! وبين الشعر الوجدانى والشعر الدرامى دهر طويل وشوط بعيد لا بد منهما ليستطيع الشاعر أن يخرج عن ذاته ، وينقل عن حياة غيره لا عن حياته ؛ ولكن شاعر المآسى نضج باكراً من حرارة الحزن ، وفاض طاغياً من فوران الحس ، وانفجر صارخاً من بُرَحاء الألم . فهو فريد فى نزوغه ، فريد فى نبوغه ، فريد فى تطور شعره ، فريد فى استفاضة ذكره ، فريد فى كل ما يتصل بشاعريته حتى فى الإشادة بها والإثابة عليها ؛ فقد تفضل صاحب الجلالة الملك فاروق أعز الله نصره ، وجمل بالآداب والفنون عصره ، فأنعم على مؤلف العباسة بالباشوية ، وما علمنا قبل عهد الفاروق ومجد عزيز أن رجلا أصبح باشا لأنه شاعر ! والذى نعلمه أن الخطباء فى عهود الحضارة العربية قد نالوا الإمارة ، والكتّاب قد بلغوا الوزارة ، ولكن الشعراء كانوا كالمغنين والموسيقيين، شيئاً من زينة المُلك وتَرف الدولة ، ينادمون الخليفة ولا يدخلون فى بطانته ، ويطربون الشعب ولا يحسَبون فى قادته . فإذا أصبحنا ننظر إلى الشاعر العربى النابغ نظر الإنجليز إلى شاعر الملكية شكسبير [1]، أو إلى شاعر الإمبراطورية كِبْلِنج ، فإنما يرجع الفضل فى هذا النظر الجديد السديد إلى عطف ملكنا فاروق وفن شاعرنا عزيز !

ليت الشاعر أو الذين رصدوا كوكبه وسايروا هواه من لِداته وثقاته حللوا عوامل هذا النبوغ المفاجئ ، وسجلوا أطوار هذا الشعر المحكم ، فإن رجال الأدب يستبعدون أن يولد شاعر بهذا الكمال ، ويوجد شعر بهذا الجمال ، فى صيف عام واحد . والراصد البعيد يرى فى الأمر أثراً من فضل الله ، وفضل الله يؤتيه من يشاء لحكمة لا يدخل تعليلها فى منطق عباده .

يرى الراصد البعيد تلك النفس اللطيفة التى أشبلت على مواهب هذا الشاعر وعواطفه شقيقةً وصديقةً وزوجة ، فيذكر أم المؤمنين التى حضنت الرسالة وواست الرسول وناصرت الدعوة . ثم يسمع هذا الشاعرَ المفجوع يهتف بشهر يونية وبما تفجر فيه على قلبه من ينابيعَ بعضُها يسيل هادئاً باللذة ، وبعضها يهدر صاخباً بالألم ، فيذكر شهر رمضان وما تجمع فيه للاسلام من الذكريات الملهمات

(١) قال كرلايل فى كتابه الأبطال: « لو خيرنا بين أن نترك شكسبير أو بلاد الهند لقلنا : سواء أحكمنا الهند أم لم نحكمها فلا غنى لنا عن شكسبير؛ فسيجيء يوم يصبح فيه أبناء بريطانيا مبعثرين فى الأرض ولا يجدون لهم ملكا يجمعهم غير شكسبير » .

من يوم بدر ، إلى ليلة القدر . ثم يرى هذا الفيض الشعرى الدافق ينبجس فجأة على لسان (المدير) بعد سن الأربعين ، فيذكر الفضل الذى آتاه الله سيد البلغاء محمداً رسولـه وهو فى هذه السن فيفجأ أمراء القول ببلاغة تشبه الإلهام لأنه لم يعانها ولم يتكلفها ولم يرُض لها ولم يشتهر بها قبل البعثة .

ذلك ما يراه الراصد البعيد وما يذكره . أما الناقد العليم بأسرار القلوب فيرى أن زوج هذه النفس اللطيفة كان يقول الشعر منذ ثلاثين سنة . كان يقوله حين خالصها الأخاء وهى قريبة ، وحين صافاها المحبة وهى خطيبة ، وحين صادقها الوفاء وهى زوجة ؛ ولـكن شعره فى هذا العهد الحبيب الخصيب كان صامتاً لا ينطق به لسان ولا قلم ؛ لأن الشعور السعيد كالماء اللجىّ إذا عمق هدأ ثائره وسكن سطحه . والأليفان إذا لبس كل منهما صاحبه خُيل إليهما أنهما الصورة ، وكل ما على الأرض من شخص وشىء إطار ؛ فالشاعر يشدو بهما ، والمغنى يغنى لهما ، والطبيعة الصادحة والباغمة كلها تعبر عن النظرة الساهمة فى العين الحالمة ، وتفسر اللفظة الهائمة على الشفة الباسمة ؛ فما بهما إذن من حاجة إلى كلام يقاس بالتفاعيل ويحدُّ بالقافية .

كان ذلك والعش الوثير الدافئ ناعم فى ظلال الأمن ، غارق فى صفاء النعيم ؛ فلما لحظته عيون الغِيَر ، وقوضته أيدى شَعوب ، ارفض صبر الشاعر ووهى جَلَد الزوج فجأر بالشكوى وزفر بالأنين ؛ وكان من تلك الزفرات الحارة وهذه الأنات الحائرة مجموعةٌ من الشعر الباكى استوجفت القلوب واستوكفت العيون وإن هش بها الفن وصفق لها الأدب ! وهكذا استطاع الحزن أن يحمل شاعرنا على أن ينوح ، ولم يستطع السرور أن يحمله على أن يغرد .

ثم ضاق وُسعه عن احتمال أساه ، فطفق ينشد العزاء فى مآسى الأزواج الذين تساقوا كؤوس الهوى صافية مترعة ، ثم سعى بينهم الدهر ، وصدع شملهم البين ، فمزج دمعه الدامى بدموع قيس وجعفر ، وبكى ربعه الموحش فى ربوع لبنى والعباسة . فكان شعره الدرامى تعبيراً عن ذاته وتمثيلا لمأساته ، وإن تغيرت الأسماء وتباينت الصور واختلفت النتائج .

شعر عزيز باشا الذى سمعناه أو قرأناه شعر عالى الطبقة ؛ جرى فيه على سَنَن الفحول من صاغة القريض ، فنضّد اللفظ وجود المعنى وراض القافية ، وهى صفات لا تكتسب إلا بسعة الاطلاع وطول المعاناة وقوة المَلَكة . وإن له فى الديوان الأول قصائد ترفعه إلى المكانة العليا من شعراء العربية . ولـكن هذا الشعر كله قد قطر من فؤاده القريح كما يقطر الدمع من العين أو الدم من الجرح ؛ فهو وليد الأسى وربيب الألم . فليت شعرى أيعتريه الذَّوِىُّ إذا ما التأم جرحه واندمل قلبه وجف ينبوعه ، أم يَفْجُر الله له ينابيع أخرى تسقيه وتغذيه فيزكو ويتلون ويتنوع ؟ إن الرجل فنان موهوب ما فى ذلك شك . وإن فنه الحزين قد استطاع على قرب عهده بالحداد أن يحلق فوق السحائب الجون فيكشف آفاقاً بعيدة ويخلق معانى جديدة . ولعلك تجد فى العباسة على الأخص مصداق ذلك ، فإن فيها الغزل الرقيق ، والفلسفة الراشدة ، والسياسة الحكيمة ، والصور الاجتماعية ، والنوازع النفسية ، وكل ذلك فى حوار قوى ، وتشويق جاذب ، وتنسيق عجيب ، ومواءمة بين المعنى واللفظ ، وملاءمة بين الموضوع والوزن ؛ ومثل ذلك لا يتسنى إلا لمن ملك ناصية الشعر وقبض على أزمّة البلاغة

لهذا النبوغ الأصيل ، وهذا الشعر الفخم الجليل ، استحق شاعرنا التكريم . ومن تكريم الله إياه أن كرّمه صاحب الجلالة الفاروق بأرفع الرتب فى الدولة . ولهذا الإنعام السامى مغزى خطير وأثر كبير فى نهضة الأدب وحياة أهله : مغزاه الخطير أنه توجيه ملكى كريم إلى ما ينبغى أن يكون عليه أمر الأدب وقدر الأديب فى هذا العهد . وهو تنويه بشأن البلاغة العالية فى الوقت الذى طاولها فيه الأدب الخسيس فطغت السوقية على الصحافة والعامية على المسرح .

وأثره الـكبير أنه تشجيع رفيع لعزيز باشا على أن يجرى إلى أبعد الغايات فى شعره ، تحقيقاً لرغبة المليك وقياماً بواجب شكره . وهو تشجيع لـكل شاعر على أن يجدد ويجيد التماساً لرضا الفاروق حامى الفن ونصير الأدب .

وفى هذا الإنعام السامى كذلك تكريم للأسرة الأباظية العظيمة على ما أشاعت فى الأمة من خصال الفتوة . وللفتوة العربية عناصر أهمها الشجاعة والفصاحة والسماحة والمروءة ، وهى الخصال الغالبة على زعماء هذه الأسرة مَن سلف منهم ومن خَلَف .

نضر الله بأمثالهم عهد الفاروق ، وجدد بأعمالهم مجد مصر !

احمد حسن الزيات

في إرشاد الأريب

إلى معرفة الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ٢٠ —

ج ١٦ ص ١٦٩ :

الصبر أولى بوقار الفتى ... من قلق يهتك ستر الوقار
من لزم الصبر على حالة ... كان على أيامه بالخيار

قلت : الوقارْ ، بالخيارْ .

* * *

ج ١٩ ص ٦٧ ، ٦٩ :

فلما وقفتَ الخيل ناقعة الصدى ... على بردى من فوقها الورق النضر
فمن بعد ما أوردتها حومة الوغى ... وأصدرتها والبيض من علق حمر
علا النهر لما كاثر الغَصَبُ القنا ... مكاثرة فى كل نحر لها نحر
وقد شرقت أجرافه بدم العدى ... إلى أن جرى العاصى[1] وضحضاحه غُمر
إذا سار نور الدين فى عزماته ... فقولا لليل الفجر قد طلع الفجر
مليك سمت ثم المنابر باسمه ... كما قد زَهت تيها به الأنجم الزهر

قلت : (فلما وقفت الخيل) وجواب الشرط فى الثانى : (فمن بعد) وقد ربط بالفاء .

(لما كاثر القَصَبَ القنا) .

(وضحضاحه غمر) فى النهاية : مثل الصلوات الخمس كمثل نهر غمر ، الغمر بفتح الغين وسكون الميم : الكثير أى يغمر من دخله ويغطيه . والضحضاح — كما فى التاج — : الماء اليسير يكون فى الغدير وغيره .

(فقولا لليل الإفك قد طلع الفجر) .

(كما زُهِيت تيها به الأنجم الزهر) .

الأبيات من قصيدة لمحمد بن نصر المعروف بابن القيسرانى فى البطل الخالد العظيم الملك العادل (نور الدين) حين أسر

(١) جاء فى الشرح : العاصى نهر بدمشق . قلت : نهر حماة وحمص .

(جوسلين)[1] » وكان أسره من أعظم الفتوح على المسلمين ، فإنه كان شيطاناً عانياً من شياطين الفرنج ، شديد العداوة للمسلمين ، وكان هو يتقدم على الفرنج فى حروبهم لما يعلمون من شجاعته وجودة رأيه وشدة عداوته للملة الإسلامية وقسوة قلبه على أهلها وأصيبت النصرانية كافة بأسره ، وعظمت المصيبة عليهم بفقده ، وخلت بلادهم من حاميها وثغورهم من حافظها . وسهل أمرهم على المسلمين بعده . وكان كثير الغدر والمكر ، لا يقف على يمين ، ولا يفى بعهد . طالما صالحه نور الدين وهادنه ، فإذا أمن جانبه بالعهود والمواثيق نكث وغدر ، فلقيه غدره ، وحاق به مكره ، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله . فلما أسر تيسر فتح كثير من بلادهم[2] وقلاعهم ... وكان نور الدين (رحمه الله) إذا فتح حصناً لا يرحل عنه حتى يملأه رجالا وذخائر تكفيه عشر سنين خوفاً من نصرة تتجدد للفرنج ، فتكون الحصون مستعدة غير محتاجة إلى شىء »[3] .

وفى هذه الرائقة الرائية :

فسر واملأ الدنيا ضياء وبهجة ... فبالأفق الداجى إلى ذى السنى فقر
كأنى بهذا العزم لا فل حده ... وأقصاه ب (الأقصى) وقد قضى الأمر
وقد أصبح (البيت المقدس) طاهراً ... وليس سوى جارى الدماء له طهر
وقد أدت البيض الحداد فروضها ... فلا عهدة فى عنق سيف ولا نذر
وصلت ب (معراج النبى) صوارم ... مساجدها شَفع وساجدها وتر[4]

* * *

(١) سنة ٥٤٥ .

(٢) صرنا نقول بلادهم . . !

(٣) ابن الأثير رواه كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين . وفي نور الدين يقول ابن منير :

أنت خير الملوك دنيا ودينا ... عقل الحق ألسن المدعينا

قال صلاح الدين ذات مرة لرجل : كل ما ترى فينا من عدل فمن نور الدين تعلمناه .

(٤) الضميران في ساجدها ومساجدها يعودان إلى (صوارم) والمعنى مبين متضح .

ج ١١ ص ٤٦ : السيوف القلْمية .

وجاء فى الشرح : القلعية نسبة إلى القلعة وهى ببلاد الهند ينسب إليها الرصاص والسيوف .

قلت : فى القاموس : والقلعة بلد ببلاد الهند ، قيل وإليه ينسب الرصاص والسيوف . وفيه : ومرج القلعة محركة موضع بالبادية إليه تنسب السيوف .

هذا ما ذكره المجد . وقد جاء فى الأساس : وسيف قلعى بفتح اللام عتيق نسب إلى معدن بالقلع وهو جبل بالشام ، قال أوس : (يعلون بالقلع البصرى هامهم) وهو جمع القلعى كالعرك والعركى[1] والعرب العربى . وجاء فى النهاية . سيوفنا قلعية منسوبة إلى القلعة بفتح القاف واللام وهى موضع بالبادية تنسب السيوف إليه . ونقل اللسان ما قالته النهاية . وجاء فيه : وسيف قلَعى . وذكر مرج القلعة ولم ينسب إليه شيئاً . وقال : القلْعى الرّصاص الجيد ، والقلْع اسم المعدن الذى ينسب إلى الرصاص الجيد . ولم يذكر (اللسان) السيوف .

* * *

ج ١٧ ص ٢٩٢ : قلت : قصة حُوَيْصَة ومُحَيْصَة ... قال : فيحلف لكم يهودُ . قلت : هذه هى القصة كما رواها الإمام مسلم فى جامعه وقد ضبطت فيها الأسماء :

... عن سهيل بن أبى حَثْمَة أنه أخبره عن رجال من كبراء قومه أن عبد الله بن سهل ومُحَيِّصة خرجا إلى خيبر من جهد أصابهم ، فأتى محيصة فأخبر أن عبد الله بن سهل قد قُتل وطرح فى عين أو فقير[2] . فأتى يهودَ فقال : أنتم والله قتلتموه ، قالوا : والله ما قتلناه ، ثم أقبل حتى قدم على قومه فذكر لهم ذلك ثم أقبل هو وأخوه حُوَيِّصة وهو أكبر منه وعبد الرحمن ابن سهل فذهب محيصة ليتكلم ، وهو الذى كان بخيبر ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لمحيصة : كبّر كبّر (يريد السن) فتكلم حويصة ثم تكلم محيصة : فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إما أن يدوا صاحبكم وإما أن يؤذنوا بحرب ، فكتب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إليهم فى ذلك ، فكتبوا إنا والله

(١) صياد السمك .

(٢) بئر أو حفرة .

ما قتلناه . فقال رسول الله لحويصة ومحيصة : أتحلفون وتستحقون دم صاحبكم ؟ قالوا : لا . قال : فتحلف لكم يهودُ . قالوا : ليسوا بمسلمين[1] . فوداه رسول الله من عنده ، فبعث إليهم رسول الله مئة ناقة حتى أدخلت عليهم الدار ... » .

وقال فى يهود ، وهو من أبيات (الكتاب) .

أولئك أولى من يهودَ بمدحة   إذا أنت يوماً قلتَها لم تؤنبِ

ويهود مثل مجوس قال وهو من أبيات (الكتاب) :

أحارِ ، أريك برقا هب وهنا   كنار مجوس تستعر استعارا

بل لمجوس ما ليس ليهود . قال الشنتمرى فى هذا البيت : الشاهد فيه ترك صرف مجوس حملا على معنى القبيلة وهو الغالب عليها فى كلامهم ، وصرفها على معنى الحى جائز وليس بالكثير . وقال فى البيتِ الأول ، الشاهد فى جعل يهود اسما علماً ، والقول فيه كالقول فى مجوس إلا أن الزيادة فى أوله تمنعه من الصرف[2] أن جعل اسماً للحى .

ومن أبيات (اللسان) :

فرت يهود وأسلمت جيرانها   صَمّى لما فعلت يهود صمامِ[3]

وفى بيتى (الشيخ) المشهورين : « ويهود حارت ، والمجوس مضلله » .

* * *

ج ٥ ص ٣٣ : وله (لأحمد بن محمد السهيلى) أشعار ، منها فى شعاع القمر على الماء :

كأنما البدر فوق الماء مطلعاً   ونحن بالشط فى لهو وفى طرب

مَلْك رآنا فأهوى للعبور فلم   يقدر فمد له جسراً من الذهب

قلت : ملك بالتسكين للوزن . المخصص ج ٢ ص ١٣٣ : « ملِك ومالك ومليك ومَلْك والجمع أملاك وملاك وملوك

(١) فى رواية فى حديث آخر : فقال : يا رسول الله ، كيف نقبل أيمان قوم كفار

(٢) فى المصباح : ويقال : هم يهود غير مصرف للعلمية ووزن الفعل ويجوز دخول الألف واللام فيقال : اليهود وعلى هذا فلا تمتنع التنوين لأنه نقل عن وزن الفعل إلى باب الأسماء .

(٣) الصحاح : يقال للداهية : صمى صمام مثال قطام وهى الداهية أى زيدى . وفى مجمع الأمثال للميدانى : يقال للداهية والحرب صمام على وزنه قطام وحذام وصمى ابنة الجبل وأصلها الحية . وإنما يقولون صمى صمام وصمى ابنة الجبل إذا أبى الفريقان الصلح ولجوا فى الاختلاف .

وملكاء ، والأملوك جماعة الملوك كالأمموز » وفى الصحاح : « وملك وملك مثل نخذ ونخذ كأن الملك مخفف من ملك ، والملك مقصور من مالك » .

***

ج ١٦ ص ٢٦٤ : حدثنى من أثق به أن الحريرى لما صنع المقامة الحرامية وتعانى الكتابة فأتقنها وخالط الكتاب أصعد إلى بغداد ، فدخل يوماً إلى ديوان السلطان وهو منغص بذوى الفضل والبلاغة ، محتفل بأهل الكفاية والبراعة ، وقد بلغهم ورود ابن الحريرى إلا أنهم لم يعرفوا فضله ، ولا أشهر بينهم بلاغته ونبله ، فقال له بعض الكتاب : أى شىء تتعانى من صناعة الكتابة حتى نباحثك فيه ، فأخذ بيده قلما وقال : كل ما يتعلق بهذا وأشار إلى القلم ، فقيل له : هذه دعوى عظيمة فقال : امتحنوا تخبروا ...

وجاء فى الشرح : وتعانى الكتابة : قاساها وعالجها وتناولها . وهو منغص الضمير للديوان أى ممتلىء بهم ضيق عليهم .

قلت : (وعانى الكتابة) (أى شىء تعانى من صناعة الكتابة) و « معاناة الشىء ملابسته ومباشرته » كما قال اللسان . ولم أجد فى كلام أو معجم نعرفه (تعانى يتعانى تعانيا) واليقين أن التمــانى فى قول أبى الطيب فى طبعة (شرح العكبرى) ج ٢ ص ٤٣٦ :

ومراد النفوس أصغر من أن نتعادى فيه وأن نتعانى

هو تصحيف أو تطبيع . واللفظة هى (نتفانى) فى (ديوان أبى الطيب) فى النسخة الفائقة التى حققها العلامة الدكتور عبد الوهاب عزام . وفى (ديوان المتنبى) الذى نشره الشيخ عبد الرحمن البرقوقى (رحمه الله) ورجع فيه إلى شروح كثيرة .

و (أشهر) يقول فيها المصباح : « وأما أشهرته بالألف بمعنى شهرته فغير منقول » والذى نقلوه هو شهره شهراً وشهره تشهيراً واشتهره وهذا لازم ومتعد .

و (منغص) هى (مغتص) . فى التاج : ومنزل غاص بالقوم أى ممتلىء يقال : الإنس فى المجلس الغاص لا فى المحفل الخاص واغتص المجلس بأهله كغص .

قلت : أوقن أن صاحب التاج لم يرو (الإنس الخ) بل روى: (الأنس فى المجلس الخاص لا فى المحفل الغاص) والوارد فى الطبعة هو أنس الدهماء والغوغاء لا أنس صاحب التاج ولا أنس العلماء والعظماء والفضلاء .

***

ج ١٦ ص ٣٧ : ... فاعتمدت على القول مجملا لا مفصلا وضربة لا مبوباً فأقول . وجاء فى شرح ضربة : يريد خلطا من ضرب الشىء بالشىء كضربه بالتشديد خلطه .

قلت : قوله ضربة لا مبوباً مثل قوله مجملا لا مفصلا . فى المصباح : وأخذته ضربة واحدة أى دفعة . وفى التاج : والدفعة بالفتح المرة الواحدة . وفى الأساس . وأعطاه ألفا دفعة أى بمرة .

***

ج ١٦ ص ٧٩ : ولكن الأيام لا تصلح منك لفساد طويتك ورداءة داخلتك وسوء اختيارك .

قلت : فى الأساس : وإنه لخبيث الدخلة وعفيف الدخلة وهى باطن أمره . وأنا عالم بدخلة أمرك .

***

ج ١٧ ص ١١٣ : . . فرأى الرسول لى غلماناً روقة وفرشاً جميلا .

قلت : فى الأساس : هؤلاء شباب روقة جمع رائق كفاره وفرهة ، وفى اللسان والتاج : والروقة الجميل جداً من الناس وكذلك الاثنان والجميع والتأنيث وقد يجمع على روق . وفى المقامات الحريرية : فلما انتهيت إلى ظل الخيمة رأيت غلمة روقة ، وشارة مرموقة .

***

ج ١٤ ص ١٤٨ : أبو على بن مقلة : كنت أحقد ابن بسام لهجائه إياى

قلت : فى القاموس : حقد عليه كضرب ، وفرح أمسك عداوته فى قلبه وتربص لفرصتها . وفى الأساس : رئيس القوم محسود أو حاسد ، ومحقود أو حاقد .

***

ج ١٩ ص ٢٢٧ : ابن قلاقس :

سدّدوها من القدود رماحاً وانتضوها من الجفون صفاحاً

على هامش النقد :

خان الخليلي

[قصة مصرية]

تأليف الأستاذ نجيب محفوظ

للأستاذ سيد قطب

هذه هي القصة الثالثة للمؤلف الشاب ، سبقتها قصة « رادوبيس » وقصة « كفاح طيبة » وكلتاهما قصتان معجبتان مستلهمتان من التاريخ المصري القديم .

ولكن هذه القصة الثالثة هي التي تستحق أن تفرد لها صفحة خاصة في سجل الأدب المصري الحديث ، فهي منتزعة من صميم البيئة المصرية في العصر الحاضر ؛ وهي ترسم في صدق ودقة ، وفي بساطة وعمق ، صورة حية لفترة من فترات التاريخ المعاصر ، فترة الحرب الأخيرة ، بغاراتها ومخاوفها ، وبأفكارها وملابساتها ؛

يا لها حالة من السقم حالت واستحالت ولا كفاها كفاحا[١]

صح إذ أذرت العيون دماء أنهم أثخنوا القلوب جراحا

وجاء في الشرح : في الديوان يا لها حالة من السلم .

قلت : حالة ومن السقم الرواية الصحيحة وربما كانت حالة حلية والحلية الخلقة والصورة . وحالة ابن قلاقس من الجهة النحوية مثل ليل المتنبي في قوله :

فيا لك ليـــلا على أعكش أحمّ البلاد خفيّ الصوى[٢]

قال ابن مالك : « وبعد كل ما اقتضى تعجباً ميّز » نخطة تمييز في الدالية المتنبية :

وبقُمّها خطة وبُلْمّ قابلها ! ! !

---

(١) جاء مثل هذا : (وأي أمر سيء لا فعله) (وأي عبد لك لا ألمّا) وقيل : شذ ترك التكرار ، وقيل تدر الأفراد مع الماضي المحض ...

(٢) أعكش موضوع معروف ، أحم أسود . الصوى أعلام تبنى على الطريق ليهتدى بها (العكبرى) والبيت من قصيدة يقول فيها :

لتعلم مصر ومن بالعراق ومن بالعواصم أني الفتى
وأني وفيت وأني أبيت وأني عتوت على من عتا

ولا ينقص من دقة هذه الصورة وعمقها أنها جاءت في القصة إطاراً لحوادثها الرئيسية ، وبيئة عاشت القصة فيها .

ولكن هذا كله ليس هو الذي يقتضي الناقد أن يفرد لهذه القصة صفحة متميزة في كتاب الأدب المصري الحديث ...

إنما تستحق هذه الصفحة ، لأنها تسجل خطوة حاسمة في طريقنا إلى أدب قوي واضح السمات متميز المعالم ، ذي روح مصرية خالصة من تأثير الشوائب الأجنبية — مع انتفاعه بها — نستطيع أن نقدمه — مع قوميته الخاصة — على المائدة العالمية ؛ فلا يندغم فيها ، ولا يفقد طابعه وعنوانه ، في الوقت الذي يؤدي رسالته الإنسانية ، ويحمل الطابع الإنساني العام ، ويساير نظائره في الآداب الأخرى .

وهذه الظاهرة حديثة العهد في الأدب المصري المعاصر ، لم تبرز وتتضح إلا في أعمال قليلة من بين الكثرة الغالبة لأعمال الأدباء المصريين . وهي في هذه القصة أشد بروزاً وأكثر وضوحاً . فمن واجب النقد إذن أن يسجل هذه الخطوة ويزكيها .

* * *

وبعد ، فقد كنت أود أن أضع أمام القارئ ملخصاً للقصة يعينه على تتبع السمات الفنية فيها ، ويُشركه معي في تحليل هذه السمات . ولكن القصة بالذات من الأعمال الفنية التي لا سبيل إلى تلخيصها ، وحين تلخص تبدو هيكلا عظمياً خالياً من الملامح والقسمات التي تحدد الشخصية ، وتبرز مواضع الجمال والقبح فيها ... فلا مفر إذن من الحديث العام عن القصة دون الدخول في التفصيلات إلا بمقدار .

ليس في القصة كلها صخب ولا بريق ... إنها خلو من الإلتماعات الذهنية والأفكار الكبيرة . ليس فيها « لافتة » واحدة من اللافتات التي تستوقف النظر . ومحيطها ذاته محيط عادي . وأحداثها وحوادثها مما يقع كل يوم في أوساطنا المصرية العادية . اللهم إلا تلك الغارات الجوية التي روعت بعض المدن في زمن الحرب والتي روعت أسرة « أحمد أفندي عاكف » فأزعجتها عن حي السكاكيني الذي استوطنته زمناً طويلا ، إلى الحي الحسيني وخان الخليلي ، لتكون في منجاة من الغارات ، في حمى ابن بنت رسول الله !

ولقد كان « أحمد عاكف » وهو يحمل عبء الأسرة بمرتبه

الصغير، إذ هو موظف بالبكالوريا فى قلم المحفوظات بوزارة الأشغال. كان قد أغلق قلبه وطوى أحلامه ... لم يفكر فى الزواج ولم يعد يطمح إلى الحب، أو إلى الشهادة العالية. لقد وقفت أمامه العراقيل العائلية والمادية والعلمية، فانطوى على نفسه واستراح إلى اليأس بعد الفشل المكرور؛ وقد ترك هذا الفشل فى نفسه مرارة لا تمحى، ولوّن شخصيته تلويناً معيناً، ودس فيها عيوباً شتى. ولكنه وقد عجز عن الطموح جعل العزوف عن المطامح سلوته، والترفع عن الوسط طابعه وآوى إلى مكتبته وكتبه، وهى مثله تمثل جيلا مضى، وتعرض مباحث قديمة لا صلة لها بالحاضر وما فيه، فزاده هذا بعداً عن الجيل، وإيغالا فى التاريخ!

وحينما انتهى من تعليم أخيه الصغير تعليما عاليا كان قد ناهز الأربعين. كان قد شاخ، فأحس أن الأوان قد فات، وسار فى طريقه يقطع الحياة كالأجير المسخر، منطويا على نفسه، وقد أورثه الفشل والعزلة طابع التردد والتخوف والحذر من كل خطوة إيجابية، فهو يعيش فى داخل نفسه عاجزاً عن تحقيق تصوراته وتجسيم خيالاته.

ولكن القدر الساخر لا يدع الناس يستريحون — ولو راحة اليأس المريرة — إنه يطلع على هذا الكهل — كما يسميه المؤلف — بوجه جميل يلوح له فى النافذة المقابلة. إنه وجه فتاة صغيرة لا تزال طالبة بالمدرسة. إنها تصلح أن تكون ابنته ... ولكن هذا الوجه يبسم له، فيثير فى نفسه كوامن الشاعر النائمة، على حين يدركه حذره وتردده، وخجله من فارق السن السحيق.

وتمضى الأيام وهو فى شغل معقد مقيم بهذا الحادث الجديد الذى يهز كيانه الضعيف هزا عنيفا متواصلا بين الإقدام والإحجام، ويبدع المؤلف فى تصوير شتى النوازع والاتجاهات فى هذه النفس المعقدة. وفى نفس الفتاة الصغيرة تلك الأنثى المهيأة لحياة البيت والزواج.

وفى اللحظة التى يكاد يقدم فيها على الخطوة الحاسمة فى حياته، وقد تندّى قلبه الجاف، وترعرعت البذور المطمورة فى أعماقه تحت أكداس اليأس والفشل والتردد ... فى هذه اللحظة الحاسمة يسخر القدر سخريته العابثة فيُطلع له فى الميدان منافسا قويا لا يملك منافسته، بل لا يملك حتى أن يشفى نفسه منه بالحقد عليه! إنه أخوه وربيبه «رشدى عاكف». لقد نقل فى هذا الوقت من فرع بنك مصر فى أسيوط إلى المركز الرئيسى بالقاهرة. وإنه لا يعلم من أمر أخيه الكبير شيئا. إنه شاب جسور مغامر بل مستهتر، حاد العاطفة لا يعرف التردد ولا الحذر ... إنه الوجه المقابل لصورة أخيه.

وفى اليوم الأول يلمح الوجه الجميل فيستهويه. عندئذ يسلك إلى قلب الفتاة طريقه المباشر فى غير ما حذر ولا تردد، ويقطع الطريق الطويل الذى أنفق أخوه فى قطعه أشهراً ... فى يوم أو يومين. فيتصل ويصبح حبيبا ومحبوبا، وفرداً من أسرة الفتاة ... ! وأخوه يتطلع إلى هذا الانقلاب فى دهشة بالغة وفى ألم كسير وفى يأس مرير، وفى إعجاب كذلك بأخيه الجسور !!!

ويقضى الشاب مع فتاته أويقات حلوة، يسكران فيها بكأس الحب الروية، ويقطفان معا أجمل زهرات الحب الجميلة ... وذلك ريثما يضرب القدر ضربته الأخيرة، فيمرض الشاب المغامر بالسل نتيجة لإفراطه فى الشراب والسهر والمقامرة مع رفاق حى السكاكينى. ولكنه يمضى فى استهتاره ثقة بشبابه، وخشية أن يعلم الناس بمرضه، وأن تعلم من الناس خاصة هذه الفتاة!

وفى اللحظة التى يلمس الحب الحقيقى قلبه العابث، فيملؤه جدًا، ويتوجه إلى اتخاذ خطوة عملية حاسمة تكون الأقدار قد ضربت ضربتها الأخيرة فيستشرى الداء فى الصدر المسلول، ويذهب الشاب بعد ليالات مريرة من الضنى والعذاب، وبعد أن تبين أن فتاته الحبيبة تخشى منه العدوى فلا تراه!

ثم تغادر الأسرة الحى فى النهاية ... تغادره وقد فقدت الشاب الصبوح الفتىّ الجرىء. وقد انطوى قلب عاكف على جرح جديد بل على جرحين فى جرح. والأقدار تسخر سخريتها الدائبة. ودورة الفلك تمضى إلى مداها. كأن لم يكن قط جرح ولا جريح !!!

* * *

حياة هذه الأسرة وجروحها وأحداثها وأحاديثها هى محور القصة، وقد أدار المؤلف حول هذا المحور حياة أهل القاهرة فى هذه الفترة من فترات الهول أيام الغارات، فعرض منها لوحات بسيطة صادقة تشبه فى بساطتها وصدقها فطرة هذا الشعب الطيب الفكه المؤمن المستسلم للقدر، المتأثر بشتى الخرافات والدعايات.

ومن بين الصور التى عرضها صورة مقاهى خان الخليلى و«غرزه» أيضا. وقد حوت أشكالا وشخصيات لم تكن لتجتمع إلا فى مثل هذا الحى الغريب حقا؛ كما رسم صورة مقاهى حى السكاكينى

و«شلل» الشبان فيه ! وسجل أطوار المقامرين ومجالسهم رسما قويا فى جو مزيج من الجد والدعابة !

ولقد كان هذا الإطار من مكملات الصورة الأصيلة كما كانت الريشة فى يد المؤلف هادئة وئيدة ، فوفق فى إبراز الملامح والقسمات الجزئية ، وساير الحياة مسايرة طبيعية بسيطة عميقة ، منتفعا إلى جانب مهارته الفنية بمباحث التحليل النفسى ، دون أن يطغى تأثره بها على حاسته الفنية الأصيلة . وعاشت فى القصة عدة شخصيات من خلق المؤلف لا تقل أصالة عن نظائرها فى الحياة !

ولكن ليست المهارة الفنية فى التسلسل القصصى ، والبراعة الصادقة فى رسم الشخصيات ، والدقة التامة فى تتبع الانفعالات ... ليست هذه السمات وحدها هى التى تعطى القصة كل قيمتها ... إن هناك عنصراً آخر هو الذى يخرج بالقصة من محيطها الضيق ، محيط شخصياتها المعدودة ، وحوادثها المحدودة فى فترة من فترات الزمان ، إلى محيط الإنسانية الواسع ، ويصلها هناك بدورة الفلك وحلبة الأبد ...

إنك لتقرأ القصة ثم تطويها ، لتفتح قصة الإنسانية الكبرى ... قصة الإنسانية الضعيفة فى قبضة القدر الجبارة . قصة السخرية الدائبة التى تتناول بها الأقدار تلك الإنسانية المسكينة .

هذه أسرة تفر من هول الغارات وخطر الموت من حى إلى حى . فما تغادر هذا الحى الآمن ! إلا وقد أصابها الموت فى أنضر زهرة وأقوم عود !

وهذا رجل شاخ قلبه ، وانطوى على نفسه ، وآوى إلى يأس مرير ولكنه هادئ ساكن . فما يلبث القدر أن يثير فى قلبه إعصاراً على غير أوان ، ويزيح الركام عن البذور المطمورة فى قلبه الهرم ، ليعود فجأة فيقصف الأعواد التى تنبت فى بطء وحذر يقصفها فى قسوة عابثة ، ويد من ؟ بيد أحب الناس إليه : شقيقه وربيبه ! ولو قد أمهله بضعة أيام لانتهى إلى الواحة الممرعة بعد طول الجدب فى الصحراء . ولو قد تقدم به أياماً لأعفاه من إضافة تجربة فاشلة إلى تجاربه المريرة !

وهذا شاب مستهتر عابث ، ما يكاد الحب يقومه ، ويبعث فيه الجد والمبالاة حتى يخطفه الموت ، الذى لم يخطفه أيام العبث والاستهتار !

والأرض تدور ، والزمن يمضى ، والناس يقطعون الطريق المجهول كأن لم يكن شىء مما كان : رفاق الشاب فى قهوتهم يقامرون ويعربدون ، وأصحاب الرجل فى « غرزتهم » يدخنون أو فى قهوتهم يتندرون . والقدر الساخر من وراء الجميع لا يبدو عليه حتى مظهر الجد فى سخريته المريرة . والمؤلف نفسه لا يكاد يلتفت إلى الدائرة الوسيعة التى تنتهى إليها قصته لأنه يلقى انتباهه كله إلى إدارة الحوادث ورسم الشخصيات ! ! !

* * *

ولعل من الحق حين أتحدث عن قصة « خان الخليلى » أن أقول : إنها لم تنبت فجأة ، فقد سبقتها قصة مماثلة ، تصور حياة أسرة وتجعل حياة المجتمع فى فترة حرب إطارا للصورة ... تلك هى قصة « عودة الروح » لتوفيق الحكيم .

ولكن من الحق أيضا أن أقرر أن الملامح المصرية الخالصة فى « خان الخليلى » أوضح وأقوى ، ففى « عودة الروح » ظلال فرنسية شتى . وألمع ما فى عودة الروح هو الالتماعات الذهنية والقضايا الفكرية بجانب استعراضاتها الواقعية ؛ أما « خان الخليلى » ؛ فأفضل ما فيها هو بساطة الحياة ، وواقعية العرض ، ودقة التحليل .

وقد نجت « خان الخليلى » من الإستطرادات الطويلة فى : « عودة الروح » . فكل نقط الدائرة فيها مشدودة برباط وثيق إلى محورها .

وكل رجائى ألا تكون هذه الكلمات مثيرة لغرور المؤلف الشاب ، فما يزال أمامه الكثير لتركيز شخصيته والإهتداء إلى خصائصه ، واتخاذ أسلوب فنى معين توسم به أعماله ، وطابع ذاتى خاص تعرف به طريقته ، وفلسفة حياة كذلك تؤثر فى اتجاهه .

وبعض هذه الخصائص قد أخذ فى البروز والوضوح فى قصصه السابقة وفى هذه القصة ؛ وهى الدقة والصبر فى رسم الخوالج والمشاعر وتسجيل الإنفعالات المتوالية ، والبساطة والوضوح فى رسم صورة لحياة أبطاله .

والبقية تأتى إن شاء الله !

سيد قطب

العقـــل المؤمن !

أو الدين من طريق الفــكر

٢ – المستقر العقلي لعقيدة التوحيد

[شهد الله أنه لا إله إلا هو، والملائكة وأولو العلم...]

للأستاذ عبـد المنعم خلاف

شغلني شاغل الموت ! موت أبي، تغمدها الله برحمته، عن الرد على مقال الصديق الأستاذ سيد قطب المنشور بالعدد ٦٤٥ من(الرسالة)، وقد أعاد به الحديث في قضيتي « العقيدة والتصوير الفني في القرآن »، بعد أن انقطع الجدل بيننا قرابة ثلاثة أشهر بسبب مرضه عافاه الله.

وكتب الأخ الأستاذ علي الطنطاوي في العدد ٦٤٨ منتصراً لرأي الأستاذ سيد وأسند العقيدة للقلب لا للعقل، فلم يكن لي بد أن أعجل بالرد على الصديقين، برغم ضيق النفس والظروف بشواغل الموت والحزن، وأن أتحدث إليهما في هذا الشأن الخطير في عصر الظمأ الروحي والبحث عن ينابيع لشفاء النفوس من غليله.

وقبل البدء أود أن أنبههما – كما نبهت سابقاً – إلى أن حديثي في عقيدة « التوحيد » بوجه خاص، وليس في غيرها من شعب العقيدة الدينية. وقد رأيت أن القرآن جادل عنها وأثبتها بضروب الأدلة العقلية التي يكون الفكر فيها هو الأداة الأصيلة، وطالب مخالفيه بالبرهان. أما الأستاذ سيد فيرى أن القرآن أثبتها عن طريق الوجدان بلا جدل ذهني، فيأخذ المؤمن ما أتى به في إجمال ويستريح بدون مناقشة على طريقة الذهن المعهودة، ولم يفرق الأستاذ بين « التوحيد » وغيره من عقائد الإسلام في طرق دخولها إلى النفس، وقال إن العقيدة تثبت بأطرافها أو تسقط بأطرافها، وأنها أكبر من الذهن، ولا بد فيها من المجهول، وإلا استحالت رأياً.

وأنا لم أجادله في العقيدة على إطلاقها في الإسلام ولا في الأديان الأخرى، وإنما جادلته ولا أزال في عقيدة « وحدانية الله »، وطريقة القرآن الذي يعتمد في إثباتها على المعلوم وحده وينأى عن « المجهـول »، لأنها أساس الدين، فلا يصح أن يكون الأساس غير واضح وضوحاً يحمل العقل على الشهادة: « بأشهد أن لا إله إلا الله »

والآن، أحاول مرة أخرى أن أبين أن القضية كما ورد بها القرآن ليست قضية تعتمد على « المجهول » والرهبة منه والتوهم فيه، وإنما تعتمد على « المعلوم » الثابت بالحس والبداهة والمحاكمة الفكرية بجميع قوى الفكر من الاستقراء والتذكر والتدبر والتمييز والضبط والحكم.

وليست كذلك تعتمد في مبدئها على « السماع » بطريق « الوحي » من عالم آخر، وإنما تعتمد على الإدراك بالقوى الفكرية الطبيعية في كل فرد صحيح التفكير، عالم بالكون، سليم الطبع، موزون القوى، وعلى التفاعل الفكري بينه وبين هذا الكون الكبير العظيم ذي الطلعة الأخاذة الجبارة، والقوى الموزونة الدقيقة المتناسقة المنسجمة، ثم ينزل الوحي الإلهي مما وراء الطبيعة فيؤيدها ويذكر بها، ويبين ما يلتبس على العامة فيها.

وليست كذلك تعتمد على الجانب « المائع » المتموج المتقلب في الطبع الإنساني، وهو جانب الانفعال الوجداني بالإثارات الفنية والأجواء الغامضة المسحورة، والشطحات والخطفات، وجنون الأرواح بالأسرار، وانسلاخ القوى، وتجسيم الخيال، والاستغراق والهيام في أودية التهاويل والرموز، وغير أولئك مما تعتمد عليه الوثنيات التي لا ترى الكون ورب الكون بذلك الوضوح الذي يراهما به الفكر المسلم العالم، وإنما تراهما مبهمين مختلطين غير منفصلين، فلا يستقيم لها منطق إنساني ولا منطق إلهي، وإنما تلتبس عليها وجوه الكون وتختلط وتتداخل، فلا ترى الطريق القصير المستقيم إلى الله الواحد لتشهد به شهادة إثبات ويقين جازم بقظ مستنير راسخ في إصرار لا يتزعزع ولا يرتد، وإنما يأخذها وجدانها إلى التقليد المبهم، حيث الإثارات الفنية والأضواء والأصداء، ونداءات المجهول الهائل الغامض المخيف، فتنبض قلوبها ولو في بيوت الأوثان، ذلك النبض الذي يخلع على الأصنام الأوهام والتخييل، فترقص أشباحها في عيون عابديها، وتنطق أصواتها في قلوبهم، ويحبونها كحب الله إن كانوا يعترفون به معها، أو يخصونها بالعبادة دونه، ويحيطونها بفلسفات وتخرقات

وكهانات ، ويتحرك لها وجدانهم ، ويشمرون نحوها بتبتل ورهبة ، ويؤثرونها على الله ، ويزعمون أنها الحق ، والوحدانية فرية واختلاق وعجب من العجب ... « أجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ إن هذا لشيء عُجاب ! » ؛ « إنْ هذا إلا اختلاق » ؛ « ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله » ؛ « وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون » ، « ويجعلون لله ما يكرهون » ، « فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله ، وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم » ، بل يصل بهم الحال أن يقاتلوا في سبيلها فيَقْتُلوا ويُقْتَلوا وهم يقولون لصنمهم الأكبر « أعْلُ هُبَل ! »

فلو كان « الوجدان » هو مناط الإيمان وطريقه بدون محاكمة عقلية واعتماد على استقراء حقائق الكون في سبيل الاهتداء إلى التوحيد والإلهية ، فما هو إذاً الفرق بين وجدان الوثني ووجدان الموحد ، وبين إيمان هذا بالله ، وإيمان ذاك بآلهته وأصنامه ؟ إن الوثني مؤمن بآلهته بحرارة وجدانية ، ويقاتل عنها بإخلاص ، والموحد كذلك مؤمن بالله ويقاتل في سبيله . فأيهما على حق ، وأيهما على باطل ، إذا كان الاتجاه في الإيمان إلى « المجهول » . وإذا لم يكن التحاكم العقلي الاستقرائي إلى الكون هو الميزان والفيصل ؟ وما هي أدوات ذلك التحاكم العقلي غير القوى التي يوجب القرآن وعلم النفس الحديث استعمالها كالاستقراء أو الاستعراض والاستنباط والتذكر والتدبر والتفكر والتمييز والحكم ؟ تلك القوى الهادئة الفاصلة المضيئة التي تضيء للروح طريقها إلى الحق ؟

وهل بأحد حاجة إلى أن أنبهه إلى أن كثيراً جداً من آيات القرآن تحض على التذكر والتدبر والتفكر والاستقراء والفهم والتمييز واستعمال الحكم ؟ وهل يحض القرآن على التهدِّي بقوى الفكر إلا وهي أسلحته وموازينه ؟ وهل يسكن قلب امرئ ممن يعتد بهم ووجدانه عقيدة أساسية إلا بعد أن تمر على عقله ويقتنع بها ؟

إن أصحاب محمد حينما تركوا عقائدهم وعقائد آبائهم الوثنية واتبعوا الوحدانية معه ، وتحملوا من أجل الإيمان بالله وحده ألواناً قاسية من الاضطهاد والعذاب ، لم يكونوا أطفالا ، وإنما كانوا مفكرين ارتضوا الوحدانية على الوثنية بعد أن أيقظ قوى أفكارهم موقظهم العظيم ، فوازنوا بين الدينين ، وحكموا واختاروا وتحملوا التبعات .

ثم ما هي حجة الله في مؤاخذة المشرك حين قال : « إن الله لا يغفر أن يشرك به » ما دام ذلك المشرك يجد في قلبه وعواطفه وهواه ميلا لعبادة الشركاء والأصنام تماماً ، كما يجد الموحد هواه وعواطفه في عبادة الله ؟

وكيف يهدد الله محمداً رسوله بإحباط عمله وتعذيبه لو فتن ومال في قوله : « ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت لَيَحْبَطَنَّ عملك ولتكونن من الخاسرين » ؛ وفي قوله : « ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا . إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ، ثم لا تجد لك علينا نصيراً » ؛ أليس ذلك لأن الموقف الفكري هنا في عقيدة التوحيد موقف واضح حاد صارم ! لا يحتمل الشبهة ولا الميل يسرة أو يمنة ، لأنه إزاء قضية الكون كله وأعظم شئونه ؟

فهو حقيق أن يقول القرآن فيه : « ومن يشرك بالله فكأنما خرَّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق ! »

يا للإهدار والإهوان والتحقير والتضييع والتحطيم ! يا لغضب الملك الحليم الجبار الرحيم على من لم يفرده بعرشه العظيم !

فهل كانت هذه الغضبة الإلهية إلا لأن المشرك ضيع الميزان الدقيق الهادئ الحر الذي وضعه الله بين قوى فكره ، ولأنه سار وراء الانفعالات التي لا تستند إلى نقط ارتكاز واضحة ؟

وقد قلت في مقال سابق : إن كان الأستاذ سيد يريد من الوجدان تلك القوة التي تعتمد على البداهة والحقائق الخالدة والإدراك الكلي ومدركات الحس ، فهو بعينه القوة التي يطلق عليها القرآن العقل والفكر . والخلاف حينئذ يكون بيننا على الاسم ، والأولى أن نستعمل ما استعمله القرآن ، وأن نعدل في هذا المقام عن التفريق بين المنطقين ، وعن استعمال « الوجدان » الذي قد خصصته الاستعمالات الحديثة بمنطقة الانفعالات للاثارات الفنية كالموسيقى والخطابيات والشعر والمشاهد الرائعة والأصداء والأضواء والنسمات الشذية وغيرها مما يثير عالم القلوب تلك الثورات المبهمة الطليقة .

وإن كان يريد به ما يسمى الآن « الضمير » ، وهو تلك الاستجابة الطبيعية للجمال والخير بدون تعليل ، والنفرة من الشر والقبح بدون تعليل كذلك إلا لأن الطبع هكذا ، فذلك ليس حديثه هنا وإنما فى مجال الأخلاق والسلوك . ونحن هنا إزاء قضية التوحيد ، تلك القضية الفكرية التى تأتى فى مرتبة تالية بعد إثبات وجود الخالق المدبر بالبداهة والفطرة التى من طبيعتها أنها لا ترى حدوث كائن ما بدون سبب ، ثم يتساءل الفكر : هل هذا الخالق المدبر متعدد أو متوحد ؟ ثم يصل إلى « التوحيد » ويوقن به بعد الاستقراء والتتبع « لمعلومات » الكون وإدراك ما فيه من وحدة التصرف وتوازن القوى المادية العارمة المجنونة العمياء والالتئام والتناسق الدائم بينها « فارجع البصر هل ترى من فطور ؟ » ؛ « أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » .

ويستلزم الأمر أيضاً أدوات من المعرفة بطبائع التعدد فى الأيدى المتصرفة ، وبالتجارب الأزلية النفسية والاجتماعية بين الأمثال والأشباه من الرؤساء ، وباستعراض مقالات الأديان الوثنية والمعددة للآلهة وما حولها من الأساطير وأحاديث الصغارات والطفولات فى الحلوم والتصرفات ، والمعارك الدائمة بين آلهة الخير وآلهة الشر ، وتفاوت القوى والمواهب بينهم جميعاً ، وانتهاء آفاقهم جميعاً إلى أكبرهم يخضعون له ويستمدون منه ولا يستطيعون منه مهرباً ، كما كان الحال مع آلهة اليونان والرومان ، إذ ينتهون إلى (ذيوس) و(جوبيتير) ؛ وكما قال القرآن بتلك الحجة العقلية الدامغة : « قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا » ؛ « ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من إله ، إذاً لذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض » .

إن « الوجدان » بمعناه الاصطلاحى الذى شرحناه لا يفصل فى هذا المعترك الزاخر ، لأنه منطقة التبتل والخشوع والاستسلام للإله الواحد أو الآلهة المتعددة بعد انتهاء المعارك الفكرية حولها .

وهو يعمر قلوب جميع المتدينين موحدين ومعددين ووثنيين ، فكلهم يبكون ويخشعون فى معابدهم وفى حالات هيامهم الروحى . هؤلاء يتوجهون لمعبوداتهم المتعددة ، وأولئك لمعبودهم الواحد ... فما الذى يجعل القرآن يقول عن المؤمنين بالله : « أولئك حزب الله » ، وعن الآخرين : « أولئك حزب الشيطان » ، لولا أن منطقة العقل الوزان هى المحكمة وهى المسئولة ؟

إننى قلت : إن جدل القرآن فى مسألة التوحيد جدل عقلى إثباتى بالبراهين الاستقرائية والتطبيقية والعملية والتاريخية ، فساق براهينه وطالب مخاليفه بمثلها : « قل هاتوا برهانكم » ؛ « هل عندكم من علم فتخرجوه لنا » ؛ « قل أرأيتم ما تدعون من دون الله ، أرونى ما ذا خلقوا من الأرض ، أم لهم شرك فى السموات ، إيتونى بكتاب من قبل هذا ، أو أثارة من علم » .

وقد بينت ما تنطوى عليه آيات التوحيد فى سورة الأنبياء من ضروب الأدلة العقلية جميعها بما لا يدع مجالا للشك فى أن القرآن جادل عن التوحيد خاصة جدلا ذهنياً عقلياً ، ولكن بأسلوبه الأدبى الفنى المتفرد الذى يحرك الوجدان أيضاً بجماله بجانب الحركة العقلية بحججه. ولكن الأستاذ سيديقول : إنه لا يزال عند رأيه فى أن هذه الآيات ساقها القرآن مجملة يأخذ منها المؤمن ما يأخذ بدون مناقشة ، لأنها لا تحتمل المناقشة الذهنية على طريقة الذهن المعروفة.

ويكرر الأستاذ اعتراضه بقوله : ما بال كثرة المؤمنين من الجماهير تؤمن بدون حاجة إلى من يفلسف لها العقيدة لو كان الأمر فى العقيدة يحتاج إلى التفكير الذهنى . أو لا يعلم الأستاذ أن الجماهير تسير وراء تقاليد بيئتها بدون تفكير فى أغلب الشئون ؟ فإن كانت البيئة وثنية ، فهى معها ، وإن كانت موحدة ، فهى معها ، فلا يعتد القرآن بها ، ولا يحتج بسلوكها وشهادتها ، وإنما بشهادة أولى العلم : « شهد الله أنه لا إله إلا هو ، والملائكة وأولو العلم » ؛ « وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله » ؛ « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » .

وقد نبهت فى مناسبات شتى إلى ما فى القرآن من تفرد بأنه يقف العقل البشرى عند حدوده ، ولم يكلفه أن يسبح فى غير عالمه ، ولم يتحدث عن « الله » إلا للتعريف بصفاته وصنعه فى الطبيعة التى هى مدرسة العقل ومدرجه وأداة تكوينه ومآخذ أحكامه . ولم يعبر عنه إلا بـ « الذى » خلق ، « الذى » رفع السموات « الذى » له ما فى السموات وما فى الأرض ... هكذا بالاسم الموصول المبهم بنفسه الموضَّح بصلته ، وصلته دائماً من «معلومات» الفكر و«بداهاته» و«مدركاته» الحسية والمنوية...

ولم يتحدث عن كنه الله إلا مرة واحدة على سبيل التمثيل ،

وهي « الله نور السموات والأرض » ، ولكنه ليس تحديداً لكُنه الذات العليا ، ولكنه تقريب وتمثيل : « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح . المصباح في زجاجة . الزجاجة كأنها كوكب دري » ؛ فالنفس تأخذ من هذا التمثيل أن الله هدى وجمال ولطف وإشراق غير محدود .

ووصف القرآن لله وصف منتزع من الطبيعة : كتاب الله الصامت ؛ فما أثبته كلام الله الناطق له هو بعينه ما أثبتته الطبيعة كتابه الصامت ، فلو لم يكن القرآن كتاب دين موحى به ، لكان كتاب مذهب عقلي يصف « الذي » خلق هذا الكون بعد أن استقرأ أعمال يده وعلمه وقدرته في كل كائن من كائناتها.

فهو « الخالق البارئ المصور » : لأن أعمال الخلق والبَرْء والتصوير في الطبيعة تشهد بذلك ؛ وهو « الرحمن الرحيم » : لأن يده دائماً مع الضعف والعجز بين جبروت الواد والقوى العمياء ، حامية حافظة لطيفة رفيقة ؛ وهو « الملك » : لأننا لم نجد لغيره شركاً في السموات والأرض ، ولا قطميراً ولا نقيراً ... وهو « القدوس » : لأنه الكمال المطلق والوجود الكامل المنزه ، الذي يجده العقل وراء ما يراه في الكون من نقص ؛ وهو « السلام » : لأنه لم يجعل العالم جحيماً ودماراً وآلاماً وقلقلة واضطراباً وصداماً لا يسمح باستقرار الحياة ، ولا باستقرار نظام الأجرام السماوية والأوضاع الأرضية ، وهو أمان الخائف اللائذ الهارب من الشرور والقبح والآثام . وهو « المؤمن » : لأنه مُصِرٌ ثابت على اتجاهه بالكون إلى غايات واحدة أزلية هو أعلم بها ، لم يجعل الشر خيراً ، ولا الخير شراً ، ولم يقلب موازينهما ، فالحياة والجمال والخير والرحمة والعلم من حقائق الكون العليا الخالدة ، وسنته التي لن تجد لها تبديلا ولا تحويلا ، فالله مؤمن بها ؛ وهو « المنعم » : لأن ما فاض منه على الكون من بدئه للآن من فيوض النعم المتوالية والجمال والخير شيء عظيم ! وهو « شهيد حفيظ » : لأنه مع كل صغيرة وكبيرة في الكون لا يضل ولا ينسى ؛ وهو « جبار قهار » : لأنه يسوق الكون الأعظم الهائل بعصاه ، ويمسكه في قبضته ؛ وهو « حليم ستار غفور » : لأنه يتيح الفرص للخارجين على الحق والصلاح أن يرجعوا ، ويمهل ويملي ويعفو عن كثير من نقائص الطبع البشري ... إلى آخر الصفات الحسنى التي ينتزعها الفكر من الكون ، ويترجمها بألفاظ تكون نتيجة ذلك التفاعل الخفي بين الطبع البشري مع جمال الكون العبقري وجلال طلعته الأخاذة !

فهل ترى القرآن أتى بشيء عن الله خارج عن حدود الطبيعة لم يثبته العقل ؟

إن الفكر البشري فرض « الأثير » ، وحدده بآثاره وأثبته بخواصه ، مع أنه لا يُرى ولا يحد ، وسلم له العلم بإثبات هذه الصفات ، وكذلك يفعل الفكر في إثبات صفات بارئ الكون ، كما تتجلى في الطبيعة ، فينبغي أن يسلم له العلم بذلك ، بدون حاجة إلى إدراك كنه ذات الله ، ولا كيف تتعلق صفاته بها ...

***

ذلك أمر بمكان عظيم من الاعتبار ، ينبغي أن يفقهه المسلمون غاية الفقه ، ويقوموا له بحقه من الإذاعة به ، حتى يعلم العقليون والعلماء — وهم قادة الإنسانية في الأمم الحية — أن القرآن كتابهم ، وطريقته في الاهتداء إلى الله علمية في موضوعها وفي نتائجها وفي غايتها ، فلا يسلكوه مع غيره ، ولا يأخذوا عقائده مغمضين ، لأنه هو ينهى عن ذلك : « ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد ، كل أولئك كان عنه مسئولا»؛ « والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صُماً وعمياناً »

أتراني أبنت عما يملأ نفسي في هذه المسألة للصديقين ؟ هذا ، وإن في النفس لبقية حديث

عبد المنعم خلاف

بمناسبة ذكرى الهجرة النبوية :

تعميم الثقافة الإسلامية

للأستاذ على الطنطاوى

أحسب أن هذا الفصل لن يجوز إلى مصر ويكون فى أيدى القراء إلا بُعَيْد اليوم الذى يتخذه المسلمون عيداً ، يذكرون فيه هجرة سيدهم وسيد العالم محمد صلى الله عليه وسلم ويذيعون فيه سيرته وشمائله ، وتروج فيه سوق المباحث الإسلامية ، وتجرى بها أقلام الكتاب ، وتمتلئ بها صحف المجلات ، ولن أعود فيه إلى حديث كتاب الدين الإسلامى الذى طالما تكلمت فيه فى الرسالة وأفَضْت ، وبدأت وأعدت (انظر أعدادها ٣١٤ ، ٣٣٢ ، ٣٣٦) فكنت كنافخٍ فى غير ضَرَم ، وصارخ فى وادٍ ، وإن الصارخ فى الوادى ليسمع رَجْع الصوت ، ونافخ الرماد ينثر الغبار ، ومقالاتى لم تحرك من هؤلاء (العلماء ...) ساكناً ، ولم ترجع لها الأيام صدى ، مع أن المقبرة ... تردّ الصدى على من يصرخ بين القبور !

ولكنى متكلم اليوم فى تعميم الثقافة الإسلامية ، تعميماً يعرف به الناس (أعنى المسلمين) دينهم ، ولا يكون مسلماً حقاً من لم يعرف دينه ، ومن يكتفى من الصلة به بأن أبويه كانا مسلمين ، وأن اسمه محمد أو على لا جورج ولا طنّوس ... ولا يكونه أبداً إلا إذا عرف حقيقة الإسلام وألمّ بعلومه ، وعلم الحلال من الحرام ، ولا يكون ذلك إلا فى المدارس والمساجد ، فالمدارس للناشئة والمساجد للعامة ، وكلاهما اليوم فى قصور عن هذه الغاية بيّن :

أما المساجد فليس تخلو من أثارة علم ، هى بقية من ذلك الفيض العظيم ، كالذى يبقى فى الوادى من ماء السيل ، ليس فيه عوضٌ منه ولكنْ فيه دليلٌ عليه . ولقد غبر دهر كانت فيه المساجد بمثابة جامعات اليوم تدرَّس فيها كل معضلة ، ويقرأ كل علم حتى الطب . لا أمثّل على ذلك بمساجد الكوفة والبصرة قديماً ، وبغداد والفسطاط ، فذلك شىء مستعلن خبره متواتر مشهور ، ولكن أمثل بما كان يرى من حلقات العلم ، من قريب ، فى مسجد دمشق ومساجد القاهرة وبغداد وما يُرى اليوم فى النجف من حلق كثيرة يدرس فيها مذهب القوم ، وتقرأ فيها العلوم على الطريقة التى يرتضيها لأنفسهم علماء تلك الديار ومتعلموها ، فلم يبق من ذلك (حاشا النجف والأزهر) إلا حلقات قليلة ، ومجالسُ وعظ ، كثيراً ما يتولاها غير أربابها ، ويتصدّر فيها من لم يكن يطمع فى الجلوس فى حواشيها ، يأتى فيها ما يجتمع على إنكاره الدين والعقل والذوق ، من التحريف والتخريف والباطل الموضوع والسخيف الواهى ، ولقد كان تدريس (القبة) فى جامع دمشق لأكبر علمائها ، وآخر من تولاه البدر الحَسَنى رضى الله عنه ، فصار اليوم لكل ذى عمامة مكوّرة ، ولحية مدوّرة ، وصوت يصك الآذان !

وكذلك اختفت من المساجد حلَقُ العلم الحق ، وتوافرت فيها مجالس الوعظ الباطل ، والقصص الموضوع ، ولدينا عدد عديد من العلماء الذين نصبتهم الحكومة مدرسين للعامة ، فلبثوا فى بيوتهم ما يراهم من أحد ، اللهم إلا (أمين الصندوق) أول يوم من الشهر والحاكمون ذوو السلطان فى كل عيد مهنئين ، وكل سفر مودعين ، وكل قدوم مُسَلِّمين ، وعندما تشغر (وظيفة) ليقاتلوا عليها ، ويحاربوا دونها ...

* * *

أما المدارس فحديثها أطول ، والبلاء بها أشد ، وهى على ضروب :

فضَرْب منها لأناس ليسوا منا ، ولا لسانهم بلساننا ، ولا دينهم من ديننا ، قدموا علينا أرضنا ، وأخذوا أبناءنا ، ليخرجوهم أعداء لنا ، ويجعلوا منهم أداة من أدوات (التمدين) التى رأيناها أشكالا منها مؤذية وألوانا ... منها العازارية والفرنسسكان والفرير واللاييك والأميركان ، وواضح لا يحتاج إلى إيضاح أن هذه المدارس لا تدرس الفقه ولا الحديث ولا تعنى بعلوم اللسان . وأنها أنشئت لغير هذا ، وما كتمت منهجها ولا أخفته ، ولا خدعت الناس عنه ، ومع ذلك نجد تجاراً مسلمين ، بل وعلماء يدعون أنهم الهادون المهديون ، الصالحون المصلحون ، قد أرسلوا إليها أبناءهم وبناتهم ... وقد ظهر بعد أن أغلقت هذه المدارس — والحمد لله — أن أكثر تلاميذها ، بل جمهورهم من المسلمين !

وضرب منها لأناس من عامة هذا الشعب ضاقت بهم سبل العيش فلم يجدوا لهم طريقاً إلى الكسب ، فاستأجروا بيوتاً أو وضعوا أيديهم على غرف مظلمة فى مساجد مهجورة ، فسموها مدارس ، وسمّروا أخشاباً بأخشاب فدعَوْها مقاعد ، وأجلسوا عليها أغيلمة جعلوهم تلاميذ ، وتمت الرواية لما صاروا هم المعلمين ... وهذه المدارس (المسرحية) لا تصنع فى نشر الثقافة الإسلامية شيئاً لأنها لا علم فيها أصلا وهى آخذة بالزوال ...

وضرب منها مدارس أهلية كبيرة ، كثيرة التلاميذ والمدرسين ضخمة البناء يديرها أفراد أو جمعيات ، ومنها ما يقوم عليه نساء ... منها الإسلامى وهو قليل محدث كالكلية الشرعية فى دمشق وغير الإسلامى وهو كثير قديم ، وما هو ضائع المنهج ، ضالّ عن الطريق لم يتخذ بعدُ له وجهة يوليها ، وما فيها جميعاً (إلا ذلك المحدث القليل) ما يصنع فى نشر الثقافة الإسلامية شيئاً ...

وضرب منها وهو أعظم ضروبها كثرةَ مدارس ، وعمق أثر ، قد أنشئ بأموال الأمة لتعليم أبنائها ، وتخريجهم وإعدادهم إعداداً ، يكونون معه أدلاء لها فى طريق نهضتها ، وقادة لها إلى ما تحاول من مجد وعز وكمال ، ولا يتم ذلك إلا بوقفهم على تاريخهم (١) وتعليمهم علوم دينهم ولسانهم ، وإفهامهم أن هذه الأمة مقدور عليها أنه لا يصلح آخرها إلا بما صلح به أولها ، وما كان صلاح أولها إلا بالإيمان الصحيح والخُلق المتين ، فإذا أضعناها أضعنا المعراج الذى نعرج عليه إلى ما نريد من ذرى المعالى ... وسرنا فى طريق الحياة بساقين جذماوين ، نزحف زحف المُقعَد الزَّمِن ، ونتدحرج تدحرج الكرة ، فنتمرغ فى الوحل ، ونحن نحسب أنا نرقى فى سلاليم المجد والعلاء ، وإذا أنت فتشت عن هذين الجوهرين الكريمين : العربية والإسلام ، فى المدارس الرسمية لم تلق منهما إلا ما تلقى من حبات الذهب فى تل الرمل ، ومن حرّ اللآلئ فى أصداف البحر ، ووجدت الدروس فى هذه المدارس على نوعين : نوع واحد منهما له المحل الأعلى ، والقدر الأكبر ، وعليه مدار جهد المعلم والطالب ، وفيه يكون الامتحان وما يعقب الامتحان من الارتقاء أو الرسوب ، وقد يدخل فى هذه الدروس الغناء واللعب (أى الرياضة البدنية) والتصوير ولكنه لا يدخل فيها الدين ، ولا تجد فى قطر من هذه الأقطار العربية المسلمة ، امتحاناً من الامتحانات العامة (الابتدائية أو الكفائية أو الثانوية) يكون فيه لدرس الدين خَطَر ، أو أثر فى نجاح الطالب أو فشله . على أن تسمية هذه العلوم بدرس الدين أول الوهن ، وليس الدين علماً واحداً ولكنه علوم جمة ، ومعارف شاملة ، عاش عليها العقل البشرى قروناً طوالا ، منها الفقه فروعه وأصوله والتفسير والحديث والكلام وعلوم أخرى عدّ منها طاشكبرى زاده فى كتابه الجليل (مفتاح السعادة) ستة عشر وثلاثمائة علم ... لكل علم منها أبواب وفصول ، وفى كلّ كتب لا يلحقها الحصر ، وفى كشف الظنون للحاج خليفة وصف لستة عشر ألف كتاب هى التى رآها المؤلف ووقف عليها بنفسه فى عصر من عصور الانحطاط ... ولقد سبق أن قلت ، إنك إذا نظرت إلى ما ثبت من كتبنا على التحريق والتخريب والتغريق والتمزيق ، وما خلص إلينا مما أصاب المكتبة الإسلامية من النكبات الكبار ، والأحداث الجسام ، وحسبك منها مصيبتا هولاكو وفرديناند ، لرأيت شيئاً يهولك ويعجزك عَدُّه كما أعجز المطابع إلى اليوم طبع بعضه ، وهى لا تنى فى الشرق والغرب تعمل دائبة عليه ، وما علمنا لأمة من أمم الأرض كلها مثل هذا الذخر العلمى أو قريباً منه ، ولا مثل نصفه ولا ربعه ... أفليس من أعجب العجب أن هذا التراث لا يساوى فى رأى القائمين على هذه المدارس علماً واحداً من علومها كالجبر مثلا أو الفيزياء أو ... الرياضة البدنية ، ولا يجودون عليه بسبع ساعات فى الأسبوع أو ثمان ... ولا يجعلونه مدار خيبة فى البكالوريا أو نجاح ، وأعجب منه أن تاريخنا الذى يتصل أشد الاتصال بالتفسير والحديث والرواية وعلم الرجال يتولى تدريسه فيها من لا بَصَرَ له بهذه العلوم ولا علم له بمصادرها الأصيلة ولا وقوف له عليها ، ولا قدرة له على فهمها ، ومن لم يحصله إلا على أيدى الخصوم الذين يكيدون له ويدسون عليه الدسائس ، فهو يحملها فى فكره كما يحمل البعوض جرثومة الملاريا ليلقيها فى أدمغة الطلاب الأصحاء فيفسدهم بها ، حتى رأينا جماعة من غير ملتنا وديننا درسوا (فى عهد الإفرنسيين !) تاريخنا ، أفسمعت بأعجب من تدريس الخواجه ميشيل والخواجه توما ، سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر ؟ وأبلغ منه فى العجب أن الفرنسيين وصل بهم الأمر ... أن بعثوا بأبنائنا

---

(١) كذلك ، أما أوقفه على الشىء فإنها لغة رديئة .

في مصر فلسفة

أصل الوجود

للأستاذ نقولا الحداد

في مقال بهذا العنوان للكاتب الكبير الأستاذ العقاد في العدد (٦٤٧) من الرسالة بتاريخ ٢٦ نوفمبر المنصرم تنويه باسمي الضعيف . هو تنويه بنعت من النعوت الطيبة التي يتصف بها الأستاذ العقاد .

وكانت إشارته لي في معرض الفلسفة الذي استفاض فلمه فيه وهو يتعجب من أن طلاب الحقيقة لا ينظرون إلى الفلسفة كفاية حيوية » ولا يحجمون عن نعت (الفلسفة القديمة) باللغو الفارغ (كما فعلت أنا) حين جرى البحث في صفحات الرسالة عن وحدة الوجود . فضربت المثل على سخف المذاهب الفلسفية القديمة كقول فيثاغورس: أن العدد هو سر الوجود . وأن النسبة بين الأشياء هي نسبة بين الأعداد ، (كيف هذا ؟) .

يقول الأستاذ : « قال فيثاغورس هذا قبل ٢٥ قرناً . فكان فرضه أقرب إلى الصدق من فروض علمية كثيرة فتن بها الناس إلى سنوات .

« قاله فيثاغورس حين رأى أن الأوصاف كلها تفارق الموجودات من لون أو لمس أو صلابة أو ليونة أو وزن أو ما شابه هذه الأعراض الكثيرة إلا العدد ؛ فانه ملازم بكل موجود فرداً كان أو أكثر من فرد ، وكاملا كان أو غير كامل ، وأن الفروق بين الأشياء هي فروق بين تركيب وتركيب أو فروق بين نسب الأعداد . وأن الكون كله دور موسيقي هائل يدور على قياس

يأخذون لغتنا ، عن المسيو (مارسيه) في باريز ، كأن باريز بادية البصرة وكأن مارسيه من فصحاء بني عقيل ... أو كأنه الأصمعي أو الخليل !

لا رحم الله ذلك الزمان ، ولا أعاد مثله علينا أبداً ...

* * *

أما إن الحديث جد ، وإنه ليس بين شباننا وبين أتباع الإسلام إلا أن يعرفوه ، لأنه قوي أخاذ ما عرفه أحد على حقيقته وقدر إن كان منصفاً على مخالفته ، ولكن المشكلة هنا : كيف السبيل إلى أن يعرف الشبان المسلمون ما هو الإسلام إذا كانوا لا يستطيعون النظر في كتبه ولا يعرفونها ، وإذا كانوا يرون أكثر المتزيين بزي علمائه جامدة أفكارهم ، يقولون بألسنتهم ما لا يحققونه بأفعالهم ، يأمرون الناس بالعزة ويذلون لأهل الدنيا ، ويزهدونهم فيها ويتسابقون إليها ، ثم إنهم بعد ذلك منقطعون عن الشباب ، لا يلقونهم ، وإن لقوهم لم يستطيعوا أن يفهموهم ، وكانت المساجد مقفرة من دروس العلم ، وكانت المدارس معنية بكل شيء إلا الدين ؟

السبيل هو هذا :

إنها قد نشأت فينا طبقة من العلماء ، ممن حصل العلم في المدارس الحديثة ولكنه درس مع ذلك علوم الدين ووقف عليها ، أو درس الدين وعلومه على الطريقة القديمة ولكنه ألم بالثقافة الحديثة ودرسها كما يدرسها أهلها ، وأنا أعرف على هذه الصفة كثيرين في الشام ومصر . وعلى هذه الطبقة يقع الواجب الأكبر في الدعوة إلى الله ، والعمل على تعميم الثقافة الإسلامية ، بالإلحاح على مديرية الأوقاف وعلى مقام الإفتاء ، بوضع منهج عملي للتدريس والوعظ في المساجد ، وأخذ المدرسين بالشدة لينفذوه ويسيروا عليه ، والإلحاح على وزارة المعارف بالعناية بالعلوم الإسلامية في المدارس ، ومنحها الساعات الكافية لها ، وإدخالها في مواد الامتحانات المدرسية والامتحانات العامة واختيار المدرسين الصالحين لتدريسها — ويعمل كلٌّ على ذلك بلسانه إن كان خطيباً ، وبقلمه إن كان كاتباً ، وبقوته كلها .

فإن لم يفعلوا فليعلموا أنه سيأتي يوم قريب لا يبقى فيه من يدري ما هو الإسلام ، ويكون حالنا كحال ذلك الجندي التركي الذي لحق في المعركة بلغارياً ، فلما تمكن منه ووضع سنان البندقية على عنقه ، قال له : أمان أنا في عرضك . فقال له : أسلم ! فوجد البلغاري الفرج ، وقال : إني أسلم فماذا أقول ؟

فتحير التركي وقال : (بِلْمامْ والله) !

أي لست أدري !!

(دمشق) **علي الطنطاوي**

منسجم كما يدير العازف الماهر ألحان الغناء .

« وإذا قال فيثاغورس هذه المقالة قبل ٢٥ قرناً ، فليس من حقه أن توصف مقالته بالفراغ وهى أملأ من فروض العلماء بعده فى معنى الوجود وفوارق الاجسام ، وهى على أضعف الأحوال أدق من قول بعض العلماء أن أصل المادة أثير » .

انتهى بعض كلام الأستاذ ، وقد أوردته هنا بنصه لكيلا يضطر القارىء أن يعود إلى عدد سبق من المجلة .

* * *

ظهر فيثاغورس فيلسوفا منذ ٥٣٢ سنة قبل المسيح وله تعاليم صالحة وبعض نظريات قيمة وأهمها فى الرياضيات . فهو أول من اكتشف أن مجموع مربعى ضلعى المثلث القائم الزاوية يساوى مربع وتر المثلث . وهى قضية رياضية عظيمة الشأن ، وقد بنيت عليها نظريات وعمليات رياضية مختلفة وكانت منشأ حساب المثلثات .

ولكن نظريات فيثاغورس فى أصل الوجود أو الهيولى أو المادة المحسوسة نظريات سخيفة جداً ذهب إليها بناء على ظاهرات سطحية لا نعلم جيداً كيف استنتجها منها .

أمعن فيثاغورس فى الحساب الرياضى وبرع فيه فى عصره حتى أن مدرسته كان قوام منهاجها الحسابات الرياضية . وقد تملكت لبه حتى اعتقد أن أصل الأشياء العدد . وصار يعلل كل ظاهرة فى الوجود بالعدد . تسلط العدد على لبه . حتى صار العدد عنده مبدأ الموجودات .

وكان من مكتشفاته القيمة أنه كشف نسب الأنغام الموسيقية فى الوتر المشدود ، وأن هذه النسب تتوقف على طول الوتر ومقدار شده . وكانت هذه النظرية من جملة أسباب اعتقاده أن الأعداد أصل كل شىء ، وأن عناصر الأعداد علة عناصر الأشياء . وأن السماء بما فيها من أجرام هى سلم موسيقى « عددى » . ومن ثم تحول تلاميذه على عدد سبعة فى تعليل ظاهرات الوجود لأن عدد ٧ هو عدد أنغام السلم الموسيقى ، وعدد الكواكب المتنقلة ، وعدد السبع الطباق ، السموات السبع ، وعدد أيام الأسبوع الخ .

وجعل فيثاغورس وتلاميذه أهمية للعددين ٣ و ٤ ومجموعهما ٧ للاعتبارات التالية :

أولا : أن الخط مجموعة نقط متتابعة . والسطح مجموعة خطوط متحاذية ومنها المربع . والحجم مجموعة سطوح متقاطعة ، ومنها المجسم والمكعب .

وثانيا : أن الوتر والشفع عنده هما المحدود واللامحدود ، وهما يعينان المكان ؟؟؟ والإثنان هما الخط ، والثلاثة هى السطح . والوتر والشفع . والمحدود واللامحدود هما الطاقان الأولان من المتضادات العشرة الأساسية . والثمانية متضادات الباقية هى : واحد وكثير ، ويمين وشمال ، وذكر وأنثى ، وسكون وحركة ، ومستقيم ومنحن ، ونور وظلمة ، وخير وشر ، ومربع ومستطيل .

ويظهر أنه غفل عن وراء وأمام ، وفوق وتحت ، وبرد وحر ، وجبل وواد ، ونوم وصحو ، وضحك وبكاء إلى عشرات الألوف من المتضادات ؛ لأن كل صورة من صور الموجود لها مقابل .

فالكون عند الفيثاغورسيين هو فى تحقيق هذه المتضادات ، والواحد هو العقل لأن الواحد لا يتغير ، والإثنان الرأى لأنه غير محدود ولا مقرر . والأربعة هى العدالة لأنها أول عدد مربع هو حاصل متساويين . والخمسة هى الزواج . وإن كنت شاطراً فافهم هذه السخافات .

إذاً سألت فيثاغورس نفسه أن يفسر هذه التخريفات فماذا يقول ؟ وإذا كان فيثاغورس يعتبر فيلسوفا لأجل هذه الفلسفة « العددية » فالفلسفة إذاً بله وهبل .

ألا يرى إنسان اليوم أن هذه النظرية فى الطرف الأقصى من السخف لأنه لا يجد لها تفسيراً معقولا ؟ وأما تفسيرها بأن الأوصاف كلها قد تفارق الموجودات من لون وصلابة وليونة وثقل الخ إلا العدد فانه ملازم لكل موجود ، فهذا التفسير إغراق فى الغموض لا تفسير ، لأنه يزيدنا حيرة فى غير المعقول حين نحاول أن نجعله معقولا ؛ ولا سيما لأن الثقل واللمس وغيرهما كثير من الأوصاف لا تفارق الموجودات .

إذا جردنا المادة من الأوصاف المذكورة وغيرها أى من اللون والصلابة والثقل و و و فماذا يبقى منها ؟ لا يبقى منها شىء لامادة ولا عدد . نحن نعرف المادة بصفاتها وأعراضها التى نحس بها فاذا زالت هذه زالت المادة وزال الوجود .

وأما العدد فليس خاصة من خواص المادة ؛ بل هو خاصة من خواص عقلنا . فنحن نتصرف بالعدد من غير أن يكون لدينا

المنفود . جميع الرياضيات الحسابية إنما هي فكاهة عقلية . ولا تعتبر ذات قيمة إلا حين نطبقها على الوجود المحدود . تكون حينئذ رياضيات تطبيقية .

نجل الأستاذ الكبير عن الجد فى قوله : « إن الأجسام نسب بين أعداد ، وإن الفارق بينها فارق فى هذه النسب دون غيرها ، وأن التناسق فى هذه النسب أصدق من أجرام المادة الملموسة باليدين ، وإن الأصح فى تركيب الذرة أن يقال إنه « عددى » لا أنه « مادى » ملموس .

نعم نجلُّ الأستاذ عن الجد فى هذا القول لأنه غير مفهوم وإن فُهم فغير معقول ولا هو منطقى .

ويعز على الأستاذ أن توصف مقالة فيثاغورس بالفراغ لأنها فى رأيه « أملأ من فروض العلماء بعده فى معنى الوجود » وأغرب من هذا قوله : « إنها وهى على أضعف الأحوال أدق من قول بعض العلماء إن أصل المادة الأثير » .

إذا ثبت ، وهو معقول وراجح ، أن الأثير هو أدق جزئيات المادة فيكون العلم قد أبلغنا إلى كنه الهيولى . وأما « العدد » إذا حسبناه أصل الوجود فيطرحنا فى هاوية من الجهل لا قرار لها .

إن العلم الحالى قربنا جداً إلى حقيقة كنه الهيولى التى هى أصل المادة . فقد شرّح الجزىء إلى ذرات ، ثم حل الذرة إلى كهارب وكهيربات (بروتونات وألكترونات مكهربة) . ثم فتت هذه إلى فوتونات غير مكهربة ، ولكنها حاملة الطاقة . والفوتونات فى رأى بعض العلماء الأساطين هى ذريرات أثير .

واختراع القنبلة الذرية حقق النظرية الكهربية (نسبة إلى كهرب) الألكترونية وأكد صحتها . فلا بدع أن تكون الفوتونات هى ذريرات أثير . بنظرية الالكترون هذه فسرنا الألفة الكيمية Affinty ، وكم الكفاءة الكيمية Valance ، وسر النظائر الكيمية Esotaps ، وغير ذلك من الظاهرات الطبيعية التى كان العلم حائراً فى تعليلها . فلذلك لم يبق شك فى صحة هذه النظرية الألكترونية .

أبعد هذا يصح القول بأن الفلسفة العددية الفيثاغورية أدق من قول العلماء إن أصل المادة الأثير ؟

أين فلسفة فيثاغورس من علم اليوم ؟

كان فيثاغورس وسلفاؤه وخلفاؤه فلاسفة عصرهم التمادى فى القدمية لأن ما أدركوه كان جل ما أذن لهم تفكيرهم أن يدركوه وأن يفسروه من ظاهرات الوجود وهم ضمن جدرانهم لا يختبرون ولا يمتحنون . ولكن فلسفتهم لدى علم اليوم كالأكمة المنخفضة فى البطحاء لدى الجبل الأشم . نحتقر علم اليوم إذا قارناه بفلسفة الدهر المظلم .

الحقيقة تظهر عن يد العلم لا عن يد الفلسفة . الفلسفة تتلاشى رويداً أمام العلم ، كما يتلاشى الليل أمام الفجر ، والفجر أمام الشروق .

أجل : فى مصر ، والحمد لله ، فلسفة . ولكن ليس فيها ، بكل أسف ، فيلسوف . وأستغرب أن يقبل أحد من علمائنا لقب الفيلسوف . إن الفيلسوف من كانت له نظرية فلسفية جديدة هو مبتكرها . فأين النظرية الفلسفية الجديدة عندنا ؟

أرجو الأستاذ الكبير أن يغتفر ما لا يروق له من مقالى مؤكداً له أنى حسن النية . وجل من لا يشط ويغلط .

نقولا الحداد

في الأدب الإنكليزي

ماثيـــو أرنولد

Mathew Arnold

بقلم الأستاذ خيري حماد

- ٢ -

وقد كتب عنه برل قائلا : « لقد كان أرنولد ناقداً أميناً ، نعم لقد أساء فهمه الكثيرون ولكن ما قيل عنه يجب ألا يعد لا في العير ولا في النفير فلم يخطئ الحقيقة بل أصاب مقاتلها في بعض الأحيان وأخطأها في البعض الآخر . ويندر أن نجد في أدبنا ناقداً يضاهيه في الدعابة وحسن النكتة . وإن محاضراته عن ترجمة هو ميروس لتؤلف كتاباً تلذ قراءته ، وتفيد مطالعته ، ويستحسن طبعه ؛ فهو كتاب قيم يندر أن نجد له مثيلا في دقة محتوياته وحلاوة دعابته ، فهو يحمل قراءة الأدب لذيذة ؛ ومطالعة سير الحب سارة للرجال الذين بلغوا من العمر عتيا يتذكرون أيام طفولتهم ومغامرات حداثتهم [(١)] » .

لن تتيح لنا الظروف أن نتناول كل ما كتبه ارنولد في النقد وأصوله وفنه ، ويكفي هنا أن نسرد مثلين من أمثلة نقده لندل على الطريقة التي كان يتبعها في نقد الأدب والأدباء . أما المثل الأول فهو يتناول آراء أرنولد في الشاعر الإنكليزي المعروف شلي ، والثاني تنسون .

لم يكتب أرنولد طيلة حياته نقداً تاماً للشاعر شلي ولكنه في مواضع كثيرة من مؤلفاته يطلعنا على رأيه فيه ؛ فهو يصفه كثيراً بقوله : « هو ملاك جميل ولكنه عديم التأثير إذ يحلق في الفضاء مرفرفاً بأجنحته دون أن يحدث هنالك كبير أثر [(٢)] » وفي بعض النواحي الشعرية يجهد شلي نفسه للحصول على ما يستطيعه الغير بسهولة ودون أي تعب أو نصب . ولكن الأغاني التي اشتهر أمره فيها لم تكن أحسن ما كتبه الشاعر بل إن معظم أشعاره متحف من التوافه والمبتذل من الشعر

وكان أرنولد يعتقد اعتقاداً جازماً في أن شلي لم يصل إلى الدرجة السحرية الفائقة التي كانت تنتظر منه ، وأن شعره يخلو من المادة الصحيحة السليمة . ولكن دعنا نستعرض هذين الانتقادين لنرى مبلغ صحتهما وصوابهما . أما من حيث مادة شلي وأسلوبه فتكثر فيه الحسنات كما تكثر السيئات . وأما من حيث خياله ومقدرته السحرية فقد أخطأ أرنولد في نقده تمام الخطأ ، فمن يقرأ لشلي قصيدته « إلى الطائر to G Skylsrk » يجد فيها مقدرة خيالية عظيمة قل أن توجد في غيره من الشعراء . فقد صور فيها صوراً رائعة لا شك في تأثيرها على نفسية القراء .

ولنتناول الآن نقده لتنسون ، فقد كان دائم الكراهية لهذا الشاعر العظيم ، وعندما ظهر كتاب « خرافات الملك » Jdylla of the King لتنسون كتب أرنولد عنه قائلا : « إن من الأغلاط الكثيرة التي أجدها في تنسون في كتابه هذا هو افتقاره لسحر القرون الوسطى وقوة خيالهم ، ومع مقدرته الفنية الفائقة فقد كانت تنقصه المقدرة العقلية [(١)] » .

وفي هذا النقد تحامل ظاهر لا يمكن أن نتجاوزه ، فقد كان أرنولد دائم التفضيل لبيرون على تنسون ، وقد وصفه الكثيرون من الأدباء بتحامله على جميع معاصريه مدفوعاً بروح المنافسة ، وهذا خطأ بين لا يمكننا الإغضاء عنه ، فقد كان من محبي سنت بوف مع أنه من معاصريه ومنافسيه . ناهيك عن تحامله الشديد على شلي وكيتس الذي امتد طيلة حياته .

من المثلين السابقين اللذين ذكرتهما نرى أرنولد مر النقد قوي الشكيمة ، ولكن هذه الصفة لم تكن لتنطبق عليه دائماً فكان من محبي وردزورث وبيرون ومن أنصارهما . وقد وصف وردزورث بقوله إن الطبيعة قد أمسكت بقلمه فسجلت روائع رائدها قوة الطبيعة الخارقة على تفهم الحياة ومناحيها المختلفة . وقد كتب إلى أحد أصدقائه « إني لا أومن بقوة تنسون ومقدرته في أية ناحية من نواحي الأدب . فهو لا يضاهي جوته في تفكيره العصري ، ولا وردزورث في خياله وقوة ابتكاره ، ولا بيرون في عاطفته ورقته . ولكنه شاعر يعتبره الناس في عصرنا هذا ،

(١) Selected Essays. Birrél P. 216

(٢) Amiscelleny Brodley P. 145

(١) Essay m Criticiam : Grnoed

ولـكنى لا أحمل له فى نفسى أى اعتبار أو تقدير لفنه أو لشعره [١] » .

وعندما أتناول البحث فى كتابه : « مقالات فى النقد » Essays on Criticism يرى القارىء هنالك بحثاً أكثر اسهاباً عن شهرة أرنولد فى عالم النقد . فهو خير كتاب يقرأه الطالب لتعلم فن النقد وأصـــوله . ولـكن نقـده لم يكن فى الحقيقة مبنياً على الأساس العلمى الصحيح فتحامله شـديد على كثير من الأدباء والشعراء فى عصره . وهذا التحامل قاده للتسرع بأقوال خالية من الحـكمة ينقصها التفـكير الطويل ، وتحـكيم العقل والمنطق .

شعره :

تتلخص عبقرية أرنولد الشعرية فى نجاحه فى عرض أفكاره على جمهرة القــراء . وفى أشعاره وخاصة قصيدته امبدوكليس Empedocles نرى الشاعر ينشدنا أغانى مطربة وقصائد تسيل رقة وعذوبة . فلنلق نظرة على هذه الأبيات القليلة من شعره ثم نبنى حكمنا عليها بعد تدقيق وإمعان .

« ابولو — أيها الإله العظيم . إن هذه المساكن لا تصلح لسكناك قط . ولـكن فى ذلك المـكان حيث يلتقى البحر فيـه والجبل ، هناك حيث يرسل القمر أشعته الفضية فتتردد الأصوات فى الفضاء متغزلة بجماله ، هناك فى وادى الآلـهة thiohe يطيب لك العيش وتحلو لك السكنى » .

لو قرأنا هذه الأبيات فى صورتها الإنـكليزية لوجدنا الشاعر يغنى معها شارحاً عواطفه ومشاعره . هنالك تسمو نفسه فيرتفع عن مصاف الشعراء العاديين . ولـكن موسيقاه هى أنموذج من الأغانى المخيفة التى يهابها ويخافها لتأثيرها على وحـدة النفس وكيانها .

لقد تدرع أرنولد بدرع من الذكاء والابتـكار . وطينة حياته تراه قنوعاً بالحياة التى يحياها وراضياً بالعالم الذى يعيش فيه ، ولـكنا نرى من خلال قصائده تطلعه نحو حياة مشرقة ، حياة الصباح العاطر فى أيام الربيع الجميلة عندما تتفتح الأزهار والرياحين ناشرة فى العالم سعادة أزلية خالدة . وفى قصيدته الرقيقة « الغجرى المتعلم » Scholar Cyibsy نرى الشعر مسوق بتيار العواطف مقوداً لآلهة الشعر يضمن نظريته هذه فى بضعة أبيات ملؤها الجمال والروعة متخذا من هذا الحلم البهيج وحيه وسر عبقريته . فهو يقول :

« فوق مياه المحيطات المتوسطة ، حيث تـكثر الرياح بين شاطىء إيطاليا وشاطىء صقلية الجمية حيث تلتقى مياه الاطلانتيك بمياه البحر المتوسط من خلال المضائق الغربية — هناك تـكثر السفن المشرعة حيث ترتفع الصخور إلى عنان السماء — وتهب الأمواج عليها فتخرج الزبد . هنالك يظهر الإسبانيون سمر الألوان ميالين للمغامرة والإتجار . فيعقـدون أسواقهم التجارية على شواطىء البحار ... »

وأروع قصائده خيالا وأوسعها حرية هى قصيدته « البحرى المهجور » Fsroakin Merman حيث يتطلع إلى العالم القديم بعين التواق الراغب مؤنباً سكان هذا العالم لهجرهم إياه وابتعادهم عنه — فـكرة هى نفس حلمه الجميـل معبرة بطريقة مخالفة عن رغبته فى الشباب ، فى الحياة الجديدة السرمدية حيث يقول :

« تلك الـكهوف الرملية العميقة الرطبة ، حيث تهدأ الرياح وتسـكن سكوناً أبديا ، هنـاك تتسارق الأنوار النظر إلى هذه الأعماق ، وهناك تـكثر الأملاح فتذوب فى الجداول » .

وإن مقدرة أرنولد الرومانتيكية أو الإبتداعية بالأحرى لتتجلى فى جماله وطهارته . وعوامل نجاحه وانتصاره تتلخص فى سرده للخرافات والأحلام . وموسيقاه تختلف عمـا عرف فى عصره بكونها غنائية شـديدة الوقع لم تنل إعجاب المعاصرين . فشهرته كشاعر عبقرى لم تبن بعد . ولـما كانت البيئة التى وجد فيها تهتم كل الإهتمام للاخلاق ولا تأبه للجمال وأثره ؛ ولما كان والده رجلا دمث الأخلاق ليناً وعظيما فى نفس الوقت ، لذلك نرى فى شعر شاعرنا الميل الدائم إلى البساطة والرغبة الجليـة فى الطهارة والصفاء . وكنتيجة لهذه البيئة ولهـذه الرغبة فى الشاعر ظهرت هنـاك قصيدتان عدتا من روائع الأدب الإنـكليزى بحثـا فى الأخلاق والدين بحثاً مسهباً مستفيضاً .

أحب أرنولد الطبيعة حباً جماً ، فوصفها فى قصائده وأغانيه وصفاً قرأه كثير من البؤساء والمتألين فسروا به عن نفوسهم ،

---

(١) Mathew Arnold. Pould P. 37

وأزالوا ما لحقهم من بؤس وشقاء . وكان ينظم قصائده على النمط الذى جرى عليه أستاذه وردزورث من قبله فقلده تقليدا أعمى فى أسلوبه وأفكاره . وكان بفطرته لا يميل إلى الإعتقاد بالخرافات والأباطيل القديمة مع أنه دونها كثيراً فى شعره ومؤلفاته ، فالصدق كان رائده فى كثير مما نظمه . وفى قصيدته « حداثة الطبيعة » the youlh of mature نرى شخصيته متمثلة أتم التمثيل وأكمله . ولم يكن أسلوبه ليقل عن أسلوب شلى أو أى شاعر عظيم آخر ناهيك بأن مادته وأفكاره كانتا لا تضاهيان .

وقصيدته « تريشدام وايسوت » تحوى عدداً من الأغانى الرائعة فهى تبدأ بهذه الأبيات الجميلة :

« أشعل الضوء يا غلام حتى أراها فاقد أتت المذكة المتعجرفة أخيراً . انتظرت طويلا وغالبت الحمى التى انتابتنى تأخرت أيتها العزيزة ، وكان تأخرك مكراً وهجرانا » .

ويجمع محبو أرنولد وتلامذته على أن قصيدة « رستم وسهراب » Rurtum and Sohrab هى أحسن ما كتبه الشاعر وقد لقبه على أثرها لورد رسل بقوله : « هو شاعر العصر الأوحد » . وهذه القصيدة مستمدة من قصة اسيوية قديمة تتلخص فى سير مبارزة حدثت بين بطل من أبطال الترك ووالده . وكان كل منهما يجهل صاحبه حتى قتل الولد فعرفه الوالد وحزن عليه حزناً شديداً . وما أجمل وصفه للأموات حين يقول

« إن الصدق يلازم شفاه الأموات ، والخداع كان بعيداً عن طيلة حياتى » .

وعند ما يعلم الوالد أنه قد قتل فلذة كبده يشتد حزنه ويعزم على الإنتحار غرقاً فى النهر فيرجوه ولده الفارق للحياة أن يصبر وأن يجاهد فى هذه الحياة حتى يحصل ما لم يستطع هو الحصول عليه .

ومن بدائع شعره قصيدته « الميت الشجاع » التى لا يستطيع فهمها إلا القليل من منتقى القوم ومتأدبيهم . ولكن من يفهمها يشعر باللذة التى تعاوده عند مطالعتها ويحس بنفس الوقت بخلوها من الخيال والإغراء اللذين يشعر بهما عند قراءته لقصيدة « رستم وسهراب » . فهى تخرج من القلب خروج قصائد بيرنز الجميلة ، وإن الفقرة الأخيرة مع كونها لا تخلو من بعض الأغلاط إلا أنها لا شك تحوى من العاطفة قدراً كبيرا

« عند ما نلتقى فتتطلع بنظراتك ، متفرساً فى وجهى وما أحدثته الأيام من الغضون فيه . ولكن بالله دعنى أسألك : من هو ذلك الغريب الذى يتطلع إلى بعين المتأمل ، ذو العينين الرماديتين والشعر الأسود » .

فلسفته

لقد انتقد أرنولد المجتمع الإنكليزى فى عدد غير قليل من مؤلفاته وكتبه . وكان يميل إلى تقسيمه إلى ثلاث طبقات متفاوتة: أولاها طبقة الأشراف، وثانيتها الطبقة المتوسطة، وثالثتهما الطبقة العامة . ولكنه لم يسمها كما سماها غيره من قبل ؛ بل أطلق على الأولى أسم البرابرة Darbaians وعلى الثانية لقب الفلستينيين[1] Phil istnis وعلى الثالثة لقب العوام Psyrulace وكان يحترم طبقة الأشراف ويكثر من الثناء على أفرادها قائلا : « إن أعظم الفضائل وجود طبقة راقية من النبلاء يتخلقون بأحسن الأخلاق ويتحلون بأجمل الفضائل ، لهم أفكارهم الشريفة ، وأعمالهم النبيلة التى حبتهم بها الطبيعة . ويزداد جمال هذه الفضائل عندما تصدر عن أناس أقوياء يتحكمون بمصير الأمة ومستقبلها وينزهون أنفسهم عن التشاحن والتطاحن فى المسائل التافهة . وقد يحدث أن أحد أفراد هذه الطبقة تعوزه العبقرية وينقصه الذكاء ولكنه مع ذلك لا تصدر عنه أمور لا تعد فى حكم الشريفة منها[1] » .

ولكن أرنولد يتطلع نحوهم فيرى نقصا لا يمكن سده ، وعوزا ليس من المستطاع إهماله والاغضاء عنه . فهم بحاجة إلى الأفكار السامية وهذا ما سبب تأخرهم فى العصور الحديثة . وفى البلاد الأخرى نجد طبقة الفقراء على درجة أعظم من المدنية والحضارة من هذه الطبقة ؛ فالفقير يشعر بضعته ، ويحس بفقره وضعفه فيحسن من شأنه ليظهر بمظهر الند للند والقرن للقرن .

(يتبع)

صبرى حماد

---

(۱) Mixed Essays Gnold

الشـــعر يحتفل بأميره

في مساء يوم السبت الثامن من شهر ديسمبر ، أشرفت دار الوزير الشاعر الكاتب السمح ابراهيم دسوقى أباظة باشا عميد الأسرة الأباظية بألمع الكواكب المصرية فى الحكم والسياسة والأدب والعلم والفن والصحافة إجابة لدعوة معاليه ، ليحتفلوا بمجد الشاعر العظيم عزيز أباظة باشا صاحب « أنات حائرة » ، ومؤلف المأساتين الشعريتين : « قيس ولبنى » ، و « العباسة » ولم تشهد القاهرة المثقفة على كثرة ما شهدت داراً أحفل بالفضل وأحفى بالفضلاء ، ولا حفلة أروع بالأدب وأجمع للأدباء ، من هذه الدار وهذه الحفلة .

كانت الدار دار الأباظية ، والحفلة حفلة الأدب ، فلا غرابة أن يجتمع فيهما ما لم يجتمع فى غيرهما من ملائكة البيان وشياطين الشعر

كان مطلع الإشراق الشعرى فى هذه الحفلة آبياتاً من أرق الشعر وأبلغه لمعالى صاحب الدعوة فى شكر مولانا « الفاروق » ؛ ألقتهما طفلته الأديبة الخطيبة « كوثر » بصوتها العذب ، ومنطقها الرائع ، ولهجتها الفصيحة ، منها :

أدام الله « فاروقاً »   يفيض الخير من كفه
فقد فاض على الأسر   ة ما ترجوه من عطفه
وعذراً إن بدا ضعفى   وعجزى عن مدى وصفه

ثم تلاها أخوها الأديب الشاعر ثروت أباظة فألقى قصيدة من نظمه ؛ وتتابع الشعراء والخطباء بعدهما على المنصة ، فنوهوا بمجد الشاعر ، وأشادوا بفضل الداعى ، وهتفوا بعطف « الفاروق » ، كان أولهم الأستاذ العقاد ، وآخرهم الأستاذ الكاشف ، وفيما بينهما فيض من الشعر العاطفى الجميل ، تدفق على ألسنة النابهين من شعراء الشباب ، ذكرونا بشعراء الحضرة فى قصر الصاحب ببغداد ؛ ثم نهض للشكر صاحب السعادة الشاعر المحتفل به فارتجل خطبة من النمط العالى فى الأداء والإلقاء دلت على أن موهبته الخطابية تنافس موهبته الشعرية فى استحقاق التكريم . ثم كان مسك الختام قبلة أخوية قوية من معالى الوزير إلى سعادة المدير ، أجملت كل ما قيل فى هذه الحفلة الرائعة الجامعة من معانى الإعجاب والإكرام والحب ... وفيما يلى ثلاث قصائد مما أنشد فى هذا الحفل تعطيك نموذجاً من سائر ما قيل :

قصيدة الشاعر الكبير عباس محمود العقاد

ابغ النظم والنـــثار   ود لو جاوز التمام
رام فى حلبتيهمـــا   قصباً كان لا يرام
حبـــذا محسن الفعا   ل إذا أحسن الكلام
ثالث فى كل دولـــة   منهما أوفر السهـــام
أيها الأوحـــد الهمام   جئت بالمعجز الجسام
كيف وحدت هكذا   شيع الناس فى وئام
تسمع الحمـــد لا تنا   زع فيه ، ولا انقسام
كل ما راق فى الخوا   طر ألـــقى لك الزمام
سن زانه الحـــجى   أذن صـــانه الذمام
والعظاميـــة التى   فيك لم تخل من عصام
ورضى الله والمــليـ   ـك يزكى رضى الأنام
ولك الخلق والخـــلا   ئق فى حسنها توأم
حكم ابن الحسين قد   ماً موفيت الاحتكام
قال ود على التصـــ   ـفى وود على الوسام
قلت لا بل كليهما ..   ما على مفضل ملام
أنت فى عامك القريـ   ـب تحديت ألف عام

* * *

يا عزيزاً به اســـتعز   ذوو العزة الكرام
« جاد » أنفدت حرفها   فى اشتقاق وفى ارتسام
بالمجيد المجـــد والجيد   الماجـــد المقـــام
فدتك ! فاللفـــظ ضيق   عن معانيك والسلام

قصيدة الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى

طلعت بأفق العبقرية صاعدا   فأدركت مجديها طريفاً وتالدا
تطوف مشبوب الخواطر هائما   تصور أوهام القلوب عقائدا
وتهتف بالنجوى وتهمس بالمنى   وتستلهم الطيف الحبيب المعاودا
وتسبح فى الأفق المنغم شادياً   على قمة فى الأفق ، عزت مقاصدا
ومن حولك الأضواء ، منهل شاعر
يوافيك بالألحان نشوى شواردا

فترسم أفراح الحياة بريشة   كأن بها من وحى جبريل رائدا
يراوحها سارٍ من الشوق عرم
تحدَّرَ من قلب يفيض مواردا
تكنّفه الكون الكبير فهاله   بقلبك أكوان تروع مشاهدا

أمان وآلام يجاذبنك الهوى   فقد صادفت قلباً بجنبيك واجدا
تجاوبت الأيام فيه فصاغها   ورددها لحناً على الدهر خالدا
وتسترجع الدنيا لديه شبابها   فينظم أصداء الزمان قصائدا
سيعنو لها وجه الزمان قداسة   وتبقى على جِيد الزمان قلائدا
ألست الذى رد الليالىَ بيننا
فكدنا نرى عصراً على مصر وافدا
شهدناه منضور الحواشى مهادنا   وشمناه مغبر الجوانب راعدا
كأنى بهارون الرشيد يسوسه   ويختال فى دَست الخلافة مائدا
ويسمر فى القصر الأشم وحوله   خرائد تشدو فى هواه خرائدا
مباهج لم يحظ الزمان بمثلها   تأنقن إبداعاً ، وكن فرائدا
كأنى به يصغى لجعفر قبلما   تثور حواليه النفوس مكايدا
وقد نفرا للصيد ، لم يدر جعفر
بأن قد غدا صيداً ، وهارون صائدا
كأنى به والبرمكيون حوله   تهاووا شموساً فى الدجى وفراقدا
هو المجد إن تظفر به فتق الورى   فيا طول ما تلقى لمجدك حاسدا
كأنى به فى حلة الملك رافلا   يخب بدنيا ليس يدنو لها مدى
عوالم هذا العصر أنت وسعتها   بفنك لم تعجز لساناً ولا يدا
تلقيتها وحياً من الله مسعداً   فأسبغ فاروق عليك روافدا
وحسبك أن ألقى بساحة ملكه   عليك لواء العبقرية عاقدا
وكرمكم فى صاحب الدار هذه   ومن لك بالفاروق جاهاً وساعدا
أعز « دسوق » أمس بالرتبة التى
أتت رجلا فى النبل والفضل واحدا
صحائف من تاريخ مصر كريمة   نطالعها فى كل يوم محامدا
تفيض على قلبى ضياء وخاطرى   فأنظمها بالمعجزات حواشدا
أباظة حيا الله دوركم التى   غدت للفنون الباقيات معاهدا
عليها جلال الماجدين تخالها   إذا ما تبدت للعيون مساجدا
رعاها مليك النيل واختص أهلها   فبارك فيهم شاعراً ، ومجاهدا
لقد ظفروا منه بمجد مؤثل   وأكرم مجد ما يصادف ماجدا

قصيدة الأستاذ العوضى الوكيل

نجم بأفق العبقرية لاحا   يزجى الضياء عشية وصباحا
وهزار روض صاح فوق غصونه   قوموا نحيوا ذلك الصداحا
مترنم بطرائف من فنه   تسبى القلوب ، وتسحر الأرواحا
السامعون له يسائل بعضهم   بعضاً .. أشعراً ما شدا أم راحا ؟

اهنأ عزيز برتبة علوية   جادت بها منن المليك سماحا
كرم أفاء عليك من آلائه   فأشاع فى أحلامنا الأفراحا
وأتيح للشعراء ما حلموا به   هل كان قبلك مثل ذلك متاحا
والغيث إن روى الهضاب بسيبه   روى وهاداً بعدها وبطاحا !

لك منطق سهل البيان ، وربما   سهل البيان فأعجز الشراحا
فى كل أغنية وكل قصيدة   روض حوى ورداً وضم أقاحا
شعر تناغمه النفوس فتلتقى   فيه ... فيملأها أسى ومراحا
إنى لأمسك بالفؤاد أصونه   من أن يذوب أسى إذا هو ناحا
وتراه فى أفراحه وفتونه   يسلى الحزين الباكى الملتاحا

يا ابن الأعزة من ذؤابة طيء   الصارمين عزائما وسلاحا
والمالكين المجد من أطرافه   واللابسيه بردة ووشاحا
لى بينهم من إن هممت بذكره   طرب القصيد لذكره وارتاحا
من كل مرموق المكانة ، مشرق   فى أفق مصر كوكباً لماحا ...

يا ابن الأعزة من ذؤابة طيء   الصارمين عزائما وسلاحا
المجد من بابيه أنت ولجته   وحشدت ميراثاً له وكفاحا
أخرست ألسنة الرجال بقصة   وتركت ألسنة الزمان فصاحا
صورت سلطان الرشيد وملكه   صوراً من النغم الرقيق ملاحا
وجلوت أعظم دولة عربية   نشرت على الأدب الرفيع جناحا
فاهنأ بجائزة المليك رفيعة   واهزز نفوس الشاعرين طماحا

بيت الأباظيين مثل خميلة   قد كرمت كروانها الصداحا
هو مربد الأدباء إلا أنه   أهدى سنى منه وأطهر ساحا
لا زال مرفوع البناء موطدا   مغدى لكل عظيمة ومراحا
لا زال أفقاً فى الحمى يبدى له   فى كل يوم كوكباً وضاحا



١ — إتحاف الفاضل :

أصلح الأستاذ الكبير النشاشيبي بيت البحتري في الطبعة التي يتعقبها من معجم الأدباء ، ونقل عبارة الصحاح بأن للعرب أحرفاً لا يتكلمون بها إلا على سبيل المفعول به وإن كانت بمعنى الفاعل مثل قولهم . زهى الرجل الخ ...

قلت : ولابن علان الصديقي رسالة لطيفة جمع فيها طائفة صالحة من هذه الأحرف وسماها (إتحاف الفاضل بالفعل المبنى لغير الفاعل) . وقد طبعها في دمشق من نحو عشرين سنة الأستاذ حسام الدين القدسي . صاحب (مكتبة القدسي) في القاهرة .

٢ — تأنيث الرأس :

من أعجب الأشياء في مصر أن جمهرة الكتاب فيها ، إلا العشرة الكبار من البلغاء ، يؤنثون (الرأس) ولا نفتأ نجدها كل يوم مؤنثاً في الصحف والمطبوعات ، مع أن الذي نعرفه أن الرأس لا يكون إلا مذكراً ، في اللغة و ... في الحياة ! فهل لإخواننا في تأنيث الرأس وترئيس (الأنثى) وجه لا نعرفه ؟

علي الطنطاوي

الصحافة في حضرموت :

طالعت في العدد ٦٢١ من الرسالة مقالة عنوانها : « الأدب العربي » . للدكتور ر . ب سارجنت تكلم فيها عن حضرموت وبشر بمستقبلها الحسن ، وذكر بدء الحركة الأدبية بها ، وانتعاشها . وبعد أن عدد بعض الأسر من السادات قال في سياق خطابه : وقد قامت هذه الأسرة المجددة في خلال السنتين والثلاث الماضية بنشر مجلة الإعتصام . وهي صحيفة شهرية تصدر من مدينة (سيئون) وتعالج الشئون الدينية والثقافية إلى أن قال : ولا بد أن هذه الصحيفة هي المجلة الوحيدة التي تصدر في البلاد العربية على هذا الشكل .

وأحب أن أعرف جمهور قراء مجلة (الرسالة الغراء) بأن حضرموت منذ عهد قديم بدأت تباشير النهضة الحديثة تدب في شبابها فأسسوا الجمعيات والنوادي وفتحوا المدارس التي تهيئ نشأتهم لخوض معترك الحياة وقاموا بنشر المجلات والصحف ، فأول مجلة صدرت من سيئون (التهذيب) في حدود سنة ١٣٥٠ تقريباً . وتلتها مجلة (الأخاء) صدرت من « تريم » قامت بها « جمعية الأخوة والتعاون » في سنة ١٣٥٦ فمجلة (الخلبة) في بلد « مسيلة الشيخ » يحررها الأستاذ علي ابن عقيل بن يحيى في سنة ١٣٥٧ فمجلة (الاتحاد) في «عينات» قام بها « نادي اتحاد الشباب » سنة ١٣٦٠ ، فمجلة « النهضة » فمجلة (زهرة الشباب) صدرتا من سيئون سنة ١٣٦٠ ؛ فمجلة (الإعتصام) وهي الأخيرة صدرت منها .

وكل أولئك المجلات مخطوطة إلا « الأخاء والخلبة » فقد طبعتا بحروف مطبعية بعد أن بدتا بصورة خطية . على أنه يجب أن أذكر للقراء الكرام أن هذه المجلات جميعها تصدر في حجم صغير يتناسب مع حالة البلاد الأدبية والاجتماعية .

(حضرمي)
سيئون

١ — إلى الأستاذ أبي رية

قلت — أيها الأستاذ الكريم — في مقالك (الحديث المحمدي) بالعدد ٦٣٣ من (الرسالة) : « أما حديث من كذب على (متعمداً) ، فقد عنيت بالبحث عن حقيقته عناية كبيرة حتى وصلت من بحثي إلى أن كلمة (متعمداً) لم تأت في روايات كبار الصحابة ، ومنهم ثلاثة من الخلفاء الراشدين عمر وعلي وعثمان ، وأن الزبير بن العوام — وهو حواري رسول الله وابن عمته — قد قال عنها والله ما قال (متعمداً) الخ — وأقول إني رأيت في صفحة ١٣٣ من (الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف) للأمير شكيب أرسلان ما يفيد أن القائل (والله ما قال متعمداً) غير الزبير (جاء في الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد رواية عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال (أي عبد الله ابن الزبير) قلت للزبير : مالي لا أسمعك تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يحدث فلان وفلان ، قال أما إني لم أفارقه منذ

أسلمت ولكنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من كذب على فليتبوأ مقعداً من النار » قال وهب بن جرير فى حديثه عن الزبير : والله ما قال « متعمداً » وأنتم تقولون « متعمداً » الخ وعلق المرحوم رشيد رضا على هذه الرواية بقوله فى صفحة ١٣٤ (الحديث متواتر تواتراً صحيحاً بهذه الزيادة وممن رواها عن الزبير نفسه الامام أحمد والبخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجه فلا عبرة بإنكار وهب بن جرير لها عنه ، فالقاعدة أن من حفظ حجة على من لم يحفظ ، ووهب هذا قد تكلم فيه بعض رجال الجرح والتعديل ، فقال ابن حبان كان يخطىء ، وأنكر عبد الرحمن بن مهدى والإمام أحمد ما رواه عن شعبة — فما رأيك أيها الأستاذ الجليل — فى هذا وفيما كتبه الأستاذ أبو شهبة فى هذا الموضوع بالعدد ٦٤٢ من الرسالة

— إلى الدكتور جواد علي :

قلت فى مقالك (أول صلاة فى الاسلام) بالعدد ٦٣٦ من (الرسالة) عن هرون بن عمران أنه (لم يكن نبياً من الأنبياء) — والصواب أنه نبي قال تعالى (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبياً) مريم آية ٥٣ وفى سورة طه ما يشير إلى أنه رسول (فأتياه — الخطاب لموسى وهرون — فقولا إنا رسولا ربك) الخ آية ٤٧

أسيوط **محمد عبود**

١ — الأدب والجندية :

طالعنى أديب سكندرى جليل الخطر بظاهرة عجيبة تسترعى الاهتمام ، حين ذكر لى أن الذين تعاوروا على رياسة جماعة نشر الثقافة فى الثغر ، إنما هم من ضباط البوليس خاصة ، فالأميرالاى عبد المنصف محمود بك ، والصاغ زكى غازى ، والبكباشى أحمد الطاهر — الرئيس الحالى — كلهم من ضباط البوليس ، ولم يتول الرياسة من « المدنيين » سوى الأستاذ خليل شيبوب ، والأستاذ عبد اللطيف النشار .

وقال الصديق الأديب مداعباً : إن جماعة نشر الثقافة لم تعد على هذا الاعتبار جمعية أدبية ، وإنما أمست « قره قولا » ، أى معسكراً للشرطة .

ونحن لا ندرى وجهاً لاعتراض الأديب الفاضل ، وإن كانت ملاحظته تبعث الاهتمام حقيقة ، فلم يكن الأدب والجندية يوماً ضدين لا يجتمعان ، والأدباء الضباط والشعراء الضباط فى كل أمة يضيق الحصر دون ذكرهم ، والجندى إذ يصدمه الواقع المرير لا عليه أن يلوذ بأطياف الأدب الجميل .

ولكن الذى نأخذه على جماعة نشر الثقافة فى عهدها « العسكرى » أن نشاطها لا يكافىء ما كانت عليه فى العصر « المدنى » . وهذا ما نحب أن نوجه إليه أنظار القائمين عليها من الأدباء الأمجاد .

٢ — هندسة الأدب :

وليس الضباط وحدهم هم الذين ضربوا فى الأدب بسهم ، وإنما شاركهم أيضاً المهندسون ، ولقد كانت حفلتهم التى أقاموها منذ أسبوعين منتدى أدبيا ، فهم أرادوا أن يبسطوا قضيتهم العادلة على جماعة من نواب الإسكندرية وأدبائها .

وكان جميلا من هؤلاء المهندسين الأدباء أن أحداً منهم لم يحاول أن يعد خطابا مكتوبا يتلوه على الحاضرين ، وإنما عمدوا إلى الإرتجال فى موضوعات هى من وحى الساعة ، ولا يدفع فى الذهن قط أنها هيئت من قبل . وكان جميلا منهم أن يحافظوا على سنن الفصحى فلا يلتوى بهم اللسان إلا فى القليل من الألفاظ التى يخطىء فيها الفحول !

ولقد طالب المهندسون بتعديلات لفظية فى القانون الجديد لنقابة المهندسين كأن تحذف عبارة « مساعد مهندس » ويتساوى المهندس الجامعى وغير الجامعى فى المنزلة الإجتماعية والوظائف الحكومية .

وإذا كانت الصحف اليومية قد لخصت قرارات مؤتمر المهندسين ، فإننا لا يسعنا إلا أن نناشد ولاة الأمور على صفحات مجلة الأدب الرفيع أن تعمل على نصفة هذه الطائفة النافعة العاملة ، فالمهندس خادم للفن ، والفن قطعة من الأدب ، وعالم ما بعد الحرب فى حاجة إلى مهندسين يبنون ولا يهدمون ، ليقيموا صرح الحضارة باذخا لا تتقاذفه الأهواء .

(الرمل) **منصور جاب الله**



اليد المقطوعة

للكاتب الفرنسي جي دو موباسان

بقلم الأديب محمد عبد اللطيف حسن

التف الجمع حول المسيو برمتير مدير الأمن العام الذى أمكنه أن يحل بذكائه ونباهته رموز جريمة سان كلود التى حيرت أهل باريس مدة عام كامل ، وأن يكشف الستار عنها بما عرف عنه من مهارة البحث ، ودقة التحرى والاستقصاء ..

وكان المسيو برمتير جالساً يدخن غليونه فى هدوء بجوار المدفأة التى كانت تتأجج فيها النار ، وقد استلقى بظهره العريض الممتلىء على مقعد كبير مريح .

وغادر بعض السيدات الموجودات وسط هذا الجمع مقاعدهن واقتربن منه ليتمكن من الإصغاء إليه . وكن يرتجفن وهو يسرد عليهن حوادث هذه الجريمة الرهيبة ، ويروى لهن الغوامض والأسرار التى اكتنفتها فى ذلك الوقت من كل ناحية .

فلما انتهى من سردها التفتت إليه إحدى السيدات وقالت :

— إن هذه الجريمة تعتبر فى نظرى ، بل وفى نظر الكثيرين أيضاً ، من الجرائم الشاذة الخارقة لنواميس الطبيعة ...

فأجابها المسيو برمتير وهو ينفث من فمه دخان غليونه فى الهواء :

— إنها ليست يا سيدتى من النوع الشاذ الخارق لنواميس الطبيعة كما تظنين ، وكل ما يمكننى أن أقوله عنها إنها ارتكبت بمهارة فائقة ، ونفذت بطريقة متناهية فى البراعة والدقة . وكان الغموض يكتنف هذه الجريمة من كل جانب ، حتى إننى لم أتمكن من حلها إلا بعد كثير من المشقة وطول البحث والتفكير ...

وبعد أن سكت هنيهة تابع حديثه فقال :

— وقد مرت بى منذ بضع سنوات قضية يمكننى أن أقول عنها بحق إنها شاذة خارقة لسنن الطبيعة ، وهذه القضية هى الوحيدة التى لم أتمكن إلى الآن من حلها ، ولم أوفق فى العثور على أثر يساعدنى على إجلاء غوامضها . وقد اضطررت فى النهاية إلى أن أنفض يدى منها بعد أن فشلت فى الوصول إلى فك رموزها ، وحل معمياتها الكثيرة .

وكان لهذه البداية المشوقة التى استهل بها المسيو برمتير قصته أثرها فى نفوس سامعيه ، فلم يلبث أن طلب منه النساء والرجال الذين كانوا يصغون إليه بشغف زائد وانتباه عظيم أن يسرد عليهم تفاصيل هذه القضية الغريبة . فارتسمت على شفتى المسيو برمتير ابتسامة خفيفة باهتة ثم اعتدل فى جلسته وقال :

كنت فى الوقت الذى حدثت فيه وقائع هذه القضية الغامضة مفتشاً سرياً بمدينة أجاكسيو ، وهى كما تعلمون مدينة صغيرة تقع على حافة خليج تحيط به الجبال العالية من كل جانب . وكانت مهمتى الرئيسية هناك تدور حول كشف الجرائم التى يرتكبها أصحابها بدافع من الانتقام وحده . ففى ذات يوم علمت أن إنجليزيا غريباً عن تلك البلاد نزل فى هذه المدينة واختار لسكناه دارة (فيلا) جميلة تقع فى نهاية الطرف البعيد الممتد من هذا الخليج . وقد أحضر هذا الإنجليزى معه خادماً فرنسياً أثناء مروره بمدينة مرسيليا . وقد دارت الإشاعات الكثيرة حول هذا الإنجليزى الذى كان يعيش فى هذه الدارة بمفرده ، والذى لم يكن يغادرها إلا عندما يخرج للقنص والصيد فحسب ! ولاحظ عليه سكان المدينة أنه لم يكن يخاطب أحداً من أهلها ، ولا يسير فى شارع من شوارعها إلا نادراً ! وكان يتمرن ساعة أو ساعتين فى صباح كل يوم على إطلاق النار من مسدسه الذى لم يكن يفارق جيبه الخلفى مطلقاً ! وأشاع عنه بعض الناس أنه قدم إلى هذه المدينة بعد أن فر من بلاده لأسباب سياسية ، والبعض الآخر أشاع عنه أنه ارتكب جريمة شنيعة فر بسببها إلى هذه البلاد هارباً من وجه العدالة ! وكانت طبيعة عملى تحتم على إذ ذاك أن ألم بشىء من حياة هذا الرجل الغامض ، الغريب الأطوار ، بيد أنى لم أنجح فى ذلك فى بداية الأمر . وكان الإسم الذى عرف به هذا الإنجليزى بين أهل هذه المدينة هو السير جون رويل . وبالرغم من أننى كنت أقتفى أثره وألازمه ملازمة الظل فى كل خطواته

دون أن أشعره بمراقبتى له ، فاننى لم ألحظ عليه ما يريبه أو يشين سمعته بشىء .

ومع كل ذلك فإن هذه الإشاعات والأراجيف التى كان يتقولها الناس عنه بالحق أو بالباطل لم تقف عند حد ، بل لقد زادت فى الواقع انتشاراً وذيوعاً إلى درجة دفعتنى إلى محاولة الإتصال بهذا الرجل مهما كلفنى ذلك من جهد أو كبدنى من مشقة وعناء . وكانت أول خطوة خطوتها لتحقيق غرضى أننى بدأت أصطاد بانتظام ، وفى مواعيد معينة ، فى بقعة كبيرة مكشوفة بالقرب من مسكنه . وفى ذات يوم اصطدت طائراً سقط لحسن حظى فى حديقة دارته الواسعة المترامية الأطراف ، فأسرع كلبى الذى كنت أصطحبه معى دائماً عند خروجى للقنص والصيد وأحضر الطائر المصاب بين أنيابه وهو يلهث من شدة التعب . وقد انتهزت حينئذ هذه الفرصة التى أتاحتها لى الظروف للتعرف بالسير جون رويل الذى كان جالساً وقتئذ فى حديقة منزله ، فاجتزت المسافة التى كانت تفصلنى عنه بخطوات سريعة واسعة ، ثم قدمت إليه هذا الطائر — وكان من الطيور الغريبة النادرة المثال — على سبيل الهدية وأنا أعتذر إليه فى نفس الوقت من تهجمى على حرمة مسكنه . فشكرنى السير جون رويل بحرارة وإخلاص لم أكن أتوقعهما منه وتقبل منى هديتى البسيطة وهو يتمتم بعبارات الشكر والإمتنان .

وقبل مضى شهر على هذا الحادث كنت قد تبادلت الحديث معه نحو خمس مرات أو ست ، ولكنه كان حديثاً عادياً مألوفاً لا يقدم ولا يؤخر . وفى ذات مساء كنت أمر بجوار منزله فشاهدته جالساً فى الشرفة يدخن غليونه بهدوء وقد أمسك فى يده صحيفة يومية كان يطالع فيها بشغف واهتمام . فلما وقع بصره على حييته برفع قبعتى ، فرد تحيتى باسماً ثم دعانى إلى الجلوس معه فقبلت دعوته عن طيب خاطر .

وقد انتهزت حينئذ هذه الفرصة التى كنت أترقبها بفروغ صبر فسألته حين استقر بنا المقام عن تاريخ حياته الذى لا أعرف عنه حتى تلك اللحظة شيئاً ! فعلمت منه حينئذ أنه سافر إلى أمريكا وأفريقيا والهند وكثير من الأقطار الأخرى . وبعد أن مرت بيننا لحظة سكوت قصيرة قال لى وهو يبتسم :

« لقد صادفت أثناء تجوالى فى تلك البلدان كثيراً من المخاطر والأهوال التى كادت تودى بحياتى فى كثير من الأوقات لولا لطف الله ورعايته ... » وهنا أطلعنى على كثير من التفصيلات العجيبة الخاصة بصيد فرس البحر ، والفهود ، والفيلة ، والنوريلا وغيرها . فقلت له وأنا أعجب بغزارة علمه ، وسعة إطلاعه : « إن هذه الحيوانات وحشية ومخيفة للغاية » .

فأجابنى محدثى وهو يبتسم بهدوء : « نعم هذه الحيوانات وحشية ومخيفة كما تقول ، ولكن هنالك بين البشر من هم أكثر وحشية وأشد شراسة وفتكا منها ! » وتطرق الحديث بنا بعد ذلك إلى التكلم عن أنواع بنادق الصيد المختلفة . ثم دعانى بعد أن فرغنا من هذا الحديث إلى مشاهدة مجموعة البنادق والأسلحة التى كان يحتفظ بها فى إحدى الغرف الخلفية للمنزل . واسترعى نظرى فى هذه الغرفة التى أدخلنى فيها شىء غريب معلق على الحائط ، وكان هذا الشىء موضوعاً داخل جراب من القطيفة السميكة الحمراء . فلما اقتربت من هذا الشىء لأتبينه عن قرب وجدته يداً بشرية كبيرة الحجم ! وكانت هذه اليد المقطوعة جافة سوداء ذات أظافر طويلة مصفرة اللون ، وعليها آثار دماء متجمدة سوداء قديمة العهد . وكأن يلوح لى على هذه اليد أنها قطعت بمهارة فائقة عند اتصال أعلى الذراع بالكتف بآلة صلبة حادة .

ومما استرعى انتباهى أكثر من أى شىء آخر أننى رأيت حول معصم هذه اليد سلسلة حديدية متينة مشدودة إلى حلقة مثبتة فى الحائط بدقة عجيبة ، بحيث لا يقوى على انتزاعها من مكانها أقوى الرجال عضلا وأشدهم بأساً !

فلما رآنى السير جون رويل أحدق بدهشة وذهول فى تلك اليد البشرية البشعة المنظر تلاشت الابتسامة التى كانت مرتسمة على شفتيه منذ لحظة وقال : « إن هذه اليد التى تراها معلقة على الحائط أمامك هى يد ألد عدو لى على ظهر البسيطة ، وهو رجل زنجى من أهالى أمريكا الجنوبية ، وقد قطعت يده هذه بفأس كبيرة حادة النصل بعد أن قتلته شر قتلة ، ثم نزعت عنها جلدها الخارجى وجففتها فى الشمس مدة أسبوع كامل واحتفظت بها بعد ذلك داخل هذا الجراب الذى تراها موضوعة فيه » وكانت أصابع هذه اليد اللعينة طويلة ملتصقا بعضها ببعض بقطعة كبيرة

من القماش الأبيض المتين . وقلت للسير جون رويل وأنا أشيح بوجهي عن هذه اليد التي كان يدل قطعها على منتهى الوحشية والقسوة : « أظن أن عدوك هـذا كان قوياً كبير الجسم ؟ » فأجاب الانجليزي ببرود وجمود : « نعم ! لقد كان ضخماً قوياً في الواقع، ولـكنني كنت في ذلك الوقت أقوى وأشد بأساً منه ، وقد ربطت يده في تلك السلسلة الحديدية المتينة حتى لا تحاول الإفلات منها ! » وظننت حينئذ أنه قال العبارة الأخيرة على سبيل الدعابة والتفكه فقلت : « ولـكن هذه اليد لا يمكنها الإفلات بطبيعة الحال ، ولا سيما بعد أن فصلت عن جسم صاحبها الذي قتلته شر قتلة كما قلت ؟ » فأجاب السير جون رويل وهو عابس الوجه ، مقطب الجبين : « لقد أخطأت القول ياصاحبي ، فقد حاولت هذه اليد الإفلات فعلا عدة مرات ، ولهذا لم أجد بداً من ربطها في هذه السلسلة القوية ! » فنظرت إليه حينئذ نظرة غريبة متشككة وظننت أن به مساً من الجنون ، ولـكن جمود وجهه وصرامة هيئته كانا يدلان على أنه جاد في قوله ، صادق في زعمه . ولما سألته عن سبب قتله لهـذا الرجل انقلبت سحنته واكفهر وجهه ثم هز رأسه متأسفاً وقال : « هـذا يا صاحبي سري الخاص الذي أحتفظ به لنفسي ولا يمكنني أن أبوح به لأي مخلوق ... » وتبين لي وقتئذ أن السير جون رويل كان لا يزال يعيش في رعب دائم ، وهلع مستمر من هذه اليد البشرية المقطوعة الـكئيبة المنظر .

وبعد أن فرغت من التفرج على معروضات الغرفة استأذنت منه في الإنصراف فأذن لي بعد أن أخذ مني وعداً بزيارته كلما سمح لي وقتي بذلك . وقد بررت بوعدي اياه فترددت على منزله عدة مرات ثم انقطعت فجأة عن زيارته لأسباب هامة شغلتني عنه . ولاحظت في هذا الوقت أن الأراجيف التي كان يروجها الناس عن السير جون رويل بدأت تخف حدتها ، وتقل وطأتها شيئاً فشيئاً حتى تلاشت نهائياً في آخر الأمر . وفي صباح ذات يوم أيقظني خادمي من نومي وأخبرني أن السير جون رويل وجد مقتولا في منزله حوالي الساعة السابعة صباحاً ؛ وهي الساعة التي اعتاد خادمه الفرنسي أن يوقظه فيها من نومه . ولم تمض نصف ساعة على أثر سماعي هذا النبأ السيء حتى كنت في منزل القتيل ومعي اثنان من مفتشي البوليس . وهنالك وجدت خادم السير جون رويل واقفاً على باب المنزل في انتظاري . وكان يبكي بحرقة وحرارة ويبدو على وجهه آثار الحزن العميق والألم الدفين . وجال بفكري أولا أنه مرتكب هذه الجريمة دون غيره . ولـكنني لم ألبث أن نفيت عني هذا الخاطر بعد أن اتضح لي فيما بعد براءته مما نسب إليه . ولما فحصت جثة السير جون رويل التي كانت ملقاة على ظهرها وسط غرفة نومه وجدت سترته ممزقة شر ممزق ، وكان أحد أكمامها منزوعاً من مكانه بشدة ، فاستنتجت من ذلك أنه قد حدثت مشادة عنيفة بينه وبين القاتل . واتضح لي أيضاً بعد أن كشفت على جثته أنه مات مخنوقاً ، لأن لون بشرته كان يميل إلى الزرقة الداكنة الضاربة إلى السواد . وكان يلوح على وجهه الجامد الصارم التقاطيع آثار رعب هائل وفزع شديد . وقد لاحظت أن أسنانه كانت مطبقة بشدة على شيء غريب لم أتبينه في بادىء الأمر . وكان في أسفل عنقه خمس ثقوب صغيرة بارزة بحجم أصابع اليد . وطبيعي أن هذه الثقوب قد نشأت من غرز أصابع يد قوية شديدة الصلابة . ولما وصل الطبيب الشرعي الذي قدم على أثرنا مباشرة ، وفحص بصمات الأصابع الموجـودة على عنق القتيل التفت نحوي وقال : « لقد نشأت هذه الثقوب التي تراها واضحة في أسفل العنق من تأثير ضغط يد بشرية قوية ، وهي في الغالب يد هيكل بشري أكثر منها يد إنسان حي ! » فسرت في جسدي رعدة قوية عندما سمعت منـه ذلك ، وانتقل تفـكيري بسرعة إلى تلك اليد المشئومة التي رأيتهـا في الغرفة الخلفية لمنزل السير جون رويل .

ولم تمض على ذلك برهة حتى كنت داخل هذه الغرفة ، فلم أجد هذه اليد في مكانها من الحائط ! فدهشت لذلك دهشة عظيمة وحيرت في تفسير هذا الأمر الغريب الذي لم يسبق أن صادفت مثله في حيـاتي الحافلة بالمهالك والمجازفات ! ومما زاد في دهشتي وحيرتي أنني وجدت السلسلة التي كانت هذه اليد مشدودة إليها ، مفـككة الأجزاء ، مقطعة الأوصـال ، وملقاة على الأرض بلا عناية ! ...

ولما عدت أدراجي إلى الغرفة الموجودة بها جثة السير جون رويل ، انحنيت فوق جسمه المـمدود على الأرض ثم فتحت فمه بأقصى قوتي وانتزعت الشيء الغريب الذي كان مطبقاً عليه بين أسنانه فوجدته لعظم دهشتي أحد أصابع اليد المقطوعة المختفية ! ولم يؤد البحث الذي قمت به في ذلك الوقت في سبيل العثور على

تلك اليد إلى أى نتيجة ، وذهبت جهودى ومتاعبى كلها أدراج الرياح ! وعلمت من خادم القتيل عند استجوابى له ، أن جميع أبواب ونوافذ المنزل كانت محكمة الإغلاق فى الليلة التى ارتكبت فيها هذه الجريمة ، ولم يسمع الخادم نباح الكلاب التى كان يطلقها السير جون رويل فى حديقة منزله كل ليلة مما يدل على أن أحداً غريباً لم يدخل المنزل من الخارج ! كما أنه صرح لى ضمن أقواله التى أدلى بها إلى أن سيده كان يبدو قلقاً مشتت الفكر فى الشهر السابق لوفاته ، وأنه تسلم فى أخريات أيامه رسائل كثيرة كان لا يلبث أن يلقى بها طعمة للنيران بمجرد قراءته لها ! وقال أيضاً إنه كثيرا ما رآه ممسكا فى يده بهراوة ثقيلة ؛ وقد تجلى فى عينيه الرهيبتين بريق الشراسة والغضب ، ثم يهوى بها بشدة وعنف على تلك اليد المقطوعة التى كانت معلقة على الحائط ، والتى اختفت من مكانها فجأة فى ليلة مصرعه ! وزاد الخادم على ما تقدم فقال : « لقد آوى سيده إلى فراشه متأخراً فى تلك الليلة المشئومة على غير عادته ، وأوصد عليه باب غرفته من الداخل . وقد اعتاد أن يضع مسدسه الكبير تحت وسادته بعد أن يحشوه بالرصاص ، ولكنه نسى لسبب ما أن يضعه فى تلك الليلة فى مكانه المعهود ... » .

وسكت الخادم هنيهة ليسترد أنفاسه اللاهثة ثم تابع حديثه لى فقال : « وكثيراً ما كنت أسمعه يخاطب نفسه أثناء نومه بصوت عال مسموع كما لو كان يشاجر إنساناً موجوداً معه بالغرفة ! ولكنى لم أسمع له صوتاً فى تلك الليلة التى قتل فيها ، ولم أكتشف مصرعه إلا عند دخولى غرفته فى الصباح بعد أن دفعت الباب بكل قوتى حين لم أسمع من الداخل رداً على ندائاتى المتكررة . ولا يمكننى أن أتهم أحداً ، أو أشتبه فى أحد ، لأننى لا أعرف له أعداء على الإطلاق ، فضلا عن أنه كان قليل الاختلاط بالناس » .

ولما فرغ الخادم من الإدلاء بأقواله غادرت منزل القتيل ثم ذهبت إلى حاكم المدينة وأطلعته على كل التفاصيل التى عرفتها عن هذه القضية الغامضة . وعلى الرغم من التحريات الدقيقة التى قام بها مفتشو البوليس فى المدينة — وأنا معهم — فإنهم لم يتمكنوا من الوصول إلى معرفة القاتل الذى لم يترك وراءه أثراً على الإطلاق ولم يعثروا طوال مدة بحثهم على أى أثر — ولو بسيطا — يستدل به عليه ! ومن غريب ما حدث بعد ذلك أن أحد رجال الشرطة السريين أحضر إلى فى الشهر التالى لوقوع هذه الجريمة تلك اليد المقطوعة التى اختفت فى ليلة مصرع السير جون رويل ، وأخبرنى أنه عثر عليها بطريق المصادفة على مقربة من قبر القتيل نفسه ! فلما اختبرت هذه اليد وفحصتها بعناية ودقة بالغتين ، وجدت أحد أصابعها ناقصاً ! فتذكرت على الفور ذلك الإصبع الذى كان السير جون رويل مطبقاً عليه بين أسنانه . وبمطابقة هذا الإصبع الذى احتفظت به معى بعد وقوع الجريمة بباقى أصابع اليد ، وجدته يطابقها تمام المطابقة !

وبعد أن سكت المسيو برمتير سكتة قصيرة حول وجهه نحو مستمعيه ليرى تأثير قصته فى نفوسهم ثم استطرد فى حديثه فقال :

— هذه هى تفاصيل القضية الغريبة ، وهى مع الأسف الشديد كل ما أعرفه عنها حتى يومنا هذا .

وهنا سألته إحدى السيدات وهى تجفف بمنديلها قطرات العرق الذى أخذ يتجمع فوق جبينها فقالت :

— ولكن حل هذه الجريمة لم يزل غامضاً لنا ياسيدى إلى الآن ؟

فابتسم المسيو برمتير إبتسامة مقتضبة وأجابها بقوله :

— إن الذى أمكننى أن أستنتجه من خلال الحوادث والملابسات التى مرت بهذه القضية الغامضة ، هو أن صاحب هذه اليد المقطوعة لم يمت كما توهم السير جون رويل . والظاهر أنه تتبعه فى كل رحلة من رحلاته ، واقتفى أثره فى كل مكان ذهب إليه ، حتى استقر به المقام مدينة أجاكسيو . وهنالك أمكنه أن يقتله فى منزله بيده الأخرى الصحيحة شر قتلة بعد أن نشبت بينهما تلك المعركة العنيفة التى أدت إلى مصرع السير جون رويل فى النهاية . ويلوح لى أن المجرم انتزع اليد المقطوعة من مكانها بعد أن فرغ من ارتكاب جريمته ، وغرز أصابعه فى عنق القتيل تشفياً وانتقاماً منه ثم أخذها معه وفر هارباً . فلما دفن السير جون رويل ذهب هذا المجرم الجرىء إلى مقبرته ووضع هذه اليد بجوارها ، ليوهم الناس أنها هى التى قتلته من ناحية ، وليضلل رجال البوليس من ناحية أخرى ! فإذا كان استنتاجى هذا صحيحا فلا شك أن القاتل قد نجح فى تحقيق فكرته الشيطانية كل النجاح ، ووفق فى الإنتقام من السير جون رويل كل التوفيق . أما الطريقة التى دخل بها المجرم إلى منزل عدوه ثم خرج منه على الرغم من أن النوافذ والأبواب كانت موصدة كما ذكر الخادم فى روايته ، فهذا ما لم أجد له حلا ولم أتوصل إلى معرفته للآن !

محمد عبد اللطيف حسن

محكمة عابدين الجزئية الوطنية

إعلان بيع عقار

نشرة أولى فى القضية ١٩٤٧ سنة ١٩٤٤ بيع

إنه فى يوم الأربعاء ٩ يناير سنة ١٩٤٦ من الساعة ٨ و٣٠ أفرنكى صباحا بسراى محكمة عابدين بشارع رشدى باشا قسم عابدين سيباع بطريق المزاد العلنى العقار الآتى بيانه بعد ملك ورثة المرحوم متولى ابراهيم عبد الواحد وهم —

١ — محمد متولى ابراهيم عبد الواحد القيم بالمنزل ن ٢٠ بعطفة المكتب بشارع الشيخ ريحان قسم عابدين .

٢ — الست فاطمة متولى ابراهيم عبد الواحد المقيمة مع الأول .

٣ — الست لبيبة متولى ابراهيم عبد الواحد بحارة الطاحونة ن ٧ بالبلاقسة قسم عابدين .

٤ — الست نجية متولى ابراهيم عبد الواحد بكفر الطماعين بزقاق المغربلين ن ١١ قسم الجمالية .

٥ — حنفى متولى ابراهيم عبد الواحد بحارة نافع ن ٧ بالبغالة قسم السيدة .

وذلك نفاذاً لحكم نزع الملكية الصادر من محكمة عابدين الوطنية بتاريخ ٢٥ أبريل سنة ١٩٤٥ فى القضية رقم ٢٨٦ سنة ١٩٤٤ ومسجل بمحكمة مصر الكلية الوطنية بتاريخ ٢٨ أبريل سنة ١٩٤٥ تحت رقم ٢٨٦ سنة ١٩٤٥ وفاءاً لمبلغ ٢٦ جنيه و٤٥٢ مليم ستة وعشرون جنيها وأربعمائة إثنين وخمسين مليما بخلاف المصاريف بثمن أساسى قدره ٣٠ جنيه ثلاثون جنيها وهذا البيع كطلب حسن ابراهيم الفقى بمصر بعطفة المكتب ن ٢٠ ومحله المختار مكتب الأستاذ مصطفى أحمد العسال المحامى بشارع عدلى باشا ن ١٢ بمصر وهاك بيان العقار ٣ ط و١٩ س ثلاثة قراريط وتسعة عشر سهماً على الشيوع فى كامل أرض وبناء المنزلين رقم ١٨ ألف ورقم ٢٠ الكائنين بعطفة المكتب الشيخ ريحان تبع قسم عابدين محافظة مصر شياخة الشيخ ريحان . والمنزل رقم ١٨ ألف على عطفة المكتب شياخة الشيخ ريحان قسم عابدين محافظة مصر ومحدود بحدود أربع الحد البحرى المنزل ن ٢٠ على عطفة المكتب بطول ٧ متر والحد الشرقى عطفة المكتب بطول ٧ متر والحد الشرقى عطفة المكتب وبها الواجهة والباب بطول ٩ متر ٥٦ س والحد القبلى المنزل ن١٨ على عطفة المكتب ملك ورثة الشيخ إسماعيل الحمامى وطوله ٧ متر و١ س والحد الغربى المنزل ن ١٣ ومحلة مسطح هذا المنزل ٦٦ متر و٥٠ س على عطفة التل ملك أحمد أفندى أدريس بطول ٩ متر و٤٤ س

والمنزل رقم ٢٠ على عطفة المكتب شياخة الشيخ ريحان قسم عابدين محافظة مصر وحدود كالآتى .

الحد البحرى المنزل ن ٢٢ على عطفة المكتب ملك إسماعيل أفندى حسن ومكون من ثلاث خطوط تبتدىء من غرب لشرق ٩ متر و٧٥ س ثم يبحر ٠ و٦٥ س ثم يشرق ٤ متر و٤٢ س والحد الشرقى عطفة المكتب وبها الواجهة والباب بطول ١٢ متر و٢٠ س والحد القبلى المنزل ن ١٨ ألف على عطفة المكتب وباقية المنزل ن ١٣ على عطفة التل ملك أحمد أفندى أدريس وطوله ١٤ متر و١١ س والحد الغربى عطفة التل بطول ١١ متر و٨٠ س وجملة مسطح هذا المنزل ١٦٧ متر و٩١ س مربع

وشروط البيع مودعة بملف القضية لمن يريد الاطلاع عليها .

فعلى راغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان المبين بعاليه .

كاتب البيوع

العدد ٦٥١ — الاثنين ٢٤ ديسمبر ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٢٥ ٥١

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 651

Lundi — 24 — 12 — 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٦٥١ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٩ محرم سنة ١٣٦٥ — ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

معرفة الطريق ...

للأستاذ عباس محمود العقاد

قد يصل المرء إلى المعرفة الجوهرية عرضاً ، وهى التى نسميها هنا بمعرفة الطريق

وقد احتاجت معرفة الطريق فى عصرنا هذا إلى شىء من الإنصاف بعد أن جار عليها الناقدون كل الجور ، وزعموا أن النظرة العرضية لا تؤدى إلى معرفة يعتد بها على الإطلاق

وفى اعتقادنا أن تاريخ المذاهب الفكرية كلها إنما هو تاريخ جور واعتدال ، أو تاريخ إجحاف وإنصاف ، أو تاريخ تجاوز للحد ورجوع إليه ، وقد يكون الرجوع إلى ما دون الحد بكثير أوقليل ، فيحتاج الفكر إلى رجعة أخرى ليستقر على الحد الصحيح

أفرط النـاس فى الإيمان بالمنطق ، ثم أفرطوا فى الإيمان بالسماع ، ثم أفرطوا فى الإيمان بالعلوم التجريبية ، ثم جمعوا بين المنطق والسماع والعلوم التجريبية فى تقديرات علم النفس الحديث ، ثم لعلهم يعودون كرة أخرى إلى حدود المنطق السليم ، ولـكن لا وراء الحدود فى هـذه المرة ولا أمام الحدود ، بل على سواء الحد الصحيح

ومن الأراجيح الفكرية التى تجاوزت الحد جيئة وذهوباً أرجوحة الكلام فى مشاهدات السائحين ، أو تعليقات الناظرين إلى الأمم من عرض الطريق ؛ فقد أنكرناها وغلونا فى إنكارها كأن النظرات العارضة لا تميز أمة من أمة ولا مدينة من مدينة ، وكأنها لا تطلب لذاتها فى بعض الأحيان للدلالة على حكم المفاجأة الأولى ، وكثيراً ما تكون المفاجأة الأولى هى المميز الواضح بين الناظرين كما تكون هى المميز الواضح بين المنظورات

كان « فيليب جويدالا » الأديب الأسبانى أصلا والإنجليزى نشأة يعبر بالقاهرة ، فسألته : أتنوى أن تكتب شيئاً عن رحلتك؟ فقال ضاحكا : لا أظن أن أيامى القصيرة فى هـذه الرحلة تكفى لتأليف الـكتب فى موضوعها . ثم قال : لعلى أنا السائح الوحيد الذى قضى فى روسيا نحو أسبوع ، ولم يخرج منها بموضوع كتاب .

ومراد الأديب بما قال أن يسخر من عجلة المؤلفين فى الحكم على الشعوب التى يعبرون بلادها ولا يطيلون المقام بين أهلها ، وهو على حق فى هذه السخرية إذا كان الموضوع الذى يتصدى له أولئك المؤلفون العابرون مما يحتاج إلى إطالة الدرس وكثرة المراجع والأسانيد ، ولـكن السخرية جائرة على أولئك المؤلفين إذا كان همهم الأكبر تسجيل ما شاهدوه وما أحسوه ووقع هذه المشاهدات

فى أذهانهم وتخيلاتهم لأول وهلة الأولى . فإننا نخسر كثيراً من حقائق المشاهدات إذا أهملنا منها الجانب الذى يفاجئنا بآثاره النفسية ، ولو تغير حكمنا عليها بعد ذلك ، لأن الآثار التى تتغير هى أيضاً صورة من صور الدلالة ، ولون من ألوان الشعور والتفكير .

خطر لى هذا الخاطر وأنا أستمع اسماً من الأسماء تغلب فيه النسبة إلى بلد من البلاد المصرية .

فرجعت بى الذاكرة إلى العهد الذى كانت النسبة الإقليمية تغلب فيه على معظم الأسماء إن لم تغلب على جميع الأسماء .

فكنا نسمع مثلا أسماء : على الجرجاوى ، وحسن الأسيوطى ، ومحمد الشرقاوى ، وأحمد الفيومى ، وحسين المنياوى ، وموسى الشندويلى ، ومحمود الدمنهورى ، وكثيراً من أشباه هذه الأسماء المنسوبة إلى الأقاليم .

ثم عبرت فترة على الديار المصرية قلت فيها الأسماء المنسوبة ، ثم أوشكت أن تزول .

ألا يدل مجرد الاستماع إلى أسماء هذين الجيلين على تاريخ الوطنية المصرية منذ خمسين أو ستين سنة ؟ ألا يفهم منه أن المصريين قد شعروا بوطن عام تنطوى فيه الأقاليم بعد أن كانت أوطانهم فى رأيهم هى تلك الأقاليم التى حجبت عنهم النظر إلى « الوطن العام » .

وتسمع بين الأسماء اسم البحيرى والشرقاوى ولا تسمع اسم الغرباوى أو الغربى منسوباً إلى إقليم الغربية ، بل ينسب الناس أبناء هذا الإقليم إلى بلادهم : كالطنطاوى والدسوقى والمحلاوى والسنطاوى ، وغيرها من المنسوبات إلى بلاد الغربية وقراها .

فهل من العجلة أن يفهم من ذلك أن التقسيمات الإدارية لم تكن مما يحفل به المصريون فى عهدهم الغابر ، وإن أسماء الحكومة غير أسماء الشعب فى لغة الجماهير ؟ ألا يلاحظ من هذا أن الموقع هو المقصود من نسبة البحيرى والشرقاوى وليس هو الاسم المصطلح عليه فى دفاتر الحكومة عند تقسيم المديريات ؟

ويحضرنى لهذه المناسبة ما لاحظته على الأسماء العربية فى بلاد السودان

ففى هذه البلاد يكثر اسم : أبو بكر وعمر وعثمان ، ويوجد اسم مروان والزبير ومعاوية وشرحبيل ، ويقل اسم على وحسن وحسين وجعفر وزين العابدين ، ويحدث ذلك الآن غير متعمد وغير ملحوظ ، ولكنه فى بداية أمره كان متعمداً ولا شك لكثرة المهاجرين إلى السودان من الأمويين بعد زوال الدولة الأموية ، وكثرة المهاجرين إليه من العباسيين بعد ظهور الفاطميين.

أما فى مصر حيث أقام الفاطميون زمناً طويلا ، فليس أشيع بين الأسماء العربية الإسلامية من اسم الحسن والحسين وعلى وسائر الأسماء العلوية ، وقس على ذلك أسماء المسلمين فى إيران وبعض الأقاليم العراقية والهندية ؛ فإن أسماء الخلفاء فيها — ما عدا اسم على — من أندر الأسماء .

وندع الأسماء ونستمع إلى نداء الباعة ، أو ننظر إلى زفة الجهاز والشوار ، أو نقرأ بعض العناوين على أبواب الدكاكين والأماكن العمومية .

فماذا تفهم من « العبداللاوى شيلة جمل » ، حين ترى أن المنادى بهذا النداء السخيف يحمل فى يديه وحجره عشراً من هذا العبداللاوى الذى ينوء الجمل بواحدة منه ؟

وماذا تفهم من اللحاف الذى يحمل وحده على مركبة ، أو الكراسى القليلة التى تحمل على مركبة أخرى حين تعلم أن البيت كله ينقل بعد ذلك على مركبة واحدة تتسع لحمولة عشر مركبات من هذا القبيل ؟

ألا تفهم من هذا وذاك ولعاً بالمظاهر الكاذبة يبلغ حد الجنون؟ ألا يصدق وصف الجنون على هذا الولع ، لأنه يطلب المظهر ، ولو لم ينخدع به أحد من الناس ؟

إن الولع بالمظهر الخادع فيه بعض العقل أو بعض الذكاء . أما الولع بالمظهر الذى لا يخدع أحداً ولا يخطر على بال الآدمى أنه قابل للخديعة والانخداع ، فأصدق ما يوصف به أنه ضرب من الجنون ، وأنه يدل على نقص فى إدراك الحقائق وتصورها ، لا يستقيم عليه حال .

وليس فى وسعنا أن نعيد هنا أسماء الأماكن العامة أو عناوين

المدكاكين كما نقرأها ويقرأها من يشاء ، لأننا نمس بها أناساً من الأحياء لا نعني ذواتهم بما نقول ، فنكتفي من ذكرها بالإشارة إلى مرادفها ، أو ما يدل على مثل معناها ومثل ما تشتمل عليه من المتناقضات والأعاجيب

فما ذا تفهم إذا عبرت الطريق فرأيت مدرسة للبنات تدعى مدرسة الانشراح ، وحانة تدعى حانة الحكمة ؟ وما ذا تفهم إذا قرأت « جزار الخيرات » وحانوت السلامة ؟

أمثال هذه العناوين تدل على كثير ، وهي على هذا لا تحتاج إلى أكثر من لفتة في طريق .

وإذا نزلت بمدينة إسلامية في شهر رمضان فلم تر مسلماً واحداً يحمل سيجارة يدخنها ، ورأيت في كل شارع مشهود خمس حانات ، فما ذا تفهم من حقيقة الإيمان وحقيقة الأخلاق ونصيبها من الصدق والصراحة في تلك المدينة ؟ وما ذا تفهم إذا مررت فيها بمائة مسجد ولم تجد فيها جميعاً ما يملأ عشرة مساجد ؟

إنك لتفهم من هذه النظرات العرضية ما يستحق أن يفهم على الأقل وأن يلاحظ وأن يتجاوز الملاحظة إلى التسجيل .

فإذا كان هذا الفهم مما يتغير بعد النظرة الأولى ، فذلك من دواعي الحرص عليه لا من دواعي إهماله وصرف النظر عنه ، كما يحرص على كل ملاحظة إنسانية يخاف عليها الزوال السريع .

لقد ظلمنا « معرفة الطريق » ، وأفرطنا في الأنحاء عليها ، فوجب أن نعود بها إلى حد من القصد والإنصاف ، لأننا محتاجون إلى سرعة الملاحظة ، ومحتاجون إلى سرعة الاستدلال ، ومحتاجون إلى تسجيل الأطوار المتعاقبة للحقيقة الواحدة في حالة المفاجأة وحالة الروية والمراجعة .

أما إذا قيل إن هذه المعرفة التي تسميها بمعرفة الطريق قد تسمعنا ما لا يستحق السماع وتسجل لنا ما لا يستحق التسجيل فالخطب هنا يسير وموضع الفصل فيه غير بعيد ، لأننا خلقاء أن نذكر دائماً أن النظر الذي لا يرى من النظرة الأولى ما يستحق أن يقال : لن ينفعنا بشيء ذي بال بعد التمحيص الطويل والتنقيب الكثير .

عباس محمود العقاد

من التاريخ الإسلامي :

عشية وضحاها

للأستاذ على الطنطاوى

هبطت ليلة الثلاثاء (١٥ رجب ٤٨٤ هـ) على قصر الملك الشاعر، وهو لا يزال على العهد به مُذْ عشرين عاماً، سابحا فى النور، رافلا فى حلل النعيم، ولا يزال أهله سادرين فى أفراحهم، واثقين بدهرهم، مطمئنين إلى سعدهم، ولم يخفهم ما رأوا البارحة من طلائع الفاجعة ونذرها، إذ أطبقت سحبها سوداً متراكبات ترتجس بالرعد، وتنبجس بالبرد، وتعزف رياحها الهوج العاتيات... لأنهم كانوا على يقين من زوالها، وكانوا يرجون من بعدها صباحا طلقاً، ضاحك الطلعة ساجع الطير مزهر الروض.

كذلك عودتهم الأيام حين غمرتهم بنعمها، وأفاضت عليهم متعها، ولم تمسك عنهم خيراً يطمع فيه عاشق ولا شاعر ولا ماجد شريف. وكان للملك من نفسه الكبيرة جيش إذا افتقد الجيش، وكان عظيم الثقة بها والاعتماد بعد الله عليها، وكان فذاً قد جملته خلائقه وما ورثه الجدود، بطلا فى الأبطال، فلم تنل من حماسته هذه الأحداث التى كرّت عليه فجأة بعد ماطال أنسه بالدعة، وبعد ما نام عنه الدهر فطالت نومته، وأضفى عليه ثوب السعادة فامتدت سعادته.

وكان قد نزل به فى يومه ما لو نزل بملك غيره لطارت نفسه شعاعاً، لخار وسُقط فى يده فلم يعرف له مضطرباً. أو انصدع قلبه وانخلع فؤاده فخضع واستسلم، ولكن المعتمد بن عباد لم يكن ليذل ولا ليجزع، بل احتمل هذه الشدائد صابراً عليها، معداً العدة لدفعها.

لقد تجمعت عليه فى يومه بلايا ثلاث كانت كالحلقات فى سلسلة أسره: انقلب عليه حليفه القوى أمير المسلمين ابن تاشفين الذى أعانه على حرب الأسبان، وجاءته الأخبار عنه أنه قطع المجاز[1] أمس بالخميس العرمرم لم يعده هذه المرة للأسبان، ولم يسقه ليذودهم به عن الوطن الإسلامى، وإنما أعده لحرب ابن عباد، وساقه عليه ليزيله به عن عرشه، ويقتلعه من كرسيه. ولقد أذكى ابن تاشفين حمية جنده، بأن أراهم فى هذا الزحف قربة إلى الله، وأنه فى سبيله، وأنه ما أراد به إلا عز الإسلام بحطم هذه العروش الصغيرة، وهذه الممالك المزوّرة:

ألقاب مملكة فى غير موضعها ... كالهر يحكى انتفاخا صولة الأسد

فقد أطمع هذا التفرق العدو حتى أقدم على هذه الدويلات، فذلت له كلها وخضعت، ورضخت له بالأتاوة[1]، وكان الأعداء هم يؤدونها عن يد وهم صاغرون، وما ينبغى للمسلمين إلا دولة واحدة عليها أمير واحد، وما جزيرة (الأندلس) إلا ولاية فى دولة المسلمين...

بذلك أضرم أمير المسلمين الحماسة فى صدور قواده وجنده من البربر، فأقبلوا يطوون المراحل شوقاً إلى حرب هذا الذى فرق جماعة المسلمين وأطمع العدو فيهم، (المعتمد) الذى كان بالأمس الدانى صديقهم وحليفهم وكان مُضيفَهم، وكانوا يتغنون بما رأوا من عجيب الكرم وما أوتيه من بارع الخلال.

ثم إن هؤلاء الأجناد الذين كان بعث بهم أمير المسلمين ليكونوا فى ثغور الأندلس جنداً للمعتمد وعوناً له على عدوه وعدو الإسلام: الأسبان، واختارهم — لغرض يريده — من فرسان المرابطين، وأهل الشدة والنجدة فيهم، هؤلاء الفرسان قد تركوا بالأمس ثغورهم لما بلغهم زحف أميرهم، وأقبلوا على حرب الملك العربى النبيل يؤثرونها على مواقعة الأسبان، ومروا يقتحمون فى طريقهم الأرباض والقرى، يأخذونها أخذ الفجاءة، ويدعسون[2] مآثر العمران ويخطمون الجنان، وجابوا فى هذه الكرة الجائرة أودية كانت تميس بغلائل الربيع، وربُا حالية بالزهر، وضياعاً عامرة ممرعة، فتركوها من ورائهم قاعاً صفصفاً وخلوها بلاقع، فكأنما مرت عليها ريح سموم محرقة لا تبقى ولا تذر!

وكانت ثالثة الأثافى، هذه الثورة التى قدح زنادها، ونفخ فيها دعاة الخصم المغير ومن شرى ضمائرهم بماله، فكادت تجعل

---

(١) مضيق جبل طارق.

(١) هذا هو معنى رضخ لا كما تستعمل اليوم.

(٢) الدعس الوطء الشديد وهو من العامى الفصيح، وبعض المصفيين عندنا (يتفاصون ...) فيكتبون دهست السيارة ... بالهاء يظنه اللحن!

على المتمد ، إشبيلية دارة ملكه ناراً ، ولكن الله أمكنه منها فأطفأها قبل أن تضرى ، وحكمه فى مجرميها ، فأبى له نبل محتده ، وكرم طبعه ، إلا العفو عنهم عفو القادر المتمكن ، وحباءهم حباء الجواد المحسن !

* * *

لم يحفل الملك وقطان قصره هذه الرزايا ، وعادوا منها بما عودتهم الأيام من غلبة الجد وتمام السعد ، وظنوها فى جنب ما ألفوا من الخفض وعرفوا من اللين ، كالخال الأسود فى وجه الغانية الغيداء ، لا يجيء ليسوده ولكن ليتم جمال بياضه . والحدر يعرف الصحيح قيمة صحته ، وسحابة الصيف لا تغيم حتى تنقشع ...

وأوى الملك إلى سريره بعد ما صرم أكثر ليله يعدّ قوته ويقيم مَسَالحه ، وكان يؤنسه أن يستمع فى هدأة الليل إلى هذا الهتاف البعيد ، وإلى صليل الأبواق ، وهزيم الطبول ، وهو يطرز حواشى السكون فى هذا الليل الساجى، إنهم جنده الذين خاضوا معه لجج القتال المر ، وشاركوه جنى النصر الحلو ، على أبواب قرطبة دار الصيد الأعزة من بنى أمية يوم فتحت له أبواب قرطبة ، وفى (الزلاقة) يوم ساق (الأذفونش) فيالقه وجيوشه ، ليمحو بزعمه الإسلام من الأندلس فمحى جيشه ، ولولا المعتمد وجنده ما هزم الأذفونش ، ولكان المرابطون هم أصحاب الهزيمة يوم الزلاقة ...

وأغفى الملك وهو يداعب ذكرى ذلك الظفر ، ويطوى سمعه على ضجيج جيشه الذى يحبه ويعتز به ، ويود لو أن هذا الجيش قصر عزمه وبأسه على قتال الأسبان، ولم يسيء إلى البطولة بحربه الأخوان المسلمين ... ورأى الملك فى منامه كأن هذا النشيد المدوى الذى نام عليه قد قوى واستفاض حتى رجّمت أصلاد إشبيلية صليله وعزيفه ، وعظم إرعاد تلك الطبول حتى أوشك أن يهز سريره بين جدران قصره ، وخالطه صراخ وضوضاة ، ففتح عينيه وأفاق مرتجفا ، وأصاخ فسرعان ما أدرك : إنه العدو قد طرق المدينة ، إنهم فرسان البربر الذين قلبوا له ظهور المجانّ ، فتخلوا عن ثغورهم حيال الأسبان وأقبلوا عليه إقبال الذئاب الكواسر ... أولئك هم الذين كانت تؤنسه أصواتهم ، فيطوى عليها سمعه حين ينام !

* * *

وتلفت حوله فلم يجد إلا حرس القصر ، وما كان حرس القصر رجال حرب ، ولا فرسان ضراب ؛ وأحس بالخطر ، ورأى أنه قد كاد يفقد كل شيء . ولكنه لم يفقد الشرف ولا الشجاعة ولا النبل :

إن يسلب القوم العدى[1] ملكى وتسلمنى الجموع
فالقلب بين ضلوعه لم تسلم القلب الضلوع
لم أستلب شرف الطباع أيسلب الشرف الرفيع

ولا يزال سيفه فى يده ، فخرج به وما عليه إلا غلالة رقيقة ، لم يمهلوه حتى يلبس لأمته ويَدَّرع :

وبرزت ليس سوى القميص عن الحشا شيء دفوع

وأراد حرسه وأهله أن يجنبوه هذا الهلاك الأكيد ، وأن يحسّنوا له الموادعة حتى تنكسر حدة الهجوم ، وتمكن البادرة :

قالوا الخضوع سياسة فليبد منك لهم خضوع

فأبت له مروءته وحميته ، ونفس تعاف العار حتى كأنما هو الكفر يوم الروع ، أو دونه الكفر ، وأبت له ذكريات النصر ومواريث الجدود ...

وألذ من طعم الخضوع على فمى السم النقيع

أمن الموت يفرّ وقد كان يتعشقه ويطلبه ويسعى إليه ، ولا يفكر إذا خرج للقائه فى أهل ولا ولد :

ما سرت قط إلى القتال وكان من أملى الرجوع
شيم الأولى أنا منهم والأصل تتبعه الفروع

ولكنه كان يريده موتاً شريفاً نقياً، كالفتاة المكنونة فى الحجاب، لم تدنسها نظرات الإثم ولم تعلق بجمالها الريب ، وكان يهوى لقاءه فى الملحمة الحمراء ، فيلحقه فيفر منه ويتأبى عليه !.. أما هذا الموت الذى يقبل عليه فى غرفته إقبال اللص ، ويلقاه فى ضيق الدهاليز لا فى رحب الميدان ، وفى سُدْفة الليل لا فى سَفَر النهار، ويريده فى غلالة الشاعر لا فى درع البطل ، فهو لا يطلبه ولا يحبه ، بل لقد أحنقه ذلك عليه ، وملأ صدره غيظاً منه ، وكرهاً له ، حتى نذر لئن واجه الموت هذه الليلة ليقتلن الموت !

* * *

ولئن هو لم يقتل الموت ، فلقد أحيا لمملكته الحياة ، ولقد

(١) يكتب بالياء وإن كان أصله الواو لمكان الكسرة التى فى أوله — الهسان . وقد قال الشاعر هذه القطعة الدقيقة بعد أسره .

وفى نذره فرد هذه الفاشية التى اقتحمت عليه حصنه ، على حين غفلة من أهله ، كما يردّ الهزبر الذئاب عن غابه .

* * *

وضوّأ النهار أشبيلية ، وهى مقسمة الفؤاد بين فرح بالنصر ، وجزع من الخطر ، وكان جند الملك الأشاوس قد وقفوا للدفاع عنها ، لا يفتأون[1] كلما سمعوا همسة ريح ، أو هدير نهر ، أو صفير طائر ، أو نبأة خفية بين الأرض والسماء ، يثبون إلى سيوفهم ، يتطلعون أبداً إلى الطرق من فرط تشوقهم للقاء هذا الخصم المغير الذى كان بالأمس الحليف النصير ... فإذا لم يروا أحداً رجعوا إلى مسالحهم يقظين مرتقبين، وكانت الحصون حول البلد ، وفى أطراف المملكة ، محشوداً فيها الجند من كل كمىّ كأن قلبه من ثباته جلمد الصفا ، وكان فى أكبرها وأمنعها ، شبلاذئات الأسد ، وفرعا تلك الدوحة الكريمة الباسقة ، الراضى بالله والمعتدّبالله ، ولدا المعتمد ابن عباد ...

وكان عصر ذلك اليوم وأهل إشبيلية لا يزالون يتغنون بمأثرة الملك الفارس ، وقد فترت يقظة الجند حين توالى الأمان واطمأنوا إلى بُعد العدو ، فاستراحوا قليلا بعد هذه الليلة الجاهدة ؛ فى تلك الساعة صرخ النذير كما ينفخ فى الصور فتجمع العسكر المكدود على عجل ، وصدمتهم فرسان البربر من جهة البر ومن الوادى صدمة تحط الصخر من ذراه ، ولكنهم وجدوا المعتمد أثبت من الصخر، وأيقظ من الصقر، فارتدوابعد ما فعلوا بالمدينة فعل الزلزال واستراحت إشبيلية أياماً ، ثم جاء يوم الواقعة !

* * *

وفى يوم الأحد ٢٠ رجب سنة ٤٨٤ هـ ارتجت أشبيلية بأضخم جيش وطىء ثراها ، جيش أمير المسلمين ابن تاشفين ، الذى حشد له من غطارفة المرابطين كل بطل غشمشم ، يقوده ابن أخيه كبش القوم وفارسهم سير بن أبى بكر ، وجمع له فيه من قبائل البربر جنداً مقاتلة كأنهم من طول ما ألفوا الخيل قد ولدوا على ظهورها ، بعدة لهم ضخمة وعديد ، فسدوا مطلع الشمس ، وحطوا على البلد حط الجراد ، وطوقوه تطويق القيد ، وانضم إليهم فرسان الثغور ، ثم أطبقوا على ابن عباد كالسيل الأتِى الدفاع ...

(١) كذلك يكتبها الناس والقاعدة أن تكتب همزتها على واو بعدها واو الجمع .

أثار المعتمد فى نفوس جنده حميتهم وكبرياءهم ، وأنشدهم أروع أناشيد البطولة ، ولوّن لهم الموت بأجمل الألوان ، وعرض عليهم محاسين المجد وتهاويله ، فثبتوا وجاؤوا من فنون القتال بأعجبها وأشرفها ، وناضل الملك البطل حتى لم يبق مُناضل ، وضارب حتى تحطمت فى يده السيوف ، ودافع حتى استنفد آخر نقطة من القوة البشرية التى أودعها الله فيه ، ثم سقط مغسلا بدماء جراحه ، وتحطم السد فانطلق السيل ... ونفضت قصور الملك عن غيدها وكنوزها ، فعادت أطلالا ... وهوى الصرح الذى أقامه على النبل والحزم والكرم الغر الهاليل بنو عباد .

* * *

إن البطل الحق لا يستهويه الظفر حتى يستخفه ، ولا تعزه الهزيمة حتى تسحقه ، بل يتلقاها بعزم جلد وفؤاد ثابت، وكذلك فعل المعتمد فلم تذل نفسه ولم يضرع ولم يتهافت . بل تلقى قضاء الله تلقى المؤمن ... وكتب إلى ولديه يستنزلهما من حصنيهما حين قسره الغالبون فلم يجد إلا ذاك ، وكتبت السيدة الكبرى أمهما ، وكانا فى حصنين أمنع من النجم . تهاوت الحصون وهما ثابتان ... ولكن ماذا ينفع حصنان وقد باد الملك وماد العرش وساد المرابطون ... فلما أطاعا ونزلا قتل الراضى على باب حصنه ، واستصفى مال أخيه وترك على شر حال ، ثم اقتيد المعتمد وأهله مجردين من الأموال ، مقيدين بالقيود الثقال ، ليلقوا ما قدر عليهم فى صحراء المغرب .

* * *

كان إذا خرج موكب المعتمد أطلت عليه كل فتاة فى حمص[1] تختزن صورته لتزين بها أجمل رؤاها ، وأحلى أحلامها ، وتطلع إليه كل شاب ينقش رسمه على شغاف قلبه ليجعله مثالاله فى المعالى ، وملأ عينه منه كل أندلسى لأنهم كانوا يحسون أنه عزّ لهم وفخر ، وأنه حبيب إلى قلب كل أندلسى ، وإن عاد مظفراً قاموا على طريقه يرشقونه بأجمل أزهار الجنة[1] . أما اليوم فقد خرجوا بغير ورد ولا زهر . خرجوا وما أعدّوا إلا عيوناً تبكى لو استطاعت بدل الدمع دماً ، وقلوباً تفديه بحبّاتها لو كان يمكن الفداء، وجرى النهر ذلك اليوم متطامناً خافت الخرير ، لايصخب

(١) حمص المغرب هى إشبيلية وتدعى الجنة

ولا يهدر ، كأنه هو الآخر قد أحسّ بالألم :

والناس قد ملأوا العبرين واعتبروا من لؤلؤ طافيات فوق أزباد

وكانوا ساكتين قد عقدت الذهلة ألسنتهم ، وأمسكت الأحزان وسيوف المرابطين أفواههم ، حتى الأطفال لم يكن فيهم من يبكي أو يصرخ ، حتى إذا قُدمت بنات الملك الأسير يجرهن جند من البرابرة جرّ الشياه إلى المسلخ ، وقد :

حط القناع فلم تستر مخدرة ومزقت أوجه تمزيق أبراد

أوجه تزرى بالأقمار ، وأجسام ألطف من الياسمين الغض ، وأرق من شعاع البدر على البحيرة الصافية في ليلة غرام . ثم طلع الملك لا تاج على رأسه ، ولا سيف في يده ، ولا لواء يخفق على هامته ، ولا جند من حوله يفدونه بالأرواح ويبذلون دونه حرّ الدماء ؛ بل حوله جند من البربر ، وفي يديه قيود ثقال ، وماعليه إلا أطمار — تفجرت الأحزان مدامع ، وانشقت القلوب صرخات ، وتحركوا لنصرة الملك ، ولكن البربر كانوا خلالهم ومن فوقهم ومن تحتهم ...

حان الوداع فضجت كل صارخة وصارخ من مفداة ومن فادى

ووضعوا الملك في السفينة ، ومن حوله نساؤه وبناته مقرونات بالحبال ، مطرقات كاسرات الطرف تلوح قطرات دموعهن في ضياء الشمس كاللآلي :

حموا حريمهم حتى إذا غلبوا سيقوا على نسق في حبل مقتاد

ورفع الملك رأسه ونظر إلى جنده ، وانتزع من آلامه ابتسامة لاحت على شفتيه كما تلوح خيوط الشمس لحظة خلال السحاب في يوم غائم ، وحاول أن يقول فضاع صوته في عويل الناس وصخب البربر ، وأراد أن يشير بيده التي طالما هز بها أعواد منبر وطالما أشار بها إلى ظفر . فحركت إليه الكتائب السود ، وطالما أغنى بها فقيراً ، وفك أسيراً ، وأجاز شاعراً ، وفعل بها المكرمات ؛ أراد أن يشير بها فأثقلها حديد القيود ، فأحنى رأسه وأطرق و ...

سارت سفائنهم والنوح يتبعها كأنها إبل يحدو بها الحادى

***

وعاد الناس إلى بيوتهم وما يصدقون أنهم فقدوا المعتمد ابن عباد ... أفي عشية وضحاها ، يطمس كتاب كله مجد وكرم ألف في عشرين سنة ؟ ألم يعد يطلع عليهم موكب الشاعر الذي يغني للحياة أجمل أغانيها ، ولا الفارس الذي ينظم للبطولة أروع أناشيدها . إنهم لا يستطيعون أن يصدقوا ، فهرعوا (يثبتون) إلى تلك القصور التي ارتضاها لسكناه المجد ، واختارها الفن ، وأقام فيها النبل . فلما بلغوا أسوارها لاحت لهم من بعيد كأنها لا تزال عامرة بالملك الهمام . فلما اقتربوا منها لم يصافح أسماعهم صوت شاعر بنشيد ولا قائد بنداء ، ولم تأخذ أبصارهم علماً يخفق ، ولا راية ترفرف ، ثم بدت لهم الرياض وقد جف نبتها وصوّح زهرها ، والدور قد هدمت جدرانها وهدت أركانها ، وإذا القصر الذي كان يعبق بريّا القرنفل وشذا الفل تفوح منه روائح الموت ، وإذا تلك الغرف والمقاصير التي كانت تسطع فيها الأضواء فترقص أشعتها على العمَد المزخرف والأساطين المنقوشة ؛ قد محى نقشها وطمس زخرفها وعشش فيها البلى ... هنالك علموا أنها قد وقعت الواقعة وكان ما قدر الله أن يكون :

عرينة دخلتها النائبات على أسود لهم فيها وآساد

وكعبة كانت الآمال تعمرها فاليوم لا عاكف فيها ولا بادى

فمن للعفاة تعمهم جدواه ؟ من للجيران تحميهم بواتره وتحييهم عطاياه ؟ من للفرسان الغطاريف يقودهم إلى النصر حين يخفى على الدليل سبيل النصر ؟

لقد ذهب من كان لهم ... فيا مَنْ يقصد الملك الشاعر ، إنه لم يبق هنا ملك ، إنها قد خلت منه داره ، وبعد مزاره :

يا ضيف ، اقفر بيت المكرمات فخذ
في ضم رحلك واجمع فضلة الزاد

ويا مؤمل واديهم ليسكنه
خف القطين وجف الزرع في الوادى

وأنت يا فارس الخيل التي جعلت تختال في عدد منها وإعداد
ألق السلاح وخلّ المشرفي فقد
أصبحت في لهوات الضيغم العادى

***

ضلت سبيل الندى يا ابن السبيل فسر
لغير قصد فما يهديك من هادى

وجـــوب التثبت
فى المباحث العلمية قبل النقد
للأستاذ حسن أحمد الخطيب

اطلعت على كلمة فى العدد ٦٤٩ من الرسالة ، لحضرة الأستاذ الحقوق البغدادى الذى لم يشأ أن يعرب عن اسمه الكريم ، ولكنى — مع ذلك وقبل الرد عليها — أود لو يتقبل منى الأستاذ تحيتى وشكرى وثنائى عليه ، لتتبعه ما نشرته فى الرسالة الغراء ، ولأنه أتاح لى معاودة البحث مرة أخرى ، فخرجت أشد إيماناً ، وأرسخ يقيناً بصحة ما أنكره من بحثى السابق ، كما قيض لى فى كلمتى هذه ذكر بعض الكتب الفقهية ، وكتب التفسير والحديث وتسجيل المراجع العلمية الصحيحة التى اعتمدت عليها .

اعترض الأستاذ فى كلمته قضية ، ذكرتها فى محاسن التشريع الإسلامى ، على أنها دليل على مراعاة الشريعة الإسلامية المساواة فى تكاليفها وأحكامها ، كما سقت قضايا وأدلة أخرى على تلك المزية .

كذلك ذهب الملك الشاعر البطل الذى كان فى ملوكيته وفنه ونبله ، تمثالا للانسان الذى كانت تتمنى كل حامل فى الأندلس أن تلده ، وكل ناشىء متطلع إلى العلا أن يكونه .

الملك : الذى كان زمانه كله فخراً رخيًّا ناعماً ، وأيامه كلها ربيعاً بهياً باسماً

الشاعر : الذى كان شعره لحن كل قلب مدلّه بالجمال ، مفتون بالفن

البطل : الذى بنى لقومه مفاخر فى السناء ومآثر .

وكذلك ألقى الستار (بين عشية وضحاها) على ملحمة تخمة فيها أجمل مشاهد الهوى والشباب والبطولة والظفر والسماحة والكرم والشعر والطرب والغنى والترف ، ورفع عن مأساة من أفجع المآسى التى (عرضت) على مسرح هذا الكون[1] !

على الطنطاوى

(١) ولعل الله يلهم هذا القلم الضعيف حديث للمأساة ليكتبه للقراء .

والقضية التى اعترضها الحقوق فأنكرها هى : أن الربيّع بنت النضر لطمت جارية فكسرت ثنيتها ، فطلب أهل الجارية القصاص ، فأمر رسول الله به ، فجاء أخو الربيع أنس بن النضر ، وكان من خاصة الصحابة ، فقال يا رسول الله : والذى بعثك بالحق لا تكسر ثنية الربيّع ، فقال رسول الله : كتاب الله القصاص ، فلم يزل أنس يقول لرسول الله ، حتى جاء أهل الجارية راضين بدفع الأرش ، فقضى رسول الله به » .

وظاهر من سياقة هذه القصة « فى مبحث المساواة فى التكاليف والأحكام » أنها إنما سيقت هى ونظائرها للاستدلال على أن الأحكام الشرعية تطبق على جميع أفراد المسلمين بلا تمييز ، فلا تسقطها صلة بعظيم ، ولا تتبدل بشفاعة ولا وساطة من كبير أو ولى حميم ، وإن كان أنس بن النضر الذى هو من خاصة الصحابة ، وله قدم صدق فى نصرة الإسلام ، والجهاد فى سبيل إعلاء كلمته ، كما يؤخذ منها أن الحكم فى مثل هذه القضية ليس متعيناً فى القصاص إلا إذا استمسك به المجنى عليه أو ولى الدم ، أما فى حالة العفو أو الرضا بالأرش أو الدية فإنه لا يحكم بالقصاص « وسيأتى إثبات ذلك » .

بيد أن الأستاذ اعترض هذه القصة السابقة ، وأنكر حصولها وهو فى كل ما أتى به فى كلمته لم يتعد وجهين اثنين لإثبات رأيه : الأول أن القضية المذكورة (قضية الربيّع) مدسوسة فى ثنايا قضايا التشريع وهى عنه جد بعيدة .

الثانى — أن القصاص من حقوق الله ، وليس من حقوق العبد ، ورتب على ذلك نتيجتين : الأولى أنه ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسقط حقاً من حقوق الله . الثانية أن رضا المعتدى عليه بالأرش أو الدية لا يسقط القصاص عن الجانى .

ردنا على الوجه الأول

يقول الأستاذ الحقوق « إن القضية مدسوسة فى ثنايا قضايا التشريع وهى عنه جد بعيدة » ، ويكتفى بهذا النفى والإنكار ، فلا يقيم دليلا عقلياً ولا نقلياً على ما يقول ، ولا يذكر مرجعاً علمياً واحداً يوافقه على هذا الزعم ، فهو فى إنكاره هذا لا يجرى على الأسلوب العلمى ، ولا على مقتضى قوانين البحث والمناظرة ،

أما نحن فنسوق له ها هنا حديثاً صحيحاً مروياً فى أكثر أمهات كتب الحديث ، هو الذى اعتمدنا عليه فى تلخيص القضية التى قال عنها إنها مدسوسة ، والقصة التى جحد صحتها . جاء فى الجزء السابع من كتاب نيل[1] الأوطار للإمام الشوكانى ص ٢٠ :

باب القصاص فى كسر السن ، عن أنس أن الربيّع عمته كسرت ثنية جارية ، فطلبوا[2] إليها العفو ، فأبوا[3] ، فعرضوا الأرش ، فأبوا ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبوا إلا القصاص ، فأمر رسول الله بالقصاص ، فقال أنس بن النضر يا رسول الله : أتكسر ثنية الربيّع ، لا والذى بعثك بالحق لا تُكسَر ثنيتها ، فقال رسول الله : يا أنس ، كتاب الله القصاص . فرضى القوم فعفوا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره ، رواه البخارى والخمسة إلا الترمذى » ، هذا الحديث الذى رواه البخارى ، وذكر فى كثير من كتب[4] الحديث الصحيحة — هو الذى استندنا إليه فى ذكر قضية الربيع : فإذا أصرّ الأستاذ الحقوقى على أنها مدسوسة بعد هذا البيان فليتبع فى نفيها الطريقة العلمية والتدليل المقبول — إن استطاع — بأن يوجه إلى الحديث الذى رواها نقداً داخلياً موجهاً إلى متنه ، أو نقداً خارجياً موجهاً إلى رواته ، أو يذكر لنا على الأقل رأياً ، ولو لرجل واحد من أهل التعديل والتجريح يطعن فى صحته .

ردنا على الوجه الثانى

هنا كان عجبنا أشد ، فإن الذى يعرض لتقرير قاعدة شرعية ليرتب عليها أحكاماً — ينبغى أن يتثبت ويتحرى ، ويرجع إلى كتب الفقه الإسلامى ، وهى كثيرة فى مختلف المذاهب .

يقول الأستاذ : إن القصاص — كما هو معلوم — من حقوق الله وليس من حقوق العبد ، وحينئذ فليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضعه ، كما أن رضا المعتدى عليه بالأرش أو الدية لا يسقط القصاص عن الجانى .

شُدهت لهذه القاعدة ، ولما ترتب عليها من النتيجتين ، وغلب على ظنى أن الأستاذ الحقوقى يقرر القاعدة التى بنى عليها القانون الجنائى الفرنسى . وبعض القوانين الغربية ، أو أنه متأثر بها ، فأراد أن يطبقها على ما قررته الشريعة الإسلامية ، فنأى عن الحقيقة ، وأخطأه التوفيق :

فإننا إذا رجعنا إلى كتب الفقه الإسلامى ، وإلى القرآن الحكيم الذى هو الأصل الأول لتلك الشريعة ، وإلى الأحاديث الصحيحة — اتضح لنا ثبوت هاتين الحقيقتين :

الحقيقة الأولى — أن القصاص من الحقوق التى غلب فيها حق العبد — كما صرح بذلك علماء الحنفية ، وليس كما قال الأستاذ الحقوقى إنه « ليس من حقوق العبد » — جاء فى الجزء الرابع من حاشية العلامة ابن عابدين المسماة رد المحتار على الدر المختار فى فقه الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان ص ٣٢٨ من كتاب القضاء : « أن المحكوم به أربعة أقسام : حق الله المحض ، كحد الزنى أو الخمر ، وحق العبد المحض وهو ظاهر ، وما فيه الحقان وغلب فيه حق الله تعالى ، كحد القذف أو السرقة ، أو غلب فيه حق العبد كالقصاص ، والتعزير » ، نقل ذلك ابن عابدين عن الرسالة المشهورة فى فقه الحنفية المسماة الفواكه البدرية لبدر الدين محمد الشهير بابن الغرس .

الحقيقة الثانية — أن حق العفو المسقط للقصاص — فى الحالات التى يجب فيها القصاص . سواء أكان ذلك فى النفس أم فى الجراحات والأطراف — مقرر فى الشريعة الإسلامية لمن له حق القصاص سواء أكان بلا مقابل ، أم فى مقابل الدية أو الأرش ، هذا الحق ثابت بالكتاب الكريم ، وبالحديث الصحيح ، كما أنه منصوص عليه صراحة فى كتب فقهاء الإسلام :

(ا) قال الله تعالى فى سورة البقرة : « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى ، الحر بالحر ، والعبد بالعبد ، والأنثى بالأنثى ، فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ، ذلك تخفيف من ربكم ورحمة » ، فحق العفو عن القصاص ثابت بقوله جل شأنه : « فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان » قال جار الله الزمخشرى فى كتابه الكشاف عند تفسير هذه الآية « هذه توصية للمعفو عنه والعافى جميعا ، يعنى فليتبع الولى القاتل بالمعروف بألا يعنف به

---

(١) طبعة الحلبى سنة ١٣٤٧ الهجرية .
(٢) أى طلب أهل الجانية .
(٣) أى أهل المجنى عليها .
(٤) روى فى أكثرها بمعنى واحد وإن اختلفت ألفاظه اختلافا يسيرا .

ولا يطالبه إلا مطالبة جميلة ، وليؤد إليه القاتل بدل الدم أداء بإحسان بألا يمطله ولا يبخسه ، (ذلك) الحكم المذكور من العفو والدية (تخفيف من ربكم ورحمة) لأن أهل التوراة كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو وأخذ الدية ، وعلى أهل الإنجيل العفو ، وخيرت هذه الأمة « يقصد الأمة الإسلامية » بين الثلاث : القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا » اهـ ، ومثل ذلك فى سائر كتب التفسير .

(ب) ورد فى الجزء الثانى عشر[١] من فتح البارى بشرح صحيح البخارى ص ١٧٥ عن ابن عباس قال : كان فى بنى إسرائيل القصاص ، ولم تكن فيهم الدية ، فقال الله لهذه الأمة : كتب عليكم القصاص فى القتلى ، الحر بالحر الآية ، فمن عفى له من أخيه شىء ، قال ابن عباس : فالعفو أن يقبل الدية فى العمد ، قال فاتباع بالمعروف أن يطلب بمعروف ويؤدى بإحسان . وورد فى الجزء السابع[٢] من نيل الأوطار أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من قتل له قتيل فهو بخير النظرين : إما أن يفتدى وإما أن يقتل » رواه الجماعة ، لكن لفظ الترمذى : إما أن يعفو وإما أن يقتل » اهـ .

وعن أبى شريح الخزاعى[٣] قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أصيب بدم أو خبل ، والخبل الجراح ؛ فهو بالخيار بين إحدى ثلاث : إما أن يقتص ، أو يأخذ العقل[٤] ، أو يعفو ، فإن أراد رابعة فخذوا على يديه » رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه .

(حـ) أما النصوص الفقهية التى وردت فى كتب الشريعة الإسلامية فى هذا الشأن فإنها تجل عن الحصر ، منها ما جاء فى الدر المختار ورد المحتار[٥] فى كتاب الجنايات ، عند ذكر الفروق بين القصاص والحد : « يصح عفو القصاص لا الحد » ، وجاء فى موضع[٦] آخر فى مبحث الجنايات : « ويسقط القود[٧] بموت القاتل لفوات المحل ، وبعفو الأولياء ، وبصلحهم على مال ولو قليلا ، ... إلى آخره » .

وجاء فى بداية المجتهد[١] لابن رشد القرطبى فى كتاب القصاص : قال مالك لا يجب للولى إلا أن يقتص أو يعفو عن غير دية إلا أن يرضى باعطاء الدية القاتل ، وهى رواية ابن القاسم عنه . وقال الشافعى وأحمد وأبو ثور وداود وأكثر فقهاء المدينة من أصحاب مالك وغيره : ولى الدم بالخيار إن شاء اقتص ، وإن شاء أخذ الدية رضى القاتل أو لم يرض ، وروى ذلك أشهب عن مالك إلا أن المشهور عنه هى الرواية الأولى » .

أفبعد هذه النصوص الصريحة فى أن القصاص يغلب فيه حق العبد ، وأنه يسقط عن الجانى — بالعفو أو أخذ الدية — يصح أن يقال إن القصاص ليس من حقوق العبد ، وأنه ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحكم بسقوطه إذا اختار أولياء الدم أو المجنى عليه أخذ الدية أو العفو ؟ ! ! وهل يجوز أن يقال : إن رضا المعتدى عليه بالأرش أو الدية لا يسقط القصاص عن الجانى بعد ما سقناه من نصوص الكتاب والأحاديث ، وآراء علماء الفقه والتشريع الإسلامى ؟ ! !

لقد كنا ننتظر حقا من الأستاذ الحقوقى — قبل أن يعترض — أن يبحث الموضوع فى مصادره الإسلامية ، ومراجعه الفقهية ، وأن يعرف الفرق الذى لحظه فقهاء الإسلام بين القصاص والقطع فى السرقة ، فإن الأول يغلب فيه حق العبد ؛ أما الثانى وهو وجوب قطع اليد فى السرقة بعد ثبوتها ، فإنه حق الله تعالى[٢] ، ولذا لا يملك المسروق منه العفو بعد وجوب القطع ولا يورث عنه ، كما أنه لا يملك الخصومة بدعوى الحد وإثباته مجردة عن طلب المال .

هذه كلمة توخيت فيها الاعتدال والنصفة فى البحث ، والأمانة فى النقل ، لا أبتغى بها سوى إحقاق الحق ، والله الهادى إلى سواء السبيل .

حسن أحمد الخطيب

(١) المطبعة البهية المصرية سنة ١٣٤٨ الهجرية .
(٢) ص ٦ .
(٣) روى فى كتاب نيل الأوطار .
(٤) الدية .
(٥) جـ ٥ طبعة سنة ١٣١٨ هـ .
(٦) جـ ٥ صـ ٣٦٨ .
(٧) القود القصاص .

(١) الجزء الثانى ص ٣٤٥ طبعة الحلبى سنة ١٣٣٩ هـ .
(٢) الجزء الثالث من رد المحتار صـ ٢١٤ طبعة سنة ١٣١٨

العـــــزاوى

للدكتور جواد على

سيبلغ صديقى الأستاذ المحامى عباس العزاوى فى هذا العام من العمر الخامسة والخمسين ، وإذا ذكر العزاوى فى العراق ذكرت الكتب والمكتبات والمخطوطات . فالأستاذ هاوٍ معروف من هواة الكتب القديمة ومن هواة الخطوط ، وقد جمع فى بيته مجموعة ثمينة من الخطوط القديمة وهو يحدثك عنها وعن صاحبها وبائعها وكيف وصلت إليه ، وميزات الخط الفلانى وعلاقته بالخطوط الباقية حديثاً تدرك من خلاله مبلغ حب هذا العالم لكنوز الأجداد الأقدمين .

وهو لا يريد من وراء ذلك مكسباً لأنه لا يتاجر بالكتب ولا بالخطوط ولا بالمخطوطات ، وهو لا يبتغى من وراء ذلك أجراً لأنه ليس بحاجة إلى هذا الأجر . ولا هو فى حاجة إلى أحد . ثم هو لا يتبجح بمجموعته الثمينة شأن أغلب أصحاب الكتب والمكتبات والنوادر . يعرضون مايجمعونه على الناس ليقال عنهم إنهم من أصحاب التحف والنوادر والجاه العريق .

والعزاوى من أبعد الناس عن التبجح والظهور فهو لا يعاشر إلا بطانة معروفة من الأدباء هى حاشيته وخاصته وجماعته وهى تعد ؛ ولا يرافق إلا ابنه « فاضل » من مكتبه إلى مقهى « بلقيس » على شارع أبى نواس حيث يجلس قرابة ساعة ثم يعود مع ابنه إلى البيت .

وقد كان يصاحبه أخوه المرحوم المحامى « على غالب العزاوى » إلى أكثر الأماكن ، وكأن أصدقاؤهما يقولون « ما أحب الأخوة » فقد كانا مضرب الأمثال فى الأخوة حقاً ، ولكن الجناة أبوا إلا أن يفرقوا بين الأخ وأخيه فقتلوا « علياً » على قضية خسيسة من حطام الدنيا وفرقوا بين عباس وعلى .

وهو لا يباشر الآن إلا صديقاً واحداً لازمه منذ عرف الحياة وهذا الصديق هو « الكتب والعلم » ونادراً ما تراه وهو بغير كتاب . والكتاب المحبوب إليه هو « كتاب التاريخ » وأحب كتب التاريخ إليه على ما أعتقد هى كتب التاريخ النادرة ولا سيما الكتب التى تبحث عن الفترة المظلمة السوداء وهى « فترة العراق بين احتلالين » وهى فترة مجهولة موحشة تبتدئ بسقوط بغداد على أيدى الغزاة المغول وتنتهى باحتـــلال الإنكليز لبغداد عام ١٩١٧ للميلاد .

وإذا ما حدثك العزاوى عن هــذه الفترة وتبسط معك فى الموضوع وسرد لك حوادث الدويلات التركية وأسماء الأمراء الذين حكموا العراق فى هــذه المدة الطويلة من مغول وأتراك وإيرانيين فهاليك ، فأنا على يقين من أنك ستخرج وتقول : ما هذه الطلاسم والتعاويذ ، ولا بد لك من الاستعانة بقاموس أو بمفتاح يحل لك رموز هذه الشـفرة المعقدة التى لا يعرفها إلا القليل من أصحاب هذا العلم .

ولد الأستاذ عباس العزاوى فى سنة ١٣٠٨ للهجرة (١٨٩١م) فى البادية بين مضارب عشيرة العـَزَّة ، وقد قتل والده محمد الثامى وهو لا يزال بعد طفل صغير . والعزة قبيلة عربية شهيرة انتشرت فى ألوية عديدة من ألوية العراق لا سيما فى لواء ديالى . وترجع فى الأصل إلى عشائر حمير من عرب الجنوب وتنتمى إلى قبيلة « زبيد الأصغر » المنتشرة فى بلاد ما بين النهرين والتى تفرعت إلى عدة فروع ، وتنتمى العزة إلى جدها الأعلى « عزيز » وبه تسمت فقيل لها « أعزة » جمع عزيز ثم « عزة » بالتخفيف .

جىء بالعزاوى سـنة ١٣١١ للهجرة (١٨٩٤ م) إلى بغداد فاستقر فى هذه المدينة وبها نشأ وترعرع وتثقف . وأتم التحصيل الابتدائى والرشدى على عهد العثمانيين . ثم عكف على دراسة العلوم الشرعية واللسانية على الطريقة العلميـة المعروفة فى ذلك الوقت فدرس فى جامع الخلفاء ، وهو من بقايا جامع الخلفاء العباسيين على المرحوم عبـــد الرزاق الأعظمى ودرس فى نفس الوقت فى « مدرسة مرجان العلمية » وهى مدرسة أمين الدين مرجان صاحب الجامع الشهير المعروف « بجامع مرجان » والخان المعروف باسمه أيضاً ، وقد أسست هــذه المدرسة على مثال المدرسة النظامية المعروفة فى عهد العباسيين ببغداد . وكان أستاذ المدرسة المرجانية هو المرحوم الحاج على علاء الدين الألوسى وهو من أسرة الألوسيين الأسرة العلمية المعروفة ببغداد .

ودرس فى مدرسة الحيدرخانه « المدرسة الداودية » على العالم الشهير المرحوم السيد محمود شكرى الألوسى صاحب التصانيف الشهيرة فى علوم الدين واللسان . وصاحب « بلوغ الأرب فى أحوال العرب » وهو الكتاب الذى نال عليه الجائزة من المستشرقين الإسكاندنافيين .

وعرفت الأسرة الألوسية بالميل إلى الطريقة السلفية وبالأخذ بمبادئ الدين على طريقة السلف . فتأثر العزاوى على ما حدثنى به بهذه الطريقة فمال وما يزال يميل إليها . وكان المرحوم الحاج على علاء الدين الألوسى هو مرشده ودليله إليها . وكان رحمه الله يشير عليه وعلى أمثاله بأن يكونوا أحراراً فى اختيار المذهب الذى يريدونه وباتباع الطريقة التى يرون فيها صلاحهم على شرط أن يلجوا البيوت من أبوابها ، ومعنى ذلك النظر فى أقوال أصحاب المذاهب وما خلفوه رأساً ، فإذا أرادوا مذهب الشافعى فى الفقه نظروا فى كتاب « الأم » المنسوب إليه . وهكذا . وعلى هذا فإذا أرادوا الدين الصحيح فعليهم بالقرآن ففيه الهدى والفرقان وهو المرجع والأصل . وقد وجد أن طريقة السلف هى أقرب الطرق إلى نفسه وأحبها إليه فاختارها طريقة له .

وقد أجازه المرحوم الحاج على الألوسى بالإجازة العلمية فى ٦ جادى الأولى من سنة ١٣٣٨ للهجرة (١٩٢٠ م) وتتصل إجازة الألوسيين بإجازات علماء الشام ، وعلى ذلك اتصلت إجازة المترجم بسلسلة إجازات علماء الشام . ودخل بعدئذ مدرسة الحقوق وتخرج منها فى سنة ١٣٣٩ للهجرة (١٩٢١ م) ومارس المحاماة وما زال يمارسها حتى الآن .

فدراسة العزاوى إذاً دراسة علمية حقوقية وقد ساعده مسلكه العلمى على تفهم كثير من المشاكل التى تتعرض لها مهنة المحاماة . فكان يغرف من معين الفقه الإسلامى ليستفيد منه فى الفقه العراقى الحديث . وبرز فى الفقهين وامتاز على الأخص فى النواحى التى يلتقى فيها الفقه بالقانون . وتتبع نقاط الخلاف فيما بين الفقهاء ودرس مذاهب قدماء الفقهاء ، وآراءهم فى الجدل الفقهى مثل آراء ابن أبى ليلى الفقيه الشهير وابن شبرمة . واستفاد من هذه الدراسة الفقهية كثيراً .

واستفاد من حياة المحاماة كثيراً ، فباعتباره محامياً راجع المحاكم أينما كانت اضطر إلى زيارة أكثر الألوية العراقية وعلى التعرف إلى مختلف طبقات الناس ، وعلى بحث مختلف المشاكل التى تتصل بالفقه والقانون فكان ينتهز هذه الفرصة ليرضى بها ميوله العلمية . وكان يغزو الأسواق ليشترى منها النسخ الخطية ويتجسس على أصحاب المكاتب ليتعرف المخطوطات النادرة التى لا يقدرها أصحابها فيبادر هو إليها لتكون فى مكتبته الأمينة وفى بيت أمين يحافظ على هذه الودائع الثمينة .

وكانت مكتبة المرحوم السيد نعمان خير الدين الألوسى هى التى حببت إليه فكرة إنشاء خزانة علمية تكون فردوساً للكتب فصار يقتنى الكتب على نحو ما ذكرت . وصار يضيف إليها الصيد النادر من خارج بغداد . ثم لم يكتف بهذا بل دفعه هذا الهيام بالكتب إلى زيارة مكتبات الشام ثم مكتبات الآستانة ، ثم لم يكتف بكل ذلك بل طلب المزيد وهو فى العلم نهم فذهب إلى روسية فالنمسا ليستنسخ أو ليأمر بأخذ صور فتوغرافية لبعض النسخ الخطية النادرة المحتكرة فى خزانات كتب تلك البلاد .

فتجمعت على مرور الأيام فى بيت الأستاذ أوابد الكتب ومختلف المخطوطات ، ثم أضاف إلى هذا القديم شيئاً من الحديث الغض الذى يخرجه المستشرقون فى الغرب وأبناء العالم الإسلامى فى بلاد العروبة وفى بلاد الإسلام فتكونت لديه مكتبة ثمينة حرص على حياتها كل الحرص وتعهدها وما يزال يتعهدها بالتغذية والنظافة والرعاية أكثر من رعايته لنفسه ، وهى عنده بمثابة ولده « فاضل » لها نفس حقوق الولد وزيادة ، يخدمها الأب والإبن والأم . ولا أدرى منزلة هذه الكتب من قلب « أم فاضل » فقديماً كانت الكتب والمكتبات أشد وقعاً على قلوب الزوجات من « الضرائر » ولعلها هى كذلك فى نفوس السيدات المتزوجات على الرغم من ثقافة « ستات » القرن العشرين .

وأخذ العزاوى العالم يفاجئ العراق بمؤلفاته وأكثرها فى تاريخ العراق وهى مؤلفات تشهد لصاحبها بسعة العلم وطول الباع وقدرته على الصبر والأناة سلك فيها مسلك علماء الخلافة العباسية . ولست بمبالغ إذا قلت عنه إنه يمثل دور مؤرخى العباسيين فى القرن العشرين . وكتابه « العراق بين احتلالين » وهو سجل جامع لحوادث العراق ويقع فى إثنى عشر مجلداً ويشمل حوادث المغول

وتاريخ الجلائريين ثم التركمان ثم حوادث الدولة العثمانية وحروبها مع الإيرانيين فتاريخ المماليك المعروفين بالكولات ففترة ما بين على رضا باشا ومدحت باشا فأيام مدحت باشا فالمشروطية وهو كتاب ضخم مرتب على السنين ، وقد طبعت الأجزاء الثلاثة الأولى منه بين ١٩٣٥ و١٩٣٩ للميلاد ، وهو خير ترجمان عن علم الأستاذ .

وللعزاوى كتب أخرى مثل كتابه تاريخ اليزيدية وقد طبع فى سنة ١٩٣٥ وسيطبعه مرة أخرى بعد أن أضاف إليه زيادات وتنقيحات جديدة . وقد نال التفات صاحب الجلالة المغفور له الملك غازى الأول . ويسكن اليزيدية فى شمال العراق فى لواء الموصل وهم جد حريصين على ألا تتسرب عقائدهم إلى الخارج ، وعقائدهم على ما يظهر مزيج من مختلف العقائد والأديان . ومثل كتاب « عشائر العراق » وقد طبع الجزء الأول منه وكتاب تاريخ الخط العربى ، وللأستاذ ولع خاص بهذا الموضوع وعنده مجموعة ثمينة من خطوط الخطاطين .

وللمترجم به مؤلفات أخرى مثل كتاب « تاريخ الموسيقى العربية » فى عهد المغول والتركمان والعهود التالية لها . وكتاب «التعريف بالمؤرخين من تاريخ ظهور المغول إلى اليوم» . وكتاب « الكاكائية فى العراق » وهم نحلة من الغلاة وكتاب « تاريخ الفيلية» وهم من الأكراد ، وكتاب« المعاهد الخيرية فى العراق» ويبحث عن الجوامع والمدارس والتكايا ، وكتاب « الأسر العلمية فى العراق » ثم « كتاب الأجازات العلمية » .

واتصل الأستاذ أثناء بحوثه هذه بمذاهب الأدب وبالأدباء وتعرف على أدبهم وطرقهم الخاصة فى الكتابة والنظم ، وقد دفعه ذلك إلى التأليف فى الأدب فألف«تاريخ الأدب التركى فى العراق» و«تاريخ الأدب الفارسى فى العراق» و«التاريخ العلمى والأدبى» وهو كتاب يبحث فى تاريخ العلوم والأدب عند العرب .

هذه هى أسماء الكتب التى ألفها العزاوى حتى الآن ، وقد نشر بعض الكتب الخطية القديمة مثل كتاب « منتخب الدر المختار فى علماء العراق» وهو ذيل لكتاب « تاريخ ابن النجار » انتخبه التقى الفاسىّ المكىّ وقد طبعه ببغداد سنة ١٩٣٨ ، ورسالة ابن حسّول فى تفضيل الأتراك على سائر الأجناد ، وقد قدم العزاوى لها مقدمة وترجمها الأستاذ التركى محمد شرف الدين رئيس الشؤون الدينية فى الجمهورية التركية ونشرها فى مجلة « بلله تن » التركية بأنقرة ثم نشرها بصورة مفردة بالقسطنطينية .

هذا عدا ما نشره فى المجلات العراقية المختلفة وما زال ينشر فى مختلف المجلات ، وهو الآن عضو فى « نادى القلم العراقى » وهو نادى أدبى ببغداد يضم نخبة من الكتاب العراقيين رئيسه معالى الأستاذ الكبير الشاعر العربى الفحل الشيخ رضا الشبيبى رئيس مجلس النواب سابقاً ووزير المعارف فى عدة وزارات . وهو محفل يجتمع أعضاؤه بين الحين والحين فى بيت عضو من الأعضاء بالتناوب فيتسامرون ويتباحثون ويأكلون ويجمعون بين العلم والأكل ، ولذلك سماه بعضهم « نادى اللقم » على سبيل النكتة والمزاح .

وقد انتخبه أصحاب « إسلام ترك أنسكلوبيديسى » أى « دائرة المعارف الإسلامية التركية » عضواً مراسلا ، وانتخبه « المجمع العلمى العربى » بدمشق عضواً مراسلا أيضاً .

وهو الآن عضو فى «لجنة الترجمة والتأليف والنشر العراقية» الرسمية وهى لجنة عراقية حكومية رأسمالها حكومى وأعضاؤها من العراقيين المشهورين بالتتبع والبحث لغرض ترجمة الكتب الأوربية الممتازة وتشجيع التأليف وإحياء التراث العربى القديم .

وبعد ، فالمحامى عباس العزاوى من أولئك النفر الذين لا يزالون على سنة العراقيين يؤلفون ويكتبون ويقرأون . فمن واجبى أن أكتب عنه .

(بغداد) **جواد علي**

الصهيوني الأول

[مهداة إلى الأقلام النبيلة المجندة لنصرة فلسطين]

للأستاذ سعيد الأفغاني

بات العرب في مشارق الأرض ومغاربها في هم مقيم مقعد من خطر الصهيونية بفلسطين ، ومن كفر ساسة الأنجليز والأمريكان بالضمير والانسانية . ولقد حق لهم ذلك فإن في إرث غريزتهم التاريخية — من حيث لا يشعرون — علم ما تسكن الصهيونية من قوة على الشر ، وعبقرية في تهديم مثل الخير والحق وما تستتبع من شرور آخذ بعضها بحجز بعض ، وبعض هذا كاف في تبرير همهم وفزعهم .

وجميع الباحثين في تاريخ هذا الجرثوم الخبيث يردون نشأته إلى القرن الثامن عشر ، لا يرقون إلى ما قبل ذلك ؛ فما قول القارئ الكريم إذا عرف أن العرب بلوا بفتك هذا الداء منذ أربعة عشر قرناً ؟ وأن عبقريته الهدامة فعلت فيهم فعلها الخبيث وبقوا يعانون آثارها السرطانية في وحدتهم الدينية والقومية حتى يوم الناس هذا

وظاهر أني عنيت أعظم مأساتين في تاريخ المسلمين : مقتل عثمان وحرب الجمل ، وأكثر المؤرخين يوزعون التبعة بين بعض الزعماء غافلين عن روح الشر وبطل الفتنة . والقليل منهم ممن انتبه إلى عامل الحقيقي جعل له نصيبا ثانويا في تأريث الشر . أما أنا فقد خرجت من بحثي بيقين لا يعدله يقين إلى أنه كان في الفتنتين جميعا عامل أولي واحد هو هذا الصهيوني الأول ، وإليك البيان منتزعا من كتاب أعده عن (عائشة والسياسة) بعد ذكر الحوادث المعروفة .

في مأساة عثمان :

رأيت من الخير قبل أن أنتقل إلى مآتي السيدة عائشة بعد عثمان أن أنبه إلى سبب هام أعزو إليه تبعة هذه المأساة ، مأساة عثمان التي ذهبت ضحيتها وحدة المسلمين فلم يجتمعوا بعدها قط . أودع أيام عثمان مقرراً : أن ما يذكره المؤرخون من التبعات على بعض الصحابة كعلي وطلحة والزبير وعائشة . هو — بعد التمحيص — من التبعات الثانوية . أما أقوى الأسباب التي أرثت الشغب وهاجت الاضطراب وبذرت الشرور وأوقدت الفتنة ؛ فهو مؤامرة واسعة منظمة محكمة ، سهر عليها أبالسة خبيرون ، وسددوا خطاها وتعهدوها في جميع الأقطار حتى آتت ثمرها . ولم تلق هذه المؤامرة من عامة المؤرخين ما تستحق من التوضيح والإهتمام

وأنا أجزم هنا أن الأسباب التي يذكرونها كلها ، والتبعات التي يوزعونها بين من ذكرت ومن لم أذكر ... لن تقوى مجتمعة على أن تسامى هذا السبب الهام الذي أشرت إليه ؛ بل أجزم أنها جميعاً عناصر (ثانوية) لم تكن لتنتج شيئاً لولا هذا الجو الذي هيأه إبليس هذه المؤامرة عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء . وأبعد من هذا ، أني أومن أشد الإيمان بأنه لو لم يكن شيء قط من هذه المساعي التي يذكرونها ، لكان عمل ابن السوداء وحده كافياً في بلوغ النتيجة المشؤومة نفسها .

* * *

عبد الله بن سبأ يهودي من صنعاء أمه سوداء ، تظاهر بالإسلام على عهد عثمان ، ثم اندفع متنقلا في البلدان الإسلامية باذراً الضلالات والشرور في هذا المجتمع السليم . وهو رجل على غاية من الذكاء وصدق الفراسة والنظر البعيد والحيلة الواسعة ، والنفاذ إلى نفسية الجماهير ، أقطع أنه أحد أبطال جمعية سرية مخيفة غايتها تقويض الدولة الإسلامية والقضاء على الإسلام . وأكاد أظن أن هذه الجمعية تعمل (لحساب) دولة أجنبية . هي دولة الروم التي انتزع منها المسلمون لسنوات قريبة قطرين كبيرين واسمين غنيين : مصر والشام .

والغريب الذي لم أقض منه عجباً أن نشاط هذا الرجل قد اتسع لتعهد ميادين مختلفة هي الميدان الديني ، والميدان السياسي ، والميدان الحربي .

لقد أراد نسف العقيدة الإسلامية من أساسها حين اختلق للمسلمين عقيدتين غريبتين : الرجعة والوصاية . وقد حفظ لنا الطبري بعض نصوص تعاليمه ، فمنها :

« العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمداً يرجع وقد قال الله : (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد[1]) فمحمد أحق بالرجوع من عيسى، فقبل ذلك منه ووضع لهم الرجعة فذاعت في المجتمع

ثم قال لهم بعد ذلك : « إنه كان ألف نبي ، ولكل نبي

---

(١) سورة القصص ٢٨ الآية ٨٥ .

وصى ، وكان على وصى محمد ... ، ومحمد خاتم الأنبياء ، وعلى خاتم الأوصياء[1] » .

ثم انتقل خطوة بعد هذا التمهيد ؛ فجمع بين إفساد الميدان الدينى والسياسى فى إذاعة قوله : « فمن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ووثب على وصى رسول الله وتناول أمر الأمة[1] » .

ثم قال بعد ذلك لأتباعه : « إن عثمان أخذها بغير حق ، وهذا وصى رسول الله فانهضوا فى هذا الأمر فحركوه وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر[1] » . وهكذا دخلت تعاليم هذا المفسد الذكى قلوب الناس إذ تلطف لهم ؛ فجاء من الجهة التى تحن لها قلوبهم ، وتهواها أهواؤهم .

لقد طاف الأقطار العربية قطراً قطراً ، بدأ بالحجاز باثاً ضلالته ، ثم انعطف إلى الشام والشام يومئذ بيد بصير بأمره معاوية بن أبى سفيان ، الذى فطن إلى خطره فأبعده ؛ إلا أنه على حذره أصابه رشاش من إفساده . والطبرى يزعم أن ابن السوداء « لم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام فأخرجوه حتى أتى مصر[2] » .

والصحيح أنه قدر ، وزرع ، وحرك على معاوية صحابياً جليلا أذعن عامة الشاميين لأقواله حتى اضطر معاوية الداهية الحليم إلى أن يطلب من الخليفة عثمان إخراجه من الشام ، ذلك هو أبو ذر الغفارى وحادثه معروف مشهور ؛ وهذا الطبرى نفسه يتولى قص الحادث :

« لما ورد ابن السوداء الشام لقى أبا ذر فقال : « يا أبا ذر ! ألا تعجب إلى معاوية يقول : (المال مال الله ، ألا إن كل شىء لله !!) كأنه يريد أن يحتجنه دون المسلمين ويمحو اسم المسلمين ؟ فأتى أبو ذر معاوية فقال له : « ما يدعوك إلى أن تسمى مال المسلمين مال الله ؟ » قال معاوية : « يرحمك الله يا أبا ذر ، ألسنا عباد الله ، والمال مال الله ، والخلق خلقه ، والأمر أمره ؟؟ » قال أبو ذر « فلا تقله[3] » ... ثم كان ما كان من تأليب أبى ذر الأغنياء على الفقراء ، وخوف معاوية على الشام منه ومن دعوته ، ثم نفيه منها .

إنى لشديد الإعجاب بذكاء ابن السوداء وصدق فراسته ، وإحكام دراسته لنفسيات الناس ، لقد عرف الخبيث من يختار من الشام فيخدعه بالله ، ولقد وفق التوفيق كله بهذه المقالة التى فصلها على مزاج أبى ذر ، فلم يكد يلقيها حتى طار بها أبو ذر فحط على معاوية . وهذا هو فن ابن السوداء الذى أنجح مساعيه ؛ فهم جيد للناس وأمزجتهم ونفوسهم ، و (استخبارات صادقة منظمة) انتفع بها أعظم الانتفاع فى إحكام خطط الشر ، واستغلال حسن لغفلة المسلمين عن نواياه ، وخداع ماكر لهم عن دينهم وسلامة دولتهم .

لقد جنى الروم من دسائس ابن السوداء خيراً كبيراً : إذ شغل القوى الإسلامية بعضها ببعض فكسر شوكتها وشغلها عن الاندفاع فى الفتوح ، وما استتبعت بعد ذلك من شرور أخذ بعضها برقاب بعض أفظع وأشنع هولا . ولو وقع ابن السوداء هذا لإنجلترا اليوم لاستغنت به فى إفناء عدوها عن جيوش وأساطيل ومنظمات استخبارية تعج بالخبيرين الفنيين .

والظاهر أن ابن السوداء سكر بهذا الظفر الذى لم يكن يتوقعه فى الشام ، فأتى أبا الدرداء ، ففطن هذا لمكره فقال : « من أنت ؟ أظنك والله يهوديا[1] » ، ثم انصرف عنه فأتى عبادة بن الصامت ، فتعلق به عبادة وسفه إلى معاوية قائلا : « هذا والله الذى بعث عليك أبا ذر[1] » .

« كان حكيم بن جبلة رجلا لصاً ، إذا قفل الجيوش خنس عنهم ، فيسعى فى أرض فارس فيغير على أهل الذمة ويتنكر لهم ويفسد فى الأرض ويصيب ما شاء ثم يرجع . فشكاه أهل الذمة وأهل القبلة إلى عثمان ، فكتب إلى عامله عبد الله بن عامر : (أن احبسه ومن كان مثله فلا يخرجن من البصرة حتى تأنسوا منه رشداً) . فحبسه فكاد لا يستطيع أن يخرج منها[1]) .

على هذا الرجل المفسد الموتور الجرىء الناقم على عثمان ، نزل عبد الله بن سبأ لما أتى البصرة . وصار يجتمع إليه الناس ويبث إليهم تعاليمه الهدامة ومقالاته الثورية المفرقة ، بلباقة ، لا بصرح

(١) س ٣٦٨ .

(١) انظر هذه الأقوال كلها وغيرها فى تاريخ الطبرى ٣ — ٣٢٨ (مطبعة الاستقامة سنة ١٣٥٨) .

(٢) الصفحة السابقة .

(٣) الجزء نفسه س ٣٣٥

فيها بما ينم عن نواياه ، وفشا أمره وقبل الناس ما يقول وعظموه وبلغ خبره الوالى عبد الله بن عامر . فأرسل إليه فسأله «ماأنت» ؟ فأخبره : « أنه رجل من أهل الكتاب رغب فى الإسلام ورغب فى جوارك » . فقال عبد الله : « ما يبلغنى ذلك ، اخرج عنى » فخرج حتى أتى الكوفه ، فأخرج منها ، فاستقر بمصر وجعل يكاتب جماعاته فى الأمصار ويكاتبونه ويختلف الرجال بينهم[1] » .

هكذا صار ابن السوداء بماله من (استخبارات وفروع) يتسقط الناقمين واحداً واحداً : ممن ناله عقوبة أو تأديب من عامل أو خليفة ، أو ممن له طموح إلى منفعة لم يصل إليها ... فجعلهم حزبه وبطانته وألف بينهم حتى صار له فى كل بلد جماعة . فلما نظم هذه الفروع استقر بمصر بؤرة الناقمين ، وألقى إلى جماعاته فى الأقطار دستور العمل وخطة الدعاية التى تسبق الثورة ، وإليكها كما حفظها الطبرى :

« انهضوا فى هذا الأمر فحركوه ، وابدأوا بالطعن على أمرائكم ، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر » .

فبث دعاته ، وكاتب من استفسد فى الأمصار وكاتبوه ، ودعوا فى السر إلى ما عليه رأيهم ، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها فى عيوب ولاتهم ، ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك ، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون ، فيقرؤه هؤلاء فى أمصارهم وهؤلاء فى أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة (العاصمة) وأوسعوا الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يبدون ؛ فيقول أهل كل مصر : « إنا لفى عافية مما ابتلى به هؤلاء » ... إلا أهل المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فقالوا : « إنا لفى عافية مما فيه الناس[2] » .

(١) الطبرى ٣ — ٣٦٨ .

(٢) المصدر السابق ٣ — ٣٧٩ . — هذا ويعجبنى من أحد رواة الطبرى فهم جيد لفلسفة الحوادث : إنه يعزو كثرة الناقمين من الصعاليك إلى عامل اقتصادى هو ظفر أهل السابقة من المهاجرين والأنصار بالغنائم الوافرة والضياع العامرة ، وحسد الصعاليك لهم حسداً خفياً لا يظهرونه لأنه « لا حجة لهم فيه والناس عليهم ، فكان إذا لحق بهم لاحق من ناشىء أو أعرابى أو محرر استحلى كلامهم فكانوا فى زيادة والناس فى نقصان =

وأحكمت هذه الجماعة أمرها ومؤامرتها ، وأرسلت إلى الأمصار كتباً مزورة بما شاؤوا من شكوى واستنجاد بأهل الأمصار ، وتحريض لهم على الثورة والخلع ، وجعلوا هذه الكتب على لسان على وطلحة والزبير وعائشة .

لقد ملأ ابن السوداء البلاد نقمة وثورة وفساداً ، وأصبحت الأقطار كلها هشيما يابساً ينتظر شرارة واحدة كان إرسالها أهون شىء على جمعياته وأتباعه . فلما قدمها التهمت الأخضر واليابس وأراقت الدماء وسالت جموع الثائرين من أهل الأمصار المختلفة على مدينة الرسول وكان ما يعرف كل قارىء من قتل الخليفة الشهيد على حال تبكى الصخر الأصم .

وهكذا قضى هذا الصهيونى الأول على حكم (المدينة) وحكومة (الراشدين) إلى يوم الدين .

(للحديث صلة) **سعيد الأفغانى**

= حتى غلب الشر » ١ د ٣ — ٣٣٣ ومن هذه الكثرة التى نمت فى الخفاء وجد ابن السوداء وأتباعه مادة وقودهم ، فما هبت الهيعة إلى الشر حتى كانوا جميعا على استعداد للفتنة .

القضايا الكبرى في الإسلام :

قتل بنى قريظة

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

من المهم فى عصرنا أن ندرس واقعة قتل بنى قريظة درساً قضائياً ، ليعلم الناس أن ما ارتكبه بنو قريظة يدخل فى باب الخيانة العظمى للوطن ، ويندرج فى أشد أنواعها جناية ، وأعظمها جرماً ، وأن ما قضى به الإسلام من القتل فى ذلك هو ما تقضى به شرائع العالم كلها . لافرق فى ذلك بين الشرائع القديمة والحديثة ، ولا بين الشرائع السماوية والوضعية ، وأن هذا الحكم هو حكم الإسلام فى كل من يرتكب هذه الجناية ، لا فرق فى ذلك بين مسلم ويهودى ونصرانى .

كان أهل المدينة ينقسمون قبل الإسلام إلى قسمين : أولهما من العرب اليمانية الذين هاجروا من اليمن بعد حادثة سيل العرم ، وهم الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مزيقياء ، وثانيهما من اليهود ، وكانوا ثلاثة بطون : بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة . وقد لبث الأوس والخزرج مع اليهود حيناً من الدهر يحيون الأرض الموات ويزرعونها وهم فى عسر شديد ، وكان اليهود أرباب الأموال ، فحدث نزاع وشجار بينهم وبين الأوس والخزرج ، وقد انتهى ذلك بتغلب الأوس والخزرج على اليهود . ثم حدثت حروب بين الأوس والخزرج حالف فيها بنو النضير وبنو قريظة الأوس ، وحالف بنو قينقاع الخزرج ، ولم يكن اليهود فيما بينهم بأقل ظلماً وبغياً من العرب ، بل كان بنو النضير يتعززون على بنى قريظة مع أنهم كانوا فى حلف واحد ، فلم يكن بنو قريظة يساوون بنى النضير فى الحكم ، ومن ذلك أن دية القتيل من بنى قريظة كانت نصف دية القتيل من بنى النضير ، فكانت الدية من وسوق التمر لبنى النضير أربعين ومائة وسق ، وكانت لبنى قريظة سبعين وسقاً .

فلما دخل الإسلام المدينة قضى على تلك الحروب والفروق ، وسوّى فى حكمه بين أبناء ذلك الوطن ، ولم يجعل فرقاً فى حكمه بين المسلمين واليهود ، ولا بين بطون اليهود الثلاثة ، وقد شكا بنو قريظة إلى النبى صلى الله عليه وسلم ما كان بينهم وبين بنى النضير من الدماء قبل الإسلام ، فأنصفهم منهم ، وحكم بأن دم القرظى وفاء من دم النضيرى ، فكان بنو قريظة أكثر انتفاعاً بحكم المساواة الذى جاء به الاسلام ، وكان جميل الاسلام عليهم أكثر من جميله على غيرهم .

وقد جمع الاسلام بين أبناء هذا الوطن من المسلمين واليهود بمعاهدة حفظت لكل فريق منهم حقه فيه ، ولم تجعل لما بينهم من الخلاف فى الدين أثراً فى التفرقة بينهم ، وقضت على كل فريق أن يقوم بالدفاع عن الفريق الآخر إذا قصده عدو ، كما قضت عليهم جميعاً بحق الذب عن هذا الوطن إذا قصده فريق من الناس بأذى .

ولكن اليهود لم يلبثوا أن تنكروا لحق هذا الوطن عليهم ، ولجميل الاسلام الذى بدلهم من الخوف أمناً ، ومن الحرب والفوضى والاضطراب سلاماً ونظاماً واستقراراً ، فأخذوا يكيدون للمسلمين ، ويعملون على إيقاع الفتنة بين الأوس والخزرج ، ليعودوا إلى ما كانوا عليه قبل الاسلام من الحرب والخصام . ولما ضاق النبى صلى الله عليه وسلم بدسائسهم أجلى بنى قينقاع فى السنة الثانية من الهجرة ، فذهبوا إلى أذرعات بالشام ، ثم أجلى بنى النضير فى السنة الرابعة من الهجرة ، فنزل بعضهم بخيبر ، ونزل بعضهم بأذرعات .

ثم جاءت نوبة بنى قريظة فى السنة الخامسة من الهجرة ، فكان جرمها أشد ، وكانت خيانتها لذلك الوطن أعظم ، لأنها جاوزت تدبير الفتن الداخلية إلى ارتكاب الخيانة العظمى ، وهى الانضمام إلى أعداء هذا الوطن وقت مهاجمتهم له ، فلم يكتفوا بترك الواجب عليهم من الدفاع عنه مع المسلمين ، بل انقلبوا عليهم مع أعدائهم من المشركين .

فإنه فى السنة الخامسة من الهجرة ذهب جمع من بنى النضير إلى مكة فقابلوا رؤساء قريش ، وحرضوهم على قتال المسلمين ، فقالوا لهم : يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه ، وفى ذلك نزل قوله

تعالى فى الآية ٥١ من سورة النساء (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا) .

ثم جمعوا جيشاً عظيماً من العرب واليهود يبلغ أكثر من عشرة آلاف ، وقصدوا المدينة بهذا الجمع الذى لا طاقة لها به ، فلم يجد المسلمون إلا أن يحفروا حولها خندقاً ليساعدهم على الدفاع عنها ، وقد استعاروا من بنى قريظة آلات كثيرة من المساحى وغيرها ، فاستعانوا بها فى حفره .

فلما بلغ جيش المشركين واليهود المدينة وجدوا حولها هذا الخندق ، فضربوا حولها حصاراً شديداً ، وكان حيىّ بن أخطب سيد بنى النضير قد وعد قريشاً إذا أجابته أن يحمل بنى قريظة على نقض عهد المسلمين ، فطلب منه أبو سفيان بن حرب قائد جيش المشركين أن يقوم بوعده ، فذهب إلى كعب بن أسد سيد بنى قريظة وقال له : ويحك يا كعب ! جئتك بعز الدهر ، وببحر طام . جئتك بقريش على قادتها وسادتها ، حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من دومة ، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى إلى جانب أحد ، قد عاهدونى وعاقدونى على ألا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه .

فقال له كعب : جئتنى والله بذل الدهر ، وبجهام قد هراق ماءه ، فهو يرعد ويبرق ليس فيه شىء . ويحك يا حيى ، فدعنى وما أنا عليه ، فإنى لم أر من محمد إلا صدقا ووفاء .

وهذه شهادة لها قيمتها من كعب سيد بنى قريظة على أن النبى صلى الله عليه وسلم كان محافظاً على عهده مع اليهود ، ولم يحدث منه خروج عليه ؛ ولكن حيى بن أخطب لم يزل بكعب حتى حمله على نقض ذلك العهد ، بعد أن عاهده على أنه إن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن يدخل معه فى حصنه حتى يصيبه ما يصيبه .

فانضم كعب بذلك إلى أعداء وطنه ، ونسى هو وقومه جميل الإسلام عليهم ، وأنهم كانوا أذلاء فى هذا الوطن فرفعهم الإسلام وأعزهم . وقد وقع المسلمون بذلك فى أكبر محنة ، وزاد فى محنتهم أن المنافقين من الأوس والخزرج رفعوا أيضاً رءوسهم ، وأخذوا يتفلتون من صفوف القتال إلى بيوتهم بأعذار واهية ، ليفتوا فى عضد المسلمين ، ويحملوهم على الفرار مثلهم ، ولولا أن تدارك الله المسلمين بلطفه لقضت عليهم تلك الخيانة الآثمة ، وتمكن أعداؤهم من استئصالهم ، فقد قابل النبى صلى الله عليه وسلم والمخلصون من المسلمين تلك الصدمة بشجاعة فائقة ، وهدى الله بعض زعماء المشركين إلى الإسلام ، فأمره النبى صلى الله عليه وسلم أن يكتم إسلامه عنهم ، ويعمل على تفريق كلمتهم ، فعمل على ذلك حتى أوقع الخلف بينهم . وما هى إلا ليلة مظلمة أرسل الله فيها ريحاً شديدة باردة ، فجعلت تكفأ قدورهم ، وتطرح آنيتهم ، فوقع فى قلوبهم الرعب ، وأجمعوا أمرهم على الرحيل قبل أن يصبح الصباح ، ويتنبه لذلك المسلمون .

وهنالك وقع بنو قريظة فى شر ما فعلوا ، وصاروا وحدهم أمام المسلمين الذين نقضوا عهدهم ، فاجتمعوا بحصونهم وأغلقوها عليهم ، وحاصرهم المسلمون فيها خمساً وعشرين ليلة ، حتى أدركهم اليأس ، وطلبوا أن ينزلوا على ما نزل عليه بنو النضير من الجلاء بالأموال وترك السلاح ، فلم يقبل النبى صلى الله عليه وسلم ذلك منهم ، فطالبوا أن يجلوا بأنفسهم فلم يرض أيضاً ، بل قال لهم إنه لا بد من النزول والرضا بما يحكم عليهم خيراً كان أو شراً . فلما رأوا أنه لا بد لهم من النزول على حكمه فعلوا ، فأمر برجالهم فكتفوا .

ثم جاء وقت النظر فى قضيتهم ، فقام بالدفاع عنهم رجال من حلفائهم من الأوس ، وطلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم كما عامل بنى قينقاع حلفاء إخوانهم الخزرج ، فلم يمكنهم أن ينكروا جنايتهم ، ولكنهم طلبوا تخفيف الحكم عليهم ، وقد فاتهم أن جناية بنى قريظة ليست كجناية بنى قينقاع ، حتى يصح قياسهم ، ويكون الحكم فى الجنايتين واحداً .

لقد كانت جناية بنى قينقاع محاولة الدس والتفريق بين المسلمين ، فكان عقابهم أن ينفوا من بينهم اتقاء لشرهم ، أما جناية بنى قريظة فارتكاب الخيانة العظمى مع إخوانهم فى الوطن ، بالانضمام إلى الأعداء الذين يريدون استئصالهم والقضاء عليهم ، فخانوا بذلك وطنهم أكبر خيانة ، بل خانوا دينهم حينما آثروا أن ينضموا إلى المشركين على المسلمين ، مع أن المسلمين أهل توحيد مثلهم ، فهم بذلك ينصرون الشرك على التوحيد ، ويساعدون الكفر على الإيمان ، وهذا هو ما أشار إليه القرآن

الكريم فى الآيتين — ٨٠ ، ٨١ — من سورة المائدة (ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون ، ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى) أى موسى عليه السلام (ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون) .

فلا يمكن بعد هذا كله أن تكون عقوبة بنى قريظة كما طلب أولئك الذين تولوا الدفاع عنهم من رجال الأوس ، ولكن النبى صلى الله عليه وسلم رأى من السياسة ألا يتولى هو الحكم عليهم ، فقال لمن تولى الدفاع عنهم من حلفائهم : ألا يرضيكم أن يحكم عليهم رجل منكم . فقالوا : نعم . فأباح لهم أن يختاروا من يشاءون منهم للحكم عليهم ، فاختاروا سيد الأوس سعد بن معاذ .

وكان سعد جريحاً من سهم أصيب به فى غزوة الخندق ، وقد أقام بخيمة فى المسجد مُعَدَّة لمعالجة الجرحى ، فأرسل النبى صلى الله عليه وسلم من يأتى به ، فحملوه على حماره إلى مجلس الحكم ، وقد التف به جماعة من الأوس يقولون له : أحسن فى مواليك ، ألا ترى ما فعل ابن أُبَىٍّ فى مواليه . يعنون ما فعله عبد الله بن أبى رئيس المنافقين مع بنى قينقاع ، فقال لهم سعد : لقد آن لسعد ألا تأخذه فى الله لومة لائم . ولما أقبل على النبى صلى الله عليه وسلم قال : قوموا إلى سيدكم فأنزلوه . فقاموا فأنزلوه وقالوا له : إن رسول الله قد ولاَّك أمر مواليك لتحكم فيهم . وقال له النبى صلى الله عليه وسلم : احكم فيهم يا سعد .

فالتفت سعد إلى الجهة التى ليس فيها النبى صلى الله عليه وسلم وقال : عليكم عهد الله وميثاقه أن الحكم كما حكمت . فقالوا : نعم . ثم التفت إلى الجهة التى فيها النبى صلى الله عليه وسلم وقال : وعلى من هنا كذلك . وهو غاضٌّ طرفه إجلالا للنبى صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : نعم . فقال سعد : فإنى أحكم أن تقتل الرجال وتسبى النساء والذرية . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لقد حكمت فيهم بحكم الله يا سعد . ثم أمر بتنفيذ الحكم فيهم ، فخرج إلى سوق المدينة فخندق فيها خنادق ضرب أعناقهم فيها ثم طمرها عليهم ، وكانوا نحو ستمائة رجل .

وهذا الحكم هو ما تقضى به كل الشرائع القديمة والحديثة فيمن يخون وطنه ويحارب قومه مع أعدائه ، وهذه الجريمة من الخطورة بمكان عظيم فى كل تلك الشرائع ، فلا تأخذها رأفة بمن يرتكبها ، بل تأخذه بأقصى ما يكون من العقوبة ، وهو عقوبة القتل . وقد كان بنو قريظة يريدون استئصال المسلمين بمساعدة أولئك المشركين ، فليجازوا قتلا بقتل ، واستئصالا باستئصال . وقد جازاهم الإسلام بذلك كما يجازى كل من يرتكب مثل ما ارتكبوا ولو لم يكن يهودياً ، لأنه لا يعرف فى حكمه فرقاً بين مسلم ويهودى ونصرانى ، ولا ينظر فى تشريعه إلا إلى الجناية فى ذاتها ، فيعطيها حكمها بقطع النظر عمن يرتكبها .

والنبى صلى الله عليه وسلم لم ينظر إلى رجال بنى قريظة فى ذلك كأسرى حرب ، لأنه لم يفعل مع الأسرى فى حروبه ما فعله معهم ، وإنما نظر إليهم كمجرمين خانوا وطنهم ، وانضموا إلى أعدائه فى محاربته ، فأجرى عليهم حكم وطنهم فى هذه الخيانة ، وكان أمرهم عنده أشد من أمر أسرى الحرب ، لأن المحاربين يساقون بعداوتهم إلى حرب أعدائهم ، أما الخائنون لأوطانهم وعهودهم فلا عذر لهم فى خيانتهم ، ولا يستحقون من الرأفة ما يستحقه أسرى الحرب ونحوهم .

وقد كان فى إمكان النبى صلى الله عليه وسلم أن يعفو عنهم ويجيبهم إلى طلب الجلاء كما فعل مع بنى النضير ، وكما عفا عن حاطب بن أبى بلتعة فى تجسسه لقريش ، ولكنه لو أجلاهم لعادوا إليه محاربين مع جموع العرب واليهود كما حصل فى غزوة الخندق ، وأوقعوا المسلمين فى محنة أشد من محنتها ، ولا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين .

عبد المتعال الصعيدى

رأى جديد في :

حمـــــاد الراوية

للأستاذ السيد يعقوب بكر

— ٥ —

٥ — رأينا فى مدى انتحال حماد

لنسبق المقـدمات إلى النتائج ، ولنُـدْلِ برأينا الذى انتهينا إليه بعد البحث الطويل ، لنعود فنؤيده بما سنؤيده به من الأدلة والبراهين .

هذا الرأى هو أن حماداً لم يبلغ من الانتحال ذلك المدى الذى تصفه لنا كتب القدماء . ليس من شك فى أنه انتحل بعض الأشعار ، وكان فى هذا متأثراً بحال الرواية فى عصره ، ولـكنه لم يكن مشغوفاً بالانتحال عاكفاً عليه جاعلا له همّـه وقصده .

فأما تدليلنا على صحة هذا الرأى ، فإنا نجعله قسمين : قسما نأتى فيه بأدلة عقلية ونقلية ، وقسما نمحص فيه ما ذكرناه من تلك الأقوال والأخبار التى أوردها القدماء فى صدد انتحال حماد .

القسم الأول

(١) يقول القدماء إن حماداً كان شاعراً ، وإنه كان شاعراً مجيداً ؛ وإنه كان يصنع الأشعار ، ويدسّها على الجاهليين ، فتختلط بأشعارهم ، ويصعب التمييز بين هذه وتلك . ونحن نرى أنه كان شاعراً ، فقد قرأنا له طائفة من الأشعار ؛ ولـكننا لا نرى أنه كان شاعراً مجيداً ، فإن أشعاره تميل إلى الفثاثة والركة ؛ ولا نرى أنه يبلغ من جودة القول ما بلغه شعراء الجاهلية حتى تختلط أشعاره بأشعارهم .

يقول البغدادى (خزانة الأدب جـ ٤ صـ ١٣١) : « وكتب حماد إلى بعض رؤساء الأشراف :

إنّ لى حاجةً فرأْيُك[١] فيها ؟ لك نفسى فدًى من الأوصاب

وهى ليست ممـــا يبلغها غير ى ولا يستطيعها فى كتاب

غير أنى أقولهـا حين ألقـ اكَ رويداً أُسِرّها فى حجاب

فـكتب إليه الرجل : اكتب إلىّ بحاجتك ، ولا تشهرنى فى شعرك . فـكتب إليه حماد :

إننى عاشق لجبتك الدكناء عشـ ـقاً قد حال دون الشراب

فاكسنيها فدتك نفسى وأهلى أتباهى بهـا على الأصحـاب

ولك الله والأمانة أن أجعـ ـلها عُمْـرَها أمير ثيـابى »

هذه صورة لشعر حماد الذى يصفه القدماء بالجودة ، ويرفعونه إلى طبقة الشعر الجاهلى . فهل ترى أن مثل هذا الشعر يتسامى إلى ما قاله قيس بن الحدادية فى مديح أسد بن كُـرْز[١] ، وزعم البعض أنه من صنع حماد[٢] ؟

لاتعذلينى سَـلْمَ اليومَ وانتظرى أن يجمع اللهُ شملا طالما افترقا

إن شتت الدهر شملا بين جيرتكم فطال فى نعمة يا سلم ما اتفقا

وقد حللنا بقسرىٍّ أخى ثقة كالبدر يجلو دجى الظلماء والأفقا

لايجبُرُ الناسُ شيئاًهاضه أسدٌ يوماً ولا يرتقون الدهر ما فتقا

كم من ثناءٍ عظيم قد تداركه وقد تفاقمَ فيه الأمرُ وانخرقا

(٢) قدّمت فى الفصل السابق أنه لم يصح عن حماد وضع فى المعلقات ، وهى أهم ما رواه . فإذا كانت المعلقات قد سلمت من وضعه وانتحاله ، فلماذا لم يسلم سائر ما رواه ؟ ولماذا لم ينتحل حماد المعلقات ، وهو المشغوف بالانتحال العاكف عليـه الجاعل له همّـه وقصده ؟

(٣) يقول أبو عمرو الشيبانى ، فيما رواه أبو الفرج (جـ ٥ صـ ١٦٥) : « ما سألت أبا عمرو بن العلاء قط عن حماد الراوية إلا قدّمه على نفسه ، ولا سألت حماداً عن أبى عمرو إلا قدّمه على نفسه » . فما رأيك فى رجل هذا رأى ابن العلاء فيه ؟ وابن العلاء راوية ثقة ، وأجد القراء السبعة . مرّ الحسن به وحلقته متوافرة والناس عكوف عليه ، فقال : لا إله إلا الله ، لقد كادت العلماء أنّ يكونوا أرباباً ، كل عزّ لم يؤكَّد بعلم فإلى ذُلّ يؤول . ما رأيك فى رجل يقدمه ابن العلاء على نفسه ؟ وهل تظن أن أبا عمرو بن العلاء ممن يرتضون تقديم رجل منتحل كاذب بالغ فى الانتحال والـكذب ؟

---

(١) يريد حماد أن يقول : فما رأيك فيها ؟

(١) هو جد خالد بن عبـد الله القسرى ، وكان يدعى فى الجاهلية « رب بجيلة » ، وكان شاعراً فاتكا مغواراً ، وقد أدرك الاسلام وأسلم .

(٢) الأغانى جـ ١٣ صـ ٤ —

القسم الثانى

١ – تمحيص أقوال القدماء فى انتحال حماد :

فأما قول المفضل ، وقول يونس بن حبيب ، فإننا نقف منهما موقف الحذر. فقد كان المفضل معاصراً لحماد، وكذلك كان يونس ابن حبيب . والمرء لاينصف معاصره ، فى أغلب الأحيان ؛ ولاسيما إذا كانا من صناعة واحدة . بل إننا حين نقرأ قول المفضّل : قد سُلّط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبداً ، ثم نقرأ قول من سأله : وكيف ذلك ؟ يخطر ببالنا هذا السؤال : إذا كان حماد معروفاً فى عصره بكثرة الانتحال ، فلماذا سأل السائلُ المفضل واستفسره ؟

وأما قول خلف وقول الأصمعى ، فإننا نقف منهما موقف الارتياب ، فقد كان خلف معاصراً لحماد ، وكذلك كان الأصمعى. ثم إنهما كانا بصريين ؛ وما كان لبصرىّ أن ينصف كوفيّا كحماد ، إلا إذا كان فى خلال أبى عمرو بن العلاء . وليس هنا مكان الحديث عما كان بين الكوفة والبصرة ، فى مجال العلم والأدب ، من تنابذ وتخاصم وصراع . هذا إلى أن خلف الأحمر كان منتحلا ، ذاع ذلك عنه ، واعترف هو به ؛ وذلك أنه نسك فى أخريات أيامه وترك الشعروالكلام ، فخرج إلى أهل الكوفة ، وعرفهم الأشعار التى أدخلها فى أشعار الناس .

وأما ما ذكره السيوطى من قول أبى حاتم ، فإننا نقف منه موقف الشك . ذلك لأننا لم نقف عليه إلا لدى السيوطى ، وهو متأخر [١] . هذا إلى أن أبا حاتم بصرى ، لا يؤخذ بقوله فى حماد إن صحّ منه هذا القول .

وأما ما يقوله ابن سلاّم فى حماد من أنه كان غير موثوق به ، فقد سمعه من غيره ، ولم يبنه على تجربته . ذلك لأنه لم يشهد أيام حماد ، ولم يتقدم به الزمن ليرى كذبه وانتحاله . فقد سمع هذا إذاً من غيره ، ثم دوّنه فى كتابه ، وهو يعلم أنه يتهم عالماً كوفياً . وكان ابن سلام من علماء البصرة .

(١) توفى سنة ٩١١ هـ .

٢ – تمحيص أخبار انتحاله :

نبدأ بتمحيص قصة حماد مع الخليفة المهدى . فنعيد ما قلناه فى صدد حياة حماد من أنه لم يدرك عصر المهدى فى أغلب الظن ، فقد توفى سنة ١٥٦ هـ كما يقول ابن النديم ، أو سنة ١٥٥ هـ كما يقول ياقوت وابن خلكان ، بينما أن المهدى تولى الخلافة سنة ١٥٨ هـ . ونعيد ما قلناه من أن الرواية التى يشير إليها ابن خلكان إذ يقول : « وقيل إنه توفى فى خلافة المهدى » غيرُ صريحة النسبة ، ولا تذكر تاريخاً معيناً مما يحدو بنا إلى رفضها . نعيد ما قلناه من أن حماداً لم يدرك عصر المهدى ، ومن أن رواية ابن خلكان ضعيفة ، لنصل من هذا إلى أن قصة حماد مع الخليفة المهدىّ قصة باطلة كاذبة ، وإلى أنها إنما اخترعت اختراعاً ولفّقت تلفيقاً . اخترعت ولفقت فى سبيل النيل من حماد ، ورفع قدر المفضل . وإلاّ فما رأيك فى قصة تنتظم ثلاثة فصول ؟ فصلا يحادث فيه المهدىُّ المفضل وحده ؛ وفصلا يحادث فيه المهدى حماداً وحده ؛ ثم فصلا كأنه خاتمة يخرج فيه حماد والمفضل معاً ، وقد بان فى وجه حماد الانكسار والغمّ وفى وجه المفضل السرور والنشاط ، ويرجع فيه الخادم معهما فيقول : يا معشر من حضر من أهل العلم ، إن أمير المؤمنين يُعلمكم أنه قد وصل حماداً الشاعر بعشرين ألف درهم لجودة شعره وأبطل روايته لزيادته فى أشعار الناس ما ليس منها ، ووصل المفضل بخمسين ألف درهم لصدقه وصحة روايته ؛ فمن أراد أن يسمع شعراً جيداً مُحدَثاً فليسمع من حماد ، ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها عن المفضل . فما رأيك فى قصة قد فصّلت تفصيلا ، ونسّقت تنسيقاً ، وقُسّمت فصولا ؟ وما رأيك فى كلام الخادم ؟ ألا ترى أنه شبيه بكلام من يروّج بضاعة فى سوق ؟ ثم ألا ترى أنه يفاضل بين رواية حماد ورواية المفضل فى تفصيل ودقة كأنه ناقد خبير ، لا خادم أجير ؟ أظنك ترى بعد هذا أن هذه قصة باطلة كاذبة ، فقد اخترعت اختراعاً ولفقت تلفيقاً . ثم إن الجاحظ فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٠٢ — ٢٠٣ ط السندوبى) يذكر رواية من شأنها تكذيب هذه القصة . يقول الجاحظ : « أبو الحسن قال : كان رجل من ولد عبد الرحمن بن سُمرة أراد الوثوب بالشام ، فحمل إلى المهدى ، فخلى

سبيله وأكرمه وقرّب مجلسه ، فقال له يوماً : أنشدني قصيدة زهير التي أولها «لمن الديار بقُنّة الحِجْر» وهي التي على الراء :

لمن الديار بقنة الحجر أقوين مذ حِجَجٍ ومذ دَهرِ

فأنشده ، فقال المهدي : ذهب والله من يقول مثل هذا ! قال السمري : وذهب والله من يقال فيه مثل هذا ! فغضب المهدي واستجهله ونحّاه ولم يعاقبه ، واستحمقه الناس » . فأنت ترى من هذه الرواية أن المهدي يعلم مطلع القصيدة ؛ وهو ما تقول القصة إن حماداً صنعه في حضرة المهدي ، وإنه أقر بصنعه إياه بعد استحلافه .

السيد يعقوب بكر

من وحي المرأة

الورد الأحمر ...

للأستاذ عبد الرحمن صدقي

هو الورد ، لا يجلو النواظرَ كالورد
له حمرة القاني من اللثم في الخدِ
أُطالع منه كلّ حمراء غضة ترفّ بما ضمت من الماء والوقد
فتضحك لي الدنيا ويُسفر نورها
وينجاب عنها كل أدجن مُربِدِ
ويسكر حتّى بالصبابة والصبا وأستاف حولي مثل رائحة الخلد
كذلك كان الورد ، والورد لم يزل
على عهده ، ما حالَ وردٌ عن العهد
فيا تعسَ نفسي اليوم ما بالها انطوت
على سلوةٍ عنه وباتت على زهد
تُجانبه عيني ، فما امتدّ لحظها إلى باقةٍ إلا أشاحته عن قصد
أوسّع من حملاقها وهو مُغْرَق
أُغيّض فيه الدمعَ منفرط العقد[(١)]
وأنجو كأن الورد ألسنة اللظى وبي مثل مس النار من شدة الوجد
هو الورد ، إلا أنه اليومَ باقتي إلى حيَّ الغالي المغيَّب في اللحد

(١) حملاق العين باطن أجفانها .

إلى زوجتي بالحس والروح والحجى
وصنوىَ من دون النساء ومُعتدّي
أحجّ إليها أحمل الورد زاهياً
كما كنت أغشى دارها خاطبَ الود
وسيان في الحالين وردٌ وباقة
ولكنّ هول الخطب في الخاطب المُهدي
فيا بُعْدَ بين الخاطبَيْن : مؤمِّلٌ
سعيد ، ومشئوم الهوى عاثر الجد
وإني لأُسعى كل حين لقبرها
على قدمي رسْفَ المكبّل في القيد
أشُق على نفسي كما هان حسنها وبات رهين الترب والحجر الصلد
وأكرمها أن أطرق القبر راكباً
وإن كنتُ مهدود القوى قاصر الجهد
وآبى على الأهلين حمل تحيتي
فأحمل طول الدرب باقتها وحدي
إذا استشرفتْ عيني المقابر ثار بي
حنين ، فحَثْحَثْتُ الخطى طائرَ الوخد[(١)]
وأجهش كالمشتاق حان لقاؤه
لمن ذاق في أحضانها كجَنَى الشهد
وأُفضي إلى المثوى أضمّ رخامه وأوسعه لثماً كمستقدح الزند
فيلقى رخامُ القبر ضمّي جافياً
صليباً ، ويجزى حرَّ لثمي بالبَرْد
وأنظر للورد الجنيّ نثرته
هنا كدم القربان في المعبد العِدّ[(٢)]
فأرجو لو أن الرمز كان حقيقة وأني قربان الحبيبة لو يجدي
وألمس معنى الورد يُهدَى احمراره
لمروقة الأجلاد[(٣)] شاحبة الجلد
فأبكي لها منزوفةً جفّ عودها
وما كان أجرى[(٤)] الماء في عودها الملد

(١) الوخد : السرعة . (٢) العد القديم
(٣) أجلاد الانسان وتجاليده : جسمه وأعضاؤه .
(٤) أجرى أفعل التفضيل من جار .

إلى موعد ٣١ ديسمبر سنة ١٩٤٤

للشاعر عبد الرحمن الخميسى

ليت يا موعد الحبيبة ما كنـ   ـتَ ، ولا درتَ فى حساب زمانى !
أين من عطرتْ أويقاتك الحلـ   ـوة فى عالمى ... وفى وجدانى ؟
أين من خلدتْ ثوانيكَ بالحـ   ـب ، وزانتْ إذا حللتِ مكانى ؟
أين من كنتَ تُشهد القدر العمـ   ـلاق أنّى بها نسيت كيانى ؟
وكأنى على يديها ... فؤاد   عارم النبض ، دائب الخفقان !
أين يا موعد الحبيبة من كنـ   ـتَ بها تزدهى على الأزمان ؟
كنت ألقاك زاهياً ... يتباهى   كل آن أنى على كل آن !
كل وقت من الزمان تمنى   لو تريثتَ فيه بعض ثوان
كنت ألقاك وهى فيك عروس   صاغها الله من نسيج الحنان
تشمل الأرض من دبيب خطاها   وتموج الحياة بالألحان ... ! !
كنت ألقاك وهى فيك ملاك   بعثته السماء فى إنسان !
يعبق الجو حولهـــا بالمسرا   ت ، وتطويك حافلا بالمعانى
كم تعجلتُ أن تمر الليالى   كى ألاقى لديك من تهوانى !
كيف لم تأت والحبيبة فى حيـ   ـن كما فى اللقاء عودتنانى ؟ !
جئتَ تستمهل الدقائق سعياً   خشية أن تحل نهب الأوان
قيّد الحرص أن تراها ثوانيـ   ـك ، وأرخى لها عنان الثوانى
فتحاملن .. كاسفات .. بطاء ..   وائدات فى سيرهن أمانى !
جئتَ يا موعد الحبيبــة مربداً (م)   كئيباً تفيض بالأحزان !
أنت إن كنتَ قد حللت ، فماذا   عاقها أن تصير فى أحضانى ؟ !
آه لو يرجع الزمان بك الآ   ن إلى ساعة وراء الزمان ! !
ساعة أخدع انتظارى بها عن   قذفه باللهـــيب فى أركانى
عقرب الساعة الذى قد تخطا   ك إلى ما تلاك فى الدوران
كلمـــا دق دقة فى المسير ا   داح فى مهجتى دوى الهوان

* * *

كيف يا مــوعد الحبيبة وليـ   ـتَ ، وألقيتنى إلى أشجانى ؟
كم تمنيتُ لو مضيتَ بعمرى   ضمن أوقاتك النوالى الحسان
وجمتْ حولى الأريكة فى الرو   ض ، وغامتْ بما ترى العينان !
وكأنى بذلك المقعد الملتف بالعشـ   ـب ، أقاموه من لقى الأغصان
شاطر القلب فى التيامى فأبكى   غردات الطيور ... ثم بكانى !
وكأنى به يســائلنى عنـ   ـها ، ولكن سدى يجيب لسانى
كيف يخلو من وجهها الأسمر العذ   ب ومن نور مقلتيها مكانى ؟
هذه كعبتى ... فأين التى أجـ   ـثو أصلى لحسنها الفتان
هذه جلستى ... ولكن إلى من   بعدها ، غير ذاهبات الأمانى ؟
أيها النسم ! أيها الأفق المخـ   ـضل بالسحب وهى دمع قان !
أيها الروض ! أيها الطير فوق !   أيها المقعد الخضير الحانى !
كم سكرتم هنا بنجوى فؤادينـ   ـا ، فصرتم سكراً على الأكوان
كم وعيتم هنا .. أغاريد روحيـ   ـنا الغريبين عن بنى الإنسان !
كم ذهلنا هنا ... عن الأبدان !   وعدمنا شعورنا بالزمان !
وامحتْ حولنا من النظر الشا   مل حتى شيات هذا المكان !
والتقينا فى نشوة الحب روحاً   واحداً يستلذ شرع التفانى !
واحترقنا فى قبلة ... طهرتنا   ثم طارت بنا وراء الرعان
قبلة تمنح الخلود لحسى ... !   وترينى ما لا ترى العينان !
كم طفونا روحين ، ثم بلغنا   فى لظاها قرارة البركان

* * *

أنا وحدى هنا ... أداهن أشوا   قَ أن ترحم الفؤاد العانى
بى حنين إلى البكاء ، مرير   آه يا مقلتىّ لو تكيفان !
أيهذى الدموع .. ياقطرات النـ   ـفس بالشوق والأسى والحنان !
أنقذينى ! ترقرقى فى جفونى !   أنت يا راحتى ويا سلوانى !

عبد الرحمن الخميسى

وأبكى لورد كان فى الخد واللّمى
    وقد كان أندى الورد طراً على كبدى
تمر بى الساعات ما إن أحسّها
    فهذا الحِمى أنلى الزمان على الحد
أطيل مقامى عازبَ الرشـــد ذاهلا
    فإن غربت شمس الضحى ثاب لى رشدى
فأمضى وشمس الغـــرب حمراء وردةٌ
    وقد نفضتْ فوق المقـــابر كالورد

عبد الرحمن صدقى

البريد الأدبي

التموين فى عام :

معالى وزير التموين طه السباعى بك رجل عرفه الأدب قبل أن تعرفه الوزارة ، ولقد كتب وترجم ما أهله لأن يكون فى الصفوة المختارة من أدبائنا وكتابنا ، وإن الإنسان حين يتناول كتابه — أو بيانه كما يريد هو أن يسميه — الذى وضعه تحت عنوان « التموين فى عام » ليعجب كيف تخضع هذه المعانى الرسمية الجافة لأسلوب الأدب الذى يحيل جفافها نضرة وجمالا .

وقد أهدى نسخة من بيانه ذاك إلى ، فكتبت إلى معاليه الأبيات الآتية :

يا وزير التموين ، هذا كتاب يمتع الحس والنهى أسلوبا
أنت أرسلته بياناً علياً يشبه الزهر رونقاً وطيوبا
كل لفظ فيه أرق من الفجـــر ، وأندى من النسيم هبوبا
صغته قادراً على الصوغ فذاً ثم أرسلته بياناً عجيباً ...

العوضى الوكيل

الى الدكتور ابراهيم ناجى :

ذكرتم فى كتابكم الأخير « كيف تفهم الناس » ، وفى الفصل الخاص بدراسة نفسية الجماهير « أن الفرد ينحدر من أصول غطاها الطلاء الذى ندعوه المدنية وغشاها العشب الذى ندعوه الثقافة ، ولكن هاته الأصول لم تمح آثارها ولن » .

فهل من وجه للمقابلة بين الثقافة والعشب ؟

فالعشب — كما نعلم جميعاً — لا يصلح لشىء ، فهل الثقافة كذلك ؟

والعشب يطفو على سطح الماء ، فهل تطفو الثقافة على سطح الحياة ، أم تنوض فى المرء وتتأصل ؟

والعشب هش تذروه الريح ، فهل الثقافة رخوة تزيلها العواصف ؟

والعشب بقايا الحصاد ، فهل الثقافة نفاية الحصاد الذهنى ؟

أترى حالف التوفيق الصديق فى هذه المقابلة ؟

وديع فلسطين

المعلقات

يكتب الأستاذ السيد يعقوب بكر عن حماد الراوية وقد عرض للمعلقات فوافق ابن النحاس النحوى المصرى على أنها لم تعلق فى الكعبة ولكنه خالفه فى اختيار العرب لها ، ورأى أن العرب هم الذين اختاروا هذه القصائد وفضلوها على غيرها . قال فى العدد (٦٤٨) : (فالمعلقات إذاً قد تكون من اختيار العرب القدماء) ثم جاء فى العدد (٦٤٩) فجعل هذا الذى قد يكون أمراً محققاً ، وأكد فيه ما ردده فى العدد السابق فقال (واستقام لنا أن العرب القدماء هم الذين اختاروا المعلقات وفضلوها على غيرها) .

وهذه دعوى لا تقل فى نظر الباحث فى التاريخ الأدبى عن دعوى التعليق ، فان الناظر فى الأدب الجاهلى يستطيع أن يعرف من هذا — لو صح — الذوق الأدبى عند عرب الجاهلية ويستطيع إلى أى مدى كانوا يحكمون على الشعر وما هو مدار الفحولة فى الشعر عندهم ؟ ومن دراسة هذه المعلقات يتبين له النوع الذى كان يؤثره جمهور العرب على غيره وهكذا ، فاذاً هذه دعوى لا يمر بها الدارس مراً ولا يلقيها على رُسَيْلاتها ، بل لا بد له أن يدعمها بالدليل ، ويؤيدها بالبرهان ، ونحن نرى أن الكاتب اعتصم بأمرين أولهما ما ذكره فى قوله « ويؤيدنا فى رأينا هذا ما يقوله ابن النحاس نفسه من أن حماداً الراوية لما رأى قلة من يعنون بالشعر ، جمع هذه القصائد السبع ، وحث الناس على درسها وقال لهم : هذه هى المشهورات ، ولفظ المشهورات هنا هو بيت القصيد) وهو كما نرى — دليل واهٍ ضعيف — فما أهون على حماد أن يكون زعم هذه الكلمة ، ويؤيد هذا أنه قدمها للناس حين رأى منهم الزهد فى الشعر . فمن المرجح حينئذ أن يقول لهم إن هذه القصائد كان يؤثرها العرب على غيرها ، وكانت عندهم مشهورة ليحثهم بذلك على حفظها ودراستها ، وكل ما يمكن أن يؤخذ من هذا أن حماداً نفسه كان يستجيد هذه القصائد ، أما ما عدا ذلك فيحتاج إلى دليل ، فمن أين لنا مثلا الدليل على صدق حماد فى هذه الدعوى ؟

أما الأمر الثانى فما ذكره فى قوله (فالعرب الجاهليون قوم

قد شغلوا بالشعر فقالوه ورددوه وأقاموا الأسواق لإنشاده ونقده ، وقوم هذا شغلهم بالشعر لا يصعب عليهم تفضيل بعضه على بعض واختيار بعضه دون سائره) .

ونقول له نحن : وهو كذلك . نعم لا يصعب على العرب أن يفضلوا بعض الشعر على بعض ، ولكن من أين لنا أن هذه هي القصائد التي فضلها العرب واختاروها ؟ إن هـذا الدليل لا ينتج لنا الدعوى . فهو دليل ناقص ومبتور . فاستقام لنا أن دعوى شهرة هذه القصائد وتفضيل العرب لها على غيرها دعوى لا دليل عليها .

ونحن ننتظر من هذا الباحث أو من غيره الحجة والبرهان على هذه النظرية أو على نقيضها حتى نرتب على ذلك نتائج صحيحة سليمة وهي نتائج على جانب كبير من الأهمية في قيمة النقد عند عرب الجاهلية .

بنباقادن الثانوية

علي جلال الدين شاهين

الكأس السابعة

أشرق علينا الأستاذ صلاح ذهني بمجموعة قصص جديدة يضمها اسم « الكأس السابعة » ... وقد كانت في الواقع كئوساً عذبة من الأدب القصصي أرشفنا إياها الأستاذ المؤلف . وقد قدم له بمقدمة خائفة تداهن الناقد وتتقرب إلى القارئ في أسلوب متهكم بعض الأحيان جاد في الأحيان الأخرى ، وكنت وأنا أقرأ هذه المقدمة أعتقد أن الأستاذ صلاح قدم إلينا شيئاً هو غير راض عنه ... ولكن حين قرأت هذه المجموعة بدا لي أنه كان يتهكم في مقدمته جميعها ... فهذه القصص التي أبرزها لا تحتاج إلى مداهنة أو زلفى فهي واضحة المغزى محكمة العقدة بارعة الحل ، كل هذا في أسلوب طلي وعبارات مختارة .

وكم سرني أن الأستاذ صلاح قد سلسل حوادث قصصه في صميم مجتمعنا هـذا ، فجمع بهذا بين الفن الصافي والنقد البارع لما يدور حولنا ، وهو بهذا يناقض هؤلاء القوم الذين اعتقدوا أن القصة فن رفيع لا يصح أن يسفل إلى المجتمع متناسين أن كاتب القصة نفسه من المجتمع يسفل إذا سفل ويعلو إذا يعلو ... أثبت الأستاذ صلاح أن القصة لا تسمو على المجتمع وإنما هي من صميمه وواجبها فيه النقد والإصلاح لا التعالي والاستكبار .

ولكن لي على الأستاذ المؤلف نقيدة أرجو أن يوليها شيئاً من التفاته ، ذلك أنه كان ينهي القصة دائماً بالفاجعة ولا نستطيع أن نعيب عليه هذا في كثير من قصصه لأن حبكتها كانت تستدعي هذا ... ولكن لم لم يخلق لنا شخصية خيرة ممن لا يمكن أن ننكر وجودهم في المجتمع ؟ ... فلو أوجد الأستاذ هذه الشخصية لاستطاعت أن تتلافى كثيراً من الفواجع ولجعلتنا أيضاً نرنو إلى مستقبل للمجتمع تمحى فيه مساوئه ويرفرف عليه الخير ، أما اليوم بعد أن قرأنا هذه القصص فلا يسعنا إلا أن نبتر الأمل في الاصلاح .

ولكن هذا المأخذ لا ينقص من روعة المجموعة شيئاً بل ولا يجوز لي أن أسميه مأخذاً فما هو إلا رأى أسوقه التمس له عند المؤلف تحقيقاً .

ثروت أباظة

جمعية المؤلفين والملحنين :

اجتمع لفيف كبير من المؤلفين والملحنين في الساعة الحادية عشرة صباحاً بنادي السينما بالقاهرة ، وبعد أن تلا عليهم الأستاذ فريد غصن بعض أغراض جمعية المؤلفين والملحنين بباريس، رأى المجتمعون أن هذه الأغراض هي نفس الأغراض التي يسعون إلى تحقيقها ، فقرروا تأليف هيئة منهم وممن ينضم إليهم في المستقبل للعمل على تحقيق هـذه الأغراض بالتعاون مع تلك الجمعية على أن يكون المجتمعون أعضاء مؤسسين .

كما قرروا اختيار الأساتذة : أحمد رامي ، وأحمد فؤاد شومان ، وبديع خيري ، وبيرم التونسي ، وفريد غصن ، وعبد الرحمن سامي ، ومحمد عبد المنعم (أبو بثينة) ، ومحمد شوكت التوني ، ومصطفى عبد الرحمن ، لوضع القانون الأساسي للهيئة واللائحة الداخلية ، وتكييف وضعها القانوني في مصر بما يضمن انتفاعها بجهود الجمعية المركزية للمؤلفين والملحنين بباريس، على أن يقدموا تقريرهم في اجتماع تعقده الهيئة في يوم الجمعة ٢١ ديسمبر ١٩٤٥ .



من قصص الصين :

الدمع ...

« للكاتب الصيني الكبير « بـ - شاو - كين »

ترجمة عبد الله ما — جي — كو

بحث رجل عن شيء أضاعه الناس فى جميع بقاع الأرض التى تضيئها أنوار الشمس والقمر والنجوم ، وجهد فى البحث عنه تحت جذور الحشائش وفى الترع الناضبة وفى تراب الشوارع وفى كل جزء من الهواء الذى يأتيه ، ولكن لم يجده فى كل هذه ، فتنفس تنفسا أبعد عمقا وأكثر حزنا من تنفس الغابة الكثيفة وقال :« أين الشيء الذى أريده ؟ أين الشيء الذى أريده؟»

وجاء « الرجل المتفائل » وسأله قائلا : « لماذا تبحث تحت جذور الحشائش ، هل ضاع منك اللؤلؤ ؟ ولماذا تبحث فى الترع هل ضاع منك الزئبق ؟ ولماذا تبحث فى التراب ، هل ضاع منك الدم ؟ ولماذا تبحث فى الهواء ، هل ضاعت منك الرائحة الطيبة ؟ »

فهز الرجل رأسه وزفر قائلا :« كلا ، لم تضع منى هذه الأشياء»

فرد عليه الرجل المتفائل : « أنت أحمق إذن ، فان الإنسان لا يبحث هذا البحث المرهق إلا عن هذه الأشياء القيمة ، وأرى أنه يجب عليك أن لا تتعب نفسك وتهلكها لأجل شيء لا قيمة له » . قال المتفائل هذه الكلمات وقد ملأت الابتسامة وجهه وارتفع لحم خديه وتجعد الجلد الذى حول عينيه تجعدا عميقا ، كما هى صفته التى تعودها كلما تكلم مع الناس .

وأجابه الرجل قائلا : « إن الشيء الذى أبحث عنه أهم من الأشياء التى ذكرتها ، وإنى قد بحثت عنه كل يوم وفى كل مكان فلم أجده ! إنى أبحث عن الدمع » .

ولما سمع الرجل المتفائل كلامه فتح فمه — كأنه غار عميق — ورفع رأسه إلى السماء يقهقه بلا انقطاع ، وقال بعد حين: « الدمع ! وهل للدمع أتعبت نفسك وجهدت فى البحث عنه ؟ إنى لا تدمع عيناى دمعة واحدة ولا أعرف أين منبع الدمع من جسم الإنسان ، وإنما رأيت بعض الحمقى تنزل الدموع من عيونهم ، وسأخبرك عن الأمكنة التى تنزل دموعهم فيها :

«إذهب إلى المحطات والمرافيء تجد هناك رجالا ونساء كأن قلوبهم قد ربط بعضها ببعض لا يضيعون لحظة من الزمن وإنما يتحادثون فيها ولو بتكلف ، وإذا لم يتمكنوا من الكلام غابوا فى أحلام هناك كأن البرهة تساوى زمنا طويلا لا نهاية له ، وترى هناك أيضا الأيدى فى الأيدى ، والأذرع بالأكتاف ، والأفواه بالأفواه كأنها مشدودة ملتصقة لما تنفك بعد ، فاذا اتفق أن تصفر الباخرة أو القاطرة ، انقطعت المحادثات ، واستيقظ الحالمون ، وانفكت الأيدى والأذرع المشدودة وسالت الدموع من عيونهم سيلان الماء من الينبوع ، وإنى أرى هذه المناظر حقيرة مضحكة ولكن إذا ذهبت إلى هناك وجدت الدمع بدون تعب ولا مشقة »

وأجاب الرجل قائلا : « لا أريد هذه الدموع ، لأنها دموع الحب والغرام ، وإنها كثيرة جداً يسهل على أن أجدها ، ولو كنت أريدها لذهبت إلى المحطات والمرافيء منذ زمن » .

وقال الرجل المتفائل : « إذا لم ترد هذه الدموع ، فاذهب إلى أحجار الأمهات أو إلى المهاد تجد فيها أطفالا راقدين تعجبك وجوههم الحمراء الجميلة وشعورهم الصفراء الخفيفة وعيونهم السوداء المنيرة وتدعوك إلى رحمتهم والعطف عليهم ، وتراهم يبكون فجأة بكاء شديدا ثم يقطعون البكاء بدون تكلف ، ولا تكون دموعهم أكثر من دموع الرجال والنساء المذكورين ، ولكننى أظن أنها تكفيك وتقنع أملك ، فاذهب إلى هناك » .

فأجاب الرجل قائلا : « لا أريد هذه الدموع أيضا ، لأنها دموع الطفولة وهى موجودة فى كل بيت يسهل على أن أجدها ، ولو كنت أريدها لذهبت إلى أحجار الأمهات أو إلى المهاد باحثا فيها»

قال الرجل المتفائل : « إذا أنت لم ترد هذه الدموع فاذهب إلى الملاهى ودور التمثيل تر على مسارحها رجالا ونساء يمثلون أحيانا روايات محزنة خيالية كأنها حقيقية ويقومون بأدوار مضحكة ومناظر محتقرة كموت زوج المرأة أو مصرع قائد الجيش، للدفاع عن بلاده أو حب الفتى والفتاة وتعذر اجتماعهما أو غير ذلك وإذا مثلوا الرواية ووصلوا إلى أشد الأمور حزنا وأغمها بكوا بكاء شديدا ونزلت الدموع من عيونهم ، ولا يهمنا أن تكون الرواية حقيقية أو كاذبة فعلى كل حال هم يبكون وستجد فى عيونهم الدموع ، فاذهب إلى الملاهى وابحث عن الدموع فى مسارحها»

فأجاب الرجل قائلا: «لا أريد هذه الدموع كذلك ، لأنها دموع خيالية كاذبة ووجودها لا اعتبار له فى العالم ، فلماذا أذهب إلى الملاهى ؟»

ولم يستطع الرجل المتفائل أن يزيد على تلك الدموع المذكورة فنظر إلى الرجل فاتحاً عينيه ، وبعد برهة سأله قائلا : « إذن ، أى دمع تريد ؟ لأنى أعتقد أنه لا توجد فى الدنيا إلا الدموع التى ذكرتها ، فهل تعلم دمعاً غيرها ؟ »

فأجاب الرجل قائلا : « نعم ، علمت أن فى الدنيا دمعاً غير تلك الدموع ، وأنا لا أبحث إلا عنه ، وأصرح لك بأنه دمع العطف والرحمة لا غير »

فعجب الرجل المتفائل من كلام الرجل ، وحدق بعينيه فى وجهه ، وهز رأسه هزة خفيفة وقال : « لعل هذا الدمع ليس موجوداً فى الدنيا ؟ دمع العطف والرحمة ! لم أكن أسمع هذا الإسم الغريب ، ولم أعرف من الذى ينزل من عينيه هذا الدمع ، ولأى سبب ينزل ، فإذا علمته فهل لك أن تخبرنى عنه بالتفصيل؟»

فقال الرجل : « نعم ، سأخبرك عنه بكل سرور :

إن دمع العطف والرحمة لا يسيل لشخص أو لشخصين فحسب ، بل يسيل للناس الكثيرين ، وإن صاحب هذا الدمع يذرفه من عينيه إذا رأى المأساة وتأثر قلبه تأثراً تاماً ، وليس هو كدموع الأطفال لأنها طبيعية بغير تأثر . وإن هذا الدمع يسيل للاخلاص والصدق ولا يوجد فيه شىء من الخيال والكذب . وأما أى شخص يسيل منه هذا الدمع فإنى لا أعرفه ، وقد بحثت عنه فى كل مكان ودققت النظر فى عيون الناس ، فلم أجد قطرة من هذا الدمع ، ومن يدرى لعله لم يكن موجوداً ! وربما سقط وضاع من عيون الناس فى مكان ، وكل شىء إذا ضاع يمكن أن يوجد بالبحث عنه . وسأبحث عنه لعلى أجده وأرده إلى أصحابه ، وما عثرت على الذين ينسكب من عيونهم هذا الدمع ، ولكن عسى أن أجدهم خلال بحثى عنه »

ولم يصدق الرجل المتفائل كلامه ، وهز رأسه هزات ثم قال: « لا أفهم كلامك ، ولكن إذا كان هناك من يسيل من عينيه هذا الدمع، فإنه يكون أكثر حمقاً وأشد سفهاً من الذين ذكرتهم لك ، فإن الإنسان أذكى وأعز من كل شىء ، ويستحيل أن يبلغ هذا المبلغ من الحمق والسفه ، لذلك لا أستطيع أن أصدقك » .

ونظر الرجل إلى الرجل المتفائل نظرة عطف وإشفاق ، ثم تنهد وقال بصوت رقيق : « وأنت أيضاً من الذين أضاعوا هذا الدمع ! فيجب عليك أن تبحث عنه معى ، فإذا وجدته استرددت الشىء الذى أضعته ، فهل لك أن ترافقنى ؟ »

ولم يرض الرجل المتفائل عن كلامه بالطبع وقال : « كيف ضاع منى هذا الدمع ، إن عينى لم تدمع دمعة واحدة ، ولا أحب أن يسيل الدمع منى ، ولا أرضى أن أعمل معك عملا لا فائدة فيه ، لذلك سأذهب إلى حفلة الغناء والرقص أغنى فيها غناء السرور وأرقص رقصة جميلة »

ولما رأى الرجل الباحث أن الرجل المتفائل لا يرضى أن يبحث معه عن الدمع فارقه واستمر فى عمله ، ووقف الرجل المتفائل يضحك من هذا الرجل ضحكا عميقاً على حمقه وسفهه ، ثم ذهب إلى مكان السرور ، وشغل فيه باللهو والغناء

ولم يجد الرجل الدمع فى تلك الأمكنة ، فغير رأيه وذهب إلى مكان مزدحم بالناس باحثاً بينهم عن الدمع ، فوقف بجانب شارع ، ورأى السيارات تسير فيه أسرع من الريح ، تأتيه فجأة وتروح لا يكاد يشعر بها ، ورأى المارين فى الشارع يضطربون اضطراباً شديداً ، وينظرون تارة إلى الأمام وتارة إلى الخلف وهم خائفون من السيارات أن تمزق أبدانهم ، ووجد البغال تجر العربات الكبيرة المحملة بالفحم هزيلة الأجسام كأن اللحم لا يوجد فيها ، والعرق المتصبب منها بلل شعورها السوداء ، وكلما خطت خطوة كادت تقع على الأرض فتجد قوتها فى كل خطوة وتذهب بذهابها ؛ وهكذا مشت إلى الأمام تغمض عيونها بعض إغماض ، وأما سواقوها ، فقد ملأ غبار الفحم وجوههم وجعلها سوداء فاحمة ، وكأن عيونهم مغمضة ، وأصبحت شفاههم حمراء مخيفة ، ورأى الرجل من ناحية أخرى رجالا يجرون « العربات اليابانية » التى يركبها الناس يعدون كالخيل ويمسكون بأيديهم أذرع العربات ، ويطوون أرجلهم فى العدو حتى تكاد تصل إلى أعجازهم ويرفعون أعضادهم كما ترفع الطيور أجنحتها ، وإذا اتفق أن هاجت الريح بالتراب وألقته فى وجوههم فيدخل أنوفهم وأفواههم ، يتنفسون بأصوات عالية خشنة كأنها البخار يخرج من أنابيبه ويتفصد العرق من وجوههم ، ولا تسمح الظروف لهم أن يمسحوه عنهم ، وإنما يسيل بنفسه إلى الأرض ويتلاشى فى الرمل والتراب

فقال الرجل لنفسه : « لعل هنا دمع العطف والرحمة » . ولكنه حين بحث عنه بحثاً دقيقاً لم يجد قطرة منه ونظر إلى سائقى السيارات والماشين والبغال وسائقى عربات الفحم وجارى العربات اليابانية والجالسين عليها فاذا عيونهم جامدة لا تبض بدمعة فغادر ذلك الشارع خائب الأمل .

وذهب إلى دار الاحتفالات الكبرى فوجد فيها الناس مزدحمين مهنمكين فى إعداد حفلة فخمة لاستقبال رجل عظيم ، وسمعهم يتكلمون عن تاريخ هذا الرجل : فيقولون « خاض هذا الرجل العظيم غمار الحرب مرات كثيرة وهزمت بخططه جيوش العدو التى لا تحصى ولا تعد ، وكانت كل جثة تستلق على ظهرها أو تحبو على بطنها فوق المروج الواسعة وفى الترع والأوحال العميقة مصابة برصاصه وقنابله ، وخربت الحقول وهدمت الحدائق وسكتت أصوات التلاميذ فى المدارس ووقفت حركات الآلات فى المصانع بمدافعه وطائراته ، وأصبحت الأيدى مقطوعة والأرجل مكسورة وفقدت النساء أزواجهن والامهات أبناءهن بقضائه وقدره وهو يمر الآن بهذا البلد بعد انتصاره فى الحروب »

فقال الرجل : « لعل هنا دمع العطف والرحمة » ولكن حين أقبل الرجل رأى على وجوه الناس علائم الاحترام ودلائل الفرح فقفزوا ورقصوا كأنهم جماعة الضفادع ، وظلت أصوات هتافهم كالأمواج تصخب ورموا قلانسهم فى وجه السماء تتراقص فى الهواء ، وفى هذه الضوضاء وذلك الجنون دخل الرجل العظيم وتبعه الناس وافتتح الاحتفال ، ورأى الرجل أنه لا يوجد على وجوه الناس إلا الابتسامة والبشاشة كأن عيونهم لم تسل منها الدموع قط ولن تسيل منها أبداً ! فغادر تلك الدار صفر اليدين .

وذهب الرجل إلى مصنع كبير فوجد رجالا ونساء كثيرين يعملون فيه ، وقد أصمت أصوات الآلات آذانهم وزكمت روائحها أنوفهم ، وما أكبر العجلات التى لايستطيع الإنسان أن يحركها إلا بقوة كبيرة ، ورأى الرجل علامات الموت تدب على وجوههم من شحوب وهزال ، ويحنى بعضهم ظهره بجانب الآلات يأكل الطعام الخشن الردىء ، وتقف بعض النساء يفكرن فى أطفالهن الذين تركنهم فى البيوت فربما بكوا بكاء شديدا إذا لم يجدوا أمهاتهم ، ولكن لا يمكن لهؤلاء الرجال والنساء أن يضيعوا وقتا كبيرا بل يجب أن يأكلوا بسرعة ، وعلى النساء أن يستيقظن من أحلام التفكير ويواصلن العمل . ولما غابت الشمس خرج العمال من المصنع ومروا بالسوق الليلية التى يطوف بها الرجال والنساء يبحثون عن السعادة أو الفرح ؛ فدخل العمال فى موج هؤلاء السعداء المزدحمين واختلطوا بهم .

وتبع الرجل هؤلاء العمال مفكراً قائلا : « لعل هنا دمع العطف والرحمة » . ولكن هؤلاء الناس كماء النهر إذا دخله ماء آخر اختلطا وسار معاً بدون تأثر ، وكذلك اختلط الناس فى السوق بالعمال الذين دخلوا بينهم ولم يتأثر بعضهم ببعض فحدق الرجل نظره فى عيونهم فوجدها كأنها قعور الآبار الجافة لم تسل منها الدموع ولن تسيل ، فغادر تلك السوق منقطع الرجاء .

ورأى الرجل أنه لم يجد دمع العطف والرحمة فى الناس أيضا فحزن حزناً شديداومشى فى الطريق حتى وصل إلى قرية بغير قصد ، ورأى كوخاً أمامه ميدان واسع وحوله بضع أشجار من الصفصاف تجعل أشعة الشمس أوراقها الخضراء جميلة رشيقة ، ويظهر أن عند صاحب الكوخ ضيوفاً يعد لهم وليمة ، وبدأت امرأته تذبح الدجاج وبجانبها قفص فيها بضع عشرة دجاجة ، فأخذت المرأة دجاجة واحدة وأمسكت بيدها اليسرى جناحيها وعرف رأسها ونزعت بيدها اليمنى شعر عنقها ثم أخذت سكيناً وذبحتها ، فحركت الدجاجة رجليها كأنها تريد أن تدافع عن حياتها ولكن لم تقدر فسال الدم من عنقها فى طاسة صغيرة ، فوضعتها المرأة على الأرض بعد انقطاع الدم ، وتحركت الدجاجة على الأرض حركة خفيفة ولم تلبث أن أصبحت كومة من الريش من غير روح ، وذبحت المرأة الدجاجة الثانية والثالثة كما ذبحت الأولى .

ولما ذبحت المرأة الدجاجة الخامسة خرج من الكوخ ولد ذو وجه أحمر وعينان سوداوان يتطلع بهما وسعى إلى المرأة فرأى أكواماً من الريش ودجاجاً فى القفص ، ووجد واحدة منها فى يد المرأة منظرها يؤلم القلوب ، فأسرع ليمسك بيد المرأة اليمنى وخرج البكاء المحزن من فمه وتدفقت الدموع من عينيه كتدفق الينبوع

ولما رأى الرجل الدموع لم يصدق أن عينيه تريانها حقيقة وظن أنه فى سنة من النوم فإنها جزاء تعبه الغالى أتاه من غير حسبان ، ولكنه دقق النظر فيها فوجدها حقيقية تسيل من عينى الولد قطرة قطرة كأنها درر لامعة ، ففرح فرحا شديداً كأنه وجد اللؤلؤ وصاح قائلا : « لم أكن أظن أننى أجدها هنا ! » وتقدم إلى الولد ووقف أمامه ماداً يديه تحت عينيه ، وبعد برهة ملأت دموع الولد كفيه .

فقال الرجل : « لقد وجدت الآن هذه الدموع التى أضاعها الناس ! وإن واجبى الآن أن أردها إليهم » . فراح قاصدا إلى « الرجل المتفائل » يردها إليه أولا لأنه لم يصدق أنه أضاع هذه الدموع وطلب منه أن يحفظها ولا يضيعها مرة ثانية ، ثم ذهب إلى كل مكان يهدى إلى كل إنسان هذه الهدية القيمة التى لامثيل لها عنده . فاستعدوا أيها القراء الكرام ، لتأخذوا هديته ؛ فربما جاءكم بها قريبا .

عبدالله ما - جي - كو

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦٥٢ — الاثنين ٣١ ديسمبر ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

صفحة

٢٥ ٥٣

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 652

Lundi—31—12—1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

ص

٨٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٥٢ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٦ محرم سنة ١٣٦٥ — ٣١ دسمبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

مقاطعة الصهيونيـــــة ...

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

قررت جامعة الدول العربية مقاطعة الصهيونية ، أو إنتاجها على الأصح ، وكان القرار بالإجماع ، وليس للجامعة أداة تنفيذية ، وإنما أداتها الحكومات الداخلة فيها ، فكل حكومة تنفذ قرار الجامعة ، بوسائلها الخاصة ، التى تسمح بها قوانينها ونظمها وأحوالها ، والوسائل ميسرة وعديدة ، منها على سبيل المثال الحواجز الجركية التى يمكن أن تقام فى وجه الصادرات الصهيونية من فلسطين لمنعها من دخول البلاد العربية ؛ ومنها كذلك منع إصدار المواد اللازمة للصناعات الصهيونية ، إلى فلسطين ، مثل الرمل من سورية ، فإنه يدخل فى صناعة الزجاج ولا غنى بها عنه ؛ ولا خسارة على سورية من هذا المنع ، لأنه يسعها أن تصدره إلى مصر ، وفيها كما هو معلوم ، صناعة عظيمة للزجاج ، ومثل الأبقار العراقية التى يستوردها الصهيونيون ، وينتفعون بلحمها وجلودها ، فإن بمصر حاجة إليها ، الخ الخ .

والأمر ، كما قلنا مرة من قبل ، فى هذا الموضع من الرسالة ، يحتــاج إلى تنظيم — تنظيم أمر المقاطعة ، وتنظيم التعاون بين الدول العربية لسد النقص وتعويض الخسارة ، فى البداية .

ونقول « فى البداية » لأن الإنتــــاج الصهيونى كان قد غزا الأسواق العربية مغتنماً فرصة الحرب وانقطاع الواردات الأوربية أو قلتها ، وشراء مادة من السوق أيسر مطلباً من صنعها ، ولكن الحرب وضعت أوزارها ، وزالت الصعوبات التى كانت مقتضيات الحرب قد أقامتها فى طريق التبادل التجارى بين البلاد العربية ، ففى وسع كل بلد أن يستورد من البلاد الأخرى ما ينقصه ويحتاج إليه ، للاستهلاك أو للصناعة ، وأحر بهذا أن يساعد على قيـام صناعات شتى كانت متعذرة فى أيام الحرب ، وفى هذا خير كثير للبلاد العربية ، حتى بغض النظر عن الصهيونية ومكافحتها ، وإنها لفرصة ينبغى أن تغتنم ، فإن فى كل بلد من بلادنا العربية موارد وخيرات عظيمة ، وقد لا تكون كل دولة من دولنا قادرة بمفردها على استغلال هذه الموارد الطبيعية على خير وجه ، ولكن الأمر يكون أيسر وأقرب منالا إذا هى تعاونت على ذلك فيما بينها ، فتفوز بالحسنيين : تكفى نفسها حاجاتها وتمنع أن تضطر إلى وكل هذا الاستغلال للأجانب الذين يخرجون بالخير كله ، ولا يخرج أهل البلاد بأكثر من أجرة الأجير .

وهذا الإستغلال يقتضى تأليف الشركات القوية مالياً وفنياً ، وليس يعوز بلادنا العربية المال ، ولكنه قد يعوزها الفن أو الخبرة إلى حد ما ، ولا ضير من الاستعانة بخبراء من أوربة أو أمريكا حتى يوجد من العرب من يحل محلهم ويقوم مقامهم ، أو يغنى غناءهم . ومن السهل أن تحفظ كثرة الأسهم فى كل شركة تؤلف لمثل هذا الغرض للبلد الذى يراد استثمار مورد من موارده ، حتى

لا يكون هناك غبن على أحد ، وحتى لا يستأثر بلد دون آخر بالخير كله والربح أجمعه .

وهذا أمر يطول ، لأنه يستوجب درساً دقيقاً ، وتدبيراً محكماً ، ومن أجل هذا ينبغى الشروع فيه من الآن ، ليتسنى أن يؤتى ثمرته بأسرع ما يمكن ، قبل أن تعود الأحوال التجارية العالمية إلى ما كانت عليه قبل الحرب ، وحينئذ يخشى أن تغرق الواردات الأجنبية أسواقنا ، وتهجم علينا رءوس الأموال الأجنبية ، فتستولى على الميدان قبل أن نستطيع أن نضع فيه قدماً .

وقد زعم الصهيونيون أن المقاطعة لن تنجح ، وتحدث بهذا أحد الأمريكيين من أنصارهم المخدوعين بالدعاية الصهيونية ، ولعله لا يعرف أين موقع فلسطين من الأرض ، وردنا على ذلك أن الصهيونية حديثة فى الشرق العربى ، وقد طرأت عليه بعد الحرب العالميـة الأولى ، ولم يكن لها ولا لصناعاتها قبل ذلك وجود ، وكانت البلاد العربية قاطبة تعيش فى رغد وخفض ، ولم تكن تشعر أن بها حاجة إلى هذه الصناعات الصهيونية . والذى كان من قبل لا يتعذر أن يكون من بعد .

وإذا كانت الصهيونيـة تنتج بعض ما لا تنتجه بلادنا ، أو ما يتيسر لها إنتاجه ، فإنه ليس بمعدوم النظير فى العالم ، وقد انتهت الحرب ففى وسع البلاد استيراد ما هو خير من المصانع الغربية . وعلى أن ما استطاعه الصهيونيون لا يتعذر مثله فى مصر والشام والعراق ، وما نظن بأمريكا التى تسرف فى تأييـد الصهيونية ، وبريطانيا التى لا يعدم فيها القوم أنصاراً لقضيتهم الظالمة ، إلا أنهما يسرهما أن يقبل العرب على إنتاجهما ويزهدوا فيما يعرضه الصهيونيون . ونحسب أن هذا من البداته التى لا تحتاج إلى بيان .

والمقاطعة كما قلنا مراراً ، هى أمضى سلاح فى مكافحة الصهيونية ، وذلك لأسباب :

الأول : أنه لا فلاح لدولة يسبق قيامَها الخرابُ الإقتصادى ، فإذا تبين الصهيونيون أن المقاطعة تنتهى بهم إلى الخراب ، فلا شك فى أنهم سينفضون أيديهم من أمر هذه الدولة المقضى عليها . ولقد كان شر ما حاق بهم فى ألمانيا على عهد هتلر أنه اضطرهم أن يعيش بعضهم على بعض ، وحرّم عليهم أن تكون لهم صلة ما بالشعب الألمانى ، فلم يطيقوا هذا . وراحوا يثيرون على هتلر ثائرة العالم كله .

وإذا نجحت المقاطعة فسيؤول بهم الحال إلى مثل هذا . وما جاءوا إلى فلسطين ليعيش بعضهم على بعض ، بل ليعيشوا على العرب جميعاً

الثانى : أن الصناعات التى أقاموها فى فلسطين مقصود بها أن تغزو أسواق الشرق الأوسـط الذى صرح زعماؤهم فى المؤتمر الصهيونى بلندن أنه مجال حيوى لهم . فالمقاطعة مؤداها أن تبور هذه الصناعات .

الثالث : أن هـذه الصناعات الصهيونية باهظة التكاليف ، وخسارة القوم محققة لا شك فيها ، ولكنهم احتملوا الخسارة ، وراحوا يسدون العجز من التبرعات التى ترد عليهم فى كل عام من أقطار الأرض جميعاً — حتى من مصر فإن لهم فيها وكالات أو هيئات تخدم الصهيونية سراً لا جهراً . وقد فضحها الله وكشف سترها يوم ذهب محام يهودى من مصر إلى تل أبيب وخطب هناك ودعا إلى العمل على محاربة قيام الجامعة العربية فى لندن ، ونشرت صحف الصهيونيين هذه الخطبة أو خلاصتها ونقلتها جريدة الدفاع وقرأتها ، فنبهت إلى هذا واحتججت عليه فاضطر المحامى أن ينفى أنه قال هذا .

والصهيونيون يصبرون على هذه الخسارة وفى مرجوهم أن ينجح سعيهم فتقوم دولتهم وتفتح الأسواق فى وجهها وحينئذ يتسنى أن تثبت الصناعات على قاعدة اقتصادية سليمة . ولا نحتاج أن نقول إن المقاطعة تحول دون ذلك .

غير أن المقاطعة لا ينبغى أن يقتصر الأمر فيها على ما تتخذه الحكومات من التدابير ، فإن على الأمة العربية واجب المساعدة ، والتعاون بين الحكومة والشعب هو الذى يحقق الغاية ويكفل النجاح . وقد نضطر من جراء ذلك إلى الصبر إلى حين على نقص بعض المواد ، ولكنا تعودنا هذا الصبر ووطنا أنفسنا عليـه فى سنوات الحرب ، وما زلنا صابرين ، فلن يضيرنا أن نصبر ونتشدد سنة أخرى أو بعض سنة ، وعلى أننا لن نُحرم شيئاً جوهرياً أو له قيمة كبيرة ، فإن كل ما يصنعه الصهيونيون فى فلسطين مما يسهل الإستغناء عنه .

وقد استبشرت بنزول المرأة العربية فى فلسطين وسورية إلى الميـدان ، فإن عليها المعول فى نجاح المقاطعة الشعبية ، فعسى أن تقتدى بها المرأة العربية فى كل بلد آخر . والله الموفق .

ابرهيم عبد القادر المازنى

في إرشـــاد الاريب

إلى معرفة الاديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ٢١ —

ج ٤ ص ٢٥٩ : أحمد بن محمد الخطابي :

تسامح ولا تستوف حقك كله وأبق ولم يستقص قط كريم

ولا تغل فى شيء من الأمر واقتصد

كلا طرفى قصـد الأمور ذميم

قلت : (وأبق فلم يستقص قط كريم) كما روت اليتيمة والوفيات ، وفى هذه (فسامح) وقد يكون قبله شيء .

***

ج ١٦ ص ١٤٣ :

وأبدلتنى بالشطاط الحنـا وكنت كالصعدة تحت السنان

قلت : (وأبدلتنى بالشطاط انحنا) أى انحناء فقصر ضرورة . وهو من قصيدة لعوف بن محلم الخزاعى رواها أبو على فى أماليه (ج ١ ص ٥٠) وفيها البيت المشهور :

إن الثمانين وبلغتهـا قد أحوجت سمعى إلى ترجمان

قال أبو على : « وكان سبب هذه القصيدة أن عوفا دخل على عبد الله بن طاهر فسلم عليه عبد الله فلم يسمع ، فأعلم بذلك ، فزعموا أنه ارتجل هذه القصيدة ارتجالا فأنشده :

يا ابن الذى دان له المشرقان طرا وقد دان له المغربان »

وقد جاء فى (ارشاد الأريب) : « فزعموا أنه أنحل هذه القصيدة » ...

فى اللغة هوما قال اللسان: «حنا الشيء حنواً وحنياوحناه:عطفه، والإنحناء الفعل اللازم وكذلك التحنى ، وقال فى رجل فى ظهره انحناء : إن فيه لحِناية يهودية وفيه خناية يهودية أى انحناء »وما قالته النهاية : « إياك والحنوة والاقعاء يعنى فى الصلاة وهو أن يطأطىء رأسه ويقوس ظهره من حنيت[1] الشيء إذا عطفته » .

وفى اللغة (التحانى) وهذه لم تذكرها المعجمات التى نعرفها وقد وردت فى بيت فى مقطوعة فى (الكامل[2]) :

قصر الليالى خطوه فتدانى وحنون قائم صلبه فتحانى

وجاء فى اللسان : الحنو كل شيء فيه اعوجاج أو شبه الإعوجاج كعظم الحجاج واللحى والضلع والقف والحقف ومنعرج الوادى والجمع أحناء وحُنى وحِنى .

وقد نقل القاموس ما قال اللسان وزاد بعد قوله والضلع : (والحنى) وأورد شارحه هذه اللفظة . فهل زادها ناسخون أو هى الحشى بالشين لا بالنون ... ؟ والحشا ما اضطمت عليه الضلوع كما فى الصحاح . والحشى الخصر ومنه قولهم : لطيف الحشى ، هضيم الحشى كما فى التاج ...

***

ج ٨ ص ٧٨ :

أدل فأكرم به من مدل ومن ظالم لدمى مستحل

إذا ما تعـزز قابلتـه بذل وذلك جهد المقـل

وأسلمت خـدى له خاضعا ولولا ملاحتـه لم أذل

قلت : أغلب الظن أن الشاعر قال : (مدلْ ومستحلْ الخ) من الضرب المحذوف ، وهو كما ضبط فى الكتاب من الضرب الصحيح . والمحذوف هنا ألطف ، والاذن شاهدة ...

و (الجهد) قيلت فى فتح جيمه وضمها أقوال كثيرة أورد التاج جلها ، ثم قال : والكلام فى هذا المحل طويل الذيل ولكن اقتصرنا على هذا القدر لئلا يمل منه ... وفى النهاية : ... فأما فى المشقة والغاية فالفتح لاغير ... ومن المضموم حديث الصدقة أى الصدقة أفضل ؟ قال : جهد المقل ، أى قدر ما يحتمله حال القليل المال .

قلت : جَهد البلاء ، وجُهد المقل . والشعر للقاضى أبى حازم قاله فى حداثته فى امرأته ، وكان أبو حازم — كما ذكر ياقوت —

---

(١) حنى يائية واوية .

(٢) ج ١ ص ٩٧ مطبعة التقدم ، وقد ذكر الكلمة (ذيل أقرب الموارد) وروى البيت .

شديد التقشف والورع .

* * *

ج ١٦ ص ٢٤٥ : ... حدثني الإمام صدر الأفاضل قال : كتبَ إليّ الصوفي المعروف بالصواف يسألني عن بيت حسان ابن ثابت وهو :

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء

وقولهم بأن فيه ثلاثة عشر مرفوعا فأجبته ... فهذا ياسيدى جهد المقل ، وغير مرجو قطع المدى من الكل ، فليعذرنى سيدى — قبل الله معاذيره — من المرفوع الثالث عشر فانه لعمرى قد استكن واستتر حتى لا أعرف له عينا ...

قلت : (الكل) بفتح الكاف وهو مثل الكليل ، وللكل فى هذه اللغة معان كثيرة منها اليتيم قال :

أكول لمال الكل قبل شبابه إذا كان عظم الكل غير شديد

والثقيل الروح من الناس ، والذى هو عيال وثقل (وهو كل على مولاه) كما فى اللسان . وفى اللسان والتاج : ورأس الكل بالفتح رئيس اليهود ، نقله ابن برى عن ابن خالويه .

* * *

ج ١٥ ص ٢٦ : قال أبو حيان فى كتاب أخلاق الوزيرين من تصنيفه : طلع ابن عباد علىّ يوماً فى داره وأنا قاعد فى كسر إيوان أكتب شيئاً قد كان كأدنى به ، فلما أبصرته قمت قائماً فصاح بحلق مشقوق: أقعد فالوراقون أخس من أن يقوموا لنا ، فهممت بكلام فقال لى الزعفرانى الشاعر : أسكت فالرجل رقيع ، فغلب علىّ الضحك واستحال الغيظ تعجباً من خفته وسخفه ...!

وجاء فى الشرح : كأده بالشى : كلفه به[1].

قلت : كادنى به ، وكاده أراده بسوء والكيد المضرة كما فى التاج ، وكأد فعل لازم ومضارعه يكأد كأداً ، وتكأد الشىء تكلفه ، وتكأده الأمر وتكاءده شق عليه . والدليل على أن أبا حيان قصد الكيد ما رواه ياقوت فى أخباره من أقواله :

... وأما حديثى معه (مع ابن عباد) فاننى حين وصلت اليه قال لى : أبو من ؟ قلت : أبو حيان . فقال : بلغنى أنك تتأدب ، فقلت : تأدب أهل الزمان ، فقال: أبوحيان ينصرف أو لاينصرف؟ قلت : إن قبله مولانا لا ينصرف . فلما سمع هذا تنمر وكأنه لم يعجبه ، وأقبل على واحد إلى جانبه وقال له بالفارسية سفها على ما قيل لى . ثم قال : الزم دارنا وانسخ هذا الكتاب ، فقلت : أنا سامع مطيع . ثم إنى قلت لبعض الناس فى الدار مسترسلا : إنما توجهت من العراق إلى هذا الباب وزاحمت منتجعى هذا الربيع لأتخلص من حرفة الشؤم فان الوراقة لم تكن ببغداد كاسدة . فنمى إليه هذا أو بعضه أو على غير وجهه فزاده تنكراً[1]

قلت : استقبل الصاحب من أبى حيان شيطاناً مريداً ، وعالماً بحراً عبقرياً ، وأديباً عجيباً جاحظياً ، ولئيما وخبيثاً ، عيناه تقذفان بالشرر ، وحرفوشاً فأبصر مشهداً مهولا روعه أيما ترويع . وإن أبا حيان لخليق جد خليق بأن يكون خير جليس للوزير العالم الأديب وخير معلم ومثقف وأنيس ، ولكن « كيف الحياة مع الحيات فى سفط » أنى يُخالط أفعوان يتلظَّى من السم ، وعقرب لا تنى تلسع ، ولُقَّاعة : حاضر الجواب مقرطس ، ومكهرب . وقد أبى ابن عباد أن يدفع شراً خاله وخافه بالتى هى أحسن ، والتى هى أكرم فلزّ أبا حيان ليذله — وهو الأديب الأعظم — بوراقيه ، وكاده بالنسخ . وما كان التوحيدى المنشىء المبدع للنسخ أو للوراقة . وإنى لأقول : إذا كان الشعراء فى القديم ثلاثة أعنى حبيباً والوليد وأحمد فالكاتبون فى القديم ثلاثة : الجاحظ والريحانى وأبو حيان . وأبو العلا أحمد أمة وحده ...

ج ١٩ ص ٢٨٧ :

برّح بى أن علوم الورى إثنان ما إن لهما من مزيدِ
حقيقة يعجز تحصيلها وباطل تحصيله لا يفيدُ

وجاء فى الشرح : فى نفح الطيب : قسمان . يلاحظ أن فى هذا البيت (الثانى) إقواء .

قلت : الروى ساكن (مزيدْ ، لا يفيدْ) فلا إقواء .

(١) قلت : فى الأساس : وكلفه الأمر فتكلفه ، وقد خطأ العلامة الشيخ إبراهيم اليازجى فى مجلته (الضياء) قولهم : كلفته بالأمر وقد ظن هذه التعدية عصرية وهى مولدة متأخرة ، وجدتها فى (الموافقات) — ج ١ ص ٢٥ و ج ٢ ص ١٠٣ — للشاطبى المتوفى سنة ٧٩٠ . وفى كليات أبى البقاء فى صفحات لا أتذكرها الآن ، وفى غير الكليات .

(١) وقال أبو حيان : قصدت ابن عباد بأمل فسيح فقدم إلى رسائله فى ثلاثين مجلدة على أن أنسخها له فقلت نسخ مثلها يأتى على العمر والبصر .

والرواية فى النفح : قسمان ما إن فيهما من مزيد . والشعر لابن الوقَشى القاضى الأديب والفيلسوف الأريب كما يقول (نفح الطيب).

***

ج ٣ ص ٢٢٩ :

ذرينى إنما خطئى وصوبى على وإنمـــا أنفقت مالى

قلت : روى اللسان البيت راسماً ما منفصلة وقال : وان ما كذا منفصلة . .

فى كتاب (أدب الكتاب) للامام الصولى وقد عنى بتصحيحه وتعليق حواشيه العلامة الأستاذ الشيخ محمد بهجة الأثرى :

يكتبون أحب (أن لا) تفعل كذا بألف ونون وتكون (لا) مقطوعة ، وهو أجود ... ومنهم من يكتب بألف ولام موصولة لأن النون تدغم فى اللام إذا نطق بها ... و (كلما) إذا أردت بها الجزاء كقولك : كلما فعلت فعلتُ كتبتها حرفاً واحداً لأنها أداة ، وإذا أردت بهـا معنى الذى كقولك : كل ما فعلت فصواب فاقطع (كل) من (ما) وكذلك (إنمـا وكأنما ولكنما) إذا أردت بهن الأدوات فاجعلها حرفاً واحداً ، وإذا أردت بمعنى (ما) الذى فاقطع ... (ص ٢٥٨) .

***

ج ٩ ص ٦١ : الحسن بن على المصرى الملقب بالقاضى المهذب :

ولما أبان البين سر صـــدورنا
وأمكن فيهـا الأعين النجل مرماها
عددنا دموع العين لما تحدرت دروعا من الصبر الجميل نزعناها
ولمـا وقفنا للوداع وترجمت لعينى عما فى الضمائر عيناها
بدت صورة فى هيكلٍ فلو اننا ندين بأديان النصارى عبدناها
وما طربا صغنا القريض وإنما جلا اليوم مرآة القرائح مرآها
وليـالى كانت فى ظـــلام شبيبتى
سراى وفى ليـل الذوائب مسراها

وجاء فى شرح البيت الثانى : أى لأن البكاء ينافى الصبر فهو يضعف من قوته ويوهنها ، والإنسان مهما كان جلداً يصبر على كل نوائب الدهر ما عدا فرقة أحبائه .

نحن قوم تذيبنا الحدق النجل (م) على أننـا نذيب الحـديدا

وقال آخر :

جزعت للحب والحمى صبرت لهـا
إنى لأعجب من صبرى ومن جزعى

هذا وفى رأيى أن الأصـل فى نزعناها ادرعناها . وجاء فى شرح البيت الأخير : بياض بالأصل بعد وليلة ، وقبل ظلام

قلت : (وأمكن منها الأعين النجل مرماها) فى التاج : مكنته من الشىء تمكينا وأمكنته منه فتمكن واستمكن إذا ظفر به والاسم من كل ذلك المكانة ، ويقال : أمكننى الأمر ولا يقال : أنا أمكنه بمعنى أستطيعه ، ويقال : لا يمكنك الصعود إلى هذا الجبل ، ولا يقال : أنت تمكن الصعود إليه .

وليس (من الصبر الجميل) نعتا للدروع ، والجار متعلق بالفعل (نزعناها) يعنى أن هذه الدموع ، هذه الدروع انتزعناها أخذناها من الصبر الجميل ، وقد قيل فى فضيلة الدمع :

لعل انحدار الدمع يعقب راحة من الوجد أو يشفى نجى البلابل

والشطر الأول فى البيت الأخير هو عندى : (وليلة أسرى فى ظلام شبيبتى) وهو معطوف على شىء قبله ، وقد يكون الأصل (ليالى أسرى الخ) .

***

ج ١٢ ص ٢٣ :

إن يعجل الموت يحمله على وضح لحب موارده مسلوكة ذُلُل

قلت : لحب — بالحـاء — فى القاموس : اللحب الطريق الواضح كاللاحب . وذلل — بضم اللامين — فى اللسان : طريق ذليل من طرق ذلل ، وسبيل ذلول وسبل ذلل .

ج ١ ص ٧٥ : قال أبو تمام :

إن يُكد مطَّرِف الإخاء فإننا نسرى ونغدو فى إخاء تالد
أو نفترق نسباً يؤلف بيننا أدب أقمناه مقـــام الوالد
أو يختلف ماء الوصال فماؤنا عذب تحدر من غمام واحد

وجاء فى الشرح : وتروى (من زلال بارد) وهى الأوفق .

قلت : (إن يكد مطرف الأخاء) بفتح الراء أى مستحدثة ، واطرف الشىء استحدثه ، ورواية الديوان (أو يفترق نسب) و (نسب وأدب) متوائمان و (من غمام واحد) هى الرواية . والأبيات من قصيدة يقولها حبيب فى صديقه على بن الجهم

أمى ...!

للأستاذ عبد المنعم خلاف

ترجع بى ذاكرتى الآن سبعا وثلاثين سنة وأنا فى ساعة من ساعات الذكرى إلى الصورة الأولى من وجه باسم يطالعنى مع الصبح كل يوم يوقظنى من النوم ، ويهدهدنى فى فراش الطفولة بكلمات مقصوصة مضغوطة فى تنغيم قليل وتمطيط ومعابثة ، فلا ألبث أن أستيقظ لذلك الوجه الرائى الواحد الذى ما كنت أعرف غيره بعد فى دنياى يومئذ .

تلك هى الإلتماعة الأولى التى أدركت بها وجودى وابتدأت روحى على نورها الضئيل تدخل رحاب الدنيا وتستفيق من ذهول الطفولة .

وتلك هى الصورة الأولى للدنيا فى نفسى : وجه صبيح باسم راحم يطالعنى مع نور الصبح الندى الجميل ، ويعابثنى بيد رحيمة رفيقة ...

وكذلك تدخل الدنيا إلى وعى الطفولة فى إطار من الحب والرحمة والحنان والابتسام ...

وكذلك كانت الأمومة السفير الأول من الله للنفس البشرية يرسله إلى الوافد المولود يرحب به على عتبات الوجود ، ثم يدخل به فى رحاب داخل العتبات ... ألم يقل « أنا الرحمن وأنت الرحم » .

* * *

وما زال هـذا الوجه يرعانى بعينيه حتى أغمضتهما بيدى الإغماضة الأخيرة فى مساء الجمعة الحادى عشر من ذى الحجة الماضى ، بعد أن انطفأ فيهما نور الحياة ، فوضعت ذلك الوجه فى ذلك القبر الذى ضرَحْنا له فيه .

ومنذ أن شببت عن الطوق ومضيت فى طريقى إلى الاكتمال وبلوغ الأشد ، ومضت هى فى طريقها إلى الذبول والأفول تيقظت لها اليقظة الكبرى وأدركتها بالفكر كما أدركتها قبل بالإلهام ، وعرفت موضعها منى وموضعى منها كروح انبثقت من روحها وجسم كوّن من جسمها وصار حبى إياها ينمو ويشتعل بذلك اللهيب الأبيض الدافىء اللذيذ الذى ينضج القلب ويهيئه للحب الأكبر الذى تمور أسراره جوانب الكون الجميل .

صار حُبّها أوسع محراب أقف فيه لأشهد منه الكون فى أروع صورة من صوره ذات التهاويل والتعاجيب ! وكنت أحس حركة قلبى حين يكون فى جوارها فأستلهمه بكنى من فرط الشعور به وشدة الحركة فيه ... أقول حقاً أيها القارىء ، ولا ألعب بالألفاظ !

وقد أتيح لى من إدراك أمى بفكرى الكامل ما لم يتح لى من إدراك أبى رحمه الله ، فقد توفى منذ سبعة عشر عاماً ، قبل أن يدخل علىّ من إرهاف الحس وتوفز الشعور بالحياة وعجبها ما دخل ! ولذلك اكتفيت من رثائه يومئذ بدموعى وحدها مع أنه كان صورة من أحق صور العلماء بالتسجيل والبيان لعمق روحه وفكره . وحسبك من رجل كان يستحى من نفسه !

و « كان على شاعراً فصيحاً مطبوعاً » كما قال أبو الفرج ، ومن مشهور شعره لاميته فى صلبه ... وداليته فى حبسه ، وعند أبى الفرج أنها « أحسن شعره » وقد رواها فى أغانيه (ج ١٠ ص ٢٠٨ ، ٢١٣) ولعل الرائية المشهورة (عيون المها) فى المتوكل ولم يذكر أبو الفرج منها شيئاً ولم يشر إليها ، وهى ثلاثة وعشرون بيتاً ، جلها غزل ، وفيها يقول :

فقالت : كأنى بالقوافى سوائرا ... يردن بنا مصراً ويصدرن عن مصر

فقلت : أسأت الظن بى لست شاعراً ... وإن كان أحياناً يجيش به صدرى

وللشعر أتباع كثير ولم أكن ... له تابعاً فى حال عسر ولا يسر

ولـكن إحسان الخليفة جعفر ... دعانى إلى ما قلت فيه من الشعر

فسار مسير الشمس فى كل بلدة ... وهب هبوب الريح فى البر والبحر

* * *

فى القسم — ١٩ — (الشميذ) وهى الشميذر و (الفجير) وهى الغمير و (فإذا) وهى (فإذن) . وفى إحدى مقالاتى : (فى العقد) فى القسم ٦ فى الرسالة ٤٠٥ أوردت قول صاحب (الاقتضاب) وهو يرى — كما يرى المبرد — أن تكتب بالنون على كل حال حتى لا تشبه (إذا) التى هى ظرف فيقع اللبس بينهما ، ويقول إن نون (إذن) « إنما هى أصل من نفس الكلمة » فإذن لن تكتب (إذن) إلا بالنون ...

أما أمى فقد أنسأ الله لى فى أجلها حتى أدركتها الإدراك الكامل ، فكانت منبعاً فياضاً من ينابيع الشعر فى نفسى . وقد كتبت عنها مرات فى خطراتى اليومية ، وأدركت منها أن الأمومة هى منبع الخير والرحمة والحب والبر الذى فى الدنيا وليس الخير كما يتوهم « نيتشه » فلسفة الضعف ووسيلة الضعفاء والعبيد إلى خديعة الأقوياء والسادة ليتوقَّوْا به بطشهم ونكالهم ، وإنما الخير والبر والرحمة هى فيض الأمومة على أبنائها فى أسرتها الصغيرة ومن الأسرة الصغيرة انتقل ذلك الفيض إلى الأسرة البشرية الكبيرة فى الأمة والأمم .

فلولا الأم لاستمر اقتتال الإخوة على الطعام والمقتنيات كما يقتتلون ويتنازعون أول دخولهم الحياة ، ولكنها لا تزال توصى الأخ بأخيه وتحببه فيه وتربط مابينهما حتى يشبا ويجدا طعم الدم الواحد فى قلبيهما ويذكرا الجذع الواحد الذى تفرعا منه ، ثم يتسع معنى الرحم بتفرع الأسرة حتى تصير قبيلة ثم أمة وهكذا .

فليس منبع الخير هو الضعف كما يفلسف « نيتشه » نبى النازية الكاذب الذى تأثرت الهتلرية وأضرابها بفلسفته وصدرت عنها فى حرب البطن وخيلاء القوة ، وإنما منبعها قوة الأمومة الصبور الحاملة أمانتها فى جلد ورضا وغبطة ورحمة ، وأعْظِمْ بها أمانة ! لأنها أثقل تبعة وأعظم رسالة !

* * *

كتبت عن أمى فى سجل خطراتى فى ١٣ ـ ٨ ـ ١٩٣٩ :

« هذه أمى! هذه أمى العجوز الجليلة ، تكلمنى وأنا لا أستمع لأحاديثها لأنى مشغول بالتفكير فيها وعلاقتى بها ، ونهايتها ... ما أبسطها قضية إذا نظرت إلى سطوح الأشياء بدون تفكر فى الأسس والنسب التى قامت عليها ! هى أم ككل الأمهات الكثيرات ، والدات الحيوان والانسان ، لا تستحق الشعر والفلسفة ، ولا تستلزم أكثر من السعى عليها والطاعة لها والبر بها كما يحدث الدين ... ولكنها عند الفكر محراب مسحور لا تستطيع أن تفلت من بين يديه إلا بخيال وخبال !

إننا عُمْىُ الأفكار ، نمر على أشياء الله بالنظرة الخاطفة والخطرة العابرة بدون أن نؤدى صلاة الفكر .

ووالله ! إنى حين أجرد أمى من معنى الأمومة الشائع وألبسها ثوب الطبيعة ، أشعر لها بشعور هو أعظم وأجل من الحب المبذول للأمهات ... ولقد أورثنى البعد عنها ثلاث سنين ، وأنا بالعراق ، الفكر فيها كمعنى مجرد من ملابسات المادة ... وإذا نظرت إليها وتذكرت أن فى صدرها وحدة أعظم مكان يحفظ لى الحب الفدائى الرحيم ، وأنه المكان الوحيد الذى نجا من أن يكون فيه شر لى ، أحسست الدموع تطفر إلى عينى حادرة فى غفلة منها هى ... بل أحسست أن رحمة الله تنظر إلى من عينيها ، وأنه لابد من سجود !

فإذا حدثتنى عن شىء من تاريخها وتاريخ أبى معها وتاريخى فى دمها ونفسها وآمالها وفصالى منها واعتمادى عليها ... انهدم كل كيانى الفكرى حينذاك ، وشعرت بدوار من الحيرة والدهشة لإخراج الله رب الحياة لهذه العجائب والحيوات ، وأمسكت بيديها ، وهى لا تدرى السر ، وقبلتهما ؛ لأنى لا أستطيع أن أصنع فى إبراد غلتى وإحساسى بها غير ذلك !

* * *

كلا ! لن تذهب هذه المعانى العلوية إلى التراب أيها المجانين الملحدون المنكرون للبعث !

لا بد أن تحيا هذه المعانى ونحيا لها لندركها فى دار الشرح والتفسير لكل ألغاز الحياة !

كلا ! لن يضرب الله بين قلبى وقلبها وقلب أبى ويفصل بيننا إلى الأبد ، فلا نرى ونحس تلك العجائب التى فى عالم القلوب !

إنه تبذير أن تضيع هذه المعانى الكريمة بدون رجعة ، وما كان الله من المبذرين !

لو علمت أنه لا لقاء بين الأحباء الذاهبين لظللت عاكفاً على قبريهما أخاطب سر قلبيهما كما يخاطب الوثنى الأصنام .

إننا سائرون إلى الله نافخ روحه فى أجسامنا ومشوقنا إلى أسراره ...

وما أجمل أن أنهى حالتى الوجدانية هذه بالصلاة مع والدتى لله مصدر وجودنا ، ومنه وإليه مصيرنا !

* * *

« إن حياتها تدبر ، وحياتى تقبل . إننى صرت أكبر منها حجما وأكثر علماً . إن بريق عينيها ينطفىء وأسنانها تتساقط وشعرها يشتعل شيباً وجلدها يتجعد ، وهيكلها يضعف ...

والحياة تسترد آلاتها منها ، ولا أستطيع أن أفعل شيئاً ، إنها لا تدرك هذه المعانى التى أدركها .

والحمد لله على الجهل فى هذا الوضع ! والويل لى حين أبلغ مبلغها من العمر بفكرى وشعرى !

إنها صورة الطبيعة وتلخيص أعمالها . إن الطبيعة امرأة ! تلد وتدور دوراتها الأبدية ولكنها تتجدد ! أما بنات حواء فذاهبات إلى غير رجعة فى رحاب هذه الطبيعة التى نراها .

ولكن الانسان المؤمن حينما يرفع بصره إلى الله الحى الدائم الحياة ، القوى الدائم القوة ينسى فناءه وفناء أبويه ، بل يرحب بذلك الفناء فى سبيل الرجوع إلى مصدر الحياة والقرب منه والعيش معه حياة الدوام !

ما أروحك على القلوب أيتها الكلمة التى يتمثل فيها كل العجز الإنسانى : إنا لله ! وإنا إليه راجعون !

من وجهها عرفتُ الأزل ، ومن وجهى عرفتْ هى الأبد ! كانت صلتى الباقية بماضىّ فى أصلاب آبائى ، وظللت وفياً لعشها كبيضة عقيم أو كفرخ عاجز الجناحين » .

***

هكذا كتبت عنها وكنت أستلهمها وأستوحى وجودها ...

وها هو ذا وجهها يطالعنى بعد موتها مغمض العينين ينظر لى من فوق سرير الموت ومن أعماق ظلمات القبر ، فأشعر لمفارقتها أن حياتى انشطرت أو أنى كغصن غاب عنه جذعه الذى يربطه بالأرض ويمده من أمداد المجهول .

***

ما هو ِكفاء رحمة قلبك لى وقلبى لك من الألفاظ يا أماه ! أى لفظ وأى فكر يترجم عن السر الذى بينى وبينك ! إنه الأمومة والبنوة ! إنه كل منابع الرحمة والبر والإخلاص ... أإلى النسيان والعفاء ذلك كله ؟ كذبوا يا ذات الفداء والتضحية ... لقد ورثتمانى : أنت وأبى الحياة والإيمان فأديتما واجبكما كاملا غير منقوص :

كنت مثالا للأمومة الفطرية المعقولة الملهمة التى لا تفسد ولا تدلل لمطف عكسى ... ومثالا للعمل الدائب ، والشركة الأمينة ، والعشرة المنصفة والسهر الدائم على ما استخلفت عليه ... لا تأويل عندك يصرفك عن الواجب ويقعدك عنه مهما كانت المشقة فيه .

براءة فطرة وصدق وتصديق وإلهام نافذ لمواقف الخلق السليم ...

ثقافة شعبية أمية من القرية والمدينة ، فيها التجربة والحكمة والمثل ، وتتوجها خلاصة من الروح الدينى العميق الفطرى وإقبال دائم على الله فى جميع الظروف .

كان تأثيرها فىّ تأثير الروح فى الروح بالسلوك والصراحة والصرامة فى مواضع الجد ، أما تأثير أبى فكان تأثير التوجيه الصامت والأدب الحى والعلم الجليل والوجه الوقور .

***

حين قرأت فى أذنها بعد ما فاضت روحها ما حضرنى من القرآن والدعاء ... وحين ألصقت يدى بعد وفاتها بخديها الباردتين اللذين سرت فيهما برودة الموت فى منتصف ليلة الوفاة كما كنت أفعل دائماً وهى فى الحياة ...

وحين نزلت قبرها وضرحتها فيه كما كانت الوصاة بجوار قبر أبى ، وجلست بين القبرين ...

وحين أمر بسريرها خالياً من جسدها الذى كان ملء نفسى وفكرى ...

وحين أرى ثيابها يعمرها شبحها ، وأتذكرها تمر بالمنزل حجرة حجرة كطيف رحمة ...

وحين أقرأ مدونة محفوظات أمثالها وحكمها الكثيرة العجيبة التى كانت تستشهد بها كأحسن منطق فى منطق العامية المصرية نقلا عن عمتها الحاجة « شركس » الصالحة التى لم تنجب وكان همها العبادة والتوجيه لشابات العائلة .

وحين أرى البقية القليلة من لداتها وصديقاتها اللائى من طراز كاد يفنى ...

بل حين أرى عجوزاً مثلها فى أى مكان ...

حين هذا كله شعرت وأشعر أنها خلفت لقلبى ذخيرة قيمة من الحزن الثمين اللذيذ يقتات منه فى أزمات القحط الروحى .

عبد المنعم خلاف

العلم والشعر
فى الوقت الحاضر
بقلم ه . وادنجتون

كان المستر جيوفرى جريجسن رئيس تحرير جريدة ذات مكانة عظمى بين الجرائد التى تنشر الشعر الحديث ، ومن أشهر من صنف منتخبات شعرية حاول أن يصور بها الحركة الرومنسية التى بلغت أوج ازدهارها فى بدء القرن الماضى فى زمن وردزورث وكوليردج . ومما يثير دهشة المطلع على هذا الكتاب أن يجد إلى جانب المقتبسات من الشعراء والرسامين بضعة مقتبسات من مؤلفات كبار رجال العلم فى ذلك العصر ، مثل السير همفرى دافى ؛ ولكن المطلع لا يلبث أن يدرك أن جريجسن محق فى عمله هذا . ذلك أن الحركة الرومانسية فى أوجها كان لها تأثير شامل تخلل كل شىء حتى إنه ليمكن لمح أثرها فى رجال العلم أنفسهم ، أو على الأقل حين يقل خضوعهم للنزعة العلمية المدققة المتشددة . وأنا أريد فى مقالى هذا أن أقرر أن القضية قد انعكست فى يومنا هذا : أن العلم هو الآن صاحب النفوذ الأعظم والسيطرة الغالبة على تفكيرنا وأنه يصبغ الشعر العصرى بصبغة خاصة متميزة .

ولعله يجدر بى أن أقرر من البداية بكل وضوح أننى لست أدعى أنه كلما ازدادت المسحة العلمية للشعر كان الشعر أجود . فان أهم واجب على الشاعر هو أن يكون شاعرا جيدا ، أما كونه شديد الحساسية بالشعور الغالب فى عصره فهذا أمر ثانوى وإن لم يعن ذلك أنه أمر غير ذى بال . فالواقع أنه من السهل على الأديب أن يكون « عصريا » إلى حد يجعل من المستبعد خلوده ؛ فالشعر البالغ فى العلمية فى يومنا هذا من الراجح أنه سينسى سريعا كما نسى الشعر البالغ فى الرومانسية من مائة عام خلت . فأما ما أدعيه فهو أن معظم الشعراء اليوم سواء منهم الرديئون والجيدون يطلعوننا فى شعرهم على وجهة نظر تخالف وجهة العصور السابقة ، يحق للمرء أن يعتبرها شديدة التأثر بالعلم . وفى زمان عمت فيه الفوضى والإنحلال مثل العشرين عاما الأخيرة لا شك أن المرء يتمنى أن يلمح أية علامة تنبىء باقتران الفن والعلم ، تينك الحركتين العظيمتين من حركات النشاط الإنسانى ، وأنه يشجع مثل هذه العلامة حين يتوسمها .

من السهل بطبيعة الحال العثور على أمثلة للأخيلة العلمية يستعملها الشعراء المحدثون . وأحيانا — وإن لم يكن ذلك دائما — تكون المادة العلمية قد نسجت نسجا بارعا فى فكرة القصيدة كلها ، ومثل ذلك التشبيه المشهور لاليوت T.S.Eliot :

« حين يتمدد المساء على صفحة السماء كمريض خدر ومدد على منضدة » .

لكن هذه التأثيرات للعلم تافهة نسبيا . فليس يهم كون لغة الشعر وخياله علميين أو غير علميين ، بل أهم من هذا بكثير أن نتساءل ماذا يفكر الشعراء وماذا يحسون عن العلم . ولكن على المرء هنا أن يحذر ويحتاط : فالشعراء لا يدلون دائما بتقرير جلى عن موقفهم من العلم حين يَعْنُونَ علما . بل هم يعبرون عن موقفهم من مختلف حركات النشاط فى العالم اليوم ، وقبل أن نقرر ما موقفهم من العلم ، يلزمنا أن نقرر ما هو الشىء الذى نعتبره اليوم علما .

تلك مسألة خطيرة . فالواقع أن مفهوم العلم قد طرأ عليه تبدل سريع . كان يتصور أنه فى المحل الأول دراسة عارضة تحليلية للعالم ، ولكنه مع ذلك شىء ليس يحاول تفسير الأشياء فحسب ، بل يحاول أيضا تأويلها (أى تفسيرها بتفسير يلغيها) . وهكذا قابل الشعراء بحماسة وترحيب الإنتصارات الأولى للعلم التحليلى . فاليك بيتى بوب Pope المشهورين :

« ظلت الطبيعة وقوانينها محجوبة فى ظلام الليل ، حتى قال الله : ليكن نيوتن ، فانقلب الكل نورا ! »

ولكن ما جاءت الحرب الماضية حتى كانت تلك الحماسة قد تبخرت . فوجدنا ييتس Yeats يصف موقف العقل وصفا صريحا جليا بأنه :

« عقل يدك كل شيء دكا ، حقود ذو ضغن ومرارة ، منطق صارم ، ماحدث قط أنه أطل من عيني قديس ، ولا من عيني سكير » .

وهذا الإحتجاج ضد غطرسة الذهن ، ضد محاولة الإستعاضة عن الحياة وخضمها الغزير الغني بفروض وتصورات تجريدية ، هو من أهم التقريرات الشعرية وأعمها في الوقت الحاضر . فالشعراء يكادون يجمعون على أن هذا الموقف المادي الآلي المغرور بنفسه هو المسئول عن انهيار حضارتنا انهيارا مدمرا يرونه جميعا راى العين .

فحين بدأ أودن Auden إحدى قصائده بهذا البيت :

« هرباً من المنفذين المخبولين المحلوق الشعر » .

واضح أنه كان يعني أنه يفضل الشعراء المهدلى الشعر على الخبراء المتحذلقين الوقورين المتأنقي الهندام . وهذا الإحتجاج — كما كان منتظرا — قد عبر عنه تعبيرا بالغ القوة في بعض القصائد التي كتبت بعد أن كشفت هذه الحرب القناع عن فظائع العالم الحاضر بكامل بشاعتها . فاليك قصيدة داى لويس Day Lewis المسماة « تقرير » :

« الآن في مواجهة التدمير ، في مواجهة المرأة مزقت إربا فلم يعد يستبان لها هيئة ، مزقها الزجاج المتطاير ، والطائرة المقاتلة تدور كأنما أصابها الدوخة والدوار .

حول محور الطيار المسجون فيها والجماهير المحتشدة تصفق ، والمجاعة تنشب مخالبها منذرة بالموت ، وإعلانات الألم القتال تلطخ عناوين الصحف ولوحات الحيطان ، في مواجهة الوليد مات حرقا وقارب السفينة المحطمة تتلاطمه الأمواج الشامخة .

بينما تتخبط المجاديف بضعف كالخنفساء المقلوبة على ظهرها ، الآن ، أكثر من أي زمان مضى ، حين يبدو الإنسان وكأنه ولد ليؤذي وكأن العالم المتلوى ألما جميعه لا يتسع لرغبته الشريرة ، الآن حان لنا أن نقرر أن الناس هم الحب ، نقرر ذلك في وجههم » .

حقا إنه لا يجرؤ أحد أن ينكر أن هذا الشيء الوحشي الذي يحتج ضده الشعراء له علاقة ما بالعلم . ولكن من المؤكد أنه ليس المعنى الحق لكلمة « العلم » . بل هو نوع من العلم الكاذب . هو موقف عقلي قبل بضعة من الافتراضات العلمية الأولى وسلم بها كأنها مبادىء يمكن استنباط الوجود بأجمعه منها ولذلك كان يسارع برفض كل ما تراءى تطبيقه مستحيلا على معياره الجاهز . ولكن هذا العمل هو أشد شيء بعدا عن العلم . فالعلم ليس طاقما من العقائد . حقا إن للعلم في كل زمن عددا معينا من الإفتراضات يستطيع بها تفسير ما يحدث في العالم . ولكن إذا شرع رجل العلم يظن أن نظرياته تستطيع تفسير كل شيء ، كان لزاما عليه أن يعلن إفلاسه العلمي ، إذ لم يعد يبقى له شيء يقوم به . أما إذا أراد أن يستمر في الميدان العالمي فإنه يجب عليه أن يكون على استعداد للتسليم بأن هناك ظواهر لم يبلغها بحثه بعد ، ومشاكل ليس يستطيع حلها بعد . لم يكن رجل العلم ، بل كان « المنفذ المخبول المحلوق الشعر » الذي وصفه أودن ، هو الذي قرأ نتفا من العلم البدائي ، ثم حسب أنه قد ظفر بجميع الإجابات على جميع الأسئلة . فهو قرأ عن استكشاف داروين لحقيقة تطور الحيوان بواسطة الإنتخاب الطبيعي والكفاح على المعيشة ، ثم اتخذ هذا عذرا يبرر به أشد المنافسات حدة في المجتمع البشري ، وإن كان لم يسائل نفسه لم يحاول الإنسان أن يعيش كالحيوان .

أما العلم الحقيقي فهو بطبعه أعظم من هذا تواضعا وأكثر تقبلا ، وإن كان في النهاية أكبر قوة . فالعقل ذو الموقف العلمي الصحيح يلزمه أن يكون على استعداد للإعتراف بوجود أي شيء يكتشف ، وهو لا يستطيع أن يرفض الأشياء لمجرد أنها لا تنطبق على نظرياته المتحذلقة . ولكن لاشك أن موقفه ليس موقفا سلبيا فحسب ؛ فهو لا يقتصر على أن يدرك كل ما يمكن إدراكه في العالم ، بل يبذل أعظم جهده في أن يسيطر على الأشياء ويقبض على عنانها بتفهم الكيفية التي بها تعمل ، وهذا مغزى إصراره على ضرورة التجربة والإختبار . ذلك أن المرء يستطيع أن يحصل على ما يبدو كأنه الفهم عن طريق التأمل الفكري المحض . ولكن هذا ليس فهما علميا ، إذ أنه لا يؤدي إلى السيطرة على الأشياء التي تأمل فيها تأملا فكريا .

الموقف العلمي متقبل أيضا ، ولكنه لا يقتصر على التقبل .

هو يحاول ألا يهمل شيئا ، ولكنه إلى جانب ذلك يصر على أنه يجب ألا يقرأ فى الشىء أكثر مما يحتويه ذلك الشىء ، هو لا يرفض قبول الأشياء ، ولكنه يجب أن يحصل عليها خالصة صافية ، كما هى فى حقيقة ذاتها ، لا كرموز تحمل فى طياتها خواطر مبهمة حالكة غير متميزة .

من السهل جدا أن يلحظ فى كثير من شعراء اليوم تأثرهم بالنزعة العلمية التى تحاول أن تجرد الأشياء عن رموزها وأن تعتبرها كما هى فى بساطتها وتنظر إليها بعين جديدة . ولقد وضح (أودن) هذه النقطة خير توضيح ، وأودن هو أشد الشعراء المحدثين نزعة علمية واعية فهو يقول :

« الساعة الرملية تهمس إلى مخلب الأسد ، وأبراج الساعة تنبىء الحدائق ليلا ونهارا ، كم من أخطاء يصبر عليها الزمن ، وما أشد خطأها إذ هى دائما مصيبة .

ولكن الزمن ، مهما علت دقاته أو ضخمت : ومهما أسرع سيله المتحدر في الانصباب ، فما حدث قط أنه ثنى الأسد عن وثبته ولا أنه زعزع ثقة الورد .

فهذه كما نبدو ليست تهتم إلا بالفوز : بينا نحن نتخير الكلمات لمجرد طنينها ونعتبر المسألة بحسب إشكالها وما برح الزمن إلينا محببا . هل حدث قط أننا لم نفضل الطريق الملتوى على الطريق المستقيم الذى يقودنا مباشرة إلى حيث نحن ؟ »(١)

ونفس هذه النزعة التى تحاول أن تتناول الأشياء كما هى ، لا تهمل شيئا ، ولا ترى ما ليس يوجد ، يمكن أن يلحظ تأثيرها على أغلب الشعراء المحدثين .

لكن نفرا من أحدث الشعراء ، ممن أحرزوا مكانة وقدرا فى السنوات الأخيرة ، لم يقتصروا على ذلك ، بل مضوا قدما فى سعيهم نحو العلم . فمثلا داى لويس Day Lewis قد نقد فى كتاباته الفوضى الحالية أشد نقد وأمره ، وقام بدور نبى العالم الجديد . وهو قلما حدد بجلاء ما يعتقد أنه أساس العالم الجديد ، ولكنه حين يقوم بذلك يصرح باعتقاده أن هذا الأساس سيكون نفس الشىء الذى سمحنا له بأن يصير مصدر اضطرابنا الحالى ، يقول :

« كم يكون عجيبا أن يبرز من اضطراب ربوة النمل وتخبطها نظام ملائكى تقوم دعامته على الحب ، يستطيع مواجهة الخير والشر كليهما .

كم يكون أعجب من العجب لو أن الشيطان الذى نبعثه لنثأر لحقدنا وحزننا وضعفنا ، أخذ بأيدينا كأنه الأمير المنقذ ورفعنا وقال : أنا أصفح » .

أليس هذا اعترافا بأن العلم ، الذى كثيرا ما وصفه داى لويس بأنه جرثومة عللنا ، قد يكون فيه جرثومة خلاصنا أيضا ؟

أما أودن فقد عبر عن هذه الفكرة تعبيرا أشد صراحة وجلاء . هذا ولعل أودن هو أعظم شعراء العقد المنصرم شأنا من كل الوجوه . فهو يقرر بجلاء تام أن العالم لن ينجو إلا حين تسيطر المعرفة على الإرادة الجامحة وتخضعها ، وحين يحدث ذلك فى اعتقاده أن كل النواحى المختلفة من طبيعة الإنسان ستنسجم إحداها مع الأخرى فى أكمل انسجام ، قال :

« لا بد أن تبكى كل عين على انفراد حتى تخلع (أنا أريد) من عرشها ، ولكن من المستطاع طرد (أنا أريد) إذ ليس لها من البصيرة مايحميها من هجمات (أنا أعرف) ؛ بلى من المستطاع طرد (أنا أريد) .

حينذاك تلتقى كل أنواع (أنا) وتنمو (إننى أنا) حتى تصير : (أنا أحب) و (أنا محروم) تصير : (أنا محبوب) ؛ إذ ذاك تتلاقى كل أنواع (أنا) وتنمو .

حتى تخلع (أنا أريد) من عرشها لا بد أن تبكى كل عين على انفراد » .

---

(١) معنى هذه الأبيات ، أن الانسان قد اخترع فكرة الزمن ، واخترع لقياسه الساعات الرملية والساعات الدقاقة ، وقيد نفسه أشد تقييد بهذا الوهم المصطنع ، فلم يعد يقوم بشىء إلا طبقا للساعة والدقيقة . مع أن الطبيعة نفسها لا تأبه بهذه الفلسفة فالأسد إذ يهاجم فريسته وينشب فيها مخلبه لا يستمع إلى ساعة تنبئه بأنه قد حان وقت طعامه إنما يدفعه الجوع والتفاعلات الكيمياوية الطبيعية فى جسده . وكذلك البستان إذ تورق أشجاره أو تزدهر وروده ليس يجرى فى ذلك طبقا لمقاييس الزمن البشرية . وقد اختار الشاعر خرافة الزمن كمثال للخرافات التى خلقتها مخيلة الانسان وصارت لها عبدا خاضعا ، بفضلة هذه المصطنعات الكاذبة على حقائق الطبيعة البسيطة المجردة . (المترجم)

ولـكن أودن لا تقتصر نزعته العلمية الحق على هـذا ، بل هو أحد الشعراء القلائل الذين يعرفون كنه العلم الحديث ، والذين يدركون أنه ليس يقتصر على تتبع الجوهر الفرد فى رحلته العمياء بل يهتم أعظم اهتمام بالطبيعة السيكولوجية والإجتماعية لبنى البشر. فأودن يدرك أن مشا كل العصر الأساسية هى مشا كل العلاقة بين الطبيعة البشرية وبين العالم المادى . هى مشا كل سيكولوجية واجتماعية من ناحية ، وطبيعية و كيمياوية واصطلاحية من ناحية أخرى . وهو فى أحدث كتاب له ، « رسالة العام الجديد » ، يتناول بالبحث هذه المشا كل فى قصيدة مذيلة بتعليقات كثيرة تحيل القارىء إلى كتابات كثير من رجال العلم بفروعه المتعددة. وتحليله النهائى للموقف مفرغ فى قالب عبارات مستمدة من علم النفس الحديث مباشرة . وهو يقرر أن مشاكلنا راجعة فى جوهرها إلى أن شخصيتنا (وهى القسم الذى يسميه علماء النفس Ego الذات) ، حين تبلغ المستوى الثقافى الأعلى ، تشعر بعزلتها وتنسى الوشائج الإجتماعية التى تربطها بسائر الجنس البشرى يقول :

« فى الطبقات العليا من الذات ، وفى قمم الخوف الشامخة تـكوّن ذرات الخطأ العـاصفة التى تهلك الراعى ، ونـكبتنا السياسية تهبط من شدة شعورها بذاتها » .

ثم يسترسل فيقرر أن هذا الشعور بالوحدة لا مناص منه فى الوقت الحاضر ، فالإنقلاب الاصطلاحى قد هدم قوالب المجتمع التقليدية التى كانت تجعل النـاس يشعرون بأن لهم فى المجموع الـكلى مكانا وأنهم منه جزء قال :

« مهما صممنا على أن نتصرف فان تصميمنا لا بد أن يسلم بهذه الحقيقة : إن الآلة قد حطمت اليوم التقاليد المحلية التى كنا نستمتع بها ، وإنها قد أحلت محل روابط الدم والملة رابطة الفرد بذاته ، وأرغمت الجميع على أن يعترفوا بأن الوحـدة هى طبيعة الإنسان الحق » .

ولـكنه يسترسل فيقرر أن هذا لا يجعل من المستحيل تـكوين نظام اجتماعى جديد . بل هو يقول :

« كل اتحاد حق فهو إنما يبدأ بالشعور بالإختلافات ، فللـكل حاجات يريدون تقضيتها ، ولدى كل فرد قوة يتطوع بها » .

فهو يفسر هذه المفارقة : بأنه حين يدرك الإنسان أنه فى وحدة بنفسه فحينذاك فقط يستطيع فهم الرابطة الحقة التى تربطه بسائر النـاس ، وهى أن كلا يشارك الآخرين فى الشعور بالعزلة . أما الوسيـلة التى يقترحها للوصول إلى هذا الإدراك ، أو التقدم من الشعور بالعـزلة إلى إدراك الإتحـاد ، فهى « الاعتراف المطلق بخطايانا » . وهذا يشبه أشد الشبه الطريقة التى يستعملها رجال التحليل السيكولوجى للتغلب على العزلة العاطفية للذات وللتوفيق بينها وبين الأقسام الأخرى من الشخصية . والراجح أن أودن — كما يتضح من الحجج التى يقتبسها فى تعليقاته على القصيدة — كان يدرك تمام الإدراك مقدار التشابه بين نصيحته والنصيحة التى يدلى بها العلم . بل هو حين يختتم علاجه للمسألة ويبتهل إلى الروح التى يأمل منها خلاص الإنسان ، يستعمل كلمة (العلم) ، كوصف لها . فهو يخاطبها قائلا :

« أيتها المخـلوقة الخرافية المختفية فى أشجار الأرز ، والتى لا توصلنا إليها أية رقية سحرية ، الطفولة البيضاء تمضى كالآهة المتنهدة فى خـلال الأجمات المخضرة لا تؤذيها براءتك اللعوب ، لـكى تستثير محبوبك الصادق لينسجم معها يا حمامة العلم والنور » .

[عن مجلة وورلد ريفيو] **ه . وادنجتونه**

من محاسن التشريع الاسلامي

للأستاذ حسن أحمد الخطيب

— ١٠ —

جعله العرف قاعدة وأساساً للتشريع

من مزايا الشريعة الإسلامية ومحاسنها أنها جعلت العرف أساساً من أسس التشريع إذا لم يخالف نصاً صريحاً — على ما سنبين — حتى جعل الفقهاء الإسلاميون العرف والعادة قاعدة من قواعدهم ، بنوا عليها كثيراً من أحكام الفروع الفقهية ، وجرت على ألسنتهم فى عبارات مختلفة لفظاً ، متقاربة مآلا ومعنى ، فقالوا : « العادة مُحكَّمة ، والمعروف كالمشروط ، والمعروف عرفا كالمشروط شرطاً » ، وفى المبسوط « الثابت بالمعروف كالثابت بالنص » ، وفى الجزء الثانى من رد المحتار للعلامة ابن عابدين :

والعرف فى الشرع له اعتبار لذا عليه الحكم قد يُدار

وفى الجزء الخامس منه فى مبحث تحديد سنّ البلوغ للغلام والجارية : « العادة إحدى الحجج الشرعية فيما لا نص فيه » .

وإنما تعتبر العادة والعرف مرجعاً تبنى عليه الأحكام بشروط ثلاثة :

الأول — ألا يخالف العرف نصاً صريحاً .

الثانى — أن يكون العرف عاماً ، فالحكم العام لا يثبت بالعرف الخاص ، كتعارف أهل بلد واحد ، أو تعارف خواص أهل جهة دون عامتها ، فإن التعارف لا يثبت بهذا القدر ، وقيل يثبت به ، ولكن المعول عليه عدم اعتبار العرف الخاص ، وإن أفتى بعضهم باعتباره [1] .

الثالث — إذا اطردت العادة وغلبت .

ولكثرة الفروع والأحكام التى بنيت على تلك القاعدة — نجتزئ بذكر هذه الأمثلة :

(١) راجع تفصيل الكلام فى العرف العام والخاص فى الأشباه وشرحه ص ١٣٤ و ١٣٥

١ — ألفاظ الواقفين تبتنى على عرفهم ، وكذا لفظ الناذر والحالف .

٢ — قال بعض الفقهاء فى حد الماء الجارى : هو ما يعده العرف جاريا .

٣ — وقالوا فى الحيض والنفاس إذا زاد الدم على أكثر مدة الحيض أو النفاس — ترد المرأة إلى أيام عدتها .

٤ — وأجازوا استئجار الظئر [1] بطعامها وكسوتها على المستأجر وإن كان مجهولا للعرف .

٥ — ومن ذلك أيضاً ماذهب إليه أهل المدينة فى الدعاوى ، فقد جعلوها على ثلاث مراتب :

الأولى — دعوى يشهد لها العرف بأنها تشبه أن تكون حقاً ، وهذه تسمع من مدعيها ، وله إقامة البينة ، أو استحلاف المدعى عليه .

الثانية — ما يشهد العرف بأنها لا تشبه ذلك ، إلا أنه لا يقضى بكذبها — كما إذا ادعى شخص على رجل ولا معرفة بينهما البتة ، أنه أقرضه أو باعه شيئاً بثمن فى ذمته إلى أجل — فهذه الدعوى تسمع ، ولمدعيها أن يقيم البينة ، ولكنهم قالوا إنه لا يملك استحلاف المدعى عليه على نفيها إلا بإثبات خلطة بينه وبين المدعى عليه .

الثالثة — دعوى يقضى العرف بكذبها ، فلا تسمع ، ولهذه أمثلة كثيرة ، منها أن تأتى المرأة بعد سنين متطاولة ، تدعى على زوجها أنه لم يكسها فى شتاء ولا صيف ، ولا أنفق عليها شيئاً ، فهذه الدعوى لا تسمع ، لتكذيب العرف والعادة بها ، ولا سيما إذا كانت المرأة فقيرة ، وكان الزوج موسراً [2] .

٦ — يقبل قول الوصى فيما ينفقه على اليتيم إذا ادعى ما يقتضيه العرف ، فإذا ادعى أكثر من ذلك لم يقبل قوله [3] .

٧ — قال أبو يوسف ومحمد صاحبا أبى حنيفة يحكم ببلوغ الغلام والجارية إذا بلغا خمس عشرة سنة — عند عدم ظهور أمارات البلوغ — وبه قالت الأئمة الثلاثة ، وعللوا ذلك بأنه

(١) المرضع .

(٢) الطرق الحكمية ص ٨٧ و ٨٨ و ٨٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٠١ .

في الأدب الانكليزي

ماثيو أرنولد

Mathew Arnold

بقلم الأستاذ خيري حماد

— ٣ —

وقد كتب عنه فتش قائلا « لقد نظر نحو المجتمع الإنكليزي فرأى الأغنياء يسعون في جمع المادة وكنزها فيقومون بمختلف الأعمال للحصول على هذه الأمنية ورأى الطبقة المتوسطة تتدانى فتصبح مبتذلة محتقرة ، والطبقة العامة تنحط فتصبح بمستوى الوحوش والحيوانات[1] » .

وكانت الطبقة الوسطى موضع حملاته ومسقط إهانته وازدرائه وقد أطلق عليهم لقب الفلستينيين خفضاً من شأنهم وإزالا من أمرهم . وقد وصفهم :

« هم محصورو التفكير ، تطغى عليهم روح التحامل والتعرض فيهملون أمور الدين والعقائد ويتمسكون بأفكار تدل على صغر عقولهم وضآلة قوة التمييز فيهم . فلا يستهويهم الجمال بذلك الشعور القوى المندفع ؛ بل يحسون إحساسات خالية من المنطق وحسن التمييز . أخلاقهم منحطة وعواطفهم مبتذلة[1] » .

ولم تكن هذه الأفكار صادرة عن قلة اختبار أو عدم حنكة ؛ كان مبعثها التجربة فلقد اختط أرنولد لنفسه خطة جعلته يختلط بهذه الطبقة ويمتزج بها امتزاجاً ساعده على تفهم عقليتها . فالفلستيني في رأيه هو ذلك الرجل الذي لا يستطيع أن يفهم الآداب ولا يستسيغها ذوقه فهو يتظاهر باطلاعه على معظم الأمور بينما هو في الحقيقة على جانب عظيم من الجهل لا يشغله إلا حضور حفلات الشاي وسمر الأصدقاء والخلان .

وإن هذا التحليل الفلسفي الذي نراه في كتابات أرنولد لأخلاق شعبه لعلى جانب عظيم من الصحة والصدق ، ولكن هذه الدراسة وهذا التحليل لم يكونا في يوم ما تامين ؛ فهو لم

(١) Mixed Essays. Grnold

(١) Jrish Essay : The tuture of hiberabiem : Arnold

العادة الغالبة على أهل زمانهم[1] .

والأصل في وضع هذا الأساس وتقرير تلك القاعدة قوله عليه الصلاة والسلام : « ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن » ، قال العلائي لم أجده مرفوعاً ، وإنما هو من قول عبد الله ابن مسعود ، فقد روى عنه الإمام أحمد وغيره : « إن الله نظر في قلوب العباد ، فرأى قلب محمد خير قلوب العباد ، فاختاره لرسالته ، ثم نظر في قلوب العباد بعده ، فرأى قلوب أصحابه خير قلوب العباد فاختارهم لصحبته ، فما رآه المؤمنون حسناً فهو عند الله حسن ، وما رآه المؤمنون قبيحاً فهو عند الله قبيح »[2] ، وقال شهاب الدين القرافي : إن الأحكام تجرى مع العرف والعادة ، وينتقل الفقيه بانتقالها ، ومن جهل المفتي جموده على المنصوص في الكتب غير ملتفت إلى تغيير العرف .

هذا وإنك لتدهش حقاً حينما تطلع على كثرة المسائل الفقهية ، والأحكام التشريعية التي بناها علماء التشريع الإسلامي على العرف والعادة ، إذ إعتبروهما أساساً من أسس التشريع بالشروط التي أسلفناها ، ولكن لايلبث دهشك أن يزول إذا علمت أن القانون الصالح هو الذي تراعى فيه أحوال الأمة الاجتماعية والإقتصادية ، وعاداتها العامة ، على ألا يكون في ذلك إقرار مفسدة ، أو تعطيل مصلحة ، ومن جهة أخرى ، فإن النزع من العادة الظاهرة ، وإقصاء الناس عن العرف العام — في غير حاجة ولاضرورة — فيه حرج لهم ، ولا شك أن أصلح الشرائع ، وأجدرها بالبقاء ما روعى فيها اليسر ، وانتفى منها الحرج والعسر ، وذلك ما تحقق في شريعة الإسلام .

(يتبع) حسن أحمد الخطيب

(١) رد المحتار جـ ٥ صـ ١٠٠ .

(٢) الأشباه صـ ١٢٦ والطرق الحكمية صـ ٩١ .

يفهم حقيقة الطبقة الوسطى وأهميتها فى المجتمع البشرى ، ناهيك عن جهله لديانتهم وعقائدهم ، فقد نسى أوتناسى أنهم مصدر الحياة وينبوع النشاط فى كيان الأمة ، فدولاب الأعمال فى أيديهم وحركة التجارة والصناعة لا تخرج عن دائرتهم .

كان أرنولد يمقت لقب البروفسور ولقب الفيلسوف ولكنه فى الحقيقة كان فيلسوفاً بأتم ما يقدمه هذا الإسم من معان وصفات . وهذه الفلسفة التى نراها فى مؤلفاته هى فلسفة ابتداعية ابتكرها من نفسه ولم ينقلها عن سابقيه من كبار الفلاسفة أمثال ابيقور وسقراط وغيرهما ؛ فقد أحب دراسة تاريخ الأديان ، واطلع على أسس الديانة المسيحية وعقائد اليهودية الجديدة وحاول أن يمزج هذه العقائد ببعضها فيخرج لشعبه فلسفة دينية جديدة ويكون لهم فكراً حديثاً عن حقيقة الأديان وغاياتها .

وفى كتابه : « الثقافة والفوضى » نرى عقائده الفلسفية ظاهرة تمام الظهور ونظامه الفلسفى واضحاً أتم الوضوح ؛ فالثقافة فى رأيه هى التطور فى سبيل الكمال ، وتفهم كل ما يحيط بنا من حقائق وظواهر طبيعية وغير طبيعية مما تؤثر فى كياننا الشخصى والعلمى . وما هى فى الحقيقة إلا الإطلاع على أحسن مافكر به العلماء والعقلاء من رجالات الأمم ونابهى أمرها . وفى هذا الكتاب نراه يسجل عقيدته المحبوبة التى أطلق عليها لقب « العذوبة والضوء »

وقد اقتبس أرنولد هذا التعبير من الكاتب الشهير جوناثان سوفت ولكنه اختلف عن سوفت بكونه عنى به شيئاً يخالف تمام المخالفة ما عناه سوفت من قبل ، فقد جعله اسماً لشىء أرقى وأسمى بكثير مما عناه سالفه . فالثقافة تشمل نوعين يكمل أحدهما الآخر وهما المعرفة والطبع . وما النتيجة المتوخاة منهما إلا إنفاذ أمر الله وتحقيق إرادته مصحوبين بتحكيم العقل ، وسعة الإدراك .

وكان للثقافة فى رأيه أوجه عدة ، فلم تكن لتختصر فى الإحساس العلمى بل تتعداه إلى الميل الغريزى نحو العمل والمساعدة والسعى إلى ما فيه الخير العام . وكل هذه الأوجه مفيد ونافع من حيث أنه ينطوى على الرغبة فى إزالة الهفوات البشرية وفى تنقية صفحة المجتمع بإزالة آثار التعاسة والبؤس منه . وما هى فى الحقيقة إلا السعى فى ترك العالم ومغادرته أكثر سعادة وأعظم شأناً من الحالة التى وجدناه فيها عند بداءة أمرنا .

ولم تكن الثقافة فى نظره يوماً ما وليدة حب الإستطلاع والفضول بل حب الكمال وعدم النقصان . فاهى إلا دراسة الفرد لأحوال مجتمعه ، ومحاولة سد كل نقص يجد ، وفيه تندفع فى طريقها تحفزها المعرفة ويقودها الشعور الأخلاقى الإجتماعى للسعى إلى ما فيه خير الناس والانسانية .

ومعظم أفكاره الفلسفية تتلخص فى الفقرة التالية التى كتبها « الثقافة تتطلع إلى مرمى أبعد مما يتطلع إليه الانسان العادى . فهى تكره الحقد ويدفعها شعور عظيم واحد هو شعور الجمال والضياء . وهنالك دافع أشد من هذا وأقوى ، هو تنفيذهما وإحداث أثر ظاهر فى الكيان الانسانى . وهى لا تنفك دائبة على العمل حتى ننتهى من إصلاح أنفسنا وتكييفها بشكل تام كامل . وإن تطور بعض الناس الأخلاقى الناتج عن تأثير « العذوبة والضياء » لغير كاف ما لم يسد هذا الشعور جميع طبقات المجتمع فيحدث الأثر المتوخى والنتيجة المقصودة[1] » .

ونرى أرنولد دائم الحض للناس على العمل لاظهار الافكار الحقيقية والجمال الطبيعى ، والعذوبة الغريزية والضوء الفطرى . وأن من الواجب على الأفراد المستنيرين تغذية عقول الشعب وتثقيفهم الثقافة الضرورية . وما عظام الرجال فى رأيه إلا أولئك الذين يستطيعون توزيع المعرفة والأفكار السامية على عقول أبناء جلدتهم وبنى وطنهم من شتى الطبقات ومختلف الرتب والمناصب والذين جربوا بكل قواهم أن يرهفوا الثقافة الخشنة الصعبة المراس فيجعلوا منها أداة سامية ، أداة عاملة لرفع مستوى التفكير والمعرفة الانسانيين ، ولخلق « العذوبة والضوء » اللذين يتوخاهما العالم ويحتاج إليهما .

لقد حاولنا فى الفقرات السالفة أن نجمع بعض الأفكار التى أدرجها أرنولد فى مؤلفاته ونحللها تحليلا فلسفياً معقولا . ولقد يتراءى لنا أن فلسفته كلها تنحصر فى هذه العقائد التى ذكرتها مع أنها فى الحقيقة تكون قسما أعظم وأكثر اتساعا . وقد فضلت أن أبحث فى فلسفته الدينية بحثاً خاصاً ، فأرجأت تحليلها إلى الصفحات التالية .

(يتبع)

صبرى حماد

(١) Cultuae and Inarchy Grnsld P. 37

رأى جديد فى :

حمـــاد الراوية

للأستاذ السيد يعقوب بكر

— ٦ —

[تتمة]

وأما قصة حماد مع الطرماح بن حكيم ، فقد تكون صادقة ، وقد تكون كاذبة . فنحن لا نملك تصديقها أو تكذيبها . ولكننا نضع بين يدى القارئ ما يقوله الجاحظ (البيان والتبيين ، ج ١ ص ٥٤) فى الطرماح بن حكيم : « ولم ير الناس أعجب حالا من الكميت عدنانياً عصبياً ، وكان الطرماح قحطانياً عصبياً ... وكان الكميت يتعصب لأهل الكوفة ، وكان الطرماح لأهل الشام ... » . ومعنى مايقوله الجاحظ أن الطرماح كان يتعصب على أهل الكوفة وكان حماد كوفياً .

وأما قصة حماد مع بلال بن أبى بُردة وذى الرّمة فلا تنص على أن حماداً ادعى الشعر لنفسه ، وهو الشعر الذى مدح به بلالا . بل إنها تذكر أن حماداً نسبه إلى بعض شعراء الجاهلية . وهو شعر لا يرويه غير حماد ، وكان يستطيع نسبته إلى نفسه لو أراد . وليس بغريب أن يمدح حماد بلال بن أبى بردة بشعر لم يقله

وأما قصة حماد مع بلال بن أبى بُردة حين أنشده قصيدة الحطيئة ، فقد لا تدل على انتحال حماد . ويؤيد هـذا ما يقوله صاحب الأغانى معقباً على هذه القصة (ج ٢ ص ٥١) : « وذكر المدائنى أن الحطيئة قال هذه القصيدة فى أبى موسى وأنها صحيحة ، قالها فيه وقد جمع جيشاً للغزو ... فوصله أبو موسى ، فكتب إليه عمر رضى الله عنه يلومه على ذلك ، فكتب إليه : إنى اشتريت عرضي منه بها ، فكتب إليه عمر : إن كان هذا هكذا وإنما فديت عرضك من لسانه ولم تعطه للمدح والفخر ، فقد أحسنت » . ونجد كلاماً قريباً من هذا فى الأغانى أيضاً (ج ١١ ص ٢٩) . هذا إلى أنه لا يصح من مثل بلال بن أبى بردة ما تنسبه إليه القصة من أنه قال : ولكن دعها تذهب فى الناس ؛ فهو حفيد أبى موسى الأشعرى ، وهو قاض وأمير . يقول الجاحظ فى البيان والتبيين (ج ١ ص ٢٣٨) : « وولى منبر البصرة أربعة من القضاة ، فكانوا قضاة أمراء : بلال . وسوّار ، وعبيد الله ، وأحمد بن رباح . وكان بلال قاضياً بن قاض بن قاض ، وقال رؤبة :

فأنت يا ابن القاضيين قاض معتزم على الطريق ماض »

وأخيراً نصل إلى الخبرين اللذين أوردهما السيوطى فى المزهر . وأول هذين الخبرين ما يرويه أبو عمرو بن سعيد بن وهب الثقفى من أنه سأل حماداً أن يُملى عليه قصيدة لأخواله بنى سعد بن مالك ، فأملى عليه حماد شعراً نسبه إلى طرفة وهو لأعشى همدان . والخبر الثانى ما يرويه سعيد بن هُرَيْم البرجمى عمن يثق به من أن أعرابياً أنشد حماداً قصيدة لم تُعرف ولم يُدْرَ لمن هى ، فاختلفت الأقوال فى قائلها ، فقال حماد : اجعلوها لطرفة . وكلا الخبرين فى المزهر وحده ، لم نقف عليه فى كتاب آخر . هذا إلى أن السيوطى متأخر . وفى هذا كله تجريح لكلا الخبرين . وقد يبدو لنا الخبر الأول صحيحاً حين نعلم أن حماداً بكرىّ الولاء ، وأن طرفة شاعر بكرى ، وأن حماداً لهذا قد ينسب إليه ما لم يقله . ولكننا نعود فنسأل : ماذا حدا بأبى عمرو بن سعيد ، وخؤولته فى بنى سعد ابن مالك المتحدرين من بكر بن وائل ، إلى أن يفضح أمر حماد ، صديقه وشريكه فى هوى بكر ، وإلى ألا يسكت عليه حين ينسب شعراً إلى طرفة ، وهو بكرى ، بل من بنى سعد بن مالك ؟ ثم إننا نعود فنسأل أيضاً : كيف ينسب حماد إلى طرفة شعراً يعرف أبو عمرو بن سعيد وغير أبى عمرو بن سعيد أنه لأعشى همدان ؟ وهل هذه هى حال حماد ، الذى كان يَخفى انتحاله ، فيما يقول المفضل الضبى ، إلا على العالم الناقد ؟

وأما الخبر الثانى فقد يبدو صحيحاً أيضاً ؛ لأن حماداً ، وهو بكرى الهوى ، نسب ما رواه الأعرابى إلى طرفة دون غيره ، وهو شاعر بكرى . ولكننا نقول إن سعيد بن هريم البرجمى لم يصرح باسم من حدثه هذا الحديث ، وفى هذا تجريح لروايته . ونقول أيضاً إن سياق القصة يوحى بأن القوم كانوا مختلفين فيمن يمكن أن يقول هذا الشعر من الشعراء الجاهليين ، وأن حمادا

حين جعل الشعر لطرفة كان يرى أن هذا الشعر يتفق ومذهب طرفة. فالقصة إذن، إذا صحت، لا تدل على انتحال حماد أصلا، ولكن تدل على نوع من التحقيق كان يقوم به حماد ومن معه، نوع من التحقيق يتناول مذاهب الشعراء الأقدمين وأساليبهم في صوغ الشعر لينتهي من ذلك إلى نسبة ما رواه الأعرابي إلى من قد يصح صدوره عنه.

٣ — تمحيص رواية ابن عبد ربه

يذكر ابن عبد ربه أن حماداً كان يقول: ما من شاعر إلا قد حققت في شعره أبياتاً فجازت عنه إلا الأعشى أعشى بكر فإني لم أزد في شعره قط غير بيت وهو:

وأنكرتني وما كان الذي نكرت

من الحوادث إلا الشيب والصلعا

وأقول: هذه رواية لم ترد إلا في كتاب ابن عبد ربه؛ وما كان أجدرها، إن كانت صحيحة، أن ترد في غيره من الكتب، ولا سيما كتب المشارقة. ثم أقول: وهناك رواية أخرى تقول إن أبا عمرو بن العلاء هو الذي وضع ذلك البيت على الأعشى، وإن شهد على نفسه بذلك. فهنا إذن روايتان، تعارض كل منهما الأخرى.

فقد محصنا إذن تلك الأقوال والأخبار التي توردها كتب القدماء في صدد انتحال حماد، وانتهينا إلى أنها تقوم دليلا على أن حماداً كان بالغ الانتحال وكنا قدمنا لهذا التمحيص بأدلة عقلية ونقلية توحي بأن حماداً لم يكن بالغ الانتحال كذلك. وهكذا يكون قد استقام لنا التدليل على رأينا في انتحال حماد، من أنه لم يبلغ ذلك المدى الذي تصفه لنا كتب القدماء؛ ومن أن ما صح منه كان صدى لحال الرواية في عصر حماد واستجابة لنوازعها، فإن حماداً لم يكن مشغوفاً بالانتحال عاكفاً عليه جاعلا له همه وقصده.

٦ — ما سر التحامل على حماد:

قدمنا في صدد الكلام عن حياة حماد أنه كان ماجناً فاسقاً مستهتراً. ونقول هنا إن هذا بعض ما دعا القدماء إلى الشك في روايته، وإلى اتهامه بالانتحال. يقول السيوطي في المزهر (ج ١ ص ١٦): «ويؤخذ من هذا أن العربي الذي يحتج بقوله لا يشترط فيه العدالة، بخلاف راوي الأشعار واللغات». ومعنى هذا أن راوي الأشعار واللغات يجب أن يكون عدلا، وإلا رفضت روايته. وحماد لم يكن عدلا، لأنه كان ماجناً فاسقاً مستهتراً.

وأما تحامل المعاصرين له عليه، وطعنهم في روايته، فهما مظهر من مظاهر الحسد والغيرة. فقد كان كثير الرواية، بل كان أحفظ الجميع، وكان لا يسأل عن شيء إلا عرفه. فلم يجد معاصروه مطعنا في روايته من نقص وقصور، ولم يمكنهم اتهامه بقلة الرواية؛ فزعموا أن روايته غير صحيحة. وأنا أحب أن أنبه إلى أن هذه حال المتعاصرين من العلماء، في كل الأزمان والأقطار. والشواهد على هذا كثيرة في أيامنا هذه. فقد ينفس الناس على أديب عبقريته، فيرمونه بالكفر والمروق، وقد ينفسون على كاتب إنتاجه الكثير، فيزعمون أنه إنما ينقل عن الغربيين. هذا وذاك نسمعه في عصرنا هذا، وهو عصر مثل باقي العصور، حاله حالها وناسه ناسها. واستمع إلى السيوطي وهو يقول (ج ٢ ص ١٠٤): «وكان أبو زيد وأبو عبيدة يخالفانه ويناوئانه (الكلام عن الأصمعي) كما يناوئهما، فكلهم كان يطعن على صاحبه بأنه قليل الرواية ولا يذكره بالتزيد». فهذه حال أبي زيد وأبي عبيدة والأصمعي، وهي حال كل الأحوال، لها نظائر في كل العصور.

٧ — خاتمة

هذا هو حماد كما طالعنا به البحث الطويل، وهذا هو رأيي فيه وفي روايته. وهو دون ريب من أعظم رجال الرواية العربية، ولاسيما رواية الشعر. ولئن كان قد طال الطعن عليه وعلى روايته، فقد آن لنا أن نحيّيه ونحيّي روايته.

ولكنني لا أترك القلم قبل أن أهدي هذا البحث إلى أستاذي الجليل الدكتور طه حسين بك، وقبل أن أسأله رأيه في مقدماته ونتائجه. وأنا أرجو أن يكون رأيه فيّ حسناً؟ إني إذاً لسعيدُ.

السيد يعقوب بكر

٥ ـ الزنـــــدقه
فى عهد المهدي العباسي
للأستاذ محمد خليفة التونسى

الشعوبية والمجوسية — المجوسية وأطوارها بالاجمال — زرادشت ومانى ومزدك — انتشار المذاهب المجوسية قبل الاسلام وبعده إلى عهد المهدى .

بينا فيما تقدم (١) بعض أسباب الشعوبية التى كانت تدفع الفرس إلى كره العرب والسعى إلى اطّراح حكمهم ودينهم ، وأشرنا إلى بعض مظاهر هذه الشعوبية ومنها كثرة انتقاضات الفرس على العرب طلباً للاستقلال ببلادهم ودينهم ونظمهم مما يدعونا إلى أن نسمى الحروب التى جرت بين الفريقين من جراء هذه الانتقاضات حروباً استقلالية ، لأن الاستقلال هو الهدف الذى كان يرمى إليه الفرس من جراء هذه الانتقاضات ، وأشرنا إلى بعض ما كان من سعى الفرس بطريق غير طريق القوة المباشر لكيد العرب وهدم سلطانهم السياسى والدينى ، ومن ذلك محافظتهم على كل ما هو فارسى يصلح للفخر على العرب به عند المفاخرة . ولم يكن همنا فى ذلك كله أن نفصل الكلام فى الشعوبية وأسبابها ونتائجها جميعاً بل الكشف عن العلاقة بين الشعوبية وبعض مظاهرها حتى لا تكون الزندقة التى نعتقد أنها أحد هذه المظاهر بدعة غريبة عن الشيوعية ، ولم نقل ما قلناه آنفاً من الكلام فى مظاهرها إلا لبيان أن الزندقة ليست المظهر الوحيد لها بل هى أحد مظاهرها ، فكما حاول الفرس كيد العرب بكل الوسائل التى أشرنا إليها ، والتى حال ضيق المقام عن الإشارة المفصّلة إليها قبل — كذلك حافظوا على ديانتهم القديمة (المجوسية) ولهذه المحافظة أسباب : منها أنها أرضى لنفوسهم من المحافظة على كثير من مفاخر فارس القديمة التى فاخروا بها العرب ، وأرضى لعقولهم لأن دياناتهم أقرب إليها من الإسلام ، فإن المجوسية قد نبتت فى البيئة التى نبتوا فيها فهى منهم ولهم ، أما الإسلام فإنه بالرغم من أنه دين عام جاء للعرب والفرس وغيرهم — لم تستطع عقولهم أن تألفه كما ألفت المجوسية . ومن هذه الأسباب أن المجوسية كانت صلة قوية من الصلات التى تقفهم كتلة واحدة أمام السيل العربى المتدفق على بلادهم والذى قضى على استقلالهم ومملكتهم ونظمهم ، وجاء بدين يحاول هدم عقائدهم . ومنها أن المجوسية سلاح خفى فالمحافظة عليها محافظة على سلاح أفتك بالإسلام والعرب وسلطانهم من كثير من الأسلحة التى جربوها فنجحوا حيناً وفشلوا أحياناً ، ولم يكن خافياً على دهاتهم ورؤسائهم أثر هذه الديانة من حيث هى صلة قوية بين الفرس ولا من حيث هى سلاح .

ولم يكن من الممكن أن تمحى هذه العقيدة من قلوب معتنقيها وعقولهم وهى منهم ولهم بمجرد إكراههم على تركها ، بل لم يكن ذلك ممكناً حتى لمن دخلوا فى الإسلام مخلصين له لأن النفس البشرية بحكم تكوينها تأبى أن يمحىَ منها عقيدة محواً تاماً لتحل محلها أخرى حلولا تاماً كما هى عليه فى صورتها الأولى ، بل المجرب والمشاهد والمستطاع أن تتقارب العقيدتان وتتداخلا على حساب كل منهما حتى تنسجما فى النفس البشرية بعض الانسجام وهذا مع الإخلاص وعلى أفضل حل مستطاع . والأكثر ألا تتغير من العقيدة القديمة إلا العناوين فتبقى كما هى ، ولا يدخل فى النفس من العقيدة الجديدة شىء بالرغم من التمسك بعناوينها فى الظاهر . وإذن فكيف بمن دخلوا فى الإسلام خوفاً أوطمعاً بل كيف بمن استطاعوا أن يؤدوا الجزية للفاتحين مع البقاء على دينهم ؟ ذلك لأن المجوس حين فتح فارس اعتبروا كأنهم أهل كتاب ، وإن لم يكونوا من الكتابيين: اليهود أصحاب التوراة والنصارى أصحاب الإنجيل — وهؤلاء الكتابيون هم الذين نص القرآن على أخذ الجزية منهم إذا أرادوا البقاء على دينهم ، ومع ذلك فقد سن القواد الذين فتحوا بلادهم سنة أهل الكتاب بهم حسب رأى الخليفة لأن كتابهم الذى سنذكره بعد قليل — وإن يكن غير منزل من السماء كما رأى المسلمون — يشبه الكتب السماوية ، ومن أجل ذلك فرضت الجزية على من شاء البقاء على مجوسيته واستطاع

(١) انظر ما كتبنا فى الشعوبية بالرسالة : العددان : ٦٤٤ و ٦٤٥ بعنوان « الزندقة فى عهد المهدى العباسى » .

دفعها أو أعفى منها لسبب من أسباب الإعفاء[1] فكانت هذه المعاملة من أسباب بقاء المجوسية يضاف إلى عوامل بقائها التى أشرنا إليها من قبل .

وقد بقيت مذاهب المجوسية التى سنتكلم فيها بعد قليل قائمة بعد الفتح الإسلامى لفارس زمناً طويلا ، فكانت بيوت النيران التى يعظمها المجوس تتقد فيها النيران ولها خدمها وسدنتها فى فارس تحت الحكم العربى الإسلامى ، وحسبنا مثلا خالد بن برمك وهو من أكبر دعاة الدولة العباسية وزعمائها والمشاركين فى قيامها وقد استوزره الخليفة العباسى السفاح (١٣٢ - ١٣٦ هـ) بعد قتل أبى سلمة حفص الخلال أول وزير فى الإسلام كما أشرنا إلى ذلك من قبل[2] ، وكان خالد هذا كما قال الخضرى بك « من مجوس بلخ وكان يخدم النوبهار[3] ، وهو معبد للمجوس بمدينة بلخ توقد فيه النيران فكان برمك وبنوه سدنة له » (محاضراته فى الدولة العباسية ص ١١١) .

وكان ذلك فى أوائل القرن الثانى الهجرى[4] بل لقد ظلت بيوت النيران قائمة فى غير بلاد الفرس عند موت خالد بن برمك

---

(١) نهاية الأرب للنويرى ج ٨ ص ٢٣٨ (الطبعة الأولى لدار الكتب بالقاهرة سنة ١٩٣١) وكتاب الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادى ص ٣٤٦ (طبعة الأستاذ محمد بدر بمطبعة المعارف سنة ١٩١٠) وانظر أيضاً كتب الفقه الاسلامى عند كلامهما فى الجزية وكتب التاريخ المبسوطة عند كلامهما فى فتح فارس فى عهد عمر ، وكتب التفسير عند كلامها فى شرح الآية : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » ويظهر أن الخلفاء والسلاطين المسلمين كانوا يرون وجوب معاملة المجوس على هذا النحو حتى القرن الثامن الهجرى وربما بعده بدليل ما ذكره للنويرى المتوفى سنة ٧٣٣ هـ عند كلامه على ما يلزم مباشر الجوالى وهو الصيرفى الموكل بجمع الجزية من أصحابها (نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٤٢) .

(٢) « الزندقة فى عهد المهدى العباسى » العدد ٦٣٧ من الرسالة .

(٣) هو بيت من بيوت النار بناه الفرس بمدينة بلخ عند نهر جيحون على مثال البيت الحرام بمكة وبيت المقدس بالشام ، وقد فصل القول فيه فى كتاب معجم البلدان لياقوت (حرف النون) ومروج الذهب (ج ٤ ص ٤٧ — ٤٩ طبع باريس) وكتاب البلدان للهمدانى (ص ١٥٧ ، ٣٢٢ — ٣٢٤) .

(٤) الدولة العباسية قيامها وسقوطها . للأستاذ حسن خليفة ص ٦٧ (الطبعة الأولى)

سنة ١٦٣ هـ[1] فى خلافة المهدى الذى نتكلم فى الزندقة على عهده ، فقد كان على خليج القسطنطينية من بلاد الدولة الرومانية الشرقية يومئذ بيت نار كان قد بناه سابور الجنود بن أردشير حين نزل على الخليج وحاصر القسطنطينية فى إحدى حروبه مع الروم ، وقد اشترط عليهم بقاءه فبقى إلى خلافة المهدى[2] (١٥٨ — ١٦٩ هـ) الذى نتحدث بموضوع الزندقة فى عهده . بل ما زالت عبادة النيران فى الهند حتى القرن الثامن الهجرى وكان عبادها يسمون « الإكنواطرية[3] » ، بل ما تزال فى بمباى بالهند طائفة من المجوس يتمسكون بمجوسيتهم ونيرانهم حتى اليوم ويسمون « الفرسيين[4] » .

بل لقد تأدى بنا البحث إلى مكان لامناص لنا فيه من السؤال عن المجوسية وعما إذا كان لها من أثر فى تعاليم الزنادقة الذين ظهروا فى عهد المهدى .

ليس من همنا هنا أن نتبسط فى شرح المجوسية بل سنجمل القول فيها إجمالا ، وسنقتصر فى هذا الإجمال على التعاليم التى يمكن أن يكون لها بموضوعنا صلة . وأبادر فأنبه إلى أننا عاجزون عن فهم مدلول المجوسية بغير فهم أطوارها وفهم الرجال الذين تطورت على أيديهم ، وإلا فإن معنى المجوسية يظل محوطاً بكثير من الغموض والاضطراب ، فالحق أن المجوسية إنما هى أطوارها ، وهناك تعاليم مشتركة بين كل هذه الأطوار ، ولكن هناك أيضاً تعاليم تختص بها بعض الأطوار دون بعض ، فإذا أطلقنا المجوسية على التعاليم

---

(١) محاضرات الخضرى بك ص ١١

(٢) كتاب نهاية الأرب النويرى ج ١ ص ١٠٢ وما يليها ، وكتاب مروج الذهب للمسعودى (طبع باريس) ج ٤ ص ٧٢ وما يليها

(٣) المصدران السابقان كلاهما ، وجاء في هامش الصفحة ١٠٣ من نهاية الأرب ج ١ أن المترجم الألمانى لكتاب الملل والنحل أفاد أن كلمة « الاكنواطرية » مأخوذة من « أجنيهترا » وهى النار المقدسة « أى النار التى تتأجج إكراماً للاله « أجنى »

(٤) تاريخ الفلسفة للأستاذين محمد على مصطفى والمرحوم أحمد عبده خير الدين ص ٣٩ (الطبعة الأولى سنة ١٩٣٣ م) وهذه التسمية تشير إلى أصلهم وأصل مذهبهم الفارسى . وكفى بها دليلا على الصلة بينها وبين العقائد الفارسية وفارس موطنها الأول الذى خرجت منه والصلة بين فارس والهند قوية منذ أقدم العصور حتى الآن ، هي أشهر من أن تحتاج إلي دليل ، وكذلك الصلة بين معتقدات الهنود والفرس ، فقد أخذ كل فريق عن الآخر وأثر فيه وتأثر به معتقدا وفنا وصناعة .

المشتركة دون غيرها أخرجنا عنها ما هو منها ، وإذا أطلقناها على كل التعاليم عامة وخاصة أدخلنا فيها ماليس منها أو وجدناها أمامنا مضطربة متناقضة فى جملها وتفصيلاتها .

كما أبادر فأنبه إلى أنى غير مستريح إلى اعتبار المجوسية على اختلاف أطوارها ديانة من الديانات ، لا لأنها غير سماوية ولا لأنها متناقضة ، ولا لأنى مسلم مضطر إلى عدم الاعتراف بها ، فقد أعترف بها كدين الصحابة الأولون وعاملوا أهلها كما عومل أصحاب الدينين السماويين اليهودية والمسيحية ، ولكنى لا أستريح إلى اعتبارها ديانة لأن الديانات تكاد تكون خصيصة سامية ، فموسى والمسيح ومحمد — عليهم السلام — الذين أرسلهم الله بأعظم الديانات السماوية كانوا ساميين ، وهناك سبب آخر هو أن المجوسية على اختلاف أطوارها لم تستوف معنى الديانة الكامل كما نفهم من هذه الكلمة عند إطلاقها . وأقرب إلى الصواب فى نظرى أن ندعوها فلسفة أو نزعة عقلية أو نزعة فنية ، فهى لا تهتم كالديانات بحل المشاكل الغيبية ، ولا تتطلع إلى ماوراء الطبيعة وفوق العقول بل إنها تحصر اهتمامها حصراً فى العالم الذى أمامها وتحاول أن تتعرفه من طريق الحواس ، كى تخلص من ذلك إلى الامتزاج به والانغماس فيه ، وهذه هى النزعة التى تسلطت على العقل الآرى فى كل العصور .

من طريف ما أذكر هنا أنى قرأت فى كتاب (فى أصول الأدب) للزيات أن فولتير فى روايته (زيير) مثل عقد زواج بين رجل وامرأة على الطريقة الإسلامية فوصف أنه كان بأحد المساجد ، وقد تسرب اليأس إلى ذهن المؤلف المسيحى من أن العادة فى الزواج عند المسيحيين أن يعقد فى الكنائس فقاس المساجد عليها فى عقود الزواج بين المسلمين[1] وشبيه بهذا المؤلف وما تصور من ذهب من العرب إلى اعتبار المجوسية ديانة كالإسلام واليهودية والنصرانية قبله ، ومن ثم وقعت أخطاء كثيرة فى فهمها .

تنتمى الأمة الفارسية إلى الجنس الآرى ، وقد سكنت إيران وما حولها قبل الإسلام بقرون كثيرة ، وبالرغم من أنا لا نرى كل ما ارتآه الفيلسوف الفرنسى رينان من الفروق الكثيرة بين العقل السامى والعقل الآرى — لا نستطيع أن ننكر أن ثمة فروقاً بينهما . يرى الفيلسوف الهندى رابندرانات تاجور فى كتابه « السدهانا » عند كلامه فى أصول الفلسفة البرهمية القديمة أن الآريين القدماء عند ما نزلوا الهند وجدوها مكشوفة بغاباتها وأنهارها وغدرانها ، فكان من ذلك أن وجدوا أنفسهم جزءاً منها فحاولوا الامتزاج بها والاندماج فيها ، وكان لذلك أثره فى فلسفتهم وعقولهم وخيالهم وحضارتهم ، وكذلك يقال فى الآريين الذين نزلوا فى إيران والذين يسمون الفرس أو الإيرانيين ، فقد أحبوا الطبيعة ، وعبدوا قواها ، وحاولوا أن يندسوا فيها بفهمها على اعتبار أنهم جزء منها وأنهم مثلها، والاتصال بها من طريق الحواس؛ ومن ثم جاءت فلسفتهم حية لاتؤمن بغير الحواس ، وتحرص على التثبت أكثر مما تحرص على الاعتقاد ، وتحاول أن تقف منها على أنها جزء منها لا أنها شىء خارج عنها يجب أن تخضع له وتلقى قيادها إليه . ولأمر ما لم تنجح المذاهب المجوسية المختلفة فى الانتشار بين العرب الساميين بالرغم مما كان للفرس من سلطان سياسى وأدبى ومالى عليهم ، وبالرغم من الاختلاط بينهم قروناً عدة قبل الإسلام ولا سيما فى العراق واليمن وبالرغم من أن العرب ظلوا يدينون بديانات وثنية أثناء هذا الاختلاط حتى جاء الإسلام .

إن كل ما ورد من مذاهب المجوسية ينبىء أول ما ينبىء عن أن الفرس الآريين عشقوا الطبيعة عشقاً قوياً ، وأن هذا العشق القوى هو الذى دفعهم إلى تصورها على الهيئة التى عليها تصوروها ، والتعبير عنها على النمط الذى به عبروا عنها ، وكان أعظم ما لفت أنظارهم الشمس ، فقد رأوها أعظم الأشياء ، ووجدوا لها من المنافع ما لم يجدوا لغيرها ، فقدسوها وأسندوا إليها كثيراً من الصفات الإلهية ، ومن أجلها عشقوا النور وعظموه وعبدوه وأسندوا إليه كل خير كما أسندوا إلى ضده الظلام كل شر ، أوهم رمزوا بالنور إلى كل خير وبالظلام إلى كل شر ، ونحن نعلم أن الرموز تنقلب بتطاول الزمن رسوماً وتقاليد جافة وتمحى منها صبغتها الفلسفية والفنية ، وتقدس لذاتها ولو لم يفهم مدلولها ، بل تقدس لذاتها ولو لم تحقق مدلولها المقصود فى البدء ، ويكون لها بعد جمودها الإجلال وحدها دون المعانى المستترة وراءها ، وهذا ما جرى ويجرى فى كل زمن على الفلسفيات والديانات والفنون ونحوها ولا سيما على أيدى عوامها ، وكل إنسان يرى حتى فى الحياة اليومية أمثلة لهذه الإنتكاسات العقلية بين العامة بل الخاصة فى كل صقع من الأرض .

(١) فى أصول الأدب ص ١٧٢ .

ويظهر لى أن هذه العقائد والنزعات المجوسية أقدم عند الفرس من تاريخهم المعروف ، فهناك فرقة من المجوس تسمى الكيومرثية نسبة إلى كيومرث[١] ترى أن للعالم إلها قديماً خالقاً أضافوه إلى النور وسموه « يزدان[٢] » وهو يقارب الله عند غيرهم ، وإلهاً مخلوقاً — خلقه يزدان — أضافوه إلى الظلمة وسموه «أهرمن[٣]» وهو يقارب إبليس عند غيرهم ، وقد نسبوا إلى الأول الحياة والحكمة وكل خير وبركة فى العالم ، كما نسبوا إلى الثانى الموت والفساد والجهل وكل شر وفتنة وضرر وإضرار[٤] .

ولتقديس الفرس النور بنوا بيوت النيران وعبدوها حتى قبل ظهور زرادشت أول حكيم يعيه التاريخ من حكمائهم ، وسنتحدث به وبمذاهبه إجمالا إن شاء الله فيما سيلى ، ونحن حقيقون قبل الكلام فى مذهبه أن نقف هنا لنعلق على العرض السابق لما كان قبل زرادشت بما يمكن أن نفهم منه ، وينبغى ألا نقف عند هذه العناوين التى تبدوا لنا فى الآراء المجوسية قبله بل تنطلق إلى ما وراءها ، وإلا كنا كالعوام وأشباههم ممن يقفون عند الظواهر دون التعمق إلى البواطن .

ينبغى أن نفهم من عرض ما قدمنا أن الفرس منذ القدم وحين نزعوا هذا النزع كانوا أولا عشاقاً للطبيعة ، وكانوا يؤمنون بتضاد الأشياء وتعاقبها ، ورمزوا لذلك بأشد ضدين بروزاً وتعاقباً فى كل ما رأوا وهما النور والظلمة ، فهذان الضدان أبرز من كل ضدين فى الكون ، وتعاقبهما أوضح من تعاقب كل ضدين ، فهم لم يحاولوا التهجم على عالم الغيب المستور الذى لا تنزع عقولهم — وهم عشاق الطبيعة ومظاهرها المحسوسة إلى الضرب فى آفاقه الغامضة ، والاهتداء إلى مضامينه المستورة ، ومن أجل ذلك نفضل ألا نسمى آثار المجوسية ديانة بل فلسفة لأنها نزعة عقلية بل نزعة فنية شعرية تعبر عن عشق مفرط للطبيعة واستجابة لآثارها وإعجاب بها وطرب لها عن فهم حيناً وعن غير فهم أحياناً ، وهذا هو الأليق بالعقلية الفارسية الآرية .

محمد خليفة التونسى

(١) كيومرت أوجيومرت هو عند الفرس مبدأ النسل كآدم أبى البشر عند غيرهم ، وهو أول ملوكهم فيما زعموا ، ويسندون إليه كثيراً من الوصايا والتعالم والمناقب ، وفى مروج الذهب للمسعودي كلام طويل فى كيومرت وما ينسبه إليه الفرس من أساطير ، وقد أورده فى فصل «ذكر ملوك الفرس وجمل من أخبارهم» انظر (مروج الذهب ج ٢ ص ١٠٦ « طبع باريس ») و (هذا الكتاب أيضاً على هامش نفح الطيب ج ١ ص ٢٧٤ «طبع المطبعة الأزهرية المصرية — الطبعة الأولى سنة ١٣٠٢ هـ») فالفرس ينسبون عقائدهم إلى مبدأ البشر إشارة إلى قدمها .

(٢) يزدان يسمى فى بعض الكتب مزدا أو أهورامزدا أو هرمز وهو إله الخير أو إله النور ، ويقول القلقشندى إن معنى يزدان النور .

(٣) أهرمن يرسم فى بعض الكتب أهريمان وهو إله الشر وإله الظلام ، ويقول القلقشندى إن معنى أهرمن الظلمة .

(٤) راجع كل ذلك فى كتاب « صبح الأعشى للقلقشندى » ج ١٣ ص ٢٩٢ ، وانظر فى اعتقادهم بالنور والظلمة وما ينسبون إليهما ما جاء فى المجوسية والثنوية فى كتاب « الفرق بين الفرق » لعبد القاهر البغدادى ص ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ٢٠٣ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٨ ، ٣١٦ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ .

من أبلغ ما قيل فى تكريم مؤلف العباسة :

ذكريات ...

للأستاذ كامل كيلانى

كنا نسمر — أيها السادة — فى حلوان — ذات ليلة — مع الصديق الكريم « جمال الدين أباظة بك » رضى الله عنه ، فى دار شاعرنا « عزيز باشا » أعز الله به دولة الأدب ، قبيل نشوب هذه الحرب العالمية الطاحنة — لا أعاد الله مثلها ، على عالمنا الأرضى المنكوب .

ولم يكد يستقر بنا المقام حتى لمحنا أجزاء من كتاب الأغانى ، على مكتب شاعرنا الموهوب .

فالتفت إلى صديقى جمال بك ، وقلت له : أليس من العجيب أن الإنسان لا يكاد يفتح صفحة من صفحات هذه الكنوز الأدبية الخالدة ، إلا وقعت عينه على درة من عيون البيان العالى تملأ نفسه روعة وسحراً ! » .

قلت هذا — أيها السادة — وأنا قليل الثقة بتوفقى إلى مفاجأته بجديد من روائع هذا الكتاب !

فما أكاد أعرف فى كل من عرفت من أدبائنا المعاصرين أوسع منه اطلاعا على الأدب العربى : شعراً ونثراً ، وقد كدت أقول : « والأدب الفرنسى » لولا فرط حرص على اصطناع الدقة ، وإسراف بالغ فى توخى القصد والاعتدال حتى لا يقال : ولكن من أحب الشىء حابى .

وهو — أعنى جمال الدين — لقوة حافظته وسعة محفوظه ، يكاد يستوعب الصفوة المختارة من طرائف الأدب العربى ، لاسيما كتاب الأغانى فهماً ودراية ، وحفظاً ورواية .

وربما ذكرت له الطرفة المستملحة الغريبة فإذا به — لتثبته من حفظها وروايتها — أسبق من قارئها إلى تلاوتها .

* * *

ففتحت كتاب الأغانى — أيها السادة — لأقرأ — لصديقى جمال — أول ما تقع عليه عيناى .

فإذا بيتان من شعر قيس : شاعر الحب الخالد يتألقان فى صفحة الكتاب كما يتألق القمر فى صفحة السماء ، ليلة البدر أو ليلة السواء .

واليكم البيتين أو على الأصح ، إليكم الدرتين :

« بكيت. نعم بكيت. وكل إلف إذا بانت أليفته بكاها
وما كان التباعد عن تقالٍ ولكن شقوةٌ بلغت مداها »

فترنح صاحبى جمال وترنحت ، وانتشى برحيق الفن وانتشيت . ورحنا نردد البيتين مأخوذين بفنهما الصادق وأسلوبهما الفاتن الذى يفيض سحراً وإبداعاً ، ويلتهب وجداً والتياعاً

وقلت له فيما قلت : « ألا ترى فى قوله : « شقوة بلغت مداها » قصة الحياة كلها مجلوة على إيجازها فى ثلاثة ألفاظ ! ألا ترى فى هذه الألفاظ القليلة وجازة صادقة لمأساته الفاجعة فى لبنى ؟ ألا ترى كيف تألفت منها صورة كاملة يكاد القلب يذوب لها أسى ، وتفنى النفس حسرة على قائلها المبدع العظيم ؟ أليست مأساة قيس ولبنى — على الحقيقة — شقوة بلغت مداها ؟

وهنا دخل شاعرنا المحتفل به وقد سمع آخر الحوار فقال : ما أصدق ما تقولان ! فان فى هذا الشطر وحده قصة كاملة تلخص مأساة قيس ولبناه ، وتكاد تلخص كل قصة من قصص الحياة!

ثم تلا البيتين فى تأثر وإعجاب فى صوت متهدج يكاد يجهش بالبكاء . وكأنما كان يقرأ فى ألفاظهما سطوراً من صحف الغيب :

« وللنفس حالات تريها كأنها تشاهد فيها كل غيب سَتشهد »

ودارت الأيام وألمت بشاعرنا المحبوب من الأحداث والخطوب : شقوة بلغت مداها .

فكأنما صهرت النار المتأججة منجما ذهبياً حافلا بأروع الكنوز ، فأخرجت منه ما فيه من النفائس الغالية سبائك من النضار خالصة من كل شائبة .

وكم ألهبت الحوادث من مناجم فحمية أخرى فأحالتها رماداً تقذى بذراته العيون ، وتتقزز لمنظره النفوس .

أيها السادة : لقد أصاب المثل القائل : « كل ما لم يقتلك فهو ينفعك » وصدق الكتاب الكريم « فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » لقد كانت شقوة بلغت مداها . فأحالها الفن العالى : نعمة بلغت مداها .

«والنحل يجنى المرمن نَوْر الربى فيعود شهداً فى طريق رضابه»

كامل كيلانى

أغاني السكرى

للمرحوم أبى القاسم الشابى

قد سكرنا بحبنا واكتفينا

يامدير الكؤوس فاصرف كؤوسك

واسكب الخمر للعصافير والنحـ ـل وخل الثرى يضم عروسك

ما لنا والكؤوس نطلب منها نشوة والغرام سحر وسكر ؟!

خلنا منك فالربيع لنا با ق وهذا الفضاء كأس وخمر !

نحن نحيا كالطير فى الأفق السا جى وكالنحل فوق غض الزهور

لا ترى غير فتنة العالم الحى وأحلام قلبها المسحور

نحن نلهو تحت الظلال كطفليـ ـن سعيدين فى غرور الطفوله

وعلى الصخرة الجميلة فى الوا دى وبين المخاوف المجهوله

نحن نغدو بين المروج ونغدو ونغنى مع النسيم المغنى

ونناجى روح الطبيعة فى الكو ن ونصغى لقلبها المتغنى

نحن مثل الربيع نمشى على أر ض من الزهر والرؤى والخيال

فوقها يرقص الغرام ويلهو ويغنى فى نشوة ودلال

نحن نحيا فى جنة من جنان السـ ـحر فى عالم بعيد بعيد

نحن فى عشنا المورد نتلو سور الحب للشباب السعيد

قد تركنا الوجود للناس فليقـ ـضوا عليه الحياة كيف أرادوا

وذهبنا بلبه ، وهو روح وتركنا القشور ، وهى جماد

قد سكرنا بحبنا واكتفينا طفح الكأس فاذهبوا ياسقاة

نحن نحيا فلا نريد مزيدا حسبنا ما منحتنا يا حياة

حسبنا زهونا الذى يتثنى حسبنا كأسنا التى نترشف

إن فى ثغرنا رحيقاً سماويـ ـاً وفى قلبنا ربيعاً مفوف

أيها الدهر أيها الزمن الجا رى إلى غير وجهة وقرار

أيها الكون أيها الفلك الدو ار بالفجر ، والدجى ، والنهار

أيها الموت . أيها القدر الأعـ ـمى ! قفوا حيث أنتم أو فسيروا

ودعونا هنا تغنى لنا الأحـ ـلام والحب والوجود الكبير

وإذا ما أبيتم فاحملونا ولهيب الغرام فى شفتينا

وزهور الحياة تعبق بالعطـ ـر وبالسحر والصبا فى يدينا

ألــوان ...

للشاعر عبد الرحمن الخميسى

من رسالة

أطفأتِ مصباحى وكنتُ أضأته لكِ من لهيب مودتى وغرامى

أطفأتِ مصباحى وكنتُ رفعته فى معبدٍ للحب والأحلام

وهدمتِ محرابى وكنتُ أؤمه والشوق ينبض فى دمى وعظامى

إن الذى أغراكِ بالفأس التى أعملتِها ... أغراكِ بالإعدام

إليها ...

لم أقْوَ حتى على البكاء يا فتنة الأرض والسماء

قد أعوزتنى دموع عينى وثار بى ثائرُ العناء

واسودّ فى خاطرى عزاء كم كنتُ ألقاهُ كالضياء

فاستمطِرى اللهَ لى شفاء مما تعالى على الشفاء

بُردة السَّحر

نسجتْ يدُ السحَرِ الخفيةُ بردةً حول السماء رقيقة ملساء

مثل النعومةِ تُستشفُّ ولا تُرى ..

الفجر يزلقُ فوقها أضواء

حاكَ السكونُ خيوطَها مطروحةً

فوق المدينةِ تنثرُ الأنداء

إن مسَّها صوتٌ طوتها قبضة فى الغيب توقظ بعدها الأحياء



الانتحال :

جاء في بحث (حماد الراوية) في الرسالة (٦٤٩) في ترجمة فصل عنوانه أن حماداً اشتهر بالانتحال، وإنما الذي اشتهر به حماد هو النَّحل، وهو أن ينْحَل الرجل شعره غيره وينسبه إليه، وأما الانتحال فهو أن يدعى لنفسه شعر غيره، وقد فشا هذا الخطأ واستفاض من يوم خرج كتاب « في الشعر الجاهلي » الذي تبدل اسمه بعد فصار (في الأدب الجاهلي)، ولم يكد يتبدل مسماه، كما فشت من يومئذ أخطاء أخرى ...

على الطنطاوى

الأمير خالد الجزائرى :

من حق التاريخ علينا — وقد مضى على وفاة الأمير خالد الجزائرى عشرة أعوام كوامل — أن نذكره، فتاريخه تاريخ للحركة الوطنية في الجزائر : كان أصول الأمير شيوخ العلم في الجزائر، وكان جده السيد عبد القادر أميرها وبطلها المشهور (١)، وقد جرى السليل على أعراق سلفه من الحمية الدينية والغيرة الوطنية والبطولة وثبات العزم وحب العلم والعلماء

حذق الفنون الحربية في أرقى كلياتها حتى أحرز أعلى شهاداتها ونال أرفع درجاتها، وتوفر على إتقان اللغة الفرنسية، حتى إنك لتخاله إذا خطب بها ميرابو خطيب الثورة الفرنسية، فأعانه ذلك في توجيه نهضة الجزائر الأدبية

قامت النهضة الجزائرية وتنبهت البلاد على حقوقها الطبيعية، وما كانت معالجة الأمور بهينة، ولا استخلاص الحقوق بيسير، ولا توجيه العواطف الملتهبة في الوجهة الصالحة ليمكن إلا للرجل العالم بمسالك تلك الشؤون، فاستطاع أن يعالج ذلك ويرسم الطريق فلم تكن إلا سنوات بين شد وجذب حتى بلغت الجزائر نهضتها.

كانت الجزائر في اضطرار إلى علمه وبصره وشجاعته وحسن تصريفه، حتى إذا ما كادت تصل إلى مبتغاها ومنتهى أملها، خشيت فرنسة مغبة ذلك عليها فنفوه. ولكن غيرته لم تفتر، فقام بما يجب عليه للاسلام والجزائر في غضون إقامته بمصر والشام

رحم الله الأمير خالداً، لقد كان — حتى في شيخوخته — تنبض الحيوية في حركاته، ويفيض الشباب في كلماته، ويتأجج العزم في نظراته

والميزة التي كان يتفرد بها — برد الله مضجعه — قوة إيمانه وشجاعته، ومن مفاخره في ذلك أنه لما نشر أحد الفرنج من ذوى الدخلة الخبيثة مقالة مس بها شأن النبي محمد عليه صلوات الله وسلامه، هب الأسد قائلا له : المبارزة! المبارزة! بالسلاح الذي تريده! غضبة بطل طار خبرها في الآفاق، وروتها الصحف والجماعات، فارتاع النذل وانهتك حجاب قلبه من الفزع، فأعلن اعتذاره واستغفاره، والأمير بهذا العمل يقف وحده في طليعة الغير على الإسلام.

وهو إلى ذلك متواضع قائم بواجباته الدينية، محافظ على لباسه الإسلامي العربي. عوض الله الإسلام منه خير عوض، وأجزل له المثوبة.

محمد عارف الحسينى

إلى الأستاذ محمد عبود :

عرضت — أيها الأستاذ الفاضل — في كلمة لك نشرت بالعدد ٦٥٠ من «الرسالة» إلى الحديث الذي نقله الأمير الجليل شكيب أرسلان في كتابه الارتسامات اللطاف من كتاب « الطبقات الكبرى » لابن سعد عن الزبير، وهو « من كذب على فليتبوأ مقعده من النار »، وإلى ما قاله وهب ابن جرير في حديثه عن الزبير « والله ما قال متعمداً »، وإن السيد رضا رحمه الله قد علق على هذه الرواية بأن الحديث متواتر تواتراً صحيحاً بهذه الزيادة، وإن من رواها عن الزبير نفسه البخاري وغيره. وإن وهباً هذا قد تكلم فيه بعض رجال الجرح والتعديل، فقال فيه ابن حيان :

---

(١) وضع مؤلفو الفرنج نحو ثلاثين كتاباً في دراسة سيرة هذا البطل ومن العجيب أن نجل الأمير الذي نفي معه منذ عشرين سنة وثيف لا زال بدمشق إلى اليوم، والفرنسيون يأبون عليه العودة إلى وطنه الجزائر.

إنه كان يخطىء ، ثم طلبت منى — أيها الفاضل — أن أبين رأبى فى هذا كله .

وإنى بعد الذى كتبته رداً على الأستاذ أبى شهبة فى هذا الموضوع مما قد ينفع بعضه فى الإجابة عما تسألون[1]، أذكر هنا كلمات تصفيرية تكون تماماً على ما كتبنا .

إن رواية ابن سعد التى جاءت فى الطبقات تتفق ورواية البخارى فى نسخته المتداولة بين الناس فى أن هذه الزيادة ليست فيهما . وإذا كان وهب بن جرير قد تكلم فيه بعض رجال الجرح والتعديل فانه قد ثبت فى تاريخه أن أئمة كباراً قد أخذوا عنه ، وأن ابن معين والعجلى والنسائى وغيرهم قد وثقوه . على أن ابن حبان نفسه قد تكلموا فيه !

والذى يستوفى البحث فى كتب الصحاح والسنن يجد أن هذا الحديث قد جاء بروايات كثيرة مختلفة منها حديث عمر وهو « من كذب على فهو فى النار » وحديث على « لا تكذبوا علىَّ فانه من كذب على فليلج النار » وحديث عثمان وقد قاله على المنبر وهو « لا يحل لأحد يروى حديثاً لم يسمع به فى عهد أبى بكر ولا عهد عمر فانه لم يمنعنى أن أحدث عن رسول الله (ص) ألا أكون من أوعى أصحابه ألا أنى سمعته (ص) يقول « من قال علىّ ما لم أقل فقد تبوأ مقعده من النار » وحديث أبى هريرة وهو « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » وغير ذلك أحاديث كثيرة حمل بعضها هذه الزيادة وجاء بعضها بغيرها ، والروايات التى جاءت عن عمر وعلى وعثمان والزبير وغيرهم من كبار الصحابة قد ظهرت كلها بغير هذه الزيادة .

وأن ممن روى عن الزبير إنكاره لهذه الزيادة الدارقطنى الذى قال فيه الحافظ بن حجر إنه كان حافظ عصره وروايته « والله ما قال متعمداً وأنتم تقولون متعمداً » وابن قتيبة الذى قال فيه الذهبى أنه صدوق . وقال فيه الخطيب ، كان ثقة ديناً وروايته « إنهم يزيدون فيه متعمداً ووالله ما سمعته قال متعمداً » .

وقال الحاكم فى المدخل « ... أن موعد الكاذب عليه فى النار وقد شدد (ص) فى ذلك وبين أن الكاذب عليه فى النار ؛ تعمد الكذب أم لم يتعمد فى قوله فيما رواه ابن عمر « ان الذى يكذب علىَّ يبنى له بيت فى النار » وقد زاد تشدداً بقوله فيما رواه عثمان بن عفان « من قال علىّ ما لم أقل فإنه إذا فعله غير متعمد للكذب استوجب هذا الوعيد من المصطفى . ومن روايات هذا الحديث « من نقل عنى ما لم أقله فليتبوأ مقعده من النار » قالوا وهذا أصعب ألفاظه وأشقها لشموله المصحف واللحان والمحرف .

أما — تواتر — هذا الحديث سواء أكان بهذه الزيادة أم بغيرها ، فانهم (لم يجمعوا عليه) قال الحافظ بن حجر[1] « ولأجل كثرة طرقه أطلق عليه (جماعة) أنه متواتر ونازع بعض مشايخنا فى ذلك لأن شرط التواتر ، استواء طرفيه وما بينهما فى الكثرة ، وليست موجودة فى كل طريق منها بمفردها . ويتبين مما قاله ابن حجر من أطلق على هذا الحديث أنه متواتر إنما هم (جماعة) وليس ثم إجماع وأن هذه الجماعة لم تسلم من منازعة بعض شيوخه .

محمود أبو رية

(المنصورة)

فى قصيدة الغزالى

أتحفتنا الرسالة بقصائد ثلاث مما ألقاه شعراؤنا فى حفل تكريم شاعر « العباسة » المبدع عزيز أباظة باشا . ومن بين هذه القصائد قصيدة الشاعر أحمد عبد المجيد الغزالى التى مطلعها :

طلعت بأفق العبقرية صاعداً … فأدركت مجديها طريفاً وتالداً

وهى فى الحق قصيدة جيدة لعلها من عبقريات شاعرنا الغزالى ، بيد أنه وقع فى خطأ يسميه العروضيون « سناد التأسيس » فى بيتين من قصيدته الجميلة إذ يقول :

كأن به فى حلة الملك رافلا … يخب بدنيا ليس يدنو لها مدى

عوالم هذا العصر أنت وسمتها … بفنك لم تعجز لساناً ولا يدا

فتراه قد أهمل فى هذين البيتين ألف التأسيس التى تراها فى كلمة الروى « تالداً » والتى كررت فى كل أبيات القصيدة خلا هذين البيتين ...

ومنى على الشاعر تحية وسلام .

محمد محمود رضوان

---

(١) (الرسالة) : جاءنا رد الأستاذ أبى رية على الأستاذ أبى شهبة فى حينه ولكننا أخرناه سهوا وسننشره فى العدد الذى يلى الممتاز .

(١) والكلام فى مثل هذه المسائل يطول ولكننا نميل إلى جانب وهو كاف لمن يريد أن يقتنع .

فهرس الموضوعات للسنة الثالثة عشرة من الرسالة